الترجمة والخصوصية القومية للغة

أ.د. حميد حسن الجنابي

جامعة تكريت/كلية الآداب

يكتسب موضوع الترجمة واللغة أهمية متنامية بعد أن أصبحنا نشّبه العالم " بالقرية الصغيرة "، بفضل التطور العلمي الهائل، وخصوصا مايتعلق بوسائل الاتصال والأعلام. بل يمكن القول أن الانتشار اللغوي بات أمرا ضروريا لتسهيل عمليات التبادل العلمي والثقافي والتجاري، واستجابة للدعوات المتزايدة للخوض فيما يسمى ب" حوار الحضارات".

وقبل الخوض في تفاصيل موضوع البحث،علينا أن نشيرالى أن اللغة وارتباطها الوثيق بقضايا الثقافة لم تعد مسألة نظرية ينحصر تأثيرها بين جدران الجامعات والمؤسسات الثقافية الأخرى.، بل نستطيع أن نتلمس جليا تأثيرها على مختلف مستويات التطور في المجتمع.

لقد بدأ العالم منذ سنين يتحدث عن (الفعل الاجتماعي المشترك) كنظرية جديدة لفلسفة التاريخ، التي تشيرالى الأساليب الممكنة لتطور الواقع الاجتماعي من (الفوضى) نحو (النظام). وقد بدأت هذه النظرية تنتشر في أوربا وبلدان العالم الأخرى، حيث تستند في أساسها إلى فكرة تعاقب مراحل (الفوضى) و(النظام) في التاريخ العالمي. وعليه يؤكد دعاة هذه النظرية " علينا أن ندرك أن لامجال لاتخاذ مواقف سلبية تجاه تطور الثقافة العالمية، وتجاه التقدم الاجتماعي. من الواضح أن القرن الواحد والعشرين هو قرن العقل. ونحن بحاجة إلى أسس عقلانية لأدراك انتقال الإنسانية إلى مرحلة جديدة من الثقافة "[١].

عدا ذلك، لابد للحديث عن اللغة والترجمة أن يقودنا إلى حقائق عديدة، منها ما يتعلق بالثقافة والإرث الحضاري، وأسلوب التفكير الإنساني للمجتمع ، ومنها ما يرتبط بمستجدات العصر الحديث، وتأثيرها على نمط الحياة اليومية،الذي ينشأ كنتيجة فعلية لتأثير الثقافة الجماهيرية فيه "لقد أصبح القرن العشرين فضاء تاريخيا لسيادة " الثقافة الجماهيرية "،التي بدأت تفهم تدريجيا، كما يؤكد الغربيون والأمريكان، على أنها ليست ظاهرة جمالية روحية حسب، وإنما ظاهرة تجارية تبنت الاستهلاك الواسع واستجابت لأذواق الجميع.وكان" المفتاح" لسر إبداعها يكمن في جاذبية التسلية فيها، وحافز انتشارها السريع – في أمكانية كسب المال بتوظيف وسائل الطباعة والتليفزيون والمذياع والسينما والتسجيلات الصوتية والمرئية[٢].

تجدر الإشارة كذلك إلى أن مسألة التفاعل المتبادل بين اللغة والثقافة قد وجدت مكانة مناسبة وتجسيدا عمليا في مناهج وبحوث الجامعات العالمية الرصينة، حيث يمكن الإشارة إلى عناوين الموضوعات التي تتناول التأثير العملي للغات في الحياة الاعتيادية، مثل: البرغماتية في علم اللغة،علم الدلالة، وعلم الثقافة والنظريات، و علم النظريات الأنثروبولوجية للثقافات، وإدخال مادة منهجية في برامج الجامعات العالمية تحت عنوان " لغة السياحة ".. وغيرها

وتأسيسا على ما تقدم سنحاول في هذه الورقة المتواضعة إلقاء بعض الضوء على جوانب محددة في موضوع الترجمة وخصوصية اللغة القومية،مايعني التعرض إلى بعض العوامل المؤثرة على اختيار ما يسمى بـ "المكافئ المناسب " أثناء عملية الترجمة.

تعد مسألة الترابط والتفاعل المتبادل بين الترجمة واللغة مادة حيوية تتجدد مع تقادم السنين، وذلك لارتباطها بالعديد من مكونات الثقافة والتطور العلمي في المجتمع. ففي حديثه عن أهمية الترجمة يشير البروفسور. كوتدريج الى" أن غياب

المترجمين عن ميدان العمل عند بناء أبراج بابل كان العائق الرئيس أمام وصول هذه العبقرية إلينا ''[٣].

وفي حديثه عن تأثير مكونات الثقافة الجماهيرية على سلوك الفرد الاجتماعي يقول نيكولاي روديونوف. مؤلف كتاب " أسرار مجرة غوتنبرك" (تحولت الثقافة الجماهيرية، التي أنجبت العديد من وسائل الاتصال، إلى مرادف لقيم وتطلعات الناس، وهي، كما يعتقد بعض الباحثين الغربيين، تبدأ، قبل كل شئ، من التقاليد الشعبية : فالحكمة الموروثة لقرون عديدة، لم تتغلغل في القصص والأغاني والرقصات حسب، وإنما نفذت إلى الألعاب والطقوس وأنماط السلوك. أن الفلكلور، الذي أصبح مادة للدراسات الأكاديمية، يقدم فعليا وبشكل جاهز التصنيفات والأساليب ونظم الأفكار النموذجية – الفنية التي تؤلف نظاما علميا متكاملا ذا قيمة حيوية[٤].

كما ويشير العديد من العلماء إلى أن التكوين السيكولوجي للفرد متلازم عضويا مع نشأته في المجتمع المعني والمكونات الثقافية والحضارية لذلك المجتمع، أي " أن الأشخاص بغض النظر عن أجناسهم، حين ينشأون في محيط ثقافي متشابه تتكون لديهم ذات النظرة للأشياء،وذات التطلعات، ونفس طريقة التفكير. أي أن تربية الشخص تمر من خلال تأثير الثقافة القومية التي ينتمي إليها الأشخاص المحيطين بهذا الفرد"[٥].

ولكي نلقي بعض الضوء على جدلية اللغة والترجمة نورد تساؤل البروفسور ريفورماتسكي ذائع الصيت (هل هنالك علم حول الترجمة ؟) وأجابته التي يشير فيها، لايوجد علم كهذا... فذلك يعتمد على نوع وأسلوب الترجمة.. ولكن هنالك علم واحد يمكن أن يكون مفيدا لكل نوع وأسلوب في الترجمة. انه علم اللغة.

ثم يضيف،علم اللغة هو العلم الوحيد الذي لايمكن بدونه أن نصل إلى حل أي من قضايا الترجمة، ولكن ذلك لايعني أطلاقا بان علم اللغة وحده يمكن أن يتبنى

حلول جميع قضايا الترجمة، أو أ ننا يمكن أن نكتفي بعلم الترجمة فقط لدراسة نظرية الترجمة[٦].

إضافة إلى ذلك، يؤكد معظم المتخصصين، على أن الترجمة في جزءها التطبيقي هي قضية لغوية، أما في جزءها النظري ، فهي قضية تخص علم اللغة بشكل عام. وفي موضوع ذي صلة يجري الحديث عادة عن الترابط العضوي بين اللغة والثقافة، وكيف تؤثر اللغة على الثقافة، وما هي الصيغ التي يتخذها تأثير الثقافة على الإمكانات التعبيرية والجوهرية للغة.

وفي هذا الخصوص أيضا، تشير بعض المصادر إلى أن هنالك ثلاث وجهات نظر حول الترابط بين اللغة والثقافة : الأولى وهي مرتبطة باسم فون هوملت وأ. سبيرأ، ومفادها أن العضو الرئيس في ثنائية" اللغة والثقافة " هي اللغة. أما وجهة النظر الثانية فتعد معاكسه تماما، حيث تؤكد أن تفكير الناس جميعا فيما يتعلق بالمحتوى يعد متماثلا، وأن اللغات تقوم بدور مفتاح الشفرة، لذا فان اللغة مستقلة تماما عن الثقافة. أما العلم الحديث فانه يجمع بين النظريتين في تركيبه واحده، وهو ما تمثله وجهة النظر الثالثة، والتي تقوم على أساس

التناسب بين العناصر القومية و(الانثروقومية) في كل ثقافة[٧].

ولكي تتوضح الفكرة حول ارتباط اللغة بالثقافة والفكر الإنساني لابد لنا من ألقاء بعض الضوء على جدلية " اللغة والفكر ". لقد كانت هنالك آراء كثيرة تدعوالى مماثلة اللغة والفكر بمعنى التأكيد على إن " اللغة والفكر " هما وحدة واحدة لا تتجزأ. وقد نسب غالبية الفلاسفة واللغويين قضية التفاعل بين اللغة والفكر إلى دراسة علاقة" الكلمة "و" المفهوم".

ظهرت المحاولات الأولى لمساواة اللغة والفكر شكلا وجوهرا اول مرة في اليونان القديمة عندما وضع أرسطو التناسب بين اللغة والفكر وابرز من جهة،

الأصناف القواعدية (الاسم، الفعل، أسماء الوصل)، ومن جهة أخرى، ما يساويها في الفكر (مادة التفكير= المبتدأ - في اللغة =الاسم؛ ما يقال عن هذه المادة = الخبر المنطقي / في اللغة =الفعل؛ ما يجعل هذه المقولة مترابطة= الوصل المنطقي/ في اللغة = فعل الكينونة).

ولكن الدراسات أكدت بعد ذلك أن اللغة كنظام للعلامات لايمكن دراستها معزولة عن المعاني التي تحملها هذه العلامات " اللغة التي تعتبر شكلا لوجود الفكر والتعبير عنه هي في ذات الوقت تلعب الدور الجوهري في تشكيل الوعي"[٨].

وفي ذات الاتجاه، أثار اهتمامنا كتاب البروفسوره المعروفة جيكابوفا "مدخل في علم اللغة – الجزء الأول "، والذي تضمن فصلان عن تصنيف اللغات القديمة والهندوأوربية، حيث يشير المؤلف في باب،، اللغات القديمة في أسيا الصغرى وبلاد مابين النهرين،،:" إلى ضرورة تداول اللغة للحفاظ على حيويتها حين يقول "ولكن هذه اللغات بقيت بعيدة جدا عن الدراسة المعمقة لأنها لم تستخدم لاحقا، وكون مادة البحث التي حصل عليها المنقبون شحيحة جدا. كما أن حل رموز الرقم الطينية قد واجه مصاعب جمة: حيث لايمكن تحديد كيفية تلفظ الرموز المكتوبة بسهوله، وماذا تعني على وجه التحديد. يقول المتخصصون: الرموز المرسومة مفهومه، ولكن من غير المعلوم كيف تلفظ الكلمة التي تقابل هذا الرمز؟ الرقم الطينية يمكن قراءتها، ولكن لايمكن فهم المعاني بشكل دقيق.."[٩].

بعبارة أخرى، لايمكن لأي شخص أن يدرك ماهية الأشياء وجوهرها إلا أذا تعامل معها وتعرف عليها بعد حفظ مفاهيم المفردات التي تعني هذه الأشياء في ذاكرته.

وهكذا، فان لكل امة خصائص نوعية، وخصوصية تميزها عن غيرها من الأمم. ولاشك في أن العديد من السمات الحضارية والثقافية تدخل ضمن هذه

الخصوصية، منها،على سبيل المثال، الطباع، الثقافة الروحية، شكل الخط والنحت، نبرة الإيقاع الموسيقي، الأسلوب الأدبي.. وغيرها.

يقول المؤلف ف. روسيلس في مقاله عن الترجمة الأدبية الفنية " يمتلك الإنسان كممثل لهذا المجتمع أو ذالك تكوين نفسي منفرد – وسمات محددة لطابع قومي معين، حيث يتمثل هذا الفرد في صفحات النتاجات الأدبية محاطا بأدوات حياته اليومية والبانوراما القومية. وهكذا يصبح الشكل القومي، أي شكل حياة الشعب مادة للتعبير في النتاج الفني وجزء من محتواه. ثم يضيف،لذا عند قراءتنا للنتاجات الأدبية يطالعنا كم هائل من الوقائع الحياتية.."[١٠].

تجدر الإشارة، إلى إن المؤلف المذكور قد أحصى عند ترجمته لإحدى الروايات أكثر من (٣٠٠) ثلاثمائة وصف لمناظر الطبيعة والحياة، على المترجم، أن أراد نقلها بدقة، أن يكون عارفا بها ومطلعا عليها،.. ملما بأسماء أشجارها وطيورها..

وفي العودة إلى أهمية الترجمة في عملية البناء الثقافي للمجتمع المعني، لابّد لنا أن نتساءل : أين سيكون موقع الترجمة من الفكر واللغة ؟ وهل هي مرتبطة باللغة أم بالفكر.وما هي المعوقات الأساسية التي يمكن أن يواجها المترجم أثناء ممارسته عملية الترجمة، وخصوصا ترجمة النصوص الأدبية الفنية.

وقبل البدء في الحديث عن تفاصيل الصعوبات التي تعترض سبيل المترجم، علينا أن نشير إلى أن حديثنا عن الترجمة، بوصفها عمل إبداعي، يفترض الإقرار بحيويّة اللغة، وبتنوع مفرداتها، وبغزارة المعاني الدلالية فيها، وتجدد هذه المعاني باستمرار. لابد من التنويه أيضا إلى أن معاني المفردات اللغوية والصور الأدبية الفنية لايمكن إن تظهر بصورتها المطلوبة إلا من خلال النص.

إن علم اللغة وآدابها الذي ظهر كنتيجة لدراسة النص، كما يؤكد ل. نوفيكوف في كتابه (تحليل النص الأدبي الفني)، بدأ ينتقل ثانية في السنين الأخيرة من

المجالات المغلقة إلى دراسة النص كوحدة متكاملة وفعاله،، اللغة في التداول،،(١١). إن علم دراسة النص الذي بدأ ينتشر بشكل واسع – هو أحد الاتجاهات الرئيسة لعلم اللغة في العالم في القرن الواحد والعشرين. وقد أدت حيوية دراسة النص إلى ظهور فروع جديدة في علم اللغة (قواعد النص، النحو في النص، علم الأسلوب في النص)...وغيرها. ويحتل (علم لغة النص الأدبي الفني) مركز الصدارة بين هذه العلوم.

إضافة إلى ذلك، لاينبغي الحديث عن ترجمة النصوص اللغوية والأدبية وعن تأثير مختلف العوامل في عملية الترجمة بشكل مجرد دون الإشارة إلى ما يمكن تسمية " المغزى الدلالي الغير مرئي " في النص،ذلك أن أفضل التراجم هي تلك التي استطاع المترجم أن يجسد فيها "روح النص " وليس " النص المجرد ".

بقي أن نقول: إن الترجمة هي عملية لغوية وفكرية أبداعية، تستند، إضافة إلى ماتقدم، إلى مبدأ الثقافة والاطلاع المعرفي. كما يمكن أن نلاحظ إن الحديث عن اللغة والثقافة يرتبط بشكل وآخر بالخصوصية القومية، ولا عجب في ذلك، لأن الثقافة هي امتداد للإرث القومي للأمة. بمعنى أن الميزة الحقيقية للترجمة المكافئة هي قدرتها على تجسيد الطابع القومي للنص المترجم عنه.، بكلمه أخرى، لاينبغي للمترجم الذي ينقل النص المترجم، على سبيل المثال، من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، أن يحاول إقحام الصيغ القواعدية واللغوية للنص الأجنبي في اللغة العربية.بل على العكس، يجب أن يكون النص المنقول إلى اللغة العربية مفهوما تماما للقارئ العربي مع محافظته على خصوصيته القومية ونكهته الأسلوبية التي أخذها عن المؤلف.

يقول الدكتور صلاح فضل في كتابه " علم الأسلوب " " لايمكن أن ندعو إلى النسخ والتقليد، أو تقبلهما في قضايا تتعلق بالذوق الجمالي، أو بالخصائص المميزة لكل لغة من اللغات، أو فن من الفنون،.. (..) علينا التسلح بأدوات التحليل العلمي

التي تصبح بمجرد الاهتداء إليها في لغة من اللغات ملكا للإنسانية بأجمعها،ولا ينفعنا في شئ أن نعمى عنها أو نتجاهلها بدعوى الوفاء لتراثنا، لأننا حينئذ نجني اول ما نجني عليه، إذ نعجز عن إحيائه وإثرائه واستنقاذه من التقلص و الضمور(١٢).

مما تقدم نجد أن عملية الترجمة مرهونة بالعديد من العوامل التي تنتمي لمختلف العلوم اللغوية والثقافية والمهارات الأخرى. وغالبا ما يضع المتخصصون هذه العوامل في إطاريين محددين هما: ١) العوامل اللغوية ٢) العوامل اللغوية المضافة.

و لايخفى على أحد، إن العوامل اللغوية واللغوية المضافة أنفة الذكر لابّد أن يكون تأثيرها مترابط ومتبادل أثناء عملية الترجمة، وأن تحديدها ما هو إلا إجراء تنظيمي شكلي. لأننا، في الواقع، لانستطيع التمييز بدقة بين العوامل التي أثرت على المترجم عند نقله للأفكار المراد ترجمتها. بعبارة أخرى، حين ينتقي المترجم عبارة معينة (مكافئه) بشكل و أخر للنص المترجم عنه (يفترض) أن تكون هذه العبارة قد (مرت) من خلال (المرشح) الذهني للمترجم عبر (رقائق) لغوية عديدة : علم النحو، علم المفردات، علم تركيب الجملة، علم الدلالة، ما يسمى " تقدير الموقف"،وما " يريد المؤلف قوله في النص"، علم الأسلوب.. وغيرها.

ولما كانت الترجمة تتعامل أساسا مع مدلول المفردة، فلا بّد هنا من التذكير بأهمية المفردة في بناء النص. حيث تشير جميع الدلائل إلى تنامي الأهمية التي تحظى بها الخصوصية الدلالية للمفردة. لاسيما بعد تزايد انتشار اللغات الأجنبية. وقد تنبهت معظم المؤسسات العلمية والثقافية إلى هذه الحقيقة فأصدرت في العقود الأخيرة عددا كبيرا من المعاجم اللغوية والموسوعية المختلفة، بما فيها المعاجم الالكترونية.

وفي معرض حديثنا عن مدلول المفردة، لابّد من الإشارة إلى آراء المتخصصين حول ضرورة عدم المساواة بين (المفهوم) و(المعنى) في المفردة،لان

المفردة هي وسيلة التعبير عن المفهوم. ولكن بنّية (المعنى) تسمح له بان يصف (ذات المفهوم) بأشكال مختلفة. أضافة إلى ذلك، لايرتبط (المفهوم) بلغة معينة بالتحديد، في حين يرتبط (المعنى) بمفردة محددة في لغة محددة، ولايمكن أن يتجرد عنها. لذا جرى التأكيد على (أن المعنى يتكون من جزء مادي – denotation وهو ما يماثل المفهوم، وجزء أضافي – connotation وهو ما يعبر عن اللمسات الشخصية عند استيعاب هذا المفهوم وتسميته)(١٣).

يمكن أن تظهر خصوصية المفردة القومية، على سبيل المثال، في العبارات المختلفة التالية، التي تبدو للوهلة الأولى وكأنها تعني ذات الشئ : الطابق الأول –في اللغة العربية؛ erster stock– في الألمانية؛ pervi etach – في الروسية؛ emier etage – في الفرنسية؛ first floor – في الانكليزية. ولكنها في الواقع، طوابق مختلفة، ففي اللغات الأوربية يسّمون الطابق الثاني الطابق الأول، والذي يبدأ العد منه، أما الطابق الأرضي فهو (floorground). وعادة ما تدعى هذه التسميات بـ(أصدقاء المترجم الوهميون)(١٤).

في مثال أخر، على المترجم أن يختار إحدى المفردات المتشابه التالية، رغم أنها جميعا تعني (قدره): ability، aptitude، faculty،capacity . في اللغة الانكليزية كذلك المفردة (finger) تعني (أصبع اليد) و(toe) تعني (أصبع القدم) في حين تستخدم مفردة واحدة للمعنيّين في اللغات الأخرى.

يمكن أن تنعكس خصوصية اللغة المرتبطة بالإرث الحضاري للمجتمع في تسميات لايمكن نقلها إلى لغة أخرى إلا بمصاحبة مفردات (شروحات) أضافية، على سبيل المثال، في اللغة الروسية المفردة (devojka) تعني (بنت صغيرة) و (devoshka) تعني (بنت كبيرة).. كما ترون لايمكن ترجمة هذه المفردات إلى

العربية إلا باستخدام مفردتين، أما إلى الانكليزية فالمفردتين يمكن ترجمتها بمفردة واحدة هي (girl).

ذات الشئ ينطبق على المفردات الفرنسية الآتية : civilite –– اللياقة بين الناس؛ politesse – اللياقة في العمل؛ galantevie – لياقة الرجل تجاه المرأة؛ courtoisie – لياقة الحاشية الملكية..

لا تشكل الأمثلة " التقليدية " كالتي جرى ذكرها، صعوبة تذكر أثناء عملية الترجمة مقارنة بالحالات الإشكالية التي تواجه المترجم أثناء ترجمته، على سبيل المثال، للنصوص الأدبية الفنية، التي تجسد،عادة، تفاصيل حياة الشعوب وتقاليدهم، وطرق عيشهم، وطبيعة بلدانهم.. وتظهر هذه الصعوبة جلية عندما يحاول المترجم إيجاد "المكافئ المناسب " لحالة معينة في النص المترجم عنه.

وفي معظم الحالات يواجه المترجم خيارين أحلاهما " علقم "، فما أن يتقيد بالترجمة الحرفية "المقيتة"

والتي أن لم تشوه النص المنقول عنه، ستجعله شاحبا ومفرغا من حلاوة الأسلوب ونكهة الخصوصية القومية بعد نقله إلى اللغة الأخرى. أو أن " يرضى " بإعطاء مكافئ " مقارب ". ولا بد هنا من التنويه إلى أن " مكافئ مقارب " لا تتعلق إطلاقا بالنص المجرد والصيغ اللغوية العامة، وإنما بمحاولة المترجم الوصول إلى إيجاد " المقابل الدقيق " للصيغ اللغوية والدلالية والحالات التي ليس لها " مكافئ " في اللغة المترجم إليها. ولما كانت اللغة المعنية، كما أسلفنا، تعكس ماضي وحاضر الأمة التي تنتمي إليها، وكونها تتبع قوانين تطور خاصة بها، لذا سوف لن يكون اختيار " المكافئ المناسب " عند الترجمة خاضعا للمعايير والقوانين اللغوية حسب، وإنما للعديد من المعايير الأخرى، والتي جرى الحديث عنها آنفا.

من الطبيعي القول: أن عملية الترجمة مرتبطة بصورة مباشرة باستخدام المعاجم اللغوية، وان علم المعاجم قد قطع شوطا كبيرا جدا فيما يتعلق باللغات الأجنبية. ولكن ذلك لايعني أن المعجم اللغوي، يستطيع دائما " مساعدة " المترجم، فقد تصادف المترجم حالات كثيرة يشعر فيها أن الكلمة التي يبحث عنها، وقد يجدها في المعجم اللغوي لاتتناسب تماما مع المدلول اللغوي الذي توقف عنده في النص المترجم عنه. وهذا أمر طبيعي، لان المعجم لايمكن أن يوفر لنا جميع المفردات المناسبة، بل أن العديد من الصيغ والمفردات الجديدة، والتي تعد " مكافئ مناسب " يمكن أن تظهر من خلال البحث والتقصي أثناء عملية الترجمة. ولهذا السبب بالذات تعتبر الترجمة، كما هو معروف، عملا فنيا إبداعيا، وليس عملا آليا.

انطلاقاً من هذه الفكرة نستطيع الحديث عن الدور الجوهري الذي يمكن أن تلعبه الترجمة في قضية أغناء اللغة الأم، ورفدها بكل ما هو جديد، وتجديد حيويتها من خلال البحث والاستقصاء. " الترجمة فعل حضاري يعكس تلاقحاً ثقافيا بين نمطين من المستويات الفكرية للنشاط الإنساني، ويعكس أيضاً رغبة أكيدة للاستفادة من التجارب الإنسانية ومحاولة نقلها إلى اللغة الآم.. من دون المساس بروح النص، وفي الوقت نفسه مراعاة خصوصية اللغة المنقول إليها النص "[١٥].

ولكن الإثراء اللغوي لا يمكن أن يحصل إلا من خلال التفاعل البناء للغات المختلفة، وقدرة القائمين على الترجمة على انتقاء الأفضل، ورفض الصيغ الدخيلة والمفتعلة. وهذا، بلا شك، مرهون بكفاءة المترجم وتمكنه من اللغتين؛ اللغة الأجنبية واللغة الأم.

ولهذا نجد أن الباحثين والمترجمين، على حدٍّ سواء، قد يجدوا ضالتهم في النصوص الأدبية الفنية، التي تتميز بلغة خاصة تختلف عن سواها. وخصوصية النص هذه، هي في الواقع، تكرار " لمعاناة " المترجم، إذ يتوجب عليه أن ينقل في

ترجمته جميع الصور الحياتية، ومناظر الطبيعة، ووتيرة الحياة التي جسدها الكاتب في النص المترجم عنه. لذا يمكن القول إن الترجمة هي بحث وإبداع دائم يرتبط بشكل مباشر بمسألة إتقان المترجم للغة الأم إضافة إلى اللغة الأجنبية.

من جهة أخرى،لابد أن يقودنا ذلك إلى ملاحظة الاهتمام الكبير الذي توليه مختلف شعوب العالم، وخصوصا المتقدمة منها، إلى تطوير لغاتها القومية، وجهودها الحثيثة لنشر لغاتها على المستوى الدولي، وجعل اللغة المعنية أداة لنشر ثقافاتها. وفي هذا المجال تجدر الإشارة، على سبيل المثال، إلى أهداف ومقررات لجنة مجلس الوزراء الأوربي لعام 2001 والذي تم إعلانه عاما للغات في أوربا (European year of languages) والتي تضمنت:

- تعميق الوعي اللغوي والثقافي الأوربي تجاه الإرث كمصدر للإثراء المتبادل في المجتمع.
- تطوير تعدد اللغات لدى المواطن.
- تشجيع ودعم دراسة اللغات بغض النظر عن السن.
- مبادرة "عام اللغات" غير موجهه لشريحة معينة من المجتمع بل لجميع المواطنين دون استثناء.
- إقامة مختلف المؤتمرات العلمية والمهرجانات اللغوية التي تهدف إلى نشر وتطوير اللغة المعنية.
- حملات في وسائل الأعلام موجهه لرفع الوعي الاجتماعي حول دور اللغات في تطور المجتمعات.
- تشجيع مبادرات تعريف الأطفال في سن مبكرة بأهمية اللغات والثقافة.
- الاهتمام بلغة المغتربين الذين يعيشون في البلد المعني.
- استخدام تكنولوجيا الاتصالات والأعلام.

- تشجيع السياحة للغرض ذاته.
- دعم اتفاقية البرامج اللغوية المعنية بالترجمة.
- دعم دراسة اللغات بغض النظر عن السن من خلال ما يسمى ب" الحقيبة الأوربية اللغوية".
- دعم المبادرات المرتبطة بالمناهج المدرسية في أطار " عام اللغات ".
- تشجيع دراسة اللغات الجديدة.
- تسييرما يسمى بـ" القطارات اللغوية ".

وقد شارك في الإعداد لـ " عام اللغات " اللجان والمؤسسات الثقافية الحكومية والمدنية، ومنظمة اليونسكو، ومنظمات اللغات المعاصرة، وغيرها. وتجدر الإشارة للدور البارز والمفصلي الذي قامت به المؤسسات الثقافية (cultural institutes) والمؤسسات والمعاهد المسؤولة عن نشر لغة البلد المعنى في العالم وهي :

- **المجلس البريطاني — اللغة الانكليزية**
- **معهد اللغة البلغارية — اللغة البلغارية**
- **الاتحاد الهولندي اللغوي — اللغة الهولندية**
- **المجلس الشمالي — اللغة الدنماركية**
- **معهد سرفانتس — اللغة الاسبانية**
- **معهد دانتي اليكلرا — اللغة الايطالية**
- **معهد غوته — اللغة الألمانية**
- **معهد كامونس — اللغة البرتغالية**
- **معهد بوشكن — اللغة الروسية**
- **المعهدالحكوميللبحوثاللاتينية — اللغة السلوفينية**

- **المعهد السويدي — اللغة السويدية**

ومما يثير الاهتمام أيضا، هو دعوة المشاركين إلى عدم اكتفاء المؤسسات الثقافية بالتعاون في إطار العام الأوربي للغات حسب، وإنما سعيها لتأسيس اتحاد المؤسسات الثقافية التي يجب أن تحصل على تمثيل رسمي بصفة " مستشار " في المجلس الأوربي كما هو الحال بالنسبة لجمعية الممتحنين في أوربا ALTE، والمجلس الأوربي للغات الأقل استخداما، واتحاد جمعيات اللغات المعاصرة العالمي FEPCV[١٦].

لم يبقى لنا ألا أن نقول، علينا أيضاً التأكيد على مسالة الاهتمام بلغتنا العربية الجميلة، وأن نجعل من الترجمة والتفاعل مع اللغات الأخرى مصدراً لإثرائها بكل جديد وإغناء معجمها بما يتلاءم والتطور العلمي المعاصر، وبكل ما ينسجم مع " الذوق " اللغوي للمرحلة.

الهوامش:

(١) مؤتمر عموم روسيا (الواقع الاجتماعي والنظريات الاجتماعية) ، سانت بطرسبورغ، جامعة سانت- بطرسبورغ ، 28 -29 مايس ، 1998 .
(٢) نيكولاي روديونوف . أسرار مجرة غوتنبيرك ، موسكو ،" الأدب الفني " ، 1989 .
(٣) اليكسي كوندزيج . الفكرة المترجمة وترجمة ما بعد الأفكار : قضايا الترجمة الأدبية الفنية ، موسكو، "الكاتب السوفيتي " ،1980، ص 213.
(٤) نيكولاي روديونوف . نفس المصدر .
(٥) كوستوماروف و فيريشاكن. اللغة والثقافة، موسكو،" إصدارات جامعة موسكو"، 1988، ص 40 .
(٦) ل . سوبوليوف . حول ترجمة الصورة المثالية : قضايا الترجمة الأدبية الفنية، موسكو،"الكاتب السوفيتي"،1980 ، ص262 .
(٧) كوستوماروف و فير يشاكن . نفس المصدر ، ص 46،47 .
(٨) حول قضية الترابط بين اللغة والفكر، موسكو، أكاديمية العلوم السوفيتية، دار العلم، 1967، ص30-37.
(٩) أ. جيكابوفا . مدخل في علم اللغة، الجزء الأول، موسكو، "أصدارات وزارة التعليم العالي"، 1953، ص 224 -235 .
(١٠) روسليس ف . الترجمة والتفرد القومي الأول ؛ قضايا الترجمة الأدبية الفنية، موسكو، " الكاتب السوفيتي "، ص 175 .
(١١) نوفيكوف . تحليل النص الأدبي الفني، موسكو، 1988، ص 9 .
(١٢) الدكتورصلاح فضل. علم الأسلوب،القاهرة، مؤسسة مختار للنشر،1992، صفحة7.
(١٣) بوبوفا، ستيرنين. النظام المفردي للغة. فارونش، جامعة فارونش، 1984، ص27.
(١٤) نفس المصدر . ص 99 .
(١٥) محمد تحريشي، أدوات النص، دراسة، دمشق، " منشورات اتحاد الكتاب العرب "، 2000، ص96.
(١٦) مجلة فيسنيك، الجمعية العالمية لمدرسي اللغة الروسية، العدد28، معهد بوشكن، موسكو، 2000، ص 32-33 .

السيرة الذاتية التراثية
بلاغة القراءة وإشكالية المحتوى

أ . د . محمد صابر عبيد
جامعة تكريت/كلية التربية

يتناول هذا البحث الإنجاز المهم الذي قدّمه الدكتور محمد قاسم مصطفى – تحقيقاً ودراسة – بعنوان ((الروزنامجتان)) للباخرزي[١]، وهو نص- كما يصفه المحقق – في السيرة الذاتية الأدبية من القرن الخامس الهجري، في محاولة لرصد أنموذج من نماذج جنس أدبي يحظى بأهمية كبيرة في المدوّنة السردية هو السيرة الذاتية، ولاسيما أن النص متقدم نسبياً وله أهمية كبيرة على هذا الصعيد .

قام الدكتور محمد قاسم بتحقيق هذه المخطوطة والتقديم لها، وكان هذا التقديم الموسوم بـ ((المفهوم والتحليل))، بمثابة مقترح لقراءة أدبية ونقدية تقف على الخصائص والأصول التي تتحكّم في بناء هذا الجنس الأدبي السردي، وتسعى إلى إدراج هذا النص ضمن سياق فن السيرة الذاتية الأدبية .

طرح المحقق/الدارس الكثير من الآراء والأفكار والقيم الفنية والموضوعية التي تتعلّق بهذه الوثيقة الفنية المهمة، التي تحتاج- في تقديرنا- إلى مناقشة تسعى إلى إخضاع المسافة النقدية بين بلاغة القراءة وإشكالية المحتوى لتحليل علمي دقيق، يستهدف أول ما يستهدف تقويم هذا العمل المهم بكيانه النصّي، والإشادة بالجهود الكبيرة المضنية التي بذلها المحقق في إخراج هذا النص إلى حيّز الوجود، سواء على صعيد العمل التحقيقي أم على صعيد الإجراء القرائي، ومن ثم مناقشة الفكرة الأساسية في الدراسة التي تنهض على اعتبار هذا النص نصاً في السيرة الذاتية الأدبية .

المفهوم : **سياسة الدفاع عن الأنموذج**:

حاول المحقق في مقدمته القرائية ((التقديم/ الدراسة)) أن يضع مفهوماً محدداً للسيرة الذاتية الأدبية، بما يخدم شكل وطبيعة ((الروزنامجتين))، ويجعلها داخل دائرة هذا الجنس الأدبي بأي شكل من الأشكال، على النحو الذي يسهّل عليه إقناع مجتمع القراءة بأهمية النص بوصفه سيرة ذاتية أدبية .

فنقل في البداية ما أورده "الخوارزمي" في "المعجم الوسيط" من تحديد لمصطلح الروزنامجة أو الروزنامة، التي هي عنده "كتاب اليوم" الذي يتم فيه معرفة الأيام والشهور وطلوع الشمس والقمر على مدار السنة .

أما محمد حسن آل ياسين فقد عرّفها بـ((اليوميات)) بوصفها ترجمة للكلمة الفارسية ((الروزنامجة))[٢]، وجاء في دائرة المعارف البريطانية إن ((اليومية)) هي تسجيل يومي للتجارب، والملاحظات، والخبرات، والآراء الذاتية، وقال المحقق إن ((هذا التعريف المعاصر موافق لمفهوم الصاحب والباخرزي في روزنامجتهما))[٣].

وهذا يعني أن الروزنامجتين هما– على هذا الأساس– تسجيل يومي– للتجارب– الملاحظات– الخبرات–الآراء الذاتية، وبحسب ما يراهما المحقق، وعلى النحو الذي يدخلهما في جنس السيرة الذاتية الأدبية .

وفي الوقت الذي يكون فيه عنصر "الملاحظات" ممثلاً لبنية خارجية في التشكيل النصّي السيرذاتي، فإن العناصر الأخرى "التجارب/ الخبرات/الآراء الذاتية" ذات تشكيل بنائي داخلي في هذا السياق الإبداعي للجنس الأدبي .

على هذا الأساس فإن وصف المحقق لنص الروزنامجين بأنه يحتوي هذه العناصر المشكّلة للجنس الأدبي، وأن مفهوم الباخرزي في نصّه هذا موافق للتعريف المعاصر الذي نقله المحقق عن دائرة المعارف البريطانية، أمر يحتاج إلى نقاش للتدقيق في هذه العناصر والبرهنة على مدى موافقتها للتعريف بهذا الخصوص .

إذ إن نص الروزنامجتين قد توافر في هذا الإطار وضمن تحديد سياق العناصر المشكّلة للمفهوم على الكثير من "الملاحظات"، وعلى جانب بسيط ومحدود

ومختصر من "التجارب/ الخبرات/ الآراء الذاتية"، فهذه العناصر الثلاثة يجب أن تتأصل في السيرة الذاتية عبر مواقف فلسفية وتجارب حيّة عميقة ترتبط بهذه المواقف، وتتمخّض عن قيم كبيرة تسوّغ عملية اعتماد هذا الفن وسيلة للتعبير .

وهي إن وجدت في هذا النص فلم توجد إلا بشكلها السطحي العابر، الذي لا ينطلق من رؤية فلسفية عميقة تؤهّله لتمثيل العناصر على نحو مفهومي شامل ودقيق، وتسوّغ إدراجه – بعد ذلك– ضمن الفضاء التشكيلي لهذا الفن .

بذلك لا يمكننا أن نعدّها ((سيرة ذاتية أدبية)) بالمعنى الفني الدقيق للجنس الأدبي السيرذاتي، لأنها يجب أن لا تكون "حديثاً ساذجاً عن النفس" ولا هي "تدوين للمفاخر"، بل يجب أن يكون كاتب السيرة على قدر كبير من الجرأة والذكاء والقصدية، بحيث يحدّثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته بعمق وصراحة وحيوية، وهذا ما افتقدناه على نحو كبير في نص الباخرزي الذي قد يكون خلا تماماً من هذه الخاصية النوعية المهمة، وانهمك بدرجة أكبر في الجمع والنقل والرواية .

نقل المحقق لخدمة الغرض ذاته رأياً في أبرز خصائص فن السيرة الذاتية للدكتور يحيى إبراهيم عبد الدايم في كتابه ((الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث)) يحدد فيه مفهوماً فنياً للترجمة الذاتية، التي يعتقد أن هذا النص يمثل على نحو ما شكلاً من أشكالها، يقضي بأن أبرز خصائصه المميزة أن يكون لها بناء فني واضح، مرتبة فيه الأحداث والشخصيات، ومصاغة صياغة أدبية محكمة[٤].

وإذا كانت هذه الخصائص الثلاث التي قدّمها الدكتور عبد الدايم في كتابه المبكّر عن هذا الجنس الأدبي "البناء الفني الواضح/ ترتيب الأحداث والأشخاص/صياغتها صياغة أدبية محكمة"، قد توافرت في نص الروزنامجتين، فإن خصائص أخرى أكثر أهمية أغفلها التعريف، وأهملها المحقق، وخلا منها النص .

لعلّ في مقدمتها ضرورة قيام هيكل البناء على "البعد الذاتي" المستند إلى قاعدة فكرية تفلسف الموضوع وتبرر قيامه، هذا البعد الذاتي في قيمته النوعية التي تجعل من الذات محوراً مركزياً تنهض عليه فكرة بناء السيرة الذاتية .

ربما نستطيع بعد هذه المراجعة للمفهوم التي أخضعها المحقق لسياسة واضحة تستهدف الدفاع عن الأنموذج، المراد هنا إدراجه ضمن دائرة فن السيرة الذاتية، ومنح النص صفة إضافية ليست من جنسه، أن نشعر برغبة أصيلة لديه لمقاربة النص على هذا الأساس خلافاً لحقيقة توجهه نحو مجال فني وأجناسي آخر.

إن الواضح في صياغة نص الروزنامجتين أنه يمكن أن ينتمي إلى الصنف الإخباري المحض من السيرة الذاتية، الذي يقوم على تسجيل الحكايات ذات الطابع الشخصي وروايتها والتعريف بأجوائها، وهي تقدم على شكل تجربة، أو خبر، أو مشاهدة، أو ملاحظة، يتخللها وصف ميداني للأحداث العارضة، وتسجيل للمذكرات التي كتبها صاحبها تحقيقاً لغاية تاريخية بالدرجة الأساس.

لاشك في أن المقصدية في التأليف تمثّل ميثاقاً قرائياً مهماً لتحديد هوية الجنس الأدبي، على المتلقي أن يلتزم به ويتقيّد بحدوده من أجل الوصول بقراءته- إذا ما توافرت لها الشروط الصحيّة الأخرى- إلى مرحلة بلاغة القراءة، وهو ما لم يقرره الكاتب في مشروعه لتأليف هذا الكتاب، بل أضافه المحقق تقديراً منه أن النص يمكن أن يدرج ضمن سياق هذا الجنس الأدبي في أنموذجه هذا.

البناء الفني وعمومية الأحكام:

قرّر المحقق في تحليله لنص الروزنامجيتن أنهما تنتميان انتماءً مباشراً وحاسماً إلى فن ((السيرة الذاتية الأدبية))، على وفق المواصفات الفنية والبنائية التي أسبغها عليها، إذ إنها تعدّ في رأيه نمطاً من أنماط السيرة الذاتية الأدبية، وقدّم فيها فناً واضح الملامح في عناصر العمل الأدبي التي شكّلتها.

وهو يميل في الوقت نفسه إلى أنها ((جنس أدبي أتقنه الباخرزي، وهيأ له الإمتاع الفني من جماع أحداث ومشاهد وشخصيات وبناء))(٥)، إذ يجتهد في حشد شبكة من العناصر التي يمكن أن تؤهّل النص للانخراط في جنس السيرة الذاتية.

ويمكننا أن نستخرج من هاتين الملاحظتين اللتين أوردهما الأحكام الآتية:

1- فن واضح الملامح.

2- جنس أدبي أتقنه الباخرزي.

3- هيأ له الإمتاع الفني من جماع أحداث ومشاهد وشخصيات وبناء.

ففي الوقت الذي تكون فيه عبارة ((فن واضح الملامح)) غير دقيقة تماماً وغير واضحة قياساً إلى واقع النص وهويته الأجناسية، وعبارة ((جنس أدبي أتقنه الباخرزي)) لا تخلو من عمومية وإطلاق ومجازفة وصفية، وخلو من وضع القواعد والقوانين التي يجب أن تحكم الوصف بوصفه جنساً أدبياً، فإن العبارة الثالثة ((هيأ له الإمتاع الفني)) قد تصدق على عموم النص وبنسب متفاوتة.

ثم أن وصف محتوى العمل بوصف ((جماع أحداث .....)) ربما يخرجه بعض الشيء من ذاتيته الواجب حضورها في فن السيرة الذاتية، فالسيرة الذاتية لا يمكن أن توصف- في سياقها الاصطلاحي والمفهومي - بأنها جماع أحداث ومشاهد وشخصيات وبناء، لأن البناء الفني ـ على الأقل ـ في هذا الحال سينحو نحواً تلفيقياً، وهو ما حصل فعلاً لنص الروزنامجتين في جزءٍ كبير من نظامه البنائي، إذ فقد التمركز حول الذات السير ذاتية الساردة وذهب باتجاه الجمع والعرض لحالات أدبية خارجية.

أما على صعيد الغاية الأساس من كتابة هذا النص فإن المحقق يميل إلى عدّها عملاً في الجمع والحفظ والتوثيق، ((كما فعل في دميته التي وضعا لنظام الملك، ذلك أنه جمع فيها شعراً ونثراً لعلماء وأدباء التقى بهم، وحفظ لنا ما سمع منهم، بحيث كانت مصدراً أو مرجعاً مهماً لهم))(٦).

هذه الغاية تسهم- في تقديرنا- إسهاماً واضحاً في إخراج العمل من دائرة السيرة الذاتية بمعناها الاصطلاحي الدقيق، فإذا كانت غايتها علمية أو موضوعية، وكان النص مصدراً أو مرجعاً مهماً لهم- بحسب ما يرى-، فالأحرى به أن يكون عملاً أدبياً ملحقاً بكتابه السالف ((دمية القصر))، إذ إن واقع الرواية والجمع والحفظ والتوثيق هو المهيمن الواضح في واقع العمل كما هو الحال في الدمية، إلى الدرجة التي لم تستطع فيها العناصر الذاتية- التي لم يخل منها العمل على نحو ما- إنقاذه من تاريخيته ومرجعيته، وانصرافه إلى شكل آخر من أشكال الكتابة الأدبية.

ربما كان لسيطرة الشعر –جمعاً ورواية وعرضاً– على الفعل الإبداعي داخل النص وهيمنته على الشكل العام للهيكل البنائي، سبب مهم من الأسباب التي تدعونا على عدم الإقرار بأن الجنس الأدبي لنص الروزنامجتين، ينتمي انتماءً حاسماً ونوعياً إلى فن السيرة الذاتية الأدبية، فقد كان الباخرزي ((في أغلب الأحيان يقول شعراً أو ينقل لنا شعراً عن غيره من معاصريه، ويجتزئ ببيت أو أبيات من القصيدة فلا ينقلها كاملة، ويقتصر منها ما هو شرط الروزنامجة))[٧].

وقد بلغ ما ورد من شعر الباخرزي والأديب البارع الزوزني فيهما- كما يقول المحقق – أكثر من خمس مئة بيت وغيرهما خمسة آخرون أكثرهم شعراً بلغ عدد أبياته تسعة عشر بيتاً، فضلاً على أن هذا الكم الهائل من الشعر المجموع والمعروض لا يدخل في دائرة الذات على نحو مخصوص وإجرائي، فإنه قد أورد قسماً آخر من الشعر ((في أثنائهما تضميناً أو اقتباساً لشعراء مثل مجنون ليلى والبحتري وابن المعتز))[٨].

أغلب هذا الشعر الوارد في الروزنامجتين لا يتمتّع بقيمة فنية وإبداعية كبيرة ولا خصوصية شعرية متميزة، فهو شعر أخواني ومناسباتي ووصفي مجرد وبسيط، ولا يمكن في أي مقياس أجناسي أن يسهم هنا في خدمة فن السيرة الذاتية الأدبية، التي يسعى المحقق إلى تكريسه ووصف هذا النص به .

وإذا أضفنا إلى ذلك ذكر الباخرزي للكثير من الشخصيات المختلفة على صعيد وصفي غير تداخلي، ووصفه الخارجي لـ " زوزن " التي يسميها " البصرة الصغرى"، على نحو قال عنه المحقق أنه لم يره في مصدر أو مرجع آخر، على الرغم من عدم ارتباطه بالأحداث ارتباطاً حركياً، إذ إن بنية المكان السيرذاتي يجب أن تكون جزءاً لا يتجزأ من بينة الحدث في البناء النصّي السيرذاتي، فإن كل ذلك إنما يسهم في إبعاد النص عن منطقة السيرة الذاتية، ويدرجه في سياق كتابي آخر .

ثم توافرت الروزنامجتان على عدد من الرسائل القصيرة المتبادلة التي افتتحت بشعر وأحياناً يرد في أثنائها شعر، ويرد اسم كاتبها في بدء الرسالة، ونجد رسائل

وردت إشارة إليها أو فحواها، مما يبعدها مسافة أخرى عن منطقة السيرة الذاتية، لأن هذه الرسائل لا تعمّق صورة الذات الساردة في بنية النص .

فيجدر بنا أن نتساءل هنا أين موقع ((الذات)) في هذه المداخلات المتنوعة، التي تتسم بخارجيتها وإسهامها في تغييب الذات، على نحو تفتقر فيه إلى السيطرة على مجريات الفعل داخل كيان العمل الفني، بحيث تبدو وكأنها لا علاقة لها بالموضوع المعروض ولا صلة جوهرية لها بما يحصل من حراك أدبي أو حيوي.

إن ((الذات)) في هذه الحالة ستكون أداة سياقية ورابطة للأحداث حسب، في الوقت الذي يجب أن تكون فيه المحرّك الأساس للفعل، والموجّه الجوهري لحراكه الميداني، ومركزاً فاعلاً لاستقطاب أحداثه، لذلك فإن نص الباخرزي في هذه الحالة يعدّ– في مقياس التراتبية النصية لفن السيرة– ((سيرة أدبية)) أكثر منه ((سيرة ذاتية أدبية)) .

في مناقشة طبقات العمل الفني أكّد المحقق أن الباخرزي عوّل في روزنامجتيه ((على الأداء القصصي في ما يتصل بالأحداث والمناسبات التي بنيتا عليه، والشخصيات وعلاقاتها وحواراتها، والسرد والوصف، اللذين يلجأ إليهما، ورسم البيئة (المكان) الذي جرت فيه الأحداث وتحركت فيه الشخصيات))[٩].

وإذا كان جزء من هذا الكلام ينطبق على واقع العمل، فإن الجزء الأكبر لا ينطبق، إذ إن الأداء كان حكائياً أكثر منه قصصياً، والشخصيات وعلاقاتها وحواراتها لم تكن ذات نسيج قصصي واضح، والسرد والوصف جاء فيها على طريقة الرواة الذين لا يتقصّدون القصّ قدر تقصّدهم إذاعة الخبر وإيصال المعلومة، فضلاً على أن رسم المكان كان رسماً وصفياً خارجياً، ولم يكن نابعاً من طبيعة الأحداث .

ما يؤكّد هذه التصورات والمقترحات الكلام الذي أورده المحقق في صدد تقويم أسلوب الباخرزي في عمله هذا، إذ لم يكن يختلف من جهة عن ((أسلوبه في دمية القصر ورسالة الطرد))[١٠]، كما أنه ((لا يخرج عن أسلوب كتّاب عصره وخصائصه))[١١] من جهة أخرى .

وفي الوقت نفسه كان الباخرزي نفسه ((يفيد من ثقافته المتنوعة وذخيرته من الموروث في صياغاته الأسلوبية))[١٢]، ويكثر من ((التفاته إلى المعاني والتراكيب والألفاظ محاكاة واقتباساً وتضميناً))[١٣]، فإن نصّه جاء مخلصاً للتعبير عن هذه الذخيرة الثقافية المتنوعة أكثر من إخلاصه للتوجّه نحو إنجاز فن السيرة الذاتية الأدبية،الذي يحتاج إلى قصدية صريحة في التوجّه الكتابي والإنجاز النصّي.

إن المحقق بهذه المواصفات الأسلوبية يُفقد الباخرزي شخصيته الأسلوبية الواضحة، التي يمكن أن يتفرّد بها وينتج عبرها ((سيرة ذاتية أدبية))، إذ إن عنصر الإبداع فيها يكاد يكون نادراً إذا ما قيس بالمحاكاة والاقتباس والتضمين، ولاشك في أن فن السيرة الذاتية الأدبية يجب أن يخضع لرؤية ذاتية شديدة الخصوصية وعميقة التعبير، تنهج نهجاً أجناسياً واضحاً لإنجاز نص ينتمي إلى جنس أدبي معروف بلا جدال .

أما فيما يتعلّق بخاصية فنه فقد ((غلب عليه الحسّ الشعري، وهيمنت الصياغة العقلية، وخفف من غلواء ذلك الأسلوب القصصي وعناصر الأداء الفني))[١٤]، ولا ريب في أن كونه شاعراً فإن الحسّ الشعري يتسرب إلى كل ما يكتب نثراً، وهو ما يتوجب السيطرة على انسياحه وتدفقه وتمظهره في الكتابة النثرية .

أما هيمنة ((الصياغة العقلية)) عليه، فإن أسلوبه على الصعيد الفكري والمعرفي هنا لا يحتمل كثافة هذا المصطلح وثقله، لاسيما وأنه يتناقض "منطقياً" مع مصطلح "الحسّ الشعري"، وتحدثنا فيما تقدم عن مستوى الأسلوب القصصي، أما عنصر أو عناصر الأداء الفني فمصطلح عمومي يفتقر إلى الدقة والوضوح .

الاستنتاج العام:

توصل المحقق في خاتمة ((التقديم ـ الدراسة)) الموسوم بـ ((المفهوم والتحليل)) إلى جملة من الاستنتاجات التي تمخّض عنها النص في شكله العام، خضعت لأحكام فيها الكثير من الشمول والعمومية والإطلاق .

إن الروزنامجتين في رأي المحقق ((أقدم نص كامل وصل إلينا على شكل يوميات أديب. في النصف الأول من القرن الخامس الهجرية))[١٥]. وهما نص على شكل يوميات أديب وليس سيرة ذاتية أدبية، وثمة– بلا أدنى شك– فرق نوعي وشكلي بين الأنموذجين.

وكونه أقدم نص كامل وصل إلينا في هذا المجال أياً كانت التسمية، فإنه يعدّ في نظرنا عملاً مهماً يحسب للمحقق فيه فضل التحقيق، الذي انفق فيه– على ما يبدو –جهداً هائلاً، وفضل هذا التقديم الذي هو موضع مناقشة وجدل في هذه المراجعة، لكنه لا يُلزم بالتوجيه الأجناسي الذي انهمك في منحه إياه .

كما استنتج المحقق من تحليله للنص على صعيد الشكل الفني بأن الشكل ((لا نظير له في سيرة ذاتية أدبية في القديم، فهو مكتوب بأسلوب قصصي يقوم على الحكاية ووحدة الزمان والمكان والشخصيات والأحداث، وأسلوب أدبي متميز))[١٦]، وريادته على هذا الصعيد أيضاً لا تؤهله لأن يكون سبباً فنياً كافياً لإدراجه ضمن جنس أدبي معين .

وعلى الرغم من أن قدراً كبيراً من هذا الحكم المتسم بالعمومية يحتاج إلى اختبار ميداني في واقع النص، فإنه في شكله العام لا يجانب الصواب، لأنه اجتهد في قراءة النص على أساس تحليلي وتأويلي محدد، لكنه لم يتوغل في باطنية شكله ومحتواه بحيث يتمكن من تسويغ خلاصته في عدّ النص سيرة ذاتية أدبية .

ويمكن أن يُثار هنا سؤال فني– جمالي هو ما مقدار الفن في كل من هذه الوحدات في تشابكها النسيجي أيضاً ؟.

واستنتج كذلك استنتاجات أخرى قد نعثر عليها في أكثر كتب التراث التي وصلت إلينا، إذ انفرد النص- بحسب المحقق- ((بحفظ طائفة من الشعراء والعلماء، وشعرهم ونثرهم، مما لم نعثر عليه في مراجع أخرى))(١٧).

كما نظر المحقق في أن الكتاب قدّم لنا في سياق معين من سياقاته ((جانباً مهماً من الحياة الأدبية في زوزن في القرن الخامس الهجري))(١٨)، ولم يغفل وصف الحالة الاجتماعية لزوزن وطبيعة الحياة فيها .

إن ((السيرة الذاتية)) عموماً و ((السيرة الذاتية الأدبية)) خصوصاً يجب ألا تخضع لأي اعتبار لبانوراما الذات، إلا في ما يتصل بها وتكون هي المؤثرة في صياغته أدبياً، والسبب الأصيل في دخوله إلى مسرح أحداث السيرة، وما عدا ذلك من أنواع السير فإنه يعدّ أقل رتبة منها، ولاسيما تلك التي يكتبها أناس اتصلوا ببعض الرجال العظماء، فهم يحققون وجودهم عن طريق تاريخ تلك الصلات، ويكون دافع الكتابة في ذلك خارجياً وليس داخلياً محضاً، ولا تتجلّى الكتابة استناداً إلى ذلك بوصفها كتبة سيرذاتية ثقافية .

وهذا ما كان عليه حال الروزنامجتين -حسبما نرى- تتحقق أهمية هذا العمل في أن المحقق عوّل فيه على نسخة فريدة لم يعرفها بروكلمان وغيره، ولم يعثر على سواها، والذي لولاه لما وصلت إلينا، وهو في حقيقته منجز ثقافي مهم يتصل بحفظ مدوّنة تراثية ذات أهمية خاصة .

الهوامش:

(١) يوميات أديب- نص في السيرة الذاتية الأدبية من القرن الخامس الهجري، تأليف أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي، حققها وقدّم لها د. محمد قاسم مصطفى، منشورات دار الكتب للطباعة النشر، جامعة الموصل، 1989 .

(٢) ينظر الصاحب بن عباد- حياته وأدبه-، محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، 1957 .

(٣) يوميات أديب : 14 .

(٤) ينظر الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار النهضة العربية، بيروت، 1974 :4 .

(٥) يوميات أديب : 15 .

(٦) م . ن : 15 .

(٧) م . ن : 16 .

(٨) م . ن : 17 .

(٩) م . ن : 16 .

(١٠) م . ن : 18 .

(١١) م . ن : 18 .

(١٢) م . ن : 18 .

(١٣) م . ن : 18 .

(١٤) م . ن : 18 .

(١٥) م . ن : 18 .

(١٦) م . ن : 19 .

(١٧) م . ن : 19 .

(١٨) م . ن : 19 .

تَوَالِي المِنَح في أسماء ثِمَار النَّخل وَرُتبَة البَلَح لبدر الدين القرافِي (ت ١٠٠٨هـ)

أ.م. د.مهند جاسم محمد — جامعة تكريت/كلية الآداب

م.م. نيدار علي عباس — جامعة تكريت/كلية الآداب

مُقَدِّمَة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا يخفى على أحد الكم الهائل من التراث اللغوي المخطوط الذي سطّره علماؤنا الأفاضل من السلف، والذي مازال ينتظر نظرة وفاء من الخلف ؛ لينفض عنه غبار الزمن ويرفد المكتبة العربية بنفائس الدرر.

وتعد الرسالة موضوع الدراسة الموسومة بـ(توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح،لبدر الدين القَرافي (ت 1008 هـ) إحدى هذه النفائس التي قررنا نفض الغبار عنها.

وقد اقتضت طبيعة العمل في الرسالة أن نقسّمها على قسمين:

- **الأول**: قسم الدراسة.
- **والآخر**: قسم التحقيق.

أولا: قسم الدراسة، وهو على مبحثين:

– **الأول:** بدر الدين القرافي حياته وآثاره العلمية،ومكانته في أهل عصره.

وقد تضمن الحديث عن اسمه وكنيته وولادته ووفاته وشيوخه وتلامذته، فضلا عن الحديث عن أبرز آثاره العلمية من الكتب المؤلفة وما نظمه من الأشعار، ثم ختمنا هذا المبحث بالحديث عن مكانته عند أهل عصره.

– **والآخر:** توالي المنح:التعريف بها، أهميتها، مصادرها، وصفها.

وقد تضمن تعريفا موجزا بالمادة اللغوية التي عالجتها الرسالة مع بيان أهمية الرسالة بين المصنفات الأخرى التي تناولت موضوع الرسالة، فضلا عن بيان المصادر التي صرّح المصنف باستعمالها في متن الرسالة.

ثم ختمنا المبحث بوصف المخطوطة التي تم ّالعمل عليها.

أما القسم الآخر (التحقيق)، فقد حققنا فيه المخطوطة (توالي المنح) تحقيقاً نرجو أن نكون قد وفقنا فيه.

وقد استدركنا عليه في نهاية العمل جمعا من أسماء ثمار النخل مما فاته ذكرها في الرسالة، وقد ذكرت في بطون كتب اللغة .

وقد ختمنا هذا العمل بخاتمة أثبتنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وتمّ الاعتماد في عملنا هذا على مصادر متنوعة ما بين أمّات كتب اللغة، والحديث النبوي الشريف، والفقه الإسلامي، والتراجم القديمة والمتأخرة.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أولاً: الدراسة:

وتنقسم على مبحثين:

المبحث الأول

بدر الدين القَرافي حياته وآثاره العلمية ومكانته في أهل عصره

ويتضمن ما يأتي:

أولا: حياته:

- **اسمه وكنيته:** محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس المعروف بـ(بدر الدين القَرافي).
- **ولادته ووفاته:** أشارت المصادر التي ترجمت له إلى أنه ولد في القاهرة سنة (939هـ)، وبها عاش وفيها توفي سنة(1008هـ)[١].
- **شيوخه:**

لقد تتلمذ بدر الدين القرافي على عدة شيوخ ذكرهم من ترجم له وهم:

1- عبد الرحمن بن علي الاجهوري (ت961هـ).
2- محمد بن أحمد النجم الغيطي (ت981هـ).
3- عبد الرحمن بن محمد التاجوري (ت999هـ) .
4- زين بن أحمد الجيزي (بعد1000هـ).
5- جمال الدين يوسف بن القاضي زكريا (ت بعد1000هـ).
6- يحيى بن أبي الصفا البكري (ت1053هـ). يوسف بن القاضي زكريا وكذا أخذ عن والده[٢].

- **تلامذته:**

لم يشر من ترجم له سوى إلى تلميذ واحد هو (زين العابدين بن عبد الرؤوف الحدادي المناوي) الذي درس الحديث على يده[٣].

ثانيا: آثاره العلمية:

لقد ألّف هذا العالم جمعا ً كبيراً من المؤلفات على اختلاف موضوعاتها وتنوع علومها حتى قال عنه من جاوره : (قد عجزت عن حملها الكراريس)إلاّ أن يد الزمان قد طالتها بالضياع والنسيان، وما بقي منها ذكرها من ترجم له[٤]، وهي:

1- إحكام التحقيق بأحكام التعليق.
2- بهجة النفوس بين الصحاح والقاموس.
3- تحرير الفريد في تحقيق التوكيد
4- تحقيق الإبانة في صحة إسقاط ما لم يجب من الحضانة.
5- توشيح الديباج،لابن فرحون في التراجم.
6- الجواهر المنتثرة في هبة السيد لام الولد والمدبرة.
7- الدرر المنفية في الفراغ عن الوظيفية.
8- درر النفائس في شأن الكنائس.
9- رسائل في الفقه.
10- رسالة في بعض أحكام الوقف.
11- شرح التهذيب.
12- شرح مختصر ابن الحاجب.
13- شرح الموطأ.
14- شرف البدر بضياء ليلة القدر.
15- عطاء الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل.
16- القول المأنوس بتحرير ما في القاموس.

فضلا عن الرسالة موضوع البحث التي تفرد بذكرها الزركلي في الأعلام[٥].

وفضلاً عمّا تقدم ذكره من مؤلفات، فقد كان له شعر ونثر ومكاتبات ذكرها من ترجم له[٦]، منها بيت كتبه إلى العلامة سري الدين بن الصائغ رئيس أطباء مصر، وقد دفع عنه ديناراً لآخر فأرسله له ظاناً أنه يقبله فقال:

ماذا جنيتَ على القاضي بمنقصةٍ مضمونها الشح في أخذي لدينار

فأجابه السري[٧]:

يابدرُ تمّ بلا نقصٍ وإقتار وقاضياً في البرايا حكمه سارِ

لقـد صـرفتَ عـن القاضـي تصـرفه فكيـف تبـذل ً دينـاراً بـدينار

حاشـاك تنسـب َإلاّ للوفـا ولـذا جَـرت بجـارك بـالنعمى علـىالجـار

فهو كما قيل فيه (مطبوع الأسجاع والقوافي)، ودليل ذلك ما ورد في المخطوط موضوع البحث إذ نراه قد نظم ثلاثة نصوص في أسماء ثمار النخل.

ثالثاً: مكانته في أهل عصره:

يعد بدر الدين القرافي من أبرز علماء عصره، بل قد وصفه من ترجم له بأنه رئيس علماء عصره وشيخ مذهبه –أعني المالكي – إذ أتقن مذهبه غاية الإتقان، وقد تقلّد قضاء المالكية في القاهرة نحو الخمسين عاماً، وممّا يدل على علو مكانته ما قيل فيه نحو:(أعلم قضاة المالكية في عصره، القاضي الفاضل الفاصل بين الحق والباطل، مطبوع الأسجاع والقوافي) إلى غير ذلك[٨].

المبحث الثاني

توالي المنح التعريف بها وأهميتها ومصادرها ووصفها

أولا: التعريف بالرسالة:

خصّ المؤلف الرسالة ببيان أسماء ثمار النخل ورتبة البلح بين هذه الأسماء، فبدأ الرسالة بتسميتها قائلاً:((فهذه رسالة سميتها بتوالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح)).

ثم ذكر من ألّفها من أجله مادحاً إياه بأبيات،وقد صرح بأن داعي التأليف يرجع إلى خلاف وقع في عبارة القاموس.

بدأ المؤلف بعدها ببيان رتبة البلح بين البسر والخلال مورداً النصوص على ذلك وراداً عليها، إذ ذكر نصّ الصحاح والقاموس– وقد وقفنا عليهما–، وشرح لغات مختصر الشيخ خليل.

وعندما انتهى من تحقيق رتبة البلح بدأ بذكر الأسماء والصفات التي تعبر عن مراحل نضج ثمرة النخل، فأورد نصّ الجوهري في الصحاح، وردَ صاحب القاموس عليه، ثم أعقبه بذكر مذهب القاضي عياض في ذلك .

وأورد المؤلف بعد ذلك خلاف اللغويين والفقهاء في مرتبة (الزَّهُو) أقبل البسر هو أم بعده ؟ فضلا عن الخلاف في أصل اشتقاقه بين الثلاثي (زَهَا) والرباعي (أَزهَى).

ثم ختم المؤلف الرسالة بنظم ما جاء في القاموس، وعند القاضي عياض، وأبي الحسن الشاذلي من ذكر لأسماء ثمار النخل .

ثانيا : أهمية الرسالة:

تكمن أهميتها في انفرادها ببيان أسماء ثمار النخل،إذ ما وصل إلينا مؤلّفا في هذا الجانب إنما تحدث عن النخل بشكل عام متضمناً الحديث عن ثمره ككتاب النخل والكرم المنسوب إلى الأصمعي،والنخلة لأبي حاتم السجستاني، والنخل لابن وحشية النبطي[٩].

ثالثاً :مصادر الرسالة:

صرّح المؤلف بمصادره من كتب وأعلام، وهي على النحو الآتي :

أولا: الكتب، وهي:

1–الصحاح للجوهري .

2–القاموس المحيط للفيروز آبادي.

3– شرح لغات مختصر الشيخ خليل، لأبي الحسن الشاذلي .

ثانياً: الأعلام، وهم:

1– أبو زيد الأنصاري .

2– القاضي عياض .

3– أبو الحسن الشاذلي.

رابعاً : وصف الرسالة:

تقع المخطوطة في ثلاث صفحات من مجموع تحتفظ به الخزانة الحسنية الملكية بالرباط ضمن مجموع رقم (7248) .

وعدد أسطر كل صفحة يختلف عن الأخرى، فالأولى تسعة عشر سطرا والثانية، ثمانية عشر سطرا، والثالثة أحد عشر سطرا،وقد كتبت النسخة بخط مغربي وعلى صفحة العنوان تملّك يشير إلى عائديتها إلى مكتبة أبي عبد العزيز خليفة بن آل رحمن بن جهام آل مشرف الكوازي .

وقد نسخت من أحمد بابا بن أحمد سنة (1024هـ).



توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح

للعبد الفقير بن الرئيس الغري المالكي من ذرية العارف ابن أبي جمرة نفعنا الله به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

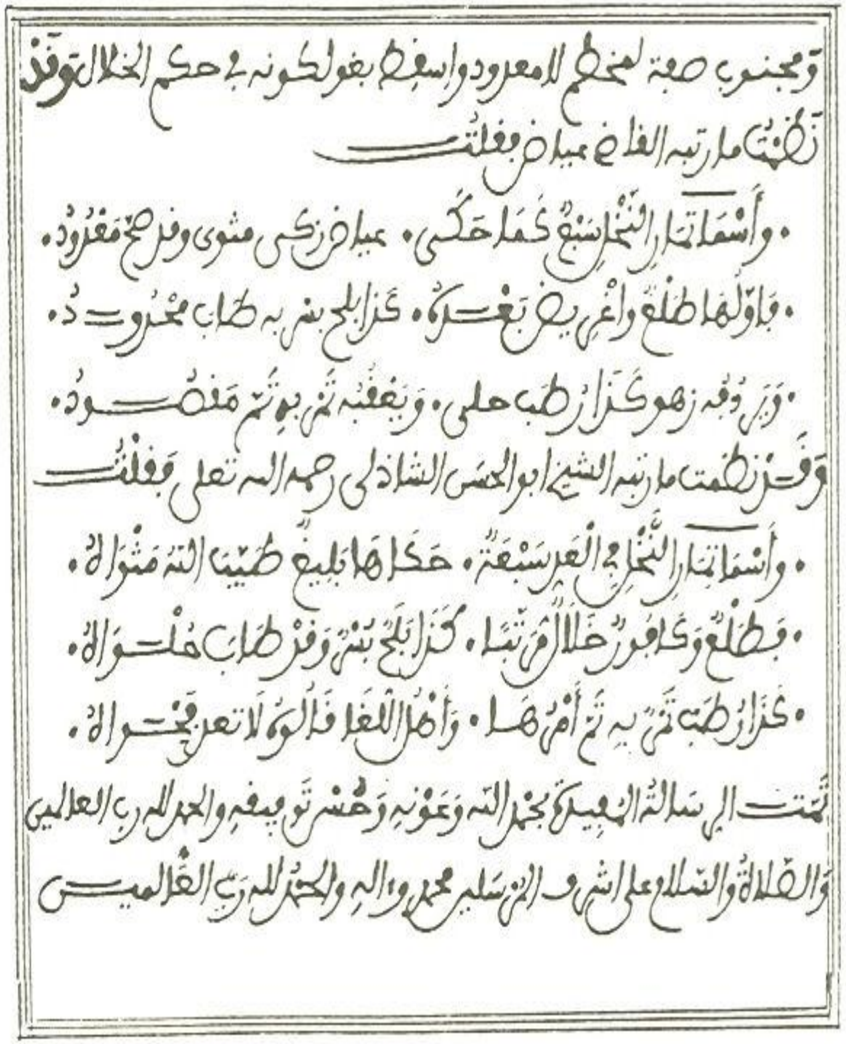
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من أقام به لواء الحق ومجده. وبعد فهذه رسالة سميتها بتوالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح. دعاني الى ذلك وله علي حق الولاية. ومن بيده العناية وواجب الرعاية. وقلت داعيا لجنابه

• دام عماد الزوى الفضل على. من الزهور مؤبدا حسن منى.

• تجنى ثمار الفضل من اشجاره. رطبا جنيا بعد بسر وبلح .

وذلك عندما جرى الكلام في عبارة القاموس وان فيها مخالفا في هذا المقام وبالله التوفيق فقال في الصحاح البلح قبل البسر لان اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر الواحدة بلحة انتهى ومؤدى كلامه وتحوه قول صاحب القاموس فيه البلح محركة بين الخلال والبسر انتهى ومؤدى كلامهما ان الخلال رتبة سابقة على البلح ووقع في القاموس في باب اللام ما يخالف ذلك اذ قال والخلال كسحاب البلح انتهى وفيه تجوز وقد نقل الشيخ ابو الحسن الشاذلي في شرح لغات مختصر الشيخ خليل عن اهل اللغة ان رتبة اعني البلح قبل البسر وبعد الخلال كما هو في الصحاح والقاموس في باب الحاء وزاد قسم البسر بضم الباء وهو المنصف بضم الميم وفتح النون وكسر الصاد المهملة

الصفحة الأولى



ومجنوب صفة لمخطم للمعروف واسقط بقولكونه في حكم الخلال وقد نظمت ما رتبه القاضي عياض فقلت

• وأسماء ثمار النخل سبع كما حكى. عياض زكي مثوى وفيه صح مفرده.

• فأولها طلع واغريض بعده. خلال بلح بسر به طاب مجرده.

• وزهو زهو كذا رطب حلو. وبعقبه تمر به تم مقصوده.

وقد نظمت ما رتبه الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى فقلت

• وأسماء ثمار النخل في العد سبعة. حكاها لبيب طيب الله مثواه.

• فطلع وكافور خلال من تبا. كذا بلح بسر وفيه طاب مثواه.

• كذا رطب تمر به تم أمرها. وأهل اللغا فالزهو لا تعرف محواه.

تمت الرسالة المفيدة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد وآله والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة

ثانيا :النص المحقق:

تَوالِي المِنَح في أسماء ثمار[١٠] النخل ورتبة البلح

للعبد الفقير

بدر الدين القَرَافي المالكي

من ذرية العارف ابن أبي جمرة[١١]

نفعنا الله به

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من أقام به لواء الحق ومجده.وبعد:

فهذه رسالة سميتها بتوالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح.دعاني إلى ذلك من له عليّ حق الولاية، ومزيد العناية ووافر الرعاية، وقلت داعيا لجنابه:

دَامَ عِمَادُ الزوي الفَضَلَ على مَرِّ الدُّهُورِ مُولِيًا خَير مِنَح

تُجنَى ثِمَارُ الفَضلِ من أشجاره رُطَباً جَنيًا بَعدَ بُسر وبَلَح

وذلك عندما جرى الكلام في عبارة القاموس[١٢]، وأن فيها تخالفاً في هذا المقام وبالله التوفيق .

قال في الصحاح: ((البَلَح قبل البُسر ؛ لأنَّ أوّلَ التمرِ طَلَعٌ ثم خَلالٌ ثم بَلَحٌ ثم بُسرٌ ثم رَطبٌ ثم تَمرٌ الواحدة بَلَحَة))[١٣] انتهى[١٤]. ونحوه قول صاحب القاموس فيه: ((البَلَحُ مُحركةٌ بين الخَلالَ والبُسر))[١٥] انتهى .

ومؤدّى كلامهما أنّ الخلال رتبة سابقة على البلح، ووقع في القاموس في باب اللام ما يخالف ذلك، إذ قال:((وخَلالٌ كَسَحَابٍ البَلَحُ))[١٦] انتهى، وفيه تجوّز .

وقد نقل الشيخ أبو الحسن الشاذلي[١٧] في شرح لغات مختصر الشيخ خليل[١٨] عن أهل اللغة أنّ رتبته أعني البلح قبل البُسر وبعد[١٩] الخلال كما هو في الصحاح والقاموس في باب الحاء[٢٠]، ونصّه :((البُسر بضم الباء وهو {المُنَصّف}[٢١] بضم الميم وفتح النون وكسر الصاد المهملة**[1]** المشددة واحدته بُسُرة بإسكان السين وضمها، قال أهل اللغة: أوّلُ تمر النَّخل :طَلَعٌ وكافورٌ[٢٢] ثم خَلالٌ بفتح الخاء المعجمة واللام المخففة ثم بلح ثم بُسر ثم رطب ثم تمر))[٢٣]. انتهى.

ولم يذكر في القاموس أيضاً البلح في باب الراء عندما تكلم على البُسر ونصّه هناك[٢٤].

((وقول الجوهري أوّلُ البُسر طَلعٌ ثم خَلالٌ الى آخره[٢٥] غير جيد والصواب :أوله طَلعٌ فإذا انعقد فَسَّيَابٌ[٢٦]، فإذا اخضرّ واستدارَّ فَجَدالٌ وسَرادٌ[٢٧]، وخَلالٌ فإذا كَبُرَ شيئاً فَبَغوٌ[٢٨]، فإذا عَظُمَ فَبُسر ثم مُخَطّمٌ[٢٩]، ثم مُوكّتٌ[٣٠]، ثم تُذنوب[٣١]، ثم جُميسة[٣٢]، ثم ثُعدة[٣٣]، وخَالعٌ وخَالِعةٌ[٣٤]، فإذا انتهى نضجه فرطبٌ ومَعوٌ[٣٥] ثم تمر وبسطت الكلام في ذلك في الروض المسلوف فيما له إسمان إلى ألوف[٣٦].))[٣٧] انتهى.

والذي للقاضي عياض[٣٨] درجات النخل سبعة : الطَّلعُ،والإغريضُ[٣٩]، والبَلَحُ، والبُسر، والزَّهُو، والرَّطبُ، والتمر[٤٠].

وهذا مذهب أكثر أهل اللغة[٤١]، وقوم يجعلون البُسر بعد الزَّهُو، وهو الذي يستعمله الفقهاء[٤٢]، والزَّهُو :ابتداء طيب تمر النخل واصفراره واحمراره[٤٣]، ويقال فيه :أَزهَى يُزهِي، وجاء في بعض روايات الحديث : (يَزهُو)[٤٤]، وقالوا : لايصح[٤٥]، وقال أبو زيد : زَهَى وأَزهَى، ولم يعرف الأصمعي أَزهَى[٤٦] انتهى[٤٧].

وقد نظمت ما رتبه في القاموس فقلت:

لقد عَدّ في القاموس عشـرًاوواحدًا	**لأسماء تمر[٤٨] النخل قدصحّ محسُوبُ**
فَأَوّلُـهُ طَلـعٌ سَـيابٌ خَلالُـهُ	**ويَعقـبُهُ بُـسرٌ مُخَـطَمٌ مَجنُـوبُ**
مُوكَـتٌ مسبوق المخَطَم قـد أتـى	**علـى وفـق ترتيـبٍ ويتلـوه تُـذنوبُ**
جُميسـة يتلـوه وثعـدة بعـدهُ	**كـذا رطـبٌ تمـرٌ بـه تَـمّ مطلـوبُ**

[2] ومَجنُوبٌ صفة لمُخطَّم لامعدود، وأسقط (بَغوٌ) لكونه في حكم الخَلال،وقد نظمت ما رتبه القاضي عياض فقلت :

وأسماءُ ثمار[٤٩] النخلِ سبعٌ كما حكى	**عياض زَكى مثوى وقد صحّ معدودُ**
فَأَوّلُهـا طَلـعٌ واغـريضٌ بعـدهُ	**كـذا بَلـح بُسـرٌ بـه طـابَ مَحـرودُ**
ويَرُوقُـهُ زهـوٌ كـذا رطـبٌ حَلـى	**ويعقبُـهُ تمـرٌ بـه تـمّ مقصـودُ**

وقد نظمت ما رتبه الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى، فقلت:

وأسماءُ ثمار[٥٠] النخلفي العَدّ سبعةٌ	**حكاها بليغ طيّبَ اللهُ مثـواهُ**
فَطلـع وكـافورٌ خَـلالٌ مُـرَتبَا	**كـذا بلـحٌ بُسرٌ وقـد طَـابَ حلـواهُ**
كـذا رطـبٌ تمـرٌ بـه تَـمّ أمرُهَـا	**وأهَـلُ اللُغَـا قـالوه لاتَعـدُ فحـواهُ**

تمت[٥١] الرسالة المفيدة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله

والحمد لله رب العالمين.[3].

خاتمة:

في نهاية عملنا هذا يمكننا إجمال أهم النتائج بالآتي:

1- يُعد بدر الدين القرافي أحد أبرز علماء عصره على العموم،ورئيس علماء مذهبه على الخصوص.

2- ألّف بدر الدين القرافي الكثير من الكتب والرسائل في علوم الشريعة الإسلامية،واللغة العربية فضلا عما نظمه من أشعار .

3- يُعد بدر الدين القرافي أول من افرد رسالة حاول أن يحصر فيها أسماء ثمار النخل ويبين رتبة البلح بينها،أما من سبقه فقد تحدث عن شجرة النخل بشكل عام.

4- على الرغم من أهمية ما قدمه بدر الدين القرافي في رسالته هذه إلا أنه قد فاته الكثير مما ذكر في بطون كتب اللغة من أسماءٍ لثمار النخل،وقد استدركنا عليه خمسة وعشرين اسماً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر 3/88-89، وهدية العارفين 2/86، وأعلام للزركلي7/141، ومعجم المؤلفين12/108.

(٢) ينظر : المصادر أنفسها.

(٣) ينظر : المصادر أنفسها.

(٤) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر 3/88-89، وكف الظنون 1/358، 762، 1046/2، 1628، وإيضاح المكنون 2/102، وهدية العارفين 2/86، وألاعلام 7/ 141، ومعجم المؤلفين12/108.

(٥) ينظر :١٤١/٧.

(٦) خلاصة الأثر ١١٧/٢، ٣١٩، ٨٨/٣-٨٩.

(٧) ينظر: المصدر نفسه٨٩/٣.

(٨) ينظر:المصدر نفسه٨٨/٣.

(٩) ينظر:كتاب النخلة، مقدمة المحقق١٠٢-١٠٣.

(١٠) وردت بالتاء (تمار) والصواب ما أثبتناه، وهو ما سيذكره المصنف بعد قليل في متن الرسالة.

(١١) محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن أبي جمرة المرسي الأموي (ت٥٩٩هـ)، فقيه مالكي ولد ب (مرسية) تقلّد قضاء مرسية وبلنسية وشاطبة له كتب منها : الإنباء بأنباء بني خطاب، وإقليد التقليد.ينظر : معجم المؤلفين ٢٨٦/٨، والأعلام ١٣٦/٢و ٣١٩/٥.

(١٢) ينظر :القاموس المحيط ٩٤٣.

(١٣) الصحاح :١٠٥ وينظر : مختار الصحاح ٢٥/١، واللسان٤١٤/٢، وتاج العروس ٣١٨/٦.

(١٤) أورد الناسخ بعد كلمة (انتهى)عبارة(و< مؤدى كلامهما>) زائدةً في غير موضعها وأشار الى هذه الزيادة بقوسين صغيرين في طرفي العبارة.

(١٥) القاموس المحيط ١٨٦، ولعله جعل البلح بين الخلال والبُسر ؛لأن البلح هو ((الخلال ما دام أخضر)) المحيط في اللغة ٢٢٩/١، فهو مرتبة بين الخلال والبسر .

(١٦) المصدر نفسه ٩٤٣، ولعله في ذلك يستند على سابقيه كالخليل وأبي حاتم السجستاني، والأزهري، وابن منظور، والفيومي والزَبيدي، الذين ذكروا أنّ الخلال يراد منه البلح بلغة أهل البصرة، فلا تعارض على ذلك بين النصين، ولا وجه لما ألمح به المصنف من اعتراض . ينظر: العين٤/١٤١، وكتاب النخلة ١٤٦، وتهذيب اللغة ٣٠٣/٦، واللسان ٢٢٠/١١، والمصباح المنير ٦٠/١، وتاج العروس ٤٣٢/٢٨.

(١٧) علي بن محمد المنوفي (ت ٩٣٩هـ) المصري مولدا، الشاذلي طريقة وبها عرف(نور الدين، أبو الحسن) فقيه، محدث، نحوي، لغوي، ولد بالقاهرة وتوفي بها، له تصانيف كثيرة منها: عمدة السالك على مذهب مالك، وتحفة المصلي، وشفاء العليل في لغات خليل . وهو الذي اعتمده المصنف . ينظر: معجم المؤلفين ٢٣٠/٧، والأعلام ١١/٥.

(١٨) وهو في فروع المالكية، لخليل بن إسحاق الجندي المالكي، المتوفى (٧٦٧هـ) . ينظر:الدرر الكامنة ٢٠٧/٢.

(١٩) وردت في المخطوط (بعده) والصواب ما أثبتناه وبه يستقيم المعنى وعليه عبارة صاحب المغرب في ترتيب المعرب إذ يقول:((البلح قبل البُسر وبعد الخلال)) ٨٤/١.

(٢٠) ينظر:الصحاح ١٠٥، والقاموس المحيط ٣١٤.

(٢١) وهو مساواة الإرطاب البُسر بأن يبلغ نصفها ويسمى المناصف أيضا . ينظر:كتاب النخلة ١٤٨، والمخصص ١٢٣/١١، وتاج العروس ١٧٩/١٠.

(٢٢) الكافور وعاء الطلع وقشرها وبه يسمى الطلع أيضاً . ينظر : كتاب النخلة ١٣٩، والمخصص١١/١٢٠.

(٢٣) النص من شرح أبي الحسن الشاذلي على مختصر الشيخ خليل المسمّى (شفاء العليل في لغات خليل) ولم نقف عليه وما أورده مأخوذ من الصحاح ١٠٥، والقاموس المحيط ٣١٤.

(٢٤) القاموس المحيط ٣١٣.

(٢٥) ينظر: الصحاح ١٠٥.

(٢٦) وهو انعقاد الطلع حتى يصير بلحا، وهو (السيّاب) بالفتح والتشديد (والسَياب) كسحاب، بالفتح والتخفيف، و(السُيَّاب) كرُمّان، ومنهم من جعله لغة وادي القرى في البلح، وقال قوم: بل (السياب) البلح الذي قد ذبل وريحه يستطاب ينظر : كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤٦، وجمهرة اللغة ١٥٦/١، والمحيط في اللغة ٢٨١/٢، وتهذيب اللغة ٦٨/١٣، والصحاح ٥٢٧، والمخصص ١٢١/١١، والمحكم ٥٨٨/٨، واللسان١٩/٣، وتاج العروس ٨٨/٣.

(٢٧) وهو اخضرار البلح واستدارته قبل أن يشتد بلغة أهل نجد.ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤٦، والمحيط في اللغة ٩٩/٢، وتهذيب اللغة ٢٨٦/١٢، والصحاح١٥٩، والمخصص١٢١/١١، والمحكم ٣٢٤/٧، واللسان ١٠٤/١١، وتاج العروس١٩٣/٢٨.

(٢٨) البغوة:الثمرة قبل أن يتم نضجها ويستحكم يبسها، وخصّها أبو حنيفة بالبُسر إذا كبرت شيئاً، وقيل بل :البغوة:التمرة التي اسود جوفها وهي مرطبة، أي :قبل أن يستحكم يبسها. ينظر: المحيط في اللغة ٤٤٢/١، ومقاييس اللغة ٢٧١/١، والمخصص ١٢١/١١، والمحكم ٧٦/٦، واللسان١٤/٧٥، وتاج العروس ١٧٧/٣٧.

(٢٩) المُخطم من التمر الذي صارت فيه خطوط وطرائق .ينظر:المحيط في اللغة ٣٤٥/١، ومقاييس اللغة ١٨٩/٢، والصحاح ٣٠٥، والمخصص١٢١/١١، والمحكم ١٢٩/٥، واللسان ١٨٨/١٢، وتاج العروس١٧٩/١٠.

(٣٠) التوكيت ظهور أدنى سواد أو صفرة بنقط من الإرطاب على رأس البُسرة، فيقال فيه : بُسر مُوكت، وبعضهم جعلها بالباء(موكب) والصواب ما تقدم.ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤٨، وتهذيب اللغة ١٨٣/١٠-٢١٨، والصحاح ١١٥٧، والمخصص١٢٢/١١، وأساس البلاغة ٢٥/٢، واللسان٨٠٣/١، وتاج العروس١٣٥/٥.

(٣١) هو البُسر الذي أرطب من أذنابه، وهو (التَّذنوب) بالفتح، والضم فيه لغة بني أسد وبها ضبط المصنف اللفظ. ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤٨، وجمهرة اللغة ٣٠٦/١، والصحاح٣٧٦، والمخصص١٢٣/١١، والمحكم١٠/٨٠، واللسان٣٩٠/١، وتاج العروس٤٤٠/٢-٤٤١.

(٣٢) هي البُسرة التي أرطبت كلها وهي صلبة لم تنهضم بعد فإذا لانت فهي ثعدة. ينظر: تهذيب اللغة ١١٧/٢، والصحاح١٨٧، والمخصص١٢٣/١١، واللسان١٠٤/٣، وتاج العروس٤٦٦/٧-٥١٤/٥.

(٣٣) هي البُسرة التي أرطبت كلها ولانت بعد أن كانت صلبة لاتنهضم. ينظر: كتاب النخل والكرم٧٧، وأدب الكاتب ٨٠/١، وتهذيب اللغة١١٧/٢، والصحاح١٣٨، والمخصص ١٢٣/١١، والمحكم١٤٠/١، واللسان ١٠٤/٣، وتاج العروس٤٦٦/٧-١٧٩/١٠.

(٣٤) وهي البسرة التي نضجت كلها حتى تخلع قشرها من رطوبتها وتسمى المنسبتة. ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، والمحيط في اللغة١٠/١، وتهذيب اللغة ١١٥/١، والصحاح٣١٢، والمخصص١٢٣/١١، والمحكم١٤٠/١، واللسان٧٩/٨، وتاج العروس ٥٢٠/٢.

(٣٥) وهو الرطب الذي أرطب بسره أجمع ينظر:العين٢٦٧/٢، والمحيط في اللغة ٣٨/١، ومقاييس اللغة ٣٣٥/٥، والصحاح ٩٩٣، والمخصص١٢٣/١١، والافعال٢٠٥/٣، واللسان٢٨٩/١٥، وتاج العروس٥٤٤/٣٩.

(٣٦) وردت في المخطوط (الألوف) والصواب ما أثبتناه.

(٣٧) القاموس المحيط ٣١٤.

(٣٨) عياض بن موسى بن عياض، عالم المغرب الحافظ، ولد سنة (٤٧٦هـ)، له كتب منها : الشفاء وطبقات المالكية وشرح مسلم والمشارق في الغريب وشرح حديث ام زرع وغير ذلك توفي بمراكش (٥٤٤هـ) . ينظر :طبقات الحفاظ، للسيوطي ٤٧٠/١.

(٣٩) هو ما يتشقق عنه الطلع من الحبيبات البيض، وقد شبه به البرد، وقد قيل كل أبيض يقال له الاغريض، وبعضهم يطلق عليه : الغيض والغضيض، فالاغريض ما في جوف الطلع . ينظر: جمهرة اللغة ١٤٦/١، وتهذيب اللغة ١٤٦/٨، والصحاح٧٧١، والمخصص١٢٠/١١، والمحكم٣٥١/٥، واللسان ٢٠٢/٧، وتاج العروس ٤٦٠/١٨.

(٤٠) لم نقف على نصه فيما توافر لدينا من كتبه (إكمال المعلم بفوائد مسلم، والرائد في شرح حديث أم زرع، ومشارق الأنوار)، وإنما وقفنا على نص مقارب له في شرح الخرشي على مختصر خليل في فصل الغسل وتمامه: ((..لأنه قد قيل إن الإنسان

يشبه التمرة لان لها سبع درجات : طلع واغريض وبلح وزهو وبسر ورطب وتمر)) ٣٥٥/٢.

(٤١) أكثر أهل اللغة على أن الزهو اصفرار أو احمرار يلحق البُسر، فهو تغيير يلحق البسر فهو متأخر عنه.ينظر : كتاب النخل والكرم، للأصمعي ٧٧، وتهذيب اللغة ١٩٧/٦، ومقاييس اللغة ٣٠/٣، والصحاح٤٦٠، وأساس البلاغة ٢٧٩/١، واللسان٤٤٩/٢.

(٤٢) ينظر: شرح مختصر خليل، للخرشي ٣٥٥/٢، ومنح الجليل في شرح مختصر خليل ٤٦٣/٢.

(٤٣) ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وتهذيب اللغة ١٩٧/٦، وأساس البلاغة ٢٧٩/١، واللسان٤٤٩/٢.

(٤٤) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٦٧/٥، ومشارق الأنوار ٦١٤/١، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٥٦/١٣، وعمدة القاري ٥/١٢، وتحفة الاحوذي ٣٥٢/٤.

(٤٥) إلى ذلك ذهب الخليل في العين (٧٤/٤)، ونقل صاحب التهذيب نصا تمامه : ((وروى ابن شميل عن أبي الخطاب انه قال :لايقال إلا يزهي النخل، قال : وهو أن يحمر أو يصفر، قال : ولا يقال: يزهو)).١٩٧/٦.

(٤٦) ابو زيد:سعيد بن اوس بن ثابت صاحب كتاب النوادر روى القراءات عن ابي عمرو بن العلاء توفي عام٢١٥هـ و لم نقف على نصه في كتابه النوادر ينظر: البلغة٢٣/١ والأعلام٩٢/٣ومعجم المؤلفين٢٢٠/٤.

(٤٧) يبدو انه اعتمد في ذلك على بعض المصادر التي أوردت إنكار الأصمعي (أزهى) كمقاييس اللغة ٣٠/٣، والصحاح ٤٦٠، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٥٦/١٣ .وإليك تحقيق ما ورد في كتب اللغة عن ذلك:

١- اثبت الجمهور ثلاثي ورباعي هذا البناء (زها وأزهى) ومنهم من جعل الثاني لغة.

٢- نقل صاحب التهذيب نصا لأبي عبيد عن الأصمعي تمامه ((أبو عبيد عن الأصمعي : إذا ظهر في النخل الحمرة، قيل : أزهى يُزهي، وهو الزَهو، وفي لغة أهل الحجاز : الزُهو)) ١٩٧/٦فالاصمعي هنا يصرح بالرباعي ولا ينكر.

٣- فرّق ابن الأعرابي بين دلالة الثلاثي والرباعي بقوله: ((زها النبت إذا نبت ثمره وأزهى إذا احمر أو اصفر)) تهذيب اللغة ١٩٧/٦. ينظر: لما تقدم: العين ٧٤/٤، وتهذيب اللغة١٩٧/٦، والصحاح٤٦٠، ومقاييس اللغة ٣٠/٣، والمحكم ٤٠٩/٤، وأساس البلاغة ٢٧٩/١، ومختار الصحاح ١١٧/١، وتاج العروس ٢٣٥/٣٨-٢٣٧.

(٤٨) أورد الناسخ يسار الصفحة (لأسماء تمار) فوقها (خ) مشيرا إلى ورودها في نسخة أخرى بهذا الشكل .

(٤٩) وردت بالتاء والصواب ما أثبتناه.

(٥٠) وردت بالتاء والصواب ما أثبتناه.

(٥١) بقوله تمت ختم المصنف رسالته، وقد توافرت على جمع من أسماء ثمار النخل تتمثل بالاتي : (الطلع، والكافور، والخلال والبلح، والبسر، والرطب، والسياب، والجدال، والسراد، والبغو، والمخطم، والموكت، والتذنوب، والجميسة، والثعدة، والخالع، والخالعة، والمنصف، والمعو، والاغريض، والزهو، والتمر،).

وهي تتباين بين الاسم الصريح والوصف الذي يعبر عن حالات نضج التمر، وتحوله من مرتبة إلى أخرى والذي يلحظ على ما تقدم أن المصنف قد فاته جمع من الأسماء والأوصاف استدركتاها عليه من كتب اللغة وهي :

١- (الرِمخَة) والجمع :رُمَخ ورُمخ، البلح بلغة طيء، ينظر: تهذيب اللغة ١٦٥/٧، واللسان١٩/٣.

٢- (السَدى) ويمد (السداء) بلغة أهل المدينة، وهو البلح الأخضر، ومنهم من جعله البلح الذاوي . ينظر: المحيط في اللغة ٢٧١/٢، والمخصص ١٢١/١١، واللسان ٣٧٧/١٤.

٣- (البقيح) البلح عن كراع ينظر: اللسان٤١٤/٢.

٤- (الآس) البلح ينظر:اللسان١٧/٦.

٥- (الحَصَل) البلح قبل أن يشتد وتظهر تفاريقه ينظر: كتاب النخلة ١٤٦، وجمهرة اللغة ٥٤٢/١، ومقاييس اللغة ٦٨/٢، والافعال٢١٨/١، واللسان١٥٣/١١.

٦- (المُجَزِ ع) وهو من الرطب : الذي بلغ الارطاب من أسفله غالى نصفه ومنهم من جعله إلى ثلثيه . ينظر: مقاييس اللغة ٤٥٣/١، والمخصص١٢٣/١١، وأساس البلاغة ٩٢/١، واللسان ٤٨/٨.

٧- (المَكرَة) هي التي دخلها كلها الارطاب، وهي صلبة لم تنهضم بعد وتسمى جمسة أيضا، وقيل هي الرطبة الفاسدة، ومنهم من جعلها البسرة المرطبة ولاحلاوة لها . ينظر:المخصص١٢٣/١١، واللسان١٨٤/٥.

٨- (الثغر) وهو انتهاء نضج البسر.ينظر:المخصص١٢٣/١١.

٩- (المُنسبت) وهو ما جرى فيه الارطاب كله وتسمى (المنسبته) وهي الخالع والخالعة أيضا التي خلعت قشرها من تمام ارطابها. ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤٨، والمحيط في اللغة١٠/١، واللسان٣٩/٢.

١٠-(المُثَلِّث) هو الذي رطب ثلثه . ينظر: كتاب النخلة ١٤٨، والمخصص١٢٣/١١.

١١-(الغساة) وهو (الغاسي) و (المغسوسة) : منهم من جعله البلح فعم به ومنهم من قصره على صغار البلح، ومنهم من قال :هي البسرة التي أرطبت من حول تفروقها وهو أردأ الرطب . ينظر: المخصص ١٢٣/١١، واللسان ١٥٤/٦-١٢٦/١٥.

١٢-(المُعضّدة): البسرة التي أرطبت من وسطها، ينظر: المخصص١٢٣/١١.

١٣-(الشُمطانة) :البسرة التي أرطب جانب منها ليس غير ويبقى سائرها يابسا ينظر: المخصص١٢٣/١١، واللسان٣٣٦/٧.

١٤-(المُحلقِن أو الحلقانه) :البسرة التي بلغ الارطاب ثلثيها وقيل بل بعضها.ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤٨، والمخصص١٢٣/١١، وواللسان١٠/٥٩.

١٥-(الوليع) هو الذي ينشق عنه الكافور فهو ابيض كالبرد، وهو الذي يقال له (الاغريض) أيضا . ينظر: كتاب النخلة ١٤٥، ووالمخصص١٢٠/١١، واللسان٤١/٨.

١٦-(الضَحك) الطلع:سمي ضحكا تشبيها له بالثغر في بياضه عند الضحك . وقيل : هو : البلح. ينظر:كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة ١٤١، والمحيط١/١٧٢، وتهذيب اللغة ٥٦/٤، والمخصص١٢٠/١١ وأساس البلاغة ٣٧٢/١، واللسان ٤٦٠/١٠.

١٧-(الشّقحة) اذا اخضر البلح وتلون قليلا إلى الحمرة قيل قد تشقح، وقيل هو يقابل الزهو في لغة أهل الحجاز . ينظر: كتاب النخل والكرم ٧٧، وكتاب النخلة١٤٧، ووالمخصص١٢٢/١١، اللسان٤٩٩/٢.

١٨-(القشم) البسر الأبيض الذي يؤكل قبل أن يدرك وهو حلو، وقيل هو رديء التمر. ينظر: تهذيب اللغة ٢٦٤/٨، والمخصص١٢٢/١١، واللسان ١٢/ ٤٨٤.

١٩-(الحانط) هو البسر الذي اشتدت حمرته.ينظر:كتاب النخلة ١٤٤-١٤٧.

٢٠-(القانيء)هو البسر الذي انتهت حمرته. ينظر:كتاب النخلة ١٤٤.

٢١- (القالِب) هو البسر الأحمر.ينظر:المخصص١٢٢/١١، واللسان١/.٦٨٩

٢٢-(المُنَمّل) يقال: بسر منمل، وهو الذي قد بَرِش وشقح الحمرة. ينظر: كتاب النخلة.١٤٨

٢٣- (المُخلِفَة) هي البسرة التي بلغ الترطيب حنجورها . ينظر: كتاب النخلة .١٤٨

٢٤- (المُعنّقة) وذلك إذا بلغ الترطيب قريبا من قمعها حتى يبقى منها حول القمع مثل الخاتم. ينظر: كتاب النخلة.١٤٨

٢٥- (المَهوة) وهي البسرة التي نضجت كلها فصارت رطبة، ويقال لها أيضا : المنسبتة والمعوة . ينظر: كتاب النخلة ١٤٨، والمخصص١٢٣/١١، واللسان٢٩٩/١٥.

المصادر:

1- **أدب الكاتب** :لابن قتيبة (ت276هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الرابعة، 1963.

2- **أساس البلاغة** : للزمخشري (ت538ه)، دار الفكر، 1979.

3- **الأعلام** :قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والعجم والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، 1984.

4- **الأفعال** :علي بن جعفر السعدي (ت515هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.

5- **إكمال المعلم بفوائد مسلم** :للقاضي عياض(ت544ه)، تحقيق:د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، الطبعة الثالثة، 2005.

6- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون:** إسماعيل بن باشا البغدادي، وكالة المعارف، الطبعة البهية، 1954.

٧- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة:** محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة : الأولى، الكويت، ١٤٠٧

8- **تاج العروس** :محمد مرتضى الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

9- **تحفة الاحوذي** :محمد عبد الرحمن المباركفوري (1353هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

10- **تهذيب اللغة** : أبو منصور الأزهري (ت370ه)، تحقيق : محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001.

11- **جمهرة اللغة** :لابن دريد (ت321ه)، تحقيق :رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

12- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** :للمحبي، دار صادر، بيروت، د.ت.

13- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** :احمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية، 1972.

14- **شرح مختصر خليل** : لخرشي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

15- **شرح النووي على صحيح مسلم** :أبو زكريا النووي (ت676هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392.

16- **الصحاح** :للجوهري، اعتنى به : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 2007.

17- **طبقات الحفاظ**:للسيوطي(ت911هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403.

18- **عمدة القاري** : بدر الدين العيني (ت855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

19- **العين** : للخليل بن احمد (ت175هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

20- **القاموس المحيط**:للفيروز آبادي (ت718هـ)، تحقيق :د.يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.

21- **كتاب النخلة** :لأبي حاتم السجستاني، ضمن نصوص محققة في اللغة والنحو، د.حاتم صالح الضامن، 1991.

22- **كتاب النخل والكرم** :للأصمعي، منشور ضمن كتاب (البلغة في شذور ائمة اللغة) د.اوغست هفنر، والأب :شيخو اليسوعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.

23- **كشف الظنون**:حاجي خليفة (ت1067هـ)، استانبول، 1941.

24- **لسان العرب** :لابن منظور(ت711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.

25- **المحكم والمحيط الأعظم** :لابن سيده (ت458هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.

26- **المحيط في اللغة**:للصاحب بن عباد(ت385هـ)، تحقيق:الشيخ محمد حسن آل ياسين، الجمهورية العراقية، دار الرشيد، 1981.

27- **مختار الصحاح** :محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق :محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995.

28- **المخصص** :لابن سيده، دار الفكر، د.ت.

29- **مشارق الأنوار** :للقاضي عياض، المكتبة العتيقة، دار التراث، د.ت.

30- **المصباح المنير** :احمد بن محمد الفيومي (ت770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

31- **معجم المؤلفين**:عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

32- **المغرب في ترتيب المعرب** :للمطرزي(ت616هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1328.

33- **مقاييس اللغة**:لابن فارس (ت395هـ)، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1999.

34- **منح الجليل في شرح مختصر خليل** :محمد عليش، دار الفكر، بيروت، 1989.

35- **النوادر في اللغة**:لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1967.

36- **هدية العارفين** :إسماعيل باشا البغدادي، استانبول، الطبعة الثالثة، 1951.

الواقعية بين التنظير والتطبيق في أدب الجاحظ

أ.م.د. عبدالجبار سالم عبدالكريم

جامعة تكريت/كلية التربية للبنات/قسم اللغة العربية

أولاً :- الواقعية في التنظير :-

١- واقعية الحدث :

حين أراد الجاحظ أن يرسم صورة الانسان في سلوكه المتعدد المناحي . أراد أن تكون الصورة دقيقة، ومحتملة الوقوع في السلوك البشري، فإذا ما خرجت الصورة عن ذلك، فأنه يرفضها وياباها . فقد ذكر في البخلاء، نادرة عن أحد البخلاء بلغ من بخله أنه لايأكل الحاجة التي يشتهيها، بل يكتفي ان يشير إليها بلقمة الخبز، ويأكل الخبزة متوهماً أنها قد غمست بالشيء الذي يشتهيه ولكنه لبخله لايريد أن ينقصه بالاكل .

ويعلق الجاحظ على هذا الحدث القصصي بما يأتي :-

((ولا يعجبني هذا الحرف الاخير . لان الافراط لا غاية له وأنما ما كان في الناس وما يجوز فيهم مثله، أو حجة، أو طريقة . فأما مثل هذا الحرف فليس مما نذكره، وأما سائر حديث الرجل فأنه من هذه البابة))[١].

فالجاحظ يريد أن يقول في هذا النص القصير المهم عدة حقائق :-

أ- إن الموضوع يجب أن لا يخرج من واقعية السلوك الى الافراط الذي يبدو مبالغاً فيه .

ب- إن الموضوع يجب ان يصف السلوك الذي يقع بين بني البشرأي (ما كان في الناس) فعلاً.

ج- إن الموضوع يجب أن يصف السلوك الذي يمكن ان يقع بين بني البشر أي . (مايجوز فيهم مثله).

د- إن الموضوع قد يتخذ أسلوب الحجة والدفاع عن سلوك الشخصية وهذا أخيراً يخضع للمنطق البشري المحتمل .

ويمكن أن نضيف الى واقعية الحدث : إن الحدث الشاذ والغريب الذي يعتمد على ظاهرة خاصة، أو مظهر معين، أو سلوك غريب، ولكنه واقعي قد تعجز اللغة عن التعبير عنه، أو نقله او رسمه لا لأن الحدث غير واقعي، ولكن لان الحدث نادر الوقوع ولذلك فأنه يقول :-

((وهذا وشبهه إنما يطيب جداً إذا رأيت الحكاية بعينيك، لان الكتاب لا يصور لك كل شيء ولا ياتي لك على كنهه، وعلى حدوده، وحقائقه))[٢].

وفي سبيل أن يتضح قول الجاحظ هذا فلا بأس أن يسجل الحدث أو الصورة التي أستوجبت هذا التعليق . قال الجاحظ :-

((ولم أرَ مثل ابي جعفر الطوسي، زار قوماً فأكرموه وطيبوه، وجعلوا في شاربه وسبلته غالية، فحكته شفته العليا، فأدخل أصبعه فحكها من باطن الشفة مخافته أن ياخذ من الغالية شيئاً إذا حكها من فوق .هذا وشبهه إنما يطيب جداً إذا رأيت الحكاية بعينيك...الخ))[٣].

هذا النص كأنه دعوة مبكرة للتصوير الفني.

٢-واقعية الحوار :

هناك ملاحظات أرى من الضروري أن أقدمها بين يدي الموضوع في سبيل ألا يتهم الدارس في أنه وضع فرضيات ليس لها بعد واقعي ومنها إن المجتمع العربي قبل الاسلام كان حريصاً كل الحرص على جعل لغته نقية خالصة بعيدة عن اللحن والركاكة، لا ضعف فيها من تقديم لفظٍ في غير محله أو تأخيرعبارة الى غير مكانها، وزيادة حشو لا فائدة فيه، أو حذف لغير سبب نحوي ومن غير تأثير بعجمة، أو لحن عامي، حتى اصبح الاحتفاظ بأصول اللغة العربية وقواعدها وصيانتها من اشكال العامية، والعجمة قانوناً يميز بين متانة التراكيب، وبلاغة الاداء والاساليب المصطنعة المتكلفة التي تبتعد عن الطبع والبساطة، إذ لم يتكلف العربي في عصر ما قبل

الاسلام، القول فيما لا يشعر به، ولا تكلف التعقيد اللفظي، والتصنع البديعي فيما شعر به، بل تجنب الالفاظ المهجورة، والعبارات المسجعة . إلا ما يجيء عفو الخاطر .

لهذا عكس في نتاجه الادبي حرصه على ما ورثه عن آبائه من مظاهر الحياة العقلية والشعورية ومقدار سعيهم الى التطور.

وهناك إتجاه يذهب الى القول بتفوق العرب قبل الاسلام في الحضارة والمعرفة والشعر بما ترك تأثيراً متميزاً في الشعوب الاخرى[٤] . ومن هنا وجدنا أن البلاد العربية قبل الاسلام كانت تزخر بحياة حضارية وفكرية وتزهر بالادباء ومعارفهم الانسانية[٥] .

ولأسباب دينية وأقتصادية وسياسية أرتفعت لهجة قريش الى مرتبة لغة أدبية، يصوغ فيها العرب أدعيتهم الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم حتى أجمع علماؤنا القدامى،على أن قريشاً أفصح لغات العرب، وابينها عما في النفس[٦].

لبعدها عن بلاد العجم، فصانها ذلك من الفساد والتاثر بكلام الأعاجم[٧] عند ذلك كنا لا نجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة[٨] .

ولما جاء الاسلام، أستمر علماء اللغة، والرواية القدماء يحافظون على جوهر اللغة، محافظة تشهد لهم بالدقة والتحري والتوثيق، فنقلوا إلينا الادب العربي بكل صفاته الجمالية والاسلوبية[٩]. واستطاعوا بمهارة أن يميزوا صحيحه من زائفه على نحو ما فعل ابن سلام الجمحي[١٠].

ولا نكاد نمضي في نهاية العصر الاسلامي ومطلع العصر الاموي حتى يظهر الخلاف عند العرب بين أنصار الجاهليين والاسلاميين، وكان الشعراء الذين يخرجون على المحافظة اللغوية والدينية يتعرضون لسخط علماء الدين ورواة اللغة الذين كانوا يكرهون كل لفظ دخيل وينفرون من كل اسلوب ركيك[١١] لا بل كانوا يسجلون الشاذ والنادر من الالفاظ[١٢] والخروج عن القياس الذي يقتضيه الصرف العربي[١٣].

على أن من المهم ان نلاحظ أن الخلاف بين القدماء والمحدثين أيام بني أمية لم يكن من العنف والوضوح بحيث يستحيل الى صراع حقيقي، ذلك لأنه كان يدور حول ((خروج بعض الشعراء على سنن العرب في لغتها وأعرابها، وملاحقة علماء العربية، ورواة اللغة أياهم على هذا الخروج[١٤].

من جانب أخر فان حياة العرب في العصر الاموي كانت أمتداداً لحياة الجاهليين وشعرهم الذي عاد في أواخر القرن الاول الهجري ليفرض أحترامه على الشعراء الامويين ويستهوي ذوق النحاة واللغويين على أختلاف ميولهم وأتجاهاتهم[١٥].

ثم إن الامويين على كثرة ثروتهم، وضخامة سلطانهم، وتطور أفكارهم، كانوا بادين في لغتهم وسيرتهم الظاهرة،على أن العباسيين كانوا قد قطعوا الصلة بينهم وبين حياة البادية[١٦]. لذلك فأن حدة الصراع الحقيقي كانت قد نشبت في العصر العباسي على الشعراء المحدثين من العباسيين[١٧] إذ ظهرالصراع بعينه في العصر العباسي ولاسيما في منتصف القرن الثاني الهجري الى درجة أنه كان مملوءاً بالخلاف بين أنصار القديم والحديث وقد أختلف الشعراء العباسيون، وأختلف معهم الادباء واللغويون في الألفاظ والمعاني والأنواع الفنية[١٨] وظهرت الحياة العباسية في صور ومظاهر جديدة لم تكن معروفة أو مألوفة من قبلُ.

إذ حدث في العصر العباسي تطور حضاري كبير شمل كل جانب من جوانب المجتمع الذي أنفتح على عوالم جديدة من الثقافة العربية فضلاً عن الحرية الفكرية التي وجدها العلماء والادباء في ساحة العلم والمعرفة[١٩].

ثم أشتداد الصلات الادبية والاجتماعية بين الامة العربية والامم الاخرى كالفرس والروم والترك والهنود . فكان من آثار ذلك كله أن ظهر مجتمع عباسي له ثقافة جديدة، وتفكير جديد، وله حضارة تميل به عن بداوة الاعراب[٢٠].

فأنتج الشعراء والكتاب العباسيون أدباً جديداً لم تنتجه تلك الحياة البدوية في الجاهلية والاسلام، وتلك الحياة البدوية المتحضرة أيام بني أمية[٢١] كما أن التفنن في حياة المجتمع العباسي لم يقف عند حدود السياسة والاقتصاد وأنواع الترف والزينة

والتأنق في معاني الشعر والنثر وأنما تجاوز هذا كله الى أن يمتلئ الادب بكثير من الحقائق العلمية والفلسفية والمصطلحات والالفاظ الاعجمية[٢٢].

ويبدوا أن ظاهرة الازدواج اللغوي لدى أديب العصر العباسي كانت مسألة لا تثير الحرج له إطلاقاً وإنما كان بعضهم قد ابتعد – احياناً – عن السليقة . وبدا في لغته اللحن وإستخدام الحوار العامي وبسبب ذلك واجه الكتاب ثنائية اللغة في الحوار فهنالك الفصحى البدوية . وهي لغة الادب الراقي والشعراء والاعراب وهنالك العامية في الامصار وهي لغة الشعب وقد واجه الجاحظ هذه الثنائية في أثناء نقله حوار شخصياته، فدعا الى ابقائها في سبيل الصدق الواقعي معاً ولذلك فقد عرض آراءه النظرية في الموضوع لمن أراد ان يتعامل مع ادب الحياة اليومية . ولما كانت النادرة هي إحدى وسائل تصوير الشخصيات فقد عرض الجاحظ عدداً من الافكار والاراء حولها، تكاد كلها تكرس ثنائية اللغة فيما يخص الطبقات الاجتماعية المختلفة .

فحينما نقل كلام الشخصيات الاعرابية والبدوية رآى أنه يجب الالتزام بلغة هذه الشخصيات ويذكر الجاحظ هذا الرأي :–

((ومتى سمعت – حفظك الله – بنادرة من كلام الاعراب فأياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها . فأنك أن غيرتها بأن تلحن في إعرابها ومخارج ألفاظها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام فأياك أن تستعمل فيها الاعراب أو تتخيرلها لفظاً حسناً وتجعل لها من فيك مخرجاً سرياً فإن ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها، ومن الذي أُريدت له ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها))[٢٣].

ويطالعنا بملاحظته الاخيرة حول واقعية الحوار العامي فيما يخص النوادر التي تعتمد على الحوار فيقول :–

((وأنا أقول إن الاعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الاعراب . لان سامع ذلك إنما اعجبته تلك الصورة، وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة فإذا أدخلت على هذا الأمر – الذي إنما اضحك بسخفه وبعض كلام العجمة

الذي فيه – حروف الاعراب والتحقيق، والتخفيف والتثقيل، وحولته الى صورة ألفاظ الاعراب والفصحاء، وأهل المروءة والنجابة . انقلب المعنى مع إنقلاب نظمه وتبدلت صورته ...))[٢٤].

ويرى أن أي تغيير في الحوار الفصيح والحوار العامي قد يؤدي الى عكس الغرض الذي قصد إليه الكاتب ويبين ذلك بقوله :–

((وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ولانه داخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب، انقلب عن جهته وإن كان في لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أنه يُسر النفوس بكربها وياخذ باكظامها))[٢٥] ولذلك فأن الجاحظ لم يتورع عن نقل الكلام الملحون في سبيل واقعية الحوار ودقة الوصف، فقد ألح مرة كلب على النظام فخاطبة قائلاً :–

((إن كنت (سبعٌ) فاذهب مع السباع وعليك بالبراري والقناص وإن كنت بهيمة فأسكت عن سكوت البهائم))[٢٦].

ثم يعلق على نقله الحوار العامي بقوله :–

((ولا تنكروا قولي، وحكايتي بقول ملحون من قولي : (إن كنت سبعٌ) ولم أقل (أن كنت سبعاً) وأنا اقول إن الاعراب يفسد نوادر المولدين))[٢٧].

٣- واقعية الحكم النقدي:

كما قلنا سابقاً إن سيطرة العقل والمنطق على الفكر الاعتزالي وعلى الجاحظ كان خلف هذه النظرة الواقعية الجادة . وإن العصبيات الفنية التي سادت في فترات مختلفة من تاريخ النقد العربي، لا تثبت للنقاش والتحليل العلميين فلا عصبية القديم ولا عصبية العِرق ولا العصبية القبلية يمكن أن تقف لنقاش العقل المنطقي، ولذلك فإن الجاحظ أوضح مقياس الواقعية الفنية الذي يأخذ بالفن الجيد وسيلة من وسائل التفضل والمعايشة وكان هذا المقياس الفني صيحة جديدة في تاريخ الادب العربي[٢٨] كما إن أقربها الى الواقع وما زال كذلك لهذا فإن الجاحظ يؤسس هذه الواقعية الفنية دون أي أهتمام بالزمن والقدم والعرق حيث يقول :–

((والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها، ان عامة العرب والاعراب والبدو والحضر من سائر العرب اشعر من عامة شعراء الامصار والقرى من المولدة والنائبة، وليس ذلك بواجب لهم في كل ماقالوه . وقد رأيت أناساً منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها . ولم ارَ ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي ولو كان له بصر لعرفَ موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان))(٢٩).

فالجاحظ في مقياسه الفني الواقعي يقرر :-

١- إن عامة العرب والاعراب وشعراء البادية والحضر أجود شعراً من المولدين ولكنه ليس شرطاً ملزماً . لذلك فأنه يقول ((وليس ذلك بواجب في كل ما قالوه)).

٢- إن البحث عن الجيد يجب أن يتم على أساس فنية النص بغض النظر عن العرق والزمن، ويوضح ذلك بقوله :-

((لو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان)).

وهو في مقياسه الفني الواقعي الذي يعتمد على جودة الموضوع وليس على العرق أو القدم يفضل أبياتاً لابي نواس على أبيات المهلهل إذ قال :-

((وأبيات أبي نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر المهلهل في إطراق الناس في مجلس كليب))(٣٠).

ويرى أن هذا المنهج الفني هو الذي يجب أن يسود، لانه يقوم على اسس لا تقبل النقص وتعتمد على مقدار إجادة الشاعر وقدرته، وهو تفاوت يعترف به الناس لواقعيته، وكونه جزءاً من الطبيعة البشرية، ويعلل سبب تفضيل اراجيز أبي نواس بأنها تعتمد على معايشة أبي نواس لتجارب الطرد كما أنها تتميز بصياغة فنية عالية فقال :-

((وأنا أكتب رجزه [أي رجز ابي نواس] في هذا الكتاب لانه كان عالماً راويةً.

وقد لعب بالكلاب زمنا وعرف منها ما لم تعرفه الاعراب . وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في اراجيزه، هذا مع جودة الطبع، وجودة السبك

والحذق باللغة . وإذا تأملت شعره فضلته إلا أنه تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن اهل البدو أبدع شعراً، وإن المولدين لا يقاربونهم في شئ . وإن أعترض هذا عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل مادمت مغلوباً))(٣١).

فواقعية الحكم النقدي عند الجاحظ تعتمد على النظر في الشكل والمضمون، وأن يتم ذلك على ما يؤمن به الناس، ويصدقه الواقع بأن التفاوت ممكن بين الشعراء ولكنه لا يقوم على الزمن أو العرق أو البداوة والحضارة والى ذلك أشار أبن قتيبة(٣٢).

ثانياً: الواقعية في التطبيق:-

نقصد بالواقعية في التطبيق، إنعكاس الواقعية في تصوير الحياة المادية ونشاطها الفكري، والنفسي والنقدي، أو التحليلي والبحث العلمي فأن غلبة العقل الناقد، والمنطق الجاد الذي يبعد العقل عن التناقض الظاهري والباطني، او القبول به هما اللذان يؤديان الى ظهور هذه الواقعية، ورفض الكذب، او المبالغة، ورفض قبولهما منهجاً .

وفي سبيل اعطاء صورة واضحة عن واقعية الجاحظ في أدبه فانا نرى أن نجزيءهذه الواقعية حسب مصدرها، الذات اوالحياة، أو حسب موضعها العلمي أو النفسي أو الفني .

١ - الواقعية الذاتية :

ونقصد بذلك تصوير الواقع من خلال الذات وليس من خلال التصوير عن طريق الرواية والنقل، وإن الواقعية الذاتية هي :- أهم ما يميز كاتباً من كاتب، وشاعراً من شاعر، وإن أدبنا العربي يفتقر -احيانا- الى الواقعية الذاتية فيما يخص حياة مفكريه، ولعلنا إذا ما أستثنينا أبا حيان التوحيدي(٣٣).

فأننا نجد أنه قلما ترك مفكر قديم ملاحظات تكشف عن مشاهداته أو ملاحظاته الخاصة أو ردود فعله ازاء الحياة، وكان الجاحظ في الواقع من أوائل الذين أهتموا بردود الفعل الشخصية في وصف الحياة بحيث كان يردد كثيراً في أدبه عبارة :-

(رأيت وشاهدتُ) لينقل لنا ما شاهده ويكفينا أن نتخيل أو نتصور ألفاظ الكاتب لترى الحياة كما هي على عصر هذا الكاتب .

فالجاحظ في النص الاتي ينقلنا من زمن حديثه في عمره الذي اقترب من مائة عام الى زمن طفولته وهو في الكتاب ما زال يقرأ القرآن الكريم على يد معلم الاطفال وأية فترة زمنية بين زمن الرواية وزمن روايتة وبينهما وبين قارئ هذا القرن واية واقعية ذاتية أكثر جمالاً ودقة وتصويراً ؟ حين قال :-

((وأنا حفظك الله تعالى – (رأيتُ) كلباً مرة في الحي ونحن في الكتَاب فعرض له صبي يسمى مهدياً من أولاد القصابين وهو قائم يمحو لوحه . فعض وجهه فَنَقَعَ ثنيته دون موضع الجفن من عينه اليسرى، فخرق اللحم الذي دون العظم الى شطر خده فرمى به ملقياً على وجهه، وجانب شدقه، وترك مقلته صحيحه . وخرج منه من الدم ما ظننت أنه لا يعيش معه، وبقي الغلام مبهوتاً قائماً لا ينبس، وأسكته الفزع وبقي طائر القلب ثم خيط ذلك الموضع و(رأيته) بعد ذلك بشهر وقد عاد الى الكتاب وليس في وجهه من الشعر إلا موضع الخيط الذي خيط فلم ينبح الى ان برئ ولاهر ولادعا بماء حتى إذا راه صاح : ردوه ! ولا بال جرواً ولا علفاً ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير، ولم أجد أحداً من تلك المشايخ يشك أنهم لم يروا كلباً قطُ أكلب ولا أفسد طبعاً، فهذا الذي (عاينت) واما الذي بلغني عن هؤلاء الثقاة فهو الذي قد كتبته لك ...))[٣٤].

فهذه الصورة الذاتية الواقعية تشعرنا بالثقة بما يرويه الجاحظ كما أنها تعطينا عدداً من الصور الجزئية الواقعية تكون بمجملها هذه الصورة الكبرى للحياة وهذه صورة ذاتية أخرى تصف سحر البصرة والحراس، والجاحظ حين خرج في طلب الحديث قال :-

((ولقد (خرجت) في بعض الأسحار في طلب الحديث فلما صرت في مربعة المحلة ثار اليَ عدة من الكلاب من ضخامها ومما يختاره الحراس . فبينا أنا في الاحتيال لهى وقد غشينني إذ سكتن سكتةً واحدة معاً ثم أخذ كل واحد في شق، كالخائف المستخفي وسمعت نغمة أنسان، فانتهزت تلك الفرصة من أمساكهن عن

النباح فقلت : إن ههنا لعله إذ اقبل رجلان ومعهما كلب أرب ضخم... ولم(آت) كلباً قط أضخم منه فقلت :- أنهن إنما أمسكن عن النباح وتسترن من الهيبة له...))[٣٥].

٢- الواقعية الموضوعية:

نقصد بها كل ماورى الجاحظ من صور الحياة، أو الفكر من خلال اعتقاده بصحة وواقعية هذه الصور، أو جدة الموضوعات واضطر الجاحظ في سبيل الوصول بهذه الواقعية الى مداها الامثل ان يصوغ لها القواعد والحدود ويؤكد صدق او كذب الرواة للوصول بالقارئ الى واقعية خبرية صادقة في سبيل الوصول الى واقعية موضوعية في النقل والاخبار فقد وضع الجاحظ قاعدتين طبقهما على اخباره المروية التي يرفضها، فقد رفض ما تناقض واستحال، ما امتنع في الطبيعة ،وخرج عن طاقة الخلقة، واخذ بالواقعية المحكومة بقوانين الطبيعيات، أو المحسوسات))[٣٦].

وهو يرى أنه من الضعف العلمي في نقل الخبر العلمي أن يؤمن الكاتب أو الراوية بكل خبر يروى له، أو يسمعه ولذلك فانه يرى أن من عيوب الواقعية الموضوعية (عادة الاقرار والقبول)[٣٧].

ولذلك فأنه ينبه على خبر يسمعه عن صغير الكركدن أنه يطيل الاقامة في رحم امه الى الحد الذي يمكنه من أن يقتدر على الاكل فيخرج رأسه ليأكل ثم يعود الى مطمأنه في جوف الرحم . وهنا يناقش الجاحظ الموضوع بالعقل والمنطق فيقول -:

((ولا اقر أن الولد يخرج رأسه من مخرج أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه من فرج أمه ولست أراه محالاً ولا ممتنعاً في الطبيعة وأرى جوازه موهوماً غير مستحيل، إلا أن قلبي ليس يقبله ... ولستُ أبت بأنكاره وإن كان قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرفونه إلا بالعيان الظاهر، والخبر المتظاهر))[٣٨].

ولذلك فأنه يرى أن واقعية الموضوع تحتاج الى حاسة فذّة ترفض وتقبل مستندة الى قواعد المنطق، ومنطق العقل، ولهذا فهو يرى أن الجهلة والجمهور من العامة لا يستحسنون نقل او تلقي هذه الواقعية فيقول :-

((والعامة أسرع شئ الى التصديق))(٣٩).

وينقل الجاحظ بعض الواقعية الموضوعية النادرة التي لا يجدها إلا الباحث المتأمل في ثنايا الحياة المزدحمة، وفي مدن الحضارة، فهو يصور هذه الحقيقة عن تشويه الصبيان لغرض أستغلالهم، وأستعمالهم في الكدية، وهذه الحقيقة صورة واقعية أشار إليها مرتين في أثرين من آثاره فقال :-

((فأما الذي يجعل أولاد المكدين عمياناً وعرجاناً، وعمشاً وحدباً فهو يسمى: (المشعب). فلا أدري أيهم أعظم كفراً، وأقسى قلباً : الاباء أو الامهات الذين يسلمون أولادهم الى المعشب الذي ترك كل صناعة في الارض وتعلم هذه الصناعة فجعلها مكسبه الذي لا يفارقه ؟ وأنا رأيتُ من هذه الصفة جماعة... وكتبت عنهم تصنيف المكدين))(٤٠).

وقال في مكان آخر:-

((والمشعب الذي يحتال للصبي حين يولد بأن يعميه او يجعله اعشم او اعضد ليسأل الناس به، وربما جاءت ب هامه وابوه ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل لانه يصير حينئذ عقدة وغلة، فاما ان يكتسبا به، واما ان يكرياه بكراء معلوم وربما أكروا اولادهم ممن يمضي الى افريقية، فيسأل بهم الطريق أجمع بالمحال العظيم فان كان ثقة مليئاً والا اقسام بالاولاد والاجرة كفيلاً))(٤١).

يمكن أن نقول ان كل روايات الجاحظ مرويات موضوعية قد توصل فيها الجاحظ الى قناعة راسخة بان مروياته عن الحياة يمكن الاطمئنان إليها، والثقة فيها عدا ما اثار الجاحظ الشك فيه وحوله .

٣- الواقعية النفسية:

وهذا يستدعي النظر في ملاحظات الجاحظ المنشورة في كتبه التي تحمل طابع الدراسة النفسية، وقد سجل الجاحظ ملاحظاته حول الطفولة مثلاً وحاول يعدد القدرات النفسية وهي أن يتميز ذكاء الطفل حسب سنه وعمره وهو يرى أن أبن سبع سنين يتميز بقدرته على الحفظ أكثر من قدرته على الحكم، وأتقان الامور، وصحة المعارف، وجودة المخارج – فقال :-

((انما نتكلم عن ظاهر الاحكام، وما شاهدنا عليه طبائع الاطفال، وجدنا حكم ابن سبع سنين، وثمان سنين، وتسع سنين، حيث قرأناه، وبلغنا خبره – مالم يعلم مغيب أمره، وخاصة طباعه – حكم الاطفال، وليس لنا أن نزيل ظاهر حكمه والذي نعرف من شكله بلعل وعسى، لانا كنا لا ندري لعله قد كان ذا فضيلة في الفطنة فلعله ان يكون ذا نقص فيها اجاب منهم بهذا الجواب من يجوز ان يكون على في المغيب قد اسلم اسلام البالغ المختار، غير ان الحكم فيه عند مجرى امثاله واشكاله الذين اذ أسلموا وهم في مثل سنه كان اسلامهم على تربية الحاضن، وتلقين القيم، ورياضة السائس))(٤٢).

ويرى أن الميزة الظاهرة في الصبيان : القدرة على الحفظ وليست القدرة على التحليل، أو النظر في القضايا الكلامية والتحليل ومعرفة الاديان(٤٣).

وينظر في شخصية الشجاع الذي يعرض نفسه للمخاطر، ومقارعة الابطال، ويرى أن الاسباب التي تكمن خلفه لا تعود الى العقيدة لانها مكتسبة ويشرح ذلك بقوله :-

((وربما كان السبب الدين ولكن لا يبلغ الرجل بقوة الدين في قلبه مالم يشبعه بعض ماذكرناه أن يمشي بالسيف لان الدين مكتسب مجتلب، وليس باصلي ولا طبيعي، ولان ثوابه مؤجل، والخصال التي ذكرناها طبيعية اصلية وثوابها معجل))(٤٤).

ويرى الجاحظ أن من الامور التي تدفع الشجاع الى المغامرة بالحياة لها اسباب مشجعة تختلف من شخص الى آخر قال :-

((والسبب المشجع ربما كان الغضب وربما كان الشرابُ، وربما كان الغرار والحداثة وربما كان الاحراج، وربما كان طباعاً كطباع القاسي والرحيم، والسخي والبخيل، والجزوع من وقع السوط والصبور))[٤٥].

ومن ملاحظاته الطريفة ظاهرة إنصراف الذهن وعدم الانتباه، وقد سجل ذلك عن نفسه مرتين، مرة حين نسي كنيته ومرة حين ذهب يشاهد الفيل وخاصة أذنيه، قال عن الحالة الاولى:-

((نسيت كنيتي ثلاثة ايام حتى اتيت أهلي فقلت لهم: بمَ أكنى؟ فقالوا بأبي عثمان...))[٤٦] وقال في المرة الثانية حين شاهد الفيل في يوم عيد والناس حوله :-

((فقصدت نحوه ومالي هم إلا النظر الى أذنيه، فرجعت عنه بعد طول تأمل، وأنا أتوهم عامة أعضائه إلا اذنيه، وما كانت لي في ذلك إلا شغل قلبي بكل شيء هجمت عليه منه. ولكنه كان شاغلاً لي عن أذنه التي اليها كان قصدي . فذاكرت في ذلك سهل بن هرون فذكر لي أنه ابتلي بمثلها))[٤٧].

ولعل من أهم الدراسات النفسية التي تمثل واقع الشخصية من خلال الملاحظة أو الاطلاع والدارسة ملاحظاته حول سلوك القيان في علاقتهن بالرجال.

ويبدوا أن الجاحظ في كتاب (القيان) وفي عرض التركيبة النفسية للقينة في المجتمع العربي كان مدفوعاً بدوافع ليس من السهل معرفة اسبابها . فقد يكون هدفه موضوعياً فرضه أصلاح المجتمع، ووضع حد للتفسخ الاخلاقي، وقد يكون قد دفعه الى كتابة هذا الكتاب شخص لم ينل من أحدى هؤلاء القيان مأربه فكان هذا الكتاب كتاب هجاء، وقد يكون لمظهره أو سنه دخل في هذا الهجوم، ولكن المسألة لا تفهم بهذه السهولة لان أثر القيان كان عنيفاً على الطبقات الاجتماعية المتنفذة كافة، وقد حلل الجاحظ ظاهرة القينة تلك الظاهرة الاجتماعية الشاذة التي لا تؤدي بالاخرين إلا الاذى والخسارة مع عدم قدرة هذه المخلوقة على الحب الخالص لا لمن يملكها ولا لمن يزورها في بيوت النخاسين. ولذلك فإن الجاحظ في تحليله النفسي الواقعي يذيع سراً كانت القينات يفضلن أن يبقى سراً مكتوماً قال :-

((إن القينة لا تكاد تخالص في عشقها، ولا تناصح في ودها لانها مكتسبة ومجبولة على نصب الحبالة، والشرك للمتربطين ليقتحموا في انشوطتها، فإذا شاهدها المشاهد رمته باللحظ وداعبته بالتبسم، وغازلته في اشعار الغناء، ولهجت باقتراحاته، ونشطت للشرب عند شربه، وأظهرت الشوق الى طول مكثه، والصبابة لسرعة عودته، والحزن لفراقه، فاذا احست بان سحرها قد نفذ فيه، وإنه قد تعلق بالشرك تزيدت فيما كانت قد شرعت فيه، وأفهمته أن الذي بها أكثر مما به منها، ثم كاتبته تشكو اليه هواه، وتقسم له بانها مدت الدواة بدمعتها وبلت السحاءة بريقها.... وانها لاتؤثر احداً على هواه، ولا تنوي انحرافاً عنه ولا تريده لنفسه))[٤٨].

ويستمر الجاحظ على دراسته النفسية الواقعية من خلال التأمل او الدراسة على كشف أسرار هذه الفئة من النساء اللواتي يتاجرن بالحب ويتلعبن بالعواطف فيحذر منهن ولذلك فانه يقول في وصف القينة مرة أخرى :-

((وأكثر أمرها قلة المناصحة، واستعمال الغدر في استنطاق ما يحويه المربوط والانتقال عنه، وربما أجتمع عندها من مربوطيها ثلاثة أو أربعة على أنهم يتحاملون من الاجتماع، ويتغايرون عند الالتقاء، فتبكي لواحد بعين، وتضحك للآخر بالاخرى وتغمز هذا بذاك وتعطي واحداً سرها والاخر علانيتها وتوهمه أنها له دون الاخر وإن الذي ظهر خلاف ضميرها، وتكتب إليهم عند الانصراف كتباً على نسخة واحدة تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقين، وحرصها على الخلو به دونهم))[٤٩].

ويبدو أن الجاحظ يعتقد ان القينة لا يمكن لها ان تغير من جبلتها الشخصية حتى وإن شاءت فأن أثر البيئة التي نشات فيها قد أستحكم فيها حتى اصبح جزءاً من طبيعتها وسلوكها اليومي، ولذلك فأن اصلاح القينة لا يمكن أن يتحقق لها حتى وإن شاءت هي ذلك، ويشرح الجاحظ هذا الاثرفي سلوك القينات على النحو الاتي:-

((وكيف تسلم القينة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة وإنما تكتسب بالاهواء وتتعلم الالسن والاخلاق بالمنشأ . وهي تنشأ من لدن مولدها الى اوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث وصنوف اللعب والاحاديث، وبين الخلعاء والمجان، ومن لا يسمع منه كلمة جد ولا يرجع منه الى ثقة ولا دين ولا ورع ولا مروءة

وتروي الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعداً يكون الصوت فيما بين البيتين الى اربعة ابيات، عدد ما يدخل في ذلك من الشعر اذا ضرب بعضته ببعض – عشرة آلاف بيت ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة، ولاترهيب من عقاب ولا ترغيب في ثوب وأنما بنيت كلها على ذكر الزنى والقيادة والعشق، والصبوة والشوق ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها منكبة عليها تأخذ من المطاريح الذين طرحهم كلهُ تجميشي، وإنشادهم مراودة وهي مضطرة الى ذلك في صناعتها لانها ان جفتها تفلتت وإن اهملتها نقصت، وان لم تستفد منها وقفت، وكل واقف فألى نقصان اقرب، وإنما فرق ما بين اصحاب الصناعات وبين من لا يحسنها التزيد فيها والمواظبة عليها فهي لواردات الهدى لم تعرفه، ولو بغت الغفلة لم تقدر عليها وإن ثبتت حجة الهذيل فيما يجب على المتفكر زالت عنها خاصته لان فكرها وقلبها ولسانه وبدنها مشاغيل بما هي فيه، وعلى حسب ما أجتمع عليها من ذلك في نفسها لمن يلي مجالستها عليه وعليها))[٥٠].

وبذلك يكون الجاحظ في هذه الدراسة النفسية الواقعية قد حاول أن يكشف زيف طبقة من النساء يتعاطين الحب الكاذب، ويتاجرن بالعشق ولكن أختيارهن قد يكون أضطراراً وكرهاً .

ولم يهمل الجاحظ في دراسته للواقع النفسي للفرد في عصره شيئاً ولا ترك مجالاً للميول الشاذة أو الغريبة التي لا تكون إلا في أفراد معدودين، أو فرد واحد شاذ فهو يتكلم عن شخصين وهما :– البلوي وعلي الاسواري وتعشقهما لنتن التيوس وكيف كانا يجلسان على رأس درب لاحد أولئك التياسين . قال :–

((وجلود التيوس وجلود آباط الزنج منتنة العرق، وسائر ذلك سليم والتيس ابطه كله، نتنه في الشتاء كنتنه في الصيف، وانا لندخل السكة وفي اقصاها تياس فنجد نتنها من أدناها حتى لايكاد احدنا يقطع تلك السكة إلا وهو مخمر الانف إلا ما كان مما طبع الله عز وجل عليه البلوي وعلي الاسواري فان بعضهما صادق بعضاً على استطابة ريح التيوس وكانا ربما جلسا على باب التياس ليستنشقا تلك الرائحة،

فإذا مر بهما من يعرفهما وأنكر مكانهما ادعيا انهما ينتظر ان بعض ما يخرج اليهما من تلك الدور))[٥١].

ويعطينا الجاحظ انموذجاً آخر من أصحاب هذه الميول الغريبة في السلوك (المكي) الذي تعشق جارية يقال لها(سندرة) ثم زوجها نهارية وقد دعاني الى منزلها غير مرة، وخبرني انها ذات صنان وإنه كان معجباً بذلك منها وانها كانت تعالجه بالمرتك، وانه نهاها مرارا حتى غضب عليها في ذلك . قال ((فلما عرفت شهوتي كانت إذا سألتني حاجة ولم أقضها قالت :– والله لاتمرتكن، ثم والله لاتمرتكن، فلا اجد بداً من ان اقضي حاجتها كائناً ما كان.))[٥٢].

وسجل الجاحظ حالة نفسية شاذة أخرى وفريدة جداً ولكن شذوذها لا يمنع من واقعيتها ولا يمنع من وقوعها من ذلك الفرد الشاذ وخوف الا نعتقد بتلك الواقعية النفسية فانه يعرفنا برواية الخبر وأمانتة العلمية قال عن الرواية :–

((حدثني مويس بن عمران . وكان هو والكذب لا يأخذان بطريق ولم يكن عليه في الصدق مؤونة لا يثاره له حتى كان يستهوي عنده ما يضر وما لا يضر))[٥٣].

أما الخبر الشاذ الغريب فهو ما يأتي كما رواه مويس بن عمران :-

((عندنا رجل يشتهي ريح الكرياس (وهو الكنيف المشرع على السطح بقناة الى الارض)).

لا يشفيه دونه شيء فكان قد اعد مجوباً (الة قطع) او سكة حديد في صورة المبرد فيأتي الكراييس التي تكون في الازقة القليلة المادة فيخرق الكرياس ولا يبالي أكان من خزف او من خشب ثم يضع منخريه عليه حتى يقضي وطره . قال : فلقي الناس من سيلان كراييسهم شراً حتى عثروا عليه فما منعهم من حبسه إلا الرحمة له من تلك البلية مع الذي رأوه من حسن الهيئة فقال لهم : ياهؤلاء لو مررتم بي الى السلطان كان يبلغ من عقابي أكثر مما أبلغ من نفسي، قالوا لا والله فتركوه...))[٥٤].

وبذلك يكون الجاحظ قد قدم دراسة واقعية عن طبيعة المجتمع وسلوكه العام والخاص.

٤- الواقعية العلمية:

كان الجاحظ قد تكلم كثيراً عن البحث العلمي وضرورة التثبت بالمشاهدة والتجربة لان العلم أكثر نشاط الانسان الذي يجب أن يكون حقاً وصدقاً لما في ذلك من منفعة للأنسان وتطوير معرفته، وقد وضع الجاحظ لذلك ثلاثة مبادئ يعتمد عليها البحث العلمي وهي ((التثبت والعيان والتجربة)) ومن خلالها عالج الظواهر العلمية وقضايا الطبيعة والسلوك الحيواني، وقد شرح ذلك مفصلاً الدكتور داوود سلوم في كتابه (الجاحظ منهج وفكر) مما يغني عن إعادته هنا إلا اننا لا نريد أن نترك هذا الركن من منهجية الجاحظ وواقعيته دون أن نذكر هذه التجربة العربية التي كانت أرهاصاً لتجربة بافلوف على الكلاب[٥٥].

قال الجاحظ وهو يروي عن صديق له :((أنه حبس كلبه في بيت وأغلق دونه الباب في الوقت الذي كان طباخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ثم احد سكيناً بسكين فنبح الكلب ورام فتح الباب لتوهمه ان الطباخ رجع من السوق بالوظيفة وهو يحد السكين ليقطع اللحم .

فلما كان العشي صنعنا به مثل ذلك لنتعرف حاله في معرفة الوقت فلم يتحرك قال :- وضعت ذلك بكلب لي آخر فلم يقلق إلا قلقاً يسيراً فلم يلبث أن رجع الطباخ فصنع بالسكين مثل صنيعه فقلق حتى رام فتح الباب .قال فقلقت : والله لئن كان عرف الوقت بالرصد فتحرك له فلما لم يشم ريح اللحم عرف انه ليس بشيء، ثم

لما سمع صوت السكين والوقت بعد لم يذهب وقد جيئ باللحم من المطبخ وهو في البيت او عرف فعل ما بين إحداد السكين واحد أو الطباخ إن هذا أيضا لعجب، وإن اللحم ليكون بيني وبينه الذراعان والثلاث الاذرع فما أجد ريحه الا بعد ان ادنيه من انفي وكل ذلك عجب))[٥٦].

٥- الواقعية الفنية (في الشعر):

لقد أشار الجاحظ الى ضرورة إلتزام الشاعر بواقعية التصوير ورفض نوعين من الصور التي يخرج بها الشاعر عن الواقعية وانعكاس الحياة انعكاساً دقيقاً وصادقاً .

والنوع الاول: الذي رفضه الجاحظ هو مبالغة الشاعر في تصوير الواقع بأستعمال الافراط أو الايغال . ولذلك ينعى المولدين مبالغتهم في صفة السرعة فقال ((أفرط المولدون في صفة السرعة، وليس ذلك باجود فقال شاعر منهم يصف كلبه بسرعة العدو :-

كأنما يرفع ما لا يضنع .

وقال الحسن بن هانئ :- **ما أن يقعن الارض إلافرطا**[٥٧].

أما النوع الثاني: الذي رفضه الجاحظ من انعدام الواقعية فهو تصوير الموضوعات (الميثولوجية) ونظم الخرافات الشعبية، أو ما إليه من حكايات الجن والاساطير وعد ذلك خروجاً عن هدف الشاعر في التصوير قال عن أحد شعراء البدو :- كان من شياطين الاعراب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويجبره وقد قال كما ترى :- فقالت زد فقلت : رويد إني على أمثالها ثبت الجنان لأنهم هكذا يقولون، يزعمون ان الغول ستزيد بعد الضربة الاولى لانها تموت من ضربة واحدة وتعيش من الف ضربة))[٥٨].

وبذلك نرى أن الجاحظ قد أتبع منهجاً متكاملاً في تنظيره وتطبيقه كانت فيه الواقعية هي العمود الفقري الذي حكم نشاطه الادبي والفلسفي وإن خضوعه لمنطق العقل الجاد وعلم المنطق كانا خلف ذلك المنهج المحكم الاركان .

الهوامش:

(١) البخلاء : ٥١.
(٢) م.ن.ص.ن.
(٣) م.ن.ص.ن.
(٤) حضارة العرب: ١٠٩، أصول الشعر العربي: ٥٥، تاريخ الادب العربي (بلاشير) ٦١/١، الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونانيين والعبريين :٥، تاريخ آداب اللغة العربية: ٣١/١.
(٥) تاريخ الادب العربي قبل الاسلام :١٠/٤.
(٦) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) :١٣٣.
(٧) مقدمة أبن خلدون : ٧٦٥/١، المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٢١/١ وما بعدها.
(٨) اللهجات العربية : ٢٧.
(٩) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) : ١٥٦، ١٧٠.
(١٠) طبقات فحول الشعراء : ٥/١ وما بعدها.
(١١) حديث الاربعاء : ٦.
(١٢) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء : ١٥٧، ١٩٨، ٥٤٧.
(١٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١١٤ .
(١٤) الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي : ٥٠.
(١٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٧٣/١.
(١٦) حديث الاربعاء : ٢/٢٠-٢١ .
(١٧) الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي :٥١.
(١٨) حديث الاربعاء : ٧/٢.
(١٩) الادب العربي في العصر العباسي : ٢٠ – ٢١.
(٢٠) ادباء العرب في الأعصر العباسية : ٢٢.
(٢١) حديث الاربعاء :٢٢/٢.
(٢٢) فقه اللغة العربية : ٨٣، ١٨٣.
(٢٣) البيان والتبيين : ١٣٤/١.
(٢٤) الحيوان : ٢٨٢/١.
(٢٥) م.ن :٣٩/٣.
(٢٦) م.ن : ٢٨٢/١.

(٢٧) م.ن : ٢٨٢/١.
(٢٨) مقالات في تاريخ النقد العربي : ١٢٩ .
(٢٩) الحيوان : ١٣٠/٣.
(٣٠) م.ن : ١٢٨/٣.
(٣١) م.ن : ١٢٧/٢.
(٣٢) الشعر والشعراء : ١٠-١١.
(٣٣) الامتاع والمؤانسة : ٢٢٣/٣، ابو حيان التوحيدي سيرته وآثاره : ٣٤٨.
(٣٤) الحيوان : ١٤/٢.
(٣٥) الحيوان:٤٢١/٥.
(٣٦) م.ن : ٢٨٣/٣.
(٣٧) الحيوان : ٢٢٣/٣.
(٣٨) م.ن : ١٢٥/٧.
(٣٩) م.ن:١٩٤/٤.
(٤٠) البرصان والعرجان : ٢٣٧ .
(٤١) البخلاء : ٥٢.
(٤٢) العثمانية : ٧.
(٤٣) م.ن : ١٥-١٧.
(٤٤) م.ن : ٤٨.
(٤٥) م.ن : ٤٩.
(٤٦) معجم الادباء : ٧٤/١٦.
(٤٧) الحيوان : ٢٠١/٧.
(٤٨) رسائل الجاحظ (رسالة القيان) : ١٧١/٢-١٧٢.
(٤٩) م.ن:١٧٥/٢.
(٥٠) رسائل الجاحظ: ١٧٦/٢ – ١٧٧.
(٥١) الحيوان: ٤٦٦/٥ – ٤٦٧.
(٥٢) م.ن : ٤١٨/٥.
(٥٣) م.ن ٤٢٠/٥.
(٥٤) م.ن.٤١٧/٥.
(٥٥) للمزيد من المعلومات ينظر كتاب نظريات التعلم ١٦٨-٢١٢ أصول علم النفس ١٨٩-١٩٢، علم النفس التربوي ٢٠٣ -٢٠٤ .
(٥٦) الحيوان : ١٢٠/٢.
(٥٧) م.ن : ٣٥/٢.
(٥٨) م.ن : ٢٣٥/٦.

المصادر والمراجع:

١- أبو حيان التوحيدي : سيرته وآثاره : د.عبد الرزاق محيي الدين . المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩م .

٢- أدباء العرب في الاعصر العباسية : بطرس البستاني، بيروت ١٩٧٩ م

٣- الأدب العربي في العصر العباسي : د.ناظم رشيد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٨٩م .

٤- أصول الشعر العربي : د.س مرجليوث، ترجمة د. يحيى الجبوري، مطبوعات مؤسسة الرسالة ١٠الط ١ – ١٩٧٨م.

٥- أصول علم النفس : أحمد عزة راجح، مصر ١٩٧٣م.

٦- الإمتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) تحـ أحمد أمين وأحمد الزين، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩م.

٧- البخلاء:أبو عثمان عمروبن بحرالجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحـ طه الحاجري طه، القاهرة ١٩٧٦.

٨- البرصان والعرجان: الجاحظ، تحـ محمد مرسي الخولي، القاهرة ١٩٧٢م .

٩- البيان والتبيين: الجاحظ، تحـ عبد السلام هارون، ط٤القاهرة ١٩٧٥م .

١٠- تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان، مط دار الهلال، مصر ١٩٥٧.

١١- تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) د.ريجيس بلاشير، تعريب د.أبراهيم الكيلاني، دار الفكر، بيروت ١٩٥٦م.

١٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د.شوقي ضيف، مط . دار المعارف القاهرة الط ١ – ١٩٦١ م .

١٣- تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام .د. نوري حمودي القيسي وآخرون . دار الحرية، بغداد١٩٧٩م .

١٤- الثقافة العربية، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين : عباس محمود العقاد دار القلم، مصر د.ت .

١٥- الجاحظ منهج وفكر : داود سلوم، بغداد ١٩٥٩م.

١٦- حديث الاربعاء : طه حسين، دار المعارف الط١٣ القاهرة ١٩٨١م .

١٧- حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور: د.أحمد سوسة دار الحرية، بغداد ١٩٧٩م .

١٨- الحيوان: الجاحظ، تحـ عبد السلام هارون الط٣ بيروت، ١٩٦٩م .ج/٢ مط مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٣٨م .

١٩- رسائل الجاحظ (كتاب القيان) ج٢ القاهرة، ١٩٦٥م .

٢٠- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تحـ. دي غوية، ليدن ١٩٠٤م .

٢١- الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي: د. محمد حسين الاعرجي، المركز العربي للثقافة والعلوم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان د.ت .

٢٢- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ) تحـ محمود محمد شاكر، مط المدني، مصر د.ت .

٢٣- العثمانية : الجاحظ، تحـ عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٥م.

٢٤- علم النفس التربوي: د. جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٧م.

٢٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) تحـ، محمد محيي الدين عبد الحميد الط١، مط حجازي، القاهرة ١٩٣٤م .

٢٦- فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٨٧م .

٢٧- الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م.

٢٨- اللهجات العربية : د.ابراهيم انيس، مط الرسالة، القاهرة د.ت.

٢٩- محاضرات في تاريخ النقد عند العرب : د. ابتسام مرهون الصفار د.ناصر الحلاوي، دار الحكمة، بغداد ١٩٩٠ م .

٣٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ١٩٨٧م .

٣١- معجم الادباء ياقوت الحمودي . تحـ ماركليوث الط١ القاهرة د.ت.

٣٢- مقالات في تاريخ النقد العربي : د.داود سلوم، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨١م .

٣٣- مقدمة أبن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) تحـ د.خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الط٢ – ١٩٨٨م.

٣٤- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤ هـ) تحـ علي محمد البجاوي، مصر ١٩٦٥م .

نظريات التعلم : فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣م.

القصة السير ذاتية
في قصص كمال عبد الرحمن

د. خليل شكري هياس
جامعة الموصل/ كلية التربية الأساسية

شهدت الساحة النقدية العربية في العقود الأخيرة حضوراً لافتاً للسيرة بوصفها جنساً أدبياً مستقلاً، له مقوماته وأسسه البنائية الخاصة، كما تنوعت السيرة تنوعاً ملحوظاً أدى إلى تفرعات نوعية جديدة بحكم انفتاحها المفرط على أساليب الكتابة الإبداعية المتنوعة، الأمر الذي أسفر عن تصنيف أنواعها إلى عشرات الأنواع، اغلبها ناتج عن تلاقح جنس السيرة مع غيرها من الأجناس أو الأنواع الأدبية من رواية، وقصة، ومقالة، وشعر.

هذا الانفتاح حتّم على القائمين على الدراسات النقدية السعي إلى مواكبته، لقراءة التداخلات الاصطلاحية والأجناسية بين أنواعها من جهة، والوقوف على الآليات الخاصة بكل نوع، والنابعة من سياقه المرجعي الذاتي، أي ما يقدمه له الأفق القرائي من عناصرَ ومعاييرَ مرجعية تعرف بـ (استراتيجية النص)، ومن ثم الخوض في الإشكاليات التي يطرحها هذا النوع أو ذاك من جهة أخرى.

من هذا المنطلق تحاول ورقتنا البحث في نتاج القاص كمال عبد الرحمن لاستجلاء ما فيها من تمازجات وتلاقحات بين الفن القصصي الذي يشكل الإطار العام والرئيس، الذي يدلو فيه القاص دلوه، وبين السيرة الذاتية التي يستعين بها القاص ليقدم من خلالها عالماً يتمازج فيه الخيال بالواقع، وتتعاون فيه المخيلة مع الذاكرة، ويندرجان معاً في تداخل مستمر يكون فيه القاص مصدراً لتخيلات الراوي، فالكيان الجسدي والنفسي والذهني للقاص يشرّح، ويعاد تركيبه، والتجربة يعاد تصويرها بعد شحنها بالتخييل، مما يوفر حرية غير محددة في تقليب التجربة، وإعادة صوغ الوقائع

واحتمالاتها، وكل وجوهها، من دون خوف من الوصف المحايد البارد للتجربة، ولا الانقطاع التخييلي عنها[١].

إن النظرة الواعية في المكونات والآليات الخاصة بكتابة السيرة الذاتية وفّرَت للقاص الأرضية المناسبة في رسم مسارات الذات، وهيأت له الأجواء كي يعبر على نحو ما عن شخصيته، ويكشف عن روافد من تجارب ذاتية، استطاعت الذات الكاتبة أن تصهرها في بوتقة القصة بقيامها على منظور رؤيوي فني يقوم على التكثيف في الحدث والموضوع والفكرة، وهذا التكثيف بطبيعته يتطلب تعاملاً خاصاً مع اللغة، وتناولاً أدق واخص للتقنيات المتبادلة بين فنون السرد، واستثماراً أمثل لروح العاطفة التي تعد مرآة النص لتزيدها خصباً وثراء. إذ ليس التكثيف –بعد كل ذلك– اقتصاداً لغوياً حسب، بل بناءً متماسكاً يسبك كل التقانات في لوحة تعبيرية يبقي على روح النص وتوجهه الخلاق. ومن هنا تكون الحبكة القصصية أكثر تجريداً من الحبكة الروائية والمسرحية[٢].

ولما كانت القصة السيرذاتية تتناول الذات موضوعاً للسرد، فإنَّ هذا السرد يكون ذا مرجعيات واقعية تفرضها سلطة ألـ(أنا) القاصة، بوصفها ذات التبئير/ المبئر/ وموضوع التبئير/ المبأر في آن واحد، بعد أن يعمد إلى تشغيل منظومة الذاكرة لتكون بمثابة المعبر الذي يربط الواقعي بالمتخيل، فما أن يبدأ المؤلف بسرد الذاكرة حتى تخرج الأفعال والأحداث والأمكنة من سيرورتها الموضوعية – أي ما هو حاصل في تاريخها الطبيعي– إلى سيرورة نصية تضفي عليها قيماً إيحائية إضافية، قد تكون وجدانية أو ثقافية أو ذهنية، أو نابعة من المتخيل في بعديه: الشعوري، واللاشعوري الذي يسود المجتمع سلوكاً وتصوراً. وبذلك تكون المادة المقدمة من الذاكرة للنص السردي ذي الطابع السيرذاتي ((عبارة عن نموذج مبنين، وليس خاماً، يتلبس طيه الوجود المادي بالوجود العاطفي والرمزي، الأمر الذي يفيد بأن عملية التنصيص ستشمل عالمين متعالقين ومختلطين، عالم مرجعي صرف يخضع للمعالجة ثم التجاوز، وعالم خيالي يتم تجسيده وتجميعه وإعطاؤه شكلاً من الأشكال))[٣] يعرف اليوم وفق نظرية الأجناس بالقصة السيرذاتية التي تعد نوعاً أدبيا خاصاً ينتج من

تلاقح القصة مع السيرة الذاتية، فينهار السور الفاصل بين النوعين ليصبحا أرضا إبداعية واحدة له خصوصيتها المتشكلة من تصاهر وتلاقح تقنيات ومرتكزات كل منهما في الآخر، وجدير بالذكر القول: إن هذه الأرض تعد أرضا بكراً على الصعيد النقدي على الرغم من توافر كم قصصي ثر لم يحرث بعد وفق هذه الرؤية النقدية.

ولعل من المناسب الإشارة إلى تحديد الناقد فيليب لوجون للسيرة الذاتية النثرية عندما يصفها بأنها ((قصة استعادية نثرية يروي فيها شخص حقيقي (قصة) وجوده الخاص، مركزاً حديثه على حياته الفردية، وعلى تكوين شخصيته بالخصوص))[٤] وهذا التعريف إذا ما حاولنا تطبيقه على القصة السيرذاتية نراه يصطدم بحقيقة أن القصة بشكل عام والقصة القصيرة بشكل خاص لا يمكن أن تستوعب سيرة الذات بحكم صغر مساحتها، وفيما عدا ذلك فالتعريف ملائم من حيث المرتكزات التي يمكن أن تقوم عليها القصة السيرذاتية]:

١- **شكل الكلام** : قصة استعادية نثرية.

٢- **الموضوع** : سيرة حياة المؤلف بقلمه (أي الأنا موضوعاً للسرد).

٣- **موقف الكاتب:**

أ- التطابق بين أنا المؤلف، وأنا السارد، وأنا الشخصية المركزية.

ب- النظرة الخلفية في السرد أي التشبث بالمنظور الاستعادي في القصة.

وبما أن النص القصصي السيرذاتي بمفرده – على الرغم من كل المرتكزات التي يحملها – لا يستطيع سرد سيرة الذات، لذا فان تعريف لوجون لا يمكن تطبيقه على النص القصصي ما لم نشفعه ببعض التغييرات كي يتناسب مع طبيعة النص شأنه في ذلك شأن القصيدة السيرذاتية، إذ هما لا يستطيعان تقديم سيرة الذات ما لم تتظافر مجموعة قصائد في تقديم ذلك، وهذا ما يفصح عنه المتن الشعري لمحمود درويش مثلاً في (لماذا تركت الحصان وحيداً)[٥]. واستناداً إلى هذه المعطيات، يمكن تعريف القصة السيرذاتية، بأنها قصة استعادية نثرية، يروي فيها القاص كِسراً سيرية عن حياته ووجوده، مركزاً حديثه على حياته الفردية، وعلى تكوين شخصيته بالخصوص، مستنداً في كل ذلك إلى آليات المنظومة الذاكراتية. وبهذا يكون التعريف

قد راعى مسألة الحجم في القصة من حيث كونها تحمل جانباً من سيرة القاص وليس كل السيرة، وإذا ما أردنا الوقوف عند سيرة القاص لابد من قراءة تجربة القاص بالكامل أو من خلال مجموعة قصصية معينة، وفي الوقت نفسه يكون التعريف قد حافظ على مرتكزات النص السيرذاتي الذي حدد لوجون في أن تكون ال (أنا) نفسها موضوعاً للسرد، ويكون انتماؤها زمنياً إلى الماضي، وهذا يعني اعتمادها على الذاكرة في استرجاع أحداث ذات مرجعية واقعية معيشة فعلاً، كما أن التطابق بين المؤلف، السارد، الشخصية المركزية المفترض تواجدها في القصة السيرذاتية، وحتى الميثاق السيرذاتي يمكن وجوده أيضا فيها.

إن الرصد القرائي للطابع السيرذاتي في نصوص كمال عبد الرحمن حدد عدداً من القصص في مجموعتيه القصصيتين (الحاسة التاسعة) و (المغني الصامت)، أما مسوغ قراءتنا لهذه القصص قراءة سيرذاتية فقد انبنى على تصريح من المؤلف/ الصديق الذي لم يكتف بالتصريح المباشر لنا، بل ثبته كتابياً على المجموعتين مخاطباً إيانا في الإهداء، ((إليك جزءاً من حياتي مبثوثة في ثنايا قصصي)) ومعلوم أن مثل هذا الإهداء يشكل نوعاً من الميثاق السيرذاتي الصريح يجعلنا لا نتوانى في دراستها على أنها قصص سيرذاتية.

تشتغل قصة (ما أتاني من حديث عبد جدو) منذ العنوان في منطقة السيرة الذاتية، إذ تنهض بنيته على إستراتيجية واضحة تختزل في طياتها ملامح النوع السيرذاتي يمكن تحديدها بما يأتي:

١- قيامها على منظور استرجاعي من خلال توظيف صيغة الماضي (ما أتاني) مقرونة بالطابع السرد- حكائي الذي تفصح عنه مفردة (حديث).

٢- الطابع الرؤيوي السيري الذي يفصح عنه اسم العلم (عبد جدو)، إذا ما علمنا أن هذا الاسم هو اسم والد القاص، خالقاً بذلك فضاءً سيرياً عائلياً شديد العاطفة يخضع لوجهة نظر خاصة يحتم على القارئ النظر إلى الذوات الساكنة في النص نظرةً مزدوجة، الأولى: كونها ذواتاً إحالية يتعامل معها القارئ السيرذاتي على أنها تحيل على كائن تاريخي موجود خارج النص، والثاني: كونها ذواتاً

نصية مندرجة في نظام سردي يعرض علينا السارد أفعالها وأحوالها بتدرج وانسجام(٦).

تفتح الذات القاصة أفق القراءة على استحضار تقانة السرد بالنيابة، إذ تستعين الذات القاصة بوالدها لتلبسه ثوب السارد الذي يأخذ على عاتقه مهمة سرد جانب من حياة العائلة عندما كانت تعيش في إحدى قرى النمرود، لكن هذا السرد بالنيابة لا يتضح للقارئ إلا بعد التوغل في منطقة النص إلى ما يقارب المنتصف في مسعى من الذات القاصة لرفد النص بعنصر التشويق القائم على المفاجأة وكسر أفق التوقع في محاولة منها لشد القارئ وجعله متقد الذهن، وهو يصغي إلى صوت السارد في النص((زمن يترهل في تخوم أعوامه، يكبر الصغير، ويصغر الكبير، والقرية غافية في أهداب الوقت، وان عادت على بعض بيوتاتها التي تمشي بأصحابها أو تتقافز فوق حقول الشعير، دون أن يطأها، وفي الوقت ذاته الذي انتشرت فيه بقرى (نمرود) حكاية المرأة التي يأوي إليها المجانين تخلصاً من أوجاعهم التي لا يدركها بشر، يقيم الرجل في أتون صراخه طقساً لا تفقهه سوى الملائك، ويصيح في الليل الغافي وكأنه يوقظه من غفلة ما (يا هو .. يا ودود) فترتطم الضواري هاربة من بعضها إلى بعضها، ويفز المستلبون من أحلامهم إلى كوابيسهم خاشعين لهيمنة الإنصات لقرآن تتلوه ملائكة الفجر، وما أن يطرد السحر كتل الظلام تدريجياً حتى يترجل الرجل، عن صهوة غرفته بعد أن بكى طوال الليل، وفار جلده لهباً تحت لسعات البرد القارص، كان (إسماعيل عبد جدو) قد اعتاد منذ الصغر على امتطاء بيته والصراخ في مناجاة خالدة مستغيثاً بالله من دنيا لم تستطع قهره، وتروي قرى (نمرود) أن إسماعيل كان منصرفاً مسرب التزهد بعنفوان أمّة، ولم يضايقه إنسان إلا وبات منتفخاً كبالون مبلل))(٧).

إن القراءة التأملية في المقطع المرصود تكشف عن استلهام الذات القاصة – عبر سارد غيري– كل ما أمكن من الرؤى المركزية التي منها تتشكل ذاكرة التجربة، لإدراجها في فضاء قصصي مفعم بالصوفية يتجاوز ما هو سائد ومألوف إلى ما هو استثنائي رغم بساطة البيئة التي منها تتشكل القصة، فالنص هنا في تشكله الفضائي

لا يتوقف عند حدود استعادة التجربة بمعطياتها الحياتية المتلبدة بغيوم ما هو ديني عاطفي، بل يتعداه إلى تشييد قصصي يستخدم الأسلوبية الصوفية في التعبير لتفادي الوقوع فيما هو سطحي ساذج، والنفاذ إلى ما هو جوهري بوصفه بؤرة بث وإشعاع تغذي النص بمعطيات رؤيوية جديدة تنفتح على ما هو خاص من التجربة، ولعل المواطن الموصلي يدرك قبل غيره – بما أن القراءة هنا سيرية أي تعالقية بين الداخل والخارج نصي– خصوصية هذه العائلة الدينية ومكانتها بين العوائل.

في سرده للأحداث يتخذ السارد أكثر من موقع، فتارة يتخذ موقعاً خارجياً من الحكي، مما يتيح له فسحة كافية لإدارة اللعبة السردية بعين باصرة/ راصدة تمتلك القدرة على تقديم المسح التتابعي لجزيئات السرد، وتارة يكون في موقع داخلي من الحكي يرتب السرد بعين البصيرة النافذة إلى عمق النص والباسطة لنفوذ العاطفة في ثناياه، مما يحدث في النهاية تنوعاً وتعدداً وتلوناً تعمل على نحو تلاحمي تضافري في سبيل سردي تجتهد حداثته في فتح أساليب النص والحكي على فضاءات جمالية، يتفاعل ما هو زماني بما هو مكاني في تقديم شخصيات النص تقديماً سيرذاتية، تتراءى فيها شخصية الأب (إسماعيل عبد جدو)، وشخصية الأم (المرأة زوجة إسماعيل)، بالنسبة للسارد، وشخصية الجد والجدة بالنسبة للذات القاصة، رؤية ميثاقية على نحو لا يدع أي شك في قراءة النص قراءة سيرذاتية تحوم في فضاء ألفوي حميم وزاخر بعنفوان المحبة، والتغني بذلك الماضي الزائل حياتياً والخالد ذاكراتياً في ذاكرة الأب السارد المعاصر والشاهد لتلك الأحداث، وفي ذاكرة الابن/ الذات القاصة الراسمة لتلك الأجواء ذاكراتياً من خلال حديث الأب له.

تُحدث الأفعال النصية في تتابعها وتواليها تحولاً كبيراً في صيرورة المشهد، فبعد أن تبدأ بترسيخ سكونية الفضاء عبر تسكين الزمن(زمن يترهل في تخوم أعوامه يكبر الصغير ويصغر الكبير) في إشارة إلى دورة زمنية لا تفعل فعلها المؤثر سوى أنه يكبر الصغير، ويصغر الكبير دون أن يترك بصماته على المكان الذي يبدو هو الآخر ساكناً و (غافياً في أهداب الوقت). نراها – أي الأفعال– تحدث انعطافاً في المشهد الزمكاني من خلال رسم صورة حركية تؤسطر أو لنقل تصوف الحدث

السردي فيمتطي الرجل غرفته ليحلق بها ومعها في سماء عرفاني تذوب فيها الحدود بين ما هو واقعي حياتي وبين ما هو غيبي عرفاني تنصهر فيها الذات المخلوقة بالذات الخالقة لتخوض مغامرتها الروحانية في رحاب فضاء ديني يختلط فيها صوت المناجي(يا هو.. يا ودود) بصوت ملائكة الفجر وهي تتلو القرآن. ولعل في ذلك فلسفة خاصة حاولت الذات القاصة من خلالها خلق فضاء قصصي خاص يسمح بتدخل الأنا القاصة في تشكيل وضع سردي سيميائي يتسم برسم صورة سردية مفعمة بالشعرية الخارجة عن شعرية المألوف العائلي الحاصل خارج ثبات الزمكاني الواقعي.

وإذا كانت قصة (ما أتاني من حديث عبد جدو) تتحدث عن سيرة العائلة من أعلى الهرم ممثلة بحياة الجد والجدة والأب عندما كانوا في القرية عبر سارد غيري هو والد الذات القاصة، فان قصة (صوتك البعيد) تحكي تجربة سيرية أخرى تتمثل سيرة الذات القاصة بمعية جدها وجدتها عبر سارد ذاتي يحظى بدور بارز في إدارة اللعبة السردية داخل النص، ويفتح بوابات النص مباشرة على ما هو ذاتي وخاص من حياة الذات القاصة، فنراها تقف في هذه القصة عند ماهو حميمي، عبر تحقيق مواجهة نفسية ذاكراتية تعود الذات عبرهما إلى زمن الطفولة عندما كانت تعيش بمعيتهما، فتلتقط ذلك التعلق الروحي للطفل الذي كانته الذات القاصة في زمن مضى بمقاس العمر لكنه ظل حياً في الذاكرة المتحولة إلى شاشة مشهدية تستعرض الذات القاصة كِسراً من تلك الحياة الطفولية((منذ أن كنت صغيراً رافقت جدي، أحببته كأنه صديق حميم وليس أنسانا يفوقني بخمسين عاماً أو أكثر، كان يفضلني على أحفاده العشرين، عشرون ولداً وبنتاً لم يحظوا بنصف حظوتي لديه، ومنذ سنوات تشبه الحلم، وأنا ظل جدي في حركاته وسكناته، لا أفارقه إلاّ لماماً، وقد اندس في فراشه في بعض الليالي، فتبتسم جدتي وتقول (لقد اشتراني جدك بخمس جثث... ويبيعني من اجل طفل جميل...؟[٨] . تحاول الذات الساردة/ القاصة –على اعتبار سيرذاتية النص– استبطان الذات على وفق رؤية سيرذاتية خاصة، تعمل على استعادة مرحلة زمنية مهمة في حياتها هي مرحلة الطفولة، وذلك عبر ذاكرة تعمل على إعادة إنتاج الذكرى وفق رؤية آنية – لحظة السرد– مغلفة بجو من العاطفة تستوعب حجم الوجد والحب

الذي يربط الذات بجدها، فنراها تبحر معه في رحلة الكشف عن ما كانتها في زمن الطفولة، وما عليها الآن –لحظة السرد– لتصل إلى عمق الهوة بين الزمنين تتجلى بشكل أوضح في نهاية القصة عندما تقف الذات عند لحظات توديع الجدة إلى مثواها الأخير وبشكل تفجر معها طاقة هائلة من الحزن لتحدث بذلك نوعاً من المقارنة بين الزمنين، الماضي بكل ما يحمله من طاقة حياتية مفعمة بالسعادة، والحاضر المقترن بالحزن من جراء فقدان الجدة، ((خرجت... بل هربت من البيت.. تبعتني أمي.. توقفت قليلاً..سمعتها تقول أنها تطلبك..(قلت: لا استطيع.. قالت: جدتك تحتضر.. ترغب في رؤيتك للمرة الأخيرة ولا تستطيع. قلت والحزن يتلبسني: أماه..كيف..كيف احتمل..؟ قالت وهي تمسح الدموع من عينيها: سنة الحياة يا ولدي.. فتعالَ وحقق لها هذه الرغبة.. لم اعد استطيع الكلام فأجهشت .. وبكت أمي..وضعت كفها على كتفي.. سحبتني بلطف نحو البيت.. اجتزنا العتبة .. فاستقبلنا صراخ عظيم..؟))[٩].

ترسم الذات الساردة/ المسرودة عبر هذا المقطع مناخاً نفسياً قلقاً يتفاعل فيه الحدث المأساوي (وفاة الجدة) في تجليه الواقعي، بالذكرى التي ما تزال محفورة على جدران الذاكرة وما تنبثق منها من تجليات نفسية لتخلقا في النهاية دراما نفسية تحوي في طياتها طاقة هائلة من الحزن من جراء ألم الفقد، ولعل القراءة الطوافة بين هذا المقطع، والمقطع السابق، تكشف عن تقابل دلالي يشطر الذات الساردة / المسرودة بين فضائين،. فضاء الألفة الحميمية الذي يمثل ما كانت عليها الذات عندما كانت تعيش في أحضان الجد والجدة، وفضاء الحزن الذي يمثل الزمن الحاضر الذي به تسدل الذات الساردة الستار، وتنهي النص عند نهاية مغلقة، تنهي الجدل القائم على التقابل بين تفاصيل الحياة الماضية وما كانت تحمله من ذكريات مفعمة بحيوية الحياة، وتفاصيل الحياة الحاضرة، وما فيها من حدة وتشاؤم بوفاة الجدة التي تأتي هنا في النص لتشكل رمزاً لبهجة الحياة ونضارتها السائرتين إلى الاضمحلال بوفاتها، وبهذا تكون الذات القاصة قد فلسفت الحياة بتفصيلاتها المعيشة لتصل بها إلى حالة إبداعية تستثير عاطفة المتلقي وتجعله يتفاعل مع طبيعة الأزمة التي تعيشها الذات السيرية القابعة في داخل النص، والتي لها حضور فاعل خارج النص من خلال

توحدها بالذات القاصة، وفي الوقت نفسه تقلسف الإبداع حياةً لتصل في النهاية إلى حقيقة مفادها أن الذات الساردة لم تستطع التغريد خارج سرب الذات الساكنة دوماً في كل ما هو إنساني.

ولما كان المكان مرتكزاً مهماً من مرتكزات النص السيرذاتي فإن كمال عبد الرحمن يوليه أهمية فائقة في نصوصه، فنراه يهندس الأمكنة بحرفية عالية ويخضعها لإدارة دقيقة ومحسوبة لحركة الأحداث عبر مصالحة بين رؤيا الراهن الناظر وخزين الذاكرة المنظورة وعلى نحو يرسم من خلالهما فضاءات مكانية تجسد عمق علاقة القاص بهذه الأمكنة التي شكلت أو لنقل أثرت بشكل أو بآخر في تكوين الذات، ولا سيما الأماكن التي ارتبطت بطفولة القاص وظلت حية في ذاكرته ولعل من أولى تلك الأمكنة بيت الجد في إحدى قرى نمرود المجسدة في قصة (ما أتاني من حديث عبد جدو) : ((وبيت الرجل كبير برغم صغره يتسع لأرتال القلوب البيض، بينما ينقسم الليل إلى قسمين الأول يملأه الدراويش والثاني يضج بالمجانين، ولم تألف الدنيا بيتاً نصفه دراويش والآخر مجانين، وبينما يندفع الدراويش ليلاً بحلقاتهم في باحة لبيت تحت إغماءة التجلي تساندهم الخليليات(نوع من الدفوف) وتشعلهم صناجات أفئدتهم في فضاءات الغيبوبات الملونة، يدهش اغلب المجانين وهم يراقبون الدراويش من رواويق وكوى في جدار المحبس الكبير، وعندما ينام الليل تتسلل امرأة بلون القمح إلى المحبس تفك وثاقهم وتطعمهم بيديها بينما يجتمع حولها المجانين، وهم يتقافزون أو يبكون أو يغنون بلغة لا يفهمها احد، هكذا اعتادوا عليها واعتادت عليهم، بينما صوت الرجل الذي يمتطي بيته أو غرفته التي تشبه خيمة لا يكف عن الصراخ طوال الليالي الباردة (يا ودود.. يا ودود)))[١٠].

ينهض السرد في تقديمه لفضاء البيت على مناخ ألفوي حميم يستند السارد في تشكيله على فضاء قروي تتحرر فيه الشخصيات الساكنة فيه من قضبان الجدران العازلة بين الداخل (البيت) والخارج(الأرض المفتوحة)، ليكون الداخل بؤرة ارتكاز مفعم بالحيوية والحركة من خلال شروعها على فضاء مفتوح تعانق السماء لتنعم بهدوء الليل وهو يرخي سدوله على الداخل / البيت، وروحانية الذكر في ظل فضاء

مفتوح لايرتطم الدعاء بالسقوف الكونكريتية التي تخيم على كل مساحة البيت في المدينة، فالمكان هنا لا يخضع للمعايير التقليدية في مقايسة المكان ومقاربته، بل يقوم على التعبير الجواني، وتتحدث الذات معه بلغة تتمازج فيها الروحانية بالعاطفة الجياشة التي عادة ما تمتلك الذات وهي تنعم بأجواء القرية المفتوحة من جهة، وبتلك النشوة المفعمة بالطمأنينة والراحة من جراء تضرع الذات الساكنة في البيت إلى بارئها بالدعاء،ومن هنا يتضح أن العلاقة التي تربط الذات القاصة بالمكان تتجاوز الوصف المحاكاتي إلى الوصف الحسي الذي يحرك الموجودات المكانية على نحو يناسب حاجته الحسية للمكان وتوقه إلى الانتماء الروحي له. هذا فضلاً على طابعه التراثي التاريخي الموحي بالأصالة، عندما يتحول البيت إلى وطن الألفة والانتماء يتجاوز خصوصيته الفردية كونه مكاناً خاصاً بأسرة معينة ليصبح مأوىً وملاذاً لأولي الذكر من الدراويش، ولأولي النكبة ممن خسروا عقولهم من جراء قسوة الحياة، ومن هنا يكتسب المكان خصوصية عميقة عندما يتحول إلى ملاذ آمن فيه يجد كل من الدراويش والمجانين ضالتهم.

وبهذه الروح الألفوية الحميمة يصرح القاص عن موقفه من أمكنة المدينة التي عاش فيها ومن هذه الأمكنة (محلة النبي يونس) التي تتحول في قصة (نجمة على مشارف الغفران) إلى بيت واحد تجتمع فيه كل أطياف المدينة الموصلية المعروفة بتنوع ساكنيها:((تنام محلة (النبي يونس) بعد صلاة العشاء مباشرة، تهدأ البيوت وتسكن الأنفس، وتنقطع الناس إلى أحلامها بلا كوابيس.. ولان محلتنا لا تشبه بأخلاقياتها مكاناً آخر على الأرض، فقد أصبحت بيتاً واحداً برغم أنها تحتضن مئات البيوت يتكلم الجميع بلغة واحدة، مع أن السنة أهلها تنقسم في الواقع إلى عشر لغات ولهجات يستحيل التفاهم فيما بينها، ولا تصدق محلتنا أكذوبة وجود لصوص في العالم!، حيث لم نسمع أن لصاً قد دخلها منذ عشرات الأعوام ولو كان عابر سبيل، وهي تشع بالرحمة ويخجل الرجل من النساء إلى حد كان فيه بعضهم يمشي ونظره في الأرض، بينما تتقافز عيون النسوة حيثما تشاء بحرية تامة، ولباس محلتنا هو العربي، بينما الحقيقة تقول أن نسبة العرب في المحلة هي ثلاثة في المائة))[١١].

ينهض النص على فاعلية الوصف الذاتي، إذ نرى الذات الساردة منذ البدء تصف هذه المحلة الشعبية بإحساس عال من الحميمية تشعرنا نحن معشر القراء بهناءة العيش في تلك المناطق، فتنقلنا معها إلى ذلك العالم الآمن الذي يهتم به الظاهراتي عادةً فيبحث فيه عن صور وظيفة السكنى، وعن حميمية المأوى، ويبتعد عن الفخامة الخارجية التي يخلقها التصور المفتقر غالباً للألفة في تلك الأحياء الارستقراطية الضخمة،فنجد أن هذا الحي الشعبي تتزايد فيه مقومات الحماية ليصبح موطن الوجود الحقيقي للإنسان، إذ يجد نفسه مشدوداً بقوة إلى منطقة أمان كبرى، تستطيع أن توفر له أجواءً مناسبة للعيش الهانئ، وفي خضم هذا الجو الألفوي لا تفوت الذات الساردة رسم هوية هذا المكان وخصوصيته الموصلية المنبثقة من ضمه- أي المكان- لألوان الطيف الموصلي الذي يتعايش فيه العربي مع غيره من المكونات الأخرى.

وأخيرا يمكننا القول إن القراءة السيرية لقصص كمال عبد الرحمن أفرزت رؤيا ذاتية،جسدت تجارب الذات القاصة وهي تؤرخ لذاتها برؤية إنسانية شاملة تحاول استعادة الماضي لتعيشه ثانية في نصوصها القصصية، فنراها تغور في أعماق الذاكرة لتستبطن وتستشرف أبعاد الذات الإنسانية، وتستشرف وجودها الكلي، ضمن اطر اجتماعية تاريخية وزمكانية تعمل في مجموعها على منح الذات هويتها وكينونتها.

مكتبة البحث:

١-الحاسة التاسعة، كمال عبد الرحمن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١ .

٢-السيرة الذاتية الروائية: إشكالية النوع والتهجين السردي، عبد الله إبراهيم، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، العدد ١٤، لسنة ١٩٩٨ .

٣-السيرة الذاتية : الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون، ترجمة وتقديم : عمر الحلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ .

٤-سيرة الغائب سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، شكري مبخوت، دار الجنوب للنشر، تونس،ط١، ١٩٩٢.

٥-القصة القصيرة جداً، مقاربة بكر، احمد جاسم الحسين، منشورات دار عكرمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٧ .

٦-لماذا تركت الحصان وحيداً، محمود درويش، دار الفنون للطباعة والنشر، القدس – غزة، ط١، ١٩٩٥ .

٧-المغني الصامت، كمال عبد الرحمن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٢ .

٨-النص الأدبي بين الواقعي والمتخيل، مجموعة باحثين، منشورات وحدة النقد الأدبي الحديث والمعاصر، فاس – المغرب، ط ١، ٢٠٠٣ .

سيرة القاص كمال عبد الرحمن:

ولد في مدينة الموصل عام ١٩٥٣

أديب وباحث وناقد.

نشر أولى قصائده عام ١٩٧٣ في جريدة (الجمهورية) العراقية وكان عنوانها (صرخات في روح مالك بن الريب).

نشر أولى قصصه عام ١٩٧٧ في جريدة العرب في لندن عندما كان يعمل مصححا لغويا ورئيس القسم الثقافي فيها صدرت له:

- مجموعة شعرية بعنوان (ماالذي يأتي بعدك) عن دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٥.
- مجموع شعرية بعنوان (لعينيك يتحدث الصمت) عن دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٧.
- مجموع شعرية بعنوان (قصائد هائمة على وجهي) عن دار الجيل، عمان، ٢٠٠٥.
- مجموعة قصصية بعنوان (قصص من نينوى)، مجموعة قصاصين من نينوى، ١٩٩٨.
- مجموعة قصصية بعنوان (الحاسة التاسعة) عن دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠١.
- مجموعة قصصية بعنوان (المغني الصامت) عن دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٣.
- مجموعة قصصية بعنوان (حكايات لجدتنا حتى تنام) عن منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦.

فاز بعدد من الجوائز في المسابقات الشعرية والقصصية في العراق والوطن العربي.

لديه (١٩) مخطوطا .

(٦) روايات .

(٤) كتب في النحو.

(٢) نقد أدبي.

(٢) دراسات في المسرح والسينما.

(٢) تاريخ.

(٢) تراث.

(١) شعر.

لديه أكثر من (مائة) قصيدة منشورة في العراق والوطن العربي.

عضو اتحاد الأدباء العراقيين.

عضو اتحاد الكتاب العرب.

عضو نقابة الفنانين العراقيين.

عضو اتحاد المؤرخين العرب.

Email:kamalismaeel@yahoo.com.

تراتب الجمل الدلالي في أسلوب القرآن الكريم

د.عــــدنان خالـــد المرابحـــي الدوســــري
جامعة تكريت/كلية الآداب/قسم اللغة العربيـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين...

أما بعد:-

فإن النص القرآني- بوصفه نصاً عربياً بليغاً- قد حفظ للجمل رتبتها في السياق(*) الذي وردت فيه في أسلوب القرآن الكريم، فالجملة التي تقع خبراً تتأخر عن المبتدأ وجملة النعت تتأخر عن الجملة التي تحتوي على المنعوت، والجملة المؤكدة تتقدم على الجملة المؤكدة، وجملة الحال أيضاً تتأخر عن الجملة التي تحتوي صاحب الحال... وهكذا.

أما الجمل المتتابعة في أسلوب القرآن الكريم- وهذا ما سنبحثه في هذه العجالة- سواء عن طريق العطف أم من غير العطف فيكون ترتيبها من السبك الدقيق جداً، فالجمل لا يقع ترتيبها عشوائياً، فهي ليست جملاً مرصوصة كيفما اتفق بل تكون لها سمات بلاغية وبيانية من الدقة بمكان يحار في شانها المتأمل.

فالمتدبر لسياق القرآن الكريم يجد كل جملة فيه تحتوي على لطائف وأسرار في ارتباط الجمل المنظوم على أحسن نظام(١).

وإذا كان للتناسق ألوان ودرجات فنجد ذلك متكاملاً في بناء الجملة القرآنية؛ مما يسهم في تناسق العبارات والفقرات، وذلك بتخير الألفاظ ثم نظمها في نسق خاص، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها، وقد أكثر علماء البلاغة- خاصة- في بيان أثر الجمل في ذلك كله.

يقول الخفاجي(ت٤٦٦):(البحث عن مناسبة الكلم المفردة وإن كان أرسخ في البلاغة إلا أن ملاحظة الارتباط فيما بين الجمل أدق وألطف؛ لأنها في الأغلب بين

الهوامش والإحالات:

(١) السيرة الذاتية الروائية: إشكالية النوع والتهجين السردي، عبد الله إبراهيم، مجلة نزوى، العدد ١٤، لسنة ١٩٩٨ : ١٧.
(٢) القصة القصيرة جداً، مقاربة بكر، احمد جاسم الحسين: ٣٩ – ٤٠.
(٣) تنصيص الذاكرة في التجربة الأولية، مدخل نظري، هشام العلوي،ضمن كتاب: النص الأدبي بين الواقعي والمتخيل، مجموعة باحثين : ٦٦.
(٤) السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون، ترجمة وتقديم: عمر الحلي: ٢٢.
(٥) لماذا تركت الحصان وحيداً، محمود درويش.
(٦) سيرةالغائب سيرة الآتي:السيرة الذاتية فيكتابالأيام لطه حسين، شكري مبخوت:٧٧-٧٨.
(٧) الحاسة التاسعة، كمال عبد الرحمن: ١٩-٢٠.
(٨) المغني الصامت، كمال عبد الرحمن: ١٢٣-١٢٤.
(٩) م . ن :١٣٠.
(١٠) الحاسة التاسعة: ١٨.
(١١) م . ن : ٥٩ – ٦٠.

الجمل باعتبار المعاني العقلية وفي المفردات باعتبار المعاني الوصفية، ولا شك أن الأولى ألطف وأخفى)[٢].

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ): (يعبر علماء المعاني عن ارتباط جمل القرآن بعضها ببعض بالمناسبة أو المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عامٍّ أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات التي يحرص علماء النحو والمعربون على بيانها خاصةً في الجمل الاستئنافية، فهم يبيّنون التلازم بين الجمل، أعني التلازم الذهني كالسَّبب والمسبب والعلَّة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه)[٣].

فحين تترابط الجمل وتتماسك فهي قاصدة إلى تهذيب النفس وإرشادها إلى الطريق السوي، وعندما تكون الجمل غير مرتبة، أو جين لا توصف بالترتيب فيكون هذا مقصود لذاته، ليمثل حالة من اضطراب النفس أو يصورها.

وفي أسلوب القصص القرآني يكون لترتيب الجمل الأثر البارز في بيان الأحداث وتسلسلها، مما يؤدي إلى تصوير الحدث في القصة، ويربط بين عناصرها، ويحولها إلى مشاهد قصيرة تتحول في النهاية إلى قصة طويلة مرتبة متسلسلة[٤].

ترتيب الجمل في السياق نفسه:-

فقد تُقدم جملة وتُؤخر أخرى في السياق نفسه؛ وذلك لأن الجملة الأولى تحتوي على سبب أعظم من السبب الذي تحويه الجملة الثانية، وكما في سياق قوله: چ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[٥]، فتلاحظ في هذا السياق أن جملة النداء الأولى چ □ □ □ چ تقدمت على جملة النداء الثانية چ □ □ چ؛ وذلك لأن إذهاب ماء الطوفان- وبسرعة- عن طريق بلع الأرض له وإدخاله في باطن الأرض هو أمر عظيم لأنه غير معتاد. أما إقلاع السماء وكفها عن نزول المطر فهو أمر معتاد وطبيعي. فلذلك قُدمت الجملة التي فيها سبب أعظم من السبب الموجود في الأخرى والملاحظ في هذا السياق- أيضاً- تقديم الأرض على السماء خلافاً للمعتاد في أغلب مواضع ذكر السماء والأرض وذلك للسبب نفسه[٦].

وترتيب الجمل في أسلوب القرآن الكريم من الأمور الدقيقة؛ لأنه ينظر إلى المعاني وتتابعها، وكيف يمهد سابقها للاحقها. فيمكن أن تتقدم الجملة على أختها؛ لأنها أدلُّ على الغرض المسوق له الكلام، ففي قوله تعلى: چ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ چ[٧]، يجيب الزمخشري عن سبب التقديم- الترتيب- في هذا السياق فيقول: (فإن قلت لمَ جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ قلت: قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على الرجلين ثم الماشي على أربع)[٨]. وقد تتقدم الجملة على أخواتها في السياق القرآني؛ لأنها أدلُّ على الأكثر عدداً، كما في قوله تعالى: چٹ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄچ[٩]، فنلاحظ أن السياق القرآني قدم جملة(الظالم لنفسه) ثم جملة (المقتصد) ثم جملة (السابق بالخيرات) وذلك للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل مقارنة معهم، والسابقون أقل هؤلاء، وهم القلة في كل المجتمعات؛ فلذلك جاء ترتيبهم في الذكر آخر الأصناف الثلاثة[١٠].

وتقديم الجمل وترتيبها في الذكر في أسلوب القرآن يقوم على مقياس دقيق، فيقوم السياق بتقديم الجمل التي تحوي على ما يدفع النفس إلى محاربة شهواتها ومجاهدة شرورها؛ فتُقدم الجملة التي تحوي السبب على الجملة التي تحوي المسبب، كما في قوله تعالى: چچ چ چ ڇ ڍ ڍ ڌچ[١١] وقوله تعالى: چ ک ڪ گ گ گ گ گچ[١٢]، فنلاحظ في سياق الآيتين تقديم جملة (غض البصر) على جملة (حفظ الفرج)؛ وذلك لأن النظر هو بريد الزنى والمؤدي إليه، وبداية الفاحشة، وهو المسبب له. فإذا غضّ الإنسان بصره حفظ بذلك شهوته: وعُصم من الفاحشة؛ ولذلك نراه في سياق سورة النور الذي يتحدث عن غض البصر وحفظ فروج المؤمنين يتبع ذلك بقوله ٹ ڈ ڇ ڇ ڇ چ چ ڇ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤڤ چ[١٣]، فكان الترتيب موافقاً لتهذيب النفس وإرشادها إلى طريق البرِّ وأخذٍ بالأسباب التي تُبعدها عن مواطن الرذيلة[١٤]. فما (أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غضُ البصر، ثم بالنكاح الذي يُحصنُ به

الدين، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم الحمْل على النفس بالسوء وعزوفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يُرزق القدرة عليه)(١٥).

ومن تقديم السبب على المسبب أيضاً، قوله تعالى: چٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ(١٦)، فنلاحظ أن جملة العبادة قُدمت على جملة الاستعانة، وهذا التقديم من باب تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة، وذلك أنجح في توقيع حصولها.

ويتكلم ابن القيم (ت ٧٥١)- رحمه الله- بكلام نفيس في سبب ترتيب العبادة قبل الاستعانة، فيذهب إلى أن الإنسان الذي لا يحقق العبادة الخالصة لا تحقق له الاستعانة؛ ذلك أن جملة چٿ ٹ ٹچ تدفع الرياء: لأن فيها الإخلاص بالعبادة وعدم الشرك، چ ٹ ٹ چ تدفع الكبرياء لأن فيها إحسان الأنسان بالضعف والعبودية والحاجة لله سبحانه وتعالى(١٧).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: چک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں چ(١٨)، فقُدمت جملة چگ گ گ گ چ على جملة چگ گ گ گ گ ں ں چ؛ وذلك لأن في حياة البلدة الميتة حياة للأنعام، فهي السبب في حياتها، فمن نباتها تأكل هذه الأنعام لتنمو. وقُدمت (الانعام) على (الناس) في سياق الجملة الثانية للسبب نفسه، لأن في حياة الأنعام حياة للإنسان؛ لأنه هو المستفيد منها في النهاية(١٩).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: چ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ وچ(٢٠) يتجلى سبب الترتيب بوضوح، فنلاحظ أن جملة چۈ ۇٴ چ - الواقعة خبراً- قُدمت على جملة چۋ ۋ چ المعطوفة عليها؛ لأن التوبة هي السبب في الطهارة سواء أكانت الطهارة طهارة النفس أم طهارة البدن.

أي أن الأسلوب القرآني- فيما سبق- قدم السبب على المسبب في ترتيب الجمل؛وذلك لأن التعبير القرآني يراعي ترتيب ذلك في النفس الإنسانية، فقدم منها ما هو الأكثر أثراً في حياة الناس المادية- كما في آية الفرقان- والروحية كما في السياق الأخير(٢١)، وكذلك نرى في ترتيب الجمل ما هو الأكثر أثراً في الدين وفي حياة الناس وفي ذلك ترتيب دقيق جداً. كما في قوله تعالى: چڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ

چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ(٢٢) قُدم في الترتيب نعمة الدين والدنيا وهو القرآن الكريم، فهو أعلى مراتب النعمة وأقصى مراقيها، فضلاً عن علو منزلته فهو أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأقواه في أبواب الدين أثراً وهو سنام الكتب السماوية المنزّلة؛ ولهذا كله جعل الله رتبته بالذكر الأولى، ثم جاءت جملة چچ چچ ثانياً في الترتيب، ثم جاءت الجملة الثالثة چڇ چچ ؛ لتكون حصيلة ما في الجملتين السابقتين. وذلك أن الله- سبحانه وتعالى- إنما خلق الإنسان وعلمه القرآن من أجل الدين وليحيط علماً بوحيه وكتبه، وما خلق الإنسان إلا لهذا الغرض چڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڃ ڃ چ(٢٣)، ولا تكون العبادة إلا من خلال تعلم القرآن والتفقه في الدين؛ ولهذا السبب رُتبت هذه الجمل في السياق على هذا النحو الدقيق(٢٤).

ومن الجدير بالذكر أن الجمل في هذا السياق قد تتابعت وانتظمت من غير دخول حرف عطف بينها! وهذه الظاهرة الأسلوبية في التعبير القرآني دقيقة ومهمة ولاسيما عند الحديث عن الأفعال المسندة إلى ذات الله- تبارك وتعالى- فالمسند إليه حينئذ واحد وهو (الله تعالى) والمسند متكرر وهي الأفعال الموجودة في بقية النص قلّت أو كثرت(٢٥). فالمسند إليه في هذا السياق واحد وهو (الرحمن)- جلّ وعلا- والمسندات تتمثل بالأفعال (علم وخلق وعلمه)، وهذه الظاهرة الأسلوبية تسهم في ربط الجمل مع بعضها وتلازمها أيضاً فتكون هذه الرابطة نحوية دلالية.

ويمكن أن يكون التقديم في ترتيب الجمل للدلالة على العلم فيُقدم البعيد على القريب، ويتجلى ذلك في سياق قوله تعالى: چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ(٢٦)، فقُدمت الجمل التي تخص الأرض على الجمل التي تخص السماء. أي أن الله- سبحانه- ابتدأ بما يلج في الأرض قبل السماء؛ وذلك لأن السماء أقرب إلى الله، فقد يتبادر إلى الذهن- إذا قدمت السماء كما هي العادة في تعبير القرآن- لقربها فهو يعلم ما فيها، إلا أنه قد عمدَ إلى تقديم الأرض على السماء في هذا السياق للدلالة على أنه يعلم كل شيء الأبعد والأقرب، فإذا كان علمه قد أحاط بالأبعد فهو بالأقرب أولى بالإحاطة، فضلاً عن أن السياق القرآني قدم ما يخص الأرض لأنها ظاهرة للعيان من قبل الإنسان، فالنبات الذي يخرج من الأرض

يراه الإنسان وهو منه على بصيرة بعكس ما يعرج إلى السماء أو ما ينزل منها فهو لا يراه: والله أعلم(٢٧) .

وترتيب الجمل وتقديمها على بعضها في سياق القرآن يوحي بقدرة الخالق– عز وجل– وأنه يفعل ما يشاء وأنه على كل شيء قدير. ونلمس ذلك في سياق قوله تعــالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ(٢٨)، فالملاحظ في هذا السياق أن الخالق– عز وجل– قد عدد أصناف الناس الأربعة في حالة رزقهم الذرية فلا خامس لهذه الأصناف الأربعة. وقد تقدمت الجملة التي ذُكر فيها الإناث على الجملة التي ذُكر فيها الذكور؛ وذلك لأن السياق قد قُدم فيه جملة (يخلق ما يشاء) وأنه يهب لمن يشاء الاناث لما يشاؤه ويختاره هو لا ما يشاؤه الإنسان؛ ولأن الإناث من الأشياء التي لا يريدها الإنسان ولا يختاره. فلذلك قُدم في الذكر الصنف الذي يشاءه الله– سبحانه وتعالى–(٢٩).

وقيل أن السياق بدأ بالإناث جبراً لهنَّ؛ لأجل استثقال الأبوين لمكابدتهن. كما أنه بدأ بذكر الإناث؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يعدون رزقهم بالإناث بلاءً يقول تعــالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ(٣٠) فتقديمهن في الذكر فيه إيحاءٌ بأن الخالق– عز وجل– كأنه يقول لهم:إن هذا النوع الحقير عندكم مقدم عندي في الذكر، فقدمهن لضعفهن، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم. وقد أُخرت الجملة التي ذُكر فيها الذكور في الترتيب– وهم أحق بالتقديم؛ لأنهم مفضلون عند الإنسان– وبادر السياق إلى تعريفهم. وبذلك فقد جبر هذا التأخير بالتعريف، وبذلك أعطى التعبير القرآني كل واحد من المذكورين حقه من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير(٣١). ولذلك جاءت الجملة الثالثة ذاكرة الإناث والذكور بدون تعريف لكليهما؛ لأن الواو هنا لا تدل على الترتيب بل تدل على التشريك؛ فلذلك جاءت هذه الجملة وسطاً بينما حلت جملة ﭽ □ □ □ □ □ ﭼ آخراً، وفي ذلك دليل على القلة أي قلة من يجعله الله عقيما نسبة إلى من يرزقه الأولاد من الذكور والإناث.

ومن المواضع الدقيقة لترتيب الجمل داخل السياق القرآني هو تقديم الجملة على أخواتها لأهمية مضمونها بالنسبة للغرض الذي يساق له الكلام، وكما في قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □ □ □ □ ﭼ(٣٢)، فقد تقدمت الجملة الاسمية ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ على الجملة الفعلية (منها تأكلون) والتقديم جاء لنكتة دلالية، وهو أن الإنسان يفكر بما يستره من لباس ويدفيء بدنه قبل أن يفكر بما يأكله(٣٣).

ونرى كذلك في السياق نفسه تقديم الجملة التي فيها (الإراحة) على الجملة التي فيها (التسريح)؛ وذلك لأن (الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلتْ ملأى البطون حافلة الضروع...)(٣٤).

ومن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ □ ﭼ(٣٥)، فنلاحظ أن الله– عز وجل– أنكر على المشركين دعاءهم الأصنام التي هي مخلوقات مماثلة لهم واتخاذها لهم آلهة. فهو ينكر على هؤلاء المشركين ذلك عن طريق الاستفهام الإنكاري، وذلك ببيان فقدان هذه الأصنام لآلات الحياة بالكليّة. فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تُتصور إذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة، ومن ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل عن استجابة الدعاء أو النفع أو الضر، واليد آلة القوة والبطش والسلطة، والعين آلة البصر، والأذن آلة السمع(٣٦).

(وقد وجه الإنكار إلى كل واحة من هذه الآلات الأربع على حدة تكريراً للتبكيت وتثنية للتقريع، وإشعاراً بأن انتفاء كل واحدة منهما بحيالها، كافٍ في الدلالة على استحالة الاستجابة)(٣٧).

وقد رتبت هذه الجمل بحسب أهمية مضمونها بالنسبة للغرض الذي يساق له الكلام، فقُدمت الجملة التي تذكر الأرجل ثم جملة الأيدي ثم جملة الأعيُن ثم جملة الآذان؛ فكان ترتيب الجمل بحسب أهمية هذه الآلات ومكانتها من الإنسان وحياته وإدراكه. أي إن الترتيب كان موافقاً لما في نفوسهم أيضاً؛ لأنهم يعرفون هذه الآلات

وأنها سمات الكائن الحي لأنهم يملكون مثلها، فكان الأجدر بهم عدم دعاء من لا يملك واحدة من هذه الآلات فضلاً عن جميعها. فبدأ بالجملة التي تتحدث عن دليل الحياة والحركة وهي الرجل ثم بالجملة التي تحوي دليل القوة والبطش والانتاج ثم الجملة التي تحوي دليل البصر والتمييز ثم أخيراً بالجملة التي تحوي على دليل السمع والإدراك.

ويمكن أن يأتي السياق القرآني في كثير من الأحيان مُغفلاً الترتيب المنطقي للأحداث أو الموضوعات؛ وذلك لأنه يقدم الجملة التي تكون مقصودة في الدلالة، فإذا أمعنا النظر في هذا الترتيب أو النظم وجدنا أنه قائم على مقياس دقيق للمعنى.

ففي قوله تعالى: ﭽﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ(٣٨) نلاحظ أن في هذا السياق كان ترتيب الجمل منطقياً، فالحمر انكشف لها الأسد، فخافت، فهربت مسرعة إلى مكان آمن(٣٩).

إلا أننا في سياق آخر نجد أن الترتيب قد انعكس، وذلك كما في قوله تعالى: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ(٤٠). ففي هذا السياق رتب القرآن الفرار على الخوف. أي إنه بعد أن انكشف أمر موسى– عليه السلام– في قتل الرجل من آل فرعون، فيكون المعنى مترتباً بالشكل التالي:قتل، فانكشف أمره، فخاف، ففر. لكنه قدم الفرار في الذكر؛ لأنه هو المهم في الموضوع، فضلاً عن خروجه من بلده إلى بلدٍ آخر وهي السنة الكونية المتبعة مع الأنبياء– عليهم السلام(٤١).

ونلاحظ اختلاف الترتيب أيضاً في قوله تعالى: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﭼ(٤٢). فقد قدمت جملة الفرار على جملة الخوف والرعب، وذلك لأن النتيجة الحتمية للخوف سوف تكون الفرار قطعاً، ولذلك قُدمت الجملة التي تحتوي على النتيجة النهائية والحدث الأهم في السياق. وهذا يعني– أيضاً– أن هذه الواو لا تفيد ترتيباً وإنما تفيد العطف والرعب ثانياً، فالاسراع في الفرار ثالثاً(٤٣).

ونلحظ اغفال الترتيب– أيضاً– بين الجمل التي تتحدث عن الآيات الكونية، وذلك أنه من المنطقي أن ترتب تلك الآيات بحسب عظمتها ومكانتها في الكون. إلا

أنه قد يُعدل عن ذلك الترتيب؛ لأن في أغفال ترتيبها ملحظاً أسلوبياً ودلالياً غاية في الدقة.

وذلك كما في قوله تعالى: ﭽﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ(٤٤). فالسياق العام للجمل هو التأمل في آيات الله الكونية ليصل الإنسان إلى الإيمان بالبعث والحساب. إلا أننا نلاحظ أن السياق قد ابتدأ بالجملة التي تتحدث عن خلق الإبل ثم بعد ذلك ذكر السماء ثم الجبال ثم الأرض، مع العلم أن آية السماء أعظم من آية الإبل، وكذلك الجبال فضلاً عن الأرض. إلا أننا إذا أمعنا النظر إلى دقة التعبير والنظم لوجدنا أن التناسب في ترتيب الجمل واضح ودقيق في الآن نفسه. فالحديث عن هذا السياق موجه بالدرجة الأساس إلى العرب الذين كانوا يسكنون البادية، ولا شك أن الإبل هي عنصر أساس في حياة البدوي في صحرائه، لذلك بدأ به السياق في الترتيب، وانتقل من الإبل إلى ما يراه أمامه في كل حين في هذه الصحراء وهي السماء التي رفعت بغير عمد، وللسماء مكانة خاصة عنده يتجه إليها ببصره يستنزل منها الغيث ويهتدي بنجومها في سُواة الليل، فإذا ما هبط ببصره قليلاً رأى آية الجبال الشامخة، منصوبة تناطح السماء بقممها وترسو في ثبات واطمئنان على أرض مُهدت لهذه الجبال العظيمة وسُطحت وبُسطت أمام هذا البدوي فنلاحظ أن ترتيب الجمل جاء منتظماً لانتقال بصر البدوي، فبدأ بصره بالإبل أو البعير القريب منه، فهو الدابة التي يقطع بها الصحراء، ثم انتقل إلى السماء التي يراها إينما اتجه في الصحراء ثم إلى الجبال التي تلامس السماء ثم إلى الأرض التي نصبت عليها هذه الجبال وبسطت فهي آخر ما يراه بصره في هذا الانتقال الهاديء الذي لا قفر فيه. فكان ارتباط الجمل وترتيبها موافقاً لطبيعة هذا البدوي وما في نفسه. فهو ترتيب دقيق جداً وفي منتهى البلاغة(٤٥).

ويمكن أن نلاحظ في السياق القرآني مجيء جملتين مرتبتين ترتيباً معيناً ثم ينعكس ذلك الترتيب في السياق نفسه أو يكون ذلك بحسب متطلبات المعنى في ذلك السياق، كما في قوله تعالى: ﭽ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭼ(٤٦).

فنلاحظ أن جملة (القتل) قدمتْ على جملة (الموت)، في الحالة الأولى أو في الشطر الأول من السياق، أما في الشطر الثاني فنلاحظ أن الترتيب قد انعكس فقُدمت جملة (الموت) على جملة (القتل)؛ ويرجع السبب في ذلك إلى دقة المعنى والحرص على الدقة الفنية في التعبير القرآني.

فالشطر الأول: في الآية قد ذُكر في سياق تأكيد القتال في سبيل الله على حسب ما تشير إليه الآية التي قبلها أو ما تؤكده خاتمة لآية نفسها وهي قوله تعالى: چ□ □ □ □ □ □ □ □ چ.

أما الشطر الثاني: من السياق فقد ذُكر في سياق تأكيد حقيقة ثابتة وهي أن الجميع يحشرون إلى الله والحشر واقع لكل مخلوق، ابتدءً من آدم وانتهاءً بآخر ابنائه عند قيام الساعة. والموت الطبيعي عُرف قبل الموت الذي هو عن طريق القتال فضلاً عن كون القتل هو أحد أسباب الموت وليس كلها[٤٧].

اختلاف ترتيب الجمل في سياقين مختلفين:-

إن السياق القرآني عندما يجمع الجمل في سياق ما أو تتبع، فإنه يتبع أسلوبين في ذلك، فإما أن يحافظ على ترتيب الجمل في كل السياقات والمواضع التي ترد فيها- واعني الجمل المتشابه- وذلك لينبه على أن المقدم في الترتيب مقدم في التنفيذ أو مقدم في الأيمان أو الأركان- وذلك كما في تقديم الصلاة على الزكاة في كل الجمل التي وردت في السياق القرآني، مثل قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ چ[٤٨]؛ وذلك لأن ركن الصلاة في الإسلام مقدم على ركن الزكاة[٤٩].

أما الأسلوب الثاني فهو اختلاف الترتيب في إيراد الجمل بين السياقات المتشابهة في المواضع المختلفة، وهذا الأسلوب يكون لأسباب دلالية وبلاغية بحسب التقديم أو التأخير في هذا السياق أو ذاك.

فمن ذلك اختلاف ترتيب الجمل بين قوله تعالى في سورة البقرة چ ٿ ٿ ٿ ٹ چ[٥٠] وبين قوله تعالى في سورة الأعراف چ ڑ ک ک ک کچ[٥١].

فمن الملاحظ في السياقين أن الواو لا يُراد بها الترتيب، وإنما المراد باختلاف الترتيب هنا العناية والاهتمام[٥٢]. يقول ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ): (أن قولهم: حطة دعاء أمروا به في سجدوهم فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو في الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة، فقدم وأخر في السورتين ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده، وتعين بهذا معنى المعية من محتملات الواو وتحرر المقصود، وإن المراد: وادخلوا الباب سجداً قائلين في سجدوكم حطة، فاكتفيَ بتقليب الورود عن الافصاح بمعنى المعية إيجازاً جَليلاً وبلاغة عظيمة. وقدم في البقرة الأمر بالسجود؛ لأن ابتداء السجود يتقدم ابتداء الدعاء ثم يتساوق المطلوبان)[٥٣].

ويبدو أن الأمر مختلف، وذلك معلوم من السياق الذي وردت فيه كلتا الآيتين فلو رجعنا إلى سياق سورة البقرة وهو قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ وسياق سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: چ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ ، لوجدنا أن سياق سورة البقرة يتحدث بصيغة المبني للمعلوم چ ٱ ٻ چ، وهذا الأسلوب يحتم أن يكون هناك ربط للإحداث مثالي، أي مرتب، لذلك استعملت الواو هنا للترتيب في هذا السياق، والدليل على ذلك أيضاً هو مجيء الجملة الأخيرة في الآية معطوفة بالواو قال تعالى : چ ٺ ٺ چ أما في سياق سورة الأعراف ، فكان الحديث بصيغة المبني للمجهول چ ڍ ڌ چ وفي ذلك إشعار بأن السياق يروى عن مجهول، ومن هذا المنطلق لا يتحتم أن تكون الأحداث مرتبة بحسب الحصول، فيمكن أن يُقدم فيها ويُؤخر ؛ لأنها مروية بالأصل عن مجهول، لذلك جاءت الجملة الأخيرة في السياق بدون واو چ ڳ ڳ چ أي أنها مفصولة عن الجمل قبلها، وكأنها جملة تتحدث عن حالة عامة وليست خاصة بهؤلاء المذكورين في السياق نفسه.

وهكذا فإن ترتيب الجمل في أسلوب القرآن الكريم يخضع لقوانين السياق جميعها بشكل عام. أي أننا من خلال السياق يمكننا أن نحدد السبب في مجيء

الجمل على نحو معين من الترتيب. فالملاحظ أنه في الأول استعمل الفعل (ادخلوا). في حين استعمل الفعل (اسكنوا) في السياق الثاني، ومن المؤكد أن (الدخول) يختلف عن (السكن)، وأن الحذف من سمات المبني للمجهول، فناسب السياق لكل ما يحوي من ألفاظ. وكل ذلك يصب في دلالة واحدة وهي أن السياق الثاني لم تدل فيه (الواو) على الترتيب بعكس السياق الأول. والله أعلم.

ومن الشواهد– أيضاً– على اختلاف الترتيب في سياقين مختلفين ما ورد في قوله تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ[٥٤]، وقوله تعالى في السورة نفسها ولكن في موضع آخر ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[٥٥].

فنلاحظ أن جملة الشفاعةﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ قد قُدمت على جملة العدل ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ في السياق الأول. في حين أننا نجد أن جملة العدل قُدمت على جملة الشفاعة في السياق الثاني. وذلك يرجع إلى أن الشفاعة قد قدمت في السياق الأول لأهميتها في هذا المقام. وقُدم العدل في السياق الثاني لأهميته في موضعه؛ ذلك أن الشفاعة معناها التجاوز عن الذنوب، أما العدل فمعناه الفداء، والشفاعة مطلوبة في الدنيا والآخرة، أما العدل فلا يتوفر للمذنب ما يفتدي به يوم القيامة، فهو خاص في الدنيا فقط وبذلك تكون الشفاعة أقوى وأعم من الفداء في كل حال[٥٦].

اسقاط جملة أو أكثر في الترتيب:

وهذا الموضوع قريب جداً في الدلالة من الموضوع السابق، حيث إنه يمكن أن تتابع الجمل أو تترتب في السياق القرآني عن طريق العطف، أو من غير العطف ولكن إن دققنا النظر في ذلك السياق وجدنا أن هناك جملة وربما أكثر من جملة محذوفة بين هاتين الجملتين المتتاليتين، يمكن أن تترتب بينهما ولكن أسلوب القرآن قد عدل إلى حذف هذه الجملة أو الجمل لأسباب بلاغية وأسلوبية متعددة.

ومن المعروف إن حذف الكلمة في أسلوب الجملة يمكن أن يأتي كثيراً في كلام البلغاء إلا أن حذف جملة أو أكثر لا نكاد نجده إلا في كتاب الله– عز وجل– لأن الجملة ذات فائدة مستقلة؛ وحذفها يؤدي إلى خللٍ في المعنى ونقصٍ في الغرض المقصود فلا يستطيع أحد أن يرتب كلامه، بحيث إذا حذفت منه جملة أو أكثر، سيؤدي الغرض المقصود. وهذا لا ينطبق على كلام رب العالمين– المعجز– وذلك لأنه على الرغم مما يحُذف من جمل في السياق إلا أنه يعطيك المعاني كاملة، وتجد معه حلاوة الإيجاز الناشئة من روعة الإعجاز، وذلك كثير في كتاب الله[٥٧].

ولا بد من أن نشير هنا إلى أن لترتيب الجمل أو اتساقها الأثر البارز والمهم في الاستدلال على الجملة المحذوفة أو الجمل في السياق القرآني.

فمن شواهد حذف الجملة في أسلوب القرآن الكريم، ما ورد في سياق قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[٥٨] وقوله ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[٥٩] وقوله ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[٦٠]، ففي كل الآيات المذكورة هناك جملة محذوفة تقديرها: (أرسلنا)، والدليل على ذلك هو الترتيب الذي يمثله العطف، وكذلك المعنى المتحصل عليه من خلال النظم.

ونجد أيضاً في سياق قوله تعالى: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ أن هناك حذفاً لجملة (اتبعهم) الثانية، إذ التقدير: اتبعهم يوم القيامة لعنة[٦١].

وقد حُذفت هذه الجملة لدلالة الأولى عليها، فضلاً عن كون لعنة يوم القيامة تختلف عن لعنة الدنيا حالاً وزماناً؛ ولذلك آثر السياق حذفها ليجعلها غائبة عن التصور أو الكيفية، واكتفى السياق بالتلميح إليها عن طريق الجملة الأولى.

ويطّرد في أسلوب القرآن الكريم حذف جملة القول، ويكثر هذا الأسلوب في الإيجاز في وصف مشاهد القيامة والحشر والحساب، وغيرها من مواقف الوعد والوعيد، يقول تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[٦٢]، والشاهد هنا هو وجود جملة محذوفة في السياق قبل جملة ﭽ ﮙ ﮚ ﭼ، وأصل ترتيب الكلام هو: يقال لهم: لقد جئتمونا.

والسبب في بناء هذا الأسلوب على الحذف هو مجيء الأسلوب على الإلتفات في الكلام، فبعد أن كان الكلام موجهاً بضمير الغائب في چ ﭬ چ تحول الكلام إلى ضمير المتكلم في چ ﭬ چ، وهذا الأسلوب له أثره في المعنى وخصائصه في التصوير، فهو يتجه إليهم معنفاً أشد تعنيف: لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرُلى، ولكنكم كنتم تكذبون وتقولون ذلك رجع بعيد وتزعمون ألّن نجعل لكم موعدا. وهذا المعنى الذي جاء على طريقة الإلتفات التي هيّأ لها الحذف وهو فيصل القضاء في هذا الموقف لأنه متعلق بالايمان والتصديق والانكار والتكذيب في رسالات السماء(٦٣).

ومن أدق مواضع حذف الجملة في التعبير القرآني، هو حذف الجملة المترتبة بعد الفاء الفصيحة وتكون الجملة المحذوفة مختفية وراءها، وتدل على الجملة المحذوفة الجملة التي بعدها في الترتيب الجملي في السياق فيتضح أن سبباً ما أستوجب حذفها من السياق، وكما في سياق قصة موسى- عليه السلام- عندما طلب الاستسقاء لقومه، فقال تعالى: چ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ چ(٦٤). فنلاحظ أن الخالق- عز وجل- بعد أن أمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر في قوله چﮀ ﮁ ﮂ ﮃ چ، لم نرَ في السياق جملة الاستجابة لهذا الأمر، بل جاءت الجملة التي تشير إلى نتيجة فعل الضرب، وهي جملة (فانفجرت). أي أن هناك جملة محذوفة قبل هذه الجملة قد دلت عليها هذه الفاء الموجودة في الجملة التي ترتبت بعدها مباشرة(٦٥).

وهذه الفاء في بداية هذه الجملة (فانفجرت) ليست الفاء العاطفة، كما أنها ليست استئنافية، فهذا الموضع ليس موضعاً للاستئناف. وإنما تسمى هذه الفاء، بالفاء الفصيحة، وسمُيت كذلك لأنها تفصح عن جملة محذوفة تامة الأركان قد أُضمرت بعدها؛ وتقدير الكلام: اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت منه...(٦٦).

وتحذف في مثل هذه الحالات الجملة الفعلية المتكونة من الفعل والفاعل- وهما أركان الجملة الفعلية؛ وذلك لأنه في كثير من الأحيان ينزل الفاعل منزلة الجزء

من الفعل- وهو بذلك يشبه المفرد- مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل وأنه يشكل معه جزءاً واحداً. ولا ينطبق ذلك على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر(٦٧).

لأن الأصل في الجملة الترتيب والذكر، وقد عُدل عن ذلك هنا بحذف الجملة بعد الفاء الفصيحة- الجملة المفصوح عنها- ويأتي هذا الأسلوب في نظم الجمل القرآنية بدافع مفاجأة القاريء أو المخاطب بأحداث سريعة، وقد حذفت من بينها أحداث سريعة، وقد حذفت من بينها أحداث تجري، وقد أُسقطت هذه الأحداث عن طريق طرح الجمل؛ لأن السياق يريد التأكيد على أحداث معينة ومهمة في آن واحد، وأن الأحداث- الجمل- المحذوفة يمكن تقديرها من خلال الجمل المذكورة في السياق نفسه، وإن السامع أو المتلقي في كثير من الأحيان لا يجد صعوبة في معرفة الجمل أو الأحداث المحذوفة في هذا السياق أو ذاك، وهذا النمط من الحذف يكثر في أسلوب القرآن القصصي أو في تتابع الأحداث؛ لذلك نجد الفاء الفصيحة كثيراً فيه، ويؤذن وجودها باختصار أحداث كثيرة ومن ثمَّ تحقيق الإيجاز من جهة، وكي يصل إلى الأحداث الأهم من إيراد تلك القصص(٦٨).

وذلك كما شاهدنا في سياق الآية السابقة. وكذلك في قولة تعالى: چ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ چ(٦٩)، ففي السياق جملة محذوفة قبل جملة چﮞ ﮟچ وهي الجملة المقدرة بـ(فامتثلتم). أي: فامتثلتم فتاب عليكم(٧٠).

وقد تُحذف أكثر من جملة في أسلوب القرآن، كما في قوله تعالى: چﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ چ، والتقدير: فأتياهم فبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا. والسبب في حذف هذه الجمل من الترتيب هو لغرض الإيجاز واختصار الأحداث، والتأكيد على الجانب المهم فيهما. فذكر أولها وآخرها؛ لأنه

المقصود من إيرادها وهو إلزام الحجة بمبعث الرسل إليهم واستحقاقهم التدمير لتكذيبهم. أو أن التدمير قد نتج عن التكذيب بعد إرسال الرسل(٧١).

ويمكن أن تُحذف أكثر من جملة في أسلوب القرآن من غير أن تدخل تلك الفاء؛ وذلك راجع إلى طبيعة اللغة وخصائصها الأسلوبية التي استغلها القرآن ووظفها أحسن توظيف في الاستفادة من كل إمكانات اللغة وطاقاتها.

ونلاحظ ذلك جلياً في سياقات عدة من القرآن الكريم، من ذلك ما ورد في قصة سليمان– عليه السلام– مع الهدهد الذي بعثه إلى ملكة سبأ، في قوله تعالى چﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ چ(٧٢)، فترتيب الجمل يشير إلى أن هناك جملاً عدة محذوفة في السياق ؛ لأن ترتيب الأحداث هو: إن الهدهد قد أخذ الكتاب من سليمان– عليه السلام– ثم طار به إلى مملكة سبأ فاعطى الكتاب إلى الملكة، فأخذته منه، ثم قرأته على الملأ من قومها بعد أن جمعتهم لهذا الغرض، ومن ثم أبلغتهم بمحتوى هذا الكتاب. فنلاحظ أن الأسلوب القرآني– المعجز– قد حذف جملاً كثيرة يمكن إدراكها كلهما من خلال السياق العام لإيراد الحدث أو القصة. وأن هذه المحذوفات من البديهي أن تحدث في مثل هذا السياق، فضلاً عن كون حذف ها لا يترتب عليه حدوث أي خللٍ على أحداث القصة ونتائجها(٧٣). وفي الحقيقة إن هذا الحذف يُعد عدولاً عن تضام الترتيب في الجمل القرآنية لسياق معين، ويأتي هذا الحذف على صور متعددة وخاصة في أسلوب القصص القرآني.

ولعلنا قد بينا في هذه العجالة الخصائص الدلالية لتراتب جمل القرآن في أسلوبه المعجز، وذكرنا بعض الأمثلة والشواهد على ذلك من الشواهد الكثيرة الموجودة في القرآن الكريم؛ وذلك لدلالة البعض على الكل، وهي من السمات المميزة لأسلوب القرآن الكريم التي ينفرد بها عن غيره من النصوص الأدبية. سواء من ناحية النظم أم

من ناحية الدلالة. ذلك أن القرآن الكريم قد طوع اللغة للاستفادة من جميع طاقاتها في البعير عن الفكرة أو الموضوع بأقصر الطرق وأفصحها، فهو يعبر في ترتيب الجمل في السياقات المتشابهة أو المختلفة، أو يحذف بعض الجمل في سياقات معينة، لهذا الغرض من أجل عملية إيصال الغرض المسوق له الكلام للمتلقي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(*) السياق: إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط.

(١) ينظر الجامع لإعراب جمل القرآن- د. أيمن الشوّا: ٢٠.

(٢) الصناعتين- ابن سنان الخفاجي: ٨٥/ ٢.

(٣) الإتقان في علوم القرآن- السيوطي: ٣/ ١٤١.

(٤) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم- د. منير سلطان: 135.

(٥) سورة هود: ٤٤.

(٦) ينظر: المشاهد في القرآن الكريم- د. حامد صادق قنيبي: ٤٠٦.

(٧) سورة النور: ٤٥.

(٨) الكشاف: ٣/ ٧٩٨.

(٩) سورة فاطر: ٣٢.

(١٠) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري- د. محمد أبو موسى: ٣٨٣.

(١١) سورة النور: ٣٠.

(١٢) سورة النور: ٣١.

(١٣) سورة النور: ٣٣.

(١٤) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٨٣ والفصل والوصل في القرآن الكريم: ١٢٦- ١٢٧.

(١٥) الكاشف: ٣/ ٧٩٣.

(١٦) سورة الفاتحة: ٤.

(١٧) ينظر: التفسير القيم: ٤٧-٤٨ ومن بلاغة القرآن. د. أحمد بدوي:١١٤.

(١٨) سورة الفرقان: ٤٨- ٤٩.

(١٩) ينظر: وبلاغة القرآن: ١١٤.

(٢٠) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢١) ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن- ابن الزملكاني: ٢٩١.

(٢٢) سورة الرحمن: ١- ٥.

(٢٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢٤) ينظر: الكشاف: 4/ 1206 والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: 383.

(٢٥) ينظر: علم اللغة النصي- د. صبحي إبراهيم الفقي: 1/ 73.

(٢٦) سورة سبأ: ٢.

(٢٧) ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ٢٩١.

(٢٨) سورة الشورى: ٤٩.

(٢٩) ينظر: المعاني في ضوء اساليب القرآن- د. عبدالفتاح لاشين: ١٥٩.

(٣٠) سورة النحل: ٥٨.

(٣١) ينظر: ملاك التأويل- ابن الزبير الغرناطي: 2/ 1010- 1011.

(٣٢) سورة النحل: ٥.

(٣٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ٦٠٠- ٦٠١.

(٣٤) الكاشف: ٢/ ٦٠١ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل- د. منير سلطان: ١١٨.

(٣٥) سورة الأعراف: ١٩٤- ١٩٥.

(٣٦) ينظر: محاسن التأويل- القاسمي: 7/ 861- 682.

(٣٧) محاسن التأويل: ٧/ ٦٨٢.

(٣٨) سورة المدثر: ٤٩- ٥١.

(٣٩) ينظر: الترادف في القرآن الكريم: ١٣٧.

(٤٠) سورة الشعراء: ٢١.

(٤١) ينظر: الترادف في القرآن الكريم: ١٣٧.

(٤٢) سورة الكهف: ١٨.

(٤٣) ينظر: الترادف في القرآن الكريم: ١٣٨.

(٤٤) سورة الغاشية: ١٧- ٢٠.

(٤٥) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٧٤ والمعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٣٣.

(٤٦) سورة آل عمران: ١٥٧- ١٥٨.

(٤٧) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن- عمر السلامي: ١١٧- ١١٨.

(٤٨) سورة المائدة: 5، التوبة: 71، النحل: 3، لقمان: 4.

(٤٩) وهناك سياقات أخرى وردت بترتيب واحد في جميع المواضع، مثل قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ چ (النساء : ٥٩) وقوله تعالى: چک گ گ چ (الحديد : ٧) وغيرها.
(٥٠) سورة البقرة : ٥٨ .
(٥١) سورة الأعراف : ١٦١ .
(٥٢) ينظر: الجملة العربية- تأليفها وأقسامها- د. فاضل السامرائي: ٤٤.
(٥٣) ملاك التأويل: 1/ 205.
(٥٤) سورة البقرة: ٤٧ - ٤٨
(٥٥) سورة البقرة: ١٢٣
(٥٦) ينظر: روائع القرآن وجنة البيان- د. محمد ضاهروتر: 387.
(٥٧) ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان- ابن القيم: 105.
(٥٨) سورة هود: 50.
(٥٩) سورة هود: 61.
(٦٠) سورة هود: 84.
(٦١) ينظر: سورة هود دراسة لغوية ودلالية: 207.
(٦٢) سورة الكهف: 47- 48.
(٦٣) ينظر: خصائص التراكيب- د. محمد أبو موسى: 287.
(٦٤) سورة البقرة: 60.
(٦٥) ينظر: الكشاف: 1/ 65- 66 والإيضاح: 110.
(٦٦) ينظر: الخصائص: 2/ 361 والإيضاح: 110.
(٦٧) ينظر الخصائص: 2/ 361.
(٦٨) ينظر: الكشاف: 3/ 852 والإيضاح: 110.
(٦٩) سورة البقرة: 54.
(٧٠) ينظر: الإيضاح: 110.
(٧١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: 383.
(٧٢) سورة النمل: 28- 29.
(٧٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: 1/ 469 وعلم اللغة النصي: 1/ 60.

مصادر البحث:

1- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1407هـ- 1987م.
2- الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس، 1980م.
3- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، اعتنى به وراجعه عماد بسيوني زغلول، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة، الطبعة الأولى 1426هـ-2005م. بيروت، لبنان.
4- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1974م- 1394هـ.
5- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، 1418هـ- 1998م.
6- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسى، طبع ونشر دار الفكر العربي.
7- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان، الناشر منشأة المعارف. الإسكندرية، الطبعة الثانية، مصر، 1993م.
8- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد دار الفكر، دمشق، سوريا، إعادة للطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.
9- تفسير القاسمي، المسمى (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمي تحقيق: الأستاذ محمدفؤاد عبدالباقي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان الطبعة الأولى1415هـ- 1994.
10- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، جمعة محمد ادريس الندوي وحققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1978م.
11- الجامع لإعراب جمل القرآن، د. أيمن الشوّا. مكتبة الغزالي دمشق، دار الفيحاء، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م.
12- الجملة العربية- تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي منشورات المجمع العلمي العراقي.

13- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. عبدالحبيد هنداوي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1424هـ- 2003م.
14- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1416هـ- 1996م.
15- روائع القرآن وخبة البيان، د. محمد ضاهروتر، دار الألباب، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى- 1422هـ- 2002م.
16- سورة هود دراسة لغوية ودلالية- اطروحة دكتوراه، عبدالكريم ناصر الخزرجي كلية الآداب، جامعة البصرة 1421هـ- 2000م.
17- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م.
18- الفصل والوصل في القرآن الكريم- د. منير سلطان، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، الطبعة الثانية 19970م.
19- الفوائد المشوق إلى علوم وعلم البيان،ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان.
20- الكشاف، الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان المطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.
21- المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية، د. حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى 1984م.
22- المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابع 1419هـ- 1999م.
23- ملاك التأويل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1983م.
24- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر، 1950م.

موقف الأصوليين من مدلول الأمر الوارد بعد الحظر وأثره في اختلاف الفقهاء

د. سلام خليل علوان الشجيري
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

د. عثمان فوزي العبيدي
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

مقدمة

الحمد لله الذي بعث رسوله بالحق، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي هدانا بما عمل وبما به نطق، وعلى آله وصحبه أفضل صلاة، وأتم سلام إلى يوم الحساب، أما بعد:

فإنّ من الواضح للباحثين في أصول الفقه بأنّ صيغ التكليف للعباد تظهر في الألفاظ التي استعملت للدلالة على الأمر أو النهي، ولهذا اهتم الأصوليون في مدلولات الأمر والنهي، وبعد دراسة كتب الأصول التي استطعت الحصول عليها علمت بأنّ الأصوليين درسوا صيغ التكليف دراسة دقيقة في كتب المراجع الأصولية، فأخذ الباحثون في عصرنا ينتهلون من الموارد الصافية ما يريدون البحث فيه، فيعرضونه بشكل مبسط يستطيع به طالب العلم أن يقارن بين مذاهب الأصوليين، وقد كان لدلالة الأمر الوارد بعد الحظر نصيباً كبيراً من جهود الباحثين، ولكني رأيت أنّ البحوث الحديثة لم تكن كافية للإلمام في هذا الموضوع؛ فشرعت في كتابة هذا البحث المتواضع راجيا من الله العلي العظيم أن يوفقني فيما أكتب لخدمة هذا الدين الحنيف.

وقد كان من الضروري أن أقسم هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول في آراء الأصوليين في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر، أما المبحث الثاني فقد ناقشت فيه أدلة كل فريق مع بيان الراجح منها، وأما المبحث الثالث في آثار الاختلاف في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر، ومن الله التوفيق.

تمهيد

إنّ صيغ التكليف عند الأصوليين إما أن تكون أمراً لشيء معين، أو نهياً عن شيء معين، ولكل من الأمر أو النهي صيغه الخاصة به من حيث الاستعمال اللغوي، فقد يستعمل الأمر للوجوب، أو للندب، أو للإباحة، أو للإرشاد، أو للتهديد، أو للدعاء، أو للتكوين، أو للإهانة، وغير ذلك من الاستعمالات.

أما من حيث وضع صيغة الأمر بكونها حقيقة في أي معنى من المعاني فقد اختلف الأصوليون في ذلك، فذهب أكثر الأصوليين إلى أنه حقيقة في الوجوب، مجاز في غيره، وذهب فريق منهم إلى أنه حقيقة في الندب مجاز فيما عداه، وذهب البعض الآخر إلى إنّ صيغة الأمر حقيقة مشتركة بين الوجوب والندب والإباحة[١].

وقد تناولت كتب الأصول آراء العلماء في هذه المسألة بالتفصيل الدقيق إلا أنهم اختلفوا أيضاً في حقيقة الأمر الوارد بعد الحظر، وقد شرعنا ببيان مذاهبهم في هذه المسألة

وبالله السداد والتوفيق.

المبحث الأول

آراء الأصوليين في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر

إنّ الأوامر التي وردت من الشارع الحكيم أكثرها مطلقة ـ غير مسبوقة بحظر – إلا أنّ الأمر في بعض الأحيان قد يكون مسبوقا بحظر، ففي هذه الحالة اختلف الأصوليون في مدلوله على عدة أقوال أشهرها أربعة، وهي كما يأتي:

القول الأول: إنّ الأمر الوارد بعد الحظر وقبله سواء، وإلى هذا ذهب جمهور الأصوليين[٢].

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأنّ المقتضى المطلوب من الأمر قائم لأنّ الأدلة التي أفادت أنه موضوع للوجوب أو غيره لم تفرق بين أمر مسبوق بحظر، أو غير مسبوق به.

إذ أنّ الأمر ورد في الكتاب العزيز بعد الحظر كالأمر الوارد من غير حظر كما في قوله (ﷻ):چ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ چ[٣]، وقوله (ﷻ): چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ چ[٤]، والأمر للحائض والنفساء بالصوم بعد زوال الحيض والنفاس، وغير ذلك من الأوامر التي تدلّ على أنّ الأمر قبل الحظر وبعده سواء[٥].

القول الثاني: إنّ الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الإباحة، وإلى هذا القول ذهب كثير من الأصوليين[٦].

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأنّ الأمر وإن كان في الأصل وضع للوجوب، لكن وروده بعد الحظر يعتبر قرينة تصرفه عن الوجوب إلى الإباحة إلا إذا وجد ما يدلّ على الوجوب[٧].

وإنّ الشارع الحكيم استعمل الأوامر الواردة بعد الحظر في معنى الإباحة، فكان ذلك عرفاً للمشرع في الاستعمال، والحقيقة العرفية مقدمة على الحقيقة

اللغوية، وذلك كقوله (ﷻ): ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[٨]، وقوله (ﷻ):ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﭼ[٩]، وقولـه (ﷻ): ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ[١٠]، وقوله: (ﷺ) ((كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها...))[١١]، وغير ذلك من النصوص التي تفيد بأنّ الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الإباحة[١٢].

القول الثالث: إنّ الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الندب، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء، ولكني لم أجد من صرّح به، ولكن كلامهم يقتضي أنهم يرون الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الندب، فقد صرّح الإمام البخاري[١٣] . رحمه الله . بأنّ من العلماء من قال بالندب، ونقل بعض الأقوال عن سعيد بن جبير[١٤]، وابن سيرين[١٥] – رحمهم الله – وما نقله يقتضي الندب، فقد قال: (قال سعيد بن جبير: إذا انصرفت من الجمعة، فساوم بشيء وإن لم تشتره، وعن ابن سيرين قال: ليعجبني أن يكون لي حاجة يوم الجمعة، فأقضيها بعد الانصراف)[١٦].

القول الرابع: إن كان الحظر السابق عارضاً لعلة، وعلقت صيغة أفعل بزواله فإنه يدل على رفع الذم فقط، والأمر هنا كالأمر المبتدأ الذي لم يسبقه حظر أصلاً، أما إذا لم يكن الحظر عارضاً لعلة ولا صيغة أفعل علق بزوالها، فيبقى موجب الصيغة على أصل التردد بين الندب والإباحة، والى هذا ذهب بعض العلماء ومنهم الإمام الغزالي[١٧] . رحمه الله . وغيره .

وأستدل أصحاب هذا القول على قولهم بأن الأمر في الحالة الأولى أنصرف بعرف الاستعمال برفع الذم فقط حتى رجع حكمه إلى ما كان عليه، أما في الحالة الثانية عندما لم يكن الأمر عارضاً لعلة ولاصيغة أفعل علق بزوالها فلا عرف له في الاستعمال فيبقى موجب الصيغة على أصل التردد بين الندب والإباحة[١٨] .

القول الخامس: يجب التوقف في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر حتى يعرف مراد الشارع الحكيم، وإلى هذا القول ذهب عدد كبير من الأصوليين كإمام الحرمين الجويني[١٩]، والآمدي[٢٠]، وغيرهم من العلماء رحمهم الله .

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأن صيغة الأمر بعد الحظر تحتمل الإباحة والإذن في الفعل كما في قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ، وقوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭼ، ويحتمل أن تكون مصروفة إلى الوجوب كما لو قيل للحائض والنفساء : إذا زال عنك الحيض أو النفاس فصلي وصومي، وفي هذه الاحتمالات إما أن يقال بتساوي الاحتمالين أو بترجيح أحدهما على الأخر، فإن قيل بالتساوي امتنع الجزم بأحدهما ووجب التوقف، وإن قيل بوجوب الترجيح وامتناع التعارض من كل وجه فليس اختصاص الوجوب أولى من الإباحة، إلا أن يقوم الدليل على التخصيص والاصل عدمه فيجب التوقف[٢١].

المبحث الثاني

مناقشة أدلة الأصوليين في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر

١ - مناقشة أدلة أصحاب القول الأول :

إنّ مما استدلّ عليه بعض الأصوليين بأنّ مدلول الأمر الوارد بعد الحظر وقبله سواء إذ إنّ مقتضى المطلوب من الأمر قائم لأنّ الأدلة التي أفادت أنه وضع للوجوب أو غيره لم تفرق بين أمر مسبوق بحظر أو غير مسبوق به، فإنه كلام سليم لو سلمنا بأنّ الأمر يفيد الوجوب على الدوام، فقد تكون هناك قرينة تصرف الأمر عن الوجوب إلى الندب أو الإباحة.

أما قولهم بأنّ الأمر ورد في الكتاب العزيز بعد الحظر كالأمر الوارد من غير حظر كما في قوله (ﷻ):چﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ چ[٢٢]، وقوله (ﷻ): چگ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪچ[٢٣]، والأمر للحائض والنفساء بالصوم بعد زوال الحيض والنفاس، وغير ذلك مما شابهها من الأوامر، فهذا لا يعني بأنّ الأمر بعد الحظر يدل على الوجوب لأنه قد يدلّ على الندب أو الإباحة أيضاً تبعاً للقرينة الصارفة له عن الوجوب[٢٤].

٢- مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني :

إن قولهم بأنّ الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الإباحة لأنّ وروده بعد الحظر قرينة تصرفه عن الوجوب إلى الإباحة، فكلام فيه نظر لأنه قد يدلّ على الوجوب أو الندب أيضاً كقوله (ﷻ): چﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ چ[٢٥]، فكان الفطر بالأكل والشرب فرضاً لا بدّ منه بدليل النهي عن الوصال، وكذلك قوله (ﷻ):چگ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪچ[٢٦]، فالانتشار المذكور في هذه الآية الكريمة هو الخروج من بيوت

النبي(ﷺ)، وهو فرض فلا يحلّ لهم القعود فيها بعد أن يطعموا ما دعوا إلى طعامه[٢٧].

أما عن قوله (ﷻ):چﯗ ﯘ ﯙ چ[٢٨] إنه يفيد الإباحة فإنه ليس كذلك لأنّ النبي(ﷺ) حلّ من عمرته، ولم يصطد؛ وبهذا قد يكون الحكم للندب أو للإباحة[٢٩].

أما قوله (ﷻ):چﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ[٣٠]، فإنه يفيد الإباحة بعد فترة الحظر، ولكنه ينقلب إلى فرض لأنّ مباشرة الرجل لزوجته فرض لا بدّ منه فلا يحلّ له هجرها في المضجع إلا لتجافيها له عن ذلك[٣١].

وأما قوله (ﷻ):چﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰچ[٣٢]، فإنه يدلّ على الإباحة مطلقاً لأنه قد يدلّ على الندب أيضاً لقوله (ﷺ): ((الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث...))[٣٣]، ولم يخصص صلاة من صلاة؛ فصحّ أنّ الانتشار مباح إلا للحدث، والنظر في مصالح نفسه وأهله فهو فرض[٣٤].

وأما قوله (ﷺ): ((كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها...))[٣٥]، يفيد الإباحة بعد الحظر فإنه كلام فيه نظر لأنّ الحديث الشريف قد يدلّ على الندب، لا الإباحة.

٣- مناقشة أدلة أصحاب القول الثالث :

إن ما ذهب إليه بعض العلماء إلى أنّ الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الندب استدلالاً بقوله (ﷻ):چﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ چ[٣٦]، فإنّ أمر الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله يفيد الندب، فقد يكون صحيحاً، ولكن ليس على إطلاقه؛ لأنه قد يفيد الوجوب أو الإباحة في نصوص أخرى، وكما أنّ سعيد بن جبير وابن سيرين ـ رحمهم الله ـ لم يصرحا بالندب، وإنما ذهبا إليه في هذا الموضع، وقد يرون خلاف هذا في مواضع أخرى.

٤- **مناقشة أدلة أصحاب القول الرابع** :

إن ما ذهب إليه أصحاب هذا القول بقولهم إن كان الحظر السابق عارضاً، وعلقت صيغة أفعل بزواله، فانه يدل على الذم فقط، أما اذا لم يكن الحظر السابق عارضاً لعلة ولا صيغة أفعل علق بزوالها، فيبقى موجب الصيغة على أصل التردد بين الندب والإباحة كلام فيه نظر، لان مجرد الغلبة لا يثبت العرف بل قصارى التعارف في الجملة والحقيقة مع القرينة قاضية عليه، لأننا لا نستطيع بأن صيغة الأمر بعد الحظر موضوعة للإباحة في أصل اللغة أو في العرف، لان المعقول من لفظة (افعل) الحث على الفعل بدون التخيير بين الفعل وتركه، والإباحة هي تخيير بين الفعل وتركه فلم تكن مستفادة من صيغة الأمر، وأن الشيء المأمور به مما تجب إباحته لولا النهي لما سبق إلى أفاهمنا من الأمر الإباحة، وكذلك لا نستطيع أن نقول أن صيغة الأمر بعد الحظر للندب أو الوجوب لوجود المعارض بالمنقول والعرف، فمن المنقول قوله تعالى: چ ﮧ ﮨ ﮩ چ وقوله تعالى: چ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ، فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بهذا النوع من الأوامر في كتاب الله ما جاء إلا للإباحة،

فوجب كونه حقيقة فيهما، أما العرف فأن السيد لو منع عبده من فعل شيء، ثم قال له (افعله)، فهم منه الإباحة فحصل التردد في دلالة الأمر لذلك لا نستطيع أن نجزم بصحة هذا القول[٣٧].

والذي يبدو لي بعد الاطلاع على أدلة كل فريق أنّ ما ذهب إليه القائلون بالوقف هو الراجح لأنّ الأمر خطير، فهو يتعلق في قواعد أصول الفقه التي يعرف بها أوامر الشارع الحكيم، فيجب التأني قبل الحكم، ولكن لا بدّ من وجود ضوابط يستند إليه الفقيه لمعرفة الرأي الراجح بعد التوقف، والذي أراه أنّ الأصوليين القائلين بالوقف تناولوا هذا الأمر، وذهبوا إلى أنّ الفعل إذا كان مباحاً في الأصل، ثمّ ورد

الحظر وكان الحظر لمانع أو لظرف طارئ، فإذا زال ما تعلق به الحظر عاد الفعل إلى ما كان عليه كالمانع الذي منع المرأة من الصوم في العادة النسائية، وفيما بعد الولادة لفترة، فإذا زال هذا المانع وجب عليها الأداء ـ رجوع الأمر إلى ما كان عليه قبل الحظر ـ أي يكون الحكم للوجوب.

وكما هو الحال في المانع الذي منع الزوج من إتيان زوجته في بعض الأوقات، فإن زال المانع عاد الأمر إلى ما كان عليه، وهو الإباحة[٣٨].

أما إذا كان الفعل محظوراً في أصله، وجاء الأمر به بخلاف الحظر، فإنّ حكم الفعل في هذه الحالة هو الإباحة فقط كالأمر بزيارة القبور، فإنها كانت محظورة في الأصل، ثمّ زال الحظر بقوله (ﷺ): ((كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها...))، وغير ذلك من الأوامر المذكورة في كتب أصول الفقه.

المبحث الثالث

آثار الاختلاف في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر

إنّ حكم الأمر بعد الحظر من المواضيع المهمة في مباحث الأمر عند الأصوليين، وقد اختلف الفقهاء تبعاً لاختلافهم في دلالة الأمر الوارد بعد الحظر، وظهر هذا الاختلاف في كثير من مسائل الفقه، نذكر منها المسائل الآتية:

1- الأمر بزيارة القبور.
2- الأمر بالاصطياد بعد انقضاء الإحرام.
3- الأمر بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله بعد انقضاء صلاة الجمعة.
4- الأمر للحائض والنفساء بالصلاة والصوم بعد زوال الحيض والنفاس.
5- الأمر بالصلاة بعد زوال السكر.
6- الأمر بالقتل لشخص حرام القتل بالإسلام، أو الذمة بارتكاب أسباب موجبة للقتل.
7- الأمر بإقامة الحدود بسبب الجنايات.
8- أكل الميتة للمضطر لمن خاف الهلاك.
9- الفطر لمن يشق عليه الصيام.
10- إساغة الغصة بالخمر عند عدم وجود الماء.
11- إتيان المرأة بعد انقضاء فترة الحيض.
12- الأمر بالنظر إلى المخطوبة.

وقد اكتفينا بدراسة لثلاث من هذه المسائل لتوضيح أثر اختلاف الأصوليين في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر في اختلاف الفقهاء، وقد اخترنا من هذه المسائل مسألة النظر إلى المخطوبة، ومسألة مباشرة الزوجة بعد انقضاء فترة الحيض، ومسألة زيارة القبور، فقسمنا هذا المبحث على ثلاثة مطالب، وكما يأتي:

المطلب الأول: النظر إلى المخطوبة عند الفقهاء.

المطلب الثاني: مباشرة الزوجة بعد انقضاء فترة الحيض.

المطلب الثالث: حكم زيارة القبور.

المطلب الأول

النظر إلى المخطوبة

الفرع الأول

حكم النظر إلى المخطوبة

اتفق الفقهاء على جواز النظر إلى المخطوبة إلا القاضي عياض[٣٩]، فقد ذهب إلى كراهة النظر إلى المخطوبة، ولم أحصل على دليل له فيما قال، وهو بقوله هذا خالف إجماع الفقهاء[٤٠].

أما القائلون بالجواز فقد اختلفوا على قولين هما:

القول الأول: إنّ حكم النظر إلى المخطوبة هو الإباحة، وإلى هذا ذهب بعض الفقهاء[٤١].

القول الثاني: إنّ حكم النظر إلى المخطوبة هو الندب، وإلى هذا القول ذهب جمهور الفقهاء، وقالوا: إنّ الأدلة التي تدلّ على جواز النظر إلى المخطوبة معللة بعلل تدلّ على أنّ الأمر يراد به الندب، وهو الراجح بما استدلوا عليه[٤٢].

واستدلّ الفريقان ـ القائلون بجواز النظر إلى المخطوبة ـ بأدلة منها:

الدليل الأول: ما روي عن محمد بن مسلمة[٤٣] (رضي الله عنه) أنه قال: خطبت امرأة، فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت إليها، فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله (ﷺ)؟! فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة، فلا بأس أن ينظر إليها)[٤٤].

الدليل الثاني: ما روي عن المغيرة بن شعبة[٤٥](رضي الله عنه) أنه قال: خطبت امرأة على عهد رسول الله (ﷺ)، فقال النبي (ﷺ): (أنظرت إليها؟) فقلت: لا، قال: (فانظر إليها، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما)[٤٦].

فإنّ هذا الحديث الشريف يدل دلالة واضحة على جواز النظر إلى المخطوبة[٤٧].

الدليل الثالث: ما روي عن أبي هريرة (ﷺ) قال: خطب رجل امرأة، فقال النبي(ﷺ): (أنظرها، فإنّ في أعين الأنصار شيئاً)[٤٨]. ففي الحديث الشريف دلالة واضحة على جواز النظر إلى المخطوبة[٤٩].

الفرع الثاني

مواضع النظر إلى المخطوبة

اختلف العلماء في المواضع التي يجوز النظر إليها من المخطوبة، فقد ذهب المالكية إلى جواز النظر إلى الوجه والكفين فقط، وذهب الإمام الأوزاعي[٥٠] . رحمه الله . وبعض الفقهاء إلى جواز النظر إلى محاسن الجسم فقط كالنظر إلى الشعر، ومواضع اللحم، وذهب أكثر الفقهاء إلى جواز النظر إلى جميع جسد المخطوبة[٥١]، وبهذا يكون انقسام الفقهاء إلى جواز النظر إلى المخطوبة على ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: جواز النظر إلى الوجه والكفين فقط.

القول الثاني: جواز النظر إلى محاسنها، أو ما يظهر منها غالباً كالشعر والساقين.

القول الثالث: جواز النظر إلى جميع جسد المخطوبة.

واستدل أصحاب القول الأول . القائلون بجواز النظر إلى الوجه والكفين فقط بعموم قوله تعالى: چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙچ[٥٢]، فقد أجمع المفسرون على أنّ المقصود بالآية الكريمة هو الوجه والكفان إذ أنّ الوجه والكفين ينبئان الخاطب عن جسد المخطوبة بما يدعوه إلى نكاحها، وبما أنّ النظر إلى جسد المرأة حرام بالأصل، وكان هنا جائزاً للضرورة، والضرورات تقدر بقدرها، فقد قدّرت الضرورة هنا بالنظر إلى الوجه والكفين فقط[٥٣].

أما أصحاب القول الثاني . القائلون بجواز النظر إلى محاسن المخطوبة ـ فقد استدلوا على قولهم بقوله (ﷺ): (إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)[٥٤].

وقد فهم الصحابة (ﷺ) من الحديث السابق بأنّ ما يدعو إلى نكاح المخطوبة هو ما يظهر منها غالباً في حالتها الاعتيادية كما هو واضح في قول جابر (ﷺ) إذ قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: (إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل)، فخطبت امرأة من بني سلمة، فكنت أتخبأ لها تحت الكرب[٥٥]، حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وتزوجها، وتزوجتها، فقد قال (ﷺ): (رأيت منها)، ولم يقل رأيتها، وهذا يدل على إباحة النظر لبعض مواضع النظر، لا إلى الجسد كله.

أما أصحاب القول الثالث– القائلون بجواز النظر إلى جميع جسد المخطوبة– فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بعموم قوله (ﷺ): (إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة، فلا بأس أن ينظر إليها)[٥٦]، وقوله (ﷺ) للمغيرة ابن شعبة ﷺ عندما خطب امرأة، فسأله (ﷺ): (أنظرت إليها؟)، فقال المغيرة (ﷺ): لا، فقال له النبي (ﷺ): (أنظر إليها، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما)[٥٧]، ففي الحديثين الشريفين دلالة على جواز النظر إلى جميع جسد المخطوبة إذ أنّ النبي (ﷺ) أضاف النظر إلى المخطوبة على سبيل الشمول، ولو لم يرد جميع جسدها لقال: انظر إلى وجهها، أو إلى كفيها، أو إلى أي عضو من أعضائها، فلا يجوز تقييد اللفظ إلا بدليل[٥٨].

الفرع الثالث

مناقشة أقوال العلماء في النظر إلى المخطوبة وبيان الراجح منها

إنّ ما استدل به أصحاب القول الأول ـ القائلون بجواز النظر إلى الوجه والكفين فقط– بعموم قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ(٥٩)، بأنّ المفسرين أجمعوا على أنّ المراد بالزينة هو الوجه والكفان، فإنّ هذا ليس فيه دلالة على المقدار الذي يجوز للخاطب النظر إليه إذ أنّ الآية عامة للخاطب، وغير الخاطب، فلا يجوز تخصيص العموم إلا بدليل.

أما ما استدل به أصحاب القول الثاني ـ القائلون بجواز النظر إلى محاسن المخطوبة فقط ـ استدلالاً بقوله (ﷺ): (إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل)، فإنه كلام وجيه إلا أنه قد يتعارض مع ما استدل به أصحاب القول الأول المستدلون على مذهبهم بعموم قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ بأنّ هذا الإظهار من الزينة للضرورة، والضرورة تقدر بالوجه والكفين فقط، فلا نستطيع أن نجزم بصحة قول القائلين بجواز النظر إلى جميع محاسن المخطوبة لتعارض الأدلة.

أما ما استدل به أصحاب القول الثالث ـ القائلون بجواز النظر إلى جميع جسد المخطوبة. بعموم حديثي محمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنها ـ وإن كان الحديثان يفيدان الإطلاق إلا أنه ورد ما يدل على تقييدهما بما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) إذ قال: خطب رجل امرأة، فقال النبي (ﷺ): (أنظرها، فإنّ في أعين الأنصار شيئاً) يدلّ على الموضع المباح نظره فقط، وقد يكون الوجه، أو الكفين لأنّ من نظر إلى وجه إنسان سمي (ناظراً)، ومن رآه وعليه أثوابه سمي (رائياً).

وبعد مناقشة الأدلة نرى أنّ الراجح في المقدار الذي يجوز النظر إليه من المخطوبة لا يحدد بمقدار معين على جميع الأشخاص، وذلك لأنّ الجمال حالة نسبية

تختلف من شخص إلى آخر، فمن يرى امرأة جميلة في عينيه قد يراها الآخر ذميمة، وكذلك فإنّ اختيار للمرأة قد يكون لعدة اعتبارات، ويكون الجمال واحدة منها، فالنظر إلى المخطوبة يحدده اعتبار الرجل لجمال المرأة، فقد يرغب الرجل نكاح امرأة بدافع النسب، أو الدين، أو المال، فيكون الجمال هنا اعتباراً ثانوياً بالنسبة له، فلا يرغب في النظر إلى جميع جسد المخطوبة، لأنّ النظر في الأصل حرام، وقد أجازه الشارع هنا للضرورة، والضرورات تقدر بقدرها، أما من خطب المرأة باعتبار الجمال من الأسباب الرئيسة التي دعته إلى الرغبة في النكاح، فله الحق في النظر إلى جميع جسد المخطوبة إن أراد الخاطب ذلك، وله أن يكتفي بالنظر إلى الوجه والكفين، أو إلى محاسن الجسم الأخرى أن اقتنع هو بذلك، والله اعلم.

المطلب الثاني

مباشرة الزوجة بعد انقضاء فترة الحيض

اختلف العلماء في حكم إتيان الزوجة بعد انقضاء فترة الحيض، وكان سبب اختلافهم هو الاختلاف في دلالة الأمر الوارد بعد الحظر، فقوله (ﷻ): ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ(٦٠)، فالآية الكريمة تشمل أمرين متضادين؛ أولهما: الأمر باعتزال النساء في وقت الحيض، وثانيهما: الأمر بإتيان النساء بعد انقضاء فترة الحيض، فقد حصل الخلاف في الأمر الثاني، وهو أمر ورد بعد حظر، فهل يدلّ على الوجوب، أم الإباحة، أم الندب؟

وقد اختلف العلماء في هذا الأمر، فذهب بعضهم إلى أنّ الأمر الثاني يدلّ على الإباحة فقط– أي إباحة إتيان الزوجة بعد انقضاء فترة الحيض ـ وذهب بعضهم إلى أنّ الأمر الثاني يدلّ على الندب، وذهب البعض الآخر إلى أنّ الأمر الثاني يدلّ على الوجوب، فلا يحقّ للزوج أن يترك أهله، فقرر بعض الفقهاء بأنه يجب على

الزوج أن يأوي إلى زوجته، ولا يفرض عليه من الجماع شيء، وأن يفرض لها النفقة والكسوة فقط[٦١].

الرأي الراجح:

إنّ إتيان المرأة بعد انقضاء فترة الحيض أمر يدلّ على الوجوب لأنّ تركها فيه مضرة على الطرفين، فيجب مباشرتها في كلّ طهر مرة على الأقل، ويجب على الزوج أن يأوي إلى زوجته يوم وليلة في كلّ أربعة أيام بلياليها، وهذا الحكم أقره سيدنا عمر (رضي الله عنه) عندما جاءت امرأة إليه، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّ زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه إليك وهو يقوم بطاعة الله، فقال لها: جزاك الله خيراً من مثنية على زوجها، فجعلت تكرر عليه القول، ويكرر عليها الجواب، وكان كعب ابن سوار الأسدي[٦٢] حاضراً، وقد فهم مقصدها، فأمره عمر (رضي الله عنه) أن يحكم بينهما، فأرسل إلى زوجها، فحضر وقال له كعب: إنّ امرأتك تشكوك، فقال: أقصرت في شيء من نفقتها؟ قال: لا، فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده
ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لم يرقده
فلست في حكم النساء أحمده
زهده في مضجعي تعبده
فاقض القضاء يا كعب ولا تردده

فقال زوجها:

زهدني في فراشي وفي الحجل
أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول

وفي كتاب الله تخويف جلل

ثم قال كعب:

إنّ الله قد أباح لك من النساء أربعاً، فلك ثلاثة أيام ولياليها تعبد بها ربك، ولها يوم وليلة، فأقره عمر (رضي الله عنه) على حكمه واستحسنه الصحابة (رضي الله عنهم)[٦٣].

أما إذا كان الزوج بعيداً عن زوجته، فيجب أن لا يطيل غيابه أكثر من أربعة أشهر، وهذا ما حكم به سيدنا عمر (رضي الله عنه) بعد أن كان يطوف في شوارع المدينة، فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه
وأرقني أن لا خليل ألاعبه
فلولا حذار الله لا شيء مثله
لزحزح من هذا السرير جوانبه

فأمر أن لا تحبس الجيوش أكثر من أربعة أشهر[٦٤].

المطلب الثالث

حكم زيارة القبور

اختلف العلماء في حكم زيارة القبور تبعاً لاختلافهم في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر إذ أنّ النبي (ﷺ) نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها بقوله (ﷺ): (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)(٦٥)، فقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ زيارة القبور مندوبة للرجال والنساء العجائز إذا لم تؤد زيارتهنّ إلى الفتنة والنياحة وإلا كانت محرمة، وذهب البعض الآخر من العلماء إلى أنّ زيارة القبور مندوبة للرجال، وتكره للنساء مطلقاً سواء كنّ عجائز أو شابات.

أما البعض الآخر من العلماء فقد ذهبوا إلى أنّ زيارة القبور مندوبة للرجال محرمة على النساء، ومرجع الخلاف بين العلماء هو الأمر الوارد بعد الحظر في الحديث السابق، واختلاف الفقهاء في فهم الأحاديث الأخرى(٦٦).

الرأي الراجح: في زيارة القبور:

إنّ زيارة القبور مندوبة للرجال لقوله (ﷺ): (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)، فالأمر هنا يغلب عليه جانب الندب لوجود قرينة ترفعه من الإباحة إلى الندب.

أما النساء العجائز فزيارة القبور لهنّ قد تكون مندوبة، أو تكون مباحة إذا لم تؤد زيارتهنّ إلى الفتنة والنياحة، وإلا كانت محرمة.

أما النساء الشابات فتحرم زيارتهنّ إذا كانت تؤدي إلى الفتنة والنياحة، أما إذا لم تؤد إلى الفتنة والنياحة وتكون مع المحارم مع عدم الإكثار لأنهنّ بالإكثار لا يسلمن من عادات الجاهلية بتعداد مآثر الموتى، ولطم الخدود فقد تكون مباحة، ولكن الأولى ترك الزيارة للنساء الشابات في مثل هذا الزمان، والله أعلم(٦٧).

الخاتمة:

اختلف الأصوليون في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر، فذهب جمهور الأصوليين إلى أنّ الأمر الوارد بعد الحظر وقبله سواء.

وذهب عدد كبير منهم إلى أنّ الأمر الوارد بعد الحظر يفيد الإباحة.

وقال بعضهم: إنه يفيد الندب، وتوقف البعض الآخر.

والذي نراه راجحاً هو أنّ الحظر إذا كان لمانع، أو لظرف طارئ وزال الحظر رجع الفعل إلى ما كان عليه قبل الحظر.

أما إذا كان الفعل محظوراً في أصله، وجاء الأمر بخلاف الحظر، فإنّ الأمر في هذه الحالة حقيقة في الإباحة.

ومن آثار الاختلاف في اختلاف الأصوليين في مدلول الأمر الوارد بعد الحظر اختلاف الفقهاء في حكم زيارة القبور، واختلافهم في الانتشار بعد انقضاء صلاة الجمعة، واختلافهم في حكم النظر إلى المخطوبة، فقد اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب، فذهب بعضهم إلى أنّ حكم النظر إلى المخطوبة هو الإباحة، وذهب البعض الآخر إلى أنّ حكم النظر إلى المخطوبة هو الندب، وانفرد القاضي عياض ـ رحمه الله ـ بكراهة النظر إلى المخطوبة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش والتعليقات:

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: 1/341. المستصفى من علم الأصول للغزالي: 1/435. ميزان الأصول للسمرقندي: 1/228. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: 2/398.
(٢) ينظر: المعتمد في أصول الفقه: 1/75. المحصول للرازي: 2/159. المسودة في أصول الفقه: 1/15.
(٣) سورة التوبة، الآية 5.
(٤) سورة الأحزاب، الآية 53.
(٥) ينظر: التبصرة في أصول الفقه1/38.
(٦) إلى هذا القول ذهب الإمام مالك وأصحابه، وهو ظاهر قول الشافعي، وبعض الحنفية ـ رحمهم الله ـ. ينظر: المسودة في أصول الفقه: 1/14.
(٧) ينظر: روضة الناظر: 1/198.
(٨) سورة المائدة، الآية 2.
(٩) سورة البقرة، الآية 222.
(١٠) سورة الجمعة، الآية 10.
(١١) صحيح مسلم: 2/672.
(١٢) ينظر: المحصول في أصول الفقه: 2/160.
(١٣) هو علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، فقيه أصولي، من تصنيفه كشف الأسرار عن أصول البز دوي، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 730هـ. ينظر: كشف الظنون: 2/1395. هدية العارفين: 1/308.
(١٤) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولاهم، أبو محمد، من علماء التابعين اشتهر في رواية الحديث عن النبي (ﷺ) قتله الحجاج سنة 95هـ. ينظر: تهذيب الكمال: 10/358. تهذيب التهذيب: 4/11.
(١٥) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر، تابعي، من علماء الحديث توفي سنة 110هـ. ينظر: الطبقات لخليفة بن خياط: 1/210. الثقات: 5/348.
(١٦) كشف الأسرار: 1/183.
(١٧) الغزالي: هو الإمام محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، زين الدين الطوسي، فقيه أصولي، صنف كتباً كثيرة منها إحياء علوم الدين، والمستصفى في الأصول توفي ـ رحمه الله ـ سنة 505هـ. ينظر: البداية والنهاية: 12/173. شذرات الذهب: 4/10.
(١٨) ينظر: المستصفى من علم الأصول 1/435. والإبهاج في شرح المنهاج 2/44 . وفواتح الرحموت 1/ 380 .
(١٩) هو عبد الملك بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الله بن محمد الجو يني، الشافعي، المعروف بإمام الحرمين، ضياء الدين أبو المعالي، فقيه أصولي من تصنيفه البرهان في أصول الفقه، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 478هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: 5/235.
(٢٠) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم ألتغلبي، فقيه، أصولي، ولد بآسد ثم سافر إلى بغداد ثم إلى مصر، من تصنيفه الإحكام في أصول الأحكام، توفي- رحمه الله - سنة 631هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: 13/193.
(٢١) ينظر : البرهان في أصول الفقه للجو يني 1/88 . والإحكام في أصول الأحكام للأمدي2/398 .
(٢٢) سورة التوبة، الآية 5.
(٢٣) سورة الأحزاب، الآية 53.
(٢٤) ينظر: المعتمد في أصول الفقه: ١/٧٥. والمحصول في أصول الفقه: 2/160.
(٢٥) سورة البقرة، الآية 187.
(٢٦) سورة الأحزاب، الآية 53.
(٢٧) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: 1/342.
(٢٨) سورة المائدة، الآية 2.
(٢٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 6/36. تفسير القرآن لابن كثير: 1/348.
(٣٠) سورة البقرة، الآية 222.
(٣١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: 1/343.
(٣٢) سورة الجمعة، الآية 10.
(٣٣) صحيح البخاري: 1/171.
(٣٤) ينظر: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: 1/380.
(٣٥) صحيح مسلم: 2/672.
(٣٦) سورة الجمعة، الآية 10.

(٣٧) ينظر: المعتمد في أصول الفقه: ٧٦/١. والمحصول في أصول الفقه: 202/1. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: 1/379.

(٣٨) ذهب بعض الفقهاء إلى أنّ حكم إتيان الزوج زوجته فرض لا بدّ منه، ولا يحلّ له أن يهجرها في المضجع إلا لتجافيها له عن ذلك، وهو الراجح في نظري استناداً على عقد النكاح. ينظر: الإحكام لابن حزم: 1/343.

(٣٩) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمر، أبو الفضل، فقيه مالكي، له عدة مؤلفات منها: السيف المسلول على من سبّ أصحاب الرسول، الإعلام في حدود الأحكام، توفي – رحمه الله– بمراكش سنة 544هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ: 4/1304، وهدية العارفين: 1/428.

(٤٠) ينظر: نيل الأوطار: 6/170.

(٤١) ينظر: الدراري المضيئة: 1/256.

(٤٢) ينظر: القواعد والفوائد الأصولية: 1/169، والفقه على المذاهب الأربعة: 4/8.

(٤٣) هو محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي، صحابي جليل، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) إلا تبوك، توفي (رضي الله عنه) بالمدينة سنة ست وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: 1/991، والإصابة في تمييز الصحابة: 6/33.

(٤٤) مسند الطيالسي: 1/164، والمعجم الكبير: 9/224، وسنن النسائي: 1/599 (كتاب النكاح). وسنن البيهقي 7/85، وقال البيهقي : هذا الحديث إسناده فيه.

(٤٥) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، صحابي جليل أسلم عام الخندق، وكان رجلاً ذا هيبة، وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسية وغيرها من المعارك، توفي (رضي الله عنه) سنة خمسين بالكوفة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 1/453، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 1/1039.

(٤٦) سنن النسائي: 1/599 (كتاب النكاح)، والمعجم الكبير: 19/224، ومسند الطيالسي: 1/164. والمستدرك على الصحيحين 2/ 179 (كتاب النكاح)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين .

(٤٧) مغني المحتاج: 3/123، والدراري المضيئة: 1/256.

(٤٨) مسند الإمام أحمد: ٢٤٦/٤، وسنن ابن ماجه: ٦٠٠/١، وسنن الترمذي: ١٧٩/٣، وسنن النسائي: ٦٩/٦. وصحيح ابن حبان ٣٥٢/٩ .

(٤٩) ينظر: الدراري المضيئة: 1/256.

(٥٠) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، أبو عمرو، الأوزاعي، إما أهل الشام في الفقه والحديث، والأوزاع التي عرف بها قرية بدمشق كان سكن بها، ثمّ تحول إلى بيروت، فسكنها إلى أن مات فيها ـ رحمه الله ـ في سنة سبع وخمسين ومائة. ينظر: الثقات: 7/62، وتاريخ مدينة دمشق: 35/147.

(٥١) ينظر: بداية المجتهد: 1/665، ومغني المحتاج: 3/ 123، ونيل الأوطار: 6/170، والسيل الجرار: 4/130.

(٥٢) سورة النور: الآية 31.

(٥٣) ينظر: تفسير الطبري: 9/302.

(٥٤) مسند الإمام أحمد: 3/334، وسنن أبي داود: 1/634، ومصنف ابن أبي شيبة: 4/21، والمستدرك على الصحيحين: 2/179.

(٥٥) الكرب: أصول السعف الغلاظ الأعراض التي تيبس، فتصير مثل الكتف، واحدها كربة. ينظر: لسان العرب: 1/711 (مادة كرب) باب الباء، فصل الكاف، وتاج العروس: 1/904 باب الباء، فصل الكاف.

(٥٦) سبق تخريج الحديث في هامش رقم (44).

(٥٧) سبق تخريج الحديث في هامش رقم (46).

(٥٨) ينظر: نيل الأوطار: 6/170.

(٥٩) سورة النور: الآية 31.

(٦٠) سورة البقرة، الآية 222.

(٦١) ينظر: زاد المسير: 1/124، والمغني: 10/100، وتفسير ابن كثير: 1/267.

(٦٢) هو كعب بن سوار الأسدي من كبار التابعين، وقيل إنّ له صحبة، ولاه عمر بن الخطاب قضاء البصرة، واستشهد (رضي الله عنه) في معركة الجمل. ينظر: البداية والنهاية: 7/270.

(٦٣) ينظر: الدر المنثور: 1/653.

(٦٤) ينظر: الدر المنثور: 1/273، وتاريخ الخلفاء: ص 141.

(٦٥) صحيح مسلم: 2/672.

(٦٦) ينظر: الأم للشافعي: 1/278، وزاد المسير لابن الجوزي: 1/249، والمغني لابن قدامة: 2/224، وسبل السلام للصنعاني: 1/72، وروح المعاني للآلوسي: 3/224.

(٦٧) ينظر: الروضة الندية: 1/471.

المصادر والمراجع:

1- الإبهاج في شرح المنهاج لابن ألسبكي المتوفى سنة756هـ، دار الكتب، بيروت، لبنان .
2- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي، المتوفى سنة 456هـ، طبع دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
3- الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الآمدي،المتوفى سنة 631هـ، الطبعة الأولى، 1405هـ . 1985م، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
4- الاستيعاب لأبي عمرو يوسف بن عبدا لله بن محمد، المتوفي سنة 463هـ، بذيل كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة الكليات الأزهرية – مصر .
5- أسد العابة في معرفة الصحابة لابن الأثير المتوفى سنة630هـ، طبع في طهران- إيران.
6- الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، 1412هـ، دار الجبل، بيروت . لبنان.
7- الأم للامام محمد بن أدريس الشافعي، المتوفى سنة 204هـ، طبع دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .
8- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد، المعروف بابن رشد، الطبعة الأولى، مطبعة الجمالية، القاهرة – مصر .
9- البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة 774هـ، نشر مكتبة المعارف، بيروت . لبنان.
10- البرهان في أصول الفقه للجويني، المتوفى سنة 478هـ، طبع دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
11- تاريخ الخلفاء للسيوطي، الطبعة الاولى، 1371هـ، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.
12- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن مرتضى الزبيدي، المتوفى سنة 1205هـ، من منشورات مكتبة الحياة، بيروت . لبنان.
13- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم، علي بن الحسن، المعروف بابن عساكر، الطبعة الأولى، 1419هـ . 1998م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان.

14- التبصرة في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، المتوفى سنة 476هـ، الطبعة الأولى، 1403هـ، دار الفكر، دمشق . سوريا.
15- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة 748هـ، نشر مكتبة الحرم المكي . مكة المكرمة.
16- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة 774هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
17- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة 852هـ، الطبعة الأولى، 1404هـ – 1985م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان.
18- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين المزي، المتوفى سنة 742هـ، الطبعة الأولى، 1400هـ . 1980م، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان.
19- الثقات لابن حبان بن أحمد التميمي، المتوفى سنة 354هـ، الطبعة الأولى، 1393هـ . 1973م، دائرة المعارف العثمانية، الهند.
20- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة 310هـ، دار الفكر للطباعة النشر، بيروت . لبنان.
21- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، المتوفى سنة 671هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
22- الدراري المضيئة شرح الدر البهية، لمحمد بن علي الشوكاني، 1407هـ-1987م، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
23- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، طبع سنة 1993م، دار الفكر للطباعة النشر، بيروت . لبنان.
24- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل الألوسي،، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
25- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامه المقدسي، المتوفى سنة 620هـ، الطبعة الثانية، 1399هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض . السعودية.
26- الروضة الندية لصديق حسن خان، الطبعة الاولى، سنة 1999م، دار ابن عفان للطباعة والنشر، القاهرة – مصر .

27- زاد المسيرفي علم التفسير لأبن الجوزي، الطبعة الثالثة، 1404هـ، طبع المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
28- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للصنعاني، الطبعة الرابعة، 1379هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
29- سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القز ويني، المتوفى سنة 275هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
30- سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة 275هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
31- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة 279هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
32- سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة 303هـ، الطبعة الثانية، 1406هـ . 1986م، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، دمشق . بيروت.
33- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة 747هـ، الطبعة الأولى، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان.
34- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، 1405هـ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
35- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحيّ العماد الحنبلي، المتوفى سنة 1809هـ، طبع دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
36- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1993م، موئسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
37- صحيح مسلم (الجامع الصحيح) لمسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة 261هـ، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
38- طبقات خليفة بن خياط للعلامة خليفة بن خياط، المتوفى سنة 240هـ، 1402هـ–1982م، نشر دار طيبة للطباعة والنشر، الرياض . السعودية.

موقف الأصوليين من مدلول الأمر الوارد بعد الحظر وأثره في اختلاف الفقهاء
مجلة آداب الفراهيدي العدد الخاص بالمؤتمر الثالث
العدد (١) السنة الأولى كانون الأول ٢٠٠٩

39- فواتح الرحموت مع كتاب المستصفى لعبد الله بن نظام الدين الأنصاري، المتوفى سنة 1225هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
40- القواعد الفوائد الأصولية، لعلي بن عباس الحنبلي، المتوفى سنة 803هـ، طبع سنة 1375هـ . 1965م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة . مصر.
41- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البز دوي للإمام عبد العزيز البخاري، المتوفى سنة 730هـ، الطبعة الأولى، 1418هـ . 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
42- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، المتوفي سنة 1067هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
43- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
44- المحصول في علم الأصول لفخر الدين الرازي، المتوفى سنة 606هـ، الطبعة الأولى، 1400هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض . السعودية.
45- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري، الطبعة الأولى، 1411هـ . 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.39.
46- المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي، المتوفى سنة 505هـ، الطبعة الثالثة، 1414هـ . 1993م، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
47- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة 214هـ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
48- مسند الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.
49- مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الطبعة الأولى، 1409هـ، مكتبة الرشد، الرياض . السعودية.

50- المسودة في أصول الفقه، تأليف جماعة من آل تيمية، المدني للطباعة والنشر، القاهرة- مصر.
51- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، الطبعة الثانية، 1404هـ-1983م، مكتبة العلوم والحكم، الموصل . العراق.
52- المغني لأبن قدامة المقدسي، المتوفي سنة 620هـ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
53- مغني المحتاج إلى معرفة ما في ألفاظ المنهاج، للخطيب الشر بيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
54- المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، المتوفى سنة 436هـ، الطبعة الأولى، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
55- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، شرح منتقى الأخيار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، نشر المطبعة الأميرية.
56- ميزان الأصول في نتائج العقول لأبي بكر السمرقندي، المتوفى سنة 539هـ، الطبعة الأولى، 1407هـ . 1987م، مطبعة الخلود، بغداد . العراق.
٥٧- هدية العارفين لإسماعيل بن باشا البغدادي، المتوفى سنة 1339هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.

الرواية العربية وأثرها في توعية الفكر الإنساني

د. سوسن البياتي
جامعة تكريت/كلية الآداب

الاستهلال :

يشكل الأدب – بمختلف أجناسه وأشكاله – علماً من علوم اللغة العربية، له تأثير واضح في النفس البشرية أكثر من سواه، فهو فنٌ ذو ارتباطٍ وثيق بالعاطفة والأحاسيس والمشاعر الإنسانية على النقيض من العلوم الأخرى التي تخاطب العقل، وله خصوصياته، تتأتى من خلال ارتباطه بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً فهو ((أولاً وآخراً تعبير عن المجتمع من خلال وعي الفرد (المبدع)، وجه الإنسانية الأبهى، فالوعي الذي نلمسه في أيِّ نصٍ أدبي يعبر عن البنية الرئيسية في فكر المجتمع، وبخاصة إذا كان لا يعكس واقعاً جامداً مغايراً يكمن في تطور الفكر الجماعي للنزوع إلى التخلص من الواقع (الفوتوغرافي) إلى واقع ديناميكي صاعد .))(١).

- علاقة الرواية بالمجتمع :

الرواية جنس أدبي يمتُّ بصلةٍ وثيقة بحياة الإنسان وواقعه وإن كان الخيال سمة أساسية من سمات هذا الفن، برز إلى الوجود إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى حديثاً، وإن كانت له أصول في السرد العربي القديم تتمثل في السيرة والمقامة، حملت بين أضلعها همَّ الإنسان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وسعت إلى تغيير واقعه بمعيارية خيالية إذ قامت ((بتغيير وعي العالم المتمدن: ((فنحن نقول إن دارون وماركس وفرويد قاموا بتغيير وجه الحضارة الغربية، ولكن تأثير الرواية كان أعظم من تأثير هؤلاء مجتمعين))(٢) على حدِّ تعبير كولن ولسن .

وتتحدد العلاقة بين هذين القطبين: الرواية والمجتمع من خلال عامل التعبير الذي يسعى إليه الفعل الروائي في نقل صورة الأحداث والوقائع التي يتعرض لها

المجتمع عموماً والإنسان خصوصاً فبعد سقوط الدولة العباسية وتدهور الحضارة العربية الإسلامية بدأ ((انهيار شامل ونهائي في التركيب الاجتماعي وانكسار في مفهومات الإنسان في بلادنا عن نفسه وعن مكانه ومكانته في هذا العالم، من يومها حصل تبدل إن لم نقل انكسار في القيم))(٣)، أخذ المجتمع يعاني فوضى التغيير وتمزيق الوحدة العربية وانكسار أحلامه وأمانيه وتطلعاته، من هنا بالذات برزت الحاجة إلى الهروب من هذا الواقع الموبوء والمصطنع والمشحون بالفساد والمصالح الفردية والأنانية المسيطرة، اتخذ هذا الهروب شكلاً استثنائياً، لجأ الإنسان الهارب إلى الكتابة فـ((الكتابة ليست ملاذاً تحتمي فيه الذات فحسب، بل هي مستوى من الإدراك الإنساني وموقف من الأشياء والوجودات المتعددة والمختلفة عبر التاريخ. والكتابة رتبة حضارية . الكتابة؛ مستوى ودرجة الإتقان في الكتابة كصنعة عنوان على ما وصلته الأمة من تقدم وازدهار . لكن الكتابة لا تصبح ملاذاً ومظلةً للاحتماء إلا لحظة ارتعاب الذات وخوفها من وجودها الذي يصير مهدداً وملاحقاً بالنفي والإقصاء . انه اللحظة التي تتخلخل فيها القيم الحضارية وتضطرب التصورات الثقافية إلى درجة التناحر والإبادة؛ لحظة رفض الرأي الآخر المخالف . في هذه اللحظة المحتدمة تصبح الكتابة ملاذاً، وتصبح الكتابة لحظة تمثل الذات لذاتها في أقصى العزلة))(٤)، ومن ثم لجأ إلى الرواية، فأخذ يقرأ ويستوعب الأفكار وهموم الشخصيات وأحلامها وتطلعاتها وهي صورة مثلى لهذا الإنسان الممزق داخلياً، ومن خلال هذا التعمق أدرك أنَّ ثمة فعل ثوري لابدَّ من إيقاظه في النفس البشرية، ابتدأت الثورة بالتمرد ومحاولة الإصلاح والتغيير؛ عبر الوقوف على مفاصل الخطأ وأركانه، وإن كان هذا التغيير محالاً في جانب منه؛ فالطبقات الحاكمة، الباحثة عن مصالحها الفردية لم تكن لتستسلم بهذه السهولة، ولم تتخلَ عن دورها التاريخي في بناء مصالحها على حساب الشعب، المهم أن ما يقال بهذا الصدد إنه على الرغم من فشل الإنسان في تغيير واقعه تغييراً جذرياً وشاملاً، فإن الفن الروائي قد خلق فيه أساس هذا التغيير وكان أثره أكبر من الفنون الأخرى، إذ أخذ على عاتقه فضح هذا الواقع وتحويله إلى أداة تغيير وتفعيل لصالح الإنسان لا ضده .

وتحضرني هنا – بهذا الصدد – مقولة أحد الوزراء الإسرائيليين بأنهم استطاعوا الدخول إلى قلب الوطن العربي من خلال روايات نجيب محفوظ، إذ صورت المجتمع المصري بأزقته وحواريه وعاداته وتقاليده وركزت على العديد من المضامين الإنسانية وجوانبها ولاسيّما الجانب السلبي في حياة الإنسان العربي وخصوصاً ذلك الذي يتعلق بالمرأة وضعفها وقهرها وانكسارها مما مكّن إطلاعهم على حياة الفرد العربي وبالتالي معرفة نقاط الضعف فيه من التوغل والاستقرار في قلب الوطن العربي، وعندما صدرت رواية "مدام بوفاري " لفلوبير ((نعى عليه النقاد، ووصفوه بأنه خطر على الأخلاق، فقبضت عليه الحكومة الفرنسية بتهمة التمكين للأدب الخليع من التسلل إلى الجمهور))(٥)، وقد تعرض إلى محاكمة عاصفة استمرت سنوات عدة حكم ببراءته فيما بعد، وجه إليه خلالها رئيس الجلسة انتقاداً حاداً لاذعاً، وهي صورة من الصور الكثيرة التي تبين أثر الرواية في الإنسان والمجتمع الذي يحيط به ؛ ذلك أن الأديب هو بالدرجة الأساس ابن بيئته، ابن المجتمع الذي يولد فيه وينشأ، فكلُّ ما يكتبه ينبع من ارتباطه بهذه البيئة، وبالتالي يؤثر فيها، فالخطاب الروائي العربي يشكل في ((حداثته خطاباً يروي حكاية خاصة، وهو في روايته لهذه الحكاية يحقق تميزه واستقلاله بآليات تبنينه التقني – الفني . تبدع هذه الآليات زمن عالم الرواية، ولغات الشخصيات المتمايزة، وخصوصيات أمكنة تواجدهم، وعلائق عيشهم، ورموز معاناتهم الكبرى المتمثلة في الـ" أنا " السلطوي الذي يقمعهم، ويهمش وجودهم، ويتواطأ مع "هو " الخارج . وهم يكابدون من أجل عيش عادل، أو من أجل تحقيق أحلام لا تعدو أن تكون أحلاماً يشاركهم فيها كل إنسان مدرك لمعنى إنسانيته .

الحكاية التي ترويها الرواية العربية حكاية لحياة الإنسان العربي ومعاناته. وهي تروي حقائق قد تسكت عنها الخطابات الأخرى ولاسيّما السياسية.))(٦).

فإذا كان المجتمع يؤثر في الكاتب فيستقي منه مادته الأدبية، فإن الأديب – هو الآخر – يؤثر في هذا المجتمع، كما نجد صدى ذلك في رواية " رياح شرقية – رياح غربية " للروائي الراحل مهدي عيسى صقر، فعندما نُشِرَت هذه الرواية في

القاهرة أحدثت ضجةً هائلة قامت على أثرها الطبقة العاملة هناك بالمطالبة بحقوقها كاملة، كما أن منع الكثير من الروايات من التداول ومصادرتها يعدُّ دليلاً آخر على أثر هذا الفن في المجتمع، إذ نقرأ بين الحين والآخر أن السلطات قد قامت بمصادرة رواية ما، وقد تأتي هذه المصادرة لما تحويه من أفكارٍ ومضامينَ قد تكون سياسية معارضة للسلطة أو اجتماعية لها مساس مباشر بالسلوك الاجتماعي داخل نظام اجتماعي معين، أو دينية، فالرواية تمس تابواً من التابوات المقدسة والتي يحرم على البشر المساس بها ضمن الفكر السلطوي الحاكم، ونتيجة لهذا السلوك غير اللائق فقد يلجأ الروائي إلى الترميز والتلميح لا التصريح والمباشرة خوفاً من إدانته بالعقوق وإنكار أفضال السلطة عليه وبالتالي تتحول – هذه الأخيرة– إلى أداة للقمع وتمارسها على كلِّ من يتعرض لها، بالنفي أحياناً وبالتعذيب والسجن غالباً، وقد تمارس السلطة سياسة الترهيب أو ما يسمى بـ " سياسة العصا والجزرة "، ونادراً ما تلجأ إلى فعل الترغيب بقصد إخضاع الروائي لمنطق السلطة الحاكمة وليصبح الروائي فيما بعد صوت السلطة لا صداها ولاسيّما إذا ماكان لهذا الروائي صوته البارز في المجتمع ولكلمته صدىً في النفس الإنسانية ؟!

لقد أشار ويلز وهو بصدد وضع تعريف للنص الروائي بأنه يمثل: ((وسيطاً للفهم، وأداة لاختبار النفس، واستعراضاً للأخلاق وتحويل أساليب السلوك، ومصنعاً للعادات، ونقداً للقوانين والمؤسسات، وللعقائد والأفكار الاجتماعية .))[٧]، وهذا المفهوم يشير إلى إمكانية صوغ ملامح تربوية ينهض بها النص الروائي .

نشأت الرواية لتعبر عن الأوضاع المعقدة في الكون، فهي مرآة ((للفكر الإنساني المعاصر في قلقه وتمزقه وشكه وعبثه وشقائه ..))[٨]، فقد وجد الإنسان نفسه في ظل ظروف معيشية صعبة مكنته من اختراق هاجس البحث عن الهوية الضائعة في وطنه، هاجس البحث عن الهوية، عن الذات، عن التاريخ، وربّما يعدُّ هذا الهاجس من أصعب الأوضاع وأعقدها، فعندما يتحول الإنسان إلى مجرد رقم يتمُّ التعامل معه على أساس إلغاء كيانه وتاريخه وعمره بإلغاء الاسم المميز لهويته

ولشخصيته، فالاسم على حدِّ تعبير النقاد هو أخص ما يميز الإنسان، فكيف إذا ما تمَّ إلغاؤه ؟!

لقد أشار العديد من الروائيين إلى مثل هذا السلوك، وأصبح تجسيد صورة الآخر وكيفية التعامل مع الأنا بصوره المتعددة، والبحث عن الذات من أبرز المهيمنات الموضوعية في الرواية العربية، كما أن علاقة الإنسان بالسلطة ولاسيّما المثقف علاقة قائمة وشائكة أخذت نصيبها وحظها – ومازالت ماثلة – في أغلب الروايات، فإذا كان الفن الروائي تجسيداً لمأساة الإنسان في واقعه المرفوض وتصويراً لها في أبشع صورها، فماهو تأثيره لتغيير هذا الواقع ؟

لقد شاعت في الأوساط الثقافية مقولة تؤكد على قدرة الرواية على تحمل نبض العصر، نبض التغيير[٩]، بمعنى قدرتها على استيعاب التغيير الحاصل في مقومات الفكر الإنساني في عصرٍ ما، وبالتالي خلق نوع من القدرة لدى الإنسان على تغيير واقعه، فالرواية في نشأتها كانت تعبيراً صارخاً عن تغيير المجتمع الذي نشأت فيه ورؤية هذا المجتمع وتقاليده[١٠]، هذا التغيير لا يتم إلا في ظروفٍ تساعد الروائي على تجاوز معوقاته وقدرته على إيصال صوته الخاص به إلى الآخرين، ولكي يتم ذلك لابدَّ له من التوغل في صفوف المجتمع – وهو جزءٌ منهم – ومعرفة معاناتهم ومحاربة كلِّ من يحاول تزييف التاريخ، تاريخ الإنسان، تاريخ المجتمع، تاريخ الدول والملوك والأمراء والقادة وقبل كل ذلك، تاريخ الشعوب المكافحة والمناضلة لنيل حقوقها، فالرواية تصحح أخطاء التاريخ[١١]، فثمة انتماء للواقع والتحام به فـ((الرواية العربية (في شتى أشكالها ومضامينها) كانت ومازالت أكثر طرحاً من بقية الأشكال الأدبية لواقع الإنسان العربي، فهي من حيث التصاقها التاريخي بنضاله الشاق الواسع (مع نفسه وقيمه ..مع الحب.. ضد القهر والاستغلال، والاحتلال والذل ..والسرقة والنهب والجشع ...النضال المجدي وغير المجدي) قدمت وتقدم أكثر من صورة جيدة في توضيح أبعاد التاريخ العربي المعاصر، وليس في هذا الطرح مبالغة على الإطلاق، ذلك لأن دراسة جيدة ولتجربة أي كاتب يمكن أن ترشدنا بالتالي ليس إلى (ذاته) فحسب بل وانتمائه الطبقي والأيديولوجي أيضاً.))[١٢].

- **المشهد الروائي العراقي بعد الاحتلال** :

في ظل الأزمة الاقتصادية والوضع الأمني المتدهور في عراق ما بعد الاحتلال الذي يحصد الآلاف من البشر يومياً، يتساءل الكثيرون عن المشهد الثقافي العراقي الذي ترك بصماته واضحة قبل الاحتلال ودوره في الأحداث ؟

وللإجابة عن مثل التساؤل نقول : إن الشعب العراقي قد عانى ما عانى، ومازال يعاني الكثير الكثير – في ظل ظروف الاحتلال – ولكي يكون قادراً على تجاوز أزماته لابدَّ له من فعلٍ ثوري أولاً يخترق حدود الصمت والخوف وليعلن تمرده على كافة أشكال الظلم والغطرسة ثانياً، إن الفعل الثوري الذي تقوم به الفصائل المجاهدة بحاجة إلى تعبئة جماهيرية وشعبية، وقد يذهب البعض إلى أن أزمة الإنسان العراقي ومحاولاته للعيش في نقطة سلام وأمان وبحثه الدؤوب عن عملٍ يؤمن له هذا الاستقرار كفيل بأن يبعده عن مصادر الثقافة وعلومها ولاسيّما الفن الروائي، وربّما يسخر البعض من هذا الطرح، لكنه لو فكر قليلاً لوجد نفسه أنه في خضم هذه الظروف الحالكة والمريرة فهو بحاجة إلى نقطة ضوء أو أمل من أجل الحياة، هنا ينبثق الدور الفعلي للروائي في وضع هذا الإنسان المأزوم أمام نفسه بما يكتبه من واقع يسطِّره على شكل حكايات وقصص تتيح له القدرة على اكتشاف نفسه وواقعه الذي تحاول الكثير من القنوات الفضائية والإعلامية التغاضي عن بعض جوانبه السلبية ولاسيّما تلك التي تجري خلف القضبان.

لقد تم إعدام المشهد الثقافي العراقي بل وخنق كل ممكنات وجوده، فالعراق الذي بنى حضارته منذ الأزل ابتداءً بشريعة حمورابي القانونية، المؤسسة لأركان وتنظيم المجتمع العراقي آنذاك، مروراً بأساطير بابل وسومر وصولاً إلى ذروة العلم والأدب وازدهارهما في العصر العباسي،على الرغم من الخراب الذي طالهما على يد هولاكو، إلا أن الانتعاش والازدهار الثقافي نال حظه بعد ذلك، ولم يقف العلماء مكتوفي الأيدي، بل عملوا على الارتقاء بالمستوى العلمي حتى وصل العراق إلى كل مايمكن أن يصله بلدٌ حضاري واستعادة أمجاده .

في ظل الاحتلال تم القضاء على هذه الحضارة بتدمير أسس الثقافة ومنابعها وهو ما أراده العدو عندما شرع بتدمير المتحف الوطني والمجمع العلمي العراقي والمكتبة الوطنية والوزارات والمدارس، أي تدمير كل سبل العلم في البلد، ليعود الإنسان العراقي إلى ظلامه الدامس يتخبط في الجهل، وهو غاية العدو وهدفه الأساس طمعاً في ثرواته، وإلا فبماذا يمكن لنا أن نفسر أن الدمار الذي طال كافة الوزارات استثنيت منه وزارة النفط ؟!

ولكي تتم اللعبة، وتكون في صالح العدو ابتكر الانقسام الطائفي والعنصري ورفع الشعارات المؤيدة لها والمحرضة عليها، وهي صورة أخرى من صور إعدام المشهد الثقافي في البلد .

هنا يكون المجتمع في حاجة ماسة إلى فعل التحول،أو ما يسمى بالتحولات الاجتماعية بعيداً عن الشعارات العنصرية والطائفية الزائفة التي قسمت العراق إلى أقسام عدة ووضعت شرخاً لا حدَّ له بين مناصري كل قسم ...

ولكن ((قد يكون مناسباً الآن أن نسأل: ماهي هذه التحولات الاجتماعية التي نربط بها الكتابة؟ هل هي من المفهومات التي ألفها فكرنا فحق له تداولها في عموميتها وغموضها ؟ لكن، ماهو هذا الذي يتحول؟ هل هو الإنسان، أم الإنتاج، أم وعي الإنسان، أم أدواته، أم ثقافته، أم الموجودات، أم اللغة، أم كل هذا معاً؟))[١٣].

إن ما يهمنا هنا بالدرجة الأساس هو وعي الإنسان فحالماً يتم تحولٌ جذري في وعيه بوضع النقاط في أماكنها الصحيحة، وفتح الآفاق أمامه لاكتشاف الواقع السيئ والوضع المتدني الذي يعيشه بعد الاحتلال، ستتكون لديه ثقافة خاصة عن هذا الواقع وهو غير بعيد عنه، هذه الثقافة ستنمو وتتحرك بمساعدة الأدوات والموجودات الفعالة التي تحرضه على فعل المقاومة والتمرد وصولاً إلى نقطة التحول، هذه النقطة هي التي ستحول الإنسان إلى صورة أخرى قابلة للتحدي .

من هذه النقطة بالذات – فعل التحول الاجتماعي في وعي الإنسان – تكمن مهمة الروائي المقتدر على ذلك، فالأحداث التاريخية البارزة في الكتابة الروائية بصورتها الحقيقية ستضع الإنسان أمام حقيقة الواقع الذي يعيشه، يبدأ وعيه بالتفتح ثم

إن التفكير العميق بهذا الواقع سينتج لديه آلية ثورية أساسها التمرد الداخلي، وعندما يثور داخل الإنسان على خارجه سيخلق منه الإنسان الحقيقي الذي يواجه ضعفه بكل حرية وهو ما نريده، فالوطن بحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى إلى أبنائه الآن، لكن إلى أبنائه الحقيقيين، الأقوياء،الذين يسند أحدهم الآخر، ويداوي أحدهم جرح الآخر، ولكي يتم ذلك فنحن بحاجة إلى روائيين يكتبون الواقع وإن كان بصيغة الخيال لا الخيال بصيغة الواقع، فالرواية ليست ((إلا جنساً إبداعياً يتضمن تصوراً شخصياً وفردياً وأدبياً للمبدع . وبالتالي فما ينقله كمتخيل قد يقارب الواقع حدّ التماس وقد ينقل فقط بعض المخاوف أو يقدم للقارئ بعض الملاحظات إسهاماً منه في وضع تصور سليم وقويم للمجتمع الجديد))(١٤).

فالانعطافة التاريخية الجذرية الحاصلة منذ بداية القرن الماضي رأت في النص الأدبي ((منتجاً اجتماعياً ينتمي إلى عالم الإنسان وواقعه، كما رأت فيه منتجاً مادته اللغة التي ليست مجرد نظام، بل مادة تاريخية اجتماعية أيضاً . هكذا يمكننا القول إنه سواء أتوجه البحث نحو دراسة مرجع النص، وفهم واقعية الأدب كتركيز على هذا المرجع، أو كتأكيد عليه، أو كمطابقة معه، أم توجه نحو دراسة النص في استقلاليته، فإنه بحث ينهض على أساس انتماء النص للواقع: ذلك أن التأكيد على الاستقلال، والتميز، يضمر الإشارة إلى علاقة الانتماء، ويؤكدها في الوقت نفسه.))(١٥).

هذا هو المسار السردي الذي يحدد أولية الفعل الثوري أو التحول الاجتماعي، فانتماء النص إلى واقعه هو انتماء الكاتب إلى هذا الواقع بالدرجة الأولى، والنص الروائي تجربة منبثقة من الواقع المعيش، هذا الواقع الذي ينصهر ويذوب بفعل الخيال الذي يسمُ الكتابة السردية لكنه – في كل الأحوال – يعلن عن ارتداده الأقصى للواقع واقتحام حياة الإنسان وهو داخل جدران بيته يحاول قدر الاستطاعة التغاضي عن كل ما يجري خارج حدود أسواره، فالرواية ليست ((موضوعاً أو فكرة أو رسالة . إنها قبل كل شيء تجربة إنسانية وجودية حميمة تهز كيان الروائي وتحرك فيه كل طاقاته الإبداعية والتأملية والتخيلية فيكتبها انطلاقاً منها في محاولة لاكتشافها بكل أبعادها النفسية والاجتماعية .))(١٦)، والروائي لا يعيش بمعزل عن واقعه حتى وإن نُفي خارج هذا الواقع إلا أن ثمة صلة قوية تربطه به، صلة الإنسان بالأرض، بالوطن، هذه الصلة التي تكبر وتنمو مع الأحداث وربّما تتعمق كلّما اغترب الإنسان عن واقعه

قسراً، وليس غريباً ((أن يصبح الاغتراب موضوعاً مهماً في الثقافة الحديثة، أي منذ أن أعلن هيغل إن الإنسان أصبح عاجزاً في علاقاته بنفسه ومجتمعه والمؤسسات التي ينتمي إليها حتى استحال انتماؤه نوعاً من اللاانتماء والهامشية، بل استحال الاغتراب بالإضافة إلى هيغل موضوعاً مهماً عند كل من ماركس ونيتشه وكركيغارد وهيدغر، فانشغل هؤلاء بموضوعات الفراغ والعجز والقلق والرفض واللامعنى والتمرد والانفصال أو العزلة .. الخ .))(١٧)، وكثيرة هي الروايات التي حاولت المساس بهذا الموضوع وهي تسلط الأضواء على علاقة الإنسان بالوطن، ولعل انعدام العلاقة بين الإنسان والسلطة الفعلية الماثلة في الساحة بل وانعدام الثقة فيها وفي إيصالها البلد إلى بر الأمان أحدثت قطيعة هائلة بين الاثنين، ومن ثم وجد الإنسان العراقي نفسه بمعزل عنهم، وراح يصوغ ممكنات وجوده بما يتلاءم ومتطلبات حياته.

لقد تعرض الكثيرون ولاسيّما المثقفين منهم إلى مايمكن أن نسميه بحالة الوأد الثقافي، عمل الاحتلال على تشريح الثقافة العراقية ووضعها في مقصلة الإعدام، وهو ما كان سبباً في هجرة الكثيرين منهم بحثاً عن ملاذٍ آمن لهم ولأبنائهم، وفي الغربة يتكشف حجم المعاناة عندما تكمم اصواتهم مرة أخرى بحجة البقاء في ذلك الملاذ، هناك تبرز العلاقة بين الكاتب/ الإنسان ووطنه المبعد عنه جسداً وفكراً وثقافةً، وقد عبر الروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي عن الدافع الأساس للكتابة بقوله : ((نحن نكتب بدافع من داخلنا ومن ضمائرنا ولم يطلب أحد منا ذلك، وطنيتنا وحبنا لبلدنا وخوفنا عليه وعلى أهلنا، على الدور الحضاري والتاريخي لوطننا هي العوامل والمسببات الساخنة التي تجعلنا نكتب، هذه حالتي الشخصية على الأقل التي هي وليدة استقلاليتي التي اعتز بها. وهناك غيري من ينطلق بتنسيق ما مع الجهة السياسية التي ينتمي إليها، وهذا حقه. نحن نقرأ ونرى ونتابع ونتأمل ونخرج ثم نكتب))(١٨)، وكان هذا ؛؛خير تعبير عن هذه العلاقة الجدلية بين الاثنين، الوطن والإنسان بوصفهما كائنين مرتبطين ببعضهما ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

الخاتمة :

احتلت الرواية أهمية استثنائية في الساحة الثقافية في بداية القرن العشرين، وإن كان وجوها يعود إلى ماقبل هذا الزمن بكثير، برزت هذه الأهمية من خلال دورها في صياغة واقع الإنسان وانعكاساته على النحو الذي يشير إلى إمكانية خلق معالم رؤيوية واضحة في الفكر الإنساني، ففي ظل الواقع المأساوي الذي فقد فيه الإنسان خصوصيته المتميزة بوصفه المجسد الفعلي لفعل التغيير وسياقات البحث عن الأهداف المشروعة في حياة كريمة ؛ لم يعد الحديث عن الثقافة ومحدداتها أمراً يسيراً، مادام صانع هذه الثقافة يتخبط بحثاً عن جدوى بقائه في وطن لا أمان فيه؟! إلا أن العلاقة القائمة بين النص الروائي والمجتمع الإنساني تحدد بوساطة المرجعية التي يستقي منها النص مادته السردية ويشكلها على النحو الذي يتلاءم والحدث الروائي.

فالخطاب الروائي يسرد حكاية، حكاية الإنسان في كلِّ زمان ومكان، حكايته مع الواقع، مع الخيال، مع نفسه، مع الآخرين ولاسيّما السلطة والآخر/ العدو الذي وجد نفسه في مواجهة حادة، غير متكافئة معه، حكاية انتمائه إلى كل هذه المحددات بغض النظر عن طبيعة هذا الانتماء، فلقد وجد الإنسان نفسه أمام تيار لا يرحم وغدا في حاجة ماسة إلى أن يصوغ حكايته بحجة البقاء، كما كانت الحكاية المصدر الوحيد لبقاء شهرزاد بعد أن سلّط شهريار سيفه على رقبة النساء في إبادة جماعية انتقاما من جنس اسمه : المرأة متخذاً بذلك خيانتها ذريعة للإبادة الجماعية ؟!

نعم، إننا بحاجة إلى روايات تغوص في الأحداث بل وتغرق فيها – وإن كان هذا غير ممكن الآن – ولكنا نؤمن بأن للوطن أبناءً لا يتخلون عنه، فليكتبوا وهم بعيدون عنه، وهم قريبون منه،خارج ساحة الموت أو داخلها، لا يهم، من أي موقع يكتبون، كل ما نريده أن يكتبوا، فالكتابة هي التعبير الوحيد عن تفتح الوعي الإنساني وبالتالي معرفة أثر المكتوب في توعية الفكر الإنساني وهو يلتحم بما كُتِب وما تم

التعبير عنه، هذا الوعي هو القادر على إيجاد مبررات البقاء والفناء في الوطن، وهو القادر على استعادته عندما يتم التأثير على الآخرين الذين هم داخل الوطن، والذين يصرون في الوقت ذاته على الحياة، فالكتابة ثورة، والثورة أساسها التمرد، والتمرد بداية التحرر والاستقلال، نريد روايات تكشف الزيف والخداع اللذين سقط فيهما البعض، واكتشفوا الخديعة فيما بعد، روايات تعمل على ترسيخ القيم والمبادئ والأهداف التي تشجع على إقامة وحدة وطنية بين أبناء هذا الوطن وتعزيزها، بعيداً عن شعائر وطقوس الأحزاب وتكتلاتها، بعيداً عن العنصرية والطائفية التي قسمت البلد إلى أقسام عدة وتوضح دورهم في هذا التقسيم وأثرهم في تفتيت المشاعر الوطنية، روايات تؤثر في الإنسان العراقي ويتأثر بها وهو يقرأ مأساته في شخصيات وأحداث روائية ضمن فضاء ومكاني عراقيين تحديداً .

الهوامش :

(١) التجليات الملحمية في الرواية العربية، 29 .

(٢) فن الرواية، 9.

(٣) انكسار الأحلام، 12.

(٤) الرؤية الفجائعية في الرواية العربية نهاية القرن العشرين، 144.

(٥) أعلام الفن القصصي، 16 .

(٦) في معرفة النص، 55 .

(٧) نظريات السرد الحديثة، 22 .

(٨) في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد، 58 .

(٩) ينظر : عصر الرواية، 9 .

(١٠) ينظر : م.ن، 18 .

(١١) مقولة للدكتور محمد صابر عبيد في كتاب (جماليات التشكيل الروائي) .

(١٢) الموقف الثوري في الرواية العربي المعاصرة،15 .

(١٣) الرؤية الفجائعية، 116 .

(١٤) الراوي – الموقع والشكل، 44 .

(١٥) فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، 26 .

(١٦) الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، 35-36.

(١٧) م.ن، 198 .

(١٨) الروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي.

المصادر والمراجع :

1- أعلام الفن القصصي،هنري توماس – دانالي توماس، ترجمة : عثمان نويه، ج2، كتاب الهلال (337)، 1979 .

2- الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، ط1 / مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006 .

3- التجليات الملحمية في الرواية العربية، مريم جبر فريحات، ط1، وزارة الثقافة، عمان، 2005.

4- الراوي – الموقع والشكل – بحث في السرد الروائي، يمنى العيد، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1986 .

5- الروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي، حاوره : هشام عودة، عمان – الوحدة، شبكة البصرة.

6- عصر الرواية مقال في النوع الأدبي، محسن جاسم الموسوي، ط1، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، 1985 .

7- فن الرواية، كولن ولسن، ترجمة: محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر،بغداد، 1986 .

٨- فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد،ط١،دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨،٦٢.

9- في معرفة النص – دراسات في النقد الأدبي، يمنى العيد، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984 .

10- في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة: 240، الكويت، 1998 .

11- الموقف الثوري في الرواية العربي المعاصرة،محسن جاسم الموسوي، سلسلة الكتب الحديثة (89)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975.

12- نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ترجمة : حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998 .

البيئة القصصية واللغة

قراءة في قصص ((الملاذات)) لـ حمد صالح

م. سناء سلمان عبد الجبار

جامعة تكريت/ كلية الآداب

تؤدي البيئة القصصية دوراً مهماً في بناء الفعل القصصي وتسهم في إنارة دور العناصر السردية الأخرى في العالم القصصي، وينهض عنصر المكان بخاصية مركزية وأساسية في تمثيل البيئة والتعبير عن رؤيتها، إذ إن ((أهمية المكان في واقع الأمر تنبجس من كونه مفهوماً يقوم على الاختلاف والمباينة، فعلاقة الإنسان بالمكان تختلف من فضاء إلى آخر: إذ تتجلى في الفضاء المديني بممارسة مطبوعة بطابع المدينة، حيث النداء الخفيض على مستوى الصوت وحبّ الأمكنة المغلقة، على عكس تجليات هذه العلاقة في الريف، فالأمداء الواسعة المفتوحة نفترض النداء العالي وممارسات سلوكية مميزة في الجلوس والطعام، الأمر الذي يبرز لنا ثقافة المكان وسطوته عند أصحابه))(١).

ومن ثقافة المكان هذه وتأثيراتها تولّدت مجموعة من الخواص التعبيرية والدلالية والسياقية التي كوّنت حدود تدخّله في المجال القصصي والفضاء السردي، وتعدّ خاصية الانفتاح من أهم هذه الخواص في هذا المجال إذ جعلت من المكان ((مجالا مفتوحا للاجتهاد وللتصورات المتعددة التي لم تصل إلى حدّ بلورة نظرية عامة في الفضاء))(٢).

إن عنصر المكان يدخل في معظم عناصر السرد التي تشترك في تكوين القصة، ويتفاعل معها ويؤثر فيها ويوجه معطياتها أحياناً، فهو ((لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية للسرد

كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية))(٣)،ولا وجود للمكونات القصصية من دون حضور العنصر المكاني فيها.

وربما تتقدم علاقة المكان بالشخصية بوصفها أهم هذه العلاقات لما للمكان في إطار الشخصية من دور مركزي في بناء القصة، وتتمخض هذه العلاقة عن نتيجة مهمة على صعيد البناء والتشكيل، حيث ((إن علاقة الشخصية بالمكان تتفجّر عن رؤى موضوعية وذاتية في تشكيله وبنيته))(٤)، تعتمد عليها القصة اعتماداً كبيراً في استكمال شروط نجاحها.

لاشك في أن البيئة القصصية لا تستطيع القيام بدورها في ترسيخ حضور عنصر المكان في العمل القصصي من دون أن تعتمد على اللغة، بوصفها آلية التعبير المعتمدة في إظهار صورة المكان وحساسيته في مساحة القص، واللغة كما تصفها سيزا قاسم في هذا الإطار ((مخزون . كنز . مجرد من العلامات ينوب عن عالم الواقع ويحل محله))(٥)، كما أنها في المنظور الفلسفي ذات علاقة بالوجود إذ ((إن اللغة هي مأوى الوجود ومسكنه))(٦).

إن اللغة تظهر في المكان القصصي عبر مجموعة من الوسائل والأدوات السردية، وربما يكون الوصف في مقدمة هذه الوسائل والأدوات التي يمكّن اللغة من التعبير الواضح عن المكان، فالوصف وسيلة القاص لتصوير المكان وبيان جزئياته وأبعاده(٧)، وبيان مدى تأثيره وحيويته في بناء القصة ونجاحها في الوصول إلى المتلقي.

إن ما يمنح القصة هوية الانتماء إلى التراث الإبداعي المتميز ،فضلا على مستلزمات وشروط الإبداع المعروفة، هو الصدق الفني والوفاء للبيئة، لما لهما من أثر بالغ في إعطاء التجربة عمقاً فنياً يصل إلى نهاية الشعيرات الدقيقة للحدث السردي، فيوفر للقارئ المتذوق فرصة استقبال الحدث بصورة المشاركة إلى الحدّ الذي يجعله جزءاً من الحدث أو مشاركاً فيه.

كانت مجموعة ((الملاذات))[٨] للقاص حمد صالح وفية لبيئتها ومنتمية لها انتماءً حاسماً، فكانت (القرية) هي المحور المكاني الذي دارت حوله أحداث القصص التي عبقت برائحتها وتنفست فنّاً وحياةً وإبداعاً من خلالها.

ولعل واقعية القاص زائداً صدقه جعل شخصياته تكتسب ملامح مألوفة، توفر للقارئ فرصة المعايشة الدقيقة والتعاطف العميق معها، فـ (جويبر) الذي طرحه القاصّ معادلاً موضوعياً للغراب في قصة (الأنفاس)، عبر زمن هادئ وساكن ومخيف (الليل) يسقط في موجة من الأفكار والأحاسيس المتناقضة المتضاربة، من خلال صراع عنيف بين العقل والعاطفة:

فتحت الباب على اتساعه فولج مصارعاً ارتباكه[٩].

كان يبحث عن بداية مناسبة للدخول على نحو مقبول وغير مباشر إلى ما يريد أن يقول، فلم يفلح، كل البدايات سيئة وقاسية[١٠].

فيما كانت (فاطمة) أنموذجاً للجمال القروي الممزوج بخجل أبدي. و(أمّ فارس) الخيط الفاصل بين الحياة والموت، هذا الخيط الذي يستند إلى انتظار الأمل– الغائب (فارس) الذي يمتلك حضوره من خلال طفله، الذي عبّر ببكائه عمّا فشل (جويبر) في نقله:

استحال الصراخ العنيف إلى نحيب محشرج متقطع، ثم إلى نقنقة مكتومة كاستغاثات مبهمة لكائن إنساني يذوب ذعراً في ظلمة الخارج الحالكة[١١].

لقد كان القاص دقيقاً ومتمكناً عندما خلق هذه الحركات المتوازنة في بكاء الطفل، الذي جسّد مراحل استقبال الحدث . المصيبة، فكانت لحظة الاصطدام الأولى بالحدث (الصراخ العنيف)، ثم تمثل الحدث واستيعابه واحتواؤه (نحيب محشرج متقطع)، ثم الإيمان النهائي بالقدر (نقنقة مكتومة).

ويستمر صراع الحياة والموت في إطار التركيز على البيئة بمواصفاتها المكانية في قصة (تلك الشجرة المباركة)، حيث الطفل المريض بحبّ الشجرة فهو

يتمسك بها بشكل يوحي بأنها البديل الوحيد للحياة عنده، لأنها الوحيدة القادرة على أن تمنح الحياة باستمرار، وتصارع الأقدار والفصول من أجل إثبات الوجود وتوكيده.

تمكن القاص من خلق قطبين موجبين في فضاء المكان (الطفل . الشجرة) وخلق بينهما هذا التوافق الذي يختلف ومنطق الأشياء، فالقطبان الموجبان يتنافران، لكن القاصّ أراد بهذا أن يلغي قوانين الطبيعة ليصنع توليفاً جديداً في مفردات الحياة، فالتصاق الطفل المكاني بالشجرة ما هو إلا إدراك عميق من أنه مهدد بالموت عبر هذا الوصف:

عينان ضيقتان يشع منهما بريق زاخر بالاندهاش والقلق[١٢].

فعليه أن يحاول إلغاءه بالامتزاج الكامل برمز الحيلة المستمرة (الشجرة) بطاقتها المكانية المستمدة من ثقافة البيئة، وقد كُتبت القصة بلغة تطفح شاعرية ورقّة تلاءمت مع روح المكان وطبيعته.

وتستمر لعنة الانتظار بإيحاءاتها المكانية متوهجة قاتلة ذات لغة مؤثرة في قصة (سفر العودة)، لتتحول إلى لعبة لذيذة تنضح ألماً وحزناً وكبرياء، وتبقى أنظار العجوز المتهالكة في القصة مركزة في نقطة ما في اللامكان، لتصنع منها شبحاً لـ (كامل) الأمل المنتظر، فيما كان عدم اكتراث (عائشة) عاملاً جديداً يصّعد من أزمة الانتظار عند (أمّ كامل):

تساءلت عائشة بإلحاح ينم عن نفاد صبر:

–هل نظل واقفين في هذا المكان ؟[١٣]

واستمرت لغة القصة رائقة يكسوها حزن شفاف، يمنح الموقف القصصي والمكان القصصي نوعاً من الرهبة الخاشعة:

فاهتز الصمت بحركة مفاجئة من رأسها المأهول بالسكون[١٤].

يضاء الوجه القرمزي الكامن بإشراقة فرح مدفون، يسبح كاشراقة ضوء تطل من ظلمات الأغوار[١٥].

إلا أن استخدام التعبيرات العامية التي حاول القاصّ خلالها أن يمنح الموقف القصصي حرارة الموضوع جاءت في غير صالح القصة، إذ إنها خلقت هوّة كبيرة بين جمال اللغة السليمة وسذاجة وركاكة التعبير العامي، مثل:

رأسها الدائخ[١٦]

أذن لازم يعود كامل، نعم لازم يعود[١٧]

وتبدو الشخصيات (هطيل السلطان) في قصة (الجامع) واحدة من الشخصيات، التي تحتل مكانة مرموقة في ذهنية القاصّ الإبداعية، وأنموذجاً من نماذج البطولة الخارقة التي تولد بكل يسر وسهولة في نطاق البيئة التي ولّدت مكاناً صالحاً لذلك.

فـ (هطيل السلطان) الذي يتحدى الموت لإيمانه الكبير بالحياة، كان موقفه نابعاً من أن قيام الكيان الصهيوني بنسف جامع صغير في قرية عربية، لا يعني نسف بناية مجردة بل نسف تاريخ كامل، كان يعي هذا بالفطرة، ويتشبث بوعيه حدّ التوحد مع ((الجامع)) الذي يربطه بالمعتقد والتاريخ والوطن والمكان واللغة، والذي سيصبح فيه جسده جزءاً من ركاماته.

القصّة مكانية بامتياز اعتمدت أسلوب الضغط الزمني، ابتدأها القاص بمقدمة سردية وصفية، يغلب عليها الطابع الإنشائي إذ لا تؤدي اللغة دورها السردي كما يجب، وهي مقدمة تبدو فائضة بعض الشيء لا تنتمي إلى القصة انتماءً مباشراً، إذ يمكن أن توضع في مقدمة أيّة قصّة، حيث إنها فشلت في مدّ جسورها المقطوعة إلى أحداث القصّة.

واستطاع القاصّ في قصتّه هذه أن يمنح بعض الكلمات العامية حضوراً قوياً على النحو الذي يشحن لغته القصصية بروح قادمة من البيئة المكانية، بحيث تفشل معها مرادفاتها الفصحى في تحقيق نفس الغرض الدلالي، ومن هذه المفردات (اليشامغ المتسخة)، فلفظة (اليشامغ) تحمل دلالة خاصة ومتفردة لا تحققها مرادفتها الفصيحة كالعمامة أو القلنسوة.

أما القصة (وجهان من الغربة) فقد كانت تدور حول محور أزمة إثبات الوجود في المكان والزمان واللغة والموقف، فـ (موسى) الشخصية المأزومة التي تعاني من الانكسار والتحطيم، تبحث عن الصراع مع الموت عن مبرر جديد للحياة، فالفوز بالحياة يأتي من خلال مرحلتين قهر الموت أولاً عبر اجتياز (وادي الثرثار) الذي يفصلهم عن أخته التي هربت مع الغجري، وخلفت الدمار النفسي ومن ثم إنهاء ما تبقى من عاره بإعدام رمز هذا العار (أخته) وتنشأ فكرة الصراع مع القدر عند البطل في وقت متقدم نسبياً.

ما زلت صغيراً يا موسى

التفت إليه بانفعال غاضب

–أنا رجل[١٨].

والواقع أن فلسفة الحياة عند البطل (موسى) تتقاطع مع فلسفة الحياة المجتمعية بمنظورها البيئي، ففي الوقت الذي كان فيه المجتمع يطالبه بأن يضع حدّاً لحالة السقوط المزري التي سجّلتها أخته الهاربة، كان يعتقد أن (كلّ شئ قبل أن يفيق كان ساقطاً)، لكن المجتمع هنا تفوق على البطل ودفعه بتياره الجارف نحو التخلّي عن المكان وفقدان لغة البيئة.

لقد كانت القصة جميلة بتقنيتها الفنية المعتمدة على التقطيع السينمي، وكان ثمّة سيل من المشاعر التي تتحرك على كلّ المقاطع، بخطوط بيانية ترتفع وتنخفض بارتفاع وانخفاض حدّة هذه المشاعر وتوهج لغتها، وتدفعها على طريقة تبادل المواقف بين (موسى) و (أمّه)، إذ كان الهاجس الذي ينتابهما واحداً، إلا أنهما يختلفان في طريقة استخدام اللغة والتعبير عنه، فعندما تفشل الأمّ في إخفاء مشاعر الرهبة والخوف من المجهول، نرى (موسى) ينجح ليس في إخفاء المشاعر حسب، بل في إجهاضها لتحقيق الحلم . الوجود الذي يتجسد في المكان ويأخذ صورة البيئة.

وقد أهمل القاصّ الوجه الداخلي لشخصيته الرئيسة (موسى)، الذي كان فيه للقاصّ فرصة كبيرة في استجلاء بواطن الألم الدفين، الناشئ من طبيعة الصراع الدامي بين أفكاره وبين الموقف الفكري المتحدي للماحول البيئي.

ونجـح القـاصّ أيضـاً فـي اسـتخدام بعـض التعبيـرات العاميـة التـي لا تـوفر مرادفاتها الفصحى هذه الدقّة في التعبير مثل مفردتي (المخمر) و (الصاية)، وهما تشيران إلى البيئة إشارة لغوية صريحة ومعبّرة.

وكانت قصّـة (الحكيم) علـى الرغم من تشنجها وانفعال لغتها جميلة موحية، وكان للفولكلور الشعبي بمعناه البيئي فيها حضور واسع وعميق، فالمعتقدات الشعبية تلعب في القصّة التي تتخذ القرية مسرحاً مكانياً لها دوراً كبيراً، حيث أنها شكلّت جزءاً أساساً من البناء العام للقصّة.

فالطفـل (الحكـيم) الـذي يتمتـع بجمـال غيـر اعتيـادي يجـدر بوالديـه أن لا يعرضوه لأحد، وفقاً لهذه المعتقدات وذلك لأنه كما يعبّر البطل–الأب – في معرض تشخيصه للمتعقد البيئي:

للناس أعين تثقب الحجر(١٩)

وقد تنوعت أساليب المحافظة على (الحكيم)، وكان هناك اعتقاد مسبق بأنه لن يعيش لأن الجمال غير الاعتيادي في هذا النوع من البيئات الحاسدة ليس إلا لعنة أبدية تلاحق الطفل حتى النهاية:

لا تحبّهم هكذا فأنهم يجرحون حتى النهاية(٢٠).

أو رافساً برجليه ويديّه الرافلتين بالمعاضد والنمنم(٢١).

وفي صباح اليوم التالي رأيت أن عدد الأحجية قد تضاعف على صدره وكتفيه وأن الشذر والودع وخزر الشيح وسنّ الذئب قد خيّطت على قبعته الصغيرة المثبت في أعلاها كفّ أسد مدبب المخالب(٢٢).

ونذرت أمي دجاجة سوداء لا ريشة بيضاء فيها لوجه الشيخ عيسى(٢٣).

كما أن هناك عموداً آخر من أعمدة القصّة، كان له الدور الفعال في منح المعتقدات الشعبية سيطرة كاملة على مساحة الحدث القصصي فيها، وهذا العمود مبني على فكرة (من يضحك كثيراً يبكي كثيراً)، وهو موروث بيئي مكاني معروف وشائع، لهذا فقد خلق القاصّ لموت الحكيم موازنات عديدة لا يتسع المكان لحصرها

هنا، وكانت في مقدماتها الموازنة المبنية على هذا الاعتقاد، وقد عبّر عن ذلك بسلسلة إشارات على النحو الآتي:

مما يجعله يسترسل عالياً في الضحك النابع من الأعماق(٢٤).

أثارت على الفور ضحكة الحكيم الجذلة انتباه بعض الأصدقاء(٢٥).

وضحكت بدوري وبإحساس مفعم بالسعادة حينما رأيت الحكيم يضحك جذلاً في حضن أمّه(٢٦).

أو حول الحكيم الضاج بالضحك حدّ الإغماء(٢٧).

الحكيم يكاد ينفجر من الضحك في حضني(٢٨).

وكأن موت الحكيم كان ثمناً لهذا الضحك المتواصل. والقصّة بعد ذلك رائعة بواقعيتها وصدقها وتمثيلها للمكان، إلا أن الانفعال الذي كان يسيطر على لغتها في بعض الأحيان رسم شروخاً صغيرة في وجهها الناصع وجاءت على المستوى البنائي في غير صالح القصة.

ومـن قصـص (المـلاذات) الجميلـة قصّـة (اهتمامـات يوميـة)، ففيهـا صـراع عنيف بين الحياة والموت، وبين الوجود واللاوجود، حيث يحاول أن ينتزع الإنسان (العريف شخير) فيها حياته من مخالب الموت، ووجوده من احتمال العدم ومكانيته من فوضى الزمن، ولغته من حالة الصمت.

والقصّـة مبنيـة علـى فكـرة أن الـذئب الحقيقـي كالإنسـان لا يمكـن أن يـذلّ، وبإمكانـه تحـدي كـل أسـاليب المـوت، وستفشـل معـه كـل خبـرة التـرويض الطويلـة، فالسيطرة التي فرضها (العريف شخير) على عالم الذئاب كانت لتوكيد وجوده المكاني والزماني بالدرجة الأساس، وفرض لغته المستمدّة من لغة البيئة:

وكان الحديث يثني بمجمله على قدرة العريف شخير الهائلة في ترويض الذئاب وكثرت أيضاً التنبوءات بمستقبل هذا الرجل النادر المواصفات والذي ينبغي للمسؤولين احتضانه وتوفير المستلزمات الضرورية له لممارسة هواياته التي لا ينبغي إهمال أهميتها(٢٩).

إلا أن نهاية الصراع لم يكن في صالحه، فقد هزمه ذئب أبت كرامته أن يحطمها (العريف شخير) ويشرب كأساً من الشاي على أنقاضها، فأضرب الذئب عن الطعام والشراب وفشلت كذلك فكرة وضعه خارج القفص، بعد أن اعتقد (العريف شخير) خاطئاً أنه أصبح مجرد ذكرى ذئب، وقد كان بقره لبطن الحرس فيما بعد موتاً قاسياً للعريف شخير وإنهاءً لسيطرته الملكية على عالم الذئاب، إن لم يكن إلغاءً تاماً لوجوده.

إن القصّة وعلى الرغم من استغراقها في استطالات سردية كثيرة، ففيها نفسٌ قصصي ساحرٌ يأسر القارئ ويشّده ويقلقه في آن واحد، على صعيد حرارة اللغة ودفقها وتمثيلها للبيئة والمكان على نحو أنموذجي.

وتأتي قصّة (الملاذات) لتمتزج بحلاوة جديدة لعالم التلقي كلما حاول المتلقي أن يتحسسها يفشل، فلم يعد يفرق بين المرارة والحلاوة لأن تداخل الصور والأحداث، وتقاطع المشاعر والأحاسيس، والصدق الذي تنبض به كلمات القصّة، ولدتْ في نفسه مذاقاً خاصاً، إنه ذات الطعم الغريب الذي يجتاحه وهو يقرأ (تشيخوف) بمرارته الداكنة وأمله المزمن، (وادغار ألن بو) بسحره المتقد وعواطفه المركبة، ألا أن المتلقي ما أن يفرغ من قراءة القصّة حتى يتساءل، ما الذي أراد أن يقوله القاصّ، ليكتشف أن القصّة على الرغم من شاعريتها وقوة تعبيرها ودفق لغتها ودقّة تصويرها، فقد كانت خليطاً من مشاعر متباينة، تفوّق فيها اللاشعور على الشعور، ليسيطر الإحباط والانكسار على حركات الشخوص وفضاء المكان:

– رفض الموت عبث يا أمينة(٣٠).

ليتنا لم نبتدئ. لم نخلق. لم نحبّ. أما وقد تم كل شيء رغماً عنّا
فالشيء الوحيد الذي نستطيع أن نفعله هو أن نواصل.. أليس كذلك ؟س(٣١)

وعبر هذه الجولة التحليلية في الأفكار القصصية التي حاول القاص طرحها من خلال البيئة بوصفها باعثاً للمكان واللغة، ومن خلال مجموعته القصصية هذه التي يتمحور أغلبها حول فكرة إثبات الكينونة والوجود، من خلال أشكال الصراع

المتنوعة مع الحياة، كان لابد لنا من الوقوف على بعض الخصائص الفنية التي يتعلق أغلبها بالأدوات القصصية، التي يتقن القاصّ جزءاً مهماً منها.

فعلى صعيد الشخصيات القصصية قام القاصّ بطرحها متكاملة دفعة واحدة حيث أن شخصيات (جويبر– أمّ كامل . هطيل السلطان– موسى– العريف شخير– محمود) لم تكتسب ملامحها الشخصية عبر التطور الحدثي للقصّة، أيّ أنها لم تكن محورية تنمو بنمو الحدث، بل أنها دخلت أحداث القصص بكامل ملامحها وصفاتها.

ولعل أهم ما يجب أن نقف عليه هو التفاوت الكبير بين السرد والحوار، فقد استغرق السرد معظم إن لم نقل كل قصص المجموعة، بحيث طغى الأسلوب الوصفي الذي يقترب من الإنشائية في بعض الأحيان على أبرز الجوانب البنائية للقصّة. فيما كان الحوار منحسراً يقطع تواصل الأحداث أحياناً، ويبدو في أحيان أخرى قلقاً مفتعلاً بحيث لا ينسجم وعالم الأحداث التي رسمها القاصّ.

ففي الوقت الذي كانت فيه لغة السرد قوية صافية متألقة، كانت لغة الحوار عادية ليس فيها ما يثير، ويمكن في بعض القصص الاستغناء عنه بحيث لا يخدش عالمها القصصي.

ولكن (الملاذات) رغم كل هذا وذاك أنموذج متقدم من نماذج قصصنا العراقي المعاصر، سعت إلى الإفادة من حساسية البيئة بكل ما انطوت عليه من تأثير في عمق المكان القصصي، وما ولّدته من قدرة لغوية تحاول التعبير عن البيئة المكانية بوسائل مختلفة.

هوامش البحث:

(١) شعرية المكان في الرواية العربية، خالد حسين حسين، كتاب الرياض الشهري (٨٣)، الرياض، ٢٠٠٠: ٦٥ – ٦٦.

(٢) قال الراوي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧: ٢٣٨.

(٣) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي. المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠:٦٤.

(٤) شعرية المكان في الرواية العربية: ٥.

(٥) المكان ودلالاته، سيزا قاسم. ضمن كتاب ((جماليات المكان)) مجموعة مؤلفين، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٨:٦٤.

(٦) أسس الفكر المعاصر، عبد السلام بن عبدالعالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١: ٤١.

(٧) بناء المكان الروائي، سمر روحي الفيصل، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٣٠٥، دمشق، ١٩٩٦: ١٣.

(٨) الملاذات، حمد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٥.

(٩) م. ن: ٧.

(١٠) م. ن: ٨.

(١١) م. ن: ١٤.

(١٢) م. ن: ١٦.

(١٣) م. ن: ٣٠.

(١٤) م. ن: ٢٤.

(١٥) م. ن: ٢٥.

(١٦) م. ن: ٢٥.

(١٧) م. ن: ٢٤.

(١٨) م. ن: ٥٠.

(١٩) م. ن: ٨٢.

(٢٠) م. ن: ٦٧.

(٢١) م. ن: ٧٦.

(٢٢) م.،: ٧٩.

(٢٣) م. ن: ٧٩.

(٢٤) م. ن: ٨٠.

(٢٥) م. ن: ٨٠.

(٢٦) م. ن: ٨٢.

(٢٧) م. ن: ٨٤.

(٢٨) م. ن: ٨٥.

(٢٩) م. ن: ٨٩.

(٣٠) م. ن: ٩٤.

(٣١) م. ن: ٩٥.

المزج بين صفات الطبيعة وصفات الخيل مابين (امرؤ القيس وابن حمديس)

م.م. جمعة حسين يوسف

جامعة تكريت/كلية التربية /قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى من تبعهم بإحسان واهتدى بهديهم الى يوم الدين.

اما بعد :

فأن اهتمام العربي بالخيل كان منذ الأزل إذ كانت رفيقته بالسراء والضراء وقد اتخذها وسيلة للتنقل فهي رفيقته وصاحبته في الحل والترحال، وفي الحرب والسلم، به يدفع الفارس الظلم عن أهله وعشيرته وبه يذود عن حماه ومحارمه فالعربي اذن شديد الالتصاق بالخيل[1] فضلا عن أحاديث الرسول(ﷺ) الذي يجعل الخير معقودا في نواصيها في حديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله(ﷺ) (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[2] والشاعر العربي هو لسان الحال والناطق بالأفكار فضلا عن كونه إنساناً عربياً أحب الخيل ايضا، ويمتاز باستطاعته على التغني بها ووصف أشكالها وألوانها وصفاتها ويسبغ عليها من الطبيعة ما يروق منظره ويزيد من جمال خيله، لذلك وجدنا الشعراء قد اهتموا بالخيل ووظفوها بإشعارهم بمختلف الطرق والأشكال وهذا ما دفعنا الى اختيار الخيل من باقي الحيوانات فضلا عن اختيار أفضل شاعرين- في نظرنا- في وصف الخيل احدهما مشرقي وهو امرؤ القيس زعيم الشعراء، والآخر أندلسي ابن حمديس الذي اشتهر بالوصف ولا سيما وصف الخيل.

ومن هذا حاولنا وضع عنوانا لبحثنا، هو ((المزج بين صفات الطبيعة وصفات الخيل مابين (امرؤ القيس وابن حمديس)).

ونعني بالطبيعة الطبيعة الصامتة والمتحركة أي كل ما تشمل من نبات وحيوان وجماد وسحب وغيوم وليل ونهار وبجميع أشكالها،اما تقسيمات الدراسة فكانت على اربعة محاور تطرقنا في:

المحور الأول: الى التعريف بالخيل وأسمائها وكنيتها وصفاتها وحب العربي لها، وفي:

المحور الثاني: يتطرق الحديث الى تعريف بالشاعر امرئ القيس ثم ننتقل الى موضوع المزج بين وصف الطبيعة والخيل عند امرئ القيس وفي:

المحور الثالث: ايضا بطاقة تعريف بالشاعر ابن حمديس ثم ننتقل الى المزج بين صفات الطبيعة والخيل في شعره، وفي:

المحور الرابع والأخير: ننتقل الى مزج المزج أي ما مُزج من معاني وألفاظ أوصاف الخيل من الطبيعة عند امرئ القيس في شعر ابن حمديس في نفس الغرض، ثم نختم هذا البحث بخلاصة بأهم النتائج التي توصلنا إليها فضلا عن أجراء موازنة ما بين الشاعرين في هذا الغرض .

وهذا العمل هو محاولة لاضافة لبنة ولو صغيرة الى جدار تراثنا العظيم، ومساهمة منا في أحياء ذلك التراث ولا سيما الخيل التى تعد من صميم رموزنا التراثية التي اعتز بها العرب سابقا ونعتز نحن اليوم بذكرها، فضلا عن بيان الصلة ما بين المشرق والمغرب في معالجة نفس الموضوع، وهذا هو جهد المجتهد فان أصبنا فمن الله الأجر والثواب وان أخفقنا فهو حسبنا وندعو من الله ان يكتب لنا اجر المجتهد.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المحور الأول

الخـــيـــــل

1- أسماؤها:

الخيل لا واحد لها من لفظها، واحدها فرَسٌ والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء ولا يقال للأنثى فيه فرسة[٣].

ويقال للذكر من الخيل : حصانٌ والجَمعُ حُصُنٌ وأحْصِنةٌ، كما يقال للأنثى حِجْرٌ والجمع حُجورٌ وأحجارٌ، وإذا كانت انثى الخيل متخذة للنسل سُمَّيت (رَمَكَةً) والجمع رَمَكٌ ورِماكٌ وأرماكٌ . ومن الخيل ما يسمى (البرذونُ): وهو ما كان غير عربي وأهل الشام يسمونه (الكديش) ويكون عادةً غليظ الأعضاء، عظيم الخلقةِ قويَّ الارجُل عظيم الحوافر لكنَّهُ ثقيل الحركة بطيء المشي والجمع براذين. ومن الخيل ما يسمى (الهُجنُ) وهي التي يكون أبوها عربيًّا وأُمّها من البراذين[٤].

وسُميت الخيل فرسا اشتقاقا من الافتراس، لأنها تفترس الأرض بِسُرعة مشيها، وراكِبُ الفرسِ (فارس)..ويُقال لراكب ذي الحافر من فرس او بغل او حمار (فارس)[٥] ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر[٦] :

وإنِّـي امـرؤٌ للخيـلِ عنـدي مَزيَّـةٌ ... علـى فـارسِ البِـرذونِ او فـارسِ البَغـلِ

وأشار هشام بن محمد الكلبي في ذكره لأصول أشهر الخيول العربية حيث ينتهي لديه الى مجموعة تعد أوائل الخيل في جزيرة العرب وهي : (زاد الركب والهجيس والديناري وجلوى الكبرى وجلوى الصغرى وذو الموتة والقسامة وسواده والفيّاض)[٧] .

وسميت الخيل بمسميات اخرى من حيث السبق أي على حسب أولويتها في السباق الذي كان يجري ما بين الخيول في المناسبات والأعياد والتحديات، فيُسمَّى

الفرس الاول في سباق الخيل : السَّابِقُ او المجلَّي، ويُسمى الثاني : المُصَلَّي، ثم المُسَلِّي، ثم التالي، ثم المؤمل، ثم المرتاح ثم العاطف، ثم الحظيُّ ثم اللَّطيمُ ثم السُّكَّيت وهو العاشر، وقد يُسمى الفِسْكِلَ او الفُسْكُل ـ بكسرتين بينهما سكون، او بضمتين بينهما سكون[٨].

اما مسميات الخيل من حيث العمر فلها أسماء بحسب سن الفرس " فهو اذا وضعته امه مهرُ ثم هو فُلُوٌ فاذا استكمل سنة فهو حَوْلِيّ ثم هو في الثانية جَذَع ثم هو في الثالثة ثَنِيّ ثم هو في الرابعة رَباع ثم هو في الخامسة قارِح ثم هو الى نهاية عمره مُذَكٍّ "[٩].

ومن المسميات الأخرى للفرس (الطِّمِرّ) وهو يطلق على الفرس الطويل المُشرِفِ ومن ذلك قول طرفة[١٠] :

فـــإذا مــــا شَـــــربوها انْتَعَشُـــوا ... وهَبُــــوا كــــلَّ أمــــونٍ وطِمِـــرٌ

ونلحظ الشاعر هنا قد استلهم صفت الخيل الطويل الطمر ووظفها في شعره

٢- كنيتها:

لقد كنى العرب في القديم الخيل بعدة كنى منها (ابو شجاع وابو طالب وابو مُدرك وابو مُضيّ وابو المضمار وابو المُنجي)[١١].

٣- صفاتها :

تتميز الخيول عن باقي الحيوانات بصفات خاصة جعلتها قريبة من قلب الانسان ولا سيما العربي الذي شُغف بحب الخيل وهذه ليست بدعة عنده بل وجدت من عهد النبي سليمان (عليه السلام) الذي شغله حب الخيل عن الصلاة[١٢] كما ورد في قوله تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ [سورة ص:31 -32]. وقد ورد في قوله تعالى الصافنات وهي صفة من

صفات الخيل والصافن من الخيل هو الذي يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه، وقد يفعل ذلك برجله وهي من علامات الفراسة .

وغالبا ملا تكون صفاتها قريبة من صفات الإنسان إذ تتمتع الخيل بقدر كبير من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة والوفاء لصاحبها وصياته، ومن ذلك قيل ان بعض الخيل لا يبول ولا يروث ما دام راكبه عليه، وهذه دلالة على توقير صاحبها وصيانة كرامته فضلا عن ان هناك منها ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من الركوب علية [١٣]، وقيل ايضا من صفات الخيل لا تحب الماء العذب وربما ضرب الفرس بيده الشريعة ليثُوِّر الماء ثم يشربه[١٤] .

ومن صفات الخيل الأخرى المبالغ بها شدة السمع والبصر حتى انه يضرب بها المثل فيقال (اسمع من فرس) في شدة السمع ومن المبالغة في هذه الصفة يقال انه يسمع وقع ما يسقط من شعره على الأرض[١٥] وأظن ان هذا الكلام فيه مبالغة مفرطة خرجت لإثبات صفة قوة السمع عند الخيل.

وفضلا عن هذه الصفات فهناك صفات شكلية ولونية تعامل معها الشعراء واستطاعوا من خلال ذلك مزج ألوان الطبيعة بألوان الخيول إذ تتمتع الخيول بألوان عديدة ومشهورة على حسب ألوانها فمنها (الاشهب والأبلق والأغر والأشقر والمحجل والأدهم وغيرها من الألوان)[١٦]، وقد تفاوت الشعراء في إبراز مكامن الجمال،ومن جميل تلك الصفات ما يمزجه لنا الشاعر ابو تمام من ألوان الطبيعة من سندس وإستبرق بلون حصانه لشدة نصاعته وصفاء لونه ليشكل لنا صورة بصرية مشرقة متلألئة بقوله[١٧]:

صافي الأديم كأنما ألبسته ... من سندسٍ بُرداً ومن إستبرق

إمليسُهُ إمليدُهُ لو عُلّقت ... في صهوتيه العينُ لم تتعلقِ

٤- حب العربي لها :

تربط الإنسان بشكل عام والشاعر بشكل خاص مع الخيل علاقات ودية ومحبة تفوق مبدأ المنفعة إذ يرى فيها العربي عزه ومجده وكبرياءه، فكان من الطبيعي ان يسعى الإنسان الى الاحتفاظ بصفات الخيل ولا سيما وقد احتلت موقعا متميزا في قلب العربي وعقله وحياته، لذلك اهتم بتربيتها وسعى الى المحافظة على أنسابها من خلال حرصه على عدم الخلط بين سلالتها، ومن ذلك سعى الى تخليد ذكرها وصفاتها في قصائده ومقطعاته[١٨] .

ومن حب الخيول والاعتزاز بها ولا سيما عند الشاعر الاندلسي يرى الدكتور محمد مجيد السعيد انها نالت اهتمام الشاعر الأندلسي وحظيت بحرصه عليها وتفاخره بها وبقوتها وسرعتها ونجابتها لما تفجر لديه من رموز ومعان كثيرة يتشبث بها ويعتز بتحقيقها كالبطولة والشجاعة والرجولة والمجد لذلك كانوا يتعرضون لها ويقفون عندها بإطالة ملحوظة في قصائد المدح خاصة،للعلاقة القائمة بينها وبينالممدوح، وللقيم المثلى التي يوحيها ذكرها..[١٩].

ومن كرامة الخيل وشرفها ان الله جل وعلا اقسم بها في القران الكريم بقوله تعالى چگ گ ڳ ڳ گ گ گ گ چ [سورة العاديات:1-3]. فضلا عن أحاديث الرسول محمد (ﷺ) إذ قال فيها (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[٢٠] وغيرها من الأحاديث الشريفة التي تدل على كرم الخيل وإكرامها إذ جعل لها سهمين وللفارس سهم حينما قسم الرسول (عليه الصلاة والسلام) الغنائم يوم خيبر، وأعفاها من الزكاة وغيرها[٢١].

ومن محبة العرب للخيل وإعتزازهم بها، فقد عدوها اشرف مالهم، اذ قيل لبعض الحكماء : أي المال اشرف ؟ قال: فرس يتبعها فرس في بطنها فرس[٢٢].

ويعد العربي الخيل رمزاً ترتبط به "اسمى المثل العليا من كرم ومروءة، وإكرامها والعناية بها إكرام لنفسه، وإهمالها وأهانتها دليل الخسة والحقارة" [٢٣].

ومن محبة العرب للخيل وإكرامهم لها فقد سموها (مقرّبة او مقرباتٍ) لقربها منهم، ومن ذلك قول المرقش الاكبر(٢٤):

واذا ما رأيت ركباً مُخِبِّيـ ـن يقودون مقرباتٍ جِيادا

ومنهم من اتخذها صاحبا وخليلا وقد اشتقوا لها من مادة اسمهم (عرب) فسموا الأصيل منها (عرابا)، فضلا عن انهم أطعموها اللحم واهتموا برعايتها وتدريبها(٢٥).

ومن حبهم لها حتى انهم فضلوها على أهل بيتهم، ومنهم الفارس الشاعر عنترة العبسي إذ يخاطب زوجته ونراه قد فضل فرسه عليها بقوله(٢٦):

لا تذكري مهري وما اطعمته فيكون جلدكِ مثل جلد الاجربِ

إن الغبوقَ لهُ، وأنتِ مسوءةٌ فتأوَّهي ما شئتِ ثم تحوَّبي

والشعر العربي وتاريخه مليء بالشواهد على حب العربي للخيل في مختلف أشكاله، ولا يمكن لنا في هذا المجال حصره ولكن أردنا فقط الإشارة الى هذا الحب مع النصوص الشعرية .

المحور الثاني

المزج بين وصف الطبيعة والخيل عند امرئ القيس

1ـ بطاقة تعريف بالشاعر:

على الرغم من شهرة الشاعر الا إننا نود ان نشير ببطاقة تعريف موجزة عن لشاعر لإتمام الفائدة فالشاعر اسمه حُندج بن حجر، ولقب بالملك الضليل وبذي القروح وشهرته امرؤ القيس، والقيس صنم من اصنامهم في الجاهلية، وكان يُكنى بابي وهب وأبي الحارث وأبي زيد. وأمه فاطمة أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين.

ينتمي امرؤ القيس الى بيت الملك والعز والجاه، ونشأ في حياة مترفة لاهية عاشقا للخمر واللهو ومغازلة النساء والفروسية والصيد وقول الشعر .

ابوه حجر بن الحارث بن عمرو ملك قبيلة كنده، وولي على قبيلتي غطفان وأسد، الا ان لهو امرئ القيس وملك ابيه لم يتوافقا، إذ لم يروق لابيه الملك حياة ابنه المستهترة اللاهية الماجنة فطرده، وبقي الشاعر على هواه الى ان قتل ابيه ثم رجع لياخذ بثارة ويعيد ملكه ولكن لم يتسنى له ذلك وقتل مسموما بحلية من ملك الروم وكانت نهاية الشاعر(٢٧).

2ـ نماذج من شعره في وصف الخيل من الطبيعة:

يقول ابن رشيق القيرواني "أما نعات الخيل فامرؤ القيس وابو داؤد وطفيل الغنوي، واما نعات الإبل فطرفة ..واما الحمر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشماخ ...."(٢٨)، فشاعرنا امرؤ القيس هو الأول بلا منازع في وصف الخيل وهذا من الطبيعي لان الشاعر هو امير فارس وصياد وكل أمر من هذه الأمور تجعله يحب الخيل ويهيم في وصفها.

ويقال ان امرأ القيس هو اول من شبه الخيل بالظباء والعصي في قوله(٢٩):

يخـرجن مـن خَلـلِ الغُبـار عشـيَّةً ‏ ‏ ‏ ‏ بالـدَّارعين كـأنهنَّ ظبـاءُ

فمزج الشاعر خيله بصفات الطبيعة المتحركة وهي الظباء في حركتهن وجمالهن، وللشاعر وصف دقيق للخيل بكل اجزائها في معلقته المشهورة لذلك سوف نذكر الابيات ثم نعود الى بيان المزج بين صفات الطبيعة والخيل في تصوير الشاعر لخيله برحلته قائلا(٣٠):

وَقَـدْ أغْتَـدي وَالطّيـرُ فـي وُكُنَاتُهـا ‏ ‏ ‏ ‏ بمنجـردٍ قيـدِ الأوابـدِ هيكـلِ

مِكَـرٍّ مفـرٍّ مُقْبِـلٍ مُـدْبِرٍ معـاً ‏ ‏ ‏ ‏ كجلمودِ صخْرٍ حطه السيل من علِ

علـى الـذَّبْلِ جَيّـاشٍ كـأنّ اهتزامَـهُ ‏ ‏ ‏ ‏ كمـا زَلّـتِ الصَّـفْواءُ بـالمُتَنَزّلِ

مسحٌ إذا مـا السابحاتُ علـى الـواني ‏ ‏ ‏ ‏ أثـرنَ غبـاراً بالكديـد المركـل

علـى العقـبِ جيَّـاش كـأن اهتزامـهُ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا جـاش فيـه حميُـه غَلْـيُ مِرْجـلِ

يطيـرُ الغـلامُ الخـفُّ علـى صـهواته ‏ ‏ ‏ ‏ وَيُلْـوي بـأثْوابِ العَنيـفِ المُثقَّـلِ

دَريـرٍ كَخُـذْروفِ الوَليـدِ أمَـرّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ تقلّـبُ كفيـهِ بخـيطٍ مُوصـلِ

لـهُ أيطـلا ظبـيٍ وسـاقا نعامـة ‏ ‏ ‏ ‏ وإرخـاء سـرحانٍ وتقريـبُ تنفـلِ

كـأن علـى الكتفـين منـه إذا انتحـى ‏ ‏ ‏ ‏ مَـداكَ عَـروسٍ أوْ صَـلايةَ حنظـلِ

فَبـاتَ عَلَيْـهِ سَـرْجُهُ وَلجامُـهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وبـاتَ بعينـي قائمـاً غيـر مرسـل

فعـنَّ لنـا سـربٌ كـأنَّ نعاجَـه ‏ ‏ ‏ ‏ عَـذارَى دَوارٍ فـي مُـلاءٍ مُـذَيَّلِ

فـأدبرنَ كـالجزع المفصـل بينـه ‏ ‏ ‏ ‏ بجيـدِ مُعَـمٍّ فـي العَشـيرَةِ مُخْـوَلِ

الشاعر هنا فنان يرسم لنا لوحة كاملة للفرس الذي يسري به الشاعر مبكرا للصيد حتى انه يسبق الطيور في بكورها، بجواد اجرد ضخم له قدرة على تقييد الاوابد الوحوش فلا تستطيع الحركة ثم ينتقل ليبين لنا سرعته فيمزج ما بين صورة الصخر

المنحط من فوق الجبال وبحركته السريعة بدلالة ألفاظ متتابعة بسرعة عجيبة ليكون نسقها وشكلها موحيا بدلالتها وتعبيرها في(مكر مفر مقبل مدبر معا) مع تقابل الأضداد والموازنة بين الألفاظ التي تدل على سرعة حركته مع انتظام هذه الحركة التي تكون مناورة منه وليست فرارا، ثم يرسم الشكل العام لهذا الجواد فيلونه بالوان الطبيعة مستعينا بالتشبيهات والظلال والتصوير مستمدا كل ذلك من الطبيعة والواقع بلا اغراب ولا تزوير وانما ياخذ الطبيعة على بساطتها، ويعرضها بعفويتها ولكن بثوب جديد وحلة جديدة تجعل القارئ يشارك الشاعر بحبه لجواده(٣١)، فيصف لونه بالكميت وظهره املس كالصفوان من الحجر واما في جريانه فهو جياش سريع الشأو وكأن اهتزامه غلي مرجل ويسبح بالماء، ثم يمزج صورته بصور الحيوانات الأخرى فله خاصرتان كأنهما ايطلا ظبي وساقين كساقي النعامة في طولهما وقوتهما وسرعة ذئب وجري ثعلب فنلحظ في هذا البيت مزج من أوصاف الطبيعة أوصاف مجموعة من الحيوانات في جواده، حتى نلحظ اهتمامه بالأوصاف اكثر من الموصوف إذ يذكر الخيل مرة وينطلق الى أوصافها بغيرها وربما يعود الى ذكرها وربما لايعود، فيأخذ من كل حيوان خاصية تتناسب مع قدرات جواده والتي تتمنحه قوة وجمال،ثم يعود فيشبهه بمداك العروس وهو الحجر الذي يسحق الطيب لملاسته وصلابته ثم يشبهه بصلاية حنظل وهو حجر أملس يسحق عليه الهبيد او حب الحنظل، ونلحظ في هذه الصورة الكلية للخيل ان الشاعر حاول مزج اكبر قدر من الطبيعة ليصبغ جواده بأبهى الألوان ويَسمَهُ بأسمى الصفات.

يهتم الشاعر بوصف الطبيعة المتحركة ومزجها بصفات الخيل ولاسيما الحيوانات البرية والبحرية ومن ذلك ما نلحظه عند الشاعر حينما يمزج صورة جواده بصورة (طائر الماء) وذلك لعله تنبيها على ما يتمتع به طير الماء من طول ساقيه

ونحافة جسمه، ليلصقهما بصورة جواده لان هذه الصفات محمودة في الخيل، فيقول في ذلك(٣٢):

ورُحتا بِكابنِ الماء يجتَبُ وسطنا   تَصوّبُ فيه العينُ طوراً وترتقي

ومن مزيج صفاته الأخرى نجده يصف جواده بالجرادة ولعله او من تنبه الى هذا الوصف وتابعه الشعراء فيما بعد ويستعير من أسماء الجرادة في الوصف اسم (الخيفانة) و(السرعوفة) مستلهما منها صفة الخفة والرشاقة فيقول في ذلك(٣٣):

واركب في الرّوعِ خيفانةً   كسا وجهها سعف منتشر

ومن جميل وصفه ما رسمه على وجه جواده من صورة السعف المنتشر تشبيها لشعرها المنتشر على ناصيتها. ومن قوله في السرعوفة واصفا الخيل(٣٤):

وإن أعرضت قُلتُ سرعوفةً   لها ذنبٌ خلفها مسبطرّ

وهذه صورة موجزة ومختصرة عن صورة الطبيعة ومزجها بصورة الخيل عند امرؤ القيس.

لاحظنا مما تقدم في وصف الشاعر انه اعتمد على الطبيعة بشكل مباشر دون تحوير او تزويق فانه جامع صور متعددة ليشكل صورة جديد للفرس، وقد جاءت صوره بسيطة وعفوية ويستعمل التشبيهات والصور الخارجية ليحدد الحجوم والمسافات والألوان، فقد استحضر ألوان الحياة ومزجها مزجا شاعريا، مستمدها من أوصاف الطبيعة فرسم لنا بذلك لوحة فنية متكاملة تمثل جواده بشكل عام ودقائق تفاصيله(٣٥) .

كما لاحظنا عند الشاعر انه اهتم بصورة الفرس اكثر من صورة الفارس وجعلها هي التي تصيد وتحارب وربما أراد الشاعر ان يمزح ما بين الفرس والفارس وتتلاشى صورة الفارس بفرسه وجعلهم قالب واحد وذلك لاهمية الفرس لديه ومعزتها عنده فجعلها اهم من الفارس الذي هو نفسه الشاعر.

المحور الثالث

المزج بين وصف الطبيعة والخيل عند ابن حمديس

1ـ بطاقة تعريف بالشاعر:

هو عبد الجبار بن ابي بكر بن محمد بن حمديس . ولد في سرقوسة، على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية، وهو ينتمي الى أسرة عربية من الازد(٣٦) .

ولد سنة 447هـ نشأ في أسرة علم وتقوى، وقضى طرفا من صباه وشبابه في سرقوسة، وانتقل من صقلية الى افريقية (تونس) في طريقه الى الأندلس . فقد قصد الشاعر مدينة اشبيلية مدينة الأدب والعلم في عهد المعتمد بن عباد، فوفد عليه، واستمر في الأندلس في رعاية المعتمد الى نهاية حكم العباديين . وهناك قضى الشاعر أجمل أيامه في أحضان الطبيعة الجميلة، وفي مجالس اللهو والطرب، وفي ظل رعاية المعتمد وعطائه الباذخ .

وبعد انتهاء حكم بني عباد رجع الشاعر الى افريقية مرة أخرى وقضى فيها بقية حياته، وظل على صلة ببعض ذوي السلطة كبني حماد في بجاية الى ان غربت شمسه وتوفى سنة 527هـ في بجاية (٣٧).

2ـ نماذج من شعره في وصف الخيل من الطبيعة :

يُعد ابن حمديس " من وصافي الخيول، وكان في كل وصف ياتي بالطريف المستطرف"(٣٨). فشاعرنا مشهور بوصف الخيل ومتميز بها .

للشاعر صلة قوية من حيث وصف الخيل بامرئ القيس وربما يعود ذلك الى تأثره بسابقيه من الشعراء ولا سيما الجاهليين، إذ نلحظ لدى الشاعر ابن حمديس نزعة تقليدية في وصف الخيل ونجده في شعره كأنه وحد من الشعراء الجاهليين واقرب ما يكون الى امرئ القيس ومن ذلك ما قاله ابن حمديس واصفا فرسه من أوصاف

الطبيعة إذ يشبهه بالليل لسواده، وغرته بالصبح لنصاعتها وإشراقها ويصفه بالعقاب وهكذا مزج الشاعر ما بين الطبيعة وفرسه قائلاً[٣٩]:

ولربّ مُنْتَهِبِ المدى يجري به ... عرقٌ عريقٌ في الجيادِ ليت

لَيلٌ حَبَاهُ الصبحُ درهمَ غُرةٍ ... وحجول أربعةٍ بهنّ القوت[٤٠]

متفننٌ في الجري يتَّبعُ اسمَه ... منه نعوتٌ بعدهنّ نعوت

أطلقَتُهُ فعقلتُ كلّ طريدة ... تبغي بلحظِكَ صيدها فتفوت

لقطتْ قوائمه الأوابد شُرَّداً ... قد كانَ منهُ لجمعها تشتيت

فكأنما جمدَ الصُّوار لدوْمِهِ ... تحتي فلي من صيده ماشيت

ويتحد الشاعر مع امرئ القيس في بعض الصفات التي نعت بها فرسه فكلاهما يتناوله من جهة سرعته فيعرضانها في خيالات متعددة ثم نجد متأخرهما ـ وهو شاعرنا. يسطو على خيال المتقدم فيكاد يأخذ بعضه بألفاظه ولم يخف هذا السطو هذه المبالغات والتهاويل التي حاول بها صاحبنا ان يبهر أبصارنا وعقولنا .ولا قلب تصويره حيث جعل فرسه تشتت الأوابد بعد تجمع ... الأبيات الثلاثة الأخيرة في هذه الأبيات بجوار قول امرئ القيس :

وقد اغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقوله[٤١]:

فألحقنا بالهاديات ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيل

فأضاف الشاعر الى الخيال الذي انتهى اليه الجاهلي انه يصطاد ما شاء من الفرائس التي جمدت وان فرسه عندما رأته الأوابد المتجمعة تشتت فاستطاع ان يحميها ولكن ذلك كله لم يخف عنا نزعته التقليدية التي نعدها أساسا لخياله[٤٢].

ومن بديع مزج الشاعر صفات الطبيعة بصفات الخيل في وصف فرسا أغر ادهم سريع الجري كريم النسب فيستلهم صفات الحيوانات لوصفه كل حسب ميزته فياخذ من العقاب النظر ليصف عينيه وتفاصيله بصورة متكاملة يصف شدقه بالغراب والأرساغ بالجأب وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش[٤٣]، وساقيه بالظليم وهو الذكر من النعام[٤٤]، وجسمه يلمع كالبرق على الرياض وغرته كالصبح ووجهه كالليل المظلم مستخدما تقنية الاستعارة والتشبيه لمزج تلك الصفات التي استخرجها من الطبيعة المتحركة والصامته ممزوجة بوصف الخيل وكل هذا جاء بقوله واصفا فرسا[٤٥]:

وأدهمَ ينهبُ عُرضَ المدى ... ويجري به كلّ عِرْقٍ كريم

بعيني عقابٍ وشِدْقيْ غرابٍ ... وأرساغ جأبٍ وساقَيْ ظليم

كأنَّ البروقَ على جِسْمه ... مداوس تصقل منه أديمْ

وتحسبُ غرّةَ صبحٍ منيرٍ ... بدتْ منه في وجهِ ليلٍ بهيم

ومن صور الشاعر الأخرى في المزج بين الطبيعة وصفات الخيل ما بينه لنا د. حازم عبدالله خضر في كتابه وصف الحيوان أذ يورد نصا للشاعر مع تحليل عناصر المزج فيبدأه بقول الشاعر ابن حمديس يصف فرسا أُهديت للممدوح ناصر الدولة مبشر بن سليمان صاحب ميورقة قائلاً[٤٦]:

جاءتكَ أولاد الوجيه ولاحقٍ ... فأرتكَ في الخلقِ ابتداعَ الخالقِ

نينانُ أمواهٍ وفتخُ سباسبٍ ... وظباءُ آجامٍ وعُصمُ شواهقِ

بموَلَّلاتٍ تستديرُ كَأنَّها ... أقلامُ مبتدعِ الكتابةِ ماشقِ

قد وَقّعتْ لك بالسعودوما جَرَتْ ... بسوادِ نِقْسٍ في بياض مَهارِق

غُرٌ محجّلةٌ تكاملَ خلقُها ... بمجانسٍ من حسنها ومطابق

أشار الشاعر منذ البدء الى أصالة هذه الخيل فهي من نسل الوجيه والوجيه فرس من خيل العرب نجيب سمي بذلك[٤٧]،ويبدأ الدكتور حازم بتحليل القصيدة قائلا: " وبهذا يبدو لنا الشاعر قد جمع في هذه الصورة صفات الطبيعة مع صفات الخيل التي منها السرعة والجمال والقوة، فهي تحفة في حسن خلقها دالة على قدرة الله تعالى وإبداعه في خلقه، ومن صفاتها انها في سرعتها تشبه الوعول السريعة القوية، وكذلك تشبه الظباء الجميلة في آجامها .

وفي البيت الثالث يأتي الشاعر بصورة تعتمد جمال اللون بصفائه ونقائه حيث جمعت الخيل بكثرتها مؤللات بين جمال اللون واعتدال القوام ورشاقته ورقته ثم انها قد جرت الخير والفضل للمهداة اليه وسجلت له السعود والمجد دون تدوين عبر وصائف وانما كان ذلك كله بما امتازت به في مظهرها وجمالها وصفائها . ويأتي البيت الأخير ليكمل صورة الجمال والبهاء بكون هذا الخيل غرّا محجلة قد جمعت صفات الحسن أكثرها وأهمها وتطابقت الصفات مع ما يناسبها من سمات الطبيعة التي تحيط بها" [٤٨].

والشاعر دقيق الملاحظة في الوصف وذلك لعله يعود الى حبه للطبيعة وكثرة التجوال فيها مما يطبع صورا دقيقة في ذهنه تنتقل الى شاعريته ولا سيما في وصف الخيل، فيلون خيله بألوان الورود وفي اغلب الأحيان يستعير من الليل والغرب اللون الاسود او ما يقاربه لوصف فرسه الأدهم، ومن الصباح البياض لوصف غرته، ومن البرق والشهب اللمعان والسرعة، ومن أوصاف الحيوانات الأخرى الهيئة والقوة والحركة ففي وصف العيون يميل الى العقاب، وفي الساقين يستعر من النعامة، والأرساغ من الحمر الوحشية، وغيرها .. وكذلك يصف بريقه وقوة جلدة بالصخر الأملس وغيره من الموصوفات، ومن كل هذا يمزج لنا الشاعر صور الخيل ممزوجة من صور الطبيعة

مركبة في خياله الشعري . ومن جميل ألوانه في وصف الخيل من الطبيعة الخلابة وورودها قائلا[٤٩]:

وصواهلٍ مثل العواسل عدوها ... أبدا لحرب عدوّك المحروب

مِنْ كلّ وَرْدٍ ما يشاكلُ لونَهُ ... إلاّ تورّد وجنةِ المحبوب

وكأنَّما كَنَزَتْ ذخيرةُ عِتْقَهِ ... منه عبابَ البحر في يعبوب

أو أدهمٍ داجي الإهابِ كأنَّما ... صَبَغَ الغرابَ بلونهِ الغربيب

أرساغهُ دُررٌ على فيروزجٍ ... لان الصفا من وقعهِ لصليب

يعدو ولا ظلٌّ له فكأنَّهُ ... برق فيا للبرق من مركوب

أو أشهبٍ مثل الشهاب ورجمهِ ... شخصَ المريدِ بِمُحرقٍ مشبوب

لافرقَ ما بين الصباح وبينه ... إلاَّ بعدوٍ منه أو تقريب

أو أصفرٍ مثل البهار مغيّر ... بسواد عَرْفٍ عن سواد عسيب

أو أشعل للون فيه شعلةٌ ... تذكى بريحٍ منه ذات هبوب

وكأنه مِرداة صخرٍ حطّهُ ... من علوَ سيلٌ ماجَ في تصويب

وكأنَّما سَكِرَ الكميتُ بلونه ... فلهُ بمشيته اختيال طروب

ونلحظ في هذه الأبيات تصوير جميل ممزوج فيه ألوان الطبيعة بألوان الفرس وما يلفت انتباهنا البيت القبل الأخير فهو مستوحي من فكرة امرئ القيس في وصف حركة الفرس بحركة الصخرة التي تسقط مع السيل من مرتفع عالي في قوله:

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

ولكن الشاعر البسها خيالاً جديداً وألفاظاً تتناسب مع وزن وقافية القصيدة . وللشاعر قصائد ومقطعات كثيرة في هذا الغرض[٥٠].

المحور الرابع

مزج المزج أي ما مُزج من معاني وألفاظ أوصاف الخيل من الطبيعة عند امرئ القيس في شعر ابن حمديس في نفس الغرض

كثير ما نجد من المعاني والافكار التي تطرق اليها الشاعر امرؤ القيس في وصف الخيل ولاسيما مما استمده من الطبيعة، قد امتزجت في شعر ابن حمديس في نفس الغرض، وربما يعود ذلك الى ان شاعرنا الاخير اغرم بشعر امرئ القيس ومن الواضح انه اطلع عليه وربما حفظه ولا سيما معلقته المشهورة : قفا نبك ... لذلك نجد ابن حمديس يحاكي هذا الشعر ويتطرق الى اغلب معانيها مع تكرار بعض الالفاظ، ولابن رشيق القيرواني هذه الحالة رأي إذ يرى ان المتأخر اذا تناول معنى لغيره فاجاده باختصاره ان كان طويلا او يبسطه ان كان غامضا او يختار له حسن الكلام ان كان سفسافا او رشيق الوزن ان كان جافيا، فهو في هذه الحالة اولى به من مبدعه وكذلك ان صرفه عن وجهٍ الى آخر .. فاما ان ساوى المبتدع فله حُسن الاقتداء ..لاغيره، فان قصر كان ذلك دليلاً على سوء طبعه، وسقوط همته، وضعف قدرته(٥١).

سنتتبع صور ابن حمديس في وصف الخيل التي انمزجت من معاني وألفاظ وصور امرئ القيس ومن ذلك صورة الخيل التي قيدت الاوابد فقد انمزجت هذه اللفظة (تقيد الأوابد) مع المعنى الذي تطرق له امرؤ القيس في ذهن وشعر ابن حمديس بقوله (٥٢):

قيدُ وحش ملاذُ خائرِ وهنٍ — وقرى معقلٍ، وحارس ليل

وقوله ايضا (٥٣):

تُقيّد بالسيف الاوابد فوقهُ — ولو مرّ في آثارهنّ مُقيّدا

وقوله (٥٤):

ومنغمسٍ في صبغة الليلَ يَمتطى — إلى آجل الآساد قَيدَ الأوابدِ

ففي هذه الابيات الثلاثة امتزجت معاني امرئ القيس مع لفظة قيد الأوابد التي وردت في معلقته في قوله (٥٥):

وقد اغتدي والطير في وكناتها — بمنجرد قيد الاوابد هيكل

ثم يستلهم شاعرنا فكرة الاقبال والادبار في حركة الخيل من قول امرئ القيس في صدر بيته(٥٦):

مكر مفر مقبل مدبر معا — كجلمود صخر حطه السيل من عل

فياتي ابن حمديس بالفاظ مرادفة لنفس المعنى قائلاً(٥٧):

بكل طِرفٍ سَلهبٍ مُطار — مَوَجّهِ الإقبال والإدبارِ

ومن عجز البيت السابق يعيد لنا ابن حمديس صورة الخيل الممزوجة بصورة الصخر المنحط من عل مع تكرار بعض الالفاظ ولا سيما (الصخر المنحط) بقوله(٥٨):

وكأنه مُوداهُ صخرٍ حطَّهُ — من علوَ سيلٌ لج فيتصويبِ

فضلا عن ذلك يمزج من صورة امرئ القيس في وصف هيئة وشكل فرسه(٥٩):

له أيطلا ظبي وساقا نعامة — وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

فيمزج ابن حمديس من هذا المعنى اكثر من نص منه قوله (٦٠):

وتراه يدبرُ كالظليم بردفه — عُجباً ويُقبِلُ كانتصاب الباشق

وقوله (٦١):

وأدهمَ ينهبُ عُرضَ المدى — ويجري به كلّ عِرْقٍ كريم

بعينـي عقـابٍ وشِـدْقيْ غـرابٍ ... وأرسـاغ جـأبٍ وسـاقَيْ ظلـيم

اما ما نسجه الشاعر على غرار بيت امرئ القيس الذي يقول فيه (٦٢):

فالحقنـا بالهاديـات ودونـه ... جواهرهـا فـي صـرة لـم تزيـل

فما جاء من قول ابن حمديس على هذا المنوال قوله(٦٣):

أطلقَتُـهُ فعقلـتُ كـلّ طريـدة ... تبغـي بلحظِـكَ صـيدها فتفـوت

لقطـتْ قوائمـه الأوابـد شُـرَّداً ... قـد كـانَ منـهُ لجمعهـا تشـتيت

فكأنمـا جمـدَ الصُّـوار لدوْمِـهِ ... تحتـيفلـيمـن صـيدهامـا شـيت

وجميع هذه المعاني التي امتزجت بشعر ابن حمديس من شعر في وصف الخيل قد ذكرها، د. سعد إسماعيل شلبي في كتابه ابن حمديس تحت عنوان سرقاته(٦٤)، وفي هذا الصدد علينا ان ندافع عن شاعرنا المتهم بالسرقة ودليلنا في الدفاع هو رأي ابن رشيق الذي مر ذكره فشاعرنا قد أفاد من معاني امرئ القيس الا انه اضاف اليها معاني جديدة فضلا عن انه حسنها ووضح منها، وان لم يكن له كل ذلك فله على الأقل حسن الاقتداء، اذ انه لم ينزل مستواه الشعري عن مستوى الأبيات التي حاكاها واستوحى معانيها، وربما يعود هذا التأثر الى طبيعة ثقافة الشاعر ودراسته لشعر امرئ القيس فكان متأثرا بصيغه سائرا على نهجه مستلهما أفكاره ظاهرا مقدرته الشعرية من خلال محاكاته لهذه الأشعار التي تضعه في مصاف عمالقة الشعر ولا سيما امرؤ القيس .

الخلاصة :

الحمد لله اولا وأخرا ولا يسعنا في هذه الخلاصة الا ان نسلط الضوء على بعض السمات التي تنبه لها البحث والتي تعد خلاصة للموضع، فقد رأينا في هذا البحث ان الشاعرين المشرقي والأندلسي كلاهما اثرت البيئة وطبيعتها في نفوسهم لما تمتعوا بها على اختلاف أجواءها ثم طبعت في أذهانهم الشعرية وبالتالي صبغت صورهم بشتى ألوان الطبيعة ولا سيما في وصف الخيل .

ولاحظنا ان شاعرنا ابن حمديس قد تأثر بامرئ القيس في افكاره ولغته واسلوبه حتى اننا بدأنا ننظر اليه وكأنه شاعر جاهلي لولا ألوان الطبيعة الأندلسية فضلا عن أسلوبه السهل وموسيقاه الخفيفة الرنانة المستمدة من البيئة الاندلسية التي تعود بالشاعر الى أصله .

نرى الشاعر ابن حمديس في اغلب أوصافه قد تعمد الى اعادة نفس صورة الشعرية لامرئ القيس ولكن بألفاظ مختلفة وبأسلوب أكثر إشراقا وسهولة، وربما كانت هذه محاولة منه لمحاكات الشعر الجاهلي وفي نفس الوقت إثبات لمقدرته الشعرية من انه يستطيع بان يأتي بما أتى به فحول الشعراء في الجاهلية.

كلا الشاعرين حاكى الطبيعة الصامتة والمتحركة ومزج بين صفاتها وصفات الخيل وأبدع في الوصف، وتشابهت أكثر الصفات في الوصف بين الشاعرين ولا سيما في وصف تفاصيل الخيل وسرعتها وقوتها فكلاهما وصف ساقيها بالنعامة وعيونها بالعقاب وخفتها بالريح وحركتها بالصخرة النازلة مع السيل ولونها بالليل والصبح والغراب وملاستها وقوتها بالصخر وغيرها من الأوصاف، لذلك نجد أنفسنا امام شاعرين متشابهين في هذا النمط من الوصف وكأنهما عاشا في زمنٍ وبيئة واحدة إذا تجاوزنا بعض الفروق البيئية التي صبغت أشعارهم.

وكما اشرنا في المقدمة ان هذه هي محاولة منا للجمع بين موروثنا الشعري ما بين المشرق والمغرب في غرض شعري واحد ضمن موضوع، واحد فان وفقنا فهذا فضلا من الله، وان أخفقنا فهو حسبنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

هوامش البحث:

(١) ينظر المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي، د. احمد طعمة الحلبي،وزارة الثقافة السورية، دمشق 2006 : 63 .

(٢) سنن النسائي الكبرى تاليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية- بيروت - 1411 - 1991، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن:3/35 رقم الحديث 4402 وينظر نفس المصدر :الأحاديث رقم4415-4419.

(٣) لسان العرب، تاليف :محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى : مادة (فرس) .

(٤) ينظر : نهاية الأرب في فنون الادب، للنويري، ط. وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة : 9 / 377 .

(٥) دنيا الحيوان في التراث العربي، حسن محمود موسى النميري،وزارة الثقافة السورية، دمشق 2008 الجزء الاول : 324/1-325 .

(٦) حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الكتب العلمية : 2/ 285 .

(٧) انساب الخيل في الجاهلية والإسلام وإخبارها، الكلبي، تحقيق احمد زكي الدار القوميو للطباعة والنشر ـ القاهرة : 133 وينظر : 13 وما بعدها، وينظر : البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، د.مؤيد اليوزبكي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد 2008 الطبعة الاولى: 257 .

(٨) ينظر : المخصص لابن سيده، دار الكتب العلمية: 6/177 . وينظر : دنيا الحيوان : 1/ 326، 328 .

(٩) نهاية الارب : 1/1 .

(١٠) ديوان طرفة بن العبد، دار صادر ـ بيروت 1961 : 52 والآمون : الناقة . وينظر : دنيا الحيوان : 1/ 325 .

(١١) دنيا الحيوان : 1/ 325 .

(١٢) ينظر تفاصي القصة كاملة في: حياة الحيوان:1 / 314. وينظر : دنيا الحيوان:1/ 331.

(١٣) حياة الحيوان : 2/ 285 .

(١٤) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان د.ت : 5/142.

(١٥) دنيا الحيوان : 1/ 325.

(١٦) ينظر : دنيا الحيوان : 1/ 335 . 339 .

(١٧) ديوان ابو تمام، تحقيق : شاهين عطية، دار الكتب العلمية : 1/ 440 . ومثل ذلك ينظر : المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي : 64-78 .

(١٨) ينظر: البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام : 256 .

(١٩) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس، دار الرشيد للنشر بغداد د.ت: 145.

(٢٠) سنن النسائي الكبرى :3/35 رقم الحديث 4402. وينظر نهاية الارب: 9/347 .

(٢١) ينظر : نهاية الأرب : 9/ 376 . وينظر مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت: 1/ 360.

(٢٢) حياة الحيوان : 2/ 450، وينظر : دنيا الحيوان : 1/ 350 .

(٢٣) وصف الخيل في الشعر الجاهلي، د. كامل سلامة الدقس، دار الكتب الثقافية- الكويت 1975 : 47.

(٢٤) ديوان المرقش الاكبر، دار صادر : 47 .

(٢٥) ينظر دنيا الحيوان : 1/ 349 - 355.

(٢٦) ديوان عنترة، تحقيق :د. فاروق الطباع، دار القلم - بيروت: 29، والغبوق : شراب المساء وينظر مثل ذلك : ديوانه :320-321 .

(٢٧) ينظر : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها للزوزني والتبريزي،دراسة وتحقيق: محمد رسلان الطحان: دار مهرات للعلوم- سوريا 2006:14- 16. وينظر : الوصف عند امرؤ القيس دراسة تحليلية، نصر الدين فارس، دار المعارف، حمص - سوريا ط1 1988 : 18- 24 .

(٢٨) العمدة،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة التجارية بمصر: 2/28.

(٢٩) ينظر : دنيا الحيوان : 1/ 325، وديوان امرؤ القيس، تحقيق : د. محمد حمود، دار الفكر اللبناني : 17 .
(٣٠) ديوانه : 100 –114 .
(٣١) ينظر : الوصف عند امرؤ القيس :36 – 37 .
(٣٢) ديوانه : 83 .
(٣٣) ديوانه : 8 . وينظر دنيا الحيوان : 1/ 355 .
(٣٤) ديوانه : 59 . مسبطر : طويل .
(٣٥) ينظر : الوصف عند امرؤ القيس :45 .
(٣٦) ملامح الشعر الاندلسي، د. عنر الدقاق، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية – جامعة حلب 1978م ط3 :180 وينظر هامش الاول في هذه الصفحة يشير الى الكتب التي ترجمة لحياة الشاعر.
(٣٧) ينظر ترجمته : موسوعة شعراء الاندلس، محمد العريس، دار اليوسف– بيروت 2005: 91 . وابن حمديس الصقلي شاعرا، د. سعد إسماعيل شلبي، دار الفكر العربي– القاهرة: 3–6، ومختارات من الشعر الأندلسي وفصول في شعر المغرب وصقلية وفي الموشحات والأزجال، د. محمد رضوان الداية، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر :214. وملامح الشعر الاندلسي :180-182 ومقدمة ديوانه:3–21.
(٣٨) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد إسماعيل شلبي، دار النهضة - مصر: 149.
(٣٩) ديوان ابن حمديس،تحقيق:احسان عباس، طبعة دار صادر- بيروت1960:ق47 ص73.
(٤٠) القوت هكذا في الديوان ويقول المحقق: د. احسان عباس: يمكن تاويلها ولعلها (يفوت) او (يخوت) بمعنى ينقض كالعقاب.
(٤١) شرح المعلقات السبع، للزوزني،مكتبة النهضة- بغداد د.ت : 31 . وينظر: شرح المعلقات العشر:50.
(٤٢) ابن حمديس الصقلي شاعرا : 61–62 .
(٤٣) لسان العرب : مادة (جأب)، وتهذيب اللغة : مادة (جأب).
(٤٤) لسان العرب : مادة (ظلم) .

(٤٥) ديوانه : ق276 ص424 .
(٤٦) ن، م : ق213 ص330 .
(٤٧) لسان العرب : مادة (وجه).
(٤٨) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد 1987 : 260 –261. وينظر نموذج اخر في التحليل : 261–262 .
(٤٩) ديوانه :ق36 ص61 .
(٥٠) ينظر ديوانه: ق90 ص144، ق87 ص137، ق211 ص329، ق212 ص329، ق259 ص401، ق315 ص497 . وغلبها مقطعات . وينظر : وصف الحيوان في الشعر الاندلسي: 29 –34،259– 262.
(٥١) العمدة : 2/ 290–291 .
(٥٢) ديوان ابن حمديس : ق259 ص401 .
(٥٣) ن، م : ق91 ص144.
(٥٤) ن، م : ق87 ص137 .
(٥٥) شرح المعلقات السبع : 25 .
(٥٦) ن، م : 26 .
(٥٧) ابن حمديس الصقلي شاعرا : 289 . سلهب : سريع.
(٥٨) ديوان ابن حمديس : ق36 ص61 .
(٥٩) شرح المعلقات السبع : 29 .
(٦٠) ديوان ابن حمديس : ق213 ص331 .
(٦١) ن، م : ق276 ص424 .
(٦٢) شرح المعلقات السبع : 31 .
(٦٣) ديوان ابن حمديس : ق47 ص73 .
(٦٤) ينظر : ابن حمديس الصقلي شاعرا : 287– 290 .

تطور النظام الاداري في العراق

أ.د.عباس فاضل السعدي
جامعة بغداد / مركز احياء التراث العلمي العربي

تمهيد

تهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على النظام الاداري في العراق وتطوره منذ القدم الى الوقت الحاضر. وندرة المعلومات وقلة ما كتب عن التخصص الذي يتناول موضوع الدراسة، كان ابرز مشكلة واجهت البحث. لعدم وجود تقسيمات ادارية واضحة ومتفق عليها ولا سيما في الأزمنة الماضية. وجاء هذا البحث على قدر ما اسعفتنا به المصادر، وتلبية لحاجة المكتبة العربية والعراقية منها على وجه الخصوص لسد بعض النقص فيها.

وفي الماضي قسمت الدول الى اقاليم، والاقليم كلمة عربية جمعها اقاليم. وسمي اقليما لانه مقلوم من الارض التي تتاخمه اي مقطوع منها. وبعبارة اخرى انه جزء من الارض. وعلى ما ذكره حمزة بن الحسن الاصفهاني انه الرستاق بلغة سكان الشام والجزيرة، يقسمون بها المملكة، كما يقسم اهل اليمن بالمخاليف، وغيرهم بالكور والطساسيج وامثالها[١].

فالمقدسي (٣٨٠هـ) مثلاً قسم الدولة العربية الاسلامية الى ١٤ اقليماً ادارياً وفقاً لحاجة الدولة الادارية[٢]. وفي هذا يقول: "وافردنا اقاليم العجم عن اقاليم العرب ثم فصلنا كور كل اقليم ونصبنا امصارها وذكرنا قصباتها ورتبنا مدنها واجنادها بعدما مثلناها ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة..."[٣].

ويجعل الاصطخري (٣٤٦هـ) كلاً من بلاد العرب ومصر والمغرب وبحر الروم وبحر الخزر أقاليم قائمة بذاتها، وذلك لان لكل منها ظروفاً طبيعية تميزها عن

غيرها. وبهذا فإن الاصطخري لايقبل التقسيم الاداري الذي دعت اليه ظروف غير جغرافية، وانما يجعل المنطقة وحدة ولا يجزئها الا اذا جزئتها الطبيعة[٤].

وفي بلاد الشام احتفظ العرب بالتقسيم الاداري الذي كان سائدا قبل الفتح الاسلامي حيث اطلقوا على اقسامها الادارية اسم (الاجناد) فكانت اربعة اجناد واصبحت خمسة في العصر الاموي، واستمر هذا التقسيم الى العصر العباسي[٥].

يفهم مما تقدم ان المملكة تقسم الى عدة استانات او كور او اقاليم، ويقسم الاستان الى عدة رساتيق (وهي الاقضية)، والرستاق الى طساسيج (وهي النواحي). وكان لكل كورة قصبة (مركز) ومدائن ولكل مدينة قرى مربوطة بها ربطا اداريا.

والرستاق في بلاد فارس (كما يقول ياقوت الحموي) هو كل موضع فيه مزارع وقرى، ولايقال ذلك للمدن (كالبصرة وبغداد)، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند اهل بغداد، اي انه يمثل المناطق الريفية.

والتقسيمات المذكورة المعمول بها في بلاد العرب وبلاد فارس قبل الاسلام وبعده، تدخل ضمن اهتمام ما يعرف بالجغرافية الادارية. وقد اعطى ياقوت لها وصفاً، حيث كان يقسم الدولة التي يرد ذكرها في معجمه الى اقسام ادارية وما يضمه كل قسم منها من كور ورساتيق وطساسيج ويتناولها بذكر طولها وعرضها وما تشتهر فيه. وقد يكون لهذا التقسيم كما يذكر كي لسترانج غايات مالية تتعلق بضريبة الارض (الخراج).

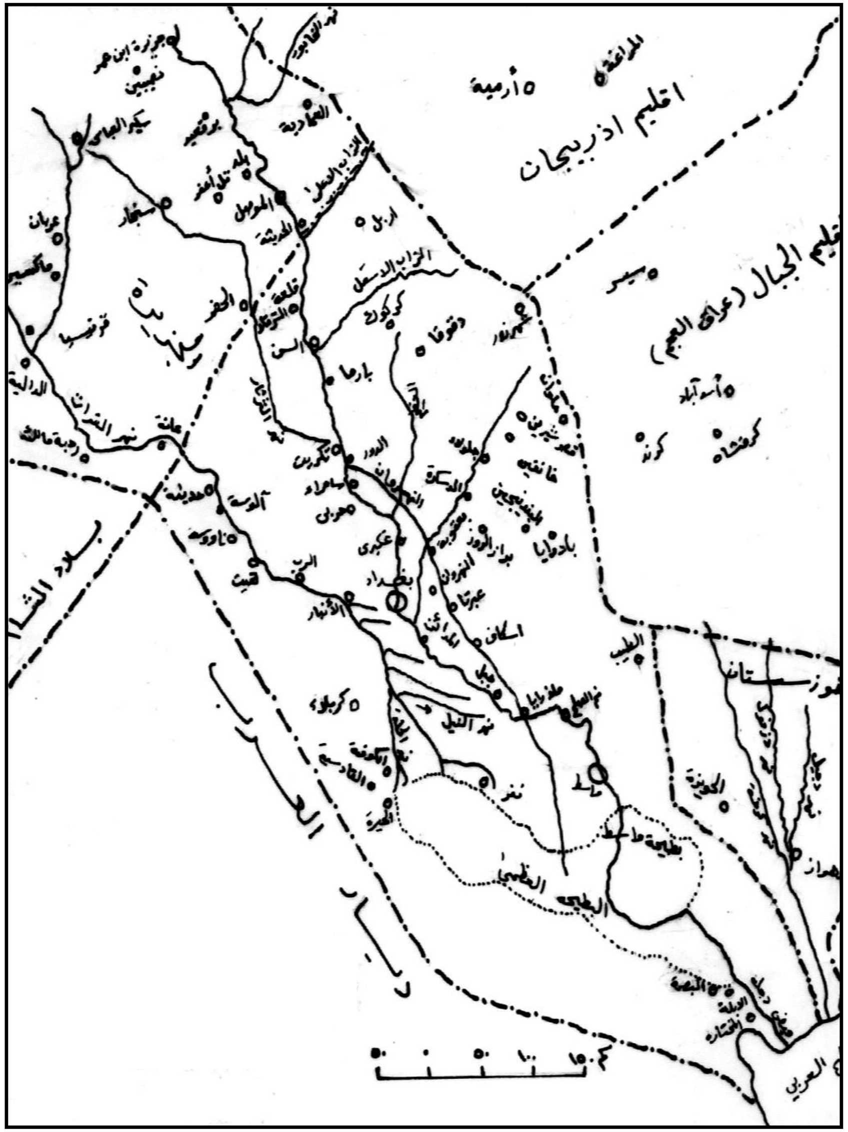
وفي اواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي وردت لمنطقة بغداد اسماء ثلاثة رساتيق واربعة طساسيج[٦]. واستمرت الطساسيج الى وقت متأخر منها طسوجان في الجانب الغربي (قطربل وبادوريا) وطسوجان في الجانب الشرقي (نهر بوق وكلواذى)[٧].

تطور النظام الاداري:

تشير المصادر الى ان اسماء الاقاليم وحدودها ووحداتها الادارية في العراق، بعد الفتح الاسلامي وخلال عهد الدولة الاموية والعباسية، ظلت على ما كانت عليه في أيام الأكاسرة الساسانيين. فكانت بلاد الرافدين (النهرين) وهي العراق الحالي تتكون من اقليمين: الجنوبي ويعرف باقليم السواد (بلاد بابل القديمة)، ويسميه ياقوت الحموي ايضا (العراق العربي)، والشمالي ويمتد الى شمال الاقليم السابق حتى منابع نهري دجلة والفرات، وكان يعرف باقليم الجزيرة[٨] (الجزيرة الفراتية)وهي مملكة نينوى القديمة، وفيما بعد سُمي بولاية ديار بكر.

وفي زمن الفرس كان العراق مقسماً الى ١٢ كورة (استان) باسمائها الفارسية تضم ستون طسوجاً. واستمر هذا التقسيم الى العصر الاموي. ومن بينهاعلى سبيل المثال كورة (استان) الزوابي وتضم ثلاثة طساسيج (الزاب الاعلى والزاب الاوسط والزاب الاسفل) وكورة استان شاذ فيروز وتضم خمسة طساسيج هي : حلوان وتامرا وخانقين و فيروزقباذ و اربل وطسوج الجبل[٩].

ويقصد بطسوج الجبل (جبال العراق) او كما سماها ابن خلدون (جبل العراق)[١٠]وهو غير اقليم الجبل (الجبال) في ايران او كما يسميه البعض خطأ باسم عراق العجم الذي اطلق على القسم الغربي منه في مرحلة متأخرة اسم كردستان وامتدت التسمية الى تركيا ولا علاقة لها بالعراق.



شكل (١) السواد وجنوبي الجزيرة (العراق أو وادي الرافدين) في العصر العباسي

وفي نهاية العصر الاموي اعيد التقسيم الاداري في العراق فاصبح يتكون من خمسة اقسام. وفي العصر العباسي الاول والعصر البويهي اصبح يتكون من ستة اقسام هي: حلوان وبغداد وواسط والبصرة والكوفة وسامراء التي كانت تمتد الى تكريت (على دجلة) وهيت (على الفرات). وكل قسم منها يضم عدد من المدن. كما ظهرت الموصل كوحدة ادارية جديدة بعد فصلهاعن الجزيرة في زمن ابي العباس سنة ١٣٢هـ. فظلت ولاية قائمة بذاتها حتى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث أُدمجت مرة اخرى في اقليم الجزيرة[١١]. كما فصلت شهرزور واعمالها من ولاية الموصل في اخر عهد الرشيد وضمت الى اعمال الجبل[١٢]. كذلك فصلت كورة حلوان من العراق وضمت الى اعمال الجبل[١٣]. وفي مراحل لاحقة اعيد النظر في هذه التعديلات.

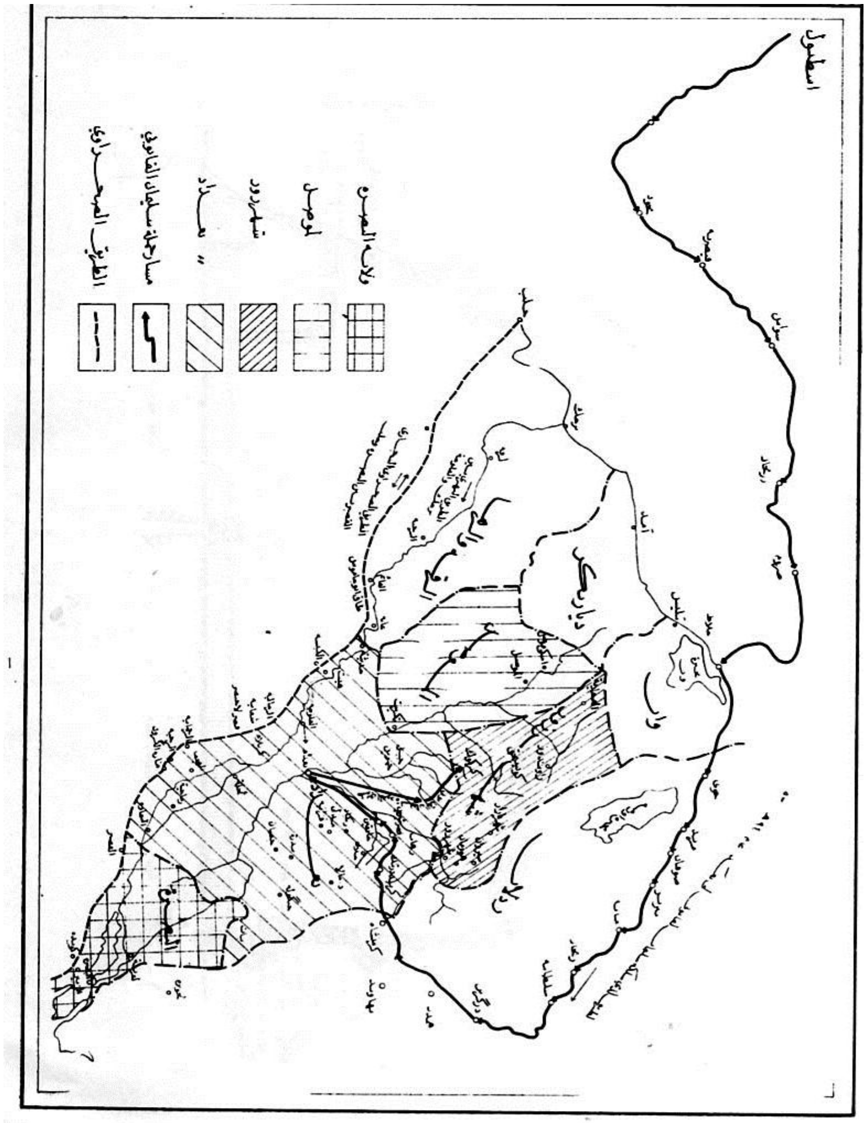
وكان النظام الاداري في العصر العباسي الاول مركزياً، فلم تكن لعمال الاقاليم السلطة التي كانت للولاة في العهد الاموي[١٤].

وفي المرحلة الاخيرة من حكم الدولة العباسية ظهرت في الموصل، وهي عاصمة الجزيرة، امارة أتابكية تمثل ادارتها وتنظيماتها الادارية مظهرا عاماً للادارة السلجوقية التي سبقتها[١٥]. وكانت تتبع الموصل جميع الاراضي الممتدة من سنجار الى شهرزور بالاضافة الى الاراضي الواقعة جنوب شرق تركيا الحالية.

وفي العصر العباسي الاخير (٥٥٢-٦٥٦هـ/ ١١٥٧-١٢٥٨م) كان العراق (*) يضم عشر ولايات هي : اربل وشهرزور(**) وحديثة الفرات وبغداد وواسط والحلة والكوفة وقوسان (***) والبصرة وخوزستان[١٦].

وعندما بدأت اعتداءات المغول على اطراف العراق سنة ٦١٨هـ امر الخليفة الناصر لدين الله اميري الموصل واربل بالانضمام الى عساكره في داقوقا فاستجابا للأمر لمواجهة الموقف[١٧].

وبعد هجوم المغول على بغداد، ابقى هولاكو الوضع الاداري في العراق على ما كان عليه في زمن العباسيين وحافظ على التقسيمات الادارية القديمة[١٨]. وخضع العراق بكامل حدوده الحالية لنفوذ الجلائريين ونفوذ تيمورلنك[١٩]. وعندما يكون مقر السلطان الجلائري في بغداد فإن نفوذ حكمه يمتد الى اقليمي العراق العربي والجزيرة بما في ذلك المدن الجبلية العراقية الحالية[٢٠]. كذلك الحال في عهد تيمورلنك حيث ارسل السلطان حفيده سنة ١٤٠٢م ليحكم كامل العراق بما في ذلك اقليم الجزيرة[٢١].



شكل (٢) التقسيمات الادارية في عهد سليمان القانوني

وعندما احتل السلطان سليمان القانوني بغداد بعد تغلبه على الجيش الصفوي سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م قسم العراق الى ١٧ سنجقا (لواءًا او متصرفية) وقطع منها ٦ سناجق لقواده، واصبحت بغداد ايالة واسعة تتبعها مقاطعات (بغداد والموصل والبصرة) ويحكمها والٍ يعينه السلطان[٢٢].

وفي سنة ١٦٣٨ اصبح العراق بجميع اجزائه يخضع لحكم السلطان مراد الرابع الذي قسمه الى ثلاث ولايات هي (الموصل وبغداد وشهرزور ومركزها كركوك) ثم ضمت البصرة اليه بعد سنوات قليلة[٢٣].

وفي اوائل القرن الثامن عشر انفصلت مقاطعة الموصل عن بغداد وخضعت زمناً لأيالة ديار بكر وكذلك انفصلت من بعدها مقاطعة شهرزور (وكان مركزها كركوك) ثم اعيدتا، بعد زمن، الى حكم بغداد[٢٤].

وفي المرحلة اللاحقة ولا سيما اثناء حكم المماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١م) قسم العراق الى خمس ولايات هي ولاية بغداد وتضم ١٨ سنجقا (لواءًا) تمتد في رقعة شاسعة من السماوة الى حلوان وقصر شيرين والعمادية ودمير قبو وغيرها. بالاضافة الى ولاية الموصل (وفيها ٦ سناجق) وشهرزور (وتضم ٢٠ سنجقا) والبصرة والاحساء[٢٥].

وظلت ايالات العراق بعد عام ١٨٣١ – كما كانت في الماضي – جزء لا يتجزء من الامبراطورية العثمانية، واستمرت كركوك متصلة بولاية بغداد. وقد عين والي بغداد (علي باشا) الضابط محمود باشا على باشوية كركوك الذي سبق وان حكم الموصل منذ عام ١٨٣٥وتمكن من توطيد الامن فيها[٢٦].

وفي عام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م فصلت ماردين عن العراق وضمت الى ديار بكر (الجزيرة). والخارطة التي قدمها المندوب التركي في أرضروم سنة ١٨٤٨م الى لجنة تحديد الحدود التركية الايرانية اظهرت ان راوندوز واربيل والسليمانية هي ضمن ولاية بغداد[٢٧]. وفي عام ١٨٥٠ قل شأن الموصل فانزلت الى مرتبة متصرفية تابعة الى بغداد، وفي عام ١٨٦٢ قل شأن البصرة فأصبحت سنجقاً ملحقا ببغداد[٢٨].

وفي عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) كان اول عمل قام به خلال مدة حكمه ان اسس البلديات والمجالس الادارية والمجالس الخاصة بالمتصرفيات، ويعد اول من طبق نظام (الولاية الجديد) في العراق، وهو نظام الحكم المحلي الذي سبق ان وضعه وطبقه في الدانوب، وبذلك عمل على توسيع الفكرة الاقليمية[٢٩].

وفي عهده تم تقسيم ولاية العراق التي كانت تتألف من مقاطعتي بغداد والبصرة الى متصرفيات (سناجق)، والمتصرفيات الى اقضية، والاقضية الى نواحي. يحكم السنجق متصرف، والقضاء قائممقام، والناحية مدير[٣٠]. وما تزال هذه التسميات مستخدمه الى الوقت الحاضر. وكانت البصرة مركز سنجق، اما الموصل فاستمرت متصرفية مرتبطه ببغداد، وامتد حكم مدحت باشا الى اورفه وديار بكر[٣١].

ومن اعمال مدحت باشا الاخرى إجراء الاحصاء السكاني لأول مرة، كما قسم بغداد الى محلات واطراف وجعل لكل محلة اسماً وعين عليها مختاراً ومعاون مختار، ورّقم ابواب الدور[٣٢].

وفي عام ١٨٧٥ اصبحت البصرة ولاية من جديد[•] ثم عادت سنجقا في عام ١٨٨٠واعيد تشكيل الولاية في سنة ١٨٨٤. اما الموصل فقد اصبحت ولاية في عام ١٨٧٩ يتبعها سنجقان هما كركوك والسليمانية[٣٣] الا ان بغداد كانت على الدوام تحتفظ بالسيادة على البصرة والموصل، وحتى بعد ان اصبحت كل منهما ولاية ولغاية عام ١٩٠٠ كان والي بغداد يعد كبير الولاة الثلاثة[٣٣-أ].

واستمرت الترتيبات الادارية الجديدة التي ادخلها مدحت باشا مطبقة في العراق ولم يمسها احد، سوى القليل من التبدل، حتى قيام الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ [٣٤].

ونص الطابو التركي المؤرخ في ٥ صفر ١٣١٠هـ الموافق ١٦/١١/١٩٠٨م على تبعية شهرزور للعراق وكانت تضم كل من كركوك ورانية واربيل وراوندوز وكويسنجق وكفري وجميعها تقع ضمن ولاية الموصل العراقية[٣٥].

وعلى هذا اصبح العراق في العصر التركي الاخير -في عام ١٨٧٩- يحده سنجق دير الزور من الشمال الغربي والبادية من الغرب وولاية ديار بكر (ويتبعها

سنجق المركز وسنجقا ارغنه وماردين) من الشمال، وايران من الشرق. ويضم ثلاث ولايات هي[٣٦]:

اولا: ولاية الموصل التي كانت تضم ثلاثة سناجق هي:

١- سنجق المركز وتتبعه اقضية (دهوك وزاخو والعمادية وسنجار وعقرة).
٢- سنجق كركوك وتتبعه اقضية (اربيل و رانية وراوندوز وكويسنجق وكفري).
٣- سنجق السليمانية وتتبعه اقضية (بازيان وحلبجة وشهرزور وميركة).

ثانيا: ولاية بغداد التي كانت تضم ثلاثة سناجق هي:

١- سنجق المركز وتتبعه اقضية (الكاظمية وسامراء والرمادي وعانة ومندلي والعزيزية والكوت وبعقوبة وبدرة وخانقين).
٢- سنجق الديوانية وتتبعه اقضية (الحلة والشامية والسماوة).
٣- سنجق كربلاء وتتبعه اقضية (الهندية والنجف والرزازة والصحراوي).

ثالثا: ولاية البصرة التي كانت تضم اربعة سناجق هي:

١- سنجق البصرة وتتبعه اقضية (القرنة والفاو والكويت).
٢- سنجق العمارة وتتبعه اقضية (دويريج وقلعة صالح والزبير).
٣- سنجق المنتفك وتتبعه اقضية (مركز الناصرية والشطرة وسوق الشيوخ والحي).
٤- سنجق الاحساء وتتبعه اقضية (الهفوف والقطيف والقطر).

والتقسيم الاداري المذكور الذي استقر منذ عام ١٨٧٩ واستمر حتى سقوط الدولة العثمانية يفند الادعاءات التي يروجها بعض الكتاب المغرضين بخصوص ولاية الموصل من انها الحقت بالعراق بعد تكوين الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١ بل ويشير الى امتداد حدود العراق ليشمل مناطق الخليج العربي الممتدة من الكويت الى قطر، وفي مراحل سابقة كانت تمتد الى حلوان وقصر شيرين وخوزستان (الاحواز) وجنوبي شرقي تركيا الحالية.

وقد ادخلت على نظام مدحت باشا بعض التعديلات الادارية قبل الحرب العالمية الاولى بموجب القانونين الصادرين في ١٧ و١٨ من ربيع الاخر سنة

١٣٣٠-١٣٣١هـ/١٩١٢-١٩١٣م حيث اعيد تنظيم التشكيلات الادارية. فمثلا بقيت ولاية البصرة تتكون من اربعة الوية (سناجق) لكن جرت بعض التعديلات على اقضية تلك الالوية[٣٧]، وينطبق الامر ذاته على ولايتي بغداد والموصل[٣٨].

وخلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) غزت القوات البريطانية العراق واحتلت مدينة بغداد في ١١ مايس ١٩١٧وتم الاستيلاء على العراق سنة ١٩١٨ وبذلك انتهى الحكم العثماني وفرض الانتداب البريطاني في ٢٥ نيسان من عام ١٩٢٠ واقام العراقيون ثورة مسلحة في ٣٠ حزيران من عام ١٩٢٠، وكنتيجة لها شهد العراق قيام الحكم الملكي في اب ١٩٢١ وان استمر الانتداب الى عام ١٩٣٢ حين دخل العراق عصبة الامم واصبح من الناحية القانونية دولة مستقلة.

اما التنظيم الاداري فقد استمر ساري المفعول حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى حيث اعيد تقسيم الوحدات الادارية زمن الاحتلال واصبح العراق يتكون من ١٤ لواءًا، ويتألف كل لواء من مركز ومن بضعة اقضية وعدة نواحي، يتبع كل ناحية عدد من القرى. وبغداد هي المرجع الاعلى لمراكز الألوية (المتصرفيات) ومقر الحاكم السياسي العام في عهد الاحتلال البريطاني، والملك في العهد الملكي. وضمت الألوية المذكورة ٦٦ قضاءا و ١٧٤ ناحية احتوت على ٩٩١٨ قرية[٣٩] وبلغ عدد سكان العراق في عام ١٩١٩ نحو ٢.٨ مليون نسمة[٤٠].

وبعد تشكيل الحكومة المؤقتة تقرر في ١٢ كانون الاول من عام ١٩٢٠ ان يعاد تنظيم التشكيلات الادارية.

النظام الاداري بعد قيام المملكة العراقية:

بعد قيام النظام الملكي في العراق سنة ١٩٢١ ثبتت التقسيمات الادارية الاربعة عشر، ولكل منها اقضيتها ونواحيها. وتم استحداث تلك الوحدات بارادة ملكية او قبل ذلك بفرمان عثماني.

والالوية التي اصبح العراق يتكون منها، فيها ١١ لواءاً حدوديا امتدت الى الحدود الدولية مع الاقطار المجاورة وثلاثة الوية داخلية هي: الحلة، بغداد ، كركوك.

وتظهر الالوية الاربعة عشر المذكورة في خارطة المملكة العراقية لسنة ١٩٢٩[٤١] (انظر شكل٣). كذلك تظهر الخارطة نفسها في دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦[٤٢] (انظر شكل ٤).

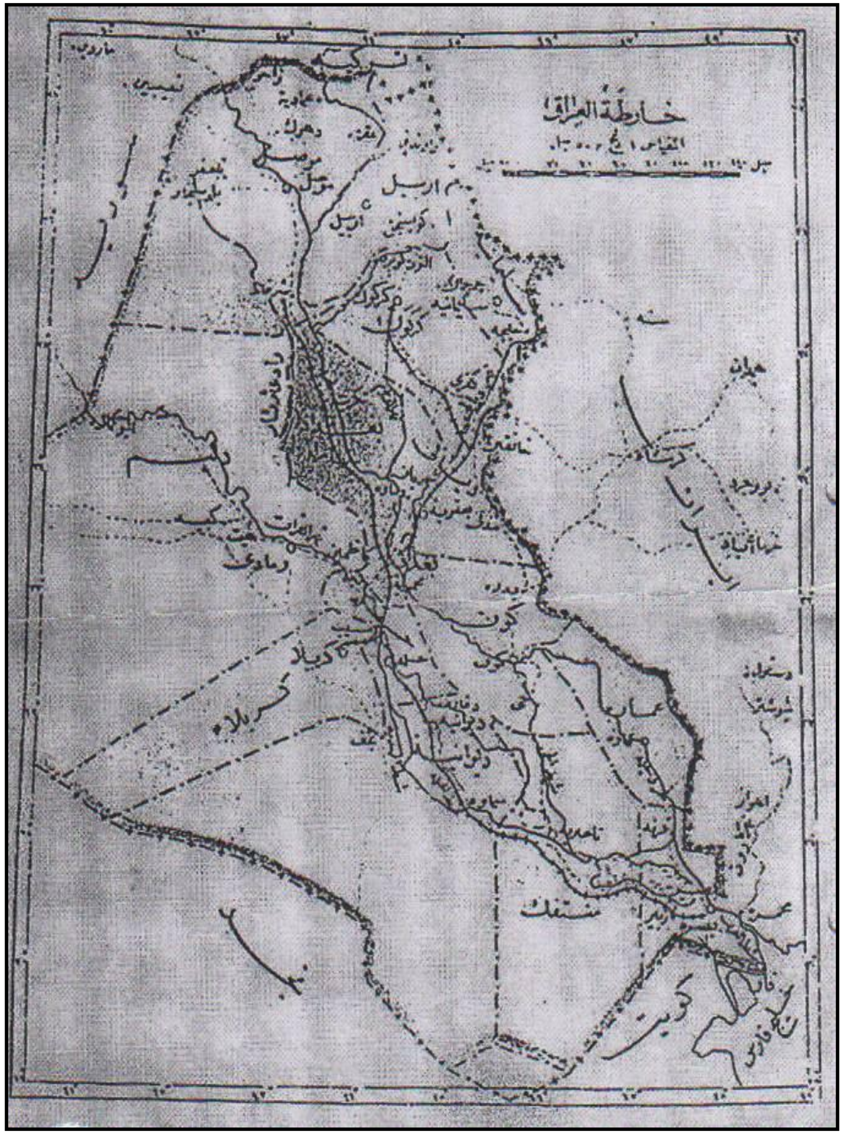
وفي السنوات اللاحقة حصل تغير في حدود الالوية الغربية بسبب استحداث ثلاث بوادي، وقد يكون استحداثها تم في عام ١٩٤٥ هي بادية الجزيرة والبادية الشمالية والبادية الجنوبية، حيث استقطعت الاولى من الوية الموصل وبغداد والدليم[#]، والثانية من لوائي الدليم وكربلاء، واستقطعت الاخيرة من الوية الديوانية والمنتفك والبصرة. وبذلك اصبح العراق يتكون من ١٤ لواءًا وثلاث بوادي.

وفي عام ١٩٥٢ كانت الألوية الأربعة عشر تضم ٦١ قضاءًا و١٦٩ ناحية[٤٣]، ازدادت الاقضية في عام ١٩٩٧ الى ٨١ قضاءًا، في حين بلغ عدد النواحي ١٥١ناحية[٤٤].

وفي عام ١٩٦٠ تم توزيع البوادي الثلاث والبالغ مساحتها ٢٠٢٥٢٩كم٢ على بعض الالوية المجاورة، حيث ضمت معظم بادية الجزيرة البالغ مساحتها ٢٥٠٤٦كم٢ الى لواء الموصل فاصبحت مساحته ٥٣٢٢٧كم٢ بعد ان كان ٣٣٦٩٣كم٢ والمساحات الباقية اضيفت الى لوائي بغداد والرمادي، والبادية الشمالية البالغ مساحتها ١٠١٣٣٩كم٢ ضمت الى لواء الرمادي[##]، فأصبحت مساحته ١٤٥٢٣٨كم٢ بعد ان كان ٤٢٨٤٩كم٢. اما البادية الجنوبية البالغ مساحتها ٧٦١٤٤كم٢، فقد أُلحق معظمها بلواء الديوانية فأصبحت مساحته ٨٢٩٢٠كم٢ بعد ان كان ١٥٠٨٦كم٢[٤٥]، وما تبقى اضيف الى لواء البصرة[٤٦].



شكل رقم(٣) خارطة العراق لسنة ١٩٢٩



شكل رقم(٤) خارطة العراق من كتاب الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦

وتتضح التغيرات المذكورة عند مقارنة مساحة بعض الالوية المتأثرة باستحداث البوادي الثلاث واعادة توزيعها كما يظهر من جدول رقم (١) الاتي:

جدول رقم (١)

مساحة الالوية المتأثرة باستحداث البوادي عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠

اللواء	المساحة (كم٢)	
	١٩٥٨	١٩٦٠
الموصل	٣٣٦٩٣	٥٣٢٢٧
بغداد	١٢٧٥٢	١٩٣٥٧
الرمادي	٤٢٨٤٩	١٤٥٢٣٨
كربلاء	٦٠٦٠	٦٠٦٥
الديوانية	١٥٠٨٦	٨٢٩٢٠
البصرة	١٢٢٩٥	٢٠٧٠٢

المصدر: دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، ص٥٧

وبحسب قرار مجلس قيادة الثورة رقم (١١) في ١٩٦٩/٥/٢٧تم استحداث لواء دهوك بعد اقتطاعه من لواء الموصل. وبالمرسوم ١٠٦٥ في ١٩٦٩/٩/١٧ تم تحديد لوائي السماوة والديوانية حيث ضم الاول كل من قضاء السماوة والرميثة والسلمان. في حين ضم اللواء الثاني اقضية الديوانية وعفك والشامية وابوصخير.

وبعد صدور قانون المحافظات رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٩ تم استبدال اسم الالوية بالمحافظات. وبموجب قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٣٤٣ في ١٩٧٠/٤/٢ اطلق على محافظة السماوة اسم محافظة المثنى. وبالقرار نفسه غير اسم محافظة العمارة الى محافظة ميسان وبذلك ازداد عدد المحافظات الى ١٦ محافظة .

وبالمرسوم الجمهوري رقم ٤٢ في ١٩٧٦/١/٢٦ استحدثت محافظة النجف بعد اقتطاعها من محافظتي كربلاء والمثنى فاصبحت تضم كل من أقضية النجف والكوفة وأبو صخير وناحية الشبكة. وبالمرسوم ٤١ المؤرخ في ١٩٧٦/١/٢٩

استحدثت محافظة صلاح الدين بعد اقتطاعها من محافظتي بغداد وكركوك وضمت كل من أقضية تكريت وسامراء وبلد وطوز خورماتو. وبالمرسوم ٤١ السابق ذكره غُيرّ اسم كركوك الى محافظة التأميم وضمت قضائي كركوك والحويجة ، وبذلك ارتفع عدد المحافظات الى ١٨ محافظة(٤٧).

وحدثت خلال المدة ١٩٦٨ –٢٠٠٣ تعديلات ادارية في معظم المحافظات أربكت العمل الاداري والعلمي على مستوى المحافظة ووحداتها الادارية الصغرى. وفيما يأتي توضيح تلك التعديلات بعد عام ١٩٦٨ وتصنيفها الى:

١- التغييرات الادارية التي حدثت للمدة المذكورة داخل حدود المحافظة وتمثلت في استحداث، ضم ، فك ارتباط ، الغاء وتغيير اسم... الخ.
٢- التغييرات الادارية التي حدثت للمدة المذكورة والمؤثرة على مساحة المحافظة بسبب تغيير في حدودها الادارية مع المحافظات المجاورة وتمثلت هذه التغييرات بزيادة او نقص المساحة بسبب الاستقطاع او الضم(٤٨).

ويوضح الجدول(٢) عدد التغييرات التي حدثت على المحافظات :

جدول رقم(٢)

عدد التغييرات الادارية داخل حدود المحافظات للمدة ١٩٦٨ – ٢٠٠٣

المحافظة	عدد التغييرات	المحافظة	عدد التغييرات	المحافظة	عدد التغييرات
واسط	٣	البصرة	١٢	ديالى	٨
ميسان	٧	بابل	٧	ذي قار	٤
صلاح الدين	٩	النجف	٨	المثنى	٣
بغداد	١٦	القادسية	٧		
الانبار	١١	كربلاء	٨		

المصدر: المراسيم الجمهورية المنشورة في جريدة الوقائع العراقية للمدة المذكورة (انظر مصدر رقم ٤٩).

وخلاصة القول:

أن أسماء الاقاليم وحدودها ووحداتها الادارية في العراق ، بعد الفتح الاسلامي وخلال عهد الدولة الأموية والعباسية ، ظلت على ماكانت عليه في أيام الأكاسرة الساسانيين ، فكانت بلاد الرافدين (النهرين) وهي العراق الحالي تتكون من اقليمين: الجنوبي ويعرف بأقليم السواد(بلاد بابل القديمة) ، ويطلق عليه ايضاً اسم(العراق العربي) ، والشمالي ويمتد الى شمال الاقليم السابق حتى منابع نهري دجلة والفرات وكان يعرف باقليم الجزيرة(الجزيرة الفراتية) وهي مملكة نينوى القديمة ، ثم قُلصت مساحته باقتطاع اجزاء منه بعد تكوين المملكة العراقية سنة ١٩٢١.

وحصلت تغييرات ادارية في مختلف المراحل التي مرّ بها العراق، منذ عهد الفرس وحتى قيام المملكة العراقية واستمرت لغاية عام ٢٠٠٣، مع تغيير أسماء وحدات ادارية وتباين مساحاتها من مرحلة الى أُخرى.

وتمثلت التغييرات الادارية بتفكيك بعض الوحدات ودمج وحدات غيرهاباُخرى وتشكيل وحدات ادارية جديدة، بعضها صغيرعلى مستوى الناحية وغيرها على مستوى القضاء اوالمحافظة.

المصادر الهوامش:

(١) عباس فاضل السعدي، ياقوت الحموي: دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان ، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢، ص٣٠.

(٢) علي محمد المياح، "مناهج الجغرافية الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة"، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، المجلد ٤٠، ج١، ١٩٨٩، ص٢٣١، ٢٤٢- ٢٤٣.

(٣) المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط٢، بعناية دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦، ص٩.

(٤) عباس فاضل السعدي، " نظرة في تراث العرب الجغرافي"، مجلة المورد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، المجلد ٢٥، العدد الثاني، ١٩٩٧، ص٢٠.

(٥) جهادية القره غولي، العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول ١٣٢ – ٢٣٢هـ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص١٣.

(٦) احمد سوسة، أطلس بغداد، مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٩٥٢، ص٢.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، المجلد الاول، ١٩٥٥، ص٤٥٨.

(٨) احمد سوسة، الدليل الجغرافي العراقي، بغداد، ١٩٦٠، ص١٢، مصطفى جواد، احمد سوسة، محمود فهمي درويش ، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، ، مطبعة دار التمدن، بغداد، ١٩٦١، ص٩٣، جهادية القره غولي، مرجع سابق،ص١٢، محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي(٣٣٤- ٤٤٧ هـ/٩٤٥- ١٠٥٨م) ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩، ص٦٨.

(٩) ابن خرداذبة، المسالك والممالك،مطبعة بريل،ليدن،١٨٨٩،ص٥-٦، ٧-٨، كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤، ص١٠٦- ١٠٨، جهادية القره غولي، مرجع سابق، ص٤٥- ٤٧، احمد علي الصوفي، ارض السواد، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥٥، ص١٨.

(١٠) ابن خلدون ،المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ، ص٦٣، ٦٩.

(١١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك، ج٢، ص١٤٧، جهادية القره غولي، مرجع سابق، ص٤٧- ٤٨، محمد حسين الزبيدي، مرجع سابق، ص٦٨.

(١٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٩٧، ٤١٠.

(١٣) اليعقوبي، البلدان، ص٣٦٩.

(١٤) محمد حسين الزبيدي، مرجع سابق، ص٨٠.

(١٥) نوري عبد الحميد العاني، العراق في العهد الجلائري، بغداد، ١٩٨٦، ص٤٠.

(*) كان اقليم العراق (السواد) يمتد في تلك المرحلة من العقر او من قرب حديثة الموصل(وبعضهم يجعله من السن قرب تكريت) عند حدود اتابكية الموصل(في اقليم الجزيرة) شمالاً الى عبادان جنوباً ، ومن العذيب قرب القادسية غرباً الى حلوان شرقاً(القزويني، اثار البلاد واخبار العباد ، طبعة بيروت، ص٤١).

(**) ولايتا اربل وشهرزور ضمتا الى العراق سنة ٦٣٠ هـ/١١٣٢ م، وتغيير موقع المدينتين بين اقليم العراق واقليم الجزيرة واحياناً اقليم الجبل أمر مألوف ويتبع مدى قوة الولا والحكام. وفيما يخص (عراق العجم) لم يجد ياقوت الحموي أصلاً قديماً لتلك التسمية والصحيح عنده(بلاد الجبل) . وأيد العمري فيما ذهب اليه ياقوت في تصحيحه إلا أنه سماها(بلاد الجبال) ، وهي حالياً تقع داخل الاراضي الايرانية (ياقوت ،٢/١٥، القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، ١٩١٤ – ١٩٢٨، ٤/٣٦٥).

(***) هي مجموعة مدن صغيرة وقرى تقع بين النعمانية وواسط.

(١٦) بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٣، ص١٢٨- ١٣٩.

(١٧) رشيد عبد الله الجميلي،" حملة هولاكو على بغداد"، مجلة المورد ، المجلد الثامن، العدد الرابع، ١٩٧٩، ص٦١.

(18) Nejat Goyunc, und wolf- Dieter Hutteroth , Land an der Grenze, EREN, Istanbul, 1997, pp.289- 291 باللغة الالمانية.

(19) Philip W. Ireland, Iraq: Astudy in Political development, New York, 1938, P. 72.

(٢٠) نوري عبد الحميد العاني، مرجع سابق، ص٣٨، ٥١.

(٢١) حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، تهران، ١٣١٧ هـ، ص١٧٢، ١٧٦، نوري عبد الحميد العاني، مرجع سابق، ص٤١.

(٢٢) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢٣) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، بغداد، ١٩٨٥، ص١٠٥- ١٠٦.

(٢٤) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢٥) علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق(١٧٥٠- ١٨٣١م)، منشورات وزارة الأعلام، سلسلة الكتب الحديثة(رقم ٨٤)، بغداد، ١٩٨٥، ص١٥.
(٢٦) لونكريك، مرجع سابق، ص١٥ ومابعدها.
(٢٧) المصدر نفسه، ص٣٣٣- ٣٣٦.
(٢٨) المصدر نفسه، ص٣٣٦.
(29) League of Nations, Question of the Frontier between Turkey and Iraq, Sept.30,1924,p.24.
(٣٠) لونكريك، مرجع سابق، ص٣٧٥ – ٣٧٦، باقر أمين الورد، بغداد(خلفاؤها، ولاتها، ملوكها، رؤساؤها)، دار التربية، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٤٩.
(٣١) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مرجع سابق، ص٩٣.
(٣٢) لونكريك، مرجع سابق، ص٣٧٥- ٦، باقر أمين الورد، مرجع سابق، ص٢٤٩.
(•) كان الاتراك يعدون الاحساء قائممقامية ملحقة بالبصرة، وصارت الاحساء سنجقاً في عام ١٨٧١، وفي السنوات اللاحقة صار من المناسب للحكومة التركية أن تنعم بمناصبها الادارية على مختلف امراء الخليج وفي عام ١٩٠٥ تشكل سنجق القصيم في وسط الجزيرة العربية(لونكريك، ص٣٧٥- ٣٧٦).
(33) League of Nations, Op. Cit., p.24.
(٣٣-أ) لونكريك ، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ لى ١٩٥٠، ترجمة سليم طه التكريتي، ج١، منشورات الفجر، بغداد، ١٩٨٨، ص١٩.
(٣٤) فاضل حسين ، مشكلة الموصل: دراسة في الدبلوماسية العراقية – الانكليزية- التركية وفي الرأي العام، ط٢، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٧، ص١٠٣.
(٣٥) لونكريك، مرجع سابق، ص٣٧٥.
(٣٦) المرجع نفسه، ص٧٧، ٣٧٦.
(٣٧) الجمهورية العراقية، وزارة الحكم المحلي، الدليل الاداري للجمهورية العراقية سنة ١٩٨٩- ١٩٩٠، ج٢، ط١، الدار العربية، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٣١.
(٣٨) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مرجع سابق، ص٩٤.
(٣٩) المرجع نفسه، ص٩٥.
(٤٠) احمد سوسة، في ري العراق ، ج١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٥، ص٢٦.
(41) Iraqi Kingdom Map on a carpet 1929(king Faisal Ist.) ,
واللوح الاصلي محفوظ في خزانة المتحف البريطاني تحت رقمE 153/92687 .

تظهر في أعلى الخارطة سنة ١٣٣٩هـ وتقابل ١٩٢٠م ، وهي تختلف عن السنة المذكورة في أسفل الخارطة وهي ١٩٢٩.
(٤٢) دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥- ١٩٣٦، مطبعة الأمين، بغداد، ١٩٣٥.
(#) استقطع ٢٠٨٠٢كم٢ من لواء الموصل و١٠١٨٣كم٢ من لوائي بغداد والدليم (احمد سوسة، أطلس العراق الاداري، مطبعة مديرية المساحة العامة، بغداد، ١٩٥٢، ص٣).
(٤٣) المرجع نفسه(احمد سوسة) ، ص١.
(٤٤) الجهاز المركزي للإحصاء ، تعداد السكان لعام ١٩٩٧.
(##) اصبح لواء الدليم بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ يسمى بلواء الرمادي ، وبعد صدور قانون المحافظات سنة ١٩٦٩ أصبح يسمى بمحافظة الأنبار.
(٤٥) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ ، مرجع سابق، ص٥٧.
(٤٦) حول تلك التغييرات انظر ايضاً: الكتاب الرسمي ذي الرقم ٢٥٧٨/٤ والمؤرخ في ٢٠٠٧/١٠/١١ الموجه من محافظ كربلاء (د. عقيل محمود الخزعلي) الى وزير العلوم والتكنولوجيا (د. رائد فهمي) رئيس لجنة تطبيق المادة(١٤٠) من الدستور العراقي.
(٤٧) الدليل الاداري للجمهورية العراقية، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٥.
(٤٨) أنظر المراسيم الجمهورية وقرارات مجلس قيادة الثورة الآتية والمنشورة في جريدة الوقائع العراقية:
- قرار مجلس قيادة الثورة رقم(١١) في ١٩٦٩/٥/٢٧.
- المرسوم الجمهوري رقم ١٠٦٥ في ١٩٦٩/٩/١٧.
- قانون المحافظات رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٩.
- قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٣٤٣ في ١٩٧٠/٤/٢.
- المرسوم الجمهوري رقم ٤٢ في ١٩٧٦/١/٢٦.
- المرسوم الجمهوري رقم ٤١ في ١٩٧٦/١/٢٩.

فلسفة التأريخ عند آرنولد توينبي

أ. م. د.قاسم حسن آل شامان السامرائي
جامعة تكريت/كلية التربية/قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

اختلفت النظرة إلى التأريخ مع اختلاف العصور، وذلك ناجم عن صلتها بعاملين هما التحولات الثقافية والأوضاع الحضارية، وعلى ذلك فإن الدراسة التاريخية وفكرة التأريخ قد تأثرتا بالتطور الحاصل بالفكر العلمي والفلسفي خصوصاً، وقد كان للفلاسفة والمؤرخون مساهماتهم في فلسفة التأريخ، على ان مساهمة الفلاسفة ربما تكون أكبر.

وفي التأريخ ومفهومه، نجد آراء ووجهات نظر مختلفة، نستطيع ملاحظتها ضمن مسارين:

الأول: المسار الذي يحاول استخلاص قوانين وقواعد أو وجهات عامة لطريقة سير وحياة المجتمعات البشرية في التأريخ .

الثاني: يعارض الاتجاه الأول، ويقرر ان التأريخ مجموعة أحداث مفردة لا تحكمها قيم أو مبادئ عامة ولا حتى قوانين، على الرغم مما قد يظهر بينها من صلات وترابط أسباب.

ففي القرن العشرين برز من بين المؤرخين من وضع قاعدة ونظاماً للتأريخ على أسس أكثر علمية، ومنهم الألماني شبنكلر والإنكليزي آرنولد توينبي، وكلاهما تعرض لتأريخ البشرية وناقشه على ضوء قوانين ومفاهيم تحكم التحول الحضاري، ثم تبع ذلك بأن أتخذ نهجهما هذا طريقاً للتنبؤ بمستقبل الحضارة، وكلاهما له نظرته الجدية إلى التمثيل على فرضياته الأساسية، على أننا هنا لابد ان نذكر ان توينبي

كان أوضح فيما أطلقه من مفاهيم وأشمل وأدق مادة علمية أما في وحداته الحضارية وتوضيحاته فقد كان أكثر سعة(*).

لقد كتب توينبي وجهة نظره عند دراسته للتأريخ فكان محورها ((التحدي والاستجابة))، فدرس تأريخ العالم وكتب فيه، وحلل حضاراته، قيامها وسقوطها، فلم تكن آراؤه قد كسبت الرضا التام من الجميع، وهذا أمر وارد تجاه مفكر ولد في بيئة غربية وعاش في مناخ اوربي، وترعرع في أسرة مثقفة لها ارثها الثقافي والعلمي ولها تقاليدها .

وتكمن أهمية توينبي في نظريته التي نظر بها إلى الحضارات العالمية المختلفة على عكس الفلاسفة والمؤرخين الآخرين الذين ركزوا على الحضارة الغربية هاملين الحضارات الاخرى.

امتازت آراء توينبي بالعمق الشديد، وكانت كتاباته تحمل العبارات اكثر مما تطيق من المعاني والافكار، وكأنه يرى من يقرأ له هم العلماء وكبار المثقفين حسب، الامر الذي أوجد ني أمام كتاب فيه من العبارات القوية الغامضة بل والمعقدة بعض الاحيان حتى أعانتني بعض المؤلفات الحديثة على فهمها .

ان دراسة فلسفة هذا العالم ليست سهلة، ولن يكون الباحث قادراً على الإحاطة بفكره ونظرياته بمثل هذا البحث القصير، وعليه فقد وجدت نفسي انتقي من جوهر نظراته للتأريخ ما يكفي فدرست سيرته ونشأته والمؤثرات الفكرية التي كان لها الاثر عليه، ثم بعض المقارنة بين فكر توينبي وهيجل ثم تطرقت إلى نظريته المعروفة التحدي والإستجابة وبعض تطبيقاتها ثم تطرقت إلى فلسفته القائمة على الجمع بين الإتجاهين المادي والروحي، فتناولت بدايات الحضارات وارتقائها وانهيارها واخيراً تحللها واسباب ذلك .

ختاماً أرجو أن أكون موفقاً في استعراضي السريع لفكر هذا العلامة لأقدم هذا الجهد المتواضع إلى أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الدوري وقد تدارسنا سويةً في أواخر تسعينات القرن المنصرم فكرة التأريخ وفلسفته أيام الدراسة لنيل الدكتوراه في الجامعة الأردنية بعمان والله ولي التوفيق .

مولده ونشأته :

ولد آرنولد جوزيف توينبي في لندن ١٤ نيسان ١٨٨٩، وينحدر من أسرة متوسطة إذ كان والده يعمل بشركة للشاي، اما والدته فهي حاصلة على شهادة البكالوريوس في التأريخ إذ كانت والدته صاحبة فضل عليه في تعلمه للتأريخ، اذ كانت صحبته لها صحبة فكرية نادرة[١].

أما اسمه فقد أقتبس من اسم عمه (آرنولد توينبي) الذي عاش بين عامي ١٨٥٢-١٨٨٥ وهو الاقتصادي والمصلح الاجتماعي في حين كان جده جراحاً شهيراً هو جوزيف توينبي[٢].

درس توينبي بمدرسة وينشستر وبكلية باليول في اكسفورد لدراسة التأريخ القديم فيها وعين بها بعد تخرجه[٣]، ثم اختير عضواً بالوفد البريطاني لمؤتمر الصلح المنعقد بباريس خلال عامي ١٩١٩، ١٩٤٦، وكان قد شغل منصب استاذ التأريخ واللغات والاداب البيزنطية واليونانية الحديثة بجامعة لندن للفترة من ١٩١٩- ١٩٢٥م إذ كان هذا التأريخ الاخير بداية عمله مستشاراً لوزارة الخارجية البريطانية طيلة ثلاثين عاماً، وحتى تقاعده عام ١٩٥٥م وهو يبلغ السن السادسة والستين[٤].

مؤلفاته:

لتوينبي عدداً من المؤلفات يقف في مقدمتها مؤلفه الضخم دراسة للتأريخ طبع بين عامي (١٩٣٤- ١٩٥٤)[٥]، الذي يقع في اثنى عشر مجلداً، ثم الحضارة في الميزان، وكتاب العلم والغرب، والبقاء في المستقبل[٦]، وتأريخ الحضارة الهيلينية، ومعالجة مؤرخ للدين، محاكمة الحضارة، الحرب والحضارة، أمريكا والثورة العالمية، الثورة الصناعية، التجربة في الحضارة الغربية[٧].

فقد بدأ يفكر في مؤلفه الضخم دراسة للتأريخ عام ١٩٢١م إذ كانت فكرته تختمر في ذهنه عندما كان يشاهد مسرحية (انتيجونة) لسوفكليس، لكن هذه الفكرة لم تنتقل إلى حيز التنفيذ الا في سنة ١٩٣٠، وإذ اخذ في تأليف اجزاء كتابه التي

بلغت ١٢ جزءاً على مدى ٣١ عاماً[٨]، وانتهى في العام ١٩٦١م حيث كان الجزآن الاخيران عبارة عن ردود على نقاده[٩].

المؤثرات الفكرية :

كانت ثقافة توينبي هيلينية دسمة، ففي العام ١٩١١م يكون قد أتم خمسة عشر عاماً في دراسة اللاتينية واثني عشر عاماً في دراسة اليونانية، فكان لذلك التثقيف أثره الناجح في إكسابه مناعة ضد النعرة الثقافية القومية إذ يصعب على الرجل ذي الثقافة الهيلينية أن يقع في خطأ اعتبار المسيحية الغربية افضل مجتمع يمكن ان يظهر في الوجود[١٠].

ففي دراسته يتخذ توينبي بعض المفاهيم العامة مثل مفهوم التبعية أو الالتحاق Affiliation ازاؤه البنوة Appaventation، وعلى ذلك يمكن ترتيب المجتمعات، فمفهوم ((المجتمع البدائي)) يقابل ((الحضارة))، فتوينبي ينفي وحدة الحضارة البشرية ويحسب انحلالها وهماً من حيث الفهم والتقدير، ومنها كذلك فترة الفصل Interregnum، أي فترة الفوضى بين انحلال مجتمع وظهور آخر يلتحق به، ومنها كذلك مفهوم ((البروليتاريا الداخلية)) أو جماهير في مجتمع لا تشعر بارتباط في الوجهة به، كالمسيحية قرب نهاية المجتمع الهيليني، ثم ((البروليتاريا)) أو العالم البربري الذي يحيط بمجتمع معين[١١].

لقد كانت دراسته للمؤلفين القدامى وبالذات الإغريق منهم مصدر الهام له، إذ يقال أن توينبي يمكنه التفكير باللغة الإغريقية مثلما يفكر بالإنكليزية[١٢].

ثم كان نيقولاي دانيلفسكي المفكر الروسي بمثابة الرائد الروحي لتوينبي، فقد نشر هذا المفكر مقالات في مجلة زاريا في العام ١٨٦٩ تحت عنوان ((روسيا وأوربا ووجهة نظر في العلاقات السياسية بين العالم السلافي والعالم الجرماني والروماني)) وقد كان المبدأ الهام في تلك المقالات هو المبدأ الذي سبق به توينبي بخمس وسبعين عاماً وموجزه (أن الحضارة هي الوحدة الحقيقية للدراسة التاريخية)[١٣]، وقد تعرض هذا المبدأ لانتقادات شديدة من قبل دارسي الحضارات منذ ما يقرب من مئة

عام، والذي جدده وقال به في ربع القرن الأخير أر نولد توينبي الذي صاغه بقوله ((أن الأمة هي الوحدة البسيطة للدراسة التاريخية وهي ليست ايضاً – في اللغة الثانية من الميزان – مجموع البشرية ككل))[١٤].

ويظهر أن توينبي حاول أن يدرس بصورة مبدئية تاريخ البشرية بصورة تجريبية لينتهي بها الى مبادئ وقوانين تصدق على التاريخ كله، وهو يشير الى أن طريقته استقرائية، فهو يريد ((أن يجرب تناول الشؤون البشرية بالأسلوب العلمي)) وعلى ذلك فقد بدأ بالبحث عن وحدة تكون ((حقلاً مفهوماً للدراسة)) فوجدها في((الحضارة)) الكاملة بالمقابلة ((لاجزاء معزولة منها بصورة مصطنعة مثل الدولة القومية))[١٥].

ويشير توينبي الى المؤرخين الذين أفاد منهم، ومنهم ابن خلدون الذي أشار إليه في عدة مواضع من كتابه (دراسة للتاريخ) فقد رأى توينبي أن ابن خلدون وضع فلسفة للتاريخ من غير مجاملة تُعدّ من اعظم الأعمال التي أبدعها العقل في أي زمان ومكان[١٦].

بين توينبي وهيكل :

هناك تشابه في بعض اوجه التفكير بين توينبي وهيجل بل فقد عُدّت بعض أفكار توينبي امتداداً لآراء هيجل، إذ أعتقد بان التاريخ البشري هو جملة من الحلقات المتناهية زماناً ومكاناً وتمثل كل حلقة منها حضارة، تولد ثم تنموا ثم تتداعى[١٧]، فهذا النمو والانهيار الذي يحدث في تاريخ كل حضارة ما هو إلا مراحل نحو تحقق أعلى للوعي الديني، ولكن على الرغم من هذا التشابه ما بين هيجل وتوينبي في تفسير مسار التاريخ فان خط سير التاريخ عند هيجل متصاعد دائماً يعتمد على الرقي إذ كان هيجل يدرك جيداً أن التقدم التاريخي ترافقه فترات ركود وحركات ارتداد الى الوراء فقد ذكر أن التاريخ العالمي عرف فترات طويلة حين كان التقدم الى الأمام يتوقف، ومع ذلك فظواهر النكوص هذه لا تنفي الاتجاه العام للتاريخ الذي يتمثل في تطوره المتواصل[١٨].

وبالنسبة لغاية التاريخ فهناك توافق ايضاً بين هيجل وتوينبي، فتاريخ البشرية عند هيجل ما هو إلا تطورها الروحي في نهاية المطاف، وصيرورة الروح تكمن في شكل حركات تاريخية متبدلة، ذلك هو العلم الإلهي الذي يوائم بين الروح وبين التاريخ الكلي، فالتاريخ العالمي نفسه حسب رأي هيجل ليس سوى تجلي للروح واكثر من ذلك، فالتاريخ العالمي يتم في المجال الروحي، وليس المقصود هنا الروح الإنسانية بل روح عالمي خارج الزمن يمتزج بمفهوم الله، وبهذا أصبحت قوانين تطور العالم الواقعي قوانين الروح العالمي، وبالنسبة لتوينبي فانه يرى أن المراحل التي تمر بها المدنيات من ميلاد، نمو، وانهيار ما هي ألا مراحل من تحقق أعلى للدين، ولذلك يجب أن ينظر الى هذه المدنيات لافي حدود مصائرها الخاصة بل في حدود إسهامها في التاريخ الديني، ويكون التاريخ الديني هنا المضمون الرئيسي للتاريخ الإنساني، فالتطور التقدمي أذاً في مجال الأديان فقط ونقطة الذروة في تطور التاريخ هي إنجاز الخطة الإلهية، إذ أن غاية الإله من خلق التاريخ من خلال أفعال الناس هو أن يمكننا من أن تصبح لدينا فكرة عن هذه الخطة[١٩].

وهكذا يتفق كل من هيجل وتوينبي على الغاية النهائية للتاريخ، فهما يهدفان الى البرهنة على المفهوم الديني عن مصير البشرية من خلال دراسة مسار تطور التاريخ، ويغلب عند كل منهما الطابع اللاهوتي لمفهوم التاريخ ومساره والغاية النهائية منه[٢٠].

أن توينبي وعندما يستعرض فكره ومنهجه التاريخي تجده قد بدأ من حيث انتهى الآخرون و كما أن صميم منهجه وتصوره التاريخي يتصل بجذور عميقة الغور مع كل من سبقوه، فلا أحد يستطيع أن يحدد من أين بدأ توينبي وأين انتهى الآخرون على وجه التحديد، أن أصالة هذا المفكر تنبع أولا وقبل كل شيء من ذلك الاستيعاب المذهل لنظريات كل من سبقه ثم أحاطته الشاملة التي تبلغ احياناً حد الخوارق في الفكر الإنساني، ولكن الأصالة هنا لاتعني رفضاً مطلقاً لجهود الآخرين على هذا الطريق[٢١].

نظرية التحدي والاستجابة :

وبحكم تجربة توينبي الفكرية الواسعة المدى فقد وجه توينبي ردوداً حاسمة على نظريات الجنس والبيئة فذهب الى أن جميع العوامل البيولوجية وعوامل البيئة لا تكون عوامل مشتركة فيما بينها، وانما تؤلف نمطاً من العلاقات بين العوامل فهي كل متعدد وليست كل منفرد، فيحاول هذا المفكر، بما يحمله من ذهن مستوعب أن يخلق شعوراً شاملاً في قصة نشوء الحضارة مستعيناً في ذلك بكل ما يتوفر من دراسات مقارنة للمجتمعات البدائية الى جانب استخدام ما توصل إليه العلماء في التاريخ والجغرافية(٢٢).

فلقد حاول إعطاء البيئة الطبيعية والجغرافية أهمية خاصة في خلق الحوافز الحضارية وتفسير الأحداث التاريخية، معتمداً في ذلك على مناقشته للنظرية التي اعتمدها الإغريق الهيلينيون والخاصة بالبيئة أساساً حتمياً يمكن من خلاله فهم الخصائص الحضارية للشعوب(٢٣).

انطلق توينبي من أن مادة التاريخ هي حياة أقسام موحدة من البشرية، اسماها ((المجتمعات))، وذكر منها مجتمع ((المسيحية الغربية)) ومجتمع ((المسيحية الشرقية أو البيزنطية)) والمجتمع الإسلامي، والمجتمع الحضري، ومجتمع الشرق الأقصى، وهي مجتمعات لا تزال قائمة كحضارات في الوقت الحاضر، وبالإضافة إلى ذلك يتبين ما يشبه المتحجرات التي تحمل أثار مجتمعات بادت مثل المسيحية النسطورية واصحاب الطبيعة الواحدة، ويصف العلاقات والفوارق بين هذه المجتمعات بأنها عالمية oecumenical، بينما يسمى الفوارق والعلاقات في نطاق مجتمع واحد، مثل ما بين فرنسا وإنجلترا قومية parochial وأهم مهمات المؤرخ تتصل بملاحظة وتمييز هذه الوحدات، أي المجتمعات، ودراسة العلاقات بينها(٢٤).

في البداية يعرض توينبي مقدمة للنظرية التي تفسر عملية التحدي والاستجابة، وكيفية تأثيرها على نشوء الحضارات، فتوينبي يقوم بدراسة مقارنة للحضارات، وأسئلته الرئيسية التي يطرحها هي كيف تظهر الحضارات ولماذا ؟ ثم

كيف تنمو ولماذا ؟ وكيف تنهار وسبب ذلك، فالحضارة تنمو حين تتعرض الحضارة لتحدٍ challenge فتستجيب له استجابة ناجحة Response، وبذلك لا تقتصر على تجاوز المحنة بل تولد نفسها القدرة على مواجهة تحديات مقبلة، وبتوالي المواجهة للتحديات باستجابات اكبر تنمو الحضارة وتنمو حيوية الناس الداخلية(٢٥)، فيستعرض القصص الديني على أساس هذه الفكرة وهي قصة أكل حواء لفاكهة الشجرة التي حذرهم الله منها، إذ ينتهي إلى أن الصراع بين الخير والشر إنما هو حقيقة قائمة، ويتخذ صوراً مختلفة، وتعبر الأسطورة عن حقائق هذا الصراع بين الإنسان والطبيعة من اجل خلق مجتمعه وحضارته، وهنا يؤكد توينبي مرة أخرى أن الحضارة إذاً لم تكن نتيجة لسمو جنس ما، أو نتيجة لبيئة جغرافية معينة، وانما هي نتيجة للاستجابة لتحديات معينة تتسم بالثبات وتستثير الإنسان للقيام بجهد فائق، وهكذا يناقش توينبي ثانية نظرية البيئة التي يعدّها بعضهم أساساً يفهم في ضوئه خصائص الحضارات(٢٦) .

ومن بين التحديات التي يرى توينبي أنها من حوافز الاستجابة في الكيانات الاجتماعية التحدي الداخلي المتمثل في الجزاء الذي يصيب جزءاً من الكيان الاجتماعي بعطل، فنجد عندئذٍ أن المجموعة البشرية التي يصيبها هذا الجزء فيحرمها بعض قدراتها في مجال ما تتوجه إلى مجال آخر لتبدع فيه وتبتكر، ويرى توينبي أن هذا القانون الاجتماعي له نظيره في الأنواع البيولوجية، فعندما يصاب عضو من الأعضاء بعطب نجد بعض الأعضاء الأخرى تحل محله لتؤدي دوراً تتفوق فيه في مجال آخر، ويطبق توينبي هذا القانون على هجرة الأرقاء المستعبدين الذين وفدوا إلى روما في القرنين المليئين بالمصائب والأهوال، فنجد أن كثيراً من هؤلاء الأرقاء قد بلغوا في نهاية الأمر قمماً عالية في المجتمع الروماني فاصبح منهم الملوك والفلاسفة وكبار الكهان وحققوا معجزة الأيمان بالمسيحية التي أرغمت روما فيما بعد على يد الإمبراطور قسطنطين على الاستسلام الكامل(٢٧).

لم يركز توينبي على الأمم والعصور في دراسته، إنما كان جل عنايته بالمجتمعات والحضارات التي قسمها إلى إحدى وعشرين حضارة لم تبق منها سوى

خمس هي : المسيحية الغربية، والمسيحية الأرثوذكسية، والإسلامية، والهندية، وحضارة الشرق الأقصى، وتضاف إليها مخلفات المجتمعات المتحجرة غير المعينة الشخصية، مثل حضارة اليهود والبارسيين[٢٨].

ويخلص توينبي من آرائه بشان ظهور الحضارات إلى إنها نتيجة استجابة لتحدِ صادر أما عن البيئة المادية واما عن الوسط البشري أو عن كليهما وذلك في ظروف معينة أوردها ضمن مؤلفه[٢٩].

ويرى العلامة توينبي ان للأحداث التاريخية جانبين : مادي وروحاني، وهنا يختلف عن المؤرخين الآخرين الذين تقتصر أعمالهم على التطرق للأحداث التاريخية سردياً من غير استقصاء لدوافعها، أو الذين يفسرونها مادياً مثلما يفعل فلاسفة الاشتراكية الذين ابتكروا فلسفة التفسير المادي للتاريخ، وعلى أساس الناحيتين المادية والروحية يعرض توينبي لبدايات الحضارات وارتقاءاتها وانهيارها[٣٠].

١- **بدايات الحضارات** :

لا يقبل توينبي بالفكرة القائلة بوجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، كما يدحض نظرية استطالة الحضارة القائلة بان مصر هي اصل جميع الحضارات، وعنده أن من بين المجتمعات الحضارية الإحدى والعشرين هناك خمس عشرة حضارة تتصل بصلة البنوة بحضارات سابقة، لكن ثمة ستة مجتمعات فقط قد انبعثت مباشرة من الحياة البدائية تلك، ومن بين الستة هذه هناك ثلاث حضارات مشهورة هي المصرية، السومرية والصينية[٣١].

إذ لا يمكن أن يعزى قيام الحضارات الى صفات معينة في جنس من الأجناس، إذ لايمكن أن يرتبط التفوق الروحي والذهني بلون البشرة، فالواقع أن جميع الأجناس قد ساهمت في انبعاث الحضارة[٣٢].

وبصورة أدق لايمكن اعتبار البيئة هي العامل الإيجابي الذي جلب الحضارات إلى الوجود، وان كان هذا عاملاً عظيماً ذا خطر في التشكيل الثقافي،

فهناك عامل لايمكن تحديده: هو سيكولوجي في طبيعته، وهو أخطر عوامل انبعاث الحضارات أهمية واشدها ارتباطاً بالقضاء والقدر[٣٣].

وهنا يلتجئ توينبي إلى استعراض الأساطير الكبرى التي أودعها الجنس البشري حكمته كما يلتجئ إلى الأديان، فاستخلص الفكرة القائلة أن الإنسان قد حقق الحضارة ليس على أساس التفوق العنصري، أو ثمرة بيئة جغرافية، ولكنه حققها استجابة لتحدِ موقف ذي صعوبة خاصة، استثار الإنسان لبذل جهد ما، لم يبذله من قبل .

ويعطينا مثلاً على ذلك انبعاث الحضارة المصرية، فلقد كانت الصحراء الكبرى والصحراء العربية قبل فجر الحضارة أرضاً رعوية عامرة بالمياه، ثم أصاب تلك المراعي الجفاف الطويل فجابه سكانها بتحدِ استجابوا له بطرائق مختلفة تمثلت بتمسك البعض بأرضهم وتغيير عاداتهم، فابتكروا نمط الحياة البدوية، فيما نقل آخرون مواطنهم إلى المناطق الاستوائية حيث المراعي فاحتفظوا بطريقة حياتهم البدائية التي مازالوا يعيشونها حتى الآن، فيما لجأ آخرون إلى مستنقعات وغابات الدلتا (دلتا النيل) فجابهوا هذه المستنقعات بما مثلته من تحدِ لهم فعملوا على تجفيفها، وبذلك تمكنوا من إقامة الحضارة المصرية[٣٤].

وهكذا يستخلص توينبي إلى انه : يمكن تفسير بدايات الحضارة في الفرض القائل أن الأحوال الصعبة هي التي تولد الأعمال العظيمة، وهذه الفكرة لا تقتصر على البيئة المادية، وانما تتجاوزها إلى البيئة البشرية إذ نجد البيئة المبتدعة في كل حالة هي التي تلقى الصعوبات المادية أو البشرية، فالأرض البكر تبرز استجابات اشد حيوية من الأرض التي سبق اقتحامها بالفعل وشغلها مقيمون متحضرون فيسروا المعيشة فيها، كما أن الهزيمة الساحقة الفجائية كفيلة باستثارة الجانب المهزوم لترتيب نظام داره والاستعداد لتحقيق استجابة منتصرة، ثم يظهر توينبي استقراءاً مفاده أن الشعوب التي تشغل مواقع حدود وتتعرض لعدوان متصل تظهر استطالة اشد إشراقا من جيرانها أصحاب المواقع المحمية، وتستجيب الشعوب والطوائف التي أصابتها النقم لتحدي الحرمان من المشاركة في فرص ومزايا معينة بإبراز طاقة استثنائية

وإظهار أهلية غير عادية في الاتجاهات المفتوحة أمامها، ومثلها في هذا الشأن مثل الأعمى الذي تقوى لديه حاسة السمع فتكون قوة خارقة[٣٥].

٢- ارتقاء الحضارات :

يرى توينبي أن الارتقاء الحضاري يحدث حينما تصبح الاستجابة لتحدٍ معين، لا ناجحة في نفسها فحسب ولكنها تستثير تحدياً إضافياً يقابل باستجابة ناجحة[٣٦].

فالارتقاء هو عملية تالية لتكوّن الحضارات ويكفلها وجود حالتي (الين و اليانج)، أي انه لابد من وجود انطلاق ومحتوى يحفز الطرف المتحدى الى تحد جديد، ويلهمه استجابة، وهكذا في عملية الارتقاء فهي لاتنتهي ويعطي دعماً لنظرته هذه بمثال عن الحضارة الهلينية التي تعرضت لتحدي زيادة السكان، فالين واليانج هي تعبير عن التحدي والاستجابة، والمصطلحين صينيان، فحالة الين تمثل السكون بينما الياتج تمثل الحركة[٣٧].

إن قوام عملية الارتقاء الحقيقي يطلق عليه توينبي كلمة (التسامي) ويعني بها التغلب على الحواجز المادية، وتعمل عملية (التسامي) على إطلاق طاقات المجتمع من عقالها، لتستجيب للتحديات التي تبدو بعد ذلك داخل النفس اكثر منها خارجها، أي أنها روحانية الطابع اعظم منها ماديته، فعلاقة الفرد بالمجتمع في ظل عملية الارتقاء تقوم على أساس التسامي كما يرى توينبي[٣٨].

أن الارتقاء يتضمن تمايزاً بين أفراد المجتمع الذي يسير في مرحلة النمو، إذ ستبرز بعض الأجزاء استجابة ناجحة في كل مرحلة، فينجح بعضها في تتبع خطاها بفضل المحاكات، ويفشل بعضها في تحقيق الأصالة أو المحاكات على السواء، ومن ثم تتهاوى وسيكون ثمة تمايز بين مصائر المجتمعات[٣٩]، إن هذا التمايز بين الحضارات في الأساليب الفنية لا يخفي عند توينبي طابع الوحدة بين الحضارات الإنسانية وذلك لان ((التنوع الذي يبتدئ في الحياة والنظم البشرية ظاهرة سطحية تحجب خلفها وحدة كامنة دون أن تغيرها))[٤٠]، فمن الواضح أن للمجتمعات

المختلفة سمات مختلفة، إذ يتفوق بعضها في الفن، وبعضها الآخر في الاستثارة الدينية، والآخر في الابتكارات الصناعية، بيد إن غايات الحضارة تتماثل في جوهرها مثلها مثل البذور من نوع واحد، فلكل حبة مصيرها، وأن كانت تشترك جميعها في النوع ولكن يبذرها جميعها (باذر) واحد ليجتني نفس المحصول[٤١].

أن وحدة الطريق الذي رسمه توينبي لموضوعة ارتقاء المجتمعات كان يمر من خلال سلسلة متصلة من عمليات التحدي والاستجابة، ألا أن ذلك لم يوصله إلى القول بتماثل الحضارات من حيث الخصائص والمميزات، بل أكد على إن الحضارات تتمايز عن بعضها لأن تجارب الفئات المتعددة التي تنهض بتلك العملية ليست متشابهة متماثلة إذ أنها تختلف باختلاف الكيفية التي يستجيب أو يرد بها الفرد أو الأقلية الخلاقة أو المجتمع كله على التحديات[٤٢].

ويرى توينبي أن هناك نوعاً من التحديات تفد من الخارج فتستثير الطاقات الإبداعية في المجتمع، ويضرب مثلاً وهو تعرض مجتمع الشرق الأوسط لتأثيرات حضارية تتنافى مع طبيعته، وتتجلى تلك التأثيرات في خضوعه لإشعاعات الثقافة اليونانية بفعل الاحتلال اليوناني ثم الروماني، وقد تمثلت استجابة سكان الشرق الأوسط لهذا التحدي الوافد من الخارج باعتناق الإسلام، إذ اندفع المسلمون بقيادة العرب لاسترداد مجد الشرق الأوسط الذاوي، فقد انبنى على انتصار الإسلام استرداد الشرق الأوسط شخصيته التي أهدرها العدوان الثقافي الهليني أجيالاً طويلة فأصبحت المدن الإسلامية مراكز الحضارة الإسلامية الزاهرة[٤٣].

أما الاستجابات التي تتم بفعل تحديات تنشأ داخل المجتمع فقد شبه توينبي المجتمع الذي يمر بهذه الحالة بالجسم الإنساني، الذي يبتلى بفقد عضو من أعضائه أو ينكب إنسان بخسارة ملكة من ملكاته، تعتبر هذه الخسارة تحدياً يستجيب له الإنسان المصاب بالتخصص في استعماله عضواً آخر أو ملكة أخرى حتى يوازي أقرانه في ميدان النشاط الجديد هذا، وذلك ليعوض ما قصر عنده[٤٤]، وهنا يعطي توينبي عدة أمثلة على ذلك منها تحدي المصريين للقوة المادية البيزنطية باعتناق المسيحية[٤٥]، وتخصص اليهود في الشؤون المالية، والباريسيين في التجارة[٤٦].

٣- انهيار الحضارات :

من الإحدى والعشرين حضارة التي انبعثت الى الوجود لم يتبق سوى خمس حضارات، وهذا يعني ان ست عشرة حضارة قد انهارت، أما أسباب الانهيار فيوجزها توينبي(٤٧):

١- قصور الطاقة الإبداعية في أقلية المجتمع، وهذه الأقلية هي التي تتولى قيادة أغلبيته العاطلة عن الإبداع ٠

٢- عزوف أغلبية المجتمع عن محاكاة أقليته، وذلك بعد ما يتبين لهذه الأغلبية قصور أقلية المجتمع الرائدة الإبداعية .

٣- تفكك وحدة المجتمع الاجتماعية بفقدان الثقة بين أقلية المجتمع الحاكمة وأغلبيته المحكومة، ثم ضياع وحدة المجتمع الاجتماعية ثم انهياره .

فنظرية توينبي ترتكز في موضوعة انهيار الحضارات على نظريته في التحدي والاستجابة، فاستمرار التحدي وتكراره في حضارة ما أما أن ينتهي باستجابة على التحدي وتصعد الحضارة في طريق التقدم، واما أن تخفق هذه الحضارة في الرد على ذلك التحدي وفي خلق استجابة إزاء تلك التحديات، فهذه السلسلة المتكررة من الاستجابات المخفقة إزاء هذه التحديات هي في الحقيقة المصدر الأساسي لتدهور الحضارات(٤٨).

٤- تحلل الحضارات :

إن التحلل أو التحجر حسبما يسميه توينبي هو مصير الحضارة، إذ أوضح إن دخول حضارة ما مرحلة الانهيار لايعني بالضرورة تحللها وموتها في القريب العاجل، إذ تمر الحضارة في مرحلة تحللها بثلاثة أدوار أو عصور هي(٤٩) :

أ- عصر الاضطرابات.

ب-عصر الدولة العالمية.

ج- دخول تلك الحضارة مرحلة فراغ ينتهي اما بموت الحضارة او تحجرها.

واعطى أمثلة كثيرة منها ما اعتقده انه من الأمثلة البارزة وهي الحضارة المصرية، فأنه بعد انهيار المجتمع المصري تحت العبء الجسيم الذي فرضه عليه بناة الأهرام، يجد أن هذا المجتمع المشرف على الموت بشكل واضح يرفض أن يموت ويمضي المجتمع المصري ليضاعف فترة حياته(٥٠)، فأذا ما تم حساب مقياس زمن المجتمع المصري لحظة رد الفعل الاستثاري ضد الغزاة الهكسوس في أبان الربع الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى طمس آخر معالم الثقافة المصرية في القرن الخامس الميلادي، سيجد المتتبع إن فترة الالفي سنة هذه تبلغ استدامتها مجموع طول ميلاد المجتمع المصري مع ارتقائه وانهياره، الجانب الأعظم من فترة انحلاله وتحسب هذه الفترات مجتمعة من تاريخ إعادة توكيد المجتمع المصري نفسه أبان القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى انبعاثه لاول مرة فوق المستوى البدائي خلال الألف الرابع قبل الميلاد، بيد أن حياة المجتمع المصري في غضون النصف الثانية من بقائه كانت نوعاً من ((الموت في الحياة)) وفي خلال هاتين الالفي سنة اللتين تُعدّان زائدتين عن المقدر في حياة المجتمع المصري، أخذت حضارته التي حفلت حياتها الجارية بالحركة والمعنى، تتباطأ بفتور وتعطل، وفي الواقع عاش المجتمع المصري بفضل صيرورته متحجراً(٥١).

ويرى توينبي ميزان التحلل الحضاري من خلال انقسام الجسم الاجتماعي الى كسور ثلاثة:(٥٢)

أ- أقلية مسيطرة ب – بروليتاريا داخلية ج – بروليتاريا خارجية

فالأقلية المسيطرة هي تلك الطبقة المبدعة التي كانت أغلبية المجتمع تقتدي بها وتحاكيها وتقتفي أثرها في طريق الارتقاء، لكنها تحولت إلى أقلية مسيطرة بعد أن فقدت طاقتها الإبداعية(٥٣).

فيما يصف لنا البروليتاريا الداخلية بأنها الجماهير التي باتت تحكمها الأقلية المسيطرة[٥٤]، فهذه الجماهير باتت تشعر بأنهم ينتمون لهذا المجتمع بأجسادهم فقط، والصفة الأساسية التي تميز هذه الجماعة هي شعورها بأنها محرومة من مكانتها المشروعة في هذا المجتمع[٥٥].

فالبروليتاريا الداخلية هو الوصف الذي أطلقه على الأكثرية المقهورة من قبل الأقلية المسيطرة، هي الوسط الملائم الذي تنمو في داخله بذور الديانة الجامعة التي ستأخذ زمام المبادرة في تقويض ((أركان الإمبراطورية الفاسدة وما ساد فيها من عبادة باطلة للمعايير النسبية وتقديس مهدور للصنميات الفانية في شتى مرافق الحياة الفكرية والاجتماعية ثم تهب الحياة بعد ذلك للحضارة الطالعة))[٥٦].

أما البروليتاريا الخارجية، فهي الشعوب المحيطة بالدولة والتي تتربص بها وتسعى إلى الانقضاض عليها إن ألمّ بها ضعف، وتنشئ مكان المجتمع القديم مجتمعاً حديثاً، فلكل جزء من أجزاء المجتمع وظيفة تتلخص في[٥٧]:

١- تنشئ الأقلية المسيطرة دولة عالمية .
٢- تستجيب البروليتاريا الداخلية الى نداء الروح فتعتنق ديانة عالمية .
٣- تؤلف البروليتاريا الخارجية عصابات حربية بربرية تبتكر أشعار الملاحم مثل الإلياذة والأوديسة لهوميروس ٠

وعلى كل ذلك فأن توينبي يرى ان التاريخ يسير الى غاية أخلاقية، وهو بذلك تقرب اكثر من أسلوب المثاليين في التاريخ، ولم يكتف بتناول التاريخ كله بل تجاوزه الى المستقبل وحاول أن يشير الى احتمالات الحضارة الغربية المقبلة، وبذلك يكون قد تحول من الاجتماع الى ما وراء الطبيعة[٥٨].

فهو هنا يستقرئ ويتوقع أن تخفق الحضارة الغربية في توحيد العالم في أسرة واحدة وكأني أراه يتحدث هنا عن عصر (العولمة والأمركة) الراهن .

وهنا فقط سيحدث الانفجار الذي سيتمثل في انتفاض أبناء الحضارات غير الغربية على التسلط الغربي، فهو يتوقع أن يكون لابناء الحضارة العربية الإسلامية دور فعال في هذه العملية، ولكنه يعود ليضع تطور الأسلحة الحديثة واستخدام أسلحة الدمار الشامل الغربية عائقاً محتملاً، لكنه هنا يتناسى إرادة الشعوب وتصميمها وعقائديتها، كما انه لا يتوقع أن يتفق أبناء الحضارة العربية الإسلامية على مقاومة الحضارة الغربية بسبب عجز التقليدين عن مقارعة الغرب ورفض المجددين لذلك وكأن به يريد بهم أولئك الحكام العرب المعزولين عن شعوبهم السائرين في ركاب الغرب الاستعماري والمتخندقين معه ضد إرادة شعوبهم والساهرين على تطبيق وتحقيق أحلام الاستعمار والصهيونية[٥٩].

إن الفهم الصحيح لفلسفة هذا الرجل التاريخية يكمن في وضعه ضمن إطار المدرسة الإنجليزية المحافظة التي تنحو نحواً مثالياً مسرفاً، وتقيم وزناً كبيراً للفرد البطل والعبقري الملهم الذي يحرك التاريخ، وبالرغم من شموخ عمله من حيث الجهد الكبير الذي يُعدّ بحق أعجازاً في الإنجاز فأنه قد تعرض للنقد والتجريح حتى من قبل مؤرخين من بني جلدته[٦٠].

إن توينبي يستحق منا كل الثناء لمواقفه السياسية المتعاطفة مع القضايا العربية وهي والحمد لله كثيرة وكثيرة وبحاجة ماسة إلى من يناصرها في هذا العصر الجديد من القرن الواحد والعشرين الجديد الذي افتتح بالاستعمار الإمبريالي الأمريكي الجديد ابتداءً باحتلال أفغانستان عام ٢٠٠١ واحتلال العراق عام ٢٠٠٣ والقائمة تترى تطبيقاً لما تذهب إليه أمريكا والغرب الاستعماري من ورائها وتطبل له وتزمّر من مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يقوم في أساسه على (سايكس بيكو) جديد يجزأ المجزأ ويقسم المقسم ضماناً لسيادة وهيمنة الكيان الصهيوني على المنطقة كلها ، إذ

كان توينبي يبني مواقفه على مناصرة الحريات والعدالة وشجب العنصرية والاستعمار وتحدي النزعات الأرستقراطية الوطنية وتحدي النزعات الفكرية المتسامية[٦١].

وإذا كان لابد لنا من الإجابة على السؤال القائل هل البطل هو صانع التاريخ أم الشعوب هي التي صنعته، فلا بد لنا هنا من أن نرفض هذا الفرز القائم بين البطل وشعبه ذلك الفرز الذي أوقع الخلاف بين المفكرين فيمن يصنع التاريخ البطل أم الشعب .

ورفضنا قائم على أساس واضح وهو إن البطل ابن الأمة ولابد أن يكون قد برز من بين رحمها ليعبر عن آمالها وتطلعاتها، ولا يمكن لشعب أن يحقق أهدافه من غير قيادة نابعة منه مستلهمة لآماله وآلامه تقوده إلى حيث المجد والرفعة، ولذلك فلا البطل وحده يصنع التاريخ بمعزل عن قاعدته الجماهيرية الشعبية ولا الشعب وحده يصنع ذلك التاريخ من غير حُداة يقودون مسيرته نحو الظفر وصناعة المجد، ولذلك فأذا ما كذب الرائد أهله فما هو التاريخ الذي يصنعه شعبه، أو إذا خان الشعب رائده وقائده فما هو التاريخ الذي يصنعه الرائد القائد لشعبه من غيرهم؟.

الخاتمة:

من خلال البحث المتواضع هذا توصلنا الى جملة نتائج هي :

١- ان التحولات الثقافية والأوضاع الحضارية هي السبب في اختلاف النظرة الى التاريخ على اختلاف العصور .

٢- ان محور نظرية توينبي في دراسته للتاريخ هو ((التحدي والإستجابة)).

٣- ركز توينبي في دراسته على كل الحضارات العالمية على عكس الفلاسفة والمؤرخين الآخرين الذين ركزوا على الحضارات الغربية واهملوا الحضارات الأخرى.

٤- ان توينبي وهو من مواليد لندن عام ١٨٨٩م، فإنه مدين لوالدته في الفضل عليه في تعلمه التاريخ، فهي حاصلة على شهادة البكالوريوس في التاريخ .

٥- كانت صحبته لأمه صحبة فكرية نادرة.

٦- ترك توينبي لنا عدداً كبيراً من المؤلفات المهمة، كان من ابرزها مؤلفه الضخم (دراسة للتاريخ) في ١٢ مجلداً.

٧- كانت ثقافته هيلينية،إذ امضى١٥ عاماً في دراسة اللاتينية و١٢عاماً في دراسة اليونانية.

٨- هناك تشابه في بعض اوجه التفكير بين توينبي وهيجل، وقد اعتبرت بعض أفكاره امتداداً لآراء وأفكار هيجل .

٩- اعطى البيئة الطبيعية والجغرافية اهمية خاصة في خلق الحوافز الحضارية وتفسير الأحداث التاريخية .

١٠- لا يقبل توينبي بالفكرة القائلة بوجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، كما يدحض النظرية القائلة بأن مصر هي أصل جميع الحضارات .

١١- يرى توينبي أن الارتقاء الحضاري يحدث حينما تصبح الاستجابة لتحدٍ معين لا ناجحة في نفسها فحسب، ولكنها تستثير تحدياً إضافياً يقابل باستجابة ناجحة.

١٢- درس توينبي انهيار الحضارة وتوصل الى اسباب الإنهيار والتي منها قصور الطاقة الإبداعية في أقلية المجتمع، وعزوف أغلبية المجتمع عن محاكاة أقليته وتفكك وحدة المجتمع الاجتماعية بفقدان الثقة بين أقلية المجتمع الحاكمة وأغلبيته المحكومة، ثم ضياع وحدة المجتمع الاجتماعية ثم انهياره .

١٣- أما تحلل الحضارات أو تحجرها حسب توينبي فيراه هو مصير الحضارة، إذ تمر الحضارة في مرحلة تحللها بثلاثة ادوار أو عصور هي الاضطرابات ثم الدولة العالمية ثم دخول الحضارة مرحلة فراغ ينتهي إما بموت الحضارة أو تحجرها .

الهوامش والتعليقات:

ملاحظة: سأذكر هنا المعلومات كاملة عن المصدر والمرجع عند وروده لأول مرة مما يغنينا عن إعداد قائمة للمصادر والمراجع.

(*) ينظر: الدوري، عبد العزيز،'' فلسفة التاريخ ، عرض تاريخي ''، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص٦٥- ٨٤ فلينظر.

(١) علم الدين، نيفين جمعة، فلسفة التاريخ عند آرنولد توينبي ، (القاهرة، ١٩٩١م)، ص١٩.

(٢) شبل، فؤاد محمد، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، (لقاهرة، ١٩٧٥م)،ص١٣.

(٣) علم الدين ، المصدر السابق، ص٢٠، إذ تخصص بدراسة تاريخ اليونان والرومان القديم وتعلم اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما، ينظر :الملاح، هاشم وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ،(الموصل ١٩٨٨)، ص٢١١.

(٤) شبل، فؤاد محمد، المصدر السابق، ص٢٠، ينظر تفاصيل اكثر عن حياته في : الملاح، دراسات، ص ٢١١-٢١٢.

(5) Arnold of History ، 10 Vols oxford . I . III، Astudy J . toynbee . 1934، Iv-Vi 1939،v111- x 1954.

(٦) علم الدين، المصدر السابق، ص٢٠، ينظر التفاصيل عن موسوعة توينبي في : د . عبيد، اسحق، معرفة الماضي من هيرودوت الى توينبي ، ط١،(القاهرة، ١٩٨١م)، ص٢٠ وما بعدها .

(٧) احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، (الإسكندرية،١٩٩٠ م)، ص٢٥٨.

(٨) خطاب، صدقي عبد الله، آرنولد توينبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس، ١٩٧٤، ص ص ٢٩٢- ٢٩٦.

(٩) توينبي، آرنولد، مختصر دراسة للتأريخ، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٥)،ج٤، مقدمة المترجم فؤاد محمد شبل.

(١٠) شبل، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، ص١٣؛ ينظر كذلك، د٠ محمود إسماعيل، البطل التاريخي بين كارلايل وتوينبي، بحث مكتوب على الآلة الكاتبة، نسخة منه لدى الباحث، ص٦.

(١١) الدوري، فلسفة التأريخ، عرض تأريخي، مجلة عالم الفكر، ص٧٨.

(١٢) علم الدين، فلسفة التاريخ عند آرنولد توبيني، ص٢٠.

(١٣) المطيعي، لمعي، آرنولد توبيني، (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م)، ص٨ .

(١٤) المطيعي، ن٠م، ص٩.

(١٥) الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٨.

(١٦) علم الدين، فلسفة التأريخ، ص٢١؛ ينظر كذلك د٠ محمود إسماعيل، البطل التاريخي، ص١٠٠.

(١٧) علم الدين، ن٠م، ص٨١، ينظر كذلك صبحي، في فلسفة التاريخ، ص ٢٦٢، وهذا رأي سبقهم إليه العالم ابن خلدون .

(١٨) علم الدين، ن٠م، ص٨١.

(١٩) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ص ٨١– ٨٢، ينظر كذلك صبحي، في فلسفة التاريخ، ص٢٦٢.

(٢٠) علم الدين، ن٠م، ص٨٢، ينظر كذلك إسماعيل، محيي الدين، توينبي، منهج التاريخ وفلسفة التاريخ (بغداد، ١٩٧٧م)، ص١٩ ٠

(٢١) إسماعيل، توينبي منهج التأريخ وفلسفة التأريخ، ص٣١.

(٢٢) صبحي، في فلسفة التاريخ، ص٢٦٥.

(٢٣) الملاح، دراسات في فلسفة التاريخ، ص١٠٥.

(٢٤) الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٨.

(٢٥) الدوري، فلسفة التاريخ، ص ص ٧٨– ٧٩.

(٢٦) صبحي، في فلسفة التأريخ، ينظر علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ص ١١٦– ١١٧.

(٢٧) صبحي، ن.م، ص٢٦٧، إسماعيل، توينبي، ص٣٤ وما بعدها .

(٢٨) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ط٢، ترجمة فؤاد محمد شبل،(القاهرة ١٩٦٥م)ج١، ص١١٢ وما بعدها، ينظر كذلك : الدوري فلسفة التاريخ، ص٧٨.

(٢٩) توينبي، ن. م، ج١، ص١٧٤ وما بعدها، ينظر كذلك السامرائي، نعمان عبد الرزاق، اضواء على تفسير التاريخ، ط١،(الرياض، ١٩٨٤) ص٥٤ ، ينظر كذلك: الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٩.

(٣٠) توينبي، ن. م، ج١، ص٢٧٥ وما بعدها، ص٣١٣، ٣٤٩، ٤٠٩ حيث يفصل في نمو الحضارات وارتقاءها وتحللها وانهيارها وللتفاصيل ينظر : الملاح، دراسات في فلسفة التاريخ، ص ص ٢١٤– ٢١٥.

(٣١) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص١١٣– ١٢٥، ينظر كذلك : الدوري، فلسفة التأريخ، ص٨٠، أما الثلاثة الباقية فهي المينووية والمايانية والأنديانية إذ قامت الأخيرتان في أمريكا اللاتينية، المصدر والصفحة نفسيهما.

(٣٢) إسماعيل، توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، ص٥١.

(٣٣) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ص ١٢٢– ١٢٣.

(٣٤) شبل، توينبي، ص٦٨، عبيد، إسحاق، معرفة الماضي، ص١٣٥.

(٣٥) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص٣١٧.

(٣٦) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص٣١٣ وما بعدها، ينظر كذلك : الدوري، فلسفة التاريخ، ص٧٩.

(٣٧) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١٢٤، وعن الين واليانج ينظر : صبحي، احمد محمود، في فلسفة التأريخ، ص٢٦٩.، وللتفاصيل ينظر : الملاح، دراسات، ص ص ٢١٥ – ٢٣٢.

(٣٨) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ص ٣١٣– ٣١٤.

(٣٩) توينبي، ن. م، ج١، ص٤٧٨، ينظر كذلك : عبيد، معرفة الماضي، ص١٣٤.

(٤٠) خوري، منح، التاريخ الحضاري عند توينبي، (بيروت، ١٩٦٠م) ، ج١، ص٤٠٤.

(٤١) توينبي، ن. م، ج١، ص٤٧٨، ينظر كذلك : عبيد، معرفة الماضي، ص١٣٤، خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٤٠٥.

(٤٢) خوري،، التاريخ الحضاري، ج١، ص٣٧.

(٤٣) شبل، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، ص٤٢.

(٤٤) شبل، توينبي، ص ص٤٢- ٤٣.

(٤٥) ينظر شبل، ن. م، ص ٤٨وما بعدها .

(٤٦) ينظر التفاصيل في لمعي المطيعي، آرنولد توينبي، ص٣١، وما بعدها وينظر كذلك: شبل، المصدر السابق، ص١٠٩ وما بعدها .

(٤٧) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص ص ٤١٢- ٤١٣، ينظر كذلك : السامرائي، نعمان عبد الرزاق، أضواء على تفسير التاريخ، ص٦١، ويعقب محمود صبحي على ذلك فيقول ((وهكذا فان المجتمع هو الذي جلب على نفسه عوامل الانهيار قبل ان يجلبها عليه غزو خارجي)) في فلسفة التاريخ، ص٢٧١، ينظر كذلك: الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٩-٨٠، وللتفاصيل أكثر ينظر : الملاح، دراسات، ص٢١٣-٢١٤.

(٤٨) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١٢٩، إسماعيل، محيي الدين، توينبي، ص٧٠ وللتفاصيل الأكثر عن انهيار الحضارات ينظر : الملاح، دراسات، ص٢١٩- ٢٢٠.

(٤٩) خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٤١١، ج٢، ص٦٤٤.

(٥٠) شبل، فؤاد محمد، توينبي، ص٤٧، عبيد، معرفة الماضي، ص ص١٣٦- ١٣٧.

(٥١) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ص١١٤- ١١٥، ينظر التفاصيل في : شبل، توينبي، الفصل الرابع يبحث بالتفصيل في فكرة توينبي عن الحضارة المصرية، ص٥٩ -٧٠.

(٥٢) علم الدين، فلسفة التأريخ، ص١٣٣، وينظر التفاصيل في : توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص١٢٨.

(٥٣) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص١٢٨، وينظر نيفين جمعة، فلسفة التاريخ، ص١٣٣ وللتفاصيل عن الأقلية المبدعة المسيطرة ينظر : خوري، منح، التاريخ الحضاري عند توينبي، ج١، ص ص١٠٨- ١٠٩.

(٥٤) توينبي، ن.م والصفحة، ينظر التفاصيل في: الملاح، دراسات، ص ص٢١٩- ٢٢٠.

(٥٥) جمعة، فلسفة التاريخ، ص٣٤ ولا بد لنا هنا من التوضيح إلى ان توينبي يستخدم مصطلح ((برولتياريا)).

بمعنى مخالف للمعنى الذي يستخدمه الماركسيون، فهم يقصدون به ((الطبقة العاملة)) التي لا يمتلك افرادها سوى قدرتهم على العمل اليدوي،انظر: الملاح، دراسات، ص٢٣٣.

(٥٦) خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٤٠.

(٥٧) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ص١٢٨- ١٢٩.

(٥٨) الدوري، فلسفة التاريخ، ص٨٠.

(٥٩) خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٨٨- ٨٩.

(٦٠) إسماعيل، د. محمود، البطل التاريخي بين كارلايل وتوينبي، ص٢.

(٦١) المصدر نفسه، ص٤.

بابل وآشور
و(نادي القوى العظمى)
العلاقات الدولية في عصر العمارنة

د. صلاح رشيد الصالحي
جامعة بغداد/مركز إحياء
التراث العلمي العربي/ قسم توثيق بغداد

النظام السياسي لنادي القوى العظمى:

خلال القرون من (١٥٥٠-١٢٠٠ ق.م) أو ما يعرف بعصر البرونز المتأخر، أصبحت دول الشرق الأدنى متكاملة سياسيا ضمن نظام دولي متعارف عليه فيما بينهم، فقد تبلورت في المنطقة خمسة ممالك عظمى يمكن تحديدها من غرب إيران إلى بحر ايجة (Aegean) ومن الأناضول إلى نوبيا (Nubia)، هذه الدول الإقليمية ذات مساحات كبيرة، وعدّ ملوكها أنفسهم بأنهم متساوين بالمنزلة السياسية ومتنافسين أيضا، وتستقر بين الممالك الكبرى – خاصة في سوريا وفلسطين – مجموعة من الدويلات الصغيرة التي دانت بالولاء في اغلب الأحيان إلى إحدى القوى الكبرى والأكثر قوة في ساحة العمليات العسكرية .

لقد دام النظام العالمي في الشرق الأدنى لأكثر من ثلاثمائة عام ضمن دول كبرى:

أولها : مصر في عهد الدولة الحديثة والتي امتدت من العالم الإيجي والى وادي النيل في شمال أفريقيا وكانت تعد آنذاك من اكبر الأقاليم وأوسعهم امتدادا لأنها ضمت أراضي من وسط سوريا وفلسطين شمالا و إلى نوبيا (في شمال السودان) جنوبا.

ثانيا: المملكة الكشية في بابل واقتصر حكمها على وسط وجنوب بلاد الرافدين.

ثالثا: المملكة الحثية (يطلقون على أنفسهم تسمية حاتتي)[١] وتقع في بلاد الأناضول، وحكمت وسط وجنوب تركيا الحالية كذلك أجزاء من شمال سوريا.

رابعا: مملكة ميتاني (Mittani)[٢]، وحكمت من نوزي (ارابخا) (كركوك الحالية) شرقا شرقا إلى حلب غربا، ومن بحيرة فان(Van) في تركيا شمالا إلى نهر الفرات جنوبا.

خامسا : المملكة الآشورية التي نالت استقلالها من التبعية لميتاني، والتي دامت من القرن الخامس عشر ق.م في عهد الملك آشور نادين آخي (١٤٣٠ ق.م) والى استقلالها في عهد آشور اوبالط (١٣٦٦-١٣٢٢ ق.م) فأصبحت قوة عظمى في المنطقة ضمت أراضيها شمال بلاد الرافدين وحتى جبال طوروس،وفي الغرب سعت جاهدة لتوسيع نفوذها باتجاه نهر الفرات .

ولدينا مملكة عيلام (Elam) في غرب إيران وتعتبر قوة سياسية وعسكرية، وظهرت منذ فترة مبكرة حوالي النصف الثاني من لألف الثانية[٣]إلا أنها لم تدخل في تشكيلة الممالك العظمى، لان نظامها السياسي اهتم بدرء الخطر الآتي من القبائل البدوية في هضبة إيران، وأيضا استغلال حالة الضعف السياسي التي تصيب ممالك جنوب بلاد الرافدين_ الممالك السومرية والاكدية ... الخ – لتشن حملة عسكرية الهدف منها السلب والنهب لا غير، لذا لا وجود لمراسلات دبلوماسية بينها وبين باقي القوى العظمى في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد يعود إلى ندرة النصوص العيلامية !، وينطبق هذا على الممالك القزمية المنتشرة على الساحل الايجي في غرب الأناضول فمعلوماتنا عنهم غامضة بسبب غياب المصادر التاريخية، وما نملكه من معلومات وردت في نصوص القوى العظمى كإشارات مقتضبة ضمن حملاتهم العسكرية على مناطقهم التي تتسم بالتمرد واحترافهم القرصنة البحرية لأنها تدر عليهم ثروات أفضل من النشاط الزراعي، وقد أشارت النصوص الحثية شيئا عنهم وعدنهم بؤر للتمرد والعصيان ضد السلطة في حاتوشا، ولا تخلوا النصوص الحثيه من ذكر حملات ملوكهم ضد أشهر مملكة في غرب الأناضول هي ارزاوا (Arzawa) وتهجير سكانها من بعض مقاطعاتهم إلى داخل الوطن الحثي،[٤]، ولدينا رسالتين ضمن

رسائل العمارنة كتبت بلغة الارزاوية، وهذا دليل على ان البلاط الارزاوي لا يملك كتبة باللغة الاكدية، ومع هذا لا يمكن عدها قوة عظمى لان تاريخ المملكة غامض لقلة المصادر عنها[٥]، كما يمكن أن نظيف مملكة الاشيا (Alashiya) (جزيرة قبرص) تركزت قوتها في داخل حدود الجزيرة الغنية بالنحاس والعاج والأخشاب، ولديها موانئ لغرض التجارة البحرية و ملجأ للقراصنة[٦]، ومع هذا لدينا رسائل متبادلة بين الفرعون المصري وملك الاشيا دون ذكر اسمه،واستخدمت فيها كلمة (أخي) في المخاطبة مما يدل على أن ملكها حضي بمنزلة متساوية مع ملوك القوى العظمى ولكن فقط في قلب الفرعون! فلم تصلنا رسائل متبادلة من ملوك آسيا مع الاشيا ماعدا مصر.

أما الدويلات الصغيرة في سوريا – فلسطين ومنها بيبلوس(Bybos) (جوبيلا) (طرابلس الحالية)، دمشق (Damascus)،اوغاريت(Ugarit)،و حلب(Aleppo)، قادش (Qadesh)، امورو(Amurru) ...الخ،فقد عانت من المنافسة للسيطرة عليها، ففي البداية كان الصراع ما بين مصر – ميتاني للسيطرة على ممالك بلاد الشام، ومن ثم حدثت منافسة بين مصر – حاتتي على نفس المنطقة، ومع تغير مراكز القوى في المنطقة حدث صراع ما بين آشور – حاتتي للسيطرة على المنطقة ، فقد كانت الأطماع الآشورية لا حدود لها للوصول إلى سواحل البحر المتوسط، وهكذا اعتبرت الدويلات السورية من وجهة نظر القوى العظمى كدويلات حاجزه (buffer States) ولذلك لم تتطور سياسيا لتشكل دولة موحدة، ولم تسمح القوى الكبرى أن تتحدد تلك الممالك الصغيرة في بلاد الشام في دولة كبرى . وعلى العكس نلاحظ التدخل الحثي في الشؤون الداخلية للدويلات الصغيرة أكثر بكثير من التدخل المصري، فقد عين على مدن كركميش وحلب نواب عن الملك الحثي في إدارة الشؤون السورية نيابة عن ابن عمهم في حاتوشا، فكان إلزاما عليهم حل مشاكل الحدود والقضايا القانونية[٧] والتجارة بين الدويلات الصغيرة و الدول الكبرى[٨]، وحتى فرض عقوبات اقتصادية إذا تطلب الأمر ذلك وحدث هذا مع توغل قوات توكلتي– ننورتا الأول (١٢٤٤–١٢٠٨ ق.م) في عمق جبال طوروس، شمال آشور والى نهر الفرات غربا،وطلب الملك الحثي من تابعه حاكم مملكة امورو أن يتخذ موقف صلب

اتجاه آشور (ملك بلاد آشور عدوي، لذا يجب آن يكون عدوك أيضا، لا تاجر من امورو يذهب إلى بلاد آشور، وأنت لا تسمح لتاجر آشوري بالدخول إلى بلادك، أو يعبر من خلال بلادك، على أية حال إذا تاجر آشوري أتى إلى بلدك تقبض عليه وترسله لي، هذا التزامك تحت القسم المقدس ...)[٩].

العلاقات الدولية في عصر العمارنة:

اكتشفت الرسائل في موقع العمارنة (el-Amārna) الذي يقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ضمن محافظة الأقصر حوالي (١٩٠) ميل جنوب القاهرة، وقد عرف الموقع سابقا باسم (أخيتاتون)(Akhetaten) العاصمة القديمة لمصر ولفترة قصيرة (١٣٨٠– ١٣٤٠ ق.م) من القرن الرابع عشر ق.م، وقد شيدها امنوفس الرابع (الأسرة الثامنة عشر) وكان أشهر ملوك مصر قاطبة وقد غير اسمه فيما بعد إلى اخناتون ومعناه (روح آتون)[١٠]، وقد عثر على ألواح العمارنة بين الخرائب المدينة المهجورة بين الأعوام (١٨٨٦– ١٨٨٧ ق.م) وعن طريق الصدفة،عندما عثرت فلاحة مصرية على بعض الرقم الطينية التي وجدت طريقها إلى تجار العاديات، فأثارت دهشة كبيرة بين الأوساط العلمية،فهي ألواح طينية نقشت بلغة بابلية مسمارية، وهذه الرقم شجعت على الحفريات السرية[١١]، وما وصلنا من تقارير عن المكتشفات الأثرية كانت معلوماتها متضاربة، وأصبح من الصعب معرفة أعداد الألواح التي وجدت في موقع العمارنة، فقد ضاعت أو دمرت أعداد من الألواح[١٢]، ومع هذا فهناك أكثر من (٣٠٠) رقيم طيني جاء من ممتلكات تجار العاديات أو من المقتنيات الخاصة وتم الحصول عليها عن طريق الشراء أو الهدية أو المصادرة، وأخذت تلك الألواح طريقها إلى المتاحف العالمية[١٣].ومن بين تلك المجموعة (٤٤) رسالة من الملوك المساوين بالمنزلة السياسية مع الفرعون ،بينما باقي الرسائل أرسلت من قبل حكام المقاطعات التابعة لمصر في سوريا وفلسطين[١٤]، وعدد قليل جدا كتبت من قبل الفرعون (عمارنة ١،٥،١٤، ٣١، ٩٩، ١٦٢ –١٦٣،١٩٠،٣٦٧،٣٦٩ – ٣٧٠)[١٥].

أعطت الرسائل فكرة واضحة عن العلاقات السياسية المتطورة في تاريخ الشرق الأدنى القديم بين العواصم (بابل، آشور،اخيتاتون (العمارنة حاليا)، حاتوشا، واشوكاني)[١٦]، ومثل هذه العلاقات التي أفرزتها الرسائل لم تكن وليدة الصدفة إنما تطور دبلوماسي ميز العلاقات السياسية للقرن الرابع عشر ق.م، واعتقد الباحثين في بداية الاكتشاف الأثري للرسائل أنها تمثل (الدبلوماسية الشرقية) لان هناك تشابه ما بين القديم والحديث في العلاقات الخارجية[١٧]، وقد ازدادت معلوماتنا أكثر بعد حملة الاكتشافات الأثرية التي جرت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي في العاصمة حاتوشا (بوغازكوي حاليا) مما ولد صلة ما بين الوثائق المكتشفة حديثا وما كشف في العمارنة سابقا، فتم إعادة بناء العلاقات الدولية إلى (تل عمارنة –زيتي)(Tell-Amarna-Zeit)[١٨]، كذلك عثر على ارشيفات في دويلات المدن السورية وخاصة في اوغاريت (Ugarit) (موقع رأس شمرا الحالية)[١٩]، وموقع الالاخ (Alalakh)وقام الباحث وايزمن(Wiseman) بترجمة النصوص المكتشفة إلى اللغة الانجليزية[٢٠]، ويجب أن نضع في اعتبارنا بأن تصنيف (عصر العمارنة) لم يؤخذ على أساس تحديد زمني محدد كما ذكر أعلاه إنما استخدم لفترة زمنية أوسع لتشمل فترة أواخر عصر البرونز على اعتبار أننا نتعامل في مجال العلاقات الدولية بين ممالك الشرق القديم، علما بان عصر العمارنة بدأ في السنة الخامسة من إنشاء اخناتون عاصمته العمارنة وعدد سنوات حكمه منفردا في السلطة (١٢) عاما مضافا إليها (٣) سنوات مدة بقاء توت عنخ آمون في العمارنة فيكون المجموع (١٥) عاما لفترة مراسلات العمارنة الشهيرة، ولكن عثر على رسائل تعود إلى عهد امنوفس الثالث قبل تأسيس العمارنة ! الاحتمال الكبير أنها جلبت إلى العاصمة الجديدة وحفظت مع الرسائل الأخرى، وقدر علماء الآثار تاريخ (٥) سنوات تضاف إلى الرقم السابق فيكون مجموع سنوات العمارنة (٢٠) عاما فقط[٢١] ومع هذا فان شكلية الرسائل ومضمونها نراها تغطي مراسلات الملوك حتى نهاية القرن الثالث عشر ق.م[٢٢]، وعلى ما يبدو بان الباحثين في مجال التاريخ القديم والعلاقات الدولية أعجبتهم تسمية (عصر) على فترة زمنية و نوع معين من المراسلات كما هو في (عصر العمارنة)

لتشمل فترات سابقة عما نحن بصدده فقد أمدتنا التنقيبات الأثرية بارشيفات غنية من الرقم الطينية مما جعل الباحثين يتحدثون عن (عصر ماري) (Mari) (تل الحريري حاليا) و تعود إلى مملكة ماري على المجرى الأوسط لنهر الفرات وازدهرت في القرن الثامن عشر ق.م[٢٣]، إضافة إلى وثائق أخرى من عصر ابيلا (Ebla) وتعود إلى القرن الرابع والعشرين ق.م[٢٤].

أن التفسير السائد لرسائل العمارنة بأنها وثائق دبلوماسية قد شاع هذا التعبير بين المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الشرق الأدنى القديم والباحثين في العلاقات الدولية في الوقت الحاضر، لما طرحته تلك الرسائل من مفاهيم عده حول الأساليب الدولية في المخاطبة وتبادل الهدايا بين الملوك العظام، وقد زادت معلوماتنا بعد عمليات التنقيبات الأثرية في كل من مصر وبلاد الرافدين والأناضول فطرحت جملة من الوثائق تدعم ما ورد من معلومات التي سبق وان ذكرت في رسائل العمارنة، وهذا شجع قسم من الباحثين بقولهم بان الرسائل هي في حقيقتها وثائق قانونية ودولية في آن واحد شأنها شأن المعاهدات بين الدول[٢٥]، حيث تتناول مفاهيم معروفة منها الحرب والسلام ومشاكل الحدود والجزية والأحلاف واستقلال مقاطعات وردود الأفعال ضد تدخلات العسكرية في شؤون الممالك الصغيرة ... الخ وهذه ترد باستمرار في المعاهدات وكذلك النقوش الملكية و التي نطلق عليها حوليات الملوك ولدينا وفرة منها، فقد ذكر الملوك انتصاراتهم وإقرارهم الآمن في مناطقهم وهم يبالغون في ذكر أسماء الملوك المنهزمين ومناطقهم وتقديمهم الولاء والجزية للملك المنتصر، والمشكلة في النقوش الملكية هي في تحديد المواقع المستولى عليها من حيث موقعها الجغرافي ؟ وهل هي مدن أم قرى؟ وهل أسماء الملوك في حقيقتها أسماء رؤساء عشائر أو شيوخ ؟ لأننا نترجم كلمة شار(Šar) الاكدية بمعنى ملك ! من هنا يجب أن لا نتصور بأنهم حكام دول واسعة ! كما أن أسماء المواقع تولد حيرة عبر عنها الباحث ميلارت (Mellaart) وهو يسخر من وصف وتحديد المواقع الأثرية في الأناضول كما وردت في حوليات الملوك الحثيين بقولة (لعبة الحزورة تشبه جغرافية الحثيين)[٢٦]، ونفس الحالة توصل إليها الباحث بورني (Burney (عندما قام برحلة إلى شرق تركيا

متتبعا وصف سرجون الآشوري لسير حملته الثامنة على اوراراتو (٧١٤ ق.م) ضمن منطقة بحيرة فان فوجد غالبية ما ذكره سرجون هي أسماء قرى زراعية وان نص الملك الآشوري مبالغ فيه ولغرض الدعاية[٢٧]، أما بالنسبة لرسائل العمارنة فهي رسائل مقنعة أكثر من النقوش الملكية فيها أسلوب المنطق والمساومة والحجة البلاغية والاستعارة العاطفية وكتبت باللغة البابلية لغة الدبلوماسية العالمية آنذاك فنحن نتوقع بان الكتبة ارتبطوا بالقصور الملكية واستعملوا اللغة البابلية في المراسلات ولا غرابة في حصولهم على مهارات كتابية فقد عثر على ألواح أدبية نقشت عليها ملحمة كلكامش في موقع مجيدو (Megiddo) بفلسطين، وان اللغة الاكدية في القصور العديدة لم تكن تستخدم للأغراض المحلية إنما كانت لغة النخبة في مجتمعات الشرق الأدنى في القرن الرابع عشر ق.م لان معرفتهم باللغة البابلية كان هدفه إبراز هويتهم الاجتماعية[٢٨] وهذا ينطبق على القصور الملكية في العمارنة وحاتوشا واوغاريت وايمار (Emar) وامورو ... الخ، نحن نرى في بداية الألف الثانية بان البيوتات الملكية في الشرق الأدنى القديم تراسلوا فيما بينهم،ولذلك نلاحظ وجود اختلاف ما بين تلك الفترة من جهة و عصر العمارنة من جهة أخرى، فسابقا كانوا يناقشون في رسائلهم قضايا الرئيسة وخاصة الحرب والسلام والجزية ومشاكل الحدود بينهما، لكن في رسائل العمارنة بين الملوك العظام لا نجد إلا بعض التلميحات لأنهم ركزوا أساسا على تبادل الرسل والبضائع والنساء،بعكس رسائل الملوك الصغار حكام المقاطعات إلى سادتهم الكبار حيث ركزوا على أحوالهم السياسية اليومية في مناطقهم وما جاورهم، فنرى في رسائلهم اتهامهم للتوابع الآخرين بأنهم عديمي الثقة وليس لديهم ولاء للملك، هذه الاتهامات كانت مناورات من اجل المنافسة على البلاد والسيطرة على طرق المواصلات لذا تعد خطاباتهم فيها مبالغة على الأغلب حاولوا تفادي أو تأخير دفع الضرائب والجزية فجلبوا الانتباه بعيدا عن أمنياتهم بذكر خيانة جيرانهم من التوابع، وكذلك ادعوا بان دوافعهم سياسية حتى إذا لم يطيعوا أوامر الفرعون، ونحن نعرف من رسائل العمارنة بان التأثير المصري في سوريا وفلسطين كان واسع الانتشار ولم يظهر التهديد للوجود المصري إلا بعد النهوض الحثي فقد أرادت حاتتي

أن تقطف توابع مصر الشمالية الواحدة بعد الآخر، وهذا النشاط التوسعي ليس بالضرورة إن يقوم به الملك الحثي إنما تكليف احد توابعه من الملوك المحلين وإجباره بالدخول في حروب محلية تافه مع نظرائه[٢٩].

لقد خضعت الدبلوماسية الشرقية للاستبدادية والأنانية من لدن ملوكها وبذلك شكلت القاعدة السياسية التي نراها في تعابير واضحة كما هو في (عمارنة ٤) [(٤-٢٢) ..... لم لا ؟ أنت ملك، أنت تفعل ما تريد ! عندما تعطي ابنتك للزواج من الذي يقول لا ؟ ....)[٣٠]' هذه الصورة شاملة وتنطبق على الملوك العظام، ولكن لابد من الاحترام فيما بينهم، فعدم الاحترام معناه انقطاع الرسائل بينهم،فعلى سبيل المثال حاتوسيلي الثالث ملك حاتتي بعث برسالة إلى أخيه كدشمان انليل الثاني(Kadashman-Enlil) يقول فيها (الفقرة ٦ (٣٦-٥٤) علاوة على ذلك، أخي، كتب لي : فيما يتعلق بعدم إرسال المبعوثين لأن الاخلامو[٣١] معادين لي ولذا أنا قطعت رسلي:، كيف يكون هذا ؟ يا أخي، هل تقطع رسلك بسبب الاخلامو ؟ هل قوة بلادك صغيرة ؟ أخي، ربما اتي- مردوخ- بلاطو (Itti- Marduk- balatu)[٣٢] تحدث بكلمات غير مناسبة عني أمام أخي،ولذا أخي قطع رسله عني ؟ في بلاد أخي الخيول كثيرة مثل القش، هل يجب أن أبعث بألف عربة لمقابلة رسولك في توتول (Tuttul)[٣٣]!، وبهذه الطريقة سوف يبعدون الاخلامو أيديهم عن رسولك !، وقال أخي : سوف لن يسمح ملك آشور من مرور رسولي في بلاده متوجها إلى حاتوشا : بالمشاة والعربات ملك آشور لن يكون بمستوى قوات بلادك.... كيف يتجرأ ملك آشور ليمنع رسولك من اجتياز بلاده ! أخي، أنت ملك عظيم، والحياة الطويلة لك ... أخي، أنظر كيف أنا أحافظ باستمرار إرسال رسولي بعيدا إليك بسبب حبي لأخي، بينما أخي لا يرسل رسوله، هل أخي لا يعرف هذا ؟ .... فقط الملكين بينهما عداء لا يسمحون لرسلهم بالسفر فيما بينهما، لماذا أخي قطعت رسلك؟ .)[٣٤]، نستنتج من هذه الفقرات رفض حاتوسيلي انقطاع الرسل بين بابل وحاتوشا فهو يرفض التبريرات التي قدمها كدشمان انليل الثاني بحجة قبائل الاخلامو المعادية له أو موقف الملك الآشوري الذي يرفض مرور رسل الملك البابلي، وحسب اعتقاد حاتوسيلي ربما السبب

يعود إلى اتي- مردوخ- بلاطو (معنى الاسم مردوخ يمنح الحياة) الذي شغل منصب الوزير ووصي على كدشمان انليل الثاني عندما استلم الحكم وهو ما زال طفلا، ويعتبر من اشد المعادين للحثيين حتى انه كتب رسالة إلى حاتوسيلي الملك الحثي قال فيها: (أنت لا تكتب إلينا مثل الأخ، أنت تضغط علينا كما لو كنا من رعيتك...)، هذه العبارة جعلت حاتوسيلي يصف الوزيرالبابلي بالشرير والحاقد والكاذب وحمله فتور العلاقات بين البلدين .

نادي القوى العظمى:

استخدم هذا التعبير في المقدمة التي قدمها الباحث تادمر (Tadmor) في بحثه (سقوط الإمبراطوريات في غرب آسيا عام ١٢٠٠ ق.م)[٣٥] وقد ركز اصطلاحه على القوى الخمسة الكبرى في عصر العمارنة، ثم استعمل ليفراني (Liverani) هذا المصطلح في بحثه (نادي القوى العظمى)[٣٦] موضحا العلاقات الدبلوماسية بين السادة الكبار، ثم تطرق الباحث ميروب (Mieroop) على الوضع السياسي في الشرق الأدنى مستخدما نفس المصطلح لكن بشكل أوسع في مؤلفه (تاريخ الشرق الأدنى القديم)[٣٧] ليتناول منطقة الشرق الأدنى القديم في أواخر عصر البرونز،أما في هذا البحث فسوف أركز على أهم المشتركات بين القوى العظمى من خلال رسائل ملوك بابل وآشور كما وردت في رسائل العمارنة، ثم أتطرق إلى الوضع السياسي في أواخر القرن الثالث عشر ق.م التي أعقبت العمارنة مباشرة والتي تأثرت بشكل أو بآخر بأسلوب وحياة عصر العمارنة وحتى سقوط قوى (النادي) ! .

عند قراءة رسائل العمارنة المتبادلة بين الملوك العظام[٣٨] نرى فيها نموذج العلاقات الشخصية كما هو في الوقت الحاضر في مجتمعات الشرق وكأنها استعارة من الحالة الاجتماعية المتعارف عليها لتشكل أسلوب المخاطبة بين ملوك الدول الكبرى ولذا يمكن أن تقسيم الاستعارات الاجتماعية المتعارف عليها والتي استخدمت سابقا وحاليا والتي ما زالت متداولة بما يلي :

١- الاستعارة العائلية وتوسيع مبادئ القرية:

نفترض ومنذ زمن بعيد بان العلاقات الخارجية بين المجتمعات البشرية تقوم على أشكال من الكرم وحسن الضيافة والزيجات وتبادل البضائع والخدمات وهذه كانت أساسيات الرسائل، وفي العلاقات الداخلية تبدأ رسائل العمارنة باستعمال الملوك كلمة (أخي) (ahi) عند المخاطبة بينهما، وفي بعض الرسائل تتم المخاطبة بكلمة (أبي) (abi) استنادا إلى عمر الملك واحتراما له وليس لقرابته منهم،وأحيانا يضيف المرسل بعد كلمة أخي تعبير (صهري) وقد استخدم هذا الأسلوب توشراتا (Tušratta) ملك ميتاني(عمارنة ١٩ -٢١،٢٣ -٢٤) في رسائله إلى امنحوتب الرابع (امنوفس الرابع أو اخناتون) على اعتبار زواجه من الأميرة الميتانية تادو - خيبا ويعتقد أنها (نفرتيتي) ولكن هذا الأمر يحتاج إلى أدلة أكثر من التخمين،وسبق وان تزوج أبيه امنحوتب الثالث (امنوفس الثالث) من الأميرة (جيلو خيبا) (Kelu-Heba) الميتانية ابنة توشراتا (عمارنة ١٩)، وكلمة (أختي) عند مخاطبة ملك زوجة ملك آخر ولدينا رسائل مرسلة من رعمسيس الثاني إلى الملكة (بودوخيبا) زوجة حاتوسيلي ملك حاتتي يخاطبها بتعبير أختي[٣٩] وهذه العبارات متعارف عليها عند المخاطبة بين أفراد الأسر في المجتمعات الصغيرة كالقرية، والحي، والأقارب[٤٠]، واستعمال هذا التعبير له مغزى اجتماعي وما زالت تستعمل حتى يومنا الحاضر[٤١]، ثم يلي ذلك ذكر التحيات للمرسل والمرسل الية (Šulma ša'ālu) (بمعنى السلام)، ويشمل الزوجات والأبناء، الممتلكات، الخيول، العربات الحربية، النبلاء والبلاد ... الخ[٤٢] وهذا الشكل من التحيات في الرسائل من الموروث الثقافي للعهد البابلي القديم وتظهر بجزأين :

الأول : يوضح المرسل بقوله : (بالنسبة لي كل شيء بخير) وكمثال في رسالة برنابرياش الثاني ملك بابل إلى أخيه الفرعون اخناتون (Nimmuwarea)[٤٣] قال فيها: (اخبر نيموريا ملك مصر، هكذا برنابرياش ملك كردونياش (Karaduniyaš) (بمعنى بابل)، أخوك، بالنسبة لي كل شيء بخير، إليك ولأسرتك زوجاتك،أبنائك، بلادك، نبلائك، خيولك، عرباتك، عسى الكل بخير)[٤٤]، وهناك استخدام آخر للتحيات ففي رسالتي آشور اوبالط (١٣٦٢- ١٣٢٧ ق.م) (عمارنة ١٥-١٦) حذفت هذه الفقرة واكتفي (كل شيء بخير) ثم

أحوال الممتلكات لدى الفرعون ، كما هو في رسالته (عمارنة ١٥) : (إلى ملك مصر، يقول ملك آشور، أتمنى أن تكون بصحة جيدة، وكذلك أسرتك، وبلادك، عرباتك الحربية، و جنودك ...)[٤٥].

أما الثاني : فان التحيات تبدأ (كل شيء بخير معك) ثم يذكر الأسرة والزوجات والأبناء، الخيول، العربات، النبلاء، والقوات (عمارنة ٣٤)[٤٦].

بعد التحيات تدرج المفاوضات بخصوص زيجات الحاكم أو العلاقات السياسية....الخ، ففي رسالة برنابرياش الثاني إلى الفرعون اخناتون (عمارنة ٧) (أطلق عليها درس في الجغرافية) بعد التحيات (Šulma ša'ālu) ذكر الملك البابلي حادثة مرضه، ويتساءل كيف لا يعرف الفرعون بمرضه ؟ (إلى نيبخروروريا(قد يكون امنوفس الرابع)، الملك العظيم، ملك مصر، أخي، هكذا برنابرياش،الملك العظيم،ملك كردونياش(بمعنى بابل)،أخوك، بالنسبة لي ولأسرتي،خيولي عرباتي، نبلائي، بلادي، جميعهم بخير.

(٦-٧) إليك، أخي، ولأسرتك، عرباتك،نبلائك، بلادك،عسى الجميع بخير.

(٨-١٣) عندما وصل رسول أخي إلى هنا، لم أكن بصحة جيدة[٤٧]، ولم التقي برسولك[٤٨] ولم يأكل الطعام ويشرب الكحول معي، إذا أنت سألته [......] .... فان رسولك سيخبرك بهذا، وباني لم أكن بصحة جيدة،وكانت صحتي قلقة[٤٩]، أنا ما زلت أحاول أن استعيد صحتي[٥٠].

(١٤- ٢٥) علاوة على ذلك، وفي خلال فترة مرضي، أخي اظهر لي عدم اهتمامه، ولهذا من ناحيتي انتابني الغضب (am-[ta-la]) من أخي قلت : (هل سمع أخي باني مريض؟ لماذا اظهر عدم اهتمامه اتجاهي ؟ لماذا لم يرسل مبعوثه ليزورني ؟)، لكن رسول أخي خاطبني قائلا : (أن مصر ليست قريبة،ولهذا لم يسمع أخوك بمرضك، ولم يبعث بتحياته إليك،أن مصر بعيدة جدا من الذي يذهب ويخبر أخوك وبدورة يرسل لك تحياته سريعا، فهل من المعقول أن يسمع أخوك بمرضك ولا يرسل مبعوثه لك؟[٥١].........)[٥٢].

يظهر من مضمون الرسالة بان الملك البابلي لديه مشاكل مع الفرعون[٥٣]، وان المسافة بين البلدين تقارب (٢٠٠٠) كلم فكيف يعاتب برنابرياش أخيه الفرعون على عدم إرسال رسالة تتمنى له الشفاء العاجل، وكأن الملك البابلي يجهل البعد الشاسع بين مصر وبابل! مثل هذه الأفكار نجدها ملائمة في بيئة القرية أو الحي وليس من خلال رسائل متبادلة يحملها رسل عبر مسافات بعيدة، ونفس الغرابة نجدها في (عمارنة ٣) (أطلق عليها زواج، تذمرات، وافتتاح قصر) وهي مرسلة من كدشمان- انليل الأول إلى امنوفس الثالث قال فيها (إلى نيمواريا (Nimu´wareya) ملك مصر، أخي، هكذا كدشمان- انليل، ملك كدونياش، أخوك، أنا بخير لك ولأسرتك، زوجاتك، أبنائك، بلادك، عرباتك، خيولك، نبلائك، عسى الجميع بخير.

(٤-١٢) فيما يتعلق، بابنتي، وبخصوص ما كتبته لي بالزواج منها،هي أصبحت امرأة [٥٤]، هي بالغة، أرسل وفد ليأخذها إلى مصر،............ .

(١٣ ٢٢) .... عندما احتفلت في مهرجان عظيم[٥٥]، لم ترسل رسولك ليقول لي: (تعال أكل واشرب[٥٦]، ولم ترسل هديه) لها ارتباط بالمهرجان...

(٢٣-٣١) أنا شيدت منزلا جديدا[٥٧]، وقد بنيت [.....] كبير، رسلك شاهدوا شاهدوا المنزل و...... وفرحوا، (الآن) أنا ذاهب لافتتاح المنزل، تعال بنفسك لتأكل وتشرب معي، أنا سوف لن افعل كما فعلت أنت.....)[٥٨].

في مضمون الرسالة عدة نقاط منها موافقة الملك البابلي بإعطاء ابنته كزوجه إلى امنوفس الثالث المعروف عنه بولعه بالنساء فقد ضم قصره زوجات بابليات وأشوريات وميتانيات ومن ممالك التابعة في فلسطين أيضا، كما قدم احتجاج وعتاب للفرعون على عدم دعوته لزيارة مصر وحضور احتفال كبير أقيم بها، ونفس العتاب صدر من ملك الاشيا(قبرص) ورد في (عمارنة ٣٤)، وأخيرا وجه الملك البابلي دعوه للفرعون لزيارة بابل وحضور حفل افتتاح قصره الجديد، وهنا نلاحظ محاولة برنابرياش الثاني بتوجيه (وخزه دنبوس) للفرعون بقوله (أنا سوف لن افعل كما فعلت أنت) بمعنى وجهة دعوه لك لزيارة بابل وأنت لم توجه دعوه لي لزيارة مصر!، ولو نظرنا

من زاوية أخرى هل يعتقد برنابرياش الثاني بان الفرعون يعيش في حي مجاور له ؟ ألا يعرف بعد المسافة بين البلدين؟ ففي نفس الرسالة أكد له الرسل سواء الرسول المصري أو البابلي بان المسافة بعيدة – طبعا بمنظور العالم القديم– بين مصر وبابل، والرحلة تتطلب شهورا في إرسال الرسائل ومثلها في استلام الأجوبة، وهكذا تقبل الملك البابلي جواب رسوله،وعفا على عدم معرفة الفرعون بمرضه لأنه يعرف جيدا وضمنيا بعد المسافة،كما هو في الفقرة التالية من (عمارنة ٧) حيث يقول (بعد ذلك أنا سالت رسولي الخاص وهو أجابني بان الرحلة طويلة، أنا لم أعد غاضبا بعد ذلك، أنا قلت كفى! ....)[٥٩]، ولعل هناك هدف آخر يسير نحو المساومة لأغراض أخرى لدى الملك البابلي وهي طلب الزواج من ابنة الفرعون وهذا الدوران في العبارات ينصب في تلك البودقة[٦٠].

أما في (عمارنة ١١) فالملك برنابرياش الثاني يذكر قضية زواج ابنته وإرسالها إلى مصر والمشكلة تنحصر في عدد العربات القليلة التي ستنقل الأميرة إلى قصر الفرعون، ورد بالنص : (إلى نبوخوريا (Naphururea) ملك مصر، أخي، هكذا برنابرياش، ملك كردونياش، أخوك، بالنسبة لي الكل بخير، ولك ولزوجاتك، أسرتك،أبنائك،خيولك، عرباتك، عسى الجميع بخير .

(١٦– ٢٢) عندما أنا قدمت ابنتي الى خاماشي (Haamašši) رسولك، والى المترجم ميخوني (Mihuni)، هما سكبوا الزيت على رأس ابنتي[٦١]، لكن بالنسبة للشخص الذي سيأخذها إليك، مع خايا (Haya) هناك خمسة عربات ! هل هم سيأخذونها إليك في خمسة عربات ! في مثل هذه الحالة، هل يجب أن اسمح لهم بأخذها من منزلي إليك؟[٦٢]، جيراني الملوك سيقولون : نقلوا ابنة الملك العظيم إلى مصر في خمسة عربات .

(٢٣–٢٨) عندما سمح أبي لابنته أن تسافر إلى أبيك[٦٣] كزوجة له [.......] ٣٠٠٠ جندي معه [......] .

على ما يبدو بان الملك البابلي يريد إرسال ابنته إلى مصر بالحفاوة والفخامة التي تليق بمكانته كملك عظيم، لذا خمسة عربات من وجهة نظرة قليلة جدا، قياسا

إلى زواج عمة العروس سابقا من امنوفس الثالث حيث نقلت إلى مصر تحت حراسة (٣٠٠٠) جندي !، ولذلك يقول برنابرياش: (جيراني الملوك سيقولون: نقلوا ابنة الملك العظيم إلى مصر في خمسة عربات) وكأن الملوك المجاورين ينظرون من خلف الشبابيك مرور موكب العروس ويتهامسون على بساطة الموكب والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والبخل الذي تتصف به عربات العروس لأنها(خمسة عربات فقط) أليست هذه مفردات تستعمل في القرية والحي وما بين الأقرباء ! .

٢-الصداقة والأخوة بين القوى العظمى:

الأساس المشترك لكل الرسائل إنها تبدأ (من الجيد – خلال الشر – إلى الجيد) وهذا الأسلوب متعارف عليه في سرد الأحداث التاريخية والقصص الاجتماعية،ويعود الفضل إلى الكتبة البابليين في ممارستهم لمهنة الكتابة ولديهم قاعدة تستند إليها رسائلهم، فبعد كتابة العنوان ومن بعدها التحيات ثم تليها ذكر لعبارات سابقة وصلت إلى الملك ويتم الرد عليها كما هو في (عمارنة ٦: ٨–١٢) (سابقا،أنت وأبي كنتم أصدقاء الواحد للأخر، وألان أنا سأكون صديقا لكم، أي شيء آخر يجب أن لا يذكر مطلقا غير الصداقة ..)[٦٤]، وكذلك في (عمارنة ٨ : ٨–١٢) (أخي، وأنا، أقمنا صداقة متبادلة، وهذا ما قلناه :كما كان آبائنا أصدقاء بعضهم لبعض، كذلك نحن أصدقاء مع بعضنا البعض ....)[٦٥]، وأيضا (عمارنة ٩: ٦–١٠) (في عهد أسلافي وأسلافك، أقاموا اتفاق صداقة متبادلة، وأرسلوا[٦٦] الهدايا الجميلة بعضهم لبعض، ولم يرفضوا أي شيء جميل ......)[٦٧]، وبنفس الصيغة (عمارنة ١٠ : ٨–١٠) (منذ زمن كرانداش (Karaindaš) كان رسل أسلافك يأتون إلى أسلافي بانتظام وحتى الوقت الحاضر، لان أسلافنا كانوا أصدقاء، الآن،أنت وأنا أصدقاء وصل رسلك لي ثلاث مرات ....)[٦٨]، هذه التأكيدات على الصداقة البابلية– المصرية لابد من ورائها حادثه سلبية وعلى ما يبدو يجب أن تحل وبسرعة عن طريق التأكيد بالصداقة منذ أمد بعيد واستمرارها، ومن جهة أخرى يجب أن تضاعف الهدايا لزيادة المحبة والأخوة بين الملكين، ونجد نفس التعبير في رسالة توشراتا (Tušratta) ملك ميتاني

في رسالته (عمارنة ١٩: ٩-١٤) إلى الفرعون امنوفس الثالث (سابقا في وقت أسلافك، هم دائما اظهروا حبهم العظيم إلى أسلافي، وأنت بنفسك ذهبت ابعد من هذا وأظهرت حبك لأبي، الآن، حتى نبقي حبنا الثابت والمتبادل، وأنت قد ضاعفت الحب عشرة مرات، أكثر من الحب الذي أظهرته إلى أبي....)[٦٩].

قد يكون هذا الحب والصداقة حقيقيا خاصة مع تتويج ملك جديد في مصر، عندها لابد من إظهار تعبير له تأثير قوي وفعال من اجل علاقة صداقه جديدة تهدف إلى زيادة كميات الذهب المصري إلى أخوته الملوك في آسيا،ونلاحظ هذا في تتويج اخناتون وقد استشهدنا بفقرات من الرسالتين أعلاه (عمارنة ٦ : ٨-١٢) و (عمارنة ٨: ٨-١٢)، ورسالة توشراتا ملك ميتاني إلى الملكة تي (Teye) زوجة امنوفس الثالث (عمارنة ٢٦) ودعيت باسم (بعض التماثيل الذهبية المفقودة)[٧٠].

أيضا للكتبة البابليين دور مهم في أتباع قاعدة لرسائلهم المتبادلة ضمن محتوى واحد لكل أعضاء نادي القوى العظمى، ويشمل المضمون (رسائل – هدايا– نساء)، ومن الطبيعي تبادل الرسائل لها دور فعال لتفادي الحروب وإقامة سلام و علاقات دبلوماسية بين الدول، ففي (عمارنة ١١ : ظهر اللوح: (٢٢-٢٣) رسالة من برنابرياش الثاني إلى امنوفس الرابع ودعيت الرسالة باسم (المرافق الملائم للأميرة العروس) : (جيراني الملوك يسمعون ذلك، ويقولون : الذهب كثير بين الملوك، هناك أخوة، وصداقة، وسلام وعلاقات طيبة : هو غني بالأحجار النفيسة، وغني بالفضة، وغني بالذهب ....)[٧١]، يعطي ملك بابل اهتمام كبير لجيرانه الملوك سواء كانت ألسنتهم أو عيونهم (عمارنة ١١)، وإذا كنا نرى في المعاهدات والنصوص الملكية ورود قرارات وعقوبات تلي الحملات العسكرية، لان منطق الحرب حسب المفهوم القديم قرار مقدس من لدن الآلهة، لذا تدرج في مقدمة المعاهدات باعتبارها النتيجة الحتمية للخلافات بين الدول، لكن في رسائل العمارنة القضايا العسكرية وما يترتب عنها من عقوبات لا تذكر في العمارنة، إنما ما يحدث من خلافات قد تؤدي إلى انقطاع الرسائل بين الملوك وهذه هي الظاهرة الوحيدة بينهم.

آن توسيع منظور القرية ليشمل كامل الشرق الأدنى القديم انعكس في البحث عن حلول للمشاكل المعقدة بالأقاليم التابعة لمصر في بلاد الشام وفلسطين، وهذا يتطلب سرعة في الاتصالات الدبلوماسية، وعموما الرسائل المتبادلة بين الملوك العظام أكثر مرونة على الرغم من بعد المسافة إلا أن المشاكل اقل تعقيدا، فطلبات الملوك التوابع فيها إصرار على طلب المساعدة العسكرية ضد حركات التمرد آو العصابات الخارجة عن القانون أو التعدي على قوافل التجار المارة في أراضي الممالك الصغيرة،وهذا ما لانلاحظه في مراسلات الدول العظمى فالسفر طويل كما ذكرت ويجب آن يتجنب المبعوث فصل الشتاء حيث البرد و الأمطار، وعموما القوافل ما بين العمارنة (طيبة) والمدن الكبرى الآسيوية زمن الرحلة لا تقل عن (٣٠) يوما إلى واشكاني (عاصمة ميتاني) أو شهر ونصف إلى بابل وحاتوشا، والساعي السريع ينطلق لمرتين في العام بقوافل الحمير،أما في حالة التأخير فان وقت التفاوض وتهيئة القافلة و التحضيرات تأخذ سنه كاملة ما لم يكن هناك سبب معين للتوقف، لكن الباحث كوهين (Kűhne) يرى هناك حسابات في تحديد زمن الرحلة، وللتأخير أسباب متعارف عليها بين الملوك خاصة في حالة التفاوض على الزواج حيث يتطلب الأمر التريث وعدم السماح بعودة المبعوث إلى أن يتم الاتفاق في القصر الفرعوني على الحاجات الثمينة التي ترسل إلى الملك والد العروس[٧٢]، لذا تأخير الرحلة أدركها شركاء مصر الذين انصب اهتمامهم على السمة التجارية للعلاقات المتبادلة، ولهذا بعد المسافة مع البخل الذي يمارسه الفرعون بإرساله كميات قليلة من الذهب جعلت الملك الآشوري اشوراوباط (١٣٦٢-١٣٢٧ ق.م) يتذمر وقدم شكواه إلى أخيه الفرعون اخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ ق.م)، حيث ورد فيها [(٢٢-٢٥) عندما كتب ملك خانيكلبات إلى أبيك في مصر، أرسل أبيك له (٢٠) طالنت من الذهب[٧٣] (يعادل الطالنت (٣٠.٣) كغم)، (٢٦-٣١) الآن أنا[٧٤] في مرتبة مساوية لملك خانيكلبات لكن أنت أرسلت لي .... من الذهب، وهي ليست كمية كافية لدفع أجور رسلي في رحلتهم ذهابا وإيابا)[٧٥]، الشكوى واضحة فبعد استقلالها آشور أصبحت بمرتبه سياسية مساوية مع ميتاني، وحصتها من الذهب يجب أن تكون

مساوية أيضا، هذا الاقتراح الأخير على ما يبدو لي هي محاولة من الملك الآشوري في إقامة نظام دائم وسنوي لإرسال شحنات الذهب وبشكل متساوي بين الملوك، وهذا ما عبر عنه ملك الاشيا (قبرص) إلى أخيه الفرعون (عمارنة ٣٣) [(٢٧-٣٢) و سنه بعد سنه أرسل رسولي لمقابلتك، و أنت من قبلك سنه بعد سنة أرسل رسولك لمقابلتي ..)[٧٦] اعتقد بان ملك الاشيا سعيد بما فيه الكفاية بالتأخير في سير الرسائل وما يرتبط بها من هدايا بين بلاده ومصر.

الرحلات ذات طابع اقتصادي هي الأخرى واضحة أيضا، فقد كان التجار يحملون الرسائل الرسمية بين ملوك نادي القوى العظمى، كما في رسالة الملك البابلي (عمارنة١١: ٨) (إذا صالم (Ṣalmu)،التاجر، عاد إلى هنا (بمعنى عاد إلى بابل) دع رسولك الذي سيأتي لي أن يأخذهم، الأشجار[٧٧] التي تم نحتها من العاج و لونت،والنباتات التي تلائم الريف يجب أن تنحت وتلون وترسل لي ....)[٧٨]، بينما في (عمارنة ٧ : ٧٣) فان صالم رسول فقط [(٧٣-٨٢) علاوة على ذلك، مرتان قافلة رسولي صالم الذي أنا أرسلته لك قد سرقت[٧٩])[٨٠]، وبالنسبة إلى الاشيا (قبرص) (عمارنة ٣٩-٤٠) يتضح بان الموظفين الاشيين ينقلون الرسائل إلى مصر[٨١]، لكن هذا لا يعني عدم وجود تخصص في نقل أوامر الملوك، ففي مسائل المصاهرة الأمر مختلف جدا فالرسل في هذه الحالة يمكن أن نطلق عليهم (سفراء) ويحتلون مكانه عالية في دولهم لأنهم أول من يلقي نظرة على وجه العروس، فلابد أن تروق له حتى ينقل أوصاف العروس فيما بعد إلى الفرعون ، وهناك وإمام الملك والد العروس يتم مسح رأس الفتاة بالزيت ويتم الاتفاق على نقلها كما وهو في (عمارنة ١١: ١٦-٢٢) التي سبق وان استشهدنا ببعض من فقراتها، وكذلك في (عمارنة ٣١ : ١١-١٦) من امنوفس الثالث إلى تارخوندارادو (Tarhundaradu) ملك ارزاوا [أنظر، أنا أرسلت لك ارشابا (Iršappa))[٨٢]، مع أمر : "دعنا نرى البنت التي عرضت على الملك ليتزوجها " وهو سوف يسكب الزيت على رأسها، أنا كنت قد أرسلت لك كيس من الذهب من النوعية الجيدة، كما اتفقنا على الحاجات....)[٨٣]، هنا في هذه الرسالة اسم المبعوث ارشابا، أما في (عمارنة ١٩: ١٧-٢٤) من توشراتا ملك ميتاني إلى

امنوفس الثالث يقول فيها[(وبناء على طلب أخي، أنا جعلت ماني (Mane) (المبعوث المصري إلى ملك ميتاني) يشاهدها، وهو ألقى نظرة عليها، وعندما شاهدها مدحها كثيرا، أنا سوف أرسلها إلى بلاد أخي، ولعل شاوشكا (Šauška) و آمون (Aman) يجعلانها عند رغبة أخي ..)][٨٤]، اسم المبعوث ماني، بينما في (عمارنة ٢٠) من توشراتا إلى امنوفس الثالث[(٢٣-٢٧) (خلال ستة أشهر، أنا سوف أرسل كيليا (Keliya).....)]، وفي (عمارنة ٢٦) من توشراتا إلى الملكة تي (Teye) زوجة امنوفس الثالث [(١٩-٢٩) الآن أنت بنفسك قلت إلى كيليا (Keliya)....][٨٥]، في كلا الرسالتين اسم المبعوث كيليا ومعه ماني فقد اشتركا في التخطيط بالزواج بين الأسرتين الملكيتين المصرية – الميتانية . أما في حالة التبادلات التجارية والتي تحتاج إلى سفر طويل بقوافل الحمير فتؤمن إلى التجار،كما ورد في (عمارنة ٣٩) بان الرسل تجار [(١٤-٢٠) هؤلاء الرجال هم تجاري، أخي، دعهم يعودون بأمان فورا ...)]، و في (عمارنة ٤٠)[(٢٤-٢٨) هؤلاء الرجال هم خدم الملك سيدي....) [٨٦]]، أما الرسائل الروتينية فتسلم إلى سعاة محترفين مجهولي الاسم، ففي (عمارنة١) مرسله من امنوفس الثالث إلى كدشمان انليل الأول يصف فيها رسل ملك بابل بأنهم (نكرة) و (قادة حمير) و (كذابين) و(ناقلي أخبار كاذبة) و(مخادعين)، وقد سببوا مشاكل عديدة بين المملكتين ولذا كانت اتهامات الفرعون بان ملك بابل يستخدم مبعوثين تنقصهم الثقة وتنعدم فيهم الدبلوماسية، الحقيقة كانت رسالة الفرعون قاسية وأطلق عليها (شكاوي الفرعون إلى الملك البابلي)[٨٧].

٣-فرض السيطرة على الممالك الصغيرة:

أن غالبية ارشيف العمارنة هي رسائل مستلمة، وعدد قليل جدا كتبت في مصر منها رسالتين هما (عمارنة ١ و ٥)، وقائمة مواد مرسلة إلى ملك بابل (عمارنة ١٤)، ورسالة أخرى مرسلة إلى ملك ارزاوا (عمارنة ٣١)، وبقية الرسائل من الفرعون إلى حكام المقاطعات في سوريا وفلسطين وتضم (عمارنة ٩٩، ١٦٢-١٦٣، ١٩٠، ٣٦٧، ٣٦٩-٣٧٠)[٨٨]، ووجودها في الارشيف له عدة تفسيرات :

أ- هذه الخطابات هي نسخ عن الرسائل الأصلية، تم استنساخها لأنها تضم أمور مهمة يستوجب الاحتفاظ بنسخة عن الأصل باستثناء (عمارنة ١٦٢)على ما يبدو لم ترسل[٨٩]، إلى عزيرو (Aziru) ملك بلاد امورو (Amurru) الأسباب غير معروفة .

ب- أما (عمارنة ١، ٥، ١٤، ٣١) فهي مسودات أو نسخ عن الأصل حفظت على أساس ملف تجنبا للإهمال والضياع أو للعودة إليها إذا تطلب الأمر .

عندما تسلم الرسالة إلى الرسل أو السفراء في بلدانهم فأنهم يسافرون عبر أراضي قد تكون معاديه لهم أو على الأقل ينعدم فيها الأمان، لذا فان مسؤولية توفير الحماية لهم وشمولهم بالضيافة والكرم والى نهاية رحلتهم تقع على عاتق الملوك العظام، ومع هذا يعترض الملوك المحلين طريق المبعوثين فيخضعونهم لدفع الضرائب، لان الزعماء المحليين ورؤساء العشائر يطالبون بنصيبهم من التجارة العالمية التي تعبر أراضيهم، فقد ذكر في (عمارنة ٧ : ٧٣-٨٢) تعرض قافلة مبعوث الملك البابلي إلى الاعتداء والسرقة مرتين من قبل [(... في المرة الأولى بيرياوازا (Biriyawaza)[٩٠]، وفي المرة الثانية قافلته سرقت من قبل بامخو (Pamahu) حاكمك في فاسلاج (vassalage)....)[٩١]]، وبنفس ألصيغه ذكر في (عمارنة ٨: ٨-٢١) [(....الآن، تجاري وهم في طريقهم مع (اخو- تابو) (Ahu-ţabu) قد تأخروا في كنعان (Canaan) لقضاء بعض الأعمال، بعد ذهاب (ابو- تابو) إلى أخي في خيناتونا (Hinnatuna) في كنعان، شوم- ادد(Šum- Adda) ابن بالومي (Balumme) و شوتاتنا (Šutatna) ابن شاراتوم (Šaratum) حاكم عكا (Akka) أرسلوا رجالهم وقتلوا تجاري وسلبوا أموالهم..)[٩٢]، على ما يبدو بان الملوك العظام كانوا قادرين على إعادة سلطتهم العليا على رؤساء العشائر والملوك الصغار بمنح الرسل الحماية والأمان وذلك لاحتكارهم المسؤولية الكاملة واستخدامهم القوه والقانون لفرض الأمن، وهناك رسائل تحذير تمنع الملوك المحليين من التعدي وخلق المشاكل، ولدينا إشارات واضحة في (عمارنة ٣٠) رسالة من المحتمل أرسلها توشراتا ملك ميتاني إلى ملك مصر (من الصعب معرفة اسمه) ورد فيها : (إلى ملوك

كنعان،خدم أخي (يقصد الفرعون)، هكذا الملك، أنا (بمعنى توشراتا الميتاني) أرسلت رسولي اكايا (Akiya) بأقصى سرعة إلى ملك مصر، أخي، لا أحد يَحتجزَه، و ساعدوه بالدخولِ الآمنِ إلى مصر، ويُسلّمُ إلى قائدِ القلعةَ المصريةَ[٩٣] دعوه يَستمرُّ في رحلته فوراً، وعلى مسؤوليتي هو يبدو قلقا ولكن لا يضمر الشر...)[٩٤]، كذلك في (عمارنة ٢٥٥) من موت- باخلو (Mut- Bahlu) إلى ملك مصر [(٨-١١) الملك، سيدي، أرسل خعايا (Haaya)[٩٥] لمقابلتي وقال: " القافلة إلى خانيكلبات...... (٢١-٢٥) دع الملك، سيدي، يرسل القافلة حتى ولو إلى بابل[٩٦]، أنا سأكون مسوؤلا وأوفر حماية قوية من الحرس)][٩٧].

إجراءات الملوك ليست دائما كافيه لحفظ الطرق آمنه أمام قوافل التجار ورسلهم، فحتى الملوك المحليين لم يكونوا أو ليس دائما قادرين على فرض سيطرتهم الكاملة على مناطقهم بما فيه الكفاية، فهناك قرى بعيدة تدار من قبل شيوخ كبار بالسن تقيدهم تقاليد راسخة، و تتحكم فيهم نوازع التسلط والغزو باعتبارها غنيمة مشروعة، وايضا قبائل رعوية متنقلة يصعب معرفة لأي جهة تعود تبعيتها، وحتى جماعات منبوذة من السراق والمجرمين وما إلى ذلك، وهؤلاء مسئولين عن جرائم السرقة والقتل خاصة قوافل التجار فقد كانت فريسة سهلة ومغرية، ومع هذا فان التعامل مع هذه الحوادث يعتمد على مبدأ لمن تعود المقاطعة أولا وعلى ترتيب الهرم القضائي ثانيا، ففي رسائل العمارنة لدينا تلميحات حول هذا النظام القضائي الذي وثق على نطاق واسع أكثر مما ورد في نصوص اوغاريت[٩٨]، وهذا النظام تعززه وثائق رسمية اغلبها معاهدات ورسائل متبادلة بين الملوك الكبار كطرف أول والملوك المحلين ورؤساء العشائر كطرف ثاني، ومن الطبيعي هذه الوثائق كتبت باللغة البابلية وهي لغة مقبولة وشائعة في المحيط المتحضر من منطقة الشرق الأدنى القديم .

٤-الهدايا ضرورية لديمومة الصداقة بين الأخوة:

في إطار رسائل العمارنة الاهتمام ينصب وبشكل كبير على حل المنازعات بين الشركاء وكذلك من اجل الحصول على منافع اقتصادية رئيسية ومنها جدل حول

الهدايا المتبادلة[٩٩]، وأسلوب التعامل بها فهي تدخل ضمن الكرم لذا فان الهدية لا يسأل عنها، ويجب أن تمنح، ويجب أن تقبل وتزداد كمياتها وتقدر قيمتها لذا هناك إصرار في رسائل العمارنة على طلب الهدايا، واختراع الأعذار بالادعاء بإعمال ضخمة ! منها :

أ- **إنشاء قصر جديد:** ففي رسالة من آشور اوبالط ملك بلاد آشور إلى اخناتون (عمارنة ١٦) ورد فيها [(١٣-١٨) .... أنا مرتبط حاليا ببناء قصر جديد، أرسل لي ذهبا أكثر لأني احتاجه لتزين القصر)[١٠٠]] .

ب- **وتشيد معبد** : ورد هذا في رسالة برنابرياش ملك بابل إلى امنوفس الرابع أو توت عنخ آمون (عمارنة ٩) جاء فيها [(٦-١٨) ... لماذا أرسلت لي (٢) منه من الذهب؟ أنني الآن مشغول جدا في بناء معبد، وأنا مشغول تماما في تنفيذه، ابعث لي ذهبا أكثر...)[١٠١]]، وفي (عمارنة ٤) يؤكد الملك البابلي على ضرورة إرسال كميات كبيره من الذهب خلال أشهر الصيف خلال شهر تموز (Tammuz) أو آب (Abu) حتى ..[(٣٦-٥٠)....وبالتالي استطيع أن انهي العمل الذي بدأت به...)[١٠٢]]، وكذلك في (عمارنة ٧) ورد فيها [(٦٣-٧٢) أنا حاليا منشغل بعمل مهم، وسبق وان كتبت لأخي عنه، أرسل لي ذهبا نقيا كثيرا حتى استخدمه في عملي.....)[١٠٣]]، وأيضا (عمارنة ١١) جاء فيها [(٢٤-٣٤)....في نهاية هذا العام، أنا أتمنى أن انهي العمل وبسرعة....)][١٠٤].

ج- **وإقامة ضريح** : كما ورد في رسالة توشراتا ملك ميتاني إلى امنوفس الثالث (عمارنة ١٩) وفيها قوله [(٤٣-٤٨) هل بالإمكان أخي أن يرسل لي ذهبا أكثر مما كان يرسله إلى أبي ؟ أنا أقول لأخي : سأبدأ بتشييد ضريح[١٠٥] لأجل جدي،........)][١٠٦]، وفي (عمارنة ٢٩) يؤكد على إنهاء الضريح [(١٦٢-١٦٥) هل بالإمكان أخي أن يعطيني تماثيل الذهب الصلبة ، وهل بمقدور أخي، أن يمنحني ذهبا أكثر، حتى انهي العمل بما بقي من الضريح،...)[١٠٧]، أحيانا أخرى يزعمون بان أي تأخير في إرسال الذهب قد

يؤخر مشاريعهم، ولهذا يؤكدون على وصولها في الموعد المحدد الذي يختارونه، كما في رسالة كدشمان – انليل الأول إلى الفرعون امنوفس الثالث (عمارنة ٤) أطلق عليها (الخداع الملكي والتهديدات) [(٣٦-٥٠).... لكن إذا لم ترسل الذهب خلال شهري تموز و آب، أنا لن استطيع أن انهي العمل الذي ارتبطت به، ومن ثم ما هي الفائدة من الذهب في هذه الحالة؟ارجوا أن تبعثه بسرعة !.....)][١٠٨]، اعتقد بان الملوك يبالغون في طلباتهم وبإصرار علما بان ما يرسله الفرعون هي هديه وليست جزية كما قد نتصور!.

وقد برع ملوك آسيا في تقديم الأعذار للفرعون سواء بإرسالهم هدايا قليلة القيمة أو تأخير إرسالها، وفي كل الأحوال تلك الأعذار لا تنطلي على الفرعون ! وهي زائفة، فرسائل العمارنة حافلة بهذه التبريرات فعلى سبيل المثال (عمارنة ٣٥) من ملك الاشيا إلى ملك مصر يذكر فيها وباء الطاعون الذي لم يترك عامل واحد لتعدين النحاس : [(١٠-١٥) أنا أرسل لك طيا (٥٠٠) طالنت من النحاس[١٠٩]، كهدية لأخي، أنا أرسلتها لك، أخي،لا تقلق لأن كمية النحاس قليلة، انظر، يد الإله نركال (Nergal)[١١٠] هي الآن في بلادي، وقد قتل جميع الرجال في بلادي وليس هناك عامل نحاس واحد، لذا أخي، لا تقلق.)][١١١]، كما ويعتقد ملك بابل بأنه يقدم عذرا دبلوماسيا في (عمارنة ٤) برفض الفرعون إعطاء ابنته كزوجه لملك بابل [(٦-٧) علاوة على ذلك، يا أخي، عندما كتبت لك بخصوص الزواج من ابنتك، وطبقا لعادتكم بان لا تعطي ابنتك للزواج، وقلت لي : " منذ قديم الزمان لم تعطى ابنة ملك مصر إلى أي شخص كان !، لم لا ؟ أنت ملك! ...)][١١٢]، وفي آخر الرسالة طالب كدشمان انليل الأول بكمية كبيرة من الذهب (٣٠٠٠) طالنت (تعادل (١٠٠) طن) فهل هذه الكميه من الذهب هي مهر لابنته أم ماذا ؟،بينما في (عمارنة ٧) ذكر برنابرياش الثاني ملك بابل إلى الفرعون (يعتقد امنوفس الرابع) سببا آخر بعيد عن ما ورد في الرسالة السابقة : بقوله [(٣٣-٣٩) كما ذكرت فان بلاد أخي فيها كل شيء، أخي لا يحتاج إلى شيء، نحن على أية حال ورثنا عن أسلافنا الملوك علاقات جيدة وطويلة المدى، ولذلك يجب أن نبعث بالتحيات بعضنا لبعض، تلك هي العلاقات

الأخوية التي ستدوم، أنا أرسل تحياتي لك، وأنت تبعث بتحياتك لي.)[١١٣]]، هذه ليست أعذار دبلوماسية بقدر ما هي شروط مناسبة من وجهة نظر ملوك آسيا لتبادل السلع مع الفرعون .

في نهاية الرسائل المتبادلة بين أعضاء نادي القوى العظمى، نقرا تبادل الهدايا بينهم، ونلاحظ عدم الرضا بل والجدل حول الكميه والنوعية وخاصة شحنات الذهب المصرية أو الحاجات الذهبية فالذهب المصري مرغوب به من ملوك آسيا فقد وصف على لسان آشور اوبالط ملك آشور (الذهب في بلادك مثل التراب، وبسهوله جمعة من الأرض) (عمارنة ١٦: ١٣-١٨)[١١٤]، وفي رسالة (عمارنة ٢٠ : ٤٦-٥٥) نبه توشراتا الميتاني أخيه امنوفس الثالث بأنه: (في مصر الذهب أكثر من التراب)[١١٥]، أما عن الكميه و النوعية فقد أعرب كدشمان انليل الأول عن استغرابه في (عمارنه ٣ : ١٣-٢٢) بقولة (... عندما أرسلت رسولي إليك، أنت احتجزته لستة سنوات، وأرسلت لي هديه خلال ستة سنوات (٣٠) منه من الذهب فقط وهي تشبه الفضة ...)، وفي (عمارنة ٧ : ٦٣-٧٢) يؤكد برنابرياش الثاني برسالته إلى امنوفس الرابع (....ان شحنة الذهب الأخيرة التي بعثها أخي عليه أن يراقبها بنفسه، وان يختم الذهب ويرسله لي، وبالتأكيد أخي لم يفحص شحنة الذهب السابقة التي بعثها لي بل تكلف بذلك احد ضباطه الذي ختمها وأرسلها ، لأني عندما وضعت (٤٠) منه من الذهب التي أرسلتها لي في الفرن، لم يبق منها غير (١٠) منه، وأنا اقسم هذا ما بقي !)[١١٦]، كذلك أكد برنابرياش الثاني لأخيه امنوفس الرابع في (عمارنة ١٠: ١٩-٢٠) بان (... بالنسبة لرسولك الذي بعثته لي جلب معه (٢٠) منه من الذهب، وعندما وضع الذهب في الفرن لم يبقى منه غير (٥) منه من الذهب و [...] وظهر للعيان بعد تبريده وكأنه مثل الرماد ...)، وفي رسالة طويلة من توشراتا الميتاني إلى اخناتون أشار إلى رداءة نوعية الذهب في (عمارنة ٢٩: ٧٠-٧٥) (... أخي بعث لي تماثيل صنعت من الخشب، وعندما رأيت الذهب الذي أرسله امنوفس الثالث بنفسه كما وعد به، هذا الذهب لم يكن صلبا[...]، أصابني حزن شديد...)[١١٧]، كما أن الحاجات الذهبية المصرية المصنعة على شكل حلي التي يبعثها الفرعون، كانت تصهر في

قوالب ويتم وزنها عند وصولها إلى بابل أو واشكاني (عاصمة ميتاني)، ومن الجدير بالملاحظة فان الجدل حول كمية الذهب ونوعيته ليس بسبب القيمة المالية للذهب إنما زيادة كميته وتحسن نوعيته يعطي فخر وصيت وجاه يحصل عليه ملوك آسيا[١١٨].

لابد من تبادل الهدايا بين الملوك بل وزيادة كمياتها استمرارا للصداقة،كما في (عمارنة ٣٥ : ٥٠-٥٣) من ملك الاشيا (قبرص) إلى الفرعون، وقد ورد فيها [(٤٩-٥٣) أنت لم تضعني بنفس المستوى مع ملك حاتتي أو مع ملك شنعارا (بابل)[١١٩]، مهما كانت الهدية التي يرسلها أخي لي، أنا من جهتي ابعث هديه مضاعفة ..)] ، ونفس الشيء في (عمارنة ١٩) من توشراتا ملك ميتاني إلى امنوفس الثالث [(٦٨-٦٩) هل بالإمكان أخي، أن يبعث كميات كبيره من الذهب وهو خام، ومهما أخي يحتاج لمنزله، اكتب لي، أنا أعطيك ضعفه عشرة مرات أكثر مما طلبته، هذه البلاد هي بلاد أخي، وهذا المنزل هو منزل أخي ...)[١٢٠].

وهكذا نرى بان غالبية الجدل بين الملوك القوى العظمى ينحصر بين مصر من جهة وممالك آسيا من جهة أخرى كما ورد في أرشيف العمارنة، والأساس في هذا التقسيم يعود إلى موقع مصر مقابل الشركاء الآسيويين واحتكارها معدن الذهب الذي أعطى للفرعون أفضلية في المساومة، وهذا دفع إخوته الملوك باعتبار هداياهم مساوية لقيمة الذهب[١٢١]، وعلى أية حال هناك رسائل متبادلة في القرن الثالث عشر ق.م بين الإمبراطورية الآشورية وحاتتي[١٢٢]، و بابل وحاتتي[١٢٣]، وميتاني وبابل، ونجد في مراسلاتهم مواضيع أخرى أغلبها مشاكل حدودية وادعاء بأحقيتهم بهذه المنطقة أو تلك ... الخ، ولا تعتبر مصر محور المراسلات كما عهدنا في عصر العمارنة، لان الوضع قد تغير بعد موت اخناتون وهجرة سلفه توت عنخ آتون إلى طيبة، وتغير اسمه إلى توت عنخ آمون بعد أربعة سنوات من استلامه العرش، ومع هذا خلفائه حاولوا إعادة التوازن السياسي من جديد في المنطقة خاصة في عهد رعمسيس الثاني (القرن الثالث عشر ق.م)، لان مصر تملك قوه عسكريه وكثافة

بشريه وسيطرة اقتصادية وعمق تاريخي فالنظام الملكي قديم وتحكمه قواعد لوراثة العرش قل أن نجد صراع على السلطة إذا ما قارناها مع حاتتي مثلا[١٢٤].

٥-المصاهرة بين ملوك (نادي القوى العظمى):

أن الرفض المصري في منح شركائه الآسيويين منزلة متساوية واضحة جدا، وخاصة في تبادل النساء لغرض المصاهرة، لان النساء متوفرات في كل مكان ولا يدخل عامل الندرة في جعلهن حاجة نادرة مثل الذهب، كما أن الزيجات بين الملوك استمر حتى بعد عصر العمارنة، فقد حدثت مصاهرة بين ابنة اشوراوبالط وتدعى (موباليتات – شخيروا (Muballitat- Sherua) من احد أبناء برنابرياش الثاني ملك بابل وهي مصاهرة سياسية فاشلة، كما تزوج امنوفس الثالث من أميرة آشورية لا نملك اسمها لا باللغة الآشورية ولا المصرية كذلك لا نعرف اسم الملك الآشوري الذي تصاهر مع الفرعون، وتصاهر امنوفس الثالث من ابنة شوترنا (Shuttarna) ملك ميتاني وتدعى العروس (جيلو – خيبا) (Gilu-Khipa)، وسبق للفرعون امنوفس الثالث من عقد مصاهرة مع أخت كدشمان انليل الأول وقد ورد هذا في (عمارنة ١)، وتصاهر أيضا امنوفس الرابع من ابنة توشراتا (Tushratta) ملك ميتاني وتدعى العروس (تادو– خيبا) (Tadu-Khipa) ورد ذكرها في (عمارنة ١٧)، وما بعد عصر العمارنة جرت مراسلات بين حاتوسيلي الثالث ملك حاتتي ورعمسيس الثاني في السنة الثالثة والثلاثين من حكم الفرعون (١٢٤٦ ق.م)، وهناك نقش في معبد بوسمبل يصور الملك حاتوسيلي يجلب ابنته للزواج من رعمسيس الثاني[١٢٥]، وزواج حاتوسيلي الثالث من ابنة كودور– انليل (Kudur-Enlil) ملك بابل (١٢٥٤–١٢٤٦ ق.م) الذي عرف عنه تعاليه وقلة دبلوماسيته اتجاه مصر، ولا نعرف اسم الملكة لا باللغة البابلية ولا بالحثية، كذلك زواج تودحليا من ابنة ملك بابل ربما كدشمان – انليل الثاني لا نعرف اسمها ولكن دعيت باسم ملكة (SAL LUGAL) أو (الملكة العظيمة) (DUMU SAL LUGAL)، أيضا زواج الملك البابلي من ابنة حاتوسيلي الثالث (اسمها غير معروف)، هذه الزيجات جاءت بعد عصر العمارنة مما يدل على استمرارية المصاهرة بين الملوك، الملاحظ في كل ما ذكر أعلاه عدم زواج ملك آسيوي من أميرة مصرية لذا ليس هناك مساواة بين مصر من جهة وباقي

الشركاء! هذا الموقف أشير إليه في (عمارنة ٤) من كدشمان–انليل الأول إلى امنوفس الثالث ورد فيها [(٤–٢٢) .... هل هذا محتمل بعد أن كتبت إليك اطلب الزواج من ابنتك، أخي، لماذا تكتب لي بهذه اللغة ؟ تخبرني بأنك لن تعطيها لي كزوجه وتقول: منذ قديم الزمان لم تعطى بنت ملك مصر للزواج لأي شخص !، ولم لا ؟ ...) [١٢٦]]، هذا الموقف ربما له دلالات معينه، على الأكثر وراثة العرش في مصر أخذت أسس راسخة، حيث يرث الابن أباه ولأجل اكتساب الشرعية الكاملة لابد للفرعون من الزواج بأخته حتى يحافظ على نقاوة الدم الملكي، لذا من الأفضل القول أن شرعية السلطة تنحصر بالأميرات من البيت الملكي المصري، ومن هنا يخشى الفراعنة من ظهور مدعين بالعرش أمهاتهم مصريات وآبائهم ملوك أجانب، وقد عرف الحثيين هذه اللعبة السياسية، عندما كانوا يجبرون حكام الأقاليم التابعة لهم بعقد اتفاقيات معهم ثم تختم الاتفاقية بزواج الملك التابع من ابنة الملك أو أخته لضمان تولي أبناء الأميرة الحثية العرش،على كل الرفض المصري أثار استغراب الملك البابلي عندما قال (... أنت ملك، أنت تفعل ما تريد، إذا تريد أن تعطي ابنتك من يقول لا!...) (عمارنة ٤ : ٤–٢٢)، اعتقد رد الفرعون يحمل في طياته سخرية بعدم الموافقة على أعطاء آخته كزوجه لملك بابل بل يتمادى أكثر في وصف شريكه البابلي بأنه يبيع بناته بالمال (عمارنة ١ :٦١) (... وهذا شيء رائع انك تعطي بناتك لجيرانك الملوك من اجل أن تحصل على كتلة من الذهب !)[١٢٧]، هذا الرد الحاد هو جواب على رسالة سبق لكدشمان انليل الأول بعثها إلى امنوفس الثالث وفيها طلب المصاهرة من ابنة الفرعون (عمارنة ٢) جاء فيها [(٦–١١) فيما يتعلق برسالة أخي حول الزواج تقول : "أنا ارغب بالزواج من ابنتك"[١٢٨]، ولم لا تتزوج بابنتي ؟ [....] لديه بنات، لكن أزواجهن يجب أن يكونوا ملوكا أو من دم ملكي، هذا هو شرطي الوحيد الذي أنا أقبلة لبناتي لا أعطي أبنتي لأي شخص ليس من الدم الملكي، (١٢–١٣) وأنت لديك بنات، لماذا لا تعطيني واحدة للزواج؟..)][١٢٩]، ومع رفض الفرعون إعطاء إحدى بناته كزوجه لكدشمان انليل نجد الملك البابلي يقدم اقتراح غريب للفرعون (عمارنة ٤) [(٤–٢٢) ...... أنا أقول إلى أخي ما يلي: " بنات شخص ما

كبرن وأصبحن جميلات، أرسل لي امرأة جميلة وكأنها ابنتك، من الذي سيقول أنها ليست ابنة الملك ؟، لكن أنت تمسكت بقرارك ولم ترسل لي واحدة، أليس أنت من ينشد الأخوة والصداقة وكتبت لي حول الزواج الذي يجعلنا قريبين من بعضنا البعض، وأنا لم ارفض...)][١٣٠]، هذا الإصرار بالرفض من لدن الفرعون نراه حتى بعد عصر العمارنة، ففي رسالة من رعمسيس الثاني إلى الملكة بودوخيبا (Pudu-Hepa) زوجة حاتوسيلي الثالث، يستفسر عن سبب التأخير في إرسال العروس إلى مصر، وفي نفس الوقت لم تدخل الفرحة في قلب رعمسيس بسبب القلق من ذكر ملك بابل بلقب (الملك العظيم)، ومعرفته بالمصاهرة بين تودحليا الرابع وابنة كودور انليل ملك بابل الذي لا يحمل حبنا للفرعون، فكان رد بودوخيبا سريعا حيث بعثت برسالة إلى رعمسيس، قالت (إذا أنت تقول:" ملك بابل ليس بالملك العظيم، أذن أنت لا تعرف منزلة بابل)[١٣١]، وهكذا زواج الحاكم يضع في خانة القيم السياسية والاجتماعية[١٣٢].

وهكذا حركة انتقال الأميرات للمصاهرة من آسيا إلى مصر مستمرة، عكس انتقال الأميرات من مصر إلى آسيا متوقفة (منذ قديم الزمان) كما عبر عنه الفرعون، لان رغبة ملوك آسيا إرسال بناتهم إلى الفراعنة ليصبحن (الزوجة الأولى) كما هو معروف في بلاطات آسيا، لكن ما يحدث فان الأميرات الآسيويات في البلاط المصري يصبحن من ضمن حريم الفرعوني ويختلطن بالزوجات والمحضيات كأفراد من العائلة الملكية وهذا يفسر المناقشة التي نقرئها في (عمارنة ١ : ١٠–٥٢) حول مصير أخت كدشمان انليل الأول والتي سبق وان تزوجت من امنوفس الثالث، فقد استفسر الملك البابلي حول مصير أخته هل ما زالت على قيد الحياة أم ماتت؟ وما هي منزلتها في القصر الفرعوني؟ وكان رد الفرعون بان المشكلة ليست في وجود أو عدم وجود الأميرة البابلية، إنما المشكلة في الرسل الذين بعثهم ملك بابل ! فهم دون المستوى المطلوب، لا يعرفون الأميرة شخصيا وليس لديهم خبرة دبلوماسية بمعنى (نكرة، وكذابين..)[١٣٣]، هناك مشكلة أخرى برزت بين الملك البابلي والمصري وردت في (عمارنة١) وهي رسالة جواب من امنوفس الثالث إلى كدشمان انليل الأول الذي احتج على خلط العربات البابلية المحملة بالهدايا مع عربات حكام المقاطعات التابعة

للفرعون [(٨٩-٩٨)... وكما ذكرت لي : " هو وضع عرباتي بين عربات حكام المقاطعات، أنت لم تفصلهم في الاستعراض العسكري، وبذلك قللت من شأنها أمام بلدك وشعبك، أنت لم تستعرضهم منفصلين "، سواء العربات كانت هنا أو هناك فالعربات تحتاج إلى خيول من بلادي، وكل العربات في الاستعراض تجرها خيولي ...][١٣٤]، هل يعتقد الملك البابلي بان المشكلة تكمن في الجمهور وأجهزة الأعلام! وان هناك من ينظر وينتقد شكل وحجم وعدد العربات البابلية!، وحتى وضع الأميرات داخل القصر واختفاء أخبارهن عن ذويهن الملوك! وكذلك الاختلاف الواضح في تبادل الهدايا ! كلها تدل على أن الفرعون يشعر بأنه أعلى منزلة ومن ثم لا يعتبر نفسه في رتبه متساوية مع ملوك آسيا .

٦-ملوك متشابهون في تصرفاتهم:

استخدم ملوك نادي القوى العظمى في مراسلاتهم تعبير (أخي) وقد يكون هذا التعبير مقبول لدى ملوك آسيا، لكنه يحتاج إلى تنازل من ملك مصر ويعدل مركزه الإلهي الديني الذي لا يتناسب إلا مع الذهن المصري القديم،وذلك بظهوره بمظهر ادمي اعتيادي في مزاج ملوك آسيا فاعتبروه (أخا)، ولذا أصبح مركز الفرعون مخالفا تماما لمركزه القديم السالف المتميز بالعكوف عن الرعية(١٣٥)، ولهذا استخدم الفرعون كتبه باللغة البابلية ومستشارين يجيدون معرفة تقاليد وديانات شعوب آسيا، فتبادلوا الرسائل وفق أسس اتفقوا عليها ضمنيا ولم يشركوا حكام المقاطعات التابعة بنفس الصيغة إنما وضعوا لهم قواعد للتعامل بينهم وبين التابعين.

بابل وآشور
و(نادي القوى العضمى)
مجلة اداب الفراهيدي
العدد الخاص بالمؤتمر الثالث
العدد (١) السنة الأولى
كانون الأول ٢٠٠٩

(جدول حكم ملوك القوى العظمى في ممالك الشرق الأدنى القديم في النصف الثاني من الإلف الثانية قبل الميلاد ق.م)[١٣٦].

تاريخ	ميتاني	بابل	أشـور	حاتيتي	مصر
١٥٠٠	باراتارنا الأول				امنحوتب الأول
١٤٥٠					تحوتمس الثالث
١٤٠٠	ارتاتاما الأول				امنوفس الثالث
		كدشمان انليل الأول			
١٣٥٠	توشراتا		اشور اوبلط الاول		اخناتون
		برنابرياش الثاني			
	متي / وازا			سوبيلوليوما الأول	توت-عنخ-آمون
		كوريكالزو الثاني			الفرعون(أي)
١٣٠٠				مورسيلي الثاني	
			ادد- نيراري الأول		حور محب
				موواتالي الثاني	
	عيلام	كدشمان- انليل الثاني	شلمانصر الأول		رعمسيس الثاني
١٢٥٠	اونتاش - نومينا			حاتوسيلي الثالث	
		كاشتلياش الرابع	توكلتي ننورت الثاني	تودحليا الرابع	
١٢٠٠				سوبيلوليوما الثاني	مرنبتاح
	شوتراك- ناخونته				
١١٥٠	كوتير- ناخونته				رعمسيس الثالث
	شاليك- انشوشناك				
			اشور-ريشو- اشخي		
		نبوخذ نصر الأول			
١١٠٠			تجلاتبليزر الاول		
١١٥٠					

فضلا عن اشتراك الملوك في خاصية بناء عواصم جديدة لهم،على ما يبدوا أنها بشكل أو بآخر تشبه القلاع المايسينية (Mycenaean)[١٣٧] المنتشرة على الساحل الإيجي وفي سوريا وفلسطين ولها ما يشابهها في حاتوشا، حيث شيدت القصور والمعابد بشكل محصن وعلى ربوة عالية تحيط بهم الأسوار المنيعة، وكأن رغبة الطبقة الحاكمة بفصل أنفسهم عن بقية السكان، بهذه الخاصيات اخذ ملوك العمارنة ومن بعدهم في تشيد مدنهم الجديدة،ففي عيلام شيدت عاصمة للملك اونتاش نومينا (Untash Napirisha)(١٢٢٠-١٢٠١ ق.م) ولا يزال مكانها غير معروف وقد يكون في مقاطعة انشان[١٣٨]، وفي بلاد الرافدين أقيمت العاصمة دور كوريكلزو (Dur- kurigalzu) (عقرقوف الحالية) (١٣٩٠ق.م)[١٣٩] (معنى الاسم مدينة كوريكلزو) وتقع على بعد (٢٠) ميلا غرب مركز بغداد ، ويبدو أن هذه المدينة الجديدة أضحت العاصمة المفضلة الثانية ربما لتحل محل بابل العريقة[١٤٠]، وقد باشر بإنشائها الملك كوريكلزو الأول وأتممها من جاء من بعده من الملوك الكشيين ، وفي الإمبراطورية الآشورية شيد توكلتي ننورتا الأول عاصمته كار - توكلتي- ننورتا (Kar- Tukulti- Ninurta) (تقع على ضفة نهر دجلة تقابل مدينة آشور) (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) وغطت مساحة (٢٤٠) هكتار وقد أحيطت بأسوار لازالت آثارها شاخصة،كما شيد فيها معبد للإله آشور، وقصران كبيران وقد دلت الوثائق بان المرحلين من سوريا كانوا عمالا ساهموا في تشيد المدينة،لكن حياتها كانت قصيرة، واحتلت فيما بعد مرتبه ثانوية بعد مدينة آشور القديمة[١٤١]، و في مصر أقام امنوفس الرابع (اخناتون) عاصمته (اخيتاتون) (Akhetaten) (العمارنة حاليا)(في الأقصر حاليا(١٩٠) ميلا جنوب القاهرة) والتي ازدهرت في الاعوام (١٣٨٠-١٣٤٠ ق.م) ،كما وأقام الفرعون رعمسيس الثاني عاصمته بررعمسيس (Per- Ramesse)(معنى الاسم بيت رعمسيس) في محافظة الشرقية (٦٠) ميل شمال شرق القاهرة، وبذلك نقل عاصمته من صعيد مصر جنوب إلى الدلتا شمالا محتمل هروبا من سيطرة كهنة آمون في طيبة(Thebes)، ويكون قريبا من سواحل المتوسط وسوريا - فلسطين مركز صراع القوى الكبرى آنذاك، هذه المدن لم تكن قد شيدت لعامة الناس لكن

لسكنى الملك وأبنائه وعلية القوم، وكانت غالبية الأبنية هي (قصور ومعابد) وكانت شامخة عملاقه في المساحة والتزين،وتدل على حصول الملوك على ثروات من مصادر متوفرة منها الحروب و التجارة، وربما أيضا تشير تلك العواصم الجديدة على وجود صراع على السلطة بين الملك والنبلاء وحتى داخل أسرته،ولهذا المدن الجديدة تهدف إلى حماية الملوك وعروشهم بالدرجة الأولى ! .

على أية حال في المدن الجديدة نلاحظ القصور والمعابد جميعها مزينه ومزخرفه برسوم ومنحوتات وعلى نطاق واسع، وهذا يفسر كثرة طلبات الملوك من معدن الذهب في رسائل العمارنة وقد استشهدنا برسالة ملك بابل عند افتتاحه قصره، الذي أثار إعجاب رسل مصر والزوار من البلدان الأخرى على جماله وفخامته (عمارنة ٣)، ومن الطبيعي ضمت هذه القصور ثقافات متعددة من حيث الزخارف والتماثيل و الألبسة أنواع العطور والأطعمة والعقاقير الطبية، والأثاث، والتجهيزات المنزلية .... الخ فقد كان ملوك آنذاك يتبادلون فيما بينهم الخبرات من حيث النحاتين والحرفين والأطباء والمعزين[١٤٢]والكتبة[١٤٣] والحاجات المصنعة وكان للكتبة دور مهم في ترجمة الأساطير وإنشاء القواميس اللغوية وتحرير الرسائل والرد عليها لذا لديهم إلمام تاريخي ولغوي ومعرفة جغرافية ودينيه وبذلك كانوا وبحق طبقة مثقفة أكثر ثقافة ممن يحكم في قصور الملوك العظام، لكن هذه المدن الجديدة انتهت بانتهاء من شيدها! فقد هجرت العمارنة بعد وفاة اخناتون، فبعد اعتلاء توت عنخ آمون العرش هجر العمارنة وعاد إلى طيبة العاصمة الدينية وذلك في السنة الرابعة من توليه الحكم[١٤٤]، وأوضحت التنقيبات الأثرية بان العمارنة احتوت على معبد للإله آتون وقد تميز بساحات مكشوفة واسعة، فضلا عن قصر فخم للملك اخناتون، ومركز للمدينة يحتل وسطها،وعموما الآثار تدل على فخامة المدينة .

كان مقتل توكلتي ننورتا الاول فاجعة كبيرة لآشور فقد حقق الملك الشاب سمعة قوية وتوسع هائل في مساحة الدولة الآشورية طيلة فترة حكمه وحقق انتصارات على الحثيين، وضم ما بقي من مملكة خانيكلبات وأوصل قواته قريبا من كركميش على ضفاف نهر الفرات، لكنه أخطأ في احتلال بابل وأهانه شعبها وألهتها

فقد نسي بان بابل ليست ارض برابرة ! يمكن غزوها بسهولة ومتى ما شاء !، فهي بلد عريق و سكانها متحضرين أكثر بكثير من سكان المناطق الجبلية شمال طوروس والتي كان يصول فيها بجيشه[١٤٥] أدى احتلال بابل إلى كسب حقد العناصر المؤيدة للثقافة البابلية في البلاط الآشوري ومن ثم دفع ثمن ذلك حياته، ففي النص البابلي يذكر مقتل ملك آشور: (أما توكلتي ننورتا الذي جلب السوء لبابل فقد ثار عليه آشور– ناصر – ابلي (Aşşur- Naşr- apli) ومعه النبلاء الآشوريون وخلعوه عن العرش، وفي كار– توكلتي ننورتا حاصروه في قصره وذبحوه بسيفه ...)[١٤٦]، لم يكن مقتل الملك الآشوري وليد تمرد فجائي فقد حدث توتر بين المواطنين والحكومة وخاصة تمتع المدن القديمة (منها مدينة آشور) بالإعفاء من بعض أشكال الضرائب فضلا عن الحقوق المتوارثة على الأرض، وقد سعى الملك توكلتي ننورتا من تخفيف الامتيازات الضرائبية للمواطنين لتنفيذ مشاريعه العمرانية وهذا بحد ذاته ولد الاحتكاك وبالتالي مقتل الملك الآشوري الذي لم يتمتع بعاصمته غير الفترة المحصورة ما بين حملته على بابل وحتى نهاية حكمه[١٤٧].

ولا تختلف مدينة دور كوريكلزو في بلاد الرافدين عن مصير أخواتها السابقات، فقد كشفت التنقيبات عن أجزاء من قصورها الفخمة ومعابدها الواسعة، وبرج المدينة (الزقورة) الذي شيده كوريكلزو الثاني وما زالت بعض أجزائها قائمة في موقع عقرقوف، ومع سقوط السلالة الكشية عام(١١٦٨ ق.م) على يد شوتراك– ناخونته ملك عيلام (١٢٠٧–١١٧١ ق.م)[١٤٨] كانت ضربة قاضية أركعت السلالة الكاشية وأنهت وجودها إلى الأبد، ثم هجرت المدينة لتعود بابل إلى سابق مجدها[١٤٩]، ولم يكن نصيب المدن الأخرى مثل بررعمسيس في مصر، وعاصمة الملك اونتاش نومينا في عيلام بأفضل حال فقد هجرت هذه المدن بعد وفاة الملوك المؤسسين لهما . والتشابه هنا ليس فقط في تشيد المدن إنما حتى في أفكارهم فهي الأخرى ماتت، ومنها الانقلاب الديني الذي شرعه اخناتون في التوحيد الوثني انتهى بعد وفاته، لأنه عجز في تقريب أفكاره إلى عامة الشعب فحارب الكهنة ومعهم الإله آمون وخرب معابده العريقة،ونحن نعرف بان الإله آمون لديه شعبية كبيرة عند قدماء المصريين،

بل الكراهية للملك وصلت حتى داخل أسرته فقد هجرته زوجته نفرتيتي عائدة الى مدينة طيبة المقدسة مما يدل على أن حياته الأسرية كانت فاشلة، وقد استخدم سلطته كحاكم مطلق يملك القوة في فرض أفكاره على الشعب الذي انحاز إلى صف كهنة آمون كل هذا دفعة إلى الانعزال في عاصمته العمارنة وبالتالي هجرة المدينة بعد موته، كذلك الكشيين على الرغم من محاولاتهم التقرب إلى شعب بابل إلا أن البابليين كانوا ينظرون إليهم بعين الشك وعدم الثقة ولهذا شيد ملوك كاشي عاصمتهم دوركوريكلزو ابتعادا عن بابل والغريب بعد سقوطهم لم يتركوا اثر ثقافي في بابل فلا نعرف عن لغتهم(لحد الآن توصلنا إلى (٢٠٠) مفردة لغوية كيشية) أو ثقافتهم أو ألهتهم التي احتلت المرتبة الثانية بعد آلهة بابل، وما عرفناه هي أشياء بسيطة مما يدل على تأثرهم بالثقافة البابلية[١٥٠] مع العلم أن أسماء آخر ستة ملوك كاشيين حكموا بابل كانت أسماء بابلية ، كما أن رغبة ملوك آشور بالتوسع وخوض المعارك جعلتهم يفرضون ضرائب على المواطنين مما أدى إلى الاحتكاك بين الملك ومواطنيه فكان مقتل توكلتي ننورتا بداية لعصر مظلم في تاريخ آشور، وقد استمر حتى عهد تجلاتبليزر الأول (١١٥–١٠٧٧ق.م) حيث حصلت آشور على بعض الانتعاش في أحوال البلاد الآشورية[١٥١]، وعلى عكس ذلك وقعت ميتاني فريسة أطماع آشور من جهة وحاتتي من جهة أخرى فكان زوالها محتوما بعد مقتل ملكها توشراتا وتقاسم المملكة بين ولدية وبتأيد جيرانها الأقوياء[١٥٢]. أما حاتتي فان حملاتها العسكرية أدت إلى إضعاف الممالك الصغيرة التي كانت تعمل كحاجز أمام القوى المهاجرة من غرب الأناضول، مما أدى إلى سقوط عاصمتها حاتوشا على يد شعوب البحر (١٢٠٠ ق.م) وأصبحت نسيا منسيا[١٥٣].

الاستنتاجات:

من الواضح بان رسائل العمارنة كانت نتاج مجموعة دولية تقودها حكومات مستقلة تبادلت اتصالات وفق معاير دقيقة نظمت أسس التفاعل فيما بينهم، فقد تم استعارة تعابير تستخدم في (العائلة) و (الحي) و (الأقارب) وهي تناسب الطبيعة البشرية في العلاقات العامة، وأيضا هناك مزيج بين الصداقة والتنافس وحتى الاتفاق بين الأطراف على استمرار تبادل الرسائل فيما بينهم، كما وأن المساومة كانت ماثلة بين أعضاء نادي القوى العظمى فقد سعوا إلى السلام وتجنب الحروب ، وتبادل الهدايا وأفضل ما لاحظناه أن الهدايا تدرج في آخر الرسائل مع ذكر أوصافها ووزنها وكمياتها وعموما هدايا الملوك متساوية من حيث القيمة مع الذهب أو هكذا أراد ملوك آسيا !، كما أن المصاهرة لها دور مهم ولو إنها لم تكن بمنزلة متساوية بين الملوك فقد شذ فراعنة مصر عن القاعدة بعدم منح بناتهم أو أخواتهم كزوجات لملوك آسيا، وهذا له عدة تبريرات أملته التقاليد والعادات في مصر القديمة، كما أن فرض السيطرة على الممالك الصغيرة أمر ضروري فقد نظمت أسلوب التعامل مع تلك الدويلات في سوريا وفلسطين وكيفية تبادل الرسائل مع حكامها المحليين، ولوحظ بان ملوك القوى العظمى كانوا متشابهين في تصرفاتهم وخاصة بناء المدن التي أصبحت تضم ثقافات متعددة بسبب الاتصالات وتبادل الخبرات فيما بينهم . أن نادي القوى العظمى سيطر على الشرق الأدنى القديم خلال الفترة القرنين الرابع والثالث عشر ق.م حيث وصلت الدبلوماسية بينهم إلى أرقى مستوى لها، ونظمت طرق تبادل المبعوثين والسفراء قبل مؤتمر فينا (١٨١٥م) بثلاثة آلاف عام، ولهذا أطلق عليه عصر العمارنة .

الهوامش:

(١) أطلق عليهم في النصوص المصرية القديمة تسمية (خيتا) (Kheta) أو (خت) (Ht)، وفي النصوص الرافدية (خاتي) (Hati) وفي التوراة (حث) (Heth) لكنهم يفضلون تسمية حاتتي وعاصمتهم حاتوشا (بوغازكوي حاليا) في بلاد الأناضول (تركيا الحالية) وسوف استخدم تسمية حاتتي أكثر من التسميات الأخرى: صلاح رشيد الصالحي / المملكة الحثية/ بغداد/ ٢٠٠٧/ ص٥٧-٥٨.

(٢) تعرف أيضا اسم خانيكلبات (Hangalbat) او نهراين (Nahrin) أو نهرايم أو نهارينا وبالاكدية (نهر) وعاصمتها واشوكاني (Washukanni) و مكانها ما زال مجهولا .

(٣) تحدثنا نصوص سرجون الاكدي عن نشاطه العسكري في مناطق الشرقية والشمالية الشرقية للعراق حيث ضم بلاد عيلام مع ذكر قائمة بأسماء الحكام التابعين له : طه باقر/ مقدمة في تاريخ الحضارات / الجزء الأول / بغداد/ ١٩٧٣/ ص٣٦٤.

(٤) حملات الملوك الحثيين ضد ارزاوا بدأت منذ فترة مبكرة تعود إلى عهد حاتوسيلي الأول (١٦٢٠ ق.م) فقد ورد في النص (في السنة التالية،أنا زحفت ضد ارزاوا واستوليت على الماشية والأغنام) وحملات أخرى من جاء بعده من الملوك الأقوياء :
Bryce, T.R: “ The Kingdom of Hittites “ Oxford (1999) . p.79.

(٥) رسائل ملك ارزاوا هي (عمارنة ٣١-٣٢) وقد كتبت باللغة الحثية بدلا من البابلية، ومضمونها رغبة امنوفس الثالث بالمصاهرة من ابنة تارخوندارادو ملك ارزاوا،ويظهر لدية سيطرة على طرق التجارة الرابطة بين آسيا وأوربا بحكم موقعة الاستراتيجي، كما ولدية سيطرة على مناجم القصدير وهي بضاعة مطلوبة من ملوك آسيا كافة .

(٦) اشتكى الفرعون اخناتون إلى ملك الاشيا حول الغزوات التي يقوم بها شعب لوككا(وهم الليسين جنوب غرب الأناضول) على السواحل المصرية وبتحريض ومساعدة شعب الاشيا،لكن ملك الاشيا أنكر مسؤوليته مؤكدا بان بلادة تعاني أيضا من غزوات القراصنة وأنهم في كل عام يستولون على مدنه في الجزيرة: سليم حسن/ مصر القديمة /الجزء الخامس/ القاهرة/ ١٩٤٨/ ص٢٥٣-٢٥٨.

(٧) حول القضايا القانونية يمكن مراجعة حالة اجتماعية شارك فيها يني- تيشوب نائب الملك في كركميش في حلها بين مملكة اوغاريت ومملكة امورو : صلاح رشيد الصالحي / الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم/ مجلة كلية التربية بنات /جامعة بغداد/ ٢٠٠٩/ تحت الطبع.

(٨) تقع كركميش (جرابلس) على نهر الفرات وهي ومعها مدينة حلب تحت إدارة ملوك هم نواب عن الملك الحثي وهؤلاء من اصول حثية وتحديدا أبناء عم ملك حاتتي، ولهذا كان الآشوريين يطلقون على مدن سوريا (خاتي) حتى عد سقوط المملكة الحثيه ولفترة طويلة: صلاح رشيد الصالحي/المملكة الحثية ... / ص١٢١-١٢٢.

(٩) نيكولاس بوستغيت / حضارة العراق واثارة – تاريخ مصور / ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي / بغداد/ ١٩٩١/ ص ٩٥.

(١٠) عمر الاسكندري و أ.ج. سفدج / تاريخ مصر / القاهرة ١٩٩٦/ ص٤٨.

(١١) حول الحفريات السرية ما بين (١٨٨٦– ١٨٨٧) والألواح المكتشفة في تلك الفترة والتي تم نشرها :

Anson, R.F: " El-Amarna Tablets " AOAT 8: Neukirchen , Vluyn. Neukirchener Verlag (1970) . Pp. 359- 379.

(١٢) يعتقد ما فقد أو دمر من الألواح يتراوح ما بين (١٥٠–٢٠٠) لوح طيني لكن لا دليل على هذا العدد الكبير لذا هناك شك فيما ذكره الباحثان (Sayce) و (Barton) :

Barton, G.A: " Ancient Babylonian Expressions of the Religious spirit " JAOS 37. (1917) Pp. 23-42.

(١٣) حول دراسة رسائل العمارنة من حيث الاكتشاف ونشر الألواح : صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية في عصر العمارنة/ مجلة كلية التربية/ جامعة تكريت/ ٢٠٠٩/ تحت الطبع.

(١٤) نفس المصدر /ص٢.

(15) Kűhne, C.: " Die Chronologie der internationalen Korrespondez von El-Amarna " AOAT 17 : (1973) . P.50 no.252

(١٦) تعتبر طيبة (Thebes) العاصمة الدينية لمصر فهي مقر الإله آمون، بينما ممفس (Memphis) في الدلتا عاصمة الشمال، أما حاتوشا (Hattusha) بوغاز كوي (Boghazköi) حاليا فهي عاصمة المملكة الحثية في بلاد الأناضول (تركيا الحالية)، بينما مملكة ميتاني عاصمتها واشوكاني (Washukanni)، هذا إضافة إلى آشور عاصمة المملكة الآشورية، وبابل عاصمة المملكة الكشية، وقد شيد الملك كوريكلزو (Kurigalzu) عاصمة جديدة أطلق عليها دور كوريكلزو (عكركوف حاليا).

(17) Bezold, C. ;" Oriental Diplomacy " London . Luzac and Co., (1893).

بابل وآشور
و(نادي القوى العظمى)
مجلة اداب الفراهيدي
العدد الخاص بالمؤتمر الثالث
العدد (١) السنة الأولى
كانون الأول ٢٠٠٩

(١٨) كلمة (Zeit) تعني بالحثية فترة أو عصر والمقصود في العبارة (عصر العمارنة)، ويمكن مراجعة التقرير الأولي للتنقيبات الأثرية في بوغازكوي :

Winckler, H:" Vorläufige Nachrichten über die Ausgrabungen in Boghaz-köi im Sommer 1907 . 1. Die Tontafelunde " Mitteilungen der Deutschen Orientgesellschaft 35 (1907) ; Pp.1-59.

(19)Nougayrol, J.: " Le Palais Royal d , Ugarit IV- Textes Accadiens des Archives Sud archives internationals " Paris ; Imprimerie nationale (1956).

(20) Wiseman, D.J.:" The Alalakh Tablets " London British Institute o Archaeology at Ankara (1953).

(21) Cohen, R and Westbrook, R. : " Amarna Diplomacy " Baltimore (2002) . Pp.13-15

(٢٢) عند مراجعة الرسائل المتبادلة ين ملوك آشور والمملكة الحثية نرى أسلوب رسائل العمارنة ما زالت مستخدما في المراسلات ولغاية القرن الثالث عشر ق.م : صلاح رشيد الصالحي / العلاقات الآشورية – الحثية في القرن الثالث عشر ق.م / بيت الحكمة / بغداد/ ٢٠٠٩ / / تحت الطبع.

(٢٣) حول الصراع بين ماري والملك حمورابي :أنطوان مورتكات/ تاريخ الشرق الأدنى القديم / ترجمة توفيق سليمان/ دمشق / ١٩٦٧/ ص١٣٣-١٣٥

وبخصوص العلاقات الدبلوماسية في غرب آسيا خلال الألف ألثانيه قبل الميلاد :

Munn-Rankin, J.M ;" Diplomacy in Western Asia in yhe Early Second Millennium B.C.E." Iraq18 . (1956) Pp. 68-110 // Zaccagnini, C. : " ON Gift- Exchange in the Old Babylonian Period " In studi Orientalistici in ricordo di Franco Pintore ed .O. Carruba, M. Liverani and C. Zaccagnini .Pavia :GJES, (1983) Pp. 189-253.

(٢٤) تقع ابيلا على نهر العاصي في غرب سوريا ويعود ارشيفها زمنيا إلى (٢٣٥٠ ق.م) فقد كتبوا بالخط المسماري وبلغة السامية الغربية و أيضا تحدثوا باللغة البابلية وهذا طبيعي لان الاموريين (Amorite) انتشروا من غرب سوريا والى جنوب بابل تحدثوا بالسامية الغربية والتي لها قرابة كبيرة بلهجة البابلية الاكدية، وبقيت هذه اللغة مسيطرة حتى الألف الأول عندما سيطرة الارامية (Aramaic) وكتابتها الالفباء (alphabetic) التي دونت بها النصوص التاريخية :

Alfonso, A : " Transmission of the Mesopotamian Lexical and Literary Texts from Ebla " in P. Fronzaroli, ed., Literature and

Literary Language at Ebla (Quaderni di Semitistica 18 ; Florence ; Dipartimento di Linguistica, (1992) p. 23.

(25) Korošec, V.: " International Relations according to Cuneiform Reports from the Tell el-Amarna and Hittite State Archives " Ljubljana Zbornik Znanstvenih Razprav (Ljubljana) 23 (1950) Pp.390-397.

(٢٦) هذه العبارة ذكرت في المؤتمر العالمي الرابع حول المنطقة الايجية لما قبل التاريخ في جامعة شفيلد (Sheffield) بانكلترا في نيسان (١٩٧٧) .

(27) Burney , C.:" Urartian Fortresses and Town in the Van Region " (Journal of the British Institute of Archaeology at Ankara) : Vol: 7: Ankara, (1957) Pp. 37-53.

(٢٨) تماما مثل النخبة الأوربية في القرن الرابع عشر الميلادي تحدثت باللغة الفرنسية على اعتبار بأنها لغة الثقافة والحضارة .

(٢٩) تدخل رسائل ربي- حدد (Rib- Hadda) ملك بيبلوس كمثال لما ذكر أعلاه فقد كتب (١٧) رسالة للفرعون اخناتون منها تسعة رسائل مباشرة(عمارنة ٦٨- ٩٥) وأجابه الفرعون بتسعة رسائل أيضا ، كما كتب عبدي – عشيرتو (Abdi- Aširtu) ملك امورو ثلاث رسائل (عمارنة ٦٠-٦٢)،كذلك نائب الملك المصري كتب رسائل كثيرة عن ربي- حدد وشكواه المستمرة من تطلعات عبدي-عشيرتو التوسعية وبتحريض من حانتي : صلاح رشيد الصالحي/ الدبلوماسية البابلية ... / تحت الطبع.

(30) Moran, W. L.: "The Amarna Letters " Baltimore (1992) p.8.

(٣١) أول ذكر لقبائل الاخلامو ود في نصوص شلمانصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) فقد ذكر بأنهم يستوطنون عند حوافي جبال طوروس والى شمال سوريا وفي النص أشار إلى الاراميين أيضا والجيش الحثي وقد دحرهم شلمانصر وذبحهم كالخراف (الجيش الحثي وحلفائه الاخلامو (الاراميين)، أنا ذبحتهم مثل الخراف ...) :صلاح رشيد الصالحي/ الدبلوماسية الآشورية في عصر العمارنة/ مجلة كلية الآداب/ جامعة بغداد/ العدد ٨٧/ ٢٠٠٨/ ص٣٦٩- ٤٠٤

Luckenbill. D.D:" Ancient Records of Assyria and Babylonia "Vol: I Chicago (1926).: p.40.

(32) Leo Oppenheim, A : " Letters from Mesopotamia " Chicago (1967).Pp.129-146.

(٣٣) من الصب تحديد موقع توتول لكن يعتقد أنها قريبة من نهر الفرات في سوريا الحالية ما بين ماري وايمار وهي منطقة كانت تقع على طرق المواصلات الرابطة بين بلاد الرافدين من جهة وممالك سوريا والبحر المتوسط من جهة أخرى .

(34) Backman, G : " Hittite Diplomatic Texts " Second Edition ; Atlanta : Vol 7: 1999 . p. 140.

(35) Tadmor , H.: " The Decline of Empires in Western Asia ca. 1200 B.C.E. " ASOR (1979): p.3.

(36) Liverani , M : " The Great Powers Club " Amarna Diplomacy . Baltimore (2002) Pp. 15-27.

(37) Mieroop, M.Van.De : " A History of the Ancient Near East " Second Edition . Oxford (2007) Pp.129-148.

(38) Artzi, P. and Malamat, A: " The Great King " CDL Press (1993) . Pp. 23-38.

(٣٩) فحوى المراسلات بين الملكة الحثيه والفرعون رعمسيس الثاني تخص زواجه من ابنة الملكة وضرورة السرعة في إجراءات الزواج وإرسال العروس إلى مصر برفقة أبيها هذه الأحداث نضعها بعد معركة قادش (١٢٧٤ ق.م) بمدة خمسة عشر عاما .

(40) Liverani, M.: " Prestige and Inyerest : International Relations in the Near East , circa 1600-1100 B.C.E. Padova : Sargon, (1990) .p.21 , 197-202 , 211-217 //Cohen , R.:" All in the family : Ancient Near Eastern Diplomacy" International Negatiation (1996) Pp. 11-28.

(٤١) نحن اليوم عند الحديث مع رجل كبير في السن لا قرابة لنا معه نطلق عليه (أبي) أو (عمي) أو (خال)، وان كان طاعن في السن نستخدم (جدي) أو (حجي) وأحيانا (زاير)، أما المرأة فتلقب (خالة) و(عمه) أو (بيبي) و(حجية) و(زايره)، وعموما الألقاب غرضها للتقرب والمحبة والاحترام ومثل هذه التعابير قديمة الاستخدام ومن ضمن ثقافتنا المجتمعية الزراعية .

(42) Wiseman ,D.J : " Is it Peace ? " Covenant and Diplomacy " Vetus Testamentum 32 (1982) Pp. 317-322.

(٤٣) في قراءه أخرى (m ni-mu-a/wa/ut-re-a/ia) : Moran,W.L.: op.cit.p. .12

(44) Ibid: p. 12.

(٤٥) ورد اسم مصر بهذه الصيغة (m[i- iş- şa- ri]) ربما تهجي الاسم اخذ من اللغة الاكديه– الحوريه وكانت منتشرة مفرداتها من بلاد آشور والى حلب وكركميش ، ولعل خضوع آشور إلى التبعية الميتانيه واستقلالها في عهد آشور اوبالط دخلت مفردات ميتانيه كثيرة باللغة الآشورية : صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية الآشورية ..../ ص ٣٦٩–٤٠٤.

(٤٦) هذا الأسلوب يظهر في رسالة ملك الاشيا (Alašiya) (قبرص) في رسالة أطلق عليها (عتاب على رسالة الفرعون) :

Moran,W.L op.cit. p.105.

(٤٧) ترجمة كلمة [ik-[šu-da أكثر دقه من ترجمة [ik-[šu-da-an-ni راجع:

Moran,W.L.: op.cit . p. 14.

(٤٨) [a-a-i-[ka-(am)ma يبدو أن برنابرياش يريد أن يقول لا رسول أجنبي سواء مصري أو غير مصري لم يتناول العشاء معه وتعطي (عمارنة ١: ٦٢–٧٧) نفس المعنى :

Kühne , C.: Die Chronologie der internationalen Korrespondenz von El-Amarna Neukirchen Vluyn :Neukirchener Verlag, (1973) . p.61 n.295.

(٤٩) هناك ترجمة أخرى (كنت سأفقد حياتي، ولا شيء كان سينقذني) لكن هذه الترجمة غير واضحة .

(٥٠) [Ū(Šamnu)]…..lauš[nē-ša-an-ni] ترجمة إلى (ولم يشفني أي دواء أعطي لي): . Moran, W.L:opcit.p.14

(٥١) [i-mu-[ra-an-ni من المفروض تعني زيارة وفد .

(52) Moran, W.L.: op.cit. Pp. 12-13.

(٥٣) على ما يبدو بان برنابرياش لديه مشاكل مع الفرعون كما ورد في مضمون الرسالة منها احتجاز رسول بابل في البلاط المصري سنتان، وقيمة الهدايا التي أرسلها الملك البابلي قليلة بسبب ظروف المناخ الحار وقلة المياه، وما هو مهم هنا يريد برنابرياش ذهبا أكثر لأنه منشغل بعمل مهم وما أرسله الفرعون من الذهب كان قليل وتعرض للسرقة من قبل وكيل الملك المصري فلابد من المراقبة من لدن الفرعون وختم الذهب المرسل إلى بابل بنفسه، فقد زعم ملك بابل بأنه استلم(٤٠) منه ذهب وضعها في الفرن ولم يبقى منها غير عشرة منه فقط، وأخيرا يؤكد على سرقة قافلة رسوله صالم(سالم)

مرتين وهو في طريقة إلى مصر من قبل الحكام التابعين للفرعون، انظر الرسالة كاملة في:/صلاح رشيد الصالحي/الدبلوماسية البابلية .../ تحت الطبع.

(٥٤) كتبت امرأة بهذه الصيغة amīltu = MUNUS أو ?sinnišu راجع :

CAD , A/2, p.47 b.

(٥٥) الهدية كتبت هكذا šulmānī، أما الاحتفال العظيم كان بلا شك واحد من ثلاثة احتفالات أقامها امنوفس الثالث في السنة الثالث عشره من حكمه ، وألسنه الرابعة والثلاثين من حكمه، وألسنه السابعة والثلاثين من حكمه .

(٥٦) كتبت عبارة(أكل واشرب) كما هو بالعربية [akul] ‘ú‘šiti .وباللغة الحثية تعني هذه العبارة استمرار الحياة وتكتب (نوخبز ازاتيني واترما ايكوتيني) (nu an ezateni-ma ekuteni) : صلاح رشيد الصالحي /المملكة الحثية ..../ ص ٩٣.

(٥٧) كتب منزل جديد [É eš-š]a وردت في (عمارنة ٥: ١٣،١٩)، واقترح -a-nu-um] ma-bī]ta لكن ليس هناك بما فيه الكفاية لحيز على اللوح لإعادة الترميم و anumma لا تستعمل في العهد البابلي الوسيط (الكيشي)، وفي نهاية السطر ina libbi تلائم آثار النقش على اللوح تماما : Moran, W.L.:op.cit . p. 8

(58) Ibid: p. 7.

(٥٩) ورد تعبير (أنا قلت كفى) هكذا [ul am-la as-s[a-k]u-[ut كتبت كلمة (سكوت) كما في اللغة العربية .

Moran, W.L. : op.cit . p. 15.

(٦٠) طلب الزواج من ابنة الفرعون وردت في (عمارنة ٢) أرسلها كدشمان انليل الأول إلى امنوفس الثالث ورد فيها (لديك بنات لماذا لا تعطيني واحدة ؟)، وفي حالة برنابرياش ربما يمهد لنفس الغرض أو يريد أعلى مهر لابنته وبالذهب المصري .

(٦١) المعنى من (سكبوا الزيت على رأس ابنتي)، هو رمز لقبول الأميرة كزوجه للفرعون، واعتقد مسح الشعر بالزيت متعارف عليه في الشرق الأدنى القديم كافة وحتى يومنا الحاضر لتقوية الشعر والقضاء على القشرة، ولا يعني كما قد نتصور سكب كميه كبيرة من الزيت ! وحتما نوعية الزيت تكون فاخرة اشتهرت به بابل واشور، وكان الزيت البابلي يدخل ضمن هدايا الملك إلى الملوك المجاورين ومنهم الفرعون، ولدينا رسالة من حاتوسيلي ملك حاتتي إلى ادد–نيراري الأول يذكر فيها عدم إرسال زيت فاخر لمسح الجسم كهدية بمناسبة توليه العرش كما جرت العادة بإرسال الملوك الهدايا الثمينة بهذه المناسبة :

17: [DUMU.MUNUS-ti ki-i]…. qa-qa-[a]d DU[MU].MU[NUS-ti-ia] 18: ‘ì’ . [GIŠ it-t]a-du-ú

بخصوص رسالة حاتوسيلي راجع :

Backman, G:” Hittite Diplomatic….. Pp.129 . 101.

(٦٢) كتبت منزلي 12: [i-na É-i]a، حتما يقصد الملك البابلي بكلمة منزل هو القصر.

(٦٣) كتب هذا المقطع بالاكدية ….23; um a-bu-ú-a-a DUMU. MUNUS-SU][u4-]، في النص يريد الملك البابلي برناريباش تذكير الفرعون اخناتون بالمصاهرة التي حدثت بين الأسرتين في عهد كدشمان–انليل الأول والفرعون امنوفس الثالث فلدينا رسائل اقرب إلى المساومة بين الملكين السابقين حول قيمة المهر (عمارنة ٢) و (عمارنة ٣) و(عمارنة ٤) أما المهر فهناك رسالتين (عمارنة ١٣) فيها كشف بالحاجات والأثاث المطلي بالذهب والفضة والأحجار الكريمة مع الوزن والوصف الكامل أرسلت من الفرعون امنوفس الثالث إلى الملك البابلي كدشمان انليل الأول،،بينما (عمارنة ١٤) تضمنت كشف بأسماء الأثاث والحاجات المطلية بالذهب والفضة والأحجار الكريمة أرسلت من الفرعون اخناتون إلى برنابرياش كمهر لابنته.

(٦٤) هذه الرسالة من برنابرياش ملك بابل إلى الفرعون امنوفس الثالث، دعيت (عرض اقتراح صداقه) :

Moran, W.L. : op.cit . p. 12.

(٦٥) الرسالة من برنابرياش ملك بابل إلى امنوفس الرابع (اخناتون)، دعيت (مقتل التجار وطلب الثار لهم): Ibid ; p.16

(٦٦) كتبت (أرسلوا) هكذا ul-te-bi-i-lu-n[i].

(٦٧) هذه الرسالة من برنابرياش إلى إما امنوفس الرابع أو توت عنخ آمون، ودعيت (ولاءات قديمة وطلبات جديدة):Ibid : p. 18

(٦٨) الرسالة من برنابرياش إلى اخناتون، ودعيت بعنوان(الذهب المصري والنجارين):

Ibid: p. 19.

(٦٩) أطلق على الرسالة (حب وذهب) :

Zaccagnini , C.: “ Lo scambio dei doni nel Vicino Oriente durante 1 secoli XV-XIII . Rome : Centro per le antichita e la storia dell′arte del Vicino Oriente(1973) .Pp. 139-147.

(٧٠) هناك رسالة من ملك الاشيا (قبرص) إلى الفرعون ربما اخناتون (عمارنة ٣٣ : ٩–١٨) (علاوة على ذلك،أنا سمعت بأنك جلست على عرش أبيك، أنت قلت : دعنا

نتبادل هدايا السلام، أنا سمعت تحيات أخي …..)، كذاك رسالة سوبيلوليوما ملك حاتتي إلى الفرعون ذكر باسم خوريا (Huriya) قد يكون امنوفس الرابع أو سمنكارع (Smenkhkare) أو توت عنخ امون (Tutankhamun) (عمارنة ٤١ :١٦–٢٢) (الآن أخي اعتلى عرش أبية، وكما كان أبيك و أنا راغبين بالسلام فيما بيننا، لذا الآن أيضا يجب علينا سويتا آن نكون أصدقاء مع بعضنا البعض،الطلب السريع الذي أنا أرسلته لأبيك،أنا سوف أرسله إلى أخي أيضا، دعنا نساعد كلانا الآخر …) :

Moran , W.L. : " op.cit :(EA 26) .p.84 , (EA 33).p.104,(EA 41) .p.114.

(71) Ibid : p. 22.

(72) Kűhne , C. : “ Die Chronologie der ….. Pp.105-124.

(٧٣) قد تكون كمية الذهب المصري هي (مهر الزواج)، أرسل إلى ابنة أو أخت توشراتا ملك ميتاني وقد ورد هذا في (عمارنة ١٧ : ٤١–٤٥).

(٧٤) محتمل كلمة (a-nu-ma) ربما هي (a-na-ku) وتعني (أنا نفسي) .

(٧٥) (عمارنة ١٦) كتبت هذه الرسالة إلى الفرعون بعد عام (١٣٦٥ ق.م) عندما تحررت آشور من التبعية لميتاني حول احتلال آشور من قبل ميتاني في عهد شاوشتار في القرن الخامس عشر ق.م راجع :أنطوان مورتكات / تاريخ الشرق ……../ ص٢٠٤.

(76) Moran, W.L. : op.cit . p. 104.

(77) GIŠ. MEŠ = iṣṣī. تعني خشب

(78) Ibid : p. 21

(٧٩) كتبت كلمة (سرقت) ha-ah-t[a-at] .

(80) Ibid : p. 14.

(81) Kűhne, C : “ Die Chronologie der …..p.87 , n .436.

(٨٢) اسم الرسول المصري ارشابا ظهر وبنفس الكتابة بين أسماء الآلهة الحورية (d ir-ša-ap-pa)، واسم ارشابا هو الـه التجارة عند الحوريين (dam-ki-ra-a-ši tamgar-(š)eš))، أيضا اسم ارشابا اله كنعاني وهو سيد السوق والتجارة .

(83) Adler , H.P. : “Das Akkadische des Königs Tušratta von Mitanni “ AOAT 201 : (1976) Pp.252-253 (83) Moran, W.L.: op.cit. Pp.43-44.

(84) Moran, W.L.: op.cit. Pp.43-44.

(٨٥) بالنسبة للرسالتين راجع : Ibid : Pp. 47 K 84

(٨٦) الرسالتان مرسلتان من ملك الاشيا (قبرص) إلى ملك مصر لم يذكر اسمه، لكن يعتقد بأنه الفرعون توت- عنخ- آمون :
Kűhne , C.: op.cit . p. 87. No. 436
(٨٧) لمراجعة ترجمة رسالة (عمارنة ١): صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابليه .../ ص١٧-١٨.
(88) Kűhne , C.: op.cit . p. 50 . no. 252.
(89) Pintore, F.: " Transid di trupe eschemi epistolary nellu Siria egiziana dell " eta di El- Amarna " OA 11 : (1972) Pp. 101-131.
(٩٠) كتب الاسم هكذا m hi-ri-ia-ma-za .
(٩١) اسم بامخو ربما لقب مصري غير مفهوم لأسم شخصي،ويتقد بان الاسم المساوي له رعبيصو (rābişu) ورد في (عمارنه ١٦٢ : ٧٤)، أما كلمة) فاسلاج (فتعني مصر وتأتي بمعنى (بلادك) ويريد أن يقول الفعل الشنيع تم تحت انف الفرعون :
Moran, W.L. : op.cit.p. 14.
(٩٢) على ما يبدو بان الكاتب أو من روى الحادثة بدل أحرف العلة في المقطع الأول لأسماء الحاكمين راجع : Ibid:p.16
(٩٣) أن كلمة (halzuhlu) تعني (قائد قلعة) وهي إشارة إلى ضابط مصري عالي المستوى عادة يدعى (rābişu)،وبالتأكيد التميز هنا يلاءم قائد قلعة سيلو (Silu) المصري (mr htm n ţr) على الحدود المصرية .
(94) Moran, W.L.: op.cit. p.100.
(٩٥) من المحتمل بان (خعايا) احد الرجال المرافقين للقافلة ويقوم بتبليغ كل الحكام المحلين بأوامر الفرعون وضرورة حماية القافلة في أراضيهم .
(٩٦) ذكر اسم بابل لأنه أراد القول: (أرسل القافلة لأبعد مسافة، حتى ولو كانت بابل، وأنا سأحميها بنفسي، وتحت حراسة مشددة) .
(97) Moran, W.L.: op.cit. p. 308.
(98) Liverani, M.: The Great Powers Club ….. Pp. 95-105.
(٩٩) حول تبادل الهدايا واشكالها راجع :
Mauss, M,:" The Gift" ,New York : Nortin (1967) Originally published as "Essai sur le don " L'anné Sociologique, II série, 1 (1923-1924) Pp. 30-186.
(١٠٠) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية الآشورية .../ ص٣٦٩-٤٠٤.

(١٠١) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية ... / تحت الطبع.
(102) Moran, W.L. : op.cit . p. 9.
(١٠٣) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية ... / تحت الطبع.
(104) Moran, W.L :" op.cit . p. 22.
(١٠٥) كتت كلمة (ضريح) karašku، ولا يعني الضريح هنا محرقة لحرق جثث الموتى.
(106) Moran , W.L. : op.cit . p. 44.
(107) Ibid ; p. 97.
(١٠٨) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية .../ تحت الطبع.
(١٠٩) ذكر النحاس بكلمة (enūma) وهي مثل (anumma)، ويلاحظ بان وحدة القياس الطالنت لم تذكر لكن يفهم بان الطالنت ربما كان على شكل قضبان، أو قوالب والمعروف وزن الطالنت إما ٢٨.٢ كغم أو ٣٥.٢٥ كغم وهو نفس الوزن للقوالب التي استعملت في قبرص، وقد ذكر الوزن في (عمارنة ٣٣ : ٩-١٨) مع اختفاء الرقم الذي يمثل كمية النحاس الذي تم إهدائه إلى الفرعون اخناتون بمناسبة تتويجه على عرش مصر.
(١١٠) يقرأ نركال (dMAŠ.MAŠ) في نص الرسالة، أو في السامية الغربية (Rašpu) أو (Resheph) :
Journal of Cuneiform Studies (New Haven, then Philadelphia , now Baltimore. (1953) Pp.79 ff.
(١١١) كتبت (عامل) (ēpiš) هنا في النص نفهم مجرد تعدين نحاس (AHw) (تصفيه أو تكرير) المهم المعنى غير واضح لكلمة عامل : Moran, W.L.: op.cit . p. 107
(112) Ibid ; letter (4). p.8.
(١١٣) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية ،،، / تحت الطبع.
(١١٤) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية الآشورية ./. ص٣٦٩-٤٠٤.
(115) Moran ,W.L: op.cit . p. 47.
(١١٦) جورج رو : العراق القديم /ترجمة حسين علوان حسين/ بغداد/ ١٩٨٤/ ص٣٤٨.
(١١٧) يراجع رسائل(عمارنة ٣، ٧، ١٠، ١٩) في:Ibid: Pp. 7 ,13 , 19 , 92-97.
(118) Zaccagnini, C. : " Lo scambio ….. Pp. 83-85.
(١١٩) في الحقيقة لهذه العبارة ترجمات أخرى (لا تعمل حلف مع ....) أو (لا تقارني مع ...) : Moran, W.L.: op.cit p. 36

(120) Liverni, M. : The Great Powers Club ….. p. 25.

(١٢١) اغلب هدايا بابل اشتملت على أحجار اللازورد الخام (نادرا على شكل عقد) وخيول وعربات حربية وزيوت نوع جيد وعربات حربية ومنسوجات كتانيه وصوفيه وعبيد، أما آشور فأرسلت خيول وعربات ومنسوجات بأنواعها (كتانيه وصوفية) وأحجار كريمه، وهدايا ميتاني شملت معادن وخيول وعبيد، وأرسلت حاتتي هدايا من القصدير ونحاس وخناجر حديدية غالية الثمن، وكذلك ملك الاشيا أرسل هدايا من معدن النحاس بالدرجة الأولى .

(١٢٢) صلاح رشيد الصالحي / العلاقات الاشوريه- الحثية في القرن الثالث عشر ق.م / بيت الحكمه / /بغداد/ ٢٠٠٩/ تحت الطبع

(١٢٣) من أفضل الامثلة للمراسلات التي جرت بين بابل-حاتتي في القرن الثالث عشر ق.م هي رسالة حاتوسيلي الثالث الى كدشمان انليل الثاني: Leo Oppenheim , A. ;"

Letters from Mesooptamia " Chicago (1967) . p. 143

(١٢٤) صلاح رشيد الصالحي/ المملكة الحثيه ...../ ص١٨٦-١٨٨.

(125) Macqueen, J.G:" The Hittites and their Contemporartes Asia Minor " London (1975) : p. 49.

(١٢٦) كتبت عبارة (ولم لا ؟) [am-mi-ni l[a innaddin كل الزيجات التي ذكرت أعلاه تم الإشارة إليها مفصلا في : صلاح رشيد الصالحي / ملكات بابليات في البلاط الحثي / مجلة الأستاذ/ العدد ٧٥/ بغداد/ ٢٠٠٨/ ص ٦٢٥-٦٣٢.

(١٢٧) إذا(LU-ta) وأيضا(ra-ši-lu-ta) تترجم (أشخاص محضوضين) أو (أنت تعطي بناتك إلى ...) أو (ṭàb-ta) (تنال أشياء جيدة) أو (تنال صداقة) وهذا محتمل أيضا، عموما الرد المصري واضح حتى بعد عصر العمارنة فقد حاولت أرملة توت عنخ آمون (موت-نخمت)(ابنة نفرتيتي ويقرا الاسم بالهيروغليفية (عنخ- سن- آن- آمون) عبر مراسلات لغرض الزواج من احد أبناء سوبيلوليوما ملك حاتتي ليكون زوجا وملكا في مصر دون استشارة رجال البلاط في طيبة، وكانت النتيجة مقتل الأمير(زانانزا)(Zannanza) ابن سوبيلوليوما وهو في طريقه إلى مصر، لان التحالف بين مصر- حاتتي لم يكن في مصلحة بعض الفئات في البلاط المصري، وهؤلاء هم الذين نصبوا الفرعون (أي) (Ay) على عرش مصر خلفا لتوت عنخ آمون ، لان العرف والتقاليد نصت طلب الفرعون الزواج من أميرة أجنبية وليس الملكة المصرية

تطلب أمير اجني للزواج !،حول هذه الحادثة : جرني .أ.ر / الحثيون / ترجمة محمد عبد القادر/ القاهرة/ ١٩٦٣/ ص ٥١ Moran, W.L : op.cit . p. 4 no. 21

(١٢٨) كتبت عبارة (أنا ارغب بالزواج من ابنتك) -DUMU.MUNUS-ka a-ha-aš]
še-e]h، بينما كتبت عبارة (وأنت لديك بنات، لماذا لا تعطيني واحدة للزواج) .[DUMU.MUNUS.MEŠ-ka i-ba-aš-ša-a-am-mi-ni la ta-a]d-di-na

(129) Moran, W.L:" op.cit . p. 6.

(١٣٠) صلاح رشيد الصالحي/ الدبلوماسية البابلية ... / تحت الطبع.

(131) Singer, I ;" The title Great Princess in Hittite Eimpire " U 23 : (1991) p. 331.

(132) Backman, G.: " Hittite Diplomatic……..letter 128 . p. 131.

(١٣٣) صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية ..../ تحت الطبع.

(134) Moran, W.L.:op.cit. p. 2.

(١٣٥) جيمس هنري برستد/ تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي / ترجمة حسن كمال/ الطبعة الأولى / القاهرة/ ١٩٢٩/ ص ٢٣٢.

(136) Mieroop, Marc. Van. De : op.cit: p. 131.

(١٣٧) صلاح رشيد الصالحي/ المملكة الحثية.... / ص ١٦-١٧.

(١٣٨) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي/ تاريخ الشرق الأدنى القديم- إيران والأناضول/ بغداد/بدون سنة طبع / ص ٥٩.

(١٣٩) في عهد كوريكلزو الاول كانت بابل تحصل على كميات كبيرة من الذهب من مصر وفي الواقع يبدو في هذه الفترة ان الذهب حل مؤقتا محل الفضة، وقد نفذ كوريكلزو بتمويل من مصر برنامج تشيد طموح في عدد من المدن (أور، اريدو، اوروك) وأنفقت كميات كبيرة من الذهب المصري في تشيد مدينة محصنة جديدة هي دور كوريكلزو : جوان اوتس/بابل تاريخ مصور/ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي/ بغداد/ ١٩٩٠/ ص١٣٧.

(١٤٠) طه باقر/ المصدر السابق/ ص٤٥٢.

(141(Mieroop, Marc. Van. De : op.cit . p. 183.

(١٤٢) كمثال ورد في رسالة حاتوسيلي الثالث ملك حاتتي إلى كدشمان انليل الثاني ذكر استقبال حاتوشا في عهد مواتالي ملك حاتتي طبيب ويدعى (ربي- شا- مردوخ) (Raba- sha- Marduk) ومعه معزم من ملك بابل وقد أبقاهم مواتالي في حاتوشا

لفترة طويلة للاستفادة من خبراتهم، وفي نفس الرسالة طلب حاتوسيلي نحاتين وقد وعد بإعادتهم إلى بابل مذكرا ملك بابل بأنه سبق وان أعاد النحاتين السابقين في عهد كدشمان – تورجو إلى بابل : Backman, G :op.cit . p.142

(143) Gűterbock, H.G: "A view of Hittite Literature " JAOS 84 : (1964) . Pp.107-115.

(١٤٤) سليم حسن/ مصر القديمة – السيادة العالمية والتوحيد/ الجزء الخامس / القاهرة / ١٩٤٨/ ص ٢٦٠.

(١٤٥) شملت فعاليا العسكرية لتوكلتي ننورتا بلاد كوماني أو اكوميني أو اكوماني وتضم مجموعة من الأمراء يجمعهم اتحاد هش مفكك استطاع الملك الآشوري ان يخضعهم واستثمر غابات طوروس الشرقية في خدمة مشاريعه العمرانية .: هاري ساكز/ عظمة آشور/ ا/ ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو/ دمشق/ ٢٠٠٣ / ص٧١-٧٣

Luckenbill, D.D: " Ancient Record ……" vol. 1 ..Pp. 49-59.

(١٤٦) هاري ساكز/ عظمة بابل / ترجمة عامر سليمان/ بغداد/ ١٩٧٩/ ص ١٠١-١٠٢ // جورج رو/ العراق القديم/ ترجمة حسين علوان حسين / بغداد/ ١٩٨٤/ ص ٣٥٥.

(١٤٧) هاري ساكز/ عظمة آشور..../ ص ٧٣-٧٤.

(١٤٨) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي/تاريخ الشرق الأدنى.../ ص٦٠.

(١٤٩) جورج رو/ العراق القديم .../ ص٣٥٥.

(١٥٠) أنطوان مورتكات/ تاريخ الشرق ..../ ص ١٩٠-٢٠١.

(١٥١) طه باقر/ المقدمة ..../ ص٤٨٩.

(١٥٢) لدينا رسالة من ملك ميتاني بعثها الى تودحليا الرابع ملك حاتتي يوضح فيها ماساته فعلا بان بلده تقع بين قوتين آشور شرقا وحاتتي غربا،وهو مجبر على التعامل مع آشور لأنها أقوى منه ولديها أطماع في بلاده : Backman, G :op.cit .p.150

(١٥٣) صلاح رشيد الصالحي / المملكة الحثية .... / ص ٤٥٨-٤٧٤.

المصادر العربية:

١- أنطوان مورتكات/ تاريخ الشرق الأدنى القديم / ترجمة توفيق سليمان/ دمشق / ١٩٦٧.
٢- جرني .أ.ر / الحثيون / ترجمة محمد عبد القادر/ القاهرة/ ١٩٦٣.
٣- جوان اوتس/ بابل تاريخ مصور/ ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي/ بغداد/ ١٩٩٠.
٤- جورج رو/ العراق القديم/ ترجمة حسين علوان حسين / بغداد/ ١٩٨٤.

٥- جيمس هنري برستد/ تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي / ترجمة حسن كمال/ الطبعة الأولى / القاهرة/ ١٩٢٩.
٦- سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي/ تاريخ الشرق الأدنى القديم- إيران والأناضول/ بغداد/بدون سنة طبع.
٧- سليم حسن/ مصر القديمة – السيادة العالمية والتوحيد/ الجزء الخامس/ القاهرة/١٩٤٨.
٨- صلاح رشيد الصالحي / المملكة الحثية/ بغداد/ ٢٠٠٧.
٩- صلاح رشيد الصالحي/ الدبلوماسية الآشورية في عصر العمارنة/ مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد/ العدد ٨٧ / ٢٠٠٨.
١٠- صلاح رشيد الصالحي / ملكات بابليات في البلاط الحثي / مجلة الأستاذ/ العدد ٧٥/ بغداد/ ٢٠٠٨.
١١- صلاح رشيد الصالحي / الدبلوماسية البابلية في عصر العمارنة/ مجلة كلية التربية/ جامعة تكريت/ ٢٠٠٩/ تحت الطبع.
١٢- صلاح رشيد الصالحي / العلاقات الآشورية – الحثية في القرن الثالث عشر ق.م / بيت الحكمة / بغداد/ ٢٠٠٩ / تحت الطبع.
١٣- صلاح رشيد الصالحي / الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم/ مجلة كلية التربية بنات /جامعة بغداد/ ٢٠٠٩/ تحت الطبع.
١٤- طه باقر/ مقدمة في تاريخ الحضارات / الجزء الأول / بغداد/ ١٩٧٣.
١٥- عمر الاسكندري و أ.ج. سفدج / تاريخ مصر / القاهرة ١٩٩٦.
١٦- نيكولاس بوستغيت / حضارة العراق واثارة – تاريخ مصور / ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي / بغداد/ ١٩٩١.
١٧- هاري ساكز/ عظمة بابل / ترجمة عامر سليمان/ بغداد/ ١٩٧٩/ ص ١٠١-١٠٢ // جورج رو/ العراق القديم/ ترجمة حسين علوان حسين / بغداد/ ١٩٨٤.
١٨- هاري ساكز/ عظمة آشور/ ا/ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو/دمشق/ ٢٠٠٣.

References

1- Adler , H.P. : "Das Akkadische des Königs Tušratta von Mitanni " AOAT 201 : (1976).
2- Alfonso, A : " Transmission of the Mesopotamian Lexical and Literary Texts from Ebla " in P. Fronzaroli, ed., Literature and Literary Language at Ebla (Quaderni di Semitistica 18 ; Florence ; Dipartimento di Linguistica, (1992).
3- Anson, R.F: " El-Amarna Tablets " AOAT 8: Neukirchen , Vluyn. Neukirchener Verlag (1970) .

4- Artzi, P. and Malamat, A: " The Great King " CDL Press (1993).
5- Barton, G.A: " Ancient Babylonian Expressions of the Religious spirit " JAOS 37. (1917).
6- Backman, G : " Hittite Diplomatic Texts " Second Edition ; Atlanta : Vol 7: (1999).
7- Bezold, C. ;" Oriental Diplomacy " London . Luzac and Co., (1893).
8- Bryce, T.R: " The Kingdom of Hittites " Oxford (1999).
9- Burney , C.:" Urartian Fortresses and Town in the Van Region " (Journal of the British Institute of Archaeology at Ankara) : Vol: 7: Ankara, (1957).
10- CAD , A/2, p.47 b.
11- Cohen,R and Westbrook, R.:"Amarna Diplomacy " Baltimore (2002).
13- Cohen , R.:" All in the family : Ancient Near Eastern Diplomacy" International Negatiation (1996).
14- Gűterbock, H.G: "A view of Hittite Literature " JAOS 84 : (1964).
15- Journal of Cuneiform Studies (New Haven, then Philadelphia , now Baltimore. (1953).
16- Korošec, V.: " International Relations according to Cuneiform Reports from the Tell el- Amarna and Hittite State Archives " Ljubljana Zbornik Znanstvenih Razprav (Ljubljana) 23 (1950).
17- Kűhne, C.: " Die Chronologie der internationalen Korrespondez von El-Amarna " AOAT 17 : (1973).
18- Kühne , C.: Die Chronologie der internationalen Korrespondenz von El-Amarna Neukirchen Vluyn :Neukirchener Verlag, (1973).
19- Leo Oppenheim, A : " Letters from Mesopotamia " Chicago (1967).
20- Liverani, M.: " Prestige and Inyerest : International Relations in the Near East , circa 1600-1100 B.C.E. Padova : Sargon, (1990).
21- Liverani , M : " The Great Powers Club " Amarna Diplomacy Baltimore (2002).
22- Luckenbill. D.D:" Ancient Records of Assyria and Babylonia "Vol: I Chicago (1926).
23- Macqueen, J.G:" The Hittites and their Contemporartes Asia Minor " London (1975).

24- Mauss, M,:" The Gift" ,New York : Nortin (1967) Originally published as "Essai sur le don " L'anné Sociologique, II série, 1 (1923-1924).
25- Mieroop, M.Van.De : " A History of the Ancient Near East " Second Edition . Oxford (2007).
26- Moran, W. L.: " The Amarna Letters " Baltimore (1992).
27- Munn-Rankin, J.M ;" Diplomacy in Western Asia in the Early Second Millennium B.C.E." Iraq 18 . (1956).
28- Nougayrol, J.: " Le Palais Royal d ' Ugarit IV- Textes Accadiens des Archives Sud archives internationals "Paris ; Imprimerie nationale (1956).
29- Pintore, F.: " Transid di trupe eschemi epistolary nellu Siria egiziana dell " eta di El- Amarna " OA 11 : (1972).
30- Singer, I ;" The title Great Princess in Hittite Eimpire " U 23: (1991).
31- Tadmor , H.: " The Decline of Empires in Western Asia ca. 1200 B.C.E. " ASOR (1979).
32- Winckler, H:" Vorläufige Nachrichten über die Ausgrabungen in Boghaz-köi im Sommer 1907.1. Die Tontafelunde " Mitteilungen der Deutschen Orientgesellschaft 35 (1907).
33- Wiseman, D.J.:" The Alalakh Tablets " London British Institute o Archaeology at Ankara (1953).
34- Wiseman ,D.J : " Is it Peace ? " Covenant and Diplomacy " Vetus Testamentum 32 (1982).
35- Zaccagnini, C. : " ON Gift- Exchange in the Old Babylonian Period " In studi Orientalistici in ricordo di Franco Pintore ed .O. Carruba, M. Liverani and C. Zaccagnini .Pavia :GJES, (1983).
36- Zaccagnini , C.: " Lo scambio dei doni nel Vicino Oriente durante 1 secoli XV-XIII . Rome : Centro per le antichita e la storia dell'arte del Vicino Oriente (1973).

التكوين السكاني للمجتمع العراقي القديم حتى سقوط بابل ٥٣٩ق. م

م.م. غيث حبيب خليل
جامعة تكريت/كلية الآداب/قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

إن التكوين الاجتماعي للعراق هو نتاج تاريخ طويل من التمازج السكاني عبر التاريخ. وإذا كان ذلك " التكوين " هو الفرز الطبيعي لذلك التاريخ الذي شهد جملة هائلة من الإيجاب والسلب وأنتج تنوعات ثقافية وسلوكية غاية في التعقيد والقوة. ويعد العراق مع الحضارات العريقة في بلاد النيل وبلاد الشام المهد الأول لنشوء أقدم المدنيات في العالم وفيه نشأت أسس الحضارة الإنسانية وتطور فيها التشكيل الاجتماعي والسياسي ومن المصادر الرئيسة التي تأثرت بها ونقلت عنها الحضارات البشرية في أنحاء العالم كافة.

وعليه، فان بنية الثقافة العراقية تختزن في داخلها تنوعات فاعلة تعمل على الأرض وهي مترابطة مع بعضها البعض ترابطا عضويا ولا يمكنها أن تنفصل أبدا، وهي اليوم بأمس بحاجة إلى سياسات مجّردة من كل ميول أو اتجاهات.

إن الهدف من البحث هو التعريف بالموقع الجغرافي للعراق وتسميته وأهم الأقوام التي سكنته ومن رسم حدوده؟ وهل حدوده الحالية هي حدوده التاريخية أم رسمت في بدايات القرن العشرين من فراغ أم لهذه الحدود جذور؟ وهل استيقظ العراقيون هكذا فجأة ليجدوا أنفسهم في بلاد جديدة صنعها ووضع حدودها وتسميتها الإنكليز، وذلك لان الكثير من العراقيين الآن في حال مؤلم ولا يعلمون ذلك وأضاعوا المعاني الحقيقية للوطنية و وفقدان الهوية وروح المواطنة العراقية وذلك نتيجة للظروف الصعبة والتحديات التي مرّت عليهم وتتوالى عليهم منذ زمن، فضلا عن

حالة الفوضى الفكرية واللغوية والسياسية وما نتج عنها من أفكار طائفية خاطئة الهدف منها تدمير الوحدة الوطنية لأطياف المجتمع العراقي والتي بدأت تتناقل على ألسنة الحاقدين والمتربصين بالعراق العظيم هذا البلد الصابر ورغبتهم في تفكيك وحدته ليتسنى لهم تحقيق مآربهم الخبيثة إذ بدا الخلط بين مصطلحات وشعارات وأفكار يتبنوها من دون إدراك معانيها نتيجة جهل ومخططات وفق أجندات أجنبية مبيتَة ومن ذلك مصطلحات (العراق الفيدرالي) و (العراق الاتحادي) وما لهذين المصطلحين من معاني للتفكك السياسي والاقتصادي والبشري وكأن العراق وطنا حديثا لا العراق الذي له جذور تمتد في عمق التاريخ ما تزال بقاياه الفكرية والبشرية موجودة تعيش على أرضه ومنذ آلاف السنين لذا أصبح من المهم توضيح التركيب السكاني للمجتمع العراقي حتى يتسنى للقارئ أن يدرك أن العراق بلد الجميع تظافرت الجهود ولكل عناصره وفئاته في تكوينه.

هذه الأسئلة وغيرها يمكن الإجابة عنها وبسهولة وذلك لعمق وآصاله الحضارة العراقية وتنوع وكثرة المصادر والشواهد التاريخية والآثارية.

أولا: الموقع الجغرافي :

العراق نتاج لعبقرية سكانه وموقعه المميز، حيث بدأ الإنسان في وجوده وتفكيره واستقراره وتنظيمه لأنه كان بؤرة للتجمع والالتقاء البشري عبر التاريخ وكان العراق ملتقى للبشرية برا ونهرا وبحرا، فهو عقدة الوصل بين الشرق والغرب، فالقوافل التجارية والأقوام والهجرات البشرية على مر التاريخ قد رسمت خطوطا عميقة في لوحته الطبيعية من شماله إلى جنوبه، حيث إن موقعة في الجنوب الشرقي من الشرق الأدنى القديم وفي غرب قارة آسيا شكل جسرا بريا يربط بين القارات الثلاث (آسيا، أوربا، أفريقيا)[1].

وهو يمتد مع امتدادات نهري دجلة والفرات مكونا وحدة جغرافية متماسكة وتفصله عن جنوب الأناضول جبال طوروس وعن إيران جبال زاكروس وعن بلاد

الشام بادية الشام، فكان على مر العصور ملتقى للقوافل التجارية التي تربط تجارة البحر المتوسط والخليج العربي ومن ثم المحيط الهندي[٢].

ولموقع العراق اثر مهم في تركيب سكانه فهو في موقعه بين منطقتين تقل فيهما الموارد الطبيعية فمن الشمال والشمال الشرقي مناطق جبلية ومن الغرب والجنوب الغربي مناطق صحراوية ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة هي التي جعلت من العراق محط أنظار الأقوام المجاورة ووجهة للهجرة والاستقرار أو محاولات السيطرة عليه وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إلى تركيب سكانه[٣].

ثانيا : التسمية:

هناك أراء مختلفة عن اصل كلمة " العراق " حيث يرجح بعض المستشرقين إن مصدرها هي مدينة " أورك "المدينة السومرية القديمة (الوركاء حاليا)[٤]. في حين يرى البعض الأخر إن تسمية العراق مصدرها " العروق " نسبة إلى النهرين العريقين: دجلة و الفرات اللذين ولأهميتهما شبها بالعرق أو الوريد[٥]، ويرى البعض الأخر إن البلاد سميت بالعراق نسبة إلى " عروق أشجار النخيل " التي تتواجد بكثرة في جنوب ووسط العراق ولذلك سمي بأرض السواد[٦]. و هناك تسمية أخرى هي تسمية ميزوبوتاميا Mesopotamia باليونانية وتعني بلاد ما بين النهرين وتبنى كثير من الكتاب والباحثين هذه التسمية[٧]. كما أطلق عليه تسمية بلاد بابل أو بلاد آشور[٨]. ومن الباحثين من يرى إن كلمة عراق ذات اصل عربي تعني (الشاطئ) أو (جرف النهر)[٩]. في حين يتفق الاثاريين العراقيين على تسمية (بلاد الرافدين) لما لها من مدلولات أوسع وأشمل لأنها بذلك تشمل كل الأراضي التي يمر بها النهرين العظيمين (دجلة والفرات)، ويبقى اسم العراق هو الاسم الذي يتفق عليه الباحثون في إطلاقه على الأرض التي قامت عليها جميع الدول والممالك على أرضها.

ولو لم يكن اسم العراق قديما قدم وجوده لما اختلف حول ذلك الرواة والمفسرين والمؤرخين والباحثين.

ثالثاً: الأقوام التي سكنت العراق القديم:

سكن العراق كما ذكرنا سابقا وبسبب موقعه الجغرافي وظروفه المناخية التي ساهمت بشكل كبير في تكوين حضارته أقوام عديدة دخلت في التكوين السكاني للمجتمع العراقي القديم ويمكن تمييز عنصرين أساسيين من خلال مخلفاتهم المادية والكتابية كان لهم الدور الأبرز هما السومريون والاكديون فضلا عن أقوام أخرى سنذكرها ولكن بتفصيل اقل:-

١- **السومريون** :

منذ إن سلط الضوء على أولى مخلفات الحضارة السومرية قبل قرن من الزمن و البحث مستمر لمعرفة أصل السومريين، الذين عُدو من أقدم الشعوب التي استطاعت وضع الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين وما يزال شأنهم ودورهم يتضح بصورة اكبر كلما استجدت مكتشفات أثرية أو نصوص سومرية جديدة لتكشف عن جوانب مشرقة من منجزاتهم الحضارية ودورهم في أغناء مسيرة الشعوب بالمعرفة في مختلف جوانب الحياة، ولم يقدم دليل قاطع في أصل السومريين إذ أن كل باحث يعطي رأيه معتمدا أما على أدلة كتابية أو هياكل عظمية أو يعمل مقارنات بين الحضارة السومرية وغيرها من الحضارات و لم يتوصلوا إلى رأي نهائي محدد و قبل الحديث في ألآراء في أصل هؤلاء القوم نذكر المنطقة التي استوطنوا فيها وهي الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي لبلاد الرافدين و التي وردت تسميتها في الكتابات المسمارية باسم بلاد سومر بالمصطلح السومري (KI.EN.GI) و بالأكدية (mat-Sumerim)، و لم يحدد معناه على وجه التأكيد فنجده في القواميس اللغوية يطابق الكلمة السومرية (KALAM) و بالأكدية (mat) و هي بمعنى البلاد و لا بد أن البلاد بالنسبة للسومريين تعني (بلاد سومر)[١٠]، و إذا ما ترجم المصطلح حرفيا يكون معنى (KI.EN.GI) (أرض سيد القصب وقد عرّف سيد القصب بأنه الإله (انكي)، وهو إله الأرض والماء والحكمة عند السومريين و (أيا) عند البابليين[١١].

وهناك من يعتقد بأن المصطلح (KI.EN.GI) مشتق من أحد أسماء مدينة نفر المقدسة عند السومريين[١٢]، وأصبحت البلاد تُعرف في العصور اللاحقة

بمصطلح (بلاد أكد أو بلاد بابل)، وتشمل النصف الأسفل من بلاد الرافدين إلى الخليج العربي[١٣].

أما عن الآراء التي طرحت بشأن أصل هؤلاء الأقوام فقد كتبت العديد من الدراسات والبحوث منها ما أستند إلى لغتهم أو إلى الصناعات الفخارية أو إلى دراسة الهياكل العظمية.

ومن تلك الدراسات تلك المتعلقة باللغة السومرية ومعرفة أصولها من خلال مقارنتها مع لغات أخرى مندثرة أو متداولة، ومن المعروف إن اللغة السومرية تكاد تكون لغة منفردة بنفسها إذ لا يمكن تصنيفها أو إرجاعها إلى أحدى العوائل اللغوية المعروفة الآن فهي ليست من عائلة اللغات الهندوآرية، وعلى الرغم من ذلك فقد وصفت من نوع اللغات المعروفة باللغات الملصقة (Agglutinative)[١٤]، ولصعوبة اللغة السومرية الملصقة فقد دفعت بعضهم لمقارنتها وفي غالب الأحيان بأسلوب غير علمي مع عدد كبير من اللغات الأخرى من اللغة الصينية والتبتية والدرافيدية والهنغارية، في حين ذهب احد العلماء إلى عدّ اللغة السومرية بمستوى لغة الفولابك[١٥].

وهناك من الباحثين من اعتمد في دراسته للمشكلة السومرية على الهياكل العظمية، ظناً منهم أنه يمكن معرفة جنسهم و سلالاتهم البشرية بمقارنة العظام المكتشفة في المدن السومرية مع ما هو معروف من سلالات بشرية، وقد ثبت من نتيجة تلك الدراسات عدم وجود جنس سومري لا بالمفهوم العلمي ولا بالاعتيادي، فالدراسات الأنثروبولوجية التي أجريت على الهياكل العظمية و التي عثر عليها في مقبرة كيش أظهرت خليطاً من الرؤوس الطويلة و العريضة التي ربما تعود للجماعات التي استخدمت اللغات الجزرية، ولذلك فمن الصعب القول على أي منها سومري. على الرغم مما ذهب إليه الباحثون من إن السومريين كانوا من ذوي الرؤوس المدورة(العريضة) في حين أن الجزريين من ذوي أو أصحاب الرؤوس الطويلة، و يصدق القول نفسه على الجماجم التي عثر عليها في مقبرة العبيد كلها من جنس البحر المتوسط أي من ذوي الرؤوس الطويلة[١٦].

ومن الآراء الأخرى التي طرحت بشأن أصل هؤلاء الأقوام هو حدوث هجرات لأقوام دخلت واستقرت في بلاد سومر، ومن ذلك حدوث تغيرات طرأت في صناعة الفخار وعلى الزخارف المنفذة عليها، وفيما يلي عرض لهذه الآراء:

- **<u>الرأي الأول:</u>** يفترض إن السومريين جاؤوا عبر موجتين الأولى من الشرق و سلكت طريق البحر إلى الخليج العربي، والثانية سلكت الطريق البري عبر إيران و كان ذلك مع مجموعة أخرى من الأقوام نفسها التي هاجرت بعد ذلك إلى وادي السند[١٧].
- **<u>الرأي الثاني:</u>** يقول إن السومريين جاؤوا مهاجرين من أواسط آسيا عن طريق إيران وذلك على أساس التشابه بين الفخار ألعبيدي و فخار إيران[١٨].
- **<u>الرأي الثالث:</u>** يفترض إن السومريين جاؤوا من شمال سوريا وفلسطين وذلك على أساس التشابه بين فخار دور الوركاء مع فخار هذه المناطق ومن المستحيل القول بشكل قاطع بأنه لا يمكن أن تكون هناك حركات عرقية في هذا الاتجاه إذ ليس هناك دليل قاطع في الوقت الحاضر لإثبات حدوثها،إذ يمكن تفسير العلاقة على أساس العلاقات التجارية كما هو مع الهند أو مصر[١٩].
- **<u>الرأي الرابع:</u>** هذا الرأي يربط بين أصل السومريين و بين حضارة جنوب بلوخستان الأولى ومن المحتمل أن تكون هناك علاقة بين حضارة أقوام الهند (خرابا) وبين الأقوام (الهندوآرية) الموجودة حاليا في جنوب الهند، ولكن وجود علاقة عرقية حقيقية بين السومريين وبين أقوام (خرابا) ذات جاذبية خاصة لأولئك الذين يحاولون أن يجدوا صلة لغوية بين اللغة السومرية و اللغة الدرافيدية، وإن هناك دلائل قوية على شكل طرز فنية وأشياء مادية خاصة تبرز علاقات تجارية في الألف الثالث ق.م بين السومريين وأقوام وادي السند أو بلوخستان ومن تلك المظاهر الفنية مناظر طقوسية تتضمن الثور الهندي ذا الحدبة وعثر عليه في كل من أور وكيش وهذا الرأي يحتاج إلى أثبات[٢٠].

أما عن رأي أصحاب المدرسة العراقية والمؤيدين لها هو أن السومريين كانوا مسيطرين على الجزء الأسفل من بلاد الرافدين وهؤلاء كان يطلق عليهم (ذوي الرؤوس

السوداء) وبلادهم هي أرض السواد ولم يكونوا لا جزريين ولا آريين وأن لغتهم التي ظهرت على العديد من نصوصهم لم تكن كذلك لا جزرية ولا هندوآرية، ويستدل أصحاب هذا الرأي على ذلك بكون الحضارة السومرية في بعض عناصرها عبارة عن تطور طبيعي واضح من حضارات عصور ما قبل التأريخ التي ازدهرت في البلاد وسموا باسمهم نسبة إلى البلاد التي سكنوا فيها أخيراً في جنوب بلاد الرافدين،وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أن جميع سكان بلاد الرافدين من شماله إلى جنوبه كانت لهم نفس الآداب والأساطير الدينية والمفاهيم العقائدية نفسها مع بعض الاختلافات غير الأساسية التي كانت الطبيعة والبيئة تفرضها على مستوطنيها وخاصة أذا ما عرفت عنهم أن جوهر هذه العقائد الدينية في العراق هي البيئة والمظاهر الطبيعية، ولا سيما القسم الجنوبي منه بل إن طابع حضارتهم مشتق من بيئة نهرية ذات أحراش وقصب وطمى وغرين وفيضانات وسهول وغيرها[٢١].

وخلاصة القول أنه من المرجح أن يكون أصل السومريين من شمال بلاد الرافدين وأنهم استوطنوا تلك المنطقة منذ عصور ما قبل التأريخ ثم نزحوا تدريجياً إلى مناطق جنوب السهل الرسوبي بعد تعلمهم الزراعة المعتمدة بالدرجة الأولى على الري الصناعي وأسسوا هنالك مدنهم، وهو الرأي السائد لدى أغلب الباحثين وهو ما يمثل اتجاه المدرسة العراقية الحديثة في دراسة المشكلة السومرية.

٢- **الجزريون (الساميون)**:

الجزريون: وهي التسمية التي أطلقت على الأقوام التي جاءت من الجزيرة العربية وقد انتشروا منذ أزمان بعيدة في أطراف الجزيرة ومنها بوادي العراق الغربية، وجزيرة العرب وأطرافها الشمالية وما يعرف بالهلال الخصيب ومن تلك المناطق انحدرت إلى المناطق الأكثر خصوبة مثل وادي الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها من المناطق، ومما سهل الاتصال بين الجزيرة العربية من جهة وبلاد الرافدين و بلاد الشام من جهة أخرى هو طبيعة الفرات الأوسط من السهل الرسوبي الذي يتصل اتصالا مباشراً ببلاد الشام مما جعل الأقوام تستقر في تلك المنطقة ومنذ أقدم

العصور و من الجدير بالذكر إن الطبيعة الجغرافية والظروف الاقتصادية التي فرضت تحرك الجماعات البدوية في العصور الحديثة كانت بلا شك هي نفسها التي كانت في السابق قد أدت إلى تحرك الموجات البشرية في العصور القديمة فأن تحرك الجزريين من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال والشمال الشرقي و الاستقرار فيه كان قديما قدم وجودهم فيه[٢٢].

أما عن تسمية (**الساميين**) فقد أطلقه لأول مرة الباحث النمساوي (أوغست لادويك شلوتزر) في عام (١٧٨١) م. وأن هذه التسمية هي نسبة إلى سام بن نوح الذي أقتبسه شلوتزر من العهد القديم (سفر التكوين) الإصحاح العاشر (٢١- ٣١) والإصحاح الحادي عشر (١٠- ٢٦) الذي يتحدث عن أنساب سام بن نوح وأطلق تلك التسمية على الأقوام التي استقرت في سوريا وفلسطين والعراق منذ أقدم الأزمنة وعلى لغاتها المتشابهة. ثم أستخدم المصطلح ليشمل الأقوام العربية الشمالية والأقوام الأكدية والبابلية والأشورية بعد أن ثبت أن لهجات هذه الأقوام ترجع إلى الأصل المشترك نفسه الذي ترجع أليه لغات الأقوام التي استقرت في سوريا وفلسطين وشاع استخدام هذا المصطلح أو التسمية منذ ذلك الحين بين الكتاب والمؤلفين العرب والأجانب على حد سواء للدلالة على الأقوام الكنعانية، الأمورية، العبرية، الأكدية،الأشورية، البابلية، الآرامية، السريانية، العربية الشمالية والجنوبية، وعلى اللهجات التي تكلمت بها وعلى اللهجات التي تفرعت منها، على أن الرأي الحديث أتجه إلى البحث في أصل هؤلاء الأقوام وتسميتهم من الناحية اللغوية وليس من الناحية العرقية. ولا بد من الإشارة إلى إن هناك اتفاقا في الرأي بين معظم الأثاريين وفي مقدمتهم الباحثون العراقيون على ضرورة أعادة النظر في هذا المصطلح الذي لا يستند في الواقع إلى أساس تاريخي مقبول، وإن المفردات (سامي و سامية) تسميات مقبولة طالما استخدمت لأغراض لغوية ولكن لأن اللغات السامية كما أطلق عليها كانت شائعة في منطقة محدودة قبل الفتح الإسلامي الكبير فأن هذا قد دفع بالعديد من الكتاب إلى عدّ الساميين عنصراً خاصاً، أو بالأحرى مجموعة بشرية متناغمة، ويرفض علماء الأنثروبولوجي المحدثون مفهوم (الجنس السامي) لأفراد يشتركون ليس

في اللغة فحسب بل في الخلفية السيكولوجية وفي العادات والتقاليد وفي المعتقدات الدينية أي أن هؤلاء الكتاب يعدّون الساميين شعبا واحدا كبيرا[٢٣].

أما من هم هؤلاء الجزريون فإن نظرية كون الجزيرة العربية مهداً لهم أصبحت في عداد الحقائق والتي فندت النظرية التي تقول أن بلدهم الأصلي هو الصحراء السورية التي كانت مركز انتشار الجماعات الرحالة، فيجب التخلي عن هذه النظري. وكذلك نظرية كونهم من بلاد الرافدين أو إن إفريقيا أو أرمينيا مهداً لهم.

أما متى دخل الجزريون السهل الرسوبي فلا يمكن تحديده على وجه التأكيد ولكن من المؤكد إنه كان منذ فترات قديمة في عصور ما قبل التأريخ كما ذكرت وعن الآراء التي طرحت في هذا الموضوع ما يأتي:

- **<u>الرأي الأول</u>:** يشير إلى أن الجزريين ربما سبقوا السومريين في استيطان بلاد سومر، وإن بعض الباحثين أكدوا على ذلك استنادا إلى أن سكن الموجات الجزرية جنوب بلاد الرافدين أمر طبيعي لقرب الصحراء من جنوبي بلاد الرافدين والاتصال بينهما ولكن من الصعوبة تحديد الوقت الذي دخلت فيه. وإن جداول الملوك السومرية تذكر أريدو بعدّها أول مدينة نزلت فيها الملوكية من السماء قبل الطوفان وتذكر أسم أول ملكين فيها وهما (ألولم– ألاكار) ونجد الاسم له صفة جزرية وربما يوحي بالوجود والتأثير الجزري بين سكانها فضلاً عن المكانة القيادية والإدارية للجزريين ولكن أسم شخص وإن كان ملكاً ليس دليلاً كافياً على ذلك. كما إن موقع مدينة(اريدو) على الجانب الغربي من نهر الفرات في أقصى جنوب بلاد سومر وقربها من شبه الجزيرة العربية يزيد من قوة مركزها التجاري ومشجع على مرور القوافل فيها ومن ثمَّ يزيد من احتمال تأثرها بالعنصر الجزري . وترينا أسماء ملوك مدينة (كيش) البالغ عددهم (٢٢) ملكاً الذين حكموا بحسب جداول الملوك السومرية بعد الطوفان إن فيها أسماء جزرية وعددها(١٢) أسم مثل (كلبم، قالومو، أربئوم...... الخ)، إلى جانب أسماء أعلام جزرية في الألواح والرقم السومرية[٢٤].
- **<u>الرأي الثاني</u>:** يقول بأن الجزريين كانوا قد دخلوا السهل الرسوبي في عصر الوركاء واعتمدوا في ذلك على حدوث تغيير في صناعة الفخار، إذ ظهرت

صناعات فخارية جديدة في ذلك العصر وكانت تحمل تأثيرات الجهات الشمالية والغربية أي من العناصر الجزرية[٢٥].

ومهما كان تأريخ دخول هذه الأقوام إلى بلاد الرافدين فإن أسماء الأشخاص الجزرية تظهر في بعض النصوص المدونة خلال عصر فجر السلالات ويبدو منها إن انتشارهم كان في مناطق مختلفة من أهمها منطقة (كيش) وفي موقع أخر هو موقع تل (أبو الصلابيخ) قرب موقع مدينة نفر في محافظة القادسية، واستنادا إلى نصوص مدينة ماري وبعض الوثائق الأولى يُرى أنهم أصبحوا يشكلون الغالبية من سكان شمال وغرب بلاد الرافدين. وان منهم الاكديون والاشوريون والاموريون.

وهناك فضلا عن هذين العنصرين الرئيسيين أقوام أخرى دخلت العراق واستوطنت فيه وتأثرت بالحضارة العراقية المتمدنة وأخذت منها عاداتها وحتى ديانتها وأسماء آلهتها أي أنهم اقتبسوا العناصر الحضارية واندمجوا في المجتمع ولذلك كان تأثيرهم أما معدوما أو ضئيلا جدا حتى أنهم كتبوا وثائقهم باللغة الاكدية وبالخط المسماري وأضافوا أسمائهم إلى جداول الملوك المتعاصرين كل ذلك يدل على عظمة وقوة الحضارة العراقية بكل أشكالها وتنوعها والتي امتازت بالديمومة والاستمرارية التاريخية[٢٦] ابرزها : .

<u>١ -السوباريون</u>:

أتصل سكان بلاد الرافدين منذ أقدم العصور بعدة أقوام خارج البلاد أما عن طريق الاتصالات التجارية أو الفتوح أو الغزو أو الأسفار فأثرت فيهم حضارة بلاد الرافدين كما أثروا فيها، وتغلغل بعض هذه الأقوام إلى موطن هذه الحضارة نفسها فدخلوا في تركيب سكان بلاد الرافدين ومن هؤلاء الأقوام من عرفوا في المصادر المسمارية بأسم (السوباريون)، وقد بدأ ذكر هؤلاء الأقوام منذ عصر فجر السلالات في منتصف الألف الثالث ق.م، حيث يرد ذكرهم لإول مرة في كتابات حاكم لجش (إيأناتم)[٢٧].

أما عن أصل السوباريين ولغتهم فهي غير معروفة لحد الآن وكل ما قيل في لغتهم أنها ليست من عائلة اللغات الجزرية أو الهندو أوربية، وقد أستوطن هؤلاء شمالي بلاد الرافدين في منطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة، وكانت تقع ضمن موطنهم البلاد التي عرفت فيما بعد (بلاد أشور) وذلك قبل هجرة الآشوريين في الألف الثالث ق.م، إذ أزاحوا القسم الأكبر من السوباريين إلى المناطق الجبلية شرقي دجلة، وكان للسوباريين تأثيرات طفيفة لغوية وحضارية دخلت في الثقافة الآشورية من بينها آلهة وأسماء بعض المدن والمواقع(٢٨).

٢-الكوتيون :

وهم اقوام بربرية نزحت من مناطقهم في أواسط جبال زاكروس وهمدان بعد ضعف الدولة الاكدية في عهد آخر ملوكها (شار – كاليشاري ٢٢٥٤- ٢٢٣٠ ق.م)، حكموا العراق قرابة القرن(٢٩).

٣-الكشيون :

لقد غزت العراق في أواخر العصر البابلي القديم أقوام جاءت من الشرق أو من الشمال الشرقي عرفوا بالكشيين. أسسوا سلالة حاكمة جديدة دام حكمها زهاء خمسة قرون. وقد عرف هذا العهد بالعصر البابلي الوسيط الذي يعد من العصور المظلمة في العراق. لم يخلف لنا الكشيون وثائق أو سجلات تاريخية بلغتهم الأصلية وانما استعملوا لغة بلاد بابل. ويبدو أنهم قد تخلّوا عن ديانتهم التي كانوا عليها ليعتنقوا الديانة البابلية. وقد أسسوا في منتصف عهدهم عاصمة جديدة قرب بغداد الحالية عرفت باسم (دور– كوريكالزو) أي مدينة الملك الكشي كوريكالزو(٣٠).

٤-الحوريون (الميتانيون):

وهم أقوام من بلاد القوقاز نزحت إلى بلاد الرافدين في العصر الآشوري القديم بعد حدوث تغيرات إقليمية وظهور قوى جديدة وانهيار أخرى وأسسوا لهم مملكة في نوزي (يورغان تبة) (وتقع على بعد ١٢ كم جنوب غرب مدينة كركوك حاليا) ومدوا نفوذهم لتشمل مناطق واسعة حتى بحيرة وان في الأناضول ومعلوماتنا عن الميتانيين مستمدة من النصوص المكتشفة في مصر في موقع (تل العمارنة) مرسلة إلى الفرعون المصري (اخناتون) وهي رسائل مدونة بالخط المسماري واللغة الاكدية والتي كانت اللغة الدبلوماسية آنذاك(٣١).

رابعاً: إنجازات العراق قديماً :

إذا انتقلنا إلى نشوء أولى الحضارات في العراق القديم يمكن القول إنها كانت بجهود العراقيين الأوائل في تفاعلهم مع البيئة الطبيعية في وسط وجنوبي العراق. فمن المعروف أن الزراعة تعتمد في العراق دوما على الري الذي كان لا يتم إلا بالسيطرة على الأنهار وإقامة السدود. إن الري– كما هو معروف– كان الدعامة الأساس في الحياة الاقتصادية.

ومن الأمور المعروفة للجميع أن أولى الشرائع المدّونة في العالم قد ظهرت في العراق القديم، وهناك من الإشارات ما يدل بشكل قاطع على ظهور القوانين المدونة في عصور فجر السلالات. إن الشرائع في العراق القديم لم تكن أولى الجهود البشرية في تنظيم الحياة الاجتماعية فحسب بل إنها دوّنت بأسلوب علمي وبلغة قانونية دقيقة. إنها قوانين بهيئة مواد متسلسلة مقتصرة على الشؤون المدنية لا تتعرض للعبادات في شيء(٣٢).

وكان من تمسّك سكان العراق القديم باحترام القانون والنظام أن تصوروا الكون كله على هيئة مملكة تحكمها الآلهة يتجلى فيها مبدأ الطاعة وبخاصة طاعة القوانين والسير بموجب أنظمة المجتمع وأعرافه الشفهية والمدونة(٣٣).

ومن ثمرات الحضارة الناضجة تلك نشوء الصناعات الأولى وكذلك التجارة وبخاصة التجارة الخارجية لجلب المواد الخام التي اعتمدت عليها تلك الصناعات. وما صاحبها من تقدم العلوم الصناعية وفي العلوم الرياضية والفلك وعلم الكون والآداب والفلسفة[٣٤].

وفي سبيل تحقيق الاستقرار والأمن في البلاد، وللحفاظ على هذه المنجزات والمكاسب العظيمة كان من الضروري وجود حكومات قوية مستقرة. وكان الملك في العراق القديم على رأس السلطة حيث عدت سلطته التنفيذية والتشريعية مستمدة بشكل مباشر من الآلهة لحكم البلاد، فهو الذي كان يتولى قيادة الجيش وقت الحرب حيث أن من أولى واجباته المحافظة على حدود الوطن، وكذلك توفير الوسائل الكفيلة التي تساعد البلاد على الرخاء الاقتصادي عن طريق تنفيذ المشاريع الحيوية العامة مثل حفر القنوات والأنهار وبناء المعابد تقرّبا إلى الآلهة. لقد خلّف الكثير من الملوك العراقيين القدماء مآثر كتابية أكدوا فيها ما ذكرناه حتى أن بعضهم قد صوّر نفسه وهو يحمل سلال التراب والآجر رمز قيامه بتنفيذ المشاريع العمرانية الكبرى وبخاصة بناء المعابد تقربا للآلهة. والكثير منهم شرعوا القوانين في سبيل تنظيم الحياة العامة ونشر العدل بين الرعية وظهرت الحاجة الى التوسع والحصول على أراضي خصبة أو مصادر للمياه أو السيطرة على طرق التجارة فتبلورت فكرة الوحدة الوطنية وسعى إلى تحقيقها ملوك وأمراء ومنذ عصر فجر السلالات ومن تلك المحاولات التي قام بلها ملك اوما ومؤسس سلالة الوركاء الرابعة (لوكال زاكيزي)[٣٥]. وعلى الرغم من فشله إلا إن محاولته فتحت الباب لمحاولات أخرى وتحققت الوحدة الوطنية لمدن العراق القديم على يد مؤسس الدولة الاكدية (سرجون الاكدي /٢٣٧١ ق.م) أتضح جليا ان القوة بالوحدة فزادت مصادر الدولة المادية والبشرية وتأسس جيش نظامي كبير لحماية حدود العراق لا حدود الدويلات المتنازعة حتى وصل إلى البحر المتوسط واسس هناك مستعمرات اكدية في كبدوكيا وأبرمت المعاهدات لكن على أساس القوة تملي الدولة القوية شروطها كما هو اليوم فانتصر الاكديون نصرا تلو الآخر لكن ذلك انتهى بسبب ضعف السلطة المركزية في اكد في عهد آخر ملوكها كما ذكرت سابقا (شار –

كاليشاري/٢٢٥٤–٢٢٣٠ ق.م) سقطت اكد على يد الكوتيون .وبعده تحققت على يد حمو– رابي ملك بابل من العصر البابلي القديم بعد قضاءه على ممالك أشنونا في الشرق وماري في الغرب وأشور في الشمال وسلالة القطر البحري في الجنوب وأسس حكما مركزيا قويا شرع القوانين والتي شملت كل نواحي الحياة، وتحققت الوحدة في العصر الآشوري الحديث وآخرها في العصر البابلي الحديث، ومن كل ما سبق نجد كيف ان الملوك والحكام في بلاد الرافدين وعلى مر العصور عرفوا أهمية الوحدة والوحدة هي وحدة الأراضي ووحدة السكان على اختلاف انتماءاتهم وأصولهم فانصهروا مع بعضهم البعض مكونين مثالا للوحدة لا للفرقة حتى أن القوانين شملت حتى طبقة العبيد لضمان حقوقهم ومنع الاعتداء عليهم أي كونوا مجتمعا مدنيا متحضرا وغدا رافدا للحضارة البشرية في العالم بما وصل إليه في مجالات الحياة كافة.

بعدها سقط العراق تحت حكم وسيطرة الاحتلال الاخميني عام ٥٣٩–٣٣١ ق.م ودخل عصر جديد هو عصر الاحتلال الأجنبي بسبب ضعف السلطة والتفكك والصراع بين نبونائيد آخر ملوك بابل مع الكهنة في بابل كهنة الإله مردوخ بسبب تغيير العبادة في بابل من(الإله مردوخ الإله القومي للبابليين وبطل قصة الخليقة إلى سين اله القمر) فتفرقت الوحدة وبدأ اليهود بنصب المكائد فتآمروا مع الأخمينيين في إيران ضد بابل وقاموا بفتح بوابات مدينة بابل ليلا فدخلها كورش الاخميني بجيشه بدون مقاومة تذكر، تلاها الاحتلال الأجنبي السلوقي فالفرثي و الساساني)، وانتهى عصر الاحتلال الأجنبي بالفتوحات الإسلامية وتم فتح العراق سنة ١٥ للهجرة والموافق ٦٣٦ ميلادي بعد الانتصار في معركة القادسية الأولى بقيادة سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) وانطلقت منه الفتوحات إلى الشام وإيران وبلاد السند والهند[٣٦].

دخل العراق بعدها مرحلة جديدة تحت راية الإسلام وأنشأت على أرضه مدن جديدة مثل البصرة والكوفة ومن ثم عصر الخلافة الأموية حتى أصبحت مقرا وعاصمة للخلافة العباسية عام ١٣٢ للهجرة الموافق ٧٥٣ميلادي وأنشأت مدينة بغداد

المدورة بأمر من الخليفة جعفر المنصور لتصبح ملاذا للعلماء ومنبرا للشعراء والعلوم كافة[٣٧].

كما أن العراق على امتداد تاريخ الخلافة الإسلامية وبعد سقوط بغداد عام ١٢٥٨م بأيدي المغول وحتى احتلال الأمريكان للعراق عام ٢٠٠٣ م، لم يعرف الانقسام على أساس عرقي أو ديني أو طائفي.. بل عرف التقسيمات الإدارية بأشكالها المختلفة وخصوصا نظام الولايات (الأقاليم الإدارية) باعتبار العراق بلداً موحّداً منذ القدم لقد وجدنا العراق يتشكّل ضمن نظام الشرق الذي كان وراء تأسيسه السلطان سليمان القانوني بتقسيم العراق إلى ولاياته الكبرى الثلاث بغداد والموصل والبصرة، وهي الأقاليم الإدارية التي دامت حتى الاحتلال البريطاني، وخلال تلك الحقبة كانت مصالح العراق مشتركة بين الولايات الثلاث التي يربطها كل من دجلة والفرات.. ولقد تعّززت الروح العراقية وترّسخ مفهوم المواطنة عند العراقيين المتمدنين (الحضر) أي بمعنى: استقرارهم في المكان والفتهم له وتوطنهم فيه واكتسابهم ألوانه وخصائص بيئته.. مكتسبين خصائصه وسماته، بحيث لا يمكن فصلهم عن بيئتهم التي عاشوا فيها أجيالا بعد أجيال. لقد ورثت بريطانيا العراق بشكله الحالي عن الأتراك العثمانيين الذين حكموا العراق أربعة قرون بولاياته الثلاث بحدودها التاريخية. وعليه، فان بريطانيا ورثت حدود الولايات وحدود العراق مع إيران بكل مشكلاتها التي تضمنتها ١٥ معاهدة عقدت على امتداد خمسة قرون.. مؤملا أن نخرج بما ينفع ذاكرتنا اليوم من ِعبر و معان .. ولا يمكن التهاون معها أبدا مهما كان هناك من توّجهات مبيتّة لتقسيم وطن اسمه العراق وهذا لابد أن يدركه كل العالم[٣٨].

وخلاصة القول: أن التقسيمات في العراق كانت إدارية فقط على امتداد التاريخ (مثل التقسيمات الحالية / المحافظات والاقضية والنواحي) وهي إدارية بحتة ولم تكن دينية أو طائفية أو قومية عرقية بدءا بتشكيل المدن في العراق القديم، ومن

ثّم: الأمصار في ظل الخلافة الإسلامية ومرورا بالولايات والسناجق (الألوية) في فترة الحكم العثماني[٣٩]، وانتهاء بالمحافظات والأقضية والنواحي في العصر الحديث[٤٠].

كما إن العراق ليس أقاليم مبعثرة وأجزاء متصارعة حتى تتشّكل فيه فيدراليات اتحادية! وهنا لابد أن أشير بأن أي فيدراليات تنشأ في العراق مهما كانت الأجندة دستورية وتتكلم باسم " الوطنية "، فان ذلك سيقسم العراق إلى أجزاء متناثرة لا يمكن أبدا السيطرة عليها، ونحن ندرك بأن العراق له تاريخ ساخن مع جيرانه. ولا يمكن أن يتقبلوا أبدا تشكيل فيدراليات على أراضيهم وأبناء شعبهم، على الرغم من أنهم لا يمتلكون تاريخا وجغرافية موحدة ومتماسكة مثل العراق فكفاهم عبثا وحسدا. إذاً فلماذا هذا السعي المجنون لتقسيم العراق ومن قبل العراقيين أنفسهم؟

اعلموا أن العراق وعلى مر التاريخ كون وحدة جغرافية متماسكة قوية.

فكيف يمكن للعراق الذي يعُد قلب العالم القديم وقلب العالم اليوم أن يحافظ على استراتيجيته إن انقسم على ذاته ليس ضمن اطر وأشكال إدارية كما عاش على ذلك منذ آلاف السنين.. أما إن استخدمت الأعراق والطوائف والخصوصيات المحلية في تقسيم العراق اقاليما أو محافظات فيدرالية، فسوف يفقد العراق ليس استراتيجيته حسب، بل حتى مكانته وكيانه خصوصا وهو يعاني اليوم من أمراض اجتماعية وفكرية خطيرة، ناهيكم عن أن الفيدرالية ليست بندا عاديا، بل إنها مسألة مبدأ ولا اعتقد إن كل العراقيين مجمعين على تطبيقه.

وأخيرا: لابد من كلمة أخيرة إن العراق لم يفهمه أبدا زعماؤه على امتداد القرن العشرين ومن لحق بهم في القرن الواحد والعشرين لما له من خصوصيات تاريخية وجغرافية وضحناها أنفا لم يدركوها.. كما لا يمكنه أن يكون مقسمّا إلى فيدراليات وحكومات محليّة لأن ذلك سيضعف المركز فيه كثيرا، وان حياة العراق الجغرافية والتاريخية والحضارية تقوم على حياة المركز.. إن العراق لا يمكنه العيش بأي صيغة اتحادية إذ

خُلق موحدّا منذ بداياته الأولى وهو قوي أقوى من تحديات اليوم . وإنني أناشد كل العراقيين أن يتنبهوا إلى ما سيفعلونه ليس بأنفسهم فحسب، بل بوطنهم هذا الذي اعتز به القدماء والمحدثين. فهل يريدونه ضعيفا يتقاسمه الآخرون؟

لذلك يتوجب علينا أن نقف إلى جانب العراق بلد التاريخ والحضارة والوحدة وأن نرفض تقسيم العراق على أساس " فيدراليات " تعطي الأقاليم والمحافظات صلاحيات حكومات محلية كل تعمل بما يتوفر لها من صلاحيات، فان هذا تفتيت لوحدة العراق، ولأول مرة في تاريخه.

ختاما: أتمنى أن أكون قد قدّمت مفهوما لمعاني العراق الكبيرة وبعدا تاريخيا نحن بأمس الحاجة إليه في مثل هذه المرحلة التاريخية الصعبة التي نمر بها لمواجهة التحديات الخارجية والداخلية ولنقف صفا واحدا فأعداء الأمس هم نفسهم اليوم يتربصون السوء للعراق لأنه يمثل العقدة الأزلية لهم سياسيا ودينيا واقتصاديا وحضاريا .

المصادر والهوامش:

(١) باقر، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول: الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦، ص،٤٤. وكذلك ينظر: الدباغ، تقي. العراق في عصور ما قبل التاريخ، العراق في التاريخ، بغداد،١٩٨٣، ص،٢١.

(٢) باقر، طه . بغداد، ١٩٨٦، ص،٤٦.
وكذلك ينظر: الدباغ، تقي . البيئة الطبيعية والإنسان، حضارة العراق . ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص، ١٧.

(3)Charpin،D.،The History of Ancient Mesopotamia: Civilizations of the Ancient Near East، New York، 2000، V.2، Part،5.P.808.
وكذلك ينظر : الدباغ، تقي .١٩٨٣، ص، ٢٢ .

(٤) تقع مدينة الوركاء على مسافة (٣٠ كم) جنوب مدينة السماوة مركز محافظة المثنى، تتكون المدينة من مجموعة تلال ومرتفعات تبلغ مساحتها (٧ كيلو متر مربع)، نقب الموقع لأول مرة في عام١٨٤٩ من قبل البعثة البريطانية برئاسة (لوفتس) وأستمر حتى عام١٨٥٤، وفي عام١٨٥٦ نقب الموقع من قبل البعثة الألمانية برئاسة (يوليوس يوردان)، واستأنفت التنقيبات مرة أخرى عام١٩٢٨ برئاسة (نولدكه) ثم (لنزن) حتى عام ١٩٦٤، كشفت التنقيبات طبقات عديدة ومن خلال نتائج التنقيبات أرجع تاريخ الاستيطان في المدينة إلى عصر العبيد في الألف الخامس ق.م وحتى الفترة السلوقية، وتم الكشف عن بقايا بنائية تعود إلى عصر فجر السلالات تمثلت ببيت سكني أو ربما يكون قصراً لأحد حكام الوركاء مشيد باللبن المستوي المحدب وجدرانها مملطة بالجص ومزينة بأفاريز من الأعمدة العريضة وتم العثور في أحد الغرف على تمثال لرأس خروف مع رقبة مصنوعة من الحجر الجيري، كما تم العثور على بقايا معبد انانا (عشتار) من الطبقة التي تعود إلى عصر فجر السلالات مشيد باللبن المستوي المحدب، فضلا عن أربعة طبقات من الأبنية التي تعود جميعها إلى عصر فجر السلالات.

(٥) باقر، طه . ١٩٨٦، ص، ١٤.

(6) Roaf، M.، Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East،Oxford، 2003، P. 78.

(7) Postgate، J.N.، Early Mesopotamia، New York، 2003، P. 22.

(8) Kurt، Amelie .، The Ancient near East، New York، 2002، P.27.

(٩) ساكز، هاري . عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص، ٢٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص، ٢٤.

وكذلك ينظر :

Brinkman، J.A.، Mesopotamia chronology of the historical period، Chicago، 1977، P. 33

(١١) رو،جورج.العراق القديم، ترجمة، حسين علوان حسين، بغداد،١٩٨٦،ص،١٧٣-١٧٨.

(١٢) علي، فاضل عبد الواحد. السومريون والأكديون، العراق في التاريخ، بغداد،١٩٨٣، ص،٢٢٦.

وكذلك ينظر: رو، جورج.١٩٨٦، ص،١١٩، وكذلك ينظر : كريمر، صموئيل نوح. السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة، فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣.، ص٣.

(13) Labat، R.، Manual D Epigraphic Akkadienne، Paris، 1976، P.312، 461.

(١٤) ساكز، هاري.١٩٧٩، ص٥١.

(١٥) (الفولابك) هي لغة أبتدعها أحد الألمان عام١٩٧٩م في محاولة منه لجعلها لغة عالمية كما تشير إلى ذلك أصل الكلمة الألماني (Vola) و هي بمعنى عالم و (Puk) بمعنى كلام،غير إنها لم تلقى القبول و لم تستعمل قط لهذا الغرض.

(16) Otten،C.M. ،Note on the Cemetery of Eridu، Sumer،Vol.4 ،1948 ،P. 12.

وكذلك ينظر:الأحمد، سامي سعيد. السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد، ١٩٧٥، ص١٥.

(١٧) علي، فاضل عبد الواحد. من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٦.

(١٨) ساكز، هاري. ١٩٧٩،ص،٥٣ . وكذلك ينظر:علي، فاضل‌عبدالواحد.١٩٨٦، ص،٢٦.

(١٩) ساكز، هاري.١٩٧٩، ص، ٥٣-٥٤.

(٢٠) فرانكفورت، هنري، و آخرون. ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، ١٩٦٠، ص، ١٥١.

(٢١) باقر، طه. ١٩٨٦، ص٦٦.؛ وكذلك ينظر :

Finnegan، J.، Light from the ancient past، London، 1959، P. 29

(22) Cottrell، L.، The land of the two Rivers، London، 1962، P. 42.

(٢٣) عبد الله، عبد الكريم. ملامح الوجود السامي في جنوب العراق، مجلة سومر، العدد٣٠،١٩٧٤، ص،٢٦٢.؛ وكذلك ينظر:علي، فاضل عبد الواحد. ١٩٨٣، ص، ٧٣.

(٢٤) رو، جورج. ١٩٨٦، ص، ٢٠٣: وكذلك ينظر :

حلمي، باكزة رفيق. لغات الجزيرة العربية: العربية أم اللغات السامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤، ص١٧٣- ١٧٤.

(٢٥) علي، فاضل عبد الواحد. ١٩٨٣، ص٧٤. ؛ وكذلك ينظر : كريمر، صموئيل نوح. ١٩٧٣، ص،٣٧٣.

(٢٦) الأحمد، سامي سعيد. العصر البابلي القديم، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص١٢٩- ١٣٠.

(٢٧) عبد الله، عبد الكريم. ١٩٧٤، ص٧٠.

(٢٨) باقر، طه. ١٩٨٦، ص، ٧٩.

(٢٩) المصدر نفسه.؛ وكذلك ينظر: باقر، طه. تاريخ العراق القديم، ج١، بغداد، ١٩٨٠، ص، ٨٠.

(٣٠) علي، فاضل عبد الواحد. ١٩٨٣، ص، ٧٨-٧٩.

(٣١) الأحمد، سامي سعيد. ١٩٨٣،، ص، ١٠٣.

(٣٢) سليمان،عامر. القانون في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧.ص،٥.

(٣٣) الدباغ، تقي. الفكر الديني القديم، بغداد، ١٩٩٢، ص، ١٥-١٦.

(٣٤) حول ذلك ينظر : باقر، طه. موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص.

(٣٥) (لوكَال زاكَيزي) هو آخر حكام دويلة (أوما) ومؤسس سلالة الوركاء الثالثة، وكان ينتمي إلى طبقة الكهنة فقد كلن أبوه (آواوا) والقراءة السابقة له (بوبو) كاهن الإلهة (نيصابا) إلهة دويلة أوما، وهو على الأرجح يعود لأصول جزرية كما يشير أسم أبيه إلى ذلك.وأتبع (لوكَال زاكَيزي) خلال سنوات حكمه الطويلة سياسة الفتوحات العسكرية فقد أتجه بجيشه جنوباً باتجاه مدينة (أور) وبعض المدن المجاورة، ثم سار بجيشه واتجه

شمالاً إلى مدينة (كيش) وسيطر عليها، ثم دخل (الوركاء) واتخذها عاصمة له مقراً لحكمه وأسس فيها سلالة حاكمة هي (سلالة الوركاء الثالثة)، وحكم فيها ملك واحد هو (لوكَال زاكَيزي) مدة ٢٥ عام، كما ورد في قائمة الملوك السومرية.ويعد بذلك أول من أسس مملكة موحدة في بلاد الرافدين، وأرسى دعائم الوحدة السياسية والحضارية، ولكن لم تكن ظاهرة أتساع نفوذ) لوكَال زاكَيزي(السياسي ومحاولة بسط النفوذ ظاهرة جديدة، فمنذ عهد (أجا) حاكم (الوركاء) كانت هناك محاولات ولكنها غير ناجحة للسيطرة.

أما نهاية هذا الملك القوي فقد جاءت على يد ملك قوي آخر هو الملك (سرجون الأكدي)، مؤسس السلالة الأكدية (٢٣٧١– ٢١١٢ ق.م) ويبدو أن الملك (سرجون الأكدي) تمكن من تجهيز جيش قاده من مدينة (كيش) في حملة عسكرية ضد(لوكَال زاكَيزي)، تمكن خلالها من تحقيق النصر ودخول مدينة)الوركاء(والسيطرة عليها وقام بهدم أسوارها لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ بلاد الرافدين أطلق عليه (العصر الأكدي)، ومؤسسها هو الملك (سرجون الأكدي)، الذي تمكن من تأسيس أول مملكة موحدة امتدت من سواحل البحر المتوسط وكبدوكيا شمالاً حتى الخليج العربي جنوباً.

(٣٦) حول ذلك ينظر : سعيد، مؤيد. العراق خلال عصور الاحتلال الاجنبي، تاريخ العراق، بغداد ١٩٨٣، ص، ٢٣٥–٢٦٨.

(٣٧) حول ذلك ينظر: العلي، صالح أحمد. العراق مقر الخلافة العباسية، بغداد تأسيسها ونموها، تاريخ العراق، بغداد، ١٩٨٣، ص، ٣٦٣–٣٨٦.

(٣٨) حول ذلك ينظر : العابد، صالح. الحكم العثماني الأول، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣، ص، ٥٧١–٥٨٢.

(٣٩) حول ذلك ينظر :العابد، صالح، و كاظم، علاء موسى. العثمانيون يستعيدون الحكم في العراق، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣، ص، ٥٨٣– ٦٠٢.

(٤٠) دنكور، الياهو، ودرويش، محمود فهمي. الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، تم تحريره في بغداد، ١٩٣٧.

نظم المعلومات الجغرافية وتطبيقاتها في مجال الجغرافية الطبية وآثاره البيئية

أ.م.د.محمـود حمـادة صـالح
جامعة تكريت/كلية الاداب/قسم الجغرافية التطبيقية

م.م.عبـد الحـق خلـف حمـادة
جامعة تكريت/كلية الاداب/قسم الجغرافية التطبيقية

- **مشكلة الدراسة**:

تعد تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية أساليب حديثة لتناول في مجال البحث الجغرافي ومن ثم فأنها نقابل عدداً من المشكلات أهما:

١– القاعدة العريضة من الجغرافيين وخاصة الدول النامية منها الدول العربية ليست على معرفة جيدة بأساليب عملها وطرق استخدامها ومجالات تطبيقاها .

٢– وجود جبهة معارضة انطلاقاً من عدم المعرفة بتقنية GIS والاستشعار عن بعد والاعتقاد إن هذه الأساليب لا تدخل مجال بحث الجغرافي دفاعاً عن المناهج والأساليب المعتادة .

٣– مجال الجغرافية الطبية نفسه مجهول لدى بعض مما يجعل مجال تطبيق التقنيات فيه أمر قليل الشيوع .

٤– وجود عدم فهم واختلاط للأمور(Confusion) لدى البعض الذي يفتقد بان تقنية (GIS) هي حكر على بعض الجغرافيين بحكم التسمية، وهذا غير حقيقي تاريخياً وفعلياً.

- **أهداف الدراسة**:

تبين أهداف الدراسة الآثار الايجابية العديدة لتطبيق التقنيات الحديثة في مجالات الجغرافية والبحث العلمي، وما يتعلق بموضوعات الجغرافية الطبيعية (Geography Medical)[١] إذ من أهداف الدراسة توضح كيف ان للتقنيتين

أسهمها في إثراء بحوث الجغرافية الطبية في مجال بيئة المرض والرعاية الصحية والخدمات ومعرفة الأمراض المتوطنة وتحقيق استئصال بعض الإمراض او على الأقل تقليص الإصابة بالإمراض وعلى راسها (الكوليرا، والملاريا) اكبر الأمراض فتكاً والمنقولة بواسطة الماء ونواقل المرض .

ومن أهداف الدراسة تعريف الجغرافيين بأهم الدراسات التي نهض بها أصحابها في العالم وهي الاستفادة من الدراسات الطبية في كافة الاختصاصات العلمية وانجاز البحوث والدوريات الطبية وخاصة استخدام تقنيات نظم المعلومات الجغرافية فضلاً عن البعد المكاني الذي يضفي على التحليل صفة الجغرافية .

• منهج الدراسة

هو استخدام الدراسات التقنية في الأقاليم الكبرى كما استخدم منهج البحث التاريخي وتحليل الدراسات ذات العلاقة، والخاصة بالجانب الطبي ثم استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية في المجال الطبي والتحليلي وفي سياق الدراسة، لن يتطرق التحليل كثيراً لشرح التطبيقات المختلفة وطبيعة الدراسات ومناهجهما العلمية المستخدمة في التقنيات والتعبيرات الفنية الواردة في الدراسة .

علاقة التقنيات الحديثة بالدراسة الجغرافية

سبق وان عرفنا على اهمية نظم المعلومات الجغرافية، والتي يمكن استخدامها لاستخراج الخرائط وتحليل البيانات الرقمية وربطهما بقواعد المعلومات الجغرافية لتحديث البيانات وتخزيها وادخالها وربطها بالبيانات المكانية وتحليها وعرضها .

بمعنى توزيع البيانات مكانياً (Spatially) وتكون البيانات احياناً في صور خريطة تحوي خصائص وصفية لمنطقة ما تسجل كخطوط ومساحات ورموز.

ولكن التطور في مجال التقنيات والبرامج في الحاسب الآلي زاد بصورة سريعة وأصبحت نظم المعلومات الجغرافية نوعاً خاصاً من نظم المعلومات التي يتعلق

بتمثيل نموذج ومعالجته يوضح حقيقية وهذا النظم شديدة الارتباط بالخرائط المدعمة بالكمبيوتر[٢].

ونظم المعلومات الجغرافية تعد فوائد جمة لمعظم العلوم بصفة عامة للتطبيقات الجغرافية بوجه خاص واذا ماقصرنا الحديث عن فائدتها لعلم الجغرافية، نجد هناك ثنائية لهذه الفائدة الأولى منهجية تتعلق بإثراء العلوم الجغرافية فكراً ومنهجاً، الأخرى تطبيقية تنفيذية عملية تتعلق بأمور التخطيط والتطوير[٣].

اذا ازداد التركيز في البداية على التطبيقات الطبيعية اثر في تطور GIS مما جعل معظم هذه البرامج المتاحة غير مناسبة لنمذجة الظاهرات الاجتماعية والاقتصادية اذ زاد الاهتمام بتطبيقات GIS في الجوانب الطبية الاجتماعية التي تخص الإنسان وحياته اليومية وتمثيل البيانات المهمة وخاصة الجوانب الطبية السكانية (Go demography)[٤].

لقد وصلت تقنية نظم المعلومات وخاصة الجغرافية البيئية والطبية ومجال البيئة الأساسية والمنافع العامة والبلديات وما الى ذلك من شئون حضرية وقروية علماً بان استخدام GIS في البداية لم يكن قاصراً فقط على الدول المتقدمة، أنما لحققت بها بسرعة بعض الدول النامية ممن أطلق عليها في الماضي القريب تعبير النمور الأسيوية .

تقنية GIS في العلوم الاجتماعية والسكانية

ازداد الاهتمام في تقنية نظم المعلومات الجغرافية وتحليل البيانات السكانية لوحدات مساحية معينة، ورسم خرائط لهذه البيانات ثم تحليلها وتفسيرها في الجوانب الاجتماعية والسكانية وتطبيقها في الجوانب الطبية، يلاحظ ان الاستفادة من التقنيات الحديثة بالنسبة للنواحي الصحية مقارنته بغيرها من النواحي الصحية واستخدام التقنية هو جانبين:

الاول: الدراسات الوبائية للمرض (Epidemiology[٥]) .

والثاني: في الرعاية والتخطيط الصحي والتقني المستخدم للجانبين وكانت بريطانية من اوائل الدول التي استفادت من نظ المعلومات الجغرافية في مجال الرعاية الصحية وكونت قواعد بيانات متقدمة قائمة على أساس مكاني .

آذ أن تقنية نظم المعلومات مناسبة لتحليل كل بيئة المرض ووبائية، وتخطيط الرعاية الصحية، كما كان للجانب الإحصائي واستخدام قواعد البيانات الجغرافية وإضافة الآلة الجغرافية التحليلية والتي طورت لتحليل تركزات السرطان في شمال انكلترا والتطورات م تسجيلات الأمراض وعناوين المرض والترميز الجغرافي .

والجدير بالذكر أن تقنية GIS يجب ان تتطور على أنها أداه سحرية تحل كل المشكلات، ألانها ذاتها التي تعاني من عدة مشاكل اغلبها لا يتعلق بها بقدر ما يتعلق بطبيعة المعلومات والحالة التي تم فحصها، وذلك يتباين حسب المناطق وجميع البيانات على أساس الربط بين النقاط والبيانات الصحية من ناحية والظاهرات المكانية الأخرى من ناحية ثانية وكذلك طول الفترة الزمنية بين التعداداتالسكانية وصعوبة حساب المرض الحقيقي والمحتمل. لهذا يكون تطبيقات GIS في الجانب البيئي أسهل منه في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

لقد استخدمت التقنيات الحديثة في كشف الأمراض وتؤطنها وخاصة في الدول الكبرى مثل الصين اذ تم كشف مرض البلهارسيا في شمال الصين وكذلك مرض الملاريا أكثر الأمراض السائدة في العالم بالاهتمام الأكبر، اذ يصيب مابين ٣٠٠-٥٠٠ مليون شخص سنوياً ويصل نصيب إفريقيا المدراية إلى أكثر من ٩٠% من هذه الإصابة ووفياتها[٦].

وفق الدراسات الحديثة هو معالجة النواحي الصحية واكتشاف القدرات الكامنة وتحليها الدقيق والسبب هو تناول الباحثين موضوعات الجغرافية الطبية باسهامة تقنية GIS والذي سيفتح افاقاً أمام الباحثين .

الجغرافية الطبية

من الوصف و الملاحظة الى استخدام التقنيات الحديثة

تطورت مناهج الجغرافية الطبية مواكبة في ذلك الجغرافية نفسه لذا اعتمدت كتقنية فروع الجغرافيا على ماكان متاحاً في مراحل تطور الجغرافية من أدوات وتقنيات موجودة وأصبح المنهج الكارتوكرافي أهم مدخل الجغرافية الطبية في تطورها .

مثل استخدام الأسلوب الخرائطي في دراسة الصحة والمرض وتوزيع الأمراض والأوبئة وخاصة مرض الكوليرا في مدينة لندن في القرن التاسع عشر وعلى غرار هذة الدراسات تكونتا دراسات حديثة لكشف على الأمراض والأوبئة في كافة إجراء العالم وخاصة في السبعينيات والثمانينيات، اذ أصدرت العديد من الأطالس المتخصصة في الجغرافية الطبية مثل أطلس القوي للوفيات من الإمراض المختلفة في بريطانية وأمريكا واليابان وكذلك أطلس توزيع الأمراض والأوبئة في العالم[٧].

ولكن اثبت أن الطرق التقليدية لرصد الأمراض والأحوال الصحية وتوقيعها على خرائط يحتاج لوقت طويل جهد فائق وتمويل كبير، وكان ذلك من عقبات قصور الأسلوب الخرائطي وخاصة في البيئات الكبرى كأفريقيا المدراية الأقاليم الساحل الأفريقي او حوض الأمازون او شبة القارة الهندية وجنوب شرق أسيا كلها مناطق تحتاج الى تحليل دقيق للأمراض أو الأحوال الصحية بها[٨].

لهذا السبب زادت الإمراض في تلك البيئات بسبب قلة الدعم الصحي والوعي الصحي لدى الإنسان وكذلك ضعف الحالة المعايشة كله أدى إلى انتشار هذه الأوبئة وتفشيها بشكل ملحوظ .

اذ ان هناك ثلاث متغيرات وهي (المناخ والمكان والعمل) على صحة الانسان حيث اوضحت الدراسات ان المتغيرين الاولين يتعلقان بعوامل فيزيائية اما المتغير الثالث فهو يرتبط بالجانب الاجتماعي للانسان[٩].

تطبيق GIS في رصد الأوبئة وتحليلها في البيئات الكبرى

تطورت التقنيات الحديثة في مسح مناطق كبير من العالم عن طريق التطور العلمي الحديث في مجال الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات وتحليل الصور والبيانات الفضائية ومراقبة التغييرات الحاصلة في البيئات وتقديم المساعدة لهذه الدولة في حل مشاكلها الصحية والبيئة التي تضر في الجانب الصحي لدى الإنسان ومن هذه الدول الكبرى شرق أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وذلك للتعرف على البيئات الناقلة للمرض والأحوال الصحية المصاحبة لها في تلك الدول[١٠].

اذ ساعدت هذه التقنيات على رصد بؤر الإمراض وتباينها من مكان إلى أخر والتعامل معها وما يترتب من حالات طارئة وتشخيص نواقل الأمراض من خلال إعداد قواعد بيانات لتلك المناطق والسيطرة عليها .

ومن تلك الأمراض الأكثر انتشاراً هو مرض الملاريا والذي حظي بأكثر الدراسات إذ انه أكثر الأمراض المنفردة تاثيراً في صحة البشر على سطح الأرض. ويلاحظ ان أوبئة الملاريا تتأثر بالتغير في البيئات الملائمة لعينة نواقل المرض (Vectors) والأماكن التي تعد بيئة مناسبة لها (Habitats) وهذه البيئات تختلف باختلاف الأنواع والسلالات الخاصة بالملاريا وتنشر في جنوب أفريقيا وجنوب أسيا واثبت الباحثون الذين درسوا هذه المناطق وثبت بعدها ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية في غاية الأهمية في تسهيل تفشي المرض[١١].

ويمكن استخدام تقنيات الاستشعار عن بعد نظم المعلومات الجغرافية في رصد هذه المناطق من خلا الصور ومعرفة مدى التغير الذي حدث في البيئات الكبرى ومعرفة المناطق ذات الأوبئة الطفيلية بها قبل وقوعها مما يساعد على التخفيف من أضرارها وخاصة في المناطق المدارية .

دراسة الأحوال المرضية في البيئات المتوسطة

تعد هذه التقنيات الاساس الاول لمعرفة وتحديد هذه الامراض وخاصة في المناطق ذات البيئات المتوسطة والكبرى اذ تعطي سلسلة من الخرائط التي توضح الاصابة بالملاريا ودرجاتها في هذه الدول مما أتاح تخصيص البرامج لمكافحة المرض والاستعانة بتقنية GIS التي ساعدت على اكتشاف موسمية المرض[١٢].

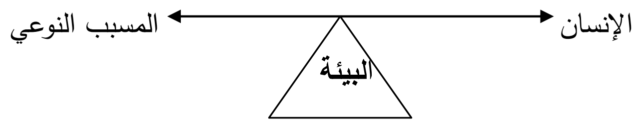
وتزايد الاصابة في الفصل الدفئ والرطب، ووجدا ارتباطاً واضحاً بين المرض وعوامل جغرافية مثل عدم وجود هذه الموسمية للمرض في الاماكن التي تقل في ارتفاعها عن ٦٠٠م، اذ يوجد نمط اصابة للمرض بصفة دائمة، فان التعرف على درجة الحرارة الملائمة لكل نوع من النواقل يعد نقطة البداية وحجر الزاوية في هذه المكافحة، لذا يتطلب معرفة عناصر المناخ ومعرفة البيانات المناخية والبيئة مع الاصابات التراكمية وتحديد اهم العوامل المرتبطة معدلات عالية الإصابة في سنوات معينها .

ومن خلال دراسة العناصر المناخية والبيئية للأمراض ودمجها من خلال GIS وضح أن درجة الحرارة وكمية المطر قد زادت من معدلاتها الإصابة بالملاريا وقد لوحظ من تغيرات الحرارة بين النهار والليل وبين الفصول لها تأثيرها الكبير في درجة انتقال المرض .

والمشكلة امام تقنيات الاستشعار عن بعد وGIS في المناطق المتوسطة المساحة هو نقص الابلاغ عن حالات المرض او التبليغ عنها لمنظمة الصحة العالمية ولو حظ ان اثر التغير المناخي على التغير في معدلات الاصابة بالملاريا هو اقوى العوامل المؤثرة في هذه المناطق والسبب هو العوامل المناخية ومن خلال تطبيقة التقنيات ان مرض الملاريا هو اكثر الانتشار والتي تم معرفتها من خلال تحليها بواسطة نظم المعلومات الجغرافية المدمجة مع بيانات وبائية .

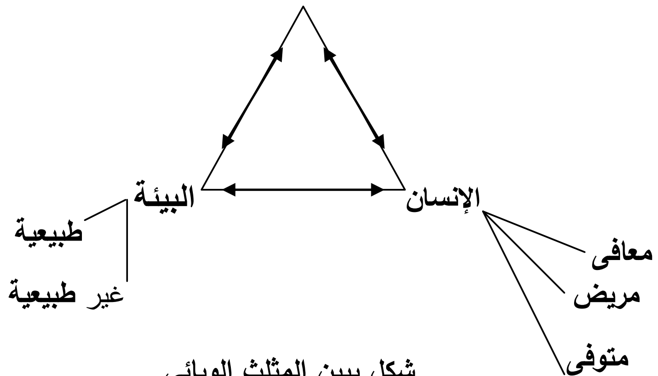
وبشكل عام نتج مما سبق بان هناك ثلاثة عوامل رئيسية تقرر الصحة ومستوياتها وتسمى بعناصر النظام البيئي[١٣].

١- العامل المضيف (الانسان).
٢- المحيط (البيئة).
٣- محدث المرض (المسبب).



نلاحظ البيئة المحيط بالمسبب النوعي وبالإنسان

نشط .... المسبب النوعي ....حامل



شكل يبين المثلث الوبائي

تمثيل النظام البيئي بمثلث تشكل عناصر النظام رؤوسه الثلاثة وتشير الأسهم الاتجاه المزدوج الى حالة التفاعل المستمر بين هذه العناصر

ويلزم للاستفادة القصوى من التقنيات المذكورة شروط منها، وجود مقاييس استقرائية على المستوى المحلي تتطور للمستوى الإقليمي والعالمي، وكذلك صياغة فروض جديدة تقترب في الحقيقية لتحليل أنماط نواقل المرض وعوامل الخطر من تقل المرض من مكان لأخر .

والمعروف إن مرض الملاريا يتوقف او يقل عند درجة حرارة اق من١٦ درجة مئوية لأنواع منها وبين ١٦- ١٨ درجة مئوية للأنواع الأخرى، ومع ذلك يمكنها الحياة عند درجات حرارة اقل في أماكن المناخات الصغيرة وتساعد الأمطار والحرارة المرتفعة فجاة الرطوبة الزائدة مع وجود الملاريا في غير مناطقها التقليدية[١٤].

وفي هذه الحالات فان GIS يستخدم الخرائط آلية وتحليل البيانات العقدة للمناطق الأكثر احتمالاً للتعرض للملاريا وذلك بمساعدة تقنية الاستشعار عن بعد ضمن ((الاندسكيب)) او الظروف المناخية من ناحية أخرى لكشف التغير في نمط الناتج تأثيرات ظاهرة النينو .

استخدام تقنية GIS في تحليل المرض في المدن

لعبت تقنية GIS دوراً فعالاً في رصد الأمراض وخاصة في المدن اذ ركزت منظمات الصحة العالمية والدولية في تدعيم استخدامات هذه التقنيات في المدن من خلال البرامج وإدارة المشكلات في المدن واستخدام المؤتمرات الجغرافية التي حدث الجهود على انجاز البحوث في هذه الجانب وخاصة المدن الكبرى التي تتعرض للفيضانات والكوارث ودراسة هذه المدن بشكل مفصل ودراسة الضواحي والقرى التابعة لها .

واستخدام البيانات والخرائط لدراسة المدن وكشف التغييرات التي لحقت بالمدينة بعد تعرض بيئي او طبيعي .

وبمساعدة تقنية GIS وكبرت الصور الأصلية لمقياس ١/١٠٠٠٠ لمعرفة تطور تركيب المدنية وبمساعدة الصور الرقمية تم دراسة علاقة التغيرات بمورفولوجية المدنية وكيف وجدت بيئات صغرى داخلها فيما يخص المرض، وتحديد عوامل الخطر من أتاح رسم السياسة الصحية التي تسمى السكان الأمراض.

ومجالات استخدام التقنيات الحديثة متعدد الجوانب في المدن خاصة بعد زيادة الاهتمام بالحفاظ على صحة البيئة الحضرية، المستديمة وقد زادت في السنوات الأخيرة الدراسات المستخدمة للتقنيات الحديثة في تطبيقات البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمدن، ولاسيما مايخص نتائج التعدادت العامة للسكان(١٥).

وقد اختلف استخدام GIS في مدن العالم النامي عنه في مدن العالم المتقدم في نوعية المرض فقط، ففي البلدان النامية كالهند استخدمت في دراسة إمراض معدية وبائية طفيلية وتحليلها مثل الملاريا كما استخدمها ((هيما)) في صياغة برامج فعالة للتحكم في الملاريا .

استخدام التقنيات الحديثة في مجال الرعاية الصحية والتنمية المستدامة

بان من الضروري استخدام التقنيات الحديثة في مجال الرعاية الصحية والذي دعاء المخططين الى الاهتمام بهذا الجانب الجانب الرعاية الصحية ومعرفة فؤاد هذه التقنيات ومصداقيتها وسرعة تطبيقاتها في هذا الاختصاص .

وبعد ان كان تطبيق التقنيات تطوراً على الدول المتقدمة زاد الاهتمام بتطبيقاتها الدول النامية التي هي أولى بالبحث العلمي المتقدم لمحاربة أطرافها المزمنة وخاصة الوبائية والطفيلية اذ استخدمت هذه التقنيات في تحديد مناطق النفوذ والمناطق التابعة المراكز الخدمية الصحية والعيادات الطبية .

وافادة GIS في تحليل المرض والتعرف الوضع البيئي في مناطق التماس بين منطقيتين ذات نظم صحية متفاوتة المستوى سوء من ناحية نمط المرض ومستوى الرعاية الصحية وساعدت هذه التقنيات على معرفة بؤر التوطن ومكافحة الأمراض المعدية فكل مجتمع له امراضة الديموغرافية والاجتماعية في استجابة للمرض والصحة، مما يستدعي إن تكون استراتيجيا الرعاية الصحية جد متباينة لتتناسب كل

مجتمع وليس اصلح لتحيل هذه البيانات من التقنيات الحديثة. إذا كان الإنسان إبن بيئته، فمن البديهي أن يكون للبيئة بالغ الأثر على مجاله الحيوي، على صحته وسلوكه وشخصيته، وعلى سائر جوانب نشاطه البيولوجي والنفسي والسيكولوجي.

هذه العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة هي مادة الجغرافيا الطبية، تدرس أدق التفاصيل، وتعرض لما تخلفه البيئة من ضرر على صحة الإنسان، وما ينتج عنها من أمراض، تهتم بدراسة المرض ونوعه، والبيئة التي ينشأ فيها، وتحدد مسببه وناقله ومضيفه، والمتضرر به ودورة حياته، كما تعرض للظروف البيئية المؤاتية للمسبب وللناقل وللعائل.

إن دراسة من هذا النوع تتطلب من الباحث الإحاطة بإختصاصات عدة، لتعدد المتغيرات التي تدخل في مضمونها ومحتواها، وتعين على فهم أسلوب العلاقة بين المتغيرات في بيئاتها المختلفة.

هذا ما يفسر جدة الابحاث المؤلفة في هذا المجال وندرتها، كما ينوه بأهمية بحثنا هذا، ومدى الجهد الذي بذله الباحث في إعداده، حيث أظهر ثقافة متنوعة شاملة، متعددة الجوانب والإهتمامات، يسرت له أن يكون فتحاً جديداً في مادته وموضوعه(١٦).

اكدت الدراسات والبحوث الى معرفة نمط توزيع الامراض جغرافياً بسبب التباينات المكانية في العالم وان هذا التباين المكاني ترتبط بعوامل بيئية مسببة وناقلة للامراض والاؤبئة، ضمن وصف مكاني جغرافي مستفيداً من تنوع الظاهرات وتباينها الاقليمي،ومدى احتمالية استخدام الخرائط في تمثيلها حول انتشار الامراض في جنوب افريقيا من ناحية جغرافية(١٧).

التوصيات والاستنتاجات :

مع ان البحث قد اوضح مسببات انتشار الامراض والاوبئة في مجال الجغرافية الطبية وتفاعلها مع العوامل البيئية التي تتضمن بعضها عناصر انتشار المرض كتلك المتعلقة بالتركزات البيئية والاقليمية في العالم وارتباطها بالطبيعة كانتشار المستنقعات والمناخات المختلفة في العالم، التي تساعد على نمو وتفاعل الامراض ضمن هذه البيئات العالمية .

هذه العوامل كلها ادت الى استخدام التقنيات الحديثة باسلوب جغرافي واضح يعطي منهجية تقنية حديثة لاكتشاف بؤر التوطن والامراض ومعرفة البيئات المسببة والمساعدة لانتشار هذه الاوبئة في مناطق مختلفة من العالم .

ومن دراسة تلك البيئات المتباينة واستخدام التقنيات الحديثة مثل (GIS) والاستشعار عن بعد في هذا المجال خرج البحث بالاستنتاجات الاتية :

١- وجود بيئات مختلفة من العالم تساعد على انتشار الامراض وتنوعها بفعل المناخات المختلفة مما اعطاها صفة السيادة في تلك البيئات .

٢- ان للخصائص الديموغرافية العمر والجنس والعوامل الوراثية اثر كبير في ارتفاع حدوث الصابات بالامراض والاوبئة وتفاعلها مع البيئة المسببة للمرض.

٣- تلوث البيئة ساعد على ظهور تلك الامراض وانتشارها وخاصة في البلدان النامية التي تعاني من سوء الحالة الاقتصادية وسوء التغذية وضعف الثقافة الصحية وقلة المراكز المتخصصة لعلاج هذه الامراض.

٤- الزيادة السكانية متمثلة بالانفجار السكاني والتركز الصناعي والحضري عمل على انتشار الامراض ضمن تلك البيئات .

اما التوصيات فكانت:

١- ضرورة استخدام التقنيات الحديثة في الجغرافية والبيئة وخاصة نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد كي توفر البيانات المطلوبة البحثية واقامة الدوائر الوقائية لرصد تلك الاوبئة.

٢- تحديد البيئات المسببة لانتشار الامراض وفق التحري الحديث واستخدام التقنيات ضمن تحديد مناطقها ورصد بؤرها .

٣- خلق وعي بيئي عالمي مثل اقامة المؤتمرات البيئية والصحية ونشر الوعي الصحي في العالم.

٤- ضرورة العمل على تشجيع البحوث والدراسات التي تتناول موضوع الجغرافية الطبية التي تختص بتوزيع الامراض مكانياً.

الهوامش:

(١) الجغرافية الطبية موضوع فرعي جغرافي يركز على دراسة موضوعين مهمين هما:
١- بيئة المرض (Disease Ecology).
٢- الرعاية الصحية والخدمات.

(٢) محمد عزيز الخزامي، نظم المعلومات الجغرافية، القاهرة،٢٠٠٢، ص١٥٣.

(٣) نظم المعلومات الجغرافية وعصر المعلوماتية، محمد عبد الجواد محمد علي، دار الصفا للنشر والتوزيع،عمان ٢٠٠١، ص١٠٣.

(٤) يعني التعبير عن الجوانب الديموغرافية الطبية، التي يمكن تحليلها من خلال العديد من البرامج الخاصة بالحاسب الالي والتي تعتمد على قواعد البيانات التي تدمج بين الامراض والرعاية الصحية ضمن وحدات سكانية جغرافية بعينها.

(٥) وتعني الوبائية علم الاوبئة ويركز على انتشار الامراض وطرق هذا الانتشار وما يتضمنه من ابعاد مكانية لانتشاره .

(٦) منظمة الصحة العالمية، دراسات في توطن الأمراض والأوبئة، التقرير السنوي للصحة، ٢٠٠٥،٤٢٠.

(٧) دراسات في الجغرافية الطبية، د محمد مدحت جابر، د فاتن محمد ألبنا، مكتبة الانجلوا المصرية، ٢٠٠٤، ص٦٣٢.

(٨) محسن عبدالصاحب المظفر، التحليل المكاني لامراض متوطنة في العراق،دراسة في اسس الجغرافية للتخطيط الصحي، اطروحة دكتوراه (منشورة) مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٩.

(9) Mcglashan,N..D,Medical Geography- Techniques &Fierd Studies , Methuen &Co,ltd.1973p.3-4.

(١٠) طارق أسامة صالح، الصحة والبيئة، مكتبة المجتمع العربي للنشر، الأردن، ٢٠٠٥، ص٧٥.

(١١) د يعقوب يوسف الكندي، الثقافة والصحة والمرض رؤية جديدة في الانثروبولوجيا المعاصرة، مجلس النشر العلمي،جامعة الكويت،٢٠٠٣، ص٢٨٨-٢٨٩.

(١٢) موسمية المرض تعني زيادة حالات الاصابة في وقت معين من السنة تكون فيه الظروف مهياة لذلك ومن الامثلة زيادة الامراض المعدية كالملاريا والبلهارسيا وخاصة فصل سقوط المطر الصيفي في القارة الافريقية.

(١٣) د.عصام حمدي الصفدي، مبادئ علم وبائيات الصحة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠١، ص١٨.

(١٤) احمد حافظ موسى، وآخرون الأمراض المتوطنة بإفريقيا واسيا، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٥، ص٨١.

(١٥) محمد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافية أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، منشاة المعارف بالإسكندرية،٢٠٠٤، ص١٤٤.

(١٦) د.محسن عبدالصاحب المظفر، الجغرافية الطبية منهجاً ومضموناً وتحليلاً، مطبعة دار شعاع، ليبيا، ٢٠٠٢، ص٧.

(17) Howe,G.M.World Geography of Human Diseases,Academic press,London,1977,p.p507-528.

المصادر:

١- صفوح خير، البحث الجغرافي مناهجه واساليبة،المقدمة،الرياض،١٩٩٠.
٢- محمد عزيز الخزامي، نظم المعلومات الجغرافية، القاهرة،٢٠٠٢.
٣- محمد عبد الجواد محمد علي، نظم المعلومات الجغرافية وعصر المعلوماتية، دار الصفا للنشر والتوزيع،عمان ٢٠٠١.
٤- منظمة الصحة العالمية، دراسات في توطن الأمراض والأوبئة، التقرير السنوي للصحة، ٢٠٠٥،٤٢٠.
٥- محمد مدحت جابر، فاتن محمد ألبنا،دراسات في الجغرافية الطبية، مكتبة الانجلوا المصرية،الطبعة الاولى،٢٠٠٤.
٦- طارق أسامة صالح، الصحة والبيئة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والطباعة، الطبعة الاولى، الأردن،٢٠٠٥.
٧- يعقوب يوسف الكندي، الثقافة والصحة والمرض رؤية جديدة في الانثروبولوجيا المعاصرة، مجلس النشر العلمي،جامعة الكويت، الطبعة الاولى، الكويت،٢٠٠٣.
٨- عصام حمدي الصفدي،مبادئ علم وبائيات الصحة،دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الاولى،عمان،٢٠٠١.
٩- احمد حافظ موسى، وآخرون الأمراض المتوطنة بإفريقيا واسيا، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الاولى، مصر،١٩٧٥.
١٠- محمد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافية أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، منشاة المعارف بالإسكندرية،الطبعة الاولى،الكويت،٢٠٠٤.
١١- محسن عبدالصاحب المظفر، الجغرافية الطبية منهجاً ومضموناً وتحليلاً، مطبعة دار شعاع،الطبعة الاولى، ليبيا،٢٠٠٢.
١٢- محسن عبدالصاحب المظفر، التحليل المكاني للامراض المتوطنة في العراق، دراسة في الاسس الجغرافية للتخطيط الصحي،اطروحة دكتوراه (منشورة) مطبعة الارشاد، بغداد،١٩٧٩.

المصادر الاجنبية:

1- Howe ،G.M.World Geography of Human Diseases, Academic press ،London1977 .
2- Mcglashan,N..D,Medical Geography- Techniques &Fired Studies , Methuen &Co,ltd.1973.

الجيمورفولوجيا بين الأفكار القديمة والحديثة
دراسة مقارنة

أ. م.د. محمد عباس حسن — جامعة تكريت/كلية الآداب/قسم الجغرافية التطبيقية

م.م. لطيف مزعل صالم — جامعة تكريت/كلية الآداب /قسم الجغرافية التطبيقية

مقدمة

الجيمورفولوجيا هو العلم الذي يهتم بدراسة أشكال سطح الأرض وهي كلمه مشتقة من الأصل الإغريقي (morpho) تعني الأرض والمقطع الثاني (Geo) وتتكون من ثلاث مقاطع الأول(Geomorphology) ويعني علم أو دراسة وبهذا تكون علم شكل الأرض. (logy) وتعني النشأة أو الشكل والمقطع الثالث وهي من فروع علم الجغرافية الرئيسة التي تهتم بدراسة أشكال سطح الأرض التفصيلية والتمييز بينهما من حيث النشأة والتوزيع الجغرافي والعامل والعملية والزمن التي حددت تطور هذه الإشكال، فضلا عن وصفها وتصنيفها وطرق تكوينها فيما أذا كانت من أصل عملية واحدة أو عدة عمليات.

يعد علم الجيمورفولوجيا من العلو م الديناميكية التي تطورت عبر الزمن اذا ما تتبعنا المراحل التاريخية التي مرت بهذا العلم من خلال زيادة حجم الأعمال وأعداد الدارسين فضلا عن تعدد مناهج الدراسة بأساليبها الجديدة التي تم من خلالها التوصل إلى نتائج دقيقة وحقيقية، أن التطور السريع لهذا العلم يتطلب مراجعة تاريخية تتحدد من خلالها جوانبه الحديثة بالرجوع إلى أطواره ألتاريخيه.

تهتم الدراسات الجيمورفولوجيه في عدة جوانب منها نشأة الكون، ونشوء القارات، والوضعية الجيولوجية التي استقرت عليها الصفائح القارية أي نظريات زحزحة القارات،ودراسة الحركات التكتونيه كالزلازل والبراكين كعوامل داخلية والمناخ

وعناصرة كعوامل خارجية وتطورها وأثرها في تشكيل سطح الأرض ودراسة الصخور وكيف تكونت وبنيتها التركيبية .

وعمليات التجوية والتعرية، واثر المنحدرات، والعمليات النهرية وأثارها على سطح الأرض،والآثار التي تتركها عمليات النقل والنحت والإرساب للرياح والجليد التي بمجموعها تحدد الصورة النهائية لشكل سطح الأرض حيث يبدأ التغيير في البنية الداخلية لشكل سطح الأرض عند حدوث ظاهرة تعمل على تشويه الشكل الخارجي مثل حدوث قطع لالتواء نهري فضلا عن استقامة المجرى نتيجة تطور التعرية الجانبية عند رقبة الالتواء،بينما تعزى بداية التغيير إلى مؤثرات خارجية فضلا عن اثر هذه العوامل على حياة الإنسان .كذلك تتطرق في بعض الجوانب التطبيقية بالإشارة إلى دور الإنسان في المشاركة في تغيير شكل سطح الأرض من خلال عمليات الردم والحفر،واستغلال موارد الأرض بصورة غير عقلانية التي ولدت بدورها استجابة عكسية لكون هذه الطريقة في الاستغلال لاتنسجم مع عناصر البيئة الاخرى.

أن العوامل السابقة بمجموعها تتطلب استحداث دراسات جديدة أكثر شمولية وأكثر دقة في مجال الدراسات الجيمور فولوجيه سميت(الجيمورفولوجيا التطبيقية،علم شكل الأرض التطبيقي) الذي يعرف بأنة(العلم الذي يقوم على استخدام المقاييس والتقنيات الحديثة لمسح أشكال الأرض وتحديد إبعادها وقياس العامل والعملية الجيمورفولوجية التي ساهمت في نشأتها، وتحليل العلاقة بينها، وتطبيق تلك البيانات لتقييم الموارد الطبيعية، ومراقبة التغيرات الحاصلة فيها، لإغراض التنبؤ بالمشاكل التي تجابهها ووضع الحلول لها والتخطيط لاستغلالها بما يتفق مع مكوناتها الطبيعية)(١).

لقد أخذت الدراسات الحديثة بالخبرات القديمة وتطورت الدراسات الوصفية إلى منهج التحليل الكمي بفضل تراكم الخبرات العلمية وتوفر الوسائل الإحصائية والتكنولوجية الحديثة مثل نظم المعلومات الجغرافيه والاستشعار عن بعد،والصور الجوية، والخرائط، فضلا عن الدراسة الميدانية.كما اعتمدت الدراسات الحديثة على الجوانب التاريخية وهذا ما منح العلم طابعا تاريخيا متجددا ميزة عن العلوم الأخرى.

- أصول الجيمورفولوجيا:

لقد كانت الاساطير والظواهر الطبيعية وسائل يستعين بها الإنسان للاجابة على كثير من التساؤلات، مع مرور الزمن تمكنت هذه الأفكار من شق طريقها نحو الحقيقة و بدأ ألا نسان يفكر في دراسة وتحليل كل ما يدور حوله من ظواهر طبيعية واستطاع أن يحمي نفسه من أثارها و كون من خلال هذه التساؤلات والتحليلات مع بعضها نواة لعلم يسمى (الجيمور فولوجيا) وارتبط هذا العلم مع العلوم الاخرى من خلال ارتكازه على معظمها مثل علم الجيولوجيا أولا ثم أقسام الجغرافية الأخرى كون الجغرافية تستمد قوتها في معالجة قضاياها على الجيومورفولجيا بصورة خاصة و على عدد من العلوم الأخرى بصورة عامة.

تبرز علاقة الجيمورفولوجي بالمناخ من خلال ارتباط الإشكال الأرضية بعناصر المناخ مثل الأمطار والرياح والجليد وتبرز شدة تأثيرها في المناطق الأكثر انحدارا المواجهة للأمطار التي تولد سيول ومياه جارية لها دور في تغيير إشكال سطح الأرض.

تعد الانحدارات من أهم الظواهر في الدراسات الجيمورفولوجية التي تكونت نتيجة عمليات قديمة وحديثة لأنها تحدد أشكال الأرض من حيث مناسيبها وتضرسها والخصائص الشكلية النهائية لها.

وتأتي الصخور من حيث الأهمية بعد المنحدرات،إضافة إلى العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر على الصخور وتغير من أشكالها وأحجامها وتحد من اثر عمليات التجوية التي تتولد من جرائها مفتتات التربة التي تكون جاهزة لعمليات النحت والنقل والإرساب، فضلا عن اثر التيارات البحرية والجليد والرياح كل هذه العناصر مجتمعة تكون أشكال الأرض النهائية التي نشاهدها ألان .وهناك بعض الدلائل التي تشير الى دور الحضارات ألقديمه في معرفة وشرح الكيفية التي تكونت بها بعض الظواهر ففي حضارة مصر القديمة أشاروا لشكل الأرض وتصوروا أن الأرض على

شكل مستطيل يمتد باتجاه شمالي جنوبي وسطحها أما مستوي او مقعر وهي ظاهرة جيمورفولجية[٢].

- تطور علم الجيمورفولوجيا:

لقد مرت الجيمورفولوجيا بعدة مراحل وأطوار تبلورت من خلالها الأفكار وبلغة ذروتها خلال العصر الإسلامي في القرن الخامس عشر بعد أن عانت فترة من السبات بعد انهيار الامبراطوريه الرومانية حيث كانت الكنيسة تسيطر على الأفكار العلمية، على العكس من الدين الإسلامي، فهو لم يضع القيود على الفكر البشري حيث شجع الرحلات والكتابة والترجمة، كما شجع المسلمين إلى كسب معارف وعلوم الأقاليم التي تم فتحها من قبل الجيش الإسلامي وتدوين وكتابة كل ما يلاحظونه آو يوصف لهم من الرحالة والتجار العرب والأجانب،فضلا عن ماجاء في التوراة والإنجيل في المسيحية واليهودية وما وصل في العصر الجاهلي وصدر الإسلام عن بعض مفاهيم نشأة الأرض، لقد تابع المسلمين العرب نشاطهم العلمي وقادوا المسيرة العلمية الحضارية مواصلين المهمة التي انطلقت من الحضارات القديمة سواء كانت الشرقية او الغربية التي اخذوا عنها وجددوا وابتكروا (فاجتذب ذلك العلماء والحكماء وأهل البحث والعلم ورجال الفن والأدب من جميع الأصقاع فكان من بينهم،الأقباط،والهنود،والكلدان، ولم يصلوا إلى ماوصلوا آلية لولا استعانتهم بغيرهم)[٣].

لقد جمع العرب المسلمين علوم من سبقهم بالإضافة إلى علومهم وترجمة الكتب ونشطوا في الرحلات والكتابة مستندين بذلك على ما أكد علية الدين الإسلامي بقولة تعالى: چﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ چ[*]، وحديث رسوله الكريم(ﷺ) (اطلب العلم لو كان في الصين)،فضلا عن الدلائل التاريخية في الشعر العربي التي توصف المظاهر الأرضية التي تدل على معرفه مسبقة في هذا العلم كقول الشاعر:

تتنــاثر الاطــواد وهــي شــوامخ حتــى تصــير مــداوس الأقــدام[٤].

لم يخطر ببال الشاعر أن يعطينا صورة جيمورفولوجية عن الجبال الشامخة الصلبة قد تتحول إلى أراضي منبسطة هل يعني معرفة الشاعر بهذا الأمر تحت تأثير

عوامل الطبيعة وهي إمكانية تحول الجبال إلى مداوس الإقدام وهذا يدل على قناعة تامة بعدم ثبات الطبيعة .

لقد أعلن العديد من علماء أوربا المشهورين من أمثال(وود وارد، وهويستون) في نهاية القرن السابع عشر على أن(الكرة الأرضية بما فيها من يابسة وماء اتخذت منذ زمن الطوفان شكلها الحالي الذي تقع عليه إبصارنا)[٥].

- العلاقة بين الآراء القديمة والحديثة:

لقد وضحت الكتب السماوية أن الله خلق السموات والأرض ضمن قوانين ثابتة في ستة أيام ثم استوي على العرش وقال تعالى: چ□ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ﯿ □ □ □ □ □ □ □ چ[*].

بدا الإنسان يفكر بما يحيط به من ظواهر طبيعية منذ وجودة على الأرض حيث بدا يستخدم الجبال بيوتا تقية من أخطار الفيضانات ومختلف عناصر المناخ الاخرى، واستمر في التفكير في أسباب تكوين هذه العوامل والظواهر التي تكونت بسببها إلى وقتنا الحاضر وحسب المراحل الحضارية .

ان العصر الإسلامي قد جمع هذه الأفكار وجعل منها علم تمييز بمنهجيه وعلمية جعلة بمستوى العلوم الاخرى وأطلق عليه اسم علم أشكال الأرض أو سطح الأرض وقد تعددت الأفكار حسب اجتهادات بعض الكتاب والمؤرخين العرب لقد حدد العلماء العرب علم الجيمور فولوجيا بعدد من الظواهر التي سيتطرق الباحثين اليها بشيء من التفصيل لمعرفة مدى التقارب في الافكار وهل هناك افكار متطابقة او متقاربة في تفسير اشكال سطح الارض ومعرفة وهل يمكن الربط بينهما من اجل الوصول الى الهدف المرجوا من هذه الدراسة.

١-نشأة الأرض:

في العصر الا سلامي تعد رسائل أخوان الصفا من أهم المصادر التاريخية التي رفدت معظم العلوم العربي ونستطيع القول أنها من أهم مراحل عصر التطور في الفكر العربي الإسلامي حيث قدمت العديد من الرسائل التي تعكس مدى ماتوصلت إليها العلوم في ذلك العصر لقد عالج إخوان الصفا العديد من الظواهر الطبيعية منها موقع الأرض وتكوين الجبال والعلاقة بين البر والبحر حيث أشاروا إلى ذلك بقولهم (أن كرة الأرض بجملتها وجميع أجزائها عمقها ظاهرها باطنها طبقات ساف فوق ساف، متلبدة،منعقدة، مختلفة التركيب والخلق، ضمنها صخور وجبال صلبة، وأحجار وجلاميد)[٦].

ظهرت العديد من النظريات الحديث في تكوين ونشأة الأرض وشيء منها فيها دلائل صحيحة وأخرى غير واضحة قابلة للتصديق حسب دلائلها.

كذلك أشاروا أيضا إلى كروية الأرض وأشكالها التضاريسية وعمرانها بقولهم(اعلم ياأخي بان الأرض كرة واحدة بجميع ماعليها من الجبال والبحار والأنهار والعمران والخراب وهي واقعه فيالهواء فيها من مركز العالم،والهواءمحيط بها،وملتف عليها من جميع جهاتها)[٧].

ثم يأتي ضمن التسلسل الزمني اليعقوبي(٢٩٧-٣٠٠هجرية) حيث تفرد بمعلومات جغرافية لم يتطرق إليها من سبقه مما جعله أكثر تأثيرا بما جاء به الباحثين، أن علميته دفعته إلى عدم الأيمان بالمنجمين فقد أورد اليعقوبي مقالات (المجسطي) كتاب بطليموس حيث كانت مقالات فلكية بالغة الأهمية من حركات الفلك والأرض ودورانها حول الشمس وموقعها وعلاقة ذلك بطول النهار وحركة الشمس)[٨].

إذا كانت الأرض مكانا هادئا لكان من السهل الحصول على تاريخها كاملا منذ ظهرت أول المخلوقات التي انقرضت وتركت حفرياتها ولكانت طبقات الصخور السفلى هي الأقدم لانهاتحوي أقدم المخلوقات ولكنها غير مستقرة[٩].

أما المسعودي (٣٢٢-٤٠٠هجرية) فيعد من المؤرخين العرب في هذا المجال وقد دون كل ما وصف له من الرحالة والتجار العرب وألف العديد من الكتب أهمها (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وكتاب(التنبيه والإشراف) وأشار الى نشأة الأرض وكتب عن البحار والجبال،المد والجزر، والأنهار والعلاقة بين البر والبحر ودورة الماء في الطبيعة، والمياه الجوفية.

كذلك البيروني(٣٦٢-٤٤٠هجرية)الذي وجد أسمة مكانة في الجغرافية والرحلات كونه مؤلفا واسع المعرفة ذو نشاط وعلم فقد كتب في عدة مجالات كما ورد في كتابه (تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن) حيث يقول (عالمنا ليس بأزلي ولكن لا يمكن تحديد عمرة أو يوم حدوثه بالضبط،ألا أن الحوادث تتابعت في زمن مجهول وليس عندنا من التاريخ او العصور ما يساعدنا في تحديده)[١٠]، فقد تطورت الآراء حسب المراحل الحضارية كما ذكرنا حيث ينظر إلى أشكال الأرض على أنها محصله تفاعل أزلي بين المتغيرات، ومع ذلك تختلف الآراء حسب الخلفية العلمية للباحث، كما اوضح (حسن رمضان سلامة.٢٠٠٤م) حيث جاءت الفكرة الأولى والتي تقول أن بعض العمليات والقوانين الطبيعية التي تعمل ألان هي نفسها قد عملت خلال العصور الجيولوجية ألا أن عملها ليس من الضروري ان يكون بنفس الشدة)، وهذا ينطبق على مبدأ هاتون (١٧٢٦م) (أن الحاضر مفتاح الماضي) كذلك وليام سميث (١٨٦٩_١٨٣٩) مؤسس علم الطبقات لقد دفع كل من الكسندر فان همبولت الذي أكد على مفهوم الجغرافية الحديثة وكارل ريتر (١٨٤٢م) دماء جديدة في ترسيم علم الجغرافية وتعرض لكيفية النشأة والسلاسل الجبلية وتطورها ونسب ذلك إلى الحركات الباطنية وادخل مفاهيم جديدة لدراسة التضاريس وفي عام ١٨٩٤ اصدر البرخت بنك سفرا من جزئيين (مورفولوجية سطح الأرض) فضلا عن دراسة ثور نبري هضبة كلورا دو في الولايات المتحدة ١٩٥٤ واعتبره ديفزعلامة مميزة في تطوير علم الجيومورفولوجيا .وهذه الأفكار اقتبسها من المدرسة الديفزية ١٩٤٣م

٢-الزلازل والبراكين:

فيما يخص هذا الموضوع من نقد ورد ذكره في رسائل أخوان الصفا حيث قالوا في رسائلهم(ثم اعلم ان غرضنا في ذكر حركات العالم وحركات اجزائة الكليات والجزئيات وفنون تصريفها هو بطلان من يقول بقدم العالم وذلك لان الحركات المختلفة تدل على اختلافها،والمتحرك المختلف الأحوال لايكون قديما، لان القديم هو الذي يكون على حالة واحدة، ولا يتغير ولا يستحيل،ولا يحدث له حال)[١١]. كذلك توصلوا إلى حقيقة مفادها أن البراكين ناتجة عن احتراق الكبريت والنفط داخل الأرض.

ولليعقوبي وصف للزلازل والبراكين والحركات الأرضية على ضوء شدتها و تطرق كذلك إلى الحقيقة الزمنية التي تحدث فيها مثل هذه الحركات وما تسببه من هدم كل شيء ومن أشاراته إلى الزلازل التي أصابت مكة يوم مولد الرسول محمد (ﷺ) كذلك أشار إلى زلزال المدائن الذي اخمد نار الفرس التي لم تنطفي أكثر من إلف سنة، وأشار المسعودي إلى البراكين بقوله(جزيرة صقليه وما يليها من جبل البركان ومنه تخرج عين النار التي تعرف(بأطمه)[&]صقليه يستضيء بضوء نارها أكثر من مائة فرسخ)[١٢].

وقال البيروني (ان الثورات الجيولوجية التي كانت تنتاب القشرة الأرضية وما تحدثه من التواءأ ت وارتفاعات وانخفاضات التي ادت برمتها هبوط مناطق شاسعه اخرى تحت البحر)[١٣]، وابتكر نظرية قياس محيط الارض عن طريق وجو د مرتفع يطل على سهل يمتد نحو الافق.

ويقول العالم العربي (ابن سينا ٩٥٠هجرية) الذي سمى ابو الجيولوجيا في الزلازل والبراكين(اما جسم بخاري دخاني قوي الاندفاع، واما جسم هوائي سيال، واما جسم ناري فاذا كان سبب الزلزلة قويا جدا،ضعفت الارض باندفاعه وخروجه وربما خلف نار محرقة وربنا حدثت اصوات هائلة ودوي يدل على شدة الريح)[١٤].

حيث أشار في معظم كتاباتة للعمليات التحت سطحيه، ونوع وتركيب الصخر، واثرها في تشكيل سطح الارض حيث اعتبر آن النشاط البركاني من ابرز مظاهر سطح الأرض (لقد أكد العديد من العلماء العرب ضرورةاستدارة الارض لاستمرار الحياة)[١٥]، ونلاحظ ان الاراء الحديثه مثل راي الدكتور محمد سامي عسل في قوله(ان البراكين عبارة عن اهتزاز سطح الارض او تذبذبها نتيجة الاضطراب وفي توازن ورخاوة الصخور وتوازن جاذبيته على السطح واسفلة)[١٦] وهناك شواهد اخرى تدل على وجود حركه في باطن الارض وانبثاق طاقة من الاعماق وهذه الشواهد تمثلها البراكين[١٧]لقد سجلت انفجارات حديثة خلفت اثار تدميرية كبيرة مثل انفجار جزيرة كراكتوا عام ١٨٨٣ وتطاير ثلثا الجزيرة وفي عام ١٩٠٢ انفجر بركان جزيرة مونسلية في جزر الهند الشرقية.

٣-الصخور:

تتحدد الاشكال الارضية بعناصر المناخ وتاثيرها في نوع الصخور بمعنى ان التركيب الصخري هو الذي يحدد معظم اشكال سطح الارض، فقد ذكر اخوان الصفا في رسائلهم (ان الجواهر المعدنيه مختلفة في طباعها وطعومها والوانها كل ذلك باختلاف بقع معادنها وتغيرات اوديتها)[١٨] وهي ان المعادن تنشأ تحت تأثير عدة عوامل اخرى في باطن الارض وتختلف صخورها باطن الارض ومنها الصلده والمجوفه والمخلخله،(نريد ان نقول كيف يصير الطين اللين احجار تتكسر الاحجار فتصير منها حصى ورملا وكيف ينعقد من ذلك الطين والرمال في قعور البحار حجاره وجبالا)[١٩]، (الكثير من الطين تجف وتستحيل اولا شيا بين الحجر والطين وهو حجر زخو ثم يستحيل حجر اولي الطينات بذلك ماكان لزجا فان لم يكن لزجا فانه يتفتت في أكثر الأمر قبل التحجر[٢٠]. وفي الوقت الحاضر تم تصنيف الصخور إلى صخور نارية ومتحولة ورسوبية والكشف عن تركيبها الكيمياوي وأشكالها وطبيعة تكوينها.

٤- المياه السطحية:

وهي المياه الجارية فوق سطح الأرض التي تكونت نتيجة الأمطار والسيول والينابيع والعيون التي تعمل بصورة كبيرة على تغير شكل سطح الأرض وتعتبر أكثر الظواهر تأثيرا في تغيير أشكال الأرض الاخرى، وقد تطرقت رسائل أخوان الصفا إلى الدراسات النهرية واثر المياه الجارية بقولهم(وأما الأمطار التي تكون على رؤوس الجبال فانها تفيض في شقوق تلك الجبال وخللها وتنصب في مغارات وكهوف وأهوية هناك، وتمتلئ وتكون كالمخزون، وتكون في أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تمر منها تلك المياه، وتجري وتجتمع وتكون أودية وانهار، وتمر في جريانها راجعة جريانها نحو البحر وتكون منها البخارات والرياح والغيوم والأمطار)[٢١] وأشاروا أن العمليات تجري إلى ألان وأكدوا على استمرارها، وكان لليعقوبي تحليله الخاص حيث اعتبر المياه الجارية احد أهم المظاهر ألطبيعيه في تشكيل سطح الأرض فضلا عن علاقتها مع الإنسان وارتباط حياته الاقتصادية والاستيطان ويقول المسعودي (ومن تقدم عنه وتأخر في علة وانتقال البحار والأنهار عن مواقعها وشباب الأرض وهرمها، وحياتها، وموتها، والكلام في كيفية المد والجزر السنوي والقمري ولاي علة صارت فيض البحار)[٢٢]، وقال أيضا (ليست مواقع الأرض الرطبة أبدا رطبه، ولا موضع اليابسة أبدا يابس،لكنها تتغير وتستحيل لصب الأنهار أليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر موضع البر، ليس موضع البر أبدا أبدا برا، وليس موضع البحر أبدا أبدا بحرا)[٢٣].

وللبيروني قوله(فإذا علت وأفرط تكايسها حولها نقصت مياه وغارت عيون وعمقت الأودية وتغدرت العمارة وانتقل أهلها إلى غير، وبهذه الفكرة المختصرة سبق العالم الأمريكي وليم موريس ديفز بخمسة قرون في تعريف وتوضيح الدورة الجيمورفولوجية التي يمر بها النهر كذلك قوله، حيث يبلغ الحفر بالقرب من الجبال، وشدة جريان مياه الأنهار واحفر عن تباعد المجرى ورمالات عند الركود واقتراب المضايق)[٢٤].

نلاحظ عند المقارنة بالآراء الحديثة مدى التقارب في الوصول الى الفكرة حيث يقول السير جيكي(فإذا كانت سرعة المجرى المائي ٦/١ ميل في الساعة فأنة لايستطيع أن يحمل أكثر من الطمي الناعم وإذا كانت أسرع بنسبة ٤/١ ميل في الساعة فأنة يستطيع حمل الرمل الناعم وإذا كانت أسرع فإنها تحمل الرمل الخشن)[٢٥] أي هناك تناسب طردي، آذ أن الأفكار موجودة قديما وتم استخدام المعادلة الإحصائية، لاستخراج النتائج النهائية، ويذكر محمد متولي (١٩٧٧) دور العمليات النهرية بأنها تخضع لقوانين نستطيع أن ندرك كيف هذه الأنهار تمكنت من تغيير سطح الأرض وتشكيلة بدأ بشكله الحالي ونستطيع ان نتخيل صورتة المستقبلية في حالة ثبات المناخ.

٥-المناخ :

اهتم علماء العرب بالمناخ وعناصره لما له من اثر كبير في تشكيل سطح الأرض لقد ذكرت كتب فقه اللغة أن للسحاب عند العرب (٢٥٠) اسما وللمطر (٨٤) اسما وفقا لموسم سقوطه[٢٦]، ويشير أخوان الصفا في رسائلهم إلى حدوث التساقط فقد ذكروا أنة أذا (ارتفعت التيارات في الهواء وتدافع إلى الجهات العليا فيكون تدافعه إلى جهة أكثر من الأخرى ويكون من قدامه له جبال شامخة مانعة ومن فوقة له برد الزمهرير مانع)[٢٧]. ويشرح البيروني في المناخ في كتابة (وماللهند من مقولة............) يوضح فيها نظام سقوط الإمطار حيث يقول (والهند تمطر مطر الجميع يسمونه (برشكال)وكلما كانت البقعة اشد إمعان في الشمال وغير محجوبة بجبل فهذا المطر فيها اغزر وحدته أطول واقوي)[٢٨]، وناقش اليعقوبي عناصر المناخ في أكثر من مكان وأكد أنة من العوامل المهمة في إنشاء المدن وربط الموقع ودوائر العرض لة علاقة بالمنطقة وصحة البيئة.

ويشر المقدسي في كتابة (كتاب البدء والتاريخ)عن التساقط(فأما الغيوم والسحاب والانداء والضباب فهي بخار يرتفع من الأرض فما غلظ منها صار سحابا او صار ضبابا وغماما،ومنجمون يزعمون أن الشمس تمر بمواضع ندية وبطائح غمر

فتثير سحابا بحرارة مرورها فاذا تكاثف البخار صار غيما والامطار اجتماع ذلك الغيم وانعصاره)[٢٩].

يرجع الفضل للعلماء العرب كونهم أول من أدرك أن الهواء محدود منذ ٩٠٠ سنة ولكنهم لم يستطيعوا بطبيعة الحال أجراء تجارب علمية حيث لم يتمكنوا من الارتفاع في الهواء بأنفسهم حتى عام(١٨٩٨)[٣٠].

لقد تطورت الدراسات المناخية حتى وصلت إلى تحليل المكان وظهور نموذج الجيمورفولوجيا المناخية التي تعطي المناخ دورا أساسي في تحديد خصائص وتوزيع أشكال الأرض، كما أشار كل من بلتير ١٩٥٠، وتريكارت ١٩٥٧، وبودل ١٩٧٣، واو لير ١٩٧٩، فقد عرف كل من تريكارت وكاليه الجيمورفولوجيا المناخية،هي دراسة أشكال الأرض كما يحددها المناخ[٣١].

وتوضح الدراسات الحديثة أن هناك ثلاث عوامل رئيسة هي العمليات الباطنية والخارجية والمحلية هي التي تغير أو مسؤولة على تطور أشكال الأرض حيث تشير العمليات المناخية إلى الطاقة الشمسية وفعل الأمواج التي تسببها الرياح،لقد إثارة الكثير من النظريات الحديثة في تفسير المناخ خلافات متعددة حول نشأة وتطور الأشكال الأرضية والعمليات الجيمورفولوجية ومنها نظرية دورة التعرية(لديفز) التي واجهت العديد من الانتقادات والتي صنفت حسب الأقاليم المناخية،فضلا عن نظرية تطور المنحدرات ، والأراضي الجافة والأقاليم الرطبة.

الجيمورفولوجيا المناخية والنطاقية هي دراسة منظومات الحت الحيوي أو المناخي ((الحيمناخي)) أي مجموعة الحت والتراكم العائدة لشرائط الحرارة والرطوبة والغطاء النباتي بكل نطاق مناخي كبير أن المناخ الحالي لايسود فعلا فوق أوربا الغربية أو الشمالية ألا منذ فترة قصيرة جدا من وجهة النظر الجيولوجية –حوالي عشرة ملايين سنة حيث لم تستطيع الإشكال أن تستبدل معالمها السابقة[٣٢].

٦-التجوية والتعرية:

لقد اهتم العلماء العرب بالعمليات التي تؤثر في الحواف الجبلية من تجويه وتعرية وعزوها إلى الأشعة الشمسية والمياه الجارية والإمطار (أن الاوديه والأنهار كلها تبتدئ بالجبال والتلال وتمر في مسيلاتها وجريانها نحو البحار والآجام (المستنقعات) والغدران والجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب بطول الزمان والدهور تنشف رطوبتها وتزداد جفافا ويبسا وتصير أحجار وصخور ثم الأمطار والسيول تحط تلك الصخور والرمال إلى بطون الأودية والأنهار)[٣٣].

لقد اشار المسعودي الى نشؤ الرسوبيات حيث قال (ليست مواضع الأرض الرطبة ابدأ رطبة ولا مواضع الأرض اليابس أبدا يابسة ولكنها تستحيل لصب الأنهار أليها وانقطاعاتها عنها ولهذة العلة يستحيل موضع البحر موضع البر)[٣٤]، كما ساهم البيروني في ملاحظات مهمة بخصوص عمليات تشكيل الأرض في كتابه(الهند) ومنه أشار إلى عمليات التتابع الصخري ووجود ترسبات غرينية ورواسب طموية جنوب الهملايا وميزها من حيث النسجة حيث الصخور الغرينية من الجبل خشنة أما البعيدة والمنقولة بفعل المجاري المائية كانت ناعمة بفعل التدحرج والانتقال من مكان إلى اخر[٣٥].

لقد عرفت التجوية في الوقت الحاضر. أنها عملية تأكل وتحلل الصخور بمجموعة من العمليات الكيماوية والفيزيائية التي تعمل على تحللها كيمياويات وتكسرها وتفتتها فيزيائيا وتعني بدورها مدى استجابة الصخور لعناصر الغلافين المائي والحيوي .

فضلا عن تجهز مفتتات متعددة الحجم تكون جاهزة لعمليات التعرية (النقل والنحت والإرساب) وقد كتب ديفز عام ١٩٣٤ حيث وضع أشكال الأرض في قالب زمني تضمن ثلاث مراحل لعملية التعرية، وهي مرحلة الشباب والنضج والشيخوخة . وقد سميت عمليات التعرية والتجوية مؤخراً (كرنولوجيا الهدم) فقد اتخذت من البعد التاريخي والتي أكد عليها كل من شوم ١٩٦٨ وبراون ١٩٧٩.

لقد عملت الدراسات الحديثة على استحداث طرق أخرى لجمع وتحليل ومعالجة وتصنيف وإخراج هذه المعلومات على شكل جداول أو خرائط أو صور، وسميت التقنيات الجغرافية التي تشمل نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد.

لقد كان لعمليات التعرية والتجوية النصيب الأكبر في الدراسات القديمة ومثال ذلك دورة التعرية التي تم توضيحها مفصلاً من قبل البيروني قبل خمس قرون والتي أصبح وليام مورس ديفز (أبو الجيمورفولوجيا) الحالية عندما أشار أليها بالطرق العلمية آو الإمكانيات الإحصائية الحالية . يعني ذلك كما أسلفنا انه اعتمد كليا على الدراسات العربية الإسلامية ولم يأت بشيء جديد.

أن معظم معالم سطح الأرض هي نتاج عامل آو أكثر من العوامل التي تحفر الأرض وهي المياه الجارية، الأمواج،الجليد والرياح إضافة إلى عمليات تفكك الصخور وانهيارات التربة والصخور بتأثير الجاذبية الأرضية وعوامل التعرية والتجوية.

لكل كاتب أو مؤلف صيغة تعريفية للمنهج من حيث الجوانب العلمية لم يكن للكتاب العربي في هذا المجال سوى الترجمة وإعادة صياغة الموضوع فقط خلال مرحلة المائة سنة الأخيرة بل نستطيع القول أن أساس كل العلوم ومنها موضوع البحث هي أفكار عربية أسلامي.

الاستنتاجات:

١- لقد أثبتت المصادر العربية والمعلومات التي وصلت من خلالها أن للعرب الدورالرئيسي في وضع الأسس العلمية لمعظم العلوم بصوة عامة وعلم الجيمورفولوجيا بصورة خاصة.
٢- توضح الأفكار العربية الإسلامية وماسبقها أن للعرب الفضل الكبير في وصول علم الجيمورفولوجيا الى هذا الحد من التطور والرقي الذي فتح المجال أمام الباحثين لتطوير أفكارهم .
٣- اقتبس معظم العلماء الأجانب أفكارهم من العلوم العربية مثل وليم موريس ديفز الذي سمي أبو الجيمورفولوجيا لكونه اكتشف دورة التعرية علما أن العالم العربي البيروني قد أوضح هذه العملية بالتفصيل قبل أكثر من خمسة قرون ووضح المراحل التي يمر بها النهر بمراحله (الشباب، النضج، الشيخوخة).
٤- تنكر عدد من الباحثين لفضل العلماء العرب حيث اقتبسوا من معارفهم ونسبوها لأنفسهم وأصبحت ماتسمى المدرس الأمريكية للجيمورفولوجيا هي من بنات أفكار العالم العربي البيروني .
٥- من خلال المقارنة اتضح لدينا أن معظم الدراسات العربية هي وصفيه لاتعتمد على أسس تحليلية كمية ولكن أذا ماقيست إلى تلك الفترة فأنها اكتشافات علمية كبيره جدا .
٦- نستطيع القول أن كل ما اكتشف من جديد في هذا الجانب من العلوم مبني على أفكار تاريخية عربية وذلك لان كل فكره تطرق لها الباحثين حديثا نجد لها جذور تاريخية في الكتابات العربية.
٧- تطورت الدراسات وطرق البحث والمناهج نتيجة الإمكانات العلمية التكنلوجيه الحديثة وطوره الدراسات ألقديمه باستخدام التقنيات الجغرافية ألحديثه الكمية التي نقلت الأفكار الوصفية إلى نتائج حقيقية نهائية.
٨- المشاركات العربية العلمية الحديثة لايمكن مقارنتها بعلوم من سبقهم من العرب المسلمين وغيرهم أذا ما تتبعنا المراحل التاريخية للتراث العربي العلمي.
٩- لقد اثري الإرث العربي العلمي علوم من اخذ بأولياته وخسر من ترك أثارة يترفع بها الغير ولذا يتوجب التوجه الى دارسه الإرث العلمي العربي وألتوعيه إلى نشره والأخذ بناصيته .

المصادر والتعليقات:

(*) القران الكريم(سورة يس .اية٤٠) (سورة العلق، اية ١) .
(١) تغلب جرجيس داود، أشكال سطح الأرض، جامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة،٢٠٠٣، ص٣٣.
(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،القسم الأول،بغداد،١٩٥١،ص٣٧.
(٣) معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة عالم المعرفة،العدد ١١٥، الكويت ١٩٨٧، ص١١٣.
(٤) حمودي عدنان، رسالة الخليج العربي ، العدد٩،السنة ٦، ١٩٨٦، ص: ١٨٧.
(٥) حمودي عدنان، مصدر سابق: ص١٨٦.
(٦) أخوان الصفا، رسائل أخوان الصفا وخلان ألوفا،ج٢،دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت،١٩٥٧ ص٩٦- ٩٧.
(٧) أخوان الصفا، مصدر سابق، ص٩٧.
(٨) خالص الاشعب، اليعقوبي،سلسلة نوابغ الفكر العربي،هيئة كتابة التاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٨،ص٤٠.
(٩) باتريك مكولا، ترجمة فؤاد عبد العال،حقائق عن الأرض، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون سنة الطبع، ص٣٥.
(١٠) سري محمود المدرس، الفكر الجغرافي عند البيروني، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث،سنة١٩٨٦،ص.٢٦٥.
(١١) أخوان الصفا،مصدر سابق الجزء (٢) الرسالة (١٧)، ص٥٧٠.
(&) الأطمة–عين النار.
(١٢) فاروق صنع الله العمري، تاريخ علم الأرض، مطبعة جامعة، الموصل، الموصل، ١٩٨٤، ص٣٧.
(١٣) سري محمود المدرس،مجلة المؤرخ العربي، مصدر سابق ص٢٦٥.
(١٤) أبن سينا((الشفاء–المعادن والآثار العلوية))، تحقيق عبد الحليم منتصر وغيرة،الدار المصرية للتأليف والنشر ولترجمه، القاهرة،١٩٦٥، ص١٧.
(١٥) عبدالله يوسف الغنيم،البراكين والحرات والحمأت في التراث العربي الإسلامي، رسائل جغرافيه،الجمعية الجغرافية الكويتية/قسم الجغرافية/جامعة الكويت، ١٩٨٨، ص١٥.
(١٦) محمد سامي عسل،الجغرافية الطبيعية،مكتبة الانجلو المصرية/ القاهرة، ١٩٨٤،ص٦٢.

(١٧) حمودي عدنان، رسالة الخليج، مصدر سابق، ص١٢٤.
(١٨) أخوان الصفا، مصدر سابق،ص٧٥-٨٥.
(١٩) أخوان الصفا، مصدر سابق،ج٢،الرساله١٨، ص٩٢.
(٢٠) فاروق صنع الله، مصدر سابق،ص١٨.
(٢١) حمود عدنان، رسالة الخليج مصدر سابق، ص١٢٥.
(٢٢) المسعودي،التنبه والإشراف، المكتبة العصرية،بغداد،١٩٣٨،ص٦١.
(٢٣) يوسف عبدالمجيد فايد، جغرافية السطح،دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٢، ص٩١.
(٢٤) محمد عباس حسن، مناهج البحث العلمي عند العرب المسلمين في حقول الجغرافية الطبيعية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١ ص٨٧.
(٢٥) أخوان الصفا، مصدر سابق، ص ٧٣-٧٤ .
(٢٦) سري محمود، الفكر الجغرافي عند البيروني، مصدر سابق، ص٢٦٧.
(٢٧) مطهر ابن طاهر المقدسي،كتاب البدء في التاريخ، الجزء الثاني، نشر كلمان باريس،١٩١١، ص٣٠-٣٢.
(٢٨) باتريك مكولا،مصدر سابق،ص٣٦.
(٢٩) حسن رمضان سلامة،أصول الجيمورفولوجيا، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، عمان،٢٠٠٤، ص٤٤٦.
(٣٠) ماكس ديروو، تعريب عبد الرحمن حميدة، مبادئ الجيمورفولوجيا، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٧، ص٢٢٣.
(٣١) أخوان الصفا، مصدر سابق، ص٩٣-٩٤.
(٣٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص٩٧.
(٣٣) محمد عباس حسن، مصدر سابق ص٨٧.
(٣٤) حسن رمضان سلامة،مصدر سابق، ص ٣٥.
(٣٥) آرثر– ن– ستريلر، ترجمة وفيق الخشاب، عبد الوهاب الدباغ، إشكال سطح الأرض، مطبعة دار الزمان– بغداد، ١٩٦٤ ص ١٠.

مسح اصناف التربة والوحدات الارضية لتقييم القابلية الانتاجية لحوض خاصة جاي

د.احمـد محمـد صـالح العـزي
جامعة كركوك / كلية التربيـة

مُقَدِّمَة

تعد عمليات المسح الجيو– بيئي كأحدى الانماط الحديثة المستخدمة في الجيمورفولوجيا التطبيقية حيث تستخدم للتعرف على الموهلات تمهيدا لوضع خطط تنموية لاية منطقة.اذ ليس من السهل وضع خطط كاملة للارض ومعرفة استخداماتها المستقبلية مالم نعرف ماهية الارض، كما ان المعرفة الكاملة واجراء المسح التكاملي يحتاج الى معرفة علمية كاملة ومعلومات اولية وحقلية .

يتطلب تصنيف الارض اعداد خرائط مسح التربة ومعرفة خصائصها الطبيعية والكيميائية والفيزيائية والمورفولوجية والبيئية . اذ ان العلاقة الارتباطية بين خرائط التربة واشكال الارض ناشئ بسبب اعتمادها على تصنيف نفس العوامل المسيطرة على نشوء وتوزيع مختلف الترب . وكذلك تعريف نظام الأرض. شكل الأرض . التربة . والنباتات . عمليا شكل الارض هو الغالب على الخارطة وهي المظهر التقريبي للارض ويمكن تصنيفها الى وحدات ذات طابع هندسي وتعطي امكانية قياس وتفسير كل الوحدات المختلفة ومن خلالها يمكن وضع مخطط توضيحي يبين درجة قابلية الوحدات الأرضية الإنتاجية وجدول لوصف تلك الوحدات بأجزائها الطوبوغرافية والتربة واستخدام الارض والنبات والمتغيرات البيئية. فهو علم تطبيقي يعني بتقييم وتقدير الارض وفق مفهوم قابلة وملائمة الارض . ولاجل ذلك تبرز

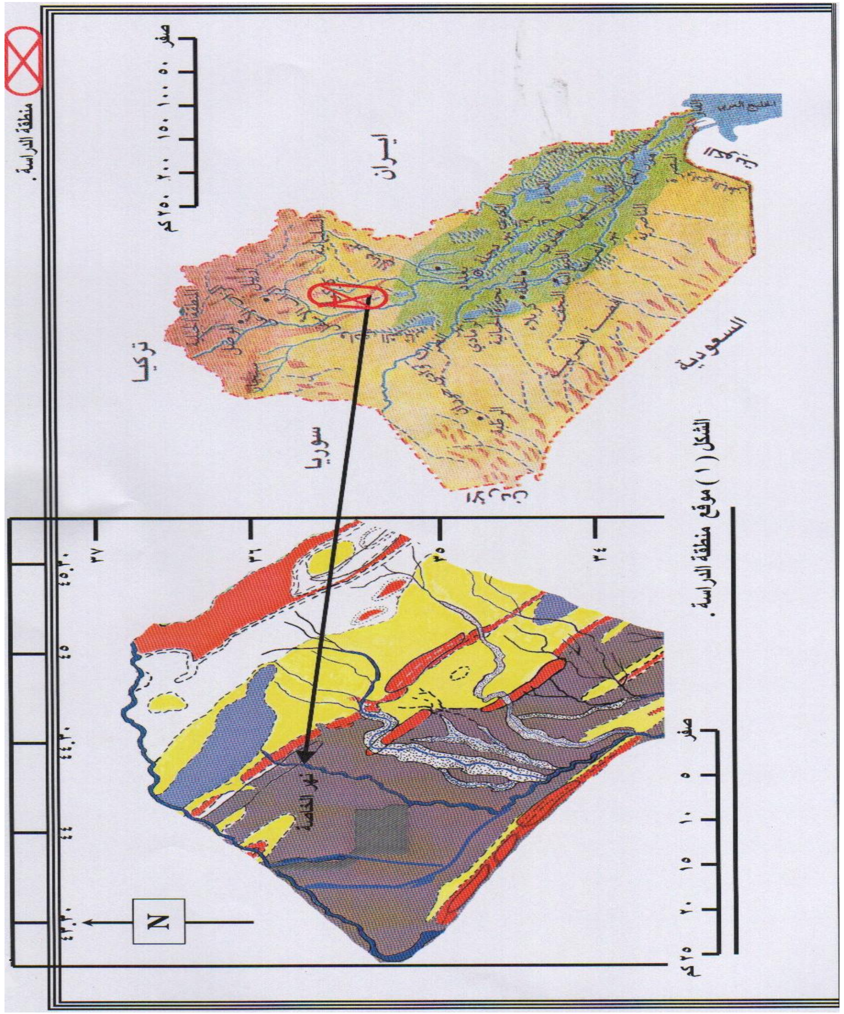
اهمية اعداد خارطة جيومورفولوجية التي تعد وسيلة مهمة لتقييم الارض . نظرا للمعلومات المفصلة التي تتظمنها عن سطح الارض .

بتطور التقنيات الجيومورفولوجية نتوصل لدقة تقييم الاراضي الطبيعية شكلا ومظهرا ويمكن اجراء مسح للموارد الطبيعية ومظهر الارض على شكل خرائط ومن ثم اجراء تقييم للموارد الطبيعية فأن وجدت وحده من الارض بأنها جيدة لنمو الفاكهة سوف يظهر امتداداً مشابهة للارض المناسبة لزراعة الفاكهة اما اذا ظهرت بأنها صخور جرداء او محززة فأن مخاطر مثل هذه، سوف يظهر من خلال الخارطة. تستخدم هذه الطريقة استقرائيا من خلال ظهور مساحات واسعة وصغيرة،ويمكن وصف نظام الارض تخطيطيا بواسطة (مخطط مظهر الارض) والذي يظهر العلاقة بين الانظمة الاخرى ووحدات الارض قد توصف بدقة بنفس المخطط والجدول المستخدم لتفسير وتبسيط سبل المعالجة ومن ثم تقدير الاستخدام الامثل للارض وبما ان الطريقة الاكثر فاعلية هي التقييس والتي اخذ بها وتم قياس الوحدات الارضية للوصول الى المقارنة العددية .

ان شكل الارض يمكن ان يستوفى بدقة اما من الخرائط الطوبوغرافية والصور الجوية ولكن يبقى العمل الحقلي (ميدان تقييم الحقائق العلمية) اذ ان معرفة اهم متغير يكون ابسط أجزاء مظهر الارض يمكن ان تعرف وترسم ومن ثم تتكتل لتكون نموذج من الارض .

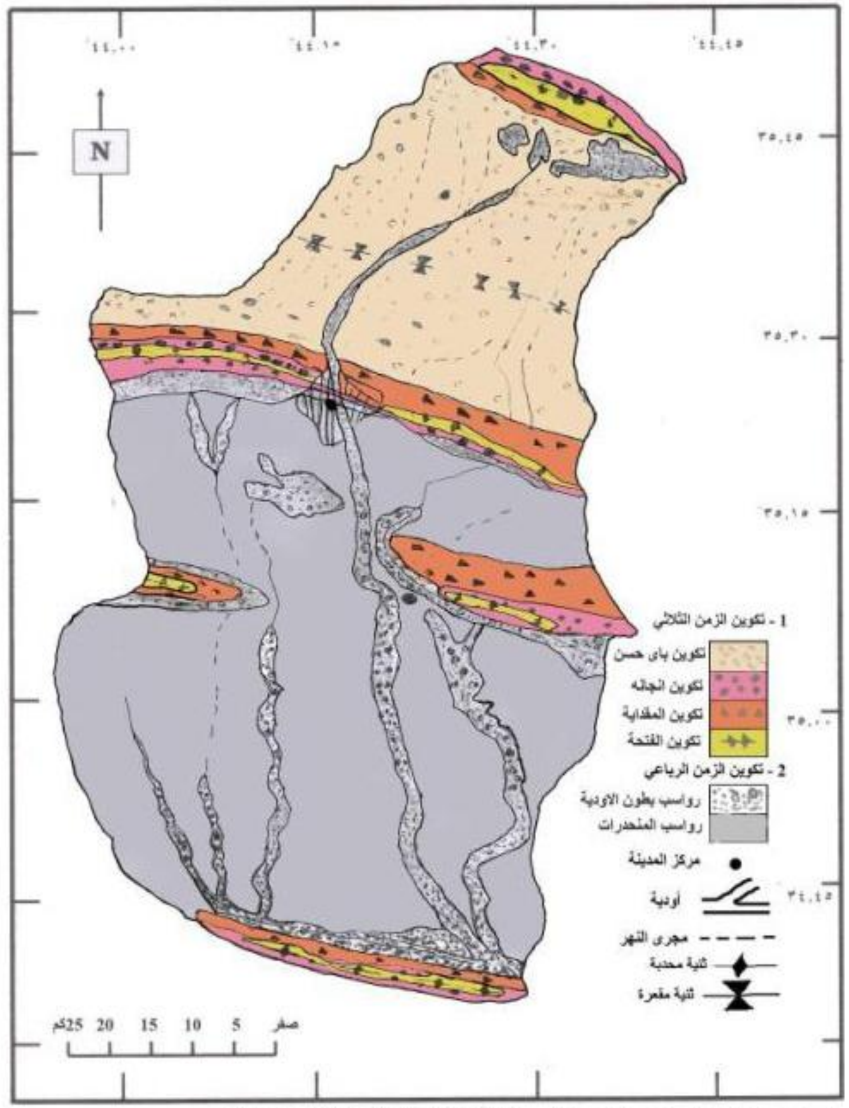
وتهدف الدراسة الى :–

1– ابراز المناطق التي يتوقع حدوث مشاكل فيها تؤثر في تحديد الاستثمار الامثل للارض.
2– ما هي الاستخدامات الاخرى الممكن استغلال الارض لها .
3– تحديد المشروع الملائم والمناسب مع صفات الارض .



المصد: خارطة حوض العظيم محورة من الخارطة البنيوية لمنطقة الدراسة والارضي المجاورة لها مقياس 1/ 250000. وخارطة اقسام سطح العراق مقياس 1/ 500000.

الشكل (2) الخارطة الخارطة البنيوية لحوض خاصة جاي



المصدر : مديرية المسح الجيولوجي و التحري المعدني - خارطة العراق البنيوية مقياس 25000/1 بغداد 1985

اولاً- سمات البنية الأرضية :

تعد البنية الأرضية احد ابرز العوامل المتحكمة في تشكيل مظهر الأرض . وهي احد الخصائص الطبيعية التي ترتكز عليها الأسس الأولية للدراسات الجيمورفولوجيه لكونها ألأساس المادي الذي تعتمد علية، فمن خلالها يتم التعرف على التغيرات الجيمورفولوجيه . المرافقة للتطورات البيئة عبر ألزمن[1].

1- تكوين الزمن الثلاثي :

تتميز منطقة الدراسة بوجود مجموعة من الصخور الرسوبية المتكونة من ترسبات منقولة موادها ومتصلبة بواسطة لاصق طبيعي أو بفعل قوة كاسبة أو أي عملية ميكانيكية أخرى، وعلى شكل مفتتات صخرية والتي تتكون من تجمع أجزاء مشتقة من صخور أخرى. تتباين في النوع والعمر والصفة ودرجة قابليتها لمقاومة العوامل الجيمورفولوجيه ومن خلال الشكل (2) تظهر صخور تكاوين الزمن الثلاثي في منطقة الدراسة وعلى الأغلب من والجركس والكوليش . والمقدادية وبأي حسن . وانجانه والفتحة .ويتضح من خلال الشكل (2) يتواجد تكوين الكولش في طية كورمور متداخلة مع تكوين أجدالة المتكون بشكل رتب من الصخور (جيرية وغرينيه رملية) ذات ألوان رمادية مخضرة وتمتاز بالسلكتة العالية. يتحول إلى حجر مرصوص أوالى حجر طيني في مواضع أخرى مكونة من معادن سلكية المرو –الصوان – والفلدسبار [2].

يتواجد تكوين انجانة في منطقه الدراسة إلا أن الصفة الغالبة لهذا التكوين هي طبيعته المهشمة، المؤلف من الصخور الرملية تكون ذات ألوان حمراء أو بنفسجية تتعاقب ويتخلل طبقاتها أحجار غرينية وطفل . وان هذه الاخيره أكثر تركيزا قرب القاعدة . وتكون الصفة الغالبة لهذا التكوين هو ضعف المقاومة للعوامل الجيومورفولوجية ومن الأسباب التي تقلل من مقاومتها هي تخلل طبقات رقيقه غرينه

وطينية . ويكون تركيزها قربا للقاعدة وتزداد خشونة جسيماتها كلما اتجهنا نحو الأعلى . كما يتبين من خلال الزيارة الحقلية تواجدها بهيئة كتلية تفصل طبقه عن أخرى بشقوق أفقية تملاها محاليل وطبقات من الغرين، كما توجد فيها العديد من الشقوق العمودية يتواجد تكوين المقدادية في منطقة الدراسة والمتآلف من عدة أنواع من الصخور منها طولية بنية تتعاقب مع صخور رملية ناعمة وتتميز الصخور الرملية بمسامية عالية لذا تعد مصدر للمياه الجوفية ونفاذيتها تسمح بتصريف داخلي أكثر من الجريان السطحي فضلا عن ذلك أن الشقوق والصدوع تتفاوت في نفاذيتها ومساحتها وقد ظهر لنا أثناء الزيارة الحقلية أن الطبقات السطحية لهذه الصخور متاثره بكثافة الشقوق المتباينة في الأطوار والاتساع باتجاهات عده مما جعلها عرضه للسقوط لتوالي عمليات التجويه وتركت بالأسفل بهيئة رواسب سطحية من الكتل الرملية الكبيرة تحيطها مفتتات رملية بإحجام صغيره وسميكة ناتجة عن تحطم هذه الكتل أثناء تحركها تنتشر هذه الظاهرة على السفوح المواجه للعوامل الجوية وخاصة الجنوبية الغربية منها وكما تظهر في الشكل (2) تحتوي على الكثير من الحصى على أنواع مختلفة جدا وعلى أحجام وألوان مختلفة ايظا يظهر تكوين باي حسن في منطقة جنبور و كورمور وسلسلة حمرين المطلة على نهر زغيتون سلسلة من المدملكات والصخور الطفلية والاحجار الرملية . تؤلف رسوبيات باي حسن الجروف البارزة والمتوازية من الصخور الرملية تتعاقب مع وديان صغيره تكونت في الصخور الطفلية الهشة تابعة لتكوين الفتحة . ويطابق هذا حدوث كتل مدملكة في الأمكنة التي يوجد فيها صخور طفل وغالبا ما تتغير نسبة المدملكات إلى الطفليات تغيرا جسيما فمثلا ماتم مشاهدته خلال الزيارة الحقلية، ظهرت مدملكات عديدة في أعالي حوض خاصة . تتألف هذه المدملكات من حصى تشبه بطبيعتها حصى المقدادية ولكنها اكبر نوعا ما حتى ليبلغ بعضها قطرا طوله (8–10) انج [3].

2- **تكاوين العصر الرباعي** :

أن اغلب هذه الرواسب تشتمل على طمى وحصى ومفتتات صخرية تفتت موادها من صخور أخرى بأحجام مختلفة ملئت المنخفضات وبطون الاودية ومناطق القدمات إذ تتألف بشكل أساسي من الحصى المشتق من تكوين المقدادية وبأي حسن في حين يشكل الطمى والرمل بأقطارها المختلفة التي اشتقت من تكوينات مختلفة ولا سميا الكولش والجركس، انجانة، المقدادية . وعند الرجوع إلى الشكل (2) يتبين أن الرواسب هذه تشغل بطون الأودية ومصباتها وعلى طول المجاري النهرية لهذا الحوض وكذلك على الاكتاف المرتفعة للنهر أو ما يسمى بالمصاطب النهرية ورواسب السهل الفيضي وكذلك السهل ألتجميعي . كسهل ليلان والحويجه والرشاد . حيث أن الغطاء الطموي لهذه السهول قد غطى بعض التجعدات الطينية . وتتشكل من الطين والغرين والرمل . ويكون سطحها مستوي وقليل الانحدار.

ثانياً- الجيومور فولوجيا:

تتطلب مهام تصنيف الوحدات الأرضية إعداد خارطة جيومور فولوجية التي تعد أساسا للبحث الجيومور فولوجي، إذ أنها تقدم عرضا للعلاقات المكانية والمعلومات ألنظامية والتباين الحاصل على سطح الأرض فتتولد بالتالي إن الأرض يمكن تصنيفها اعتماداعلى جملة متغيرات (البيئة – العمليات – المرحلة الزمنية – الو ضيفة المكانية) فمن خلالها يتم عزل وحدات متشابه تختلف عما جاورها من وحدات أخرى .

عند ملاحظة الشكل (2) نلاحظ إن المنطقة يسود فيها نظام الطيات المحدبة المتمثلة بطية كورمور. وجنبور وحمرين ويسودها نظام هضبي صخري في أعالي الحوض مقطع والبعض منه شديد التقطع (محزز) وكذلك طيه مقعرة محصورة بين سلسلة كورمور وجنبور. المتمثلة بسهل ليلان ألتجمعي وطيه مقعرة تنحصر بين

سلسلتي كورمور وجنبور من جهة وسلسلة حمرين من جهة أخرى والمتمثلة بسهل كركوك والحويجه والرشاد ومن خلال الخارطة البنيوية شكل (2) مجموعهما يشكل مروحة فيضية ضخمه مشكلة سهل تجميعي واسع يتخللها العديد من الأنهار والوديان ومن أشهرها نهر خاصة جاي الذي يعد المجرى الأساس لبقيه الروافد التي تلتقي معه والمتمثلة بنهر كور داره ونهر زغيتون ونهر ملا عبد الله ووادي النفط وسن الفيل وبالتالي يعد احد أهم الرافد المشكلة لنهر العظيم . تتكون كتوف الأنهار بشكل واضح عند المجاري السفلى السهول الفيضية الواطئة معرضة للفيضان، إما السهول المرتفعة فهي أكثر استقرارا تتأثر بفيضان موسمي . تظهر مدرجات سهول فيضية في الأقسام السفلى للأنهار نوع التصريف شجري وعلى سفوح المنحدرات متوازي ومن الملفت للنظر أن الأجزاء السفلى الممتدة أسفل ناحية الرشاد تتقطع بشبكة كثيفة من الأودية وذات صفة مساحية تتصف بصفة الأراضي الاخدوديه . نعتقد إن ذلك تكون بسبب نشاط التعرية المائية واستجابة الصخور لها.

ثالثاً- تصنيف الترب ودرجة قابليتها:

1- **تربة بنية محمرة ذات سمك عميق** :

يتوقف لون التربة على ما يدخل في تركيبها من مواد معدنية او عضوية فل الترابات البنية والحمراء تكتسب لونها هذا من اكاسيد الحديد التي تحويها ومن اسمها تتكون من مزيج من التربة البنية (brown soils) والتربة الحمراء (terrarosa soils وتعرف احيانا بترب منطقة البحر المتوسط . تتميز الأولى من اسمها بلون بني واضح العمق 30 سم تقريباً ثم يتحول إلى رمادي حتى أفقر التجمعات الكلسية. تفاعلها قاعدي ومناخها رطب شتاءً وجاف صيفاً أما النبات الطبيعي فيها فأنه خليط اعشاب قصيرة وطويلة لذا فأن المادة العضوية في هذه الترب تتراوح بين 0.8 % من الافق الاعلى منها . واغلب هذه الترب تتوزع في المناطق الواقعة بين كركوك وأربيل

والموصل وتلعفر وزاخو، اغلب مكوناتها من المواد الكلسية و مناخ منطقتها يتميز بشتاء معتدل امطاره تتراوح بين (400 . 600) ملم وموسم جفاف قصير في الصيف لون هذه الترب احمر ومساحتها في العراق قليلة جداً ومنها بمدينة كركوك [4] . ويعد هذا النوع من الترب من الصنف الأول اذ تعد احسن الأراضي الزراعية فهذه التربة عميقة وصرفها جيد وسطحها مستوي . أما خصائصها الكيميائية والفيزيائية فهي ملائمة لنموالنباتات جميعاً لذا فهي تصلح لجميع المحاصيل الزراعية والخضراوات والبساتين كما أنها تخلو من مشاكل محدودة للزراعة وتشغل هذة النسبة من الأراضي اغلب الاقليم السهلي لحوض خاصة جاي وتقدر مساحتها (1314) كم2 وتشكل نسبة مئوية قدرها (27.95 %) من مساحة الحوض الكلية. ويتضح من الشكل (3) والجدول (1) توزيعها المكاني ونسب تشكلها.

2- **تربة الليثو سول مع الجبس والكلس** :

يعد هذا النوع من التربة من الترب المزيجية ويتكون من ثلاثة انواع من الترب هي تربة الحجر الليثوسولية (lithosols) مع تربة كلسية (calcareous soils) حيث تكون الاولى حديثة التكوين جدا افقها الاعلى ضعيف التكوين وينعدم فيها الافق (B) عمقها ضحل[5]. وتظهر مادة الام بعد الافق الاعلى مباشرة على هيئة مواد ارضية قليلة التفكك وهي عادة اما صخر الكلس او الجيبسوم – كبريتات الكلس المتبلورة . اما مناطق وجود هذه الترب بشكل عام فهي تتواجد على منحدرات المناطق الشمالية المتاخمة للمنطقة الجبلية العراقية ونباتها الطبيعي اشجار سطحية الجذور ومناخهاmماثل لمناخ الترب الكستنائية في العراق . اساس المزجة الثانية في التربة تحتوي على كمية من كاربونات الكالسيوم وغالبا مع كاربونات المنغنيسيوم تتفاعل بوضوح عندما تعامل بحامض الهايدروكلوريك . تفاعلها قاعدي بسبب وجود كاربونات الكالسيوم الحرة والنوع الثالث من الترب الجبسية بصورة عامة فقيرة بمحتواها من العناصر الغذائية الضرورية ويعزى ذلك الى سيادة المعادن المتميزة بانخفاض سعتها

التبادلية للايونات معدن الا توبوكايت ولهذا فان تسميد هذه التربة كما أثبتت التجارب يعطي نتائج افضل عند زراعتها وتعد نسبة الجبس وعمق الافق الجبسي من العوامل المهمة المؤثرة على نمو النبات والمحدودية الانتاجية لمعظم المحاصيل[6] . تنتشر هذه التربة في منطقة الدراسة في مناطق متفرقة في أعالي الحوض ووسطه حسب ما يظهر في الخريطة(3) و شكلت مساحة قدرها (219) كم2. وبنسبة قدره (0.039%) من مساحة الحوض الكلية

3- **تربة بنية محمرة ذات سمك قليل** :

ان التربة البنية المحمرة (reddish brown soils) تتميز بلون بني محمر في معظم اجزاء التربة والوان هذا اللون يغمق قليلا مع العمق . تفاعلها قاعدي ومناخها يتصف بالحرارة الشديدة والجفاف صيفا مع معدل امطار سنوي يتراوح بين (200 – 400) ملم اما نباتها الطبيعي من نوع حشائش قصيرة معمرة مع شجيرات المادة العضوية . تنخفض فيها الفعاليات الحيوية والتجوية الكيميائية وبهذا تعتبر الطابع المميز لمعظم الترب المحدودة الامطار . وتتوزع بشكل عام في العراق جنوب كركوك بين خانقين وبيجي[7] . وتشكل من حوض خاصة جاي مساحة قدرها (117) كم2 وبنسبة قدرها (0.1 %) وكما تظهر في الشكل (3) والجدول(1).

4- **اراضي وعرة مشققة صخرية** :

يقصد بالاراضي الوعرة نوع من الطوبوغرافية التي تتعرض معالمها لتغييرات اساسية بفعل عوامل التعرية المائية الجدولية والقنوية التي تمارس اقصى نشاطها اثر حدوث زيادة طارئة في الجريان المائي . ويعود ذلك الى ضعف مواد هذه الاراضي التي في الغالب تكون عبارة عن رواسب هشة وغير متماسكة. ويتحول السطح نتيجة لذلك الى سلسلة من الاقنية المتعمقة والروابي صغيرة الحجم حادة الزوايا والمسلات الرفيعة والاعمدة الترابية غير المنظمة [8].

تعاني هذه الاراضي من مشاكل الانحدار الشديد والتعرية الشديدة جدا ووعورة الارض مما جعلها ان تكون اقل صلاحية لاغراض الانتاج الزراعي بانواعه اذ انها

تصلح لاغراض زراعة الغابات والمراعي في بعض المواقع الصغيرة منها وافضل استخدام لهذه الترب هو الاستفادة منها في اغراض تنظيم الاحياء البرية والسياحة ويتبين من الشكل (3) والجدول(1) انها تتوزع في اعالي الحوض ووسطه وشكلت مساحة قدرها (864) كم2 وبنسبة قدرها (18.38%) .

5- **اراضي اخدودية** :

تتشكل هذه الاراضي بسبب النشاط المتسارع للمجاري المائية من جهة واستجابة البنية الارضية من جهة اخرى . بسبب تكويناتها الهشة حتى ان المسيلات المائية تتطور باستمرار الى اخاديد عميقة مما جعل تربتها ان تتصف بهذا الاسم وهي تصلح لجميع انواع الزراعة بعد اجراء الاصلاحات وصيانة التربة وتصنف من الصنف الثالث من الترب الجدول (2) ويتبين من الشكل (3) والجدول (1) انها تتوزع في نهاية الاقليم السهلي من حوض خاصة جاي وبمساحة قدرها (1035) كم2 وشكلت نسبة قدرها (22.02%) من مساحة الحوض الكلية .

6- **أراضي رديئة مشققة** :

اذ تبين من خلال الزيارة الحقلية تتشكل هذه الاراضي من الترب الكلسية شبه الجرداء من النباتات بسبب ضحالة التربة وكثرة التشققات والحزوز الموجودة فيها مما جعلها عرضةً للتعرية باستمرار وتصنف من النوع الثامن من مستوى قابلية الترب الجدول (3) يتبين من الشكل (3) والجدول(1) قدر مساحتها (117) كم2 شكلت نسبة مئوية (2.49%) من مساحة الحوض الكلية .

7- **تربة ظفاف الانهار (ترب السهول الفيضية)** :

تنتشر هذه الترب على طول اودية الانهار الفيضية لذا انها تكون فيضية متجددة الشباب والخصوبة بما يترسب عليها من ارسابات في مواسم الفيضان وهذه الترابات تعتبر من اخصب الترابات في العالم . وتكتسب الترابات الفيضية خصائصها المميزة الى حدكبير من المواد الاصلية التي اشتقت منها . ومن ثم فان قوامها يتفاوت من الرمل الى الطمى (السلت) الى الصلصال وقد تتفاوت في الون، ونظراً لان

الترابات الفيضية تتألف من ارسابات مشتقة من صخور عملت فيها عوامل التجوية لذا أنها مفككة نسبياً وسرعان ما تكتسب خصائص الترابات المرتبطة بنفس الضروف المناخية وهذا ما تم ملاحظته لتربة ضفاف الانهار التي تنتشر على طول الاودية المنتشر في حوض خاصة جاي وبكلمة اخرى هي عبارة عن شريط يمتد بمحاذات مجرى النهر وعلى العموم يتكون من الرواسب الناتجة عن مختلف عمليات الحت الرأسي والجانبي التي تنقلها الشبكة المائية من مساحة الحوض النهري بشكل عام والتي يرسبها النهر اثناء جريانه مع تناقص كل من الانحدار وسرعة الجريان وهذا ماتم ملاحظته ميدانياً، وبلغت مساحتها (27 كم2) وبنسة قدرها (**0.001**%) كما في الجدول (1) والشكل (3).

8- **تربة بنية ذات سمك متوسط**:

ان التربة البنية المحمرة (Redishbrown soils) تتميز بلون بني محمر في معظم اجزاء التربة والوان هذا اللون يعمق قليلا مع العمر . تفاعلها قاعدي ومناخها يتصف بالحرارة الشديدة والجفاف صيفاً مع معدل امطار سنوي يتراوح بين (200–400) ملم اما نباتها الطبيعي من نوع الحشائش القصيرة والمعمرة مع شجيرات المادة العضوية .

تنخفض فيها الفعاليات الحيوية والجوية الكيميائية وبهذا تعتبر طابع مميز لمعظم الترب المحدودة الامطار [(9)] ويتوزع بشكل عام في العراق جنوب كركوك بين خانقين وبيجي . تتوزع في حوض منطقة الدراسة وكما تظهر في الشكل (3) وبموجب الجدول رقم (1). وقدر مساحتها في حوض خاصة جاي(1008) كم^2 وبنسبة قدرها (21،44%) من مساحة الحوض الكلية .

الجدول (1) مسح وتوزيع الترب في حوض خاصة جاي

نوع التربة	حوض خاصة جاي	
	المساحة	النسبة المئوية

	كم2	
تربة بنية محمرة ذات سمك عميق	1314	27.95
تربة بنية محمرة ذات سمك قليل مغطاة بالحصى	117	2.49
أراضي وعرة مشققة صخرية	864	18.38
اراضي أخدودية	1035	22.02
تربة اليثوسول مع الجبس والكلس	219	4.66
اراضي رديئة مشققة	117	2.49
تربة ضفاف الانهار	27	0.57
تربة بنية ذات سمك متوسط	1008	21.44
المجموع	4701	%100

المصدر :عمل لباحث بالاعتماد على الشكل (3)

رابعاً- تحليل خصائص ترب المنطقة :

يمكن التعرف على انواع نسيج التربة اما بالفحص المرفولوجي بواسطة التحسس (اللمس باليد) او عن طريق قياس النسب المختلفة للرمل والطين والغرين في المختبر. بطريقة الهيدرو متر ويتم بواسطة هذه الطريقة فصل دقائق الترب المختلفة عن بعضها وتعني نسبتها الوزنية ومن ثم استخراج نسجة التربة بواسطة مثلث النسجة الذي يظهر جميع اصناف النسجة مع نسب مكوناتها من الرمل والطين والغرين وان الترب التي تكثر فيها ذرات الرمل الخشنة تتميز بنسيج خشن الملمس ويحس المرء بالخشونة فيها اذا مزج بين اصابعه هذا النوع بينما اذا كانت التربة تظم نسبة عالية

من الذرات الرملية الناعمة والذرات الطينية فأنها تكون تربة طينية غرينية ذات نسيج ناعم وتصنف نسجة التربة بعد ذلك الى عدة اصناف[10].

تم جلب عينات منتخبة لنموذج ارضي منتخب وفق تسلسله في الجدول (2) وحللت في مختبرمديرية زراعة كركوك ودونت في جدول منظم.

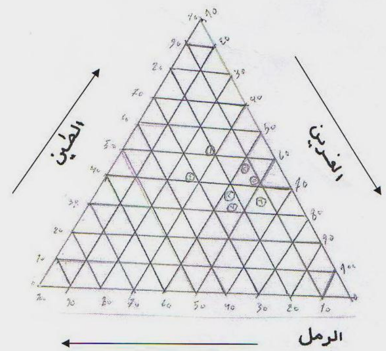
يظهر من الجدول (2) ومثلث النسجة إن ترب المنطقة طينية غرينية لوميه تسود في المنطقة الهضبية الجبلية وذات سمك قليل إلى متوسط تتركز فوق تكوين باي حسن و المقدادية. ويبد ومن نسجتها على أنها مشتقة من هذا التكوين الذي تنتشر فوقها مفتتات من الحصى بمختلف الإحجام . ويزداد سمك هذه الترب في المنطقة السهلية حتى يتحول إلى لون بني احمر . وتعتبر هذه الترب من الصنف الأول والثاني من أنواع الترب، ويمكن تحويلها إلى أراضي أروائية كما إن الجدول (2) يظهر نسبة الحامضة فيها معتدل، تصلح لمختلف المحاصيل الزراعية التي قد تتأثر بالملوحة لقلة انحدار الأرض . وارتفاع معدل ترشيحها الذي يبلغ مابين (2–6) سم /ساعة (10) كذلك توجد في منطقة الدراسة ترب فيضية حديثة تتوزع على الجوانب المحدبة للمجاري الأساسية وكما يظهر في الشكل (2) ولوحظ حقليا ومن ملاحظة الجدول يتبين إن نسبة الملوحة ترتفع في الأودية الضامرة لكونها منطقة منخفضة تتسحب الملوحة من مناطق أكتافها المروية . قد يعود السبب إلى السقي الغير منتظم وعدم صيانة مجاريها المطمورة بالرواسب كذلك تتسم بشكل عام بقلة المادة العضوية لضعف الغطاء النباتي كون المنطقة ذات مناخ جاف وشبة جاف وازداد في العقد الأخير تكرار السنين الجافة مما جعلها ايظا تتصف بالتربة القلوية حيث إن الأس الهدروجيني (التفاعل الكيميائي) عند ما يشير بين (1–6) فأنة يعني إن التربة حامضة، إما اذا كان من (8–14) فهذا يعني أن التربة قاعدية[11] حيث يشيرذلك في المنطقة .

جدول (2) تحليل خصائص بعض ترب المنطقة الفيزيائية والكيميائية

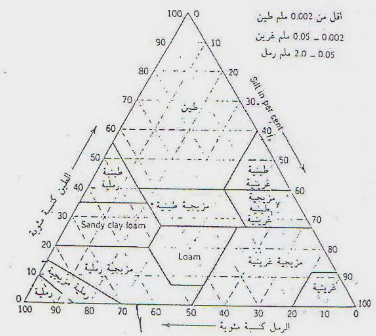
المنطقة الجبلية والهضبية	EC	PH	المادة العضوية	نسجة التربة	النسبة المئوية

			%		طين	رمل	غرين
اراضي مزروعة ديما اراضي رعوية اراضي منحدرات	0.89 1.15 1.62	8.47 8.44 8.76	1.03 0.57 0.19	طينية غرينية طينية غرينية طينية غرينية	50 38 46.5	22 28 12.6	28 34 40.9
المناطق السهلية							
اراضي زراعية اروائية اراضي زراعية ديمية اراضي رعوية اراضي بطون اودية ظامرة	0.25 0.36 1.15 1.62	8.68 8.90 8.47 8.76	0.5 0.7 0.6 0.4	طينية غرنية لومية طينية غرنية لومية طينية غرنية لومية طينية غرنية لومية	0.42 0.44 0.31 0.36	0.3 0.18 0.13 0.16	0.28 0.38 0.56 0.48

المصدر عمل الباحث ثم اخذ عينات من مناطق منتجة وتحليلها في مختبر مديؤية زراعة كركوك



تصنيف ترب منطقة الدراسة أعتمادا على الجدول رقم (٢) وتم تقريب الأرقام



شكل رقم (٢) مثلث تصنيف النسجة لوزارة الزراعة الأمريكية
Redrawn from U.S Bur. Plant Ind . Soils and Agr .Eng, 1951

جدول رقم (٣) مسح اصناف الوحدات الجيو بيئية

ت	الوحدات الجيوبيئية	المساحة بـ (كم٢)	النسبة المئوية ٪	مراتب استعمال الاراضي حسب قدراتها الانتاجية
١	اراضي المرتفعات وسلاسل الجبال الحواف	١٤٦	٣.١٠	٨
٢	اراضي تعرية الاحدوثات	٢١٩	٤.٧	٥
٣	اراضي هضبة صخرية مشققة	٨٦٤	١٨.٣٧	٦
٤	اراضي حصوية مشققة (رواسب المنحدرات)	١٦١	٣.٤٢	٤
٥	اراضي السهل التجميعي	٢١٦٧	٤٦.٠٩	٢
٦	اراضي بطون الاودية	٨٢	١.٧٤	٧
٧	اراضي اخدودية	١٠٣٥	٢٢.٠١	٣
٨	اراضي السهل الفيضي	٢٧	٠.٥٧	١
	المجمـــــوع	٤٧٠١	١٠٠ %	

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على الشكل رقم (٤)

تحليل النظم الأرضية لمنطقة الدراسة

ت	الوحدة الجيوبيئية	مساحة بـ (كم٢)	شكل سطح الأرض	نوع التربة	الغطاء النباتي
١	اراضي حصوية مشققة ورواسب منحدرات	١٦١	تتوزع حول السلاسل الجبلية ,تبدو وكنها مجموعة من المراوح المتلاصقة .كونتها الاودية الموسمية الجريان .والمتمثلة بالرواسب عند تدفقها من المرتفعات عبر خوانق صغيرة ضيقة بأتجاه السهول ذات طابع حصوي وتصنف من الصنف الرابع وتشكل نسبة قدرها ٣.٤٢% من مساحة الحوض الكلية	طينية –غرينية قاعدية	ذات حشائش قصيرة موسمية تنتشر الزراعة الديمية في مناطق متفرقة منها وهي اراضي رعوية جيدة
٢	أراضي سهول فيضية نهرية	٢٧	سهول فيضية ومنخفضات تغمرها مياه الفيضان في اغلب الأحيان ، وتظهر فيها بعض العيون ذات انهار منخفضة تتخللها تضاريس هنا وهناك كونتها عوامل التعرية صنفت من الصنف الاول لتقييم الاراضي شكلت نسبة قدرها ٠.٥٧%	طينية–غرينية والمادة المكونة لها منقولة بمياه الفيضانات	ذات زراعة متنوعة وأشجار طويلة في بعض الأماكن هنا وهناك
٣	أراضي المرتفعات وسلاسل الحواف والهضاب المعرات	١٤٦	تتكون من حافات الكويستات ظهور الخنازير والحواجز تبلغ درجة ميل الطبقات الصخرية لظهورها اقل من ٣٥° في حين تزداد أكثر من ذلك لكل من ظهور الخنازير والحواجز بشكل متعاقب فعلى سبيل المثال يبلغ ميل الطبقات في الجناح الجنوبي مابين ٢٥-٦٠ ° في حين يتراوح جناحها الشمالي مابين ١٢-٣٢ ° (والحالة نفسها في بقية الطيات وهذا يعني تركز حافات الكوستات في الأطراف الشمالية من الطيات المحدبة ، وتتواجد ظهور الخنازير والحواجز في الأطراف الجنوبية .أما الهضاب المعرات تنتشر في أعلى السلاسل التلالية والجبلية أو تأخذ أحيانا أشكال طولية متفقة مع اتجاه هذه السلاسل وتصنف من الصنف الثامن لتقييم الأراضي شكلت نسبة ٣.١٠% من مساحة الحوض	طينية غرينية	لاتصلح للزراعة .تشكل مراعي متباينة . تصلح للحياة البرية كونها توفر لها ملاذ ومأوى من الظروف المناخية والضغوط البشرية
٤	اراضي هضبية صخرية مشققة	٨٦٤	ذات طوبوغرافية متغيرة المعالم يتميز سطحها بسلسلة من الاقنية المتعمقة والرواسب الصغيرة الحجم تعاني من مشاكل الانحدارات الشديدة ووعورة الارض تصنف من الصنف السادس شكلت نسبة قدرها ١٨.٣٧% .	طينية غرينية قاعدية تنتشر فوقها الغطاءات الحصوية	حشائش واعشاب ارض رعوية لكثرة الشعاب والاخاديد متدهورة لاستمرار الرعي فيها تنتشر زراعة ديمية فيها في بعض اجزائها

٥	ارضي سهول بطون الأودية	٨٢	قنوات المجاري وحافاتها مغطات بالحصى والرمل ضيقة في معظمها وتتسع عند المصبات وتكثر فيها المنعطفات الطفيفة التقوس وتصنف من الصنف السابع من مستوى القابلية والملائمة للأراضي شكلت نسبة قدرها ١.٧٤% من مساحة الحوض الكلية .	طينية –غرينية رملية مغطاة بالحصى الخشن منقولة مع مياه الانهار	تكثر فيها أشجار طويلة الحلفة وادغال الغالب عليها خالي من النبات الطبيعي
٦	الاراضي الاخدودية	١٠٣٥	تقع الى الشمال الشرقي من سلسلة حمرين كما يتضح من الشكل (٤) تكثر فيها الاشكال الجيومورفولوجية متسببة عن عوامل التعرية المائية وتتصف المنطقة بطوبوغرافية الارض المتموجة تكثر فيها الانحدارات والشقوق الارضية وتلتقي عندها المجاري الاساسية للحوض شكلت نسبة قدرها ٢٢.١%	طينية غرينية لومية قاعدية	تصلح لجميع انواع الزراعة بعد اجراء الاصلاحات وصيانة التربة تنتشر فيها نباتات طبيعية منها حشائش قصيرة ويتبعثر في بعض اجزائها الشوك
٧	أراضي تعرية الاحدورات	٢١٩	منحدرات طفيفة الانحدار امتداداتها واسعة يتراوح انحدارها مابين ١–٨ % وهي بمثابة قدمات للسفوح المنحدرة بسبب تعرض الصخور الهشة المارل – الصخور الطينية والرملية . الى تعرية مائية تنتشر عليها غطاءات فتاتية رقيقة غير مستقرة من الرواسب وتصنف من المستوى الخامس من مستويات القابلية والملائمة حسب قدرتها الأنتاجية وشكلت نسبة قدرها٤.٧ % من مساحة الحوض الكلي .	تربة ضحلة رقيقة السمك وتنتشر فيها المفتتات الصخرية طينية – غرينية	غطاء نباتي مبعثر تصلح مراعي جيدة ويستغل البعض منها للزراعة
٨	أراضي السهول التجميعية	٢١٦٧	يقع هذا السهل بين سلسلتين كورمور وجمبور مكونة سهل ليلان الذي يقع جنوب شرق مدينة كركوك ويمتاز بتربة بنية مغطاة بحصى خفيف ويتصل بسهل كركوك الحويجة والرشاد وتازة الذي يقع على مروحة كركوك الضخمة تتصف بتربة بنية ذات سمك متوسط والبعض منها عميق المعالم الطوبغرافية فيها قليلة وبصورة عامة يتدرج الانحدار فيها من منحدر الى مستوي يتوفر الماء الجوفي فيها واقيمت بعض الكهاريز مثل كهريز يايجي وتازة وعموما المنطقة ترتفع من جهة الغرب تتجه باتجاه جنوب شرق ويتضح ذلك من اتجاه جريان الانهار شكلت نسبة قدرها٤٦.٩% من مساحة الحوض	طينية –غرينية لومية قاعدية	تصلح لجميع انواع الزراعة استغلت للزراعة الديمية والبعض منها اروائية عن طريق حفر الابار والارواء النهري ذات غطاء نباتي طبيعي يتصف بالحشائش القصيرة الفصلية والشوك والعاقول والصفير في البعض منها

مخطط (١) يوضح مراتب تصنيف الاراضي حسب قدرتها الانتاجية في حوض خاصة جاي

ت	الوحدات الجيوبينية	مراتب استعمال الأرض حسب قدرتها الإنتاجية	طبيعة الاستخدام حسب القدرة الإنتاجية: الحياة البرية	غابات	حشائش ومراعي محدودة	حشائش ومراعي متوسطة	حشائش ومراعي كثيفة	زراعة معتدلة	زراعة كثيفة	زراعة كثيفة جدا
١	أراضي السهول الفيضية النهرية	١	*	*	*	*	*	*	*	*
٢	أراضي السهول التجميعية	٢	*	*	*	*	*	*	*	
٣	أراضي اخدوديــــــة	٣	*	*	*	*	*	*		
٤	أراضي حصويـــــة مشققة ورواسب المنحدرات	٤	*	*	*	*	*			
٥	أراضي تعرية الاحدورات	٥	*	*	*	*				
٦	أراضي هضبية صخرية مشققــــة	٦	*	*	*					
٧	أراضي سهول بطون الأودية	٧	*	*						
٨	اراضي المرتفعات و سلا سل الحواف	٨	*							

* صالحة للاستعمال

أفكار هذا المخطط مستوحات من (I.T.C) الجزء السادس والتصنيف الأمريكي للاراضي والمسح الجيولوجي والتحري المعدني لأنواع الترب في حوض العظيم مع التوثيق الحقلي. انظركذلك.k.p.krishan eta (1981),p.p138.

الخاتمة:

اولاً الاستنتاجات

1- بلغت مساحة الحوض (4701) كم^2. صنفت الى وحدات أرضية أعتمادا على المتغير الجيومورفولوجي موزعة على ثمانية أصناف من مراتب أستعمال الأرض حسب قدرتها الأنتاجية وطبيعة الأستخدام وتبعا لذلك فأن مساحة الأصناف الواقعة ضمن هذه المراتب تتفاوت من حيث السعة والنسبة المئوية التي تشغلها في الحوض .

2- شكل الصنفين الأول والثاني من مستوى القابلية والملائمة لتقيم الأراضي مساحة قدرها (2194)كم^2 ومايعادل (46.66%) من مجموع مساحة الحوض الكلية تتصف بالسعة والأنحدار الخفيف وذات تعرية مائية خفيفة الغالب عليها غطائية مهدت لزحف التربة والمفتتات الصخرية لذا تعد من الوحدات البنائية ولخصائصها المميزة أصبحت ذات جذب سكاني تطورت فوقها المستقرات البشرية وأستثمرت بالنشاطاتالمختلفة وخاصة الزراعة.

3- بلغ الصنفين الثالث والرابع من مستوى القابلية والملائمة مساحة قدرها (1196)كم^2 ونسبة (25.43%) تتوزع بشكل مبعثر عند أقدام السلاسل الجبلية والمشارف التلالية والهضبية، تستثمر لاغراض الزراعة والرعي وتعاني من تدهور بيئي متوسط .

4- بلغت مساحة الصنفين الخامس والسادس من مستوى القابلية والملائمة لتقييم الأراضي مساحة قدرها (1083) كم^{2}وبنسبة (23.07%) تتوزع بأغلب أجزاء الحوض تتعرض لتعرية مائية شديدة ترتب عليها تشكيل شبكة كثيفة من الأودية وكثرة الحزوز فيها مما جعلها تتصف بغطاء نباتي خفيف وتعاني من تدهور بيئي شديد .

5- شكل الصنفين السابع والثامن من مستوى القابلية والملائمة مساحة قدرها (228) كم^{2}ونسبة (4.84%) تتشكل من الكوستات وظهور الخنازير وحواجز وهضاب

معرات وقنوات مجاري ذات حافات مغطات بالحصى والرمل مما جعلها تتصف بالتدهور البيئي الشديد جدا .

6-أن تضرس الأجزاء الكبيرة من الحوض ووعورتها أصبحت عامل جيومورفولوجية (وسيط طبيعي) لتسريع زيادة نشاط العمليات الجيومورفولوجية المتعلقة بالتعرية المائية والأشكال المرتبطة بها بتوسيع مساحة الأراضي الرعوية على حساب مساحة الأراضي الزراعية حيث شكلت الأراضي التي تعاني من تصحر شديد وفقيرة بغطائها النباتي مساحة قدرها (1472) كم^2 بنسبة (31.33%)

أما الأراضي ذات المستوى المرتفع من حيث القابلية والملائمة الأنتاجية بلغت (3229) كم^2 وبنسبة (68.67%) من المساحة الكلية للحوض.....

ثانياً : المقترحات

1- وضع خطه تنمويه زراعيه للأراضي السهليه من الحوض وأراضي تعرية الأحدورات لتنظيم الأستفادة من مياه الحوض بإستخدام طرق الري الحديثة واختيار التركيب المحصولي الملائم للارض . حيث أظهرت الدراسة بأنها ذات مستوى مرتفع من حيث القابليه والملائمه.

2- تبين من خلال الدراسة بان (1472) كم 2 وبنسبة قدرها 33،31 % من مساحة الحوض تعاني من التصحر الشديد وفقيرة بغطائها النباتي والتدهور ألبيئي يتطور وغياب دور ألآنسان الذي بإستطاعته التخفيف عن الاثار التدميرية عن طريق تقويم المنحدرات من اثار المياه المتساقطة والجارية والمحافظة على الارض من التعري من خلال مايلي:

1- انشاء خطوط عمودية على اتجاه الانحدار بعرض 20سم وعمق 15سم تساعد على زيادة ترشيح الماء وتقليل الانجراف في ألأراضي المنحدرة

2- انشاء مساطب تقام بوضع عمودي على اتجاه الانحدار غرضها زراعة الاشجار والنجيليات للتقليل من الانجراف .

3- آقامة سدود صغيره لأعتراض مسار الجريان المائي في الاخاديد المنحدره التي تساعد على تماسك التربه وحمايتها من تحرك مواردها.

4 – اقامة ندوات و برامج ثقافية زراعية – بيئية تهدف الى تغير نوعية الانسان وتعميق مفهومه البيئي.

المصادر :

(1) شركة نفط الشمال (شعبة الدراسات) دراسة حقل الانفال سنة 1992 ص 26

(2) النقيب :خورشيد محمد 1960 ملخص جيولوجية المنطقة الجنوبية (كركوك) مؤتمر البترول العربي الاول ص26.

(3) احمد محمد صالح العزي / دور العمليات الجيمورفولوجية في تشكيل المظهر الارضي لحوض طاووق جاي – نهر العظيم، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، كلية التربية، قسم الجغرافية، سنة 2000، ص 68 .

(4) هيلمونت كونكة وانستون بيرتراند / 1985، صيانة التربة، ترجمة ليث خليل إسماعيل، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل . ص 40 .

(5) عبد الله قاسم الفخري، الزراعة الجافة أسسها وعناصر استثمارها، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،1968 ص35 .

(6) عبد الله نجم العاني، مبادئ علم التربة، كلية الزراعة جامعة بغداد، ص53 .

(7) عبد الله قاسم الفخري، الزراعة الجافة أسسها وعناصر استثمارها ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1968، ص35.

(8) حسن رمضان سلامه، أصول الجيومورفولوجيا،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم الجغرافية، الجامعة الاردنية، 2004 ص242.

(9) عبدالله قاسم الفخري، مصدر سابق، ص35.

(10) حمد الله سليمان الدليمي، الترب الملحية والقلوية،من بحوث الدورة التدريبية في مجال ادارة الاراضي المستصلحة والمتملحة،بغداد المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1960، ص 33.

(11) المديرية العامة للمسح الجوي، خاريطة الطوبوغرافية مقياس 100000/1 .

(12) مديرية المسح الجيلوجي والتحري المعدني خارطة جيلوجية مقياس 250000/1.

(13) مديرية المسح الجيلوجي والتحري المعدني خارطة رقم (2) أنواع التربة في منطقة حوض نهر العظيم وروافده ، مقياس 250000/1 والتوثيق الحقلي.

المصادر الأجنبية:

(1) K.P.krishan et. Al (1981|) ،soil Investigations of .Kirkuk Adhaim.Irrrigtion Project .(see Stage)،state ،organization for. land. regulation general Establishment for .design،PP.32،84 .

(2) p.Buring (1960)،Soil and soil conditions in iraq exploratory soil map scale 1/500000 Baghdad .

(3) I.T.C. ، <Terain Analysis and Classification using Aeril photographs ، VOL . 6 . ، Netherlands.

الوصف الجغرافي عند المقدسي
في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

م. سحاب خليفة السامرائي

كلية التربية/ سامراء

مُقَدِّمَة

كثيرا ما يتردد على مسامعنا إن عالمنا صغير وأصبح قرية صغيرة كما يقال، هذا صحيح بالنسبة لعالم اليوم فنستطيع أن نجوب أرضنا بوسائل ووسائط النقل الحديثة. أما أرضنا فقد كانت شاسعة الإبعاد بالنسبة لأولئكَ الذين كانوا على ظهرها في العصور الغابرة، إلا إنهم رغبوا في التعرف على الأرض التي يقطنون والسماء التي تحتها يسيرون(وبالنجم هم يهتدون) فمنذ أن ظهر الإنسان على وجه الأرض أُغرم بحب الاكتشافات ولكنه وجد في بداية الأمر صعوبات جمة اضطرته إلى النضال مراراً ضد قوى الطبيعة فكان البحث عن الغذاء والتبادل التجاري ومن ثم ظهرت الدوافع السياسية والدينية. لذا فقد كانت المحاولات الأولى لوصف الأرض أو وصف أجزاء منها غير مستندة إلى المشاهدة بل كانت معلومات استقاها الرواة ممن سبقهم.

وجاء الإسلام ليأمر الإنسان بالسير في الأرض وطلب العلم ففي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بلغت الحضارة العربية الإسلامية شأناً كبيراً في مضمار التقدم والازدهار في شتى ميادين المعرفة ومنها ميدان البحوث الجغرافية فنمت في هذا العصر البحوث العلمية وتقدمت محاولة الكشف عن الحقائق في كل حقل من حقول المعرفة.

فمع بلوغ الأدب الجغرافي ذروته طالعنا المقدسي الذي عاش حقبة من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الذي

يعد أفضل ما خُط في الجغرافية لأنه عول في كثير مما كتبه على اختباراته الشخصية ومشاهداته العيانية، إذ كانت رحلاته ذات خصب وأصالة ووصف دقيق لما شاهده وعاينه وما سمعه من الثقات وما وجده في الكتب المصنفة.

ولعل سهولة الانتقال بين أرجاء العالم الإسلامي في هذا العصر قد شجعت ذلك الاتصال الوثيق بين أجزائها.

لقد عرض المقدسي في كتابه جوانب عديدة لمظاهر الحضارة التي شاهدها خلال تجواله في البلدان الإسلامية واطلاعه على نواحي الحياة المختلفة بها ومع أن البلاد الإسلامية في عصر المقدسي كانت منقسمة إلى عدة ممالك وإمارات إلا أن العلاقات التجارية والعلمية ظلت قائمة بين تلك الممالك على ما هي عليه بسبب رابطة الإسلام ومما سهل الامتزاج بين المناطق الإسلامية.

وقسم البحث على ثلاثة أجزاء:

تناول الجزء الأول: المقدسي من حيث النسب والنشأة ودراسته وآثاره ورحلاته ثم وفاته و نبذة عن تصنيف كتابه أحسن التقاسيم وأسلوبه في الكتابة.

أما الجزء الثاني: فتناول الجغرافية الطبيعية عند المقدسي.

وتناول الجزء الثالث: الجغرافية الاقتصادية والبشرية إذ احتوى على النشاط الاقتصادي وطرق النقل والمواصلات واهم الإسهامات التي قدمها المقدسي وعوامل ازدهار المدن. واحتوى البحث على الخاتمة فضلا عن الاستنتاجات والتوصيات.

الجزء الأول

اسمه ونسبهُ:

المقدسي هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البنّاء الشامي المعروف بالبشاري[1]. اشتهر بتسميتي؛ المَقدسي (بفتح الميم) نسبةً إلى بيت المَقدس؛ والمُقدّسي (بضم الميم وتشديد الدال) نسبة إلى المكان المُقدس [2]. وهو بيت المَقدس، وزيادة على هاتين التسميتين لقب بعدة ألقاب وصفات ذكرها لنا في

كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) مثل فلسطيني ومصري ومغربي وخراساني وفقيه وصوفي وولي وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذن وخطيب وغريب وشامي وعراقي ومتؤدّب وبغدادي ومتفقه وراكب ورسول [3].

وقد جاءت هذه التسميات والألقاب والصفات(التي قاربت ستة وثلاثين اسماً) منسوبة إلى المناطق التي زارها والإعمال التي زاولها والمهن التي مارسها كما انه كان يعمد أحيانا إلى التنكر وتغيير اسمه والدخول في الطوائف المختلفة لدراسة بيئتها والوقوف على حقيقتها[4].

أما بالنسبة إلى أسرته فان المقدسي يذكر لنا ان اسم جده مدون على حائط عكا[5]. أما أمه فترجع في الأصل إلى مدينة بيار في قومس[6]*.

ولادته ونشأته ودراسته:

يمكننا أن نحدد ولادة المقدسي على وجه التقريب إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار قوله انه أخرج كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) عندما بلغ الأربعين وذلك في سنة 375 هـ. (985-986 م). فتكون ولادته على هذا الاعتبار في سنة 335 هـ (946 - 947م).

أما نشأته فلا نعلم عنها الشيء الكثير ويرجح انه ولد في بلاد الشام وهناك إشارة إلى انه كان في مكة عندما كان في العشرين من عمره ولكننا لم نتوصل إلى معرفة سبب سفره إلى مكة [7]. فقد يكون لأداء فريضة الحج والعمرة أو للتجارة والسفرة العلمية أو الاثنين معاً. انتقل المقدسي في إحدى رحلاته إلى بغداد ودرس على علمائها وتفقه فيها وكان أول أولئك؛ القاضي أبو الحسن القزويني[8].

لازم المقدسي دور الكتب في بغداد وقد استهوته الجغرافية، الأمر الذي جعله يراجع ما كتبه الذين سبقوه في هذا المجال، فاطلع على مؤلفاتهم ودرسها دراسة علمية عميقة وخرج منها متأكداً بان معظم ما كُتب في هذا الموضوع لم يعتمد على المشاهد الفعلية ولا على الرحلة التي تستخلص منها المعلومات الصحيحة والوقائع الطريفة، لذلك نراه يشد الرحال معتمدا على نفسه متنقلاً من إقليم إلى آخر ومن مدينة إلى

أخرى مطلعا على ما فيها من مظاهر الحياة المختلفة. وكانت مدة إقامته في بعض المدن والأقاليم تطول حتى بلغ سنة كاملة كما فعل في اليمن وأحيانا لا تتجاوز بضعة أيام.

وكان المقدسي خلال رحلاته يدون ما يشاهده ويسمعه من ذوي الخبرة أو ممن يثق بهم ويركن إلى صدقهم وقد التقى بمختلف طبقات الناس وأجناسهم ومذاهبهم وإعمالهم وافاد من مقابلته لبعض الملوك والأمراء في اغلب المناطق التي زارها فاطلع على ما كان موجودا من الكتب والخرائط والمعلومات. فازداد خبرة وثقافة وسعة اطلاع وبحسب ما ذكره هو في مقدمة كتابه.

إن حياته كانت صعبة ومتناقضة لم تستقر على حال ثابت. فتارة نجده يعمل بالتجارة وأخرى ينام في المساجد فيطرد منها، وقد أملت عليه ظروفه القاسية هذا السعي لسد نفقات معيشته. فزاول أعمالاً عديدة منها تجليد الكتب والمصاحف، ومن جهة أخرى تولى بعض المناصب كإمامة المساجد بل ويذكر انه عُرضت عليه إدارة الأوقاف كما عمل أمينا لدى بعض الأمراء والملوك والوزراء.

وهكذا نجده يعيش حياة متذبذبة متناقضة قلقة بعيدة عن الاستقرار دون أن تحول تلك المتاعب بينه وبين التأليف [9].

وفاته:

يصعب علينا تحديد تاريخ وفاة المقدسي إذ أن المصادر لم تحدد تاريخها علما بأنه ذكر الخليفة العباسي الطائع في بغداد (الذي تولى الخلافة من سنة 363 هـ (973 م/ 974م) إلى سنة 381 هـ (991 / 992 م) ويرجح ان وفاته كانت حوالي381 هـ/991 – 992م[10]. وهناك من يحدد وفاته في سنة 380هـ – 990م[11].

مذهبه وآثاره :

كان المقدسي على مذهب أبي حنيفة وقد فضله على بقية المذاهب [12]. ومن خلال كثير من النصوص التي أوردها والتي امتدح بها علياً ودافع عنه نستدل انه كان يميل إلى تأييده ويقف ضد معاوية فتراه يستشهد بأقوال الإمام علي (ع) وأخرى يدافع عنه[13].

تبدو مجهودات المقدسي العلمية واضحة جليلة في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الذي كان خلاصة لرحلاته الواسعة وتجاربه الخاصة وحيويته ونشاطه في سبيل علم الجغرافية.

وقد أشرنا إلى انه وضع كتابه في سنة 375 هـ (985/ 986 م) وهو في سن الأربعين (سن النضج عند الإنسان) كما يشير هو (لم أظهره حتى بلغت الأربعين ووطئت جميع الأقاليم)[14].

لقد وضع المقدسي كتابه بمدينة شيراز بفارس بعد أن عرضه على العلماء والأئمة وصدور الزمان يطلعون على مسودته وبعد أن عرض هذه المسودة بصورة خاصة على القاضي المختار عالم خراسان الشيخ الفاضل السيد أبو الحسن علي بن الحسن [15].

لقد عرف العالم الأوربي المقدسي لاول مرة بفضل المستشرق أشبرنجر الذي جلب مخطوطة برلين من الهند [16].

طبع الكتاب:

طبع كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) مع ترجمة فرنسية وشرح وتعليقات باعتناء د ي خويه في ليدن سنة 1906 م وطبع كذلك ضمن الجزء الأول، المكتبة الهندية في كلكتا سنة 1897 م/ 1901م مع بعض الاختصار كما ترجم بقلم رانكنغ وازو[17]. واخيراً بقلم سوفاجيه[18].

رحلاته:

قبل البدء بالحديث عن رحلات المقدسي تجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الرحلات اقتصرت على العالم الإسلامي لأنه لم يذكر شيئا يدلل على زيارته للأقطار الأخرى. كما انه لم يكتب عنها شيئا رغبة منه في عدم الاعتماد على النقل أو الاقتباس من كتب المؤلفين الجغرافيين الذين سبقوه بفعل عدم الخوض فيما لم يشاهده من الأقطار عدا إقليمي الأندلس والسند [19].

طاف المقدسي في مملكة الإسلام من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب (في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) [20]*كما يتضح من الخريطة المرفقة.

أما معلوماته عن الأندلس فنقلها كما يعترف هو نفسه في كتابه من حاجين التقى بهما خلال موسم الحج في مكة عام (337 هـ – 987م) [21]. إلا إن معلوماته عنها يسودها بعض الاضطراب لعدم وقوفه بنفسه على حقيقتها لذلك لم تكن الصورة التي قدمها لنا عن الأندلس واضحة جلية لاعتماده على السماع وهو لا يرقى إلى مستوى المشاهدة المباشرة أبدا وبالرغم من ذلك كله فان ما أورده عن الأندلس لا يخلو من الفائدة ولا نغالي إذا قلنا إنها معلومات قيمة في بعض الأحيان.

أما معلوماته عن السند فكانت هي الأخرى ناقصة فلم تكن كمعلوماته التي قدمها عن بقية الأقاليم لأنها اعتمدت هي الأخرى على السماع أيضا[22]. ويشك بعض المؤرخين في زيارته لصقلية لكن معلوماته عنها تبدو واضحة كما ان كراتشكوفسكي يرى ان المقدسي زار صقلية معتمدا على ما قدمه أماري الذي حلل روايته عن هذه الجزيرة [23].

عصره الذي عاش فيه:

لقد عاصر المقدسي عدة دول إسلامية في المشرق والمغرب فحين زار بغداد كانت تخضع للحكم البويهي أي في عصر الخليفة الطائع (363 –381 هـ)، (973 – 974 م) أما جولته في المشرق فكانت في عهد حكم السامانيين الذين اتصل بهم وأشاد بقوتهم وعاصر الفاطميين وشهد خلافة العزيز بالله الذي امتد نفوذه من شمال

أفريقيا إلى الأجزاء الساحلية من بلاد الشام بالإضافة إلى الحجاز وأصبحت الدولة الفاطمية في عهده مركزاً للحضارة الإسلامية في المغرب [24].

تصنيف الكتاب:

إن كتاب المقدسي من الكتب الجغرافية العظيمة ووثيقة مهمة لكل من يبحث في جغرافية الأقاليم التي درسها المقدسي سواء كانت دراسته في الجغرافية الطبيعية أو البشرية أو الاقتصادية[25]. صنف المقدسي كتابه سنة 385 هـ [26]. إذ لم يتبع في تصنيفه سنن الذين سبقوه فهو يقول ((اجتهدت بان لا اذكر شيئا مما سطره البلخي والجيهاني والهمداني والجاحظ وابن خرداذبة ولا أشرح أمراً قد أوردوه إلا عند الضرورة ولا اسرق من تصانيفهم))[27].

قسم المقدسي الأقاليم التي ذكرها في كتابه إلى ديار العرب (جزيرة العرب والعراق وآقور(آشور) والشام ومصر والمغرب) وديار العجم المشرق (دوله آل سامان) والديلم والرحاب (أرمينيا وأذربيجان) والجبال (إيران الشمالية) وخوزستان وفارس وكرمان والسند وقد تناول أيضاً بادية العرب والإقليم الأوسط من إقليم العجم (المفازة)[28].

أسلوبه في الكتابة:

يلتزم المقدسي السجع في كتابه وهو يبرر اتباعه لهذا الإسلوب بقوله ((إن العوام يحبون القوافي والسجع)) [29]. ومع انه كان مولعا بزخارف السجع، فيقول مثلا عن إقليم العراق ((لطيف الماء عجيب الهواء.... أليس به البصرة التي قوبلت في الدنيا وبغداد الممدوحة في الورى والكوفة الجليلة وسامرا)) [30].

وهو وان يعتمد على العرض الجغرافي القائم على المشاهدة في الوصف فانه كذلك يعتمد على طريقة المقارنة في وصف المواقع الجغرافية وهو الأسلوب العلمي البحت ممثلا بقول عن الفسطاط بأنها ((أهل من نيسابور واجل من البصرة واكبر من دمشق)) [31].

الجزء الثاني

الجغرافية الطبيعية عند المقدسي

آراؤه الجغرافية:

من خلال قراءة كتابه أحسن التقاسيم يظهر بان المقدسي يذكر في خصائص الأقاليم الوصف العام للأقاليم الجغرافية وصفة جميع المواقع الجغرافية والتي جاءت نتيجة تجواله وخبراته وكذلك عن طريق السماع من العامة وكذلك يروي القسم الآخر عن بعض العلماء كالجاحظ وغيره او لا ينسبها إلى أحد فيقول (يقال). ومع ذلك فقد برزت بعض الآراء منها اعتقاده بكروية الأرض(كرة موضوعه في جوف كالمحة في جوف البيضة). وقد قسم الأرض إلى قسمين : نصف الكرة الشمالي ونصف الكرة الجنوبي يفصلهما خط الاستواء[32]. وقد جعل المقدسي الأقسام رباعيات مخالفا بذلك بقية العلماء الذين يقولون بالسباعيات[33].

الوصف المناخي:

اتبع المقدسي في وصف الأقاليم المناخية فيصف الحالة المناخية لموقع جغرافي وربما أهمل الموقع الآخر ثم ان الوصف المناخي لم يأت إلا عابراً ضائعا بين الصفات الأخرى للموقع فمثلا يقول (بغداد في مصر السلام،... هواء رقيق، وعلم دقيق،كل جيد بها وكل حسن فيها)[34].

و قد وصف بعض المواقع بصفة مناخية وجعلها ملازمة لها فمثلا يقول في صنعاء بأنها (طيبة الهواء) [35]. واستعمل مصطلحات مناخية وهي(الهواء الرقيق، الهواء الطيب، قوية الهواء، الهواء الصحيح، خليقة الهواء، جيدة الهواء، هواؤها عجيب). فيقول في شيراز بأنه بلد (معتدل الهواء طيب في الصيف وفي الشتاء)[36]. وان هواء الشام متوسط اي معتدل الحرارة إذن المقصود به هو الاعتدال في حرارة الهواء.

وقد ورد هذا الاصطلاح الشامي كثيرا في وصف مناخ المواقع الجغرافية منها الطائف وآقور والإسكندرية ومن المصطلحات الأخرى (عجيب الهواء) كخاصية من خصائص مناخ العراق. أما (الهواء اليابس) فقصد به الهواء الجاف وقد استعمل

المقدسي طريقة المقارنة في الصفات المناخية أيضاً فتراه مثلا يقول عن مصر بأنها (اشد حرا من سواحل الشام) [37].

والمقدسي يذكر الفصول؛ فيذكر أحدها دون ذكر الآخر فقد يذكر الصيف ولا يذكر الشتاء وكذلك فانه يذكر الليل ويترك النهار فأقرا ما يقوله في مكة (انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف) [38]. وهذا يرجع إلى دفء مكة شتاءً من الناحية المناخية واعتدال مناخ الطائف صيفاً؛ وهذه إلتفاتة طريفة من المقدسي ينقله هذا التفسير الجغرافي للآية القرانية: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ چ[39]. ويقول عن الطائف ايضا (الطائف مدينة صغيرة شامية الهواء باردة الماء..) [40]

ومن الأوصاف الطريفة يذكر المقدسي بان سيراف هي باب جهنم من شدة الحر، وكذلك يصف البرد في إقليم الجبال بأنه شديد فترى خدودهم في الشتاء مشققه[41].

وأما الرياح فقد ورد ذكرها في منطقة فاران فإنها تكون قويه بحيث تغرق المراكب[42]. واما الرياح التي تهب على البصرة فإنها إذا كانت جنوبية ترفع الحرارة حتى أنها تسخن الماء (وهذه تسمى محليا بالشرجي) أما إذا هبت الرياح الشمالية الباردة فتكون طيبه ومريحة [43].

التساقط: نوعيته وتوزيعه الجغرافي:

لقد ذكر المقدسي الندى بأنه يسقط في إقليم الشام في فلسطين كل ليلة في الصيف وفي بيت المقدس يسقط ثلج قليل. أما في مصر فان الاسكندرية غزيرة الأمطار. إما في إقليم المشرق (جانب هيطل) فان كش كثيرة الأمطار والثلوج. واما جانب خراسان في غزنين يسقط ثلج كثير، وأما إقليم الديلم فهو كثير الأمطار في طبرستان. وأما آمل فكثيرة الأمطار في الصيف. وأما إقليم الجبال ففي الري وهمدان يسقط الثلج والجليد وفي إقليم السند يقع الثلج في منطقة بنجور [44].

التضاريس:

الجبال:

ذكر المقدسي أنّ في جزيرة العرب يوجد جبلان هما جبل طي وجبل سينا[45]. وكذلك يذكر المقدسي ان في إقليم آقور يوجد جبل يسمى الطور وهو جبل من جبال الجنة كما يصفه لنا المقدسي[46]. وفي إقليم الشام يوجد جبل زيتا وجبل طرطوس وجبل بانياس[47]. ويصف لنا المقدسي ان في بلاد الشام ايضاً جبالاً حمراً يسمى ترابها الصمغة وجبالاً بيضاً يسمى ترابها الحوارة وجبال زيتا وجبال صيدقا ويذكر المقدسي ان جبل زيتا يطل على بيت المقدس وجبل صيدقا بين صور والقدس[48]. ويصف لنا المقدسي بركان صقلية في إقليم المغرب وهو جبل تفور منه النار كل عشر سنوات [49]. أما إقليم المشرق جانب هيطل يوجد جبال الرحبة وجبال تسمى معادن الفضة [50]. ويصف لنا المقدسي ان في خراسان جبلاً يسمى بنجهير ويوجد في نيسابور جبل ترابه اسود به يكتبون الرسائل وجبال في جانب هيطل ونيسابور يقطعون منها الملح[51]. وفي إقليم الديلم جبل جرجان وفيها جبال عامرة على نعت لبنان [52].

أما في إقليم الرحاب يوجد جبال فيها الأعسال (العسل) وجبل على حدود شمكورة وجبل الحارث وجبل الطائف [53]. اما في إقليم الجبال فيوجد جبل بيستون منيع أملس لا يرتقى إليه وفيه غار وفيه عين يجري منها الماء وجبل دنباوند ممتنع جدا يرى من نحو خمسين فرسخا وكذلك جبال النحر[54].

أما إقليم فارس ففيه جبال جوما وهندوان كثيرة المعادن [55]. وأما إقليم كرمان ففيه جبال منيعة وله دخله مقوسة عند البحر وفيه جبال القفص [56]. واما إقليم السند ففيه جبال أعظمها وامنعها جبال كركسكوسه (سياه كو) [57]. ويصف لنا المقدسي ان في إقليم المغرب يوجد جبل يدعى او يسمى طارق[58].

البحار:

يذكر المقدسي انه لم يرى في الإسلام إلا بحرين احدهما يخرج من نحو مشارق الشتاء بين بلد الصين وبلد السودان فإذا بلغ مملكه الإسلام دار على جزيرة العرب وله خلجان كثيرة وشعب عدة وقد اختلف الناس في وصفه والمصورون في تمثيله فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور في بلد الصين والحبشة وطرف بالقلزم وطرف بعبادان وقد اطلق عليه المقدسي تسمية البحر الصيني [59].

اما البحر الآخر؛ فخروجه من أقصى المغرب بين السوس الأقصى والأندلس يخرج من المحيط عريضا ثم ينخرط ثم يعود فيعظم إلى تخوم الشام وينقل لنا المقدسي حكاية فحواها أنه سمع مشايخ المغرب يفسرون الآية الكريمة ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[60]. قال المغربان هذان الوجهان من هذا البحر مغرب الصيف عن يمينه ومغرب الشتاء من يساره وسمعت جماعه منهم يذكرون انه يضيق في حدود طنجه وهو كما يذكره المقدسي (بحر الروم) [61].

اما الجيهاني فقد جعلها خمسة بحار زاد بحر الخزر وخليج القسطنطينية ونحن اقتصرنا على ما أنبأ الله في كتابه حيث يقول ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ[62]. والبرزخ من الفرما إلى القلزم مسيرة ثلاثة أيام وقيل إنما أراد الله تعالى بالبحرين العذب والمالح لأنهما لا يختلطان[63].

الثروات المعدنية:

وفي جزيرة العرب يوجد من الثروات الحديد والرصاص والذهب واللؤلؤ [64]. وفي بلاد الشام توجد معادن الرصاص والحديد في جبال بيروت [65]. وفي مصر يوجد معادن الرخام ومعدن يسمى زاج الحبر لم نر مثله [66]. وفي إقليم كرمان معدن الفضة ومعادن من الحديد[67]. وفي إقليم المغرب توجد معادن المرجان [68]. وفي إقليم المشرق جانب هيطل جبال معادن الفضة ومعادن الحديد وجانب خراسان يوجد معادن الفضة وفي نيسابور توجد معادن الرخام والفيروز ومعادن الفضة [69].

الجزء الثالث

الجغرافية البشرية والاقتصادية عند القدسي

ان سعة رقعة الدولة الإسلامية في عصر المقدسي قد اشتملت على عدد من الأنهار المهمة ففي إقليم العراق نجد نهري دجلة والفرات وفي إقليم المشرق نهر جيحون وفي مصر نهر النيل و نهر الشاش وسيحان وجيحان وبردان ومهران ونهر الرَّس ونهر الملك ونهر الاهواز واضاف ان هناك خمسة عشر نهرا اخرى مهمة عدا الأنهار الآنفة الذكر (70).

نظام الري:

وصف المقدسي نظام الري في الأقاليم التي زارها فذكر ان الجزيرة العربية اعتمدت في زراعتها على مياه الآبار واتخذت القنى وسيلة من وسائل توزيع المياه(71). واعتمدت المدينة المنورة في سقياها على قناة غزيرة (72).

ومن المناطق التي اعتمدت زراعتها على الآبار منطقة عُمان التي كانت ترفع إليها المياه بواسطة البقر، أما العراق فيعد وجود النهرين دجلة والفرات عاملاً حاسما في تاريخه وعليها يعتمد رواة المزارع وكان الري السيحي في منطقة البصرة كما هو الحال في الوقت الحاضر. وقد ساد في منطقه البصرة نظام خاص للري اذ انتشرت فيها شبكة من القنوات تستمد مياهها عن طريق ظاهرة المد التي تملا هذه القنوات مرتين في كل اربع وعشرين ساعة فتروي الحقول والبساتين ونوه المقدسي بان للبصرة نهرين هما نهر الابله والمعقل (73).

اما بالنسبة لإقليم الشام فقد بين لنا المقدسي انهم كانوا يعتمدون على ثلاثة مصادر هي الأنهار والامطار والعيون (74). وكذلك تنظيمات الري في إقليم المشرق تعتمد على مياه نهر جيحان وكانت القوانين المتعلقه في شرق فارس متشعبة كل التشعب فكان في مرو ديوان يسمى ديوان الماء (75). أما إقليم الديلم فقد كان يعتمد في زراعته على الأنهار التي كانت تنحدر من الجبال وكذلك إقليم الرحاب يعتمد أيضاً على الأنهار في زراعته وكذلك إقليم الجبال يعتمد على الآبار والأنهار وإقليم خوزستان يعتمد في زراعته على الأنهار بواسطة النواعير (76). وتكون مصادر مياه

إقليم فارس من الابار والبرك (77). وفي إقليم المغرب اعتمدت القيروان بالدرجه الاولى على مياه الامطار (78).

الإنتاج الزراعي:

ذكر المقدسي أصنافا من الحاصلات الزراعية مثل الفواكه والحبوب والرياحين والخضر وأنواع الثمار، ووزع هذه المحاصيل توزيعا جغرافيا ممتازا يمكن الاعتماد عليه في تبيان مزروعات كل منطقه من المناطق التي زارها إلا انه لم يشر إلى مواسم زراعة هذه المحاصيل وقد ذكر لنا المقدسي في حقل الخصائص للأقاليم نماذج لما تشتهر به تلك المناطق فيقول ان إقليم الجبال يزرع فيه الزعفران بكثرة وفي إقليم الرحاب تتوافر الثمار،وفي كرمان ذكر لنا التمور وفي السند الزرع على البَعْلُ*(79).

أما الحاصلات التي ذكرها حسب الأقاليم، ففي إقليم الجزيرة تزرع الفواكه كالرمان والزبيب والعنب الجيد وهكذا يكون في منطقة الطائف (80). وتحيط البساتين والنخيل مدينة يثرب أما الذرة فتنحصر زراعتها في الأجزاء الجافة جنوب الجزيرة العربية وفي جده كانت الظروف ملائمة لزراعة البن وفي جريب يزرع الموز وفي السودان تزرع الحبوب (81). ووصف المقدسي إقليم العراق بأنه قليل الثمار (82). بحيث اقتصرت الزراعة في الجنوب على الاراضي المحيطه بالأنهار والممتدة على ضفاف القنوات اما في الشمال فكانت المزارع على ضفاف الأنهار او الاماكن التي يكون فيها نزول الامطار (83). وكانت البصرة اهم منطقة لزراعة التمور وكذلك اشتهرت البصرة بزراعة برتقالها وليمونها وكذلك قصب السكر والعنب. وفي منطقه تكريت تجود زراعة السمسم(84).

ونشطت الزراعة في منطقة الجزيرة على ضفاف النهرين وروافدهما وكانت الزروع الكثيفة في منطقة الخابور حول مدينة الخابور وعلى ضفتيه وامتدت بساتين وحقول مدينة راس العين على ارض واسعة يبلغ طولها حوالي عشرين فرسخا كما ان معظم مدن الجزيرة كانت محاطة بمزارع واسعة وبين لنا المقدسي وجود زراعة الأقطان في هذا الإقليم (85).

كما ان الشعير كان يزرع بكثرة في منطقة الجزيرة وخاصة حول الموصل لذلك اعتبرت الجزيرة المخزن الذي يمول العراق لاسيما بغداد بالحبوب في أوقات الشدة. وفي إقليم الشام ذكر لنا المقدسي حاصلات متنوعة أجملها بقوله؛ الشام بلد الموز والنخيل والنيل بلد الرخص والفواكه والخس من البقل. لعل ذلك التنوع جاء نتيجة لاختلاف التضاريس الأرضية واختلاف المناخ من منطقه إلى أخرى في هذا الإقليم ففي المناطق الحارة الرطبة ذكر لنا زراعة قصب السكر كما في طبرية وصور، وزراعة الموز كما في أريحا وبما ان هذا الإقليم يشرف على البحر المتوسط فانه تبع في زراعته إقليم البحر المتوسط. واشار المقدسي إلى زراعة الكروم والأعناب والتفاح والزيتون والتين في هذا الإقليم كما إن الظروف الطبيعية ساعدت على إنبات الأشجار الطبيعية الجبلية [86].

وازدهرت الحياة الزراعية في إقليم المغرب حتى قال المقدسي : انه غابت في الزيتون مدنه وبالتين والكرمات أرضه ففيه الانجاص والتفاح والنخيل والتين والأعناب وتجود فيه زراعة الحبوب والزعفران واللوز والسفرجل والزيتون والجوز والرمان، أما عن الأندلس فانه بلد الحبوب وفيه اشجار الزيتون والتين والأعناب والتوت[87]. وفي خراسان ذكر لنا المقدسي إنها اشتهرت بزراعة الفواكه ووصفها بأنها لذيذة ونفيسة فهناك الأعناب والسفرجل وكذلك ازدهرت بهشت بزراعة التين والزيتون والحبوب كزراعة الأرز كما يوجد الثوم ولكثرة الأشجار توفر الحطب فيها[88].

أما إقليم الديلم فوصفه المقدسي ؛انه إقليم الفواكه وتوجد فيه ألارزاز (مزارع الرز) والزيتون والأترنج والخرنوب والعنب والزيتون والرمان والبطيخ والتين ومن المخضرات الباذنجان وكذلك إقليم الرحاب توجد فيه زراعة الزعفران وفي إقليم الجبال حيث تلائم الطبيعة نمو الاشجار الطبيعية للمنطقة الباردة توفرت اشجار الجوز والخوخ واللوز والبطيخ والاعناب والتفاح [89].

وأما إقليم خوزستان (عربستان، الاحواز) فقد توفرت فيه الفواكه المختلفة كالأعناب والاترنج والانجاص والرمان والكمثرى والرطب هذا زيادة على الارزاز (مزارع الرز) وقصب السكر والرياحين [90]. اما بالنسبة لإقليم فارس فكان تنظيم هذه

البلاد الجبلية متنوعا منذ عهد الساسنيين فكانت فيها قلاع صخرية بعيدة المنال وغابات؛ واشراف (نبلاء) يملكون أراض واسعة فكان هذا من دواعي تكوين النظام الاقطاعي منذ ذلك الحين حتى ان المقدسي يقول ان اكثر الضياع بها مقتطعة وكانت تلك الضياع تنتج كثيراً من الفواكه والحاصلات الزراعية كالنخيل والاترنج والزيتون والعنب والليمون والجوز واللوز [91]. ويصف المقدسي محصولات إقليم كرمان بانه يشتهر بزراعة الجوز والكمون والبابنج هذا بالاضافه إلى ان إقليم السند يشتهر بزراعة الارزاز والموز والنخيل وهي من منتوجات المناطق الحاره هذا بالاضافه إلى توفر المراعي الواسعه في هذا الإقليم [92].

الثروة الحيوانية

وزع المقدسي الثروة الحيوانية على الاقاليم التي زارها فقال ان اكثر الاقاليم صوفا واجودها ألباناً واعسالاً الجبال واكثرها لحوما الرحاب وكانت الخيل تربى في بلاد كثيرة وكان لكل من العرب والفرس في امر الخيل تقاليد خاصة. وفي إقليم الجزيرة العربية ذكر لنا المقدسي مناطق انتاج العسل مثل منطقة العويند والسروات اما المناطق الساحلية فقد اشتهرت بصيد الأسماك وفي العراق توفرت الأسماك بالإضافة إلى اللحوم الأخرى والألبان وكذلك إقليم الشام كانت طبرية كثيرة الأسماك وفي عمان تكثر الأغنام وإقليم الشام اشتهر بتربية الجاموس وفي المغرب يكثر النحل فينتج العسل في برقة وطرابلس وفيها الألبان أيضا وفي القيروان اللحوم الجيده وكذلك إقليم مصر فقد توفرت فيه الأسماك بالاسكندرية والفسطاط وكذلك اشتهرت مصر بانتاج الجلود وفيها الحمير والبقر[93]. واشار إلى وجود دابة التمساح في نهر النيل[94].

اما بالنسبة لإقليم الديلم فقد وصفه المقدسي بأنه إقليم الصوف. وأشار إلى وجود بحيرة يكثر فيها السمك كما اشار إلى كثرة المراعي في هيطل وفي جيحون سمك كثير وكذلك توفرت فيها الأغنام. أما خراسان فقد توفرت اللحوم الجيدة وكذلك تربية الأغنام [95]. وفي إقليم الرحاب توجد الاعسال والأغنام والحيوانات والبغال والجياد كما اشتهر هذا الإقليم بإنتاج الألبان وذكر المقدسي وجود الأغنام المعروفة

بالبازهر بإقليم فارس الذي اشتهر في صيد الأسماك. اما إقليم السند فقد كان مشهورا بمراعيه الواسعة حيث تربى المواشي وكذلك توفر الجاموس بكثرة في هذا الإقليم [96].

النشاط الاقتصادي : طرق النقل والمواصلات:

أسهمت الطرق (البحرية، النهرية، البرية) بتيسير الانتقال بين البلدان فكان لها أثرها المباشر في نشاط التجارة الخارجية بين الدولة العربية الاسلامية والبلدان القريبة والبعيدة منها، كما اسهمت في تدعيم الاتصال الحضاري بين العرب والامم الاخرى فأنجحت العلاقات الثقافية والعلمية والتجارية بين الدولة الاسلامية وتلك البلدان.

اما إسهام الطرق النهرية، فلها اهميتها من ناحية اخرى، فوجود الانهار اسهم في نمو النشاط التجاري الداخلي، وسهل عملية انتقال البضائع والمسافرين بين المدن الاسلامية، إذ شكلت هذه الانهار همزة الوصل بين المدن وخاصة منها تلك الواقعة على ضفاف الانهار، الطرق النهرية.

كانت طرق المواصلات النهرية في مملكة الإسلام قليلة وذلك بسبب قلة الأنهار فلم يجد المقدسي في جميع تلك المملكة الشاسعة إلا اثني عشر نهرا كبيرا تجري فيها السفن وهي دجلة والفرات والنيل وجيحون والشاش وسيحان وجيحان وبردان ومهران والراس ونهر الملك ونهر الاهواز [97].

إلا ان المقدسي قد كشف لنا أهمية بعض الأنهار في الملاحة فذكر ان حركة الملاحة كانت نشيطه في دجلة كما بين أهميه هذا النهر بوصفه حلقة وصل بين أرمينية وبغداد فكانت البضائع تنحدر في دجلة من أرمينية إلى بغداد ماره بالموصل [98].

ويصف لنا المقدسي أهمية السفن في النقل الداخلي ببغداد فيقول (والناس ببغداد يذهبون ويجيئون ويعبرون في السفن ترى لهم جلبة وضوضاء. وثلث طيب بغداد في ذلك الشط) ويتحدث المقدسي عن ضحالة نهر دجلة بعد واسط الأمر الذي ادى إلى استعمال القوارب الصغيرة والمسطحة [99]. ويبدو ان دجلة كان كطريق للملاحة اكثر أهمية من طريق الفرات بالرغم من ان القوارب في الفرات كانت تصعد

فيهما السفن مما يدل على نشاط الملاحة في هذه المنطقة من جهة وصلاحية النهر للملاحة فيها من جهة أخرى. أما في مصر فكان النيل يصلح للملاحة بصورة واسعة حتى تعجب المقدسي عند زيارته لمصر من كثرة المراكب السائرة والرابية هناك [100].

الطرق البحرية:

قضت الظروف الطبيعية بان تتنوع الملاحة البحرية في الدولة الإسلامية في بحرين منفصلين البحر المتوسط (بحر الروم) والمحيط الهندي (البحر الصيني حسب تعبير المقدسي) وقد حال دون اتصال البحرين برزخ السويس فكانت البضائع الواردة من الهند وشرقي آسيا إلى أوربا وشمالي إفريقية تفرغ حمولتها في شمال البحر الأحمر وتنقل برا إلى سواحل البحر المتوسط وبالعكس[101]. ويبدو ان الناس لم يكونوا يتجرأون على ركوب البحر الأحمر من غير مقاتلة كما يذكر لنا المقدسي ذلك لحماية القوافل التجارية من قراصنة البحر[102]. ويذكر لنا المقدسي ان جزيره سقطرى (سومطره) جنوب الجزيرة العربية في مدخل المحيط الهندي كان يكثر فيها القرصان. وكانت المراكب اذا مرت بها لاتزال في هلع حتى تتجاوزها. وكانت تأوي إلى هذه الجزيرة بوارج قرصان الهند ليقطعوا الطريق على المسلمين[103]. * وبين لنا المقدسي ان عدن وسيراف وعمان كانت مرافئ المملكة الإسلامية على البحر الصيني [104].

ويلي هذه المرافئ في الاهمية البصرة على شط العرب وديبل على مصب نهر السند اما هرمز فكانت فرضة كرمان. وكانت عدن المركز التجاري الكبير بين افريقية وبلاد العرب ونقطة ارتكاز التجارة بين الهند والصين ومصر حتى أن المقدسي دعاها دهليز الصين[105].

ويحدثنا المقدسي انه سمع عن عدن ان من دخلها بالف درهم فسيرجع بالف دينار ومنهم من دخلها بكندر[*] فرجع بثمل ما دخل به كافورا. دلاله على رواج التجارة في عدن وعلى اهميتها في التبادل التجاري [106]. اما البصرة الواقعة على شط العرب فكان بينها وبين البحر مرحلتان ولما كان الخليج ضحلا عند مصب دجلة العوراء فقد انشأ منار في البحر تسترشد به السفن القادمة إلى البصرة [107].

الطرق البرية:

وصف لنا المقدسي طرق المواصلات في المناطق التي مر بها وقد اختتم كلامه عن كل إقليم من الأقاليم الإسلامية بذكر المسافات وتنقسم معلوماته عن هذه المسافات إلى قسمين ذكر في الاول طرق المواصلات الداخلية التي تربط بين اجزاء الإقليم وفي الثاني الطرق الخارجية التي تربط بين الاقاليم الاسلامية وعندما كان المقدسي يسافر من بلد إلى اخر يذكر لنا مراكز المواصلات في الطرق التي يسلكها ويصف ما يشاهده من المعالم المختلفة فيها فقال مثلا (ان في بعض طرق خوزستان كانت توضع حباب الماء في الشوارع والطرق على مراحل الطريق ويذكر انه ربما حمل اليها الماء من بعيد) (108). وذلك لأن اهل عربستان جلهم من العرب آنذاك. واهتم المقدسي بصوره خاصه بذكر مصادر المياه في الطرق، فقال يصف الطرق إلى مكة من جادة الكوفة (فخذ من زُباله وهي عامرة واسعة المياه إلى الشقوق 21 ميلا ثم إلى البطان29ميلا ثم الثعلبية29ميلا هي ثلث الطريق عامرة كثيرة البرك بها آبار عذبه) (109). كما وصف لنا كثرة الطرق التي رآها في مفازة الفرس فقال ((فرأيت في الطرق والمعارج مالا أحصيه وهي جبال كلها فيها رمال قليلة وعقاب هينه وسباخ صعبه وسرود وجروم ونخيل وزروع ورأيت اسهلها وأعمرها طريق الري واصعبها طريق فارس واقربها طريق كرمان وكلها مخيفة من قوم يقال لهم القفص)) (110)(*).

إسهامات المقدسي الإقليمية:

لعل ابرز اسهامات المقدسي الإقليمية هي طريقته في تقسيم البلد إلى وحدات جغرافية فقد قسم سوريا وفلسطين إلى اربعه أقاليم رئيسيه هي : الجبال والهضاب الشرقية. والغور (وادي الخسف). وبلاد السامره وجوديا. والسهل الساحلي. وأورد المقدسي في كل الأقاليم وصفا للتضاريس الأرضية ومجاري المياه والمدن والحاله الاقتصادية والمناخ وقام بالعمل نفسه في تقسيمه لمصر.

والمقدسي بوصفه فلسطينياً هو اول من استخدم مفهوم (المناخ السوري) ويعني به مناخ البحر المتوسط بشتاء ممطر وصيف جاف وهذا ما لاحظه ودرسه عند وصفه لمدينة الطائف في الحجاز قال الطائف مدينة صغيرة شامية الهواء باردة الماء اكثر فواكه مكة منها موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفاكهة الحسنه وهي على ظهر جبل غزوان يجلد الماء بها عامتها مدابغ اذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا اليها (111).

ونجد في وصف المقدسي للجزيرة العربية وبلاد فارس ومصر تفاصيل اكثر مما نجده عند الاصطخري وابن حوقل. اما في وصف النيل فيقول فلا ذقت ولاسمعت ان في جميع الدنيا ماء احلى منه ؛إلاّ نهر المنصورة (يقصد به نهر السند)(112).

وقد قسم المقدسي مصر إلى سبعة وحدات ادارية (كورة) وذكر في كل كورة منها اهم مدنها اضافه إلى عاصمتها وبعد ان اورد تفاصيل اوليه عن تلك التقسيمات ووصف عاصمة كل منها على حده، وقد جعل المقدسي إقليم مصر على سبع كور ستة منها عامرة هي من نحو الشام والجفار ثم الحوف ثم الريف ثم الاسكندرية ثم مقدونيا ثم الصعيد والسابعة الواحات(113).

عوامل قيام المدن وازدهارها:

ويصف لنا المقدسي عوامل قيام المدن وازدهارها ففي كلامه على إقليم الجزيرة اوضح ان المدن اقيمت على مياه الابار والعيون وان الحياة اعتمدت عليها ففي المزدلفة ذكر لنا عدة برك وقال (لعرفة قناة تخر) وفي (الجحفة آبار يسيره) وبها (عين قريبة منها وبركة كبيرة) (114). كما ان الحياة في يثرب اعتمدت على الحياض تملأ من قناة تنحدر فيها الماء(115).

وفي إقليم آقور (الجزيرة) اقيمت المدن على الأنهار كمدينتي الموصل والحديثة وكان الاعتماد على الآبار في المناطق التي تبعد عن النهر (دجلة) (116). واقيمت المدن المهمة في الشام على مجاري الأنهار مثل مدينة حلب على نهر قويق ودمشق على نهر بردى(117).

وفي إقليم مصر اعتمد قيام المدن على نهر النيل اما بالنسبة للأقاليم الغربية فاعتمدت الحياة فيها على مياه الامطار وذلك لعدم وجود مياه الأنهار فيها وكذلك اعتمدت مدينة طرابلس على مياه الابار والامطار، ومدينة القيروان على خزن المياه في مواجين وصهاريج يجمع فيها ماء المطر (118). وفي المشرق كانت اهمية الأنهار كبيرة ايضا في قيام المدن اذ قامت عدة مدن على ضفاف نهر جيحان اذ قامت عليه كورة خوارزم وقصبة الجرجانية وكورة قواديان وترمذ وتركز السكن في إقليم خورستان على الأنهار كما ان في إقليم هيطل وإقليم الرحاب قامت عدة مدن على ضفاف الأنهار إذ قامت تبريز بين عدة انهار (119).

اما في إقليم الجبال فقد اعتمدت الحياة على الأنهار والآبار معا (120). وازدهرت المدن بكثرة الأنهار في إقليم خوزستان(الاحواز) وفي إقليم فارس نشأت المدن على الأنهار والآبار فقد قامت مدينة أرجان على الأنهار والآبار معا، ويصف المقدسي التجارة بأنها ذات اثر مهم في قيام المدن فيبين لنا ان هناك مدناً اشتهرت بالتجارة بحكم موقعها الجغرافي الذي جعل منها مركزا للتجارة كمدينة البصرة التي تقع على شط العرب ومدينة الموصل التي تقع على نهر دجلة وازدهرت الفسطاط مركزا تجارياً لموقعها على نهر النيل وكانت عدن في جنوب غرب الجزيرة العربية مدينة تجارية بفضل موقعها على البحر وازدهرت بعض المدن تجاريا نتيجة الالتقاء طرق المواصلات البرية عندها مثل مكة المكرمة.

فبالرغم من اهميتها الدينية فانها تقع على ملتقى الطرق بين الشمال وجنوب الجزيرة العربية من جهة والطرق الموصلة بين شرق وغرب الجزيرة العربية من جهة ثانية فموقعها هذا جعل لها اهمية تجارية كانت سببا في ازدهارها (121).

الخرائط عند المقدسي:

ويصف لنا المقدسي بعد أن حدد وقسم الأقاليم ورتب الكور ووصف المدن والبحار والخلجان والأنهار وضع الخرائط والتي تميزت بحدود الأقاليم والمدن؛ فكانت طرقها باللون الاحمر وجعل رمالها الذهبية بالصفرة وابحارها المالحة بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهودة بالغبرة (122).

الخاتمة/ النتائج والتوصيات:

لقد ابرز المقدسي في دراسته ووصفه للأقاليم شخصية كل إقليم في خلاصة موجزة واهم ما تشتمل عليه هذه الخلاصة عادة هو إبراز أهم سمات المناخ والمذاهب الدينية واللغات ومصادر الثروة والأسواق..

وعموماً تمخض البحث على بعض النتائج وكما يلي :-

1- كان لسيادة الدولة الإسلامية وتشجيع الخلفاء دور في توسع نطاق البحث عن الأقاليم.

2- امتاز الوصف الجغرافي عند المقدسي بالتنظيم الدقيق في كتابه، فعرض فيه جوانب عديدة لمظاهر الحضارة التي شاهدها خلال تجواله في البلدان الإسلامية واطلاعه على نواحي الحياة المختلفة فيها.

3- لم يول المقدسي الجغرافية الطبيعية اهتماما في جميع الأقاليم بدرجة واحدة.

4- اهتم المقدسي بالملاحظة الشخصية بالدرجة الاولى وجعل اسفاره الشخصية المصدر الأساس لجمع المعلومات المكانية. (فيقول؛ اجتهدت ان لا اسطر فيه مما سطره الاخرون).

5- المقدسي لم يهتم بذكر العجائب كبقية الجغرافيين الذين سبقوه وان وجدت فإنها قليلة.

6- ان المعلومات التي قدمها المقدسي في كتابه كانت متفاوتة من حيث المادة التي يقدمها بين إقليم وآخر.

7- اخذ المقدسي بالتقسيم الطبيعي للأقاليم وادخل مفهومي إقليم العرب وإقليم العجم عند دراسته لمملكة الإسلام واعتمد في تقسيماته الإقليمية على التدرج الحجمي عند تقسيمه للوحدات السياسية فقسمها إلى أقاليم وكور ونواحي ورساتيق....

8- المعلومات التي قدمها المقدسي من الناحية الجغرافية ؛ تمتاز بالدقة والتفصيل.

التوصيات:

1- الاهتمام بدراسة الأدب الجغرافي العربي لما يحمله من تراث عريق فنجد الكثير من النظريات والقوانين في مؤلفاتهم والتي نسبت إلى علماء الغرب خطأً.

2- إن كثيرا مما خطه علماء العرب لم يصل إلينا إلا أسماء بعض من مخطوطاتهم لذا ينبغي إعادة النظر في إمكانية توفيرها وتحقيقها لتتوفر للباحثين والدارسين.

3- نحن مطالبون بالبحث عن تراثنا المفقود لنعيد لأجدادنا تاريخم العلمي.

هوامش:

(1) إسماعيل باشا البغدادي،هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المجلد الثاني، ط3، مطبعة وكالة المعارف ستامبول 1955 ص62-63 / الزركلي، الأعلام، ج6، ط3، مطبعة كوتشاتسوماس، بيروت، 1979ص21.

(2) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، القسم الأول، نقلة إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية، 1957 ص209. / جلال الدين ابن أبي الحسن علي ابن أبي الكرم ابن الأثير، ت630 هـ، اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، القاهرة، مكتبة القدسي1957 ص 169.

(3) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر بيروت، ليدن،1909 ص 43.

(4) عبدالرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب،دار الفكر، دمشق، 1995 ص 255-263.

(5) المقدسي، مصدر سابق، ص 163.

(6) عبد الرحمن حميدة، مصدر سابق ص 255.

(*) : (قومس) كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي ذيل جبال طبرستان واكبر ما يكون في ولاية ملكها وقمتها المشهورة دامغان وهي بين الري ونيسابور ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار.

للمزيد من المعلومات ينظر / ياقوت الحموي، معجم البلدان ج8، طبعة مصححة ومنقحة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 102.

(7) عدي يوسف مخلص، المقدسي البشاري ومنهجه في دراسة كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط1، مطبعة النعمان،النجف الاشرف، رسالة ماجستير (منشورة). 1973 ص 23.

(8) أبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط1، ج7،المكتبة العربية، بغداد 1931 ص463.

(9) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص25.

(10) إسماعيل باشا البغدادي، مصدر سابق، ج2، ص 62 -63.
(11) صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج1، مطبعة القضاء، النجف الاشرف، 1958 ص138.
(12) المقدسي، مصدر سابق ص 127.
(13) المصدر نفسه، ص 42-43.
(14) المصدر نفسه، ص 8.
(15) المصدر نفسه، ص 66.
(16) كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص 208.
(17) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق ص 3-4.
(18) كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص 212.
(19) المقدسي، مصدر سابق،ص 222- 475.
(20)*انظر الخريطة(1) المرفقة للمناطق التي زارها المقدسي في نهاية البحث.
(21) كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص 209.
(22) المقدسي، مصدر سابق، ص 57.
(23) كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ص 209.
(24) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص 32 -33.
(25) احمد أبو سعد، أدب الرحلات، ط1، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت،1961ص80.
(26) آدم متز،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، ط3، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1957، ج2، ص 2.
(27) المقدسي،مصدر سابق، ص3.
(28) صباح محمود محمد، دراسات في التراث الجغرافي العربي، المركز العربي للطباعة والنشر بيروت، 1981، ص 44.
(29) المقدسي، مصدر سابق، ص5.
(30) المصدر نفسه، ص113.
(31) المصدر نفسه، ص197.

(32) المصدر نفسه،ص58-59.
(33) المصدر نفسه، ص42-43.
(34) المصدر نفسه، ص119.
(35) المصدر نفسه، ص33.
(36) المصدر نفسه، ص429.
(37) المصدر نفسه، ص202.
(38) المصدر نفسه، ص95.
(39) قريش الآية(1-2).
(40) المقدسي، مصدر سابق،ص102.
(41) صباح محمود محمد، مصدر سابق، ص50.
(42) المقدسي،مصدر سابق،ص11-12.
(43) صباح محمود محمد،، مصدر سابق، ص51.
(44) المصدر نفسه ص50-51.
(45) المقدسي، مصدر سابق، ص67.
(46) المصدر نفسه، ص137.
(47) المصدر نفسه، ص151-156.
(48) المصدر نفسه، ص188.
(49) المقدسي، مصدر سابق، ص348.
(50) المصدر نفسه، ص384.
(51) المصدر نفسه، 333.
(52) المصدر نفسه، ص356.
(53) المصدر نفسه، ص373- 380.
(54) المصدر نفسه، ص393.
(55) المصدر نفسه، ص432.
(56) المصدر نفسه، ص498.
(57) المصدر نفسه، ص490.

(58) المصدر نفسه، ص348.
(59) المصدر نفسه، ص10–12.
(60) الرحمن الآية 17.
(61) المقدسي، مصدر سابق، ص14.
(62) الرحمن الآية 19– 22.
(63) المقدسي، مصدر سابق، ص16.
(64) المصدر نفسه، ص97–101.
(65) المصدر نفسه، ص99.
(66) المصدر نفسه، ص197.
(67) المصدر نفسه، ص280.
(68) المصدر نفسه، ص339.
(69) المصدر نفسه، ص331–380.
(70) المصدر نفسه، ص19.
(71) المصدر نفسه، ص80.
(72) المقدسي، مصدر سابق، ص83.
(73) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص246– 249.
(74) المقدسي، مصدر سابق، ص325.
(75) المصدر نفسه، ص330.
(76) المصدر نفسه، ص374.
(77) المصدر نفسه، ص444.
(78) المصدر نفسه، ص225.
(79) المصدر نفسه، ص65.
(*) البَعْلُ: وهو ما سقته السماء، وقال الأصمعي ما شُربَ بعروقه من غير سقي ولاسماء ينظر/ الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح،ج1، مكتبة لبنان، بيروت،1995ص24.
(80) المصدر نفسه، ص79.

(81) المصدر نفسه، ص86.
(82) المصدر نفسه، ص113.
(83) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص257.
(84) المقدسي، مصدر سابق، ص123.
(85) المصدر نفسه،ص141.
(86) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق ص258–259.
(87) المقدسي، مصدر سابق،ص234.
(88) المصدر نفسه،ص317.
(89) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص262.
(90) آدم متز، مصدر سابق،ج2، ص305.
(91) المقدسي، مصدر سابق، ص408.
(92) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص263.
(93) المصدر نفسه، ص263–264.
(94) المقدسي، مصدر سابق، ص208.
(95) المصدر نفسه، ص303–314.
(96) عدي يوسف مخلص ، مصدر سابق، ص265.
(97) المقدسي، مصدر سابق، ص19.
(98) المصدر نفسه، ص138.
(99) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص270.
(100) المقدسي، مصدر سابق، ص198.
(101) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص271.
(102) المقدسي، مصدر السابق، ص12.
(103) المصدر نفسه، ص14.
(*) ان هذه المنطقة هي ذاتها التي تشهد هذه الايام أعمال لقرصنة البحرية وبشكل واسع اذ قد يكون لطبيعة المنطقة ولموقعها الجغرافي أثر في ذلك.
(104) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص271–272.

(105) المقدسي، مصدر سابق، ص34.

(*) الكُندر، بالضم / ضرب من العلك الواحده كندره قال الاطباء هو اللبان(نافع لقطع البلغم جدا). ينظر/ عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص272.

(106) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص272.

(107) المقدسي، مصدر سابق، ص12.

(108) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص272-273.

(109) المقدسي، مصدر السابق، ص107.

(110) المقدسي، مصدر سابق، ص488.

(*) قوم القفص: كانوا قطاع طرق لاخلاق لهم يسرقون الاموال ويرمون صاحبها بالحجارة حتى الموت وقد غزاهم عضد الدولة وافنى أكثرهم. ينظر/ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، بدون سنة نشر ص381-382.

(111) المقدسي، مصدر سابق، ص79.

(112) المصدر نفسه، ص208.

(113) المقدسي، مصدر سابق ، ص193-194.

(114) المصدر نفسه، ص77.

(115) المصدر نفسه، ص80.

(116) المصدر نفسه، ص157.

(117) المصدر نفسه، ص155.

(118) المصدر نفسه، ص378.

(119) عدي يوسف مخلص، مصدر سابق، ص178-189.

(120) المقدسي، مصدر سابق، ص396.

(121) عدي يوسف مخلص،مصدر سابق، ص179-180.

(122) إبراهيم المشهداني، الفكر الجغرافي وطرق البحث، مطبعة جامعة الموصل، 1985م ص60.

المراجع والمصادر:

❖ **القرآن الكريم**.

1- ابن الأثير،جلال الدين ابن أبي الحسن علي ابن ابي الكرم، ت630 هـ، اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، القاهرة، مكتبة القدسي 1957.

2- البغدادي، إسماعيل باشا،هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المجلد الثاني، ط3، مطبعة وكالة المعارف ستامبول 1955.

3- حسن، صبري محمد، الجغرافيون العرب، ج1،مطبعة القضاء، النجف الاشرف،1958.

4- الحموي، ابي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، طبعة مصححة ومنقحة دار احياء التراث العربي، بيروت.

5- حميدة،عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب،دار الفكر،دمشق، 1995.

6- الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد ابن علي الخطيب البغدادي ت463 هـ، تاريخ بغداد، ج7، ط1، المكتبة العربية، بغداد سنة 1931 ص .

7- الرازي،محمد بن ابي بكر،مختار الصحاح،ج1،مكتبة لبنان، بيروت،1995.

8- الزركلي، الأعلام، ج6، ط3، مطبعة كوتشاتسوماس، بيروت، 1979.

9- أبو سعد، احمد، ادب الرحلات، ط1، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت،1961.

10- كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش،تاريخ الأدب الجغرافي،القسم الاول نقلةإلى العربية صلاح الدين عثمانهاشم،مطبعة الإدارة الثقافية جامعةالدول العربية سنة 1957.

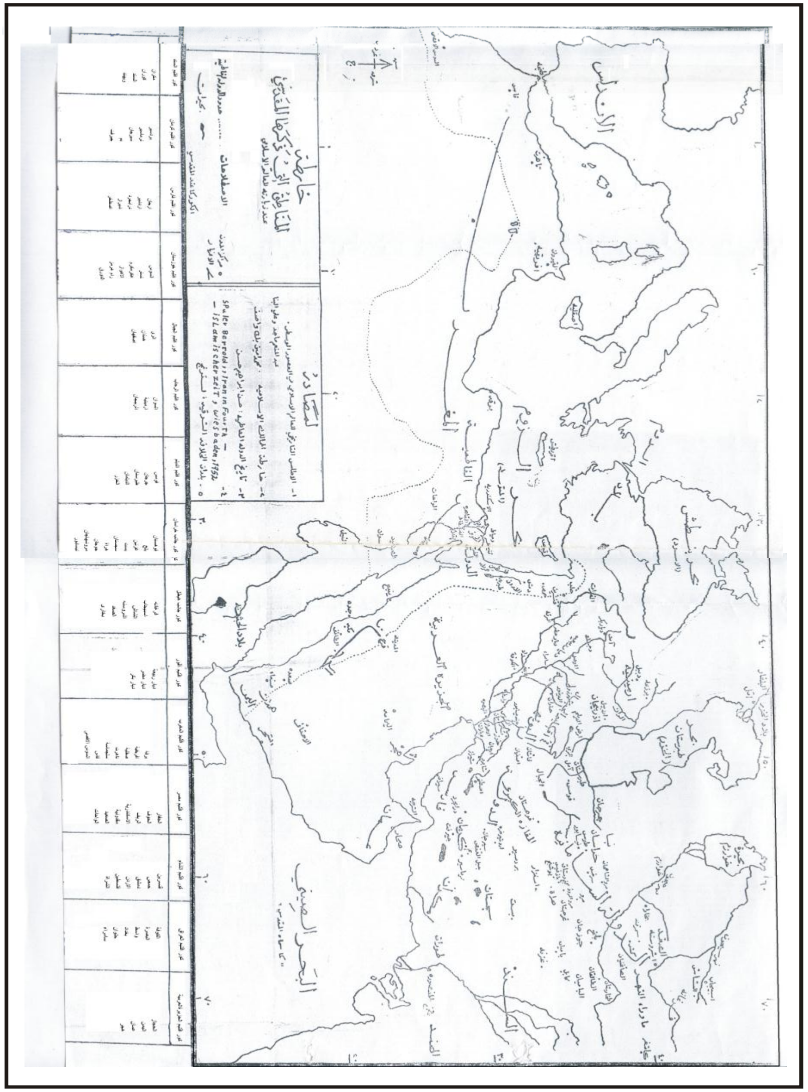
11- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، ط3، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1957 .

12- محمد، صباح محمود، دراسات في التراث الجغرافي العربي، المركز العربي للطباعة والنشر بيروت، 1981.

13- مخلص، عدي يوسف، المقدسي البشاري ومنهجه في دراسة كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط1، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، رسالة ماجستير (منشورة). 1973.

14- المشهداني، إبراهيم، الفكر الجغرافي وطرق البحث، مديرية مطبعة الجامعة، الموصل، 1985.

15- المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، دار صادر بيروت، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة ابريل سنة1909.



دور المؤسسات التربوية في تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الاطفال

(الاسرة والمدرسة انموذجا)

((دراسة ميدانية لعدد من الأسر والمدارس الابتدائية في محافظة ديالى))

د. عبـــــدالرزاق جـــدوع محمـــد
جامعة ديالى/مركز ابحاث الطفولة والامومة

مُقَدِّمَة

ان المسؤولية الاجتماعية التي تنميها المؤسسات التربوية عندالطفل منذ سني حياته المبكرة، عبرعملية التنشئة الاجتماعية تبرز في مؤسستين اساسيتين هما الاسرة و المدرسة، والتي تسهم كل منهما في تعليم الطفل المهارات الاجتماعية، ولعب الأدوار الوظيفية وبلورتها في شخصيته واكسابه القيم الايجابية، و الحميدة ونبذ القيم السلبية والضارة والتمرس بالاعمال وادائها على نحو ينمي المجتمع، ويمكنه من بلوغ اهدافه الاجتماعية المرجوة، من اجل تربيته وتقويمه والارتقاء به الى مستوى التحديات التي تواجهه و تواجه مجتمعه، ولا يكون ذلك الا من خلال تعميق المسؤولية الاجتماعية لديه ليكون مدركاً لما ينتظره المجتمع منه من اعمال ومهام تضمن مسيرة المجتمع التقدمية. وملماً بطبيعة القيم التي يتحلى بها ليكون اداة فاعلة في البناء، واعادة البناء، والتغير الاجتماعي المنشود، وتقع على عاتق هاتين المؤسستين (الاسرة والمدرسة) مهام جسيمة باعتبارهما الاساس التعليمي الاول للطفل لما لهمامن دور فاعل في نشاطاته المختلفة من (علمية وادبية وفنية) لاشباع ميوله وهواياته واستثمارها وانماء قوى الابداع والانتاج لديه،لكي يوجه هذا الابداع والابتكار لخدمة المجتمع لينمو عنده الاحساس بالانتماء للجماعة، والدور الاجتماعي الذي يجب ان يقوم به ليكون مواطن صالح مستنير يدرك ما له وما عليه من واجبات تجاه مجتمعه وبيئته، وكما تعول عليه تربية المواطن تربية جسمية وعقلية وخلقية، ليترجم ما تعلمه الى انماط سلوكية مرغوب فيها، فتعلمه التربية الاسرية مثلا كيف يحافظ على الكلمة

تصدر منه وكيف يكون مسؤولاً عنها كما يكون مسؤولاً في العابه، فيعدل بين اقرانه في اللعب كما يعدلوا معه ويلاعبهم بروح المسؤولية من حب ومساواة ومرح في صدق واخلاص.

ثم يتعلم في المدرسة انماط سلوكية اخرى مرغوب فيها تعزز ما تعلمه في الاسرة، فيتعلم مثلا كيف يحترم نفسه، وكيف لا يفعل الخطا وان غفلت عنه اعين الرقباء، ولا يغش في الامتحان ولو تركه المعلم وحده مع كتبه و محاضراته، وكيف يعطف على الضعفاء ويبذل لهم ماستطاع من معونة، فيعود الاعتزاز بنفسه وبمدرسته و بمجتمعه، و ان يفكر بغرض نبيل له في الحياة يسعى لتحقيقه، حتى اذا ما اتم دراسته، وتخرج كان معلماً مسؤولاً اوطبيباً مسؤولاً او مهندساً مسؤولاً او فناناً مسؤولاً، ام موظفاً مسؤولاً وعلى الجملة انساناً مسؤولاً، ولا يتحقق كل ذلك ما لم يكن هناك تنسيق و تعاون بين المؤسسات التربوية من اسرة أو مدرسة ووسائل اعلام وغيرها من المؤسسات، هذا التعاون الذي يفضي الى التزام الطفل تجاه مجتمعه، خصوصاً عندما يكون المجتمع بحاجة الى جهوده، فيتعلم من خلال هذا الالتزام تفضيل المصلحة الجماعية على المصلحةالذاتية، بالاعتماد على نفسه وجهوده الفردية التي تخدم مصلحة الجماعة والمجتمع، لتنمو بداخله الطاقات الكامنة لكي يكون انساناً فاعلاً و مؤثراً بابتعاده عن الاعتماد على الاهل و استنجادهم في كل كبيرة و صغيرة،لذا ندعو القائمين على تربية الطفل الى تفهم معاني السلوك الذي يبديه او يعبر عنه، وان لا يجعلوا حياته تسير سيراً عشوائيا بدون اي ضابط او وازع . بل تسير على وفق تنظيم ساعات يقضيها خلال يومه في تحضير دروسه، و مساعدة اهله، او مشاهدة برامج التلفاز، وقضاء اوقات فراغه، ليتعلم من ذلك احترام قيمة الوقت و الحرص عليه كمسؤولية اخرى تضاف الى مسؤولياته.

يتالف **البحث** من **مقدمة** واربعة مباحث اساسية **اولها** :التنشئة الاسرية والمدرسية وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية، **وثانيها** :مجالات المسؤولية الاجتماعية في الاسرة والمدرسة، **وثالثها** اساليب التنشئة الاجتماعية في الاسرة والمدرسة وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية، **ورابعها** التحديات التي تواجه الاسرة و المدرسة في تعميق المسؤولية الاجتماعية، ثم **الاستنتاجات والمصادر العلمية** . واني اذ اقدم ثمرة جهدي المتواضع،ارجو ان اكون قد وفقت في ان اقدم للمشتغلين ببحوث الطفولة شيئا فيه جدوى وغناء .

الباحث

المبحث الاول

التنشئة الاسرية والمدرسية وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية

يهتم هذا المبحث بتعريف مفاهيم التنشئة الاسرية والتنشئة المدرسية، والمسؤولية الاجتماعية، ثم توضح علاقة التنشئة الاجتماعية في الاسرة والمدرسة في تنمية وتعميق المسؤولية الاجتماعية عند الطفل وهي كما ياتي :

أ- التنشئة الاسرية والمدرسية:

تعرف التنشئة الاسرية بانها العملية التي تتبناها الاسرة، والتي تستطيع من خلالها تمرير الافكار والقيم الى الابناء بحيث تسهم في بلورة ادوارهم وتكامل شخصياتهم كافراد فاعلين في المجتمع[1]، من خلال مجموعة من الاساليب النفسية والاجتماعية التي تستعملها الاسرة بقصد اكساب الطفل سلوكاً او تعديل سلوك موجود بالفعل[2]، كما تعرف بانها عملية نفسية – اجتماعية يواجهها الفرد ويخضع لها بدءً بميلاده وانتهاءً بوفاته، لكي يصبح شخصاً اجتماعياً مواكباً للمراحل العمرية التي يعيش فيها[3]، وتعرف ايضا بانها المؤسسة التي عن طريقها يكسب الطفل اللغة والاتجاهات والتوقعات وطريقة الحكم الصحيح والخاطئ وتنسيق حركاته وانماط سلوكه وتطور شخصيته المتمركزة حول ذاته الى شخصية اجتماعية[4].

تعرف التنشئة المدرسية بانها تعليم الاطفال وتربيتهم من خلال تبسيط التراث الثقافي وخبرات الكبار لهم، وتقديمها في نظام تدريجي يتفق وقدراتهم[5]، بالاضافة الى تنشئتهم وتكوين شخصياتهم تكويناً يمكنه من التفاعل والتكيف مع المجتمع والعمل على تطويره .

ب-المسؤولية الاجتماعية :

تعرف المسؤولية الاجتماعية بأنها الشعور الواعي، والمدرك لالتزامات الفرد تجاه جماعته ومجتمعه، كما تعرف بانها مجموعة التزامات بذمة الفرد، والتي تدفعه الى العمل من اجل المجموع من اجل تنمية المجتمع والدفاع عنه[6].

كما تعرف بانها الوعي الاجتماعي الذي يجسده الفرد في تفكيره وعلاقته بالآخرين، هذا الوعي الذي يجعله يفضل المصلحة الجماعية على المصلحة الذاتية[7].

والآن سنتناول علاقة الأسرة والمدرسة في ترسيخ المسؤولية الاجتماعية عند الاطفال.

ج- علاقة التنشئة الاسرية والمدرسية بالمسؤولية الاجتماعية:

تلعب الاسرة دوراً كبيراً في تعليم الطفل النواحي الاجتماعية التي تعزز قيمة المسؤولية لديه: كالتفاني والإيثار والتضحية في سبيل الآخرين، والتصدي للاخطار التي يتعرض لها المجتمع، او التي تسيء الى سمعته، كما تحاول الاسرة الحفاظ على ابنائها من الوقوع في مهاوي الانحراف والجريمة، وارشادهم الى المعارف التي توضح لهم فضائل المسؤولية الاجتماعية لاسيما المحافظة على المجتمع من الامراض والاخطار والتحديات.

كما تنمي الاسرة عند الطفل مفاهيم الوفاء والاخلاص والعدالة ليحصل في المستقبل على اعتبار اجتماعي محترم بين الناس، ذلك لان الدوافع المصلحية والنفعية والوصولية تجعله يستفاد مادياً،ولكن على حساب مركزه وقيمته وسمعته الاجتماعية[9]، وامر كهذا يتوقف على يقضة الضمير الاخلاقي وعلى وجود قدوة حسنة تمارس السلوك الخلقي في الحياة الواقعية،بحيث يكون الطفل مشاهداً مشاركاً في هذه الممارسات[10]، وهكذا يتعلم الطفل منذ الصغر على ان هناك علاقات تربطه بالمجتمع قائمة على الاخذ والعطاء، فالطفل يشبع حاجته الى الانتماء ويلتزم بقيم المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي اليه، ولا يتم له ذلك الا من خلال معاونة الاسرة له على اكسابه الضمير الاجتماعي[11]، وعلى هذا الاساس نجد ان كل فرد في الاسرة مسؤول عن اسرته، وليس للرجل ولا للمرأة ان تقول لا ابالي، فكل فرد مسؤول، ويجب ان يشعر ان سعادة البيت، او شقاءه نتيجة تيقضه باحتمال العبء او الهرب منه[12].

ان المدرسة تكمل دور الاسرة في تنمية قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الطفل من خلال تقوية المشاعر الجماعية لديه وحثه على الاعتماد على نفسه في نجاحاته وانجازاته، كذلك ارشاده الى احترام الملكية العامة لانها ملك الجميع، وتدريبه على الشعور بـ (نحن) وليس بـ (انا) وتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبين المجتمع[13]، وتوجيهه على المحافظة على الثروات الطبيعية والوطنية والحرص على سمعة الوطن، وتأدية الواجبات باخلاص والالتزام بالمهام المنوطة به، والشعور بالمسؤولية وتحمل الامانة والدفاع عن الوطن والتضحية من اجله[14]، واشعاره بضرورة التعاون الاجتماعي واحترام الاخرين، والاعتزاز بالوطن والاستعانة بالماضي كدعامة قوية صالحة لبناء الحاضر[15]، كذلك تعلمه المدرسة حب الوطن والشعب، والعمل المتواصل على تقدم المجتمع والحفاظ على سمعته[16].

المبحث الثاني

مجالات المسؤولية الاجتماعية في الاسرة والمدرسة

ساتناول في هذا المبحث مجالات المسؤولية الاجتماعية التي تعتمدها الاسرة والمدرسة في زرع هذه القيمة عند الاطفال، متقصيا بذلك الجوانب الايجابية والسلبية التي تمارسها الاسرة والمدرسة، بوعي منها او بغير وعي،وهذه المجالات هي على النحو التالي :

أ- تنمية الوعي الاجتماعي لدى الاطفال :

ان الاسرة هي الاستمرار المادي للمجتمع، وهي التي تزوده باعضاء جدد عن طريق النسل، وتتولى الاستمرار المعنوي لهذا المجتمع، وذلك بتلقين الاعضاء قيمة ومعايير سلوكه واتجاهاته، من اجل تقبل المجتمع له، وتقوم الام بتبصير الاطفال بهذه الضوابط[17]، وتبصرهم بالظروف الاجتماعية الصعبة التي يمر بها المجتمع والتصدي لها وتطويق اثارها، وتعلمهم ان الوحدة والتعاون بين الفئات الاجتماعية الموجودة في الساحة هما السبيلان القويمان لمواجهة كل الاخطار والمشكلات التي يتعرض لها المجتمع[18]. لكن جهل الام واعتقادها بالخرافات والاساطير، وخوفها منها

ونقل هذا الخوف بشكل لا واع الى الاطفال عندما تقصها عليهم، يساهم في استتباب مشاعر الخوف غير المبرر في نفوسهم واضعاف ثقتهم بانفسهم، الأمر الذي يضطرهم الى اللجوء الى الاخرين كمصدر للاطمئنان والاتكال عليهم بشكل مفرط، خوفا من تحمل المسؤوليات المترتبة عليهم حين يكونوا راشدين مستقلين، واعضاء فاعلين في المجتمع[19]. فلا بد من ايمان الاطفال بقدراتهم على القيام بواجباتهم والتزاماتهم بانفسهم، وأخذهم الحقوق المقابلة لهذه الواجبات، ذلك ان المواطنه السليمة تقوم على الكفاءة الاجتماعية وفهم العمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع من اجل تفهم الحياة والتكيف لها[20].

يعتقد (دوركهايم) ان الطفل في طور ما قبل الدراسة يكون في سن صغيرة تتسم بضيق الافق العقلي، وتحد هذه القدرات العقلية القاصرة من مبادئ الطفل الاخلاقية، كما تتصف حياته العاطفية بالسذاجة، وتصطبغ افكاره بالبساطة والسطحية والضعف، ولا تسمح حياته النفسية، ان يقوم سلوكه على اساس عقلاني[21]، ومتى دخل الطفل المدرسة الابتدائية فان احياء وعيه الاجتماعي، وتحسين حياته الاجتماعية والاقتصادية يتطلب نشر التربية الاساسية، ومكافحة الامية بين الكبار ليدركوا واجباتهم ويسهموا جميعا في تقدم المجتمع[22]. ولا يكون ذلك الا بتحسين الحياة الاجتماعية والاقتصادية لان العقل يضمر ويضعف ويضيق بضمور الظروف الاجتماعية والاقتصادية، والخوف من الاعتداءات الداخلية والخارجية[23]، لذا يحتاج المجتمع الى تحديث المؤسسة التربوية وعقلنتها، لتحرر الذات الواعية والمدركة، من دون تفريط بالقيم الثقافية العليا، فالعقلنة هي تنشئة الاطفال على وعي العصر وقبوله والتكامل معه، وهذا من عمل المنهج المدرسي[24]، كل ذلك من اجل تعويد الطفل التفكير الناقد والاسلوب المنطقي في التفكير من خلال مناقشته بابسط المسائل والاشياء[25]. لكن الواقع يكشف ان اسلوب التعليم المدرسي يغلق الباب امام التساؤل والحوار بحيث لايجرؤ احد من الاطفال على طرح سؤال او ابداء رأي مختلف[26]، كما ويعلم الطفل على ان عدم المعرفة عيب، لذا لا يجرؤ على قول لا اعلم، فيلجأ الى طرق ملتوية بهدف تمويه عدم معرفته .

ب- تنمية السلوك الاجتماعي لدى الاطفال:

تقوم الاسرة بحفز اساس الهيكل الاجتماعي في سلوك الطفل لكي تنشئ فيه متطلبات ذلك من اجل ان يصبح احد عناصر مجتمعه، اي يتم التخطيط لتحويله من آدمي الى فرد حامل السمات الاساسية لمقومات البناء الاجتماعي[27]، وتتحمل الام هذه المسؤولية الى سن الثالثة من عمر الطفل، ومنذ الثالثة الى الخامسة تتحمل الاسرة كلها المسؤولية الكاملة لتنشئته اجتماعيا[28]. لكن الحرمان الاجتماعي يؤدي الى عدم اكسابه السلوك الاجتماعي . لذا تحاول الاسرة احاطته بالاستقرار والامن الاجتماعي وابعاده عن مواطن الانحراف والجريمة، وتوحيد افكاره وممارساته وتحويل سلوكه من سلوك انفعالي غريزي الى سلوك منطقي عقلاني، علما ان تقويم سلوكه يشارك في تنمية المسؤولية الاجتماعية لديه[29].

اما المدرسة فانها تحاول اشراكه في ممارسات تساعده على انماط من السلوك السوي، وتعلمه العادات السلوكية التي تتفق مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع[30]، وتلقنه الاتجاهات الانسانية السليمة كالتسامح والتعاون والايثار وتحقيق الانسجام بين هذه العواطف، بما يؤدي الى استقرار الحياة الوجدانية للطفل[31]، وتحاول المدرسة ايضاً تخفيف المشكلات والاعباء التي يواجهها الطفل كالخوف والخجل والعدوانية لاسيما في مراحل دراسته الاولى[32]، وعندما يلتقي بزملائه في المدرسة والبيت فانه يبدء بالتوافق مع البيئة الجديدة، والتكيف مع زملائه ويحصل على معارف جديدة[33]، فالمدرسة هي خير اداة لاكساب الطفل انماط السلوك التي تتوافق مع المجتمع .

ج- تربية الطفل على اشغال الاعمال الوظيفية :

تقوم الأسرة بتعليم الاطفال مختلف العلوم و الفنون والاختصاصات التي يحتاجها المجتمع و ذلك من خلال ارسالهم الى المدارس، وحثهم على الدوام المستمر، من اجل التخصص في الموضوعات التي يحتاجها المجتمع، وتوفر لهم كل ما من شانه ان يمكنهم من الاستفادة من الدراسة و التحصيل العلمي، ومن ثم زجهم في الاعمال التي تتلائم مع تدريبهم و تخصصهم المهني و العلمي[34]. ذلك ان

التعليم اداة اساسية للمجتمع في اداء الوظائف، وتبدا حلقات هذا النظام برياض الاطفال مرورا بالمدرسة، بيد اننا نجد ان كثير من الاباء يدفعهم حرصهم على نجاح ابنائهم في حياتهم الدراسية، و ما بعدها الى التدخل و التحكم في اختيار نوع الدراسة والعمل الذي يشغله الابناء بعد تخرجهم، وسبب ذلك هو تطلعهم الى مستوى افضل لحياتهم وحياة ابنائهم، ولكن هذا التدخل يجب ان يقترن بتفهم الاباء لمستويات ابنائهم الدراسية، و استعداداتهم و ميولهم، فقد يكون الابن من ذوي الميول العلمية، وعندئذ يكون موفقا في دراسته لو اتجه الى التعليم الصناعي او التجاري[35]. ودليل ذلك اني وجدت اثناء دراستي الميدانية ان المدارس المهنية و الصناعية في محافظة ديالى قيد الدراسة، قليلة بالمقارنة بالمدارس الثانوية البالغ عددها (310) مدرسة، اذ بلغ عدد المدارس المهنية (13) مدرسة تضم(2293) طالبا وطالبة، والمدارس التجارية وعددها(2) مدرسة وتضم (340) طالباً و طالبة بالقياس الى عدد طلاب التعليم الثانوي البالغ (805،87) طالباً وطالبة، اما معاهد المعلمين والمعلمات فيحتوي على (16) معهد يضم (4437) طالباً و طالبة[36]، وعندما يلجا اكثرية الطلبة الى التعليم الثانوي، ويلتحقون بالجامعة يجدون تدخل الاهل مرة اخرى في تحديد الكلية التي سيدرس فيها الطالب دون اخذ رايه، ومراعاة ميوله واتجاهاته، فقد يفرض الاب رغبته على ابنه ويختار له كلية الطب، لانه يرغب ان يكون له ابن يعمل طبيبا، بينما يكون الابن راغبا في ان يكون مهندسا، وهكذا يضغط الاب ويستجيب الابن فيتعثر في دراسته، لذا لابد ان يتبصر الاباء باهمية التعرف على المستويات االعقلية و الميول والاستعدادات لابنائهم[37]، اذا ارادو لهم ان يقدموا خدمة حقيقية لمجتمعهم.

اما المدرسة فانها تعد الطفل اعدادا خلقيا وفكريا و بدنيا، فتعلمه مبادى العلوم، وتربي شخصيته الانسانية، وتنمي ارادته حتى يصبح مواطنا صالحا، لاسيما انها تعتمد على دروس التربية الوطنية و الاجتماعية في الصف الخامس و السادس، وهذا لا يعني ان تكون الصفوف الاولية خالية من هذه المفاهيم من اجل ان يتواصل الطفل في تعلم هذه المبادئ الاخلاقية لتصبح جزءا من شخصيته فيما بعد، فبالتعلم والتدريب تستطيع المدرسة رفع كفاية الطفل وتاهيل قدراته، فالتعليم اداة اساسية من

ادوات التنمية ووسائلها[38]، وتخريج التلاميذ من المدرسة، وزجهم في مجال الخدمات و الاعمال و المرافق العامة، لتطمين احتياجات المجتمع المتزايدة، فالشهادة رخصه لدخول العمل و يتحدد اجره بناء على نوع مسؤلياته، و الشهادة تفرض قيمة الاجر بصرف النظر عن نوع العمل ومسؤلياته[39].

د- تربية الطفل على كيفية زيادة الانتاج:

من مهام الاسرة في تربية الابناء، هي حثهم على زيادة الانتاج وتحسين نوعية الخدمات التي يقدمونها للمجتمع، وزيادة الانتاج تعني توفيرالسلع في الاسواق بكميات كبيرة، وانخفاض سعرها وزيادة الطلب عليها يرفع معدلات انتاجها ويوسع كفاءتها الانتاجية، وهذا ما يزيد كمية الارباح لارباب العمل،ويحفزهم على ادخال التقنيات والطرق الحديثة في الانتاج[40]، ولايتم انماء القدرة الانتاجية في المجتمع ما لم تتنوع صنوف التعليم،ويتعزز التعليم المهني والذي سبقت الاشارة اليه،وفي مختلف المراحل وتفتيح العقول، وتمكينها من اساليب التفكير العلمي، وترويضها على الاستقلال، والمبادرة وتحمل المسؤليات، و التبعات وادراك المشكلات وسلوك السبل الصحيحة لحلها[41] وهناك حاجة في نفس الطفل تتضمن هذه الحاجة الاحساس بالكفاءة في الاعمال التي تتصل بالكبار من قبيل اتقان المهارات، وتعلم كيفية التعامل مع الاخرين ومن خلال الانجاز يشعر الطفل بنفسه كشخص مستقل لهُ هدف وباستطاعته التاثير على البيئة التي تحيط به[42].

اما في المدرسة فالتعلم يعد الاداة القادرة على تاهيل قدرات الانسان فنياً والذي بواسطته تتغير علاقة الانسان بالبيئة في سعيه للكشف عن اسرارها و سيطرته على مواردها و استثمارها من اجل توفير الرخاء الاجتماعي و الاقتصادي[43]. لذا لابد من الاهتمام بالتعليم الابتدائي، و تحسينه ورفع مستواه لانه الحد الادنى الذي لايستغنى عنه في اعداد المواطن المستنير الذي يعرف كيف يشق طريقه في الحياة العملية،ولا ننسى ان كل اصلاح اجتماعي و اقتصادي يبدأ بنشر التعليم الابتدائي واصلاحه[44]، ذلك ان التعلم في المجتمع العربي بشكل عام يركز على المعرفة

النظرية الاسترجاعية و يجعل التفوق في هذا المجال الطريق للحراك الاجتماعي من خلال نظام التعليم، و من سار بهذا الطريق سمي ناجحاً، والا كان راسبا وهكذا يصبح تكافؤ الفرص في متابعة التعليم حكرا على اولئك الذين يتميزون بالسيطرة على مجالات المعرفة النظرية، مما يلقى في الظل مجالات للحراك الاجتماعي وفي نواحي تتطلبها قطاعات التنمية و الانتاج[45] و تحت عبارة (الاستثمار في الانسان) قفزت التربية الى مصاف راس المال في العملية الانتاجية، و كشفت عن وجود ترابط بين التنمية و التعليم، حتى اصبح العالم المتقدم يعتمد في منتجاته الصناعية المتفوقة على المهارات التي يملكها عمالها، بما في ذلك قدراتهم التنظيمية و التي ترجع الى التربية و ليس راس المال المتوافر[46]. و قراءة متانية لواقع التعليم في محافظة ديالى، لا سيما في فترة التسعينيات من القرن الماضي تكشف لنا رسوب اكثرية الطلبة في المواد العلمية التي تتطلب قدرات عقلية عالية قائمة على الفهم و الاستيعاب، و ياتي على راس هذه المواد الرياضيات، ثم العلوم[47]، و يبدو ان السبب في ذلك هو طابع الحفظ و التلقين او البصم الذي انفردت به اغلب مدارسنا الابتدائية بل حتى المدارس الثانوية والجامعات، وما كراسات الطلبة و ملازمهم الا دليل على اعتماد هذا الاسلوب في اكتساب المعرفة .

هـ- حث الاطفال على كيفية الدفاع عن مجتمعهم:

تنهض الاسرة بمهمة حث الابناء على ضرورة الدفاع عن المجتمع وحمايته من الاخطار و التحديات، و ايقاض عقولهم وضمائرهم وتعميق المسؤليات لديهم للدفاع عن قضايا المجتمع الوطنية، و تعميق الشعور الوطني عند الابناء و توجيهم لمواجهة الفتن و الانقسامات، و مضاهر التصدع التي قد يشهدها المجتمع، وخلق حالة من التماسك التي تقوي اركان المجتمع وتمكنه من تحقيق اهدافه[48]، كما تقوم الاسرة بتعليم الابناء رفض الأفكار و الممارسات الفوضوية والتصدي لها و محاربتها وحالة كهذه تجعل اعداء المجتمع يخفقون في تحقيق اهدافهم الشريرة و الخبيثة[49]. وقد اثبتت الدراسات العلمية ان التعليم السياسي للطفل الامريكي يبدأ من السن الثالثة،

اي قبل دخوله المدرسة، فهو يرتبط عاطفيا برموز بلده وصور نظامها السياسي، قبل ادراكه للعالم السياسي بوقت طويل، فهو في مستهل حياته يعبر عن اعجابه بتلك الاشياء المحلية، ويعقب ذلك تعلقه برموز السلطة العامة، وبعد بلوغه سن الثامنة عشر تزداد معرفته بمفاهيم اكثر تجريداً كالتصويت والديمقراطية والحكومة[50]، وهكذا تتحسن الاخلاق الفردية وترتقي ويوضح ذلك خلق التعاون، وتغليب النزعة الاجتماعية على النزعة الفردية، والشعور بـ (نحن) على الشعور بـ (انا) . وخلق التعاون يتطلب شعور عميق بان الفرد نتيجة لمجتمعه، وهذه العقيدة تؤدي الى شعور بوجوب سداد هذا الدين، وسبب الشعور بـ (نحن) متأخر في الطبيعة عن الشعور بـ (انا) . شأن المجتمع في ذلك شأن الطفل لا يشعر بوجوده الابنفسه، ويريد ان تكون الدنيا كلها له[51]. فـ (انا) تدل على الفردية و(نحن) تدل على الاشتراك، وقد اشتقوا من (انا) الانانية بمعنى حب الذات، والاستئثار بمصالحها الشخصية، ولم ينسبوا الى (نحن) فيقولوا (النحنية) للدلالة على الشخص وغيره[52]. وقد كشفت لنا الدراسة الميدانية في محافظة ديالى ان نسبة عالية من الاطفال لا يؤثرون الاخرين على انفسهم، وليست لديهم الشجاعة في قول ما يريدونه، بل لا تشغلهم احداث المجتمع .

اما المدرسة فانها تقوم بتدريس التلاميذ مبادئ التربية الوطنية والاجتماعية بالاضافة الى تدريسهم القراءة والكتابة، فهي تعلمهم مثلا المثل العليا كالديمقراطية وحكم القانون، واعطائهم المعلومات التي من شأنها توسيع مشاعرهم المبكرة والمرتبطة بالوطن[53]، ويبدأ الاطفال في مرحلة المراهقة بتحمل بعض واجبات المواطنة مثل التصويت والخدمة في القوات المسلحة، والانتقال من دائرة الانا الضيقة الى الدائرة الاجتماعية الاوسع والذي يعني استيعاب الافراد لهيكل وعمل النظام الاجتماعي، والتسليم بان التصرف الجماعي سبيل لحل المشكلات السياسية[54]. كما يقع على عاتق المدرسة دور مهم وهو نشر الافكار والقيم الوطنية بين الناشئة وترسيخها في نفوسهم، وحثهم على الالتزام بها والتصرف بموجبها[55]، ويبقى ان توظف هذه المبادئ الاجتماعية والاخلاقية في نظامنا التعليمي توظيفا موضوعيا من اجل خدمة الاهداف الوطنية، وتحرير الانسان فكرا وارادة[56].

المبحث الثالث

اساليب التنشئة الاجتماعية في الاسرة والمدرسة وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية عند الطفل

نتناول في هذا المبحث اساليب التنشئة الاجتماعية التي تعتمدها الاسرة والمدرسة، في تربية الابناء وتدريبهم على قيمة المسؤولية الاجتماعية، سواء كانت هذه الاساليب ايجابية او سلبية، مثال على ذلك عدم استطاعة الاسرة على تدريب الاطفال على انماط السلوك المتطور وتمسكها بالمعايير والقيم والتقاليد البالية التي لا تساير تطورات العصر، مثل قضية خروج المرأة للعمل[57]، مثل هذه الاسرة تجهل الاساليب الصحيحة والسليمة في تنشئة الاطفال، هذه الاساليب التي تعتمد الرعاية المكثفة والملازمة المستمرة للابناء اثناء عملية التدريب والتعلم[58]. وسنتناولها بشئ من التفصيل في اساليب التنشئة في الاسرة والمدرسة وهي كما يلي:

أ- اساليب التنشئة الاجتماعية في الاسرة و علاقتها بالمسؤولية الاجتماعية:

عندما تجهل الاسرة الموازنة بين اساليب اللين و الشدة عند تربية الاطفال، وتبنيها استعمال مبدا الثواب و العقاب في التنشئة وعدم امتلاكها الرؤى السليمة نحو القيم الايجابية المطلوب زرعها عندهم و القيم المنحرفة لكي لا تكون اداة للهدم[59]، مثل هذه الاسرة تقتل شخصية الطفل وتروضه على التقيد الاعمى لعادات المجتمع وتقاليده و قيمه،مما يضطره الى الامتثال لها حتى لا يرفض من قبل اسرته، وبناء شخصيته على صورة الاخرين، فهي تعاقب الابتكار الذي يقوم به و تكافئ المقبول من المجتمع، حتى وان كان مبتذلاً . و يعود منذ البداية على الاهتمام بما يقوله الاخرون، و اما رايه فلا يعول عليه ولا قيمة له، فتعلمه الاسرة اتقان فن المسايرة و ارضاء الاخرين، ولو تم ذلك على حساب حقوقه المشروعة، وان كان الاخرون على خطأ و هو على صواب، واعطاءه معلومات جاهزة غالبا ما تكون خاطئة، ثم تخضع الاسرة الطفل لمن هم اكبر منه سناً لاحترامهم فقط، ولا ينصب التركيز على الصفات الشخصية المميزة للفرد بل على السن كفضيلة بحد ذاتها، لذا تبرز المشكلة من خلال

عدم افساح المجال امام النشئ الطالع لاظهار قدراته ولتحمل المسؤوليات الاجتماعية[60].

و بذلك يضيع الطفل في الاسرة التي يهيمن عليها الاب و المجتمع، القائم على الابوية، و بهذا تكون الاسرة شديدة الوطاة، مما يهيئ الطفل لان يطيع في شبابه، لا ان يقارع او يناقش، و تنمي فيه الالتواء و الازدواجية، و الاعتماد على الكبير في كل شئ والاهم من ذلك هو ان يكون الولد مطيعاً مؤدباً، متاخرا في الاطلاع على شؤون الحياة، متفوقا على الاقران، والا فالاكثار من الاستهزاء بشخصيته ومقارنته مع الغير، و الالحاح على فشله، فالقمع من الاسرة سببه شيوع مواقف غير عقلانية و خرافية في صفوف غالبية الناس، الامر الذي يؤدي الى احكام سيطرة الوضع القائم على الناس و جعلهم يرفضون اي تغير اجتماعي[61].

لذا يتوجب على الاسرة تدريب الطفل على الاستقلال بدلا من الهيمنة و التسلط على تصرفاته، لان ذلك يقتل عنده اي اتجاه نحو الاعتماد على النفس[62]. و عليها ان لا تتعجل نموه قبل الاوان و تحميله مسؤليات لا تتفق و عمره، وحرمانه بذلك من سعادة الطفولة، ومن فرص النمو التدريجي السليم، و افساح المجال له للعب والعبث دون تذمر الاباء و انزعاجهم، و على الاسرة ان تكون عادلة في معاملة الطفل، فالجزاء الذي توقعه يجب ان يكون قائما على تقدير موضوعي للموقف وليس على اساس عاطفي، وان تكون معتدلة في التسامح مع ما يرتكبه الطفل من اخطاء كما يجب ان يكون التوجيه بالاخطاء وقتيا متعلقا بالموقف القائم.

ب- اساليب التنشئة الاجتماعية في المدرسة وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية:

تمارس المدرسة احيانا اساليب تربوية خاطئة لا تقل عن الاساليب الخاطئة التي تنتهجها الاسرة، و مثال على ذلك اساليب القهر الفكري المباشر عن طريق التلقين (البصم)، وقطع الطريق على كل محاولات التلميذ في مجال التساؤل والحوار فالتلقين يشكل العامل الاساس للتعليم داخل المؤسسات التربوية دون فهم الطفل لما يدرسه[63]. و نتيجة ذلك تكون درجات الطلبة المنخفضة جدا في المواد التي تحتاج الى قدرات عقلية و ذكائية، كمادة الرياضيات و مادة العلوم، وكما اشرنا الى ذلك فيما مضى، واحد اساليب هذا التلقين هو تقيد المعلمين بالطرق التي تعلموها في الكتب، او اخذوها من غيرهم من غير ان يكيفوها، بحسب تجاربهم اثناء التدريس، و عدم قدرتهم على تقويم عقل الطفل و تقوية ارادته و شخصيته[64] كما ان هناك العلاقات الاستبدادية التي تاخذ الشكل العمودي، و المتمثلة في علاقة المدير بالمعلمين، و المعلمين بالتلاميذ والتي غالبا ما تتسم بالاهتمام بالمظهر دون الجوهر، بالاضافة الى اشاعة الخوف بين التلاميذ اثناء الدروس، و فتور متعة المعلمين في التعليم داخل الصفوف، وهناك في الطرف الاخرالحرية المطلقة التي يمنحها بعض المعلمين للتلاميذ، و التي تصل الى حد الفوضى في مواجهة المواقف التربوية، وحسم المشاكل التعليمية،كرد فعل للسيطرة الدكتاتورية،[65]. بالاضافة الى ذلك فان هنالك اساليب خاطئة تتبعها بعض الاسر و المدارس من دون وعي منهما، وهي مجالس الاباء والمعلمين، وهذه المجالس لا تنعقد بشكل مستمر طوال السنة الدراسية، وحتى وان انعقدت، فهي لا تركز على المشاكل الحقيقية التي يعاني منها الاطفال، فالمدرسة لا تكترث كثيرا لهذه المجالس، وكذلك الاسرة لا يهمها متابعة ابناءها بشكل متواصل، وكما اظهرت ذلك نتائج الدراسة الميدانية في المحافظة[66]. و التربية المدرسية لكي تثبت جدواها لابد من معرفة عدد الاطفال الملتحقين بالمراحل التعليمية، بحسب الشرائح العمرية التي ينتسبون اليها، ودرجة انتظام الاطفال في عملهم المدرسي، و طول المدة التي يقضونها، في المدارس ومراحل التعليم التي يقضونها[67].

وعثرت على دراسة ميدانية في مديرية تربية محافظة ديالى حول ظاهرة التسرب الدراسي في التعليم الابتدائي اعدت خلال فترة الثمانينات من القرن الماضي، و قد وجدت في هذه الدراسة حقائق كشفت لي ان الظروف الصعبة التي كان العراق يمر بها لاسيما فترة حرب الثماني سنوات، قد تركت اثار واضحة على تلكؤ انتظام الاطفال بالدوام المدرسي، واظهرت الدراسة ان عدد المتسربين في الريف اعلى منه في الحضر، وكان مجموع المتسربين خلال السنة الدراسية (1986–1987) هو(417) طالبامتسربا وعدد العائدين منهم(185) عائد. و اوردت الدراسة والتي حددت من سنة 1979–1987 معلومات تبين ان اعلى نسبة سجلت في الاعوام (1980–1986) وبينت الدراسة ايضا ان اكثر الجهات المساهمة في ارجاع التلاميذ الى مقاعدهم الدراسية كانت من خلال الاتصال باولياء امورهم كما بينت الدراسة ان اهم الاسباب التي ادت الى هذا التسرب هو اتجاه التلاميذ، نحو الاعمال الحرة، وضعف الضبط الاسري، وتنقل الاسر من منطقة الى اخرى، والمسافات البعيدة التي تفصل القرى المتناثرة عن المدرسة، وصعوبة الوصول اليها من قبل التلاميذ و ضعف الادارات المدرسية خاصة في المناطق الريفية، و ضغط الاسرة على الابناء لترك المدرسة واجبارهم على العمل في المحاصيل الزراعية ورعي الحيوانات، وضعف دور مجالس الاباء والمعلمين في متابعة المتسربين[68]. و قد اثبتت دراستنا الميدانية ان هناك قصور في متابعة الاباء ابنائهم في المدرسة بشكل منتظم ويبدو ان هذه المشكلات التي اصابت التعليم يعود كثير من اسباب وجودها الى تلك المنعطفات الصعبة التي مر بها المجتمع العراقي، لا سيما بعد ثمانينات القرن العشرين،اذ تركت تلك الفترة اثارها الواضحة على التعليم والتربية بشكل عام.

المبحث الرابع

التحديات التي تواجه الاسرة والمدرسة

في تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الطفل

يتناول الباحث في هذا المبحث ابرز التحديات الاجتماعية التي تواجه الاسرة والمدرسة في تنمية و تعميق المسؤولية الاجتماعية عند الطفل، تلك التحديات التي تعيق هاتين الموسستين في تربية الطفل،تربية تقوم على اساس التعاون، وتظافر الجهود من اجل خدمة الجماعة والمجتمع، والتي يمكن تناولها بالنقاط التالية:

أ- **تدني الوعي الاجتماعي**:

حينما يكون الوعي الاجتماعي متدنيا في الاسرة فانها تكون غير قادرة على غرس قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الطفل، والتمييز بين ما هو نافع وما هو ضار، والاسرة في هذه الحالة تخلط ما بين القيم الايجابية و السلبية، ولا تعلمهم ما هية ادوارهم الوظيفية، مما يجعلهم لا يميزون بين الحقوق والواجبات، وعدم تمييزهم يقتل احساس العدالة فيهم، وتولد نازع القسوة عندهم مما يجعلهم غير متكيفين للمجتمع وناقمين عليه[69]. فالوعي الاجتماعي للطفل يحتاج الى مزيد من الحرية الفردية، التي تتيح له فرص اكثر للاستقلال، ويبدو ان اسلوب التنشئة الصارم هو الذي يعوق تعبير الطفل الصريح عن نفسه، وتعويق بناء شخصيته، وتمكينه من المشاركة الايجابية الفاعلة في المجتمع، وامر كهذا يؤدي الى عدم قدرة الطفل على النقد والبناء والابتكار[70]. ولهذا يصبح الطفل خجولا وبائسا وعاجزاً عن الاخذ والعطاء مع اقرانه في المدرسة والمجتمع، ويكون منطويا على نفسه يجتر وساوسه وهو اجسه، ويكون قلقا حساسا، يعاني من عدم الثقة في النفس ومن آلآم الوحدة وتوقع الخطر[71]. كذلك حينما تؤكد التربية الاسرية للطفل على ان المشاكل الاجتماعية هي فوق مستوى ادراكه الآن وهي اكثر تعقيدا من ان يدركها،وعليه ان ينتظر حتى يبلغ مستوى ادراكها، وينتج هذا الاسلوب عن حالة من السخرية والشك في كل شيىء مقول او مطبوع، والشك في جدوى كل ما يعلم، ونتيجة ذلك هو تجافي التفكير الناقد تغطية

للعجز عنه[72]. كما يقضي المجتمع بان تحل روح الخضوع بدل روح الاقتحام، و روح المكر بدل روح الاقدام و روح التراجع بدل روح المبادرة[73]. هذا العجز الذي يشل الطفل ويعطله نابع من حالة العزل الاجتماعي والحرمان العاطفي الذي يبقيه على تفرده، وعدم تحويله من فرد الى شخص . فالتفاعل الرمزي والاحتضان الاسري يحولان الفرد الى انسان بواسطة استخدام آليات التانيس، لتفعيل قدراته الذكائية واستعداداته الاجتماعية لكي لا يكون متوحشا وخائفا من الاخرين[74] ان من واجب التربية المدرسية تبني وعيا جديدا لطبيعة الطفل من حيث هو فرد متميز، وواجب التربية رعاية فرديته، وتمكينها من اكتمال بزوغها،من غير تعويق او تعطيل، وعدم وأد الاصالة الفكرية عند الطفل،وعدم التاكيد على معرفة الحقائق المنعزلة التي لا تعطي تفسيرا تكامليا[75]. ولكن الدراسات العلمية تكشف لنا تاثير المدرسة الكبير على شخصية الفرد، ذلك ان الطفل يتصور ان القاعدة الاخلاقية شيء مقدس لا تنتهك حرمته، ويتعين ان يشعر شعوراً ذاتياً بما للقاعدة الاخلاقية من صفات تجعله يخضع لها طوعيا، ولن تكون الطاعة اخلاقية الا باحترامها[76]. كما تكشف التربية المدرسية ايضا ان الطفل ليس مواطن عالمي ينكر حقيقة وطنه، ولا مواطن انعزالي يحتقر الاوطان الاخرى ويبغضها، بل مواطن واعي يدرك واجباته الوطنية والانسانية، ومن واجب معلمي التربية الوطنية والاجتماعية ان يوجهوا الطفل توجيها انسانياً قائما على الائتلاف والتعاون،على اساس الحق والمساواة والانسانية[77]. ورغم كل ذلك نجد ان بعض المربين يلجأ لى زج الطفل في مواقف يضطرونه فيها الى الكذب، وهذا امر لا يتفق واصول التربية السليمة، او انهم يضيقون عليه في المبالغة في تربيته على الصدق فيطلبون منه الصدق في كل كبيرة وصغيرة، وفي كل عبارة يقولها ويصرون ان تكون صادقة،مائة في المائة[78]. ونتيجة ذلك يتحول الطفل الى شخص مزدوج الشخصية . ودليل ذلك كثرة حالات التهرب والرسوب في المدرسة الابتدائية، وقد كشفت لنا البيانات الاحصائية للعام الدراسي 2005–2006 ان عدد التلاميذ الراسبين بلغ 516،35 منهم (322،31) كان سبب رسوبهم الفشل في الامتحان، و (173،3) كان سبب الرسوب تجاوز ايام الغياب، وهناك اسباب اخرى كانت محصلتها (1021)

. كما تبين ان اكثر الراسبين هم من تلاميذ الصف الخامس ابتدائي، اذ بلغ عددهم (10559) من مجموع الراسبين والبالغ (516،35). وبلغ عدد الناجحون التاركون (2526). واما الراسبون التاركون، فقد بلغ عددهم(2678) . وتبين ان اكثر التاركين هم من طلبة الصف الخامس، وكان عددهم (544) من مجموع عدد التاركين والبالغ(2151)[79]. ويبدو ان الصف الخامس منعطف حاسم في حياة التلميذ في المرحلة الابتدائية،ففيه يتعرض التلميذ الى مجموعة من الدروس الجديدة كالحساب المتقدم والعلوم واللغة الانكليزية، والتربية الوطنية،اضافة الى المستوى النوعي لهذه المواد في التعلم وامام هذه المواد الدراسية الكثيرة والمطالب العديدة،يكون التلميذ عاجزعن التكيف ومواجهة كل ذلك، لذا يتعرض الى الرسوب،او ترك المدرسة نهائيا، لاسيما اذا كان غير متجاوب مع ما يطلب منه من واجبات دراسية .

ب-تضارب الجماعات الاجتماعية:

من اهم المعضلات التي تواجه الاسرة في تنمية المسؤولية الاجتماعية عند الابناء، انتماءهم الى جماعات اجتماعية مختلفة كالمدارس وجماعات اللعب، والجوامع والتجمعات المحلية، وكل جماعة تزود الابناء بخبر وتجارب و معلومات تختلف عن تلك التي تزودهم بها الجماعات الاخرى، فقد تركز الاسرة على تربية ابنائها على انماء المسؤولية عندهم، ولكن جماعة اللعب، او وسائل الاعلام، او المجتمع قد تزودهم بمعلومات متناقضة، فجماعة اللعب قد تمني عندهم القيم الفردية وهذا خلاف ما تريد الاسرة، فيحدث التضارب والتصادم بين قيم الاسرة وقيم جماعة اللعب، والذي يؤدي بدوره الى تصدع الشخصية عند الابناء وعدم قدرتها على بناء المجتمع[80]. وهذا التناقض يقود الى بلورة النزعة الفردية و الانانية عند الطفل، ويبرز ذلك جليا في سياق الاسرة، حينما تنمي اعتماد الفرد الكلي عليها واندماجه فيها، وبالتالي يتولد من خلال ذلك الشعور بان مسؤوليته الاساسية هي اتجاه الاسرة وليس نحو المجتمع الاكبر، وفي الحالات التي يوجد فيها تناقض بين المطالب الاسرية، والمطالب المجتمعية، تتغلب كفة المطالب الاسرية[81]، كما ويظهر التضارب بين

مطالب الجماعات الاجتماعية في ادوار الفرد، اذ يحدث صراع في ادواره، فعندما تطلب الجماعات من الفرد الواحد الذي يشغل ادوارا مختلفة القيام بمهام وواجبات في نفس الوقت، والفرد لا يستطيع القيام بذلك للتضارب بين الاوقات او محدودية قدراته، وهنا يقوم الفرد بتنفيذ ما تريده منه جماعة واحدة كالاسرة مثلا[82]. ويؤكد الدكتور علي الوردي على ان الانظمة المتناقضة من القيم في المجتمع هي التي تقود الى تناقض شخصية الفرد، فالناس اذا تعلموا مثلا عليا مناقضة لما اعتادو ا عليه من اخلاق وعادات،فانهم يحلقون في مواعظهم تحليقا مثاليا عاليا بينما هم في واقع حياتهم على ضد ذلك[83].

يواجه الفرد في حياته محطتين بالاضافة الى الاسرة، وهما (المدرسة والجماعة العمرية) ولكل منها احكام ومعايير تختلف عن الاخرى، وفي المحطة الثانية وهي المدرسة يحل الفرد فيها فترة زمنية طويلة يكتسب فيها العديد من الاحكام والمعايير التي لا يجدها في اسرته، وجماعته العمرية وقد لا يجدها في الجماعات الاجتماعية الاخرى[84]. ففي الاسرة مثلا قد يمنع الطفل ان يتحدث مع والده وهو جالس،و يحرم عليه ان يواجه مشاكله بمفرده، وعليه ان يسمع ما يقال له دون اعتراض، فالأسلوب الاسري اذن يتعارض مع ما تطلبه الحياة المدرسية، هذا التعارض بين الاسرة والمدرسة من الصعب ان يؤدي الى تنشئة سوية للطفل[85].

ج- تغليب المصلحة الذاتية على المصلحة الجماعية :-

تواجه الاسرة مشكلة تغليب المصلحة الذاتية على المصلحة الجماعية، تلك المشكلة التي تؤدي بالاسرة الى فشلها في تدريب الطفل على فهم اهمية الروح الجماعية، وفن التعامل مع الاخرين، والعمل كعضو ضمن فريق، فما من عمل حضاري انجز الا وكان نتاج مجهود تنظيمي جماعي، يتضمن تظافر الجهود التي يبذلها فريق من الافراد يساهم كل منهم بدوره في ايصال العمل الى شكله النهائي، والتعامل مع فريق يتطلب المرونة والسلاسة وروح المسؤولية والموضوعية، ضمن اطار احترام مختلف افراد الفريق لبعضهم البعض . وفشل الاسرة يكمن ايضا في

هروب الفرد من تحمل المسؤولية نظرا لخوفه من الفشل، وعدم اقدامه الا في حالات نادرة على دراسة فشله دراسة موضوعية تمكنه من معرفة الاسباب والدوافع الحقيقية التي ادت به الى الفشل، مع العلم بان دراسة الفشل دراسة موضوعية تعد بداية النجاح(86).

وكما تواجه الاسرة مشكلة المصالح الذاتية عند الاطفال تواجه المدرسة هذه المشكلة ولذلك فانها تحاول تعليمهم ثقافة وطنية، اذ توجههم نحو تعلم تاريخ مجتمعهم وتراثه الفكري وطرقه الشعبية، وتشجعهم على التغني بالوطن من اجل انماء الروح الجماعية عندهم ونبذ الروح الفردية والانعزالية(87)، وتنمية القيم الاصيلة كالايثار وتحمل المسؤولية والتواضع والاخلاص في العمل، ومحاربة القيم السلبية الضارة كالانانية وحب الذات وضعف الشعور بالمسؤولية تجاه العمل الاجتماعي(88). بيد ان واقع حياة الافراد يكشف ان القيم الايجابية كالايثار والتضحية غدت امورا تنتمي الى عالم الكتب وساحات التعليم، وفي سبيل الخلاص الذاتي يلجا الافراد الى وسائل شتى لا تحكمها معايير اخلاقية،من انتهازية الى زلفى الى خداع الى تحايل الى تنافس مقيت، الى غيرها من المواقف التي يريد الفرد ان يحصل منها او يصطاد فيها، وحسب ظروف الموقع الذي يجد المرء فيه اثناء المفاوضة بين مصلحته الذاتية ومصلحة المجموع(89). وواجب التربية المدرسية هنا اخراج الطفل من دائرة (الانا) الضيقة الى الدائرة الاجتماعية الاوسع، والتي تعني زيادة في استيعابه لهيكل وعمل النظام الاجتماعي ككل وعلاقته بالمؤسسات الاجتماعية المكونة له، والتسليم بان التصرف الجماعي سبيل لحل المشكلات الاجتماعية، وان ظهور هذه النزعة لدى الافراد امر حيوي في تخطيط السياسة(90).

من اسباب سيطرة النوازع الفردية والجماعية شيوع مظاهر التحضر والتنمية، والتحديث والتصنيع، هذه المظاهر التي تصدع وحدة المجتمعات المحلية والمؤسسات وتفكك القيم والممارسات السلوكية، وتوسع الهوه الحضارية بين العاملين المادي والمثالي، وهذه المظاهر تضعف وسائل الضبط الاجتماعي، مما يؤدي الى تحويل سلوك الطفل من سلوك ملتزم ومنضبط الى سلوك متسيب ومنفلت وانفعالي(91)، مما

يؤثر ذلك سلبا في مسيرة المجتمع ونهوضه وتقدمه، وامر كهذا يجعل من الصعب على الاسرة والمدرسة زرع قيم المسؤولية الاجتماعية عند الابناء وتنميتها في شخصيتهم .

المبحث الخامس

نتائج الدراسة الميدانية

اظهرت نتائج الدراسة الميدانية الحقائق التالية:

1- هناك ضعف وقصور في قدرة الاسرة و المدرسة على تسليح الطفل بالوعي الاجتماعي من حيث الايمان بقيم المسؤولية والثقة بالنفس، والاهتمام بالجماعة والمجتمع على حساب نفسه واسرته والتعاون مع الاصدقاء، والاعتراف بالتقصير اذا وقع منه .
2- اما فيما يتعلق بتربية الطفل وتنمية سلوكه الاجتماعي، فقد تبين ان هناك عدم حضور لبعض الاطفال في المدرسة بشكل متواصل، كما ان هناك من الاطفال من يساعد والديه بعد الدوام الرسمي، وهناك تقصير من قبل بعض الاباء في زيارة المدرسة بانتظام، وبينت النتائج ان بعض الاطفال يعبثون بدفاترهم ولوازمهم المدرسية .
3- اما من ناحية التعليم والتدريب على الاعتماد على النفس، اظهرت النتائج ان بعض الاطفال غير مواظبين على الدوام بشكل متواصل وفعال، كما ان اكثر الاطفال لا يعتمدون على انفسهم في حل مشاكلهم.
4- ان بعض الاطفال لا يتعاونون كثيرا في تقديم الخدمات للمجتمع، فالمبادرة بالعمل من اجل الصالح العام تكاد تكون متدنية، كما ان هناك ضعف في استعداد الاطفال لخدمة الناس، وبعضهم لا يؤدي ما يطلب منه باندفاع عالي .
5- هناك قصور لدى بعض الاطفال فيما يتعلق بالدفاع عن المجتمع، فهم لا يكترثون كثيرا بايثار الاخرين على انفسهم، وليس لدى بعضهم الشجاعة الكافية في قول ما يريد بصراحة ووضوح، كما ان احداث المجتمع لا تشغلهم كثيرا .

ب-التوصيات:

1- توعية الاسرة والمدرسة على كيفية غرس الوعي الاجتماعي للاطفال ليكونوا مدركين للمسؤوليات و المهام الجسيمة التي تناط بهم في المستقبل .
2- ارشاد الاسرة و المدرسة على انتهاج اساليب تربوية ايجابية قائمة علىأ لموازنة بين اللين والشدة، وغرس القيم الايجابية في شخصيات الاطفال و الاهتمام بالانجازات والابتكارات التي يقدمونها.
3- ضرورة توحيد الجماعات الاجتماعية مبادئها وقيمها الخاصة بتنمية قيمة المسؤولية الاجتماعية عند الاطفال .
4- توجيه الاسرة والمدرسة على ضرورة الالتزام بالجوانب الجماعية والتعاونية، وتجنب النزعات الانانية والمصلحية والنفعية، بحيث يكون الدافع هو العمل لمصلحة المجموع .
5- ضرورة قيام وسائل الاعلام بتوجيه المربين على الاهتمام بالاطفال وتنشئتهم على تغليب المصالح الوطنية على المصالح الذاتية .
6- حث الاسرة والمدرسة على تربية الاطفال على حب الوطن والتعلق به والذود عن حياضه بالقول والفعل .
7- ضرورة قيام الاسرة والمدرسة باشراك الاطفال بعمليات تساعدهم على تعلم القيم الاجتماعية والعادات السلوكية الايجابية التي تتفق مع قيم المجتمع .
8- حث الاسرة والمدرسة على تدريب الاطفال على كيفية تقديم الخدمات والاعمال للمجتمع من خلال حصولهم على الشهادات التي تؤهلهم لخدمة المجتمع وتدريبهم على كيفية زيادة الانتاج .
9- قيام الاسرة والمدرسة بتبصير الاطفال بالظروف الاجتماعية الصعبة التي يمر بها المجتمع، والتصدي لها وتطويق اثارها وتعلمهم ان وحدة المجتمع وتعاونه هما السبيلان القويمان لمواجهة كل الاخطار التي يتعرض لها المجتمع .

المصادر والاحالات:

(1) الحسن، حسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسئوليه الاجتماعية، مجلة شؤون عربية، جامعةالدول العربية، القاهرة، حزيران، 1999. ص 50.
(2) نفس المصدر السابق، ص 51 .
(3) العمر، معن خليل (د)، علم اجتماع الاسرة، دار الشروق للنشر، عمان، 1994، ص 84.
(4) سرحان، منيرالمرسي، في اجتماعيات التربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص 186.
(5) نفس المصدر السابق، ص 204-205.
(6) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤوليه الاجتماعية، مصدر سابق، ص51.
(7) نفس المصدر السابق، ص52.
(8) نفس المصدر السابق.
(9) العمر، معن خليل (د)، علم اجتماع الاسرة، مصدر سابق، ص 112.
(10) اسماعيل، محمد عماد الدين (د)، الاطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، الكويت 1986، ص 300.
(11) قناوي، هدى محمد (د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مكتبة الا نجلو المصرية، القاهرة، 1991، ص359.
(12) امين، احمد(د)، فيض الخاطر، ج 9، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955.ج 9، ص 288.
(13) نفس المصدر السابق ص 28.
(14) مادة التربية الوطنية والاجتماعية للصف السادس الابتدائي، مطبعة تونس، ط 4، بغداد، 2007م، ص17.
(15) صليبا، جميل (د)، مستقبل التربية في العالم العربي، منشورات عويدات، بيروت، 1967، ص62.

(16) مادة التربية الوطنية والاجتماعية للصف الخامس الابتدائي، شركة الوفاق للطباعة، بغداد، 2005، ص40.
(17) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 359 .
(18) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص54.
(19) نصار، كرستين (د)، موقف الاسرة العربية من اظطراب الطفل، دار جروس برس، ج5، طرابلس، لبنان، 1993، ص 60 .
(20) سرحان، منيرالمرسي، في اجتماعيات التربية، مصدر سابق ص 76.
(21) فرح، محمد سعيد (د)، الطفولة والثقافة والمجتمع، دار المعارف، الاسكندرية، 1980، ص 107 .
(22) صليبا، جميل (د)، مستقبل التربية في العالم العربي، مصدر سابق، ص 278.
(23) اركون، محمد (د)، قضايا في نقد العقل، دار الطليعة، بيروت 2000، ص 288 .
(24) رضا، محمد جواد (د)، العرب والتربية والحضارة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص 232.
(25) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 161.
(26) نصار، كرستين (د)، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل، مصدر سابق ص125.
(27) العمر، معن خليل (د)، علم اجتماع الاسرة، مصدر سابق، ص 12.
(28) فرح، محمد سعيد (د)، الطفولة والثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص 22 .
(29) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص55.
(30) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 66.
(31) عبد الوهاب، محمد سعيد، دراسة بعض مشكلات الاطفال، مطبعة شفيق، بغداد، 1975، ص5.
(32) جرجس، ملاك، مشاكل الصحة النفسية للاطفال، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985، ص5.

(33) فرح، محمد سعيد (د)، الطفولة والثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص 52 .
(34) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص55.
(35) سرحان، منيرالمرسي، في اجتماعيات التربية، مصدر سابق ص 195-196.
(36) مديرية محافظة ديالى، قسم التخطيط و الاحصاء، للعام 2007-2008 .
(37) سرحان، منيرالمرسي، في اجتماعيات التربية، مصدر سابق ص 195.
(38) صليبا،جميل (د)، مستقبل التربية في العالم العربي، مصدر سابق، ص 246.
(39) عمار، حامد (د)، في بناء الانسان العربي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988، ص227.
(40) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص56.
(41) نصار، كرستين (د)، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل، مصدر سابق ص132.
(42) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 198.
(43) سرحان، منيرالمرسي، في اجتماعيات التربية، مصدر سابق ص 282.
(44) صليبا،جميل (د)، مستقبل التربية في العالم العربي، مصدر سابق، ص 243.
(45) عمار، حامد (د)، في بناء الانسان العربي، مصدر سابق، ص229.
(46) رضا، محمد جواد (د)، العرب والتربية والحضارة، مصدر سابق، ص245.
(47) مديرية محافظة ديالى، قسم التخطيط و الاحصاء .
(48) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص56.
(49) الحسن، احسان محمد (د)، علم الاجتماع السياسي، مطابع جامعة الموصل، الموصل، 1984، ص238.
(50) الجوهري، عبد الهادي (د)، دراسات في علم الاجتماع السياسي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص42 .
(51) امين، احمد(د)، فيض الخاطر، ج 5، مصدر سابق، ص 307.

(52) نفس المصدر السابق، ج 9، ص28.
(53) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص64.
(54) الجوهري، عبد الهادي (د)، دراسات في علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص43.
(55) الحسن، احسان محمد (د)، علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص229.
(56) عمار، حامد (د)، في بناء الانسان العربي، مصدر سابق، ص274.
(57) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 60.
(58) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص57.
(59) نفس المصدر السابق.
(60) نصار، كرستين (د)، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل، مصدر سابق ص122.
(61) شرابي، هشام (د)، النظام الابوي و اشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 60.
(62) فرح، محمد سعيد (د)، الطفولة والثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص 225 .
(63) نصار، كرستين (د)، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل، مصدر سابق، ص126.
(64) صليبا، جميل (د)،مستقبل التربية في العالم العربي، مصدر سابق، ص 407.
(65) سرحان، منيرالمرسي، في اجتماعيات التربية، مصدر سابق، ص 207.
(66) نفس المصدر السابق، ص 226.
(67) رضا، محمد جواد (د)، العرب والتربية والحضارة، مصدر سابق، ص 247.
(68) خماس، علي، وجواد، عبد الجبار، ظاهرة التسرب في التعليم الابتدائي في محافظة ديالى، المديرية العامة لتربية ديالى، 1987، ص 3−4 .
(69) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص54.
(70) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 60.

(71) جرجس، ملاك، مشاكل الصحة النفسية للاطفال، مصدر سابق، ص52.
(72) رضا، محمد جواد (د)، العرب والتربية والحضارة، مصدر سابق، ص 235.
(73) عمار، حامد (د)، في بناء الانسان العربي، مصدر سابق، ص167.
(74) العمر، معن خليل (د)، علم اجتماع الاسرة، مصدر سابق، ص 87.
(75) رضا، محمد جواد (د)، العرب والتربية والحضارة، مصدر سابق، ص233.
(76) فرح، محمد سعيد (د)، الطفولة والثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص 111 .
(77) صليبا، جميل (د)، مستقبل التربية في العالم العربي، مصدر سابق، ص 65.
(78) جرجس، ملاك، مشاكل الصحة النفسية للاطفال، مصدر سابق، ص71.
(79) مديرية محافظة ديالى، قسم التخطيط و الاحصاء، احصاءات تربوية للعام 2005−2006 .
(80) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص59.
(81) عمار، حامد (د)، في بناء الانسان العربي، مصدر سابق، ص166.
(82) الحسن، احسان محمد (د)، النظريات الاجتماعية المعاصرة، مطبعة الرسائل، بغداد، 2005، ص 163.
(83) الوردي، علي (د)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، لا يوجد تاريخ ومكان نشر، ص 293 .
(84) العمر، معن خليل (د)، علم اجتماع الاسرة، مصدر سابق، ص 136.
(85) قناوي، هدى(د)، الطفل تنشئته وحاجاته، مصدر سابق، ص 33.
(86) نصار، كرستين (د)، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل، مصدر سابق ص134.
(87) العمر، معن خليل (د)، علم اجتماع الاسرة، مصدر سابق، ص 126.
(88) الحسن، احسان محمد (د)، علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص235.
(89) عمار، حامد (د)، في بناء الانسان العربي، مصدر سابق، ص28.
(90) الجوهري، عبد الهادي (د)، دراسات في علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص44.
(91) الحسن، احسان محمد (د)، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية، مصدر سابق، ص59.

دور الأخصائي الاجتماعي في تنمية وتنظيم المجتمع

م.م محمد عبدالله محمد المفرجي
جامعة كركوك/ كلية التربية

الفصل الأول

الإطار النظري والمصطلحات العلمية للبحث

أولاً: الإطار النظري:-

١- مشكلة البحث:

تفتقر مؤسساتنا الادارية والبحثية الى عدد من الخبراء والمستشارين ومنهم الاخصائي الاجتماعي (المنظم الاجتماعي) الذي تدرب للقيام بهذه المهمة من خلال تغذيته بالمهارات النظرية والميدانية ، حيث تقع على عاتقه مسؤولية تنظيم المؤسسات والعمل على تنميتها من خلال ابداء الاراء وتقديم النصح والمشورة واذا تطلب الامر يقوم باعداد دراسات تتناول المشكلة المراد حلها ، بالاضافة الى عدم الفهم لدور هذا المنظم وقد يكون السبب في ضعف ثقة القادة الاداريين بالمهارت والامكانيات التي يمتلكها او التي يجب ان يقدمها .

حيث يمكن للاخصائي الاجتماعي المتخصص في مجال الخدمة الاجتماعية ان يساعد وبالتعاون مع القادة الاداريين على تنظيم المؤسسات او المجتمع المحلي الذي يعمل فيه وكذلك مواجهة المشكلات التي يعانيها المجتمع بما يسهم في تحقيق اكبر قدر من الفاعلية والنمو لهذا المجتمع.

٢- أهمية البحث:

تكمن اهمية البحث فيما يأتي:-

١- لفت الانتباه الى الدور الذي يمكن ان يؤديه الاخصائي الاجتماعي في مساعدة المجتمع على النمو والتقدم .

٢- التعريف بالمهارات والقابليات التي يمتلكها في مجال تنظيم المجتمع وتنميته.

٣- امكانية استفادة القادة الاداريين والمجتمع المحلي من خبرات ومهارات الاخصائي الاجتماعي واستثمارها في تنمية المجتمع وتنظيمه.

٣- هدف البحث:

يهدف البحث الى:

١- التعرف على الفعاليات التي يمارسها الاخصائي الاجتماعي ومدى تأثيرها في تنمية وتنظيم المجتمع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

٢- بيان دور الاخصائي الاجتماعيفي تحقيق النمو والتقدم للمجتمع الذي يعمل فيه.

ثانياً: المصطلحات العلمية:

١- الدور Role:

الدور هو السلوك المتوقع من شاغل أو لاعب المركز الاجتماعي(١).

ويقصد بالدور السلوك أو التصرف المتوقع من شاغل المركز الاجتماعي، فالمركز الاجتماعي هو الذي يحدد طبيعة الدور الاجتماعي أي التصرفات المتوقعة أو النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الفرد بعد إشغاله لمركزه الاجتماعي(٢).

ويعرف الدور في علم الاجتماع بأنه السلوك المتوقع من الفرد الذي يشغل موقعا أو منصبا اجتماعيا معينا.ويكون الدور غطاء شاملا من السلوك المميز اجتماعيا، يوفر وسيلة لتعريف وضع الفرد في المجتمع، ويعمل أيضاً كإستراتيجية ليكون بمستوى الأوضاع المتكررة وللتعامل مع ادوار الآخرين(مثل ادوار الاباء مقابل الأبناء)(٣).

والاجتماعيون يرون أيضاً أن الدور يدل على المطالب البنائية للسلوك أي المعايير التي ترتبط بمركز معين وهي شيء خارج الفرد وتقود الفرد إلى أداء منظم والدور هو أسلوب الفعل في البناء وتحدده معايير المجتمع التي تتضمن ثبات السلوك الإنساني وهو مرتبط بالبيئة الاجتماعية(٤).

٢- الأخصائي الاجتماعي Social worker:

يعرف الدكتور احمد زكي بدوي الأخصائي الاجتماعي:- بأنه ذلك الشخص الحاصل على دراسات اجتماعية معترف بها وعلى تجارب عملية وعلمية، ويكرس كل أو بعض وقته للعمل في مهنة الخدمة الاجتماعية في هيئات وميادين منظمة لهذه المهنة[٥].

ويعرف الأخصائي الاجتماعي بأنه الممارس المهني المؤهل عمليا ونظريا في المعاهد والمدارس المتخصصة لتعليم الأخصائيين الاجتماعيين الذين يمكن أن نطلق عليهم تسمية المتخصصين الاجتماعيين تمييزا لهم عن غيرهم من العاملين في ميادين الرعاية الاجتماعية من متخصصين في علم النفس والاجتماع والتربية...الخ)[٦].

٣- التنمية The Development:

تعني النمو المدروس على أسس علمية والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كانت تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية في إحدى الميادين الرئيسية مثل الميدان الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الميادين الفرعية كالتنمية الصناعية أو التنمية الزراعية .

وعرفت هيئة الأمم المتحدة التنمية على إنها العملية التي يمكن من خلالها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ولمساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع[٧].

٤- تنمية المجتمع Community Development:

هي عملية تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع وجماعاته وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية بأساليب ديمقراطية لحل مشاكل المجتمع ورفع مستوى أبنائه اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ومقابلة احتياجاتهم بالانتفاع الكامل بكافة المارد الطبيعية والبشرية والفنية والمالية المتاحة[٨].

وعرفت الأمم المتحدة مفهوم تنمية المجتمع بأنها العملية التي يتم بمقتضاها توجيه الجهود لكل من الأهالي والحكومة لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأقصى ما يمكن[٩].

٥- تنظيم المجتمع Community Organization:

يعرف روسRoss تنظيم المجتمع بأنه عملية من عمليات الخدمة الاجتماعية يتمكن بها المجتمع من تحديد حاجاته وترتيب هذه الحاجات حسب الأولويات والأهداف وبحسب أهميتها ثم محاولة استثارة بواعث الناس وإذكاء الثقة وإيقاظ الرغبة للعمل على مقابلة هذه الحاجات وتحقيق الأهداف والتعرف على الموارد التي تتصل بهذه الحاجات ثم القيام بإجراء يتصل بها الأمر الذي يقود إلى نمو روح التعاون والتضامن في المجتمع بما يحقق وحدته المنشودة[١٠].

وهناك تعريف يؤكد أن تنظيم المجتمع إحدى طرق مهنة الخدمة الاجتماعية لدعم الجهود المشتركة في مختلف المستويات المجتمعية للتصدي للحاجات والمشكلات المجتمعية طبقاً لخطة تحشد الموارد الحالية والمستقبلية في إطار السياسة العامة[١١]، وتنظيم المجتمع هو النهوض عن طريق العمل المحلي بالمناطق التي تكون فيها مستويات المعيشة مرتفعة نسبياً، والخدمات الاجتماعية متقدمة بالنسبة لغيرها لكن تحتاج إلى درجة أعلى من التضافر والمبادأة من جانب المجتمع لذلك يتجه تنظيم المجتمع نحو تحقيق رفاهية المجتمع[١٢].

الفصل الثاني

المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي في تنظيم المجتمع

نقصد بمهارات الأخصائي الاجتماعي طبيعة ونوع ما يقوم به من أعمال عند تطبيقه وممارسته لطريقة تنظيم المجتمع في حدود الإطار العام للدور المهني للأخصائي الاجتماعي بصفه عامة[١٣]. ويعمل المنظم الاجتماعي في أجهزة تنظيم

المجتمع، وهذه الأجهزة تنظيمات اجتماعية ذات تركيب مادي ومعنوي وذات كيان وظيفي، وتسعى إلى تحقيق أهداف عن طريق قيامها بوظيفتها وتحقيق أغراضها.

والتنظيمات الاجتماعية كالحالات الفردية تنبع من ظروف المجتمع، وتتأثر بالعوامل الموجودة فيه وتخضع للدوافع والمواقف المختلفة السائدة. وتتميز التنظيمات أيضا بديناميكية متفاعلة تشكلها وتغيرها الظروف التي تمر بها، بحيث تتلائم مع المواقف الاجتماعية والاحتياجات والإمكانيات.

وتعتبر التنظيمات الاجتماعية من أهم سمات المجتمعات الحديثة حيث مطالب الإنسان الكثيرة والتي تتطلب تنظيمات دينية وثقافية ومهنية وسياسية، وهذه التنظيمات الاجتماعية ضرورة ملحة لمواجهة حاجات الإنسان.

ويمكن اعتبار التنظيمات الاجتماعية بداية مرحلة التخصص التي تؤدي في المستقبل إلى وجود متخصصين ومهنيين في المجتمعات المختلفة ليؤدوا عملهم في هذه التنظيمات(١٤).

ومن بين هؤلاء المتخصصين هو الأخصائي الاجتماعي المشتغل بتنظيم المجتمع والذي يمكن أن نلخص دوره من خلال قيامه بالأعمال التالية أو المساهمة فيها:-

١- وضع سياسة جهاز تنظيم المجتمع وتحديد أهدافه في ضوء السياسة العامة للمجتمع.
٢- العمل على مساعدة مجلس الإدارة أو اللجان التي يسند إليه العمل معها لتأدية مهمتها بنجاح.
٣- القيام بالبحوث والدراسات للتعرف على احتياجات المجتمع ومشكلاته وموارده وإمكانياته.
٤- وضع خطة العمل على أساس الأهداف التي يحددها سكان المجتمع لإشباع احتياجاتهم وحل مشكلاتهم.
٥- العمل على تنسيق جهود هيئات ومؤسسات وجمعيات المجتمع لمنع تكرار أو تضارب الخدمات التي تقوم تلك الوحدات بتقديمها لسكانه.

٦- العمل على حل المشكلات أو الصراعات أو التناقضات التي قد تنشأ بين أفراد وجماعات وتنظيمات المجتمع.
٧- العمل على إيجاد بعض المشروعات العامة التي تستفيد منها الوحدات الممثلة في جهاز تنظيم المجتمع والتي تفيد المجتمع في نفس الوقت.
٨- العمل على اكتشاف القادة الشعبين أو الطبيعيين والمساهمة في تدريبهم لتحمل مسؤوليات أنظمة الرعاية الاجتماعية في المجتمع.
٩- القيام بمد الهيئات والمؤسسات والجمعيات الموجودة في المجتمع بالمنشورات الفنية.
١٠- تنظيم المؤتمرات والاجتماعات والندوات ونشر المطبوعات التي قد يحتاجها المجتمع.
١١- العمل على تشجيع تطوع أفراد المجتمع للمساعدة في برامج وأنشطة الرعاية الاجتماعية وتنظيم هذا التطوع.
١٢- العمل على تحسين مستوى الخدمات التي تقدمها الهيئات والمؤسسات والجمعيات لسكان المجتمع.
١٣- تنظيم مكتب أو قسم للاستعلامات بجهاز تنظيم المجتمع ليتعرف السكان عن طريقه على الهيئات والمؤسسات والجمعيات الموجودة بالمجتمع.
١٤- قياس الرأي العام لسكان المجتمع وتحليله وعمل الدعاية العلمية اللازمة للرد عليه.
١٥- العمل على مؤازرة المشروعات الحكومة وتشجيع سكان المجتمع على مساندتها وتدعيمها والاستفادة منها.
١٦- تسجيل جميع الأعمال والأنشطة والمشروعات والبرامج التي يقوم بها جهاز تنظيم المجتمع والتأكد من أنها تسجل بدقة.
١٧- تقويم جميع أعمال المشروعات وأنشطة وبرامج جهاز تنظيم المجتمع لقياس مدى نجاحه أو فشله في تحقيق أهدافه(١٥).

وجهات النظر لدور الأخصائي الاجتماعي في تنظيم المجتمع

على الأخصائي الاجتماعي المشتغل بتنظيم المجتمع القيام بمجموعة من الوظائف أو الأدوار من اجل تحمل المسؤوليات المناطة به، وهذه الوظائف أو الأدوار ترتبط ببعضها البعض وتكمل بعضها البعض وتتداخل وتتشابك مع بعضها البعض بحيث تبرز في شكل دور مهني متكامل يمارسه الأخصائي الاجتماعي في المجتمع الذي يعمل معه.لذلك قام كثير من المتخصصين والمهتمين بتنظيم المجتمع بتقديم وجهات نظرهم فيما يجب أن يقوم به الأخصائي الاجتماعي من تلك الأدوار، أهمها ما يأتي:-

أولاً: تقسم روس Ross لدور الأخصائي الاجتماعي:-

١- دور المرشد:-

وهو دور رئيس للمنظم الاجتماعي حيث يعمل كمرشد يساعد قادة المجتمع الشعبيين وقادته المهنيين على إيجاد الأساليب المناسبة لتحقيق أغراض مجتمعهم.وهناك بعض المبادئ الخاصة بدور المنظم الاجتماعي كمرشد وهي:-

أ- **المبادأة:**- يجب أن تتوفر لدى المنظم الاجتماعي قدرة المبادأة، فدوره كمرشد يجعل من واجبه العمل على استثارة شعور الأفراد نحو حياة أفضل، ذلك لان كثيرا من المجتمعات تشعر بالرضى والقناعة بالحياة التي يعيشها أفرادها، ولا يرغبون في التغيير أحيانا، مما يتطلب من المنظم الاجتماعي المبادأة في العمل بخلق الشعور بالحاجة إلى التغيير.

ب- **الموضوعية:**- يحاول المنظم أن يكون موضوعيا تجاه ظروف وأحوال المجتمع، فالمنظم الاجتماعي يتقبل موقف المجتمع كما هو رغم عدم موافقته وعدم اقتناعه بالظروف الموجودة في المجتمع.

ج- **التعرف بالمجتمع:**- يتعرف ويعمل المنظم الاجتماعي مع المجتمع ككل وهذا أفضل من أن يعمل مع أي جزء معين من أجزائه أو جماعة من جماعاته، أو مؤسسة من مؤسساته.

د- **تقبل المنظم الاجتماعي لدوره:**- يجب أن يتعلم المنظم الاجتماعي كيف يتقبل دوره ويرتاح لأدائه، كما أن أداء دوره هذا يحتاج لقدر كبير من التنظيم، والمنظم الذي لا يشعر بالراحة عند أداء هذا الدور (دور المرشد) بحدوده الواضحة المحددة يفشل في عمله.

هـ- **تفسير وتوضيح دوره:**- يجب أن يتعلم المنظم الاجتماعي كيف يفسر ويوضح دوره بعد فترة معقولة من عمله مع المجتمع(١٦).

٢- دور الممكن:-

إن دور الممكن هو تسهيل مهمة عملية تنظيم المجتمع، ولكن هذا الدور يختلف ويتشعب ويتعقد حسب المواقف التي يتعامل معها المنظم الاجتماعي، ويمكن تحديد هذا الدور بما يلي:-

أ- **إثارة وتنظيم مشاعر عدم الرضى عن ظروف المجتمع وأوضاعه:**- هذا الدور يتطلب من المنظم أن تتوفر المهارة لديه في التعامل مع الإنسان وفي تحويل المشاعر السلبية والعدوانية إلى مشاعر أكثر ايجابية، وفي مساعدة الأفراد والجماعات لكي يروا أن كثيرا من مشاكلهم الشخصية هي في حقيقة أمرها مشاكل مجتمعية.

ب- **تشجيع الجهود المنظمة:**- يتجه المنظم الناجح نحو مساعدة الجماهير على فهم نفسها والشعور بمشاكلها وهو في هذه الحالة يجب أن يكون أكثر استعدادا للحركة المتزنة المناسبة في معظم المواقف التي يعمل فيها، وبتعاون جماعي هادف، وهذا هو الأساس الضروري لأية عملية تنظيم للنهوض الاجتماعي، أو لنمو المجتمع.

ج- **دعم العلاقات في المجتمع:**- يسعى المنظم إلى زيادة مقدار الإشباع الذي يحصل عليه أفراد المجتمع من العلاقات الشخصية بينهم، ومن العمل التعاوني المشترك.

د-**التأكيد على الأغراض العامة**:- المنظم الاجتماعي في مجال تنظيم المجتمعات يعمل ليساعد على تحقيق الأهداف المتفق عليها، ويتم ذلك بالتخطيط الكفء الفعال، وبزيادة مقدار المجتمع على مواجهة وحل مشاكله.

٣- دور الخبير:-

المنظم كخبير يعمل على تنمية وتنظيم مجتمعه بتزويده بالحقائق الجديدة والخبرة المهنية والموارد المادية والمشورة اللازمة لمعرفة الطرق المناسبة التي يحتاجها ويتطلبها العمل. وفي مجال تنظيم المجتمع يقوم الأخصائي الاجتماعي (المساعد والممكن) بدور تدعيمي، لكنه كخبير قد يواجه الجماعة بالحقائق والمفاهيم المساعدة لها والتي تمنحها مزيدا من الثقة في حركتها ويمكن توضيح أعمال الخبير أثناء عمله مع المجتمع بما يلي:-

أ- **تشخيص المجتمع**:- يقوم المنظم كخبير بتحليل وتشخيص المجتمع، لان معظم المجتمعات لديها قدر ضئيل من الفهم لتركيبها والتنظيمات القائمة فيها.

ب-**إجراء البحوث**:- المنظم الاجتماعي يجب أن يكون قادرا على إجراء الدراسات والبحوث بنفسه.وهو في هذا يصنع سياسة وخطة البحوث بما يضمن لها تحقيق الأهداف.

ج-**المعلومات اللازمة عن المجتمعات الأخرى**:- يجب أن يعرف المنظم الاجتماعي على ما اجري من بحوث ودراسات وتجارب في مجتمعات أخرى، ويمكن للمجتمع أن يتعلم من المجتمعات الأخرى ويستفيد من الحقائق والنتائج الخاصة التي تصل إليها تلك المجتمعات.

د-**التوجيه بطرق العمل المناسبة**:- يجب أن يكون لدى الأخصائي الاجتماعي خبرة ومعرفة بطرق وعمليات تنظيم المجتمع، بحيث يستطيع تزويد المجتمع بقدر مناسب من المشورة التي تفيد في العمل الاجتماعي.

هـ-**المعلومات الفنية**:- يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يعرف جيدا ويكون قادرا على تزويد المجتمع بالمصادر والموارد المادية المختلفة اللازمة لوضع الخطط الفنية.

و-**التقييم**:- يجب أن يكون الأخصائي الاجتماعي قادرا على تقييم عمله ومحاولة تفسير الطريقة التي يتم بها العمل الإنمائي أو التنظيمي.

٤- دور المعالج الاجتماعي:

يعمل بعض الأخصائيين الاجتماعيين مع المجتمعات كمعالجين اجتماعيين، وهو عمل تخصصي دقيق يتطلب مقدرة وخبرة ومهارة فائقة، والمعالج الاجتماعي هنا لا يعمل على مستوى الفرد أو الجماعة، ولكن يعمل على مستوى المجتمع كله وذلك يعني تشخيص وعلاج المجتمع ككل.

والأخصائي الاجتماعي أثناء عمله على مستوى المجتمع يجد مجالاً واسعاً لعمليات تشخيصية عديدة، ومن هذه العمليات محاولة معرفة ما يأتي:-

أ- تاريخ المجتمع وظواهره المختلفة من الناحيتين الديناميكية والاستاتيكية القائمة فعلاً في المجتمع.

ب- الوظائف والأدوار الاجتماعية، والعلاقات الموجودة بين هذه الوظائف وتلك الأدوار ،وتشمل هذه الأدوار القيادات الطبيعية والوظيفية القائمة في المجتمع(١٧).

ثانيا: تقسيم نيوزنتر لأدوار المنظم الاجتماعي:-

حاول نيوزنتر صاحب فكرة تسمية طريقة تنظيم المجتمع بطريقة العمل بين الجماعات للقيام بتحديد ادوار المنظم الاجتماعي استنادا إلى خبرته الطويلة في طريقة تنظيم المجتمع.وفي رأيه أن ادوار المنظم الاجتماعي تنقسم إلى:

١- العمليات الإدارية:-

وهي تتعلق بتهيئة جهاز تنظيم المجتمع للقيام بمسؤولياته بكفاءة مع توفير جميع الإمكانيات الإدارية التي تساعد هذا الجهاز على القيام بعمليات تنظيم المجتمع

وهذه العمليات تتضمن التأكد من وجود العدد اللازم من العاملين ذوي التخصصات المطلوبة لمسؤولياتهم في جهاز تنظيم المجتمع.

٢- العمليات التربوية:-

في هذه العمليات يقوم المنظم الاجتماعي بأعمال تتصل بشؤون التدريب والتثقيف وعمليات التربية والتعليم سواء فيما يختص بالعاملين داخل أجهزة تنظيم المجتمع، أو في الهيئات الاجتماعية أو فيما يختص بالقيادات أو المتطوعين أو استخدام وسائل الاتصال وعمليات العلاقات العامة ومع الجماهير الخارجية لتوعيتهم بمسؤولياتهم ليشاركوا بقوة وايجابية في عمليات النهوض بمجتمعهم. والعمليات التربوية يمكن أن تكون مباشرة أو غير مباشرة، رسمية أو غير رسمية.

٣- العمليات المهنية بين الجماعات:-

في هذه العمليات يكون الاهتمام في العمل بين الجماعات مركزا على خدمة المجتمع ومسؤولية المنظم الاجتماعي تتجه نحو المجتمع ككل، لذلك فان دوره مع أعضاء الجماعات في أجهزة تنظيم المجتمع سواء القيادات المهنية أو الشعبية أو القيادات السياسية الذين هم في الواقع ممثلين للمجتمع هو دعم التعاون بينهم وتنسيق جهودهم لأنه حلقة الوصل لهذه القيادات للقيام بمسؤولياتها تجاه المجتمع.

٤- العمليات الإنشائية والإنمائية لتحقيق التغيير الاجتماعي المرغوب:-

ان عمل المنظم الاجتماعي في المجتمعات يكون غالبا موجها نحو إحداث التغير الاجتماعي في العمل على التحرك بالمجتمع نحو التقدم والتنمية بصفة مستمرة وهذا يمكن تحقيقه بإتباع الأسلوب العلمي القائم على منهاج التخطيط وعلى مهارة وقدرة المنظم الاجتماعي. فدور المنظم الاجتماعي في العمليات الإدارية والمهنية والتربوية كلها عمليات تحقق التنمية والتقدم المطلوب الوصول إليهما(١٨).

ثالثا:-التقسيم الكامل للأدوار :-

ذهب قسم من العلماء إلى ضرورة إلمام المنظم بكافة الأدوار التي يمكن أن يمارسها خلال عمله المهني وان تكون له خبرة ودراية بهذه الأدوار وهي:-

١- دور المرشد:-

ويعني مساعدة الأخصائي المنظم للمجتمع على إيجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف هذا المجتمع، وفي الاتجاه الذي يختار المجتمع السير فيه.

٢- دور الممكن:-

في هذا الدور يكون التركيز على الخطوات المتسلسلة للعملية التي يكتشف المجتمع من خلالها احتياجاته ويسعى لتحقيقها.

٣- دور الخبير:-

ويشير إلى قيام المنظم بتقديم المعلومات والحقائق بشكل مباشر في بعض الحالات ولكن دون ان يتدخل ليحدد لقادة المجتمع ما يجب ان يفعلوه أو يصر على ضرورة إتباعهم لمعرفته المتعمقة.

٤- دور المعالج:-

يتلخص دور المنظم في مساعدة قادة المجتمع المحلي على تحديد مشكلات المجتمع التي تهدد تكامله وتماسكه، والتعبير عن مشاعرهم تجاهها والآليات الكفيلة بحلها.

٥- ممارس عمليات بين الجماعات:-

وهنا يختلف عمل عن ممارس عمليات مع الجماعات (أخصائي خدمة الجماعة) حيث يتلخص دوره هنا في العمل مع ممثلي الهيئات والمنظمات المختلفة في المجتمع حيث لا يهتم بهم كأفراد ولكن يهتم بإشباع احتياجات الجماعات والهيئات التي يمثلونها وبتحسين العلاقات بينهم فضلاً عن تأكده من صدق تمثيلهم لها(١٩).

٦- ممارس عمليات إدارية:-

بمعنى إعداد البناء الملائم للقيام بالعمليات السابقة:وجود لجان كافية، وجود موظفين أكفاء، توزيع المسؤوليات، تنظيم الإشراف المالي والإداري، تنظيم برنامج للعلاقات العامة.

٧- ممارس عمليات تربوية:

في هذا الدور يقوم المنظم بأعمال التدريب والتثقيف والتوعية سواء للعاملين في الجهاز، أو للعاملين في الهيئات والمنظمات الممثلة في الجهاز، أو في المجتمع المحلي ككل.

٨- ممارس عمليات إنمائية إنشائية:

يتلخص هذا الدور في العمل على إيجاد الموارد المادية والمالية والبشرية والتنظيمية التي تساعد في تحقيق أهداف المجتمع المحلي.

٩- دور الوسيط:-

ويلجأ المنظم الاجتماعي للقيام بهذا الدور في حالتين:

أ- ان يكون سكان المجتمع المحلي على غير دراية بالموارد المختلفة المتاحة في المجتمع، فيقوم بدور الوسيط ليوصلهم إلى مصادر الخدمات الموجودة في المجتمع والتي لا يعرفون كيفية الوصول إليها.

ب- إذا كانت هناك منظمات في المجتمع يرغب السكان في تغيير سياستها ونظمها، أو توسيع نطاق خدماتها، أو رفع مستوى هذه الخدمات فيقوم بدور الوسيط بين هذه المنظمات وبين سكان المجتمع.

١٠- دور المدافع:-

المنظم هنا يقف إلى جانب المستفيدين ويتولى قيادتهم في جهودهم التي تحاول التأثير على بعض المنظمات.

١١- دور المنشط:-

المنظم هنا يصعد من تدخله فهو لا يقف عند مجرد الوساطة أو حتى الدفاع ولكنه يتبنى قضايا سكان المجتمع أو بعض فئاته ويتوحد تماما معهم.

١٢- دور المخطط:-

ومهمة المنظم في هذا الدور جمع الحقائق، وتحليلها وحساب اتجاهاتها في المستقبل وتقدير الاحتياجات، وتحليل البدائل الممكنة لإشباع هذه الاحتياجات، ووضع البرامج لتنفيذ سياسات معينة.

١٣- دور المستشار :-

ويقوم المنظم في هذا الدور بمعاونة من يحتاج مساعدته سواء من حيث حل، أو مواجهة، مشكلة قائمة أو متوقعة. وعلاقة المنظم بالمجتمع هنا – أو بقياداته أو بالمسؤولين عن بعض منظماته – علاقة مؤقتة. فالمستشار ليس له أي سلطة على من تقدم إليه الاستشارة[٢٠].

١٤- دور المحلل :-

وتنحصر مهمة المنظم هنا في جمع البيانات، وتحليلها وتفسيرها. والمخطط يعتمد على دور المحلل ولكن الأخير لا يهدف إلى وضع خطة لبرنامج أو مشروع وإنما يقف عند مستوى التحليل والتفسير والتشخيص.

١٥- دور المنظم للتغيير :-

لا يكفي ان نضع الخطة وإنما المهم وضع هذه الخطة موضع التنفيذ .وان عملية التنفيذ صعبة والاستمرار في تنفيذ الخطة أصعب .لهذا لا يكفي الاعتماد على جهود المتطوعين لتنفيذ الخطة وإنما على المنظم ان يشرف بنفسه على التنفيذ .

١٦- دور المنظم كمدير للبرنامج :-

يتشابه هذا الدور مع دور المنظم للتغيير في تركيزه على تنفيذ خطة معينة، ولكن دور المنظم للتغيير يتحدث عن مستوى مجتمع محلي بكامله أما هنا فالحديث يقتصر على مستوى منظمة تضع برنامجاً معيناً .

١٧- دور المستثير:-

وتتلخص مهمة المنظم في هذا الدور في استثارة سكان المجتمع من خلال استخدام حالات عدم الرضا التي يشعر بها هؤلاء السكن وذلك حتى يصل بهم إلى الإيمان بمساندة التنظيم القائم أو التفكير في انشأ تنظيمات جديدة تعمل على تحسين مستوياتهم وإشباع احتياجاتهم وحل مشكلاتهم[٢١].

الستراتيجيات التي يستخدمها أخصائي تنظيم المجتمع

إن المنظم الاجتماعي يعتمد إستراتيجيات معينة أثناء ممارسته لأدواره المختلفة في تنظيم المجتمع وهذه الستراتيجيات هي:

أولا: إستراتيجية الإقناع:

تفترض هذه الإستراتيجية ما يلي:

أ- انه يسهل اتفاق الجماعات المختلفة في الرأي على أساس القيم التي يعتنقها أفراد هذه الجماعات.

ب- إن التغيير في القيم لا يمكن إحداثه إلا من خلال الإقناع[٢٢]، ويلتزم الأخصائي الاجتماعي بالتكتيكات الخاصة بهذه الإستراتيجية للتأثير على الجماعات المختلفة بالمجتمع لإصدار القرار المراد الوصول إليه، وتتلخص هذه التكتيكات فيما يأتي :-

1- مساعدة الجماعات على الشعور بأن أهدافها الخاصة تتفق والتغير الاجتماعي الذي يمر به المجتمع.

2- توفير الطمأنينة للجماعات لتتأكد بأنها لن تضار أو تحرج في عمل من الأعمال .

3- معاملة الجماعات بطريقة ودية وعلى أساس الثقة الكاملة وتجنب العنف والبعد عن التهديد.

4- الاعتراف بمكانة كل جماعة واحترام شعورها ودوافعها واتجاهاتها وكذلك احترام كل فرد منها.

5- العمل على اختلاط اكبر عدد من أفراد الجماعات ببعضهم وتسهيل الاتصالات بينهم.

6- التزام الصراحة الكاملة في كل ما يتخذ وبالنسبة لكل جماعة من الجماعات[٢٣].

ثانياً :- إستراتيجية الضغط :-

تفترض هذه الستراتيجيات ما يأتي :-

أ- ان الجماعات المختلفة في المجتمع لا تتفق أحياناً في الرأي إلا إذا تأكد لها ان مثل هذا الاتفاق في صالحها، وذلك من خلال موازنة الفوائد التي ستحصل عليها بالإضرار التي ستصيبها .

ب – ان النزاع لا يمكن استبعاده من الحياة الاجتماعية ، وان السلام ما هو إلا تغيير في الصورة التي يبدو عليها النزاع .

ج- ان النزاع لن يخرج عن كونه اختلافاً أو عدم اتفاق في وجهات النظر المختلفة، وفي الاهتمامات والآراء والقيم[٢٤].

وتعتبر عمليات المساومة والمفاوضة التي تتم بين الجماعات المختلفة في المجتمع بتوجيه من الأخصائي الاجتماعي أساس العمل في هذه الإستراتيجية. ويلتزم الأخصائي الاجتماعي بالتكتيكات الخاصة بها للتأثير في تلك الجماعات لإصدار القرارات المراد الوصول إليها. وتتلخص هذه التكتيكات فيما يأتي :-

1- العمل على تقوية الجماعات الضعيفة في المجتمع والتي تعتبر صاحبة المصلحة الحقيقية في التغير لكي لا تعتمد على الجماعات الأقوى والمعارضة للتغيير.

2- إقناع الجماعات المعارضة بأن الجماعات الضعيفة لديها من أسباب القوة ما يساعدها على تحمل أية تضحيات في سبيل تحقيق التغيير المطلوب .

3- التقليل من شأن الامتيازات التي تضطر بعض الجماعات للتنازل عنها في سبيل الاتفاق مع الجماعات الأخرى لتحقيق التغير المطلوب .

4- ممارسة الضغوط المادية والمعنوية على جماعات معينة .

وعلى الرغم من وجود اختلافات أساسية بين كل من الإستراتيجيتين وانفراد كل منهما بتكتيكات خاصة بها، إلا انه يوجد بعض التداخل بينهما، وقد تستخدم إحداهما تكتيك الأخرى .

ويجب على الأخصائي الاجتماعي المشتغل في تنظيم المجتمع ان يكتسب المهارة اللازمة لاستخدام كل من الإستراتيجيتين، ولكنه يجب ان يركز دائماً على إستراتيجية الإقناع لأهميتها من حيث تعليم سكان المجتمع الحياة الديمقراطية السليمة عن طريق الممارسة العملية. وان لا يلجأ المنظم إلى إستراتيجية الضغط إلا بعد الاعتراف بالفشل الكامل نتيجة لاستخدام استرتيجية الإقناع[٢٥].

الفصل الثالث

تنظيم المجتمع وتنميته

علاقة تنمية المجتمع بتنظيم المجتمع :

يكاد يجمع بعض الأخصائيين الاجتماعيين على ان تنمية المجتمع جزء من عمل أخصائي تنظيم المجتمع سواء أكان هذا في مجتمعات حضرية أم ريفية متقدمة أم نامية. وان تنمية وتنظيم المجتمع برغم إنهما ظهرا في مجتمعات متباينة إلا إنهما متشابهين في نواحي كثيرة حيث يمكن النظر إلى تنمية المجتمع من خلال أربع زوايا -:

1- عملية تتضمن تغيرات مقصودة وفيها يتركز التأكيد على ما يحدث للناس اجتماعياً ونفسياً.
2- طريقة أو أسلوب لاستخدام عملية من العلميات لتحقيق هدف.
3- برنامج يتضمن مجموعة من الإجراءات تحقق أنشطة محددة سبق تصميمها أو التخطيط لها .
4- حركة تصبح فيها تنمية المجتمع بداية وأساسا لنظام[٢٦].

ومن جانب أوجه الاختلاف والشبه بين تنمية المجتمع وتنظيم المجتمع، يحدد Arthur Gunham أوجه الاختلاف في الأتي :-

1 – تتعامل تنمية المجتمع مع الحاجات الأساسية وخاصة التي لها مردود اقتصادي أكثر من تنظيم المجتمع التي تهتم أولاً بالجوانب الاجتماعية.

2- تهتم التنمية بإحداث التغيير مباشرة، أما تنظيم المجتمع فيتم ذلك عن طريق إحداث التغيير من خلال المنظمات الاجتماعية.
3 – تمارس تنمية المجتمع على مستوى المجتمع المحلي، بينما تنظيم المجتمع يمارس على عدة مستويات من بينها المجتمع المحلي.
4 – تتم ممارسة تنمية المجتمع بأسلوب ديمقراطي، بينما تنظيم المجتمع يلتزم بذلك إلى حد ما.
5- تشارك كافة التخصصات في برامج تنمية المجتمع – أما طريقة تنظيم المجتمع فهي تمارس من خلال مهنة الخدمة الاجتماعية.
6 – برامج تنمية المجتمع نابعة من المجتمع نفسه – بينما برامج تنظيم المجتمع غالباً ما تكون حكومية.
7 – تتحقق أهداف برامج تنمية المجتمع من خلال استخدام إستراتيجية الوفاق، بينما تنظيم المجتمع يستخدم كل من إستراتيجية الوفاق والصراع[٢٧].

ويمكن الرد على أوجه الاختلاف هذه في ضوء تحديد أوجه التشابه وهي:-

1- طريقة تنظيم المجتمع تهتم بالجوانب الاجتماعية لإحداث التغيير ويتم ذلك من خلال دعم مشروعات ذات عائد اقتصادي.
2- القول بان تنمية المجتمع تحدث بطريقة مباشرة، وتنظيم المجتمع يحدث التغيير من خلال تنظيمات اجتماعية، قول ينقصه الدقة العلمية .
3- ان كافة التخصصات لابد وان تشارك في برامج تنمية المجتمع ولكن لابد من وجود مهنة تحدد مسؤوليتها في ضوء سد الثغرات بين التخصصات المختلفة، وتكاد تنطبق مواصفات المهنة التي تقوم بهذه المسؤولية على الخدمة الاجتماعية .
4- طريقة تنظيم المجتمع إحدى طرق الخدمة الاجتماعية، والتي تستهدف إحداث التغيير بمواصفاتها الإستراتيجية المهنية أو الأسلوب العلمي الذي تستخدمه مهنة الخدمة الاجتماعية للعمل مع المجتمع لإحداث التغيير الاجتماعي المقصود.

5- ان طريقة تنظيم المجتمع كإحدى طرق الخدمة الاجتماعية تعمل وتمارس مسؤوليتها من خلال المعطيات الفلسفية لهذه المهنة، والتي تؤمن بقيمة الإنسان وحقه في تقرير مصيره وان يعيش حياته بالطريقة التي يراها مناسبة، وهذا تعبير على الممارسة الحقيقية للديمقراطية .
6- ان الأدوات المستخدمة في كل من تنمية المجتمع، وتنظيم المجتمع متشابهة أو متطابقة تماماً .
7- ان مبادئ تنظيم المجتمع تتشابه أيضاً مع مبادئ تنمية المجتمع .
8- الادعاء بان تنظيم المجتمع يختص بالمجتمعات الحضرية، وتنمية المجتمع تختص بالمجتمعات الريفية يعتبر أمراً مخالف للحقيقة.
9- معظم التناول لمحتوى طريقة تنظم المجتمع في الوقت الحالي يؤكد على تنمية المجتمع المحلي إحدى مسؤوليات طريقة تنظيم المجتمع ، ولكن تنمية المجتمع بالنسبة لطريقة تنظيم المجتمع تتم من خلال منظور الخدمة الاجتماعية ولذلك كانت هناك بعض الآراء التي ترى ان كل من تنمية المجتمع وتنظيم المجتمع وجهين لعملة واحدة ، ولكن إذا تطلعنا إلى مصطلح التنمية الاجتماعية Social Development فأن الأمر يختلف حيث ان التنمية الاجتماعية اشمل من مصطلح تنظيم المجتمع(٢٨).

مجالات التنمية التي تساهم فيها طريقة تنظيم المجتمع

ان قضية التنمية من أهم قضايا العالم المعاصر وأصبح موضوع التنمية ذو أهمية دولية كبيرة بحيث يعتبر اليوم من أهم قضايا العلاقات الدولية .ومما لاشك فيه ان هناك ارتباطاً قوياً بين تنمية المجتمع وتنظيم المجتمع لدرجة ان هناك من ينظر إليهما كعملية واحدة(٢٩).

وتتميز الدول النامية بمجموعة من سمات التخلف والتي يمثل القضاء عليها هو التحدي الصريح الذي يواجه عملية التنمية .

والأخصائي الاجتماعي الذي يقوم بتطبيق طريقة تنظيم المجتمع في إطار خطة التنمية يمكنه استخدام معلوماته وخبراته ومهاراته وأساليبه التي اكتسبها خلال

إعداده، إذ ان جميعها صالحة للتطبيق في كل من التنمية والتنظيم لدرجة تجعل التفرقة بينهما صعبة وغير ملموسة في بعض الأحيان .

وتتلخص أهم المجالات التي يمكن ان تساهم فيها طريقة تنظيم المجتمع في عملية التنمية فيما يأتي:-

1-التنمية الاقتصادية:-

تعني التنمية الاقتصادية زيادة ملحوظة في الدخل القومي وفي نصيب الفرد منه وتستمر لفترة طويلة قد تمتد إلى جيل أو جيلين وتتخذ خلالها صورة تراكمية، فعلى تنظيم المجتمع ان يؤازر التنمية الاقتصادية ويساهم فيها بقدر تسمح به طريقته العلمية وإمكانياته المهنية .

وتحاول طريقة تنظيم المجتمع ان تعرف الشعب بأهداف الخطة حتى يتحمس لها ويعمل على تحقيقها، متعاونة في ذلك مع الأجهزة السياسة والشعبية. وتؤدي طريقة تنظيم المجتمع هذه الوظيفة على المستوى القومي والمحلي وحتى على مستوى الوحدات كالمصنع والمدرسة، بحيث تجد خطة التنمية التربة الصالحة لنموها ونجاحها على كل المستويات .

2-إزالة العوائق الاجتماعية التي تعرقل التقدم الاقتصادي:-

من المعروف ان بعض العوامل الاجتماعية تعرقل زيادة الإنتاج المادي، وطريقة تنظيم المجتمع قادرة على المساهمة في إزالة هذه العراقيل ليتمكن الاقتصاد القومي من الازدهار .

فمعظم المواطنين يميلون إلى إنفاق كل دخولهم لان مستوى الدخول اقل من مستوى إشباع حاجاتهم، والمنظم الاجتماعي يستطيع ان يقوم ببعض البرامج التي تهدف إلى إقناع سكان المجتمع بالحد من استهلاكهم وتكوين المدخرات(٣٠).

3-القضاء على المشكلات المصاحبة لعمليات التنمية:-

يجب ان تتغير أنظمة المجتمع في تناسق واتزان حتى لا تتغير بعض الأنظمة بمعدل اقل من تغير أنظمة أخرى، فتحدث المشكلات الاجتماعية. ففي المجتمع الحضري تتفكك الروابط الاجتماعية التي تجمع بين الأفراد في الجماعات الأولية الصغيرة كالأسرة، وشعور الفرد بالعزلة مما يؤدي إلى إصابته بالأمراض

النفسية والاجتماعية. ونتيجة التفكك وضعف الروابط تظهر بعض المشكلات الاجتماعية مثل انحراف الأحداث وارتكاب الجرائم.

وفي هذا المجال تلعب طريقة تنظيم المجتمع دوراً هاماً في العمل على حل هذه المشكلات وفقاً لما يأتي:-

أ- إجراء بحوث تساعدها على التنبؤ بحدوث مشكلات ثم وضع خطة لدرء وقوع مثل هذه المشكلات أو التقليل من معدلات وقوعها.

ب- تماشي خطط تنظيم المجتمع الوقائية والعلاجية مع خطط التنمية القومية، وذلك لتوفير الإمكانيات المادية الكافية ولمسايرة خطط تنظيم المجتمع للتغيرات التي تحدث.

ج- تحديد المشكلات الشائعة في المجتمع والعمل على علاجها على المستوى القومي والمحلي مستخدمة في ذلك أساليبها العلمية.

4- **تأكيد الحرية الاجتماعية**:-

الحرية الاجتماعية تعني تحرير المواطن من كل القيود الاجتماعية التي تعوقه عن ممارسة حقوقه والتزاماته وحريته السياسية، كما أنها تعني تأكيد بعض القيم الهامة لسكان المجتمع، ومن أهمها تأكيد قيمة الإنسان وكرامته والمحافظة عليهما، فالظروف الاجتماعية السيئة التي يعيش فيها الفرد تحول دون المحافظة على كرامته الإنسانية. ومن ثم فالحرية الاجتماعية هدف في حد ذاتها ومن واجب المجتمع ان يعمل على تحقيقها .

وبرامج الرعاية الاجتماعية المنظمة هي التي تكفل تحقيق الحرية الاجتماعية وطريقة تنظيم المجتمع من أهم الوسائل التي تجعل برنامج الرعاية أكثر نجاحاً وفاعلية، إذ تساهم هذه الطريقة في نجاح برامج الرعاية الاجتماعية من خلال عدة طريق أهمها:-

أ- جعل الخدمات الاجتماعية ذات طابع إنتاجي.

ب- تحسين مستوى أداء برامج الرعاية الاجتماعية.

ج- توصيل برامج الرعاية الاجتماعية إلى المواطنين بما يفيدهم والأسلوب الذي يحفظ لهم كرامتهم[٣١].

النتائج:-

من خلال النتائج التي توصل إليها البحث نلاحظ وجود دور كبير للأخصائي الاجتماعي في مجال تنمية وتنظيم المجتمع يكون ذلك من خلال الأتي:-

1- تبين أن للأخصائي الاجتماعي دور في إيجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف المجتمع من خلال توفير فرص العمل والتعليم والرعاية الصحية.

2- اتضح أن للأخصائي الاجتماعي دور في مساعدة الناس الذين يعانون من الفقر كي يمارسوا حقوقهم وان يسخروا الموارد وان يتقاسموا المسؤوليات التي تمكنهم من العيش الرضي وتوفير أسباب الراحة لأسرهم ومجتمعاتهم البشرية.

3- ظهر أن للأخصائي الاجتماعي المهارات والإمكانيات في تقديم المعلومات والمشورة للمؤسسات والجماعات في المجتمع وقد يصل الحال إلى تقديم المعلومات و المشورة للسلطات العليا الرسمية في المجتمع من خلال ما يملكه من معلومات في المجالات المختلفة.

4- تبين أن للأخصائي الاجتماعي المقدرة على مساعدة قادة المجتمع والفئات الأخرى فيه لتحديد المشكلات والعمل على حلها كأن يقوم بدراسة التنمية وتخلفها في مدينة معينة في المجتمع ووضع الحلول لها وقد يساهم في جزء من عملية علاج هذه المشكلات من خلال ما يملكه من خبرات وإمكانيات.

التوصيات:-

1- رفد المؤسسات الحكومية بالأخصائيين الاجتماعيين لغرض القيام بالاستشارات والبحوث ذات العلاقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في تلك المؤسسات.

2- إنشاء مركز أبحاث في كل محافظة للقيام بالاستشارات والأبحاث المتعلقة بتطوير وتنمية المجتمع ومن مختلف الاختصاصات (الاجتماع، الخدمة الاجتماعية، البيئة، الاقتصاد، الهندسة، الصحة....).

3- سعي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلى تشجيع الأخصائيين الاجتماعيين في أقسام الاجتماع والخدمة الاجتماعية للقيام بالأبحاث المتعلقة بتنمية وتنظيم المجتمع.

المقترحات:-

1- القيام بأبحاث ميدانية على مستوى العراق حول دور الأخصائي الاجتماعي في مجال التنمية المجتمعية للوقوف على أهمية هذا الدور بشكل اكبر.

2- التعرف على تجارب الدول الأخرى في هذا المجال (عربياً وإقليمياً ودولياً) وصياغة هذه التجارب بما يلائم مجتمعنا العراقي والاستفادا منها.

الهوامش:

(١) دنكن ميشيل: معجم علم الاجتماع،ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد،1980، ص253.

(2) T. Parsons & E. Shills ،Toward ،A General Theory of Action ،Cambridge ، Harvard University press ، 1952 ، P.190 .

(٣) عبد الباسط عبد المعطي: تحليل اجتماعي للعلاقة بين التعليم والعمل، مجلة التربية، قطر، العدد 109، السنة 23، 1994، ص205 .

(٤) زينب عبد الله محمد: دور البيئة المدرسية في سلوك العنف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2005، ص12.

(٥) احمد زكي بدوي: أصول الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1974، ص59 .

(٦) إبراهيم بيومي مرعي: اتجاهات الرعاية الاجتماعية ومداخلها المهنية، مكتبة المعارف الحديثة، القاهرة، ط1، 1983، ص121.

(7) United Nations، Social Progress Through Economic Development ، U.N. Report، New York، 1956، P.8 .

(٨) احمد زكي بدوي :معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1982 ، ص72 .

(٩) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1983، ص74.

(10) Ross، M. Community Organization، Theory & Principle، Harper and Brothers، New York، 1955، P.39 .

(١١) احمد كمال احمد : تنظيم المجتمع ، ج1 ، ط1 ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1973 ، ص145 .

(١٢) احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص74 .

(١٣) سيد أبو بكر حسنين:طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، مكتبة الانجلو مصرية،القاهرة، ط1 ، 1974، ص455.

(١٤) احمد كمال احمد، وآخرون: طريقة تنظيم وتنمية المجتمع، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، 1970، ص204-205.

(١٥) سيد أبو بكر حسنين: طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، مصدر سابق، ص456-458.

(١٦) احمد كمال احمد، وآخرون:طريقة تنظيم وتنمية المجتمع، مصدر سابق ، ص205.

(١٧) احمد كمال احمد، وآخرون:طريقة تنظيم وتنمية المجتمع، مصدر سابق ، ص218.

(١٨) احمد مصطفى خاطر: طريقة تنظيم المجتمع ـ مدخل لتنمية المجتمع المحلي- استراتيجيات وادوار المنظم الاجتماعي،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1984، ص197-200.

(١٩) فوزي بشري احمد: محاضرات تكميلية في تنظيم المجتمع،المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، 1985، ص82.

(٢٠) المصدر السابق نفسه ، ص 84 .

(٢١) المصدر السابق نفسه ، ص86 .

(٢٢) المصدر السابق نفسه ، ص77.

(٢٣) سيد أبو بكر حسنين: طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، مصدر سابق، ص475.

(٢٤) فوزي بشري احمد: محاضرات تكمليه في تنظيم المجتمع ، مصدر سابق ، ص78.

(٢٥) سيد أبو بكر حسنين: طريقة الخدمة الاجتماعية وتنظيم المجتمع، مصدر سابق، ص476.

(٢٦) احمد كمال احمد: تنظيم المجتمع مبادئ وأسس ونظريات، ج1، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة، 1970، ص141.

(٢٧) احمد مصطفى خاطر: طريقة تنظيم المجتمع ـ مدخل لتنمية المجتمع المحلي- استراتيجيات وادوار المنظم الاجتماعي، مصدر سابق ، ص62 .

(٢٨) المصدر السابق نفسه، ص65 .

(٢٩) سيد أبو بكر حسنين: طريقة الخدمة الاجتماعية وتنظيم المجتمع، مصدر سابق، ص 531.

(٣٠) المصدر السابق نفسه ، ص 556 .

(٣١) سيد أبو بكر حسنين: طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، مصدر سابق، ص 562.

المصادر:

١- إبراهيم بيومي مرعي: اتجاهات الرعاية الاجتماعية ومداخلها المهنية، ط1، مكتبة المعارف الحديثة، القاهرة، 1983.
٢- احمد زكي بدوي: أصول الخدمة الاجتماعية، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،1974.
٣- احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
٤- احمد كمال احمد: تنظيم المجتمع، ج1، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1973.
5- ــ: تنظيم المجتمع مبادئ وأسس ونظريات، ج1، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة، 1970.
6- ــ، وآخرون: طريقة تنظيم وتنمية المجتمع، مكتبة الوعي العربي، القاهرة،1970.
٧- احمد مصطفى خاطر: طريقة تنظيم المجتمع ـ مدخل لتنمية المجتمع المحلي- استراتيجيات وادوار المنظم الاجتماعي،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1984.
٨- دنكن ميشيل: معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد،1980.
9- زينب عبد الله محمد: دور البيئة المدرسية في سلوك العنف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2005.
١٠- سيد أبو بكر حسنين: طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، ط1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة،1974.
١١- عبد الباسط عبد المعطي: تحليل اجتماعي للعلاقة بين التعليم والعمل، مجلة التربية، قطر، العدد 109، السنة 23، 1994.
١٢- عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1983.
١٣- فوزي بشري احمد: محاضرات تكميلية في تنظيم المجتمع، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية،الإسكندرية، 1985.
14- Ross، M. Community Organization، Theory & Principle، Harper and Brothers ، New York، 1955.
15- T. Parsons & E. Shills، Toward، A General Theory of Action Cambridge، Harvard University press، 1952.
16- UnitedNations،Social Progress Through Economic Development، U.N. Report، New York، 1956.

المسرح وسيلة اتصال لخدمة المجتمع

أ. م.د.ضـياء أنـور حـبش
جامعة تكريت/كلية الآداب/قسم الإعلام

الفصل الأول
الإطـار المنـهجي

مشكلة البحث والحاجة إليه:

أن وسائل الاتصال قد أثرت بشكل كبير في عمق الحياة البشرية في العصر الحديث بإيصال المعلومات في لحظة وقوعها وهذه الوسائل قد تطورت بشكل كبير على مختلف أنواعيها إضافة إلى المعلومات و الأخبار و البرامج و الثقافة الأدبية و العلمية و الصحية و غيرها. والمسرح ذو التاريخ العريق رافق مسيرة الإنسان منذ ٢٥٠٠ سنة و هو يقدم معلومات و نصيحة و نقد و تحريض و ترفيه. والحاجة قائمة لهذه الدراسة من خلال أهمية العلاقة بين المسرح و الأتصال بالجماهير وما تتركه من أثر على المتلقي والمجتمع. والمشكلة قائمة مع السؤال التالي :هل المسرح وسلية أنصال لخدمة المجتمع ؟

أهميـة البحـث: تأتي أهمية البحث من خلال كشف العلاقة بين الاتصال والمسرح والمتلقي ويفيد المهتمين بالمسرح والإعلام.

هدف البحث: هل المسرح وسيله اتصال تخدم المجتمع ؟

حدود البحث: المسرح العالمي ووسائل الاتصال.

تحديد المصطلحات: الاتصال " يعني انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات أو العواطف من شخص إلى جماعة أو جماعة إلى شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز "(١).

والباحث يتفق مع هذا التعريف.

الفصل الثاني

الإطـــار النـــــظري

المبحث الأول

محطات مهمة في تاريخ المسرح :

المسرحية في ابسط أشكالها نشاط فني قبل أي شي آخر، الفن نشاط أبداعي متعدد الوجوه مارسه الإنسان لإعادة خلق الحياة في مجتمعه بوسائل وأساليب مختلفة، وهو لذلك يعتبر شكلا من أشكال الوعي الاجتماعي، و النشاط الإنساني الذي رافق الإنسان منذ أقدم العصور.

أن الرقص أقدم الوسائل التي كان الناس ينفسون بها عن انفعالاتهم من خلال عاداتهم وطقوسهم وما تفرضه العادات والتقاليد وهم بذلك يقتربون بهذا الرقص أو الفعل البدائي للمسرح وهم بعيدين عن الفعل الدرامي الذي نسميه مسرحية، ومع تطور وتعمق الوعي الديني عند الإنسان ازداد الطابع المسرحي المصاحب لأداء الشعائر الطقسية لذلك يؤكد أكثر الباحثين على المسرحية نشأت وتطورت عن أصل ديني(٢).

إضافة إلى ذالك هناك ممارسات أخرى مارسها الإنسان مثل أعياد الزراعة أثناء فصول السنة وغيرها ونجد ذلك عند أقدم وأهم الحضارات القديمة وهي في مصر من خلال عبادة (اوزيرس) وفي العراق من خلال عبادة (تموز) وعند الإغريق لعبادة (ديونيسيوس) والذي تطور واستمر من دون الآخرين هذا الرقص الإغريقي إلى المسرح الإغريقي الذي بدأ بشكل بسيط معتمد على المجموعة(الجوقات) والممثل الواحد الذي تطور إلى اثنين ثم ثلاثة ممثلين مما تبع ذلك اختلاف في كتابة النص المسرحي بحيث" كانت المسرحية من أول عهد اليونانيين بها إلى أيام الملهاة ألحديثة تمتزج بالدين وجزءا من احتفال رسمي مقدس "(٣).

ويعود الفضل إلى الممثل الأول (ثسبس) لظهور التراجيديا الذي قام بالمبادرة الأولى للتمثيل على مرتفع بين الجمهور وهو يحيط به، إضافة إلى ثلاثة أسماء

مهمة في مجال التراجيديا وهم :(اسخيلوس وسوفكلس ويوربيدس) والتراجيديا هي احد ركني الدراما الأساسيين والثاني هي الكوميديا ويطلها الكاتب (ارستوفانيس)وهما نوع من أنواع الأدب وجد لغرض أن يمثل على خشبة المسرح، ويرتكز على ثلاثة عناصر أساسية هي موضوع ومجموعة ممثلين وعاملين وجمهور يشاهد هذا العمل الفني ويستلم الرسالة المراد إيصالها له في خلال الموضوع بواسطة خشبة مسرح تمتلك تقنيات مساعده على إيصال الدلالات الكثيرة إلى المتلقي.

وتقوم الدراما الإغريقية على الصراع القائم بين طبقات المجتمع أو بين الشعوب أو الأمم إضافة إلى الصراع الحياتي أو المصيري لمجموع الشخصيات التي تؤلف كفتي الصراع " أن التراجيديا بعد أن نشأت أول الأمر مرتجلة على أيدي ناظمي الديثرامبوس، وأخذت تتقدم قليلا قليلا من خلال اكتشاف المزيد من عناصرها الأساسية واستعمالها إلى أن أخذت شكلها النهائي "(٤).

وأول كتابها الكبار هو اسخيلوس الذي كتب خلال الربع الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، وكتب ما بين ٧٢-٩٠ عمل مسرحي لم يصل منها إلا سبع مسرحيات فقط، ويعتبر اسخيلوس مكتشف الصراع وكيفية تصويره في أعماله عندما ادخل الممثل الثاني(٥) كذلك انتقل بالمسرحية في شكلها البدائي الكورالي البحث إلى بداية طريق التراجيديا وطور في ملابس الشخصيات والأدوات المسرحية للمنظر المسرحي ومن أعماله : مسرحية الفرس ومسرحية الضارعات.

ويعود الفضل إلى سوفوكليس (٤٩٧-٤٠٥ ق.م)الذي ادخل الممثل الثالث إلى أعماله وخاصة الثلاثية الاخيره الاوديسية.وبالمقابل قد قلل من عدد الجوقة أو المجموعة وزاد الاهتمام بالقيمة الدرامية والصيغة المسرحية والابتعاد عن النغمة الدينية والاعتناء بالشخصية الإنسانية ومشاكلها وصراعها من اجل كسب حقوقها ومن أعماله : اوديب ملكا، والكترا، وجاكس وغيرها. والثالث هو يوربيدس (٤٨٥-٤٠٦ ق.م) حيث تضاءل دور الجوقة بشكل كبير وزاد الاهتمام بالملامح الفردية للشخصية، وازداد الاهتمام بالمشاكل الحياتية والاجتماعية وطرح مواضيع اجتماعية ومنها

المشاكل ألنسائية البحتة ومن أعماله : ميديا، النساء الطرواديات، فجينيا في اوليس وغيرها.

أما الجزء الثاني وهي الكوميديا الإغريقية التي جاءت باسم مؤلفها ارستوفانيس (٤٤٨-٣٨٥ ق.م)، ومن المعروف أنها نشأت عن طريق الارتجال وبعدها تطورت وأصبحت لا تختلف عن التراجيديا بشيء من ناحية بنائها وسماتها. أما موضوعاتها فكانت سياسية تتعرض لشخصيات مهمة ومعروفة بالمجتمع بالنقد والتوجه والاستهزاء لتقويمهم لخدمة المجتمع وخدمة الفرد الإغريقي[٦]. ومن مسرحياته هي الضفادع والزنابير.

واستمر الحال في العصر الروماني واستمرت بناية المسرح التي حصل عليها التطور والفخامة وضخامة الأعمال المسرحية المقدمة على خشبة المسرح وهي البداية لتغير اتجاه المسرح الديني إلى المسرح الدنيوي وما تم مناقشته أمور حياتيه بسيطة بحته وساذجة أخذت بالتدني بالمسرح الروماني.

وقد ظهر كتاب أمثال هوراس (٦٥ -٨ ق.م) و سينيكا (٤ ق.م - ٦٥ م) الذي يعود الفضل لهم بأعاده المسرح الروماني للحياة من خلال أعمالهم الرصينة[٧].

بعد ذلك انتكس المسرح ولم يصل إلى ما وصل إليه الكتاب الأربعة في مجال التراجيديا والكوميديا إضافة إلى ظهور الديانة المسيحية التي حرمت المسرح وحاربته، واقتصر على بعض النشاطات الساذجة جدا ذات الموضوعات التافهة وامتاز بالخلاعة والكلام البذيء والغير مقبول مما ساعد على محاربته. ولكن المسرح عاد واستمر بشكل بسيط لسببين هما :حاجة المجتمع لهذا الفن والطاقات والمواهب الفنية لدى الإنسان وحاجته لعرضها.لذلك وعت الكنيسة واستفادت من هاتين النقطتين لاستخدام المسرح في خدمة الكنيسة وما تروجه من أفكار للدين الجديد بين الناس من خلال المسرحيات التي تسمى (الأسرار والمعجزات)التي قدمتها الكنيسة بواسطة قساوستها ورجالها وبنايتيها وبقية متطلبات العرض المسرحي من أدوات وإكسسوارات وشموع وثريات[٨] وهنا نقف عند محطة مهمة وهي انطلاق المسرح من كنف الكنيسة إلى خارجها بعد ضاق ذرعا بتعاليمها ووصاياها ونصوصيها التي تتحدث عن حياة

السيد المسيح (ع) وأصحابه والجنة والنار، إضافة إلى اكتشاف الإرث الحضاري للثقافة اليونانية والرومانية وظهور العقول الجامعية، فمن أوائل المبادرات التي ظهرت تقليد للمسرح اليوناني والروماني في ايطاليا في حدود عام (١٥١٥ م) وهي مسرحيات تقليد لسينيكا وهوراس وغيرهم[٩]. وفي انجلترا والتي سميت بالدراما الاليزابيثيه وهي مسرحيات تاريخيه كتبت على يد الكتاب جون ليلي و بن جونسن ومارلو وتوماس كيد وان هذه الفترة خلقت تقاليد ما قبل وليم شكسبير وهي أعمال اعتمدوا فيها القوانين الكلاسيكية وقوه المواضيع التي تم طرحها ومناقشتها وهي الأساس لظهور كاتب مثل وليم شكسبير الذي طور شعره ونثره لغرض الوصول إلى الهدف السامي لمسرحياته إضافة إلى الرقي في ذائقة المشاهد لمسرحياته وهي تمتلك كل المواصفات والأسس والحبكة والموضوع وغيرها[١٠].

وشكسبير يمتلك موهبة فذة في اختيار الموضوعات التي طرحها وبناء الشخصيات والتحكم بالكلمات على لسان شخصياته الكبيرة، لذا كان يعد شكسبير خارج عصره أو الزمن الذي عاشه لهذه الموهبة.وقد ألف في المجالات كافة التراجيديا والكوميديا والمسرحيات التاريخية، وعالج الشخصيات المريضة نفسياً قبل ظهور علم النفس مما يدل على عبقريته فقد "جمع بين القوة الدافعة لعصر النهضة والتي تجمع بين المعرفة والتعطش للقوه والفكرة البروتستانتية للمواطن الصالح "[١١] لذلك نرى البناء الخلقي للدراما عنده يعتمد على الإيمان الذي لا حد له بمقدره الإنسان على العمل والمعرفة والشعور، ومن أهم مسرحياته : الملك لير، ماكبث، عطيل، أليلة الثانية عشر، هنري الرابع.

وتزامن ظهور المسرح بعد ذلك في اسبانيا وفرنسا ففي اسبانيا ظهر على أيدي كتاب كبار أمثال بلوب دي فيجا (١٥٦٢ -١٦٣٥) الذي ألف المئات من المسرحيات وقد أسس تقاليد المسرح الاسباني وكتب في الدراما البطولية.والكاتب كالدرون (١٦٠٠-١٦٨١) وكان غزير الإنتاج مثل سابقه وكانت مسرحياته مبنية على أساس الحرفية والابتكار وتعالج موضوعات مسائل الشرف والعلاقات الاجتماعية باتجاه نحو الدين والتقاليد الاجتماعية[١٢].

للمسرح الفرنسي ثلاث أعمدة مهمة في مجال التأليف المسرحي وهم : كورني وراسين وفي مجال الكوميديا موليير .وبيتر كورني (١٦٠٦-١٦٨٤) أول الكتاب وظهوره حدثاً كبيرًا في مجال المسرح وكونه أول من أرسى قواعد المأساة في القرن السابع عشر واغلب مسرحياته مأخوذة عن الأدب اليوناني، وقد أصابت مسرحياته النجاح الكبير لدى الجمهور بروعة أسلوبه الجديد، عاش حياه نجاح وإنتاج لكنه في نهاية حياته واجهة المشاكل وقلة الإنتاج، ومن أهم أعماله السيد، هوراس، سنا، بوليوكت، هرقل، اوديب. وجان راسين (١٦٣٩-١٦٩٩) الذي تميز بتثبيت أسس وعناصر كتابه المسرحية واختلف عن خلفه في أن جعل شخصياته تتحدث في الزمن الذي يعيشونه مما جعل الجمهور يحب مسرحياته لأنها تعالج معاناتهم بكل أشكالها إضافة إلى أن راسين تعلم وتثقف في طبيعة جميلة وبيئة راقية مما ساعد على بناء شخصياته مع رهافة حسه وتحسسه للجمال، وهو شغوف بالمسرح اليوناني وبالذات الكاتب سوفوكليس وبقية الكتاب الآخرين. ومن أهم أعماله : افجيني، متريدات، اندروماك، بايزيد، فيدر. وفي مجال الكوميديا كان موليير (١٦٢١-١٦٧٣) واسمه الحقيقي هو جان باتست بوكلان.ويعود الفضل لموليير بالخروج بالمسرح الكوميدي عن الإطار القديم إلى أسلوب جديد من خلال طرح موضوعات هادفة وذات مغزى اجتماعي، لذلك يعد موليير من ابرز من كتب في مجاله وهي المسرحيات الكوميدية وكان لمكان ولادته وتربيته الأولى والأثر الكبير في بناء شخصيته الفنية وما تركه هذا المكان المزدحم وهو سوق شعبي الذي عاش فيه وما انطبع في ذاكرته والتي عكسها في أعماله المسرحية من موضوعات تم مشاهدتها ومناقشتها وكانت محببة عند مشاهديه، إضافة إلى دراسته الواسعة للعلوم بتأثير والده الذي كان يعمل في البلاط الملكي على أساس تهيئة موليير لنفس العمل ولقاء الملك والأمراء والنبلاء والتعامل معهم والذي فتح أمام موليير أبواب جديدة في الثقافة والعلوم والفنون والفلسفة وبالتالي انعكس بشكل ايجابي على أعماله وفنه[١٣]. ومن أعماله : مدرسه الأزواج، طرطوف، دون جوان، عدو المجتمع.

بعد هذه الأسماء اللامعة في مجال العمل المسرحي أصاب أوربا فترة انتكاس خلال القرن الثامن عشر في انكلترا وفرنسا وألمانيا وايطاليا وغيرها، ولكن يجب أن لاننسى ما قدمه بعض الكتاب مثل لسنج وشلر في ألمانيا وفولتير وبومارشيه في فرنسا والغيري جولديني في ايطاليا وصمويل فوت وجولد سمث في انكلترا وهم من مهد الطريق لظهور أسماء كبيره في مجال العمل المسرحي والتأليف وكان ذلك في حدود القرن التاسع عشر حيث ظهرت الرومانتيكية كرد فعل على الكلاسيكية الجديدة، وأول ما ظهرت في الدول الاسكندينافية على يد جوته وشلر وانتشرت في انكلترا وايطاليا وروسيا وغيرها[١٤].

ظهرت الطبيعية كنتاج لمفهوم جديد لعلاقة الإنسان بالكون وللمكان الذي يمثله في المجتمع واستجابة لتغيرات حياتيه واجتماعيه وصناعية وحتى في الإحساس واللغة لغرض الوصول إلى وهم الطبيعة وتطبيقها بشكل حرفي على خشبة المسرح. فكانت المسرحية مشابه لجزء مقتطع من الحياة الإنسانية بكل شيء، وهذا دفع بالكثير من المهتمين بالمسرح للخروج من هذا الإطار الضيق وهي الطبيعة وشروطها إلى الأوسع منها وكان في الواقعية التي أخذت الطبيعية ونسقتها بشكل مناسب لغرض تقديمها على خشبة المسرح.

ولكن الاستمرار على هذا الحال من المحال فوجد العاملين بالمسرح أساليب درامية جديدة أخرى بالتأليف والإخراج وحتى التقنيات المسرحية بحيث تم تقديم العمل المسرحي باتجاه رمزي وهذا الاتجاه جاء مع كل الاتجاهات الأخرى التي جاءت بعدها مثل التعبيرية والتجريدية.

ومن الامثلة لمحطات مهمة من كتاب المسرح العالمي في تلك الفترة واللذين ألفوا ضمن قواعد وأساليب الاتجاهات المسرحية هنرك ابسن الذي بدا الإنتاج بعد عام ١٨٥٠ وجاءت مسرحياته التي يعمل على أخراجها متقلبة بين الطبيعية والواقعية والرمزية وأعماله هي :براند وأعمدة المجتمع وهيداجابلر والأشباح و أيولف الصغير وغيرها.فمن خلال أعماله السابقة نجد ابسن قد طور تجربته كفنان وتطويره للشكل الدرامي، وهذا واضح في تسلسل كتابته للأعمال وكما في مسرحيته (البطة البرية)وهي

محاولة للتوصل إلى وحدة جديدة في الشكل وتطوير مفهوم الرمز في نصوصه كما في مسرحية (عندما نستيقظ نحن الموتى) وهو بذلك يحاول الوصول إلى شكل درامي مكتمل[١٥].

وظهر أوجست ستريند برج الذي ألف في الرمزية وتجاوزها إلى التعبيرية حيث بدا يكتب في عقده الثاني من عمره حيث استوحى من التاريخ أول أعماله وكان ذلك عام ١٨٧٠ وبعدها حاول التجديد في الشكل الدرامي والمسرحي لأعماله المسرحية مثل (الطريق إلى دمشق) وسوناتا والشبح وغيرها، لذلك جاءت أشكاله الدرامية مخالفة لما موجود في زمانه وكان رافضا للتفسيرات الزائفة التي تؤكد على تجربة الكاتب وعليه قبول هذه التجربة بما فيها من غرابه وقوه على السواء[١٦].

وفي روسيا ظهر كتاب أمثال تشيكوف وغوركي وتشيكوف كتب في الطبيعية وتحول إلى الواقعية في حدود القرن التاسع عشر ولكنه يعتبر من المؤسسين للرمزية ويعود الفضل في مهارته في ألكتابة إلى الكشف عن الشخصية من خلال حواراتها الطويلة كما في مسرحية طائر البحر وغيرها. والكاتب غوركي الذي ألف بما يمس العلاقات الاجتماعية ومعالجة أوضاع الطبقة المسحوقة من المجتمع كما في مسرحية الحضيض[١٧].

وفي انكلترا ظهر الكاتب الساخر برناردشو الذي تميز بقدرته على السخرية والفكاهة ومهارته في معالجة المسائل الجدلية والكاريكاتيرية، وله أعمال منها (العودة إلى متوشالح) و (القديسة جان) و (تلميذ الشيطان) و(بيت القلوب المحطمة) وغيرها... وشو صحفي ثوري يحرص على. الإصلاح السياسي والأخلاقي والفني والديني وتمثل في دعوته المثل والتقاليد الاجتماعية.

وفي ألمانيا ظهر صاحب المسرح الملحمي برتولت برخت الذي يقال عنه انه صريح وخفي في آن واحد وهو بسيط ومعقد معا، أشاد كثيرا بالماركسية، وهو لاينتمي إلى المسرح الأرسطي الذي يتميز بآثاره الشفقة والرحمة للوصول إلى التطهير بل يؤمن بالوعظ الاحتجاجي والإقناع وهو باحث عن المثل الإنسانية والقيم الخيرة عند

الإنسان وهذا واضح في أعماله مثل أوبرا القروش الثلاثة ودائرة الطباشير القوقازية والأم شجاعة وغيرها.

وهناك أسماء كثيرة ظهرت هنا وهناك في أوربا وأميركا وحتى العالم العربي في حدود القرن الماضي وكل منهم كتب حسب توجهه وانتماءه، ورافق ذلك ثورة على قيم المسرح القديم وما به من شروط وقواعد تم كسرها بواسطة المخرجين المسرحيين الذي بدأ دورهم في العملية المسرحية بداية القرن التاسع عشر وأصبحوا مؤثرين في العمل الفني كون المخرج هو الذي يقوُم مجموعة العمل الفني بعد استلام النص المسرحي وهو مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة عن أقامة بنية العرض المسرحي بعد أن كان نصاً مكتوب. أمثال أبيا وكوردن كريج و ماير هولد.وهذا النشاط السابق للمخرجين فرز تجارب كثيرة في مجال تقديم العرض المسرحي وخاصة بعد العقد الخامس من القرن الماضي تقريبا فأصبح الفنان المسرحي" يخاطب وجداناً جديداً وان يعكس بصدق كل ما في هذا الوجدان من تعقيد وثراء وأحياناً تضارب وتسارع " [١٨]. من هذه التجارب في المسرح تجربة المسرح الفقير للمخرج البولندي كروتوفسكي والذي أكد على الممثل فقط والذي يعوض عن بقية العناصر المسرحية الأخرى بحركاته الجسدية لذلك مكان العرض كان أمامه مفتوح في اختياره مع ابسط الشروط الفنية لأنه خالي من التقنيات وهذا المسرح لا يحتاج " ألا للتعبير الجسدي والصوتي الذي يقوم به ممثلون " [١٩].

والمخرج المعروف أليا كازان الذي يؤكد في أعماله على الارتجال في مسرحيته أثناء التمارين وكذلك العرض المسرحي وهو يرجو من الممثل أن يكتشف الشخصية التي يمثلها والتعرف عليها وعلى سلوكها لغرض وصولها إلى المتلقي. والمخرج ارتو صاحب مسرح القسوة الذي نادى بالشكل على حساب الكلمات بوسائل مثل الموسيقى والرقص والفنون التشكيلية وغيرها. وتجارب المسرح البيئي الذي هو دائم البحث عن بيئات جديدة واكتشاف الشيء الجديد الذي يجذب الجمهور لمشاهدة عروضه والاستفادة منها وتجارب المسرح المفتوح الذي يعتمد على الممثل بأرتجال

الحوار وهو يناقش الأمور السياسية التي يعاني منها الفرد وعروضه دائما خارج مسرح العلبة.

وطرق المسرح أبواب الاتجاهات الأدبية والتشكيلية من الكلاسيكية إلى الطبيعية والواقعية وبعدها جاءت الرمزية. ومن بداية القرن العشرين وظهور الآلة وبداية الحروب الكونية أخذت أفكار الفنان والمبدع تدعو إلى الثورة على واقعه تنادي بتحرير الإنسان من الظلم الذي وقع عليه ويخلصون الإنسان من مشاكله التي هي قد " تتخذ شكلا دينيا أو اجتماعيا أو فلسفيا أو سياسياً "[٢٠] وكان واضحاً في الاتجاهات التعبيرية والتجريد والسريالية التي أرادت القضاء على الإرث الحضاري القديم وخلق قيم جديدة وأكد أن ذلك يدخل ضمن سعادة الإنسان.

وفي العالم العربي يمكن القول بأن العرب قد عرفت أشكالا مختلفة من النشاط المسرحي قبل ظهوره نهاية القرن التاسع عشر. ولكن كل هذا النشاط لم يتطور بالشكل المطلوب للدراما بسبب القيود الاجتماعية التي فرضها الدين الإسلامي إضافة إلى حياة البداوة التي عاشتها الشعوب العربية.ومن أشهر هذه النشاطات هي خيال الظل الذي يعتمد السخرية والضحك وما يسمى بالحكاءون الذين يعبرون عن مشاكل الناس ومعالجتها وتحويلها إلى مشاهد هزلية. وفي زمن الخليفة المتوكل (ألدولة العباسية) ظهرت جماعه تسمى (السماجة) وهم مقلدون للناس بمظاهر مضحكة و" لم يتخل المتوكل عن حبه لتمثيل السماجة، وإنما صنع لنفسه مقصورة يرى منها العرض عن بعد، أي انه بنى مسرحا بدائياً "[٢١] وهذا النشاط ظهر في مصر ودول المغرب العربي. والبداية الحقيقية للمسرح كانت عام ١٨٨٤ عندما عاد مارون النقاش بتجربة التأليف المسرحي من فرنسا وقدمها في لبنان بشكل مسرحي يمتلك شروط العرض المسرحي، والرائد المسرحي احمد أبو خليل القباني الذي استفاد من القصص الشعبية التي كانت تقص بالمقاهي، وانتشر بهذا الشكل بين الدول العربية مع الفارق البسيط فيما بينهم. وتؤكد المصادر أن عقد الخمسينات كان ألانطلاقة الصحيحة للمسرح بعد تجارب بسيطة قبل هذا التاريخ. ولكن عودة الدارسين بالخارج في دول أوربا وأميركا إلى أقطارهم ساعد على تركيز أسس الدراما بشكل صحيح، ففي المغرب ظهرت

تجارب قام بها الطيب ألصديقي وهي تجارب شبيهه بما قدم في أميركا وأوربا أضافه إلى المسرح التقليدي. وفي مصر هناك الكثير من المبدعين على كل الاصعده في التأليف والإخراج والتمثيل والنقد وقربهم من دول أوربا وأقامه المهرجانات والتجارب المسرحية، وكذلك في بلاد الشام ودول الخليج.و في العراق فكان عقد الخمسينات من القرن الماضي هي الانطلاقة الصحيحة للمسرح العراقي بعد عودة الدارسين من الخارج وتأسيس أكثر من فرقة مسرحية قدمت الكثير من المواضيع المحملة بالأفكار الاجتماعية والسياسية ومحاربة المحتل وغيرها، وكان هناك الكثير من التجارب ألحديثة والمشاركة بالمهرجانات خارج القطر أضافة إلى المسرح التقليدي[٢٢].

المبحث الثاني

وسائل الإعلام

التلفزيون وخصائصه:

أن للتلفاز مزايا وخصائص لا تتوفر لغيره من وسائل الاتصال و هذا ما دفع الجميع لاستخدامه على نطاق واسع لتحقيق أهداف وغايات الناجحة وتزايد هذا الاستخدام تبعا لنطور آليات استخدامه وسعة انتشاره ولاسيما بعد أن أصبح اجتياز الحدود في متناول اليد وهذا ما يجعلنا نقول أن العالم أصبح ليس قرية صغيرة بل شاشة صغيرة. أن أهمية التلفاز الذي يتمتع بهذه المزايا ليس بوصفه " وسيلة عادية من وسائل الإعلام وإنما هو أهم الوسائل التي اخترعها الإنسان على الأرض "[٢٣] وان قدرته على الوصول إلى قطاعات واسعة من الجماهير لا توفرها أي وسيلة أخرى تعد إحدى المميزات التي تيسر أثره في نقل المضامين وتحدد عناصر القوة التي تسهل مهمته في نقل الأفكار والخبرات من خلال انه يعد من الوسائل الاتصالية الأساسية للمشاهد في تلقي الثقافة من خلال ما يوفره من مزايا اللون والحركة والصورة والتقريب والتحريك للأشياء الثابتة والدراما وغيرها. ويمتلك القدرة على تحقيق السبق الصحفي ونقل الأحداث لحظة وقوعها وهو قادر على التأثير بالمتلقي بحكم واقعية عملية التغطية الإخبارية التي يمارسها بفضل الصورة التي تعبر عن الأحداث

بمصداقية. وقدرته على مخاطبة مختلف فئات وشرائح المجتمع بجميع مستوياتها الثقافية والوصول إلى مناطق جغرافية نائية بفضل التطور التقني. ويمتلك فعالية عالية لها اثر في نفوس المتلقين لدرجة اختلاط الأمور عند بعضها وعدم قدرتهم على التميز بين الواقع والخيال فيعد في هذا " وسيلة مهمة من وسائل الإقناع والوصول إلى الأفراد كذلك يتمتع بقدره عالية على جمع أفراد الآسرة حول شاشته ليشعروا بدفء الحياة المنزلية"[٢٤]. وجمع أبناء الشعب الواحد وخلق أحساس بالمسؤولية لديهم إزاء الأعمال التي تقوم بها الدولة ويؤدي إلى صدور ردود فعل قوية ضد النظام في حالة سوء استخدام السلطة، ويعمق شعور الفرد بالانتماء للوطن وخلق أحساس لدى المتلقي بالمشاركة المباشرة بالعملية السياسية حين يتابع الناس نشاطات المسئولين من شاشته ويستمعون إلى احاديثم من الفقرات الإخبارية[٢٥] وتجسيد المعاني بفضل إمكانياته في "الاستعانة بكل العناصر السمعية والبصرية والرمزية واللفظية فضلا عن سهولة التعرض له لأنه لا يحتاج إلى مهارات "[٢٦]. فالتلفاز بوصفه جهاز إخباريا ينفرد بميزة الواقعية إذ انه يقدم لنا الأحداث والوقائع في منازلنا بصورة متكاملة اقرب إلى الواقع إذ أن الصوت والصورة عاملان حيويان يؤثران تأثير هام في حياة الأفراد اليومية والعادية ويتصلان بالانفعالات المختلفة لكل فرد ما دام يستطيع السمع والأبصار، إذ أن الصورة من أحسن الوسائل المقنعة فإذا اقترن الخبر الإذاعي برؤيته على الشاشة الصغيرة مصورا في موقعه فان ذلك ادعى إلى تصديقه فالوسائل المرئية الإخبارية لها أثرها وفاعليتها إذ تستحوذ على الاهتمام الكامل للمشاهدين وهو بذلك يشكل قوالب جديدة أو الجمع بين قالبين أو أكثر لإيجاد شكل جديد وقدرة وإمكانية اكبر على التأثير بالمشاهدين وإيصال المعلومة إليهم وهو الهدف الأكبر[٢٧]. ويلعب التلفزيون دورا أساسيا في بناء النسيج السياسي للديمقراطية لانتشاره ومنه يعبر القادة السياسيون عن وجهات نظرهم ويلتمسون المساندة لسياستهم وبالمقابل ينقل ما يفكر فيه الناس إلى السياسي ولذلك نرى إمكانية هذه الخدمة للتطور العلمي الكبير. ويقوم بتقديم خدمة أخرى في منازل الناس بحيث يغنيهم عن الذهاب إلى أماكن أخرى قد تكلفهم جهدًا ومالاً أو لايقدرون الوصول إليها لذلك " فالتلفاز وسيله تيسير الإعلام للناس من

دون مشقة "[٢٨] فهو يقوم بنقل المباريات والاحتفالات والمظاهرات والفعاليات وحتى " خبرات الأشخاص والحياة في أعماق البحار وفوق قمم الجبال بل وحتى على سطح القمر"[٢٩].

مميزات الصحافة كوسيلة اتصال :

للصحافة في كل بلدان العالم وظائف أساسية منها تقديم المعلومات والأفكار الجديدة عن الأحداث أو القضايا أو المشاكل التي تشغل الرأي العام وتفسير الأخبار اليومية والتعليق عليها بما يوضح أبعادها وجوانبها المختلفة. كذلك التثقيف عن طريق نشر المعارف الإنسانية المختلفة التي تضيف إلى القاريء أبعاد جديدة حول تلك المواضيع والصحافة تقوم بالتوعية السياسية و سياسة الحكومة ومواقفها المختلفة من قضايا المجتمع ونشر الأفكار والفلسفات التي تدافع عنها ضد خصومها فهي تعبئ الجماهير لخدمة نظام سياسي أو اجتماعي والمساهمة في التنمية الوطنية وتكوين الرأي العام في المجتمع والتأثير في اتجاهاته وتقوم بالدفاع عن الأديان والمقدسات والقيم والمبادئ ضد دعوات الإلحاد وغيرها إضافة إلى التسلية والإمتاع لتخفيف العبء عن النفوس. أن الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى أصبحت منبرًا يعبر من خلالها الناس عن آرائهم ومصالحهم وشكواهم بصفحات خاصة تؤدي إلى مد جسور الثقة بين الجماهير والسلطة من جهة وبين الجماهير والصحافة من جهة أخرى لان كافة الدساتير في بلدان العالم تنص على حق الفرد في التعبير عن رأيه فعلى وسائل الإعلام بما فيها الصحافة إن توسع دائرة مسؤولية الفرد في جميع القرارات من خلال ما تنشره حول مختلف القضايا التي تهم الجمهور وان ذلك يؤدي إلى أثارة حماس الناس للمشاركة في الحياة العامة و يدفعهم للتفكير في إيجاد الحلول السليمة لمشاكلهم العامة[٣٠]. أن من أهم واجبات الصحافة أمام المجتمع هو تقديم المعلومات بنزاهة وصدق حول القضايا المتعلقة بالصالح العام حتى يستطيع الجمهور الحكم على القضايا التي تهمهم ويستطيع مراقبة أنشطة الحكومة وأعمالها و " ينتقدها نقدًا بناءاً إذ إن الصحافة هي التي تمثل الجمهور "[٣١]. أن النقد والبناء يعد أساسا من أسس

الصحافة الجادة إذ تقوم بدور المفتش العام وتكشف العيوب والانحرافات المختلفة من خلال مراقبتها لإعمال المؤسسات والدوائر المختلفة، فان الخدمة التي تقدمها الصحافة للجمهور هي خدمة جوهرية للفرد والمجتمع[٣٢]. وعلى الصحفي أن يلتزم بشرف المهنة التي تقوم على أسس وقيم اجتماعية وإنسانية واضحة مستمده من مصالح الجماهير وحقائق المجتمع فيفسر الأحداث من دون أي تحيز قد ينجم عن مصالحهَ الخاصة أو سوء الفهم أو انعدام الوعي لذلك يتضح دور الصحافة لدى الناس سلبا أو إيجابا توجيها أو أفسادا فان تأثيرها على الرأي العام سلاح ذو حدين ومن هنا تتضح خطورة الصحافة فهي تتمثل بأنها " وسيلة من وسائل الرأي العام بما تنشره من أخبار وآراء وتوجيه وإرشاد وفي الوقت نفسه هي وسيلة من وسائل التعبير عن الرأي العام والمرآة الصادقة التي ينبغي أن تعكس ما في المجتمع "[٣٣]. فالجريدة هي خدمة وليست سلعة كونها تقدم المعلومات في مجتمع تزداد فيه تعقيد الروابط بين الفرد والجماعة نتيجة لتعقد ظروف الحياة. فمسؤولية الصحافة هي كشف الفساد ومعالجة المشاكل إضافة إلى المراقبة من اجل حماية المجتمع والدفاع عن مصالحة وتبني أسلوب الرقابة الجماهيرية الذي يساعد على رصد ومتابعة حالات الفساد فضلاً عن انه يعمل على توجيه الحس العام لدى الفرد والعاملين بأجهزة الدولة بصورة خاصة ضد ممارسات الفساد الإداري من خلال عرض تشخيصات ميدانية لأسباب هذا الفساد[٣٤].

مميزات الاذاعه كوسيلة اتصال :

يمكن وصف هذه المميزات بأن المستمع يصنع الصورة فلا توجد وسيلة من وسائل الاتصال تداني الراديو في صياغة الصورة لدى المستمع فهي وسيلة عمياء كونه يعتمد في التلقي على أذن المستمع فقط إلا انه وسيلة قادرة على أثارة خياله ففي اللحظة التي يخرج فيها الصوت من مكبر صوت جهاز الاستقبال يبدأ المستمع على الفور بشكل تلقائي في تحويل ما يسمعه إلى صورة يكونها في خياله وبذلك " تكون صورا أصيلة يصنعها كل مستمع على ذوقه ووفق ما يهوى ويحب"[٣٥] ففي التلفاز مثلاً تكون الصورة محددة بحجم الشاشة ومساحتها وعمقها ومكوناتها ماثلة أمام عين المشاهد قابلة للنقد والتقييم ومعروضة للرفض أو القبول فهي من صنع مجموعة من العاملين يعتريها بالضرورة النقص وعدم الكمال على العكس من ذلك في الراديو حيث يقوم المستمع بنفسه بصنع الصورة التي يرضى عنها والتي يمكن أن نطلق عليها الصورة الكاملة لذلك " فأن من يكتب في الراديو عليه أن يختار الكلمات الموحية بالصورة "[٣٦] إذ لايبتعد المتحدث في الراديو عن أذن المستمع ألا بالمسافة بين فمه والمايكروفون بعكس التلفاز حيث تكون هناك مسافة تفصل بين المرئيات والمشاهد. وتعني هذه الخاصية بالنسبة للراديو إنما يخرج منه يدخل مباشرة إلى ذهن المستمع دون عوائق كما تعني أيضاً إن مايكروفون الاذاعه ليس نظام للخطاب العام وإنما هو وسيلة للحديث مباشرة إلى المستمع الفرد والإذاعة تمتاز ببساطة الإنتاج والتشغيل وقله الكلفة فهي تعتمد على مذيع ومايكروفون وتمويل بسيط لنصبها وتشغيلها عكس الوسائل الأخرى التي تحتاج إلى مجموعة عاملين وكلف عالية. وهذا ما ينطبق على الجمهور الذي يرى سهولة استقبال البث الإذاعي وقلة كلفته بالنسبة له. تمتاز الاذاعة بالتوقيتات الصارمة التي يحتم على المتلقي التواجد بقرب المذياع والاستماع بشكل جيد لان السمع هو الأداة الوحيدة لفهم ما يقال وبدون أعادة . ولكنها تسمح للشخص بالقيام بإعمال أخرى مع سماعه للمذياع عكس بقيه الوسائل الأخرى. وان العاملين بالإذاعة يجب أن يكون اختيارهم للمواد بشكل راقي وجيد ويخضع لشروط لان لا بديل

أمام المستمع ألا ما يقدم وهذا ما لانجده مثلا في الصحافة فالمتلقي ينتقل بين موضوعات الجريدة بحرية وإذا لم تتحقق هذه النقطة يقوم المتلقي بغلق الجهاز والتخلص من ما يسمع لذلك فان افتقار الإذاعة للمساحة يفترض أن يكون اختيار المادة الإذاعية مكثفًا ومحكومًا بمنطق ونظام مع التركيز على الجوهر والتغاضي عن التفصيل الغير مهم وعلى كاتب الراديو أن يحرص على الاختصار المفيد والمهم والتكثيف غير المخل بصيغه الجملة واستخدام الألفاظ والتعبيرات والكلمات التي توضح المعاني بشكل مباشر(٣٧). أن اختيار الشخص المناسب للصوت الجميل هو الأساس في هذه الوسيلة وهو ثروة هائلة إذ يجمع بين الدفء العاطفة الإنسانية والغضب والألم والضحك والبكاء إذ تتوقف حيوية الإذاعة على تنوع الأصوات وتعدد طبائعها حيث يراعى تنوع الصوت عند اختيار المخرج الإذاعي لفريق العاملين وحتى الضيوف هذا التنوع بين شخصية وأخرى وتشابه الأصوات والابتعاد عن الاختلاط عند المستمع. وتقدم الإذاعة بجدارة وفاعلية جميع أنواع الموسيقى والغناء الكلاسيكي والغناء الشعبي وقد ثبت أن الاستماع إلى الموسيقى من خلال الراديو أمر يبعث في النفس الراحة والبهجة والإثارة والفضول وبما يتلاءم مع ذوقنا ومشاعرنا فان الموسيقى والكلام في الراديو يتم اختاره لنا من قبل أشخاص آخرين (٣٨). من هذه الزاوية يقدم لنا الراديو الجديد الذي لا نتوقعه ويحقق عنصر المفاجئة حيث لا نعلم سلفاً تفاصيل ما سيقدم لنا فالتنويهات التي يذيعها المذيعون للترويج عن برامجهم تصمم بحيث تجذب الجمهور وفي نفس الوقت لانفعل كل شي.

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول إن أهمية الإذاعة كوسيلة اتصالية تبرز من كون أن للكلمة المذاعة سحرها وتأثيرها الخطير فهي تعد من أقوى الوسائل في التأثير على الجماهير ولها قوتها الإيحائية فهي تصل إلى كل إنسان في كل مكان وأي زمان وتمتاز المادة الإذاعية بإمكانية تسجيلها وأذاعتها أكثر من مره وفي كل مره تكتسب قوه إضافية مما يزيد تأثيرها.

ومما ساعد على بيان أهمية الوسائل السابقة هو تطور استخدام الفضاء الخارجي وكان بداية عام ١٩٥٧ بإطلاق الاتحاد السوفيتي قمره الصناعي الأول

(اسبوت نك ١) ثم جاءت اختراعات أخرى ساعدت على تطوير هذه التقنية الراقية وخاصة عندما دخلت أقمار الاتصالات وتطوير الألياف البصرية حيث " يعد نظام الاتصال عبر الأقمار الصناعية من احدث الوسائل والتطورات في علوم الاتصال في العصر الحديث "(٣٩). وفي عام ١٩٧٠ أصبح الاتصال ألتلفازي حقيقة في المنازل بدون محطات أرضية بعد أن كانت المحطات الأرضية تستلم من الأقمار ثم تبثها إلى التلفاز عبر محطات التقوية.أن التطور الكبير في ذلك جعل الفضاء يمتلئ بمئات الأقمار الصناعية التي تؤدي دورا إعلاميا مما ساعد على نشر وتطوير كل مناحي الحياة وتطوير الإنسان بمختلف الثقافات وخاصة عندما تعددت الفضائيات ببرامج بثها.

ومما له علاقة بالأقمار الصناعية ظهور الانترنيت الذي أصبح مقياس في تطور الشعوب لما يمتلك من ثوره معلوماتية ووسائل الاتصال الجديدة. وجاء ظهور الانترنيت في العقد الأخير من القرن الماضي واختلف في تعريفه حسب الحاجة فهو " يعتمد على عمل وحاجة الشخص الذي يريد تعريفه حيث يرى المستخدم العادي للانترنيت بشكل مختلف عما يراه المهني المهندس "(٤٠). والانترنيت عبارة عن شبكه كمبيوترات ضخمه متصلة مع بعضها البعض وهو يخدم مجموعه كبيره من المستخدمين تزداد بشكل سريع تصل إلى نسبة ١٠٠% سنويا والانترنيت مشتق من مسمى شبكة المعلومات الدولية واهم ما يميز هذه الشبكة هي اللامركزية في حق نشر ما يريده الفرد في كل الموضوعات وقلة الكلفة وسهولة الاستخدام(٤١).

ما أسفر عنه الإطار النظري :

١- الرقص أقدم الوسائل للتعبير عن عادات وطقوس الشعوب وهو يقترب من المسرح البدائي.
٢- ظهور الممثل الأول (ثسبس) على منصة وهو يمثل وحوله الجماهير.
٣- ظهور المسرح الإغريقي بكتابه الكبار اسخيلوس وسوفكليس ويوربيدس وارستوفانيس وظهور المسرح الإغريقي الذي يسع آلاف المشاهدين.
٤- استمر المسرح عند الرومان وعندها بدا يهبط بمستواه وموضوعاته.

٥- حرم الدين المسيحي المسرح وتحول في موقفه إلى استغلال المسرح لنشر أفكاره بين الناس.
٦- اكتشاف الإرث الحضاري الإغريقي والروماني على يد العقول الجامعية.
٧- ظهور وليم شكسبير مع كتاب آخرين في بلدان أوربا كان لهم الدور الكبير على تطوير النص والعرض المسرحي.
٨- ظهور كتاب مثل كورنيه وراسين وموليير في فرنسا اعتمدوا الإرث الحضاري الإغريقي في اختيار الموضوع.
٩- ظهور الاتجاهات المسرحية بعد الكلاسيكية وهي الطبيعية والواقعية.
١٠- ظهور ابسن وسترنبرج في الرمزية والتعبيرية.
١١- نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين بدأت التجارب الحديثة للمسرح من ناحية العرض والنص والعلاقة مع الجمهور.
١٢- لم يكن للمسرح العربي تاريخ بسبب التقاليد والأعراف ولم يظهر ألا نهاية القرن التاسع عشر.
١٣- هناك تجارب عربية بالمسرح بالقرن العشرين.
١٤- ان التلفاز جهاز متطور فعال بين أفراد المجتمع وقادر على المشاركة في كل الأحداث.
١٥- ان الصحافة منبر إعلامي مهم لمناقشه كل الأمور التي تمس الفرد في المجتمع.
١٦- نجد أهميه الإذاعة من خلال مميزاتها الكثيرة وأثرها في تغيير وجهات نظر المستمعين وتعميق الجيد أو غيره بينهم.
١٧- للتطور العلمي الأثر الكبير في تطوير وسائل الأعلام منها الأقمار الصناعية وشبكة المعومات (الانترنيت).

الفصل الثالث

إجـــراءات البـــحث

م١ :إجراءات البحث :

١. **مجتمع البحث** : المسرح بشكل عام منذ نشوءه عند الإغريق في ٥٠٠ ق.م إلى التجارب الحديثة بالقرن العشرين.
٢. **عينه البحث**: هو مجتمع البحث كونه يتم مناقشتها بشكل فترات أو أسماء أو اتجاهات.
٣. **أدوات البحث** : اعتمد الباحث على ما جاء في ما أسفر عنه الإطار النظري وما توفر من دراسات مجاوره للموضوع المبحوث.
٤. **طرائق جمع المعلومات والبيانات** : استخدم الباحث الطريقة التاريخية والوصفية وتحليل النماذج وتفسيرها للوصول إلى النتائج.

م٢:

يجب أن لانقارن المسرح بفكرة الدراما لان الدراما أدب يقتصر على الكلمة و الحوار وبعض التعليمات التي تخص بناء الشخصية وتصوير أبعادها ومواقفها، وكل ذلك يتم بواسطة اللغة (الدايلوج). أما المسرح : فهو المكان المعاد فيه بناء الكلمة وفقا لإيقاع حركه الدور في أطار مادة العرض، إضافة إلى طاقة الممثل وموهبته في تجسيد الشخصيات وجعل الدراما فعل حي على خشبة المسرح مع بقية عناصر العرض الأخرى مثل المنظر ولإضاءة و الأزياء وغيرها وكلها مجتمعة تدفع بالفعل إلى الحياة والحركة. فالمسرح روح الحياة في حاضرها وكشف قيمتها وعلاقتها المستقبلية فهو أساس عملية الخلق الفني لكل الفنون الأخرى لأنه ينفرد بتقديم الحياة في تقنيته ومعماريته وامتلاكه شكلاً مجسدًا بجميع صورها وهو تطور في المسرح لتنطلق إلى المستقبل. فهو تجسيد للوعي الاجتماعي وإحساس بواقع الحاضر ومستقبله لذلك جاء المسرح القديم غير مكتمل الصورة المسرحية والحس الجمالي والمتعة المرجوة منه أنما قدم نماذج لطقوس دينية وقدم رسالة بني جنسه بعظمة الآلهة والتي تعبد وبعض الظواهر الطبيعية مثل البرق والمطر مع أصواتها وقوتيها وتأثيرها من خلالها عظم الآلهة المسئولة عن تلك الظواهر بطقوس ذات نهج منظم نوع ما ومدروس مع أشعار تقال هنا وهناك تقديسا لهذا المعبود أو غيره وهو في كل

ذلك اعتمد على تقليد الحيوانات في زيه وصورته وحركته. لذلك كانت هذه الأفعال هي مادة إعلامية تصل إلى المشاهدين والمشتركين على السواء بواسطة أداة هي المسرح البدائي الأول، ويعتمد معنى المسرح على ثلاث معاني هي: الأولى ما قبل التاريخ الذي يعتمد السحر للخلاص من شر الطبيعة، والثانية عصور التاريخ القديم والذي صار فيها النص مدون وتم تجسيده على خشبه المسرح، عندها تطور المسرح والنص والممثل والتقنيات، والثالثة فيها تطور كل شيء في المسرح وأكد على الوجود الإنساني من خلال تنوع الشخصيات وأهدافها ومشاركه بقيه عناصر العرض المسرحي في العمل الفني.

والمسرح يعتمد على المخرج والمؤلف والممثل والجمهور مع بقيه العناصر الأخرى، و الجميع يحول بنية النص إلى بنية عرض قائمة في مكان هو المسرح، فالمخرج الذي دخل حديثا للعملية المسرحية وأصبحت له مكانة مرموقة وله حصة في عملية الإبداع الدرامي ووضع خطة العمل وتنفيذها بإشرافه " أن فن الإخراج يبدأ عندما يعبر المخرج عن مضمون المسرحية ويكون مترجماً أميناً لأفكارها"(٤٢).

كذلك المؤلف الذي يضع بنية النص الخاضعة للشروط المسرحية وطرح الأفكار الجريئة وبناء الحدث ورسم الشخصية وخلق ضرورات الترابط بين الحدث والشخصية وتواصلهما معا للوصول لهدف المسرحية، وللجمهور الذي هو عنصر مهم فبدونه لا يمكن أن يقدم عمل مسرحي، وهذا الترابط يكون من خلال " نقل فكرة المسرحية وهدفها إلى النظارة "(٤٣) ويتم ذلك عن طريق الممثل وقدراته وموهبته بالتمثيل ووسائله الخاصة مثل الجسد والصوت مع نظام الحركة وأفعاله وانفعالاته الحسية والعقلية، كل ذلك يحتاج من الممثل أن يكون مخلصاً في تصوير مادتة في التدريب والممارسة التي تؤدي إلى توافق الانفعال الداخلي مع المظهر الخارجي للجسم كي تكون حركه الجسم طبيعية مع الشخصية التي يمثلها " أن المثل الأعلى للممثل أن يصبح أداة معدة أعداداً فائقاً لخدمة المؤلف، وهو يحتاج من اجل ذلك إلى تربية تقنية تكسب وجهه وصورته الليونة المطاوعة للتعبير "(٤٤) فالجمهور الذي يحس

بالنص وفكرة العمل ويتذوق الصورة المسرحية التي تؤلفها بقية عناصر العرض المسرحي الأخرى مثل الإضاءة والمنظر والأزياء والماكياج والإكسسوارات والموسيقى.

فالمسرح اليوناني كان يقدم مادة دينية ورسالة واضحة، يأتي الجمهور إلى المكان المقرر وهي بناية المسرح وهناك منهاج منظم لتقديم هذه الطقوس الدينية.

هذه الطقوس أخذت تذوب بظهور الكتاب المسرحيين الثلاثة : اسخيلوس وسو فكلس ويوريبيدس وأصبح المسرح يقدم صراع قائم بين الآلهة أو بين الإلة والملوك أو بين أبناء الشعب، والمسرحية مكتوبة ضمن الشروط القاسية للكلاسيكية القديمة وما تقدمه من صراع يتصاعد حتى يصل عملية التطهير عند المشاهد من خلال ما تمر به الشخصية من مصائب.

وكان الجمهور مولع بهذه العروض المسرحية ويعتبرها طقساً دينياً والواجب حضورها ببناية المسرح التي تسع لأكثر من خمسة آلاف شخص وتستمر هذه الاحتفالات والأعياد والعروض المسرحية لأيام " فلم يكن المسرح بالنسبة للإغريق صورة من صور الهرب الرومانسي في الحياة ...فقد كان على العكس تجربة جوهرية في حياتهم تتعمق في شجاعة وأمانة ورجولة، مجموعة من أهم مشكلات الحياة الأساسية، كما كان تجربه يشارك فيها المجتمع بأكمله "(٤٥).

والمسرح الروماني الذي هو امتداد للمسرح الإغريقي بكتابه المعروفين بلوتوس وترنس وسنيكا اللذين كتبوا بما أراد الجمهور من موضوعات اجتماعية أخذت بالهبوط بمستواها الفني وما تناقشه من أمور تخص المواطن، وتم التركيز على المواضيع الهابطة ذات الإسفاف الكبير في كل مقومات

العرض الفني إلى أن ظهر الدين الجديد (الديانة المسيحية) التي حاربت هذا المسرح لما فيه من إسفاف وخلاعة وخروج عن الذوق والأخلاق.

ولكن هذه ألعداوة تحولت إلى صداقة قائمة على استغلال المسرح لخدمة مصالح الكنيسة ونشر أفكار الدين الجديد من خلال مكان وهو الكنيسة ومرافقها وغرفها، وكتاب وممثلين هم الكهنة والقساوسة، وعناصر أخرى هي أثاث الكنيسة ومذابحها وإضاءة تأتي من شبابيك الكنيسة الملونة وشموعها لان " المسيحية قد

فاقت غيرها من الديانات في الاهتمام بإبراز دراما العالم والضمير الإنساني...ذلك لان تاريخ البشرية في نظرها ليس ألا مأساة الصلب وآلامه "[٤٦] أما الجمهور المراد إن تصل لهم الرسالة فهم رواد الكنيسة وموضوعات تناقش وتتحدث عن حياة السيد المسيح (ع) وصحبه والجنة والنار والحساب والعالم الأخر، وتسمى هذه المسرحيات الأسرار والمعجزات.

لم يستمر المسرح طويلاً في كنف الكنيسة فقد ضاق ذرعا بتعاليمها وأسلوبها الرتيب الذي اقتصر على النصح والإرشاد، فخرج بشكل بسيط إلى الشارع والساحات العامة بعد أن قدم عروضه أمام الكنيسة أول الأمر، وكان الناس يتجمعون حول العربات التي تحمل العاملين والمعدات البسيطة للعرض المسرحي، أما النصوص فكانت ذات رسائل بسيطة للناس تعالج أمور حياتيه بشكل ساخر وهي المسرحيات الأخلاقية.

وهذه الفرق الجوالة بعرباتها قد قدمت أعمال مسرحية ورسائل إلى الجمهور وهي وسيلة اتصال ناجحة كانت بذات الزمان وقد لبت حاجة الإنسان ليسمع ما ينقصه من معلومات وأخبار إضافة إلى الجانب الترفيهي الذي يهدف له المسرح في ظل فترة مظلمة يسودها التخلف والجهل والحروب الطاحنة بين الأمم.

في عصر النهضة وفي حدود القرن السادس عشر تم اكتشاف الإرث الحضاري القديم ليستقي منه المسرحيون أعمالهم الجديدة ومخاطبة الناس بلغة جديدة وأسس جديدة لكتابة المسرحية مع موضوعات مختلفة عما قدم سابقا ساعدهم في ذلك مهندسين ومصممين لمعمار المسرح الذي قدمت فيه المسرحية بمشاهدها وفصولها المتعددة فكان من اليسير الانتقال من مشهد إلى آخر بمفردات منظرية بسيطة وإضاءة تكاد تكون مهمتها الأولى هي أضاءه الممثلين والمكان للمشاهدين، لذلك قدمت مسرحيات شكسبير ذات المشاهد والأماكن المتعددة التي تجاوزت (٢٥) مشهد للمسرحية الواحدة على خشبة معمار متصلة به بشكل يوفر الرؤية الجيدة للمتلقي الذي جاء متابع هذا العمل وقد اختلفوا في مستوياتهم الاجتماعية من ملوك وأغنياء وعامة الشعب، هذا المكان فرض نفسه في استقطاب الجمهور له موهبة الكتاب

أمثال وليم شكسبير الذي استطاع أن يقدم أعمال يحبها ويتابعها الجمهور وهي تناقش أمور الحياة بما فيها من مشاكل تخص شخصية الرجل والمرأة والحكام والملوك وغيرهم. وهذه المسرحيات لازالت تقدم ليومنا هذا على خشبة المسرح برؤيا جديدة إضافة إلى تقديم السينما وشاشات التلفزيون.

حصل المسرح الفرنسي كل رعاية ملكيه وخاصة عندما كتب كورنيه وراسين وموليير في مجال الكوميديا هذه الرعاية انعكست بشكل ايجابي على تقديم الأعمال المسرحية لعلية القوم (البلاط الملكي) ثم لعامة الشعب، وتم متابعة الموضوعات المطروحة بشكل متواصل ومحبه بحيث اثر ذلك في عملية التلقي من قبل الناس، وأصبحت المسرحيات ذات اثر فعال في نفوس الناس، وأصبح الكتاب محميين من قبل البلاط الملكي لما يقدمه من موضوعات تناقش الحياة وما فيها من موضوعات إضافة إلى الموضوعات القديمة المطروحة في المسرح اليوناني والروماني.

وتجاوز ذلك عندما قدم كتاب مثل ابسن وسترنبرج موضوعات جريئة في وقتها مثل حرية المرأة وأوربا تذكر غلق الباب من قبل نورا وهي تطالب بحريتها كذلك مناقشة الموضوعات النفسية واختلاف الشخصية المريضة نفسياً بواقعية ورمزية، وتقريبا نفس المواضيع تم طرحها من قبل كتاب أمثال برنادشو وبراندلو وكذلك المسرح الروسي مما دفع المتلقي متابعة هذه الأعمال وإحساسه بأنها متنفس له.

في المسرح الحديث ومن خلال ما أحدثته التطورات العلمية وخاصة في مجال الاهتمام بالمسرح وخشبته أدت إلى تحسين التقنيات المسرحية مما اثر على جماليات الشكل والصورة المسرحية وبالتالي على بنيه العرض المسرحي. فما قام به المصمم المسرحي السويسري (أدولف آبيا) في مجال الإضاءة المسرحية وخلق جو مسرحي جديد وتحديد وقت وزمان الحدث المسرحي.وعلاقة الضوء بالظل وعلاقتهما مع الممثل ذو الأبعاد الثلاثة وهذا ما نراه في مسرحية (دون جوان) التي تميزت فيها الصورة المسرحية وأعطت أشكالاً مغايرة تم التعرف عليها من قبل الجمهور والذي وجد في المسرحية سمة جديدة على المسرح فأقبل عليها لأنه " أدرك قوه الإضاءة الهائلة كأداة لتشكيل المكان "[٤٧].

وفي انكلترا ظهر مبدع آخر ومصمم لبنية العرض المسرحي وهو كوردن كريك (١٨٧٢-١٩٦٦) الذي أضاف إلى المسرح شكل جديد بأعماله التي اقتربت إلى الفن التشكيلي، مع إضافة الأشكال الهندسية والخطوط والتغير المستمر للمنظر مما دفع بالجمهور إلى متابعة هذه الأعمال والإقبال عليها لما فيها من روابط بين المتلقي وبنية العرض إضافة إلى مضمون العمل المسرحي الذي يحمل رسالة حتما مثل مسرحية هاملت.

وهناك أسماء أخرى جربت على خشبة المسرح أعمالها المسرحية بأشكال وصور وأساليب جديدة على أساس النصوص الجديدة وما تحمله من أفكار يراد إيصالها إلى المتلقي، فجاك كوبو (١٨٧٩ -١٩٤٩) الذي اعتمد على جسد وانفعالات الممثل لخلق صورة جديدة مع بقيه العناصر الأخرى فهو غير في شكل خشبة المسرح وأضاف أليها أجزاء من معمارية المسرح ومكان جلوس المشاهدين، مما أعطى دفعة أخرى للمتلقي لمتابعة العرض المسرحي والسعي لمشاهدة هذه التجارب الجديدة.

والفنان بسكاتور صاحب المسرح الوثائقي أو السياسي اعتمادًا على الخلفيات الفكرية والسياسية والاجتماعية للصراع القائم في الدراما لخدمة مصالح الجمهور وإيصال الأفكار برسائل مسرحية إلى المتلقي، فقد استخدم التقدم التقني والعلمي في مسرحية مثل السينما والسلايد والصور والإضاءة الحديثة والمناظر الدوارة فهو " يريد مسرحاً يعبر عن الحاجات الأساس للجماهير "[٤٨] وهذا واضح في عمله المسرحي (بيت آل اتريوس). وكان مسرحه موجه إلى الطبقة العاملة فتابع هذه الشريحة من المجتمع وقدم لهم أعماله ورسالته الفكرية خارج مسرح العلبة.

والمبدع الروسي فيسفولد مايرخولد (١٨٧٤-١٩٤٠) وهو احد تلاميذ المبدع ستانسلافسكي الذي ابتكر مبادئ جديدة بالمسرح وهو مبدأ الاسلبة ومبتعدا عن التأويل في أعماله المسرحية وغير في شكل بنية العرض من خلال استخدام المسطحات الهندسية بإشكالها المختلفة لإنتاج قيم تشكيلية جديدة تخدم العرض المسرحي وخلق الدهشة والصدمة عند المتلقي بواسطة تقنيات العرض إضافة إلى النصوص المسرحية

المحملة بأفكار جديدة تعبر عن حاجات الجمهور كما في مسرحية (هيدا جابلر)لابسن ودون جوان.

ماكس راينهارات (١٨٧٣-١٩٤٣) الذي اعتمد المسرح الشرقي وما فيه من طقوس وحركات وتقاليد الذي حرر الممثل من علاقته ببقية عناصر العرض المسرحي وخلق بدلاً عنها علاقة جديدة من الجمهور لكسر ألطريقة الإيهامية السابقة بالعرض المسرحي مما جعل الممثل دائم التفكير في وضعه الجديد لا تقمص الشخصية. إضافة إلى إدخاله الستائر الملونة الكبيرة على صورته المسرحية بدلاً من المفردات ألمنظرية الضخمة وهو بذلك يخلق علاقة حميمية مع جمهوره المسرحي وخاصة على جعل خشبة المسرح وقاعة العرض (الجمهور) ضمن مساحة واحدة كما فعل في مسرحية (المعجزة) والبحث عن فضاءات جديدة لجذب الجمهور لمشاهدة عروضه مثل (اوديب ملكاً) و (الاوديسا) ومسرحيات وليم شكسبير بأساليب جديدة وأماكن مقترحة لخلق رغبة عند المتلقي لمتابعة عروضه المسرحية.

والبحث عن شكل مسرحي جديد يملأ بالصورة والأصوات ويؤكد القوى السحرية الكامنة في الفراغ المسرحي وهذا ما بحث عنه انتونين ارتو (١٨٩٦-١٩٤٨) وهو بذلك يؤكد على أن " يهجر الواقع الذي يعكسه الواقعيون إلى العالم وغير المرئي الميتافيزيقي بحثاً عن حضارة أخرى "[٤٩] وهو بذلك يبحث عن صورة مسرحية من خلال حركات الممثلين وإشاراتهم وأعطى للحوار الدور الثاني في العرض المسرحي كما في مسرحية (حلم) و (فكتور).

ومن المسرحين الذي أكد على أهمية المسرح كوسيلة اتصال مهمة للجمهور لنقل الأفكار والتقاليد ما جاء به تولد برخت (١٨٩٨-١٩٥٦) الذي قدم مسرحاً واقعياً معتمدًا على المسرح الشرقي وجاء بمنهج جديد وهو التغريب. واعتمد على النظرية الماركسية في مسرحه وجعلها الرسالة الأهم فيه وما التجديد والابتكار والخروج عن تقاليد مسرح العلبة بكسر الجدار الرابع وإشراك الجمهور إلا رد فعل للأفكار الجديدة والصناعة الجديدة التي عرفها الإنسان بداية القرن العشرين إضافة إلى النزاعات الكبيرة التي أدت إلى الحروب الكونية فهو قد تجاوز حالة الإيهام القديمة بالنسبة

للجمهور وتقمص الشخصية بالنسبة للممثل إلى حالة المشاركة والوعي بما يقدم على خشبة المسرح.وهو الذي أسس المسرح المسمى (المسرح الملحمي) بصور مسرحية متعددة وأسلوبه الجديد لمعالجة النص المسرحي كونه " إيذاناً بدخول عصر جديد في فهم الدراما"[٥٠] فالمسرح التقليدي يخاطب قضية الإنسان مع القدر ويعمل على تحقيق الشفقة ثم التطهير عند المشاهد بينما يؤكد المسرح الملحمي على استفزاز المتلقي ليحمله مسؤولية المشاركة في العمل المسرحي والقناعة به ثم التفكير فيه ليدفعه للتغير وتغير ما حوله والثورة على الأوضاع الباليه والتي تتقاطع مع مصالحه، وهنا تأكيد على مسرح برخت أداة تحفيز فاعلة للجمهور لدفعه للمطالبة بحقوقه وهو يؤكد على " اجتناب كل ما يثير الإيهام من مشهد الشارع ذلك الإيهام الذي يمثل احد المميزات الرئيسية للمسرح الاعتيادي "[٥١]. والأمثلة كثيرة لمسرحه ومن تأليفه. وإضافة إلى التجارب والصيغ الجديدة للمسرح وهدفها تحسين الأداء والصورة وبالتالي جلب الجمهور لحضور العروض وإيصال الرسالة جاء البولندي جيرزي كروتوفسكي بمسرحه الفقير الذي يفتقر إلى كل المستلزمات المسرحية والعناصر المشاركة وهو بذلك يصوغ صورة جديدة يعتمد بها على الممثل فقط وما يقدمه هذا الممثل بأشكال جمالية راقية لشد انتباه المتلقي كونه " نقطة الانطلاق أو الغرض العلمي الذي يشكل أساس هذه التجربة، ومن خلال الجمهور وعن طريق أعادة تشكل استجاباته واكتشافها من جديد نصل إلى جوهر المسرح "[٥٢] مما تدفع بالجمهور بالمشاركة بالعمل المسرحي كونه طقسا خاصا يشارك فيه الجميع وبشكل واسع أذ "تستدعي هذه المشاركة توريط المتفرجين بشكل كامل بالعرض "[٥٣].

ومن خلال ما تقدم نرى التأكيد على العلاقة بالجمهور وقد عزز هذه العلاقة (بيتر بروك) بالبحث عن لغة عالمية مشتركة وأكد على المسرح الطقسي ومصطلح (المساحة الخالية) بأن يجعل خشبة المسرح خالية ألا من حركة الممثل لذلك جاء بمسرحه مؤثرات صادمة وصرخات وأقنعة ودمى وملابس طقسية واستخدام التغيرات في الإضاءة " وكانت الطقوس هي التعبير عن هذا اللاوعي الجماعي الذي يربط الناس بعضهم ببعض ويحفظ لهم وحدتهم الاجتماعية والشعورية "[٥٤] وهو يرى أن

السياقات اللغوية والثقافية ما هيه ألا حواجز تعمل على أعاقه التواصل الكوني، من هذا المنطلق كانت فرقته المسرحية عالميه الطباع ولها مواضيع بمناقشة وضع الإنسان ونقد الحروب وهو يستلهم الأساطير الشرقية لعمل ذلك مثل مسرحية (الطيور) و (المهابهارتا).

وفي بداية القرن الماضي جاءت تجارب كثيرة واستمرت مع سابقاتها على أساس بناء علاقة بين العمل الفني والجمهور ومتابعته في أماكن تواجده والخروج من مسرح العلبة إلى الفضاءات المتعددة بما فيها من خصوصيات مختلفة الواحدة عن الأخرى وعن مسرح العلبة. والذي ساعد على تقديم عروض غريبة بعض الشيء عن ما كان يقدم من عروض مسرحية من ناحية الشكل والمضمون، واهم هذه الأسماء المجددين هو (ايوجينوباربا) الذي أكد على أن الإنسان هو الأهم في العرض المسرحي فاعتمد التمارين ألمكثفة للممثل وسماها التمارين (البيوميكانيك) واعتماد المسرح الشرقي وبالذات الهندي والكاثاكالي في صياغة المسرح الجديد وهو الهارب من حدود المسرح التقليدي إلى الشارع ليقدم عروضه المسرحية وليتفاعل مع المتلقي لغرض وصول رسالته الإعلامية كذلك اختار فضاءات مثل السيرك والهياكل العمرانية والمعابد والآثار القديمة فمسرحه " لا يتميز بوجود تيار معين بل تنوعت فيه نقاط الاتصال "[٥٥]. ونتيجة للتطور العام في كل وسائل الاتصال الأخرى وكذلك في أساليبها جعل من المسرح نموذج آخر خاضع للتطور وابتكار الأساليب الجديدة لغرض تحقيق أهدافه بين الجمهور، ومن هذه التجارب المسرحية الجديدة هو مسرح المستقبل الذي أكد على تقديم مضمون فيه تحفيز للجمهور ويضعه في المواجهة الصريحة لثقافة الأخر ومبادئ الوجود والأخلاق وهذا واضح في عروضه المقدمة في أماكن غير مسرح العلبة مثل (ألوان) و(الأيادي).

والمسرح البيئي الذي ابتدعه (ريتشارد شِشنر) الذي أكد على تقديم مشاهد العرض في أماكن مختلفة من صالة العرض لإيجاد فرصه للمتلقي لرؤية المشهد المسرحي من أماكن مختلفة حيث يكون التفسير مختلف حسب ثقافته فهو " مسرحا

ذاتيا... حيث يقوم كل من المتفرجين بإدراك مسرحية مختلفة "[٥٦] وكان واضحا في مسرحية (الأم شجاعة)و (الشرفة).

وتجربة المسرح المفتوح للمخرج (جوتشايكين)الذي اعتمد على بدايات الحضارة الإنسانية وإيجاد تصرفاتهم ولغتهم من خلال التمارين المسرحية قبل العرض المسرحي ويتم التأكيد على الإمكانيات التعبيرية للممثل وغيرها. ومضمون المسرح هو كشف المجتمع الاستهلاكي بأسلوب ساخر ومشاركة الجمهور في العرض كما في مسرحية (الحية).

وفي العقد السادس من القرن الماضي ظهرت تجربة جديدة هو مسرح الشمس (أريان مون شكين) للتعبير عن رسالة موجهة إلى الطبقة العاملة ومناقشة الأمور السياسية و الاجتماعية بأسلوب جديد وتقنيات مبتكرة في تقديم العرض كمسرحية (المطبخ) و(جنكيزخان) ومسرح الشمس اعتمد على تعدد المنصات التي يقدم عليها المشهد المسرحي واختلاف زوايا الرؤيا للعمل المسرحي مع إضاءة مبهره وملابس وإكسسوارات غريبة.

وقسم من التجارب اعتمد الجانب التشكيلي واستخدام المفردات ألمنظرية الجاهزة وهذا ما فعله الفنان (تادوش كانتور) و(جوزيف شاينا) فمسرحهم " يتسم بالتفسير من خلال الرؤيا التشكيلية التي تصبح بديلاً في أعماله عن رؤية أدب المسرح "[٥٧] وقسم من التجارب قدمت على المسرح الدائري الذي يحيط به الجمهور من كل جوانبه وهو يفرض قواعد على استخدام التقنيات المسرحية لعدم حجب الرؤيا وحتى الممثل، وان مفردات المنظر تستخدم بشكل رمزي للدلالة على المكان وهذا المسرح يعيدنا إلى العلاقة القديمة بين المتفرج والممثل في قاعة العرض ونمو هذه العلاقة الحميمة والتي يتم فيها التفاعل الكامل في ما بينها.

أما المسرح العربي وعلاقته بالجمهور فهي علاقة بسيطة جدا في القديم كانت النشاطات المسرحية مقتصرة على دار الخلافة وعلية القوم أما عامه الشعب فكانت تجتمع حول الحكاءون أو مشاهده خيال الظل. ولم يجد المسرح جمهوره ألا عندما ظهر المسرح بشكل تتكامل فيه الصورة المسرحية وقد اختصر هذا الحضور على

الأماكن التي تقدم فيه العروض المسرحية بالمناسبات العامة أو الخاصة والحضور مقتصر على المدعوين فقط، وان بناء دور العرض المسرحي ساعد على استقطاب الجمهور بمشاهدة العروض مع تطورها وتقنياتها وبفنانين موهوبين طوروا هذه الموهبة بالدراسة والمشاهدة والمشاركة خار بلدانهم ز ولكن يبقى المسرح العربي يتعثر بسبب عدم دعم الدولة له للنظرة الدونية له وعزوف العنصر النسوي بالمشاركة وهي عنصر مهم في تجسيد الشخصيات. وبعد العقد الخامس وفي العراق قد قدمت مجموعة عروض مسرحية ناجحة كانت لعوده الدارسين بالخارج الأثر الكبير على تطور هذا الفن وبناء قاعات خاصة بالعروض ليأتي الجمهور لمشاهدة مسرحية تعالج مشاكلهم الاجتماعية والسياسية وطرح مواضيع تمس احتياجاتهم والتنفيس عن رغباتهم في ظل أنظمة مسيطرة على كل شيء.

النتائج ومناقشتها :

١- نجد أن العلاقة قوية بين المسرح وجمهوره في المسرح الإغريقي لأنه جاء للمشاركة في الطقس الديني والمتعة بأعياد ديونيسيس.

٢- الجمهور في المسرح الروماني يذهب للمتعة والترفيه.

٣- جعلت الكنيسة من المسرح وسيله اتصال لنقل أفكارها إلى روادها.

٤- في مسرح شكسبير كانت المتعة وسماع الأشعار والاستفادة من المواضيع المطروحة أو المقدمة على خشبة المسرح.

٥- رعاية ملوكية للمسرح الفرنسي مما يدل على رقي هذا الفن ومتابعة عروضه من قبل الجمهور.

وهذا ما كان في فرنسا والدول الاسكندنافية

٦- الإقبال الكبير من قبل الجمهور لمشاهدة التجارب الجديدة الخارجة عن المعقول للمجاميع المسرحية وما كانت تطرحه من مواضيع مهمة وجديدة تخص الإنسان والمجتمع.

٧- عدم الإقبال من قبل الجمهور العربي لمشاهدة المسرح أول الأمر وتطور هذا الإقبال في مرور الزمن والتطور الحضاري لوجود أعراف وتقاليد اجتماعية.

الاستنتاج :

أذن أن المسرح أداة اتصال بالجماهير لتوصيل رسالة ولكن بشكل متفاوت بين الشعوب في المجتمعات كافة.

الهوامش:

(١) د.محمد عبد المنعم خفاجي، التفسير الإعلامي للسيرة النبوية، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٩٢ ص١٥. انظر: د.جميل نصيف التكريتي، قراءه وتأملات في المسرح الإغريقي، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٣٨٥)، الجمهورية العراقية ؛١٩٨٥ ص٧٣-٧٥.

(٢) شلدون تشيني، تاريخ المسرح في ثلاثة ألاف سنه، ت: دريني خشبه، القاهرة: المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ب ت ص ٤٥.

(٣) أرسطو طاليس، فن الشعر، ت: عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣، ص٣٩.

(٤) انظر: د.جميل نصيف التكريتي ، المصدر السابق، ٩٢ ص.

(٥) انظر: المصدر نفسه ص٧٢-٩٥.

(٦) حسين رامز محمد رضا، الدراما بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ١٩٧٢ ص ٨١-٨٤.

(٧) انظر: جيمس لافر، الدراما أزيائها ومناظرها، ت: مجدي فريد، القاهرة المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر والطباعة، ١٩٦٣، ص٨٧-٩٥.

(٨) انظر: فرانك م. هوايتنج، المدخل إلى الفنون المسرحية، ت: كامل يوسف وآخرون، دار المعرفة، مطبعة الأهرام التجارية، ألقاهرة ؛١٩٧٠ ص ٤١-٥٥.

(٩) انظر: حسين رامز محمد رضا، الدراما بين النظرية والتطبيق، المصدر السابق، ص٨٨-٩٠.

(١٠) انظر: المصدر نفسه، ص٩٢.

(١١) انظر: المصدر نفسه، ص٩٩-١٢٣.

(١٢) انظر: محمد حموده، من أعلام المسرح العالمي، مذاهب وشخصيات، ع ٣٩، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ب ت ص ٧-١١ و٤٢-٤٧ و٨٥-٩٦.

(١٣) انظر: فرانك.م.هوايتنج، المدخل إلى الفنون المسرحية، المصدر السابق، ص ٨٦ - ٩٢.

(١٤) انظر: ريموند وليمز، المسرحية من ابسن إلى اليوت، ت: فايز اسكندر، وزاره الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، مصر: ١٩٦٣ ص ١٣٠-١٤٨.

(١٥) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٣-١٦٦.

(١٦) انظر: روبرت بروستاين، المسرح الثوري (دراسة في الدراما ألحديثة من ابسن إلى جان جينيه))، ت: عبد الحليم البشلاوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة: ب ت، ص ١٢٣- ١٣٠.

(١٧) د.سمير سرحان، تجارب جديدة في الفن المسرحي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان: ت ب ص ٥.

(١٨) د.سمير سرحان، تجارب جديدة في الفن المسرحي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان: ت ب ص ٥.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٢٠) عبد الغفار مكاوي، التعبيرية في الشعر والقصة والمسرح، المكتبة الثقافية (٢٦)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١ ص ١٨.

(٢١) د. على الراعي، المسرح بالوطن العربي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهريه، المجلس الأعلى الوطني للثقافة والأدب، الكويت: ١٩٨٠، ص ١٥.

(٢٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ١١- ٤٧.

(٢٣) نوال محمد عمر، فن صناعه الخبر في الإذاعة والتلفزيون، القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٣، ص٢١.

(٢٤) محمود ادهم، فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٤ ص١٦٩.

(٢٥) انظر: د.محمد حمدان مصالحة، الاتصال السياسي، عمان: دار وائل للنشر، ٢٠٠٢، ص ١١٤-١١٥.

(٢٦) علي الجابري، تقنيات الخبر في الفضائيات العربية، عمان: عمرون للدراسات والنشر، ٢٠٠٦ص٣٤.

(٢٧) د.كرم شلبي، فن الكتابة للراديو والتلفزيون، جده: دار الشروق، ١٩٨٧، ص ٨٢-٨٣.

(٢٨) فاروق علي عمر، وسائل الاتصال الحديثة والرأي العام، أطروحة دكتوراه غير منشوره، جامعة بغداد كلية الإعلام، ٢٠٠٤، ص ٨٦.

(٢٩) د.عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الإعلامي، بيروت: دار الراتب الجامعية، ٢٠٠٤، ص٦١.

(٣٠) انظر: د.لؤي مجيد حسن البلدواي، الخصائص المهنية للصحفيين العراقيين، أطروحة دكتوراه غير منشوره، جامعة بغداد، كليه الآداب، قسم الإعلام، ١٩٩٦، ص ٦٨.

(٣١) د.جيهان احمد رشدي، نظم الاتصال، ج١، ط١، القاهرة: دار الفكرالعربي، ١٩٧٢، ص١٦٢.

(٣٢) انظر: د.فاروق محمد أبو زيد، مقدمة في علم الصحافة، القاهرة: مركز التعليم المستمر، ١٩٩٩، ص١٦.

(٣٣) د.خليل صابات، وسائل الإعلام نشأتها وتطورها، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦، ص٨١.

(٣٤) انظر: صالح خليل أبو أصبع، الاتصال الجماهيري، عمان: دار الشروق، ١٩٩٩، ص١٦٥.

(٣٥) د.ماجي الحلواني، مدخل إلى الإذاعات الموجهة، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٢، ص٩.

(٣٦) يوسف مرزوق، المدخل إلى حرفية الفن الإذاعي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥، ص٥.

(٣٧) انظر: احمد طاهر الإذاعة والسياسة الدولية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص١٨-١٩.

(٣٨) عبد النبي خزعل جاسم، الإذاعات العراقية الموجهة، رسالة ماجستير غير منشوره جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، ١٩٨٨، ص ١١٠.

(٣٩) صالح مصطفى الاتروشي، المايكروف والحياة، سلسلة الثقافة العلمية (٢١)، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩، ص ٧٩.

(٤٠) عبد الملك ردمان الدناني، الو ظيفة الإعلامية لشبكة الانترنيت، ط١، القاهرة: دار الفجر ٢٠٠٣، ص ١١١.

(٤١) انظر: سعود صالح كاتب، الإعلام القديم والإعلام الجديد، جده: مكتبة الشروق، ٢٠٠٣، ص١١٠-١١٢.

(٤٢) كمال عيد، دراسات في الأدب والمسرح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر: ١٩٦٦ ، ص ١٨٧.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

(٤٤) سعد اردش، المخرج في المسرح المعاصر، عالم المعرفة (١٩) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٩ ص٣١.

(٤٥) فرانك.م.هوايتنج، المدخل إلى الفنون المسرحية، المصدر السابق ، ص٢٤.

(٤٦) احمد شوقي قاسم، المسرح الإسلامي، دار الفكر العربي، مطابع الرجوي، عابدين: ١٩٨٠.
(٤٧) جوليان هلتون، نظريه العرض المسرحي، ت: نهاد صلحيه، الإبداع الفكري، الشارقة: ٢٠٠١ ص ١٣٥.
(٤٨) عقيل مهدي يوسف، نظريات في فن التمثيل، بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية الفنون الجميلة، ب ت ص ١٩٢.
(٤٩) سعد اردش، المخرج في المسرح المعاصر، المصدر السابق ص ٢٦١.
(٥٠) عطيل مهدي يوسف، نظريات في فن التمثيل، المصدر السابق ص ٢٢٩.
(٥١) اريك بنتلي، نظريه المسرح الحديث، ت: يوسف عبد المسيح ثروت، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد: ١٩٧٥ ص٧٧.
(٥٢) سمير سرحان،تجارب جديدة فيالفن المسرحي،المصدر السابق، ص ٩-١٠.
(٥٣) كريستوفر، أينز، المسرح الطليعي من ١٨٩٢-١٩٩٢، ت: سامح فكري، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٤ ص ٢٨٩.
(٥٤) سمير سرحان، تجارب جديدة في الفن المسرحي، المصدر السابق، ص ١٠.
(٥٥) قاسم بياتلي، دوائر المسرح (تجربه الاودن وانتربولوجيا المسرح)، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت: ٩٩٨ ص ٧.
(٥٦) كريستوفر، أينز، المسرح الطليعي من (١٨٩٢-١٩٩٢)، المصدر السابق، ص ٣٣٧.
(٥٧) زيجموند هنبر، جماليات فن الإخراج، ت: هناء عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٩٣ ص ٢٢٧.

عادات تعرض الشباب الجامعي العراقي لوسائل الإعلام العراقية واستخداماته لها والاشباعات المتحققة منها

(دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة تكريت عام 2009).

د. سعد سلمان عبد الله
جامعة تكريت/ كلية الآداب .قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

شهدت وسائل الإعلام العراقية منذ الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 تطورات سريعة وهائلة في مجال إنتاج وتوزيع واستقبال الرسائل الإعلامية . ولقد تزايد الاهتمام بين باحثي العلوم الإنسانية عامة وباحثي الإعلام بصورة خاصة حول جهود المؤسسات الإعلامية في المجتمع لمواجهة السيل المتدفق وغير المتوازن من دول الشمال المتقدم الى دول الجنوب المتخلف الذي يحمل أملاً وتهديداً في ذات الوقت للحكومات والمواطنين في كل أنحاء العالم .

وتعد بحوث الجمهور من البحوث المهمة للتعرف على عادات الجمهور في التعرض لوسائل الإعلام وكيفية استخدامه لها وتفضيله وأهم دوافعه المتحققة من التعرض والاستخدام لهذه الوسائل، لاسيما وان مهمة وسائل الإعلام هي التعرف على الاحتياجات الحقيقية للجمهور وإرضاء رغباته، وعندما تنجح وسائل الإعلام في إرضاء هذه الاحتياجات فأنها تضمن إقبالاً وتجاوباً[1]. ويعدُّ هذا البحث مهماً وذلك لأهمية معرفة رجع الصدى في مجال الإعلام، فمعرفة ردود الأفعال تجاه ما يقدم للجمهور هامة للمخططين وصانعي القرار لتعديل الرسائل، أو جعلها تتوافق مع

الجمهور المتلقي، وتزداد هذه الأهمية عند ربطها بجمهور الشباب، والذي يعدّ ركيزة المجتمع وأمله في مستقبل أفضل[2]. وتأتي أهمية هذا البحث كذلك انطلاقاً من كون الشباب الجامعي مشارك وفعال ويستخدم وسائل الاعلام لتحقيق أهداف مقصودة فضلاً عن ان هذا الجمهور هو الذي يختار الوسائل والمضمون الذي يناسبه ويشبع حاجاته . ولهذا فان الاستدلال على المعايير الثقافية السائدة يأتي من خلال استخدام الجمهور لوسائل الإعلام وليس من خلال محتوى الرسائل التي تقدمها وسائل الإعلام . وتبعاً لهذا التصور فان العملية الإعلامية والاتصالية في العراق بحاجة ماسة إلى بحوث الجمهور لأهميتها في عملية التخطيط والتنفيذ والمتابعة انطلاقاً من الأسس والعناصر العلمية اللازمة لتلك العملية .

مشكلة البحث:

طرأت العديد من التطورات على البيئة الإعلامية العراقية خاصة بعد ستة أعوام على الاحتلال الأمريكي للعراق من ظهور 54 فضائية و114 إذاعة و268 صحيفة عراقية بين مجلة وجريدة[3]. ويهدف البحث إلى التعرف على عادات وأنماط تعرض الشباب الجامعي في جامعة تكريت لوسائل الإعلام العراقية واستخداماته لها، والاشباعات المتحققة من ذلك الاستخدام، انطلاقاً من كون المشكلة في هذا البحث هي موقف غامض وظاهرة تحتاج إلى تفسير وقضية ممكن إدراكها أو ملاحظتها ويحيط بها شيء من الغموض[4]، لذا فهي تحتاج إلى البحث والدراسة العلمية للوقوف على مقدماتها، وبناء العلاقات بين عناصرها ونتائجها الحالية[5].

ويمكن هنا تحديد مشكلة البحث في (التعرف على كيفية تعرض شباب جامعة تكريت إلى وسائل الإعلام العراقية، ورصد عادات التعرض واهم دوافع التعرض، واستخدامات شباب جامعة تكريت لوسائل الإعلام والاشباعات المتحققة من ذلك

الاستخدام) . وتنبع من مشكلة البحث عدة تساؤلات يسعى البحث للإجابة عنها واهم هذه التساؤلات هي:

1- ما مدى الانتظام في التعرض لوسائل الإعلام لدى شباب جامعة تكريت ؟
2- ما أنماط التعرض لوسائل الإعلام لدى الشباب الجامعي في جامعة تكريت ؟
3- ما أهم أسباب التعرض لوسائل الإعلام لدى شباب جامعة تكريت ؟
4- ما أسباب عدم التعرض (لغير المتعرضين) لوسائل الإعلام لدى الشباب الجامعي في جامعة تكريت ؟
5- ما عادات تعرض شباب جامعة تكريت لوسائل الإعلام ؟
6- ما هي استخدامات شباب جامعة تكريت لوسائل الإعلام والاشباعات المتحققة من ذلك الاستخدام ؟

مجتمع البحث:

يعرف مجتمع البحث بأنه المجتمع الذي يستطيع الباحث أن يختار منه عينة البحث، والذي يرغب في تعميم النتائج عليه[6]. وسوف يختار الباحث عينة البحث بأسلوب العينة الاحتمالية أو العشوائية، نظراً لان جميع أفراد المجتمع الأصلي للبحث معروفين ومحددين وهم عينة من طلبة كلية الآداب بجامعة تكريت للعام الدراسي 2008، 2009 وبواقع (200) طالب وطالبة بنسبة متساوية .

أداة البحث :

اعتمد الباحث على استمارة استبيان صممت لأغراض هذا البحث بعد عرضها على لجنة من المحكمين[7]. وقد تم الاعتماد على استمارة الاستبيان كأداة لجمع للبيانات وذلك لكونها قليلة التكاليف، وتتناسب مع العينة الموزعة في جامعة تكريت . كذلك فان أسئلة الاستبيان غير قابلة للتغيير وتجمع بين الأسئلة المغلقة والمفتوحة والمغلقة المفتوحة في آن واحد، مما يتيح مجالاً لعينة الدراسة كي تعبر عن

نفسها بحرية تامة ووضوح . وقد أبدى المحكمون ملاحظات تتعلق بصياغة بعض الأسئلة وترتيب البعض الآخر، ثم أجرى الباحث بعد ذلك اختباراً أولياً على عينة قوامها (10%) من حجم العينة الأصلية بلغ حجمها (20) مفردة . ولتحقيق ثبات الاستمارة استخدم الباحث أسلوب إعادة الاختبار (Test – Retest) على استمارة الاستبيان لمعرفة صلاحيتها للاستخدام حيث تم تطبيقها على عينة قدرها (10%) من إجمالي العينة ثم أعاد التطبيق على نفس المبحوثين للتأكد من فهمهم لطبيعة الموضوع وثبات إجاباتهم، ولقد تم حساب معامل الارتباط بين التطبيق الأول والثاني فكانت قيمته (90%)، وهي قيمة عالية تشير الى ثبات استمارة الاستبيان كمقياس .

الوسائل الإحصائية :

استخدم الباحث في تحويل التكرارات في كل فقرة من فقرات الإستبانة النسبة المئوية كوسيلة إحصائية وفقاً للقانون الآتي[8]:

$$\text{النسبة المئوية} = \frac{\text{العدد الجزئي}}{\text{العدد الكلي}} \times 100$$

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث في إطاره النظري على نظرية التعرض لوسائل الإعلام ونظرية الاستخدامات والاشباعات المتحققة منها، حيث تتناول هاتين النظريتين تأثيرات وسائل الإعلام على أفكار الجمهور ومشاعرهم وأحكامهم إزاء القضايا أو الأحداث أو السياسات أو الحكومات من خلال إبراز بعض القضايا وتجاهل قضايا أخرى . وقد اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهج الوصفي بوصفه انسب المناهج العلمية المستخدمة لتحقيق أهداف المسح . وقد روعي أن يكون التعامل منهجياً مع

المادة العلمية في ضوء القواعد والأساليب المستخدمة في البحث العلمي وما يقتضيه ذلك من تحديد للمعلومات ووصفها وتحليلها وتفسيرها[9].

ونظراً لطبيعة البحث التفسيرية التي تستهدف التعرف على تعرض شباب جامعة تكريت لوسائل الإعلام ومضامين الاستخدامات والحاجات والاشباعات لوسائل الإعلام العراقية، فقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي باستخدام استمارة استبيان خصصت لاستطلاع رأيهم بوسائل الإعلام، من حيث عادات وأنماط تعرضهم لوسائل الإعلام والاستخدامات والاشباعات المتحققة منها.

المبحث الأول

مفهوم التعرض لوسائل الإعلام والاستخدامات والاشباعات المتحققة

يقصد بالتعرض لوسائل الإعلام استقبال الجمهور للوسيلة الاتصالية أو الرسالة الاتصالية[10]. ويعدّ التعرض أحد أركان العملية الاتصالية لاسيما وأنه يحقق استقبال الأفراد للوسائل والرسائل في إطار عملية مقصودة تستلزم امتلاك المتعرضين لمهارات اتصالية[11]، ويختلف الأفراد في مدى تعرضهم لوسائل الإعلام، وكلما زاد عمق التعرض دل على وعي الجمهور بالرسالة الإعلامية[12]، والتعرض لوسائل الإعلام قد يكون اختيارياً أو غير اختياري، وفي التعرض غير الاختياري، إذا تناقضت معلومات جديدة مع المعرفة التي لدى الفرد تحدث حالة تنافر تؤدي إلى تحريف أو إساءة فهم الرسالة، أو يتجنب هذه المعلومات أو ينساها أو يقلل من تنافره بتغيير آرائه . أما التعرض الاختياري فقد يكون هو نفسه إنتقائياً، ويعني إلا يعرض الفرد نفسه إلا للمعلومات التي يرغب في التعرض لها فعلاً، لذلك فان الرسالة يجب أن تأتي بحسب اهتمامات الجمهور الذي توجه إليه، كما أن عملية إشباع الحاجات من المعلومات تتم عن طريق ما يأتي[13]:

1- التعرض لوسيلة إعلامية محددة .

2- السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه الوسيلة، كالاستماع إلى الراديو بانفراد أو مشاهدة التلفزيون مع الجماعة، وقراءة الصحف في ظروف معينة .

أما نظرية الاستخدامات والاشباعات فتهتم هي الأخرى بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منظمة، وتنظر الى الجماهير على إنها فعالة في انتقاء أفرادها لرسائل وسائل الإعلام[14]، خلافاً للنظريات المبكرة كنظرية التأثير المباشر لوسائل الإعلام أو ما تسمى بنظرية الرصاصة السحرية التي تنظر الى الجماهير على إنها كائنات سلبية وتتصرف بناءً على نسق واحد، فابتعدت النظرية عن هذه الفكرة وأحلت محلها فكرة ترى أن وسائل الإعلام تسعى لإشباع حاجات الجمهور، فابتعدت عن نظريات التأثير المباشر وجاءت فكرة التأثير غير المباشر أو المحدود لوسائل الإعلام [15]. فنظرية الاستخدامات والاشباعات تنظر الى العلاقة بين مضمون وسائل الإعلام والجمهور نظرة جديدة تفترض ان قيم الناس واهتماماتهم ومصالحهم وميولهم وأدوارهم الاجتماعية هي الأكبر تأثيراً وفاعلية على سلوكهم، وان الناس بصورة اختيارية ينتقون ويكيفون ما يستقبلونه في ضوء هذه الاهتمامات . والنظرية حسب تصورات ولبرشرام تهتم بالتفاعل بين المتلقي الوسيلة من ناحية علاقة الاستخدام بالإشباع[16]، أي ليست وسائل الإعلام هي التي تحدد للجمهور نوع الرسائل الإعلامية التي يتلقاها بل أن استخدام الجمهور لتلك الوسائل لإشباع رغباته يتحكم بدرجة كبيرة في مضمون الرسائل الإعلامية التي تعرضها وسائل الإعلام[17]، وان اعتماد النظرية على مبدأ (التعرض الاختياري) يعني أن الإنسان يعرِّض نفسه اختيارياً لوسائل الإعلام ورسائله التي تلبي رغباته وتتفق معه ذلك ان نظريات التأثير الاختياري وهي:(نظرية الفروق الفردية، ونظرية الاختلاف الاجتماعي، ونظرية العلاقات الاجتماعية) استخدمت لفهم الناس ومعرفة كيفية اهتماماتهم وتأثرهم بوسائل الإعلام[18]، ففي الأربعينيات من القرن الماضي أدى إدراك تأثير الفروق الفردية

والاختلاف الاجتماعي على السلوك إزاء وسائل الإعلام الى رؤية جديدة بين الجماهير وسائل الإعلام، وشكلت هذه الرؤية تحولاً من رؤية الجماهير على إنها عنصر سلبي غير فعال الى رؤيتها بأنها فعالة في انتقاء أفرادها لمضمون مفضل في وسائل الإعلام . فقد وجد مكويل في استعادته للعديد من الدراسات أن هناك قدراً من الاتفاق بين مختلف الباحثين فيما يتعلق بطبيعة ومستويات التعرض والإشباع، وانتهت الدراسات الى ان الرضا والإشباع في استخدام وسائل الإعلام يظهر عند الأفراد فيما تحققه هذه الوسائل من حاجات[19]. وبموجب هذه النظرية فان الناس قد لا يتعرضون للرسائل التي يتوقعون أنها غير شيقة أو غير مفيدة، وان تعرضوا لها فإنهم سوف يتجاهلونها أو ينسوها، فالفرد عندما يشاهد التلفزيون لا يعطي اهتماماً متساوياً للمعلومات الواردة في البرنامج لان بعض هذه المعلومات غير مفيدة له، أما البعض الآخر فانه مفيد بشكل ما وبالتالي يتعرض له ويتذكره.

المبحث الثاني

العـوامل المـؤثـرة

على تعرض واستخدامات الشباب الجامعي لوسائل الإعلام

إن العوامل المؤثرة على تعرض واستخدامات الشباب الجامعي لوسائل الإعلام تتعلق بتفضيل الجمهور لوسيلة إعلامية معينة على غيرها، أو مضمون محدد، أي ما يخص تكوين الجمهور وتأثيره على الاختيار. ويمكن توضيح ذلك عن طريق ما يأتي :

1- **التعليم** : اتفقت الدراسات على أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي لدى الإنسان كلما زاد استخدامه لوسائل الإعلام، فيزيد الإقبال على قراءة الصحف مع ارتفاع المستوى التعليمي، وان الوسائل المسموعة لا تتطلب نوعاً من التعليم إلا في

بعض البرامج الثقافية العالية، أما الوسائل المطبوعة فتستلزم نوعية من الجماهير تكون على درجة معينة من التعليم أدناها معرفة القراءة[20]، وان المتعلمين يختارون البرامج الجادة في الإذاعة على حين يختار الأقل تعليماً البرامج الترفيهية الخفيفة[21].

2- **السن** : تتباين حاجات الناس واهتماماتهم الترفيهية والاجتماعية والسياسية باختلاف مراحلهم العمرية، فكل مرحلة عمرية لها توجه خاص في اختيار رسائل ووسائل الإعلام. فأثبتت دراسة (صباح ناهي) ان فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (21-30) سنة هم الأكثر تعرضاً لوسائل الإعلام ويقل التعرض مع ارتفاع السن[22]وتنطبق النتيجة على التعرض للتلفزيون ذلك ان الشباب هم الأكثر تعرضا للتلفزيون على حين إن من أعمارهم (50) سنة فما فوق هم اقل تعرضاً[23]، على حين أثبتت دراسة (ليلى حسين السيد) ان التلفزيون هو أكثر وسائل الاتصال التي يحرص كبار السن على التعرض لها، يليها الراديو ثم الصحف واهم المضامين التي يحرصون على التعرض لها في وسائل الاتصال هي الموضوعات الدينية والأخبار والبرامج السياسية والثقافية والصحية [24]، على حين نجد الأطفال وصغار السن يفضلون المواد الترفيهية على المواد الجادة، وكلما ارتفع السن تحول الاهتمام من موضوعات الخيال الخفيف الى الموضوعات غير الخيالية أي الجادة[25].

3- **الجنس** : ان الاختلافات بين الرجل والمرأة نابعة من اختلاف وظائف كل منهما واهتماماتهم الاجتماعية والتربوية والثقافية، وكذلك اختلافات تتعلق بأوقات فراغ كل منهما، فأثبتت دراسات في المملكة المتحدة إن النساء يشاهدن التلفزيون أكثر من الرجال، وان الرجال يقرأون الصحف أكثر من النساء [26]، وهذا ما أثبتته دراسة (صباح ناهي) وهو أن الإناث أكثر تعرضاً للتلفزيون من الذكور، وبالنسبة

للإذاعة كانت نسبة التعرض متساوية بين الذكور والإناث، أما التعرض للصحف فكان الذكور أكثر تعرضاً من الإناث[27] وأشارت دراسات أخرى أن النساء اقل اهتماماً من الرجال بالشؤون العامة في وسائل الإعلام، وان النساء تميل إلى قراءة القصص الخيالية في المجلات ومتابعة المسلسلات اليومية وبرامج الاقتصاد المنزلي في المدة الصباحية في الإذاعة، على حين يميل الرجال لقراءة المواد غير الخيالية، والى مشاهدة البرامج التلفزيونية والأفلام التي تحتوي على مشاهد الإثارة والعنف[28].

4- **الدخل** : إن عامل الدخل له أيضاً علاقة باستخدام وسائل الإعلام، ذلك انه كلما زاد دخل الإنسان زاد استخدامه لوسائل الإعلام، وهذا ينطبق على قراء الصحف أكثر مما ينطبق على مستمعي ومشاهدي الإذاعة والتلفزيون، ذلك ان أصحاب الدخل المنخفض يملكون مجالاً أضيق للاختيار بين نشاطات وقت الفراغ، فلا يتاح لهم السفر أو ممارسة الرياضة غالية المعدات والتكاليف أو حضور العروض الموسيقية والمسرحية والسينمائية او القيام بالرحلات، أو شراء الأجهزة التقنية الحديثة (كأجهزة الفيديو وكاميراته، والعاب الفيديو والكومبيوتر)، لذا فأن من المتاح لهم سماع الإذاعة ومشاهدة التلفزيون[29].

5- **الأدوار والظروف والمكانة الاجتماعية** : تؤدي إلى تشكيل صورة نموذجية عن استخدام وسائل الإعلام بالشكل المقبول اجتماعياً، حيث يشير بلوملر Blumler إلى ان مجالات الحياة تدفع الإنسان للتعرض لوسائل الإعلام، كي يتكيف مع ظروف وإمكانات اجتماعية وثقافية وسياسية تشكل لديه حاجة الى المعلومات التي يمكن ان يجدها عن طريق استخدامه لوسائل الإعلام . وبما ان التعرض تتحكم به الظروف الخارجية والصدف فضلاً عن لعوامل أخرى فأن استمرارية التعرض لأشكال معينة من المواد الإعلامية تشكل مؤشراً على أهمية إرضاء

الحاجات الإنسانية، وهذا الإرضاء يشكل عاملاً في تقوية هذا السلوك من التعرض وإستمراريته(30).

6- **الوقت**: كلما ارتقى الإنسان في سلم الحضارة كلما زاد وقت فراغه، لاسيما وان المخترعات الحديثة تعمل على زيادة وقت الفراغ، ووقت الفراغ هذا هو من نتاج المجتمع الصناعي وتلعب وسائل الإعلام دوراً كبيراً في شغل أوقات الفراغ . ويمكن قياس وقت الفراغ بكمية الأوقات الحرة غير المرتبطة بالعمل(31)، وفي العصر الحديث ازداد وقت الفراغ لدى الأفراد مما جعلهم يتجهون نحو وسائل الإعلام لقضاء اغلب أوقات الفراغ معها لما تتمتع به هذه الوسائل من قدرة على جذب الجماهير، وان المضامين التي تبثها هذه الوسائل تشدهم بدرجات متفاوتة(32).

7- **الثقة بالمصدر** : ان الثقة بالمصدر هي درجة الصدق التي يوليها المستقبل للمصدر او الرسالة الاتصالية، وان الثقة بالمصدر تهئ لاستهواء الجمهور مما يدفعهم الى قبول المضمون، ولذلك تسعى مصادر الاتصال المختلفة الى نيل ثقة جماهيرها بأساليب مختلفة، وان المعيار الحقيقي للثقة بالمصدر من قبل المستقبل هنا هي ما يتصوره عن المصدر بصرف النظر عن الواقع(33).

8- **عادات التعرض** : تعني عادات التعرض(34) الإجابة عن الأسئلة الخاصة بكيفية القراءة أو الاستماع أو المشاهدة، وان الفرد يكيف تعرضه لوسائل الإعلام بالشكل الذي ييسر له عملية التعرض إذ يبذل اقل جهد ممكن فهو يختار الوقت والمكان المناسب بالشكل الذي يتفق مع سماته العامة والسمات الاجتماعية والفردية(35)، والعادات الاتصالية التي يكونها الإنسان هي التي تمكنه من تحقيق أهدافه فهناك من يفضل الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون، والمهم ان الشخص

يختار الوسيلة التي يعتقد أنها تلبي حاجاته وتشبع رغباته، أو الوسيلة التي يسهل استخدامه لها حسب ظروفه الشخصية .

9- **الخصائص النفسية** : لا يمكن إهمال الخصائص النفسية التي تؤدي إلى الاقتناع أو عدمه، كخصائص تقدير الذات، والقلق، والتفتح الذهني، والتأثر بالآخرين، وهي خصائص لها دور في التأثر والاقتناع بالرسائل الإعلامية . أما الخصائص الأخرى مثل الاضطرابات النفسية، والمرض النفسي، والعداء، والعزلة الاجتماعية والهواجس فلها تأثير في الاستعداد المنخفض للاقتناع(36).

نتائج الدراسة الميدانية:

حاول البحث عبر التكامل في إطاره النظري، ومنهجه، وأدواته، التعرف على عادات شباب جامعة تكريت في التعرض لوسائل الإعلام، وكيفية استخدامه لها وتفضيله، وأهم دوافعه المتحققة من التعرض والاستخدام لهذه الوسائل، ولاسيما التعرف على الاحتياجات الحقيقية لعينة من طلبة كلية الآداب بجامعة تكريت كعينة ممثلة للشباب الجامعي بلغت (200) طالب وطالبة. وقد أظهرت النتائج ما يأتي :

النتائج الخاصة بالصحافة

1- تباينت اختيارات الشباب الجامعي في جامعة تكريت للصحف المحلية المفضلة، وكانت الأفضلية لصحيفة الوطن، تليها صحيفة المنتصف، ثم صحيفة دار السلام، ثم صحيفة الصدى . إذ أوضحت الدراسة الميدانية ان نسبة(50%) منهم يقرأون صحيفة الوطن، بينما يقرأ (19%) منهم صحيفة المنتصف، في حين يقرأ (16%) منهم صحيفة دار السلام . وجاءت أدنى مقروئية للصحف المحلية بنسبة (15%) لصحيفة الصدى . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (1)

يوضح أسماء الصحف العراقية التي يقرأها شباب جامعة تكريت ونسبتهم المئوية

المرتبة	أسم الصحيفة	عدد القراء	نسبتهم المئوية
1	صحيفة الوطن	100	%50
2	صحيفة المنتصف	38	%19
3	صحيفة دار السلام	32	%16
4	صحيفة الصدى	30	%15
	المجموع الكلي	200	%100

2- أظهرت نتائج البحث أن أغلب المتعرضين لوسائل الإعلام من الشباب الجامعي العراقي يفضلون قراءة الصحف المحلية لأسلوبها في عرض الأخبار بالدرجة الأولى، ثم للتحليلات التي تقدمها حول الأحداث بالدرجة الثانية، ثم بسبب التعود على قراءتها . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (2)

يوضح أسباب تفضيل الشباب الجامعي للصحف التي يقرأها ونسبتهم المئوية

المرتبة	سبب التفضيل	العدد	النسبة المئوية
1	لأسلوبها في عرض الأخبار	122	%61
2	للتحليلات التي تقدمها حول الأحداث	60	%30
3	للتعود على قراءتها	18	%9
	المجموع الكلي	200	%100

3- أظهرت النتائج أن الشباب الجامعي في جامعة تكريت نادراً ما يقرأ صحيفته المفضلة في ظل الظروف الحالية وبعضهم يقرأها مرة أو مرتين في الأسبوع،

والبعض الآخر يقراها من ثلاثة إلى أربعة أيام . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (3)

عدد المرات التي يقرأ فيها الشباب الجامعي الصحف العراقية ونسبتهم المئوية

المرتبة	عدد المرات في الأسبوع	العدد	النسبة المئوية
1	نادراً ما يقرأ الصحف	118	%59
2	مرة أو مرتين في الأسبوع	56	%28
3	ثلاثة إلى أربعة أيام في الأسبوع	26	%13
	المجموع الكلي	200	%100

4- أوضحت نتائج البحث أن أهم الأساليب التي تستهوي الشباب الجامعي في جامعة تكريت عند قراءته الصحف هي أن يتصفح الجريدة بسرعة، ثم يختار الموضوعات التي يبدأ بقراءتها . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (4)

أهم الأساليب التي تستهوي الشباب الجامعي عند قراءته الصحف العراقية ونسبتهم المئوية

المرتبة	أهم أساليب الشباب الجامعي في قراءة الصحف	العدد	النسبة المئوية
1	يتصفح الجريدة بسرعة ثم يختار الموضوعات	97	%48،5
2	يبدأ بقراءة الصفحة الأولى والأخيرة	92	%46
3	قراءة صفحة معينة	11	%5،5
	المجموع الكلي	200	%100

5- يرى (55%) من الشباب الجامعي ان عدد الصفحات في الصحف العراقية كافية تماماً، بينما يرى (40%) من أفراد العينة ان عدد الصفحات قليلة في

حين يرى (5%) منهم انها كافية أكثر من اللازم . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (5)

آراء الشباب الجامعي في عدد الصفحات في الصحف العراقية ونسبتهم المئوية

المرتبة	رأي أفراد العينة	العدد	النسبة المئوية
1	عدد الصفحات كافية تماماً	110	%55
2	عدد الصفحات قليلة	80	%40
3	عدد الصفحات كافية أكثر من اللازم	10	%5
	المجموع الكلي	200	%100

6- أظهرت نتائج الدراسة الميدانية ان شباب جامعة تكريت لا يجد في الصحف العراقية كل ما يحتاجه ويريده وبنسبة (67،5%)، بينما كان رأي البعض الآخر انه يجد في الصحف العراقية كل ما يحتاجه وبنسبة (32،5%) من إجمالي عدد أفراد العينة . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (6)

رأي الشباب الجامعي في الاشباعات التي توفرها لهم الصحف العراقية ونسبتهم المئوية

المرتبة	الاشباعات التي توفرها لهم الصحف العراقية	العدد	النسبة المئوية
1	لا يجد في الصحف العراقية كل ما يحتاجه ويريده	135	%67،5
2	يجد في الصحف العراقية كل ما يحتاجه ويريده	65	%32،5
	المجموع الكلي	200	%100

7- يحصل شباب جامعة تكريت على الجريدة عن طريق شراؤها بنسبة (45%)، ويحصل عليها عن طريق الاستعارة من آخرين في الجامعة أو المنزل بنسبة

(35%)، بينما يحصل عليها مجاناً من الجامعة بنسبة (20%) من إجمالي العينة . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (7)

طريقة الشباب الجامعي في الحصول على الصحف العراقية ونسبتهم المئوية

المرتبة	طريقة الحصول على الصحف	العدد	النسبة المئوية
1	عن طريق شراؤها	90	%45
2	عن طريق الاستعارة من آخرين في الجامعة أو المنزل	70	%35
3	يحصل عليها مجاناً من الجامعة	40	%20
	المجموع الكلي	200	%100

النتائج الخاصة بالتلفزيون :

جاءت نتائج البحث لتؤكد ما يأتي :

1- أظهرت نتائج البحث أن الشباب الجامعي في جامعة تكريت يفضل التلفزيون كأقرب وسيلة إعلامية لاهتماماته، وقد كانت الإذاعة ابعد الوسائل الإعلامية لهذه الاهتمامات .

2- يشاهد التلفزيون دائماً (64%) من إجمالي عدد أفراد العينة بينما يشاهده أحياناً (26%) منهم ونادراً ما يشاهده (10%) منهم . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (8)

تعرض الشباب الجامعي للتلفزيون ونسبتهم المئوية

المرتبة	تعرض الشباب الجامعي للتلفزيون	العدد	النسبة المئوية
1	يشاهد التلفزيون دائماً	128	%64
2	يشاهد التلفزيون أحياناً	52	%26
3	نادراً ما يشاهده	20	%10
	المجموع الكلي	200	%100

3- أظهرت نتائج البحث ان الشباب الجامعي في جامعة تكريت يفضل متابعة قناة الشرقية، ثم قناة صلاح الدين، ثم قناة البغدادية، ثم قناة بغداد، تليها قناة العراقية . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (9)

يوضحمرتبة وأسماءالقنوات التلفزيونية المفضلة لدى شباب جامعة تكريت ونسبتهم المئوية

المرتبة	أسم القناة المفضلة	العدد	النسبة المئوية
1	قناة الشرقية	136	%68
2	قناة صلاح الدين	22	%11
3	قناة البغدادية	16	%8
4	قناة بغداد	16	%8
5	قناة العراقية	10	%5
	المجموع الكلي	200	%100

4- أشار المبحوثون الى إنهم يتابعون القنوات التلفزيونية لوجود برامج مفضلة لديهم ممثلة من خلال الجدول الآتي :

جدول رقم (10)

يوضح البرامج التلفزيونية المفضلة لدى شباب جامعة تكريت ونسبتهم المئوية

المرتبة	البرامج المفضلة	العدد	النسبة المئوية
1	الأخبار والبرامج السياسية	90	%45
2	الأغاني والبرامج الفنية	50	%25
3	البرامج الرياضية	42	%21
4	البرامج الثقافية	18	%9
	المجموع الكلي	200	%100

5- توزعت أوقات مشاهدة التلفزيون على مستويات عدة، إذ يشاهد المبحوثون التلفزيون حسب وقت الفراغ بنسبة (61%)، بينما يشاهده البعض منهم ليلاً بنسبة (37%)، في حين يشاهده الآخرون وقت الظهيرة والعصر بنسبة (12%) من إجمالي العينة . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (11)

يوضح أوقاتالمشاهدةالتلفزيونيةالمفضلة لدىشباب جامعةتكريتونسبتهم المئوية

المرتبة	أوقات المشاهدة	العدد	النسبة المئوية
1	يشاهد التلفزيون حسب وقت الفراغ	122	%61
2	يشاهد التلفزيون ليلاً	72	%36
3	يشاهد التلفزيون وقت الظهيرة والعصر	6	%3
	المجموع الكلي	200	%100

6- يفضل الشباب الجامعي مشاهدة التلفزيون مع العائلة بنسبة (59%)، بينما يشاهده (31%) منفرداً، في حين يشاهده (10%) مع الأصدقاء . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق الجدول الآتي :

جدول رقم (12)

يوضح عادات المشاهدة التلفزيونيةالمفضلةلدىشبابجامعة تكريتونسبتهمالمئوية

المرتبة	عادات المشاهدة	العدد	النسبة المئوية
1	يشاهد التلفزيون مع العائلة	122	%61
2	يشاهد التلفزيون منفرداً	72	%36
3	يشاهد التلفزيون مع الأصدقاء	6	%3
	المجموع الكلي	200	%100

7- إن أهم أسباب مشاهدة التلفزيون بهدف التسلية والترفيه بنسبة 60%، ثم الرغبة في زيادة المعلومات بنسبة 40% .

النتائج الخاصة بالإذاعة

جاءت نتائج البحث لتؤكد ما يأتي :

1- أكدت نتائج البحث أن (50%) من الشباب الجامعي في جامعة تكريت يفضلون سماع إذاعة صلاح الدين، و(47%) يفضلون سماع إذاعة جمهورية العراق، بينما يفضل آخرون سماع إذاعة راديو سوا بنسبة 3%.

2- أشارت النتائج إلى أن أكثر دوافع تعرض الشباب الجامعي في جامعة تكريت للإذاعة هي : الحاجة إلى متابعة برامج الاتصال المباشر (هموم المواطن) بنسبة 37%، تليها الأخبار بنسبة 33%، والأغاني بنسبة 25%، ومن ثم البرامج الرياضية بنسبة 5% .

3- أظهرت النتائج أن الشباب الجامعي يستمع يومياً الى الإذاعة مدة نصف ساعة بنسبة (66%)، وأكثر من ساعة بنسبة (27%)، وأكثر من ساعتين بنسبة 7%.

4- أظهرت نتائج الدراسة أن (44%) من أفراد العينة يرون ان ساعات الاستماع اليومية المفضلة للبث الإذاعي لديهم هي ليلاً، بينما يرى آخرون ان ساعات الاستماع المفضلة هي صباحاً بنسبة (42%)، في حين يستمع 4% منهم الى الإذاعة عصراً . أما أماكن الاستماع الأكثر تفضيلاً لديهم فهي البيت بنسبة 58% والسيارة بنسبة 42% .

الهوامش :

(1) سعيد محمد السيد وحسن عماد مكاوي : الإخبار الإذاعية والتلفزيونية (القاهرة : مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 1999م)، ص111 .

(2) عبد الرحمن العزي : دراسات في نظرية الاتصال، ط1؛ سلسلة كتب المستقبل العربي (28) (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية،2003م) ص115. وكذلك ينظر : د. عبد الرحيم أحمد درويش : العلاقة بين تعرض الشباب الجامعي للمسلسلات التلفزيونية العربية التي يعرضها التلفزيون المصري وادراك الهوية الثقافية للمجتمع المصري، بحث منشور في كتاب الاعلام المعاصر والهوية العربية، ج3، القاهرة، كلية الإعلام، 2004، ص916.

(3) مؤسسة بروكينغز الأمريكية : مؤشرات واقعية على تحسن الأوضاع في مجالات الأمن والاعمار- الأرقام المتعلقة بالحالة الأمنية في العراق، دراسة منشورة في صحيفة الوطن الكويتية بتاريخ 27/3/2009 .

(4) حميد جاعد محسن الدليمي : أساسيات البحث المنهجي، ج 1، بغداد : شركة الحضارة للطباعة والنشر،2004م)، ص34 .

(5) محمد عبد الحميد : البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 2001م، ص70.

(6) فرج الكامل : بحوث الإعلام والرأي العام . تصميمها وإجراؤها وتحليلها، القاهرة : دار النشر للجامعات،2001م، ص88.

(7) تألفت لجنة المحكمين من الذوات :

أ. د عدنان ياسين مصطفى (دكتوراه اجتماع) كلية الآداب / جامعة تكريت .

أ.م.د حمدان خضر سالم (دكتوراه إعلام . صحافة) جامعة بغداد / كلية الإعلام .

أ. م .دضياء أنور حبش (دكتوراه فنون جميلة- مسرح) كلية الآداب /جامعة تكريت.

(8) عامر إبراهيم قنديلجي : البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط2، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2002م، ص 134 .

(9) د. محمد منير حجاب : أساسيات البحوث الإعلامية و الاجتماعية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ص 78 .
(10) د. هادي نعمان الهيتي : الاتصال الجماهيري ـ المنظور الجديد، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1998م، ص42.
(11) أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات الإعلام،القاهرة : دار الكتاب المصري، 1985م، ص154.
(12) محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية، القاهرة : دار الفجر، 2003 م، مج1، ص150 .
(13) تيسير مشارقة : مدخل الى الدراسات الإعلامية : نظري . ط1 (رام الله : بيت المقدس للنشر والتوزيع، 2002م)، ص88.
(14) د. محمد منير حجاب : المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2004، ص 584 .
(15) آرماند ماتيلار وميشيليه ماتيلار : نظريات الاتصال، ترجمة أديب خضور، دمشق، المكتبة الإعلامية، 2003، ص 162 .
(16) عبد الله الطويرقي : علم الاتصال المعاصر، ط 2، الرياض، مكتبة العبيكان، 1997، ص 255 .
(17) د. محمد عبد الله الحصيف : كيف تؤثر وسائل الإعلام ؟، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998، ص 26 .
(18) ملفين ل. ديفلر وساندرا بول روكيتش : نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ط 3، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1999، ص 266.
(19) د. محمد عبد الحميد : دراسة الجمهور في بحوث الإعلام، القاهرة، عالم الكتب، 1993، ص 62- 63 .
(20) جبارة عطية جبارة : علم اجتماع الإعلام، الإسكندرية : دار الوفاء،2001م، ص231.
(21) د. جيهان رشتي : الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، القاهرة، عالم الكتب، 2001، ص405.

(22) صباح ناهي فجر الخزاعي : "خصائص الجمهور العراقي وعاداته في التعرض لوسائل الإعلام ". أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد عام 1999م، ص302.
(23) المصدر نفسه، ص 278 .
(24) ليلى حسين السيد : احتياجات كبار السن من وسائل الاتصال، بحث منشور في المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، العدد (1)، القاهرة : مركز بحوث الرأي العام، كلية الإعلام بجامعة القاهرة، 1998، ص75 . 79.
(25) جبارة عطية جبارة : مصدر سابق . ص231.
(26) فاطمة القليني وآخرون : علم الاجتماع الإعلامي، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق، (د.ت)، ص96.
(27) صباح ناهي الخزاعي : مصدر سابق . ص301.
(28) فاطمة القليني وآخرون : مصدر سابق . ص96.
(29) المصدر نفسه : ص 97 .
(30) نور الدين عبد الجواد : الإعلام والرسالة التربوية، بحث منشور في : مجلة رسالة الخليج العربي.ع7 . السنة2. .1983م .ص72-ص73 .
(31) د. زكي الجابر : الإعلام والمؤسسة التعليمية – الطلاق الذي لم يكتمل الثلاث . بحث منشور في مجلة رسالة الخليج العربي . ع7. السنة2. 1983.ص44.
(32) جبارة عطية جبارة : مصدر سابق، ص234- ص235.
(33) د. هادي هادي نعمان الهيتي : الاتصال الجماهيري في العراق- وسائله واتجاهاته السياسية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الإعلام بجامعة القاهرة عام 1980م، ص21.
(34) العادة : هي سلسلة متعاقبة من الفعاليات يقوم بها الفرد بطريقة ثابتة وبشكل معين كلما توفر منبه معين يستلزم الاستجابة لها بذلك النمط من السلوك . انظر : علي الأمير : فسلجة النفس، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، 2002م، ص76.
(35) د. محمد عبد الحميد : دراسة الجمهور في بحوث الإعلام، مصدر سابق، ص106.
(36) د. احمد زكي بدوي : مصدر سابق، ص45.

مصادر البحث:

1- **أحمد زكي بدوي** : معجم مصطلحات الإعلام،القاهرة : دار الكتاب المصري، 1985م.
2- **آرماند ماتيلار وميشيليه ماتيلار** : نظريات الاتصال، ترجمة أديب خضور، دمشق، المكتبة الإعلامية، 2003 .
3- **تيسير مشارقة** : مدخل الى الدراسات الإعلامية : نظري . ط1 (رام الله : بيت المقدس للنشر والتوزيع، 2002م) .
4- **جبارة عطية جبارة** : علم اجتماع الإعلام، الإسكندرية : دار الوفاء،2001م.
5- **جيهان رشتي**:الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، القاهرة، عالم الكتب، 2001.
6- **حميد جاعد محسن الدليمي** : أساسيات البحث المنهجي، ج 1، بغداد : شركة الحضارة للطباعة والنشر،2004م .
7- **زكي الجابر** : الإعلام والمؤسسة التعليمية ـ الطلاق الذي لم يكتمل الثلاث . بحث منشور في مجلة رسالة الخليج العربي . ع7. السنة2. 1983.
8- **سعيد محمد السيد وحسن عماد مكاوي** : الإخبار الإذاعية والتلفزيونية، القاهرة : مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 1999م .
9- **صباح ناهي فجر الخزاعي** : خصائص الجمهور العراقي وعاداته في التعرض لوسائل الإعلام، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد عام 1999م .
10- **عامرابراهيم قنديلجي** : البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط2، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2002م .
11- **عبد الرحمن العزي** : دراسات في نظرية الاتصال، ط1؛ سلسلة كتب المستقبل العربي (28)، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية،2003م .
12- **عبد الله الطويرقي** : علم الاتصال المعاصر، ط 2، الرياض، مكتبة العبيكان، 1997 .
13- **علي الأمير** : فسلجة النفس، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، 2002م .

14- **فاطمة القليني وآخرون** : علم الاجتماع الإعلامي، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق، (د. ت) .
15- **فرج الكامل** : بحوث الإعلام والرأي العام . تصميمها وإجراؤها وتحليلها، القاهرة : دار النشر للجامعات،2001م .
16- **ليلى حسين السيد** : احتياجات كبار السن من وسائل الاتصال، بحث منشور في المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، العدد (1)، القاهرة : مركز بحوث الرأي العام، كلية الإعلام بجامعة القاهرة، 1998 .
17- **محمد عبد الحميد** : البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط1، القاهرة : عالم الكتب، 2001م .
18- ـــ : دراسة الجمهور في بحوث الإعلام، القاهرة، عالم الكتب، 1993.
19- **محمد عبد الله الحصيف** : كيف تؤثر وسائل الإعلام ؟، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998.
20- **محمد منير حجاب** : أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.
21- ـــ: المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2004.
22- ـــ: الموسوعة الإعلامية، القاهرة : دار الفجر، 2003 م، مج1.
23- **ملفين ل. ديفلر وساندرا بول روكيتش** : نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ط 3، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1999 .
24- **نور الدين عبد الجواد** : الإعلام والرسالة التربوية، بحث منشور في : مجلة رسالة الخليج العربي.ع7 . السنة2. .1983م .
25- **هادي نعمان الهيتي** : الاتصال الجماهيري – المنظور الجديد، بغداد : دار الشؤون الثقافية ، 1998م .
26- ـــ : الاتصال الجماهيري في العراق . وسائله واتجاهاته السياسية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الإعلام بجامعة القاهرة عام 1980م.

الخطاب الإعلامي في ظل تحدي العولمة الاتصالية
جدلية العلاقة بين المضمون والتقنية والتأثير

د. سلام خطاب أسعد
جامعة تكريت/كلية الآداب – قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

في عصر ثورة المعلومات واختراق الشبكات الفضائية والأقمار الاصطناعية لحدود الدول وانتشار أدوات نقل وتسجيل وعرض الأفلام السينمائية وغيرها من الوسائل الإعلامية المختلفة لم يعد الإعلام في عصرنا الراهن مجرد أداة لنقل العلم والمعرفة إلى الآخرين وتقديم الخدمة الإخبارية والتعليمية والترفيهية كما كان مخططا له إن يقوم به وإنما أصبح من الشمول والأهمية في عصر تكنولوجيا الاتصال وانفجار المعلومات كظاهرة للعصر الجديد الذي نعيشه وهو عصر غزو التكنولوجيا المعاصرة من خلال خطاباتها المتصاعدة بالقوة والتأثير لاتجاهات وقيم وثقافات الأمم بما تحمله من أيديولوجيات تتعارض مع القيم والأفكار الوطنية أو القومية لشعوب هذه الأمم أو مع الاعتبارات السلوكية والمضامين الاجتماعية– الثقافية لها– ولعل خطورة دور الإعلام لا تكمن فقط في كونه سلاحاً ذا حدين مزدوج التأثير إذا يمكن أن يستخدم في إغراض الهدم بنفس القدرة والفعالية التي يستخدم بها في إغراض البناء وإنما لصعوبة إمكانية التمييز المبكر بين السلبي فيه والايجابي من رسائله ومضامينه وخطاباته فضلا عن إن وسائله وأساليبه من ذلك النوع الذي يتعذر مقاومته ومنعه من الوصول إلى أهدافه إلا من خلال وسائل مقاومة فعالة ومن خلال إعلام مضاد فعال وليس من خلال محاولة منعه بالوسائل التقليدية التي اثبت الوسائل التكنولوجية الحديثة فيه صعوبة واستحالة تحقيق ذلك وبخاصة فيما يتعلق بالبث الفضائي المباشر أو لتقنية الانترنت وغيرها من وسائل الاتصال المتطورة الحديثة...

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث بان هناك علاقة ارتباطية متصاعدة في عصرنا الراهن بين مضمون الخطاب الإعلامي المقدم من خلال وسائل الإعلام المختلفة وبين التقنية الحديثة المتطورة لهذه الوسائل التي تحدث تأثيرات متعددة بالجمهور المستهدف وبخاصة إذا ما كان هنالك تحريف متعمد لمضمون الخطاب الإعلامي – الاتصالي بحيث تتفاوت درجة فعالية الحوار بالسلب أو الإيجاب على طبيعة الهدف المقصود من كل عملية اتصالية– إعلامية على حده وأيضا على كفاءة الجهاز المستخدم وقوة الوسائط الاتصالية وعلى انتماء مصدر المعلومات ونوعية ارتباطاته ومصالحه المادية والمعنوية التي يريد تحقيقها.

فرضية البحث:

تقوم فرضية البحث على الإجابة عن التساؤلات الاتية:-

1- هل إن الإعلام يقدم خطابة الاتصالي بصورته الموضوعية المفترضة أم إن هناك تلاعب أو تحريف متعمد بمضمون هذا الخطاب؟
2- ما مدى تأثير التكنولوجيا المعاصرة للاتصال علىمضامينالخطاب الإعلامي؟
3- ما هي التأثيرات المحتملة لهذا الخطاب عندما يستثمر أو يستخدم لإغراض الهدم وليس البناء؟
4- هل هناك إمكانية ما للحد من هذه التأثيرات السلبية لمضمون هذا الخطاب؟

منهجية البحث:

يقوم البحث على اعتماد منهج البحث الوصفي لوصف وتحليل هذه الظاهرة التي أصبحت شائعة ومنتشرة في العديد من وسائل الإعلام الحديثة حيث يستثمر الخطاب الإعلامي في تحقيق وتنفيذ مأرب ومصارع غير ذات فائدة ألا لمن يملك هذه الوسائل أو يديرها لصالحه.

هيكلية البحث:

يتضمن البحث ثلاث مباحث رئيسية هي :-

1- مفهوم الخطاب الإعلامي ومضامينه الاتصالية.
2- حدود تأثير تقنية الاتصال على مضامين هذا الخطاب.
3- مجالات تأثير هذا الخطاب الإعلامي على الفرد والمجتمع. بالإضافة إلى الاستنتاجات والتوصيات والخاتمة.

المبحث الأول

مفهوم الخطاب الإعلامي ومضامينه

أولا :- مفهوم الخطاب الإعلامي:

الخطاب في اللغة مصدر للفعل خَطَبَ: خَطَبَ وخاطبه بالكلام : وعظ وقرأ وخاطبّه والخطاب ما يكلم به الرجل صاحبه[1] والخطاب : حديث، محادثه، مقاله، خطبه، محاضره[2]. أما المفهوم الاصطلاحي للخطاب فيعرفه الدكتور(محمد عابد الجابري) بأنه (النص وهو رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب، فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص مثلما الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام أي عبر الإشارات الصوتية[3]، إما(ميشيل فوكو) فيعرفه بأنه (النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البياني)[4] والخطاب هو أي (منطوق لو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما)[5] والخطاب هو (بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر أو هو هذه ألوجهه من النظر موضوعه في بناء استدلالي أي شكل مقدمات ونتائج وتقديم وجهة النظر هذه إلى القارئ بالصورة التي تؤدي مهمتها لدى الأخير في الإخبار والإقناع)[6].

ويميز الجابري بين قراءتين للمتلقي، قراءة استنساخية، تقف عند حدود التلقي المباشر، وقراءة تأويلية، تقدم وجهة نظر، وهي القراءة التي يعتمدها الجابري ويقترحها وهذه القراءة يسميها (القراءة التشخيصية والتي حلل بها مجموع نصوص الفكر العربي المعاصر وما اسماه بـ(الخطاب العربي المعاصر)، وينظر الى تعدد مفاهيم الخطاب في الأدبيات الفلسفية والعلمية والسياسية والأدبية من منظور موحد بسبب الاستخدام

الشامل لمفهوم الخطاب دون وضع إطار تعريفي له في حقل واحد من حقول المعرفة[7]. ويرى فوكو في حفريات المعرفة، (إن الإبهام الذي يحيط بتعريف الخطاب يعود إلى اختلاف الفهم وتطوراته عند الباحثين في النظرة الى لفظ الخطاب، وهو كل ما أنتج بوساطة الأدلة او باعتباره مجموعة من أفعال الصياغة والجمل والقضايا إلى اعتبار الخطاب مجموعة من الأدلة من حيث هي عبارات يمكن تعيين وجودها الخاص)[8]. اذ تعود اللغويون إعطاء لفظة (الخطاب) معنى لا يطابق المعنى الخاص بالنسبة لمستخدمي لفظة الخطاب في العلوم السياسية والاتصالية ويعني مفهوم الخطاب (نظام تعبير مقنن ومضبوط)[9]. ويعد هذا النظام في جوهره بناء فكرياً، يحمل وجهة نظر، وقد جرت صياغته في بناء استدلالي أي بشكل مقدمات ونتائج بين مخاطب (بكسر الطاء ومخاطب بفتح الطاء) ضمن عملية التوصل والاتصال، وبعبارة اخرى فان (الخطاب) يعني المعرفة المنظمة بجانب محدد من الواقع، او ظاهرة محددة، ومن ثم يمكن الحديث عن خطابات متعددة، سياسية واخرى فلسفية ... الخ[10].

ومر مفهوم (الخطاب) منذ ظهور الدراسات الألسنية على يد (دي سوسور) في محاضراته اللغوية الشهيرة بتطورات عدة، فقد كانت كتب النحو تطلق (الخطاب) في البداية على اقسام الكلام، واصبح يعني في اللسانيات البنيوية، الكلام في حركية التواصل، أي اللغة التي يستعملها الافراد، ويمثل في جوهره الوحدة التي تساوي او تفوق الجملة، الا ان اللسانيات المعاصرة ترى ان الخطاب يعني كل تعبير يتجاوز الجملة، وهو قائم على مجموعة من العلائق تربط بين الجمل، وعند القيام بعملية التحليل تكون الجملة اصغر وحدة يحلل اليها الخطاب[11].

وفي تاريخ اللسانيات، نجد ان علماء اللغة يميزون بين الخطاب وبين الحديث، ذلك ان الحديث يمكن ان يجمع في عينة لغوية واحدة، ويحلل عناصر صغرى بدءاً بالصوت أي (النوينم) باعتباره اصغر وحدة، في حين ان تحليل الخطاب يسير في اتجاه اخر، اذ ان الجملة هي الوحدة الصغرى[12]. وقد وضعنا الاختلاف في التحليل والتفسير أمام ضرورة ورود التعريفات المتعددة للخطاب[13]:

أولاً : يعرف معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (الخطاب) انه (مجموعة التعابير الخاصة التي تحدد بوظائفها مشروعها الإيديولوجي).

ثانيا : وعرفه (فوكو) هو (النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماته ونظام بنائها وبنيتها المنطقية او تنظيمها البياني).

ثالثاً: فيما تعرفه بعض الأدبيات البنيوية على انه (الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم في نسق كلي متغاير ومتحدد الخواص، وعلى نحو يمكن معه ان تتألف الجمل في خطاب بعينه تشكل نصاً منفرداً، وتتألف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد).

رابعاً : كما يسير مصطلح الخطاب الى (نظام فكري يتضمن منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي وبغية تملكه معرفياً، ومن ثم تفهم منطقه الداخلي، وذلك بعلاقة فكرية محددة تنظم بناء المفاهيم والمقولات بشكل استدلالي يحكم الضرورة المنطقية التي تصاحب عملية إنتاج المفاهيم).

وهذه التعريفات لابد ان تقدم أمامنا مجموعة من الحقائق المتعلقة بماهية الخطاب في واقعة المادي، باعتباره مكوناً من أشياء منطوقة ومكتوبة وبعملية إنتاج الخطاب وتوزيعه، وبالمنظومة التكوينية التي تتحكم بعملية التفاعل بين طرفي الممارسة الخطابية، وبأشكال هذه المنظومة حيث تأتي سلطة الخطاب لتكون الأداة التي بها ومن اجلها يقع الصراع وللاستحواذ على السلطة التي يمثلها الخطاب ذاته(14).

ثانياً:- الخطاب الإعلامي: تحريف المضمون:

يعد مصطلح الخطاب حديث الاستخدام في ميدان الإعلام، وهو مصطلح يقع ضمن العلوم اللغوية، ولا تساع دلالة الخطاب واستخدامه في العلوم الاجتماعية وبضمنها الاعلام واللغة ظاهرة اجتماعية تتحدد على وفق شروط وظروف اجتماعية وهي لاتعبر عن المجتمع وتعكس ظروفه فحسب، بل تشكل جزءاً اسياسياً منه، ومن هذه الزاوية تسللت معظم الاستخدامات السائدة لمصطلح الخطاب بمعناه غير اللساني(15)، حتى استخدم الخطاب على مختلف الازمنة في تحديد ماهية المجتمع وهويته .وهناك عدة انماط من الخطاب ضمن التشكيلة الخطابية يعبر عن طريقها عن هذه الوظائف(16).

أ-الخطاب المباشر الذي يتسم مضمونه بالمباشرة وهو خطاب حواري يستغني عن التقنيات المجازية .

ب-الخطاب الضمني ويتعارض مع الخطاب المباشر، ويهدف الى إيصال المعنى عن طريق رموز تأويلية غير مباشرة، او يتميز بامتلاكه قدرة حدسية وتوليد مستويات من التأويل الى ما لا نهاية .

ج -الخطاب الإيحائي ويتحدث عن موضوع معين قد يكون في بعض جوانبه مباشر ولكنه يوحي بأفكار أخرى، فهو لا يهدف الى إيصال مضمونه عبر رموز مباشرة أو ضمنيه(17)، وهذا بالطبع لا ينفصل في معناه ومغزاه عن مصطلح الإعلام الذي يعد ضرورياً لتحديد مفهوم الخطاب الإعلامي، وبالنظر لخصوصية استخدام مصطلح الإعلام في اللغة العربية، وصعوبة تحديده أكاديمياً، بحكم كثرة تداوله دون الاهتمام بدلالته(18)، فقد يستخدم بدلاً عن مصطلح الاتصال الجماهيري الذي يشير الى بث رسائل الى مجموعات كبيرة من الناس على اختلاف مستوياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلى اختلاف أماكن وجودها بوسائل الاتصال الجماهيري كالمذياع والتلفاز وغيرها. وان العملية الإعلامية هي شكل من أشكال التفاعل الإبداعي مع الواقع الموضوعي تهدف الى الإسهام في تكوين الاتساق

المعرفي والقيمي والسلوكي عند المتلقي من خلال تشخيص الواقع ومواكبة تطوراته ومتغيراته، دون الارتباط بالأنظمة والانهماك في ترويج شعاراتها ورموزها وتقديم خطاباً تعبوياً مثقلاً بالمضامين الإيديولوجية ومستخدماً لغة خشبية من اجل إخفاء الخلل والقصور البنيوي في هذه الأنظمة[19]. وعلى ضوء ذلك يمكن القول ان الخطاب عملية اتصالية لها مستويات عديدة كالخطاب السياسي والاعلامي وغيرهما، وبذلك يمكن تعريف الخطاب الاعلامي بانه(عملية اتصالية، ينقل فيها رسائل الى جمهور كبير غير متجانس وغير معروف للقائم بالاتصال، وتستعين بوسائل الاتصال لنقل تلك الرسالة كالمذياع والتلفاز والسينما والصحف والكتب، وتتمثل وظيفتها الأساسية بالإخبار والترفيه والتعليم والإقناع، وتهدف الى التأثير وليس مجرد إرسال الرسائل، فلا قيمة للاتصال دون تحقيق اهداف، ولإنجاح للاتصال دون إحداث تأثير[20]. وإذا كان مضمون او محتوى الرسالة او الخطاب الإعلامي يرتكز على عناصر محددة، تتمحور حول وظيفة مراقبة البنية العامة، وحصر فعالياتها، ونقل أخبارها والتزود بمعلومات عنها، وإعطاء معلومات حولها، وبناء ما هو محدد في كثير من الأدبيات الإعلامية، فانه في الوقت نفسه يرتكز على وظيفة أخرى مكملة لكنها اعتبرت أساسية في السياق البنائي للعملية التواصلية، وهي وظيفة التأثير، لكن هذا التأثير رهن تطور المضمون الثقافي الإعلامي لوسائل الإعلام وبالأخص القنوات الفضائية[21].

إن البت فيما إذا كان مضمون الخطاب الإعلامي محرفاً أم لا لا يتوقف فحسب على دقة معلومات محدده بل أيضا على تعريف لمضمون هذا الخطاب وقيمة الإخبار أو المعلومات الواردة فيه ويتبين من عدد من التعارف المقدمة بصورة تقليدية لمضمون هذا الخطاب من حيث الإخبار والمعلومات التي يتضمنها إن تتوفر لها عدة عناصر لعل من أهمها إن يجري تداولها بسرعة عقب الحدث وان تثير الاهتمام على نطاق واسع وان تتضمن معلومات لا يكون المستقبل (القارئ أو المستمع آو المشاهد) قد تلقاها من قبل وان تمثل خروجاً عن النمط اليومي المعتاد للحياة وان تشمل على المعلومات تفيد في التوصل إلى قرارات وغيرها من العناصر الأخرى إلا إن المناقشة

الجارية حول صحة وتحريف المضامين الواردة بالخطاب الإعلامي تؤكد على جدوى الفائدة التي يستمدها الناس من الاتصال والإعلام من خلال شتى أنواع الرسائل التي ينقلها المحتوى (تحقيقات صحفية، تعليقات، مقالات , دراسات تحليليه..الخ) وذلك من خلال الاتصال الشفهي أو وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والأفلام والكتب والوسائل البصرية وغير ذلك .

لقد أكدت ندوة جنيف للاتصالات التي انعقدت تحت شعار (الاتصالات في 2015) من إن الاتصال سيتغير ملامحه من حيث الرسائل والمضمون والتأثير حيث سيكون ذلك منطلقا لتغير جذري في نمط الحياة البشرية حيث إن القوة التي تميز وسائل الاتصال والإعلام في عصرنا الراهن رافقتها تغير جذري كذلك في مفهوم السيادة الوطنية للدول حيث أصبحت النشاطات الحديثة للاتصالات مترابطة أكثر فأكثر تتجاوز الحدود وتتخطاها بسهوله فاتحه بذلك مجالا جديداً لتدفق البرامج التلفزيونية الفضائية وغيرها من وسائل الإعلام الحديث ورسائله وهي بذلك قد غيرت مفاهيم السيادة الوطنية التي تأثرت باتساع مجال عمل ونشاط وسائل الإعلام التي يمكن إن نقول انه أصابها نوع من (الانفجار) ان صح التعبير من خلال السيل المتدفق من التطورات التكنولوجية الحديثة مما احدث واقعاً جديداً يقول بان المتحكم في التقدم التكنولوجي هو الذي يسيطر في مجرى الإحداث التأثيرات . إن التطورات المستقبلية (الفنية) في مجال البرمجيات والمعلوماتية والاتصال والإنتاج السمعي والبصري ستخلق واقعاً جديداً يشير إلى صعوبة الحفاظ على الذاتية الوطنية والخصوصية الثقافية والمصالح الاقتصادية والاستقلالية الفكرية والمعايير والقيم الاجتماعية في ظل هكذا التطور متسارع[22].

إن نجاح وسائل الإعلام في مجال تحريف محتوى الخطاب الإعلامي وتضليل المتلقي يرتبط بعدة عوامل لعل من أهمها[23]:-

1- سياق الإحداث والأوضاع الراهنة (الوقت والحدث، استباق الحدث، تهيئة الأذهان للحدث).

2- نفسية المتلقي واستعداده الذهني لتقبل الخطاب الإعلامي الموجه (التحصين من التأثير المقابل).

3- طبيعة النظام الاجتماعي ومدى استقراره.

4- العلاقات الدولية ومدى تفاعلها وطبيعة استثمار وسائل الإعلام ضمنها في حالة الصراع أو التعايش السلمي.

5- الإحداث الداخلية المؤثرة على طبيعة علاقة المتلقي بالنظام السياسي القائم وأجهزته الإعلامية والثقافية.

6- الإمكانيات الفنية للوسيلة الإعلامية التي يقدم من خلالها الخطاب الإعلامي.

7- قوة الرسالة الإعلامية (صياغتها بشكل مؤثر) لجذب الانتباه والاهتمام لدى جمهور المتلقين.

يقول الباحث الإعلامي الفرنسي (ميشيل كولون) في كتابه (احذروا الإعلام)[24] إن المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام المسيطرة هي في حقيقتها دعايات بارعة لان المعارف التي توصلها إلى الناس هي تلك التي تفيد الطبقة السياسية السائدة وهي في الغرب على مستويين للجماهير إعلام وسيله ودعاية ولأصحاب القرار معلومات واقعية.وان مضامين الخطاب الإعلامي التي تقوم على مرتكزات أساسية أبرزها :

أ- الإثارة

ب- الصراع

ت- التوقع

ث- الغموض

ج- الواقعية

ح- المصداقية

وغيرها تصبح تقليدية في زمن تحريف المضمون لصالح غايات ومصالح وأهداف أخرى قد لا نجدها في أجنده الإعلام التقليدي.

المبحث الثاني

حدود تقنية الاتصال وتأثيراتها على مضمون الخطاب

تشكل التقنية بالنسبة للإعلام أهميه كبرى لأنها الميدان التي تختصر فيه إمكانات احتلال سبل التوجيه بالرموز والإشارات اللازمة لما يتطلبه تطور الرأسمالية العالمية الاندماجية لكي تحقق هذه الرأسمالية أفضل ظروف الأداء بحيث تكون مرجعاً جماعياً للتطور الاجتماعي والثقافي والإنتاج وموجهاً للابتكارات التي تتكيف مع هذه الدوافع بحيث يتحقق التكامل بين التقنيات والخطابات الاقتصادية والسياسية والثقافية تحت تأثير المجال التقني، إن من ملامح العصر الإعلامي الحالي سهولة انسياب المواد الاتصالية والمعرفية في العالم حيث تتضاءل الحدود والحواجز على مستوى العالم وتسيطر الدول الأقوى تقنياً على المادة المناسبة وتتحكم في أنتاجها وتدفقها وبالتالي تكيفها وفق مصالحها الحضارية والثقافية والسياسية، فالقرن الحالي هو قرن التعددية الاتصالية وليس إعلام الدولة الواحدة وسوف تسهم هذه التعددية إذا ما أحسن استثمارها واستغلالها وفق مراميها المشروعة والايجابية في إعادة التوازن للاتصال الإعلامي وفي تنوع وسائل التعبير ودعم شتى الخصوصيات المكونة للذاتية الثقافية وإتاحة المجال لنشر المعلومات وفق مضامينها الموضوعية الواقعية إلا إن واقع الحال يقول بغير ذلك حيث إن قدرة الإعلام من خلال رسائله ومضامينه على التأثير على القيم داخل الذاكرة الجماعية للشعوب والأمم وإشكالية التعامل مع الموروث الحضاري والثقافي يحطم كل ما هو معروف ومألوف من دور لتنظيم الايجابي المفترض لوسائل الاتصال والإعلام حيث تمتلك الشبكات الالكترونية الإعلامية الحالية في قنواتها لغة ودلالات تشكيل خريطة اجتماعية وسياسية وثقافية أدراكية جديدة لمجتمعات العالم تعتمد على ما يسمى التدفق الحر للمعلومات وإعادة تشكيل الوعي الإنساني بأطر جديدة يخلقها ويعزز من نجاحها التفاعل بين تقنية الاتصال المتطورة المتسارعه في النمو ومضامين الرسالة الاتصالية المتصاعدة في أساليب الصياغة والإنبهار و التشويق والقدرة على جذب الانتباه وبما تتيحه التقنية

الجديدة من إمكانات ضخمة في نقل المعرفة وتخزينها وتبويبها وإعادة توزيعها وتوظيفها وفق أهداف وغايات محددة يسعى للوصول إليها القائمين أو المالكين لها[25].

لقد اختلفت الآراء وتعددت في مجال تفسير العلاقة بين الخطاب الإعلامي وتقنية الاتصال ففريق يرى إن نمو النشاط العلمي ضمن الخبر الثقافي – الاجتماعي المعرفي إلى الحد الذي يبدو معه انه قد اخذ دور ومكانها الأسرة أو الثقافة وغيرها من وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية فيما يرى ناخرون بان الانتصار الحديث للعلم يخوله على الأقل التحكم في ثقافة المجتمع بجامعها فيما يرى فريق ثالث إن خطر الغزو الثقافي يلوح في الأفق عندما يصبح الفرد والمجتمع واقعين تحت نفوذ وتأثير جهات خارجية متنفذه[26].

لقد تفاعل العلم (تقنية الاتصال والمعلومات) مع الحضارة من خلال وسائل الإعلام والثقافة كمضمون ورسالة تفاعلا اولياً ايجابيا من خلال مفهوم عقلي حول تصور مستقبل هذا الكون ومستلزمات تطويره والمحافظة عليه والاعتراف المصير المشترك للإنسانية بأسرها إلا إن هناك موقفان متقابلان حول هذه العلاقة ينموان الأول من طغيان النموذج الحضاري – الثقافي الغربي من خلال التقنيات الحديثة للاتصال بينما يعرب الثاني نتناوله بقدرة هذه التقنية على تقديم ثراء معرفي من خلال الاستفادة القصوى من ثورة المعلومات والاتصال وربطها بإيقاع العصر وإحداثه وتطوراته لذلك فان الموقف المقترح اتخاذه للتعامل مع حدود هذا التفاعل بين التقنية والمضمون يتراوح بين الدعوة إلى الانغلاق وهو غير متاح تقنيا والدعوة إلى الذوبان إمام طغيان الثقافة الوافدة وهو متاح تقنيا وتعتمد النظرية المتوازنة على الإحاطة بما تمثله وسائل الإعلام الخارجية من ثقافة معينة تحمل قيما خاصة وتعبر عن مصالح ومنطق القوى المسيطرة والسائدة عالميا ومصالحه الاقتصادية والسياسية وإذا كانت هذه التقنية سوف تربط المتلقي في كل مكان في إرجاء المعمورة بما يحدث في العالم أنيا وترتقي بمدارك واهتمامات جمهور المتلقين فإنها من جانب أخر ستعمل على تخطيط الاتجاهات والسلوك والقيم وتجعلها تدور في إطار موحد[27]. ونظره إلى ما

تقوله الباحثة الأمريكية (ايلي فيزيل) (من إن اكبر انجاز تحقق في القرن العشرين هو هذا الذي نشهده، فنحن إذ نلقي المسافات ندرك إننا أخوة أينما كنا) أو ما يقوله الباحث الفرنسي (سيرج لاتوش) (انظر إلى الشوارع خالية انه زمن دلاس*)[28]. والعبارتان السابقتان تصفان تأثير تقنية الاتصال في حياتنا المعاصرة حيث إن الصور المقدمة من خلال وسائل الإعلام والاتصال شكلت إطار الثقافة الجديدة للعالم التي تحولت تدريجياً من ثقافة ألكلمة إلى ثقافة ألصورة ومن ثقافة القراءة إلى ثقافة المشاهدة.

وإذ تصبح الساحة العالمية حالياً خاضعة الى سيادة التكنولوجيا المتطورة وإذا تبقى هذه الساحة في أيدي القلة المتنفذة المالكة لها وحيث تبدو الهوة شاسعة بين طموحات الإفراد والجماعات والأمم وبين هذه القلة أصبح لزاما اللجوء الى حلول واقعية وموضوعية لهذه الإشكالية ولعل الدعوة إلى نظام إعلامي عالمي جديد ووضع قواعد مهنية للعمل ضمن مفهوم القرية الكونية التي تعكس سيادة الإشكال الغالبة لوسائل الاتصال كالأقمار الصناعية ومحطات البث غير الوطنية على العالم والى حق الإنسان في إن يتصل على ضوء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو من المطالبات الملحة لعدد كبير من دول العالم في مقدمتها دول العالم النامي التي تشعر بالحاجة إلى انتباه مضاعف عند التعامل مع التكنولوجيا المعاصرة لان هذه الوسائل تنقل معها ضمناً قيما خاصة طابعها الأساسي هو (الاستهلاك) وهمها بعد ذلك إيقاع اكبر عدد تملكه من البشر في شبكة (الإغراء) الإعلامي وهو إغراء لا يمكن إن ينجح في مجتمع يمتلك الإرادة والوعي والقدرة على التخطيط والرفض ولهذا فان الشركات الضخمة المسماة بغير الوطنية أو العابرة للقارات ترصد الكثير من الجهد والمال لإيقاع الكتلة الاجتماعية والقومية تدريجياً بشباك الهم الاستهلاكي المتواصل أي إخلاؤها من الوعي وتحريرها سلباً من الإرادة[29].

إن التلاعب بالأفكار من خلال تقنية متطورة للاتصال يشير إلى دعوة غايات أساسية من خلال استخدام أساليب هدفها الإقناع ومن ثم التحكم بمصائر الآخرين وهذه الأساليب أو الغايات تتفاوت بين الإثارة الوفيرة وسيادة النمطية وغياب التنويع

بالآراء والتخلي عن الجدل الجاد وتقليص ما من شأنه تأييد فاعلية الإنسان والإكثار من ترويج الاستهلال كلها توقع المتابع أو المستقبل للرسائل الاتصالية إلى أكثر من شخصية واحدة تتعامل مع المرء على انه العالم الحقيقي وتتخذ من قيمة وإيحاءاته معاييرها القيمة كما إن حجب الحقيقة وإغراق القارئ أو المتابع بركان من المعلومات التي لا تجعل منه بالضرورة مواطناً أحسن اطلاعاً وحسب مبادئ العرض والطلب المعروفة يتم تزويد الجمهور بما يرغب فيه مع مساع حثيثة لترويج المناسب من الأفكار والقيم المتوافقة مع مصالح القلة المسيطرة على مقاليد الأمور[30] . ويمكن إجمال إخطار ثورة تقنية الاتصال على مضامين الخطاب الإعلامي في عدة مجالات لعل من أهمها[31]:

أ- تداخل الرسائل الاتصالية المبثوثة بحيث تخلق جو من الاتصال الكاذب أو المزيف.

ب- من يسيطر على هذه التكنولوجيا سواء أكان قوة ظاهرية أو خفية يسعى للتأثير على السلوك الاجتماعي والاقتصادي والحضاري للمتلقي لصالحه.

ج- تنميط المنتجات الثقافية وتقنية معالجة المعلومات وإنتاج المعايير التي تشكل رغبات وحاجات الناس.

د- إعادة تشكيل نظم التعليم وأنماط حياة المستقبلين.

هـ- إعادة تشكيل الهوية الثقافية الذي يرافقه زعزعة الهوية القومية سياسياً واقتصادياً.

و- استغلال شركات الإعلان لهذه الإمكانات لجعل الاتصال السمعي- البصري سوقاً لبيع المشاهد إلى المعلن التجاري.

ز- استمرار التناقص القائم بين النزوع الديمقراطي المتزايد للعصر الراهن وبين احتكار القلة المتقدم لوسائل الإعلام والاتصال يهدد وبمزيد من الفوضى والتردي في هذا المجال في ميدان العلاقات الدولية.

المبحث الثالث

مجالات تأثير الخطاب الإعلامي

من الحقائق الثابتة إن وسائل الإعلام تؤثر في مجرى تطور البشر وان هناك علاقة سببية بين التعرض لوسائل الإعلام والسلوك البشري وذلك على الرغم من صعوبة الإثبات والعلاقة بين السبب والأثر لكل الإفراد إلا إننا نجد إن(برنارد برسلون) قد نضع إطاره المعروف للإجابة عن الأسئلة الخاصة بآثار الاتصال حيث قال (بعض أنواع الاتصال لبعض أنواع القضايا تؤدي إلى اهتمام بعض البشر بمحتوى وسائل الإعلام في ظل بعض الظروف مما ينتج عنه بعض أنواع الأثر)[32] ويحلل برسلون العبارة السابقة بالقول إن اثار الاتصال عديدة ومتنوعة الشدة وقد تكون قصيرة الأمد أو طويلة الأمد، ظاهرة أو مستترة، قوية أو ضعيفة يمكن حدوثها من أي عدد من جوانب الرسالة الإعلامية ويمكن اعتبارها نفسية أو اجتماعية أو سياسية واقتصادية ويمكن إن تؤثر في الآراء أو القيم ومستوى المعلومات والمهارات والذوق والسلوك[33].

ويمكن إن تقدم وجهة نظر برسلون ملخصاً دقيقاً لوصف اثار وسائل الإعلام من خلال مضامين خطابها الاعلامي على جمهور المتلقين والتي يمكن إجمالها بي[34]:-

1- التأثير على المعرفة والإدراك والفهم.

2- التأثير على الاتجاهات والقيم.

3- التأثير على تغير السلوك سواء أكان السلوك مقبول أو مرفوض اجتماعياً .

وستناول هذه التأثيرات بشيء من التفصيل كلا على حده :

أولا:- التأثير على المعرفة والإدراك والفهم:-

تتحكم بالمستقبل للخطاب الاعلامي عوامل الانتقائية في اختيار نوعية الوسيلة الإعلامية التي يختارها أولا ومن ثم الرسالة الاتصالية التي ينجذب إليها دون غيرها من الرسائل التي تبث أو تقدم يوميا بالمئات من وسائل إعلامية مختلفة. إلا إن

الوسيلة الإعلامية من خلال نجاحها في إثارة اهتمام المستقبل باستثمار خواص التقنيات الحديثة في مجال الاتصال مع الأساليب الفنية المتقدمة بصياغة مضامين الرسالة الاتصالية تستطيع إن تولد لديه أولا حاله الوعي (المعرفة) وصولا إلى حالة الإدراك والفهم وهذا ليحدث لا من خلال اعتماد أسلوب تكرار العرض والتجانس فيه نتيجة للتفاعل الحاصل بين محتوى الرسالة مع الخبرات الشخصية أو التجارب السابقة لدى الجمهور فان حالة الإدراك والفهم سوف تحدث لديه ولذلك يرى (ولبر شرام)[35] إن وسائل الإعلام يمكن إن توسع الأفاق فهي تجعل الإنسان يرى ويسمع ما لا يستطيع إن يعرفه بالخبرة المباشرة ويتعرف على أشخاص لم يكن يعرفهم لولا تعرضه لوسائل الإعلام . والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هنا هل إن إطار المعرفة الذي يقدمه هذا الخطاب للمستقبل هو إطار حقيقي وواقعي أم انه يمكن إن يخلق لدية إطارا معرفياً كاذبا أو مزيفا بحيث يحاول المستقبل له إن يماثل تجربته وحياته مع تجارب الآخرين ألمقدمه له والتي قد تكون مغرقة أو مفرطة بالخيالية أو ألمثاليه أو قد يقترب هذا الخطاب من مفهوم الدعاية التي هي جهود اتصالية مقصوده ومدبره يقوم بها الداعية مستهدفا نقل المعلومات ونشر أفكار واتجاهات معينة تم إعدادها وصياغتها من حيث المضمون والمعرفة والشكل وطريقة العرض بأسلوب يؤدي إلى أحداث تأثير مقصود ومحسوب على اتجاهات وسلوك فئات من الجمهور في الاتجاه الذي يستهدفه الداعية وذلك بهدف السيطرة على الرأي العام والتحكم بالسلوك الاجتماعي للجماهير[36].

ثانياً:- التأثير على الاتجاهات والقيم:-

تشير معظم الدراسات التي أجريت في ميدان الاتصال على إن وسائل الإعلام تقوم بدور ملموس في تكوين الآراء أكثر مما تساهم في تغيرها ومن أهم هذه الدراسات ما توصل إليه عالم النفس (ليون فستنجر) الذي أطلق على هذه العملية اسم (التنافر المعرفي) والافتراض الاساسي لديه هو أن شعور الفرد بالتنافر النفسي يحفزه على محاولة التخلص من هذا التنافر حتى تحقيق الانسجام النفسي من خلال السعي

بايجابية ونشاط لتجنب المواقف والمعلومات التي تزيد من هذا التنافر[37] فيما لاحظ كلا من (لازر سفليد) و (ميرتون) إن وسائل الإعلام تصغي المكانة والقوه على بعض الإفراد والجماعات من خلال التركيز الاعلامي عليهم ونشر إخبارهم واكسابهم الشهرة بما يمنحهم قدر من السلطة والنفوذ والتفرد على غالبية الناس ويصبح سلوك وأراء هولاء الأشخاص ذو دلالة بالغة على عامة الناس[38].

إن التأثيرات الأخلاقية المعنوية التي تحدث نتيجة الرسائل الإعلامية وطبيعة المعلومات التي يكون لها تأثيرات على معتقدات الإفراد ومستوى الأخلاق الفردي والاجتماعي يعتمد بدون شك على وجود معلومات ايجابية أو سلبية مقدمة من خلال كل الرسائل إن وجد ومثل هذه المعلومات في وسائل الإعلام يمكن إن يكون لها تأثير معنوي على الإفراد الذين يعتمدون على نظم وسائل الإعلام في إطار التأثيرات الوجدانية التي سيكون لها تأثير مهم في تشكيل الاتجاهات وكذلك القيم ويمكن إن نجد في فترات التوتر الاجتماعي والسياسي عدد من الاتجاهات والقيم التي يتم تشكيلها من خلال عرض السمات الشخصية لبعض الجماعات العرقية أو الفئات أو المهن وغيرها[39].

ثالثا:-التأثير على تغير السلوك سواء أكان مقبول أو مرفوض اجتماعياً:-

اهتمت البحوث الإعلامية بدراسة اثأر وسائل الإعلام الضارة اجتماعياً والآثار المفيدة اجتماعياً لها على سلوك الإفراد والجماعات وغالبا ما يتم دراسة هذا الأثر على السلوك في سياق أوقات الفراغ لدى الفرد حيث يزداد التعرض لوسائل الإعلام وبخاصة الوسائل التي لا تحتاج إلى مهارات معينة أو جهد كبير مثل مشاهدة التلفزيون أو الاستماع إلى الراديو أو التردد على دور السينما . وتشير هذه الدراسات إلى اثر ملموس لبعض هذه الرسائل وبخاصة التلفزيون على أنماط حياة الأسرة، التحصيل الدراسي للأبناء، أوقات نوم الأطفال وكذلك ما يتعلق بالسلوك الانتخابي وفي تغير ولاء الناخب من حزب لأخر وتدعيم الاتجاهات السياسية الموجودة أصلا

وهذه الدراسات أكدت على توفر عدة عوامل الظروف تدفع بالإنسان إلى تغيير السلوك يعتمد معظمها على طبيعة الشخصية الفردية والقيم والدوافع الفردية والمخاطر المستقبلية للحدث والمخاطر الاقتصادية والاجتماعية لهذا التحول ويبقى المستفيد الحاسم لتغير السلوك هما هو تفاعل التعرض لوسائل الإعلام مع الخبرات الشخصية(40).

إلا إننا نشير هنا إلى ظاهرتين بارزتين في تأثيرات الخطاب الإعلامي على تغير السلوك أولهما هو (تقمص الأدوار) أي تمثل الشخصيات المرغوب في السينما أو التلفزيون وغيرهما من وسائل الاتصال والسعي إلى استبدال الرداء الاجتماعي بشيء جديد سواء كان سيارة أو منزل أو غير ذلك وبطبيعة الحال فقد لا تكون قدرات الإنسان المادية متوافقة مع ذلك فيلجأ إلى أساليب منحرفة يتعلمها من نفس الوسائل للوصول إلى هذه الغايات وثانيها ظهور حالات العنف بشكلها الإجرامي وهي ظاهرة انتشرت في العالم خلال القرن الماضي بشكل مفرط للغاية ساعدها في ذلك الضخ المتواصل المتصاعد لمشاهد العنف والجريمة وإخبارها وتطوراتها من خلال وسائل الإعلام والتي أضفت التكنولوجيا الحديثة عليها أجواء من الإبهار والتشويق والإيهام جعل الكثير من الإفراد يتعلقون بها ويقعون في مكائدها.

الاستنتاجات:

1- ان تحدي العولمة الاتصالية الذي برز بعد التطورات التي أصابت الواقع السياسي الدولي فرضت على وسائل الاعلام ان تطور من اساليبها وتقنياتها لكي تواكب هذا التغيير .
2- ان وسائل الإعلام استثمرت إلى جانب وسائل السياسة الخارجية الاخرى في تنفيذ مصالح وأهداف القوى المهيمنة على الواقع الدولي مما افرز تغييرا في مهام هذه الوسائل .
3- تأثر مضمون الخطاب الإعلامي بالتقنية الحديثة التي ميزت تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال وأضفت عليه مزيدا من التأثير والفعل لم يكن متوفرا في الوسائل التقليدية.
4- جدلية العلاقة الوثيقة بين مضمون الخطاب الإعلامي وتقنية وسائل الاعلام والاتصال أفرزت تأثيرات فاعلة لهذا الخطاب على مستوى الفرد والمجتمع.

التوصيات:

1- ضرورة تعزيز دور وسائل الاعلام الوطنية من خلال خطاب إعلامي مؤثر لرفع درجة الحصانة الذاتية الفردية والمجتمعية تجاه الخطابات الإعلامية الوافدة.
2- ان تستثمر هذه الوسائل التقنيات الحديثة في حقل الإعلام والاتصال بما يعزز من دورها وتأثيرها الداخلي او الخارجي .
3- ان التعامل مع الواقع الجديد لدور وسائل الإعلام العالمية يتطلب اتخاذ موقف متوازن لا يدعوا إلى الانغلاق والانعزال التام عنها أو الذوبان الكامل في خطاباتها وأساليبها بل البحث عن هوية ثقافيه وحضارية وطنية وقومية تتعامل بثقة مع هذا الواقع .
4- ضرورة تعزيز دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية مثل المدرسة والأسرة وغيرها لكي تحد بشكل ما من التأثيرات السلبية المتوقعة لوسائل الإعلام الخارجية على المجتمع وبخاصة النشئ الجديد .

الخاتمة:

إذا كان الخطاب الإعلامي القديم لا يتجاوز الحدود القومية للدول عبر الوسائل الإعلامية التقليدية المعروفة فان الوسيلة التكنولوجية الحديثة قد امتدت به إلى خارج أو عبر الحدود القومية لتشكل ظاهرة العصر الجديد ولتسقط نهائيا سيادة الدولة الوطنية في مجال احتكار والتحكم بمصادر المعلومات التي يتلقاها المواطن، وإذا كانت الأداة أو الوسيلة الإعلامية لا تحدد المضمون والوسيلة أهمية بالغة معا فمن خلال الأساليب الفنية الحديثة بالصيانة والإخراج والحذف والإضافة والتلاعب بالمعلومات فان مضامين الخطاب الإعلامي قد تعرضت إلى التحريف المتعمد الذي يسعى القائمين ورائه أو من يملك أو يسيطر على هذه الوسائل أن يحقق مصالحه الذاتية أو أن يتخذ المضمون الطابع الثقافي والفكري له كمصدر للمعلومات أو كمسيطر على دقة التكنولوجيا الحديثة لذا نرى إن وسائل الإعلام الغربية عموماً في خطاباتها الإعلامية تكاد تمارس التعتيم على الفضيلة والحياة الطبيعية والعمل باجتهاد ومثابرة الذي يميز الحياة في العديد من دول العالم بينما تركز على أخبار الكوارث والاضطرابات الخطيرة في هذه البلدان ولا يكاد ياستهويها سوى إخبار المال والجنس لتكون موضوعاً رئيسياً لها كما إن حالة من الاغتراب الثقافي الحضاري يجري نشره واقتسامه عالمياً على نحو غير متكافئ ليغدو مشروعاً بتأثيرات القوه السياسية والاقتصادية والعسكرية للقوى المهيمنة على مسارات مضامين هذه التقنية فيما تجد الإبداعية الفكرية والثقافية الوطنية والقومية نفسها إزاء حالة تبعية الثقافة تبدو بالفعل خارجية وغريبة عن الوقع الوطني تعمل على إعادة تشكيل الهوية الحضارية الثقافية الاجتماعية من جديد للعديد من المجتمعات والشعوب على أسس وضوابط جديدة أفرزها الواقع الدولي الذي تبلور في نهاية القرن العشرين والذي يشير إلى مزيد من الفوضى والتردي في ميدان العلاقات الدولية.

الهوامش:

(1) قاموس المنجد، ط2، دار المشرق، بيروت، 1986، باب خطب.

(2) منير بعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، بلا ت، ص55.

(3) د. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر – دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص8.

(4) مشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم ياقوت، المركز الثقافي، الدار البيضاء، بلا ت، ص34.

(5) ترفتان تودوروف، اللغة والأدب في اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، بيروت 1993، ص 48.

(6) د. محمد عابد الجابري، م.س.، ص8.

(7) المصدر نفسه، ص 8 .

(8) مشيل فوكو : مصدر سابق، ص 31 .

(9) المصدر نفسه : ص 34 .

(10) د.محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر بيروت، دار الطليعة، ط2، 1985، ص128.

(11) د . حميد سميسم : الخطاب الإعلامي العراقي بين النظرية والتطبيق، المؤتمر القطري الاول للإعلام –2001، ص2.

(12) د. سعد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، 1985، ص83.

(13) المصدر نفسه، ص 83 .

(14) د. حميد سميسم : مصدر سابق، ص5 .

(15) جليل وادي حمود : الخطاب الإعلامي وإدارة الأزمة السياسية الدولية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى جامعة بغداد –كلية الاداب، قسم الاعلام عام 2000، ص25.
(16) محمد حمود حسن – الخطاب الإعلامي في الصحافة الإسلامية العراقية – رسالة ماجستير غير منشورة – بغداد – كلية الإعلام،2004،ص36.
(17) اروى خالد هاشم العاني : الخطاب الدعائي الإسرائيلي الموجه ضد العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة) بغداد– كلية الآداب، قسم الإعلام 1994)، ص 60 .
(18) د. هادي نعمان الهيتي: اللغة في عملية الاتصال الجماهيري، بغداد، دار سامر، 1997، ص7.
(19) د. أديب خضور : الإعلام العربي الموجه الى الآخر – مقارنة منهجية، مجلة الإذاعات العربية، العدد(20) 2002، ص62.
(20) جليل وادي حمود : مصدر سابق، ص 45 .
(21) د.محمد طلال : الإعلام العربي والآخرون، مجلة الإذاعات العربية – العدد (2) لسنة2002، ص37.
(22) شون ماكابرايد، أصوات متعددة وعالم واحد، تقرير اللجنة الدولية لمشكلات الإعلام، الشركة الوطنية للطباعة، الجزائر،1983، ص5.
(23) مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، العدد1994،3، ص32.
(24) سرجي لاتوش، تغريب العالم،ترجمة خليل كلفت، دار العالم الثالث، القاهره1992،ص7.
(25) ميشيل كولون، احذروا الإعلام، ترجمة ناصر السعدون، دار الحرية للطباعة، بغداد،1994،ص21.
(26) ميشيل ماثان، الاتصال الإقليمي أو اتصال الجوار، من بحوث ندوة الهوية الثقافية والوطنية وتكنولوجيا الاتصال،القاهرة، تشرين اول،1991،ص12.

الخطاب الإعلامي في ظل تحدي العولمة
مجلة اداب الفراهيدي العدد الخاص بالمؤتمر الثالث
العدد (1) السنة الأولى كانون الأول 2009

(27) د.محسن خضير، تقنية الاتصالات الفضائية وأثارها الثقافية، مجلة القافلة، المملكة العربية السعودية، العدد الأول، حزيران،1994،ص36.
(28) د. محسن خضير، م.س، ص37.
(29) م. س، ص38 .
(30) د.محسن الموسوي،تكنولوجيا وسائل الاتصال وإشكالاتها القيمية، مجلة قضايا عربية، بيروت، العدد24، شباط 1982،ص86.
(31) المصدر نفسه، ص108.
(32) فدريكو ماريو، نظرة في مستقبل البشرية، ترجمة د.محمود علي مكي، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، القاهرة، 1990،ص232.
(33) د. حسن عماد مكاوي و د. ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص361.
(34) م. س،363.
(35) د.محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير،ط3، عالم الكتب، القاهرة،2004،ص85.
(36) د. حسن عماد مكاوي، م.س، ص398.
(37) د. سوزان القليني، الاتصال ووسائله ونظرياته، دار الفكر المعاصر، القاهرة،2006،ص26.
(38) د. حسن عماد مكاوي، م.س، ص398.
(39) د.محمد عبد الحميد، م.س،304 .
(40) د. حسن عماد مكاوي،م.س،ص40 .

مصادر البحث:

1- قاموس المنجد،ط2، دار المشرق،بيروت،1986.
2- منير بعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت،بلا ت.
3- د. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت 1982.
4- ميشيل فوكو،حفريات المعرفة،ترجمة سالم ياقوت،المركز الثقافي،الدار البيضاء، بلا ت.
5- ترفتان تودروف، اللغة والأدب في اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، بيروت،1993.
6- شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد، الشركة الوطنية للطباعة، الجزائر 1983.
7- مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس،ع.3. 1994
8- سرجي لاتوش، تغريب العالم، ترجمة خليل كلفت، دار العالم الثالث، القاهره،1992.
9- ميشيل كولون، احذروا الإعلام، ترجمة ناصره السعدون، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1994.
10- ميشيل ماثان، الاتصال الإقليمي أو اتصال الجوار، من بحوث ندوة الهوية الثقافية والوطنية وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة،1991.
11- د. محسن خضير، تقنية الاتصالات الفضائية وأثارها الثقافية، مجلة القافلة، المملكة العربية السعودية،ع1، حزيران،1994.
12- د.محسن الموسوي، تكنولوجيا وسائل الاتصال وإشكالاتها القيمة، مجلة قضايا عربية، بيروت،ع24،شباط،1982.
13- فديريكو ماريو، نظرة في المستقبل البشرية، ترجمة د. محمود علي مكي، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، القاهرة،1990.
14- د. حسن عماد مكاوي و د. ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1998.
15- د.محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، عالم الكتب، القاهرة،2004.
16- د.سوزان القليني، الاتصال ووسائله ونظرياته، دار الفكر المعاصر، القاهرة،2006.

17- د . حميد سميسم : الخطاب الإعلامي العراقي بين النظرية والتطبيق، المؤتمر القطري الاول للإعلام -2001.
18- د. سعد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، 1985.
19- جليل وادي حمود : الخطاب الإعلامي وإدارة الأزمة السياسية الدولية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى جامعة بغداد كلية الاداب قسم الإعلام عام 2000 .
20- محمد حمود حسن : الخطاب الإعلامي في الصحافة الإسلامية العراقية – رسالة ماجستير غير منشورة – بغداد – كلية الإعلام،2004 .
21- اروى خالد هاشم العاني : الخطاب الدعائي الإسرائيلي الموجه ضد العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة) بغداد– كلية الآداب، قسم الإعلام 1994) .
22- د. هادي نعمان الهيتي: اللغة في عملية الاتصال الجماهيري، بغداد، دار سامر، 1997 .
23- د. أديب خضور : الإعلام العربي الموجه الى الآخر – مقارنة منهجية، مجلة الإذاعات العربية، العدد(20) 2002 .
24- د.محمد طلال : الإعلام العربي والآخرون، مجلة الإذاعات العربية – العدد (2) لسنة2002 .

الدعاية مفهوماً وتعريفاً وأسلوبا

دراسة تحليلية عن الدعاية(الإسرائيلية) خلال حربها الأخيرة على غزة لعام (2008-2009)

م.جمال عسكر مضحي   م. ياسين طه موسى

كلية الآداب / قسم الإعلام   كلية الآداب / قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

إذا كان الصراع السياسي هو تصادم إرادات وقوى خصمين أو أكثر حيث يكون هدف كل طرف من الإطراف تحطيم الأخر كلياً أو جزئياً تتحكم إرادته بإرادة الخصم ومن ثم يمكنه إن ينهي الصراع بما يحقق أهدافه وإغراضه إذا كان هذا هو مفهوم الصراع السياسي فان الصراع الإعلامي الدعائي هو احد إشكال ذلك الصراع وتجسيده حركيا فالإعلام هو احد الوحدات التي يتكون منها نظام إدارة الصراع، فهو أداة سياسية من أدوات الحركة السياسية للقائد أو لصانع القرار السياسي والإعلام هو خط هجوم أول خط دفاع أخير وقد أصبح التحرك الإعلامي احد خصائص الدول المعاصرة وتغيير مهم في وظائفها الاتصالية، وفي ظل التقدم العلمي والتقني المتصارع وبعد تشعب المتغيرات الدولية وتعقيداتها تعددت وظائف الإعلام ومهامه بحيث أصبحت السياسة تحتمي تحت مظلة الإعلام ووسائله للتعبير عن رؤيتها وخططها وهكذا أصبح التحرك الإعلامي والدعائي أداة مهمة في إدارة الحرب النفسية والصراعات السياسية ووسيلة فعالة في تشكيل اتجاهات الرأي العام بما ينسجم مع أهداف صانع القرار السياسي وبحثانا هذا وفي حرب إسرائيل الأخيرة على غزة كانت أساليبها الدعائية تتضمن (3) مباحث:

المبحث الأول: منه يتحدث عن الدعاية مفهوما وتعريفا وأسلوبا.

إما البحث الثاني: فيتحدث عن الدعاية الصهيونية مراحلها وأساليبها ووسائلها.

إما البحث الثالث: فيتطرق إلى الأساليب التي استخدمتها الدعاية (الإسرائيلية) في حربها الأخيرة على غزة بالإضافة إلى النتائج التي توصل إليها البحث.

أهمية البحث:

في عالم معقد كعالم اليوم لا يمكن إدارة الصراع بجهود فردية أو جزئية لذا فان عملية الإدارة تتطلب المواجهة بالعديد من الوحدات التي تنصهر جميعا في نظام إدارة الصراع والعلاقة بين هذه هي علاقة تفاعل وترابط مستمر ويمثل الإعلام إحدى تلك الوحدات التي يتكون منها نظام إدارة الصراع.

ويمثل التحرك الدعائي مقدمة لإدارة الصراع وأنة هيئ الميدان الذي سوف يتعين على صانع القرار إن يتحرك فيه في إعداد لميدان الصراع منطلقا من حقيقة إن الإعلام هو خط الهجوم الأول وهكذا يلازم التحرك الإعلامي عملية إدارة الصراع في علاقة تبعية وترابط ذات تنسيق على مستوى الفكر والإدارة والأهداف والانتقال إلى موقف جديد بعد نجاح، أو فشل فان الإعلام يؤدي اخطر وظائفه وهو التخفيف من حدة الفشل أو التضخم من قوة النجاح وخلال المواجهة السياسية التي كانت قائمة بين حماس و(إسرائيل) حيث تأججت لتصل ذروتها بالعدوان (الإسرائيلي) على قطاع غزة وخلال تلك المواجهة دارت عجلات الدعاية (الإسرائيلية) وبشكل متوازي مع خطط القتال مستخدمة كافة الأساليب الأخلاقية وغير الأخلاقية لتحقيق أهدافها غير المشروعة بالإضافة إلى وضع كافة وسائل الاتصال الجماهير وأخر ما توصل إلية الإنسان من اختراع الكتروني في خدمتها ويأتي البحث هذا ليوضح الأساليب والطرق والأدوات التي استخدمتها الدعاية (الإسرائيلية) خلال عدوانها العسكري على قطاع غزة...

مشكلة البحث:

تعد السياسة والاقتصاد والإعلام والعمل العسكري هي الأركان الرئيسية التي صاغت حرب غزة ومجرياتها وتطوراتها والذي يعني رجال الإعلام هو دراسة الجانب الإعلامي باعتباره احد تلك الأعمدة والميدان الأكثر وضوحاً وتميزاً في تلك المواجهة

والأداة الأكثر خطورة من أدواتها وذلك التصدي للصراع الإعلامي والدعائي الذي مارسته (إسرائيل) عبر وسائل الإعلام...

أهداف البحث:

يسعى البحث بالإجابة عن الأسئلة التالية:-

1- كيف جندت (إسرائيل) وسائل الاتصال لخدمة أهدافها السياسية؟
2- ما هي التكتيكات والأساليب التي استخدمتها الدعاية (الإسرائيلية) إثناء الحرب؟
3- هل نجحت الدعاية (الإسرائيلية) في تحقيق أهدافها؟

حدود البحث:

موضوع البحث هو أساليب الدعاية (الإسرائيلية) في الحرب التي شنت على قطاع غزة للفترة من (2008/12/17 ولغاية 2009/1/17).

المبحث الأول

الــدعـــايـــة

مفهوم الدعاية:

الدعاية كعملية منظمة هدفها التأثير على الرأي العام كأداة من أدوات الصراع السياسي بصفة عامة والسياسة الخارجية بصفة خاصة[1] لم تظهر إلا في أوائل القرن العشرين وذلك بعد إن اقترنت الحرب العلمية الأولى بتحول الدعاية من مجرد فن وتجارب إلى علم ذي قواعد يقوم على أسس مدروسة[2] وقد تكونت تبعاً لتكون مجال العمل الملائم لها وهو مجال الجمهور فتوفرت لها إمكانيات استعمال التقنيات الحديثة والاتصال والدعاية كنشاط يهدف إلى محاولة التأثير في الإفراد والجماهير والسيطرة على سلوكهم وذلك في مجتمع معين وزمان معين وهدف معين وقد أظهرت الممارسات الدعائية خلال القرن العشرين مفهوم الدعائية الكلية الذي يفترض التزاوج بين الرموز.

بالإضافة إلى اثر الثورة البلشفية في روسيا أصبحت الدعاية ظاهرة تنتشر في العالم كله[3]. ويعود أصل الدعاية إلى العصور الوسطى عام 1623 عندما أنشا البابا اربأن الثامن إدارة باسم (congregation-OF-PROPAGNDA).

والتي تعنى بالمهام الخارجية للكنيسة الكاثوليكية أي التبشير ما وراء البحار وهذه الكلمة مشتقة من الفعل (PROPAGATE) ومعناه التنشئة والتنمية ومفهومه نشر الآراء والعادات ونقلها من شخص إلى أخر ومن جيل إلى أخر ....

وتراوحت وجهات نظر الباحثين عند تحديدهم لمفهوم الدعاية واختلفت هذه المفاهيم وفقاً لوجهات نظرهم وأرائهم واتجاهاتهم وطريقة ممارستهم للدعاية ووفقا لطبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للبيئة التي تمارس فيها وللعصر الذي تعكسه للوصول الى الهدف بأقل وقت ممكن[4].

تعريف الدعاية:

لقد ورد الكثير من التعريفات والتي لايمكن إن نحصيها نحن أو غيرنا من الباحثين فقد وجدنا أنها تنطوي على كافة أنواع الدعايات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ووردت تعريفات من عدة نبين البعض منها وهي :-

1-الدكتور النفساني الاجتماعي (كمبال يونج): يعرفها أنها استخدام مقصود ومخطط للرموز عن طريق الإيحاء والرسائل النفسية المماثلة يرمي إلى تغيير وتيسير الآراء والإشكال والقيم والاتجاهات ومن ثم القيام بعمل في الاتجاه المدبر له، وقد تكون علنية واضحة أو سرية مكتومة وتحدث ضمن إطار من البيئة الاجتماعية والثقافية التي لا تنجح بدونها[5].

إما الماركسيون فيفسرون الدعاية على أنها تعليم لجماعات منتقاة من الجمهور تستعين بأساليب عقلانية وتهدف للتأثير على الوعي وجعل الإفراد يتسمون بسلوك سياسي يتسم بالعنف[6].

وهنا يعرفها الدكتور عبد القادر حاتم بأنها فن إقناع الآخرين بان يسلكوا في حياتهم سلوكاً معينا ما كانوا ليسلكوه بدونه[7] وأيا كانت المفاهيم للدعاية، فهي لاتعني

سوى حقيقة واحدة هي خضوع الإنسان المعاصر للهيمنة الكاملة لصفوات القوة في المجتمع سواء كانت هذه الصفوات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو فكرية – دينية وغير دينية وكل هذه الصفوات تستهدف من خلال الدعاية تغيير مواقف الإفراد والجماعات أو التأثير فيها وعلى نحو يتوخى تحقيق الأهداف أو مصالح هذه الصفوات وان محاولة ضبط هذه المواقف تتخذ إشكالا خفيه أو ظاهرة أن التطور السريع لوسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع المعاصر اوجب إن يتم تفسير وتبرير أي حدث أو عمل سياسي لأغلبية الجماهير وفي كل الأماكن إذا ما أريد كسب تأييد تلك الجماهير وضمان موافقتها عليه لان أخبار هذا الحدث ستنتشر وعواقبه ستكون لها سعة انتشار الإخبار وسرعة انتقالها أيضا وهذا أدى إلى إخفاء الطابع الجماهيري على العمل السياسي حيث لم يعد كافياً أن تشرح السياسة للقلة فقط أو إن يتم إقرارها من قبل تلك القلة قبل تنفيذها[8] وهكذا أضحى التحرك الدعائي والإعلامي حقيقة واضحة في نطاق العلاقات الدولية أثر المتغيرات التي طرأت على خصائص المجتمع المعاصر ممثله بطغيان الإبعاد الإيديولوجية وانهيار الحواجز بين المجتمعات السياسية وسيطرة النواحي الجماهيرية على السلوك السياسي ثم التطور الهائل في تكنولوجيا أدوات الاتصال الذي قاد إلى إن يكون الاتصال الدعائي والحرب النفسية إحدى أدوات تنفيذ السياسة الخارجية لأي دولة[9].

ومنذ الحرب العالمية الثانية أصبح الصراع الدعائي واضحاً يعبر عن قواعد واضحة من حيث التعامل ولم تعد كلمة الإعلام تفهم على أنها مجرد أدوات لنقل المعلومات الجماهيرية إنما هي تشمل كل ما له من صلة بالتعامل النفسي وعليه صار التحرك الدعائي والإعلامي علماً قائما بذاته يملك قواعده وألاعيبه بل ويملك فلسفته المستقلة والمتميزة تبعاً لنموذج التعامل النفسي ويمكن تحديدا أربعة أهداف يسعى إليه التحرك الإعلامي والدعائي لتحقيقها وهي[10]:-

1- هو أداة لنقل المفاهيم وزرع المدركات.
2- هو أداة لتشويه الأفكار وخلق البلبلة وتدعيم عدم الثقة في القيادة.
3- هو أداة لتحطيم الثقة في الذات القومية.

4- هو أداة لخلق تطلعات طبقيه تقود إلى تشققات في الجسد القومي.

وفي ضوء ذلك فان التحرك الإعلامي في إطار الصراع الدعائي يهدف إلى خلق القناعة المنطقية في الداخل والخارج بدعوة أو قضية أو ازمه معينه ومن ثم فهو يحتضن مفاهيم الإعلام –الدعاية–الحرب النفسية حيث تكون التفرقة بين هذه المفاهيم الثلاثة شبه مستحيلة لان الدعاية والحرب النفسية تتم من خلال الإعلام.

كما إن الإعلام وخاصة في ألازمات يتصف عادة بأنه إعلام غير محايد فهو يختلط في هذه الحالة مع الدعاية ويصبح التمييز بينهما صعباً فالإعلام يسعى إلى تقديم الحقيقة المجردة بينما تسعى الدعاية إلى التأثير في أراء الإفراد وسلوكهم فالاختيار المعتمد للإخبار وإعادة صياغتها في أوقات الأزمات تحقق الأهداف نفسها التي يسعى رجل الدعاية إلى تحقيقها[11].

أنواع الدعاية:-

إن اكتشاف الحاجة إلى المعلومات عن العالم كان أول قانون استخلص بصورة تجريبية عن التبعية الناس لأولئك الذين ينتجون وينشرون الإخبار الضرورية لهم.

وقد غدا إدراك هذا القانون مقدمة أولية موضوعية لإنشاء منهج العمل المعروف باسم الدعاية[12] والدعاية التي اجتازت طريقاً طويلا من تطور إشكالها المفعمة بمضامين مختلفة ومتناقضة أحيانا تبعاً لمهام الصراع الطبقي والسياسي والفكري فيمكن تقسيمها وفقا لتلك الاعتبارات إلى عدة أنواع هي :-

1- وفقاً لطبيعة المصدر تنقسم الدعاية إلى:-

- **الدعاية البيضاء**:- وهي الدعاية الواضحة والشفافة المكشوفة وغير المستورة بمعنى أخر هي عبارة عن نشاط علني من اجل هدف محدد ويكون ذلك في الصحف والإذاعة وسائل الاتصال الأخرى
- **الدعاية السوداء**:- وهي الدعاية الخفية المستورة وتقترب من الإشاعات المجهولة المصدر وتقوم عادة على نشاط المخابرات والعملاء السريين ولا تكشف الدعاية

السوداء مطلقا عن مصادرها الحقيقية فهي تنمو وتتوالد بطريقة سرية وذلك في داخل ارض العدو أو على مقربة منها وتعد من أسوء أنواع الدعاية

- **الدعاية الرمادية**:- وهي الدعاية المقنعة والموجهة في خطابها وعناصرها تخفي أمور غير تلك المعلنة وهي الدعاية التي لا تخشى من إن يقف الناس على مصادرها الحقيقية والدعاية التي من هذا النوع تعد دعاية غير مباشرة وهي اقوي تأثير من الدعاية المباشرة.

2- وفقاً للمضمون تنقسم الدعاية إلى[13]:-

- **الدعاية السياسية**:- وهي الدعاية التي تهدف إلى خلق فعل سياسي من خلال استخدام كافة الوسائل والأساليب الممكنة لتحقيق هذا الهدف وهكذا نجد دعاية المذهب السياسي تتخذ من الأسلوب الإعلاني وسيلة للتأثير في الجمهور، والدعاية السياسية هي أساسا عملية تلاعب بالعواطف تستهدف الوصول إلى خلق حالة من حالات التوتر الفكري والشحن العاطفي الذي لابد وان يؤدي إلى تشويه التتابع المنطقي فهي عملية إقناع ونادراً ما يكون صحيحاً في جميع عناصره وعن طريق الدعاية السياسية يمكن تعليم الإفراد الأكثر معارضة والتأثير عليهم.
- **الدعاية التجارية**:- تلعب الدعاية التجارية دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية للشركات والمؤسسات والدول والإفراد في حالة استغلالها بالشكل الجيد فهي تعتمد أساسا على المهارة في طريق البيع والإعلان بيد إن خبراء الدعاية والحرب النفسية اخذوا عن فن الدعاية التجارية أسلوب استثمار الاتجاهات النفسية القائمة واستغلال العواطف والمشاعر الإنسانية.
- **الدعاية الاجتماعية**:- وهي دعاية ترتبط بالمجتمع وتهدف أساس المجموع دون التضحية بالفرد وهي محاولة لنشر فكر بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرية تؤدي بالجمهور بأن يتخيل بناءاً سياسياً واقتصادياً أو إن يساهم في سلوك ما[14].
- **الدعاية الدينية** :- وهي التي ترادف الدعوة أو التبشير وهناك العديد من الأنواع الأخرى للدعاية منها:

أ-الداخلية والخارجية

ب- التكتيكية والإستراتيجية

ت- الكامنة والظاهرة

إلى أخره من التسميات التي اختلف على إطلاقها المختصين في هذا المجال إلا إن الدعاية تقسم إلى قسمين إثناء الحرب وتقسم هنا تبعاً لمحتواها إلى الحرب الحقيقية وهي التي تفصح فيها الدولة عن الأوضاع الحقيقية والى الحرب المضللة والتي نصفها حقيقة ونصفها كاذبة[15] وهي :-

1- **دعاية التفرقة** :- ويستهدف منها تفتيت وحدة العدو والحد من قابلية مقاومته.
2- **الدعاية المضادة** :- ويستهدف منها تفنيد فكرة العدو أو أسلوبه .

وسائل الدعاية :-

تتعدد وسائل الدعاية وإشكالها فعمل الدعاية هو التحدث عن الفكرة في كل مكان إذ ليس لها حدود في تباين إشكالها فالداعية يستخدم جميع الوسائل المعروفة في الإعلام والنشر لبث دعايته والوسائل هي[16]:-

1- المطبوعات على اختلاف أنواعها من كتب ونشرات وصحف.
2- الوسائل الصوتية وتشمل الخطب والإذاعات والأغاني منها الأغاني السياسية والهزلية.
3- الصور الفوتوغرافية كانت أو كاريكاتورية والصور هي الوسائل الأكثر استقبالاً وفاعلية لان إدراكها يتم مباشرة ولا يحتاج إلى جهد.
4- المسرح والتلفزيون والأفلام السينمائية.
5- القنوات الفضائية.
6- شبكة المعلومات الدولية والانترنيت.

وهناك أهمية كبرى في اختيار وسيلة الدعاية لان هدف الدعاية هو التأثير في اكبر عدد ممكن من الجمهور لهذا يتعين على من يقوم بالدعاية إن يعرف من هم الذين سيوجه إليهم دعايته حتى يستطع إن يستخدم الوسيلة التي تحقق له الغرض

المنشود من دعايته وقد يلجا القائم بالدعاية إلى استخدام أكثر من وسيلة وللغرض نفسه.

أساليب الدعاية:-

إن الدعاية الفعالة يجب إن تقوم على عدة أسس كي لا تفشل في أداء مهمتها وهي إقناع الآخرين بوجهة نظرها وأول هذه الشروط هي إن تقترن الدعاية بالحقائق[17] فالدعاية التي يكشف كذبها سرعان ما ينصرف الناس عنها وعلى الدعاية إلا تناقض نفسها سواء عبر مختلف الوسائل في فترة واحدة أو عبر وسيلة أو عدة وسائل في فترات مختلفة فالأساليب التي تتبعها الدعاية هي :-

1- **أسلوب التضخم والتشويه** :- أي تضخيم وتوجيه الخبر ليخدم إغراض الدعاية.

2- **أسلوب التكرار** :- أي أنها تكرر بدون ملل موضوعاتها الرئيسية ولكن التكرار الصرف يولد الضجر لذا يجب عرض الموضوع بأوجه مختلفة فان ثبات الموضوع وتنويع العرض هي صفة رئيسية لجميع أنواع الدعاية[18].

3- **أسلوب الإثارة** :- وهو اشد مبالغة من الدعاية بمعنى أنها المبالغة في استخدام التكتيك الدعائي بحيث يصبح فن الإثارة والتهيج غرضاً في حد ذاته[19].

بحيث تعبئ أجهزة الدعاية الجماهير تعبئة حماسية عالية ذات طابع عاطفي يهدف إلى إن تتخذ الجماهير موقفاً معيناً إزاء مشكلة ما .

4- **أسلوب التحريض** :- وهو النشاط الذي يهدف إلى نشر إخبار ومعلومات عن الوقائع والإحداث والإعمال من المواقف المحددة التي تتخذها هذه الوسيلة أو تلك كما يهدف إلى تشكيل وإيجاد علاقة مع موقف من هذه الوقائع والإحداث والإعمال[20].

5- **أسلوب تحويل الأنظار والانتباه** :- ويستخدم لصرف انتباه الناس عن القضية المثارة إلى موضوع جديد يوازي تلك القضية.

6- **أسلوب الاختلاف والتحريف والتزييف والحذف**.

7- **أسلوب الاستضعاف والاستنطاق** : للتأثير في نفوس الإفراد والحكومات وتعتمد عليه الصهيونية في نشر دعايتها ضد الدول العربية.

المبحث الثاني

الدعاية الصهيونية

ينبغي إن تنقل المعلومات بموضوعية وبدون أي تشويه أو تحريف هذا هو الإعلام، لكن إذا كان الأمر غير ذلك فهو نوع من أنواع الدعاية وليس أعلاما، يتضح هذا المعنى ومن خلال مرافقة الدعاية الصهيونية.

حيث نشأت هذه الحركة كحركة إيديولوجية سياسية في القرن التاسع عشر وحتى وقتنا الحاضر وتكيفها مع كل مرحلة من المراحل التي مر بها المشروع الصهيوني وكانت الدعاية الصهيونية منذ مؤتمر (بال) بسويسرا عام 1897 مبنية على ربط يهود العالم ببعضهم البعض وكسب تأييد الحكومات المختلفة لتطوير الاستيطان الاستعماري في فلسطين؛ والدعاية الصهيونية تعد احد دعائم أساسية ثلاث يستند إليها الصراع العربي الإسرائيلي[21].

1- صراع عسكري

2- دبلوماسية نشطة

3- نشاط الدعاية المنظمة

إن كلاً من هذه الأدوار يكمل الأخر ولكل منها تكتيكه الخاص إن الدعاية الصهيونية تخضع لتخطيط محدد من حيث الأهداف والأدوات وهذا التخطيط يستند إلى منطق فكري واضح ومترابط ؛ إن قوة الدعاية السياسية التي تشنها إسرائيل ضد العالم العربي تستند إلى منهجيه متماسكة ومتكاملة وتكمن في الأمور التالي[22]:-

أ- التوقيت الدقيق والملائم:- الذي يمهد لأي نشاط سياسي أو دبلوماسي أو لعدوان عسكري أو لافتعال ازمه معينة إزاء أي دولة أو جماعة في العالم.

ب- القدرة والخبرة في توظيف مجموعة من العلوم المتكاملة لخدمة الدعاية (علم النفس/علم الاجتماع/التاريخ الثقافي والاجتماعي والعسكري).

ت- الدعاية الموجهة إلى العالم العربي شعوبا وحكومات تستهدف تقويض الإيمان بالوطن وبالمؤسسات وبالجيش وبأداء رجال السياسة.

يقول (مناحيم بيغن) في احد مؤلفاته (يجب إن نعمل ونعمل بسرعة فائقة قبل إن يستفيق العرب من سباتهم فيطلعوا على وسائلنا الدعائية فإذا استفاقوا ووقعت بأيديهم تلك الوسائل وعرفوا دعاماتها وأسسها فعندئذ لن تفيدنا مساعدات أمريكا)(23).

وانطلاقا من هذه ألنقطه فقد مرت الدعاية الصهيونية ومنذ نشأتها بست مراحل حاسمة من حيث القوى التي تتعامل معها والغرض أو الهدف التكتيكي لكل مرحلة من المراحل على النحو الأتي(24):-

1- **المرحلة الأولى** :- وتمثلت في مساعي الحركة الصهيونية لاستصدار وعد من بريطانيا التي كان لها حق الانتداب على فلسطين مما يتيح لها الانطلاق في مشروعها، وقد حصلت على هذا الوعد عام 1917 من وزير الخارجية البريطاني (آرثر جيم بلفور) مما يعرف (بوعد بلفور) وكان الشعار الدعائي الذي رفعته آنذاك (فلسطين ارض بلا شعب لشعب بلا ارض).

2- **المرحلة الثانية** :- التآزر بين الحركة الصهيونية والانتداب البريطاني لتأسيس الدولة اليهودية وقد كثفت الحركة الصهيونية من شكلها الدعائي الدولي مستفيدة من حالة الفوضى التي اكتنفت العالم خلال الحرب العالمية الثانية وتوجهت إلى مراكز الثقل الدولي الجديد أي الولايات المتحدة الأمريكية والى الرأي العام الأمريكي والقوى الدولية سعياً لإقرار حقها في إقامة دولة يهودية على ارض فلسطينية وتوجت مساعيها باعتراف الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) بالدولة الإسرائيلية بعد دقائق من إعلانها ثم صدور القرار 181 الذي انهى المرحلة الثانية مكتملا بإنشاء الدولة اليهودية والتي نالت اعتراف دولياً.

3- **المرحلة الثالثة**:- مرحلة الهدنة وفيها ركزت إسرائيل دعايتها على التأكيد رغبتها بالسلام متجاهلة في تلك الدعاية النتائج المترتبة على اغتصابها لفلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني ومركز دعايتها على إن الصراع هو صراع سياسي بين دول

متجاورة وهو نزاع يمكن إن يحل بالتفاوض دون ذكر أي شيّ عن جذور الصراع ونتائجه والماسي التي رافقته وبدأت الدولة العبرية تظهر للمجتمع الدولي إن الدول العربية لا تريد السلام بل تهدف إلى اجتثاث الشعب اليهودي مستفيدة من الدعاية التي إقامتها حول المجازر النازية بحق الشعب اليهودي (الهولوكوست) في الحرب العالمية الثانية.

4- **المرحلة الرابعة**:- انصب اهتمام الدعاية الصهيونية على عامل التفوق الإسرائيلي واستفادت من انتصارها العسكري لعام 1967 لتحول الدعاية إلى حرب نفسية ضد العالم العربي مستهدفة كسر إرادته وتحطيم الروح المعنوية لديه وزعزعة ثقته بنفسه .

5- **المرحلة الخامسة**:- والتي بدأت بحرب 1973 وتمكن العرب من كسر التفوق العسكري الإسرائيلي وإلحاق الهزيمة بإسرائيل في أكثر من موقع استراتيجي مما أفسح المجال لبدء عملية التسوية من جديد.

إن المتتبع للدعاية الصهيونية في مراحلها الخمس يمكنه إن يلاحظ ذلك التآزر بين أنماط تلك الدعاية والمراحل التي مر بها المشروع الصهيوني ويرى كيف إن تلك الدعاية تتبدل وتتكيف بما تتطلبه كل مرحلة من مراحله بحيث يكون التكامل قائما بين الدعاية والعمل السياسي والعسكري .

6- **المرحلة السادسة** :- بدأت بتولي (اربيل شارون) مقاليد الحكم في إسرائيل إلا انه ورغم توظيف تكنولوجيا الاتصال من انترنت وقنوات فضائية بدأت الدعاية الصهيونية تدريجياً تفقد الأرضية التي وقفت عليها طوال السنوات الماضية ومنذ ذلك الوقت بدأت الملايين يخرجون في مظاهرات في مشارق الأرض ومغاربها وفي قلب تل أبيب تندد بالمذابح الإسرائيلية.

الأسس الإيديولوجية للدعاية الصهيونية

إن المتتبع لنشاط الحركة الصهيونية يستطيع أن يستنتج من خلال عملها التنظيمي بعض مميزات هذه الإيديولوجية التي اعتمدت عليها الحركة في نشاطها الدعائي ويمكن تلخيصها بالأمور التالية[25]:-

1- الزعم بأبدية العداء للسامية (وهو العنصر الذي ينتمي إليه يهود العصر القديم) في كل زمان ومكان.
2- القول بحتمية عودة اليهود إلى فلسطين باعتبارها ارض الميعاد التي سيجتمع فيها اليهود بعد الشتات.
3- الادعاء بوجود حضارة عبرية قديمة وبالتالي تميز اليهود بقومية أساسها الدين وليس فقط باعتبارهم جماعة دينية تندمج مع الشعوب التي عاشوا في كنفها وان للثقافة العبرية أفضالها على العالم وحضارته اجمع.
4- التأكيد على تمييز العنصر اليهودي على غيره من العناصر وان العالم مدين له بانجازاته العلمية والفنية المعاصرة.

أن هذه العناصر المترابطة يمكن اعتبارها أساسا لإيديولوجية تبريرية تستهدف فرض عقيدة الاستعمار الاستيطاني على فكرة القرن العشرين وقد عملت الدعاية الصهيونية بكل قواها على ترسيخ فكرتي أبدية المعاداة للسامية والتمايز على سائر الشعوب والطوائف الأخرى في الخصائص المكونة للعنصر اليهودي.

أهداف الدعاية الصهيونية:

تتنوع أساليب الدعاية الصهيونية وتتغير وفقا للظروف ولكنها تنطوي بصورة ثابتة على هدف استراتيجي أساسي تجاه الأخر وخاصة تجاه العرب وهي تحطميه والهيمنة عليه والسعي إلى إلغاء جميع قدراته أو شل فاعليتها هذه الدعاية تتكامل مع إستراتيجية السياسية والعسكرية لإسرائيل ومن بين الأهداف التي تركز عليها الدعاية الصهيونية عليها[26].

1- العمل على تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين.
2- العمل على تجميل صورة (إسرائيل) من خلال العمل على توسيع النشاط الإعلامي والدبلوماسي الإقليمي والدولي.
3- العمل على فرض وجود الكيان الصهيوني على العرب كدولة لاتقهر ولا تزول وإبراز الشعور بالتفوق ازاء العرب .
4- إيجاد مجال حيوي لدعم الكيان الصهيوني سياسيا واقتصاديا ومعنويا من قبل دول العالم المختلفة.

ويستهدف المخطط الصهيوني من وراء تحقيق الأهداف تحقيق هدفين أساسيين يحددها الدكتور (مختار التهامي) على النحو التالي[27]:-

أ- تجنيد يهود العالم تحت ضغط الشعور بالاضطهاد والتمييز، وذلك للمساهمة في مخطط الصهيوني الامبريالي لخدمة مصالح الرأسمالية اليهودية وسائر المصالح الاستعمارية المرتبطة بها.
ب- استغلال عقدة الذنب لدى شعوب العالم وأوربا بصفة خاصة بإلقاء عبء اضطهاد اليهود عليها خلال الأزمنة التاريخية المختلفة.

أدوات الدعاية الصهيونية:

تستخدم الدعاية الصهيونية مجموعة من الأساليب الدعائية المبنية على التحليل العلمي وعلى الخبرات المتراكمة في مجالات الاتصالات والإعلام والدعاية وذلك من اجل الترويج لأهدافها وقضيتها كما يضاعف من فاعليتها استثمار للعديد

من القنوات والأدوات المتاحة لها أو التي تمكنها من الوصول إلى شرائح وفئات شتى من الرأي العام.

إما الأدوات التي تستعملها الصهيونية فهي متعددة ومنها(28):-

1- أجهزة الإعلام الجماهيرية(إذاعة-تلفزيون-صحافة)
2- وسائل الاتصال الشخصي.
3- الجاليات اليهودية المنتشرة في كل إنحاء العالم
4- المنظمات غير الحكومية وتشمل :-
أ- الوكالة اليهودية أو المنظمة الصهيونية العالمية.
ب- الهستدروت (الاتحاد العام لعمال إسرائيل).
ت- بعض الأقليات من الوطن العربي وفي العالم .

المبحث الثالث

أساليب الدعاية الصهيونية في حربها الأخيرة على غزة

في بداية هذا المبحث نود إن نوضح الأتي :-

-لم نعتمد في هذا البحث على الكتب كون الحرب حديثة ولم تصدر عنها أية مؤلفات لذا اعتمدنا على مايلي :.
1- الفضائيات (الجزيرة -العربية-الشرقية-LBC).
2- الإذاعات (سوا-مونت وكارلو-صوت العراق الحر-BBC).
3- مواقع عديدة من شبكة الانترنت.

حيث تم تدوين وجمع عدد من التحليلات والإخبار الخاصة المسؤولين(الاسرائيلين) إثناء الحرب التي كانت تمتد من الفترة 2008/12/27 ولغاية 2009/1/17 حيث استمرار الدعاية (الإسرائيلية) عملها وهي لم تتوقف أبدا ولكن المقصود بفترة الحرب فقط

فقد مارس الإعلام (الإسرائيلي) حملة دعائية مركزة كانت تستهدف تصوير ما يجري من حرب ضد الشعب الفلسطيني ومقاومته في قطاع غزة على أنها مجرد

مواجهة مع حركة حماس وبالطبع بعد نفاذ صبر (إسرائيل) على الصواريخ الفلسطينية التي تسقط على مدن الجنوب (الإسرائيلي) فقد استخدمت تلك الدعاية عدة أساليب لتحقيق هدفها وهي :-

أ- **أسلوب التكرار** :- والذي يعد من انجح الأساليب للتأثير في الرأي العام حيث يعتمد هذا الأسلوب على استثارة المشاعر والانفعالات والتركيز على بعض محاور انفعالية تجاه عواطف الجماهير ويعمد إلى التكرار مع التنويع إلى إن تبلغ الجماهير مرحلة الإقناع .

لقد مهدت وسائل الاعلام الصهيوني الى مشاهديها وقرائها بأن حدثا جللا سيحدث خلال الفترة القادمة وهو ماحصل فعلا. : لقد أطلقوا اسما معنويا على عدوانهم وحربهم هو ' الرصاص المصبوب ' كناية عن القوة والجبروت والمقدرة على كسر المقاومة،وسخونة وجدية المعركة، لان الرصاص الساخن حين يُصب على الشيء يكون له مفعول الحرق والإيذاء والألم والتأثير المباشر.

فالخطاب الإعلامي (الإسرائيلي) صب جل اهتمامه على إن حرية هذه ضد حركة حماس معتبراً إياها خطرا ليس عليه فقط فحسب وإنما على النظام العربي عموماً مصداقاً لتأكيد إن كبار المسؤولين والمتحدثين الرسميين (الاسرائيلين) في المستويين السياسي والعسكري وتداخلاتها من أن (إسرائيل) لا تستهدف الشعب الفلسطيني بل تستهدف حماس التي تقوم بإطلاق الصواريخ، كما هو الحال في المؤتمر الصحفي لوزيرة الخارجية (الإسرائيلية) (تسيبي ليفني) الذي عقدته في القاهرة حيث تحركت فيه (ليفني) وقتها بملابس سوداء تنذر بالموت الأتي لأهالي غزة تحدثت من القاهرة بكلمات تم تفسيرها على أنها إعلان للحرب مستخدمة كلميتها الشهيرتين ((كفى يعني كفى)) وقد ورد مفردة حماس إثناء المؤتمر بشكل لافت للانتباه(29).

كما رافقت وزيرة الخارجية الصهيونية (تسيبي لفني) ممثليين لعدد 60 دولة في جولة على جنوب فلسطين المحتلة أكدت خلالها على ضرورة أن تدعم القوى الدولية التحركات الصهيونية ضد فطاع غزة.

ب- **أسلوب حصر المسؤولية**:- استخدمت الدعاية (الإسرائيلية) هذا الأسلوب من حيث التركيز على عمليات إطلاق الصواريخ من قطاع غزة وتحميل حماس مسؤولية ذلك ولا يتوقف السعي (الإسرائيلي) في هذا المجال على محاولة إيجاد حواجز شعورية بين حركة حماس والشارع الفلسطيني باعتبار إن الحرب لا تستهدف الفلسطينيين في قطاع غزة وفق الادعاء (الإسرائيلي) بل ويذهب التوجه إلى محاولة تأليب الرأي العام الفلسطيني ضد حركة حماس بما يتوافق وبشكل واضح جدا مع مضامين المنشورات التي ألقتها الطائرات العسكرية في قطاع غزة ولأكثر من مرة في اليوم فتلك المنشورات تؤكد من إن الجيش (الإسرائيلي) لا يستهدف المدنيين أي أهالي غزة وتحذرهم من حركة حماس التي ستجلب لهم الدمار وذلك في محاولة لضرب الروح المعنوية للجبهة الداخلية العالية للتصدي لأي عدوان خارجي، بالإضافة إلى ذلك نلاحظ إن الدعاية (الإسرائيلية) في هذا المجال تجنبت الإشارة إلى باقي الفصائل الفلسطينية أو اذرعها العسكرية التي تقف في صفوف المواجهة والتصدي ومن هذا نستنتج إن الدعاية (الإسرائيلية) تهدف من وراء ذلك ومن خلال ما تم مشاهدته عبر القنوات الفضائية من قصف جوي ومدفعي للقطاع أنها تساوي بين السياسي والعسكري ومعهم الإنساني والأكاديمي والإعلامي، وهي بذلك تعطي مصداقية لتصريحات مسؤوليها بشان ما تقوم به حركة حماس والمردود السلبي المنعكس تجاه تلك الإعمال مما يؤدي إلى خلق حالة من عدم الثقة والارتياب ما بين حركة حماس والأذرع والفصائل الأخرى والشعب الفلسطيني.

ج- **أسلوب إطلاق النعوت** :- هذا الأسلوب مارسته الدعاية (الإسرائيلية) ومنذ فترات طويلة من السنيين تجاه العرب بشكل عام وتجاه الشعب الفلسطيني بشكل خاص فقد اختارت الدعاية (الإسرائيلية) عدد من المفردات والتي تدخل ضمن إطار مكافحة الإرهاب وهو نفس الأسلوب الذي مارسته الدعاية الأمريكية إبان القصف الذي تعرضت إليه واشنطن عام 2000/9/11 فقد رفع الرئيس

الأمريكي السابق (جورج بوش) شعار مكافحة الإرهاب ومن هذه المفردات التي استخدمتها الدعاية (الإسرائيلية) (إرهابيو حماس) يحتجزون سكان غزة كرهائن ويستغلون النساء والأطفال كدرع بشري ونعوت أخرى مثل (مسلحو حماس)و(محربوحماس)و(مليشيات حماس الارهابية).

د- **أسلوب الكذب** :- لقد مارست الدعاية (الإسرائيلية) هذا الأسلوب ومنذ احتلال فلسطين ولحد ألان وذلك من اجل تبرير ما يرتكبه المسؤولين (الاسرائيلين) من جرائم يحق الشعب الفلسطيني خصوصاً والشعب العربي عامة ففي الحرب الأخيرة على غزة وقع الكثير من الضحايا ودمرت بنايات ومؤسسات ودوائر ومدارس بالإضافة الى بيوت (مساكن وعمارات مدنية) وقصف مساجد ودور العبادة، حيث استخدمت الدعاية (الإسرائيلية) هذا الأسلوب لتبرير ما فعلوه وخير مثال على ذلك عندما قصفت مدرسة (الفاخورة) التابعة للأمم المتحدة في مخيم جباليا للاجئين ادعى الجيش (الإسرائيلي) إن مقاتلي حماس قد أطلقوا من منصة إطلاق قذائف الهاون التي كانت منصوبة في المدرسة وكدليل على ذلك عرض التلفزيون (الإسرائيلي) صوراً جوية كانت تظهر بالفعل المدرسة ومنصة الإطلاق غير انه بعد فترة قصيرة اضطر الجيش (الإسرائيلي) الاعتراف إن هذه ألصوره كانت قد التقطت قبل أكثر من 30 سنة فكل رضيع يموت يتحول بوفاته إلى مقاتل حماس وكل مسجد يتم قصفه يتحول منذ تلك اللحظة إلى قاعدة لحماس ويتحول كل منزل سكني إلى مستودع للسلاح وكل مدرسة تتحول إلى غرفة قيادة تابعة للإرهاب وهذا ما تعمل علية الدعاية (الإسرائيلية) حيث أنكرت الحقائق واللقاء اللوم على الخصم في مقتل المدنيين الفلسطينيين مثل حجة (نحن لم نفعل هذا وهم جعلونا نفعله): قصف المؤسسات الإعلامية كما حدث مع مبنى فضائية الأقصى، ومبنى جريدة الرسالة،وقصف برج الشروق وبرج الجوهرة المكتظتان بالمكاتب الإعلامية الدولية والعربية والمحلية، وقصف بيوت الصحفيين وقتلهم كما حدث مع الصحفي إيهاب ألوحيدي وعائلته والصحفي علاء مرتجى وعائلته ... كل ذلك بغرض التأثير على العمل الإعلامي في نقل الحقيقة،والتأثير السلبي في صياغة الرواية، وترويع

وتخويف الإعلام كي لا يتعامل مع رموز المقاومة ورجالاتها. : يُضاف إلى هذه الأساليب المباشرة من العدو، التصريحات والمقالات والتحليلات من بعض المتحدثين والكتاب والمحليين سواء الفلسطينيين أم العرب والتي تحمل حركة حماس المسئولية، وتُبرأ الاحتلال،وتنشر المعلومات المغلوطة والكاذبة والمبرمجة وخاصة الأكاذيب التي تدعي أن هناك عشرات الشهداء من معتقلي فتح السياسيين وهم يدركون انه لا معتقلين سياسيين في سجون الحكومة في غزة، وهم يدركون كذب ذلك ولكنهم يمارسون دورا محددا لهم للفت الأنظار عن بشاعة وحجم الجريمة ويقدمون خدمة للاحتلال.

هـ- **أسلوب التضليل**:- حيث اعتمدت الدعاية الصهيونية على مبدأ التضليل بصفة عامة،ومن خلال الاختصار والاختزال والاعتماد على الابهام والغموض والتلاعب بالالفاظ حتى لايعتقد المتلقي أنه اعلام كاذب ومن الموضاعات الاساسية التي طرحها الاعلام الصهيوني قضية البقاء وامن اسرائيل في مواجهة الجماعات الارهابية ودائما ما يؤكد الاعلام الصهيوني بأنهم يحاربون الارهاب ويدافعون عن انفسهم ولهذا سمي بجيش الدفاع[30].

الوسائل التي استخدمتها الدعاية (الإسرائيلية) في تحقيق أهدافها

لم تقصر هذه الحرب الدعائية على وسائل الإعلام المرئية كالفضائيات وإنما ركزت على الفضاء الالكتروني فما إن بدأت حرب الطائرات والدبابات على قطاع غزة حتى اندلعت حرب أخرى على الهواء بين نشطاء الانترنت العرب والمسلمين من جانب ونشطاء مواقع (الإسرائيلية) من جانب أخر حيث تفوق فيها الصهاينة نسبياً لأنهم ركزوا على كسب ود وتعاطف الأجانب بالأكاذيب بمخاطبتهم باللغة الانكليزية ويحدد الدكتور (جيمس زغبي[#]) عدد من الوسائل التي استخدمتها الدعاية الإسرائيلية وهي[31]:-

1- استخدام الصورة النمطية التي استقرت طوال أجيال لصالح (إسرائيل)[# #] على سبيل المثال إلى إن ثمة صورة نمطية لدى البعض هي إن الصراع في حقيقته يتمثل في الإنسانية (الإسرائيلية) في مواجهة المشكلة (الإسرائيلية) فان التغطية الإعلامية عادة ما تبدأ بكيفية تأثير المشكلة على الشعب (الإسرائيلي) وإظهاره على شكل قصص خيرية تظهر هم فائقين من الصواريخ التي تطلقها المقاومة ومعاداة السامية ومحاولة الإرهاب الفلسطيني محاربتها والقضاء عليها .

2- استغلال المجندات (الإسرائيليات) والعاملات في مجال العلاقات العامة والتوجيه ودفعهن إلى الواجهة للتحدث باسم الجيش (الإسرائيلي) .

3- قصف الصحافيون الأجانب عبر البريد الالكتروني (الرسائل القصيرة) بمعلومات تنقل وجهة نظر الجانب (الإسرائيلي).

4- إنشاء محطة فيديو خاصة على موقع (يوتيوب) هدفها إثبات إن من يقتلهم الجيش (الإسرائيلي) هم من مقاتلي حماس المسلمين لا المدنيين الأبرياء .

5- استغلال موقع (توتير) وهو موقع العلاقات الاجتماعية استعانت به القنصلية (الإسرائيلية) في نيويورك لتبرير العدوان على قطاع غزة عبر مجموعة من المحاضرات، وفي إحدى الندوات بالقنصلية عبر برنامج (تويتر) الذي يخول لمستخدمه التواصل والنقاش المباشر مع مستخدمين آخرين تمكن مستخدمو البرنامج من كل إنحاء العالم من طرح أكثر من (400) سوأل على القنصلية وتتبع النقاش أكثر من (3) ألاف مستخدم للبرنامج اقنع الكثير منهم بوجهة النظر (الإسرائيلية)[32].

6- توفير العديد من الأشخاص الذين يتقنون اللغة الانكليزية وغالبا ما يكونون مولودين في الغرب للتحدث إلى وسائل الإعلام بحيث يمكن نشر وجهة نظرها وبأسلوب مبسط ومقنع.

7- كما جند الصهاينة اطقما اعلامية استغرق تدريبها اشهرا طويلة لتكون جاهزة للمعركة، وقد أكد ذلك البرفسور (دوف شنعار)المحاضر في جامعة بن غوريون في بئر السبع والذي قال في تصريح لوكالة فرانس برس ان اسرائيل تعلمت من

تجاربها السابقة استخدام العلاقات العامة ووسائل الاتصالات للتوجه الى الدبلوماسيين لتعريف العالم اسباب الحملة العسكرية وتفاصيلها .

8- ممارسة القرصنة على اثير الاذاعات المحلية ووجهوا رسائل رعب وتخويف للمواطنين وتزويدهم بمعلومات كاذبة ومفبركة عن المقاومة وزعمائها .

وفي أدناه جدول يوضح الأهداف التي رسمتها (إسرائيل) ابتغاء تحقيق الاستجابات المطلوبة وكما يلي :.

الموضوع الفكرة	التوجيه	الاستجابة المطلوبة
حشد القوات (الإسرائيلية) في المناطق المحيطة بقطاع غزة	تبرير وجودها – بيان أهمية ذلك للغرب والعالم	التأييد والتعاطف
الموقف صورة حماس	اختلاف ممارسات بشعة ونسبها إليها	الرفض والكراهية
الموقف ضد حماس دولي وليس (إسرائيلي)	إبراز انتهاك حماس للشرعية والقانون الدوليين	كسب تأييد الرأي العام العالمي
(إسرائيل) لا تريد الحرب لكنها أرغمت عليها بسبب مواقف حماس	التركيز على تحميلها المسؤولية التي ستترتب عليها خسائر البشرية المادية التي ستقع	التأييد والموافقة والتعاطف
انتهاك حماس لحقوق الإنسان	نسب ممارسات وأفعال بشعة لمقاتلي حماس والزعم بان حماس لا تحترم حقوق الإنسان	الكراهية والتحريض

رغم تلك الأساليب والوسائل التي استخدمتها الدعاية (الإسرائيلية) في حربها إلا أنها لم تحقق النجاح طيلة أيام الحرب أو بعدها والسبب في هذا يعود إلى عدة أسباب[33]:-

1- التباين الكبير جدا بين عدد القتلى في صفوف الشهداء الفلسطينيين والقتلى (الإسرائيليين).

2- صور الأطفال الفلسطينيين المشوهين على شاشات التلفزيونات العالمية وكذلك القصص المروعة للمدنيين المحشورين في ساحة الحرب.

3- قصف مدرسة (الفاخورة) التابعة للأمم المتحدة التي كانت تؤوي (40) مدنياً قتل وجرح عدد كبير منهم.

4- استخدام الفسفور الأبيض والمحرم استخدامه في المناطق السكانية.

5- قصف الأطفال الأربعة الذين عثر عليهم يتضورون جوعاً قرب جثة أمهم بعد إن كانت القوات (الإسرائيلية) دمرت بيتهم على رؤوسهم.

مما جعل ردود أفعال الدول الغربية التي كانت تؤيد الحرب والتي أسموها بالحرب الدفاعية عن الشعب (الإسرائيلي) إن تتغير تجاه وقف الحرب فوراً والمطالبة بمحاسبة الضباط(الاسرائيلين) المسئولين عن إدارتها بعد إن تغير موقف الرأي العام لكثير من الدول مما دفع (إسرائيل) بعد هذه المجزرة إن تعمل على تحسين صورتها ومحو صور جرائمها الشنيعة في قطاع غزة من ذاكرة العالم حيث أجرت وزارة الخارجية (الإسرائيلية) اتصالات مع شركة أمريكية للعلاقات العامة وطلبت منها خطة علاقات عامة مفصلة من شانها تحسين صورتها بعد الهجوم[34] بالإضافة إلى إجراءات احترازية تضمن سرية كبار الضباط الذين شاركوا في الحرب.

المصادر والهوامش :-

(1) د. حامد ربيع –نظرية الدعاية الخارجية، مكتبة القاهرة –الحديثة– القاهرة/1972/ص10.
(2) د.احمد بدر –الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية /الكويت/وكالة المطبوعات /1982/ص203.
(3) أ.ب–نولكيس /الأدب والدعاية /ترجمة د. موفق الحمداني –بغداد /دار الشؤون الثقافية العامة /1986/ص8.
(4) د.جيهان رشتي /الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية /القاهرة،دار التوفيق النموذجية للطباعة /1985/ص163.
(5) د. فخري الدباغ /غسل الدماغ، دراسة نفسية اجتماعية لظاهرة التمذهب وتحويل الاتجاهات /بيروت/المؤسسة اللبنانية للنشر /1970/ص630.
(6) د.محمد منير حجاب، الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثا القاهرة /دار الفجر للنشر والتوزيع /ط2/2002/ص17.
(7) د. محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية –نظريات وتجارب مكتبية الانجلو المصرية/1978/ص140.
(8) دانييل كاتز/ الإعلام والرأي العام وترجمة د.محمود كامل المحامي /القاهرة دار نهضة مصر /1982/ص255.
(9) د. حميدة سميسم، الحرب النفسية المضادة في أزمة الخليج /مجلة أفاق عربيه العدد/11/لسنة 1990 بغداد /ص74.
(10) د.حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي /بغداد /دار واسط /1981ص317.
(11) د. جيهان احمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة دار الفكر العربي/1978/ ص615–616.
(12) مجموعة من علماء النفس، علم النفس الاجتماعي وقضايا الاعلام والدعاية وترجمة نزار عيون السود/دار دمشق للطباعة والنشر 1978/ص26.

(13) د. السيد عليوة،إستراتيجية الإعلام العرب–القاهرة –مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب /1978/ص176.
(14) د.محمد منير حجاب – مصدر سابق /ص35.
(15) موسى زناد /الحرب النفسية – مقلاً عن محمد فاضل زكي/الدعاية العربية امام التحديات الصهيونية /بغداد/ المؤسسة العامة للصحافة والطباعة /1968 /ص9وص10.
(16) د. شاهيناز طلعت / الدعاية والاتصال –دراسة تطبيقية على الوثائق السرية البريطانية عن ثورة مصر 1919/مكتبة الانجلو المصرية –1987/ص176.
(17) د.محمد عبد القادر /دور الإعلام في التنمية /بغداد /دار الرشيد للنشر/1982/ص105.
(18) د.محمد عبد القادر /دور الإعلام في التنمية –مصدر سابق ص106.
(19) د. زيدان عبد الباقي /وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والرادارية والإعلامية /دار غريب للطباعة /القاهرة/ط2/1977/ص486.
(20) د.حميد جاعد / الإعلام والديمقراطية بين الدعاية والتحريض /مجلة الباحث الإعلامي / كلية الإعلام /بغداد /العدد الثاني 2006/ص29.
(21) د محمد كمال القاضي /الدعاية السياسية والحرب النفسية – القاهرة /المركز الإعلامي للشرق الأوسط (2001–2002) ص47.
(22) د. محمد منير حجاب /الدعاية السياسية مصدر سابق ص86.
(23) د. هاني الرضا – دار ( ) عمار – الرأي العام والإعلام والدعاية /بيروت / المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع عام 1998/ ص321وص232.
(24) د. رفيق سكري /مدخل في الرأي العام والإعلام والدعاية ()–لبنان،1984، ص51.
(25) د. حسن صبري الخولي / سياسة الاستعمار الصهيوني تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين المجلد الأول، القاهرة –دار المعارف –1973، ص33.
(26) د.هاني الرضا – د.رامز عمار– الرأي العام والإعلام والدعاية / مصدر سابق/ص234.

(27) د. سعد سلمان – الدعاية الصهيونية الموجهة إلى العراق خلال الحرب العراقية الإيرانية –بغداد – دار الشؤون الثقافية العامة 2002، ص27.
(28) د.مختار التهامي–الرأي العام والحرب النفسية–دار المعارف–القاهرة 1990 / ص24.
(29) احمد فواد أنور – الصحافة الدينية في إسرائيل بين قضايا الصراع مع العرب والتناحر الداخلي /القاهرة/عالم الكتاب،2006، ص317.
(30) http://www.attajdid.ibfoldef.asp
(#) الدكتور جيمس زغبي /من ابرز الوجوه العربية الأمريكية في الإعلام الأمريكي وينتمي للحزب الديمقراطي ويرأس المعهد العربي الأمريكي .
-http://www ()mericainarabic.comldefauit.
(31) http:www.Zope.gidsh-shalom.org.home.
(##) الصورة النمطية /عرفها معجم ويبستر (أنها تصور عقلي شائع بين إفراد وجماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شي بعينه).
(32) http: //www. Islamoline.net.servlet.
(33) من خلال متابعة ما تم بثه الفضائيات وخاصة قناتي الجزيرة والعربي .
(34) مقال (إسرائيل تستخدم شركة دعاية أمريكية لتحسين صورتها) للكاتب محمد حميدة في 2009/1/16 * نقلا عن موقع الانترنت
http://www.eloph.com/wep/bolitics.

دور الملصقات الجدارية في حملات الدعاية للانتخابات

م. م. عذراء إسماعيل زيدان
جامعة تكريت /كلية الآداب /قسم الأعلام

مُقَدِّمَة

أن للكلمة أهمية عند الإنسان سواء كانت منطوقة أو مصورة أو مكتوبة وهي الوسيلة الاتصالية الأولى التي عبر عن طريقها الإنسان عن الدعاية التي تؤثر على الفرد وتجتذبه .

وينصب جوهر الدعاية الانتخابية عبر الملصق الدعائي على قدرته في إحداث التأثيرات والتعبير عن أراء وتغير القناعات لدى جمهور الناخبين بالاتجاه الذي يريده القائم بالعملية الدعائية ولمعرفة الأسس الموضوعية والفنية في كيفية وصول الرسالة الدعائية .إلى ملايين الناخبين في وقت واحد وتحديد احتياجاتهم بالشكل الذي يسمح للمرشحين بالشروع بإطلاق دعايتهم عبر ملصقاتهم وبالمستوى الذي يتلاءم مع متطلبات وأمال الجمهور .

وبعد تطور التاريخي والتقدم العلمي الحديث أصبحت الدعاية علما له أصوله وأنواعه وقواعده فاستخدمت للسيطرة على الفكر والسلوك داخل المجتمع الإنساني وقد احتلت الدعاية الانتخابية مكانة مهمة في علوم الأعلام والاتصال إذ أنها تعني مجموعة الأنشطة والفعاليات التي يزاولها القائمون بها لتحقيق أهدافهم السياسية سواء كانوا من المرشحين أو القادة الحزبين والبرلمانين .

مشكلة البحث:

أن الميزة الرئيسية التي تميز بها البحث العلمي هي وجود مشكلة محددة تسترعي الانتباه من يدرسها ويحللها بتفاصيلها كلها والإحاطة بحيثياتها للوصول إلى

أسئلة تساهم في أيجاد حلول لإزالة ذالك الغموض والتحقيق فيه عن طريق ثلاث خطوات:

أ – الإحساس بالمشكلة ب – تحليل المشكلة ج – تقويم المشكلة

تتخلص مشكلة البحث في التعريف بدور الملصقات جداريه في الانتخابات العامة بتطبيق معلومات البحث نظريا على دور هذه الملصقات في العملية الانتخابية التي تجري بلدان العالم .

أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث العلمي من أهمية المشكلات التي تثيرها الموضوعات التي تتناولها والمجالات التي تمتد أليها، وبما أن البحث العلمي يجب أن يسخر لخدمة المجتمع ويتفاعل مع قضاياه .

فان هذا البحث يتجاوب مع تجربة الدعاية الانتخابية عبر الملصقات الجدارية للانتخابات لذا فان أهمية البحث تكمن بالإسهام في سد النقص الحاصل في البحوث العلمية التي تتناول تطبيق الأسس العلمية للحملات الدعائية والتي تؤدي بدورها إلى استمالة وتحفيز الناخبين بالاشتراك في العملية الانتخابية،وعليه تأتي أهمية البحث باستخدام الملصق الدعائي للأسباب الآتية

١– التركيز على قدرة الملصق في إيصال الرسالة إلى الناخبين.

٢– إسهامه في إثراء المجال التخصصي في حقل الأعلام والدعاية الانتخابية بصورة خاصة.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى الإجابة على الأسئلة الآتية :–

١– ما هي العناصر الأساسية التي تشكل بناء الفني للملصق ألجداري ؟

٢– ما هي الرسالة التي تقدمها الملصقات الجدارية باعتبارها وسيلة اتصال جماهيري في الحملات الانتخابية والإعلامية ؟

٣– هل يمكن أن تعتبر الملصقات احد وسائل الأعلام والاتصال ؟

المبحث الأول

نشأة الملصق ألجداري وتطوره وأهميته في الدعاية الانتخابية

أولا : **مفهوم الملصق**

ثانيا : **نشأة وتاريخ تطور الملصق في العالم**

ثالثا : **أنواع الملصقات الجدارية**

رابعا : **خصائص الملصق ومميزاته**

المبحث الأول

الملصق ألجداري مفهومه ونشأته وتطوره وأنواعه وخصائصه

١- مفهوم الملصق :-

الملصق وسيلة اتصالية تتجه إلى جمهور غير متجانس يتم عن طريقه تقديم المضمون الذي يتمثل بالمعاني والدلالات والرسوم والخطوط والألوان وبقية عناصر الأخرى لتحقيق الغرض الذي وجد لأجله[٢]. وترى في هذا التعريف أن قيمة الملصق تكمن في فكرته ووضوحها أي أن يكون متوازنا في ناحية القيمة الوظيفية والفنية، وبما أن الملصق وسيلة للفهم المتبادل بين المرسل والمستقبل وإقناع المستقبل بما يحمله المرسل من أفكار وأراء لها مساس بحياة المتلقي بصورة مباشرة وغير مباشرة ومفهوم الملصق في القواميس اللغوية معناه لصق " ل ص ق " (لصيق) به بالكسرة (لصوقا) بالضم و (التصق) به و (الصقه) به غيره[٣]. وتطلق كلمة ملصق على الإعلانات المطبوعة أو المرسومة على الخشب او الورق او أي مادة أخرى تلصق على الجدران المخصصة لذلك لتؤدي إحدى الوظائف الدعائية والإعلامية والسياسية والاجتماعية والفنية والإرشادية والتعليمية لنقل أيدلوجيتها للتأثير في الجماهير وكسبها باعتبارها وسيلة اتصالية سهلة النقل والأفكار والمعاني إلى فئات المجتمع المختلفة بصورة عامة .

٢- نشأة الملصق وتطوره في العالم :

مرت الملصقات بمراحل مختلفة سواء في مجال التوظيف الدعائي وفي مجال التصميم والطباعة واستخدام المواد الأولية فضلا عن التطور الصناعي وألزماني والمكاني إلى أن وصلت على ما هو عليه في الوقت الحاضر وتشير بعض الدراسات إلى أن نشأة الملصق تعود إلى السنوات الأولى لاختراع الطباعة من قبل الألماني جوتنبرغ عام (١٤٣٨،١٤٤٥) عند اختراع أول آلة طبع خشبية وكانت اغلب الملصقات تحتوي على مادة كتابية شملت بيانات ملكية او تخمينات ضريبية تلصق في الكنائس او في الأماكن العامة[٤].

وبعد ذلك المصمم (وليم كاكستون) (William Kakston) عام ١٤٧٧ الذي قام بتطوير مكائن الطباعة أكثر قدرة وإمكانية على الطبع فكانت مدعاة اهتمام لطبع الملصقات والمنشورات الدعائية والتجارية يكلفه اقل[٥]. وفي أواخر القرن السادس عشر انتشرت الملصقات الدعائية الإعلانية وكان من أبرزها الملصق الذي أصدرته جماعة تجارة الأسماك في بريطانيا والمحفوظ حاليا في جمعية الآثار في لندن[٦]. ويعد أول إعلان ينشر على شكل نصيحة ولم يظهر بشكله المعروف ألا في عام ١٦٥٥، ومع بداية الثورة الصناعية وما رافقها من تقدم في مجال المواصلات والاختراعات التي تحققت في ميدان الطباعة الميكانيكية التي ساهمت في تقدم أنتاج الملصقات المختلفة .

ومن هذا التطور شهد الملصق أمكانية طباعة الصور والرسوم الملونة للملصقات الدعائية وللمسرحيات الاستعراضية بكلفة قليلة وسهولة الانتشار وقد أنتجت مؤسسة (روستون) في باريس ملصقات ملونة يعود تاريخها إلى عام ١٨٤٥[٧].

وظل الملصق مابين عام ١٨٧٠ وحتى الحرب العالمية الأولى مرتبطا بالمبدأ التجاري وتبث للملصق مرحلتين الأولى بين عام١٨٧٠ – ١٩١٩ عندها كان الملصق جزا من عمليات التجارية والمرحلة الأخرى ابتداء من عام ١٩١٩ حتى وقتنا الحاضر وقد تحقق في ظهور الملصق السياسي مما هيأ له تطوير علاقته بالجماهير واستخدام الملصق السياسي منذ الحرب العالمية الأولى في بداية الأمر وأصبح وسيلة دعائية استخدمت تشجيع التجنيد للدخول في القوات المسلحة لغرض القتال عن طريق أثارة مشاعرهم[٨].

كما شملت مواضيع الملصقات العلاقات والصلات العميقة التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، وعندما قامت الثور الفرنسية ١٧١٩ استخدم الثوار الكلمات الرنانة لإيصال أفكارهم إلى شعبهم، وأثبتت الخطب التي كان يطلقها القادة مقدرتها على جدب انتباه واهتمام الناس وتوعيتهم[٩].

وقد ساهمت الملصقات التي استخدمت أثناء الحرب العالمية الأولى مساهمة فعالة في أثارة روح العداء البغيض بين الأطراف المتنازعة . وبعد الحرب العالمية

الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) ظهرت تطورات سياسية وفكرية جديدة أوجدت نتائج تعارض الحروب وتدعو للسلام[١٠]. وفي الستينات من القرن العشرين ازدادت أهمية الملصقات السياسية التي تعد السبب في تعميق علاقتها بالجماهير، ففي كوبا عام ١٩٥٢ ظهرت ملصقات لها تأثيرات دعائية وكانت لهذه الدولة مكانة متميزة في تاريخ الملصق إذ امتازت الملصقات بإيجاد قرابة بين لغة المجتمع وأعمال المصممين[١١]. وفي العقدين الأخريين من القرن العشرين شهد الملصق تطورا وانتشارا واسعا .

١- **الملصق والاتصال السياسي** :

أن معنى كلمة اتصال في اللغة العربية هو المعنى نفسه في اللغة الانكليزية (Communication) وهو اسم الفعل (Communicate) لذا فأن الفعل في اللغة العربية يتصل بمعنى يبلغ الشيء والاسم في العربية بمعنى المعلومات المبلغة او الرسالة الشفوية او الخطية وتبادل الأفكار والمعلومات عن طريق الإشارات[١٢].

والاتصال السياسي هو احد وظائف النظام السياسي يعبر عن واقع معين ويمد بالحقائق دون تشويه او تحريف أي كلما استخدمت الأحزاب السياسية الحاكمة قنوات اتصال جيدة وفعالة تنقل أليهم نبض الجماهير وتطلعاتها ومواقفها واتجاهاتها فضلا عن التعليمات والإرشادات التوجيهية للحزب الحاكم، يزداد التواصل بين الحاكم والمحكوم بصورة جيدة ومستمرة[١٣]. والاتصال السياسي هو ذلك الجزء من النشاط الاتصال الذي تقوم به الهيئات المختصة في بث المعلومات والأفكار والمواقف عن الشؤون الحكومية والذي يعكس أهدافا سياسية محددة تتعلق سياسية تؤثر في الحكومة او الرأي العام او الاتجاه الخاص للأفراد او الشعوب عن طريق وسائل الاتصال المتعددة[١٤].

العناصر السياسية التي يقوم عليها الاتصال السياسي : -

- **النشاط السياسي** : وهو مضمون عملية الاتصال السياسي .
- **القائم بالاتصال** : وهو السياسي او الإعلامي او شخص من عامة الناس .
- **الوسيلة** : وهي كل وسيلة اتصال تجسد النشاط السياسي الذي تمارسه الحكومة والإعلاميين وأفراد الشعب في كالملصقات والصحف والأجهزة السمعية والمرئية.
- **التنظيمات** : كالأحزاب والاتحادات .
- **التجمعات** : الأقل تنظيما كالنوادي والجمعيات .
- **وسائل الاتصال الجماهيري** : (الصحف، الفضائيات، الإذاعة، الملصقات) .
- **المناسبات الخاصة** : (المهرجانات، المظاهرات، التجمعات)[١٥].

وان الاتصال السياسي: هو عصب العملية الانتخابية والدعائية وهو صورة في صور الاتصال وتنطبق عليه القواعد المعروفة جميعها في العملية الاتصالية، والاتصال السياسي .

ويتميز بخصائص معينة لغرض التأثير الذي ينتج عنه ردود الفعل، ويكون السلوك السياسي نابعا من طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتبرز حالة الشعور واللاشعور بالرضا عن الحاكم وتفتخر بالانتماء او عدم الشعور بالارتياح او الاهتمام بالجماعة[١٦].

وظائف الملصق السياسي : -

الملصق السياسي رسالة اتصالية ذات مضمون دعائي تعبر عن اتجاه البرنامج وأهداف الجهة السياسية التي تقوم بتوجيه حسب الظروف المتاحة (زمانية او مكانية) ويمكن تلخيص وظائف الملصق بالاتي[١٧].

١- **الأعلام والأخبار** : اتخذت هذا المسار منذ أقدم العصور وبما أن الملصق وسيلة اتصالية سريعة الانتشار وسهلة الإدراك لذا لجئت الكيانات السياسي إلى استخدام الملصقات لغرض نقل الأهداف إلى الجمهور والتأثير فيه عن طريق المضامين التي ينقلها سواءا كانت في الصورة او الحرف او الكلمة او الرموز[١٨].

٢- **الدعاية** : من الصعب وجود عمل سياسي بدون نشاط دعائي يعمل على تبسيط الأهداف والبرامج التي تروم على استمالة الجمهور او (الرأي العام) وبما أن الملصق السياسي رسالة ذات مضامين واتجاهات مختلفة تهدف إلى التأثير الرأي العام فقد استخدمته الكيانات والأحزاب السياسي كأداة دعائية لتميزه بالإيجاز وبالبساطة(١٩).

٣- **تحديد الهوية** : بما أن الملصق وسيلة اتصالية بصرية تحمل مضمون مرسلها أي الجهة التي أنتجته وصممته لذا فلا يحمل شعار او اسم الحركة او الحزب الذي يطلع بالمواطن أن يميز او يفرز هويات الأحزاب عن طريق الملصق الذي عرف باسم الجهة التي أنتجته(٢٠).

٤- **التثقيف والتوعية** : لعب الملصق دورا مهما في مجال التثقيف والنوعية والإرشاد لأنه ساعد على نشر الثقافات السياسية والاجتماعية والفنية والتوجيه في شرائح المجتمع عن طريق لصقه وتوزيعه(٢١).

<u>شروط نجاح الملصق</u> : -

هناك ثلاثة شروط أساسية على مصممي الملصقات او الدعاية الأخذ بها وهي :

١- **التوقيت المناسب** : إذ يجب الالتزام بالوقت المناسب والملائم لطرح موضوع الملصق لان ذلك يضمن تفاعل الجمهور مع الموضوع وتعود نسبة الاستعداد والتقبل للملصق إلى استعداد الجماهير لتقبل الأفكار فلا بد من أن يرتبط بتوقيت زمني محدد ومكان معين(٢٢).

٢- **التعبير عن الحقيقة** : أن أكثر مصممي الملصقات يجسدون أفكارا واقعية وإحداثا تكون سياسية او دعائية او توجيه او إرشادية او تربوية او ثقافية او اجتماعيه فلا بد أن يكون الملصق فيه جانب كبير من الصدق رغم وجود المبالغة في تجسيد المضامين داخل ملصقات الفضاءات(٢٣).

٣- **الاختيار الصحيح للمفردات** : أن الاختيار الأفضل للكلمات يلعب دورا في أسلوب التأثير في العواطف والانفعالات مع اخذ بنظر الاعتبار عن الحشو غير المبرر له في النص والتعارف والعناوين مع بقية العناصر الأساسية، ومن خلال الوحدة والانسجام بين المظهر العام للملصق والمادة المذكورة(٢٤).

<u>أنواع الملصقات</u> :

يرتبط الملصق بالحياة اليومية للإنسان ويلعب دورا مهما في المناسبات الوطنية والدينية ودور الملصق هو تغلب على المشكلات التي تظهر في المجتمع والبيئة التي يعيش فيها الإنسان على طريقة السعي لتحقيق أهدافه والملصق المتميز يحتوي على اقل ما يمكن من المعلومات ويتضمن عنوانا مختصرا لان المتلقي يلاحظ ويقرأ مثل هذه الملصقات أثناء مروره بالشارع او المكان العام ولا يكون لديه الوقت الكافي لقراءة عنوان طويل مع تفاصيل كثيرة(٢٥).

<u>هناك أنواع من الملصقات هي</u> :-

١- <u>**الملصقات السياسية :-**</u> وهي الملصق الذي يرتبط ارتباطا مباشرا بالجماهير لكونه وسيلة بارزة لإيجاد الوعي الثقافي إلى جانب الوعي السياسي، ويعد الملصق السياسي ذو طابع فكري سياسي موجه يشمل الإحداث السياسية ويعمل على تجسيد الأفكار والشعارات ويكون فاعلا بقدر معين من التأثير لدى المتلقي واستقطابه حول موقف وفكرة معينة(٢٦).

٢- <u>**الملصقات الإرشادية :-**</u> وهي الملصقات التي تتعلق بالأفكار والخدمات والمنشات المعروضة للجمهور الذي لايعرف شيئا عنها مثلا : الدفاع المدني، المرور، الداخلية، والقطاع الصناعي والزراعي، والشؤون الاجتماعية، وتتمثل وظيفة الملصق الإرشادي بأنها تمد الجمهور بالمعلومات التي تيسر له الحصول عليها عن طريق الملصق لغرض اتخاذ تدابير احترازية من الزلازل والحرائق والأوبئة والفيضانات والكهرباء والماء وغيرها(٢٧).

٣- <u>**الملصقات الدعائية :-**</u> وهي التي تستخدم للدعاية السياسية او لسلعة تجارية او صناعية والترويج عنها في الأسواق والأماكن العامة والطرق الخارجية والهدف

منها هو الربح وقد استخدمت الملصقات الدعائية للمرشحين كسب أصوات الناخبين عن طريق أظهار المرشحين لصورهم ولبرامجهم الانتخابية وقد ظلت الملصقات الدعائية تلعب دورا في كسب الجمهور سواء كان سياسيا او اجتماعيا او ثقافيا[٢٨].

٤- **الملصق التعليمي** :- ويستخدم في مجال التربية والتعليم والتجارة ووظيفته تعبر عن سلوك المتعلم نتيجة تفاعله مع تلك الملصقات وللملصق التعليمي أهداف تعليمية وتربوية واجتماعية ثقافية وترفيهية، كما يستخدم في وسائل الإيضاح عند التدريس في المراحل الدراسية كافة[٢٩].

٥- **الملصقات الثقافية والفنية** :- وهي تلك الملصقات التي تصدر عن المؤسسات الثقافية والإعلامية والتي تعطي للجوانب الثقافية والإعلامية والفنية أهمية كبرى عن طريق الملصقات ومن أهدافها تغطية الفعاليات والمهرجانات الثقافية عن طريق عرضها في المعارض .

٦- **الملصقات السياحية** :- وهي الملصقات التي توظف للدعاية السياسية لإبراز نشاط المرافق السياحية التي يتضمنها الموقع السياحي سواء كان اثريا او دينيا وإعطاء انطباع مؤثر عن الخدمات التي تقدمها الجهة المعلنة وإيصال صورة الواقع السياحي عن تلك المواقع التي لا يستطيع المشاهد الوصول أليها[٣٠].

٧- **الملصقات التجارية** :- وهي الملصقات التي تخلق في أذهان الجمهور صورة للجهة المعلنة وابرز تصميم الشعار الذي يمثل المنتوج كالأجهزة والمعدات والسيارات والديكورات والإكسسوارات والعطور والملابس والمنتجات الغذائية والأجهزة الطبية وأجهزة الاستخدام المنزلي، ويعمل الملصق التجاري على إعداد الثقة بالمنتج وجدب انتباه المستهلك إلى تلك السلعة وإبراز فوائدها والأغراء به لشرائها .

خصائص الملصق ومميزاته :-

للملصق ألجداري خصائص عدة ويمكن إيجازها بالاتي :

١- **الإيجاز** :- كلما كانت عناصر الملصق التبغرافية مختصرة ومركزة ومطبوعة بأحرف كبيرة وبلغة مفهومة من قبل المستقبل (المتلقي) للرسالة الدعائية تمكن

المتلقي من التركيز والإدراك والفهم بسرعة لان الملصق يتطلب قراءة سريعة ربما تكون بثواني معدودات[٣١].

٢- **البساطة** :- على الملصق الدعائي أن يكون ذا تعبيرات بسيطة سواء كان ذلك باستخدام الرموز والحركات والدلالات وحتى الصور وان لأتكون متداخلة فيما بينها وان تعبر عن الأفكار بصورة بسيطة يتفهمها المجتمع بكل طبقات ولا تكون مشوشة في فضائياتها ومتداخلة في عناصر بنائها .

٣- **القراءة** :- على المصمم او المرسل جذب انتباه وشد البصر باتجاه الملصق عن طريق طرح مضمون منفرد او فكرة جديدة او عن طريق الحجم والمكان الذي يعرض فيه ملصقاته ومن الملاحظ أن الملصق ألجداري يتبع نظاما تقييما موجه إلى المتلقي الهدف منه إيصال الرسالة الدعائية التي غالبا ما تكون ذات هدف واحد وفكرة واحدة .

٤- **مميزات الملصق** :- أن أهم ما يميز الملصق انه ذا مضمون فكري ونفسي واجتماعي يجسد الأفكار والشعارات والرموز في كل حقبة تاريخية وعلى هذا الأساس تميز الملصق بصفات عدة مميزة عن بقية وسائل الاتصال[٣٢].

١- **الملصق وسيلة سهلة الاستخدام والنقل** :- حيث يمكن أن تثبت او توضع في الأماكن الملائمة او المستهدفة مما يسهل عملية الوصول إلى المستقبل لغرض التأثير او الإقناع.

٢- **الملصق يوصل المعلومات التي من الصعوبة إيصالها** :- بواسطة الوسائل الاتصالية الأخرى لذا عد الملصق وسيلة على الرغم من انه لا يكون محددا بزمان ومكان معينة او مطلق .

٣- **يعد الملصق وسيلة اتصالية بصرية سريعة التلقي** :- تتماشى ومتطلبات العصر سواء في استلام او تفسير أي فكرة او رمز.

٤- **بما أن الملصق وسيلة حضارية** :- وذلك باستخدامه للإغراض والأهداف المختلفة منها الدعائية، السياسية التوجيهية، الإعلانية، التعليمية، السياحية، الثقافية .

المبحث الثاني

العناصر التبوغرافية في تصاميم الملصقات الجدارية

أولا : العنوان .

ثانيا : الصور والرسوم والتخطيطات .

ثالثا : الشعار.

رابعا : الأسس النفسية لتأثيرات الملصق الدعائي الانتخابي .

المبحث الثاني

العناصر التبوغرافية في تصاميم الملصقات ألجداريه

مُقَدِّمَة

يعد الملصق فنا" شعبيا" ذا مخزون أيديولوجي وحضاري يعتمد على اللغة التصورية كوسيلة نقل واتصال وتأثير عن طريق لغة موجزة ذات مفردات محددة ومعبرة عن الحدث الذي يجسد فيها كالصورة والألوان والعناوين والشعارات السياسية والملصق الدعائي يوظف الكثير من الرموز والحركات التي تنقل رسالة صامتة تسعى إلى مخاطبة البصرية وتهدف إلى أن يكون لها تأثير قوي مما يوجه الأنظار تجاه تلك الرسالة البصرية المقصودة[٣٣].

أولا : العنوان Title :

يعد العنوان عنصرا" تبوغرافي"ا أساسيا" في بناء الملصق وتحديد هيكله العام وتتفاوت أهميته تبعا لنوع الموضوع، فضلا" عن انه يسهم في التعريف بطبيعة الملصق وبمحتواه ويظهر العنوان على أنواع منها الرئيسية والثانوي (الفرعي) ويكتب بشكل موجز وواضح لغرض سهولة استيعابه بسرعة لإبراز معطيات المضمون بصورة مختصرة، وتلعب العناوين عن طريق سمك حروفها وألوانها دورا" كبيرا" في تحقيق الهدف الدعائي والاتصالي للملصق[٣٤]، ويمكن إيضاح ذلك من خلال جدول الأتي .

جدول رقم (١) يوضح عدد الكلمات التي يحتويها العنوان المميز

ت	عدد الكلمات التي يحتويها المضمون	نسبة من قرؤوا العنوان
١	من ١ – ٣	٣، ٨٧%
٢	من ٤ – ٦	٢، ٨٦%
٣	من ٧ – ٩	٨٤%
٤	من ١٠ – ١٢	٥، ٨٢%
٥	أكثر من ١٢	٩، ٧٧%

- **الجدول، نقلاً عن عزا لدين شموط:لغة الفن التشكيلي وعلم الإرشادات البصرية**

يتضح من الجدول الأنف الذكر أن العنوان القصير من ١-٣ كلمات يتمتع بأعلى نسبة وذلك لسهولة قراءته ولكن هناك عوامل لها اثر كبير على القراءة مثل الشكل واللون والحجم.

كما تصنف العناوين أما حسب الشكل آو المضمون وكما يلي :

١- العناوين حسب الإشكال:

أ - **العنوان الاستفهامي** :- يصاغ بشكل سؤال لجذب انتباه المتلقي وتشجيعه الإقبال نحو الملصق.

ب - **العنوان بشكل آمر** :- وتوجه المعلومات فيه إلى الجمهور المستهدف بشكل أمر مثلا (انتخب القائمة رقم كذا) .

ج - **العنوان الفضولي** :- يعتمد هذا العنوان على استخدام كلمة واحدة او جملة غير كاملة بهدف أثارة فضول المتلقي ودفعه إلى محاولة معرفة الإجابة او الشرح المطلوب عن طريق الملصق .

٢- العنوان حسب المحتوى :

يمكننا أن نلاحظ أن العنوان حسب المحتوى يتخذ الأشكال الآتية :-

أ - **العنوان المحدد للهوية** : يصمم لتحديد اسم الجهة او المؤسسة او الكيان الذي يصدر الملصق .

ب - **العنوان الوظيفي**: يركز على أبراز المنافع المترتبة على اعتماد مسلك توجيهي او أرشادي.

ج - **العنوان الإخباري** : ويعد مدخلا مباشرا ذا صيغة خبرية تركز على الجديد في المعلومات بحيث ترفع المتلقي إلى المتابعة .

د - **العنوان الانتقالي** : وهو العنوان الموجه إلى فئة معينة وليس للأفراد كلهم كونه يستهدف قطاعا معينا من المتلقيين[٣٥].

ثانيا : الصور والرسومات والتخطيطات :-

١- **الصورة** : اعتاد الإنسان منذ القدم إن يعبر عن أفكاره ومشاعره بالرسوم والصور حتى بعد اختراع الكتابة، إذ تعتبر الصور والرسم لغة عالمية تجد طريقها إلى العقل بسهولة ويفهمها الجميع على مختلف مستوياتهم الثقافية والفكرية والصورة عنصر تبوغرافي مهم في بناء الملصق أيا كان شكله او حجمه او طريقة أخراجه،وأكدت الأبحاث أن قيمة الملصقات المصورة ازدادت قدرتها على جذب الانتباه عن الملصقات غير المصورة بمقدار ٥٠ %[٣٦].

أنواع الصور:

أ - **الصورة الخطية** :- وهي الصورة الخالية من الدرجات الظلية المتباينة باستثناء احتوائها على الخطوط.

ب - **الصورة الظلية** :- تحتوي على درجات ظليه مختلفة حيث تحول الصور الطباعة باستخدام الشكل لتوليد تجزئة الظلال المتدرجة من الظل إلى النور على أصل الصور الفوتوغرافية وبشكل دقيق .

٢- **الرسوم والتخطيطات** : يشار إلى الرسوم عادة باسم الإيضاحات إذ تحتوي نسبة كبيرة من الملصقات على الرسوم لأنها تستخدم العديد من الأغراض[٣٧].

ويعد التخطيط نوعا" من التعبير الفني الذي يستند على الرسم بقلم الرصاص او الفحم او الريشة ويمتلك درجة لونية قليلة[٣٨].

٣- **وظيفة الصور والرسوم في الملصق الدعائي:-** أن فعالية أي تتأثر تأثيرا ملحوظا باستخدام الصورة والرسوم وذلك لأنها تؤدي دورا وظيفيا ونفسيا هادفا عن طريق[٣٩] ما يأتي :

أ- إضفاء المصداقية على الملصق .

ب - دعم المعاني الواردة في النص وتوسيعها :- بشكل يفهم الرؤية البصرية وإظهار الفكرة بشكل مادي ملموس .

ج- أحداث تأثير عاطفي واستجابة سريعة : بتقريب الفكرة للمتلقي عن طريق صورة الحدث والموضوع .

د- جذب انتباه الغالبية العظمى من المتلقيين إلى الملصق الدعائي وحسب نوعية الجمهور الذي يستهدفه للوصول أليهم أي أن الصور والرسم تستطيع وظيفيا أن تحدد نوعية المتلقين.

و – تقوم الصورة والرسوم بعملية الاتصال البصرية :– بدرجة كفاءة أعلى من الكلمات التي يتكون منها النص الكتابي[٤٠].

ثالثا : **الشعار** :

الشعار في معجم أكسفورد (عبارة مؤثرة يسهل تذكره ويستخدم للإعلان والترويج لبعض الأشياء او لتوضيح أهداف جماعة او منظمة)[٤١]، والشعار كما عبر عنه الدكتور علي حسين طوينه هو (رسالة اتصال تجد في عبارة موجزة لا ليس فيها ولا مضمون يعبر عن فكرة او قضية او موقف او رأي يتعلق بالشأن السياسي او أي كان حدوده الجغرافي أيا كانت موضوعاته او قضاياه وترمي إلى التأثير على الجمهور المستهدف لتحقيق غايات سياسية محددة[٤٢].

رابعا : **الأسس النفسية لتأثيرات الملصق الدعائي الانتخابي**:

تدل الدراسات في ميدان علم النفس على أن الملصق الدعائي الناجح هو الذي يحقق الهدف الذي من اجله صمم وتم إيصاله إلى الجمهور المستهدف لكي يفي بفرضه هذا ما يأتي عن طريق تضافر الجهود وفق المميزات الآتية :–

١– جذب الانتباه	Arrest Attention
٢– أثارة الاهتمام	Arouse Interest
٣– تحفيز الرغبة	Create Desire
٤– الاستجابة	Response
٥– تدعيم الأفكار	Backing Ideas

الملصق الدعائي الناجح هو الذي يستطيع أن يجذب انتباه الناخبين ويثير اهتمامهم حول الموضوع المطروح ويخلق لديهم الرغبة في مضمون الفكرة والإقناع بها، ثم الاستجابة لها وتدعيمها، والفكرة هي الأساس في عملية الاتصال، إذ أن الملصق الدعائي الانتخابي الناجح هو ليس مجرد مجموعة من الصور والرموز والشعارات والنصوص والحركات التي تم تنسيقها وإخراجها من قبل المصمم بشكل متناسق بل هي أفكار مطروحة عن طريق دراسة خصائص واحتياجات الوسيلة الإعلامية[٤٣].

المبحث الثالث
الدعاية الانتخابية مفهومها والتخطيط لها ووسائلها وأساليبها

أولا : الدعاية الانتحابية

١–مفهوم الدعاية الانتخابية

٢–تعريف الدعاية الانتخابية

ثانيا : أساليب ووسائل الدعاية

١–الأساليب الدعائية عبر المراحل التاريخية

٢–وسائل الدعاية

ثالثا : العلاقة بين وسائل الأعلام والعملية الدعائية

المبحث الثالث

الدعاية الانتخابية الوسائل والأساليب

أولاً" : الدعاية الانتخابية:

١- مفهوم الدعاية الانتخابية :-

يعود مفهوم الدعاية الانتخابية بمعناه الحديث إلى بداية الاختلاط بين الدعاية والإعلان ولكن أيهما وليد الأخر، فالدعاية التي كانت تنظم كما يذكر يوليس قيصر او شارلمان او لويس الرابع عشر لم تكن في مجملها غير (إعلان شخصي) يقوم بـه الشعراء والرسامون التاريخيون ورسامو الأشخاص فيطلق على عملية الدعاية الانتخابية (السوق السياسي) إذ يعامل المشرح معاملة السلعة التي يراد تسويقها حتى تثبت في الأذهان إذ أن النجاح في الانتخابات أنما هو تتويج لحملة إعلامية ناجحة تبدأ بدراسة السوق السياسي عن طريق البحث والاستقصاء واستطلاعات الرأي المتعددة في أوساط المشرحين والأحزاب(٤٤).

مفهوم الدعاية الانتخابية اشمل وأوسع من اصطلاح الحملة الانتخابية بما يتبادل إلى الذهن أن اللفظ بالنسبة للحملة الانتخابية قد ينحصر على الانتخابات وان الدعاية الانتخابية تدرج في مضمونها كل من الانتخابات والاستفتاء(٤٥).

- تعريف الدعاية الانتخابية :

- تعرف حسب علماء اللغة والقانون والاجتماع والنفس والعلوم السياسية والصحفيين نجد أنهم يتفقون على أن الدعاية (فن التأثير والممارسة والسيطرة والإلحاح والتغير والترغيب او الضمان لقبول وجهات النظر او الآراء والأعمال او السلوك).
- عرفها الباحث (نورمان جان باول) : الدعاية هي نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الفكر او السلوك او كليهما معا(٤٦).
- تعريف حامد عبد السلام زهران : الدعاية الاستعمال المخطط لأي نوع من الأنواع وسائل الإعلام يقصد التأثير في العقول وعواطف جماعة معينة او صديقة لغرض استراتيجي او تكتيكي(٤٧).

جدول رقم (٢)

دور الملصقات الجدارية في حملات الدعاية للانتخابات
مجلة اداب الفراهيدي العدد الخاص بالمؤتمر الثالث
العدد (١) السنة الأولى كـانـون الأول ٢٠٠٩

يبين تصنيفات الأساليب الدعائية في نظر الخبراء

ت	جان ماري دومیناك	معهد تحليل الدعاية الأمريكية	براون وهولستي	وايت وشارلس
١	التبسيط	- أطلاق قوالب جامدة - قاعدة أطلاق الشعارات البراقة	- استخدام القوالب النمطية - أطلاق التسميات - الإحباط كبش الفداء	- جذب الانتباه وربط المسايرة بالرسالة الدعائية - الوضوح أطلاق التسميات
٢	التضخيم والتشويه	- الحشد الانتقائي - الاختيار والتشويه وتغير الحقائق والأرقام	- الاختيار - الحزن في الطرح ومستوى الجمهور المتلقي - الحشد الانتقائي للواقع	- المبالغة والكذب - القابلية للتصديق - الكذب - عرض القضايا على أية حقيقة - التجاهل
٣	التوزيع	–	التكرار	التكرار
٤	التحويل	التحويل	التحويل	التلميح والغمز
٥	الإجماع والعدوى	- الإجماع من الناحية الكمية تأثير الغالبية وعربه الجوقة - الإجماع من الناحية الكيفية تأثير المكان الشخصية اللامعة	- اللحاق بالركب الكمي - الدلالة بالاقتران كيفي	- استخدام العاطفة وغريزة القطيع كمي - الاعتماد على مصدر موثوق كيفي
٦	التبسيط التحويل + الإجماع العدوى	البساط الدهائية	مستوى الجمهور المتلقي	التشخيص

● الجدول نقلاً عن حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي .

ثانيا : أساليب ووسائل الدعاية:

١- الأساليب الدعائية عبر المراحل التاريخية :

عرفت النشاطات الدعائية بأنها قديمة قدم المجتمعات البشرية وان تعبير الآراء والقناعات عند الإنسان هي الأخرى قديمة قدم التاريخ نفسه وربما يعدها بعض المؤرخين أقدم من التاريخ المسجل للبشرية .

فقد وضع العراقيون القدماء قواعد وأسس للدعاية التي استخدموها في حروبهم معتمدين على الفعل القتالي فمارس الأشوريون النشاط الدعائي للتأثير على معنويات أعدائهم فيما برع الفراعنة في إتقان فنون الأعلام والدعاية أثناء الحرب يماثلهم في ذلك الصينيون القدماء الذين استخدموا أسلوب التسعير بالخصم وهو نوع من أنواع الدعاية يسبق بدا الحرب الفعلية(٤٨).

حيث نجد المفكر الصيني (صن تزو) قد أوصى في كتابه (فن الحرب) في القرن الخامس قبل الميلاد بضرورة استعمال الأبواق والطبول على نطاق واسع أثناء القتال ليلا". كما أوصى (تزو) بنشر قصص الخداع وهو ما يسمى اليوم (بإستراتيجية الرعب) ونجد أن فكرة دعاية الفعل موجودة أيضا من القدم إذ يتجلى ذلك في اغتيال قادة العدو (٤٩).

وهكذا واصل التقدم التقني للدعاية تطور مع مرور الوقت مستفيدة من بروز الصحافة بعد اختراع الطباعة، وقد حققت الدعاية نجاحا في تنوع أساليبها على مر العصور مستفيدا من التطور الهائل في تكنولوجيا التقنيات .

وقد بدأت أولى المحاولات في تحديد الأساليب الدعائية لمعهد تحليل الدعاية الأمريكية الذي انشأ عام ١٩٣٩، وقد وضع القواعد الأسلوبية المعروفة باسمه ثم تلت ذلك محاولات الفرنسي (جان ماري دومنياك) ثم العالمان (براون وهولستي) وأخيرا صياغات (وايترالف وسيمنس شارلس) التي تعد من بمجموعها المحاولات العلمية الفنية الرائدة بعيدا عن الانطباعات الشخصية والمفاهيم والقيم الأيدلوجية وكما مبين في جدول (٢) .

ثالثا :- العلاقة بين وسائل الأعلام والعملية الدعائية :

أكدت الدراسات الحديثة أن وسائل أعلام لها دور أساسي في العمليات الانتخابية والحملات الدعائية، فالمرشحون السياسيون الذين يسعون إلى التأثير على الناخبين يستخدمون في وسائل الأعلام مهاراتهم اللغوية في تقديم المعلومات التي تتعلق ببرامجهم الانتخابية، فوسائل الأعلام هي انعكاس للبيئة السياسية أي أنها مرآة للأحداث والصراعات والتفاعلات المحلية والإقليمية ووسائل الأعلام تستخدم التكنيكات الدعائية لحث الناس على تكوين اتجاه او اتخاذ نمط سلوكي معين وتنطوي ذلك على معلومات او حكمة عميقة او تعبير عن معانات او تشير إلى توتر او صراع(٥٠).

أصبحت الوسائل الدعائية ذات مستوى عال من التأثير والفعالية لم تصله أي مرحلة سابقة من تطور العلاقات الدولية، وتعد الدعاية من سمات العصر البارزة إذ أطلق على القرن العشرين قرن الدعاية، فالدعاية سلاح قوي يتميز بأهميته وتأثيره الذي لا يقل خطرا على أسلحة الفتك والدمار الشامل بمعنويات العدو، وخلق حالة من الإرهاب النفسي والاندحار المعنوي وزعزعة الثقة بالنفس، فالكلمة والصورة من اخطر وأسرع وسائل الإعلام تأثيرا في الجماهير، فأن الأعلام وما يرتبط بيه من وسائل ومضامين وأدوات توثر في التغيير السياسي وذلك بتطوير القيم والمعتقدات السياسية في أطار الاتجاه الذي يحول الناخب من اتجاه إلى أخر(٥١).

الوظيفة السياسية للأعلام تتصل بشكل وثيق بما يجري على الساحة من متغيرات وتحديات، ويستخدم فيها الأعلام سلاحا مؤثرا وهذا أما تستثمره الأحزاب للعمليات الانتخابية عن طريق الشبكات الإذاعية والتلفازية الصحافة الالكترونية والملصقات المرئية .

النتائج والاستنتاجات:

١- أن أكثر الوسائل شيوعا في الدعاية الانتخابية بعد الوسائل المرئية هو الملصق ألجداري .

٢- أن معظم الملصقات تخاطب الناخبين بأسلوب الترغيب .

٣- جذب شد انتباه الناس (الناخبين) بصورة الناخب وتنسيق الفني في التصميم .

٤- استخدام العبارات الجذابة لشد الناخب للملصق وشعارات الوطنية .

٥- أن معظم الملصقات الدعائية الانتخابية تعد بالدرجة الأولى على الاستمالات العاطفية .

٦- أن أحجام الملصقات الدعائية مختلفة منها العمودية او الأفقية حيث توفر مساحة تصميمية جيدة ورؤية نموذجية للناخب.

التوصيات:

١- العناية الفائقة بالعبارات التي تستخدمها الملصقات كونها تؤثر في المتلقي (الناخب).

٢- يمكن إن تحدد الجهات الرسمية أي المفوضية العليا للانتخابات احجام الملصق.

٣- تحديد أماكن لصق الملصقات الجدارية الدعائية إثناء الحملات الانتخابية .

٤- الاهتمام بالإخراج الفني والتصميمي للملصق من حيث التوزيع للصورة والكلمة.

الهوامش:

(١) **حميد جاعد محسن الدليمي :-** أساسيات البحث المنهجي – بغداد : شركة الحضارة، ٢٠٠٤، ص ٣٤.

(2) Bevlis Hillier : Posters .New York . 1970 .p-13.

(٣) **عادل كامل :** مسيرة الفن بعد عشر سنوات من الثورة حملة أفاق عربية العدد ١١، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٨، ص ٢٣.

(٤) **خليل صايات :** الإعلان تاريخه وأسسه وفنونه، ط ١، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٦، ص٢٤.

(٥) **علي طالب حميدي :** القدرات التصميمية للملصق، وسائله وإنتاجه وأهدافه الإعلامية، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة حلوان، كلية الفنون التطبيقية، ١٩٩٨، ص٧٦.

(٦) **توماس مونرو:** التطور الفنون ج٣، ترجمة محمد علي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٢، ص١٨.

(٧) **احمد بن علي بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي:** مختار الصحاح، زينة محمود خاطر، القاهرة، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ٨٩٨٣ ص ٥٩٧ .

(8) Maurice Richairds the Riseand of the Poster New York–1974 p-16.

(٩) **خليل إبراهيم الو اسطي:** المقامين الفكرية وعناصر التصميم الفني للملصقات السياسية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجملية، ١٩٨٧.

(10) Waves Hillier Posters New York 1974-p -124.

(١١) **ضياء العزاوي:** فن الملصقات في العراق- بغداد – وزارة الأعلام – السلسلة الفنية ٦٢– مكتبة الآداب – ١٩٧٤.

(١٢) **يوسف مرزوق :** مدخل إلى عملية الاتصال، الإسكندرية، دار معرفة الجامعية، ١٩٨٨، ص ٣١.

(١٣) **يوسف مرزوق :** المصدر نفسه، ص١٩٥ / ١٩٦.

(١٤) **احمد بدر :** الاتصال بالجماهير بين الأعلام والدعاية والتنمية، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٤، ص٥٧ .

(١٥) **محمد عبد الجبار** : الاتصال في مجالات الإبداع الفني والجماهيري، القاهرة، بدون دار نشر،١٩٩٩، ص٣٥.

(١٦) **يوسف مرزوق** : مصدر سابق، ص ١٩٨.

(١٧) **محمد حمدان مصالحة** : الاتصال السياسي مقترب نظري وتطبيقي، عمان، دار وسائل للنشر، ١٩٩٤.

(١٨) **إبراهيم او عرقوب** : الاتصال السياسي ودوره في التفاعل الإبداعي، عمان، دار المجدلاوي، للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص٢٧.

(١٩) **محمد حمدان مصالحة** : الاتصال السياسي، مصدر سابق، ص٢٧.

(٢٠) **محمد عبد الجبار** : الاتصال في مجالات، مصدر سابق، ص٨٣.

(٢١) **يوسف مرزوق** : مصدر سابق، ص٢١.

(٢٢) **تويلر ناثان** : حوار الرؤيا، مدخل إلى تذوق الفن والتجربة الجمالية، ترجمة خليل، مراجعة جبرا إبراهيم جبرا، ج١، ط١، بيروت،١٩٩٢، ص٧٠ .

(٢٣) **عبد الجبار منديل**:الإعلان بين النظرية والتطبيق، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٩، ص١٢٧.

(٢٤) **توماس مرنو** : التطور في الفنون، مصدر سابق، ص٥٧.

(٢٥) **عبد الجبار منديل** : الإعلان بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ١٧٧-٢٢٠.

(٢٦) **خليل إبراهيم الو اسطي** : مصدر سابق، ١٩٧٨، ص٢٤.

(٢٧) **عساف محمود** : أصول الإعلان، القاهرة، دار النشر العربي، بلا سنة نشر، ص٣٠.

(٢٨) **ضياء العزاوي** : مصدر سابق، ص ٦٤ .

(٢٩) **عبد الجبار منديل** : مصدر سابق، ص٢٨.

(٣٠) **سمير محمد حسين**: فن الأعلام في الصحافة، القاهرة، بلا دار نشر، ١٩٧٧، ص٥.

(٣١) **عبد الجبار منديل** : الإعلان بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص٢٨.

(٣٢) **نصيف جاسم محمد**: مدخل في التصميم الإعلاني، بغداد، وزارة الأعلام،٢٠٠١، ص٦٨.

(٣٣) **عز الدين شموط** : لغة الفن التشكيلي وعلم الإرشادات البصرية، ط١، الأردن، جامعة البنات الأردنية، ١٩٩٣، ص١٦٥.

(٣٤) **انتصار رسمي موسى** : أخراج وتصميم الصحف العراقية من عام ١٩٨٢- ١٩٩٣ – أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الأعلام،١٩٩٨، ص١٩.

(٣٥) **سمير عبد الرزاق العبدلي**: الترويج الإعلاني، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٣.

(36) **Hotch Kiss :** Anout Line advertising New York - P-361.

(٣٧) **يوريس بيوتوفسكي** : الإنسان وعمله، ترجمة الدكتور : ممدوح عزمي، موسكو، دار نشر نوفوسيتي، ص١٦.

(٣٨) **محمد عارف** : فن الرسم اليدوي، ط٢، منشورات دار الثقافة العامة، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٣.

(٣٩) **طارق مصطفى أبو بكر عثمان**: الرسوم والتخطيطات في الصحف العراقية وعلاقتها بالتصميم،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الفنون الجميلة، ١٩٩٧، ص١٦.

(٤٠) **احمد زكي صالح** : علم النفس في الإدارة الصناعية، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة نشر، ص ٤- ٧.

(41) A . S . Hornty – Oxford Adranced Learners Dictionary Of Current Englishm Oxpord anirersity Press-London – 1974 – p 825.

(٤٢) **علي حسين طوينه** : الشعارات السياسية، دراسة وصفية للشعارات السياسية غير موقعة في مدينة بغداد، بحث غير منشور، ٢٠٠٣، ص٣.

(٤٣) **خليل إبراهيم الو اسطي** : مصدر سابق، ص ٣٥.

(٤٤) **عمر حلمي فهمي** : الانتخاب وأثره الحياة السياسية والحزبية، مصدر سابق، ص٢٣٧.

(٤٥) **رمزي الشاعر** : النظرية العامة لفنانون الدستوري، ط3، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣.

(٤٦) **نقلا محمد عبد القادر حاتم** : الإعلان والدعاية نظريات و تجاري، القاهرة، دار الفكر العربي، بلا سنة نشر.

(٤٧) **حامد عبد السلام زهران**: علم النفس الاجتماعي، ط٣، القاهرة، دار نافع، ١٩٧٤، ص١٣١.

(٤٨) **سعد سلمان المشهداني** : الدعاية الصهيونية في العراق، ١٩٢١ – ١٩٥٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠١، ص٤٨.

(٤٩) **سعد سلمان المشهداني** : مصدر سابق، ص٥٠ .

(٥٠) **سمير محمد حسين** : فن الأعلام في الصحافة، مصدرلسابق ، ص ٣٠.

(٥١) **محمد عبد الجبار** : الاتصال بالجماهير، مصدرلسابق، ص ٢٥ .

المصادر:

أولا : الكتب العربية:

١- **احمد بن علي بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي** : مختار الصحاح (زينة محمود ظاهر)، القاهرة، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٣ .

٢- **احمد بدر** : الاتصال بالجماهير بين الأعلام والدعاية والتنمية، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٤ .

٣- **احمد زكي صالح** : علم النفس في الإدارة الصناعية، القاهرة، دار النهضة العربية بلا سنة نشر .

٤- **حامد عبد السلام زهران:** علم النفس الاجتماعي، ط٣، القاهرة، دار نافع، ١٩٧٤.

٥- **خليل صابات:** الأعلام تاريخه وأسسه وفنونه، ط١، القاهرة، المكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٦.

٦- **رمزي الشاعر:** النظرية العامة للقانون الدستوري، ط٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣.

٧- سعد سلمان المشهداني : الدعاية الصهيونية في العراق، ١٩٢١- ١٩٥٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠١ .

٨- **سمير عبد الرزاق العبد لي** : الترويج والأعلام ، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٣.

٩- **سمير محمد حسين** : فن الأعلام في الصحافة، القاهرة، بلا دار نشر، ١٩٧٧.

١٠- **عادل كامل** : مسيرة الفن بعد عشر سنوات من الثورة، مجلة أفاق عربية، العدد ١١، بغداد، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٧٨.

١١- **عبد الجبار منديل** : الإعلان بين النظرية والتطبيق، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٩.

١٢- **عزالدين شموط** : لغة الفن التشكيلي وعلم الإرشادات البصرية، ط١، الأردن، جامعة البنات، ١٩٩٣.

١٣- **عساف محمود** : أصول الأعلام القاهرة، دار النشر العربي، بلا سنة نشر .

١٤- **علي حسين طوينه** : الشعارات السياسية، دراسة وصفية للسفارات السياسية غير موقعة في مدينة بغداد، غير منشور، ٢٠٠٣.

١٥- **عمر حلمي فهمي** : الانتخاب وأثره في الحياة السياسية والحزبية، جامعة عين الشمس، دار الثقافة الجامعية، ١٩٨٨.

١٦- **محمد حمدان مصالحة** : الاتصال السياسي دورة في التفاعل الإبداعي، عمان، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣.

١٧- **محمد عارف** : فن الرسم البدوي، ط٢، منشورات دار الثقافة العامة بغداد، ١٩٨٥.

١٨- **محمد عبد الجبار** : الاتصال في مجالات الإبداع الفني والجماهيري، القاهرة، بدون نشر، ١٩٩٩.

١٩- **هناء العزاوي** : فن الملصقات في العراق، بغداد، وزارة الأعلام، السلسلة الفنية ٦٢، كلية الآداب،١٩٧٤.

٢٠- **يوسف مرزوق** : مدخل إلى عملية الاتصال، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨.

ثانيا : **الاطاريح والرسائل الجامعية**:

١- **على طالب حميدي** : القدرات التصميمية للملصق وسائله وإنتاجه وأهدافه الإعلامية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة حلوان، كلية الفنون الجميلة، ١٩٨٧.

٢- **انتصار رسمي موسى** : أخراج وتصميم الصحف العراقية، من عام ١٩٨٢ – ١٩٩٣، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)،جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الأعلام ، ١٩٩٨.

٣- **طارق مصطفى أبو بكر عثمان** : الرسوم والتخطيطات في الصحف العراقية وعلاقتها بالتصميم رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ١٩٩٧ .

٤- **خليل إبراهيم الواسطي** : المضامين الفكرية وعناصر التصميم الفني للملصقات السياسية في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة حلوان، كلية الفنون التطبيقية، ١٩٩٨.

ثالثا : **المصادر الأجنبية**

1- Berlis Hiller Posters New York .1970 . P.13.
2- Maurice Richairds. The Riseand Of Poster .New york .1974 .p 16.
3- Waris Hillier .Poster .New york . 1974 . p124 .
4- A.S.Hornly- Oxford Adranced Learners Dictionary Of Current Enghish . Oxpord unirer sity press – London – 1974 – p 825.

The Use of Drama as a Mean of Criticism

Ansam Riyadh Al-Maaroof
College of Education
University of Tikrit

Abstract

This Paper, handles one of the recently written and performed Arabic plays, Yamama Bida (2007), a play written by Gamal Bekheit, directed by Hosam Aldeen Salah and performed on the stage of Al-Salam theatre in Cairo, its plot is derived from another Arabic context, 'Awdat Al-Ruh. The paper examines the new play as a critical text about the old one. In addition to these Arabic works, the paper presents two English plays one of them is built upon the other. The first is one of the most popular plays in modern English theatre, Rosencrantz and Guildenstern Are Dead written by Tom Stoppard who uses the story of another play too, Hamlet with special changes to present a work fits modern age rather than Elizabethan age. The paper examines how Stopper’s play can be regarded as a critical text built upon the original Hamlet. Throughout the examination, the paper concludes that there are many such plays which can be used inside the class to enhance the students’ critical comprehension and how drama can be used as a mean of critical process.

Yamama Bida (2007), a play written by Gamal Bekheit, directed by Hosam Aldeen Salah and performed on the stage of Al-Salam theatre in Cairo can be seen as a critical commentary text on Tawfiq El-Hakim's quasi- autobiographical novel, 'Awdat Al-Ruh (Return of the Spirit) (1927). Bekheit tries to present a contemporary version of the original text that fits the twenty-first

century Egyptian society that reflects their social crises and touches modern man's soreness. In this experience Bekheit gives the audience a new adaptation of an old novel to help them identify their own social dilemma and confront their reality. Of course, to inspire their ability to change the undesired circumstances.

يمامة بيضاء..؟

يمامة بيضاء ومنين أجيبها..!!

طارت يا نينة عند صاحبها..!!

وخطفها البلبل وطار وياها..!!

أصله يا نينة يعرف لغاها..!![١].

The title of the play is derived from the above lovely poetry which is written in the Egyptian dialect. The playwright's choice of the opening verse of Dawood Husni's popular 1920s' song, Yamama Bida, "A White Dove" perhaps to indicate the time period of the original text's action: the 1920s and 1930s. What is distinctive regarding this poetry is the nice objective attitude the deceived lover had towards his unfaithful beloved. Though his beloved left him alone, he found an excuse for her unfaithfulness. He said that she left him for the sake of another lover who could understand her. He flew with her, i.e. they had many things in common and they were alike in appearance as well as in spirit. This is absolutely rare in this lover's situation, i.e. his understanding for the motivations of his beloved.

White dove is a very rare kind of dove which has a distinctive voice, "to coo" that carries a combination of sadness with satisfaction and peace. This combination is the same of that which Egypt has as Bekheit indicates in Yamama Bida, the play, i. e. Egypt is not happy but it is still satisfied with its fate, and lives in peace. The playwright uses the image of the white dove

to symbolize Egypt for its uniqueness and having the combination of sadness with satisfaction and peace. The unfaithfulness is towards her lovers, its people, the Egyptians. The playwright suggests that Egypt is no more faithful but to its rulers because they have the power to deal with its wealth and fortunes and thus govern its fate. Nevertheless the real lovers: the people, are unable to have their opportunity of good living in their country.

Another perspective is suggested by Mahir Hassan in his essay, "Yamama Bida: a lot of singing and politics, a little of theatre" published in Al-Arabi newspaper no. 1094, he says that the white dove is a symbolic objective correlative of all the precious values such as egalitarianism, freedom, justice, nationalism, and love(2). The political critical aspect in the new text is very obvious especially in the song:

"يا عم بيع .. ما هي متباعة .. وحياتنا عملوها بضاعة ..
باعوا الكتـــاب والكـــلية .. باعوا الخيال والحرية..
باعوا سيرتنا الهلالية .. باعوا الدوا والشجاعة ..
بـاعـوا هـوانـا ومــصــانـعـنـا ..
حتـى قـمـرنـا اللـي آسـرنـا
خطفوه أولاد البياعة"...(٣).

The above song has been added to the new text of the play as a reaction to the government's decision of sailing the public properties. Hence, the playwright criticizes this decision in this literary text by adding an additional poem making the new text more reflective to the undesired circumstances. What Bekheit does in his play is helping the audiences confront their reality to imply the idea of reformation by using an old text in a new, modern and critical form though not in a highly esteemed way because in this new adaptation:

Bekheit kept the plot, rendering the most part of it in narration, interspersed with simulated re-enactment of certain scenes. Rather than a serious inquiry into the consciousness of a

nation or the conscience of a writer, into what really happened to make us all believe that Nasser was really the reincarnation of Osiris and he goes along with his atrocities thinking they were for the common good, the show was simply designed as a vehicle for popular singer Ali El-Haggar and all the hopeful comedians in the Modern Theatre Troupe. Each one of them, and they were many, seemed to need Nasser's coercive intelligence men to force them off the stage and stop them ad-libbing ad infinitum. It was clear none of them had read either book and they used El-Hakim farworsethanhewouldhaveused his famous donkey….Throughout you felt that every performer had his or her eye on something other than the publicized project -- a critique of 'Awdat Al-Ruh -- and that both the adaptor and director were encouraging them to do so(4).

But as I think, he gets benefit of using Al- Hakiem's old novel to criticize the modern reality, i. e. By using an old text, Bekheit gives himself some space of freedom to criticize the bad aspects he diagnoses without being the original defiant.

Attending the performance of this play was the reason behind writing this research, for it inspires the idea of using drama as a way of critical educational process. Thus, pedagogy is rescued from a narrowly rationalist stance that ignores the body as a site of investment and desire as a productively mobilizing force. Borrowing Henry A. Giroux's words:

By viewing schools as political and cultural sites as well as instructional institutions, I have tried in my writings to provide educators with the categories and forms of analyses that will help them to become more critical in their pedagogies and more visionary in their purposes. Schools are immensely important sites for constituting subjectivities, and I have and will continue to argue that we need to make them into models of critical learning, civic courage, and active citizenship"(5).

And in viewing colleges, schools, teachers, and educators as vital institutions and actors in the struggle over radical democracy. Without question, this is a project that will provoke, incite, and open up new spaces for understanding the diverse bequest that education in general and critical education in particular has to occupy within the next decades in modern world. Hence, this paper is intended to address the teachers in our country as well as the teachers in the third world countries to speak about the importance of the critical educational theory and its value in redefining schooling as a crucial, democratic public sphere.

In this respect, it is important to define Critical process or Critical Pedagogy as a teaching approach which attempts to help students question and challenge domination, and the beliefs and practices that dominate. In other words, it is a theory and practice of helping students achieve critical consciousness. Ira Shor defines it as :

Habits of thought, reading, writing, and speaking which go beneath surface meaning, first impressions, dominant myths, official pronouncement, traditional clich'es, received wisdom, and mere opinions, to understand the deep meaning, root causes, social context, ideology, and personal consequences of any action, event, object, process, organization, experience, text, subject matter, policy, mass media, or discourse(6).

The national report, A Nation at Risk in 1983 is of much debate about the role of schools and teachers. Two major arguments start from A Nation at Risk: (a) that schools and colleges must prepare students for a competitive world economy and (b) that schools and colleges must meet the needs of diverse cultures(7).

In this tradition the teacher works to lead students to question ideologies and practices that the students themselves

consider tyrannical, including those at school or college, and encourages libratory collective and individual responses to the actual conditions of their own lives. The teacher works just like the playwright does when writing a play that is a commentary on an old novel or any other texts. The teacher will deal with his students while the playwright addresses the audiences, but they have the same objective that is to inspire the reaction of the addressee.

The student often begins as a member of the group or process, (including religion, national identity, cultural norms, or expected roles) he or she is critically studying. After the student reaches the point of revelation (received wisdom) where he or she begins to view present society as deeply problematic, the next behaviour encouraged is sharing this knowledge, paired with an attempt to change the repressive nature of the society.

Studying Critical process and specially drama in the process of teaching at the college level in the Arabic countries is a very important modern and promising field in pedagogy. The use of drama in education is to enhance the capacity of the students to criticize, confront, and to change their societies' knowledge and reactions towards modern events in the way that coup the progress of the world around them.

Drama is able to develop a critical conversation, that is, a conversation which invites resistance and argument because it is dealing with tension and conflict. In this way drama resists the appeal to resolve contradictions in a false harmony. By allowing argument and conversation, drama, in its own form and in its own structure, can show the contradictions of social reality.

Cecily O'Neill (1991) is correct in pointing out that the language of transformation is found in the vocabulary of theatre. "Theatre metaphors illuminate an idea of teaching that is essentially dialogic, and therefore dynamic, democratic, social,

demystifying, and open to transformation"[8] The drama teacher must operate inside the process by affirming the skills learned from their own theatre and using them in their drama teaching. The idea is for one to build on the other because the power of theatre gets lived out on the classroom floor.

The whole process is built on a point that culture is the expression of human consciousness shaped by social living. Richard Courtney says that the expression of culture comes in dramatic forms. It is important to apprehend that each society develops its own dramatic models, which form division of our cultural inheritance. However, we have to ask how drama is used to objectify a given culture either through conscious intent or simply as a result of deep-rooted attitudes[9]. it should be guarded against allowing drama to be used to diminish and invalidate certain cultures. We cannot abandon our schools or colleges to the demands of any one cultural group. We have to realize that teaching drama is a cultural activity; Reynolds and Skilbeck call drama a cultural project.

Two kinds of curriculum and teaching strategies may be distinguished: those which supply students with the means to interpret, evaluate, and redefine what they are taught, and those which encourage agreement and passive acceptance. It is within the power and should be part of the responsibility of the teacher to encourage pupils to be more reflective, critical, and analytic[10].

Catherine Belsey expresses this critical quest when she refers to Bertolt Brecht's invitation to his audience to become actively engaged in criticizing his plays. Brecht wanted the audience to be more than customers of his art, to go further than admiration for his brilliance, and to really see the play[11].

Courtney tells us that the cultural patterns of the audience essentially modify playwriting and acting and that there is a close

interdependence between the theater, the audience, and the performance[12]. Students need to be involved in the process of making drama. Teachers should allow students to think like playwrights, performers, designers, and directors.

Even though schools and colleges should not take their guide from proficient theatre, the process of theatre needs to be brought into the classroom. This process calls for intellectual, physical, and emotive activity[13]. This fact is in a positive way when a large number of college students and teachers writing and presenting their own plays. These plays usually grow out of the shared life of a community and are performed for the public and in this way become part of the produced culture of that society. This public value alone speaks to the critical possibilities of drama because here we are not talking only about performance but about a process that is essential to cultural construction. Drama in this occurrence is not simply a reflection of culture but a critical contact with that culture. A presented drama not only reflects the culture from which it grew but can help that culture change. One of the prospectives for drama is that it can play a part in reformulating culture just as it does in objectifying it. Drama is always produced and interpreted within given social conditions, yet it is not simply determined by such conditions. Drama, like other forms of art, must face up to the real world around it. There is an interdependence between culture, economics, and drama. Drama teachers should look to the world of the students and not limit themselves to plot, character, and form, which are important aspects of drama but are not necessarily transformative.

Drama can be presented as a form of cultural production to enable students to utilize their bodies and minds in the service of being able to link language with experience, desire with declaration, and knowledge with social responsibility. In

presenting drama as a form of production the project tries not to separate the educational process from politics and aesthetics from the wider configurations of ideology and power. Yet it does not reduce aesthetics or drama to a doctrinal perspective in which an educational process of drama collapses into either a particular ideology or decline of morality. On the contrary, it tries to link the educational process and drama to the possibilities of human society, the power of collective struggle, and the hopes that allow the students think and act otherwise. Drama and the critical educational process are informed by an ethical discussion, one that reveals how the body is disciplined, how identity is constructed, and how subject positions are inscribed within the play of domination, power, and agency.

In this respect there is an integration between drama and critical process in the sense that the body is more than a place of repression, more than an object shaped by the instrumental discourses of dominating critiical practices. The relation between the performance and production of the plays can become both the object and the subject of critical engagement by politicizing the area of the aesthetic and the ground of drama. It is important for the students to engage in actual plays as part of a broader attempt to understand not only themselves and their relations with others, but also how the dynamics of power operate in the intersection of school and society.

An important step in this project is demanded from the students that they are to write plays as part of a larger critical process of asserting their sense of activity and their complex connections with daily life. It is an important step in achieving the goal of making the students bring their problems out, and trying to present certain solutions. This step is essential for the students because it can be done in a way that does not cause any embarrassment for the students. The play to be acted or written

is about unknown persons, thus the students can say everything about anything freely.

There are many good examples for using drama as a method of critical process such as Shakespeare’s Hamlet. 19th century critic William Hazlitt praised Hamlet by saying that, "The whole play is an exact transcript of what might be supposed to have taken place at the court of Denmark, at the remote period of the time fixed upon."[14]. Though it is clearly a verification to the realism of Shakespeare's tragedy, there is something strange and confusing in Hazlitt's analysis.

To put it straightforwardly, Hamlet is most absolutely not a realistic play. Not only are the actions conveyed in the drama far-fetched, the dialogue that brings it to the reader is overdramatic and often exaggerated. The thrilling monologues delivered throughout the play are melodramatic speeches rather than authentic dialogues. Frequent references to acting and theatre, principally surrounding the presence of the players, provide to make the audience alert of the play instead of drawing them into it. Moreover, Richard David suggests that the presentation of the man Hamlet , with all his implications, by a great actor on the stage is a more direct, a more comprehensive, and a more remarkable communication than is to be received from the most sensitive reading of the text[15]. The performance of the play gives the characters their lively individuality to make them be believable.

In Shakespearean tragedies the leading character is usually a person who arouses our sympathy and admiration. A recurring motif in serious drama is the imposition of some duty to be performed. The performance of his duty often leads to the loss of reputation, love, or life[16]. In the case of Hamlet, He is told to take revenge on his father's murderer.

HAMLET:
WHERE wilt thou lead me? speak; I'll go no further.
GHOST.:
Mark me.
HAMLET:
I will.
GHOST:
My hour is almost come,
When I to sulphurous and tormenting flames
Must render up myself.
HAMLET:
Alas, poor ghost!
GHOST. Pity me not, but lend thy serious hearing
To what I shall unfold.
HAMLET:
Speak; I am bound to hear.
GHOST:
So art thou to revenge, when thou shalt hear.
HAMLET. What?
GHOST:
I am thy father's spirit;
Doom'd for a certain term to walk the night,
And for the day confined to fast in fires,
Till the foul crimes done in my days of nature
Are burnt and purged away. But that I am forbid
To tell the secrets of my prison-house,
I could a tale unfold, whose lightest word
Would harrow up thy soul; freeze thy young blood;
Make thy two eyes, like stars, start from their spheres;
Thy knotted and combined locks to part,
And each particular hair to stand an end,
Like quills upon the fretful porpentine:

But this eternal blazon must not be
To ears of flesh and blood.--List, list, O, list!--
If thou didst ever thy dear father love,--
HAMLET:
O God!
GHOST:
Revenge his foul and most unnatural murder.
HAMLET:
Murder!
GHOST:
Murder most foul, as in the best it is;
But this most foul, strange, and unnatural.
HAMLET:
Haste me to know't, that I, with wings as swift
As meditation or the thoughts of love,
May sweep to my revenge.
GHOST.:
I find thee apt;
And duller shouldst thou be than the fat weed
That roots itself in ease on Lethe wharf,
Wouldst thou not stir in this. Now, Hamlet, hear:
'Tis given out that, sleeping in my orchard,
A serpent stung me; so the whole ear of Denmark
Is by a forged process of my death
Rankly abused: but know, thou noble youth,
The serpent that did sting thy father's life
Now wears his crown.
HAMLET:
O my prophetic soul!
My uncle!
GHOST:
Ay, that incestuous, that adulterate beast,
With witchcraft of his wit, with traitorous gifts,--
O wicked wit and gifts, that have the power
So to seduce!--won to his shameful lust

The will of my most seeming-virtuous queen:
O, Hamlet what a falling-off was there!
From me, whose love was of that dignity,
That it went hand in hand even with the vow
I made to her in marriage; and to decline
Upon a wretch, whose natural gifts were poor
To those of mine!
But virtue, as it never will be moved,
Though lewdness court it in a shape of heaven;
So lust, though to a radiant angel linkt,
Will sate itself in a celestial bed,
And prey on garbage.
But, soft! methinks I scent the morning air;
Brief let me be.--Sleeping within my orchard,
My custom always in the afternoon,
Upon my secure hour thy uncle stole,
With juice of cursed hebenon in a vial,
And in the porches of mine ears did pour
The leperous distilment; whose effect
Holds such an enmity with blood of man,
That, swift as quicksilver, it courses through
The natural gates and alleys of the body;
And, with a sudden vigour, it doth posset
And curd, like eager droppings into milk,
The thin and wholesome blood: so did it mine;
And a most instant tetter barkt about,
Most lazar-like, with vile and loathsome crust
All my smooth body.
Thus was I, sleeping, by a brother's hand
Of life, of crown, of queen, at once dispatcht:
Cut off even in the blossoms of my sin,
Unhousell'd, disappointed, unaneled;
No reckoning made, but sent to my account
With all my imperfections on my head:
O, horrible! O, horrible! most horrible!
If thou hast nature in thee, bear it not;

Let not the royal bed of Denmark be
A couch for luxury and damned incest.
But, howsoever thou pursuest this act,
Taint not thy mind, nor let thy soul contrive
Against thy mother aught: leave her to heaven,
And to those thorns that in her bosom lodge
To prick and sting her. Fare thee well at once!
The glow-worm shows the matin to be near,
And 'gins to pale his uneffectual fire:
Adieu, adieu, adieu! remember me. [Exit.

HAMLET:

O all you host of heaven! O earth! what else?
And shall I couple hell?--O, fie!--Hold, hold, my heart;
And you, my sinews, grow not instant old,
But bear me stiffly up.--Remember thee!
Ay, thou poor ghost, while memory holds a seat
In this distracted globe. Remember thee!
Yea, from the table of my memory
I'll wipe away all trivial fond records,
All saws of books, all forms, all pressures past,
That youth and observation copied there;
And thy commandment all alone shall live
Within the book and volume of my brain,
Unmixt with baser matter: yes, by heaven!--
O most pernicious woman!
O villain, villain, smiling, damned villain!
My tables,--meet it is I set it down,
That one may smile, and smile, and be a villain;
At least I'm sure it may be so in Denmark:

[Writing.

So, uncle, there you are. Now to my word;
It is, 'Adieu, adieu! remember me:'
I have sworn't(17).

He knows that his uncle Claudius has murdered his father, married his mother, and claimed the throne of Denmark. This revenge means that Hamlet would become a murderer himself and possibly lose his own life. Hamlet is a good colliery for critical pedagogy because it contains so much raw material for perplexing. It offers overt patterns of power relationships, value system, historical circumstances, and social commentary. On a more exacting intensity, one of the great values of the role of Hamlet as a tool for critical analyses is the question of his sanity or his insanity. In fact Hamlet uses his insanity as a tool to interrogate the people and circumstances of the court.

Students can make use of this scalpel of insanity to cut into other aspects of life in the house of Denmark. Working with their teachers, students could do some exploring with Hamlet and question him as he roams about the castle. Students could write or improvise a companion script that would allow them to interview servants or be present at royal meetings. These departures from Shakespeare's script would give students an opportunity to step outside the established fiction to make critical fiction of their own.

Another useful critical device would be for students, in role as courtiers, to write a letter to a present-day classmate. This convention would enable students to examine the different culture of the writer and the receiver. A student could write a newspaper viewpoint about the significance of the insane activities going on in court. Whose sanity could students question?

Another newspaper report is about how the relations of social and governmental power, found in Hamlet, compared to the social and governmental setting in any Arabic country? Can students use the context of Royal Denmark to shed light on Iraq, or any other Arabic country?

Hamlet had been rewritten many times by many writers one of them is Tom Stoppard's Rosencrantz and Guildenstern Are Dead in 1967 which is regarded as a critical companion script. This script is written outside the play about the Prince of Denmark and as such offers some unique insights into how existing dramatic fiction can be used for purposes of critical pedagogy. Rosencrantz and Guildenstern encounter Hamlet, as they do in the Shakespearean version, but Stoppard in his version gives them a life of their own. They are able to tell us things about the court of Denmark that we could never get from Hamlet. They in a sense become critical tools for our questions.

Teachers, in struggling to invent a critical process, can certainly learn from Rosencrantz and Guildenstern are Dead, and Yamama Beda, for these plays are very helpful examples of using drama in critical process in Arabic and English. In the same way, any play written in another context to comment on an original text to fit a certain modern situation can be considered as a critical process.

The core of this project is to use critical practices organized around the production and the reading of plays that enact scenes that prophesize the relationship between history, identity, and power. At the same time, it tries to deepen the possibilities of an aesthetic that is at once critical, political, and emancipatory. In this respect, drama becomes a site where critical process comes alive; i.e., it offers an opportunity to employ the critical categories of voice, difference, and community in ways that integrate the dialectical relationship between affective and rational investments, individual experiences, and the collective stories that mark out our sense of place, culture, and community. Drama becomes the dwelling place in which identities can affirm their differences. Students can speak from the diverse locations of their own histories, and strive to engage their desires within rather than outside of the movement of the body, creative expression, and the language of theory.

Bibliography:

Belsey, Catherine. Critical Practice. London: Routledge, 1980.

Brockett, Oscar. The Essential Theatre. New York: Holt, Rinehart and Winston. 1976.

The Contemporary Authors. In gale.cengage.com/pdf/navguide/conauth_nvg.pdf

Courtney, Richard . Rarest Dream. London: NATD, 1984.

David. Richard, Shakespeare in the Theatre. Cambridge: Cambridge University Press,1974.

Hassan, Mahir. "yamama Beda: alot of singing and politics, a little of theatre", Al-Arabi Newspaper. no. 1094.

Hazlitt, William. "Characters of Shakespeare's Plays: Hamlet." Essays in Criticism. Second ed. Ed. Cyrus Hoy. New York: Norton, 1992.

National Commission on Excellence, "A Nation at Risk: An Imperative for Educational Reform." Education Week, April 27, 1983.

O'neill.Cecily, Drama Guidelines. London: Heineman Educational Books, 1976.

Reynolds, John and Malcolm Skilbeck. Culture and the Classroom. London: Open Books Publishing Ltd., 1976.

saied2007.jeeran.com/archive/2007/9/ - 927k

Shakespeare,William.The Works of William Shakespeare.. New York: Oxford University Press. 1938.

Shor, Ira. Empowering Education: Critical Teaching for Social Change. Chicago: Chicago University Press,1992.

Stoppard, Tom. Rosencrantz and Guildenstern are Dead. New York: Grove Press, 1967.

Wright, Lin. "Theatre Education for Everyone." Design for Arts in Education 92, no. 4(1991).

Notes:

(1) It is an old Egyptian poem for unknown poet made a song in the beginning of the twenties of the 20th century.
(2) Mahir Hassan, "yamama Beda: a lot of singing and politics, a little of theatre", Al-Arabi Newspaper. no. 1094.
(3) Quoted in: saied2007.jeeran.com/archive/2007/9/ - 927k.
(4) Nehad Selaiha. "Wingless dove". In Al-Ahram Weekly. Issue No. 879,10-16 January 2008).
(5) Henry A. Giroux's speech is quoted in The Contemporary Authors. In gale.cengage.com/pdf/navguide/conauth_nvg.pdf.
(6) Shor, Ira. Empowering Education: Critical Teaching for SocialChange.Chicago:Chicago University Press,1992,p.129.
(7) National Commission on Excellence, "A Nation at Risk: An Imperative for Educational Reform." Education Week, April 27, 1983, pp. 12-16.
(8) Cecily O'Neill. Drama Guidelines. London: Heinemann Educational Books, 1976, p. 23 .
(9) Richard Courtney. Rarest Dream.London: NATD, 1984. p.43.
(10) John, Reynolds and Malcolm Skilbeck. Culture and the Classroom.London: Open Books Publishing Ltd., 1976. p.85.
(11) Catherine Belsey. Critical Practice. London: Routledge, 1980.p. 55.
(12) Courtney,50.
(13) Lin Wright, "Theatre Education for Everyone." Design for Arts in Education 92, no. 4(1991):18-20.
(14) William Hazlitt. "Characters of Shakespeare's Plays: Hamlet." Essays in Criticism. Second ed. Ed. Cyrus Hoy. New York: Norton, 1992. p.164-69.
(15) Richard David. Shakespeare in the Theatre. Cambridge: Cambridge University Press,1974. p.6.
(16) Oscar Brockett. The Essential Theatre. New York: Holt, Rinehart and Winston. 1976. p.15.
(17) Shakespeare, William .The Works of William Shakespeare. New York: Oxford University Press. 1938. P, 676-78.

Between Absence and Presence: The Female's Position and Possession in Eugene O'Neill's *The Iceman Cometh*

Enas Muhammad Alsamaray
Tikrit University
Samara College

The moment the women's war dust settles, they succeed breaking the tradition to introduce a powerful voice that has changed the literary and the social scene forever. Whether the message has always been positive is controversial. But for Eugene O'Neill, the innovator who influenced the American theatre during one of its momentous periods of development, this issue is tackled from an extremely new and unique treatment.

In *The Iceman Cometh*, one of O'Neill's most significant plays, for instance, O'Neill chose to give the most important female characters no voices of their own. He even deprived them from physical presence onstage. Actually, in an art focuses on a present action in which events are presented not narrated to an audience, this strategy – the use of the absent female – is one avenue worth exploring. Essentially, however, many plays are built round the quest for the absent male, neglecting the profound loss modern drama may play out for the absent female whose presence is always taken for granted.

So, in order to better understand the concept of the absent female, the female which is central to the dramatic action but never appears on the stage, one needs first to define the nature of the absent character and its unique construction in dramatic literature. This will be section one.

An absent mother and wife in O'Neill's *The Iceman Cometh*, their position and possession would be the concern of

section two. Despite their absence, the male characters continue to discuss, remember and manipulate them to such an extent that these offstage female characters displace a dominant presence even in their absence.

Discussion of the results of the study is found in the conclusion.

I. Who is The Absent Character?

Since Aristotale, mimesis, the imitation or direct presentation of an action in drama has been given a privileged position. Espousing the unities of place, time and action has been considerably an attempt to assure its effectiveness – by proposing the contraction of dramatic action. As a result, there has been the increased use of the narrated discourse to the foreground in order to emphasize the dramaturgy of that which is not present, but which is always represented or mediated through the discourse of an Other.

Yet modern drama is a drama of reflection in the sense that it focuses on a present action in which events are presented, not narrated to an audience. Peter Szondi, for instance, defines drama as "always primary, its internal time is always the present" (Rosefeldt: 4). He argues that:

Drama, not only takes place in the present, but also demands a presence that can be seen and heard. Moreover, drama demands an embodied presence. More than poetry or fiction which depends on an imaginative response, drama ia an attempt to bring into physical presense that which absent. (Ibid.).

Focusing on presenting is by all means at the core of this discourse. But of prime importance, however, is the need to lookout and understand the other face of the icon, i.e. the workings of that which is not present or absent. This understanding can be achieved relatively by recognizing the nature of the absent character.

Essentially, the absent character is a character who never appears in the plot and therefore, is never on stage, for his appearance would instantly give him unmediated presence. Following the same line of reasoning, formalist critics divide dramatic action into two modes: fabula (story) and sjuzet (plot). Story according to Elaine Stone and George Savona "is the basic narrative outline; plot, the means by which narrative events are structured, organized and presented"(Guerin: 102).

In other words, the story may include actions that have taken place before the beginning of the play. Evelyen, Hickey's dead wife in *The Iceman Cometh*, for instance, is never seen or presented to the audience. As a character she exists in the gaps or margins of the dramatic present; she is part of the story, the overall narrative, but not apart of the plot, the sequence or presented actions. Evelyn is an absent character.

Along the same line, the absent character cannot appear in a flashback. This character cannot be presented, even in the domain of memory. For example, in Wendy Wasserstein's *Uncommon Women and Others* (1979), a group of women from a prestigious women's college has a reunion. One member of the group is conspicuously absent; nevertheless, when the play flashes back in time, this character is present in an embodied form and speaks for herself. She is not an absent character because she speaks for herself and affirms her presence (Rosefeldt: 4).

Nonetheless, although cannot physically be presented into the plot, the absent character must be dealt with even if it was through metonymic substitutions, iconic representations, psychological displacements, or uncanny doubles. (Rosefeldt: 2002,p.10). In Ibsen's *Hedda Gabler* (1890), a father's gun is associated with the father and becomes a metonymic representation of the father or a metonymic substitution for him.

The ever present picture of Tom Wingfield's absent father in Tennessee Williams' *The Glass Menagerie* (1945), however, is a clear representation of the father and his world. Tom's father never appears; yet he is frequently mentioned by Tom, his mother and his sister and is significant both to the plot and the thematic structure of the play.

Furthermore, most absent characters are not only liminal figures but also figures moving toward presence. In a world out of his or her control, the absent character may be…dead like the father in August Strindberg's *The Pelican*(1970)

or alive like the father in Strindberg's *Miss Julie* (1888), asupernatural being like God the Father in Peter Shaffer

Equus(1973) and John Pielmeier's *Agnes of God*(1982) or an animal like the runaway dog in William Inge's *Come Back, Little*

Sheba(1950).The character may be imaginary like the child in Edward Albee's *Who is Afraid of Virginia Woolf*?(1962)or the skeletal remains of a once-live child as those found in Sam Shepard's *Bured Child*(1979).Or evenamysteriouslike Mr.Godot in *Waiting for Godot* (1954). (Rosefeldt: 5).

Thus so various and diverse are the types of the absent characters. Considerably, so clearly and closely connected with absence is that of the absent father. Alex Pirani claims that it is the " father's business to be absent: away hunting, earning living, functioning in the wider world." (Cross: 6). He is free from "body ties" and detached from maternal concerns".

The mother, on the other hand, displays the physical presence of motherhood for maternity" as Sigmund Freud notes, "is proved by evidence of the senses". So, the female's absence unleashes a chain of desire that can never be satisfied. Along the same line however, feminism as a movement focused upon what is absent rather than what is present, reflecting concerns with the

silencing and marginalization in a particular culture, a culture organized in favour of men. (Guerin: 222).

Unsurprisingly, the moment absence replaced presence; the absent female becomes a focal character in her absence. Because she exists only in the margins of the dramatic present, she becomes an influential outside force who determines the trajectory of other characters who are absorbed with recreating her presence. Thus the absent female is a liminal figure, halfway between being missing and present, life and death, past and present, the" what was" and" the never will be", a presence that is always being deferred.

From a psychological point of view, the female subject, for both Freud and Lacan, is different from the male. But unlike Freud, Lacan theorizes that: "the female difference is seen in the mirror stage (the reflected image presents an autonomous body image that the subject assumes to be his)" (Hall: 8).However, nowhere is this strategy better demonstrated than in a drama where the female doesn't even have a voice of her own due to her absence.

Following the same line of thinking, not only is fiction haunted by recreating the female's presence, but it wagers its very status and existence on the question of the absent female. For the male's desire to perceive himself as whole and complete promotes him to search for an "other" present being or absent to create the sense of psychic completion for him.

In practice, O'Neill's choice of psychoanalytic theory to explore the female physic enables him to create female figures of outstanding power and complexity and to explore feminine interiority with extraordinary insights.

II. Between Absence and Presence: The Female's Position and Possession in Eugene O'Neill's *The Iceman Cometh*

Jim Tyron in *The Moon for the Misbegotten*, said "there is no present or future -- only the past happening over and over again"(Jr.:41). Nowhere this impression reaches its highest than in *The Iceman Cometh* simply because the stage is filled with repetitions. In 1939 O'Neill himself looks back to 1912 only to encounter characters who themselves look further back. Yet in a curious way, these undesired but irrepressible repetitions are all hovering around offstage females. As if unable to seize a moment to inhabit a present, without being haunted by these absent females, they transformed their lives "into narrative where it can be recast as possibility" (Bigsby: 23).

The need of O'Neill's women for their men,on the other hand, was so great. It seems that O'Neill understands the female role well. Trudy Drucker quoted him as saying, "The role a woman should play is that of sacrifice to her man" (Ibid: 198).That may be why his imagination produces so many women who have no other desires than to do just that. It may also be why so many of his men felt threatened and controlled by the women they need so much.

In other words, he portrayed many oppressed women, but his idea of an exploited woman's point of view was different. His women tended to be completely fulfilled by their relationship with men. They were not concerned with any individual achievements. In *Desire under the Elms* (1924), however, O'Neill dramatizes a couple who reestablish "their love so that they need to rely on nothing outward" (Hall: 19). O'Neill focused on female representation even further in *Strange Interlude* (1928), calling it his "woman play"(Ibid.).

More importantly, if *Strange Interlude* is his "woman play", in *The Iceman Cometh* O'Neill's representation of women is the means by which the play and the male character become dramatic and interesting:

what I've tried to write is a play where at the end you feel you know the souls of the seventeen men and women who appear- and women who don't appear- as well as if you'd read a play about each of them.(Bigsby: 16).

By highlighting the absence of "women who don't appear" and yet demonstrating the importance of the feminine via stereotypical female memories, as well as the prostitutes on stage, *Iceman* aptly illustrates O'Neill's rare insight into the female figures which, though absent/ are of remarkable power and complexity.

Overtly, it would appear that the icemen uphold their illusions so well that they do not need the presence of the feminine. At essence, the absent women are crucial to the perpetuation of these illusions especially for people who, as Michael Manheim notes, "These people are closest to one another when most comforted by their illusions and farthest from one another when they are most insecure about their illusions"(Hall: 27).

From a feminist perspective, the play is extremely compelling. Through the male characters' manipulation of the offstage female, O'Neill clearly shows how men create feminine fantasies in order to exist. The absent character of Harry Hope's long-dead wife, Bessie quickly establishes this process and its benefits. Wistfully avoiding Hoe's anger after his drunken slumber, his colleagues invoke Bessie's name: "It was one of those nights when memory brought poor old Bessie back to you" (O'Neill, *The Iceman Cometh*, 68)*1*. (Subsequent reference will

be to this edition and will be sited by page number). Hope responds with a melodramatic flourish:

Yes, that's right, boys. I remember now. I could almost see her in every room just as she used to be -- and it's twenty years since she-- (His throat and eyes fill up. A suitable sentimental hush falls on the room) (Ibid.)

Really, by Harry's repletion pf the myth of Bessie, he can manipulate his memory of her in order to support his present pipe dreams and this very process illustrates the advantages of an absent female. Ironically, so overcame with pain, Hope the grieving husband gains a sense of identity by playing his lack of the lost "Madonna". Consequently, this lack allows him not to take any responsibility for his actions. Hickey, attuned to Hope's sentimental denial of his resentment, unmasks him: "She was always on your neck," he prods, "making you have ambition and go out and do things, when all you wanted was to get drunk in peace". (117)

In this case, Harry's state of sloth together with his melodramatic narrative, help dispelling Bessie's feminine threat and support him with comic relief.

This relief is exactly the same in form for all the women who don't appear in the play. Simply, they do not cause any disturbance in the harmonic balance of masculine illusions and the dualistic perceptions of female illusions that underlie and sustain these fantasies. Ironically, all Hope's pipe-dreamers can see the folly of then other fellow's but non of their own.

Outstandingly, O'Neill refused to have *Iceman* produced at the outset of World War II because he felt its focus on pipe dreams would be inappropriate for the American war effort. However, in an interview he gave during the rehearsals of the Guild production of *Iceman* in 1946, O'Neill implicitly linked pipe dreams to what one might now label the concept of ideology

(the American Pipe Dream): "This American Dream stuff gives me a pain,..., if it exists, as well tell the whole world, why don't we make it work on small *Hamlet* of the United States?" (Pfister: 102). O'Neill underplays the social reasons for why these fallen pipe-dreamers have no wish to go out.

Theodore Hickman's arrival represents the therapeutic means of freeing the illusory equilibrium of Harry Hope's much more drastically. In many ways, this arrival does serve as an effective dramatic device to bring truth about identity and gender. He advised his barroom" boys and girls": "I know from my experience it's bitter medicine, facing yourself in the mirror with old false whiskers off" (80). Hickey realizes that he who unmasks others hold power over others. He pretends to believe they can turn their gaze inward and unmask their fictional defenses though in fact he knows they cannot. The effect of these revelations is disastrous. For through his interactions with the other characters, the play exposes the illusory nature of the men's narratives and perceptions of female characters.

Similarly, the play demonstrates that the male characters, motivated by the need for personal power, raise illusory feminine characters through their memories. In this way, Ann C. Hall argues that "all the men are "icemen" who ice over the threat that femininity poses in order to make mirrors of their female counterparts" (Hall: 33).

As Hickey's long-winded confession illustrates, he has not entirely removed his misconceptions of femininity from his own life. During this speech Hickey describes Evelyen as a Madonna, the archetypal selfless, loving and forgiving wife and mother. In reality, the audience never knows whether or not she ever truly forgives his trespasses. She is, after all, seen only through Hickey's eyes, and it is convenient for him to believe in her happiness (Cross: 5).

What's more, Evelyn's Madonna role offers no place for female sexuality. Hickey wants both Madonna and prostitute embodied in the same woman. He even mentioned that he wished that Evelyn could commit adultery and be more like those women he paid to laugh at his jokes. Such a desire, however, shatters his illusions about himself: "I got so I'd curse myself for a lousy bastard every time I saw myself in the mirror" (203).

The aggression Hickey channeled inward was also directed outward at Evelyne. Throughout the course of his confession, however, Hickey becomes more confused by his ideology of femininity. He initially tells the roomers that he killed Evelyn for her own good to put her out of her misery and thereby to transform her into a Madonna or a saint. He, of course, inadvertently tells too much:

I remember I stood by the bed and suddenly I had to laugh. I couldn't help it, and I knew Evelyn would forgive me.I remember I heard myself speaking to her, as if it was something I'd always wanted to say: "Well you know what you can to with your pipe dream now you damned bitch!" (207).

Evelyn, too, has a pipe dream. She wants him to live up to her expectations of him. No matter which gender role she played a Madonna or a whore. She is damned if she does, damned if she didn't. Hickey justifies his actions by defining Evelyn as a whore who has desires of her own.

Following his outburst, the new version of Evelyn is something Hickey cannot accept, and he retreats like the other dreamers, to his original image of his absent female: "No! That's a lie! I never said -- ! Good God, I couldn't have said that! If I did, I'd gone insane! Why I loved Evelyn better than anything in life" (207). A life of insanity, For Hickey, is better than his Madonna illusions being stripped away. Tellingly, he prefers a life where he loses himself, or rather, his perception of himself.

Larry Slade is the one exception to this process. He is doomed to see "both sides of the question"(33). At the opening of the play, Larry is content with his "grandstand" existence, yet,

like the others his physical position inside the group signifies his reliance on the community of dreamers to perpetuate his illusion. Larry also has a woman in his past who has not lived up to his expectations. And like the other men, he seeks refuge from this female threat through the comfort of the saloon. But significantly, unlike the other men, however, Larry does not cast Rosa Parritt into any of the socially constructed feminine roles.

Rosa is a political activist, a sexual being, and a parent. In all three roles she rejects traditional femininity and is, in turn, rejected by her son Paritt. Speaking to Larry the anarchist Judas, Parritt comments, “To hear her go on sometimes, you’d think she was the Movement.” (32). Immediately recognizing the hostility of this comment, Larry “puzzled and repelled”(Ibid.) tells Parritt, “That’s a hell of a way for you to talk, after what happened to her!”(34). Unsurprisingly, Parritt betrayed his mother to the law of her revolutionary ardor." I love mother Larry" (40), he protests at first, but later Parritt confesses that he betrayed her because he "hated her" (134). Resentful and furious at his mother's devotion to the movement, her "free" lovers together with her rejection of the sentimental norm of "mother", Parritt retaliated by symbolically killing her.

But given Larry's comments about his absent female throughout the play, in no way one can believe that he casts her in such a role. Instead, his response to Parritt defends Rosa's rights to live her life as she chooses and condemns Parritt's attempts to legislate her behavior. And what is Larry's encouragement of Parritt to commit suicide but as his own perception of Rosa as an ideal; a Madonna of the movement whom he must protect in order to achieve a sense of autonomy.

Eventually, Larry remains in the bar but is now in the "grandstand, " removed from the dreamers. Admittedly, he does not entirely divorce himself from the illusory world by leaving

the bar, but he now inhabits it differently than he did at the play's outset. The play, however, does not codify the results of Larry's decision into a thematic product. He simply sits near a window, but he does not look at it. Such a gesture, albeit subtle, "reflects Larry's rejection of the looking glass" (Hall: 35).Hence, O'Neill violates the traditional expectations regarding closure and completeness thereby creating a gap in the theatrical and literary expectations, perhaps in the hopes that we, too, will recognize the effects of existence with the absent or the present female.

Conclusion

As the breach between the personal and political liberation took shape, O'Neill was securing his reputation as America's greatest playwright. Admittedly, O'Neill's dramatic career was evolutionary as well as monolithic, for his plays don't owe their power and finality to O'Neill having broken new grounds or discovered new themes as much to his having finally gained complete mastery over the same elements that appear in less felicitous ways in other dramatist's plays.

O'Neill's rare insight, one can say, planted the seed. But when we come to examine the mature reasons for O'Neill's use of the principle of the absent character, we find series of motivations: his dislike of traditional feminism, his detestation of acting "tricks", his desire for an impersonal art, and his graving for abstraction.

What is really at issue is the depiction of the absent female as being the focus of attention and central to the dramatic action. Unlike Beckett or Pinter, O'Neill's absent females are not missing but in a position between absence and presence. In other words, absence implied residual presence. Though absent, they are not weak or dependent and they are never reduced to formula, a thesis, or an authorial deviation. In their complexity and in their tragic freedom there is born a new beauty, a beauty of something emerges from its opponent.

Bibliography

1- Bigsby,C.W.E. *Modern American Drama,1945-2000*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
2- Cross,Clare.*The Iceman Cometh (Criticism)* 2009.www.yahoo.com. Retrieved in January/3/2009.
3- Hall, Ann C. *A Kind of Alaska Women in the Plays of O'Neill, Pinter,and Shepard*. Carbondale: SouthernIllinois University Press,1993.
4- Jr., Richard F. Moorton. *Eugene O'Neill's Century: Centennial Views on America's Foremost Tragic Dramatists*. New York: Greenwood Press, 1991.
5- Guerin, Wilfred L. and Earle Labor.*A Handbook of Critical Approaches to Literature*. New York: Oxford University Press,2005.
6- O'Neill, Eugene. *The Iceman Cometh*. London: Jonathan Cape LTD, 1947.
7- Pfister,Joel. *Staging Depth: Eugene O'Neill and the Politics of Psychological Discourse*. Chapel Hill, NC: University of NorthCarolina Press,1995.
8- Rosefeldt, Pauel. *The Absent Father in Modern Drama*. New York: American University Studies,1996.
9- ____.*"From Strange Interlude to Strange Snow: A Study of the Absent Character in Drama*", in *Journal of Evolutionary Psychology*.2002, Institute for Evolutionary Psychology: Gale Group.p.117+.

أثر اختلاف روايات شعر امرئ القيس نحوياً في المعنى

أ. م. د. جمعة حسين محمد
جامعة تكريت/كلية التربية/قسم اللغة العربية

م. م. جالاك حسن سعيد
جامعة تكريت/كلية التربية/قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد جاءَ هذا البحثُ لِيتناول الروايات المختلفة لشعر امرئ القيس، وما فيها من خلافٍ نحوي مُرْشِدٍ إلى آفاق من التباين الدلالي.

فأهمية هذا الموضوع تَكْمُنُ في كَوْنه نقطة التقاء لعناصر ثلاثة، وهي: عصر ذهبي للاستشهاد، وشاعر مشهود له بالسَبْق والأولوية، ومعنىً نحويٍّ لروايات متعدِّدة أُهمل الكثير منها، فالروايات المتعددة على الرغم من حضورها القوي في كتب اللغة والنحو، فقد جاءت مبثوثة في هذه الكتب، وقَدْ رُدَّ بعضها بحجة وجود رواية أُخرى تُوافق قواعد اللغويين والنحاة، وفي بعض الأحيان رُدَّت الروايات جميعها بحجة تبايُن الرواة واختلافهم في روايتها، ناسين أو مُتناسين أنَّ معظم هذه الروايات جاءَت وثبتت من رواة عاشوا في عصر الاحتجاج، فليس من الحكمة والإنصاف حرمان هذه اللغة

من هذا الكم الهائل من المفردات والأساليب وقواعد التراكيب التي تَمْنَحُها هذه الروايات المتعددة للبيت الشعري.

ولأنَّ المعنى الذي بحثْنا عنه قائمٌ على ما يرتبه الاختلاف النحوي للرواية، فقد قُمْنا ببحث المسألة النحوية الموجودة في الروايات عند النحاة، واستَطْلعنا آراءهم ثم عرضناها بما يُنيرُ للقارئ المسألة ويوضحها له، ثُمَّ قُمْنا بَعْدَ ذلك بإيراد البيت عند امرئ القيس، والرواية أو الروايات الأُخرى – معتمدين في ذلك بشكل أساس على تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم للديوان – ثم قُمْنا بعد ذلك بتلمس المعاني التي يُرشِدُنا إليها الخلاف في الروايات من الوِجْهَة النحوية، مستهدين في ذلك بتاريخ حياة امرئ القيس، وعلاقاته الاجتماعية والعاطفية، وحالته النفسيّة، من دون أن نُهمل طبيعةَ العصرِ الجاهليِّ وما كان سائداً فيه من قيم وعادات وأثر ذلك في الشعر والشعراء.

وقد جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث:

تحدَّثنا في المبحث الأول عن الأبواب النحوية، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الأدوات وخصّصناه لحروف الجر،لتكون أنموذجاً يبيِّن أثر تناوب الأدوات بسبب اختلاف الرواية في المعاني، ودرَسنا في المبحث الثالث الأساليبَ واقْتصرنا فيه على دِراسة أسلوب الشرط، ليكون أنموذجاً دالاً على أثر اختلاف الرواية في المعنى أيضاً، ولم يشأ البحث أن يتناول كل الروايات، لأنَّها كثيرة جداً، وهي بحاجة إلى عمل أكبر من هذا ،ولهذا اضطر البحث إلى تناول النماذج الدالة على الفكرة المراد بيانها، وقد واجهت هذا البحث صعوبة، نحسب أنَّها كبيرة ،وهي أنَّ هذا النمط من البحوث نادر وغير شائع في الدراسات اللغوية والنحوية، ونزعم أنَّنا فتحنا باب دراسة أثر اختلاف

روايات الشعر العربي في المعنى على مصراعيه في هذه الدراسة، ونؤكِّد أنَّ رواياتِ شعرنا العربي، ولا سيما القديم منها بحاجة إلى دراسات لغوية ونحوية من نمط هذه الدراسة، التي نرجو أنْ تكون قد فتحت آفاقاً للباحثين واسعة، لدراسة اختلاف روايات شعرنا العربي.

وقد خدمتْ هذا البحث كُتُبٌ قيِّمَةٌ منها: (ديوان امرئ القيس) بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، فقد كان جلّ اعتمادنا عليه في تخريج الأبيات والروايات، لذا جاءت الإشارة إلى الديوان في الهامش من غير ذكر اسم المحقق ، لأنّه الأصل المعتمد في عملنا بخلاف التحقيقات الأُخرى للديوان إذْ كنا نُشير إلى أسماء محققيها في الهامش لينماز بعضها عن بعض، وكذلك أَفَدْنا من(شرح الأشعارالستة الجاهلية) للبطليوسي (ت٤٦٤هـ)، ومن الدراسة التي قام بها الدكتورالطّاهر أحمد مكي عن حياة امرئ القيس وديوانه باسم (امرؤ القيس حياته وشعره). فضلاًعن مصادرومراجع كثيرة ذكرناها في موضعها في آخر البحث.

وإنْ كان بحثنا آتى أُكُله بعد جهدٍ مضنٍ،فذلك من فضل الله وعونه وتوفيقه، وإنْ كان فيه نقص ،فنتحمَّل وزره، ولعلَّه يعبِّر عن عملٍ بكرٍ في ميدان شعرنا العربي القديم لايخلو من العناء، ينتقل فيه الباحث بحذر خشية الوقوع في مهاوي الخطر.

المبحث الأول

الأبــواب النــحوية

١-بين الرفع والنصب والجر:

- **- ما يحتمله الاسم بعد (كم) من رفع ونصب وجر:**

(كم) كناية عن العدد، وهي مبنية على السكون، ولا بُدَّ لها من تمييز، وتنقسم على قسمين: استفهامية وخبرية، وتمييز (كم) الاستفهامية منصوب، وتمييز الخبرية مخفوض، ويكون مفرداً وجمعاً، وعُلِّل ذلك بأنَّه ((لما كانت (كم) تقع في الاستفهام للتكثير والتقليل، صار متوسط الحكم بين القليل والكثير، فجعل لها حكم الأعداد المتوسطة بين الكثيرة والقليلة، وما بين المائة إلى العشرة فما دونها فالعشرة فما دون للقلة، والمائة فما فوقها للكثرة، وما بينهما هو المتوسط، فلذلك جاز أنْ ينصب بها في الاستفهام، وجعلت في الخبر خافضة، حملاً على لفظ العدد الكثير، أعني المائة فما فوقها))[١]. وقد ينصب مميز (كم) الخبرية، قال الفرزدق[٢]: [من الكامل]

كم عمةً لك يا جريرُ وخالةً ۞ فدعاءُ قد حلبت عليَّ عشاري.

وقد روي (عمةٌ) بالأوجه الثلاثة: بالرفع والنصب والجر، فعلى رواية الجر (كم عمةٍ) المعنى: رُبَّ عمةٍ، وعلى رواية الرفع (كم عمةٌ)، فإنَّ (كم) تقع على الزمان، فالمعنى: كم يوماً عمةٌ لك، وكم مرَّةً، ونحو ذلك[٣].

أمَّا على رواية النصب، فسيبويه(ت١٨٠هـ) يرى أنَّها لغة قوم[٤]، وقيل: على الاستفهام، والاستفهام استفهامٌ مجازي، وإنَّما على سبيل التهكم والسخرية، فكأنَّه يقول: ((أخبرني عن عدد عماتك وخالاتك اللاتي حلبنَ عليَّ عشاري، فقدعني عددها))[٥].

والمعنى يختلف في الروايات الثلاثة ((فإذا قلت: (كم عمةٍ) فلست تقصد إلى واحدة، وكذلك إذا نصبت، وإن رفعت لم تكن إلاّ واحدة، لأنَّ التمييز يقع واحدُه في موضع الجميع، وكذلك ما كان في معنى (رُبَّ)؛ لأنَّك إذا قلت: رُبَّ رجلٍ رأيته، لم تَعْنِ واحداً، وإذا قلت: كم رجلاً عندك؟ فإنَّما تسأل: أعشرون أم ثلاثون أو نحو ذلك؟. فإذا قلت: (كم درهمٌ عندك؟) فإنَّما تَعْني: كم دانقاً هذا الدرهم الذي أسألك عنه؟ فالدرهم واحدٌ مقصود قَصْدَهُ بعينه؛ لأنَّه خبرٌ، وليس بتمييز، وكذلك: كم جاءني صاحُبك؟ إنَّما تريدُ: كم مرةً جاءَني صاحُبك))[٦].

ورواية الجر والنصب أبلغ في الهجاء من رواية الرفعِ، إذ أنَّهما تفيدان وجود عمات وخالات أجيرات ممتَهَنات مُذَلَّات لجرير، وتدلُّ رواية الرفع على وجود عمة واحدة وخالة واحدة لجرير حلبتا عليه عشاره ولكن في أوقات كثيرة أو مرات عديدة، قال السيرافي (ت٣٦٨هـ): ((الأجود في البيت الخفض وبعده النّصب وبعده الرفع))[٧].

وقد ورد في شعر امرئ القيس بيت مشابه لبيت الفرزدق، وذلك في قوله[٨]: [من الطويل]

وكم دونَها من مَهْمَهٍ ومَفَازةٍ وكم أَرض جَدْبٍ دُونَها ولُصوُصُ[٩].

ويروى ((وكم أرضُ جدب)) بنصب الأرض وجرِّ ها[١٠] ورفعها[١١]. ويتحدّث الشاعرُ هنا عن حبيبته، وكيف تفصله عنها أرض مُقْفرة خالية ليس فيها إلا اللصوص وقطاع الطرق[١٢].

ولو شرعنا في بيان الفروق الدلالية بين الروايات في ضوء ما سبق من أقوال النحاة، نجد أنَّ رواية الخفض أبلغ في تصوير البُعد من الحبيبة، فالشاعر مَعْنِيٌّ في هذه الرواية بتكثير الأراضي القاحلة بينه وبين حبيبته، ومن ثَمَّ فإنّ هذه الرواية أقدر على تصوير العشق الناتج عن ذلك البعد، وما يستتبعه من حصر وقلق وعُصاب

واضطراب، كلُّ ذلك يدفعُ الشاعرَ إلى أنْ يصوِّر لنا في الرواية – وبشكل مكثف – الأراضي الجدبة القاحلة واللصوص المتربصة لكل من يمُرُّ فيها في طريق الحبيبة.

أمَّا رواية الرفع فهي لا تدلُّ على تعدد المرفوع، ومن ثَمَّ يُستشف منها عدم المبالغة في البعد عن المحبوبة، ذلك أنَّ امتزاج الأرواح عند العشاق لا يؤثرفيه انفصال الأجساد، وهل يعترف الحبُّ بغير الروح مكاناً للسكن والقرار عند هؤلاء.

ونأتي إلى رواية النصب التي هي أبلغ من الرفع ودون رواية الخفض، من حيث الدلالة على تكثير التمييز بعد (كم) الخبرية، لنجد فيها سُنَّةَ الحياة وواقعيتها ووسطيتها، لتدلُّ على أنَّ الحبيبة ليست بعيدةً بحيث تؤذن بانطفاء شمعة الحبِّ، ولا هي بالقريبة التي تروي عطش الشوق ونهمه.

٢-بين الرفع والنّصب:

أ- الرفع على الابتداء والنّصب على المفعولية:

تتألف الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر، ويجوزحذف الخبر في الجملة إذا دلَّ عليه دليل، نحو: أنْ تُسأل: (مَنْ مجتهدٌ؟) فتقول: (زيدٌ)، أي؛ (زيدٌ مجتهدٌ)[١٣].

وقد يحذف الخبر وجوباً في عدد من المواضع، منها أنْ يكون خبراً لمبتدأ صريح في القسم، نحو: أيمن الله، ولعمرك، ((وإنَّما وجب حذفه لكونه معلوماً، وقد سدَّ الجوابُ مسدَّه))[١٤].

وقد عدَّ أبو حيان(ت٧٤٥هـ) (يمين الله) من ألفاظ القَسَم الصريح التي يجب حذف خبرها، إذ قال: ((ويجب حذف الخبر أيضاً في قَسَمٍ صريح، مثاله: لَعَمْرُك، وأَيْمُنُ الله، وأمانَةُ الله، ويمينُ الله، أي؛ قسمي))[١٥].

ومعنى (يمين الله) ((ما حلف به تعالى من قوله: چ ٱ ب ب چ [سورة الشمس ١]، وچ ڳ چ [سورة الليل ١]، وچ ج ج چ [سورة الضحى ١] ونحوها، أو اليمين التي تكون بأسمائه تعالى، نحو: واللهِ، وربِّ الكعبة، والخالق، ونحو

ذلك))[١٦]، وذهب الرضي(ت٦٨٦هـ) إلى أنَّ خبر (يمين الله) محذوف جوازاً ويجوز ذكره[١٧].

أمَّا إذا كان المبتدأ غير صريح في القسم؛ وذلك باستعماله في القسم وغيره، فإنَّ حذف الخبر معه ليس واجباً، وإنَّما يجوز حذفه وذكره، تقول: (عهدُ اللهِ لأفعلنَّ)[١٨].

أمَّا الجملة الفعلية فتتألف من الفعل والفاعل، والمفعول به إذا كان متعدياً، ويجوز حذف الفعل منها وإبقاء ما يدلُّ عليه، نحو أنْ تُسأل: (من ضربت)، فتقول: (زيداً) أي؛ (ضربتُ زيداً)[١٩].

وقد ورد بيت امرئ القيس[٢٠]: [من الطويل]

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرَحُ قاعِداً ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وأوْصَالِي

بروايتين تختلف فيهما الحركة الإعرابية للفظة (يمين الله) فيها، ففي إحداها هي مرفوعة[٢١] على أنَّها مبتدأ وخبره محذوف، وفي الرواية الثانية جاءت اللفظة منصوبة بفعل محذوف.

يقول: إنَّهُ حين وصل إليها أرادت رَدَّه، وطلبت انصرافه، فحلف أنَّهُ لا يقوم حتى ينال حاجته وإنْ ضُرِبَ رأسه وقطِّعت وأوصاله[٢٢].

وقبل الخوض في بيان التباين الدلالي بين الروايتين، يجدر بنا البحث عن الفروق الدلالية بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، التي تنتمي إلى كل واحدة منهما إحدى الروايتين.

فالجملة الاسمية آكد وأبلغ وأدوم من الجملة الفعلية، التي تدلُّ على الحدوث والتجدد، لذلك نرى أنَّ الأسلوب القرآني يعدل عن الخطاب بالجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية لغرض بيان التثبُّت والتحقُّق في مضمون الجملة، فمن ذلك قوله تعالى في وصف المنافقين: چﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ □ □ □ □ □ چ

[البقرة ١٤]. فقد خاطب المنافقون المؤمنين بالجملة الفعلية، وأظهروا إيمانهم، واختاروا الجملة الفعلية؛ لأنَّ ((أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرِّك، وهكذا كلُّ قول لم يصدر عن أريحية وصدق ورغبة واعتقاد))[٢٣].

أمَّا مخاطبتهم لإخوانهم فجاءت بصيغة الجملة الاسمية الدالة على الدوام والتوكيد؛ ذلك أنَّها صدرت عنهم ((على صدقِ رغبةٍ ووفورِ نشاطٍ وارتياحٍ للتكلُّم به، وما قالوه من ذلك فهو رائِجٌ عنهم مُتَقَبَّل منهم فكان مَظِنة للتحقيق ومَئِنَّةً للتوكيد))[٢٤].

وأكَّد ابن جني أنَّ الجملة الاسمية تدلُّ على الاستمرار، في حين تعجز الجملة الفعلية عن إعطاء هذه الدلالة، فذكر أنَّ ((قولك: (إذا زرتني فأنا ممَّن يُحسن إليك)، أي؛ فحريٌ بي أنْ أُحسن إليك، ولو جاء بالفعل مصارحاً به، فقال: (إذا زرتَني أحسنتُ إليك)، لم يكن في لفظه ذكر عادته التي يستعملها من الإحسان إلى زائره، وجاز أيضاً أن يُظَن به عجز عنه، أو وَنَىً وفتور دونه، فإذا ذكر أنَّ ذلك عادته، ومَظِنَّة منه كانت النفس إلى وقوعه أسكن، وبه أوثق))[٢٥].

وفي ضوء ما سبق نجد أنَّ رواية (يمينُ الله) بالرفع، أقوى وآكد وأدل على الاستمرار؛ لأنَّها جملة اسمية مؤلفة من المبتدأ (يمين الله)، وخبره المحذوف[٢٦]. أمَّا رواية (يمينَ الله) بالنّصب، فهي جملة فعلية دالة على التجدد والحدوث، وفعلها محذوف و(يمين) منصوب بنزع الخافض، أي؛ (أحلف بيمين الله)، أو منصوب على أنَّه مفعول مطلق[٢٧].

ففي رواية الرفع الدالة على التوكيد والاستمرار، يُجسِّد الشاعر نظرة العاشق الذي استسلم للعشق، ورَكَن إلى الهوى. فمِثْلُ هذا العاشق يتحدى الموت في سبيل الوصول إلى حبيبته، ويسوغ ذلك بأنَّ المرء قد يموت بسكتةٍ قلبية، بل بوعكةٍ صِحيَّةٍ،

فما العجب في أنْ يُصيبه الهجر والفراق بَمْوتَةٍ حَتْمِيَّة. وإذا كان الموتُ آتياً لا ريب، فليهلك المرءُ قريباً من الحبيبة لا بعيداً عنها.

أمَّا رواية النّصب التي لا تدلُّ على الاستمرار أو التأكيد، فإنَّها تنسجم مع شخصية امرئ القيس الذي لم يَقْصُرْ حبَّه على حبيبة واحدة بل كان من دأبه الانتقال من واحدة الى أُخرى . فهو يذكر في أشعاره حبيباتٍ كثيراتٍ، ويذكر معهُنَّ صفاتِهِنَّ ((ففاطمة متدلِّلة معزوزة، وليلى ناسية ناكرة، وعُنيزة متمنِّعة مستجيبة، وأسماء حُوّل قُلّب، وسلمى غرّة نافرة،وماوية خبيثة ماكرة، وهرّ لعوب مستجيبة، ورقاش معترضة باذلة، وأُخريات كثيرات لا يذكر أسماءَهُنَّ))[٢٨].

وقد جاءت لفظة (يمين الله) في بيت آخر بروايتي الرفع والنّصب، وذلك في قوله[٢٩]: [من الطويل]

فقالَتْ يَمِينُ اللهِ مالَكَ حِيلَةٌ   وما إن أَرَى عنك العَمَايَةَ تَنْجَلِي

فقد رُويَ (يمين الله) بالرفع والنَّصب[٣٠]. يقول: إنَّها قالت: أحلف بالله مالي الى دفعك من سبيل، وما أراك تاركاً لهواك وغَيِّك[٣١].

ففي رواية الرفع تؤكد الحبيبة عدم انصراف الشاعر، واستمراره على غيِّهِ، وتودُّ دفعه وتتشبث بذلك، كيف لا، وهم محاطون بالحراس، ويلتقون وسط ديار الأهل والعشيرة، وينوون ارتكاب أفحش الذنوب وأبشع الآثام.

أمَّا في رواية النَّصب التي ليس فيها إيحاء التأكيد والاستمرار، بل تعطي دلالة التجدد والحدوث، ففيها نوع من الفتور والضعف – نسبة إلى الرواية الأولى – في دفع الشاعر، وكأنَّ الحبيبة في طريقها إلى الضعف والخور والاستسلام، وكيف لا تخضع المرأة الضعيفة العاطفية، وقد استسلم الرّجل، لا بل تحدَّى في مناسبة أُخرى إلى درجة القول[٣٢]:

فقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قاعِداً   ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْك وأَوْصَالِي

ب- الرفع على الخبر والنصب على المدح أو الذم:

قد يُقْطَعُ النعتُ عن التبعية للموصوف في الإعراب، إلى كونه خبراً لمبتدأ محذوف أو مفعولاً به لفعل محذوف.

فحقيقة القطع هي ((أنْ يجعل النعت خبراً لمبتدأ، أو مفعولاً لفعل))[٣٣]، نحو قوله تعالى: چگ گ گ گ چ[سورة المسد ٤]، فقرأ الجمهور (حمالةُ) بالرفع، وقرأ عاصم (حمالةَ) بالنصب. ووُجِّهت قراءة الرفع بأنَّها صفةٌ، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف وقُطِعَ عن الوصفية لغرض الذَّم، وقراءة النَّصب على الذم أي: أذمُّ[٣٤].

والغالب في النعت المقطوع أن يأتي للمدح أو الذم أو الترحم، نحو (الحمدُ للهِ العظيمُ، أو العظيمَ) و(قمتُ بنصح زيدٍ الفاسقُ، أو الفاسقَ) و(مررتُ بخالدٍ المسكينُ، أو المسكينَ). وفي الحالات السابقة يجب حذف الفعل إذا نصبنا النعت المقطوع، وحذف المبتدأ إذا رفعناه. أمَّا في غير الحالات الثلاث من النعوت نحو:(مررت بزيدٍ الخياط)، فلا يجب إضمار الفعل أو المبتدأ، بل يجوز إظهارُه وإضماره[٣٥].

ويشترط في النعت المقطوع أن يكون المنعوت معلوماً بدون النعت، فإذا احتاج المنعوت إلى النعت في بيان معناه، بحيث لم يتضح إلا به، لم يجز القطع. ويستلزم هذا الشرط ((أنْ يعلم السامع من اتصاف المنعوت بذلك النعت ما يعلمه المتكلِّم؛ لأنَّه إنْ لم يعلم ، فالمنعوت محتاج إلى ذلك النعت ليبيِّنه ويميِّزه، ولا قطع مع الحاجة))[٣٦].

ويستلزم ذلك أن لا يكون المنعوت اسم إشارة؛ لأنَّ ((اسم الإشارة محتاج إلى نعته لِتَبْيين ذاته))[٣٧]. وللقطع أغراضٌ وغاياتٌ يهدف إليها مُنشِئُهُ، منها تجديد نعت للمنعوت غير تابع له في الإعراب، قال الفراء(ت٢٠٧هـ): ((والعرب تعترض من صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم، فيرفعون إذا كان الاسم رفعاً، وينصبون

بعض المدح، فكأنَّهم ينوون إخراج المنصوب بمدحٍ مُجدَّد غير مُتْبَعٍ لأول الكلام))[٣٨].

ويستعمل القطع كذلك لِلَفْتِ نظر السامع وإثارة انتباهه، بخلاف الإتباع، ذلك ((أنَّ في الافتنان لمخالفة الإعراب وغير المألوف زيادة تنبيه وإيقاظ للسامع وتحريك من رغبته في الاستماع، ولاسيّما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ فإنَّهُ أدل دليل على الاهتمام))[٣٩].

ويستعمل النعت كذلك – عند قطعه – كدليل على اشتهار المنعوت بهذه الصفة؛ فأنت تقطع النعت وتعلم أنَّ السامع على علم بهذا النعت للمنعوت، وقد نقل سيبويه عن الخليل أنَّك عندما قطعت ((لم ترد أن تُحدِّثَ الناسَ ولا من تُخاطِب بأمرٍ جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعله ثناء وتعظيماً))[٤٠].

ويَرِدُ القطع في البدل كذلك نحو (((فرحت بعلي أخوك) أو أخاك، على القطع فيهما، أو أخيك على البدل))[٤١].

وفي بيت لامرئ القيس قُطِع فيه البدل عن المبدل منه، وذلك في قوله[٤٢]:

[من الطويل]

وتُضْحِي فَتيتُ المِسْك فوق فِراشِها   نَئُومُ الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّل.

وروى التبريزي ((نؤومَ الضحى)) بالنصب[٤٣].

فالشاعر يصف محبوبته بالدّعة والنعمة وخفضِ العيش، فهي ترش فراشها بالمسك، ولم تعتد الاستيقاظ مبكراً، فهي كثيرة النوم في الضحى، ولاتشد وسطها للعمل بعد لبس النوم؛ لأنَّها لا تحتاج إلى ذلك ما دامت على هذا الحال: الغنى والفضل والجمال والدلال[٤٤].

فمن رفع (نؤوم الضحى) فعلى المدح، بإضمار: هي نؤوم الضحى، ومن نصب فعلى المدح أيضاً بإضمار الفعل، ويجوز الخفض على البدل من الهاء (فراشها)[٤٥].

فرواية الرفع ترمي إلى إيقاظ السامع وإثارة إنتباه المخاطب إلى أنَّ حبيبته مشهورة بهذه الصفة، ((غير أنَّ اتصافه بهذه الصفة واستقرارها ورسوخها فيه وتمكنها منه أكثر وأشد))[٤٦] من رواية النّصب فنوم الضحى إشارة إلى الغنج والدلال، وهما صنوا الإباء والامتناع اللذين فيهما الألم والشقاء للعاشق، ((ولكن العاشق يتمسك بألمه وشقائه لكونهما من جوهر عشقه وتجربته الوجدانية، وكلما أمعن العاشقان في التراوح بين البعد وشبه القبول، بين اللقاء المبتور والفراق الطويل، نما هذا العشق وازداد))[٤٧]، وتلذَّذَ العاشق بهذا النمو والازدياد.

أمَّا رواية النّصب فهي دون رواية الرفع في توكيد ورسوخ اشتهار الموصوفة بهذه الصفة أولَفْت إنتباه السامعين، ولعلَّ الشاعر في هذه الرواية حمل وجهة نظر العشاق الذين يرون أنَّ شيئاً من الغنج والدلال يزين المرأة ويَسُر الرّجل، بخلاف الإسراف فيه؛ ((لأنَّ الإسراف يشيع في جوانبه اليأس، وقد يصرفه عن هواها إلى أُخرى))[٤٨].

٣-بين النّصب والجر:

- النّصب على المفعولية والجر بـ (رُبَّ) مقدرة:

اختلف النحاة في (رُبَّ)، أهي اسم أم حرف، فذهب البصريون إلى أنَّها حرفٌ، وذهب الكوفيون إلى أنَّها اسمٌ[٤٩]. استدل البصريون على ذلك بأنَّ معناها لا يظهر إلاّ في غيرها. وكذلك هي مبنية بغيرعارض، ولو كانت اسماً لكانت معربة. وكذلك إيصالها لمعنى الفعل إلى ما بعدها كما هي الحال مع حروف الجر.

وقد رُدَّ بأنَّ لها صدر الكلام، وحروف الجر تقع متوسطة. وقال البصريون إنَّها مقابل (كم) الخبرية، وهي لا تقع إلاّ في صدر الكلام[٥٠].

وقد اختلف النحاة في معناها كذلك، فذهب الأكثرون إلى أنَّها للتقليل، وذهب صاحب كتاب العين وابن درستويه (ت٣٤٧هـ) إلى أنَّها للتكثير[٥١]. وذهب آخرون إلى أنَّها للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً[٥٢].

وذهب آخرون إلى أنَّها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار[٥٣]. ورُبَّما أنَّها لم توضع لتقليلٍ، ولا لتكثيرٍ، بل ذلك يُستفاد معنى التقليل والتكثير من سياق الكلام، وهذا الذي اختاره ورجَّحه أبو حيان الأندلسي[٥٤]

فمِن استعمالِها للتقليل، بل للواحد، كقول الشاعر[٥٥]: [من الطويل]

ألا رُبَّ مَوْلـــودٍ ولـــيس لـــه أبٌ ... وذي وَلـــد لـــم يَلْـــدَهُ أَبَـــوان

والأول هو عيسى والثاني آدم عليهما السلام[٥٦].

ومن استعمالها للتكثير، قول امرئ القيس[٥٧]: [من الطويل]

أَلاَ رُبَّ يـــومٍ لـــك مـــنهُنَّ صـــالحٍ ... ولا سِـــيَّمَا يـــومٌ بـــدارةِ جُلجُـــلِ

وغالباً ما تستعمل في مواضع المباهاة والافتخار[٥٨]. وقد تنوب الواو عن (رُبَّ)، واختلف النحاة في الاسم المجرور بعدها، فذهب البصريون إلى أنَّ (الواو) لا تعمل الجر في الاسم بعدها، وإنَّما العمل لـ (رُبَّ) المقدرة، واستدلُّوا على ذلك بأنَّ (الواو) ليست عاملةً؛ لأنَّها حرف عطف، وحرف العطف غير مختصّ؛ لذا لا يَعمل، وإذا لم يكن عاملاً وجب أنْ يكون العامل (رُبَّ) المقدرة. وذهب الكوفيون إلى أنَّ (الواو) تعمل الجر في الاسم بنفسها، واستدلوا على ذلك بأنَّ (الواو) نائبة عن (رُبَّ)، فلما نابت عن (رُبَّ) وهي تعمل، فكذلك (الواو) لنيابتها عنها، كما عملت (واو القسم) الجر لمَّا نابت عن باء القسم. ومما يقوي رأي البصريين أنَّه يجوز إظهار (الواو) مع (رُبَّ)، نحو: (ورُبَّ بلدٍ)[٥٩]

وينوب (الفاء) كذلك عن (رُبَّ)، فيجُر الاسم بعدها بـ (رُبَّ) المقدرة[٦٠]. وقد وردت (الفاء) نائبة عن (رُبَّ) في إحدى روايتي بيت شعري لامرئ القيس، وذلك في قوله[٦١]: [من الطويل]

فمثلَـكِ حُبْلَـى قـد طرقْـتُ ومُرْضِـعاً ... فألهيْتُهـا عـن ذي تمـائم مُغْيَـلِ[٦٢]

ويروى ((فمثلِكِ)) بالجر، فمن نصبها فعلى أنَّها مفعولة بطرقت، ومن جرها جعل (الفاء) نائبة عن (رُبَّ)[٦٣].

يقول: أتيتُ كثيراً من النساء المرضعات، وشغلتُهُنَّ عن الإرضاع، وكذلك الحوامل.

يتباهى ويتفاخر بذلك؛ لأنَّ المرضع والحامل لا تشتهي الرّجال، ومع ذلك رغبْنَ فيه لجماله ووسامته[٦٤].

فرواية (فمثلِك) بالجر، تفيد وجود (رُبَّ) مقدرة عملت الجر في (مثلك)، وهنا تفيد الكثرة؛ لأنَّها جاءَت في سياق المباهاة والتفاخر، المباهاة والتفاخر بمغامراته الفاحشة التي تشير إلى قلة حياءٍ وعدم تحرُّجٍ.

وليس هذا غريباً على امرئ القيس وآبائه ؛ فقد ((كان جدُّه مُزْدَكيّاً[٦٥] سمحت له أخلاقه أنْ يُعرف بين قومه بمذهب يدعو إلى أن يكون المال والنساء على المشاع، وثارت بنو أسد على أبيه حجر؛ لأنَّه يغير على نسائهم))[٦٦].

أمَّا رواية النّصب فليس فيها هذا الإيحاء إلى الكثرة في اقتراف مثل هذه الأعمال، فالمرء مهما غرق في بحر العشق والشهوات، وارتكب من الذنوب والمعاصي، إلا أنَّه يبقى يميز الصحيح من السقيم، ويميل إلى الخُلُق المستقيم، ويكره الخلق الذميم، أو ليس امرُؤ القيس – حامل لواء الشعراء إلى النار –[٦٧]هو القائل[٦٨]: [من الوافر]

وكُـــلُّ مَكـــارِمِ الأَخـــلاق صـــارتْ ... إليـــه هِمَّتـــي وبـــه اكْتِســـابِي

وورد في إحدى روايتي بيت آخر من شعره (الواو) نائبة عن (رُبَّ)، وذلك في قوله[٦٩]: [من الطويل]

ويوماً على ظهر الكثيب تعذَّرتْ — عليَّ وآلتْ حَلْفةً لم تَحَلَّلِ

وعن ابن الانباري(ت٣٢٨هـ)أنه يُرْوَى ((ويومٍ))[٧٠]. يقول الشاعر: تشددت العشيقة ذات يوم وساءَتْ عشرتها وحلفتْ حلفاً لم تستثنِ أنَّها تقاطعني وتهجرني[٧١]

فرواية الجر تدلُّ على (رُبَّ) مقدرة بعد الواو، وهي تدلُّ على التقليل. فقليلة هي الأيام التي تصعب الفتاة على الفتى بعدما يصلان إلى هذه الحالة من الخلوة والاختفاء عن أعين الرقباء، ذلك أنَّه ما من ((رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب، وطال ذلك، ولم يكن ثَمَّ من مانع، إلاّ وقع في شَرَك الشيطان، واستهوته المعاصي، واستفزَّهُ الحرصُ، وتغوَّله الطمعُ، وما من امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحال إلاّ وأمْكَنَتْهُ، حتماً مقضياً، وحكماً نافذاً لا محيد عنه البتة))[٧٢].

ولعلَّ هذا الذي يفسر لنا الحكمة من منع ديننا الحنيف للخلوة والاختلاط بين الرّجل والمرأة[٧٣].

أمَّا رواية النّصب التي لا توحي بالتقليل ولا تدلُّ عليه – مقارنة بالرواية الأُخرى – فلعلَّ الممتنعات غير قليلات، ولا الأيام التي تَمَنَّعْنَ فيها كانت قليلة؛ ذلك أنَّ امرأَ القيس كان مبغضاً إلى النساء، وكان يفتقد التقدير والحبَّ بين زوجاته، فلم يكُنَّ حريصات على ملاطفته أو إرضائه؛ فقد كان كما وصفته إحداهُنَّ ((ثقيل الصدر، خفيف العجز، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة))[٧٤].

المبحث الثاني

الأدوات

١- بين (الباء) و (اللام):

المعنى الأصلي للباء هو الإلصاق[٧٥]، وقيل: هو معنىً لا يُفارقها[٧٦]، ولهذا اقتصر عليه سيبويه، جاء في الكتاب: ((وباء الجرِّ إنما هي للإلْزاق والاختلاط، وذلك قولك: (خرجت بزيدٍ)، و(دخلتُ به) و(ضربته بالسوط) ألزقت ضربك إيَّاه بالسَّوط، فما اتَّسع من هذا في الكلام فهذا أصْلُه))[٧٧]. ولَزِق لغة في لَصِق، وهي لغة ربيعة، أمَّا لَصِق فلغة تميم[٧٨].

والإلصاق ((حقيقيٌ كـ (أمسكت بزيد) إذا قبضتَ عليه شيئاً من جسمه أو على ما يحبسه من يد أو ثوب ونحوه، ولو قلت: (أمْسكْتُه) احتمل ذلك وأن تكون منعته من التصرف))[٧٩]، وقد يكون مجازاً، نحو (مررت بزيدٍ)، أي: ألصقت مروري بمكان يقْرُب من زيد[٨٠].

وقد ذكر النحاة لها معانيَ كثيرة، أوصلها ابن هشام (ت٧٦١ هـ) إلى أربعة عشر معنى[٨١]، وأوصلها غيره إلى ستة عشر معنى[٨٢].

فمن المعاني التي ذكرها النحاة للباء (التعدية)، وهي المعاقبة للهمزة في إيصال معنى الفعل للمفعول، وأكثر ما تعدي الفعل القاصر، تقول في ذهب زيد (ذهبتُ بزيدٍ)، وتسمى (باء النقل) أيضاً وذهب الجمهور إلى أنَّ (باء التعدية) بمعنى(همزة التعدية)، ولا تقتضي مشاركة الفاعل للمفعول، وذهب المبرِّد والسهيلي(ت٥٨١هـ) إلى أنَّها تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول[٨٣]. وإليه ذهب الزمخشري، جاء في الكشاف: ((فإنْ قلت: أيُّ فرقٍ بين تعدية (ذهب) بـ(الباء) وبينها

بـ(الهمزة)؟ قلتُ: إذا عُدِّي بـ(الباء) فمعناه الأَخذ والاستصحاب، كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ [يوسف: ١٥] ، وأمَّا الإذهاب فكالإزالة))[٨٤].

أمَّا (لام الجرِّ) فأصل معانيها الاختصاص، نحو: (الجنة للمؤمنين)، ((وهو معنىً لا يُفارِقها، وقد يصحبه معانٍ أُخر))[٨٥].

وقد ذكر النحاة لها معاني كثيرة، فقد ذكر لها ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) اثنين وعشرين معنىً[٨٦] وأوصلها المرادي(ت٧٤٩هـ) إلى أكثر من ذلك[٨٧] ولكن أكثر هذه المعاني تعود الى الاختصاص[٨٨].

ومن المعاني التي ذكرها النحاة لها موافقتها لـ (إلى)، نحو قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [الزلزلة: ٥][٨٩].

وقد علل ابن السِّيد البطليوسي(ت٥٢١هـ) مجيءَ اللام لهذا المعنى، بأنَّه ((جاز وقوعُ اللام موقع (إلى)، ووقوع (إلى) موقع اللام، لِمَا بينَ مَعْنييهما من التداخل والتَّضارع. ألا ترى أنَّ اللام لا يخلو من أنْ تكون بمعنى الملك، أو الاستحقاق، أوالتخصيص، أو العلّة والسبب. و(إلى) للإنتهاء والغاية. وكل مملوك فغايته أنْ يَلحق بمالكه، وكلُّ مُستحق فغايته أن يَلْحقَ بِمُستحقه، وكل مختص فغايته أنْ يلحق بمختصه، وكلُّ معلول فغايته أَنْ يلحق بعلته، فكلها يوجد فيها معنى(إلى) وموضوعها الذي وضعت له))[٩٠].

وقد وَرَدَتْ روايتان لبيتٍ شعريٍّ لامرئ القيس اشتملت إحداهما على (الباء الجارة)، والأخرى على (الام الجارة)، وذلك في قوله[٩١]: [من الطويل]

سَمَا لَكَ شوقٌ بعدما كان أَقْصَرَا وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فعَرْعَرا[٩٢]

ويروى ((سَمَا بِكَ))[٩٣].

يقول: إنَّ حبَّهُ قد تسعَّرَ، وشوقَه قد ازداد وذهب به كل مذهب، بعدما رحلَتْ حبيبتهُ ونزلت مع قومها بواد (بطن قوٍّ) ثم بوادي (عرعر)، وهما موضعان بعيدان

عن موضعه الذي يقيم به، وكان شوقُه قد انْحَسَر، وحُبُه قد تراجع قبل ذلك لقربها منه[٩٤].

فرواية (سما بك) أَكبرُ إيحاءً، وأشدُّ تعبيراً عن تَسَعُّرِ الشوق وتزايد الحنين في أعماقه لحبيبته؛ ذلك أنَّ (الباء) هنا أَعطتْ معنى (التعدية)، والتعدية تقتضي مشاركة الفاعل للمفعول ومصاحبته له، وأنَّ معنى الإلصاق لا يفارقها، مع إعطائها معنى التعدية كذلك[٩٥].

فهذه الرواية تُبْرِزُ أنَّ الشَّوقَ هو الذي رَفَعَ الشاعرَ، وظلَّ ملاصقاً له وملازماً إيَّاه، يرفعُه ويصحَبُه إلى حيث تختفي أَحكام العقل، وتذوب قواعد المنطق، وليس هذا غريباً على العاشقين ((أَمَا سَمِعْتَ بذلك الأَعرابي الذي قيل له: ما بَلَغَ من حُبِّك لفلانة؟ فقال: (واللهِ إني لأرى الشمسَ على حائطها أَحسنَ منها على حيطان جيرانها)... واللهِ صَدَقَ وبرَّت يمينه، فإنَّ في كلماته الشعرية لأثراً من عَيْنَيه إذ يرى الشمسَ على حائطها كالشمسِ على البِلّوْر الصافي لا على الحَجَر والمَدَر، فهناك أَشعةٌ أُخرى من تلك التي وراء الحائط تَنْفُذُ الى قلب هذا المسكين فإذا هي سَطَعَتْ لخياله في نور الشمسِ أضافَتْ إلى النور أَلْواناً مُختلفة من ذلك المعنى الجميل الحيّ، فلا تكون الشمسُ في عينيه أحسنَ مما هي وقتئذ، ولو أنَّها طلعت على حائط من اللؤلؤ))[٩٦].

أمَّا رواية (سما لَك)، فلا تمتلك ذلك الإيحاء القوي الذي تملكه الرواية الأُخرى فيقال في تفسيرها :إنَّه ((جاءك الشوقُ بعد ما كان تركك))[٩٧].

و(اللام الجارة) هنا، جاءت بمعنى (إلى)، أي؛ إنَّ غاية الشوق هي الوصول إليك، فعبارة (سما لك) – وحدها – توحي أنَّ الشوق كان بعيداً عنك، من غير حاجة الى تكملة صدر البيت (بعدما كان أَقصرا) لإعطاء هذا المعنى، وتُوْحي إلى أنَّ

الشوق يسمو إلى الشاعر، دون التصريح بأنَّ الشوق يسمو بالشاعر ويرفعه كما فعلتْ الرواية الأُخرى.

وإذا كانت رواية (سما بك) وقُوَّتها تَتَناسب مع سلطان الشوق وما يفعلها بالألباب، فإنَّ رواية (سما لَك) وضعفها – نسبة إلى الرواية الأُخرى – تتناسب مع امرئ القيس كشخص غير موفق في حياته العاطفية، حتى مع زوجاته فقد كان ((كثير الزواج كثير الطلاق))[٩٨].

ولعلّنا لا نُعْدَمُ دليلاً على ذلك في أشعاره، ففي القصيدة التي مَطْلعُها هذا البيت الذي نُحَلِّلُه ونَسْتَشهد به، يقول في أحد أبياته[٩٩]: [من الطويل]

أَأَسْماءُ أَمْسَى وُدُّها قد تَغَيَّرا   سنُبْدِلُ إنْ أَبْدَلْتِ بالوُدِّ آخَرا

فهو يخاطب حبيبته (أسماء) – وربَّما هي سُلَيْمى نفسُها كما صرح بذلك أحد شُرَّاح الديوان–[١٠٠] قائلاً: إنَّها لو قطعت ما بينهما من حُبٍّ وَوِصال؛ لابتعاده عنها، وقامَتْ بوصل غيره، فإنَّه سَيَميلُ إلى سواها، ويهوى غيرَها[١٠١].

وهذا التهديد بالانصراف إلى حبيبةٍ أُخرى، يتنافى مع الشوق المُتَّقِد والحنان اللاهب، وهذا ما يفسر لنا – ثانيةً – ضعف معنى رواية (سما لَك) وانحطاطها في القوة عن الرواية الأُخرى.

٢- بين (الباء) و(في):

المعنى الأصلي لحرف الجرِّ (في) هو (الظرفية)، وتعني (الوعاء)[١٠٢]، لذلك قال سيبويه: ((وأمَّا (في) فهي للوعاء))[١٠٣].

وظرفية (في) إمَّا زمانية أو مكانية، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﭼ [الروم: ١ – ٤][١٠٤].

وهي إمَّا حقيقية كما في الآية السابقة، ونحو قولك: (المالُ في الكيس)، وإمَّا مجازية،

نحو قوله تعالى:ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [البقرة: ٢٠٨]، وقوله تعالى:ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [البقرة: ١٧٩][١٠٥].

وقد وَرَدَتْ في بيت لامرئ القيس روايتان، اشتملت إحداهما على (الباء) الجارة المشتملة على معنى الظرفية، واشتملت الأُخرى على (في)، وذلك في قوله[١٠٦]: [من البسيط]

وغَارَةٍ قد تَلَبَّبتُ بها   كأَنَّ أَسْرَابَها الرِّعالُ[١٠٧].

ويروى ((قد تلببت فيها))[١٠٨].

يُبين الشاعر أنَّه اشْتَرَك مع جماعة من قَوْمه في هُجُوم على الأعداء، قاموا به في الصباح، وقد تَحزَّم فيها وتشمَّر، مُتقدِمة المهاجمين أَسرابُ الخيل[١٠٩].

فرواية (تَلَبَّبْتُ فيها)، تدلُّ على تشميره عن ساعد الجد، ومشاركته في عُمْقِ الغارة، وفي وسط المعركة، وذلك بما توحيه ظرفية (في) الدالة على الإحاطة والولوج والتضمين[١١٠]، فهو عاقدٌ العزم، مُصَمِّمٌ غيرَ آبِهٍ بالأعداء، يدلُّ على ذلك ما أَوْرَده بعد هذا البيت – بزهوٍ وفخر – من حديث عن خيولهم، وكيف أنَّها تُشبه الجرادَ المبثوث حين تَلْمعُ نعالُها، وقد هاجموا في صباح أَحد الأيام، فكان أَشدُّ أَعدائهم تعاسةً وشقاءً الرجالَ؛ لأنَهم يُقتلون ويصرعون، بينما النساءُ والصبيان يُسْبَوْن ويُؤْسَرون[١١١].

فهو يقول مُتحدّثاً عن ذلك[١١٢]: [من البسيط]

كأَنَّهُم حَرْشَفٌ مبثوثٌ   بالجَوِّ إذ تبرقُ النِّعالُ

صبَّحْتُها الحيَّ في غَدَاةٍ   فكانَ أَشْقاهُمُ الرِّجالُ

أَمَّا رواية (قد تلببتُ بها)، فحَزْمُ الشاعر وعَزْمه في الغارة أَقلُّ نسبةً الى الرواية الأُخرى، فالظرفية التي تفيدُها (الباء) هي الملاصقة والمصاحبة ولَيْسَت الاحتواء والإحاطة(١١٣).

وهذا الضعف والبرودة – مقارنةً بالرواية الأُخرى – في تَحَزُّمه وتشمُّره للغارة والمعركة، ربما يكون عائداً إلى وجود نزعة أَصيلة في النفس البشرية تَنْبُذُ الحروب، وتكرَهُ الغَزَوات، وتميلُ عن المعارك، وهذه النَّزْعة لم تكن بعيدةً عن امرئ القيس، ولا بعيدةً عن شعره، فهو الذي يذم الحرب قائلاً(١١٤): [من الكامل]

الحربُ أَولُ ما تكون فتيةً ... تَسْعى بزينتها لكُلِّ جَهولِ

حتى إذا اسْتَعَرَتْ وشَبّ ضِرامُها ... عادتْ عجوزاً غيرِ ذاتِ خليلِ

شَمْطاءُ جَزَّتْ رَأْسَها وتنكَّرتْ ... مَكْروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ

٣- بين (في) و(من):

المعنى الأصلي لحرف الجرِّ (من) هو(ابتداء الغاية)، واتَّفق النحاة على أنَّها لـ (ابتداء الغاية) في المكان، نحو قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ﭗ ﭗ ﭙ ي ي چ [الإسراء: ١]، واختلفوا في الزمان، فذهب البصريون إلى منعه، وذهب الكوفيون والأخفش والمبرِّد وابن درستويه إلى جواز ذلك، ومما استدل به المجيزون، قوله تعالى: چ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ چ [التوبة: ١٠٨](١١٥)، وقول النابغة الذبياني(١١٦): [من الطويل]

تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزمانِ يومِ حَلِيمةٍ ... إِلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارِبِ

وتكون (من) أيضاً لابتداء الغاية في غير الزمان والمكان، نحو الأَحداث والأَشخاص، نحو: (عجبتُ مِنْ إقدامِك على العمل)(١١٧).

وقد أشار سيبويه إلى ذلك: ((وتقول إذا كتبت كتاباً: من فلان إلى فلان. فهذه الأَسماء سِوى الأَماكن بمنزلتها))(١١٨).

وقد ذكر النحاة لـ(من) معاني أُخر، أَوصلها ابن هشام إلى خمسة عشر معنىً(١١٩). وقد قيل: إنَّ سائر معانيها راجعة إلى (ابتداء الغاية)(١٢٠). وأمَّا (من) بعد أفعل التفضيل فهي لـ(ابتداء الغاية)(١٢١).

وقد ورد بيتٌ لامرئ القيس بروايتين، تضمَّنتْ إحداها (في) الجارة، والأُخرى (من) الجارة، وذلك في قوله(١٢٢): [من الطويل]

أَلا أَيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ أَلا انْجَلِي ... بصبحٍ وما الإصباحُ فيكَ بأَمْثَلِ(١٢٣)

ورواية القُرَشِي (ت نحو ١٧٠هـ) والزوزني (وما الإصباح منك)(١٢٤).

فرواية (فيك بأمثل) التي جاءَت فيها (في) بمعناها الأصلي وهو الظرفية، جاءَت لتُؤَكدَ ثِقَلَ الليلِ على الشاعر ورتابته، لازدحام الهموم عليه، يقول: ((ليس الصباح بأمثل وهو فيك، أي؛ أُريد أن يجيء مَجيئاً مُنكَشِفَا مُنْجَلياً لا سَوَادَ فيه. كما قال البحتري (ت٢٨٤هـ)، وإلى هذا أشار فقال:(١٢٥):[من البسيط]

فأَزْرَقُ الليلِ يبدو قبلَ أَبْيَضِهِ ... والغيثُ يبدأُ قَطْراً ثُمَّ يَنْسَكِبُ

قال الأصبهاني: ((ولو أرادَ أَنَّ الصباح ليس بأَمثل من الليل، لقال: منك بأمثل))(١٢٦).

فهو مهمومٌ مغمومٌ ضَجِرٌ من اللَّيل، كُلِّ الليل، ولا يرى أَفضليةً للصباح كذلك ما دام فيه مخالطةٌ بالليل.

ويُقال في تفسيره أيضاً: ((إذا جاء الصبح فإنِّي أيضاً مهمومٌ))(١٢٧). ومما يؤيد التفسير الأول أنَّ هذا البيت قد جاءَ في سياق أبيات أُخرى من المعلقة يتحدث فيها عن الليل قائلاً(١٢٨): [من الطويل]

وليلٍ كمَوْجِ البَحْر أَرْخَى سُدُولَهُ ‏   عليَّ بأنواع الهمُومِ لِيَبْتَلِي

فقلْتُ له لمَّا تمطَّى بجوْزِه ‏   وأَرْدَفَ أَعْجازاً وناءَ بكَلكلِ

ألاَ أَيُّها اللَّيل الطويلُ ألا انْجَلِي ‏   بصبحٍ وما الإصباحُ فيِك بأَمثَلِ

فيا لكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه ‏   بكلّ مُغارِ الفتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في مَصامِها ‏   بأَمْراسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

((رَسَم امرؤ القيس في هذه الأبيات صورة أدبية تنبض بالحياة والحركة، للهمِّ يُنيخ عليه بكل قواه، فيسحقه تحته سحقاً، لا يترك له بارقةً من أَملٍ تحمل إليه شعاعاً مِن طُمأْنينة، ولا نافذة من رجاء يتخذها مَهْرباً الى عالم وهذه الأبيات في الهدوء الرحيب))[١٢٩]، وهذه الأبيات وصف الليل وتصويره، لها شَأْن في الأَدب العربي وفي دراسات باحثيه، وقد قلدها فيما بعده شعراء كُثُر[١٣٠].

فهذه الأبيات وصف لِلَّيل بل إغراق في وصفه، وهي حديث عن همومه بل إسراف في الحديث عنها ((لذا كان انبلاج النهار باعثاً للحيوية والنشاط في نفس شاعرنا؛ لأنَّ النهار هو الحياة والأُلفة والحركة بعكس ليل الوحشة والخوف والهموم))[١٣١].

وقد يتبادر الى الذهن سؤال عن تخصيص امرئ القيس لِلَّيل بإطباقه عليه ضروباً من الهمِّ، ويأتي الجواب مِن أحد النُّقد المُحْدَثين بأنَّه انبعاث ((اللاشعور الجماعي قوياً عارماً، فالليل حيوانٍ خرافي عظيم الخِلْقة، لعلَّه من مخلفات الأَساطيرالقديمة والعبادات الوثنية. وكان هذا الحيوان الخرافي الهائل يجثم على صدره ويضيق تنفُّسُه ويشعره بدنو أَجله أو دنو الموت منه))[١٣٢].

أمَّا رواية (منك بأَمثل)، التي أَعطَتْ فيها (مِن) معنى (ابتداء الغاية) وهو المعنى الأصلي لها، فمعناها: إذا جاء الصبح فأنا مغموم كما كنت في الليل، فهو يرى أنَّ ((الليل ثقيل رتيب لا يريد أنْ يمضي، ومطحون به يرقب الصبح قلقاً، وماذا يصنع بالصبح إذا جاء؟ إنَّه ليس بأفضل من الليل، لن يحمل إليه عزاء، ولن يخفف ما به من بلوى))[١٣٣].

هذه الرواية التي تؤكِّد إطباقَ الهم على حياة الشاعر، جاءَت مِرْآةً صادقة لحياة امرئ القيس، حياتِهِ كُلِّها، ليلِهِ ونهارِهِ، طفولتِهِ وشبابِهِ، فهو الذي طُرِدَ صغيراً من قِبَلِ أَبيه، وعانى ما عانى في طفولته، حتى إذا كَبِر وتخلص من معاناة الطفولة، وَجَد أمامَهُ حِمْلاً كبيراً وعِبْئاً ثقيلاً، عليه حَمْله، ألاَ وهو الثأْر لمقتل أبيه من بني أسد، ويحدثنا الشاعر نفسُه عن ذلك بعبارات تَقَطرُ حُزناً وألماً، بعدما سَكب فيها همّاً وأسىً، قائلاً ((ضيَّعني صغيراً، وحمَّلني دمه كبيراً، لا صَحْو اليوم، ولا سكر غداً، اليومَ خمر وغداً أمر))[١٣٤].

وهو الذي افتقد الحب والتقدير بين زوجاته، فقد سأل زوجته أمَّ جندب ((ما يكرهُ النساءُ مني قالت: يكرهْنَ منك أنَّك ثقيلُ الصدرِ، خفيفُ العجزِ، سريعُ الإراقةِ، بطيءُ الإفاقةِ، ويسأل أُخرى عن مثل ذلك فقالت : يكرهْنَ منك أنَّك إذا عَرَقْتَ فُحْتَ بريحِ كلبٍ))[١٣٥].

وهو الذي خابَ أَمَلُه، ولم يجد ما يرجوه، من بعض مَنْ استجار بهم[١٣٦]، حتى وصل الأمر بأحدهم وهوعامر بن جُوَيْن، وكان خليعاً فاتكاً، الى أن راودته نفسه في أموال امرئ القيس، وكان يُعَرِّض بهِنْدٍ ابنَتِهِ، إلى أنِ اضطرَّ إلى الرحيل عنه[١٣٧].

المبحث الثاني

الأساليب النحوية (أسلوب الشرط)

١- بين(إنْ) و (إذا):

تُعَدُّ (إنْ) الشرطية أصل أدوات الشرط، وقد نَسَب سيبويه الى الخليل بن أحمد أنَّهُ زعم ((أنَّ (إنْ) هي أُمُّ حروف الجزاء))(١٣٨).

وقد عُلِّلَ ذلك بأنَّ ((حروف الجزاء قد يَتصرَّفْنَ فَيَكُنَّ استفهاماً، ومنها ما يُفارقه (ما) فلا يكون فيه الجزاءُ، وهذه على حالٍ واحدةٍ أبداً لا تفارق المجازاة))(١٣٩).

و(إنْ) حرف يجزم فعلين، هما فعل الشرط وجوابه، وإذا وقعا ماضيين فيكونان في موضع جزمٍ ولم يتبين فيهما الإعراب(١٤٠).

وتختصُّ (إن) بالمستقبل في المعنى(١٤١)، ذلك أنَّ ((الأصلَ في حروف الشرط والجزاء أن تدخل على فعل المستقبل))(١٤٢). وقد تدخل على الماضي، نحو قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [يوسف: ٢٧](١٤٣).

أمَّا (إذا) الشرطية فهو ظرف ((للمستقبل مضمنة معنى الشرط))(١٤٤)، ويكثر مجيء الماضي بعدها، مراداً به الاستقبال، وقد يأتي الشرط معها للدلالة على المضي، نحو قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [الجمعة: ١١]، ومعلوم أنَّ الآية نزلت بعد الحادثة(١٤٥).

ومع تَضمُّن (إذا) معنى الشرط إلا أنَّها غير جازمة، وعُلِّلَ ذلك بأنَّه ((مُنِع (إذا) من أن يُجازي بها؛ لأنَّها مؤقتة وحروف الجزاء مبهمة))(١٤٦).

وقد تطرق النحاة إلى مسألة الفرق بين الأداتين (إن) و(إذا)، فهم يرون أنَّ (إذا) تدخل على المعلوم والمتيقن غالباً، أمَّا (إنْ) فتدخل على المبهم والمشكوك فيه غالباً، قال سيبويه: ((إنَّ (إذا) تجيءُ وقتاً معلوماً، ألا ترى أنَّك لو قلت: آتيك إذا

احمرَّ البُسْرُ، كان حسناً، ولو قلت: آتيك إنْ احمرَّ البُسْرُ، كان قبيحاً))(١٤٧)؛ وذلك لأنَّهُ واقع لا محالة.

وجاء في الإتقان: ((تختصُّ (إذا) بدخولها على المتيَّقن والمظنون والكثير الوقوع، بخلاف (إنْ) فإنَّها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [المائدة: ٦]، ثم قال ﴿ ... ﴾ [المائدة: ٦] ، فأتى بـ (إذا) في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه، وبـ (إنْ) في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة إلى الحدث))(١٤٨).

ومثال ما وردتْ فيه الأداتان (إنْ) و(إذا) في روايتين لبيت واحد من شعر امرئ القيس، قوله(١٤٩): [من الوافر]

أَلاَ إنْ لاَ تَكُنْ إِبِلٌ فمِعْزَى ... كأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِيُّ(١٥٠)

وروى الطوسي، والسكري، وابن النحاس((إذا ما لم تكن إبل))(١٥١). يقول امرؤ القيس: إن لم تتوفر الإبل، ففي المِعْزى غِنىً واكتفاءٌ، أي ((إلا يكن غِنىً وكثرة مال فَبُلْغَةٌ من العيش تُغنى عن ذلك))(١٥٢).

ويروى في سبب نظم القصيدة، أن بني نبهان رَكِبُوا الرواحل ليَرُدّوا إبل امرئ القيس التي أخذتها جديلة، فاستولت جديلة على الرواحل كذلك، فقام بنو نبهان بمنح المِعْزى لامرئ القيس بدلاً من إبله التي استولت عليها جديلة(١٥٣).

فرواية (إذا ما لم تكن إبل) التي تضمنت الأداة (إذا) الدالة على اليقين، جاءت لتؤكداستسلامه للواقع، ويقينه بما حصل، ورضاه به واطمأنانه إليه، وربما دفعه إلى ذلك رغبته في تَطْييب خاطر بني نبهان الذين دافعوا عنه، لكنهم لم يستطيعوا رد إبله وفعل أكثر مما فعلوا.

أمَّا رواية (إن لا تكن إبل)، فقد اشتملت على الأداة (إنْ) الدالة على الشك. وكيف لا يشك؟ وكيف لا تستولي عليه الظنون والحيرة بهذا الواقع الذي أصبح أسيراً

له؟ مَلِكٌ جَلْد من سلالة الملوك، يُقتل أبوه الملك، وتُؤْخذ إبله بالقوة، وحتى الَّذينَ وُضِع المال لديهم وديعة، لم يستطيعوا الدفاع عنه، فأصبح مصدراً للعطف والشفقة، يُوهَب من أدنى أموال العرب، وهي المِعْزى، ليحلبها ويقتات عليها ويعتاش منها. إنَّهُ لواقع جدير بأن يُزْجِي المرءَ إلى متاهات الظنون، وغياهب الشكوك، ويسوقه إلى حيث تختفي فيه الحدود بين الظن واليقين، حتى ليشك المرءُ في نفسه ووجوده.

وهذا ما دفع الأصمعي إلى إنكار أنْ يكون هذا البيت وما يليه لامرئ القيس، لأنَّه مَلِكٌ، وهذا الكلام بعيد عن منطق الملوك[١٥٤]. وقد نسبه للحُطَيْئَه[١٥٥]

٢- بين (إنْ) و(لو):

لو: أداة من أدوات الشرط، تستعمل للربط والتعليق في الجملة الشرطية[١٥٦]، وجاء في الكتاب أَنَّها ((لِمَا سيقع لوقوع غيره))[١٥٧].

ويرى ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أَنَّها ((تدلُّ على امتناع الشي لامتناع غيره، تقول: (لو حضر زيدٌ لحضرت) فامتنع هذا لامتناع هذا))[١٥٨].

و(لو) حرف يفيد الربط والتعليق في الماضي، وقد يستعمل في المستقبل بمعنى (إنْ)، نحو: (لأكرمنَّك ولو جفوتني)، بمعنى (وإنْ جفوتني)[١٥٩].

وقد تناول النحاة في كتبهم الفروقات بين (لو) و(إنْ)، فمن ناحية الزمن الأغلب في (لو) أنْ تَدُلَّ على التعليق في الماضي، أمَّا (إنْ) فتدلُّ على التعليق في المستقبل[١٦٠].

أمَّا من ناحية المعنى، فان (لو) ((مَوْضوعةً لشرط مفروض وجوده في الماضي مقطوع بعدمه فيه، لعدم جزائه، و(إنْ) مَوْضُوعةً لشرط مفروض وجوده في المستقبل، مع عدمِ قَطْعِ المتكلم، لا بوقوعه فيه، ولا بعدم وقوعه))[١٦١].

فـ(إنْ) على الرغم من استعمالها في المظنون والمشكوك والنادر[١٦٢]، إلاّ أن المتكلم لا يقطع بوقوع الشرط ولا بعدمه. ومثال ما احتوى على الأداتين (لو) و(إن) في روايتين مختلفتين من شعر امرئ القيس، قوله[١٦٣]: [من الطويل]

وإنَّ شِفائي عَبْرَةٌ إنْ سفَحْتُها وهل عند رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[١٦٤]

وروى الطوسي ((عبرة لو سَفَحْتُها))[١٦٥]. يقول: إنَّ مخلِّصي مما بي وبُرْئي من دائي يكون بدمع أصبُّه، ولا طائل في البكاء في هذا الموضع[١٦٦].

فرواية (إن سفحتها) دالة على شكِّه في القدرة على إراقة الدموع وصب العَبَرات، فالدموع كثيراً ما تستعصي على المرء عند احتياجه إلى ذلك، فالأحداث الجسام، والمآسي الكبار، تُجَفِّفُ المآقي قبل الحلوق والأفواه، لكنه شكٌ فحسب، ولم يقطع بذلك، وأنَّى له ذلك، أو ليس الحزنُ المنبعَ الثرَّ للدموع والآهات، وفراقُ الأحبة المُسِيل للحزن والعَبَرات.

أمَّا رواية (لو سفحتها) فلم يتوقف الشاعر فيها عند الشك، بل وَظَّف أداةً تُوحي باستحالة قدرته على إراقة الدموع، ومن ثم استعصاء الشفاء، ليتناغم صدرُ البيت مع عجزه، ولتنسجم بدايته مع خاتمته، ذلك الختام الذي ينفي الاعتماد على الأطلال والركون إلى الآثار في إرجاع أهل الديار، ومَلْءِ القلوب بالقرار .

٣- بين (إن) و(إذ) :

تستعمل (إذ) ظرفاً للزمان الماضي، جاء في الكتاب (((إذا) فيما تَستقبل بمنزلة (إذ) فيما مضى))[١٦٧].

وذهب الجمهور إلى أنَّها لا تقع للاستقبال، وقال جماعة – منهم ابن مالك – (ت٦٧٢هـ): إنَّها تقع للاستقبال كذلك، واستدلوا بقوله تعالى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ [الزلزلة: ٤] وقد ردَّ عليهم الجمهور أنَّ الآية ونحوها من باب ((تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع))[١٦٨].

وقد تطرق النحاة إلى مسألة الفرق بين (إنْ) الشرطية و(إذ)، فذهبوا إلى أنَّ (إنْ) الشرطية ((تفيد الشك، بخلاف (إذ)، ألاَ ترى أنَّهُ لا يجوز أن تقول: (إنْ قامت القيامة كان كذا) لما يقتضيه من معنى الشك، ولو قلت: (إذ قامت القيامة) أو(إذا قامت القيامة) كان جائزاً؛ لأنَّ (إذ) و(إذا) ليس فيهما معنى الشك))[١٦٩].

ولا تلحق (إذ) بأدوات الشرط في رأي أغلب النحاة إلاّ بعد اقترانها بـ(ما)، قال سيبويه: ((ولا يكون الجزاء في (حيث) ولا في (إذ) حتى يُضَمَّ الى كل واحد منهما (ما)))[١٧٠].

وقد ذهب الفراءُ إلى الجزم بـ(إذ) بدون (ما) حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ [الكهف: ١٦]: ((وقوله: ﭼﭙ ﮑ ﮒ ﭼ جواب لـ(إذ)، كما تقول: إذْ فعلت ما فعلت فتُبْ))[١٧١]. وقد قيل في تفسيرقوله تعالى: ﭼ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [المجادلة: ١٣]، إن: (إذ) بمعنى (إنْ) الشرطية، قال الرضي: ((وأمَّا قوله: ﭼ □ □ □ □ □ □ ﭼ [الأحقاف: ١١] وقوله: ﭼ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [المجادلة: ١٣]، فلإجراء الظرف مُجرى كلمة الشرط))[١٧٢].

وقد وردت (إذ) شرطية ظرفية، وهي مجردة من (ما) في قول لَبيد (ت٤١هـ)[١٧٣]: [من الطويل]

فَعَيْنَيَّ إذ أَوْدي الفِراقُ بأربدٍ ... فلا تَجْمُدا أن تستهِلاً فتدمعا

وفي قول النابغة الذبياني[١٧٤]: [من البسيط]

فإذْ وُقِيتَ بحَمْدِ اللهِ شِرَّتَها ... فانْجَي فَزَارَ إلى الأطْوادِ فاللُّوبِ

ومما ورد مروياً بـ(إنْ) مرة وبـ(إذ) أخرى قول امرئ القيس[١٧٥]: [من الطويل]

دَخلتُ على بَيْضاءَ جُمٍّ عِظامُها ... تُعَفِّي بذيلِ الدِّرْعِ إذْ جئتُ مَوْدِقي[١٧٦]

وروى السكري، وأبو سهل: ((إنْ جئتُ مَوْدِقي))[١٧٧].

يصف الشاعرهنا المرأة التي دخل عليها باللِّين والسمن، فكأنَّ السمن أخفى عظامها، (فعظامها غير ناتئة) وهذه العبارة كناية عن كمال جسمها،فهي ليست ضعيفة تشمئز منها النفس،بل إنَّ جسمهايملأُ العين ويسرُّالقلب، وهو يقول: إذا جئتها فهي تقوم بمسح وتغطية أثري ومَسْلكي الذي سَلَكْتُه بذيل قميصها[١٧٨].

و(إذ) هنا شرطية فهي تُعَلِّق تغطية الأثر بالمجيء، أي: هو إذا جاء قامت هي بتغطية أثره.

ومما يقوي كونها أداة شرط، مجيء الفعل (تُعَفِّي) بصيغة المضارع الذي((قد يُفيد افتراض تكرر الحدث وتجدده))[١٧٩]، وكذلك مجيء الرواية الأُخرى مشتملة على (إنْ) الشرطية في السياق نفسه.

وإذا ما شرعنا نتلمَّس التباين الدلالي بين الروايتين، نجد أنَّ رواية (إنْ جئت مودقي) تتضمن شكّاً وعدم قطع في حصول الجواب الذي هو قيام الحبيبة بإخفاء الأثر، خوفاً من انكشاف أمرهما.

وهذا المعنى مستوحىً من (إنْ الشرطية) الدالة على الشك وعدم القطع[١٨٠].

وهذا المعنى يتناغم مع شخصية امرئ القيس، فهو يُشير إلى عدم مبالاته بالتسترمن الناس، والخوف منهم، وهذا واضح في قصائده الأُخرى، التي وصلت الجرأة به في بعضها إلى تحدي أزواج محبوباته ومجاهرته لهم بحبه لزوجاتهم[١٨١] أليس هو القائل[١٨٢]: [من الطويل]

فقُلتُ يَمينَ اللهِ أَبْرَحُ قاعِداً ... ولَو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وأَوْصالِي

أمَّا الرواية الأُخرى (إذ جئت مودقي)، فهي لا تتضمن شكاً وبُعْداً للجواب الذي يقتضي إخفاء الأثر والخوف من الرقباء والناس، ولا غرابة من ذلك – وإن صدر من امرئ القيس–، وهل كان المُحبون إلا خائفين قلقين، وإذا كان المُحِب شجاعاً لا يخاف على نفسه، فإنَّ الحبَّ يدفعه إلى الخوف على مصير العلاقة والتواصل مع المحبوبة.

ذلك الخوف الذي قد يدفع المرء إلى الاحتجاب عن المحبوبة من تلقاء نفسه – في كثير من الأحيان – خشية من أن يحجبه الآخرون الى الأبد.

وهذا ما يفسر لنا اختفاء الحدود – في كثير من الأحيان – بين هذا الثلاثي الذي ما فتىء الأنسان يعيش في ظلاله: الخوف والحب والشجاعة.

٤- بين (إذا) و(حيث):

حيث: وهي ظرف مكان مبهم، قال الله تعالى: ﭽﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﭼ [طه: ٦٩]، قال الأخفش: وقد ترد للزمان(١٨٣).

وقد ذهب معظم النحاة إلى أنَّ (حيث) لا تُسْتَعمل أَداة شرط إلاّ بزيادة (ما) عليها، قال سيبويه: ((ولا يكون الجزاء في (حيث) ولا في (إذا) حتى يُضَم إلى كل واحد منهما (ما)))(١٨٤).

ومن النحاة من يرى أن (حيث) قد تأتي أداة شرط، وفي كلام سيبويه ما يشير إلى أنَّهُ قد عاد إلى هذا الرأي، فهو يقول في معرض الحديث عن قبح الرفع بعدها في الاشتغال: ((ومما يقبح بعده ابتداءُ الأسماء ويكون الأسم بعده إذا أوقعتَ الفعل على شيءٍ من سببه نصباً في القياس: (إذا)، و(حيث)، تقول: إذا عبدَالله تَلْقاه فأكرمه، وحيث زيداً تجده فأكرمه؛ لأنَّهما يكونان في معنى حروف المجازاة))(١٨٥).

يقول:(((حيث) دالة على المجازاة في المكان كـ(إذ) في الزمان، نحو:(حيث زيداً تجده فأكرمه)، ولكنَّ استعمالَها استعمالَ كلماتِ الشرط أقلُّ من استعمال (إذا)))(١٨٦)

وعند المقارنة بين (حيث) و(حيثما) في مثل قوله تعالى: ﭽﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ [البقرة: ١٤٤] ، ﭽ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[البقرة: ١٤٩]، نجد أنَّهُ لا كبيرَ فَرْقٍ بينهما من ناحية تأديتهما وظيفة التعليق في الجملتين(١٨٧).

وقد وردت الأداتان (إذا) و(حيث) في روايتين لبيت لامرئ القيس، هو قوله(١٨٨): [من الطويل]

لَعَمْري لَسَعْدٌ حيث حُلَّتْ دِيارُهُ   أحَبُّ الينا مِنْكَ فا فَرَسٍ حَمِرْ

وفي رواية ((لعمري لسعدُ بن الضباب إذا غدا))(١٨٩).

يُقسم الشاعر في هذا البيت ويخاطب أَحد خصومه – وربَّما هو عامر بن جوين الطائي – ويُعَيِّرهُ بفساد رائحة فمه، حيث يشبهه بالفرس إذا انتن فوه، ويقول: إنَّ سعد ابن الضباب أَحبُّ إلينا منك أينما كان(١٩٠).

وقد اجتمع في هذا البيت القَسَم والشرط، ومتى ما اجتمعا حُذِفَ جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه(١٩١)، وهنا حذف جواب الشرط؛ لأنَّهُ المتأخر، والجواب هوالجملة الاسمية (لسعد بن الضباب أحبُّ إلينا).

وإذا شرعنا نستشف التباين الدلالي بين الروايتين، نجد أنَّ رواية (حيث حلت دياره) أبلغ في مدح سعد بن الضباب، وذلك بما تحمله الأداة (حيث) من معنى التعميم والإبهام، قال الرضي: ((وكذلك كل ماضٍ وقع بعد (حيث)، احتمل الماضي والمستقبل، للعموم الذي فيه ككلمات الشرط، ففيه وفي (كلما) رائحة الشرط))(١٩٢).

وهذا يُوحي بأنَّ هذا الرَّجل أينما حطَّ قدمه وألقى رحله على سطح هذه الأرض الفسيحة، فإنَّه أحبُّ إلى الشاعر وهذا الحبُّ لا يفارقه، فهذا يؤكد أنَّهُ أحبُّ إليه في كل الأماكن من هذا الرَّجل المذموم، والإنسان في كل الأَمْكِنَة لا بُدَّ وأن يكون في زمان يحويه، مما يجعل هذا المعنى يشمل كل الأزمنة بالتبعية.

أمَّا رواية (إذا غدا) فإذا الدالة على الزمان على الرغم من دخولها على المتيقن الحدوث والكثير الوقوع(١٩٣)، إلا أنَّ الأمر المتيقن الحدوث وبشكل متكرر، لابدَّ وأن يتخلله زمن لا يحدث فيه.

وهذا ما يجعل الرواية الأولى التي تشتمل الأَمكنة كافة ومن ثَمَّ الأَزمنة كافة ، أشمل وأقوى وأكمل في مدح سعد وذم مقابله.

الخاتمة:

إنَّ أهم ماتوصل إليه البحثُ هو أنَّ لاختلاف روايات شعر امرئ القيس أثراً في المعنى نطقت به صفحات هذا البحث، وبيَّنته، من خلال جولة شائقة في ربوع إنموذج ذي نكهة متميزة من شعرنا العربي القديم، ونسجِّل هنا أنَّ أثر اختلاف روايات الشعر العربي القديم نحوياً وصرفياً وصوتياً على المعنى بحاجة إلى دراسات تفصيلية تقف عند شعر كلِّ واحد من شعرائنا،وتدرسه بالتفصيل، لننهل من معينه الثرّ،بجزالة ألفاظه، وبلاغة تراكيبه، وسموّ دلالاته. وفي الخِتام يُمْكن أَن نُلخِّص أَظْهَرَ النتائج التي توصَّلَ اليها البحثُ بما يأتي:

١- (كم) الخبرية كناية عن العدد، ويجوز في مُمَيَّزها الرفع والنصب والجر، ويختلف المعنى تَبَعاً لذلك، فالجر أَبلغ من النصب في تكثير العدد، والرفع دون النصب في ذلك.

٢- ذهب طائفة من النحاة إلى أنَّ (رُبّ) تفيد التكثير، وذهب آخرون إلى أنها للتقليل، وقيل إنها للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً ،ورجَّح البحثُ قول أبي حيَّان في أنَّ معناها مُستفاد من السياق.

٣- ترجيح رأي النحاة القائلين بأَنَّ (باء التعدية) تفيد مصاحبة الفاعل للمفعول،بخلاف (همزة التعدية) التي لا تُفيد ذلك.

٤- عُلِّل مجيء (اللام) بمعنى (إلى) بالتضارع والتداخل بين معنييهما، فـ(إلى) تكون بمعنى (إنتهاء الغاية)، أما(اللام) فتكون بمعنى (الملك والاستحقاق)، وكل مستحق فغايته أَن يلحق بمُستحقه، أو تفيد (الاختصاص)، وكل مختص فغايته

أن يلحق بمختصه، أو تفيد (العلة والسبب)، وكل معلول فغايته أن يلْحَقَ بعلته، فكل معانى (اللام) يوجد فيها معنى (إلى).

٥- تجيء (الباء) لمعنى الظرفية، وظرفيتها تُفيد الإقتران والملاصقة، بخلاف ظرفية (فى) التى تفيد الولوج والاحتواء والتَّضَمُّن.

٦- (إذا) الشرطية تختص بالدخول على الُمتَيقَّن والكثير الوقوع، بخلاف (إنْ) الشرطية فإنها تُستَعمْل فى المشكوك والموهوم والنادر.

٧- ذهب (الفراء) إلى أن (إذْ) تَلْحَقُ بأدوات الشرط – أحياناً – مخالفاً بذلك أغلب النحاة الذين اشترطوا لذلك أَنْ تقترن بها (ما).

٨- ذهب الرضي إلى أَن (حيث) تُستعمل أداةَ شرط، وقد خالف بذلك مُعظَم النحاة الذين اشترطوا أَن تُضَم إليها (ما).

الهوامش:

(١) علل النحو، ٥٤٩ ، وينظر: أسرار العربية، ١٦٥ – ١٦٦ ، شرح الرضي على الكافية، ٣/ ١٥٤ ، ١٥٦ – ١٥٧.

(٢) ديوان الفرزدق ٣٦١/١، وينظر: الكتاب، ١٦٢/٢، ورواية الديوان:

كم خالةٍ لك يا جريرُ وعمةٍ   فدعاءَ قد حَلَبتْ عليَّ عِشاري

(٣) ينظر: المقتضب، ٣/ ٥٨، الأصول ١/ ٣١٩.

(٤) ينظر: الكتاب ٢/ ١٦٢.

(٥) المقتضب ٣/ ٥٨ الحاشية رقم (١) ،وينظر : أوضح المسالك ٤/ ٢٣٤ .

(٦) المقتضب ٣/ ٥٨-٥٩ ، وينظر : الأصول ١/ ٣١٩ .

(٧) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٦/ ٤٤٠ .

(٨) ديوان امرئ القيس ١٧٧ .

(٩) المَهْمَهُ: المفازة البعيدة . لسان العرب، (مهه) ١٣/ ٢١٢. المفازة : البَرِّيَّة القَفْرُ لسان العرب (فوز) ١٠ / ٣٤٨ .

(١٠) ينظر: ديوان امرئ القيس 177.

(١١) ينظر: معاني القرآن 1/123.

(١٢) ينظر ديوان امرئ القيس (شرح: د. محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) 188.

(١٣) ينظر : المساعد ١/ ٢٠٨، وأوضح المسالك ١/ ١٩٦، وهمع الهوامع ١/ ١٩٦.

(١٤) همع الهوامع ١/ ٣٩٤ ، وينظر: شرح التسهيل ٣/ ٦٨، وارتشاف الضرب ٣/ ١٠٩٠.

(١٥) ارتشاف الضرب ١٠٩٠.

(١٦) شرح الرضي على الكافية 4/305 .

(١٧) ينظر: المصدر نفسه:4/305.

(١٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية 4/ 305،وشرح ابن عقيل 1/253. وجامع الدروس العربية، 2/ 261 .

(١٩) ينظر : شرح ابن عقيل 2/ 156، وجامع الدروس العربية 3/8 .

(٢٠) ديوان امرئ القيس ٣٢ .

(٢١) ينظر: الكتاب ٥٠٤/٣، والمقتضب ٣٢٦/٢، وشرح أبيات سيبويه، ٢٢١/٢.

(٢٢) ينظر: شرح أبيات سيبويه 2/221 .

(٢٣) الكشاف 48.

(٢٤) الكشاف 48، وينظر:دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه)، شكر محمود عبدالله 51 .

(٢٥) المحتسب 2/ 274، ونظرية المعنى في الدراسات النحوية، 328 .

(٢٦) ينظر: المقتضب 2/ 326، وشرح أبيات سيبويه 2/ 221، وشرح الأشعار الستة الجاهلية 1/ 129.

(٢٧) ينظر: خزانة الأدب 8/419، وشرح الأشعار الستة الجاهلية 1/129.

(٢٨) امرؤ القيس حياته وشعره 194.

(٢٩) ديوان امرئ القيس 14.

(٣٠) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية 1/84، وشرح القصائد العشر 48.

(٣١) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية 1/84، وشرح المعلقات السبع49.

(٣٢) ديوان امرئ القيس 32.

(٣٣) أوضح المسالك ٣/ ٢٧١، وينظر: ارتشاف الضرب ٤/ ١٩٢٦، وحاشية الصبان ٣/ ١٠٤٨.

(٣٤) ينظر: معاني القرآن ٣/ ١٨٦، والحجة للقراءالسبعة٤ /١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٥ .

(٣٥) ينظر: أوضح المسالك ٣/ ٢٧٢، وهمع الهوامع ١/ ٣٩١، وحاشية الصبان ٣/ ١٠٤٩ – ١٠٥٠.

(٣٦) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٢٢ .

(٣٧) المصدر نفسه 2/322.

(٣٨) معاني القرآن ١/ ٧٨.

(٣٩) حاشية (يس) على التصريح، (مطبوع بهامش: شرح التصريح على التوضيح)، ٢/١١٧، وينظر: معاني النحو ١٦٧/٣.

(٤٠) الكتاب ٢/ ٦٥.

(٤١) النحو الوافي ٣/ ٥٣٠ ، وينظر: المقرب، ٢٧٠ـ ٢٧١، وشرح التسهيل ٣/ ٢٠٠، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، ١١/ ١٠٩.

(٤٢) ديوان امرئ القيس 17.

(٤٣) ينظر: شرح القصائد العشر ٥٦ .

(٤٤) ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني ٥٥.

(٤٥) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١/ ٩١، وشرح القصائد العشر ٥٧ .

(٤٦) معاني النحو ٣/ ١٧٢.

(٤٧) في الحب والحب العذري ٧٢.

(٤٨) امرُؤالقيس حياته وشعره ١٨٦.

(٤٩) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٨٨ ارتشاف الضرب ٤/ ١٧٣٧، والجني الداني ٤٣٨ –٤٣٩ .

(٥٠) ينظر: شرح المفصل ٤/ ٤٨٢ – ٤٨٤.

(٥١) ينظر: ارتشاف الضرب ٤/ ١٧٣٨، ومغني اللبيب ١/ ١٨٠، والجني الداني ٤٣٩ – ٤٤٠.

(٥٢) ينظر: مغني اللبيب١/ ١٨٠، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٨٧.

(٥٣) ينظر: ارتشاف الضرب ٤/ ١٧٣٧، والجني الداني ٤٤٠.

(٥٤) ينظر:ارتشاف الضرب ٤/ ١٧٣٨.

(٥٥) نُسب في الكتاب ٢/ ٢٦٦ لرجل من أزد السراة، والخصائص ٢/ ٣٣٣، ورصف المباني ٢٦٦.

(٥٦) ينظر: رصف المباني ٢٦٦، والجني الداني ٤٤١ .

(٥٧) ديوان امرئ القيس ١٠ .

(٥٨) ينظر: الجني الداني ٤٤٣ .

(٥٩) ينظر: الانصاف ١/ ٣٥٠ –٣٥١، والحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين(أطروحة دكتوراه)، ٣٩٤ .

(٦٠) ينظر: رصف المباني ٤٥٠، والجني الداني ٧٦، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٩٨ .

(٦١) ديوان امرئ القيس ١٢.

(٦٢) المُغْيل : الطفل يرضع وأمه حُبْلى أو يُضاجع . ينظر: لسان العرب (غيل) 10/159 .

(٦٣) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ٧٩، وديوان أمرئ القيس ١٢ .

(٦٤) ينظر : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٤٠ .

(٦٥) المزدكية : أصحاب مزدك ظهر في أيام قباذ أنو شروان، وتبعه قباذ، واطلع أنو شروان على مذهبه وافترائه فقتله وكان يدعو الى أن يكون النساء والأموال مباحاً بين الناس ومشتركين فيها كالماء والهواء والكلأ . ينظر الملل والنحل ١/ ٢٤٩.

(٦٦) امرُؤ القيس حياته وشعره ١٩٨.

(٦٧) قال النبي (ﷺ) :((امرؤ القيس حامل لواء الشعراء الى النار)) الاصابة في تمييز الصحابة 2/390 وينظر: الشعر والشعراء ٥٢، والمزهر ٢/ ٤٠٥. والحديث منكر،ينظر :تعجيل المنفعة لابن حجر العسقلاني ٤٧٢/١.

(٦٨) ديوان امرئ القيس ٩٧.

(٦٩) المصدر نفسه ١٢.

(٧٠) ينظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٤٢، وديوان امرئ القيس ٣٦٩.

(٧١) ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني ٤٣.

(٧٢) طوق الحمامة ٢٢٦.

(٧٣) جاء في الحديث: عن عُمَرَ عن النبي(ﷺ) أنّه قال: (ألا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامرأةٍ إلاّ كانَ ثالثَهما الشّيطانُ) جامع الترمذي ٦٠٨ (رقم الحديث ٢١٦٥).

(٧٤) الشعر والشعراء ٤٨، وينظر: امرؤ القيس أمير الشعراء في العصر القديم ٢٠-٢٢.

(٧٥) ينظر: البرهان ٤/ ٢٧٨، والجني الداني ٣٦، وحروف الإضافة في الأساليب العربية ٢١٦ .

(٧٦) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٣٧، والجني الداني ٣٦، ومصابيح المغاني ١٣٥.

(٧٧) الكتاب ٤/ ٢١٧.

(٧٨) ينظر: لسان العرب (لصق) ١٢/ ٢٧٨.

(٧٩) مغني اللبيب١/١٣٧، وينظر: شرح المفصل ٤/ ٤٧٤، ومعاني النحو ٣/ ١٧.

(٨٠) ينظر: المقرب ٢٢٣، ومغني اللبيب ١٣٧/١، وهمع الهوامع ٢/ ٤١٧.

(٨١) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٣٧ – ١٤٤.

(٨٢) ينظر: مصابيح المغاني ١٣٥ – ١٤٤ .

(٨٣) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٣٨، والجني الداني ٣٧ –٣٨، ومصابيح المغاني ١٣٦.

(٨٤) الكشاف 229، وينظر: أثر معاني حروف الجرّ في تفسير أبي السعود(44).

(٨٥) الجني الداني ١٠٩، ومصابيح المغاني ٢٢٥، ومعاني النحو ٣/ ٥٥.

(٨٦) ينظر: مغني اللبيب ١/ ٢٧٥ – ٢٩١.

(٨٧) ينظر: الجني الداني ٩٦.

(٨٨) ينظر: رصف المباني ٢٩٤، والجني الداني ١٠٩، ومعاني النحو ٣/ ٥٥.

(٨٩) ينظر: الأُزهية 298، مغني اللبيب 1/ 280، وهمع الهوامع 2/ 253، وظاهرة التعويض في العربية 150.

(٩٠) الاقتضاب 2/ 287، وينظر: رصف المباني 297 – 298، وأثرمعاني حروف الجرّ في تفسير أبي السعود 153.

(٩١) ديوان امرئ القيس 56 .

(٩٢) – أقصر: يُقالُ: أَقْصرَ فلانٌ عن الشيء، إذا كَفَّ عنْه . ينظر لسان العرب (قصر) 11/184.

- قووعرعر : موضعان، و(عرعر) بالعالية وقبله (قو)، ينظر معجم ما استعجم 3/932.

(٩٣) شرح ديوان امرئ القيس (حسن السندوبي) ٨٣ .

(٩٤) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١/ ١٨٧، وديوان امرئ القيس (شرح محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) ٧٢ .

(٩٥) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٣٧ – ١٣٨، والجني الداني ٣٦ – ٣٧، ومصابيح المغاني ١٣٥ – ١٣٦.

(٩٦) رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، ٩٨.

(٩٧) شرح الأشعار الستة الجاهلية 1/ 178.

(٩٨) امرؤ القيس حياته وشعره ٦٣.

(٩٩) ديوان امرئ القيس ٦١.

(١٠٠) ينظر: ديوان امرئ القيس (شرح محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) ٧٧.

(١٠١) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١/ ١٨٧ ، وديوان امرئ القيس (شرح محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) ٧٧.

(١٠٢) ينظر: القاموس المحيط (الظرف) ٧٦٩.

(١٠٣) الكتاب 4/ 226، وينظر: شرح التصريح على التوضيح 1/ 649 .

(١٠٤) ينظر: مغني اللبيب 1/ 223، وهمع الهوامع 2/ 445، وحروف الإضافة في الأساليب العربية 36-37.

(١٠٥) ينظر: الأُصول 1/ 412 ، ورصف المباني 450-451، وحروف الإضافة في ألأساليب العربية 36-37.

(١٠٦) ديوان امرئ القيس 192.

(١٠٧) – تلبَّب: تلبَّبَ الرجلُ : تَحزَّمَ وتشمر. ينظر: لسان العرب (لبب) 12/ 218.

- أسراب: جمع(سرب): وهو القطيع من الظِّباء والنساء وغيرها ، ينظر: القاموس المحيط (السرب) 102.

- الرّعال: جمع (الرَّعلة) وهي النّعامة والقطعة من الخيل، ينظر: القاموس المحيط (رعل) 925. 926.

(١٠٨) ديوان امرئ القيس 192.

(١٠٩) ينظر: شرح ديوان امرئ القيس (حسن السندوبي) 184 ، وديوان امرئ القيس (شرح : محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) 202.

(١١٠) ينظر: الأُصول ١/ ٤١٤، ومعاني النحو ٣/ ٨١ .

(١١١) ينظر: شرح ديوان امرئ القيس (حسن السندوبي) ١٨٤، وديوان امرئ القيس (شرح: محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) ٢٠٢.

(١١٢) ديوان امرئ القيس ١٩٣.

(١١٣) ينظر: الأُصول ١/ ٤١٤ ، ومعاني النحو ٣/ ٨١ .

(١١٤) ديوان امرئ القيس (شرح: محمد الاسكندراني ونهاد رزوق)٣٥٠ .

(١١٥) ينظر: الغُرّة المخفية ١/ ١٨١، ومغني اللبيب ١/ ٤١٩ – ٤٢٠، وشرح التصريح ١/ ٦٣٨، وحروف الإضافة في الأساليب العربية ٣٠ .

(١١٦) ديوان النابغة الذبياني ٤٥.

(١١٧) ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٦، وشرح التصريح ١/ ٦٣٨، وحروف الإضافة في ألأساليب العربية ٣٠.

(١١٨) الكتاب ٤/ ٢٢٤ ، وينظر: شرح التسهيل ٣/٦.

(١١٩) ينظر: مغني اللبيب ١/ ٤١٩-٤٢٥ .

(١٢٠) ينظر: شرح المفصل ٤/ ٤٦١، ومغني اللبيب ١/ ٤١٩، ومصابيح المغاني ٣١٨.

(١٢١) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٢٥، وارتشاف الضرب ٤/ ١٧١٨، والجني الداني ٣١٢.

(١٢٢) ديوان امرئ القيس ١٨.

(١٢٣) الأمثل: الأحسن والأفضل . ينظر: لسان العرب (مثل) ٢٣/١٣.

(١٢٤) ينظر: جمهرة أشعارالعرب٨٤، وشرح المعلقات السبع ٥٩، وديوان أمرئ القيس ٣٧١.

(١٢٥) ديوان البحتري، ١٧١.

(١٢٦) شرح الأَشعار الستة الجاهلية ١/ ٩٦، وينظر: شرح القصائد السبع الطوال ٧٧، وشرح القصائد العشر ٦٤.

(١٢٧) شرح القصائد السبع الطوال ٧٧، وينظر: شرح الأَشعار الستة الجاهلية ١/ ٩٦.

(١٢٨) ديوان امرئ القيس ١٨-١٩.

(١٢٩) امرؤ القيس حياته وشعره ٢٣٦ – ٢٣٧.

(١٣٠) ينظر: امرؤ القيس حياته وشعره ٢٣، والوصف عند امرئ القيس ٨٠، والخطاب النقدي عند أدونيس ١١٥.

(١٣١) رحلة في معلقة امرئ القيس ١٣٠.

(١٣٢) المصدر نفسه ١٢٩.

(١٣٣) امرؤ القيس حياته وشعره ٢٣٦، وينظر: شرح ألأشعارالستة الجاهلية ١/ ٩٦، وشرح القصائد العشر ٦٤.

(١٣٤) الشعر والشعراء 39 .

(١٣٥) الشعر والشعراء ٤٨، وينظر: امرؤ القيس حياته وشعره ٦٣.

(١٣٦) ينظر: صفحة ٧٤ من هذه الرسالة .

(١٣٧) ينظر: امرؤ القيس حياته وشعره ٨٣ –٨٤ .

(١٣٨) الكتاب 3/ 63، وينظر: علل النحو 589، وأسرار العربية 238، والجني الداني 208.

(١٣٩) الكتاب 3/ 63، وينظر: علل النحو 589.

(١٤٠) ينظر: رصف المباني 186 ، والجني الداني 207.

(١٤١) ينظر: مصابيح المغاني: 113.

(١٤٢) أسرار العربية 237.

(١٤٣) ينظر: معاني النحو4/ 54، وفي التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر- دراسة لغوية في شعر السياب ونازك الملائكة والبياتي ،مالك المطلبي9493.

(١٤٤) مغني اللبيب1/ 127، وينظر: الجني الداني 367، ومصابيح المغاني41.

(١٤٥) ينظر:معاني النحو4/57، وفي التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر87.

(١٤٦) المقتضب ٢/ ٥٥ ، وينظر: الجني الداني ٣٦٧ .

(١٤٧) الكتاب ٣/ ٦٠ وينظر: المقتضب ٢/٥٥، والجني الداني ٣٦٧.

(١٤٨) الإتقان 227، وينظر: معاني النحو 4/ 62.

(١٤٩) ديوان امرئ القيس136.

(١٥٠) الجِلَّة: جميع جليل،وجلَّت هذه الناقة: أَسَنَّتْ. ينظر:أساس البلاغة،(جلل)62.

(١٥١) ديوان امرئ القيس ٤١٩.

(١٥٢) ديوان امرئ القيس (تحقيق: حنا الفاخوري) ٣٨٤، وديوان امرئ القيس (شرح: محمد الاسكندراني و نهاد رزوق) ١٥٤.

(١٥٣) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١/ ٣١٣، وديوان امرئ القيس (تحقيق حنا الفاخوري) ٣٨٢ – ٣٨٣.

(١٥٤) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي ٥٢٤ ، وامرؤ القيس – حياته وشعره – ٨٣ ، وامرؤ القيس أمير الشعر في العصر القديم ٤٥ .

(١٥٥) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١/ ٣١٣، ومصادر الشعر الجاهلي ٥٢٤.

(١٥٦) ينظر: نظام الجملة العربية (رسالة ماجستير)، ٢٧٩، وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ٣٥٨.

(١٥٧) الكتاب ٤/ ٢٢٤.

(١٥٨) الصاحبي ١١٩، وينظر: رصف المباني ٣٥٨، ومصابيح المغاني ٢٨٢ .

(١٥٩) ينظر: الصاحبي : ١١٩ ، والجنى الداني ٢٨٤، وشرح الرضي على الكافية ٣/ ١٨٦.

(١٦٠) ينظر: الإتقان ٢٦٧، وشرح الرضي على الكافية ٣/ ١٨٥ – ١٨٦.

(١٦١) شرح الرضي على الكافية ٢/ ١٨٥ ، وينظر معاني النحو ٤/ ٧٧.

(١٦٢) ينظر: الإتقان ٢٢٧، ومعاني النحو ٤/ ٦٢.

(١٦٣) ديوان امرئ القيس ٩.

(١٦٤) دَرَسَ الشيءُ والرَّسم: عفا ، ينظر: لسان العرب (درس) ٤/ ٣٢٩ ، والرَّسم الأثر، وقيل: بقية الأثر. ينظر: لسان العر ب (رسم) ٥/ ٢١٥.

(١٦٥) ديوان امرئ القيس ٣٦٨ .

(١٦٦) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ١ / ، وشرح القصائد العشر ٢٥ ، وديوان امرئ القيس (شرح: صلاح الدين الهواري) ٢١ .

(١٦٧) الكتاب ٣/ ٦٠، وينظر: حروف المعاني ٦٣، وشرح المفصل ٣/ ١٢٠، وشرح التسهيل ٢/ ١٣٤.

(١٦٨) همع الهوامع ٢/ ١٧٢، وينظر: مصابيح المغاني ٣٧.

(١٦٩) الإنصاف ٢/ ١٤٧، وينظر: أسلوب إذ في الدراسات القرآنية والنحوية، ٦٦.

(١٧٠) الكتاب ٣/ ٥٦ ، وينظر: علل النحو ٥٩٠ ، وكشف المشكل في النحو، ١٧٤، والمقرب ٣٠٠، وشرح التسهيل ٣/ ٣٩١.

(١٧١) معاني القرآن ٢/ ٦١، وينظر: شرح الأشموني ٣/٢٥١، وفي التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر ١٠٧، ونظام الجملة العربية ٣٤٩.

(١٧٢) شرح الرضي على الكافية 4/ 475، وينظر: التبيان 2/ 446، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون 6/ 289 ، ودراسات لأسلوب القرآن 1/ 104 –105، ونظام الجملة العربية287.

(١٧٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري 173، وينظر: الجملة العربية في ديوان لبيد بن ربيعة العامري (رسالة ماجستير) 349 .

(١٧٤) ديوان النابغة الذبياني ٥٢ ، وينظر: نظام الجملة العربية ٢٨٧ ، وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ٣٥٨.

(١٧٥) ديوان امرئ القيس ١٧١.

(١٧٦) جَمَّ العظمُ ، فهو أجمُّ : كثر لحمه، ينظر: لسان العرب (جمم) ٢/ ٣٦٨، عَفَتِ الرياُح الآثارَ: إذا درَستْها ومحتْها. ينظر: لسان العرب (عفا) ٩/ ٢٩٤، درع المرأة : قميصها ، والدُّراعة والمِدْرَع : ضرب من الثياب تُلبس ينظر: لسان العرب (درع) ٤/ ٣٣١ ، المودق: الموضع، ينظر: لسان العرب (ودق) ١٥/ ٢٥٥.

(١٧٧) ديوان امرئ القيس ٤٢٦ .

(١٧٨) ينظر: ديوان امرئ القيس ١٧١، وشرح ديوان امرئ القيس (شرح: حسن السندوي) ١٣٧، وديوان امرئ القيس (شرح محمد الاسكندراني ونهاد رزوق) ١٨٢.

(١٧٩) معاني النحو ٤/ ٤٨.

(١٨٠) ينظر: الإتقان ٢٢٧، ومعاني النحو ٤/ ٦٢٠.

(١٨١) ينظر: ديوان امرئ القيس٢٤٤.

(١٨٢) المصدر نفسه32.

(١٨٣) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٧٦، ومصابيح المغاني ١٧٠، والإتقان ٢٤٧.

(١٨٤) الكتاب ٣/ ٥٦، وينظر :علل النحو ٥٩٠، والمقتصد في شرح الإيضاح، ٢/ ١١١٣، ومصابيح المغاني ١٧٠.

(١٨٥) الكتاب ١/ ١٠٦ -١٠٧، وينظر: في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر ١١١ -١١٢.

(١٨٦) شرح الرضي على الكافية ٤٦١/١.

(١٨٧) ينظر: في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر ١١٢، ونظام الجملة العربية ٢٨٥.

(١٨٨) ديوان امرئ القيس ١١٣.

(١٨٩) شرح الأشعار الستة الجاهلية ٢٦٣/١، وديوان امرئ القيس ٤٠٩.

(١٩٠) ينظر: شرح ديوان امرئ القيس (حسن السندوبي) ١٠٢، وينظر: ديوان امرئ القيس (شرح: صلاح الدين الهوا ري) ٦٤ .

(١٩١) ينظر: شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٥٦، وشرح ابن عقيل ٤/ ٤٤، والبهجة المرضية ٣٤٥.

(١٩٢) شرح الرضي على الكافية ٣/ ١٩٨.

(١٩٣) ينظر: الإتقان: ٢٢٧، ومعاني النحو ٦٢/٤.

أثر اختلاف روايات شعر امرئ القيس | مجلة آداب الفراهيدي العدد (٢) السنة الأولى | أ.م.د.جمعة حسين محمد م.م.جالاك حسين سعيد

ثبت المصادر والمراجع:

أ- الكتب المطبوعة:

١- الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ)، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٢- ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي (ت٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د.رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب ، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م.

٣- الأُزهية في علم الحروف، تأليف: علي بن محمد النحوي الهروي (ت٤١٥ هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، د٠ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣١٩ هـ. ١٩٧١ م

٤- أساس البلاغة، تأليف: جارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، د٠ط ،دار المعرفة، بيروت – لبنان، د٠ت.

٥- أسرار العربية، تأليف: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنباري (ت٥٧٧ هـ)، تحقيق: بركات يوسف هَبُّود، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩م.

٦- أُسلوب (إذ) في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية، تأليف: د. عبد العال سالم مكرم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨م.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م.
٨- الأصول في النحو، تأليف: أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي (ت٣١٦ هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
٩- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تأليف: أبي محمد عبدالله بن محمد بن السِّيد البطليوسي(ت٥٢١ هـ) تحقق: أ. مصطفى السقا، و د. حامد عبد المجيد، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.
١٠- امرؤ القيس أمير الشعر في العصر القديم، تأليف: د. سيف الدين الكاتب، د٠ط، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦م.
١١- امرؤ القيس حياته وشعره ، تأليف: د.الطَّاهر أحمد مكي، ط٤، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله الأنباري (ت٥٧٧ هـ) ، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، بإشراف: د. أميل بديع يعقوب، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧م.
١٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف: أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١ هـ)، معه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، دار الطلائع، القاهرة. د.ت.

١٤- البرهان في علوم القرآن، تأليف: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤ هـ)، خرّج أحاديثه وقدّم له وعلّق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، د.ط، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٥– ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥م.
١٥- البهجة المرضية في شرح الألفية، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي (ت٩١١ هـ)، صححه وحققه وعلّق عليه: قاسم الحسيني، ط٥، دار الحكمة، قم – إيران ، ١٤١٩ هـ.
١٦- التبيان في إعراب القرآن الكريم، تأليف: أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦ هـ)، إشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥– ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
١٧- جامع الترمذي، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩ هـ)، تحقيق: يوسف الحاج أحمد، ط١، مكتبة ابن حجر، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.
١٨- جامع الدروس العربية، تاليف: الشيخ مصطفى الغلاييني، راجع هذه الطبعة ونقحها: د. محمد أسعد النادري، ط٣٦، المكتبة العصرية . صيدا – بيروت ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
١٩- جمهرة أشعار العرب، تأليف : أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت نحو ١٧٠هـ)، شرحها وضبط نصوصها وقدّم لها: د. عمر فاروق الطبّاع، د.ط، دار الأرقم ، بيروت – لبنان، د.ت.
٢٠- الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف: حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢.

٢١- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تأليف: محمد بن علي الصّبّان (ت١٢٠٦ هـ) ، معه شرح الشواهد للعيني ، محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (ت٨٥٥ هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م.

٢٢- الحُجة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد (ت٣٧٧ هـ)، وضع حواشيه وعلّق عليه: كامل مصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٢٣- حروف الإضافة في الأساليب العربية، تأليف: يوسف نمر ذياب، د.ط، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٢م.

٢٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ود. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٥- الخصائص، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ)، د.ط، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ٢٠٠٠م.

٢٦- الخطاب النقدي عند أدونيس قراءة الشعر أنموذجاً، تأليف: د.عصام العسل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٧م.

٢٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف: محمد عبد الخالق عضيمة، د.ط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٢٨- الدرالمصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت٨٥٦ هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ود. جاد مخلوف جاد، ود.

زكريا عبد المجيد النوتي، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢٩- ديوان امرئ القيس، حققه وشرحه وضبَط بالشكل أبياته: حنا الفاخوري، بمؤازرة: د. وفاء الباني، د.ط، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م.

٣٠- ديوان امرئ القيس، قدّم له وشرحه ووضع فهارسه: صلاح الدين الهواري، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤ م.

٣١- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

٣٢- ديوان امرئ القيس، شرح: د. محمد الأسكندراني ود. نهاد رزوق، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م.

٣٣- ديوان البحتري، عُنيَ بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٤- ديوان الفرزدق، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م.

٣٥- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعرف، القاهرة، د.ت.

٣٦- رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م.

٣٧- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تأليف: أحمد ون، ١٣٩٨ هبن عبد النور المالَقَي (ت٧٠٢ هـ) ، تحقيق: أ.د. أحمد محمد الخرَّاط، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

٣٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف: عبداالله بهاء الدين بن عبداالله ابن عبد الرحمن بن عبداالله ابن عقيل (ت٧٦٩ هـ)، معه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، د.ط، مكتبة دارالتراث، القاهرة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٩- شرح أبيات سيبويه، تأليف: أبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي (ت٣٨٥ هـ)، حققه وقدّم له: محمد علي السلطاني، د.ط، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م.

٤٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تأليف: ابي الحسن نورالدين علي بن محمد الأشموني (ت ٩٠٠هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٤١- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، تأليف: جمال الدين محمد ابن عبداالله ابن مالك الطائي الجياني الأندلس (ت٦٧٢ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيّد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

٤٢- شرح التصريح على التوضيح، تأليف: خالد بن عبداالله الأزهري (ت٩٠٥ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٤٣- شرح التصريح على التوضيح، تأليف خالد بن عبداالله الأزهري (ت٩٠٥ هـ)، وبهامشه حاشية للعلامة المتقن الشيخ ياسين بن زين الدين العُليمي الحمصي، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٤٤- شرح جمل الزجاجي، تأليف: أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩ هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهرسه: فوّاز الشعّار، إشراف: أ.د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٤٥- شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، ويليه أخبار النوابغ وآثارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، تأليف: حسن السندوبي، ط٥، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت.

٤٦- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدّم له: د.إحسان عباس، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.

٤٧- شرح الرضي على الكافية، تأليف: رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي (ت٦٨٦ هـ)، تصحيح وتعليق: يُوسف حسن عمر، د.ط، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.

٤٨- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تأليف: أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨ هـ)، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط٦، دار المعارف، القاهرة.

٤٩- شرح القصائد العشر، تأليف: أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت٥٠٢هـ)، تعليقات: محمد الخضر حسين، د.ط، الدار الحسينية للكتاب،١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٥٠- شرح المعلقات السبع، تأليف: حسين بن أحمد الزوزني (ت٤٨٦ هـ)، تحقيق وتعليق: يوسف علي بدوي، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٥١- شرح المفصل للزمخشري، تأليف: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي ابن يعيش الموصلي (ت٦٤٣ هـ)، قدّم له وضع هوامشه وفهارسه: د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١م.

٥٢- الشعر والشعراء، تأليف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ هـ)، د.ط، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٠٤م.

٥٣- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٥٤- طوق الحمامة في الألفة والأُلاَّف، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، حققه وقدّم له: صلاح الدين القاسمي، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

٥٥- ظاهرة التعويض في العربية وما حُمل عليها من المسائل، تأليف: د. عبد الفتاح أحمد الحموز، د.ط، دار عمّار، عمان، د.ت.

٥٦- علل النحو، تأليف: أبي الحسن محمد بن عبدالله الورّاق (ت٣٨١ هـ)، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.

٥٧- الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، تأليف: أبي العباس أحمد بن الحسين بن أحمد بن أبي المعالي المعروف بابن الخبّاز (ت٦٣٩ هـ) د.ط، دار الأنبار، بغداد – الأنبار، ١٩٩١م.

٥٨- في التركيب اللغوي لشعر العراقي المعاصر – دراسة لغوية في شعر السياب ونازك الملائكة والبياتي – ، تأليف: مالك يوسف المطلبي، د.ط، دار الحرية، بغداد، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

٥٩- في الحب والحب العذري، تأليف: د. جلال صادق العظم، ط٥، دار المدى، دمشق – سوريا، ٢٠٠٢م.

٦٠- القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧ هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٦١- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، تأليف: د. سناء حميد البياتي، ط١، دار وائل، عمان – الأردن، ٢٠٠٣م.

٦٢- الكتاب، تأليف: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٦٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨ هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٦٤- كشف المشكل في النحو، تأليف: أبي الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي الملقب بحيدرة اليمني(ت٥٩٩ هـ)، قرأه وعلّق عليه: د. يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.

٦٥- لسان العرب، تأليف: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دارإحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت.
٦٦- المحتسب في تبيين وجُوه شَواذ القراءات والإيضاح عنها، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) ، تحقيق ج١: علي النجدي ناصف، ود.عبد الحليم النجار، ود.عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ج٢ علي النجدي ناصف، ود. عبد الفتاح إسماعيل الشلبي د.ط، لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.
٦٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.
٦٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
٦٩- المساعد على تسهيل الفوائد، تأليف: عبداالله بهاء الدين بن عبداالله بن عبد الرحمن بن عبداالله بن عقيل (ت٧٦٩ هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، ج١، ط٢، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ج٢، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.
٧٠- مصابيح المغاني في حروف المعاني، تأليف: محمد بن علي بن عبداالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي أبي عبداالله المعروف بابن نورالدين(ت نحو ٨٢٠ هـ)

حققه وقدّم له وعلّق عليه: د. جمال طلبة، ط٢، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.
٧١- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، تأليف: د. ناصر الدين الأسد، ط٦، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢ م ٠
٧٢- معاني الأبنية في العربية، تأليف: د. فاضل صالح السامرائي ، ط١، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
٧٣- معاني القرآن، تأليف: أبي زكريا يحيى بن زياد عبداالله الفراء(ت٢٠٧ هـ)، قدّم له وعلّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
٧٤- معاني النحو، تأليف: د . فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر، عمان، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٧٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تأليف: عبداالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.
٧٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: أبي محمد عبداالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبداالله ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١ هـ)، تحقيق: د٠ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، د.ط، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، قم، د.ت.
٧٧- المقتصد في شرح الإيضاح، تأليف: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد الجرجاني (ت٤٧١ هـ)، تحقيق: كاظم بحر المرجان، د.ط، دار الرشيد، ١٩٨٢م.

٧٨- المقتضب، تأليف: محمد بن يزيد المبرّد (٢٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، د.ط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.
٧٩- المُقرّب، تأليف: أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩ هـ) تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري، د.ط، مطبعة العاني، بغداد، د.ت.
٨٠- المِلَلَ والنِّحَل، تأليف: محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٨١- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، تأليف: عباس حسن، أو نددانش ، ط١، د.م، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨٢- نظرية المعنى في الدراسات النحوية، تأليف: أ.د. كريم حسين ناصح الخالدي، ط١، دار صفاء، عمان - الأردن، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
٨٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، د.ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، د.ت.
٨٤- الوصف عند امرئ القيس - دراسة تحليلية - ، تأليف: نصر الدين فارس، ط١، دار المعارف، حمص، ١٩٨٨م.

ب- الأطاريح والرسائل الجامعية:

١- أثر معاني حروف الجرِّ في تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، شوكت طه محمود، رسالة ماجستير، جامعة الموصل - كلية الآداب، بإشراف: د. عبد الستار فاضل خضر النعيمي، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢- الجملة العربية في ديوان لبيد بن ربيعة العامري، محمد جيجان عبد الدليمي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - كلية الآداب، بإشراف: أ.د. محمود فهمي الحجازي، ود. عبد الحميد عوض السيوري ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.
٣- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين ، هادي عطية مطر، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس - كلية الآداب ، بإشراف: أ.د: رمضان عبد التواب وأ.د. عفت الشرقاوي ، القاهرة، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م.
٤- دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبدالله، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية التربية للبنات، بإشراف: أ.د . طارق عبد عون الجنابي، ود. كريم حسين ناصح الخالدي، ١٣٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٥- نظام الجملة العربية، سناء حميد البياتي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد - كلية الآداب، بإشراف: أ.د. خديجة الحديثي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م.

ت- البحوث والدوريات:

١- رحلة في معلقة امرئ القيس، تأليف: د. عمر الطالب، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد التاسع والعشر - ١٩٧٨م.

الأدب الرقمي والوعي الجمالي العربي

أ. م. د. ثائر عبد المجيد العذّاري

جامعـة واسـط/ كليـة التربيـة

توطئة:

١- في الوعي الجمالي العربي:

نرى انه من المفيد، ونحن نحاول معالجة موضوع الأدب الرقمي التفاعلي، أن نحاول أولاً استكناه مكانه هذا الناتج الإنساني الجديد في السياق التاريخي لتطور الوعي الجمالي العربي. فهذه المحاولة ستمكننا من صياغة فهم علمي لهذا الأدب، ورؤية معقولة لمستقبله.

يمتاز الأدب العربي بخصلة قد لا يمتاز بها أي أدب آخر في العالم، تلك هي تواصله وعدم انقطاعه منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام، تواصلا ليس كالتواصل الطبيعي الذي تجري عليه سنن التاريخ، فإن أي قارئ معاصر يمكن أن يقرأ قصيدة أو خطبة قيلت قبل أكثر من ألف سنة ويفهمها ويتعاطى معها كما لو أنها قيلت اليوم. وعلى الرغم من أن هذا قد يبدو أمراً يدعو للفخر، فإنه من ناحية أخرى إشكال فكري معقد، ذلك لأن اللغة كائن حي يتطور وينمو بما يناسب العصر الذي يحيا فيه ملبيا الحاجة الإنسانية لأشكال لغوية جديدة، لكن ما حدث في فجر التاريخ العربي الإسلامي من ربط للأعمال الأدبية بالدين أدى إلى تجميد الشكل اللغوي التقليدي (المثالي– حسب ما كان يرى علماء القرن الأول الهجري)، وإكسائه حلة من القداسة ومنع أية محاولة للتجديد والتطوير. لقد عرضنا بالتفصيل إلى الأسس الثقافية للأدب العربي القائمة على مبدأ الشفاهية في كتابنا: (الشفاهية وثقافة الاستبداد)، غير أننا

نرى أن من المهم أن نعرض فكرة موجزة هنا لفهم السياق التاريخي الذي نتلقى فيه الأدب الرقمي[١].

في العصر الجاهلي كان الشعر العربي ينتشر بالرواية والإلقاء في الأسواق والحروب (الأيام)، وهذه كانت طريقة حفظه، فلم تكن بيئة العربي الصحراوية التي تجبره على الترحال المتواصل تساعد على تعلم الكتابة واستخدامها، ولهذا كان الشكل الشعري قائما على الصوت بوصفه العنصر الفني الأبرز الذي يقوم بوظيفتين، وظيفة جمالية تتمثل بالتناظرات والتوازيات والمقابلات الصوتية، ووظيفة ثقافية تتمثل بالمساعدة على حفظ ذلك الشعر من الضياع.

وفي العصر الإسلامي وبعد اتساع حقول المعرفة نتيجة للتمدن وظهور الحواضر كان لابد من دخول عصر الكتابة، غير أن الرابط التعسفي بين القيم الدينية والقيم الفنية في القرن الأول الهجري أدى إلى أن لا تكون المنظومة المعفية العربية مهيأة لدخول هذا العصر، فهي ترى أن القديم هو الأصيل ولا أصيل غيره، وان (المحدث) لا يمكن له أن يبلغ شأوه وكل ما يمكنه فعله هو تقليده والنسج على منواله، ولأن الذائقة العربية تعد الصوت ابرز المكونات الفنية، فإنها لم تستطع تقبل الكتابة بوصفها عنصرا فنيا، ولم تر فيها إلا وسيلة لتقييد العمل الأدبي وحفظه من الضياع، ورأى علماء القرن الأول الكتابة منافسا غير شريف للرواية والراوي، فحرّموها واحتقروها، ويمكن هنا أن نشير إلى عبارة ابن سلام الجمحي في مقدمة طبقاته:

"في الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته ولا غريب يستفاد ولا مثل يضرب ولا مدح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه علماء وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي"[٢].

فابن سلام الذي عاش في القرن الهجري الثاني مازال متمسكا بمعاداة (الكتابية) فالعلماء عنده لا يكتبون والذين يأخذون علمهم من الكتب (الصحفيون) لا يؤخذ عنهم لأنهم ليسوا ممن يوثق بعلمه.

هذا الحكم الذي وضعه علماء عصر الرواية الشفوية ظل ساريا حتى وقت متأخر، ولقد أصبحت كلمة (صحفي) التي تطلق على الراوي الذي يعرف الكتابة شتيمة يتهرب منها العلماء[٣].

إن (تدوين) دواوين شعراء العربية قدماء ومحدثين لا يعني أبدا أنهم أصبحوا يتعاطون مع الأدب (الكتابي)، فشعر امرئ القيس وكعب وجرير والمتنبي شعر شفاهي حتى عندما نقرأه في عصر الكتابة، فهو يعتمد العناصر الشفاهية متمثلة بالأنظمة الصوتية والشكل التناظري (السمتري) التقليدي.

٢- الأدب (الكتابي):

هو ذلك الأدب الذي تكون الكتابة عنصرا أساسيا من عناصر بنائه الفني، حيث يتحول الخط وعلامات الترقيم والمساحات السوداء والبيضاء إلى مكونات ذات دلالة، بحيث يفقد النص جزءا من دلالته إذا تم تلقيه اعتمادا على الصوت فقط.

كما يمكن أن نحدد سمة مهمة لا يجوز إغفالها في الأدب الكتابي، وهي إمكانية القارئ في التراجع أو التقدم عبر النص، وهذه الإمكانية أعطت الأديب الحرية في الذهاب بعيدا في معانيه ومجازاته مستغلا هذه الفسحة عند القارئ التي ستجعله حرا في تأمل النص، لأنه غير مضطر للتقيد بسرعة (الملقي) واللهاث وراءه.

في الواقع، لم يتحول الأدب العربي إلى أدب (كتابي) بحيث يصبح ظاهرة يمكن أن نطلق عليها (عصر الأدب الكتابي)، كما يمكن أن نفعل هذا مع آداب أمم أخرى، وظلت (الكتابية) سمة فردية وظفها شعراء لا يمثلون إلا أنفسهم ولا يمكن

عدّهم مرحلة من مراحل الأدب العربي، خذ مثلا (سعدي يوسف) في نص مثل (أغنية الهزار):

ربّما ساءلتُ نفسي الآنَ، عمّا أكتبُ الآنَ...

لماذا أكتبُ الآن؟

وفي أيّ مكانٍ أكتبُ الآنَ؟

....

....

....

ألمْ يُتعبْكَ نصفُ القرنِ من ألعابكَ:

الصخرةُ والنبعُ

وهي اللغةُ... الألوانُ والغيمُ... إلخ؟[٤].

مثل هذا النص لا يمكن عده ادبا شعبيا ينتمي إلى عصر بعينه، فليس هذا هو النمط المقبول في الذائقة العربية، إن النقاط والفواصل والاختصارات لم تعد علامات إشادية للقارئ، بل تحولت هنا إلى مادة أصلية من المواد المكونة للنص.

وهنا نجد أن الوعي الجمالي العربي يواجه مشكلة عسيرة في إمكانية تقبله ظاهرة الأدب الرقمي، لأن عليه أن يكون قادرا على تقبل الأدب (الكتابي) أولا قبل الانتقال إلى هذا النوع الأدبي الجديد.

٣- عصر المعرفة الرقمية:

ثمة عوامل متعددة تجعلنا نتخوف من المعرفة الرقمية، غير أن كل هذه العوامل ليست سوى أوهام وفوبيات عقلت بالعقل العربي لكثرة ما عانى من الاستبداد والتسلط بمختلف أنواعهما وتنوع من يمارسهما.

وأول: هذه العوامل الخوف التقليدي من كل جديد، هذا الخوف الناتج مما استقر في العقل العربي بأنه يملك من التراث ما يحسده العالم كله عليه، وأن كل جديد ليس سوى مؤامرة عالمية لتخريب هذا التراث.

والثاني: هو الإحساس بالعجز نتيجة للبون الحضاري الشاسع الذي بات يفصل بيننا وبين الغرب، فقد بات العربي ينظر إلى الغرب بمزيج غريب من المشاعر، حسد وحقد وانبهار وإعجاب و...

والعامل الثالث: هو الظن بعدم موثوقية المعرفة الرقمية وعدم الاعتراف بالنشر الرقمي والنظر إليه نظرة دونية.

وأما العامل الرابع: فهو التعلق التاريخي بالمخطوط والورقي، وما استقر في الوعي العربي من أن متعة التعامل مع كتاب ورقي لا تعدلها متعة أبدا.

وبالإمكان وضع اليد على قائمة طويلة من العوامل من هذا النوع وسأضرب عن ذكرها معتمدا على فطنة القارئ الكريم ومتجنبا الإطالة.

إن من المهم أن نؤمن بحتمية التقدم الإنساني وليس من المهم أن نضع في الحسبان من يسبق من، أو من يتأخر عن من، ذلك لأن من نتائج حلول العصر الرقمي وثورة المعلوماتية والاتصال توحيد الهوية الإنسانية والجهد الإنساني مع إمكانية المحافظة على الهويات القومية، وربما زيادة الوعي بها.

ومن المهم أيضا وبناءً على ما تقدم، أن نعي أننا نعيش على عتبة تفصل بين عصرين تاريخيين، العصر الكتابي والعصر الرقمي، وإن علينا أن نمتلك من قوة الدفع ما يمكننا من الانفلات من الأول وتخطي العتبة إلى الثاني، وهذا يستلزم إعادة النظر بمعتقداتنا المعرفية.

إن من تلك المعتقدات التي ينبغي أن نتخلى عنها سعي المثقف العربي إلى أن يكون موسوعي المعرفة، فهذا هو السلوك التقليدي للمثقف، الذي تولد من الطريقة

العربية التقليدية للتعلم (الحفظ والتحفيظ)، فالباحث في الأسلوب التقليدي يفتش الكتب والفهارس ساعات وربما أياما بحثا عن معلومة صغيرة يسعى إلى توثيقها في بحثه، وخلال ذلك التفتيش سيمر على كثير من المعلومات بالمصادفة، فيتوقف عندها ويحفظها رغم عدم حاجته إليها في تلك اللحظة، وبمرور الأيام ينمي في داخله موسوعة معلوماتية تميز شخصيته، غير أن من المهم التنبه إلى أن تعقيد العصر وكثرة تفاصيله وسعة علومه قد أربى على قدرة الذاكرة الإنسانية وسعتها كثيرا، وكم شهدت أنا شخصيا وقوع زملاء بالخلط والوهم في المعلومات نتيجة لكثرة ما يحفظون، فكأن ذاكرتهم قد طفحت بمحتوياتها وضاقت بها.

من أهم ميزات المعرفة الرقمية إمكانية الوصول إلى المعلومة المطلوبة مباشرة وبسرعة لافتة، وأدى هذا إلى أن يكون بالإمكان إنتاج متخصصين في حقول معرفية دقيقة لم يكن بالإمكان إنتاجهم لولا التقنية الرقمية. صحيح إن هؤلاء المتخصصين سيكونون علماء بما تخصصوا به وجاهلين بكل شيء سواه، لكن هذه ليست مثلبة، إذا ما تعودنا على أسلوب آخر في البحث المعرفي هو أسلوب العمل الجماعي (الفريق)، فكما نعلم أن من النادر اليوم في الغرب أن يعمل باحث منفردا في بحث ما، إذ لابد من اشتراك أكثر من باحث في عمل واحد ليكونوا وحدة بحثية قادرة على التعامل المثالي مع موضوع البحث.

لا نشك أبدا في إن حلول العصر الرقمي سيكون له، من الناحية التاريخية، أهمية أكبر من أهمية اختراع الكتابة قبل ثلاثة آلاف عام، ولا نشك أبدا في أن عصر الكتابة يعيش سنينهه الأخيرة، قريبا ستكون الأقلام والدفاتر في المتاحف وسينظر إليها كما ينظر اليوم إلى نقوش الكهوف والعتلة والعجلة. وما أجدرنا أن نسرع إلى إدراك هذا الأمر، وأن نقلع عن محاولة اختراع العجلة مرة أخرى.

وأما الأدب الرقمي الذي نرى أنه حتمي الظهور في عصر المعرفة الرقمية، فهو الآخر نتاج إنساني جديد سيغير طرائق التلقي وأنماط التذوق والأسس الجمالية للفنون، ومن المحتم أنه سيأتي معه بنقده الجديد وأنظمته الاصطلاحية الخاصة.

٤- الأدب الرقمي والأدب الرقمي التفاعلي:

سبق أن ذكرنا أن تدوين الأدب الشفاهي لا يعني أنه سيتحول إلى أدب كتابي فالأدب لا يكون كتابيا إلا إذا أصبحت الكتابة ركنا من أركانه الفنية، وحين نتحدث عن الأدب الرقمي فإننا ينبغي أن نكرر الحكم ذاته، فنشر الأدب الكتابي ألكترونيا لا يحوله إلى أدب رقمي، فالأدب لا يكون رقميا إلا إذا أصبحت الرقمية ركنا من أركان بنائه الفني. فما الرقمية؟ وكيف يتصف الأدب بها؟ منذ انتشار استخدام الشبكة العالمية (الانترنيت)، وشيوع نظام التشغيل ويندوز أواسط التسعينيات من القرن الماضي، ظهر إلى الوجود مجتمع افتراضي يعيش في فضاء افتراضي، أطلق عليهما تسمية المجتمع والفضاء الرقميين، اشتقاقا من الكلمة الإنكليزية Digital التي تطلق على كل ما له علاقة بالحاسوب، ومنذ ذلك الوقت كان المجتمع الرقمي يتشكل وبشكل أعرافه وتقاليده في ذلك الفضاء الافتراضي، ومن المهم هنا أن ننبه إلى أن حياتنا الرقمية في الفضاء الافتراضي تختلف عن حياتنا الحقيقية وشخصياتنا الرقمية كثيرا ما تكون منقطعة الصلة بشخصياتنا الحقيقية، ففي الفضاء الرقمي نكون أكثر جرأة وحرية وإبداعا، ولهذا سعت جهات علمية كثيرة إلى إنشاء فرع جديد في علم النفس يهتم بدراسة الشخصية الرقمية يطلق عليه تسمية (سيكولوجيا الحياة الرقمية psychology of Digital Life)[٥].

وكأي مجتمع حقيقي طوّر المجتمع الافتراضي فنونه وآدابه الخاصة، الفنون والآداب الرقمية التي نشأت من البيئة الرقمية وما يتاح فيها من إمكانات، وهي كثيرة ومختلفة عن تلك المتداولة في الحياة الحقيقية.

يركز أكثر الدارسين المعنيين على فكرة (النص الترابطي Hyper Text) على أنه الملمح الأبرز في الأدب الرقمي[٦]، لكنهم لا يعطون أهمية لملامح أخرى قد يكون لها من الأهمية ما يفوقه، كما أن النص الترابطي ليست له أهمية ما لم يدرس من جانبين:

١- أثره في الشكل الأدبي.
٢- أثره في عملية التلقي.

إن من السمات المهمة للأدب الرقمي إخراج المتلقي من المساحة المحدودة والاضطرارية للورقة في الأدب الكتابي، فالمنشئ يضع عمله على مساحة غير محدودة في الفضاء الافتراضي، يستطيع التحكم بطولها وعرضها كما يريد بحيث تصبح هذه المساحة جزء من التشكل الفني لعمله، أما المتلقي فستحل المساحة الظاهرة على شاشة حاسوبه محل المساحة التي يركز عليها القارئ التقليدي على الورقة، وهو حين يتحرك بالفأرة أو أسهم ومفاتيح التنقل، يفعل فعل القارئ التقليدي إذ يحرك عينيه على الورقة، وإذا كان القارئ التقليدي لا يرى الورقة كاملة بعينيه أثناء القراءة، ويدرك شكلها ومساحتها بإحساسه، فإن القارئ الرقمي يختلف عنه في إنه لا يدرك شكل الصفحة ولا مساحتها إلا عندما ينهي قراءتها، والملمح الآخر هو استخدام الوسائط المتعددة Multimedia من صوت وصورة ومقاطع فيديو أو تركيبات معقدة من عدة وسائط في مكان واحد. وهكذا يختلف الأدب الرقمي عن الكتابي في أنه يشغل حواس السمع والبصر زيادة على النص المكتوب.

ويمكن أن يكون الأدب الرقمي تفاعليا، يعطي المتلقي دورا في الإنشاء عبر **طرق عدة منها:**

١- حرية التنقل الترابطي بين أجزاء النص.
٢- الانتقال إلى خيار مفضل من مجموعة خيارات.

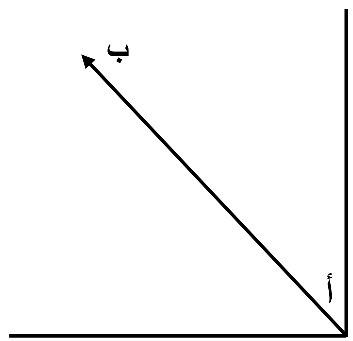
٣- الإجابة على سؤال بحيث تقرر الإجابة وجهة النص الجديدة.

٤- الطلب من المتلقي أن يتخذ قرارا ما عند نقطة معينة ونقله إلى جزء من النص يترتب على ذلك القرار.

٥- تمكين المتلقي من تغيير الألوان واختيار الخلفيات الرسمية، واستغلال خياراته لتوجيه النص، وهناك إمكانيات كثيرة أخرى يمكن للمنشئ ابتكارها لتوليد التفاعل بينه وبين المتلقي.

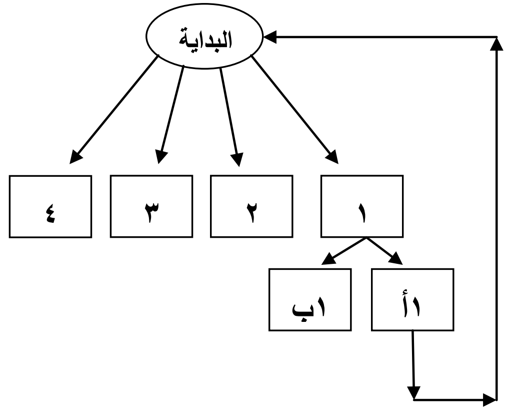
٥- **البناء الدلالي بين الأدب الكتابي والأدب الرقمي**:

ثمة اختلاف أساسي بين الأدبين يؤثر في طريقة التلقي ويستدعي تأسيس نمط جديد من النقد قادر على التعاطي مع الأدب الرقمي، فالبناء الدلالي للأدب الكتابي (وكذلك الأدب الشفوي) يتضح عند المتلقي بطريقة تراكمية، فكل كلمة يتلقاها تضيف شيئا جديدا إلى الدلالة الكلية وتنميها، بحيث يمكن تصور عملية التلقي بشكل خط متصاعد تدريجيا، تبدأ الدلالة مع بداية القراءة بالقيمة صفر وتتصاعد شيئا فشيئا مع كل كلمة حتى تصل أعلى مستوياتها مع الكلمة الأخيرة (الشكل ١)(٧).



فالخط (أ، ب) يظهر تصاعد بناء الدلالة الكلية تدريجيا مع قراءة كل كلمة من البيت. ويمكن أن نسمي هذا بالبناء الخطي.

أما الأدب الرقمي فهو يغير هذا الفهم كليا، فالعمل الأدبي لم يعد يتكون من وحدات متتالية خطيا، بل يتكون من مجموعة كتل متوازية من الوحدات، تقع في مستوى واحد، وليس هناك ترتيب معين أو مفترض لتراتبها، وهذا ما سنبينه مفصلا في الجزء التطبيقي من البحث، حيث سنواجه ما يمكن أن يسمى البناء الكُتَلي. فقصيدة رقمية يمكن أن تكون بهذا التركيب:



يلاحظ أن مسار المتلقي عبر العمل لا يمكن التنبؤ به، ويترتب على ذلك فتح خيارات عديدة لاستجابة المتلقي، وتعقيد شديد في بناء الدلالة الكلية.

٦- **الأدب الرقمي ونظرية الأنواع الأدبية**:

تواجه نظرية الأنواع الأدبية مأزقا حقيقيا في عصرنا، فالفصل الحاد بين الأجناس الذي تفترضه هذه النظرية لم يعد ممكن التصور، بالنظر إلى موجة التجريب في الأعمال الأدبية التي تجتاح العالم كله، فضلا عن أن الفصل بين الأنواع بالطريقة التي تصورها نظرية الأنواع الأدبية إنما هو فصل تعسفي، ففكرة النوع النقي فكرة خيالية، لم توجد في عصر من العصور.

أن توظيف الأدب الرقمي لإمكانات الوسائط المتعددة يؤدي إلى إشكالية عسيرة في وضعه ضمن جنس أدبي معين، غير أن من المهم أن نتنبه إلى أن هذا الأمر يؤشر خللا في نظرية الأنواع الأدبية ذاتها، ولا يعني تجريد الأدب الرقمي من أدبيته.

ومن المهم أيضا أن نلاحظ أن الأدب والفن الفطري في فجر التاريخ الإنساني كانا يعملان معا وفي مكان واحد، فالكتابة الأولى كانت صورية، والنقوش على جدران الكهوف كانت تمزج بين الصورة والكلمة المنظومة أو المنثورة.

ونرى أن نظرية الأنواع الأدبية تحتاج إلى صياغة جديدة، ليس فيما يتعلق بالأدب الرقمي حسب، بل هناك أنواع أدبية أخرى بحاجة إلى تجنيس، حتى لقد شاعت تسميات مثل (نص) أو (نصوص عابرة للأجناس) تعبيرا عن العجز عن تصنيفها.

وفي هذا الإطار أيضا قد يقال أن الأديب الذي يكتب الأدب الرقمي هو الآخر ليس أديبا فقط وإنما يجب أن يكون موسيقيا ورساما ونحاتا و...، وهذا غير صحيح بالمرة، فالصورة والصوت عناصر مهمة من عملية التخييل التي يمارسها الأديب، وهو لن يحتاج إلى مهارات خاصة لتجسيد تلك العناصر، فكل ما يحتاجه هو معرفة بسيطة ببرامج معالجة الصور والأصوات الكومبيوترية، مثل (Photo Shop, Adobe Flash, Sound Forge…) فهذه البرامجيات تمكن الأديب من صنع ما يتخيل من وسائط متعددة بيسر ومن غير أن يكون فنانا تشكيليا أو ملحنا.

٧- البلاغة الرقمية:

مع ظهور بوادر الأدب الرقمي العربي، أصبح لزاما على دارسي الأدب العربي العمل بجد لتكوين منظومة نقدية عربية قادرة على التعاطي مع هذا المنتج الإنساني الجديد، فلهذا النمط من الأدب تقنياته الخاصة التي تجعل دراسته مختلفة

كل الاختلاف عن دراسة الأدب الكتابي، بل إن طرق تلقيه وأنماط المتلقين تختلف هي الأخرى اختلافا جوهريا عن تلك المألوفة في الأدب المكتوب.

لم يعد بإمكاننا أن نطلق على متلقي الأدب الرقمي تسمية (القارئ) إلا جزافا، فلم يعد يصل إليه النص الأدبي اعتمادا على القراءة وحدها، فهناك الكثير من العلامات المتاحة الأخرى التي ستسهم بفاعلية في بناء فهم النص أبرزها ما تتيحه الوسائط الرقمية المتعددة من الصورة والصوت والحركة.

ثمة عادات اكتسبها قارئ الأدب الكتابي مع ازدياد خبرته القرائية، فصارت جزءا من منظومة التلقي التي اتفق عليها الكاتب والقارئ اتفاقا عرفيا، فحين نرى نصا أدبيا يملأ الصفحة، وأسطره متساوية البدايات والنهايات في أغلبها، ويتكون من فقرات غير متساوية في عدد الأسطر، فإننا نهيئ أنفسنا لقراءة نص يغلب على لغته الطابع السردي، والمنطق العقلي والترابط السببي. لكننا إذا وجدنا أنفسنا إزاء نص تتساوى حافات أسطره اليمنى بينما تختلف نهاياتها في الطول، وربما يتوسط بعضها الصفحة، فإن عقولنا ستتهيأ بسرعة لاستقبال نص شعري، يغلب على لغته الخيال والانفعال العاطفي، وربما الغموض الذي يجعلنا مستعدين لإطالة التأمل للكشف عن غوامض النص [تنظر معالجة تفصيلية لهذا الاختلاف في مقالة إدوارد بيكوت الموسومة (قطع ثلجية في الطريق إلى الشمال)] في الرابط:
http://www. Hyperex. Co. uk/ review the way north. Php.

هذا التأثر بالنظرة الأولى إلى النص الكتابي ما هو إلا نوع من العلامات المتفق عليها بين الكتاب والقارئ، أما الأدب الرقمي فإنه سيعطي للعلامة دورا أكبر في التعاطي مع النص، بحيث لا يمكن فهمه من غير فهم العلامة التي تشبه هنا العلامات المرورية الإرشادية والتحذيرية التي يؤدي تجاهلها إلى التيه أو الهلاك.

من الخطأ أن نربط الأدب الرقمي بالانترنت، بل ربما تكون الانترنت من معرقلات تطور هذا النوع من الآداب مع ما تتيحه من نشره، فهي تضيق الإمكانات المتاحة أمام الأديب بسبب سرعتها المحدودة، فهو مضطر إلى استخدام عناصر صغيرة الحجم في بناء نصه ليسهل عليه رفعها إلى الخوادم التي سينشر عمله عليها،

وما نتوقعه هو أننا قريبا سنشهد ظهور أعمال سردية وشعرية رقمية تباع في المكتبات على أقراص مدمجة، وستضطر دور النشر والتوزيع إلى تطوير إمكاناتها في هذا المجال. وستجد الحكومات أنه لم يعد هناك مناص من سن قوانين الحماية للملكية الفكرية لحماية المنتجات الرقمية، ودفعها إلى الرقي.

لا تؤدي البلاغة الرقمية أبدا إلى تراجع القيمة الفنية للنص اللغوي، بل على الضد من ذلك ستغنيه وتجعله أكثر جمالا وتحمله المزيد من الشحنات الدلالية. فالصورة والصوت والحركة ستضيف على الدلالة المعتادة للكلمات شحنات إضافية تجعلها أكثر كثافة أو أكثر شعرية، فضلا عن أن أي كلمة في النص يمكن أن تكون رابطا لنص متفرع يضيء تلك الكلمة، أو أن تحمل تعليقا يظهر بمجرد مرور مؤشر الفأرة فوقها، ليضيف معنى مخبأ ربما يحل غموضا لا يفهم من غيره.

إن حرية الكتاب في توزيع النص على الصفحة والإمكانات الكبيرة في تنويع الألوان والخطوط والأحجام أعطته قدرة غير محدودة على بناء علامات مبتكرة لا متناهية لبناء بيئة جمالية تحتضن النص وتعطيه الأثر الذي يستحيل ظهوره على الورق. فمع تقدم المتلقي في قراءة عمل معين فإنه سيكتشف اللغة الرقمية للمنشئ، ويعلم أن الكتابة الزرقاء تشير إلى دلالة بعينها، وأن تغير حجم الكتابة يدل على تغير المتحدث (مثلا) وغير ذلك.

أرسل لي المخرج المسرحي العراقي المقيم في السويد أسعد راشد مرة سيناريو مسرحية الطاعون التي عرضها في كل الدول الأوربية تقريبا، فلاحظت أنه يستخدم التقنيات الرقمية بفاعلية في كتابته، فقد استغنى عن التعليقات الإرشادية التقليدية التي تأخذ مساحات كبيرة في الشكل التقليدي للسيناريو المسرحي، مثل تلك التي تشير إلى تغيير صوت الممثل من حيث الشدة، أو التعبيرات الانفعالية أو العاطفية، وغيرها، فقد استعاض عن كل تلك التعليقات بتوظيف نوع الخط ولونه وحجمه.

ولذا نرى أن هذا النمط الجديد من الأدب سيستدعي ظهور نمط جديد من النقد يمكن أن نسميه النقد الرقمي، يوسع مجالات الدرس الأدبي بحيث تشمل المكونات التقنية، ومحاولة بناء فلسفة جديدة لمفهوم النص والتلقي والتفاعل.

الهوامش:

(١) الكتاب موجود على الشبكة العلمية ويمكن الوصول إليه في:
http:// www. Almothaqaf. Com/ index. Php? option= com_ content &task= view&I d= 20220 &Itemid= 770

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي: تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة دت، دط، ج١/ ص٤.

(٣) ينظر مثلا موقف السيوطي الذي ألف أكثر كتبه في القرن العاشر الهجري في: المزهر في علوم اللغة وأنوعها، جلال الدين السيوطي: تح فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ج١/ ص١٣٥.

(٤) صلاة الوثني، سعيد يوسف: موقع الشاعر على الشبكة العالمية، وتنظر دراستنا (فن الكولاج في شعر سعدي يوسف)، جريدة الأديب: العدد

(٥) ينظر موقع قسم علم النفس في جامعة هلسنكي الخاص بالحياة الرقمية:
http:// www. Psyko.helsinki. fi/ psyko/ psykog.nsf/ Web Research Groups URL/ psychology of Digital life? Open Document.

(٦) نشر الدكتور سعيد يقطين كتابا بعنوان النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية يظهر من عنوانه إيلاءه الأهمية الكبرى لسمة الترابط، كما يمكن النظر إلى عمل رينيه كوسكيما أستاذ الثقافة الرقمية في الجامعة التركية للغرض ذاته حيث يمكن الوصول إليه في:
http:// www. Uoc. Edu/in3/ her meneia/ activitats/what_ is_ digital_ literature. ppt

(٧) أوضحنا هذا بالتفصيل في دراستنا، المفارقة في شعر أحمد مطر، جريدة الأديب، بغداد، العدد.

دلالة الوقف والابتداء في سورة الإسراء

د. حسين نوري محمود
جامعة تكريت/ كلية التربية/قسم اللغة العربية

د. فائزة عباس حميدي
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شرِيكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، أما بعد:

فإنَّ موضوع الوقفِ والابتداءِ في القرآن الكريم، من الموضوعات المهمة لدى علماء الدراسات القرآنية؛ لكونهِ أحد القرائن السياقية التي تتحدد من خلالها دلالة النص وفقًا لما يكون عليه التركيب، وبه يُستعان على فهم القرآن والغوص على دُرَرِهِ وكُنوزه، وتتضح به الوقوف التامة، والكافية، والحسنة، فتظهر للسامع المتأمل، والقارئ المتدبر المعاني على أكمل وجوهها وأصحها، وأقربها لمأثور التفسير، و معاني لغة العرب.

وإنَّ اعتمادَ علماء الوقف والابتداء في وضع الوقوف وتفصيلها، وبيان وجوهها، مبني على النظر في معاني الآيات، ولا ريب أنَّ علم الوقف والابتداء من العلوم التي تسفر بها وجوه المعاني القرآنية، إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف

بحيث يراعي القارئ المعاني، فيقف ويبتدِئ على حسب ما يقتضيه المعنى واللفظ، ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني.

وقد سعت هذه الدراسة إلى تحقيق دلالة الوقف والابتداء في سورة الإسراء، وكان للقرءات القرآنية والإعراب الأثر الكبير في بيان دلالة ذلك وتوضيحه. وعليه فقد جاء البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد ومبحثين هما:

الأول: الآيات التي انفردت القراءات القرآنية فيها للتأثير في الوقف والابتداء وأثره في المعنى.

الثاني: الآيات التي انفرد فيه الإعراب للتأثير في الوقف والابتداء وأثره في المعنى.

ووضعنا في نهاية هذا العمل خاتمةً لأهم النتائج التي توصل اليها البحث، وقد حرصنا في بحثنا هذا .ما وسعنا . على تتبع آراء العلماء، ومذاهبهم في بيان دلالة الوقف والابتداء في آيات القرآن الكريم، وتعدد وجهات نظرهم في تحديد نوع الوقف، ومكان الابتداء، وقد اعتمد البحث في ذلك على كثير من امهات كتب التفسير، والقراءات القرآنية والنحوية، وغيرها، التي تم ذكرها في ثبت المصادر والمراجع.

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى السداد والرشاد والإخلاص في القول والعمل، إنّه على ما يشاء قدير، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

قبل البدء بدراسة دلالة الوقف والابتداء في سورة الإسراء لابدَّ من تمهيد لتوضيح معنى الوقف والابتداء فضلاً عن التعريف بسورة الإسراء، لذا قد قُسمَ التمهيد على قسمين:

الأول: **معنى الوقف والابتداء**.

الثاني: **التعريف بسورة الإسراء**.

أولاً: معنى الوقف والابتداء:

الوقف والقطع والسكت ألفاظ لمعانٍ متقاربة لغة، وكذا الابتداء والاستئناف والائتناف ثم صارت مصطلحات لعلم له أصوله[١].

واختلف مقصود العلماء من المتقدمين والمتأخرين في (الوقف والقطع والسكت) فعند كثير من المتقدمين ما هي الا عبارات أُريد بها الوقف غالباً[٢]، أما المتأخرون فقد فرَّقوا بينها.

فالقطع: ترك القراءة رأساً، فإذا قلنا قطع القراءة فمعنى ذلك انتقاله إلى حالة أخرى غير القراءة كترك القراءة بالكلية أو الركوع أو الكلام بغير القرآن، وهذا يستعاذ بعده للقراءة[٣].

والوقف: قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة[٤].

أما السكت: فهو عبارة عن وقف بلا تنفس، وزمن السكت دون زمن الوقف عادة، فهو: قطع الصوت زمناً يسيراً، ومقداره حركتان من غير تنفس، بنية العود إلى القراءة في الحال[٥].

أما الابتداء: فهو ضد الوقف،يُقال: بدأت الشيء فعلته ابتداءً، والبدء فعل الشيء أولاً[٦].

وفي الاصطلاح: هو فن جليل يُعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نصَّ عليها القراء لإتمام المعاني والابتداء بمواضع محددة لا تختلُّ فيها المعاني[٧].

وعرَّفَهُ بعضهم بقوله: علم تُعرفُ به المواضع التي يجب على قارئ القرآن أن يقف عليها وقفاً جائزاً أو واجباً أو قبيحاً[٨].

وقد عمَّقَ علماء القراءات دراستهم لموضوع الوقف والابتداء ويظهر ذلك من خلال تصنيفاتهم الكثيرة التي تحمل اسم "الوقف والابتداء" أو مايرادفه، ومن الكتب المؤلفة في الوقف والابتداء، ومنها:

- المقاطع والمبادئ لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ)[٩].
- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)[١٠].
- القطع والائتناف لأبى جعفر النحاس(ت ٣٣٨)[١١].
- الوقف على (كلا وبلى) لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)[١٢].
- اختصار الوقف على (كلا وبلى) مكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ)[١٣].
- المكتفى فى الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)[١٤].
- منار الهدى فى الوقف والابتدا لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأُشمونى (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)[١٥].

وحاول كل هؤلاء العلماء تحديد مواضع الوقف والابتداء فى القرآن الكريم مما ترتب عليه تحديد دلالة النص القرآني.

قال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): ((ففي معرفة الوقف والابتداء الذي دوّنه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، واظهار فوائده، وبه يتهيّأ الغوص على دررهِ وفرائدهِ، فإن كان هذا بدعة فنعمَتِ البدعةُ هذه))[١٦].

أهمية علم الوقف والابتداء:

إنَّ علم الوقف والابتداء من الموضوعات التي لابدَّ لقارئ القرآن الكريم أن يعرفها ويتدبَّر قواعدها؛ إذ بها يُعرفُ المعنَيَان المختلفان والقضيَتَان المتنافيَتَان والحكْمَان المتغايرَان، ويتبيَّنُ المغزى من فصيح اللسان، ويتيسر على السامع فَهمُ ما يُتلى عليه من آيات وأحكام، وبه تُعرف المنازل التي يَصحُّ أن يقف عليها القارئ[١٧]، لهذا فقد اكتسب الوقف والابتداء أهميته؛ لإرتباطه ببيان معاني الآيات والأحكام.

وقد تولَّى الرسول محمد (ﷺ) إيضاحَ مواطن الوقف ورؤوس الآيات، فقد عابَ (ﷺ) على ذلك الرجل الذي وقف خطيباً فقال: مَنْ يُطِع الله ورسولَه (ﷺ) فقد رشَدَ ومن يعصِهِما. فقال رسول الله (ﷺ): بئس الخطيب أنت فقم، إذ إنَّه وقف على مكان لايحسن الوقوف عليه، فأفهم وقوفه خلاف المعنى الذي يريده[١٨].

فمقام الخطبة الإيضاح لا الإيجاز، وإنَّ وقوفه على قولهِ (ومَنْ يعصهما) دلَّ على أنَّه أناط الرشد بالطاعة والمعصية كليهما، أي: إنَّه أدخل العاصي في الرشد.

وقيل: إنَّه ليس لأحد من البشر أن يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير واحد[١٩].

ومن ذلك أيضاً ماذُكِرَ عن أبي بكر الصديق(رضي الله عنه) أنَّه سأل اعرابياً عن ناقتهِ، أتبيعها بكذا؟، فقال الأعرابي: لا عافاك الله، فغضب أبو بكر الصديق(رضي الله عنه)، وقال: لاتقلْ هكذا، ولكن قلْ: لا وعافاك الله، وانما غضب أبو بكر(رضي الله عنه)؛ لأنَّ الكلام الأول دعاءٌ عليه، في حين أنَّ الثاني دعاءٌ له[٢٠].

وهكذا فقد تواتر عن سلف هذه الأمَّة وخلفها تعلُّم هذا الفن، والاعتناء به أشد العناية، إذ من دونه لا يُفهم القرآن الفهم الصحيح، وبغيره لا يمكن استنباط الأحكام والمقاصد على وجه معتبر.

إذن فعلم الوقف والابتداء هو أحد العلوم التي نشأت بسبب الحاجة اليها لبيان المعاني والدلالات.

ثانياً: التعريف بسورة الإسراء

سبب اختيار سورة الإسراء:

إنَّ كلَّ سورةٍ من سور القرآن الكريم لها وحدة موضوع، وكلّ آيات السورة تأتي لِتَصب في هذا الموضوع، وكذا الحال في سورة الإسراء فهي كأخواتها لها مدلولاتها الخاصة بها قد تصلنا إلى معرفة الوقوفات والابتداءات منوطاً ذلك بما فيها من دلالات، والمتتبع لهذه السورة يجد فيها أساليبَ متعددة وقصصاً متنوعة.

والموضوع الرئيس للسور المكية هو عقيدة التوحيد، وسورة الإسراء هي إحدى السور المكية التي تُعنى بشؤون الدين والعقيدة والوحدانية، تميزت بأنها تتكلم على القرآن بشكل تفصيلي لم يردِ في باقي سور القرآن، وقد تعرّضت السورة لحادثة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهي لنبيه (ﷺ) بعد ما لاقاه من أذى المشركين، وهي أكثر سورةٍ ذُكِرَ فيها القرآن والكتاب، وفي ذلك دلالة على استشعار ثقل القرآن الكريم وتدبُّر آياته.

وحادثة الإسراء هي الحادثة الممثلة لانتقال الكتاب إلى أمَّة محمد (ﷺ)، وكأنها تقول لنا: أنتم يا أمَّة محمد مسؤولون عن هذا الكتاب عن القرآن فاستشعروا قيمته، وإياكم أن تفرطوا فيه كما فعلت الأمم السابقة فيستبدلكم الله كما استبدَلَهم.

واختلفَتْ مذاهبُ العلماء وآراؤهم اللغوية في هذه السورة لما وجدناه من دراساتهم على اختلاف علوم اللغة العربية.

تسميتها:

إنَّ لسور القرآن الكريم أسماء خاصة بها، وقد ورد لبعضٍ منها اسمان أو أكثر، فسورة البقرة يُقال لها فسطاط القرآن لعظمها وبهائها، وسورة النحل تسمى أيضاً بسورة النِّعم؛ لما عدّده الله تعالى من النعم على عباده، وتسمية سورة الجاثية بسورة الشريعة، وسورة محمد (ﷺ) تسمى بسورة القتال(٢١).

وهناك سُور من القرآن لها أسماءٌ كثيرة فالمائدة تعرف باسم العقود والمُنقِذة(٢٢)، اما سورة الإسراء فتسمى (سبحان)؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة، و(بني اسرائيل) أيضاً؛ لأنها تناولت حاضر بني اسرائيل ومستقبلهم، وجاءت بذكر أحوال خاصة بهم لم تُذكر في غيرها(٢٣).

وكانت العرب تراعي في كثير من المسميات العلاقة بين الاسم والمسمَّى، وعلى ذلك جرَتْ أسماء سُور الكتاب العزيز(٢٤).

عدد آياتها:

عدد آيات سورة الإسراء مئة وعشر آيات عند الجمهور وإحدى عشرة عند الكوفيين(٢٥)، ويعود سبب الاختلاف في عدِّ الآي إلى أنَّ النبي(ﷺ) كان يقف على رؤوس الآي تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آي، حتى إذا علموا ذلك وَصَلَ الرسول الكريم(ﷺ) الآية بما بعدها طلباً لتمام المعنى فيظن بعض المستمعين أنَّ ما وقف عليه الرسول(ﷺ) ليس فاصلة فيصلها بما بعدها اعتداداً بأنَّ جميع ما قُرِئَ آية واحدة، وبعضهم يعدها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها، فمثل هذه المواضع كانتْ محطَّ اختلافهم وسبب اجتهادهم(٢٦). ولاسيما في علم الوقف والابتداء.

المكي والمدني في سورة الإسراء:

وهي من السور المكية(٢٧) عند الجمهور إلاّ ثلاث آيات منها، قوله تبارك وتعالى: چڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گچ و: چ ٱ ٻ ٻچ و: چژ ژ ڑ ڑ ک ک ک کچ(٢٨).

ويرى ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أنَّ مَنْشأ هذا الخلاف هو ظاهر الأحكام التي اشتملَتْ عليها هذه الآيات التي لاتوافق حال المسلمين في ما قبل الهجرة، مما دفع بعض العلماء للقول بمدنيَّتِها(٢٩).

المبحث الأول

الآيات التي انفردت

القراءات فيها بالتأثير في الوقف والابتداء وأثره في المعنى

الوقف والابتداء ضربٌ من أصول القراءة وبيان حسن الأداء، وجمال السماع والإصغاء، اعتنى به العلماءُ ونصَّ على تعلُّمِهِ أئمةُ الأداءِ.

رَوى أبو جعفر النحاس أن ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) كان يذهب إلى أنه لايقوم بالتَّمام إلاَّ نحوي عالم بالقراءة. وكان النحاس يرى ذلك ضرورة، فالعلم بالوقف والابتداء عنده يحتاج إلى معرفة القراءات واللغة والتفسير وأحكام القرآن(٣٠).

فالقراءات والوقف والابتداء علمان متداخلان يرتبطُ أحدهما بالآخر، واختلفت تبعاً لهما آراء العلماء وتأويلاتهم في بيان دلالة الوقف والابتداء بحسب اختلاف القراءة، وفي مايأتي الآيات التي انفردت القراءات فيها بالتأثير في الوقف والابتداء وأثره في المعنى.

– قال تعالى: چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻچ[الإسراء: ٢–٣].

اختلف نوع الوقف والابتداء في الآية الكريمة مع اختلاف القراءات القرآنية، فقد قرأ القراء كلاً من لفظتي (تَتَّخِذُوا) و(ذُرِّيَّة) بقراءات مختلفة.

فقرأ أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ): (يَتَّخِذُوا) بالياء، وقرأ الباقون (تَتَّخِذُوا) بالتاء(٣١).

اما لفظ: (ذرِّية) ففيه ثلاث قراءات:

الأولى: قراءة الجمهور :(ذُرِّيَّةَ) بالنصب.

والقراءة الثانية: (ذُرِّيَّةُ) بالرفع(٣٢).

وقراءة ثالثة قرأ بها زيد بن ثابت: (ذِرِّيَّةَ) بكسر الذال(٣٣).

وفي قراءة: (تَتَّخِذُوا) بالتاء مع نصب (ذُرِّيَّةَ) وجهان:

أحدها: هو منادى مضاف لحرف نداء محذوف تقديره: يا ذُرِّيَّةَ من(٣٤)، وفيه تلطف وتذكير بنعم الله تعالى(٣٥).

والآخر: أن: (ذُرِّيَّةَ) منصوبة بفعلٍ محذوف تقديره: أعني(٣٦).

وعلى هذين التقديرين يكون الوقف على قوله تعالى (وكيلاً) كافٍ(٣٧)، أما ابن الأنباري فذهب الى أنَّ الوقف على (وَكِيلاً) حسن(٣٨).

وقراءة: (يَتَّخِذُوا) بالياء مع نصب (ذُرِّيَّةَ) فيها وجهان ايضاً:

الأول: أنَّ: (ذُرِّيَّةَ) بدل من (وَكِيل) أو بدل من (مُوسَى) عليه السلام(٣٩).

والآخر: أنَّ: (ذُرِّيَّةَ) منصوبة على أنها أحد مفعولي (يَتَّخِذُوا)، والتقدير: ألاَّ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَكِيلاً، أو على تقدير: ألاَّ يَتَّخِذُوا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ مِنْ دُونِي وَكِيلاً(٤٠).

ولم يكفِ الوقف في هذين الوجهين على(وكيلاً)،انما يكون الوقف على قوله تعالى(مَعَ نُوحٍ)(٤١).

أما قراءة الرفع ففيها ثلاثة آراء:

الأول: قراءة: (تَتَّخِذُوا) بالتاء مع رفع (ذُرِّيَّةُ) على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو ذرية، وعلى هذا المذهب يكفي الوقف على (وَكِيلاً)(٤٢).

والثاني: على البدل من الضمير (الواو) في قراءة (يَتَّخِذُوا) بالياء، والتقدير: وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لئلاً يَتَّخِذُوا أو آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لئلاً يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً(٤٣)، وعلى هذا المذهب لا يكفي الوقف على (وَكِيلاً)(٤٤).

الثالث: أن تكون: (ذُرِّيَّةُ) بدلاً من قوله تعالى: (بَنِي إِسْرَائِيلَ)، والتقدير: وجعلناه هدى لذرية مَنْ حملنا مع نوحٍ(٤٥).

وقراءة: (ذِرِّيَّةَ) بكسر الذال فقد روي أنَّ زيداً بن ثابت فسرها بولد الولد، وفيه تذكير بإنعام الله تعالى عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة(٤٦).

– قال تبارك وتعالى: ﭽ ﻫ ﮯ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ[الإسراء: ٧].

في الآية قراءتان:

الأولى: قراءة الجمهور: (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ).

والمعنى في هذه القراءة عند الفراء(٤٧): فإذا جاءَ وعدُ الآخرةِ بَعَثْنَاهُمْ ليسوءَ الله وُجُوهَكُمْ، أو ليسوءَ العذابُ وُجُوهَكُمْ(٤٨)، فحذف (بعثناهم)؛لأنَّ ذكره قد تقدم؛ ولأنه جواب(إذا) وشرطها يقتضيانه؛ فحذف للدلالة عليه(٤٩).

ويرى النحاس: أنَّ قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ) ليس بوقف كافٍ؛ لأنَّه لم يأتِ جواب (إذا)(٥٠).

والقراءة الأخرى: قرأ بها الكسائي (ت ١٨٩ هـ): (لَنَسوءَ وُجُوهَكُمْ) بفتح اللام والنون(٥١).

والتمام عند الأخفش (ت ٢١٥ هـ) في هذه القراءة قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ چ[الإسراء: ٨]، والمعنى عنده: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ إِنْ فَعَلْتُم ذلكَ[٥٢].

وذهب أبو جعفر النحاس الى أنَّه يجوز الوقف على (لَنَسوءَ وُجُوهَكُمْ)؛لأنَّه في موضع جواب(إذا)، والتمام: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ[٥٣].

فالفعل في هذه القراءة لله تعالى إخباراً عن نفسهِ على سبيل التعظيم، وهي في المتعارف فعل الذين جاسوا خلال الديار كما جاء في قوله (ﻷ): چ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ چ[الإسراء: ٥][٥٤].

– قـــال (ﻷ): چ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چ[الإسراء: ٣٣].

اختلف نوع الوقف والابتداء باختلاف القراءة القرآنية، فقد قُرِئ قوله تعالى: (فَلا يُسْرِفْ) بقراءتين:

الأولى: قراءة ابن كثير(ت ١٢٠هـ)، وعاصم (ت ١٢٧هـ)، وأبو عمرو، ونافع (ت نحو ١٦٩هـ): (فَلا يُسْرِفْ) بالياء.

والأخرى: قراءة ابن عامر (ت ١١٨ هـ) وحمزة (ت ١٥٦هـ) والكسائي وخلف (ت٢٢٩هـ): (فَلا تُسْرِفْ) بالتاء[٥٥] على معنى الخطاب للنبي (ﷺ) والأئمة بعده، أي: فلا تقتلوا غير القاتل[٥٦].

والوقف في هذه القراءة على (فِي الْقَتْلِ) كافٍ[٥٧]، وقيل: وقف حسن[٥٨]؛ لأنَّ المعنى على ما قال مجاهد (ت نحو ١٠٢هـ): للقاتل الأول؛ لأنه إذا قتل فقد أسرف[٥٩].

أما قراءة الجمهور: (فَلا يُسْرِفْ) بالياء فالوقف الكافي على قوله تعالى:(إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)[٦٠].

وفسر ابن عباس(ﷺ) (ت ٦٨ هـ) هذه القراءة على معنى: فلا يُسرف ولي المقتول فيقتص لنفسهِ من غير أن يذهب الى السلطان فيعمل بحمية الجاهلية، ويخالف أمر الله سبحانه وتعالى[٦١].

وفسَّره آخر: فلا يُسرف وليُّ المقتول فيقتل غير القاتل أو يقتل اثنين بواحد[٦٢]، وغير ذلك من وجوه التعدي، وهذا كله كانت العرب تفعله فلذلك وقع التحذير منه[٦٣].

ويرى الطبري (ت ٣١٠هـ): أنَّهما قراءتان متقاربتا المعنى، وذلك أنّ خطاب الله تبارك وتعالى نبيه (ﷺ) بأمرٍ أو نهي في أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عباده وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهي لجميعهم إلاَّ في ما دلَّ فيه على أنّه مخصوص به بعض دون بعض، وإنَّ خطابه تعالى بقوله: (فَلا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) للنبي (ﷺ) وإن كان موجها إليه، أنَّه معني به جميع عباده فكذلك نهيه ولي المقتول

أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدي فيه نهي لجميعهم فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك[٦٤].

واختار أبو جعفر النحاس القراءة بالياء؛ لأنَّه إنّما يُقال: لا يسرف لِمَنْ كان له أنْ يقتل فهذا للولي، إلا أنَّه أجاز القراءة الأخرى[٦٥].

– قال سبحانه وتعالى: چ □ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿچ[الإسراء:٣٧-٣٩].

في الآية قراءتان:

الأولى: قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (سَيِّئُهُ) بضم الهاء على معنى الإضافة[٦٦]، على أنه اسم (كان)، و(مَكْرُوهاً) الخبر، والوقف في هذه القراءة على قوله تعالى: (كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً) كافٍ[٦٧].

والمعنى: أنَّ كل الذي ذكرنا من قوله تعالى: ﴿ وقضى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إلاَّ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله (ﷻ): چ □ □ □ □ □□ □ چ كان سيئة،أي: سِيءَ ما عدَدْنا عليكَ عندَ ربِكَ مكروهاً؛لأنَّ في ما عددنا أموراً حسنة كقوله جلَّ وعزَّ: چ گ ں چ، چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ چ، چ ﯙ ﯚ ﯛ چ، چ □ □ □ □ □ چ وغير ذلك، فليس كل ما فيه نهياً عن سيئة بل فيه نهي عن سيئة وأمر بحسنات فلذلك قرأنا (سَيِّئُهُ)، معناه: التبعيض[٦٨].

والأُخرى: قرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع (سَيِّئَةً) بالتأنيث والنصب[٦٩].

قال يعقوب (ت٢٠٥هـ): الوقف على قوله جلَّ وعزَّ: (كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ) كافٍ، ثم عطفت عليه (مكروهاً)، ونصبه بفعلٍ مقدّر، والمعنى: كان مكروهاً[٧٠].

وخطأ أبو جعفر النحاس هذا الرأي؛ لأنَّ (مكروهاً) خبر ثانٍ عن (كان)، والوقف الكافي عليه[٧١]. وهذا هو الحسن من الكلام وهو تقدير صحيح حقاً.

ويرى ابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥ هـ): أنَّ (مكروهاً) خبر (كان)، و(سَيِّئَةً) حالاً عن اسم كان، والتقدير: كان هو في حال كونه سيئةً مكروهاً، وأجاز أن يكون (مكروهاً) حال من متعلق الظرف في قوله (ﷻ): (عِنْدَ رَبِّكَ)[٧٢]. والمعنى في هذه القراءة: أنَّ كل الذي ذكرنا من قولنا: چ ﭺ ﭻ ﭼ چإلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهةً؛ لأن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: كل ذلك كان مكروهاً سيئةً، وقوله تعالى: (مكروهاً) على التكرير لا على الصفة، مجازه: كل ذلك كان سيئةً وكان مكروهاً، راجع إلى المعنى دون اللفظ؛ لأن السيئةَ: الذنبُ، وهو مذنب[٧٣].

فتأويل الآية أنَّ كل هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك كان سيئةُ مكروهاً عند ربك يا محمد (ﷺ) يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه فاتَّقِ العمل به[٧٤]. ورجَّح الطبري قراءة الجمهور[٧٥].

- قال تعالى: چ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ چ[الإسراء: ٩٣].

اختلف الوقف والمعنى في الآية الكريمة مع اختلاف القراءة القرآنية:

فقرأ الجمهور: (قلْ) على الأمر، وقرأ ابن كثير وابن عامر: (قال) على الخبر[٧٦]. قال أبو عمرو الداني: مَنْ قرأ (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي) على الأمر؛ فهو استئناف أمرٍ من الله (ﷻ) للرسول (ﷺ)، بأن يقول ذلك[٧٧].

والمعنى في هذه القراءة: قل يا محمد (ﷺ) لهؤلاء المشركين من قومك القائلين لك هذه الأقوال تنزيهاً لله عمّا يصفونه به وتعظيماً له من أن يؤتى به وملائكته أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه، وإنّما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له لا يقدر على ذلك غيره، وهذا الكلام الذي أخبر الله أنه كلَّم به رسول الله (ﷺ) في ما ذكر كان من ملأ من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله (ﷺ) ومحاجته فكلَّموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات[٧٨].

ومن قرأ (قال) على الخبر، فالوقف على (نَقْرَؤُهُ) كافٍ؛ لأنَّ ما بعده خبر عن الرسول (ﷺ)، فهو متصل بذلكَ[٧٩].

والمعنى: أنَّ النبي (ﷺ) قال ذلكَ تنزيهاً لله (ﷻ) عن أنْ يعجزَ عن شيءٍ وعن أنْ يعترضَ عليه في فعلٍ، وقيل: هذا كلُّه تعجب عن فرطِ كفرِهم واقتراحاتِهم[٨٠]. فالأمر والخبر سيَّان للخروج إلى معنى التعجب.

المبحث الثاني

الآيات التي انفرد فيه الإعراب بالتأثير في الوقف والابتداء وأثره في المعنى

إنَّ من أهم مقاييس علم الوقف والابتداء لبيان معنى الجملة اعتماده على النحو العربي ومقاييسه، وكما ارتبطَتْ مواضع الوقف والابتداء بالقراءات فقد ارتبطَتْ ارتباطاً وثيقاً بعلم النحو؛ لأنَّ القراء الأوائل جميعاً كانوا من النحاة كأبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، وابن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ)، وعيسى بن عمر (ت نحو ١٤٩هـ)، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي وغيرهم. وقد اجتهد هؤلاء في محاولة

وضع قواعد عامة للوقف فقالوا: كل كلمة تعلقت بما بعدها – بحيث أصبح ما بعدها متمماً لمعناها– لا يوقف عليها كالمضاف والمضاف إليه، والمنعوت دون نعته، والشرط دون جوابه، والمؤكد دون توكيده... إلخ(٨١).

وقال ابن الأنباري: ((... ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه، معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام والوقف الكافي الذي ليس بتام، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف))(٨٢).

إذن قد ارتبطَ النحو ارتباطاً وثيقاً بعلم القراءات، فهو يُوجه أحكامَ القراءات وتأويلاتِها بحسبِ اختلافِ القراءةِ، فحينما تروى آية بإعرابين، فإنَّ النحاةَ يؤولون لكلتا الروايتين دلالـةً، ويخرِّجون تلك التأويلات في كلِّ مذهب(٨٣). وفي ما يأتي عدد من الآيات التي انفردَ فيه الإعراب بالتأثير في الوقف والابتداء واثرهُ في المعنى.

– قال تعالى: ﴿ڍ ڌ ڌ ڎڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ﴾[الإسراء: ١٢].

يتحدد نوع الوقف بتحديد الوجه الإعرابي، وفي الآية وجهان إعرابيان:

الأول: إن نُصِبَ (كُلَّ) بفعلٍ مضمر كان قوله تعالى: (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) وقفاً كافياً، وهذا رأي البصريين(٨٤)، وهو معقود في باب الاشتغال من النحو العربي.

والآخر: إن نُصِبَ (كُلَّ) بالفعل الذي بعده كان الوقف على (وَالْحِسَابَ) تاماً(٨٥).

– قال تبارك وتعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ﴾[الإسراء: ٢٠].

يتحدد نوع الوقف ومعنى الآية بتحديد الوجه الإعرابي:

قال يعقوب: (كُلاً نُمِدُّ) وقف كافٍ، و(هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ) وقف تام، ثم تبتدئ (مِنْ عَطَاءِ رَبِّك)(٨٦)، والتقدير: ذلك من عطاء ربكَ(٨٧).

وعارض أبو جعفر النحاس(٨٨) وأبو عمرو الداني(٨٩) هذا الرأي لسببين:

الأول: أنَّ: (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) موصولٌ بما قبله، والمعنى عند الفراء(٩٠): يرزق المؤمن والكافر من عطاء ربكَ.

والآخر: أنَّ: (هؤلاء) بدل كل من كل، فلا يوقف على ماقبله(٩١).

قال أبو حاتم: إنَّ: (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) وقف كافٍ، والتمام (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)(٩٢)، وتابعه أبو جعفر النحاس(٩٣)، وأبو عمرو الداني(٩٤).

– قال تعالى: ﴿ٱ ب ٻ ٻ پ پپ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ﴾[الإسراء: ٧٦ – ٧٧].

في الآية ثلاثة آراء اختلف فيها المعنى مع اختلاف نوع الوقف والوجه الإعرابي:

الأول: أنَّ قوله تعالى: (وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) قطع صالح، إن جُعِلَتْ (سُنَّةَ) مصدراً[٩٥]، والمعنى: أنَّ كل قوم أخرَجُوا رسولَهُم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم، وإضافتها إلى الرسل لأنها سُنَّتْ لأجلهم، ويدلُّ عليه قوله (ﷻ): (وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)، أي: تغييراً[٩٦]، والتقدير: سنَّ الله ذلك سنةً[٩٧].

والثاني: أنَّ: ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ وقف حسن عند ابن الأنباري[٩٨]، وكافٍ عند أبي عمرو الداني[٩٩] والأشموني[١٠٠]، ثم تبتدئ: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ فتنصب (سُنة) بإضمار فعل والتقدير عند الفراء: يُعَذَّبُون كسُنَّةِ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا، فلما سقطت الكاف عمل الفعل، والتمام قوله تعالى: (وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)[١٠١].

والثالث: رأي الزجاج أنَّ نصب (سُنَّةَ) على معنى لا يلبثون، وتأويل الآية: إنَّا سنَنَّا هذه السنة في مَنْ أرسلنا قبلك أنَّهم إذا أخرجوا نبيَّهم أو قتلوه لم يلبثِ العذاب أن ينزلَ بهم[١٠٢]. ويرى أبو عمرو الداني والأشموني أن: ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ وقف كافٍ[١٠٣].

– قال (ﷻ): ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [الإسراء: ٧٨].

اختلف نوع الوقف والابتداء مع اختلاف التقدير الإعرابي، وفيها ثلاثة آراء:

الأول: يرى ابن الأنباري أنَّ: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ وقف حسن، وهو غير تام؛ لأنَّ قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ منسوقة على قولِهِ (ﷻ): ﭽ ﮄ ﮅ ﭼ[١٠٤].

والثاني: أنَّ: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ وقف كافٍ، وينتصب ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ بالعطف على قوله: ﭽ ﮄ ﮅ ﭼ، وهو قول أبي عمرو الداني[١٠٥].

والثالث: أنَّ قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ منصوباً على الإغراء[١٠٦]، أي: الزموا قرآن الفجر، أو وعليكَ قرآن الفجر، قدّره الأخفش[١٠٧].

وردَّ الأُشموني هذا الرأي وقال: والأصول تأبى هذا؛ لأنَّ أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة، والأجود الوقف على: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ)؛ لأنَّه معطوف على (الصَّلَاةَ)، أي: أقم الصلاة وقرآن الفجر، أي: صلاة الفجر[١٠٨]، والذي نذهب إليه أنه ليس من الضرورة حمل قرآن الفجر على إقامة الصلاة بقرآن الفجر، بل يصلح أن يطلق القيام

على قراءة القرآن مجازاً، فيكون من عطف جملة على جملة، لا من عطف مفرد على مفرد.

– قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [الإسراء: ١٠٥ – ١٠٦].

تحتملُ الآية ثلاثة أوجه إعرابية، يتحدد إثرها الوقف:

الأول: مذهبُ البصريين أن: (قُرْآنًا) منصوب بـ(أرسلناكَ) على معنى: وما أرسلناك إلا مبشِّراً ونذيراً وقرآناً، أي: ورحمة[١٠٩]، وعلى هذا التقدير لم يتم الوقف على (نذير)؛ لأنه معطوف، والتمام قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)[١١٠].

الثاني: مذهبُ الكوفيين أن: (قُرْآنًا) منصوب بـ(فَرَقْنَاهُ)، والوقف على قوله تعالى: ﭽ ﭘ ﭙ ﭼ وقف تام[١١١].

الثالث: أنَّ: (قُرْآنًا) منصوب بفعلٍ مقدّر، أي: وفرقناه قُرآناً فرقناه – على الاشتغال–، والوقف على (ونذيراً) كافٍ[١١٢].

خلاصة البحث

*علم الوقف والابتداء من العلوم المهمة عند العرب قديماً وحديثاً؛ لأنَّه يُعنى بجانب مهم من جوانب اللغة، فهو يهتم بمعنى الجملة وتمامها.

* لم يقتصر هذا العلم على بيان موضع الوقف والابتداء في القرآن إنَّما يلحظ فيه كلام العرب ومخاطباتهم، فهو طريق لمعرفة سمة التعبير ومقاصد البلغاء في كلامهم.

* يترتب على تحديد مواضع الوقف والابتداء تحديد دلالة النص، فوضوح المعنى يتم عن طريق تقسيم الكلام على مقاطع لتحديد المعنى وتوضيحه.

* ارتبط علم الوقف والابتداء بعلوم العربية كافة ومنها علم القراءات والنحو، فعلم القراءات يوجه أحكام القراءات وتأويلاتها بحسب اختلاف القراءة، وقد يقف القارئ على موضع يُخِلُّ بالمعنى، مما يؤدي إلى تعسفٍ في الإعراب.

* ارتبط علم الوقف والابتداء – وهو جزء من علم القراءات – بعلم النحو ارتباطاً شديداً، لذا قد كَثُرَت التأويلات وتعدَّدَتْ مذاهب العلماء في المسألة الواحدة.

* اختلف العلماء في نزول سورة الإسراء أهي مكية أم مدنية ؟، ومنشأ الخلاف هو ظاهر الأحكام التي اشتملَتْ عليها هذه الآيات التي لاتوافق حال المسلمين في ما قبل الهجرة.

والحمد لله أولاً وآخراً

الهوامش:

(١) ينظر: مقدمة في الوقف والابتداء، د. أحمد خطاب عمر، مجلة الرافدين، ع٨،١٩٧٧م، ١٦٧.

(٢) ينظر: الدراسات اللغوية والنحوية في كتب الوقف والابتداء، عبد الرزاق احمد الحربي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٧م، ١٨.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ)، تصحيح ومراجعة، علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ٢٧٣، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٢٣٣/١.

(٤) ينظر: النشر ٢٧٣/١، والإتقان ٢٣٣/١.

(٥) ينظر: النشر ٢٧٤/١، والإتقان ٢٣٤/١.

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت،ط١، ٢٧/١، مادة (بدأ).

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣٤٢/١.

(٨) ينظر: مقدمة في الوقف والابتداء ١٦٧.

(٩) حققه ابراهيم خلف،رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت.

(١٠) حققه محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، ١٩٧١م، وحققه ايضاً الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة.

(١١) حققه: د. أحمد خطاب عمر، سلسلة احياء التراث الإسلامي ٣٥، بغداد، ١٩٧٨م.

(١٢) حققه ونشره: د. حسين نصار، مجلة كلية الشريعة، ع٣، ١٩٦٦-١٩٦٧م.

(١٣) حققه ونشره: أحمد فرحات، مجلة عالم الكتب،ع٢، ١٩٨٠م.

(١٤) حققه ونشره: د. جايد زيدان، بغداد، ١٩٨٣م.

(١٥) مطبوع منشور ومعه المقصد لتلخيص مافي المرشد في الوقف والابتداء لزكريا بن محمد الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١٦) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، علي بن محمد (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د.علي حسين البواب، مكتبة التراث – مكة المكرمة.

(١٧) ينظر: لطائف الإشارات، القسطلاني، شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت ٩٢٣)، تحقيق: عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، القاهرة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، ٢٤٩/١.

(١٨) ينظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٥٩٤/٢، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ٢٨٨/١.

(١٩) ينظر: عمدة القارئ، العيني: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٧/١.

(٢٠) ينظر: القطع والائتناف ٩٣.

(٢١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ٢٦٩/١.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٦٩/١.

(٢٣) ينظر: تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، ابن عاشور: محمد الطاهر، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ٥/١٥.

(٢٤) ينظر: البرهان ٢٦٩/١.

(٢٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ٢/١٥.

(٢٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ٣٤٣/١-٣٤٤.

(٢٧) فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ٢٠٥/٣.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه ٢٠٥/٣.

(٢٩) التحرير والتنوير ٦/١٥.

(٣٠) ينظر القطع والائتناف ٩٤-٩٦.

(٣١) ينظر: السبعة في القراءات،ابن مجاهد: أبو بكر احمد بن موسى بن العباس(ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ، ٣٧٨، والحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن عبد الغفار الفارسي النحوي(ت٣٧٧هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ٣٨٥/٣، والنشر ٣٠٦/٢.

(٣٢) ينظر: المكتفى ٢٣٥، و الكشاف، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ٢/٦٠٦، وتفسير البيضاوي، البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت ٧٩١هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، دار الفكر، بيروت،١٤١٦هـ- ١٩٩٦م،٣/٤٣٢.

(٣٣) ينظر: الكشاف ٢/٦٠٦، وتفسير البيضاوي ٣/٤٣٢.

(٣٤) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٣٩٣،والمكتفى ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٣٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: أبو اسحق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٣/٢٢٦، والحجة في علل القراءات ٣/٣٨٦،وزاد المسير، ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ،٥/٦، والتفسير الكبير التفسير الكبير، فخر الدين الرازي: محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٢٠/١٢٣.

(٣٦) ينظر: المكتفى ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٣٧) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٥، والمكتفى ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٣٨) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٣٩٣.

(٣٩) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٥، والمكتفى ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٤٠) ينظر: معاني القرآن، الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢/١١٦، ومعاني القرآن واعرابه

٣/٢٢٦، وإيضاح الوقف والابتداء ٣٩٣، والقطع والائتناف ٤٣٥، والحجة في علل القراءات ٣/٣٨٦، والمكتفى ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٤١) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٣٩٣، والقطع والائتناف ٤٣٥، والمكتفى في الوقف والابتداء ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٤٢) ينظر: إعراب القراءات الشواذ، العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت٦١٦هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م، ١/٧٧٤.

(٤٣) ينظر: الحجة في علل القراءات ٣/٣٨٦، وتفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ١٥/١٨، وحجة القراءات، أبو زرعه: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (من رجال القرن الرابع الهجري)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. ١/٣٩٦، والتبيان في إعراب القرآن، العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، ٢/٨١١ - ٢/٨١٢.

(٤٤) ينظر: المكتفى ٢٣٥، ومنار الهدى ٤٤٧.

(٤٥) ينظر: الحجة في علل القراءات ٣/٣٨٧.

(٤٦) ينظر: تفسير البغوي ٣/٩٧، والكشاف ٢/٦٠٦.

(٤٧) ينظر: معاني القرآن ٢/١١٦-١١٧.

(٤٨) ينظر: معاني القرآن واعرابه ٣/٢٢٨، والقطع والائتناف ٤٣٥، والحجة في علل القراءات ٣/٣٨٧.

(٤٩) ينظر: الحجة في علل القراءات ٣/٣٨٧.

(٥٠) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٥.

(٥١) ينظر: السبعة في القراءات ٣٧٨، ومعاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، حققه وعلَّق عليه: احمد فريد المزيدي، قدَّم له: د. فتحي عبد الرحمن حجازي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م، ٢٥٢، والوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المُقرئ (٤٤٦هـ)، حققه وعلَّق عليه: د. دُريد حسن أحمد، قدم له وراجعهُ: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م، ٢٢٨.

(٥٢) لم نقف على هذا الرأي في معاني القرآن للأخفش، ينظر: القطع والائتناف ٤٣٦.

(٥٣) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٦.

(٥٤) ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها ٧٤٩/٢.

(٥٥) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٧، والحجة في علل القراءات ٣٩٩/٣، وحجة القراءات ٤٠٢/١، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٢.

(٥٦) ينظر: تفسير الطبري ٨١/١٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٤٥٣/٣، والموضح ٧٥٦/٢.

(٥٧) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٧.

(٥٨) ينظر: منار الهدى ٤٥١.

(٥٩) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٧، ومنار الهدى ٤٥١.

(٦٠) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٧.

(٦١) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٨، ومفاتيح الأغاني ٢٤٨.

(٦٢) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٨، تفسير الطبري ٨١/١٥.

(٦٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٥٣/٣، تفسير الطبري ٨١/١٥.

(٦٤) ينظر: تفسير الطبري ٨٢/١٥.

(٦٥) ينظر: معاني القرآن ١٥٢/٤.

(٦٦) ينظر: السبعة ٣٨٠، والحجة في علل القراءات ٤٠٢/٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م، ٢/ ٤٦، والتيسير ١٤٠، والوجيز ٢٢٨.

(٦٧) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٩.

(٦٨) ينظر: تفسير الطبري ٨٩/١٥، ومعاني القراءات ٢٥٧، وتفسير السمعاني ٢٤٢/٣، وتفسير البغوي ١١٥/٣.

(٦٩) ينظر: السبعة ٣٨٠، والكشف ٢/ ٤٦، والتيسير ١٤٠، والوجيز ٢٢٨.

(٧٠) ينظر: القطع والإئتناف ٤٣٩، ومنار الهدى ٤٥١.

(٧١) القطع والائتناف ٤٣٩.

(٧٢) ينظر: الموضح ٧٥٨/٢.

(٧٣) ينظر: تفسير الطبري ٨٩/١٥، والموضح ٧٥٧/٢.

(٧٤) ينظر: تفسير الطبري ٨٩/١٥،وتفسير السمعاني ٢٤٢/٣، وتفسير البغوي ١١٥/٣.

(٧٥) ينظر: تفسير الطبري ٨٩/١٥.

(٧٦) ينظر: السبعة ٣٨٥،والوجيز ٢٣٢.

(٧٧) المكتفى ٢٣٦، وينظر: معاني القراءات ٢٦٢.

(٧٨) ينظر: تفسير الطبري ١٦٤/١٥، زاد المسير ٨٥/٥، والبرهان ٣٩٥.

(٧٩) ينظر: المكتفى ٢٣٦.

(٨٠) ينظر: تفسير القرطبي ٣٣١/١٠.

(٨١) إيضاح الوقف والابتداء١/١١٦، والقطع والائتناف ١٢.

(٨٢) إيضاح الوقف والابتداء ١٠٨/١.

(٨٣) ينظر: القراءات والوقف والابتداء، د. أحمد خطاب عمر، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، م٣٩، بغداد، آذار ١٩٨٨م.

(٨٤) ينظر: القطع والإئتناف ٤٣٦.

(٨٥) ينظر: المصدر نفسه ٤٣٦.

(٨٦) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٦، والمكتفى ٢٣٦.

(٨٧) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٦.

(٨٨) ينظر: المصدر نفسه ٤٣٦.

(٨٩) ينظر: المكتفى ٢٣٦.

(٩٠) معاني القرآن ١٢٠/٢، وينظر: منار الهدى ٤٥٠.

(٩١) ينظر: التبيان في اعراب القرآن ٨١٦/٢.

(٩٢) ينظر: القطع والائتناف ٤٣٧.

(٩٣) ينظر: المصدر نفسه ٤٣٧.

(٩٤) ينظر: المكتفى ٢٣٦.

(٩٥) ينظر: القطع والائتناف ٤٤٠.

(٩٦) ينظر: تفسير ابي السعود ١٨٩/٥.

(٩٧) ينظر: الكشاف ٦٤١/٢.

(٩٨) إيضاح الوقف والابتداء ٣٩٤.

(٩٩) ينظر: المكتفى ٢٣٧.

(١٠٠) ينظر: منار الهدى ٤٥٦.

(١٠١) إيضاح الوقف والابتداء٣٩٤، و ينظر: معاني القرآن للفراء١٢٩/٢، وتفسير القرطبي٣٣٩/١٠، ومنار الهدى ٤٥٦.

(١٠٢) معاني القرآن واعرابه ٢٥٥/٣، وينظر تفسير القرطبي٣٠٢/١٠. زاد المسير ٧٠/٥.

(١٠٣) ينظر: المكتفى ٢٣٧، ومنار الهدى ٤٥٦.

(١٠٤) ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٣٩٤.

(١٠٥) ينظر: المكتفى ٢٣٧.

(١٠٦) ينظر: تفسير الطبري ١٣٩/١٥، والقطع والائتناف ٣٨٧، والكشاف ٤٦٢/٢، وتفسير القرطبي ٣٠٥/١٠، وفتح القدير ٣/ ٢٤١.

(١٠٧) ينظر: معاني القرآن٣٩٢/٢، والقطع والائتناف ٤٤٠.

(١٠٨) ينظر منار الهدى ٤٥٦.

(١٠٩) ايضاح الوقف والابتداء ٣٩٤،وينظر: معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢، وتفسير القرطبي ٣٠٥/١٠.

(١١٠) ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٣٩٤.

(١١١) ينظر: المصدر نفسه ٣٩٤.

(١١٢) ينظر: منار الهدى ٤٥٩.

المصادر والمراجع:

١- **إتحاف فضلاء البشر في قراءات القراء الأربعة عشر، الدمياطي:** احمد بن محمد البنا (ت١١١٧هـ)، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٢- **الإتقان في علوم القرآن،السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٣- **إعراب القراءات الشواذ، العكبري:** أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت٦١٦هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز،عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م.

٤- **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله** (ﻷ)، **أبو بكر الأنباري:** محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن(ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة.

٥- **البرهان في علوم القرآن، الزركشي:** محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٦- **التبيان في إعراب القرآن، العكبري:** أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله(ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٧- **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، ابن عاشور:** محمد الطاهر، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.

٨- **تفسير أبي السعود، أبو السعود:** محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- **تفسير البغوي(معالم التنزيل)، البغوي:** أبو محمد الحسين بن مسعود(٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت .

١٠- **تفسير البيضاوي،البيضاوي:** ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت ٧٩١هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، دار الفكر، بيروت،١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١١- **تفسير السمعاني، السمعاني:** أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت ٤٨٩هـ)، تحقيق:ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢- **تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٣- **تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري(ت ٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة.

١٤- **التفسير الكبير، فخر الدين الرازي:** محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٥- **التيسير في القراءات السبع، الداني:** أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، جمعية المستشرقين الألمانية، اوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٦- **جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي:** علي بن محمد (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د.علي حسين البواب، مكتبة التراث _ مكة المكرمة.

١٧- **الحجة في علل القراءات السبع،** أبو علي الحسن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٧م.

١٨- **حجة القراءات، أبو زرعة:** عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (من رجال القرن الرابع الهجري)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي:** شهاب الدين السيد محمود(ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٩٨٥،٤م.

٢٠- **زاد المسير، ابن الجوزي:** عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٢١- **السبعة في القراءات، ابن مجاهد:** أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٢٢- **سنن أبي داود،** سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٢٣- **صحيح مسلم،** مسلم بن الحجاج ابو الحسين النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٤- **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، العيني:** بدر الدين محمود بن أحمد العيني(ت ٨٥٥هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٥- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني:** محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر،بيروت، ١٩٨٣م.

٢٦- **القطع والائتناف،** أبو جعفر النحاس(ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م.

٢٧- **الكشاف، الزمخشري:** أبو القاسم محمود بن عمر(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،** مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م.

٢٩- **لسان العرب، ابن منظور:** محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٠- **لطائف الإشارات،القسطلاني:** شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد(ت ٩٢٣هـ)، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين وعامر السيد عثمان، القاهرة، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٣١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٢- **معاني القراءات،** أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، حققه وعلَّق عليه: أحمد فريد المزيدي، قدَّم له: د. فتحي عبد الرحمن حجازي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.

٣٣- **معاني القرآن، الأخفش الأوسط:** أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي(ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. فائز فارس، دار البشير، دار الأمل، ط٢، ١٤٠١هـ _ ١٩٨١م.

٣٤- **معاني القرآن، الفراء:** أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٥- **معاني القرآن وإعرابه، الزجاج:** أبو اسحق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٦- **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، الكرماني:** أبو العلاء محمد بن أبي المحاسن (ت ٥٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الكريم مصطفى مدلج، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٧- **المكتفى في الوقف والابتدا،** أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. جايد زيدان، بغداد، ١٩٨٣م.

٣٨- **منارُ الهدى في بيان الوقف والابتدا، الأُشموني:** أحمد بن محمد بن عبد الكريم (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)، ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لـ زكريا بن محمد الأنصاري(ت٩٢٦هـ)، تعليق: شريف أبو العلا العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، ط٢،١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٧م.

٣٩- **مناهل العرفان في علوم القرآن،** الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٠- **الموضح في وجوه القراءات وعللها،** نصر بن محمد الشيرازي، المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥هـ)، تحقيق ودراسة: د. عمر حمدان الكبيسي، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٤١- **النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:** (ت ٨٣٣هـ)، تصحيح ومراجعة، علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢- **الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة،** أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المُقرئ(٤٤٦هـ)، حققه وعلَّق عليه: د. دُريد حسن أحمد، قدم له وراجعهُ: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.

الرسائل والأطاريح:

٤٣- **الدراسات اللغوية والنحوية في كتب الوقف والابتداء،** عبد الرزاق احمد الحربي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٧م.

٤٤- **القطع والائتناف للنحاس** دراسة نحوية، فائزة عباس حميدي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

البحوث والمقالات:

٤٥- **القراءات والوقف والابتداء،** د. أحمد خطاب عمر(ت١٤٢٨هـ)، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، م٣٩، بغداد، آذار ١٩٨٨م.

٤٦- **مقدمة في الوقف والابتداء،** د. أحمد خطاب عمر(ت ١٤٢٨هـ)، بحث منشور في مجلة الرافدين، ع٨، ١٩٧٧م.

٤٧- **الوقف على (كلا وبلى)** مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، حققه ونشره: د. حسين نصار، مجلة كلية الشريعة، ع٣، ١٩٦٦- ١٩٦٧م.

القَصِيْدَةُ القَافِيَّةُ فِي تَجْوِيدِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ لِلشَّيْخِ صَالِحِ بنِ عَبْدِ الهُدَى الحَرْبَاوِي الدُّورِي (ت بعد ١١٦٧ هـ). تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ وَدِرَاسَةٌ

د. صلاح ساير فرحان العبيدي

جامعة تكريت / كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ الأَتمَّانِ الأكْملانِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِ بيتِهِ الطيبين الطاهرين، وصحابتِهِ الغُرِّ الميامين، وَمَنِ اهتدى بِهدْيه واستنَّ بسنتِهِ إلى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خيرَ العلومِ وأشرفَها عُلومُ القَرْآنِ الكريمِ، أَوْ ما كانَ لهُ اتصالٌ بِهَا. وَقَدْ صَنَّفَ عُلماءُ السَّلَفِ والخَلَفِ في علومِ القُرآن الكريمِ المختلفةِ، نثراً ونَظْماً، وبذلوا جهودَهم مأجورينَ وَمَشْكورينَ، فجزاهم الله تعالى عن العلمِ وأهلِه خيرَ الجزاء.

ومِنْ تلك الجهودِ المباركةِ اهتمامُهم بتجويدِ ألفاظِ كتابِ اللهِ تعالى بعامةٍ، وبتجويد سورةِ الفاتحةِ بخاصةٍ، بسببِ أهميتها وتَعَيُّنِ قراءتها في فريضةِ الصَّلاةِ، على ما ستراه في هذا البحثِ، إن شاء اللهُ تعالى.

وكَانَ مِمَّنْ أَلَّفَ في تَجْوِيدِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ، عَالِمٌ عاشَ في القَرنِ الثاني عشر للهجرةِ فِي مَدِينةِ المَوْصِلِ، بَعْدَ أن هَجَرَ بلدتَه التي نشأَ فيها، وهِي بلدةُ (الدُّوْرِ)

شمالي بغداد، على ما سيأتي في ترجمتِهِ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى، إِذْ نَظَمَ قَصيدَةً قَافيَّةً فِي تجويدِ الفاتحةِ وبيانِ ما يجبُ الالتزامُ به وما يجب اجتنابُه وتركُه في تَجويدها وتِلاوتِها، وهو الشيخ صالح بن عبد الهدى الحرباوي، رحمه الله تعالى.

فجاء موضوعُ هذا البحث: (القَصيدَةُ القَافِيَّةُ في تَجْويدِ فَاتحةِ الكِتابِ . تحقيقٌ وشَرْحٌ ودراسةٌ) وقد اقتضت طبيعةُ العملِ أن اتبعَ فيه الخطةَ الآتية :

القسمُ الأَوَّلُ: الدِّراسةُ، وتتضمَّنُ تمهيداً في حياةِ ناظِمِ القصيدةِ وسيرتِه ونشأتِه ومبحثين. وهذا تفصيلُ خُطةِ التحقيق والشرح والدراسة :

أولاً: تمهيدٌ في حياةِ ناظِمِ القصيدةِ وسيرتِه ونشأتِه.

ثانياً: المبحث الأول: تعريفٌ بسورة الفاتحةِ، وتاريخُ التأليفِ في تجويدِ الفاتحةِ، وأقوال الفقهاء في اللحن بقراءتها.

ثالثاً: المبحثُ الثاني: القصيدةُ القافيَّةُ: أهميتُها، ووصفُ النسخِ المخطوطةِ المعتمدةِ في التحقيقِ، ومنهجُ التحقيق والتعليق.

رابعاً: القسم الثاني: وهو قسم التحقيقِ والشرح.

وعملاً بقول النَّبي، (ﷺ): (لا يَشْكُرُ اللهُ مَنْ لا يَشكرُ النَّاسَ)[١]، أُسجِّلُ شكري وامتناني لشيخي وأستاذي الكريمِ الأستاذ الدكتور غانم قدوري حمد، حَفِظَهُ اللهُ تعالى[٢]، الذي شجعني على تحقيقِ هذه القصيدةِ، وشيخي الكريم (موئل القُرَّاءِ) الشيخ المقرئ إبراهيم فاضل محمد المشهداني[٣]، الذي ساعدني في الحصولِ على إحدى نسخِ القصيدة، والأستاذ قصي حسين آل فرج[٤]، مدير المكتبة المركزية العامة في الموصل الذي يسَّر لي الحصول على النسخةِ الثانيةِ من القصيدة ومخطوطةٍ أخرى للناظم[٥] فجزى الله تعالى الجميع عني خيرَ الجزاءِ.

وأخيراً فهذا عملي، وهو جهدُ المقلِّ وبدايةُ المبتدئ، فما كانَ فيه من توفيقٍ فهو من اللهِ تعالى وحده، وما كانَ فيه من خللٍ أو تقصيرٍ فهو من نفسي ومن الشيطانِ، وأستغفرُ اللهَ تعالىَ منه، وحسبي أنِّي قد بذلتُ جهدي واجتهدتُ قَدْرَ استطاعتي. واللهُ يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيلَ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

القسم الأوَّلُ: الدِّراسةُ :

أوَّلاً: تَمْهيدٌ فِي حَياةِ نَاظِمِ القَصيدةِ وسيرتِهِ ونَشْأتِه :

مِنَ الصعوباتِ التي تواجهُ الباحث في حياة علماءِ العصورِ المتأخرةِ قِلَّةُ المصادرِ التي تحدثت عنهم وندرتها، وهذا ما وجدتُه عندما بحثتُ عن ترجمةٍ لناظمِ القصيدةِ القافيَّةِ في تجويدِ فاتحة الكتابِ، الشيخ صالح بن عبد الهدى الحرباوي الدوري. إذ لم تذكر المصادر التي حصلتُ عليها شيئاً عنه ولا عن أسرته أو شيوخه وتلامذته، ولكن بعد البحث والعناء وجدتُ ترجمةً مقتضبةً جداً للناظم في كتاب: (تراجمُ قُرَّاءِ القِراءاتِ القُرْآنيةِ في الموصل) لمؤلفه الأستاذ قصي حسين آل فرج، وبعض أخبارِهِ وفوائدَ متفرقةً عنه قَدْ دَوَّنها في حواشي مؤلفاته التي حصلتُ عليها[٦]. وقد اجتهدتُ في توظيف هذه المعلومات الموجزة للحصول على ترجمةٍ مفيدةٍ للمؤلفِ، رحمه اللهُ تعالى.

أولاً: اسمُه ونَسَبُه:

هو صَالِحُ بنُ عَبْدِ الهُدَى، الحَرْبَاوي، الدُّورِي، المَوْصِلِّي. ولم تزدِ المصادر شيئاً على هذا. فلا إشكالَ في اسمه، ولكنَّ اسمَ أبيه استوقفني كثيراً بسبب غرابتِه وندرةِ استعماله، فظننتُه في بادئ الأمر: عبد الهادي، لأن لفظة (الهادي) تكتب في الرسم المصحفي (الهدي) بألف صغيرة بعد الهاء، وبما أنَّ الذي رسمه المؤلف هو أمرٌ معتادٌ في الرسم المصحفي ظننتُ أنَّ المؤلف قد رسم اسم أبيه على طريقة رسم المصحف. ولكنِّي وجدتُ أنَّ المؤلفَ قد كتبَ اسمَه بخطِّ يده في مقدمة حاشيته على شرح البدرية في الأوقاف المنهية، إذ قال: (... وبعدُ: فيقولُ العبدُ الفقيرُ إلى مولاه الغنِّي، صالحُ ابن عَبْدِ الهُدى الحَرْباوي، أمدَّه اللهُ بلطفِه الخفي...)[٧]، وقد ضبطَ

الاسمَ بوضع ضَمَّةٍ على الهاء، لهذا أثبت اسم أب المؤلف كما ذكره ابنه. فكيف يكون المسلمُ عبداً للهدى !!؟

أَمَّا نِسبتُه الحَرْبَاويّ، فهو نِسبةٌ إلى قبيلةٍ كبيرةٍ وعريقةٍ من قبائل البَدْو تنتسبُ إلى بكر بن وائل، هُمْ بنو حَرْب بن سُكَّر بن بكر[٨]، وبنو بكر بطنٌ من عُذْرَةَ بن زيد اللات بن كلب من وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهم في ديار بكر[٩].

وذكر الأستاذ عباس العزاوي قبيلة حرب فقال: (هذه القبيلةُ أصلُ مواطنِها الحجازُ ونجدُ، وفي الأيامِ الأخيرةِ بسبب واقعة آل سعود في الحجاز مال قسمٌ منها إلى العراق، وصارت تسكنُ الشَّاميةَ قُرْبَ الأخيضر بين الأبيّض في أنحاء الحجرة وبين عين التمر، وغالب الفرق متوزعة في القسمين بالإضافة إلى أن الرؤساء منهم في العراق، ومنهم في الحجاز ولكن هذه لم تتمكن في العراق... وأصلُ هذه القبيلة، على ما عَلِمْتُه من رئيسهم، من القبائل العدنانية أخت عنز بن وائل، وتقول: إنَّ جدها معاز بن وائل ، ومنه تكوّنت. وهذا لم يعرف في كتب الأنساب.

وفي كتاب قلب الجزيرة أن أكثرها من العدنانية، وهي مجموعة أحلاف يدخل فيها كثير من العناصر المتباعدة في النسب. وفي تاج العروس " قبيلة في الحجاز " ولم يزد على ذلك. وكل هذا لا يبرد غلة إلا أنَّ حفظ القبيلة يؤيده ما جاء في القلقشندي في أنسابه من أن " بني حرب من بكر ابن وائل من العدنانية " ولكن لم يعرف اسم (معاز) الجد الذي يدعون الانتساب إليه، ومن أشهر بطون هذه القبيلة: بنو علي، واللهامق، والدواغرة، وغيرها)[١٠].

وذكر الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، أنَّ بني حَرب واحدهم حَربيّ[١١]. وهذه النسبة الصحيحة وفق قوانين علم الصَّرف، ولكنَّ المشهور عنهم في العراق أنَّهم

ينسبون أنفسهم فيقول من ينتسب لهذه القبيلة: الحرباوي، كما فعل ناظم القصيدة، رحمه الله تعالى.

والحرباوي، كما هو معروف في علم الصرف، نسبةً إلى حرباء، فتقلب الهمزة واواً وتُضافُ ياءُ النسب، ولكن يبدو أنَّ هذه النسبة سماعيةٌ واللهُ أعلم.

وقد انتشر أبناء هذه القبيلة في أرض العراق، كبقية أبناء القبائل العراقية الأخرى، فاستقرت أسرة الشيخ صالح في بلدة (الدُّور) مدةً ليست بالقليلة، بدليل انتسابه إليها، بل وتمسكه بهذا الانتساب، كما أثبتَه وأكدَّه بخطِّ يده في كتاباته بعد ذكره نسبه.

أَمَّا الدُّوري، فهو نسبةً إلى مدينة أو بلدة الدُّور، وهي بلدة تقع شمال بغداد بين سامراء وتكريت. وعُرِفَ فيها رجالٌ اشتغلوا بالحديث وغيره من العلوم، منهم محمد بن فروخان بن روزبه أبو الطيب الدوري حَدَّثَ عن أبي خليفة وغيره أحاديث منكرة، وروى عن الجنيد حكايات في التصوف[١٢].

ثانياً: سيرتُه ونشأتُه:

لم تذكر المصادر شيئاً عن ولادة الشيخ صالح بن عبد الهدى الحرباوي، ولا عَن نشأته وسيرته الشخصية والعلمية، ولا شيوخه أو تلاميذه أو حالته الاجتماعية من زوجة وأولاد وغيرها. ولكن الأستاذ قصي حسين آل فرج عَدَّه من القراء والمجودين الذين لم يوفقوا في أخذ علم القراءات واكتفوا بالصوت الجميل ومعرفة الأنغام وحسن التنقل فيها[١٣].

ولكنَّ المعلومات والفوائد العلمية التي ورَّثها الشيخ صالح بن عبد الهدى تؤكدُ أنَّه كان على ثقافةٍ واسعةٍ وعلميةٍ رصينةٍ، وبخاصةٍ علم التجويد، وعلم الوقف والابتداء، ومن المؤكد أنَّ فقدان أخباره وعدم الوقوف عليها هو السبب الرئيس في عدم إعطائه حقه ومكانته التي تليق به.

انتقل الشيخ صالح من الدور إلى الموصل، ولهذا ترجمَ له الأستاذ قصي آل فرج في كتابه عن تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل[١٤]، ومن ثَمَّ قلتُ في نسبته الموصلِّي بعد الحرباوي والدوري. ولكن تاريخ انتقاله وأسبابه وتفصيلاته مجهولة، ولعلَّ الأيام تسمح لأحدِ الباحثين أن يقف على ترجمةٍ كاملةٍ له في قادمِ عهدها.

وكلُّ ما يمكنني قولُه هُنا هو أن الشيخَ قد عانى ظروفاً سيئةً، ولقيَ من النَّاس جفوةً وخيبةَ ظَنٍّ، بعد أن كان حسنَ الظنِّ بهم، ويُفْهَمُ هذا من حاشيتِه على قصيدةٍ عينيةٍ له نظمها وذكر أنَّ سبب نظمها تذكرةٌ لنفسهِ ولِمَنْ يحتاجُ إليها[١٥]، وسيأتي الكلام على هذه القصيدة.

ثالثاً: أدبُه وشِعْرُه:

المُتَرْجَمُ له ذو باع في علوم التجويد والقراءةِ، وله خواطرُ أدبيةٌ سَجَّلَ فيها انفعالاتِه النفسية ومشاعره إزاء موقفٍ أو مواقف مرَّت بهِ في حياتِه، وهذا ما نراه واضحاً في قصيدته العينية التي نظمها لنفسه ولِمن يحتاجُ إليها من أمثاله.

ومِنَ المناسبِ أنَّ أحقِّقَ هذه القصيدةَ وأذكرُها هنا بسببِ صلتها الوثيقةِ بحياة الشيخ صالح ابن عبد الهدى، فشعرُ الشاعرِ صورتُه مكتوبةٌ على الورق.

القصيدة من بحر الطويل، وتفعيلاته: فَعُولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن. ورويها حرفُ العين، فهي قصيدةٌ عينيةٌ جاءت في واحدٍ وعشرينَ بيتاً، إلاَّ أنَّ في القصيدةِ ضروراتٍ كثيرةً، وعيوباً أخرى، وقد حرَّرها سنة ١١٦٧ هجرية، بخط يده، رحمه الله تعالى.

قال في مقدمتها: (وهذه القصيدةُ عَمِلْتُها نصيحةً لي ولمن هو يحتاجُ إليها في تَبْصِرةِ غُرورِهِ بالمخلوقين المنهمكين في ما يلهيهم وهم يَحْسَبون أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعَاً، ولكن فيها قلةَ الموافقةِ في [نظمها][١٦] عِنْدَ من له أدنى ذَوْقٍ في النَّحو من الرَّفعِ

والنَّصْبِ والجَرِّ، ولكنْ قد [اتفق][١٧] النحاة على عدم الموافقة عند الضرورة في الشعر بلا خلاف)[١٨].

ثمَّ قال، رَحِمَهُ اللهُ تعالى: قَالَها الدُّوريُّ نِسْبَةً إليه:

بَكَيْتُ عَلى زَمَنٍ تَقَضَّى سابِقاً   جَريتُ دُموعاً حينَ جاءتْ تَدافِعٌ
ظَنَنْتُ اجتماعَ الخَلْقِ فِيهِ إِفادةٌ   فقلتُ إليهم صاغٍ أُذْنَيْ وَسَامِعٌ
فَلَمَّا تَقَرَّبتُ رأيتُ عَجائباً   وَقُلتُ لِنَفْسِي ليسَ فِعْلَكِ طائعٌ
فَكُلٌّ حَسِبْتُ الخيرَ فيهِ مُمَلَّكاً   عُلومٌ وفَهْمٌ ثُمَّ حامٍ يُنافِعٌ
وَلمَّا دخلتُ في مناقبِ لفظِهم   وجدتُ رئيسَهم كثيرَ التَّنازُعِ
فلا شكَّ أنَّ الجمعَ منهم [عقاربٌ][١٩]   سِوى مَنْ حَباهُ اللهُ سِرَّاً مُوادِعُ
وجدتُ قليلَ النَّاسِ فيه دِيانةً   وأَكْثَرُهم والِهٌ بِمالٍ يُجامِعُ
رأيتُ تفشِّي الدِّينِ في أَصْغرِ الذي   تَثَبَّتْ أصولُ الزُّهْدِ فِيهِ أَيانِعُ
فَيا صَاحِ أُوصيكَ التَّباعُدَ عنهمُ   وألاَّ تُشارِكْهم بِمَا أَنْتَ سَامِعُ
فلا شَيءَ تَغْنِيهِ مِنَ القَدْحِ والأذى   فإنْ فُقْتَ تَسْلَمْ مِنْ جَميعِ البدائع
حَللتُ بقومٍ أَهلكتْهُم نفوسُهم   وأَجزاعُهم بأسٌ بما هو واقِعُ
ولستُ بما قلتُ غريباً بشأنِهم   مُلاحِظُهم خَسْرانُ ما هو بائعُ
فقلتُ إلهي أنتَ عالمُ سريرتي   وأنتَ رجائي أنتَ للضُّرِّ قامِعُ
فيا ليتَ عفواً جميلاً يَعُمُّني   ويُنْقِذُني مولاي فالفضلُ واسعُ
فَحاشاه من ربٍّ تعاظمَ قدرُه   كريمٌ رحيمٌ بَلْ عبيدُه جازِعُ
إذا ما أتاهُ خاضِعاً متوسِّلاً   قسمتُ بحقِّ اللهِ ناجٍ مُسارِعُ

فكيفَ لا واللهُ أخبرَ آنِفاً   بما نَصَّ فِي القُرآنِ والحقُّ واقِعُ
وما جاءَ في الأخبارِ عَنْ سيدِ الورى   نُصوصٌ كأسيافِ الإلهِ قَواطِعُ
نبيٌّ كريمٌ قَدْ هدانا بنورِه   فكيفَ لنا مِمَّا نرى لا نُتابِعُ
فيا رَبِّ صَلِّ دائماً على المُمَجدِ   وأصحابِهِ الغُرِّ الكرامِ التَّوابِعُ
ويا صالحُ الأشياءُ صالح قَدُسْ سداً   ولطفك يا مَعبودُ للكربِ دافِعُ

والقصيدةُ ركيكةُ الألفاظ، وفيها الكثير من العيوب الإملائية والنحوية واللغوية والعروضية الظاهرة، منها الرفع والنصب في غير موضعهما، والخلل في وزن بعض الأبيات والزحافات والعلل الكثيرة، ولعلَّ عُذْرَ الناظم في ذلك قلةُ بضاعتِه في علميْ العروض والقوافي، ولكن مهما يكن فإنَّه أرادَ أنْ يُعبِّرَ عن خواطرِه بأبياتٍ شعريةٍ ولكنَّه لم يوفَّق فيها.

وفاته ومؤلفاته:

لم تذكر المصادر شيئاً عن وفاةِ الشيخ صالح الحرباوي، ولا عن مكانها أو مكان دفنه وقبره. ولكنَّه ذكر تاريخ نظمِ منظومته القافية وهو سنة ١١٦٧ هـ[٢٠]، ويُسْتَنْتَجُ من هذا أنَّه عاشَ إلى ما بعدَ هذا التاريخ، لهذا ذكرتُ أنَّه توفي بعد سنة ١١٦٧ هـ.

أمَّا مؤلفاتُه فلم تذكر المصادرُ منها إلا مؤلفَيْنِ اثنينِ فقط، هُما[٢١]:

١- القصيدةُ القافيَّةُ في تجويد فاتحةِ الكتاب، وهي المنظومةُ التي أقُوم بتحقيقها وشرحها هنا.

٢- الحاشية المرضية في كشف الأوقاف المنهية في شرح البدرية في ما يحتاج إليه القارئ من معرفة جميع الأوقاف. وهي حاشية تقع في ورقةٍ واحدةٍ وشيءٍ قليلٍ من الورقة الثانية، مكتوبة بخط النسخ الاعتيادي، مكتوبةٌ بخطِّ المؤلفِ نفسه،

وعليها حواشٍ بالخط نفسه. وفي كل صفحة واحد وعشرون سطراً، وقياسُها: ١٧ سم عرضاً، و ٣٠ سم طولاً. قال في مقدمتها بعد الحمدلةِ والصَّلاةِ على النبي، صلى الله عليه وآله وصحبه الكرام وسلم: (وبعدُ: فيقولُ العبدُ الفقيرُ إلى مولاه الغني، صالح بن عبد الهدى الحرباوي، أمدَّه اللهُ بلطفه الخفي،....)[٢٢]. وهي مخطوطة جيدةٌ في موضوعها، وقَدْ حققتُها مَع هذه المنظومةِ وستُنْشرُ قريباً، إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

المبحثُ الأوّلُ

تعريفٌ بسورةِ الفاتحةِ، وتاريخُ التأليفِ في تجويدِ الفاتحةِ، وأقوال الفقهاءِ في حكمِ اللّحنِ بقراءتها.

أولاً: تعريفٌ بسورةِ الفاتحةِ:

سورةُ الفاتحةِ مدنيةٌ على قولِ أبي هريرةَ (ﷺ) ومجاهد بن جبر، وَعطاء بن يسار. وقالَ ابنُ عباسٍ، رضي اللهُ عنهما، وقتادة: مَكيةٌ. ونظيرتها في عدد آيها في المكي والشامي سورةُ النَّاسِ، وفي الكوفي والبصري سورةُ چٹچ، ولا نظيرَ لها في المدنيين. وكلمُها خمسٌ وعشرونَ كلمةً كَكَلِمِ چٹچ، وحروفُها مئةٌ وعشرونَ حرفاً، وهي سبعُ آياتٍ في جميع العدد. واختلافُها آيتانِ: چٱٻٻپچ [١] عَدَّها المكيُّ والكوفيُّ، ولم يعدَّها الباقون وچ ڤ ڦ چ [٧] لم يعدَّها المكيُّ والكوفيُّ، وعدّها الباقون. وفيها مما يشبه الفواصلَ وليس بمعدودٍ بإجماعٍ موضعٌ واحدٌ وهو قولُه تعالى: چ ٿ ٿ چ [٥][٢٣].

وقدْ سُمِّيتْ سورةُ الفاتحةِ بأسماء كثيرة ذكرَ منها الإمامُ القرطبي اثني عشر اسماً من أبرزها: سورةُ الحمدِ، وفاتحةُ الكتابِ، وأمُّ الكتابِ، وأمُّ القرآنِ، والصَّلاةُ، والسَّبعُ المثاني، والرُّقية، والوافيةُ، والكافيةُ، وغيرها[٢٤].

ووردَ في فضلِها أحاديثُ كثيرٌ منها ما رواه الإمامُ البخاري عن خُبَيْبِ بن عبد الرحمن عن حَفْصِ ابن عَاصِمٍ عن أبي سَعِيدِ بن الْمُعَلَّى قال كنت أُصَلِّي في الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رسول اللَّهِ، (ﷺ)، فلم أُجِبْهُ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إني كنت أُصَلِّي، فقال: أَلَمْ يَقُلْ الله: چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ [الأنفال ٢٤] ثُمَّ قال لي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ في الْقُرْآنِ قبل أَنْ تَخْرُجَ من الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فلمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قلت له: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ، قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ[٢٥]. وغيرُ هذه الأحاديث كثيرٌ[٢٦].

ثانياً: تاريخُ التأليفِ في تجويدِ الفاتحةِ:

اهتمَّ العلماءُ بالقرآنِ الكريم كثيراً، فهو الكتابُ الأولُ في المكتبةِ العربيةِ، فألفوا في تفسيرِه، وإعرابِه، ولغاتِه، وغريبِه، وقراءاتِه، وتجويدِه، وفهارسُ الكتبِ والمخطوطاتِ حافلةٌ بأسماءِ الآف المصنفات في علومِ القرآنِ الكريمِ المختلفةِ.

وشَهِدَ القرنُ الرابعُ للهجرةِ ظهورَ أوّلِ المصنَّفاتِ في علمِ التجويدِ، فقد نَظَمَ أبو مزاحِم الخاقاني (ت ٣٢٥ هـ)[٢٧] قصيدةً في حُسنِ أداء القرآنِ، في واحدٍ وخمسينَ بيتاً مطلعُها[٢٨]:

أَقُولُ مَقالاً مُعْجِباً لأُولي الحِجْرِ وَلا فَخْرَ إنَّ الفَخْرَ يدعو إلى الكِبْرِ

قالَ الإمامُ ابنُ الجزريّ عنه: ((هو أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ في التجويدِ، فيما أعلمُ، وقصيدتُه الرَّائيةُ مشهورةٌ[٢٩]، شرحها الحافِظُ أبو عِمْرو[٣٠]))[٣١]. ثُمَّ توالى ظهورُ المؤلفاتِ في علم التجويد في القرن الخامس والسادس للهجرةِ، إذ ظهرت أشهر المؤلفاتِ الجامعة في بلاد الأندلس وبلدان المشرقِ، وخاصة بغداد. ثُمَّ استمرَّ العلماءُ يصنفون ويؤلفون بين منثورٍ ومنظومٍ إلى يوم النَّاسِ هذا[٣٢].

وتناولت هذه المؤلفات أبحاثَ علمِ التجويدِ بصورةٍ عامَّة، إذْ إنَّ المشهورَ أنَّ كُتبَ التجويدِ هي كُتبُ اتفاقٍ، وأَنَّ كتبَ القراءات هي كتبُ اختلافٍ. فالعلماءُ، منذُ

بدايةِ تدوينِ علمِ التجويدِ وإلى عصورٍ متأخرةٍ، لم يفردوا سورةً من سورِ القرآنِ بمؤلَّفٍ خاص في التجويدِ، كما فعلوا بعدَ ذلك في سورةِ الفاتحةِ. فالتآليفُ المستقلةُ في تجويدِ الفاتحةِ ظهرتْ في العصورِ المتأخرةِ، وفي القرنِ السَّابعِ للهجرةِ تحديداً.

وهذه أبرز المؤلفات في تجويد الفاتحة مرتبةً حسب وفيات مؤلفيها:

١- فأَوَّلُ مَنْ أَفردَ سورةَ الفاتحةِ بمصنَّفٍ خاص بأحكامِ تجويدِها وتلاوتِها في ما أعلم هو الشيخُ جمالُ الدِّين أبو زكريا يحيى بن يُوسُفَ بن يحيى بن منصور بن المُعمّر بن عبد السَّلام البغدادي الضرير الحنبلي اللغوي، المعروف بالصرصري الملقب بسيِّد الشعراءِ (ت ٦٥٦ هـ)[٣٣]، إذ نظم قصيدةً في تجويدِ الفاتحةِ سمَّاها: (الباهرةُ الشَّارحةُ في تجويدِ الفاتحة)[٣٤].

ثُمَّ نَظمَ الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجَعْبَريُّ (ت ٧٣٢ هـ)[٣٥] إذ نظَمَ قصيدةً داليَّةً في اثنين وعشرين بيتاً سَمَّاها (القصيدةُ الواضحِةُ في تجويدِ الفاتِحةِ)، مطلعُها:

بِحَمْـــدِكَ رَبِّـــي أَوَّلُ الـــنَّظْمِ أَبْتَـــدي

وقد اختصرها فَضْلُ بن سلمة[٣٦]، وشرحها الحسن بن قاسم المرادي[٣٧].

٢- ثُمَّ نَظمَ مُحَمَّدُ بن محمود السَّمرقنْدِي (ت ٧٨٠ هـ)[٣٨]، قصيدةً في تجويدِ الفاتحةِ سَمَّاها: (القصيدة الفائحة في تجويد الفاتحة)، أَوَّلُها:

بِحَمْـــدِ الإلـــهِ المســـتعانِ تَوَسُّـــلا

ثُمَّ شرحَها شرحاً مفيداً[٣٩].

٣- عمر بن القاسم النشَّار[٤٠] (ت ٩٣٨هـ) له: تجويد الفاتحة[٤١].

٤- محمد بن علي بن طولون[٤٢] (ت ٩٥٣هـ) له: شرح الواضحة في تجويد الفاتحة[٤٣].

٥- يوسف بن عبدالله الأرميوني[٤٤] (ت ٩٥٨هـ) له: رسالة في تجويد الفاتحة[٤٥].

٦- محمد بن سعد النوبي[٤٦] (كان حياً سنة ١٠١٣هـ) له: شرح الواضحة في تجويد الفاتحة للجعبري[٤٧].

٧- أحمد بن علي المقيني[٤٨] (كان حياً سنة ١٠٤١هـ) له: شرح أيضاً على الواضحة في تجويد الفاتحة للجعبري[٤٩].

٨- صالح بن عبد الهدى الحرباوي الدوري (كان حياً سنة ١٠٦٧ هـ). القصيدة القافية في تجويد فاتحة الكتاب، وهي القصيدة التي أقدِّمُ لها هنا.

٩- حسني شيخ عبدالله، وهو معاصر، تجويد الفاتحة وعشر سور قصار من خواتيم القرآن الكريم، مع ما يتعلق بالصلاة من أحكامٍ على رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية[٥٠].

وهناك بعض المنظومات والارجوزات المخطوطة لمؤلفين مجهولي الوفاة:

١٠- أبو محمد عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن الصعيدي[٥١] له: البلغة الراجحة في تقويم حروف الفاتحة[٥٢].

١١- عبد الكريم بن عُمر الطرابلسي[٥٣] وله: الهدية النافعة لشرح منظومة الواضحة[٥٤].

١٢- زين الدين بن عمر القاري[٥٥] له: الفائدة في تجويد الفاتحة[٥٦].

١٣- كَلُّ بن محمد الزاهدي[٥٧] له: تجويد الفاتحة[٥٨].

١٤- مجموعة منظومات وارجوزات في تجويد الفاتحة لمجهولي الاسم والوفاة[٥٩].

١٥- منظومةٌ في تجويدِ الفاتحة أيضاً لمؤلفٍ مجهول، تقع ضمن مجموع برقم (٣ / ١٩) في مكتبة أوقاف الموصل، وهي بخط جميل وتقع في عشرة أبيات، أَوَّلُها:

يــا قــارئَ الفاتحـــةِ اقــرأ ولا تَمِــلِّ   اقــرأ بضــبطٍ وتشــديدٍ قــراءةِ جَــلِّ

وآخرُها:

ثُــمَّ الصَّــلاةُ علــى المختــارِ ســيدنا   خَيْــرِ النَّبيــينَ وأَفضَـلِهم مِـنَ الرُّسُـلِ

١٦- رسالة في تجويد الفاتحة للشيخ الدكتور محمد بن فوزان بن حمد العُمَر، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض رسالة قيمة في تجويد الفاتحة، وتقع في ما يقارب الخمسين صفحة[٦٠].

ثالثاً: أقوال الفقهاء في حكم اللحن بقراءتها:

أولاً: معنى اللَّحْنِ في اللغة:

اللحنُ في اللغة العربيةِ لهُ معانٍ متعددة أشهرها الخطأ في الإعراب[٦١]: قال عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦١هـ)[٦٢]: واللحن الخطأ ومخالفةُ الصواب، وبه سُمِّي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحَّاناً، وسُمِّي فعلُهُ اللحن؛ لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب والعادلِ عن قصد الاستقامة، قال الشاعر:

فــزتَ بِقِــدْحَيْ مُعــربٍ لــم يلحــنِ[٦٣]

وهذا هو المعنى الذي قصدنا الإبانة عنه، وبالله التوفيق والعصمة[٦٤].

ثانياً: اللحن في الاصطلاح:

اللحنُ: خلل يطرأ على الألفاظ فيُخِلُّ[٦٥]. وهو قسمان: (لحنٌ جلي، ولحنٌ خفي).

اللحنُ الجلي: هو الخلل الذي يطرأ على الألفاظ فيخلُّ بالمعنى والعُرف[٦٦] كرفع المنصوب ونصب المرفوع، وخفض المنصوب والمرفوع، أو ما أشبه ذلك، فذلك اللحن الجلي الذي يَعرِفهُ المقرئون والنحويون وغيرهم ممَّن قد شمَّ رائحة العلم[٦٧]. ويُمثَّل لهُ بأمثلةٍ كثيرةٍ منها: ضمُّ التاء من قولهِ تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭼ [الفاتحة ٧]، أو فتح التاء من قولِه: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [المائدة ١١٧] [٦٨]، أو خفض اللام من رسوله في قولِه تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [التوبة ٣] [٦٩].

أما اللحنُ الخفي: فهو الخلل الذي يطرأ على الألفاظ فيُخلُّ برونق القراءة وحُسنِ الأداء من الإفراط في تشديد المشدَّد، وتخفيف المُخفَّف، وتغليظ اللاماتِ، وتشريبها الغُنَّة، وإظهار المُخفى، وتفريط المدِّ، وتغليظ الراء وتكريرها، وهذا القسم لا يعرفه إلا القارئ المُتقن، والمُجوِّد الضابط[٧٠].

وقال علَمُ الدِّين السَّخاوي: (فأما اللحنُ الجليُّ: فهو تغيير الإعراب، والخفي: هو أن لا يُوفَّى الحرف حقه وأن يقصِّر في صفته التي هي لهُ، أو يزيد على ذلك كالإفراط في التمطيط، والتعسُّف في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات وفي التشديد)[٧١].

وفكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي أول من ذكرها ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)[٧٢] في كتابه السبعة في القراءات، إذ قال: (... كذلك ما رُوي من الآثار في حروف القرآن، منها المعرب السائر الواضح، ومنها المعرب الواضح غير السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف في المعنى والإعراب غير أنه قد قُرئَ به، ومنها ما تُوهم فيه فغُلطَ به فهو لحن غير جائز عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير، ومنها اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير، وبكُلٍّ قد جاء الآثار في القراءات)[٧٣].

أقوال الفقهاء في حكم اللحن في قراءة سورة الفاتحة:

هذه المسألة من المسائل المهمة التي ذكرها السادةُ الفقهاءُ في كتبهم في باب القراءة في الصلاة، ذلك لأن سورة الفاتحة ركن من أركان الصلاة التي لا تصح الصلاةُ إلا بها لقول النبي (ﷺ): (لا صَلاةَ لِمَن لم يقرأ بفاتحةِ الكتاب)[٧٤]، قَالَ الإمامُ النووي (ت ٦٧٦ هـ)[٧٥] في شرح صحيح مسلم، بعد ذكر هذا الحديث: (وأما الأحكامُ ففيه: وجوبُ قراءةِ الفاتحةِ وأنها متعينةٌ لا يجزئ غيرها إلا لعاجز عنها)[٧٦].

لذا سأجعلُ البحثَ في هذه المسألة المهمة في فقرتين:

الأولى: **اللّحن الجلي في سورة الفاتحة في الصلاة إذا كان لا يُغيرُ المعنى** :

اتفق الفقهاء[٧٧]على صحة صلاة من كانت هذه حالهُ، ولكن إمامته مكروهة، وذلك مثل: ضم الهاء من قولِه تعالى: چٹٹچ [الفاتحة ٦]، أو ضم الباء من قولِه تعالى: چپپچ [الفاتحة ٢]، أو فتح الدال من: چٺچ [الفاتحة ٥] ، والنون الثانية من: چٹچ [الفاتحة ٥] ، أو غير ذلك.

الثانية: **اللَّحن الجلي في سورة الفاتحة في الصلاة إذا كان يُغير المعنى** :

وذلك مثل ضم التاء أو كسرها من قولِه تعالى: چڤچ [الفاتحة ٧]، أو تخفيف الياء أو كسر الكاف في قولِه تعالى: چٺ چ [الفاتحة ٥].

فقد اختلف فقهاءُ المذاهب الأربعة في هذه المسألة على أقوال :

١- **فقهاء المالكية**: يرى المالكية أن الذي لا يُحسن القرآن أشدُّ حالاً ممن ترك القراءة أصلاً.

قال الإمام مالك[٧٨]، رحمه الله: (إذا صلى الإمام بقوم فترك القراءة انتقضت صلاته وصلاة من خلفه وأعادوا، وإن ذهب الوقتُ قال: فذلك الذي لا يُحسن القرآن أشد عندي من هذا، لأنه لا ينبغي لأحد أن يأتمَّ لا يُحسن القرآن)[٧٩].

٢- **فقهاء الحنفية**: فصَّل فهاء الحنفية في هذه المسألة على أقوال ثلاثة :

أ- المتقدمون من الأحناف يرون أنَّ اللحن الجلي إذا كان يُغيِّر المعنى تغييراً يكون اعتقادُهُ كُفراً، فصلاتُه باطلة سواء وُجد مثلُهُ في القرآن أم لا.

ب- إذا كان لحناً جلياً لا يُغيِّر المعنى تغييراً فاحشاً فصلاتُهُ باطلةٌ أيضاً عند أبي حنيفة[٨٠] وصاحبه محمد بن الحسن[٨١] وعند أبي يوسف[٨٢]، وبقية الأحناف لا تفسُد بسبب عموم البلوى[٨٣].

ج- المتأخرون من الأحناف يرون أن اللحن الجلي المُغيِّر للمعنى لا تفسُد الصلاةُ به مطلقاً، وإن أدى اعتقادُهُ كفراً ؛ لأن قراءة سورة الفاتحة عندهم ليس ركناً من أركانها بل هو واجب من واجباتها، ولأن الناس لا يُميِّزون بين وجوه الإعراب، ولعموم البلوى أيضاً[٨٤].

٣- **فقهاء الشافعية**: يرى الشافعية أن اللحن الجلي المُخل بالمعنى يُبطل الصلاةَ، إن تعمَّد ذلك، وإن لم يتعمَّد يجب عليه إعادة القراءة.

قال الإمام الشافعي[٨٥]، رحمه الله: (وأكرهُ أن يكون الإمام لحاناً، لأن اللحَّان قد يحيل معاني القرآن فإن لم يلحن لحناً يحيل معنى القرآن أجزأتْهُ صلاته، وإن لحن في أم القرآن لحناً يحيل معنى شيء منها لم أرَ صلاته مجزئةٌ عنهُ ولا عمَّن خلفهُ)[٨٦].

وفي المجموع للإمام النووي: (...... وإن لحنَ في الفاتحة لحناً يُخل بالمعنى بأن ضم تاء: چڤچأو كسرها، أو كسر كاف: چٺچأو قال: إياء بهمزتين لم تصح قراءته وصلاته إن تعمد، وتجب إعادة القراءة إن لم يتعمَّد)[٨٧].

٤- **فقهاء الحنابلة**: يرى الحنابلة أنَّ اللحنَ الجليَّ المُخِلُّ بالمعنى يُبطل الصلاة إلا إذا عجز القارئ عن إحسانها وخيف خروج الوقت بتعلُّمها فحينئذٍ لا يلزمُهُ قراءتها، وإنما يلزمُهُ قراءة سورة أو آيات بعدد آيات سورة الفاتحة.

قال ابن قدامة[٨٨]: فإن ترك ترتيبها، أو تشديدةً منها، أو قطَعها بذِكْرٍ كثير، أو سكوتٍ طويل، لزمَهُ استئنافها، وجملة ذلك، أنه يلزمُهُ أن يأتي بقراءة الفاتحة مرتبة مُشدَّدة، غير ملحونٍ فيها لحناً يحيل المعنى، مثل أن يكسر كاف: چ ٹ چ، أو يضم تاء: چ ڤ چ أو يفتح ألف الوصل في: چٹ چ فإن أخلَّ بالترتيب، أو لحن فيها لحناً يُحيل المعنى، لم يُعتدَّ بها، لأن النبي، (ﷺ) (كان يقرؤها مُرتبةً، وقد قال: ((صلوا كما رأيتموني أُصلِّي)) إلا أن يعجز عن غير هذا، وكذلك إن أخلَّ بتشديدةٍ منها... إلى قولِه فإن لم يُحسن الفاتحة، وضاق الوقت عن تعلمها قرأ قدرها في عدد الحروف، وقيل في عدد الآيات من غيرها، فإن لم يُحسن إلا آية كرَّرها بقدرها)[٨٩].

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية[٩٠]، رحمه الله، عمَّن يلحنُ في الفاتحة هل تصحُّ صلاتُهُ أم لا ؟

فأجاب: (أما اللحن في الفاتحة الذي لا يحيل المعنى فتصح صلاة صاحبه، إماماً أو منفرداً، مثل أن يقول: چ پ پ پ چ، و چ چ چ چ ونحو ذلك، وأما ما قُرئ به مثل: (الحَمْدُ للهِ ربَّ، ورَبِّ، وربُّ)، ومثل: (الحمدِ)، و(الحمدُ لُله) بضم اللام، أو بكسر الدال، ومثل: (عليهِمُ)، و (عليهُمْ)، و (عليهُمُ)، فهذا لا يُعدُّ لحناً ... وأما اللَّحن الذي يُحيل المعنى، إذا علم صاحبُهُ معناهُ مثل أن يقول: چ صِرَاطَ الذينَ أنعمتُ عليهم چ وهو يعلم أن هذا ضمير المتكلم لا تصحُ صلاتُهُ، وإن لم يعلم أنه يحيل المعنى واعتقد أن هذا ضمير المخاطب ففيه نزاع، والله أعلم)[٩١].

إذن يظهر من نصوص الفقهاء السابقة أهمية سورة الفاتحة، ووجوب العناية بتجويدها، وعدم إهمال تعلمها. بل يجب تعلمها وإتقانها لمن تصدَّى لإمامةِ الناس في المساجد، وأنَّ صلاةَ من يلحن فيها متعمداً، وإن كانت لا تبطل عند الحنفية، ولكنها خلاف الأولى. والواجب تعلمها. لهذا اهتمت مؤلفات العلماء بتجويدها سواء المؤلفات المستقلة بها، أو بالتنبيه على اللحن الذي قد يقع في بعض حروفها في مؤلفاتهم الجامعة لأحكام التجويد.

المبحثُ الثاني

القصيدةُ القافيَّةُ: أهميتُها، ووصف النسخ المخطوطة، ومنهجي في التحقيق والشرح

أولاً: أهميةُ القصيدةِ:

لا يَخْفَى ما لمنظوماتِ العلوم عامةً من الفوائدِ لطلبةِ العلم، فهم يستذكرونَ أبياتها ومعانيها كُلَّما دعتهم الحاجةَ إلى ذلك. وهذه القصيدةُ المنظومةُ لا تَخرجُ عن هذا الإطار، فأراد ناظمها، رحمه الله تعالى، من نظمها أن يسهل قواعد تجويد الفاتحة لطلاب العلم بتقديم منظومةٍ تضمُّ هذه القواعد بأبيات قليلة، يرتجي فيها نفع الطلاب في الدنيا، وثوابَ الله تعالى في الآخرة.

والقصيدةُ، زيادةً على ما تقدَّم، تأتي في سلسلةِ المؤلفاتِ القليلةِ للعلماء في بابها، وهو إفرادُ سورةِ الفاتحةِ بمؤلفٍ خاص بتجويدها وتلاوتها، خاصةً إذا علمنا أنَّ التآليفَ في هذا الباب قليلةٌ قياساً على مؤلفات العلماء الأخرى في التجويد.

ومنظومة الحرباوي هذه لا تخرجُ في مضمونها وموضوع نظمها وتأليفها عن المنظومات التي سبقتها في تجويد الفاتحة، كمنظومة الجعبري (القصيدة الواضحة في تجويد الفاتحة) والتي جاءت في اثنين وعشرين بيتاً، والتي تحدث فيها الجعبري عن تجويد كلمات سورة الفاتحة، ونبه فيها على العيوب التي يجب على قارئها تجنبها. وتأثُّرُ الحرباوي بهذه القصيدة يتضح من خلال تكراره للعيوب التي حذر منها الجعبري نفسها. ولكن قصيدة الجعبري تبقى هي المقدمة بسبب قدمها وجودة تأليفها ونظمها، ودقة عرض المعلومات فيها، مقارنةً بقصيدة الحرباوي هذه، والتي تفتقر إلى جودة النظم، والمادة العلمية الجديدة.

ولكن مهما يكن فالقصيدةُ تعطينا صورةً عن ظاهرةٍ من ظواهرِ تعليمِ التلاوةِ في عصر مؤلفها، وهو القرنُ الثاني عشر للهجرة، وتعكس اهتمامَ المُقرئين بتيسير قواعدِ التلاوةِ عامَّةً، وقواعدِ تلاوةِ سورةِ الفاتحةِ خاصةً لأهميةِ ضبطِ ألفاظها في الصَّلاةِ، إذْ يحتاجها خواص الناس وعَوَامُّهم بسبب عدم صحةِ الصَّلاةِ بدونها، على رأي أكثرِ الفقهاء كما تقدَّمَ.

ثانياً: **وصف النسخ المخطوطة** :

اعتمدتُ في تحقيق القصيدة القافية في تجويد فاتحة الكتاب على نسختين اثنتين، وهذا وصفهما :

الأولى: في مكتبة الأستاذ قصي حسين آل فرج الخاصة، مدير المكتبة المركزية في الموصل، وهذه النسخة بخط المؤلف نفسه، كما هو واضح على الأوراق المخطوطة التي بحوزة الأستاذ قصي آل فرج والتي هي بخط المؤلف نفسه، وسَمَّاها (القصيدةُ القافيَّةُ في تجويدِ فاتحةِ الكتاب)، وهو الاسمُ الذي أثبتُه لأنَّه بخطِّ الناظم. وقد كتبها سنة (١١٦٧ هـ) بخط نسخي اعتيادي، وتقع في صفحة واحدة تقريباً ضمن ورقتين بخط المؤلف تضُمَّانِ حاشيته على البدرية في الأوقاف المنهية في علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم، وقصيدته العينية التي تقدَّم ذكرها. وعدد الأبيات فيها (١٥) بيتاً، وجعلتُ هذه النسخة أُمَّاً واتخذتُها أصلاً ورمزتُ لها بالرمز : (ص).

الثانية: تقع ضمن مجموع في مكتبة أوقاف الموصل برقم (٣ / ١٩)، وعدد أوراقه (١٣٣) ورقة، بواقع (١٥) سطراً في الصفحة الواحدة، وبقياس ٢١ سم طولاً، و ١٥ سم عرضاً. وتقع المنظومة في الورقة (٢٧ ظ) من المجموع، وَسَمَّاها النَّاسخُ (القَصيدةُ القافيَّةُ في تجويدِ الفاتحةِ) ولم يذكر الناسخ اسمه ولا اسم المؤلف ولا تاريخ نسخها وكتابتها، وعدد أبياتها (١٥) بيتاً أيضاً، وخطها جيد، ورمزت لهذه النسخة بالرمز (س).

ثالثاً: **منهجي في التحقيق والشرح**:

يتلخص منهجي في التحقيق والتعليق بما يلي:

١- أعدتُ كتابةَ المنظومةَ وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث.

٢- قمتُ بمقابلةِ النسختين وتثبيت الفرق بينهما.

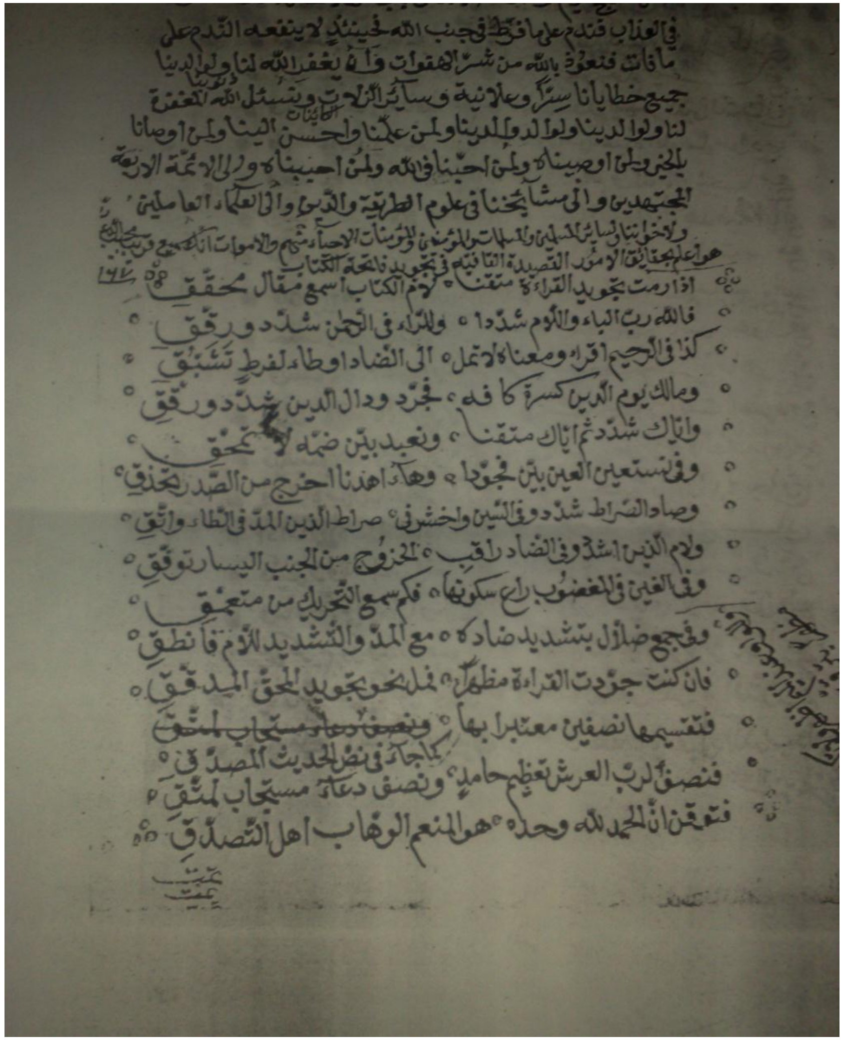
٣- صححتُ الأخطاء النحوية والإملائية والعروضية الموجودة في المنظومة.

٤- شرحتُ أبيات القصيدة شرحاً موجزاً، وعرَّفتُ بمصطلحات علم التجويد التي ذكرها الناظم في قصيدته. وقد جعلتُ الشرح بعد كل بيت من أبيات المنظومة، ولم أجعله في الحواشي والهوامش، وذلك من أجل تسهيل مراجعة شرح البيت على القارئ. لأن كتابة الشرح والتعليق في الهوامش تشتت ذهن القارئ خاصةً في نظام كتابة البحوث الحديث ونشره في الدوريات العلمية المحكمة إذ تعتمد نظام جعل الهوامش والإحالات في نهاية العمل العلمي. وقد وجدتُ أعمالاً أكاديمية علمية اتبعت هذا المنهج، منها شرح الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد على المقدمة الجزرية.

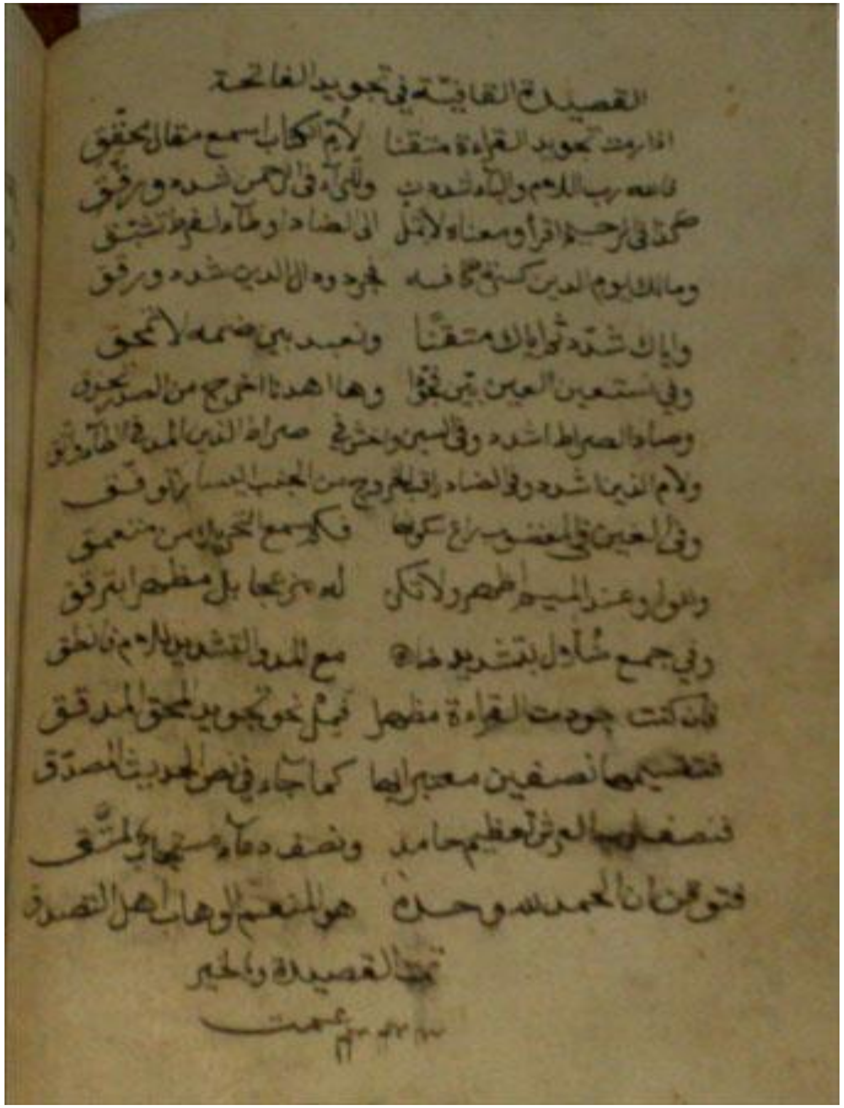
٥- صرحتُ بذكر ما أشار إليه الناظم كحديث النبي، (ﷺ): (قُسِمَتِ الصَّلاةُ بيني وبين عبدي نصفين...).

٦- كتبتُ خاتمةً في نهاية الشرح والتعليق تضمنت أبرز النتائج التي خرجت بها الدراسة والتحقيق والشرح.

نَماذجُ لَصُورِ النُّسْخَتينِ المَخْطوطَتَينِ



نُسْخَةُ المكْتَبَةِ الخاصَّةِ للأُسْتاذِ قَصي حُسين آل فرج، وهي النُّسْخَةُ الأُمُّ، ورَمْزُها [س]



نُسْخَةُ مَكتبةِ أوقافِ الموصل، وهي النُّسْخَة الثَّانيةُ، ورَمْزُها [ص]

رابعاً: القسمُ الثاني: النَّصُّ المُحَقَّقُ :

[القَصِيْدَةُ القَافِيَّةُ فِي تَجْوِيدِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ](٩٢)
للشَّيْخ صَالِح بن عبدِ الهُدى الحرباوِي الدُّورِي
ثُمَّ المَوْصِلِّي (ت بعد ١١٦٧ هـ)

(١) إِذَا رُمْـتَ تَجْوِيـدَ القِـراءَةِ مُتْقِنَـاً	لِأُمِّ الكِتَـابِ اسْـمَعْ مَقَـالَ مُحَقِّـقِ
(٢) فَـ(اللهِ)، (رَبِّ)البَـاءَ والـلامَ [شَدِّدَا] (٩٣)	وَلِلـرَّاءِ فِـي (الـرَّحْمَنِ) شَـدِّدْ وَرَقِّـقِ
(٣) كَذَا فِي (الرَّحِيمِ) اقْرَأْ وَمَعْنَاهُ لا تُمِلْ	إِلَـى الضَّـادِ أَوْ طَـاءٍ لِفَـرْطِ تَشَـبُّقِ
(٤) وَ (مَالِـكِ يَـوْمِ الـدِّينِ) كَسْـرَةَ كَافِـهِ	فَجَـرِّدْ وَدالَ (الـدِّينِ) شَـدِّدْ وَرَقِّـقِ
(٥) وَ (إِيَّـاكَ) شَـدِّدْ ثُـمَّ (إِيَّـاكَ) مُتْقِنَـاً	وَ (نَعْبُـدُ) بَـيِّنْ ضَـمَّهُ لا تُمَحِّـقِ
(٦) وَفِي (نَسْتَعِينُ) العَيْنَ بَيِّنْ [فَجَوِّدِ](٩٤)	وَهَـاءَ (اهْدِنَا) أَخْرِجْ مِنَ الصَّدْرِ تَحْذَقِ
(٧) وَصَادَ (الصِّرَاطَ)شَدِّدْوَفِي السِّينِ واخْشَ فِي	(صِـرَاطِ الـذِّينَ) المَـدَّ فِـي الطَّـاءِ وَاتَّـقِ
(٨) وَلامَ (الذِّينَ) اشْدُدْ وَفِي الضَّادِ رَاقِبِ الـ	خُـرُوجَ مِـنَ الجَنْـبِ اليَسَـارِ تُوفَّـقِ
(٩) وَفِي الغَيْنِ (فِي المَغْضُوبِ)رَاعِ سُكُونَهَا	فَكَـمْ سُـمِعَ التَّحْرِيـكُ مِـنْ مُتَعَمِّـقِ
(١٠) [وَلِلْـوَاوِ عِنْدَ المِيمِ أَظْهِرْ وَلا تَكُنْ	لَـهُ مُزْعِجَـاً بَـلْ مُظْهِـراً بِتَرَفُّـقِ](٩٥)
(١١) وَفِـي جَمْـعِ ضُـلَّالٍ بِتَشْدِيدِ ضَادِهِ	مَـعَ المَـدِّ وَالتَّشْـدِيدِ لِـلَّامِ فَـانْطِقِ
(١٢) فَـإِنْ كُنْـتَ جَـرَّدْتَ القِـرَاءَةَ مُظْهِـراً	فَمِـلْ نَحْـوَ تَجْوِيـدِ المُحِـقِّ المُـدَقِّقِ
(١٣) فَتَقْسِـيمُهَا نِصْـفَيْنِ مُعْتَبَـراً بِهَـا	كَمَـا جَـاءَ فِـي نَـصِّ الحَـدِيثِ المُصَدَّقِ
(١٤) فَنِصْفٌ لِـرَبِّ العَرْشِ تَعْظِيمُ حَامِدٍ	وَنِصْـفٌ دُعَـاءٌ مُسْـتَجَابٌ لِمُتَّـقِ
(١٥) فَتُـوقِنَ أَنَّ الحَمْـدَ للهِ وَحْـدَهُ	هُـوَ المُـنْعِمُ الوَهَّـابُ أَهْـلُ التَّصَـدُّقِ

ﭨﭩ، ﭪﭫ(٩٦).

شرحُ القَصِيدةِ القافيةِ في تجويدِ فاتحةِ الكتابِ:

لم يبدأ الناظمُ، رحمه الله تعالى، قصيدته بالحمدلة والصلاةِ والسلامِ على رسول الله وآله وصحبه، كما اعتاد المؤلفون في العلوم الإسلامية(٩٧)، ولعلَّ عذره في ذلك قِصرُ القصيدة أو أنه قد حَمِدَ الله تعالى وصلى على نبيه، (ﷺ)، في نفسه ولم يكتبه. قال الناظمُ :

(١) إِذَا رُمْتَ تَجْوِيدَ القِراءَةِ مُتْقِنَاً لِأُمِّ الكِتَابِ اسْمَعْ مَقَالَ مُحَقِّقِ

إذا قصدت، أيها المسلمُ، تجويدَ قراءة أم الكتاب، وهو من أسماء الفاتحة(٩٨)، على وجه الإتقان فاسمع مقالة المحقق، وهو الذي يتتبع دقائق الأمور فيحصيها ويعلمها(٩٩). والتجويدُ هو: إعطاء الحروف حقوقها، وترتيلها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، وهو حلية التلاوة وزينة القراءة(١٠٠).

(٢) فَـ(اللهِ)، (رَبِّ)البَاءَ والـلامَ [شَدِّدَا](١٠١) وَلِلرَّاءِ فِي (الرَّحْمَنِ) شَدِّد وَرَقِّقِ

ذكر الناظم، رحمه الله تعالى، مسائل مهمة في هذا البيت هي:

أ- تشديد لام لفظ الجلالة ﭙ ﭚ [٢]: فلفظُ الجلالةِ مُشَدَّدٌ مجرورٌ بحرف الجر اللام ، وترققُ اللامُ فيه اتفاقاً، لأنها جاءت بعد كسر، ويُمَدُّ مَدَّاً طبيعياً في الوصلِ، ويُزادُ التوسطُ والإشباعُ في الوقفِ الاختباري(١٠٢)، ويُحَذَّرُ هنا من اختلاسِ حركته أو المبالغة في إشباعِ مَدِّهِ(١٠٣).

ب- تشديد الباء في: ﭙ ﭛ [٢]: وهذه الكلمة مخفوضة على النعت (لله). والباء حرفٌ مستفل يخرج من الشفتين، واللحنُ بقراءة هذا الحرف يكون بفتحه أو المبالغة في تشديده، وكلاهما مذموم.

ج- تشديد الراء في: چ ٻ چ [٣]: فالراء هنا حرفٌ مفخم اتفاقاً، وهو مشددٌ مفتوح. والراء حرفٌ شديد مكرر يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٨ هـ)[١٠٤]: (وظاهر كلام سيبويه أن التكرير صفة ذاتية في الراء، وإلى ذلك ذهب المحققون، فتكريرها ربوها في اللفظ وإعادتها بعد قطعها، ويتحفظون من إظهار تكريرها خصوصاً إذا شُدِّدَتْ، ويعدُّون ذلك عيباً في القراءة، وبذلك قرأنا على جميع من قرأنا عليه، وبه نأخذُ)[١٠٥].وقال أيضا في مقدمته:

وَأَخْفِ تَكْرِيراً إذا تُشَدَّدُ[١٠٦]

وقال ابن الجزري: (وقد يُبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددةً فيأتي بها مُحَصْرَمَةً شبيهة بالطاء، وذلك خطأ لا يجوز)[١٠٧]. واستقر في كتب علم التجويد المتأخرة والمعاصرة أن تكرير الراء لحن، وأن هذه الصفة تعرف لِتُجْتَنَبَ، لا لِيُؤتَى بها[١٠٨].

(٣) كَذَا فِي (الرَّحِيمِ) اقرأ وَمَعْنَاهُ لا تُمِلْ إِلى الضَّادِ أَوْ طَاءٍ لِفَرْطِ تَشَبُّقِ

ما تقدَّم من أحكام الراء في چ ٻچ ينطبقُ على الراء في چ پچ [٣]، وحذَّر الناظم هنا من الميل إلى إخراج الراء من مخرج الضاد أو من مخرج الطاء، وهو الأمر الذي حذر منه العلماء السابقون، لأنَّ من صفات الراء الانحراف.

قال ابن الجزري: (وحرفا الانحراف اللام والراء على الصحيح، وقيل اللام فقط، ونُسِبَ إلى البصريين، وسُميا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما)[١٠٩]. وهذا في أصل هذين الحرفين، فالناظم هنا حذر من أن ينحرف اللسان عند النطق بالراء إلى مخرج الضاد أو مخرج الظاء بسبب اقتراب مخرج الراء من مخرجيهما، أو اشتراكه معهما ببعض الصفات. فلعل القارئ يبالغ في الراء فيخرجها من مخرج الضاد أو من مخرج الظاء لشدةِ شبهه واهتمامه بالمخرج فيلحن من حيث لا يشعر.

(٤) وَ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) كَسْرَةَ كَافِهِ فَجَرِّدْ وَدالَ (الدِّينِ) شَدِّدْ وَرَقِّقِ

في هذا البيت مسائل مهمة هي:

أ- تجريد كسرة الكاف في قوله: چ ٺ چ [٤] وتمكينها: فعلى القارئ أن يراعي إظهار كسرةِ الكافِ ويحذرَ من إشباعها حتى تصبح ياءاً، فتصير: (مالكي)، وهذا خطأ درج عليه بعض القراء، وقد حذر منه الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) في قصيدته الواضحة، فقال:

وَ (مَالِكِ خَفْ وَ (يومِ) أقصرنْهُ وفي (الدِّينِ) صُنْ دالاً عنِ التاءِ واشددِ

قال المرادي (ت ٧٤٩ هـ) في شرح هذا البيت: (... أي احذر من إشباع كسرة الكاف في چٺچلئلا ينشأ عنها ياء فتكون قد زدت حرفاً في غير محله)[١١٠].

ب- تشديد الدال وجهره في قوله: چ ٿچ [٤]: فحرف الدال هنا مشدد مجهور، فالخطأ يكون بتخفيفه أو همسه. والياء هنا تمد مداً طبيعياً وصلاً ووقفاً، ويزاد التوسط والإشباع وقفاً، ويجب على القارئ أن يحذر من اختلاس الياء[١١١].

(٥) وَ(إِيَّاكَ) شَدِّدْ ثُمَّ (إِيَّاكَ) مُتْقِنَاً وَ (نَعْبُدُ) بَيِّنْ ضَمَّهُ لا تُمَحِّقِ

نبَّه في هذا البيت على مسألتين:

أ- تشديد الياء في قوله: چ ٹچ [٥] في الموضعين: فيجب على القارئ اختلاس كسرة الهمزة فيها والنطق بها بلطف ورفق، قال عبد الوهاب القرطبي: (وكذلك الياء إذا كانت مشددةً وقبلها كسرة وجب أن تختلس الكسرة..)[١١٢]. ويجب على القارئ أيضاً أن يشدد الياء ولا يخففها، لأنَّ ذلك يؤدي إلى تغير معناها، ولا يبالغ في التشديد بها فإن ذلك مستقبحٌ.

قال الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)[١١٣]: (ومما يجب أن يُراعى في الأدعية الإعراب الذي هو عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى، وبعدمه يختل ويفسد، وربما انقلب المعنى

باللحن حتى يصير كالكفر إن اعتقده صاحبه كدعاء من دعا، أو قراءة من قرأ: چٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ بتخفيف الياء من: چ ٹچ فإن الإيا ضياءُ الشمس، فيصير كأنه يقول: شمسك نعبد، وهذا كفر)(١١٤). ويجب على القارئ أن ينتبه على أن الألف في (إياك) تمد مداً طبيعياً وصلاً ووقفاً، ويزاد التوسط والإشباع في الوقف الاختباري، وعليه أن يحذر من اختلاس المد.

ب- إظهار ضمة الباء في قوله: چ ٹچ: يُنْطَقُ بالباء خفيفةً لأنها شديدةٌ في نفسها، ويحذر من كسرها فيقول: (نَعْبِدُ) أو فتحها فيقول: (نَعْبَدُ) كما يفعله بعض العوام في زماننا، لأن هذين اللحنين مذمومان(١١٥). أو يقرأ بضم الدال ضماً مُشبعاً لأن الضم المشبع يولد واواً، فيقول: (نعبودُ)، وهذا لحن يكثر عند الأعرابِ خاصة(١١٦).

وعلى القارئ أن يحذر هنا من كسر كاف چ ٹچ لأنه تغيير للمعنى، وخلل بمعتقد صاحبه وبطلان لصلاته إن اعتقده، ويكون كذلك إذا وضع ألفاً بعد الكاف على التثنية.

قال أبو الحسن السعيدي (ت٤١٠ هـ)(١١٧): (يُسْرَعُ اللفظُ بالكاف من چٹچ بعد الألف، ولا يتوقف فيها فتصير ممدودةً)(١١٨).

وفي چ ٹچ الثانية: يجب أن يراعي القارئ ضمة الدال في چ ٹ چ مع الواو المفتوحة، لأن بعضهم يشبع فتحة الدال ويكتفي بها عن الواو المفتوحة في: چٹچ.

قال أبو الحسن السعيدي (ت٤١٠ هـ): (وتبيين فتحة الواو بعد الدال المضمومة من: چ ٹچ لأن الواو وإن كانت مفتوحة هي أصل الضمة، والضمة منها تتولد، فيبين فتحها بعد بيان ضمة الدال من: چ ٹ چ(١١٩).

(٦) **وَفِي (نَسْتَعِينُ) العَيْنَ بَيِّنْ [فَجَوِّدِ]**(١٢٠) **وَهَاءَ (اهْدِنَا) أَخْرِجْ مِنَ الصَّدْرِ تَحْذَقِ**

نبَّه في هذا البيت على مسائل هي:

أ- **مراعاة إظهار العين في قوله:** چ ٹچ: وهي بالسين، والسين حرف مهموس، وعلى القارئ أن يحذر من تفخيمه، لأنه بالتفخيم يكون صاداً، خاصةً إذا جاء بعده حرف مجهور وهو التاء. قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)(١٢١): (وكذا إن وقع قبله سين وبعده حرف مجهور فينبغي أن يُخَلَّصَ وَيُبَيَّنَ ويُمْنَعَ من الإطباق لئلا يصير طاءً)(١٢٢). فعلى القارئ أن ينتبه هنا للسين الساكنة ويحذر من تحريكها.

قال ابن الطحان الأندلسي (ت ٥٦٠ هـ)(١٢٣): (وتحرير اللفظ بالسكون من غيره هو أن تجده في حرفه على طبعه، من قوته أو ضعفه، فلا تلبث السكون في الحرف إلا بمقدار ما تظهر صفته أو تبرز هيأته من غير قطع مسرف، ولا فصل متعسف. فاحرس لفظك من اللحن في السكون، فإن القراء يقعون فيه كثيراً، لا يكادون يخلِّصون السكون، ولا سيما في السين قبل التاء، نحو: چ ٹچ، وچٹچ، وچ ﮨچ [الأعراف ٣٤] ، يذهبون إلى فصل السين من التاء فيحركون السين. فإن أردتَ السلامة من لحنهم فأرسل ما في السين من الرخاوة والهمس تُصِبِ اللفظَ الصحيح، إن شاء الله)(١٢٤).

ويجب أن ينتبه القارئ لما يقع فيه بعض القُرَّاءِ من إدخال ألف بين التاء والعين وهذا غلط بين وخطأٌ فاحشٌ. وكذلك يجب عليه أن يراعي هنا ترقيق العين المكسورة التي تخرج من وسط الحلق، واللحن في هذا الحرف أيضاً يكون بتفخيم العين. قال ابن الجزري (ت ٨٣٨ هـ) :

ثُمَّ لأَقْصَى الحلقِ همزٌ هاءُ ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعينٌ حاءُ(١٢٥)

وتُمَدُّ الياءُ مداً طبيعياً وصلاً ووقفاً، ويزادُ التوسط والإشباعُ وقفاً، ويُراعى عدم اختلاس المد والمبالغة في مده كذلك، كما يلاحظ عدم إظهار صوت عند النون الموقوف عليها. قال أبو الحسن السعيدي: (إذا وقف القارئ عليها يزيد على لفظها زيادة مدٍّ لاجتماع الساكنين في الوقف، الياء والنون، ولا يفرط فيها، ويشمُّ النون الرفع

إشماماً خفيفاً من غير أن يلحقَ الإشمام فليترك النون ساكنة، ولا تشوبها حركة ولا اختلاس، لأنَّ الوقف يكون على الساكن، والإشمام أحبُّ إلينا في ذلك وما أشبهه(١٢٦).

ب- **اجتناب اللحن في:** چٹ چ [٦]: فالهمزةُ هنا همزة وصل يُبدأُ بها بالكسر لأن ثالث الفعل مكسور، وعند الوصل بـ چ ٹچ تكون موصولةً. ويكون اللحن في قراءتها بفتح همزة الوصل، وهو يكثر عند الأعراب خاصةً(١٢٧). والهاء هنا ساكنة، وعلى القارئ أن يحذر من تحريكها أو قلقلتها لسكونها.

قال المرادي: (وليحترز من الإفراط في بيانها فيؤدي إلى تحريكها)(١٢٨). ويجب على القارئ أن يراعي هنا كسر الدال ويجتنب النطق بها مفتوحة أو قريبةً منها.

وذكر الناظم، رحمه الله، في هذا البيت أنَّ مخرج الهاء من الصدر، وهذا منه على جهة التقريب، وإلا فإنَّ مخرج الهاء من أقصى الحلق، قال ابن الجزري:

ثـــم لأقصـــى الحلـــق همـــزٌ هـــاءُ(١٢٩)

وقال في النشر: (المخرج الثاني: أقصى الحلق، وهو للهمزة والهاء)(١٣٠)، وقال الدكتور غانم قدوري الحمد: (ويطلق اليوم على أقصى الحلق في الدراسات الصوتية العربية اسم الحنجرة، بعد أن تبين لهم أن الحنجرة تشغل أقصى تجويف الحلق، فتكون الهمزة والهاء بهذا الاعتبار حَنْجَرِيَّتَيْنِ، لكن الهمزة تنطق بانطباق الوترين ثم انفراجهما، والهاء تنطلق بتباعد الوترين وانشدادهما، وهذا مجرد اختلاف في المصطلح، وليس اختلافاً في تعيين المخرج)(١٣١).

(٧) **وَصَادَ الصِّرَاطَ[شَدِّدْ](١٣٢)وَفِي السِّينِ وَاخْشَ فِي صِـرَاطِ الـذِّينَ المَـدَّ فِـي الطَّـاءِ وَاتَّـقِ**

ذكر الناظمُ في هذا البيت مسائل:

أ- إظهار تشديد وتفخيم الصاد هنا، وعلى القارئ أن يحذر من استفالها والنطق بها سيناً (السراط)، أو قريبةً منها، وإن كانت قراءة متواترة قرأ بها قنبل عن ابن كثير من السبعة، ورويس عن يعقوب من العشرة(١٣٣)، إلا أن هذا يُعَدُّ تركيباً في القراءات يُعابُ عليه قارئ القرآن الكريم إجمالاً(١٣٤). وتفخم الراء المفتوحة اتفاقاً،

ويتأكد ذلك لوجود ألف بعدها(١٣٥). وعلى القارئ أيضاً أن ينتبه هنا إلى الهمس في الطاء، ولا يُدْرِكُ هذا اللحنَ إلا حُذاقُ القُرَّاء(١٣٦).

ب- تجنب المد في الطاء، والحقيقةُ أنَّ الطاء لا مَدَّ فيه، ولكن قد يلحنُ لاحنٌ فيشدد الطاء فيظهر تشديده كأنه مدٌّ فيه.

(٨) **وَلامَ (الذِّينَ) اشْدُدْ وَفِي الضَّادِ رَاقِبِ الـ ـــخُرُوجَ مِـنَ الجَنْـبِ اليَسَـارِ تُوفَّـقِ**

نبَّه الناظم في هذا البيت على أمرين :

الأول: تشديد اللام في: چ ڦچ [٧]، وقد حذر العلماء من المبالغة في تشديدها(١٣٧).

الآخر: حرف الضاد في قوله تعالى: چ ڤ ڤ چ [٧] ، وأهمية إخراجه من الجانب الأيسر للفم. والحقيقةُ أنَّ قضية مخرج الضاد من القضايا المهمة التي اعتنت بها كتب التجويد القديمة والحديثة، لأنَّ أكثر الناس ينطقون بالضادِ ظاءً. وهذا الحرف خاصةً يحتاجُ إلى تدريب في النطق به لأنه من أعسر حروف العربية مخرجاً وكثيراً ما يُخطئ قراء القرآن الكريم في النطق به.

قال ابن الجزري: (والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحرف ما يعسر على اللسان مثله، فإن الألسنة فيه مختلفة، وقلَّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاءً(١٣٨)، ومنهم من يمزجه بالذال(١٣٩)، ومنهم من يجعله لاماً مخففةً، ومنهم من يشمه الزاي(١٤٠)، وكل ذلك لا يجوز.

والحديثُ المشهور على الألسنة: " أنا أفصحُ من نطق بالضادِ " لا أصل له، ولا يصح(١٤١)، فليحذر من قلبه إلى الظاء، لا سيما فيما يشتبه بلفظه نحو: چپ ٻ چ [الإسراء ٦٧] ، يشتبه بقوله: چ ڃ چ چ چ [النحل ٥٨] ، وليعمل الرياضة في أحكام لفظه خصوصاً إذا جاوره ظاء نحو: چے ۓچ [الشرح ٣] ، چ ڳ ڳ چ [الفرقان ٢٧]. أو حرف مفخم نحو: چ گ گ چ [النساء ٩٧] ، أو حرف يجانس ما يشبهه نحو: چ □ □ چ [آل عمران ٩١]. وكذا إذا سكن وأتى بعده حرف إطباق

نحو چ ﮕ ﮔ چ [البقرة ١٧٣]. أو غيره نحو: چ چچ [البقرة ١٩٨] وچ □ □چ [الحجر ٨٨] ، و چ ﮒ ﮓ [الفيل٢](١٤٢).

واقتصر الناظم، رحمه الله، في ذكر مخرج الضاد على الجانب الأيسر فقط وهو الأكثر عند القراء، مع أنه قد يخرج من الجانب الأيمن أيضاً. قال ابن الجزري: (المخرج الثامن: للضاد المعجمة، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين وقال الخليل إنها أيضاً شجرية يعني من مخرج الثلاثة قبلها)(١٤٣).

وقال الدكتور غانم قدوري الحمد بعد أن ذكر تاريخ اهتمام علماء التجويد بقضية الضاد والظاء والفرق بينهما: (أما نطق قراء القرآن في زماننا فإن الغالب عليهم نطق الضاد شديدة من مخرج الطاء والدال والتاء، وقد سماها بعض المتأخرين بالضاد الطائية، نسبة إلى صوت الطاء لمشاركتها له في المخرج، وهي من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، لكن كتب التجويد وتعليم التلاوة لا تزال تحدد مخرج الضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، على الوصف القديم لها)(١٤٤).

وذكر الأستاذ الدكتور غانم قدوري أن هناك بعداً تاريخياً واختلافاً كبيراً في نطق حرف الضاد بين وصف كتب العربية والتجويد القديمة وبين دراسات العلماء المعاصرين، فالاستطالة التي كانت توصف بها الضاد في الكتب القديمة صارت غير متحققة في نطق أكثر قراء القرآن في زماننا، بسبب ميلهم إلى نطقها شديدة من مخرج الدال والطاء والتاء(١٤٥).

لكنه، حفظه الله تعالى، قال: (وهذا البعد التاريخي لنطق الضاد يجب ألا يُشَوِّشَ على متعلم التجويد وقارئ القرآن، فعليه أن يتمسك بالرواية، فهي الأساس الأول لصحة القراءة، وأن يأخذ بنطق معلمه، ويترك للباحثين المتخصصين تتبع أقوال العلماء في الضاد، وبحث الجوانب التاريخية لنطق الضاد، وتحديد الكلمات التي ترسم بالضاد، والكلمات التي ترسم بالظاء.

ولا يخفى على القارئ أن قسماً كبيراً من الناطقين بالعربية ليست لديهم مشكلة في نطق الضاد والتفريق بينها وبين الظاء، خاصة في بلاد الشام ومصر، ولكن أهل العراق ودول الخليج وبلدان أخرى تصير الضاد في نطقهم ظاءً، وهم يحتاجون من أجل ذلك إلى تمرين طويل لتصحيح النطق بالضاد، والتفريق بين ما يكتب بالضاد وما يكتب بالظاء. والله تعالى أعلم)(١٤٦).

(٩) وَفِي الغَيْنِ(فِي المَغْضُوبِ) رَاعِ سُكُونَها فَكَمْ سُمِعَ التَّحْرِيكُ مِنْ مُتَعَمِّقِ

ذكر الناظم في هذا البيت أحكام تجويد قوله تعالى: چﭬچ وأكَّد على ضرورة الاهتمام بسكون الغين وعدم تحريكها. ففي هذه الكلمة أمور يجب التنبيه عليها، وهي:

أ- الاحتراز من إدغام الغين في الضاد.

ب- الاحتراز من النطق بالغين قريبة من الخاء لأنهما يخرجان من مخرج واحد، وصفاتهما متقاربة أيضاً(١٤٧).

ج- الاحتراز من النطق بالضاد ظاءً، كما تقدم في شرح البيت السابق.

د- الاحتراز من تحريك الغين، لأنه كثيراً ما يقع فيه القراء.

(١٠) [وَلِلْوَاوَ عِنْدَ المِيمِ أَظْهِرْ وَلا تَكُنْ لَـهُ مُزْعِجَاً بَلْ مُظْهِرَاً بِتَرَقُّقِ](١٤٨)

نبه الناظم هنا على إظهار الواو بعد الميم الساكنة إظهاراً شفوياً، ويحذر من إخفائها. قال ابن الجزري في مقدمته:

أَلْمِيمَ إِنْ تَسْكُنْ بِغُنَّةٍ لَدَى بَاءٍ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ أَهْلِ الأدا

وَأَظْهِرَنْهَا عِنْدَ بَاقِي الأَحْرُفِ وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِي(١٤٩)

وينبغي الحذر عند إظهار الميم من مبالغة في النطق تؤدي إلى تحريكها، قال السعيدي: (إذا أردت إظهارها عند الفاء والواو في مثل قوله تعالى، عند الفاء: چ□ □ □ □چ [البقرة ١٥] ، وعند الواو نحو: چ ﮕ ﮔ چ [الأعراف ٧١]... وما أشبه هذه الحروف، يلفظ بهذه الميمات كلها ساكنة ويتوقى فيها من الحركة.

فإذا أطبقت شفتيك للميم وأردت النطق بالفاء ألحقت ثنيتيك بمخرج الفاء من الشفة السفلى، وليكن ذلك عند انفتاح شفتيك من الميم في وقت واحد، من غير اضطراب بينهما ولا إبطاء، فإن ذلك يؤدي إلى تحريك الميم)[١٥٠]. وهذا معنى قول الناظم، رحمه الله: (ولا تكن له مزعجاً بل مظهراً بترقق).

(١١) وَفِي جَمْعِ ضُلاَّلٍ بِتَشْدِيدِ ضَادِهِ مَـعَ المَـدِّ والتَّشْـدِيدِ لـلامِ فَـانْطِقِ

ذكر في هذا البيت قوله تعالى: چ چچ وإنما قال: (ضُلاَّل) مراعاةً للوزن. وفي كلمةِ: چ چچ أحكام مهمة هي :

أ- ترقيق اللام الأولى بسبب مجاورتها حرف الضاد، وهو من حروف الاستعلاء، فعلى القارئ أن يحذر من تفخيمها للسبب نفسه. قال ابن الجزري :

وَلْيَتَلَطْـفْ، وعلـى اللهِ، وَلاَ الضْـ والميمَ من مخمصةٍ ومن مَرضْ[١٥١]

أي على القارئ مراعاة سكون اللام في هذه الكلمات: چ چ [الكهف١٩] ، و چ ٹ چ ، و چ چچ لمجاورتها الضاد بعدها[١٥٢].

ب- تفخيم الضاد هنا لأنها جاءت مفتوحةً وبعدها ألف، وهي أعلى درجات التفخيم. قال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ)[١٥٣]: (فيجب على القارئ أن يلفظ بالضاد إذا كان بعدها ألف بالتفخيم البيّن، كما يلفظ بها إذا كان يحكي الحروف، فيقول: " صاد "، " ضاد "، ولا بد له من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت فهو أمر يُقصِّرُ فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة، لصعوبته على من لم يُدرَب فيه. فلا بد للقارئ المجود أن يلفظ بالضاد مفخمةً مستعليةً منطبقةً مستطيلةً، فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها، ومتى فرط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال، فيكون مبدلاً أو مغيراً)[١٥٤].

ج- مَدُّ الألف في قوله تعالى: چ چچ مداً لازماً مشبعاً، وهذا المد هو أعلى درجات المد الفرعي الذي سببه السكون، إلا أن بعض أهل التجويد يرون أن هذا المد يمد على قدر أربع ألفات، وهم الذين يأخذون بالتوسط كابن مجاهد وعامة أصحابه،

رواها عنه أبو عمرو الداني بسنده عن أحمد بن نصر يحكيه عن بعض مشيخة ابن مجاهد[١٥٥]، وذكره ابن الجزري في النشر عن أبي بكر بن مهران حكايةً[١٥٦]، وانتصر لهذا المذهب عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح في التجويد[١٥٧]. وذكر أبو الحسن السعيدي أن هذا المد يُمدُّ أقل من المد الذي سببه الهمز[١٥٨]. وقال الجعبري: (اتفق السبعة على زيادة حرف المد قبل الساكن اللازم مطلقاً زيادةً متساويةً حاجزةً بين الساكنين، ومن ثَمَّ سُمِّيَ مد العدل ومد الحجز)[١٥٩].

فتمكين المد توسطه وقصره إنما مرجعه إلى التقريب والمشافهة من أفواه المشايخ المتقنين لا على التحديد والتقدير غير المنضبط. قال أبو عمرٍو الداني: (وكل واحد من القراء في هذا الضرب في إشباع زيادة التمكين على حال مذهبه في تحقيقه القراءة وحدرها، وذلك من غير إسراف ولا تقدير يعرف به، وإنما هو على التقريب، ولا يوقف على ذلك ولا يُعرفُ إلا بالمشافهةِ)[١٦٠].

د- تشديد اللام، وليحذر القارئ من تخفيفها أو الضغط عليها مبالغةً في تشديدها كما يفعله بعض القراء.

هـ- مراعاة مد الياء مداً عارضاً عند الوقف عليها، وفيها القصر والتوسط والإشباع. وليحذر القارئ من خروج صوت عند الوقوف على النون[١٦١].

(١٢) فَإِنْ كُنْتَ جَرَّدْتَ القِرَاءَةَ مُظْهِراً فَمِـلْ نَحْـوَ تَجْوِيـدِ المُحِـقِّ المُـدَقِّقِ

إذا جردتَ، أيها القارئُ، القراءة من الألحان والأخطاء، فاتبع تجويد القارئِ المحقق المدقق الذي يجتنب اللحن والخطأ في قراءته.

(١٣) فَتَقْسِـيمُهَا نِصْـفَيْنِ مُعْتَبِـراً بِهَـا كَمَا جَـاءَ فِـي نَـصِّ الحَدِيثِ المُصَدَّقِ

(١٤) فَنِصْفٌ لِرَبِّ العَرْشِ تَعْظِيمُ حَامِدٍ وَنِصْـفٌ دُعَـاءٌ مُسْـتَجَابٌ لِمُتَّـقِ

أشار في هذين البيتين إلى الحديث القدسي الذي رواه النبي، (ﷺ)، في فضل سورة الفاتحة، وهو أنَّ سورة الفاتحةِ قُسمت نصفين: نصفٌ، لله تبارك وتعالى،

ونصفٌ دعاءٌ مستجابٌ للمسلمِ الذي يقرؤها. وهذا نصُّ الحديثُ: عن رسول الله، (ﷺ)، أنَّه قَال: (قال الله، (عز وجل): قُسِمَت الصَّلاةُ بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. قال رسول الله، (ﷺ): اقرؤوا: يقول العبد: چپپپپچ يقول الله، (عز وجل): حمدني عبدي، يقول العبد: چ پ پچ يقول الله، (عز وجل): أثنى علي عبدي، يقول العبد: چ ٹ ٹچ يقول الله، (عز وجل): مجدني عبدي. يقول العبد: چ ٹ ٹ ٹ ٹچ يقول الله، (عز وجل): هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. يقول العبد: چٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄچ فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل)[١٦٢].

(١٥) فَتُــوقِنَ أَنَّ الحَمْـــدَ للهِ وَحْــدَهُ هُــوَ المُــنْعِمُ الوَهَّــابُ أَهْــلُ التَّصَــدُّقِ

أي فتصير، أيها القارئ، على يقين بأن الحمد بجميع أنواعه وأقسامه يختص بالله تعالى الذي تفضل بجزيل النعم والمواهب، وهو أهل لكل نعمة وهبة وصدقة.

وهذا حمد من المؤلف لله، تبارك وتعالى، في آخر منظومته، وإن لم يأت به في أولها. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

خاتمة بأهم نتائج التحقيق والشرح :

في نهاية هذا العمل توصلتُ إلى النتائج الآتية:

١- إن إفراد علماء التجويد المتقدمين هذه السورة المباركة في مؤلفات خاصة يدلُّ على فضلها وعظيم منزلتها وأهمية تجويدها.

٢- الشيخ صالح بن عبد الهدى الحرباوي الدوري، من العلماء الذين اهتموا بإقراء القرآن الكريم والتأليف في مسائل تجويده في مدينة الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة.

ولهذه المنظومة أهمية كبيرة إذ أنها أعطت صورةً عن طبيعة إقراء القرآن الكريم واهتمام القراء به في القرن الحادي عشر للهجرة في مدينة الموصل.

٣- إن اللَّحن الجليّ في هذه السورة نوعان:

أ- لحن جلي لا يُغير المعنى، وهذا لا يُبطل الصلاة اتفاقاً.

ب- لحن جلي يُغير المعنى، وهذا فيه تفصيل عند أهل العلم كما تقدم.

والمختار في هذه المسألة: أن اللَّحن الجلي المُغير للمعنى لا يخلو من إحدى حالتين:

أ- إما أن يكون من خطأ أو نسيان، وهذا معفوٌّ عنهُ، إن شاء اللهُ تعالى، وإما أن يكون عجزاً عن الصواب كقراءة أكثر الأعاجم في إبدالهم بعض الحروف.

ب- وإما أن يكون عالماً عارفاً ما قرأ، قادراً على تصويب قراءته، أو جاهلاً لكنَّهُ فرَّط في تعلُّم الصواب فهذا، والله أعلم، صلاته غير مجزئة ويلزمُهُ إعادتها.

٤- إن تحقيق وشرح هذه المنظومة يفتح الباب للاهتمام بمؤلفات العلماء في تجويد الفاتحة، المنثور منها والمنظوم، والبحث عنها وتحقيقها ونشرها بين الناس، لتصحيح النطق بألفاظ هذه السورة المباركة. ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك الكثير من المنظومات في تجويد الفاتحة مجهولة المؤلفين، ولكن هذا الأمر لا يمنع من البحث عنها وتحقيقها ونشرها، لأنَّ الحكمة ضالةُ المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ بأخذها. واللهُ يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش والتعليقات:

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند: 2 / 302، برقم: (8005) وفي مواضع أخرى، وأبو داود في السنن: 4 / 255 برقم: (4811)، وابن حبان في صحيحه: 8 / 198 برقم: (3407)، وغيرهم من أئمة الحديث.

(٢) ذكر الأستاذ الدكتور غانم قدوري حمد، حفظه الله تعالى، أنَّ موضوعَ القصيدة مهمٌ ومفيدٌ للنَّاس، وشجعني كثيراً على تحقيقها وشرحها ونشرها.

(٣) هو الشيخ إبراهيم فاضل محمد ذنون المشهداني، ولد بالموصل سنة 1943 م في محلة المشاهدة، وقرأ على الشيخ الجليل عبد الفتاح الجومرد وأجازه بالقراءات السبع، ولقبه بـ (موئل القراء). وهو خطيب جامع الطالب في الموصل، وخطاط، ومنجد، وله الكثير من الأشعار منها منظومة دالية في الآداب، ومنظومة في أصول القراء العشرة، وغيرها. ويقرأ بقراءة أبي جعفر المدني، أحد القراء العشرة، في إمامته. ويمارس تدريس القراءات العشر في مسجده وبيته، ومن أبرز الطلاب الذين درسوا عليه القراءات: معن عبد الخالق البكوع، ومحمد نوري المشهداني، وفيصل عبد القادر يوسف، وغيرهم. ينظر في ترجمته: (تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل: 194 . 195).

(٤) هو الأستاذ قصي حسين آل فرج، ولد في الموصل سنة 1946 م، تخرج في مدارسها وعين في سلك التعليم سنة 1966 / 1967 م، وانتقل للعمل في المكتبة المركزية بالموصل منذ سنة 1979 م، وهو الآن مديرها العام. من المهتمين بتراث وتاريخ مدينة الموصل، وشغل عضوية الكثير من الجمعيات والمنتديات منها: عضو لجنة أصدقاء جامعة الموصل، وعضو فخري في جمعية المؤرخين، ورئيس جمعية خطاطي نينوى، وعضو اتحاد المؤرخين العرب. من

أبرز مؤلفاته: القضاء والقدر، وإسماعيل الكبير، والمكتبات الموصلية العامة، وتراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل. وترجمته على غلاف كتابه تراجم قراء القراءات.

(٥) هي مخطوطة: (الحاشية المرضية في كشف الأوقاف المنهية في شرح البدرية في ما يحتاج إليه القارئ من معرفة جميع الأوقاف) للشيخ صالح بن عبد الهدى الحرباوي الدوري.

(٦) وهما: نسخة الأم للقصيدة، والحاشية المرضية في شرح الأوقاف المنهية.

(٧) الحاشية المرضية في كشف الأوقاف المنهية في شرح البدرية في ما يحتاج إليه القارئ من معرفة جميع الأوقاف: ورقة 1 ظ.

(٨) ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي: ١ / ٧٩.

(٩) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١ / ٦٣.

(١٠) عشائر العراق: ١ / ٨٥. وينظر أيضاً: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ١ / ٧٩، وتاج العروس للزبيدي: ٢ / ٢٦٠، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، للشيخ حمد الجاسر: ١ / ٢٤.

(١١) ينظر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية: ١ / ٢٤.

(١٢) ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: ٢ / ٤٨١.

(١٣) ينظر: تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل: المقدمة س.

(١٤) المقدمة، ص: س.

(١٥) ينظر: نص القصيدة في الورقة ٢ ظ من القصيدة القافية.

(١٦) في الأصل: نضمها، بالضاد، وهو خطأ.

(١٧) في الأصل: (اتفقوا) وهذا التعبير وإن كان صحيحاً إلا أنه غير مشهور إلا على لغةِ: (أكلوني البراغيث). والأصح ما أثبته.

(١٨) وهذا اعترافٌ منه، رحمه الله تعالى، بوجود بعض العيوب في قصيدته العينيةِ هذه.

(١٩) في الأصل: عقارباً.

(٢٠) ينظر: وجه ورقة المخطوط س، وتراجم قراء القراءات القرآنية: س.

(٢١) تراجم قراء القراءات القرآنية: س.

(٢٢) الحاشية المرضية في كشف الأوقاف المنهية في شرح البدرية في ما يحتاج إليه القارئ من معرفة جميع الأوقاف: ورقة 1 ظ.

(٢٣) ينظر: البيان في عَدِّ آي القرآن، للداني: 139، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 1 / 114، وتفسير القرآن العظيم: 1 / 17.

(٢٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 1 / 111 . 113.

(٢٥) صحيح البخاري: 4 / 1623، برقم (4204).

(٢٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 1 / 114، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: 1 / 17، وفتح القدير للشوكاني: 1 / 17. وغيرها من كتب التفسير والحديث وفضائل القرآن.

(٢٧) هو أبو مزاحم موسى بن عبيد اللهِ بن يحيى بن خاقان، البغدادي، إمامٌ مقرئٌ مُجَوِّدٌ مُحَدِّثٌ، كانَ جَدُّه وأبوه وزيرين لبني العباس، لكنه تركَ الدنيا وانشغل بالعلم، له قصيدتانِ: الأولى في حسنِ أداء القرآنِ، والثانيةُ في السُّنَّةِ. توفي سنة 325 هـ. ينظر: (معرفة القراء الكبار للذهبي: 2 / 554، وغاية النهاية لابن الجزري: 1 / 320).

(٢٨) ينظر: شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري حمد: 20.

(٢٩) حقَّقها الأستاذ الدكتور غانم قدوري حمد، حفظه الله، ونشرها ضمن بحث: (علمُ التجويد نشأتُه ومعالمُه الأولى) المنشور في مجلة كليةِ الشَّريعةِ بجامعةِ بغداد

في العدد السادس 1400 هـ ـ 1980 م، ونشرها الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ سنة 1402 هـ ضمن (قصيدتان في التجويد لأبي مزاحم الخاقاني، ولعلم الدين السخاوي)، ونشرها الدكتور علي حسين البواب في مجلة المورد ببغداد سنة 1405 هـ ـ 1985 م (المجلد 14، العدد الأول)، ونشرها أيضاً المحقق الهندي محمد عزيز شمس في كتابه: (روائع التراث). ينظر: (شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري حمد: 20).

(٣٠) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، اشتهر بعلوم القرآن عامة، وعلم القراءات خاصة، له الكثير من المؤلفات منها: التيسير في القراءات السبع، والمقنع في رسم المصحف، والبيان في عَدِّ آي القرآن، وغيرها، توفي سنة 444 هـ. ينظر: (معرفة القراء الكبار:2 /773، وغاية النهاية:1/ 503).

(٣١) غاية النهاية: 2 / 321. وذكر أستاذي الدكتور غانم قدوري في شرح المقدمة الجزرية (ص: 20): أنَّ شرح الداني لقصيدة الخاقاني توجد منه عدة نسخ، وقد حَقَّقَ الشرح في رسالةٍ علميةٍ غازي بن بنيدر العمري في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٣٢) ينظر ما كتبه الأستاذ الدكتور غانم قدوري حمد، حَفِظَهُ اللهُ، في بحثه: علمُ التجويد: نشأتُه ومعالمُه الأولى، وشرح المقدمة الجزرية: 22، المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٣٣) ترجمته في: هدية العارفين للبغدادي: 6 / 523.

(٣٤) ينظر: هدية العارفين: 6 / 523.

(٣٥) هو أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر الجَعْبَرِيُّ، الأستاذ المحققُ، صاحب التصانيف، وشيخ بلد الخليل، له شرح الشاطبية والرائية للشاطبي،

وألف التصانيف في أنواع العلوم نظماً ونثراً، توفي سنة 732 هـ. ينظر: (معرفة القراء الكبار للذهبي: 2 / 743، وغاية النهاية لابن الجزري: 1 / 21، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة:1 /65.63).

(٣٦) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة: 2 / 1996.

(٣٧) هو الحسن بن قاسم بن عبد الله المعروف بابن أم قاسم، المرادي المصري، الفقيه، النحوي، اللغوي، المقرئ، المفسر، شرح الشاطبية والألفية والتسهيل، وله الجنى الداني في حروف المعاني، وغيرها من المؤلفات المفيدة، توفي سنة 749 هـ. ينظر: (غاية النهاية: 1 / 227، وبغية الوعاة للسيوطي: 1 / 517، والموسوعة الميسرة: 1 / 717). وقد حقَّقَ هذا الشرح الدكتور عبد الهادي الفضلي، ونشره في بيروت دون تاريخ، ويقع هذا التحقيق بسبع وثمانين صفحةً من الحجم المتوسط. ينظر: (المفيد في شرح عمدة المجيد، للمرادي، تحقيق: د. علي حسين البواب: 5).

(٣٨) هو شمس الدين محمد بن محمود بن أحمد السمرقندي المقرئ. قرأ على أبيه محمود، ومحمد بن محمد المعروف بابن العبد، وغيرهما. وهو إمام بارع مُجَوِّدٌ، من أشهر مؤلفاته: التجريد في التجويد، والقراءات السبع. توفي سنة 780 هـ. ينظر: (غاية النهاية: 2 / 260، وكشف الظنون: 2 / 1342، والموسوعة الميسرة: 3 / 2457).

(٣٩) ينظر: كشف الظنون: 2 / 1342.

(٤٠) هو سراج الدين أبو حفص عمر بن قاسم بن علي الأنصاري النشار، المقرئ الشافعي المشهور. أخذ عن علي الخباز الضرير، وشمس الدين الحمصاني، وغيرهما. وأخذ عنه شهاب الدين القسطلاني، ونور الدين الجارحي، وغيرهما.

القصيدة القافية في تجويد فاتحة الكتاب
مجلة آداب الفراهيدي
العدد (٢) السنة الأولى
د. صلاح ساير فرحان العبيدي

من أبرز مؤلفاته: تجويد الفاتحة، والبدر المنير في شرح التيسير، توفي سنة 938 هـ. ينظر: (هدية العارفين: 1 / 792، وكشف الظنون: 2 / 1812، والموسوعة الميسرة: 2 / 1763.

(٤١) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط [التجويد]: ١٤٠.

(٤٢) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن محمد الدمشقي الصالحي الحنفي الشهير بابن طولون. محدث، مسند، مؤرخ فقيه، نحوي، مشارك في التعبير والطب وغيرهما من العلوم، ولد بصالحية دمشق بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية سنة ٨٨٠ هـ تقريباً، وسمع وقرأ على جماعة، وتفقه بعمه الجمال بن طولون وغيره، وأخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة، وآخرين من أهل الحجاز، وولي تدريس الحنفية بمدرسة أبي عمر وإمامة السليمية بالصالحية، واخذ عنه جماعة، وتوفي بدمشق في ١١ جمادى الأولى سنة ٩٥٣ هـ، ودفن بتربة أسرته بسفح قاسيون. من تصانيفه الكثيرة: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، النفحات الأزهرية في الفتاوى العونية، وتجويد الفاتحة. ينظر: (معجم المؤلفين: ١١ / ٥٢، والأعلام: ٦ / ٢٩١).

(٤٣) المصدر السابق ص١١٥.

(٤٤) هو جمال الدين يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني الأَرْمِيوني المصري الشافعي. إمامٌ علامةٌ، قرأ على السيوطي وغيره، وأخذ عنه عبد السلام بن ناصر الدمياطي، ومنلا علي الشهرزوري، وغيرهما. من أبرز مؤلفاته: رسالة في تجويد البسملة، والمعتمد في تفسير سورة الإخلاص، وغيرها. توفي سنة ٩٥٨ هـ. ينظر: (هدية العارفين:٢/ ٥٦٤، والأعلام: ٨/ ٢٤٠، والموسوعة الميسرة:٣/ ٢٩٦١).

(٤٥) المصدر السابق ص٨٠.

(٤٦) لم أقف على ترجمته.

(٤٧) المصدر السابق ص١١٥.

(٤٨) لم أقف على ترجمته أيضاً.

(٤٩) المصدر السابق ص١١٥.

(٥٠) طبعة دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

(٥١) هو عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الحميد بن حاتم بن حنظلة بن تميم بن حبيب الداري، أبو محمد الصعيدي ثم الإسكندري الشافعي، مقرئ محقق مؤلف مجود. قرأ على أبيه، وعلى الصفراوي بالثمان، وقرأ بالسبع على إبراهيم ابن وثيق، وغيرهم. وسمعت منه بنت أخته الوجيهية بنت علي بن يحيى الصعيدي. وتصدر للإقراء بالجامع الغزي، وكان صالحاً كثير التحري متقياً متيقظاً أَلَّفَ في القراءات وغيرها، ومن مؤلفاته: بغية المريد في معرفة التجويد، والبلغة الراجحة في تقويم حروف الفاتحة، وكتاب النبذة الرضية في أحكام القراءات المرضية، وغيرها. ينظر: (غاية النهاية:١/٤٠٠-٤٠١).

(٥٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١ / ٤٠٠ . ٤٠١.

(٥٣) لم أقف على ترجمة له.

(٥٤) الفهرس الشامل: ١٩٧.

(٥٥) لم أقف على ترجمته.

(٥٦) الفهرس الشامل: ١٢٨.

(٥٧) لم أقف على ترجمته أيضاً.

(٥٨) الفهرس الشامل: ٣٠.

(٥٩) ينظر الفهرس الشامل: الصفحات: ١٢، ١٣، ٣٠، ٧٧، ٨٠، ٨١، ١٤١، ١٤٢، ١٨٧.

(٦٠) ينظر: شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.net. وهي رسالة نافعة جداً.

(٦١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: 5/61 مادة (لحن)، والمحكم لابن سيده:258/3.

(٦٢) هو عبد الوهاب بن محمد أبو القاسم القرطبي، مقرئ متقن كبير رحال. من أشهر مؤلفاته: المفتاح في القراءات السبع، والموضح في التجويد. توفي سنة 461 هـ. ينظر: (معرفة القراء الكبار: 2 / 866، وغاية النهاية: 1 / 482).

(٦٣) البيت بلا نسبة في: العين: 3 / 230 مادة (لحن)، والمحكم: 3 / 258 مادة (لحن)، ولسان العرب لابن منظور: 13 / 381 مادة (لحن). والشاهد فيه قوله " معرب لم يلحن " إذ جاء معنى اللحن عدم الإعراب.

(٦٤) الموضح في التجويد: 56.

(٦٥) ينظر: الموضح في التجويد: ٥٧، والتمهيد لابن الجزري: ٧٧.

(٦٦) قال الدكتور محمد بن فوزان بن حمد العمر: وقد يكون اللحن الجلي لحناً خفياً بالعرف دون المعنى، كضم الهاء أو نصبها من قوله تعالى: چٹ چ [الفاتحة٦]. رسالة في تجويد الفاتحة: ٢٤.

(٦٧) رسالة في التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي لأبي الحسن السعيدي: ٢٨.

(٦٨) ينظر: التمهيد: ٧٧.

(٦٩) ينظر: التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمذاني: ٢١٤، والموضح في التجويد: ٥٩.

(٧٠) ينظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي للسعيدي: ٢٨، والتمهيد لابن الجزري: ٧٧.

(٧١) جمال القراء وكمال الإقراء: ٢ / ٥٢٩.

(٧٢) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد العطشي البغدادي التميمي. ولد سنة ٢٤٥ هـ بسوق العطش ببغداد. شيخ المقرئين وانتهت إليه رئاسة الإقراء في وقته. وقرأ على قنبل وسعدان بن نصر وغيرهما. وقرأ عليه الدارقطني وأبو نصر الشذائي وابن شاهين وغيرهم. من أبرز مؤلفاته: السبعة في القراءات، وجامع القراءات، والياءات، وغيرها. توفي سنة ٣٢٤ هـ. ينظر: (معرفة القراء:١/٢١٦، وغاية النهاية:١/١٣٩، والموسوعة الميسرة:١/ ٤٣٢).

(٧٣) السبعة لابن مجاهد: ٤٩، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد: ٥١.

(٧٤) الحديث رواه البخاري: 1 / 263 برقم (723)، ومسلم في صحيحه: 1 / 295 برقم (393)، وغيرهما من أئمة الحديث.

(٧٥) هو الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الدمشقي، علامةٌ بالفقه والحديث، وله مشاركات في بعض العلوم الأخرى، من مؤلفاته: منهاج الطالبين، وشرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، وغيرها. توفي سنة 676 هـ. ينظر: (معجم المؤلفين: 14 / 202، والأعلام: 8 / 149).

(٧٦) ينظر: شرح صحيح مسلم: 4 / 102.

(٧٧) ينظر: المدونة الكبرى للإمام مالك: ١ / ١٧٧، وفتح القدير لابن الهمام الحنفي: ١ / ٢٨١، والأم للشافعي: ١ / ١١٠، والمغني لابن قدامة المقدسي: ٣ / ٤٤٤ . ٤٥٠.

(٧٨) هو الإمام المجتهد أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة المجتهدين في الدين عند المسلمين، وإليه ينتسب المالكية. ولد في المدينة المنورة سنة ٩٣ هـ، وتوفي فيها سنة ١٧٩ هـ. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، سأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف " الموطأ ". وله رسالة في " الوعظ "، وكتاب في " المسائل " ورسالة في " الرد على القدرية "، وكتاب في " النجوم " و " تفسير غريب القرآن ". ينظر: (الأعلام: ٥ / ٢٧٥).

(٧٩) المدونة الكبرى: ١ / ١٧٧.

(٨٠) هو الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي. إمام الحنفية، والفقيه المجتهد المحقق، وأحد أئمة المذاهب الأربعة عن المسلمين. أصله من أبناء فارس. ولد في الكوفة سنة ٨٠ هـ، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعا. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات، رحمه الله تعالى، ببغداد سنة ١٥٠ هـ. كان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ! وكان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدث انطلق في القول، وكان لكلامه دوي، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. له مسند في الحديث، والمخارج في الفقه، ورسالة الفقه الأكبر في التوحيد. ينظر: (الأعلام: ٨ / ٣٦).

(٨١) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء. إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة في غوطة دمشق، ولد بواسط سنة ١٣١ هـ، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به، وانتقل إلى بغداد فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ولما خرج الرشيد إلى خراسان اصطحبه فمات بالري سنة ١٨٩ هـ. قال الشافعي: (لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت، لفصاحته) ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. له كتب كثيرة في الفقه والأصول، منها: المبسوط، والزيادات، والحجة على أهل المدينة، وغيرها. ينظر: (الأعلام: ٦ / ٨٠).

(٨٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيهاً علاَّمةً. ولد بالكوفة سنة ١١٣ هـ، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافة الرشيد ببغداد سنة ١٨٢هـ وهو على القضاء. وهو أول من دعي " قاضي القضاة " ويقال له: قاضي قضاة الدنيا !، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب.

من كتبه: الخراج، والآثار وهو مسند أبي حنيفة، وأدب القاضي وغيرها. ينظر: (الأعلام: ٨ / ١٩٣).

(٨٣) قال محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: (ومعنى عموم البلوى: شمول التكليف لجميع المكلفين أو أكثرهم عملاً). ينظر: إجابة السائل شرح بغية الآمل: ١٠٩).

(٨٤) ينظر: فتح القدير: ١ / ٢٨١.

(٨٥) هو الإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد أئمة المذاهب الأربعة عند المسلمين، وإليه ينتسب الشافعية. ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وحُمِل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وسكن بغداد، ثم سافر إلى مصر فاستقر بها إلى أن مات سنة ٢٠٤ هـ. قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرةٌ أو ورقٌ إلا وللشافعي في رقبته منة. وكان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أولا كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة.

وكان ذكيا مفرطا. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب الأم في الفقه، والمسند، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه. ينظر: (الأعلام: ٦ / ٢٦).

(٨٦) الأم: ١ / ١١٠.

(٨٧) المجموع شرح المهذب: ٣ / ٣٢٩ . ٣٣٢.

(٨٨) هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، من أكابر فقهاء الحنابلة، ولد في جماعيل من قرى نابلس بفلسطين سنة ٥٤١ هـ، وفيها وفاته. من أبرز مؤلفاته: المغني وهو شرح لمختصر الخرقي في فقه الحنابلة، وروضة الناظر، وغيرها. ينظر: (الأعلام: ٤ / ٦٧).

(٨٩) المغني لابن قدامة: ٣ / ٤٤٤ . ٤٥٠.

(٩٠) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرَّاني الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن تيمية. ولد سنة ٦٦١ هـ في حران، ثم انتقل إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطُلِبَ إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨

هـ. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. من أبرز مؤلفاته: مجموع الفتاوى، والفرقان، والسياسة الشرعية، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، وغيرها كثير. ينظر: (الأعلام: ١ / ١٤٤).

(٩١) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٢ / ٤٤٣.

(٩٢) في [س]: القَصيدةُ القافيِّةُ في تجويدِ الفاتحةِ. والصَّوابُ ما أَثبتُه من [ص] لأنَّه بخطِّ الناظمِ نفسه.

(٩٣) في [س]: شَدِّدَنْ.

(٩٤) في [س، و ص]: فجودا. والصواب كسر الدال لإقامة الوزن.

(٩٥) البيت أثبته الناظمُ في: [ص] ، في حاشية الأصل.

(٩٦) في [س]: تَمَّتِ القَصيدةُ وبالخَيْرِ عَمَّتْ.

(٩٧) قال الخطيب البغدادي (ت 463 هـ): (ينبغي أن يُبْتَدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) في كل كتاب من كتب العلم). ينظر: (الجامع لأخلاق الراوي: 1 / 193). وقال الإمام النووي (ت 676 هـ): (الصلاة على النبي، (ﷺ)، بعد الحمدلة هو عادة العلماء). ينظر: (شرح صحيح مسلم: 1 / 43).

(٩٨) سبق تخريج هذا الاسم في مبحث أسماء الفاتحة.

(٩٩) المعجم الوسيط: 1 / 153.

(١٠٠) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد للداني: 68، والكتاب الأوسط للعماني: 72، والنشر لابن الجزري: 1 / 212.

(١٠١) في [س]: شددن.

(١٠٢) الوقف الاختباري: هو ما يمتحنه الأستاذ بقوله: كيف تقف على هذا اللفظ بعينه ؟ لعلم مهارته في وجوه قراءته. ينظر: (المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية لملا علي القاري: 264، وشرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري الحمد: 540.

(١٠٣) رسالة في تجويد الفاتحة، للدكتور محمد بن فوزان العمر: 9.

(١٠٤) هو الإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري الشافعي الدمشقي ثم الشيرازي، ولد سنة 751 هـ بدمشق. العالم المقرئ المحقق المحدث المشهور. قرأ على ابن اللبان الدمشقي، وعبد الرحمن بن أحمد البغدادي، وأبي بكر بن الجندي، وغيرهم. وقرأ عليه خلق كثير منهم طاهر ابن عرب الأصبهاني وغيره كثير. من أبرز مؤلفاته: النشر في القراءات العشر، وتحبير التيسير، والتمهيد وطيبة النشر، والدرة المضية، وغيرها كثير. توفي سنة 838 هـ. ينظر: (غاية النهاية: 2 / 247 ـ 251، والضوء اللامع للسخاوي: 9 / 255).

(١٠٥) النشر في القراءات العشر: 1 / 204.

(١٠٦) شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري: 143، عجز البيت (43).

(١٠٧) النشر: 1 / 219.

(١٠٨) شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري: 315.

(١٠٩) النشر: 1 / 204.

(١١٠) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة: 46.

(١١١) ينظر: التمهيد لابن الجزري: 56.

(١١٢) الموضح في التجويد: 199.

(١١٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي. فقيه محدث، من أهل بست من بلاد كابل، من نسل زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب. ولد سنة ٣١٩ هـ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ. من أبرز مؤلفاته: معالم السنن، وشرح سنن أبي داود، وغيرها. ينظر: (الأعلام: ٢ / ٢٧٣).

(١١٤) ينظر: شأن الدعاء: 19.

(١١٥) ينظر: التمهيد لأبي العلاء الهمذاني: 293.

(١١٦) رسالة في تجويد الفاتحة: 14.

(١١٧) هو أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي الرازي الحذاء، نزيل شيراز، عالم بالقراءات، له كتاب في القراءات الثمان، شرحه نصر بن علي الشيرازي بكتابه: (الموضح في وجوه القراءات وعللها)، توفي في حدود سنة 410 هـ. ينظر: (معرفة القراء الكبار: 2 / 699، وغاية النهاية: 1 / 529).

(١١٨) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: 30 . 31.

(١١٩) في [س، و ص]: فجودا. والصواب كسر الدال لإقامة الوزن.

(١٢٠) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: 31.

(١٢١) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، أشهر علماء القراءات والتجويد، توفي سنة 444 هـ. له مؤلفات تزيد على المئة، من أبرزها: التيسير، وجامع البيان في القراءات السبع، والتحديد في الإتقان والتجويد، والمقنع في رسم المصحف، والبيان في عد آي القرآن. وغيرها كثير جداً. وقد أحصى مؤلفاته ووثقها الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، حفظه الله، في مقدمة تحقيق كتاب التحديد للداني.

(١٢٢) التحديد: 140. وينظر: الموضح في التجويد للقرطبي: 112، وشرح الجزرية لزكريا الأنصاري: 47.

(١٢٣) هو عبد العزيز بن علي أبو الإصبغ السماني الإشبيلي المقرئ، أستاذ كبير وإمام محقق مجود، طاف البلاد ومات بحلب سنة 560 هـ. ينظر: (معرفة القراء: 3 / 1051، وغاية النهاية: 1 / 395).

(١٢٤) الإنباء في تجويد القرآن: 60.

(١٢٥) شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري: 139، البيت (11).

(١٢٦) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: 31.

(١٢٧) ينظر: شرح القصيدة الخاقانية للداني: 225، والتمهيد لابن الجزري:80 ـ82.

(١٢٨) شرح الواضحة: 54.

(١٢٩) صدر البيت الحادي عشر من المقدمة الجزرية، ينظر: شرح الجزرية، للدكتور غانم قدوري: 139.

(١٣٠) النشر: 1 / 199.

(١٣١) شرح المقدمة الجزرية: 239 . 240.

(١٣٢) في: [س]: اشْدُدْ.

(١٣٣) ينظر: السبعة: 105، وتحبير التيسير: 186.

(١٣٤) ينظر: النشر لابن الجزري: 1 / 18 . 19.

(١٣٥) شرح الواضحة: 54 . 55، والتمهيد لابن الجزري: 135.

(١٣٦) رسالة في تجويد الفاتحة: 15.

(١٣٧) المصدر السابق نفسه: 16.

(١٣٨) كما يفعل العوام من أهل العراق والخليج العربي.

(١٣٩) كفعل بعض القراء الذين يحاولون تمييزه عن الظاء.

(١٤٠) كما يفعل العوام من أهل مصر.

(١٤١) ينظر كلام العلماء على هذا الحديث في: اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، للزركشي: 160، والمقاصد الحسنة، للسخاوي: 167، و اللؤلؤ الموصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، للقاوقجي: ٤٩.

(١٤٢) النشر في القراءات العشر: 1 / 219 . 220.

(١٤٣) النشر: 1 / 200.

(١٤٤) شرح المقدمة الجزرية: 255. وينظر الصفحات: 250 ـ 255. ففيها كلام مفيد على تاريخ اهتمام علماء التجويد بمخرج الضاد.

(١٤٥) ينظر: شرح المقدمة الجزرية: 319 . 320.

(١٤٦) شرح المقدمة الجزرية: 321.

(١٤٧) ينظر: شرح الواضحة: 57 . 58.

(١٤٨) البيت أثبته الناظمُ في: [ص] ، في حاشية الأصل.

(١٤٩) البيتان (63، 64) من المقدمة الجزرية، ينظر: شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري: 146.

(١٥٠) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: 47.

(١٥١) البيت (36) من المقدمة. ينظر: شرح المقدمة الجزرية للدكتور غانم قدوري:142.

(١٥٢) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، لابن الناظم: 75.

(١٥٣) هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، ولد سنة 355 هـ في القيروان، ثم دخل الأندلس سنة 393 هـ، وجلس للإقراء بجامع قرطبة حتى وفاته سنة 437 هـ، له مؤلفات كثيرة منها: الرعاية في التجويد، والتبصرة في القراءات السبع، والكشف في علل القراءات، وغيرها. ينظر: (معرفة القراء: 2 / 751، وغاية النهاية: 2 / 2309).

(١٥٤) الرعاية: 184 . 185.

(١٥٥) ينظر: شرح القصيدة الخاقانية: 308، والتحديد: 172.

(١٥٦) النشر: 1 / 317.

(١٥٧) الموضح: 134 . 135.

(١٥٨) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: 33.

(١٥٩) ينظر: كنز المعاني في شرح حرز الأماني: 2 / 359 . 360.

(١٦٠) شرح القصيدة الخاقانية: 308.

(١٦١) رسالة في تجويد الفاتحة: 19.

(١٦٢) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ١ / ١٩١، برقم (١١٤)، والإمام أحمد في مسنده: ٢ / ٤٦٠، برقم (٩٩٣٤). وقال فيه الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير العلاء بن عبد الرحمن، وأبي السائب فمن رجال مسلم). والحديث ذكره أيضاً البيهقي في السنن الكبرى: ٢ / ٣٨، برقم (٢٤٦١) باب تعيين الفاتحة بقراءة الإمام، وفي مواضع أخرى. وذكره غيرهم من أئمة الحديث.

المصادرُ والمراجعُ:

١- إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: القاضي حسين ابن أحمد السياغي، والدكتور حسين محمد مقبول الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦ م.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٣- الأعلام، خير الدين الزركلي، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان (د.ت).

٤- الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، أشرف على طبعه: محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).

٥- الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٤ هـ.

٦- الإنباء في تجويد القرآن، أبو الإصبغ عبد العزيز بن علي بن محمد بن الطحان الأندلسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، مجلة الأحمدية، العدد الرابع، جمادى الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٧٨ هـ . ١٩٦٧ م.

٨- البيان في عدِّ آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد،مركز المخطوطات والتراث والوثائق،الكويت، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤م.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، دار ذات السلاسل، الكويت.

١٠- تحبير التيسير في القراءات العشر، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. أحمد القضاة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢١ هـ.

١١- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط١، ١٣٢١ هـ.

١٢- تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل، قصي حسين آل فرج، الموصل، ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٥ م.

١٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م.

١٤- التمهيد في علم التجويد، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.

١٥- التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٦- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، ومراجعة: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط١، ١٣٨٤ هـ.

١٧- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط١، ١٤٠٦ هـ.

١٨- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد (شرح الجزرية)، زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، تحقيق: د. نسيب

الشاوي، تقديم: نور الدين عتر، دار المكي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط٢، ١٤١٨ هـ.

١٩- جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١- الجامع لأخلاق الراوي والسامع، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

٢٢- الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري، المعروف بابن الناظم، تحقيق: عبد الرزاق معصراتي، الجفان والجابي، دمشق ١٤٢٦ هـ. ٢٠٠٦ م.

٢٣- رسالة في تجويد الفاتحة، د. محمد بن فوزان بن حمد العمر، شبكة التفسير والدراسات القرآنية

٢٤- رسالة في التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢١ هـ.

٢٥- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط٣، ١٤١٧ هـ.

٢٦- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ. ١٩٩٢ م.

٢٧- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٤٠٠ هـ.

٢٨- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).

٢٩- سنن الدارمي، الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد العلمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

٣٠- شأن الدعاء، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ.

٣١- شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: غازي بنيدر العمري الحربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤١٨ هـ.

٣٢- شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م.

٣٣- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، ابن أم قاسم المرادي، تحقيق: د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، (د. ت).

٣٤- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م.

٣٥- صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة . بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م.

٣٦- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤١٤هـ

٣٧- الضوء اللامع، علم الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨- عشائر العراق، الأستاذ عباس العزاوي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٨ م.

٣٩- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق وتعليق: الأستاذ رشاد الحق الأثري، إدارة ترجمان السنة، لاهور، (د. ت).

٤٠- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وآخرين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٨ م.

٤١- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره: ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٢ هـ.

٤٢- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د.حسين محمد شرف، مراجعة مصطفى حجازي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤١٣ هـ.

٤٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت (د. ت).

٤٤- فتح القدير، كمال الدين محمد المعروف بابن الهمام الحنفي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (د. ت).

٤٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٤٦- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٥هـ.

٤٧- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن، ١٩٩٤ م.

٤٨- الكتاب الأوسط في علم القراءات، أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العماني، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م.

٤٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، إستانبول.

٥٠- كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، إبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق ودراسة: أحمد اليزيدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٩ هـ.

٥١- اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد ابن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، عمان.

٥٢- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٠٠ هـ.

٥٣- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، توزيع المكتبة العالمية بالفجالة، مصر، (د. ت).

٥٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٦ هـ.

٥٥- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، بيروت.

٥٦- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط١، ١٣٧٧ هـ.

٥٧- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٨- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي دار صادر بيروت ١٣٦٧ هـ - ١٩٥٧ م.

٥٩- معجم قبائل المملكة العربية السعودية، حمد الجاسر، دار طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٦٠- معرفة القراء الكبار، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦١- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دمشق، ١٩٥٧ م.

٦٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٦٣- المغني ومعه الشرح الكبير، أبو الفرج شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط١، ١٤١٤ هـ.

٦٤- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١ هـ.

٦٥- المفيد شرح عمدة المجيد، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧ م.

٦٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، عبد الرحمن السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦٧- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة القراءة والتفسير واللغة والنحو، أبو عبد الله وليد بن عبد الله الزبيري، وآخرين، منشورات مجلة الحكمة، لندن.

٦٨- الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي، تقديم وتحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢١ هـ.

٦٩- الموطأ، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: د. تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣ هـ. ١٩٩١ م.

٧٠- المنح الفكرية على متن الجزرية، ملا علي سلطان القاري، تحقيق: عبد القوي عبد المجيد، راجعه: د. عبد العزيز القاري، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، توزيع مكتبة الدار، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٩ هـ.
٧١- النشر في القراءات العشر، أبو الخير شمس الدين محمد بن الجزري، أشرف على طبعه: الشيخ علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
٧٢- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٧٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام أبي السعادات مجد الدين بن الأثير، تحقيق: محمود الطناجي، بيروت، ١٣٨٣ هـ.
٧٤- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، استانبول ١٩٥١ م.

تمّت
بفضل الله تعالى وتوفيقه

البنية السردية في
"زمن الخيول البيضاء" لإبراهيم نصر الله

د. سوسن هادي جعفر
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة...

تنبثق النظرية السردية من مفهومين أساسين، تعتمد أساساً فكرة حددها منظرو السرديات؛ إذ أكدوا على أن النظرية السردية تهتم بالمبنى الحكائي والمتن الحكائي، ووجدوا أن المبنى هو طريقة عرض الأحداث في نظام تراتبي ما، أما المتن فيشمل العناصر التي يتكون منها النص أو الخطاب.

وعلى وفق هذه النظرية ارتأت هذه الدراسة أن تهتم بدراسة العناصر السردية، وتحدد معالمها، مفهوماً وتحليلاً، فتشكلت من ثنائية التنظير والتطبيق الفعلي؛ ذلك أن الممارسة النظرية مهمة لأية دراسة تستكشف النص وتحلله على وفق المنهجيات الحديثة، أما الدراسة التطبيقية فهي الأخرى مهمة، وربّما تكون أهم من الأولى؛ فهي تفتح الآفاق أمام الدراسة لتحليل آليات اشتغال النص، إذ تعمل على تفكيك بنيته.

ونظرا للأهمية الاستثنائية التي أولاها النقاد لدراسة النص من الخارج أو ما أطلق عليها جيرار جينيت بالموجهات النصية فقد ارتأت هذه الدراسة بدءاً البحث في هذه الموجهات وكيفية اشتغالها في.

المحور الأول: الموجهات النصية (العتبات).

اهتم الفكر السردي بالمكونات الداخلية والخارجية للنص، والتي من شأنها أن تعمل على رفع مستوى فاعلية النص وكفاءته، وقد أولى السرديون هذه المكونات

اهتمامهم، على الرغم من الخلط الحاصل في المفاهيم ومدى تطبيقها، هذا التطبيق الذي يحتّم آليات اشتغال مستقلة تفلح في فتح مغاليق النص وتوضحه.

كان لجيرار جينيت الفضل الأكبر في إرساء تقاليد نظرية للسرد على الرغم من محاولة فلاديمير بروب في وضع الأسس الأولى لهذه النظرية في دراسته لوظائف الشخصيات في الحكاية الشعبية اذ حددها بإحدى وثلاثين وظيفة رئيسة، إلا أن جينيت ومن خلال نظرياته التي بثّها في كتبه كان الأكثر اهتماماً وإيضاحاً لهذا الفكر، وقد استطاع ومن خلال دراسته وضع الخطاطة الرئيسة الأولى لدراسة العتبات النصية التي اسماها بالموجهات النصية، وحددها بالعناوين الأساسية، الفرعية، المقتبسات، الإهداء، المقدمة، التمهيد، الاستهلال، الهوامش، الملاحظات، الأيقونات وأسماء المؤلفين والناشرين[١].

تقوم هذه العتبات بوظائف عدة: جمالية ودلالية إذا ما استطاع الكاتب تطويعها في خدمة النص، بمعنى أن تكون ثمة علاقة بين النص وهذه العتبات، وكثيراً مايفشل النص لوجود هوة عميقة بين هذه العتبات وبين المتن الحكائي الذي يراد تأسيس نظريته روائياً.

يعرف العنوان بأنه: ((مرجع يتضمن بداخله العلامة والرمز، وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته كلياً أو جزئياً، انه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص، دون أن تحقق الاشتمالية وتكون مكتملة – ولو بتذييل عنوان فرعي – والعنوان بهذا المعنى يأتي باعتباره تساؤلاً يجيب عنه النص إجابة مؤقتة للمتلقي، كإمكانية الإضافة والتأويل.))[٢].

يعدّ العنوان الإشارة الأولية لدخول القارئ إلى قلب النص، بهذا المفهوم يمكننا الدخول إلى هذه العتبة الرئيسة في أيِّ نصٍ – شعرياً كان أم سردياً – إذ يعدّ بمثابة الاسم الذي يحدد هوية الشخصية ويميزها، فالعنوان هوية النص به يُسمى وبه يتميز

من غيره، ولا عجب إذا ما عدّه بارت بمثابة الرأس من الجسد للأهمية القصوى التي يحتلها ويجسدها، وتنبثق هذه الأهمية من أنه يشكّل العنصر الأهم من العناصر المشكلة للنص السردي.

يتصدر عنوان رواية " زمن الخيول البيضاء " الغلاف الخارجي تحت اسم المؤلف وبحجم الخط نفسه، مع اختلاف لون الخط، كما يأتي في الغلاف الداخلي/ الأول منفرداً وبشكل عمودي، خالٍ من أي تحديد أجناسي كما هو الحال في الغلاف الخارجي الذي حدد جنس النص بـ" رواية " قاطعاً بذلك التأويلات المحتملة لوضع النص في جنس أدبي آخر.

ويأتي في الغلاف الداخلي الثاني أيضا مع إضافة تصديرية من المؤلف، والعنوان الخارجي والداخلي المحدد بالأغلفة الداخلية يوضع تحت سلسلة روائية عُرِف بها المؤلف دون غيره ونعني بها سلسلة " الملهاة الفلسطينية " التي اصدر خلالها خمس روايات، هذه السلسلة التي ركزت على القضية الفلسطينية شكلاً ومضموناً، موقفاً وفكراً، وهو تحديد يمارس هيمنته في المشهد الثقافي الآني، يأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن القضية الفلسطينية على الرغم من تخاذل الكثيرين وتوانيهم عن القيام بهذه المهمة الجليلة.

من الناحية التركيبية يتضمن العنوان ثلاث مفردات ذات دلالة، زمن، الخيول والبيضاء. ومجموع هذه المفردات تشكل جملة اسمية تعرب خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره (هذا) أي: هذا زمن الخيول البيضاء، وهذا الحذف يحمل دلالة قصدية للمؤلف.

تأتي لفظة (زمن) نكرة، تخصص بإضافتها إلى الخيول، فيتحول الاسم من النكرة إلى المعرفة بفعل الإضافة، وهذه الإضافة مخصصة بالوصف، فالخيول توصف بالبياض، فيتحول (زمن) النكرة، إلى زمن الخيول البيضاء، معرفة.

ويستجيب اللفظ لمتطلبات التعريف بقصد إثارة جملة من التساؤلات التي يكيفها النص السردي وفق برامج محددة تسعى إلى أنسنة الخيول من خلال العلاقة الجدلية بين الإنسان والخيول.

إن الروائي غيرُ معني بتحديد العلاقة بين خالد والحمامة إلى جانب علاقته بحصانه/ ريح فحسب، فهو يشير إلى علاقة الآخرين، كلٌ بحصانه، هذه العلاقة الجدلية هي التي تشكل محور الحدث الروائي، وعليها تنهض بنية العنوان كعتبة روائية مهمة من العتبات الموجهة للنص، فهناك علاقة طارق بن محمد السعادات بحصانه/ فضة أو الحمامة، علاقة البرمكي بشداد، علاقة ريحانة بالأدهم، علاقة العزيزة بالجليلة، علاقة ناجي بالشهباء، علاقة نوح بالكحيلة، هذه العلاقات تحفز الفعل الروائي وتُفعّل منطق التواجد السردي للاثنين/ الإنسان والخيول في زمن الانحدار الفلسطيني وتخاذل جيش الإنقاذ في المهمة الملقاة على عاتقه ومن ثم سقوط الهادية/ الوجه المعبر عن سقوط فلسطين في يد المحتل.

أما العناوين الداخلية فتتحدد بتقسيم الرواية في بنائها الشكلي إلى ثلاثة أقسام، ولكلٍ قسم عنوان خاص به أطلق عليه اسم الكتاب، فالكتاب الأول يحمل عنوان الريح، والكتاب الثاني هو التراب، أما الأخير فيتضمن عنوان البشر.

إن نظرة فاحصة لهذه العناوين تكشف عن الدقة الأسلوبية والدلالية في اختيار عنوان الكتاب – العنوان الداخلي – فالتحديد الأسلوبي يوضح البنية الشكلية للنص الروائي برمته، وهو تحديد قائم على استقلالية كلٍ كتاب بما يتضمنه داخلياً مع التأكيد على تلاحم مضامين الكتب الثلاثة في القضية المطروحة أولا، وفي بنية الشخصيات التي تهيمن على النص الروائي ثانياً، وفي الأحداث المنسقة بدهشة ثالثاً.

أما من الناحية الدلالية فالروائي بهذه التحديدات إنما يشير إلى مقولة قديمة تصدرها في الغلاف الداخلي/ الثاني إذ يؤكد على أن الله(ﷻ) قد خلق الحصان من

الريح والإنسان من التراب، فأضاف إلى هذه المقولة قوله: إن البيوت قد خُلقَت من البشر، فوجود البيوت مرهون بوجود البشر، والبشر هم الذين يخلقون هذه البيوت ببنائها أولاً ثم توطينها ثانياً.

ينهض العنوان الداخلي من الناحية التركيبية على مفهوم اللفظة الواحدة، الريح، التراب، البشر، وقد جاءت كلُّها معرفة بأل التعريف المخصصة للجنسية، وتعرب كل واحدة منها على أنها مبتدأ، خبره محذوف تقديره النص الروائي المنضوي تحت كل عنوان.

لقد حاول نصرالله بهذا الفعل الأسلوبي إثارة جملة من التساؤلات القصدية التي يحاول الإجابة عنها جواباً نصياً يعتمد النص برمته، بأحداثه وشخوصه وأماكنه وأزمانه.

تتضمن الرواية مجموعة من الملاحظات أدرجها الروائي تحت هذا العنوان، وهذه الملاحظات هي من صنع الروائي نفسه، يتحدث فيه عن أسس الرواية الأولى وفكرتها، المادة الروائية التي جمعها من أفواه أشخاص معينين أو غير معينين التقى بهم خلال العشرين السنة الماضية من بدء هذا المشروع، هذه الأقوال أدرجها الروائي في المتن على شكل مذكرات أو شهادات تفصح عن الخطوات الأولى من سقوط فلسطين بيد اليهود، وكيف ساعدت الظروف المادية والبشرية العدو في الاستيلاء على هذا الجزء المهم من قلب الوطن العربي، بدءاً من الصراع الفلسطيني مع الأتراك ثم الانكليز واليهود.

كما أن الملاحظات تؤكد على أن الأسماء الواردة وكناها في المتن أسماء مرفوعة أينما وردت، وربَّما يعود هذا التحديد إلى التأكيد على فاعلية بعض الأسماء ودورها النضالي في الوقوف أمام الأعداء، والإشارات المبهمة التي يمكن أن تغلف الكثير من الأسماء.

تعد الهوامش من العتبات النصية المهمة التي أولاها السرديون اهتمامهم وراحوا يدرسونها على أنها إحدى المكملات الهامة للنص، وهي وإن كانت موجهات نصية خارجية إلا أن لها دورها في الكشف عن الغموض الذي يمكن أن يعتري النص في مكانٍ ما، ويأتي مكانها في نهاية الصفحة بعد أن يكون الروائي قد وضع رقماً خاصاً على الكلمة أو النص الذي يراد التوضيح به و((غالبا ما تلحق الهوامش بالنص الروائي في أسفل الصفحة تهميشا وتذييلا وإلحاقا لإضاءة المتن وتفسيره من جميع الجوانب– اللغوية والدلالية والتاريخية والمعرفية والاصطلاحية– وهي تشكل نصا مستقلا بذاته على الرغم من موقعه في هامش المتن. وغالبا ما يكون النص الروائي محاطا بسور فاصل بين نصين: نص أساسي ونص ملحق. فالأول يشكل مركزا بؤريا ونوويا، والثاني يمثل نصا محيطا يأخذ وجوده الحقيقي بوجود الأول. والعلاقة بينهما جدلية وإشعاعية تتمثل في الإضاءة التوضيحية والتفسيرية.))(٣)، وتعمل هذه الهوامش على التعريف بإحدى الشخصيات، كقول الراوي:

((– (ليس هنالك ماهو أدق من ذلك الوصف الذي قرأته عنه ذات يوم (الرجل الهادئ الرصين، الناعم الملمس والباسم الثغر والخبيء المكنون، الذي يعد كلماته كما لو انه ينقد قطعاً ذهبياً)، أكمل دراسته في الجامعات البريطانية، وحين عاد من هناك قرر أن يكون صناعياً، ولم يمض الكثير حتى غدا واحداً من الكبار في هذا المجال...))(٤).

وهو بصدد تعريف القراء بشخصية سليم بيك الهاشمي بوصفه شخصية حقيقية لها أثرها في الأحداث التي وقعت، وقد يفسر معلومة معينة أو يستوضحها، كما في قول الراوي:

((المعروف أن الثوار في فلسطين يلبسون على رؤوسهم العقال والكوفية، وذلك أساساً هو ما يُلبس على الرأس في القرى، فلم تجد السلطة ما تميز به الثوار في

المدن عن غيرهم إلا اعتبار كل لابس للعقال والكوفية ثائراً، فأذاعت الثورة بياناً تحض فيه على نزع الطربوش عن الرأس، وهو غطاء الرأس لدى جميع سكان المدن، وبذلك زال الفرق بين الثوار وغيرهم، وقد كتب كبار الموظفين وقضاة المحاكم والقائمقامون إلى السلطة إنهم لا يستطيعون الخروج من بيوتهم إلى أعمالهم ما لم يلبسوا العقال والكوفية (رمز الثورة) فأذنت لهم بذلك فلبسوها كما شوهد بريطانيون وصحفيون أجانب يلبسونها.))(٥).

وقد يأتي الهامش بقصد الاستشهاد بقصائد كتبها ادوارد بترسون، كقول الراوي:

((في تلك الليلة كتب بترسون: الرياح الرمادية تذري الكلمات البيضاء/ أين أنت؟ / الأفق قبعة مثقوبة ينهمر منها الخريف/ من أنت؟ / أسحابة صيف أم قمر مجنون؟ / أم موعد، تم تأكيده خمس مرات، مع لا أحد؟))(٦).

أو في تفسير معنى كلمة غامضة، كما في قوله عن تفسير كلمة (تَخ) بمعنى: وهن وتداعى(٧).

يقوم البناء السردي للرواية على ثلاثة أقسام هي: الريح/ التراب/ البشر.. وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة تتضمن عناوين داخلية، وكل عنوان له ارتباط بالمتن الذي يضمه، ويقوم البناء الروائي على بنى أسلوبية مختلفة.

تبرز جدلية الحضور والغياب من أكثر المتفاعلات النصية دلالةً على هذه البنية، فحضور الشخصية وغيابها في الآن ذاته في صيغ عدة تشير إلى حضور هذه البنية، فغياب الحمامة في رواية " زمن الخيول البيضاء " لا يستجيب لمتطلبات الغياب الفعلي، بل هو على النقيض من ذلك، إذ اثبت هذا الغياب حضوراً فاعلاً وقوياً في المشهد الروائي ولاسيّما فيما يخص الشخصية الرئيسة الحاج خالد، هذا الحضور الذي سيستمر مع وجود الحاج خالد على قيد الحياة، فإذا ما استشهد هذا

الأخير يتحول الحضور إلى دلالةِ غيابٍ قسري، فثمة رابط روحي بين الاثنين يتوضح من خلال المسار السردي للفعل الحكائي، وكأن الرواية بأكملها هي رواية هذه العلاقة، علاقة الإنسان بالحيوان/ الحاج خالد بالحصان، يقول الراوي:

((لو كان باستطاعة خالد أن يركض خلفهم لفعل، ولكن ساقيه لم تكونا له ذلك الفجر، كانتا للغياب الذي هبّ واختطف جسده كله، وتركه خيالاً لا غير، ريشة تعبث بها الريح أو قشة يلهو بها السيل.

أما الشيء الذي لم يكن يعرفه، فهو إن الحمامة التي لم تمنحه، ولو نظرة واحدة، قبل أن تمضي معهم للبعيد، كانت تشرع لأيامه القادمة كل الأبواب.))[٨]، ويقول أيضاً:

((رؤية الحمامة من جديد بعثت في البيت كثيراً من الأمل، وباتت منيرة على يقين بأن حضورها يعني أن غياب أولادها لن يطول...))[٩].

وتتخذ بنية التضاد في الأفكار دورها الهام في السرد الروائي، إذ كثيرا ما تلجأ الشخصية ولاسيّما الايجابية منها إلى أفكار في صالح الرأي العام ونجد هناك من يناقضه فكراً وموقفاً حتى تغدو هذه المناقضة سبباً في الصراع الذي يدور بين الشخصيات وهي تمارس دورها في السرد الروائي، ففكرة الرواية أساساً تقوم على الملاحقة الفعلية بين الهزيمة والانتصار.

يتجلى حضور الحاج قوياً بعد استشهاده/ غيابه الفعلي عن منطق الوجود في حياة الأبناء والأخوة ورجالات القرية وربّما حتى في حياة عدويه كما كان قوياً في حياته، ويتجلى حضور الحاج خالد موبخاً ومؤنّباً في ذاكرة الحاج سالم عندما تحكم المحكمة بعائدية الهادية إلى الدير وقد قرروا العودة إليها، يقول الراوي:

((– إلى أين ؟ جاء السؤال قاطعا ومؤنّباً.

التفت الحاج سالم إلى خلفه، كان يعرف أن الصوت هو صوت الحاج خالد.

– إلى الهادية ؟

– وما الذي يمكن أن تقوله لأمك، لعمتك الأنيسة، للعزيزة، لأهل البلد؟ لقد خسرت الهادية؟ ما الذي تفعله يا رجل؟ !))[١٠].

كما يتجلى بصورة واضحة في ذاكرة ناجي وهو يهم بالاحتفاظ بالحقيبة التي وجدها في الحمام:

((وضع ناجي المحفظة في جيبه وخرج، وعندما وصل الباب راودته نفسه الاحتفاظ بها. فتح المحفظة من جديد، دخل حماماً. كان الباب قطعة خيش، حدق في المبلغ. سمع صوتاً، وضع المحفظة في جيبه، أبعد قطعة الخيش، أطل ليرى من في الخارج، وفجأة جاءته الصفعة قوية، كان أبوه الحاج خالد هناك أمامه، وقبل أن ينطق أي كلمة كان أبوه قد اختفى.))[١١].

لقد عمل الوعي هنا على استحضار الحاج خالد بفعل الضغط النفسي الذي حرّض ناجي على ارتكاب السرقة، وهو إثمٌ لم تألفه هذه العائلة، فبمجرد ما تمَّ التفكير فيه حتى كانت نقطة ضعف هذه الشخصية – حضور الأب/ الحاج خالد على الرغم من غيابه – الحافز لاستعادة الوعي الغائب، وكانت الصفعة القوية التي نالها رمزاً لهذا الحضور الطاغي، وما كانت هذه الصفعة سوى تأنيب الضمير الحي ومعاقبة النفس على التفكير بمثل ما كان يفكر به ناجي في تلك اللحظة.

فالحاج خالد حاضر مع الشخصية بغيابه، بل هو الرقيب على الأفكار الداخلية التي يمكن أن تمس هذه العائلة، ومعاقبة فاعلها قبل الفعل إنما تشير إلى درجة التطهير النفسي التي تمارسها الشخصية مع ذاتها، وكأن ناجي بمجرد تفكيره بالسرقة قد أساء إلى ذكرى أبيه الغائب، فكانت الصفعة هي العقاب على ما اقترفه الوعي الباطن بفعل التفكير وإن لم يطبق، كما أن عودة الحاج سالم إلى القرية وقد ضاعت منهم إنما هو ارتداد إلى الماضي الذي استطاع فيه الحاج خالد الاحتفاظ

بالهادية على الرغم من كل الممارسات التي كانت يمارسها الآخرون أعداءً كانوا أو من ذوي النفوس الضعيفة الذين وضعوا أيديهم بأيدي الأعداء إشباعاً لرغباتهم الآنية في المنصب أو في المال، وتجليه له كان توبيخاً لهم على استسلامهم بهذه السهولة لسقوط القرية في براثن الدير...

هذا الحضور الطاغي لشخصية الحاج خالد على الرغم من غيابه هو الذي يشكل مسار السرد ويحدد أفعال الشخصيات، ولاسيّما أنه يمارس دور المطهر أو الضمير الحي في حياتهم وهو ما نراه ماثلاً في تبوئه هذه المكانة الهامة في حياته، وأثناء غيابه في حياة أبناء قريته ومع عدويه أيضاً، هذه المكانة التي دفعت شخصاً مثل ادوارد بترسون/ العدو الممض للحاج خالد أن يقول عنه بعد استشهاده:

((كان رجلاً شريفاً، من أين لي بعدو مثله بعد اليوم ؟!!))[١٢].

ويطلب من جنوده حفر قبر ليواري جثته فيه وأداء التحية العسكرية له بل إنه يرفض قبول التهنئة في موته.

تنطلق ثنائية الحياة والموت/ الوجه الآخر لرمزية الحضور والغياب، من جدلية فهم الإنسان عموماً والروائي على وجه التحديد لإشكالية الحياة والموت، كونهما فلسفة الإنسان المتحولة منذ الولادة وصولاً إلى نهاية الإنسان، أي إنها تؤسس رؤية خاصة إلى الحياة من جهة وإلى الموت من جهة أخرى كونهما طرفا النقيض والمرتبطان من دون فصل بينهما، فحيثما تنشأ الحياة فلابدَّ من موت، هذا الموت الذي نظر إليه الإنسان على ((انه أمر نقيضي أو أمر متناقضparadox. انه قوة تدميرية وإبداعية معاً. والإنسان يخاف الموت ويقلق منه، وهذا الخوف أو القلق يحرك كثيراً من سلوك الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر.))[١٣].

وعلى الرغم من أن هذه الفلسفة عقائدية إلا أنها تحولت في السنوات الأخيرة إلى ثيمة أساسية من ثيمات الفن الروائي ولاسيّما فلسفة الموت ((وقد طرح الروائيون

العرب قضية الموت في كتاباتهم من وجهات نظر متعددة ومتباينة، ورصدوا الآثار السلبية أو التدميرية التي تنتج عن وقوع هذه المأساة على الأحياء، وعلى الأمن الاجتماعي، والنفسي لأفراد المجتمع. ففي كثير من الروايات المعاصرة، جسّد الأدباء أسباب الموت ونتائجه من خلال مواجهة البطل الرواية، أو شخصيات أخرى ؛ هذه النهاية، وأبانوا عن مواقفهم تجاه هذا المصير))[١٤].

وإذا كان النقاد قد عدّوا الموت إشكالية فلسفية، خاض غمارها الكثير من الأدباء، شعراءً كانوا أم روائيين – إلا أنها فلسفة معقدة التركيب والدلالة ولاسيّما في الفن الروائي الذي استجاب لمتطلبات هذه الفكرة، التي برزت فيه بوضوح أكثر من الشعر، فموضوعة الموت ((كانت أكثر وضوحاً، وأكثر حدة، مما وجدنا في الشعر أو القصة، وذلك نظراً لاتساع المدرج الزمني الذي تتحرك في فضاءاته أجواء الرواية، وقد عقلن الروائيون المعاصرون موضوعة الموت في رواياتهم، أكثر من النظرة الشاعرية للموت عند الروائيين الرومانسيين، لأن الأحداث المحصورة التي شهدتها الساحتان الاجتماعية والسياسية في وطننا العربي كانت أشد وضوحاً، وفظاعة، مع الأخذ بعين التقدير التقدم التكنولوجي؛ من رؤية النصف الأول من قرننا العشرين هذا))[١٥].

السؤال الأكثر طرحاً في رواية " زمن الخيول البيضاء " ذلك الذي يطرق أبواب الموت سواء أكان من قريب أم بعيد، ويأخذ أشكالاً وصوراً عدة بين الموت قهراً أو قتلاً أو استشهاداً، وهذه الصورة الأخيرة هي أكثر ما تميز روايات هذا الكاتب؛ ذلك أن القضية الفلسطينية هي الشغل الشاغل له، ولا يمكن فصل هذا الموضوع عن هذه القضية فطريق التحرير هو طريق الشهداء والشهادة، وفلسطين بدون أبطال ومجاهدين يسقطون صرعى في مواجهة العدو لا يمكن لها أن تحرر.

((كانت تلك السنة هي سنة الموت، وقد صدف أن فقدوا الكثيرين، وكان على كل فتاة وامرأة عمرها اثنتا عشرة فأكثر، يموت قريب لها، أن تبقى في ثوبها الذي كانت ترتديه عندما جاءها الخبر، أربعين يوماً، بعدها تخلعه وتستحم وتلبس الثياب السوداء، كانت كل العائلات ترتدي السواد، وجاء العيد، فرأى الحاج سالم النساء في السواد، فراح يصرخ: والله اللي ما بتشلح الأسود اللي لابسته لأكسر رجليها. فشلحن الأسود كله، ووضع عليه الكاز واحرقه.))[١٦].

لقد تفاوتت نظرة الروائيين إلى موضوعة الموت حسب توجهاتهم النفسية ((فمنهم من أوغل في أعماق العاطفة، ومنهم من قارب ضفاف الإيمان، ومنهم من" عقلن" الموضوعة وقدمها بإطار مجرد من مفهوماته العاطفية، ومحيطاته الزمانية والمكانية، ومنهم من زاوج بين الدلالات والمفهومات، ومنهم من وزعها على المجموع، ومنهم من خصها بالفرد، ومنهم من رثى المكان من خلال الإحساس الفجائعي بالزمان، فبكى المجتمع منطلقا من موت الواحد الفرد، الذي يمثل العضو الأهم في الجسم الجسمي، ومنهم من علا نحيبه، واشتد نواحه جرّاء قسوة المجتمع تجاه إماتة الفرد معنوياً، أو طبيعياً، " قتل الطبيعة "، أو زمنيا " قتل الزمن"، أو جسدياً نتيجة لخطأ طبي، أو قانوني، أو سلوكي..الخ.))[١٧].

لقد قُتِل الحاج محمود، ومات الهبَّاب موتاً رمزياً بعد أن هزمه البدوي/ خالد، واختار لنفسه ميتةً من نوعٍ خاص، على الرغم من أن الراوي يوحي بأنه لم يمت، وأن الذي دُفن شخصٌ آخر غيره، وانه سيعود ويُطلّق زوجته صبيحة التي اتفق معها، مات الشيخ ناصر العلي، قُتِل عبد المجيد زوج العزيزة وقد قتلته بعد أن أُعدم شقيقيها بوشاية منه، كما أُعدم ابنيها، قُتِل ادوارد بترسون على يد خالد ابن ريحانة الأدهم بعد استشهاد الحاج خالد، قُتِل الكثير من أهل الهادية أطفالاً ورجالاً وسواهم وكأن هذا

الموت _ قتلاً على الأغلب _ هو المفتاح الذي سيفتح الأبواب أمام اليهود الدخول إلى الهادية التي عصت عليهم بفعل المقاومة التي أبداها أبناؤها ورجالاتها ونساؤها.

ومن البنى الأسلوبية بنية الاختلاف وتبرز في:

١- اختلاف الأفكار أو وجهات النظر:

بعد أن نشب بين الحاج خالد وبين نوح ذلك الصراع أدى في النهاية إلى مصالحة روحية بحيث غدا نوح صهراً للحاج خالد، لقد أوضح الحاج خالد أساس الفكرة التي طرحها نوح يقول:

((ثم عاد صوت الحاج خالد من جديد: هل تذكر يا نوح ذلك اليوم الذي أتيت فيه بعد خطبتك لفاطمة، قلت لي: إنك قد هزمت في معركتك من أجل بقراتك، وقلت لك: لا لم تنهزم، لأنك حين هجمت لم تكن تريد أن تنتصر، كنت تريد استرجاع حقك. الشيء الوحيد الذي لم يخطر ببالي في أي يومٍ من الأيام، إنني ذاهب لألحق الهزيمة بأحد، كنت مثلك ذاهباً لأحمي حقي. وأنا الآن لا أريد التسلل هارباً، ولا أريد أن أقول لهم أكثر من هذا: لست هنا لأنتصر، أنا هنا لأحمي حقي.))[١٨].

فأساس الفكرة التي يؤمن بها الحاج خالد تكمن في أن الإنسان مطالب بالدفاع عن حقه واسترداده وحمايته، لذا عليه أن يقاتل مغتصبي هذا الحق، لم يؤمن يوماً بأنه ذاهب لينتصر أو ليهزم أعداءه، من هنا اختلفت الفكرة التي طرحها الراوي، بين شخصيتين كانتا متناقضتين فكراً لا موقفاً فالموقف واحد، باختلاف الفكرة المطروحة.

٢- اختلاف المواقف:

يعكس هذا المحور نظرة تختلف عن سابقتها، إذ يختلف الموقف عند ادوارد بترسون بين القتل واللاقتل، فهو ينسف بيت الحاج خالد، ويمنع أهلها من إخراج

الحاجيات والأشياء الضرورية، إلا أن الأمر يختلف فيما يخص الخيول إذ يسمح بإخراجها بل ويمنع الآخرين من إيذاءها:

((بعد ساعة من دخوله القرية أمر بترسون بتلغيم دار الحاج خالد ونسفها، وحين حاول الناس إخراج بعض الأشياء الضرورية من داخل البيت، أطلق بترسون نار مسدسه في الهواء محذراً.

- نخرج الخيول على الأقل.
- الخيول فقط !

كانت نقطة ضعف بترسون هي الحصان العربي الذي وجد فيه أجمل مخلوقات الله. وقد وصل به الأمر أن قال ذات يوم: الشيء الوحيد الذي يجعل الحياة محتملة هنا هي وجود هذه الحيوانات الساحرة: الخيول.))(١٩).

وعندما يقتل الحاج خالد يحزن لأجله ويرفض قبول التهنئة في موته بل انه يأمر جنوده بحفر قبر له، وأداء التحية العسكرية له، فهو رجل شريف وإن كان العداء بينهما واضحاً حتى بعد موت الحاج خالد واستشهاده(٢٠)، وأكثر ما يبرز هذا العداء في رفضه وتشاؤمه من سماع اسم خالد، وسيُقتل فيما بعد على يد خالد ابن ريحانة الأدهم والتي أسمته بهذا الاسم تيمناً باسم الحاج خالد.

٣- اختلاف الأصوات:

نقف عند ما سمي عند السرديين بتعدد الرواة، أو تعدد الأصوات حيث ينبثق أكثر من صوت في لحظة السرد، ويتأتى الاختلاف حالماً يعلن كل صوت في الدفاع عن أنموذجه أو فكرته المطروحة، أي أن ظهور هذه الأصوات في حوار متبادل لا اختلاف فيه لا يدخل في هذا النطاق السردي، فتمايز الأصوات واختلافها في الآراء والأفكار هي التي تشكل محور الاختلاف، يقول الراوي:

((– ستضطرون لبيع البلد إذا ما أعادها لكم لكي تدفعوا أجرته. قال البرمكي.

- نهر الكلام الذي سيتدفق من فمه، يحتاج إلى نهر مال، وحسب علمي لا نهر مثل هذا في الهادية. قال الختيار أبو سنبل.
- لقد كنت معنا وسمعت بأذنيك كل كلمة قالها ولم تعترض. قال الحاج سالم.
- لأنني كنت مجنوناً مثلكم ! من يوافق على شرط كهذا ؟!
- أنت. ألم توافق ؟ سأله محمد شحادة.
- إذا انجن قومك لن ينفعك عقلك !!كان لابدّ من أن أجن معكم.
- يا جماعة، كل شيء سيكون أرحم من أن تؤخذ الهادية من بين أيدينا وأمام أعيننا ظلماً. تذكروا إذا انتصر الدير فلن تجدوا لكم مكاناً تعيشون على أرضه باحترام أو تموتون وتدفنون فيه باحترام. وأضاف ما رأيك يا محمود ؟
- لا أعرف، دائما هناك مفاجآت!
- لكني أسألك لكي نعرف، فالشيء الوحيد الذي لم نعد نحتمله هو المفاجآت!!))(٢١).

يقوم الحوار على تداخل الأصوات، فهناك أكثر من صوت سردي يبرز قوياً وطاغياً في الفكرة التي اختلفوا عليها والموقف الذي وجدوا فيه أنفسهم، فكرة قبول الحاج سالم بشرط المحامي نعمان المرزوقي على أن يعيد إليهم الهادية التي تمت إعادة ملكيتها إلى الدير في الجلسة السابقة، فهناك صوت الحاج سالم، البرمكي، الختيار أبو سنبل، محمد شحادة وصوت محمود، هذا الاختلاف في الموقف ناجم من أنهم لا يملكون المال الكافي الذي طلبه المحامي لاسترداد الهادية/ البرمكي، الختيار أبو سنبل، فيما ينظر الآخران/ الحاج سالم ومحمد شحادة، إن كل شيء سيكون ارحم من سقوط الهادية وطرد أهلها منها.

تقوم الرواية على فكرة الصراع بين القيم المتضادة: الخير والشر، البطولة والجبن، الانتصار والهزيمة وغيرها مما يشكل في حد ذاتها صراع الإنسان من أجل الحياة ومقاومة كل ما من شأنه أن يحيلها على عدم، وهذا الصراع يستوجب نوعاً من

المواجهة بين طرفي النقيض، وقد تأتي هذه المواجهة إما بالكلام أو بالقوة أو بفعل السلاح كما هو الشأن في الصراع العربي/ الإسرائيلي أو العربي مع عدوه الغربي بمختلف أشكاله وصنوفه، ففي "زمن الخيول البيضاء" تبرز المواجهة في الفعل السردي الذي يقوم به الحاج خالد مع الآخر/ الانكليزي، وكان قبل ذلك في مواجهته مع الأتراك، وقد برزت هذه المواجهة بصورة واضحة في وقوفه بوجه العديد ممن حاولوا النيل منه، وفي مواجهة أبناء الهادية لليهود بعد إعلان الهدنة بين الطرفين وخداع اليهود لأبناء الهادية والهجوم عليهم ليلاً وهم نيام، يقول الراوي:

((تذكر الهبَّاب ذلك اليوم الذي غاص فيه السيف عابراً لحمه، تذكر كيف كان على وشك أن يصيح، لكنه صبر وفاز بكل شيء، بحياته وسلطته وبهيبته وباسمه الذي يهز الجهات. لكن الأمر لا يسير كما يشتهي الآن، حتى وهو يشتري نفسه، بألف أخرى دفعةً واحدة. وأوشك أن يصيح: وفوقها ألفان.

...

ظلَّ البدوي مطبقاً بيده، إلى أن تأكد له، إن هزيمة غريمه قد وصلت مداها.

حاول الهبَّاب الوصول بيده اليمنى لمسدسه، وهو يحدق في ظهر البدوي المكشوف، لكن ذلك كان مستحيلاً، حاول بيده اليسرى، وعندها سمع زمجرة الناس الذين تقدموا نحوه منذرين.

أي حركة منه كانت تعني موته.))(٢٢).

في هذا المشهد الروائي يكشف الراوي عن المواجهة الحادة التي تمّت بين الهبَّاب وذلك البدوي الذي ظهر له فجأة وهو على ظهر المهرة الحمراء وقد رفض هذا الأخير بيعها للهبَّاب بأيِّ سعرٍ كان، حتى وصلت المواجهة بينهما إلى التلامس بالأيدي، إلا أن البدوي استطاع أن يهزمه، ويجلله بالعار وسط السوق، بعد أن كان هو الوحيد المسيطر، الآمر الناهي، ليس باستطاعة أحد فعل شيء سوى الرضوخ لما

يريده، وما البدوي ذاك إلا خالد الذي كشف عن وجهه بعد أن وصل الحاج محمود واحتضنه وأبعد الغطاء عن وجهه وقد تدافع الآخرون لاحتضانه.

تنهض الرواية على نوعين من الشخصيات/ الفواعل، رئيسة وهما: الحاج خالد والحصان/ الحمامة، وثانوية وهي أكثر من أن تحصى في عملٍ روائي يتجاوز الخمسمائة صفحة، وهذه الشخصيات نفسها تنقسم إلى شخصيات فاعلة مكملة ومساعدة للشخصيات الرئيسة، وأخرى هامشية لا دور أساس لها في النص...

والرواية في قسميها الأولين ترتكز على الشخصية الرئيسة/ الحاج خالد وما تمارسه من فعلٍ روائي، تترك أثرها كاملاً في المتلقي، وبغيابه يتخلخل السرد ويضعف ولعلنا نجد هذا الأثر واضحاً في تدفق السرد وجريانه حتى إذا ماغاب الحاج خالد عن الحدث الروائي بفعل الاستشهاد ضعف السرد وبطيء، بل أن وجود هذه الشخصية في النص الروائي كان يمنح الحدث امتيازاً سردياً، وتمنح الشخصيات الأخرى قوة الوقوف أمام العدو، وبغيابه عن الفعل السردي، تغيب هذه القوة... وكأننا أمام شخصية أسطورية تنهل منهما الشخصيات الأخرى قوة وجودها في الكون الروائي.

تستأثر شخصية خالد/ الحاج خالد بمساحة وفيرة في السرد الروائي حضوراً وغياباً، فالحضور هنا هو السمة البارزة لهذه الشخصية حتى بعد استشهاده وغيابه عن الوجود الفعلي/ السردي في الرواية، وما غيابه إلا وجه آخر من وجوه حضوره الرمزي.

فإذا كان حضور الحاج خالد في الرواية ذا دلالة تحفيزية، فإن غيابه عن الوجود السردي يمثل دلالة تطهيرية/ تأنيبية، بمعنى أنها تعمل على تطهير ذوات الشخصيات الأخرى التي تفكر في ارتكاب المعاصي.

أولى الروائي هذه الشخصية اهتمامه الكبير، فسعى إلى توضيح أفعالها ومقاربة أفكارها مع التركيز على ملامحها الخارجية، فلم يترك صغيرة أو كبيرة تخص

هذه الشخصية إلا وذكرها، مع الاهتمام بماضيها وحاضرها ومستقبلها الذي يأتي على شكل تنبؤات أو أحلام، ويولي الروائي العلاقة القائمة بين هاتين الشخصيتين الرئيسيتين/ الحاج خالد والحمامة أهمية استثنائية، وكأن الرواية بمجملها تقوم على حكاية هذه العلاقة الثنائية/ الروحية، يقول الراوي وهو يوضح هذه العلاقة الشائكة بين الإنسان والحصان:

((ذات ليلة ألقى بسرج الحمامة بعيداً، وقد أحس أن لاشيء يجب أن يفصله عنها، هبط السفح، وصل إلى طرف السهل بعيد عن بيوت القرية، نزع ثيابه، طواها بعناية، وضعها تحت جذع زيتونة، وقفز فوق ظهر الحمامة.

ليلة بأكملها انطلقا معا، لم يتوقفا فيها لحظة، حتى أحس بأن ثمة أجنحة قد نبتت لها، وأنهما يحلقان في السماء؛ لاحت له الخيوط الأولى من الفجر، انتبه، ولكنه لم يعد يحس بجسده، لم يعد قادراً على معرفة حدود أعضائه، كانا ملتصقين بعرقهما، كما لو أنهما ولدا كذلك منذ الأزل، وأدرك أنه وصل إلى ذلك الحد الذي أحس معه أن جسده قد تسرب واستقر عميقا فيها، كما تسرب جسدها واستقر عميقا فيه. عاد إلى جذع الزيتونة، حيث ترك ثيابه، فأحس بأن عليه أن يبذل الكثير كي يستطيع الانفصال عنها. هبط أخيراً. ارتدى ملابسه، كان هنالك شيء غريب يملؤه، شيء لا يوصف. وحين راح يخطو خطواته بجانبها، لاحظ مشيته، فأدرك انه قد تحول إلى حصان.))[٢٣].

والراوي في سرده الروائي لا ينسى وصف الحصان و إطلاق اسم ما عليه، يقول:

((حين جاؤوا بالناقة، أدرك خالد أنهم جاؤوه بأفضل ناقة لديهم، كانت بلونها السكري وشعرها الناعم القصير، وقامتها العالية وعنقها الطويل الذي ينتهي برأس صغير تضيئه عينان لامعتان تسلبان العقل بصفائهما.

- هذه سَمحة. لا أريد أن أوصيك بها.))[٢٤].

إن المتتبع لشخصيات الرواية/ الرئيسة والثانوية سيجد ثمة تناقضاً بينها، إذ ((تختلط الشخصيات النبيلة فيها بنقيضها، كما تختلط قيم الخير والجمال بقيم السلب والانتهاك والأنانية. ومن اللافت للنظر إن الروائي لا يقدم هذا الواقع على نحو مباشر، بل على نحو يستدعي التأمل في بنى الشخصيات وحركية الأحداث، ومن ثم إعادة صوغ ذلك وفق رؤية القارئ ومخزونه المعرفي، وبهذا المعنى، فإن استكناه هذا الواقع يتطلب الغوص على كل مفردة في النص، والوعي بظلال الكلمات وليس بالكلمات نفسها، بسبب رهافة اللغة ومنظومة السرد المركبة التي ينتجها الروائي ويحاول من خلالهما بناء متخيله السردي والفضاءات التي تتحرك فيها الشخصيات والأحداث معا.))[٢٥].

يصف الراوي خالد بقوله:

((... حاولت أن تصل إلى أعلى امتداد ذراعه، لم تستطع، اختطفت الصحون المحشورة مابين يده اليسرى وخاصرته، تراجعت فرحة بما بين يديها، قالت لزوجها: ثم من أين لهم بعريس لابنتهم بهذا الطول؟!

صامتاً ظلَّ الحاج محمود. أضافت: والشقار، والعيون الخضر!!))[٢٦].

ويصفه أيضاً بقوله:

((لم يعد خالد يتكلم سوى أقل الكلام، وغالباً ما يكون ذلك مع أمه، كان يدرك أن صمته أمامها يعني لها أمراً واحداً: موتها. موتها في الحياة.

ذبُل، بدت قامته أقصر، اختفى ذلك البريق العشبي من عينيه، وبدا صدره أضيق بكثير وكتفاه، وانكمش وجهه المستدير وانطفأ كسحابة صيف، إلى ذلك الحد الذي دفع منيرة لأن تخرج الصحون ثانية وتحملها إلى أي مكان تتوقع أن يجلس فيه. حالمة بذلك اليوم الذي تسمع فيه تناثر حطام أغلى ممتلكاتها.

رجلاً ملتفاً على نفسه كان، رجلاً مجدولاً يحاول منع أي صوت للألم الذي يعتصره من الوصول للخارج.))(٢٧).

هذا التبديل الوصفي إنما يعتمد على التبادل الحاصل في موقف هذه الشخصية وتصرفاتها، فخالد بعد موت زوجته الأولى/ أمل، انطوى على نفسه، وغادر حياته القديمة التي كان يألفها، ولاسيّما أن الحمامة – هي الأخرى – قد غابت عنه، فأصحاب الحمامة استدلوا على مكانها وأخذوها معهم.

إن جميع الشخصيات تدور في فلكٍ سردي متناقض تختلط فيه قيم الخير والشر، فإلى جانب الشخصيات الخيرة/ أبناء قرية الهادية بدون استثناء وشيوخ القرى الأخرى ورجالاتها، هناك شخصيات انتهازية تبحث عن مصالحها الآنية على حساب الآخرين، حتى ولو كان على حساب الوطن، والراوي لا يقدم هذه الشخصيات كما هي في الواقع بل حسبّما تمليه عليه رؤيته السردية ومتخيله السردي، فالهبَّاب إحدى هذه الشخصيات التي تناقض الواقع المشحون بالتوتر، تبحث عن مصالحها الآنية، وهي صيغة مستجدة بمعنى أنها من صنع الأخر/ الأتراك الذي استطاع تطويعه وفق رغباته ومصالحه غير المشروعة في وطن ليس بوطنه، فالراوي في وصفه وتقديمه يعمل على التمهيد للأحداث التي سيكون أحد أبطالها فيما بعد حتى بعد موته المزعوم(٢٨).

إن النص يوضح المفتاح السردي الذي شرع في فتح الأبواب المعرفية لمعرفة النقطة التي انطلق منها الهبَّاب بوصفه شخصية انتهازية شقَّ طريقه عبر الشرعية السلطوية التي مُنحت إليه من قبل الأتراك ليكون اليد الطولى التي تبطش بالناس، وتستغلهم بفعل الحاجة، هذا الوصف الاستهلالي للشخصية يكشف عن أفعال وممارسات الشخصية ثم المصير الذي ستؤول إليه على أثر الهزائم التي سيمنى بها على يد الحاج خالد من جهة، وزوجته ريحانة وحصانها الأدهم من جهة أخرى.

إلى جانب هذه الشخصية يصف الراوي الكثير من الشخصيات، وصفاً قد يكون طويلاً دقيقاً، وقد يكون قصيراً، مركزاً، إلا انه لا يهمل شخصية يرى أن الوصف قد يدعم السرد في بنائه للرواية، بمعنى أن الوصف هنا يأتي في خدمة النص الروائي إلى جانب السرد والحوار، فهو يصف البرمكي/ ياسمين/ يصف ريحانة بقوله:

((جميلة كما لو أنها لم تطأ تراباً، كما لو أنها ليست من تراب، انفها المستدق، وجهها المشدود الذي يزداد جمالاً بانخفاضين مابين فكيها وخديها، عنقها الطويل، المسافة العظيمة مابين كتفيها وأذنيها، شفتاها الممتلئتان اللتان تنتهيان بنقطتين غامضتين شهيتين، أسنانها البيضاء القوية وجبينها الصافي كالماء.))(٢٩).

هذا الوصف البارز الذي سيكون سبباً في استيلاء الهبَّاب عليها بعد قتله لزوجها، ومن ثم سيكون سببا في مقتله – في جانب منها – بسببها وبسبب حصانها الأدهم، كما يصف الراوي حمدان/ و محمود ابن الحاج خالد/ وعفاف/ والهاشمي/ والأنيسة/ ومنولي...

يتم وصف الشخصيات من منظور الراوي كلي العلم، كما يتم وصفها من منظور شخصية أخرى كما في وصف منيرة لابنها خالد، ووصف فاطمة ابنة الحاج خالد لأبيها.

كما تنهض بنية الخطاب الروائي على خلخلة الزمن وترتيبه السردي، ويتدرج بين تقانتي الاسترجاع والاستباق، كما تقوم الرواية على بنية القطع والحذف والمشهد وكلها تعمل إما على تسريع الزمن أو تبطأته، إلا أننا سنركز على الاستباق والاسترجاع لحضورهما الطاغي في النص الروائي ((وغالبا ما يتم تزمين الخطاب من خلال تقنيتين: "الاسترجاع"، و"الاستباق" اللتين تحاولان انتهاك خطية زمن القصة وتراتبيته المهيمنة وكونه مادة خاما، لتنتجا زمن الرواية الخاص بها))(٣٠).

المعلوم إن تقانة الاسترجاع تعتمد على فعل الذاكرة والياتها، فالاسترجاع بأبسط مفهوم هو الارتداد إلى الماضي أو العودة إليه في لحظة توقف سردي يقطع سرد الحدث ليعود السارد بذاكرته إلى ما اختزنه من الماضي في صورة أقوال أو أفعال، كما نلاحظ ذلك في الصيغ الروائية التي تجسد ذلك بكل وضوح في قول الراوي:

((أحبها ذات موسم غادروا فيه الهادية إلى القدس..))، ((ذات يوم قال خالد لأبيه)) و((تتذكر منيرة تلك الأيام البعيدة حينما وصلت لهذا البيت...))، ((لكنها لم تزل تتذكر بفخر...)) و((فحين ولد ابنه، وهو الأول، كان خارج القرية...))، ((ذات يوم راح يصرخ...))، ((لم تخرج من بيتنا سوى مرتين، مرة حين سرقها لصوص منذ زمن طويل...))، ((ذات يوم (حالت) فرس...))، ((ومنذ اليوم الأول الذي رآها فيه...))، ((في قاع ذلك الوادي..))، ((ذات يوم خرج خالد بقطيع الأبقار نحو السهول...))، ((يذكر الحاج محمود ذلك اليوم البعيد...))، ((لم تكن ريحانة قد رأته من قبل...))، ((تسألني: ولكن كيف مات؟))، ((باستثناء ذلك اليوم المشؤوم..))، ((كانت الأنيسة أسوأ نساء الهادية حظاً...))، ((كانت الهادية لم تزل تتندر بحكاية زواج البرمكي...))، ((كان ناجي يعرف إن القرية لم تكن تملك قبل افتتاح المقهيين...))، ((منذ سنوات بعيدة رأت سمية هذا النوع في القدس...))، ((كان والدي رحمه الله يردد دائما...))، ((كان يوما ماطرا. اذكره تماما...))، ((منذ استشهاد الحاج خالد أصبح كريم أكثر إحساساً بالخزي...))، ((المرة الأولى التي التقى فيها ليلى كانت لا تنسى)).))[٣١]، يقول الراوي:

((- قال لي المرحوم أبي ذات يوم، كان أبو سليم واحداً من أكثر التجار احتراما، يأخذون منه حاجاتهم من كل شيء، وفي موسم جني المحصول، يأتي ليأخذ

قمحاً وشعيراً وسمسماً مقابل ما أخذوه. لم يختلفوا معه، كان سعر الحبوب معروفاً كسعر الطوابع في هذه الأيام!!))[٣٢].

أما الاستباق فلم يكن اقل حظاً، ونذكره منه:

((..((أو لم يحدث له ذلك؟!!))، ((فمرارة الغياب الخاطف الذي هب وباغته لم تزل تحيره، كيف انسلت من بين يديه ؟ كيف اختطفها الموت وهو متشبث بها؟))، ((الشيء الذي يمكن أن نعدكم به هو أننا سنكون أخف من النسمة))، ((لكن فرحتهم لم تعش طويلاً...))، ((لذلك سيبقى لنا شيء منها مهما ابتعدت))، ((أما الشيء الذي لم يكن يعرفه، فهو إن الحمامة التي لم تمنحه، ولو نظرة واحدة، قبل أن تمضي معهم للبعيد، كانت تشرع لأيامه القادمة كل الأبواب.))، ((هو أن وصول الحمامة كان بمثابة السطر الأول في حياة خالد الجديدة))، ((حين أحست إن مصيبتها هنالك أمامها تنتظر))، ((أن يصل بحصانه الجديد (شداد) إلى الحمامة، معناه أن يحوز شهادة سيمضي فخورا بها...))، ((إن الزمن سيقدم له هدية ماكان يحلم بها من قبل!))، ((هذا الذي نشر وسينشر الأسى في قلبه إلى الأبد..))، ((أما الشيء الذي لم يتصوره احد فهو إن الحمامة بنفسها، ستمضي لتفتح له ذلك المغلق...))، ((...وحتى بعد ثلاثين سنة، حين سيستعيد تلك اللحظة، فانه سيظل عاجزا عن تفسير إحساسه...))، ((تلك الموسيقى التي سيظل يستعيدها؛...))، ((سرّان دفينان سيمضيان بالهبَّاب إلى نهاية غير متوقعة...))، ((ولم يعد من الصعب أن تقع صبية ما في حبه...))، ((لكن ذلك لن يدوم طويلا.))، ((لا أظن أن الأيام المقبلة ستكون لنا...))، ((وستثبت له الأيام ذلك))، ((ثمة شيء ظلَّ غريباً فيه، سيعيش معه حتى ذلك اليوم...))، ((لكن زمنا طويلا سيمر، قبل أن يعرف السبب.))، ((وسيندم على هذا كثيراً.))، ((وسينتهي كل شيء بطريقة لم يتصورها أحد..))، ((التفت الشاويش ذو الوجه الأحمر المكسو بالنمش إلى رفاقه وقال: ليرحمه الله.

- بترسون ؟ سألوا.
- بل الطيري.)).

((كانت تلك هي أول مرة يلتقون بها المرزوقي، لكنها لن تكون الأخيرة، لأن المفاجأة التي تنتظرهم في المستقبل تفوق الوصف.))، ((وسيمضي زمن طويل قبل أن تتضح حقيقة ما جرى.))[٣٣].

إن هذا الكم الهائل من الاستباقات إنما لها دلالاتها الفكرية والنفسية التي أرادها الروائي وهو يصوغ محكيه، هذا الاستباق الدال على حدث لاحق للحظة السرد يتم تفعيله في السياق السردي كومضة خاطفة يتم ذكرها ثم يشرع الراوي فيما بعد بإلقاء الحدث التي سبق وأن تمت الإشارة إليه، كقول الراوي:

((لم تعرف العزيزة بماذا تجيب، لكن سمية فاجأتها: لقد جئت وكلي أمل أن أرى خالد.

هكذا باحت الصبية بكل ما فيها دفعة واحدة، إلا أن ذلك أربك العزيزة أكثر.

- ولكن له خطيبة وسيتزوج قريباً.
- لا، لن يتزوجها! سيتزوجني أنا! قالت بأسى وتصميم واضحين...))[٣٤].

هذا الحوار الذي يدور بين سمية والعزيزة يكشف عن استباق سردي يوجه البنية السردية إلى وجهة أخرى، فالحدث هنا سابق لأوانه، وسيأتي الحدث اللاحق الذي يضع هذا التنبؤ أو الاكتشاف المسبق موضع التنفيذ حينما يتزوج خالد سمية وينجب منها أطفالا، دلالة على تحقق النبوءة الأنثوية التي أعلنها السياق السردي، فيكشف الراوي عن الحدث التالي أو اللاحق لهذا الاستباق[٣٥].

ومن الأساليب الأخرى التي يتم التركيز عليها، والتي تعد من ابرز سمات تقانة الاستباق، اتكاء النص السردي على تقانة الحلم؛ ذلك آن الحلم تعبير سردي سابق للحدث الذي سيأتي فيما بعد، أي انه ينهض داخل السرد بمهمة التمهيد

لأحداث تالية، أو الكشف عنها، وقد يأتي الحدث ثم يعلن الراوي أن ما تمّ سرده لم يكن إلا حلماً، كالذي حدث مع البرمكي وحادثة اعتداء حصانه (شداد) على الحمامة وما ستجر هذه الحادثة من ويلات يقول الراوي:

((أما البرمكي نفسه، فما أن سمع به حتى انتفض فجأة، واستيقظ فزعاً تحت شجرة التين التي كانت تظلله. وحمد الله أن ما رآه لم يكن سوى حلم!!))[٣٦].

((أما خالد، فقد أحس بأنه كان أهلاً لحمل الأمانة حينما أعطى الحمامة كل اهتمامه. وعادت له ذكرى ذلك الحلم الذي لم يقله لأحد، حين رأى نفسه في المنام يحمل الحمامة بين يديه، ويصيح بفرح: عسل للبيع، ورد للبيع. لكن شيئاً ما هز طراوة وشفافية حلمه فاستيقظ مذعورا.

كانت المرة الوحيدة التي يحس فيها بهذا، أن ينهض فزعاً بسبب حلم جميل، فكر أن يذهب للشيخ حسني ويسأله تفسيراً، أن يسأل عمته الأنيسة، أن..

لكنه ظل مذعوراً.))[٣٧].

وهناك حلم خالد يكشف في جانب منه عن ضياعه لياسمين على اثر مطاردته من قبل الأتراك[٣٨]، وحلم فاطمة ابنة الحاج خالد الذي أصبح كابوساً تستيقظ منه فزعاً كل يوم[٣٩]، كما انه إشارة إلى حدث سابق رأته عمتها العزيزة[٤٠]. فضلاً على أحلام اليقظة التي يتجلى فيها الحاج خالد بشكل واضح كما في حلم الحاج سالم وناجي ابن الحاج خالد[٤١].

تنطلق الرواية العربية أساساً من اختلاف في فضاءاتها السردية بين أماكن مألوفة، أليفة، مفتوحة، وأماكن غير مألوفة، معادية ومغلقة، وهي تكوِّن بمجموعها ما أُطلِق عليها بالمتقاطبات أو الثنائيات، فكل مكان يشكل في حد ذاته موضع استقرار شخصية ما فيه، يندمج ويحس بانتمائه إليه، وفي الطرف النقيض نجد عداءً واضحاً لمكان ما، كالسجون والمنافي والسراديب والأقبية، وبالتالي فمثل هذا التناقض المكاني

الذي يسردن الفعل الروائي ينتج تناقضاً واضحاً في الأفكار والمشاعر تجاه مكان معين، يقول الراوي:

((وعندما سألهم الحاج محمود: ولماذا الهادية بالذات؟ قال رئيسهم: وهل تعتقد أنها سميت باسمها

صدفة؟! وأشار للسهل الممتد حتى حدود السماء، وقال: في مكان كهذا، وصفاء كهذا، وامتداد لا يعيق البصر والبصيرة، يمكن أن يكون المرء أكثر قرباً إلى الله.

فتمتم الحاج محمود: لا اله إلا الله.))[٤٢].

إن نظرة فاحصة للفضاء المكاني الذي يدور فيه الحدث كفيل بالوقوف على الكم الهائل من الأماكن التي لها أثرها في الحدث، فالفضاء المكاني يتفاوت بين: القرى والمدن، السهول والجبال والوديان والبحار، البيوت والمضافات، الشوارع والمحاكم والدوائر والثكنات العسكرية والأبراج والكنائس، فضلا على أماكن متنقلة كالسيارات والطائرات والدبابات وغيرها الكثير مما يمكن أن يحصى.

إن هذا التفاوت خليق أن يضفي مصداقية سردية على الفعل الروائي، ولاسيّما أن مجموع تشكل هذه الأماكن كلها يكون مكاناً واحداً هو فلسطين، الفضاء المكاني الأرحب والأوسع، والامتداد الشاسع الذي يغلف النص الروائي بحثاً عن القضية المطروحة، قضية السقوط التدريجي لفلسطين في أيدي الأعداء، ابتداءً من العمالة التي كانت تسكن نفوس البعض منهم، وممن سيمهدون الدرب بأطماعهم لدخول العدو وبناء معسكراتهم في القرى، وصولاً إلى المرحلة الأخيرة التي سيتم ترحيل الأهالي عن قراهم إلى ملاجئ ومخيمات لتصبح المدن والقرى التي سكنوها أباً عن جد، والتي حكمت لهم المحكمة بأحقيتهم فيها، ملكاً مشاعاً للعدو، يقتل فيها من يشاء ويتصرف كيفما يشاء..

انطلق المشروع الروائي باستهلال وصفي للمكان، تحديداً، من المضافة والديوان، بوصفهما المكان الدال على اجتماع رجالات القرية والتقائهم بالآخرين القادمين من خارج القرية ضيوفاً أولاً، وبوصفها المكان الذي يحمل دلالة الكرم والمحبة والاعتزاز، ففيه يطلب القادمون ما يريدون مع التأكيد على واجب الضيافة ابتداءً بدقات مهباش حمدان المختلفة، والتي لها دلالة تعبيرية بين الفرح والحزن، يقول الراوي في وصف ديوان الحاج سليم:

((في الديوان الكبير جلس الرجال، كانت علامات النعمة واضحة: الكراسي الكبيرة، الصور المعلقة على الحائط، الأواني الزجاجية الموزعة بإتقان فوق الرفوف وعلى الطاولات في الزوايا، المرآة الكبيرة، الفوانيس الغريبة وكؤوس الكريستال التي تلمع في خزانتها العسلية.))[٤٣].

ويصف الراوي الوادي الذي سلكه الهبّاب[٤٤]، وبيت الحاج خالد[٤٥]، والمدرسة التي سيدرس فيها محمود في القدس[٤٦]، ويصف البيت وعودة الحاج خالد من الشام وإعدام ابني العزيزة فايز وزيد[٤٧]. والراوي لا يكتفي بهذه الأمكنة بل أن هناك الكثير من الأماكن التي يصفها تمهيداً للأحداث التي ستجري فيها.

وتعتمد الرواية في سرد أحداثها على انساق متنوعة ومتعددة لها دلالاتها في النص الروائي، ومنها:

- **نسق التتابع**.

يقوم البناء السردي للرواية على نسق التتابع في كثير من مفاصلها، بل أن الرواية وإن استثمرت أسس التجريب والحداثة في جانبٍ كبير منها إلا أن نسق التتابع سيكون غالباً عليها، وما وجود الأنساق الأخرى إلا مكملات رئيسية لهذا النسق؛ لسبب بسيط هو أن النص الروائي لابدَّ من تسلسلٍ لأحداثه وصولاً إلى خاتمتها التي قد تكون مفتوحة، يقول الراوي:

((تحدد موعد الجلسة بعد أسبوع، كانت المعارك مشتعلة في كل أرجاء فلسطين، وبدا الوصول إلى قاعة المحكمة مغامرة كبرى، لكنهم قرروا الذهاب إلى هناك. كان المرزوقي في انتظارهم: خشينا ألا تستطيع الوصول.

- لا تخشوا علي، في أزمنة سوداء كهذه لا يرى طريقه أحد أفضل من الأعمى!!
على عجل عقدت الجلسة، حيث قرر القاضي الحكم بملكية الهادية لأهلها ورد دعوى الدير. وعندها تقافز الناس يتراقصون.
- هدوء. صرخ القاضي.
.. هدأوا.
- هل تسمح لي سيادة القاضي بأن أقول جملة واحدة في هذه القضية.
- لقد أغلقت القضية لصالحكم، فماذا ستقول بعد؟
- كنت أتمنى سيادة القاضي أن يكون السيد جيمس آرثر بلفور الذي وعد اليهود بوطن قومي في فلسطين أن يكون هنا في هذه القاعة ليسمع حكمك الذي يقول إن الهادية لأهلها. شكراً سيادة القاضي.
- رفعت الجلسة.))[٤٨].

إن هذا النص جزء من نص طويل لحدث المحاكمة التي تمت بعد أن رفع الدير دعوى ضد أهالي الهادية وبملكية الهادية للدير، تجري خلالها أحداث لها علاقة بالمحاكمة واللجنة التي شكلتها المحكمة لإثبات صحة كلام القاضي بأحقية أهالي الهادية بها، كما سيستمر الحدث بعد المحكمة في مكتب المحامي للتفاوض بشأن الأتعاب التي اتفقوا عليها مسبقاً، وكل هذه الأحداث تتم بصورة مستمرة، متوالية، مما يؤكد على تتابعية النسق الذي يسم الحدث الروائي.

- **نسق التضمين**...

يعمد الروائي في كثير من الأحيان إلى تضمين نصه الروائي بالكثير من المرجعيات التي تعمل على خدمة البنية السردية وتحمل في الآن ذاته دلالة تعبيرية وأسلوبية ارتقاءً بالنص السردي إلى مستوى الطموح المشروع الذي من أجله عمد إلى صوغ محكيه. ومن ابرز المرجعيات التي تم تضمينها في الرواية:

١- **النص القرآني**: ومنها: چپ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ چ، چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ چ، چ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ چ[٤٩].

٢- **الأحاديث النبوية الشريفة الواردة عن الرسول (ﷺ) قولاً وفعلاً، يقول الراوي:**

((بدا الحاج حسني خطبته بقول الرسول عليه السلام: عن جابر بن عبدالله وجابر بن عمير (رضي الله عنه) إن النبي محمد(ﷺ) قال: (كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة.))[٥٠].

٣- **الأشعار**، منها معلقة طرفة بن العبد:

((وفي أيام كثيرة كان يجلس مفتوناً وهو يقرأ معلقة طرفة بن العبد، وهو يردد: هذا هو الشعر. هذا هو الشعر..

ألا أيهذا اللائمي احضر الوغى
وأن اشهد اللذات، هل أنت مخلدي؟
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
ولولا ثلاث هن من عيش الفتى
وجدك لم احفل متى قام عودي...))[٥١].

٤- **الأغاني**، وأكثرها ورودا، والغالب عليها أنها ذات طابع شعبي، ومنها:

((كانت القرية قد خرجت قبل أيام عن بكرة أبيها، صلى الرجال صلاة الاستسقاء، ودارت النساء والأطفال في الشوارع، طالبين المطر من السماء رحمة بالأرض وبأهلها، أمسكت أم الفار طاحونة يد وراحت تلقي فيها بعض حبات الفول، وأمسكت العزيزة ديكاً، ضربته بيدها كي تدفعه للصياح فصاح، وكان الجميع يغنون:

يا ديك يابو عرف ازرق	**ريتك في الميه تغرق**
يا أم الغيث غيثينا	**بلي شبيبات راعينا**
راحت أم الغيث تجيب رعود	**ما جت إلا الزرع طول القاعود**
راحت أم الغيث تجيب المطر	**ما جت إلا الزرع طول البقر**

تدفقت المياه في الشوارع، فوق السطوح، وفوق التلال، التمعت حجارة السناسل كالقناديل في الليل، وبدا الأمر لسمية حين نظرت إلى الوادي أن السماء تمطر منذ أسبوعين دون توقف.))[٥٢].

وهناك الكثير من الأغاني التي ترد في الرواية والتي يعلن الراوي عنها صراحة[٥٣].

٥- **الأمثال**، وهي متداولة وشائعة على السن العامة والخاصة، ومنها: ((الخوف هو الذي قتله))، ((صنها تصنك، وارعها برفق تكن حصنك))، ((اللي ما إلو عيلة يقناله كحيلة))، ((إن ظهر الفرس عزٌّ وبطنها كنز ؟))، ((ليس هنالك غالب ولا مغلوب))، ((بلاد الوداود اللي بتودي وما بتعاود))، ((سنة البنات نبات وسنة الفحول محول))، ((ذنب الكلب سيظل اعوج حتى لو وضعته في قالب.))، ((أصيلة وأخذت قديش))، ((سرُّك في بير))، ((في المال ولا في العيال))، ((اللي بدو اياني يطلعلي يا إخواني))، ((قابلة ها القبع بها الربع))، ((عادت الحملان والصبي غفيان))، .))[٥٤].

٦- **الدعاء**، ومنها: ((((اللهم احمهما، أنت خالقهما وملاذهما في الدنيا والآخرة))، ((اللهم حبب كل من يراه به))، ((روح الله ينصرك على كل من عاداك))، ((-إن شاء الله يكبروا في عزك، تحت ظلك، وتبقى سندا لنا كلنا))، ((اللهم ألطف بنا))، ((- اللهم اجعله خيرا.)).))[٥٥].

٧- **المذكرات أو الشهادات:** وهي عبارة عن أحاديث الآخرين ممن التقى بهم الروائي وكشفوا له عن ملابسات هذه القضية وكيف كان الوضع آنذاك متأزما، ثم كيف سقطت الهادية والمصير الذي آل إليه أهلها، والروائي يصرح بذلك بقوله:

((أنجزت العمل على جميع الشهادات الشفوية الطويلة، التي أفادت منها (زمن الخيول البيضاء) بشكل خاص، بين عامي ١٩٨٥و١٩٨٦، حيث قدم فيها عدد من الشهود، الذين اقتلعوا من وطنهم وعاشوا في المنافي، شهاداتهم الحية عن تفاصيل حياتهم التي عاشوها في فلسطين، ومن المحزن أن هؤلاء الشهود قد رحلوا جميعا عن عالمنا قبل أن تتحقق أمنيتهم الكبرى بالعودة إلى وطنهم.))[٥٦]، ومن هذه الشهادات يقول الراوي:

((- حاول الثلاثة أن يظهروا غضبهم أمام القرار، لكنهم في داخلهم، كانوا مسرورين، فهم يعرفون مدير البوليس هناك، وقد كان من المتعاطفين. ضابط فلسطيني يعمل مع الانكليز. شاب سكرة. كما يصفونه. اسمه عبد الفتاح ملحس. كان الناس يحبونه ويتعاملون معه كضيف كبير يزور القرى، عكس رجال الأمن والضرائب وموظفي الحكومة الذين لم يكونوا أكثر من (ضيوف الصّوص).))[٥٧].

٨- **البلاغات العسكرية:** ومنها بلاغ رقم ١٦ الصادر من القائد العام فوزي القاوقجي بتاريخ ١٢/ ١٠ / ١٩٣٦، والآخر بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ١٩٣٦[٥٨].

٩- **الحكايات:** تتضمن الرواية بعضا من الحكايات التي يتم سردها عن طريق إحدى الشخصيات ومنها حكاية الملك الذي كان يقطع رأس كل من زاره، وحكاية البدوي مع سلة التين التي ترويها الأنيسة[٥٩].

• **نسق التكرار...**

يتكرر الحدث الروائي أكثر من مرة، وما هذا التكرار إلا وسيلة يلجأ إليها الروائي محاولة منه في التأكيد على الحدث المكرر، ومن ابرز الأحداث المكررة بل والممتعة في الآن ذاته:

١- حدث كسر الصحون الذي يتم إفصاحاً عن رغبة الفاعل في الزواج، وهو ميثاق سردي متعارف بين الأبناء والآباء، فخجل الأبناء من البوح والتصريح يدفعهم إلى الإعلان عن رغبتهم في الزواج، فتخسر العائلة بذلك بعضاً من صحونها إلا أنها لا تبالي بذلك، لأنها تعد ذلك حدثاً سعيداً ويجب تقبل النتائج بأية خسارة كانت، يقول الراوي:

((فوق رأسه، كان الصحن، أما البقية فقد استقرت بين كفه اليسرى وخاصرته. دخل الحاج محمود.

- قل لي ونحن جاهزون. جاء الوعد قاطعا.

وظل مصير الصحن معلقا في يده.

قال: أمل ابنة أبو سليم.

...

تحرك الصحن في يد خالد، خفق قلب منيرة، قالت وعيناها لا تفارقان اليد العالية: ابنة أبو سليم ابنة أبو سليم، ومالو ؟!

- ما الذي تقولينه يا امرأة. هؤلاء لن يعطونا حتى معزاة لو كانت لديهم، فما بالك بابنتهم!

- التقت عينا خالد بعيني أمه، فهمت الرسالة: تأخرها في التدخل سيحول الصحن الذي طالما فاخرت به، مع بقية الصحون، إلى حطام.))[٦٠].

وسيتكرر هذا المشهد عندما ينوي خالد الزواج مرة ثانية بعد موت زوجته الأولى/ أمل[٦١]، ويفصح عن ذلك عندما ينوي الزواج من سمية[٦٢]، وينوي الفار الزواج فيزجره جده وهو يحطم الصحون في الدكان[٦٣]، وعندما ينوي ناجي ابن الحاج خالد الزواج[٦٤].

٢- حدث تحدي الشباب لخالد وهو يعلن إن زوجته أحلى من الشمس والقمر[٦٥].

٣- حدث رحيل الخوري السابق وحضور آخر[٦٦].

٤- حدث دقات مهباش حمدان تتذبذب الدقات فرحا وحزنا حسب الضيوف الزائرين، والموقف الذي هم فيه[٦٧].

٥- الحلم الذي رأته العزيزة بعد إعدام أخويها ومجيئهما لها في الحلم يتكرر لدى فاطمة بعد ذبح جمل إيليا[٦٨].

٦- الحوار الذي دار بين الهاشمي وعبد اللطيف حمدي يتكرر نصاً في لقاء آخر للهاشمي مع صبري النجار[٦٩].

٧- مداعبة الحاج خالد لابنته تمام[٧٠].

٨- بعيداً عن الأحداث المتكررة، نجد هناك جملاً أو عبارات تتكرر أكثر من مرة في الحدث الروائي، منها:

((عنّا عسل للبيع، ورد للبيع!!))[٧١]، ((عمر الدول أطول من عمر الناس!))[٧٢]، ((تذكروا، لا يمكن لأحد أن ينتصر إلى الأبد، لم يحدث أبداً أن ظلت امة منتصرة إلى الأبد.))[٧٣]، ((مثلها لا تباع))[٧٤]، ((فأصيل مثله لا يترك لكلاب البر أن تنهش لحمه))[٧٥]، الحوار الذي دار بين الحاج خالد وطارق بن محمد السعادات وهو يعيد الحمامة إليهم بعد مطاردة الانجليز له[٧٦]، ((كان الليل كفيلاً

دائماً بأن يحمل سهرات أعراس القريتين وأحزانهما للقرية الأخرى بطريقة أسرع مما تحملها الخيول، ..))[٧٧]، ((أكان يجب علي أن أغادرها حتى أراها من هنا (هادية أخرى.))[٧٨]، ((كان يمكن أن يحتمل كل شيء إلا مفاجأة مثل هذه!!: المفاجآت هي نهاية النهايات.))[٧٩]، الحوار الذي دار بين الحاج سالم وهاشم شحادة عن عدد الكلمات التي قالها المحامي نعمان المرزوقي[٨٠]، ((أدرك الإسرائيليون إنهم لن يستطيعوا احتلال الهادية بالقوة))[٨١].

وفيما يخص الرؤية السردية التي نقصد بها أنماط ممارسة السرد، أو الأساليب التي يتوسل بها الراوي لحكاية القصة، أو أشكال تنضيد هذه الحكاية داخل النص."[٨٢]، يقول الراوي:

((– المهم تزوجنا، عاد إلى يافا وبقيت في الهادية، في البداية كان يحمل لي قصصا محزنة أكثر من القصص التي سبق أن أحضرها، القصص التي تبكيني، وتجعل عيني محمرتين كالجمر دائماً !! لكن الشيء الغريب أنه لم يعد يسألني هل قرأتها أم لا ؟ !))[٨٣].

((حين خرجت من البيت ذلك الصباح سألتني صفية، زوجتي: إلى أين؟ ما الذي يمكن أن تفعله بقطعة العصا هذه أمام مدرعات الانجليز؟ فقلت لها: لا تصري على سماع إجابتي الآن، حتى إذا ما خرجت من المعركة حياً، يكون هنالك سبب يدفعني للعودة إليك من جديد.))[٨٤].

فصوت الراوي هو الذي يوجه الحكاية، ويصوغ الأحداث والأقوال ومنطوق الشخصيات وفق رؤياه ووعيه ومقاصد الكتابة لديه ولا تفوتنا الإشارة إلى أن هناك أصواتاً أخرى تدخل الحيز السردي وتخترق بذلك التابو الذي أعلنه الراوي وهو يتسلط على مسار الرؤية السردية باستغلال أسلوب الحكي لنفسه، فهناك إلى جانب السرد الموضوعي، سرداً ذاتياً يتم خلاله دخول الأنا الساردة المجال السردي.

الهوامش:

(١) ينظر: آفاق التناصية: المفهوم والمنظور، ١٥.

(٢) هوية العلامات، ١٢.

(٣) الهوامش في الخطاب الروائي العربي، جميل حمداوي.

(٤) الرواية، ٣٠٠. وينظر: ٦٦/ ٤١٦/ ٢٥٩/ ٢٧٩.

(٥) م. ن، ٣١٤. وينظر ١٥/ ١٣٦/ ٢٠٩/ ٢١٨/ ٢٦٢/ ٢٦٩/ ٢٧٦/ ٣١٣/ ٣٣٧/ ٣٣٩/ ٣٤٣/ ٣٤٥/ ٣٤٧/ ٣٥٢/ ٣٥٩/ ٣٦٤/ ٣٧٦/ ٣٧٨/ ٣٨٠/ ٣٩٠/ ٣٩٧– ٣٩٨/ ٣٩٩/ ٤٦١/ ٤٦٩/ ٤٨٦/ ٤٨٨.

(٦) م. ن، ٢٦٠. وينظر: ٢٦١/٢٨٠/ ٣٠٥/ ٣٠٧/٣٦٦/ ٣٧٥/ ٤٠٢.

(٧) م. ن، 415. وينظر: ٢٠.

(٨) الرواية، 31.

(٩) م. ن، ١٣٩.

(١٠) م. ن، ٤٠٩.

(١١) م. ن، 446.

(١٢) م. ن، ٣٧٤.

(١٣) الموت في الشعر العربي السوري، 23.

(١٤) إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية، ٥–٦.

(١٥) الموت في الشعر العربي السوري، ١٢٨.

(١٦) الرواية، ٣٧٦.

(١٧) الموت في الشعر العربي السوري، ٢١٥–٢١٦.

(١٨) زمن الخيول البيضاء، 372.

(١٩) زمن الخيول البيضاء، 310-311.
(٢٠) ينظر: م. ن، ٣٧٤.
(٢١) م. ن، ٤١٢.
(٢٢) م. ن، ١٦٧.
(٢٣) م. ن، 488 -490.
(٢٤) م. ن، 169.
(٢٥) المغامرة الثانية في الرواية العربية، 50.
(٢٦) الرواية، ١٤.
(٢٧) الرواية، ٣٩.
(٢٨) ينظر: الرواية، ١٢.
(٢٩) الرواية، ١٠٦.
(٣٠) م. ن، ٦٠.
(٣١) الروايـــــة، ١٣/ ٣٣/ ٣٥/ ٣٦/ ٥٦/ ٦٠/ ٧٦/ ٧٨/ ٩٠-٩١/ ٩٦/ ١٠١/ ١٠٢/ ١٠٦/ ٢٢٤/ ٢٢٥/ ٢٢٧/ ٢٣٧/ ٢٤٣/ ٣٦٧/ ٣٧١/ ٣٧٩/ ٣٨٨ - ٣٩٠/ ٤١٣/ على التوالي.
(٣٢) الرواية، 15.
(٣٣) الرواية، 11/ 13/16/ 21/ 28 / 31/ 47/ 51/ 55/ 62/ 69/ 74/ 81/ 83/ 90/ 123/ 327/ 162/131/128/124/ 163/ 164/ 168/ 180/ 217/ 228/261/ 299/ 366.
(٣٤) الرواية، ١٤٤-١٤٥.
(٣٥) الرواية، ١٩٢-١٩٣.
(٣٦) الرواية، 73.
(٣٧) الرواية، 76.
(٣٨) الرواية، 150.

(٣٩) الرواية، 201.
(٤٠) ينظر: الرواية، ١٥٧-١٥٩.
(٤١) الرواية، 448- 449.
(٤٢) الرواية، ١٦.
(٤٣) الرواية، ١٥.
(٤٤) ينظر: الرواية، ٩٥-٩٦.
(٤٥) ينظر: الرواية، ١٨٧و ٢٠٣ .
(٤٦) ينظر: الرواية، ٢١٩.
(٤٧) م. ن، ٣٤٤.
(٤٨) الرواية، 466.
(٤٩) التين: 4، النساء: 157 والعاديات: 1-7.
(٥٠) الرواية، 55.
(٥١) الرواية، ٦٠. وينظر: ٦١.
(٥٢) الرواية، ٢٤٦.
(٥٣) ينظـــر: الروايـــة، ٤١-٤٢ / ٨٥-٨٦/ ١١٠-١١١ / ٢١٠ / ٢٢٢/ ٢٣٦/ ٣٢٦-٣٢٧/ ٥٠٦.
(٥٤) الروايـة، ٤٥/٤٩ /٧٤/٧٩/١٠٢/ ١٠٩ / ١٣٣ /١٤٤ /١٤٥/ ٢٠٣/ ٢٠٩/ ٢٢١ على التوالي.
(٥٥) الرواية، ٤١/ ٦٨ / ١٠٢/ ١١٣/ ١٢٧/ ١٥٠. على التوالي.
(٥٦) الرواية، ٥.
(٥٧) م. ن، ٤٥٥ و ينظر: ٤٧٠/ ٤٧٣/ ٤٧٥/ ٤٧٧.
(٥٨) ينظر: م. ن، 336و 338.
(٥٩) ينظر: م. ن، 196-197 و 480-481.
(٦٠) الرواية، 13-14.

(٦١) ينظر: م. ن، 85.

(٦٢) ينظر: الرواية، 193.

(٦٣) ينظر، ٢٠٨.

(٦٤) ينظر: م. ن، 230.

(٦٥) ينظر: م. ن، 17-18.

(٦٦) ينظر:الرواية، 53، 393.

(٦٧) ينظر:الرواية، 29/ 30/ 47/ 216 /369/ 370 /394.

(٦٨) ينظر: الرواية، ١٥٧ و٢٠١.

(٦٩) ينظر: الرواية، 301-302.

(٧٠) ينظر: م. ن، ١٨٧ و ٣٦٩.

(٧١) الرواية، ١٧، وينظر: ٧٦.

(٧٢) الرواية، 138، وينظر: 293، 299.

(٧٣) الرواية، 144، وينظر: 371.

(٧٤) الرواية، 165-166.

(٧٥) م. ن، 293.

(٧٦) ينظر: م. ن، 333.

(٧٧) م. ن، 110 وينظر: 372.

(٧٨) م. ن، 53 و393.

(٧٩) م. ن، 407 و412.

(٨٠) ينظر: م. ن، 464 و 466.

(٨١) م. ن، 496 وينظر: 500.

(٨٢) المغامرة الثانية في الرواية العربية، ٦٣.

(٨٣) م. ن، ٢٥٧.

(٨٤) م. ن، ٣١٩.

المصادر والمراجع:

❖ **أولاً: القرآن الكريم.**

❖ **ثانياً: المصادر والمراجع:**

١- **آفاق التناصية:** المفهوم والمنظور، مجموعة باحثين، ت: محمد خيري البقاعي، سلسلة الدراسات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

٢- **إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية**، احمد الزعبي، مكتبة الكناني، اربد، عمان، ١٩٩٤.

٣- **زمن الخيول البيضاء**، إبراهيم نصرالله – الملهاة الفلسطينية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧.

٤- **المغامرة الثانية في الرواية العربية**، نضال الصالح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

٥- **الموت في الشعر العربي السوري**، .

٦- **هوية العلامات – في العتبات وبناء التأويل**، شعيب حليفي، ط١، دار الثقافة، المغرب، ٢٠٠٥.

❖ **ثالثاً: شبكة الانترنيت:**

٧- **الهوامش في الخطاب الروائي العربي**، جميل حمداوي.

الملامح الأسلوبية والدلالية للتــكرار في الجـملـة الـقـرآنـيـة

د. عدنـان خالد فضل المرابـحي الدوسري
جامعة تكريت/كلية الآداب/ قسم اللغة العربيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد تناول البلاغيون والدارسون موضوع التكرار[١] ضمن موضوع التوكيد. وهذا صحيح إذ إن تكرار بعض الألفاظ أو الجمل في الكلام يأتي على وجه التأكيد؛ لأن التوكيد وسيلة – مهمة– من وسائل تثبيت المعنى في نفوس المخاطبين وإفراده في أفئدتهم[٢]. ولذلك فكل من درس أو تناول موضوع التكرار في السياق القرآني لم يخرج عن هذا المعنى، إلا أننا سنبين في هذا البحث المقتضب أن التكرار في أسلوب القرآن الكريم – المعجز– لا يأتي لتوكيد الكلام فحسب، بل يمكن عدّه من الوسائل البارزة لتماسك جمل النص القرآني، وترابطها من خلال تكرار بعض عناصر الجملة القرآنية أو تكرار الجملة بجميع عناصرها، فضلاً عن تحقيق القيم الجمالية والفنية داخل النص. يضاف إلى ذلك ما للتكرار في أسلوب القرآن الكريم من أثر بالغً في تحقيق الوجوه البلاغية المختلفة، كالتهويل، والإنذار، والتجسيم، والتصوير، وغيرها...، مما يساهم في رفع الأسلوب القرآني إلى درجة السمو في التعبير عن

المواقف المختلفة التي لا يشاركه فيه غيره من النصوص والتعابير؛ لذلك يمكن عد التكرار في أسلوب القرآن الكريم من الخصائص الجمالية الفنية في التعبير بالجملة القرآنية التي ينفرد بها القرآن الكريم.

وذلك أنه– أي التكرار– يزيد الجمل القرآنية قوة في المعنى وإحكاماً في السبك، ففي قوله تعالى: ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[٣] نلاحظ أن (بل) ليست من عناصر بناء هذه الجمل المترابطة– الأساسية– إلا أننا لا نستطيع أن نسقطها أو نبدلها بغيرها؛ وذلك أن (بل) تختص بربط الجمل المترابطة المتدرجة في الترتيب للأعلى أو للأسفل. أما في هذا السياق فنلاحظ أن اللسان لا يتعثر وأن الذوق لا ينفر من تكرار (بل) ثلاث مرات بين ثلاث جمل متسقة؛ لأنها محكمة ومتينة في نسقها، فضلاً عن زيادة التوكيد

للمعنى. وهي تضفي على السياق طابع التجانس والسلاسة، وأن كل جملة مرتبطة بالثانية ارتباطاً وثيقاً. فكان الرد على المخاطبين عنيفاً وكاشفاً لغباوتهم وحمقهم، يضاف إلى ذلك ما أداه تكرار الضمير (هم) من ربط وإحكام للجمل، وانسياب في الإيقاع الصوتي للجمل الثلاث[٤].

وعليه يكون للتكرار علاقة وثيقة بالخصائص الأسلوبية والجمالية الفنية للجمل – المتجاورة وغير المتجاورة– في سياق القرآن الكريم؛ لما يؤديه من وظيفة الإحكام والربط بين جمل السياق، ومن ثم النص القرآني بكماله، بالإضافة إلى الومضات الدلالية الدقيقة؛ ويكون ذلك بتكرار أحد عناصر الجملة – في الجمل المتجاورة أو المتباعدة في السياق نفسه أو في مواضع مختلفة في القرآن الكريم– أو بتكرار الجملة نفسها مرتين أو أكثر، في السياق نفسه أو في سياقات مختلفة. وعلى هذا الأساس سيناقش البحث تكرار أحد عناصر الجملة في السياق نفسه، وتكرار الجملة مع التغيير في صياغة بعض عناصرها في السياق نفسه، وتكرار الجملة نفسها في السياقات المتشابهة أو المختلفة.

تكرار أحد عناصر الجملة في الأسلوب القرآني:

ويشمل تكرار العناصر الأساسية وغير الأساسية، فمن العناصر الأساسية التي يمكن أن تتكرر في الجملة القرآنية الفعل، وذلك كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ[٥] فنلاحظ في هذا السياق تكرار الفعل (ضل) بصيغته الثلاثية والرباعية، ثلاث مرات داخل السياق وكل منها يحمل مغزى دلاليا يختلف عن الثاني، فالأول يتحدث عن ضلالة القوم الذين اتبعوا أهواءهم، والثاني يتحدث عن ضلالة الذين اتبعوا من أضلتهم أهواؤهم، أما الثالث فيجمع الفئتين معاً، في أنهم قد ضلوا عن سواء السبيل، وهكذا نجد تكرار الفعل نفسه كان يعبر عن مواقف ومعانٍ مختلفة في الجمل الثلاث، إلا أن هذه المعاني كانت من الدقة بمكان في التعبير. فضلاً عما أحدثه هذا التكرار من إيقاع خاص[٦]. فالتكرار هنا يجعل الإيقاع الصوتي موزعاً في السياق خير توزيع حتى يحدث ذلك الانسياب والتجانس في الإيقاع ومسايراً للجو العام للسياق أو الآية[٧].

ونلاحظ دقة التكرار والتعبير بالفعل عن المعنى وأثره في السياق في قوله تعالى: ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[٨] فنلاحظ في سياق الآية الكريمة أن الفعل (ألّف) قد تكرر ثلاث مرات، فقد ورد الأول لبيان أن الله تعالى قد ألّف بين قلوب الأوس والخزرج مع أنه كان بينهم عداء دائم، وحروب طاحنة طويلة، وكانوا أشد الناس حمية – حمية الجاهلية–، فألف الله بالإيمان بينهم وبالرحمة المهداة لهم وهو رسول الله (ﷺ). أما (ألّف) الثانية فهي بيان أن الرسول (ﷺ) لا يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم بغير الإيمان والهدى الذي هو من عند الله – تبارك وتعالى– ، وفيه أيضا بيان مدى النفرة التي كانت موجودة بينهم بحيث أنه لو أنفق رسول الله (ﷺ) ما في الأرض جميعاً ما ألّف بين قلوبهم. أما (ألّف) الثالثة فهي توكيد لهذا التآلف الذي حصل هذا أولا، وثانيا: أن هذا التآلف لم

يقتصر على القلوب فحسب بل تآلف ممزوج بالمحبة بينهم تحت ظل الرسالة والهدى[٩].

ونلاحظ في هذا السياق أيضاً ارتباط التكرار للفعل (ألّف) بالإيقاع وانسياب الكلمات وسلاستها داخل السياق، فهذا التكرار يشعرنا بطواعية النفس في التآلف عندما يأذن الله – تبارك وتعالى– بذلك، وهذا الإيقاع الصوتي يوحي بالمعنى العام للسياق. وهكذا تتحد القيم الجمالية والفنية للتكرار في الجملة القرآنية في أسلوب القرآن الكريم فالتكرار مرتبط بالإيقاع، والإيقاع يرتبط بالمعنى دائماً. ذلك أن المعنى يحدده شكل الجملة والعبارة وصيغتها، ومن الشكل والصيغة يتولد الإيقاع الذي يحل في جوهره الصلة العميقة بالمعنى[١٠].

وقد يستعمل القرآن الكريم تكرار الفعل كوسيلة من وسائل التوضيح والبيان للحكم الشرعي ، إذ يكرر الفعل في السياق نفسه وفي المواضع المختلفة. وذلك لأن في عدم التكرار عدم اكتمال للأمر الشرعي، وهذا يعني أن التكرار ليس للتوكيد فحسب بل يتطلبه المعنى الشرعي في السياق القرآني، وذلك كما في تكرار فعل الأمر (أطيعوا) في قوله تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﯼ ﯽ ﯾ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ[١١] وقوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[١٢] وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ[١٣] وقوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[١٤] وقوله تعالى: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[١٥].

فنلاحظ في كل ما سبق تكرار فعل الطاعة مع الحفاظ على الترتيب في تقديم الأمر بطاعة الله على الأمر بطاعة الرسول؛ وذلك مما يتطلبه المعنى الشرعي في جعل طاعة الرسول (ﷺ) جزءاً لا يتجزأ من طاعة الله – تبارك وتعالى– فلا يمكن للإنسان أن يطيع الله ويعصي رسوله، فطاعة الله – جل وعلا– وطاعة رسوله (ﷺ)

في مرتبة واحدة، بل إن طاعة الرسول هي طاعة لله[١٦]، وهذا واضح في الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول (ﷺ): (كلكم يدخل الجنة إلا من أبى، قيل ومَن يأبى يا رسول الله، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)[١٧]. وهكذا فإن تكرار الفعل هنا أمر تطلبه السياق القرآني معنىً وشرعاً وصياغةً فضلاً عن انسياب الكلمات في هذا التكرار.

ومن المواضع الدقيقة في تكرار الفعل في السياق القرآني ولا يراد من تكراره التوكيد فحسب بل التنبيه على المغايرة في الدلالة بين الجملتين هو قوله تعالى: ﭽ ۋ ۋ و ﭼ[١٨]، فقد تكرر الفعل ﭽ ۋ ﭼ في الجملتين المعطوفتين؛ لأن الجملة الأولى تدل على الطهارة بالتوبة من الشرك والمعاصي، وأما الجملة الثانية فتدل على الطهارة بالماء من الحدث، ولاشك أن الطهر الأول أصل للطهر الثاني؛ لأن العبد أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهر بالتوبة من الشرك ثم يتطهر بالماء من الحدث. وبسبب هذا الاختلاف في الدلالة تكرر الفعل في الجملتين ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما. وللسبب نفسه أيضا قدمت جملة التوبة على جملة الطهارة في الترتيب[١٩].

ويمكن أن يكون جمال التعبير وإحكام السبك ناتجاً عن تكرار المبتدأ في الجمل التي تنتظم في السياق نفسه، كما في قوله تعالى: ﭽ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ[٢٠] فتكرار المبتدأ ﭽ □ﭼ أعطى الجملة القرآنية تناسقاً وجمالاً فنياً خاصاً. فالسياق القرآني قد كرر المبتدأ في بداية كل جملة– من الجمل المعطوفة– مع أنه كان من الممكن أن يورد الجمل على طريقة الحذف. ولكن السياق آثر إعادة المبتدأ في بداية كل جملة مما جعل كل كلمة من الجمل وكأنها مستقلة بنوع من العقوبة الصارمة، أي: إنه في كل جملة نوع من العذاب المستقل بعضه عن بعض؛ وذلك لبيان عظمة الغضب والوعيد الذي يستحقونه[٢١].

وفي الحقيقة إن هذه الظاهرة من التكرار كثيرة جداً في كتاب الله –عز وجل– سواء أكان المتكرر هي أسماء الإشارة أم الضمائر، وسواء الذي يتكرر هو المبتدأ أو ما أصله مبتدأ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[٢٢] فنلاحظ تكرار الضمير (هو) مع تنوع الخبر في كلٍ جملة، وقد أعطى هذا التكرار توكيداً وأحدث إيقاعا سلسا فضلاً عن الربط المحكم بواسطة الضمير.

وهناك عناصر أخرى يمكن أن تتكرر في سياق الجملة القرآنية مثل (المفعول به) في الجملة الفعلية، وكما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ[٢٣]. فتكرار المفعول به في هذا السياق ﭽ ﭖ ﭗ ﭼ يفيد الإهانة والتحقير مع العلم أنه كان يمكن للسياق أن يضمر ﭽ ﭗ ﭼ في الجملة الثانية فيقول (ومن يتبع خطواته) إلا أنه قد آثر إعادة ذكره – تكراره– للدلالة على الإهانة والتحقير، وهذه الدلالة لا تظهر واضحة في عدم تكراره مرة أخرى، أي في إضماره[٢٤] فضلاً عن تكرار الفعل في الجملتين الذي كان بالإمكان العدول عنه إلى غيره؛ وذلك لنفس الغرض.

ومن العناصر – غير الإسنادية – التي يمكن أن تتكرر في أسلوب الجملة القرآنية الجار والمجرور أو الظرف ويكون في تكراره بالإضافة إلى التوكيد زيادة التمكين والاستلذاذ بذكره، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[٢٥] فالتكرار في هذا السياق له ما يسوغه، فضلاً عن دقة معناه في كل موضع. أي: إن التكرار هنا جاء متناسباً مع المعنى، فلفظة (الحق) تحمل معناها في ذاتها بقوة وصلابة ووضوح. وهي قريبة من النفوس المؤمنة التي تبتهج عند سماعها لصياغتها وجرسها؛ لما تحمله من معنى الإنصاف والعدل. ويضاف إلى ذلك التكرار العدول عن الترتيب في

الجملتين المتصلتين إذ قُدم الجار والمجرور (بالحق) على الفعلين – عامليهما– (أنزلناه) و(نزل) وذلك لأن هذا المتعلق مقصود بذاته وهو يفيد في كل موضع معنىً مختلفاً لاختلاف صيغة الجملة التي ورد فيها.

فالمعنى الأول – في الموضع الأول– يعني: أن إنزال القرآن من السماء إلى الأرض كان بالحق من غير تحريف ولا تغيير كما حدث للكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى قبله. والمعنى الثاني في الجملة الثانية يفيد استيعاب القرآن الكريم للحق كله إذ فيه الهداية والرشد والحكم والعدل في الوقت نفسه(٢٦).

ومما يلاحظ أيضاً في السياق نفسه أن قوله تعالى: (وبالحق نزل) لم يرد على صيغة(أنزل) كما في الجملة الأولى؛ وذلك لكي يشعرنا بأنه مكتمل باكتمال مدة نزوله. فطبيعته ينزل ويكتمل كاكتمال الجنين لحظة المخاض فهو ينزل بطبيعته دون إنزال. وهذا في حقيقته أحدى السمات المميزة للتكرار في بناء الجمل المتشابهة وهو اختلاف المعنى، فضلاً عن دقته في كل المواضع، والإحكام في ترتيب الألفاظ داخل الجملة وتراصها، والدقة في تحديد الصيغ، وكل ذلك يعطي صلابة في المعنى وترابطاً قوياً بين الجمل(٢٧).

وهذا المعنى الذي نحن بصدده لم يحدثه تكرار الجار والمجرور في الجملتين فقط، بل أحدثه دقة اختيار الألفاظ، فضلاً عن تكرار العدول عن الرتبة في الموضعين؛ فأفاد التكرار زيادة على التوكيد تناسقاً وجمالاً في التعبير.

تكرار الجملة بصيغ مختلفة:

وتأتي الجملة القرآنية مكررة في السياق نفسه، أو في سياقات مختلفة، ولكن يمكن أن تكون هناك بعض الاختلافات في صياغة عناصرها. وهذه الاختلافات تكون ذات أثر في المعنى والغرض البياني الذي سيقت له، الآية أو الجملة القرآنية.

ومما ينحو هذا المنحى قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ(٢٨) فقد وردت لفظة(كسبت) في الجملة الأولى أخف نطقاً وأسهل لفظاً من لفظة (اكتسبت) التي وردت في الجملة الثانية، والسبب في هذا الاختلاف في الصيغة (صيغة الفعل) – والله أعلم– أنه لما كانت السيئة ثقيلة على النفس، وفيها تكلف وفيها ضيق يجده صاحب السيئة في صدره زِيد في لفظ فعلها (اكتسبت) فضلاً عن المشقة في السعي لكسبها(٢٩).

وقد أشار ابن جني (ت٣٩٢هـ) إلى مثل هذا المعنى فقال: (وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، وذلك لقوله عز وجل: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ(٣٠)، أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى أجزاء صغر الواحد إلى العشرة، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها فعُلم بذلك قوة مثل السيئة على فعل الحسنة... وفخم لفظ العبارة عنها فقيل: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فزيدَ في لفظ فعل السيئة وانتقصَ من لفظ فعل الحسنة) (٣١).

ويمكن أن نقول: إن تكرار الجملة مع الاختلاف في صياغتها من عناصر القوة في التكرار وفي تكثير المعنى وتثبيته وإيضاحه؛ لذلك يقول الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭛ [illegible] ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ(٣٢) (ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية فأوضحه فيها: بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً، بالاستئنافية ثانياً، وما في الاستئنافية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص: أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وأبلغه) (٣٣).

ويمكن أن تتكرر الجملة في أسلوب القرآن الكريم ويتغير فيها أحد عناصرها، كما في قوله تعالى: چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[٣٤] فنلاحظ أن الجملتين في قوله: (واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) قد تشابهتا من ناحية البناء والصياغة والألفاظ فلم يتغير فيها إلا الكلمة الأخيرة – المفعول به المؤخر في الجملتين– والسبب في تكرار الجملة نفسها، أي: الفعل ومتعلقاته هو المبالغة في التضرع والابتهال، وهذا أحرى بقبول الدعاء وسرعة الاستجابة. فإن من يلح في الدعاء وفي طرق الباب حريّ بأن يُفتحَ له.

والسبب في تنويع المفعول به في الجملتين هو الفرق المعنوي بين اللفظين – أي بين الولاية والنصرة– فالولاية مقدمة على النصرة، وهي الأصل في ذلك، ولهذا ابتدأ بها في السياق في الدعاء، ثم إن الولاية أدق معنًى من النصرة وأعمق منها؛ لأن الولاية تتضمن تفقد الشؤون الخاصة من جهة الولي واستصلاح الفاسد منها وإقامة المعوج، ومنه ولاية اليتيم ففيها نصرة وزيادة، ولا تكون النصرة إلا عند عدم وجود الولاية أو عندما تكون الولاية ضعيفة؛ لأن النصرة تُقيم العدل من الناصر، وتُزيل الظلم عن المظلوم، ولا تكاد تُطلب النصرة إلا عند وجود الظلم وضعف الوالي؛ ولهذا طلب هؤلاء الضعفاء في دعائهم الولاية أولاً، إذ بوجودها لا يقع الظلم أصلاً فلما وقع الظلم وانتشر طلبوا النصرة حتى ترفعه وتزيله[٣٥].

إذن فبين الولاية والنصرة عموم وخصوص، فكل ولاية نصرة ، وليس كل نصرة ولاية، فقد يُكتفى بالنصرة من أجل إزالة الظلم وردع الظالم وإقامة العدل، ثم تأخذ الولاية مجراها، وتمارس عملها. وهذا يعني أن تكرار الجملة لم يكن للتوكيد فقط بل يتضمن معاني غاية في الدقة، قد حصلنا عليها من خلال اختلاف أحد العناصر في تركيب الجملة القرآنية المكررة في هذا السياق.

وإذا تتبعنا أسلوب القرآن الكريم وجدنا أنه يكثر من تكرار الجمل التي تأتي بصيغ مختلفة، ومنها مجيء الجملة في سياق معين ثم مجيء الجملة نفسها في سياق آخر إلا أنه يعتريها شيء من الزيادة أو النقصان، أو غيرها من الظواهر الأسلوبية أو اللغوية. وكل ذلك يحصل في أسلوب القرآن؛ من أجل تحقيق التماسك والترابط بين آيات السورة الواحدة وجملها أو السور المختلفة، والتكرار على هذا النمط يساهم مساهمة فعّالة في هذا التماسك والترابط فضلاً عن زيادة المعنى.

فإذا نظرنا – مثلاً إلى سياق سورة الأعراف وجدنا ذلك البناء التكراري الحاصل على لسان الأنبياء– عليهم السلام– فإنهم يرددون الجملة نفسها، وهي قوله تعالى: چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ چ[٣٦] فقد جاءت هذه الجملة نفسها على لسان نوح وهود وصالح وشعيب – عليهم السلام– إلا أن التنوع في الجمل قد حصل في جواب الرسل لأقوامهم، فقال نوح – عليه السلام–: چ ڎ ڎ ڎ ڎ ژ ژ ژ ژ ک چ[٣٧]، أما هود – عليه السلام– فكان ردّه بجملة مشابهة لها إلا أنها تختلف عنها بكلمة واحدة فقال: چ ې ې   چ[٣٨]، ونلاحظ أيضاً اختلاف جملة النجاة التي تخص الأنبياء. فقال الله عن نوح – عليه السلام– چ ھ ھ ھ چ[٣٩]، وقال عن هود – عليه السلام– أيضاً چ ہ ہ ہ چ[٤٠]، أما عن لوط فقال سبحانه چ ڈ ڈ ٹ ٹ چ[٤١]، وهكذا نلاحظ تكرار الجملة القرآنية في السياق مع الاختلاف في صيغها وألفاظها في بعض المواقف؛ وذلك لما يتطلبه المعنى والموقف. وهذا الأسلوب كثير في التعبير القرآني ولاسيما في قصص القرآن وحال الأقوام مع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله – تعالى– لهم[٤٢].

تكرار الجملة نفسها:

وتكرار الجملة نفسها في أسلوب القرآن الكريم يتخذ بعدين أو منهجين:

الأول: هو تكرار الجملة نفسها في عدة سور في القرآن الكريم، أي في السياقات المختلفة. ويكثر ذلك في الآيات التي تتحدث عن التوحيد وعدم الشرك بالله، وغيرها من الآيات التي تخص الإخلاص في العبادة، وذلك مثل قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ چ فقد تكررت هذه الجملة تسعاً وعشرين مرة(٤٣) في سياق القرآن الكريم، وكذلك الآيات التي تتحدث عن العلم والإحاطة التي تخص الخالق – عز وجل– مثل قوله تعالى: چ□ □ □ □ □ □ چ أو عليم أو محيط... فهذه الجمل أيضاً كثيرة الورود في السياق القرآني وبمواضع مختلفة(٤٤) من سور القرآن الكريم، وتكون عناصرها مرتبة كما في الجملة السابقة أو بترتيب آخر مختلف وهو قوله تعالى: چڇ ڇ ڍ ڍ ڌ چ(٤٥).

وتتكرر بعض الجمل في الآيات أو السور التي تذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم التي ذكرت متفرقة في سور القرآن الكريم. وكثير منها قد كرر ذكره في سور مختلفة كما في قصة موسى مع فرعون وإيمان السحرة. فقد تكررت الجمل نفسها في قوله تعالى: چ□ □ □ □ □ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ ٻ پ چ(٤٦) في سورة الأعراف والشعراء وبالترتيب نفسه وبالصيغة نفسها، ووردت أيضا في سورة طه ولكن بترتيب مختلف وبصيغة مختلفة (٤٧).

والسبب في هذا التكرار في هذه المواضع وما شابهها عند **ابن قتيبة** هو التيسير على العباد وتدريجاً لهم في الدين وتنبيهاً لهم على سنة الله في خلقه؛ لأن التكرار سنة عند العرب ونزل القرآن على مذهبهم ؛ وذلك لإرادة التوكيد والإفهام(٤٨).

أما **المنهج الثاني:** فهو تكرار الجملة نفسها في السورة الواحدة، ويكثر ذلك في سياق القصص القرآني، كما في تكرار جملة چ ڳ ڳ ڳ ڳ چ(٤٩) التي وردت ثلاث مرات في سياق سورة الكهف، وكذلك جملةچ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں چ(٥٠) التي وردت ثلاث مرات أيضاً في سياق السورة نفسها، وكذلك جملةچ ڤ ڤ ڦ ڤ ڤ

چ(٥١) التي وردت مرتين في سياق السورة نفسها. وإن هذه الجمل الثلاث التي تكررت في سياق سورة الكهف لم ترد في أي سورة أخرى غيرها.

وإذا تأملنا القصص التي وردت فيها هذه الجمل وجدنا أنها لم تتكرر – أي القصص– في أي سورة أخرى من سور القرآن. فجملة چ ڳ ڳ ڳ چ وردت وتكررت في سياق قصة ذي القرنين التي لم ترد إلا في سورة الكهف. وكذلك الجملة الثانية فقد وردت في سياق قصة موسى مع العبد الصالح التي لم ترد إلا في سياق سورة الكهف أيضاً. وكذلك الجملة الثالثة وهي قوله تعالى: جملة چ ڤ ڤ ڦ ڤ ڤ چ فقد تكررت مرتين في سياق قصة الرجلين، صاحب الجنتين الذي كفر بنعمة الله عليه، والرجل الصالح المؤمن. وهذه القصة أيضاً لم تُذكر إلا في سورة الكهف.

وهناك ملمح أسلوبي آخر في التكرار في أسلوب القرآن الكريم، في أسلوبه القصصي، وهو تكرار جملة أو أكثر في نهاية كل قصة، وذلك كما في قصص الأنبياء – عليهم السلام– مع أقوامهم في سورة الشعراء، حيث تُختم كل قصة من القصص بآيتين تمثلان ثلاث جمل متعاطفة، هنّ قوله تعالى: چژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ چ(٥٢) فتكررت هذه الخاتمة في سياق سورة الشعراء ثماني مرات. ويفسر الزمخشري هذا التكرار بقوله: (فإن قلتَ كيف كرر في هذه الصورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر؟ قلتُ كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تُفتتح بما افتُتحت به صاحبتها، وأن تُختم بما اختُتمت به، ولأن في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور) (٥٣).

ويمكن أن تتكرر الجملة القرآنية في سياق السورة نفسها في أسلوب غير أسلوب القصة القرآنية، فهناك جمل قد تكررت في هذه السور، وهناك جمل قد تكررت

كثيراً ولافتاً للنظر، بحيث أصبح هذا التكرار في تلك السور السمة المميزة لأسلوبها كسورة الرحمن والمرسلات مثلاً.

ففي سورة الرحمن مثلا قد وردت جملة ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[٥٤] إحدى وثلاثين مرة، والسبب في هذا التكرار هو أن سورة الرحمن فيها تعداد لما أسبغه الله – سبحانه وتعالى– على عباده من نِعَمِهِ، فعلمهم القرآن والبيان وذكر لهم الشمس والقمر والنجم والشجر وغيرها ليدلهم على تلك النعم التي خلقها لهم. وبعد هذا فبأي قدرة تكذبون ربكم؟ فتكرار هذه الجملة قد ورد للتأكيد وإقامة الحجة والتقرير والتذكير، والابتعاد عن الغفلة والتشويق إلى الله بالعبادة، والتقرب إليه بالشكر على هذه النعم العديدة ، فكان حقاً على الأنس والجن أن يقولوا: ربنا بآلائك لا نكذب[٥٥].

فسورة الرحمن بوجه عام هي عرض لنعم الله – تعالى– على الجن والإنس حيث (عدد الله عز وعلا آلاءه، فأراد أن يقدم أول شيء ما هو اسبق قدماً من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها، وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه....) [٥٦].

وإن تكرار جملة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بعد كل صنف من أصناف تلك النعم فيه (إيقاظ لإحساس المخاطبين واستجاشة لضمائرهم، وتحريك لمشاعرهم وتقرير فضل الله في النفوس، وتأكيده في الأحاسيس)[٥٧].

ومما هو جليّ أن هذا التكرار يعطي السياق تناسقاً إيقاعياً عجيباً ولاسيما وأن هذا التكرار يتنوع بين نغمة التهديد والتخويف، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[٥٨]، ثم تتحول النغمة إلى نبرة من التأمل والتبصر كما في قوله تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[٥٩]، ثم تعود نغمة التهويل العنيف مرة أخرى، كما في قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[٦٠] وغيرها من أسلوب الشد والبسط؛ وذلك لكي يدفع عن السامع الملل والسآمة وهو

يقرأ هذه الآيات ويكررها[٦١]، فضلاً عما أحدثه التكرار من ربط لعناصر السورة من أولها إلى آخرها، فإنك عندما تقرأ هذه السورة لا تستطيع التوقف عند وسطها أو قبل نهايتها، بل إنه لا يسعك الوقوف إلا عند آخر فاصلة فيها. فيا له من جمالٍ وفنٍ وتعبير.

ونلاحظ أيضاً تكرار جملة ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ في سورة المرسلات إذ تكررت عشر مرات، وهذه الجملة تختلف عن سابقتها في كونها آية إنذار ووعيد (وإن النفس لتهتز وتخرس أمام هذا الإيقاع المشبع بروح الهول والقوة المتناهية)[٦٢]، وهذا المعنى الذي يعطيه تكرار هذه الجملة له ما يسوغه في التعبير القرآني؛ ذلك أنه (لما كانت السورة تتحدث عن وقوع اليوم الآخر وتصف مشاهده وأحداثه، كرر هذا الإنذار عقب كل مشهد، وكل حدث ليدل على قدرة الله في البعث، وليملأ القلب رعباً في التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب)[٦٣].

وهذا يعني أن تكرار الجمل في سياق هذه السور يتبع المعاني التي تعبر عنها آيات السور أو جملها، فضلاً عما يحدثه التكرار من جمال إيقاعي وفني في آيات السورة وجملها بكاملها، متمثلاً بدقة الربط الذي يحدثه التكرار بين تلك الآيات[٦٤].

وفي السور القصار يعطي التكرار – تكرار الجمل– زيادة في التقرير والتثبيت؛ ولهذه القيمة البلاغية، عمد الأسلوب القرآني في كثير من المواطن إلى هذا الأسلوب؛ ليوثق المعاني في النفوس، ومن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[٦٥] فتكررت جملة الوعيد في هذا السياق لتثبيت الخوف في أرجاء النفس ويحذرها العواقب؛ فتكف عن إصرارها على العناد والكفر؛ ذلك أن تكرارها يعطي زمنا أكثر للتأمل في معانيها وإثارة المشاعر عند تلاوتها.

أما تكرار الجملة في قوله تعالى: چۇ ۇ ۆ ۈ ۋ ۋ ۇٴ ۋ ۅ وچ[٦٦] فهو تثبيت للوعد وتأكيد له؛ ليرسل في النفس أطياف الأمل، ويبدد الشعور باليأس من خلال تكرارها وتوكيدها[٦٧].

ومما تجدر الإشارة إليه في بناء هذه الجملة المكررة أن العسر قد جاء معرفا، في حين جاء اليسر منكرا، مما جعل النبي (ﷺ) يخرج يوما على أصحابه فرحا مسرورا وهو يقول: (لن يغلب عسر يسرين، إن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا). وقال قتادة: ذُكر لنا أن رسول الله (ﷺ) بشر أصحابه بهذه الآية فقال: لن يغلب عسر يسرين[٦٨].

ومعنى هذا أن العسر معرف في الحالين، فهو مفرد، واليسر منكر فتعدد؛ ولهذا قال: (لن يغلب عسر يسرين)، يعني قوله تعالى: (فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا)، فالعسر الأول هو العسر الثاني عينه، واليسر متعدد[٦٩].

وفي الواقع إن التكرار في الجمل لا يقتصر على أسلوب القرآن فحسب، بل إننا نجد ذلك بكثرة في شعرنا القديم. وذلك حينما يتعمق معنى لفظ من الألفاظ أو جملة من الجمل في نفس الشاعر وإحساسه، فترى الشاعر يكرره، وأحياناً يلح في تكراره ليقرره في النفوس كما تقرر في نفسه. وذلك لأن الشاعر قد استعذب هذا التكرار لما يبعثه من إيقاع سواء أسياق أسى ورثاء كان السياق أم سياق طرب وفرح[٧٠].

وبشكل عام فالتكرار أكثر ما يكون في الشعر في باب الرثاء، وهو أولى به لمكان الفجيعة وشدة المصيبة التي يجدها المتفجع في نفسه. ومن الشواهد على ذلك – وهي كثيرة– قول ابنة النعمان بن بشير الأنصاري – الصحابي– وهي ترثي زوجها فتقول[٧١]:

وحدثني أصحابه أن مالكاً أقام ونادى صحبه برحيل

وحدثني أصحابه أن مالكاً ضروب بنصل السف غير نكول

وحدثني أصحابه أن مالكاً صروم كما في الشفرتين صقيل

فنلاحظ أنها كررت الشطر الأول من هذه الأبيات الثلاثة؛ لأنه ذو أثر عميق في هذا الموقف وهي ملهوفة عليه، وقد ساعد هذا التكرار في إحداث نوع من الترجيع النغمي، والتوازن الموسيقي الواضح الذي أصبحت به الأبيات كأنها عويل نائحة، فالتكرار في باب الرثاء أولى لما فيه من فجيعة وشدة وحزن، ولذلك عندما قيل لبعضهم متى تحتاج إلى الإكثار؟ قال: إذا عَظُمَ الخطبُ.

وهذا الذي قلناه يفسر كثرة التكرار في أسلوب القرآن الكريم حيث أهوال القيامة والبعث، وذلك لعظم الخطب. وهذا يعني أن القرآن الكريم قد ساير ذوق العرب على ما في نفوسهم من حب الترديد والتكرار في تلك المواقف. وهل هناك أعظم من أهوال القيامة وشدتها!؟ فلذلك يكثر التكرار في هذه المواقف كما يكثر في الرثاء في الشعر العربي القديم والشواهد على ذلك من القرآن كثيرة جداً[٧٢].

هذا ما يسره الله – عز وجل – من البحث في تكرار الجمل القرآنية في أسلوب القرآن الكريم – المعجز– وقد عمدت إلى الاختصار وعدم التكرار قدر المستطاع، وذلك من باب ذكر الجزء الذي يدل على الكل.

ويبقى بيان القرآن دائما القمة في فنون التعبير عن المعاني وإيصالها إلى المخاطب ولا يدخر الخالق عز وجل الطرق والأساليب التي من شأنها أن توصل المعنى بشكل يسير إلى المخاطب وهو كما قال عنه غير واحد من السلف: إنه السهل الممتنع.

والله أسأل أن يكون عملي خالصاً لوجهه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للناس أجمعين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه والتابعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الملامح الأسلوبية والدلالية للتكرار في الجملة القرآنية

لقد تناول الدارسون أسلوب التكرار ضمن موضوع التوكيد، إذ إن تكرار بعض الألفاظ أو الجمل في الكلام يأتي على وجه التأكيد؛ بوصفه وسيلة من وسائل تثبيت المعنى في نفوس المخاطبين. إلا أن التكرار في سياق القرآن الكريم يختلف دلالة وأسلوبا؛ إذ إنه لا يأتي لتوكيد الكلام فحسب بل يمكن عدّه من الوسائل البارزة في تماسك جمل النص القرآني التي ورد فيها التكرار، وترابطها من خلال تكرار الجملة القرآنية بجميع عناصرها، أو تكرار بعض عناصرها الأساسية أو غير الأساسية، في السياق نفسه أو في السياقات المختلفة.

ويمكن أن يعد التكرار في الأسلوب القرآني من الخصائص التعبيرية الجمالية الفنية للجملة القرآنية؛ ذلك أن التكرار يزيدها قوة في المعنى وإحكاما في السبك وسلاسة في الإيقاع الصوتي، فضلاً عن الومضات الدلالية الدقيقة التي يمكن الاستدلال عليها من خلال السياق الذي ورد فيه التكرار.

وفي ضوء ما تقدم فقد ناقشت هذه الدراسة المقتضبة تكرار أحد عناصر الجملة – الأساسية منها أو غير الأساسية – في السياق نفسه وبينت أن التكرار في هذه المواضع ما كان يمكن العدول عنه بالاستغناء عن أحدهما كما في تكرار الفعل في قوله تعالى: ﭽ ۈ ۇ ۆ ۆ ۇ ﭼ؛ ذلك أن دلالة الجملة الأولى مغايرة لدلالة

الثانية على الرغم من أن الجامع بينهما هو معنى الطهارة؛ وللسبب نفسه أيضا قدمت جملة التوبة على جملة الطهارة في الترتيب.

أما تكرار الجملة نفسها في الأسلوب القرآني فقد اتخذ بعدين أو منهجين:

الأول: تكرار الجملة نفسها في السياقات المختلفة التي وردت فيها، مثل جملة قوله تعالى: ﭽ ﭼ، أو تكرار الجملة نفسها ولكن باختلاف ترتيب عناصرها، مثل جملة قوله تعالى: ﭽ ﭼ وجملة قوله تعالى: ﭽ ۋ ۋ ې ې ﭼ.

أما **المنهج الثاني:** فهو تكرار الجملة نفسها في السياق نفسه أو السياقات المتشابهة، مثل ما ورد في سورة الكهف والرحمن...وغيرها.

ويتخذ التكرار في الأسلوب القرآني القصصي ملمحاً إسلوبيا آخر، وهو تكرار جملة أو أكثر في نهاية كل قصة، كما جاء في قصص الأنبياء مع أقوامهم في سورة الشعراء، إذ تكرر قوله تعالى: ﭽ ڑ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ﭼ.

ويمكن أن يلتزم الأسلوب القرآني بتكرار جملة واحدة، ويكون تكرارها السمة المميزة لأسلوب السورة التي تكررت فيها، كما هو الحال في سورة الرحمن والمرسلات... مع عدم إهمال جانب الإيقاع الصوتي الذي يعطيه التكرار لجمل وآيات هذه السور زيادة على إسهام التكرار في إحكام الربط ودقته بين جمل وآيات السورة التي ورد فيها.

وأما في السور القصار فيعطي التكرار– تكرار الجمل– زيادة في التقرير والتثبيت؛ ولهذه القيمة البلاغية، عمد الأسلوب القرآني في كثير من المواطن إلى

التكرار؛ ليوثق المعاني في النفوس ويثبتها؛ ليرسل في النفس أطياف الأمل، ويبدد الشعور باليأس من خلال تكرارها وتوكيدها وكما في قوله تعالى: ﭽ ۇ ۆ ۈ ۈﭼ.

وأخيرا فإن القرآن قد ساير ذوق العرب على ما نفوسهم من حب الترديد والتكرار في مواقف الألم والفجيعة ، فترى الشاعر يكرر بعض الألفاظ أو الجمل، وأحياناً يلح في تكرارها ليقرر المعنى في النفوس كما تقرر في نفسه. وذلك لأن الشاعر قد استعذب هذا التكرار لما يبعثه من إيقاع سواء أسياق أسى ورثاء كان السياق أم سياق طرب وفرح.

وبشكل عام فالتكرار أكثر ما يكون في الشعر في باب الرثاء، وهو أولى به لمكان الفجيعة وشدة المصيبة التي يجدها المتفجع في نفسه. وهذا يفسر كثرة التكرار في أسلوب القرآن الكريم حيث أهوال القيامة والبعث، وذلك لعظم الخطب.وهل هناك أعظم من أهوال القيامة وشدتها!؟ فلذلك يكثر التكرار في هذه المواقف كما يكثر الرثاء في الشعر العربي القديم والشواهد على ذلك من القرآن كثيرة جداً.

ويبقى بيان القرآن دائما القمة في فنون التعبير عن المعاني وإيصالها إلى المخاطب ولا يدخر الخالق عز وجل الطرق والأساليب التي من شأنها أن توصل المعنى بشكل يسير إلى المخاطب، وهو كما قال عنه غير واحد من السلف: إنه السهل الممتنع.

د.عدنان خالد فضل المرابحي الدوسري

الهوامش:

(١) التكرار في اصطلاح علوم البلاغة هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وهو نوع من أنواع الأطناب في علم المعاني. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١١٤، ودراسات في المعاني والبديع: ١٣٦.

(٢) ينظر: المثل السائر: ٣/٧ ، ومن بلاغة القرآن: ١٤٣، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٣٧٩/١.

(٣) سورة النمل: ٦٦.

(٤) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ١٣٥.

(٥) سورة المائدة: ٧٧.

(٦) المقصود بالإيقاع هو وقع الأصوات والكلمات على السمع وتأثيره فيه صوتياً وليس الإيقاع الموسيقي المصاحب للغناء والعياذ بالله.

(٧) ينظر: الإعجاز الفني في القران: 234.

(٨) سورة الأنفال: ٦٣.

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨/٨.

(١٠) ينظر: الإعجاز الفني في القران: 235.

(١١) سورة النساء من الآية: 59.

(١٢) سورة المائدة من الآية: ٩٢.

(١٣) سورة النور من الآية: ٥٤.

(١٤) سورة محمد: ٣٣.

(١٥) سورة التغابن: ١٢.

(١٦) ينظر: التعبير القرآني: ١٣٩-١٤٠.

(١٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: رقم الحديث: ٥٨/١٧/٧٢٨.
(١٨) سورة البقرة من الآية: ٢٢٢.
(١٩) ينظر: بدائع الفوائد: ٦٢/١.
(٢٠) سورة الرعد من الآية: ٥.
(٢١) ينظر: خصائص التراكيب: ١٨٦.
(٢٢) سورة الشورى من الآية: ٩.
(٢٣) سورة النور من الآية: ٢١.
(٢٤) سورة الإسراء من الآية: ١٠٥.
(٢٥) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ١٤٥.
(٢٦) ينظر: الإعجاز الفني في القران: 139، ومن أساليب التعبير القرآني: 140.
(٢٧) ينظر: الإعجاز الفني في القران: 139.
(٢٨) سورة البقرة من الآية: ٢٨٦.
(٢٩) ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣٧٠-٣٧١.
(٣٠) سورة الأنعام من الآية: ١٦٠.
(٣١) الخصائص: 31/263 ومن أساليب التعبير القرآني: 371.
(٣٢) سورة ص: ١٢-١٤.
(٣٣) الكشاف: ٢٨/٣. والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٣٧٦.
(٣٤) سورة النساء من الآية: ٧٥.
(٣٥) ينظر: روح المعاني: ٨٢/٥.
(٣٦) سورة الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.
(٣٧) سورة الأعراف من الآية: ٦١.

(٣٨) سورة الأعراف من الآية: ٦٧.
(٣٩) سورة الأعراف من الآية: ٦٤.
(٤٠) سورة الأعراف من الآية: ٧٢.
(٤١) سورة الأعراف: ٨٣.
(٤٢) ينظر: علم اللغة النصي: ١٧٧/٢-١٧٩.
(٤٣) أولها في سورة البقرة من الآية ١٦٣، وآخرها في سورة المزمل من الآية ٩.
(٤٤) فقد وردت هذه الجملة سبع مرات في القرآن الكريم ، هي: سورة البقرة: ٢٧١، ٢٣٤ وآل عمران: ١٨٠ والحديد: ١٠ والمجادلة: ٣، ١١ والتغابن: ٨.
(٤٥) وقد وردت هذه الجملة على هذا الترتيب في ست مواضع في السياق القرآني، هي: سورة آل عمران: ١٥٣والمائدة: ٨ والتوبة: ١٦ والنور: ٥٣ والحشر: ١٨ والمنافقون: ١١.
(٤٦) سورة الأعراف: 120-122 والشعراء: 46-48 وطه: 70.
(٤٧) وهو قوله تعالى چژ ڑ ڑ ک ک ک ﮐ گ گ چ[طه: ٧٠].
(٤٨) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٨٠.
(٤٩) سورة الكهف: 85، 89، 92.
(٥٠) سورة الكهف: ٦٧، ٧٢، ٧٥.
(٥١) سورة الكهف: ٣٤، ٣٧.
(٥٢) سورة الشعراء: 8-9، 67-68، 103-104، 121-122، 139-140، 158-159، 174-175، 190-191.
(٥٣) الكشاف: ٨٤٣/٣ والبلاغة القرآنية: ٣٧٥-٣٧٦.
(٥٤) ينظر: سورة الرحمن.
(٥٥) ينظر: روائع القرآن وجنة البيان: ٣٨٩ بتصرف يسير.

(٥٦) الكشاف: ٢٠٦/٤ والإعجاز الفني في القرآن: ٢٣٨.
(٥٧) المشاهد في القرآن الكريم: ٢٩٤.
(٥٨) سورة الرحمن: ٣١-٣٢.
(٥٩) سورة الرحمن: ٢٦-٢٨.
(٦٠) سورة الرحمن: ٣٧-٣٨.
(٦١) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن: ٢٣٨ -239.
(٦٢) المصدر نفسه: 236.
(٦٣) المشاهد في القرآن الكريم: ٢٩٥.
(٦٤) لمزيد من التفصيل، ينظر: الإعجاز الفني في القران: 236-138.
(٦٥) سورة التكاثر: ٣-٤.
(٦٦) سورة الشرح: 5-6.
(٦٧) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٩٣ وبلاغة الكلمة والجملة والجمل: ٢٧٨-٢٧٩.
(٦٨) فتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، السيوطي: 3/34رقم الحديث: 9952.
(٦٩) ينظر: تفسير ابن كثير: 392/14.
(٧٠) وقد استخدمت هذه الوسيلة اللغوية في القصيدة الحديثة لتؤدي دوراً تعبيرياً واضحاً فتكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى. ولمزيد من التفصيل ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة- د.علي عشري زايد: 98 وما بعدها.
(٧١) موسوعة روائع الشعر العربي- الرثاء - : 7/21.
(٧٢) ينظر: خصائص التراكيب: 293-296.

المصـــادر والمراجع:

١- **الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي** نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم عبدالله، تونس، ١٩٨٠م.
٢- **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)** اعتنى به وراجعه عماد بسيوني زغلول، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣- **بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)** خرج أحاديثه شريف محمد، دار التقوى للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٤- **البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د.فضل حسن عباس** دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م.
٥- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسى** طبع ونشر دار الفكر العربي.
٦- **بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان.** الناشر منشأة المعارف، الاسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٧- **تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدنيوري (ت٣٧٦هـ)** شرح ونشر السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٨- **التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي** ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٩٨٦ -١٩٨٧ م.
٩- **تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ)** تحقيق مجموعة من الأساتذة، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٠- **الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي(ت ٦٧١ هـ)** دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.

١١- **الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ)** تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

١٢- **خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد أبو موسى** مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.

١٣- **دراسات في المعاني والبديع، د. عبد الفتاح عثمان.** الناشر مكتبة الشباب، المنيرة، مصر (بدون تاريخ).

١٤- **روائع القرآن وجنة البيان، د.محمد ضاهر وتر.** دار الألباب، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢ م.

١٥- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)** دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.

١٦- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)** دار أبي حيان، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

١٧- **فتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)** تحقيق يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٨- **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د.صبحي إبراهيم الفقي** دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

١٩- **عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد.** دار العروبة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

٢٠- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)** دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

٢١- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٧٣ هـ)** قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه، د. أحمد الحوفي ود.بدوي طبانه، منشورات دار الرفاعي ، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.

٢٢- **المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية، د. حامد صادق قنيبي** مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.

٢٣- **من أساليب التعبير القرآني، د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي** دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٤- **من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي** مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٤ م.

٢٥- **موسوعة روائع الشعر العربي- الرثاء في الشعر العربي، المجلد السابع** إعداد سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.

توجيه القراءات الشاذة
في كتــاب معــاني القــرآن للفـرّاء

د. سحر أحمد محمد
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

مُقدّمة...

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

تعد القراءات القرآنية مصدرا مهما من مصادر النحويين بوصفها شواهد على صحة القواعد التي يستنبطونها. لذلك اهتموا بها ورووها وأوردوها في كتبهم.

وكان العالم اللغوي الكبير يحيى بن زياد الفراء(٢٠٧هـ) أحد أرباب النحو الكوفي وسلاطينه وحاز السبق في علم العربية، وكان مؤلفه الكبير (معاني القرآن) شاهدا على ذلك، وهو من أوائل ما ألف في معاني القرآن، وإدخال مسائل النحو الكوفي في التفسير وبيان المعاني القرآنية، ومن ثم تقريرها.

وكل من يقلب هذا الكتاب الحافل يجده قد ضم كما هائلا من القراءات المتواترة والشاذة بأسانيدها أو محذوفة الأسانيد منسوبة إلى أصحابها أو غير منسوبة جاءت في موضع الرد أو في موضع الترجيح. كما أن القارئ قد يلمس ويلاحظ وجود اختيارات للإمام الفراء في القراءات. لذلك أصبح كتابه مصدرا مهما لكتب القراءات.مما حدا بي إلى أن أدرس توجيه القراءات القرآنية الشاذة وموقف الفراء منها، فكان تقسيمي للبحث على محاور: الأول منه خصص لعرض منهج الفراء في عرض القراءات، والثاني خصص في ردّه لها، والثالث خصص في تعضيد القراءة الشاذة بالقراءة المشهورة، والرابع كان عن المقياس النحوي وتشذيذ القراءة، والخامس خصص في موقف الفراء من رسم المصحف وأثر ذلك في اختياراته للقراءات، والسادس كان أشتات مجتمعات تفرقت ما بين توجيه صرفي وصوتي للقراءات الشاذة.

أما المصادر التي اعتمدت عليها فقد تنوعت بين كتب التفسير كتفسير البحر المحيط، وكتب النحو ككتاب سيبويه، وأخرى ثبتها في ثبت المصادر، وأخيرا هذا جهد الاستطاعة فإن وفقت فبفضل من الله وإن أخفقت فتلك طبيعة البشر.

تمهيد

لقد عرف علم شواذ القراءات وتحددت معالمه في زمن ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) وإن كان موجودا قبله فقد ألف كتابه السبعة في القراءات المتواترة وكذا كتابا آخر سماه الشواذ، وبه تنوعت القراءات القرآنية إلى أكثر من نوع.

أعظم أنواعها القراءات المتواترة والتي تقابلها القراءات الشاذة، وبينهما أنواع منها: الصحيح والمستفيض.

إن ما نقل بطريق التواتر يفيد القطع لأن نقلته جمع عن جمع تحيل العادة اتفاقهم على الكذب، أما ما نقل بطريق الآحاد وهو ما يسمى بالقراءة الشاذة فهو محل اختلاف بين العلماء وسيكون مجال البحث بمشيئة الله بيان ما يخص أحكام القراءات الشاذة وآثارها في العلوم الشرعية.

مفهوم القراءات الشاذة:

القراءات في اللغة والاصطلاح:

هي جمع مفردة قراءة، وأصل مادتها تعود إلى (ق ر ى) وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع... ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه الأحكام والقصص وغير ذلك(١).

فالقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض(٢). وفي اللسان جاء معنى قرأت القرآن:لفظت به مجموعا(٣).

وفي الاصطلاح: ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة لها، بعضها قريب من المقصود والبعض الآخر يبعد قليلا، وهناك تعريفات متداخلة لكن أبرزها:

١- **تعريف ابن الجزري حيث قال:** (القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو لناقله)(٤).

٢- **تعريف القسطلاني بأنها** (علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال)(٥).

٣- **وأخيرا تعريف عبد الفتاح القاضي إذ قال عنها:**(علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله)(٦).

الشذوذ في اللغة والاصطلاح:

مشتق من مادة (ش ذ ذ) وهو مصدر من شذّ يشذُّ شذوذا، وتقول شذّ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم(٧)، فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة(٨)، والتفرق والخروج عن القاعدة والأصول فكل شيء منفرد فهو شاذ.

والشاذ في الاصطلاح يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات، فالقراءات الشاذة هي التي

تقابل القراءات المتواترة. وعرفت بأنها (من فقدت ركنا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة)(٩).

كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس ابن الجزري الذي قال: (... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم)(١٠).

فالقراءة الشاذة هي التي لم يصح سندها، أو خالفت الرسم، أو لا وجه لها في العربية، كما عرفت بأنها كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ولم يتواتر سندها.

والتعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو:القراءة التي صح سندها ووافقت العربية ولو بوجه وخالفت رسم المصحف، وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية (١١)، وابن الجزري، كما اعتمده قبلهما مكي القيسي(١٢)، وأبو شامة المقدسي(١٣).

ولعل السبب في تسميتها بالقراءة الشاذة يعود إلى أنها شذت عن الطريق الذي نقل به القرآن حيث نقل بجميع حروفه نقلا متواترا، قال ابن الجزري: (شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحا)(١٤).

تبرئة الفراء من تخطئة القراء:

لعل من المناسب في هذا الموضع تبرئة الفراء مما ذهب إليه كثير من الباحثين من أنه يهاجم القراء ويخطئ قراءاتهم ويرميها بالشذوذ تارة وبالوهم أخرى، لأننا ومن خلال مطالعتنا لكتابه (معاني القرآن) موضع الدراسة وجدنا أنه بريء مما اتهم به، فعن قراءة (معائش) بالهمزة في قولة تعالى: ((وجعلنا لكم فيها معايش)) [الأعراف/١٠] قال: (لا تهمز، لأنها بمعنى الواحدة مفعِلة، الياء من الفعل فلذلك لن تهمز وإنما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة...وربما همزت العرب هذا وشبهه

يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف كما جمعوا مِسيل الماء أمسلة شُبِه بفعيل وهو مفعل، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام)(١٥).

فهو أولا وضح لماذا لا تهمز هذه اللفظة وشبيهاتها بتعليل لغوي صرفي يقبله واقع اللغة ومنطقها ثم أخذ يبحث عن مثيلات لها في الاستعمال اللغوي آ خراً ولا يعني ذكره للفظة (يتوهمون) أنه رمى القراء بالوهم والقراءة بالخطأ، في حين نجد كثيراً من علماء العربية وأهل التفسير رمى القراءة بالوهم والبعد عن اللغة وفصاحتها، فقد وصفها المازني (ت٢٤٩هـ) بالخطأ ورمى نافعا بالجهل بالعربية(١٦)، وتبعه المبرد (٢٨٥ هـ) فغلّط القراءة وأتهم نافعا بعدم الدراية بالعربية(١٧)، وأخرج الطبري(٣١٠هـ) القراءة من الفصيح وزعم أن (الأولى أن يحمل كتاب الله على الأفصح، والأعرف دون المنكر والشاذ)(١٨).

وإلى هذا ذهب النحاس (٣٣٧هـ) فلحن القارئ بها لأن الواحدة معيشة زيدت عليها ألف الجمع، وهي ساكنة فعند الجمع صار التحريك واجبا لا سبيل إلى الحذف، وحركت الياء لأن الألف لا تحرك(١٩).

وذكر ابن جني(٣٩٢هـ) القراءة في شواذ الهمز(٢٠). ورأى مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) أن في القراءة بعدا(٢١)، كذلك وصف العكبري(٦١٦هـ) همزها بعيد جداً(٢٢).

أما سيبويه (١٨٠هـ) فلم يذكر القراءة بل ذكر أن همز هذا ومثيلاته غلط إذ قال: (ولم يهمزوا مقاول ومعايش لأنهما ليستا بالاسم على الفعل فتعتلا عليه، وإنما هو جمع مقالة ومعيشة وأصلهما التحريك، فجمعتهما على الأصل... فأما قولهم مصائب فإنه غلط منهم، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعلية وإنما هي مفعلة، وقالوا: مصاوب)(٢٣)، وقد عُدّ قوله هذا أصلا في هذه المسألة(٢٤).

بقي أن نقول: أن هذه القراءة شاذة من جهتين الأولى شذوذ من حيث السند والأخرى شاذة في القياس النحوي لأنها مخالفة للقياس عند النحاة مما أدى إلى رفضها ؛لأن القياس يقتضي أن لا تهمز لأنها جمع (معيشة) وزنها (مفاعل) ووزن (معيشة) (فعله) وأصلها(مَعْيْشَة) ثم ألقيت حركة الياء على العين والميم زائدة، لأنها من العيش لا يحسن همزها عندهم(٢٥).

وتلمس لها الفراء وجها من العربية إذ قال:(وربما همزت العرب هذا وشبهه... لكثرتها في الكلام)(٢٦)، ووافق من المحدثين د.حسام النعيمي الفراء فيما ذهب إليه من أن هذه القراءة ومثيلاتها جاءت على القياس الخطأ الذي يؤدي إليه التوهم(٢٧) والى هذا نميل في تخريج القراءة وتوجيهها.

وفي توجيهه لقراءة عاصم (دُرِّيء) في قولة تعالى: ((الزجاجة كأنها كوكب درى)) [النور/٣٥] يضم الدال والمد والهمز قال: بإن لا وجود لوزن (فُعَّيل) في العربية وإنما هو أعجمي، قائلا ولا تعرف جهة ضم أوله وهمه ولا يكون في الكلام فُعيل إلا أعجميا فالقراءة إذا ضمت أوله وهمزه ولا يكون في الكلام فعيل إلا أعجميا فالقراءة إذا ضمت أوله وهمزه يترك الهمز وإذا همزته كسرت أوله ومن العرب من يقول: كوكب دِرَّي فينسب إلى الدُر فيكسر أوله ولا يهمز كما قالوا سُخْرى وسِخِرى(٢٨) فهو يقرر أن القراءة على وزن وليس على أوزان العربية ثم بحث في لهجات العرب مما يماثل هذا الوزن وذهب النحاس إلى عدم جواز القراءة يضم الدال والهمز لأنه ليس في كلام العرب اسم على (فُعيل)(٢٩) لكن سيبويه نقل عن الاخفش الكبير (١٧٧هـ) عن العرب هذا الوزن الذي أنكروه، إذ قال: (ويكون على (فعيل) وهو قليل في الكلام قالوا (المُرّيق)حدثنا أبو الخطاب عن العرب وقالوا: كوكب دُرِّيء وهو صفة)(٣٠) وزاد أبو علي الفارسي (٣٣٧هـ) لفظ آخر على هذا الوزن هو العُلِّية إذ قال: (ومما يمكن أن يكون من هذا البناء قولهم (العُلَّية) إلا تراه من علا)(٣١).

وفي رأينا المتواضع أن الفراء لا يخطئ من حيث اللغة وإنما هو يحكم القياس النحوي ويتبعه على الرغم من كونه إمام نحاة الكوفة الذين يغلبون السماع على القياس في معظم مسائل اللغة والنحو.

تعضيد القراءة الشاذة بالقراءة المشهورة:

من المعروف أن مصطلحات علم القراءات لم تكن معروفة أو مستقرة في عهد الفراء، والقارئ لكتابه (معاني القرآن) يجد كثير من القراءات الأحادية وغير المشهورة المشتملة على القراءات المروية عن بعض القراء، وعلى القراءات المروية عن قارئ واحد قد ينص الفراء على تفرده بها، أما منهج الفراء حيال هذه القراءات فهو ينقسم على قسمين:

الأول: يحتج لها بالقرآن[٣٢] أو بالشعر[٣٣]، أو باللغات أي اللهجات[٣٤].

الآخر: يبدي عدم الحماسة أو الرفض لها لأنها تخالف ما يشتهيه من وجوه، ويعبر عن ذلك بعبارات مختلفة كقوله:(ولا يعجبني ذلك)[٣٥] أو(وفيه قبح في العربية)[٣٦] وقد يذكر بلا تعليق[٣٧]. أو يلجأ إلى القياس كما قاس قراءة أهل البدو ((الحمدِ لِله)) {الفاتحة/٢} بكسر الدال على قولهم (إِبِل)، قال:(هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد ضمة بعدها كسرة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل (إِبِل) فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم)[٣٨].

ولا يفرق الفراء غالباً بين وجوه هذه القراءات وبين القراءات المشهورة، بل يأخذ بها جميعا يصفها بالجودة[٣٩]، وبفشو لغة[٤٠]، وبالحسن[٤١] ما دامت توافق مقياسه النحوي، وقد نجده أحياناً يفضل بعض وجوهها على القراءات المشهورة[٤٢]، وقد يشتد مقياسه النحوي فتقسو عبارته فيرمي بعض هذه القراءات بالغلط[٤٣]، وبالوهم[٤٤]، فهو يسعى دائماً إلى استيعاب قراءات القرآن ولغاته راغباً في قبولها لكنها إن ابتعدت كثيراً عن ذلك فلا يتورع عن رفضها.

ومن أمثلة القراءات الشاذة التي جاء على ذكرها الفراء وقوّاها بالقراءات المشهورة والمتواترة، قراءة ابن عباس (نُنشِرها)، وقراءة الحسن (نَنشَرها) في قوله

تعالى:(ننشرها) {البقرة/٢٥٩ } محتجا بقوله تعالى:(ثم إذا شاء أنشره) {عبس /٢٢} فقال: (والوجه أن تقول: أنشر الله الموتى فنشروا إذا حيوا)[٤٥].

وقراءة عبد الله (حقيقٌ بأن لا أقول على الله) في قوله تعالى: ((حقيقٌ على أن لا أقول)) { الأعراف/١٠٥} جعلها (حجة من قرأ (على) ولم يضف، والعرب تجعل الباء في موضع على، رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حسنةٍ وبحالٍ حسنةٍ)[٤٦].

منهج الفراء في عرض القراءات:

مما لا شك فيه أن كتاب (معاني القرآن) هو كتاب تفسير لآي الذكر الحكيم ذكر مؤلفه في ثناياه القراءات القرآنية، فلم تكن هي محور الكتاب أو مادته الرئيسة بل هي مما يستكمل به المؤلف، وقد أتبع الفراء مناهج مختلفة في عرضه للقراءات وعلى النحو الآتي:

أولا: أسانيد القراءات وطريقة إيرادها:

من المعروف أن أحد شروط قبول القراءة أو ردها هو (صحة السند)، وعلى الرغم من أهمية هذا الشرط فقد أختلف منهج الفراء في إيراد الأسانيد وذكرها على:

١- يروى القراءات عن الصحابة بالأسانيد الثابتة عنهم، مثل قوله: (وحدثني قيس بن ربيع عن عاصم عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ (وأرجلكم) {المائدة/٦} مقدم ومؤخر)[٤٧].

٢- قد يسوق الإسناد ثم يأتي بصيغة تدل على تضعيف السند، ففي قراءة عاصم (غشاوة) بالنصب في قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوةٌ) {البقرة/٧} قال: (قرأها عاصم فيما حدثني المفضل، وزعم أن عاصما أخذها عليه مرتين بالنصب وكذلك قوله (وحور عين))[٤٨] {الواقعة/٢٢}.

٣- لا يصرح أحيانا باسم الشيخ بل يقول حدثني بعض المشيخة، أو قد يسوق الإسناد ثم يذكر أنه لم يسمع منه شيئا، نحو قوله: (حدثني شريك عن أبي إسحاق، وقيس عن أبي إسحاق، وزهير بن معاوية أبو خثيمة الجعفي عن أبي إسحاق عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ (شَقَاوَتنا) بألف وفتح الشين، قيل للفراء: أأخبرك زهير ؟ فقال: يا هؤلاء إني لم اسمع من زهير شيئا)(٤٩) وذلك في قوله تعالى:(قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا){المؤمنون/١٠٦}.

٤- قد يبين ما وقع في الإسناد من انقطاع أو أبهام رجل وهذان يدلان على علمه وحرصه على نقل العلم كما بلغه(٥٠)، نحو قوله: (وحدثني بعض المشيخة عن الكلبي عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً قرأها(أمثال الجنة) قال الفراء: (أظن دون أبي عبد الرحمن رجلاً، قال وجاء عن أبي عبد الرحمن ذلك، والجماعة على كتاب المصحف)(٥١) وذلك في قوله تعالى: (مثَلُ الجنة التي وُعِد المتقون) {الرعد/٣٥ }.

٥- قد يذكر طرق الإسناد ويبين ما وقع فيه من اختلاف أو اضطراب، نحو قوله: (حدثني قيس، والمفضل الضبي عن الأعمش عن إبراهيم، فأما المفضل فقال: عن علقمة عن عبد الله، وقال قيس: عن رجل عن عبد الله قال قرأ رجل على عبد الله (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) {الطور/٢١} قال فجعل عبد الله يقرؤها بالتوحيد)(٥٢).

ثانيا نسبة القراءات وعرضها:

١- أورد الفراء في كتابه مما أُثر عن الرسول(ﷺ) من قراءات، نحو قوله: (وحدثني حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أوحي إلى النبي (ﷺ) بعد اقتصاص أمر الجن (وأن المساجد لله فلا تدعوا) وكان عاصم يكسر ما كان من قول الجن، ويفتح ما كان من الوحي)(٥٣).

٢- يذكر كل قراءة في مكانها وهو الغالب، وقد يجمع ما في الكلمة من وجوه في الموضع الذي وردت فيه، وأمثلة هذا النهج كثيرة في كتابه، ومنها (ولؤلؤاً) {الحج/٢٣} قال: (قرأ أهل المدينة هذه والتي في الملائكة (ولؤلؤا) بالألف، وقرأ الأعمش كلتيهما بالخفض، ورأيتها في مصاحف عبدالله والتي في الحج خاصة (ولؤلؤا) ولا تهجأة وذلك أن مصاحفه قد أجرى الهمز فيها في كل حال إن كان ما قبلها مكسوراً أو مفتوحاً أو غير ذلك، والتي في الملائكة كتبت في مصاحفنا (ولؤلؤ) بغير ألف والتي في الحج (ولؤلؤا) بالألف فخفضهما ونصبهما جائز، ونصب التي في الحج أمكن – لمكان الألف – من التي في الملائكة)(٥٤).

٣- كثراً ما يتوسع في شرح القراءة في أول موضع ترد فيه، وعندما تتكرر فإنه يذكر ما قيل فيها لغة أو تفسيراً على وجه الاختصار، ويشير إلى أن الكلام عليها قد سبق، ومثال ذلك قوله: (وزعم الكسائي أنهم يؤثرون النصب إذا حالوا بينا لفعل والمضاف بصفة فيقولون: هو ضارب في غير شيء أخاه، يتوهمون إذا حالوا بينهما أنهم نوّنوا وليس قول من قال (مخلف وعده رسله) {إبراهيم/٤٧} ولا (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) {الإنعام/١٣٧} بشيء وقد فسر ذلك، ونحويو أهل المدينة ينشدون قوله:

فزججتها متمكنا   زج القلوص أبي مَزَاده

قال الفراء: باطل، والصواب: زَجَّ القلوصِ أبو مَزَادَه)(٥٥).

وقد يحيل على الموضع الأول من غير تفسيرها، ومثال ذلك قوله: (والعرب تدخل الواو في جواب فلما و(حتى إذا) وتلقيها، فمن ذلك قول الله تعالى:(حتى إذا جاؤوها فتحت) {الزمر /٧١ } وفي موضع آخر (وفتحت) {الزمر /٧٣} وكلٌ صواب، وفي قراءة عبدالله (فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية){يوسف/٧٠} وفي قراءتنا بغير واو وقد فسرناه في الأنبياء)(٥٦).

٤- يبين الفراء مجيء قراءة في موضع واختلافها عن باقي المواضع، ويعلل ذلك، ومثال هذا قوله: (وسألت الفراء عن(شان) فقال: أهمزه في كل القرآن إلا في سورة الرحمن، لأنه مع آيات غير مهموزات، وشانه في كل يوم أن يميت ميتا ويولد مولودا، ويغني ذا ويفقر ذا، فيما لا يحصى من الفعل)(٥٧).

٥- يستدل على صحة لفظ قراءة بما ورد من حديث الرسول الكريم(ﷺ) بنفس اللفظ ن ومثاله قوله: (حدثني الكسائي عن رجل من بني أمية يقال له سعد بن يحيى الأموي، قال سمعت ابن جريج يقرأ (فشاربون شَرب الهيم) {الواقعة/٥٥} بالفتح، قال فذكرت ذلك لجعفر بن محمد قال:أوَ ليست كذاك؟أما بلغك أن رسول الله (ﷺ) بعث بُديل ابن ورقاء الخزاعي إلى أهل منى، فقال لهم:إنها أيام أكلٍ وشَربٍ وبِعال)(٥٨).

منهج الفراء في رَدّ القراءات

لم يأخذ الفراء بكل القراءات، كذلك لم يردها جميعها بل أخذ ما وافق مقياسه النحوي أو وافق تفسيره اللغوي وترك ما خالف ذلك، وقد اختلف منهجه في رد القراءات وعلى النحو الآتي:

١- أنه قد يرد قراءة ما بسبب شذوذها وما يترتب عليها من معنى فاسد للآية، ولا تثريب عليه في ذلك، نحو قوله: (قوله:(إن ابنك سَرَق) {يوسف/81} قال ويقرا (سُرِّق) ولا اشتهيها، لأنها شاذة، وكأنه ذهب إلى أنه لا يستحل أن يُسرَّق ولم يسرِق)(٥٩).

٢- قد يرد قراءة ما ويوهنها، ويحدد الطبقة التي وقع فيها الوهم، ومثاله توجيهه (ما أنا بمصرخِكُم وما أنتم بمصرخِيَّ){إبراهيم/٢٢ } قال: (وقد خفض الياء من قوله (بمصرخِيِّ) الأعمش ويحيى بن وثاب جميعا... قال الفراء: ولعلها من وهم القراء من طبقة يحيى فأنه قل من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الياء في

(بمصرخي) خافضة للحرف كله والياء من المتكلم خارجة عن ذلك، مما ترى أنهم أوهموا فيه قوله: (نوَّله ما تولى ونُصلِه جهنم) { النساء/١١٥} ظنوا – والله أعلم – أن الجزم في الهاء، والهاء في موضع نصب، وقد أنجزم الفعل قبلها بسقوط الياء منه، ومما أوهموا فيه قوله: (وما تنزلت به الشياطون) {الشعراء/٢١٠}.)(٦٠).

٣- قد يرد القراءة لمخالفتها النحو، والقياس اللغوي على الرغم من أن القراءة سنة متبعة لا يردها قياس لوي أو نحوي لا سيما إذا الأمة أطبقت على قبولها وقبول معناها، ون المعروف أن أصل قبول القراءة أو ردِّها هو التلقي والرواية لا التعليل النحوي ولا القياس اللغوي، ومثال ذلك قراءة (والأرحامِ) بالخفض في قوله تعالى:(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام){النساء/١} قال الفراء:(حدثني شُريك بن عبدالله عن الأعمش عن ابراهيم أنه خفض(الأرحام) قال وهو كقولهم بالله والرحم، وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض وقد كُني عنه...وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه)(٦١).

٤- قد يرد قراءة لكونها مخالفة للتفسير أو لإجماع القراء، ومثاله في توجيه القراءة قوله تعالى: (ولا يسأل حميم حميما) {المعارج/١٠} (لا يسأل ذو قرابة عن قرابته، ولكنهم يعرفونهم بالبناء للمجهول ساعة، ثم لا تعارف بعد تلك الساعة، وقد قرأ بعضهم (ولا يُسئل حميمٌ حميما) لا يقال لحميم:أين حميمك؟ ولست أشتهي ذلك، لأنه مخالفة للتفسير ولأن القراء مجتمعون على (يسأل))(٦٢).

٥- تقدم أن الفراء كان يحترم رسم المصحف ولا يذهب إلى مخالفته، ورسم المصحف كان سببا في رد بعض القراءات لمخالفتها له، ومثاله توجيهه للقراءة في قوله تعالى: (فما آتانِ الله) {النمل /٣٦} قال: (ولم يقل (فما آتاني الله) لأنها محذوفة الياء من الكتاب، فما كان ممن يستجيز الزيادة في كتاب الله من الياء والواو

اللاتي يحذفن مثل قوله:(ويدعو الإنسان بالشر) فيثبت الواو وليست في المصحف... ولست أشتهي ذلك ولا آخذ، به إتباع المصحف إذا وجدت له وجها في كلام العرب، وقراءة القراء أحب إلي من خلافه)[٦٣].

٦- قد يرد قراءة ولا يذكر سبب الرد، ومثال ذلك قول الفراء:(وأما ابن عباس وابن مسعود فقالا: قد قال الله عز وجل (وجحدوا بها واستيقنتها أنفُسُهُم){النمل/١٤} قال الفراء: والفتح أحب إلي، وقال بعضهم:قرأ الكسائي بالرفع، فقال أخالفه أشد الخلاف)[٦٤].

موقف الفراء من رسم المصحف:

ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى أن الفراء كان مترخصاً في رسم المصحف[٦٥]، بناء على عباراته التي زخر بها مؤلفه (معاني القرآن) موضع الدراسة كقوله: (وهو جائز في العربية وإن كان مخالفاً للكتاب)[٦٦]، لكننا وجدناه من الملتزمين برسم المصحف وإن كانت بعض عباراته أوحت بغير ذلك فهو راجع إلى كونه نحوياً مؤسساً لنحو الكوفة، ودليلنا على ما نقول كثرة تبيانه للأوجه النحوية التي تحتملها الآية أو القراءة المروية، وهو يعمل مقياسه النحوي على القراءات المشهورة وغير المشهورة على حد سواء، ومن أمثلة تعظيمه لرسم المصحف واحترامه له توجيهه لقراءة الحسن(أجمعون) في قوله تعالى: (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين){البقرة/١٦١} إذ قال: (وهو جائز في العربية وإن كان مخالفاً للكتاب)[٦٧].

وعندما جاء على بيان قوله تعالى:(من النخل من طلعِها قِنوان) {الأنعام/٩٩}.

قال: (الوجه الرفع في القنوان، لأن المعنى ومن النخل قنوانه دانية، ولو نصب وأخرج من النخل طلعها قنوانا دانية لجاز في الكلام، ولا يقرأ بها لمكان الكتاب)[٦٨] أي يقصد رسم المصحف وعدم جواز مخالفته.

وعندما جاء على بيان قوله تعالى: (إن هذان لساحران) {طه/٦٣} قال: (قد اختلف فيه القراء فقال بعضهم هو لحن، لكننا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب)[٦٩].

وفي توجيهه لقراءة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)(إن هذين لساحران) قال: (ولست أشتهي على أن أخالف الكتاب)[٧٠].

فمن خلال ما عرضنا ههنا نجد أن الفراء كان يحترم الرسم القرآني ويقدسه ولم يذهب إلى الترخص به أو إلى مخالفته.

القياس النحوي وتشذيذ القراءات عند الفراء:

من المعروف أن الفراء أحد المؤسسين لمنهج بالسماع ويغلبه على القياس، وأنه يقعد القواعد النحوية وإن كان ما يعضدها من كلام العرب شاهد واحد وذلك متأت نتيجة لكون معظم نحاة الكوفة كانوا أهل قراءة والقراءة سُنة متبعة.

ولما كان الأمر كذلك فلا غرو من أن نجد الفراء وهو على ما هو عليه من علم بالعربية ودراية بأساليبها في القول شعراً ونثراً زيادة على أنه أحد أهم من أرسى منهج النحو الكوفي، لكن على الرغم مما تقدم فقد نجد الفراء يغلب القياس النحوي في حكمه على قراءة ما، كما جاء في بيانه لقراءة قوله تعالى:(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ) {النساء/١} بجر (الأرحام)وهي قراءة حمزة[٧١].

ونسب الفراء القراءة إلى إبراهيم النخعي قال: (هو قولهم بالله والرحم، وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض وقد كني عنه، وقد قال الشاعر في جوازه:

نُعَلَّق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب نَحوط نفانِف

وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه)[٧٢].

وأثارت قراءة الخفض خلافاً طويلا بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة، فقد رَدّ نحاة البصرة القراءة لأنها تتعارض مع القاعدة النحوية التي لا تجيز العطف على

الضمير المجرور من غير إعادة للخافض لأنه معه كالشيء الواحد إلا في ضرورة الشعر[٧٣]. والفراء في توجيهه للقراءة يتفق مع رأي نحاة لبصرة ويتبع القاعدة النحوية ويغلبها على ما نُقل وهو بهذا يخالف أصحابه فقد كان سائرهم يقبل هذه القراءة ويحتج بها ويدعم حجته بما ورد من شواهد العربية فقد ذهب الكسائي إلى إجازته مطلقاً[٧٤]، وأحتج الكوفيون للقارئ بأن أضمر الخافض واستدلوا بأن العجاج بن رؤبة كان إذا قيل له: كيف تجدك ؟ يقول: خيرٍ عافاك الله، يريد:بخيرٍ، وجهها بعضهم بان المقصود بها:واتقوه في الأرحام أن تقطعوها[٧٥].

وأجاز هذه القراءة أي قراءة الكسر أبو علي الشلوبين (ت ٦٤٥هـ)[٧٦] والرازي (ت هـ) بقوله: (والظاهر أنه – أي حمزة – لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة ببيتين مجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن)[٧٧].

وكذلك عندما وجه قراءة ابن عامر (وكذلك زُين) بضم الزاي في قوله تعالى: (وكذلك زَيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم){الأنعام /١٣٧} قال: (وفي مصاحف أهل الشام (شركايهم) بالياء فأن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ (زُين) وتكون الشركاء هم الأولاد... فإن كانوا يقرؤن (زَين) فلست أعرف جهتها إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون أتيتها عِشايا... فهذا وجه... وليس قول من قال: إنما أرادوا مثل قول الشاعر:

فزججتها زَج القلوص أبي مَزاده...

بشيء وهذا مما كان يقولوا نحويو أهل الحجاز ولم نجد مثله في العربية)[٧٨].

ففي قراءة ابن عامر فصل بين المضاف (قتلُ) وهو مصدر إضافة إلى فاعله وفصل بين المتضايفين (شركائهم) بـ (أولادهم) وهو مفعول به، وهو أمر منعه البصريون والقاعدة عندهم عدم الفصل بين المتضايفين بغير الظرف وحرف الجر، أما الكوفيون فقد أجازوا ذلك اعتمادا على هذه القراءة وغيرها من شواهد الشعر[٧٩]، وهذا ما رفضه الفراء وقال عنه: (وليس من قال (مخلف وعده رسله) {إبراهيم/٤٧} ولا (زُين لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائهم) {الأنعام/١٣٧} بشيء)[٨٠].

المضاف والم ورفضها الطبري (ت٣١٠هـ) أيضا إذ قال:(ذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح)[٨١] ورفضها أيضا أبو عبيدة إذ قال:(لا أحب قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه)[٨٢]، ولحنها النحاس (٣٣٧هـ)[٨٣]، وقبحها ابن خالويه بقوله: (وهو قبيح في القرآن)[٨٤]، وأيده أبو علي الفارسي(٣٣٧هـ)بقوله:(هذا قبيح في الاستعمال ولو عُدل عنها لكان أولى)[٨٥] وذهب مكي بن أبي طالب إلى أن (فيها ضعفا للتفريق بين المضاف والمضاف إليه لها إنما يجوز مثل هذا التفريق في الشعر... وهو... بعيد فإجازته في القرآن أبعد)[٨٦].

وأنكر الزمخشري(٥٣٨هـ)القراءة وجزم بركاكتها[٨٧]، وردّ عليه أبو حيان (٧٤٥هـ) الذي ذهب إلى أن ابن عامر عربي صريح محض وقراءته متواترة نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت والذين نقلوا القراءات تخيرتهم الأمة لنقل كتاب الله معتمدة على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم[٨٨].

ومما تقدم تبين لنا إجماع النحويين (على إمتناع الفصل بين ضاف إليه بالمفعول في غير ضرورة الشعر، والقرآن ليس فيه ضرورة)[٨٩].

أشتات مجتمعات:

لم يقتصر عمل الفراء على ذكر القراءة ووصفها بالشواذ أو بالقبح أو بالبعد في العربية بل تعدى ذلك إلى التوجيه النحوي، والصرفي، والصوتي، فمثال الأول

قراءة حمزة (إلا أن يُخافا) لقوله تعالى:(إلا أن يَخافا ألا يقيما حدود الله){البقرة/٢٢٩}، بالبناء للمجهول من حيث المعنى قال: (قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة وعلى أن، ألا ترى أن اسمها في الخوف مرفوع بما لم يسم فاعله، فلو أراد ألاّ يخافا على هذا أو يُخافا بذا، أومن ذا)[٩٠].

ومثلها توجيهه لقراءة أُبيّ (فبذلك فافرحوا) في قوله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) {يونس/٥٨} قال:(وهو البناء الذي خُلِق للأمر إذا واجهت به أو لم تواجه، إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة في كلامهم كما حذفوا التاء من الفعل... فلما حذفت التاء ذهبت باللام وأحدثت الألف في قولك: أضرب وأفرح، لأن الضاد ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفاً خفيفة يقع بها الابتداء، كما قال (ادّاركوا) و(اثّاقلتم)...وهو الأصل)[٩١] من الملاحظ على توجيهه أنه خلط بين النحو والصرف ولا عيب في ذلك إذ أن مسائل العلمين متداخلة آنذاك ويكمل أحدهما الآخر.

وأخذ الجانب الصرفي مجالا واسعا في توجيه الفراء للقراءات سواء كانت متواترة أم شاذة، ومثال ذلك توجيهه لقراءة (يخطِّف) في قوله تعالى:(يكاد البرق يخطف أبصارهم) {البقرة/٢٠} قال: (فأما من قال (يخطِّف) فأنه نقل إعراب التاء المدغمة إلى الخاء إذا كانت منجزمة، ووجه قراءة (يَخِطف) بفتح الياء وكسر الخاء قال: (وأما من كسر الخاء فأنه طلب كسرة الألف التي في اختطف والاختطاف وقد قال بعض النحويين إنما كُسرت الخاء لأنها سكنت وأسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضت الأول... وليس الذي قالوا بشيء لأن ذلك لو كان كما قالوا لقالت العرب في يمُدُّ يمِدّ لأن الميم ساكنة وسكنت الأولى من الدالين)[٩٢].

وكذلك قراءة ابن عامر وحمزة (وإن تَلُوا) في قوله تعالى: (وإن تلووا أو تعرضوا) {النساء/١٣٥} قال: (الذين قالوا: (تلوا) أرادوا تلؤوا فيهمزون الواو

لانضمامها ثم يتركون الهمز فيتحول إعراب الهمز إلى اللام فتسقط الهمزة، إلا أن يكون المعنى فيها(وأن تلوا) ذلك يريد: تتولوه... فهو وجه)[٩٣].

ولم يغفل الفراء الجانب الصوتي في توجيهه للقراءات فقد ذكر مسائل صوتية كثيرة تتوافق مع ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة إلى حد بعيد، من ذلك توجيهه لقراءتي (عليهُم) بضم الهاء و(عليهِم)بكسرها في قوله تعالى:(غير المغضوب عليهم) {الفاتحة/٦} قال:(وهما لغتان، لكل لغة مذهب في العربية...فأما من قال عليهم فأنه استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة، فقال (عليهِم)لكثرة دور المكنى في الكلام)[٩٤]. فقد ذكر كراهة الاستثقال في اللسان العربي ونزوع العرب إلى الخفة في كلامهم معتذرا لمن يستثقل بكثرة دوران المكنى في الكلام.

كذلك عندما وجه قراءة (أنلزمكموها) بسكون الميم في قوله تعالى: (أنلزمكموها وأنتم لها كارهين){هود/٢٨} قال: (العرب تسكن الميم التي من اللزوم فيقولون أنلزمكموها وذلك أن الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها وحركتين بعدها وأنها مرفوعة فلو كانت منصوبة لم يستثقل فتخفف، وإنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين...فإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين تنضم الرفعة بهم فيثقل الضمة ويحال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة)[٩٥] فالفراء يذكر سبب التسكين وهو توالي الحركات واختلافها لما فيها من صعوبة الانتقال من إحداها إلى الأخرى فيميل الناطق إلى الخفة، ثم يذكر مخرجي الضمة والكسرة واختلافهما مما يولد صعوبة على اللسان والشفتين وكل ذلك عائد إلى قانون لغوي تتبعه اللغة العربية في نظامها.

نتائج البحث:

- لم نجد في تضاعيف كتاب (معاني القرآن) موضع الدراسة ما هو دارج عند علماء القراءات والتجويد من لفظ السبعة، أو العشرة أو غيرهما كالأخوين أو الشيخين، أو الابنين، لأنه – أي الفراء– كان قبل أن تستقر هذه المسميات.
- لم يتبع الفراء منهجا محددا في ذكره للأمة الكرام الذين نقلوا لنا القراءات، فمرة يذكر اسم الشهرة، وهو كثير مثلا يقول قرأ الكسائي، وأخرى يذكر اسم القارئ ومن بعده في النسبة مثل: قرأ يحيى بن وثاب، وقد يهمل ويذكر عبارات عامة مبهمة كقوله: قرأ القراء، أو قرأ بعض المحدثين، أو قرأ المفسرون، أو قرأ الناس، أو قرأ العامة، وهذا خلل في المنهج قد أفاد منه الطاعنون أمثال طه حسين وجولدتسهير –جزاهما الله بما يستحقان– لأنه قد يوقع الظن أنه لغة دون أن تكون رواية، والقراءة كما هو معروف سنة متبعة لا سبيل إلى ردِّها.
- إذا اختلفت القراءة واتفق معنى الآية الكريمة فالفراء يبين ذلك ويوضحه.ومثال ذلك توجيهه لقراءة قوله تعالى (بنُصب وعذاب) {ص/٤١} قال: (اجتمعت القراء على ضم النون من (نصب) وتخفيفها وذكروا أن أبا جعفر المدني قرأ (بنَصب وعذاب) بنصب النون والصاد وكلاهما في التفسير واحد)[٩٦].
- لم يقتصر توجيه القراءة باعتبار اللغة العربية بل تجاوزه إلى اللغات الأخرى كالعبرية، ومثال ذلك (وقوله (واذكروا إسماعيل واليسع) {ص/٤٨} قرأه أصحاب عبد الله بالتشديد وقرأه العوام (اليسع) بالتخفيف، والأول أشبه بالصواب بأسماء الأنبياء من بني إسرائيل)[٩٧].

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/٧٨–٧٩.
(٢) تاج العروس ١/١٠١.
(٣) لسان العرب ١/٢٢٨.
(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ٣.
(٥) لطائف الإشارات لفنون القراءات: ١/١٧٠.
(٦) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري: ٧.
(٧) مختار الصحاح: ٣٣٢.
(٨) الخصائص ١/٩٦.
(٩) ينظر: لسان العرب: ٥/٢٨–٢٩.
(١٠) الإتقان في علوم القرآن ١/١٢٩.
(١١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/٩.
(١٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١/٢٤٢.
(١٣) ينظر: النشر في القراءات العشر ١/٩.
(١٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ١٦–١٧.
(١٥) معاني القرآن: ١/٣٧٣، وينظر: الإبانة عن معاني القراءات: ١٣.
(١٦) ينظر: المنصف ١/٣٠٧.
(١٧) ينظر: المقتضب من مقدمة المحقق: ٩.
(١٨) تفسير الطبري ١٢/٣١٦.
(١٩) ينظر: إعراب القرآن ١/٦٠٠.
(٢٠) ينظر: الخصائص ٣/١٤٦.

(٢١) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/٢٨٣.

(٢٢) ينظر: إملاء ما من به الرحمن ١/٢٦٩.

(٢٣) الكتاب ٤/٢٣٧و٣٨٥ منه أيضا.

(٢٤) ينظر: روح المعاني ٨/٧٤، ومشكل إعراب القرآن ١/٢٨٤، والموضح في وجوه القراءات وعللها ١/٥٢٢.

(٢٥) معاني القرآن ١/٣٧٣-٣٧٤.

(٢٦) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية: ٣١٤.

(٢٧) معاني القرآن٢/٢٥٢.

(٢٨) ينظر: إعراب القرآن ٢/٢٤٢.

(٢٩) الكتاب ٤/٢٦٨، والمُرِّيق: العصفر (تاج العروس مادة (مرق) ٢٦/٣٨٤.

(٣٠) الحجة في علل القراءات السبع ٥/٣٢٣.

(٣١) ينظر: معاني القرآن ١/١٣-١٤ و٢/٢٩ و٧٨ منه أيضا.

(٣٢) ينظر: المصدر السابق ١/٤٥٧، ٢/٣٧و٣٢٠و٣٨٧ منه أيضا.

(٣٣) ينظر: المصدر السابق ١/٩٦.

(٣٤) المصدر السابق ١/١٤٥.

(٣٥) المصدر السابق ٣ /٥٥.

(٣٦) ينظر: المصدر السابق ٢/٢٥ و ٣٣و ٧٩ منه أيضا.

(٣٧) المصدر السابق ١/٣.

(٣٨) ينظر: المصدر السابق ٢/ ٢١٤.

(٣٩) ينظر: المصدر السابق ٢/١٩٠.

(٤٠) ينظر: المصدر السابق ١/٣٤٠ و٢/٢٨١.

(٤١) ينظر: المصدر السابق ١/٢٣٢.

(٤٢) ينظر: المصدر السابق ٢/٢١٦.

(٤٣) ينظر: المصدر السابق ١/١٧٣.

(٤٤) ينظر: المصدر السابق والموضع.

(٤٥) المصدر السابق والموضع.

(٤٦) المصدر السابق ٢/٢٧٥.

(٤٧) المصدر السابق ٢/٢٤٢.

(٤٨) المصدر السابق ١/٤٠٦.

(٤٩) المصدر السابق ٢/ ٢٤٢.

(٥٠) ينظر: المصدر السابق ٢/٦٥.

(٥١) المصدر السابق والموضع.

(٥٢) المصدر السابق ٣/ ٩٢.

(٥٣) المصدر السابق ٢/٢٢٠.

(٥٤) المصدر السابق ٢ /٨١-٨٢، وينظر ١/٣٥٧ منه أيضا.

(٥٥) المصدر السابق ٣/١٢٨.

(٥٦) المصدر السابق ٣/١١٣.

(٥٧) المصدر السابق ٣/١٢٧-١٢٨.

(٥٨) المصدر السابق ٢/٥٣.

(٥٩) المصدر السابق ٢/٧٥-٧٦.

(٦٠) المصدر السابق ١/٢٥٣،٢٥٢.

(٦١) المصدر السابق ٣/١٨٤.

(٦٢) ينظر: رسم المصحف ٥٧.

(٦٣) معاني القرآن ١٣٢/٢.

(٦٤) معاني القرآن ٩٦/١.

(٦٥) ينظر: المصدر السابق ٦٢/١و٣٤٧و١٨٣/٢و ٢٩٤ منه أيضا.

(٦٦) المصدر السابق ٩٦/١.

(٦٧) المصدر السابق ٣٤٧/١.

(٦٨) المصدر السابق ١٨٤/٢.

(٦٩) المصدر السابق والموضع.

(٧٠) ينظر: السبعة ٢٢٦، التيسير ٩٣، والنشر ٢٤٧/٢.

(٧١) معاني القرآن ٢٥٢/١.

(٧٢) ينظر: الأنصاف مسألة (٦٥) ٤٦٣/٢، وشرح المفصل ٧٩/٣.

(٧٣) ينظر: معاني القرآن ٢٥٢/١.

(٧٤) الحجة في القراءات السبع ٩٤، وينظر قراءة حمزة ٩٨.

(٧٥) ينظر: السابقان والموضعان.

(٧٦) ينظر: الكشف ٣٧٥/١، والبحر المحيط ١٥٧/٣.

(٧٧) تفسير الرازي ١٥٩/٩.

(٧٨) معاني القرآن ٣٥٧/١.

(٧٩) ينظر: الأنصاف مسألة (٦٠) ٤٢٧/٢، والنحويون والقراءات القرآنية ١٣٦.

(٨٠) معاني القرآن ٨١/٢.

(٨١) تفسير الطبري ٤٣/٨.

(٨٢) خزانة الأدب ٤٢٣/٤.

(٨٣) ينظر: إعراب القرآن ٥٨٢/١.

(٨٤) الحجة في القراءات السبع ١٥١.

(٨٥) الحجة في علل القراءات السبع ١٠٢/٤.

(٨٦) الكشف ٤٥٣/١، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢٧١/١.

(٨٧) ينظر: الكشاف ٥٤/٢.

(٨٨) ينظر: البحر المحيط ٢٢٩/٢.

(٨٩) الإنصاف مسألة (٦٠)٤٢٧/٢.

(٩٠) معاني القرآن ١٤٥/١.

(٩١) المصدر السابق ٤٦٩/١.

(٩٢) المصدر السابق ١٩/١.

(٩٣) المصدر السابق ٢٩١/١.

(٩٤) المصدر السابق ٥/١.

(٩٥) المصدر السابق ١٢/٣.

(٩٦) المصدر السابق ٤٠٥/٣.

(٩٧) المصدر السابق ٤٠٧/٣.

مصادر البحث:

١- الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي(٤٣٧هـ)، تحقيق عبد الفتاح شلبي، المكتبة الفيصلية، ط ٣، ١٤٠٥هـ.
٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي(٩١١هـ)، بيروت، دار الندوة الجديدة، د.ت.
٣- إعراب القرآن أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، ط ٤- عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية- بيروت ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.
٤- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن- أبو البقاء العكبري (ت٦١٦ هـ) تحقيق إبراهيم عطوة عوض مطبعة مصطفى البابي ط ٢- القاهرة ١٣٨٩ هـ.
٥- الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات الانباري (٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر(د.ت).
٦- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(٧٤٥هـ)، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨.
٧- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري، عبد الفتاح القاضي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠١ هـ.
٨- تاج العروس من جواهر القاموس مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) تحقيق عبد العليم الطحاوي – المطبعة الخيرية – القاهرة – ١٣٠٧ هـ.
٩- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) – دار الفكر – ط ٣- بيروت ١٩٨٥م.

١٠- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- بمصر ط٢- ١٣٧٢هـ -١٩٥٤م.
١١- التيسير في القراءات السبع أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) صححه جمعية المستشرقين الألمانية- أوتويرتزل- استانبول- مطبعة الدولة ١٩٣٠م.
١٢- الحجة في علل القراءات العشر أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت٣٧٧هـ) تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح شلبي مراجعة محمد علي النجار (الجزءان الأول والثاني) ط ٢ – الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٣- الحجة في القراءات السبع ابن خالويه (٣٧٠هـ) تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم – ط٢ – دار الشروق – بيروت ١٩٧١م.
١٤- خزانة الأدب ولب لباب العرب – عبد القادر عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي –ط٣ – القاهرة ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.
١٥- الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار – دار الهدى – ط ٢ بيروت – لبنان ١٣٧٢هـ -١٩٥٢م.
١٦- الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، الدكتور حسام سعيد النعيمي – دار الرشيد للنشر ١٩٨٠.
١٧- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي – مطبعة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة –١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

١٨- السبعة في القراءات – ابن مجاهد (٣٢٤هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ٢ – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠ م.

١٩- شرح المفصل، ابن يعيش (٦٤٣هـ)، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

٢٠- قراءة حمزة بن حبيب الزيات – دراسة نحوية وصرفية- حمودي زين الدين عبد المشهداني – أطروحة دكتوراه –كلية الآداب – جامعة بغداد –١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.

٢١- كتاب سيبويه أبو بشر عمرو (ت ١٨٠هـ) – تحقيق عبد السلام محمد هارون – عالم الكتب ط ٣- بيروت –١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٢٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)–دار المعرفة – بيروت – لبنان (د.ت).

٢٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها – مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تح: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق١٩٧٤ م.

٢٤- مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة ط ٢- بيروت –١٩٨٤ م.

٢٥- معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) – عالم الكتب – بيروت ط ٢ ١٩٨٠م.

٢٦- المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥) ن تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب – بيروت، (د.ت).

٢٧- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، تصحيح محمد حبيب الله الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، المطبعة الوطنية الإسلامية، مصر ١٣٥٠هـ– ١٩٣٠م.

٢٨- المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني –تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين – ط ١- مصر ١٩٥٤م.

٢٩- الموضح في وجوه القراءات وعللها – نصر بن علي الشيرازي الفارسي النحوي المعروف بابن أبي مريم – تحقيق الدكتور عمر حمدان الكبيسي – مكة المكرمة – ط ١-١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

٣٠- النحويون والقراءات القرآنية زهير غازي زاهد- مجلة آداب المستنصرية العدد (١٥) – بغداد ١٩٨٧ م.

٣١- النشر في القراءات العشر ابن الجزري – دار الفكر – بيروت (د.ت).

شعر المقاومة عند محمود درويش
ـ من النصّ إلى المصطلح ـ
قراءة في قصيدة ((بطاقة هوية))

د. فيصل صالح القصيري

معهد الفنون الجميلة/الموصل

ملخص:

شكّلت القضية الفلسطينية محوراً ثقافياً وشعرياً مهماً في الثقافة العربية الحديثة فضلاً عن محورها النضالي والكفاحي المعروف، وسعى معظم – إن لم نقل كلّ – الشعراء العرب إلى تناول هذه القضية في شعرهم على أنحاء مختلفة، وقد أبرز الشعراء في قصائدهم الجانب الإنساني للصراع العربي الإسرائيلي حينما حاولوا طرح الصراع على أنه ليس مسألة حقد عربي ضدّ اليهود، وقدموا لنا صوراً إنسانية لعلاقات بين العرب واليهود، وحوّلوا القضية إلى قضية صراع إنساني وثقافي وفكري يستهدف إرجاع الحق إلى أصحابه، عبر تسخير الشعر لخدمة القضية – تعبوياً وجمالياً–.

ولم يكن مصطلح شاعر المقاومة بجديد يخصّ الشعراء المحدثين الذين أطلق عليهم هذا المصطلح رسمياً مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد، إذ وصف الشاعر محمود درويش قبل ذلك الشاعر الفلسطيني الرائد أبو سلمى بقوله: لقد كنت شاعر المقاومة قبل اكتشاف النقاد لهذا التعبير وقبل تحوله إلى تعبير شائع، في إشارة إلى حضور هذا المصطلح ولو بشكله الوصفي قبل أن يتحوّل إلى ظاهرة اصطلاحية في زمن شهرة محمود درويش.

لكنّ شيوع هذا المصطلح وتداوله تداولاً واسعاً في أدب المبدعين الفلسطينيين منذ منتصف الستينيات إثر اكتشاف النغمة المقاومة في أدبهم، اندفع الأدباء والنقاد

والناشرون وراء أشعارهم، وكرّسوا مصطلح المقاومة الذي انتشر انتشاراً سريعاً جداً، واكتسب قوّة اصطلاحية هائلة وضاربة وسمت التجربة الأدبية الفلسطينية في هذه المرحلة بسمات هذا المصطلح – نظرياً وإجرائياً–، وأصبح مصطلحاً عالي التداول عند الأدباء والنقاد والدارسين العرب.

وعلى الرغم من قِدَم المصطلح على صعيد الاستخدام العام، إلا أنّ تكريسه كمصطلح أدبي وثقافي قائم كان في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي، إذ أطلق غسّان كنفاني على أدب فلسطين المحتلّة " أدب المقاومة "، الذي اشتقّت منه صفة شعراء المقاومة، وصولاً إلى شاعر المقاومة الفلسطينية: محمود درويش. وقد ارتضى هذا الشاعر الشاب بلقبه، الذي عبّر آنذاك عن قصيدة تبشيرية تعد بتحرير الحاضر من قيوده، وعن شاعر غاضب اشتهى مستقبلاً لا شذوذ فيه. كتب الشاعر عما كتب عنه غيره من شعراء المقاومة لكنه لم يكن منهم تماماً، بسبب نجابة مبكّرة لا تخطئها العين النافذة.

حيث اختار محمود درويش فيما بعد التخلّي عن هذا المصطلح لأنه يضع شعره في دائرة ضيّقة، وسعى مجتهداً للخلاص منه عبر تطوير أنموذجه الشعري وفتح مجالات إبداعية واسعة وعميقة له، غير أنّ شعر المقاومة على وفق مقتضيات المصطلح ظلّ يتمتّع بقوّة انتشار وحضور وتداول عالية عند مجتمع التلقي والقراءة.

لم يتوقّف محمود درويش بطبيعة الحال عند حدود النجاح الذي حصدته قصيدة بطاقة هوية ولا عند حدود النجاح الذي حققه مصطلح ((شعر المقاومة))، بل راح يطوّر أنموذجه الشعري على النحو الذي أصبحت فيه أعمال درويش بحدّ ذاتها رواية للقصيدة الأخرى وهي تسجّل أنا عربي ثم ترتفع مع جماليات اللغة والقول الشعري إلى إيقاعات غنائية تجمع أصالة الشعر العربي بحداثته، وتضيف إليه أسلوباً يتحايل على الجرح ودرامية الحدث والغربة ليحوّلها من يوميات إلى رموز، من رموز إلى حياة، استطاع فيها درويش أن يضع شعره وقضيته في أعلى قائمة المدوّنة الشعرية العربية الحديثة.

مدخل:

شكّلت القضية الفلسطينية محوراً ثقافياً وشعرياً مهماً في الثقافة العربية الحديثة فضلاً عن محورها النضالي والكفاحي المعروف، وسعى معظم- إن لم نقل كلّ- الشعراء العرب إلى تناول هذه القضية في شعرهم على أنحاء مختلفة، وقد ((أبرز الشعراء في قصائدهم الجانب الإنساني للصراع العربي الإسرائيلي حينما حاولوا طرح الصراع على أنه ليس مسألة حقد عربي ضدّ اليهود، وقدموا لنا صوراً إنسانية لعلاقات بين العرب واليهود))(١)، وحوّلوا القضية إلى قضية صراع إنساني وثقافي وفكري يستهدف إرجاع الحق إلى أصحابه، عبر تسخير الشعر لخدمة القضية- تعبوياً وجمالياً-.

ولم يكن مصطلح شاعر المقاومة بجديد يخصّ الشعراء المحدثين الذين أطلق عليهم هذا المصطلح رسمياً مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد، إذ وصف الشاعر محمود درويش قبل ذلك الشاعر الفلسطيني الرائد " أبو سلمى " بقوله: ((لقد كنت شاعر المقاومة قبل اكتشاف النقاد لهذا التعبير وقبل تحوله إلى تعبير شائع))(٢)، في إشارة إلى حضور هذا المصطلح ولو بشكله الوصفي قبل أن يتحوّل إلى ظاهرة اصطلاحية في زمن شهرة محمود درويش.

لكنّ شيوع هذا المصطلح وتداوله تداولاً واسعاً في أدب المبدعين الفلسطينيين منذ منتصف الستينيات ((إثر اكتشاف النغمة المقاومة في أدبهم، اندفع الأدباء والنقاد والناشرون وراء أشعارهم))(٣)، وكرّسوا مصطلح المقاومة الذي انتشر انتشاراً سريعاً جداً، واكتسب قوّة اصطلاحية هائلة وضاربة وسمت التجربة الأدبية الفلسطينية في هذه المرحلة بسمات هذا المصطلح – نظرياً وإجرائياً-، وأصبح مصطلحاً عالي التداول عند الأدباء والنقاد والدارسين العرب.

وعلى الرغم من قِدَم المصطلح على صعيد الاستخدام العام، إلا أنّ تكريسه كمصطلح أدبي وثقافي قائم كان في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي، إذ ((أطلق غسّان كنفاني على أدب فلسطين المحتلّة " أدب المقاومة "، الذي اشتقّت منه صفة " شعراء المقاومة "، وصولاً إلى " شاعر المقاومة الفلسطينية: محمود درويش ". وقد ارتضى هذا الشاعر الشاب بلقبه، الذي عبّر آنذاك عن قصيدة تبشيرية تعد بتحرير الحاضر من قيوده، وعن شاعر غاضب اشتهى مستقبلاً لا شذوذ فيه. كتب الشاعر عما كتب عنه غيره من " شعراء المقاومة " لكنه لم يكن منهم تماماً، بسبب نجابة مبكّرة لا تخطئها العين النافذة))(٤).

اذ طالب محمود درويش فيما بعد التخلّي عن هذا المصطلح لأنه يضع شعره في دائرة ضيّقة، سعى مجتهداً للخلاص منه عبر تطوير أنموذجه الشعري وفتح مجالات إبداعية واسعة وعميقة له، غير أنّ شعر المقاومة على وفق مقتضيات المصطلح ظلّ يتمتّع بقوّة انتشار وحضور وتداول عالية عند مجتمع التلقي والقراءة.

لم يتوقّف محمود درويش بطبيعة الحال عند حدود النجاح الذي حصدته قصيدة ((بطاقة هوية)) ولا عند حدود النجاح الذي حققه مصطلح ((شعر المقاومة))، بل راح يطوّر أنموذجه الشعري على النحو الذي أصبحت فيه ((أعمال درويش بحدّ ذاتها "رواية للقصيدة الأخرى" وهي تسجّل "أنا عربي" ثم ترتفع مع جماليات اللغة والقول الشعري إلى إيقاعات غنائية تجمع أصالة الشعر العربي بحداثته، وتضيف إليه أسلوباً يتحايل على الجرح ودرامية الحدث والغربة ليحوّلها من يوميات إلى رموز، من رموز إلى حياة))(٥)، استطاع فيها درويش أن يضع شعره وقضيته في أعلى قائمة المدوّنة الشعرية العربية الحديثة.

شعرية محمود درويش المقاومة:

يتماهى في شعر محمود درويش عدد كبير ومتنوّع من الثنائيات الفاعلة ذات الأثر السيميائي الجدلي التي يضجّ بها قاموسه الشعري، فالأرض هي الحبيبة، والحبيبة هي الأرض، والأرض هي الأم، والأم هي الأرض، والحقيبة تقترن بالسفر والمنفى، والبحر يذكّر بالتيه والشساعة والعمق والرمز، والمقاومة والثورة، والوجود والهوية.

شبكة مفردات وموضوعات وقضايا ودوال تحوّلت عند محمود درويش إلى استعارات كبرى، وإلى رموز مركزية وجوهرية في تجربته الشعرية، تكثّفت كلّها في إطار القصيدة التي تسعى إلى تكوين فضاء خاص بها في ظلّ مفهوم المقاومة وحيثياته ورؤاه.

لقد وعى محمود درويش منذ البداية الحاجة النفسية والوجدانية والوطنية للقارئ الذي تتوجه إليه القصيدة، ومن ثمّ كان عليه أن ينتج قصيدة مشحونة بحسّ المقاومة وحرارة الانفعال بعيداً عن اللين والتميّع والسطحية والانفعال المجرّد، قصيدة بحجم عذاب النفي والتشرّد والضياع والكفاح المستمر، تحكي قصة النضال والكفاح لشعب اقتلع من أرضه وتشرّد في الشتات.

ولم يكن أمامه من حلّ سوى المقاومة سبيلاً للخلاص والعودة إلى الأرض السليبة، وهكذا تشكّل المفهوم من طبيعة الواقع الموضوعي الذي يفرض المقاومة بمعناها الفعلي الحقيقي على الأرض، ومن فضاء ذلك ومعناه وحساسيته يُشتق مصطلحها الأدبي في القصيدة.

فهو يخاطب القارئ العام الذي ينتظر منه ما يمكن أن يتماهى من مستقبلاته وأفق توقعه في سياق القصيدة المقاومة، ليلفت الشاعر انتباه متلقيه إلى أنه صاحب قضية عاش في خضمّها تجربة مليئة بالحرمان والقهر والاستلاب والمصادرة، وليس

بوسعه إلا أن يكون أميناً على تجربته وحارساً لها ومعبّراً عنها أمثل تعبير، بعيداً عن أساليب الهمس والغناء الرومانسية التي ترافق الشعر دائماً، إذ يقول شعرياً في هذا الصدد:

غضبٌ يديّ

غضبٌ فمي

ودماء أوردتي عصيرٌ من غضبْ

يا قارئي

لا ترجُ مني الهمسَ

لا ترجُ الطرب

ولعلّ قصيدة درويش الأكثر شهرة وانتشاراً وتداولاً شعبياً، والأوفر حظاً عند القارئ العربي هي قصيدة ((بطاقة هوية))[٦]، إذ استطاعت أن تمثّل على نحو دقيق وعميق مصطلح (شعر المقاومة) وتستجيب لضروراته الفنية والموضوعية، لا بل هي التي أسهمت – مع قصائد أخرى بمستواها – في لفت الانتباه النقدي إلى هذا المصطلح، وتكريسه في المدوّنة النقدية العربية الخاصة بالشعر الفلسطيني خاصة والعربي عامة.

هي حقاً أنموذج شعري عالي المستوى والقيمة فنياً وجمالياً وموضوعياً وتاريخياً، كانت محطّ أنظار كثير من الدارسين والنقّاد الذين أسهموا استناداً إلى معطيات هذه القصيدة وإجراءاتها الفنية والموضوعية والجمالية في وضع مصطلح ((شعر المقاومة)) وأشاعوا فكرة انتشاره وتبنّيه.

وتكمن أهميته في كونه فتحاً جديداً في المدوّنة الشعرية العربية الحديثة، إذ هي إعلان عن توجّه القصيدة العربية الحديثة التي يكتبها شعراء محدودون من فلسطين نحو تأسيس مصطلح جديد هو ((شعر المقاومة))، سيمثل فيما بعد مساحة مهمة في خارطة الشعرية العربية الحديثة، ويؤسس لقضية كثر الجدال حول أهميتها وجدواها وشعريتها.

من النصّ إلى المصطلح:

يتسرّب حسّ المقاومة العالي والكثيف إلى جميع أنحاء جسد القصيدة الموسومة بـ((بطاقة هوية))، إلى اللغة والصورة والخيال والرمز والإيقاع عبر مخاطبة الآخر المستلب من بين آلية تشخيص عالية للأنا الشعرية الراوية، وكانت هي الإشارة الأولى للدخول في فضاء المصطلح وتكريس وجوده وإشاعة تداوله، لما انطوت عليه من خصائص وقيم شكّلت الخطوط العريضة المهمة لتشكيل المصطلح:

سجّل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟

يفتتح المقطع بالصيغة الأمرية عبر فعل الأمر ((سجّل))، والفاعل الضمير المستتر ((أنت)) في مواجهة الضمير المعلن النقي ((أنا)) الإنسان العربي والضمير العربي قبل أن تكون أنا الذات الشاعرة.

إنّ ثنائية الأنا والآخر تسجّل حضوراً قوياً منذ المقطع الأول للقصيدة، وهي تمثّل حوارية شعرية بين الطرفين المتضادين، فإن حسّ المقاومة والتحدّي ينضح من جميع مفردات مقطع البداية (الاستهلال)، ويؤلف الصياغات الأولى التي يمكن اعتمادها للنظر في بنية المصطلح وتأسيس رؤيته.

فالفعل الأمري ((سجّل)) هو فعل الكتابة والتدوين والحفظ هو في معناه اللغوي الدلالي المباشر، وهو فعل مقاومة إجرائية ضدّ المحو والاستلاب والحجب والتغييب، وجملة ((أنا عربي)) من المبتدأ والخبر تشكّل استحضاراً لكلّ العنفوان

العربي وتوكيده وتعزيز وجوده مقابل ضآلة الآخر (الصهيوني) ومحدوديته، على النحو الذي يتجلّى فيه مفهوم المقاومة بوصفه مفهوماً ثقافياً فضلاً على كونه مفهوماً كفاحياً وقتالياً من أجل استرجاع الحقوق المستلبة.

ينهض بقية المقطع على فعاليات العدد وهو يحمل معنى الكثرة والتنامي والقوّة والثقة بالمستقبل الذي يمثله الأطفال الثمانية، ويشير ((تاسعهم)) القادم في الأفق إلى استمرار ولادة الأمل والثوار القادمين من رحم الأمة، على نحو يجعل من فكرة مصطلح ((شعر المقاومة)) ذات طابع إنساني عام يمكن تداوله في أية ثقافة مشابهة.

ويختتم المقطع الذي يبدأ بالأمر بصيغة الاستفهام ((فهل تغضب؟)) إشارة إلى أنّ هوية الأنا الراوية على هذا النحو تقلق أنا الآخر الصهيوني، وبالتالي تجعله يمتعض ويغضب، لأنها تهدد وجوده الزائف القائم على القهر والترويع وسلب الحقوق بالقوّة، والسؤال هنا مشحون بالاستفزاز والتحدّي والصمود، تلك الصفات التي يمكن عدّها من مستلزمات تأسيس مصطلح شعر المقاومة.

في المقطع الثاني تعود اللازمة الضاغطة دلالياً وتشكيلياً ودرامياً ((سجّل/ أنا عربي)) لتتصدره وتهيمن على خطابه وتكرّس قيمته الدلالية، مما يعني في هذا السياق مضاعفة الضغط على أذن ونفسية وروح وموقف الآخر الصهيوني، وإجباره على قبول أنا المتكلم في القصيدة والإنصات لها والتعامل مع ضروراتها، ومن جهة أخرى يمكن عدّ تكرار جملة ((سجّل/ أنا عربي)) توكيداً ضارباً وضارياً للقارئ، ينطوي على قيم جمالية ودلالية وإيقاعية ذات مناخ بنائي.

وتحمل بقية المقطع الشعري إشارات فعل المقاومة والتحدّي والصمود، يمكن أن تعود في أنموذجها الدلالي على خلفية محمود درويش السياسية، إذ كان يومئذٍ منتمياً إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي عبر إشارة ((وأعمل مع رفاق الكدح في

المحجر))، وهي قصيدة سير ذاتية لأنها تسجّل حدثاً صغيراً أنتج هذه القصيدة، إذ إنها ولدت من جملة سردية عادية كانت جواباً على سؤال تقليدي وجهه الموظف إلى الشاعر عن هويته فقال جواباً على السؤال: ((سجّل أنا عربي)).

فمن الهوية القومية في المقطع الأول إلى الهوية الحزبية ذات المناخ الإيديولوجي في المقطع الثاني يتجلّى فضاء الأنا، وينفتح على أفق إنساني أكثر رحابة وحيوية وسعة وتجلٍّ، يتجسّد من خلاله الوعي المبكّر للشاعر في التعامل مع المفهوم والمصطلح على أساس إنساني متين، بوسعه أن يحفظ الهوية ويعزز مكانتها في فضاء الحضور.

ونلمس الشدّة والحزم في خطاب الأنا الراوية الصامدة على موقفها بالرغم من قوّة الآخر وتسلّطه، وتمسّك الشاعر واعتداده بـ(أناه)، إلى حدّ استدراج الآخر الصهيوني للوقوع في فخّ الغضب، ومن ثم الانتصار عليه بحيث يصبح المصطلح جوهر النص:

وأطفالي ثمانية
أسلّ لهم رغيف الخبز
والأثواب والدفترْ
من الصخرِ..
ولا أتوسّل الصدقات من بابك
ولا أصغر أمام بلاط أعتابك
فهل تغضب؟

إن فعل المقاومة المتجلي في فضاء المحاورة يتصاعد عالياً في هذا المقطع بقوّة اللغة وبلاغة الخطاب وواقعية الصورة وحساسية الإيقاع، فمقاومة الجوع دفاعاً عن الحياة الحرّة الكريمة والمستقبل الواعد هي الأساس في تشكيل الوجود وتكريس قوّة حضوره في المشهد، من أجل أن يكبر الأطفال وينمو بهم الأمل، وتحدّي الآخر

الصهيوني، من بين نفيه لكل أشكال الذلّ والهوان التي تتجسّد بوصفها علامات قوّة هذه ((الأنا)) المتجذّرة في الإباء والكبرياء والرفعة.

وفي المقطع الثالث تعود اللازمة إلى قيادة المقطع نحو تعميق حسّ المقاومة ولهجة التحدّي:

سجّل !
أنا عربي
أنا إسم بلا لقبِ
صبورٌ في بلادٍ كلّ ما فيها
يعيش بفورة الغضبِ
جذوري..
قبل ميلاد الزمان رستْ
وقبل تفتّح الحقبِ
وقبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشبِ
أبي.. من أسرة المحراث
لا من سادة نجبِ
وجدّي كان فلاحاً
بلا حسب.. ولا نسبِ!
يعلّمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتبِ
وبيتي، كوخ ناطور
من الأعواد والقصبِ
فهل ترضيك منزلتي؟
أنا أسم بلا لقبِ

يلخّص الجزء الأول من هذا المقطع الطويل نسبياً قياساً بالمقطعين السابقين ثيمة الصبر الضروري في فضاء الغضب المهيمن، الثيمة الملازمة للإنسان العربي

في فلسطين التي مثّلتها مفردة ((البلاد))، ولعلّنا نستطيع أن نلاحظ إن حالة الغضب المصحوب بالصبر امتدّت لتشمل كل ما يحويه الفضاء المكاني، وألّفت ثنائية جدلية بين الصبر والغضب لا يمكن وضعهما في سلّة واحدة، إلا حين تفرض الضرورات ذلك كحالة الإنسان الفلسطيني في هذا المقام.

ويعلن هذا الإنسان/ الشاعر اعتداده بجذوره الراسخة في الأرض، في إشارة منه إلى أنه أقوى من محاولات الآخر الصهيوني الرامية إلى اقتلاعه من هذه الجذور، ومحو هويته، ومصادرة حقه في الوجود، لأن الجذور لا تكذب وتظلّ ترفع شعار أهلها مهما بلغت غطرسة الغازين المحتلّين.

إن شعرية الغضب والمقاومة والتحدّي تتجلّى في هذا المقطع على نحو يجعلها تشمل الإنسان والمكان والزمان والحدث، وأجمل ما فيها هذه المبالغة الشعرية التي تحتفي بالجذور المنسوبة إلى ياء المتكلم في القصيدة، عبر تأصيل وجودها الذي يسبق ميلاد الزمان نفسه، وهذه القبلية:

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتّح الحقب

وقبل السرو والزيتون

تعطي المسوغ لدفاع هذا الإنسان عن جذوره التي تقاوم محاولات الاقتلاع الرامية إلى محوه ومحو تاريخه، إنه الأولى بهذه الأرض التي شهدت ميلاد الزمان والفصول والأشجار مع ميلاده.

والجزء الثاني من المقطع الثالث فيه ملامح سيرذاتية واضحة تتحدّث عن سيرة العائلة بصدق وأمانة

وموضوعية وثقة، تعكس تواضع نسب الشاعر وبساطة ماضيه الأسري ووضوحه، فالأب ينتمي إلى أسرة المحراث.. إلى الأرض التي يزرعها فتمنحه الثمر والخير والعطاء، وتمدّه بالحياة.

إنه هنا يعلن انتماءه الفخور والطبيعي لحضارة زراعية مغروسة في الطين والماء وعناصر الطبيعة منذ أقدم العصور، الأمر الذي يجعله أشدّ انسجاماً وتلاؤماً

مع موقفه الإيديولوجي على المستوى الشخصي والقومي[٧]، وأكثر قدرة على الدفاع عن مقدّراتها بوصفها الماضي والحاضر والمستقبل، الذي يمكن أن يحفظ له نسبه ويعزز هويته ويؤكد حضوره في الأشياء.

تتواصل الرؤية الشعرية السيرذاتية في المقطع اللاحق، من أجل تكريس الوجود الحقيقي فضلاً على الشعري في القصيدة، في السبيل إلى توفير إمكانات جديدة لتأكيد نشأة مصطلح شعر المقاومة وترسيخه:

سجّل !

أنا عربي

ولون الشعر.. فحميّ

ولون العين.. بنيّ

وميزاتي:

على رأسي عقال فوق كوفية

وكفي صلبة كالصخر..

تخمش من يلامسها

وعنواني:

أنا من قرية عزلاء.. منسية

شوارعها بلا أسماء

وكلّ رجالها.. في الحقل والمحجر

فهل تغضب؟

فرسم صورة الإنسان الفلسطيني ضمن فضاءات شعبية تعكس وجهه الحقيقي من خلال ((لون الشعر/ فحميّ – لون العين/ بنيّ))، ودعم هذه الصورة بخصائص وميزات شكلية موروث شعبية تؤكّد هذا الحضور وتبرزه ((على رأسي/ عقال/ فوق

كوفية))، وخصائص كفاحية وجسمانية علامة القوة ((كفّي/ صلبة/ كالصخر)) بوسعها أن تدافع عن نفسها إذا لزم الأمر ((تخمش/ من يلامسها)).

وفي مستوى آخر من مستويات رسم الصورة تذهب آلة الشعر نحو المكان الذي يتفاعل مع الإنسان، لتعلن عن العنوان الرسمي لهذا الإنسان في مشهد المكان الموصوف بـ((قرية عزلاء/ منسية))، قد تبدو للعابر لا قيمة لها ((شوارعها/ بلا أسماء))، ويتصّف رجالها بالعمل المتواصل الشريف ((كلّ رجالها/ في الحقل والمحجر)).

إذ أمام هذا الحشد السيرذاتي للمكان والإنسان والذاكرة الفاعلة يتجلّى عمق الحضور الطاغي لهذا الإنسان الحيّ، وهو حتماً يثير غضب الآخر الصهيوني ويغيضه ويُشعره بضعفه بإزاء قوّة حضور الفلسطيني في المكان والزمان والحدث والتاريخ، ولعلّ تكرار السؤال المثير ((فهل تغضب؟)) ما هو في حقيقة الأمر سوى توكيد على شرارة الغضب التي تتنامى في نفسية الصهيوني بين مقطع وآخر، على النحو الذي يجعل من فكرة المقاومة فكرة مشحونة بالحياة والكلام والشعر.

ثم ما يلبث الشاعر في المقطع الأخير من القصيدة أن يواجه المغتصب في حوار جدّي يضع النقاط على الحروف، ويوجّه أصابع الاتهام للآخر ويضعه أمام الحقائق التي لا مناص منها مطلقاً:

سجّل

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرضاً كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا.. ولكلّ أحفادي

سوى هذي الصخور..

فهل ستأخذها

حكومتكم كما قيلا !؟

إذن !

سجّل.. برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكنّي.. إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبي

حذارِ.. حذارِ من جوعي

ومن غضبي !!

فتضعه على مفترق طرق حين تبصّره بعدوانيته واغتصابه لحقوق الفلسطينيين (إخوان الراوي الشعري)، ومن حقهم هنا الدفاع عن وجودهم والعمل على استرجاع حقوقهم المستلبة بكلّ الوسائل الممكنة التي يمكن أن تتيح لهم تحقيق ذلك، إذ يرسم له مشهداً شعرياً دراميًا مشحوناً بالتحذير والوعد بمستقبل قاتم لهم، إذا ما استمرّوا في استلابهم للأرض واضطهادهم للإنسان.

محصلة البحث:

تكشّفت القراءة التحليلية لهذه القصيدة الرائدة في مجال تشكيل مصطلح شعر المقاومة، عن إمكانات فنية وموضوعية أهلّها بجدارة لكي تأخذ هذا الموقع الريادي في فضاء القصيدة الفلسطينية المقاومة مع أنّ القصيدة في منحاها الاستقبالي داخل منطقة التلقّي تبدو وكأنها قصيدة بسيطة في تعبيريتها وتواصلها مع كل أشكال القرّاء تقريباً. إلا أنه و((على الرغم من أن النص واضح الدلالة، إلا أن درويش لم يقع في الخطابية المباشرة، فما يريد أن يثبته يتحدّث عنه وكأنه حقيقة بدهية لا يجهلها إلا متغافل. والتفاصيل التي ترد عن رقم البطاقة وعدد الأطفال يجسّد فيها واقعاً يغيظ به عدوّه، وشعرية درويش جعلت الأرقام بإشاراتها الواقعية إلى طبيعة تكوين الأسرة العربية ومخالفتها لطبيعة تكوين الأسرة اليهودية في حرب الهوية، هي التي تقود إلى التحدّي الخفي الماثل في السؤال الأخير: فها تغضب؟ ومن ثم جعله لازمة ختامية تمّ تكرارها أربع مرات في المقاطع الخمسة))[٨]، على النحو الذي شكّل هندسة دلالية وإيقاعية في الوقت نفسه عمّقت تاريخية هذه القصيدة وأطلقت شهرتها وقوّة تداولها.

ومن الجدير بالذكر أن أسلوب اللازمة الشعرية هو أسلوب معروف في القصيدة العربية الحديثة، إذ ((يقوم تكرار اللازمة على انتخاب سطر شعري أو جملة شعرية، تشكّل بمستوييها الإيقاعي والدلالي محوراً أساساً ومركزياً من محاور القصيدة. يتكرر السطر أو الجملة بين فترة وأخرى على شكل فواصل تخضع في طولها وقِصرها إلى طبيعة تجربة القصيدة من جهة، وإلى درجة تأثير اللازمة في بنية القصيدة من جهة أخرى. وقد تتعدّد وظائف هذا التكرار حسب الحاجة إليها وحسب

قدرتها على الأداء والتأثير))[٩]، كما هو الحال في لازمة درويش في هذه القصيدة التي كان لها التأثير الفعّال في تطوير دراما الفعل الشعرية وتوكيد حضوره الأدائي.

لكنّ المفارقة التي حصلت في تكرار اللازمة ((فهل تغضب)) في قصيدة ((بطاقة هوية)) هي أن الشاعر حذفها من المقطع الأخير من القصيدة، إذ على الرغم من أنها أدّت وظيفتها الإيقاعية والدلالية في مقاطع القصيدة الأربعة الأولى، إلا أنه أغفلها في المقطع الأخير وقطع تكرارها وأهمل حضورها.

لقد ((حذف الشاعر من المقطع الأخير من القصيدة اللازمة الختامية " فهل تغضب؟ " لضرورة بنائية، فعندما تطوّر الصراع إلى الأرض التي تمثل البطاقة الجماعية للشخصية الفلسطينية يكون للمحاجّة دور، فيتحدّث الشاعر عن طبيعته البسيطة البريئة المسالمة، التي تتبدّل، فتجعله وحشاً ضارياً يحرم من حقّه الإنساني في أرضه، بعد أن ينكر الآخر عليه هذا الحق))[١٠]، على النحو الذي يمكن أن يفسّر علاقة ذلك بحساسية المصطلح الذي اشتغل عليه البحث في تحليل شعر المقاومة، إذ جاء هنا على صلة وثيقة بالمجال الدلالي الذي تشتغل عليه القصيدة على صعيد البنية العامة والتشكيل العام لفضاء القصيدة، الذي يجسّد رؤيتها ويجيب على أسئلتها.

الهوامش والإحالات:

(١) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، د. صالح أبو إصبع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩: ٢٨.

(٢) مقدمة ديوان (من فلسطين ريشتي) لأبي سلمى، محمود درويش، دار الآداب، بيروت،١٩٧١: ٩.

(٣) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، د. صالح أبو إصبع: ١٦. وينظر ديوان الوطن المحتل، يوسف الخطيب، دمشق، ١٩٦٨: ٥. وينظر أيضاً أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨– ١٩٦٦، غسان كنفاني، دار الآداب، بيروت.

(٤) فيصل دراج، مجلة الآداب، العدد ١٠–١١، بيروت، ٢٠٠٨.

(٥) درويش يترك الشعر وحيداً؟، غالية خوجة، مجلة الرافد، العدد ١٣٥، الشارقة، ٢٠٠٨: ٩٢.

(٦) ديوان محمود درويش، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط٧، ١٩٨٠: ١٢١– ١٢٧.

(٧) أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل: ١٤٦.

(٨) بنية القصيدة في شعر محمود درويش، د. ناصر علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١: ٢٨.

(٩) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، د. محمد صابر عبيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١: ٢٠٤.

(١٠) بنية القصيدة في شعر محمود درويش، د. ناصر علي: ٢٨– ٢٩.

التعليل الصوتي لظاهرة الإبدال

م.م. هدى صلاح رشيد
جامعة تكريت/كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

إنَّ الاهتمام باللسان الإنساني قديمٌ قِدَم التشكيل الحضاري، وكانت وسائله مختلفة باختلاف إمكانات أصحاب الاهتمام، لكن الطابع الغالب عليه هو تأسيس قواعد لفهم الظواهر اللغوية في ضوء الحقائق.

تعد ظاهرة الإبدال من أهم الظواهر الصوتية في العربية، وقد قيل فيها الكثير قديماً وحديثاً، ويرد إليها كثيراً من التقابلات الصوتية بين المفردات سواء كان هذا الكثير لهجياً أو غير لهجي.

ومما يؤاخذ على العلماء هو انهم عندما عالجوا هذه الظاهرة، نظروا في علاقة الصوتين المبدلين بمعزل عن سياقيهما، وتأثير السياقين في حدوث الإبدال، وكان الأولى بهم أن يرصدوا السياقات الصوتية للإبدال ففي ذلك التفسير الأنسب.

ومن هنا جاء اختيارنا لهذه الظاهرة لتكون موضوعاً للبحث من اجل الكشف عنها وإيجاد تعليلاً صوتياً مناسباً لها، معتمدين في تفسيرنا على نوع العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه، ونسيج الألفاظ وتعاور الأصوات بعضها بعضاً وأثر ذلك في حدوث الإبدال.

كما سعينا إلى تقديم تفسيرات وتعليلات حول شيوع هذه الظاهرة في ضوء القوانين الصوتية التي تسوغها مع الإشارة إلى امتدادها في اللهجات القديمة وبعض اللهجات الحديثة.

وقد ارتأينا أن نقتصر في بحثنا هذا على المشهور الشائع من حالاته والتي تحدث بسبب العلاقة الصوتية بين البدل والمبدل منه، فاستبعدنا تلك الحالات النادرة التي تحدث بين الأصوات المتباعدة عن بعضها، أو التي ليس بينها علة صوتية واقتصرنا على الأصوات المتحدة المخارج أو المتقاربة، وفي حالة عدم وجود علاقة مخرجية اتجهنا صوب الصفات الصوتية للصوتين المبدلين فوجدنا ضالتنا هناك.

وتمت هذه الدراسة في مبحثين مسبوقين بتمهيد ومقفوين بخاتمة.

أما التمهيد: فقد تناولنا فيه الحديث التعريف بالإبدال، وبيان نوعيه وغايته، وآراء العلماء فيه بشيءٍ من الإيجاز.

أما المبحث الأول: فتناولنا فيه دراسة تحليلية للإبدال القياسي (الصرفي).

أما المبحث الثاني: فتناولنا فيه دراسة تحليلية للإبدال السماعي (اللغوي) واقتصرنا على المشهور منه واستبعدنا حالات كثيرة وردت في لسان العرب لضيق مجال البحث.

وفي الخاتمة: تم عرض أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي تم التنويه إليها في ثنايا البحث.

التمهيد

التعريف بالإبدال

نظر العلماء إلى ظاهرة الإبدال على أنها من خصائص اللغة العربية، فهي من المسائل التي تلقوها بالقبول والتسليم، وقد عبر عن ذلك ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فقال: ((من سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض:مَدَحَهُ ومَدَهَهُ، وفرس رَفَل ورَفَنّ، وهو كثير مشهور، وقد ألف فيه العلماء))(١). قال أبو حيان في كتابه ارتشاف الضرب: ((وجميع حروف المعجم جاء فيها البدل على ما سنذكره إلا الخاء والحاء، والذال والظاء، والضاد والعين والقاف))(٢). وقد عرّفه ابن بابشاذ (ت٤٦٩هـ) بشكل مفصل، فقال: ((والبدل وضع شيء مكان غيره على تقدير إزالة الأول وتنحيته))(٣).

ومن خلال التعريف نرى أنَّ مفهوم الإبدال يقترب من الإعلال والقلب، فكل منهما يحل محل الآخر ليدل على إبدال حرف مكان آخر سواء أحصل هذا بين الحروف الصحاح نفسها، أم بين حروف العلة، أم العكس، أم بين حروف العلة نفسها وعلى هذا ((فكل قلب بدل، وليس كل بدل قلباً))(٤).

قسم العلماء الإبدال على قسمين هما:

١- الإبدال (القياسي) الصرفي:

وهو الذي يخضع لقواعد صرفية محددة، كما في صيغة (افتعل، والافتعال)، إذ تبدل تاء الافتعال (طاء) متى كان قبلها أحد أصوات الإطباق (الطاء، الظاء، الضاد، الصاد) لتسهيل النطق ولتحقيق التوافق والانسجام الصوتي، وكذلك الحال إذا كانت تاء الافتعال (دالا أو ذالا أو زايا) فعندها تبدل التاء إلى صوت يوافق هذه الأصوات في الصفة وهو الدال(٥).

٢- الإبدال (السماعي) اللغوي:

وهو عكس الإبدال الصرفي، إذ انه لايخضع لقواعد صرفية محددة، وقد جمعه اللغويون من الألفاظ المتقاربة في أصواتها التي لها المعنى نفسه، وحاولوا تفسير سبب الإبدال الذي يحدث فيها.

وقد وضع النحاة والصرفيون عددا للأصوات التي تبدل، وان اختلفوا فيه، فمنهم من جعلها (أحد عشر صوتا) هي (الهمزة، والالف، والياء، والواو، والتاء، والدال، والطاء، والميم، والجيم، والهاء، والنون)[٦] منهم من عدها اثنا عشر صوتا، يجمعها في قولهم (طال يوم أنجدته)، وذهب بعضهم إلى أنها (تسعة أصوات) وجمعها في قوله (هدأت موطيا)[٧].

ولعل السبب الذي أدى إلى الاختلاف في عدد الحروف هو الخلط الواضح بين مفهومي الإبدال والإعلال، إذ إن كلاهما إبدال حرف مكان أخر إلا إنّ الإعلال يختص بأحرف العلة (الألف، والواو، والياء)، والسبب الآخر هو أنّ بعضهم قد ادخل تحت هذا الإبدال ما ليس منه، مما يعد من قبيل الإبدال اللهجي الذي عرفت به بعض القبائل، لذا نجد أن العلماء قد أخذوا يؤولون ويعللون هذا الإبدال للوصول إلى القياس، وجاء ابن جني (ت٣٩٢هـ) ففصل القول في ما جاء على هذه الشاكلة، ورأى أنه إذا تساوت الكلمتان في الشيوع والتصرف كانت كل منهما أصلاً، ولا إبدل بينهما، وكانتا من قبيل المترادف، وإذا شاع استعمال إحداهما، وقلّ استعمال الأخرى، أو تصرفت إحداهما دون الأخرى كان ذلك من قبيل الإبدال، وعدّ إحداهما أصلاً والأخرى فرعا، يقول: ((فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال كثرتهما واحدة، فإن أَخلَقَ الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظتين، لأن العرب قد تفعل ذلك حاجة إليه في أوزان أشعارها، وسعة تصرف أقوالها، وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما، ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة

أخرى وطال بها عهده، وكثر استعماله لها، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى))[٨].

ثم إنهم اشترطوا لحصول هذا الإبدال التقارب المخرجي بين الصوتين المبدل والمبدل منه وحددوا غايته، فان لم يكن هناك صلة بين المبدل والمبدل منه جعلوه لهجة، ومن ذلك إبدال السين صادا، وذلك إذا جاءت قبل (القاف، أو الغين، أو الخاء) في كلمة واحدة بغض النظر عن الحواجز بينهما، وهو مطرد في لغة بني العنبر من تميم نحو: (صقت، صالخ، صاطع) في سقت، سالخ، ساطع) وهذا ما نسبه العلماء إلى بني تميم وهو من قبيل الاختلاف اللهجي[٩]. ويمكن تعليل هذا الإبدال إنه حدث بتأثير الأصوات الثلاثة (القاف، الغين، الخاء) لأنها من أصوات الاستعلاء والاستعلاء صفة من صفات القوة فقلبت السين إلى الصاد لمجاورتها إياها في المخرج ومجانستها لهذه الأصوات من حيث الصفة إذ أن الصاد من حروف الاستعلاء.

أما عن الغاية أو الهدف من إبدال حرف من آخر، فانه بنوعيه (القياسي، والسماعي) ناجم عن الميل إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين تيسيرا لعملية النطق، واقتصادا في المجهود العضلي، طلبا للسهولة في النطق إذ إن السلسلة الصوتية التي تقع فيها المفردة هي التي توفر المناخ المناسب لحدوث الإبدال وفق قانون التلاؤم والانسجام الصوتي. مع الحفاظ على الرباط الصوتي بين الصوتين في ضوء المخارج والصفات.

أما عن موقف العلماء منه فلابد من أن نذكر موقف اللغويين والنحاة:

فالفريق الأول: اعتنوا بتصنيف المعاجم ووجهوا اهتمامهم في غالب الأحيان إلى حشد أكبر عدد من الكلمات التي يحدث بينها إبدال وكان غرضهم جمع اكبر عدد ممكن من ألفاظ اللغة، كما هو الحال عند ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) صاحب

(كتاب الإبدال) الذي ذكر للكلمة الواحدة صورتين مستعملتين أو جائزتين في الاستعمال على الأقل، وأبو عبيد (ت٢٠١هـ) في (الغريب المصنف).

أما الفريق الآخر: وهم النحاة فقد كان همهم تعليل سبب حدوث هذه الظاهرة. لذا وسعوا من شأن الإبدال حتى شمل الإعلال، لكنهم ميزوا بين الظاهرتين ومرد ذلك إلى إن كل منهما إقامة حرف مكان حرف لكن الإعلال يكون في حروف العلة خاصة بإقامة أحدهما مقام الآخر، أما الإبدال فيحدث في الحروف الصحيحة،فبينهما عموم وخصوص.

كما بحث العلماء الأسباب التي دعت إلى الإبدال بين الحروف وتباينت آرائهم بصدده فمنهم من عده مظهراً من مظاهر اختلاف اللهجات، ففسر الإبدال على انه نتيجة لتباين اللهجات، قال ابن السكيت: ((وقلت لأعرابي: أتقول مثل حَلك الغراب أو حَنَكَهُ؟ فقال: لا أقول حَلكهُ))(١٠).

وهذا يؤكد أنّ قبيلة الأعرابي لا تنطق (حَلَك) باللام، قال أبو الطيب اللغوي: ((ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة، تتقارب اللفظتين في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد))(١١) ومن العلماء من قال بوجود الكلمتين في القبيلة الواحدة، يؤكد ذلك ما جاء عن ابن السكيت فيما يرويه عنه السيوطي في المزهر، قال: ((حضرني أعرابيان من بني كلاب، فقال أحدهما:أنفَحَة، وقال الآخر مِنفَحَة، ثم افترقا على أن يسألا جماعة أشياخ من بني كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا، وهما لغتان))(١٢).

أما ابن جني فقد فسر هذه الظاهر ة على أساس فكرة الأصالة والفرعية بين الكلمات، عندما تتقارب لفظاً ومعنى، فحكم على بعض الكلمات بالأصالة لأنها تتصرف تصرفاً واحداً ومن تلك الألفاظ (طبرزل وطبرزن) فليس احدهما أصلاً لصاحبه فلا يحمل على ضده.

ومنها أيضا كثرة الاستعمال فحكم بالأصالة على أساس كثرة الاستعمال كما تقول: ما جاء زيد بل خالد، وبن خالد فالنون بدل من اللام، وذلك لكثرة استعمال (بل)

وقلة استعمال (بن) الحكم على الأكثر استعمالا، ومنه أيضا (مخر وبخر) فذهب ابن جني إلى أن الميم هي الأصل مستدلا على ذلك بقوله تعالى: چ ٹ ٹ ڈ ٹچ [فاطر:١٢](١٣).

فابن جني يبني فكرة الأصالة على شيوع الاستعمال وكثرة التصرف، فمن كلامه يمكن أن نستدل على الأصل بكثرة الاستعمال.

ولا يخرج الإبدال عند المحدثين عن مفهومه عند القدماء، فهو عندهم عبارة عن ((ارتباط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته، وحينئذ متى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الأصلي، فلابدّ أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها، أم استعاضت عن هذه الأصوات، أو بعضها بحروف أُخر تقارب مخرجها الصوتي، أو تتحد معها في جميع الصفات))(١٤).

ومنهم من وسع دائرته فشمل جميع حروف الهجاء، وضيقها آخرون فاشترطوا أن تكون الحروف المتعاقبة متقاربة المخرج، وان تكون إحدى الكلمتين أصلا للأخرى، وقد تنبهوا إلى أن معيار الأصالة والفرعية لم يعد مما يعول عليه لأنّنا ((لا نستطيع أن نحكم بشكل قاطع على هاتين الصورتين، وما إذا كانت مستعملتين جنبا إلى جنب في عهد ما قبل الإسلام، أو أنّ إحداهما قد نشأ بعد الإسلام))(١٥) ولذا فأننا لا نتمكن من أن نتبين الأصل والفرع بين الصورتين، وحتى إن احتكمنا إلى قوانين التطور الصوتي فعندئذ يكون الحكم مرجحا لا مؤكدا، وهذا يعتمد على ((ورود النص القديم مشتملاً على الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصالة بين النطقين، أما حين نفتقد النص فالأصالة عن طريق الشيوع مرجحة رجحانا كبيرا))(١٦).

وقد فسر المحدثون سبب حدوث الإبدال بأنه مما تتطلبه قوانين التطور الصوتي، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((حين نستعرض تلك الكلمات التي فسّرت على أنها من الإبدال حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم

صـورتين أو نطقين، ويكـون الاختـلاف بـين الصـورتين لا يجـاوز حرفـا مـن حروفهـا، نستطيع أن نفسرها علـى أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها انه في كل حالـة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه))[١٧].

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: ((لا يكون الإبدال إبدالا حقا إلاّ إذا كان بـين المبـدل والمبـدل منـه علاقـة صـوتية، كقـرب المخـرج، أو الاشـتراك فـي بعـض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرّخاوة))[١٨].

ومـن العلمـاء مـن ذهـب إلـى أنّ سـبب حـدوث الإبـدال هـو التطـور الصـوتي مضيفا إليه سببين هما: الخطأ في السمع الذي يجعلنا نضـع حرفاً مكان آخر مقارب لـه فـي المخرج، أو نتيجـة التصـحيف والتحريف، وذلك لخلو الخط العربـي القديم من الاعجام والشكل[١٩].

ومن هذا المنطلق يجمل الدكتور فؤاد ترزي أسباب حدوث الإبدال، وهي:

((١- قرب مخارج الحروف المتعاقبة.

٢- الترادف أو شبهه.

٣- وحـدة القبيلـة التـي يـدور فـي لسـانها اللفظـان المبـدلان))[٢٠]. أي أن اللفظـين المبدلين موجودان في القبيلة نفسها.

وبهذا التحديد لا يخرج المحدثون في حديثهم عن الإبدال عما اقره القدماء بل مؤكدا له.

ويلحـض هنـا إن الإبـدال بنوعيـه: الصـرفي واللغـوي يقتضـي أصـلاً وفرعـاً، بمعنـى أنَّ المبدل منـه أصـل، والمبدل فـرع. وهذا وإنَّ الإبـدال اللغـوي كمـا قـال بـه القدامى ينبني علـى اتحـاد الأصوات المتبادلـة، أو تقاربهـا فـي المخـارج واختلافهـا فـي الصفات وبه يصح الإبدال.

التعلـــيل الصـــوتي لظاهر الإبـــدال

المبحث الأول

الإبدال القياسي (الصرفي)

يقع الإبدال قياساً في الوزن الصرفي (افتعل) بقوة عامل المماثلـة الصوتية، إذ أنّ الأصوات تختلف فـي درجـة تأثرهـا، بمـا يجاورهـا مـن أصـوات فـي المخـرج وكيفيـة مرورها في الممر الصوتي.

فالتاء صوت (انفجاري، مرقق، مهموس) لذا فإنَّ التيـار التأثيري استبدال هذا الصـوت بالأصـوات (الدال، الذال، الطـاء، الظـاء) وهـي أصـوات لهـا ميزات صـوتية عالية القيمة، مما مكنها من احتلال موقع التاء.

فعند الحديث عن إبدال الصرفي لابد من الالتفات إلى السياقات الصوتية لتاء الافتعال، فغايـة إبدال التاء فـي هذه الصيغة إنما هـي غايـة صرفية هـي تيسير مهمـة الإدغام، فالإبدال في هذه الحالة غايته توفير الانسجام الصوتي لتعامل صوتي جديد يجنح إليه المتكلم وصولا إلى الخفة المنشودة.

ولمـا كـان كل مظهـر مـن مظـاهر الإبدال إنمـا يعلـل بالقرابـة الصـوتية ذاتـاً أو صـفة، وغايـة التقريـب فـي الإبـدال ((أن يكـون عملهـم مـن وجـه واحـد، ويسـتعملون ألسنتهم في ضرب واحد))[٢١] لذا سنتابع مظـاهر الإبدال في السياقات التـي ترد فيهـا تـاء الافتعـال، فهـي أمـا أن تبـدل (واواً أو دالا أو طـاءً) بحسـب مـا يتطلبـه الصـوت المجاور، وعلى النحو الآتي:

/ مُ وْ /تَ /زِ ن

↓

/ مُ ت /تَ /زِ ن = مُتَّزِنٌ

هذا هو تصور سيبويه لهذا الإجراء الصوتي.

وإذا أردنا أن نطبق التحليل الصوتي الحديث يمكن القول:

مُوتَزِن = م ُ ُ /تَ / زِ ن

فيتعرض الصائت الطويل/ ُ ُ /إلى الانشطار، فيتكون مزدوج هابط أيُ/و/ فيهيأ الجزء الثاني منه للإبدال، لأنه في هذه الحالة أكثر ضعفاً ((أرادوا إبدالهما حرفا أقوى منهما يُؤمن انقلابه فقُلبا إلى لفظ ما بعده وهو التاء))[٢٢] تحقيقاً للإدغام، إذ إنه سيكون ساكناً، وما بعده متحرك، وعلى النحو الآتي:

م ُ ُ / تَ /زِ ن

↓

م ُ و /تَ /زِ ن

م ُ ت/تَ /زِ ن = مُتَّزِن

بموجب هذا التحليل نقول: اتّزِنَ = او تِزَان = افتعال:

/ ءِ و/تِ / زَ َ / ن

↓

/ ءِ ت/تِ / زَ َ / ن = اتَّزان

وعندما سُبِقت الواو بكسرة ضعفت فصارت عرضة للقلب، لذا لابد في هذه الحالة من الإبدال لذا أبدلت إلى حرف يماثل ما بعدها، فالتقى مثلان وكان أولهما ساكناً فأدغما في بعضهما.

وهذه الحالة تسري أيضاً على الياء إذا وقعت موقع الواو في صيغة (أفتعل) وذلك لأن ((الواو والياء ليستا عندهم كسائر الحروف، والحركات فيهما مستثقلة.... فأبدلوا مكانهما حرفاً أجلد منهما مخرجه من مخرج الذي بعده ليثبت على هيئة واحدة.... وكان ذلك أخف عليهم من أن يتبعا ما قبلهما))[٢٣].

وتبدل التاء طاءً في صيغة (افتعل) بحسب قانون التجاور وهذا ما يوضحه النص الآتي: ((وقالوا في (مفتعل) من صَبَرتُ: مُصطَبِر، أرادوا التخفيف حين تقاربا

ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك، يعني قرب الحرف، وصارا في حرف واحد، ولم يجز إدخال الصاد فيها لما ذكرنا من المنفصلين، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء، ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام))[٢٤].

فأصل (مُصْطَبِر) هو (مُصْتَبَر)، ولما امتنع إدغام الصاد في التاء- لأن الصوت القوي لا يدغم فيما هو أضعف منه- والصاد يتمتع بصفة الإطباق فضلاً عن الصفير، وهذا ما لا يتوافق مع التاء الشديدة المهموسة، لذا ((كرهوا استعلاء الصاد وبعدها حرف غير مستعل وهو التاء إلا انه من حيز حرف مستعل وهو الصاد والطاء في الاستعلاء))[٢٥].

والحالة هذه تجري على جميع أصوات الإطباق (ص، ط، ظ، ض) إذا وقعت موقع الصاد، خضوعا لقانون التجانس الصوتي نظراً لأنّ التاء مهموسة مستفلة، لذا استثقل اجتماع المجهور مع المهموس، والمطبق غير المطبق لما بينهما من قرب في المخرج، وتباين في الصفة، فأبدلت التاء حرفا مستعلياً من مخرجها، وهو الطاء.

لذا ألزموا مع الظاء ما ألزموا مع الصاد إذا كانت فاء الافتعال، فإنَّ التاء تبدل بأشبه الأصوات بالظاء وهو الطاء، نحو:

اظْتَلم ←اظطلم

ويجوز فيه وجهان :

١-اعتماد التأثير التقدمي إذا أثر الصوت الأول في الثاني، فتبدل من الطاء الظاء لتكون اظّلَمَ.

٢-اعتماد التأثير الرجعي إذا أثر الصوت الثاني في الأول، فتبدل من الظاء الطاء لتكون اطّلَمَ.

وأقيس الوجهين (اطّلَمَ) لأنّ الأصل في الإدغام إتباع الأول الآخر، لأنّ التأثير في الإدغام غالباً ما يكون رجعياً.

ولم يقدم الدرس الصوتي الحديث تفسيراً جديداً لما أقره القدامى من تعليل لما يجري للتاء من إبدال في سياقات الافتعال إذا تخللها صوت من أصوات الإطباق في موضع الفاء وعلة ذلك طلباً لتحقيق التجانس الصوتي، فأصوات الإطباق مفخمة، والتاء مرقق لذا فالنطق يميل إلى أنْ يأتي بصوت يناسب أصوات الإطباق في التفخيم مع مراعاة البديل الصوتي من حيث كونه محتفظاً بضابط المخرج بوصفه آصرة صوتية تُذْكر بشرط القرابة الصوتية بين المبدل والمبدل منه[٢٦].

لذا اختير الطاء ليكون البديل الصوتي للتاء ليناسب أصوات الإطباق في التفخيم، ويوافق التاء في المخرج، وهو النظير المطبق له بحسب النطق الحديث للصوت.

ومن صور الإبدال الأخرى في تاء الافتعال هي أن تبدل دالاً ويحصل ذلك متى كانت فاؤه (دالاً، أو ذالاً، أو زاياً) نحو: ادّانَ، وازْدَجَرَ، وادَّكَرَ، وأصلها على التوالي: ادْتانَ، وازْتجر، واذْتكر.

وعلة ذلك واضحة وهي أن هذه الأحرف الثلاثة ((مجهورة، والتاء مهموسة فقلبت التاء دالا، لأنّ الدال مناسبة للذال والزاي في الجهر، والتاء في المخرج، فتوسطت بين التاء وبينهما))[٢٧].

ومنه أيضا إبدال التاء سيناً، قال سيبويه: ((وتقول في مُستَمِع: مُسّمع، فتدغم، لأنهما مهموسان، ولا سبيل إلى أن تدغم السين في التاء، فإن أدغمت قلت: مُسّمع...))[٢٨].

ويتبين أنّ علة إبدال التاء سيناً في هذا الموضع هو السبيل إلى تحقيق الإدغام لأنّ السين لا تدغم في التاء، لئلا يذهب الصفير وطول الصوت لما فيها من الانسلال.

وعلى هذا النحو تبدل التاء ثاءً، قال سيبويه: ((وقال ناس كثير: مَثّرد، في مُثترد، إذ كانا من حيز واحد، وفي حرف واحد))[٢٩].

أي إنّ الثاء والتاء لما كانا من مخرجين متقاربين، ولما كانت التاء لا تدغم في الثاء لذا فإنّ اجتماعهما في سلسلة صوتية واحدة يستدعي إبدال التاء ثاء، وإدغامها في سابقتها فكان التأثير تقدمياً، وكان القياس هو: متّرد أي أن تبدل الثاء تاء وتدغم في الثانية.

وعلى أساس أنواع التأثير الصوتي تكون تاء الافتعال قد أظهرت نمطين من التعامل الصوتي مع أصوات العربية:

الأول: الرجعي: مع الواو والياء إذا كانا في موضع الفاء في صيغة الافتعال، وقد استطاعت التاء إبدالهما ثم إدغامهما، فكانت الغلبة للحرف الصحيح (التاء) على أصوات العلة (الواو والياء) لضعفهما لسعة المخرج الصوتي مقابل قوة صوت التاء الانفجاري.

الثاني: التقدمي: فكانت الغلبة لتلك الأصوات (أصوات الإطباق، والدال، والذال، والسين، والثاء) إذ استطاعت أن تؤثر على التاء فأبدلتها بما يتجانس معها أو يماثلها.

ومما تقدم ويمكن القول إنّ الإبدال في هذه الصيغة يخضع لقوانين صوتية صرفية.

المبحث الثاني

الإبدال القياسي (اللغوي)

ذكر علماء العربية مظاهر الإبدال لأحد عشر صوتاً على وجه الإجمال في باب حروف البدل[٣٠] أما على وجه التفصيل والتعليل فقد توزع الأمر بين أبواب الإعلال[٣١] والإدغام[٣٢]، و في هذا البحث نستعرض مظاهر الإبدال من خلال المخارج والصفات، وما يتعلق بالجانب الصامت، ووفق المخارج الصوتية ابتداء من أقصى الحلق وانتهاء بالشفتين.

١- الأصوات الحنجرية والحلقية:

(الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء)

تعد هذه الأصوات من أبعد الحروف مخرجاً لذا فإن بعضها يحتاج إلى جهد كبير في إخراجه وجرى الإبدال بينها لتقاربها في المخرج وقوة بعضها وضعف بعضها الآخر، وأول هذه الحروف الهمزة ولثقل هذا الصوت مالت اللهجات العربية إلى التخفيف منه عن طريق تسهيله أو إبداله أو حذفه من الكلام، وتبدل الهمزة إلى خمسة أصوات هي (الواو، والياء، والإلف، والهاء، والعين) ويؤيد ذلك قول الخليل: ((أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريق الحروف الصحاح))[٣٣].

الهمزة والهاء: يعد صوت الهاء من اقرب الأصوات الصامتة إلى الهمزة وهي فضلاً عن ذلك صوت خفي يخرج من ((انفتاح الوترين واندفاع الهواء خلالهما في ممر ضيق))[٣٤] لذا وقع بينهما الإبدال في كثيراً من ألفاظ اللغة، نحو: أتمألّ وأتمهلّ، وأيا وهيا، وأبَزتُ له وهَبَزتُ له[٣٥].

وذكر سيبويه إلى الإبدال في نحو هَرَقتُوهَرَحتُفأبدلوا مكان الهمزة الهاء، كما تحذف استثقالاً لها، فلما جاء حرف أخف من الهمزة لم يحذف في شيء، ولزم الألف في ضارب، وأجرى مجرى ما ينبغي لألف (أفْعَل) أن تكون عليه في الأصل[٣٦].

وعندما نتأمل هذا النص يتبين لنا أن الإبدال في هذا الموضع يتأتى من ثقل الهمزة، فطلبت الخفة بصوت الهاء، وسوغ ذلك قربهما الصوتي فكلاهما (الهمزة والهاء) من أقصى الحلق[٣٧] على الرغم من كونهما– من الناحية الوصف الصوتي– على طرفي نقيض، فالهمزة صوت انفجاري، أما الهاء فصوت احتكاكي يقال: هِيرُ، وهير، أيا، وهيا، أرقتُ وهرقت[٣٨].

مما يجعل مظهر الإبدال بينهما مقبولاً وان لم يكن شائعا فإبدالهما نسِبَ إلى طيء يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((ويبدو أن الميل إلى إخفاء الهمزة وإضعافها في النطق جعلهم يقلبونها هاء لتداني مخرجيهما، إلا أنَّ قبيلة طيء متوغلة في البداوة، فكان الأشبه أن تحافظ على الصوت الشديد المجهور لأنه أوفق لطبيعتها، إلا انه لا يبعد أن يكون الذي بدأ هذا الإبدال في طبعه لين ورقة لضعف أو علة بحيث آثر الصوت المهتوت على الصوت الشديد الانفجاري))[٣٩].

الهمزة والعين: أما إبدال الهمزة عينا فخاصية تابعة للهجة تسمى (العنعنة) وتوجد بالخصوص عند بني تميم وقيس، نحو قولهم: (ظننت عنّك ذاهب) أي (ظننت أنّك)، وقولهم أيضا: عَسْلم في أسْلم، وعَذَن في أذُن[٤٠].

وعلة الإبدال هو قرب المخرج الصوتي الجامع للحروف الحلقية، وان لم تكن من مخرج واحد.

وهذا ما يحدث مع الأصوات الحلقية إذ يبدل بعضها من بعض بحكم تجاورها في المخرج .

فمن ذلك الإبدال الواقع بين الحاء والهاء، والحاء صوت حلقي رخو مهموس، والهاء حنجري رخو مهموس[٤١] ، وسوغ هذا التناسب الصوتي بينهما حصول الإبدال فجاء في ذلك ألفاظ كثيرة: قَحَلَ جلدَهُوقَهَلهُ، وحَبَشَ وهَبَشَ، وصَحَلَ وصَهَلَ، وحَقحَق في السيروهَقهَق[٤٢].

وكذلك بين الحاء والعين إذ أنهما متحدان في المخرج وتناظرهما في الصفة، لان الحاء هو النظير المهموس للعين، لذا فعلّة الإبدال هنا واضحة وهي اتحادهما المخرجي[٤٣] وأمثال ذلك كثير، يقال: ضَبحت الخيل وضَبعت، وبَحثَر اَلشيء وبَعثَرَ[٤٤].

وقد ذكر ابن جني إن الحاء تبدل عيناً إلا أنَّ هذا الإبدال غير مطّرد، بل يكون مقصوراً على بعض الألفاظ دون بعض بدليل قوله: ((وقد أبدلتْ العين من الحاء، في بعض المواضع قرأ بعضهم (عَتى حين) يريد (حتى حين) ولولا بحة في الحاء لكانت عينا))[٤٥]. ومن ذلك أيضاً: ضَبَحتُ، وضَبَعتُ، وبَحثَروا، وبَعثَروا[٤٦].

ومن حروف أقصى الحلق إلى وسطه إذ يلتقي صوت الحاء الحلقي مع الخاء الأدنى حلقي وكلاهما يشتركان في صفات الهمس والرخاوة والانفتاح، ويمكن ملاحظة الإبدال بينهما في حالات كثيرة كما في سَبَحَ وسَبَخَ والحَشيّ والخَشِيّ وحَبَجَ وخَبَجَ[٤٧]، فهما بمعنى متقارب والعلاقة الصوتية بين الحرفين وثيقة جداً بسبب تجاور مخرجيهما، واتفاق صفاتهما، وعلى هذا حصل الإبدال بينهما، لأنَّ مابين الحرفين يسمح بحصول ذلك بحكم تقاربهما الذي اشرنا إليه.

٢- الصوتان: اللهوي (القاف) والطبقي (الكاف):

الصوت اللهوي هو الصوت الذي يخرج من بين أقصى اللسان واللهاة، ويضم صوتاً واحداً وهو القاف، أما الطبقي فيخرج من أقصى اللسان والطبق ونعني به صوت (الكاف).

أما الإبدال الحاصل بين القاف والكاف فيفسره تجاور مخرج الصوتين، واشتراكهما في صفة الشدة[٤٨] ومن ذلك الإبدال:كَشَطَ وقَشَطَ، وهذا النوع من الإبدال ظاهرة لهجية، فلغة قريش بالكاف ولغة تميم بالقاف[٤٩]، ويمكن أن نعلل مثل هذا الإبدال الصوتي بالاعتماد على البيئة التي تقطنها الجماعة الناطقة بالصوتين فالطبيعة الحضرية التي تعيشها قريش جعلتها تختار صوت الكاف المهموس، أما بدوية تميم فجعلتها تختار صوت القاف المقلقل.

ويمكن أن نقول إنّ الاتجاه إلى الصوت الأيسر نطقاً هو المسؤول عن حدوث هذا الإبدال وشيوع الكاف في البيئة الحضرية لأنَّ ((الكاف أيسر نطقاً من القاف، من ناحيتي مخرجها، وعدم تدخل مؤخرة اللسان– بحركة ثانوية– في أثناء نطقها. أما القاف فمخرجها متطرفة من ناحية، ونطقها يصحب بحركة ثانوية لمؤخرة اللسان، من ناحية أخرى، مما يكسبه بعض القيمة التفخيمية))[٥٠].

وتبدل الكاف إلى صوت الشين قال سيبويه: ((فأما ناس كثير من تميم، وناس من أسد، فإنَّهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنَّهم أرادوا البيان في الوقف، لأنَّها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنَّهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا: ذَهَبُوا وذَهَبْنَ، وأنتم وأنْتُنَ، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها، لأنها مهموسة كما أنَّ الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق، لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: أنشِ ذاهِبة، ومالش ذاهبة، تريد إنَّكِ، ومالكِ))[٥١].

وهذا النص يكشف عن جملة من الأمور:

١– إنَّ هذه الظاهرة (إبدال الكاف شيناً) إنَّما هي لغة تميم.

٢- إنَّ السياق الصوتي المشتمل على هذا الإبدال يشترط أن تكون كاف التأنيث في موضع الوقف.

ويعلل هذا الإبدال من جهتين:

١- **الجهة الصوتية:** إذ جيء بالشين بديلاً صوتياً عن كاف التأنيث في الوقف، لأنَّ الكاف- وهي صوت مهموس- ستكون أكثر خفاءً، ولاسيما إذا سلب الوقف حركتها (الكسرة)، لذا جيء بالشين لأنها أقرب الأصوات من الكاف، فضلاً عن همسها، وهي بعد أبين في الوقف من الكاف لأنها تحتوي على زيادة وفضلة على الكاف، متمثلة بما فيها من التفشي.

٢- **الجهة الصرفية:** إذ إنَّ الإبدال هنا ذا دلالة صرفية على التفريق بين المذكر والمؤنث، مفضلين هذا الأسلوب الصوتي في التفريق على الأسلوب الحركي الذي يلاحظ في (أنتَ، أنتِ) حملاً على ما يجري في النون والميم في (أنتم، وأنتنَ). وفيها مذاهب، إثبات الشين حال الوقف، وهو المشهور، و إثباتها في الوصل أيضاً، وهناك من يجعل الشين مكان الكاف، ويكسرها في الوصل، ويسكنها في الوقف(٥٢).

٣- الأصوات الغارية (الجيم، الشين، الياء):

تُسمى هذه المجموعة من الأصوات الغارية لأنَّها تخرج من أوسط اللسان والغار، لذا فإنها تبدل من بعضها بحكم إتحادها في المخرج، قال سيبويه: ((وأما ناس من بني سعد، فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم:هذا تميمجّ، يريدون تميميّ، وهذا علجٌّ، يريدون عليٌّ، وسمعت بعضهم يقولون: عربانج، يريدون عربانيٌّ، وقد حدثني من سمعتهم يقولون:

خَالي عُوَيْفُ وأبوعَلِجّ المطعمانِ الشحمَ بالعشجِّ

وبالغداة فَلقَ البرنج

يريد بالعشيّ، والبرنيّ، فزعم أنهم أنشدوه هكذا...))(٥٣) فلما كانت الجيم والياء والشين من وسط اللسان فيما بينه بين وسط الحنك الأعلى عند سيبويه (٥٤)، فإنَّ أبين هذه الأصوات الجيم، وأخفاها في الوقف الياء، فأبدلت منها في الوقف ((لقربها منها مخرجاً وصفة في الجهر، ومع تشديد الياء أيضاً يزداد القرب بالشدة، فبينت بإبدالها جيماً في الوقف))(٥٥). وقد أُطلِق على هذه الظاهرة (العجعجة) ونُسبتْ إلى قضاعة(٥٦).

و تبدل في غير الوقف، كما في قوله:

كأنَّ في أذنابِهِنّ الشُّوَّل من عَبَسِ الصَّيفِ قُرُون الإجَّل(٥٧)

وتبدل من غير المشددة أيضاً ، كما في قوله:

فلا يزال شَاحجٌ يأتِيكَ بجْ أقمرٌ نَهَّاتٌ يُنزِّي وفْرَتِجْ (٥٨)

أي: يأتيك بي، ووفرتي.

ومن الياء المفتوحة في غير الوقف:

حتَّى إذ ما أمْسَجَتْ وأمْسَجا (٥٩).

يعني: أمسيت وأمسيا.

كما يظهر هذا النوع من الإبدال في اللهجات الحديثة، في لهجات شرقي الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص فهم يقولون: يِناح في جِناح، وعَيوز في عَجوز، وحياي في حجاج(٦٠).

وتبدل الجيم شيناً- إذ لم يتمكنوا من إبدال الجيم- إذ كانت ساكنة بعد الدال زاياً، فقد جيء بالشين بديلاً عن الجيم، ومضارعاً للزاي لأنَّ ((الجيم أيضا قد قربت

منها فجعلت بمنزلة الشين من ذلك قولهم في الأجدر، أشدر، وإنما حملهم على ذلك أنها من موضع حرف قد قرب من الزاي))[٦١].

ولا يقتصر إبدال الجيم مع الأحرف المشارك لها في المخرج بل يتعدى ذلك إلى المخرج المجاور، فيبدل خاءا أيضاً، وهذا الإبدال نُسِب لقبيلة أسد، قال الأزهري: ((سَمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقولون للأصم: أصلج بالجيم، ومنها لغة أخرى لبني أسد ومن جاورهم، يقولون: أصلخ بالخاء للأصم))[٦٢].

وليس بعيداً أن الكلمة كانت بالجيم ثم تحولت الى الخاء لأنّ الخاء مهموس رخو وهذا التطور من الجيم المجهور الشديد إلى الخاء تحتمه طبيعة الحياة الحضرية التي تأثرت بها قبيلة بني أسد، ومن الممكن ان نتصور أن كلا الكلمتين قد تطورتا تطوراً مستقلاً [٦٣].

وتبدل الجيم كافاً ايضاً لقربه منه نحو: سَجَّبطنه وسكَّبطنه، وسَيْهوج وسَيْهوك[٦٤].

٤-الأصوات اللثوية الخلفية (اللام، الراء، النون):

تتميز هذه الأصوات الثلاثة بأنها تشترك في صفاتها العامة، فهي أصوات متوسطة مجهورة ذولقية، ويفرق بينها أنَّ كل واحد منها ينفرد بصفة خاصة تميزه فاللام جانبي، والراء مكرر، والنون أنفي[٦٥] ويضاف لذلك اتحاد مخارجها، وكل ذلك أدى إلى كثرة تبادل هذه الأصوات بعضها من بعض، يُقال: هُتَّنٌ وهُتَّلٌ، السُّدون والسُّدول، الكَتَلُ والكَتَنُ [٦٦].

يقول ابن جني: ((فأما قولهم: ما قام زيد بل عمر، وبن عمر فالنون بدل من اللام، ألاَّ ترى إلى كثرة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل))[٦٧].

يقول سيبويه: ((وقد أبدلوا اللام من النون، وذلك قليل جداً، قالوا: أصيلال، وإنما هو أصيلان))[٦٨].

ومسوغ هذا الإبدال بين هذين الحرفين هنا أنَّ ((اللام من فصيلة الأصوات الذلقية التي تشمل (اللام، والراء والنون) فهي والنون من فصيلة واحدة، من أجل هذا التقارب تبدل النون من اللام))[٦٩].

ولا يقتصر هذا الإبدال على اللهجات القديمة فحسب بل إننا نجد نماذج منه على ألسنة العوام في مصر فهم يقولون: القطم بدلاً من القطن، ويقولون: اسماعين بدلاً من إسماعيل، ويقولون ملين بدلاً من مليم.

والحق إنّ هذا التبادل بين الأصوات الثلاثة له ما يسوغه من الناحية الصوتية فهذه الثلاثة (اللام والميم والنون) تشترك في صفة الخفة والسيولة ولا مانع من أن تتبادل أماكنها بل هي أكثر الأصوات عرضة للتغيير والتحويل، كما انها أكثر الأصوات العربية دوراناً على الألسن.

وتبدل اللام أيضا من صوت آخر وهو الراء، يقال: هديل وهدير، وطِلِمِساء وطِرِمساء، وجَلَبهُ وجَرَمَهُ [٧٠] فكلاهما ((من مخرج واحد، وكلاهما من النوع المجهور. المجهور. ولكن تتميز الراء بأنها صوت مكرر يضرب اللسان معه اللثة ضربات متتالية، مما يجعله صوتاً مركباً لصوت اللام))[٧١].

وقد جاء إبدال اللام من الراء في قبيلة أسد، قال الأزهري: ((قال أعراب بني أسد: دَلَبِح أي طأطئ ظهرك ودَربِح مثله))[٧٢]. وهذا الإبدال في لهجة تميم منسجماً مع ميلها إلى التخفيف من الجهد العضلي[٧٣].

ولما كانا من مخرج واحد وصفاتهما متقاربة كان لا مانع من إبدالهما من بعضهما.

ومن صور الإبدال الأخرى ما يحدث بين النون والميم على الرغم من بُعدهما عن بعضهما مخرجاً لكن اجتماع صفة الجهر والأنفية قد قرب بين الصوتين فجعلهما بمثابة صوت واحد لذا يكثر الإبدال بينهما، قال سيبويه: ((وتقلب النون مع الباء ميماً

لأنّها من موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذا كان الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيما قرب من الراء في الموضع، فجعلوا ما هو من موضع ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع، ولم يجعلوا النون ياءً لبعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنة، ولكنهم أبدلوا مكانها أشبه الحروف بالنون، وهي الميم، وذلك قولهم: مَمْبك، يريدون: من بك، وشمباء، وعمبر، يريدون: شنباء وعنبر))[٧٤].

أي أنَّ النون تبدل ميماً إذا تلتها باء، وعلّة الإبدال متأتية من أنَّ الميم لها صلة بكل من النون[٧٥] ، والميم كالنون- والباء، فالميم والنون كلاهما أنفيان يحبس الهواء لهما حبساً تاماً في موضع من الفم، ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف[٧٦].

أما الميم والباء فكلاهما شفوي، فضلاً عما تشترك فيه مجموعة الأصوات (الميم، والباء، والنون) من صفة الجهر والذلاقة.

ولنا أن نتساءل: لماذا الميم هي البديل للنون إن تلتها الباء؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إنَّ السياق الصوتي في (شنباء) و (عنبر) يوفر ما يحبّذ من خلاله المؤدي أداءً معيناً، فالميم يوفر للباءإطباق الشفتين، ومن ثم تحقيق مبدأ العمل من وجه واحد[٧٧] ، أو تحقيق ما يسمى تصويب اللسان[٧٨] إلى منطقة واحدة، وذلك التصويب الذي يجعل الإتيان بصوتين من موضع واحد ممكناً، ولاسيما أنّ الباء والميم تؤديان بانطباق الشفتين انطباقاً تاما عند النطق[٧٩] فيحبس الهواء حبساً تاما في الفم، ثم يمرر- من الهواء بخفض الحنك الرخو- ما يؤدي به صوت الميم، ومن ثم يستمر إطباق الشفتين، فيستمر الحبس حتى يؤتى بالانفجار لتأدية الباء، وذلك من خلال الانفراج المفاجئ للشفتين.

إنَّ المتتبع للأصوات (الميم، والنون، والباء) يقف على التقارب بين الميم والباء، والصلة وثيقة بينهما، فالباء في تأريخها الصوتي قد تكون البديل عن الميم لاشتراكهما في المخرج والصفة، إذ إن (السبئية) – وهي فرع من الساميات – تشهد إبدال الميم باء، جاء في المزهر: سَبَد وسَمَد، طُمار وطُبار، الساسم والساسب، عجب وعجم[٨٠].

٥- الأصوات اللثوية الأمامية:(الدال، والتاء، والطاء، والضاد):

تسمى هذه الأصوات بالأصوات اللثوية الأمامية لأنها تخرج من بين مقدم اللسان وأول اللثة. وأول ما نتناول منها صوت الدال وتبدل الدال طاءً، لأنهما من مخرج واحد وهما شديدان لا فرق بينهما إلا إن الدال مجهور منفتح والطاء مهموس (حسب النطق الحديث) مطبق واجتماع صفتي الإطباق والشدة في الطاء جعله يقوي الصوت فيقرب من الأصوات المجهورة، نقول: مدَّ الحرف وَمطَّهُ، وبَدِغ وبَطِغ، والابعاد والابعاط[٨١].

أما إبدال الدال لأما: فيسوغه قرب مخرج الصوتين وتدانيهما من بعضهما لأنَّ الدال تخرج من بين مقدم اللسان وأول اللثة واللام تخرج من بين مقدم اللسان وأول اللثة[٨٢] ولهذا جاز إبدال احدهما مكان الآخر، نحو: المعكود والمعكول، ومَعَدَه ومَعَلَه.

فمن إبدال التاء دالاً:مَدَّ في السير وَمَتّ، والسّدى والسّتى، وسَبنَتي[٨٣] وَسَبَندي.

ومن إبدالها طاءً: تبن وطبن، وغتت وغطط، ففي المادة الثانية (غتت) يتجلى أثر التفخيم بحكم المجاورة فلما جاورت التاء المرققة صوت الغين المفخم اكتسبت منه هذه الصفة الصوتية، والتاء والطاء فهما من نفس المخرج، إذ إنّ كليهما مهموس انفجاري، وأسناني لثوي، وهذا ما جعل صوت التاء يستحيل إلى طاء.

ومن إبدالها سيناً: تَوتِه وسوسه، ورجل حَفَيتاً وحَفيساً إذا كان ضخم البطن أو القصر[٨٤].

٦- الأصوات الأسنانية اللثوية (السين، الصاد، الزاي):

تسمى هذه المجموعة من الأصوات بالأصوات الصفيرية لخاصية حدّة الصوت الذي يخرج معها عند النطق بها، وهي تشترك في المخرج ويفرق بينها أنّ السين مهموسة والزاي مجهورة وهما مستفلان والصاد مستعلٍ.

ومن الطبيعي أن يحدث بين هذه الأصوات إبدال بحكم اتحادها المخرجي وخضوعاً لقانون المجاورة الصوتية عند مجاورتها صوتاً يتطلب الإبدال. فيؤدي ذلك إلى إبدال أحدهما مكان الآخر.

وتحدث العلماء كثيراً عن تعاقب السين مع الصاد، والسين مع الزاي، ووقف عندها سيبويه وقوف المدقق متلمساً وقع تجاور الأصوات مع بعضها قال: ((فإن تحركت الصاد لم تبدل لأنه قد وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة ولكنهم قد يضارعون بها نحو صاد صدقت والبيان فيها أحسن وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو مصادر والصراط لأن الطاء كالدال والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم صويقٌ و مصاليق فأبدلوا السين صاداً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في صقت ونحوه ولم تكن المضارعة هنا الوجه لأنك تخل بالصاد لأنها مطبقة وأنت في صقت تضع في موضع السين حرفاً أفشى في الفم منها للإطباق فلما كان البيان هاهنا أحسن لم يجز البدل))[٨٥].

ويمكن أن نفسر كثيراً من حالات الإبدال وفقاً لذلك، نحو: مَسْبَغة ومَصْبَغة فأبدلت السين صاداً عندما مجاورتها لصوت مفخم فاكتسبت صفة التفخيم لتجانس الغين، والسين تشارك الصاد في الصفير والهمس، فكانت هذه المقاربة مجوزة قلبها إليها لتجانس الغين في التفخيم والاستعلاء. وأمثال ذلك كثير، قال ابن جني: ((قالوا

في (سُقْتُ: صُقْتُ) وفي (سَويق: صويق) وفي (سَملق: صَملق) فأبدلوا من السين صاداً، ليوافق بالاستعلاء الذي فيها استعلاء القاف))[٨٦].

وكذا الحال في سَقَروصَقَر، وصَلَخَ وسَلَخَ.

ويبدو أنّ الإبدال في هذا الباب غير مُطّرد، كما أنه محكوم بنسق تأليفي بعينه، قال الصاغاني (ت٦٥٠هـ) نقلاً عن الفراء (ت٢٠٧هـ): ((إذا كانت بعد السين طاء أو قاف أو غين أو خاء فإن تلك السين تقلب صاداً. وقال: ونفر من بلعنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة، ثم جاءت بعدها طاء أوقاف أو غين أو خاء، صاداً..... واستخفوها ليكون المخرج واحداً كما استخفوا الإدغام))[٨٧].

وتبدل السين كذلك زاياً: يقال خَسَقَ وخَزَقَ فمخرج الخاء حلقي، ويليه السين وهي أسنانية لثوية، والقاف لهوية، أنَّ الانتقال من الصوت الحلقي (الخاء) إلى الأسناني اللثوي (السين) إلى اللهوي (القاف) فقوة القاف بما فيها من استعلاء وشدة وقلقلة قلبت السين زاياً لأن من طبيعة أصوات العربية أن الصوت القوي يضيف على الصوت الضعيف قوة إذا جاوره.

ويمكن أن يكون هذا هو الذي أذن بحلول الزاي محل السين في هذه المادة، فجهر الزاي جعلها تقترب من القاف على الرغم من إنّ القاف في النطق الحديث لا يعد صوتاً مجهوراً، ولكن ما فيها من التفخيم والاستعلاء قوى الصوت فأشبهت بذلك الأصوات المجهورة [٨٨] وقد نُسِبَ إبدال السين زاياً إذا جاورت القاف إلى بني كلب يقولون في سَقَر: زَقَر [٨٩].

ومثله في التأثر بحكم المجاورة (أَسْبَغ و أَزْبَغ) فاقتضت المماثلة الصوتية أن تبدل السين إلى شقيقتها الزاي المجهورة لمجاورتها الغين المجهورة التي أثرت في السين الصفيرية المهموسة فقلبت زاياً صفيرية بعد أن اعتراها ملمح الجهر القادم من الغين.

وكذلك الحال في (نَسَغَ و نَزَغَ) فإنّ قواعد المماثلة والانسجام الصوتي التي وردت فيها السين اقتضت أن ينال السين بعض الجهر بحكم مجاورتها (الغين) فعمل قانون الأقوى إلى أن يتغلب الصوت القوي بجهريته على الصوت الضعيف المهموس، فاستحال السين إلى زاي لتوافق الغين في الجهر والسين في المخرج والصفير.

وذكر رابين إنّ النطق بالزاي بدلاً من النطق بالسين، يحدث نتيجة لقرب السين من ساكن مفخم لا لمجاورتها له، وانها من خصائص لهجة كلب، ويؤكد رابين إن هذه الظاهرة ما تزال ممتدة في لهجة تدمر بالأردن، يقول: ((ولا تزال هذه الخاصية حتى اليوم، في لهجة تدمر الواقعة في ارض كلب القديمة، وفيها تنطق (زَقف) في (سَقف)))[٩٠].

ومنه أيضاً ابدال السين تاءً وهي لغة نسبت إلى اليمن ولم يوجد لها تعليل صوتي أو صرفي لذا تبقى من قبيل اختلاف اللهجات[٩١].

أما صوت الصاد فيبدل زايا خالصة ((إذا كانت الصاد ساكنة، وتلتها دال في كلمة واحدة أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب (مَدَدْتُ)، فجعلوا الأول تابعا إلى الآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي، لأنها مجهورة غير مطبقة،.... وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، اذ لم يصلوا إلى الإدغام، ولم يجسروا على ابدال الدال صاداً، لأنها ليست بزيادة كالتاء في (افتعل)، والبيان عربي، فان تحركت الصاد لم تبدل، لأنه وقع بينهما شيء فامتُنِع من الإبدال إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة....))[٩٢].

وفي هذا النص جملة من الأمور:

١- يشترط ابدال الصاد زاياً شرطين:احدهما:سكون الصاد، لأن الحركة حاجزة بين الصاد والدال، وثانيهما: أن يلي الصاد الساكنة صوت الدال، ويتصل به اتصالاً مباشراً.

٢- لما لم يكن للدال أن تنقلب إلى جنس الصاد ضورع بالصاد أشبه الأصوات بالدال فكانت الزاي، إذ إن الزاي حرفاً وسطاً بينهما فيشارك الصاد في المخرج والصفير ويوافق الدال في إنها مجهورة غير مطبقة.

على انه يجوز في هذه الصاد وجهين:

١- إبدالها زاياً خالصة لأطباق فيها فتوافق بذلك الدال في الجهر وخلوها من الإطباق.

٢- مضارعة الصاد بالزاي بأن يجعل الصاد مُشربة شيئاً من صوت الزاي وليست زاياً خالصة فلا تفقد صفة الإطباق.

وعلى هذا الأساس قيل في ((مَصْدر: مَزْدر، فأبدلوا من الصاد- وهي مهموسة- حرفاً من مخرجها يقرب من الدال، وهو الزاي، لتوافقهما في الجهر))[٩٣].

ويحصل الإبدال بين الأحرف الصفيرية الثلاث ويكون الباعث عليه المماثلة من جهتي التفخيم والجهر كما في: عَسَدَ، وعَصَدَ، وعَزَدَ، فهي تنتمي إلى أصل واحد، الا انّ لكل واحدة منها صبغة صوتية تميزها عن الأخرى فهي مفخمة في (عَصَدَ) ومرققة في (عَسَدَ) ومجهورة في (عَزَدَ)، فلما جاورت السين المهموسة الدال المجهورة اكتسبت الجهر فغدت صاداً فصار لدينا (عَصَدَ) لأن السين والصاد لا فرق بينهما إلا في ملمح صوتي واحد وهو التفخيم، أما الزاي فقد جاءت بحكم مجاورة الصاد الساكنة صوت الدال فاكتسبت السين ملمح الجهر من الدال فأبدلت زاياً.

وكل ما تقدم يمكن تحليله على أساس الانسجام الصوتي في السلسلة الكلامية المنطوقة إذ إن الخروج من المستفل إلى المستعلي مكروه وكذلك الخروج من المجهور إلى المهموس فيه منافاة وثقل، فلابدّ من تحقيق التجانس بين الأصوات ولا يتحقق ذلك إلا بالإبدال.

٧- الأصوات الأسنانية (الذال، والثاء، والظاء):

للذال والثاء والظاء ملامح صوتية متماثلة فهي أصوات رخوة أسنانية، ويفرق بينها أنَّ (الذال والثاء) مرققة و (الظاء) مفخمة، كما أنَّ الثاء مهموسة والذال والظاء مجهوران [٩٤].

لذا يبدل بعضها من بعض في سياقات الكلام، فعندما تقع الثاء مجاورة لمجهور في بيئة صوتية ما قد يعمل على صيرورتها مجهورة، لتغدو في نطق المتلفظ بها ذالاً صريحة، كما هو الحال في إبدال الذال ثاءً في مثل: (لعثم ولعذم) وقد وقعت مماثلة صوتية بين الثاء المهموسة والعين المجهورة فاكتسبت الثاء صفة الجهر لتغدو ذالاً في النطق. ومنه أيضاً (جثا وجذا) فقد أدى قانون المماثلة الصوتية إلى أن تسترفد الثاء المهموسة صفة الجهر من الجيم المجهورة فتستحيل إلى ذالاً، إذ، لا بون بين الذال والثاء– من جهة صوتية – إلا في الجهر والهمس، فكلاهما أسناني رخو مرقق.وأمثال ذلك كثير، يقال: قَثَمَ وقَذَم، وغَثَمَ وغَذم إذا دفع له دفعة فأكثر [٩٥].

وتبدل الثاء فاءً أيضاً: وذلك بحكم تجاور الصوتين من حيث المخارج إذ إنَّ الثاء أسنانية والفاء أسناني شفوي، ويتفقان تماماً في الوصف فكلاهما رخو مهموس منفتح، وهذا ما يجعل الإبدال بينهما سائغاً مقبولاً فكثر وقوعه في ألفاظ لاحصر لها، مثل الحثالة والحفالة، وثلغ رأسه وفلغه، والغثة والغفة وثوهد وفوهد، وثم وفم، واللثام واللفام [٩٦].

ويقول الدكتور احمد علم الدين الجندي في إبدال الثاء فاءً: ((وربما كانت الفاء هي الأصل، ولسهولة انتقال الفاء إلى الثاء للعامل الصوتي أبدلت ثاء في تميم، والثاء لتميم أليق)) [٩٧].

ويعلل إبراهيم أنيس لهذه الظاهرة عند تميم فيقول: ((لأنها بدوية تؤثر ما كان واضحاً في السمع، ولاشك أنّ الثاء أوضح في السمع من الفاء على الرغم من أنهما مهموسان)) [٩٨].

وخلاصة الكلام إنَّ القبائل البدوية تميل في نطقها إلى صوت الثاء في حين تميل القبائل الحضرية إلى صوت الفاء، فقد ذكرت الروايات نطق الثاء في قبيلة أسد وطيء، وهما من قبائل البادية، جاء في اللسان: ((تَكرفأ السحاب كتكرثأ والثاء لغة بني أسد والفاء لغة سليم)) [٩٩].

٨- الأصوات الشفوية (الباء، الميم، الواو):

تشترك هذه الأصوات في المخرج، إذ إنها تخرج مما بين الشفتين، وتجمعها صفة الجهر، إلا أنها تختلف في الشدة والرخاوة، فالباء شديد مقلقل والميم رخو، والواو من أشد الأصوات الرخوة رخاوة لما فيه من اللين [١٠٠].

وتبدل الباء من حرف واحد وهو الميم فقد وردت في ذلك أمثلة كثيرة: كالرِبا والرِما، والرّجبة والرّجمة، وسَبَدَ شعره وسَمَدَهُ: أي حلقه، وعَجم الذنب وعجبَهُ، وغيهب وغيهم، ومَهلاً وبَهلاً [١٠١].

فالإبدال في هذا الموضع يمكن وقوعه لأنَّ الصوتين متحدان في المخرج، ومتفقان في الجهر والانفتاح والانذلاق والاستفال، وهذا الاتفاق كافٍ كمسوغ لإبدالهما من بعضهما.

وإبدال الميم باءً وبالعكس يكثر عند البدو، لأنهم يؤثرون الأصوات الانفجارية، أما الحضر فيميلون إلى الأصوات الرخوة فيقلبون الباء ميماً، وهذا ما نجده في اللهجات الحديثة أيضاً، ففي مصر نجد سكان محافظة أسيوط يقولون: يا امني في: يا ابني [١٠٢].

وتبدل الميم مكان الواو في (فم)، قال سيبويه: ((وأما (فَمٌ) فقد ذهب من أصله حرفان، لأنَّ أصله كان (فَوْهٌ)، فأبدلوا الميم مكان الواو ليشبه الأسماء المفردة من كلامهم، فهذه الميم بمنزلة العين، نحو ميم: دَمٌ، ثبتت في الاسم في الجر والنصب))[١٠٣]، أي أنّ علة ابدال الواو ميماً هي علة يستدعيها المستوى النحوي في الأداء اللغوي، فللميم القدرة على استيعاب الحركات الثلاث (الضمة، والفتحة، والكسرة).

ولما كانت الواو في الأصل (فَم) = (فُو) واواً مدية، فإنَّ بقاء هذه الواو على حالها يترتب عليها تأثرها بأصوات الحركات الإعرابية، ومن ثم انقلابها إلى أجناس تلك الأصوات.

إلا انّ ظاهرة ابدال الواو ميماً في (فم) = (فوه) ومن خلال تتبعها في المعاجم يتبين لنا أنّ الميم هو البديل القوي للواو الذي يحافظ على أدائه صفة الشفوية فضلاً عن أن الميم يضارع امتداد الواو، والعرب تستثقل وقوفا على الحاء والهاء والواو والياء إذا سُكِن ما قبلها، فتحذف هذه الحروف ويبقى الاسم على حرفين كما حذفوا الواو من أب، وأخ.... والهاء من (فوه)، فلما حذفوا الهاء من (فوه)، بقيت الواو ساكنة، فاستثقلوا وقوفاً عليها فحذفوها، فبقي الاسم فاءً وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين، حرف يبتدأ به فيُحرك، وحرف يسكت عليه فيسكن[١٠٤].

وفي ضوء هذا التحليل يمكن القول إن الواو المبدلة ميماً في (فو) أبدلت بناءً على أن الواو مديّة لا على أساس نصف صائت، ومن ثم تعرضت تلك الواو المدية إلى الانشطار فأبدل نصف الصائت منه من الميم، ويفترض أن يكون على النحو الآتي:

/ف ُ ُ /

فينشطر الصائت الطويل ويتولد المزدوج/ ُو/ وهو يتكون من صائت / ُ/ ونصف الصائت/ و / وهذا الأخير يبدل من الميم، أما الصائت / ُ / فيبدل بصائت/َ ٌ / تخلصاً من سياق صوتي ثقيل يوفره بقاء صائت/ ُ / باعتبار التوالي المتماثل للمصوتات وعليه يمكن توضيحه وعلى النحو التالي:

/ف ُ ُ /

↓

/ف ُ و/

↓

/ف ُ م/

وعلة الإبدال هنا صرفية أكثر منها صوتية، إذ إن الواو عرضة للإسقاط لأنها متطرفة بعد الواو فأبدلت بحرف اجلد منها من مخرجها ((لئلا تسقط فيبقى المعرب على حرف واحد))[١٠٥].

ويرى برجشتراسر – بعد أن تتبع الميم في (فم)– أنها لم تكن البديل الصوتي للواو، لأنها ميم (التمويم) الذي يساوي التنوين في العربية فكان الرفع:Fum، والخفض:Fim، والنصب:Fam، وقد تبقي العرب تلك الميم وكأنها أصلية، فأضافوا إليها الإعراب والتنوين فصارت فمٌ وفمٍ وفماً، فنقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها[١٠٦].

وهناك ما يدعم هذا الرأي، يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((يُقال هذا فَمٌ، ورأيتُ فَمَاً، ومررتُ بِفَمٍ، بفتح الفاء على كل حال، ومنهم من يضم الفاء على كل حال، ومنهم من يعربه من مكانين، يقول: هذا فَمٌّ، ورأيتُ فَمَّاً، ومررتُ بِفَمٍّ))[١٠٧].

ويرى الدكتور عوض المرسي جهاوي يرد على هذا التوجيه، فيقول: ((انّ التمويم في العربية الجنوبية القديمة، وفي اللغة الاكدية كان للتنكير، وانه يجب عدم الخلط بينه وبين ظاهرة التنوين في عربيتنا الحديثة، فكلتاهما ظاهرة خاصة))[١٠٨].

وهذه الظاهرة كانت موجودة في العربية القديمة اذ كانوا يلحقون ميماً في آخر الكلمة فيقولون: (أبنم)، و(زرقم) مثلما يستعملون التنوين للتنكير في آخر الكلمة[١٠٩].

ولهذه الظاهرة امتداد في اللهجات الحديثة، وذلك في لهجة المنطقة الغربية من العراق فهم يقولون: جَم يريدون جَو أي جاءوا، ويقولون: راحَم يريدون راحَو أي ذهبوا.

ولا يقتصر إبدال الميم مع الأصوات المشاركة لها في المخرج بل تبدل أيضاً من الأصوات البعيدة عنها (كالنون، واللام) وبين الميم وهذين الصوتين بعد مخرجي كبير لأنهما يخرجان من مقدم اللسان وآخر اللثة [١١٠]، لكن هذا لم يحل دون حدوث الإبدال كما في ابدال الميم لأماً، نحو:طَمَسَ و طَلَسَ، أو إبدالها نوناً، نحو: غَيم وغَين، والمَجر والنَجر، والذي سوغ حدوث هذا الإبدال، هو اتفاق الأصوات الثلاث (الميم، واللام، والنون) في الصفات فهي مجهورة، متوسطة، ذلقية، وهذا ما هيأ الجو المناسب للإبدال.

الخــاتمة:

وختاماً وبعد أن انتهينا من الحديث عن التعليل الصوتي لظاهرة الإبدال، وحاولنا أن نوضح العلاقة الصوتية بين الصوتين المبدل والمبدل منه. لابد من تلخيص أهم النتائج المستقاة من البحث، يمكن القول إنَّ الكثير من حالات الإبدال تفسر بأحد أمرين:

- أما أن يكون سببها حاجة صوتية تفرضها بنية الكلمة ووفق قوانين صوتية في تلك البنية، أو أن تكون انحرافاً عن الأصل كُتِبَ له السيادة والهيمنة على قبيلة أو أفراد. وهو محكوم بالقلة قياساً إلى كثرة الألفاظ الباقية.
- إنَّ هذا الإبدال لا يحدث إلاَّ إذا توفرت شروط صوتية مناسبة لوقوعه، قال بها العلماء، واغلبه خاضع لنسيج الألفاظ وتعاور الألفاظ وبه نفسر محدوديته وعدم شموله، وهذا ما دعا العلماء إلى القول: إنَّ الإبدال في عمومه سماعي لا يقاس عليه.
- وكما يفسر اختيار لغة ما، أو لهجة ما الإبدال على الأصل الموجود، بالشدة أو الخفة، والبداوة أو التحضر، ومنها ما يحدث بسبب تداخل اللغات، أو طلب الخفة والتناسب، وغير ذلك من ظروف اختيارية أو اجبارية.

كما تؤثر البيئة اللغوية التي تقطنها القبائل العربية، فالقبائل البدوية تميل إلى الصوت الشديد المجهور، أما الحواضر فتميل إلى الصوت الرخو المهموس، أي إنها تختار الصوت الأيسر نطقاً، فيبدل المجهور إلى نظيره المهموس. والشديد إلى نظيره الرخو وهكذا.

ويقف الإدغام وراء كثير من حالات الإبدال، ليكون عملهم من وجه واحد، فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعه واحدة.

الهوامش:

(١) الصاحبي 123.
(٢) ارتشاف الضرب 1/125.
(٣) مقدمة في التصريف 37.
(٤) شرح المفصل 10/7.
(٥) ينظر: الكتاب 1/422 والاصول 3/270–271.
(٦) ينظر: م. ن 2/313والاصول 3/344.
(٧) ينظر: شرح المفصل 4/331.
(٨) الخصائص 1/371.
(٩) المزهر ١/ ٦٠.
(١٠) الابدال ٩٧.
(١١) المزهر ١/٢٨١.
(١٢) م. ن١/ ٢٨١.
(١٣) ينظر: الخصائص ٢/ ٥٥– ٥٦.
(١٤) دراسات في فقه اللغة ٢١٠– ٢١١.
(١٥) من أسرار اللغة ٧٦.
(١٦) م. ن 87.
(١٧) م. ن٨٧.
(١٨) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث٧٣.
(١٩) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني٦٨.
(٢٠) ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها٢٠٨.

(٢١) الكتاب ٤/٤٧٨.
(٢٢) المنصف ٢٠٥.
(٢٣) م. ن ٢٠٥.
(٢٤) الكتاب ٤/٤٦٨.
(٢٥) المنصف ٥٤٣.
(٢٦) ينظر: الأصوات اللغوية ١٨١.
(٢٧) المنصف ٥٤٣.
(٢٨) الكتاب ٤/٤٨٦.
(٢٩) م. ن ٤/٤٨٦.
(٣٠) ينظر: الكتاب 4/242.
(٣١) ينظر: م. ن 4/431.
(٣٢) ينظر: م. ن 4/417.
(٣٣) العين 1/52.
(٣٤) المدخل إلى علم أصوات العربية 63.
(٣٥) ينظر: المزهر 1/357.
(٣٦) الكتاب 4/238.
(٣٧) ينظر: م. ن 4/433.
(٣٨) ينظر: الإبدال 88.
(٣٩) الأصوات اللغوية 91.
(٤٠) ينظر: المزهر 1/222.
(٤١) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية 195.

(٤٢) ينظر: المزهر 1/461.
(٤٣) ينظر: الكتاب 4/433.
(٤٤) ينظر: المزهر:1/466.
(٤٥) سر صناعة الإعراب 1/246.
(٤٦) ينظر: الإبدال 86، 87.
(٤٧) ينظر: الإبدال 99–100.
(٤٨) ينظر: الكتاب 4/433.
(٤٩) ينظر: الإبدال 114.
(٥٠) دراسة الصوت اللغوي 397.
(٥١) الكتاب 4/199.
(٥٢) م. ن 4/182.
(٥٣) ينظر: م. ن 4/182.
(٥٤) م. ن 4/433.
(٥٥) دراسة الصوت اللغوي 397.
(٥٦) ينظر: المزهر 1/176.
(٥٧) المناهل الصافية 2/317.
(٥٨) ينظر: م. ن 2/318–319.
(٥٩) ينظر: م. ن 2/318–319.
(٦٠) دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية 103، 116.
(٦١) ينظر: المناهل الصافية 2/318–319.
(٦٢) تهذيب اللغة 10/562.
(٦٣) لهجة تميم 114.

(٦٤) ينظر: المزهر 1/222.
(٦٥) ينظر: الكتاب 4/435.
(٦٦) ينظر: الإبدال 61، 62.
(٦٧) الخصائص 2/55.
(٦٨) ينظر: الكتاب 4/240.
(٦٩) الخصائص 2/55.
(٧٠) ينظر: الإبدال 116.
(٧١) دراسة الصوت اللغوي 396.
(٧٢) تهذيب اللغة 5/329.
(٧٣) لهجة قبيلة أسد 92.
(٧٤) الكتاب 4/453.
(٧٥) ينظر: م. ن4/453.
(٧٦) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) 130.
(٧٧) ينظر: الكتاب 4/139.
(٧٨) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) 101.
(٧٩) ينظر: م. ن ١٠١.
(٨٠) ينظر: المزهر ٤٦٣/١.
(٨١) ينظر: الإبدال ١١٩.
(٨٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ٩٥.
(٨٣) ينظر: المزهر ٣٥٨/١.
(٨٤) ينظر: م. ن ٣٥٩/١.
(٨٥) الكتاب ٤٧٨/٤.
(٨٦) المنصف ٥٤١.
(٨٧) العباب 82.

(٨٨) المدخل إلى علم أصوات العربية 132.

(٨٩) ينظر: المزهر 1/222.

(٩٠) اللهجات العربية الغربية 344.

(٩١) ينظر: المزهر 1/176.

(٩٢) ينظر: الكتاب 4/477-478.

(٩٣) المنصف 541.

(٩٤) المدخل إلى علم أصوات العربية 195.

(٩٥) ينظر: المزهر 1/358.

(٩٦) ينظر: الإبدال 26، 25.

(٩٧) اللهجات العربية في التراث 2/418.

(٩٨) في اللهجات العربية 103.

(٩٩) لسان العرب 1/137.

(١٠٠) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية 192.

(١٠١) ينظر: المزهر 1/495.

(١٠٢) العربية الفصحى ولهجاتها 142- 143.

(١٠٣) الكتاب 3/365.

(١٠٤) لسان العرب مادة (فم).

(١٠٥) شرح الشافية 3/215.

(١٠٦) ينظر: التطور النحوي 51.

(١٠٧) لسان العرب مادة (فم).

(١٠٨) ظاهرة التنوين في اللغة العربية 26.

(١٠٩) م. ن 27.

(١١٠) المدخل إلى علم أصوات العربية 95.

المصادر والمراجع:

١- **الإبدال:** أبو يوسف يعقوب بن السكيت، تحقيق د/ حسين محمد محمد شرف، مراجعة: علي النجدي ناصف، القاهرة١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢- **الأصوات اللغوية:** إبراهيم أنيس، ط ٤، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م.

٣- **الأصول في النحو:** محمد بن السراج، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤- **الأمالي:** أبو علي إسماعيل بن القاسم، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.

٥- **التطور النحوي للغة العربية:** برجشتراسر، أخرجه د/ رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م. أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م.

٦- **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية- مصر.

٧- **دراسة الصوت اللغوي:** أحمد مختار عمر، ط٤، عالم الكتب ألقاهرة٢٠٠٦م.

٨- **دراسات في فقه اللغة:** صبحي الصالح، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٩- **دراسات في لهجة شرقي الجزيرة العربية:** ت. م. جونستون، ترجمة: د/ احمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٩٨٣م.

١٠- **سر صناعة الإعراب:** أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

١١- **شرح الشافية:** رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة.

١٢- **شرح المفصل:** موفق الدين يعيش بن علي (ابن يعيش)، عالم الكتب بيروت.

١٣- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:** أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسبح، ط١، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤- **ظاهرة التنوين في اللغة العربية:** عوض المرسي جهاوي، مصر.

١٥- **العباب الزاخر واللباب الفاخر:** الصاغاني (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، وزارة الإعلام، ط١، بغداد ١٩٧٧م.

١٦- **العربية الفصحى ولهجاتها:** د/ حسام البهسناوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ٢٠٠٨م.

١٧- **علم اللغة العام (الأصوات):** د/ كمال محمد بشر، دار المعارف- القاهرة ١٩٨٦م.

١٨- **العين:** الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د/ مهدي المخزومي و د/ إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت ١٩٨٠م.

١٩- **فقه اللغة العربية وخصائصها:** د/ أميل بديع يعقوب، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر- الموصل ١٩٩٩م.

٢٠- **في اللهجات العربية:** د/ إبراهيم أنيس، القاهرة ١٩٥٦م.

٢١- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:** د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٢- **الكتاب:** عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٣- **لسان العرب:** جمال الدين بن مكرم بن منظور، ط١، دار صادر، بيروت.

٢٤- **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة:** د/ غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٩م.

٢٥- **اللهجات العربية الغربية:** رابين، ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب، الكويت ١٩٨٦م.

٢٦- **اللهجات العربية في التراث:** د/ احمد علم الدين الجندي، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م.

٢٧- **لهجة قبيلة أسد:** علي ناصر غالب، ط١، دار الشؤون الثقافية ١٩٨٩م.

٢٨- **المدخل إلى علم أصوات العربية:** د/ غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٠م.

٢٩- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها:** جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٦٧م.

٣٠- **المقتضب:** أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، د/ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٣١- **مقدمة في أصول التصريف:** طاهر بن محمد بن بابشاذ، حققه وعلق عليه د/حسين علي السعدي، د/ رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٢- **من أسرار اللغة:** د/ إبراهيم أنيس، ط٧، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩٤م.

٣٣- **المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية:** لطف الله بن محمد بن الغياث، تحقيق د/ عبد الرحمن محمد شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة.

٣٤- **المنصف:** أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر احمد بجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.

معجزات عيسى ابن مريم (عليه السلام) في القرآن الكريم دراسة تحليلية

بكر محمود علو مهدي السامرائي

جامعة تكريت/ كلية الزراعة

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب رب العالمين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وأصحابه الأبرار الذين بلغوا رسالة رب العالمين إلى أهل الأرض الأمناء على دينه القويم.

وبعد:

إن هذا البحث الموسوم " **معجزات عيسى ابن مريم في القرآن الكريم دراسة تحليلية** " يؤكد لنا بما لا يقبل الشك بأن القرآن هو أصدق المصادر في نقل أحداث التاريخ وقصص الأمم والشعوب ولاسيما فيما يتصل بحياة الأنبياء وسيرتهم ودعوتهم لأقوامهم. وإن السيد المسيح (عليه السلام) له المكانة السامية والمنزلة العليا في نفوس المسلمين.

وكما أن القرآن أعطى للسيد المسيح كل معاني الاصطفاء والاختيار وأعطاه الصورة الحقيقية التي شوهها المشركون والقساوسة في عرفهم إلهية المسيح (عليه السلام). ومع هذا الإعجاز خلق عيسى يذكر القرآن كفر من كفر بعيسى. ولقد رأينا كيف جاهد (عليه السلام) في دعوة قومه إلى التوحيد. وقد أثبت القرآن له معجزات ذكرها القرآن

وخلدها وكما أظهر لنا القرآن كيف تآمر اليهود على قتله إلاّ أن الله حفظه ورفعه مكاناً علياً وأن عيسى (عليه السلام) موحد لله تعالى ودعى قومه إلى التوحيد فلما كفروا به نبذهم والقرآن يصور السيد المسيح بأنه عبدالله وكلمته ألقاه إلى مريم البتول. إن قصة عيسى من القصص البليغة في القرآن الكريم. وما عيسى إلاّ نموذج شاهد على نشر دعوة الحق. وكان (عليه السلام) يحاور اليهود في شأن الإله الواحد. وقد أيده الله بمعجزات باهرات وهذا البحث محاولة جادة لدراسة هذه المعجزات. وقد قادني منهج البحث أن أجعله في مقدمة ذكرت فيه طرفاً من نشأته وكيف تلقى قومه نبأ ولادته وثلاثة مطالب.

المطلب الأول: **تكلمت فيه عن ولادته والرعاية الإلهية له.**

المطلب الثاني: **تكلمت فيه عن معجزاته (عليه السلام).**

المطلب الثالث: **تكلمت فيه عن تآمر اليهود على قتله.**

وخاتمة: **ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.**

والحمد لله رب العالمين

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، والذي بشرت به الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن صحابته الكرام وآل بيته الأطهار.

وبعد:

فإن القرآن الكريم وهو أصدق المصادر في نقل أحداث التاريخ وقصص الأمم والشعوب، فقد نقل لنا كل ما يتعلق بالخلق والكون ومن هذه القصص ما قصه علينا من أخبار سيدنا المسيح (عليه السلام) فقد قص القرآن علينا من قصصهم ما فيه عبرة وعظة، والمسيح (عليه السلام) له المكانة السامية والمنزلة العليا في نفوس المسلمين وحسبنا أن نعلم أن عيسى تمَّ بعناية وتدبير رباني منذ حمل أمه به إلى الولادة فكان معجزة الله التي حدثنا عنها القرآن بقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ، وعيسى (عليه السلام) قد تعرض لامتحان الله تعالى من يوم أن امتحن الله أمه من حيث حملها له بطريقة تخالف فيها المعهود لبني البشر فكانت ولادته معجزة باهرة لمن عاصره ورآه، كانت مريم قد خرجت من عند أهلها حين أشرقت الشمس ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [مريم: ٢٢]، حيث صعدت تلك الربوة المباركة فحدثت المعجزة العظمى. وعند الظهيرة رجعت مريم باتجاه القرية يتقدمها ابن عمها يوسف النجار ورجعت إلاّ أنها تحمل وليداً جديداً إنه حبيبها عيسى ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ بين يديها. إذ لم يستغرق حمله وولادته أكثر من ساعات قليلة. وعندها هاج اليهود وماجوا وأقبلوا عليها غاضبين مستنكرين فقالوا لها ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ لقد اتهموها قبل أن يسألوها أي شيء عن حقيقة الأمر. فقالوا لها إن ولدك هذا ثمرة زنا فمدت امرأة منهم يدها لتضرب مريم على وجهها فشلَّ الله يد تلك المرأة ثم اندفع رجل منهم يصيح في وجه مريم: ما أنت إلاّ زانية. هكذا وضعها قومها بينما وصفها

القرآن الكريم بالطهر والعفاف بقوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ فأخرس الله لسانه في الحال. وهنا وجَمَ القوم فخافوا وتراجعوا إلى الوراء لكنهم تنكروا فعادوا وخاطبوها بأدب فذكروها بأنها من أسوة هارون النبي خلفاء الله في بيته. وقالوا لها بأن أباها عمران رجل من العالمين[1].

ومدحوا لها طهر أمها ((حنة)) وعفافها. لكن مريم ظلت على صومها الذي نذرته للرحمن برغم كل ما سمعت ووضعت الطفل بينهم ﭽ ﭱ ﭲ ﭼ فازداد غضب القوم وظنوا أنها تتحداهم وتستخرفهم فردوا عليها ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ وهنا يتقدم زكريا (عليه السلام) فجاء مسرعاً وحين رأى ما رأى تقدم نحو الصبي عيسى (عليه السلام) في المهد وهو وسط القوم ملقى. أي مشهد هذا الذي توضع فيه الأم الطاهرة وهذا الصبي الذي لا يزال بعد لم يتنفس من الحياة ولا يدري ما تضمر له الأقدار وهو موضوع وسط أنياب مكشرة تنهش به وبأمه التي اصطفاها الله لتكون أم لوليد يرفع الغبار عن أهل الأرض إنها لحظات قلَّ من يتعرض إليها من الأطفال إنها طفولة الامتحان والابتلاء لحمل رسالة رب العالمين إلى قوم لا يعبدون إلاّ المادة ولا يعرفون في الحياة إلاّ الخيانة. ويتقدم زكريا فيهمس بإذن الوليد: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها. فأشار الوليد بسبابته اليمنى وقال بصوت قوي رفيع ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [مريم: ٣٠ – ٣٢] بهذه الكلمات الموجزة جمع كل الدين من عقيدة ومناسك وعبادات ومعاملات ومن المعلوم أن عيسى هو آخر الأنبياء من نسل داود (عليه السلام) ولقد أعطى القرآن للسيد المسيح (عليه السلام) كل معاني الاصطفاء والاختيار وأعطاه الصورة الحقيقة التي شوهها المشركون. تبدأ حياة المسيح في القرآن الكريم من خلال اصطفاء الله آل عمران. ومع هذا الإعجاز في خلق عيسى يذكر القرآن كفر من كفر بعيسى. حتى يحملهم هذا الخلق على نسبة عيسى إلى خالقه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ولقد

تحدث القرآن الكريم عن معجزات عيسى (عليه السلام) وبين أن هذه المعجزات كانت بأمر الله وليس لعيسى أي عمل فيها سوى أنها تدل على نبوته واصطفائه. حتى يتأكد للكافرين أن لا قدرة لعيسى على مثل ذلك لولا أن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بالنبوة والمعجزة چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ ومع هذا التأكيد الإلهي لحدوث معجزات عيسى بإذن الله سبحانه وتعالى فإن الكافرين قد تمادوا في كفرهم(٢).

إن قصة نبي الله عيسى من القصص البليغة في القرآن الكريم لأنها تخبرنا في آيات عديدة ولأهمية سيدنا عيسى ودوره البارز في هداية البشرية لم تقم بحقه سورة واحدة وإنما وزع دوره في تبليغ رسالة ربه ونشر الفضيلة في جميع القرآن الكريم. وكان (عليه السلام) يجلس في وسط الأحبار ويناقشهم أمور الدين والحياة وكانوا معجبين به وكان يحاورهم حواراً لم يسمعوا بمثله وهو في ريعان صباه. فالقرآن الكريم قد أعطى لعيسى المنزلة التي تليق به بين الأنبياء فالقرآن يصورهم بأنه عبدالله وكلمته ألقاه إلى مريم البتول. وقد أيده الله بمعجزات باهرات وهذا البحث محاولة جادة لدراسة هذه المعجزات. وقد قادني منهج البحث أن أجعله في مقدمة ذكرت فيها طرفاً من نشأته وكيف تلقى قومه نبأ ولادته وثلاثة مطالب. المطلب الأول: تكلمت فيه عن ولادته، وأما المطلب الثاني: فتكلمت عن معجزاته (عليه السلام)، وأما المطلب الثالث: فتكلمت فيه عن تآمر اليهود على قتله. وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

والحمد لله رب العالمين

المطلب الأول

ولادة نبي الله عيسى بن مريم (عليه السلام)

لقد ذكر الخالق سبحانه وتعالى ولادة النبي عيسى بن مريم (عليه السلام) في موضعين في القرآن الكريم، الأول في سورة آل عمران بقوله تعالى: چ ... ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ [سورة آل عمران](٣).

وسورة آل عمران هي من السور المدنية وقد تكلمت في بعض آياتها عن خلق عيسى (عليه السلام) وأن ولادة أو خلق عيسى جاء بغير الناموس الذي خلق به آدم.

قال علماء التفسير في تفسير هذه الآيات بما يأتي:-

اعلم أنه لما شرح حال مريم عليها السلام في أول وآخر أمرها وشرح كيفية ولادتها لعيسى (عليه السلام) فقال: چ ... چ وفيه مسألتان:-

المسألة الأولى: اختلفوا في العامل في ((إذ)) قبل العامل فيه وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة وقيل يختصمون إذ قالت الملائكة. وقيل أنه معطوف على ((إذ)) الأولى في قوله چ ڻ ڈ ڈ ۀ چ وقيل التقدير: إن ما وصفته من أمور زكريا وهبه الله له يحيى إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك.

وأما أبو عبيدة: فإنه يجري في هذا الباب على مذهب له معروف وهو أن ((إذ)) صلة في الكلام وزيادة واعلم أن القولين الأولين فيهما بعض الضعف وذلك أن مريم حال ما كانوا يلقون الأقلام وحال ما كانوا يختصمون ما بلغت الجد الذي تبشر فيه بعيسى (عليه السلام) إلاّ قول الحسن: فإنه يقول إنها كانت عاقلة في حال الصغر فإن ذلك كان من كراماتها(٤).

فإن صح ذلك جاز في تلك الحال أن يرد عليها البشرى من الملائكة وإلاّ فلا بد من تأخر هذه البشرى إلى حين العقل. ومنهم من قال: يحتمل أن يقال الاختصام والبشرى وقعا في زمان واسع. كما تقول لقيته في سنة كذا وهذا الجواب بعيد والصواب هو الوجه الثالث والرابع، أما قول أبي عبيدة فقد عرفت ضعفه.

المسألة الثانية: ظاهر قوله: چ □ □ □ چ يفيد الجمع إلاّ أن المشهور أن ذلك المنادي كان جبريل(عليه السلام). وأما البشارة فقد ذكر تفسيرها في سورة البقرة في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب چ[٥].

وأما قوله تعالى:چ □ □ چ وفي تفسير هذه الكلمة وجهان:-

الأول: إن كل مخلوق بواسطة الكلمة وهي (كن) إلاّ أن السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى (عليه السلام) وهو الأب فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة كما إن غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة أنه نفس الجود.

الثاني: إن السلطان العادل قد يوصف بأنه ظل الله في أرضه وبأنه نور الله لما كان هو سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان فكذلك كان عيسى (عليه السلام) سبباً لظهور كلام الله (عز وجل) بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات فلا بد أن يسمى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل.

وأما قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ چ. ففيه سؤالان:-

السؤال الأول: المسيح هل هو اسم مشتق. أو موضوع.

والجواب: فيه قولان:-

الأول: قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية شيحا فعربته العرب وغيروا لفظه[٦].

وعيسى: أصله يشرع كما قالوا في موسى: أصله موشى أو ميشاب بالعبرانية وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق.

الثاني: أنه مشتق وعليه الأكثرون. ثم ذكروا فيه وجوهاً:-

الأول: قال ابن عباس (رضي الله عنهما): إنما سمي عيسى (عليه السلام) مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلاّ برئ من مرضه.

الثاني: قال أحمد بن يحيى: سمي مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها ومنه مساحة أقسام الأرض.

الثالث: أنه كان مسيحاً لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى فعلى هذه **الأقوال:** هو فعيل بمعنى: فاعل كرحيم بمعنى: راحم.

الرابع: أنه مسح من الأوزار والآثام.

الخامس: سمي مسيحاً لأنه ما كان في قدمه خمص فكان ممسوح القدمين.

السادس: سمي مسيحاً لأنه كان ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم ثم قالوا هذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل من مسح به وقت الولادة فإنه يكون نبياً.

السابع: سمي مسيحاً لأنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون صوناً له عن مس الشيطان.

الثامن: سمي مسيحاً لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. وعلى هذه الأقوال يكون المسيح بمعنى: الممسوح. فعيل بمعنى: مفعول. قال عمرو بن العلاء. المسيح: الملك. وقال النخعي: المسيح. الصديق والله أعلم.

الراجح القول الثاني وذلك لكثرة سياحته في الأرض والله أعلم.

السؤال الثاني: المسيح كان كاللقب له. وعيسى كالاسم فَلِمَ قدم اللقب على الاسم ؟.

الجواب: أن المسيح كاللقب الذي يفيد كونه شريفاً رفيع الدرجة. مثل الصديق والفاروق فذكره الله تعالى أولاً بلقبه ليفيد علو درجته. ثم ذكره باسمه الخاص[٧].

السؤال الثالث: لِمَ قال عيسى بن مريم والخطاب مع مريم ؟.

الجواب: لأن الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات. فلما نسبه الله تعالى إلى الأم دون الأب. كان ذلك إعلاماً لها بأنه محدث بغير الأب فكان ذلك سبباً لزيادة فضله وعلو درجته.

السؤال الرابع: الضمير في قول ((اسمه)) عائد إلى الكلمة وهي مؤنثة فَلِمَ ذكر الضمير ؟. الجواب: لأن المسمى بها مذكر.

السؤال الخامس: لم قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم ؟ والاسم ليس إلاّ عيسى وأما المسيح فهو لقب. وأما ابن مريم فهو صفة ؟.

الجواب: الاسم علامة المسمى ومعرف له فكأنه قيل: الذي يعرف به هو مجموع هذه الثلاثة.

أما قوله تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ ففيه مسألتان:-

المسألة الأولى: معنى الوجيه: ذو الجاه والشرف والقدر. يقال وجه الرجل يوجه وجاه هو وجيه. إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان. وقال بعض أهل اللغة: الوجيه: هو الكريم لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال.

المسألة الثانية: قال الزجاج ((وجيهاً)) منصوب على الحال والمعنى: أن الله بشرك بهذا الولد وجيهاً في الدنيا والآخرة. والفراء يسمي هذا قطعاً كأن قال عيسى ابن مريم الوجيه فقطع منه التعريف.

أما قوله تعالى: ﭽ ﰀ ﰁ ﭼ. ففيه وجوه:-

إحداهما: أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه (عليه السلام) سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة.

ثانيهما: أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم يوافق هذه الصفة[٨].

وثالثها: أنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقرباً لأهل الجنة. لأن أهل الجنة على منازل ودرجات لذلك قال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[سورة الواقعة] إلى قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [سورة الواقعة]. يتضح لنا أن للجنة منازل ودرجات.

أما قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ ففيه بضعة مسائل:-

المسألة الأولى: الواو للعطف على قوله ((وجيهاً)) والتقدير كأنه قال: وجيهاً ومكلماً للناس وهذا عندي ضعيف لأن عطف الجملة الفعلية على الاسمية غير جائز إلاّ للضرورة أو الفائدة الأولى أن يقال تقدير الآية:ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ الوجيه في الدنيا والآخرة المعدود من المقربين ثم قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ فقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ عطف على قوله: ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ.

المسألة الثانية: ﭽ ﭓ ﭔ ﭼ قولان:-

أحدهما: أنه حجر أمه.

والثاني: هو هذا الشيء المعروف الذي هو مضجع الصبي وقت الرضاع وكيف كان المراد منه: فإنه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها إلى المهد.

المسألة الثالثة: قوله ﭽ ﭕ ﭼ عطف على الظرف من قوله ﭽ ﭓ ﭔ ﭼ كأنه قيل: يكلم الناس صغيراً وكهلاً وها هنا سؤالان:-

السؤال الأول: ما الكهل ؟.

الجواب: الكهل في اللغة ما اجتمع قوته وكمل شبابه. وهو مأخوذ من قول العرب اكتهل النبات إذا قوي.

السؤال الثاني: إن تكلمه حال كونه في المهد من المعجزات فأما تكلمه حال الكهولة فليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره؟[٩].

الجواب من وجوه:-

الأول: أن المراد منه بيان كونه متقلباً في الأحوال من الصبا إلى الكهولة والتغير على الله تعالى محال. والمراد منه الرد على وفد نجران في قولهم أن عيسى كان إلهاً.

الثاني: المراد منه أن يكلم الناس مرة واحدة في المهد لإظهار طهارة أمه.

السؤال الثالث: نقل أن عمر عيسى (عليه السلام) إلى أن رفع كان ثلاثاً وثلاثين سنة وستة أشهر وعلى هذا هو ما بلغ من الكهولة. ثم قال تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭼ.

فإن قيل: كون عيسى كلمة من الله تعالى. وكونه ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ وكونه من المقربين عند الله تعالى وكونه مكلماً للناس في المهد وفي الكهولة كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحاً فَلِمَ ختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله ﭽ ﭖ ﭗ ﭼ؟.

قلنا: أن لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً لأنه لا يكون كذلك إلاّ ويكون في جميع الأفعال والتحرك مواظباً على النهج الأصلح. والطريق الأكمل. ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين في أفعال القلوب. وفي أفعال الجوارح. فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذي يدل على أرفع الدرجات.

أما قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [سورة البقرة][١٠].

قال المفسرون: إنها إنما قالت ذلك لأن التبشير به يقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة. وقوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ. أي أن الله تعالى فعال لما يريد.

وقوله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ[١١] فيه مسألتان:–

الأولى: قرأ نافع وعاصم ((ويعلمه)) بالياء والباقون بالنون أما الياء فعطف على قوله ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ قال المبرد عطف على ﭽ   ﭼ[١٢].

الثانية: في هذه الآية أمور أربعة معطوف بعضها على بعض بواو العطف. والأقرب عندي أن يقال: المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما هو المسمى بالحكمة. ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة ومحيطاً بالعلوم العقلية والشرعية. يعلمه التوراة وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمة. والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل وإنما أخر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط ثم تعلم علوم الحق ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى. والمرتبة العليا في العلم. والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية فهذا ما عندي في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة[١٣].

وقال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية ﭽ   ﭼ. قال أبو جعفر الطبري: يعني بقوله جل ثناؤه ﭽ   ﭼ وما كنت لديهم إذ يختصمون وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة ﭽ   ﭼ والتبشير: إخبار المرء بما يسره من خير وقوله ﭽ ﭼ يعني برسالة من الله وخبر من عنده. وهو قول القائل (ألقى فلان إلي كلمة سرني بها) بمعنى: أخبرني خبراً فرحت به. كما قال جل ثناؤه ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ[١٤]. يعني بشر الله مريم بعيسى. ألقاها إليها فتأويل الكلام وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولدك اسمه المسيح عيسى ابن مريم. وقد قال قوم وهو قول قتادة أن (الكلمة) التي قال الله (عز وجل): ﭽ ﭼ هو

قوله ((كن)) فسماه الله (عز وجل) (كلمته) لأنه كان من كلمة. كما يقال قدر الله من شيء ((هذا قدر الله وقضاؤه)) يعني به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث[١٥]. وكما قال جل ثناؤه ((وكان أمرُ الله مفعولاً))[١٦].

وقال آخرون: بل هي اسم عيسى سماه الله به وهو المأمور به الذي كان عن أمر الله (عز وجل) وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: (الكلمة) هي عيسى. حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ قال عيسى هو الكلمة من الله[١٧].

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله) في تفسير هذه الآيات ما يلي:-

قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ البشارة لا تكون إلاّ بخير عظيم مفرح چ □ □ □ □ □ □ چ (المسيح) هو اللقب وقد يكون الممسوح من الذنوب أو من آياته أن يمسح على المريض فيبرأ و (عيسى) هو الاسم (ابن مريم) هو الكنية. چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ چ سر وجود آية المعجزة التي وهبها له الله وهو طفل في المهد لأن المسألة تعلقت بعرض أمه وكرامتها وعفتها. (كهلاً) أي بعد الثلاثين من العمر أي في العقد الرابع.

وقوله تعالى: چ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ ذلك لأنه لا يمكن أن يتسبب الطفل وينسب للأم مع وجود الأب وتتجلى طلاقة القدرة في قوله چ ڈ ٹ ٹ ڈ چ. إنها طلاقة القدرة وهذه هي إرادة الحق.

چ ڇ ڇ چ: الكتاب هو الكتب المتقدمة كالزبور وكصحف إبراهيم (عليه السلام) والحكمة تأتي عادة بعد كتاب منزل فيعطيه الحق أن يقول الحكمة[١٨].

أما الموضع الثاني لذكر ولادة عيسى ابن مريم (عليه السلام) فقد جاءت في سورة مريم حيث بينت الآيات الكريمة بدقة متناهية وببلاغة إعجازية أحداث دقيقة جداً ومفصلة لولادة هذا النبي (عليه السلام) بقول الحق (سبحانه وتعالى): چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ ی ی ی ی □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[١٩].

تعرضت هذه الآيات إلى أغرب وأعجب قصة تلكم هي قصة (مريم العذراء) وكيفية إنجابها لطفل من غير أب وكيف أن الحكمة الإلهية شاءت أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أم بلا أب لكي تبقى للقدرة الربانية آثار ماثلة أمام الأبصار بعظمة الواحد القهار.

لقد تعرض علماء التفسير لهذه الآيات بما يأتي:-

قوله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ چ وهي مريم بنت عمران من سلالة داود (عليه السلام) وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها أي أمها نذرتها محررة أي تخدم مسجد بيت المقدس ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة.

قوله تعالى: چ ڇ ڇ ڇ چ چ چ چ أي اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرق المسجد المقدس وقال السدي لحيض أصابها. وقيل لغير ذلك.

قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ أي استترت منهم وتوارت فأرسل الله تعالى إليها جبريل (الطَّيْلا). ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ أي على صورة إنسان تام كامل. قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن وهب وابن قتيبة والسدي في قوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ يعني جبريل (الطَّيْلا) وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن. ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [سورة مريم] أي لما تمثل لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب. أي كانت تخاف الله تذكيراً له بالله وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فإنها خوفته أولاً بالله (ﻷ). ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [سورة مريم]. هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراءات. وقرأ آخرون ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ. وكلا القراءتين لهما وجه حسن ومعنى صحيح وكل مستلزم الأخرى. ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ أي فتعجبت مريم من هذا وقالت: كيف لي غلام أي على أية صفة يوجد هذا الغلام ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور ولهذا قالت: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ والتعجب والبغي هي الزانية ولهذا في الحديث نهى عن مهر البغي. ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ أي فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت: إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لكِ بعل ولا توجد منك فاحشة وإنه على ما يشاء قادر ولهذا قال: ﭽ ﯓ ﯔ ﭼ أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى[٢٠].

ﭽ ﯕ ﯖ ﭼ أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده وقوله ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدرته ومشيئته ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد (ﷺ) وأنه كنى بهذا عن النفخ في فرجها كما قال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[٢١].

قال محمد بن إسحق ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ أي أن الله قد عزم على هذا فليس منه بُد ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ فالفاء وإن كانت للتعجب لكن تعقبت كل شيء بحسبه كقوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[٢٢].

فهذه الفاء للتعجب بحسبها وقوله تعالى ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ أي فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة وهي نخلة في المكان الذي تنحت إليه. وقوله تعالى إخباراً عنها ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ. فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة أي وتمنت الموت قبل هذا الحال. ﭽ□ □ □ □ ﭼ أي لم أُخلق ولم أك شيئاً.

ﭽ □ □ □ ﭼ قرأها بعضهم أي بمعنى الذي تحتها وقرأها آخرون على أنه حرف جر واختلف المفسرون في المراد بذلك. قال مجاهد ﭽ □ □ □ ﭼ قال: عيسى ابن مريم وقوله ﭽ □ □ ﭼ أي ناداها قائلاً لا تحزني ﭽ□ □ □ □ □ □ □ ﭼ قال بعض المفسرين أي الجدول وقال البعض الآخر السرى النهر وبه قال عمرو بن ميمون نهر يشرب منه وقد اختلف المفسرون في تفسير ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ أي وهزي إليك بجذع النخلة قبل كانت يابسة قال ابن عباس. وقيل مثمرة[٢٣].

وقوله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ أي طيبي نفساً ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب. وقوله ﭽ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ أي مهما رأيت من أحد ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ المراد بها القول الإشارة إليه بذلك لأن المراد به القول اللفظي لئلا ينافي. وقال أنس بن مالك في قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ أي صمتاً. وقال آخرون صوماً وصمتاً.

ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ. أي أخذت ولدها فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جداً. ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ. أي أمراً عظيماً. ﭽ ﭭ ﭮ ﭼ أي يا شبيهة هارون في العبادة.

ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ. أي أنت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك.

وقولــه: ﭽ ﭼ ﭾ ﭽ ﭼ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ أي إنهـم لمـا استرابوا في أمرها واستنكروا وقالوا معرضين بقذفها ورجمها بالفرية. وقال ميمون بن مهران قالت كلموه فقالوا على ما جاءت بـه من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبياً. ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ. أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأ الله عن الولد. وأثبت لنفسه العبودية لربه. وقوله ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ تبرئة لأمه مما نسبت إليـه مـن الفاحشـة. ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ قـال مجاهـد وعمـرو بـن قـيس والثوري: وجعلني معلماً للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعاً. ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ. كقوله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[٢٤].

وقولـه ﭽ ﮜ ﮝ ﭼ أي وأمرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة الله ربـه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين. ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ أي ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك[٢٥].

المطلب الثاني

معجزات النبي عيسى ابن مريم (عليه السلام)

إن المعجزة تأتي لكل نبي بما يناسب زمانه وأهل ذلك الزمان وهكذا عيسى ابن مريم (عليه السلام) بُعث في زمن الطبائعية. فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها. مثل إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن.

لقد ذكر الحق (سبحانه وتعالى) معجزات عيسى (عليه السلام) في موضعين:-

الموضع الأول: الذي ذكر فيها معجزاته في سورة آل عمران، يقول (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ[٢٦].

قال علماء التفسير في هذه الآيات بما يأتي:-

قوله تعالى ﭽ ﭺ ﭼ أي ونجعله رسولاً أو يكلمهم رسولاً وقيل: هو معطوف على قوله ﭽ ﯽ ﭼ. وقال الأخفش. وإن شئت جعلت الواو في قوله ﭽ ﭺ ﭼ مقحمة والرسول حالاً للهاء. تقديره ويعلمه الكتاب رسولاً. وفي حديث أبي ذر الطويل ((وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى (عليه السلام))). وقوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﭼ أي أصور وأقدر لكم ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ قرأ الأعرج وأبو جعفر ((كهيئة)) بالتشديد والباقون بالهمز والطير يذكر ويؤنث. ((كهيئة)) أي في الواحد منه أو منها أو في الطين فيكون طائراً. وطائر وطير مثل تاجر وتجر. قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى[٢٧].

وقيل: لم يخلق غير الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً ليكون أبلغ في القدرة لأن لها ثدياً وأسناناً وأذناً وهي تحيض وتطهر وتلد. ويقال: إنما طلبوا خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق. ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما تبيض سائر الطيور فيكون له الضرع فيخرج منه اللبن ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل. وإنما يرى في ساعتين. بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة. وقيل يضحك كما يضحك الإنسان ويحيض كما تحيض المرأة. ويقال: إن سؤالهم كان له على وجه التعنت فقالوا أخلق لنا خفاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً في مقالتك. فأخذ طيناً وجعل منه خفاشاً ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله كما أن النفخ من جبريل والخلق من الحكيم الخبير.

وقوله تعالى ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ. الأكمه: الذي يولد أعمى. وأنشد لرؤبة (فارتد ارتداد الأكمه). وقال ابن فارس الكمه. العمى يولد به الإنسان وقد يعرض. قال سويد (كمهت عيناه حتى ابيضتا) قال مجاهد وعكرمة: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل: هو الأعمش. ولكنه في اللغة العمى. يقال كَمِه يكمه كمهاً وكمهتها أنا إذاً أعميتها. والبرص معروف وهو بياض يعتري الجلد والأبرص القمر. وسام أبرص معروف ويجمع على الأبارص. وخص هذا بالذكر لأنهما عياءان وكان الغالب على زمن عيسى (عليه السلام) الطب فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ قيل: أحيا أربعة أنفس: العاذر وكان صديقاً له وابن العجوز وابنه العاشر وسام بن نوح: فالله أعلم. فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقام بإذن الله وودكه يقطر فعاش وولد له وأما ابن العجوز فإنه مربه يُحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله. وأما بنت العاشر فكان يمشي فمر عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولد لها. فلما

رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريباً فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة فأحيي لنا سام بن نوح[٢٨]. فقال لهم: دلوني على قبره وخرج القوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه. فقال له عيسى: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب ؟ فقال: يا روح الله: إنك دعوتني فسمعت صوتاً يقول: أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت. فمن هول ذلك شاب رأسي. فسأله عن النزع فقال: يا روح الله: إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة.

فقال للقوم: صدقوه فإنه نبي. فآمن به بعضهم وكذبه بعضهم وقالوا: هذا سحر وروي من حديث إسماعيل بن عياش قال: حدثني محمد بن طلحة عن رجل أن عيسى ابن مريم كان إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[٢٩]. وفي الثانية (تنزيل)[٣٠].

فإذا فرغ حمد الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء. يا قيوم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد. ذكره البيهقي وقال: ليس إسناده بالقوي. وقوله تعالى ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ. أي بالذي تأكلونه وما تدخرونه. وذلك أنهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد. فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا. وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا. فذلك قوله ﭽ ﮛ ﭼ الآية. وقرأ مجاهد والزهري والسجستاني ﭽ ﮢ ﮣ ﭼ بالذال المعجمة مخففاً. وقال سعيد بن جبير وغيره. وقال قتادة أخبرهم بما أكلوه من المائدة وما ادخروه منها خفية[٣١].

وقال الإمام ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآيات:-

قوله تعالى ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ قائلاً لهم. ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ وكذلك كان يفعل بصورة من الطين شكل طير

ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله (عز وجل) الذي جعل هذا معجزة له فدل له على أنه أرسله. چگ گ چ قيل. إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً. وقيل العكس. وقيل الأعشى[٣٢].

وقيل: الأعمش. وقيل: هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي. چگ چمعروف چگ گ گ گ چ قال كثير من العلماء بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه. فكان الغالب على زمان موسى (عليه السلام) السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار وحيرت كل سحار. فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى (عليه السلام) فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلاّ أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة فمن أين للطبيب قدرة على أن يحيي الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد.

وقوله چگ گ گ گ ں ں ڻ چ. أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخوله في بيته لغد. چڈ ڈ ۀ چ أي في ذلك كله چۀ ہچ أي على صدقي فيما جئتكم به[٣٣].

وقال الإمام الفخر الرازي (رحمه الله) في تفسير هذه الآيات:-

قال تعالى چڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ چ وفيه مسائل:-

المسألة الأولى: في هذه الآية وجوه:-

الأول: تقدير الآية: ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ونبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل قائلاً چڇ ڇ ڇ ڇ ڍ چ والحذف حسن إذا لم يفض إلى الاشتباه.

الثاني: قال الزجاج الاختيار عندي أن تقديره: ويكلم الناس رسولاً. وإنما أضمرنا ذلك لقوله چڇ ڇ ڇ چ والمعنى ويكلمهم رسولاً يأتي قد جئتكم.

الثالث: قال الأخفش. إن شئت جعلت الواو زائدة والتقدير: ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل رسولاً إلى بني إسرائيل قائلاً أني قد جئتكم بآية.

المسألة الثانية: هذه الآية تدل على أنه (عليه السلام) كان رسولاً إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود أنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين منهم[٣٤].

المسألة الثالثة: المراد بالآية الجنس لا الفرد لأنه تعالى عدد ها هنا أنواعاً من الآيات وهي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. والإخبار عن المغيبات فكان المراد من قوله چڇ ڇ ڇ ڇ ڍ چ الجنس لا الفرد.

" الجنس: مقول كلي يصدق على كثيرين متفقين بالحقيقة مختلفين بالأفراد واقع في جواب ما هو "[٣٥].

ثم قال تعالى چڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کچ. اعلم أن الله تعالى حكى ها هنا خمسة أنواع من معجزات عيسى (عليه السلام) وهي:-

النوع الأول: ما ذكره ها هنا في هذه الآية وفيه مسائل:-

المسألة الأولى: قرأ حمزة (أني) بفتح الهمزة وقرأ نافع بكسر الهمزة فمن فتح (أني) فقد جعلها بدلاً من آية كأنه قال: وجئتكم بأني أخلق لكم من الطين. ومن كسر فله وجهان. أحدهما: الاستئناف وقطع الكلام مما قبله. والثاني: أنه فسر الآية بقوله چڌ ڌ ڎ چ ويجوز أن يفسر الجملة المتقدمة بما يكون على وجه الابتداء قال الله تعالى چ□ □ □ □ □ □ چ[٣٦].

ثم فسر الموعود بقوله چ□ چ وقال چہ ہ ہ ہ ہ ہ ہچ[٣٧] ثم فسر المثل بقوله چے ے ۓ چ[٣٨]. وهذا الوجه أحسن لأنه في المعنى كقراءة من فتح چڎچ على جعله بدلاً من آية.

المسألة الثانية: چﭢ ﭣ ﭤ چ أي أقدر وأصور أن الخلق هو التقدير والذي يدل عليه القرآن والشعر والاستشهاد. أما القرآن فآيات

أحداها: قوله تعالى: چﯗ ﯘ ﯙ ﯚ چ[٣٩]. أي المقدرين وذلك لأنه ثبت أن العبد لا يكون خالقاً بمعنى التكوين والإبداع فوجب تفسير كونه خالقاً بالتقدير والتسوية.

وثانيها: أن لفظ الخلق يطلق على الكذب قال تعالى چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖچ[٤٠] وقال تعالى چ ﭬ ﭭچ[٤١] وقال أيضاً چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ چ[٤٢]. والكاذب إنما سمي خالقاً لأنه يقدر الكذب في خاطره ويصوره.

وثالثهما: هذه الآية التي نحن في تفسيرها وهي قوله چﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ چ أي أصور وأقدر. وقال تعالى چﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ چ[٤٣] وكل ذلك يدل على أن الخلق هو التصوير والتقدير[٤٤].

ورابعهما: قوله تعالى چ ... چ[٤٥]. وقوله چ چ على الإيجاد والإبداع لكان المعنى. أن كل ما في الأرض فهو تعالى قد أوجده في الزمان الماضي. وذلك باطل بالاتفاق. فإذن وجب حمل الخلق على التقدير حتى يصح الكلام وهو أنه تعالى قدر في الماضي كل ما وجد الآن في الأرض. وأما الشعر فقوله:-

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفتري

وقوله أيضاً:-

ولا يعطي بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالق إلاّ جيد الأدم

وأما الاستشهاد: فهو أنه يقال: خلق النعل إذا قدرها وسواها بالقياس والخلاق المقدار من الخير. وفلان خليق بكذا. أي له هذا المقدار من الاستحقاق. والصخرة الخلقاء الملساء. لأن الملاسة استواء وفي الخشونة اختلاف. فثبت أن الخلق عبارة

عن التقدير والتسوية. إذا عرفت هذا فنقول اختلف الناس في لفظ ((الخالق)) قال أبو عبدالله البصري. إنه لا يجوز إطلاقه على الله في الحقيقة لأن التقدير والتسوية عبارة عن الظن والحسبان وذلك على الله محال. وقال أصحابنا: الخالق ليس إلاّ الله. واحتجوا عليه بقوله تعالى چﮤ ﮥ ﮦ ﮧ چ[٤٦] ومنهم من احتج بقوله چ ... ﯕ ﯖ چ[٤٧]. وهذا ضعيف لأنه تعالى قال چ ... ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ چ فالمعنى هل من خالق غير الله موصوف بوصف كونه رازقاً من السماء ولا يلزم من صدق قولنا الخالق الذي يكون هذا شأنه. ليس إلاّ الله. صدق قولنا أنه لا خالق إلاّ الله.

وأجابوا عن كلام أبي عبدالله البصري بأن التقدير والتسوية عبارة عن العلم والظن لكن الظن وإن كان محالاً في حق الله تعالى فالعلم ثابت.

إذا عرفنا هذا فنقول چﭢ ﭣ ﭤ ﭥ چ معناه. أصور وأقدر. وقوله چﭦ ﭧ چ فالهيئة الصورة المهيئة من قولهم هيأت الشيء إذا قدرته وقوله چﭨ ﭩ چ أي في ذلك الطين المصور وقوله چﭪ ﭫ ﭬ ﭭ چ ففيه مسائل[٤٨]:-

المسألة الأولى: قرأ نافع ((فيكون طائراً)) بالألف على الواحد. والباقون ((طيراً)) على الجمع وكذلك في المائدة والطير اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع. يروى أن عيسى (عليه السلام) لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طيناً وصوره. ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض قال وهب. كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ثم اختلف الناس فقال قوم: إنه لم يخلق غير الخفاش وكانت قراءة نافع عليه. وقال آخرون. إنه خلق أنواعاً من الطير وكانت قراءة الباقين عليه.

المسألة الثانية: قال بعض المتكلمين: الآية تدل على أن الروح جسم رقيق كالريح. ولذلك وصفها بالنفخ ثم ها هنا بحث. وهو أنه هل يجوز أن يقال: أنه تعالى

أودع في نفس عيسى (عليه السلام) خاصية. بحيث متى نفخ في شيء كان نفخه فيه موجباً لصيرورة ذلك الشيء حياً. أو يقال: ليس الأمر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عن نفخة عيسى (عليه السلام) فيه على سبيل إظهار المعجزات. وهذا الثاني هو الحق لقوله تعالى چ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚچ(٤٩). وحكي عن إبراهيم (عليه السلام) أنه قال في مناظرته مع الملك چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ چ(٥٠). چ(٥٠). فلو حصل لغيره هذه الصفة لبطل ذلك الاستدلال.

المسألة الثالثة: القرآن دل على أنه عليه الصلاة والسلام إنما تولد من نفخ جبريل (عليه السلام) في مريم وجبريل (عليه السلام) روح محض وروحاني محض فلا جرم كانت نفخة عيسى (عليه السلام) للحياة والروح.

المسألة الرابعة: چ ﮏ ﮐچ معناه بتكوين الله تعالى وتخليقه لقوله تعالى چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ(٥١). أي إلاّ بأن يوجد الله الموت. وإنما ذكر عيسى (عليه السلام) هذا القيد إزالة للشبهة وتنبيهاً على إني أعمل هذا التصوير. فأما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل(٥٢).

وأما النوع الثاني والثالث والرابع من المعجزات: فهو قوله تعالى چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙچ.

وأما النوع الخامس: من معجزاته إخباره عن الغيوب فهو قوله تعالى حكاية عنه چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙچ. وفيه مسألتان:-

المسألة الأولى: في هذه الآية قولان:-

أحدهما: أنه عليه الصلاة والسلام كان من أول مرة يخبر عن الغيوب. روى السدي: إنه كان يلعب مع الصبيان ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم. وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي إلى أهله ويبكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء. ثم قالوا لصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في

بيت. فجاء عيسى (عليه السلام) يطلبهم فقالوا له. ليسوا في البيت. فقال: فمن في هذا البيت قالوا خنازير. قال عيسى (عليه السلام) كذلك يكونون فإذا هم خنازير.

والقول الثاني: أن الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة وذلك لأن المنجمين الذين يدعون استخراج الخبر لا يمكنهم ذلك إلاّ عن سؤال فينعدم ثم يستعينون عند ذلك بآلة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً(٥٣).

فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة. ولا تقدم مسألة لا يكون إلاّ بالوحي من الله تعالى. ثم إنه (عليه السلام) ختم كلامه بقوله تعالى چ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ چ [سورة آل عمران]. والمعنى أن في هذه الخمسة لمعجزة قاهرة قوته دالة على صدق المدعي لكل من آمن بدلائل المعجزة في الحمل على الصدق. بلى من أنكر دلالة أصل المعجز على صدق المدعي. وهم البراهمة فإنه لا يكفيه ظهور هذه الآيات وأما من آمن بدلالة المعجزة على الصدق لا يبقى له في هذه المعجزات كلام البتة(٥٤).

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآيات: قوله تعالى چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ چ اختلفوا في رسولاً هنا فقيل هو وصف بمعنى المرسل على ظاهر ما يفهم منه وقيل: هو مصدر بمعنى رسالة إذ قد ثبت أن رسولاً يكون بمعنى رسالة وممن جوز ذلك فيه هنا الحوفي وأبو البقاء وقالا: هو معطوف على (الكتاب) ويعلمه رسالة إلى بني إسرائيل فتكون رسالة داخلاً فيما يعلمه الله عيسى (عليه السلام). وأجاز أبو البقاء في هذا الوجه أن يكون مصدراً في موضع الحال. **وأما الوجه الأول** فقالوا في إعرابه وجوهاً:-

الأول: أن يكون منصوباً بإضمار فعل تقديره ((ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل)) قالوا فيكون مثل قوله:-

يـــا ليـــت زوجـــك قـــد غـــدا متقلـــداً ســـيفاً ورمحـــاً[٥٥]

بداية رسالته:

وكان عيسى (عليه السلام) قد هربت به أمه من قومها إلى مصر حين عزلوا أولادهم ونهوهم عن مخالطته. وحبسوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال: ما في هذا البيت. قالوا: خنازير. فقال كذلك يكونون ففتحوا عنهم وإذا هم خنازير. ففشا ذلك في بني إسرائيل فهموا به فهربت به أمه إلى أرض مصر فلما بلغ إثني عشرة سنة جاءه الوحي على رأس الثلاثين. فكانت نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله إليه. فكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وقبل موسى وآخرهم عيسى (عليه السلام). والظاهر أن قوله چ‍چ چ چ چ چ إلى قوله ((مستقيم)) متعلق بقوله چ‍چ چ چ چ چ ومعمول له فيكون ذلك مندرجاً تحت القول السابق والخطاب لمريم بقوله چ‍ڌ ڌ ڎ چ فتكون مريم قد بشرت بأشياء مما يفعلها الله لولدها عيسى من تعليمه ما ذكر ومن جعله رسولاً ناطقاً بما يكون منه إذا أرسل. ومن مجيئه بالآيات وإظهار الخوارق على يديه وغير ذلك قوله تعالى چ□ □ □ □ □ □ □ چ وقيل: يحتمل أن يكون الكلام تم عند قوله چ‍چ چ چ چ چ ولا يكون چ‍چ چ چ چ متعلقاً بما قبله ولا داخلاً تحت القول والخطاب لمريم. ويكون المحذوف هنا لا بعد قوله (مستقيم) والتقدير ((فجاء عيسى كما بشر الله رسولاً إلى بني إسرائيل بأني قد جئتكم بآية من ربكم)).

وقرأ الجمهور بأنه على الإفراد. وفي مصحف عبدالله بن مسعود (بآيات) على الجمع في الموضعين ويجوز أن يكون (من ربكم) في موضع الصفة لأنه يتعلق بمحذوف ويجوز أن يتعلق (بجئتكم) أي جئتكم من ربكم بآية[٥٦].

قوله تعالى چ‍ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک چ. وهو النوع الأول من معجزات عيسى (عليه السلام). قرأ الجمهور (أني أخلق) بفتح الهمزة على أن يكون بدلاً من آية فيكون في موضع جر. أو بدلاً من قوله (أني قد جئتكم) فيكون في

موضع نصب أو جر على الخلاف. أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أي الآية أني أخلق فيكون في موضع رفع. وقرأ نافع بالكسر على الاستئناف أو على إضمار القول أو على التفسير للآية كما فسر المثل في قوله (كمثل آدم) بقوله (خلقه من تراب) ومعنى (أخلق) أقدر وأهيئ. والخلق يكون بمعنى الإنشاء وإبراز العين من العدم الصرف إلى الوجود وهذا لا يكون إلاّ لله تعالى. ويكون بمعنى التقدير والتصوير ولذلك يسمون صانع الأديم ونحوه الخالق لأنه يقدر. وأصله في الإجرام. وقد نقلوه إلى المعاني قال تعالى ((وتخلقون إفكاً))[٥٧].

ومما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله تعالى چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ[٥٨]. أي المقدرين. وقال الشاعر:-

ولأنتَ تفري ما خلقت وبعْضُ القوم يخلق ثم لا يَفْري

واللام في (لكم) معناها التعليل. (ومن الطين) تقييد بأنه لا يوجد من العدم الصرف بل ذكر المادة التي يشكل منها صورة الطير. وقرأ الجمهور (كهيئة) على وزن جيئة.

الموضع الثاني الذي ذكرت فيه معجزات عيسى (عليه السلام) في سورة المائدة:-

چۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ و و ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ي ي ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ[٥٩].

سورة المائدة هي من السور المدنية التي نزلت على نبي الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعدد آياتها مئة وعشرون آية وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:((سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب)). وقال عنها أيضاً أنه (صلى الله عليه وسلم). قرأ سورة المائدة في حجة الوداع وقال ((يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر ما نزل فأحلوا حلالها وحرموا حرامها)).

قال علماء التفسير في تفسير هذه الآيات:-

أن عيسى (عليه السلام) أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً. فلما أتموها سألوا عيسى (عليه السلام) إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم إن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم. وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم. فوعظهم عيسى (عليه السلام) في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلاّ أن يسأل لهم ذلك من ربه (عز وجل). فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحاً من شعر وصف بين قدميه وأطرف رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله بالدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا. فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنوا قليلاً قليلاً. وكلما دنت سأل عيسى ربه (عز وجل) أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلاماً[٦٠].

فلم تزل تدنوا حتى استقرت بين يدي عيسى (عليه السلام) وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول ((بسم الله خير الرازقين)) فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة. ويقال وخل. ويقال ورمان وثمار ولها رائحة عظيمة جداً. قال الله تعالى كوني فكانت. ثم أمرهم بالأكل منها. فقالوا لا نأكل حتى تأكل. فقال إنكم الذين ابتدأتم بالسؤال لها. فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن. فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك. ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها. يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل أنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف. ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم. كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم. ثم أمر الله عيسى (عليه السلام) أن يقصرها على الفقراء والمحاويج دون الأغنياء. فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير. وقد روي ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً حدثنا حسن بن قزعة الباهلي. حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة. عن قتادة عن خلاس. عن عمار بن ياسر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ((نزلت المائدة

من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد. فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير))[٦١].

وقال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآيات:-

قوله تعالى چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ أي سأل الحواريون عيسى ابن مريم (الطَّيِّلاً) ((هل يستطيع ربك)) قراءة الكسائي وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ((هل تستطيع)) بالتاء (رَبَّكَ) بالنصب وادغم الكسائي اللام من (هل) في التاء وقرأ الباقون بالياء و (ربك) بالرفع وهذه القراءة أشكل من الأولى فقال السدي: المعنى هل يطيعك ربك إن سألته (أن ينزل) فيستطيع بمعنى يطيع. كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب وكذلك استطاع بمعنى أطاع وقيل المعنى: هل يقدر ربك وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله (عَجَّلَ) ولهذا قال عيسى في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على الله ما لا يجوز چ □ □ □ □ □ چ[٦٢]. أي لا تشكوا في قدرة الله تعالى. وقوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې چ. قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ چ نصب بأن چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى چ عطف كله بينوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه وفي قولهم (نأكل منها) وجهان:-

الأول: أنهم أرادوا الأكل منها للحاجة الداعية إليها وذلك أن عيسى (الطَّيِّلاً) كان إذا خرج اتبعه خمسة آلاف أو أكثر بعضهم كانوا أصحابه وبعضهم كانوا يطلبون منه أن يدعوا لهم لمرض كان بهم أو علة إذ كانوا زمنى أو عمياناً وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزئون فخرج يوماً إلى موضع فوقعوا في مغارة ولم يكن معهم نفقة فجاعوا وقالوا للحواريون قولوا لعيسى حتى يدعوا بأن تنزل علينا مائدة من السماء.

الثاني: (نأكل منها) لننال بركتها لا لحاجة دعتهم إليها قال الماوردي وهذا أشبه لأنهم لو احتاجوا لم ينهوا عن السؤال.

الثالث: تطمئن إلى أن الله قد اجابنا إلى ما سألنا ذكرها الماوردي وقال المهدوي: أي تطمئن بأن الله قد قبل صومنا وعملنا. قوله تعالى چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ چ

الأصل عند سيبويه بالله والميمان بدل من (يا) (ربنا) نداء ثان لا يجيز سيبويه غيره ولا يجوز أن يكون نعتاً لأنه قد أشبه الأصوات من أصل ما لحقه (أنزل علينا مائدة) المائدة الخوان الذي عليه الطعام قال قطرب: لا تكون المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام فإن لم يكن: قيل خوان وهي فاعلة من ماد عيده إذا أطعمه وأعطاه فالمائدة تميد ما عليها أي تعطي. (تكون لنا عيداً) (تكون) نعت لمائدة وليس بجواب (لأولنا وآخرنا) قرأ زيد بن ثابت على الجمع وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما يأكل [منها] أولهم (وآية منك) يعني دلالة وحجة (وارزقنا) أي اعطنا (وأنت خير الرازقين) أي خير من أعطى ورزق لأنك الغني الحميد. قوله تعالى چ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ چ هذا وعد من الله تعالى أجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى اجابه الحواريون[٦٣].

قال ابن عمر: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى چ ڤ ڤ ڤ ڤ ج ج ج ج ج ج ج ج چ. واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا ؟ فالذي عليه الجمهور وهو الحق لقوله تعالى ((إني منزلها عليكم)) وقال مجاهد: ما نزلت وإنما هو ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقه فنهاهم عن مسألة الآيات لإتيانه وقيل وعدهم بالإجابة فلما قال لهم ((فمن يكفر منكم)) الآية. استعفوا منها واستغفروا الله وقالوا: لا نريد هذا. قاله الحسن وهذا القول والذي قبله خطأ والصواب أنها نزلت[٦٤] وهو الراجح وهو قول الجمهور.

المطلب الثالث

تآمر اليهود على قتل نبي الله عيسى (عليه السلام) والشبه الذي دفعه الله لهم

ذكر الحق (سبحانه وتعالى) كيفية تآمر اليهود على قتل عيسى ابن مريم (عليه السلام) والشبه الذي دفعه لهم في موضعين في كتاب الله العزيز :-

الموضـع الأول: فـي سـورة آل عمـران بقولـه تعـالى: چ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ې ې □ □ ٱ ب ب ٻ
ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ
ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڈ ڈ ڈ
ڎ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ
ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ چ[٦٥].

اختلف أصـحاب المسيح (عليه السلام) بعد رفعه إلـى السماء فيـه علـى أقوال. كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف. قال ابن عباس وغيره. قال قائلون منهم: كان فينا عبدالله ورسوله فرفع إلى السماء. وقال آخرون. هو الله. وقال آخرون هو ابن الله. فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم. وقد تكلم العلماء عن تفسير هذه الآيات كما يلي:-

قولـه تعـالى چ □ □ □ □ □ □ □ چ أي مـن بنـي إسـرائيل وأحـس معناه علِمَ ووجد. قاله الزجاج. وقال أبو عبيدة: معنى (أحس) عرف وأصل ذلك وجود الشـيء بالحاسـة والإحسـاس. العلـم بالشـيء. قـال الله تعـالى ((هـل تحـس منـهم مـن أحد))[٦٦] والحس القتل قال الله تعالى ((إذ تحسونهم بإذنه))[٦٧].

قوله ((منهم الكفر)) أي الكفر بالله. وقيل سمع منهم كلمة الكفر. وقال الفراء أرادوا قتلـه. چ □ □ □ □ □ □ چ استنصـر علـيهم. قـال السدي والنوري وغيرهم: المعنى مع الله فإلى بمعنى مع. كقوله تعالى چ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ چ[٦٨]. أي مع[٦٩].

وقال الحسن: المعنى من أنصاري في السبيل إلى الله. لأنه دعاهم إلى الله (عز وجل). وقيل المعنى من يضم نصرته إلى نصرة الله (عز وجل). فإلى على هذين القولين على بابها وهو الجيد وطلب النصرة ليحتمي بها من قومه ويظهر الدعوة. عن الحسن ومجاهد وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه. وقد قال لوط چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[٧٠]. أي عشيرة وأصحاب ينصروني.

چ □ □ □ □ □ □ چ أي أنصار نبيه ودينه. والحواريون أصحاب عيسى (عليه السلام). وكانوا اثني عشر رجلاً. قاله الكلبي وأبو روق. واختلف في تسميتهم بذلك فقال ابن عباس: سموا بذلك لبياض ثيابهم وكانوا صيادين. ابن أبي نجيح وابن أرطأة كـانوا قصـارين فسموا بذلك لتبييضـهم الثيـاب. قـال عطـاء. أسلمت مريم عيسى إلـى أعمـال شـتى وآخـر مـا دفعتـه إلـى الحـواريين وكـانوا قصـارين وصـباغين. فـأراد معلـم عيسـى السفر فقال لعيسـى: عندي ثيـاب كثيـرة مختلفـة الألـوان وقد علمتك الصـبغة فاصبغها. فطبخ عيسى حباً واحداً وأدخله جميع الثياب وقال: كوني بإذن الله على ما أريد منك. فَقَدِم الحواري والثياب كلها في الحب فلما رآها قال: قد أفسدتها. فأخرج عيسى ثوباً أحمر وأصفر وأخضر إلى غير ذلك مما كان على كل ثوب مكتوب عليه صـبغه. فعجـب الحـواري وعلـم أن ذلـك مـن الله ودعـا النـاس إليـه فـآمنوا بـه فهـم الحواريون[٧١].

قال قتادة والضحاك سموا بذلك لأنهم كانوا خاصة الأبناء يريدان لنقاء قلوبهم. وقيل كـانوا ملوكاً. وذلك أن الملك صـنع طعامـاً فدعا النـاس إليه فكان عيسـى علـى قصعة فكانت لا تنقص. فقال الملك له. من أنت. قال عيسى ابن مريم. قال إني أترك ملكي هذا واتبعك. فانطلق بمن اتبعه معه فهم الحواريون قاله بن عون.

وأصل الحور في اللغة البياض وحورت الثياب بيضتها والحواري من الطعام مـاحور أي بـيض وأحـور أبـيض والجفنـة المحـورة: المبيضـة بالسـنام والحـواري أيضـاً

الناصر قال رسول الله (ﷺ) ((لكل نبي حواري وحواري الزبير)). والحوريات النساء لبياضهن[٧٢].

قولـه تعـالى چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ چ. أي يقولـون ربنـا آمنـا. ((بمـا أنزلـت)) يعني في كتابك وما أظهرته من حكمك چ ﭕ ﭖ چ يعني عيسى چ ﭗ ﭘ ﭙ چ يعني أمة محمد (ﷺ). عن ابن عباس[٧٣].

والمعنى أثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا من جملتهم. وقيل المعنى فاكتبنا مع الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق. قوله تعالى ((ومكروا)) يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر أي قتله وذلك أن عيسى (عليه السلام) لما أخرجه قومه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم. ومكر الله استدراجه لعباده من حيث لا يعلمون. عن الفراء وغيره قال ابن عباس. كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة. وقال الزجاج: مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء كقوله تعالى چ □ □ □ چ[٧٤] وقوله چ ﭼ ﭽ چ[٧٥].

وأصـل المكـر فـي اللغـة الاحتيـال والخـداع. والمكـر: خدالـة السـاق. وامـرأة ممكورة الساق والمكر ضرب من الثياب ويقال بل هو المغرة. حكاه ابن فارس وقيل ((مكر الله)) إلغاء شبه عيسى على غيره ورفع عيسى إليه وذلك أن اليهود لما اجتمعوا على قتل عيسى دخل البيت هارباً منهم فرفعه الله من الكوة إلى السماء. فقال ملكهم لرجل منهم خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فلم يجد هناك عيسى وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج رأوه على شبه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه ثم قالوا: وجه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا. فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى: وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا: فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضاً وذلك قوله تعالى چ ﭙ ﭚ ﭛ چ.

وقيل غير هذا على ما يأتي چ ﭜ ﭝ ﭞ چ اسم فاعل من مكر يمكر مكراً وقد عده بعض العلماء في أسماء الله تعالى فيقول إذا دعا به يا خير الماكرين امكر لي. وكان (عليه السلام) يقول في دعائه ((اللهم امكر لي ولا تمكر علي)). قوله تعالى چ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ چ العامل في (إذ) مكروا. أو فعل مضمر وقال جماعة من اهل المعاني منهم الضحاك والفراء في قوله تعالى چ ﭥ ﭦ ﭧ چ على التقديم والتأخير لأن الواو لا توجب الرتبة. والمعنى: أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. كقوله چ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ چ[٧٦] والتقدير ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً. وقال الحسن وابن جريج: معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته.

وقال وهب ابن منبه. توفى الله عيسى (عليه السلام) ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه إلى السماء[٧٧] وهذا فيه بعد. فأنه صح في الأخبار عن النبي (ﷺ) نزوله وقتله الدجال. وقال ابن زيد متوفيك قابضك. ومتوفيك ورافعك واحد ولم يمت بعد ومتوفيك أصله متوفيك حذفت الضمة استثقالاً وهو خبر أن. چ ﭨ چ عطف عليه. وكذا چ ﭩ چ وكذا چ ﭪ ﭫ ﭬ چ. ويجوز چ ﭪ ﭫ چ وهو الأصل: وقيل. أن الوقف التام عند قوله چ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ چ قال النحاس. وهو قول حسن چ ﭪ ﭫ ﭬ چ يا محمد چ ﭰ ﭱ ﭲ چ أي بالحجة وإقامة البرهان. وقيل بالعزة والغلبة. وقال الضحاك ومحمد بن أبان: المراد الحواريون. قوله تعالى چ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ چ يعني بالقتل والصلب والسبي والجزية وفي الآخرة بالنار. چ ﮠ ﮡ چ. (ذلك) في موضع رفع بالابتداء وخبره ((نتلوه)) ويجوز الأمر ذلك على إضمار المبتدأ. قوله تعالى چ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ چ دليل على صحة القياس والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم لا على أنه خلق من تراب والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه

الجهة. ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب. فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال ثم جعله بشراً من غير أب. ونزلت هذه الآية بسبب وفد نجران حين أنكروا على النبي (ﷺ) قوله ((إن عيسى عبد الله وكلمته)) فقالوا: أرنا عبداً خلق من غير أبٍ فقال لهم النبي (ﷺ). آدم من كان أبوه أعجبتم من عيسى له أب ؟ وآدم (عليه السلام) ليس له أب ولا أم. فذلك قوله تعالى چ ٱ ب ب چ أي في عيسى چ ڀ ڀ چ في آدم چ پ پ چ وروي أنه (عليه السلام) دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك فقال ((كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولداً وأكلكم الخنزير وسجودكم للصليب)) فقالوا من أبو عيسى فأنزل الله تعالى چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ چ إلى قوله چ □ □ □ □ □ □ □ چ فدعاهم سوى هذا ؟ فقال ((الإسلام أو الجزية أو الحرب)) قوله تعالى چ ے ے ۓ ۓ ﮦ ﮦ ﮧ ﮧ ۇ چ أي فكان والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى.

قال الفراء: چ ۇ ۆ ۆ چ مرفوع بإضمار هو. وقال أبو عبيدة: هو استئناف كلام وخبره في قوله چ ۆ ۆ چ وقيل هو فاعل. أي جاءك الحق. چ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ الخطاب للنبي (ﷺ) والمراد أمتهُ. لأنه (ﷺ) لم يكن شاكاً في أمر عيسى (عليه السلام) والله أعلم.

وقد تكلم صاحب تفسير الخازن عن تفسير هذه الآيات بما يلي:-

قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ چ أي وجد وعرف وقيل: رأى والإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى أنهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف إصرارهم عليه وعزمهم على قتله. ذكر سبب القصة قال أهل الأخبار والسير لما بعث الله عيسى على بني إسرائيل وأمره بإظهار رسالته والدعاء إليه نفوه وأخرجوه من بينهم. فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض فنزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الأيام وهو مهموم حزين فدخل منزله عند امرأته فقالت مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً حزيناً فقالت: لا تسأليني فقالت مريم. أخبريني لعل الله أن يفرج كربته قالت المرأة: إن لنا ملكاً جباراً وقد جعل كل رجل منا يوماً يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم

الخمر وإن لم يفعل ذلك عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له: لا يهتم لذلك فأنا آمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى: إن فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم: لا تبالي فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا فقال عيسى قولي له إذا قرب ذلك الوقت فأملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى (عليه السلام) فتحول ماء القدور مرقاً ولحماً وماء الخوابي خمراً لم تر الناس مثله. فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر؟ فقال الرجل: هو من ارض كذا فقال الملك: إن خمري من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال: هي من أرض أخرى فلما رآه الملك أختلط شدد عليه فقال الرجل. أنا أخبرك إن عندي غلاماً لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إياه. وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حباً شديداً فقال الملك: إن رجلاً دعا الله تعالى حتى صار الماء خمراً بدعوته ليستجيبن له في إحياء ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى (عليه السلام) لا تفعل فإنه إن عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي أليس أراه فقال عيسى. إن أنا أحييته تتركني أنا وأمي نذهب حيث نشاء ؟ قال نعم. فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش فبادروا إلى السلاح وقالوا: قد أكلنا هذا الملك حتى إذا دنا أجله يريد أن يستخلف علينا ابنه ليأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أثر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به. وقيل إن اليهود كانوا عارفين بأنه المسيح المبشر به في التوراة وأنه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به.

قوله تعالى چ ٱ ب ب ڀ چ يعني. قال الحواريون بعد إشهاد عيسى عليهم بأنهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعني بكتابك الذي أنزلته على عيسى (عليه السلام) چ ڀ پ چ يعني عيسى (عليه السلام) چ پ ڀ پ چ يعني الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فأثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا من عدادهم ومعهم فيما نكرمهم به وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين الذي سألوا الحواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله: چ پ ڀ ڀ چ أي مع محمد (ﷺ) وقيل:

مع الشاهدين يعني النبيين لأن كل نبي شاهد على أمته. قوله (عز وجل) چ ڀ چ يعني كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكر صرف الغير عما يقصده يضرب من الحيلة. چ ٹ چ أي أجازهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته چ ٹ ٹ ٹ چ يعني وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة.

چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ. اختلفوا في معنى التوفي هنا **على طريقين**:-

الطريق الأول: أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوهاً:-

الأول: معناه أني قابضك ورافعك إلي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاماً والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غير.

الثاني: أن المراد بالتوفي النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية أني منيمك ورافعك إلي.

الثالث: أن المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس. معناه أني مميتك قال وهب إن الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه.

الرابع: أن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف يفعل ؟ ومتى يفعل ؟ فالأمر موقوف فيه على الدليل.

الخامس: قال أبو بكر الواسطي. معناه أني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك إلي. ذلك أن عيسى (عليه السلام) لما رفع إلى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة.

السادس: أن معنى التوفي أخذ الشيء وافياً ولما علم الله تعالى أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لا هوته يعني روحه وبقي في الأرض ناسوته. والراجح من الأقوال في معنى التوفي هو القول الأول لدلالة ظاهر القرآن عليه وتظافر

الأحاديث النبوية عليه وهي رأي جمهور المفسرين ولا عبرة لمن خالف في ذلك.

الطريق الثاني: إن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض.

چ ڤ ڤ ڤ ڤ چ يعني مخرجك من بينهم ومنجيك منهم. چ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ چ. يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد. چ ڃ ڃ ڃ چ يعني يقول الله (عز وجل): إلي مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به چ چ چ چ ڇ ڇ چ چ چ يعني من الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى: چ ڍ ڌ ڌ چ الذين مجدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى.

چ ڎ ڎ ڎ ڑ چ يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم چ ڑ چ أي وأعذبهم في الآخرة بالنار چ ژ ژ ک ک چ يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا چ ک گ گ چ يعني بعيسى (عليه السلام) وصدقوا بنبوته وأنه عبدالله ورسوله وكلمته چ گ گ چ يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم چ ڳ ڳ چ يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء چ ڳ گ گ گ چ أي لا يحب من ظلم غيره حقاً له أو وضع شيئاً في غير موضعه والمعنى أنه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى چ ں چ يعني الذي ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص چ ں ڻ چ أي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وإنما أضاف ما يتلوه جبريل (عليه السلام) نفسه (سبحانه وتعالى) لأنه من عنده وبأمر من غير تفاوت أصلاً إليه چ ڻ ڻ چ يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لأنها أخبار لا يعلمها إلاّ من يقرأ ويكتب. چ ڻ ۀ چ أي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لأنه حاكم يستفاد منه لأنه حاكم على الكتب المتقدمة.

الخاتمة:

بعد هذا النظر والتجوال في كتب التفسير ومصادر المعرفة وفنون العلم المختلفة وتسريح النظر في قصص الأنبياء ولا سيما قصة عيسى (عليه السلام) نصل إلى أهم النتائج:-

أولاً: أن الأنبياء جميعاً دعوا قومهم إلى عبادة الواحد الأحد وتوحيده بما أمرهم ولا يوجد أحد منهم خرج عن هذا المسار الذي رسمه لهم ربنا (سبحانه وتعالى).

ثانياً: الابتلاء: فإن من سنن الله تعالى في عباده الأنبياء أنه ابتلاهم بأنواع من البلايا. منها ابتلاهم بأقوام جبلوا على العناد وعدم الانصياع لما جاءهم من الحق. فقد تعرض هؤلاء الأنبياء الأخيار إلى أشد الابتلاء من أجل نشر دعوة الحق (سبحانه وتعالى) وما عيسى ابن مريم إلاّ نموذج شاهد على ذلك حتى وصل الأمر بقومه هموا بقتله إلاّ أن الله رفعه وحماه من كيدهم.

ثالثاً: الجهاد: تبرز أهمية الجهاد واضحة مع أنبياء الله ورسله جميعاً فهم كانوا أول الناس جهاداً ودفاعاً عن الرسالات الربانية والمبادئ الحقة فوقفوا في وجه أعداء الدين. وعيسى يعد من الأنبياء المجاهدين في سبيل تبليغ دعوة التوحيد أنواع الجهاد الكبير للأنبياء مع أقوامهم.

رابعاً: الدعوة إلى التوحيد: إن عيسى (عليه السلام) دعا قومه إلى التوحيد الخالص ولم يدعهم إلى التثليث التي وقعت به النصارى وكل ما حدث في النصرانية لم يكن إلاّ من الأمور الطارئة التي لم يأذن بها الله (سبحانه وتعالى) وإنما هي من عمل القساوسة والقسيسين. وكان عيسى يحاور اليهود في أمر التوحيد محاورات جدية.

خامساً: الافتراء على عيسى وأمه من لدن اليهود واتهام مريم بأنواع من التهم.

سادساً: الصبر: لقد قال الله تعالى في كتابه واصفاً صبر الأنبياء على أذى أقوامهم ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)) ولا شك أن عيسى (عليه السلام) هو من أولي العزم. ((وأولوا العزم هم الأنبياء الذين صبروا على إيذاء أقوامهم وهم: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم))) وقد ذكر ذلك كل العلماء الذين كتبوا في العقيدة وهو معلوم لا يختلف عليه إثنان.

هوامش البحث ومصادره:

(١) ينظر: قصص القرآن الكريم، أحمد الكبيسي، طبعة وزارة الثقافة، بغداد، 2005، ص205 – 206.

(٢) نفس المصدر السابق، ص206 – 207.

(٣) ينظر: مثل الذين حملوا التوراة، الدكتورة ليلى حسن سعد الدين، دار الفكر، عمان، ص266.

(٤) التفسير الكبير – الرازي، طبعة جديدة، ط10، دار الفكر، بيروت – لبنان، 2005، ص8 – 220.

(٥) نفس المصدر السابق، ص8 – 220.

(٦) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، طبعة جديدة، الطبعة الأولى، دار الفكر، ج8، بيروت، لبنان، 1426هـ – 2005م، ص8 –220.

(٧) المصدر نفسه، ص8 – 223.

(٨) نفس المصدر السابق، ص8 – 224.

(٩) المصدر السابق، ص٨ – ٢٢٤.

(١٠) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، المصدر السابق، ص224.

(١١) المصدر نفسه، ص8 – 225.

(١٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ص3 – 268.

(١٣) المصدر نفسه، ص3 – 268.

(١٤) المصدر نفسه، ص3 – 268.

(١٥) جامع البيان – الطبري، ص3 – 268.

(١٦) المنتخب من تفسير محمد متولي شعراوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ص73.

(١٧) المصدر السابق، ص74.

(١٨) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، طبعة دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ج3، القاهرة، مصر، (1427هـ – 2006م)، ص174.
(١٩) سورة المؤمنين، الآيات 12 – 14.
(٢٠) تفسير القرآن الكريم لابن كثير، ج3، ص175.
(٢١) المصدر السابق، ص٣ – ١٧٥.
(٢٢) تفسير القرآن الكريم لابن كثير، ج3، ص177.
(٢٣) نفس المصدر السابق، ص٣ – ١٧٥.
(٢٤) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة، ج3، بيروت، لبنان، (1424هـ – 2003م)، ص73.
(٢٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج٣، ص٧٤.
(٢٦) المصدر السابق، ص3 – 74.
(٢٧) سورة الملك، الآية ١.
(٢٨) سورة السجدة، الآية 1.
(٢٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المصدر السابق، ص٧٤.
(٣٠) تفسير القرآن الكريم لابن كثير، المصدر السابق، ج1، ص365.
(٣١) ينظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، المصدر السابق، ص227.
(٣٢) نفس المصدر السابق، ص8 – 227.
(٣٣) نفس المصدر السابق، ص8 – 227.
(٣٤) سورة آل عمران، الآية 59.
(٣٥) ينظر كتاب: المنطق بشكله العربي، تأليف الشيخ عبدالله المبارك، طبعة مصر، ص30.
(٣٦) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٣٧) سورة الشعراء، الآية ١٣٧.
(٣٨) سورة العنكبوت، الآية ١٧.
(٣٩) سورة ص، الآية ٧.
(٤٠) سورة آل عمران، الآية 49.
(٤١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، المصدر السابق، ص٨ – ٢٢٧.
(٤٢) سورة البقرة، الآية ٢٩.
(٤٣) سورة الأنعام، الآية ١٠٢.
(٤٤) سورة فاطر، الآية ٣.
(٤٥) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، المصدر السابق، ص٨ – ٢٢٨.
(٤٦) سورة الملك، الآية ٢.
(٤٧) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.
(٤٨) سورة آل عمران، الآية ١٤٥.
(٤٩) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، المصدر السابق، ص٨ / ٢٢٩ – ٢٣٠.
(٥٠) المصدر نفسه، ص8 – 230.
(٥١) المصدر نفسه، ص٨ –٢٣٠.
(٥٢) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، ص٤٨٦.
(٥٣) المصدر نفسه، ص487.
(٥٤) سورة العنكبوت، الآية ١٧.
(٥٥) سورة المؤمنون، الآية ١٤.
(٥٦) قصص الأنبياء – لأبن كثير، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، ص٦٠٦.
(٥٧) المصدر نفسه، ص٦٠٦.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٦٠٧.

(٥٩) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، المصدر السابق، ص٣ –٢٣٠.
(٦٠) المصدر نفسه، ص٣ – ٢٣٠.
(٦١) المصدر نفسه، ص٣ – ٢٣٠.
(٦٢) سورة آل عمران، الآيات ٥٢ – ٥٨.
(٦٣) سورة مريم، الآية ٩٨.
(٦٤) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.
(٦٥) سورة النساء، الآية ٢.
(٦٦) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، المصدر السابق، ج٢، ص١١٢٩.
(٦٧) سورة هود، الآية ٢٩.
(٦٨) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، المصدر السابق، ص١١٣٠.
(٦٩) سورة آل عمران، الآية 53؛ ينظر: حاشية البيضاوي، ص3 – 492؛ وصفوة التفاسير – للصابوني، دار الرشاد، بيروت، لبنان، 1998م، ص3 – 375.
(٧٠) سورة البقرة، الآية ١٥؛ ينظر: التفسير الكبير – للرازي، ص٢٩ – ٣١٩؛ ومختصر ابن كثير، مطبعة دار المعارف المصرية، ص٣ – ٤٩٥.
(٧١) سورة النساء، الآية ٤٢.
(٧٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، المصدر السابق، ص١١٣٢.
(٧٣) المصدر نفسه، ص١١٣٤.
(٧٤) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤، ص١ – ٢٥٢.
(٧٥) المصدر نفسه، ص١– ٢٥٢.
(٧٦) المصدر نفسه، ص١ – ٢٥٣.
(٧٧) المصدر نفسه، ج1، ص254.

Abstract

Great thank to Allah, besides bless and Peace be upon master of Creatures and Gods beloved Mohammed, Gods Peace and bless be upon him, With his Companions Who have done their best to achieve the message of Allah to all People on earth.

This research entitled, Miracles of Isa Ibn Mariam in glorious Quran an alytic Study, This has emphasized that Quran analytic Study; This has emphasized that Quran is the most faithful references in transmitting historical events and nations, Stories especially Concerning the life of Prophets and their background With their People. The Christian Master, Gods Peace upon him, has a distinctive Status among Muslims. The glorious Quran has given the Christian master all Clear meanings of vivid Picture and features Which many Priests and Blasphemous has disused them in Confessing of the Christian as something different from Creatures. The Creation of the Christian is mentioned in Quran and those Who do not be live in Isa are Blasphemous. It is Mentioned and Well – Known how the Christian **(Gods Peace upon him)** has done his best to invite him People to Worship Allah. In Al – Quran there are many examples about the Way in Which the Christian has done miracles, besides it mentions many Conditions in Which the Jewish have Conspiracy to Kill him, But our Great God has Saved him and Puts him in a great Position. Isa has in voted People to unification. He is a faithful Worshiper to Great Allah. but When his People refused his in vitiation he left them. The Story of Isa is among great Stories in Quran. Isa is one example of a Witness upon the distribution of right. He Was **(Gods Peace**

upon him) talking With the Jewish concerning Great God. Allah has Supported him Wihe all great miracles this research is a trial to find the miracles.

This research has Presented the beginnings of the Christian Masters life and the Way he in vitas his People, his birth and his hews, besides there are three requirements Firstly: there is an explanation about his birth and Gods Protection to him. Secondly: there are his great miracles **(Gods Peace be upon him)**. Thirdly: there is a Conspiracy of the Jewish Who Want to Kill him.

Finally there is Conclusion Which in Cludes the main results reached at.

GREAT THANK TO GREAT ALLAH

طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات والصادرات في العصر العباسي الأول

د. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي
جامعة تكريت/ كلية التربية – سامراء/قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد...

فالموقع الجغرافي الذي تتمتع به الامة العربية، وخصوصا منطقة شبه الجزيرة العربية، جعلها ارض لقاء وافتراق الطرق البرية والبحرية بين قارات العالم القديم والحديث، فأصبح مما لا شك فيه ان يكون لموقع بلاد العرب اثر واضح في قيام علاقات؛ ثقافية، وسياسية، واقتصادية، بين المنطقة العربية والمناطق الاخرى من العالم، لاسيما وعلى وجه الخصوص منها العلاقات الاقتصادية، ثم نتيجة ذلك قيام حركة تبادل سلعي بين الدولة الإسلامية وبين البلدان الاخرى.

إن مهمة النشاط التجاري تنصب في سد النقص الحاصل من السلع والبضائع في مجتمع ما، أي نقل السلع والبضائع من اماكن وفرتها إلى اماكن ندرتها، ونتيجة لهذه الآلية تحدث عملية التبادل التجاري التي تتم وفق معطيات عديدة اهمها؛ وجود الطرق البرية والبحرية التي تسهل وتساعد في عمليات نقل السلع والبضائع من مكان إلى اخر، ف(طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات و الصادرات في العصر العباسي الاول) سيكون عنوانا لهذا البحث الذي يشتمل على:

المقدمة: ومن بعدها.

المبحث الاول: بعنوان طرق التجارة، وفيه الطرق البرية وهي عديدة، تربط شرق الدولة الإسلامية بغربها، وشمالها بجنوبها، وفيه ايضا الطرق البحرية وهي بدورها تربط الدولة الإسلامية بالبلدان القريبة والبعيدة. فمجموع هذه الطرق (البرية والبحرية) شكلت شبكة اتصالات مكنت الدولة الإسلامية في العصر العباسي ان يتصل داخلها ببعضه البعض من جهة، مع اتصالها بدول العالم الخارجي من جهة اخرى.

اما المبحث الثاني: فعنوانه التبادل السلعي – واردات وصادرات– جاء فيه بيان لأسماء وانواع السلع الواردة والمصدرة في العصر العباسي مع ذكر البلدان والاقاليم والمدن التي كانت تتم معها عملية الواردات والصادرات.

ونظرا لكثرة اسماء البلدان والمدن واسماء السلع الداخلة في عملية التبادل التجاري، عمل الباحث على ترجمة البعض من هذه الاسماء وترك الكثير وذلك لعدم اثقال الهامش ولابعاد روح الملل عن قارئ البحث.

وأخيرا الخاتمة: وصفحات الهوامش التي فيها مصادر ومراجع البحث والذي ارجو ان اكون قد بينت فيه جانب حيوي من جوانب الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي.

والله الموفق....

المبحث الاول

طـــرق التـجـارة

١- الطرق البرية:

تمر الطرق البرية بشبه الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ، بحكم موقعها الجغرافي التوسطي بين العالم القديم، والتي تعد من ابرز الطرق التجارية العالمية[١] فالموقع المكاني الذي تتمتع به شبه الجزيرة العربية اهلها لان تكون معبرا بريا رابطا بين اقليم البحر الابيض المتوسط من جهة الغرب، وعن طريق نهر الفرات اولا وبين منطقة بحر العرب وما يرتبط به من اقليم الموسميات في جنوب الهند ثانيا[٢].

اما من حيث الموقع المناخي والنباتي في العالم القديم، فهي تقع في مكان وسط ما بين الاقليم الموسمي الغني بإنتاجه الزراعي في الشرق، واقليم البحر الابيض المتوسط في الغرب والشمال أي انها تقع على اقصر طريق بين اغنى اقاليم العالم القديم التي تفاوتت في انتاجها تفاوتا كبيرا، مما يؤدي إلى قيام التبادل التجاري[٣].

كل هذه المعطيات كانت سببا مباشرا في تنمية وتنشيط طرق القوافل التي كانت تعد العماد الاساس للتجارة[٤]. وقد كان اعتماد القوافل على الحيوانات لاسيما الجمال في نقل تجارتهم، التي تدل اعدادها الكبيرة عند القبيلة دلالة واضحة على نفوذ تلك القبيلة[٥]. وهكذا كانت الاطراف متكاملة لإنشاء تجارة رابحة بين الاقليم الموسمي وبلاد الهلال الخصيب (العراق وبلاد الشام) وبلاد من ناحية، وبين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وجنوبها ومصر ودول شرق البحر الابيض المتوسط من ناحية اخرى، او بمعنى آخر وجدت مناطق الانتاج واسواق الاستهلاك في العرب خير وسطاء للتجارة، وبهذا نشأت الطرق الصحراوية ليسلكها التجار بتجارتهم، واصبح جنوب وغرب الجزيرة العربية مركز اشعاع تخرج منه القوافل التجارية إلى الشمال، عبر مكة ويثرب وجنوبي الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط، وحول خليج العقبة إلى

مصر، وكانت موانئ بحر العرب والعراق مركز الاشعاع الثاني للطرق الصحراوية، فمنه تخرج إلى غرب شبه الجزيرة العربية وإلى جنوبها، وشمالها وغربها[٦].

لقد كان هناك مركزان تخرج منهما طرق التجارة الرئيسة هما: جرها[٧] على الخليج العربي، وعدن على الساحل الجنوبي الغربي، وقد سارت هذه الطرق كالآتي:

أ- الطريق الجنوبي الشمالي:

من مأرب[٨] إلى البتراء[٩]، ويبدأ في الواقع من عدن وقنا في بلاد اليمن وحضرموت ثم مأرب – على بعد ٨٠ ميلا إلى الشرق من صنعاء – ثم يتجه إلى نجران فالطائف، ثم مكة، ويثرب، وخيبر، والعلا، ومدائن صالح، وبعد مدائن صالح يتفرع الطريق إلى فرعين، فرع يتجه إلى تيماء صوب العراق، ويستمر الفرع الاخر في الاتجاه حتى البتراء وغزة ثم الشام ومصر[١٠].

ب- طريق مأرب – جرها:

ويتجه من مأرب ثم إلى نجران، حيث يتجه إلى الشمال الشرقي في وادي الدواسر ويمر بقرية الفاو على بعد ٢٩ ميلا إلى جنوب نقطة يتداخل ويتقاطع فيها وادي الدواسر مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة الفاو، وتشرف على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي – ومن هناك يتجه إلى الافلاج فاليمامة، ثم واحة الهفوف فجرها (الجرعاء) على ساحل الخليج العربي[١١].

ج- طريق جرها – البتراء:

ويبدأ من جرها ثم إلى الهفوف، ثم إلى شمال اليمامة عند موقع مدينة الرياض حاليا – ثم يتجه إلى الشمال الغربي، موازيا لجبل طويق، ثم يتجه غربا إلى بريرة، ومنها إلى حائل فتيماء، واخيرا يصل البتراء[١٢].

د- طريق بحر العرب والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت ومنطقة عمان:

ويبدأ من الخليج متجها شمالا بقرب حارا بمحاذاة الحدود الشرقية لنجد، فمنها بعدئذ يتجه إلى الشمال في اتجاه العراق ومنها إلى بلاد الشام.

هـ - الطريق الذي يمر عبر الطريق الشرقي من الربع الخالي:

ويبدأ من منطقة حضرموت وعمان متجها إلى منطقة اليمامة صاعدا إلى بلاد الشام والعراق، حيث يلتقي بالطريق الشرقي ويفرع الطريق الغربي[١٣].

و- طرق القوافل التجارية التي تربط العراق ببلاد الشام:

فقد سلكت طريقين الاول الحيرة – بلاد الشام عن طريق القطقطانة هو موضع غير بعيد عن الكوفة، ثم يسلك الطريق إلى البقعة، ثم إلى الابيض، ثم إلى الحوشي، ثم إلى المجمع، ثم إلى القلوفي، ثم إلى الاعناك، ثم إلى اذرعات، ثم إلى دمشق، والثاني يبدأ من عين التمر، ويتجه نحو الاخذهية، ثم إلى الخلفية، ثم إلى الخلط، ثم إلى سوى، ثم إلى الاجيفر، ثم إلى الغربة، ثم إلى بصرى[١٤].

ز- طريق مكة – العراق:

والذي سلكته قريش قبيل واقعة (بدر) باستئجارها دليلا هو الفرات بن حيان[١٥] الذي كان عالما بالطريق ليحول تجارة قريش من طريق الشام إلى طريق العراق[١٦].

وقد ذكر (الهمداني) اسماء منازل طريق العراق – مكة، على النحو الاتي: الكوفة، القادسية، فالمغيثة، ثم القرعاء، ثم واقصة، ثم العقبة، ثم رسالة، ثم الشقوق، ثم البطان، ثم الخزيمة، ثم الاجفر، ثم فيد، ثم توز، ثم سميراء، ثم الحاجز، ثم معدن، ثم النقرة، ثم العسيلة، ثم بطن نخل، ثم الطرف، ومنه إلى المدينة، ومنها إلى السيالة، ثم الردهاء، ثم الرويثة، ثم العرج، ثم إلى السقيا، ثم إلى الابواء، ثم إلى الجحفة، ثم إلى عسفان، ثم مر الظهران، ثم مكة[١٧].

ح- طريق الحرير:

وهو طريق للتجارة البرية بين البحر الابيض المتوسط وشرق اسيا (الصين والهند)، إذ كان الطريق يبدأ من سلوقية (المدائن) على دجلة باتجاه جبال زاكروس إلى اكشان (همدان) ومرو وبكترا (بلخ) وسمرقند، ثم تجتاز الطريق بلاد سريس اوسكاي وهم قبائل شبه بدوية تسمى اليوم (تركستان)، ثم يمر الطريق بحوض ناريم ثم يصل (هيسان) وهي بلاد الحرير[١٨]. والملاحظ ان طريق القوافل لا تلتزم الخط المستقيم من خلال سيرها، فهي على الاكثر تتجه حيث السهول والاراضي التي تقل فيها العقبات الضيقة، بشرط ان يكون الطريق قرب مصدر مائي، ان كان ذلك ابارا او مجاري مياه، كل ذلك قد يؤدي إلى اطالة الرحلة مقابل توفير الامان لها، بدلا من عبور سطح مائي او عائق تضاريسي، كما ان بعض الطرق البرية، لا تصلح لحركة التجارة الدائمية لا سيما خلال سقوط الامطار، أي انها طرق فصلية[١٩]، ولأسباب تتعلق بأمن الطرق البرية وكثرة الاضطرابات الداخلية تحولت التجارة إلى الطرق البحرية، التي فضلها التجار، واهملت الطرق البرية، واصبح سلوك الطريق البحري هو المفضل[٢٠].

٢- الطرق البحرية:

لا ريب ان للموقع (الجغرافي والمناخي) لبلاد العرب تأثيرا واضحا على قيام تجارة بحرية نشطة وذلك لوقوعها بين بحرين هما:

بحر القلزم (البحر الاحمر) من الغرب والخليج العربي من الشرق، هذا إلى جانب نهري دجلة والفرات في شمال الخليج العربي، ونهر النيل إلى الغرب من بحر القلزم(البحر الاحمر)، وبإمكاناتهما في مجال النقل يشكلان امتدادا لهذا الموقع التجاري، وكذلك فإن الرياح الموسمية التي تسود البلاد اثبتت انها عامل مساعد للملاحين في النقل التجاري إلى حد كبير[٢١].

ولا شك في ان الصلة بين بلاد العرب والشرق الاقصى ترجع إلى اقدم العصور، إذ ارتبط الشرق الاقصى والبحر الابيض المتوسط بطريقي التجارة مع بلاد العرب الجنوبية، وقد دلت الحفريات التي جرت في السند والبنجاب على ان التجارة ربطت بلاد العرب الجنوبية بمناطق الشمال الغربي من الهند[٢٢]، وكذلك جزر الهند الشرقية والفلبين التي سماها العرب (واق واق)، ويبدو ان سكان العرب الجنوبية الفوا التجارة مع تلك البقاع النائية بدليل عثور الآثاريين على احجار عليها الخط المسند الحجري، ولعلها بقايا بناء قديم انشأ بمثابة مركز تجاري[٢٣].

ومن الجدير بالذكر ان اهل حضرموت وعمان وسواحل الخليج العربي ركبوا البحر واوغلوا فيه إلى ما وراء بلاد النهر واسسوا بعض الموانئ في جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي مثل جرها واكيلا (قرب رأس الخيمة) الحالية او همنة ومطانة، وكانت هذه الموانئ تنطلق منها السفن العربية إلى الهند[٢٤]، فضلا عن ان سكان هذه الموانئ اصبحوا الوكلاء الرئيسيين للتجارة بين مصر والهند لنقل الاحجار الكريمة، والتوابل والبخور إلى مصر وقد اطلق على هذه الطريق (البخور) نظرا لما للبخور من قدسية دينية في العالم القديم، إذ كان يستعمل في كل هيكل ومعبد، وكانت اليمن مركز هذه التجارة، وبالذات بين الهند ودول البحر الابيض المتوسط[٢٥].

كما ان التجارة الخارجية التي هيمنت على سياسة بلاد العربية الجنوبية، قد وجهت نشاطها نحو الساحل الافريقي، حيث نشطت حركة تجارة العاج، والصمغ، والذهب بين شبه الجزيرة العربية من ناحية، وبين موانئ مصر، والسودان، والحبشة، والصومال من ناحية اخرى، واتخذ التجار العرب من بعض النقاط على الساحل الافريقي مراكز لهم يوغلون منها بتجارتهم في قلب القارة حتى اعالي وادي النيل[٢٦].

اما طرق التجارة البحرية العربية من العراق قبل الإسلام، فقد سلكت الطريق المار من البصرة إلى عمان على الساحل، يمر إلى عبادان ثم إلى الحدوثة، ثم إلى

عرفجا، ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المقر، ثم إلى عصن، ثم إلى المعرس، ثم إلى خليجة، ثم إلى حسان، ثم إلى القرى، ثم إلى مسيحلة، ثم إلى حمض، ثم إلى ساحل هجر، ثم إلى العقير، ثم إلى قطر، ثم إلى السبخة، ثم إلى عمان[٢٧].

اما الطرق البحرية التي تربط اليمامة بجنوب العراق، فهناك طريق مهم يخرج من الأبلة، ثم يتجه نحو كاظمة، ثم إلى منازل ثلاثة لم يذكر اسماءها (ابن خرداذبة) ثم إلى القرعاء، ثم إلى طخفة، ثم إلى الضمان، ومنها إلى (حب التراب)، ثم إلى منزلين آخرين، ومنها إلى سليمة، ثم إلى النبال، ومنه إلى اليمامة[٢٨].

ويشير (القلقشندي)، إلى الطريق نفسه على النحو التالي: البصرة، ثم إلى المنجانشية، ثم إلى الكفير والحفير، ثم إلى الرحيل، ثم إلى الشجي، ثم إلى الحفر، ثم إلى ماوية، ثم إلى ذات العشر، ثم إلى اليسوعة، ثم إلى السمينة، ثم إلى النباج، ثم إلى العمومية (العوسجة)، ثم إلى القريتين، ثم إلى السوقة، ثم إلى صداه، ثم إلى السد، ثم إلى السقي، ثم إلى المثيبة، ثم إلى السفح، ثم إلى المريقة، ثم إلى اليمامة[٢٩].

وذكر (ابن خرداذبة)، طريقا بحريا يربط عمان بمكة المكرمة قبل الإسلام، يبدأ الطريق من عمان ثم إلى فرق، ثم إلى عوكلان، ثم إلى ساحل (هباه) و (هماه)، ثم إلى الشحر، وهي بلاد الكندر، ثم إلى مخلاف كندة، ثم إلى مخلاف الحج، ثم إلى عدن، ثم إلى مغاص اللؤلؤ، ثم إلى المتحلة، ثم إلى مخلاف الربق، ثم إلى المندب، ثم إلى مخلاف زبيد، ثم إلى غلافقه، ثم إلى مخلاف عك، ثم إلى الحردة، ثم إلى السرين، ثم إلى الخيار، ثم إلى الهرجاي، ثم إلى الشعيبة، ثم إلى جده، وهي اسلامية لم تكون موجودة قبل ظهور الإسلام، وانما ذكرت هنا لان هذا الطريق، كان يسلكها في الإسلام، ومن جده إلى مكة[٣٠].

وهكذا يتضح بأن التجارة وطرقها لم تكن امرا طارئا او جديدا على العرب، فقد عرفوا التجارة ومارسوها قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة، بحكم ثروات الجزيرة العربية والموقع الجغرافي الذي تتمتع به[٣١].

وكانت تجارة العرب حينذاك تنقسم إلى قسمين: تجارة داخلية وتجارة خارجية، واما الداخلية كانت بالأغلب تتم وتمارس بواسطة قوافل الابل عن طريق البر والصحراء وهنا ايضا تمارس التجارة الداخلية عن طريق الانهار في دجلة، والفرات، والنيل، واما التجارة الخارجية فكانت تتم عن طريق البحر، حيث كانت لهم موانئ شهيرة مثل عمان، وصحار، وعدن، وحضرموت، ومسقط، وجدة وغيرها، كما كانت لهم دراية بالرياح الموسمية التي كانوا يستغلونها في تسيير سفنهم جنوب الشرق وبالعكس، حيث يؤكد (نقولا زيادة): بأن العرب كانوا سادة طرق التجارة الموسمية حتى اواسط القرن الاول الميلادي، عندما اهتدى الرحالة هبالوس إلى سر الرياح الموسمية ومواعيد هبوبها، إذ ان اكتشاف سر الرياح الموسمية ادى إلى تنظيم السفر المباشر، ففي تموز كانت السفن تقلع من مصر إلى المحيط الهندي، والرياح الموسمية في اقوى هبوبها ويقضي التجار في الهند شهرين ليبيعوا بضائعهم وتجهيز السفن بالبضائع الجديدة، ويبحرون في تشرين الثاني فتنقلهم الرياح الموسمية الشتوية إلى عدن وفي شهر شباط تكون المتاجرة قد وصلت الاسكندرية[٣٢]، إذ كانت الطرق البحرية وسيلة مهمة في نقل البضائع وخصوصا منها ذات الحجم الكبير كالأخشاب مثلا[٣٣].

ومن الجدير بالذكر ان مجموعة الطرق التجارية البرية منها والبحرية، والمبينة سلفا، شكلت شبكة اتصالات مكنت المنطقة العربية ان تتصل بالعالم الخارجي، فنتج

عن هذا الاتصال قيام علاقات (اقتصادية، واجتماعية، وثقافية) وطيدة، والذي يعنينا هنا العلاقات الاقتصادية التي توطدت بين الاسواق التجارية في غربي البحر الابيض المتوسط، وبين الاسواق التجارية في مناطق الشرق الإسلامي، خصوصا في العصر العباسي الاول[٣٤].

وهنا يجب ان نذكر ان اختيار العباسيين للعراق ان يكون مركزا لحكمهم قد ساعد على نمو تبادل تجاري سلعي بين مركز الخلافة الإسلامية في العراق وبين البلدان البعيدة، لأن موقع العراق يمثل جسرا بين ايران والهند واواسط اسيا والصين من جانب، والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب من الجانب الاخر[٣٥].

وبنفس الطرق التجارية التي ترد عبرها السلع والبضائع التجارية إلى حاضرة الخلافة الإسلامية، تم تصدير السلع والبضائع إلى الدول المجاورة والبعيدة[٣٦]، فشغلت هذه الطرق حيزا من تفكير المسؤولين في الدولة العباسية فقامت الدولة بالاهتمام بهذه الطرق فأدامتها وامنتها وهيأت لها وسائل النقل اللازمة[٣٧]، فنجح العمل التجاري عند المسلمين حتى اصبحت تجارة المسلمين تحتل المكان الاول في التجارة العالمية[٣٨]، وسنرى ذلك من خلال انواع واعدادالسلع والبضائع الداخلة في التبادل التجاري السلعي– واردات وصادرات – بين الدولة الإسلامية في العصر العباسي والبلدان الاخرى.

المبحث الثاني

التبادل السلعي-الواردات والصادرات -في العصر العباسي الأول

أولا: السلع الواردة:

تقاطرت على الدولة العربية الإسلامية كميات هائلة من السلع والبضائع من اطراف العالم، ويعود هذا إلى عدة عوامل لعل من ابرزها:–

١– سهولة المواصلات بين حاضرة الخلافة العباسية (بغداد) وبين بلدان الشرق والغرب[٣٩].

٢– الثراء الواسع الذي بلغه العباسيون، ورغبتهم الشديدة في تزويد قصورهم بالسلع الثمينة والنادرة[٤٠].

٣– ولع التجار العرب وخاصة العراقيين منهم وبالذات اهل البصرة وحبهم للاسفار البعيدة شجع على تنشيط الحركة التجارية العالمية[٤١].

٤– التطور الكبير الذي حصل للدولة العربية الإسلامية نتيجة امتداد الفتوحات الإسلامية من اواسط اسيا حتى المحيط الاطلسي، فضلا عن سياسة الدولة الإسلامية في وحدة اقاليمها وازالة الحواجز الجمركية بينها، وإباحة حرية التجارة والعمل[٤٢]، فأدى إلى رفع مستوى المعيشة للسواد، مما زاد الطلب على السلع والبضائع للتوافق مع مظاهر الازدهار وضروريات الحضارة.

ولعلنا نجد في كتب البلدانيين والجغرافيين خير معين لنا على توضيح ما كان يرد الدولة العربية الإسلامية من اصناف البضائع والسلع والتي تستورد من مناطق مختلفة من العالم وابرزها ما يأتي:–

الصين:

كان التجار العرب يستوردون سلع وبضائع متنوعة ابرزها الذهب الذي يعد من الموارد المهمة في التجارة المستوردة من الصين إذ يشير (ابن خرداذبة) بأنه: ((في آخر الصين بإزاء قانصو جبال كثيرة... وهي بلاد الشيلا فيها الذهب الكثير))[٤٣]، اما (المسعودي) فيصف مناطق شرق الصين بقوله: ((وهي كثيرة الذهب حتى ان مقاود دوابهم وسلاحهم وسلاسل كلابهم ذهب يعملون القصب المنسوجة بالذهب ذات الشناشيل العجيبة))[٤٤]. كما يستوردون الفضة، وثياب الحرير والديباج، والسروج، واللبود، والغضائر الفاخرة، والكاغد (الورق) الجيد، والمداد، والطواويس، والدارصيني أي القرفة[٤٥]، والمسك الذي قال عنه (اليعقوبي) اذا قرب من ميناء الابلة: ((ارتفعت رائحته فلا يمكن للتجار ان يستروه من العشارين فإذا خرج من المركب جاءت رائحته وذهبت عنه رائحة البحر))[٤٦]. وكان العرب يكثرون من استخدام المسك[٤٧]. وافضله ما كان يؤتى به من مدينة خانقو، واقل منه جودة مسك قنبار، وكثيرا ما كان التجار يغالطون به وينسبونه إلى المسك التبتي[٤٨]. ومن العطور التي تجلب إلى الدولة العربية الإسلامية وخاصة من الصين العود الصنفي نسبة إلى البلد الذي يجلب منها وهي من نواحي الصين[٤٩]،ويستورد من الصين ايضا الجواري والخصيان والاقفال والعقاقير المختلفة[٥٠].

الهند:

ومن الهند كانوا يجلبون الاحجار الكريمة، والياقوت، والاطياب بأنواعها؛ العود، الصندل الابيض، والابنوس والكافور[٥١] من جزيرة طوران، والعنبر كان يؤتى به من سواحل الهند الداخلية واشهر العنبر المسمى (الكرك بالوس) الذي ينسب إلى قوم من الهند مختصين بجلبه، ويعرفون بالكرك بالوس، يأتون به إلى قرب سواحل عمان ويشتريه منهم اصحاب المراكب[٥٢]، ومن مندل الهندية يجلب العود الفاخر[٥٣].

واشتهرت الهند بخيراتها الوفيرة، مثل جوز الهند، والقرنفل من سفالة الهند، والفلفل[٥٤] من ملي وسندان، ثم الثياب الفاخرة المخملية المصنوعة من القطن[٥٥].

واشتهرت مدينة (القس) بأنواع الثياب الفاخرة والمآزر الملونة، وهي اجود انواع الثياب التي تصل من الهند، وكان يجلب من هذه المدينة ايضا النيل الذي يصبغ به الثياب، وهو من النوع الجيد[٥٦] ومن سرنديب (سيلان) كان يجلب الياقوت بأنواعه واشكاله، والدر، والبلور، والسبادج وهي مادة لعلاج الجواهر، واشتهرت كله[٥٧] بالرصاص المعروف بالقلعي الذي يصل منه كثيرا إلى العراق[٥٨]، ومن خور فوفل كان يجلب القنا (الرماح) والسيوف الهندية المشهورة بالجودة، ويؤكد (الحموي) بأنه لم يكن بالهند اجود من سيوف فوفل[٥٩].

وادخلت من الهند إلى البلاد العربية بعض المحاصيل الزراعية فقد ادخل إلى العراق في القرن الرابع الهجري اشجار البرتقال، والليمون[٦٠].

اواسط آسيا:

كان يجلب من خوارزم المسك الجيد، وفرو الثعلب، والسنجاب وبالذات السناجب الشديدة البياض المعروف بالقاقم[٦١]. ويجلب الفتك (الرصاص)، ومن سمرقند الكاغد والبغال[٦٢]. ومن خوارزم ايضا الشمع والنشاب والقلانس، وغراء المسك، واسنان السمك، والعسل والبندق والسيوف، والدروع، والرقيق والاغنام والبقر، ومن سمرقند الثياب السمرقندية والقدور الكبيرة الحجم المصنوعة من النحاس، ومن تركستان الثياب، ومن الشاش السروج الرفيعة، والجلود بعد ان تدبغ، والازر والمصليات، ومن فرغانة الثياب البيض والسيوف والرماح والنحاس والرقيق[٦٣]. ومن التبت افضل انواع المسك واحسنها رائحة، ثم يأتي بعده المسك الصفدي والمسك الطغرغري من ارض الترك وهو اقل جودة من المسك الصفدي[٦٤]. وعرفت ارض الترك انها مصدر الرقيق الابيض، ومن المعروف ان الخليفة المعتصم (٢١٨-

٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) اكثر من اقتناء الرقيق التركي حتى كون منهم جيشا يعتمد عليه، وكان هؤلاء الرقيق يجلبون إلى العراق عن طريق الحروب، ولكن لم يلبث الرقيق الذين يجلبون من هذا الطريق ان تضاءل ورودهم اثناء القرن الرابع الهجري، بسبب توقف النشاط العسكري وكانت بعض الولايات الإسلامية تقدم الرقيق إلى بغداد ضمن ما عليها من الخراج، فقد كان عبد الله ابن طاهر امير خراسان يرسل إلى بغداد سنويا الفين من الاتراك ويصل الرقيق إلى الدولة العربية الإسلامية ايضا عن طريق الشراء، وكانت هذه الطريقة في القرن الرابع الهجري الوسيلة للحصول على الرقيق، واصبحت سمرقند السوق الاول والمركز الرئيس لتدريبهم[٦٥].

بلاد فارس:

كان يجلب من مرو الجياد، والطنافس، والثياب المروية، ومن جرجان حب الرمان الجيد، والابريسم الفاخر، ومن آمد الثياب الموشية، والمناديل، والمقارم (نوع من الثياب)، والطيالس من الصوف، ومن الري الخوخ، والزئبق، والاسلحة،والثياب الرقاق، والامشاط،والقلانس،وثياب القيسيات والرمان،ومن اصفهان العسل، والسفرجل، والكمثرى، والتفاح، والزعفران، والملح، والاشنان، والاسفيداج (نوع من الطلاء الابيض)، والكحل، ومن قومس الفؤوس، والجتر (مظلة للوقاية من الشمس)، والطيالسة من الصوف، ومن كرمان الكمون، ومن فارس الثياب الكتان، ودهن النيلوفر[٦٦]، ودهن الياسمين، والاشربة، ومن قسا الفستق، واصناف الفواكه، والزجاج، ومن الاحواز السكر، والديباج، والخز[٦٧]. ويشيد (ابن رستة) بجودة الزعفران الذي كان يجلب من اصبهان، والاشنان الابيض الخالص، والستور الحسنة[٦٨].

وكانت ترد من طبرستان؛ اصناف الثياب الابريسم، والصوف، والقطن الغالية الثمن ومن نهاوند تحمل الفواكه إلى البلاد العربية لكثرتها، ومن بذخشان الاحجار الكريمة، والجواهر النفيسة[٦٩]. ومن دامغان، التفاح الجيد[٧٠]. ومن قاشان[٧١] تجلب

الغضائر القاشانية، ومن قابن[٧٢] يحمل البز، واشتهرت كازرون[٧٣] بتمرها الجيد الذي كان يحمل إلى العراق على ما في العراق من انواع التمور الجيدة[٧٤] وكذلك تشتهر بالثياب الكتانية[٧٥].

أرمينية:

كانوا يستوردون الخز الارمني الذي اكتسب شهرة كبيرة لجودته، إذ كان يفرش على كرسي الخليفة ليجلس عليه، كما ان مجلس الخليفة كان معظمه من الفرش الارمني صيفا وشتاءا[٧٦]، ومنها كانت تستورد اللبود، والفرش، والبسط، والرقاق، والصوف[٧٧]، والوسائد، والمقاعد المصبوغة بالقرمز، وهو صبغ احمر يصبغ به عادة المرعزي والصوف، والتكك منها كان يجلب السمك بعد ان يملح في الموصل ونواحي العراق الاخرى، وملح البورق الذي يستعمله الخبازون[٧٨]، ونوع آخر من هذا الملح يدخل في صناعة الصباغة خاصة في الفضة والذهب، ومنها ايضا كانت ترد البغال والجياد، واشتهرت تفليس بالزئبق والعبيد، والدواب التي توصف بقوة صبرها وجلدها، وكذلك يأتي الابريسم من دمياسين وهي من نواحي تفليس، والاكسية والبسط الرقيقة، والصوف الرفيع والخز[٧٩]، وكانت تصل منها ايضا اواني الفضة، والذهب، والدنانير الخالصة القيرانية، العقاقير، والديباج، والاقفال المحكمة، والجواري الروميات والصقالبة[٨٠]، وجلود الخز والوبر ومن الطيب الميعة[٨١]، ومن الاحجار الكريمة المرجان[٨٢]، والثياب الكتانية والازر والبسط[٨٣].

سواحل افريقيا الشرقية:

كان يؤتى بالصبر وانواع مختلفة من العقاقير والرقيق الاسود من الزنوج من الحبشة والسودان[٨٤]، وكانوا يصلون إلى العراق عن طريق مصر او من ونمبار عن طريق البحر[٨٥]. ويؤتى بالعاج ومسحوق الذهب (التبر) والعنبر الداكن والتوابل[٨٦].

المغرب والاندلس:

كان يأتي منها إلى دار الخلافة العباسية التمور والبزاة، واللبود[٨٧]، والعنبر المعروف بالعنبر المغربي الذي يؤتى به من بحر الاندلس فينقله التجار إلى مصر ومنها إلى بغداد[٨٨]، والزئبق وانواع من اللبود والاكسية والبسط الرقيقة والفرش، والصوف والخز، ومن قرطبة كانت تجلب الدواب وخاصة البغال التي توصف بجمالها والوانها وعلوها وقوتها[٨٩]، ومن لبلة يجلب العصفر الجيد والعناب الذي لا نظير له في سائر البلدان وكذلك يعمل بها الاديم الجيد[٩٠]، والجنطانيا (نوع من العقاقير)[٩١]، ومن سائر الاندلس كانت تجلب الجواري الاندلسيات[٩٢]، كما ان الزيت الاشبيلي كان يصل إلى الاسكندرية والمواشي[٩٣]، وتشتهر اشبيلية بجودة قطنها الذي يعم الاندلس ويصدر إلى افريقيا وباقي الولايات[٩٤].

لا شك ان هذه الامثلة من السلع والبضائع التي كانت تصل إلى مركز الخلافة للدولة العربية الإسلامية وباقي اقاليمها، تدل على وثاقة الصلة التجارية بين الدولة العربية الإسلامية وبين هذه الولايات والدول، وكانت هذه السلع ترد باستمرار إلى بغداد، بإستثناء فترات المعرقلات، ويصف (ابن الاثير) كثرة ما كان يرد إلى بغداد منها في بداية سنة (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) بقوله: ((ورد إلى ميناء بغداد اكثر من مائتي سفينة محملة بصنوف البضائع))[٩٥]. ومعظم هذه البضائع كان يجلبها تجار عراقيون خاصة من اهل البصرة.

ثانيا: السلع الصادرة او المصدرة:

كانت الدولة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي الأول تقوم بتصدير الكثير من السلع والبضائع إلى انحاء مختلفة من العالم عن طريق البر والبحر ضمن

علاقاتها التجارية وتبادلها السلع مع هذه المناطق، خاصة السلع التي تفتقر إليها هذه المناطق ويتم انتاجها وتصنيعها في اراضي الدولة العربية الإسلامية وهي بحاجة إليها، نظرا لما تتمتع به هذه الاراضي من خيرات وفيرة من حاصلات زراعية وصناعية يزيد انتاجها عن حاجة سكانها. وسنذكر هنا اهم المنتجات المصدرة إلى الخارج من مراكزها :-

العراق:

يورد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) وصفا دقيقا لما تنتجه مدن العراق المختلفة بقوله: ((ولهم الذي لا يشركهم فيه احد الثياب البيض المروية، والزجاج المحكم من الاقداح والاقحاف والكاسات والطاسات، والغضائر الحجرية))[٩٦] فقد برع اهل بغداد في انتاج وتصدير الثياب بأنواعها؛ القطنية، الحريرية، والمناديل، والازر، والعمائم، والاواني الزجاجية، والخزفية، والمعدنية،والمعاجين،والعقاقير[٩٧].

اما البصرة فيصدر منها التمور بأنواعها العديدة، والتي يذكر (الجاحظ) ان بها من انواع التمور (٣٦٠) نوعا[٩٨]، ولا شك ان هذا الانتاج الكبير من التمور كان يزيد على حاجة البلاد، وبهذا اهتموا بتصدير كميات كبيرة من التمور إلى الخارج ويشير (ابن الفقيه)، كان التجار العراقيون يأتون بأجود انواع التمور إلى جزر (سومطرة)، وجاوة، وبورينو، حيث تلقى رواجا هناك[٩٩].

ويذكر (الزهري): ((ان جزائر بحر الصين لا تعرف التمر والعنب الا ما يجلب اليها من بلاد العراق وايران))[١٠٠]. ولم يصدر العراق التمور وحدها بل كان يصدر انواعا من الفواكه حتى قيل: ((رطب العراق وعنب بغداد ونارنج البصرة وباقلاء الكوفة))[١٠١]، وإلى جانب التمور اشتهرت مدينة البصرة بصناعة النسيج من

الخز والبز، وازدانت اسواقها بأنواع اللآلئ والجواهر وذلك لقربها من الخليج العربي مصدر هذه الاصناف[١٠٢]، وكان للبصرة مواسم خاصة تصدر منها صبغة الحناء، وانوعا من الاطياب مثل ماء الورد المستخرج من البنفسج وغيره من الرياحين[١٠٣].

اما باقي مدن العراق فقد كان يصدر من (الأبلة) ثياب الكتان الرفيع والمناديل والعمائم[١٠٤] ومن (الكوفة) الخز والديباج والعمائم التي اشتهرت بها مدينة الكوفة، والطيب المستخرج من البنفسج الذي كان يصدر إلى الجزيرة العربية واليمن والصين والهند[١٠٥]. ومن (واسط) الفرش التي تحمل إلى ارمينية، فضلا عن تصدير اسماكها مثل الشيم، والبني، كما اشتهرت بالستور التي تنسب إليها[١٠٦]. ومن (ميسان) الوسائد، والستور، والبسط، والارز، والسمك الذي كان يصدر إلى الخارج بعد ان يملح[١٠٧]. ومن (الموصل) الجلود وخاصة جلد البغال، والمنسوجات، والحنطة، والشعير، والعسل، والجبن، والسمن، والسماق، وحب الرمان، والملح، والقير، والحديد، والسلاسل[١٠٨]، ومن (آمد) الطيالسة من الصوف والثياب الموشيه، والمناديل، والمقارم (نوع من الثياب)، وثياب الكتان والصوف[١٠٩]، ومن حران القطن، والعسل، والموازين، ومن (نصيبين) الرصاص، والموازين، والفواكه المقدودة، وحجر الزجاج الغاض، ومن (الجزيرة) الفواكه المجففة، والخيل الاصيلة، ومن (الرقة) الصابون، والزيت، والاقلام[١١٠]، ومن (حلوان) التين، والرمان، ومن (عين التمر) التمور المختلفة[١١١]، ومن بلد (حربي) الثياب القطنية التي تصدر إلى الخارج[١١٢].

منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية:

صدرت منطقة الخليج العربي وسواحل جنوب الجزيرة العربية ما كانت تشتهر به من سلع وبضائع ابرزها؛ اللؤلؤ، والذي تركزت مناطق استخراجه في جزيرة خارك،

وقطر، وعمان[١١٣]. واللؤلؤ العماني من اثمن انواع اللؤلؤ وافضلها، إذ كان يباع بأثمان عالية في بلاد الشرق الاقصى[١١٤] والتجار الذين قصدوا عمان من الخارج كانوا يخبئون اللؤلؤ تهربا من دفع المكوس[١١٥]، ويشير (الجاحظ): ((ان ثمن اللؤلؤ الصافي العماني يقدر حسب صغر حبه ونقائه، فقد تباع الحبة التي تزن نصف مثقال بألف مثقال ذهب في حين ان ما بلغ منها مثقالين فإن ثمنها دون ذلك، علما بأن اللؤلؤ هو الدر، وان صغار اللؤلؤ تسمى مرجانة))[١١٦].

كما ينتشر اللؤلؤ في البحرين، إذ كان اشهر مغاص له في جزيرة (اوال)[١١٧]، وتشكل تجارته المادة الرئيسة لتجارة البحرين، كما يغاص للبحث عنه في جزيرة قيس ايضا[١١٨].

كذلك ان تجارة الخيول العربية كانت مزدهرة ونشطة وتصدر من منطقة الخليج العربي إلى الشرق الاقصى[١١٩]. ومصدرها الاصلي في عمان، والبحرين، والعراق، واليمن (ظفار) وتعد هرمز في الخليج العربي مركزا مهما لتجمعها وتوزيعها[١٢٠]. وبعضها يبادل بسلع الشرق الاقصى في موانئ الخليج والجزيرة العربية، ومن هناك تنقل إلى الهند والصين لتباع بأثمان باهضة قد تبلغ مائة مارك فضة[١٢١].

وتشير المصادر، ان هرمز يتجمع فيها ما لا يقل عن (٤٠٠ تاجر) هندي سنويا، لشراء الالاف من الخيول التي تباع بأسعار باهظة في بلادهم، وتعد الخيول (العراب) من اشهر انواع الخيول التي تلقى رغبة عند التجار[١٢٢].

وصدرت المنطقة انواعا مختلفة من الاطياب؛ كالعنبر، والمسك، والبخور، إذ يعد العنبر العربي من افضل انواع العنبر، ويلتقط من شواطئ جنوب الجزيرة العربية،

ويدخل في صناعة الروائح العطرية كمادة خام بمزجه مع مواد اخرى[١٢٣]. وإلى جانب العنبر هناك المسك الداريني نسبة إلى دارين بالقرب من البحرين، وهو من انواع العليك الذي لا يجف ابدا، اما المسك الاذفر فانه يوجد في جنوب الجزيرة العربية ومنطقة قلهات في عمان[١٢٤].

اما البخور فان المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية قد اختصت بانتاج احسن انواعه المعروف بـ(اللبان) الذي هو عصارة شجرة اللبان، والتي تعد ظفار بحضرموت مركز انتاجه الرئيسة، حتى انه كان يشار إلى حضرموت باسم (اللبان)، وينقل منها إلى بلاد الشرق الاقصى وخاصة الصين[١٢٥]. كما كان يصدر من المنطقة فضلا عما ذكر؛ البرود، والادم، والكندر[١٢٦]، والورس[١٢٧]، والزرافات، والجواميس، والبغال، والحمير[١٢٨]، والوشي، وسائر انواع الثياب، وفصوص العقيق التي تجلب من اليمن بأنواعها المختلفة فمنها البقراني، والسعواني، والجزع.

مصر:

نقل التجار العرب منها إلى الخارج انواعا مختلفة من السلع والبضائع مثل الثياب الرقاق، والقراطيس، ودهن البلسان، والزبرجد، والحمير والبغال[١٢٩]، والدقيق[١٣٠]، والكاغد السلطاني العريض، ومنها كانت تصدر الاقمشة المشهورة مثل الديبقي من تنيس ودمياط، والستور والبسط من البهنسا[١٣١]. والمنسوجات الصوفية المعمولة في اسيوط، حتى عرف في الخارج بالصوف المصري[١٣٢].

بلاد الشام:

كانت تصدر اصناف مختلفة من التجارات مثل الدقيق[١٣٣]، والزيت، والزبيب، والقطن، والصابون، والتفاح، والزيتون، والتين، والسكر، والزجاج، والادوات الزجاجية، والمنسوجات الحريرية والقطنية، وغيرها من السلع والادوات[١٣٤].

الخاتمة:

- ان توافر طرق التجارة البرية والبحرية في الدولة العربية الإسلامية قد ساهم في قيام نشاط تجاري كبير وناجح – داخليا وخارجيا – استخدمت فيه الحيوانات والمراكب كوسائط نقل للبضائع الداخلة في عملية التبادل ضمن هذا النشاط.
- ان تعدد الطرق في طبيعتها واتجاهات مساراتها ساعد على نمو نشاط تجاري ناجح، بالرغم من ان هذه الطرق لا تلتزم خطا مستقيما في سيرها، علما ان الطرق البرية اكتسب بعضها شهرة واسعة كطريق الحرير، كما ان بعض من هذه الطرق لا تصلح لحركة التجارة الدائمية لاسيما خلال موسم سقوط الامطار، فأصبحت بذلك طرق تجارية فصلية (موسمية).
- اما وجود الطرق البحرية ووجود الرياح الموسمية التي تسود بلاد العرب، فانها كانت عوامل مهمة في نجاح النشاط البحري إلى حد كبير، فمن خلال هذه الطرق تم ربط المنطقة العربية بالشرق الاقصى وبمناطق البحر الابيض المتوسط. فتعددت هذه الطرق وكما كان قد حدث في الطرق البرية من حيث شهرة بعضها، فإن الطرق البحرية اشتهر منها طريق البخور.
- اما بالنسبة للتبادل السلعي العالمي فقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت على نجاحه، كسهولة المواصلات بين الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي مع اطراف العالم، وكذلك ثراء العباسيين ورغبتهم في جلب السلع الثمينة والنادرة، وكذلك ولع التجار العرب وحبهم للاسفار، فضلا عن التطور الكبير الذي حصل للدولة العربية الإسلامية نتيجة امتداد الفتوحات الإسلامية مما زاد الطلب على السلع والبضائع المتعددة.
- كانت اهم الدول التي تورد السلع والبضائع للدولة العربية الإسلامية؛ الصين، والهند، وبلاد فارس، وارمينية، وسواحل افريقيا الشرقية. اما السلع التي كانت تصدر إلى الخارج فكانت تصدر من؛ العراق، ومنطقة الخليج العربي والجزيرة العربية. وكانت السلع الواردة والمصدرة كثيرة ومتنوعة تشمل؛ الاطعمة والاطياب، والفرش، والملابس، والاسلحة.... الخ من المواد التي يحتاجها الانسان في حياته اليومية حيث تصدر السلع والبضائع من اماكن وفرتها إلى اماكن ندرتها.

هوامش ومصادر البحث:

(١) شريف، ابراهيم: الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه حتى الفتح العربي، بغداد: بلا، 2/301.

(٢) ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت،300هـ/912م): المسالك والممالك، تحقيق: دي غويه، ليدن: مطبعة بريل، 1889م، 153-154؛ ابو العلا، محمود طه: جغرافية شبه الجزيرة العربية، القاهرة، 1972، 124.

(٣) حمدان، جمال: انماط النبات، القاهرة: بلا، 1969م، 99.

(٤) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت: دار العلم للملايين، 1971م، 2/232.

(٥) علي،م.ن،2/317-321؛فروخ، عمر :تاريخ الجاهلية، بيروت:1964م،34-35.

(٦) ابو العلا، م. س، 1/117.

(٧) جرها: وهي سوق لبني تميم في الاحساء ذكرها الهمداني بإسم جرعاء: ينظر: الهمداني، الحسن بن احمد(ت،334هـ/945م): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، بغداد: مطابع دار الشؤون الثقافية، 1989م، 251.

(٨) مأرب: وهي بلاد الازد باليمن بين حضرموت وصنعاء، وليس بها عامر الا ثلاث قرى يقال لها الدروب، وهي درب آل الغشيب ودرب كهلان ودرب الحرمة: ينظر: ياقوت، شهاب الدين الحموي (ت،626هـ/1228م): معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977م، 5/34-35.

(٩) البتراء: وهو موضع لبني لحيان مر به رسول الله (ﷺ) وهو في طريقه الى غزوة تبوك: ينظر: ياقوت، م. س، 1/335.

(١٠) الهمداني، م. س، 251.

(١١) الهمداني، م. ن، 250.

(١٢) الهمداني، م. ن، 250.

(١٣) ابو العلا، م. س، 5/127؛ مونرو، اليزابيث: ((الجزيرة العربية بين البخور والبترول))، ترجمة: محمد محمود، مجلة الدارة، العدد الاول، الرياض: 1976م، 35؛ الانصاري، عبد الرحمن: ((لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية))، مجلة الدارة، العدد الاول، الرياض: 1975م،87.

(١٤) ابن خرداذبة، م. س، 97-99.

(١٥) الفرات بن حبان بن بكر بن وائل بن ربيعة العجلي، حليف ابي سفيان بن حرب، وكان من اهدى الناس بالطرق: ينظر: ابن حبان، ابي حاتم محمد البستي (ت،354 هـ/ 965م): تاريخ الصحابة، ط1، تحقيق: بوران الضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م، 207.

(١٦) الطبري، محمد بن جرير (ت،310هـ/ 922م): تاريخ الرسل والملوك، ط2، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1960م،2/492.

(١٧) الهمداني، م. س، 299-301.

(١٨) زيادة، نقولا: العالم القديم، يافا: 1946م، 2/193-194؛ الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت: مكتبة المدارس ودار الكتاب اللبناني، 1962م، 222.

(١٩) غالب، سعدي علي:((طرق القوافل في محافظة الانبار))، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي في جامعة الانبار،13-15/ 4/1992م، 3.

(٢٠) حمدان، م. س، 100.

(٢١) موسكاتي، بيتو: الحضارة السامية القديمة، ترجمة: الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1985م، 212-213.

(22) J.C. ,Van Leur, Indonesian Trade and Society, Bandung , 1960, P. 53 .

(٢٣) حوراني، جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، 1985م، 85-86.

(٢٤) حوراني، م. ن، 62.

(٢٥) زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، 215 -216.

(٢٦) مصطفى، سعد: الاسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة: 1960م، 127.

(٢٧) ابن خرداذبة، م. س، 60.

(٢٨) ابن خرداذبة، م. س، 151.

(٢٩) القلقشندي، احمد بن عبد الله (ت،821هـ/1418م): صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، د. ت، 5/61.

(٣٠) م. س، 147-148؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 7/364.

(٣١) البيروني، محمد بن احمد (ت،440هـ/ 1048م): الاثار الباقية عن القرون الخالية، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت،328؛ البكر، منذر عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام (تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن)، البصرة: مطبعة جامعة البصرة، 1980، 382.

(٣٢) الجغرافية والرحلات عند العرب، 218. اختلفت تسميات الاشهر عند الاقوام والشعوب؛ فعند العرب المسلمين سمي الشهر السابع رجب، وعند العرب قبل الاسلام سمي الاصم، وعند الروم يوليوس او ابريل، وعند البربر والسريان سمي

نيسان، وهكذا اختلفت التسميات لباقي شهور السنة، لمزيد من التفاصيل ينظر: البيروني، محمد بن احمد(ت،440هـ/ 1048م): الاثار الباقية عن القرون الخالية، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت، 69-71؛ شيخ الربوة، محمد بن ابي طالب (ت،727هـ/ 1329م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت، 276.

(٣٣) شاخت وبوزورث: تراث الاسلام، ط2، ترجمة: د. محمد زهير السمهوري وآخرون، تعليق وتحقيق: د. شاكر مصطفى، مراجعة: د. فؤاد زكريا، الكويت: عالم المعرفة، 1988م، 1/ 315.

(٣٤) مصطفى، شاكر: المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ط1، الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م 2/ 428-429.

(٣٥) الدوري، عبد العزيز (الدكتور): تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م، 119.

(٣٦) الكبيسي، حمدان عبد المجيد (الدكتور): ((التجارة الداخلية والخارجية))، حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985م، 5/318.

(٣٧) الكبيسي، م. ن، 5/ 321.

(٣٨) متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله الى العربية: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط3، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1377هـ /1957م، 2/ 365.

(٣٩) الطبري، م. س، 7/615-617؛ الدوري، م. س، 110.

(٤٠) البلوي، عبد الله بن محمد المديني (ت،٣٣٥هـ/ ٩٤٦م): سيرة ابن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، دمشق: المكتبة العربية، د. ت، ٣٧.

(٤١) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): البخلاء، دمشق: المكتب العربي، ١٩٣٨م، ١٣٠؛ ابن الفقيه، احمد بن ابراهيم (ت،٢٩٠هـ/٩٠٢م): مختصر كتاب البلدان، ليدن: بريل، ١٩٠٢م، ٥٣.

(٤٢) الجيغيفي، فاضل غزاي عبد: الاوضاع الاقتصادية في العراق في عصر المتوكل على الله (٢٣٢هـ-٢٤٧هـ/ ٨٤٦م-٨٦١م)، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م، ١٧٦.

(٤٣) م. س، 70.

(٤٤) علي بن الحسين (ت،٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء من العمران، بيروت: دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، ٦٧.

(٤٥) القرفة: وهي لحاء شجرة تؤخذ على شكل قشور وتستخدم مطبوخة في حفظ الاطعمة، وتعرف بخشب الصين لان مصدرها الاصلي جنوب الصين، لذلك سميت بالدار صيني، وتستخدم في صناعة العقاقير الطبية فضلا عن استخدامه في الاطعمة، ويمتاز بطعمه ورائحته الزكية: ينظر: ابن الفقيه، م. س،٢٧٠؛ ابن البيطار، عبد الله بن احمد (ت،٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): الجامع لمفردات الادوية والاغذية، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت، ٢/ ٨٣.

(٤٦) احمد بن ابي يعقوب (ت،282ه/895م): البلدان، ليدن: بريل،1882م، 365.

(٤٧) فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1973م، 288.

(٤٨) اليعقوبي، م. س، 366.

(٤٩) المسعودي، اخبار الزمان، 59.

(٥٠) الجاحظ، التبصر في التجارة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1966م، 26.

(٥١) الكافور: وهو عبارة عن صمغ شجرة، استخدم في صناعة العقاقير الطبية وقد زرع في مناطق مختلفة من الهند، حتى ان (ابن رستة) يؤكد بأنه ظهر في جزيرة طوران الهندية منذ ٢٢٠هـ:ينظر: ابن رستة، احمد بن عمر (ت،٢٩٠هـ/٩٠٢م): الاعلاق النفيسة، ليدن: بريل، ١٨٩١م، ١٣٨؛ ابن خرداذبة، م. س، ٦٥.

(٥٢) اليعقوبي، م. س، 367.

(٥٣) ياقوت، م. س، 5/209.

(٥٤) الفلفل: وهو انتاج نباتي ذو لون ابيض واسود واستخدمه العرب منذ القدم وموطنه الاصلي مدينة مليبار بالهند حتى سميت ببلاد الفلفل وذلك لانتشار الزراعة فيها، وكان العرب حريصون على استيراده للحصول على الارباح الطائلة من تجارته، بسبب كثرة الطلب عليه واستخداماته الواسعة بين الناس: ينظر: ابن خرداذبة، م. س، ٧٠-٧١؛ سونيا هاو: في طلب التوابل، ترجمة: محمد عزيز رفعت، مصر :مكتبة النهضة،١٩٥٦م،٣٢-٣٣.

(٥٥) ابن خرداذبة، م. س، 71.

(٥٦) ياقوت، م. س، 4/346.

(٥٧) كله: فرضة بالهند تقع عند منتصف الطريق بين عمان والصين: ينظر: م. س، 4/478.

(٥٨) ابن خرداذبة، م. س، 70.

(٥٩) ياقوت، م.س، 2/400.

(٦٠) سرور، محمد جمال الدين: تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، القاهرة: دار الفكر العربي، 1965م، 127.

(٦١) شيخ الربوة، محمد بن طالب (ت،727هـ/ 1326م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد: مطبعة المثنى، د. ت،47.

(٦٢) الجاحظ، التبصر في التجارة، 32.

(٦٣) المقدسي، محمد بن محمد البشاري(ت، 375هـ/985م): احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن: بريل، 1906م، 325.

(٦٤) اليعقوبي، م. س، 365–366.

(٦٥) الدوري، م. س، 76–77.

(٦٦) النيلوقر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة: ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت،١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، مصر: المطبعة الجبرية، ١٨٨٨م، ٥/ ١٥٤.

(٦٧) الجاحظ، التبصر في التجارة، 29.

(٦٨) ابن رستة، م. س، 153.

(٦٩) ابن حوقل، محمد بن علي (ت،367هـ/977م): صورة الارض، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م، 368.

(٧٠) ياقوت، م. س، 2/ 433.

(٧١) قاشان، من بلاد فارس فتحها الضحاك بين قيس عنوة سنة (٢٣هـ) وهي قرب قم: ينظر: البلاذري، احمد بن يحيى (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): فتوح البلدان، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٨م، ٤٧٨. الغضائر: الطين الحر وقيل الطين اللازب الأخضر: ينظر: إبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت،٧١١هـ/١٣٣١م): لسان العرب، بيروت: دار صادر، ٥/٢٣.

(٧٢) قابن: بلدة بين نيسابور واصبهان: ينظر: ياقوت، م. س، 4/301.

(٧٣) كازرون: مدينة مشهورة بفارس بين البحرين وشيراز وهي بلدة عامرة كبيرة وهي دمياط الاعاجم: ينظر: ياقوت م. س، ٤/ ٤٢٩.

(٧٤) البلاذري، م. س، 478.

(٧٥) ياقوت، م. س، 4/ 429.

(٧٦) ابن حوقل، م. س، 343–345.

(٧٧) الصابئ، الهلال بن المحسن (ت، 448هـ/1056م): رسوم دار الخلافة، تحقيق: ميخائيل عواد، بغداد: مطبعة العاني،1964،90.

(٧٨) ابن حوقل، م. س، 345–346.

(٧٩) الجاحظ، التبصر في التجارة، ٢٦؛ القزويني، زكريا بن محمد (ت، ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م): آثار البلاد واخبار العباد، بيروت: دار صادر، د.ت، ٥١٩.

(٨٠) اليعقوبي، م. س، ٢٤٨؛ الرامهرمزي، برزك بن شهريار (ت، منتصف القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي): عجائب الهند وبره وبحره وجزائره، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٣م، ٢٩.

(٨١) الميعة: عطر طيب الرائحة جدا، وهو عبارة عن صمغ يسيل في شجر الروم: ينظر: الزبيدي، م. س، 5/ 148.

(٨٢) ابن خرداذبة، م. س، 92.

(٨٣) الدوري، م. س، 141.

(٨٤) زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي، القاهرة: مطبعة دار الهلال، 1958م، 5/39.
(٨٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: الشيخ قاسم الشماع الرفاعي، بيروت: دار القلم،1989م،1/141.
(٨٦) ريسلر، جاك. س: الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة،1966م، 129.
(٨٧) الجاحظ، التبصر في التجارة، 27.
(٨٨) اليعقوبي، م. س، 129.
(٨٩) القزويني، م. س، 552.
(٩٠) القزويني، م. ن، 555.
(٩١) ياقوت، م. س،5/ 10.
(٩٢) ابن خرداذبة، م. س، 92.
(٩٣) الجاحظ، التبصر في التجارة، 234.
(٩٤) ابن غالب الاندلسي، محمد بن ايوب (من رجال القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي): فرحة الانفس في تاريخ الاندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مدريد: المعهد المصري للدراسات الاسلامية، ١٩٦٥م،٢٣؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت،٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م): الروض المعطار في خبر الاقطار ،تحقيق:احسان عباس، بيروت: نشر دار القلم للطباعة، ١٩٧٥م، ٢١.
(٩٥) علي بن محمد (ت،630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، 1965م، 5/ 231.
(٩٦) التبصر في التجارة، 39.
(٩٧) الجاحظ، م. ن، 39؛ المقدسي، م. س، 129.
(٩٨) الجاحظ، التبصر في التجارة، 40.
(٩٩) م. س، 35.

(١٠٠) محمد بن ابي بكر (ت، في اواسط القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي): كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٦٨م، ١٨.
(١٠١) النويري، احمد بن عبد الوهاب (ت،٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الارب في فنون الادب، القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، د. ت، ١/ ٣٧١.
(١٠٢) النويري، م. ن، 1/ 129.
(١٠٣) النويري، م. ن، 1/ 128.
(١٠٤) المقدسي، م. س، 128.
(١٠٥) الجاحظ، التبصر في التجارة، 26؛ الزهري، م. س، 53.
(١٠٦) اليعقوبي، م. س، 322.
(١٠٧) الدوري، م. س، 139.
(١٠٨) المقدسي، م. س، 145.
(١٠٩) الجاحظ، التبصر في التجارة، 40.
(١١٠) المقدسي، م. س، 145.
(١١١) ياقوت، م. س، 4/ 176.
(١١٢) ياقوت، م. ن، 2/ 237.
(١١٣) ابن رستة، م. س، 87.
(١١٤) الجاحظ، التبصر في التجارة، 12؛ النويري، م. س، 1/ 269.
(١١٥) متز، م. س، 2/ 325.
(١١٦) التبصر في التجارة، 12-13.
(١١٧) المقدسي، م. س، 101.
(١١٨) ابن خرداذبة، م. س، 62.
(١١٩) ريسلر، م. س،130؛ فهمي، م. س،120.
(١٢٠) القلقشندي، م. س، 5/81.

(١٢١) متز، م. س، 2/ 342.

(١٢٢) القلقشندي، م. س، 5/ 81.

(١٢٣) لومبار، موريس: الاسلام في مجده الاول (القرن 2-5هـ)، ترجمة: اسماعيل العربي، الجزائر: 1984م، 282.

(١٢٤) الزهري، م. س، 27.

(١٢٥) الاصطخري، ابراهيم بن محمد الكرخي (ت، في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي): المسالك والممالك، تحقيق: الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي،١٩٦١م، ٢٧؛ زيادة، ((الجزيرة العربية في اخبار المؤلفين الصينيين))، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٦، ١٩٧٨م، ١٣٣-١٤٠.

(١٢٦) الكندر: ثمر يدخل في تركيب بعض الادوية تنفع لقطع البلغم: ينظر: الجاحظ، التبصر في التجارة، ٢٧؛ الفيروآبادي، محمد بن يعقوب (ت،٨١٧هـ/ ١٤١٤م): القاموس المحيط في اللغة، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٥٢م، ٢/١٢٩.

(١٢٧) الورس: نبات كالسمسم لا يزرع الا باليمن يبقى لعشرين سنة نافع للكلف طلاءا وللبهق شربا، وينبت بالحبشة ولكنه اقل جودة: ينظر: الفيروزآبادي، م. س، ٢/٢٥٧.

(١٢٨) القلقشندي، م. س، 5/81.

(١٢٩) الجاحظ، التبصر في التجارة، 35.

(١٣٠) اليعقوبي، م. س، 250.

(١٣١) زيدان، م. س، 5/ 45.

(١٣٢) الجاحظ، التبصر في التجارة، 27.

(١٣٣) متز، م. س، 2/390.

(١٣٤) ينظر: المقدسي، م. س، 180- 184.

دور فقهاء الصحابة في مدرسة الكوفة

د. قحطان حمدي محمد

جامعة تكريت/ مركز صلاح الدين الايوبي للدراسات التاريخية والحضارية

مُقدِّمة

الحمد لله الذي جاء بالمرشدين من الرحمة المهداة (ﷺ) إلى الفقهاء الكرام من الصحابة(رضي الله عنهم) والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين والائمة المجتهدين في الدين منهم الامام الاعظم النعمان بن ثابت مؤسس مدرسة الكوفة رحمه الله وجعل الجنة مأواه، فقد كان فقيها مربيا موجها، وقد قسّمت بحثي إلى مباحث هي:

المبحث الاول: نبذة عن الكوفة.

المبحث الثاني: مدرسة الكوفة وفقاؤها.

المبحث الثالث: المدارس الفقهية.

المبحث الرابع: الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان امام مدرسة الكوفة.

أسأله تعالى أن يوفقنا للخير والصواب .. ومن الله التوفيق.

المبحث الأول
نبذة عن الكوفة

أولا – نبذة عن الكوفة:

الكوفة: بالضم المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم خدّ العذراء، قال ابو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها أخذا من قول العرب. رأيت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة، وقيل: سمّيت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوَّف الرمل، يتكوف تكوفا اذا ركب بعضه بعضا، ويقال: أخذت الكوفة من الكوفان. يقال: هم في كوفان، أي: في بلاء وشر، وقيل: سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد من قول العرب قد أَعطيتُ فلانا كيفة أي قطعة، ويقال: كف أكيف كيفا اذا قطعت، فالكوفة قطعة من هذا انقلبت الياء فيها واوا لسكونها وانضمام ما قبلها، وقال قطرب: يقال القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم. قال ابو القاسم: قد ذهبت جماعة إلى انها سميت كوفة بموضعها من الارض، وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة، وقال ابن الكلبي: سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له: كوفان، وعليه اختطت مهرةُ موضعها وكان هذا الجبل مرتفعا عليها فسميت به فهذا في اشتقاقها كافٍ، وقد سماها عبدة بن الطبيب كوفة الجند فقال:

إن التي وضعت بيتا مهاجرةً بكوفة الجند غالت ودّها غولُ (١)

وقال المقدسي: الكوفة قصبة جليلة خفيفة حسنة البناء جليلة الاسواق كثيرة الخيرات جامعة رفقة مصّرها سعد بن ابي وقاص(رضي الله عنه) أيام عمر(رضي الله عنه) وكلّ رمل خالطه حصى فهو كوفة ألا ترى إلى أرضها، واول من نزلها من الصحابة علي بن ابي طالب(رضي الله عنه) وتبعه عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه) وأبو الدرداء(رضي الله عنه) ثم تتابعوا كلّها،

والجامع على ناحية الشرق على اساطين طوال من الحجارة الموصّلة، بهيٌّ حسن والنهر على طرفها من قبل بغداد، ولهم آبار عذيبية حولها نخيل وبساتين ولهم حياض وقنى وحمّلة الكُناسة قبل البادية، وهو بلد مختلٌ قد ضربت اطرافه وقد كان نظير بغداد .. وهي سوق واحد الجامع فيه سورا مدينة بها فواكه كثيرة واعناب(٢).

وقال امام اللغويين الفقيه الزبيدي – رحمه الله–:

الكوفة بالضم: الرملة الحمراء المجتمعة، وقيل: المستديرة، او كل رملة تخالطها حصباء او الرملة ما كانت، الكوفة: مدينة العراق الكبرى وهي قبة الاسلام ودار هجرة المسلمين. قيل: مصّرها سعد بن ابي وقاص وكانت قبل ذلك منزل نوح (عليه السلام)، وبنى مسجدها الاعظم واختلف في تسميتها، فقيل: سمّي هكذا في النسخ وصوابه سميت لاستدارتها وقيل بسبب اجتماع الناس بها وقيل: لكونها كانت رملة حمراء أو لاختلاط ترابها بالحصى، قاله النووي(٣).

ثانياً - خطط الكوفة:

كتب عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) إلى سعد بن ابي وقاص(رضي الله عنه) لما افتتح العراق يأمره أن ينزل بالكوفة ويأمر الناس ان يختطوها فاختطت كلّ قبيلة مع رئيسها فأقطع عمر(رضي الله عنه) اصحاب رسول الله(ﷺ)، فكانت عبس إلى جانب المسجد، ثم تحول قوم منهم إلى اقصى الكوفة، واختط سلمان بن ربيعة البأهلي والمسيب بن نَجبة الفزاري وناس من قيسر، حيال دار ابن مسعود(رضي الله عنه)، واختطَّ عبدالله بن مسعود وطلحة بن عبيدالله وعمر بن حُريث (رضي الله عنهم) الدور حول المسجد، وأقطع عمر(رضي الله عنه) جبير بن مطعم(رضي الله عنه) فبنى دارا ثم باعها من موسى بن طلحة .. واستقطع سعد بن ابي وقاص(رضي الله عنه) لنفسه الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد(٤).

وعن علي بن الحسن بن صبيح البزار قال: سمعت بشر بن عبدالوهاب ذكر انه قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلا وثلثي ميل وذكر ان فيها خمسين الف دار

للعرب من ربيعة مضر واربعة وعشرين الف دار لسائر العرب وستة آلاف دار لليمن، أخبر لي بذلك سنة ٢٦٤، وقال الحجاج يصفها: وأما الكوفة فبكر عاطل عيطاء[٥] لا حلي لها ولا زينة[٦].

ثالثا – فضل الكوفة:

وكان علي بن ابي طالب(عليه السلام) يقول: الكوفة كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز، وكان سلمان الفارسي(رضي الله عنه) يقول: أهل الكوفة أهل الله، وهي قبة الاسلام يحنُّ اليها كل مؤمن، واما مسجدها فقد رويت فيه فضائل كثيرة[٧].

وعن مالك بن دينار قال: كان علي بن ابي طالب(رضي الله عنه) اذا اشرف على الكوفة قال:

يا حبذا مقالنا بالكوفة
أرض سواد سهلة معروفة
تعرِفها جمالنا العلوفة [٧أ]
وقال سفيان بن عيينة:
خذوا المناسك عن أهل مكة
وخذوا القراءة عن أهل المدينة
وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة[٨]

رابعا – حفّاظ الكوفة:

ومن حفاظ الكوفة محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي، سمع بالكوفة عبدالله بن المبارك، وعبدالله بن ادريس، وحفص بن غياث، ووكيع بن الجراح، وعبدالله بن يحيى بن حنبل، وابو يعلى الموصلي، والحسن بن سفيان الثوري، وابو عبدالله

البخاري، ومسلم بن الحجاج، وابو داود السجستاني، وابو عيسى الترمذي، وابو عبدالرحمن النسائي، وابن ماجة القزويني، وابو عروة السراي وخلق سواهم، وكان ابن عقدة يقدِّمهُ على جميع مشايخ الكوفة في الحفظ والكثرة فيقول:

ظهر لابن كريب بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث، وكان ثقة مجمعا عليه، ومات لثلاث بقين من جمادي الأولى سنة ٢٤٣هـ، وأوصى أن تدفن كتبه فدفنت[٩]، ونحن نشك بهذه الرواية لأن دفن الكتب تبذير وإسراف أشد من الإتلاف، والعلماء ورثة الأنبياء يجودون بما عندهم لطلابهم فكيف يقبرون كتبهم ويحرمون الناس من الإفادة منها.

المبحث الثاني

مدرسة الكوفة وفقهاؤها

أولا – مدرسة الكوفة:

كان قد نزل في الكوفة من الصحابة(رضي الله عنهم)، عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه)، وعلي بن ابي طالب(رضي الله عنه)، وقد أخذ أهل الكوفة العلم والفقه من هذه القمم السامقة من الصحابة الكرام، وكان تاثرهم بابن مسعود(رضي الله عنه) كثيرا وظاهرا، فقد كتب عمر(رضي الله عنه) إلى أهل الكوفة:

((إني قد بعثت اليكم عمّار بن ياسر أميرا وعبدالله بن مسعود معلما ووزيرا، وانهما من النجباء من اصحاب رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، من اصحاب بدر، وقد جعلت عبدالله بن مسعود على بيت مالكم، فتعلموا منهما واقتدوا بهما، فقد آثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي))[١٠].

وعن عامر أن مهاجر عبدالله بن مسعود كان بحمص، فحدره عمر (ﷺ) إلى الكوفة وكتب اليهم: ((إني والله الذي لا اله الا هو آثرتكم به على نفسي فخذوا عنه))[١١].

وعن الضحاك قال: قال عمر (ﷺ): ((لقد آثرت أهل الكوفة بابن أم عبد على نفسي، إنه من أطولنا فوقا[١٢]، كنيفٌ مليء علماً))[١٣].

وعن ابي خالد رجل من اصحاب عمر (ﷺ) قال: ((وفدنا إلى عمر فأجازنا ففضّل أهل الشام علينا في الجائزة فقلنا: يا امير المؤمنين أتفضل أهل الشام علينا؟ فقال: يا أهل الكوفة أجَزِعْتُم أن فضّلت أهل الشام عليكم لبعد شقتهم، لقد آثرتكم بابن ام عبد))[١٤].

وعن عامر قال: ما كان أحد من اصحاب النبي(ﷺ) أفقه من صاحبنا عبدالله، يعني ابن مسعود[١٥].

فكان عبدالله بن مسعود مؤسسا لمدرسة الكوفة فضلا عن علي بن ابي طالب وسعد بن ابي وقاص وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وحذيفة بن اليمان وابن عباس وكثير من الصحابة(ﷺ).

وعن ابراهيم قال: كان اصحاب عبدالله بن مسعود(ﷺ) يقرؤون ويفتون ستّة[١٦]: علقمة[١٧]، والاسود[١٨]، مسروق[١٩]، وعبيدة[٢٠]، والحارث بن قيس[٢١]، وعمرو بن شرحبيل[٢٢].

ولا عجب فقد كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب(ﷺ) يفضل أهل الكوفة على أهل البصرة، فعن سفيان بن عيينة قال: قال رجل للحسن: يا ابا سعيد أهل البصرة او أهل الكوفة ؟ قال: كان عمر(ﷺ) يبدا بأهل الكوفة وبها بيوتات العرب كلّها وليست بالبصرة [٢٣]. وكان عمر (ﷺ) يسمي أهل الكوفة رأس أهل الاسلام،

ورأس العرب، ودرع الله، وكنز الايمان، وجمجمة العرب يجزّون ثغورهم ويمدون الامصار [٢٤].

وعن الشعبي قال: قال قرظة بن كعب الانصاري، أردنا الكوفة فشيعنا عمر إلى (صِرار)[٢٥] فتوضأ فغسل مرتين وقال: تدرون لم شيَّعتكم ؟ فقلنا: نعم نحن اصحاب رسول الله(ﷺ)، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دويّ في القرآن كدوّي النحل فلا تصدوهم بالاحاديث فتشغلوهم، جرِّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله(ﷺ)، أمضوا وأنا شريككم[٢٦].

وعن عبدالجبار بن عباس عن ابيه قال: جالست عطاء فجعلت أسأله فقال لي: ممّن أنت ؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال عطاء: ما ياتينا العلم الا من عندكم[٢٦أ].

ومن اعمدة الفقه الكوفي في مدرسة الكوفة: عبدالله بن مسعود(ﷺ)، وعلي بن ابي طالب(ﷺ)، وقد اشتهر عبدالله بن مسعود(ﷺ) بكثرة التلاميذ الذين نشروا علمه في العراق لقول ابن القيم: (والدين والفقه والعلم انتشر في الامة عن اصحاب بن مسعود واصحاب زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس (ﷺ)، فاما أهل المدينة فعلمهم عن اصحاب زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر، وأما أهل العراق فعلمهم عن اصحاب عبدالله بن مسعود)[٢٧].

وكان عبدالله بن مسعود(ﷺ) ينزع عن قوس عمر ويشاركه في كثير من اقضيته وآرائه[٢٨]. وكان عبدالله بن مسعود(ﷺ) يجتهد بالقياس، وكان معظم الصحابة يجتمعون ويتبادلون الرأي ويتشاورن ثم ينتهون إلى أمر يقرّه اجتماعهم[٢٩].

واشتهر من الفقهاء نوعان هما، فقهاء الرأي وفقهاء الأثر، وهناك نوع ثالث هو الفقه التقديري، فكان أهل الحديث بالحجاز وأهل الرأي بالعراق. وفقهاء المدينة يتهمون فقهاء العراق ببعدهم عن السنّة، وفقهاء العراق ينكرون ذلك لأنهم يفتون

بآرائهم. إذ أن معظم الاجتهاد بالرأي عند أهل العراق يسير على منهاج القياس، ومن هؤلاء الفقهاء: علقمة، وابراهيم النخعي وحماد بن ابي سليمان شيخ ابو حنيفة النعمان، وأمامهم من الصحابة عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه)، وقد اكثروا روايتهم عنه وعن علي بن ابي طالب(رضي الله عنه) وغيرهما من كبار الصحابة والذين سكنوا واقاموا في العراق.

ويرى ابراهيم النخعي[٣٠] والشعبي[٣١] بالكوفة أن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) اثبت الناس في الفقه، كما قال علقمة: (وهل احد اثبت من عبدالله)، وقول ابو حنيفة للاوزاعي: (ابراهيم افقه من سالم ولولا فضل الصحبة لقلت علقمة افقه من عبدالله بن عمر) وعبدالله هو عبدالله وأصل مذهبه فتوى عبدالله بن مسعود، وقضايا علي (رضي الله عنه) وفتاواه، وقضايا شريح وغيره من قضاة الكوفة، فكان ابراهيم النخعي لسان فقهاء الكوفة).

وكان الامام علي (رضي الله عنه) أقضى أهل زمانه من الذين واكبوا القرآن وسنة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وكان من آرائه وافكاره وسعة افق علمه وبديهته، ان كان من المبرزين في الفقه والقضاء، وحين يضرب المثل يضرب به فيقال اذا استصعبت قضية: (قضية ولا ابا الحسن لها)، ومن اقوال الصحابي عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه): (أفرض أهل المدينة واقضاها علي) [٣٢].

(ولهذا كان معظم أهل العراق في اقضيتهم وفتاويهم يتبعون عبدالله بن مسعود في فتاويه وعلي بن ابي طالب(رضي الله عنه) في اقضيته .. اذ تمكن في مدة اقامته بالكوفة منذ تشييدها سنة ١٧هـ حتى وفاته سنة ٣٢هـ أن يؤسس مدرسة فقهية بفضل ما غرسه في تلاميذه من علوم وحرية اجتهاد، وحيث كان يعلم أهلها القرآن، ويحفظهم السنة ويفقههم بالدين، ويفتيهم فيما يسألون عنه ويقضي بينهم بما يحكم الاسلام)[٣٣].

ومن التلاميذ والفقهاء الذين تخرجوا في هذه المدرسة، علقمة بن قيس(ت٦٢هـ)، ومسروق الاجدع (ت٦٣هـ)، والقاضي شريح (ت٧٨هـ) [٣٤]، وسعيد بن جبير (ت٩٥هـ)[٣٥]، والشعبي (ت١١٤هـ)، وحبيب بن ابي ثابت (ت١١٩هـ)[٣٦][٣٧].

ثانيا- فقهاء الكوفة:

ساهم كثير من الطلاب في مدرسة الكوفة واشتهروا بالعلم والفقه والافتاء، وكان منهم:

١- علقمة بن قيس النخعي.
٢- الاسود بن يزيد النخعي، وهو عم علقمة.
٣- عمرو بن شرحبيل الهمداني.
٤- مسروق ابن الاجدع الهمداني.
٥- عبيدة السلماني.
٦- شريح بن الحارث القاضي.
٧- سليمان بن ربيعة البأهلي.
٨- زيد بن صوحان.
٩- سويد بن غفلة.
١٠- عبدالرحمن بن يزيد النخعي.
١١- الحارث بن قيس الجُعفي.
١٢- عبدالله بن عتبة بن مسعود القاضي.
١٣- خيثمة بن عبدالرحمن.
١٤- سلمة بن صهيب.

١٥- مالك بن عامر.

١٦- عبدالله بن سخيرة.

١٧- زرُّ بن حبيش.

١٨- خلاّس بن عمرو.

١٩- عمرو بن ميمون الأودي.

٢٠- همام بن الحارث.

٢١- الحارث بن سويد.

٢٢- يزيد بن معاوية النخعي.

٢٣- الربيع بن خيثم.

٢٤- عتبة بن فرقد.

٢٥- صبغة بن زُفر.

٢٦- شريك بن حنبل.

٢٧- ابو وائل شفيق بن سلمة.

٢٨- عبيد بن فضلة.

وهؤلاء اصحاب علي (ﷺ) وابن مسعود (ﷺ) ويضاف اليهم:

١- ابو عبيدة وعبدالرحمن ابناء عبدالله بن مسعود.

٢- عبدالرحمن بن ابي ليلى.

٣- ميسرة.

٤- زادان.

٥- الضحاك.

٦- ابراهيم النخعي.

٧- عامر الشعبي.

٨- سعيد بن جبير.

٩- القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود.

١٠- ابو بكر بن ابي موسى.

١١- محارب بن دثار.

١٢- الحكم بن عتيبة.

١٣- وجَبلة بن شحيم.

١٤- أحمد بن عمر.

١٥- حماد بن ابي سليمان.

١٦- سليمان بن المعتمر.

١٧- سليمان بن الاعمش.

١٨- مِسْعر بن كِدام.

١٩- محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى.

٢٠- عبدالله بن شُبرمة.

٢١- سعيد بن أشوع.

٢٢- شريك القاضي.

٢٣- القاسم بن معن.

٢٤- سفيان الثوري.

٢٥- ابو حنيفة.

٢٦- الحسن بن صالح بن حي.

٢٧- حفص بن غياث.

٢٨- وكيع بن الحرام.

٢٩- اصحاب ابي حنيفة كأبي يوسف القاضي وزفر.

٣٠- زفر بن الهديل.

٣١- حماد بن ابي حنيفة.

٣٢- الحسن بن زياد اللؤلؤي القاضي.

٣٣- اصحاب سفيان الثوري: الاشجعي.

٣٤- والمعافى بن عمران.

٣٥- وصاحبي الحسن بن حي الذولي.

٣٦- ويحيى بن آدم [٣٨].

وهؤلاء كلهم ساهموا في رفد مدرسة الكوفة بالعلوم والفقه، رحمهم الله جميعا، وهم من الصحابة وفيهم تابعين وتابع التابعين.

المبحث الثالث

المدارس الفقهية

كانت مدرسة الكوفة اكبر المدارس الفقهية على الاطلاق بعد مدرسة المدينة، فقد اسسها عبدالله بن مسعود(ﷺ) وتأثر به تلاميذه وكذلك علي بن ابي طالب(ﷺ) قد ساهم فيها وتأثر به تلاميذه الا أن تأثر طلاب مدرسة الكوفة بأبن مسعود كان اكثر واظهر، ومن ابرز فقهاء الكوفة من اصحاب عبدالله بن مسعود(ﷺ):

١- علقمة بن قيس (ت٦٢هـ).

٢- الاسود بن يزيد (ت٧٤هـ).

٣- مسروق الأجدع (ت٦٣هـ).

٤- عبيدة بن عمرو (ت٧٢هـ).

٥- شريح القاضي (ت٧٨هـ).

٦- والحارث الاعور (مات في خلافة ابن الزبير).

دور فقهاء الصحابة في مدرسة الكوفة
مجلة آداب الفراهيدي العدد (٢) السنة الأولى
د. قحطان حمدي محمد

وقد اخذ ابراهيم النخعي علمه من هؤلاء الستة فاصبح امام أهل الكوفة بدون منازع وكانت مراكز فقهية وكان على رأسها كبار التابعين منهم:

١- سعيد بن المسيب[٣٩] في المدينة.

٢- عطاء[٤٠] في مكة.

٣- ابراهيم النخعي في الكوفة ومن ابرز تلاميذه حماد[٤١] شيخ ابي حنيفة والحسن[٤٢] في البصرة ومكحول في الشام وطاووس في اليمن.

وتمتد اصول المدارس الفقهية إلى الصحابة فكان منهم من اكثر من الرأي كعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود(ﷺ)، وكان منهم مقلّين امثال عبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص والزبير بن العوام(ﷺ)، فكان المكثرون يتعمقون في معاني النصوص ويمعنون النظر في مقاصدها البعيدة ويبحثون عن اسرار التشريع ولا يتهيبون من الافتاء بالرأي بينما المقلون منهم يقفون عند ظاهر النص ويتهيبون من الفتوى بالرأي. وظهرت مدرسة أهل الرأي بالكوفة بالعراق وسميت بهذا الاسم لاستعمال فقهائها للرأي والقياس في توضيح الاحكام الشرعية، ويفرعون المسائل ويفترضون الوقائع قبل وقوعها ويبحثون عن احكامها، وكذلك كانوا يستعملون القياس والرأي ويغوصون في فهم دلالة النصوص بعد اعتمادهم على الكتاب والسنة، ومن علمائها المشهورين: ابراهيم النخعي وابو حنيفة النعمان، ومن تلاميذه: محمد بن الحسن، وابو يوسف، وزفر وبالاضافة إلى مدرسة الكوفة، كانت مدرسة أهل الحديث بالمدينة ومن اشهر علمائها:

١- مالك بن انس[٤٣].

٢- سعيد بن المسيب.

٣- الاوزاعي[٤٤].

٤- الليث بن سعد [٤٥]، وغيرهم.

اما مدرسة أهل الظاهر والتي تنسب إلى داود بن علي بن خلف الاصبهاني والذي يعرف بداود الظاهري (ت٢٧٠هـ)، فكانوا يعتمدون على الاجماع وعلى ظاهر النصوص وعدم تعليل الاحكام، وقال ابن العماد الحنبلي[٤٦]: كان زاهدا متقللا كثير الورع آخذ العلم عن اسحاق بن راهويه وأبي ثور، وكان من اكثر الناس تعصبا للامام الشافعي(رضي الله عنه) وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين، وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية.

أعمدة الفقه الكوفي



المبحث الرابع
الامام الاعظم
ابو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) أمام مدرسة الكوفة

في سنة ١٧ هـ نزل الصحابي عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه) الكوفة ليعلم الناس ويفقههم في دينهم والتف حوله الطلاب وكان كالبحر الدافق يمتلىء علما وفقها وهو يحمل طريقة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) في الاستنباط والبحث والاخذ بالرأي عند افتقاد النص، وكان من بين تلامذته عبيدة بن قيس السلماني وعلقمة بن قيس النخعي وشريح القاضي وجاء من بعدهم ابراهيم النخعي الذي كان قمة في علوم الحديث وعلى يده تتلمذ الشيخ حماد بن ابي سليمان الذي كان يمتلك حلقة كبيرة في الكوفة ومن ابرز تلاميذه الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان والذي تقلد زعامة مدرسة الرأي في الكوفة من بعده فاصبح امام المذهب الحنفي.

ولادته ونشأته:

ولد على الراجح سنة (٨٠هـ) ونشأ بالكوفة، في اول حياته حفظ القرآن الكريم وكان يكثر من تلاوته ويختمه عدة مرات في رمضان. نشأ في بيت من بيوت التجارة في الكوفة وكانت اسرته تتجر بالخز، وكان ابوه وجده باتصال مع الامام علي(رضي الله عنه)، فكان منزعهم للتعرف على الاسلام. وروي عنه انه قال: (مررت يوما على الشعبي وهو جالس فدعاني فقال لي: إلى من تختلف ؟ فقلت: اختلف إلى السوق. فقال: لم اعني الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء، فقلت له: أنا قليل الاختلاف إلى العلماء، فقال لي: لا تفعل، عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فاني ارى فيك يقظة وحركة .. قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، واخذت في العلم فنفعني الله بقوله)[٤٧].

فهو ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، فاما زوطي فانه من أهل كابل، وولد ثابت على الاسلام، وكان زوطي مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة فاعتق، فولاؤه لبني تيم الله بن ثعلبة، وقيل غير ذلك، وقال اسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن المرزبان من ابناء فارس الاحرار، والله ما وقع علينا رقّ قط، ولد جدي في سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي بن ابي طالب(ﷺ) وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجوا من الله ان يكون قد استجاب الله ذلك لعلي بن ابي طالب(ﷺ) فينا [٤٨].

وحيث ان الروايات لم تجمع على اعجمية ابي حنيفة فان الراجح هو تيمي عربي لأنه ولد في ارض العرب ونشأ في ارض العرب ولم نجد عنده أي ميل للفكر الاعجمي، والاصح انه من الاحرار ومن أهل به تشرف وحسن انتقاه، وقيل انه من العرب الاحرار من الفئة الانصارية[٤٩]. وأنا أميل الى هذا الرأي فهو عربي بالولاء لانتمائه الى بني تيم.

وهو من الائمة الستة المشهورة بين الاخيار الذين شاعت مذاهبهم في الامصار وجمعهم بعضهم فقال: (شعر):

وإن شئت اركان الشريعة فاستمع   لتعرفهم واحفظ اذا كنت سامعا

محمد[٥٠]والنعمان[٥١]مالك[٥٢] أحمد[٥٣]   وسفيان[٥٤]واذكر بعد داود[٥٥] تابعا[٥٦]

صفته:

قال ابو نعيم: وكان ابو حنيفة حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لأخوانه. وعن عمر بن حماد بن ابي حنيفة ان ابا حنيفة كان طوالا تعلوه سمرة، وكان لباسا حسن الهيئة كثير التعطر، يعرف بريح الطيب اذا اقبل واذا خرج من منزله قبل ان تراه[٥٧]. وكان مثلا للتاجر المستقيم، فقد

كان ثري النفس، عظيم الامانة، سمحاً، بالغ التدين، وعظيم العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، فرحمك الله يا ابا حنيفة يوم مت ويوم تبعث حيا.

شيوخه:

كان شيوخه كثيرون، حتى ان بعض الروايات تشير إلى انه التقى ببعض الصحابة وكان من شيوخه، عطاء بن ابي رياح (ت١١٥هـ) فقد سمع الحديث منه بمكة وقال: (ما رأيت افضل من عطاء).. وكان عطاء يفضله على تلامذته وكان ابو حنيفة اذا حضر مجلس السماع اوسع له وادناه[٥٨].

وقد اكد الذهبي ان (اكبر شيوخه عطاء بن ابي رباح وشيخه في الفقه حماد بن ابي سليمان)[٥٩].

وقال الخطيب البغدادي: سمعت ابا حنيفة يقول: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء، فقال: من أين انت ؟ قلت: من أهل لكوفة، قال: انت من أهل القرية التي فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت: نعم ! قال: فمن أي الاصناف انت ؟ قلت: ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفّر احداً بذنب، قال: فقال لي عطاء: عرفت فالزم[٦٠].

وقال ابو عبدالله بن الحسين بن علي العميري عن الحارث بن عبدالرحمن قال: كنا نكون عند عطاء بعضنا خلف بعض فاذا جاء ابو حنيفة أوسع له وادناه[٦١].

وعن ابي مطيع قال: قال ابو حنيفة: دخلت على ابي جعفر امير المؤمنين فقال لي: يا ابا حنيفة عمّن أخذت العلم ؟ قال: قلت: عن حماد عن ابراهيم عن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس(ﷺ)، قال: فقال ابو جعفر: بخٍ بخٍ استوثقت ما شئت يا ابا حنيفة، الطيبين الطاهرين المباركين صلوات الله عليهم[٦٢].

وكان مسعر بن كدام من شيوخ ابي حنيفة وهو في مفاخر الكوفة في حفظه وزهده، قال: (طلبت مع ابي حنيفة الحديث فغلبنا، واخذنا في الزهد فبرع علينا، وطلبنا الفقه فجاء منه ما ترون)[٦٣].

وقد لزم ابو حنيفة حماد بن ابي سليمان وتخرج عليه في الفقه واستمر معه إلى ان مات[٦٤]، وقد ثبت أن ابو حنيفة لازم شيخه حماد (ثمانية عشرة سنة). فقد روي عنه انه قال: (قدمت البصرة فظننت اني لا أُسأل عن شيء الا اجبت عنه فسألوني عن اشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي أن لا افارق حمادا حتى يموت او اموت فصحبته ثماني عشرة سنة)[٦٥] واذا كان ابو حنيفة قد لازم حمادا ثماني عشرة سنة ومات حماد عام ١٢٠هـ وهو في سن الاربعين، فكأنه تتلمذ له وهو في سن الثانية والعشرين ولازمه إلى الاربعين واستقل بالدرس والبحث وتولى حلقته بعد ذلك[٦٦].

وخلاصة القول ان شيوخه من التابعين هم ابراهيم النخعي، الشعبي، حماد بن ابي سليمان، عطاء بن رباح، وغيرهم.

ابو حنيفة مدرسا:

بعد وفاة شيخه حماد عام (١٢٠هـ) لزم ابو حنيفة مجلسه وجلس في مجلس الدرس بالكوفة وهو من ابرز تلاميذه وبعد ان لزم الدرس لم يغادر تجارته فقد كان عنده شريك يقوم مقامه ولا يريد ان يقطعه عن العلم فكان استمراره بالتجارة له اثره في تفكيره الفقهي: بالاضافة إلى انه كان كثير الرحلات التي كانت تفيده من فتح ذهنه ونفاذ بصيرته اذ اشتهر بالمناظرة وقد جاور الجماعة الدهرية وقال لهم: (ما تقولون في رجل يقول لكم: اني رأيت سفينة مشحونة، مملوءة بالاحمال قد احتوشتها في لجة البحر امواج متلاطمة وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها ويقودها، ولا متعهد يتعهدها ويدفعها ويسوقها، هل يجوز ذلك في العقل ؟ فقالوا: لا، هذا شيء

لا يقبله العقل، ولا يجيزه الوهم، فقال ابو حنيفة – رحمه الله –: يا سبحان الله، اذا لم يجز في العقل وجود سفينة من غير متعهد ولا مجرٍ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف انواعها وتغيير امورها واعمالها، وسعة اطرافها، وتبأين اكنافها من غير صانع ولا محدث لها؟)[٦٧].

فكان – رحمه الله – يغوص في اعماق النصوص ويستخرج منها العلل والاحكام كالذي يستخرج اللؤلؤ من اعماق البحر، وكان يسمى صيرفي الحديث اذ يوازن بين النص القرآني والحديث النبوي، ومن اقواله المأثورة التي يجب ان تكتب بماء الذهب: (مثل من يطلب الحديث ولا يفقه كمثل الصيدلاني يجمع الادوية ولا يدري لأي داء هي حتى يجيء الطبيب... هكذا طالب الحديث لا يعرف وجه حديثه حتى يجيء الفقيه)[٦٨].

تلاميـــذه:

كان تلاميذ ابو حنيفة مقربين جدا اليه وكانوا بمرتبة الاحباب إلى قلبه فكان يقول لهم: (انتم مسار قلبي وجلاء حزني) فهم لهم في قلبه منزلة خاصة وكان عددهم كما ذكرهم ستة وثلاثون رجلا منهم ثمانية وعشرون يعملون في القضاء وستة يعملون في الفتوى واثنان يعملون في تأديب القضاء وهم ابو يوسف وزفر كما ذكر ذلك ابن البزازي في كتابه[٦٩]، فكانت علاقته بهم كعلاقة الاب باولاده فكان يصرف على معيشة بعضهم ويزوج بعضهم، وعندما تولى احد تلاميذه منصبا في البصرة وهو يوسف بن خالد السحتي اوصاه: (اذا دخلت البصرة استقبلك الناس وزاروك، وعرفوا حقك فانزل كل رجل منزله، واكرم أهل الشرف، وعظم أهل السلم، ووقر الشيوخ، ولاطف الاحداث، وتقرب من العامة، ودار الفجار، واصحب الاخيار، ولا تتهاون بسلطان، ولا تحقرن احدا، ولا تقصرن في مروءتك ولا تخرجن سرك إلى احد، ولا تثق

بصحبة احد حتى تمتحنه ولا تخاذن خسيسا ولا وضيعا، ولا تألفن ما ينكر عليك في ظاهره(٧٠).

ومن تلامذته المشهورين:

١- الامام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصاري:

قاضي القضاة ولد سنة ١١٣هـ وحدث عن هشام بن عروة ويحيى بن سعيد الانصاري وعطاء بن السائب والاعمش وابي حنيفة ولزمه وتفقه به وهو انبل تلامذته واعلمهم تخرج به ائمة كمحمد بن الحسن ومعلى بن منصور وهلال الرأي وابن سماع وغيرهم وله مؤلفات منها (الخراج) و(المبسوط) و (ادب القاضي)، (ت١٨٢هـ)(٧١).

٢- محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت١٨٩هـ):

نسبته إلى بني شيبان بالولاء من قرى دمشق منها، قدم أبوه إلى العراق، فولد له محمد بواسط، ونشأ في الكوفة. إمام الفقه والاصول، ثاني اصحاب ابي حنيفة بعد ابي يوسف من المجتهدين المنتسبين. وهو الذي نشر علم ابي حنيفة. شهر بتصانيفه الكثيرة. ولي القضاء للرشيد بالرقة، ثم عزله. واستصحبه الرشيد في مخرجه إلى خراسان، فمات محمد بالريّ.

من تصانيفه (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) و (المبسوط) و (السير الكبير) و (السير الصغير) و (الزيادات)، وهذه كلها تسمى عند الحنفية كتب ظاهر الرواية وله (كتاب الآثار) و (الأصل)(٧٢).

٣- زفر بن الهذيل بن قيس العنبري البصري(ت١٥٨هـ):

وكان مفضلا عند استاذه الذي يقول عنه: (هو أقيس اصحابي) وتزوج فحضره ابو حنيفة وقال في خطبته: (هذا زفر بن الهديل امام من ائمة المسلمين وعلم من اعلامهم في شرفه وحسبه و علمه. وليّ قضاء البصرة، وروي عنه انه قال: ما خالفت ابا حنيفة رحمه الله في قول الا وقد كان ابو حنيفة يقول به(٧٣).

٤- الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت٢٠٤هـ):

ولّي القضاء ثم استغنى عنه وكان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه وقال عنه يحيى بن آدم: ما رأيت افقه من الحسن بن زياد، وقال محمد بن سماعته: سمعت الحسن بن زياد يقول: كتبت عن بن جريج اثني عشر الف حديث كلها يحتاج اليها الفقهاء، وصف كتاب (المقالات) وله كتاب (المجرد)(٧٤).

فقهه ومنهاجه:

قال الشافعي – رحمه الله –: (الناس في الفقه عيال على ابي حنيفة).

وقال عبدالله بن المبارك: (أنه مخ العبادة) أي انه يصل دائما إلى اللب الخالص.

وقال الامام مالك: (إنه لفقيه).

وكان يستنبط الامور ويرسم منهاجا لها وهو القائل: (آخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله(ﷺ) ، آخذ بقول اصحابه. .. آخذ بقول من شئت منهم وادع من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم. فأما اذا انتهى الامر إلى ابراهيم النخعي والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب، فقوم اجتهدوا، فاجتهد كما اجتهدوا).

فهو يأخذ بالكتاب ثم بالسنة ثم باقوال الصحابة(٧٥).

أما اجتهاده بغير النصوص فقد جاء عن احد معاصريه ما نصه:

(كلام ابي حنيفة اخذ بالثقة وفرار من القبح والنظر في معاملات الناس وما استقاموا عليه وصلح عليه امورهم. .. يحصي الامور على القياس، فاذا فتح القياس يمضيها على الاستحسان. وكان يوصل الحديث المعروف الذي اجمع عليه، ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغا، ثم يرجع إلى الاستحسان: ايهما كان اوفق رجع اليه(٧٦).

فهذا المنهاج يقوم على: الكتاب وهو حبل الله والسنة وهي التي تبين كتاب الله واقوال الصحابة(ﷺ) فهم الذين حملوا علم الرسول(ﷺ) وحضروا التنزيل.

فاذا لم يكن نص من القرآن او سنّة او اقوال الصحابة فهو يلجأ للقياس ويأخذ به، والقياس هو الحاق امر غير منصوص على حكمه بامر آخر منصوص على حكمه لعلة جامعة بينهما فهو يبحث عن العلة فاذا وصل اليها اخذ بها وهذا الفقه هو الفقه التقريري فهو يأخذ وقائع لم تقع ثم يستخرج حكمها. أما الاستحسان فهو ان يخرج القياس الظاهر إلى حكم آخر فاذا لم يصلح فهو يبحث عن علة ثانية ويعمل بها وهو ما يسمى بالقياس الخفي. واما الاجماع فهو ان يجمع المجتهدون على حكم ويتفقون على انه حجة. اما العرف: وهو ان العمل على امر لم يرد فيه نص من القرآن والسنة او عمل الصحابة. والعرف اما ان يكون صحيحا أي لا يخالف النص او فاسدا اذا خالف النص. والفقه الذي كان يمارسه كان متأثرا بفكره التجاري وكان يقيد عقوده التجارية بالعلم بالبدل ويتجنب الربا وكل عقد فيه ربا فهو باطل. وكل عقد اذا اقره العرف اخذ به واذا لم يقره العرف تركه وكذلك توفرالامانة في البيع والشراء.

ومن أقواله – رحمه الله –: (علمنا هذا رأي وهو احسن ما رأينا، فمن قدر على غير ذلك فله ما رآه ولنا ما رأينا)[٧٧]، فهذا يعني انه كان منفتحا ومتسامحا في عصر كان فيه التعصب والتطرف هو الغالب على بعض المحدثين والفقهاء. فكان هو منفتحا وهو امام مدرسة الرأي في الكوفة على مدرستين مهمتين هي مدرسة أهل الحديث التي نشأت في مكة والمدينة. فتلاميذه انتقلوا من الكوفة إلى المدينة وبالعكس، فتلاميذ مالك في المدينة جاءوا إلى العراق واخذوا من تعاليم ابي حنيفة. وهذا معناه انه كان يستعمل رأيه ويرجح ما يراه راجحا. وفي الحديث كان يقال ان ابا حنيفة كان ضعيفا في الحديث، والذي اقوله ان ابا حنيفة كان اماما مجتهدا وان قواعد المجتهد سبقت كل مصطلح الحديث، والاجتهاد ليس مخالفة النص دائما لفهمه ولا عجب فقد قال عنه الامام علاء الدين ابو بكر الكاساني: (أنه كان من صيارفة الحديث وكان من مذهبه تقديم الخبر وان كان من حدِّ الأحاد على القياس بعد أن كان

راوية عدلاً ظاهر العدالة[٧٨]. وانا ادافع عن الذين يميلون إلى الرأي لأن العقل السليم لا سيما عقل الفقيه لابد وان يتدبر ويتفكر فاذا لم يجد نصا صريحا وجب عليه ان يغوص في بحار الاستنباط معتمدا بعد الاسترشاد على رأيه في استنباط الحكم الفقهي، فعندما ارسل نبي الرحمة(ﷺ) معاذ بن جبل قاضيا إلى اليمن قال له بم تقض ؟ فقال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد ؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأي ولا آلو، فضرب (ﷺ) على صدر معاذ وقال له: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله[٧٩].

<u>ما قيل في فقهه</u>:

قيل لمالك بن انس: هل رأيت ابا حنيفة ؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته.

وعن روح بن عبادة قال: كنت عند ابن جريج[٨٠] سنة خمسين ومائة وأتاه موت ابي حنيفة فاسترجع وتوجع وقال: أي علم ذهب ؟ قال: ومات فيها ابي جريج[٨٠أ].

وعن عبدالله المبارك[٨١] قال: قدمت الشام على الاوزاعي فرأيته ببيروت، فقال لي: يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنّى ابا حنيفة ؟ فرجعت إلى بيتي، فاقبلت على كتب ابي حنيفة، فاخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة ايام، فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وامامهم، والكتاب في يدي، قال: أي شيء هذا الكتاب ؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها، قال النعمان. فما زال قائما بعد ما اذن حتى قرأ صدرا في الكتاب. ثم وضع الكتاب في كمه ثم قام، وصلى، ثم اخرج الكتاب حتى اتى عليه. فقال لي: يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق. فقال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه. قلت: هذا ابو حنيفة الذي نهيت عنه[٨١أ].

وعن مسعر بن كدام[٨٢] **قال:** ما احسد أحد بالكوفة الا رجلين: ابو حنيفة في فقهه، والحسن ابن صالح في زهده.

واخبرنا الصيمري قال: سمعت اسرائيل يقول: كان نعم الرجل النعمان، ما كان احفظه لكل حديث فيه فقه واشد فحصه عنه واعلمه بما فيه من الفقه. وكان قد ضبط عن حماد فاحسن الضبط عنه. فاكرمه الخلفاء والامراء والوزراء. وكان اذا ناظره رجل في شيء من الفقه همته نفسه. ولقد كان مسعر يقول: من جعل ابا حنيفة بينه وبين الله رجوت ان لا يخاف ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه.

واخبرنا الصيمري عن عبدالله بن ابي جعفر الرازي قال: سمعت ابي يقول: ما رأيت احدا افقه من ابي حنيفة وما رايت احدا اورع من ابي حنيفة[٨٣].

وعن الفضيل بن عياض[٨٤] **قال:**

كان ابو حنيفة رجلا معروفا بالفقه مشهورا بالورع، واسع الحال، معروفا بالافضال على كل من يطيف به، صبورا على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل كثير الصمت، قليل الكلام متى ترد مسألة في حلال او حرام، فكان يحسن ان يدل على الحق، هاربا من حال السلطان.

وزاد ابن الصباح، وكان اذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه، وان كان عن الصحابة والتابعين، والا قاس واحسن القياس.

واخبرنا الصيميري عن ابي يوسف قال:

ما خالفت ابا حنيفة في شيء قط فتدبرته، الا رأيت مذهبه الذي ذهب اليه أنجي في الآخرة وكنت ربما ملت إلى الحديث، وكان هو ابصر بالحديث الصحيح مني[٨٥].

اخبرنا الصيمري عن اسماعيل بن حماد[٨٦] **عن ابي بكر بن عياش قال:**

مات عمر بن سعيد اخو سفيان فاتيناه نعزيه، فاذا المجلس غاص بأهله، وفيهم عبدالله بن ادريس، اذ اقبل ابو حنيفة في جماعة منهم، فلما رآه سفيان تحرك من مجلسه، ثم قام فاعتنقه، واجلسه في موضعه وقعد بين يديه، قال ابو بكر: فاغتطت عليه، وقال ابن ادريس: ويحك الا ترى ؟ مجلسنا متى تفرق الناس، فقلت لعبد الله بن ادريس: لا تقم حتى نعلم ما عنده في هذا، فقلت: يا ابا عبدالله رأيتك اليوم فعلت شيئا انكرته، وانكره اصحابنا عليك، قال: وما هو ؟ قلت: جاءك ابو حنيفة فقمت اليه واجلسته في مجلسك وصنعت به صنيعا بليغا، وهذا عند اصحابنا منكر. فقال: وما انكرت من ذاك ؟ هذا رجل من العلم بمكان. فان لم اقم لعلمه قمت لسنه، وان لم اقم لسنّه قمت لفقهه، وان لم اقم لفقهه قمت لورعه، فاحجمني فلم يكن عندي جواب[٨٦أ].

وعن ابي مطيع الحكم بن عبدالله قال: وما رأيت صاحب – يعني حديث – افقه من سفيان الثوري[٨٧]، وكان ابو حنيفة افقه منه[٨٨].

وعن عبدالله بن المبارك قال:

رأيت اعبد الناس، ورأيت اورع الناس، ورأيت اعلم الناس، ورأيت افقه الناس، فأما اعبد الناس فعبدالعزيز بن ابي روّاد، واما اورع الناس فالفضيل بن عياض، واما اعلم الناس فسفيان الثوري، واما افقه الناس فابو حنيفة، ثم قال: ما رايت في الفقه مثله[٨٩].

واخبرنا ابو نعيم عن ابن المبارك قال:

ان كان احد ينبغي له ان يقول برأيه، فأبو حنيفة ينبغي له ان يقول برأيه.

أخبرنا الخلال عن محمد بن بشر قال:

كنت اختلف إلى ابي حنيفة وإلى سفيان فآتي ابا حنيفة فيقول لي، من أين جئت ؟ فاقول: من عند سفيان، فيقول: لقد جئت من عند رجل لو ان علقمة والاسود

حضرا لاحتاجا إلى مثله، فآتي سفيان فيقول لي: من أين ؟ فأقول: من عند ابي حنيفة. فيقول: لقد جئت من عند افقه أهل الارض[٩٠].

اخبرنا التنوخي قال: سمعت مليح بن وكيع يقول: سمعت ابي يقول: ما لقيت احدا افقه من ابي حنيفة، ولا احسن صلاة منه.

اخبرنا ابو نعيم الحافظ قال: سمعت الشافعي[٩١] يقول: الناس عيال على ابي حنيفة في الفقه[٩٢].

وعن محمد بن ادريس الشافعي قال: الناس عيال على هؤلاء الخمسة، فمن اراد ان يتجر في الفقه فهو عيال على ابي حنيفة، كان ابو حنيفة ممن وفق له الفقه.

ومن اراد ان يتجر في الشعر فهو عيال على زهير بن ابي سلمى.

ومن اراد ان يتجر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق.

ومن اراد ان يتجر في النحو فهو عيال على الكسائي.

ومن اراد ان يتجر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان[٩٣].

واخبرنا الخلال عن جعفر بن الربيع قال:

اقمت على ابي حنيفة خمس سنين فما رأيت اطول صمتا منه، فاذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويا وجهارة بالكلام[٩٤].

والواقع المعاصر يدل على عظمة منهج ابي حنيفة في الفقه اذ ان جلّ الدول الاسلامية لا زالت تعتمد على مذهب ابي حنيفة في مسائل الزواج والطلاق وغير ذلك من قانون الاسرة ثم مذهب ابي حنيفة في فقه المعاملات كان معمولا به الى سنة ١٩٥٢ م في العراق اذ كانت جملة الاحكام العملية تنظم شؤون المعاملات المالية قبل صدور القانون المدني العراقي. وكذلك في مصر والشام وغيرها. فما اعظم منهجك في الفقه يا ابا حنيفة !

مناقبه:

عن ابن المبارك قال: كان ابو حنيفة آية، فقال له قائل: في الشر يا ابا عبدالرحمن ام في الخير ؟ فقال: اسكت يا هذا، فانه غاية في الشر وآية في الخير، ثم تلى هذه الآية: چگ گ گ گ گ ڭ چ[٩٥] [٩٦].

وعن الصيمري عن ابن المبارك قال: ما كان اوقر مجلس ابي حنيفة. كان يشبه الفقهاء، وكان حسن السمت، حسن الوجه، حسن الثوب، ولقد كنا يوما في مسجد الجامع، فوقعت حية فسقطت في حجر ابي حنيفة، وهرب الناس غيره، فما رأيته زاد على ان نفض الحيّة وجلس مكانه[٩٧].

وعن الصيمري عن سهل بن مزاحم قال: بذلت الدنيا لأبي حنيفة فلم يردها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها[٩٨].

وروى بشر بن الوليد عن ابي يوسف قال: كنت امشي مع ابي حنيفة، فقال رجل لآخر: هذا ابو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث عني بما لم افعل، فكان يحيي الليل صلاة وتضرعا، ومناقبه وفضائله كثيرة[٩٩].

وفاته:

مات رحمه الله في رجب سنة خمسين ومائة ودفن بمقبرة الخيزران بباب الطاق، وهي اليوم تقع في مقبرة الاعظمية ببغداد، وصلي عليه ست مرات من كثرة الزحام، آخرهم صلى عليه ابنه حماد وغسله الحسن بن عمارة، وكان قد عزم على اهله ان يدفنوه في ارض طيبة وان يجنبوه كل مكان فيه شبهة غصب[١٠٠]، فلما بلغ وصيته المنصور قال: (من يعذرنا من ابي حنيفة حيا وميتا)[١٠١].

ولما غسله الحسن بن عمارة قال: رحمك الله يا ابا حنيفة وغفر لك جزاء ما قدمت ولقد اتعبت الفقهاء من بعدك[١٠٢]. وقيل انه توفي وهو ساجد[١٠٣]. فرحمك الله يا ابا حنيفة رحمة واسعة.

الخاتمة:

تبين لنا في هذا البحث ان فقهاء الصحابة الكرام كان لهم دور بارز في مدرسة الكوفة وخاصة الصحابي عبدالله بن مسعود(ﷺ) والامام علي بن ابي طالب(ﷺ) وان ابا حنيفة كان امداد للشجرة المباركة، شجرة الصحابة الكرام والتابعين العظام من عبدالله بن مسعود الى ابراهيم النخعي الى حماد بن ابي سليمان الى ابي حنيفة النعمان. وما اشد حاجة الامة الى التبحر بفقه ابي حنيفة السحيق، فهو ينمي العقل السليم بما فيه من ملكات هائلة تفجر ينابيع ذوي الالباب في فقه الاصحاب (ﷺ).

الهوامش:

(1) ياقوت الحموي، الشيخ الامام شهاب الدين ابو عبدالله، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٤هـ، ص٤٩٠.

(2) المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، بيروت، طبع مدينة ليدن المحروسة ١٩٠٦م، ص١١٦-١١٧.

(3) الزبيدي، السيد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٧م-١٤٠٨هـ، ج٢٤، ص٣٤٠-٣٤١.

(4) ابن رستة، ابو علي احمد بن عمر، الاعلاق النفيسة ويلية كتاب البلدان، احمد بن ابي يعقوب ابن واضح، الكاتب اليعقوبي، بيروت، دار صادر، طبع مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٩٣، ص٢١٠-٢١١.

(5) عيطاء: العَيَطُ محركةٌ: طول العنق، وهو أعيط، وهي عيطاء (الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تقديم محمد بن عبدالرحمن مرعشلي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، ج١، ص٩١٦ باب العين.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٢.

(7) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩٢.

(7أ) يحيى بن معين المري، ابو زكريا (٢٣٣هـ)، تاريخ ابن معين، تحقيق عبدالله أحمد حسن، دار القلم، بيروت، ج١، ص٢٤٢ ؛ وينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٣.

(8) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩٣.

(9) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩٣.

(10) ابن سعد، احمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج٦، ص٨٨.

(11) المصدر نفسه، ج٦، ص٨٩ ؛ الخضري، محمد، تاريخ التشريع الاسلامي، القاهرة، مكتبة الاستعانة، ١٩٣٩م، ص٢١.

(12) فوقاً: علاهم بالشرف(الفيروزبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٢١٩، باب الفاء.

(13) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٨٩.

(14) المصدر نفسه، ج٦، ص٨٩.

(15) المصدر نفسه، ج٦، ص ٩٠.

(16) المصدر نفسه، ج٦، ص٩٠.

(17) علقمة: هو علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي، ثقة، ثبت، عابد، من الثانية مات بعد الستين وقيل بعد السبعين وقيل بعد ذلك (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٤٥).

(18) الاسود(ت٧٤هـ): هو الاسود بن يزيد بن قيس النخعي، ابو عمرو او ابو عبدالرحمن، مخضرم، ثقة، مكثر، فقيه من الثانية، مات سنة اربع او خمس وسبعين (ابن حجر، تقريب التهذيب، ص٣٢).

(19) مسروق: هو مسروق بن الاجدع بن مالك، ابو عائشة، الهمداني، الوداعي، الكوفي، ابن اخت عمرو بن معدي كرب الصحابي المشهور، تابعي، ثقة، ادرك عهد الرسول(ﷺ) ولكنه لم يلقه فهو من كبار التابعين، ومن اجل اصحاب ابن مسعود، ثقة في الحديث، فقيه، عابد، ورع، واليه انتهت رئاسة العلم في الكوفة، قدم المدينة ايام ابي بكر، وسكن الكوفة وشهد حروب علي،

وكان اعلم بالفتيا من شريح وشريح ابصر منه بالقضاء، توفي سنة (٦٣هـ)، (ينظر: اسد الغابة، ٣٥٤/٤؛ تهذيب التهذيب، ١٠٩/١٠؛ الاعلام ٢١٥/٧).

(20) عَبيدة: بفتح اوله، هو عبيدة بن عمرو السلماني الراوي الهمداني، اسلم قبل وفاة النبي(ﷺ) بسنتين ولم يره، ومات سنة اثنتين وسبعين. وقال ابو اسحق: كان يقال ليس بالكوفة اعلم من عبيدة بالفريضة والحارث الاعور، وكان عبيدة يجلس في المسجد فاذا ورد على شريح فريضة فيها حد رفعها الى عبيدة ففرض (ينظر: طبقات الفقهاء، ابو بكر احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: خليل الميس، بيروت، دار القلم (د. ت): ٨٠.

(21) الحارث بن قيس الجعفي الكوفي، ثقة من الثانية، قتل بصفين، وقيل مات بعد علي (تقريب التهذيب، ج١، ص١٢٨، رقم الترجمة: ١١٥٣).

(22) عمرو بن شرحبيل الهمذاني، ابو ميسرة الكوفي، ثقة، عابد، مخضرم، مات سنة ثلاث وستين، (تقريب التهذيب، ج١، ص٤٩٢، رقم الترجمة: ٥٦٧٩).

(23) ابن سعد الطبقات، ج٦، ص٩٠.

(24) المصدر نفسه، ج٦، ص٨٦.

(25) صِرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق، قال الخطابي وقال نصر: صرار ماء قرب المدينة، محتفر جاهلي على سمت العراق، وقيل بئر قديمة على ثلاثة اميال من المدينة على طريق العراق (معجم البلدان: مجلد5-6 ص182).

(26) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٨٩.

(26أ) المصدر نفسه، ج٦، ص٩٠.

(27) ابن قيم الجوزية، الامام شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر، اعلام الموقعين عن رب العالمين، اعتنى به احمد عبدالسلام الزعبي، ط١، بيروت، شركة دار الارقم، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج١ ص١٩.

(28) ابو زهرة الامام محمد، تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الحديث، لندن، قبرص، ص٢٥٦.

(29) المصدر نفسه، ص٢١٠.

(30) ابراهيم النخعي: هو الحافظ فقيه العراق ابو عمران ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي اليماني ثم الكوفي، ولد سنة ٤٦هـ، فقيه العراق ورأس مدرسة الرأي، كان من أكابر العلماء صلاحا، وفقها وحفظا للحديث، وهو ثقة حجة بالاتفاق، كان كثير الارسال، توفي سنة ٩٦هـ (ينظر صفة الصفوة ٨٦/٣ ؛ سير اعلام النبلاء ٢١٣/٤ ؛ و تهذيب التهذيب ١٨٧/١ ؛ وتقريب التهذيب ٩٥ ؛ وطبقات الفقهاء ٦٢).

(31) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد وقيل: عامر بن عبدالله بن شراحيل ابو عمرو، الشعبي، الحميري، الكوفي، من ائمة التابعين وحفاظهم، وكان امام اهل زمانه في الحديث والفقه والفتيا، وغير ذلك من فنون العلم، ثقة مشهور فقيه، اشتهر بالدعابة مع الناس، وبالبكاء من خشية الله عند الخلوة، توفي سنة (١٠٤هـ) وقيل: (١٠٥هـ) وقيل غير ذلك. (ينظر: طبقات خليفة: ١٥٧ ؛ طبقات الفقهاء: ٦١؛ تهذيب التهذيب: ٦٥/٥ ؛ وتقريب التهذيب: ١٨٥ ؛ وطبقات الشعراني: ٣٧/١).

(32) الشلبنجي، الشيخ سعد، نور الابصار في فضائل آل بيت النبي المختار، القاهرة، المطبعة اليوسفية، ص٨١ ؛ وينظر: حمدي محمد الدكتور قحطان،

تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة(ﷺ)، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ص١٦٨.

(33) حامد، الدكتور عبدالستار، الحسن بن زياد وفقهه بين معاصريه من الفقهاء، بغداد، دار الرسالة، ١٩٨٠م، ص٥٨.

(34) القاضي شريح (ت ٧٨هـ): هو شريح بن الحارث بن معاوية بن عامر الكندي، ولد سنة ٤٢هـ وهو من كبار التابعين لأنه لم يلق النبي(ﷺ)، اختاره عمر بن الخطاب(ﷺ) قاضيا على الكوفة لسعة علمه واطلاعه واجتهاده، واستمر في القضاء الى ان عزله الحجاج، كان محسنا كريما حليما لين العريكة، توفي سنة ٧٨هـ (ينظر: الفتح المبين: ٥٨/١).

(35) سعيد بن جبير (ت٩٥هـ): هو ابو محمد ويقال: ابو عبدالله الكوفي، الثقة، الامام، الحجة، المقريء، المفسر، الفقيه، المحدث، أحد الاعلام، ولد سنة ٤٥هـ، سمع ابن عباس، وابن عمر، وعبدالله بن مغفل وغيرهم، تابعي من سادات التابعين في الفقه والعبادة والفضل والورع، وكان ابن عباس اذا اتاه اهل الكوفة يستفتونه يقول: اتسألونني وفيكم ابن ام الدهماء، يعني سعيد بن جبير، قتله الحجاج بالكوفة، وقد قاتله مع ابن الاشعث سنة ٩٥هـ وقيل ٩٤ هـ (طبقات خليفة: ٢٨٠، حلية الاولياء: ٢٧٢/٤، وفيات الاعيان: ٣٧٩/٢، تذكرة الحفاظ: ٧٦/١، تهذيب التهذيب: ١١/٤، التقريب: ١٤٣).

(36) حبيب بن ابي ثابت (ت١١٩هـ): هو الامام الحافظ، فقيه الكوفة، ابو يحيى القرشي الاسدي مولاهم، واسم ابيه قيس بن دينار، وقيل: قيس بن عبد، وكان من ائمة العلم، روى عنه عطاء والاعمش وشعبة والثوري، له نحو مائتين

حديث، وقال ابو حاتم: صدوق ثقة، مات سنة ١١٩هـ، وقيل سنة ١٢٢هـ.
(ينظر: تهذيب سير اعلام النبلاء: رقم ٧٦٢.

(37) موسى ، الدكتور محمد يوسف، محاضرات في تاريخ الفقة الاسلامي، مصر ، دار الكتاب العربي، ١٩٥٥م ص٤٤؛ وينظر حمدي محمد، الدكتور قحطان، تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة (ض) ص٢٠.

(٣٨) ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص٢٢.

(٣٩) سعيد بن المسيب: هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي المدني، ابو محمد، فقيه المدينة واجل التابعين، احد فقهاء المدينة، ولد لسنتين مضتا عن خلافة عمر (ت ٩٤هـ)اتفق االعلماء ان مرسلاته اصح المراسيل.
(ينظر: التاريخ الكبير: ٥١٠/١/٢، وطبقات الفقهاء: ٥٧).

(٤٠) عطاء: هو عطاء بن ابي رباح اسلم تابعي فقيه، نشأ بمكة فكان مفتي اهلها ومحدثهم قال احمد بن حنبل: خزائن العلم لايقسمها الاالله لمن يحب، ولو كان يخص بالعلم احدا لكان اهل النسب اولى، وكان عطاء عبدا حبشيا وكان يزيد بن ابي حبيب نوبيا، وكان الحسن البصري وابن سيرين من الموالي. جمع عطاء سبعين حجة، وعاش مائة سنة. توفي سنة (١١٥هـ).
(ينظر: تذكرة الحفاظ: ٩٨/١؛ تهذيب الكمال: ١٧٩/٧، والطبقات الكبرى للشعراني: ٣٩/١).

(٤١) حماد بن ابي سليمان (ت١٢٠هـ)، مسلم الاشعري بالولاء، فقيه تابعي كوفي من شيوخ الامام ابو حنيفة، اخذ الفقه عن ابراهيم النخعي وغيره. وكان افقه اصحابه، يصف في الحديث عن غير ابراهيم. وهو مستقيم في الفقه.

(ينظر: تهذيب التهذيب ١٦/٣، والفهرست لابن النديم ص٢٩٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص٦٣، معجم تراجع اعلام الفقهاء ص٩٤).

(٤٢) الحسن البصري، (ت١١٠هـ): هو الحسن بن يسار البصري، ابو سعيد. تابعي، كان ابوه يسار من سبي ميسان، ومولى لبعض الانصار، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ. راى بعض الصحابة، وسمع قليل منهم. كان شجاعا جميلا ناسكا مقيما عالما شهد له انس بن مالك وغيره وكان امام اهل البصرة. كان اولا كاتبا للربيع بن سليمان والي خراسان/ ولي القضاء بالبصرة ايام عمر بن عبد العزيز ثم استعفي. نقل عنه انه قال بقول القدرية. وينقل انه رجع عن ذلك وقال الخير والشر بقدر.
(ينظر: تهذيب التهذيب: ٢٦٣/٢، والاعلام للزركلي، ٢٤٢/٢، ومفتاح السعادة، ٢٤/٢ ومعجم تراجم اعلام الفقهاء ص٨٤).

(٤٣) مالك بن انس: هو مالك بن انس بن مالك الاصبحي الحميري، المدني الفقيه، ابو عبدالله ولد سنة ٩٣هـ. امام دار المهجر، متفق على امامته وجلالته، طلب العلم على علماء المدينة حتى اصبح احد الائمة الاربعة واليه ينسب المذهب المالكي. اخذ عنه الحديث كثير من اجلّة المحدثين، له كتاب الموطأ، توفي بالمدينة سنة (١٧٩هـ).
(ينظر: الثقات لابن حبان: ٤٥٩/٧، وفيات الاعيان: ٢٨٤/٣).

(٤٤) الاوزاعي (ت١٥٧هـ): هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعي. امام فقيه محدث مفسر نسبته الى (الاوزاع) من قرى دمشق واصله من سبي السند. نشأ يتيما سنة (٨٨هـ)، وتأدب بنفسه فرحل الى اليمامة والبصرة، وبرع واراده المنصور على القضاء فأبى ثم نزل بيروت مرابطا وتوفي بها.

(ينظر: البداية والنهاية: ١١٥/١٠، وتهذيب التهذيب ٢٣٨/٦، ومعجم تراجم اعلام الفقهاء ص٣٠).

(٤٥) الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهري المصري ابو الحارث، ولد سنة ٩٤هـ. ثقة، ثبت، فقيه، امام مشهور، احد الائمة المجتهدين، مفتي مصر وامامها في الحديث والفقه، وقال فيه الشافعي: الليث افقه من مالك الا انه ضيعة اصحابه، وكان فقيها ورعا، عالما من فاضلا سخيا، قال يحيى بن بكير: ما رايت احدا اكمل من الليث بن سعد، وقال يعقوب بن ابي شيبة: ثقة وفي حديثه عن الزهري بعض الاضطراب، روى عنه البخاري ومسلم ووثقه احمد بن حنبل، توفي سنة ١٧٥هـ، وقيل ١٧٤هـ.

(ينظر: الثقات لابن حبان: ٣٦٠/٧، وحلية الاولياء: ٣١٨/٧، وتاريخ بغداد: ٣/١٣، وتهذيب التهذيب: ٤٥٩/٨، وتقريب التهذيب ٣١١، وتذكرة الحفاظ: ٢٢٤/١، طبقات الحفاظ: ٩٥، وشذرات الذهب ٢٨٥/١).

(٤٦) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، بيروت، دار الافاق الجديدة ج٢ص١٥٨.

(٤٧) الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، تحقيق عبدالله مصطفى وعبد القادر عطا، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ج١٣، ص٣٢٣؛ المكي، الامام الموفق ابن احمد بن علي (ت٥٦٨هـ)، مناقب ابي حنيفة، بيروت، دار الكتاب العربي، ج١، ص٥٩؛ ابو زهرة، محمد، ابو حنيفةحياته وعصره اراؤه وفقهه، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ص٢٠.

(٤٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد (ت٨٥٢هـ)، الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٤هـ، ص٢١.

(٤٩) الشافعي، داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي، شقائق النعمان في مناقب ابي حنيفة النعمان، دراسة وتحقيق خالد شهاد مصطفى الاعظمي، ط١، بغداد، ٢٠٠١م، ص٣٥.

(٥٠) محمد: هو محمد بن ادريس الشافعي.

(51) النعمان: هو ابو حنيفة النعمان بن ثابت.

(٥٢) مالك: هو مالك بن انس الاصبحي.

(٥٣) احمد: هو احمد بن حنبل الشيباني.

(٥٤) سفيان: هو سفيان الثوري.

(٥٥) داود: هو داود الظاهري.

(٥٦) والشعر هو لابي الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الطنزي الخطيب الحصكفي (ت٥٥٣هـ).

(ينظر: طبقات الحنفية، علاء الدين بن امرالله الحميدي المعروف بالحنائي (ت٩٧٩هـ) دراسة وتحقيق أ. د. محي هلال السرحان، ط١، بغداد، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٥م، ج١، ص١٤٠.

(٥٧) الخطيب، لبغدادي، تاريخ بغداد ج١٣، ص٣٣٠.

(٥٨) النعماني، محمد عبدالرشيد، مكانة الامام ابي حنيفة في الحديث، ط١، بيروت، مكتب المطبوعات الاسلامية، ١٤٢٨هـ، ص١٧.

(٥٩) الذهبي، الحافظ شمس الدين، دول الاسلام، طبع دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد الركن بلهند، ١٣٣٧هـ، ج١، ص١٧.

(٦٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٣١.

(٦١) النعماني، مكانة ابي حنيفة في الحديث ص١٨، اخبار ابو حنيفة واصحابه، طبع حيدراباد الركن بالهند، ١٣٩٤هـ.

(٦٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج١٣، ص٣٣٤، النعماني، مكانة الامام ابي حنيفة في الحديث ص١٩.

(٦٣) المصدر نفسه ص٢٠.

(٦٤) ابو زهرة، محمد، ابو حنيفة ص٢٥.

(٦٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ح١٣، ص٣٣٣.

(٦٦) ابو زهرة، محمد، ابو حنيفة ص٢٦.

(٦٧) ابو زهرة، محمد، تاريخ المذهب الاسلامية ص٣٥٥.

(٦٨) المكي، مناقب ابي حنيفة ج٨، ص١؛ وينظر ابو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص٣٥٥.

(٦٩) ابن البزازي، محمد بن محمد بن شهاب: مناقب الامام ابي حنيفة ج٢، ص١٢٥.

(٧٠) ابو زهرة، محمد، تاريخ المذهب الاسلامية ص٣٥٨.

(٧١) ابن الحنائي، علاء الدين بن امر الله الحميدي، طبقات الفقهاء، تحقيق أ. د. محي هلال السرحان، ط١، بغداد، ديوان الوقف السني،٢٠٠٥، ج١، ص١٧٢.

(٧٢) المصدر نفسه ج١، ص١٧٦.

(٧٣) المصدر نفسه ج١، ص١٨٧.

(٧٤) المصدر نفسه ج١، ص١٩٢.

(٧٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٣٦٨.

(٧٦) المكي، مناقب ابي حنيفة ج١، ص٨٢.

(٧٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٥.

(٧٨) الكاساني، الامام علاء الدين ابو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، طبعة مصر، ١٣٢٨هـ، ج٥، ص١٨٨.

وينظر: النعماني، مكانة الامام ابي حنيفة في الحديث ص٥٧.

(٧٩) حمدي محمد،الدكتور قحطان،تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة(ﷺ)،ص٢٩.

(٨٠) ابن جريج (ت١٥٠هـ): هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، ابو الوليد، رومي الاصل من موالي قريش، لقب بفقيه الحرم المكي، اخذ عن عطاء ومجاهد. كان ثقة في الحديث. اول من صنف الكتب بمكة.
(ينظر: تذكرة الحفاظ ١٦/١، والاعلام: ٣٠٥/٤، تاريخ بغداد ٤٠٠/١٠، معجم تراجم اعلام الفقهاء ص٦٧).

(٨٠أ) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص338.

(٨١) عبدالله بن مبارك: ويكنى ابو عبدالرحمن وهو مولى رجل من بني حنظلة، ادرك من التابعين سعيد الانصاري وكثير من الائمة مثل سفيان وشعبة، وكان ثقة، مأمونا قال الشعر في الزهد والحث على الجهاد، توفي سنة (١٨٠هـ). (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٧٢/٧، تهذيب الاسماء واللغات: ٢٨٥/١، الاعلام للزركلي: ٤/٩، الامام ابو حنيفة ومنهجه في الفقه الاكبر، ص١٨).

(٨١أ) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص338.

(٨٢) مسعر بن كرام: ويكنى ابا سلمى روى عن ابي حنيفة وعطاء وقتادة، قال الثوري كنا اذا اختلفنا في شيئ سالنا مسعر عنه، لم يكن له مأوى سوى منزله والمسجد(ت١٥٥هـ) في خلافة المنصور.

(الطبقات الكبرى: ٣٦٤/٦؛ وصفة الصفوة: ٣٢٩/٣).

(٨٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٢٥ الى ٣٤٠؛ وينظر الكردري، الامام حافظ الدين محمد، مناقب ابي حنيفة، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٤٥.

(٨٤) الفضيل بن عياض (١٠٥ الى ١٨٧هـ): هو الفضيل بن عياض بن مسعود علي التميمي اليربوعي، فقيه حنفي، شيخ الحرم المكي، اخذ الفقه عن الامام ابي حنيفة، قال فيه ابن المبارك: مابقي على الارض افضل من الفضيل بن عياض، روى عنه الامام الشافعي ويحيى القطان وابن وهب وغيرهم. قال ابو حاتم والنسائي: ثقة، مأمون. قال العجلي: كوفي، ثقة، متعبد، رجل صالح يسكن مكة. من كلامه: - (من عرف الناس استراح).

(تهذيب التهذيب: ج٨/٣٩٤؛ وشذرات الذهب: ٣١٦/١؛ سير اعلام النبلاء: ٣٧٢/٨؛ والاعلام: ٣٦٠/٥).

(٨٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣ص٣٤٠.

(٨٦) اسماعيل بن حماد، (ت٢١٢هـ): هو اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة الامام الكوفي القاضي. فقيه حنفي، ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد، وقضاء البصرة والرقه. تفقه على ابيه حماد والحسن بن زياد، وسمع الحديث من ابيه ومالك بن مغول وابن ابي ذئب. وروى عنه عمر بن ابراهيم النسفي وسهل بن عثمان العسكري وعبد المؤمن بن علي الرازي وغيرهم. من تصانيفه: (الجامع في الفقه) على مذهب جده.

(الجواهر المضية: ١٤٨/١؛ وتهذيب التهذيب ٢٩٠/١؛ وتاريخ بغداد: ٣٤٢/٦؛ والاعلام: ٣٠٩/١؛ ومعجم تراجم اعلام الفقهاء، ص٢١).

(٨٦أ) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣ص 340.

(٨٧) سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من مضر، ابو عبدالله، امير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ٩٧هـ. كان سيد اهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة وراوده المنصور العباسي على ان يلي الحكم فابى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤هـ. فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل الى البصرة فمات فيها مستخفيا سنة ١٦١هـ. له من الكتب: الجامع الكبير والجامع الصغير كلامها في الحديث، وكتاب الفرائض.

(ينظر: الفهرست: ٢٢٥؛ ووفيات الاعيان: ٢١٠/١؛ والاعلام: ١٠٤/٣).

(٨٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٤١.

(٨٩) المصدر نفسه ج١٣، ص٣٤٢.

(٩٠) المصدر نفسه ج١٣، ص٣٤٣.

(٩١) الشافعي (١٥٠ الى ٢٠٤هـ): هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع من بني المطلب من قريش. احد ائمه المذاهب الاربعة، واليه ينتسب الشافعية. جمع الى علم الفقه القراءات وعلم الاصول والحديث واللغة والشعر. قال الامام احمد: (ما احد ممن بيده محبرة او ورق الا والشافعي عليه منة) كان شديد الذكاء نشر مذهبه بالحجاز والعراق. ثم انتقل الى مصر ١٩٩هـ، ونشر بها مذهبه ايضا. وتوفي بها. من تصانيفه: (الام) في الفقه، و(الرسالة) في اصول الفقه، و(احكام القران) و(اختلاف الحديث) وغيرها.

(ينظر: تذكرة الحفاظ ١/٤٣٢٩؛ تاريخ بغداد: ٢/٥٦-١٠٣؛ معجم تراجم اعلام الفقهاء، ص١٦٥).

(٩٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٤٥.

(٩٣) المصدر نفسه ج١٣، ص٣٤٦.

(٩٤) المصدر نفسه ج١٣، ص٣٤٧.

(٩٥) سورة المؤمنون: الاية ٥٠.

(٩٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٣٦.

(٩٧) المصدر نفسه ج١٣ ص٣٣٧.

(٩٨) المصدر نفسه ج١٣ ، ص٣٣٧.

(٩٩) المقدسي شمس الدين محمد بن احمد بن عبد الهادي، المختصر في طبقات علماء الحديث، نسخة مصورة من المدينة المنورة، مكتبة الجامعة الاسلامية، نص: ١/٢٦٠؛ النعماني، مكانة ابي حنيفة في الحديث، ص٥٩.

(١٠٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٠٧٠.

(١٠١) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ج٥، ص٤١٥.

(١٠٢) رأفت الباشا، الدكتور عبدالرحمن، صور من حياة التابعين، ط١٨، القاهرة، دار الادب الاسلامي، ٢٠٠٦م، ص٥٠٧.

(١٠٣) المكي، مناقب ابي حنيفة، ص٤٤٢.

المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم**.

ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)

١- اسد الغابة في معرفة الصحابة، مصر المطبعة الوهبية، ١٢٨٠هـ.

الاصبهاني، الحافظ ابو نعيم أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ)

٢- تهذيب الاسماء واللغات، القاهرة، بدون تاريخ.

٣- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٣٨م.

الاصفهاني، ابو الفرج (ت٣٥٦هـ)

٤- مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، بيروت، دار المعرفة للطباعة.

البخاري، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن اسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ)

٥- التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت).

ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج (ت٥٩٧هـ)

٦- صفوة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، ط١، ١٣٩٣هـ

حامد الدكتور عبد الستار

٧- الحسن بن زياد وفقهه بين معاصريه من الفقهاء، بغداد، دار الرسالة ، ١٩٧٠م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ)

٨- تقريب التهذيب، تحقيق ايمن عرفة، مصر، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م.

٩- تهذيب التهذيب، ط١، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٠- الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان، مصر، المطبعة الخيرية.

١١- الاصابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد علي البجاوي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٢- فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري، ط١، بيروت، دار المعرفة ١٣٧٩هـ.

حمدي محمد، الدكتور قحطان

١٣- تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة(ﭫ)، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

الحنائي، علاء الدين بن أمر الله الحميدي (ت٩٧٩هـ)

١٤- طبقات الحنفية، دراسة وتحقيق أ. د. محيي هلال السرحان، ط١، بغداد، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٥هـ.

الحنفي الامام المحدث، محيي الدين ابو محمد عبدالقادر بن محمد القرشي (ت٧٧٥هـ).

١٥- الجواهر المضية، ط١، القاهرة، ١٣٣٢هـ.

الخضري محمد

١٦- تاريخ التشريع الاسلامي، القاهرة، مكتبة الاستعانة، ١٩٢٩م.

الخطيب البغدادي، ابو بكر، احمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)

١٧- تاريخ بغداد او مدينة السلام، تحقيق عبدالله مصطفى وعبدالقادر عطا، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

ابن خلكان، ابو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم (ت٦٨١هـ)

١٨- وفيات الاعيان وابناء الزمان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

الذهبي، الامام ابو عبدالله شمس الدين (ت٧٤٨هـ)

١٩- تذكرة الحفاظ، ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي (د. ت).

٢٠- دول الاسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢١- سير اعلام النبلاء، تحقيق مأمون الصناغرجي، ط١، موسسة الرسالة، ١٩٧١م.

رأفت الباشا، الدكتور عبدالرحمن

٢٢- صور من حياة التابعين، ط١٨، القاهرة، دار الادب الاسلامي، ٢٠٠٦م.

ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر

٢٣- الاعلاق النفسية ويليه كتاب البلدان، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي، دار صادر، بيروت، طبع مدينة ليدن بمطبعة ابريل سنة ١٨٩٣م.

الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني

٢٤- تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٧م-١٤٠٨هـ.

الزركلي، خير الدين محمود بن محمد بن علي (١٩٧٩م)

٢٥- الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين.

ابو زهرة، محمد.

٢٦- الامام زيد حياته وعصره وفقهه، القاهرة، دار الفكر العربي ١٣٧٨هـ.

٢٧- ابو حنيفة حياته وعصره – آراؤه وفقهه، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

٢٨- تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الحديث، لندن، قبرص.

ابن سعد، احمد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)

٢٩- الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

الشافعي، داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي (ت١٢٩٩هـ)

٣٠- شقائق النعمان في مناقب ابي حنيفة النعمان، دراسة وتحقيق خالد نهاد مصطفى الاعظمي، ط١، بغداد، ٢٠٠١م.

الشلبنجي، الشيخ سعد

٣١- نور الابصار في فضائل آل بيت النبي المختار، القاهرة، المطبعة اليوسفية.

الشعراني، ابو المواهب عبدالوهاب بن احمد بن علي الانصاري الشافعي المصري (ت ٩٧٣هـ)

٣٢- الطبقات الكبرى المسمات بلواقح الانوار في طبقات الاخيار، حققه عبدالغني محمد علي الفاسي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (ت٤٧٦هـ)

٣٣- طبقات الفقهاء، تصحيح ومراجعة الشيخ خليل الميس، بيروت، دار القلم.

طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى

٣٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم

العصفري، ابو عمر خليفة بن خياط شهاب (ت٢٤٠هـ)

٣٥- طبقات خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٧م.

ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبدالحي (ت١٠٨٩هـ)

٣٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، بيروت، دار الافاق الجديدة.

ابن فرحون المدني

٣٧- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، مصر، مطبعة الفحامين، ١٣٥٩هـ.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)

٣٨- القاموس المحيط، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط٢، بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.

ابن قاضي شهبة، ابو بكر احمد بن محمد بن عمر (ت٨٥١هـ)

٣٩- طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميس، بيروت، دار القلم (د. ت)

ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ)

٤٠- اعلام الموقعين عن رب العالمين، اعتنى احمد عبدالسلام الزعبي، ط١، بيروت، شركة دار الارقم بن ابي الارقم ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

الكاساني، علاء الدين ابو بكر مسعود الحنفي (ت٥٨٧هـ)

٤١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة مصر، ١٣٢٨هت

ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ)

٤٢- البداية والنهاية، ط٢، بيروت، مكتبة المعارف ١٩٧٤م.

الكردري، الامام حافظ الدين محمد (٨٢٧هـ)

٤٣- مناقب ابي حنيفة، بيروت، دار الكتاب العربي.

محمد بن اسحاق (١٣٤٨هـ)

٤٤- الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى.

مراد الدكتور يحيى

٤٥- معجم تراجم الفقهاء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

المراغي، عبدالله بن مصطفى.

٤٦- الفتح المبين في طبقات الاصوليين، ط٢، بيروت، ١٩٨٠ م.

المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد بن عبدالهادي

٤٧- المختصر في طبقات علماء الحديث، المدينة المنورة، نسخة مصورة من مكتبة الجامعة الاسلامية.

المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن احمد الحنبلي (ت٦٤٣هـ)

٤٨- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، بيروت، طبع مدينة ليدن المحروسة١٩٠٦م

المكي، الامام موفق بن احمد (ت٥٦٨هـ)

٤٩- مناقب ابي حنيفة، بيروت، دار الكتاب العربي.

موسى الدكتور محمد يوسف

٥٠- محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي، مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٥م.

النعماني، محمد عبدالرشيد (ت١٤٢٠هـ)

٥١- مكانة الامام ابي حنيفة في الحديث، اعتنى به عبدالفتاح ابو غدة، ط٥، بيروت، دار البشائر الاسلامية، ١٤٢٨هـ.

النووي، الامام الحافظ ابو زكريا محيي الدين بن شرف (٦٧٦هـ)

٥٢- تهذيب الاسماء واللغات، القاهرة، المطبعة الخيرية.

كتب الطبقات وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي

طبقات أبن سعد نموذجا

د. ظمياء محمد عباس السامرائي

مركز صلاح الدين الأيوبي

أدى انتشار حركة التدوين بعد القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) الى تاليف كتبا كثيرة في مختلف الموضوعات وكان نصيب الكتابة التاريخية كبيرا ضمن هذا البحر الهائل من المؤلفات التي وصفها بعض المؤرخين بأنها: (شئ لا يحصره حد، ولا يستقصيه ضبط... لأنها كاثرت الامواج أفواجا)[1]، وإلى ذلك أشار القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)[2]: (وأعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تحصر، ولاسيما الكتب المؤلفة في الملة الإسلامية)[3]. لذلك فأن ما ألف على وجه الخصوص في الفقه والتاريخ والحديث وعلوم القرآن، وغيرها من العلوم يفوق كثيرا ما الفته الامم الاخرى حتى القرن ال١٩م. ونتيجة لتجمع مادة تاريخية ضخمة أقتضى تنظيمها أبتداع أساليب ومناهج لتنظيمها وترتيب مادتها، نظمت في كتب عرفت بكتب الرجال ورتبت هذه الكتب وفق اساليب خمسة اتبعته كتب التراجم، هي:
١- التنظيم على الطبقات ٢- التنظيم على حروف المعجم ٣- التنظيم على الوفيات ٤- التنظيم على البلدان ٥- التنظيم على الأنساب.

تعد كتب الطبقات من مناهج البحث التاريخي التي ابتكرها المؤرخين المسلمين مبكرا و الطَّبَقة، لغة: جمعها طَبَقات من المصدر طبقه الذي تؤول أكثر معانيه إلى تماثل شيئين إذا وضع أحدهما على الآخر ساواه وكانا على حذوٍ واحد، فقيل منه (تطابق الشيئان)، إذا تساويا وتماثلا، وطبقات الناس مراتبهم وقيل الطبقة

عشرون سنة[٤]، ويراد بالطبقة أحيانا الجماعة المشتركة في لقيا الشيخ [٥]، أو أبناء جيل واحد أو عصر واحد أو صنف واحد، واعتنوا بها وألفوا فيها كتبا مهمة. والطبقة اصطلاحا: تقسيم إسلامي، وهو أقدم تقسيم زمني وُجِدَ في الفكر التاريخي الإسلامي. وهذا التقسيم انبثق من فكرة توثيق تراجم الرسول (ﷺ) وصحابته والتابعين وتابعي التابعين التي تطَّورت فى أوائل القرن الثاني الهجري الذي أرتبط بنقد علم الحديث للإسناد (الجرح والتعديل). يؤيد ذلك حديث أورده البخاري نصه "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "[٦]. و لخدمة دراسة الحديث النبوي الشريف ومعرفة إسناد الحديث ونقده ابتكر المحدثون التنظيم على الطبقات، والذي يؤدى إلى معرفة ما إذا كان الحديث متصلا، أو ما فى السند من إرسال أو انقطاع، أو عضل أو تدليس، أو اتفاق فى الأسماء مع اختلاف فى الطبقة.

وأستعمل المؤرخون والأدباء واللغويين وكل أهل طائفة التنظيمات التي ابتكرها المحدثون لتنظيم كتب التراجم منذ القرن(٣هـ/ ٩م)، من أقدمها: (طبقات أهل العلم والجهل) لواصل بن عطاء (ت١٣١هـ/٧٤٨ م)[٧]، وكتاب (طبقات الفقهاء والمحدثين)[٨] وكتاب من روى عن النبي وأصحابه) لهيثم بن عدي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)[٩]، لعله أول كتاب من نوعه على أساس الطبقات لتراجم الر جال، ((ويحتل مكانة خاصة في تطور التأريخ لالجمعه بين دراسات التاريخ والانساب فقط ولكن للطريقة التي تناول بها التدوين التاريخي وللمفهوم التاريخي عنده وللكتب التي ألفها))[١٠]. أما معاصره الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)[١١] الذي وضع كتاب (في تاريخ طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة) ((وتظهر أهمية هذا الكتاب بما يكشفه عن علاقة الحديث بالتاريخ ونشوئه فهو أقدم كتاب منظم على الطبقات))[١٢] ((ولعله أول كتاب من نوعه.. سبق به أبن سعد))[١٣] ولا نمتلك دليلا مؤكدا على أسبقية أي منهما فهما أبناء جيل واحد وعاش كلاهما في بغداد أواخر

حياته فقد عاش الواقدي أعوامه الثلاثين الأخيرة في بغداد ولي فيها القضاء، ووضع أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي (ت٢١٠هـ) كتاب (طبقات الفرسان)[١٤] لكنه لم يصل إلينا كذلك. ومن أوائل كتب الطبقات التي وصلت إلينا **كتاب** لمحمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م) (الطبقات الكبرى)، وكتاب(الطبقات) لخليفة بن خياط (ت٢٤٠ هـ/٨٥٤م)[١٥]، ويمثل هذان الكتابان تطوراً هاما فى الكتابة التاريخية وإن كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم الحديث.

أما أبن سعد فقد تأثر بشيخه الواقدي ولازمه، وغالبا ما كان يعرف بكاتب الواقدي فألف كتابه على الطبقات وسماه (الطبقات الكبرى). وتلته في عصور لاحقة جملة كبيرة من المؤلفات التاريخية مرتبة على الطبقات، تناولت تراجم الرجال في مختلف العلوم، منها في القرون الثلاثة الأولى للهجرة: طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي البصري (٢٣١هـ/٨٤٥م)[١٦]، و طبقات أهل العلم للشاذكوني، أبو أيوب سليمان بن داود بن بشر بن زياد النفري البصري (ت٢٣٤وقيل ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)[١٧] طبقات الشعراء لإسماعيل بن أبي محمد اليزيدي(ت٢٤١هـ)[١٨]، وطبقات الشعراء لمحمد بن حبيب النحوي (ت٢٤٥هـ)[١٩]، وطبقات الصوفية والتابعين لمحمد بن علي الترمذي (ت٢٥٥هـ)[٢٠]، وطبقات الرواة لمسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)[٢١]، وطبقات الشعراء لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)[٢٢]، طبقات التابعين وأخبارهم لأبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠ م)[٢٣]، وطبقات النحاة البصريين للمبرد محمد بن يزيد الازدي البصري (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) [٢٤]، وطبقات الكتاب لنطاحة الانباري (ت ٢٩٠هـ٩٠٣م)[٢٥] والطبقات في الأسماء المفردة من أسماء العلماء وأصحاب الحديث للبردعي البرديجي (ت٣٠١ هـ/ ٩١٣م)[٢٦]

وفي منتصف القرن الرابع الهجري ظهر مفهوم الطبقة بوضوح في كتاب الإمام ابن حبان البُستيّ (ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م) حيث قَسَّم الرواة في كتابيه (الثِّقات) و(مشاهير علماء الأمصار) إلى ثلاث طبقات، هم: ا لصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين، فصارت الطبقة هنا تعني جيلا [٢٧].

وهكذا كانت بواكير التأليف في هذا الفن، الذي توسع فظهرت طبقات الفقهاء والشعراء والكتاب والوزراء والأطباء والحكماء والفلاسفة والأدباء، والنحويين واللغويين، وتقدم هذه الكتب غالبا معلومات عن بدايات كل علم وتطوره من خلال دراسة رجاله ما أضافوه لهذا العلم، فكتب التراجم والطبقات هي السجل الحافل للأنشطة الثقافية والدينية والعلمية للأمة الإسلامية، وتمدنا بمعلومات عن الحياتين الاقتصادية والاجتماعية. ويبين المترجم له مدى إسهامه في أحد المظاهر الحياتية المختلفة للمجتمع الإسلامي، ومن الملاحظ عدم وجود تقسيم موحد للطبقة عند المؤلفين، وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة وعصرا بعد عصر الى زمن المؤلف[٢٨].

التعريف بالطبقات الكبرى[٢٩]:

نال كتاب (الطبقات الكبرى)لابن سعد اهتمام المستشرقين بعد أن أطلع عليه وعني بتحقيقه المستشرق سخاو sachau [٣٠]عن خمسة مخطوطات توفرت لديه[٣١] صدرت الطبعة الأولى منه في ليدن سنة ١٩٠٤ حتى ١٩١٨ في ثمانية أجزاء وخصص القسم الأول من الجزء التاسع منه للفهارس وصدر عام ١٩٢٠، ثم صدر القسم الثاني من الجزء التاسع منه سنة ١٩٢٨وبه فهارس الأماكن والقبائل والآيات القرآنية، وعام ١٩٤٠ ظهر القسم الثالث من الجزء التاسع وهوفهرس لأسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب، يهدف الكتاب في المقام الأول الى تدوين سيرة مفصلة للرسول (ﷺ) لذا اصطلح على تسميته (أخبار النبي)[٣٢]، وتناول في جزء آخر سير

الصحابة والتابعين حتى سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م[٣٣]، وطبع مرة أخرى في بيروت ١٩٥٧-١٩٦٠ في ثمانية مجلدات اعتمادا على الطبعة الأوربية استغرقت أخبار النبي (ﷺ) منها الجزء الأول تعرض فيه لحياة الرسول (ﷺ) في طفولته وشبابه حتى بعثته، أما القسم الثاني من الجزء الأول فيبدأ بالحديث عن العهد المدني ويبسط القول في أوامر النبي وبعثه الرسل بكتبه ووفود القبائل عليه وطريقه معيشته، ونجده يفرد الحديث بالقسم الأول من الجزء الثاني لغزوات النبي (ﷺ) والقسم الثالث في (طبقات البدريين من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ومن كان بعدهم من أبنائهم وأتباعهم من أهل الفقه والعلم والرواية للحديث طبقة بعد طبقة)[٣٤] وجعل القسم الرابع في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرا وشهدوا أحدا وما بعدها من المشاهد[٣٥] وأفرد القسم الثامن للنساء من الصحابيات والتابعيات

وطبقات أبن سعد، من أهم وأوسع كتب التراجم التي يمكن اعتمادها لدراسة التاريخ الاجتماعي للقرون الثلاثة الأولى للهجرة (١-٣هـ/٦-٩م) لما يقدمه من مادة تاريخية عن حياة الرسول (ﷺ) وعلاقاته وسلوكياته اليومية التي انعكست على الصحابة والتابعين ومن تبعهم، ويتناول تراجم الصحابة (رضوان الله عليهم) وأبناء العهد الأول وجيل التابعين ورواة الحديث، وجوانب من حياتهم الاجتماعية ملبسهم ومأكلهم وعاداتهم وطبيعة عيشهم، يقول هاملتون جب: (الخطة المتبعة في كتاب الطبقات هذا تطورا جديدا في فن التاريخ... وهذا التطور ينقل الترابط بين عناصر الحديث الصحيح وتيار ثان من الرواية... وهو ما نجده في فن القصاص.. الذي يمثل العودة الى نوع من الأدب الشعبي...)[٣٦].

ابن سعد سيرته، ثقافته[٣٧]:

أبن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، الزهري، المكنى بأبي عبد الله، ولد سنة١٦٨هـ /٧٨٤م بالبصرة فنسب إليها، وكان احد اجداده مولى لبني هاشم[٣٨]

وكانت له رحلة الى المدينة والكوفة، واتصل بأعلام عصره من المحدثين، فروى عنهم وقيد مروياتهم وأفاد منها في تصنيف كتبه عاش في المدينة حقبة، ثم ارتحل الى بغداد، وأقام فيها للقاء الشيوخ، وكتابة الحديث، وجمع الكتب، ولازم أستاذه الواقدي يكتب له، حتى عرف باسم ((كاتب الواقدي)) [٣٩]، كان على اتصال برجال الحديث في عصره، ولقي بعض الشيوخ عام ١٨٩هـ ذكرهم في الطبقات[٤٠]، بالإضافة الى ذلك أهتم بالنحو واللغة والقراءات والأنساب.

اختلفوا في تحديد وفاته[٤١]، فذكر الخطيب البغدادي وفاة أبن سعد (ت حوالي ٢٣٠هـ/٨٣٥م)[٤٢]، وذكر وفاته الصفدي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦ م [٤٣]، وفي رواية أنه توفى سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠م، والمرجح ٢٣٠هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب الشام وهو ابن أثنين وستين سنة.

مصادره:

أعتمد في كتابة السيرة ووفاة النبي (ﷺ) على كتب أستاذه الواقدي[٤٤]، وفي كتابة المغازي على ابن إسحاق[٤٥]، وفي كتابة تاريخ اليهود والنصارى في المدينة هشام بن محمد الكلبي(ت٢٠٦هـ)[٤٦]، وكان مصدره في كتابة (نسب الأنصار) عبد الله بن محمد بن عمارة (ت٢٠٠هـ/٨١٥م)[٤٧].

مؤلفاته:

١- الطبقات الكبرى [٤٨]

٢- الطبقات الصغير الذي ربما يكون مختصر لكتابه الكبير و مستخرج منه.

٣- أخبار النبي)، ذكره أبن النديم، ونجد ان الكتب الثلاثة في الاصل كتاب واحد لوحدة الموضوع وأن كنا لا نستطيع الجزم لان الكتابين الآخرين لم يصلا إلينا[٤٩]

٤- القصيدة الحُلوانيَّة في افتخار القحطانيين على العدنانيين، منسوبة له وعليها شرح لغازي بن يزيد[٥٠].

كتب الطبقات وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي | مجلة آداب الفراهيدي العدد (٢) السنة الأولى | د. ظمياء محمد عباس السامرائي

أهمية طبقات أبن سعد في دراسة التاريخ الاجتماعي:

يمثل كتاب ابن سعد مرحلة جديدة في الكتابة التاريخية نتيجة للمتغيرات السياسية والفكرية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع، بعد القرن الثاني الهجري وانتشار حركة التدوين الفت كتب كثيرة في التاريخ والحوادث الماضية وأحوال المجتمع وكان ما ألفوه يفوق كثيرا ما الفته الأمم الأخرى حتى القرن التاسع عشر ميلادي [٥١]، ويرى المستشرق هاملتون جب[٥٢] أنه: ((في أوائل ق٣هـ دخل المجتمع الإسلامي مرحلة من الوعي التاريخي...، وكان للحجج التاريخية التي وردت في القرآن، وذلك الفخر بالفتوحات الإسلامية الواسعة أثر في نشوء ذلك الوعي، وهناك ظاهرة هي أن جلَّ جامعي الروايات التاريخية أنما كانوا من الفقهاء والمحدثين وعلماء اللغة، وهذه الظاهرة توحي بالوعي))[٥٣] وقال أيضا: ((وتعين لنا الخطة المتبعة في كتاب الطبقات هذا تطوراً جديدا في فن التاريخ وتبين أنه لم يزل مرتبطا ارتباطا وثيقا بعلم الحديث...))[٥٤].

ويقدم لنا كتاب الطبقات لابن سعد صورة عن الحياة الاجتماعية في القرن الأول والثاني الهجري من خلال تقصيه لعناصر الترجمة بكل أبعادها الإنسانية، إضافة لعناصر الترجمة الأخرى التي نجدها في معظم كتب التراجم من ذكر الاسم والكنية والنسب والقبيلة والمدينة التي ولد بها المترجم له، ورحلاته وانتقاله الى مدن أخرى، وأين مات ودفن وسنة الوفاة ومؤلفاته ان كان عالما وما رواه من أحاديث أن كان محدثا وغيرها من متطلبات كتابة الترجمة، لكن ابن سعد يقدم مادة جديدة تختلف عن سواه من كتاب التراجم لأنه يعطي أهمية للنسب من جهة الأم، اولا، ومؤكدا على جوانب من الحياة الاجتماعية لرجال ونساء الصدر الأول والتابعين جوانب من حياتهم وطريقة معاشهم وملبسهم وفرشهم وأدواتهم التي يستخدمونها وعاداتهم الاجتماعية في الزواج والوفاة والجنازة والدفن والولائم لمعظم التراجم التي ذكرها ثانيا، وذكر جوانب

من علاقاتهم مع أسرهم ومع بعضهم ونصوصا عن التكافل الاجتماعي ثانياً، وهي معلومات تعد مبكرة جدا لكتابة ما يطلق عليه اليوم بالتاريخ الاجتماعي الذي ظهر الاهتمام به في أوربا في القرن ١٩م.

ومن الضروري بيان ماذا نعني بالتاريخ الاجتماعي وموضوعه؟

هو كل ما يهتم بدراسة العلاقات في الحياة الاجتماعية اليومية وطبيعتها ومتغيراتها وخصائصها ومميزاتها، من أفكار وعقائد وعادات وتقاليد وأعمال وحاجات مادية وسلوك الفرد والأسرة والتجمعات البشرية في الماضي حيث كانت تسود هذه الأوضاع، وأساس البحث فيه هو الجماعات وليس الفرد، يقول تريفليان[٥٥]: (أن هذا التاريخ يبحث في أفكار الماضيين وأشغالهم وعقائدهم وحاجاتهم وعاداتهم، وهو يركز على حياتهم اليومية، بما في ذلك العلاقات البشرية والاقتصادية بين الطبقات المختلفة، وخصائص العائلة والحياة البيتية، وأحوال العمل والراحة، وموقف الإنسان تجاه الطبيعة، وحضارة كل عصر بالشكل الذي ظهرت فيه هذه الأحوال العامة للحياة، وأشكالها التي تغيرت فيها في الدين والأدب والموسيقى والبناء والعلم والفكرة)[٥٦]. وقال: (أن التغييرات الاجتماعية تسير كالمياه الباطنية، وتخضع لقوانينها الخاصة ولا تأبه كثيرا للحوادث السياسية التي تسير على سطح الحياة، فالسياسة نتيجة وليست سببا للتغيرات الاجتماعية. أن هذه التغييرات في الغالب بطيئة غير ملحوظة، وهي تتأثر بعوامل كثيرة معقدة من عادات وقوانين سياسية وحوادث داخلية وخارجية فضلا عن أنها تشمل نواحي متعددة قلما تجلب نظر المؤرخين القدماء ليسجلوها، مما يجعل واجب المؤرخ صعبا، لأنه يتطلب منه أن يعطي صورة كاملة من معلومات محددة)[٥٧].

أما الجوانب الاجتماعية التي قدمها ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ذات أهمية كبيرة لا غناء الباحث في كتابة التاريخ الاجتماعي في القرنين الأول والثاني

للهجرة إذ ترجم لحياة عدد كبير من الصحابة، مؤكدا على تفاصيل دقيقة تغني هذا الموضوع إلا أن ما يؤخذ عليه (أن تراجمه كانت لرجال عاشوا في الأمصار الرئيسة دون غيرها ومن الطبيعي أن معظمهم من العرب أو من الأعاجم الذين عاشوا في بيئة عربية فتأثروا بها. . فهي على غناها. .. ، لا تبرز التطور ومجراه)[٥٨].

ومن المؤكد أن معظم جوانب الحياة الاجتماعية ترتبط بالإسلام وتعاليمه (المباح والمحرم والمحذور) لانه الحدث الأكبر في حياة العرب الاجتماعية وتاريخهم، ومصدرهم الأول في ذلك (القرآن الكريم)، وسيرة الرسول الكريم (ﷺ) لقوله سبحانه وتعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[٥٩]، فأرتبط مجتمع الصدر الأول من المسلمين ارتباطا مباشر بالرسول (ﷺ) في مكة وسط المجتمع المكي المعادي أول أمره، ثم الانتقال الى المدينة حيث وضعت الأسس الأولى للدولة الإسلامية الفتية. لذا كانت السلوكية الاجتماعية مرتبط بالإسلام وسيرة الرسول الكريم وال بيته.

ومن الجوانب الاجتماعية التي أرخها ابن سعد في طبقاته:

الاهتمام بالمظهر الخارجي (بالملابس والزينة) لقوله سبحانه وتعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[٦٠]، والزينة تشمل الملابس وشكل الشعر ولونه والخضاب والعطور والحُلي وأهتم بذكر المناسبات الاجتماعية مثل (ولائم الأعراس والعزاء، وما يتعلق بالدفن والكفن، والمهر والصداق والعرس والزواج) وأنواع الفرش والأثاث الأطعمة المعروفة في زمانهم وغيرها من خلال ذكره تفاصيل دقيقة في معظم من ترجم لهم.

أولا: الملابس:

تميزت ملابس القرون الأولى بأنها عربية الشكل، لها خصوصيتها التي تمثل الشخصية الإسلامية متأثرة بالواقع الديني للإسلام وتعاليمه، وهي المعبر الشكلي عن الإنسان المسلم التي امتاز بالبساطة والابتعاد عن الإسراف والبهرجة وأضفت عليها

السنة النبوية خصائص من الترتيب والتهذيب في الشكل واللون، وتناسب البيئة وطبيعة المناخ حيث تختار من الكتان والأقمشة الناعمة والخالية من الألوان والرسوم والزخارف، ويفضل في الملابس الإسلامية أن تستر الجسم والرأس والرقبة، مناسبة لحركات الجسم في الصلاة لذا يفضل أن تكون فضفاضة بحيث تخفي الجسم فلا تكشف عن سماته[٦١] وكانت ملابس المسلمين في زمن الرسول (ﷺ) والصحابة الأوائل بسيطة من غير إسراف و تبذير، قال رسول الله قال رسول الله (ﷺ): ((لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً))[٦٢] وقوله (ﷺ): ((كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة))[٦٣] ومن الملاحظ أن الملابس الإسلامية انتشرت في البلاد المفتوحة مع المسلمين الأوائل وفضل استخدامها على غيرها للأسباب الأنفة.

أ- **ملابس النساء**:

اختلفت ملابس الرجال عن النساء بحكم الخصوصية التي منحها الله للمرأة و الضوابط الشرعية فأباح لبس الحرير للنساء وحرم ذلك على الرجال الا في أضيق الحدود عندما أجاز رسول الله (ﷺ) لعبد الرحمن بن عوف بلبس الحرير لمرض ألم به [٦٤]، وسئُلت عائشة (ت٥٨هـ/٦٧٧م) (رضي الله عنها)[٦٥]عن الحرير، (فقالت: كنا نكسى ثيابا على عهد رسول الله (ﷺ) يقال لها السِيَراء[٦٦] فيها شيء من الحرير[٦٧] وفي رواية(رأيت على أم كلثوم بنت رسول الله (ﷺ) برد حرير سِيَراء)[٦٨]، ولبست النساء الثياب المُعصفُرات [٦٩] المصبوغة، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص [٧٠] قالت: (رأيت ستا من أزواج النبي(ﷺ) عليهن مُعصفُرات وما رأيت عليهن ثوب أبيض قط. ..)[٧١] ولبست أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) (ت٧٣هـ/٦٩٢م) المُعصفرات المشبعات[٧٢] من الملابس بينما نهى الرجال لبس المُعصفُرات وهي محرمة ليس فيها زعفران[٧٣]، وعن فاطمة بنت المنذر[٧٤] انها قالت:

ما رأيت أسماء لبست الا مُعصفرا حتى لقيت الله، وكانت تلبس الدرع الذي يقوم قياما من المعصفر[٧٥]. ذكر ابن سعد عن محمد بن سيرين (ت١١٠هـ/٧٢٨م) [٧٦] (حدثتنا حفصة بنت سيرين[٧٧] قالت: (كانت أم محمد بن سيرين امرأة حجازية وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد اذا أشترى لها ثوبا أشترى لها الين ما يجد لا ينظر في بقائه، فإذا كان كل يوم عيد صبغ لها ثيابها).

ولبسن الملابس المُضَرَجَّة[٧٨]، قالت أحدى الصحابيات: (رأيت على عائشة ثوبا مُضَرجَّاً، فقلت وما المُضرجَّ؟ فقال: هذا الذي يسمونه المُورد)[٧٩]، ولبسن الدَرْع[٨٠] والجِلْبابُ[٨١] والخِمارُ[٨٢] والإزار[٨٣] وفق الشروط التي وضعها القرآن والسنة، قالت عائشة: (لابد للمرأة من ثلاثة أثواب تصلي فيهن، دِرْع وجُلباب وخِمار، وكانت تحل إزارها فتتجلبب به) ولبست عائشة درعا أحمر[٨٤]، والبس رسول الله (ﷺ) أُم خالد (وهي أَمة بنت خالد بن سعيد بن العاص) بيده خَمِيصة [٨٥] سوداء، وجعل ينظر الى علم في الخميصة أصفر أو أحمر، فقال: هذا سنا [٨٦] يا أم خالد. قالت والسنا بلسان أهل الحبشة الحسن [٨٧]، وقدمت لأسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) من ولدها المنذر بن الزبير كسوة من ثياب مَرْوية [٨٨] و قُوهية [٨٩]رقاق [٩٠] عُتَاَق[٩١]، بعد ما كف بصرها فلمستها بيدها، ثم قالت: أفٍ ! ردوا عليه كسوته، فشق عليه ذلك وقال: يا أمه إنه لا يشف. قالت: أنها أن لم تشف فأنها تصف [٩٢] فأشترى لها ثياب مَرْوية و قُوهية فقبلتها وقالت: مثل هذا فاكسني)[٩٣].

وأشترك الرجال والنساء في ارتداء بعض الملابس والنسيج منها لبس الخُز(كان لعائشة لباس تلبسه من الخُز فكسته عبد الله بن الزبير)[٩٤]. ومن طريف ما يذكر عن لباس عثمان (ﷺ) وحبه لزوجته نائلة وبره بها قالوا: ((كان أصحاب رسول الله (ﷺ)، يوسعون على نسائهم في اللباس الذي يُصانُ ويتجمل به، ثم يقول: رأيت على عثمان مَطرَفَ [٩٥]خُزْ ثمن مائتي درهم، فقال هذا لنائلة كسوتها إياه، فأنا البسه

أسُرها به))[٩٦]. ولابد لنا هنا من التنبيه عن الفرق بين الخَز (بفتح الخاء وتشديد الزاي) لبسه غير مستحب لأنه كله من الابريسم [٩٧](قومٌ يستحلون الخَز والحرير)، أما الخُز (بالخاء المضمومة المشددة) من الثياب التي تنسج من الصوف و الأبريسم فهي مباحة لبسها الصحابة والتابعون [٩٨].

واختلفت ملابس الشتاء عن ملابس الصيف، قيل لعائشة(رضي الله عنها) ((ألا نجعل لك فروا نهديه إليك فأنه أدفأ تلبسينه فقالت: أني لأكره جلود الميتة، فقال لها: أني ساقوم عليه ولا أجعله الا ذكياً، فجعله لها فكانت تلبسه))[٩٩].

ب- **ملابس الرجال**:

أهتم ابن سعد بذكر كثير من التفاصيل التي أغفلها الكثير من المؤرخين في كتب التراجم والطبقات، منها وصفه الدقيق لأنواع الملابس وإشكالها وطولها وأنواعها وأسعارها، وما يلبس في المناسبات العامة او عند أداء صلاة الجمعة وما إلى ذلك، كانت ملابس الرجال مختلفة الألوان والإشكال والنوعية والنسيج والمنشأ لذا نسب بعضها إلى مدن صناعتها، منها، المصرية والقطرية والكردية واليمنية والبحرينية والهروية والمروية والقوهية وغيرها. وتنوعت الملابس التي يرتدونها من ذلك الإزار، والقميص، والخَمِيصة والبُرْدَة[١٠٠]، والجُبةُ[١٠١]، والقَبَاء والطيْلَسَان [١٠٢]، كل هذه الملابس يلبسها الرجل مجتمعة أو متفرقة في المسجد أو في الحياة العامة وفي الحديث الشريف الأتي يذكر رسول الله (ﷺ) أنواع الملابس التي لبسها المسلمون في عصره، قال: ((لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا السراويل [١٠٣]ولا البرنس[١٠٤] ولا ثوباً مسه زَعْفَرَان[١٠٥] ولا وَرْس[١٠٦] ولا الخُفين[١٠٧] الا لمن لم يجد النعلين[١٠٨] فإن لم يجدهما فليقطعهما أسفل من الكعبين))[١٠٩] ونهى رسول الله الرجال من لبس الملابس المصبوغة بالعصفر و الزعفران و الورس بشكل عام، رأى النبي (ﷺ) على عبدالله بن عمرو بن العاص (ت٦٣هـ/٦٣٠هـ) [١١٠] ثوبين مُعصفُرين فقال: (إن هذه

الثياب ثياب الكفار فلا تلبسها) وفي رواية قال النبي: (أمك أمرتك بهذا؟فقال أغسلهما يا رسول الله، فقال رسول الله: حَرقهما)[١١١]، وفي رواية عن سلم مولى عمر أن عمر(رضي الله عنه) رأى على طلحة بن عبيد الله[١١٢] ثوبين مصبوغين بمِشْق[١١٣] وهو مُحْرِم فقال: ما بال هذين الثوبين يا طلح؟ يا أمير المؤمنين صبغناه بمدَرَ[١١٤]، فقال عمر: إنكم أيها الرهطُ أئمة يقتدي بكم الناس، ولو أن جاهلا رأى عليك ثوبيك هذين لقال قد كان طلحة يلبس الثياب المصبغة وهو مُحْرِم[١١٥].

وأفرد ابن سعد عنوانا مستقلا عن ألبسة الصحابة الأوائل الكبار مثل لباس النبي (ﷺ) ولباس عثمان (رضي الله عنه) ولباس علي(عليه السلام) [١١٦].

واهتموا بملابس الخروج للزيارة أو للمسجد عن أبي العالية الرياحي (ت٩٠هـ/٧٠٨م)[١١٧]، قال: (زارني عبد الكريم أبو أمية[١١٨]، وعليه ثياب صوف. فقلت له: هذا زي الرهبان، أن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا)[١١٩]، وعنه أيضا: (كنت أشتري كرباسة [١٢٠] رازية باثني عشر درهماً، فأجعل منها قميصاً وعمامة، وكان يجزيني إزاراً بثلاثة دراهم ألبسه تحت القميص، غير أني كنت أستجيد الرداء يبلغ العشرين والثلاثين)[١٢١]. ولبسوا في البيت السراويل، قال: أخبرنا الفضل بن دُكين[١٢٢] قال: حدثنا أو خلدة قال: (رأيت على أبي العالية سراويل، قال قلت له: مالك والسراويل في البيت ؟ قال: هو من ثياب الرجال وهي تستر)[١٢٣]، وفيما ذكره خبرا عن الحسن البصري (ت١١٠هـ/٧٢٨م) [١٢٤] قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا عبد المؤمن السدوسي قال: (كنت أرى على الحسن بن أبي الحسن البصر ي وهو في المسجد الطَيْلَسَان الكردي المثنى الغامض السلك)[١٢٥]، وقال: أخبرنا عفان بن مسلم [١٢٦] قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: (رأيت على الحسن البصري ثوبا سَعيدياً [١٢٧]مُصَلباً وعمامة سوداء)[١٢٨]، وقال ابن سعد: أخبرنا هشام بن حسان قال: (بعث مسلمة بن عبد الملك للحسن البصري جُبَةُ [١٢٩] وخَمْيصة

فقبلهما فربما رأيته في المسجد وقد سدل الخميصة على الجبة)(١٣٠)، والخميصة كساء أسود مربع له علمان فأن لم يكن معلما فليس بخميصة شاع لبسه بين الرجال وقليل من النساء لبسها الرسول (ﷺ) ثم تركها، ولبسها الخليفة عثمان وعلي وكثير من الصحابة والتابعين ومنهم الحسن البصري، قال ابن سعد: أخبرنا وهب بن جرير بن حازم قال: (رأيت الحسن يصلي وعليه خميصة كثيرة الأعلام فلا يخرج يده منها إذا سجد، وقال: أخبرنا الفضل بن دكُين قال حدثنا عمارة بن زاذان قال: (ورأيت على الحسن قميص كتان شطوي(١٣١) وبرداً مُصَلبَاً (١٣٢)وقَبَاْء(١٣٣) متركاً وطيلساناً أزرقياً)(١٣٤)، وكان محمد بن سيرين يلبس الثياب اليمنية و الطيالسة والعمائم،. ..) (١٣٥). ولبسوا الإزار وهو لباس الجسم الداخلي للرجال وربما لبسته بعض النساء وكان لرسول الله (ﷺ)إزار طوله أربعة اذرع وشبر في ذراعين (١٣٦)بينما كان إزار عمر (رضي الله عنه) الى نصف الساقين، وكان على (عليه السلام) (يأتزر فوق السُرة)(١٣٧) ولبس الإزار محللا واشتمالا (١٣٨) ولبسوا الثياب والقمصان، ولبس علي (عليه السلام) (قميص رازي إذا مدً كُمه بلغ الظُفر فإذا أرخاه، بلغ نصف ساعده، وقيل بلغ نصف الذراع) ولبس(عليٍ قميصا من هذه الكرابيس غير غسيل) (١٣٩)وكان (يخرج من القصر وعليه قطريتان إزار الى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه ومعه درة له يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول أوفوا الكيل والميزان)، وعنه أيضا(اشترى قميصا(١٤٠) زابيا فلبسه فمد كمً القميص فإذا هو مع أصابعه فقال له: كفه.. .)(١٤١)، وعن أحدى الصحابيات قالت: (رأيت علياً ومعه مخففة وعليه رداءُ سُنبلانيٌ (١٤٢)وقميص كرابيس وإزار كرابيس إلى نصف ساقيه إلا زار والقميص)(١٤٣).

ومن الشواهد التي ذكرها ابن سعد عن أسعار الملابس (أبتاع عليً قميصاً بأربعة دراهم فجاء الخياط فمد كُم القميص فأمره أن يقطعه مما خلف أصابعه)(١٤٤)

وقيمة كسوة بكر بن عبدالله المُزني (ت١٠٦هـ/٧٢٤م)(١٤٥)أربعة الآلاف درهم وكانت أمه ذات ميسرة، قال: وأشترى (طيلسانا بأربعمائة درهم، فأراد الخياط أن يقطعه فذهب ليذر عليه تراباً، فقال له بكر: كما أنت، فأمر بكافور فسحقه ثم ذره عليه)(١٤٦)، وكان الرجل من أصحاب النبي (ﷺ) يشتري الحُلة بألف درهم فيلبسها ولكنه لا يلبسها إلا للصلاة (١٤٧)، وأباح الإسلام لبس ما شاء الرجال من النسيج إلا الحرير، ولم يرخص لبسه إلا لعبد الرحمن بن عوف. ولبسوا المُطَرَفُ و(كان لعثمان مُطرف من خز ثمنه مائة دينار)، وكان لأبي موسى الأشعري(ت٥٢هـ/٦٧٢م) مقطعة(١٤٨) ومُطرف حيري(١٤٩).

ثانيا: أغطية الرأس

أ- العمائم مفردها عمامة: لباس الرأس وهي من أساسيات الملابس التي لبسها الرجال المسلمون وميزتهم عن غير المسلمين، ولبسوا أنواع مختلفة من العمائم ذكرها ابن سعد في طبقاته اختلفت في ألوانها وإشكالها منها العمائم البيضاء والسوداء والصفراء والحمراء، الصفراء والمهراة(١٥٠) وموطن صناعتها، التي كانت تحمل منها الى بلاد العرب، ولبس النبي (ﷺ) يوم دخل مكة يوم الفتح عمامة سوداء(١٥١)، ولبس أنس ابن مالك(ت٩٢هـ/٧١٠ م)(١٥٢) (عمامة سوداء على غير قلنسوة، قد أرخاها خلفه، وقلنسوة)(١٥٣)ولبس كذلك عمامة خَز (١٥٤)، وجبة خز ولبس أيضا عمامة بيضاء (١٥٥)، ولبس ((عمامة خز وجبة خز ومطرف خز. فقالوا له: ما لك تنهانا عن الخز وتلبسه. فقال: أمرائنا يكسونا، فنحب أن يروه علينا))، ولبس خز أصفر وأحمر، وأخضر معلم (١٥٦).

واختلفوا في ترتيب أشكالها منها بيضاء لاطية ترخى ذؤابتها من الخلف((كان رسول الله (ﷺ) يعتم ويرخي عمامته بين كتفيه))(١٥٧)، وكان ((محمد بن سيرين يتعمم بعمامة بيضاء لاطية قد أرخى ذؤابتها من خلفه))(١٥٨)، والذؤابة هي طرف

العمامة، وقيل أرخى عمامته أي أَمن وتَرفهَ لأن الرجل أنما يرخي عمامته عند الرخاء [١٥٩]، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ/٦٨٤م)يعتم بعمامة حَرقانية ويُرخيها شبرا وأقل من شبر [١٦٠].. واستعملت العمائم إضافة الى أهميتها الاجتماعية لحفظ الرأس من حر الشمس وبرد الشتاء ولحجب الغبار في أجواء الجزيرة العربية القاسية.

ب- العصائب، وهي كل ما يعصب به الرأس [١٦١]ويقال للعمائم العصائب، لبسها الرجال والنساء بألوان مختلفة(رأيت عليا متعصباً بعصابة سوداء، ما أدري أيَّ طرفيها أطول الذي قدامه أو الذي خلفه، يعني عمامة)[١٦٢] كان الزبير بن العوام يعلم بعصابة صفراء [١٦٣].

ج- القلنسوة والقُلنسية [١٦٤] من لباس الرأس التي عرف لبسها المسلمين منذ الصدر الأول وهي لباس يكور على الرأس فوق العمائم، وصفها أحد الصحابة قال(رأيت على عليٍّ قلنسوة بيضاء مصرية)[١٦٥] وتلبس القلنسوة أما وحدها أو تلف حولها العمائم ومنها ألوان وأشكال مختلفة [١٦٦].

د- الخِمارُ، غطاء الرأس والرقبة عند المرأة، ولبست عائشة الخمار الأسود [١٦٧] وكان لا يفضل الخمار الرقيق الذي يشف (دخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة أم المؤمنين وعلى حفصة خمار رقيق فشقته عائشة عليها وكستها خماراً كثيفاً)[١٦٨].

ثالثا: لباس القدم

ولبس المسلمون الخفاف والنعال، واختلفت أشكالها وألوانها وموطن صناعتها فعرفت النعال الحَضْرَمية [١٦٩]، نسبة إلى مدينة حَضْرَموت والنعال الحمصية نسبة إلى مدينة حمص، و((لبس عبدالله بن عمر نعلين بقبالين أحد الزمامين بين الأربع من نعال ليس عليها شعر ملسنة كنا نسميها الحمصية)) واقتدى عبدالله بن عمر برسول الله (ﷺ) في لبس((النعال السِّبْتية)) [١٧٠]

رابعا: الزينة

أهتم المسلمون بالزينة وفق التعاليم التي أقرها الإسلام من غير إسراف او بهرجة خاصة عند الخروج للمسجد وأيام الجمعة لقوله تعالى: چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ چ[١٧١]، ومن مظاهر الزينة عند المسلمين:

أ- **تخضيب الشعر واللحية**، رغب كثير من الصحابة والتابعين في تخضيب شعر الرأس واللحية، وأن لم يكن ملزما فنجد نصوصا كثيرة عن الشعر وتغيير لونه أو إطفاء الشيب و تخضيبه بالحناء، أو الكتم، (وأن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكتم)[١٧٢]، (وخضب أبو بكر رأسه ولحيته بالحناء، وكأن لحيته ضرام عرفج من شدة الحمرة من الحناء والكتم)[١٧٣]، (وخضب أبو عبيدة عامر بن الجراح بالحناء والكتم)[١٧٤]، وخضبوا بالسواد (كان سعد بن أبي وقاص يخضب بالسواد)[١٧٥]، قال ابن سعد: حدثتنا صافية بنت عبد الله مولاة مطرف بن عبدالله (ت٨٧هـ)[١٧٦] قالت: (رأيت على مطرف بن عبدالله برداً قطرياً، ورأيته يخضب لحيته ورأسه بالحناء والكتم، ورأيته توضأ في تور[١٧٧] صفر قدر المكوك) وتشير اغلب الروايات التي ذكرها ابن سعد الى تخضيبهم اللحية دون الشعر بالسواد او الصفرة ومنهم، عبدالله بن عمر (ت٧٤هـ/٦٩٣م)كان يصفر لحيته وثيابه بالزعفران فسئل عن ذلك فقال: (كان رسول الله يصبغ به وكان أحب الصبغ إليه)[١٧٨]، وجابر بن

زيد الازدي المعروف بابي الشعثاء (ت١٠٣هـ/٧٢١م) وهو من جيل التابعين كان يصفر لحيته[١٧٩] كذلك الحسن البصري[١٨٠] وخضب محمد بن سيرين (ت١١٠هـ/٧٢٨م) وهو تابعي لحيته بالحناء والكتم وخضب بالصفرة [١٨١]. ولم يكن تغيير اللون حالة عامة فكان البعض منهم لا يغير لون شعره ومنهم طلحة بن عبيد الله (ت٣٦هـ٦٥٦م)[١٨٢]، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دُكين قال: أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه أبي إسحاق قال: (رأيت علياً فقال لي أبي: قم يا عمرو فانْظُرْ الى أمير المؤمنين، فقمت أليه فلم أره يخضب لحيته [١٨٣] وكان أبيض الرأس واللحية)، وكذا كان عبدالله بن عمرو بن العاص(ت٦٥هـ/٦٨٤م) أبيض الرأس واللحية [١٨٤] .

ومن الطبيعي أن يكون أظهار الجمال والزينة من أولويات أي امرأة قال أحدهم: دخلت على عائشة وهي جالسة في معصفرة، فسألتها عن الحناء ((فقالت: شجرة طيبة وماء طهور. وسألتها عن الحفاف، فقالت: أن كان لك زوج فاستطعت أن تنتزعي مقلتيك فتصنعينها أحسن مما هما فافعلي))[١٨٥]

ب- **شكل الشعر واللحية**، وذكر ابن سعد نصوصا تاريخية تبين شكل الشعر وطوله وطريقة ترتيبه بالنسبة لرجال الصدر الأول من الصحابة ما ذكر عن شعر عبد الله بن مسعود(ت٣٢هـ/٦٥٣م) (يرفعه على أذنيه كأنما جعل بعسل، وقيل لا يغادر شعرة شعرة، وكان شعره يبلغ ترقوته إذا صلى يجعله وراء أذنيه)[١٨٦]. ومما ذكره أحد الصحابة (أنه رأى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على بغلة له،...، له غديرتان) وفي رواية أخرى (على بغلة شهباء مضفراً لحيته)[١٨٧]، وكان بعض الصحابة والتابعين يحفون شواربهم ومنهم عبدالله بن عمر (كان يُحفْي شاربه. .. حتى أرى بياض بشرته..)[١٨٨] كان محمد بن سيرين لا يحُفي شاربه كما يُحفى بعض الناس[١٨٩].

ج- **العطور**: كانت العطور من بين أمور الزينة التي أهتم بها المسلمون ولم يغفل ابن سعد تلك الأخبار عن العطر وأنواعه قال ابن سعد: ((لما تزوجت أم حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهي في الحبشة، أمر النجاشي نساءه أن يبعثن إليها بالعطر، وجاءوها بعود ورس وعنبر وزباد كثير، فقدمت به رسول الله وكانت تتعطر به ولم ينكره)) [١٩٠].

د- **لبس الحُلي**: أجاز الإسلام للمرأة لبس الحلي، من الخواتم والأساور في اليدين والأرجل من الفضة والذهب لكن دون إسراف ويؤكد ذلك النصوص التي ذكرها ابن سعد، قال: (لما خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ام حبيبة وهي في أرض الحبشة وجاءها الخبر، أعطت من بشرها جارية للنجاشي(أبرهة)[١٩١] سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورا بما بشرتها)[١٩٢]، ولبست عائشة خواتم الذهب [١٩٣]، وروت فاطمة بنت اليمان[١٩٤]، قالت: (خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا معشر النساء أليس لكن في الفضة ما تحَلين؟ أما إنه ليس منكن من امرأة تحلي ذهبا تظهره ألا عذبت به)[١٩٥]، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، قالت: (كنت أدخل عليهن (نساء النبي) وعليّ حلي الذهب ثم قالت: قلائد الذهب ومُزيقيات[١٩٦] الذهب، وكان لعائشة خاتمان من ورق[١٩٧] في اللتين تليان الخنصر، فكانت اذا توضأت أجالتهما [١٩٨]. وتختم كثير من الرجال بخواتم الذهب والفضة والحديد ومنهم طلحة بن عبيد الله تختم بخاتم من ذهب فيه ياقوته حمراء فنزعها وجعل مكانها جَزْعُة[١٩٩]، وتختم عبدالله بن مسعود بخاتم من حديد[٢٠٠].

خامسا: المناسبات الاجتماعية:

أ- **سن الزواج**: كان الزواج المبكر هو السن المثالي للمرأة والرجل إلا في حالات نادرة عندما تزوج رسول الله السيدة خديجة وهي في سن الأربعين وتزوج عائشة

وهي ابنة ست سنين وبني بها وهي ابنة تسع وتزوج صفية ولم تبلغ سبع عشرة وتزوجت فاطمة وهي ابنة ثمانية عشر (٢٠١).

ب- **الصداق (المهور):** اختلفت المهور من واحد لآخر بحسب مكانة الطرفين(المرأة والرجل) و أمكانية الرجل واختلاف الزمان بين جيل الصحابة وجيل التابعين، ((كان صداق بنات رسول الله (ﷺ) ونسائه خمسمائة درهم اثنتي عشرة أوقية ونصف،)(٢٠٢)، أما فاطمة حين تزوجها علي(رضي الله عنه) باع بعيراً له وبعض متاعه فبلغ أربعمائة وثمانين درهم، فقال له النبي (ﷺ): أجعل ثلثين في الطيب وثلثاً في المتاع)(٢٠٣) وأمهر علي فاطمة بدناً قيمته أربعة دراهم، أي درعا خطمية كان رسول الله (ﷺ) قد منحها له وقيمتها أربعة دراهم (٢٠٤)، وأعطى لأم سلمة رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف (٢٠٥)وحين((بعث رسول الله (ﷺ) عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي، فخطب عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان... وأصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله أربع مائة دينار. قال أبو جعفر: فما نرى عبد الملك بن مروان وقت صداق النساء أربع مائة دينارالا لذلك))(٢٠٦) وأختلف الأمر في جيل التابعين وعن امرأة مطرف بن عبد الله الشخير(٢٠٧) من التابعين (ت٨٧هـ) قالت: (أن مطرفاً تزوجها على ثلاثين ألفاً وبغلة وقطيفة وقينة ورحالة، قال لها بشر بن كثير: ما القينة؟ قالت: ماشطة)(٢٠٨) يبدو من هذا التفاوت في مهور النساء أن مطرفاً كان مقتدرا ماديا ليدفع مثل هذا المهر.

ج- **ملابس العروس وجهازها**، قال ابن سعد: (أخبرنا موسى بن إسماعيل، حدثنا دارم بن عبد الرحمن بن ثعلبة الحنفي قال: حدثني رجل أخواله من الأنصار، قال: أخبرتني جدتي أنها كانت مع النسوة اللاتي أهدين فاطمة الى علي، قالت: أهديت في بردين من برود الأول عليها دملوجان من فضة ومصفران بزعفران، فدخلنا بيت علي فذا أهاب شاة على دكات ووسادة فيها ليف وقربة ومنخل

ومنشفة وقدح)(٢٠٩)، وفي رواية أخرى (كان فراشهما أهاب كي شاذا أرادا نياما قلباه على حشوه ووسادتهما من أدم حشوها ليف (٢١٠). وأعطى لام سلمة رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف، وحين تزوجت أم حبيبة رسول الله (ﷺ) وهي في الحبشة أصدقها النجاشي عن رسول الله (ﷺ) أربع مائة دينار من عنده، فما نرى أن عبد الملك بن مروان وقت صداق النساء أربع مائة دينار الا لذلك(٢١١). وكان مهر صفية حين تزوجها النبي (ﷺ)عتقها من الأسر، ومهر ريحانة زوج النبي (ﷺ) اثنتي عشرة أوقية ونشاً كما كان يصدق نسائه وهي ثمان وأربعمائة درهم(٢١٢).

د- **الوليمة والمأدبة:** أهتم المسلمون بإقامة الولائم والمآدب غالبا في الأعراس للإعلان عن الزواج وكان لمثل هذه المناسبات تقاليدها وأعرافها الاجتماعية التي أقرَّ الكثير منها الإسلام مما لا يخالف التعاليم الشرعية ومراعيا للظروف المادية للطرفين، و كان الخبز هو الطعام الأساسي وله منزلته بين سائر الأطعمة، فطعام العروس هو الوليمة لما تزوج (ﷺ) زينب بنت جحش، عملت له أم سليم غداء بعثته إليه، عملت له حَيْساً (٢١٣) من عَجْوة (٢١٤) في تور من فخار (٢١٥)، وأطعم رسول الله (على زينب خبزاً و لحماً حين زفت إليه) وأولم على صفية السمن والأقط والتمر(٢١٦) وما روى عن عبد الرحمن ابن عوف حين تزوج بالمدينة بعد هجرته إليها، ، قال: يا رسول تزوجت امرأة. قال: فما أصدقتها؟ قال: وزن نواة ذهب، قال: أولم ولو بشاة (٢١٧)، وطعام الولادة هو الخُرْس(٢١٨)، وطعام الختان هو الأعذار (٢١٩)، واهتموا بوضع آدابها وقواعدها وطريقة الأكل والشرب وإجابة الدعوة وغيرها.

هـ- **أنواع الطعام:** أهتم ابن سعد بذكر الطعام الذي كان شائعا في القرون الأولى، ويعد الثريد أفضل الأطعمة وهو الخبز، مع المرق لقوله (ﷺ) (فضل عائشة على

النساء كفضل الثريد [٢٢٠]على سائر الطعام)، وهو المقدم المفضل في الولائم، مما ذكره ابن سعد عن الطعام حديث عن الرسول (ﷺ) قال لعائشة يوماً: (لأنت أحب إليّ من زُبدْ بتمر)[٢٢١]، ما يروى عن خروج المسلمين يوم أحد قالوا: جاءت أم سلمة[٢٢٢] بكتف مشوية إلى رسول الله فأكلها وعن سعد بن أبي وقاص انه قال: كنا نغزو مع رسول الله وما لنا طعام غير الحُبْلة وهذا السَمُر[٢٢٣]، حتى أن احدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط[٢٢٤]، وعندما هاجر صهيب بن سنان[٢٢٥] إلى المدينة أخبر رسول الله قائلا: يا رسول الله (ما تزودت الا من دقيق عجنته بالأبْواَء[٢٢٦] حتى قدمت عليك [٢٢٧] قالت الصحابية نسيبة بنت كعب [٢٢٨]، قالت: دخل علي رسول الله (ﷺ) (دخل عليٍ رسول الله عائدا لي فقربت إليه طفشيلة[٢٢٩] وخبز شعير، فأصاب منه)[٢٣٠]، وصنعوا من زبيب الطائف شرابا(كان ينقع له من زبيب الطائف فيجعل في سطيحتين فيمخضه البعير فإذا أصبح شرب منه)[٢٣١]، وذكر أبن سعد نوعا من الطعام يصلح علاجاً للمريض الناقه من مرض، عن أم المنذر بنت قيس أحدى[٢٣٢] خالات الرسول (ﷺ) قالت: (دخل على رسول الله ومعه علي، وعلي ناقه من مرض، ولنا دوال[٢٣٣] معلقة، قالت فجعل رسول الله (ﷺ) يأكل منها، وأكل معه علي، فقال له رسول الله: مهلاً فأنك ناقه، وصنعت سلقاً وشعيراً، فلما جئت به إلى رسول الله قال لعلي: من هذا فأصب فأنه أوفق لك) [٢٣٤]، وتناولوا نوعا من الطعام يطلق عليه السَوَّيق[٢٣٥]. وذكر ابن سعد أنواعا من الحلوى، من أهمها التمر وأصناف أخرى، قال: قدم لأسماء بنت أبي بكر هدية من سمن وزبيب وقرظ[٢٣٦] وقال: حدثنا أبو خُلدة، قال: (كنت عند أبي العالية (ت٩٠هـ/٧٠٨م) قاعدا إذا جاء غلام له بمنديل قند[٢٣٧] سكر مختوم، ففض الخاتم، وأعطاه عشر شكرات)[٢٣٨]،

و- **آداب الطعام:** قال ابن سعد: جلس عكراش بن ذؤيب بن حرقوس[٢٣٩] في منزل النبي (ﷺ) قال: ، قال النبي(ﷺ): هل من طعام؟ فأُتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر فأقبلنا نأكل منها وجعلت أخبط بيدي في جوانبها، فقبض رسول الله بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال يا عكراش: كل من موضع واحد فأنه طعام واحد، ثم أُتينا بطبق من رُطب أو من تمر، فجعلت آكل ما بين يدي، وجالت يد رسول الله في الطبق، ثم قال: ياعكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد، ثم أُتينا بماء فغسل رسول الله (ﷺ) يده ثم مسح يبلل كفيه ووجهه وذراعيه ورأسه، ثم قال: يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار)[٢٤٠].

سادساً: الكفن والجنازة وطريقة الدفن:

ذكر ابن سعد تفاصيل عن مراسيم الجنازة وتجهيز الميت وغسله ودفنه وفق التعاليم التي أقرها الإسلام، كان المسلمون يوصون قبل الوفاة أهلهم وأصحابهم برغبتهم بطريقة الدفن والكفن وإقامة العزاء، وصلاة الجنازة ووليمة الموتى، من ذلك ما ذكر عن كفن حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه). قال: (كفن حمزة في بُردة فجعلوا إذا خمروا بها رأسه بدت قدماه وإذا خمروا بها رجليه تنكشف عن وجهه فقال رسول الله (ﷺ) وقال أيضا: (ﷺ) غطوا وجهه، وجعل على رجليه الحرمل وقيل كفن في ثوب)[٢٤١]. وأوصى الكثير من الصحابة والتابعين أهلهم قبل الوفاة خاصة فيما يتعلق بجهاز الميت وتشييع الجنازة وكانت وصية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (ت٢٤هـ/٦٤٤م) (ألا يتبع بنار ولا تتبعه امرأة ولا يحنط بمسك)[٢٤٢] وقد غسل وكفن عمر (رضي الله عنه) في ثلاثة أثواب، ثوبين سحْليين [٢٤٣]، وقيل صحاريين، وقميص كان يلبسه[٢٤٤]، وأوصى عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة (ت٤٣هـ/٦٦٣م) في خلافة معاوية فقال: (إذا رأيتموني قد قبضت فخذوا في جهازي وكفنوني في ثلاثة أثواب وشدوا علي إزاري فإني مخاصم، وألحدوا لي، وشنوا علي التراب، وأسرعوا بي إلى حفرتي،..)[٢٤٥] وعرف

المسلمون التحنيط كما يتبين من وصية أسماء بنت أبي بكر (إذا أنا مت، فاغسلوني وكفنوني وحنطوني ولا تذروا على كفني حنوطاً ولا تتبعوني بنار[٢٤٦].

أما جنازة المرأة فكانت تحمل على نعش من الجريد تعلمت صناعته أسماء بنت عميس، قالت لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين إلا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعه لنسائهم فجعلت نعشاً وغَشته ثوباً، فلما نظر إليه قال: ما أحسن هذا، ما أستر هذا[٢٤٧] وفاطمة بنت رسول الله هي أول من جعل لها نعش عملته لها أسماء بنت عميس وكانت رأته يصنع في الحبشة[٢٤٨]، وغسلت أسماء أم كلثوم بنت رسول الله (ﷺ) وصفية بنت عبد المطلب وجعلت عليها نعشاً قالت: (أمرتُ بجرائد رطبة فواريتها، توفيت سنة ٩هـ/٦٣٠م)[٢٤٩]، وأوصت زينب بنت جحش(ت٢٠هـ/٦٤٠م) زوج النبي (ﷺ) أن تحمل على سرير رسول الله ويجعل عليه نعش، وكانت المرأة اذا ماتت حملت عليه حتى كان مروان ابن الحكم فمنع ان يحمل عليه الا الرجل الشريف وفرق سررا في المدينة تحمل عليها الموتى)[٢٥٠]، وحين توفيت عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) سنة(٥٢هـ/٦٧٢م) وصلى عليها أبو هريرة عن عبدالله بن الزبير قال: (مددنا على قبر عائشة ثوبا وحملنا جريدا فيه خرق ودفناها ليلا في شهر رمضان)[٢٥١] وكانت قد أوصت (أن لا تتبعوا سريري بنار ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء [٢٥٢] والأمثلة على هذا الموضوع كثيرة لا مجال لذكرها. ومن الملاحظ أن معظم الصحابة دفنوا ليلا ومنهم فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، والخليفة أبو بكر الصديق وعثمان وعائشة (رضي الله عنهم)[٢٥٣].

ونهى رسول الله عن النياحة على الميت ورفع الصوت وشق الثوب ولطم الخدود عند الوفاة وقال: ليس منا من حَلَقَ[٢٥٤]، وسَلَقَ[٢٥٥]، وخَرَق[٢٥٦] يقال للخامشة وجهها، وقال: (أبرأ إليكم ممن حلق وسلق وخرق)[٢٥٧]

ولائم العزاء:

ان إقامة ولائم العزاء لا يقل أهمية عن ولائم الإعراس، وهي من المظاهر الاجتماعية التي تدل على العلاقات الإنسانية التي لا تنقطع بوفاة الإنسان مع أهله، فعندما مات الوليد بن المغيرة بالمدينة بكته أم سلمة بنت أبي أمية وقالت فيه شعراً أنكره رسول الله (ﷺ) ثم استأذنت رسول الله فأذن لها في البكاء فصنعت طعاما وجمعت النساء [٢٥٨] وفي وصية عمران بن الحصين(ت٥٣هـ/٦٧٢م) لبناته لما حضرته الوفاة، قال: (إذا مت فشدوا على سريري بعمامة، وإذا رجعتم فأكرموا وأطعموا)[٢٥٩].

سابعاً: الأثاث والأدوات:

وذكر ابن سعد تفاصيل مهمة عن بعض ما كان يستخدم من أواني وأدوات لأغراض مختلفة في القرنيين الأول والثاني للهجرة، منها: الأقداح و الطسوت والعَكَّة[٢٦٠] والشجب[٢٦١] والتور وأنوعه، منها صنع من صفر ونوعا صنع من فخار، وفي رواية ذكرها ابن سعد عن عبدالله بن عمر (.. أتيته بقدح من قوارير فأبى أن يشرب، فأتيته بقدح من عيدان فشرب، وسأل طهوراً فأتيته بتَوْرٍ وطست فأبى ان يتوضأ، وأتيته بركوة فتوضأ)، وعنه أنه توضأ بإنجانة من خزف [٢٦٢]. (ذكرت أم عامر أسماء بنت يزيد بن السكن الأشهلية قالت: رأيت رسول الله (ﷺ) شرب من ماء عندي في شَجْب ثم أنصرف)[٢٦٣].

ومما ذكره ابن سعد عن الأثاث الذي جهزه النبي لعروسه أم سلمة وما جهزه علي بن ابي طالب الى فاطمة (كان فراشهما أهاب كبش إذا أرادا أن يناما قلباه على صوفه ووسادتهما من أدم حشوها ليف)[٢٦٤] في رواية عن بيت عبدالله بن عمر، قال أحدهم (دخلت على ابن عمر فقومت كل شيء في بيته من فراش ولحاف أو بساط

وكل شيء عليه فما وجدته يساوي مائة درهم. .. وقال فما وجدته يساوي ثمن طيلساني)[٢٦٥] يوضح هذا النص التفاوت في المستوى المعاشي بين شخص وآخر.

ثامناً: العمل والعلاقات الاجتماعية:

شجع الإسلام على العمل وكسب الرزق الحلال، وكتب الطبقات غنية بمادتها التي تبين العمل وأنواع المهن التي مارسها الرجل والمرأة لكسب الرزق ومنها التجارة والزراعة، والخياطة وعمل الخوص وكثير من الأعمال غير المشهورة مثل الحزازة[٢٦٦] والخرازة [٢٦٧]، كان أبو قلابة الحرمي من التابعين (ت١٠٥هـ/٧٢٣م) عاصر الخليفة عمر بن عبد العزيز يأتي الحَزَازين فيقول: أكتبوا لي في مطرف طوله كذا وعرضه كذا وهيئته كذا فإذا جاء أشتراه[٢٦٨]، وعمل سلمان الفارسي بحياكة الخوص بالمدائن كان يقول: (أشتري خوصا بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم...)[٢٦٩] وكان ابن سيرين يقول للخراز إذا خرز له خفا: لا تبل الخيوط بريقك[٢٧٠].

وساهمت المرأة في الحياة العامة وبناء الأسرة والعمل في البيت وخارجه وبناء العلاقات الاجتماعية مع الأقارب والجيران وتأسيس الأسرة بالتعاون والمشاركة، ويضع ابن سعد أمامنا نصوصا تشير إلى هذه الجوانب التي ظلت غامضة عند دراستنا لذلك العصر من ذلك ما ذكره عن أسماء بنت أبي بكر في بداية حياتها الزوجية (قالت: تزوجني الزبير وما له من أرض ولا مال ولا مملوك، فكنت ألف فرسه وأكفيه مؤو نته وأسوسه وأدق النوى الناضحة وأعلفه وأسقيه الماء، وأَخْرُزُ عَزبه، وأعجن ولم أكن أُحسن الخبز، فكان يخبز جارات لي من الأنصار)[٢٧١] وكانت زينب بنت جحش امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخَرْز وتتصدق في سبيل الله[٢٧٢]، وعرف عن أسماء بنت مخرّبة أم أبي جهل أنها تبيع العطر كان أبنها يبعثه لها من اليمن [٢٧٣] وأشتغل البعض منهن بتزيين النساء وعرفن بالقينات (الماشطة)[٢٧٤].

نتائج البحث:

يتبين مما قدمناه من نصوص أهمية دراسة كتب التراجم(الطبقات نموذجا) لمعرفة التاريخ الاجتماعي من خلال دراسة بنية التراجم، وتمثل النماذج التي انتقيناها من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد عينات وشرائح اجتماعية مختلفة لرجال ونساء من الصحابة والصحابيات والتابعين والتابعيات الذين عاشوا بين القرن الأول والثاني للهجرة، لتكشف لنا طبيعة الحياة الاجتماعية في فترة صدر الإسلام وتطورها في القرنين الأول والثاني للهجرة، والتقاليد والعادات السائدة التي أقرها الإسلام والتي كان الكثير منها امتدادا لعصور سبقته، وتعبر عن مرحلة انتقالية تطورية بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون من عادات وقيم شذبها وهذبها وأقرها الإسلام.

وهذا هو جوهر دراسة التاريخ الاجتماعي الذي قل ما عرفته الدراسات التاريخية الحديثة في البلاد العربية، لان أكثر ما بحثوا فيه التاريخ السياسي للدولة الإسلامية وحياة الساسة والقواد والفتوحات والأبطال والأعلام اللامعين، وعزف عن الكتابة فيه الكثير من المؤرخين لما يتطلبه من صبر ودقة في تقصي المعلومات في كل ترجمة وتفكيكها ثم أعادة بنائها للخروج بصورة موضوعية عن الفترة موضوعة الدرس.

ومن الجدير بالإشارة الى أن هذا الموضوع جاء مختصرا، وبالإمكان استكماله في دراسات لاحقة لوجود نماذج ومفردات كثيرة يمكن دراستها في هذا الكتاب وغيره سنتناولها في دراسات لاحقة أنشاء الله تعالى.

خلاصة البحث:

تعد دراسة كتب التراجم (الطبقات نموذجا) مصدرا مهما لدراسة التاريخ الاجتماع في مختلف العصور الإسلامية من خلال دراسة البنية الموضوعية لكل ترجمة، وحرصنا أن تكون التراجم التي انتقيناها من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد تمثل عينات وشرائح اجتماعية مختلفة لرجال ونساء من الصحابة والصحابيات والتابعين والتابعيات الذين عاشوا بين القرن الأول والثاني للهجرة، لتكشف لنا طبيعة الحياة الاجتماعية في فترة صدر الإسلام وتطورها في القرنين الأول والثاني للهجرة، والتقاليد والعادات السائدة التي أقرها الإسلام والتي كان الكثير منها امتدادا لعصور سبقته، وتمثل مرحلة انتقالية تطورية بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون من عادات وقيم شذبها وهذبها وأقرها الإسلام.

وهذا هو جوهر دراسة التاريخ الاجتماعي الذي قل ما عرفته الدراسات التاريخية الحديثة في البلاد العربية، لان أكثر ما بحثوا فيه التاريخ السياسي للدولة الإسلامية وحياة الساسة والقواد والفتوحات والأبطال والأعلام اللامعين، وعزف عن الكتابة فيه الكثير من المؤرخين لما يتطلبه من صبر ودقة في تقصي المعلومات في كل ترجمة وتفكيكها ثم أعادة بنائها للخروج بصورة موضوعية عن الفترة موضوعة الدرس.

المصادر والتعليقات:

(١) الصفدي، خليل بن أيبك (ت764هـ): الوافي بالوفيات. تحقيق: هـ. ريتر (دار نشر فرانز شتايز فيسبادن، ط1، 1381هـ/م1962)1/55 وينظر عن كثرة التأليف عند المسلمين، ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، (بيروت، دار العودة، 1981) ص 442.

(٢) هو شهاب الدين أحمد القلقشندي الشافعي، نسبة الى مدينة قلقشنده، مؤرخ مصري موسوعي، أشهر مؤلفاته، صبح الاعشى في صناعة الانشى (ت٨٢١هـ)، ترجمته عند أبن حجر العسقلاني (ت852هـ): المجمع المؤسس على المعجم المفهرس، (مخطوطة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية محفوظة في مكتبة الشيخ محمود شكور مرير) ولابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر بأبناء العمر (حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1388هـ)3/178-179.

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، د. ت)، 1/467.

(٤) ابن منظور: محمد بن المكرم الأفريقي (ت711هـ): لسان العرب، (القاهرة، دار الحديث، 1423هـ/2003)، 5/563-564.

(٥) بشار عواد معروف: أثر دراسة الحديث في تطور الفكر العربي (بغداد، جامعة بغداد، 1981) طبع ضمن كتاب رحلة في الفكر والتراث، بمناسبة احتفالات القرن الخامس عشر الهجري) ص 32-33.

(٦) البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل(ت٢٥٦هـ) : الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد زهوة، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨) رقم الحديث ٣٦٥٠، ص٧٤٠.

(٧) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء مولى بني ضبة، ولد في المدينة، ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت380هـ/ 990م) : الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (طهران 1391هـ/1971) ص202-203.

(٨) في أربع مجلدات كما ذكره حاجي خليفة، في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بغداد، مكتبة المثنى بالاوفسيت، 1967) 2/1105.

(٩) أبو عبد الرحمن ولد في حدود 130هـ، وعاش في بغداد، عالم بالشعر والإخبار والمثالب والمناقب والأنساب مؤلفاته تزيد على الخمسين، وبعضها رسائل صغيرة في مواضيع متنوعة، وصلتنا نصوصاً من كتابه تاريخ الأشراف الكبير عند البلاذري (ت275هـ) في كتابه(أنساب الأشراف) ونقل نصوصا منه الطبري (ت310هـ) وله خطط المدن (وله خطط الكوفة و البصرة) ولم يصلنا منها شيئا الا مقتبسات في كتب المؤرخين. النديم: الفهرست ص112-113، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون(دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1979) 1/182-185، عبد العزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1960) ص42-43.

(١٠) شاكر مصطفى التاريخ العربي1/164.

(١١) هو، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني، مولى بني هاشم وقيل مولى بني سهم، كان أماما عالما له تصانيف في المغازي وغيرها وله كتاب

الردة، تولى القضاء في شرقي بغداد ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه (ت207هـ)، النديم: م. ن، ص111، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ): تاريخ بغداد، (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت) 3/3-20، أبن خلكان: ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق، أحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977)، 4/348-351. 20وللمزيد عن مصادر ترجمته، أنظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الثاني، (التدوين التاريخي)، (الرياض، 1411هـ/1991م) م1، 2 /100-106.

(١٢) شاكر مصطفى: التاريخ العربي 1/164.

(١٣) شاكر مصطفى: التاريخ العربي، ١/١٨٤.

(١٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، 2/1105.

(١٥) العصفري الشيباني ذكر له النديم، طبقات الرواة وطبقات القراء، م، ن، ص288، وحاجي خليفة: كشف الظنون، 2/1199.

(١٦) النديم: الفهرست، 126، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 5/327، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق س. ديدرينغ 1953م، 3/115.

(١٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 9/40-48، شاكر مصطفى: التاريخ العربي، 1/208.

(١٨) النديم: الفهرست، 256.

(١٩) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: س. ديدرينغ، 1949م، 2/326-327وسماه (المهذب في أخبار الشعراء وطبقاتهم).

(٢٠) حاجي خليفة: كشف الظنون، 2/1102.

(٢١) النيسابوري، صاحب الصحيح، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 13/100-104.

(٢٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، 2/1104.

(٢٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 2/73-77، الصفدي: الوافي بالوفيات، 2/183.

(٢٤) أديب، نحوي، لغوي، أخباري، نسابة، ولد في البصرة وأخذ عن السجستاني وغيره، درس في بغداد، مؤلفاته تربو على الأربعة والأربعين، النديم: م. ن، ص64-65، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 3/381، شهاب الدين عبدالله بن ياقوت البغدادي الحموي (ت626هـ): معجم الأدباء، (بيروت، دار أحياء التراث العربي، د. ت)19/ 111، شاكر مصطفى: م. ن، 1/222

(٢٥) أحمد بن إسماعيل بن الخصيب الأنبا ري، المعروف بنطّاحة، شاعر أديب، كاتب عبيد الله بن طاهر، من آثاره رسائل نحو إلف ورقة، كتاب الطبيخ، طبقات الكتاب، وله مؤلفات أخرى، ترجمته عند النديم: م. ن، ص138، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 2/227، 230، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: س. ديدرينغ، 1970)، 5/124، محمد رضا كحالة: معجم المؤلفين وأسماء المصنفين، (بيروت، دار أحياء التراث العربي، 1376هـ/1957)، 1/163-164.

(٢٦) هو أبو بكر أحمد بن هارون بن روح البرديجي، البرذعي، نزيل بغداد، وحدث بها، ثقة حافظ، ولد بعد 230هـ الخطيب البغدادي: م. ن، 5/194، كحالة: معجم المؤلفين، 2/198.

(٢٧) وفي عصور لاحقة تلاها عدد كبير من كتب الطبقات منها: طبقات الهمداني لأبي الفضل صالح بن أحمد التميمي الهمداني (ت384هـ)، وطبقات القراء لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي القرطبي الأصل الداني (ت 444هـ)، وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، وطبقات الرجال في ألف جزء لأبي الفضل علي بن الحسين الفلكي، وطبقات الحافظ للذهبي (ت748هـ) وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي الشافعي(ت771هـ)، طبقات الحنابلة لأبي يعلى وذيله لابن رجب (ت798هـ).

(٢٨) روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى (بيروت-مؤسسة الرسالة١٩٨٣)، ص١٣٣-١٣٥، بشار عواد معروف: مقدمة سير أعلام النبلاء للذهبي. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١)، ص٩٧- ١٠٩، مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٧٤) ص٦٥- ٦٩.

(٢٩) سماه ابن النديم (طبقات الرواة)، م. ن، ص111، وسماه الخطيب البغدادي بطبقات الصحابة والتابعين والخالفين تاريخ بغداد، 5/321.

(٣٠) كارل أدورد سخاو (ت1349هـ/1930م) مستشرق ألماني، أستاذ اللغات السامية في جامعة فينا، نشر العديد من المخطوطات العربية منها المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي، والآثار الباقية عن القرون الخالية وكتاب ماللهند من مقولة كلاهما للبيروني والطبقات الكبرى لابن سعد، الزر كلي: الأعلام، 5/211.

(٣١) المخطوطات التي اعتمدت في الكتاب هي الموجودة في مكتبة القاضي ولي الدين جار الله أفندي باستانبول، ونسخة أخرى في المكتبة الملكية بمعهد جوتا ومجموعة شبرنجر بالمكتبة الملكية في برلين، أنظر: محمد عوني عبد الرءوف: المستشرقون وتحقيق التراث الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، مجلة تراثيات، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، العدد1، السنة الأولى، 94(2003

(٣٢) النديم: الفهرست، ص 99.

(٣٣) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ص 112.

(٣٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، مقدمة القسم الثالث ص5.

(٣٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، مقدمة القسم الرابع ص5.

(٣٦) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: أحسان عباس (بيروت، 1964)، ص150و 149.

(٣٧) من الجدير بالإشارة الى أن البحث لم يتناول بتفصيل سيرته الذاتية وعصره لان موضوع البحث دراسة لكتب الطبقات وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي (الباحث).

(٣٨) للمزيد عن مصادر ترجمته، أنظر: النديم: الفهرست، ص111، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 5/321-322، ابن خلكان: وفيات الأعيان، 4/351-352، الصفدي: الوفيات بالوفيات، 3/88، وللمزيد عن مصادر ترجمته، أنظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م1، 2/111-114.

(٣٩) أبن خلكان، وفيات الأعيان، 4/351.

(٤٠) سمع على سفيان بن عيينة، وأبو وليد الطيالسي، ومحمد بن سعدان الضرير، ووكيع بن الجراح، وسليمان بن حرب، وهشيم، والفضل بن دكين، والوليد بن مسلم، و معن بن عيسى، وإسماعيل بن علية وأبي حمزة أنس بن عياض وغيرهم، ومعظمهم ممن لا يشك في عدالته، أما تلامذته فكثيرون ومنهم، أحمد بن عبيد وأبو بكر أبن أبي الدنيا والبلاذري والحارث بن أسامة، والحسين بن فهم وغيرهم الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٥/٣٢١.

(٤١) أنظر بتفصيل عن الاختلاف في تحديد وفاته، ابن سعد: الطبقات الكبرى(القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصور (بيروت، ط1، 1403هـ/1983م)ص58-61.

(٤٢) تاريخ بغداد، 5/322.

(٤٣) الوافي بالوفيات، 3/88.

(٤٤) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م2، 2/112.

(٤٥) محمد بن اسحاق بن يسار المدني، صاحب المغازي (ت102وقيل105هـ)، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 1/214-234، الصفدي: الوافي بالوفيات، 2/188-189

(٤٦) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، ألأخباري، النسابة، عالما بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها، أخذ العلم عن أبيه وعن الواقدي وغيرهم، للمزيد عن مؤلفاته أنظر: النديم، م،، ص108-111، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 14/45-46، ياقوت الحموي: معجم الأدباء 19/287-292.

(٤٧) هو أبو محمد الأنصاري ويعرف بالقداح من أهل المدينة، عالما بالأنساب، سكن بغداد وله كتاب نسب الأنصار، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 10/62.

(٤٨) سماه حاجي خليفة بطبقات الرواة وقال أنه في 15مجلدا وله مختصر. حاج خليفة: كشف الظنون، 2/1099و1103

(٤٩) انظر عن الكتاب ونسخه المخطوطة في مكتبات العالم، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م1، 2/112-114.

(٥٠) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م1، 2/113.

(٥١) صالح أحمد العلي: أعادة كتابة التاريخ الدوافع والأسباب، (بغداد، ندوة بغداد لكتابة التاريخ العربي)1401هـ/1981م)ص4.

(٥٢) مستشرق انكليزي، ولد في الإسكندرية في مصر(1895-1971م)ثم أصبح أستاذا للغة العربية في جامعتي لندن وأكسفورد وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق والقاهرة، وله مؤلفات كثيرة عن العرب و الإسلام، للمزيد أنظر: يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ/2004) ص٣٠١-٣٠٢.

(٥٣) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص152.

(٥٤) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص149.

(٥٥) جورج ماكولي ترفليان، مؤرخ انكليزي واحد من كبار الرواد المحدثين في كتابة التاريخ الاجتماعي (ت1962)، أستاذ التاريخ الحديث في كيمبردج سنة1927 ثم رئيسا لكلية تريفتي في تلك الجامعة، أهم مؤلفاته (التاريخ الاجتماعي

الانجليزي 1942)، ياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، 1422هـ/2001م)3/1137.

(٥٦) صالح أحمد العلي: التاريخ الاجتماعي، ص59.

(٥٧) صالح أحمد العلي: التاريخ الاجتماعي للعرب نطاقه مصادره، (مجلة آفاق عربية، السنة 1977)، ص58.

(٥٨) صالح أحمد العلي: التاريخ الاجتماعي، ص67.

(٥٩) سورة الحشر، من الآية ٧.

(٦٠) سورة الأعراف، الآية 32.

(٦١) سعد زغلول عبد الحميد: الحياة الدينية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مجلد 11، عدد1، السنة1980) ص56.

(٦٢) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ): صحيح البخاري، تحقيق: أحمد زهوة وأحمد عناية، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1429هـ/2008) ص1200

(٦٣) البخاري: الجامع الصحيح، ص1199.

(٦٤) ابن سعد: الطبقات، 3/130

(٦٥) للمزيد عن ترجمتها، انظر، ابن سعد: الطبقات، 8/58-81.

(٦٦) ضرب من البرود وقيل هو ثوب مِسيَر فيه خطوط تعمل من القز كالسيور وقيل بُرُود يخالطها حرير، وهي ثياب من اليمن، والسِيراء (بكسر السين وفتح الياء والمد)برد فيه خطوط صفر والسِيَراء بالحرير الصافي ومعناه حلة سِيَراء ابن منظور: لسان العرب، 4/773.

(٦٧) ابن سعد: الطبقات، 8/71.

(٦٨) أمها خديجة بنت خويلد (ت9هـ)، وللمزيد عن ترجمتها، أنظر: ابن سعد: الطبقات، 8/38.
(٦٩) نبات يصبغ به، عصفر الثوب فتعصفر ابن منظور: لسان العرب، 6/285.
(٧٠) صحابية، روت عن أبيها سعد وعن عدة من أزواج النبي(ﷺ) وللمزيد عن ترجمتها، أنظر: ابن سعد: الطبقات، 8/467.
(٧١) ابن سعد: الطبقات، 8/467.
(٧٢) المشبعات، مشْبَعُة: مَتِيْنة وأشبع الثوب وغيره، رواه صبغا، ابن منظور: لسان العرب، ١٩/٥
(٧٣) ابن سعد: الطبقات، 8/252، أنظر لاحقا ملابس الرجال من هذه الدراسة.
(٧٤) فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر ابن سعد: الطبقات، 8/253.
(٧٥) ابن سعد: الطبقات، 8/253.
(٧٦) محمد بن سيرين من التابعين، (ت 110هـ) أنظر: ابن سعد: الطبقات، 7/198.
(٧٧) حفصة بنت سيرين من التابعين، أكبر أخوة محمد بن سيرين من الرجال والنساء، وهي أم الهذيل، روت عن سلمان بن عامر وعن أم عطية الأنصارية وعن أبي العالية، ماتت بالطاعون، ابن سعد: الطبقات، 8/ 43.
(٧٨) المضرج، الثوب غير بالدم ولون بالحمرة أو الصفرة، ابن منظور: لسان العرب، 5/483.
(٧٩) ابن سعد: الطبقات، 8/71.

(٨٠) الجمع أدْراع، والدرْع ثوب تجوب المرأة وسطه وتجعل له يدين وتخيط فرجيه، و درع المرأة قميصها، الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها، ابن منظور: لسان العرب، 3/338.
(٨١) الازار الذي يشتمل به فيجلل جميع الجسد. ابن منظور: لسان العرب، 2/163.
(٨٢) ما تغطي به المرأة رأسها وجمعه أخْمرة وخُمْر وخُمُر، وتخمرت بالخمار واخْتمَرت، لبسته وخمرت به رأسها،.. والرجل اذا أعتم عمة العرب فأدارها تحت الحنك فلا يستطيع نزعها في كل وقت فتصير كالخفين. ابن منظور: لسان العرب، 3/216.
(٨٣) إزار، الملحفة، جمعها أُزُرٌ، اذا أَلبسته، ابن منظور: لسان العرب، 1/138-140.
(٨٤)ابن سعد: الطبقات، 8/71.
(٨٥) خَميصة: جمعها خَمائص هي نوع من الرداء الخارجي، كساء أسود مربع لع علَمَان، فأن لم يكن معلما فهو ليس خميصة وهي ثوب من خَز أو صوف. أبن منظور: لسان العرب، 3/ 223.
(٨٦) البرق إذا أضاء ابن منظور: لسان العرب، 4/722.
(٨٧) ابن سعد: الطبقات، 8/234.
(٨٨) ضرب من الثياب تنسب الى مرو ويقال الثوب المَرْوِي على القياس، ابن منظور: لسان العرب، 8/267.
(٨٩) قوهية، قُوهي، ضرب من الثياب بيض، منسوبة الى قُوهستان، ابن منظور: لسان العرب، 7/552

(٩٠) نقيض الغليظ والثخين، مفردها رَقيق ُ، ابن منظور: لسان العرب 4/216.
(٩١) المُعَتَقَّة، ضرب من العطر، ابن منظور: لسان العرب، 6/77.
(٩٢) يريد الثوب الرقيق ان لم يبن منه الجسد لرقته فيظهر منه حجم الأعضاء، ابن منظور: لسان العرب، ٣٢٠/٩
(٩٣) ابن سعد: الطبقات، 8/252.
(٩٤) ابن سعد: الطبقات، 8/69.
(٩٥) جمعها مطَارف، وهي أردية مربعة لها أعلام، وقيل ثوب مربع من خز له أعلام. ابن منظور: لسان العرب 5/591.
(٩٦) ابن سعد: الطبقات، 3/58.
(٩٧) أنظر الرواية مع أنس بن مالك،ابن سعد:الطبقات، ٨٣/٣، و٢٣/٧، ٢٤، ١٨.
(٩٨) ابن منظور: لسان العرب، 3/82.
(٩٩) ابن سعد: الطبقات، 8/72.
(١٠٠) البُرْدَةُ كساء يلتحف به من الثياب وجمعها بُرَد وهي الشملة المخططة وقيل جعل من الصوف شقه وله هدب، والبردة كساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب ابن منظور: م. ن، 1/378.
(١٠١) ضرب من مقطعات الثياب تلبس، وجمعها جبب، وهي من اسماء الدرع، ابن منظور: م. ن، 2/11
(١٠٢) ضرب من الأكسية، أصلها فارسي، ابن منظور: لسان العرب، 5/624-625.
(١٠٣) مفردها سروال، فارسي معرب، ابن منظور، 4/567-568.

(١٠٤) كل ثوب رأسه فيه ملتصق به دراعة أو ممطرا أو جبة، وكان النساك يلبسونه في صدر الإسلام ابن منظور: لسان العرب، 1/403.
(١٠٥) صبغ معروف من الطيب، زعفرت الثوب أي صبغته ابن منظور: لسان العرب 4/367.
(١٠٦) الورس، صبغ، نبت صغير في اليمن تتخذ منه الغمرة للوجه، وهو شيء أصفر مثل اللطخ يخرج أواخر الصيف وأوائل الشتاء أذا أصاب الثوب لونه، يقال ورست الثوب أي صبغته بن منظور: لسان العرب، 9/273.
(١٠٧) الجمع أَخفُاف وخِفاف، و خف الإنسان ما أصاب الأرض من باطن قدمه الذي يلبس، ابن منظور: لسان العرب، 3/159.
(١٠٨) النعل، ما وقعت به القدم من الأرض، تلبس في المشي ابن منظور: لسان العرب، 8/619
(١٠٩) البخاري: الجامع الصحيح، ص1203.
(١١٠) هو عبدالله بن عمرو بن العاص ابن وائل بن هاشم، صحابي، أسلم قبل أبيه كان يصوم النهار ويقوم الليل و يقرأ السريانية، ابن سعد: الطبقات، 4/261 - 268.
(١١١) ابن سعد: الطبقات، 4/265.
(١١٢) صحابي، أبو محمد، قتل يوم الجمل سنة 36هـ، انظر ترجمته، ابن سعد: الطبقات، 3/214-225.
(١١٣) طين يصبغ به الثوب ويقال ثوب ممشق، وكانت تلبس في الاحرام، ابن منظور: لسان العرب، 8/295.

(١١٤) قطع الطين اليابس وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه، يصبغ به، والمَدَر قرية باليمن (المدَرَي) ابن منظور: لسان العرب، 8/231.

(١١٥) ابن سعد: الطبقات، 3/219

(١١٦) أنظر بتفصيل، ابن سعد: الطبقات، 3/57-60

(١١٧) أسمه رفيع، من جيل التابعين من أهل البصرة أعتقته امرأة من بني رياح، سائبة في المسجد(والسائبة يضع نفسه حيث يشاء) قال: كنت خادما أخدم أهلي فتعلمت القرآن والكتابة، صنفه. ابن سعد: الطبقات، 7/117.

(١١٨) لم نعثر على ترجمته.

(١١٩) ابن سعد: الطبقات، 7/115، وعبد الكريم بن أبي أمية من التابعين.

(١٢٠) الكرباس والكرباسة، ثوب والجمع كرابيس وهو القطن، ابن منظور: لسان العرب، 7/627.

(١٢١) ابن سعد: الطبقات، 7/114.

(١٢٢) هو الفضل بن دكُين الكوفي(ت219هـ)، أحد شيوخ ابن سعد، أنظر: ابن سعد: الطبقات (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة)، ص50

(١٢٣) ابن سعد: الطبقات، 7/115.

(١٢٤) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار، تابعي، جعله أبن سعد من الطبقة الثانية وهم دون من قبلهم في السن ممن روى عن عمر وبعض الصحابة. أنظر ابن سعد: الطبقات، 7/156-178

(١٢٥) ابن سعد: الطبقات، 7/161.

(١٢٦) هو عفان بن مسلم بن عبدالله البصري (ت220هـ) نزيل بغداد، ابن سعد: الطبقات (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) ص50.

(١٢٧) من برود اليمن ابن منظور: لسان العرب4/585.

(١٢٨) ابن سعد: الطبقات، 7/160

(١٢٩) جمعها جُبَب، ضرب من مقطعات الثياب تلبس، وهي من أسماء الدرع ابن منظور: لسان العرب، 2/11.

(١٣٠) ابن سعد: الطبقات، 7/173

(١٣١) ثياب شَطَوِيَة، ضرب من الثياب تصنع في شَطىَ في أرض مصر تسمى الشَطاة وهي منسوبة إليها يعمل فيها الثوب بألف درهم ولا ذهب فيه، ياقوت الحموي: معجم البلدان 3/342 ابن منظور: لسان العرب، 5/ 116

(١٣٢) فيه نقش ابن منظور: لسان العرب، 5/371.

(١٣٣) من الثياب التي تلبس، ابن منظور: لسان العرب، 7/235.

(١٣٤) ابن سعد: الطبقات، 7/173.

(١٣٥) ابن سعد: الطبقات، 7/204.

(١٣٦) ابن سعد: الطبقات، 1/10.

(١٣٧) ابن سعد: الطبقات، 3/28.

(١٣٨) ابن سعد: الطبقات، /246و1/128.

(١٣٩) ابن سعد: الطبقات، 3/28

(١٤٠) من الثياب التي تلبس، ابن منظور: لسان العرب، 7/493.

(١٤١) ابن سعد: الطبقات، 3/28.

(١٤٢) الُسنبلاني، من الثياب السابغ الطول الذي قد أُسبل، وثوب سُنبلاني إذا أسدله وجره من خلفه أو أمامه. ابن منظور: لسان العرب، 4/701.

(١٤٣) ابن سعد: الطبقات، 3/29

(١٤٤) ابن سعد: الطبقات، 3/29.

(١٤٥) تابعي من أهل العلم والفقه من الطبقة الثانية، كثير الحديث، ابن سعد: الطبقات، ٢١٠/٧.

(١٤٦) ابن سعد: الطبقات، 7/210.

(١٤٧) ابن سعد: الطبقات، 7/179.

(١٤٨) المُقَطَعة، من الثياب أشبه بالجلباب من الخَزَ وغيره، فلا يقال للجبة القصيرة مقطعة ولا للقميص مقطع انما يقال لجملة الثياب القصار مُقَطعات وللواحد ثوب وهي كل ما يفصل ويخاط من قميص وجلباب وسراويل وغيرها ابن منظور: لسان العرب9/421.

(١٤٩) ابن سعد: الطبقات، 4/114.

(١٥٠) الهُرْدْ، العروق التي يصبغون بها، وقيل الكركم، الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس والزعفران، والعرب لا تقول هريت الا في العمامة، والهرداء نبت، ابن منظور: لسان العرب9/72-73.

(١٥١) ابن سعد: الطبقات، 1/ ٤٥٥ .

(١٥٢) هو أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله (ﷺ) ابن سعد: الطبقات، 7/17-26.

(١٥٣) ابن سعد: الطبقات7/24

(١٥٤) ابن منظور: لسان العرب، 3/82.

(١٥٥) ابن سعد: الطبقات، 7/18، 24.

(١٥٦) ابن سعد: الطبقات، 7/23.

(١٥٧) ابن سعد: الطبقات، ٤٥٦/١.

(١٥٨) ابن سعد: الطبقات، 7/204.

(١٥٩) هو الشعر المظفور من شعر الرأس، وغيرها كل شيء أعلاه، جمعها ذوائب، ابن منظور: لسان العرب، 3/480.

(١٦٠) ابن سعد: الطبقات، 4/265.

(١٦١) ابن منظور: لسان العرب، 6/274. ويعتقد أن كلمة عصابة ربما تعني في العهود الغابرة شبه عمامة؛ رينهارت داوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، (بغداد، وزارة الأعلام، 1971)، ص246.

(١٦٢) ابن سعد: الطبقات، 3/29

(١٦٣) ابن سعد: الطبقات، 3/103.

(١٦٤) من ملابس الرأس، ابن منظور: لسان العرب، 7/471.

(١٦٥) ابن سعد: الطبقات، 3/30

(١٦٦) أنظر عن تطور القلنسوة في العصر العباسي، صلاح حسين العبيدي: الملابس العربية، ص136-151

(١٦٧) ابن سعد: الطبقات، 8/71.

(١٦٨) ابن سعد: الطبقات، 8/71.

(١٦٩) ابن منظور: لسان العرب، 489/2.

(١٧٠) النعال السّبْتيّة، وهي المدبوغة بالقرظ، والسبت ما لا شعر عليه وقيل السبت الجلد المدبوغ وسميت النعال المدبوغة سبتية لانها أنسبتت بالدباغ أي لانت. البخاري: الجامع الصحيح، ص1211(باب اللباس)رقم الحديث 5851؛ ابن

منظور: لسان العرب 4/462. وللمزيد عن نعال ابن عمر، أنظر، ابن سعد: الطبقات، 4/173 وص178، و179.

(١٧١) سورة الأعراف لآية ٣١.

(١٧٢) ابن سعد: الطبقات، 3/188.

(١٧٣) ابن سعد: الطبقات، 3/189 –190.

(١٧٤) ابن سعد: الطبقات، 3/ ٤١٦.

(١٧٥) ابن سعد: الطبقات، 3/ 143.

(١٧٦) تابعي حدث عن عثمان وعلي والزبير (رضي الله عنهم)، ابن سعد: الطبقات، 7/145.

(١٧٧) التور، وعاء تشرب به العرب وهو أناء من صفر او حجارة وقد يتوضأ منه، ابن منظور: لسان العرب، 1/637.

(١٧٨) ابن سعد: الطبقات، 4/179–180.

(١٧٩) ابن سعد: الطبقات، 7/181.

(١٨٠) ابن سعد: الطبقات، 7/160.

(١٨١) ابن سعد: الطبقات، 7/204.

(١٨٢) ابن سعد: الطبقات، 3/ 219.

(١٨٣) ابن سعد: الطبقات، 3/25

(١٨٤) ابن سعد: الطبقات، 4/265.

(١٨٥) ابن سعد: الطبقات، 8/70–71.

(١٨٦) ابن سعد: الطبقات، 3/158 من أوائل الصحابة، أسلم قبل دخول الرسول دار الارقم، هاجر الى الحبشة وهو أول من أشاع قراءة القرآن في مكة، للمزيد عن ترجمته أنظر ابن سعد: الطبقات، 3/150–158.

(١٨٧) ابن سعد: الطبقات، 3/57.

(١٨٨) ابن سعد: الطبقات، 4/176.

(١٨٩) ابن سعد: الطبقات، 7/204.

(١٩٠) ابن سعد: الطبقات، 8/98.

(١٩١) جارية للنجاشي كانت تقوم على ثيابه ودهانه وهي التي أرسلها النجاشي الى أم المؤمنين أم حبيبة لتبلغها بخطبة رسول الله (ﷺ) اليها. ابن سعد: الطبقات 8/97.

(١٩٢) ابن سعد: الطبقات، 8/97.

(١٩٣) ابن سعد: الطبقات، 8/70.

(١٩٤) صحابية أخت حُذيفة بن اليمان، ذكرها ابن سعد ضمن نساء الأنصار المسلمات المبايعات من الأوس من بني عبد الاشهل، روت عن النبي (ﷺ). ابن سعد: الطبقات، 8/326.

(١٩٥) ابن سعد: الطبقات، 8/326.

(١٩٦) مزيقيات، ومُزَيَقْياءُ: المِزقة، القطعة من الثوب مقطعات، ابن منظور: لسان العرب 8/273–274.

(١٩٧) الوَرِق، بكسر الراء، الفضة. ابن منظور: لسان العرب9/278.

(١٩٨) ابن سعد: الطبقات، 8/467.

(١٩٩) ابن سعد: الطبقات، 3/220. والجزعة، فص خاتم، وهي ضرب من الخرز اليماني وفيه بياض وسواد يشبه الأعين وسمي مُجَزعا لأنه مقطع بألوان مختلفة أَقطع سواده بياضه. ابن منظور: لسان العرب، 2/122

(٢٠٠) ابن سعد: الطبقات، 3/158.

(٢٠١) ابن سعد: الطبقات، 8/17، 62، 129.

(٢٠٢) ابن سعد: الطبقات، 8/22.

(٢٠٣) أنظر ابن سعد: الطبقات، 8/21– 22 و 115.

(٢٠٤) ابن سعد: الطبقات، 1/20

(٢٠٥) ابن سعد: الطبقات، 8/90.

(٢٠٦) ابن سعد: الطبقات، 8/8/99.

(٢٠٧) هو مطرف بن عبدالله الشخير بن عوف، من الطبقة الثانية، روى عن عثمان وعلي وأبي ذر وأبيه، ثقة، مات في ولاية الحجاج على العراق سنة 87هـ، أنظر ترجمته، ابن سعد: الطبقات، 7/141–146

(٢٠٨) ابن سعد: الطبقات، 7/145.

(٢٠٩) الطبقات، 8/24.

(٢١٠) ابن سعد: الطبقات، 8/23،.

(٢١١) ابن سعد: الطبقات، 8/90

(٢١٢) ابن سعد: الطبقات، 8/121، 130، 98.

(٢١٣) حيساً، التمر البَرْنُي، والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجناً شديدا حتى يندر النوى ثم يسوى كالثريد. ابن منظور: لسان العرب، 2/683.

(٢١٤) ضرب من التمر، ويقال هو أجود أنواع التمر في المدينة، ابن منظور/لسان العرب، ١١٥/٦.

(٢١٥) ابن سعد: الطبقات، 8/104.

(٢١٦) ابن سعد: الطبقات، 8/106، 128.

(٢١٧) ابن سعد: الطبقات، 3/ 126.

(٢١٨) طعام الولادة، وسميت الدعوة للولادة خُرْساً، و الخُرْسة، التي تطعمها النفساء نفسها او الذي يصنع لها، ابن منظور لسان العرب، 3/60.

(٢١٩) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ): العقد الفريد، شرحه وصححه: أحمد أمين وابراهيم الابياري وعبد السلام هارون (مصر، مطبعة التاليف والنشر، د. ت)6 /292.

(٢٢٠) الثَّريد، ما ثرد من الخبز والطعام المتخذ من اللحم والخبز ابن منظور: لسان العرب، 1/664.

(٢٢١) ابن سعد: الطبقات، 8/79.

(٢٢٢) صحابية، أسمها هند بنت أبي أمية، هاجرت الى الحبشة والهجرتين، تزوجها رسول الله(ﷺ)، تزوجها رسول الله (ت٥٩هـ).

(٢٢٣) بقلة طيبة من ذكور البقل فيها حب صغار اسود كأنه العدس وقيل ثمر عامة العضاة وهو ضرب من الحلي يصاغ على شكل هذه الثمرة يوضع في القلائد، ابن منظور: لسان العرب، 2/308.

(٢٢٤) ابن سعد: الطبقات، 3/140.

(٢٢٥) أبو يحيى صهيب بن سنان بن مالك، كناه رسول الله(ﷺ) بالنمري وعرف بالرومي سبته الروم صغيرا وأصله من الموصل، أسلم يوم أسلام عمار بن ياسر وعذب في مكة وهو آخر من هاجر الى المدينة مع علي (عليه السلام) توفى سنة 38هـ في المدينة، أنظر ترجمته عند ابن سعد: الطبقات، 3/226–230.

(٢٢٦) الأبْواء، قرية من أعمال الفرع في المدينة وقيل جبل على يمين المُصْعد من مكة الى المدينة وفيها قبر آمنة بنت وهب أم الرسول محمد (ﷺ) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٧٩/١.

(٢٢٧) ابن سعد: الطبقات، 3/229.

(٢٢٨) أم عمارة، صحابية من نساء بني النجار أسلمت وشهدت أُحد والحديبية وقطعت يدها، سمعت عن النبي (ﷺ)، للمزيد أنظر، ابن سعد: الطبقات، 8/412-416.

(٢٢٩) طفشيلة: كراع الطفشاء، المهزولة من الغنم وغيرها، ابن منظور: لسان العرب، ٦١٤/٥.

(٢٣٠) أحدى نساء بني بني عدي بن النجار شهدت العقبة والبيعة، ابن سعد: الطبقات، 8/422

(٢٣١) ابن سعد: الطبقات، 8/6/153أنظر ترجمة سعيد بن لعوة.

(٢٣٢) أم المنذر بنت قيس بن عمرو، أسلمت وبايعت رسول الله (ﷺ) وروت عنه شهدت العقبة والبيعة وأحد. ابن سعد الطبقات، 8/422.

(٢٣٣) ضرب من العنب بالطائف أسود يضرب إلى الحمرة جمعها دالية، وهي عذق بسر يعلق فإذا أرطب أُكل (الراء فيه منقلبة عن الألف) ابن منظور: لسان العرب، 3/452.

(٢٣٤) ابن سعد: الطبقات، 8/422.

(٢٣٥) ما يتخذ من الحنطة والشعير، ابن منظور/لسان العرب، ٧٥٥/٤، ابن سعد: الطبقات، ١٤٨/٤.

(٢٣٦) ابن سعد: الطبقات، 8/252، القَرَظ، شجر يدبغ به، وهو أجود ما تدبغ به الأُهُب في أرض العرب يدبغ بورقه وثمره وهو شجر عظام لها سوق غلاظ وورقه أصغر من ورق التفاح وله حب ويسمى أيل قرظية أي تأكل القرظ وهو باليمن. ابن منظور: لسان العرب، 7/505.

(٢٣٧) عصارة القصب إذا جمد ومنه يتخذ الفانيد، ابن منظور: م. ن، 7/505، فصوص السكر بهيئة مكعبات

(٢٣٨) ابن سعد: الطبقات، 7/115

(٢٣٩) صحابي، صحب النبي (ﷺ) وسمع منه، نزل البصرة، جعله ابن سعد: الطبقات في باب من نزل البصرة من الصحابة، 7/74.

(٢٤٠) ابن سعد: الطبقات، 7/75 والوذر، هو من الل حم، القطع الصغيرة التي لا عظم فيها، ابن منظور: م. ن، 9/264

(٢٤١) ابن سعد: الطبقات، 3/10

(٢٤٢) ابن سعد: الطبقات، 3/376.

(٢٤٣) الثوب الأبيض النقي ولا يكون الا من القطن، نسبة الى قرية في اليمن وقيل(كُفن رسول الله في ثلاثة أثواب سحولية كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة)، ابن منظور /م. ن، 4/517.

(٢٤٤) ابن سعد: الطبقات، 3/366و 367 وللمزيد أنظر عن وفاته ودفنه، 3/360-376.

(٢٤٥) ابن سعد: الطبقات، 7/494.

(٢٤٦) ابن سعد: الطبقات، 8/254 ؛وأنظر الأحاديث التي أوردها البخاري في الجامع الصحيح عن الحنوط ص٢٥٧ باب الجنائز.

(٢٤٧) ابن سعد: الطبقات، 8/111.

(٢٤٨) ابن سعد: الطبقات، 8/28.

(٢٤٩) ابن سعد: الطبقات، 8/28، 38.

(٢٥٠) ابن سعد: الطبقات، 8/109.

(٢٥١) ابن سعد: الطبقات، 8/80.

(٢٥٢) ابن سعد: الطبقات، 8/76.

(٢٥٣) ابن سعد: الطبقات، 3/78، 208، و8/28، 80

(٢٥٤) حَلَقَ، إذا وجع، ابن منظور: لسان العرب، ٥٥٧/٢.

(٢٥٥) سَلَق، شد الصوت أي الصياح ورفع الصوت عند الموت، ابن منظور: لسان العرب، ٦٥٢/٤.

(٢٥٦) الشق في الحائط أو الثوب ونحوه، وخرق الثوب إذا شقه، ابن منظور: لسان العرب، ٧٣/٣.

(٢٥٧) ابن سعد: الطبقات، 4/115.

(٢٥٨) ابن سعد 4/135.

(٢٥٩) هو أحد صحابة رسول الله (ﷺ)الذي بعثه عمر ليفقه أهل البصرة عند تمصيرها، ابن سعد: الطبقات، 7/12.

(٢٦٠) من السمن والعسل، وقيل العكة أصغر من القربة للسمن وهو زقيق صغير، ابن منظور: لسان العرب، ٣٨٦/٦

(٢٦١) الَشجْبُ القربة تخرز من أسفلها ويقطع رأسها، إذا خلفت الدلو القطيم، وهو سقاء يجعل فيه حصى ثم يحرك، ابن سعد: الطبقات، 8/319-320 ؛ابن منظور: لسان العرب، ٣١/٥.

(٢٦٢) ابن سعد: الطبقات4/155 و 160، 171.

(٢٦٣) ابن سعد: الطبقات، 8/319-320.

(٢٦٤) ابن سعد: الطبقات، 8/23.

(٢٦٥) ابن سعد: الطبقات4/165.

(٢٦٦) الحَزَازة، من حَزق، وهو الشديد الرباط، وهو من السراويل، حَزه، حُزَّه، ابن منظور: لسان العرب، ٣/

(٢٦٧) الخُرْز، خياطة الأدم، خُزْه، يعني كل ثقبة وخيطها، والخَرزّ، صانع ذلك وحرفته، ابن منظور: لسان العرب، ٥٩/٣.

(٢٦٨) ابن سعد: الطبقات، 7/185.

(٢٦٩) ابن سعد: الطبقات، 3/89، هو، أبو عبد الله، أصله من فارس، صحابي، أسلم وشهد الخندق، توفى في خلافة عثمان بالمدائن، للمزيد، أنظر، ابن سعد: الطبقات، 3، 75-93.

(٢٧٠) ابن سعد: الطبقات، ٢٠٥/٧.

(٢٧١) ابن سعد: الطبقات، 8/250.

(٢٧٢) ابن سعد: الطبقات، 8/108.

(٢٧٣) عاشت الى خلافة عمر بن الخطاب، أنظر: ابن سعد: الطبقات، 8/300.

(٢٧٤) ابن سعد: الطبقات، 7/145.

The Summary :-

Studying of biographical books AL-Tabaqat sample is considered as an important resource to study the sociological history at different Islamic ages by studying the objective construction for each one . Also we are concerned to make the biographies which we have chosed them from Ibn Saad high tabagat book representing various social types and classes of males and females companions and followers who had lived between the first and second centuries of emigration. Revealing for us the natural of social life at the period of pioneer Islam and the prograss at the first and second centuries of emigration. As well as the common traditions and habits that Islam had confirmed them .Which were many of then had extened to precede centuries. Also representing a transitory progressive stage between what were realy existed and should be existed of habits and values that Islam had confirmed and civilized them. This is a base of studying the sociological history that the modern historical studies were rarely known in Arab Land. Because most of their research based on the political history of Islamic state and the biographies of politicians and leaders .

عشور التجارة و المآصر في الخلافة الإسلامية

د. نـــوري عـــزاوي حمـــود
كليـــة التربيـــة المفتوحـــة

مُقَدِّمَة

قال تعالى: چ □ □ □ □ □ ى ى چ[١].

الحمد لله رب العالمين الذي أبدع النظم الكونية، فجعل سبحانه وتعالى أفضل الأنظمة ما اختصّت به الأمة المحمديّة، فكانت خير أمة أُخرجت للناس، وسبحانه الذي وضع الأساس، فشرع أحكام الحياة للناس، وبيّن المناهج دون غموض أو التباس.

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبيين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين من الأنصار والمهاجرين، وبقيّة الصحابة والتابعين.

وبعد: فإن الله تعالى خلق الإنسان وجعله خليفته في أرضه ليعمرها چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ...... چ[٢]، فجعله يبحث ويجرب ويخطئ ويصيب وهو يعلم – سبحانه – أن الإنسان لن يستطيع مهما بلغ أن يضع ظاماً لهذه الحياة خالياً من العيوب، يكفل لها مسيرة الحياة دون ميل أو اعوجاج، ولهذا وضع الله – سبحانه – للإنسان دستوراً ومنهاجاً يسير عليه في حياته منذ عهد أبينا آدم – عليه السلام – وممن جاء بعده من الأنبياء والرسل، حتى عهد نبينا محمد (ﷺ)، الذي جاء على فترة من الرسل، وضلال من الأمر، وتحريف للشرائع، فأنزل عليه كتاباً لا يمحوه الزمن، ولا يوثر فيه القدم، ولا ينال منه العابثون چڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں چ[٣].

لقد استوقفني مورد عشور التجارة والمآصر باعتباره من الموارد العامة التي ترفد خزينة الخلافة الإسلامية، فهي ضريبة لم يحكمها نص شرعي لا في الكتاب ولا في السنة، لكنها ضريبة موجودة ومعمول بها فلا بأس أن يعمل بها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمثل، وأقرها الخلفاء الراشدون من بعده وفقهاء الأمة الإسلامية. ولا يخفى أهمية هذا الرافد المالي العام، لذا وجدت من الضرورة بمكان أن أتعرض لهذا الرافد الذي كان ريعه يعود على الصالح العام ويصرف في حوائج المسلمين والذميين على حد سواء، فكثير من أبناء الأمة يجهلون هذا المورد المالي عدا المختصين في هذا الجانب، فأردت طرحه من باب الفائدة العامة لكي يطلع أبناء الأمة على بعض ما خفي عنهم من تراث أمتهم في الجوانب المالية ذات الصلة ببيت مال المسلمين، وبخاصة فإن نظام التعشير على تجار الحرب كان معمولا به قبل الإسلام، لذلك فإن العرب تعاملوا به بالمثل أسوة لما كان متعارفا عليه بين الأمم.

وقد واجهتني في بحثي بعض العوائق في مقدمتها ندرة المعلومات الواردة عن عشور التجارة في كتب الأموال عند العرب، فضلا عن ندرتها في كتب الفقه الإسلامي، ناهيك عن الخلط الذي وقع فيه بعض من كتب عن عشور الزكاة وعشور التجارة لإطلاق كلمة العشور مطلقاً على الفئات الثلاث.

ورغم ما كان من ذلك فقد حاولت جاهدا أن أكشف النقاب عن وجه مشرق من صفحات هذا التراث العظيم والمجد التليد الذي خلفه لنا السلف الصالح من هذه الأمة. وقد جعلت بحثي بعد المقدمة والتمهيد في مبحثين وخمسة مطالب ثم الخاتمة ومجموعة المصادر والمراجع.

أسأل الله – عزّ سلطانه – أن يوزعني الشكر على فضله، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن ينفعنا به، إنه هو المنعم المنان.

تمهيد

العشور لغة واصطلاحاً:

العشور لغة: نقصان، والتعشير: زيادة وتمام، وأعشر القوم: صاروا عشرة. قال تعالى: چ □ □ □چ (٤).

وعشّر القوم: يعشرهم عشُراً بالضم، وعشوراً وعشرّهم: أخذ عشر أموالهم، وعشّر المال نفسه وعشرّه، وسُمي العّشار ومنه العاشر، والعاشر: قابض العشر (٥).

والعشور: جمع عشر، وعُشر أموال أهل الذمّة: ما كان يؤخذ من أموالهم للتجارات، يقال: عشرّت ماله أعشّره عشراً فأنا عاشر، وعشّرته فأنا معشّر وعشّار، إذا أخذت عشره(٦).

ويجوز أن يسمى آخذ العشر: عاشراً، لإضافة ما يأخذه إلى العشر، كربع العشر ونصف العشر، أو يأخذ العشر جميعه، وهو ما سقته السماء(٧).

أما العشور اصطلاحاً: فهي المال الذي يُجبى من تجار الفرنج الذين يغدون ببضائعهم إلى دار الإسلام، فكانوا يدفعون عشر قيمتها – أي عشر قيمة البضاعة التي يمرّون بها عبر بلاد المسلمين –، وهي مثل الضريبة الجمركية على المستوردات في الوقت الحاضر (٨).

أوهي الضرائب التي تؤخذ من تجار المشركين على بضائع أدخلوها إلى دار الإسلام، وتقدّر بالعشر أو نصفه، على حسب المصلحة العامة ووضع التجار (٩).

وعرّفها البعض، بأنها الضرائب التي كانت تفرض على أموال التجارة الصادرة من البلاد الإسلامية والواردة إليها، وهذا ما نسميه في الوقت الحاضر (الضرائب الجمركية)[١٠].

أو هي حق من المال يُؤخذ على التجارة، فلا يؤخذ أكثر من مرة واحدة في السنة، ربع العشر على المسلم، ونصف العشر من الذمي، والعشر على التجار من أهل الحرب[١١].

أو هي الرسوم التي تُؤخذ على أموال وعروض تجارة أهل الحرب وأهل الذمّة المارين من دار الحرب إلى دار الإسلام وبالعكس، عبر ثغور المسلمين[١٢].

وعشور أهل الذمة وتعشيرهم، هو ما يؤخذ منهم إذا نزلوا بنا تجاراً على ذمة وعهد، وذلك ما صولحوا عليه عند الإمام مالك (رحمه الله) لما يؤخذ منهم. فإذا سافر أهل الذمة من أفق إلى أفق غير أفقهم من بلاد الإسلام أُخذ منهم العشر مما بأيديهم[١٣].

المآصر لغة: أصر الشيء يأصره أصراً: حبسه، وأصرت الرجل على ذلك الأمر: أي حبسته، وأصرته عن حاجته وعما أردته أي حبسته، والموضع مأصَر ومأصِر، والجمع: مآصر، والعامة تقول: معاصر[١٤].

وفي الإصطلاح: المأصر: محبس يمدّ على طريق أو نهر يؤصر به السفن والسابلة، أي يحبس لتؤخذ منهم العشور[١٥].

المبحث الأول

تأريخ العشور قبل الإسلام

إن العشر كان له أصل في الجاهلية، يفعله ملوك العرب والعجم جميعاً، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار عشر أموالهم إذا مروا بها عليهم، روى الطبري عن هشام بن محمد قال: ملك الضحاك السواد ونزل في قرية يقال لها (نرس) في ناحية طريق الكوفة، وملك الأرض كلها وسار بالجور والعسف وبسط يده في القتل وكان أول من سن الصلب والقطع وأول من ضرب العشور وضرب الدراهم ...[١٦]. وكان ابن ليزدين والي عشور الآفاق لكسرى كما يروي الطبري[١٧].

فيعلم من هذا أنه قد كان من سنة الجاهلية كما يروي الطبري عن ابن وكيع قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن السدي في تفسيره عن الصحابة: ((ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجاً ...))[١٨]، قال العشارون، أي أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة بدون حق، إنما هي على وجه من وجوه التسليب، وأنهم كانوا قطاع طريق[١٩]، كذا قال اسحاق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا قوماً طغاة نباة يجلسون على الطريق يبخسون الناس يعني يعشرونهم، وكانوا أول من سن ذلك[٢٠]. فأبطل الله تعالى ذلك برسول الله (ﷺ) وبالإسلام، وجاءت فريضة الزكاة بربع العشر من كل مائتي درهم خمسة، لأنها أصبحت عبادة، فهي تطهير للمال وزكاة له، فمن أخذها منهم على فرضها فليس بعاشر، إنما هو جامع للصدقات، لأنه لم يأخذ العشر إنما أخذ ربعه، فإنها عبادة.

والمكس: الجباية، مكسه مكساً أو مكسته أمكسه مكساً، والمكس: ما يأخذه أعوان الدولة من دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع عن أشياء معينة عند بيعها في الأسواق الجاهلية أو عند إدخالها المدن، وجمعه مكوس، والماكس والمكّاس من يأخذ المكس، ويقال له أيضاً صاحب المُكس[٢١].

المبحث الثاني

العشور في الإسلام

عُشر التجارة أو عشور التجارة، بمنزلة الفيء، والفيء لعامة المسلمين في مصالحهم العامة، لأنه مال جاء صُلحاً، وليس بمنزلة الصدقة(الزكاة)، التي سمّى الله – سبحانه وتعالى – مستحقيها الثمانية چڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[٢٢]. إنما هو فيء يعمّ المسلمين جميعاً وغير المسلمين من الذميين في مصالحهم العامة، فهو بمنزلة الخراج والجزية، وهما من الفيء أيضاً[٢٣].

والعشور من النظم المالية التي اقتضتها سياسة الخلافة الإسلامية، حيث فرضت ضرائب على تجارة أهل الذمّة وكذلك أهل الحرب إذا مرّوا بتجارتهم في أرض المسلمين، ذلك أن التجارة هي مورد من موارد الرزق تنمو وتثمر في ظل الخلافة وفي حمايتها، وبما يدور من الأخذ والعطاء بين أفراد المجتمع، فكان من المنطق أن يعود إلى بيت مال الخلافة شيء مما يجنيه التجار من ربح في تجارتهم، وذلك ما يفرضه النظام الاقتصادي الحديث باسم (الضرائب الجمركية وضريبة الدخل وغيرها)[٢٤].

وكانت المراصد الموضوعة للمغارم على الطرق وعند أبواب المدن وما يؤخذ في الأسواق من المكوس على السلع المجلوبة من المارة والتجار، وما كان يفرض على الناس في تجارتهم في بلاد المسلمين تسمى عشوراً، حيث كانت مراصد العشور تشمل كل نواحي البلاد الإسلامية في البر والبحر والنهر[٢٥].

المطلب الأول

فرضية العشور في الإسلام

اتفقت الروايات على أن أول من وضع العشر في الإسلام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٢٦]. ولكن اختلفت الروايات في أول من بُدأت به :

(١) فقد كتب أهل منبج وهم قوم من أهل الحرب[٢٧] وراء البحر(بحر عدن)، كتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أن دعنا ندخل أرضك تجاراً وتعشّرنا، فشاور أمير المؤمنين عمر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك فأشاروا عليه به، فكان أهل منبج أول من عُشّر في أهل الحرب[٢٨].

(٢) وقد كتب أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه الخليفة عمر(رضي الله عنه): خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمّة نصف العشر ومن تجار المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه[٢٩].

(٣) وقيل سأل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المسلمين: كيف كان يصنع بكم أهل الحبشة إذا دخلتم أرضهم ؟ قالوا: يأخذون عشر ما معنا، قال: فخذوا منهم مثل ما يأخذون منكم[٣٠].

(٤) وذُكر أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما بعث الصحابي عثمان بن حنيف (رضي الله عنه)[٣١]، على مساحة الأرض في سواد الكوفة، جعل عليهم الخراج، وجعل على أهل الذمّة في أموالهم التي يختلفون بها في كل عشرين درهماً درهماً، وجعل على رؤوسهم الجزية، ثم كتب إلى الخليفة عمر (رضي الله عنه) بذلك فأجازه ورضي به، فقيل لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وتجار الحرب كم نأخذ منهم إذا قدموا علينا ؟ قال: كم يأخذون منكم إذا قدمتم عليهم ؟ قالوا: العشر، قال: فخذوا منهم العشر[٣٢].

والذي أراه أن كل هذه الممارسات حدثت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأنه هو الذي عامل أهل الحرب بالمثل.

ويذهب بعض الفقهاء والمختصون بشؤون المال، إلى أن مذهب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أنه كان يأخذ من المسلمين زكاة أموالهم في عروض التجارة، ومن أهل الحرب العشر تاماً لأنهم كانوا يأخذون من تجار المسلمين مثله إذا قدموا بلادهم .

ويرى أبو عبيد القاسم بن سلام (ت،٢٢٤هـ)، أن الأخذ من تجارتهم في أصل الصلح معهم فهو حق للمسلمين عليهم، كذلك كان يرى الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه)، أنما صُولحوا على أن يُقرّوا ببلادهم فإذا مرّوا بها للتجارة أخذ منهم كلما مرّوا[٣٣].

وإنما فِعلُ الخليفة عمر (رضي الله عنه) في العشر كان عن مصالحته لأهل الذمة، ولم يكن هذا بعهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأن الذي صالحهم لم يكن شرط عليهم منه شيئاً، وكذلك عهدُ الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه)، لأن أرض أو بلاد العجم والشام فتحت زمن الخليفة عمر (رضي الله عنه)[٣٤].

وروي عن مالك بن أنس (رضي الله عنه) أنه سأل ابن شهاب الزُهري(رحمه الله): (لِمَ أخذ عمر العشر من أهل الذمة ؟ فقال: كان يؤخذ منهم في الجاهلية فاقرهم عمر على ذلك)[٣٥].

واشتهرت هذه القصص وغيرها ولم تُنكر على أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) فكانت إجماعاً وعمل بها الخلفاء بعده، والأئمة بعده في كل عصر[٣٦]. فقد ذكر أنه استعمل معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ذكوان مولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على عشور الكوفة[٣٧]. وكان عثمان بن أبي العاص على عشور الأبلّة[٣٨].

وهكذا فقد أقرت ضريبة العشور في الخلافة الإسلامية، وأصبحت نظاماً سائداً ومعمولاً به أملته طبيعة العلاقات الاقتصادية في دولة الخلافة التي وضعت الضرائب على التجارة الخارجية، ففرضت ١ من ٤٠ على تجار المسلمين الذين يتعاملون مع البلدان المجاورة كالروم البيزنطيين والهند والصين وغيرهم، وفرضت نسبة ١ من ٢٠ على أهل الذمّة، كما فرضت على التجار الأجانب الذين يدخلون دار الإسلام، ضريبة كانت تصل إلى العشر ١ من ١٠[٣٩].

المطلب الثاني

على من تجب العشور

إن العشور لم تؤخذ إلا من التاجر المحارب الذي يمر بأرض المسلمين، وهي معاملة بالمثل، ويدل على ذلك ما يأتي:

(١) عن إبراهيم بن مهاجر قال: (سمعت زياد بن حُدير[٤٠]يقول: أنا أول عاشر عشّر في الإسلام، قلت: من كنتم تعشّرون ؟ قال: ما كنا نعشّر مسلماً ولا معاهداً[٤١]، كنا نعشّر النصارى من بني تغلب)[٤٢].

(٢) وعن عبد الرحمن بن معقل، قال: (سألت زياد بن حُدير: من كنتم تعشرون؟ قال: ما كنا نعشّر مسلماً ولا معاهداً، قلت: فمن كنتم تعشّرون ؟ قال: تجار الحرب كانوا يعشّروننا إذا أتيناهم)[٤٣].

(٣) وكتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) حين افتتح العراق: (... ولا عشور على مسلم ولا على صاحب ذمّة إذا أدى المسلم زكاة ماله وأدّى صاحب الذمّة جزيته التي صالح عليها، إنما العشور على اليهود والنصارى)[٤٤].

وعن حرب بن عبيد الله الثقفي عن جده لأمه، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ليس على المسلمين عشور، إنما العشور على اليهود والنصارى)[٤٥].

ولكن هذه العشور شملت المسلمين والذميين والمحاربين جميعاً، فيؤخذ من المسلم من كل أربعين درهماً درهم، وهي في الأساس زكاة التجارة، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهم، وهي عشور التجارة أو حسب الصلح بينهم وبين المسلمين، وممن لا ذمة له[٤٦]، من كل عشرة دراهم درهم، وهو أصل عشور التجارة التي أقرها الخلفاء المسلمون على تجار الحرب الذين يقدمون بلادنا.

والواقع أن ربع العشر الذي لحق المسلمين إنما كان المقصود به الصدقة أي الزكاة، فقد روي أن رجلاً من تغلب قال: أتيت رسول الله (ﷺ) فعلمني شرائع الإسلام فحفظتها إلا العشور فقلت: أعشرهم ؟ فقال: ليس على المسلمين عشور، إنما العشور على اليهود والنصارى. ويعني بالعشور هنا الجزية تؤخذ من اليهود والنصارى[٤٧]. وفي رواية: ولكن خذ منهم الصدقة[٤٨].

ولهذا فقد فرق المسلمون بين الأصناف الثلاثة من الناس، كان قتادة يقول: خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله فإنما الناس ثلاثة رهط، مسلم عليه الزكاة، ومشرك عليه الجزية، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله[٤٩].

وقد وردت الأحاديث بكراهة المكس والتغليظ فيه، والمكس: ما يأخذه العشار، يقال: مكس فهو ماكس إذا أحذ، والمكس: درهم كان يأحذه المصّدق بعد فراغه[٥٠]، فقد روى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (لا يدخل الجنة صاحب مكس)[٥١]. فالمكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية التي كان يجبيها الماكس في الجاهلية على غير حقها قبل الإسلام. أما بحقها في الإسلام فهي زكاة وهي من العبادات في الإسلام. وكذلك روي عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: (من لقي صاحب عشور، فليضرب عنقه)[٥٢]. ولم أجد هذين الحديثين في كتب الصحاح الستة ولا في الكتب التسعة.

وعن مسلم بن المصبح، أنه سأل ابن عمر (رضي الله عنهما): (أعلمت أن عمر بن الخطاب أخذ من المسلمين العشر ؟ قال: لا لم أعلمه)[٥٣].

وقد وجه أبو عبيد القاسم بن سلام هذه الأحاديث التي ذكرناها في العشر وكراهة المكس والتغليظ فيه، أنه قد كان له أصل في الجاهلية يفعله ملوك العرب

والعجم جميعاً، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار عشر أموالهم إذا مروا بها عليهم)[٥٤].

وفي حديث رسول الله (ﷺ): (إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه)[٥٥]، أي إن وجدتم من يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية مقيماً على دينه فاقتلوه لكفره واستحلاله لذلك، إن كان مسلماً وأخذه مستحلاً تاركاً لفرض الله وهو ربع العشر، فأما من يعشّرهم على ما فرض الله – سبحانه وتعالى – فحسن جميل. وقد عشّر جماعة من الصحابة للنبي والخلفاء بعده[٥٦]، ولعل رسول الله (ﷺ) كان يقصد بذلك الحديث الصدقة يأخذها على غير حقها.

وليس هناك تناقض بين نهي رسول الله(ﷺ) وبين ما فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ونستطيع أن نقول: إن هذه الأحاديث كان يخاطب بها رسول الله (ﷺ) المسلمين بعد امتداد رقعة نفوذ دولته (عليه الصلاة والسلام)، حيث قد يوجد من يأخذ العشور لحساب دولة الروم أو الفرس من المسلمين في حدود دولته (ﷺ). وهذا أمر مخالف للشرع ولا يقره الإسلام.

ويجعل القاضي أبو يوسف (ت،١٨٢هـ)، لهذه الكراهة في العشور سبباً آخر حيث يرى أنّ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وضع العشور فلا بأس بأخذها، إذا لم يتعدّ فيها على الناس، أو يُؤخذ بأكثر مما يجب عليهم، وكل ما أُخذ من المسلمين من العشور فسبيله سبيل الصدقة، وسبيل ما يؤخذ من أهل الذمة جميعاً وأهل الحرب سبيل الخراج[٥٧].

كذلك فإن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أخذ من أهل الذمة ما أخذ منهم، إنما كان وفق عقد ومعاهدة صُلح تنص على ذلك، وإن بدت عشراً في الظاهر، وقد صالح نصارى بني تغلب على أن أضعف الصدقة عليهم، فأوجب في أموالهم نصف العشر[٥٨]، وصالح أهل النبط على العشر[٥٩]. فقد روى الزهري(رحمه الله) في مسنده عن السائب

بن يزيد (رضي الله عنه) قال: كنت عاملاً مع عبد الله بن عتبة على سوق المدينة زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكنا نأخذ من النبط العشر. وعن السائب أيضاً قال: كنت أعشر اليهود والنصارى، وهو ما خرجه الإمام مالك في موطأه بنصه (رضي الله عنه)[٦٠].

وفي حديث زياد بن حُدير حين قال: (ما كنا نعشّر مسلماً ولا معاهداً)، إنما أراد: أنا كنا نأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر[٦١]. وبهذا فإن العشر لا يشمل المسلمين ولا أهل الذمة، وإنما يشمل تجار الحرب فقط.

وإنما كره العلماء أخذ ربع العشر من المسلمين مُكرهين غير طائعين، وإن كانت تساوي الزكاة، لأن الأصل في صدقة الصامت أن تكون طوعاً، ولهذا أنكر مسروق أن تؤخذ الصدقة على استكراه، وهذا يفسّره قول الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) إلى عامله على العراق، عدي بن أرطاة: (أن ضع على الناس المائدة والنوبة والمكس، ولعمري ما هو بالمكس ولكنه البخس الذي قال الله عنه ((ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين))[٦٢]، فمن أتى بزكاة ماله فاقبل منه، ومن لم يأت فالله حسيبه)[٦٣].

المطلب الثالث

نصاب العشور

أما نصاب العشور على أهل الذمة فقد وضّحه لنا القاضي أبو يوسف، أنه ليس في شيء من أموالهم، الرجال منهم والنساء زكاة إلا ما اختلفوا به في تجارتهم، فإن عليهم نصف العشر، ولا يؤخذ من مال حتى يبلغ مائتي درهم أو عشرين مثقالاً من الذهب أو قيمة ذلك من العروض للتجارة[٦٤].

وهذا ما فعله عثمان بن حنيف في الكوفة فجعل في أموال أهل الذمة التي يختلفون بها من كل عشرين درهماً درهماً، وجعل على رؤوسهم، وعطل من ذلك النساء والصبيان، ثم كتب بذلك إلى عمر (رضي الله عنه) فأجازه. وكذلك كان مالك بن أنس

(رضي الله عنه) يقول: إنما صولحوا على أن يقروا ببلادهم، فإذا مروا بها للتجارة أخذ منهم كلما مروا.

وعلى هذا يُشترط في المال الذي يُعشّر بلوغ النصاب وهو عشرة دنانير كحد أدنى لغرض العشر عليه، ودليل ذلك:

(١) فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) إلى عامله رُزيق بن حيان الدمشقي أنّ من مرَّ بك من أهل الذمة فخذ منهم مما يديرون في التجارات من أموالهم من كل عشرين ديناراً ديناراً فما نقص فبحساب ذلك، حتى تبلغ عشرة دنانير فإن نقصت ثلث دينار فلا تأخذ منها شيئاً، واكتب بما تأخذ كتاباً إلى مثله من الحول[٦٥].

(٢) وقال أنس بن مالك (رضي الله عنه) لابن سيرين (رحمه الله): (إني أكتب لك سنة عمر، قال ابن سيرين: أكتب لي سنة عمر، فكتب: يؤخذ من المسلمين من كل أربعين درهماً درهمٌ، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهمٌ، وممن لا ذمّة له من كل عشرة دراهم درهم، قال ابن سيرين: ومن لا ذمة له ؟ قال أنس: الروم كانوا يقدمون الشام)[٦٦].

أما المسلم فلا يؤخذ منه إلا الربع – ربع العشر – إذا بلغ نصابه مائتي درهم أو عشرين مثقالاً من الذهب، أو ما يعادلها من عروض التجارة، فقد استعمل الخليفة عمر بن الخطاب على العشر زياد بن حُدير، فأمره أن يأخذ من تجار المسلمين ربع العشر،(وهذا ليس من عشور التجارة بل هو جمع أموال الزكاة، فهي في الواقع زكاة عروض التجارة)، وأمره الخليفة عمر (رضي الله عنه) في حديث آخر أن يأخذ من تجار أهل الذمة مثلي ما يأخذ من تجار المسلمين[٦٧].

فالزكاة هنا ليست من عشور التجارة، بل إن الزكاة عبادة، ولها مصارفها الخاصة التي ذكرناها سابقاً والتي ورد ذكرها في آية سابقة وهي غير مصارف

العشور، إنما عشور التجارة ضريبة على التجار والمحاربين الذين يدخلون تجارتهم إلى بلاد المسلمين، وإذا أوكل الخليفة إلى نفس العاشر الذي يجمع عشور التجارة أن يجمع عشر أموال الزكاة، فهذا لا يعني بالضرورة أن الزكاة أصبحت عشوراً، وهذا ما أكدنا عليه أيضاً في كلام سابق.

أما تجار الحرب، فيعشَّر كل ما يدخل معهم من مال سواء كان للتجارة أو لغيرها، فيؤخذ العشر من كل حربي تاجر ونصف العشر من كل ذمي تاجر، سواء كان ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً(٦٨)، ونصابهم في المال المعشّر خمسون درهماً كحد أدنى للنصاب، لأن نصاب المسلمين في العشور في كل مائتي درهم خمسة دراهم، وهو يعني ربع العشر، ونصاب أهل الذمة في العشور في كل مائة درهم خمسة دراهم، وهو يعني نصف العشر، ونصاب أهل الحرب في العشور في كل خمسين درهماً خمسة دراهم، وهو ما يعني العشر، فإذا زاد فبحسابه(٦٩).

وتعليل ذلك لأن المسلم يعطي من الفاضل عن حاجته بالشروط التي تجب فيه الزكاة، ويعد ذلك زكاة له من المال، وأما الذمّي فهو في ذمّة المسلمين وله ما لهم وعليه ما عليهم، وأما الحربي فإن قليل المال لا يحتاج إلى حماية، ولذلك يُعشّر المال القليل الذي لا يبلغ النصاب لأن العشر حق الحماية.

واختُلف في التاجر يمرّ بالعاشر ومعه مال أُخذ منه عشره إذا بلغ النصاب، فإذا مرّ به ثانية، هل يؤخذ منه العشر مرة أخرى؟ فعند سفيان الثوري (رحمه الله) وأهل العراق، أنه لا يؤخذ منه في ذلك كله إلا مرة واحدة(٧٠).

وقول مالك بن أنس(رحمه الله) وأهل الحجاز، أنه يؤخذ منه كلما مرّ، وإن كان ذلك في السنة مراراً، إذا كان اختلافه من مصر إلى مصر آخر سواه(٧١).

(١) فعن زياد بن حُدير الأسدي قال: (استعملني عمر على المارة فكنت أعشّر من أقبل وأدبر، فخرج إليه رجل فأعلمه فكتب إليَّ: أن لا تعشّر إلا مرة واحدة في السنة)(٧٢).

(٢) وفي رواية أخرى عن زياد بن حُدير، أن أباه كان يأخذ من نصراني في كل سنة مرتين، فأتى النصراني الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) فقال له: (يا أمير المؤمنين إن عمالك يأخذون منّي العشر في السنة مرتين، فقال عمر: ليس ذلك له، إنما له في كل سنة مرة)(٧٣).

(٣) وعن جرير بن حازم، قال: (قرأت كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ) إلى عدي بن أرطأة، أن يأخذ العشور ثم يكتب بما يأخذ منهم البراءة ولا يأخذ منهم في ذلك المال ولا من ربحه زكاة سنة واحدة، ويأخذ من غير ذلك المال إن مرّ به)(٧٤).

وحديث الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ) هو الذي عدل بين قول أهل الحجاز وأهل العراق، إنه إن كان المال الثاني هو الذي مرّ به بعينه في المرة الأولى لم يؤخذ منه في تلك السنة، ولا من ربحه أكثر من مرّة واحدة، لأن الحق الذي لزمه قد قضاه، فلا يُقضى حقٌّ واحد من مال واحد مرتين، وإذا كان مرّ بمال سواه أخذ منه، وإن جدد ذلك في كل عام مراراً إذا كان قد عاد إلى بلاده، ثم أقبل بما سوى المال الأول، لأن المال الأول لا يجزي عن الآخر، ولا يكون في هذا أحسن حالاً من المسلم، ألا ترى أنه لو مرّ بمال لم تؤدَّ زكاته أخذت منه الصدقة، ثم إن مرّ بمال آخر عامه ذلك لم تكن أخذت منه الزكاة أنه يؤخذ منه من مال هذا أيضاً، لأن الصدقة الأولى لم تكن قاضية على المال الآخر(٧٥).

هذا ما يخص عشور أهل الذمة، أما أهل الحرب، فكلهم يقول: إذا انصرف إلى بلاده ثم عاد بمال له، أو بمال سواه، أنَّ عليه العشر كلما مرّ، لأنه إذا دخل دار الحرب بطلت عنه أحكام المسلمين فإذا عاد إلى دار الإسلام كان مستأنفاً للحكم، كالذي لم يدخلها قط، لا فرق بينهما(٧٦).

المطلب الرابع

مقدار العشور

اعتمد القاضي أبو يوسف في وصيته للخليفة هارون الرشيد – رحمه الله – في مقدار العشور على أساس نصاب الزكاة أو الصدقة عند المسلمين فاعتبر حدّ العشور كحد الزكاة، مائتي درهم فصاعداً وعشرين مثقالاً فصاعداً، أما دون ذلك فعلى رأي أبي يوسف ليس عليه عشر.

ويتضح هذا من كلامه: (أما العشور فرأيت أن توليها قوماً من أهل الصلاح والدين... وأمرهم أن يضيفوا الأموال بعضها إلى بعض بالقيمة ثم يُؤخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر ومن كل ما مرّ به على العاشر، وكان للتجارة وبلغ قيمة ذلك مائتي درهم فصاعداً، أُخذ منه العشر، فإن كانت قيمة ذلك أقل لم يؤخذ منه شيء)(٧٧).

وعلى رأي يحيى بن آدم (ت،٢٠٣هـ)، يؤخذ من جميع أهل الذمة فيما تجروا فيه إذا مروا به على العاشر، ولا يؤخذ منهم في السنة إلا مرة، ولا يؤخذ من أقل من مائتي درهم شيء، ويضاعف عليهم الصدقة في ذلك كله، ويؤخذ منهم نصف العشر ويؤخذ من أهل الحرب العشر(٧٨).

وعن أرض الحرب يروي زياد بن حُدير عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن من أقام منهم – من أهل الحرب – ستة أشهر في دار الإسلام أُخذ منه العشر، ومن أقام سنة أخذ منه نصف العشر(٧٩).

وعن ابن سيرين (رحمه الله)، فيما يرويه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): (... إني أكتب لك سنّة عمر، قلت: أكتب لي سنة عمر فكتب: يؤخذ من المسلمين عن كل أربعين درهماً درهم، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهم، ومن لا ذمة له من كل عشرة دراهم درهم، قلت له: ومن لا ذمة له؟ قال: الروم كانوا يقدمون الشام)(٨٠).

ويمكننا القول، إن المقادير المأخوذة من التجار كعشور، يختلف المعيار فيها على أساس الدين والعقيدة، فنسبتها تختلف بحسب دين التاجر وعقيدته وموقفه من الخلافة الإسلامية، وهذا مما لا خلاف فيه، إلا أن نقاط الخلاف أو الاختلاف في العشور يمكننا أن نوضحها على أساس نقاط:

١- **زكاة التاجر المسلم:** وهي ربع العشر باعتبار ذلك المبلغ زكاة المسلم من الأموال في الإسلام، والواقع أن الزكاة ليست من العشور لأن المسلم لا عشور عليه، لكن الإلتباس الذي حصل راجع إلى أن جمع الزكاة من التجار وغيرهم أسند إلى شخص واحد، وربع العشر يعني زكاة عروض التجارة في الإسلام وقدرها ٢/٥%، فعن زياد بن حُدير قال: (استعملني عمر على العشر فأمرني أن آخذ من تجار المسلمين ربع العشر)(٨١).

وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري: (وخذ من المسلمين من كل مائتين خمسة، فما زاد فمن كل أربعين درهماً درهماً)(٨٢).

٢- **عشور التاجر من أهل الذمة:** ويؤخذ منه نصف العشر، قال زياد بن حُدير: (أمرني عمر أن آخذ من تجار أهل الذمة مثلي ما آخذ من تجار المسلمين. وقال أيضاً: أمرني عمر أن آخذ من نصارى بني تغلب العشر، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر)(٨٣).

وقد أرسل الخليفة عمر (رضي الله عنه) الصحابي عثمان بن حنيف (رضي الله عنه)إلى الكوفة فجعل في أموال أهل الذمّة التي يختلفون بها للتجارة، في كل عشرين درهماً درهما، فأقرّ الخليفة عمر (رضي الله عنه) عثمان بن حنيف على ذلك(٨٤).

وهذه الضريبة هي في الواقع جزية أهل الذمة (رضي الله عنه) مسلمون، لكن الأمر إذا كان فيه اتفاق بين المسلمين وأهل الذمة أن يعشرهم إذا مروا بتجارتهم عبر بلاد الإسلام فهي عشور تجارة، وإذا لم يكن فيها اتفاق فهي زكاة تؤخذ على

الرؤوس، ويعفى من ذلك النساء والأطفال والشيوخ والمرضى المزمنين وذوي العاهات.

٣- **عشور أهل الحرب:** ويؤخذ منهم عشر ما معهم من الأموال، وهذه هي عشور التجارة الحقيقية التي أقرها الخليفة عمر (رضي الله عنه)، فقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه): (خذ من تجار أهل الحرب إذا دخلوا إلينا العشر)[٨٥]. وكتب الخليفة عمر (رضي الله عنه) إلى أنس مثل ذلك[٨٦].

وعن ابن السائب بن يزيد قال: (كنت عاملاً على سوق المدينة في زمن عمر (رضي الله عنه)، قال: فكنا نأخذ من النبط العشر)[٨٧].

وهذه هي السياسة الاقتصادية التي اعتمدها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهي المعاملة بالمثل، وهو مبدأ معلوم ومتبع آنذاك.

وهكذا فقد شملت العشور المسلمين والذميين والمحاربين جميعاً، فهي على المسلمين زكاة ومن ثم فهي تخرج مخرج الزكاة، ربع العشر إذا بلغت قيمتها مائتي درهم أو عشرين ديناراً (أو مثقالاً من الذهب)، فإذا كانت أقل من ذلك فلا شيء عليها، أما الذمي فإن عليه في تجارته نصف العشر من قيمتها من الحول إلى الحول، وأما التاجر المحارب فإن عليه العشر كاملاً[٨٨].

وعندما يدفع التاجر الحربي العشر فإنه يضمن الأمان على نفسه وماله، فهو يدفع هذه الرسوم لتقوم الخلافة الإسلامية بالدفاع عنه، فهو من قوم حرب مع المسلمين، واحتمال الانتقام وارد، فإذا دفع العشر أصبح يسير ببضاعته في بلاد المسلمين ولا يعترض عليه أحد.

بقي أن نشير إلى أن الخلافة الإسلامية بعد أن اتسعت رقعتها في عهد الخلافة الأموية وقويت شوكتها، وأصبحت ذات هيمنة قوية براً وبحراً، ونشطت الحركة التجارية بينها وبين الدول المجاورة، كانت تأخذ من التجار على نحو ما كان في أيام الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) فكان الربع في أموال المسلمين، باعتباره زكاة أموالهم، ونصف العشر في أموال أهل الذمة حسب الاتفاق والصلح، والعشر في أموال أهل الحرب للمعاملة بالمثل[٨٩].

المطلب الخامس

رأي الفقهاء في العشور

لما كانت العشور تؤخذ في الإسلام على أنها ضرائب على بضائع التجار، فقد كان يؤخذ العشر من بضائع التجار الكافرين إذا قدموا بها من دار الحرب إلى دار الإسلام، وقد رُخص لهم بذلك. وللإمام أن يزيد في المأخوذ من العشر، وأن ينقص عنه إلى نصف العشر، كما أن له أن يرفع ذلك عنهم نهائياً إن رأى المصلحة فيه بعد مشورة أولي العلم، ولا يزيد الأخذ على مرة واحدة من كل قادم بالتجارة في كل سنة، حتى ولو تكرر قدومه خلال السنة[٩٠].

وقد أجمع أصحاب المذاهب في الشرع الإسلامي على أخذ العشر من سلع التجار الكفار التي يقدمون بها من دار الحرب إلى دار الإسلام إذا شرط ذلك عليهم، فقد أفتى الإمام الشافعي – رحمه الله – أن للإمام أن يزيد عن العشر إلى الخمس وأن ينقص منه إلى نصف العشر وأن يرفع ذلك عنهم نهائياً، إذا رأى في ذلك مصلحة، ولا يزيد العشر على مرة من كل قادم في التجارة في السنة الواحدة ولو تكرر قدومه، وكانت هذه الضريبة لا تؤخذ من التاجر إلا إذا انتقل من بلاده إلى بلاد أخرى[٩١].

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – في العشور: ما كان من أموالهم للتجارات دون الصدقات والذي يلزمهم من ذلك ما صولحوا عليه وقت العهد، فإن لم يصالحوا على شيء فلا يلزمهم إلا الجزية .

أما الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – فقال: (وإن أخذوا من المسلمين إذا دخلوا بلادهم أخذنا منهم إذا دخلوا بلادنا للتجارة)[٩٢].

وقال الإمام مالك – رحمه الله–: (يؤخذ من أهل الذمة العشر إذا اتجروا ببلادهم ... ويؤخذ منهم في كل سفرة كذلك ولو مراراً في السنة.... وهو قول الإمام الشافعي في الداخلين أرض الحجاز)[٩٣].

وقد أجمع الفقهاء والأئمة على جواز أخذ العشر من أهل الحرب وأهل الذمة من غير نكير، كذلك أجمعوا على جواز المعاملة بالمثل[٩٤].

أما العشور المفروضة على التجارة الداخلية المتنقلة في دار الإسلام من بلد إلى بلد فمحرمة لا يبيحها شرع ولا يسوغها اجتهاد، ولا هي من سياسات العدل ولا قضايا النُصفة[٩٥].

الخاتمة:

هذه ورقات اقتبستها من كتب الأوائل، أفنيت فيها جزءاً من عمري واستنفذت صبري، فقضيت في جمعها وقتاً من عمري، لم أتوان في التحقق من مصادرها وتتبع مراجعها واستقصاء موضوعاتها، حتى يسّر الله لي أن أقيّد منها الأوابد وألمّ الشوارد وأؤلّف بينها في صعيد واحد.

ولعل من أهم ما توصلت إليه في هذا البحث:

١- إن القران الكريم هو الأساس الذي بُنيت عليه أركان الإسلام وأحكامه لذلك فإن شؤون المال في الإسلام جاءت تشريعاً مقترناً بنظام تحصيلها وحيازتها لمعالجة المسألة المعاشية وتوفير متطلبات الحياة المادية من خلال متطلبات الخلافة في سبيل توفير دعائم كيانها.

٢- ليس هناك تعارض أو تقاطع بين أصحاب المذاهب الإسلامية فيما يخص الجوانب المالية والاقتصادية في الخلافة الإسلامية، وبخاصة عشور التجارة باعتبار أن ضريبة العشور (عشور التجارة والمآصر) هي مورد من موارد بيت مال المسلمين، وإن كان هناك اختلاف فهو اختلاف آراء في فروع الأحكام الشرعية وليس في تطبيق النصوص الشرعية.

٣- إن هذه الضريبة المالية قديمة وشائعة في المجتمعات البشرية التي سبقت ظهور الإسلام، لكن الإسلام ثقفها وهذبها ورفع الحيف الذي كان فيها وحصرها في تجار الحرب وأهل الذمة، فآتت أكلها وعادت على الخلافة الإسلامية بالخير الوفير كرافد من روافد بيت مال المسلمين.

٤- إن المسلم ليس عليه عشور والإلتباس الذي حصل في بعض الفقرات الواردة في البحث، هي نتيجة الخلط في إطلاق لفظة العشور والمراد منها الزكاة أو الصدقة. فضلاً عن أن الذي يقوم بجمعها واحد، مما يسبب الخلط في المسميات.

٥- إن نظام المال في الإسلام نظام دقيق لا إفراط فيه ولا تفريط، بعيداً كل البعد عن الجور والتعسف والشطط، هدفه خدمة الإسلام والمسلمين، ومهندسه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وفي الختام أرجو من الله مخلصاً له أن تكون مساهمتي المتواضعة هذه، خدمة للإسلام والأمة الإسلامية في إبراز جانب من جوانبها المالية والفقهية، والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع:

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٠).

(٣) سورة الحجر: الآية (9).

(٤) سورة البقرة: الآية (196).

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت،711هـ): لسان العرب، إعداد: يوسف خياط، ط(1)، منشورات دار لسان العرب، (بيروت: د.ت)، ج4، ص569-570.

(٦) ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت،606هـ): النهاية في غريب الأثر، المحقق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (بيروت: 1399هـ-1979م)، ج3، ص239؛ ابن منظور: المصدر السابق، 4/571.

(٧) ابن الجزري: المصدر السابق، 3/239؛ ابن منظور: المصدر السابق، 4/571.

(٨) عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون: دراسات في تأريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل، ط(2)، (الكويت: 1406هـ-1986م)، ص312.

(٩) لقبال، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر: 1981م)، ص140.

(١٠) ابن سلامة، عبد الرحيم: السياسة المالية في الإسلام، مجلة المنهل العدد 453، السنة 53، المجلد 48، (1407هـ-1978م)، ص102.

(١١) ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي (ت،620هـ): المغني في فقه الإمام أحمد، ط(1)، دار الفكر، (بيروت:1405هـ)، ج9، ص281.

(١٢) الريس، محمد ضياء الدين: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط(4)، دار الأنصار، (القاهرة: 1977م)، ص138.

(١٣) سورة التوبة: الآية(60).

(١٤) الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمود بن سعود (ت،789هـ): تخريج الدلالات السمعية، المحقق: د. إحسان عباس، ط(1)، دار الغرب الإسلامي(بيروت: 1405هـ)، ج1، ص522-523.

(١٥) ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص23.

(١٦) المصدر نفسه، ج4، ص24.

(١٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت،310هـ): تأريخ الأمم والملوك، ط(1)، دار الكتب العلمية(بيروت: 1407هـ)، ج1، ص122.

(١٨) المصدر نفسه، ج1/ ص491.

(١٩) سورة الأعراف: الآية(86).

(٢٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت،310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر(بيروت: 1405هـ)، ج8، ص238-239؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي(ت، 774هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف(بيروت: د.ت)، ج1، ص186.

(٢١) الرازي: مختار الصحاح،ج1، ص263؛ ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص220.(مادة: مكس).

(٢٢) سورة التوبة: الآية(20).

(٢٣) يحيى بن آدم القرشي (ت،203هـ): كتاب الخراج، صححه وشرحه: أحمد محمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت- لبنان: د.ت)، ص25.

(٢٤) الخطيب، عبد الكريم الخطيب: السياسة المالية في الإسلام، ط(2)، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت – لبنان: 1395هـ-1975م)، ص67-68؛ ابن سلامة: المرجع السابق، ص302.

(٢٥) ابن حزم القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت،456هـ): مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار ابن حزم، (بيروت: 1409هـ-1991م)، ص138؛ عواد، ميخائيل: المآصر في بلاد الروم والإسلام، مطبعة المعارف، (بغداد: 1948م)، ص7.

(٢٦) عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت،211هـ): مصنف عبد الرزاق، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط(2)، المكتب الإسلامي، (بيروت: 1403هـ)، ج10، ص334؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت، 224هـ): كتاب الأموال، المحقق: محمد خليل هراس، ط(1)، (القاهرة: 1388هـ/1968م)، ص712؛ الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل(ت، 241هـ): فضائل الصحابة، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، ط(1)، مؤسسة الرسالة(بيروت: 1403هـ-1983م)، ج1، ص329.

(٢٧) وهم تجار الأسلحة من غير العرب الذين يقدمون إلى بلاد المسلمين أو يعبرون بلاد المسلمين إلى بلدان أخرى، وهم من قوم بينهم وبين المسلمبن حرب.

(٢٨) أبو يوسف، القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت،182هـ): كتاب الخراج، دار المعرفة، (بيروت: 1399هـ-1979م)، ص135؛ عبدالرزاق: المصدر السابق، 10/334.

(٢٩) أبو يوسف: المصدر السابق، ص135؛ حسن، حسن إبراهيم حسن: تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط(7)، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: 1965م)، ج1، ص468.

(٣٠) عبد الرزاق: المصدر السابق، 6/98؛ ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت235هـ): المصنف في الأحاديث والأخبار، المحقق: كمال يوسف الحوت، ط(1)، (الرياض: 1409هـ)، ج2، ص417؛ ابن حزم القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت،456هـ): المحلى، المحقق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، (بيروت: د.ت)، ج6، ص115.

(٣١) صحابي جليل كان خبيراً بأرض السواد، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) لمسح أرض العراق ووضع الخراج والجزية عليها. (ابن سلام: المصدرالسابق، ص96).

(٣٢) ابن سلام: كتاب الأموال، ص96–97، 709؛ ابن قدامة: المغني، 9/278.

(٣٣) ابن سلام: المصدر السابق، ص709.

(٣٤) المصدر السابق، ص712.

(٣٥) المصدر السابق، ص714.

(٣٦) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت،852هـ): الإصابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد البجاوي، ط(1)، دار الجيل(بيروت: 1412هـ –1992م)، ج2، ص426.

(٣٧) ابن قانع، أبو الحسن عبد الباقي(ت،351هـ): معجم الصحابة، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، ط(1)، مكتبة الغرباء الأثرية(المدينة المنورة: 1418هـ)، ج2، ص388.

(٣٨) ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278، 280.

(٣٩) الكروي، إبراهيم سلمان وآخرون: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات دار ذات السلاسل، ط(2)، (الكويت: 1407هـ–1987م)، ص130.

(٤٠) هو صحابي جليل عالم بأمور التجارة، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما أراد فرض العشور على نصارى تغلب. (ابن سلام: المصدر السابق، ص83).

(٤١) هم القوم الذين تربطهم معاهدة صلح مع المسلمين حتى لو كانوا على غير دين الإسلام من اليهود والنصارى والصابئة.

(٤٢) المصدر السابق، ص706.

(٤٣) المصدر السابق، ص706؛ ابن حزم القرطبي: المحلى، 6/116.

(٤٤) ابن قانع: معجم الصحابة، ج1، ص287؛ العسقلاني: الإصابة، ج7، ص31.

(٤٥) أبو يوسف: المصدر السابق، ص13، 28؛ يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص48؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت،279هـ): فتوح البلدان، المحقق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1403هـ)، ص274؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278–279.

(٤٦) من لا ذمة له، أهل الحرب من الروم يقدمون بلاد الشام.

(٤٧) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري(ت،230هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت: د.ت)، ج6، ص59؛ ابن قانع: معجم الصحابة، ج1، ص287؛ العسقلاني: الإصابة، ج7، ص31.

(٤٨) ابن سلام: المصدر السابق، ص707؛ ابن أبي شيبة: المصدر السابق، 2/416؛ ابن الجزري: المصدر السابق، 3/239؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278.

(٤٩) ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج3، ص149.

(٥٠) الرازي: المصدر السابق، ج1، ص263.

(٥١) العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت،1162هـ): كشف الخفاء، المحقق: أحمد القلاش، ط(4)، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1405هـ)، ج2، ص501.

(٥٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج10، ص79.

(٥٣) الروياني، أبو بكر محمد بن هارون (ت،307هـ): مسند الروياني، المحقق: أيمن علي أبو يماني، ط(1)، مؤسسة قرطبة، (القاهرة: 1416هـ)، ج2، ص434؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت،360هـ): المعجم الكبير، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط(2)، مكتبة العلوم والحكم، (الموصل: 1404هـ-1983م)، ج19، ص301؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي (ت،852هـ): تعجيل المنفعة، المحقق: د. إكرام الله إمداد الله، ط(1)، دار الكتاب العربي، (بيروت: د.ت)، ج1، ص389.

(٥٤) ابن سلام: المصدر السابق، ص703.

(٥٥) المصدر السابق، ص707.

(٥٦) الروياني: المصدر السابق، 2/434؛ الطبراني: المصدر السابق، 2/301؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، 1/389.

(٥٧) ابن الجزري: المصدر السابق، 3/239؛ ابن منظور: المصدر السابق، 4/571.

(٥٨) أبو يوسف: المصدر السابق، ص134.

(٥٩) ابن أبي شيبة: المصدر السابق، 2/416؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين علي بن موسى(ت،458هـ): سنن البيهقي الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة: 1414هـ-1994م)، ج9، ص218.

(٦٠) الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ج1، ص523.

(٦١) ابن حزم القرطبي: المحلى، 6/115؛ ابن قدامة المقدسي: المصدر السابق، 9/281.

(٦٢) ابن سلام: المصدر السابق، ص708.

(٦٣) سورة هود: الآية (85).

(٦٤) ابن سلام: المصدر السابق، ص708؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص383؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن الحسين الدمشقي (ت،571هـ): تأريخ دمشق، المحقق: صلاح المنجد، (دمشق: 1951م)، ج35، ص374.

(٦٥) أبو يوسف: المصدر السابق، ص123؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278.

(٦٦) أبو يوسف: المصدر السابق، ص137؛ ابن سلام: المصدر السابق، ص712، 716؛ ابن أبي شيبة: المصدر السابق، 4/416.

(٦٧) ابن سلام: المصدر السابق، ص710-711؛ ابن قدامة: المصدر السابق، ص279.

(٦٨) ابن سلام: المصدر السابق، ص711؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/279.

(٦٩) أبو يوسف: المصدر السابق، ص134؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/281؛ ابن عابدين(ت،1252هـ): رد المحتار على الدر المختار، المحقق: محمد أمين الشهيد، ط(2)، دار الفكر، (بيروت: 1386هـ-1966م)، ج(2)، ص316.

(٧٠) ابن سلام: المصدر السابق، ص 715- 717.

(٧١) ابن عابدين: المصدر السابق، 2/314؛ القيسي، كامل صكر عزيز: النظام المالي في العهد الأموي (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، معهد التأريخ العربي والتراث العلمي، (1420هـ-2000م)، ص205.
(٧٢) ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج2، ص641.
(٧٣) ابن سلام: المصدر السابق، ص717.
(٧٤) يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص68؛ ابن أبي شيبة: المصدر السابق، 2/417.
(٧٥) أبو يوسف: المصدر السابق، ص136؛ يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص68؛ ابن سلام: المصدر السابق، ص717-718؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278.
(٧٦) ابن سلام: المصدر السابق، ص718.
(٧٧) المصدر السابق، ص718.
(٧٨) المصدر السابق، ص718.
(٧٩) أبو يوسف: المصدر السابق، ص132-133؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/279.
(٨٠) يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص25؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/280.
(٨١) يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص25.
(٨٢) ابن سلام:المصدر السابق، ص711؛ ابن حزم القرطبي: المحلى، 6/115؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278.
(٨٣) ابن سلام: المصدر السابق، ص711.
(٨٤) أبو يوسف: المصدر السابق، ص21؛ يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص173؛ ابن أبي شيبة: المصدر السابق، 2/356.

(٨٥) ابن سلام: المصدر السابق، ص711؛ ابن حزم القرطبي: المصدر السابق، 6/115.
(٨٦) ابن سلام: المصدر السابق، ص639،640؛ عبدالرزاق: المصدر السابق، 6/100؛ ابن حزم القرطبي: المصدر السابق، 6/116؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278.
(٨٧) يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص173.
(٨٨) أبو يوسف: المصدر السابق، ص135؛ البيهقي: المصدر السابق، 9/210.
(٨٩) ابن سلام: المصدر السابق، ص711؛ ابن حزم: المصدر السابق، 6/115.
(٩٠) أبو يوسف: المصدر السابق، ص123؛ الخطيب: المرجع السابق، ص67-68؛ ابن سلامة: المرجع السابق، ص102.
(٩١) ابن سلام: المصدر السابق، ص709؛ يحيى بن آدم: المصدر السابق، ص68-70؛ القيسي: المرجع السابق، ص207.
(٩٢) ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزُرعي (ت،751هـ): أحكام أهل الذمة، المحقق: يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، ط(1)، رمادي للنشر- دار ابن حزم، (الدمام- بيروت: 1418هـ-1997م)، ص161؛ الصالح، صبحي: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط(2)، دار العلم للملايين، (بيروت: 1388هـ-1968م)، ص368-369.
(٩٣) حسن: المرجع السابق، 1/468؛ عاشور وآخرون: المرجع السابق، ص312.
(٩٤) ابن الجزري: المصدر السابق، 3/293؛ ابن منظور: المصدر السابق، 4/571.
(٩٥) ابن حزم القرطبي: المصدر السابق، 6/114؛ ابن قدامة: المصدر السابق، 9/278.

اثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة في حل المشكلات لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين

أ. م. د. رؤوف محمــود القيســي — م. م. ذكرى عبدالحافظ عبداللطيف
جامعة تكريت/ كلية التربية — معهد اعداد المعلمات/ كركوك

اهمية البحث والحاجة اليه:

يمر عالمنا اليوم بمرحلة من التطور والتغيير السريعين لم يسبق له أن مر بهما في تاريخ البشرية من قبل ويشمل هذا التطور والتغيير مظاهر الحياة الإنسانية كافة (الشبايب، ٢٠٠١: ٥) وهذا التطور والتغيير أسهم بشكل كبير في تعقد ظروف الحياة وتشابكها وظهور مشكلات جديدة وأن إعداد الطالب للنجاح في هذا المجتمع المعاصر يتطلب من المهتمين بالتربية أن يساعدوه على التكيف من خلال إتاحة الفرصة أمامه وتدريبه على حل المشكلات التي يواجهها بنفسه ويكون ذلك من خلال احترام طرق تفكيره وتنمية قدراته العقلية (Arends , 1998 : 423) الا ان النظام التعليمي القائم في الوقت الحاضر يعتمد على جعل الطلبة مخازن تعبأ فيها المعلومات عن طريق التلقين والحفظ مما يجعلهم معتمدين بشكل كبير على ما تقدمه لهم المدرسة والمعلمون من حقائق ومعلومات لا يتمكنون من الاستفادة منها عند ولوجهم الحياة العملية عندما يجابهون بما هو غير متوقع لأنهم تعودوا الاعتماد على الغير في الحصول على المعلومة بدلاً من أن يتعلموا على أسلوب التفكير الذاتي والقدرة على اكتساب المهارة غير المرتبطة بمعرفة معينة وهذا ما يسمى بستراتيجيات ما وراء المعرفة. (خطاب، ٢٠٠٧: ٩٨)

إن ما وراء المعرفة تشمل مكونين هما :

أ- ستراتيجيات ما وراء المعرفة التي تمثل قدرة الطالب على استخدام الستراتيجية المعرفية في تحسين ما تعلمه من خلال صياغة أو وضع الأهداف والتخطيط وكتابة المذكرات والتكرار والتدريب وتقوية الذاكرة والاستدلال والتنبؤ و تعني التحكم في الستراتيجيات المعرفية.

ب- مهارات ما وراء المعرفة والتي تشير إلى الوعي بما يمتلكه الفرد من قدرات وستراتيجيات ووسائل يحتاجها لأداء المهام التعليمية بفعالية. كما يجب عليه ان يفهم عمليات التفكير وخاصة العمليات التي يستخدمها هو نفسه في التعلم وان تتوافر لديه المعلومات الكافية عن ستراتيجيات التعلم المختلفة حتى يختار انسبها بالنسبة له ليستخدمها في المواقف التعليمية التي يمر بها.

أن معرفة هذه الستراتيجيات تجعل الفرد مسئولا عن سلوكه فيختار الأسلوب الأمثل في تعريف المشكلة وكيفية البحث عن حلول بديلة كما أنها تمكنه من تقليل الوقت والجهد لأنه يراقب ويتحكم في تفكيره ويقيمه ومن ثم يقرر ما هي أنواع النشاط التي لها الأولوية (Baldwin , 200 : 1). فتعلم ستراتيجيات ما وراء المعرفة تعني مساعدة الطلبة على الإمساك بزمام تفكيرهم بالرؤية والتأمل ورفع مستوى الوعي لديهم إلى الحد الذي يستطيعون فيه التحكم والتوجيه بمبادراتهم الذاتية وتعديل مسارهم الذي يؤدي إلى بلوغ الهدف. (جروان،١٩٩٩: ٣٨١)

فمفهوم ستراتيجيات ما وراء المعرفة يقوم على فكرة أساسية وهي أن التعلم عن طريق التفكير يحسن التعلم، والفرق الأساسي بين المتعلم البارع في حل المشكلات والمتعلم الأقل براعة هو أن الأول يفهم طريقة تفكيره ويشرحها ويعدلها في حين لا يستطيع الثاني القيام بذلك. (جابر، ١٩٩٨: ١٦٨) وإذا ما أردنا أن ننجح في تعليم الطلبة ستراتيجيات ما وراء المعرفة فعلينا أن ننتبه إلى ضرورة بناء بيئات تربوية

طلابه المفاهيم والتعميمات، وفي إتقانهم المهارات كالقدرة على حل المشكلات واستخدام الأساليب الصحيحة في التعامل مع المعلومات. ويؤكد ستيرنبرج وآخرون (Sternberg, Sleeman & Ktorza) أن من الأدوار الهامة للمعلم قدرته على أن يستنتج من خلال عمل الطالب نقاط الضعف أو الفهم الخاطئ للمفاهيم، والتي تؤدي إلى صعوبة في إدراك المفاهيم الأخرى المعتمدة عليها. (Sternberg , 1991 : 112-121) ومن أهم المستجدات التربوية التي دعى التربويون إلى دراستها واستخدامها هي ما يعرف بستراتيجيات ما وراء المعرفة التي لقيت اهتماما ملموساً على المستوى النظري والتطبيقي. حيث أكد فيشر (fischer) على أهمية دور المعلم في تنمية التفكير بستراتيجيات ما وراء المعرفة من خلال قوله (أن تحديد موقع الخطأ او الصعوبة ومعرفة أسبابها هو الأساس الذي يترتب عليه تحديد من يعالج ، ومتى يعالج، وكيف يعالج او الستراتيجية المستخدمة في العلاج. (Fischer&Florenc , 1989 : 115) وقد أجرى براون (Brown) تطبيقات متعددة في مختلف المجالات الأكاديمية وتوصل إلى الأهمية البالغة لدور كل من المعرفة وما وراء المعرفة في التعلم الفعال. (الزيات، ١٩٩٦: ٤٠) وتشير ما وراء المعرفة إلى وعي التلميذ بتفكيره وتعلمه والقدرة على التحكم والتقويم وتنظيم عملية التعلم. وتبين أن الطلبة الذين لديهم تحكم ما وراء معرفي هم طلبة يتحكمون في المهمة ويختارون الستراتيجية التي تتناسب معها ولديهم قدرة على التعلم والتحصيل الأكاديمي وينمو لديهم مفهوم الذات واحترامها. (Xiadong , 2001 : 200)

ويجمع التربويين على أهمية امتلاك المتعلم للستراتيجيات (المهارات) ما وراء المعرفية ويعتبرونها الحجر الأساس في تنمية القدرات العقلية لديه ويعد اكتسابه لها أمر بالغ الأهمية أذا أردنا أن يكون دوره ايجابيا في جمع المعلومات وتنظيمها وتكاملها وتقويمها أثناء قيامه بعملية التعلم. ولكي يكون التعلم كفؤا لابد أن يتضمن

تركز على التعلم المرن الذي يساعد في تنمية التفكير لمواجهة المشكلات المختلفة. (Borkowski , 1992 : 479) وذلك لأن الطلبة يستطيعون تعزيز تعلمهم عندما يكونون واعين بتفكيرهم وهم يقرؤون ويتعلمون ويحلون مشكلاتهم ويستطيع المعلمون تعزيز هذا الوعي مباشرة بواسطة أخبار الطلبة بالستراتيجيات الفعالة لحل المشكلات ومناقشتهم بالخصائص المعرفية والدافعية للتفكير.(paris&wingurd,1990 : 15).

ويعتبر المعلم الركن الأساسي في عملية التعليم، تلك السلسلة المنتظمة من الأفعال التي يديرها المعلم ويسهم فيها المتعلمون نظريا وعمليا ليتحقق لهم التعلم، ولعل من أبرز ما يؤكد أهمية دور المعلم في العملية التعليمية المحاولات المستمرة لتطوير معاهد إعداده، وكم الأبحاث التي تستهدف الرقي بأدائه وتحسين عطائه ليتناسب مع مستجدات ومستحدثات هذا العصر الذي نعيش فيه ويتلاءم مع المتوقع والمأمول في المستقبل. والتطور الذي دعى إليه المهتمون بالتفكير والذي تسعى إليه التربية الحديثة لا يقتصر على تطور الطلبة في النواحي الأكاديمية والفكرية، وإنما يسعى إلى نقل أثر التعلم إلى المواقف الحياتية الواقعية التي يعيشها الطلبة ليبقى أثرها ويقاوم النسيان، حيث يرتبط النسيان هنا بالحفظ بشكل جامد ومعزول عن كل ما يحيط بخارج أسوار المدرسة فيخرج الطلبة إلى الحياة الواقعية وعندما يواجهون مواقف الحياة تبدو لهم وكأنها خبرة جديدة بحاجة إلى أن يمروا بها من جديد وبشكل منفصل، مما يضيف عبئاً جديداً على كاهل الطلبة الذين هم بحاجة لتطوير عمليات التفاعل والدمج بين ما يتعلموه في المدرسة وبين حياتهم خارجها لتصبح الخبرة التعليمية ذات معنى ويمكن الاستفادة منها في أكثر من موقف. (قطامي وعرنكي، ٢٠٠٧: ١٥) وعلى الرغم من أن المعلم لم يعد فقط . كما كان يُنظر إليه من قبل . ناقلا للمعلومات، إلا أن هذا الدور ما زال من أدوار المعلم المهمة في العملية التعليمية، وتقف الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون عائقا أمام المعلم تحول بينه وبين أداء مهامه في إكساب

توسيع الخبرة وامتدادها وتمحيصها وهذا لا يتم تلقائياً، بل لابد من بذل الجهد لتحقيقه. إذ لابد أن تصمم الستراتيجيات التعليمية بما يساعد المتعلمين على السيطرة على عملية تعلمهم وتسهيل عملية انتقالهم من متلقين للمعرفة إلى ممارسين لها يستخدمون ما يملكونه من مهارات للانتقال من مرحلة بناء المعرفة (Gognition) إلى (Metacognition) مرحلة التأمل في المعرفة والتعمق في فهمها وتفسيرها. (Costa , 2002) لقد شهد القرن الماضي تغيرات عديدة في مجال التعلم حملت معها أفكاراً جديدة غيرت النظرة إلى التعلم من كونه نقل للمعلومات من المعلم إلى الطالب إلى التعلم المعتمد على الطالب (student learning centered). وقد ظهر مفهوم ما وراء المعرفة في بداية السبعينيات من القرن المنصرم ليعطي أهمية لهذا النوع من التعلم وبدأ التأكيد على أهمية استخدام الطلبة لستراتيجيات ما وراء المعرفة وعلى الرغم من إن هذا المفهوم مفهوم قد طرح في الأدبيات التربوية بشكلين **الأول** ذاتي يختص بالمتعلم نفسه وبالإجراءات التي يتبعها عقله للوصول إلى المعرفة و**الثاني** هو خارج عن المتعلم ويتعلق بتصميم نشاط التعلم وتحديد الخطوات التي تساعد على التعلم. فأن أهمية هذه الستراتيجيات سواء كانت في الشكل الأول أو الثاني هي كبيرة جداً. (الجزائري، ٢٠٠٥ :٣٤)

وتتمثل أهمية ستراتيجيات ما وراء المعرفة في ما يلي :

١- تجعل المتعلمون أكثر كفاءة في التعلم.

٢- تجعل المتعلمين مستقلين في التعلم والعمل.

٣- يكونون قادرين على الربط بين المعارف الجديدة والسابقة.

٤- يحسنوا صورتهم عن ذاتهم.

٥- يكونوا على وعي بتفكيرهم ويقومون بتخطيط تعلمهم ومراقبته وتقويمه.

٦- يكونوا أكثر ذكاء شخصياً واجتماعيا.

٧- يتذكروا بصورة أكثر وقدرة أعلى على تجهيز المعلومات.

كما أنها تزيد من دافعية المتعلمين على أداء المهمات التعليمية بنجاح، عندما يكونوا قد تدربوا على كيفية الاستفادة من هذه الستراتيجيات (Bojaud & Barkat, 2000: 98) ولقد أكد سكوفيلد (schoefeld) أن استخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة كفيل بتنمية التفكير الواعي والسيطرة والإدارة الذاتية لمساعدة الطلبة على التعلم الفعال ومدى تقبلهم لهذه المادة أو تلك والرغبة في تعلمها وخلق الشعور العميق لديهم لبناء مجتمع من المتعلمين. وقد أكد مارازانو وآخرين (Marzano&etal) أنه كلما أزداد وعي الطلبة بعملياتهم التفكيرية حينما يتعلمون كلما ازدادت سيطرتهم على أمور عديدة مثل الأهداف التي يضعونها لأنفسهم واستعداداتهم وميولهم وانتباههم ويعزز الوعي الذاتي لهم. (Marzano&etal ,1988: 4) ويؤكد كوردن (Gordon 1996) على أهمية معرفة الستراتيجيات ما وراء المعرفية وتعلمها لأجل استخدامها أثناء التعلم ليحققوا أفضل أنجاز دراسي من خلال المعالجة المعرفية التي يستخدمونها وتنظيمهم للمعلومات وتخطيطهم لأداء المهمة التعليمية. (Gordon ,1996 :51)

أما ليفنكستون (Livingston,1997) فيرى أن الستراتيجيات ما وراء المعرفية لها أثر في التعلم الناجح، لذا ينبغي تعليم الطلبة تطبيق هذه الستراتيجيات من خلال المراقبة والسيطرة على مصادرهم المعرفية (Living ston, 1997:3) وأشار سيمبسون ونيست (Simpson& nist,2000) على ضرورة تعلم الطلبة لستراتيجيات ما وراء المعرفة كالتخطيط والضبط والتقويم وأنواع المعرفة التي تحتاجها كل مهمة فهي (المعرفة التقريرية والإجرائية والشرطية) من حيث الخطوات اللازمة لتنفيذ كل ستراتيجية وحتى يتم تنفيذها لكي يكون تنفيذ الستراتيجية أكثر فاعلية. (Simpson & nist , 2000 :87)

لقد وجد جورجيادس (Gorghiades) أن للتعليم باستخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة تأثير إيجابي على تعلم المفاهيم واستخداماتها في دراسته التي أجراها عام (٢٠٠٠) وبين أن المتعلمين كانوا يستخدمون مادة التعلم بثقة أكبر واستمرارية أكثر. وقد بينت دراسات أخرى مثل دراسة (الجندي ٢٠٠١) و(شهاب ٢٠٠٠) الأثر الإيجابي لاستخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة في التفكير ألابتكاري لطلبة المرحلة الإعدادية في مصر وأثبتت دراسات أخرى الأثر الإيجابي لستراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية القدرة على حل المشكلات مثل دراسة (Massuod 1995) والتي بين خلالها زيادة قدرة الطلبة في حل المشكلات بعد خضوعهم لبرنامج تعليمي لستراتيجيات ما وراء معرفية كما أظهرت دراسة أخرى للهنداوي (٢٠٠٣) زيادة قدرة الطلبة على التنظيم الذاتي بعد تدريسهم بستراتيجيات ما وراء المعرفة.

وقد أثبتت الدراسات أن الأفراد الذين يمتلكون القدرة على حل المشكلات هم أفراد يمتلكون أبنية معرفية قوية تسهم في تمثيل جديد وفعال للمشكلة ويمتلكون قدرات ما وراء معرفية في الوعي والتنظيم لتلك الأبنية وأن الفرق بين من يسمون الناجحين في حل المشكلات وغير الناجحين تبدو واضحة عندما يتحدثون عن طرق تفكيرهم في تناول المشكلة إذ تعبر الجمل التي يقولونها على تصدر العلاقات والطريقة في قراءة المشكلة ومدى وعيهم بها وفهمهم لمعطياتها. (Stern ،66: 1993)

أن الأفراد عندما يواجهون مهمة أو مشكلة عقلية فأنهم يدخلون فيما يسمى بصراع الأهداف واحد هذه الأهداف هو استكمال المهمة بالفاعلية المرجوة مع الأخذ بنظر الاعتبار وعي الفرد خلال عملية الصراع بالستراتيجية الذهنية التي تؤدي إلى فاعلية الحل وتوفير الوقت.

لقد حاول العديد من الباحثين أجراء دراسات تجريبية على الأفراد أثناء معالجتهم للمشكلات في محاولة للاقتراب من عملية التفكير خلال حل المشكلة عن

طريق التفكير بصوت مرتفع. (دافيدوف، ٢٠٠٠: ١٠٦) وقد أوضح كوستا (Costa) أنه أذا أستطاع التلاميذ أدراك تفكيرهم بصورة أعلى فأنهم بذلك يمكن أن يصفون ما يدور في رؤوسهم عندما يفكرون ومتى يسألون وكذلك يمكن لهم أن يصفون ما يعرفونه ومالا يعرفونه وما يحتاجون إلى معرفته. ويمكن أن يصفوا خطة عملهم قبل أن يبدأ بحل المشكلة وما هي الخطوات المتسلسلة في الحل وأين هم في هذه السلسلة أثناء حل المشكلة وهم يمكن أن يبتعدوا عن الطرق المسدودة أثناء الحل. وفي النهاية يحددوا مدى نجاحهم في تحقيق الخطة الموضوعية. وهم بذلك يمكن أن يطبقوا الجوانب المعرفية بشكل صحيح عندما يصفوا مهاراتهم في التفكير وستراتيجياتهم. (Costa , 2000)

وتوضح دراسات تجريبية عديدة أن التمكن من ستراتيجيات ما وراء المعرفة تجعل الطلبة ذوي أداء أفضل في حل المشكلات من أقرانهم ومنها دراسة(Swanson 1992) حيث توصلت إلى أن الأطفال الموهوبين لديهم معرفة بستراتيجيات ما وراء المعرفة وحل المشكلات أكثر من أقرانهم غير الموهوبين وتوصلت دراسة (Berardi, Colette & etal 1995) إلى فاعلية ستراتيجيات ما وراء المعرفة في تحسين قدرات حل المشكلات.

ووجد براون (Brwon) ارتباط بين كفاءة التلميذ في حل المشكلات وبين مستوى الوعي بالتفكير (ما وراء المعرفة) إذ بينت نتائج الدراسة أن التلميذ الأكثر وعياً بستراتيجيات ما وراء المعرفةأكثر كفاءة فيحل المشكلات.(الأعسر، ١٩٩٨:٣٦)

كما ذكر جروان أن بعض الباحثين توصلوا من خلال دراساتهم على الأفراد من ذوي صعوبات التعليم أو الذين يعانون من قصور عقلي يتصرفون بصورة مكررة كأنهم غير واعين لما ينبغي عمله أو أتباعه في حل المشكلات على العكس من الأفراد العاديين والموهوبين (جروان، ١٩٩٩: ٤٣) وعلى الرغم من ذلك فأن التدريب

على ستراتيجيات ما وراء المعرفة تحسن إمكانيات ذوي صعوبات التعلم وهذا ما كشفت عنه دراسة (سليمان، ٢٠٠١: ١٨)

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نبين أن ستراتيجيات ما وراء المعرفة تمثل مطلباً ضروريا وأساسياً لأنها تساعد الطلبة على تحقيق النجاح والتعامل مع المواقف الجديدة وتجعل الطلبة مفكرين نشطين ومتعلمين مدى الحياة وتضمين المحتوى الدراسي لهذه الستراتيجيات سيعزز من فاعلية التدريب على استخدامها فضلاً عن تعزيز عملية التعلم المتضمنة لستراتيجيات التساؤل الذاتي (كيف ومتى وأين ولماذا) وأن استخدام هذه الستراتيجيات سيسهم في إدماجها ضمن إجراءات تدريس المحتوى. (Brown & etal , 1981 :16).

وعلى الرغم من أن ستراتيجيات ما وراء المعرفة تنمو مع تقدم الفرد في العمر ألا أن الخبرة والتعليم المقصود يلعبان دوراً مهماً في تنمية هذه الستراتيجيات الهامة أكثر مما يفعل النضج وحده ولذا فأنه من مسؤولية المعلمين أن يساعدوا تلاميذهم على تنمية ستراتيجيات ما وراء المعرفة. (جابر، ١٩٩٤: ٢٧٣)

أن التمكن من التدريس الفعلي لستراتيجيات ما وراء المعرفة يأتي في مراحل متأخرة من الدراسة الثانوية ولكن لابد من تنمية الاستعداد بطريقة غير مباشرة والهدف من هذا التدريس هو مساعدة الطلبة على تدبر أذهانهم والغوص فيها ليرفعوا تفكيرهم إلى مستوى راق من الشعور والوعي حتى يتمكنوا من ضبطه ومراقبته وتوجيهه وبذلك يعيدون أنتاج تفكيرهم في أساليبهم الخاصة ووفقاً لما يمتلكون من حدس. وبما أن القدرات التي تحرك ما وراء التعرف بطيئة في نموها وتطورها فأن الدخول غير المباشر هو المفيد في بادئ الأمر ولكن يصبح التدريب عليها وتناولها بشكل مباشر في بداية المرحلة الجامعية أو نهاية المرحلة الثانوية أمراً ممكناً.(عصر،٢٠٠٣:٣٠٦)

ومن ابرز الستراتيجيات

أولاً: ستراتيجية (Kwl) لـ (اوجل ogle).

وتستخدم هذه الستراتيجية مع المتعلمين المبتدئين والصفوف الكبيرة كما تعد من الستراتيجيات السهلة التطبيق مع مختلف الأعمار والمواد.(Kiewra ,2002: 71-81)

كما أنها تمثل أحد ستراتيجيات بناء المعنى التي طورها اوجل(ogle) وتشمل ثلاث مراحل

١- مرحلة (K) ماذا اعرف؟ what I know وفيها يحدد التلميذ ما يعتقد أنه يعرفه حول الموضوع.

٢- مرحلة (W): ما الذي أريد معرفته؟ what I want to know وفيها يعد التلميذ قائمة بما يريد أن يعرفه حول الموضوع.

٣- مرحلة (L): ما لذي تعلمته؟ what I learn وفيها يحدد التلميذ ما تعلمه فعلاً بعد أن يكون قد شارك في أنشطة التعلم الهادفة. (مارازانو وبيكرتج، ١٩٩٧: ١٠٨)

ثانياً: ستراتيجية التفكير بصوت عال Thinking Aloud strategy

وتتم من خلال تشجيع المتعلم على الحديث اللفظي عن عمليات تفكيره أثناء التعلم. ويقوم بالحديث عن عمليات تفكيره بصوت مرتفع أثناء أداء مهمة تعلم ما وتشمل التفاعل الجماعي (croupinteraction) وذلك من خلال تشجيع المتعلم على التحدث عن عمليات تفكيره أمام زملائه، ومناقشتها معهم ويطرح المتعلم على نفسه مجموعة من الأسئلة عندما يفكر بصوت عال يظهر من خلالها عمليات تفكيره

١- ما مشكلتي ؟ أو ماذا سأعمل ؟

٢- ما خطتي ؟ أو كيف أنا أعمل هذا ؟

٣- هل استخدم الخطة ؟

٤- كيف عملت ؟

وتعتمد هذه الستراتيجية على قراءة المعلمين لما يدور في تفكيرهم بصوت مسموع أمام التلاميذ وتدريب التلاميذ على ممارستها. (Warian , 2003)

ويشير فتحي جروان أن استخدام ستراتيجية المشاركة الثنائية للطلبة (بحيث يقوم الطالب الأول بالتفكير في نشاط التعلم ويقوم الثاني بالتأمل في تفكير زميله) ويمكن أن يحقق نتائج جيدة في تعلم ستراتيجيات ما وراء معرفية. (جراوان، ٢٠٠٢: ٣٣٥)

وتعتبر هذه الستراتيجية ذات أهمية كبرى لأنها تمكن التلاميذ من التحدث بصوت عال عن تفكيرهم وعمليات ما وراء المعرفة من تخطيط ومراقبة وتقويم ومراجعة والتي يستخدمونها في عملية التعلم، كما أنها تنمي لديهم القدرة على معرفة عمليات التفكير التي يستخدمونها، وتساعد المتعلمين على استثمار قدراتهم بدرجة كبيرة. لأن التفكير بصوت عال يشجع التلاميذ على الوصول إلى أقصى ما تسمح به قدرتهم ويحفزهم لعملية التفكير والانتباه، ويتيح لجميع التلاميذ أن يدخلوا بطريقة معينة إلى عمليات التفكير، وتنمية مستويات عليا من التفكير من خلال اشتراكهم في مجموعات لقراءة التفكير بصوت عال.

ثالثاً: ستراتيجية (S Q 3 R)

وهي اختصار لكلمات (المسح، السؤال، القراءة، السرد أو التسميع التنقيح أو المراجعة) (Survey ,Question ,Read , Recite , Review) وتعتمد هذه الستراتيجية على قيام المتعلم بقراءة النص ووضع العبارات الرئيسية للنص وتحويل العناوين الرئيسية والجانبية إلى أسئلة تساعد على فهم النص بشكل أفضل. ثم وضع عدد من العبارات الخاصة بالنص باستخدام مفردات المتعلم نفسه مما يعد تذكرا فعالا

للنص. ثم يحاول المتعلم المقارنة بين ما وصفه بعباراته الخاصة وبين العبارات التي استخلصها من النص. (Ciardiello, 1998 : 210-220)

رابعاً- ستراتيجية الكلام الذاتي أو التساؤل الذاتي Self -Questioning strategy

يقول ألبرت اينشتاين أن صياغة المشكلة قد يكون أكثر أهمية من حلها فإيجاد الحل قد يكون مجرد مهارة رياضية أو تجريبية. أما طرح الأسئلة ووضع احتمالات جديدة للتمعن في المشكلات القديمة من زاوية جديدة فهو جهد يتطلب خيالاً خلاقاً ويبشر بتقدم حقيقي. ومن هنا يتوجب علينا أن نعلم الأطفال فن التساؤل وطرح المشكلات وإعادة بنائها. (وطفة: ٢٠٠٥)

أن هذه الستراتيجية تعتمد على تشجيع الحديث الذاتي (self –talk) في أثناء مواجهة مشكلة صعبة، إذ وجدت البحوث التي تعتمد برنامج تدريب الطلبة على التعلم المستقل أن تشجيع الطلبة على التحدث عن أنفسهم من خلال مواقف التعلم الصعبة لا يحسن الأداء فحسب وإنما يحفز الطلبة ويساعدهم على بناء الستراتيجيات والمهارات ما وراء المعرفية (Pressley,Schuder ,Bergman& El-Dinary , 1992 : 240) ومن خلال هذه الستراتيجية يسأل التلاميذ أنفسهم مجموعة من الأسئلة تسهم في تحسين الأداء، ودور المعلم يكون ميسراً ومسهلاً لعملية التعلم.

وتكون هذه الأسئلة في ثلاث مراحل هي :

١- **أسئلة قبل التعلم:** عندما يريد المتعلم أن يفعل المهمة يسأل نفسه :-

- ما المعرفة السابقة التي تساعد على أداء المهمة ؟
- بماذا أفعل أولاً ؟
- ما توقعي في أداء هذه المهمة ؟
- كم مدة أداء المهمة ؟

٢- **أسئلة أثناء التعلم:** عندما يقوم التلاميذ بالمهمة يسألون أنفسهم

- كيف أفعل ؟
- هل أنا على المسار الصحيح ؟
- ما الستراتيجيات التي استخدمها ؟
- هل يجب أن أستخدم ستراتيجية مختلفة لأداء المهمة ؟
- ما المعلومات الأخرى التي احتاج إليها ؟

٣- **أسئلة بعد التعلم:** عندما ينتهي التلميذ من عمل المهمة يسأل نفسه

- كيف عملت أنا ؟
- هل ما فعلته مقارب لما كنت متوقع ؟
- هل أحتاج لإعادة المهمة ؟
- ماذا يمكن أن أعمل بشكل مختلف ؟

ومن خلال عملية التساؤل الذاتي يمكن للتلاميذ أن يزداد لديهم الإدراك الشعوري بعمليات تفكيرهم بداية من الاستعداد والتخطيط والمراقبة والتقويم. (Tamez & suries , 2004)

لقد وضع بولارد (pollard) قائمة لسلسلة من ستراتيجيات ما وراء المعرفة ومنها ما يدعم هذه الستراتيجية والتي تبدأ بوضع سؤال أو مجموعة أسئلة (Asking questions) تحدد هدف نشاط التعلم وتربط ما يعرفه المتعلم مع ما يرغب بمعرفته ثم التخطيط (planning) أي وضع خطوات محددة للسير في عملية التعلم. وتترافق العملية السابقة مع المراقبة (Monitoring) والتي تهدف إلى الموائمة المستمرة بين الجهد المبذول في التعلم وبين العمليات المستخدمة فيه، وبين النتائج التي تم الحصول عليها ومن ثم الفحص (Cheking) وهو تقويم مبدئي للنتائج، والانجاز الذي تم أثناء المراحل السابقة وهو عملية مستمرة من لحظة وضع الأسئلة وتنتهي بالمراجعة (Revising) وهي أعادة رصد لكل ما تم القيام به في الخطوات السابقة.

وتنتهي هذه الستراتيجية بعملية الفحص الذاتي (self-testing) وفيه يقوم المتعلم بتقويم ذاتي لانجازه وللنتائج التي حققها وكل ذلك يتم من خلال مجموعة من الأسئلة التي يطرحها المتعلم على ذاته خلال عملية التعلم. (Pollard , 2002 : 159)

خامساً: ستراتيجية الاحتفاظ بالسجلات:

وتعتمد هذه الستراتيجية على استخدام المناقشات وسجل للملاحظات يدون فيه الطالب الستراتيجيات المختلفة التي يستعملها في أثناء حله لمشكلة معينة يواجهها. أو في أثناء تعلمه بصورة عامة، كذلك يسجل ويعطي معلومات حول سبب استعمال هذه الستراتيجيات وما هي أكثر هذه الستراتيجيات فاعلية ووقت استعماله لهذه الستراتيجيات والمكان الذي تم استخدام أي نوع منها. (Schraw & Graham , 1997 : 5)

وتساعد هذه السجلات المتعلمين على إنهاء مهمة التفكير من خلال السماح لهم بوضع أشارة أمام كل خطوة أو مقياس تم استخدامه خلال إجراءات التفكير في قضية معينة. (الحاج، ٢٠٠٢: ١٣)

ويشير كنك(King , 1991) إلى أهمية استخدام مثل هذه القوائم في تحسين الأداء في مهمات حل المشكلة بشكل واضح. (King: 1991: 316) وتتضمن هذه الستراتيجية تسجيل النقاط المهمة التي ترد في المناقشات وتسجيل الأخطاء التي تواجه المتعلم خلال المهمة في محاولة تجنبها فيما بعد كما يتم تسجيل ملاحظات عن الطرق التي يتم من خلالها حل المشكلة أو تعلم أوإنهاء مهمة معينة لكي يستطيع المتعلم تطبيقها في المرات القادمة (رشوان، ٢٠٠٦، ٥٩)

سادساً: ستراتيجية النمذجة Modeling strategy

تعد ستراتيجية النمذجة مهمة جدا في الحياة اليومية والحياة المدرسية بشكل خاص وتأتي أهمية هذه الستراتيجية من أن النموذج أو القدوة يشكل قاعدة رئيسية في عملية التعلم ولذلك يجب أن ينتبه كل من الآباء والمعلمين إلى أهمية عرض أنواع السلوك الذكي، والمرغوب فيه أمام المتعلمين لأن التعلم بالقدوة يعد من أنجح أساليب

التعلم وأكثرها فاعلية، عندما يقترن بإيضاحات أو تعليقات النموذج (المعلم والتلميذ) أثناء العمل. (المالكي، ٢٠٠٦: ٢٩٦)

وقد أشار إليها (باير Beyer) بأنها طريقة التقليد والمحاكاة والتي تعتمد على أراء باندورا وتعتمد هنا على تقليد ومحاكاة الأنموذج من خلال تهيئة الشروط التعليمية المناسبة لحدوث مثل هذا النوع من التعلم ويقوم الأنموذج بتطبيق ستراتيجيات ما وراء المعرفة إمام الطلبة ويعيد تطبيقها الطلبة. (Beyer,1987: 45)

وتعد هذه الستراتيجية من أقوى ستراتيجيات التعلم من حيث التأثير فأن عبارة (فكر كما تراني أفكر) أكثر قوة من عبارة (أعمل ما أقوله). (راشد، ٢٠٠٦: ٦٤) وتهدف ستراتيجة النمذجة إلى تنمية الوعي بالذات، والسيطرة على النفس والتنظيم الذاتي، وكل ذلك يهدف إلى جعل التلاميذ مستقلين مما يساعدهم على التعلم الذاتي ويمكنهم من كيفية التفكير بأسلوب صحيح. (أبو نيان، ٢٠٠١: ٦٨) ومن سلوكيات ما وراء المعرفة التي يمكن للمعلم إظهارها: وضع الخطط ووصف الأهداف، وإعطاء أسباب الإحداث وإعطاء التعليقات وتقييم الأعمال للمتعلمين والتحدث عن التفكير وتتجسد فائدة العلاقة بين المعلم والتلميذ في هذه الستراتيجية من تمكن المتعلم من معرفة كيف يفكر معلمه في المشكلات ويحلها، وأن ما يحتاجه التلاميذ هو إتقان العادات العقلية لمعلميهم بقدر حاجاتهم لتعلم المعارف. (جابر، ١٩٩٤: ٢٧٥) ولكن يبقى دور المعلم هاماً في توجيه المتعلمين لكي يمعنوا النظر في تفكيرهم لما يحدث حولهم وكيفية تحليلهم للأشياء والظواهر وأن يكون نموذجاً جيداً في تفكيره واتجاهاته لكي يكون قدوة لتلاميذه.

سابعا: ستراتيجية خرائط العقل Mind maps strategy:

ابتكرت هذه الطريقة في نهاية الستينات على يد بوزان(tony Bozan) وقد أعتمدها كوسيلة لتنظيم أفكاره وتدوين ملاحظاته – حيث تقوم خرائط العقل على

مرتكز أساس هو الربط الذهني والتخيل، وبواسطة الخريطة الذهنية يتضح البناء المعرفي والمهاري لدى المتعلم في فهم وتفسير المنظومة التركيبية للموضوع المراد تعليمه. (أبو عودة ،٢٠٠٤) وخرائط العقل وسيلة يستخدمها الدماغ لتنظيم الأفكار وصياغتها بشكل يسمح بتدفق الأفكار ويفتح الطريق أمام التفكير الإشعاعي. حيث يتم وضع السؤال أو الموضوع الرئيسي في المركز، وبعد ذلك تظهر الإشعاعات في مختلف الاتجاهات وكل فكر (دماغ) يصدر إشعاعات مختلفة عن نفس الموضوع. (محمود ، ٢٠٠٦: ٣٠١)

ويمكن القول أن الذهن يقوم برسم خريطة أو شكل يماثل كيفية قراءة الموضوع المتعلم، حيث يكون المركز هو الفكرة الأساس وتتفرع منها المعلومات حسب الفروع وتشعب الموضوع. أي أنها تجعل الفرد على وعي بما يدور في ذهنه من أفكار حول الموضوع وتعطيه الفرصة لإظهار هذه الأفكار في صورة خريطة مما تساعده على تنمية الإدراك ما وراء المعرفي وتنمية المهارات ما وراء المعرفية المتمثلة في التخطيط والمراقبة والتقويم حيث يقوم المتعلم بتصميم خريطة التفكير ومراقبة تفكيره لوضع الأولويات ومسارات الخريطة وتقويم تفكيره قبل وأثناء وبعد عمل خريطة العقل وأخيراً مراجعة الخريطة الموضوعة وجوانبها المختلفة ومدى مناسبتها للتعلم الخاص بذلك الموضوع.

تعلم استراتيجيات ما وراء المعرفة:

أشار شوارتز إلى أنه كلما كان التفكير الذي نحاول أن نكسبه المتعلمين ذا خطوات أكثر وضوحاً كان احتمالا أن يتعلموا ويغيروا من عاداتهم في التفكير وهذا يتطلب من المعلمين القيام بتحفيز طلابهم لكي يكونوا واعين بما يفكرون فيه ومن ثم يتأملون في تفكيرهم ويراقبونه ويقومونه، وهذا ما يسمى بستراتيجيات التفكير ما وراء المعرفي. (الجزائري ،٢٠٠٥: ١)

أما ريم سليمون فتقول أننا غالباً ما نحشو أذهان طلبتنا بالمعلومات والمعارف ونادراً ما نعلمهم كيف يتعلمونها ؟ وتشير أيضاً أن كل الاتجاهات التربوية المعاصرة تركز على التعلم من اجل التعلم ونحن ما زلنا نعتمد على الأداء في الامتحانات والدرجات ونعتبر ذلك المقياس الوحيد لنجاح التعلم. (الشريقي، ٢٠٠٥) والسؤال الذي يجب طرحه هو: هل يمكن تعلم ستراتيجيات ما وراء المعرفة وتعليمها ؟؟ ويجيب الباحثون بان هذه الستراتيجيات أو المهارات قابلة للتعلم وبدرجة كبيرة، وهي تتحسن بالممارسة المستمرة ويمكن تعليم ممارسة هذه الستراتيجيات في المراحل الدراسية الأولى بصورة بسيطة تتدرج في التعقيد كلما وصلنا المرحلة الثانوية. (Wakefield , 1996 : 426)

أن الانتقال مؤخراً من تطبيق النواحي النظرية لما وراء المعرفة في مجال التعليم إلى التطبيق العملي جاء نتيجة اقتناع الباحثين بالارتباط الكبير بين نظرية ما وراء المعرفة والتعليم للمعلمين والمتعلمين. (Hacker , 1996 : 6)

وتنبع الأهمية الحقيقية لستراتيجيات ما وراء المعرفة من تطبيقاتها في غرفة الصف، واستخدامها في التعلم، ويتبع المتعلم في غرفة الصف عادة التعليمات التي يقولها المعلم دون أن يفكر في سبب ما يقوم به من أنشطة معرفية، ونادرا ما يتساءل عن الستراتيجيات التي يقوم بها أثناء التعلم أو كيف يقوم أدائه وتشير العديد من الدراسات إلى ارتباط ايجابي دال بين درجة وعي الطلبة لما يقومون به، ولما يستخدمونه من أساليب وعمليات أثناء التعلم. وبين استيعابهم للمعلومات، وقدرتهم على استخدامها، وتوظيفها في مواقف التعلم المختلفة (Ayres , 2002 : 63-5) وتضم البيئة التعليمية تدريس ستراتيجيات ما وراء المعرفة بشكل ضمني أو صريح مما يؤدي إلى تحسن في مهارات ما وراء المعرفة الأساسية والتي تسهل اكتساب

الطالب للمعرفة (Schraw & Graham , 1997 : 3)أن ميزة تعليم الستراتيجية ما وراء المعرفية الناجح هو نقل متدرج لسيطرة الستراتيجية من المعلم إلى الطالب. (Palincsar , 1986 : 112)

وهناك أربع طرق لتقديم هذه الستراتيجيات

١- الستراتيجيات الضمنية المعتمدة على المحتوى: وهي ستراتيجيات تدعم محتوى معيناً وتتطلب استخداماً وتركيباً واضحاً لمحتوى الدرس.

٢- ستراتيجيات منفصلة تعتمد على المحتوى: وهي ستراتيجيات عامة يتم تدريسها بمحتوى معين.

٣- ستراتيجيات ضمنية مستقلة عن المحتوى: وهي ستراتيجيات عامة تدعم محتوى معيناً قابلة للتحول لمحتوى دروس أخرى.

٤- الستراتيجيات الملموسة المستقلة عن المحتوى: ويتم تدريسها أو تعلمها منفصلة عن المحتوى وهي عامة وتدعم مجموعة من مسائل التعلم وهدفها تعميم الستراتيجيات والحث على التعلم المستقل وهذا هو جوهر التحول الذي يكون تحولاً بعيد المدى. (الجزائري، ٢٠٠٥: ٣٦)

وبشكل عام عند إعداد البرامج الدراسية يتم استخدام شرح الستراتيجية خصوصاً لدى المتعلمين الذين يقومون باستخدام هذه الستراتيجية للمرة الأولى. كما يتم توجيه المتعلم بشكل مستمر أثناء التعلم ويتم استخدام الستراتيجية أكثر من مرة كي يتمكن المتعلم من إتقانها وتصبح لديه القدرة على نقلها إلى المواقف المشابهة. (عصر، ٢٠٠٣: ٢٩٤)

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى :

١- بناء اختبارات حل المشكلات (الاستدلال – توليد الحلول – الستراتيجيات).
٢- التعرف على أثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة في حل المشكلات لدى طلبة المرحلة الرابعة معاهد أعداد المعلمين
٣- التعرف على اثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة في حل المشكلات لدى طلبة المرحلة الرابعة معاهد أعداد المعلمين وفقاً لمتغير الجنس.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على طلبة المرحلة الرابعة لمعاهد أعداد المعلمين والمعلمات (ذات الخمس سنوات) بعد مرحلة الدراسة المتوسطة التابعة إلى مديرية تربية كركوك الدراسة الصباحية والمسائية للعام الدراسي (٢٠٠٨– ٢٠٠٩).

فرضيات البحث:

ولأجل تحقيق هدف البحث الحالي المتمثل في معرفة أثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة في حل المشكلات لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين ووفقا لمتغير الجنس وضعت الفرضيات الأتية:

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة في الاختبار البعدي لاختبار حل المشكلات (الاستدلال، توليد الحلول، الستراتيجيات).
٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعات الأربع في الفرق بين الاختبارين القبلي والبعدي لاختبار حل المشكلات(الاستدلال، توليد الحلول، الستراتيجيات).

٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية من الذكور ومتوسط درجات المجموعة التجريبية من الإناث في الاختبار البعدي حل المشكلات (الاستدلال، توليد الحلول، الستراتيجيات).

مجتمع البحث:

يتكون مجتمع البحث الحالي من طلبة المرحلة الرابعة معاهد إعداد المعلمين والمعلمات للدراسات الصباحية والمسائية ذات السنوات الخمس البالغ عددها أربعة معاهد في مديرية تربية كركوك بواقع معهدين للدراسات الصباحية ذكور وإناث ومعهدين للدراسات المسائية ذكور وإناث للعام الدراسي (٢٠٠٨– ٢٠٠٩) حيث يبلغ العدد الكلي (٩٢٤) وبلغ عدد طالبات المرحلة الرابعة في المعهدين (٥٧٧) في حين بلغ عدد طلاب المرحلة الرابعة في المعهدين (٣٤٧)

عينة البحث:

تم اختيار عينة البحث من المرحلة الرابعة في معاهد إعداد المعلمين والمعلمات للدراسات الصباحية والمسائية للأسباب الآتية: –

١- ارتفاع عدد طلابها مقارنة بالصفوف الأخرى.
٢- تعد بمثابة المرحلة قبل الأخيرة لممارسة الطالب لمهامه كمعلم.
٣- وجود مادة الإرشاد التربوي والتي تضم مجموعة من المشكلات التربوية التي تتناسب مع موضوع البحث.
٤- أعمار الطلبة والتي يظهر فيها استخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة بشكل واضح عند التدريب عليها.

وقد اختيرت عينة البحث الأساسية البالغة (١٠٠) طالب وطالبة بطريقة عمديه من الدراسات الصباحية بواقع شعبتين من كل معهد (الذكور) و (الإناث) وبواقع (٢٥) طالب وطالبة لكل شعبة

تكافؤ المجموعات

وبعد أن تم تحديد العينة بمجموعاتها الأربعة الضابطة والتجريبية في معاهد إعداد المعلمين والمعلمات للدراسات الصباحية استمر الباحثان بإجراءات بحثهما بضبط بعض المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في سير التجربة والسلامة الداخلية للبحث والمتغيرات التي تم مكافأتها احصائيا باستخدام الاختبار التائي (t. test) لعينتين مستقلتين بين مجموعات البحث هي :

١- العمر الزمني.

٢- الذكاء.

٣- المستوى ألتحصيلي للوالدين.

أدوات البحث:

بعد ان تم أجراء التكافؤ بين المجاميع الأربعة في متغيرات (العمر والذكاء ومستوى التحصيل الدراسي للوالدين تم بناء اختبارات حل المشكلات وتطبيقها على المجاميع الاربعة (الاستدلال – توليد الحلول – الستراتيجيات).

وقد تم بناء ثلاثة اختبارات لحل المشكلات هي:-

١- اختبار الاستدلال وتكون بصورته الاولية من ٤٧ فقرة وقد تم حذف بعض فقراته لعدم مناسبتها واصبح بصورته النهائية من (٤٠) فقرة وقد تم استخراج الصدق الظاهري وصدق المحتوى والبناء له واستخرج ثباته بطريقة إعادة الاختبار حيث بلغ (٨٢%) وصحح بطريقة كيودر ريتشارد سون فبلغ (٨٠%).

٢- اختبار توليد الحلول وتكون بصورته النهائية من (١٥) فقرة وقد تم استخراج الصدق الظاهري وصدق المحتوى وتم حساب معامل ثبات الاختبار بطريقة أعادة الاختبار فبلغ (٨٤%) وبطريقة ألفا كرونباخ فبلغ (٨٢%).

٣- اختبار الستراتيجيات وتكون بصورته النهائية من (٣٠) فقرة وقد تم استخراج صدقه الظاهري وصدق المحتوى وصدق البناء له، وتم حساب معامل الثبات له بطريقة ألتجزئة النصفية فبلغ (٨٤%) بعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان براون وتم تطبيق هذه الاختبارات قبلياً وبعدياً على مجاميع البحث الأربع وكانت المجموعتين التجريبيتين قد خضعتا لبرنامج ستراتيجيات ما وراء معرفية في مادة الإرشاد التربوي بواقع حصتين أسبوعياً ولمدة عشرة أسابيع

الوسائل الاحصائية:

استخدم الباحثان الوسائل الاحصائية الاتية امعالجة البيانات

أ- مربع كاي، لاجراء التكافؤ في المستوى التحصيلي لاولياء امور افراد مجموعات البحث.

ب- الاختبار التائي (t test) لعينتين مستقلتين لحساب القوة التميزية لاختبارات البحث وتكافؤ العمر الزمني والذكاء ودرجات الاختبار القبلي والبعدي.

ج- معامل ارتباط بيرسون لايجاد معامل ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية لكل اختبار (الاستدلال، توليد الحلول، استراتيجيات) وحساب ثبات الاختبارات.

د- اختبار دنكن لاختبار المدى المتعدد للمقارنة بين متوسط درجات مجموعات البحث. وقد تم معالجة البيانات احصائيا باستخدام الحقيبة الاحصائية (spss).

التطبيق الميداني للتجربة:

لتنفيذ التجربة ميدانيا قام الباحثان بالاجرأت الاتية :-

١- الحصول على الموافقة اللازمة للتطبيق العملي على عينة البحث في معهدي المعلمين والمعلمات (الدراسات الصباحية) من المديرية العامة للتربية في مدينة كركوك.

٢- التدريب على كيفية تطبيق برنامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة في تدريس مادة الارشاد التربوي وكيفية الانتقال من ستراتيجية الى اخرى ولمدة اسبوعين(*).

٣- تطبيق اختبارات (حل المشكلات، الاستدلال، توليد الحلول، الستراتيجيات) قبليا على العينة اعتبارا من يوم الاحد (٢٠٠٨/١٢/٢٩) ولمدة ثلاثة ايام بواقع اختبار واحد لكل يوم.

٤- بعد ذلك بدأ تطبيق البرنامج يوم الاحد(٢٠٠٩/٢/١٨) واستمر لغاية (٢٠٠٩/٤/١٦) من العام الدراسي (٢٠٠٨-٢٠٠٩) وبواقع حصتين اسبوعيا ولمدة (١٠) اسابيع لكل من المجموعتين التجريبيتين والضابطتين.

٥- اتفق الباحثان على ان يقوم احدهما بالتدريس للمجاميع الاربعة (التجريبية والضابطة) وذلك لتجنب اثر عامل التدريس من قبل شخص اخر والذي قد يؤثر على نتائج التجربة.

٦- بعد الانتهاء من تدريس البرنامج ضمن الوقت المحدد للتجربة طبق الباحثان اختبارات حل المشكلات اعتبارا من يوم الاحد (٢٠٠٩/٤/١٩) ولغاية يوم الثلاثاء (٢٠٠٩/٤/٢١) أي بمعدل اختبار واحد لكل يوم بدأ باختبار الاستدلال وانتهاءا بأختبار استراتيجيات.

(*) تم تدريب الباحثة ذكرى عبد الحافظ على كيفية تطبيق البرنامج وكيفية تدريس المجموعات التجريبية والضابطة.

عرض النتائج ومناقشتها:

دلت النتائج التي توصل لها الباحثان وجود تأثير واضح لبرنامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة في حل المشكلات (الاستدلال توليد الحلول الستراتيجيات) لدى الطلبة والطالبات من خلال الفروق ذات الدلالة الإحصائية ولصالح العينتين التجريبيتين وتتفق نتيجة مع العديد من الدراسات التي تناولت ستراتيجيات ما وراء المعرفة وحل المشكلات ومنها دراسة سوانسن(Swanson 1999) والتي استهدفت معرفة تأثير ما وراء المعرفة في الاستعداد لحل المشكلة ودراسة انطونيتو(Antonietti 2000) التي استهدفت إلى معرفة ما وراء المعرفة وعلاقتها بطرائق حل المشكلات ودراسة دي سوتي وآخرين(Desoete & etal 2003) والتي استهدفت التعرف على اثر استخدام ستراتيجيات ما وراء معرفية في تحسين أسلوب حل المشكلات ودراسة كاما (Gama 2004) والتي استهدفت معرفة اثر إدراك العمليات ما وراء المعرفية في زيادة القدرة على حل المشكلات إذ أظهرت نتائج جميع الدراسات السابقة الذكر وجود أثر ايجابي لاستخدام برامج الستراتيجيات ما وراء المعرفية في تنمية القدرة على حل المشكلة وتتفق هذه النتائج مع نتائج هذا البحث في أن طلبة المجموعتين التجريبيتين أصبح لديهم مستوى أعلى في القدرة على حل المشكلات استنادا إلى النتائج التي تحققت بعد تعرضهم لبرنامج الستراتيجيات ما وراء المعرفية إذ يمكن التدريب على هذه الستراتيجيات والتمكن منها، بما يسمح من الزيادة في قدرة الأفراد على فهم ومعرفة كيف تتم عملية تفكيرهم وبالتالي التأثير في قدرتهم على حل المشكلات المختلفة ويمكن أن تفسر هذه النتيجة بالاستناد إلى أراء فلافل وعصر وغيرهم عندما أشاروا إلى أن هذه الستراتيجيات يمكن التدريب عليها وتحسين استخدامها بما يؤثر وبشكل ايجابي في تحسين القدرة على حل المشكلات وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

فقد دلت النتائج الإحصائية للفرضية الأولى بجزأيها الأول والثاني أنَّ الأوساط الحسابية للمجموعات الأربعة (الضابطة والتجريبية) كانت على الاختبار القبلي دون الوسط النظري لاختبار الاستدلال إذ بلغ (٢٠) درجة، إما في الاختبار البعدي فان متوسط درجات المجموعات التجريبية قد سجلت ارتفاعا عن المتوسط النظري إذ بلغ الوسط الحسابي للتجريبية إناث (٨٠. ٢٧) في حين بلغ الوسط الحسابي للتجريبية ذكور (٧٢. ٢٦) في حين إن الأوساط الحسابية للمجموعات الضابطة حافظت على نتائجها إذ بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة إناث (٣٢. ١٩) و بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة ذكور (٨٨. ١٩) ولم يجري تغيير وارتفاع في معدلاتها عن الوسط النظري. كذلك فقد أشارت النتائج الإحصائية إلى ارتفاع في الأوساط الحسابية لدرجات المجموعتين التجريبيتين في الاختبار البعدي لتوليد الحلول حيث كانت متوسطات المجموعات الأربعة من دون الوسط النظري البالغ (٦٠) في الاختبار القبلي لتوليد الحلول وظهر تحسن واضح في الاختبار البعدي لصالح المجموعتين التجريبيتين إذ بلغ الوسط الحسابي لدرجات المجموعة التجريبية إناث (٩٢. ٦٨) والوسط الحسابي للتجريبية ذكور (٠٨. ٦٨) في حين حافظت المجموعات الضابطة على مستويات أوساطها الحسابية ولم تسجل ارتفاعات ذات دلالة أحصائية عن مستوياتها في الاختبار القبلي حيث بلغ الوسط الحسابي لدرجات المجموعة الضابطة اناث في الاختبار البعدي (٠٤. ٤٣) وللمجموعة الضابطة ذكور (٩٢. ٤٣). وكذلك فان الأوساط الحسابية للمجموعات التجريبية قد سجلت ارتفاعا في مستوياتها عن الوسط النظري البالغ (٤٥) في اختبار الستراتيجيات البعدي بعد أن كانت أوساطها الحسابية مع المجموعات الضابطة دون الوسط النظري في الاختبار القبلي إذ بلغ الوسط الحسابي للمجموعة التجريبية إناث (٤٠. ٦٦) والوسط الحسابي للمجموعة التجريبية ذكور (٩٦. ٦٥) بينما بلغ الوسط الحسابي للضابطة

إناث (٧٦. ٣٩) وللذكور(٩٦. ٤٠) وتشير النتائج أنَّ لاستخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة أثرا ايجابيا في التفكير في حل المشكلات إذ يرى بعض الباحثين إن ستراتيجيات ما وراء المعرفة وحل المشكلات يركزان على الطريقة التي يتعامل بها التفكير مع الموضوع أي إن القدرة على حل المشكلات تتجه نحو معالجة عمليات التفكير وستراتيجيات ما وراء المعرفة تعالج الطرق الخاصة بهذه العمليات وإدراك الأساليب التي تعمل بها المشكلات لذلك فان التدريب على أحدهما يسهم في تنمية الأخر. (Bennett ,1994: 205) وأشار باحثون آخرون إلى إن تدريب المتعلم على ممارسة ستراتيجيات ما وراء المعرفة يحسن قدرته على حل المشكلات، إن تشجيع استخدام المعلمين لستراتيجيات ما وراء المعرفة يتم الربط فيها مع مشكلات حقيقية يظهر فيها ارتباط المتعلم بحياته يساعد على تنمية قدرته على حل المشكلات. (الجندي، ٢٠٠١: ٣٦) كما يمكن أن تدل نتائج هذه الدراسة على أن استخدام برنامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة قد أتاح فرصا للتعامل مع المحتوى بطريقة مختلفة مما جعل قدرتهم في حل المشكلات تنتقل إلى خارج إطار المحتوى. وان المشاركة في أداء مهمة التعلم حيث يتم اكتشاف المعلومات وتشجيع التفكير من خلال القيام بعمليات التخطيط والتنظيم والتقويم قد كان له دورا في انتقال خبرة ما قاموا بممارسته إلى القدرة على حل المشكلات.

ويمكننا أن نوضح إن التغييرات التي حصلت في نتائج الاختبار البعدي لصالح المجموعات التجريبية كانت بتأثير برنامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة إذ أشارت النتائج إلى زيادة قدرتهم في حل المشكلات مما يؤكد على أهمية وضرورة استخدام هذه الستراتيجيات في التعلم.

بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في اختبارات

حل المشكلات (الاستدلال و توليد الحلول والستراتيجيات) وقد جاءت هذه النتيجة متفقة مع نتائج دراسة سوا نسن (١٩٩٩) ودراسة الجزائري (٢٠٠٥) ودراسة التكريتي (٢٠٠٦) واختلفت مع دراسة العبايجي إذ سجلت هذه الدراسة فروقا ذات دلالة إحصائية لصالح مجموعة الذكور وقد بينت نتائج البحث الحالي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لمتغير الجنس في أداء الطلبة في اختبارات حل المشكلات حيث تبين أن أداء المجموعتين التجريبيتين (الذكور والإناث) قد تحسن وبشكل متقارب في القدرة على حل المشكلات وأن برنامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة قد أثر في المجموعتين التجريبيتين دون تمايز أي أن البرنامج ليس له أثر على متغير الجنس وأن كلتا المجموعتين التجريبيتين استفادت من دروس البرنامج في زيادة القدرة على حل المشكلات.

وقد يعود سبب ذلك إلى إن البرنامج يؤثر بطريقة موحدة على الجنسين وان كلاهما يتأثران بطرق مختلفة ولكن بمستوى متقارب. كما إن المرحلة العمرية التي تم استخدام برنامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة معها هي المرحلة المناسبة لتنمية هذه الستراتيجيات مما جعل الجنسين يتأثران بشكل ايجابي بها فقد أشار بعض الباحثين أنَّ برامج ستراتيجيات ما وراء المعرفة يتأثر بها كل من الذكور والإناث وبفروق واضحة في مرحلة الطفولة وتتضاءل في المراحل العمرية الأكبر سنا وكثيرا ما تنعدم هذه الفروق بين الذكور والإناث لدى طلبة الجامعة (Swanson,1999:47) ومما يلاحظ إن عينة البحث الحالي تتدرج في هذه المرحلة العمرية مما أدى إلى عدم تأثر متغير الجنس بالبرنامج.

التوصيات (Recommendations)

في ضوء ما توصل إليه الباحثان من نتائج في هذه الدراسة يوصيان بما يلي:-

١- الاهتمام بتضمين المناهج التربوية لمعاهد إعداد المعلمين لبرنامج متخصص في ستراتيجيات ما وراء المعرفة والتطبيق العملي لاستخدامها من المعلمين والطلبة.

٢- إقامة دورات تدريبية لزيادة كفاءة المعلمين في استخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة من خلال برامج لتدريب الكوادر التعليمية أثناء الخدمة.

٣- تضمين المناهج التربوية لمختلف المراحل الدراسية مواد علمية وعملية تشجع الطالب على حل مشكلات واقعية ملموسة.

٤- الإفادة من نتائج البحث الحالي في تطوير إمكانية طلبة معاهد إعداد المعلمين في استخدامهم لستراتيجيات ما وراء المعرفة في حل المشكلات.

٥- نشرمفهوم ستراتيجيات ما وراء المعرفة وأهمية التدريب عليها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة التي تهتم بنشر الوعي العلمي لدى إفراد المجتمع.

٦- فتح موقع متخصص من قبل وزارة التربية على شبكة الانترنت للتدريب على تطوير ستراتيجيات التفكير وحل المشكلات لكي تزيد من قدرة المعلمين والمدرسين على استخدامها.

٧- زيادة وعي إدارات معاهد إعداد المعلمين والمدارس بأهمية البحوث والدراسات ونتائجها في تحسين مستوى إعداد الطلبة من الناحية العلمية والعملية.

المقترحات (suggestions)

استكمالا للبحث الحالي يقترح الباحثان إجراء:

١- دراسة أثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة في متغيرات (الإبداع – التحصيل – التفكير العلمي) لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين والمعلمات.

٢- دراسة أثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة في متغيرات (حل المشكلات، التحصيل، الإبداع، الابتكار) لدى الطلبة في مراحل دراسية مختلفة.

٣- دراسة أثر استخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة في الكفاءة التعليمية لدى المعلمين والمدرسين.

٤- دراسة مقارنة في اثر برنامج لستراتيجيات ما وراء المعرفة بين الطلبة المتميزين وغير المتميزين في القدرة على حل المشكلات من طلاب المرحلة المتوسطة والإعدادية.

٥- دراسة مقارنة بين طلبة معاهد إعداد المعلمين وكليات التربية في القدرة على حل المشكلات.

المصادر

١- أبو عوده، فوزي حرب. (٢٠٠٤). **تطبيقات تربوية الخريطة الذهنية وتطبيقاتها التربوية** مجلة رؤى تربوية، العدد الرابع عشر، فلسطين.

٢- أبونيان، إبراهيم بن سعد. (٢٠٠١). **صعوبات التعلم طرق التدريس والاستراتيجيات المعرفية.** أكاديمية التربية الخاصة، الرياض، السعودية.

٣- الأعسر، صفاء يوسف. (١٩٩٨). **تعليم من أجل التفكير**، دار قباء، القاهرة، مصر

٤- جابر، جابر عبد الحميد. (١٩٩٤). **علم النفس التربوي.** ط٣، مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.

٥- ---------------. (١٩٩٨). **التدريس والتعلم الأسس النظرية، الاستراتجيات والفاعلية.** سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس. دار الفكر العربي. القاهرة.

٦- جروان، فتحي عبد الرحمن. (١٩٩٩). **تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات.** دار الكتاب الجامعي، العين، الأمارات العربية المتحدة.

٧- ---------------. (٢٠٠٢). **تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات.** دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان، الأردن.

٨- الحاج، فايز محمد علي. (٢٠٠٢). **ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل،** جامعة الملك سعود

٩- دافيدوف، لندال. (٢٠٠٠). **التعلم وعملياته الأساسية –التفكير – اللغة – التوافق،** موسوعة علم النفس (٣) ترجمة سيد الطواب ومحمود عمر، مراجعة فؤاد أبو حطب، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة.

١٠- راشد، علي. (٢٠٠٦). **أثر بيئة التعلم – المعلم الناجح ومهاراته الأساسية**، الكتاب الخامس، القاهرة، مصر.

١١- رشوان، ربيع عبده أحمد. (٢٠٠٦). **التعلم المنظم ذاتياً وتوجيهات أهداف الانجاز**، نماذج ودراسات معاصرة، عالم الكتاب، القاهرة، مصر.

١٢- الزيات، فتحي مصطفى. (١٩٩٦). **سيكولوجية التعلم بين المنظور ألارتباطي والمنظور المعرفي**، سلسلة علم النفس المعرفي: دار النشر للجامعات القاهرة.

١٣- سليمان، مها عبد الله. (٢٠٠١). **اثر برنامج قائم على استخدام ستراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية مهارة الفهم القرائي لدى تلميذات صعوبات القراءة في الصف السادس الابتدائي**، دراسة ماجستير، جامعة الخليج العربي، مملكة البحرين.

١٤- الشبايب، فايز محمد فندي. (٢٠٠١). **أثر استخدام طريقة التعليم التعاوني وطريقة المناقشة الجماعية في تنمية التفكير الناقد لدى طالبات الصف العاشر الأساسي في مادة الجغرافية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد كلية التربية – أبن رشد.

١٥- الشريقيي، مها. (٢٠٠٥). **التربية بين التدريس وتعليم الفكر** جريدة الوحدة العدد٨٧.

١٦- عصر، حسني عبد الباري. (٢٠٠٣). **التفكير مهاراته واستراتيجيات تدريسه**. ط٢، مكتبة الشقري. الرياض، السعودية.

١٧- قطامي، يوسف. رغدة عرنكي. (٢٠٠٧). **نموذج مارزانو لتعليم التفكير**، دار ديبونو للطباعة والنشر، عمان، الأردن.

اثر ستراتيجيات ما وراء المعرفة | مجلة آداب الفراهيدي العدد (٢) السنة الأولى | أ.م.د. رؤوف محمود القيسي م.م. ذكرى عبدالحافظ عبداللطيف

١٨- مارزانو و بيكرنج. (١٩٩٧). **أبعاد التعلم إطار متكامل للتعليم، قراءات في مهارات التفكير وتعليم التفكير الناقد والتفكير الإبداعي**. ترجمة فيصل يونس: دار النهضة العربية، القاهرة. مصر.

١٩- المالكي، عوض بن صالح. (٢٠٠٦). **سلوكيات معلم الرياضيات الصفية المثيرة ألابتكاري**، المؤتمر العلمي الإقليمي للموهبة حول رعاية الموهبة، تربية من أجل المستقبل، مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين المملكة العربية السعودية www. gifted-org-sa/4gifed

٢٠- محمود، صلاح الدين عرفة. (٢٠٠٦). **تفكير بلا حدود، رؤى تربوية معاصرة في تعليم التفكير وتعلمه**. عالم الكتب، القاهرة

٢١- وطفة، علي اسعد. (٢٠٠٥). **قراءة في كتاب عادات العقل**. تأليف آرثر كوستا. مجلة الطفولة العربية

www. watfa. net

22- A rends , Richard. (1998) . Learning to teach " the Edition Boston , mcgw Hill .

23- . Ayres, D.(2002).The Effectiveness of lesson planning strategy to Aid Elementary students to learn science Dissertation Abstracts international. Volume 63-05. page 1683

24- Baldwin , carlm . (2000). Meta cognition thinking about thinking . Volume 64.

25- Borkowski,J.G.& Math Krishna ,n.(1992). Moving meta cognition into the classroom. working models and effective strategy teaching . in M. Presley . K. R. Harris. &J. T. Guthrie (Eds) .promoting academic competence and literacy . in school , pp.477.501 .san Diego , CA : Academic.

26- Boujad ,S.B.7 Barakat .H.(2000). Secondary school students Difficulties in sterol chemistry school science Review, vol. 81 (pp 91-98)

27- Beyer ,B.K.(1987). Practical strategies for the teaching of thinking .Boston : Ellyn& Bacon , Inc

28- Berardi –coletta ,B.Buyer,l.s.Domino wski, R.L.Rellingev, E.r .(1993). Meta cognition and problem solving : Process oriented Approach .Journal of Experimental psychology: learning memorg, and Cognition.VOL .21,NO1 (205-223).

29- Brown ,A.L, t al. (1981). learning to learn . on training students to learn from texts Educational Researcher, /o(2), (p:14-21) .

30- Costa , A. L.(2000). Teaching for intelligence recognizing and encouraging skillful thinking and behavior (29 June) .http\\www. context . org\ icliB \ ice\ Costa .

31- Ciardiello ,A.V.(1998).Did you Ask Good Question today ? Alternative cognitive and meta cognitive strategies .Journal of Adolescent and Adult literacy .vole . no . 3. pp . 210-220.

32- Fisher,R. (1989) . Thinking skills ..Available at:http:// www . standards .afes.gov . uk / thinking skills

33- Gordon ,J.(1996).Tracks for learning : meta cognition and learning technologies. Australian Journal of Education technology 12 (1) , (p : 46-55) .

34- Hacker,D.J.(1996).Meta cognition: Definition and empirical foundations, the university of Memphis. www.Google .com.

35- Kiewra ,K.A.(2002) .How classroom teachers can Halo students learn and teach them how to learn theory in to practice. vol. 4 , no. 2 , pp.71-81.

36- King,A. (1991). Effects of training in strategic .Questioning on children's problem–solving perform.Journalof Educational psychology .vol.(83) , pp . 307-317).

37- Livingston, J.A.(1997). Mata cognition: on overview. Available at .www. gse .buffalo . delfts / shue //cep 564 / met cog . h t m.

38- Marzano , R. J. Brandt , R .S .Hughes ,C .S .Jones , B-F-presseises B .Z .Rankin ,S .C .suhor , c.(1988). Dimensions of thinking .A formwork for curriculum and Instruction Association for supervisor and curriculum Development. USA.

39- Palinsar.A.L.(1986).The reciprocal teach of comprehension .monitoringactivities cognition and is traction,1.(p:117-175).

40- Paris,S.G & wino grad ,p (1990). How meta cognition can promote academic learning and instruction . in .B.F. Jones & l .Idol (EDS).Dimensions of thinking and cognitive instruction (pp.15-51)Hilsdale , Erlbaum .

41- Pollard , A.(2002). Reflective teaching Effective and Evidence Informed professional practice. continuum. New York .USA.

42- Pressley, M. Schuder, T. Berman & EL- Denary . (1992). Teachers in the students Achieving Independent learning program. Bergman ,J.L.& EL –Dinary, p. B. Are searcher – education collaborative interview study of transactional comprehension strategy instruction . Journal of Educational psychology, vole – 84, (pp.231-246) .

43- Schraw , G. (1997) . the Effect of Generalized meta cognitive knowledge on test performance and confidence judgments, the journal of Experimental Education .

44- Simpson ,M.L & Nist , S.L.(2000). An update on strategic learning. its more than textbook; reading strategies .journal of Adolescent and Abult Literacy . (43) (6) retrieved November from Academic search premier .

45- Stern .E.(1993). what makes certain arithmetic word problems involving the comparison of sets so difficult for children. Journal of Educational psychology. vol. 85.\o\. pp 7-23 .

46- Sternberg ,R.J -.(1992). Metaphors of mind: conception of the nature of intelligence. Cambridge, England: Cambridge , university press.

47- Tamez ,J.Q Surles , K.(2004). Learning Environments meta cognitive strategies that facilitate the learning process. Available at : http://swiki.cs.colorado .edu : 3232 ldic-2004l362 .

48- Wekefield , j .(1996) .Educational psychology learning to Be a problem solver. Houghton Mifflin company .Boston .USA.

49- Xiadong lin .(2001). Designing meta cognitive Activates cognition & Instruction . vol.19.no2 , pp.23 – 40 .

مستوى الدافع المعرفي
لدى طلبة كلية التربية جامعة دهوك

م.م. أدهم إسماعيل خديدة — كلية التربية /جامعة دهوك

د. محمد سعيد محمد — كلية التربية /جامعة دهوك

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مستوى الدافع المعرفي لدى طلبة كلية التربية جامعة دهوك، ومعرفة إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الدافع المعرفي تبعا لمتغير الجنس والتخصص والمرحلة الدراسية، تكونت عينة البحث من (١٣٦) طالبا وطالبة اختيروا من التخصصات العلمية والإنسانية ومن المرحلة الأولى والرابعة، تم الاعتماد على أداة الدافع المعرفي المعد من قبل (محمود، ٢٠٠٤)، وبعد تطبيق الأداة ومعالجة البيانات أظهرت النتائج ان عينة البحث حصلت على متوسط حسابي أعلى من المتوسط النظري للمقياس وهذا يدل على تمتع عينة البحث بمستوى عالٍ من الدافع المعرفي، كما أظهرت النتائج عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية في مستوى الدافع المعرفي وفق متغير الجنس (ذكور، إناث)، وأشارت النتائج إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية في متغير التخصص (علمي، إنساني) ولصالح التخصص العلمي، وكذلك تبين ان هناك فرق ذي دلالة إحصائية في مستوى الدافع المعرفي وفق متغير المرحلة الدراسية (أول، رابع) ولصالح المرحلة الرابعة.

أهمية البحث:

تعتبر الجامعة من المؤسسات المهمة وذلك من خلال دورها الفاعل في تثقيف وتطوير المجتمع في كافة مجالات الحياة، وطلبة الجامعة يعدون جزء من شباب المجتمع ووسيلتها الفعالة في التقدم والتطور بكافة الميادين.

كما تسهم الجامعة أسهاماً ملحوظاً في بناء شخصية الطالب بما تقدمه من مناهج، وما توفره من علاقات إنسانية وتفاعل اجتماعي، ولذا يمكن القول ان شخصية الطالب تتبلور وتتضح خلال فترة الإعداد الجامعي وان ذلك يشمل اتجاهات الطالب وقيمه وقدراته العقلية، بالإضافة إلى حاجاته ودوافعه العديدة (الخزرجي،٥:٢٠٠٣).

التعلم أهم العمليات المعرفية لأنه يكسب صاحبه خبرات ومهارات وقدرات تكيفيه تجعله فردا بارزا في المجتمع مشاركا في تقدمه وتطوره وأحداث تغيرات تسهم في بناء مصير الإنسانية وتحقيق أهدافها وتطلعاتها، والدافعية تجعل المتعلم سهل الاستثارة وبالتالي تجعله مهتما وميالا لامتلاك الخبرات وإتقانها (شكشك، ٢٠٠٨: ٤٩).

لذلك تعتبر دراسة الدوافع من أكثر موضوعات علم النفس أهمية، لأنها تهتم بدراسة القوة الداخلية المحركة للسلوك (المعروف، ١٩٧٤: ١٠٤)، فالدوافع هي العوامل المحركة للسلوك والمثيرة للنشاط العقلي والحركي وهي أيضا المسؤولة عما نلاحظه من استمرار النشاط المؤدي لإشباع الحاجات العضوية والنفسية (إبراهيم،١٩٨٧: ٣٧٥).

فالدافع هو مصطلح نفسي عام يستخدم لتفسير السلوك، يبدأ بالحاجات وموجه نحو هدف (Sprinthall, Sprinthall and Oja ,1994:645)، وهو مفهوم

واسع له عدة مرادفات منها الحاجة Need والحافز Drive والباعث Incentive، تستخدم هذه المفاهيم لتفسير دافعية السلوك (Bourne & Russo,1998:339).

ومن أهم الدوافع المرتبطة بالتعلم هو الدافع المعرفي، الذي يمكن تحديده والتعرف عليه من خلال سعادة الطالب المستمدة من عملية التعلم وحب الاستطلاع وتعلم المهام الصعبة والاستغراق فيها، كما له دورا مهما في رفع مستوى أداء الطالب وإنتاجيته في مختلف المجالات الدراسية والأنشطة التي يواجهها، إذ تقع على عاتق القائمين بالعملية التعليمية مسؤولية كبيرة للحفاظ على استمراريته (محمود، ١٦:٢٠٠٤).

فالمدرس في حاجه إلى معرفة دوافع طلبته وميولهم ليتسنى له ان يستغلها في حفزهم على التعلم، فالتعلم لا يكون مثمرا إلا إذا كان يرضى دوافع المتعلم، وكثيرا ما يكون تقصير بعض المتعلمين راجعا إلى انعدام ميلهم أو اهتمامهم بما يدرسون، لا إلى نقص في قدراتهم أو ذكائهم (راجح، ١٩٧٠، ص٧١).

والدافع المعرفي Cognitive Motivation هو الرغبة في الانخراط المثمر في النشاط المعرفي والتمتع به، كما يرتبط بالأداء الأكاديمي ويظهر ذلك بشكل واضح في المستوى الجامعي، حيث تتطلب الدراسة التفكير وأداء جهد مثمر للتعامل مع التأثيرات المتعلقة بالدراسة (Coutinho,2006:163)، ويتمثل في البحث المستمر عن الجديد في الموضوعات والمعلومات، ولا يتأثر بالألفة ولا بالتعود ، فهو يعني الاستمرار للدافع نحو التساؤل والتقصي والحصول على المعرفة العميقة باعتبارها أحد ركائز الإبداع، ويكون بحثا عن الجديد في المألوف والنادر في الشائع والبعيد في القريب (المغازي، ٢٠٠٣: ١٠٣).

والدافع المعرفي يشير إلى مقدار السعادة والاستمتاع أثناء قيام الفرد بأشكال من السلوك التفكيري، والناس الذين لديهم هذا الدافع بمستوى مرتفع يحبون حل الألغاز

كما أظهرت دراسة رضوان (٢٠٠٤) ان الطلاب ذوي الدافع المعرفي المرتفع أكثر قدرة على التفكير الابتكاري من ذوي الدافع المعرفي المنخفض (رضوان، ٢٠٠٤:٧٤).

تؤكد النظريات المعرفية المفسرة للدافعية على كيفية فهم الأحداث وتوقعها من خلال الإدراك أو التفكير، وطبقا لهذه النظريات ينتظم السلوك المدفوع الهادف من خلال المعارف التي تقوم على أساس خبرات الماضي في علاقته بالظروف الحالية، كما يشمل ذلك التوقعات الخاصة بالمستقبل ، ومن هذه النظريات المعرفية المفسرة لمفهوم الدافعية نظرية التناشز المعرفي لفستنجر (ملحم، ٢٠٠١: ١٨٩).

فقد ظهر عند فستنجر (Festinger ,1950) الدعوة إلى التناسق أو الاتساق المعرفي، والحاجة إلى الاتساق المعرفي تمثل حالة استثارة سلوكية في دافعية الإنسان، وخاصة إذا ما تصارعت أو تضاربت أو تنافرت جوانب معرفية Cognitions فان الفرد يشعر بعدم الارتياح أو التناشز أو التناقض المعرفي، فيسعى إلى اختزال التناشز المعرفي Cognitive Dissonance الذي يعني البحث عن اتخاذ المنطق والتفكير والاتساق العقلي الفاعل الذي يتجلى من خلال تناسق الأفكار والحقائق التي يمتلكها الفرد لأجل مواجه تتسم بالتالف المعرفي Consonance، ويلعب هذا النموذج دورا هاما في تفسير الدافعية نحو التعلم، والذي يعني السعي نحو المعرفة والفهم والتصدي للمشكلات العلمية ومحاولة حلها، ويمثل ذلك من خلال دافع الاستطلاع أو الاستكشاف والمعالجة (الازيرجاوي، ١٩٩١: ٥٠).

وهناك علماء أسهموا في هذا المجال منهم موراي فقد وضع قائمة للحاجات وتضم قائمته على الحاجات النفسية والعقلية والاجتماعية ، وتعتبر هذه القائمة من أحسن ما اعد حول الدوافع ، ومنها الحاجة إلى المعرفة والتي تعني الحاجة إلى

وقراءة الكتب والمجلات التي تعالج موضوعات معقدة والقيام بنشاطات تتطلب قدرة على الاستدلال وحل المسائل الحسابية، ويقضون معظم أوقاتهم في التفكير بالعالم من حولهم ومحاولة اكتشاف حلول للمشكلات التي تنتشر في هذا العالم (الريماوي وآخرون،٢٠٠٤: ٢١٩-٢٢٠).

ويشير كاسيوبو وزملائه (١٩٨٤) إلى ان الدافع المعرفي يمكن التنبؤ به من خلال الأسلوب الذي يتعاملون به الناس مع المهام والمعلومات (Cacioppo et al,1984:306)، وان الأفراد ذوي الدافع المعرفي المرتفع يميلون إلى فهم عالمهم والى إتقان المعنى وتبني المواقف، وحل المشاكل المختلفة بوسائل مختلفة، كما لديهم مواقف أكثر ايجابية ودوافع نحو المهام التي تتطلب التفكير في مشكلة، ومعالجة المعلومات بشكل مثمر يودي إلى سهولة الوصول إلى المعلومات ، أما ذوي الدافع المعرفي المنخفض فهم بعكسهم إضافة إلى ميلهم للاعتماد على الآخرين (Cacioppo et al,1996:198).

وللدافع المعرفي علاقة بجوانب ايجابية أخرى مثل التحصيل الدراسي والتوافق الدراسي ومتغيرات أخرى، فقد أشارت دراسة الخليفي (٢٠٠٠) إلى وجود علاقة دالة إحصائيا بين الدافع المعرفي والتحصيل الدراسي، وأوضح ان هذه النتيجة منطقية حيث ان الدافع المعرفي قائم على الاختبار والقرار والخطط والاهتمامات وتوقع النجاح والفشل وهو يتمثل في رغبة الفرد في المعرفة والفهم وإتقان المعلومات ومواجهة المشكلات وحلها (الخليفي، ٢٠٠٠: ٤٠).

وأشارت دراسة شقورة (٢٠٠٢) عن وجود علاقة دالة إحصائيا بين الدافع المعرفي والتوافق الدراسي، إذ كلما ارتفع الدافع المعرفي لدى الطلبة كلما كان ذلك دلالة على توافقهم الدراسي (شقورة، ٢٠٠٢: ١٣٠).

أهداف البحث:

يهدف البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مستوى الدافع المعرفي لدى طلبة كلية التربية جامعة دهوك؟

٢- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الدافع المعرفي لدى طلبة كلية التربية جامعة دهوك تبعا للمتغيرات الآتية:

أ- الجنس (ذكور، إناث).

ب- الاختصاص (علمي، إنساني).

ج- المرحلة (أول، رابع).

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على طلبة كلية التربية جامعة دهوك للعام الدراسي (٢٠٠٨- ٢٠٠٩).

تحديد مصطلح الدافع المعرفي:

عرفه كل من:

١- كاسيوبو وآخرون (Cacioppo et al,1984): ميل الفرد إلى الانهماك والتمتع بالمساعي أو المحاولات المعرفية المثمرة (Cacioppo et al,1984:306).

٢- ملحم (٢٠٠١) بأنه: ميل الكائن الحي ورغبته في اكتشاف معالم البيئة السيكولوجية به والوقوف على جوانبها الغامضة (ملحم، ٢٠٠١: ١٨٦).

٣- شقورة (٢٠٠٢) بأنه: رغبة الطالب المستمرة في البحث عن المعلومات والحصول عليها بسرعة وزيادة تلك المعلومات وتنميتها، وترحيب الطالب بالصعاب في سبيل

الاكتشاف والارتياد والرغبة في القراءة والسعي للمعرفة وحب الاستطلاع وطرح الأسئلة (بلقيس وتوفيق، ١٩٨٣: ٩٤).

كما أشار ماسلو في نظريته إلى ان الحاجات الإنسانية تنمو على شكل هرمي، يتضمن حاجات فسيولوجية ونفسية، واعتبر المستوى الأدنى من الحاجات أكثر ضرورة للحياة، ولا ينتقل الفرد إلى المستوى الأعلى إلا بعد إشباع الحاجات الأدنى كالحاجات الفسيولوجية، وأشار ماسلو في احد مستويات هرم الحاجات إلى الحاجة إلى المعرفة والفهم (Kosslyn&Rosenberg,2007:312)، وتشير هذه الحاجة إلى رغبة مستمرة في الفهم والمعرفة، ويظهر ذلك من خلال النشاطات الاستطلاعية والاستكشافية، وفي البحث عن المزيد من المعرفة والحصول على اكبر قدر من المعلومات، ويرى ماسلو ان حاجات الفهم والمعرفة هي أكثر وضوحا عند بعض الأفراد من غيرهم، فعندما تكون هذه الحاجات قوية فسيرافقها رغبة في الممارسة المنهجية، القائمة على التحليل والتنظيم والبحث في العلاقات، ويلعب هذا النوع من الحاجات دورا مهما وحيويا في سلوك الطلاب الأكاديمي، لان عملية استثارتها وتعزيزيها تمكنهم من اكتساب المعرفة وأصول البحث العلمي (نشواتي، ٢٠٠٣: ٢٠٦).

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الأفراد ذوي الدافع المعرفي المرتفع يتصفون بأنهم يمتلكون الرغبة للحصول على الجديد من المعرفة والمعلومات والاستزادة منها وإلى الاستكشاف ومعالجة المعلومات والتمتع بالنشاطات المعرفية، كما أنهم قادرين على تحديد مشكلاتهم ومواجهتها وحلها بطرق وأساليب مناسبة.

الحصول على المعلومات، وحرصه على التطبيق العملي لموضوعات المعرفة (شقورة،٢٠٠٢: ١٣).

٤-محمود (٢٠٠٤): السعي للمعرفة وحب الاستطلاع والاكتشاف والارتياد والرغبة في القراءة وطرح الأسئلة (محمود، ٢٠٠٤: ٢٥).

وقد تم تبنى التعريف النظري الذي قدمه محمود (٢٠٠٤) وذلك لاعتماد البحث في قياس متغير الدافع المعرفي على المقياس الذي أعده الباحث المذكور.

أما التعريف الإجرائي للدافع المعرفي فهو: الدرجة التي يحصل عليها الطالب المستجيب من خلال إجابته عن الفقرات الواردة في أداة البحث.

دراسات سابقة:

- **دراسة الخزرجي (٢٠٠٣) الحاجة إلى المعرفة وعلاقتها بحل المشكلات لدى طلبة جامعة بغداد.**

استهدف البحث قياس الحاجة إلى المعرفة لدى طلبة الجامعة ، والتعرف على الفروق في متغير الحاجة إلى المعرفة وفق متغيري الجنس (ذكور، إناث) والتخصص (علمي، إنساني)، بلغت عينة البحث (٣٠٠) طالب وطالبة، وبعد تحليل البيانات ومعالجتها إحصائيا توصل نتائج البحث إلى ان طلبة الجامعة يتصفون بالحاجة إلى المعرفة، كما توصل البحث إلى وجود فرق ذي دلالة معنوية في متغير الجنس ولصالح الذكور، والى عدم وجود فرق ذي دلالة معنوية في الحاجة إلى المعرفة تبعا لمتغير التخصص علمي وإنساني (الخزرجي، ٢٠٠٣).

- **دراسة محمود (٢٠٠٤) قياس الدافع المعرفي لدى طلبة جامعة الموصل.**

هدف البحث إلى قياس الدافع المعرفي لدى طلبة جامعة الموصل ومعرفة إذ كان هناك فروق في مستوى الدافع المعرفي وفق متغير الجنس والتخصص والمرحلة،

بلغت عينة البحث (٩٦٠) طالب وطالبة، تم بناء مقياس لتحقيق أهداف البحث وبعد استخراج الخصائص السيكومترية للمقياس وتطبيقه، أظهرت النتائج ان مستوى الدافع المعرفي لدى أفراد عينة البحث هي أعلى من المتوسط النظري، كما أظهرت النتائج عدم وجود فرق ذي دلالة معنوية وفق متغير الجنس في مستوى الدافع المعرفي، والى وجود فرق ذي دلالة معنوية وفق متغير التخصص الدراسي ولمصلحة التخصص العلمي، وتبعا لمتغير المرحلة الدراسية ولمصلحة المرحلة الأولى في مستوى الدافع المعرفي (محمود، ٢٠٠٤).

- **دراسة كوتينهو** (Coutinho,2006) **العلاقة بين الحاجة إلى المعرفة وما وراء المعرفة وأداء المهام الفكرية.**

استهدفت الدراسة البحث عن العلاقة بين الحاجة إلى المعرفة وما وراء المعرفة وكيف يمكن لهذه المتغيرات ان ترتبط بأداء المهمات الفكرية.

بلغت عينة الدراسة (٤١٧) طالبا وطالبة من طلبة المرحلة الجامعية في جامعة شمال ولاية إلينوي بواقع (٢٠٩) إناث و(٢٠٨) من الذكور، تم تطبيق مقياس كل من بيتي وكاسيوبو (Cacioppo & Petty) لقياس الحاجة إلى المعرفة، فقد أظهرت النتائج ان أفراد عينة البحث يتمتعون بمستوى مرتفع من الحاجة إلى المعرفة، كما أظهرت النتائج وجود علاقة بين الحاجة إلى المعرفة وما وراء المعرفة والى وجود علاقة بين الحاجة إلى المعرفة وأداء المهمات الفكرية، وأشارت الدراسة إلى ان الحاجة للمعرفة مهمة في أداء المهمات الفكرية (Coutinho, 2006: 162-164).

إجراءات البحث:

أولا/ مجتمع البحث:

يتألف مجتمع البحث من طلبة كلية التربية جامعة دهوك للعام الدراسي (٢٠٠٨– ٢٠٠٩) وللدوام الصباحي، بلغ المجموع الكلي لمجتمع البحث (٢٠٩٢) طالبا وطالبة موزعين على (١٠) أقسام من أقسام كلية التربية منها (٥) أقسام ذات اختصاصات إنسانية و(٥) أقسام ذات اختصاصات علمية، كما موضح في جدول(١).

جدول (١).

أفراد مجتمع البحث موزعين بحسب متغير الجنس والاختصاص.

ت	القسم	اختصاص	الجنس		المجموع
			ذكور	إناث	
١	حاسبات	علمي	١١٦	٥٨	١٧٤
٢	فيزياء	علمي	١٠٥	٧١	١٧٦
٣	كيمياء	علمي	٩٣	٩٦	١٨٩
٤	أحياء	علمي	٦٤	٩٠	١٥٤
٥	رياضيات	علمي	١٦٢	٩٦	٢٥٦
٦	اللغة العربية	إنساني	٨٨	١٠٩	١٩٧
٧	اللغة الانكليزية	إنساني	١٠٩	١١٧	٢٢٦
٨	اللغة الكردية	إنساني	١١٩	١٢٢	٢٤١
٩	تاريخ	إنساني	١٣٦	١٠٦	٢٤٢
١٠	تربية وعلم النفس	إنساني	١١٥	١٢٠	٢٣٥
المجموع			١١٠٧	٩٨٥	٢٠٩٢

ثانيا/ عينة البحث:

تم اختيار عينة البحث من أقسام كلية التربية بصورة عشوائية لكل من الاختصاصين العلمي والإنساني ثم اختير عدد من الطلبة بصورة عشوائية من الصف الأول والرابع، حيث بلغ مجموع أفراد عينة البحث (١٣٦) طالب و طالبة من ستة أقسام، (٣) إنسانية و(٣) علمية والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢).

يوضح عينة البحث موزعة على وفق متغير الجنس والتخصص.

ت	القسم	التخصص	الجنس		المجموع
			ذكور	إناث	
١	اللغة العربية	إنساني	١٠	١٤	٢٤
٢	اللغة الكردية		٩	١٧	٢٦
٣	تاريخ		١٠	١٤	٢٤
٤	فيزياء	علمي	١٤	٨	٢٢
٥	رياضيات		٩	٩	١٨
٦	حاسبات		٩	١٣	٢٢
المجموع			٦١	٧٥	١٣٦

ثالثا/ أداة البحث:

من أجل قياس مستوى الدافع المعرفي وتحقيق أهداف البحث تم الاعتماد على المقياس المعد من قبل (محمود، ٢٠٠٤) ، والذي يتكون من (٧٠) فقرة ذات خمسة بدائل هي (تنطبق علي بدرجة كبيرة جداً، تنطبق علي بدرجة كبيرة، تنطبق علي بدرجة متوسطة، تنطبق علي بدرجة قليلة، لا تنطبق علي).

وتتكون الصيغة النهائية للأداة التي تم تطبيقها على أفراد العينة من (٦٢) فقرة وذلك لأنه تم حذف (٨) فقرات ضمن إجراءات الصدق، وعليه فإن أدنى درجة على المقياس هي (٦٢) درجة وأعلى درجة يمكن أن يحصل عليها المستجيب هي (٣١٠) درجة.

صـدق الأداة:

الصدق الظاهري:-

يعد صدق المقياس من الخصائص المهمة في مجال القياس النفسي فالمقياس الصادق هو المقياس الذي يقيس ما وضع من أجله بشكل جيد (ملحم،٢٠٠٧:٣٢٧).

تم التحقيق من صدق فقرات مقياس الدافع المعرفي من خلال عرضه على مجموعة من المختصين في مجال التربية وعلم النفس لإصدار حكمهم على صلاحية فقرات المقياس وملائمة المقياس لطلبة الجامعة، وقد تم الاعتماد على نسبة اتفاق (٨٠%) فما فوق للحكم على صلاحية فقرات المقياس، وبعد هذا الإجراء استبعدت (٨) فقرات نظرا لعدم حصولها على هذه النسبة.

ثبات الأداة:

يقصد بثبات المقياس ان يعطي نتائج متقاربة في كل مرة من مرات تطبيق المقياس نفسه على نفس المجموعة (عبد الهادي وآخرون، ٢٠٠١: ٣٧٣).

ولحساب ثبات الأداة تم استخدام طريقة إعادة الاختبار Test – Retest تطبيق الأداة للمرة الأولى على عينة مؤلفة من (٢٠) طالبا وطالبة، وبعد مرور أسبوعين من توزيع الاستبيان الأول أعيد تطبيق المقياس على نفس المجموعة. وبعد معالجة البيانات إحصائيا باستخدام معامل ارتباط بيرسون، بلغ معامل الثبات (٠.٨٤) وهذه الدرجة تشير إلى أن المقياس يتمتع بدرجة ثبات عالية.

تطبيق الأداة:

بعد التحقق من سلامة الأداة وصلاحيته لقياس الدافع المعرفي من خلال التحقق من مؤشرات الصدق والثبات، تم تطبيق الأداة على أفراد العينة وذلك بشكل جماعي، وذلك عن طريق تطبيق الأداة على كل مجموعة من المجموعات التي تم

اختيارها في كل قسم، حيث تم التطبيق خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

الوسائل الإحصائية:-

تم استخدام الوسائل الإحصائية التالية لتحليل البيانات التي تم الحصول عليها:

١- معامل ارتباط بيرسون Person Correlation Coefficient استخدم في استخراج الثبات (البلداوي ،٢٠٠٥: ١٦٥-١٧٠).

٢- الاختبار التائي لعينة واحدة t-test for One Sample وذلك لاختبار دلالة الفرق بين المتوسط النظري والمتوسط المتحقق للمقياس.

٣- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين t-test Tow Indepent Sample forاستخدم لاستخراج الفرق بين متغير الجنس (ذكور- إناث)، والتخصص (علمي-انساني)، والمرحلة (أول - رابع) (المصدر السابق: ٢٠٨- ٢١٠).

عرض النتائج ومناقشتها:

الهدف الاول:- ما مستوى الدافع المعرفي لدى طلبة كلية التربية جامعة دهوك:

أشارت النتائج التي تم التوصل إليها من خلال التحليل الإحصائي إلى ان الوسط الحسابي لمستوى الدافع المعرفي لعموم عينة البحث بلغ (٢٠٥.٦٨) وبانحراف معياري (٣٢.٩٥) والوسط المتحقق للمقياس هو أعلى من الوسط الفرضي للمقياس البالغ (١٨٦) درجة، ومن اجل معرفة مستوى الدافع المعرفي تم استخدام الاختبار التائي لعينة واحدة، وقد بلغ القيمة التائية المحسوبة (٦.٩٦) وهي أعلى من القيمة التائية الجدولية (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٣٥). كما موضح في الجدول(٣).

جدول (٣).

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لعموم عينة البحث.

العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
١٣٦	٢٠٥.٦٨	٣٢.٩٥	١٨٦	٦.٩٦	١.٩٦	٠.٠٥

وتشير هذه النتيجة إلى أن أفراد عينة البحث يتمتعون بمستوى عالٍ من الدافع المعرفي، ويمكن تفسير هذه النتيجة إلى أن دافعية الطلبة إلى المعرفة تعكس طبيعة التوجهات الحالية في المجتمع، إذ تشجع الحكومة والمؤسسات الاجتماعية الأفراد على الدراسة وإكمالها والحصول على الشهادة الجامعية لحاجة المجتمع إلى الخريجين من اجل الانخراط في الدوائر والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، هذا من جانب ومن جانب فان الأسرة تشجع أبنائها على الدراسة والحصول على المعرفة نتيجة للحرمان الذي تعرض إليه كثير من الآباء والأمهات بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في المجتمع وخاصة المجتمع الكوردي، إضافة إلى ما سبق ان طلبة الجامعة هم في مرحلة الشباب وهي مرحلة تتميز بالطموح والتوجه المهني مما يجعل الدافع المعرفي عالٍ.

تنسجم هذه النتيجة مع نتائج دراسة الخزرجي (٢٠٠٣) ودراسة محمود (٢٠٠٤) ودراسة كوتينهو **(Coutinho, 2006)**.

الهدف الثاني: هل هناك فروق ذات دلالة معنوية في مستوى الدافع المعرفي لدى طلبة كلية التربية/ جامعة دهوك وفقا للمتغيرات الآتية:

أ- الجنس (ذكور، إناث).

ب-الاختصاص (علمي، إنساني).

ج-المرحلة (أول، رابع).

أ- الجنس (ذكور، إناث).

أظهرت النتائج أن الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث من الذكور قد بلغ (٢٠٣.٨٥) وبانحراف معياري قدره (٣٦.٤٥)، في حين بلغ الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث من الإناث (٢٠٧.١٧) وبانحراف معياري قدره (٢٩.٩٧) وعند اختبار معنوية الفروق بين متوسطات الذكور والإناث باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي (٠.٥٨) وهي اصغر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٣٤) كما موضح في الجدول(٤).

جدول (٤).

الوسط الحسابي والانحراف المعياري لأفراد عينة البحث بحسب متغير الجنس.

الجنس	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
ذكور	٦١	٢٠٣.٨٥	٣٦.٤٥	٠.٥٨	١,٩٦
إناث	٧٥	٢٠٧.١٧	٢٩.٩٧		

وتشير هذه النتيجة إلى عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية في مستوى الدافع المعرفي وفق متغير الجنس (ذكور، إناث).

ويمكن تفسير هذه النتيجة في ان كلا الجنسين يعيشان في نفس الوسط الاجتماعي والثقافي، وان البيئة الاجتماعية تشجع الآن كلا الجنسين (ذكور، وإناث) للدراسة والحصول على المعرفة، وذلك نتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي شهدها المجتمع، تلك التغيرات التي منحت فرص متساوية لكلا الجنسين للدراسة والعمل والبحث عن المعلومات، فبعد ان كانت الظروف الاجتماعية والعادات تحرم

الإناث من الدراسة والتعليم أصبح اليوم في صورة أخرى، نتيجة للانفتاح الثقافي وتوجه المجتمع نحو النظام الديمقراطي ، ومثل هذه التوجهات دفعت كلا الجنسين إلى البحث عن المعرفة من الحصول على مكانة اجتماعية وممارسة الدور المتوقع سواء من الذكور أو الإناث، لا سيما وإننا نعيش البوم في عالم المعرفة والمعلوماتية.

تنسجم هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة محمود (٢٠٠٤)، في حين اختلفت مع نتائج دراسة الخزرجي (٢٠٠٣) التي أشارت إلى وجود فرق دال ولصالح الذكور.

ب- الاختصاص (علمي، إنساني).

أظهرت نتائج البحث أن الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث من الاختصاص العلمي قد بلغ (٢١٤.٢٧) وبانحراف معياري قدره (٢٨.٨٨)، في حين بلغ الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث من الاختصاص الإنساني (١٩٨.٤٨) وبانحراف معياري قدره (٣٤.٥٨) وعند اختبار معنوية الفروق بين متوسط درجات الاختصاص العلمي والإنساني باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي (٢.٨٥) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٣٤) كما موضح في الجدول (٥).

جدول (٥).

الوسط الحسابي والانحراف المعياري لأفراد عينة البحث بحسب متغير الاختصاص.

الاختصاص	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
علمي	٦٢	٢١٤.٢٧	٢٨.٨٨	٢.٨٥	١,٩٦
إنساني	٧٤	١٩٨.٤٨	٣٤.٥٨		

وتشير هذه النتيجة إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة في الاختصاص العلمي والإنساني في مستوى الدافع المعرفي ولصالح الاختصاص العلمي.

ويمكن تفسير هذه النتيجة إلى أن طلبة الأقسام العلمية لديهم توقعات وأهداف مستقبلية تعمل كدافع محرك لسلوكهم. فالدراسات العلمية ذو طبيعة خاصة من تجارب ومختبرات وتفاعل مستمر وحاجة إلى معلومات لانجاز الواجبات اليومية، كل ذلك يعمل كدافع نحو الحصول والبحث عن المعرفة.

تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة محمود (٢٠٠٤)، بينما اختلفت مع نتائج دراسة الخزرجي (٢٠٠٣).

ج- المرحلة (أول، رابع).

أظهرت نتائج البحث أن الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث من طلبة المرحلة الاولى قد بلغ (١٩٧.٤١) وبانحراف معياري قدره (٢٩.٦٦)، في حين بلغ الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث من طلبة المرحلة الرابعة (٢١٤.٤٥) وبانحراف معياري قدره (٣٤.١٩) وعند اختبار معنوية الفروق بين متوسط درجات المرحلة (أول، رابع) وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي

(٣.١٠) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٣٤) كما موضح في الجدول(٦).

جدول (٦).

الوسط الحسابي والانحراف المعياري لأفراد عينة البحث بحسب متغير المرحلة.

المرحلة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
أول	٧٠	١٩٧.٤١	٢٩.٦٦	٣.١٠	١,٩٦
رابع	٦٦	٢١٤.٤٥	٣٤.١٩		

وتشير هذه النتيجة إلى وجود فرق دال في مستوى الدافع المعرفي تبعا لمتغير المرحلة الدراسية ولصالح طلبة الصف الرابع.

ويمكن تفسير هذه النتيجة في أن تقدم الطلبة في المراحل الدراسية وما يكتسبه من معلومات ومعارف علمية سنة بعد أخرى ربما يؤدي إلى زيادة الوعي لدى الطالب ومن ثم رفع مستوى الدافع المعرفي لديهم وخلق الرغبة لدى الطلبة في الاستزادة من المعرفة.

تختلف هذه النتيجة مع النتائج التي توصلت إليها دراسة محمود (٢٠٠٤) التي أشارت إلى وجود فرق ولصالح المرحلة الأولى.

الاستنتاجات:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يمكن ان نستنتج الاتي:

١- ان أفراد عينة البحث يتمتعون بالدافع المعرفي.

٢- ان متغير الجنس لا يؤثر في مستوى الدافع المعرفي لدى أفراد عينة البحث.

٣- طبيعة التخصص الذي يدرس فيه الطلبة يؤثر في دافعهم المعرفي.

٤- ان تقدم الطلبة في الدراسة يرفع من مستوى الدافع المعرفي لديهم.

التوصيات:

ضرورة الاهتمام بالدافع المعرفي لدى طلبة الصف الأول وذلك من خلال ربط الدراسة مع الحياة اليومية للطلبة، وحثهم على الاهتمام بالعلم من خلال بيان دور العلم والمعرفة في تقدم المجتمع وتطوره، وكذلك من خلال استخدام طرائق التدريس الحديثة والقائمة على التقنيات لأجل رفع مستوى الدافع المعرفي لديهم.

المقترحات:

نظراً لندرة الدراسات المحلية في هذا المجال لذا نقترح إجراء بعض الدراسات ومنها:

١- دراسة العلاقة بين مستوى الدافع المعرفي وبض المتغيرات (الريف والمدينة، ومستوى تعليم الأبوين، ترتيب الطالب بين إخوته).

٢- دراسة العلاقة بين مستوى الدافع المعرفي وتطور الهوية.

المصادر:

١- **إبراهيم، عبد الستار** (١٩٨٧)، أسس علم النفس، دار المريخ، الرياض.

٢- **الأزيرجاوي، فاضل محسن** (١٩٩١)، أسس علم النفس التربوي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل.

٣- **البلداوي، عبد الحميد عبد المجيد** (٢٠٠٥)، أساليب البحث العلمي والتحليل الإحصائي ، التخطيط للبحث وجمع وتحليل البيانات يدويا وباستخدام برنامج SPSS ، ط١، الإصدار الثاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٤- **بلقيس، أحمد وتوفيق مرعي** (١٩٨٣)، الميسر في علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان.

٥- **الخزرجي، علي عبد اللطيف حمودي** (٢٠٠٣)، الحاجة إلى المعرفة وعلاقتها بحل المشكلات لدى طلبة جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد.

٦- **الخليفي، سبيكة يوسف** (٢٠٠٠)، علاقة مهارات التعلم والدافع المعرفي بالتحصيل الدراسي لدى عينة من طالبات كلية التربية بجامعة قطر ، مجلة مركز البحوث التربوية (جامعة قطر)، العدد (١٧)، ص ١٣-٤٤.

٧- **راجح، احمد عزت** (١٩٧٠)، أصول علم النفس، المكتب العربي الحديث، مصر.

٨- **رضوان، وسام سعيد** (٢٠٠٤)، الدافع المعرفي والبيئة الصفية وعلاقتهما بالتفكير الابتكاري لدى طلاب الصف الرابع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر- غزة.

٩- **الريماوي، محمد عودة وآخرون** (٢٠٠٤)، علم النفس العام، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٠- **الشقورة، عبد الرحيم شعبان** (٢٠٠٢)، الدافع المعرفي واتجاهات طلبة كليات التمريض نحو مهنة التمريض وعلاقة كل منهما بالتوافق الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية - غزة.

١١- **شكشك، انس** (٢٠٠٨)، علم النفس العام، ط١، دار شعاع للنشر، سوريا.

١٢- **عبد الهادي، جودت عزت وآخرون**، (٢٠٠١)، مبادئ القياس التقويم، دار الفكر، الأردن.

١٣- **محمود ،أحمد محمد نوري** (٢٠٠٤)، قياس الدافع المعرفي لدى طلبة جامعة الموصل، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل.

١٤- **المعروف، صبحي عبد اللطيف** (١٩٧٤)، مقدمة في علم النفس التربوي، مطبعة الحداد، البصرة.

١٥- **المغازي، إبراهيم محمد** (٢٠٠٣)، الذكاء الاجتماعي والوجداني ،مكتبة الإيمان، مصر.

١٦- **ملحم ، سامي محمد** (٢٠٠١)، سيكولوجية التعلم والتعليم، ط١، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.

١٧- **ملحم، سامي محمد** (٢٠٠٧)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، الطبعة الخامسة، دار المسيرة، عمان.

١٨- **نشواتي، عبد المجيد** (٢٠٠٣)، علم النفس التربوي، ط ٤، دار الفرقان، عمان.

19- Bourne, L. E. & Russo. N. F (1998), Psychology : Behavior in Context , Norton and Company , Inc , New York.

20- Cacioppo , J. T, et al (1984) The Efficient Assessment of Need for Cognition , Journal of Personality Assessment, No. 48, No.3 ,306-307.

21- – (1996) Dispositional Differences in Cognitive Motivation :The Life and Times of Individuals Varying in Need for Cognition , Psychological Bulletin, Vol. 119, No.2,197-253.

22- Coutinho, S. A (2006) The Relationship between the Need for Cognition, Metacognition, and Intellectual Task Performance , Educational Research and Reviews Vol. 1, No. 5, 62-164. www.academicjournals.org/ERR.

23- Kosslyn ,S.N & Rosenberg.R.S (2007) Fundamentals of Psychology in context ,3rd ed , Pearson Education , Inc , USA.

24- Sprinthall, Sprinthall and Oja , (1994) Educational Psychology, 6th ed , McGraw Hill Inc , New York.

Abstract:

This study aims at realizing the Cognitive motivation level of the students of College of Education University of Duhok. It also tries to explain whether there are differences concerning the cognitive motivation level in term of statistical reference according to gender (male/female) specialization and the study stag variables. The study sample consists of (136) students both (male/female) of the first fourth stages who have been chosen from scientific and humanity departments. The study followed the cognitive motivation scale which is designed by (Mahmmod,2004). after the application of the scale and treating the data , the study has shown that the study sample got higher mean from the theoretical mean of the scale which indicates that the study sample has a high level of cognitive motivation. The results also show that there are differences in the statistical reference in the cognitive motivation level according to gender (male/female). However the results have shown that there are statistical reference differences in the variable of (scientific and humanity) in the interest of scientific department. Moreover, the study also has shown that there are statistical reference difference in the cognitive motivation according to study stage variable in the interest of the fourth stage.

آداب وقواعد السلوك الاجتماعي في التراث العربي الإسلامي

أ. م. د. سعد سلمان عبدالله المشهداني

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

إن آداب وقواعد السلوك المعروفة باسم (الاتكيت والبروتوكول) أو (المراسم) هي نمط من أنماط العلاقات العامة الغاية منها خدمة هدف مركزي تنفذ به الدولة أو أية هيئة أو منظمة غير حكومية على نحو منتظم ودقيق سياستها على الصعيدين الداخلي والخارجي. والاتكيت والبروتوكول نمط خاص من أنماط الاتصال على الصعيدينِ الرسمي والشعبي.

يسلط هذا البحث الضوء بعض المعلومات التي نحتاجها في مجال الآداب والقواعد العامة للسلوك خاصة في المناسبات الرسمية وللتعريف بعض جوانب القصور والنقص في الأداء المراسمي لاسيما أن هناك حالات يتم الاعتماد على الاجتهاد الذي يحمل مخاطر الزلل. وتأتي أهمية هذا البحث كونه يسلط الضوء على تاريخ المراسم في التراث العربي الإسلامي كونها عملية تعود بالنفع والفائدة على جميع أطرافها ولاسيما الطرف الذي ينظم العملية ويديرها. ولما كانت إدارة هذه العملية مرتبطة بأهم أجهزة الدولة وبوزارات ذات صلة واختصاص فان وجود جهاز مراسمي جيد الأداء ويستند في عمله إلى قواعد متينة ورؤية صحيحة مستمدة من التقاليد

العربيـة والإسـلامية يعد إسهاماً فعالاً في تحقيق أهداف هذه الجهات وسياساتها وضمان قيامها بفعاليتها على وجه صحيح وفعال.

إن قواعد السلوك الاجتماعي والإجراءات والأعراف والتقاليد المتبعة بين الأفراد في المجتمع التي تسمى (الاتكيت) أصبحت اليوم من المسائل المهمة التي يجب أن يعرفها ممثلو المنظمات الحكومية والحزبية ومؤسسات المجتمع المدني، إذ أصبح من الواجب معرفة المبادئ المتبعة في المراسم والمجاملات، وكيفية التصرف بلباقة وهدوء وكياسة، والظهور بالمظهر اللائق، ومراعاة الأعراف والتقاليد، كقواعد التصرف السليم والأسبقية، وآداب المائدة والتعارف واختيار الملابس.

والواقع أن معرفة هذه القواعد هي ليست شكليات مجردة وعادات برجوازية فارغة، وإنما هي قواعد وعادات نشأت وتطورت مع تطور الحضارة وتوصلت لها البشرية نتيجة تحضرها، وهي تقوم على أسس منطقية وصحية واجتماعية ولها وجود قوي وفاعل في تراثنا العربي والإسلامي.

وفي تراثنا العربي الإسلامي هناك إشارات واضحة في الخلق السامي والطباع الحميدة والكرم وحسن الضيافة، وفي تقدير قيمة الوقت وأهميته، ومن هذا التراث نتعلم كيف يجب أن يحترم الأعلى ومراعاة الأدنى، ومنه يمكن ان نتعلم لماذا يستخدم أي شيء ولأي غرض ؟ وهذا الموضوع ينسحب على موضوع التربية في البيت حيث من الضروري أن نعلم الأولاد كيف يجلسون على المائدة وكيف يتصرفون في حضور الأب والأم على المائدة وكيف لا يجوز لهم ترك المائدة قبل الأب والأم ولا يجوز لهم كذلك أن يبدأوا بالأكل قبل الوالدين. إن تعليم أبناءنا وإخواننا وموظفينا والعاملين معنا في الميدان تلك القواعد هو جزء من التطويع على حب النظام، لان ذلك جانباً تربوياً ونفسياً واجتماعياً مهماً، فضلاً عن انه في الأصل يعتمد على تراث عربي يبتدأ من

عمق الحضارة العربية العريقة، وما قدمته حضارة وادي الرافدين للعالم أيام ازدهار هذه الحضارة، واتساع سلطانها، ووقوف شعبها في طليعة مواكب العمران والتطور.

إن آداب وقواعد السلوك ليست عادات وقواعد غريبة بل هي عادات وتقاليد لها جذورها في تاريخنا العربي والإسلامي، ويمكننا من خلال مراجعة بسيطة لقواعد السلوك في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن معرفة بسيطة للعادات والتقاليد الموروثة من التراث العربي الإسلامي من اكتشاف أن قسماً كبيراً من آيات القران الكريم الشريفة تحض على إتباع هذه القواعد لتحقيق حياة اجتماعية سليمة. قال تعالى في كتابه العزيز:

- چڭ ڭ ڭ ڭ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ چ[1].
- چ□ چ[2].
- چ□ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ چ[3].

ماهية آداب السلوك (الإتيكيت):

الإتيكيت: هو مصطلح أوروبي يقصد به الآداب العامة في التعامل مع الأشياء ومرجعيتها هي الثقافة الإنسانية الشاملة وقلما تختلف من بلد الى بلد وما سنستعرضه هنا هو الإتيكيت الدولي أي المتعارف عليه في جميع أنحاء العالم. وتعنى كلمة إتيكيت بالعربية معاني كثيرة مثل: الذوق العام، أو الذوق الاجتماعي، أو آداب السلوك أو اللياقة أو فن التصرف في المواقف الحرجة.

ويُعدّ الإيتيكيت من السلوكيات الإنسانية التي يجب على المرء أن يضعها في اعتباره أينما ذهب وحيثما جلس أو تحدث مع جلسائه في موضوع من الموضوعات.

وأصبح للإيتيكيت أسس وقواعد معروفة يعمل بها في المجتمعات المتحضرة. لو أمعنّا النظر في اهتمام الغرب بقواعد المعاشرة والبروتوكول أو ما يُطلق عليه بالإنجليزية والفرنسية (إتيكيت) لأدركنا أنهم يهتمون بقواعد الأكل أكثر من الأكل نفسه . فآداب المائدة وطريقة حمل الشوكة والسكين ووظيفة كل سكين وكل ملعقة تكاد تكون علماً يُدرَّس للصغار. كذلك عدم فتح الفم أثناء الأكل، أو الأكل والفم ملآن. كذلك يأتي نوع الحديث – ما لم يكن غداء عمل – يجب أن يختار الجالسون مادته . وكلمة الاتيكيت دخلت الاستعمال في العام ١٧٥٠م، وجاءت من الفرنسيّة، من كلمة تكتْ، حيث كانوا يطبعون التعليمات والبروتوكول على بطاقة صغيرة (تكتْ TICKET) تحوي التعليمات عن كيفية التصرّف في مناسبة ما . وعندنا في العراق «إتيكيت» خاص بالأكل والجلوس على السفرة. تلك القواعد كانت أن لا ينهض الجالس من الأكل قبل من هو أكبر منه، أو قبل المُحتفى به. كانوا يجلسون واضعين أيديهم على الركبة المثنية مع مدّها قليلاً إلى الأمام بانتظار قيام الضيف أو كبار السنّ. وهذا «البروتوكول» حتى عهد قريب كان متبعاً ويتقيّد الناس به .غير أن تلك العادة اختفت للأسف مع دخول الموائد وال«بوفيه» حيث يشقّ المدعوون طريقهم حولها غير عابئين بمن خلفهم أو من هو أمامهم، في ظروف عسيرة في بعض الأحيان. والكلمة أيضاً من الفرنسية بمعنى نُضد أو طاولة.

أداب وقواعد السلوك في الدولة العربية منذ صدر الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية

إذا كان العراقيون قد عرفوا في حضارتهم القديمة منذ عهد السومريين حتى ميلاد الدولة العربية الإسلامية النشاط الدبلوماسي، وقد عرفوا قواعد مثالية للسلوك الرسمي والاجتماعي، فان ما بلغته الدولة العربية الإسلامية من السعة والتنظيم والنفوذ والتطور في مختلف المجالات (وخاصة في مجال المراسم) منذ مطلع رسالة الإسلام قد وسع من علاقاتها مع الدول الكبيرة، وأمن جميع متطلبات حياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية.

ولا شك أن عماد العملية الدبلوماسية هو القائم بالمهمة والمكلف بها، أي أداتها التنفيذية وهو الرسول أو السفير، ومن ثم فان الإطلالة الواضحة على ما بلغته الدبلوماسية في عهد الرسول الكريم محمد (ﷺ) من تطور ونشاط اقتضتهما مهمات تبليغ الرسالة ونشرها، وبلوغها مستوىً متقدماً واتساع مهماتها في عهدي الدولة العربية الإسلامية الأموي والعباسي تقتضي منا الاحاطة بمدلولات كلمة الرسول أو السفير. فالرسول يعني رجلاً يرسل بين ملكين أو مسؤولين في أمور خاصة، من عقد صلح وهدنة أو فداء أو تحالف، يكون فيه صفات معروفة تؤهله للنجاح في أداء هذه المهمات، فيمثل المرسل كأنه هو ويتحدث باسمه[٤]. أما السفير فقد اتفقت معظم المعاجم على انه من الجذر (سفر) وأسفر بين القوم إذا أصلح بينهم والسفير الرسول المصلح بين قومين[٥].

وقد اعتمد الرسول الكريم محمد (ﷺ) في عمله السياسي والدبلوماسي وسائل اتصال وتفاوض وتعاون عدة، كالرسائل والمحادثات الشخصية والصكوك والوثائق والمعاهدات والأحلاف والمؤتمرات، ثم إرسال الرسل والمبعوثين والسفارات لنشر رسالته[٦].

ابتدأت السفارات الإسلامية بإيفاد الرسل الذين حملوا رسائل الرسول الكريم محمد (ﷺ) إلى الملوك، وكانت السفارة الأولى في السنة الثانية قبل الهجرة مع المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين في الهجرة الأولى إلى النجاشي ملك الحبشة، وكان أمير المهاجرين وسفير الرسول الكريم محمد (ﷺ) هو جعفر بن أبي طالب، فقد بعث النبي مع جعفر إلى النجاشي رسالة رقيقة الأسلوب يدعوه فيها الإسلام. وكانت السفارة الثانية إلى النجاشي عندما أرسل إليه النبي (ﷺ) عمرو بن أمية الضمري يدعوه فيها للإسلام السنة السادسة للهجرة، فاسلم النجاشي[٧].

إن استعراض أنشطة الرسول الكريم محمد (ﷺ) السياسية والدبلوماسية ووسائل الاتصال بالدول الأجنبية والدويلات والتجمعات العربية لنشر الإسلام وإرساء أسس الدولة الجديدة واختيار سفرائه ووفوده والصفات التي كان يتحراها في اختيارهم، يكشف لنا عن عبقرية نادرة وأداء دبلوماسي ومراسمي متميز مهد للبناء السياسي والدبلوماسي المتميز الذي تمثل في عمل من تبعه من الخلفاء الراشدين[٨]، أو سياسة خلفاء الدولة العربية الإسلامية التي بلغت مستوى رفيعاً حافلاً بالإضافة والابتكار والتجديد. وقد صاحبت ذلك النشاط مجموعة مراسم، وأرسيت أعراف وتقاليد للعمل، فكان هناك احترام لبنود المعاهدات وبنود الصلح، وقد كان هناك احترام لبنود المعاهدات تختم بخاتم الرسول الكريم محمد (ﷺ)، إذ اتخذ الرسول ختماً رسمياً متميزاً مستديراً من فضة، حمل عبارة (محمد رسول الله) محفورة ومرتبة عمودياً أعلاه اسم (الله) يتلوه اسم (محمد) في السطر الثالث[٩]. وكان يكتب له كتبه خالد بن[١٠] سعد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، في حين كان يكتب له الوحي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان. ويذكر أن عدد الكتبة الذين كتبوا للرسول محمد (ﷺ) كتبه ومواثيقه وعهوده ومنهم كتبة الوحي بلغ أربعة وأربعين صحابياً[١١]. وقد كتبت رسائل الرسول الكريم بالحبر الأسود على الجلد، وبقلم من قصب مسنن، وبالخط العربي

البسيط الشائع آنذاك في مكة والمدينة، وهو خال من النقط وعلامات الأعراب[١٢]. وما يزال بعض هذه الرسائل موجوداً في متاحف دمشق وحلب واستانبول.

ولقد سار الخلفاء الراشدون على خطى الرسول الكريم (ﷺ)، واتبعوا أساليبه وتعاليمه في السياسة والدبلوماسية والحرب وطوروا فيها بحسب مقتضيات توسع الدولة، وواصلوا مهام الدعوة، وكانوا جميعاً يؤثرون السلم والعمل الدبلوماسي الهادئ والحكمة في نشر الرسالة. أما في عهد الدولة الأموية فقد شهدت هذه الدولة متغيرات كان لها أثرها في تطور الممارسة الدبلوماسية، فمن الناحية العسكرية تواصلت مهمات نشر الدعوة، واستمرت الفتوحات الإسلامية حتى عدَّ العصر الأموي عصر الفتوحات الثاني[١٣].

وقد كان اهتمام عبد الملك بن مروان ببناء الدولة وتعريب دواوينها، ومعالجة أحداث الاضطرابات والثورات في العراق والحجاز، عاملاً من العوامل التي نشطت العمل الدبلوماسي مع جيرانه الروم، فكانت الرسل تتردد بينه وبينهم. وقد اتسمت العلاقات مع الروم في هذه الفترة بالتوتر والمناوشات والغارات، مما ساعد على أن توسع الدولة الأموية من نشاطها الدبلوماسي كتبادل الرسل والمهادنة وتبادل الأسرى، فان العرب كانوا يتقدمون شرقاً إلى الصين ويرسلون الرسل أيضاً، حيث أرسل سليمان بن عبد الملك إلى الصين عام ٩٦ هـ قتيبة بن مسلم الباهلي سفيراً عنه للدعوة للإسلام، والمطالبة بدفع الجزية، كما أرسل هشام بن عبد الملك سفيراً عنه أسمه سليمان عام ١٠٨هـ إلى الملك الصيني "هوان تسونج"، وان العلاقات قد تحسنت بين الجانبين مما مهد لتطورها في زمن الدولة العباسية[١٤]. ولم تقتصر مظاهر العمل الدبلوماسي على السفارات فقد كانت هناك ضروب من الأنشطة الدبلوماسية، كعقد المعاهدات للصلح والسلم، واستقبال المبعوثين مما ساعد على تطور قواعد الاتكيت

والبروتوكول، ومن بين تلك القواعد مما كان يعرف بنظام (الحجابة)[١٥] وان كانوا قد سبقوا إليه منذ عصر الرسالة[١٦].

وقد استلزم توسع الدولة العباسية نمو جهاز دبلوماسي مع ما يلزمه من عمل ومتطلبات وكثرت الوفود والرسل، وصار للعاملين في هذا الحقل شأن، وأصبحت بغداد مركزاً سياسياً ودبلوماسياً مهماً، ترددت بينه وبين الحبشة والخزر والبلغار والهند والصين والروم الرسل والوفود[١٧]. وقد صاحبت هذه الحركة النشطة من إرسال السفارات واستقبالها مجموعة أنشطة وفعاليات وممارسات شكلت أعرافاً وقواعد وأنظمة (رسوماً) لتنفيذ السياسة العامة للدولة العباسية.

وتعد قواعد وآداب السلوك جزءاً مهماً في تحقيق أهداف الدبلوماسية العربية الإسلامية والتي تمثلت فيما يأتي[١٨]:

١- **الدعوة إلى الإسلام:** ونجد ذلك في مهمات السفراء الذين بعث بهم النبي الكريم محمد (ﷺ) إلى ملوك الدول الأجنبية وملوك وأمراء العرب، تحقيقاً لأمر الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)[١٩].

٢- **الفداء:** كان فداء الأسرى وتبادلهم من أهم أهداف الدبلوماسية العربية الإسلامية.

٣- استطلاع أحوال الدول التي يوفد إليها السفراء للتعرف على الأحوال الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية.

٤- **التجارة:** وهو هدف قديم حيث كانت التجارة المحور الرئيس للعلاقات بين الدول.

٥- **المحالفات:** وكانت من جملة أهداف الدبلوماسية ومثالها الواضح ما جرى من حلف بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان.

٦- الاستنفار وطلب النجدة والمدد.

٧- حمل الهدايا.

٨- الوساطة والتوفيق والإصلاح.

٩- **طلب الزواج:** فخطبة ابنة الملك تحتاج إلى سفير لبق، ويحتاج أبوها إلى الظهور بمظهر من يخطب وده اعتزازاً بمركزه وبابنته.

١٠- طلب التقليد والتفويض.

١١- الإخبار بالفتوح.

١٢- السفارات الثقافية والعلمية.

١٣- التهنئة والتعزية.

١٤- عقد الهدنة والمعاهدات والصلح.

لقد عرفت الدولة العربية الإسلامية أثناء تطورها واتساعها تنظيم الأداء الرسمي على مستوى العلاقات الداخلية بين السلطة العامة وسائر المسؤولين في الداخل وعلى مستوى العلاقات الخارجية بين رأس السلطة ونظرائه في الدول المجاورة، عدوة كانت أو صديقة مجموعة من القواعد والأعراف والتقاليد. وقد سميت هذه الإجراءات والعادات والتقاليد والقواعد والأنشطة الحكومية منذ شيوعها في صدر عصر الدولة العباسية أواخر القرن الثالث الهجري بالرسوم. وللرسوم وهي جمع رسم معنيان: الأول يعني مجموع العادات المتبعة في مقابلات الناس أو معاملتهم في شؤون الألفة، وهي تقابل كلمة الإتيكيت ETIQUETTE الأجنبية، والثاني يعني مجموع الاحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بها في مقابلة رؤساء الدول والملوك، وهي تقابل (بروتوكول) Protocol الأجنبية[٢٠]. غير أن من الملاحظ شيوع استعمال (مراسيم) وهي جمع مرسوم للدلالة على الإجراءات وما يطلق لفظ (التشريفات) وعادات الاحتفال والاستقبال والتوديع، وقد حلت كلمة (مراسم) في العراق بموجب قانون المراسم رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٠ لتدل على مجموعة القواعد والإجراءات التنظيمية بدلاً من كلمة (تشريفات).

إن معنى الرسم في اللغة الأثر أو بقيته أو ما لا شخص له من الآثار أو ما لصق في الأرض منها، ثم استعملت الكلمة (رسم) بمعنى الأمر مجازاً فقيل رسم له كذا أمره به فارتسم إمتثل[٢١] وقد ورد في (تاج العروس) يقال" أنا أرتسم مراسمك لا أتخطاها" ورسم على كذا كتب[٢٢].

كانت كلمة تشريفات قد شاعت في أخريات الدولة العثمانية واستعملت للدلالة على المراسم، وتوارثتها أقطار عربية عدة، إذ كانت مستعملة في مصر والأردن والعراق وغيرها للدلالة على إجراء (البروتوكول) و (الاتكيت)، والكلمة في الأصل الذي اشتقت منه عربية مأخوذة من الفعل (شرف) ومصدره (تشريف) بمعنى عظم وارتفع[٢٣]، غير إنها في صيغتها (تشريفات) ذات مصدر تركي، إذ أن المصدر في اللغة العربية لا يجمع، لكن هذا الجمع طريقة تركية جرت على كلمات عربية كثيرة.

كان اختيار السفير في زمن الرسول الكريم محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) يستند إلى صحة الأيمان والشجاعة والصبر والقدرة على الحوار. وكان الرسول الكريم يتوخى في السفير ان يكون وسيماً من قوله (ﷺ) (إذا أبردتم إليَّ بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم)[٢٤]. وتظهر أهم هذه الصفات في توصية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في اختيار الرسول (... يؤذن لكم فيقدم أحسنكم اسماً، فإذا دخلتم قدّمنا أحسنكم وجهاً فإذا نطقتم ميَّزَتْكُمْ ألسنتكم... وكانت أعين الملوك تسبق إلى ذوي الرواء من الرسل، وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا ينقص اختيارها حظاً من حظوظ الكمال، ولأنها تنفذ واحداً إلى أمة وشخصاً إلى شخوص كثيرة، ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره)[٢٥]. أما اختيار السفراء في زمن الدولة الأموية حتى عصر المماليك فقد كان من الفئات المقدّمة علماً وفضلاً في المجتمع، وفي مقدمة هؤلاء يأتي القضاة والفقهاء والعلماء والرؤساء والوجهاء والأمراء ورؤساء

المراسم والوزراء، وقد يتم الاختيار من الشعراء والأطباء والتجار، فالسفراء يختارون من بين أعظم رجال الدولة لأنهم رموز لمكانة دولتهم في المجتمع الدولي[٢٦].

وقد كان السفراء في العصر العباسي يعدّون من رجال الدولة الكبار فكانوا لهذا يتخذون كالخلفاء والوزراء والقضاة زيّاً رسمياً للظهور بالمظهر اللائق وللتأثير فيمن يبعثون إليه بمهمة دبلوماسية، ويقع تأثير الأزياء في الجماهير في موضوع الاتصال بالجماهير بدون لغة، فيلبسون الملابس والعمائم السود ذلك أن اللون السائد في عهد الرسول الكريم محمد (ﷺ)، حيث كانت بردته كساء أسود[٢٧]. وكان اللون الأسود شعار العباسيين الرسمي، والزي الأسود من جملة الرسوم المرعية في الدبلوماسية العباسية[٢٨].

ويمكننا ملاحظة التنظيم العالي الذي كانت عليه رسوم الدولة العربية الإسلامية من خلال تطوير نظام الحجابة المشابه لإدارة المراسم في الوقت الحاضر، إذ كانت مهمة الحاجب أشبه ما تكون بمهمة مسؤول المراسم الحالي ومهمته الرئيسة تنظيم مقابلات الخليفة وإبلاغه أخبار الرعية وعرض حاجات الناس عليه بحسب قواعد وأصول أهمها معرفة منزلة من يريد المقابلة ومركزه ونسبه، وتؤكد المصادر التاريخية أن الرسول الكريم محمد (ﷺ) وخلفائه الراشدين (رضي الله عنهم) قد اتخذوا حجاباً لهم[٢٩] غير ان مصادر فقهية تنفي ذلك[٣٠].

وتنقل بعض المصادر عن بعض المسلمين وصفهم للحجابة بأنها بدعة ودلالة على الخُيلاء والتكبُّر[٣١]. ولعل في هذا الموقف محاولة لاستبعاد فكرة أن يحجب الرسول محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) أنفسهم عن الناس، وان آثر عنهم أنهم اتخذوا آذنين يلتمسون للناس الإذن بالمقابلة[٣٢].

وتذكر المصادر التاريخية إن شريكاً الحارثي دخل على معاوية فسأله من أنت ؟ فدهش الرجل فقال لمعاوية: " يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه،

مثلك ينكر مثلي من رعيته"، فقال له معاوية: " إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرت الوجوه، وأعرف اسمك في الأسماء إذا ذكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك"[٣٣]. ومن الجدير بالملاحظة في هذا المثال إن الخليفة كان يعرف تماماً شريك الحارثي، ولكن سؤال معاوية عن اسمه يدل على أصول كان ينبغي أن يتبعها الرجل في مجلس الخليفة، فيذكر اسمه أمام الخليفة ليعرفه المجلس.

وأدى توسع سلطات الخليفة في الدولة العباسية ومهامه إلى ازدياد أهمية الحجابة وواجباتها فصارت من الوظائف الأساسية الرفيعة وعظم قدر الحاجب وموظفيه والحرس التابعين له[٣٤]. وكان من أهم ما يلتزم به الحاجب من (رسوم) ألا يدخل (الحاجب) شخصاً على الخليفة إلا بعد أن يستأذنه في أمره، وان يختار الأوقات المناسبة وأن يميز بين خاصة الخليفة وعامته وان يراعى الاعتبارات السياسية وألا يتشدد الحاجب مع الناس فيضيع حق طالب الإذن، وألا يتساهل بالإذن فيضيع وقت الخليفة بإدخال من لا يحتاج الخليفة إلى لقائه[٣٥]، وعليه أن يتقدم لاجلاس الناس بعد حصول الإذن على مراتبهم وبالتدريج[٣٦] مع مراعاة إنزال الناس منازلهم " لكل مقام مقال".

نظام الأسبقية في الدولة العربية الإسلامية:

اقتضى نظام الحجابة الذي ظهر في عهد الدولة الأموية، إتباع نظام الأسبقية Precedence، إذ لابد من ترتيب الإذن بالدخول إلى مجلس الخليفة ومقابلته، وبالجلوس وبالحديث على وفق اعتبارات وتقاليد وقواعد معينة وفي أوقات محددة. وقد كان معاوية الخليفة الأموي الأول الذي أمر بإنشاء نظام الحجابة أن تكون هناك اعتبارات وتقاليد يتبعها الحاجب في تنظيم دخول الناس عليه لشتى الأغراض إذ قال

"ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني أحد عن رد السلام[٣٧]. من هنا فان توجيهات الخلفاء كانت الأساس في تكوّن قواعد الأسبقية وأصولها وتطورها.

ومن التراث العربي الإسلامي نجد أن رجلين استأذنا على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر، فدخل عليه، فجلس فوق صاحبه، فقال له معاوية: " إنّ الله ألزمنا تأديبكم، كما ألزمنا رعايتكم، وإنّا لم نأذن له قبلك، ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك"[٣٨]. وكان يشترط في الحاجب أن يعرف منازل الناس وأنسابهم وطبقاتهم، لكي يتمكن أن يعرف من يأذن لهم، ومن لا يأذن لهم. والحاجب يخبر الخليفة والخليفة هو الذي يأذن أو لا يأذن. وذات يوم وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية فأذن للأحنف، ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف ودخل قبله، فلما راه معاوية غمه ذلك وأحنقه فالتفت اليه فقال: والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله، وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم ولا يزيد متزيد في خطوة الا لنقص يجده في نفسه[٣٩]. ويمكن تلخيص الأسس التي تقوم عليها قواعد الأسبقية من خلال ما يأتي:

١- **القرابة:** أعطى الأمويون ثم العباسيون مكانة متقدمة لذوي قرباهم، فكان يؤذن لهم قبل غيرهم، ويتصدر ولي العهد المرتبة الأولى في الإذن، ثم يأتي بعد هؤلاء أبناء الدعوة عند العباسيين[٤٠].

٢- **النسب والشرف:** وإذ يكون القريشيّون وبخاصة بنو هاشم، وهم خيار العرب من ذوي القربى للأمويين والعبّاسيين، فقد كان لمن لم يعادِ السلطة منهم حظوة وأسبقية، وهؤلاء كانوا من خاصة الخاصة فكان الخليفة يأذن لهم فيحدثهم ويحدثونه[٤١]، وللصحابة وأبنائهم في صدر الدولة الأموية أسبقية، ويراعى كذلك اتصال النسب بالرسول محمد (ﷺ)، إذ قدم على عبد الملك بن مروان كل من الحجاج ومحمد بن الحنفية، فأذن عبد الملك لمحمد بن الحنفية قبل الحجاج، ثم

أذن بعد ذلك للحجاج(٤٢). وكان مكان جلوس الأمراء ووجوه البيت الحاكم على يمين الخليفة.

٣- أصحاب الشأن ووجوه القبائل العربية الكبيرة وكبار موظفي الخلافة، كالوزراء والكتاب ورؤساء الدواوين، وكان مكان جلوس هؤلاء على يسار الخليفة.

٤- كبار السن، إذ أن للسن أهمية في نظام الأسبقية مراعاة للتقاليد العربية الإسلامية، ولما يجده الخليفة في مجالستهم من متعة وأخبار طريفة وتجربة ورأي حصيف يحتاجه للمشورة.

٥- القضاة والفقهاء والشعراء أسبقية لمكانتهم وتأثيرهم ومنزلتهم الاجتماعية.

٦- كانت هناك أسبقية مطلقة للمؤذّن وطارق الليل لحاجته، وصاحب البريد متى جاء، ومن يحمل معلومات لا تحتمل التأخير(٤٣).

٧- وفي حالة تساوي طالبي الإذن في الاعتبارات المذكورة فيعطى الاعتبار الأول للنسب، فإذا تساووا فيه فللسن، فإذا تساووا فيه فضّل أهل الأدب والعلم فيهم(٤٤).

٨- ثم يأتي بعد هؤلاء العامة من الناس، إذ يتقدم للخليفة الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة، ومن لا أحد له وكل صاحب حاجة(٤٥).

٩- وكان للحاجب نوع من التقدير لمكانته، جعل له امتيازاً في منح أسبقية لمعارفه بعلم الخليفة وموافقته(٤٦).

وقد يكون بين حضور مجلس الخليفة من يجد في نفسه من مقومات العزة والكرامة ما يغنيه عن الأسبقية، فيتنازل عنها، وقد يرى في التقرب الشديد من الخليفة ما قد يعقب النفرة، أو إنه لا يحب أن يرقى إلى مرتبة أو مكانة قد يتخلى عنها أو يطلب منه التنحي عنها، كما فعل الأحنف بن قيس، إذ جلس على الأرض بعدما أشار إليه معاوية بأن يجلس على الوسادة بجانبه، فسأله معاوية في ذلك فقال: في مجالسة السلطان لا تجلس له على فراش ولا وساد، واجعل بينك وبينه مقعد رجل أو

رجلين، فانّه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له، فيكون قيامك زيادة له ونقصاناً عليك "، فأعجب معاوية بحكمته ورقة كلامه.

أما أسبقية السفراء الموفدين من دول إسلامية الى الخليفة فلهم أسبقية تقوم على أساس (شأن) الخليفة أو السلطان الذي أوفدهم أي (مقامه)، ثم شأن السفير نفسه وما يتمتع به من صفات. وعلى وفق هذا فقد كان سفراء الخلفاء يتمتعون بأسبقية على من سواهم(٤٧).

نظام المراسلات والوثائق الرسمية:

ولم تكن المراسلات والوثائق الرسمية زمن الدولة العربية الإسلامية بمعزل عن مجموعة القواعد والإجراءات التنظيمية والأساليب وتسلسل الأسبقية والأعراف والتقاليد الواجب مراعاتها (البروتوكول والاتكيت). فقد استعمل الرسول الكريم محمد (ﷺ) خاتم شخصي مكتوباً عليه عبارة (محمد رسول الله)، وقد استعمله من بعده الخلفاء الراشدون. ولكن أختام الخلفاء الأمويين والعباسيين جميعاً كانت مختلفة، إذ اتخذ كل خليفة خاتماً يحمل موعظة خاصة أو شعاراً خاصاً ينقش على خاتمه، فنقش خاتم معاوية كان (لا قوة إلا بالله)، ونقش خاتم يزيد كان (إنما الدنيا غرور)، أما نقش خاتم مروان فهو (الله ثقتي ورجائي) وخاتم عبد الملك بن مروان (آمنت به مخلصاً)(٤٨). أما الخلفاء العباسيون فلم يختلفوا في هذا الجانب مع من سبقهم فقد اتخذ الخلفاء العباسيون كلهم خاتماً أو اثنين أو ثلاثة خواتم منقوشاً عليها مكان الفص مواعظ وشعارات(٤٩)، فالخليفة أبو العباس كان نقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن)، وكان خاتم المنصور يحمل نقش خاتم أبي العباس نفسه، ونقش خاتم المهدي كان (الله ثقة محمد وبه يؤمن)، ونقش خاتم هارون الرشيد (بالله يثق هرون) ونقش الثاني (لا اله إلا الله) ونقش ثالث (كن من الله على حذر)(٥٠).

وكان الحاجب عنصراً أساسياً في خط سير مراسلات الدولة بصفته واسطة الاتصال الأولى بين الخليفة الذي تصدر الرسالة باسمه، وكل من الكاتب (رئيس ديوان الرسائل) الذي ينشئ الرسالة، و (رئيس ديوان الخاتم) المسؤول عن توثيق الرسالة والاحتفاظ بنسخة منها بعد تغليف النسخة الأصلية وختم الغلاف. وكانت الرسالة تحمل ختم الخليفة في حين كانت مهمة رئيس ديوان الخاتم هي ختم ظرف الرسالة وليس ختم الرسالة نفسها وكانت وظيفة ديوان الخاتم نسخ أوامر الخليفة ورسائله وإيداع نسخة منها في الديوان بعد أن تُحزم النسخة الأصلية بخيط وتُختم بالشمع وتختم بختم صاحب الديوان[٥١]. ومعنى ذلك أن رئيس ديوان الخاتم لا يضع ختم الخليفة الخاص على نص الرسالة وإنما على غلافها فهذا ليس من مهام ديوان الخاتم فالختم لاخكام سرية الرسالة والحفاظ على محتواها من إطلاع حاملها غليه أو احتمال تغييره.

ولابد لنا في هذا المجال أن نذكر أن كثرة السفراء والرسل من دول مختلفة اللغة وتوسع العلاقات الدبلوماسية وتعدد أغراضها ومهامها أوجبت الاعتماد على الترجمة، وقد بدأ نشاط الترجمة في الدولة العربية الإسلامية منذ تعريب الدواوين في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه)[٥٢]. وقد تطور الاعتماد على الترجمة في أخريات العصر العباسي، حتى كان هناك تراجمة مختصون بالعمل الدبلوماسي، إذ فرغوا للعمل في أيام الأيوبيين والمماليك في ديوان السلطان في التشريفات (المراسم)، وكان بعضهم يحسن عدة لغات[٥٣]. ولضمان دقَّة الترجمة كان يتعاون على مهمة الترجمة للسفير الوافد مترجمان، يترجم أحدهما كلام السفير، ويقف الثاني أميناً عليه، وكان يشترط فيهما أن يكونا مسلمين[٥٤].

وتشير المصادر إلى أن هناك خصائص أسلوبية للرسائل الدبلوماسية زمن الدولة العربية الإسلامية يمكن إيجازها فيما يأتي:

١- كانت الرسائل النبوية ورسائل الخلفاء الراشدين وخلفاء الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية تميل إلى الإيجاز والوضوح والبساطة في التعبير مع توافر بلاغة التعبير وجماله والدخول إلى الغرض الأساسي من الرسالة أو موضوعها من غير تمهيد، لذا كانت أفكارها مفهومة ومعروضة بشكل دقيق[٥٥].

٢- كان الخلفاء حتى عهد عبد الملك وهم فصحاء بلغاء يملون على الكتبة رسائلهم، فتظهر امكاناتهم البلاغية واضحة فيها. وبمرور الزمن اختفت ظاهرة الإملاء على كتاب الديوان فتمتعوا بالاستقلالية[٥٦].

٣- في العصر العباسي الثاني أخذ الكتاب يكثرون من الاستشهاد بآيات القران الكريم فقد تفتح الرسالة بما يناسب موضوعها من الآيات، وقد تأتي الآيات في المتن، وقد تُختَتم الرسالة بآية أحياناً. وقد يتخلل الرسالة شيء من الشعر مما يناسب السياق. وكان ذلك على قلة مع ضرورة أن يكون من شعر كاتب الرسالة نفسه، إذ كان مما يعاب ويستهجن أن يستشهد بشعر محفوظ للشعراء الآخرين[٥٧].

٤- نتيجة تنافس الكتاب لإظهار براعتهم في الإنشاء، أخذت تنحسر قليلاً صفة الإيجاز في الرسائل، إذ مال العديد منهم إلى نوع من التعقيد والإطناب، ويمكن ان يلمس ذلك في رسائل العديد من الكتاب المعروفين في العصر العباسي الثاني[٥٨].

٥- كانت الرسالة تختم بما له علاقة بمضمونها، فإذا ما تعلق مضمونها بحدث مستقبلي أو توقع ختمت بعبارة (إن شاء الله). وقد تُختم الرسالة بالحمدلة والحسبلة[٥٩].

الاتيكيت في السنة النبوية الشريفة:

لقد علمنا رسول الله (ﷺ) (إتيكيت) الإسلام في السيرة المطهرة، معبراعن ذلك في جملة من الأحاديث منها وأوجزها[٦٠]:

إتيكيت التحية:

(إذا التقيتم فأبدوا السلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام فلا تجيبوه).

إتيكيت المصافحة:

(ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقان)، حيث أن هنالك ثلاث أشياء تجبر على علاقة بين شخصين: الحب والاحترام و الثقة، وتصرفات الشخص هي التي تجبر الشخص الأخر على هذا الشعور.وقد يتعرف الآخرون على شخصيتك من خلال المصافحة.ومن المتعارف عليه أيضا، أن الضيف لا يمد يده بالسلام قبل المضيف، وألا أعتبر خرقا محرجا للاتيكيت والبروتوكول بالنسبة إلى الرسميين، وقد أقام شاه إيران حفل استقبال لسفراء الدول الأوربية الجدد، وأثناء السلام، مد أحد السفراء يده أولا للسلام قبل أن يمد الشاه يده، وما أن انتهت المأدبة حتى طلب من هذا السفير مغادرة البلاد والعودة إلى وطنه.

إتيكيت المحادثة:

(الكلمة الطيبة صدقة)

كان كلام رسول الله (ﷺ) فصلا، يفهمه كل من سمعة. وخير الكلام ما قل ودل، وإذا أردت أن تكون مهما فعليك أن تكون مهتما، طريقة كلامك هي تعبير عن شخصيتك وثقافتك، أعرف شيء من كل شيء، وكل شيء من شيء، واللباقة مهمة، وفن الكلام وحسن التعبير مهما أيضا.

ومن التراث الإنساني نجد أن ملك من الملوك حلم ذات يوم بأن أسنانه كلها تساقطت فأنزعج، وطلب مفسرا للأحلام! فقال له: أن جميع أقربائك يموتون قبلك،

فقتله الملك، ثم أحضر مفسرا آخر، فقال نفس القول، فقتله الملك، حتى جاء الثالث، فقال: إنك يا مولاي أطول أقربائك عمرا أن شاء الله تعالى، فأحسن الملك إليه بجائزة مع العلم أن مضمون الآراء الثلاثة واحد.

إتيكيت الزيارة:

(من عاد أو زار أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا).

اتيكيت اللهجة:

ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼقرآن كريم.

إتيكيت البشاشة:

(إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق).

إتيكيت الاستئذان:

ﭽ [illegible] ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ [illegible]

[illegible] ﭼقرآن كريم

إتيكيت قواعد السلام:

(يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير ويسلم الصغير على الكبير).

إتيكيت الهدية:

(تهادوا تحابوا) حيث تُعدُّ الهدية من أهم وسائل التعبير عن مشاعر التقدير والإعجاب والحب وهي مفتاح حل الكثير من المشاكل والصدمات مع الآخرين،ولاختيار الهدية أيضا قواعد و اتيكيت.

إتيكيت تقديم الورود:

(من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة) ولتقديم الورود اتيكيت أيضا، فإذا كنت في الصين، فلا تقدم خمس ورود، فهي تعني الموت، وإذا كنت في اليابان، فلا تقدم ورودا مجففة، فهي تعني الموت أيضا، ولا يهدي شاب فتاة وردا، لما تحمله من معنا حميم.

إتيكيت زيارة المريض:

(إذا دخلتم على المريض، نفسوا له في الأجل، فإذ ذلك لا يرد شيئا وهو يطيب بنفس المريض)

وان الله عز وجل يقول يوم القيامة: (يا أبن آدم، مرضت ولم تعدني! قال: يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟)

إتيكيت الأناقة:

چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ چ.

ليست الأناقة بالموضة، فالشخصية الأنيقة هي التي تدقق في اختيارها كي تكون مستقلة السمة، وتتميز بالبساطة وعدم المبالغة في الزينة. إن الموضة واللون السنوي خدعة تمارسها علينا مصانع الملابس لتتخلص من الألوان المكدسة في مخازنها، ثم أن الموجة الغريبة من التقاليع والأزياء ما هي إلا واجهات لأصابع خفية تحركها خلف الستار، فقد تقلصت القمصان حتى أصبح الكم محفورا وخرج من تحتها البطن، وأنحسر البنطال مظهرا جزء من الأرداف، وهناك المزيد من هذه التقاليع في طريقها إلى الأسواق والمستهلك).

إتيكيت الموائد:

(يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك).

اتيكيت كبار الشخصيات:

(إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه).

إتيكيت عدم الغضب:

(ليس الشديد بالصراخ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

إتيكيت الابتسامة:

(تبسمك في وجه أخيك صدقة).

إتيكيت الشكر:

(من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل).

إتيكيت احترام المواعيد:

(آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) إذا وضع كل إنسان في اعتباره شعور وإحساس وحقوق وتطلعات الآخرين، فإن ذلك يمثل البداية الصحيحة لأصول الأتيكيت.

إتيكيت التواضع:

چ ی ی ی چ قرآن كريم

تعدُّ البساطة دستور الاتيكيت، فالجمال يكمن في البساطة، وما أجمل أن يكون الإنسان بسيطاً رقيقاً في تصرفاته وشخصيته وفي تعامله وأقواله و أفعاله وملابسه و زينته. وهناك حكمة صينية تقول: (الرجل العاقل، إذا أراد أن يعلوا على الناس وضع نفسه أسفلهم، وإذا أراد أن يتصدرهم جعل نفسه خلفهم، ألا ترى أن البحار و الأنهار كيف تتلقى الجزية من مئات الجداول التي تعلوها).

الهوامش:

(١) سورة الحجرات الآية ٢،٣،٤،٥.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

(٣) سورة المجادلة.

(٤) د. صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام، ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣، ص ١٢ . ١٣.

(٥) ومن أهم تلك المعاجم نجد ما يأتي: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨، مادة (سفر) . ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥، مادة (سفر). إبراهيم مدكور: المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥، مادة (سفر).

(٦) محمد التابعي: السفارات في الإسلام، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨، ص ٣١ .

(٧) محمود شيت خطاب: السفارات النبوية، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩، ص ٤٦.

(٨) رمضان بن زير: العلاقات الدولية في الإسلام، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، ١٩٨٩، ص ١٥٠.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣٢، ٣/٦.

(١٠) محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، ط ١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨، ص ١٢.

(١١) د. محمود خلف: الدبلوماسية النظرية والممارسة، ط ٢، عمان، دار زهران، ١٩٩٦، ص ٤٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(١٣) محمد التابعي: السفارات في الإسلام، القاهرة، مكتبة مدبولي،١٩٨٨، ص٤٩.

(١٤) د. صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد،١٩٨٣، ص٨-٩.

(١٥) الحاجب: موظف يكون بباب مجلس الخليفة يعلمه بأسماء من يريدون مقابلته وينظم دخولهم الى مجلسه بحسب أهمية مراكزهم .

(١٦) د. لبيد إبراهيم (وآخرون): الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩٢، ص٧٩.

(١٧) غوستاف لوبون: حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء التراث العربي،١٩٤٥، ص١٧٢.

(١٨) فاضل عباس خليل: المراسم في ضوء العلاقات العامة، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة بغداد عام٢٠٠١، ص١٢٠-١٢٢.

(١٩) سورة المائدة، الآية٦٧.

(٢٠) هلال بن المحسن الصابي: رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد ، ط ٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦، ص ٦.

(٢١) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٣ . ١٩١٩، ص ١٠٧.

(٢٢) محمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ، مادة (رسم).

(٢٣) إبراهيم مدكور: المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥، مادة (شرف).

(٢٤) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، ص ٩٨.
(٢٥) الحسين بن محمد أبن الفراء: رسل الملوك، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧، ص ٤٧.
(٢٦) حسن فتح الباب: مقومات السفراء في الإسلام، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠، ص ٤٦.
(٢٧) احمد بن علي القلقشندي: مآثر الأناقة، الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٦٤، الجزء الثاني، ص ٢٣٣.
(٢٨) غانم هاشم السلطاني: رسوم دار الخلافة، رسوم دار الخلافة الأموية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٩٠، ص.
(٢٩) علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف، القاهرة، المكتبة التاريخية، ١٩٣٨، ص ٢٨٦ . ٢٨٩.
(٣٠) د. صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥، ص ٣٠٥.
(٣١) علي بن محمد الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦، ص ٥٣٠.
(٣٢) خليفة بن شباب العصفري ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، النجف الاشرف، مطبعة الآداب، ١٩٦٧، ص ٩٩.
(٣٣) عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦، (١/ ٩٠).

(٣٤) طلب صبار محل الجنابي: رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الآداب بجامعة صلاح الدين عام ١٩٨٩، ص ١١٢.
(٣٥) أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الخفاجي، ١٩٦٤، ٢/١٣٨.
(٣٦) محمد بن عبدوس الجهشياري: كتاب الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون) القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨، ص ١٢٥.
(٣٧) علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزائر، د. ن، ١٩٨٩، ٣/٣٩.
(٣٨) عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: مصدر سابق، ١/٩٠.
(٣٩) احمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩، ١/٩٠.
(٤٠) هلال بن المحسن الصابي: مصدر سابق، ص ٧٨.
(٤١) علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، مصدر سابق، ٣/٩٣.
(٤٢) احمد بن أعثم الكوفي أبن أعثم: كتاب الفتوح، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٤، ٦/ ٧٨٦.
(٤٣) أبو هلال العسكري: الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (د.ن)، ١٩٦٦، ص ١٩١.
(٤٤) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مصر، دار الهلال، (د . ت) ١/٢١٨.٢١٩.

(٤٥) علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، ص ٣/ ٣٩.

(٤٦) ابن عبد ربه: مصدر سابق، ٩١/١.

(٤٧) د. صلاح الدين المنجد: مصدر سابق، ص ١٥٦.

(٤٨) علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والاشراف، مصدر سابق، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١.

(٤٩) ابن عبد ربه: مصدر سابق، ١١٨/٥ . ١٢٢.

(٥٠) المصدر نفسه، ١١٣/٥.

(٥١) د. عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، بغداد، جامعة بغداد . بيت الحكمة، ١٩٨٨، ص ١٤٧.

(٥٢) د. حسن إبراهيم حسن و علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢، ص ١٧٠.

(٥٣) د. صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٥٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٥٥) غانم جواد رضا: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى العصر الأموي، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٠، ص ١٨٣.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢١٥.

(٥٧) إبراهيم بن محمد ابن المدبر: الرسالة العذراء، تحقيق د. زكي مبارك، القاهرة، دار الكتب لمصرية، ١٩٣١، ص ٧ .٨.

(٥٨) احمد بن علي القلقشندي: مصدر سابق، ٣٩١/٦.

(٥٩) احمد بن علي القلقشندي: مصدر سابق، ٢٦٦/٦ . ٢٦٩.

(٦٠) اعتمد الباحث في توثيق الأحاديث النبوية الشريفة على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف CD.

مصادر البحث:

١- إبراهيم بن محمد ابن المدبر: الرسالة العذراء، تحقيق د. زكي مبارك، القاهرة، دار الكتب لمصرية، ١٩٣١.

٢- إبراهيم مدكور: المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥.

٣- ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣٢.

٤- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥، مادة (سفر).

٥- أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الخفاجي، ١٩٦٤.

٦- أبو هلال العسكري: الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (د.ن)، ١٩٦٦.

٧- الاتكيت والبروتوكول، إعداد عبد الجبار الهداوي، بغداد، معهد الخدمة الخارجية، (د. ت).

٨- احمد بن أعثم الكوفي أبن أعثم: كتاب الفتوح، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٤.

٩- أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٣ . ١٩١٩.

١٠- احمد بن علي القلقشندي: مآثر الأناقة، الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٦٤، الجزء الثاني.

١١- احمد بن محمد ابن عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩.

١٢- أمل محمد حسن الجابري: رسوم دار الخلافة في العصر العباسي ٢٤٧ . ٦٥٦ هـ . أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت إلى كلية فغ.

١٣- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مصر، دار الهلال، (د. ت).

١٤- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١.
١٥- حسن فتح الباب: مقومات السفراء في الإسلام، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠.
١٦- الحسين بن محمد أبن الفراء: رسل الملوك، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧.
١٧- خليفة بن شباب العصفري ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، النجف الاشرف، مطبعة الآداب، ١٩٦٧.
١٨- د. حسن إبراهيم حسن و علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢.
١٩- د. صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام، ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣.
٢٠- د. عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، بغداد، جامعة بغداد . بيت الحكمة، ١٩٨٨.
٢١- د. لبيد إبراهيم (وآخرون): الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢.
٢٢- د. محمود خلف: الدبلوماسية النظرية والممارسة، ط ٢، عمان، دار زهران، ١٩٩٦.
٢٣- الدبلوماسية والاتكيت. سلوى الحصري، بغداد، معهد الخدمة الخارجية، (د. ت).
٢٤- دليل البرتوكول، إعداد حكمت سامي سليمان، بغداد، معهد الخدمة الخارجية، (د. ت).
٢٥- رمضان بن زير: العلاقات الدولية في الإسلام، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، ١٩٨٩.

٢٦- صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥ .
٢٧- صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام، ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣.
٢٨- طلب صبار محل الجنابي: رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الآداب بجامعة صلاح الدين عام ١٩٨٩.
٢٩- عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.
٣٠- علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف، القاهرة، المكتبة التاريخية، ١٩٣٨.
٣١- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزائر، د. ن، ١٩٨٩.
٣٢- علي بن محمد الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦.
٣٣- غانم جواد رضا: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى العصر الأموي، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٠.
٣٤- غانم هاشم السلطاني: رسوم دار الخلافة، رسوم دار الخلافة الأموية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٩٠.
٣٥- غوستاف لوبون: حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ١٩٤٥.
٣٦- فاضل عباس خليل: المراسم في ضوء العلاقات العامة، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة بغداد عام ٢٠٠١.
٣٧- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨.

٣٨- مجيد خدوري: الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، بغداد،. مطبعة التفيض، ١٩٣٩.
٣٩- محمد التابعي: السفارات في الإسلام، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨.
محمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ هـ.
٤٠- محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، ط ١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨.
٤١- محمود شيت خطاب: السفارات النبوية، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩.
٤٢- موضوعات في البروتوكول والاتكيت، د. وهبي القرغولي، بغداد، معهد الخدمة الخارجية، (د. ت).
٤٣- موفق سالم نوري الجوادي: العلاقات العباسية والبيزنطية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية التربية بجامعة الموصل ١٩٨٦.
٤٤- هلال بن المحسن الصابي، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، ط٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦.
٤٥- الوجيز في الأصول الدبلوماسية والبروتوكول: إعداد حكمت سامي سليمان، بغداد، معهد الخدمة الخارجية، (د. ت).
٤٦- الوجيز في البروتوكول والاتكيت، إعداد صباح طلعت قدرت، بغداد، معهد الخدمة الخارجية، (د. ت).
٤٧- يونس عبد الحميد السامرائي: السفارات في التاريخ الإسلامي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٧٦.

أمية بن حرثان بن الأسكر
حياته وما تبقى من شعره

م. محمد أحمد شهاب

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

أما قبل

كلما نبتعد عن التراث ترانا نعود إليه، لعبقه، ولسحره، تارةً لكتّابه وأخرى لشعرائه، فنغدوا مندهشين بما قدم أولئك العمالقة كالجاحظ، وابن المعتز، وعبد القاهر، وملكه الضليل وغلامه القتيل، وجريره، وفرزدقه، وذي الرمة، وبشار، ومسلم، وأبي تمام، والمتنبي وأبي العلاء، كل هؤلاء من المشهور فكان وسيكون حظهم كبير من الدرس والبحث، الا أن ما بقي كثير ممّن لم يصبه الحظ من الدرس والبحث وهم من اصطلح على تسميتهم بالمغمور والمقل.

فكان حظنا هذه المرة – وككل مرة – مع شاعر مغمور ومقل في الوقت عينه يأتي وقد بلغ ما اشتغلنا عليه من جمع وتحقيق لشعراء هذه الطبقة ثلاثة عشر شاعراً.

والشاعر هو أمية بن حرثان بن الأسكر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، له ايامٌ مأثورة مذكورة وعند مجيء الإسلام اسلم هو وابن له يقال له كلاب، وكان قد كبر وخرف ولم تذكر المصادر شيئاً عن إسلامه سوى قصته المعروفة مع الخليفة عمر (رضي الله عنه).

أما في الجاهلية فقد وجدنا بعض الأخبار المتفرقة التي ذكرها من ترجم له ولكنها مقتضبة جداً.

أما في الإسلام فليس هناك ما يشفي غليل البحث من أخبار تتعلق بإسلامه وخبره، إلا أن الراجح انه اسلم في يوم المريسيع عندما غزا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بني المصطلق.

وتبدأ قصته مع الخليفة الفاروق (رضي الله عنه)، عندما وجه الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه ابنه كلاب، وكان عابداً زاهداً، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي.

وقد حملت كتب التراث اخباراً تشي بأهمية شعر أمية في الاستشهاد في مواقف المنافرات، مما يدل على علو مكانة هذا الشعر ورسوخه في الأذهان وحفظه من قبل المستشهدين به.

فقد استشهد به الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في خطبته من على مسجد الكوفة، والتي نقلها الأصفهاني والذي نقل أيضاً تمثل ابن عباس ومعاوية (رضي الله عنهما) لشعر أمية عندما أرسل الأول رسالة للثاني، أما الاستشهاد الثالث فكان لعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) الذي نقله الأصفهاني أيضاً.

وتأسيساً على ما قيل احتفظ شعر أمية بجوانب مهمة عن الشعر في العصر الإسلامي، ولاسيما موقف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من سماعه لشعر أمية وقد رقَّ قلبه فأعاد إليه ولده، ومن جهة أخرى يأتي في سياق الأشعار التي بقيت محتفظة بخصائصها الجاهلية.

وقد بلغ مجموع الأبيات تسع وستين بيتاً احتوتها ثمانية عشر مقطوعة، تنوعت موضوعاتها ما بين منافرات ومدح وهجاء وفخر، وصاحب هذا التنوع بالموضوعات تنوعاً موسيقياً احتفلت به البحور الشعرية المتنوعة التي بني عليها الشعر.

اسمه ونسبه

أمية بن حرثان بن الأسكر – وقيل الأشكر [١] – بن عبد الله بن – سربال الموت [٢] – بن زهرة بن زبينة بن جندع ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار [٣].

وأمية شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، له ايامٌ مأثورة مذكورة [٤].

وعند مجيء الإسلام اسلم هو وابن له يقال له كلاب [٥]، وكان قد كبر وخرف ولم تذكر المصادر شيئاً عن إسلامه سوى قصته المعروفة مع الخليفة عمر (رضي الله عنه).

أما في الجاهلية فقد وجدنا بعض الأخبار المتفرقة التي ذكرها من ترجم له ولكنها مقتضبة جداً، فقد ذكر ابن سلام أن لأمية شعراً قاله في الجاهلية والإسلام [٦].

أمية في الجاهلية

تكاد تكون أخباره منقطعة سوى القليل فقد ذكرنا من ان أمية كان من فرسان قومه وسادتهم وقد بان هذا في شعره عندما قال:

ألـم تَـرَ أن ثعلبـةَ بـن سـعدٍ   غضـابٌ حَبَّـذَا غَضَـبُ المـوالي
تركـتُ مصـرَّفاً لمـا التقينـا   صـريعاً تحـت أطـراف العـوالي
ولـولا اللّيـلُ لـم يُفلِـتْ ضـرارٌ   ولا رأس الحمـار أبـو جُفَـالِ

فهنا تبرز قيادة أمية لقومه وشجاعته وفي ذلك اليوم، وعلى حد علمنا انه كان حاضراً في بعض الأيام المشهورة القريبة الواقعة من الإسلام كأيام عكاظ [٧].

وقد نقل ابن حبيب في كتابه المنمق خبراً عن قرب تصالح بين القبائل المتنازعة في ايام عكاظ ورفض وهب بن معتب [٨]، للصلح مما دفع أمية إلى عتابه [٩]:

المـرء وهـب وهـب آل معتـب   مـل الغـواة وأنـت لمـا تملـل
تسـعى توقـدها وتجـزل وقـدها   وإذا تعـاطى الصـلح قومـك تـأتلي

ولما ظفر بنو ليث بقوم أمية وكان بينهم حرب فحالف رحضة بن خزيمة بن خلاف بن حارثة بن غفار وقومه جميعاً بني اسلم بن افصى بن خزاعة فقال أمية – وهو سيد بني جذع بن ليث – [١٠]:

لقد طبت نفساً عن مواليك يا رحضا   آثـرت أذنـاب الشـوائل والحمضـا
تعللنـا بالنصـر فـي كـل شـتوة   وكـل ربيـع أنـت رافضـنا رفضـا
فلـولا تأسـينا وحـد رماحنـا   لقـد جـر قـوم لحمنـا ترباً قضـا

ويذهب الاصفهاني إلى خبر يكاد ينفرد به وهو إخراج بني بكر له عندما أصيبت أبله بالهيام، مما دفعه إلى مجاورة بني مزينة وقبولهم إجارته، وهو ما جعله يقول فيهم [١١]:

تكنفهـا الهيـام وأخرجوهـا   فمـا تـأوي إلـى إبـل صـحاح
فكـان إلـى مزينـة منتهاهـا   علـى مـا كـان فيهـا مـن جنـاح

أمية في الإسلام

كان أمية ممن أدرك الإسلام واسلم، ولكن ليس هناك ما يشفي غليل البحث من أخبار تتعلق بإسلامه وخبره، إلا أن الراجح انه اسلم في يوم المريسيع [١٢] عندما غزا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بني المصطلق، وبناءاً على ما قاله شاعرٌ – طارق الخزاعي – يجيب أمية:

لعمـرك مـا أدري وإنـي لقائـل   إلـى أي مـن يظننـي أتعـذر
أعنـف أن كانـت زبينـة أهلكـت   ونـال بنـي لحيـان شـر ونفـروا

وزبينة هم بعض قوم بني جندع رهط أمية، وكان هذا في سنة خمس للهجرة، وعلى هذا فان أمية كان قد اسلم في هذه السنة مع ولديه – كلاب وأُبي–.

ولما وجه عمر بن الخطاب، (رضي الله عنه)، الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه

ابنه كلاب، وكان عابداً زاهداً، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي(١٣).

وقد أورد الاصفهاني(١٤) قصته مع الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ومنها اشتهر خبره ومفادها ان كلاباً بن أمية بن الأسكر هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله إن قبل الكتابا
أناديه فيعرض في إباء ... فلا وأبي كلاب ما أصابا
إذا سجعت حمامة بطن واد ... إلى بيضاتها دعرا كلابا
أتاه مهاجران تكنفاه ... ففارق شيخه خطئا وخابا
تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا
تمسح مهره شفقاً عليه ... وتجنبه أباعرها الصعابا
فإنك قد تركت أباك شيخاً ... يطارق أينقا شزبا طرابا
إذا رُتّعن إرقالاً سراعاً ... أثرن بكل رابيةٍ ترابا
طويلاً شوقه يبكيك فرداً ... على حزنٍ ولا يرجو الإيابا
فإنك والتماس الأجر بعدي ... كباغي الماء يتبع السرابا

فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلابا وطال مقامه فأهتر أمية وخلط جزعا عليه، ثم ما لبث أمية ان انشد شعراً لعمر بن الخطاب ليرد له كلابا، عندما اتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله (ﷺ) وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير قدر ... ولا تدرين عاذل ما ألاقي
فإما كنت عاذلتي فردي ... كلابا إذ توجه للعراق

ولم أقض اللبانة من كلاب ... غداة غدو أذن بالفراق
فتى الفتيان في عسر ويسر ... شديد الركن في يوم التلاقي
فلا وابيك ما باليت وجدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإبقائي عليك إذا شتونا ... وضمك تحت نحر واعتناقي
فلو فلق الفؤاد شديد وجتد ... لهم سواد قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق ربا ... له دفع الحجيج إلى بساق
وأدعو الله مجتهداً عليه ... ببطن الأخشبين إلى دفاق
إن الفاروق لم يردد كلاباً ... إلى شيخين هامهما زواق

فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلب له لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه مما دفع بالخليفة (ﷺ) إلى رد كلاب إلى ابيه ويأمره أن يلزم أبويه: فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلاباً فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث إليه، بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب.

فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله، وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

منزلة شعره

حملت كتب التراث اخباراً تشي باهمية شعر أمية في الاستشهاد في مواقف المنافرات، مما يدل على علو مكانة هذا الشعر ورسوخه في الاذهان وحفظه من قبل المستشهدين به.

فقد استشهد به الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في خطبته من على مسجد الكوفة، والتي نقلها الاصفهاني[١٥] ((حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبد الله بن عدي بن الخيار: شهدت الحكمين، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي (رضي الله عنه) حاجة، فدخلت عليه، فلما رآني قال: مرحباً بك يا بن أم قتال، أزائراً جئتنا أم لحاجة؟ فقلت: كل جاء بي، جئت لحاجة، وأحببت أن أجدد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به واحداً، فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرناً له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. وجلس على المنبر، فاجتمع الناس، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما ليس عند الناس، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا، ثم نكت كنانته، فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم. من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ". فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك، دعها تترحل، فخفض علي – صلوات الله عليه – إليه بصره، وقال: ما يدريك ما علي مما لي! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر. والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر مرة، فما فداك من واحد منهما حسبك ولا مالك، ثم رفع إلي بصره فقال: يا عبيد الله:

أصبحت قنا لراعي الضأن يلعب بي ۝ ماذا يريبك مني راعي الضان

فقلت: بأبي أنت وأمي، قد كنتُ والله أحب أن أسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك.

ونقل الاصفهاني[١٦] ايضاً تمثل ابن عباس ومعاوية (رضي الله عنهما) لشعر أمية عندما ارسل الاول رسالة للثاني ((حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال: حدثنا زيد بن المعذل النمري، قال: حدثنا يحيى بن شعيب الخراز، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) دس رجلاً من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه، فدل على القيني بالبصرة في بني سليم، فأخذ وقتل. وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية: أما بعد، فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً ۝ كنعجة عاد حتفها تتحفر
أثارت عليها شفرة بكراعها ۝ فظلت بها من آخر الليل تجزر
شمت بقوم هم صديقك أهلكوا ۝ أصابهم يوم من الدهر أمعر

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إلي بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظناً وسوء رأي، وإنك لم تصب مثلنا، ولكن مثلنا ومثلكم كما قال طارق الخزاعي:

فوالله ما أدري وإني لصادق ۝ إلى أي من يظنني أتعذر؟
أعنف أن كانت زبينة أهلكت ۝ ونال بني لحيان شر ونفروا))

اما الاستشهاد الثالث فكان لعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) الذي نقله الاصفهاني[١٧] ((أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمراً حتى يؤدي المال، فحبسه مروان، وبلغ الخبر عبد الله بن الزبير، فجاء إلى مروان وسأله عن الخبر، فحدثه به، فقال: ما لكم في ذمتي، فأطلق عمراً، وأدى

شعر

أمية بن حرثان بن الأسكر

عبد الله المال عنه، وقال: والله إني لأؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثل قول أمية بن الأسكر الليثي:

فلـــولا تأســـينا وحـــد رماحنـــا ... لقـد جـر قـوم لحمنـا تربـا قضـا))

وفاته

تشير اغلب الروايات إلى أن أمية بن الاسكر قد عمّر حتى خرف[١٨] وما يؤكد ذلك رواية الاصفهاني لخبر خرفه وكبره عندما سرد قصة راعي الضأن التي سخر فيها الراعي من سقوط أمية على الأرض ورد أمية عليه بشعر[١٩]:

يـا بنـي أميـة إنـي عنكمـا غـان ... ومـا الغنـى غيـر أنـي مـرعش فـان

يـا بنـي أميـة إلا تحفظـا كبـري ... فإنمـا أنتمـا والثكـل سـيان

هـل لكمـا فـي تـراث تـذهبان بـه ... إن التـراث لهيـان بـن بيـان

أصبحت هزءاً لراعي الضأن يسخر بي ... مـاذا يريبـك منـي راعـي الضـأن

ولكن ليس لدينا تاريخ محدد لوفاته سوى اننا نذهب إلى تقصيها من خلال الحوادث التاريخية، فقد ذكر ابن الاثير من ان كلاباً ابن أمية ارتحل بعد وفاة أبيه إلى الابلة التي فتحت سنة ١٤هـ على يد عتبة بن غزوان[٢٠]، في خلافة عمر (رضي الله عنه) الذي الزم ابنيّ أمية على عدم تركه حتى يموت وهذا يشي بان وفاة أمية كانت بعد سنة ١٤هـ وقبيل وفاة عمر بن الخطاب، ولا نبارح الصواب إذا حددناها بسنة ٢٠-٢٢هـ.

(١)[٢١] الخفيف

١. عَلِقَ القَلْبُ حُبَّهَا وهَواهَا   وهي بِكْرٌ غَرِيرَةٌ خَوْثَاء

(٢)[٢٢] الطويل

١. قد جرت البرشاء أم سراقة   رمته بها البغضاء بين الحواجب
٢. وقد نيل شطر الليل حتى تغضَّنت   مشافره كالقنفذ المتحارب
٣. إذا غمزته الكفُّ قال لآله   واحسنه لو أنه غير شائب

(٣)[٢٣] الوافر

١. لمن شيخان قد نشدا كلابا   كتاب الله إن قبل الكتابا[٢٤]
٢. أناديه فيعرض في إباء   فلا وأبي كلاب ما أصابا[٢٥]
٣. إذا شجعت حمامة بطن واد   إلى بيضاتها دعرا كلابا[٢٦]
٤. أتاه مهاجران تكنفاه   ففارق شيخه خطئا وخابا[٢٧]
٥. تركت أباك مرعشة يداه   وأمك ما تسيغ لها شرابا
٦. تمسح مهره شفقاً عليه   وتجنبه أباعرها الصعابا[٢٨]
٧. فإنك قد تركت أباك شيخاً   يطارق أينقا شزبا طرابا[٢٩]
٨. إذا رُتّعن إرقالاً سراعاً   أثرن بكل رابيةٍ ترابا[٣٠]
٩. طويلاً شوقه يبكيك فرداً   على حزنٍ ولا يرجو الإيابا
١٠. فإنك والتماس الأجر بعدي   كباغي الماء يتبع السرابا

(٤)[٣١] الطويل

١. نَشَدْتُك بالبَيت الذي طافَ حولَه   رجالٌ بَنوه من لؤَيّ بن غالبِ
٢. فإنك قد جَرَّبتني فوجدتني   أُعينك في الجُلّى وأكفيك جانبي
٣. وإن دبَّ من قومي إليك عداوةً   عقاربهُم دبَّت إليهم عَقاربي

(٥)[٣٢] الطويل

١. ولا بِابْنِ جاعَ قَمْلُهُ عِنْدَ عامِرٍ   مُقِيتاً عَلَيْهِ قَمْلُهُ يِتَنَسَّرُ المُقِيتُ

(٦)[٣٣] الوافر

١. تكنفها الهيام وأخرجوها   فما تأوي إلى إبل صحاح
٢. فكان إلى مزينة منتهاها   على ما كان فيها من جناح
٣. وما يكن الجناح فإن فيها   خلائق ينتمين إلى صلاح
٤. ويوماً في بني ليث بن بكر   تراعى تحت قعقعة الرماح
٥. فإما أصبحن شيخاً كبيراً   وراء الدار يثقلني سلاحي
٦. فقد آتي الصريخ إذا دعاني   على ذي منعة عتد وقاح
٧. وشر أخي مؤامرة خذول   على ما كان مؤتكل ولاح

(٧)[٣٤] الطويل

١. لعمرك إني والخزاعي طارقاً   كنعجة عاد حتفها تتحفر[٣٥]
٢. أثارت عليها شفرة بكراعها   فظلت بها من آخر الليل تجزر[٣٦]
٣. شمت بقوم هم صديقك أهلكوا   أصابهم يوم من الدهر أعسر[٣٧]
٤. كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة   ويوم الرجيع إذ تنحر حبتر
٥. فهلا أباكم في هذيل وعمكم   ثأرتم وهم أعدى قلوباً وأوتر
٦. ويوم الأراك يوم أردف سبيكم   صميم سراة الديل عبد ويعمر
٧. وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم   وكلب بن عوف نحروكم وعقروا
٨. عجبت لشيخ من ربيعة مهتر   أمر له يوم من الدهر منكر

(٨)[٣٨] الطويل

١. لقد طبت نفساً عن مواليك يا رحضا ... آثرت أذناب الشوائل والحمضا
٢. تعللنا بالنصر في كل شتوة ... وكل ربيع أنت رافضنا رفضا
٣. فلولا تأسينا وحد رماحنا ... لقد جر قوم لحمنا ترباً قضا

(٩)[٣٩] الوافر

١. أعاذل قد عذلت بغير قدر ... ولا تدرين عاذل ما ألاقي[٤٠]
٢. فإما كنت عاذلتي فردي ... كلاباً إذ توجه للعراق
٣. ولم أقض اللبانة من كلاب ... غداة غدو أذن بالفراق
٤. فتى الفتيان في عسر ويسر ... شديد الركن في يوم التلاقي
٥. فلا وابيك ما باليت وجدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي[٤١]
٦. وإبقائي عليك إذا شتونا ... وضمك تحت نحر واعتناقي[٤٢]
٧. فلو فلق الفؤاد شديد وجد ... لهم سواد قلبي بانفلاق[٤٣]
٨. سأستعدي على الفاروق ربا ... له دفع الحجيج إلى بساق[٤٤]
٩. وأدعو الله مجتهداً عليه ... ببطن الأخشبين إلى دفاق[٤٥]
١٠. إن الفاروق لم يردد كلاباً ... إلى شيخين هامهما زواق[٤٦]

(١٠)[٤٧] الوافر

١. ومرقبةٍ نميت إلى ذراها ... تزل الطير كالرأس الحليق

(١١)[٤٨] الكامل

١. المرء وهب وهب آل معتب ... مل الغواة وأنت لما تملل
٢. تسعى توقدها وتجزل وقدها ... وإذا تعاطى الصلح قومك تأتلي

(١٢)[٤٩] الطويل

١. إذا زادَ أقواماً جَهالةُ غيرِهم ... بِهمْ ضَعَةً أَزْرَى بجاهِلِنا الجَهلُ

(١٣)[٥٠] الوافر

١. ألم تَرَ أن ثعلبةَ بن سعدٍ ... غضابٌ حَبَّذَا غَضَبُ الموالي
٢. تركتُ مصرِّفاً لما التقينا ... صريعاً تحت أطراف العوالي
٣. ولولا اللّيلُ لم يُفلِتْ ضرارٌ ... ولا رأس الحمار أبو جُفَالِ

(١٤)[٥١] البسيط

١. قومي اللذو بعكاظٍ طيروا شرراً ... من روس قومك ضرباً بالمصاقيل

(١٥)[٥٢] الرجز

١. إذا لقيت راعيين في غنم ... أسيدين يحلفان بنهم
٢. بينهما أشلاء لحمٍ مقتسم ... فامض ولا يأخذك باللحم القرم

(١٦)[٥٣] البسيط

١. يا بني أمية إني عنكما غان ... وما الغنى غير أني مرعش فان[٥٤]
٢. يا بني أمية إلا تحفظا كبري ... فإنما أنتما والثكل سيان
٣. هل لكما في تراث تذهبان به ... إن التراث لهيان بن بيان
٤. أصبحت هزءاً لراعي الضأن يسخر بي ... ماذا يريبك مني راعي الضأن[٥٥]
٥. أعجب لغيري إني تابع سلفي ... أعمام مجد وأجدادي وإخواني[٥٦]
٦. وانعق بضأنك في أرض تطيف بها ... بين الأساف وأنتجها بجلذان[٥٧]
٧. ببلدة لا ينام الكالئان بها ... ولا يقر بها أصحاب ألوان

(١٧)[٥٨] الوافر

١. **ألا سائل هوان يوم لاقوا … فوارس من كنانة معلمينا**

٢. **لدى شربٍ قد جاشوا وجشنا … فأوعب في النفير بنو أبينا**

(١٨)[٥٩] البسيط

١. **هلاّ سألتِ بنا إن كنتِ جاهلةً … ففي السُّؤال من الأنْباء شافيها**

٢. **تخبركِ عنا معدٌّ إنْ هُم صدقوا … ومِن قبائل نجرانٍ يَمانيها**

٣. **وبالجياد تجرُّ الخَيْلَ عابسةً … كأنَّ مذْرورَ مِلحٍ في هواديها**

٤. **قومٌ إذا قَذَعُ الأقوال طاف بهم … ألقى العَصيَّ عِصيَّ الجهل باريها**

ما نسب له ولغيره

(١)[٦٠] الكامل

١. **أغضبت أن حلّت كنانة مغزلاً … منعت به مجد الحلال الأوّل**

٢. **نسأوا الشهور بها وكانوا أهلها … من قبلكم والعزّ لم يتحوّل**

الهوامش والاحالات

(١) اظنه تصحيفاً وقد وقع به ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب/١: ٢٥٦، والبكري في معجم ما استعجم/ ٣: ٢٢١، وابن الاثير في أُسد الغابة/ ١: ٣٤٦، والصفدي في كتابيه نكت الهميان /١١٤، والوافي بالوفيات/ ٢: ١٧٥.

(٢) اظنه لقباً وليس اسماً كما ذهبت بعض المصادر كالاغاني/ ٢١: ١٤، الإكمال/ ٢: ١٢٤.

(٣) الأغاني /٢١: ١٤.

(٤) م.ن/ ٢١: ١٤.

(٥) المعمرون والوصايا /٦٧.

(٦) طبقات ابن سلاّم/ ١: ١٩١.

(٧) ايام عكاظ:

(٨) وهب بن معتوق:

(٩) المنمق/ ٢٠٢.

(١٠) الأغاني/ ٢١: ١٤.

(١١) الأغاني/ ٢١: ١٨.

(١٢) يوم المريسيع: اسم ماء في ناحية قُديد إلى الساحل، سار النبي (ﷺ)، في سنة خمس للهجرة إلى بني المصطلق في خزاعة لما بلغه أن الحارث بن ابي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعاً فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم. (معجم البلدان ٥: ١١٨).

(١٣) المحاسن والمساوئ/ ١٨٦.

(١٤) الأغاني/ ٢١: ١٥.

(١٥) م. ن/ ٢١: ١٩- ٢٠.

(١٦) م. ن/ ٢١: ٢٧- ٢٨.

(١٧) م.ن/ ٢١: ٢٢.

(١٨) م.ن/ ٢١: ١٨، الإصابة/ ١: ٦٤، خزانة الأدب/ ٦: ١٤٤.

(١٩) الأغاني/ ٢١: ١٩.

(٢٠) الكامل في التاريخ/ ١: ٤١٢.

(٢١) تهذيب اللغة/ مادة: رخو، ولسان العرب/ مادة: خوث.

(٢٢) البرصان والعرجان/ ١١٢.

(٢٣) الابيات (١-٧، ١٠) في الأغاني/ ٢١: ١٥-١٦، والأبيات (١- ٦، ١٠) في المعمرون والوصايا/ ٦٨، وجمهرة اللغة/ ٢: ٦٧، وخزانة الأدب/ ٦: ١٤٥، والأبيات (١، ٣، ٢،٣، ٥، ٧، ٨، ٩) في المحاسن والمساوئ/ ٢٣١، والأبيات (١، ٢، ٤، ٥، ١٠) في الوافي بالوفيات /٢: ١٧٦، والابيات (١، ٣، ٥) في طبقات فحول الشعراء/ ١: ١٩١، و(٢- ٥) في الاصابة/ ١: ٣٧٨ مع اختلاف في تسلسل الابيات، و (٣-٥) في انساب الاشراف/ ٢: ١١٢ مع اختلاف في تسلسل الابيات، والبيت (١) في جمهرة انساب العرب/١٨٣، والبيت (٣) في مجاز القرآن /١: ١١٣، الروض الانف/ ١: ١٤٥، الاكمال/ ١: ٤٢٨، واسد الغابة/ ١: ٣٤٦، الانساب للسمعاني/ ٢: ٢٥٨، والبيت (٤) في المحرر الوجيز/١: ٢٧١.

(٢٤) ورد في المعمرين(لو ذكر الكتابا)، وجمهرة اللغة وخزانة الأدب (لو قبل الكتابا)، والمحاسن (ان ذكر الكتابا).

(٢٥) ورد في المعمرين (اناشده ويعرض)، والمحاسن (ويعرض لي حنين)، والاصابة (أناديه فولاني قفاه).

(٢٦) ورد في طبقات فحول الشعراء والمعمرين (إذا هَتَفَتْ ... وَجٍّ ذَكَرَا كِلابَا)، والروض الأنف (اذ يبكي الحمام ... وجٍّ على بيضاتها بكيا كلاباً)، والمحاسن(اذا غنت... وجٍّ)، والاكمال (اذا بكت ...).

(٢٧) ورد في الاصابة (أتاه مهاجران فربخاه ... عباد الله قد عقا وخابا) وفي المحرر الوجيز (وإنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاة اذٍ لَقَدْ خَطِئا وَخَابَا).

(٢٨) ورد في المعمرين (الصغابا)، وفي خزانة الأدب (تمسح مهده ...).

(٢٩) ورد في المحاسن (فإن أباك حين تركت شيخٌ ... يطارد أينقاً شزباً جذابا).

(٣٠) ورد في المعمرين وخزانة الأدب (فانك وابتغاء).

(٣١) الابيات (١- ٣) في العقد الفريد/ ٢: ١٢٩، والاوائل للعسكري/٢٣٨، والمصون/ ١٠٢- ١٠٣، ومن غير نسبة في الصداقة والصديق/ ٢٣٧.

(٣٢) تاج العروس/ مادة: جنع.

(٣٣) الابيات (١- ٧) في الأغاني/ ٢١: ١٨.

(٣٤) الأبيات (١- ٨) في الأغاني/ ٢١: ٢٧- ٢٨، والأبيات (١- ٣) في مقاتل الطالبيين/ ١٧٦، والبيتان (١، ٢) في الإصابة/ ١: ٣٧٧.

(٣٥) ورد في الإصابة (... كصيحة عاد) واظنها هي الاصوب لأن قوم عاد اخذتهم الصيحة كما في قوله تعالى: چ ﮓ ﮔ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ چ [هود: ٦٧].

(٣٦) ورد في مقاتل الطالبيين (من آخر الليل تنحرر).

(٣٧) ورد في مقاتل الطالبيين (... الدهر أصفر) والاصابة (... الدهر أغبر).

(٣٨) الأبيات (١- ٣) في الأغاني/ ٢١: ٢٢.

(٣٩) الأبيات (١- ١٠) في الأغاني/ ٢١: ١٦، والوافي بالوفيات/ ٢: ١٧٦، والأبيات (١، ٢، ٤- ١٠) في معجم البلدان/ ١: ٤١٣، ونكت الهميان/ ١١٤، والأبيات (١، ٢، ٧، ٨، ١٠) في المعمرون والوصايا /٦٨، وجمهرة

اللغة/ ٣: ٢٧٤، والبيتان(٨،١) في المحاسن والمساوئ/ ٢٦٩، والبيتان (٨،١٠) في طبقات فحول الشعراء/١: ١٩١، والعمدة/ ١: ١٣٢.

(٤٠) ورد في المعمرين وجمهرة اللغة (... بغير علم وما يدريك ويحك ما ألاقي)، وفي المحاسن والمساوئ ورد الشطر الثاني (وهل تدري العواذل ما الاقي)، و نكت الهميان (وما تدرين ....).

(٤١) ورد في نكت الهميان (ولا شغفي ...).

(٤٢) ورد في نكت الهميان ومعجم البلدان (وايقادي ... تحت نحري ...).

(٤٣) ورد في المعمرين وجمهرة اللغة (فلق الفؤاد حماط وجد ...).

(٤٤) ورد في طبقات فحول الشعراء (سأستأدي .... بصاق)، وفي المعمرين وجمهرة اللغة (سأستدعي ...)، وفي المحاسن (له حجَّ... اتساق)، وفي الوافي بالوفيات (إلى سياق) ونكت الهميان (له عمد الحجيج ...).

(٤٥) ورد في نكت الهميان ومعجم البلدان (وادعوا الله محتسباً ...).

(٤٦) ورد في نكت الهميان (على شيخين ...).

(٤٧) البرصان والعرجان/ ٥٤٦.

(٤٨) المنمق في اخبار قريش/ ٢٠١.

(٤٩) نسب قريش/ ١٢٤.

(٥٠) البيان والتبيين/ ٣: ١٢.

(٥١) خزانة الأدب/ ٦: ١٤٥،.

(٥٢) الاصنام/ ٦٦، معجم البلدان/ ٥: ٢٣٨.

(٥٣) الأبيات (١- ٧) في الأغاني /٢١: ١٩، والأبيات (١،٢،٤،٥) في طبقات فحول الشعراء/ ١: ١٩٢، مع اختلاف في تسلسل الأبيات، والأبيات (٤- ٦) في المحاسن والمساوئ/٢١٤، ومعجم البلدان/٢: ١٥١، مع اختلاف في

تسلسل الأبيات، والبيتان (١، ٤) في نقد الشعر/ ٥٧، والبيت(٦) في العين/ ٤: ١١٥.

(٥٤) ورد في نقد الشعر (اني مشعرٌ فان).

(٥٥) ورد في طبقات فحول الشعراء (اصبحت فنا لراعي الضأن أُعجبه) و معجم البلدان (اصبحت فرداً لراعي الضأن يلعب بي ...)، وفي نقد الشعر (لراعِي الضأن أُعْجِبُهُ) و المحاسن والمساوئ (أصبحت لهواً لراعي الضأن أعجبه).

(٥٦) ورد في طبقات فحول الشعراء (إنْ تَرْعَ ضأْناً فإنِّي قَدْ رُزِئْتُهُمُ بِيضَ الوُجُوهِ، بني عَمٍّ وإِخْوانْي) و المحاسن والمساوئ (انعق بضأنك إني قد فقدتهم بيض الوجوه بني عمي وإخواني) ومعجم البلدان (... أعمام مجد وإخوان وأخدان).

(٥٧) ورد في العين (انعق بضأنك في بقل تبحره من ذي الاباطح واحبسها بجلذان) و المحاسن والمساوئ (انعق بضأنك في أرض بمخضرةٍ من الأباطح واحسبها بجلدان)، و معجم البلدان (... بين الاصافر ...).

(٥٨) معجم ما استعجم /٣: ٢٢١، وفيه أمية بن الاشكر، خزانة الأدب/ ٦: ١٤٤.

(٥٩) البيان والتبيين/ ٣: ٤٨.

(٦٠) جاء في سمط اللآلئ/ ١: ١٢ هو لأميّة بن الأسكر الليثي قاله يخاطب وهب بن معتب الثقفي، وقيل إنه للشويعر ربيعة الليثي، ونرى انه لامية لأن له قصة مع وهب وقد اورد قطعة اخرى يعاتبه فيها:

المرء وهب وهب آل معتب — مل الغواة وأنت لما تملل

تسعى توقدها وتجزل وقدها — وإذا تعاطى الصلح قومك تأتلي

المصادر والمراجع

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي المالكي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة (د.ت).

٢- الإصابة في تميز الصحابة، بابن حجر (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر - بيروت - ١٩٧٨م.
٣- الاصنام، ابن الكلبي، مط: دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.
٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني(٣٥٦)/طبعة:عبده مهنا/مط:دار الكتب العلمية - بيروت - ط٤ - ٢٠٠٢.
٥- الإكمال، ابن ماكولا، بعناية: عبد الرحمن اليماني، مط: حيدر آباد الدكن، ١٩٦٢_١٩٦٦.
٦- انساب الأشراف، البلاذري (ت٢٧٩هـ)/ بيروت - ١٩٧٩.
٧- الأنساب، للسمعاني، تقديم: مرجليوث، بيروت، ١٩٧٦_١٩٨١.
٨- الأوائل/ العسكري(٣٩٥)/تح: وليد قصاب ومحمد المصر/ مط: دار العلوم - الرياض - ١٩٨٠.
٩- البرصان والعرجان، الجاحظ (٢٥٥)، تحـ: عبد السلام هارون، مط: دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢.
١٠- البيان والتبيين/ الجاحظ(٢٥٥)/ تح: عبد السلام هارون/ مط: دار الجيل - بيروت - (د. ت).
١١- تاج العروس/ الزبيدي(١٢٠٥)/ مكتبة الحياة - بيروت - (د.ط) - (د. ت).
١٢- تهذيب اللغة/ الأزهري (٣٧٠)/ تح: عبد السلام هارون/ مط: المؤسسة المصرية - ط١ - ١٩٦٤.
١٣- جمهرة انساب العرب/ ابن حزم(٤٥٦)/ تح: ليفي بروفنسال/ مط: دار المعارف - مصر - ١٩٤٨.
١٤- جمهرة اللغة/ ابن دريد (٣٢١)/ تح: رمزي منير بعلبكي/ مط: دار العلم - بيروت - ط١ -١٩٨٧.

١٥- خزانة الأدب/ البغدادي (١٠٩٣)/ تقديم وفهرسة: محمد طريفي/ مط: دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٩٨.
١٦- الروض الانف/ السهيلي(ت٥٨١هـ)/ المط: الجمالية - مصر - ١٣٣٢هـ.
١٧- سمط اللآلئ/ البكري (٤٨٧)/ تح: عبد العزيز الميمني/ مط: لجنة التاليف والترجمة - القاهرة - ١٩٤٧.
١٨- الصداقة والصديق، التوحيدي (٤٠٤)، د. وتح: الشربيني شريدة، مط: دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
١٩- طبقات فحول الشعراء/ ابن سلاّم (٢٣١)/ تحـ: محمود محمد شاكر /مط: المدني - مصر - ١٩٨٣.
٢٠- العقد الفريد/ ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)/ طبعة: دار احياء التراث العربي - بيروت - تاريخ المقدمة - ١٩٨٩.
٢١- العمدة/ ابن رشيق(٤٥٦)/ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد/ مط: السعادة - مصر - ١٩٥٥.
٢٢- كتاب العين / الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٠)/ تح:ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي/ مط: مؤسسة دار الهجرة - ايران - ط١ -١٤٠٩.
٢٣- الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ تحـ: عبد الله القاضي/ مط: دار صادر - بيروت - (د.ت).
٢٤- لسان العرب /ابن منظور(٧١١)/ مط: دار صادر - ط٣- ٢٠٠٤.
٢٥- مجاز القرآن/ أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ)/ تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٤.
٢٦- المحاسن والمساوئ/ البيهقي (٣٢٠)/ مط: دار صادر - بيروت - (د.ت).

٢٧- المحرر الوجيز، لابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٢٨- المصون في الادب، للعسكري، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢.
٢٩- معجم البلدان/ ياقوت الحموي (٦٢٦)/ مط: دار صادر – (د.ت).
٣٠- معجم ما استعجم، البكري، تح: جمال طلبه، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٣١- المعمرون والوصايا، ابو حاتم السجستاني، تح: عبد المنعم عامر، مط: البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١.
٣٢- مقاتل الطالبيين، لابي الفرج الاصفهاني(٣٥٦)، تح: السيد أحمد صقر، مط: دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
٣٣- المنمق في اخبار قريش، لابن حبيب (٢٤٥)، تح: خورشيد أحمد فاروق، مط: حيدر آباد الدكن – الهند، ط١، ١٩٦٤.
٣٤- نقد الشعر، قدامة بن جعفر(٣٣٧)/ تح: كمال مصطفى كمال/ القاهرة – ط٣ – ١٩٧٨.
٣٥- نكت الهميان في نكت العميان، الصفدي، تح: احمد زكي بك، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٣٦- الوافي بالوفيات/ الصفدي (ت٧٦٤هـ)/ باعتناء: إحسان عباس، طبعة: دار صادر، ١٩٦٩م.
٣٧- نسب قريش، مصعب الزبيري (٢٣٦)، نشر: ليفي بروفنسال، مط: دار المعارف، مصر، ١٩٥٣.

المعرّي وابن زيدون
- دراسة موازنة -

م.م. نايف عبدالله محمود الجبوري
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

الحمد لله جاعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا وجاعل الإسلام ظاهراً ولو كره الكافرون، ومع الإسلام لغة الرسول الكريم وصلّى الله على سيدنا (ﷺ) القائل وهو ضعيفٌ بمكّة ((إنّ الله زوى – جمع – لي الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها. وإنّ أمّتي سيبلغ مُلْكها ما زَوِيَ لي منها...)) رواه مسلم(١)، ورضي الله عن الصحابة والتابعين الذين حملوا راية الإسلام إلى بلدٍ لم يكونوا بالغيه إلا بالإسلام ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد..

فمما تفخر به لغة الضاد على سائر اللغات كونها لغة خاتم الأنبياء والمرسلين ولغة آخر الكتب السماوية والمحفوظ إلى قيام الساعة، هذه اللغة التي رفعت الكثيرين فصاروا نجوماً على مرّ العصور، في حين وُضِعَ آخرون ممن رفعتهم الماديات ردحاً لا يكاد يطول.

وممن ارتفع باللغة أعلامٌ كثيرون نأخذ منهم عَلَمَين أحدهما مشرقي وهو **أبو العلاء المعرّي** والآخر من الأندلس وهو **ابن زيدون** وقد التقى هذان الشاعران في كثير من الأمور وافترقا في أخرى.

ومما دعاني للموازنة بينهما هو إعجابي الشديد بشاعريّتهما البعيدة عن التكلّف والتصنّع وتمكّنهما من اللغة، بل إنّ قصيدة ابن زيدون ((أضحى التنائي)) في

ولاّدة بنت المستكفي الذي قال عنها المقري في كتابه نفح الطيب ((لم يقل مع طولها في النسيب أرقّ منها))[٢] قد شغلتني كثيراً فكنتُ أحاور نفسي عن معانيها الليالي الطوال.

ولم يدانِ حبّ هذه القصيدة في نفسي إلا قصيدة أبي العلاء التي ألجأ إليها كلما ضاقتْ بي الأرض فكأني أسمع هاتفاً يزجر ويقول:

غَيْـرُ مُجْـدٍ فـي مِلّتـي واعْتِقـادي ... نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنّمُ شـادِ
وشَـبيهٌ صَـوْتُ النّعـيّ إذا قيـ ... ـسَ بِصَـوْتِ البَشـيرِ فـي كـلّ نـادِ
أَبَكَـتْ تِلْكُـمُ الحَمَامَـةُ أمْ غَنْـ ... ـنَت عَلـى فَـرْعِ غُصْـنِها المَيّـادِ
صَـاحِ هَـذِي قُبُورُنـا تَمْـلأُ الرُّحْـ ... ـبَ فـأينَ القُبُـورُ مِـنْ عَهـدِ عـادِ
خَفّـفِ الـوَطْءَ مـا أظُـنّ أدِيـمَ الـ ... ـأرْضِ إلاّ مِـنْ هَـذِهِ الأجْسـادِ[٣]

وبين علمٍ وعلم لقاءٌ وافتراق ونعجب كيف لمن بعدهما أن يجِدَ لنفسهِ موضعاً في الأدب والشعر، فيالعظمة هذه اللغة ولولا ما قاله عنترة قبل قرون:

هَـل غـادَرَ الشُـعَراءُ مِـن مُتَـرَدَّمِ ... أَم هَـل عَرَفـتَ الـدارَ بَعـدَ تَـوَهُّمِ[٤]

وقد قيل بعده لظننا أن لا شعر بعد هؤلاء الأعلام.

وبعد:

اشتمل البحث على حياة الشاعرَيْن وما أحيط بهما من ظروف معطياً للشاعر الأول أبي العلاء حرف (ع) أما الشاعر الثاني ابن زيدون فقد أعطيته رمز (ز)..

تناول البحثُ أيضاً دراسة فنية لقصيدتَي الشاعرَيْنِ من ناحية الأسلوب والألفاظ والموضوع والصورة والقافية وما أعطتْه من دلالةٍ، واحتوى البحثُ على نقاط الالتقاء والاختلاف بين الشاعرَيْنِ.

ثم أُلْحِقَ هذا البحث بملحقٍ وردتْ فيه القصيدتين كاملتين على نحو ما ذُكِرتْ في ديوانيهما.

المبحث الأول

حياة الشاعرَيْن وما أُحيطَ بهما من ظروف

ع- ولد أبو العلاء المعرّي، أحمد بن عبد الله بن سليمان في معرّة النعمان من أعمال حلب سنة ٣٦٣ هـ[٥]، ينتهي نسبه إلى ((تنوخ)) وهي قبيلةٌ قديمة ذات شرفٍ معرّقٍ منذ الجاهلية قبل الإسلام بدهورٍ طوالٍ[٦]. سليل بيت عريق بالعِلْم والقضاء لقرونٍ عدّةٍ.

ز- ولد ابن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ[٧]. كان والده فقيهاً وقاضياً وكان معدوداً في عِلْية القوم.

من هذا يتّضح أنّ الشاعرَيْن عاشا - تقريباً - في عصرٍ واحد وبيئةٍ متشابهةٍ من حيث كونهما أبناءً لعوائل عُرِفتْ بالعِلْمِ والدين والأدب، بل أنّ أبويهما عَمِلا في القضاء والذي لا يولّى في الإسلام إلا لمن تبحّر في الفقه والعِلْم والفطنة والأدب.

ع- أصيبَ أبو العلاء بالجدري في سنته الرابعة مما أفقدَه بصره مع آثار وندب بقيتْ على الوجه طول عمره[٨]، مما أدّى إلى أنْ يُطبَع شعره بطابع الحزن والأسى حتى أنه أسمى نفسه ((رهين المحبسين)) وظهر ذلك جلياً في شعره.

ز- سُجِنَ ابن زيدون وطال به الأمد في السجن مما ترك ذلك بصمة واضحة على شعره[٩] ومنها قصيدة ((أضحى التنائي)) التي قالها بعد هروبه من السجن وبعثها إلى ولاّدة بنت المستكفي.

ع- عاش أبو العلاء في ظروف سياسية واجتماعية يغلب عليها التقلّب والتناحر بين الأمراء والولاة مما طبع الناس بمسحة البؤس والشقاء والقلق.

ز- عاش ابن زيدون بما يشبه جو الشرق إذ كثرت الخصومات في الأندلس، واستقلّتْ أكثر المدن باسم إمارات مما أضعف السلطة المركزية هناك.

ع- عزف أبو العلاء عن الزواج بعد أن أحبّ جاريةً له ماتت فتمنّى لو كان هو الميّت بدلاً عنها.

ز- عزف ابن زيدون عن الزواج بعد معاناته من حبّ ولّادة والهيام بها مما طبع حياته كلّها بذلك.

ع- غلب الحزن والفلسفة على شعر أبي العلاء لعوامل عدّة منها ((فقدان البصر - فقدان الحبيب - فقدان الأم والإخوان فيما بعد))

ز- غلب الحزن على شعر ابن زيدون لعوامل عدّة منها ((فقدان الحرية [السجن] - فقدان الحبيب)).

المبحث الثاني

دراسة في قصيدة أبي العلاء

- في مرثيته المشهورة ((غيْرُ مُجْدٍ في ملّتي...)) التي قالها في الفقيه القاضي ابن حمزة التنوخي وهو من بني عمومته ورفاق صباه، ندرك لمح الومضات الكاشفة عن الجرح الغائر في أعماق وجدان الشاعر فجاءت قصيدته على إيقاعٍ حزينٍ غير متكلّفٍ ابتدأها بأسلوب النفي، فذكر أنّ البكاء والتأوّه والنواح بالنسبة للبشر وللطيور بترنيماتها غير مجدية النفع في إرجاع الفقيد العزيز بعد أن أخذته يد المنون على حسب ملّة واعتقاده إذ يقول:

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي ... نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنّمُ شادِ

- في هذه القصيدة يشبّه لنا الشاعر صوت النعيّ بموت صاحبه ورفيق صباه بأنه كصوت البشير في كل نادِ فكلاهما صوتٌ عالٍ ينبئ بحدثٍ جديد فيقول

وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيـ ... ـسَ بِصَوْتِ البَشيرِ في كلّ نادِ

- ثم تأتي فلسفة الحياة والأرض في شعره وأنّ على الإنسان أنْ يتصبّر في حقيقته ومآله وإلى أيّ مدىً سيصل ؟ وما هو في النهاية إلا رفاةٌ في أديم الأرض،

فينصحنا الشاعر بأن نخفف من وقْع أقدامنا على أديمها لأنه كما يراها ويظنّها قد نشأت من الأجساد، بل ربما يكون قد أراد النهي عن التكبّر مصداقاً لقوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ[١٠] فيقول:

وقَبيحٌ بنَا وإنْ قَدُمَ العَهْـ ... ـدُ هَوَانُ الآبَاءِ والأجْدادِ

سِرْ إنِ اسْطَعتَ في الهَوَاءِ رُوَيداً ... لا اخْتِيالاً عَلى رُفَاتِ العِبادِ

رُبّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مراراً ... ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأضْدادِ

- وتستمرّ القصيدة بنظرةٍ فلسفيةٍ حزينة تنمّ عن فؤادٍ مكلومٍ ونفسٍ معذّبةٍ آلمها طول الهمّ وعِظَمُ المصيبةِ، فخسارة الصديق من جهةٍ تهيج آلام مصيبته الأولى (العمى) إذ استوى لديه الليل والنهار ومنه أخذ استواء البشير والناعي، والحياة والموت بل يقول ساخراً إنّ الضدّين ربما يكونا في لحْدٍ واحدٍ بتطاول الزمان قائلاً:

وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيـ ... ـسَ بِصَوْتِ البَشيرِ في كلّ نادِ

- ينظر الشاعر إلى الحياة نظرةَ قَالٍ هاجر فيصفها بتعبٍ ولا غرابة في هذا الوصف، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف قوله (ﷺ) ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة ماء)) [١١] فيخبرنا هنا بأنّ الحياة التي فقدَ فيها أهمّ حاسّة كلها لا تساوي شيئاً فيقول:

تَعَبٌ كُلّها الحَيَاةُ فَما أعْـ ... ـجَبُ إلاّ مِنْ راغبٍ في ازْدِيادِ

- نلحظ في هذه القصيدة أن الشاعر يتجه إلى نظرةٍ صوفيةٍ واضحة في هجر الدنيا وتقليل من شأنها ولا أرى أنّ العمى وحده فعل ذلك لأنّ الكثير من العميان غير الشعراء أسوأ من غيرهم وبخاصةٍ الشعراء منهم[١٢] فيقول:

إنّ حُزْناً في ساعةِ المَوْتِ أضْعَا ... فُ سُرُورٍ في ساعَةِ الميلادِ

خُلِقَ النّاسُ للبَقَاءِ فضَلّتْ ... أُمّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ للنّفادِ

إنّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أعْما ... لٍ إلى دارِ شِقْوَةٍ أو رَشَادِ

- وإنّ الذي دفعني إلى اختيار هذه القصيدة إنموذجاً لشعره هو أنها تتسم بصدق العاطفة والتعبير وسلاسة الألفاظ وترابط المعاني ودقة الصورة المراد وصفها، فالشعر كما يقول الجاحظ ((صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))[١٣] والشاعر الناجح هو الذي يجعل من صورهِ أداةً فنية لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون[١٤]. والابتعاد عن الألفاظ الغريبة إذ يختار من الألفاظ كل ما هو رقيق معبّر وصادق ذلك بأن روح الشعر يكمن في تركيبه اللغوي، وهذا التركيب عملية يقتضيها العمل الشعري، إذ ((أن القصيدة في أبسط تصوّر لها لا تعدو أن تكون مجموعة من الألفاظ مرتبطة ومنسّقة على نحو معين، ولكنها حين تكون على هذا النحو تكون قد اكتسبت شخصية خاصة لها حيويتها ولها فعاليتها))[١٥].
- من خلال هذه القصيدة نرى أنّ الصورة فيها كأنها تجسيد متكامل لنظرةٍ صوفية فلسفية لا تخلو من دعاء الأثير للميّت تأثّراً بقول العرب: ((سقتْك الغوادي))[١٦] والغوادي هي المزن، وأقرّ ذلك الرسول الكريم (ﷺ) بوضعه سعفةً خضراء على قبر أحد الصحابة قائلاً عسى أن يخفّف عنه الله ما دامتا خضراوين[١٧].
- أما قافية القصيدة فقد جاءت مطلقة مؤسسة للدلالة على عمق هذه الحادثة وأثرها في نفس الشاعر وعلى استمرارية هذا الأثر وعدم توقفه. وبالنسبة لحرف الروي الذي جاءت عليه القصيدة فكان حرف الدال الذي يعد أحد حروف القلقلة المجهورة[١٨] ويمتاز بشدته، وفيه نغم موسيقي يريح المتلقي لحسن إيقاعه[١٩]. وهو اختيار موفّق لما في الدال من صوت مدوٍّ وأثر كبير، أراد الشاعر من خلاله أن يُبقي صدى كلمات قصيدته ومعانيها مدوية في الآذان وعالقة في القلوب مستعيناً ببحر الخفيف الذي يتناسب مع غرض الرثاء كونه أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع[٢٠] وكونه أيضاً (وزنٌ وسط بين الفخامة والدّقة)[٢١].

المبحث الثالث

دراسة في قصيدة ابن زيدون

- نونية ابن زيدون التي طالما تغنّى بها العشّق وردّدها الصغار والكبار، جاءت على وزن الكامل الذي يعد (أهم البحور العربية لكثرة النظم فيه)[٢٢] ويمتاز (بجرسٍ واضحٍ ينبعث من هذه الحركات الكثيرة المتلاحقة)[٢٣]، فنراه يناسب قصيدة ابن زيدون التي تحتاج إلى مساحة من الزمن للتعبير عن معانيها، وقد وفّق الشاعر في اختياره هذا البحر وزناً ينظم عليه قصيدته. وقافية مطلقة مردوفة وحرف الروي هو النون الذي هو شبيه بروي معلّقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:

أَلا هُبّـي بِصَـحنِكِ فَأَصـبَحينا ... وَلا تُبقـي خُمـورَ الأَنـدَرينا[٢٤]

ويكاد يكون ابن زيدون قد أخذ من عمرو بن كلثوم روي قصيدته إلا أن غرضي القصيدة مختلفان فقصيدة ابن زيدون في الغزل وقصيدة عمرو بن كلثوم في الفخر والحماسة.

وهذه القصيدة مبنيّة بأسلوبٍ جميلٍ رقيقٍ هادئٍ ومختومةٍ بالنون الذي طالما ذكر فضائله العلماء في الوقْف حيث يعطي نبرةَ حزنٍ مع جرس مصحوبٍ بالحنين.

وتعدّ النون من حروف الدلاقة[٢٥] ولها جرس لطيف ونغم موسيقي عذب في ترتيب القوافي[٢٦] لذلك جاءت قصيدة ابن زيدون محملة بأعمق معاني الصدق الإنسانية مؤثرة في المتلقي أشد التأثير هذا فضلاً عن الخصائص الفنية الأخرى.

- نعود إلى القصيدة التي طالما تحدّث عنها النقّاد مادحين كثيراً وأحياناً قادحين، ولكن تبقى في المحصّلة أنّ القصيدة هي من عيون قصائد الغزل الوجداني، ومما يطلق عليه السهل الممتنع حيث لا يصعب لمن سمع الشطر الأول أن يكمل

الشطر الثاني من خلال الطباق والجناس الكثيرَيْن اللذَيْن زادا القصيدة روعةً على روعةٍ فنلاحظ الألفاظ (المتضادّة) [التنائي/ التداني، طيب اللقيا/ التجافي، الضحك/ الإبكاء، انحلّ/ معقوداً، انبتّ/ موصولاً، التفرّق/ التلاق، سوداً/ بيضاً، الأيام/ الليالي،... إلخ] والجناس مثل ذلك.

- من هنا نلحظ أنّ أبيات القصيدة تكرار لصورةٍ أراد أنْ يجسّدها الشاعر من جميع النواحي وبمختلف الألفاظ، صورة مقارنة بين ما كان من طيب الودّ وصافي الهوى وربيع الزمان إلى القطيعة والهجر بل الضغينة والحقد بسبب قول الواشين فيعيدها مرّات ومرّات ليصوّرها أحسن تصوير وكأنه يرى مشهداً مجسّماً صُوِّرَ من جميع الجهات فيقول:

أَضحى التَنائي بَديلاً مِن تَدانينا ... وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافينا

أَلّا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَنا ... حَينٌ فَقامَ بِنا لِلحَينِ ناعينا

مَن مُبلِغُ المُلبِسينا بِاِنتِزاحِهِمُ ... حُزناً مَعَ الدَهرِ لا يَبلى وَيُبلينا

- ليس الحبيب وحده سبب شكوى الشاعر إذاً بل الزمان وهو كناية عن كل ما يحيط به من أمور في الحياة وعلى رأسها ما لا يستطيع أن يسمّي، وهذه الشكوى نراها تتكرّر في الأوقات التي يظنّ فيها الناس أنّ الأمر وُسِّدّ إلى غير أهله، وهذا حال شاعرنا بعد السجن وما رافقه من تباعد الأخلاّء وانفضاض مجالس الأُنْسِ السالف فيقول في ذلك:

أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا ... أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

غيظَ العِدا مِن تَساقينا الهَوى فَدَعَوا ... بِأَن نَغَصَّ فَقالَ الدَهرُ آمينا

- من ناحية الألفاظ استخدم ابن زيدون ألفاظاً ذات جرس رنّان هادئ لتعبّر بصدقٍ عن موضوع القصيدة ولكنها في الوقت نفسه جزيلة متينة لا تختلف في لغتها عن قصائد الذين سبقوه من الشعراء، بل لو قارن أحدنا بين قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة ابن زيدون من حيث الألفاظ لما وجد كثيرَ اختلافٍ إلا فيما يخصّ المعنى المختلف من المراد بالقصيدتين، فهذه – كما أسلفنا – قصيدة غزلية وجدانية وتلك قصيدة حماسية مليئة بالفخر والاعتداد بالنفس والقبيلة.
- لقد عاب الكثير من النقاد على ابن زيدون تكرار المعاني في الأبيات باختلاف الألفاظ.

المبحث الرابع

أ- نقاط الالتقاء عند الشاعرَيْن

ب- نقاط الاختلاف

أ- نقاط الالتقاء لدى الشاعرين:

لابد لنا أنْ نشير هنا إلى أنّ أبا العلاء المعرّي (أحمد بن عبدالله) وابن زيدون (أحمد بن عبدالله) اشتركا في كثير من الصفات، منها:

أولاً: الإسم (أحمد بن عبد الله).

ثانياً: العصر، فالمعرّي ولادته ٣٦٣هـ ووفاته ٤٤٩هـ، أما ابن زيدون فكانت ولادته ٣٩٤هـ ووفاته ٤٦٣ هـ.

ثالثاً: الاشتراك بالمعاناة والإحساس بالظلم سواء من الناس أو الحياة.

رابعاً: كونهما سليلي عائلة علمٍ حتى أنّ أبواهما وجدّهما كانا قاضيَيْن.

خامساً: التمكّن من اللغة واستخدام الألفاظ أحسن استخدام لتؤدي الغرض المطلوب فلا تكاد تحسّ بفرق الطبيعة بينهما حيث أنّ الأول عاش في واقعٍ صحراويٍّ

تجسّد خاصةً في سفره إلى بغداد (أحسّ هذا رغم عماه لأنه يحيط به من كل جانب). أما الثاني فعلى الرغم من كون الأندلس جنّة الله على الأرض إلا أنّ ذلك لم يطبع الشاعر بالترف واللين مما كان يجب في مثل هذا الحال.

سادساً: يشترك الشاعران بصدق العاطفة والقدرة على تجسيد هذا الصدق بأبياتٍ شعرية، ولو أخذنا النصّين السابقين لوجدنا فيها كثرة استخدام الطباق والجناس لإظهار التضاد لأنّ الضدّ بالضدِّ يبين.

سابعاً: لعلّ من المفيد أن نذكر أنّ التشابه في اللغة والأسلوب والظروف المحيطة انسحب إلى التشابه في تفاصيل الحياة الخاصة، حيث أنّ الاثنين عزفا عن الزواج بسبب حبٍّ بئيسٍ إذ ماتت حبيبة الأول منهما وأما حبيبة الثاني فقد هجرته.

ب- نقاط الاختلاف:

إنّ فقدان البصر لدى أبي العلاء جعله ينصرف في كثير من قصائده (ومنها القصيدة السالفة) إلى الفلسفة الممزوجة بشيء من التصوّف، ومحاولة ذمّ التشبّث بالحياة ما دام المآل إلى التراب. بينما تمسّك ابن زيدون بالحياة كثيراً حتى أنّ قصيدته تظهر ذلك جليّاً من خلال كثرة البكاء على السعادة المفقودة والإكثار من مجالس الأُنْسِ ثم إنّه تقلّد مناصب الوزارة مرّات، بل إنّ حبّه لولّادة بنت المستكفي – رغم مسحة الصدق الظاهرة – يعدّ عاملاً مساعداً نحو الصعود الاجتماعي والوظيفي، وهذا دليل يؤكّد صدق ما قلناه.

ملحق رقم – ١ –

– قصيدة أبي العلاء المعرّي –[٢٧] (١)

قالها في الفقيه القاضي أبي حمزة التنوخي وهو من بني عمومته ورفاق صباه:

وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيـ ... ـسَ بِصَوْتِ البَشيرِ في كلّ نادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَنْـ ... ـنَت عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَيّادِ
صَاحِ هَذِي قُبُورُنا تَمْلأُ الرُّحْـ ... ـبَ فأينَ القُبُورُ مِنْ عَهدِ عادِ
خَفّفِ الوَطْء ما أظُنّ أديمَ الـ ... ـأرْضِ إلاّ مِنْ هَذِهِ الأجْسادِ
وقَبيحٌ بنَا وإنْ قَدُمَ العَهْـ ... ـدُ هَوَانُ الآبَاءِ والأجْدادِ
سِرْ إنِ اسْطَعتَ في الهَوَاءِ رُوَيداً ... لا اخْتِيالاً عَلى رُفَاتِ العِبادِ
رُبّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مراراً ... ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأضْدادِ
وَدَفِينٍ عَلى بَقايا دَفِينٍ ... في طَويلِ الأزْمانِ وَالآبادِ
فاسْألِ الفَرْقَدَينِ عَمّنْ أحَسّا ... مِنْ قَبيلٍ وآنسا من بلادِ
كَمْ أقامَا على زَوالِ نَهارٍ ... وَأنارا لِمُدْلِجٍ في سَوَادِ
تَعَبٌ كُلّها الحَياةُ فَما أعْـ ... ـجَبُ إلاّ مِنْ راغبٍ في ازْديادِ
إنّ حُزْناً في ساعةِ المَوْتِ أضْعَا ... فُ سُرُورٍ في ساعَةِ المِيلادِ
خُلِقَ النّاسُ للبَقَاءِ فضَلّتْ ... أُمّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ للنّفادِ
إنّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أعْما ... لٍ إلى دارِ شِقْوَةٍ أو رَشَادِ
ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْدَةٌ يُستريحُ الـ ... ـجِسْمُ فيها والعَيشُ مِثلُ السّهادِ
أبَناتِ الهَديلِ أسْعِدْنَ أوْ عِدْ ... نَ قَليلَ العَزاءِ بالإسْعَادِ
إيهِ للّهِ دَرّكُنّ فأنْتُنّ الـ ... ـلّوَاتي تُحْسِنّ حِفْظَ الوِدادِ
ما نَسيتُنّ هالِكاً في الأوانِ الـ ... ـخَالِ أوْدَى مِنْ قَبلِ هُلكِ إيادِ

بَيْدَ أنّي لا أرْتَضِي مَا فَعَلْتُنْـ ... ـنَ وأطْواقُكُنّ في الأجْيَادِ
فَتَسَلَّبْنَ وَاسْتَعِرْنَ جَميعاً ... مِنْ قَميصِ الدّجَى ثيابَ حِدادِ
ثُمّ غَرِّدْنَ في المَآتِمِ وانْدُبْـ ... ـنَ بِشَجْوٍ مَعَ الغَواني الخِرادِ
قَصَدَ الدهر من أبي حَمزَةَ الأوْ ... وَابِ مَوْلى حِجىً وخِدن اقتصادِ
وفَقيهاً أفكارُهُ شِدْنَ للنّعْـ ... ـمانِ ما لم يَشِدْهُ شعرُ زِيادِ
فالعِراقيُّ بَعْدَهُ للحِجازِيْ ... يِ قليلُ الخِلافِ سَهْلُ القِيادِ
وخَطيباً لو قامَ بَينَ وُحُوشٍ ... عَلّمَ الضّارِياتِ بِرَّ النِّقَادِ
رَاوِياً للحَديثِ لم يُحْوِجِ المَعْـ ... ـرُوفَ مِنْ صِدْقِهِ إلى الأسْنادِ
أَنْفَقَ العُمرَ ناسِكاً يَطْلُبُ العِلْـ ... ـمَ بكَشْفٍ عَن أصْلِهِ وانْتِقادِ
مُستَقي الكَفّ مِنْ قَليبِ زُجاجٍ ... بِغُرُوبِ اليَرَاعِ ماءَ مِدادِ
ذا بَنَانٍ لا تَلْمُسُ الذّهَبَ الأحْـ ... ـمَرَ زُهْداً في العَسجَدِ المُستَفادِ
وَدِّعا أيّها الحَفيّانِ ذاكَ الشْـ ... شَخْصَ إنّ الوَداعَ أيسَرُ زَادِ
واغْسِلاهُ بالدّمعِ إنْ كانَ طُهْراً ... وادْفِناهُ بَيْنَ الحَشَى والفُؤادِ
واحْبُوَاهُ الأكْفانَ مِنْ وَرَقِ المُصْـ ... ـحَفِ كِبْراً عن أنْفَسِ الأبْرادِ
واتْلُوَا النّعْشَ بالقِراءَةِ والتّسْـ ... ـبِيحِ لا بالنّحيبِ والتّعْدادِ
أسَفٌ غَيْرُ نافِعٍ وَاجْتِهادٌ ... لا يُؤدّي إلى غَنَاءِ اجْتِهادِ
طالَما أخْرَجَ الحَزينُ جَوَى الحُزْ ... نِ إلى غَيْرِ لائِقٍ بالسَّدادِ
مِثْلَ ما فاتَتِ الصّلاةُ سُلَيْما ... نَ فَأنْحَى على رِقابِ الجِيادِ
وهوَ مَنْ سُخّرَتْ لهُ الإنْسُ والجِنْـ ... ـنُ بما صَحّ من شَهادَةِ صَادِ
خافَ غَدْرَ الأنامِ فاستَوْدَعَ الرّيـ ... ـحَ سَليلاً تَغْذُوهُ دَرَّ العِهَادِ
وَتَوَخّى لَهُ النّجاةَ وَقَدْ أيْـ ... ـقَنَ أنّ الحِمَامَ بالمِرْصادِ
فَرَمَتْهُ بِهِ على جانِبِ الكُرْ ... سِيّ أمُّ اللُّهَيْمِ أُخْتُ النّآدِ
كيفَ أصْبَحتَ في مَحلّكَ بعدي ... يا جَديراً منّي بحُسْنِ افتِقادِ

قَد أقَرّ الطّبيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ ... وتَقَضّى تَرَدّدُ العُوّادِ
وَانْتَهَى اليأسُ مِنكَ وَاستشعَرَ الوَجْـ ... ـدُ بأنْ لا مَعادَ حتى المعادِ
هَجَدَ السّاهرُونَ حَوْلَكَ للتمْـ ... ـريضِ وَيحٌ لأعْيُنِ الهُجّادِ
أنتَ مِن أُسْرةٍ مَضَوْا غيرَ مَغْرُو ... رينَ مِنْ عَيشَةٍ بِذاتِ ضِمادِ
لا يُغَيّرْكُمُ الصّعيدُ وكونوا ... فيهِ مثلَ السّيوفِ في الأغمادِ
فَعَزيزٌ عَليّ خَلْطُ اللّيالي ... رِمَّ أقْدامِكُمْ بِرِمّ الهَوَادي
كُنتَ خِلّ الصِّبا فلَمّا أرادَ الـ ... ـبَينَ وَافَقْتَ رأيَهُ في المُرادِ
ورأيتَ الوَفاءَ للصّاحِبِ الأوْ ... وَلِ مِنْ شيمَةِ الكَريمِ الجَوادِ
وَخَلَعْتَ الشّبابَ غَضّاً فَيا لَيْـ ... ـتَكَ أبْلَيْتَهُ مَعَ الأنْدادِ
فاذْهَبا خير ذاهبَينِ حقيقَيْـ ... ـنِ بِسُقْيا رَوائِحٍ وَغَوَادِ
ومَراثٍ لَوْ أنّهُنّ دُمُوعٌ ... لمَحَوْنَ السّطُورَ في الإنْشادِ
زُحَلٌ أشرَفُ الكَواكبِ داراً ... مِنْ لِقاءِ الرّدَى على ميعادِ
ولِنارِ المِرّيخِ مِن حَدَثانِ الدّهْـ ... ـرِ مُطْفٍ وَإنْ عَلَتْ في اتّقادِ
وَالثّرَيّا رَهينَةٌ بِافْتِراقِ الشْـ ... شَمْلِ حَتّى تُعَدّ في الأفرادِ
فلْيَكُنْ لِلْمُحَسَّنِ الأجَلُ المَمْـ ... ـدودُ رغماً لآنُفِ الحُسّادِ
وَلْيَطِبْ عَنْ أخيهِ نَفساً وأبْنا ... ءِ أخيهِ جَرائحِ الأكبادِ
وإذا البَحْرُ غاضَ عنّي ولم أرْ ... وَ فلا رِيّ بادّخارِ الثِّمادِ
كُلُّ بَيْتٍ للْهَدْمِ ما تَبْتَني الوَرْ ... قاءُ والسّيّدُ الرّفيعُ العِمادِ
والفَتَى ظاعِنٌ ويَكفيهِ ظِلُّ السْـ ... ـسِدْرِ ضَرْبَ الأطْنابِ والأوْتادِ
بانَ أمْرُ الإلَهِ واختَلَفَ النّا ... سُ فَداعٍ إلى ضَلالٍ وَهَادِ
والّذي حارَتِ البَرِيّةُ فِيهِ ... حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمادِ
واللّبيبُ اللّبيبُ مَنْ لَيسَ يَغْتَرْ ... رُ بِكَوْنٍ مَصيرُهُ للفَسادِ

ملحق رقم – ٢ –

– قصيدة ابن زيدون – [٢٨]

أَضحى التَنائي بَديلاً مِن تَدانينا ... وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافينا
أَلّا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَنا ... حَينٌ فَقامَ بِنا لِلحَينِ ناعينا
مَن مُبلِغُ المُلبِسينا بِانتِزاحِهِمُ ... حُزناً مَعَ الدَهرِ لا يَبلى وَيُبلينا
أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا ... أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا
غيظَ العِدا مِن تَساقينا الهَوى فَدَعَوا ... بِأَن نَغَصَّ فَقالَ الدَهرُ آمينا
فَانحَلَّ ما كانَ مَعقوداً بِأَنفُسِنا ... وَانبَتَّ ما كانَ مَوصولاً بِأَيدينا
وَقَد نَكونُ وَما يُخشى تَفَرُّقُنا ... فَاليَومَ نَحنُ وَما يُرجى تَلاقينا
يا لَيتَ شِعري وَلَم نُعتِب أَعادِيَكُم ... هَل نالَ حَظّاً مِنَ العُتبى أَعادينا
لَم نَعتَقِد بَعدَكُم إِلّا الوَفاءَ لَكُم ... رَأياً وَلَم نَتَقَلَّد غَيرَهُ دينا
ما حَقَّنا أَن تُقِرّوا عَينَ ذي حَسَدٍ ... بِنا وَلا أَن تَسُرّوا كاشِحاً فينا
كُنّا نَرى اليَأسَ تُسلينا عَوارِضُهُ ... وَقَد يَئِسنا فَما لِليَأسِ يُغرينا
بِنتُم وَبِنّا فَما ابتَلَّت جَوانِحُنا ... شَوقاً إِلَيكُم وَلا جَفَّت مَآقينا
نَكادُ حينَ تُناجيكُم ضَمائِرُنا ... يَقضي عَلَينا الأَسى لَولا تَأَسّينا
حالَت لِفَقدِكُمُ أَيّامُنا فَغَدَت ... سوداً وَكانَت بِكُم بيضاً لَيالينا
إِذ جانِبُ العَيشِ طَلقٌ مِن تَأَلُّفِنا ... وَمَربَعُ اللَهوِ صافٍ مِن تَصافينا
وَإِذ هَصَرنا فُنونَ الوَصلِ دانِيَةً ... قِطافُها فَجَنَينا مِنهُ ما شينا
لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السُرورِ فَما ... كُنتُم لأَرواحِنا إِلا رَياحينا
لا تَحسَبوا نَأيَكُم عَنّا يُغَيِّرُنا ... أَنْ طالَما غَيَّرَ النَأيُ المُحِبّينا
وَاللَهِ ما طَلَبَت أَهواؤُنا بَدَلاً ... مِنكُم وَلا انصَرَفَت عَنكُم أَمانينا

ياسارِيَ البَرقِ غادِ القَصرَ وَاسقِ بِهِ ... مَن كانَ صِرفَ الهَوى وَالوُدُّ يَسقينا
وَاسأَل هُنالِكَ هَل عَنّى تَذَكُّرُنا ... إِلفاً تَذَكُّرُهُ أَمسى يُعَنّينا
وَيا نَسيمَ الصَبا بَلِّغ تَحِيَّتَنا ... مَن لَو عَلى البُعدِ حَيّا كانَ يُحَيّينا
فَهَل أَرى الدَهرَ يَقضينا مُساعَفَةً ... مِنهُ وَإِن لَم يَكُن غِبّاً تَقاضينا
رَبيبُ مُلكٍ كَأَنَّ اللَهَ أَنشَأَهُ ... مِسكاً وَقَدَّرَ إِنشاءَ الوَرى طينا
أَو صاغَهُ وَرِقاً مَحضاً وَتَوَّجَهُ ... مِن ناصِعِ التِبرِ إِبداعاً وَتَحسينا
إِذا تَأَوَّدَ آدَتهُ رَفاهِيَةً ... تومُ العُقودِ وَأَدمَتهُ البُرى لينا
كانَت لَهُ الشَمسُ ظِئراً في أَكِلَّتِه ... بَل ما تَجَلّى لَها إِلا أَحايينا
كَأَنَّما أُثبِتَت في صَحنِ وَجنَتِهِ ... زُهرُ الكَواكِبِ تَعويذاً وَتَزيينا
ما ضَرَّ أَن لَم نَكُن أَكفاءَهُ شَرَفاً ... وَفي المَوَدَّةِ كافٍ مِن تَكافينا
يا رَوضَةً طالَما أَجنَت لَواحِظَنا ... وَرداً جَلاهُ الصِبا غَضّاً وَنَسرينا
وَيا حَياةً تَمَلَّينا بِزَهرَتِها ... مُنىً ضُروباً وَلَذّاتٍ أَفانينا
وَيا نَعيماً خَطَرنا مِن غَضارَتِهِ ... في وَشيِ نُعمى سَحَبنا ذَيلَهُ حينا
لَسنا نُسَمّيكِ إِجلالاً وَتَكرِمَةً ... وَقَدرُكِ المُعتَلي عَن ذاكَ يُغنينا
إِذا انفَرَدتِ وَما شورِكتِ في صِفَةٍ ... فَحَسبُنا الوَصفُ إِيضاحاً وَتَبيينا
يا جَنَّةَ الخُلدِ أُبدِلنا بِسِدرَتِها ... وَالكَوثَرِ العَذبِ زَقّوماً وَغِسلينا
كَأَنَّنا لَم نَبِت وَالوَصلُ ثالِثُنا ... وَالسَعدُ قَد غَضَّ مِن أَجفانِ واشينا
إِن كانَ قَد عَزَّ في الدُنيا اللِقاءُ بِكُم ... في مَوقِفِ الحَشرِ نَلقاكُم وَتَلقونا
سِرّانِ في خاطِرِ الظَلماءِ يَكتُمُنا ... حَتّى يَكادَ لِسانُ الصُبحِ يُفشينا

لاغَروَ في أَنْ ذَكَرنا الحُزنَ حينَ نَهَت عَنهُ النُهى وَتَرَكنا الصَبرَ ناسينا

إِنّا قَرَأنا الأَسى يَومَ النَوى سُوَراً مَكتوبَةً وَأَخَذنا الصَبرَ تَلقينا

أَمّا هَواكِ فَلَم نَعدِل بِمَنهَلِهِ شُرباً وَإِن كانَ يُروينا فَيُظمينا

لَم نَجفُ أُفقَ جَمالٍ أَنتِ كَوكَبُهُ سالينَ عَنهُ وَلَم نَهجُرهُ قالينا

وَلا اِختِياراً تَجَنَّبناهُ عَن كَثَبٍ لَكِن عَدَتنا عَلى كُرهٍ عَوادينا

نَأسى عَلَيكِ إِذا حُثَّت مُشَعشَعَةً فينا الشَمولُ وَغَنّانا مُغَنّينا

لا أَكؤُسُ الراحِ تُبدي مِن شَمائِلِنا سِيَما اِرتِياحٍ وَلا الأَوتارُ تُلهينا

دومي عَلى العَهدِ ما دُمنا مُحافِظَةً فَالحُرُّ مَن دانَ إِنصافاً كَما دينا

فَما اِستَعَضنا خَليلاً مِنكِ يَحبِسُنا وَلا اِستَفَدنا حَبيباً عَنكِ يَثنينا

وَلَو صَبا نَحوَنا مِن عُلوِ مَطلَعِهِ بَدرُ الدُجى لَم يَكُن حاشاكِ يُصبينا

أَبكي وَفاءً وَإِن لَم تَبذُلي صِلَةً فَالطَيفُ يُقنِعُنا وَالذِكرُ يَكفينا

وَفي الجَوابِ مَتاعٌ إِن شَفَعتِ بِهِ بيضَ الأَيادي الَّتي ما زِلتِ تولينا

عَلَيكِ مِنّا سَلامُ اللَهِ ما بَقِيَت صَبابَةٌ بِكِ نُخفيها فَتُخفينا

الهوامش:

(١) صحيح مسلم ٢٢١٥/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ١٩٤/٣.

(٣) شروح سقط الزند، لأبي العلاء المعري ٩٧١/٣.

(٤) ديوان عنترة: ٨٠

(٥) ينظر: أبو العلاء، بنت الشاطئ /٧، الفن ومذاهبه في الشعر العربي – د.شوقي ضيف/ ٣٧٧.

(٦) ينظر: أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر/ ٦٥.

(٧) ينظر: ملامح الشعر الأندلسي، د.عمر الدقاق/ ١٣٣.

(٨) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٩٨/١.

(٩) ينظر: الذخيرة، ابن بسام ٢٨٩/١.

(١٠) سورة الإسراء/ ٣٧.

(١١) سنن الترمذي ٢٦٠/٤.

(١٢) إشارة إلى الشاعر العباسي بشار بن برد وغيره من العميان.

(١٣) الحيوان: ٣/ ١٣٢

(١٤) الصورة الفنية في المثل القرآني، د.محمد حسين علي الصغير: ٣٧.

(١٥) الأدب وفنونه، للدكتور عز الدين إسماعيل: ٨٥.

(١٦) وهو بداية عجز البيت الشعري:

أَلِمَّا بِمَعْنٍ ثُمَّ قُولاَ لِقَبْرِهِ سَقَتْكَ الغَوادي مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعا

وهو للشاعر الحسين بن مطير الأسدي يرثي معن بن زائدة، ينظر: ديوان الحسين بن مطير الأسدي(ت١٦٩هـ): جمع وتحقيق: حسين عطوان – دار الجيل – بيروت – د.ت.

(١٧) ينظر: صحيح البخاري/ رقم الحديث ٢٠٩

(١٨) ينظر: علم الأصوات العام، بسام بركة: ١١٥.

(١٩) ينظر: موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس: ٢٤٨.

(٢٠) ينظر: معالم العروض والقافية، د.عمر الأسعد: ٢١ – ٢٢.

(٢١) شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبدالحميد الراضي: ٢٥٩.

(٢٢) شرح تحفة الخليل: ١١٢.

(٢٣) المصدر نفسه: ١١٧.

(٢٤) عمرو بن كلثوم، تحقيق د.إميل بديع يعقوب، ٦٤- ٩١.

(٢٥) ينظر: معجم الصوتيات، أ.د. رشيد عبدالرحمن العبيدي: ٢٠٥.

(٢٦) ينظر: دير الملاك، د. محسن اطيمش: ١٠١.

(٢٧) شروح سقط الزند، لأبي العلاء المعري ٣/٩٧١-١٠٠٥

(٢٨) ديوان ابن زيدون ورسائله ١٤١-١٤٨.

المصادر:

❖ **القرآن الكريم.**

١- أباطيل وأسمار، الأستاذ محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٢- أبو العلاء المعري، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار مصر للطباعة، ١٩٦٠.

٣- **الأدب وفنونه**، الدكتور عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت).

٤- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، مطبعة الإيمان، ط١، بغداد، ١٩٧١.

٥- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.

٦- دير الملاك، الدكتور محسن اطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، بغداد، ١٩٨٦.

٧- ديوان ابن زيدون ورسائله، دراسة وتهذيب عبدالله سنده، دار المعرفة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥.

٨- ديوان الحسين بن مطير الأسدي(ت١٦٩هـ): جمع وتحقيق: حسين عطوان – دار الجيل – بيروت – د.ت.

٩- ديوان عنترة، ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة ،١٩٧٠.

١٠- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام (ت ٥٤١هـ)، القاهرة، ١٩٤٥.

١١- سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

١٢- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي، ط ١ مؤسسة الرسالة ببغداد، عام ١٣٩٥هـ.

١٣- شروح سقط الزند، للتبريزي (ت٥٠٢) والبطليوسي (ت٥٢١) والخوارزمي (ت٦١٧)، دار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة، ١٩٦٤.
١٤- **صحيح** مسلم، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
١٥- **صحيح البخاري**، عبدالله بن محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٩٨٧ م.
١٦- **الصورة الفنية في المثل القرآني**، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.
١٧- **علم الأصوات العام**، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت).
١٨- **عمرو بن كلثوم**، تحقيق د.إميل بديع يعقوب، دار الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
١٩- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٦٩.
٢٠- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت٦٢٦)، القاهرة، ١٩٣٨.
٢١- معجم الصوتيات، الأستاذ الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٧.
٢٢- ملامح الشعر الأندلسي، الدكتور عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٧٣.
٢٣- موسيقى الشعر، الدكتور إبراهيم أنيس، دار الطباعة الحديثة، ط٥، القاهرة، مصر، ١٩٨١
٢٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمسانی (ت١٠٤١)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

ABSTRACT

This Research has been chosen because of my interest in the two poets i.e. **Ibn Zaydoon** and **Abu al-ala'a Al-ma'arri** . It includes the poets lives and the circumstances they pass through . It tackles the artistic aspects in two representative poems of each poet . The last section includes the points of similarity and difference between the two poets . Two appendixes have been attached to show the two analyzed poems . The importance of this study lies in that it sheds light on aspects of the Eastern and Andalusia cultures and their effect on the poet's life and ideas .

الاحتلال البريطاني الثاني للعراق عام ١٩٤١

أ.د. عبد الرحيم ذوالنون زويد

جامعة الانبار / كلية الآداب

مُقَدِّمَة

خضع العراق في النصف الأول من القرن العشرين لاحتلاليين بريطانيين، الاول عند قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ والثاني خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١.

والاحتلال الثاني عبر عن أهمية العراق بالنسبة لبريطانيا خلال الحرب الثانية، وأعطى دليل بان معاهدة ١٩٣٠ قد خرقت من قبل بريطانيا.

قسمت الدراسة إلى مبحثين الأول "" تطور العلاقات العراقية البريطانية مابين ١٩٣٩-١٩٤١ والثاني الاحتلال البريطاني للعراق. اعتمد الباحث على بعض الوثائق غير المنشورة مع مصادر ومذكرات سياسيين عاصروا أحداث الانتفاضة.

ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

تطور العلاقات العراقية – البريطانية ١٩٣٩-١٩٤١.

أولاً: موقف الحكومة العراقية من الحرب العالمية الثانية.

عند الكلام عن العلاقات العراقية البريطانية يعني الاشارة الى معاهدة ١٩٣٠ التي وقعت بين الجانبين في ٣٠ حزيران ١٩٣٠. وقد عدً كل من الملك فيصل ونوري السعيد رئيس الوزراء المعاهدة خطوة نحو الاستقلال. بينما عدها الوطنيون صكا انتدابياً لانها صاغت الاستقلال من مواد الانتداب(١).

ودخلت المعاهدة حيز التطبيق بعد اعلان الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩ والعراق بعيد عن ساحة الحرب، والجيش العراقي ليس لديه خطط للحرب، اما بريطانيا فقد وضعت في حسابها الحفاظ على العراق باي وسيلة، ولاجل ذلك اتصل السفير البريطاني بازل نوتين Bazal Notein يوم ٣ ايول بوزيرة الخارجية علي جودت طلبا منه معرفة موقف العراق من الحرب(٢).

وفي يوم ٥ ايلول ١٩٣٩ اجمع مجلس الوزراء برئاسة نوري السعيد وصدر قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا. في الوقت الذي كان فيه السفير يأمل اعلان الحرب على المانيا وهذه كانت رغبة نوري السعيد. لكن الجيش حال دون ذلك(٣). ان هذا الموقف العراقي ازعج بريطانيا التي مارست ضغوطاً على الحكومة العراقية لإعلان الحرب على المانيا.

وعلى كل حال فان نوري السعيد قد فشل في جر العراق الى الحرب. لذلك قدم استقالته في ٢٨اذار ١٩٤٠. وتم تكليف رشيد عالي الكيلاني الوزراة التي شكلها في ٣١ اذار ١٩٤٠. ولتطورات الموقف العسكري لصالح المانيا بسقوط باريس يوم ١٠ حزيران ١٩٤٠. ودخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا. طلب السفير البريطاني من الحكومة العراقية قطع علاقاته الدبلوماسية مع ايطاليا، لكن مجلس الوزراء العراقي

اصدر قرار التريث لان الموقف الحربي لصالح المانيا، اضافة على قوة الشعور المعادي لبريطانيا في العراق(٤).

هذا الموقف العراقي دفع بريطانيا الى فرض عقوبات اقتصادية على العراق وحذرت الخارجية البريطانية العراق من تردده في قطع العلاقات مع ايطاليا(٥). اما رشيد عالي فقد اكد على التزامه بمعاهدة ١٩٣٠ وان مصلحة العراق تتطلب الوقوف على الحياد(٦).

اثارت سياسة الحياد بريطانيا وزاد انزعاجها عندما علمت بوجود اتصالات سرية بين العراق ودول المحور. لهذا بدأت بريطانيا تلوح باستخدام القوة ضد العراق لتحقيق ماتصبوا اليه. واتخذت من الحرب ذريعة لها.

وبدأت الخطوة الاولى عندما طلب السفير البريطاني من الحكومة العراقية يوم ١٢ حزيران ١٩٤٠ انزال قوات بريطانية في البصرة للتوجه الى حيفا فوافقت الحكومة على انزال القوات بموجب معاهدة ١٩٣٠(٧).

وفي برقيتها للسفارة البريطانية ببغداد في ٥ تموز ١٩٤٠ اوضحت الخارجية البريطانية ان نوايا بريطانيا من ارسال قواتها الى العراق ليست للمرور(٨) وانما للبقاء لتكوين قاعدة عسكرية لها(٩).

ومن الجدير بالملاحظة ان بريطانيا مارست اضافة الى الضغط السياسي الضغط الاقتصادي، فامتنعت من شراء التمر العراقي كما جمدت حصة العراق من العملة الصعبة ورفضت تزويد العراق بالاسلحة(١٠) ليس هذا فحسب بل عملت على اسقاط وزارة رشيد عالي يؤيدها في ذلك الوصي عبد الاله ونوري السعيد وزير الخارجية. وعند اجتماع مجلس النواب يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ تعرضت الوزارة الى معارضة منظمة تطالب باستقالة الوزارة الا ان رشيد عالي وبتاييد من الجيش

طلب بحل المجلس وكتب الادارة الملكية لعرضها على الوصي الذي رفض توقيعها(١١)

ولإحراج حكومة رشيد عالي هرب الوصي الى الديوانية – مقر قيادة الفرقة الثالثة بعدها قدم رشيد عالي استقالة وزارته يوم ٣١ كانون الثاني ١٩٤١(١٢).

ثانياً: **انقلاب ا نيسان ١٩٤١**.

شكل طه الهاشمي الوزراة التي لاقت ارتياح البرلمان وقادة الجيش. واعلن الهاشمي ان سياسة حكومته الخارجية لاتختلف عن الوزارات السابقة(١٣). ولهذا لم تتحسن العلاقات العراقية البريطانية. لان حكومة الهاشمي لم تقطع العلاقات مع ايطاليا في الوقت الذي كان فيه الموقف العسكري البريطاني سيء في منطقة البلقان. لاجل ذلك طلب السفير البريطاني من حكومته اتخاذ اجراءات عاجلة ضد حكومة الهاشمي(١٤).

وفي لقاء توفيق السويدي وزير الخارجية مع انتوني ايدن A. Eden وزير الخارجية البريطاني في القاهرة يوم ٦ اذار ١٩٤١. قدم السويدي جملة مقترحات هي:-

١- تجهيز الجيش العراقي باسلحة حديثة.
٢- قبول ضباط عراقيين في كليات ومؤسسات بريطانية عسكرية.
٣- مد العراق ببعض القروض اللازمة لتخفيف الازمة الاقتصادية.
٤- اتباع بريطانيا سياسة ملائمة مع العراق تهدي الرأي العام وتقنعه بانها دولة حليفة للعراق.

ورد ايدن بان بريطانيا لاتزود الاسلحة الا لمن يتعاون معها في الحرب وان الجيش العراقي بعيدا عن التعاون(١٥). وعن تلك المقابلة اوضح السفير البريطاني في القاهرة مايلز لامبسون M. Lampsom ان ايدن اوضح للسويدي ان العلاقات مع

العراق غير مرضية بسبب وجود السفارة الايطالية. وان العراق لم يتصرف كصديق. لذلك من المستحيل تزويد العراق بالعملة الصعبة. ورد السويدي ان مسألة قطع العلاقات حساسة وانها اكثر صعوبة اذا ما شعر الجيش بان قطع العلاقات كان بطلب من بريطانيا وان المسألة بحاجة الى وقت لكي يحاول اقناع الجيش بوجهة نظره(١٦).

لقد مارس السفير البريطاني وعبد الاله ضغطا على الهاشمي لحمله على قطع العلاقات مع ايطاليا. لذلك اجتمع الهاشمي بقادة الجيش ليعلمهم ما تريده بريطانيا لكن العسكريون رفضوا ذلك. ولهذا اصدر الهاشمي بصفته وزيراً للدفاع يوم ٢٦ اذار ١٩٤١ قراراً بنقل العقيد كامل شبيب من قيادة الفرقة الاولى في بغداد الى الديوانية، لكن كامل شبيب رفض تنفيذ القرار(١٧).

واستغل رشيد عالي الفرصة فاجتمع بالعقداء الاربعة وبحضور يونس السبعاوي وابلغهم بان الهاشمي قد خانهم. لذا قرر العسكريون التخلص من الهاشمي قبل ان يشتت شملهم. لذلك اجتمعوا بحضور رشيد عالي مساء الاول من نيسان في معسكر الرشيد وقرروا اعلان حالة الطوارئ في المعسكر للقيام بعمل عسكري ضد وزارة الهاشمي(١٨).

واكد السفير البريطاني الجديد في بغداد كورنو اليس Cornw Llis على ان العسكريين سيطروا على بغداد دون أي مقاومة واجبروا طه الهاشمي على توقيع كتاب الاستقالة وكان في نيتهم اجبار الوصي على الاستقالة او التخلص منه(١٩).

وبعد الاستقالة اتصل الهاشمي هاتفياً بالوصي ليخبره بالانقلاب العسكري وتقديمه الاستقالة تحت التهديد وحمل فهمي سعيد وامين زكي كتاب الاستقالة الى الوصي، الا ان متصرف بغداد جلال خالد اخبرهما بهروب الوصي الى جهة مجهولة(٢٠). هي السفارة الامريكية التي لجأ اليها بعد خروجه من القصر ليلا متنكراً،

وفي الصباح نقله السفير الامريكي بسيارة السفارة الى قاعدة الحبانية، حيث التقى فيها بالسفير البريطاني الجديد كورنو اليس الذي طمأنه وايده بالذهاب الى البصرة بعد تزويده بالتوجيهات والاموال اللازمة(٢١).

وعلى هذا الاساس، توجه عبدالاله يوم ٢ نيسان الى البصرة والسفير البريطاني الى بغداد ،وحال وصوله التقى توفيق السويدي وزير الخارجية بحكومة الهاشمي وحرضه على مقاومة الحركة العسكرية(٢٢). وعندما نشرت الصحف يوم ٣ نيسان استقالة طه الهاشمي استلم رشيد عالي الحكومة باسم حكومة الدفاع الوطني. وشكل مجلس الدفاع الوطني برئاسته(٢٣). وفي البصرة اخفق عبد الاله في تأليف معارضة لحكومة الدفاع الوطني. لذلك لجأ الى الدارعة البريطانية في شط العرب التي اقلته الى فلسطين(٢٤).

لقد عدت بريطانيا عودة الكيلاني الى الحكم تهديدا لمصالحها في العراق، لاجل ذلك اخذت تخطط للقضاء على حكومة رشيد عالي باستخدام القوة العسكرية لان رشيد عالي ربما سيدفع العراق نحو المعسكر المعادي لبريطانيا وبدأت الاخيرة تبحث عن حجة للتدخل في شؤون العراق فوجدت من مرور القوات البريطانية عبر العراق بموجب معاهدة ١٩٣٠ غايتها(٢٥). وفعلا بدأت القوات المحمولة جوا في الوصول الى البصرة يوم ١٧ نيسان. اما القوة البحرية فقد وصلت يوم ١٨ نيسان وعسكرت في موقعين وزودت بتعليمات عسكرية(٢٦).

وفي ١٩ نيسان ارسلت الحكومة العراقية مذكرة الى السفارة البريطانية تضمنت موافقة العراق على انزال القوات بهدف المرور بموجب الاتفاقية(٢٧). لقد اثارت المذكرة ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية الذي هدد باستخدام القوة كما ارسل تعليماته الى السفارة البريطانية جاء فيها ان القوات التي وصلت العراق سوف تبقى في البصرة قوة ضاربة عند الحاجة(٢٨). والاهم من ذلك ان السفارة البريطانية

طلبت من الحكومة العراقية يوم ٢٨ نيسان موافقتها على انزال قوات بريطانية اخرى يوم ٢٩ نيسان. وللرد على طلب السفارة عقد اجتماع في وزارة الخارجية ضم رشيد عالي والسفير البريطاني، ابدى فيه الاول عدم موافقة العراق على الانزال الا بعد انسحاب القوات التي انزلت في البصرة ورد السفير قائلاً " ان القوات ستنزل البصرة وان أي مقاومة ستكون لها نتائج خطيرة "[٢٩].

وبموجب هذه التطورات اجتمع مجلس الوزراء واصدر ما يلي :

١- موافقة مجلس الوزراء على قرار مجلس الدفاع الأعلى بعد السماح بإنزال القوة البريطانية ما لم تنسحب القوة السابقة.

٢- إبلاغ وزارة الدفاع باتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة[٣٠].

ومن ناحيتها ارسلت وزارة الخارجة العراقية مذكرة الى السفارة البريطانية طالبت فيها نقل القوة الموجودة في البصرة، لكن السفارة لم تعر اهمية للمذكرة العراقية فانزلت لواء مدرع يوم ٢٩ نيسان[٣١].

وقد سبق ذلك اجتماع مجلس الدفاع الاعلى يوم ٢٨ نيسان ناقش اقتراحاً قدمه العقيد فهمي سعيد ودعى فيه الى احتلال قاعدة الحبانية خلال (٢٤) ساعة، ولاقى الاقتراح تأييد العسكريين. وبعد نقاش طويل اصدر المجلس قرار خول فيه السلطات العسكرية القيام باجراء الترتيبات العسكرية اللازمة بهذا الشأن[٣٢].

وعلى هذا الاساس ارسلت قوات عسكرية الى الفلوجة والرمادي، لكن قائد القوة العسكرية العقيد فهمي سعيد سيطر على التلال المحيطة لقاعدة الحبانية كاجراء عسكري مضاد للوجود البريطاني في البصرة. وكانت القوة مؤلفة من سرية دبابات وكتيبة مدفعية الية وبطاريتين مقاومة طائرات وعدد من المشاة قدر عددهم بـ (١٠٠٠٠) جندي[٣٣].

ثالثاً :انتفاضة العراق ١٩٤١.

عند وصول القوات العراقية الى الحبانية صباح يوم ٣٠ نيسان اصدر فهمي سعيد انذارا الى قائد القاعدة الجوية منع بموجبه تحليق الطائرات البريطانية وهدد باسقاطها. بالمقابل رفض امر القاعدة المارشال سمارت Smart الانذار وطالب بانسحاب القوات العراقية[٣٤].

هذه التطورات في الموقف العسكري في العراق اوضحها السفير البريطاني في برقيته يوم ٣٠ نيسان للخارجية البريطانية قائلاً " اذا قام العراقيون بهجمات ناجحة على الحبانية فاني اوافق على ان يعامل القائد العام في البصرة القوات العراقية كقوات معادية واذا فشلت الهجمات على الحبانية وانسحب الجيش العراقي نكون وقتها قادرين على اعادة عبد الاله للعرش"[٣٥]. ونبه السفير الى ضرورة بدأ الهجوم على القطاعات العراقية لهذا اعطت الحكومة البريطانية الصلاحيات لسفيرها في بغداد باتخاذ التدابير اللازمة ،و منها الهجوم الجوي الذي نفذه سمارت يوم ٢ ايار ١٩٤١ دون سابق انذار[٣٦].

وفي يوم العدوان اجتمع مجلس الوزراء واصدر عدة قرارات منها :

١- نشر بيان من قبل رئيس الوزراء يوضح فيه العدوان البريطاني.

٢- اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا.

٣- اقامة علاقات سياسية مع الاتحاد السوفيتي[٣٧].

وهكذا قامت الحرب التي بدأتها بريطانيا كما يقول صلاح الدين الصباغ لانهم يريدون توجيه سياسة العراق وفق مصالحهم الاستعمارية .فكان لابد للجيش من الدفاع عن شرفه ووطنه[٣٨]. وقد استمرت المعارك حول الحبانية مدة اسبوع انسحبت بعدها القوات العراقية نحو الفلوجة. لان القوات العراقية قاتلت دون غطاء جوي[٣٩].

وفي البصرة استولى القائد فريزر Frezer على منطقة الفاو يوم ٧ ايار وادى الاحتلال الى فقدان الامن. وشكلت يوم ١٧ ايار لجنة الامن في البصرة من صالح

باشا اعيان و محمد صالح الرديني ومصطفى سلمان و عبد الرزاق الامير والحاج محمد المعتوق مهمتها المحافظة على ادارة مدينة البصرة. واستمرت اللجنة في عملها الى يوم ٢٤ ايار عندما وصل جميل المدفعي الى البصرة مندوبا من عبد الاله لادارة اعمالها[٤٠].

ومن التطورات المهمة خلال العدوان البريطاني اعادة العراق لعلاقاته الدبلوماسية مع المانيا. كما ان هتلر Hitler قد قرر اسناد العراق بسرعة ومده بالاسلحة الموجودة في سوريا ولبنان[٤١] وفي نفس الوقت ارسل العراق ناجي السويدي الى الرياض للاجتماع بابن سعود. وعند اللقاء نصح ابن سعود السويدي بالتفاهم مع بريطانيا قائلا " يا ولدي ان مجاورة الاسد الشبعان خير من مجاورة النسر الجوعان " واضاف ان مصلحة العرب تكمن في التعاون مع بريطانيا[٤٢].

ولاجل القضاء على انتفاضة العراق قررت بريطانيا ارسال قوة من فلسطين لدعم قواتها في العراق استنادا للبرقية التي ارسلها تشرشل الى الجنرال ويفل Weevli يوم ٤ ايار قائلا" ليس في الامكان تجنب التدخل في العراق لانه على بريطانيا ان تجعل البصرة قاعدة اساسية بغية المحافظة على نفط ايران" وايدت رئاسة الاركان خطة تشرشل فارسلت برقية الى ويفل يوم ٦ ايار التسوية عن طريق المفاوضات لايمكن التسليم بها[٤٣] وفي ١١ ايار ابرقت وزارة الحرب البريطانية الى ويفل قائلة " انه من اللازم الاستمرار في حرب القوات العراقية بشدة وعلى التوالي كلما امكن ذلك وبجميع الوسائل قبل وصول المساعدات الالمانية، والتي سيؤثر وصولها بلا شك على الموقف العراقي الذي ازداد تصلباً[٤٤].

وقد استجاب ويفل لما اراده تشرشل وكتب اليه قائلاً" اذا سارت الامور سيرا حسناً في الصحراء الغربية فساحوال تحريك قوات اضافية من هناك الى فلسطين للزحف على العراق وسنحاول تصفية القضية العراقية المتعبة بسرعة[٤٥].

وهكذا تدخلت بريطانيا عسكريا للقضاء على انتفاضة العراق حسب الخطة المقررة وهي ارسال قوة بريطانية من فلسطين بقيادة الجنرال كلارك Clerk الى الحبانية على ان تسبقها قوة بقيادة كنجستون Kingstone[٤٦].

وشارك الجيش الاردني بوحدتين بقيادة كلوب Glubb القوات القادمة من فلسطين. لكن احداها تمردت عند محطة النفط في H.3 ورفضت الاشتراك في الحملة وهددت باطلاق النار على ضباطها البريطانيين[٤٧]. واعترف رشيد عالي بان العراق خسر المعركة لتدخل كلوب بقواته، لانه طعن الجيش العراقي من الخلف[٤٨].

وتطوعت للقتال مع القوات البريطانية العصابات الصهيونية في فلسطين متمثلة بالمنظمة الارهابية ((منظمة الارجون زفاي ليومي)) المنظمة العسكرية القومية بقيادة دافيد رازيل الذي قتل على يد القوات العراقية في الحبانية[٤٩].

كان الهدف الاول للقوات البريطانية مدينة الرطبة التي دخلتها ليلة ١٠-١١ ايار بعد قصفها بالطيران.اضطر بعدها فوزي القاوقجي – قائد المقاومة الشعبية – وقواته بالانسحاب من الرطبة وبذلك فقد الامل في تأسيس قاعدة عسكرية تمنع تقدم القوات البريطانية الى الحبانية الى وصلتها يوم ١٨ ايار ١٩٤١[٥٠].

ومن قاعدة الحبانية تقدمت القوات البريطانية باتجاه الفلوجة التي احتلتها يوم ١٩ ايار، وفي الفلوجة انقسمت القوات البريطانية الى قسمين، القسم الرئيسي بقيادة كلارك الذي اتجه الى بغداد مع الطريق العام. اما القسم الاخر فكان بقيادة كلوب الذي اتجه الى بغداد من ناحية الشمال – طريق سامراء بغداد– كي يقطع طريق الامدادات العسكرية القادمة الى بغداد من الموصل، وبالفعل دمرت هذه القوة خط سكة الحديد قرب سامراء واحتلال منطقة المشاهدة[٥١].

اما الطريق الرئيسي الى بغداد فقد اغرق بمياه الفيضانات مما اعاق تقدم القوات البريطانية التي توقفت يوم ٢٩ ايار في منطقة خان ضاري. وفي ٣٠ ايار

تقدمت القوات بصعوبة وتوقفت قرب قناة الوشاش[٥٢] وفي نفس الوقت ابلغ كلاك ان رشيد عالي والقادة العسكريين غادروا بغداد يوم ٢٩ ايار ، وطلبت وزارة الدفاع من مجلس الوزراء تشكيل لجنة باسم ((لجنة الامن الداخلي في العاصمة ضد الطوارئ)) برئاسة ارشد العمري امين العاصمة. ووافق الكيلاني على الاقتراح[٥٣].

المبحث الثاني

الاحتلال البريطاني للعراق

اولاً: الهدنة بين العراق وبريطانيا

اعلنت لجنة الامن الداخلي المؤلفة برئاسة ارشد العمري وعضوية حسام الدين جمعة مدير الشرطة العام، وخالد الزهاوي متصرف بغداد، والزعيم الركن حميد نصرت ممثل وزارة الدفاع تحملها مسؤولية الحكم والاتصال ببعض السياسين والعسكريين. واتفق الجميع على انهاء القتال وعقد هدنة مع الجيش البريطاني تحفظ للجيش العراقي كرامته وللعراق استقلاله[٥٤]. كما اجرت اللجنة اتصالات بالهيئات الدبلوماسية في بغداد ودعتها للحضور الى امانة العاصمة. وقد لبى الدعوة الوزراء المفوضون لامريكا وتركيا ومصر والسعودية. وايد الجميع الفكرة ووعدوا بالتوسط لتحقيق مطالب العراق المشروعة[٥٥].

وفي ٣٠ ايار قابلت اللجنة السفير البريطاني وعرضت عليه طلب الهدنة ووقف القتال. فوافق السفير الذي ابرق الى القيادة العليا البريطانية بخصوص ذلك. واشار السفير في رسالة له للقائد العسكري في البصرة ان اللجنة اوصت بان تكون شروط الهدنة مشرفة، والا فان الجيش العراقي سيستمر في القتال ولن يلقي سلاحه، واضاف نحن لانريد حرب شوارع في بغداد[٥٦].

واقترح الجنرال ويفل Weevil للسفير البريطاني ان يقدم الاخير والجنرال كلارك شروط الهدنة وفق الاسس الاتية :-

١- يعود عبد الاله الى بغداد ويؤلف حكومة صديقة.
٢- ان لايطلب من الجيش العراقي القاء سلاحه بشرط ان يؤكد ولاءه لعبد الاله.
٣- يجب استئناف المواصلات مع البصرة.
٤- يكون من حق القوات البريطانية ان ترابط في النقاط الاستراتيجية في العراق.
٥- احصاء احتياطات وقود الطيران في العراق واستلامها.
٦- الطلب الى الجيش العراقي بعدم تخريب منشئات النفط في كركوك وخانقين.
٧- يرحل اعضاء البعثة الايطالية، والقبض على جميع الالمان والايطاليين الموجودين في العراق.
٨- اعادة رفع العلم البريطاني في السفارة البريطانية باحتفال رسمي[٥٧].

وقد ابرق السفير البريطاني شروط الهدنة الى لندن. كما سلمها امين العاصمة ومعاون رئيس اركان الجيش اللذان اخذهما الى وزارة الدفاع لمناقشتها من قبل كبار ضباط الجيش مع اعضاء لجنة الامن الداخلي. وفي يوم ٣١ ايار ذهب الى السفارة البريطانية ارشد العمري وبعض ضباط الجيش لمناقشة شروط الهدنة مع السفير البريطاني، لتغيير بعض النصوص لتبدو الهدنة كما لو كانت اتفاق متبادل.

وبعد المناقشة وقع الضباط الثلاثة (اللواء اسماعيل نامق والزعيم الركن حميد نصرت والعقيد الركن نور الدين محمود) الهدنة نيابة عن الجيش يوم ٣١ ايار ١٩٤١[٥٨] والتي اكدت على ما يلي:-

١- توقف في الحال جميع الاعمال العدائية.
٢- يسمح للجيش العراقي الاحتفاظ بجميع اسلحته. والعودة في الحال الى المراكز التي كان يرابط فيها.
٣- يطلق على الفور جميع اسرى الحرب البريطانيين من الجنود والطيارين والمدنين.
٤- يعتقل جميع الموظفين المعادين من المان وايطاليين.

٥- يخلي الجيش العراقي مدينة الرمادي وما جاورها على ان يتم الاخلاء في الساعة الثانية عشر ظهر اول حزيران.
٦- تمنح على الفور جميع التسهيلات للسلطات العسكرية البريطانية (سكك الحديد والطرق البرية والنهرية).
٧- يمكن تسليم اسرى الحرب العراقيين الذين اسرتهم القوات البريطانية الى الضباط الذين ينتخبهم الوصي[٥٩].

وفي يوم ١ حزيران ١٩٤١. اعلن عن عودة عبد الاله يرافقه نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت، في نفس الوقت الذي دخلت فيه القوات البريطانية بغداد. خرج اليهود لاستقبال عبد الاله والقوات البريطانية للتعبير عن فرحهم لما جرى لرشيد عالي والقادة العسكريين. ليس هذا فحسب، بل كانوا يستهزئون من القوات العراقية المنسحبة مما ادى الى حدوث اشتباكات بين الجنود واليهود استمرت ليومي ١، ٢ حزيران بدأت في الكرخ وامتدت في اليوم التالي الى الرصافة نتج عنها اعمال سلب وقتل. ولم تتوقف الاحداث الا يوم ٣ حزيران وهو اليوم الذي كلف فيه جميل المدفعي تشكيل الحكومة الجديدة[٦٠].

ثانياً: مظاهر الاحتلال البريطاني

أولا انتشار القوات البريطانية والأجنبية

بعد فشل انتفاضة ١٩٤١ خضع العراق لاحتلال عسكري بريطاني، ووصف تقرير للشرطة العراقية صدر في ١٧ حزيران ١٩٤١ الحالة مشيرا الى ان العراق لا يتمتع باستقلاله وحريته كالسابق، وان تدخل بريطانيا في اموره قد ازاد. كما عملت بريطانيا على تجميد دور العراق السياسي والعسكري في المنطقة العربية. فضلا الى حصول بريطانيا على امتيازات واسعة في العراق اكثر مما نصت عليه المعاهدة[٦١].

فقد ابلغ الجنرال ويفل السفير البريطاني يوم ٣ حزيران ١٩٤١. ان يطلب من الحكومة العراقية اتخاذ الاجراءات التالي:-
١- اتخاذ الاجراءات الضرورية المشتركة للدفاع.
٢- تكون بريطانيا مطلقة الحرية خلال الحرب بان تضع قواتها البرية والجوية في أي نقطة في العراق.
٣- تتخذ الحكومة العراقية خلال الحرب التدابير الفعالة لمراقبة الاجانب وتقيم رقابة على المخابرات.
٤- تمارس بريطانيا بالتعاون مع السلطات العراقية سيطرة عسكرية تامة على ميناء البصرة والقاعدة العسكرية وشط العرب[٦٢].

وقد ناقش مجلس الوزراء طلب السفارة البريطانية السابق، واصدر قراراً علق عليه كورنواليس في رسالته الى ايدن Eden وزير الخارجية قال فيه " لقد ترتب على القرار الخاص بقواتنا نتائج طيبة حتى الان، وتركت قواتنا في كل مكان دون اعتراض، وان اخبار التحركات العسكرية تبلغ الى وزير الدفاع العراقي عن طريق ضباط البعثة الاستشارية الذين يعملون كحلقة اتصال بين رئاسة القوات البريطانية ووزارة الدفاع العراقية[٦٣].

وكانت البصرة مركز التحشد البريطاني الرئيسي لانها اصبحت قاعدة عسكرية مهمة. وازدادت اهميتها في نظر البريطانيين والامريكان لانهم شعروا ان الحرب تتجه شرقاً. ولهذا احتلت بريطانيا العراق ، ولم تكن حكومة رشيد عالي الا حجة للتدخل بالقوة لانها فكرت باحتلاله منذ عام ١٩٤٠. لكن ظروفها العسكرية في مصر لم تسمح لها واشارت جريدة هيرالدتبيون ان احتلال بريطانيا للعراق ذو اهمية كبيرة على الرغم من فقدان بريطانيا جزيرة كريت[٦٤].

وقد انتشرت القوات البريطانية في بعض المدن العراقية كالموصل وكركوك والفلوجة وحديثة والرطبة. وكان منظر القوات البريطانية والهندية وهي تجوب شوارع بغداد اثارة على السكان. لذلك اقترحت الشرطة ان يكون مرور القوات البريطانية ليلاً[٦٥].

ودخلت العراق اضافة الى القوات البريطانية قوات استرالية وكندية ونيوزلندية فوصلت الموصل قادمة من حلب يوم ٢٠ اب ١٩٤١[٦٦]. وعززت بريطانيا قواتها في العراق بعد الهجوم البريطاني على ايران يوم ٢٥ اب ١٩٤١ بوحدات جوية حيث انشئت لها مطارات جديدة في شمال العراق. كما انشئت معسكرات جديدة وعبدت طرق استراتيجية وادخلت تحسينات على سكك الحديد، كما وسع ميناء البصرة بانشاء ارصفة جديدة[٦٧].

وعلى اثر الهجوم الالماني على الاتحاد السوفيتي في ١٩٤١/٦/٢٢ استعد البريطانيون لتقوية دفاعاتهم في شمال العراق. واعتبروا الموصل وكركوك وبغداد من ضمن المثلث الذي يجب الدفاع عنه. كذلك شكلت القيادة المشتركة للعراق وايران Peiforce التابعة بشكل مباشر لقيادة الدائرة الحربية وعين الجنرال ولسن Willson قائداً لها[٦٨].

وبعد قرار اعلان العراق الحرب على المحور ليلة ١٦ كانون الثاني ١٩٤٣ منح مجلس الوزراء الحصانات والامتيازات التي تتمتع بها القوات البريطانية لكل من القوات الأمريكية والبولندية المتواجدة في العراق[٦٩]. والتي كانت تثير الشعب العراقي الذي شاركته قوته اضافة الى تصرفات القوات البولندية. واقترح السفير البريطاني البدأ بنشر دعاية نيابة عن البولندين تكذب الاشاعة القائلة ان القوات البولندية تضم في صفوفها عناصر يهودية يجري تدريبها لغرض استخدامها في فلسطين[٧٠]. وحقيقة

الامر ان ما قيل عن القوات البولندية ليس باشاعة، فهذا مناحيم بيغن رئيس وزراء العدو الصهيوني في السبعينيات كان ضمن القوة البولندية[٧١].

ثانياً: مكاتب الارشاد

أسست السلطات البريطانية مكاتب للارشاد والثقافة تديرها دائرة العلاقات العامة في السفارة البريطانية ،و لها فروع في المدن العراقية، وكانت مهمة هذه المكاتب التشهير بدول المحور وبالسياسيين العراقيين المعارضين لبريطانيا خلال انتفاضة ١٩٤١. وبذلت من اجل ذلك الاموال بسخاء في نشر المجلات والجرائد وتوزيعها مجانا في المقاهي والنوادي. كما استعملت السينما المتجولة في بغداد والمدن العراقية للدعاية وعرض افلام عن انتصارات الحلفاء[٧٢].

وأقامت دائرة العلاقات حفلات ترفيهية في بغداد. واسست معاهد ثقافية لتدريس اللغة انكليزية في بغداد والموصل والبصرة، هدفها دعم النفوذ البريطاني واقامة علاقات مع بعض فئات المجتمع العراقي من ذوي النفوس الضعيفة والتي عرضت خدماتها للبريطانيين واعترف السفير البريطاني في رسالته الى خارجيته قائلاً " وبعد فترة طولية من خطر الاقتراب من السفارة البريطانية يأتي لزيارتي بعض رؤوساء العشائر وغيرهم من انحاء العراق "[٧٣].

وفي مدة الاحتلال رافق العمل الدعائي لبريطانيا عودة المستشاريين البريطانيين الى الوزارات العراقية، واسندت لهم وظائف مهمة باعتبارهم مستشاريين او ضباط ارتباط في مراكز الالوية مهمتهم الاتصال بالعشائر والاقطاعين وحل مشاكلهم واثارتهم حسب الظروف[٧٤].

ثالثاً: جمعية اخوان الحرية

لم يمض عام على اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث باشرت المخابرات البريطانية بتأسيس جمعية اخوان الحرية في بعض الاقطار العربية لبث الدعاية

للحلفاء في الحرب واتخذت من لندن مركزاً لها. اما التمويل والاشراف فهو من مهمة وزارة الاعلام البريطانية[٧٥].

وكانت البداية لهذا النشاط في عدن، عندما اسست اول مجموعة تحمل اسم " اصدقاء الحرية " في صيف ١٩٤٠ وفق مبدأ " السعادة في العطاء اكثر من السعادة في الاستلام " وفي خريف ١٩٤٠ اسست فريا ستارك Fry-Stark فروعا للجمعية في القاهرة ومدن مصرية اخرى وفق خطة نفذها الميجر سكيف Mager Scaife مراقب عام الجمعية في البلاد العربية[٧٦].

اما العراق فلم تؤسس فيه تشكيلات للجمعية في الوقت الذي شكلت في عدن ومصر لعوامل يمكن اجمالها بما يلي:

١- سوء الوضع العسكري للحلفاء بعد سقوط باريس في ١٠ حزيران ١٩٤٠.
٢- دخول ايطاليا الحرب بجانب المانيا يوم ١١ حزيران ١٩٤٠.
٣- النشاط القومي في العراق كان في اوج قوته ممثلاً بنادي المثنى والقادة الاربعة اضافة الى وجود وزارة وطنية بقيادة رشيد عالي الكيلاني.
٤- دور الشعب العراقي في الوقوف بوجه بريطانيا، وهذا ما اكده السفير البريطاني بقوله " ان شعب هذه البلاد صعب المراس لدى التعامل معه من شعوب اخرى كشعب مصر او شعب بلاد شرق البحر المتوسط " كما ان فريا ستارك مؤسسة الجمعية في العراق اعترفت بمذكرتها المؤرخة في ١٣ تموز ١٩٤٤ عن صعوبة العمل في العراق اذ تقول " لم يكن لي شك ولو للحظة في امكانية الاقناع. ولكن المشكلة كانت في البداية مع الاقناع الحقيقي " واضافت قائلة " بانها القت بعض البذور في ارض شوكية " وان عملها في العراق صعب مما هو في مصر. لذلك فانها تحتاج الى شجاعة اكثر لكي تخلق حالات ترابط بين العراق وبريطانيا، لان

العداء لبريطانيا لايمكن تجاهله. وادعت ستارك ان الدعاية النازية قد انغمست في نفوس العراقيين، وان اذاعة برلين تسمع في كل المقاهي[٧٧].

وقد افتتحت الجمعية نادي اخوان الحرية في بغداد يوم ١٨ نيسان ١٩٤٤ وحضر حفل الافتتاح رئيس الوزراء نوري السعيد والسفير البريطاني وعدد من الوزراء والنواب والقائد العام للقوات البريطانية في العراق وايران[٧٨].

ومن الجدير بالذكر ان الحركة الوطنية العراقية عارضت جمعية اخوان الحرية، لانها مركزاً للجاسوسية البريطانية بينما ايد الحزب الشيوعي كل نشاط بريطاني في العراق. واصدر تعليماته الى الاعضاء البارزين الى المشاركة الفعلية في نشاط اخوان الحرية. واستجابوا لذلك وابرز من انظم اليهم عزيز شريف وناظم الزهاوي وشريف الشيخ[٧٩].

رابعاً: سياسية إضعاف الجيش

كان الجيش العراقي مفخرة العراق والامة العربية. لكن هذا الجيش تعرض الى تصفية تكاد تكون كاملة بعد اخفاق انتفاضة ١٩٤١ على يد بريطانيا وعملائها بعد تجريده من القيادة الكفوءة وروح القتال[٨٠]. لقد عارض نوري السعيد فكرة حل الجيش خوفا من نقمة الجيش والشعب عليه، لكنه تعهد باضعافه عن طريق تقليل ملاكه والغاء التجنيد الاجباري. هذا ما عبر عنه السفير البريطاني قائلا" عكف نوري السعيد على اصلاح الجيش بنفسه فتراخى التجنيد خارج المدن وتم تصفية الجيش من الضباط الغير مرغوب فيهم"[٨١]. وبالمقابل اعيد للجيش العراقي اواخر عام ١٩٤١ الضباط الاستشاريين الذين سيطروا سيطرة تامة على الجيش العراقي[٨٢]. ومع كل هذا لم تبد الخارجية البريطانية وسفارتها ارتياحا لما يقوم به نوري السعيد وعلل ذلك موريس بيترسون Maurice Peterson في الخارجية البريطانية قائلاً " ان كل مجموعة من الضباط تبدو وكانها مصابة بعدوى كراهية كل ما هو بريطاني " واقترح

بيترسون الحل وهو " تسريح الجيش العراقي فوراً او عند اول بادرة مواتية لنا ونسمح للعراقيين ببعض الافراد كقوة لمواجهة القبائل"[٨٣].

وعلى كل حال فقد اقترحت الخارجية البريطانية تخفيض الجيش العراقي ليصبح عدد افراده ما بين ١٠٠٠٠- ١٥٠٠٠ ضابط وجندي. وطلبت الخارجية البريطانية بعد هذا التخفيض ان يتمركز الجيش العراقي في الاماكن التي لايستطيع منها النيل من القوات البريطانية[٨٤].

لم يؤيد السفير البريطاني في بغداد فكرة تخفيض القوات العراقية بهذا الشكل ففي رسالته السرية الى الخارجية البريطانية بتاريخ ٨ ايار ١٩٤٢ قال كورنواليس " اني لا ادافع عن الجيش العراقي، وان تخفيض الجيش نكسة مفاجئة للسياسة الحالية والتي اخشى ان تكون لها ردود فعل على علاقتنا مع العراق، لان الشعب العراقي ينظر الى جيشه كونه مظهرا من مظاهر الاستقلال الوطني"[٨٥].

يبدو مما تقدم ان فكرة بريطانيا بتنفيذ هذه السياسة تجاه الجيش العراقي لها علاقة بالحركة الصهيونية التي خططت مع بريطانيا لاقامة كيانها على ارض فلسطين. وهذا يتطلب اضعاف الجيش العراقي لانه يشكل خطرا حقيقيا على الحركة الصهيونية وما حرب ١٩٤٨ الا دليل على ذلك.

خامساً: مقاومة الحركة الوطنية

بعد تكليف جميل المدفعي تأليف الوزارة يوم ٣ حزيران ١٩٤١ اصدر عددا من المراسيم والاحكام العرفية على ايقاف الاعمال التي نفذتها حكومة الدفاع الوطني ووزارة رشيد عالي الكيلاني[٨٦]. واول خطوة اتخذتها الوزارة طرد المدرسيين الفلسطينيين والسوريين العاملين في العراق لان بريطانيا عدت ماحدث في ايار ١٩٤١ سببه هؤلاء المدرسين. ومع كل ذلك فان السفير البريطاني لم يرض على وزارة المدفعي من خلال تقريره الى الخارجية البريطانية " اثبت المدفعي وزملاؤه الوزراء

على عجزهم في معالجة الموقف الداخلي. ودعا الى اجراءات حاسمة ضد الوطنيين الذين سماهم دعاة المحور[٨٧]. وتدخل البلاط في شؤون الوزارة، وبذلك التقى عبد الاله مع بريطانيا في الضغط على المدفعي باتباع سياسة العنف والانتقام ،التي لم يحبذها المدفعي[٨٨]. ولهذا قدم المدفعي استقالة وزارته التي قبلت يوم ١٩٤١/١٠/٧،، وكلف نوري السعيد يوم ١٩٤١/١٠/٩ بتأليف الوزارة التي اعتبرها السفير البريطاني وزارة نموذجية، وانها ستقدم خدمات اكثر لبريطانيا، وان الوضع في العراق انقلب كما يقول السفير لصالحنا، واذا ما تهيأت لنا الاوضاع المادية والسياسية ضمن الميسور الاستيلاء على البلاد[٨٩].

وعلى هذا الاساس اتبع نوري السعيد سياسة القوة على الذين ايدوا او اشتركوا مع رشيد عالي والذين لم يحاسبوا خلال وزارة المدفعي. فاعتقل الكثير من قادة الحركة الوطنية والذين ارسلوا الى معتقل الفاو. وعلق السفير على هذه الاجراءات بقوله " ان نوري السعيد اكفأ من سلفه فقد حشد اعداد كثيرة من الذين ينفثون سمومهم عداوة لبريطانيا في معتقل الفاو"[٩٠] ولكثرة المعتقلين افتتحت الحكومة معسكرين للاعتقال احدهما في السلمان والاخر في العمارة[٩١].

ومع كل ما قدمه نوري السعيد فان الخارجية البريطانية اشارت في رسالة لها لسفارتها في بغداد الى ان الوزارة لم تعمل ما فيه الكفاية. واقترحت الخارجية على السفارة ارسال مجموعة من الشرطة البريطانية الى بغداد من ذوي الخبرة في شؤون الشرق برئاسة الكسندر كين- بويد Alexender Keown Boyed. بعد الاستغناء عن وظيفته في القاهرة. للتعرف على العناصر المعادية لبريطانيا. لكن السفير البريطاني لم يؤيد الاقتراح لان كين – بويد لا يستطيع التاثير على الجانب العراقي لجهله بالاوضاع والشخصيات المحلية[٩٢].

اضافة لما تقدم، اجرت وزارة نوري السعيد محاكمة رشيد عالي ووزارته والعقداء الاربعة في اواخر شهر تشرين الثاني ١٩٤١. وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٢ طلبت الحكومة العراقية من السفارة البريطانية استلام المنجزين في رودسيا والذين جرت محاكمتهم امام المجلس العرفي الذي اصدر يوم ٤ ايار ١٩٤٢ حكم الاعدام شنقا على العقيد فهمي سعيد والعقيد محمود سلمان ويونس السبعاوي، وفي اليوم التالي نفذ حكم الاعدام بهم(٩٣).

الخاتمة:

مما تقدم يسجل الباحث عدة استنتاجات وهي:

١- الاحتلال البريطاني الثاني اكده تقرير رسمي عراقي، كما اكده السفير البريطاني كورنو اليس.

٢- هناك اعتراف صريح من قبل السفير البريطاني و فريا ستارك على صعوبة العمل في العراق، كما ان بريطانيا فشلت في كسب ود العراقيين.

٣- بالرغم من تحمس بريطانيا في اعلان العراق الحرب على المانيا عام ١٩٣٩، لم يستمر هذا الحماس بعد الاحتلال البريطاني في حزيران ١٩٤١. وعلى هذا الاساس لم تطلب السفارة البريطانية في بغداد من العراق اعلان الحرب على المحور، لان ما سعت له بريطانيا قد تحقق وهو الاحتلال.

٤- اصبح العراق مسرحاً لقوات متعددة الجنسيات مع نشاط الحركة الصهيونية في العراق.

٥- الاحتلال البريطاني للعراق خدم الحركة الصهيونية على اقامة كيانها على ارض فلسطين عام ١٩٤٨.

المصادر:

(١) إسماعيل احمد ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، بيروت ١٩٧٢ ص١٢.

(٢) علي جودت: ذكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨، بيروت ١٩٦٧ ص٢٣٥.

(٣) طه الهاشمي: مذكرات طه الهاشمي، بيروت ١٩٦٣ ص٣١٥، وينظر مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة اخر ساعة ١٩٥٧.

عارض مجلسي النواب والأعيان قرار مجلس الوزراء. لان نوري السعيد لم يعط الوقت الكافي للسياسة لمعرفة نتائج القرار. ينظر نجدة فتحي صفوت. العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، بيروت ١٩٦٩ص١٤٩.

(٤) ناجي شوكت: سيره وذكريات ثمانون عاماً، بيروت ١٩٧٥ ص ٣٨٩، رشيد عالي: المصدر السابق.

(٥) عبد الرحيم ذوالنون زويد: العراق في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٢.

(٦) رشيد عالي: المصدر السابق.

(٧) الكتاب الأبيض: اعداد وتقديم نجم الدين السهروردي، بغداد ١٩٦٦ ص ٣٤.

(٨) زويد: المصدر السابق ص٦٦.

(٩) صلاح الدين الصباغ: فرسان العروبة في العراق، دمشق ١٩٥٦ ص١١٤.

(١٠) نفس المصدر ص١٣٩.

(١١) مديرية الرعاية العامة: خطاب الوصي عبد الاله عن العرش، بغداد ١٩٤١ ص١٣.

(١٢) جعفر عباس حميدي: التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣ النجف١٩٧٦ ص٣٣.

(١٣) محاضر جلسات مجلس النواب الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٠ ص ١٧٦.

(١٤) زويد: المصدر السابق ص٩٦.

(١٥) توفيق السويدي: مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والمنطقة العربية،بيروت ١٩٦٩ ص ٣٣٦-٣٣٨

(١٦) زويد: المصدر السابق ص١٠١.

(١٧) عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ج٥،ط٤ بيروت ١٩٧٤، ص٢٢١.

(١٨) نفس المصدر ص٢٢٦.

(١٩) زويد: المصدر السابق ص١٠١.

(٢٠) عبد الرزاق الحسني: الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية صيدا ١٩٧١ ص١٠٦.

(٢١) ياغي: العدد السابق ص ٩٤-٩٥.

(٢٢) السويدي: المصدر السابق ص٣٤٩.

(٢٣) يقول السفير البريطاني: ان حكومة الدفاع الوطني هي حكومة العقداء الاربعة. ينظر زويد: المصدر السابق ص١٠٤.

(٢٤) بعد وصول خبر هروب عبد الاله الى فلسطين. استدعى الكيلاني البرلمان للاجتماع يوم ١٠ نيسان وصوت الاعضاء بابعاد عبد الاله وانتخاب الشريف شرف وليه للعهد. ينظر .

(٢٥) الحسني: تاريخ الوزارات ج٥ ص٢٦٤.

(٢٦) زويد: المصدر السابق ص١١٥.

(٢٧) ينظر الى الاسس في الكتاب الابيض ص٢٣.

(٢٨) زويد: المصدر السابق ص١١٧.

(٢٩) نفس المصدر ص١١٩.

(٣٠) الكتاب الابيض: المصدر السابق ص١١٩.

(٣١) ستيفن همسلي لونكرك: العراق ١٩٠٠-١٩٥٠، تاريخ سياسي، اجتماعي، اقتصادي، ترجمة سليم طه التكريتي ج٢، بغداد ١٩٨٨ ص٤٧٢

(٣٢) محمود الدره: الحرب العراقية –البريطانية ١٩٤١، بيروت ١٩٦٩ ص ٢٠٩.

(٣٣) الحسني: الادارة الخفية ص١٥٠.

(٣٤) ياغي: المصدر السابق ص١٥٦.

(٣٥) زويد: المصدر السابق ص١٢٥.

(٣٦) ياغي: المصدر السابق ص١٥٧.

تلقى سمارت برقية من تشرشل قال فيها (اضربهم بشدة وبسرعة) ينظر مذكرات كيلرن Clearn مجلة اخر ساعة العدد ٢٠٠٥ بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٨.

(٣٧) الحسني: تاريخ الوزارات ج٥ ص٢٧٥-٢٧٦.

(٣٨) الصباغ: المصدر السابق ص٢٥٥.

(٣٩) ياغي: المصدر السابق ص١٦٠.

(٤٠) الحسني: الاسرار الخفية ص١٩٢-١٩٣.

(٤١) لوكاز هيرزويز: المانيا الهتلرية والمشرق العربي. ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة ١٩٧١ ص٢٠٢.

(٤٢) للمزيد عن ذلك ينظر: د. عبد الرحيم ذوالنون: موقف المملكة العربية السعودية من ثورة مايس ١٩٤١، مجلة المؤرخ العربي.

(43) Charchill, W.: The Second World Warv, vol 1 London, 1950 , P230.

(٤٤) زويد: المصدر السابق ص١٣٠.

(45) Charchill .vr., Op. Cit , p232.

(٤٦) ياغي: المصدر السابق ص١٧٣.

(٤٧) القوات الاردنية: ارسلت بامر من الامير عبد الله الذي اعلن على ضرورة ضرب الثورة في العراق باسرع مايمكن: ينظر مذكرات الملك عبد الله. القدس ١٩٤٧ ص٣٠٣-٣٠٧.

(٤٨) الكيلاني: المصدر السابق .

(٤٩) مناحم بيجين: التمرد، قصة الارجون، تقديم اللواء حسن البدوي، القاهرة ١٩٧٨ ص٦٧.

(٥٠) فوزي الفاروقجي: فلسطين في مذكرات فوزي الفاروقجي، اعداد خيرية قاسمية ج٢ ،بيروت ١٩٧٥ ص٩٠.

(٥١) لونكرك: المصدر السابق ص٤٧٥.

(52) Khadduri M.: Independent Iraq, A study in Iraqi Politics 1932-1958. London 1960 p.226.

(٥٣) حميدي: المصدر السابق ص٦١-٦٢.

(٥٤) المصدر نفسه ص٦٤.

(٥٥) الحسني: الاسرار الخفية ص٢٤٨.

(٥٦) ياغي: المصدر السابق ص١٧٩-١٨٠.

(٥٧) زويد: المصدر السابق ص١٤٨.

(٥٨) ياغي المصدر السابق ص١٨٠.

(٥٩) زويد: المصدر السابق ص١٤٩.

(٦٠) المصدر نفسه ص١٦٨.

(٦١) ياغي: المصدر السابق ص١١٠.

(٦٢) حميدي: المصدر السابق ص٨٣-٨٤.

(٦٣) زويد: المصدر السابق ص١١٦.

(٦٤) لونكرك: المصدر السابق ص٤٨٤.

(٦٥) زويد: المصدر السابق ص١٧٢.

(٦٦) حميدي: المصدر السابق ص١٠١.

(٦٧) لونكرك: المصدر السابق ص٤٨٦.

(٦٨) المصدر نفسه ص٤٨٦.

(٦٩) دار الكتب والوثائق: وثائق البلاط الملكي. رقم الملف ج / ٢/٣/. قرار مجلس الوزراء في ١٣/٣/١٩٤٣.

(٧٠) زويد: المصدر السابق ص٢١٧.

(٧١) لونكرك: المصدر السابق ص.

(٧٢) ياغي: تطور الحركة الوطنية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣. بغداد ١٩٧٩ ص٨.

(٧٣) زويد: المصدر السابق ص١١٩.

(٧٤) محمد توفيق حسين: عندما يثور العراق، بيروت ١٩٥٩ ص١٢٩-١٣٠.

(75) F.O.371. E2515 / 1090193. from forgin office to Baghdad. 22/5/1944.

(76) F.O.371. J2149/226/16 In defence of Propagande by Frey Stark 3/7/1944

استمر نشاط الجمعية في مصر الى عام ١٩٥٢، عندما اوقف نشاطها بعد اتهامها من قبل السلطات المصرية بحريق كنيسة في السويس يوم ٤/١/١٩٥٢. ينظر محمد عشماوي، تاريخ الفكر السياسي المصري ١٩٤٥-١٩٥٢، اطروحة دكتوراه جامعة القاهرة / كلية الاداب ١٩٧٧(الاصل) ص٨.

(77) F.O.371 J2199:iloid.

(٧٨) نادي اخوان الحرية في العراق: مطبعة الاهالي، بغداد ١٩٤٤ ص ٣.

(٧٩) احمد فوزي: غرب ام غروب، بيروت ١٩٦٩ ص ١٢٣.

(٨٠) الدره: المصدر السابق ص٤٢٠.

(٨١) زويد: المصدر السابق ص١٩٠.

سرح من الجيش العراقي ٢٨٧٩ ضابطاً منهم ١٤١٩ لم يكملوا الخدمة، والباقون من القادة الذين يؤلفون العمود الفقري للجيش العراقي ، ينظر الدره: المصدر السابق ص٤٢٠.

(٨٢) المصدر نفسه ص٤٢٠.

(٨٣) زويد: المصدر السابق ص١٩٢.

(٨٤) المصدر نفسه ١٩١.

(٨٥) المصدر نفسه ١٩٢.

(٨٦) الحسني: الاسرار الخفية ص٢٨٩.

(٨٧) زويد: المصدر السابق ص١٦١.

(٨٨) خليل كنه: العراق امسه وغده، بيروت ١٩٦٦ ص٩٨.

(٨٩) زويد: المصدر السابق ص١٨١.

(٩٠) المصدر نفسه ص١٩٢.

(٩١) لونكرك: المصدر السابق ص٤٩٢.

(٩٢) زويد: المصدر السابق ص١٨٥

(٩٣) في يوم ١٦/٨/١٩٤٤ نفذ حكم الاعدام على العقيد كامل شبيب. اما صلاح الدين الصباغ فنفذ حكم الاعدام فيه يوم ١٦/١٠/١٩٤٥ ينظر الحسني: الاسرار الخفية ص٨٩٨، لونكرك: المصدر السابق ص٥٠٧

جهود الخليفة عبد الملك بن مروان
في تطوير مؤسسات الدولة الإدارية

أ. م. د. عبد الجبار محسن عباس

جامعة تكريت / كلية التربية / سامراء

ملخص البحث

تناول هذا البحث جهود الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) في تنظيم وتطوير مؤسسات الدولة الإدارية وما أضافه إليها من جديد، وذلك في مبحثين، تناول الأول، جهود الخليفة في تطوير وتنظيم دواوين الدولة المختلفة والثاني تناول، جهوده في تطوير وتنظيم مؤسسة الحجابة.

وتبين أن الخليفة نجح في تحقيق حركة تنظيم وتطوير شاملة وعميقة لجميع دواوين الدولة ومؤسساتها الإدارية، فتعددت الدواوين وتطورت وازداد التخصص فيها فازدهرت دواوين: الجند، والخراج، والرسائل والكتابة، والخاتم والبريد، والطراز، ثم الحجابة، فزادت الأمور استقراراً والأعمال تسلسلاً، فأصبحت هذه المؤسسات أداة فعّالة في إدارة شؤون الدولة، فتحقق نظاماً إدارياً شاملاً اتخذه العباسيون فيما بعد أساساً لإدارة دولتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

شهد عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ / ٦٨٤-٧٠٥ م) حركة تنظيم وتطوير واسعة النطاق للمؤسسات الإدارية، تمكن من إنجازها في فترة خلافته، فقد ظهرت معظم هذه المؤسسات الإدارية نتيجة حاجة ماسة للتنظيم الإداري، إذ كان عصر الخليفة عبد الملك بن مروان من أخصب فترات التاريخ العربي الإسلامي تطوراً وتنظيماً وإيجاداً لنظم إدارية جديدة، فإن أغلب هذه النظم قد نمت وتوسعت على عهده، وإزداد التخصص فيها، فزادت الأمور إستقراراً، والأعمال تسلسلاً والعمال رغبة ورهبة، حتى أصبحت هذه المؤسسات أداة فعّالة في إدارة شؤون الدولة، لذلك عُدّ الخليفة عبد الملك بن مروان المؤسس الحقيقي للنظام الإداري في الدولة الأموية، وللدلالة على حسن هذا النظام فقد إتخذه العباسيون أساساً لإدارتهم.

إن هذا البحث سيؤشر ويبرز أصالة ماأضافه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى المؤسسات الإدارية الموجودة في عصره أو التي أوجدها، فتناول ذلك في مبحثين، تناول الأول منهما جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير الدواوين المختلفة، كديوان الجند، الخراج، الرسائل والكتابة، الخاتم، البريد، الطراز، أما البحث الثاني فقد تناول نظام الحجابة وتطويرها على يد الخليفة، ثم أُختتم البحث بأهم النتائج، وإعتمد البحث على عدد مهم من أمهات المصادر الأولية المعتمدة.

المبحث الأول

جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير الدواوين

١- ديوان الجند:-

أُسس ديوان الجند واستقر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣ هـ /٦٣٤-٦٤٣م) نتيجة الحاجة الماسة إليه في سنة (٢٠هـ/٦٤١م) في أرجح الروايات[١]. وصار الديوان يعني السجل الذي يحوي أسماء المقاتلين وأهليهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم[٢]، ثم تطورت مهام هذا الديوان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فصار يعني فضلاً عن ذلك، سجلات الحسابات العامة للدولة[٣].

لقد تطور ديوان الجند في العصر الأُموي بسبب توسع حركة الفتوح العربية وإتساع رقعة الدولة، وأصبح مؤسسة كبيرة حظيت باهتمام الخلفاء والولاة. وكان من مهام هذا الديوان العناية بكل ما يتعلق بالشؤون العسكرية، وشهد عصر الخليفة عبد الملك بن مروان حركة تنظيم واسعة لديوان الجند، لاسيما في العراق إذ كان في مقدمة المهام التي كُلف بها الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، هي إعادة تنظيم هذا الديوان وتنظيم العطاء فيه على أساس المقدرة والكفاءة، وذلك إثر إضطراب أمر العراق بعد تمردات الخوارج وغيرهم، فأقال جميع العرفاء[*] السابقين، واختار من القبائل رجالاً جدداً رآهم لائقين للعمل عرفاء ومناكب[*] مسؤولين معهم، ليكونوا حلقة وصل بين الناس والدولة، وصار من جملة الأمور التي يجب أن تتوفر فيمن يختاره لهذه الوظيفة هي، قراءة القرآن، ومعرفة اللغة العربية، والشعر، والحساب، والفرائض، ومغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٤]، وبعدها أمر الحجاج بإعطاء الناس عطاءهم والتوجه لجبهات القتال، وتوعد المتخلفين منهم بالموت[٥]، ولم يقبل من بعض الجنود إعفائهم من الخروج للقتال مقابل ترك العطاء[٦].

أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أهمية عطاء الجند ومدى تأثيره على المواقف السياسية والعسكرية، ففي سنة (٦٩هـ/٦٨٨م) خرج الخليفة عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير في العراق فتخلف بعض أهل الشام عن الخروج معه، فأخذ خمس أموالهم من عطاء سنة (٧٠هـ/٦٨٩م)[٧]، على الرغم من حبه الشديد لهم[٨]، أي أن العطاء أُعطي فعلاً للذين يلتحقون بالخدمة العسكرية، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان أحياناً يضطر وتحت ضغط الظروف إلى زيادة العطاء أو إدخال أُناس آخرين في الديوان، كما فعل حين تمرد الجراجمة[*] في لبنان، إذ أعلن لهم قائدة سحيم بن المهاجر على لسان الخليفة ((من أتانا من العبيد فهو حر ويثبت في الديوان فانفض إليه خلق كثير))[٩]، كما استخدم الخليفة سلاح زيادة العطاء أيضاً ضد عبد الله بن الزبير، حينما نادى الحجاج جنده قائلاً: ((ياأهل الشام قاتلوا على أعطيات عبد الملك))[١٠].

كما استخدم الخليفة عبد الملك العطاء وسيلة للقضاء على الفتنة، فقد كتب يوماً إلى الحجاج، أن يصف له الفتنة، فوصفها له ... فكتب إليه الخليفة عبد الملك: ((فإن أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة))[١١]، وصار عطاء الجند يصرف بكامله إثناء الأزمات أو الاستعداد للقتال[١٢]، كما كان الخليفة عبد الملك يُكرم من أسدى خدمة عسكرية للدولة أو أظهر بطولة وشجاعة في جبهات القتال، مثل تكريمه لموسى بن نصير لجهوده ونجاحاته العسكرية في أفريقية[١٣].

ولذلك فقد إزدادت أعداد الجند المسجلين في الديوان كثيراً فمثلاً في سنة (٧٤هـ/٦٩٣م) كان في العراق وحده (ستون ألف) من أصحاب العطاء بلغت رواتبهم وأسرهم (ستون مليون) درهم سنوياً[١٤]، في حين كان عدد من يتسلم العطاء في دمشق وحدها سنة (٨٣هـ/٧٠٠م) نحواً (خمسة وأربعين ألفاً)[١٥] وعددهم في حمص كان

(عشرين ألفاً)[١٦]. وكان عطاء جند العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي هو (ثلاثمائة) درهم سنوياً[١٧]، وهذا يعني تطوراً واضحاً في أعداد الجند المسجلين في الديوان، وهذا بحد ذاته تطور مهم لهذا الديوان وإتساع مهامه ودوره.

وكان غالبية الجند الأموي في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان هم من العرب لأن سياسة الخليفة كانت تسير باتجاه تعريب كل مؤسسات الدولة حتى أضحت الدولة عربية لحماً ودماً.

أما من ناحية إدارة هذا الديوان، فكان يختار له الخليفة الأكفأ حتى لو لم يكن عربياً، فكان أشهر من تولاه هو (سرجون بن منصور) وهو من أهل الذمة، تولى ديواني الجند والخراج في دمشق[١٨]، ثم عزله الخليفة وعين بدله ((سليمان بن سعد الخشني))[١٩] وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها[٢٠].

٢- ديوان الخراج:-

كان لديوان الخراج أهمية كبرى في الدولة العربية الإسلامية، لأنه يتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر في كل مايتعلق به إذ تعتمد الدولة في وارداتها ومصروفاتها على هذا الديوان وما يجبيه من أموال.

وحينما حرر المسلمون الأراضي العربية، أبقوا دواوين الخراج المحلية على ما هي عليه من حيث موظفيها ولغاتها ونظمها المحلية حتى تم تعريبها على يد الخليفة عبد الملك بن مروان[*].

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان إزداد صاحب الخراج إستقلالية في أموره المالية عن أمير الولاية، الذي تركزت مهامه في الأمور السياسية والإدارية، وذلك بسبب فصل الجباية عن إدارة الولاية.

وأشهر من تولى إدارة ديوان الخراج المركزي في دمشق للخليفة عبد الملك، هو سرجون بن منصور، وهو من أهل الذمة[٢١]، ثم عزله وولى بدله ((أبو ثابت،

سليمان بن سعد الخشني))[٢٢]، وهو أول مسلم عربي ولي دواوين خراج الشام للخليفة عبد الملك، وهو الذي تولى تعريبها بطلب من الخليفة نفسه.

وكان أشهر من تولى ديوان خراج العراق هو (زادان فروخ)[*]، ثم جاء بعده (صالح بن عبد الرحمن)[*]، وهو الذي تم تعريب دواوين العراق في عهده[٢٣].

ولابد أنه كان يساعد صاحب الخراج عدد غير قليل من الكتاب والموظفين إذا كان بديوان خراج مصر حوالي (أربعة وأربعين) موظفاً[٢٤].

ويبدو أن متولي ديوان الخراج في عهد الخليفة عبد الملك كان يُعد من أصحاب الثروات والمال والجاه، فكان يحصل على أموال طائلة من عمله هذا، مثل متولي ديوان خراج مصر (اثيناس)، وهو من أهل الذمة، إذ كان واسع السلطان عظيم النفوذ[٢٥]، فيذكر أنه كان يأخذ عن عمله (ستون ألف) دينار سنوياً، فضلاً عن دينار واحد يأخذه عن كل جندي، وكان يملك (أربعة آلاف) عبد، وكثيراً من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة، (وأربعمائة) حانوت في الرها[٢٦]. وعلى الرغم من أن هذه الأرقام فيها مبالغة واضحة، ألا إنها تعطينا فكرة عن مكانة متولي دواوين الخراج المالية وأهميته الاقتصادية وأثره على بيت المال، لذلك كان تعريب دواوين الخراج خطوة أولى باتجاه إعادة تنظيم دواوين الدولة وإدارتها المالية والسيطرة عليها.

٣- ديوان الرسائل:-

جعل الرسول محمد (ﷺ) له مجموعة من الكتاب يكتبون له أحواله الدينية والدنيوية[٢٧]، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون[٢٨]. ومهمة هذا الديوان هي تحرير رسائل الخليفة وأوامره الداخلية والخارجية.

وفي العصر الأموي، توسعت الدولة كثيراً وكثرت أعمالها وإزدادت الحاجة إلى المراسلات المنتظمة، فأسس ديوان منتظم للرسائل، اتخذ شكله المميز في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، فأصبح ديواناً متكاملاً يعرف بديوان الرسائل، مما يؤكد

قولنا هذا أن الجهشياري لا يسميه ديواناً إلا عند حديثه عن الخليفة عبد الملك بن مروان[٢٩].

وهذا يعني أن ديوان الرسائل في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان قد توسع ونظُم وتعددت اختصاصاته، وكثر عدد العاملين فيه، إذ صار فيه كُتاب أساسيون يقومون فيه بالكتابة والإنشاء وآخرون يساعدونهم يقومون بالتلخيص والتبييض، وصار لهذا الديوان ملفات توضع فيها أصول المراسلات ونسخها، وتنظُم في سجلات خاصة تسمى أضابير وتوضع عليها بطاقات تدل على محتوياتها ليسهل معرفتها وإستعمالها[٣٠]. وبذلك صار هناك ديوان منظم للرسائل، وصار كاتب الرسائل يمثل يد الخليفة ومستودع أسراره، لذلك لم يختر الخليفة عبد الملك بن مروان لتولي هذا الديوان إلا ((من أهل نسبه ومن عظماء قبيله))[٣١]، حتى صار متولي هذا الديوان لايقل أهمية عن الوزير في العصر العباسي[٣٢]، وقد إزدادت أهمية هذا الديوان بشكل واضح وتطور بشكل كبير، ولاسيما إثناء ولاية الحجاج للعراق بسبب المستجدات السياسية ووجود المتمردين والخارجين على الدولة، مما تطلب متابعة أخبارهم فكان الخليفة عبد الملك يكتب للحجاج بشأنهم، مما كان باعثاً مهماً لإزدهار ديوان الرسائل والكتابة، إذا كانت هذه الرسائل تصدر من الديوان بشكل مستمر إلى من يهمه الأمر لمعالجة أوضاع تلك الاضطرابات[٣٣] السياسية في محاولة منه أن يكسب قادة هذه التمردات أو يحيدهم كما راسل أصحاب مصعب بن الزبير، وابن الأشتر[٣٤]. ويلاحظ كثرة التواقيع[*] في مراسلات الخليفة عبد الملك بن مروان مع الحجاج بن يوسف الثقفي والتي تؤكد تنظيم ديوان الرسائل وتطوره، كما توضح من جهة أخرى جانب من سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان الإدارية. والسرعة في حسم القضايا السياسية والعسكرية.

وبسبب أهمية وخطورة عمل كاتب الرسائل فإن الخليفة عبد الملك بن مروان، لم يولَ هذا الديوان إلا من هو موضع ثقة وأمانة وإخلاص، وممن يجمعون بين فن

كتابة الرسائل وبين الخبرة الإدارية، وإجادة أسلوب المخاطبة، ومن أشهر من ولاهم الخليفة عبد الملك ديوان الرسائل ((قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو)) إذ بلغ من علو مكانته أنه كان يطّلع على الكتب الواردة إلى الخليفة قبل أن يعرضها على الخليفة نفسه[٣٥]، حتى أن الذهبي يسميه وزير الخليفة عبد الملك[٣٦]، كما كتب له أبو الزعيزعة مولاه[٣٧]، ثم ولي بعده أبو زرعة (روح بن زنباع الجذامي) الذي كان على جانب كبير من العلم والأمانة والدهاء إذ قال فيه الخليفة عبد الملك: ((ما أعطي أحد ما أعطي أبو زرعة، أعطي فقه الحجاز، ودهاء أهل العراق، وطاعة أهل الشام))[٣٨]. وممن ولي هذا الديوان أيضاً ((ربيعة الجرشي)) الذي إستشاره الخليفة عبد الملك بشأن تولية إبنه الوليد العهد من بعده[٣٩]، مما يدل بشكل واضح على مكانة كاتب الرسائل الكبيرة في عهد الخليفة عبد الملك، وبعد وفاة قبيصة بن ذؤيب عين الخليفة عبد الملك مكانه ((عمرو بن الحارث الفهمي)) وهو من الموالي[٤٠]

وكانت من نتائج سياسة التعريب التي إنتهجها الخليفة عبد الملك بن مروان، أن إزداد عدد الكتاب من العرب ومواليهم، وكذلك صار هناك تخصص في الكُتاب إذ ظهر خمسة أنواع من هؤلاء نتيجة إتساع الدولة وتعدد مصالحها، وهم: كاتب رسائل، وكاتب خراج، وكاتب جند، وكاتب شرطة، وكاتب قاضٍ[٤١]. ويلاحظ على كُتاب الرسائل والخاتم للخليفة عبد الملك بن مروان، أن أغلبهم من العرب أو مواليهم، لأنهم يجيدون الكتابة باللغة العربية، كما أنهم موضع ثقة الخليفة، وكلها تصب في سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان التي استهدفت صبغ الدولة بصبغة عربية، ولا يوجد من هؤلاء الكُتاب من هو من أهل الذمة.

٤- **ديوان الخاتم**:-

عرف العرب قبل الإسلام وبعده الختم على الرسائل والصكوك[٤٢]. واتخذ الرسول محمد (ﷺ) خاتماً من فضة ونقش عليه ((محمد رسول الله)) في ثلاثة أسطر فختم به حتى توفي (ﷺ)[٤٣]، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون وكان الخاتم في ذلك العصر يعني التوقيع بالختم ليس إلا.

أما في العصر الأموي فقد تم إنشاء ديوان منظم مستقل من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان[٤٤]، وصار هذا الديوان عبارة عن الكُتاب القائمين على إنفاذ كُتب السلطان والختم عليها إما بالعلامة أو بالحزم[٤٥]، حتى صار ديواناً معتبراً من أكابر الدواوين[٤٦].

وتطور هذا الديوان في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان فصار ديواناً منظماً كبيراً، إذ أُنشأت في هذه الفترة داراً لمحفوظات الدولة في دمشق[٤٧]. ويبدو أن هذا الديوان لم يقتصر على العاصمة دمشق بل وجد في باقي ولايات الدولة المختلفة، ولاسيما بعد التنظيم الإداري الواسع للخليفة عبد الملك بن مروان، وكثرة المراسلات وأهميتها السياسية ولاسيما في العراق والمشرق الإسلامي.

ولأهمية هذا الديوان وسرية عمله، كان الخليفة عبد الملك لا يوليه إلا لأوثق الناس وآثرهم عنده، لذلك فقد قلده فضلاً عن ديوان الرسائل إلى أوثق مقربيه وهو قبيصة بن ذؤيب، الذي صار له كالوزير ولم يكن يحجب عنه في ليل أو نهار[٤٨]، وظل في منصبه حتى وفاته، ثم ولاه إلى ((عمرو بن حارث الفهمي)) مولى بني عامر بن لؤي[٤٩]، حتى وفاته فولاه إلى ((جناح)) مولى الخليفة[٥٠]. وكان نقش خاتم الخليفة عبد الملك ((آمنتُ باللهِ مُخلصاً))[٥١].

ومن الملاحظ على هذا الديوان أن أغلب من تولاه كانوا من مختلف القبائل العربية، أو من مواليهم أو من موالي الخليفة نفسه، كما يلاحظ بعض موالي هؤلاء كانوا قد تقلدوا ديوان الخاتم مع ديوان الرسائل والكتابة لأنهم كانوا أهلاً لذلك وموضع ثقة الخليفة وتقديره، فضلاً عن إرتباط عمل هذين الديوانين بشكل كبير.

٥- **ديوان البريد**:-

عرفت الأمم والشعوب ومنهم العرب نظام البريد، كما اهتم به الخلفاء الراشدون أيضاً وإستفادوا منه.

وفي العصر الأموي، وفي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، توسعت الدولة، وكثرت مشاكلها السياسية، فإزدادت الحاجة إلى البريد المنظم لسرعة الاتصال ونقل الأخبار، فنظم البريد وطوره وكانت له الريادة في ذلك[٥٢].

وحينما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، أخذ يتطلع إلى سماع أخبار ولاته ورعيته[٥٣]، فبث العيون إلى الأقاليم[٥٤]، من أجل حسن سير إدارة الدولة، وبناءها، لذلك اعتنى بشكل ملحوظ بالبريد بوصفه وسيلة مهمة من وسائل ضبط هذه الإدارة وإنتظام أمورها، فطوّره ونظمه وأرسى قواعده[٥٥]، فلم يعد عمله تقليدياً متمثلاً بنقل الأخبار وإنما صار وسيلة مهمة في العمليات العسكرية، ونقل الأشخاص المهمين، والمواد المختلفة، وصارت حركاته ورحلاته منتظمة وسريعة وفعّالة، كما أصبح صاحب البريد عيناً للخليفة في نقل أخبار الأقاليم والعمال وشكاوى الناس من عمالهم وموظفي الدولة هناك[٥٦].

ومن الأعمال الرائدة في تنظيم البريد وطرقه، ما قام به الخليفة عبد الملك بن مروان، ببناء الأميال[٥٧] في الطرقات كعلامات دلالة للطرق وتحديد مسافاتها، ومما يؤكد ذلك ما وصل إلينا من نقوش معاصرة للخليفة عبد الملك كُشفت بالقرب من بيت المقدس تشير إلى أوامره بعمل هذه الأميال، كما تُبين النقوش المعاصرة للخليفة، عمارة أربعة طرق تخرج من بيت المقدس ومن دمشق، كذلك عُثر على بعض الحجارة التي وضعت على طرق البريد في فلسطين[٥٨]، وعُثر على حجر آخر قرب تفليس[*]، وأغلب الظن أنها تعود إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً[٥٩].

ونتيجة هذه الجهود وهذا التنظيم صار يخترق الدولة وأقاليمها طرق عديدة على طولها محطات للبريد[٦٠]. أي إن الخليفة عبد الملك بن مروان قد حسّن طرق المواصلات ونظمها وصارت منظمة ومعلومة، ومما يدل على ذلك هو سرعة وصول الأخبار إلى مقر الخلافة بالشام.

وصار للبريد أهمية كبيرة في الظروف العسكرية، فقد إستفاد منه الخليفة عبد الملك بن مروان في إرسال الجند والإمدادات والأوامر إلى قادة جيشه في جبهات القتال، وفي نقل أخبار المعارك والمواقف العسكرية وتحركات الأعداء، فكان للبريد دور كبير – على سبيل المثال – في قتال الخوارج والقضاء على حركات التمرد في العراق والمشرق الإسلامي، كحركة ابن الأشعث[٦١]، وصار الخليفة على إتصال مستمر مع قادة جيشه في جبهات القتال إذ كان البريد لاينقطع بينهما، فكانت الأخبار تصل إليه بسرعة كبيرة وبشكل يومي تقريباً[٦٢]، وصار صاحب البريد نفسه يرافق الحملات العسكرية، فيكون مكانه في ميمنة القلب من الجيش[٦٣].

وتقديراً من الخليفة عبد الملك بن مروان في أهمية وخطورة عمل صاحب البريد، فقد أمر حاجبه أن لا يحجب صاحب البريد هذا في أي ساعة جاء من ليل أو نهار قائلاً له: ((وليتك ماخلف بابي إلا أربعة ....، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم[*]حبسهم البريد ساعة))[٦٤]، وبذلك فقد انتظم البريد وأصبح الخليفة يطلع بشكل يومي على تفاصيل الموقف العسكري أو السياسي فيقول الطبري[٦٥]: ((وهو [الحجاج] في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر محمد[بن الأشعث] أي كوره نزل ومن أي كوره يرحل وأي الناس إليه أسرع)). أن وصول الكتب والرسل بهذه السرعة يدل بشكل واضح على التنظيم الرائع للبريد وإزدياد أهميته ودوره في حسم المواقف العسكرية المهمة.

واستخدم الخليفة عبد الملك بن مروان أحياناً البريد في حمل الأشخاص المهمين كالولاة، والكُتاب والشعراء[٦٦].

ومن وسائل الاتصال والمخابرة الجديدة التي استحدثت في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، لإيصال الأخبار بين العراق والمشرق الإسلامي بسرعة، هو بناء المناظر أو المنائر، التي توضع على المرتفعات العالية، لنقل الإشارات بوساطتها عن

طريق إشعال النار أو الدخان، فيصل الخبر بسرعة عن طريق إنتقاله من منظرة لأخرى، وقد وصف ذلك ياقوت بقوله: ((... وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً، وإن كان ليلاً إشعلوا نيراناً فتجرد الخيل إليهم فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط))[٦٧].

وبذلك يمكن القول أن الخليفة عبد الملك بن مروان جعل ديوان البريد مؤسسة إدارية منتظمة ومستقلة ومتكاملة.

٦- ديوان الطراز:-

الطراز في الأصل يعني التطريز، تم تطور مفهومه ليعني الثياب المزينة بالأشرطة الكتابية، ولاسيما ملابس الخليفة أو الأمير ورجال الحاشية، وأخيراً صار يطلق على المكان والمصنع الذي تصنع فيه مثل هذه المنسوجات[٦٨].

تسمى المصانع التي تصنع هذه المنسوجات بـ((دور الطراز))، وكان القائم على إدارتها يسمى ((صاحب الطراز))، ويتضمن عمله، النظر في آلات الطراز والحياكة والأصباغ ومتابعة أعمالهم وتوزيع رواتبهم وأرزاقهم، والنظر في شراء ما يحتاجونه من الآلات وتسجيلها وتجديد ماأستهلك منها[٦٩]. ولابد أن لصاحب الطراز هذا أعوان آخرون ومساعدون يساعدونه في انجاز أعماله ويجيدون لغة الطراز.

وكانت دور الطراز في العصر الأموي على نوعين: طراز الخاصة، وطراز العامة، فطراز الخاصة هو الذي ينتج المنسوجات التي تخص الخليفة وجيشه والأمراء وكبار الموظفين والحاشية، وإما طراز العامة، فهو الذي يمد عامة الناس بما يحتاجونه من منسوجات[٧٠].

يؤكد ابن خلدون أن الطراز كان معروفاً لدى الشعوب والدول قبل الإسلام[٧١]، ثم جاءت الدولة العربية الإسلامية فبقي الحال على ماهو عليه من ناحية اللغة والإدارة والإنتاج ألا إن الخلفاء الأمويين وأمرائهم زاد اهتمامهم بارتداء

الملابس الفاخرة، وإزدات الحاجة للإهتمام بالطراز وتطويره، فأنشأت عدد من دور الطراز، ولاسيما في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، فنظمت صناعة الطراز بشكل واسع وأصبح أساساً لما حدث من نهضة في صناعة النسيج ولاسيما زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٥ – ٧١٧م) وأخيه الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥– ١٢٥هـ/ ٧٢٣– ٧٤٢م)، وفي مصر بشكل خاص، وكثيراً ماكانت هذه المنسوجات تستعمل كملابس أو للخُلع التي كان يخلعها الخليفة على كبار رجال دولته[٧٢].

ومن الإضافات المهمة والانجازات الكُبرى للخليفة عبد الملك بن مروان في هذا المجال هو تنظيمه وتعريبه لدور الطراز وإدارتها، فكانت دور الطراز تكتب باللغات الأجنبية المحلية في كل إقليم، وإستمرت كذلك حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فكتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان، عامل مصر: ((بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر))[٧٣]، وأن يكتب بدلها شهادة التوحيد (قُل هو اللهُ أحد)[٧٤]، وعمم الخليفة ذلك إلى أقاليم دولته بإبطال الطراز الأجنبي وإبداله بالطراز العربي ومعاقبة من يخالف ذلك.

وبذلك يكون الخليفة عبد الملك بن مروان أول من عرّب الطراز في الدولة العربية الإسلامية وسيطر على إدارتها وعمالها وإنتاجها، لذلك فربما يكون الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أنشا ديوان الطراز، وبذلك بدا عصر جديد لدور الطراز في الدولة كلها، إذ صار يكتب باللغة العربية على جميع ماتنتجه هذه الدور، وصارت توضع شارة الخليفة، وهي اسمه أو لقبه أو نحو ذلك على ملابس الجند ورجال الدولة وكان لهذا العمل نتائج دينية وسياسية وقومية بعيدة المدى في تاريخنا العربي الإسلامي.

المبحث الثاني

جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير الحجابة:

الحجابة: لغةً تعني السترُ. وحجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً، وحجبه بمعنى ستره، وقد احتجب وتحجب إذا أكتن من وراء حجاب ... والحاجب البواب، وخطته الحجابة[٧٥].

والحاجب في الإصطلاح يعني: هو موظف يقف بباب الخليفة أو الوالي، يعلمه بأسماء من يريدون مقابلته وينظم دخولهم إلى مجلسه بحسب أهمية مراكزهم[٧٦].

لم يكن الخلفاء الراشدون يحجبون أنفسهم عن الناس[٧٧]، ألا إن الظروف في العصر الأموي تبدلت كثيراً مما إستدعى أيجاد نظام الحجابة وتطويرها[٧٨]، فنظم الخليفة معاوية الحجابة وأرسى قواعدها[٧٩].

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة طوّر نظام الحجابة وأضاف إليها الكثير لذلك إستقرت بشكل واضح في عصره[٨٠]، فرتب الداخلين عليه وأوقات دخولهم، وحدد طبيعة عمل الحاجب، فإزداد أهمية، وأدى وظيفة مهمة ودوراً كبيراً في العديد من الأحداث السياسية، وتظهر لنا أهمية الحاجب والحجابة في نظر الخليفة من محاورته لحاجبه قائلاً له: ((إنك عين أنظر بها وجنة أستلئم بها، وقد وليتك ما وراء بابي، فماذا تراك صانعاً برعيتي؟ قال: أنظر إليهم بعينك، وأحملهم على قدر منازلهم عندك، وأضعهم في ابطائهم عن بابك، ولزوم خدمتك مواضع إستحقاقهم، وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك، وأحسن إبلاغهم عنك وإبلاغك عنهم. قال: لقد وفيت بما عليك ولكن إن صدقت ذلك بفعلك))[٨١]. وهنا يبدو واضحاً علو مكانة الحاجب وخطورة عمله، فقد أصبح الحاجب كالنائب عن الخليفة في عمله، إذ إن الخليفة رتب دخول الناس عليه، ففضل أهل البيوتات أولاً، فإذا تساوت الأنساب فضل أهل السن، فإذا تساوت فضل أهل الأدب والعلم[٨٢].

ومع ذلك فقد إستثنى الخليفة عبد الملك بن مروان بعض أصناف الناس من الدخول عليه في أي وقت جاءوا تقديراً منه لخطورة عمل هؤلاء مع الأخذ بنظر الاعتبار عامل الأمن، فقال لحاجبه: ((وليتك ماخلف بابي إلا أربعة: المؤذن فإنه داعٍ إلى الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فإنه لو وجد خيراً لنام، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعةً، والطعام، إذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول))[٨٣].

وكذلك أمر الخليفة عبد الملك بن مروان حاجبه أن لا يحجب ((قبيصة بن ذؤيب)) وكان يتولى ديوان الرسائل والخاتم في أي ساعة جاء من ليل أو نهار، لأنه كان آثر الناس عنده[٨٤].

وبذلك يمكن القول أن الحاجب لم يعد فقط ((يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته))[٨٥]، بل أصبح عين الخليفة ولسانه وعقله ويده، فهو الذي يدرس طلبات الراغبين بالدخول، ويسمح لهم، ويرتب ذلك على قدر منازلهم، وبعد معرفة أسمائهم ولايستأذن بالكنى، ولا يسمح بدخول أشخاص بقضايا ليست من إختصاص الخليفة، وربما يوصي بقضاء حوائجهم[٨٦]، وصار للحاجب دور سياسي مهم، فكان لأبي الزعيزعة حاجب الخليفة عبد الملك ومولاه دور كبير في قتل عمرو بن سعيد بن الأشدق والتخلص منه[٨٧]. لهذه الأسباب كلها فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان لا يختار لوظيفة الحاجب إلا من أقرب الناس إليه أو من خاصة مواليه المخلصين لخطورة عمله وقربه من الخليفة[٨٨].

ومما يؤكد عناية الخليفة المتميزة بشؤون الرعية وتنظيم إدارة الدولة ومنها الحجابة، أنها لم تقتصر على حاضرة الدولة دمشق بل امتدت لتشمل أقاليم الدولة الأخرى، فقد أوردت المصادر وصية الخليفة عبد الملك لأخيه عبد العزيز والي مصر، التي تنم عن عقلية إدارية وتنظيمية ممتازة، إذ حدد له طبيعة عمل الحاجب

وأهميته حينما قال له: ((أنظر ماأوصيك به فاجعله لك إماماً ... وأنظر حاجبك وليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده))[٨٩]، كما أوصاه ثانية بمتابعة موظفيه وتنظيم مجلسه قائلاً له: ((تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك ... فالمتوسم يعرفك بحاجبك))[٩٠]. ويبدو واضحاً في هاتين الوصيتين تركيز الخليفة على أهمية اختيار الحاجب الذي ينبغي أن يكون من خيرة الأهل وموضع ثقة، لأنه وجه الوالي ولسانه الناطق.

كما ونظم الخليفة عبد الملك بن مروان شؤون مجلسه، فسيطر على مايدور فيه حتى صار ذا هيبة كبيرة، واحترام شديد، إذ نهى الناس عن كثرة الحديث في حظرته، وهو أول من فعل ذلك، وكان الجلساء قبله يراجعون الخليفة فيما يقول، ويعترضون عليه فيما يفعل، وأكثر ما كان ذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) ثم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فكان يجري في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجل عن وصفه فنهاهم الخليفة عبد الملك بن مروان عن الكلام بحضرته والمنازعة في مجلسه وتوعدهم على مخالفة ذلك[٩١].

ويبدو أن الخليفة عبد الملك بن مروان استوعب الدرس المر من حادثة استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) معللاً احد أهم أسبابها وهو سياسة اللين التي انتهجها، فهو القائل: ((وماخالف عثمان عمر في شيء ألا انه لآن لهم حتى ركب))[٩٢].

واستكمالاً لتنظيم وترتيب مجلس الخليفة وإضفاء الهيبة عليه، نظم الخليفة الانصراف من مجلسه للحاضرين، فقد طلب منه جلساءه أن يجعل لهم علامة حينما يرغب أن ينصرفوا من المجلس، فقال لهم _ وكان يحمل خيزرانة _ ((إذا القيت الخيزرانة من يدي))[٩٣]، فإذا انصرف احدهم من مجلس الخليفة مشى القهقرى ووجهه نحو مجلسه حتى يتوارى[٩٤].

وعلى الرغم من أن الخليفة عبد الملك كان يحب الشعب كثيراً، ويعج مجلسه بالشعر والشعراء الذين طالما تباروا في الإنشاد بحضرته ومدحه[٩٥]، ألا انه قلما يسمح لهم بالمنازعة والمهاجاة والتخاصم[٩٦]. من اجل الحفاظ على هيبة المجلس وكبح جماح الصراعات القبلية ،التي كثيراً ماتظهر في مثل هذه المجالس[٩٧].

ووضع الخليفة سياسة جديدة وتنظيم ممتاز وهو عدم السماع من الداخلين عليه ولاسيما الرسل من أقاليم الدولة المختلفة، إلا بشروط، إذ كان يقول لمن يدخل عليه((اعفني من أربع وقل ماشئت، لاتطرني، فأني اعلم بنفسي منك، ولاتجبني فيما لاأسألك عنه، ولاتكذبني فان الكذوب لا رأي له، ولا تحملني على الرعية، فأنهم إلى رأفتي أحوج))[٩٨]. فهكذا كانت نوعية الناس الداخلين عليه، وتنظيم عمله لدولة مترامية الاطراف حتى صار للحاجب دوراً متميزا وأهمية كبيرة.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد الإنتهاء من كتابة هذا البحث نثبت أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث وكما يأتي:-

١- أنجز الخليفة عبد الملك بن مروان عملية تنظيم وتطوير شاملة لجميع مؤسسات الدولة الإدارية، فحقق الإشراف التام على إدارة الدولة وضبط أعمالها.

٢- أدخل الخليفة عبد الملك بن مروان تطورات وإضافات مهمة على ديوان الجند، فنظم التجنيد الإلزامي، وصار العطاء يقتصر فعلاً على الذين يلتحقون بالخدمة العسكرية، وبخاصة أهل الشام الذين كانوا يشكلون غالبية الجند الأموي، كما كثر عدد المقاتلين، ونظم عطاءهم وأرزاقهم، على أساس المقدرة والكفاءة، فأصبح العطاء أداة فعّالة ضد أعداءه، وعاملاً مهماً في القضاء على الفتن والاضطرابات.

٣- نظم الخليفة ديوان الخراج كونه العمود الفقري لواردات بيت المال، فعّربه وسيطر على إدارته وزاد عدد موظفيه وعماله، وبرز عدد من الكُتاب العرب المسلمين، وصار متولي هذا الديوان من أصحاب المال والجاه والثروة.

٤- اتخذ ديوان الرسائل شكله المميز وتكامل على يد الخليفة عبد الملك بن مروان، فكان يدقق باختيار موظفيه لهذا الديوان، فصاروا ممن يجمعون بين الخبرة الإدارية وفن كتابة الرسائل وإجادة أسلوب المخاطبة لأنهم في الحقيقة ينطقون باسم الخليفة، فتوسع هذا الديوان ونظم وتعددت أصناف كُتابه، وكثر عدد العاملين به، واختارهم الخليفة من المقربين له، حتى صار متولي هذا الديوان لايقل أهمية ودوراً عن الوزير في العصر العباسي.

٥- تَطَور ديوان الخاتم ونُظم وتوسع، فلم يعد يقتصر على العاصمة فحسب بل امتد ليشمل باقي ولايات الدولة الإسلامية، وكان الخليفة لايوليه إلا لأوثق الناس عنده من القبائل العربية أو من مواليه أو من موالي القبائل، ويلاحظ أن بعضهم قد تولى فضلاًعن ديوان الخاتم ديوان الرسائل والكتابة بمكانتهم الكبيرة لدى الخليفة مثل قبيصة بن ذؤيب.

٦- اعتنى الخليفة بالبريد كثيراً، كونه وسيلة مهمة من وسائل ضبط الإدارة وانتظام أعمالها فطوره ونظمه وأرسى قواعده، فقد نظم شبكة واسعة من طرق المواصلات تربط العاصمة بأقاليم الدولة، وهو أول من عمل صنعة الأميال، كما وسع استخدام البريد في مجالات مختلفة، إذ صار يخدم عامة الناس فضلاً عن الدولة، وابتكر الخليفة وسائل جديدة للاتصال السريع ولاسيما من الجانب العسكري وهي مايعرف بـ(المناظر)، كما أمر الخليفة بعدم حجب صاحب البريد بالدخول إليه في أي وقت جاء من ليل أو نهار لخطورة عمله.

٧- ربما يكون الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي انشأ ديوان الطراز، لأنه اعتنى به وعرّبه، ووضع شارة الخلافة عليه، وأنشأ عدداً من الدور الجديدة، ونظم صناعة الطراز، مؤسسة إدارية صناعية مهمة.

٨- نظم وطوّر الخليفة نظام الحجابة وأضاف إليها الكثير، فاستقرت بشكل واضح، إذ رتب الداخلين عليه وأوقات دخولهم مستثنياً بعض الأصناف المهمة لخطورة عملهم، وحدد طبيعة عمل الحاجب، فازدادت أهميته، وأصبح للحاجب دور سياسي في أحدث عصره، حتى صار الحاجب عين الخليفة ولسانه وعقله ويده، لذلك صار الخليفة لايختار الحاجب إلا من أقرب وأوثق الناس عنده، وإمتد تنظيم الحجابة إلى ولايات الدولة المختلفة، كما نظم الخليفة شؤون مجلسه فسيطر على مايدور فيه وصار ذا هيبة واحترام شديدين كما نظم إنصراف الناس من مجلسه.

٩- لكل ذلك فقد تم إيجاد نظام إداري موحد وشامل، فازدادت الأمور استقراراً، والأعمال تسلسلاً، والعمال رغبة ورهبة والرعاية آمنة ودعةً، فأصبحت هذه المؤسسات أداة فعّالة لإدارة دولة مترامية الأطراف، وللدلالة على حسن هذا النظام ودقته أن إتخذه العباسيون واعتمدوا عليه فقد كانت الإدارة عندهم تطوراً للإدارة في العصر الأموي.

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

(١) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر – دار بيروت، (بيروت –١٩٥٧م)، م٣، ص٢٩٦، البلاذري، محمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، باعتناء محمد رضوان، المطبعة المصرية بالأزهر، (مصر ١٩٣٢م)، ص ٤٣٦–٤٤٣، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها (النجف ١٩٦٤م)، ج ٢، ص ١٤٣، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، (القاهرة ١٩٣٩ م) ج٣، ص ٢٠٢.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر – دار بيروت، (بيروت –١٩٥٦م)، مادة دون؛ الكتاني، الشيخ عبد الحي، التراتيب الإدارية، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – بلا. ت)، ج ١، ص ٢٥٥.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة ديوان، م٩، ص ٣٧٨.

(*) العرفاء: وهم الأشخاص المسؤولون عن تقسيم العطاء وجمع الجند عند النفير، وجلب البراءات بموافاة المقاتلين إلى مراكز البعوث التي ينتمون إليها وعن الأمن في عرفاتهم، وكانوا حلقة الوصل بين الناس والحكومة، ويكون تعيينهم من حق الأمير وحده. طه، د. عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط١، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٥م، ص ١٢٦–١٢٧.

(*) المناكب: وهي وظيفة أعلى وأشمل من وظيفة العرافة، وهم مسؤولون مع العرفاء عن توزيع مايقسمه الخليفة على الأمصار. طه، ص ١٢٧.

(٤) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تهذيب تاريخ ابن عساكر، طبعة عبد القادر بدران، (دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٣٢٩–١٣٣٢ م)، ج ٧، ص ١٤٩.

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٤٢.
(٦) م. ن، ج ٥، ص ٤٦.
(٧) ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تح، أكرم ضياء العمري، (النجف -١٩٦٤م)، ج ١، ص ٢٦٢.
(٨) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، سراج الملوك، مطبعة بولاق (القاهرة – ١٢٨٩هـ)، ص ١١٨.
(*) الجراجمة: نسبة إلى مدينة الجرجومة على جبل اللكام قرب انطاكية، وتطلق عليهم المراجع الحديثة المردة، وكانوا عملاء للروم، وكانوا يستقيمون للولاة مرة ويعوجون مرة أخرى. البلاذري، فتوح، ص ١٦٣-١٦٧؛ علي محمد كرد، خطط الشام، المطبعة الحديثة، (دمشق ١٩٢٥ م)، ج ١، ص ١٤٩-١٥٢.
(٩) ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت (١٩٦٥-١٩٦٦م)، ج ٤، ص ٣٥٤.
(١٠) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ١٩٤٠-١٩٥٢م)، ج ٤، ص ٤١٧.
(١١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة، (مصر ١٩٤٨م)، ج ٣، ص ١٢٦.
(١٢) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١٤٠-١٤١.
(١٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، (منسوب إليه) تح، د. محمد الزيني، طبعة دار المعرفة، (بيروت ١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٤٨-٤٩، ص ٥٦.

(١٤) حسيني، مولوي، الإدارة العربية، ترجمة، إبراهيم أحمد العدوي، مكتبة الآداب، (القاهرة – ١٩٥٨)، ص ٢٤٩.
(١٥) جلوب، جون باجوت، إمبراطورية العرب، ترجمة وتعليق، خيري العمري، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت ١٩٦٦م) ص ٢٢٠.
(١٦) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية في التاريخ، ط ١، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر (الرياض – ١٩٦٦م)، ج ٨، ص ٢٤٥.
(١٧) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، طبعة، اهلورت، ص ٢٧٣.
(١٨) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والأشراف، تح، عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة – ١٩٣٨م)، ص ٢٧٣؛ الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكُتاب، تح، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة – ١٩٣٨م)، ص ٤٠.
(١٩) الجهشياري، الوزراء، ص ٤٠، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، تح، الدكتور أسعد طلس، مكتبة الزوراء، (بغداد – ١٩٥٠م)، ص ١٠١.
(٢٠) السيوطي، الوسائل، ص ١٠١.
(*) تم بحث موضوع التعريب ببحث واف بعنوان ((حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان)) في مجلة سر من رأى، م٣، ع٨، السنة الثالثة، كانون الأول ،٢٠٠٧، ص ٦٣ -٩٩.

(٢١) ابـن خيـاط، تـاريخ، ج ١، ص ٣٠٢؛ المسـعودي، التنبيـه، ص ٢٧٣؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٤٠.

(٢٢) المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٣؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٤٠.

(*) زادن فروخ: وهو الذي تولى ديوان الخراج في العراق على عهد زياد بن أبي سفيان وإبنه عبيد الله بن زياد، وطرد من منصبه زمن مصعب بن الزبير، ثم عينه الحجاج ثانية على الخراج، وبقي في منصبه هذا حتى قُتل سنة (٨٢هـ) في فتنة ابن الأشعث. البلاذري، فتوح، ص ٢٩٨، الجهشياري، الوزراء، ص ٢٦، ٣٨.

(*) صالح بن عبد الرحمن: كان أبوه من سبي سجستان، مولى بني تميم. وهو أول من عرّب دواوين العراق، كان يجيد اللغة العربية والفارسية، ولاه الحجاج الديوان بعد زادان فروخ، وإستمر في عمله هذا حتى قُتل في ولاية ابن هبيرة على العراق سنة (١٠٣ هـ). البلاذري، فتوح، ص ٢٩٨، الجهشياري، الوزراء، ص ٣٨.

(٢٣) البلاذري، فتوح، ص ٢٩٨، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق، الفهرست، تح، رضا تجدد، مطبعة دانشكاه، (طهران ١٩٧١م)، ص ٣٠٣؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة – ١٩٦٠م)، ص ٢٠٣.

(٢٤) ترتون، أ. س، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، مطبعة الإعتماد، (مصر ١٩٤٩م) ص٢١.

(٢٥) م. ن، ص ٢١.

(٢٦) م. ن، ص ٢١ – ٢٢.

(٢٧) الجهشياري، الوزراء، ص ١٢.

(٢٨) م. ن.، ص ١٦، ٢١.

(٢٩) م. ن.، ص ٣٥.

(٣٠) ماجد ،عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٣، (القاهرة ١٩٧٣م)، ص٣٥– ٣٦.

(٣١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، (بيروت– بلا. ت)، ص٢٤٦.

(٣٢) طلس، محمد أسعد، تاريخ الأمة العربية ((عصر الاتساق))، ط ١، دار الأندلس، (بيروت – ١٩٥٨م)، ص ٦٦.

(٣٣) ينظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر –١٩٣٧م)، ج ٢، ص ١٤٣ – فما بعد.

(٣٤) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٧٣؛ ج ٥، ص ٦، الاصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة – ١٩٧٠–١٩٧٣م)، ج ١٩، ص ١٢٣، ١٢٤.

(*) التواقيع: جمع توقيع، وهو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولاة والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم وهو أمر جليل ومنصب خطير. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، مطابع كوستا توماس وشركاؤه، (القاهرة – ١٩٦٣م)، ج ١، ص ١١٤–١١٥.

(٣٥) البلاذري، أنساب، ج ٥، ص ٣٥٦، الجهشياري، الوزراء، ص ٣٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ١٦٨.

(٣٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ط ١، تح، مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٤)، ج ٤، ص ٤٧٢.

(٣٧) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢، الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٢٥؛ الجهشياري، الوزراء، ص٣٥.

(٣٨) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح، حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة – ١٩٤٧م)، ج ٢، ص ٧٧؛ التاج في أخلاق الملوك، تح، أحمد زكي باشا، ط ١، المطبعة الأميرية، (القاهرة – ١٩١٤م)، ص ٦٠؛ الجهشياري، الوزراء، ص٣٥.

(٣٩) الجهشياري، الوزراء، ص٣٧؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، نشر بطرس غرياز نيوبيج، (موسكو – ١٩٦٧م)، ص ٢٩٩.

(٤٠) الجهشياري، الوزراء، ص٣٨.

(٤١) البيهقي، إبراهيم محمد، المحاسن والمساوىء، دار صادر، دار بيروت، (١٩٦٠)، ص ٤١٨.

(٤٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٤؛ ابن الأزرق، أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك، تح، د. سامي علي النشار، منشورات وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة (بغداد – ١٩٧٧م)، ج ٢، ص ٢٣١.

(٤٣) البلاذري، فتوح، ص ٤٤٨؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكاتب، باعتناء محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، (مصر – ١٣٤١هـ)، ص ١٣٩؛ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الأوائل، تح، محمد السيد الوكيل، (المدينة المنورة – ١٩٦٦م)، ص ٨٠.

(٤٤) الجهشياري، الوزراء، ص٢٤؛ العسكري، الأوائل، ص ٨٠، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، لطائف المعارف، تح،إبراهيم الابياري، وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية،(القاهرة – ١٩٦٠م)،ص١٦.

(٤٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٦.

(٤٦) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، دار بيروت، (بيروت – ١٩٦٦م)، ص ١٠٧.

(٤٧) حسيني، الإدارة العربية، ص ١٦٩.

(٤٨) ابن سعد، الطبقات، م ٥، ص ٢٣٤؛ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، باعتناء د.ايلزه ليحتن شتيتر، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، (حيدر آباد – الدكن – ١٩٤٢م)، ص ٣٧٩؛ المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٨٩؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٣٤.

(٤٩) الجهشياري، الوزراء، ص ٣٨.

(٥٠) م. ن.، ص ٣٨.

(٥١) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد، مختصر التاريخ، تح، د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد – ١٩٧٠م)، ص ٩٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٥٤؛ مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح، عبد الستار أحمد فراج، (الكويت – ١٩٦٤م)، ج١، ص ١٢٨.

(٥٢) العسكري، الأوائل، ص ١٩١، الثعالبي، لطائف، ص ١٦، السيوطي، الوسائل، ص ٩٨.

(٥٣) البيهقي، المحاسن والمساوىء، ص ١٤٣–١٤٤.

(٥٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤١.

(٥٥) ابن سعد، الطبقات، م ٥، ص١٧٦، العسكري، الأوائل، ص ١٩١، القلقشندي، صبح، ج ١، ص٤١٤.

(٥٦) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤١؛ البيهقي، المحاسن والمساوىء، ص ١٤٣-١٤٤؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ص ١٣٩.

(٥٧) كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. بلا. ط (موسكو – ١٩٥٧م)، ق١، ص ٦١.

وبناء الأميال: هو مسح الأراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل بوضع حجر كبير. كاشف، سيد إسماعيل، مصر في فجر الإسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة – ١٩٤٧م)، ص ٢٦.

(٥٨) كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص٢٦، كراتشكوفسكي، تاريخ، ق١، ص٦١.

(*) تفليس: قصبة كرجستان وهي في أعالي نهر الكر، ويقسمها هذا النهر نصفين. لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مط. الرابطة، (بغداد – ١٩٥٢م)، ص ٢١٦.

(٥٩) كراتشكوفسكي، تاريخ، ق١، ص ٦١.

(٦٠) ديمومبين، موريس، النظم الإسلامية، ترجمة، صالح الشماع، وفيصل السامر، مطبعة الزهراء، (بغداد – ١٩٥٢م)، ص ١٥٦؛ العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، دار المعارف، (مصر – ١٩٥١م)، ص ٥٢.

(٦١) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١١٤، ١٤٩؛ وينظر البلاذري، أنساب، ٣٣٨-٣٣٩، (أهلورت).

(٦٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٦٤.

(٦٣) الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تح، عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة – ١٩٦٤م)، ص ٣٨ .

(*) سنتهم: طريقتهم. الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ٢١٣٨ (مادة سنن).

(٦٤) العسكري، الأوائل، ص ١٩١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص٣٦٨.

(٦٥) تاريخ، ج ٥، ص ١٤٩.

(٦٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٦٠؛ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١٣٦ ،١٨٧؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٤١.

(٦٧) ياقوت، معجم البلدان، م٥، ص ٣٥٠.

(٦٨) الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، دار مطابع الشعب، (القاهرة – ١٩٦٠م)، ص ٥٨١ -٥٨٢؛ ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تح، طاهر أحمد الزاوي، ومحمود أحمد الطناحي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة – ١٩٦٣م)، ج ٣، ص ١١٩.

(٦٩) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٧.

(٧٠) كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٨٧.

(٧١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٧.

(٧٢) كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٨٨.

(٧٣) الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، دار الطباعة، (القاهرة – بلا. ت)، ج ١، ص ٧١.

(٧٤) م. ن.، ج ١، ص ٧١.

(٧٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة حجب.

(٧٦) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (القاهرة – ١٩٦٤ – ١٩٦٧م)، ج ٤، ص ١٦١؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٠.

(٧٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٨؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج ١، ص ٢٦٩.

(٧٨) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٨؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٧٩) خليفة، تاريخ، ج ١، ص ٢١٨؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٢٥٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٩؛ القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تح، إبراهيم يوسف مصطفى، ط ١، مكتبة المنار، (الأردن – ١٩٨٥م)، ص ٢٥٣.

(٨٠) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، (ج ١ – ج ١٨)، طبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة – ١٩٢٦ – ١٩٥٥)، ج ٤، ص ١٩.

(٨١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة – ١٩٦٧م)، ج ١٧، ص ٩٢.

(٨٢) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، (مصر – ١٩٣١ – ١٩٤٧م)، ج ١، ص ٢١٨ – ٢١٩.

(٨٣) العسكري، الأوائل، ص ١٩١؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٨.

(٨٤) ابن سعد، الطبقات، م ٥، ص ٢٣٤، ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٩؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٧٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٩٨؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٣٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٩٩.

(٨٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٠.

(٨٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ص ١٣٠.

(٨٧) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ١١٠.

(٨٨) خليفة، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٢٥٩؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٧٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٩٩.

(٨٩) البلاذري، أنساب، ص ١٧٥، (أهلورت)، النويري، نهاية الإرب، ج ٦، ص ٩٠، ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٢٦.

(٩٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٤٤؛ ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر، أعتاب الكتاب، تح، الدكتور صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (دمشق – ١٩٦١م)، ص ١٢٨.

(٩١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح، حسن السندوبي، مطبعة الإستقامة، (القاهرة – ١٩٤٧م)، ج ٢، ص، ٢٤٨؛ العسكري، الأوائل، ص ٢٠٣.

(٩٢) ابن سعد، الطبقات، م ٣، ص ٢٣٣، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، تح، الدكتور أسعد طلس، مكتبة الزوراء، (بغداد – ١٩٥٠م)، ص ١٠١، ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٢٢، القلقشندي، مآثر، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٩٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٨؛ التاج في أخلاق الملوك، ص ١١٩.

(٩٤) أبو النصر، عمر، الحضارة الأموية العربية في دمشق، (بيروت – ١٩٤٨م)، ص ٣١٥.

(٩٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٩٣–٣٩٥؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص ١١٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج ٨، ص ٢٣،٢٧، ١٧٠–١٧١، ٢٩٤.

(٩٦) الأصبهاني، الأغاني، ج ٨، ص ٧٢–٧٣، ج ١٢، ص ١٩٩– ٢٠٢.

(٩٧) م. ن.، ج ١٢، ص ٢٠٣، ج ١٩، ص ١٤٩؛ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تح، ليفي بروفنسال، دار المعارف، (مصر – ١٩٤٨م)، ص ٢٤٥ – ٢٤٦؛ للتفصيل ينظر: دكسن، الخلافة الأموية، ص ١٣٩ – ١٧٨.

(٩٨) البلاذري، أنساب، ص ١٦٩، (أهلورت)؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٦٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٩.

Abstract

This study rounds the efforts of (al-khlifet) the successor Abdu-Almelik Ben Marwan (65-86H) (684-705 A.C) in organized and developed the management institutions of the Arab state , and what he added new things to them.

This search divides into two theses, first one talks about the efforts of (al-khlifet) the Abdu-Almelik Ben Marwan in developed the divans (ministries) of the state.

The second one deals with his efforts in developed the institutions of (alhijaba).

This study proved: Al-khlifet succeeded in established organized and developed to all state's divans. There are many divans becomes more developed such as (al- jund) army ,(al-kharage) taxes,(al-resael wa al- kitaba) correspondence,(al-khatem wa al-bareed) post,(alteraz) and (alhijaba). That led to stability. Those institutions becomes active in manages affairs of the state, it had achieved complete management system had taken by the Abasee state which came later and makes it a base to manage their state.

((معاهدة اونكيار اسكله سي ١٨٣٣_١٨٤٠م))

د. ميثـــاق بيـــات عبـــد الضـــيفي

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

تعد الحقبة التاريخية بين سنتي ١٨٣٣-١٨٤٠ هي الحقبة الكاملة لمعاهدة اونكيار اسكله سي، وفي بحثنا هذا عملنا على التركيز على هذه الفترة الزمنية فقط، وتطرقنا الى أوضاع كلاً من روسيا والدولة العثمانية عشية توقيع المعاهدة، ثم الكيفية التي جرت بها الأحداث قبيل وإثناء توقيع المعاهدة. كما ركزنا على المواقف الدولية من المعاهدة وبالأخص مواقف بريطانيا وفرنسا والنمسا، ثم انتقلنا الى الظروف المرافقة لإلغاء المعاهدة ونتائج الإلغاء على روسيا المستفيدة منها، وأخيرا خرجنا بمجموعة استنتاجات عن هذه المعاهدة.

١- أوضاع البلدين التي أدت الى عقد المعاهدة:

واجهت الدولة العثمانية في عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر تمرد خطير من قبل احد ولاتها وهو الوالي محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٠) في مصر[١]، وكان هذا الوالي قد أقام نهضة كبيرة في مصر جعلها تتقدم بخطوات كبيرة على الدولة الآم (الدولة العثمانية)، وعندما لمس الضعف الكبير الذي تمر فيه الدولة العثمانية وتحكم الدول الأوربية في شؤونها عمل على استغلال الوضع لصالحه، فبدأ بالتوسع في أملاكها ولاسيما في بلاد الشام والجزيرة العربية ثم تحول الى مهاجمة العاصمة اسطنبول[٢].

وكانت الظروف الدولية مؤاتية لرغبات محمد علي باشا، فبريطانيا كانت منشغلة بالإصلاح الداخلي (لائحة الإصلاح البرلماني الأولى ١٨٣٢) لاستبعاد خطر الثورات[٣]، وفرنسا منشغلة بثورة ١٨٣٠ والتي أوصلت لويس فيليب (١٨٣٠-١٨٤٨)

للحكم فيها[٤]، وكان يشغلها أيضا الوضع المضطرب في الجزائر بعد احتلالها لها في عام ١٨٣٠[٥]، والنمسا كانت منشغلة باضطرابات داخلية، إما الدولة العثمانية فكان جيشها الجديد مازال فتياً اثر قضاء السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) على الانكشارية[*]، كما أنها كانت خارجة من حرب هزمت فيها أمام روسيا في (١٨٢٨-١٨٢٩)[٦].

إما روسيا فكانت لا تود إن يصل نفوذ محمد علي باشا الى العاصمة العثمانية اسطنبول ويحل محل السلطان (الضعيف) ويجدد قوة الدولة فيحول بينها وبين تحقيق سياستها التقليدية في الاستيلاء على اسطنبول والمضايق[٧]، إذ عدت روسيا احتمال استيلاء محمد علي باشا على العرش العثماني غير ملائم لها لأنه سيؤدي الى انتشار النفوذ الفرنسي من مصر تلقائيا الى اسطنبول، ومن الناحية الأخرى زادت ثورة عام ١٨٣٠ في فرنسا وما أعقبها من ثورات في أوربا من اقتناع القيصر الروسي نيقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥)[٨]، بضرورة المحافظة على سلطة الحكام الشرعيين ومناهضة الحركات الثورية التي تهدد عروشهم[٩]. ولهذا كله قررت روسيا مساندة الدولة العثمانية ضد محمد علي باشا.

٢- عقد المعاهدة:

ما أن زادت انتصارات قوات محمد علي باشا حتى زادت وفي ذات الوقت خشية روسيا من سيطرته على الدولة العثمانية لاسيما إن الروس كانوا يتبنون فكرة أن الدولة العثمانية آيلة للسقوط[١٠]، ولهذا قامت في شهر كانون الأول ١٨٣٢ بإرسال الجنرال(مورافيوف) الى العاصمة العثمانية حاملاً اقتراحاً من حكومة بلاده بأنها على استعداد لتقديم المساعدة للسلطان العثماني ضد محمد علي باشا، وفي ذات الزيارة عرض الجنرال الروسي على السلطان العثماني تقديم المساعدة العسكرية[١١].

اثر ذلك اتجه الجنرال الروسي الى الإسكندرية والتقى فيها محمد علي باشا واعلمه بأن روسيا ستجابهه عسكرياً إن لم يوقف جيشه المتجه الى اسطنبول[١٢]، وقد يكون لهذا الموقف اثر كبير في إيقاف القوات المصرية في مدينة كوتاهية[١٣].

وعقب هزيمة الجيش العثماني إمام قوات محمد علي باشا في معركة (قونيه) في ٢١ كانون الأول ١٨٣٢م[١٤]، اتصل السلطان العثماني بالحكومة البريطانية وطلب منها أن تتحالف معه على إخضاع محمد علي باشا والحد من قوته لكنها رفضت وأجابت بدبلوماسية بأنها ستتدخل مهددة محمد علي باشا وإنها لن تسكت عن أي عبث يهدد كيان الدولة العثمانية[١٥].

ونتيجة لتلكؤ الموقف البريطاني إزاء أزمة الدولة العثمانية بمواجهة خطر محمد علي باشا، قام السفير الروسي في اسطنبول بتوظيف ذلك لتحقيق مصالح بلاده فعرض مجدداً تقديم مساعدة عسكرية للدولة العثمانية[١٦]، ولما كان السلطان محمود الثاني يمر بمأزق حقيقي فقد وافق على قبول المساعدة الروسية مباشرة[١٧].

ومن الجدير بالذكر إن الدولة العثمانية كانت تواجه موقفاً صعباً، فضلا عن تهديد محمد علي باشا، إذ إن وضع السلطان محمود الثاني كان قلقاً في العاصمة ذلك إن السكان كانوا يتعاطفون مع محمد علي باشا، كما إن لجوء السلطان الى دول أجنبية طلباً للمساعدة ضد المسلمين جعل الكثير من علماء الدين بل وبعض الوزراء أيضا يختلفون معه ولا يقرون مساعيه[١٨]، لكن السلطان رغم ذلك لم يكن له خيار في هذه القضية وقد عبر عن ذلك بنفسه حين قال مشيراً الى المساعدة العسكرية التي طلبها من روسيا: ((عندما يأخذ الإنسان بالغرق ثم يجد إمامه ثعبان فأنه يتشبث بها أملا في النجاة من الغرق))[١٩].

وفي العشرين من شهر شباط ١٨٣٣ وصل الأسطول الروسي الأول الى مضيق البوسفور، وبعدها بأسبوعين تم إنزال ما يقرب من خمسة ألاف جندي روسي

على الشاطئ الأسيوي لمضيق البوسفور في وادي اونكيار اسكله سي[٢٠]، وفي الثالث والعشرين من شهر نيسان ١٨٣٣ وصل حوالي أربعة ألاف وخمسمائة جندي روسي الى الوادي نفسه[٢١]، ثم توالى وصولها الى إن بلغ في نهاية شهر أيار ١٨٣٣ الى ثلاثين إلف جندي روسي[٢٢].

استقبلت الدول الأوربية وجود الأسطول الحربي الروسي والقوات الروسية في منطقة البوسفور بانزعاج بالغ، إذ خشيت كلا من بريطانيا وفرنسا من زيادة النفوذ الروسي في الدولة العثمانية فتدخلتا لتسوية الأمور بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا[٢٣]، ومارستا ضغوطاً كبيرة على الطرفين والتي أسفرت عن إبرام اتفاق كوتاهيه في الخامس من شهر أيار ١٨٣٣[٢٤]، والتي أكد على انسحاب قوات محمد علي باشا من الأناضول وإعطائه ولاية مصر مدى حياته ومنحه حق تعيين الولاة على عكا وطرابلس وحلب ودمشق، وإعطائه جزيرة كريت، وتعيين ولده إبراهيم باشا[**] والياً على أدرنه[٢٥].

واثر ابتعاد خطر محمد علي باشا عن العاصمة العثمانية اسطنبول، شعر السلطان محمود الثاني بالامتنان الشديد للموقف الروسي الذي كان له– وحسب ما اعتقد_ دوراً حاسماً في وقف تقدم قوات محمد علي باشا نحو اسطنبول[٢٦]، وتقييماً لما قدمته روسيا وقع معها معاهدة دفاعية_هجومية وذلك في الثامن من شهر تموز ١٨٣٣ حملت اسم (اونكيار اسكله سي) نسبة الى اسم الوادي الذي وقعت فيه[٢٧].

وقد أمنت هذه المعاهدة لروسيا أفضليات واضحة إذ ألزمت الدولتان بموجبها بالتشاور مع بعضهما في جميع الأمور التي تتعلق بأمنهما وسلامتهما وبتقديم كل منهما المساعدة للأخرى في حالة التعرض لأي هجوم من قبل جهة ثالثة[٢٨]، كما تعهدت روسيا بأن تبدي للسلطان العثماني، حسب طلبه،المساعدة العسكرية التي يريدها، وألحقت بالمعاهدة مادة سرية أعفت بموجبها الدولة العثمانية من إبداء

المساعدة لروسيا كما نصت المواد العلنية من المعاهدة وألزمتها بذات الوقت بإغلاق مضيق الدردنيل إمام السفن الحربية الأوربية عندما تود روسيا ذلك[٢٩]. وعنى هذا في حالة تعرض الممتلكات الروسية في البحر الأسود للتهديد من قبل الأساطيل الأوربية المعادية فتقوم الدولة العثمانية بغلق مضيق الدردنيل، وكانت مدة المعاهدة ثمانية سنوات، وقد غادرت القوات الروسية الشواطئ العثمانية بعد يومين من توقيع المعاهدة[٣٠].

وعدت المعاهدة نصراً كبيراً لروسيا لأنها حققت حلمها بالوصول الى المياه الدافئة[٣١]، ورسخت نفوذها في الشرق الأدنى[٣٢]، وعدها القيصر الروسي نصراً دبلوماسياً كبيراً لبلاده[٣٣]. إما السلطان العثماني فقد عدها حامية له من أي تمرد قد يقوم به محمد علي باشا، وبأن روسيا بموجبها ستسانده بمهاجمة قوات محمد علي واستعادة سوريا منه[٣٤].

ويتضح جلياً من ظروف عقد المعاهدة إن الوضع الذي تمت فيه ليس كما يصور البعض من إن روسيا وظفت وجودها العسكري في أراضي الدولة العثمانية لتضغط على الباب العالي[***] فارضة توقيع المعاهدة، بل إن فكرة عقدها جاءت بمبادرة عثمانية تثميناً منها للدور الروسي في إيقاف تقدم قوات محمد علي باشا، ولاستثمار هذا الدور في ما يقدم من سنوات لاحقة.

٣- أهم المواقف الدولية من عقد المعاهدة:

أ- الموقف البريطاني:

تهدف السياسة البريطانية الى بقاء الدولة العثمانية ضعيفة، وإبعاد النفوذ الروسي عنها، وان لا تقوم دولة قوية على طريقها الى الهند، كما تخشى تسلل النفوذ الروسي الى الدولة العثمانية وسيطرتها على مضيقي البوسفور والدردنيل[٣٥]

لهذا أثارت الافضليات التي وفرتها المعاهدة لروسيا قلقاً كبيراً لدى وزير الخارجية البريطاني ((بالمرستون))، فانبرى بتركيز جل نشاطه لأبطالها متخذاً سبيلين لذلك فسعى في الأول لإعاقة المصادقة عليها وشارك فرنسا في الاحتجاج عليها لدى الحكومتين الروسية والعثمانية لكن ذلك لم يثمر عن شيء، والسبيل الثاني كان العمل على توسيع المعاهدة عبر إشراك الدول الكبرى كلها فيها[٣٦]، ومعنى ذلك هو إبطالها فعلياً بإفقاد روسيا الافضليات التي وفرتها لها المعاهدة.

ب- الموقف الفرنسي:

هدفت السياسة الفرنسية الى تغلغل نفوذها في الدولة العثمانية، وعلى الرغم من تأييدها لمحمد علي باشا إلا أنها في ذات الوقت رغبت في المحافظة على وجود الدولة العثمانية والوقوف بوجه الإطماع الروسية فيها[٣٧]، إذ فسرت المعاهدة في العاصمة الفرنسية باريس على أنها إضفاء الحماية الروسية على الدولة العثمانية[٣٨]، لذا كان على الحكومة الفرنسية إن تختار احد ثلاثة خيارات مطروحة إمامها، وهي إما إن تساند القيصر الروسي وتتقاسم معه المكاسب المنتظرة من سقوط الدولة العثمانية، أو إن تدافع عن السلطان العثماني محمود الثاني وتسانده، أو تقف بصراحة الى جنب محمد علي باشا[٣٩].

وكان الخيار الأول يعني قطع العلاقات مع بريطانيا[٤٠]، إما الخيار الثاني فعنى الوقوف بجانب بريطانيا لمساندة السلطان محمود الثاني[٤١]، والخيار الأخير عنى مسايرة الشعبية الكبيرة والتي حظى بها محمد علي باشا لدى الرأي العام في فرنسا[٤٢]. وكل هذه الخيارات كان التماسها وتنفيذها صعباً على الحكومة الفرنسية في ظل وجود ملك اتسم بالتحفظ كلويس فيليب.

ج- الموقف النمساوي:

كانت النمسا تخشى من زيادة النفوذ الروسي في الدولة العثمانية على حساب نفوذها هي، إلا إن القيصر الروسي طمأنها من إن بلاده لن تتخذ أي خطوة دون مشاركتها فيها[٤٣]، وأكد بأنه ليس لديه أي نية للتوسع في أراضي الدولة العثمانية وعلى حساب المصالح النمساوية[٤٤]، كل هذا ادخل الساسة النمساويين بالتناقض ما بين من أيد المعاهدة ومن عارضها[٤٥].

٤- إلغاء المعاهدة:

اتخذ الصراع الدبلوماسي للدول الأوربية بعد عقد المعاهدة طابعاً خاصاً وحاداً وعلى مدى السنوات الثمانية التي هي مدة المعاهدة (١٨٣٣-١٨٤١) فبذلت هذه الدول جهود كبيرة لتجعل من المعاهدة فارغة ولا تتعدى إن تكون مجرد حبراً على الورق[٤٦]، لهذا أخذت تسعى للحصول على موافقة الحكومة العثمانية لعقد معاهدة مماثلة مع جميع الدول الكبرى، ولو تم عقد هكذا معاهدة لفقدت روسيا حرية الحركة في حالة تجدد الصدامات العسكرية بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا[٤٧].

وفي ذات الاتجاه عملت الدول الكبرى على إبقاء الوضع بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا على ما هو عليه، إذ إن أي تحرك من احد الخصمين كان سيؤدي حتماً الى اندلاع الحرب ويوفر لروسيا الفرصة المناسبة للتحرك في أراضي الدولة العثمانية وهذا ما كانت ترفضه الدول الكبرى[٤٨].

ولقد أرادت روسيا إن تعمق الخلافات بين بريطانيا وفرنسا وتوظيف ذلك لعقد اتفاقية مع بريطانيا، لاسيما بعد إن وصلت الحكومة الروسية الى قناعة مفادها أنها لن تستطيع تحقيق أهدافها في الدولة العثمانية دون مساندة بريطانيا وكانت مستعدة في سبيل ذلك حتى إن تتخلى عن معاهدة اونكيار اسكله سي[٤٩]، وفي تقرير لوزارة الخارجية الروسية قدم للقيصر في شهر نيسان ١٨٣٩م، اقترحت الوزارة بالتخلي طوعاً

عن المعاهدة وعدم تجديدها لما قد تسببه من تعقيدات لروسيا في علاقاتها مع الدول الكبرى مما قد يضفي الى عزلتها عن المسرح السياسي الدولي، كما أكدت ضرورة إن يكون لروسيا حلفاء ورشحت بريطانيا بوصفها انسب الإطراف التي يمكن إن تتحالف معها روسيا في تلك الظروف الدولية[٥٠]. ويبدو إن القيصر قد اقتنع كثيراً بما جاء في التقرير وقرر إن يطبق ما جاء فيه[٥١]، ويتضح ذلك من المواقف الروسية التي اتخذت اتخذت بعد تاريخ عرض التقرير على القيصر، مما يعطي انطباعاً من أن انقلاب حدث في السياسة الروسية. والجدير بالذكر فأن بريطانيا قد استغلت النهج السياسي الروسي الجديد لمنعها من القيام بعمل منفرد على أساس بنود المعاهدة[٥٢]، وقد حقق توقيع معاهدة لندن في ١٥تموز عام ١٨٤٠م[٥٣]، والتي أنهت فعلياً خطر محمد علي باشا وحددته بمصر، لبريطانيا ما سعت أليه بإشراك دول أربعة وهي كلاً منها وروسيا والنمسا وبروسيا في مواجهة محمد علي باشا إن حاول التوسع في أراضي العثمانية مجدداً[٥٤]. وبهذا تم استبعاد إن تقوم روسيا بأي تحرك منفردة مما كان البداية الفعلية لإلغاء معاهدة اونكيار اسكله سي وبموافقة روسية[٥٥].

واثر انتهاء خطر محمد علي باشا على الدولة العثمانية، كانت العلاقات البريطانية – الفرنسية قد ساءت كثيراً لأسباب متعددة، فحاول القيصر الروسي استغلالها لتدعيم علاقته بلاده ببريطانيا والتي ظن أنها ستسانده في تنفيذ إطماعه في أراضي الدولة العثمانية[٥٦]، وليكسب ثقتها ما إن انتهت مدة معاهدة اونكيار اسكله سي في الثامن من شهر تموز عام ١٨٤١م لم يقم بتجديدها[٥٧]، والأدهى من ذلك لما شارك القيصر بالتوقيع على معاهدة في لندن في الثالث عشر من شهر تموز ١٨٤١ الى جانب بريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية، ونصت على غلق المضايق في وقت السلم إمام السفن الحربية للدول كافة[٥٨]. وبذلك تم إلغاء معاهدة اونكيار اسكله سي نهائياً.

٥- نتائج إلغاء المعاهدة على روسيا:

لقد فقدت روسيا بتوقيعها معاهدة الثالث عشر من شهر تموز ١٨٤١ والخاصة بحرية المرور في المضايق العثمانية وغلقها إمام السفن الحربية لكافة الدول، فقدت نهائياً الوضع الرابح الذي وفرته لها معاهدة اونكيار اسكله سي وكان هذا نكسة للدبلوماسية الروسية فقد كان البحر الأسود قبلها يعد بحراً مغلقاً للدولة العثمانية وروسيا المطلتان عليه، وكانت مسألة مرور السفن عبر المضايق تسوى عن طريق اتفاقات ثنائية بين الدولتين[٥٩]، إما بعد معاهدة ١٨٤١ فقد أعطي للدول الكبرى أساسا قانونياً للتدخل بالمضايق وإقامة العقبات إمام استخدام روسيا لهذا الطريق البحري الوحيد الذي يربط البحر الأسود بالبحار المفتوحة[٦٠].

إما لماذا قبلت روسيا بهذا الوضع، فيبدو أنها وقعت تحت خطأ استراتيجي كبير في ذلك الوقت، لأنها تصورت إن بريطانيا ستساندها في تحقيق إطماعها باقتسام الدولة العثمانية، وقد وظف وزير الخارجية البريطاني بالمرستون تلك التصورات فنجح بدفع روسيا الى عدم تجديد المعاهدة محققاً مكاسب كبيرة لبلاده[٦١]. لكن الأمر الأوضح ألان إن سياسة روسيا كانت أصوب من السياسة البريطانية فالأفكار الروسية المتعلقة بتقسيم الدولة العثمانية والتي رفضتها بريطانيا آنذاك قد عادت ووافقت عليها وطبقتها بعد حوالي ثمانية عقود زمنية اثر اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨.

الخاتمة

١- أدت معاهدة اونكيار اسكله سي الى زيادة حدة الخلافات بين الدول الأوربية.

٢- أدت الى اهتمام الدول الأوربية بالدولة العثمانية ومحاولة الفوز بأكبر قدر من المكاسب الاقتصادية والسياسية.

٣- كانت المستفيد الأكبر من محصلة الصراع هي بريطانيا والتي حققت مكاسب اقتصادية وسياسية كبيرة.

٤- استفادت الدولة العثمانية من معاهدة اونكيار اسكله سي نتيجة للتنافس الكبير الذي حدث بين روسيا وبريطانيا، إذ تبارت الدولتان في الدفاع عنها ضد خطر محمد علي باشا.

٥- كان عقد المعاهدة انجازاً دبلوماسياً كبيراً لروسيا، أما إلغائها فكان انتكاسة وخطأ استراتيجياً للساسة الروس.

٦- موقف فرنسا كان سلبياً من المعاهدة لتأييدها لمحمد علي باشا الذي أعلى من النفوذ الفرنسي في مصر.

٧- أشرت هذه المعاهدة والصراع الدولي الذي حدث لإلغائها مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية كما أشرت النفوذ القوي للدول الأوربية على صنع واتخاذ القرار السياسي في الدولة العثمانية، وأوضحت من دون ريبة إن مصير الدولة العثمانية وبقائها على الساحة الدولية أصبح رهيناً بمصالح الدول الكبرى.

الهوامش:

(١) صبحي وحيد، في أصول المسألة المصرية، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٠، ص ص ١٢-٩٨.

(٢) جلال يحيى وخالد نعيم، مصر الحديث ١٩١٩-١٩٥٢، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ص ١١-١٢٧؛ وانظر: جوزيف حجار، أوربا ومصير المشرق العربي- حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة، بيروت ١٩٧٦.

(3) fred b. artes , reaction and revolution 1814-1848, harper torch books, new York1963, pp.286-289.

(4) David Thomas, Europe since napoleon, long mans green and ltd, London 1965, pp.143-144.

(٥) د. علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية – عوامل النهوض وأسباب السقوط-، دار الفجر للتراث، القاهرة ٢٠٠٤، ص٤٣٨.

(*) الانكشارية (ganissaries): هي فرقة لها مركز ممتاز بين فرق الجيش العثماني، كانوا يختارون من الشبان المسلمين الذين ترسلهم سنوياً المناطق الخاضعة لخدمة السلطان، وكانوا ينشئون على الولاء للسلطان ومدربين عسكرياً وقد ظفرت فرق الانكشارية في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسلطة كبيرة لدرجة أنها تنصب السلطان وتخلعه، وقد أصبح لها التجنيد وراثياً منذ القرن السابع عشر وقد قضى السلطان محمود لثاني عليها في اسطنبول ١٨٢٦م، عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية،ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص٣٧٣.

(6) arts, op, cit,p.290.

(٧) حسين فوزي النجار، السياسة الإستراتيجية في الشرق الأوسط، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣، ص١٥٨.

(8) gesse d. Clarkson, a history of Russia, from the 19th century, long mans, London 1962, pp.310-312.

(٩) د.هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية – المرحلة الاولى١٧٧٤-١٨٥٦، بيت الحكمة، بغداد ١٩٩٠، ص١٣٢.

(10) David Thomas, op, cit, p.144.

(١١) انينل الكسندر روفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، ترجمة أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩، ص٣٠.

(12) m. s. Anderson, the eastern question 1774-1923 ,new York 1974, p.80.

(13) ibid,p.81.

(14) David Thomas, op, cit, p.145.

(١٥) نجار، المصدر السابق، ص١٥٨.

(16) Anderson, op,cit,p.81.

(١٧) دولينا، المصدر السابق، ص٣٠.

(18) arts, op, cit,p.291.

(١٩) أ.جرانت وهارولد تامبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرون، ترجمة علي أبو درة ولويس اسكندر، ج٢، القاهرة ١٩٦٧، ص٣٧٤.

(20) Anderson, op,cit,p.82.

(21) ibid,p.82.

(٢٢) دولينا، المصدر السابق، ص ص ٣٠-٣٣.

(23) Anderson, op,cit,p.84.

(24) arts, op, cit, p.296.

(**) إبراهيم باشا ١٧٨٩-١٨٤٨: قائد عسكري وحاكم مصر في عام ١٨٤٨، والابن الأكبر لمحمد علي باشا، تقلد عدة مناصب منها حكم الصعيد،ويعد المؤسس الفعلي للجيش المصري ومهندس الانتصارات العسكرية المصرية، هزم المماليك واليونانيين والوهابيين والعثمانيين،تولى حكم مصر في نيسان ١٨٤٨ بسبب عجز أبيه وتوفي في تشرين الثاني ١٨٤٨: ألكيالي، المصدر السابق، ص ص١٧-١٨.

(٢٥) علي يوسف البلخي، الموقف الدولي من احتلال محمد علي باشا لبلاد الشام ١٨٣١-١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد ٢٩، نيسان- تموز ١٩٨٥، ص٢٠٣؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بلا، ص٢٣٥.

(٢٦) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس بلا، ص٢٩٠؛ وانظر: يلماز اوزتونا،تاريخ الدولة العثمانية، مجل١و٢، ترجمة عدنان محمود سلمان، مؤسسة الفيصل للتمويل، اسطنبول ١٩٨٨.

(27) Anthony wood, Europe 1815-1945, London 1967, p.87.

(28) schimann , geschichter ruszlands, uriter kasir nikolous 1, 111, pp.277-278.

(٢٩) لويس دوللو، التاريخ الدبلوماسي، ترجمة د. سموحي فوق العادة، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت ١٩٧٠،ص٢٠٠.

(٣٠) دولينا، المصدر السابق، ص٣٤.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ص ٥٦-٦٧.

(٤٦) دولينا، المصدر السابق، ص٣٥.

(47) harold temperley, op, cit,p.51.

(48) Anthony wood ,op, cit,pp.99-103.

(49) Anderson, op,cit,p.98.

(50) Kenneth bourne, the foreign policy of Victorian England 1830-1902, oxford 1970, p.231.

(51) Anderson, op,cit,p.99.

(٥٢) التكريتي، المصدر السابق، ص١٤٥.

(53) Kenneth bourne, op, cit,p.233.

(٥٤) فريد بك، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٥٥) التكريتي، المصدر السابق، ص١٤٧.

(56) schimann ,geschichter ruszlands, op,cit,p.294.

(57) ibid,p.296.

(٥٨) فريد بك، المصدر السابق، ص٢٥١.

(59) schimann ,geschichter ruszlands, op,cit,p.298.

(٦٠) التكريتي، المصدر السابق، ص١٥١.

(61) Anderson, op,cit,pp.132-159.

معاهدة اونكيار اسكله سي ١٨٣٣-١٨٤٠ | مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الاداب الرابع | د. ميثاق بيات عبدالضيفي العدد (٤) أيلول ٢٠١٠

(٣١) بلخي، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٣٢) التكريتي، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٣٣) دولينا، المصدر السابق، ص٣٠.

(34) Anthony wood , op, cit, p.89.

(***) الباب العالي: the sublime Porte، الاسم المتعارف عليه لمقر الحكومة العلية في عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول، واشتقت من الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة في السراي الحكومي، وقصد به أولا البلاط السلطاني في اسطنبول، ثم أصبح يدل ابتداء من عام ١٧١٨م على مقر الصدر الأعظم وسائر الوزارات والدوائر الرسمية العثمانية: ألكيالي، المصدر السابق، ص٤٥٢.

(٣٥) بلخي، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٣٦) التكريتي، المصدر السابق، ص١٤١.

(37) Anthony wood ,op, cit,p.97.

(38) Anderson, op,cit,p.86.

(39) harold temperley, England the near east, the crimea, London 1964, p.48.

(40) ibid, p.49.

(41) ibid, p.50.

(٤٢) دولينا، المصدر السابق، ص٣٧.

(٤٣) انس إبراهيم ألعبيدي، أزمة البوسنة ١٩٠٨-١٩٠٩، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ٢٠٠٤، ص ص ٢٧-٤٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ص ٤٤-٥٦.

القرصنة النورماندية على السواحل الأندلسية

(٢٢٩ - ٢٤٧ هـ/ ٨٤٣ - ٨٦١م)

د. أسامة عبدالحميد حسين السامرائي

كليـة التربيـة – سـامراء/ قسـم التـاريخ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي الهادي الأمي الأمين الذي بعثه الله رحمة للعالمين. وبعد:

تعرضت بلاد الأندلس الى هجمات عديدة أخذ أهلها على عاتقهم مواجهة هذه الهجمات، وكانت هذه الهجمات على ضربين، هجمات برية قامت بها الممالك الأسبانية في الشمال، وهجمات بحرية من قبل النورمان الذين اقبلوا من البلاد الاسكندينافية يحملون معهم أطماعهم الاقتصادية في النهب والسلب على حساب أهل الأندلس.

ظهر الأسطول النورماندي في السواحل الأندلسية لأول مرة في عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٢م في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ – ٢٣٨هـ) عندما حلوا بثغر أشبونة عند مصب نهر تاجة وقد تفاجأ أهل الأندلس بظهور مراكب النورمان عند سواحلهم، ونظراً لضعف الأسطول الأندلسي الإسلامي آنذاك تمكن النورمان من السيطرة على مدينة اشبيلية و دخولها وبعد اشتباكات عديدة بين الطرفين و بفضل

المقاومة العنيفة التي أبداها أهل اشبيلية تمكنوا من احراق العديد من المراكب النورماندية و إخراجهم من هذه المدينة.

وفي عام (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) تعرضت السواحل الأندلسية ثانية لهجمة نورماندية جديدة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد فوجئ النورمان عند وصولهم الى السواحل الأندلسية إذ وجدوها محروسة ومحصنة و المراكب الإسلامية تجوب فيها على العكس من غزوهم الأول الأمر الذي أدى إلى تعرض القوات النورماندية إلى ضربة قاسية من الأسطول الإسلامي الأندلسي و خروجهم من المياة الإسلامية.

لم يمض سوى سنتين على غزو النورمان الثاني حتى عادوا من جديد إلى السواحل الأندلسية الغربية، إذ واجههم الأسطول الإسلامي خير مواجهة الأمر الذي أدى الى عدم نزولهم الى البر الأندلسي و بالتالي هزيمتهم حيث أتوا.

تناول هذا البحث فضلاً عن مقدمة البحث وخاتمه، التعريف بالنورمان على نحو مفصل ثم أثر النورمان على السواحل الأوربية، وبعد هذا كله تطرقنا إلى غزو النورمان الأول للسواحل الأندلسية و سيطرتهم على اشبيلية ثم اظهار دور المقاومة الأندلسية في أخراجهم من هذه المدينة. وبعد ذلك تحدثنا عن الغزو الثاني للنورمان ثم الغزو الثالث للسواحل الأندلسية.

أولاً: من هم النورمان:

تكاد الروايات العربية تجمع على تسمية النورمان بـ((المجوس))[١] وهي اللفظة التي كانت تطلق على الزرادشتية[٢] من عبدة النار في ديار العجم، ومنها تجعل من ((الاردمانيين))[٣] تسمية لهم، وهم النورمان أي أهل الشمال، وكان أهل الأندلس يقلبون النون همزة في أوائل أسماء الأعلام فعلى سبيل المثال تسمى ((اربونة)) عندهم ((نربونة))[٤]. أطلق اليعقوبي اسم الروس على النورمان إذ يقول ((دخلها (أي اشبيلية) المجوس الذين يقال لهم الروس سنة ٢٢٩هـ فسلبوا ونهبوا))[٥]. كذلك أطلق على النورمان اسم ((الفيكنج)) أي سكان السواحل البحرية الأسكندينافية (سكان الفيوردات او الخلجان) التي كانوا يستخدمونها للإغارة على المناطق البرية المجاورة لهم[٦]. ثم انقسم سكان المناطق الاسكندينافية هؤلاء إلى ثلاثة أقسام، فأتجه السويديون إلى شرق أوربا والنرويجيون إلى سواحل إنكلترا الشرقية، إما الدنمركيون فهاجموا هولندا وفرنسا واخيراً الأندلس[٧].

أن تسمية النورمان بـ(المجوس) كانت موضوعية ودقيقة، إذ أن الغالب والمرجح في نعتهم بـألمجوس ما كانوا عليه وما اتسموا به من خشونة وفضاضة وهمجية وكلها صفات لا تتناسب مع الشجاعة والإنسانية المتمثلة بسلوك المقاتلين العرب، ويبدو إن المؤرخين قد أصابوا فيما ذهبوا إليه من نعتهم بـ(المجوس) وما يعزز نعتهم هذا ما كانوا عليه من تقديسهم للنار وعبادتهم اياها وهذا ما يؤكده صاحب المطرب بقوله ((وهم مجوس وهم اليوم على دين النصرانية، وقد تركوا عبادة النار ودينهم الذي كانوا عليه))[٨].

ويبدو إن عبادة النورمان للنار لم تكن ألا عبادة وثنية وهي إحدى عباداتهم للظواهر الطبيعية، وليس لها علاقة بالنار المجوس الزرداشتية في بلاد العجم، ويؤيد ما ذهبنا اليه الحميري في معرض كلامه عن النورمان وصنم قادس[٩] اذ يقول

((واتخذته المجوس وثناً يعبدونه))[١٠]. إن استخدام النورمان للنار بهذه الطريقة لم تكن لغرض التدفئة والاستئناس كما ذكرالدكتور عاشور[١١]، وانما يرجع الى معتقداتهم الدينية في تقديس النار، وعبادتهم بوصفها ظاهرة من الظواهر الطبيعية، فضلاً عن استخدامهم للنار في عملياتهم العسكرية لإرهاب المناطق التي يغزونها، وقد استخدم النورمان النار بكثرة، إذ كانوا يشعلونها في كل موضع يحلون به، بل كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم[١٢]، فضلاً عن استخدامهم اياها في معسكراتهم، مما جعل الاندلسيين يطلقون عليهم اسم (المجوس)، ويتضح من خلال ما سبق إن الأندلسيين قصدوا من هذه التسمية، الى انهم كانوا وثنين في معتقداتهم[١٣].

ثانياً: اثر النورمان على السواحل الأوربية:

النورمان أمة بحرية عريقة تمرست في ركوب البحر ومصارعة الأهوال، إذ كانوا في بداية العصور الوسطى يهيمنون على سيادة البحار الشمالية[١٤]، التي انطلقوا منها إلى المناطق المجاورة، وكانت هناك عوامل كثيرة كان لها الأثر البارز في تشجيعهم على القرصنة والخروج من مناطقهم، مما يمكن تفسيره على أسس نفسية واقتصادية واجتماعية وسياسية[١٥]. تعرضت أوربا قبل الأندلس لهجمات النورمان منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إذ أثاروا الفزع والرعب في هولندا وفرنسا والجزر البريطانية، فضلاً عن تخريب المدن التي استولوا عليها واحراقها ونهبها وسلبها، حتى قيل إن الفيكنج هم الذين اكتشفوا أوربا وليست أوربا هي التي كشفت عن الفيكنج[١٦].

هاجم النورمان الدنمركيون مصبات الأنهار في بادي الأمر وتوغلوا بعد ذلك أوربا لاجل الغنيمة والسلب في كل مدينة ينزلونها، وفي بدايات القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وصلت حملات النورمان البحرية إلى سواحل هولندا وفرنسا واستقروا في جهاتها الساحلية، حتى إن إحدى ولايات فرنسا الشمالية لا تزال تحمل اسمهم

((نورماندیا))[١٧]، وهكذا شهدت هذه الحقبة نشوء إمبراطورية فيكنجية شملت جزر أوربا الغربية وسواحلها[١٨]، حتى دانت لها مملكة الفرنجة وأدت الغرامة لها[١٩].

كانت قرصنة النورمان في بداية الأمر يدفعها دافع الغنيمة من وراء السلب والنهب، ثم يعودون الى قواعدهم وقد اتصفت هذه الحملات بأنها قرصنة غير مركزة ولم تكن لها قيادة موحدة، بل كان يغلب على قرصنتهم صفة التعدد والتفرق نحو أماكن مختلفة، ولهذا السبب اختلفت الروايات في سرد أخبارهم[٢٠]. ولكن غزواتهم تغيرت بعد ذلك إلى غزوات استيطان واستقرار مع أمرهم في تلك المناطق الساحلية وانشؤوا عدة قواعد في ذلك الأنحاء ولاسيما فرنسا وغيرها من المناطق الساحلية.

ثالثاً: غزو النورمان الأول للسواحل الأندلسية (٢٢٩هـ/ ٨٤٣ م)

كانت في بلاد الأندلس جبهتان ولاسيما في عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ – ٢٣٨هـ/٨٢٢ – ٨٥٢م) جبهة برية ضد المماليك الاسبانية الشمالية، وجبهة بحرية ضد الغزو النورماني. كان أول ظهور للمراكب النورمانية ذات الأشرعة السود[٢١] في السواحل الأندلسية في يوم الأربعاء من ذي الحجة سنة ٢٢٩هـ/ آذار ٨٤٣م عندما حلوا بثغر اشبونة[٢٢] (لشبونة) عند مصب نهر تاجة[٢٣].

فوجئ أهل الأندلس بظهور المراكب النورماندية في سواحلهم، إذ كان وصول كتاب وهب الله بن حزم عامل اشبونة إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ايذاناً ببدء هجومهم على سواحل الأندلس الغربية (الثغر الأدنى) ((وذكر أن في سنة تسع وعشرين ومائتين، ورد كتاب وهب الله بن حزم عامل اشبونة يذكر انه حل بالساحل قبلة أربعة وخمسون مركباً معها أربعة وخمسون قارباً، فخرجت الكتب إلى العمال بالاحتراس))[٢٤].

كان رد فعل أهل اشبونة، بأنهم نهضوا للقاء الغزاة بما لديهم من قوة، فكانت بين الطرفين وقائع شديدة، استولى النورمان على أثرها على سهول المدينة ومكثوا فيها

ثلاثة عشر يوماً[٢٥]، ثم رجعوا إلى مراكبهم لشراسة ما لاقوه من مقاومة من أهل الأندلس، ونتيجة لعدم صلاحية الإبحار في نهر تاجة والتوغل نحو الداخل انحدروا نحو الجنوب بحثاً عن مصبات صالحة للملاحة، فتقدموا نحو جزيرة قادس[٢٦] ثم إلى شذونة[٢٧]، ثم اتجهوا نحوا مدينة اشبيلية[٢٨].

١- سيطرة النورمان على اشبيلية:

كان في حسابات النورمان العسكرية الوصول إلى العاصمة الأندلسية قرطبة، وذلك بعد السيطرة على مدينة اشبيلية[٢٩]، إذ بدءوا بأجتياز نهر الوادي الكبير في ٨ محرم من عام ٢٣٠هـ/ نيسان ٨٤٤م لسهولة الإبحار فيه وعدم وجود مقاومة أندلسية كبيرة ولاسيما أن الأسطول الأندلسي الذي لم يكن مؤهلاً عسكرياً في تلك الحقبة.

ومن خلال مسيرة النورمان إلى اشبيلية استولوا على جزيرة (القبطيل)[٣٠] التي استراحوا فيها ثلاثة أيام واتخذوها قاعدة لهم في غزواتهم الداخلية للأندلس، ومعسكراً لهم إذ يقول الحميري بهذا الصدد ((هو مفرغ وادي طرطوشة في البحر ويعرف ايضاً بالعسكر لأنه موضع عسكر فيه المجوس واحتفروا حوله خندقاً أثره باقي إلى ألان))[٣١] وفي ١٢ محرم تقدم النورمان نحو قرية قورة[٣٢]، التي تبعد ١٢٠ ميلاً عن اشبيلية فدارت بينهم وبين الاندلسيين معركة شديدة، انسحب الأندلسيون على أثرها بعد إن استشهد كثير منهم[٣٣]. وفي يوم١٣ محرم هاجم النورمان حصن طلياطة الذي يبعد ميلين عن اشبيلية، وهاجموا ليلاً، ونزلوا اشبيلية صباحاً. وعند دخول النورمان اشبيلية أبدت هذه المدينة مقاومة عنيفة، انتهت بأستيلاء النورمان عليها بعد إن أحرقت المراكب الأشبيلية التي كان واجبها ايقاف تقدم النورمان[٣٤]، وفي اليوم الرابع عشر من محرم دخل النورمان اشبيلية، بعد أن انسحب أهلها الى مدينة قرمونة[٣٥] وجبال اشبيلية لاعادة ترتيب صفوفهم[٣٦].

إن اللافت للنظر هو سرعة استيلاء النورمان على مدينة اشبيلية ويعلل هذا الاستيلاء بعدة عوامل منها:

١- نقص التحصينات الحربية التي كانت عليها اشبيلية لاسيما إن هذه المدينة لم تكن مسورة، بدليل قول ابن سعيد بأن المجوس ((حلت على اشبيلية وهي عورة فدخلوها))[٣٧].

٢- الأثر المعنوي السلبي الذي حط من نفوس أهل اشبيلية عندما تحرك النورمان نحو المدينة وهم يحملون معهم القساوة الهمجية، الأمر الذي أثار الرعب بين أهل المدينة، ويفهم ذلك من قول ابن عذاري ((كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً))[٣٨]. ولعل ذلك راجع الى استخدامهم الأسهم النارية التي لم تكن مألوفة آنذاك لدى الأندلسيين.

٣- كان لعامل السرعة والمباغتة التي بموجبها وصل النورمان الى اشبيلية الحيلولة دون اتخاذ أهل اشبيلية الإجراءات اللازمة عن مدينتهم، إذ دخلوها الغزاة خلال ثلاثة أيام.

٤- عدم وصول الامدادت العسكرية من العاصمة قرطبة الى اشبيلية في الوقت المناسب الآمر الذي أدى بأهل اشبيلية إلى الفرار أمام القوة النورماندية التي كان يحسب لها حساب.

٥- غياب الأسطول البحري الأندلسي عن ارض الواقع، إذ لم يكن للأسطول الأندلسي كفاءة ومقدرة في مقارعة الأسطول النورماندي الذي انشئ لغرض القرصنة والنهب والسلب.

٢-دور أهل الأندلس في طرد النورمان من اشبيلية:

استنفر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) الثغور الأندلسية، منذ أول دخول للنورمان الى للسواحل الأندلسية واحتلالهم ثغر اشبونة، فأرسل على الفور جيشاً بقيادة الحاجب عيسى بن شهيد الذي كان على فرقة الخيالة[٣٩] في جيش قرطبة

واردفه بجيوش أخرى، فقدمت هذه الجيوس نحو قرمونة واتخذت من موضع قريب من اشبيلية مقراً لها يعرف بـ((الشرف))[٤٠] أو ((مشدوم))[٤١] وقد قسمت هذه القوات للدفاع عن مدن السواحل وبقي قسم للدفاع عن العاصمة قرطبة سار القسم الأعظم من هذه القوات بأتجاة اشبيلية[٤٢].

عندما علم النورمان بمقدم هذه الجيوش الأندلسية بدأوا بقتالها واستمرت المعارك التي أسفرت في البداية عن هزيمة النورمان حتى دخلوا مراكبهم، ولكن الاندلسيين توقفوا عن قتالهم الأمر الذي اعطى فرصة للنورمان لتجميع فلولهم والاستعداد لجولة ثانية مما أثار حفيظة الأمير عبد الرحمن بن الحكم حينما سمع بذلك فاستدعاهم وجعل على قيادة الجيش محمد بن سعيد بن رستم[٤٣]، الذي تقدم مع جيوشه حتى نزل مدينة اشبيلية[٤٤].

تجمعت الجيوش الأندلسية في قرمونة ((فحل الوزراء ومن معهم بقرمونة ولم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم، حتى قدم عليهم أهل الثغر، وقدم من أهل الثغر موسى بن قسي بعد استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له وتذكيره له بولائه للوليد بن عبد الملك واسلام جده على يده، فلاف يعض اللين وقدم في عده كثيف، فلما قابل قرمونة، انخزل عن سائر أهل الثغر وعن عسكر الوزراء))[٤٥].

من خلال التمعن في النص في اعلاه يتضح لنا الأمور الاتية:

١- أن شوكة النورمان كانت قوية إلى درجة أن جيش الأمارة الأندلسية لم يقدر على محاربتهم وكسر شوكتهم.

٢- أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم اتخذ الأجراءات التي من شأنها حماية البلاد، حتى أنه طلب العون من أسرة ((بني قسي)) الخارجة عليه بدليل ((بعد استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له))[٤٦]. وهذه خطوة بأتجاه محو الخلافات الداخلية.

٣- أن انخزال موسى بن قسي بقواته واتخاذ موضعاً جانباً من جيش قرطبة لا يعبر عن صيغة الفرقة، وانما يدل على التعاون بينهما، وان ما جرى قد يكون مخططاً له ومتفقاً عليه، والهدف منه اضعاف شوكة العدو[٤٧].

بدأ الجيش الأندلسي عملياته الحربية على وفق الخطة الموضوعة، فكمن للنورمان في قرية ((كتش معاقر)) في الجهة الجنوبية الشرقية من اشبيلية، وعندما تقدمت الجيوش النورمانية بأتجاة هذه القرية بأعداد تقدر بـ ستة عشر ألفاً، نهضت الكمائن اليهم وحملوا السيف في رقاب النومان وكانت نتيجة هذه الكمائن النجاح والقضاء على اغلب هذه القوة، كما فر الآخرون الى قلعة ((الزعواق)) للتخلص بها ولكنهم سرعان ما تركوها وهربوا الى مراكبهم.

في الوقت نفسه كان هناك جيش محمد بن سعيد بن رستم ينازل النورمان في موضع آخر حتى حل بأشبيلية[٤٨]، وبذلك دارت الدائرة على النومان. وما أن انجلت مراكب النورمان على بعد ميل من اشبيلية، حتى أذعنوا الى الصلح وفداء الأسرى[٤٩]. نهض الأندلسيين لمقاتلة النورمان من كل جهة وكادت الدائرة تحل بالجيش الأندلسي لولا خطة القائد بن رستم، التي حالت دون ذلك، إذ آجرى عملية اختراق بين قوات النورمان ومراكبهم البرية فدارت المعركة بين الطرفين وأسفرت عن انهزام النورمان وقتل ما يقرب من خمسمائة رجل من النورمان من ضمنهم قائد الأسطول النورماني[٥٠].

يبدو أن المعركة كانت الفاصلة في هزيمة النورمان، وكانت خسائر النورمان كبيرة بشرياً ومادياً. لجأ النورمان بعد الموقعة إلى مراكبهم حتى قال ابن الاثير ((وبقوا أياماً لا يصلون إلى المجوس لانهم في مراكبهم))[٥١] لا يستطيعون النزول إلى الساحل ومقارعة الجيش الاندلسي، في الوقت الذي لا يستطيع الأسطول الأندلسي الوصول إليهم لضعفه انذاك.

وبعد مناوشات بين الطرفين هرب النورمان إلى جزيرة قبطيل بمراكبهم، فحاصرهم الأندلسيون فيها من ضفتي النهر ومنعوهم من النزول خارجها[٥٢] وانسحب النورمان بمراكبهم، وطرقوا سواحل شذونة[٥٣]. في هذه الأثناء نزلت للأمير عبد الرحمن بن الحكم خمس عشر مركباً في ساحة المعركة في اشبيلية، فلما أحس النورمان بنزولها، انسحبوا نحو لبلة[٥٤] وغنموا ما فيها ثم انسحبوا نحو اكشونبة ثم

مضوا بأتجاه مدينة باجة[٥٥] وبعد ذلك تنقلوا في سواحل الأندلس وعلى أثر ذلك انقطعت اخبارهم[٥٦].

كانت مدة بقاء النورمان منذ دخولهم إلى اشبيلية حتى خروجهم من سواحل الأندلس أثنين واربعين يوماً، فقدوا خلالها اعداداً كبيرة من رجالهم، ومع ذلك لا يستبعد أن يكون قد بقي جماعة من النورمان تفرقوا في الآفاق. وهكذا خرج النورمان من اشبيلية بعد ان عانوا فيها ما يقرب اثنين واربعين يوماً، وقد نبه هذا الأمر الخطير الاذهان الى ضرورة الاهتمام بالبحرية الأندلسية، واقامة المراكز الدفاعية على السواحل الغربية، فشرع الأمير عبد الرحمن الأوسط بالقيام بعدة اجراءات سريعة، منها بناء سور حول مدينة اشبيلية ليقيها من أي هجوم مباغت. كما أمر ببناء دار لصناعة السفن الحربية في ميناء المدينة، واستخدام رجالاً متمرسين في حماية السواحل البحرية، ووسع عليهم بالأموال والآلات التي شملت استخدام النفط المشتعل لقذفه على سفن الاعداء[٥٧].

ولم يكتف الأمير عبد الرحمن الأوسط بهذه الإجراءات، بل حاول ايضاً القيام بعمل دبلوماسي ليبعد خطرالنورمان على بلاده فجرت اتصالات بينه وبين ملك الدنمارك لإحلال السلم بين الطرفين، وقد انتدب الأمير عبد الرحمن احد الرجال البارزين في بلاطه للقيام بسفارة الى بلاد النورمان وهو الشاعر يحيى بن الحكم الغزال[٥٨]، ويبدوا أن ما توصل اليه هذا الوفد لم يكن إلا اتفاقاً مرحلياً، لان النورمان عادوا هجومهم على الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[٥٩] وهذا ما سنتناوله لاحقاً.

نتائج غزو النورمان الأول للأندلس:

١- نظراً لعدم وجود جبهة غربية في الثغر الأدنى قبل هجوم النورمان لذ لم تكن هذه الجبهة مهيأة من الناحية العسكرية لمقاومة الغزاة وهذا ما يفسر لنا سرعة احتلال النورمان لسواحل الأندلس الغربية.

٢- ابدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم عناية بمدينة اشبيلية التي تعرضت لغزو النورمان وتخريبهم، فأبتنى على مشورة الوزراء سوراً لأشبيلية واحكم بناءه[٦٠].

٣- كذلك انشأ الأمير عبد الرحمن بن الحكم الرباطات على السواحل الغربية وجعلها مراكز للجهاد يقيم فيها المرابطون والحراس[٦١].

٤- إن الدفاع عن المنطقة الغربية الساحلية يستوجب أقامة اسطول بحري قوي لحمايتها، وقد عمل الأمير عبد الرحمن بن الحكم على ذلك، فأمر بأقامة دار صناعة السفن بأشبيلية وإنشاء المراكب[٦٢]. وتعد هذه الالتفاتة من جانب الأمير على جانب كبير من الأهمية وقد عدها الدكتور مؤنس ميلاد البحرية الأندلسية الحربية[٦٣].

٥- ان عملية استنفار الثغور الأندلسية لجهاد النورمان واجتماعهم للجهاد انما يعبر عن متانة وقوة الجبهة الداخلية واستعدادها للتضحية والفدا تاركة خلافاتها الداخلية جانباً ازاء الأخطار الخارجية التي تهدد الوطن.

٦- يتضح من سير الأحداث أن المعارك اتخذت طابعاً برياً بعد إن كانت على الأغلب بحرية بعد احتلال النورمان مدينة اشبيلية.

٧- كان من نتائج غزوة النورمان ايضاً إن ارسل ملك النورمان وفداً إلى قرطبة لطلب الصلح بعد خروجهم من اشبيلية وهزيمتهم منها وقتل قائد الأسطول، إذ رأى الأمير عبد الرحمن بن الحكم أن يرسل سفارة الى بلاد النورمان رداً على سفارتهم وكانت برأسة يحيى بن الحكم الغزال[٦٤].

رابعاً: غزو النورمان الثاني للسواحل الأندلسية (٢٤٥هـ/٨٥٩م)

في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) تحرك النورمان بأتجاه السواحل الأندلسية للمرة الثانية في عام (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[٦٥] بعد مدة من الهدوء والأمن التي سادت الأندلس بعد هزيمة النورمان الأولى سنة ٢٣٠هـ/

٨٤٤م، وتوقيع معاهدة الصلح والسلام بين الأمير عبد الرحمن بن الحكم و هوريك ملك النورمان، ألا أن تحولات الأمور في كلتا الدولتين الأندلسية والنورمانية حالت دون استمرار معاهدة السلام، إذ توفي عبد الرحمن بن الحكم في سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، وفي سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م توفي ملك النورمان هوريك وساد المملكة بعد وفاته الفوضى وعدم الاستقرار وعاد النورمان إلى ممارسة القرصنة والغزو[٦٦].

ظهر النورمان في بادي الأمر عند سواحل اشتوريش وجليقية[٦٧]، فهاجموا سواحل اشتوريش فتصدى لهم الكونت ((بدرو)) الذي استطاع تحطيم مراكبهم وتمزيقها[٦٨]. إذ أن النورمان لم ينجحوا في غاراتهم على اشتوريش ولم يحصلوا إلا على اليسير من الغنائم، الأمر الذي أدى بهم إلى ترك اشتوريش والتوجه نحو سواحل الأندلس الغربية حيث الثغر الأدنى.

عندما تقدم النورمان بأتجاه الثغر الادنى فوجئوا بهذا الثغر ((فألفوا البحر محروساً ومراكب الأمير محمد فيه جارية ما بين حائط أفرنجة في الشرق إلى أقصى غليسية في الغرب))[٦٩]. ومن هذا النص نفهم أن الأسطول الأندلسي كان يجوب السواحل الأندلسية من الشمال إلى الجنوب ومن السواحل الشرقية إلى السواحل الغربية، فقد ذكر أن الأمير محمد أنشأ في البحر سبعمائة غراب[٧٠].

بدأ الأمير محمد بتجهيز الجيش وتهيئته بالعدة والعدد عندما وصلت إلى مسامعه أخبار غزو النورمان للسواحل الأندلسية، وجعل على رأس هذا الجيش وقيادته الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبده[٧١]، وانحدر النورمان نحو سواحل الأندلس الغربية بمراكبهم التي كان عددها اثنين و ستين مركباً[٧٢]. فهاجموا في بداية الأمر سواحل وادي تاجة فتصدى لهم سعدون بن الفتح السرنباقي الذي كان متمرداً بحصن

((فقبروالـة)) مـا بـين تاجـة و مدينـة قلمريـة وكانـت لـه مواقـف عظيمـة فـي مواجهـة النورمـان الـذين اسـتطاعوا فـي نهايـة المطـاف آسره ثـم إطـلاق سراحه لقـاء مبلـغ مـن المال[٧٣].

عندما تقدم الأسطول النورماندي بأتجاه السواحل الغربيـة الأندلسية اصطدام مـع الأسطول الإسـلامي وقـام الأسـطول الإسـلامي بـدوره بحمايـة السـواحل الأندلسـية وتأسيره عدد من مراكبهم بعد قتل أعداد منهم واستشهاد جماعة من الأندلسيين[٧٤].

اتجهت سائر مواكب النورمان في الريف حتى انتهت الى مصب نهر الوادي الكبيـر كمـا يـذكر بـن حيـان فـي روايتـه ((ومضـت مراكـب المجـوس فـي الريـف حتـى انتهت إلى مصب نهر اشبيلية وما يليها وذهب الرعب بهم كل مذهب وبادر الأمير محمد بإخراج الجيش إلى الغرب و استنفار الناس إلى العدو الطارق، فنفروا من كل أوب))[٧٥].

أن الروايات العربية لم تخبرنا بمعلومات وافية عن معركة وقعت بين النورمان و الأندلسيين فـي اشبيلية باستثناء عدد مـن الأشـارات، فقد أورد العذري في معرض كلامه على لب بن موسى ما نصه ((وقود و أخرجه اليهم، فأنهزم المجوس))[٧٦]. كما ذكر ابن القوطية أن النورمان ((تلقوا في مدخل نهر اشبيلية في البحر ، فهزموا فحرقت لهم مراكب فأنصرفوا))[٧٧]. يفهم من هذا أن الأسطول الأندلسي تصدى للنورمان في معركة بحرية.

انسـحب النورمـان بعـد هـذه الموقعـة مـن سـواحل الأنـدلس الغربيـة علـى أمـل الحصول على فرصـة افضل لتحقيق أطماعهم و أهدافهم فأتجهوا نحو الجنوب حيث الجزيرة الخضراء وهاجموا في طريقهم سواحل شذونة، فتصدى لهم الأسطول الأندلسي

و أصاب مركبين من مراكبهم بريف شذونة[٧٨]. ولكن النورمان سرعان ما انسحبوا من هذه الجزيرة خشية الأسطول الأندلسـي[٧٩]، ففروا إلـى العدوة المغربيـة[٨٠]، فهاجموا مدينـة أصيلة[٨١]. وبعد هذه المدينـة اتجهوا نحـو مدينـة نكـور إذ اسـتولوا عليهـا بعـد معركة كبيرة[٨٢].

وبعد ذلك توجهوا نحو السواحل الشرقية للأندلس واشتبكوا مع القوات الأندلسية في عدة معارك برية وبحرية و علـى أثرها انصرف النورمان نحو سواحل الأفرنجـة، متوجهين شرقاً نحو ايطاليا[٨٣].

وبعد قضاء فصل الشتاء في سواحل الافرنجة بدأ النورمان رحلة العودة التي أصابتهم فيها عاصفة شديدة أضعفت شوكتهم مما أدى إلى إسراعهم في الانصراف، نحو ريف بحر الأندلس[٨٤]. وبعد هذه الغارات التي شنوها في أثناء رحلة العودة إلى بلادهم لم نسمع لهم عن غارات أخرى.

نتائج غزو النورمان الثاني للأندلس:

١- ان مدى الاستعداد والتهيؤ لمقاومة المخاطر كانت على درجة كبيرفي سواحل الأندلس قياساً بالغزوة الاولى اذ كانت سفن الأسطول الأندلسي تجوب المياه، حتى بلغت مداها خارج السواحل الاندلسية، بغية القيام بحركة استطلاع وتقديم الانذار المبكر في حالة قدوم الأعداء.

٢- كانت لحركة الاستطلاع هذه الأثر الكبير في اسر مركبين من مراكب النورمان اذ كان الأسطول الأندلسي على علم بقدومها، مما حدا به إلى نصب الكمائن لأسرها ((وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتها المراكب المنصوبة))[٨٥].

٣- أن عملية الاستعداد والتهيؤ هذه افقدت النورمان عنصر المباغتة في الهجوم مما جعل هجماتهم على سواحل الأندلس محدودة[٨٦].

٤- ان للقوات البرية التي ارسلت من قرطبة إلى اشبيلية كان لها الأثر الفعال في هزيمة النورمان، اضافة إلى جهود الأسطول الأندلسي.

٥- عدم تمكن النورمان من اجتياز مجرى النهر الكبير كما فعلوا في غزواتهم الاولى في سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٢ م حتى رحلت مراكبهم إلى مصب النهر المذكور وهذا دليل على قوة الأسطول وقدرته على حماية سواحل الأندلس الغربية.

خامساً: غزو النورمان الثالث للسواحل الأندلسية (٢٤٧هـ/٨٦١م)

لم يمض سوى سنتين على غزو النورمان الثاني، حتى عاودوا من جديد إلى سواحل الأندلس الغربية، لما يغلب عليهم من روح المغامرة في الغزو والنهب، وهذا هو المألوف و الغالب في غزوات النورمان جميعها.

ظهر النورمان أمام سواحل الأندلس الغربية في عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١ م، في عهد الأمير محمد في أسطول يتكون من ستين مركباً[٨٧]، يبتغون فرصة سانحة للنزول إلى السواحل الأندلسية ولكن الأمر لم يكن كذلك إذ ((لم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والأضرار بأهل السواحل ما جرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعاً لشدة ضبطها))[٨٨]. فقد اتخذ أهل الأندلس الاحتياطات اللازمة لحماية سواحل الأندلس الأمر الذي أدى إلى فشل الحملة الثالثة في تحقيق أهدافها في السلب والنهب.

عندما وصل خبر النورمان إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن كتب إلى عمال السواحل جميعاً بالاستعداد و الاحتراس والتأهب[٨٩]، وقد حاول النورمان النزول في السواحل عند مصب النهر الكبير لأجل التوغل نحو اشبيلية ولكنهم وجدوا البحر محروساً بألاسطول الأندلسي وبما أرسل أليه من القوات البرية، مما حال دون دخولهم وادي النهر الكبير واجبرهم على الفرار[٩٠].

لقد هزم النورمان من سواحل الأندلس الغربية ولم يحصلوا على شي لمتانة جبهتها و حصانة حراستها، فأنحدروا صوب الجنوب حيث الجزيرة الخضراء، وما إن اقتربوا منها عند ناحية ((البحيرة))[٩١]، حتى تعرضت مراكبهم لعاصفة بحرية شديدة أعطبت لهم أربعة عشر مركباً[٩٢]. وقد كتب العامل على الجزيرة الخضراء ((مطران بن نصير)) إلى الأمير محمد يخبره بما حدث لهم عند البحيرة[٩٣].

لم يحقق النورمان أي شيئ من أهدافهم تجاه الجزيرة الخضراء وسواحل الأندلس الأخرى كما حققوه في غزواتهم السابقة بدليل قول ابن حيان ((فنكبوا عن حائط الأندلس و اعتلوا إلى جهة الفرنجة فلم يلقوا ظفراً وأسرعوا الانصراف إلى بلدهم بالخيبة))[٩٤].

الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا لا بد لنا من تسجيل خاتمة نسلط فيها الضوء على الأمور التالية:

١- أن النورمان الذين تنعتهم الرواية العربية بـ(المجوس) لو يكونوا مجوساً يدينون بالديانة الزرداشتية في بلادهم وإنما كانوا وثنيين عبدوا الظواهر الطبيعية كالنار والنجوم وصنم قادس وغيرها.

٢- أن من ابرز الدوافع التي دفعت النورمان إلى غزو السواحل الأندلسية هي غنى الأندلس ووقوع اغلب مدنه على السواحل المفتوحة فضلاً عن استغلالهم ضعف الأسطول الأندلسي وعدم وجود حاميات وأبراج مراقبة قرب السواحل.

٣- امتازت هجمات النورمان بالمباغتة والسرعة والخفة وتحين الفرص المناسبة.

٤- أبدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم عناية كبيرة بمدينة اشبيلية التي تعرضت لغزو النورمان وتخريبهم فأبتنى سور اشبيلية واحكم بناءه.

٥- لقد شجع الغزو النورماني المسلمين الأندلسيين ولاسيما الأمراء على تحسين الأسطول الأسلامي الأندلسي وذلك بعد إن بدأ ضعيفاً في السواحل الأندلسية أذ اخذ المسلمون بزيادة عدد المراكب البحرية.

هوامش البحث:

(١) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٩٤٨)، ج١، ص١٣٦؛ أبن عذاري، أبو العباس احمد بن محمد (ت: ٧١٢هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مكتبة صادر، مطبعة المناهل، (بيروت: ١٩٥٠)، ج٢، ص١٢٩؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: بلا تاريخ)، ج٢٢، ص٤٨.

(٢) عن الزرداشتية يراجع: ابن حزم، أبي محمد علي: المفصل في الملل والأهواء والنحل، (لا: ١٣٢١هـ)، ج١، ص١٠٢؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، (القاهرة: ١٩٤٨)، ج٢، ص٥٤.

(٣) ابن حيان، حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ): المقتبس في اخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت: ١٩٦٥): ج٧، ص٢٢٣؛ ابن سعيد، علي بن موسى بن عبد الملك (ت: ٤٦٩هـ): المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة: ١٩٥٥)، ج١، ص٤٩.

(٤) مؤنس، حسين: غارات النورمان على الأندلس، المجلة التاريخية المصرية، المجلد: ٢، العدد: ١، (القاهرة: ١٩٤٩)، ص٢٤.

(٥) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب (ت: ٢٨٤هـ): البلدان، مطبعة بريل، (ليدن: ١٨٩١)، ص٣٥٤.

(٦) اليوسف، عبد القادر احمد: العصور الوسطى الأوربية، (بيروت: ١٩٦٧)، ص١١١.

(٧) الحجي، عبد الرحمن علي: أندلسيات، دار الرشاد للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٦٩)، ج١، ص٦٦.

(٨) ابن دحية، عمر بن حسن بن علي (ت: ٦٣٣هـ): المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الابياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة، (بيروت: ١٩٥٥)، ص١٤٠.

(٩) صنم قادس: وهو طلسم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية وهو عبارة عن منارة مبنية من الحجر و على رأسها صورة أنسان ويده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود. الأدريسي، محمد بن محمد (ت: ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (روما: ١٩٧٠)، ج١، ص١٧؛ الحموي، ياقوت الرومي (ت: ٦٢٦): معجم البلدان، (طهران: ١٩٦٥)، ج١، ص٣٧٦.

(١٠) الحميري، أبو عبد الله محمد (ت: ٧١٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، دار القلم للطباعة، (بيروت: ١٩٧٥)، ص٤٤٩.

(١١) عاشور، سعيد عبد الفتاح: اوربا العصور الوسطى، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٣، (القاهرة: ١٩٦٤)، ج١، ص ٢٣٨ هامش (٦).

(١٢) كرباج، جورج: عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي، مجلة آفاق عربية، العدد: ١١، (بغداد: ١٩٨٤)، ص٤٥.

(١٣) الشعراوي، احمد ابراهيم: الأمويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٦٩)، ص٣١٨.

(١٤) عنان، محمد عبد الله: دولة الأسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي،ط٣،(القاهرة: ١٩٦٠)، ج١، ص٢٥٨.

(١٥) عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج١، ص٢١١؛ الشعراوي: الأمويون، ص٣١٨.

(١٦) عاشور: أوربا العصور الوسطى، ص٢١٠.

(١٧) الشعراوي: الأمويون، ص٣١٨.

(١٨) كرست وفر، دوسن: تكوين أوربا، ترجمة: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، (القاهرة: ١٩٦٧)، ص٢٩٨.

(١٩) سيبل، اليكندر: أخبار أمم المجوس، (أوسلو: ١٩٢٨)، ص٢.

(٢٠) العبادي، احمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية، بلا تاريخ)، ص١٤٩.

(٢١) العبادي: تعليقات على نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لابن الخطيب، (القاهرة: بلا تاريخ)، ص ٢١٦ هامش (٦).

(٢٢) اشبونة: مدينة قديمة من كور باجة تقع نحو البحر المظلم وعلى ضفة النهر. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٥.

(٢٣) نهر تاجة: نهر عظيم يشق طليطلة يخرج من بلاد الجلالقة ويصب في البحر الرومي وهو نهر موصوف من انهار العالم. الحميري: الروض المعطار، ص٣٢٩.

(٢٤) العذري، احمد بن عمر بن أنس (ت: ٤٧٨ هـ): ترصيع ألإخبار وتنويع الآثار البستان في غرائب البلدان، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد: ١٩٦٥)، ص٩٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٩٨؛ أبن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٥)، ج٧، ص١٦؛ أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت: ٨٠٨): العبر

وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت: ١٩٧١)، ج٤، ص١٢٩.

(٢٦) جزيرة قادس: جزيرة بالأندلس على مقربة من اشبيلية وطولها من القبلة حتى الجوف اثنا عشر ميلاً ومن اثار هذه الجزيرة الصنم المعروف بأسمها. الحميري: الروض المعطار، ص١٥٤.

(٢٧) شذونة: وهي من كور الاندلس متصلة بكورة مورور في هذه المدينة خاض المسلمون معركة قاسية على لذريق حين افتتحت سنة ٩٢هـ. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٩.

(٢٨) العذري: ترصيع الأخبار، ص٩٨؛ أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٢، ص٤٨.

(٢٩) اشبيلية: مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة ايام ما يعادل ثمانون ميلاً وهي مدينة محصنة كان قد سورها عبد الرحمن بن الحكم. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٥.

(٣٠) القبطيل: جزيرة كبيرة مشهورة في مدخل أشبيلية وهي قريبة من البحر المحيط. ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج١، ص٢٩٢.

(٣١) الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٤.

(٣٢) وهي قرية صغيرة تقع على ضفة نهر الوادي الكبير جنوب اشبيلية. العذري: ترصيع الأخبار، ص١٧٤.

(٣٣) أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٦.

(٣٤) مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص٣٣.

(٣٥) قرمونة: مدينة بالأندلس الى الشرق من اشبيلية والى الغرب من قرطبة بينها وبين استجة خمسة واربعون ميلاً وهي مدينة محصنة بالاسوار وتقع على سفح جبل. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٠.

(٣٦) أبن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر (ت: ٣٦٧ هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطابع، دار النشر للجامعيين، (بيروت: ١٩٥٨)، ص ٨٤؛ أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٦.

(٣٧) المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ٤٩.

(٣٨) أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٠.

(٣٩) أبن القوطية: تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٩٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ١٣٠.

(٤٠) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٠.

(٤١) العذري: ترصيع الأخبار، ص٩٩.

(٤٢) أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٣١.

(٤٣) أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٧؛ ويسميه أبن عذاري، أبن وسيم. البيان المغرب، ج٢، ص١٣٠.

(٤٤) العذري: ترصيع الأخبار، ص٩٩.

(٤٥) أبن القوطية: تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٨٥.

(٤٦) المصدر نفسه: تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٨٥.

(٤٧) الكبيسي، خليل أبراهيم: غزوات النورمانين على الأندلس في عصر الأمارة الأندلسية، ص٨.

(٤٨) العذري: ترصيع الأخبار، ص٩٩.

(٤٩) ابن القوطية: تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٨٦.

(٥٠) أبن دحية: المطرب، ص١٣٨.

(٥١) الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٧.

(٥٢) لبلة: مدينة في غرب الأندلس وتعرف بالحمراء وهي محصنة لها سور منيع ونهرها ياتيها من ناحية الجبل وهي كثيرة الخيرات. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١١٩.

(٥٣) باجة: من اقدم مدن الأندلس بنيت في ايام الأقاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ومن اعلام هذه المدينة الأمام القاضي ابو الوليد الباجي. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣١٤.

(٥٤) العذري: ترصيع الأخبار، ص١٠٠.

(٥٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٢، ص٤٩؛ المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين أبن الخطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، (القاهرة: ١٩٦٧)، ج١، ص ٣٢٣ –٣٢٤.

(٥٦) أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٣١؛ أبن خلدون: العبر، ج٤، ص١٢٩.

(٥٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٧.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٦٨؛ ابن دحية، المطرب، ص١٣٨.

(٥٩) العذري، ترصيع الاخبار، ص١١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

(٦٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٨٦.

(٦١) مؤنس، غارات النورمان، ص٤١.

(٦٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص٨٨.

(٦٣) مؤنس، غارات النورمان، ص٤١.

(٦٤) ابن دحية، المطرب، ص١٣٨.

(٦٥) المصدر نفسه: العبر، ج٤، ١٣٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٢٤؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٢٨.

(٦٦) مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص٦٤ – ٦٥؛ سالم، السيد عبد العزيز، العبادي، احمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت: ١٩٦٩)، ص١٦٢.

(٦٧) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٩٢؛ الشيخ، محمد مرسي: دولة الافرنجة وعلاقتها بألامويين بألاندلس، مؤسسة الثقافة الجماهيرية، (الإسكندرية: ١٩٨١)، ص١٠٢.

(٦٨) مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص٦٧.

(٦٩) أبن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٧٣)، ص ٣٠٨.

(٧٠) الغراب: سفينة من سفن البحر القديمة. أبن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت: ٨٢٧هـ): المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط٣، (تونس: ١٩٦٧)، ص١٠٠ هامش (١).

(٧١) أبن حيان: المقتبس، ص١٥٢.

(٧٢) المصدر نفسه، ص٣٠٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٥.

(٧٣) أبن حيان: المقتبس، ص٢٣؛ سيبل: أخبار أمم المجوس، ص٦.

(٧٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٢٨.

(٧٥) العذري: ترصيع الأخبار، ص١١٨؛ أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٥.

(٧٦) ترصيع الأخبار، ص٣١.

(٧٧) تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٨٨.

(٧٨) أبن حيان: المقتبس، ص٣٠٩.
(٧٩) الكبيسي: غزوات النورمان، ص١٥.
(٨٠) أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٩٠؛ أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٥.
(٨١) أصيلة: مدينة تقع بقرب طنجة، وهي أول مدن العدوة المغربية من جهة الغرب. أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٣٣١؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٢.
(٨٢) أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٩٠.
(٨٣) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٩٣.
(٨٤) أبن حيان: المقتبس، ص٣٠٨؛ عاشور: أوربا العصور الوسطى، ص٢٣٩.
(٨٥) ابن حيان، المقتبس، ص٣٠٨.
(٨٦) الكبيسي، غزوات النورمان، ص١٧.
(٨٧) أبن حيان: المقتبس، ص٣١١.
(٨٨) أبن القوطية: تاريخ أفتتاح الأندلس، ص٨٨.
(٨٩) العذري: ترصيع الأخبار، ص١١٩.
(٩٠) أبن حيان: المقتبس، ص٣١٢.
(٩١) وهي البحيرة الواقعة غرب الجزيرة الخضراء منحرفة قليلاً إلى الشمال. الحميري: الروض المعطار، ص٤٥.
(٩٢) أبن حيان: المقتبس، ص٣١١.
(٩٣) العذري: ترصيع الأخبار، ص١١٩.
(٩٤) أبن حيان: المقتبس، ص٣١١.

الاستغراب وهوية الوجود

م.م. ياسين احمد صالح الدليمي
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

مقدمة

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لانبي من بعده وعلى اله وصحبه وجنده ... وبعد:

جاء مفهوم الاستغراب باساليب وصور متباينة وربما متناقضة في اقل وصف لها ... واثيرت حوله الشكوك والاقاويل عن جدوى استثماره لصالح ابناء العروبة والاسلام، وكيفية الولوج به الى مداخل الشخصية العربية ليكون عاملا مساعدا في الازدهار المعرفي والتمدن الثقافي ضمن حدود القيم والتقاليد العربية الاسلامية وقبل الحكم المسبق على سلبيات وأيجابيات الاستغراب علينا إن نعرف: ماهو الاستغراب لغة واصطلاحا؟ وكيف نشأ؟ وهل له هوية وجود تؤهله لاداء دورا فاعلا في المجتمعات العربية؟

هناك اجابات عن تلك الاسئلة وعن مسائل اخرى في ضوء بحثنا المتواضع هذا... والله من وراء القصد

أولاً. الاستغراب لغة وأصطلاحاً

الاستغراب لغة:

جاء في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ﭒ ﭓ چ[١] فالغرب خلاف الشرق وهو المغرب، فاحد المغربين اقصى ماتنتهي اليه الشمس في الصيف والاخر اقصى ماتنتهي اليه في الشتاء[٢]... والغروب غيوب الشمس غربت الشمس تغرب غروبا ومغيربانا غابت في المغرب وكذلك غرب النجم، والمغرب الذي ياخذ ناحية المغرب[٣]... وغرب القوم: ذهبوا في المغرب ويقال غرب في الارض وأغرب ان امعن فيها[٤] ... وأستغرب في الشيء اكثر منه واستغرب الدمع سال[٥] وأغرب الرجل جاء بشيء غريب واغرب عليه واغرب به صنع به صنعا قبيحا[٦] والاستغراب في احد معانيه من جاء بشيء غريب غير مالوف في بيئة الشرق.

الاستغراب اصطلاحاً

يمكن تعريف الاستغراب موجزاً بانه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب (اوربا – امريكا) من جميع النواحي العقدية والتشريعية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية والبيئية ... الخ[٧] ... ولا يمكن القول ان الاستغراب هو المقابل المضاد للاستشراق لاسباب ايدلوجية وموضوعية الا من ناحية المظهر في ان الاخير يعني بدراسة حضارات الشرق في حين حاول الاستغراب الاهتمام بالحضارات الغربية ودراستها مأ أستطاع الى ذلك.

ثانياً. ماهية الاستغراب

لم يصبح الاستغراب علما مستقلاً له اسس ومؤسسات بعد بل ظل اسيراً لمعاهد الغرب الفكرية ومؤسساته العلمية التي ادعت لنفسها مهمة احتكار وتصحيح

افكار العرب وعموم المسلمين .. كما هو الحال مع الاستشراق الذي يصفه الراحل ادورد سعيد بانه تقليد وليس علماً[٨].

فما هو الاستغراب من المناحي التاريخية والاجتماعية وهل له هوية ووجود مستقلة عن تسلط الاخر وهيمنته؟

وماهي طرق انتشاره ومعطيات ذلك؟

١- الاستغراب تاريخيا:

دراسة الغرب من قبل العرب ليست معضلة تقف عائقا امام الدراسة والاستقصاء فالتاريخ العربي الاسلامي غني بالمشاهدات الحية عن بدايات تكوين الدولة العربية الاسلامية اذ كان العرب المسلمين الاوائل حينما خرجوا من جزيرتهم العربية لنشر الدعوة الاسلامية في العالم على معرفة بعادات وتقاليد وطقوس الامم الاخرى فقد اشار القران الكريم الى ذلك كثيرا وتحدث عن أمم خلت، واخرى في الحياة واكبتهم وتزامنت مع عصرهم چ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ چ[٩]. چ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ چ[١٠]. چ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ چ[١١] . چ □ □ □ □ چ[١٢] تتحدث هذه الايات المباركات وغيرها مما يزخر بها القران الكريم عن امم وشعوب ودول ومدن وقرى اهلكها مصرف الخلائق بحكمته وبصيرته. اما عن الامم المعاصرة لصدر الاسلام فقد ورد عنها الكثير مثل قوله تعالى: چ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ چ[١٣] فضلا عن كتاب الله المبين فقد كانت سنة نبينا الكريم محمد (ﷺ) ثرة غنية وزاخرة بكم هائل من المعلومات الوافية، وعليه فان الفاتحين العرب المسلمين لم يجدوا صعوبة في التعرف على الشعوب الاخرى والتفاعل معها، كان سمو رسالتهم دافعهم الاكبر في ذلك وكانت لهم معرفة يقينية في المجالات العسكرية (الجهاد في سبيل الله) واخرى اقتصادية تمثلت بالرحلات التجارية الى الروم وفارس وغيرهما من الامم حتى اخذ

العرب ما يناسبهم من سبل الحضارة والمدنية من هذه الشعوب والامم[١٤] وابتكروا الكثير من الصناعات والنظم وطوروا اخرى. لقد اثبت العرب المسلمين في كتب الرحلات ودراساتهم المعمقة للشعوب الاخرى وسجلوا انطباعاتهم الممنهجة كما هو الحال مع المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)[١٥] وابي الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ)[١٦] والادريسي (ت٥٨٨هـ)[١٧] وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)[١٨] وسواهم كثير ... غير ان حقبة الاستعمار الحديث وما سبقها من حقب الحروب الصليبية وحروب المغول وموجات الاحتلال الاخرى اجهضت محاولات الاستغراب وما بقى منها على قيد الحياة كانت تجرى في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد. وهي تجسيد حي لمظاهر الاستعمار الحديث في سلب الاخرين تطلعاتهم ومصادرة عقولهم عدا تلك التي تقولبت بقالب الغرب وانصاعت لمطالبيه بل املائاته.

٢- هوية الاستغراب:

الاستغراب لم يكن ردة فعل للاستشراق كما يعتقد البعض[١٩]، لان الاخير جاء لاسباب ودواع مختلفة لكنها مؤدجلة في عمومها، هي نتيجة حتمية لتفوق الشرق التاريخي حضارياً وثقافيا، وكانت مراحل الاستشراق الاولى قبل حقبة الحروب الصليبية واثناءها[٢٠]، فحاجة الغرب الى الشرق لم تنته بمجرد هزيمتهم في تلك الحروب بل على العكس زادتهم هذه الهزيمة اصرارا على اجتياح الارض العربية بكل الوسائل المتاحة، بعد ان سلمت الامة العربية مقاليد امورها ومفاتيح تفوقها الى الاغراب[٢١]، عندها اصبحت هزيمتها حتمية، وهو ماحصل فعلاً بعد سقوط الخلافة في بغداد علي يد المغول سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨م[٢٢] ... اذ لاقت من الخطوب الجسيمة والاهوال الخطيرة مالاقت، انعكس هذا بشكل لافت على احوالها العامة، التي كان منها التشرذم والضياع والانقياد خلف من كان مبهوراً بعطائها ونتاجها القيمي والمعرفي على ان ذروة الماساة وصلتها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات قرن

العشرين بعد انهيار الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤م – ١٩١٨م)[٢٣] اذ ان الاجتياح الاخير في مطلع القرن العشرين لم يكن الاول من نوعه من قبل الغرب بل سبق ذلك الغزو الفرنسي لمصر بقياد نابليون بونابرت (١٧٦٩م – ١٨٢١م)[٢٤] الذي جلب معه بعض المفكرين والمثقفين الفرنسيين لمصلحة الغزو، وليس لشئ اخر، فامتدت ايد هؤلاء الغزاة الى ذلك الصيد المتميز من الحضارة المصرية العريقة، بالتحليل والتمحيص والمقارنة والاكتشاف والتنقيب.

ان الفكر الغربي كان منصبا على كيفية السيطرة غير المباشرة على مقدرات الوطن العربي في ظل الغياب القسري عن المنطقة بعد هيمنتهم عليها بعد الحرب العالمية الاولى او اثنائها ولكن ثورات التحرير العربية فاجئتهم مابين الحربين العالميتين، واثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م – ١٩٤٥م)[٢٥] وبعدها ... ولم تطل حيرتهم او تتفاقم ازمتهم اذ ان المستغربين من ابناء العروبة ومن تلامذة الغرب الذين تخرجوا من جامعاتهم ومعاهدهم التي انشأت في عدد من الاقطار العربية او اولئك الذين اكملوا دراساتهم في جامعات الغرب فكانو وسيلة الغرب وعينه التي ترى ما لا يرونه يقينا لم تكن الدعوة التي اطلقها الغرب الى ترك الماضي والتخلف، الا قناعا استعمارياً للدعوة الى ترك المنحى العربي القراني الاسلامي العقائدي، اذ كانت الدعوة البديلة الى المستقبل اتباع المنحى الاوربي – الامريكي في الثقافة ومواجهة الحياة، على ان تلك الدعوة لم تكن الا اعلاناً عن خروج الثقافة العربية من دائرتها او اصلها العربي الاسلامي وصبغها بلون توراتي – صليبي غريب عنها[٢٦]. وهذه الفكرة هي التي تبناها بعض ابناء العروبة الذين اصطلحوا بـ(المستغربين) امثال:مارون غصن وسعيد عقل و لويس عوض واسكندر معلوف واسعد داغر وانيس فريحة وقاسم امين واحمد لطفي السيد وسلامة موسى وداود جلبي وابراهيم اليازجي[٢٧]، وسواهم كثير.

وعن الاستغراب يقول الاستاذ الراحل مدني صالح (طيب الله ثراه): (كلا لم يكن الاستغراب تلمذة افلاطونية سقراطية على اكاديميين اورو – امريكيين، يعتز بهم السقارطة والافلاطونيون والاخرون من الجهابذة العباقرة الاساطين ... بل كانت تلمذة كسيفة تافهة مغشوشة في الزوايا الاستشراقية العقيمة، والاستشراق الملائي العقيم بلا استنارة من طريقة ومنهج الا الطريقة المنهجية اللعينة التي يجعلون بها الثقافة الساقطة سدا صاداً مانعا بين المتقدمين والمتخلفين...)[٢٨]... سقنا هذه النص على طوله لانه شهادة من عرف الغرب عن كثب، وخبرهم عن قرب، بعد ان نال شهادته العليا من احدى جامعاتهم، لكنه لم يسقط بفخ المغريات الذي نصبوه له ولغيره من الدارسيين العرب هناك.

مما تقدم يتضح إنه ليس للاستغراب هوية وجود مستقلة تؤهله لاداء دور مستقل عن املاءات الاخر ونفوذه وسطوته، بل يبدو ودعاته قشريا وذيليا ومنقاداً بصورة عشوائيا ومبعثرة، وبحاجة الى الرشد والتقويم ولكن تبقى فسحة الامل امام العرب اليوم واسعة اذا ان فيهم افرادا يتمتعون بعبقرية علمية ملحوظة في داخل البلاد العربية وفي المهاجر الغربية[٢٩] في الغرب الادنى الاوربي والغرب الاقصى الامريكي وينشدون بمستقبل زاهر في العلوم الصرفة اوصنوها العلوم الانسانية اذ ما وجهوا بطريقة منهجية صحيحة للعودة بامتهم الى جادة الطريق القويم

٣- وسائل الاستغراب

هناك وسائل كثيرة واساليب مختلفة لاعداد المستغربين بالكيفية التي يراها الاخر مناسبة خدمة لمصالحه واغراضه واهدافه ومنها اسلوب المنح الدراسية والبعثات العلمية الرائجة بضاعته هذه الايام ... ويعود اسلوب المنح الدراسية الى عصور موغلة في القدم اذ كان فراعنة مصر يجلبون ابناء الملوك والامراء والاعيان الى مصر ليتعلموا بها ويتلقوا العلم فيها[٣٠] واثناء مدة التعليم التي تستغرق احيانا عشرة اعوام يكون من السهل التاثير على عقلية الطالب وتفكيره وبالتالي يتحول في غالب الاحيان الى مواطن موال للبلد الذي درس فيه فلا تكاد تنقضي مدة دراسته حتى يتحول الى شخص مزدوج الجنسية، وقد تكون جنسيته العقلية التي اكتسبها اثناء دراسته الراجحة الكفة على جنسيته الاصلية[٣١] وكثير من هؤلاء الطلبة كانوا يعدون لتولي مراكز قيادية في بلدانهم حتى اذا دانت لهم السلطة كانوا اشد وطأة على ابناء جلدتهم من الدولة التي تعلموا بها انصياعا وتملقا لها، وان كانت ضد اماني شعوبهم وتطلعاتها[٣٢]. وعلى ذلك السياق درجت الامبراطوريات اللاحقة كالاغريق والرومان والفرس أذ حققوا استقرارا في البلدان التي غزوها وتلك المجاورة لهم لعوامل جغرافية وكانت عاملا مساعدا في حروبهم المستمرة ضد الاخرين.

وفي تاريخنا المعاصر لا يزال اسلوب الاستعمار الفكري قائما، وان اختلفت القوالب والاشكال، الا ان الاهداف الموروثة تبقى كما هي لا تتغير ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية، فدول الارث الاستعماري الحديث تعمد الى بذل المنح الدراسية لطلبة الاقطار العربية فتأخذ هذه المنح بشكل الاعانات المادية والمعنوية. ولا يكاد الطالب العربي يصل الارض الامريكية حتى يجد في انتظاره حياة جديدة تناى عن الحياة التي الفها في بلده، ثم ينبهر بمظهر الحرية المنفتح، والازدهار العمراني والتقني

والالكتروني، ومستوى المعيشة العالي حتى تفعل هذه المظاهر فعلها في دخيلة الطالب الشاب اليافع[٣٣]، الذي سأم نظام الحياة الممل وربما المتخلف في بلاده.

وامام هذا الاندهاش يكون أساتذة متخصصون في علم النفس العام وعلم النفس التربوي، متهيئون لغسل دماغه وتوجيهه الذي يناسب مصالح البلد (المعلم) استنادا الى مذهب البراغماتية العملي والنفعي الذي ظهر في الولايات المتحدة الامريكية نفسها مع بدايات القرن العشرين، وساعد على نشأته انتشار استخدام الطريقة العلمية وماترتب عليها من نفع عملي وتقدم صناعي على يد مؤسس البراغماتية تشارلز بيرس (١٨٣٩م – ١٩١٤م)[٣٤]، ثم طوره وليام جيمس (١٨٤٢–١٩١٠م)[٣٥] الذي قرر إن معيار الحقيقة ليس الحكم العقلي بل السلوكي العملي النافع بل السلوك المترتب عليه[٣٦]. وبهذه الرؤيا تؤدي البرامج الدراسية، والاختلاط الطلابي والانفتاح على الحياة الجديدة الدور الابرز في نزع الجذور الاولى التي تربط الطالب بوطنه الام نفسيا وعمليا، وتستطيع المغريات الكثيرة في المجتمع الجديد ولا سيما حياة الشباب الخالية من العقد والكبت والمخبر السري ان تربطه بقوة الى الحياة الجديدة. وقبل الانتهاء من مدة دراسته او في نهايتها يجد نفسه وقد انحلت عنه الروابط والقيم التي نشأ عليها – ما خلا القليل منهم طبعا – فلا يلبث تحت تأثير الاغراءات وبرامج الترغيب في حياة الغرب ان يتنكر لوطنه واصوله[٣٧]، ويفضل البقاء في البلد الغريب على العودة الى بلاده التي تكون بامس الحاجة الى علمه واجتهاده وجهده ... وهنالك امثلة على ذلك من الماضي القريب .. فمنذ العالم ١٩٥٩م وحتى العام ١٩٦٥م رفض اكثر من الفي طالب عربي انهوا دراستهم في امريكا العودة الى بلدانهم وفضلوا البقاء في البلد الذي تلقوا دراساتهم العالية فيه، ومن بين هؤلاء اكثر من الف طالب مصري، كانت مصر في اشد الحاجة الى تخصصاتهم و علومهم في مسيرتها التنموية[٣٨]، والعربي او المسلم في حساب الغرب

يبدو كانه شخص واحد ولد في عهد البعثة المحمدية، وهو بعينه يولد ويعاد ميلاده من جيل الى جيل ومن امة الى امة[٣٩].

وهذا المصير المفجع حتمي، نتيجة لعمليات غسيل المخ الذي تقوم به اجهزة مخابراتية متخصصة لهؤلاء الطلبة عن طريق المطبوعات والنشرات والندواة الثقافية واحيانا الليالي الحمراء، حتى يستسلم الشاب الشرقي في نهاية الامر لهذه الاساليب، ومن ثم يصبح اداة طيعة في ايدي الاغراب ... ونلاحظ ان الكثير من المستغربين العرب الذين تاثروا باتجاهات المستشرقين الغربية ولاسيما اولئك الذين درسوا بالغرب ثم عادوا الى بلادهم كانوا تلامذة اوفياء الى اساتذتهم المستشرقين اذ دافعوا عن الافكار والرؤى الاستشراقية، واكدوا ولائهم الى منهجهم الغربي في نظرتهم الى الشرق، وهم ماسموا بالمستشرقين[٤٠]. وكانت افكار هؤلاء ثمرة للمنهج الغربي في نظرته الى الشرق كما هو الحال مع طه حسين ولويس عوض وسلامة موسى وغيرهم[٤١]، فقد انابوا عن الغرب في اداء مهمات المستشرقين في البلاد العربية[٤٢].

فالبعثات الاولى للمستغربين العرب – ان صح التعبير – لجامعات الغرب كالسربون وبرلين واكسفورد وكيمبردج، وسواها، ابتدات منذ النصف الاول للقرن التاسع عشر، ثم استمرت باطراد الى يومنا هذا، وهذه البعثات شكلت النواة الاولى للاستغراب في تقديرنا بدات من رفاعة رافع الطهطاوي وانتهاء باساتذة الجامعات المعاصرين، مرورا باحمد لطفي السيد وطه حسين ومحمد مندور[٤٣]. ان النتائج التي تمخضت عن دراسات هؤلاء كانت تمثل حضورا مقنعا للغرب في صورة رسمها الشرقي عن الغرب، وكما يريد الغرب، حتى بات من المؤكد انهم غير قادرين على دراسة الغرب من خارجه وعلى دراسة الشرق من داخله، وكان على الاخر (الغرب) ان يسهم في ازالة المعوقات التي تعرقل عمل المستغربين لا ان يكرسها ويغذيها ... فمثلا اذا اراد عربي ان يفهم شيئا عن الثقافة الغربية لن يجد لديه الخبير العربي

المتخصص في دراسة الغرب (غالبا) مما يضطره الى الذهاب الى الخبير الغربي، لان الفارق هنا ليس بسيطا ويعود لاعتبارات ايديولوجية وسياسية، لا الى اعتبارات تاريخية وحضارية كما يروج الغرب ويقول[٤٤]. وطبعا هنالك وسائل اخرى ياتي الاعلام بانواعه في مقدمها، لا مجال لذكرها في هذا البحث.

٤- الاستغراب والواقع

يقول يانوش دانيتسكي: هكذا هم العرب قرروا الى حد بعيد شكل الثقافة الاوربية وبعدها صاروا منسيين، ثم جرت محاولة مدروسة لمحو اثار كل ما هو عربي من اجل ان لا تتعرض مشاعر المسيحيين للاذى[٤٥].

لقد ظهرت في صقلية (بالرمو) واسبانيا (توليدو) الى مراكز الترجمة من العربية الى اللاتينية (لغة اوربا انذاك) بشكل مدهش، وهذا الانبهار انعكس في مجلدات علوم الطب والفلسفة والفلك والرياضيات، وباختصار كان الاتصال الفيزيقي قائما بين العالمين منذ القدم، الا ان االتفاهم الروحي كان مفقودا، اذ لم يكن بمقدور الاوربيين الاعتراف بتفوق العرب المسلمين الثقافي، كذلك لم ير العرب في الاوربيين الا اجلافا غير متمدنين[٤٦] ... ولم تتوقف المقارنة بين العقل العربي والعقل الغربي بل استمرت نزعة العرق المتفوق في دراسات المستشرقين حتى في المجال الديني، والاسلام قد اخذ من الديانات الاخرى محتواه بزعمهم ولا سيما اليهودية والنصرانية[٤٧]، فمنذ عصر التنوير الاوربي كان الفكر الغربي يعيش في عالم لا تشاركه في صنعه الحضارات الاخرى، وعموما كانت كتابات المستشرقين تنطلق من فرضية مفادها الاساس شرق متخلف مقابل غرب متقدم[٤٨] اي ان الغرب منطلق كل شيئ، ومن اجل تجنب صرامة المنطق العقلاني بهدف اصطناع منهجين احدهما للحضارة الشرقية والاخر للحضارة الغربية لان الرؤية الايدلوجية للغرب عن الشرق لم تتبدل بصورة نهائية، بل تم فقط تغيير بعض بنيتها لتقديم رؤية ايديولوجية جديدة تحافظ

على العناصر الاساسية في البنية الايديولوجية القديمة، والتي تبقي الفكر الغربي ينطلق من فرضية تجعل من الغرب مركزا للتاريخ والحضارة والابداع العقلاني الفلسفي والعلمي، اذ تجد لدى الفيلسوف الوجودي المعاصر هيدغر تعبيرا صريحا ومركزا عن جوهر المركزية الاوربية، فهو يرى ان عبارة الفلسفة الغربية تحصيل حاصل وتكرار لا معنى له فلا وجود لفلسفة اخرى غيرها[٤٩] فكل المحاولات والحركات لابراز الشخصية القومية العربية منذ حوالي قرن لم تكن من شانها ان تغير من نظرة الفكر الغربي الى تاريخ الثقافة والعلم والحضارة، المبني عل المركزية الاوربية، فيقرر ما كان الفكر الغربي يتقدم في التيار الحضاري، كان ذلك مصحوبا لديه بشعورين اولهما ان اكتمال البناء الحضاري من الناحية المادية لا يمكن إن يكون الا ضمن هيمنة على العالم الاخر، وضرورة الهيمنة المادية تصبح ارادة في نقل الثقافة والحضارة الى العالم الاخر، اما الشعور الثاني الذي واكب البناء الحضاري في اوربا فانه كان يتعلق بالوعي الذي تكون خلال ذلك الغرب بذاته، ومضمون هذا الوعي إن اوربا مركز للحضارة والثقافة والعقل والتاريخ .. ضمن هذه الايدلوجية يصبح كل التاريخ الثقافي والحضاري للعالم منطبقا على التاريخ الاوربي حسب[٥٠].

إن الدراسات التي اقامها المستشرقون ليس هناك ما يسوغ قيامها او انجازها من قبل الشرق ازاء الغرب، اوربا – امريكا او السعي الى الارتكاز على نقاط حيوية تؤدي الى السيطرة الشرقية على الغرب فمنذ القرن السابع عشر الميلادي وربما قبل ذلك، كان الشرق مجالا للاستيطان، وكانت الدراسات الاستشراقية تعد في الغالب من اجل معرفة كيف يمكن احتلال الشرق لصالح الغرب، فنابليون عندما غزا مصر عام ١٧٩٨م على سبيل المثال لم يكن ذلك من اجل نشر الحضارة كما كان يقال انذاك، بل لازاحة القوى الكبرى الاخرى المنافسة واستغلال مصر كنقطة انطلاق نحو مشاريع اخرى[٥١]، في حين لم ينظر الشرق الى الغرب مطلقا كمكان يمكن استغلاله او يمكن شن حروب عليه على غرار الحروب الصليبية. والدراسات الاستشراقية في بداياتها

جاءت مصاحبة للهيمنة والغزو الاوربي، في حين إن الدراسات الاستغرابية لم يتوافر لها مثل هذه الابعاد الاستعمارية نظريا او عمليا، فالاستشراق بدأ بداية عسكرية – تجارية، ثم تجاوز الاطار العسكري الى مجالات اخرى، اما بالنسبة للاستغراب فقد اخذ شكل الرحلات والانبهار بالغرب من خلال بعض الاعمال الادبية[٥٢]. مثل اعمال طه حسين وتوفيق الحكيم، فضلا عن مؤلفات اخرى لبعض المؤلفين والرحالة العرب، وكانت هذه الاعمال الاستغرابية – إن صح التعبير – تعكس في بداياتها نوعا من الانبهار والجاذبية ولكن سرعان ما بدا هذا الانبهار ينحسر باتجاه الاستشعار بخطر الغرب ومعاول تهديمهم، ولم يعد الغرب كما وصفه الطهطاوي منبعا للمعرفه بل صار تدريجيا الخطر الداهم[٥٣] فالدعوه الى الاستغراب او لدراسة الغرب متجدده، ففي منتصف القرن العشرين اشار المستشرق الالماني رودي بارت الى اهمية إن يتجه العالم الاسلامي لدراسة الغرب اسوة بما يفعله الغرب في دراساته للشرق[٥٤]. ومعرفة العرب هذه تنفي اتهامات المستشرقين للعرب ونظرتهم الدونية. فقد اعترف الجميع بفضل العرب قديما في ايصال اعمال الفلاسفه والعلماء القدماء واثارهم للعالم الحديث[٥٥] وهم اليوم غير عاجزين عن الابداع والابتكار والتطور. والاستغراب الحقيقي ذلك الذي يجري بمناى عن الاستعمار المباشر او الغير مباشر حتى يكون جدير بثقة الناس في اعمهم الاغلب فالظرف الذي جرى به الاستشراق كان ملائما للمستشرقيين من الغرب وهو لم يكن كذلك للمستغربيين بسبب نزعة التسلط الغربي ومن العسير اطلق نفس الاحكام على كلاهما فليس القاتل كالضحية ... وظاهرة عدم وجود دراسات شرقية عن الغرب بمستوى دراسة الغرب عن الشرق او مقاربة منها لاتدخل ضمن سياق عدم مبالاة الشرقيين في ذلك بل تحكمها العلاقة الغير متناظرة والغير متوازنة بين الشرق والغرب في مزاعم الاخر واحتكارته التي تتجاوز الماديات باتجاه المعرفة والعلوم والافكار تفرضها نزعة عنصرية فوقية من الشمال الى الجنوب حتى تبدوا المقارنة ظالمة وغبر عادلة بمعنى اوضح إن ممارسات الاستعمار الغربي لاتقتصر على الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بل ان خطرها يكمن في الجوانب العلمية والمعرفية والثقافية واذا كان ثمة سؤال يدور عن أسباب عدم

وجود استغراب متميز يفرض نفسه مقابل الاستشراق المتطور، فان الاجابة على ذلك مفادها ان الاستعمار الغربي ترك عموم بلاد المشرق ولا سيما الارض العربية في حالة شلل تام، وعجز بنيوي على مختلف المجالات والصعد، واعاب على العرب حتى تاريخهم وحضاراتهم وثقافتهم، واستهتر مستهزأً بكل القيم الروحية والعقيدية[٥٦]، وغل ايدي المتطلعين الى سبر اغوار العلوم وكبلهم بمزاعم التخلف واباطيل الجهل، فوضعوا الفوراق والفواصل بين الشعوب، وفرقوا امة العرب الى دويلات، وابعدوهم عن جذورهم الاصيلة وبثوا الافكار المشوشة واوهموهم بقدراتهم[٥٧] وكنتيجة لذلك تمخضت هذه التداعيات عن كم هائل من الباحثين العرب والشرقيين، انساقو بحكم التراث الاستعماري، وبحكم تكوينهم اللغوية والثقافي فصاروا باحثيين غربيين على غرار المستشرقين او في عموم المستويات اللغوية والمنهجية، وامتد ذلك الى الشعور والمشاعر وبالتالي فهم عاجزون عن تقديم صور شرقية عن الغرب، وما يقدمونه من دراسات لا يمكن ان يكون رؤية الشرق للغرب بل رؤية الغرب لذاته، لكن بصورة شاحبة ومشوهة[٥٨].

هذا هو واقع الاستغراب حاليا، لا يأصل لنزعة استقلالية تقيه الشبهات وترتقي به فوق الشكوك، وتأخد به بعيدا عن التقليد والانقياد، والاستلام امام املاءات الاخر وشروطه.

٥- الاستغراب المفترض

جاء في الحديث الشريف: (لايكن احدكم امعة يقول: انا مع الناس إن احسن الناس احسنت، وان اساءوا اسات، ولكن وطنوا انفسكم إن احسن الناس إن يحسنوا، وان اساءوا إن تتجنبوا اساءاتهم)[٥٩] اذ إن اصالة العرب وحضارتهم العريقة ينبغي إن تحصنهم ضد الانقياد العشوائي والتقليد الاعمى والمراوحة في نفس المكان، وتجعل هويتهم الروحية والمادية بمنأى عن الثقافة المغشوشة والانجرار الى الزويا المظلمة لقد كان للحضارة العربية من القوة والمنعة ماجعلها تبقى على الدهر، وتخلد الى الابد[٦٠]، وهي لازالت تحتفظ بسر تفوقها ومفاتيح تطورها، لفك طلاسم العلوم والثقافة، ومواكبة العصر بكل تقنياته واسراره والان يبدوا إن البعض اغواه التشبه بالاخر وثقافته التي ليست لها أي جذور او فائدة سوا طمس القيم الاصيلة بثقافة بتراء ناقصة يكون الاستغراب وعاء مفترض لمحتواها وبما إن المدنية الغربية هي المتفوقة صناعيا وعمليا، فمن الواجب على العرب إن يعرفوها معرفة وثيقة وعلمية بعيدا عن الرحلات والبعثات العلمية العشوائية والتي تحمل من المخاطر اضعاف ماتحمله من الامان، والاعتماد على نوعية متنورة من طلبة العلم، يعون دورهم في بناء بلدانهم ومواكبة الركب المتقدم باستقلالية الهوية المعنوية والثقافية فكما إن الغرب عندما بدء نهضته العلمية والفكرية والثقافية توجه الى الشرق ولاسيما الارض العربية، وافاد من معطيات الحضارة العربية الاسلامية بدءا من التفكير العلمي والمنهج العلمي الى مختلف معطيات الحضارة العربية فان المنطق يفرض على طلبة العلم العرب إن يحثوا الخطى لدراسة الغرب وينطلقوا لادراك سبب تأخراهم وتقدم الاخر وهذه الدراسة ينبغي إن تتم وفق اسس رصينة للاستفادة من معطيات الحضارة الغربية المعاصر فيما لايتعارض مع الاسس الاخلاقية والقيمية للحضارة العربية الاسلامية واذا ما توافرت هذه الشروط فان من المتوقع إن يصبح الاستغراب علما مستقلا في ضوء النهضة العلمية والخطوات المدروسة التي تتخذها البلدان العربية في مجالات العلوم وفي مقدمتها التكنلوجيا والتقنية الحديثة مما يوجب على مراكز البحث العلمي و وزارات التعليم العالي في العالم العربي اتخاذ الاجراءات المدروسة بعناية فائقة وانشاء اقسام

علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصصية وعلى مختلف المجالات المتاحة. ولا يبدو الامر مستحيلا او صعبا اذا ما عرفنا إن الحضارة العربية الاسلامية استوعبت شتى الحضارات[٦١] على اثر الفتوحات العربية الاسلامية الكبرى يقول الدكتور حسن حنفي في كتابه مقدمة في علم الاستغراب: (فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الانا بالاخر والقضاء على موكب العظمة لدى الاخر بتحوله من ذات دارس الى موضوع مدروس والقضاء على مركب النقص لدى الانا بتحويله من موضوع مدروس الى ذات دارس ...)[٦٢].

وفي دراسة الغرب لابد من التخطيط الفعال في هذه القضية اذا اردنا النجاح ومعرفة الغرب والافادة من المعطيات الايجابية للحضارة الغربية إذ يحتاج هذا الجهد الى عشرات اللجان في العديد من الجامعات العربية لوضع الخطط المناسبة لهذه الدراسات[٦٣] ويفضل إن تكون تحت غطاء جامعة الدول العربية وتفعل من قبل الاقطار العربية الاعضاء لتكون العملية مركزية وتعم فائدتها كل البلدان العربية.

وفي العالم العربي يكاد لاينقصنا دراسة اللغات الاوربية موضوعة ((الاستغراب))، ولكن تنقصنا الحاجة الى من له المام بهذه اللغات للوصول بالبحث والدراسة الى مستوى رفيع في التمكن من اللغات الغربية ومن ثم الدراسة في الجامعات الغربية والتركيز في قضايا الغرب وليس دراسة موضوعات العالم العربي[٦٤] ...

والحاجة ماسة الى من يتعمق في علم الاجتماع الغربي ليعرف تلك المجتمعات عن كثب وتلك مسألة لم تعد صعبة المنال بوجود الكثير من الاوربيين والامريكيين من اصول عربية يستطيعون فعل ذلك والتعمق في البحث العلمي الرصين والتوصل الى معلومات في غاية الاهمية والحيوية بالنسبة للبلاد العربية.

ودراسة العرب للغرب ستكون مختلفة بالتاكيد عن دراسة الغرب للشرق وذلك إن الغرب بدا الاستشراق فيه منطلقا من توجيهات واوامر البابوات لمعرفة سر قوة المسلمين وتفوقهم وانتشار الاسلام في البلاد التي كانت خاضعة للمسيحية[٦٥]، اذ كانت هذه الدراسة لهدفين رئيسين احدهما تنفير النصارى من الاسلام والثاني اعداد بعض رجال الكنيسة للقيام بالتنصير في البلاد العربية والاسلامية[٦٦]

اما الاستغراب فيجب إن يدرس الغرب ومؤسساته وهيئاته فالعرب قبل كل شيء هم بامس الحاجة للاخذ باسباب القوة المادية التي وصل اليها الاخر استناداً لقوله تعالى: چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ۋ ۋ و و ۋ ۋ ې ى چ[٦٧] ...

والسبب الاخر إن دراسة العرب للغرب لا تحمل نوايا سلبية اوتطلعات استعمارية كما ذكرنا فما كان العرب يوما استعماريون ولا ينبغي إن يكونوا كذلك ولكن عليهم حماية مصالحهم والانتباه لعمل الشركات المتعددة الجنسيات التي ابتدعها الغرب واصبحت ذات نفوذ اقوى من الحكومات[٦٨]. والامر الثالث هو ما يتعلق بخاصية الامة العربية الاسلامية التي اصطفاها الله تعالى لحملة خاتمة رسالاته السماوية فكانت رسالتها جهادية كونها امة الدعوة والشهادة فالرسول محمد (ﷺ) قد جاء للناس كافة بشيراً ونذيراً فمن صلب هذه الرسالة تكون الدعوة الى الله تبارك وتعالى وبمضمونها يكون الاحتكاك مع الاخر على اسس سليمة من الاحترام المتبادل ...

واخيراً لن يكون الاستغراب الحقيقي صورة من الاستشراق او معولا لتهديم حضارات الاخرين او تشويه ثقافاتهم وعلومهم، بل سيعكس تلك الماوية الصافية والنقية من ذلك الخلق القويم وليس انتقاصا من احد او طلبا لثار انطلاقا من قوله تعالى: چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ و چ[٦٩].

الخلاصة

بعد ان استعرضنا الصفحات السابقة للاستغراب وهوية الوجود بشكل تاريخي وتحليلي تبين ماياتي:

ان الاستغراب لايمتلك هوية وجود مستقلة تؤهله لاداء دوره المفترض في مجمل حياة المجتمعات العربية، وهو لايزال وليدا غير ناضجا يتارجح بين الماهية والمعارف الاخرى كالاستشراق، ولا تزال الوسائل والاساليب التقليدية تقيد حركته بل تجعله مشلولا لا يقوى على الابداع والابتكار لان الاستعمار اراده كما رسم له، وليس كما يريد العرب وبلدانهم المتعددة وتبين ان صورة الاستغراب الضبابية وغير الواضحة بحاجة الى وقفة جادة من الجهات المعنية او ذات الاختصاص ولا سيما مراكز البحث العلمي، ووزارات التعليم العالي في البلاد العربية ليؤدي دوره بالشكل المطلوب والصحيح وبما يخدم عجلة التطور العلمي والازدهار الحضاري ... واكد البحث على خطورة البعثات او الرحلات العلمية العشوائية وغير المدروسة الى مختلف بلدان الغرب اوربا – امريكا والتي في غالب الاحيان تاتي نتائجها بصورة عكسية او دون فائدة تذكر.

وتبين كذلك ان الاستغراب لا ياصل لنزعة استقلالية تقيه الشكوك والشبهات، بسبب املاءات الاخر او اوامره التي لاتراع المصلحة الوطنية للشعب العربي ويفترض ان يكون هنالك استغراب يتوائم وعجلة التقدم العلمي والتقني الذي يعيشه العالم للنهوض بالاجيال القادمة الى مستوى الطموح ...

فهل نشهد استغرابا مستقلا ذا هوية وطنية عربية واضحة في المستقبل القريب؟!

الهوامش

(١) سورة الرحمن (الاية ١٧)

(٢) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، جـ ٥، ص١٧

(٣) ابن منظور، لسان العرب، جـ ٥، ص١٧

(٤) المصدر نفسه، جـ٥، ص١٨

(٥) المصدر نفسه، جـ٥، ص١٩

(٦) المصدر نفسه، جـ٥، ص١٨

(٧) مطبقاني، مازن صلاح، متى ينشأ علم الاستغراب، (الرياض، وحدة دراسات العالم الغربي بمركز الملك فيصل، د.ت)، ص٣

(٨) سعيد ادورد، الاستشراق، ترجمة كمال ابوديب، (بيروت، دار الحكمة، ١٩٨١)، ص٢١.

(٩) سورة القصص، (الاية ٣).

(١٠) سورة القصص، (الاية ٤٥).

(١١) سورة القمر، (الاية ٩).

(١٢) سورة القمر، (الاية ٢٣).

(١٣) سورة الروم، (الايتان: ٢ ،٣).

(١٤) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل الملوك. تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م) جـ٣، ص ٦١٣ وما بعدها

(١٥) ينظر: المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦ هـ) التنبيه والاشراف، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١ م).

(١٦) ينظر: البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠هـ)، الاثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: ادورد سخاو، (حيدر اباد، المطبعة العثمانية، د. ت).

(١٧) ينظر: الادريسي، الشريف ابو عبدالله محمد (ت ٥٨٨ هـ)، صفة الاندلس – ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٦٦).

(١٨) ينظر ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، (بيروت دار صادر، ١٩٥٧م).

(١٩) صالح، هاشم، المثقفون العرب بين الاستشراق والاستغراب، جريدة الشرق الاوسط، العدد ١٠٦١٤، الخميس ١١ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ، ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٧ م)، ص: الرأي.

(٢٠) قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، (الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٠ م)، ص٧ ومابعدها.

(٢١) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص٢١٩

(٢٢) ينظر: السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبالحميد (بيروت، دار الجيل ١٤٠٨هـ) ص ٥٣٣ وما بعدها

(٢٣) الديراوي عمر، الحرب العالمية الاولى (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨١ م) ص ١١ وما بعدها

(٢٤) الحويك الياس طنوس تاريخ نابلون الاول (بيروت، دار الهلال ١٩٨١ م) جـ ١ ص٢٧

(٢٥) لاوند رمضان الحرب العالمية الثانية (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٢م) ط٩ ص٢٤ ومابعدها
(٢٦) صالح مدني بعد الطوفان (بغداد دار الشؤن الثقافية العامة ١٩٩٩م) ص١٥٢
(٢٧) العبيدي رشيد الحركة اللاستشراقية مراميها واغراضها (بغداد انوار دجلة ٢٠٠٣ م) ص٩٦
(٢٨) صالح، مدني، بعد الطوفان ص ١٥١
(٢٩) فروخ، عمر عبقرية العرب في العلم والفلسفة (بيروت المكتبة العصرية ١٤٠٥ هـ) ص١٧
(٣٠) القصاص، فؤاد، امريكا والغزو الفكري لمنطقة الشرق الاوسط (بيروت دار الجيب د.ت) ص٦٩
(٣١) القصاص، امريكا والغزو الفكري ص٧٠
(٣٢) المصدر السابق ص٧٠
(٣٣) المصدر نفسه ص٧١
(٣٤) محمد، سماح رافع، المذاهب الفلسفية المعاصرة (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٧٣ م) ص٥١
(٣٥) سماح رافع المذاهب الفلسفية ص٥٤
(٣٦) محمود، زكي نجيب، من زاوية فلسفية (بيروت، دار الشروط، ١٩٧٩م) ص٢١٢
(٣٧) العقاد، عباس محمود، الاسلام والحضار الانسانية (بيروت، المكتبة العصرية د.ت) ص٨٤
(٣٨) القصاص، امريكا والغزو، ص٧١
(٣٩) العقاد، الاسلام والحضارة الانسانية، ص٨٤

(٤٠) رسول، رسول محمد، الاسلام والغرب (بيروت، دار المعرفة د.ت) ص١١
(٤١) الكيلاني، رعد شمس الدين الاسلام والاستشراق (بغداد، مركز البحوث الاسلامية ٢٠٠٦م) ص٣١
(٤٢) الكيلاني، الاسلام والاستشراق ص٣١
(٤٣) صالح، المثقفون العرب جريدة الشرق الاوسط صفحة الراي
(٤٤) جاكمون ريجرد حوار مع فرنسيين ترجموا اثار عربية ضمن كتاب حوار الاستشارق ص٢٣٢
(٤٥) دانيتيسكي، يانوش الاستشراق (بغداد دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩١م) ص٧٢
(٤٦) يانوش، الاستشراق ص١٧٢.
(٤٧) الظالمي، حامد ناصر، بنية اللغة العربية في التيار المعادي للعقل العربي (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة) ص ٤٤.
(٤٨) شعيب، علي، الاستشراق وكتابة التاريخ، (بيروت، مجلة الفكر العربي المعاصر، ك٢، ١٩٩٠). ص٣٣.
(٤٩) السقاف ابوبكر ملاحضة نقدية حول المركزية الاوربية (مجلة الحكمة، عدد ٤٥، ت٢، ١٩٩٧م) ص١٨
(٥٠) وقيدي، محمد، العلوم الانسانية والايدلوجيا (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٣) ص١٤٢، ١٤٣
(٥١) طومش، ندى، حوار الاستشراق
(٥٢) المرجع نفسه ص١٧٥
(٥٣) المرجع نفسه، ص١٧٦

(٥٤) بارت، رودي، الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات اللالمانيا (بيروت، دار الطليعية د.ت) ص٥٣

(٥٥) هونكا، زيغرد، شمس العرب تسطوا على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي (بيروت، المكتب التجاري ١٩٦٤م) ص٣٩٩

(٥٦) العبيدي الحركة الاستشارقية ص ٣١

(٥٧) المرجع نفسه ص٣١

(٥٨) الشيخ احمد، حوار الاسشتراق (القاهرة، المركز العربي للدراسات الغربية ١٩٩٩م) ص٩

(٥٩) البخاري، ابوعبدالله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري (بيروت، دار الهلال د. ت) ص١٨٩

(٦٠) معروف ناجي، اصلة الحضارة العربية (بيروت، دار الثقافة ١٩٧٥م) ص٨

(٦١) المطبقاني منى ينشأ الاستغراب ص٢

(٦٢) المرجع نفسه ص٣

(٦٣) المرجع نفسه ص٣

(٦٤) نفسه ص٣

(٦٥) نفسه ص٣

(٦٦) نفسه ص٣

(٦٧) الانفال من (الاية٦٠)

(٦٨) مطبقاني، متى ينشا علم الاستغراب، ص٤

(٦٩) المائدة من (الاية ٨)

التوزيع الجغرافي لداء الكبد الفيروسي البائي في مدينة تكريت للفترة (٢٠٠٥ – ٢٠٠٦) دراسة حالة متوطنة

أ.م.د محمـود حمـادة صـالح م.م. عبـد الحـق خلـف حمـادة

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الجغرافية التطبيقية

مُقَدِّمَة

ركز علم الجغرافيا منذ القدم عل كشف العلاقة بين البيئة والإنسان، وتظهر هذه العلاقة، في أجل صورها، في أمراض الإنسان ومشكلاته الصحية، وهذا ما سمي بالجغرافيا الطبية والتي تمثل فرعاً أساسياً من فروع الجغرافيا التطبيقية Applied Geography، وهي تختص بدراسة التوزيع الجغرافي للأمراض، وإبراز العلاقة بينها وبين عناصر البيئة الطبيعية والبشرية، وتقويم آثارها السلبية على حياة الإنسان، وعلى أحواله المعيشية والاقتصادية، وعلى قدراته المختلفة، والبحث عن أساليب مكافحتها والوقاية منها، ومدى توفر الخدمات الطبية والصحية اللازمة لعلاجها، ولرفع المستوى الصحي العام للمجتمعات البشرية.

يتناول هذا البحث التوزيع الجغرافي لداء الكبد الفيروسي البائي في منطقة تكريت وهو محاولة للكشف عن بؤر كثافة المرض وأسبابها كذلك وفق تصنيف السكان على فئات عمرية وتصانيف أخرى بغية حصر المرض وصولا إلى النموذج الأكثر عموما في المنطقة.

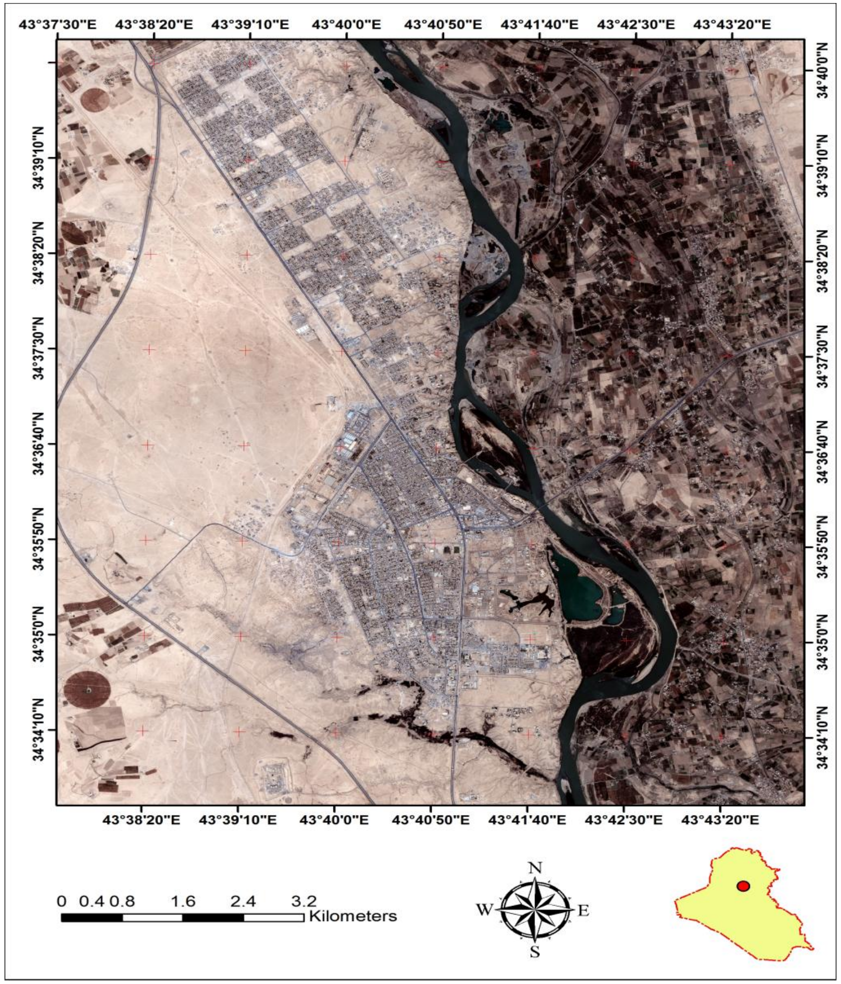
المبحث الأول

الإطار النظري للدراسة

حدود منطقة الدراسة:

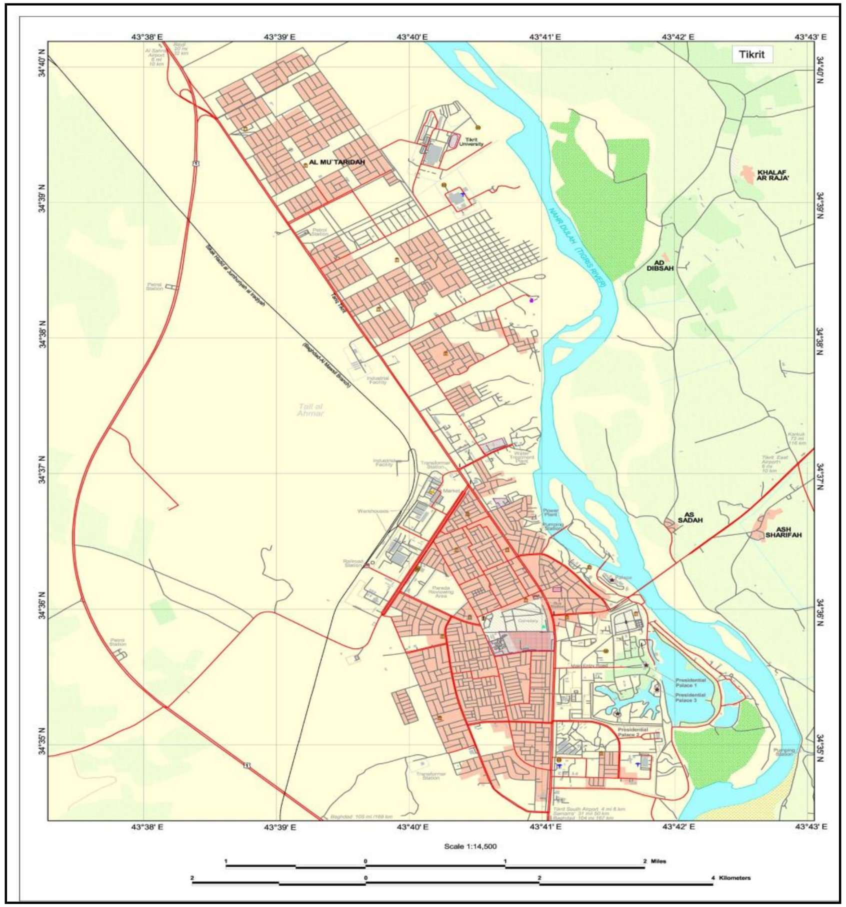
تشمل الدراسة مدينة تكريت وإقليمها والذي يمثل سبعة مناطق تابعة لها وهي (القادسية، حماد شهاب، شيشين، العوجة، عوينات، البوعجيل، العلم، سمرة) فضلا عن مركز مدينة تكريت، حيث تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض ً٠٥ َ٤٠ ْ٣٤ من جهتها الشمالية و ً١٠ َ٣٤ ْ٣٤ من جهتها الجنوبية وبين خطي طول ً٣٧ َ٣٨ ْ٤٣ من جهتها الغربية و ً٢٣ َ٤٣ ْ٤٣ من جهتها الشرقية. كما في الصورة الفضائية و الخريطة (١،٢).

صورة جوية(١) لمدينة تكريت من القمر ايكونوس ٦م ٢٠٠٧



المصدر: صورة فضائية لمدينة تكريت، القمر ايكونوس، لعام ٢٠٠٧، ٦م بيان فضائي مصحح.

خريطة (٢) توضح مدينة تكريت



المصـدر: الهيئــة العامــة للمســاحة، خريطــة مركــز تكريــت، بغــداد،

مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة بمجموعة مقولات محاولين الإجابة عنها وهي:

١- هناك علاقة بين البيئة ونسبة انتشار المرض.

٢- هناك علاقة بين مستوى تركز كثافة المرض وبين الخصائص السكانية والاجتماعية في منطقة الدراسة.

فرضية الدراسة:

تتمثل فرضية الدراسة بما ياتي:

١- يتركز انتشار المرض في الريف اكثر من انتشاره في داخل المدينة.

٢- يؤثر الدخل الاقتصادي القليل على فرصة تفشي المرض بهذه الفئة.

٣- تختلف نسب تفشي المرض وفق التركيب النوعي للسكان.

منهجية الدراسة:

حتى يمكن للدراسة إن تسير وفق الطريق الصحيح للوصول إلى النتائج المرجوة منها لا بد لها من إتباع منهجية واضحة،ولما كان المنهج في أصول البحث العلمي عبارة عن عملية لقيادة العقل، ويستهدف البحث عن الحقيقة بوساطة مجموعة من القواعد التي تهيمن على العقل وتحدد خطواته من اجل الوصول الى النتيجة، والذي يعرف المنهج انه الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة بوساطة طائفة من القواعد التي تسيطر على العقل أيضاً وتحدد عملياته للوصول الى نتيجة مقبولة. ان المنهج عبارة عن مجموعة من القواعد العامة المصاغة من اجل الوصول الى الحقيقة في العلم والمنهج في النهاية يعني الطريق الموصل الى الحقائق العلمية تبعاً لقواعد يستهدي بها الفكر(١).

في هذه الدراسة استعملت مناهج دراسية عدة تتلائم مع طرائق البحث العلمي وأساليبه المستعملة في الدراسة،اما المناهج المتبعة فهي:

١- المنهج الوصفي:

يعتمد هذا المنهج على جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة ما لتحديد خصائصها الزمانية والمكانية، ويدرس الظاهرة كما هي في الواقع ويصفها وصفاً دقيقاً.

٢- المنهج التحليلي:

يعد هذا المنهج من المناهج المهمة التي يتبعها معظم الجغرافيين لأنه يمتاز في تحليل الاختلافات الزمانية والمكانية، والتي تعتمد على تفسير الفرضيات وتحديد نمطها بالأسلوب الجغرافي.

٣- المنهج الكمي:

يعتمد هذا المنهج الأسلوب الإحصائي لدراسة الظاهرة بعد ان يصفها ويحللها باستخدام لغة الأرقام لإبراز العلاقات مستخدماً أسلوب التعليل والتحليل والربط بين الظواهر والعوامل المؤثرة فيها مستعيناً بالبيانات والإحصاءات الصحية التي لا غنى عنها في مثل هذه الدراسة فضلا عن الإحصاءات الخاصة. لكي يكون البحث منصبا على دراسة ظاهرة مرضية ومعرفة الأسباب المرتبطة بها مكانياً وتحقيق صحة الفرضية.

تقنيات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على بيانات دائرة الإحصاء الصحي في محافظة صلاح الدين فضلا عن البيانات السكانية المستقاة من دائرة إحصاء صلاح الدين، ومستشفى تكريت العام كذلك اعتمدت الدراسة على خريطة طبوغرافية بمقياس١٤.٥٠٠: ١ من الهيئة العامة للمساحة، بالإضافة إلى المعلومات المكتبية الخاصة بموضوع البحث.

هدف البحث:

تتميز الدراسات الصحية في العراق بقلتها، وقلة التركيز على الجانب الجغرافي الطبي في حصر الأمراض وتعليل أسباب نشوئها (طبيعية، وبشرية، وحيوية) لذلك يهدف البحث إلى تحديد العلاقة بين العوامل البيئية ونمط توزيع المرض وتأثيرها مكانياً، وربط النتائج بالاختلافات السكانية والعمرية والاقتصادية، وبما أن العراق يعاني الكثير من المشاكل الصحية لذا جاءت الدراسة لتحدد العوامل المسببة للأمراض أو التأثير عليها عندما تتهيأ العوامل الجغرافية والطبية والخدمية.

إن كل مرض من الأمراض أو بأجمعها ترتبط من حيث النشأة بالعوامل المشار إليها فأن المرض إما أن يكون شائعاً فيأخذ صفة المرض العام أو يكون قد تأقلم فأصبح متوطناً، وهنا يهدف البحث أيضا إلى تقديم الحلول بعد معرفة الأسباب المؤدية له.

أهمية البحث:

إن دراسة الجغرافية الطبية "Medical Geography " لأي بلد ومعرفة أحواله المناخية بعد تحليل عناصره المختلفة تعطي لنا المؤشرات الأساسية لمسببات الأمراض ووضع البرامج المطلوبة للوقائية منها أو علاجها بعد حدوثها، وبما إن العراق من الدول النامية التي تعاني من الأمراض والمشاكل الصحية أكثر مما تعاني منها الدول المتقدمة التي أصبحت خالية من الكثير من الأمراض، لذلك نرى إن مثل هذه الدراسة تعد ضرورة ملحة لاعتماد البرامج التنموية الصحية التي تساعد على الحيلولة دون انتشار الأمراض.

مما تقدم نجد إن معرفة الظروف الطبيعية البيئية وكيفية تأثيرها على المرض وعوامل بشرية أخرى أمر هام جدا ويرقى إلى دراسته دراسة تفصيلية.

الدراسات السابقة:

قلة من الباحثين تناولوا التوزيع الجغرافي والتباين المكاني للأمراض وتعليل أسبابها، وجاءت هذه الدراسات اما بصفة عمومية على العراق او مقتضبة لمنطقة معينة واذكر منها:

١- المظفر، محسن عبد الصاحب[٢]، ١٩٧٩، وكانت دراسته بعنوان (التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق، دراسة في الأسس الجغرافية للتخطيط الصحي) جاء فيها تحليل لأمراض (حبة بغداد، الملاريا، البلهارزيا، الانكلستوما، الأكياس المائية، التدرن الرئوي، الكلا أزار) المتوطنة في العراق، ويعد الدكتور محسن عبد الصاحب أول من درس العلاقة بين نسب الإصابة بالأمراض المتوطنة في العراق والعوامل الجغرافية.وقد اوجد علاقة بين بعض الأمراض ودرجة حرارة الهواء والرطوبة النسبية.

٢- العجيلي، محمد صالح ربيع[٣]، ١٩٨٩، (الوظيفة الصحية لمدينة بغداد) تناول فيها الوظيفة الصحية لمدينة بغداد والخاصة بسكانها وسكان إقليمها الوظيفي من الناحية التاريخية وكيف تطورت الوظيفة الصحية في المدينة وكفاءتها. وقد توصل الباحث في دراسته الى تذبذب أداء الوظيفة الصحية ومستوى خدماتها بين الجانب الايجابي الكفء والجانب السلبي المتدني، ويؤخذ على الباحث انه تناول في موضوعه الجانب البشري ولا سيما (جغرافية المدن) في حين أهمل الجانب الطبيعي ودوره في التأثير على الوظيفة الصحية.

٣- العلوي، إيمان طارق[٤]، ١٩٨٠ وكان عنوان دراستها (تأثير الطقس والمناخ على الجسم البشري وعلاقة ذلك ببعض الأمراض) تناولت الباحثة حساب معدلات درجات الحرارة المؤثرة وقوة التبريد ودرجة الحرارة المكافئة لهبوب الرياح، وكذلك صنفت مناخ العراق باستخدام معادلة كوبن.

وجاءت دراستنا كدراسة حالة لمرض الكبد الفيروسي البائي في مدينة تكريت والمناطق التابعة لها في محاولة للكشف عن دور العامل الطبيعي والبشري في تفشي المرض وكيفية الحد من انتشاره.

المبحث الثاني

اولا: المعطيات الطبيعية لمنطقة الدراسة

يهتم هذا المبحث بالخصائص الطبيعية في منطقة الدراسة المؤثرة في انتشار المرض، فتتصف منطقة الدراسة بأنها ذات طبيعة شبه سهلية منبسطة تتخللها بعض الأودية على حافة نهر دجلة وكذلك من الجهة الغربية، وعلى العموم فهي عالية نوعا ما عن مستوى سطح البحر، اذ يبلغ ارتفاع مدينة تكريت ١٠٥ م عن مستوى سطح البحر.

جرت عدة دراسات علمية توصلت إلى نتيجة تقول بان للتباين التضاريسي تأثير على نوع المرض ومدى انتشاره، وهناك أمراض ترتبط بالسهول ومشخصة عالميا[٥].

تقع المنطقة ضمن بادية الجزيرة الجنوبي للعراق، كما إن نهر دجلة قد اخترق هذه المنطقة، ويلاحظ امتداد منطقة الجزيرة إلى شرق النهر في مناطق العيث حيث إن هذه المنطقة يتراوح ارتفاعها بين (٥٠-٧٥) م فوق مستوى سطح البحر وتتخلل هذه المنطقة كثبان رملية مختلفة الأنواع بالإضافة إلى سيادة الترب الملحية فيها[٦].

إن تربة منطقة الدراسة تنقسم إلى عدة أقسام فتظهر الترب الرسوبية إبتداءً من مدينة تكريت شمالا وحتى مدينة بغداد جنوبا على جانبي نهر دجلة، وتعتبر من أجود أنواع ترب العراق وهي مستغلة استغلالا كاملا.

إما الترب المزيجية وتشكل نسبة قليلة في منطقة الدراسة وتظهر في الأجزاء الشرقية لمدينة تكريت، وقد طمرت هذه التربة برواسب حديثة يصل سمكها ما بين (٢-٣) م[٧]. وفيما يتعلق بمنطقة الكثبان الرملية فأنها تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المحافظة.

ثانيا: العوامل المؤثرة ودورها في انتشار المرض

عرف هذا المرض منذ أوائل القرن العشرين الميلادي، ولكن الفيروس لم يكتشف حتى عام ١٩٧٣م، ويسمى أحياناً التهاب الكبد المعدي لسهولة انتشاره وحصول العدوى به، وهو مرض حاد يستمر حوالي ثلاثة أسابيع، وينتقل الفيروس ثم ينتشر عن طريق الأكل والشرب الملوث، ويتفشى المرض في حضانات الأطفال والمدارس، يمكن تعريف المرض بأنه فيروس يصيب الكبد Hepatitis ويمكنه إحداث أعراض خفيفة إلى وخيمة. ينتشر المرض من خلال ظاهرة السراية البرازية – الفموية، أي عندما يتناول الفرد طعاماً أو شراباً ملوّثاً ببراز شخص يحمل العدوى. هناك علاقة وثيقة بين المرض وتدني وسائل التنظيف وانعدام عادات النظافة الشخصية، مثل غسل اليدين.

جاءت هذه الدراسة لكشف واقع المرض في مدينة تكريت والمناطق التابعة لها سواء كانت ريفية ام حضرية لسنة ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ بسبب صعوبة الحصول على البيانات الصحية والكتمان غير المبرر من قبل الدوائر الحكومية، وتم التعرف على تكرار حدوث المرض بالمقارنة مع اشهر السنة بغية الكشف عن علاقة المرض بالتطور الزمني للبيئة، وتم دمج بعض مناطق الدراسة بمنطقة واحدة كونها متاخمة للمنطقة المحاذية وتشترك في نفس الصفات، وتجنبا للإطالة والتكرار وعلى هذا الأساس آخذين بنظر الاعتبار مراعاة الحفاظ على مناطق الريف والحضر كل على حدة، فمدينة تكريت مركز المدينة قد ضمت كل من حي المعلمين وحي شيشين، العوجة، القادسية، معهد الدروع، اما ناحية العلم فقد ضمت كل من سمرة الخزامية.

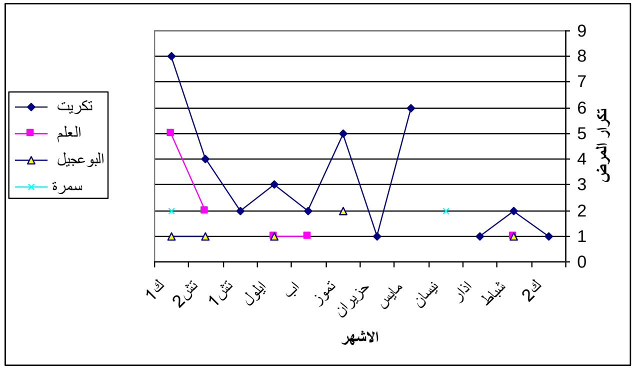
فيكشف الجدول (١) والشكل (١) بان أعلى حالات المرض قد سجلت في شهر كانون الأول بمجموع ١٦ إصابة من مجموع ٥٥ إصابة خلال سنة ٢٠٠٥، يليها شهر تشرين الثاني بواقع ٧ إصابات، حيث أخذت مدينة تكريت مركز الصدارة

في نسبة تكرار المرض وبواقع ٨ حالات لنفس السنة خلال شهر كانون الأول، اما أدنى المناطق تسجيلا للمرض كل من سمرة والبوعجيل وبواقع (٤، ٦) على التوالي وهي مناطق ريفية يكمن القول ان العوامل المناخية والريفية وخاصة الهواء اكثر نقاوة من المدن المزدحمة بالسكان والبيوت الملاصقة مما يسمح بسهولة انتقال المرض داخل المدن المزدحمة.

جدول (١) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد فيروسي البائي في مدينة تكريت لعام ٢٠٠٥ حسب أشهر السنة

المنطقة	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	تش١	تش٢	ك١	المجموع
تكريت	١	٢	١		٦	١	٥	٢	٣	٢	٤	٨	٣٥
العلم		١						١	١		٢	٥	١٠
البوعجيل		١					٢		١		١	١	٦
سمرة				٢								٢	٤
المجموع	١	٤	١	٢	٦	١	٧	٣	٥	٢	٧	١٦	٥٥

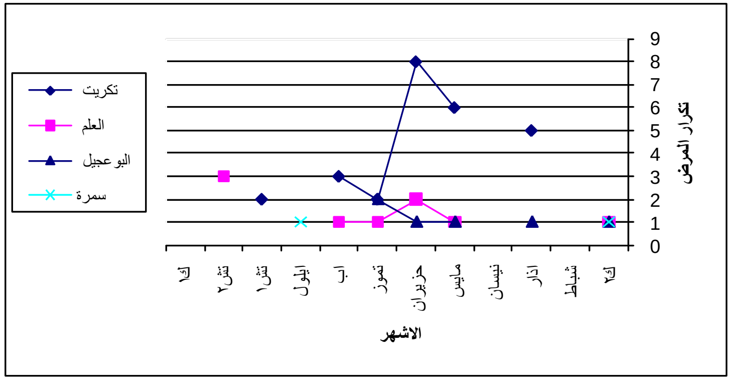
مخطط (١) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفايروسي في مدينة تكريت لعام ٢٠٠٥ حسب أشهر السنة



جدول (٢) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي في مدينة تكريت لعام ٢٠٠٦ حسب أشهر السنة

المنطقة	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	تش١	تش٢	ك١	المجموع
تكريت			٥		٦	٨	٢	٣		٢			٢٦
العلم	١				١	٢	١	١			٣		٩
البوعجيل	١		١		١	١	٢						٦
سمرة	١								١				٢
المجموع	٣		٦		٨	١١	٥	٤	١	٢	٣		٤٣

مخطط (٢) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفايروسي في مدينة تكريت لعام ٢٠٠٦ حسب أشهر السنة



اما ادنى حالات تكرار المرض فقد سجلت خلال الأشهر كانون الثاني، آذار، حزيران وبواقع حالة واحدة لكل شهر.

اما سنة ٢٠٠٦ فيكشف الجدول (٢) والشكل (٢) إن أعلى حالات تكرار المرض قد سجلت في شهر حزيران بواقع ١١ حالة من مجموع ٤٣ حالة، يليها شهر مايس بواقع ٨ حالات من مجموع ٤٣ حالة. إما الأشهر التي لم تسجل أي حالة إطلاقا للمرض هي كانون الأول وشباط ونيسان. وكانى هناك علاقة بين ارتفاع درجات الحرارة وازياد المرض وقلته مع انخفاض درجات الحرارة وقد يكون ذلك بسبب استخدام المياه ومياه الأنهار للسباحة وكثرة الأتربة والغبار.

ومن ناحية التباين المكاني فقد سجلت مدينة تكريت أعلى حالات تكرار المرض وبواقع ٢٦ حالة من مجموع ٤٣ حالة، إما أدنى حالات تكرار المرض فقد سجلت في منطقة سمره بواقع ٢ حالة من مجموع ٤٣ حالة. هذا يعطي انطباع ان المدن المزدحمة اكثر عرضه للإصابة بالمرض وتأتي عوامل اخرى من المستوى المعاشي والدخل وعدد الغرف في الدار الواحدة ومقدار التهوية وموقع الدار.

ثالثا: التركيب النوعي وعلاقته بالمرض

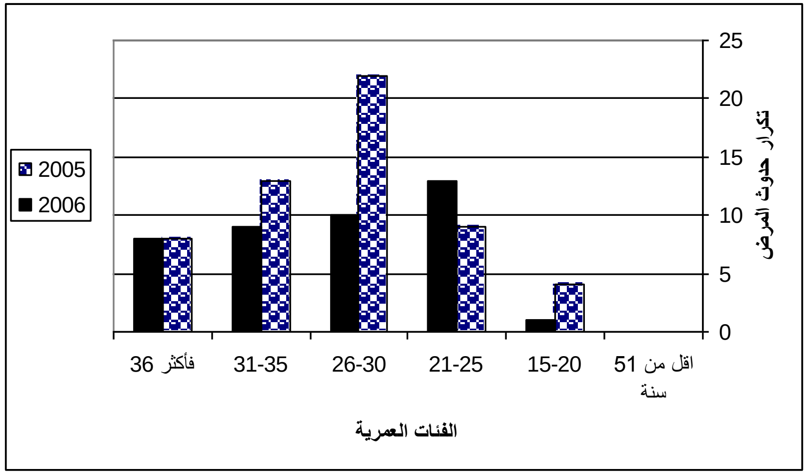
ويقصد بالتركيب النوعي تصنيف السكان إلى ذكور وإناث ويعتبر التركيب العمري والنوعي من أهم أنواع التركيب السكاني في الدراسات الديموغرافية بشكل عام، وبغية تحديد الفئة العمرية التي يزداد فيها المرض.

يكشف الجدول (٣) والشكل (٣) حالات تكرار المرض بالمقارنة مع التركيب النوعي للسكان

جدول (٣) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي بالنسبة للتركيب العمري في مدينة تكريت للمدة (٢٠٠٥ – ٢٠٠٦)

المنطقة	اقل من ١٥ سنة		١٥-٢٠		٢١-٢٥		٢٦-٣٠		٣١-٣٥		٣٦ فأكثر		المجموع	
	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦
تكريت			٤		٨	٨	٨	٦	١٠	٦	٢	٦	٣٥	٢٦
العلم				١	١	٢	٢	٢		٢	٤		١١	٧
البوعجيل						٣	٣		٢	١	١	٢	٦	٦
سمرة							٢	٢	١		١		٤	٢
المجموع			٤	١	٩	١٣	٢٢	١٠	١٣	٩	٨	٨	٥٦	٤١

شكل (١) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي بالنسبة للتركيب العمري في مدينة تكريت للمدة (٢٠٠٥ – ٢٠٠٦)



يلاحظ إن سنة ٢٠٠٥ قد سجلت أعلى حالات تكرار المرض ضمن الفئة العمرية ٢٦ – ٣٠ سنة وبواقع ٢٢ حالة من مجموع ٥٥. ثم تليها فئة ٣١ – ٣٥ سنة وبواقع ١٣ حالة.

ويظهر إن فئة ١٥ سنة فاقل لم تسجل أي حالة حدوث للمرض تليها فئة ١٥ – ٢٠ سنة حيث سجلت ٤حالات من مجموع ٥٥ حالة.

أما سنة ٢٠٠٦ فقد سجلت أعلى حالات حدوث المرض ضمن الفئة العمرية ٢١ – ٢٥ سنة بواقع ١٣ حالة من مجموع ٤٣ حالة تليها فئة ٢٦ – ٣٠ سنة. ويظهر إن فئة ١٥ سنة فاقل لم تسجل أي حالة حدوث للمرض تليها فئة ١٥ – ٢٠ سنة حيث سجلت ٤حالات من مجموع ٥٥ حالة.

رابعاً: التركيب النوعي للذكور والإناث المصابين حسب العوام ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦

بلغ عدد المصابين من الذكور لعام ٢٠٠٥ حوالي ٤٢ حالة وعام ٢٠٠٦ حوالي ٢٩ حالة مرضية إما الإناث فقد بلغ عدد الحالات المرضية اقل من الذكور بسبب قلة الجهد والجلوس في البيوت مما اظهر لنا عام ٢٠٠٥ حوالي ١٣ حالة بينما عام ٢٠٠٦ سجل ١٤ حالة موزعة على منطقة الدراسة وكما موضحة في الجدول رقم (٤)

المنطقة	الذكور		الإناث		النسبة المئوية للذكور		النسبة المئوية للاناث	
	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	%٢٠٠٥	%٢٠٠٦	%٢٠٠٥	%٢٠٠٦
تكريت	٣١	٢٠	٤	٦	٧٤	٦٩	٣١	٤٣
العلم	٨	٣	٣	٢	١٩	١٠	٢٣	١٥
البوعجيل	٢	٤	٣	٣	٥	١٤	٢٣	٢١
سمرة	١	٢	٣	٣	٢	٧	٢٣	٢١
المجموع	٤٢	٢٩	١٣	١٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

خامساً: تحليل نتائج الدراسة

من خلال العرض السابق تبين انه ليس هناك علاقة ما بين الظروف الطبيعية ونسبة تكرار المرض، ويلاحظ إن العلاقة عكسية تماما ما بين سنوات ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ خلال التطور الزمني لتكرار المرض كما في الشكل (١، ٢) ففي سنة ٢٠٠٥ يسجل شهر كانون الأول أعلى حالات حدوث المرض إما في سنة ٢٠٠٦ فلا توجد أي حالة للمرض تذكر.

لم تثبت نظرية البحث صحتها استنادا على الاحصائيات المستحصلة من دائرة إحصاء تكريت للصحة من خلال افتراض وجود علاقة وثيقة ما بين عوامل المناخ وبين انتشار مرض داء الكبد الفايروسي.

إما التباين المكاني لانتشار المرض فقد تم افتراض إن المناطق الريفية تسجل أعلى حالات تكرار المرض بسبب نقص الخدمات وفقدان الوعي الصحي، إلا إن ما أثبتته البيانات عكس ما تم افتراضه، فقد سجلت مدينة تكريت أعلى حالات تكرار المرض خلال السنوات ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦. ويلاحظ ان هناك علاقة عكسية بين الابتعاد عن مركز المدينة ونسبة تكرار المرض فكلما ابتعدنا عن مركز المدينة قلة نسبة المرض.

ويمكن ان نعزي ذلك إلى مجموعة أسباب أهمها:

١- ليس هناك تباين كبير في المعطيات الطبيعية لمنطقة الدراسة والمتمثلة بالتربة والتضاريس وغيرها اثر في تباين انتشار المرض، ولم تظهر تباينات تلفت النظر تجعل عملية المقارنة بين العوامل الطبيعية ونسبة انتشار المرض ذو غاية في البحث.

٢- بما إن مصدر البيانات مستحصلة من مستشفى تكريت التعليمي فهذا يعني سهولة الوصول إلى المستشفى من سكان المدينة وعلى العكس المناطق الريفية البعيدة.

٣- أثبتت الدراسات الخاصة بالمرض إن السبب المباشر في انتقال العدوى عن طريق الدم بالدرجة الأولى ومن ثم الاتصال الجنسي بالدرجة الثانية، وهذا يعني إن هناك سبب رئيسي في تفشي المرض عن طريق الاتصال الجنسي بنوعيه الشرعي والغير شرعي.

٤- هناك فرصة كبيرة لانتشار المرض في المدينة بسبب الزحام والتلوث والاختلاط اكثر من الريف وهذا بسبب نقاوة أجواء الريف وقلة الإصابة بالمرض.

اما علاقة التركيب العمري للسكان بانتشار المرض فيلاحظ انه ينتشر ضمن فئة الشباب أي بين الفئات العمرية ٢٥ – ٣٥ سنة وينعدم في فئة ١٥ سنة فاقل وهذا ايضا يعزى إلى أسباب أهمها:

١- تصاعد انتشار المرض في الفئة المنتجة من المجتمع يكون سبب المرض بسبب الجهد النفسي والعضلي المبذول من قبل هذه الفئة.

٢- ان ممارسي العادات الا أخلاقية وممارسة الحقن بالمخدرات عن طريق زرق الإبر لأكثر من شخص يكون سببا في انتشار العدوى أكثر من غيرهم في هذه الفئة العمرية.وتم معرفة ذلك من خلال سجلات الإحصاء الحيوية في مستشفى تكريت العام

التهابات الكبد الفيروسي

إن الكبد هو احد أعضاء الجسم الحساسة التي تتعرض للاصابة بعدة إمراض، ونظراً لأهمية الوظائف التي يؤديها الكبد وحيويتها بالنسبة لكل الجسم، وخصوصا الوظائف المتعلقة بالدورة الدموية، فان أي إصابة تلحق به ينعكس أثرها على الجسم كله، إذا ما أدت إلى إصابته إلى فشلة في تأدية وظائفة فان هذا الفشل يؤدي غالبا إلى الوفاة كما هو الحال عند تتليف أنسجته وخلاياه[٨].

وتعتبر التهابات الكبد الفيروسية من الأمراض الهامة والشائعة التي تصيب هذا العضو الحساس في الجسم وهو الكبد. وهو هناك نوعان رئيسيان هما

١- التهاب الكبد المعدي (الوبائي) ويرمز له بالحرف A.

٢- التهاب الكبد المصلي ويرمز له بالحرف B.

التهاب الكبد المعدي (الوبائي) Infective Hepatitis نوع A

هو مرض فيروسي حاد كان معروفا للرومان واليونانيين القدماء، وقد انتشر بصورة أوبئة شديدة وخصوصا في أوقات الحروب حيث كان سريع الانتشار في المعسكرات وفي أماكن الازدحام وهو متوطن في الوقت الحاضر في معظم بلاد العالم وخصوصا في الأقاليم الحارة والدافئة وهو من الأمراض البيئية التي ترتبط بانخفاض مستوى الوعي الصحي ومستوى النظافة وخصوصا في المأكل والمشرب، ولهذا فانه أكثر انتشارا في الدول النامية. ويمكن انتقال عدوى هذا الالتهاب بالمخالطة المباشرة بشخص مصاب او حامل للفيروس ويمكن ان يكون المصاب مصدرا للعدوى حتى قبل ان تظهر علية أعراض المرض. أي عندما يكون الفيروس الذي إصابة مازال في فترة الحضانة وهي فترة طويلة تتروح بين ١٥-٥٠ يوما ويمكن ان تنتقل العدوى كذلك عن طريق الغذاء أو الماء الملوث بالفيروس.

وكثيرا ما يكون تلوث الطعام او الشرب سببا لانتشار المرض بشكل وبائي، ويحدث هذا عادة اذا وجد بين المشتغلين بإعداد المأكولات أو توزيعها أشخاص مصابون أو حاملون للفيروس وقد تبين ان هذا الفيروس يخرج بكميات كبيرة مع البراز، وخصوصا براز الشخص المصاب الذي مازالت إصابته في دور الحضانة، كما يمكن ان تحدث العدوى نتيجة لتناول أطعمة غير مطهية طهياً كافياً. وأكثر الأشخاص تعرضا للإصابة بالتهاب الكبد الوبائي هم الأطفال والجنود في اثناء الحروب. وقد يكون سبب انتشار المرض في منطقة الدراسة بسبب اعداد الجنود الممثلين وكثافتهم العددية ووجود معسكرات متعددة في منطقة الدراسة من فضلات ومخلفات قد ساهمت بشكل فعال في زيادة أعراض المرض وانتشاره.

إما أعراض المرض فهي: الميزة اصفرار لون البشرة حتى انه يشتهر عموما باسم (مرض الصفراء) إلا إن هذا الاصفرار يظهر عادة متأخرا بعد ان تسبقة أعراض أخرى منها الصداع وفقدان الشهية والغثيان والقي والإسهال. وعلى الرغم من إن هذا

المرض قد يؤثر على بعض الأعضاء مثل الأمعاء والقلب والبنكرياس والطحال إلا إن تأثيره الأساسي يكون على الكبد الذي يتضخم ويضعف نسيجة، والذي يضطره لملازمة الفراش مدة شهرين او ثلاثة فان معدل الوفيات التي تنجم عن هذا المرض منخفضة بصفة عامة حتى انه لا يزيد عن ٠،٥% من الحالات بالنسبة للأطفال وصغار الشباب(٩).

التهاب الكبد المصلي ويرمز له بالحرف Serum Hepatitis .نوع B

هذا النوع من الالتهاب اوسع انتشاراً واشد حدة وخطورة من النوع الأول اذ يصل ارتفاع الوفيات فيه إلى ٣٠% ويقدر عدد حاملي فيروس هذا النوع بنحو مائتي مليون شخص في العالم على الأقل. ومن خصائصه الخطيرة انه يبقى دائما في جسم الإنسان المريض وخصوصا الأطفال عند الولادة ثم يصل إلى ان يبقى مزمن ويصل إلى تليف الكبد وتتشابة أعراض هذا المرض مع الأول سوء إن فترة حضانته أطول نسبيا، تتراوح مابين ١٥-١٠٠ يوم.

أنواع مرض الكبد الفيروسي:

١- التهاب الكبد الفيروسي A Viral Hepatitis

عرف هذا المرض منذ وائل القرن العشرين الميلادي، ولكن الفيروس لم يكتشف حتى عام ١٩٧٣ ويسمى أحيانا التهاب الكبد المعدي لسهولة انتشاره وحصول العدوى به، وهو مرض حاد يستمر حوالي ٣ أسابيع، وينتقل الفيروس (HAV) وينتشر عن طريق الأكل والشرب الملوث، ويتفشى المرض في حضانات الأطفال والمدارس، وهذا النوع ليس به خطورة إلا في حالات قليلة جداً(١٠).

٢- التهاب الكبد الفيروسي B Viral Hepatitis

ان هذا المرض معروفاً منذ عام ١٩٣٠ ولكن تم اكتشاف جزاءا من هذا الفيروس (HBV) في عام ١٩٦٣ وشوهدت الجزئية الفيروسية الكاملة بالمجهر عام

١٩٧٠ ويسمى أحيانا التهاب الكبد الفيروسي المصلي لكونه ينتقل عن طريق الدم، مثل نقل الدم واستعمال الإبر الملوثة، وعرف عنه مؤخرا احتمال انتقاله من ألام الى طفلها وعن طريق المعاشرة الجنسية(١١).

٣- التهاب الكبد الفيروسي C Viral Hepatitis

تم اكتشاف هذا الفيروس عام ١٩٨٩ وينتقل الى طريق الدم مثل نقله من المصاب الى السليم، واستعمال الإبر الملوثة، ولكن هناك كثيرا من المرضى لا يعرفون كيف تم نقل المرض إليه.

الخلاصة والاستنتاجات:

١- ان دور العوامل الطبيعية الثابتة والمتحركة محدود في انتشار المرض او الحد منه.

٢- ينتشر المرض في المناطق الحضرية اكثر من الريف، فالعلاقة عكسية تماماً فيقل المرض كلما ابتعدنا من المركز الحضري باتجاه الريف.

٣- ينتشر المرض في الفئة المنتجة من المجتمع بين ٢٥ – ٣٥ سنة.

٤- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالبيانات الصحية ودقتها لأنها المصدر الوحيد للدارسات المختلفة.

٥- إعداد بنك معلومات صحية في مستشفى تكريت التعليمي يزود الباحثين بالمعلومات والمراجع بخصوص الإمراض.

٦- إعداد منظومة معلومات بين دائرة الصحة ودائرة الأمراض المعدية والمتوطنة.

٧- توصي الدراسة بإنشاء خرائط رقمية لكل منطقة وتوقيع البيانات عليها من قبل الدائرة

الهوامش:

(١) محمد أزهر سعيد السماك، قبيس سعيد الفهادي، صفاء يونس الصفاوي، أصول البحث العلمي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٦.

(٢) محسن عبد الصاحب المظفر، التحليل المكاني لامراض متوطنة في العراق، اطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٧٠.

(٣) محمد صالح ربيع العجيلي، الوظيفة الصحية لمدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد،١٩٨٩.

(٤) إيمان طارق العلوي، تأثير الطقس والمناخ على الجسم البشري في العراق وعلاقة ذلك ببعض الأمراض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، الجامعة المستنصرية،١٩٨٠.

(٥) محسن عبد الصاحب المظفر، الجغرافيا الطبية، دار شموع للثقافة والطباعة والنشر والتوزيع، ليبيا، ٢٠٠٢، ص ١١٧.

(٦) سعد عجيل مبارك، التأثيرات المناخية في العمليات الجيمورفولوجية الريحية لمنطقة العيث في قضاء الدور وآثارها البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٤٣ .

(7) Buring. Soil and Soil condition in Iraq. Iraqi Ministry of Agricultural, Baghdad, Iraq 1960. P. 137.

(٨) يعقوب يوسف الكندي، الثقافة والصحة والمرض رؤية جديدة في الانثروبولوجيا المعاصرة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٣، ص٢٣٣.

(9) Davidson, S& Macleod, J (edits) (1972) Principles & Practic of Medicine 10th ed Livingstone Edinburgh.

(١٠) المجلة الطبية، عدد١٢١ سنة،٢٠٠٦، على موقع الانترنيت
WWW.SAUDICONCET.COM

(١١) تقرير منشور على موقع الانترنيت WWW.ZAVENONLINE.COM

المصادر:

١- إيمان طارق العلوي، تاثير الطقس والمناخ على الجسم البشري في العراق وعلاقة ذلك ببعض الأمراض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٠.

٢- احمد حافظ موسى، وآخرون الأمراض المتوطنة بإفريقيا واسيا، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الأولى، مصر ،١٩٧٥.

٣- ربيفلمول. بونيتات. كيلستروم، أساسيات علم الوبائيات، منظمة الصحة العالمية، ط١، بيروت،١٩٩٧.

٤- عصام حمدي الصفدي، مبادئ علم وبائيات الصحة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الاولى، عمان، ٢٠٠١.

٥- طارق أسامة صالح، الصحة والبيئة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، الأردن، ٢٠٠٥

٦- سعد عجيل مبارك، التأثيرات المناخية في العمليات الجيمورفولوجية الريحية لمنطقة العيث في قضاء الدور وآثارها البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

٧- محمد أزهر سعيد السماك، قبيس سعيد الفهادي، صفاء يونس الصفاوي، أصول البحث العلمي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٦،.

٨- محسن عبد الصاحب المظفر، التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق، اطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠.

٩- محسن عبد الصاحب المظفر، الجغرافية الطبية منهجاً ومضموناً وتحليلاً، مطبعة دار شعاع، الطبعة الأولى، ليبيا، ٢٠٠٢.

١٠- محمد صالح ربيع العجيلي، الوظيفة الصحية لمدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد،١٩٨٩.

١١- منظمة الصحة العالمية، دراسات في توطن الأمراض والأوبئة، التقرير السنوي للصحة، ٢٠، ٤،٢٠٠٥.

١٢- محمد مدحت جابر، فاتن محمد ألبنا، دراسات في الجغرافية الطبية، مكتبة لانجلوا المصرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

١٣- يعقوب يوسف الكندي، الثقافة والصحة والمرض رؤية جديدة في الانثروبولوجيا المعاصرة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٣.

المصادر الأجنبية

1- HoweG.M.World Geography of Human Diseases, Academic press ‹London 1977.
2- Mcglashan,N..D,Medical Geography- Techniques &Fired Studies ,Methuen &Co,ltd.1973.
3- Wright ,F.J&Baird J.P.Tropical Diseases principles & Pratice of Medicine Edited by Davidson an Macleod Liningstone Edinburgh ,1972.

حوض أعالي الفرات في العراق
الواقع الجغرافي والإمكانيات التنموية

أ.م. د. كمال صالح كزكوز العاني
جامعة الانبار / كلية الآداب / قسم الجغرافية

ملخص البحث

حوض أعالي الفرات في العراق من أوسع مناطق الانبار الطبيعية ويمثل ٥٦% من مساحة محافظة الانبار الكلية، اذ تتنوع فيه االمظاهر الطبيعية ويتباين توزيع السكان ونشاطاته البشرية مما انعكس على تنوع الإمكانيات التنموية التي يمكن استثمارها في مجالات متعددة منها الاقتصادية المتمثلة بالزراعية والصناعية والتجارة والنقل ومن خلال الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة وذلك لمحاددته ثلاث دول عربية (سوريا، الاردن، وجزء محدود من المملكة العربية السعودية) فضلاً عن أمكانية التنمية للموارد البشرية.

تم التركيز في هذا البحث عن الواقع الجغرافي لحوض اعالي الفرات في العراق من الناحيتين الطبيعية والبشرية ودروها في التنمية. اما من الناحية الادارية فان منطقة الدراسة تضم اقضية (القائم، عنه، راوة، حديثة، الرطبة وهيت) ويتبعها ثمانية نواحي هي (العبيدي، العبور، الحقلانية، بروانه، البغدادي، كبيسة، الفرات والوليد) التي تقع على الحدود السورية العراقية وتابعة الى قضاء الرطبة. ويمكن اعتبار منطقة الدراسة اقليما ادرايا خاصاً يمكن ان يكون على مستوى محافظة اذا أصدرت الدولة قراراً بذلك.

أولاً: المقدمة:

يتمثل حوض اعالي الفرات في العراق بالجزء الغربي ويشغل مساحة مقدارها ٧٦٩٧٥كم^2 ويشكل ما نسبته ١٨% من مساحة العراق و٥٦%من مساحة محافظة الانبار البالغة ١٣٧٨٣٠كم^2 ذات المناخ الصحراوي استنادا الى خصائصها الجغرافية الطبيعية من حيث طبيعة المناخ وتطرف عناصره. بحيث اصبح هذا الحوض يقع تحت تاثير المناخ الجاف من خلال سماته المتمثلة بقلة التساقط وارتفاع المعدل الحراري مما ترتب على ذلك فقر المنطقة في النبات الطبيعي فظلا عن ذلك انعكس على الجانب الزراعي بالدرجة الاساس من حيث الحاجة الى المتطلبات المائية للمحاصيل الزراعية وزيادة المساحات المزروعة مما اصبح الاعتماد على المورد المائي الدائم المتمثل بنهر الفرات لاستثمار الاراضي الزراعية على جانبي النهر فضلا عن استثمار المياه الجوفية التي بدات اهميتها تزداد بشكل نسبي في معظم منطقة الدراسة. ومن هنا تبرز اهمية منطقة الدراسة من خلال الامكانيات الطبيعية والبشرية مما يجعلها مؤهلة لان تكون اساسا ترتكز عليه خطط وبرامج التنمية ليس على مستوى محافظة الانبار فحسب وانما على مستوى العراق بما يغير من صورة الواقع الحالي لمنطقة الدراسة والتي تتركز بها هذه الامكانيات وخاصة المعدنية منها في تجهيز الموارد الاولية التي تدخل في العديد من الصناعات في العراق او خارجه مما انعكس على الاهمال الواضح والبطئ لخطط التنمية وخصوصا ما بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ **ومن هنا برزت مشكلة البحث التي تم تحديدها بالاتي:-**

- ان منطقة الدراسة على الرغم من امكانياتها التنموية الاقتصادية ومواردها الطبيعية المنتشرة في معظم اجزائها لم تحض بالاهتمام الكافي بما يتناسب وحجم هذه

٣- وجود الخيارات المتعددة للتوجهات التنموية في منطقة الدراسة سواءا للجانب الزراعي بنوعيه النباتي والحيواني والجانب الصناعي التي تشكل مواده الاولية اساسا للاستثمار فظلا عن إمكانية تنمية المنطقة سياحيا من خلال امتداد نهر الفرات وانتشار الجزر النهرية[1] ووجود العيون ذات المياه المعدنية فضلا عن وجود الواحات الصحراوية التي يمكن استغلالها لإنشاء محميات طبيعية كما هو في العديد من الدول المجاورة التي تتشابه من حيث الظروف الطبيعية مع منطقة الدراسة في سوريا والاردن والسعودية.

أما مبررات اختيار منطقة الدراسة موضوعا للبحث يرجع الى اسباب منها: -

١- تتميز منطقة الدراسة بموقع جغرافي مهم اذ تقع في الجزء الغربي من العراق ومجاورته لثلاث دول عربية هي سوريا والاردن وجزء محدد من المملكة العربية السعودية والتي أعطته موقعا متميزا بوصفه منفذا تجاريا للعراق فضلا عن مجاورته لمحافظتي نينوى وصلاح الدين شمالا اما فلكيا فتقع بين دائرتي عرض(٣٢٨-٣٥٥) شمالا وبين خطي طول(٣٩-٤٣) شرقا (خريطة رقم١).

٢- وجود التباين الطبيعي اذ نجد منطقة الجزيرة من الشمال والتي تمثل مدينة راوه مركزها الحضري والهضبة الغربية جنوبا متمثلة بمركزها الحضري مدينة الرطبة وناحية الوليد " التنف " على الحدود السورية العراقية وطريبيل على الحدود الاردنية- العراقية والتي تعدان المنفذان الحدوديان المهمان ليس لمنطقة الدراسة فحسب وانما للعراق بشكل عام فضلا عن مدينة كبيسة التي تشتهر بانتشار عيونها للمياه المعدنية ومنطقة لصناعة السمنت والتي تبعد عن مركز محافظة الانبار ٨٥كم اضافة الى منطقة السهل الفيضي على امتداد نهر الفرات ابتداءا من دخوله الاراضي العراقية في مدينة القائم حتى الحدود الادارية الشرقية لمدينة

(١) تعرف هذه الجزر محليا بالحوايج مثل الزيدية وحديثة وربان وجبة والوس والفليوي.

الموارد في ظل الاحتلال الذي كان له الدور في استخدام غير امثل ومنتظم لهذه الموارد.

اما فرضية البحث فجاءت من خلال المقومات والامكانيات التي تقف في مقدمتها الموارد الطبيعية مما يجعلها قادرة على إيجاد فرص متعددة وكبيرة للتنمية بما يعزز مكانة محافظة الانبار بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص لكي يكون لها الدور في القدرات التنموية على مستوى العراق. واستنادا الى ذلك فان أهداف البحث تمثلت بالاتي:-

١- اعادة النظر في الكشف عن الامكانيات الحقيقية التي تلعب دورا بارزا في التنمية وعلى اختلاف انواعها.

٢- المساهمة في التوجهات المستقبلية لمنطقة الدراسة التي تشغل ٥٦% من مساحة محافظة الانبار والتي هي الاخرى تشكل ما نسبته ٣٢،٧% من مساحة العراق وتطويرها وتنميتها

٣- تحديد الواقع الحالي للمنطقة من خلال الانشطة الاقتصادية القائمة ووضع الدراسات لغرض التنمية الشاملة حاضرا ومستقبلا.

ولغرض تحقيق اهداف البحث وبما يخدم منطقة الدراسة فان منهجية البحث ستتركز على الاتي:-

١- دراسة وتحليل الواقع الجغرافي لمنطقة الدراسة لغرض تحديد التوجهات المستقبلية من خلال الامكانيات التنموية فيها.

٢- العمل على تنمية الموارد الطبيعية وخاصة المعدنية والاهتمام بها من خلال استخدام افضل الاساليب في الاستخراج والتحسين والمحافظة عليها مع تطوير تنمية الموارد البشرية التي تعد الاساس في استثمار جميع هذه الموراد الطبيعية من خلال توفير فرص العمل لسكان منطقة الدراسة.

هيت مرورا بمدن العبيدي وراوه وعنه والقائم وحديثة وبروانة والحقلانية والبغدادي والفرات وهيت. (خريطة رقم ٢)

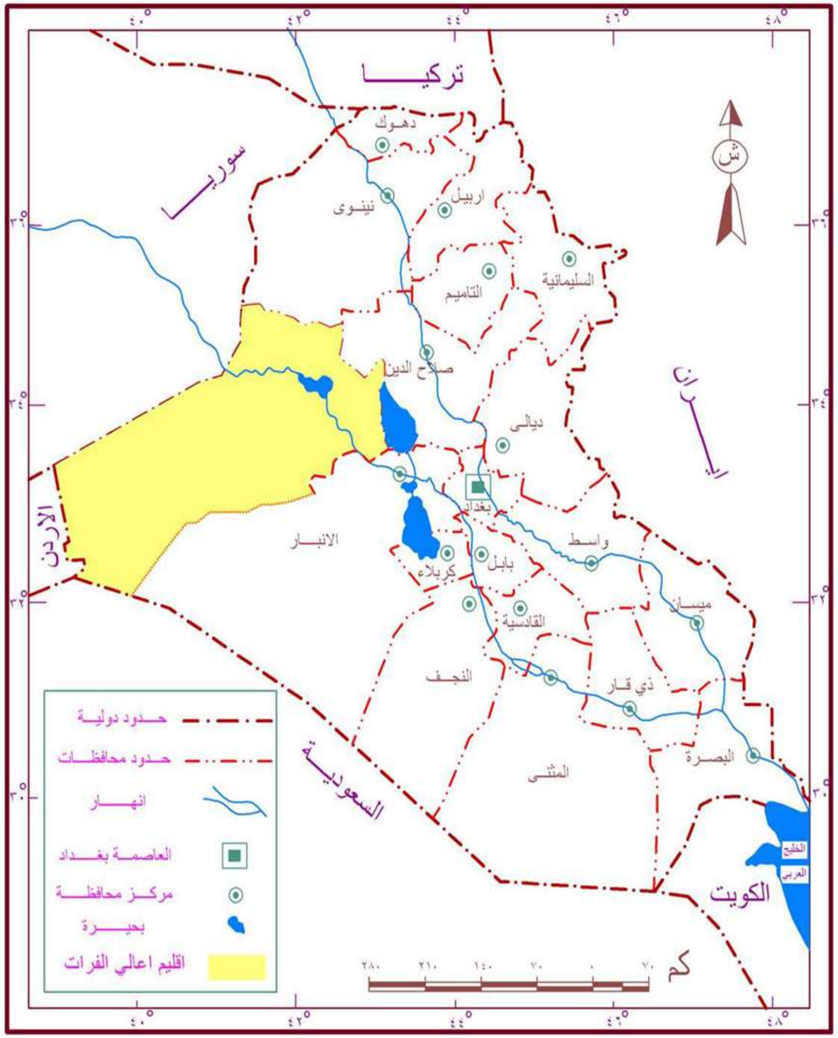
٣- يوجد في منطقة الدراسة مجموعة من السدود[٢] التي تم انشائها على الوديان في الهضبة الغربية تقوم بحجز مياه الامطار الساقطة في السنوات المطيرة والتي يمكن الاستفادة منها في النشاط الزراعي ورفد المياه الجوفية بالمياه، فظلا عن سد حديثة الذي يقع الى الشمال من مدينة حديثة بمسافة ٧كم وبحيرته التي تصل مساحتها الى اكثر من ٤٠٠كم^{٢} وبطاقة خزنية قصوى تصل الى ٧,٨مليار /م^{٣} والتي تعد من المناطق السياحية المهمة اذا ما تم استثمارها بشكل صحيح. الا ان مناسيب مياهها بدأت بالانخفاض بسبب قلة التصريف من الجانب التركي مما انعكس سلبا على توليد الطاقة الكهربائية والتي بدات اثارها السلبية واضحة على الانتاج الزراعي من خلال استخدامها في المضخات الكهربائية.

٤- عدم وجود دراسات مفصلة عن منطقة الدراسة اذ تمثلت عن محافظة الانبار بشكل عام وان هذه الدراسة تختلف باهدافها عن الدراسات الاخرى من خلال الكشف عن الامكانيات والتوجهات التنموية.

(٢) بلغ عدد السدود المقامة في منطقة الدراسة ثمانية سدود وهي (الرطبة، الابله، الاغري، الحسينية، سري، الابيض، حوران٣، حوران٢).

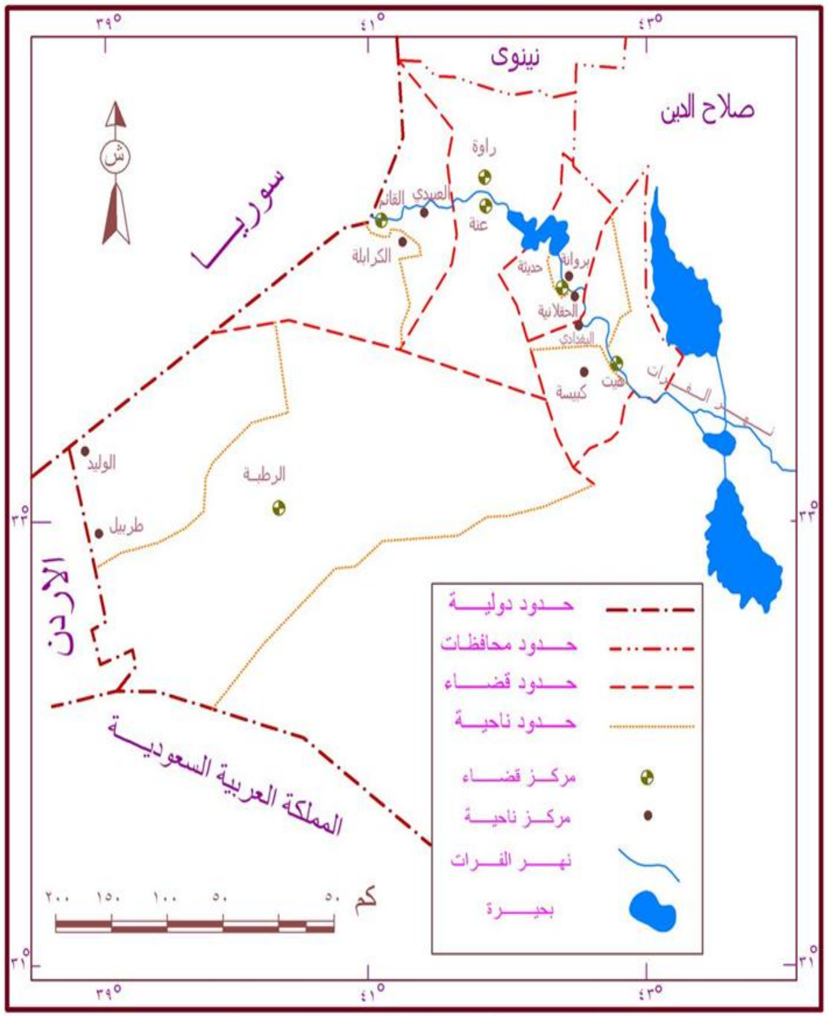
خريطة رقم (١)

موقع حوض أعالي الفرات من محافظة الانبار والعراق



المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة العراق الادارية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:١٠٠٠٠٠٠

خريطة رقم (٢)
حـدود الاداريـة لمنطقــة الدراســة



المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة محافظة الانبار الادارية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:٥٠٠٠٠٠

ثانيا/ الخصائص الجغرافية لمنطقة الدراسة:

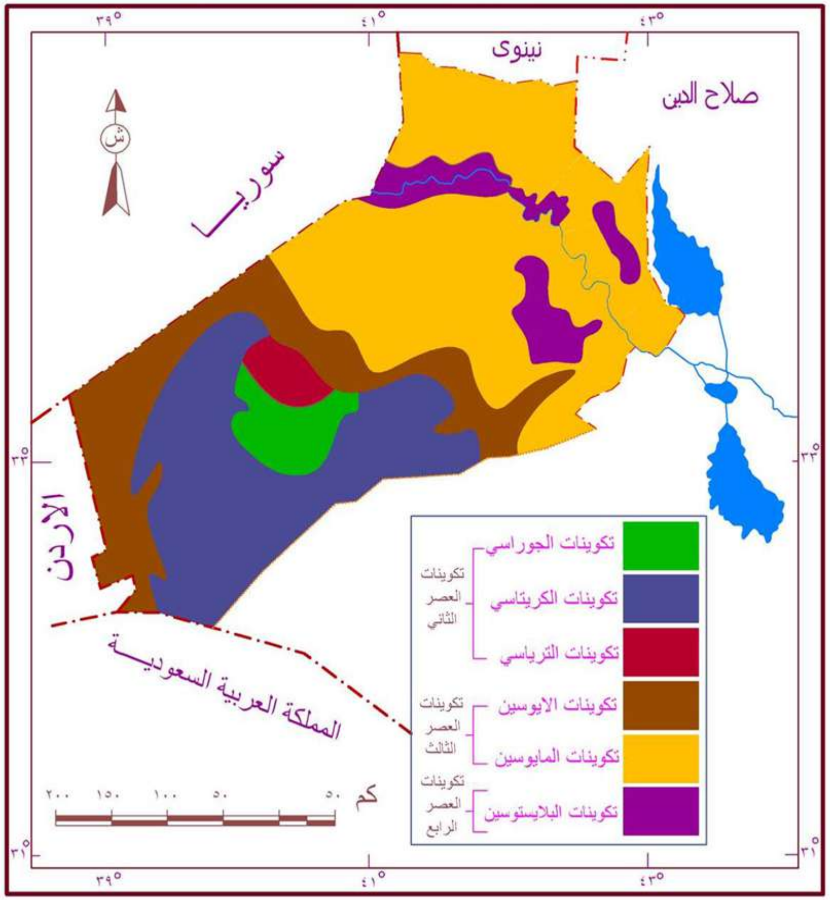
٢-١ الخصائص الطبيعية:

١-٢-١ البنية الجيولوجية:

تعد منطقة الدراسة امتدادا جيولوجيا لهضبة شبه الجزيرة العربية، أي انها تشكل جزءا من القسم الشمالي لرصيف الارض الأمامية التابع للكتلة العربية الصلبة والتي تقع ضمن الصفيحة العربية والمتكونة من قسمين هما الدرع العربي والرصيف العربي الذي يضم معظم الاراضي العراقية ومنها منطقة الدراسة والرصيف العربي يقسم ايضا الى قسمين هما الرصيف المستقر والرصيف غير المستقر الذي تقع فيه منطقة الدراسة (١)

ومن خلال الدراسات والمصادر التي تناولت جيولوجيا ارض العراق بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص يمكن القول ان هناك تباينا واضحا للتكوينات الجيولوجية من حيث اعمارها وتراكيبها (خريطة رقم ٣) ومن هذه التكوينات.

خريطة رقم (٣)
التكوينات الجيولوجية السطحية في منطقة الدراسة



المصدر ـ وزارة الصناعة والمعادن ، الهيئة العامة للمسح الجيولوجي والتحري المعدني ، الخارطة الجيولوجية العامة للعراق ، مقياس ١: ١٠٠٠٠٠٠

١-٢-١-١ تكوينات العصر الثاني: ويتوزع في عدة مناطق من منطقة الدراسة ويشمل تكوينات هي: -

أ- **الترياسي:** والذي يتمثل في تكوين الكعرة الواقع الى شمال مدينة الرطبة ويبلغ سمكه حوالي (٢٥) م ويتالف من صخور رملية خشنة الحبيبات ومتوسطة ومتقاطعة ومتعددة الالوان تتناوب مع صخور كاؤولينية متعددة الالوان تدخل كمواد اولية في صناعة السمنت الابيض والسيراميك والعوازل الكهربائية والطابوق الناري اضافة الى اكاسيد الحديد وبنوعيه الليمونايت والهيماتايت(٢)

ب- **الكريتاسي:** ينتشر هذا التكوين على شكل قوس منحني يبدا من وادي حوران شمالا الى وادي عامج جنوبا ثم ينحرف نحو الغرب في اتجاه مدينة الرطبة ويختفي عند موقع يبعد حوالي ٦٠كم شرق مدينة الرطبة (٣) ٠ واهم تكويناته الرمل الابيض والحجر الرملي الناعم والخشن وبالوان مختلفة فظلا عن الحجر الجيري والدلومايت والمستخدمة كمواد اولية في العديد من الصناعات.

ج- **الجوراسي:** وتشغل تكويناته في الجهات الشرقية من تكوينات الترياسي بينما تمثل مدينة الرطبة حدوده الجنوبية اما سمك هذه التكوينات فيتراوح من ٢٥-٥٠م ومكوناته الصخور الرملية الخشنة ومتداخلة مع صخور المارل المتعدد الالوان مع طبقات من الحديد المستخدم في صناعة السمنت فضلا عن صخور الصوان والدولومايت (٤) ٠

١-٢-١-٢ تكوينات العصر الثالث: يتضح من الخريطة الجيولوجية لمنطقة الدراسة ان هذه التكوينات تنتشر في جهات مختلفة اذ يمتد من منطقة البادية الشمالية الى بادية الجزيرة وتشمل على تكوينين هما:

١- **الايوسين:** ويمتد بموازاة الحدود العراقية الاردنية وجزء محدود مع المملكة العربية السعودية وغربا الحدود السورية – العراقية وتتالف صخوره من الدولومايت والصخر الجيري وذات مسامية منخفضة تتراوح من ١- ١٠ % اضافة الى انها غنية بكربونات الكالسيوم التي تمتاز بسرعة ذوبانها بالماء لذا اصبحت مياها ذات ملوحة مرتفعة واستخدامها محدود للاستهلاك البشري (٥)٠

٢- **المايوسين:** ويعد من اكثر تكوينات العصر الثالث انتشارا إذ يمتد من البادية الشمالية جنوبا يمين نهر الفرات ويصل شرقا الى مدينة هيت وغربا ليصل شمال وجنوب مدينة القائم على الحدود السورية- العراقية بينما تشكل محافظتي صلاح الدين ونينوى حدوده الشمالية واهم مكوناته الجبس والغرين والصخور الكلسية والرمل والحصى (٦)

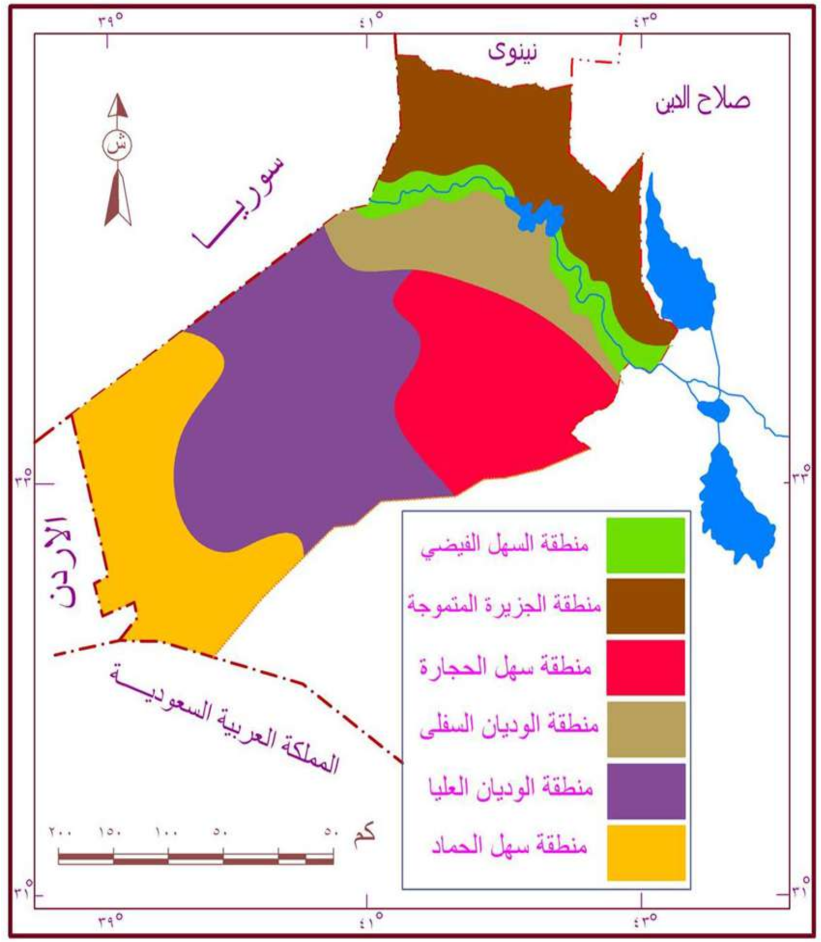
١-٢-١-٣ **تكوينات العصر الرابع:** يظهر من خريطة منطقة الدراسة الجيولوجية ان تكوينات العصر تمثلت على جانبي نهر الفرات من القائم – عنه اضافة الى وجودها في بطون الاودية وترجع ترسباته الى مرحلتي البلايستوسين والهولوسين وبسمك يتراوح من ٣-٣٠ م وتتكون من خليط من الحصى والرمل والطين ومفتتات الصخور الكلسية والجبسية فضلا عن احتوائها على رواسب كيميائية جبسية وكاربونية ملحية ناتجة عن تبخر المياه الجوفية الصاعدة الى السطح عبر الصدوع المكونة للينابيع في المنطقة (٧) ٠

ان ماتم ذكره عن البنية الجيولوجية تبرز حقائق مهمة تتمثل بتواجد وتوزيع الصخور والمعادن واهميتها الاقتصادية وتوزيعها المكاني لمنطقة الدراسة فضلا عن ارتباط البنية الجيولوجية بتربة منطقة الدراسة التي تعد الصخور اساسا لتكوينها وامكانية استغلالها للانتاج الزراعي، اضافة الى اهمية الدراسة الجيولوجية لمعرفة مكامن المياه الجوفية وتحديد مناطق تواجدها واستثمارها للنشاط البشري على اختلاف انواعه. ولهذا فان الاهمية للبنية الجيولوجية تشكل اساس للامكانيات التنموية حاضرا ومستقبلا لمنطقة الدراسة.

٢-١-٢: **اقسام السطح**:

يتكون سطح منطقة الدراسة من ستة اقسام رئيسية (خريطة رقم ٤) الا انها تضم اشكالا ارضية قد تكون مشتركة فيما بينها او قد تتركز في مكان دون اخر وهي لها اثارها المباشرة وغير المباشرة على امكانيات منطقة الدراسة التنموية وتشمل:

خريطة رقم (٤)
اقســام السطــح فــي منطقــة الدراســة



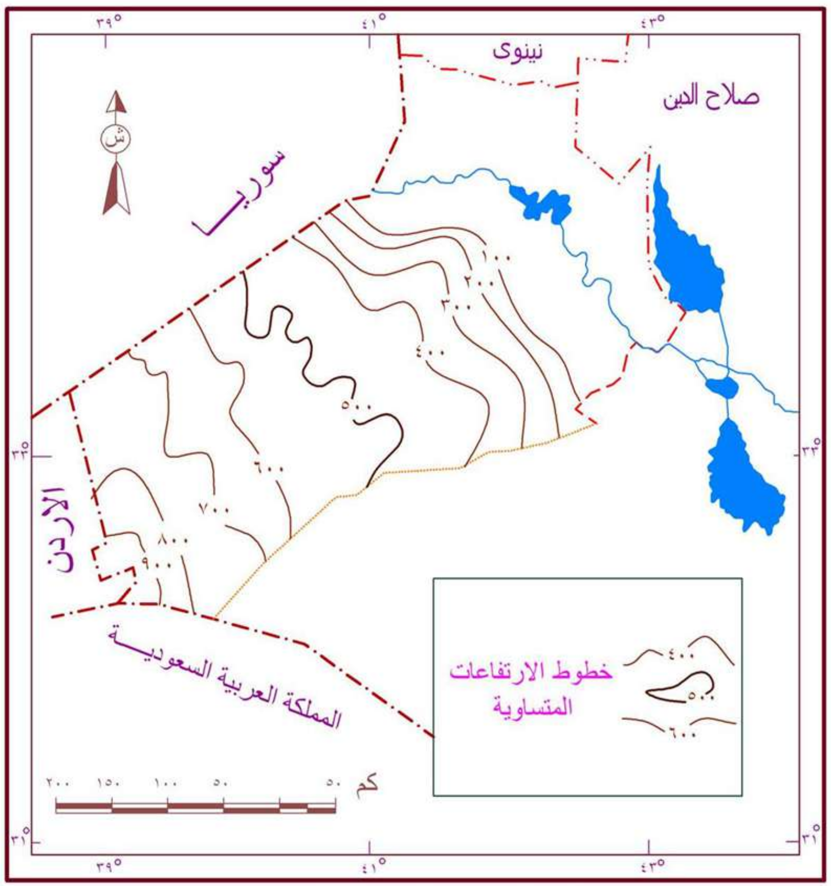
المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة العراق الطبيعية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:١٠٠٠٠٠٠

٢-١-٢-١: **منطقة الحماد:** وتمثل الجزء الغربي من منطقة الدراسة وتشغل منطقة منبسطة مع اراضي متموجة تظهر فيها بعض التلال، وارتفاعها عن مستوى

سطح البحر ينحصر بين (٧٠٠- ٩٠٠) (خريطة رقم ٥) اذ يبلغ اعلى ارتفاع لها عند جبل عنزه (٩٤٠) م عند المثلث الحدودي للعراق والاردن والسعودية (٨) .

خريطة رقم (٥)

خطـوط الارتفاعـات المتساويـة في منطقـة الدراسـة



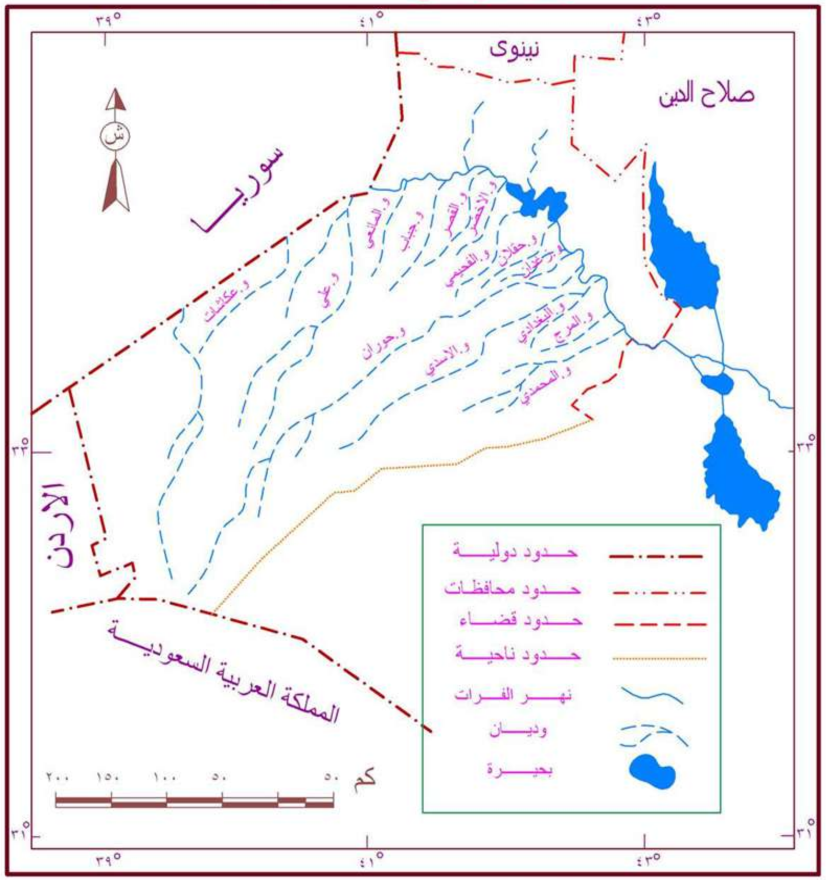
المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة محافظة الانبار الطبيعية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:٥٠٠٠٠٠

٢-١-٢-٢: منطقة الوديان العليا: وتشمل المنطقة المحصورة بين خطي الكنتور (٤٠٠-٧٠٠) م عن سطح البحر وتتخللها مجموعة من الوديان منها وادي عكاشات ووادي حوران الذي يصرف مياهه الى نهر الفرات شرق مدينة حديثة بمسافة تصل الى ٢٠كم ويعد من اكبر واطول وديان منطقة الدراسة اذا يصل طوله حوالي (٤٨٥) كم ومساحة حوضه تصل الى اكثر من (٥٣٢٠) كم^2 (٩).

٢-١-٢-٣: منطقة الحجارة: وتشمل المنطقة المحصورة بين خطي (٢٠٠-٤٠٠) م فوق سطح البحر وحدودها بين الوديان العليا غربا والوديان السفلى شرقا، واكتسب التسمية نتيجة لكثرة احجار الكلس والصوان والتي تغطي سطحها على شكل بروزات وجلاميد حادة الجوانب (٣) .

٢-١-٢-٤: منطقة الوديان السفلى: تشغل هذه المنطقة الجزء المحصور بين نهر الفرات في الشمال والشرق ومنطقة الحجارة والوديان العليا جنوبا وغربا، ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر (٦٠-٢٠٠) م، وتتصف اوديتها بانها قصيرة اذ يتراوح طولها من (٢٠-٧٠) كم وتصرف مياهها الى نهر الفرات ومن هذه الاودية (المانعي، جباب، القصر، الاخضر، زغدان، المرج، المحمدي)(خريطة ٦).

خريطة رقم (٦)
الوديـــان فـــي منطقـــة الدراســـة



المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة محافظة الانبار الطبيعية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:٥٠٠٠٠٠

٢-١-٢-٥: **منطقة الجزيرة:** تمتد هذه المنطقة والتي تقع على ارتفاع يتراوح بين (١٧٥-٢٢٥) م فوق مستوى سطح البحر من الحدود السورية غربا الى الحدود الشرقية لمنطقة الدراسة ومحافظتي نينوى وصلاح الدين شمالا الى نهر الفرات

جنوبا ويمتاز سطحها بالتموج مع وجود بعض المرتفعات والتلال الصغيرة التي يصل اقصى ارتفاع لها (٣٠٠)م فوق مستوى سطح البحر.

فظلا عن وجود بعض المنخفضات والاحواض الملحية ويغطي سطحها تكوينات جبسية وحصوية، فضلا عن وجود اودية قصيرة تصرف مياهها الى نهر الفرات ولايتجاوز اطولها عن ٢٥كم ومنها (العريج، الشاهنان، ميلان).

ونتيجة لانحدارها الشديد على نهر الفرات وارتفاعها الذي يتراوح من (٣٠-٥٠) م عن مجرى النهر وصعوبة ايصال المياه وقلة المياه الجوفية انعكس على صعوبة ممارسة النشاط الزراعي اذ اقتصر على الزراعة الديمية فظلا عن استخدامها كمراعي طبيعية للثروة الحيوانية

٢-١-٢-٦: **منطقة السهل الفيضي:** وتشمل المنطقة الواقعة على امتداد نهر الفرات وعلى ارتفاع يتروح من (٦٠-١٥٠) متر فوق مستوى سطح البحر. وتتصف هذه المنطقة بانها عبارة عن اراضي منبسطة ذات ترب رسوبية تكونت من مواد رملية وطينية وغرينية القت بها الرواسب لفيضانات نهر الفرات المتكررة. (الدليمي والموسى، ٢٠٠٩ ص[٢٣]) الا ان هذه الترسبات التي تعطي تجديدا طبيعيا للتربة بدء ينخفض بعد انشاء السدود في تركيا وسوريا. اما بشريا فتعد هذه المنطقة مراكز للاستقرار الحضري لمدن (القائم، عنه، راوه، حديثة، هيت)(خريطة رقم ٢).

فظلا عن عدد من المستقرات الريفية التي تتباين في حجمها وتوزيعها الجغرافي فضلا عن انها تمثل منطقة مهمة لانتاج الغذاء في منطقة الدراسة لممارسة النشاط الزراعي بنوعيه النباتي والحيواني.

٢-١-٣: المناخ:

يتميز المناخ في منطقة الدراسة بالصحراوي الجاف باستثناء بعض الاجزاء المرتفعة عن سطح البحر وبشكل خاص منطقة الحماد وهذا يعني اتساع المساحة الصحراوية المتاثرة بهذا النظام الذي من ابرز صفاته ومن خلال المعطيات المناخية مايأتي:

١- ارتفاع درجات الحرارة لاشهر الصيف التي تراوحت معدلاتها من (٣٠-٣٤) م° (جدول ١) الا انه هناك حالات من التطرف اذ سجلت اعلى درجة حرارة في محطة عنه (٤٨) م° عام ٢٠٠٧ وان ابرز مايترتب على ذلك هو المتطلبات المائية لسد حاجة المحاصيل الزراعية وزيادة عدد الريات لها فضلا عن تأثيرها على راحة وصحة الإنسان.

أما شتاءا فان معدلات درجات الحرارة تشير الى الانخفاض والتي تراوحت معدلاتها بين (٧-١٠) م° مع تسجيل درجات حرارية من الصفر الى دون الصفر وخاصة في محطة الرطبة والتي تقع على ارتفاع يصل الى ٦١٥م فوق مستوى سطح البحر والتي سجلت اخفض درجة حرارة في ٢٢ك٢ ٢٠٠٧وقد بلغت (-٧) م° اما فصل النمو في منطقة الدراسة فانه يتجاوز ٢٧٥يوما وهذا بطبيعته يعد جزءا من الامكانيات التنموية للجانب الزراعي.

٢- تمتاز الامطار الساقطة في منطقة الدراسة بقلتها والتي لايتجاوز مجموعها السنوي (١٥٠)ملم (جدول١)، وهذا يعني انخفاض كمية المياه في منطقة الحوض التي تصل الى نهر الفرات وكذلك فان أي نشاط تنموي يجري في المنطقة يكون محدودا ام شاملا لابد ان ياخذ بنظر الاعتبار توفر المصدر المائي لانه يمثل اساس الحياة وبداية النشاط البشري وبمختلف انواعه.

٣- بلغ معدل الرطوبة النسبية لمحطات منطقة الدراسة ٤٦,٢% ويوضح الجدول(١) نسب معدلات الرطوبة التي ترتفع خلال فصل الشتاء الذي يمثل موسم سقوط الامطار رغم قلتها مقارنة بفصل الصيف الذي ترتفع فيه درجات الحرارة وانعدام سقوط فضلا عن زيادة معدلات سرعة الرياح والتي تعمل على انخفاض الرطوبة النسبية.

٤- سيادة الرياح الغربية والشمالية في منطقة الدراسة صيفا وشتاءا والتي تعمل على خفض درجات الحرارة وتلطيف الجو والجدول (٢) يوضح نسب الاتجاهات، اما النسب الباقية وعلى الرغم من قلتها فان تاثيرها السلبي يكون واضحا وخاصة في فصل الصيف الذي ترتفع فيه درجات الحرارة وانعدام سقوط الامطار وندرة الغطاء النباتي مما يجعل المنطقة مصدرا لهبوب العواصف الترابية ذات التاثير السلبي على الانسان والحيوان والنبات اضافة الى تاثيرها المباشر وغير المباشر على النشاطات الاقتصادية والتنموية وعلى اختلاف انواعها، وكذلك تاثيرها على زيادة معدلات التبخر التي تنعكس على زيادة الحاجة للمتطلبات المائية في سقي المحاصيل الزراعية.

جدول (١)

المعدلات الشهرية والسنوية للمعطيات المناخية في محطات منطقة الدراسة للمدة ١٩٧٠-٢٠٠٥

الاشهر	درجات الحرارة م°				معدلات المطر/ملم				الرطوبة النسبية %			
	القائم	عنه	حديثة	الرطبة	القائم	عنه	حديثة	الرطبة	القائم	عنه	حديثة	الرطبة
ك٢	٧,٥	٨,٠	٧,٦	٧,٢	٢٤,٢	٢٣,٤	٢٠,٣	٢٢,٧	٧٥	٧٧,٦	٧٤,٦	٦٨,٨
شباط	٩,٧	٩,٥	١٠,٢	٩,٢	٢١,٤	٢١,٣	٢٠,١	٢١,٢	٦٥	٧٧,٢	٦٥,٢	٦٠,٩
آذار	١٤,٤	١٤,١	١٤,٣	١٣	٢٧,٥	٢٦,٦	٢٢,٢	٢٤,٦	٥٦	٥٧,١	٥٥,٧	٥٢
نيسان	٢٠,١	١٩,٦	٢٠,٩	١٨,٨	٢٤,٦	٢٤,٥	٢٢,٥	٢٣,٩	٤٥	٤٧,١	٤٤,٧	٤٢
مايس	٢٥,٩	٢٦,٣	٢٦,٧	٢٤,٢	٦,١	٦	٦	٧,٢	٣٦	٣٤,٧	٣٢,٥	٣٣
حزيران	٣٠,٢	٣٠,٤	٣١,٢	٢٨,٥	٠,١	٠,١	٠,٣	٠,٢	٣٠	٢٦,٣	٢٣,٥	٢٦
تموز	٣٣,٣	٣٣	٣٣,٧	٣٠,٩	-	-	-	-	٢٨	٢٦	٢١,٨	٢٥,١
آب	٣٢,٩	٣٢,٢	٣٣,٣	٣٠,٥	-	-	-	-	٣٠	٢٨	٢٤	٢٧
أيلول	٢٥,٨	٢٨,٥	٢٩,٥	٢٧,٤	٠,٤٠	٠,٢٠	٠,١٠	٠,٠١	٣٦	٣٢	٢٧	٢٨
ت١	١٩,٦	٢٢,١	٢٢,٧	٢١,٣	٦,٥	٦,٤	٦,٢	٦,٧	٤٥	٤٣	٢٩	٤٠
ت٢	١٣,٥	١٤,٧	١٤,٢	١٣,٧	١٢	١١,٥	١٢,٨	١٣	٦٠	٦١,٥	٥٦	٥٥
ك١	٧,٨	٨,٨	٩	٨,٨	٢٤	٢٣,٧	٢٢	٢٤	٧٣	٧٥,٥	٧٤	٦٨,٤
المعدل السنوي	٢٥,٨	٢٥	٢٦,١	٢٣,٧	١٤٦,٦	١٤٣,٦	١٣٢,٢	١٤٣,٤	٤٨,٢	٤٨,٨	٧٣,٨	٤٣,٨

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ،بغداد ٢٠٠٥ بيانات غير منشورة.

جدول (٢)

النسب المئوية لمعدل تكرار واتجاهات الرياح في منطقة الدراسة للفترة ١٩٧٠-٢٠٠٥

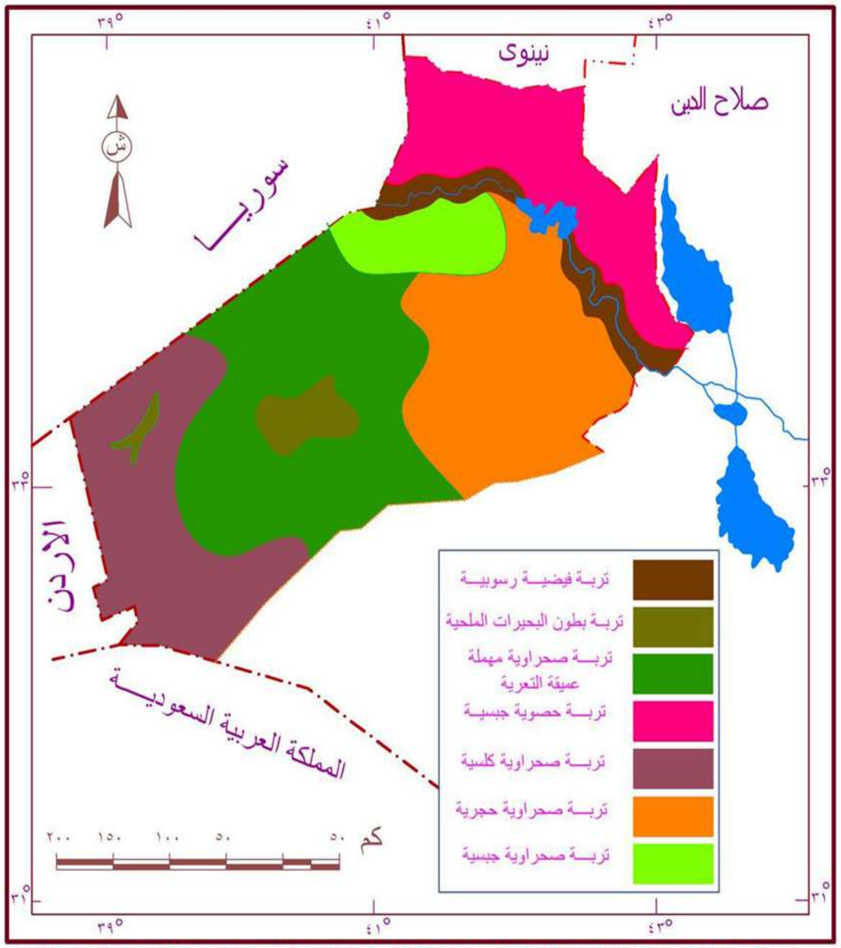
شمالية	شمالية شرقة	شرقية	جنوبية شرقية	جنوبية	جنوبية غربية	غربية	شمالية غربية	سكون
١٠	٤	٥	٧	٦	٧	٢٦	١٧	١٨

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بغداد ٢٠٠٥، بيانات غير منشورة.

٢-١-٤: التربة:

اتضح من خلال دراسة البنية الجيولوجية لمنطقة الدراسة وانواع الصخور المنتشرة والمناخ الجاف والتعرية الريحية المتعاقبة الى تواجد ترب صخرية ذات خصوبة واطئة بسبب انعدام او قلة الغطاء النباتي مما انعكس على وجود نوعين من الترب هما الترب الجافة والترب حديثة التكوين (١٣). ان افضل اصناف الترب في منطقة الدراسة للانتاج الزراعي هي ترب الترسبات النهرية والتي غالبا ما تتواجد على جانبي نهر الفرات والتي تمتاز بخصوبتها لاحتوائها على الرمل والغرين والطين وتتصف بتباين سمكها وعرضها، (خريطة رقم ٧) ولغرض المحافظة عليها باعتبارها مرتكزا تنمويا مهما للانتاج الزراعي وتحيولها الى صنف افضل من خلال اتباع نظم ادراة التربة واستخدام امثل لمياه الري. والقسم الاخر من الترب يتمثل بترب المنخفضات والتي تعد من الترب التي يمكن استغلالها للانتاج الزراعي عند توفر المياه ومن اهمها ترب منخفض الكعرة الذي تبلغ مساحته حوالي ١٢٠٠كم٢. اما الاصناف الاخرى من ترب منطقة الدراسة والتي توضحهما خريطة اصناف التربة فيمكن استثمارها لزراعة المحاصيل الحقلية والبستنة بعد اتباع ادارة جيدة وتوفر حصص مائية واستخدام طرق الري الحديثة في المناطق الجافة كالري بالرش والتنقيط لغرض المحافظة على الضائعات المائية.

خريطة رقم (٧)
اصنـــاف التـــرب فـــي منطقـــة الدراســـة



BURING,SOILS AND SOIL CONDITIONS IN IRAQ ,MINISTRY OF AGRICULTURE , ١٩٦٠ EXPLORATORY , SOIL MAP OF IRAQ SCALE ١:١٠٠٠٠٠٠

٢-١-٥: الموارد المائية:

تعد الموارد المائية من الخصائص الجغرافية والطبيعية والتي لها دورا مهما في الامكانيات التنموية لمنطقة الدراسة ويمكن تقسيمها الى ما ياتي:

٢-١-٥-١: مياه الامطار: والتي تتصف بقلتها ولاتتجاوز معدلاتها السنوية ١٥٠ملم(جدول رقم -١-)، وانعكس ذلك انخفاض مساهمة منطقة الدراسة بتغذية نهر الفرات بالماء

٢-١-٥-٢: المياه السطحية: وتتمثل بنهر الفرات الذي يعد المصدر الوحيد في منطقة الدراسة والذي يصل طوله حوالي ٣٠٠كم ويتحدد مجراه بين الحافة الغربية والجنوبية الغربية لهضبة الجزيرة من الشرق وبين الحافة الشرقية والشمالية لبادية الانبار الشمالية الغربية من الغرب، اما عرض النهر فانه متباين لايتجاوز ١٥٠م في اعرض منطقة اضافة الى بحيرة سد حديثة والتي يمكن الاستفادة من مياهها لغرض الزراعة والسياحة وتنمية الثروة السمكية.

٢-١-٥-٣: المياه الجوفية: تمتاز المياه الجوفية بان لها اهمية كبيرة في منطقة الدراسة لكونها من المصادر الرئيسية للمياه والتي يمكن الاعتماد عليها في تلبية متطلبات التنمية الاقتصادية اذا لايمكن قيام أي نشاط اقتصادي بدون المياه ونظرا لقلة مياه الامطار وعدم كفايتها وصعوبة ايصال المياه السطحية المتمثلة بنهر الفرات لبعد المسافة وطبوغرافية الارض المعقدة فقد اصبح الاهتمام والبحث عن المياه الجوفية التي تختلف من حيث الكمية والنوعية من مكان لاخر بسبب تباين الخصائص الهيدرولوجية ومنها العمق الذي يتراوح من (١٠-٣٠٠) متر (خريطة رقم ٨).

ومن الخصائص الاخرى المواد المذابة فهي قليلة في منطقتي الحماد والوديان اذ تتراوح كمية الملوحة من (١٠٠٠-٣٠٠٠) ملغم/لتر مع وجود مياه عذبة في اودية

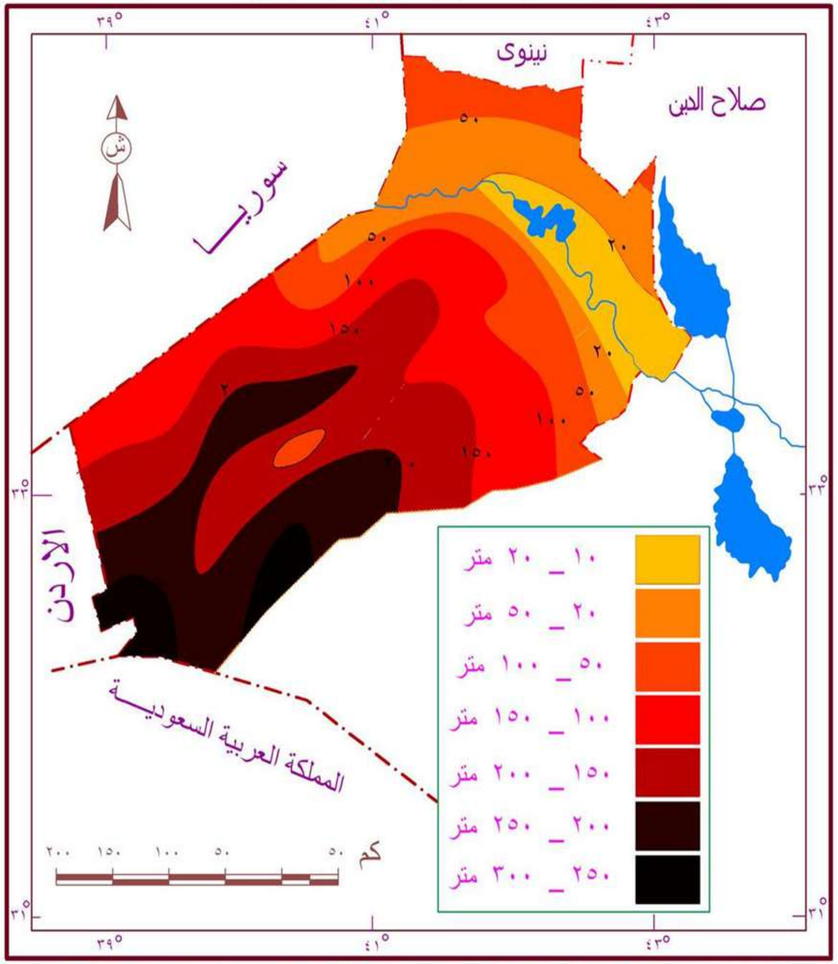
صواب وحوران، ومياه تتراوح نسبة الملوحة من (٣٠٠٠-٦٠٠٠) ملغم/لتر في منطقتي الحجارة والوديان السفلى يمكن استثمارها لانتاج المحاصيل الزراعية وبشكل محدود بينما توجد مياه تزداد فيها نسبة الملوحة لتصل الى اكثر من ١٠٠٠٠ملغم/لتر ضمن منطقة هيت، ومن خلال ملاحظة التوزيع المكاني لاقاليم المياه الجوفية في منطقة الدراسة ومنها:

أ- اقاليم ذات مياه غزارة عالية:

ويتمثل بالمنطقة المحيطة بمدينة كبيسة وذلك لانتشار العيون اذ تمتاز مياه هذا الاقليم بانها تتواجد على عمق يتراوح من (٥م-٣٠م) وبمعدل انتاجية يتراوح من (٥٠٠-٢٠,٠٠٠لتر/دقيقة) (الداهري، ٢٠٠٩)

خريطة رقم (٨)

اعماق المياه الجوفية عن مستوى سطح الارض في منطقة الدراسة



Bayan M. Hussien , Hytrsgeological Conditions Within AL-Anbar Govermente , University of AL-Anbar , Center of Desert Sudies , ٢٠٠٧ .

ب- اقاليم ذات مياه متوسطة الغزارة:

وتتركز في منطقة الضبعة التي تقع جنوب شرق مدينة الرطبة وتتواجد المياه على اعماق تتروح من ٧٠-١٠٠م وبمعدل انتاجية يصل الى اكثر من ٢٠٠لتر/دقيقة وهي صالحة لمختلف الاستخدامات وذلك لانخفاض نسبة الاملاح والتي يعتمد عليها سكان مدينة الرطبة والتي يمكن تنميتها والاهتمام بها من خلال انشاء محطات لتملية المياه وتكون ذات صلاحية عالية جدا.

ت- اقاليم ذات مياه قليلة الغزارة:

ويظهر في منطقتين في منطقة الدراسة الاولى في منطقة عكاشات القريبة من الحدود السورية وبمعدل انتاجية يصل الى ١٥٠لتر/دقيقة وعلى عمق يتراوح من (٣٠-٥٠) م ومياهها صالحة للاستعمالات نظرا لانخفاض تركزها الملحي (١٤) ٠

والثانية منطقة الجزيرة التي تتراوح انتاجية البئر من (٧٥-١٠٠) لتر/دقيقة ومياهها ذات صلاحية محدودة جدا للاستهلاك البشري وذلك لارتفاع نسبة الكبريتات وبناءا على ما تقدم فان المياه الجوفية تعد مصدرا طبيعيا مهما للامكانيات التنموية في منطقة الدراسة من خلال توفر الصفات الآتية:

- وفرة المياه الجوفية وسهولة استغلالها من حيث عمق الابار ونوعية مياهها ومدى صلاحيتها للاستعمالات المختلفة (المنزلية، الزراعية وبنوعيها النباتي والحيواني، الطبية لعلاج المرض الذي يعانون من امراض جلدية)
- ملائمة منطقة الدراسة التي تعتمد على المياه الجوفية للاستيطان السكاني من خلال انشاء مستقرات ريفية وحضرية ذات نشاط اقتصادي متنوع (زراعي، صناعي، تجاري، تعدين، سياحي)

٢-١-٦: النبات الطبيعي:

يرتبط نمو النبات الطبيعي في أي منطقة بالعالم بالظروف المناخية وعلى الرغم من قلة سقوط الإمطار وارتفاع درجات الحرارة الذي يرافقه ارتفاع كمية التبخر ونوعية التربة الصحراوية السائدة الا ان الغطاء النباتي تواجد وبشكل يتباين من منطقة إلى أخرى فنجد المناطق المنخفضة التي تتجمع فيها مياه الإمطار ذات نبات طبيعي كثيف وبانواع مختلفة منها ماهو حولي والأخر معمر والتي تعد الأساس في تنمية الثروة الحيوانية وعلى اختلاف أنواعها، ومن هذه النباتات الحولية الخباز والسلماس والجريدة والزباد والمعمرة الشيح والكيصوم والرمث والشوك فظلا عن استخدامها كمصدر للوقود ولاسيما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق بعد عام ٢٠٠٣ وبسبب الظروف الأمنية وارتفاع أسعار الوقود مما اضطر سكان منطقة الدراسة الى جمع هذه النباتات وقلعها من جذورها وبيعها في الأسواق التي يتراوح سعر السيارة ذات حمولة طن واحد من (٧٥-١٠٠) دينار (الدراسة الميدانية – ٢٠٠٩)

اما النباتات الطبيعية الاخرى هي التي تنمو على ضفاف نهر الفرات وفي الجزر النهرية ومنها القصب والحلفا والغرب والطرفا والتي تستخدم كمراعي للاغنام والابقار وذلك بسبب ارتفاع اسعار الاعلاف اضافة الى استخدام قسم منها للوقود والقسم الاخر يستخدم للاغراض الطبية وخاصة نبات السوس ونستنتج ما تم ذكره ان منطقة الدراسة تحتوي على انواع عديدة من النبات الطبيعي سواء المعمرة او الحولية او ضفاف الانهار والتي يمكن ان تتخذ اساسا لتنمية المنطقة ويتم اما بتحديد مناطق المراعي الجيدة او لتصنيف بعض النباتات ذات الفوائد الطبية والعمل على الاكثار منها وحمايتها

ثالثا: الخصائص البشرية:

١-٣: السكان:

يعد السكان في أي منطقة جغرافية الاساس والهدف للتنمية وذلك باعتبارهم جزءا مهما من مرتكزات التنمية الاقتصادية، كما ان توزيعهم الجغرافي يعد من العوامل الاساسية المؤثرة في اتجاهات التنمية المكانية، ويكتسب هذا العامل اهمية في تحليل الواقع الجغرافي لمنطقة الدراسة من خلال التباين في التوزيع ونتيجة لهذه الاهمية والتباين ولغرض توضيح اعداد السكان حسب الوحدات الادارية التي يوضحها الجدول(٣).

جدول (٣)

سكان منطقة الدراسة موزعين حسب الوحدات الادارية(حضر، ريف) للمدة ١٩٩٧-٢٠٠٧ *

الوحدات الادارية	تعداد ١٩٩٧			تقديرات ٢٠٠٧		
	حضر	ريف	المجموع	حضر	ريف	المجموع
القائم	٥٧٧٨٤	٣٧٣٠٣	٩٥٠٨٧	٨٢٢٥٢	٥٥٣١٥	١٣٧٥٦٧
عنه	٩٩٠٤	٥٢٣٨	١٥١٤٢	١٤٠٩٨	٧٧٦٨	٢١٨٦٦
راوه	٨١٤٦	٤٥٤٠	١٢٦٨٦	١٢٠٢٣	٦٧٣٢	١٨٧٥٥
حديثة	٤٣٩٣٤	١٠٨٧٠	٥٤٨١٣	٦٢٥٣٨	١٦١١٨	٧٨٦٥٦
هيت	٤٦٣٣٤	٤٢٥١٨	٨٨٨٥٢	٦٥٩٥٥	٦٣٠٤٨	١٢٩٠٠٣
الرطبة	١٣٨٥٠	٥٧٥٦	١٩٦٠٦	١٩٨٥٨	٣١٢٣	٢٢٩٨١
المجموع	١٧٩٩٥٢	١٠٦٢٢٥	٢٨٦١٧٧	٢٥٦٧٢٤	١٥٢١٠٤	٤٠٨٨٢٨

المصدر: وزارة التخطيط الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج تعداد ١٩٩٧محافظة الانبار

* **وزارة التجارة، تقديرات السكان في العراق لعام ٢٠٠٧**

الذي يتضح بتزايد سكان منطقة الدراسة من ٢٨٦١٧٧ نسمة عام ١٩٩٧ الى ٤٠٨٨٢٨ ونسبة تغير مقدارها (٧٠%) وكذلك اتضح بان جميع الوحدات الادارية في منطقة الدراسة سواءا في المراكز الحضارية او المستقرات الريفية بتزايد سكانها يعد جزءا مهما من الامكانيات التنموية البشرية والذي يتطلب توفيرها لسكان منطقة الدراسة. ولغرض الاهمية لدراسة توزيع السكان ارتات الدراسة توضيح النشاطات الاقتصادية في منطقة الدراسة تزخر بامكانيات متنوعة اتخذت اساسا لقيام هذه الانشطة اضافة الى وجود فرص وامكانيات اضافية لم تحظى بالاهتمام او انها لم تستغل لحد الان ومثال واضح على ذلك النشاط السياحي الذي يشكل احدى موجودات التنمية ومن ابرز النشاطات الاقتصادية هي:

١-٣-١: النشاط الزراعي:

تعد منطقة الدراسة من المناطق الصحراوية الجافة والذي تمت الاشارة اليه ولولا وجود نهر الفرات لاصبحت المنطقة امتدادا طبيعيا للمنطقة الصحراوية الجافة الامر الذي جعل نهر الفرات المصدر الرئيسي الذي يعتمد عليه النشاط الزراعي وبامتداده انتشرت المستقرات الريفية لتمارس نشاطا زراعيا قائما على انتاج المحاصيل الزراعية وتربية الثروة الحيوانية وعليه فان الزراعة عنصر اساسي في خطة التنمية الاقليمية لمنطقة الدراسة من خلال مساحات الاراضي الزراعية الموزعة حسب الوحدات الادراية التي يوضحها جدول (٤).

جدول (٤)

المساحات الزراعية للوحدات الادارية في منطقة الدراسة لعام ٢٠٠٨/دونم

ت	الوحدة الادارية	المساحة الكلية للزراعة/دونم
١-	القائم	٧٧٧١٣
٢-	عنه	١١١٢١

٣-	راوه	١٠٥٠٠
٤-	حديثة	٧٣٨١
٥-	هيت	٥٠٦٤١
٦-	الرطبة	١٠٢٥٠
٧-	المجموع	١٦٧٦٠٦

المصدر: مديرية زراعة الانبار – الشعب الزراعية في منطقة الدراسة الانبار ٢٠٠٨، بيانات غير منشورة

لذلك فان أي توجه لتوسيع رقعة النشاط الزراعي عليه ان ينطلق اساسا من كيفية توفر المتطلبات المائية والخدمات الزراعية على اختلاف انواعها التي تهدف الى التطور الراسي وزيادة معدل الانتاجية والانتاج الزراعي لمنطقة الدراسة والتي تقع اراضيها على امتداد نهر الفرات. اما المناطق البعيدة عن نهر الفرات فالنشاط الزراعي يعتمد على الامطار الساقطة رغم قلتها والمياه الجوفية التي تم التطرق اليها ويتوزع في مناطق الفيضات والمنخفضات الصحراوية والمناطق التي تتصرف اليها المسيلات المائية او الوديان ذات التصريف الداخلي مكونة ترب يتراوح سمكها اكثر من ١٠٠سم في بعض المناطق ويتم استغلالها بالانتاج الزراعي لمحاصيل الحبوب والخضراوات الصيفية والتي بدات تنتشر تدريجيا معتمدة على البيوت البلاستيكية. اما النشاط الزراعي الاخر فتتمثل بمشروع الواحات الصحراوية الذي بدا العمل فيه منذ عام ١٩٧٣ ويعد من المشاريع التنموية التي تهدف الى استثمار المياه الجوفية المتاحة في منطقة الدراسة لغرض الاستغلال الزراعي فضلا عن امكانية استثمارها كمناطق سياحية مستقبلا وقد بلغت المساحات المزروعة في الواحات الصحراوية لغاية عام ٢٠٠٧ ٧٨٦٧دونما من مجموع المساحة الكلية لهذه الواحات والبالغة حوالي ١٥٤٢٧ دونما من مجموع المساحة الكلية والتي تتوزع على منطقة الدراسة جدول

(٥) وبمختلف انواع الاشجار المثمرة ومنها اشجار (النخيل والعنب والفستق والرمان والخوخ والتين) ومصدات للرياح مثل اشجار (اليوكالبتوس، السرو، الكازولينا) مستخدمة افضل طرق الري الحديثة (الرش والتنقيط) الا ان هذا المشروع وعلى الرغم من اهميته البيئة والاقتصادية بدا يتعرض للاهمال وخاصة فترة الحرب الايرانية-العراقية ١٩٨٠-١٩٨٨ مما اضطرت الدولة الى بيعها وفق القانون ٣٢ لسنة ١٩٨٦ الخاص ببيع وتاجير اموال الدولة وفي مرحلة التسعينات اعادت الدولة اهتمامها من خلال انشاء واحات جديدة، الا انها تعرضت للتخريب ونهب ممتلكات هذه الواحات اثناء فترة الاحتلال الامريكي للعراق. وفي عام ٢٠٠٦ تم اعادة العمل باستثمار هذه الواحات وتشغيل الايدي العاملة الذي يعد احدى اهداف تنمية الموارد البشرية في منطقة الدراسة، حيث بدات تنتشر على امتداد طريق هيت القائم لتكون مستقبلا مناطق سياحية يمكن استثمارها فضلا عن استغلالها لزراعة المحاصيل الزراعية.

جدول (٥)

التوزيع المكاني للواحات الصحراوية في منطقة الدراسة

ت	اسم الواحة	سنة الانشاء	الموقع	المساحة الكلية دونم	المساحة المستثمرة دونم
١-	رصيف	١٩٧٣	٤٠كم عن حديثة	٦٦٠	٤٠٠
٢-	الكشيتي	١٩٧٤	٤٥كم عن حديثة	١٢٠٠	٥٥٠
٣-	الشغور	١٩٧٤	٤٥كم عن حديثة	١٣٠	٦٠
٤-	ام بلكة	١٩٧٦	٥٠كم غرب الكشيتي	١٢٠٠	٦٠٠
٥-	المناخ	١٩٧٨	٦٥ جنوب القائم	١٣٣٥	٣٠٠
٦-	فهيدة الاولى	١٩٧٥	٤٥كم جنوب القائم	١٦٧٣	٦٠٠
٧-	عامج	١٩٧٧	٢٤كم عن الكيلو ١٦٠	٧٨٣	٢٨٠
٨-	المحور[٦٨]	١٩٧٦	٦٨كم عن الرمادي	٨٢٩	٢٦٠
٩-	المحور[٩٨]	١٩٧٧	٩٨كم عن الرمادي	١١٧	٨٢
١٠-	جيلب	٢٠٠٠	٣٥كم عن عنه	١٢٠٠	٤٠٠
١١-	العبيدي	٢٠٠٠	٢٠كم عن القائم	١٤٠٠	٦٠٠
١٢-	فهيدة[١]	٢٠٠٠	١٠كم عن القائم	١٢٠٠	٨٠٠
١٣-	طريبيل	١٩٩٨	مجمع طريبيل	٣٠	١٥
١٤-	التنف	١٩٩٨	ناحية الوليد	١٥٠	١٠٠
١٥-	جبهة	٢٠٠٠	ناحية الوفاء	١٦	١٦
١٦-	البيادر	٢٠٠٠	٨كم عن البغدادي شرقا	١٢٠٠	١٠٠٠
١٧-	الوس	١٩٩٩	قرية الوس	١٢٠٠	١٢٠٠
١٨-	الريحانة	١٩٩٩	٥كم عن عنه	٨٠٠	٣٠٠
١٩-	الصكرة	١٩٩٩	٣٠كم عن عنه	٣٢	٣٢
٢٠-	الخسفة	١٩٩٩	١٥كم غرب حديثة	٤٠	٤٠
٢١-	الخرش	٢٠٠٧	٤٠كم جنوب غرب القائم	٢٠٠	٢٠٠
٢٢-	البوحياة	١٩٩٩	١٠كم غرب البغدادي	٣٢	٣٢
				١٥٤٢٧	٧٨٦٧

المصدر ليث ثابت عبد الفتاح الداهري، المياه الجوفية واهميتها في تنمية هضبة الانبار الغربية، رسالة ماجستير، (غير منشورة) كلية التربية، جامعة الانبار ٢٠٠٩ صفحات مختلفة

١-٣-٢: النشاط التعديني:

اتضح من خلال دراسة جيولوجيا منطقة الدراسة تبين ما يأتي:-

أ- تباين التكوينات الجيولوجية من حيث الفترات التي نشأت فيها.

ب- تباين انواع الموارد المعدنية المتاحة في منطقة الدراسة مما أعطى أهمية اقتصادية كبيرة سواء على مستوى المنطقة او المحافظة او على مستوى القطر العراقي.

ج- على الرغم من امكانيات منطقة الدراسة لهذه المعادن والتي تعد مرتكزا تنمويا تعتمد عليه الصناعات داخل وخارج منطقة الدراسة غير ان ما يؤشر على خطط التنمية ان هذه المنطقة اصبحت تجهز الموارد الاولية الى خارج المنطقة والدليل على ذلك قضاء الرطبة باعتباره مصدر تجهيز فقط للصناعات المتوطنة في قضائي الفلوجة والرمادي اضافة الى مايجهز خارج المحافظة اما الثروات المعدنية التي تلعب دورا مهما كموارد طبيعية مهمة في التنمية المكانية والاقليمية ومنها (رمل الزجاج، الفوسفات، اكاسيد الحديد، الكاؤولين، الدولومايت) اذ تشكل مواد اولية للصناعات التي تعتمد عليها واساسا للاستثمار من خلال انشاء المشاريع الصناعية وتشغيل الايدي العاملة الذي يعد هدفا مهما للتنمية البشرية

١-٣-٣: النشاط الصناعي:

من خلال عرض النشاط التعديني لمنطقة الدراسة والذي اتضح على امتلاك منطقة الدراسة امكانيات من حيث توفر الخامات المعدنية وبكميات اقتصادية يمكن استثمارها في انشاء العديد من الصناعات اذا ما تم تطوير استثمارها باتجاه تكون قاعدة صناعية متطورة في منطقة الدراسة اضافة الى ما موجود من صناعات تعتمد على الثروات المعدنية اضافة الى ذلك فان معظم الصناعات الموجودة في منطقة

الدراسة هي صناعات ذات طابع استهلاكي وخاصة الصناعات الغذائية او بعض الصناعات الانشائية الصغيرة.

رابعا: الامكانيات التنموية:

اظهرت هذه الدراسة الى وجود امكانيات تنموية تهدف الى رسم صورة المستقبل لاي منطقة جغرافية ومنها منطقة الدراسة والتي لابد من تحليل هذه الامكانيات من خلال المقومات الجغرافية التي تم التطرق اليها. ويمكن تناولها كما ياتي: -

أ- امكانية استثمار وتنمية المنافذ الحدودية لمنطقة الدراسة على الدول المجاورة وزيادة نسبة مردودها المالي لتنفيذ مشاريع تنموية جديدة وادامة المشاريع الحالية.

ب- امكانية تنمية الموارد المائية متمثلة بمجرى نهر الفرات الذي يعد الاساس لتنمية السهل الفيضي من خلال استخدام امثل للاراضي الزراعيةاضافة الى استثمار المياه الجوفية بشكل عقلاني وعلمي عن طريق استخدام افضل الطرق العلمية للري متمثلة بالري بالرش والتنقيط. اضافة الى استثمار مياه الامطار في فترة سقوطها عن طريق بناء السدود والخزانات للاستفادة منها ولكافة الاستعمالات البشرية كالاستعمال الزراعي بنوعيه النباتي والحيواني وتربية الثروة السمكية.

ج- امكانية استثمار الموارد الطبيعية وتنميتها عن طريق استخدام امثل للثروات المعدنية والمحافظة عليها اضافة الى استثمار النبات الطبيعي وتنميته التي تعد اساسا للتنمية المستدامة.

د- امكانية تنمية منطقة الدراسة عن طريق استثمار الطاقات البديلة والمتجددة المتمثلة بالطاقات الشمسية والرياح لغرض انتاج الطاقة الكهربائية واستغلالها لتشغيل المشاريع التي تعتمد عليها.

هـ - امكانية واستثمار المنطقة سياحياً من خلال شواطئ نهر الفرات وبحيرة سد حديثة والجزر النهرية اضافة الى السياحة الصحراوية وبشكل خاص الواحات الصحراوية والبحيرات المقامة على سدود الاودية، وكذلك استثمار العيون الوجودة في هيت وكبيسة وحديثة ذات المياه المعدنية للاستخدامات الطبية كما هو الحال في معظم دول العالم ومنها الاردن. فضلا عن استغلال المناطق الاثرية واعادة تاهيلها كمأذنة عنه وصيانة المواقع الاخرى.

و- امكانيات انشاء محميات طبيعية للمحافظة على الحياة البرية سواءا كانت حيوانية او نباتية لكي تكون جزءا من المناطق السياحية في المناطق الصحراوية كما هو الحال في المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة.

ز- امكانية تنمية الثروة السمكية وخاصة في بحيرة سد حديثة واستخدام الاساليب العلمية في زيادة انواعها كما كان معمول به سابقا اضافة الى منع الصيد غير القانوني كاستخدام المتفجرات والكهرباء والسموم.

ح- امكانية تنمية المنطقة اداريا باعتباره اقليما اداريا خاصا من خلال اصدار قرارا حكوميا لكي يكون على مستوى محافظة

خامساً: الاستنتاجات والتوصيات.

٥-١: الاستنتاجات

إن أهم ما يمكن استنتاجه من كل ما تقدم وبقدر ما يتعلق بمواضيع هذه الدراسة ما يأتي:-

١- لعب الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة ومجاورته لثلاث دول عربية فظلا عن محافظتي نينوى وصلاح الدين أهمية اقتصادية ليس على مستواها فحسب وإنما على مستوى محافظة الانبار بشكل عام.

٢- أظهرت الدراسة أن للخصائص الجغرافية الطبيعية والبشرية ملائمة لممارسة جميع النشاطات البشرية من خلال استثمار الإمكانيات التي تعد أساسا للتنمية وبكافة أشكالها.

٣- انتشار السكان في منطقة الدراسة بمراكز حضرية أو ريفية على امتداد نهر الفرات في الوقت الذي توجد فيه مساحات واسعة ذات تركز سكاني قليل باستثناء مدينة الرطبة وعلى الرغم من تواجد المواد الأولية في هذه المناطق والتي يمكن استغلالها للصناعة.

٤- أظهرت الدراسة على قلة المساحات المستثمرة للواحات الصحراوية مقارنة بالمساحة الكلية لمنطقة الدراسة من جهة والمساحة الكلية لهذه الواحات من جهة ثانية علما أن هذا المشروع له من الأهمية الأساسية المتمثلة بالتقليل من زحف الكثبان الرملية والحد من ظاهرة التصحر فضلا عن الأهمية السياحية.

٥- أظهرت الدراسة إن هناك مناطق لتواجد المياه الجوفية وبكميات تؤهلها للاستغلال وبكافة أشكاله (الزراعي وبنوعيه النباتي والحيواني وكذلك الصناعي فضلا عن الاستهلاك المنزلي).

٦- على الرغم من انخفاض مناسيب سد حديثة إلا انها تعد مصدرا لتنمية وتطوير الثروة السمكية والتي تعاني من مشاكل عديدة أخطرها طرق الصيد غير القانونية(السموم والكهرباء والمتفجرات).

٧- نتيجة لقلة أو ارتفاع أسعار الوقود خلال المدة (٢٠٠٣الى الوقت الحاضر) قيام البعض من سكان منطقة الدراسة ضمن المناطق الرعوية باقتلاع النبات الطبيعي من الجذور والذي يعد خطرا ينعكس على قلته من جهة وتعرية وتدهور التربة من جهة ثانية وهذا يعد من أخطر أنواع التدهور البيئي.

٥-٢: التوصيات

بناءا على ما تقدم من استنتاجات توصلت الدراسة اليها توصي بالتوصيات الآتية:

١- تشجيع أصحاب الأراضي الزراعية على إتباع أفضل الأساليب العلمية في الزراعة لزيادة الإنتاج كما ونوعا وبنوعيه النباتي والحيواني فظلا عن المحافظة على الأرض الزراعية باعتبارها موردا طبيعيا مهما من خلال استخدام طرائق الري الحديثة (الري بالرش والتنقيط)

٢- العمل على توفير الخدمات الضرورية لسكان منطقة الدراسة سواء في المراكز الحضرية أو المستقرات الريفية والتشجيع على الاستثمار وفي كافة النشاطات ومنها الجانب السياحي الذي تتوفر معظم مقوماته والعمل على نشر ثقافة السياحة نظرا لأهمية هذا الجانب.

٣- المحافظة على الأراضي الزراعية الواقعة ضمن السهل الفيضي من خلال إصدار القوانين والقرارات التي تمنع الزحف العمراني إلا عن طريق استحصال الموافقة من الجهات الرسمية المتمثلة بالشعب الزراعية في منطقة الدراسة.

٤- الاهتمام بالصناعات الزراعية التي تعد توجها مستقبليا من خلال أهمية دورها في التنمية الإقليمية باعتبار أن منطقة الدراسة تتوفر فيها الإمكانيات الملائمة لها.

٥- التشجيع على استخدام عناصر الطاقة المتجددة والمتوفرة عن طريق الإشعاع الشمسي والرياح لتوليد الطاقة الكهربائية.
٦- على الدولة القيام بإنشاء مشاريع اقتصادية رائدة في منطقة الدراسة لغرض تنمية الموارد البشرية من خلال توفير فرص عمل للحد من انتشار ظاهرة البطالة فظلا عن إحداث نوع من التوزيع المكاني للنشاط الصناعي.
٧- تشجيع المستثمرين من سكان منطقة الدراسة أو خارجها لإنشاء واحات صحراوية أو محميات طبيعية من خلال تقديم المساعدات وبكافة أشكالها من الدولة لأهمية المشروع البيئية والاقتصادية.
٨- العمل على تنمية منطقة الدراسة إدارياً من خلال قيام الدولة بإصدار قرارا سياسيا وجعلها محافظة لتقليل الانتقال إلى مدينة الرمادي التي تمثل مركزا لمحافظة الأنبار إضافة إلى العمل لإنشاء جامعة أو معهد لتطوير المنطقة علمياً.
٩- إصدار القوانين والتشريعات وفرض الغرامات لمستخدمي طرق الصيد غير القانونية للثروة السمكية التي تعد مصدرا مهما لتوفير الغذاء لسكان منطقة الدراسة وخارجها.
١٠- المحافظة على جميع أشكال الحياة البرية سواء نبات طبيعي أو ثروة حيوانية بوصفها مصدرا مهما للتنمية في منطقة الدراسة.

المصادر: -

١- عبد صالح فياض، جيولوجية محافظة الانبار، مركز دراسات الصحراء، جامعة الانبار. ٢٠٠٨، ص٦.
٢- عبد الله السياب واخرون، جيولوجيا العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٢، ص٣٨.
٣- دحام حنوش حمد الفهداوي، الهضبة الغربية في محافظة الانبار، اطروحة دكتوراة "غير منشورة " كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٤٩.
٤- سحر نافع شاكر، دراسة جيمورفولوجية البادية الشمالية في محافظة الانبار، اطروحة دكتوراة "غير منشورة " كلية العلوم، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص٢٠.
5- Parsons, R. m. Engineering company-ground water Resources of Iraq , northern desert , Vol-8-1995.
٦- مشعل محمود فياض الجميلي، الاشكال الارضية لوادي نهر الفرات بين حديثة وهيت، اطروحة دكتوراة "غير منشورة " كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ ص ٢٥ .
٧- يحي عباس حسين، الينابيع المائية بين كبيسة والسماوة واستثماراتها ،اطروحة دكتوراة "غير منشورة " كلية الاداب، جامعة بغداد ،١٩٨٩ ص ٢١ .
٨- محمد محي الدين الخطيب، المراعي الصحراوية في العراق، بغداد، ١٩٧٨.
٩- عبد الوهاب احمد سلمان، الواقع الراهن للمياه السطحية في الصحراء الغربية، ١٩٨٨.
١٠- عبد الوهاب احمد سرحان، الواقع الراهن للمياه السطحية في الصحراء الغربية مركز الفرات للدراسات والتصاميم، ١٩٨٨ص٦.
١١- احمد هلال محمود، استخدامات الارض الريفية في ريف ناحية العبور، رسالة ماجستير "غير منشورة " كلية الاداب، جامعة الانبار، ٢٠٠٩، ص٢٥.

١٢- محمد دلف احمد الدليمي، فواز احمد الموسى، وادي نهر الفرات في سوريا والعراق، دار الفرقان للغات، سوريا، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٣.
١٣- عصام خضير حمزة الحديثي، احمد عاصم الدباغ، ترب محافظة الانبار، مركز دراسات الصحراء، جامعة الانبار، ٢٠٠٨.
١٤- نافع ناصر القصاب، المسرح الجغرافي لمنطقة الهضبة الغربية في العراق ومؤهلاتها التنموية، مجلة الجمعية الجغرافية، العدد١٨ بغداد، ١٩٨٩، ص٥٤.
١٥- ليث ثابت عبد الفتاح الداهري، المياه الجوفية واهميتها في تنمية هضبة الانبار الغربية، رسالة ماجستير "غير منشورة " كلية التربية، جامعة الانبار، ٢٠٠٩، ص١١٥.
١٦- الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي – قسم المناخ، بغداد ٢٠٠٥، بيانات غير منشورة.
١٧- مديرية زراعة الانبار، الشعب الزراعية في منطقة الدراسة، بغداد ٢٠٠٥، بيانات غي منشورة.
١٨- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج تعداد سكان محافظة الانبار، ص٨.
١٩- وزارة التجارة، تقديرات السكان عام ٢٠٠٧، جدول (٢٦)، ص٣٠.

Eupherales Higher Basin in Iraq

Asst.Prof. Dr. Kamal Salaih Kazkuooz
Colloge of Arit University of Anbar

Abstract:

Eupherales high basin in considered the widest of Anbar natural vicinity. It represents 56% of Anbar Governerte area. Where the widest variation of natural phenomenon can be observed. Population distributions and human activities are also varied whied which have its reflection on the development copabilies in agricuttusal, in dusterial and human development. The study concentration on the human and natural Geographic postuse of the higher basin of Eupherates. Human and natural resources are also studied. On the administrative level, the area under study comprises the following districts: (Qaim, Ana, Rawa, haditha, Rutba, and Hit). These are followed by eight sub-districts: (Obaidi, Oboor, Haklania, Barwana, Waleed, Baghdadi, Kubaisa, and Furat). These can be considered a sepavate admintrative unit at the govern orate level.

خصائص الشبكة النهرية لوادي منجور وآثارها الجيومورفولوجية

م.م. تغريد خليل محمد جبر
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الجغرافية

ملخص بحث

وادي منجور هو احد الاودية النهرية التي تقع الى الشمال من العراق ضمن نطاق الاراضي الشبه جبلية او اقدام الجبال ضمن محافظة صلاح الدين ولكون المنطقة تقع ضمن المرتفعات فهي ذات مظاهر متنوعة بلا شك حسب تدرج السطح من شمال الوادي الى جنوبه من المنبع إلى المصب . وقد تناول البحث محاور ثلاث كان المحور الاول ،عن الخصائص الطبيعية جيولوجيا المنطقة والتربة والمناخ.

المحور الثاني ،تناول خصائص الشبكة من حيث الخصائص التضاريسية ، الشكلية ، المورفومترية.

اما المحور الثالث ، اثار الشبكة الجيومورفولوجية على المنطقة والامكانيات المستقبلة للاستفادة من الوادي وشبكته.

خصائص الشبكة النهرية لوادي منجور وأثارها الجيومورفولوجية

اشتمل البحث على ثلاث محاور:-

وقد تناول المحور الأول:-

خصائص منطقة البحث الطبيعية من حيث الجيولوجيا والتربة والمناخ

اما المحور الثاني:-

فقد تناول خصائص الوادي التضاريسية والشكلية والمورفومترية

اما المحور الثالث:-

فقد ركز على اثار الوادي في منطقة الدراسة

وقد اهتم البحث في كيفية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تسخير المنطقة والظاهرة للاستفادة منها في استثمار المنطقة وبصورة علمية حديثة مما يخدم الواقع البيئي في العراق

مُقَدِّمَة

الجيومورفولوجية التطبيقية علم يبحث في دراسة مظاهر سطح الارض وتفسيرها وفق اسس قياسية وعلمية بحته وذلك لاعطاء الدليل الوافي والشبه كافي لتفسير الظاهرة المدروسة واعطاء التحليل المثالي لتطور تلك الظاهرة او تتبع نشؤها وتطورها في المستقبل ومحاولة الحد من اخطارها او السيطرة عليها، وبالتالي فان الدراسات البحثية التي تتناول الاودية او الشبكات النهرية هي احد تلك الدراسات المتفرعة من الدراسات التطبيقية لمظاهر الارض والسطح، وتعد الاودية النهرية من الظواهر ذات الاهمية البالغة في تفسير العديد من الاشكال االارضية الناجمة عن تلك الانهار واوديتها، مما يساهم في توفير معلومات مهمة في تفسير الاشكال الارضية مع الاخذ بنظر الاعتبار الطرق القياسية في تحليلها وقياسها، ووادي منجور هو احد الاودية النهرية التي تقع الى الشمال من العراق ضمن نطاق الاراضي الشبه جبلية او اقدام الجبال ضمن محافظة صلاح الدين ولكون المنطقة تقع ضمن المرتفعات فهي ذات مظاهر متنوعة بلا شك حسب تدرج السطح من شمال الوادي الى جنوبه من المنبع إلى المصب.

وبالاستعانة بالوسائل الحديثة والمرئيات الفضائية والرادارية المتوفرة نامل ان نتمكن من اعطاء صورة واضحة للوادي ضمن المنطقة وتفسير شبكته النهرية وتحليلها وقياسها، فضلا عن ابراز دور تلك الوديان اذا ما اعطيت العنايه من حيث الدراسة والتحليل في خدمة الاراضي وتوفير المشاريع المهمة مستقبلا مما يتيح الفرصة لتوفير افضل الطرق وابسطها في استصلاح ارض الوطن والتقدم به نحو افاق اوسع من خلال توظيف العلاقة بين النظم البيئية للمنطقة والدراسة التطبيقية في خدمة الواقع الجغرافي العام.

الباحثه

المحور الأول

خصائص المنطقة الطبيعية

وقد شملت التالي:-

١- موقع منطقة الدراسة

٢- جيولوجيا منطقة البحث

٣- ترب منطقة البحث

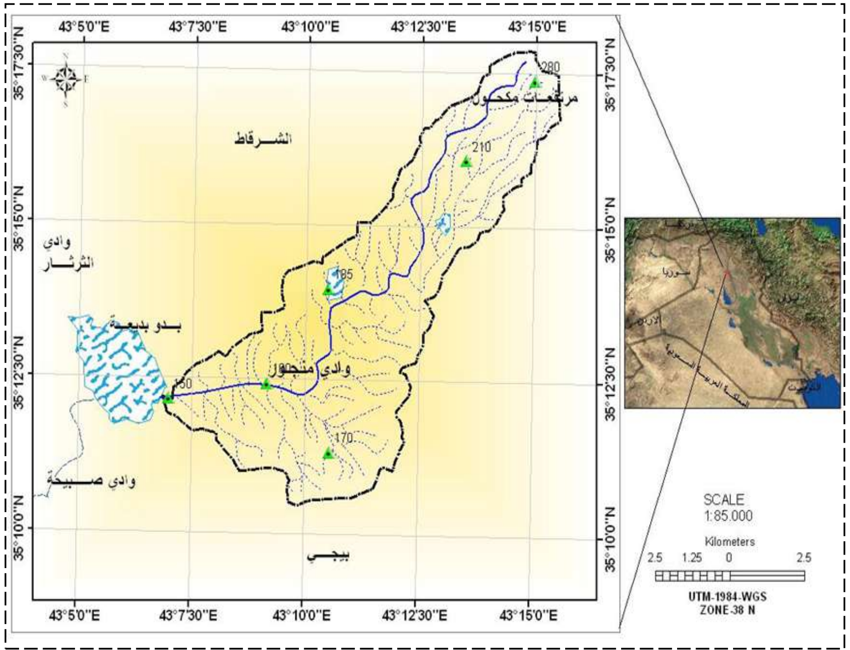
٤- المناخ

٥- نباتات منطقة الدراسة

١- موقع منطقة الدراسة:-

تقع منطقة البحث فلكيا بين دائرتي عرض (٣″ ١٧′٣٥ °- ٠″١٠ ′٣٠ °) شمالا وخطي طول(١٥ ′ ٤٣ ° – ٥ ′ ٤٣°) شرقا،ويحدها من الشمال قضاء الشرقاط ومن الشرق مرتفعات مكحول ومن الجنوب قضاء بيجي ومن الغرب منطقة هظبية مرتفعة إلى حد ما، ضمن حدود محافظة صلاح الدين، شمال منطقة السهل الرسوبي. تبلغ مساحة الوادي (٥ ، ٦٤ كم) وطول الوادي بلغ (١٩ كم)، ويعد الوادي من الأودية المنحدرة من اقدام المرتفعات ويصب في بحيرة موسمية، يلاحظ خارطة (١).

خارطة (١) موقع وادي منجور في العراق



المصدر:- الاعتماد على برنامج: Arcmap 9.1-Globalmapper8.

٢- جيولوجيا منطقة البحث:-

شملت ترسبات منطقة البحث على ترسبات العصور التالية:-

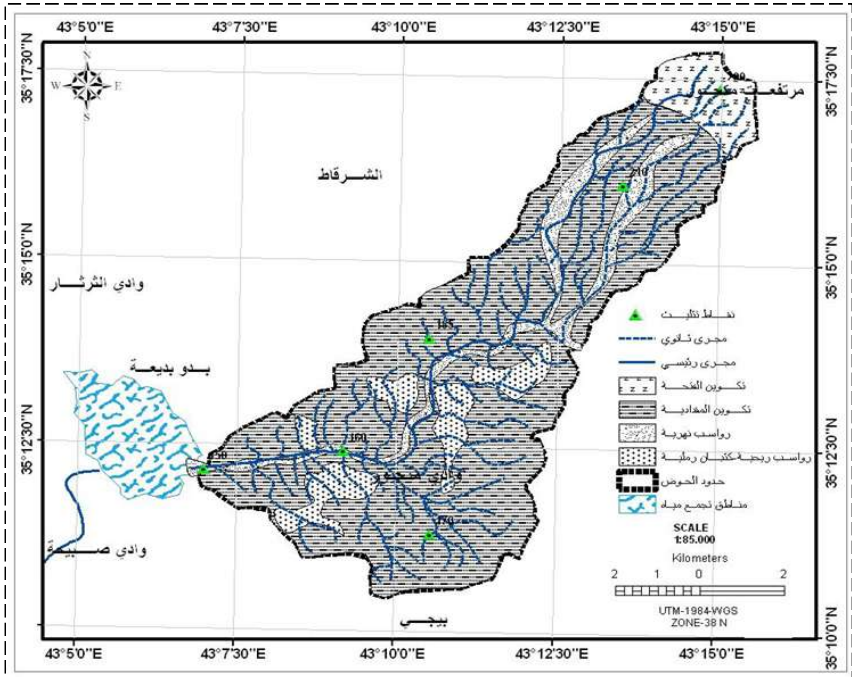
١-ترسبات العصر الثالث:- وقد اشتملت على التكوينات التالية:-

أ- **تكوين الفتحة (الفارس الاسفل):-** ينكشف هذا التكوين في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة الوادي، اذ يتكون من عدد من الطيات من الحجر الجيري مع الانهدرايت وحجر المارل [1].

خصائص الشبكة النهرية لوادي منجور
مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
م.م. تغريد خليل محمد جبر العدد (٤) أيلول ٢٠١٠

ب- **تكوين المقدادية:-** ينكشف هذا التكوين في اغلب أجزاء الوادي، ويتالف من حجر المارل القهوائي والحجر الطيني المتعاقب مع الحجر الرملي الناعم والحاوي على بعض الحصى المتنوع في حجمه ونوعه وهو يتكون في الغالب من الصوان الرصاصي والقهوائي والحجر الجيري، وتكون احجام حبيباته الرملية متوسطة الخشونه وبيئه الترسيب في هذا التكوين نهرية، يلاحظ خارطة (٢).

خارطة (٢) التراكيب والتكوينات الجيولوجية لحوض وادي منجور



المصدر:-١ – مصطفى برواري ونصيرة عزيز صليوة، لوحة سامراء، تعريب ازهار علي غالب، وزارة الصناعة والمعادن، الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين،١٩٩٤، ص ٨-٩.٢:- Arcmap 9.1 .

٢-**ترسبات العصر الحديث:- ومن ابرز ترسبات هذا العصر والتي تركزت في الوادي هي كالأتي:-**

أ- **الرواسب النهرية:-** وتشمل تلك الترسبات الحصى والرمل والاطيان، ومواد رابطة كلسية وجبسية [٢] وتنتشر على طول منطقة وادي منجور.

ب- **الترسبات الريحية:-** وشملت الكثبان الرملية والألواح الرملية وتتكون من مواد رملية ممزوجة مع رمل ناعم متوسط الحبيبات بني مصفر [٣]، ويصل ارتفاع الكثبان الى (٣م) في بعض الأجزاء.

٣- المناخ:-

لقد تم الاعتماد على محطة بيجي في معظم الاحصاءات المناخية لمنطقة البحث وذلك لصغر مساحة الوادي وقرب محطة بيجي اذا تقع جنوب منطقة الدراسة ومن ابرز العناصر المناخية ذات التاثير المباشر على العمليات الجيومورفولوجية في منطقة البحث هي:-

١- **الاشعاع الشمسي:-** لايختلف مناخ منطقة الدراسة بشكل خاص عن مناخ العراق بشكل عام، يلاحظ ارتفاع درجات الحرارة صيفا وانخفاضها شتاءا، اذ بلغت معدلات الاشعاع الشمسي خلال اشهر الصيف في محطة بيجي (٣٥،٤ ساعة/ يوم)، اما في فصل الشتاء فقد بلغ المعدل (١٧،٩ ساعة/ يوم) وبلغ المعدل العام للاشعاع الشمسي (٨،٥١ ساعة/ يوم)، يلاحظ الجدول (١).

جدول (١) معدلات السطوع الشمسي ساعة/ يوم لمحطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)

الشهر	السطوع الشمسي ساعة/ يوم	الشهر	السطوع الشمسي ساعة/ يوم
حزيران	١١،١	شباط	٦،٢
تموز	١٣،١	ك١	٥،٦
اب	١١،٢	ك٢	٦،١
المعدل	١١،٨	المعدل	٥،٩
الشهر	**السطوع الشمسي ساعة/ يوم**	**الشهر**	**السطوع الشمسي ساعة/ يوم**
ايلول	١٠،٥	اذار	٨،١
ت١	٤،٩	نيسان	٧،٦
ت٢	٥،٩	ايار	١١،٩
المعدل	٧،١	المعدل	٢،٩

وزارة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، السجلات المناخية، معدلات السطوع الشمسي لمحطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)، بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٢- **الحرارة:-** تعد الحرارة من اهم عناصر المناخ اذ ان التغير في معدلاتها بين الانخفاض والارتفاع يؤدي الى حدوث عمليات التجوية [٤]، وقد بلغت المعدل الشهري لدرجات الحرارة في فصل الشتاء لمحطة بيجي (١١،٢ م°) اما فصل الصيف (٣٣،٩ م°) والربيع (٢٠ م°) اما الخريف(٢٣،٩ م°)، يلاحظ جدول(٢).

جدول (٢) درجات الحرارة ومعدلاتها ضمن محطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)

شتاء	المعدل الشهري	الصغرى	العظمى
الشهر			
ك١	١١،٧	٧	١٦،٥
ك٢	١٠	٥،١	١٥
شباط	١٢	٦،٥	١٧،٥
المعدل	١١،٢	٦،٢	١٦،٣
صيف	**المعدل الشهري**	**الصغرى**	**العظمى**
حزيران	٢٩،٢	٢٢	٣٦،٥
تموز	٣٥،٦	٢٦	٤٥،٢
اب	٣٧	٢٧،٥	٤٦،٥
المعدل	٣٣،٩	٢٥،١	٤٢،٧
ربيع	**المعدل الشهري**	**الصغرى**	**العظمى**
اذار	١٢،٣	٦،٤	١٨،٣
نيسان	٢٣،٣	١٦	٣٠،٦
ايار	٢٤،٦	٢٢،٣	٢٧
المعدل	٢٠	١٤،٩	٢٥،٣
خريف	**المعدل الشهري**	**الصغرى**	**العظمى**
ايلول	٢٧	١٦	٣٨،١
ت١	٢٦،٥	١٨،٥	٥،٣٤
ت٢	١٨،٣	١٦،٦	٢٠،١
المعدل	٢٣،٩	١٨	٣٠،٩

وزارة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، السجلات المناخية، معدلات السطوع الشمسي لمحطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)، بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٣- **الأمطار:**- تعد الامطار من عناصر المناخ ذات التاثير في تشكيل معالم سطح الارض وذلك من خلال دور المياه الجارية بنقل الرواسب والمخلفات الناتجة عن عمليات التجوية والتعرية الى المنخفضات وبطون الوديان، ومنطقة البحث تعد من مناطق اقدام الجبال وبالتالي يبرز عامل الامطار في نقل الرواسب وحمولة الانهار او رواسب المنطقة المحيطة ولاسيما مرتفعات مكحول وما يجاورها، اذ بلغ المجموع السنوي للمعدلات الشهرية (٦٥ملم) أما المعدلات الشهرية فقد بلغت (٠،١ - ٧،١٢ - ٦،٣٦ - ٦،١٥)، لشهور الصيف والشتاء والخريف والربيع على التوالي، تعد سنتي ٢٠٠٥،٢٠٠٦ من السنين الجافة نسبة للمعدل السنوي للامطار مما كان له الدور الكبير في عمليات التعرية الريحية في منطقة الوادي وتكون الوديان الأخدودية ضمن منطقة الوادي مما ساهم في زيادة التراكيب من التلال الرملية (الكثبان الرملية) وهذا ما سيتطرق له المبحث الثالث، يلاحظ جدول (٣).

جدول (٣) المعدلات الشهرية للتساقط في محطة بيجي لعامي (١٩٥٨-٢٠٠٦)

الصيف	المحطة	الشتاء	المحطة
الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)	الشهر	بيجي (١٩٥٨- ٢٠٠٦)
	ملم		ملم
حزيران	٠.٢	ك١	٣٩.٥
تموز	٠.١	ك٢	٣٦.٣
اب	٠.١	شباط	٣٤.٢
المعدل	٠.١	المعدل	٣٦.٦
الخريف	المحطة	الربيع	المحطة
الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)	الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)
	ملم		ملم
ايلول	١.٥	اذار	٣٥.٧
ت١	٩.٧	نيسان	١١.٢
ت٢	٢٧	ايار	٠
المعدل	١٢.٧	المعدل	١٥.٦

وزارة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، السجلات المناخية، معدلات السطوع الشمسي لمحطة بيجي لعامي (١٩٥٨-٢٠٠٦))،بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٤- ترب منطقة الدراسة:-

احتوت منطقة البحث على الأنواع التالية من الترب:-

١- **التربة البنية:-** تتواجد هذه الترب شمال الوادي وتمتاز بكونها ذات سمك ضحل وباحتوائها على تجمعات كلسية وتبلغ مساحتها (٣٢٠٠ دونم).

٢- **التربة البنية الحمراء:-** وهي ترب تنتشر وسط الوادي وتمتاز بكونها عميقة وتحتوي على تجمعات من الكلس وتكون صالحة للاستصلاح الزراعي وتبلغ مساحتها (١٣٢٤٠ دونم).

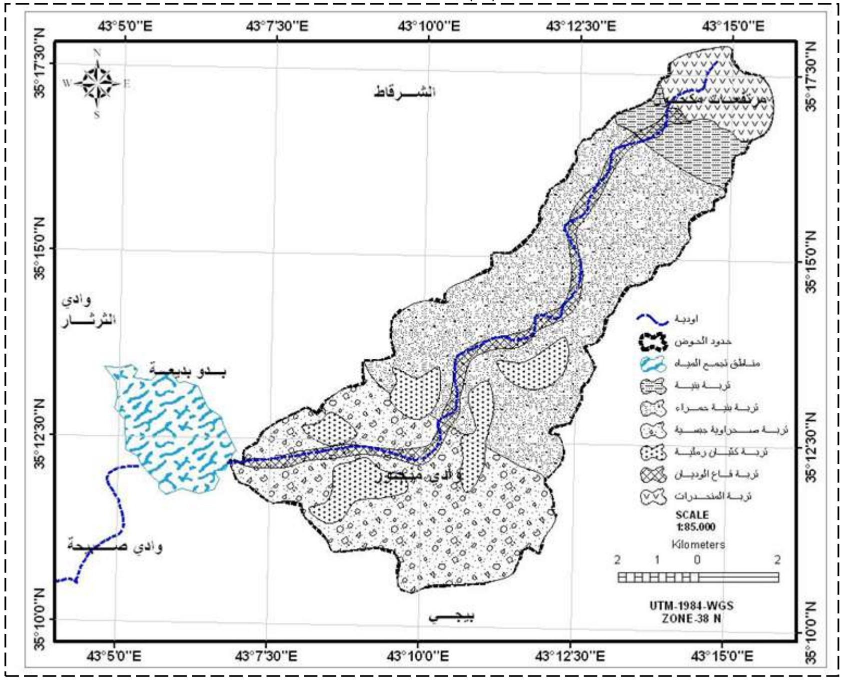
٣- **التربة الصحراوية الجبسية:-** تنتشر جنوب وادي منجور وتمتاز بكونها مفتتة وباحتوائها على الجبس والأملاح المعدنية، وهي لاتصلح للزراعة بل تنمو فيها الإعشاب وشجيرات بعد التساقط. وتبلغ مساحتها (٩٨٤٠دونم) [٥].

٤- **تربة الكثبان الرملية:-** تنتشر وسط وجنوب الوادي على جانبية الايمن والايسر وتتكون من حبيبات الرمل بنسبة ٩٥% اما النسب الاخرى فهي عبارة عن حبيبات السلت وبعض البقايا العضوية الأخرى وتتراوح حبيبات الرمل مابين (٠،٠٢- ٠،٢)، بلغت مساحتها (٢٥٦٠ دونم) [٦].

٥- **تربة المنحدرات:-** تنتشر شمال منطقة البحث وتمتاز بكونها تكونت بفعل الرياح او مجاري الأنهار وهي فقيرة بالمواد العضوية والمعدنية وقليلة الفائدة من الناحية الزراعية بسبب طبوغرافيتها وانجرافها وتبلغ مساحتها (١٧٢٠ دونم) [٧].

٦- **تربة قاع الوديان:-** تنتشر في قاع الوادي على طول مجراه وتمتاز بكونها رملية غرينية وتحتوي على الحصى في بعض أجزاء الوادي [٨] تبلغ مساحتها (١٨٠٠ دونم)(٥)، يلاحظ خارطة (٣).

خارطة (٣) ترب منطقة البحث



المصدر:-

Buring. Soil and Soil condition in Iraq. Iraqi Ministry of Agricultural, Baghdad, Iraq 1960.

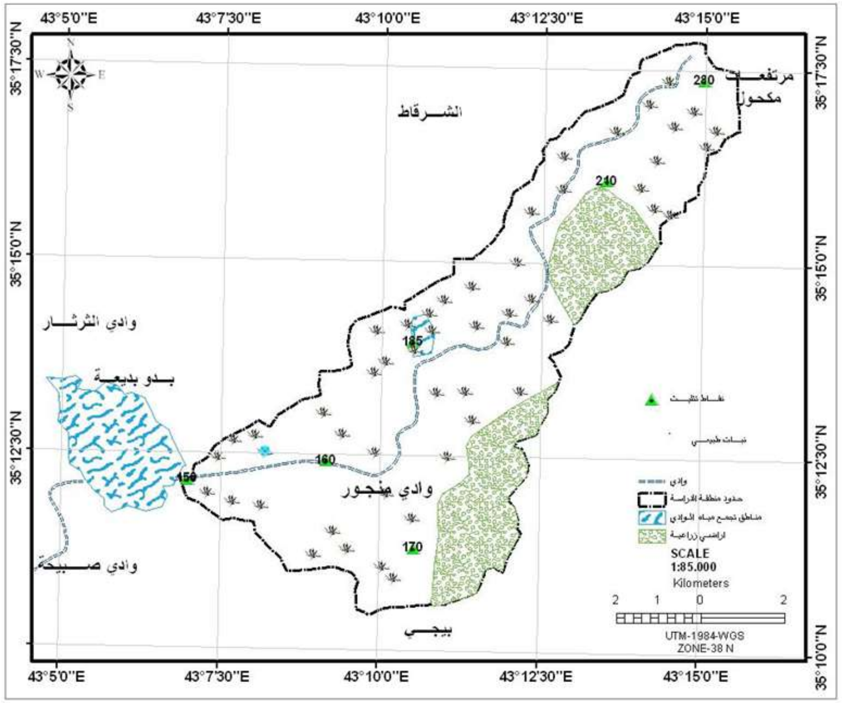
٥- نباتات منطقة الدراسة:-

يعد النبات من العوامل المؤثرة على العمليات الجيومورفولوجية ولاسيما التعرية الريحية والمائية لما له دور في اعاقة التعرية او زيادتها عندما تكون المنطقة جرداء او كثيفة النباتات وفي منطقة الوادي يوجد نوعان من النباتات منها النبات الطبيعي او الاراضي الزراعية وهي كالتالي:-

١- **النبات الطبيعي:-** يوجد النبات بشكل متفرق في بطون الاودية الثانوية وحول المستنقعات ومناطق الكثبان الرملية وهو عبارة عن نباتات شوكية ونباتات القصب في المستنقعات ونبات الحلفة الصحراوية، يلاحظ الخارطة (٤).

٢- **الأراضي الزراعية:-** اما الاراضي الزراعية فقد تركزت في الجانب الشرقي للوادي اذا بلغت مساحتها (٤٨٤٠ دونم)، ومن ابرز المحاصيل التي تزرع (البصل، خيار، باذنجان، الباقلاء، البطاطا، البطيخ) [٩]، يراجع خارطة (٤).

خارطة (٤) النبات الطبيعي والاراضي الزراعية في وادي منجور



المصدر:- الاعتماد على برنامج:- Arcmap 9.1-Globalmapper8 .

المحور الثاني

خصائص وادي منجور

لكل وادي او شبكة نهرية خصائص تقاس على اساس وصفي وكمي وقياسي اذ يمكن اعطاء الوادي والشبكة الصفات العامة لها او له ومن اهم الخصائص التي لابد دراستها في شبكة الوديان هي الخصائص الشكلية والمورفومترية والتضاريسية اذ تساعد على معرفة الخصائص العامة للأحواض وأوديتها وقنواتها [١٠]، وقد تم دراسة تلك الخصائص بالشكل التالي:-

أولا:- الخصائص الشكلية والمساحية للوادي:-

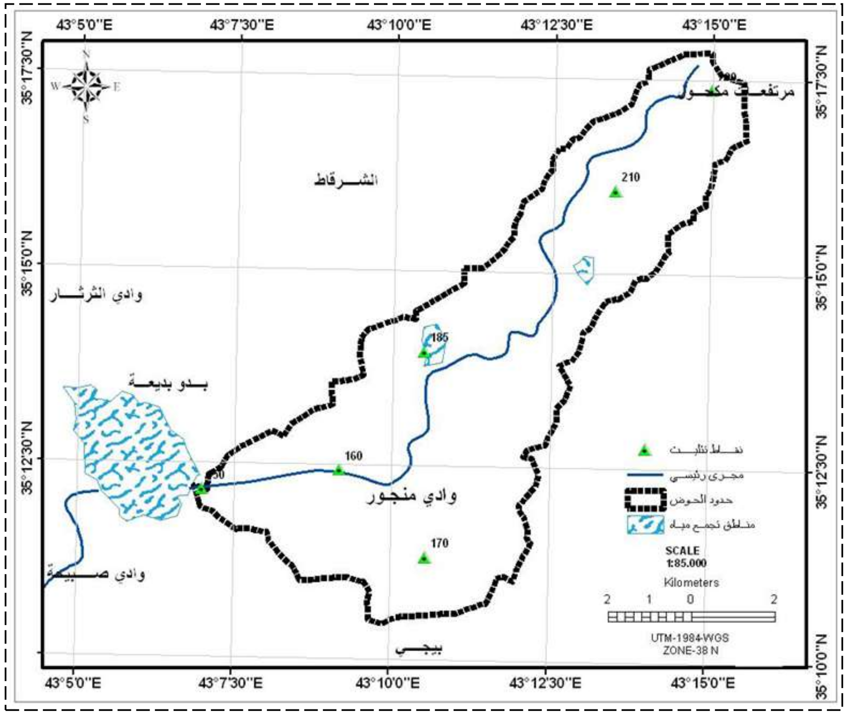
ان أي حوض تصريف مائي هو عبارة عن نظام system مورفولوجي تتحكم به وتظبطه خواص هندسية وقوانين ذات علاقات وظيفية متبادلة [١١].

عند دراسة وادي معين او حوض تصريف مائي لابد ان تتم دراسة خواصة وتعد الخصائص الشكلية والمساحية للوديان ومجاريها مهمة لانها تعطي صورة واضحة لنظام التصريف المائي داخل الحوض او الوادي المدروس وقد شملت تلك الخصائص التالي:-

١- حدود الوادي:-

حدود الوادي يقصد به خط تقسيم حوض النهر او الوادي [١٢]، ويعبر عنه بخط يحيط الحوض مارا باعلى النقاط المرتفعة المحيطة به ليمثل الحد الذي يفصله عن حوض او وادي اخر(١٠)، يلاحظ خارطة (٥).

خارطة (٥) حدود وادي منجور



المصدر:- الاعتماد على برنامج ARCMAP9.1.

٢- مساحة الوادي:-

بلغت مساحة وادي منجور (٦٤،٥ كم٢) (٤)، ولمساحة الأحواض المائية علاقة وطيدة بالتركيب الجيولوجي والمناخ للمنطقة، ففي المناطق الرطبة تنشط عوامل النحت المائي وتزداد مساحة الاحواض المائية وديانها نتيجة زيادة اعداد الشبكات المائية ضمن الاحواض المائية، يعد وادي منجور من الوديان التي تنتمي الى مجموعة الاحواض المائية جنوب مرتفعات مكحول والتي تصب في بحيرة موسمية

وبدورها تشكل جسر يربط بينه وبين عدد من الاودية التي تصب في وادي الثرثار وكون المنطقة هي ذات مناخ رطب جاف نسبيا فان شبكة الوديان تكون واسعة ومتعددة المساحات ووادي منجور يعد من الوديان المتوسطة المساحة نسبيا الى بقية الاودية والاحواض المتكونة منها مايقع شمال او جنوب منطقة البحث، فضلا عن طبيعة الصخور المكونة للمنطقة والتي في اغلبها صخور جبسية رملية ومدملكات مما ادى الى تكون الكثبان الرمليه بكثره عند اقدام تلك المرتفعات، وبالتالي تساعد على تشكل أخاديد واسعة نتيجة عوامل التعرية المائية وتشكل أودية طوليه بالاتجاه المعاكس لسلسة مكحول مما يساعد على قصر المراتب من حيث أطوالها وهذا بالنسبة لوادي منجور، إذ الأحواض جنوب وادي منجور تمتاز بخصائص مختلفة من حيث اطوال المجاري المائية لكونها تقع ضمن أراضي سهلية اكثر او بالاتجاه جنوبا.

٣- **معامل شكل الوادي**:-

ان أي نقطة اينما كانت هي جزء من حوض نهري، لذلك فان الاحواض والاودية تاخذ اشكالا مختلفة (١٢)، وادي منجور يعد من الاودية الطوليه وتصل مياهه متعاقبة من اقرب نقطة الى المنفذ ثم الى ابعد نقطة في الوادي، يراجع الخارطة (٥).

٤- **قياس عرض الوادي**:-

بلغ عرض حوض الوادي عند كل نقطة من النقاط التالية:

١- النقطة الاولى ٢،٦ كم

٢- النقطة الثانية ٢،٧ كم

٣- النقة الثالثة ٤،٩ كم

٤- النقطة الرابعة ٦،٦ كم (٤)

وبلغ متوسط عرض الوادي (٤،٢ كم)، يلاحظ الخارطة (٦).

٥- **قياس طول الوادي**:-

يعبر عن طول الوادي بانه ناتج قياس مسافة النهر او الوادي من مصبه الى اقصى نقطة عند محيط الوادي والتي تمثل نهايته وتفصله عن الحوض المجاور من جهة المنبع [١٣]، وبلغ طول الوادي (١٩ كم٢).

٦- **نسبة الاستطالة**:-

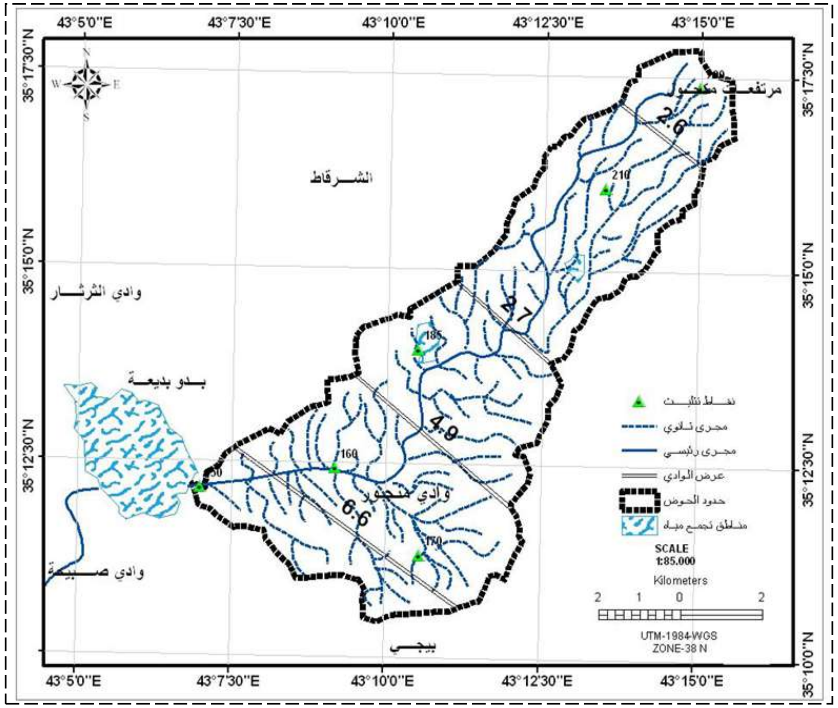
هي امتداد الحوض مقارنة مع شكل المستطيل، اذ تظهر النسبة عالية اذا كانت الاحواض او الاودية مستطيلة وتنخفض في الاودية الغير مستطيله ويتم استخراج النسبة من المعادلة التاليه:-

$$= \frac{\text{طول قطر دائرة مساحتها تساوي مساحة الحوض كم}}{\text{أقصى طول للحوض كم}}$$

$$\frac{٥١}{٢٢/٧} = \frac{٠,٠٦}{١٩\ \text{كم}٢} = ٠،٠٣\%$$

وبما أن النسبة قريبة إلى (١) فان الشكل قريب جدا إلى الاستطالة.

خارطة(٦) نقاط قياس عرض الوادي



المصدر:- الاعتماد على برنامج **ARCMAP9.1**.

٧- نسبة الاستدارة:-

نستخرج نسبة الاستدارة من المعادلة التالية:-

$$\frac{٤ * \frac{٢٢}{٧} * \text{مساحة الحوض}}{\text{مربع محيط الحوض}}$$

والناتج كان $\frac{٤ * ٣.١٤ * ٦٤.٥ \text{ كم٢}}{٢١٣ \text{ كم٢}} = \frac{٨١٠.١٢}{٤٥٣٦٩} = ٠.٠١\ \%$

وهذا يدل على أن الشكل غير دائري، فإذا ارتفعت القيمة اقترب الشكل إلى الدائري.

٨- معامل شكل الوادي [١٤]:-

ويتم استخراجه بالمعادلة التالية:- $\frac{\text{مساحة الوادي كم٢}}{\text{مربع طول الوادي كم٢}}$ ، $\frac{٦٤.٥ \text{ كم٢}}{١٩ \text{ كم٢}}$

وكانت النتيجة (٠,١) يدل ذلك الانخفاض في النتيجة الى زيادة نسبة الطول للوادي [١٥]

وتلك كانت ابرز الخصائص الشكلية والمساحية للوادي، اذ من خلال النتائج اصبح واضحا ان الوادي يمتاز بالاستطالة وصغر المساحة كصفات عامة.

ثانيا:- الخصائص المورفومترية للشبكة النهرية للوادي:-

تعد الخصائص المورفومترية للشبكات النهرية من اهم الصفات التي تدرس لكونها تعطي الصورة الدقيقة والواضحة لطبيعة الجريان والشبكة النهرية داخل الاحواض او الاودية النهرية ومن اهم تلك الخصائص التي تدرس هي التالي:- خصائص الشبكة النهرية:-

١- رتب المجاري النهرية:-

تعرف الرتب النهرية بانها الروافد الموجودة في الحوض النهري او الوادي والتي تغذي القناة الرئيسية بالماء. وقد تم الاعتماد على طريقة (strahler 1964) (١٢)، اذ ان الجداول الصغيرة او الافرع الصغيرة التي ليس لها تفرعات تسمى الترتيب الاول (first ordere) وعندما يلتقي فرعان من الترتيب الاولي معا يُشكل الترتيب الثاني (second order) وهكذا، يلاحظ خارطة (٧)، من خلال الخارطة يتم التعرف على نوع شبكة الرتب، اذ ان المناطق الجبلية والشبه جبلية تكون فيها مساحة

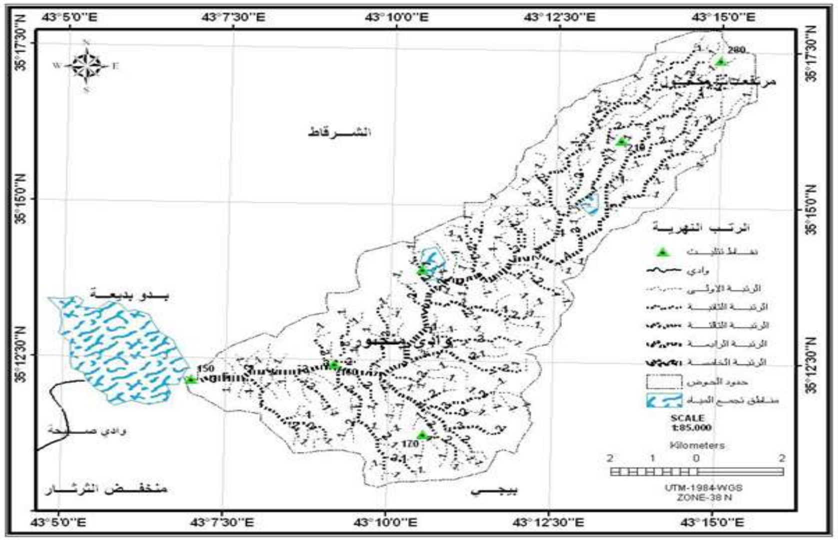
الرتب الاولى قليلة والعكس اذا كانت الاراضي منبسطة او جافة فقد تصل الى مئات من الكيلو مترات، جدول (٤) [١٦].

جدول (٤) المراتب النهرية لوادي منجور

اسم الوادي	المرتبة	عدد المجاري	مجموع طول المجاري/كم	معدل طول المجاري/كم	نسبة التشعب
وادي منجور	١	٢٢٢	٧٥	٠،٣	٣،٧
	٢	٥٩	٤٢	٠،٧	٤،٢
	٣	١٤	٣١	٢،٢	٧
	٤	٢	٥	٢،٥	٢
	٥	١	١٠	١٠	
المجموع		٢٩٨	١٦٣		

*من عمل الباحثة

خارطة (٧) المراتب النهرية ضمن وادي منجور



المصدر:- الاعتماد على برنامج ARCMAP9.1.

خصائص الشبكة النهرية لوادي منجور
مجلة آداب الفراهيدي
عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
م. م. تغريد خليل محمد جبر
العدد (٤) أيلول ٢٠١٠

٢- نسبة التشعب:-

التشعب هو العلاقة بين عدد المجاري في كل مرتبتين متتاليتين(١٠)، وقد تكون النسب غير متساوية للوادي.ويتم استخراج نسبة التشعب من القانون التالي:-

عدد المجاري في مرتبة ما

ـــــــــــــــــــــــــــــــ

عدد المجاري في المرتبة التي تليها

وعند تطبيق القانون تم استخراج نسبية التشعب حسب المراتب الخمسة، يراجع جدول (٤)، وبما ان هناك علاقة طردية بين نسبة التشعب والتصريف فان الرتبة (٤-٣) هي الاكثر تصريفا من بين الرتب،اذ كلما كانت نسبة التشعب عالية فان نسبة التصريف ترتفع

٣- معدل اطوال المجاري:-

يتم استخراج معدل اطوال المجاري من خلال المعادلة التالية

مجموع أطوال المجاري في المرتبة

معدل أطوال المجاري في مرتبة ما = ـــــــــــــــــــــــــــــــ

عدد المجاري في المرتبة

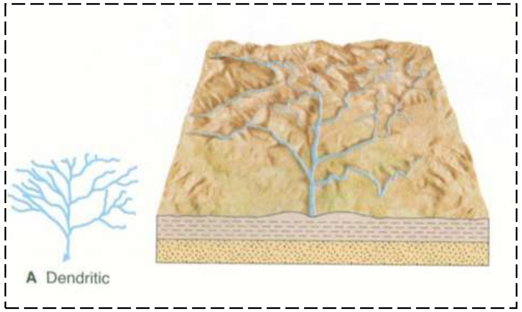
وقد بلغ معدل طول المجاري (٠،٣ - ٠،٧ - ٢،٢ - ٢،٥ - ١٠)، يراجع جدول (٤)، اما مجموع اطوال المجاري فقد بلغ (٧٥- ٤٢-٣١-٥-١٠) لكل مرتبة.

٤- نوع شبكة التصريف:-

يحدد نوع شبكة التصريف بالنسبة للوادي طبيعة الجريان في الوادي والتصريف النهري وشبكة التصريف في وادي منجور هي من النموذج الشجري وشبه الشجري، آذ ينتشر هذا النوع في المناطق ذات المقاومة المتشابهة او المتساوية للتعرية، أي في المناطق التي تحتوي على صخور صلدة ويشمل الوادي تفرعات

باتجاهات مختلفة وتصل المياه في جميع اجزاءه بالتساوي من المنبع الى المصب، يلاحظ شكل (١).

شكل (١) الشبكة الشجرية



Physical geology (Earth Revealed),Carison. Plummer.Mcgeary,seventh Edition ,2006,ch 14,p4220.

٥- كثافة التصريف:-

تعتمد كثافة التصريف على الانهار الدائمية هي تعتبر دليل عن مدى وجود الماء في الوادي، ويعبر عن كثافة التصريف من خلال المعادلة التالية:-

كثافة التصريف = مجموع أطوال الأودية في الحوض /كم ÷ مساحة الحوض /كم٢

والناتج كان(٢،٥ كم) أي ان كل(١ كم ٢) يتضمن(٢،٥ كم) وهذا يعني ان التصريف قليل ضمن الوادي وشبكة المراتب التي تحتويه قليلة بشكل عام وبالتالي ما يصرُف من مياه قليل ايضا (٤). وتعد كثافة التصريف للوادي او النهر مهمة من الناحية المرفولوجية والهيدرولوجية لانها تدل على طبيعة الجريان السطحي في الوادي والتي تتاثر بالتراكيب الجيولوجية والانحدار والغطاء النباتي والتساقط.

ثالثا:- الخصائص التضاريسية للوادي:-

وقد شملت الخصائص التضاريسية دراسة التالي:-

١- الانحدار في الوادي:-

ويعني المتوسط العام لانحدار الأرض داخل الوادي بالنسبة للمستوى الأفقي للسطح ويحتاج الى استخراج ظل زاوية الانحدار والفاصل الراسي وعدد خطوط الكنتور وذلك ضمن المنطقة المحددة للوادي. وقد تم استخراج النسب التالية الانحدار وهي:-

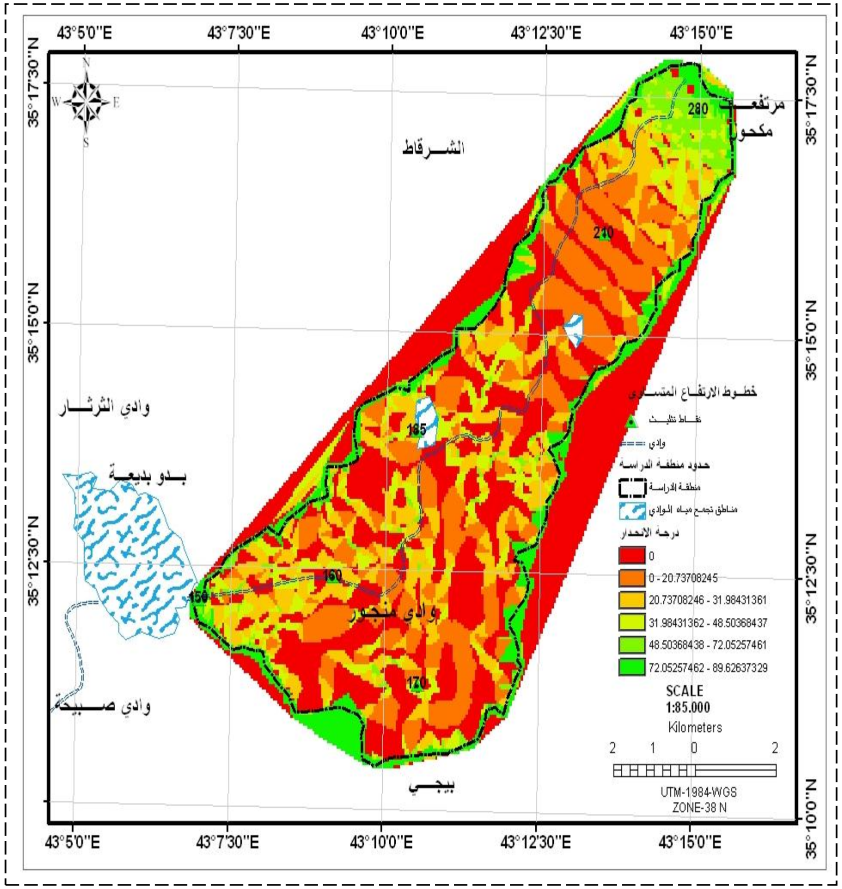
أ- **درجة الانحدار**:- اذا بلغت في وادي منجور (٠°- ٨٩°) [١٧]، وهي قيمة تراوحت بين الصفر وذلك ضمن الاراضي المنبسطة عند المصب و(٨٩°) عند المنبع وذلك لوقوع المنطقة ضمن نطاق اقدام الجبال وهي مناطق شبه عامودية، يلاحظ خارطة (٨)، وخارطة (٩)، وقد اشتملت درجات الانحدار ضمن المنطقة المدروسة على الدرجات التالية:-

جدول (٥) درجات انحدار

ت	درجة الانحدار	نوع الانحدار
١	٠°	أراضي منبسطة
٢	٠°-٢٠°	أراضي متوسطة الانحدار
٣	٣١°-٤٨°	أراضي معتدلة الانحدار
٤	٤٨°-٧٢°	أراضي شديدة الانحدار
٥	٧٢°-٨٩°	أراضي شديدة الانحدار جدا

ITC. Volume v II chapter 6

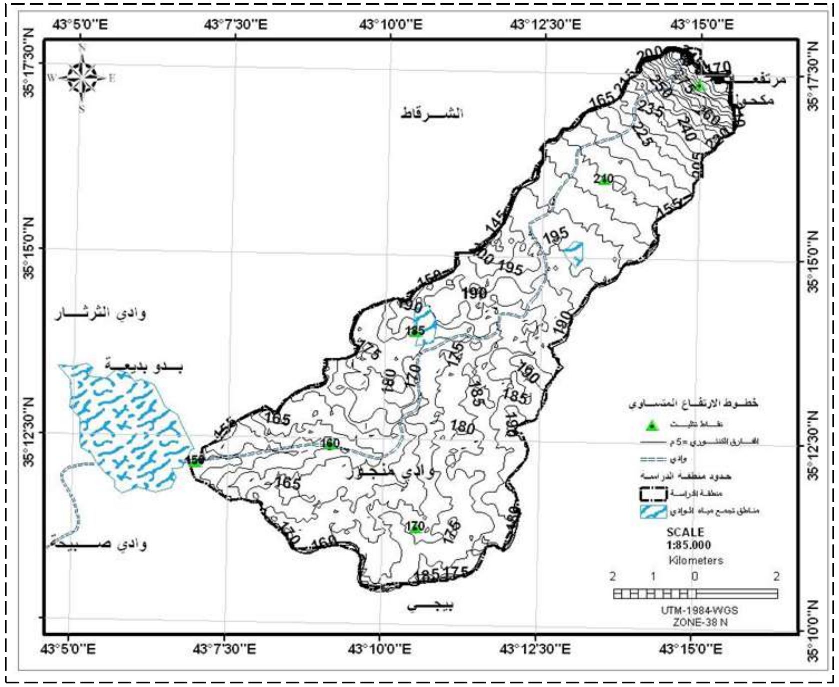
خارطة (٨) تصنيف الوحدات الارضية ضمن الوادي حسب درجات الانحدار العامة



* ITC. Volume v II chapter

** ARCMAP9.1

خارطة (٩) خطوط الارتفاعات المتساوية



المصدر: – الاعتماد على برنامجي **Arcmap 9.1-Globalmapper8**.

ب – <u>معدل الانحدار</u>

بعد تطبيق المعادلة التالية: – $\frac{\text{الفاصل الراسي}}{\text{المسافة الأفقية}} = \frac{١٣٠}{١٩} = ٦$ أي ان كل(٦م) تنحدر(١م).

ج – <u>نسبة الانحدار</u> [١٨]: –

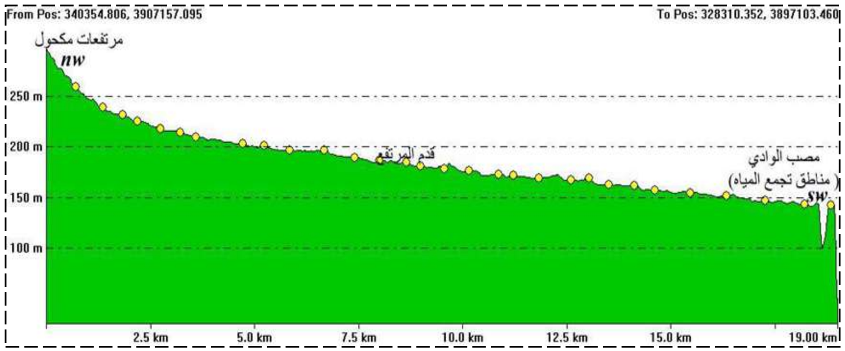
وتستخرج من المعادلة التالية $\frac{\text{الفاصل الراسي}}{\text{المسافة الأفقية}} \times ١٠٠$

والناتج هو ٦،٨ %.

٢- القطاع الطولي للمجرى النهري:-

يعد القطاع الطولي للمجرى النهري ضمن أي منطقة مهم لكونه يمثل ارتفاع كل جزء من المجرى والمسافة التي يشغلها، وامتاز القطاع الطولي لمجرى وادي منجور بالانحدار من منطقة المنبع الى المصب بالتدريج حسب انحدار السطح ودرجاته، يلاحظ شكل (٢).

شكل (٢) القطاع الطولي للمجرى النهري ضمن حدود الوادي



المصدر:- الاعتماد على برنامج Globalmapper8.

٣- معدل التضرس:- [١٠]

ويتم استخراجه من المعادلة التالية

$$\frac{\text{الفرق بين اعلى وادنى منسوب في الحوض/ م}}{\text{طول الحوض / م}}$$

وبلغ معدل التضرس لوادي منجور (٦م) وهذا يدل على ان الوادي متضرس في مناطق شملت ثلث مساحة الوادي لكون الوادي يقع عند اقدام المرتفعات الى الشمال من الوادي [١٩].

والتضاريس ترتبط مع مساحة الوادي او الحوض بعلاقة عكسية فكلما زادت نسبة التضرس قلة مساحة الوادي وكلما قلة نسبة التضرس زادت مساحة الوادي وفي وادي منجور نسبة التضرس عالية عند منابعة الاولى مما يدل على صغر مساحة الوادي ونشاط عملية التعرية النهرية التي تكون في المرحلة الاولى لها او الثانية،وقلتها عند نهاياته وذلك برز من خلال اتساع مساحة الوادي بالاتجاه جنوبا وبالتالي اتساع شبكة التصريف والرتب النهرية وهي حالة معكوسة في مناطق الوادي الشمالية.

٤- الوعورة:-

اما االوعورة فتعد من الخصائص التي تعطي صورة واضحة لعلاقة (التصريف والانحدارو طول الحوض) ويتم استخراجها وفق المعادلة التالية:-

قيمة الوعورة=

$$\frac{\text{كثافة التصريف(الفرق بين اعلى وادنى منسوب في الحوض)}}{\text{طول محيط الحوض/م}}$$

وعند تطبيق المعادلة كالتالي=

$$\frac{٢,٥ * ١٣٠}{١٩} = ١٧$$

وهي قيمة عالية مما يدل على وعورة منطقة الوادي.

٥- النسيج الحوضي:-

يعد هذا العامل مهم لأنه موشرا لمدى تضرس وتقطع سطح الأرض وكثافة الصرف فكلما تزاحمت خطوط الشبكة النهرية ازداد عدد الأودية وزاد اقترابها من بعضها دون الأخذ بالطول وحسب المعادلة التالية:-

إعداد أودية الحوض

النسيج الحوض= ــــــــــــــــــــــــــــ

طول محيط الحوض/م

وعند تطبيق المعادلة كانت النتيجة تدرج النسيج الحوضي كالتالي:-

١،٠٤ خشن أي ارتفاع السطح وكثرة تقطعه وتضرسه وهذا بالنسبة إلى منطقة الحوض عند المنبع.

٠،٢ – ٠،٠٩ إلى أدنى نقطة في الحوض إلى الأراضي السهلية وهذا يدل على انبساط السطح وقلة تضرسه وكثرة الرتب القصيرة وتقاربها مع قلة الطول [٢٠].

٦- العلاقة بين الانحدار والمجرى المائي ورتبه:-

يمكن استخراج العلاقة بين الارتفاعات واطوال المجاري المائية في كل مرتبة من خلال استخراج معدل الارتفاع لكل المراتب كالتالي (٢٧٠،١٩٧،١٩٠،١٨٥،١٧٩)، وقد تم استخراج تلك القيم من المعادلة التالية:-

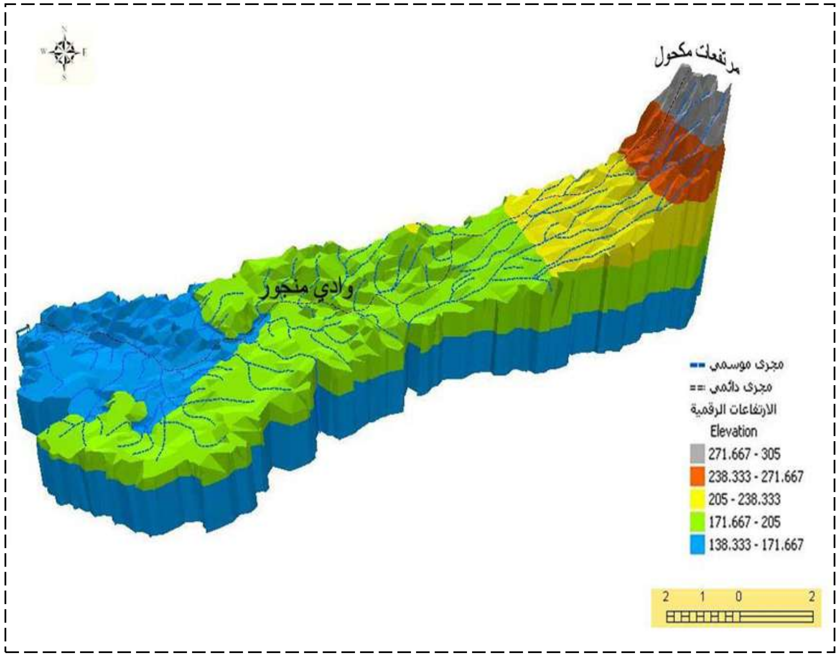
مجموع الارتفاعات في كل مرتبة

معدل الارتفاع لكل مرتبة [٢١] = ــــــــــــــــــــــــــــ

عدد المجاري في كل مرتبة

ومن خلال معرفة العلاقة بين الارتفاع ومعدلاته يمكن لنا ان نحدد ارتفاع كل مرتبة عن الأخرى وذلك ما ينبغي معرفة لتحليل مدى ارتفاع الوادي او الحوض النهري وبالتالي دراسة خصائص الارتفاع لكل وادي مما يساعد في عمليات بناء السدود والخزانات للدراسة الهيدرولوجية والمروفولوجية والهندسية، يلاحظ شكل (٣).

شكل (٣) نموذج الارتفاعات الرقمية للوادي ومراتبه النهرية



ArcScene 9.1

المحور الثالث

المظاهر الجيومورفولوجية وطرق السيطرة عليها

تعتبرمنطقة وادي منجور من مناطق اقدام الجبال وهي ذات تراكيب صخرية وتمتاز منطقة جبال مكحول عند قدماتها الجنوبية تبعا بانحدارها الشديد كما أوضحنا سابقا وفضلا عن ذلك تعد منطقة كثبان رملية اذ تنتشر ضمن منطقة الوادي، يلاحظ خارطة (١٠) ومن ابرز المظاهر الجيومورفولوجية البارزة ضمن وادي منجور هي:-

١- اشكال ارضية ناتجة عن التعرية المائية:-

وقد شملت

١- **شبكة الاودية:-** اذ برزت ضمن منطقة الوادي الانواع التالية من الاودية وهي:-

أ- **الاودية التابعة:-** وهي اودية تتبع في الغالب انحدار الارض وتعد من اول انواع الاودية ظهورا ووادي منجور هو احد تلك الاودية.

ب- **الاودية المضربية:-** تلك الاودية تتبع في مسارها مناطق الضعف الصخري وغالبا ما تتسم بالعرض بسبب تاثرها بالتعرية.

٢- **بقايا تلال التعرية:-** وهي تلال ذات قمم قبابية الشكل تتكون عند استمرار نشاط عوامل التعرية في نحت المرتفعات ينتج عن تراجع المنحدرات وبتكرارعمليات الثلم والتقطيع ونشاط عوامل النحت المائي عندئذ لا يبقى ألا أجزاء قليلة الارتفاع في بعض مناطق سطح الارض، وتنتشر التلال في معظم اجزاء وادي منجور.

٣- **أشكال أرضية ناتجة عن التعرية الريحية:-**

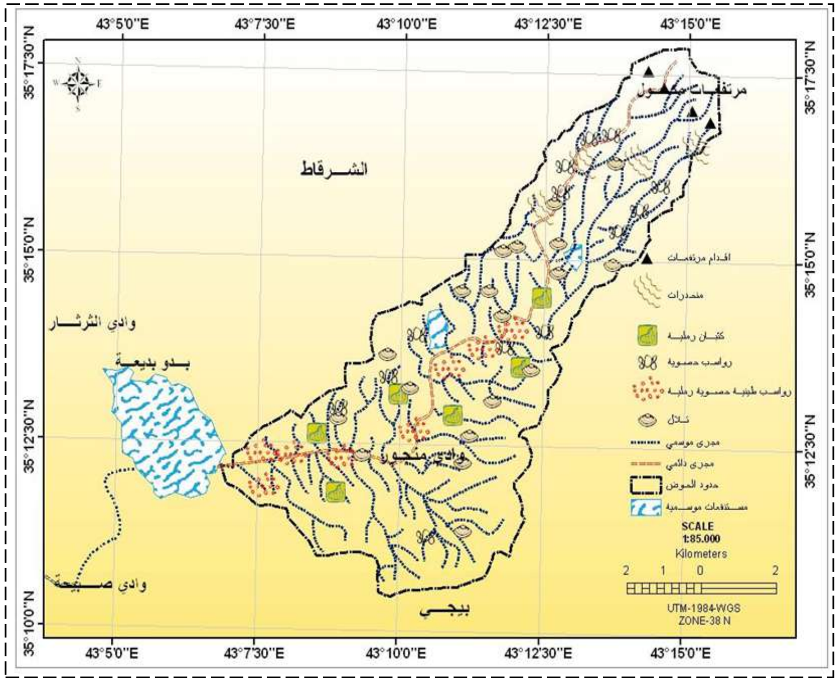
الكثبان الرملية:- تنتشر الكثبان الرملية في الطبيعة باشكال مختلفة متاثرة بالرياح وكمية الرمال وطبيعة مظاهر السطح في المنطقة المتواجدة فيها والكثبان عبارة عن تل او تراكم من الرمال كونته الريح [٢٢]، يراجع خارطة(١٠)، وفي وادي منجور يوجد نوعان من الكثبان وهي:-

أ- **الكثبان الطولية:-** والتي تتخذ شكلا طوليا لاتجاه الرياح العام وتكون محدبة او مقوسة من الاعلى تبعا لهبوب الرياح في اتجاه واحد وتغير اتجاهها لفترة قصيرة او لايام معدودة حتى تتحول الى نوع ثاني من الكثبان، وتنتشر تلك الكثبان على امتداد وادي منجور وجوانبه.

ب- **الكثبان الهلالية:-** وهي نتاج التغيرات التي تتعرض لها الكثبان المستعرضة القصيرة الامتداد، ونتيجة تكون تيارات دوامية او دورانية في اتجاهات مختلفة

واصطدامها في الارض مع ما تحملة من رمال على اطراف الكثبان وجوانبة فتنمو الكثبان الهلالية (٨) وتنتشر على الجوانب القريبة للوادي.

خارطة (١٠) المظاهر الجيومورفولوجية في وادي منجور



***مرئية فضائية لمنطقة الدراسة(ETM)، البند (٣،٤،٧)،١٩٩١.**

****تفسير مرئية رادارية لمنطقة الدراسة،لسنة ٢٠٠٠، بالاعتماد على تفسير خطوط الكنتور.**

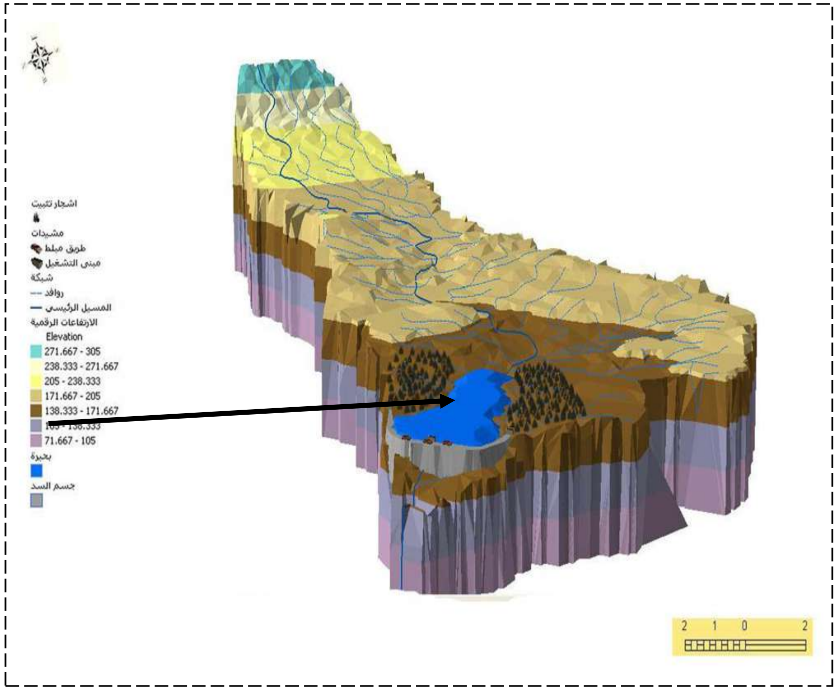
نظرا للمشاكل الكبيرة التى تنجم عن حركة الكثبان الرملية وذلك بتهديدها المستمر للمنشأت الصناعية والسكنية والطرق والمزارع فقد كان من الضرورى العمل على تثبيت الكثبان الرملية والتخلص من أضرارها ثم تحويلها إلى منتزهات وأراضى منتجة وتعتبر الطرق المتبعة فى الوطن العربى والخاصة بتثبيت الكثبان الرملية

متشابهة من حيث المبدأ والأهداف ولاتختلف إلا على مستوى التنفيذ الذى يخضع بدوره إلى مدى توفر أو عدم توفر المواد الأولية المستعملة والامكانيات الفنية المتوفرة لدى كل دولة.ويخضع تثبيت الكثبان الرملية إلى عمليتين رئيسيتين: ١- التثبيت الميكانيكى أو المؤقت. ٢- التثبيت البيولوجى أو الدائم.

إن الهدف من تثبيت الكثبان الرملية تثبيتا أوليا سواء ميكانيكيا أو كيماويا هو إنشاء غطاء شجرى أو شجيرى لتثبيتها تثبيتا نهائيا إذ أن التثبيت الأولى الميكانيكى أو الكيماوى هو عبارة عن وسيلة لتثبيت سطح الكثبان الرملية لمدة زمنية معينة (٢-٤ سنوات) وهى فترة كافية لنمو الأشجار أو الشجيرات التى تغرس على الكثبان الرملية المثبتة بهذه الوسيلة حيث يتكون مجموع جذرى يساعد على تماسك حبيبات الرمال وكذلك مجموعة خضرية فوق سطح الرمال يساعد على كسر قوة الرياح وحماية سطح الرمال من الانجراف الهوائى [٢٣]، كما ويمكن اجراء اقتراحات ثانوية مهمة وتعد حلول جذرية لعموم المنطقة وذلك من خلال اعطاء الحلول المناسبة للحد من هذه الظاهرة والحد من تاثيرها على الاستغلال الزراعي في منطقة الوادي اذ لوحظ تجمع مساحات من المياه بشكل دائم في مصب الوادي دون استغلالها اذ تم رصد هذه المياه عند ملاحظ المرئيات المختلفة امتداداً من المرئية الملتقطة سنة ١٩٧٤ من نوع (mss) وصولاً الى مرئيات (Google earth) الملتقطة سنة ٢٠٠٨، ولغرض استصلاح الاراضي المتواجدة على جانبي الوادي وتوفير المياه المناسبة والكافية فقد تم كاقتراح انشاء السد في منطقة الوادي وتم اقتراح استثمار المياه بشكل ملائم من خلال هذا المشروع، اذ يبلغ ارتفاع السد المحتمل (٢٠ م) ومساحة البحيرة الافتراضي (٣،٢ كم٢) اماطول البحيرة (٨،٣ كم٢) وطول السد المحتمل الصاد للمياه (١،٩ كم) عند أنشاء السد إلى الاتجاه جنوبي غربي نحو المصب، ويتخذ من المنحدرات العميقة ما بين المصب ونهاية المجرى الرئيسي للوادي مشكلاً منطقة تخزين مثالية للسيطرة على المياه وتوزيعها اسفل السد الى جانبي الوادي اذ تنخفض الاراض المحيطة عن جسم السد بشكل يضمن انسياب جيد للمياه لهذه الاراضي وبالتالي احيائها وتحويل

المصب القديم الى مفيض في حالات الفيضان المفاجئة وبالتالي تحويل المصب القديم الى اراضي زراعية خصبة يلاحظ الخارطة (١١).

خارطة (١١) السد المحتمل والبحيرة



***Arc Scene 9.1**

الخاتمة

تناول البحث ظاهرة من مظاهر السطح المهمة وهو وادي منجور ضمن حدود محافظة صلاح الدين وهو واحد من الاودية الكثيرة التي تقع الى الشمال من العراق ضمن مجموعة احواض واسعة،وقد تناول البحث خصائص الوادي الطبيعية وخصائصه الشكلية والتضاريسية والمورفومترية بشكل شبه مفصل مما يساهم في اعطاء الوصف العلمي الدقيق لخصائصة بالاعتماد على احدث البرامج المتاحة، فضلا عن الحلول والمقترحات التقليدية والحلول الجديدة التي تساهم وبشكل اكبر في السيطرة على مخاطر الظاهرة المتواجدة ضمن الوادي والتي تعد العامل المهم في قلة استثمار الارض او عدمها في احد اجزاء الوادي وذلك بسبب طبيعة المنطقة الجيومورفولوجية ولاسيما السطح وعوامل التعرية الريحية، ونرجوا ان نكون قد اعطينا الصورة الواضحة والحلول الممكن تطبقها في المستقبل.

النتائج والتوصيات

توصل البحث الى عدد من النتائج والتوصيات التي يمكن ان تاخذ المنحنى الواقعي من حيث أمكانية التطبيق والاستفادة منها قدر المستطاع وهي كما يلي:-

١- إجراء دراسات تفصيلية لمناطق مشابهة لمنطقة البحث ولاسيما ان أراضي العراق تنتشر فيه مثل تلك الخصائص التضاريسية في الأجزاء الشمالية من أراضية.

٢- توفير الإمكانيات المتطورة من حيث الأجهزة الحاسوبية وأجهزة القياس الخاصة لعناصر المناخ ودراسة خصائص التربة والصخور مما يوفر المعلومات الدقيقة عن الظاهرة المدروسة.

٣- مراقبة ظاهرة الوديان والكثبان الرملية المرتبطة بها وذلك لأثارها الخطيرة على البيئة والأراضي الزراعية، في حالة حدوث زحف لتلك الظواهر.

٤- إتباع الطرق الحديثة في معالجة مشكلة الكثبان الرملية لضمان عدم تكرار حدوثها مستقبلا.

٥- التركيز على دور الجيمورفولوجية التطبيقية في رصد الظاهرات الأرضية من خلال دراسة غطاء السطح وجيولوجية المنطقة وذلك لإمكانية أعطاء الصورة المتوقعة في المستقبل والعمل على ربطها مع الظاهرة في تطوير وتسخير تلك الظواهر.

٦- امتاز الحوض بالاستطالة وصغر المساحة في الأجزاء الشمالية نتيجة للتضرس والوعورة وهي حالة معكوسة إلى الجنوب من الحوض في أجزاءه السفلى.

٧- اتصفت الشبكة النهرية بارتفاع معدلات الأطوال للمجاري إلى الشمال من الحوض وتعكس الحالة إلى الجنوب من الحوض مما اثر على نسب التصريف والكثافة النهرية آذ قلة قيم التصريف والكثافة إلى الشمال بالاتجاه نحو المنبع وازدادت بالاتجاه نجو المصب نتيجة لكثرة الرتب وتشعبها.

٨- الحوض النهري ضمن المنطقة الشبه جبلية والمنبسطة تبعا من الشمال إلى الجنوب مما أعطى تأثير كبير للصفات العامة للحوض والخاصة كما ذكرنا فضلا عن دور الشبكة النهرية في أعطاء المنطقة الصفات الجيمورفولجية البارزة كونها منطقة وديان تابعة ومظربية نتاج التعرية المائية للحوض.

هوامش البحث

(١) خالد وليد البياتي، دراسة جيلوجية هندسية لاستقرارية المنحدرات الصخرية لسد العظيم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ١٥.

(٢) عبد الله السياب واخرون، جيولوجيا شمال العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٢، ص ٣٠.

(٣) مصطفى برواري ونصيرة عزيز صليوة، لوحة سامراء، تعريب ازهار علي غالب، وزارة الصناعة والمعادن، الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين، ١٩٩٤، ص ٨-٩.

(٤) عبد الاله رزوقي كربل، علم الاشكال الارضية ج٢، ط١، منشورات جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص ٨٥.

(٥) برنامج ARCMAP9.1.

(6) http\\aradina kehanaona\line.

(٧) فليح حسن الطائي، حصر وتقييم موارد التربة والاراضي في تخطيط مشاريع التنمية، "بحث مقدم للموتمر الفني الدوري الاول لاتحاد المهندسين الزراعين، الخرطوم نكانون الاول،١٩٧٠ "، بحث غير منشور، بغداد ،١٩٧٠، ص١-٧.

(8) Buring. Soil and Soil condition in Iraq. Iraqi Ministry of Agricultural, Baghdad, Iraq 1960. P. 137.

(٩) عبد الاله رزوقي كربل،علم الاشكال الارضية ج٢، ط١، منشورات جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص ٨٥.

(١٠) مديرية زراعة صلاح الدين، التخطيط والمتابعة، المساحات المزروعة في صلاح الدين،(١٩٩٠-٢٠٠٦)، بيانات غير منشورة.

(١١) خلف حسين علي الدليمي، التضاريس الارضية (دراسة جيومورفولوجية عملية تطبيقية)، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، ٢٠٠٥، ص ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٠.

(١٢) احمد احمد سطيحة، الخرائط الكنتورية (تفسيرها وقطاعتها)، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ص ١٥٩.

(١٣) صباح توما جبوري، علم المياه وادراة احواض الانهر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ٥٦، ٥٩، ٦٤.

(١٤) محمد صبري محسوب، واحمد البدوي، الخريطة الكنتورية قراءة وتحليل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٥٩.

(١٥) صهيب حسن مضر، بناء أنموذج جغرافي للجريان المائي السطحي في الجزء الشمالي في منطقة الجزيرة، العراق، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص٤٠.

(١٦) لطفي راشد المفلح المومني، هيدرولوجية حوض وادي الموجب الرئيسي في الاردن، دراسة في الجغرافية التطبيقية، استشعار عن بعد، مطبعة وزارة الثقافة، الاردن، ١٩٩٧، ص٨١.

(١٧) برنامجي Arcmap 9.1-Globalmapper8.

(18) ITC. Volume v II chapter 6. p.12..

(١٩) ياسين عبيد، المساحة الهندسية، دار الحكمة للنشر، البصرة، ١٩٩٠، ص ١٢٢-١٢٥.

(٢٠) برنامجي Arcmap 9.1-Globalmapper8.

(20) stunly A. schumum. the flwial system of America, jouh wile and sons , 1977 , p 67.

(٢١) محمد صبري محسوب، واحمد البدوي، الخريطة الكنتورية قراءة وتحليل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٥٩.

(٢٢) آرثر. ن. ستريلر، إشكال سطح الأرض، ترجمة، د. وفيق حسين الخشاب، وعبد الوهاب الدباغ، جامعة بغداد، ١٩٦٤، ص ٣٣٥.

(٢٣) المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، مراقبة التصحر ومكافحته، البادية السورية، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢٣٤ – ٢٤٧.

وادي شيشين

أ. م. د. عبـد الفتـاح حبيـب رجـب
جامعة / تكريت / كلية التربية / قسم الجغرافيـة

مُقَدِّمَة

تعد دراسة الأودية الموسمية الجريان من المواضيع الحيوية المهمة خاصة في المناطق الجافة من خلال الاستعمال الأمثل للمورد المائي الذي مصدره الأمطار الساقطة لتلبية متطلبات الحياة بصورة عامة والإنتاج الزراعي بصورة خاصة.

وتأتي أهمية دراسة حوض وادي شيشين من اجل تحديد المساحات المزروعة وتغيرها من خلال المرئيات الفضائية وبالاعتماد على برنامجERD AS وبرنامج ARC GIS وفي تكوين نظام تصنيفي خاص للظواهر على أساس التشابه والاختلاف لاستعمالات الأرض.

وعند الوقوف على مقدار تغير استعمالات الأرض الزراعية لمنطقة الدراسة لابد من إعطاء فكرة عن جيمورفولوجية الحوض ومورفومتريته لما لها من تأثير على أنواع التربة وانعكاس ذلك على المحاصيل المزروعة

تنحصر مشكلة البحث في السؤال الأتي: هل يعد وادي شيشين وادياً زراعياً؟

وما هي طبيعة التغيير الذي طرأ على المساحة المزروعة؟ وكيف تسهم تقنية الاستشعار عن بعد في تحديد المساحة المزروعة للأعوام ٢٠٠١,١٩٧٣ ؟ معتمداً في ذلك على بعض الفرضيات لاستعمالات الأرض: وجود تغير في الاتساع المساحي بين سنة الأساس ١٩٧٣ وسنة المقارنة ٢٠٠١. وهناك دور للمرئيات الفضائية في تحديد المساحة المزروعة ونوع المحصول.

تهدف الدراسة لتصميم خرائط باستخدام تقنيات معاصرة للكشف عن التغيرات لاستعمالات الأرض الزراعية لوادي شيشين ووضع الحلول المناسبة لها عن طريق

تكوين نظام تصنيفي خاص للظواهر التي يتم اختيارها على أساس خاصية التشابه والاختلاف في البناء الأرضي واستخدامات الأرض[١].

وقد اتبعت الدراسة في منهجها المنهج التصنيفي من قبل المعهد الهولندي(I.T.C)[٢]. إذ انه منهج ملائم لمنطقة الدراسة والمعتمدة على تحليل وتفسير المرئيات الفضائية لتجميع الأفكار وتنظيمها.

وتكمن أهمية البحث في توضيح دور الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات في تحديد المساحة المزروعة باستخدام الانعكاس الطيفي للمحاصيل الزراعية عن طريق برنامج (ERDAS IMAGIN 8.4) واستخراج المساحات والأطوال من خلال برنامج (ARC GIS 9.1).

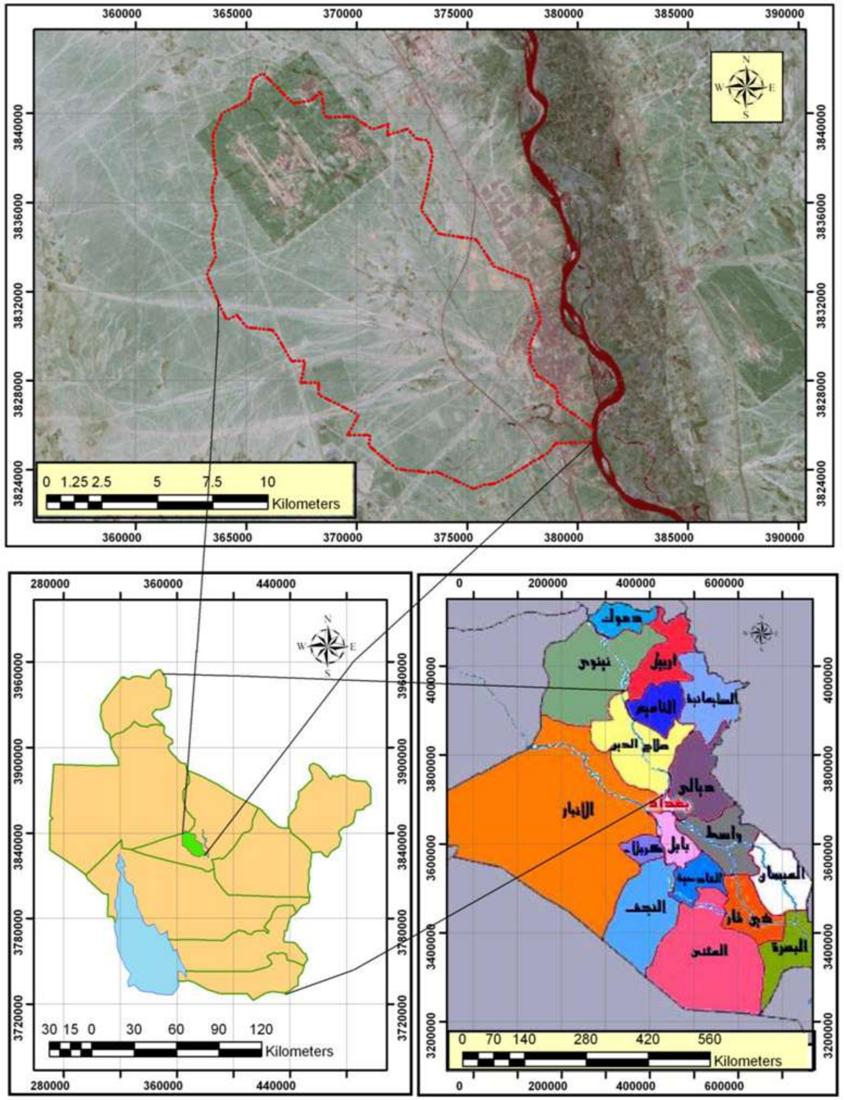
يقع وادي شيشين ضمن مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين إحدى محافظات القطر العراقي، وينحصر فلكياً بين دائرتي عرض ٣٢ ° -٣٤ °، ٣٤ ° – ٤٢ ° شمالاً وخطي طول ٣٠ ° -٤٣ ° شرقاً (انظر خارطة رقم ١)

يبلغ أقصى طول للوادي ٢٣.٣كم وبعرض ٨.٢كم وبعمق ٣٠م وبمساحة تساوي ١٩٧كم^2 وارتفاعه عن مستوى سطح البحر ينحصر بين (٧٠-١٥٤م) كما تبينه الخريطة الفضائية رقم (٢) المشتقة من البيان الراداري لمنطقة الدراسة سنة ٢٠٠١.

يأخذ شكل حوض الوادي من المستطيل وأن نسبة استدارته هي (٠.٤٦). وانه يتميز بتصاريف مائية منتظمة زمانياً مع تلكؤ وصول التصاريف المائية بسرعة لأنها تقطع مسافة اطول مما يعرض جزءاً من المياه للضياع بفعل التبخر والترسيب[٣].

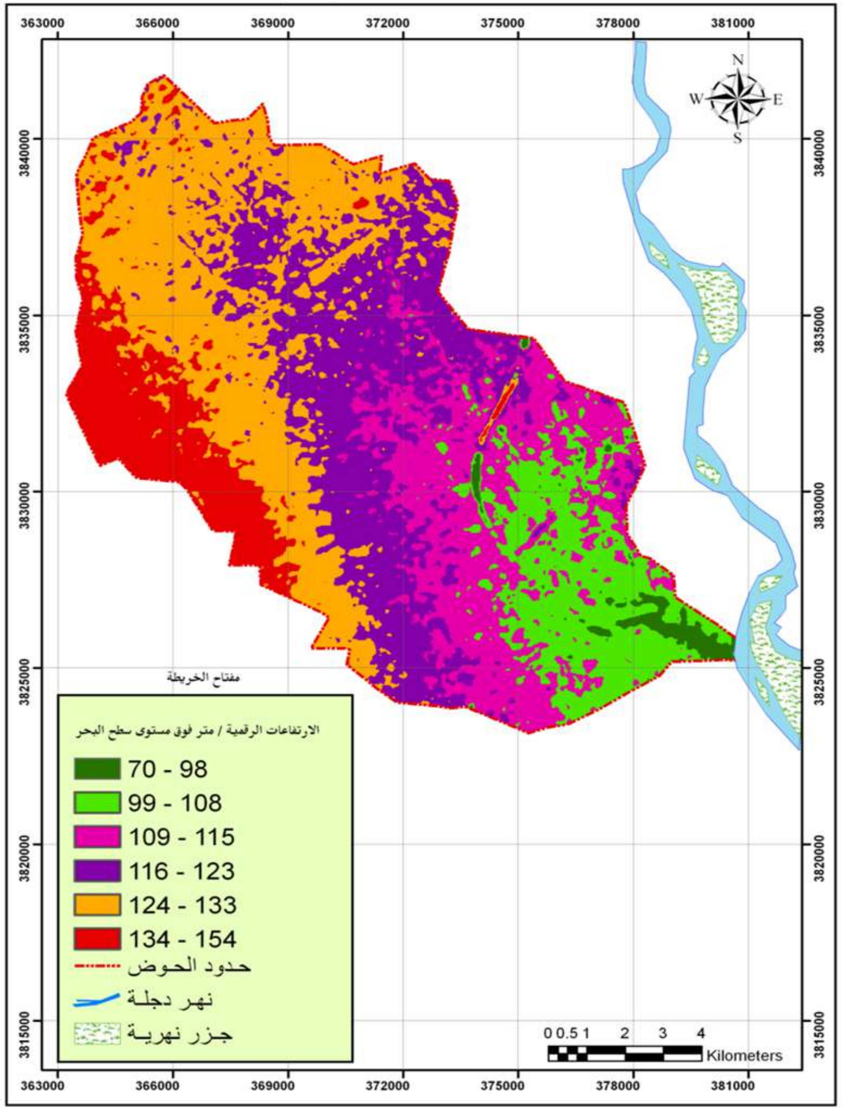
اما خصائص الشبكة المائية فقد تضمنتها الدراسة المورفومترية لحوض وادي شيشن والتي اثرت عليها تطور الظروف الطبيعية والبنيوية متمثلة

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة



المصدر: خريطة العراق الادارية وخريطة صلاح الدين الادارية لسنة 2001

خريطة (2) الارتفاعات الرقمية لحوض وادي شيشين



المصدر : البيان الواداوى لمنطقة الدراسة لسنة 2001

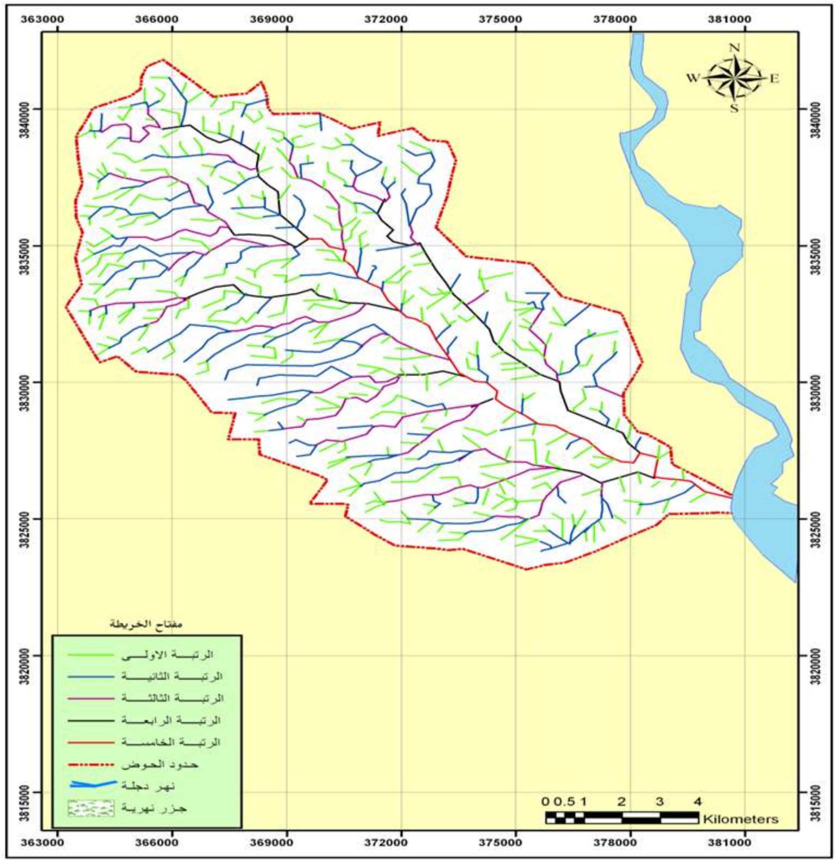
بالمراتب النهرية، وفيها يتم تحليل الشبكة باستخدام طريقة (**STARAHLEA**)[٤]. وتنص على ان المجاري المائية الصغيرة التي لا تصب فيها مسيلات او وديان اخرى تنتهي الى المرتبة الاولى والتقاء رافدين من المرتبة الاولى يشكل مجرى من المرتبة الثانية والتقاء وديان من المرتبة الثالثة يكون مجرى من المرتبة الثالثة، وهكذا يصل النهر الى المجرى الرئيسي الذي يحمل اعلى مرتبة. كما في خريطة رقم(٣) التي تمثل تصنيفاً للمراتب النهرية.

ويلاحظ من جدول (١) الذي مصدره المرئية الرادارية ان رتب حوض وادي منطقة الدراسة تراوحت بين الاولى والخامسة وهذا يؤكد السيادة للمجاري المرتفعة الرتب، وان مجموع اطوال المجاري تزداد كلما تطورت من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا وان ٤٤.٨% من اجمالي اطوال الشبكة المدروسة تعود للمرتبة الاولى، كما كانت نسبة عدد المجاري ٧٧.٦% من مجموع مجاري الحوض. بينما نسبة اطوال الوديان للرتب الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة هي: ٢٤.٣%، ٢٠.٢%، ١٧.٦%، ٤% على التوالي. في حين كانت نسبة عدد المجاري لنفس الرتب اعلاه تساوي:١٧.٧%،٣.٩%،٠.٦%،٠.١% على الترتيب هذا وان الهدف من معرفة المراتب النهرية للوادي هو تحديد كمية الصرف المائي الذي له انعكاس على تقدير قابليته الحتية والأرسابية. وعند معاينة المرئية الفضائية للوادي نجد ان عدد المقاطع العرضية لأعلى الشبكة المائية تكون ضحلة العمق وواسعة الامتداد وانها تشكل منخفضات مفتوحة تهب عليها ارسابات ناعمة مشتقة من صخور ورواسب الاصل فهي اكثر المواقع صلاحية للزراعة قياساً لأجزاء الحوض الاخرى كما يلاحظ ذلك في الجزء الشمالي الغربي من منطقة الدراسة.

اما نسبة التشعب للوادي فكانت (٤.٣ – ٦كم) فهي مفيدة للتحكم في معدلات التصريف.

وتعاني منطقة الدراسة من نقص واضح في الموارد المائية السطحية الدائمة الجريان والذي ينعكس اثرها على تدني المساحات المزروعة بالمحاصيل وذلك لوقوعها ضمن المناطق الجافة والتي لا يحدث فيها أي جريان مائي الا بعد سقوط الامطار.

خريطة (3) تصنيف المراتب النهرية لحوض وادي شيشين



المصدر : البيان الراداري لمنطقة الدراسة لسنة 2001

هذا وتعد شبكة الصرف المائي الموسمية الجريان هي الوحيدة التي يمكن من خلالها استثمار المساحات المزروعة اذا ما استثمرت مياهها من خلال انشاء السداد الترابية. ولغرض معرفة كمية الجريان السنوي المتوقع للوادي استخدمت معادلة بيركلي(٥).

$$R=CIS^{1/2}\,(W/L)\wedge^{0.45}$$

حيث ان:

R= حجم الجريان المتوقع مليار م³

C= ٠.٣٠ معامل ثابت يستخدم المناطق الجافة وشبه الجافه

I = حجم التساقط مليار م³

S= معدل انحدار متر /كم

W= معدل عرض الحوض /كم

L= طول الوادي من المنبع الى المصب

حجم التساقط المطري مليار م³=

مجموع التساقط المطري السنوي (ملم) X مساحة الحوض/كم X ١٠٠٠X١٠٠٠

١٠٠   ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

وعند تطبيق المعادلة على منطقة الدراسة يتبين ان حجم الجريان السنوي للمياه في الوادي هو (٠.٠٦٦) مليار م³.اما معدل المطر السنوي فهو ١٨٤ملم. من هنا يظهر ان كمية المياه بهذا الحجم غير كافية للاستعمالات الزراعية، لذا يجب استثمار المورد المائي في السنوات المطيرة الرطبة من خلال انشاء سد متوسط الحجم يكون موقعه مناسب في الاجزاء الجنوبية الشرقية لحوض الوادي وذلك لألتقاء المراتب النهرية فيها وذلك تساعد على حصر اكبر كمية من مياه الامطار.

جدول رقم(١)

عدد المجاري المائية واطوالها/كم² حسب الرتب لوادي شيشين

الرتبة	التشعب	عدد المجاري	%	مجموع اطوالها /كم	%
١	٤.٣	٧٧٤	٧٧.٦	٢١٢	٤٤.٨
٢	٤.٥	١٧٦	١٧.٧	١١٥	٢٤.٣
٣	٦.٥	٣٩	٣.٩	٩٥.٦	٢٠.٣
٤	٦	٦	٠.٧	٣١.٧	٧.٦
٥	٠	١	٠.١	١٩	٤
المجموع		٩٩٦	١٠٠	٤٧٣	١٠٠

المصدر: عمل الباحث

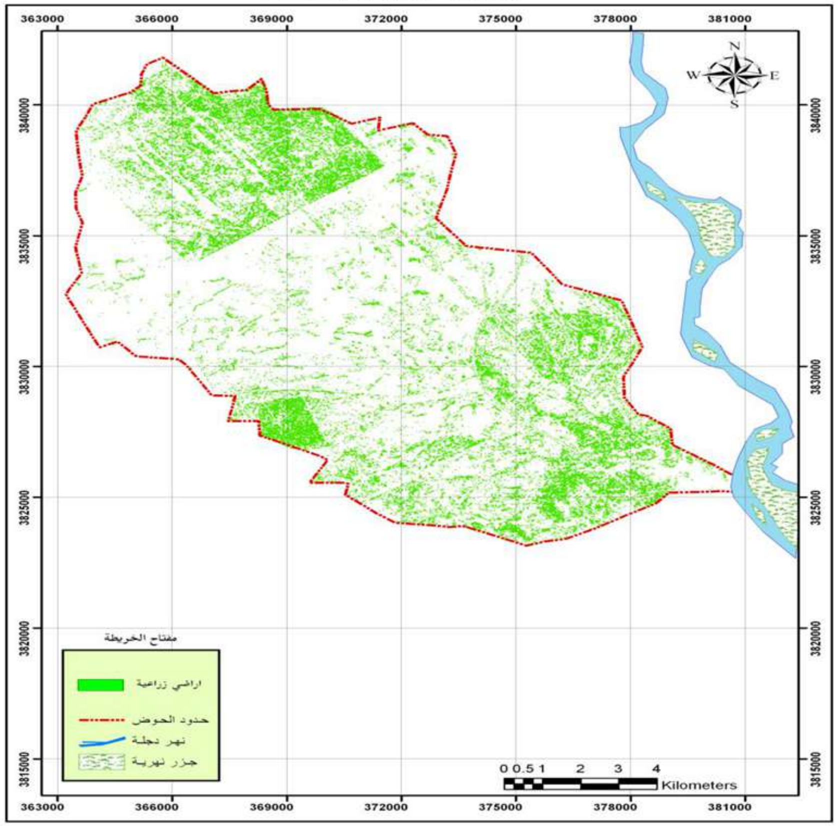
ويتضح من تحليل المرئية الفضائية لمنطقة الدراسة لسنة ١٩٧٣ كما في خريطة (٤) للمتحسس (MSS) ان هناك اتساع للمساحة المزروعة بالمحاصيل والبالغة ٢١٨٥ دونم تتوزع على معظم اقسام الوادي باستثناء جهته الشرقية لكون اراضيها اخدودية لاتصلح للزراعة.

هذا وقد اتسمت السنة المذكورة اعلاه من كونها سنة رطبة ازدادت فيها كمية التساقط المطري الى ٣٥٢.١ملم(٦). ارتفعت مناسب نهر دجلة واخذت المجاري المائية للوادي تمتلئ بالمياه للمراتب العليا منه.

وعند تحليل المرئية الفضائية لسنة ٢٠٠١ للمتحسس (ETM) كما في خريطة(٥)، يلاحظ تقلص الماسحة المزروعة الى (١٥٩٠) دونم محققة نسبة تغير قدرها (-٣٧%) عن سنة الاساس ١٩٧٣ جاء تركزها في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الوادي بينما كانت اقسامه الشمالية والغربية خالية الزراعة لأنها تخضع لمحددات بشرية خاصة بالدولة.

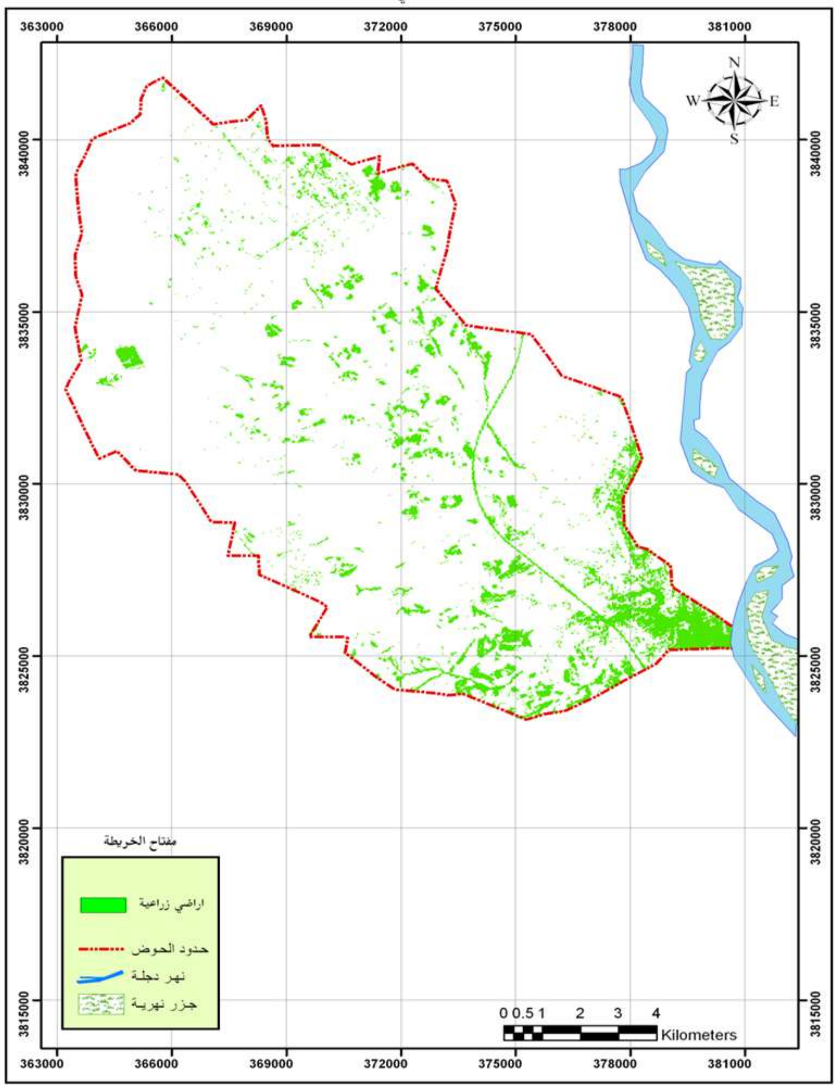
وتتعرض منطقة الدراسة للجفاف شأنها شأن غالبية مناطق العراق نتيجة لقلة الامطار الساقطة ويرافق ذلك انخفاض في مناسب نهر دجلة لقيام دول الجوار وخاصة تركيا بأقامة السدود حتى وصل تأثير مياه نهر دجلة لوادي شيشين الى المراتب الاخيرة من دون وصولها الى المراتب العليا، ناهيك الى حصول زحف عمراني لمدينة تكريت بتجاه اقسامه الجنوبية الشرقية بسبب زيادة عدد سكان المدينة من جهة وارتفاع المستوى المعاشي لها من جهة اخرى.

خريطة (4) الاراضي الزراعية لسنة 1973



المصدر: المرئية الفضائية (MMS) لسنة 1973

خريطة (5) الاراضي الزراعية لسنة 2001



المصدر: المرئية الفضائية (ETM) لسنة 2001

هذا وقد صنف الغطاء الارضي لحوض وادي شيشين بالاعتماد على الحزمة (٢,٤,٧) للمرئية الفضائية للقمر الصناعي LAND SAT للمتحسس (ETM) بالمقارنة مع المرئية الماخوذة من برنامج (GOOGLE EARTH) انظر جدول (٢) ومنه يظهر ان المستقرات البشرية من وحدات سكنية وابنية هي المسيطرة على استخدامات الارض من الوادي وبنسبة ٥٢.٣% تليه في الاهمية الاراضي القاحلة وبنسبة ٣٢% من اجمالي مساحة الوادي والتي شملت على الترب الملحية والرملية والحصوية. مما يدل على ان معظم اراضي الوادي غير صالحة للزراعة، في حين كانت مساهمة الاراضي المزروعة ٧.٤٥% من مجموع استخدامات الارض ويلي ذلك المراعي الطبيعية والمستنقعات الموسمية ٥.٧%،٢.٤% على التوالي كما يلاحظ في خريطة (٦) والتي تشتمل على تصنيف الغطاء الارضي لحوض الوادي.

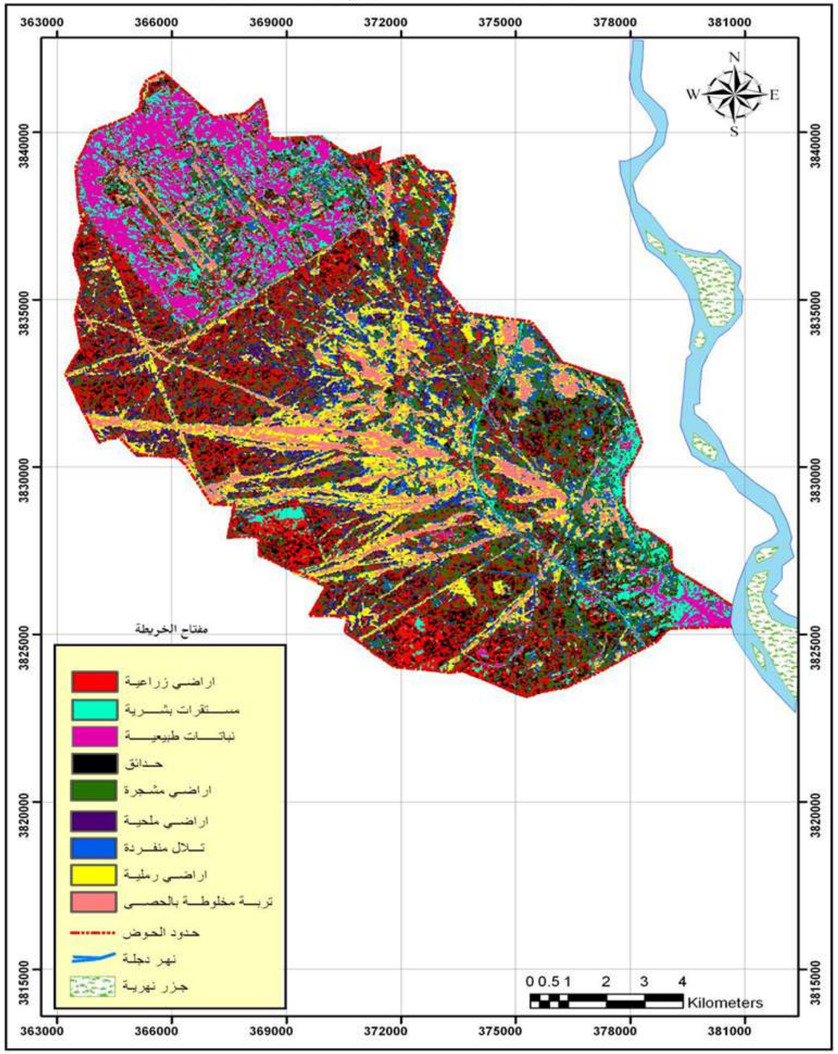
جدول (٢)

استخدامات الارضي لحواض وادي شيشين لعام ٢٠٠١

نوع الاستعمال	المساحة/دونم	%
اراضي زراعية	١٥٩٠	٧.٤٥
اراضي قاحلة	١٣٦٨٦	٣٢.١
مراعي طبيعية	١٢١٨	٥.٧
مستنقعات موسمية	٥٢٠	٢.٤
مستقرات بشرية	١١١٦٤	٥٢.٣
المجموع	٢١٣٣٥	١٠٠

المصدر: عمل الباحث

خريطة (6) تصنيف الغطاء الارضي لحوض وادي شيشين



المصدر: المرئية الفضائية (ETM) لسنة 2001

ومن ملاحظة خريطة (٧) والتي تمثل اصناف الترب في منطقة الدراسة والتي تم اعدادها على خريطة (بيورنك)[٧]. حيث تمثل تربة حصوية جبسية في جهات واسعة من الحوض وترب قاع الوديان في الجزء السفلي للحوض في المناطق القريبة من التقاء حوض الوادي لمجرى نهر دجلة.

وايضاً يتضح من خريطة (٨) التي تمثل قابلة الارض الزراعية والتي تم اعدادها من خلال خريطة القابلية الانتاجية للزراعة في العراق[٨]. بأن الاجزاء الشمالية والشمالية الغربية والاجزاء الجنوبية تمثل تربة جيدة للرعي او الغابات وعواملها المحددة للزراعة بسيطة وانها تشغل ٥٤% من مساحة الوادي.

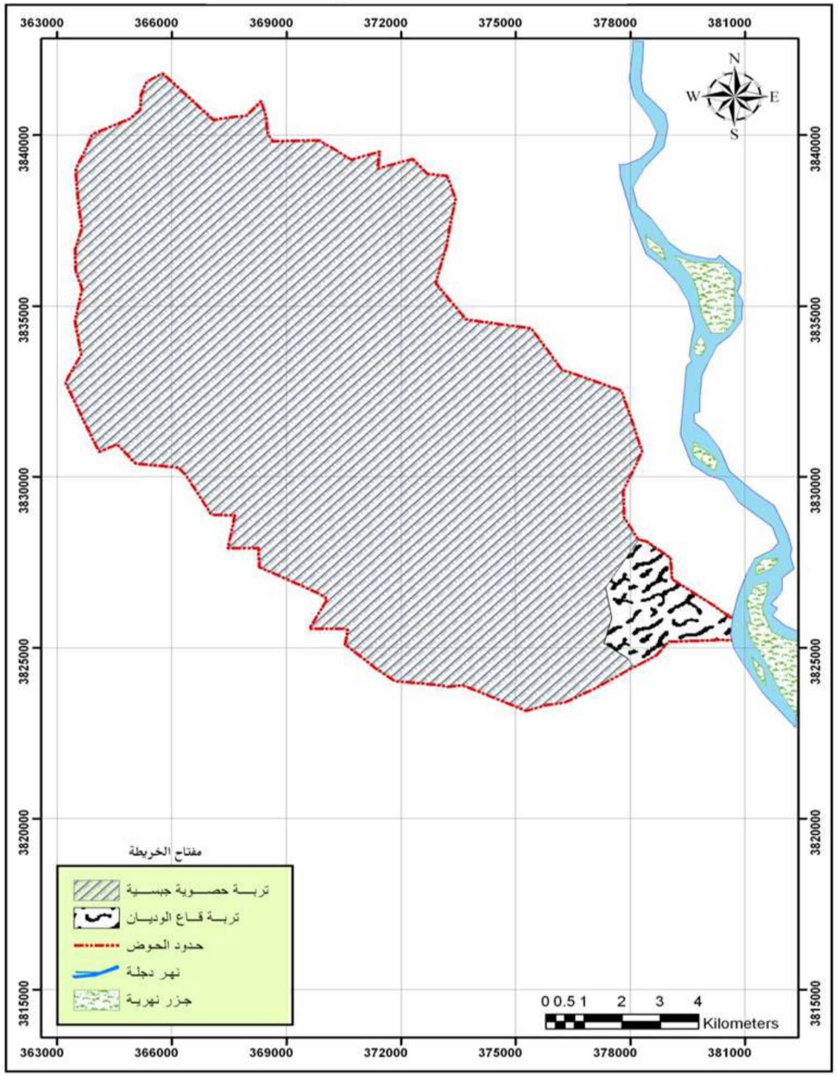
اما الاجزاء الوسطى والشرقية والجنوبية الشرقية من وادي الحوض تمثل منطقة متوسطة الجودة للزراعة وعواملها المحددة شديدة لكون تربها جبسية ورملية لا تساعد على قيام الزراعة فيها. هذا وتسهم هذه الاجزاء بمساحة تساوي ٤٦% من منطقة الدراسة.

ان الغاية من دراسة القابلية الانتاجية لأراضي منطقة الدراسة هو الوصول الى تحديد انسب الاستخدامات لمساحات التربة الصالحة للزراعة لأن في ذلك كشف لأمكانات التوسع الزراعي لمحاصل معينة لها القدرة على النمو في ترب بمواصفات معينة.

ومن المؤكد ان المحاصيل المختارة والملائمة لترب حوض الوادي محدودة الجودة كما اظهرتها المرئيات الفضائية وخارطة القابلة الانتاجية لترب العراق التي وضعتها ضمن الصنفين الرابع والسادس وذلك بسبب شدة العوامل المحددة كضحالة التربة اذ يكون العمق فيها اقل من ٥٠سم فضلاً عن قساوة الظروف المناخية فهي تتطلب كميات كافية من الامطار لاتقل عن (٣٠٠-٤٠٠ملم) اضافة الى ارتفاع نسبة الملوحة فيها مابين (١٦-٢٥مليموز/سم) وكذلك بأنحدارها من (٥-٨%) والتعرية مابين المتوسطة والشديدة[٩].

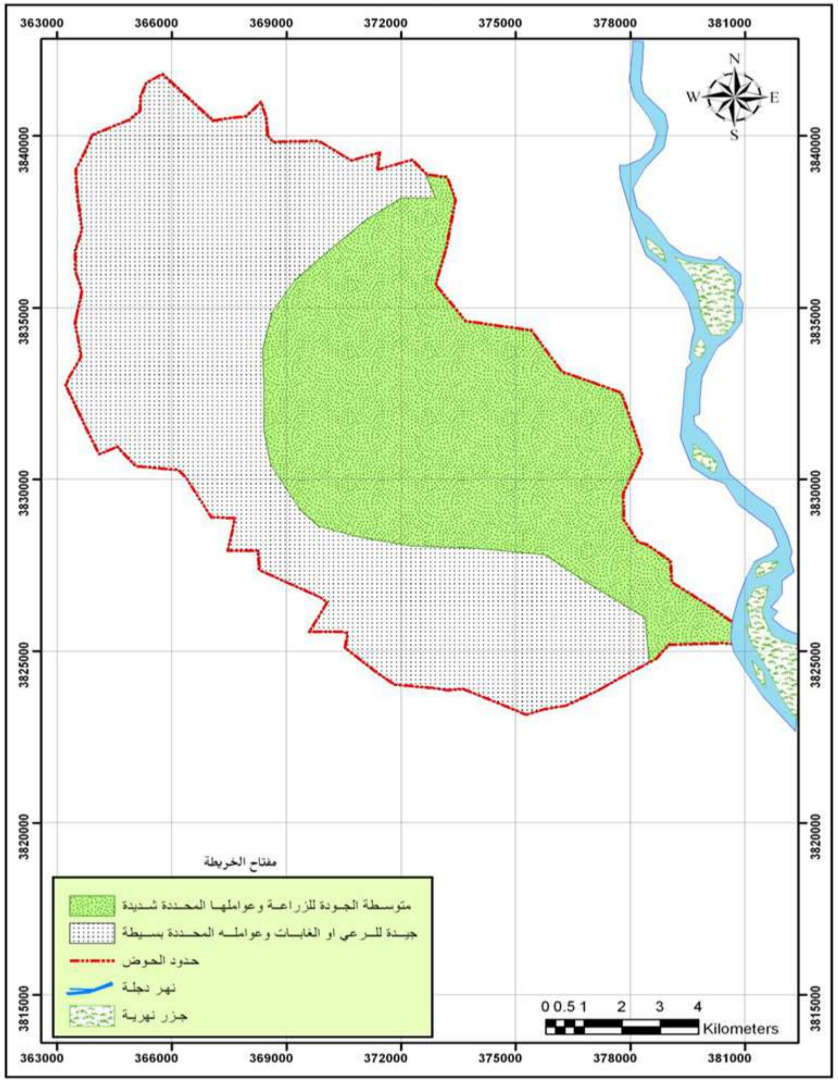
وكل ذلك فان مثل هذا النوع من الاراضي يتطلب عناية كبيرة وتطبيق للاساليب العلمية الحديثة للزراعة من اجل ايقاف تدهور امكاناتها الانتاجية وذلك باتخاذ تدابير من شأنها ان تقلل من عواملها المحددة.

خريطة (٧) اصناف الترب في منطقة الدراسة



المصدر : خارطة بيورنك / وزارة الزراعة. قسم التربة 1960

خريطة (8) قابلية الارض للزراعة



المصدر: خارطة قابلية الاراضي للزراعة في العراق/فليح حسن الطائي 1990

وفي الاونة الاخيرة على ما يبدو ان هناك اهتمام يبذل من قبل غالبية مزارعي منطقة الدراسة متمثلة بادخال الطرق والاساليب العلمية الحديثة في الزراعة منها تحسين خواص التربة باستخدام الاسمدة الكيمياوية والعضوية وتقنين في مياه الري من خلال ادخال منظومات الري بالرش المحوري اعتماداً على المياه الجوفية كعنصر مكمل للامطار لسقي المحصول، علاوة على استخدام البذور المحسنة ومكافحة للافات والامراض التي تصيب المحصول. فكل هذه الامور اسهمت في زيادة انتاجية الدونم في الوحدة المساحية كما هو الحال في زراعة الحبوب (القمح) فقد وصلت مابين ٦٥٠-٧٥٠/ كغم.

وايضا اخذت الزراعة الصيفية تاخذ دورها رغم محدودية المساحة نظراً لطبيعة سطح ارض الوادي وقلة مورده المائي زرعت بمحاصل الخضراوات والذرة الصفراء لان مثل هذه المحاصيل لا تحتاج الى عمق شديد لامتداد الجذور اضافة الى ان مجاري اودية الشبكة تستخدم كتصريف للمياه الزائدة كي تمنع من انتشار الملوحة بها.

الخلاصة والاستنتاجات

نظرا لاهمية المورد المائي في المناطق الجافة وانعكاسه على استعمالات الارض الزراعية فقد جاءت الدراسة بعدة امور :

١- إن معدلات الأمطار الساقطة على حوض وادي شيشين غير كافية لسد حاجة المحاصيل الزراعية.

٢- كان لاستخدام التقنيات الحديثة متمثلة بالاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية دور مهم في تحديد المساحات المزروعة واستخدامات الغطاء الأرضي.

٣- تبين من خلال الدراسة وخرائط القابلية الإنتاجية ان ترب حوض الوادي محدودة الزراعة لوجود محددات تقف عائق أمامها

٤- كان نصيب المساحة المزروعة عام ٢٠٠١ من مجموع الغطاء الارضي للمنطقة الدراسة هو ٧٫٥% وكان نسبة التغير مابين سنة الاساس ١٩٧٣ والسنة المذكورة سلبية وذلك للتوسع الحضري لمدينة تكريت على حساب وادي شيشين.

وتوصي الدراسة الى ما يأتي:

١) انشاء سد ترابي في الاجزاء السفلى من الحوض وذلك للأستفادة من مياه الخزن لغرض الزراعة واستخدامات اخرى

٢) العمل على استثمار المياه الجوفية لمنطقة الدراسة بشكل مدروس وباستخدام الطرق العلمية الحديثة كمنظمات الري بالرش المحوري لسقي المحصول الدراسي تجنباً للهدر والضياع للمياه.

الهوامش:

(١) احسان خليل ابراهيم عمر، القوى الاقليمية في قضاء داقوق دراسة مقارنة بين طرائق التصنيف البصري والتصنيف الرقمي، اطروحة دكتوراه(غير منشورة) جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠١، ص١٠.

(2) R.A. Van Zuidam and f.I. Van Zuidam , Terrain analysis and classifiction using Arial photograghs geomerphologic approach (1.T.C) , NETHER LAND , 1979. P. 34.

(٣) دلي خلف حميد الجبوري، حوض وادي الفضا من المنطقة المتموجة من العراق دراسة في الهيدرولوجيا التطبيقية رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠٠٥، ص٥٥

(4) A.N, Strahler, Quantities analysis of water shod, geomor hology,strans Amer,Geophy unran,jol.138,1959.pp.78.92.

(*) استخرجت نسبة التشعب بقسمة عدد مجاري مرتبة ما على مجاري مرتبة لاحقة. انظرار :اسباهيه يونس المحسن، جورج ياقين بحو، التحليل المورفومتري لحوض نهر الخازر باستخدام البيانات الفضائية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد (١٦)، ١٩٩٤ ،ص٣٠٩.

(٥) مد الله عبد الله محسن الجبوري، التشكل المائي لنهر دجلة مابين مصب الزابين واستثماراته في العراق دراسة في الجغرافية الطبيعية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٩٨، ص٧٧.

(٦) وزارة النقل والمواصلات هيئة الانواء الجوية، بغداد، بيانات غير منشورة.

(**) تم تصنيف الغطاء الارضي لوادي شيشين بالاعتماد على الحزمة (٢,٤,٧) للمرئية (M E T) بالقارنة مع المرئيات المأخوذة من برنامج (Google earth) وتم فتح البرنامجين وبعدها اجري التصنيف.

(٧) بيورنك، وزارة الزراعة، قسم التربة، ١٩٦٠.

(٨) فليح حسن الطائي، خارطة القابلية الانتاجية للعراق بمقياس ١/١٠٠٠٠٠٠ لعام ١٩٩٠.

(٩) عطا الله سليمان الحديثي، استثمار الموارد الطبيعية في تحقيق الأمن الغذائي في العراق، اطروحة دكتوراه (غير منشور) جامعة بغداد كلية الاداب، ١٩٩٥، ص٣٧.

المصادر:

١- عمر، إحسان خليل ابراهيم، القوى الاقليمية في قضاء داقوق دراسة مقارنة بين طرائق التصنيف البصري والتصنيف الرقمي ،اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية ،٢٠٠١.

2- Van Zuidam , A.A , Van Zuidam , F.1 , terrain analysis and calasifiction using arial photo graph geomer phologic approach , (1.T.C) , nether land , 1979

٣- الجبوري، دلي خلف حميد، حوض وادي الفضا من المنطقة المتموجة في العراق دراسة في الهدرولوجيا التطبيقية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، كلية التربية ٢٠٠٥.

4- Strahler , a.n , Quemtities analysis of water shod , geomor phology , strans amer , geophys unran , jol. 138. 1959.

٥- المحسن، اسباهية يونس و جورج ياقين بحو و التحليل المورفومتري لحوض نهر الخازر باستخدام البيانات الفضائية و مجلة التربية والعلم و جامعة الموصل و العدد (١٩٩٤,١٦.

٦- الجبوري، مد الله عبد الله محسن، التشكيل المائي لنهر دجلة ما بين مصب الزابين واستثماراته في العراق دراسة في الجغرافية الطبيعية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٩٨.

٧- بيورنك، وزارة الزراعة، قسم التربة،١٩٦٠

٨- الطائي فليح حسن، خارطة القابلية الانتاجية للعراق بمقياس ١/١٠٠٠٠٠٠ لعام ١٩٩٠.

٩- الحديثي عطا الله سليمان، استثمار الموارد الطبيعية في تحقيق الامن الغذائي في العراق، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٥.

Abstract

The study of seasonal vales circulation is one of the important subject especially in dried district using through the resources of water which depend on rain full to serve the requirement of life in general and agricultural in particular.

It comes the importance of this study in sump of shesheen vale is to identify the cultivated areas and its change through visually space which depend on programmes ERD AS and ARCGIS in forming a classification system in particular to the aspects based on the similarities and differences uses of land.

When it is stood on proportion changes of the uses of agricultural land in the study of the district; therefore, it should give the idea on Geomorphology sump of shesheen vale, morephometera and the effect on the various soils and reflect them on the cultivated crops.

الإعلام ... فلسفة القوة
الإعـلام الأمـريكي إنـموذجاً

د. سلام خطاب أسعد

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

تزايد خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين دور وسائل الإعلام الجماهيرية واسعة الانتشار عالمياً لاسيما برامج التلفزيون المنقولة عبر الأقمار الصناعية، رغم تباين النظم السياسية والأيدلوجية ودرجات النمو الاقتصادي والثقافي والاجتماعي لدول العالم المختلفة، ورغم عدم التكافؤ الواضح بين الفئة القليلة التي تبث السيل الهائل من المعلومات على مدار الساعة يومياً وبين الغالبية العظمى من دول العالم التي تستقبل ما يرسل إليها بغض النظر عن وضعها الاقتصادي غنية كانت أم فقيرة لأنه من يضع ويحلل تقنيات وتكنولوجيا الاتصال ويتحكم بصياغة المادة الإعلامية هو المسيطر على عملية التبادل الإعلامي الدولي دون منازع أو منافس يذكر، ومن عداه فهو مستهلك التكنولوجيا وتقنيات الاتصال والمادة الإعلامية باهظة النفقات والتكاليف.

إن الدور الوسيط تلعبه وسائل المواصلات العصرية بنقل وتسهيل وسائل الإعلام، أو تنحصر أهميتها في كونها وسّعت دائرة الاتصال في نطاق الجماعة والمجتمع الصغير إلى دائرة العالم بأسره، ولا شك أنها بذلك ساعدت في نقل الخصائص الحضارية من مكان إلى آخر، ومن الناحية النفسية فإن العالم تحول كله

إلى مجال نفسي أشبه بالمجال الأول الذي نشأ فيه المجتمع الإنساني – أي القبيلة – ومن الناحية الجغرافية أصبحت أطراف الأرض المتباعدة متدانية إلى حدٍ يمكن أن نلحظ فيه أن بعض البلدان المتباعدة ارتبطت حضارياً على نحوٍ قد لا يتهيأ لبلدان متجاورة، وهذا يعني إعادة رسم خارطة العالم على أساس اجتماعي ونفسي، وأصبح من المتعذر تتبع أثر الاتصال وضبطه في نطاق الدائرة المقصود إحداث هذا الأثر لكي تتوسع إلى دوائر أخرى.

إن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على إمكانية الإعلام ووسائله في إحداث التأثير المطلوب على مستوى الفرد والمجتمع، وعلى مستوى النظام السياسي وطنياً وعالمياً باعتباره قوة لا يُستهان بها تضاف إلى قوة الدولة التقليدية العسكرية والسياسية والاقتصادية.

مشكلة البحث:-

يشكل موضوع فهم الفلسفة الفكرية التي تقوم على ركائز الرسالة الإعلامية الاتصالية المقدمة عبر وسائل الإعلام المختلفة إشكالية كبيرة لاسيما فيما يتعلق بالوسائل الإعلامية التي تسود العالم حالياً والمنطلقة من قاعدة اقتصادية وتكنولوجية متطورة ومن نظام إعلامي عالمي يتّسم بعدم التوازن والعدالة ويسود فيه ويسيطر عليه مركز إعلامي متفرد يتمثل بالإعلام الأمريكي.

فرضية البحث:-

إن فلسفة النظام السياسي متمثلة بالأفكار والعقائد والقيم التي يؤمن بها أو يرّوج لها ويعتنقها تعطي آثاراً واضحة على أداء نشاط وسائل الإعلام المرتبطة به

وهي بذلك تتمحور ضمن وظائف هذه الوسائل وقوتها والمضامين الفكرية واللغوية وطريقة صياغة رسالتها الاتصالية.

منهجية البحث: -

يعتمد البحث على المنهج الوصفي لتحليل ووصف هذه الظاهرة والمتعلقة بقوة وسائل الإعلام من حيث تأثيراتها الفكرية والسياسية؛ إذ أن لهذه الوسائل كمضامين وأدوات تكنولوجية تقنية قوة وسيطرة على ميول واتجاهات الجماهير.

هيكلية البحث:-

تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاث مباحث رئيسة تناول المبحث الأول فلسفة الوظائف الأساسية التي تقوم بها كل وسائل الإعلام في العالم تقريباً، مع اختلاف درجة أدائها لهذه الوظائف من بلد إلى آخر، أما المبحث الثاني فقد يتناول أطر التأثير لهذه الوسائل الإعلامية من الإمكانيات الفنية التقنية وكذلك البناء الفكري الفلسفي لها، أما المبحث الثالث فقد تناول دراسة الإعلام الأمريكي باعتباره أنموذجا واضحا و ملموساً لقوة وفعالية هذه الوسائل فضلاً عن الخاتمة والاستنتاجات.

المبحث الأول

الإعلام وفلسفة الوظائف

يشير عالم الاجتماع الإعلامي (هارولد لاسويل)[١] إلى أن الإعلام في جميع صوره ووسائله يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية هي:-

أ- الإحاطة بالبيئة.

ب- تفاعل فئات المجتمع مع البيئة.

ت- انتقال التراث الاجتماعي من جيل إلى الجيل الذي يليه.

وهذا يعني أن الإعلام جانب إخباري يختص بجمع المعلومات ومن ثم تفسيرها، أي الجانب الدعائي، وأخيراً الهدف الثقافي الذي يتضمن انتقال المعرفة بين المجتمعات والأجيال المختلفة، وهنالك من يرى أن للإعلام أهدافاً أخرى[٢] مثل:-

أ- التسلية أو الترفيه بإشغال وقت فراغ الإنسان بما هو مفيد أو غير مفيد.

ب- تحقيق التناسق الاجتماعي.

ت- التعبئة في وقت الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

ج- تدعيم الضبط الاجتماعي وكذلك التنشئة الاجتماعية.

ح- مساعدة الفرد على دعم الهوية الشخصية، (القيم الفردية وتوحّدها مع قيم الجماعة والمجتمع).

ويشير مفهوم الإعلام (information) إلى عمليتين تكملان بعضهما، فهو من جهة يدل على عملية استقصاء واستخراج المعلومات والحصول عليها، ومن جهة أخرى الكيفية التي تصاغ بموجبها هذه المعلومات وتبث للجمهور المستهدف من وراء هذا (المستقبل) ولا يمكن أن تتم أي من العمليتين إلا عن طريق وسائل الإعلام التي هي مجموعة الأدوات والأجهزة تستقبل أو تبث هذه المعلومات. ومن المعروف تاريخياً أن المجتمعات الإنسانية في مراحل تطورها المختلف كانت دائماً وأبداً تستخدم

وسائل الاتصال ونقل المعلومات بين أفرادها وبين أفراد وجماعات تنتمي إلى مجتمعات أخرى، وكانت وسائل الاتصال التقليدية وما زالت في كثير من البلدان تلعب دوراً مهماً في دعم العلاقات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي، وتشير الدراسات الحديثة[٣] في حقل الإعلام إلى أنه عملية اجتماعية ذات طابع دينامیكي نظراً لاحتوائه على مجموعة من العناصر، كالمرسل والمستقبل والوسيلة والأداة والتأثير أو رجع الصدى، وهي عناصر تقوم بدور مهم في المجال التربوي والمعرفي نظراً لتأثيرها على بنية المجتمع وعناصره الأساسية.

إن الإنسان المعاصر الذي أصبح محاطاً بوسائل تدفق المعلومات لا يستطيع بشكل أو بآخر أن يستغني عن هذه الوسائل التي ظهر تأثيرها البالغ على حياة أفراد المجتمع، بل وساهمت في تشكيل أنماط سلوكهم ومفاهيم رؤيتهم للحياة والكون.

وممّا تقدم نجد أن الإعلام هو جزء من عملية اتصال شاملة لذا كانت دراسة دوره وتأثيراته لا تتم بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. فالعمل الإعلامي لا يتم من فراغ أو بمعزل عن فهم وتحليل النشاطات الاجتماعية الأخرى، ويتحدث عالم الإعلام (ولبر شرام)[٤] بالقول: (إن الحديث عن الإعلام بعيداً عن الآثار الاجتماعية والثقافية يشل أهداف العملية الإعلامية، ويقود إلى فشل وسائل الإعلام بفقدان الهدف فضلاً عن عوامل أخرى مثل انعدام الكفاءة وانعدام الموجه والحس الإعلامي و ضعف الإمكانات البشرية والمادية) فإن اعتمادنا على المعلومات التي نتلقاها من وسائل الإعلام يتضمن جملة من التأثيرات على الفرد والمجتمع، إذ إن وسائل الإعلام لها القدرة الهائلة على توجيه أنظار الجمهور إلى ما تم نشره من معلومات، والجمهور عادة ينظر إلى هذه المعلومات على أنها هامة ومن ثم فإنها تؤثر في قناعاته، عندها فإن بمقدور هذه الوسائل أن تنشر صورة محرَّفة أو منحازة حول الظروف المحيطة بنا، وإذا كان الجمهور غير قادر على نقد مضمونها ستصبح

جزءاً من تصوراته وقناعاته، كما وان عدم وصول هذه المعلومات الكاملة إلى الجمهور لكي يعرف الحقيقة كاملة عليه أن يعرف الطريقة التي ينظم بموجبها الجمهور تصوراته للواقع.

وعلاوة على هذا فإن المعلومات التي يستقيها الجمهور من وسائل الإعلام لاسيمّا الأمور الجديدة على الإنسان لديها القدرة على التأثير في الشخص خالي الذهن من تلك الموضوعات، وعلى سبيل المثال التلفزيون لديه القدرة على التأثير على الشباب الذين هم في مرحلة التنشئة الاجتماعية وهم مستعدون لاستقبال أي معلومة جديدة لتعلمها والاقتناع بها، وبهذا يصبح هذا الجهاز المرئي أحد وسائل التنشئة الاجتماعية الهامة في المجتمع رواجاً فإن وسائل الإعلام التي تؤثر في معرفة الإنسان عن طريق المعلومات التي تؤثر على سلوكه وعواطفه وقيمه وآرائه، لأن المعرفة تشتمل في أحيان كثيرة على نماذج جديدة في السلوك والقيم والآراء والاتجاهات.

ويرى عالم الاجتماع (كويستوك)[٥] أن هناك ثلاث عمليات نفسية ترافق الوسيلة الإعلامية بتأثيرها في الجمهور هي: تصور المشاهد الفوري لما يشاهده، وتفسيره لمضمون الرسالة الإعلامية وهي عملية ذاتية تتم داخل الفرد، ومن ثم الظروف المحيطة التي تسيطر وتتحكم في الفرد من حيث ماذا وكيف سيتعلم ؟.

إن هذه العمليات الثلاثة التي يتم عن طريقها التأثير السلوكي تتوقف وترتبط بعدّة عوامل منها:-

أ- مستوى الفرد التعليمي.

ب- موقفه الفكري.

ت- قدرته النقدية للمعلومة.

ث- قوة الإيضاح الأولي الفوري لتلقي المعلومة بالمقارنة مع مضمون المعلومات الشخصية السابقة.

وتنطلق نظرية التأثير المباشر لوسائل الإعلام من كون الظاهرة الإعلامية ظاهرة اجتماعية بكل معنى الكلمة، وعليه يجب امتلاك رؤية شاملة ومتكاملة للعناصر المكوّنة لها، فإن أي دراسة لعنصر فيها يجب أن لا يحجب تأثيره على بقية العناصر ممّا يتطلب منها إزالة الالتباس بين الوسيلة الاتصالية أو المؤسسات الإعلامية بقصد تجنب الخلط بينها حتى لا تغيب رؤيتنا إلى العملية الإعلامية باعتبارات الوسيلة الاتصالية مجرد بناء ميكانيكي أو إلكتروني، والتوقف عند خصائصها التقنية لا يكشف إلا جانباً واحداً من جوانبها وهي قدرتها التوصيلية، ويطمس جوهرها المتمثل في نقل ونشر التصورات والأحكام والقناعات، أي العالم الذي تنتجه المؤسسة الإعلامية التي هي مؤسسة اجتماعية تتمخض فيها علامات الإنتاج وتنعكس في محتوى المادة الإعلامية وفي الرؤية إلى الجمهور.

ويتطلب التعامل مع مضمون المادة الإعلامية معايير محدَّدة منها[٦]:-

أ- نمط إنتاج هذا المضمون وتأثيراته.

ب-الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ظهر منها المضمون المذكور.

ت-الجمهور الذي يتوجه له هذا المضمون.

ث-الإرث الثقافي للوسيلة والمجتمع.

ج- إمكانية الوسيلة الإعلامية وقدرتها على النقل والتغيير الناجح عن المضمون المذكور.

إن المتتبع لمجريات الأحداث اليوم يلاحظ قدراً هائلاً من المادة الإعلامية تتدفق كل ساعة، بل كل لحظة إلى أفراد المجتمع ومضمون المادة الإعلامية في معظم الأحيان ينشر جو من القلق والخوف والمخاطر التي تهدد أمن هذه المجتمعات عن طريق إفرازات هذا المضمون أو المادة على المجتمع وتأثيراتها المباشرة الآنية أو

غير المباشرة طويلة الأمد، وقد ارتبط هذا مع حركة التطور الاجتماعي التي أفرزت تغييرات ثقافية قيمة كان لها تأثيرها المباشر على العلاقات والنظم الاجتماعية، وقد ترتَّب على هذه التغيرات السريعة تغيرات في الموروث الاجتماعي والثقافي والقيم وكثير من أنماط السلوك الفردي والمجتمعي.

هذه النظرة تقدم بلا شك فكرة واضحة عمّا يمكن أن تفعله وسائل الإعلام الأخرى، وإذا كانت الرقابة التجارية والسياسية تحدان من حرية الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ويمنعان المواطن حقّه في الحصول على الحقيقة كاملة، فإن الخطر الأشد على حرية الصحافة والإعلام يكمن في حصر وسائل الإعلام في أيدي عدو يملك الأفراد والإمكانات ويسخَّرها للتأثير على مجريات الأمور وعلى تصرّف وسلوك الملايين من البشر وعلى إعدادهم الفكري بما يتناقض مع مصالحهم الحقيقية، ويذكر الإعلاميون الغربيون أن تطوير التلفزيون في بلدان يتم على حساب زيادة حجم الإعلانات، فالأفلام والبرامج المسلية والمبتذلة تروج للقسوة والعنف والجريمة والإثراء السهل والسريع وهوس التجسس والجنس ... الخ وبدلاً من الإعلام والمعلومات تظهر (الدعاية الموجهة) المتحكمة في وعي المشاهدين، ومن دواعي إثارة القلق البالغ تلك الصلة المتبادلة بين ما يظهر في التلفزيون وزيادة نسبة الجريمة بين الشباب في الدول الرأسمالية، وليس في ذلك ما يدعوا إلى العجب إذا علمنا أن الناشئ الأمريكي البالغ ١٤ سنة من العمر يكون شاهدَ نحو إحدى عشرة ألف عملية قتل، في هذا الإطار تفيد الإحصاءات أن الأسرة الأمريكية المتوسطة تخصص (٢ – ٦) ساعات يومياً للتلفزيون، وفي بريطانيا يقضي المواطن العادي وسطياً اثني عشرة (١٢) سنة من حياته البالغة سبعين عاماً أمام التلفزيون، وفي اليابان يشاهد حوالي ٩٥% من سكان الشاشة الزرقاء يومياً، وفي فرنسا يخصص ٨٧.٤% من الشعب الجانب الأكبر من وقت فراغهم لمشاهدة التلفزيون، والكلام نفسه يمكن أن نسحبه وإن بدرجة أقل تأثيراً على وسائل الإعلام الجماهيري الأخرى من صحافة وإذاعة وسينما[٧].

المبحث الثاني

الإعلام – فلسفة التأثير

لقد أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري من تلفزيون وكتب وصحف وشتى ضروب الكلمة المطبوعة أو المسموعة أو المرئية إلى أدوات يستعين بها الإنسان في الدعاية لفكرة ما أو لمقاومة أنظمة سياسية أو التصدي لأفكار ونظم الآخرين، على نحو جعل الصراع بالكلمات تسبق أو تصاحب أو تلاحق قعقعة السلاح.

لقد كانت محاولة التأثير في الرأي العام قديمة جداً بدأت بالاتصال المباشر بين إنسان وإنسان آخر بعد أن أصبح لهذا الإنسان لغة وأفكار، وانتهت في عصرنا الراهن إلى صناعة الرأي الذي يقوم على المعلومات والحقائق أو الأكاذيب التي تبثّها أجهزة الإعلام بشكل خاص يضمن صياغة هذا الرأي وبنائه وتكوينه، ونرى السياسة الخارجية المعاصرة تحتمي تحت مظلة الإعلام ممّا ضاعف في حجم تأثير الإعلام وطوّر في سياسته، حتى أصبح يترجم سياسة الدول وآفاقها في الطرح الحضاري الأبعد والأشمل، ولم تعد السياسة الخارجية تسير بالدبلوماسية التقليدية والعسكرية، وإنما وظفّت الدعاية والإعلام كوسائل فعالة لنجاح السياسة الخارجية والقوة المسلحة، مهما كانت فلسفة هذه الدول أو تلك ونظرتها السياسية، ممّا أعطى للإعلام القدرة ليس فقط على عملية التلاعب بالعقول كما يقول الكاتب الأمريكي (هربرت شيللر)[٨] بل وصل إلى مرحلة إخضاعها والسيطرة عليها، وإن بوسع الإعلام ووسائله أن يمارس دوره كأداة في الطرح الحضاري عن طريق التغير في القناعات بأقل التكاليف وأوسع المديات زماناً ومكاناً، كما إن فاعليته تكون واضحة إذا ما اعتمدت الأساليب العلمية واستندت إلى الخبرة التي تدرك تحديد أهميتها بدقة.

وقد أدرك الغرب عن طريق توسيع الآفاق العلمية وتأسيس منهجية لها أن فلسفة الغرب باستخدام الإعلام لا يمكن أن تنفصل عن الوجود الغربي والحضارة الغربية، كما إن ذلك مرتبط بالتشابك الواضح بالمصالح التي نشأت بين الرأسمال

الغربي الذي ساهم في تطوير وسائل الإعلام والثورة الصناعية التي بدأت تبحث عن أسواق عالمية لمنتجاتها.

هذا الترابط يقول أن التطور الصناعي ساند عملية تطور الإعلام بالمقابل، فإن وسائل الإعلام أصبحت في خدمة الشركات الرأسمالية الكبرى وقد أدّى هذا التشابك إلى قيام تحالفات مخططة، إذ أن علاقة طرديه بهذا الاتجاه:-

نمو الرأسمال ⟸ نمو واسع في الإعلام

تطور واسع في الإعلام ⟸ نمو الأسواق الرأسمالية

وكون هذه المؤسسات الكبرى الصناعية هي التي تسيطر أو تقود اتجاهات المؤسسة السياسية الحاكمة في الغرب فإن ذلك أدّى بدوره إلى عدم وجود تقاطع جوهري بين المؤسسة الإعلامية التي تسيطر على الشركات الرأسمالية وبين المؤسسة السياسية، وقد أدّت العلاقة بينهما في كثير من الأحيان إلى تحالف في أي مواجهة خارجية، وبالتالي فإن مؤسسات الإعلام تحولت بموجب هذه النظرة إلى استعمار لاحتلال العقول من جهة ومن جهة أخرى لتحقيق أرباح اقتصادية وتشير إحصائيات منظمة اليونسكو لعام ٢٠٠٠[٩] لأن حجم الاستثمار العالمي في حقل الإعلام بلغ ٢٠٠ مليار دولار سنوياً وهذا يشكّل ٤٠% من حجم الإنتاج الصناعي العالمي وفي العام نفسه كانت ٥٠% من حجم صادرات الولايات المتحدة الأمريكية في مجال المعرفة والإعلام.

يعمل في كوكبنا حاليا ٣٠٠ مليار جهاز تلفزيون و ٥٠٠ مليار جهاز راديو، ويوجد أكثر من عشرة آلاف صحيفة يقارب عدد نسخها خمسة مليارات نسخة، وتبلغ حصة البلدان النامية ومنها الدول العربية التي يبلغ عدد سكانها ٧٠% من سكان الأرض ١٧% من عدد الصحف و ١٨% من عدد أجهزة الراديو و ٥% من عدد أجهزة التلفزيون، وهنالك خمسة وكالات كبرى تسيطر على نسبة ٩٠% من تداول

الأنباء العالمية هي (يونايتد برس، واسيوشتد برس الأمريكيتان، ورويتر البريطانية ووكالة فرنس برس للأنباء الفرنسية، وتاس الروسية، وهنالك ٢٥ وكالة إعلان عالمية كبرى، منها ٢٢ وكالة إعلان أمريكية ولننظر إلى المؤشرات التالية:-

٩٥% من مجموع الاستثمارات في تقنيات علوم الإعلام والاتصال يتم في البلدان المتقدمة (دول الشمال) بينما حصة بلدان الجنوب (الدول النامية) هي ٥%.

٨٠% من خريطة بث البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية في البلدان النامية يعتمد على ما تستورده من أشرطة ومسلسلات غربية يتم بثها من دون رقابة أو مراجعة واعية.

٩٠% من إنتاج المعلومات في العالم تتحكَّم به ثلاث أطراف رئيسية هي الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا واليابان. هنالك ٣٠٠ شركة ووكالة أخبار ومعلومات دولية منها ١٤٤ شركة أمريكية ٨٠ شركة أوربية ٤٩ شركة يابانية.

تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية نصف مجموع محطات تلفزيون في العالم (١٥٧٣) أكثر من ٩٠٠٠ محطة إذاعية و١٥٠٠ مجلة و ١٧٠٠ صحيفة يومية وهي تسيطر أي الولايات المتحدة الأمريكية على حركة الإعلام العالمي عن طريق المؤشرات التالية(١٠):-

٦٥% من تدفق الأنباء في العالم.

٦٤% من الإعلان التجاري.

٤٥% من التسجيلات الصوتية الموسيقية.

٩٠% من أشرطة ال CD.

٣٥% من الورق المستخدم في الطباعة.

٧٥% من إنتاج البرامج التلفزيونية.

٧٢% من صناعة أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية.

٧٥% من إنتاج الأفلام السينمائية.

إن الفلسفة التي يقوم عليها الإعلام الغربي بشكل خاص تعتمد الفلسفة الذرائعية ويعد الأمريكي (جون ديوي ١٨٥٩ – ١٩٥٢)(١١) من أبرز منظّريها، ومن مبادئها الهامة:-

١- الانصراف الكلي المطلق للحصول على الأرباح والفوائد لدحر المنافسين ولفتح ميادين جديدة لمشاريع الأعمال.
٢- فلسفة للعمل وحشية وقاسية في تعبيرها عن الفردية الرأسمالية.
٣- إنها نظام للتضليل الاجتماعي.
٤- تحاول توسيع سيطرتها على الشعوب الأخرى تحت ستار معارضة النظرة للقومية القديمة والسيادة الوطنية.
٥- تحت ستار الدفاع عن الحرية الفردية تحاول أن تتجاوز الحقوق الإنسانية.
٦- السعي للمصلحة الذاتية والتحلل من القيود والمثل العليا.
٧- تضع الأحكام الذاتية بديلاً من الأحكام المثالية.
٨- يكون تحقيق الغاية مبرر لنوع الوسيلة المستخدمة.

ويقول عالم الاجتماع الأمريكي (رالف بارتون)(١٢):- (من الخطأ الافتراض بأن فكرة النجاح الأمريكي قاصرة على النجاح المادي، وإن ما هو أمريكي بصورة متميزة على الأخص ليس استبعاد الفن والأدب والعلم والدين بالركض وراء الثروة، بل هو أن تدخل في الفن والأدب والعلم والدين شيئاً من تلك الروح والموقف الذي يمثل الركض وراء الثروة أبرز خصائصه).

لذلك فإن هناك شكل من الاغتراب تخلقه وسائل الإعلام كنتيجة متحققة للفلسفة التي تعتمدها، ومن أشكالها(١٣):-

أ- الاغتراب الروحي: بطغيان الاتجاهات والمفاهيم السحرية والخرافية وضعف الروابط العقيدية التي ينطلق منها الأفراد في تفاعلهم الإنساني.

ب-الاغتراب الفكري: إن دفع الناس لاعتناق توجيهات فكرية وأيدلوجية غربية فهم تفقدهم القواسم الفكرية المشتركة وما يتتبع ذلك من تقلّص عناصر التفاهم وعدم الانسجام مع معطيات الواقع المطلوب لتغييره.

ج- الاغتراب القيمي الثقافي: إن الثقافة التي ينشأ عليها الإنسان هي التي تتحكّم به وتنظّم صلاته الذهنية والعاطفية بالناس، وتعد القيم جوهر ثقافة المجتمع لأنها تشكل أرضيتها العقائدية والأخلاقية والذوقية والجمالية، إن وسائل الإعلام المعاصرة خلقت أشكالاً قيميه جديدة تعمل على إضعاف بنية المجتمع وعلاقات الناس مع بعضهم.

د- الاغتراب التقني الاقتصادي: بتقييد حرية الإنسان لصالح الآلة وتقلل في إرادته وإنسانيته لأنه سيخضع للآلة التي كان يتحكّم بها ويطّورها، وهذا يقود إلى إضعاف الروابط الإنسانية وتنامي النزعة الاستهلاكية المفرطة.

هـ- الاغتراب الاجتماعي: بتعزيز روح العزلة والاعتزال الاجتماعية عن طريق ضعف تلاحم الفرد مع الجماعة وتتحّول العلاقات الإنسانية من طراز المعرفة الشخصية الوثيقة وما توفّره من دفء عاطفي إلى نموذج شكلي وسطحي للعلاقة الإنسانية ممّا يؤدي إلى اهتزاز الاستقرار الاجتماعي كذلك.

و- الاغتراب المظهري: الاستهلاك المظهري يؤلف جوهر الحياة في عالمنا المعاصر وما يثير الانتباه أن الإعلانات التجارية والسلع الكمالية تشكّل رقعة واسعة من نشاط وسائل الإعلام ما يجعلها أداة تحضيرية للإسراف والتبذير.

من الملاحظ أن المجتمع العربي يجد نفسه بفعل هذا الزخم في موقف لا يحسد عليه من حيث تأثره بعوامل التصدّع الاجتماعي ومواجهة تحدّيات التغّيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والتي أخذت رياحها تهب بعنف على أرض الواقع، وقد لعبت عوامل عديدة دورها في زيادة موجات التغيير الاجتماعي لاسيما بعد القفزة التكنولوجية الهائلة التي شملت وسائل الاتصال إذ ذاع انتشار الكثير من الأفكار والقيّم وأنماط الثقافات، وفي المقابل نجد أن ارتفاع معدلات التنمية في

الدول النامية ومنها المجتمعات العربية قد أفرز العديد من الظواهر الاجتماعية كالتحضّر، وهي ظواهر جلبت معها الكثير من مستجدات السلوك الانحرافي وعلى رأسها الجريمة.

لقد تعّرضت البنية الاجتماعية لهّزات عميقة شملت المؤسسات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد ترتّب على ذلك حالة تميّع القيّم ممّا فتح الباب على مصراعيه لأشكال الجريمة، وكذلك نجد أن زيادة معدّل تطوّر نسق الثقافة المادية عن أنماط الثقافة المعنوية أحدث إرباكاً وخللاً دخلا البناء الاجتماعي للمجتمع، وبسبب ذلك ارتفعت معدلات الجريمة في الوطن العربي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد إذ أن تطور وسائل الاتصال قرّب من المسافات بين الدول وعمل على سرعة ذيوع وانتشار نماذج وأشكال جديدة من الجرائم والانحرافات السلوكية.

وإنه لمن حسن الطالع أن معدّلات الجريمة في الوطن العربي ما زالت منخفضة بالقياس إلى الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذا القول لا يمنع من ضرورة اتخاذ تدابير لحماية المجتمع ووقايته من آثار الجريمة ومن الآثار السلبية وضرورة استخدام وسائل الإعلام بالتركيز على مراميها ومضامينها الايجابية انطلاقاً من أن نسبة الأميّة مرتفعة في أغلب أقطار الوطن العربي، كما أن نسبة كبيرة من المتعلمين هم أشبه بالأميين لاسيّما في ظل التطّور الحديث والمتسارع لوسائل الإعلام والمعلومات، إذ إنهم لا يمتلكون الحس الثاقب القادر على التمييز، ومن العملية النفسية الذاتية التي تتم داخل الفرد ذاته يكمن خطر التأثير الإعلامي المنحرف في تكوين شخصية سلبية معتادة إلى ما تتلقاه من معلومات وأفكار تقع تحت مسميات الحرية الثقافية والإعلامية، وتحمل مضامين وقيّم غربية وشخصيات خارج إطار المجتمع العربي في بعديه المحلي والقومي، كما أنها تقود إلى سلوك منحرف يتناقض مع منظومة القيم الاجتماعية والعقائدية والفكرية والإنسانية للمجتمع.

المبحث الثالث

الإعلام الأمريكي أنموذجاً

إن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية ،بنوعيها كبير والصغير، عبارة عن مشروعات تجارية ترمي إلى التسويق التجاري والثقافي، فهي الذراع الثقافية للصناعة الأمريكية، وهذه الحقيقة الأولية عن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي أن لا تبعد الأنظار عن معنى جوهري آخر لهذه الوسائل وعلاقتها بالنظام الاجتماعي والسياسي الأمريكي، وهي أن هذه الوسائل تعتبر بمثابة الأجهزة الأيديولوجية للنظام الحاكم وهي تعبّر عن نسق السيطرة السائدة في المجتمع الرأسمالي، وفي الوقت نفسه وسيلة لتعزيز هذا النسق.

وعلى هذا فإن منهج ومضمون وهدف وسائل الإعلام الأمريكية هو باتجاه نشر الأيديولوجية الغربية الرأسمالية بين دول العالم وتعزيزها وتكريسها داخلياً وخارجياً وهي تستخدم وسائل الإعلام من قبل ((المؤسسة الأمريكية الحاكمة تحت شعار حريّة الفكر وإشاعة التعبير الديمقراطي وغيرها من الأساليب الواضحة أو المستترة لبث أفكارها وقناعاتها ومفاهيمها الأيديولوجية، وإن هذا التخريب الفكري الذي تضطلع به المؤسسة الأمريكية يحمل قدراً كبيراً من التمويه المغّلف بذرائع مختلفة تلاءم السياق الذي تفرضه حالة دون أخرى))(١٤).

أولاً: أهداف الخطاب الأمريكي:

يستهدف الإعلام الأمريكي في توجّهه الخارجي الوصول إلى أشخاص يمثّلون النخبة في المجتمع وهو ما يراه الكاتب الأمريكي (جون بويتمان) الذي يرى أن المضامين الإعلامية الأمريكية ذات الطابع الدعائي التي ((يتم تسريبها إلى الخصم لخداعه إنما قوامها المعلومات الصحيحة والكاذبة والهدف هو صانعوا القرارات وليس الجمهور عموماً، وهي موجهّه نحو تضليل (الهدف) بخصوص قضايا أساسية))(١٥).

أما (لويس دوللو) فيؤكد على أن تركيز الولايات المتحدة الأمريكية لجهودها في تصدير المواد الثقافية والإعلامية من كتب ونشرات واسطوانات وغيرها إلى الخارج هو ((للوصول إلى الجماهير الواسعة أكثر من الوصول إلى أشخاص يمثّلون النخبة))(١٦). ويذهب الدكتور حامد ربيع إلى أن ((الدعاية الأمريكية وهي ترفض التسليم بإمكانية التحّكم في المواطن عن طريق التحكّم في الوسط الاجتماعي إنما يجعل التحكم يتم عن طريق التثقيف وهي تتجه إلى الطبقة المثقفة في المجتمع))(١٧). إلا أنه من الواضح أن الخطاب الدعائي الأمريكي هو خطاب مركز يتجه بقواه كافة نحو موضوعات عامة وخاصة في نفس الوقت. إذ يجعل جميع فئات الرأي العام تتجه باهتماماتها نحو نقاط معينة حقيقية أو مصطنعة فهو خطاب ذو عنصر خاص يتجه إلى فئات معينة من المجتمع وعنصر عام يتجه إلى جميع الفئات، أي أن الإعلام الأمريكي في خطابه الموجه إلى الخارج إنما يتجه بموضوعاته إلى ثلاث فئات رئيسة باللغة والرموز التي يفهمها والتي تكون مؤثرة فيه وهي:-

١- صناع القرار (السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي).
٢- الفئات المثقفة في المجتمع (النخبة).
٣- قطاعات الرأي العام الأخرى (الجماهير بشكل عام).

ثانياً: المضامين الرمزية للخطاب الإعلامي الأمريكي

يجري على نطاق واسع توظيف الفلسفة الأمريكية (الذرائعية) في هذا الخطاب عن طريق التبشير بالأخلاقية الذرائعية الساعية وراء (النجاح) وهي ((فلسفة أمريكية الهوى تقوم على وصف الحال والخضوع لأحكام الأمر الواقع من غير أن تمنح الإنسان فرصة التشبث بالمبادئ الأخلاقية والدينية والمثل العليا، وهي نسيج من المفاهيم الخيالية اللماعة التي تداعب الغرائز وتوحي بأنها وصفة سحرية تحل مشكلات الإنسان))[١٨] كما أنها تمثل نظام التضليل الاجتماعي وفلسفة للعمل (وحشّية، مستهترة وقاسية) في تعبيرها عن الفردية الرأسمالية، تحاول الطبقة الرأسمالية الأمريكية عن طريقها توسيع سيطرتها على الشعوب الأخرى تحت ستار معارضة المفاهيم القديمة للقومية والسيادة الوطنية كما تحاول أن تدوس على الحقوق الإنسانية باسم الدفاع عن الحرية الفردية[١٩] وهي فلسفة تسعى إلى تحقيق ((المصلحة الذاتية والتحلل من قيود المثل العليا، وتضع الأحكام الذاتية بديلاً عن الأحكام المثالية إذ يكون تحقيق الغاية مبرزاً لنوع الوسيلة المستخدمة وهي تظهر في مجتمعنا العربي المعرَّض لضغوط الغرب ونفوذه))[٢٠].

لقد انعكس التفكير الأمريكي (ألذرائعي) على الصعيد الإعلامي والسياسي عن طريق الترويج (للحلم) الأمريكي بغزو العالم بطريقة تعبر عن فلسفة النجاح والسيطرة والاستحواذ والهيمنة بالاعتماد على برامج نفسية وتربوية وعقائدية تتبع للسلطة الأمريكية غرضها تعبئة المواطن الأمريكي داخلياً لكل معركة تخوضها خارج الحدود تحت ستار حماية مصالح الأمة الأمريكية أو للبحث عن مجالات جديدة للاستثمار وبسط النفوذ وهو ما تحدث عنه بشكل تفصيلي الكاتب (ف. شنساكوف) في كتابه (مصائر الحلم الأمريكي في أدب الولايات المتحدة) معبّراً عن طبيعة المشروع الأمريكي للسيطرة وتعميم نموذج وطريقة الحياة الأمريكية على الشعوب

الأخرى، إذ يجري توظيف الفلسفة الذرائعية على صعيد الإعلام والثقافة في إطار ((الغزو الفكري المنظم للتبشير بخط الحياة الأمريكية وفلسفة النجاح والمشروع الأمريكي العالمي (الكوني) لبسط السيطرة والنفوذ بما يحقق أهداف الرأسمالية الأمريكية))[٢١].

وتستخدم وسائل الإعلام الأمريكية اللغة استخداماً مضللاً فهي تبدأ ((بالحديث أو الإعلان عن سلعة معيّنة وتنتهي بالحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان مما يعتبر تلاعباً بالجمهور، لذلك فهي تلجأ إلى استخدام رموز خاصة ذات قدرات على استثارة المتلقي))[٢٢]، وذلك عن طريق:-

١- تحفيز المتلقي من خلال أعطائه معلومات محددة في وضع معين تقود إلى انتهاج سلوك يختلف عن السلوك الذي كان ينتهجه قبل تلقيه للمعلومات ويتم ذلك عن طريق استخدام تحديدي _ وصفي للكلمة.
٢- وبالانطلاق من المعلومات المكتسبة يقوم المتلقي بعلمية انتقاء للموضوعات التي يتوجّه اهتمامه لها عن طريق استخدام تقويمي للكلمة تدفع المتلقي إلى ترجيع أو رفض موضوعات وأوضاع معيّنة.
٣- فرض معيار محدد للسلوك عن طريق التحريض على إنتاج سلوك معيّن حيال موضوعات أو أوضاع معيّنة. إن هذه الرموز اللغوية التي يجري استخدامها على نطاق واسع هي على ثلاثة أنواع رئيسية:-

آ: **رموز تحديديه _ وصفية:** تعتمد على وصف لوضع معيّن (اجتماعي، سياسي، اقتصادي) مثل كلمة مجتمع ديمقراطي، مجتمع ديكتاتوري .. الخ.

ب: **رموز تقويمية:** أعطاء تقويم ايجابي أو سلبي لهذا الوضع أو ذاك.

ج: **رموز تحريضية:** تحّف ز على دعم هذا الوضع أو مكافحته.

ثالثاً: شروط توظيف اللغة في وسائل الإعلام الأمريكية

إن توظيف اللغة كأسلوب من أساليب الدعاية والتضليل الإعلامي في وسائل الإعلام الأمريكية تجري عن طريق تداول الصور والمعلومات ومعالجتها وإحكام السيطرة عليها وإخضاعها للتأثير المتعمد بغية تحقيق استجابات لدى المتلقي تتناسب مع الهدف المحدّد، ويقدّم لنا عالم النفس الروسي موسكو فيس ثلاثة قواعد يتم بموجبها هذا التحويل هي[٢٣]:-

١- **قاعدة الانتقاء:-** للكلمة معاني عديدة تلتصق بها ولا بد لنا وفق هذا القاعدة من انتقاء معنى واحد ليكون هو الأساس في الربط فالمعنى العام للمصطلح ما يصبح خاصاً والخاص يأخذ شكل العام، فكلمة (قومية عربية) تأخذ في الدعاية الصهيونية والأمريكية مثلاً معنى خاص هو ((الشوفينية)) أو ((العدوانية)) فكل تواجد لهذه الكلمة (قومية عربية) في الإعلام الغربي والصهيوني يأخذ هذا المعنى.

٢- **قاعدة القسر:-** إن الكلمة الحاملة معنى تتقلص وتحيل إلى الانصهار بهذا المعنى فقط عن طريق تنظيم دقيق لإطار الحديث، فكلمة (الإسلام) مثلاً تتزامن دائما مع إطار يميل إلى تقوية المعنى الذي يعطيه الإعلام الأمريكي والغربي لهذه الكلمة إذ يتقلّص المعنى إلى الإرهاب، والتخلّف، والتعصّب. كذلك الحال مع لفظة (إسلامي) التي توحي بالتطرّف مقارنة مع لفظة (مسلم) التي تشير إلى الانتماء للدين.

٣- **قاعدة الأولوية:-** ونعني بذلك إن قيم مجموعة ما تنعكس عن طريق اتساق المعاني لتحتل الأولوية. فمثلاً كلمات (يهودي، أرض الميعاد، تحقيق السلام، حقوق الإنسان) لها قيمة إذ أن النسق أو الأولوية أعلى من تلك التي تشتمل عليها كلمات مثل: (الحقوق الفلسطينية، قومية عربية .. الخ) .

وانطلاقاً من إن استخدام اللغة في وسائل الإعلام الأمريكية ما هي إلا عملية تضليل دعائي لها هدف واحد كما هو الحال بالنسبة إلى لغة السياسة، فهو بلا شك التحريض في كل واحد منها، ووظيفتها هي تنظيم المحرّضات بهدف الوصول إلى الموافقة على تنظيم معيّن للمجتمع وخلق الاغتراب الذي هو وصف لروابط جوهرية داخل المجتمع الرأسمالي يعني ابتعاد الفرد عن جوهره الإنساني، وخلق الإحساس الوهمي بالاستنتاجات الخاصة المبرمجة مسبقاً وليس الوصول إلى القرار الحر فهي توّهم المتلقي عن قصد ولا تجعله يعرف الارتباطات الموجودة للمعلومات فهو يتقبل المعلومات مستسلماً[٢٤]، فإن الكاتب الأمريكي (ج. مون كراد) يقدّم لنا عدّة مبادئ لعمل وسائل الإعلام الأمريكية يجري فيها توظيف اللغة والرموز اللغوية التي تحدثنا عنها آنفاً وهذه المبادئ هي:-

١- مبدأ تعريف العناصر العاملة: ويتم ذلك عن طريق إعطاء صفات سلبية لجماعة أو شعب معيّن أو لعمل محدث معين: عصابة من إرهابيين/ الخارجين عن القانون/ هجوم وحشي/ مأساة مؤلمة .. الخ. ويجري إلصاق مثل هذه الصفات عادة بمن يقف موقفاً رافضاً أو معادياً للمصالح والأهداف الأمريكية وعلى هذا الصعيد يجري دائماً الترويج عبر وسائل الإعلام الأمريكية لإستراتيجية التهويل وذلك لإقناع الشعب الأمريكي بوجود خطر يهدّده من الخارج ولمقاومة هذا الخطر يجب زيادة نفقات التسلح[٢٥].

٢- مبدأ تحديد العلاقات: استخدام منطق وعظي – أخلاقي يتم عن طريقه تصوير الولايات المتحدة بأنها قوة كبرى تعتنق مبدءاً/ مثالياً/ وهي إذ تحارب فإنما تحارب من أجل نشر الحق والعدالة في العالم وذلك عن طريق إعطاء التبريرات الأخلاقية والمعنوية لعملية توسيع النفوذ الاقتصادي والسياسي ولكن الركائز الأخلاقية لهذه المحاولة ستتقوض فيما لو اكتشفت أنها ليست موجهة نحو

شعارات مثل، الحرية والتقدّم، حماية حقوق الإنسان، بل باتجاه أهداف أخرى مثل الحصول على المواد الأولية.

إن مروّجي الدعاية الأمريكية ينفخون في أسطورة (طهارة) الولايات المتحدة من الاستعمار وقد استخدم الأمريكان في التكتيك الدعائي بصورة واسعة مخفين وراء أهدافهم الحقيقية، فتحت شعار (الحفاظ على استقلال الدول وحمايتها) يجري إتباع أساليب التمويه الدعائي لتحقيق أهداف الولايات المتحدة الأمريكية(٢٦).

٣- مبدأ الاستجواب: أي استجواب العناصر الاجتماعية باسم مطلق للإنسان والعالم وتهديد بالعقوبة لمن لا يستجيب لها مقابل مكافأة الذين يؤمنون بها ومن هذه المنطلقات المطلقة: الديمقراطية، العدالة، السلام، حقوق الإنسان ... الخ، وتشكّل تلك مجموعة الشعارات الرئيسية التي ترفعها وسائل الإعلام الأمريكية والإدارة الأمريكية منذ فترة طويلة والتي يجري تحت ستارها تقييم موقف الأنظمة السياسية والشعوب في العالم ولكن الحقيقة هي غير ذلك إذ أن موقف هذه الأنظمة والشعوب من الولايات المتحدة ومصالحها وأهدافها وسياستها هو الذي يقرّر مبدأ المكافأة أو العقاب. إن وسائل الإعلام الأمريكية وهي تعتمد هذا المبدأ إنما تتحرّك في الواقع في عالم من الوقائع، ولكن علي صعيد مضلّل ومخادع لأنها لا تملك الطموح نحو استعمال رموز أساسها مضمون علمي حقيقي بل باستخدام رموز تهديديه فيما تحاول فرضه على المجتمع بواسطة إعلام قوامه الأخبار الموجهة والمنتقاة من الكمية الهائلة من الأخبار السياسية والاقتصادية والعسكرية المستجدة يومياً والمرتّبة بطريقة تجعلها تتناسب من جهة مع نوع معيّن من الرمز السياسي وصالحة من جهة أخرى لدفع المتلقين إلى أن يجروا بأنفسهم التركيب الذي توصي به هذه الوسائل ويتقبلوا مضامينها وكأنها معرفة اكتسبوها بجهدهم الخاص(٢٧). فالولايات المتحدة الأمريكية التي تسمي نشاطاتها الإخبارية منذ

الحرب العالمية الثانية بإستراتيجية الصدق ! تحاول عن طريق استخدام شعارات بسيطة تشمل عبارات ذات محتوى عاطفي، كالسلام وتقرير المصير ... الخ إلى إحداث تأثير في نفوس المتلقين وإن هذا التأثير يزداد بإزالة المصادر الأخرى للمعلومات أو التشويش عليها.

٤- مبدأ التحويل: أي تحويل مضامين العلاقات الاجتماعية من صعيد حقيقي ومحسوس إلى صعيد وهمي وأسطوري. فوسائل الإعلام الأمريكية تقدّم نموذجاً مصطنعاً زائفاً يتماشى مع محتوياتها الفكرية بدلاً من أن تقدّم نموذجاً حّياً من واقع الحياة ((فحن حين نقتدي بنموذج مبني على الحقائق المنطقية والمبادئ العامة سوف نصل إلى نتائج محدّدة بما يساعدنا على حل بعض المشاكل وعكس ذلك سيحصل إذا كان النموذج مصطنعاً وزائفاً))(٢٨) لذلك فإن هذه الوسائل تقدّم للعالم على سبيل المثال إنموذجاً للاستهلاك والتماثل الثقافي شبيهاً بـ American Way Of Life نمط العيش الأمريكي في سبيل خلق التأثير الأمريكي على الثقافة الجماهيرية وأخلاقيات الشباب وطراز الحياة وتطبيق كلمة (الأمركة) أي جعل الأشياء أمريكية أي الأشكال الخارجية للسلوك الأمريكي النموذجي المعاصر إلا أن نشر هذا النموذج الأمريكي والذي يؤدّي إلى إمكانية رفاهية اقتصادية أعظم يمزّق في الوقت نفسه المؤسسات الاجتماعية القائمة وينسف الأخلاقيات السائدة(٢٩)، ويرى الكاتب الأمريكي (ب-غلينسون) أن الحلم الأمريكي (نشر الأمركة) قد تحوّل في القرن العشرين إلى وهم وأصبح وسيلة للدعاية الأيديولوجية إذ أن هذا الحلم قد تكّيف أكثر لأهداف التمويه الأيديولوجي وارتبط بشكل مباشر بالفلسفة الأخلاقية الأمريكية التقليدية الساعية نحو النجاح والتفوّق(٣٠). إن الخطاب الإنساني الذي تتوجه به هذه الوسائل نحو العالم هو خطاب مليء بالإغراء الاستعماري(٣١). وهو يعمل حسب قول الكاتب الفرنسي

(جان بيرك)، على أن يفرض على العالم طريقة وعي وصياغة مجتمعات وفق فكرة التماثل مع الآخر أي جعل الآخرين متشابهين[٣٢].

٥- مبدأ العمل: تحفيز العناصر العاملة على العمل أي عرض أهداف عملية ووسائل إستراتيجية وتكتيكية ينبغي الوصول إليها فإن نشر الأمركة مثلاً يتطّلب التحريض على الاستهجان لدى الشعوب الأخرى إذ يتركّز العمل بشكل مباشر على إبداء التحريض التجديدي[٣٣]. عن طريق استخدام الموز اللغوية فإنه يمكن دفع مجموعة من الناس للسير في الشوارع وإلى تحريض مجموعة أخرى على قذف المجموعة الأولى بالحجارة[٣٤].

وعموماً فإن الهدف الاستراتيجي الذي تسعى له وسائل الإعلام عن طريق اعتماد هذه المبادئ والرموز هو دفع المخاطب أو المتلّقي إلى تبنّي نمط من السلوك والتفكير يتطابق مع مصالح وأهداف المحرّض الذي تمثّله هنا وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها.

٦- مبدأ الارتباط والارتكاز: وذلك بالاستناد إلى أيديولوجية الساسة السائدة أو الدين المسيطر في وسط اجتماعي – تاريخي معين، وتعتمد قوة التأثير على إضفاء الشرعية والتعبئة على تماسك هذا الربط والارتكاز. فهي تحاول مثلاً فرض القبول بالنظام الاجتماعي السائد وتدافع عنه على أنه نظام طبيعي وبالتالي تحديد الذين يهاجمونه بأنّهم ضد الطبيعة[٣٥]، ويرى الكاتب (جير لكيرك) بان الخطاب الإعلامي الأمريكي له ظاهر وباطن الظاهر هو إقامة نمط من التفكير مرتبط به ومنضوي في بنائه الفكري والمنهجي، والباطن تشكيل مضمون أيديولوجي يخدم في المصلحة النهائية الغايات التي تسعى لتحقيقها[٣٦]. فوسائل الإعلام الأمريكية تأخذ من أرض الواقع إلى مختبر الفكر ومن مختبر الفكر إلى أرض الواقع

بمعيار القياس الأمريكي الوحيد (البراجماتية) أي قيمة النتيجة الناجحة بغض النظر عن غير ذلك من القيم[٣٧]، ويرى الكاتب (هربرت ماركوز) بأن الأيديولوجية الخلفية للسيكلوجيا الأمريكية وتطبيقاتها في مجال التربية ووسائل التوجيه الفكري والإعلامي قد ساهمت في تثبيت التكّيف مع متطلّبات الوجود العمقي ومحاربة الخروج عليه ووصف الخارج عنه بالمخرّب الطوبائي ومحاصرة الرافض لهذا الواقع عن طريقين: وسائل التوجيه العقلي والإعلامي وممارسة القمع ضد المجتمعات الأخرى[٣٨].

إن هذا النشاط هو جزء من إستراتيجية سياسية وإعلامية متكاملة ترمي إلى تدمير المجتمعات الأخرى واحتوائها وإعطائها جرعات تدريجية من فكر مضاد يسمح في المرتبة الأولى بحماية المصالح الأمريكية، وهذا يتطلّب في بعض الأحيان ممارسة الضغط على الكيانات التي تكون اهتماماتها الوطنية لا تنسجم مع القيّم الأمريكية التقليدية[٣٩]، ولا شّك أن جزءاً كبيراً من مهمة ممارسة الضغط تقع على عاتق وسائل الإعلام الأمريكية. وبشكل عام فإن وسائل الإعلام الأمريكية، عن طريق خطابها الإعلامي وكذلك في السياسة الخارجية الأمريكية، ستار كثيف من الدخان وهنالك الأقنعة التي تغلف بها أمريكيا نواياها وأهدافها الحقيقية أو ثوابتها التي هي بسط السيطرة على العالم وتوسيع دائرة النفوذ الأمريكي انسجاماً مع هذه المصالح، أما المتغّيرات فهي الأسلوب أو الطريقة لتحقيق هذه الأهداف.

الخاتمة

تغطي قوّة الإعلام عبر مضامين رسالتها الاتصالية أو قدراتها التكنولوجية التقنية وجه العالم المعاصر وهي بذلك قد أضفت آثاراً واضحةً في جميع ميادين ونواحي الحياة المعاصرة وهذه القوّة تتناسب مع الإمكانيات السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى العسكرية لدول العالم فهي تتّسم بالفعّالية والانتشار والتأثير في هذا الموقع الإعلامي فيما قد يشوبها الضعف في مناطق أخرى تبعاً لقوّة وإمكانيات الدول التي تمتلك هذه الوسائل وتسييرها لحساب تحقيق مصالحها وأهدافها المشروعة أو غير المشروعة وهذه القوة الفاعلة للإعلام تنطلق من ركائز فكرية عقائدية محّددة تشكّل فلسفة الرسالة الإعلامية – الاتصالية وتؤطر أهدافها ومراميها وغاياتها وتتحكّم في أداء العاملين على إصدارها وتشكّل الضوابط التي قد ترسم ملامح حارس البوابة الإعلامية الذي يسيطر على جريان وتدفّق ومسار المادة الإعلامية من مصدرها الأساسي حتى وصولها إلى المتلقي.

و الإعلام أصبح قوّة وركيزة من ركائز السياسة الخارجية للدول أو البناء الداخلي لها ولا يقل أهميّة عن الركائز والأسس الأخرى الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وكذلك العسكرية.

الإعلام ... فلسفة القوة
الإعلام الأمريكي إنموذجاً
مجلة آداب الفراهيدي
عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
د. سلام خطاب أسعد
العدد (٤) أيلول ٢٠١٠

الاستنتاجات

١- زيادة فعالية وتأثير وسائل الإعلام الجماهيرية خلال النصف الأخير من القرن العشرين لاسيما برامج التلفزيون المنقولة عبر الأقمار الصناعية.

٢- هنالك علاقة شديدة الصلة بين السياسات الخارجية للدول وتشكيل الرأي العام الوطني والعالمي عن طريق استثمار وسائل الإعلام في ذلك.

٣- إن النشاط الإعلامي لا يتم من فراغ ولكنه يرتبط بالمؤثّرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية السائدة داخلياً وعالمياً.

٤- أصبحت أدوات الإعلام وسائل يستعين بها الإنسان في الدعاية لفكرة ما أو لمقاومة أنظمة سياسية أو التصدّي لأفكار ونظم الآخرين على نحو جعل الصراع بالكلمات تسبق أو تصاحب أو تلاصق قعقعة السلاح.

٥- هنالك علاقة طردية متينة بين نمو الرأسمالي العالمي ونمو وسائل الإعلام وتطوّرها.

٦- إن الفلسفة الذرائعية التي يعتمد عليها الإعلام الغربي في مبادئه العامة يخلق أنواع متعّددة من الاغتراب لدى الفرد والمجتمع.

٧- يعتبر الإعلام الأمريكي نموذجاً ملائماً لدراسة قوّة وتأثير الإعلام المعاصر على حياتنا المعاصرة عن طريق تميّزه في عدّة محاور أساسية لعلها لغة الخطاب الإعلامي الذي يعتمده وإمكانياته التقنّية المتطوّرة.

الهوامش

(١) جيهان أحمد رشتي/ الأسس العلمية لنظريات الاتصال/ دار الفكر/ القاهرة/ ١٩٧٥ ص٣٠.

(٢) د. محمد عبد الحميد/ نظريات الإعلام واتجاهات التأثير/ ط٢/ عالم الكتب/ القاهرة/ ٢٠٠٤/ ص ٥٦.

(٣) مجيد هاشم/ الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة/ دار الجليل/ عمان/ ٢٠٠٣ وكذلك د. أسماء حسين حافظ/ تكنولوجيا الاتصال الإعلامي والتفاعلي في عصر الفضاء الإلكتروني/ عالم الكتب/ القاهرة/ ٢٠٠٥.

(٤) د. جيهان أحمد رشتي/ م.س.ذ/ ص ٥٣.

(٥) د. صالح أبو إصبع/ سكلوجيا الإعلام/ مجلة شؤون عربية/ بيروت/ ع ١٩٨٢/١٧ ص١٧٣.

(٦) العياضي نصر الدين/ مدخل منهجي إلى سوسلوجية الإعلام/ مجلة دراسات عربية/ س ٢٣/ ع٥/ آذار ١٩٨٧/ ص١٠٠.

(٧) اسكندر الديك/ الإعلام السلطة الرابعة/ مجلة الفكر العربي المعاصر/ معهد الإنماء القومي/ بيروت/ ع١/ أيلول ١٩٨٦/ ص٣٨.

(٨) هربت شيللر/ المتلاعبون بالعقول/ عالم المعرفة/ الكويت/ رقم ١٠٦/ ص١٨٧.

(٩) اليونسكو/ الكتاب السنوي/ باريس/ ٢٠٠٠/ ص ٥٨.

(١٠) المهدي المنجره/ الحرب الحضارية الأولى/ دار عيون/ الرباط/ ١٩٩٢/ ص٣٧٥.

(١١) حسام محي الدين الآلوسي/ الفلسفة الذرائعية/ عرض ونقد/ من كتاب الثقافة العربية والتحدي/ مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت/ ١٩٩٥/ ص٦٣.

(١٢) المصدر نفسه/ ص٦٥.

(١٣) د. قيس النوري/ الاغتراب وتحديات العصرنة/ مجلة آفاق عربية/ بغداد/ ع١١/ ت٢/ ١٩٩٣/ ص٢٤.

(١٤) جاك بريفير/ العدوانية الأمريكية في الحياة والثقافة/ ترجمة سامي محمد/ مجلة آفاق عربية/ العدد ٢/ نيسان ١٩٩١/ ص١٣٢.

(١٥) ديفيد جريز/ حرب الدعاية/ ترجمة مركز البحوث والمعلومات/ بغداد/ ١٩٨٤/ ص٣٩.

(١٦) العلاقات النضالية الدولية/ ترجمة بهيج عثمان/ منشورات عويدات/ بيروت/ ١٩٧٤/ ص١٠٣.

(١٧) د. حامد ربيع/ فلسفة الدعاية الإسرائيلية/ بيروت/ مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية/ بلا ت/ ص٧٣.

(١٨) د. حسام محي الدين الآلوسي/ م س/ ص١٢٢.

(١٩) المصدر نفسه/ ص١٢٤.

(٢٠) د. سعدون حمادي/ القومية العربية والمثالية/ مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت/ ١٩٩٥/ ص١٠٥.

(٢١) ف. شنساسكوف/ مصائر الحلم الأمريكي في أحرب الولايات المتحدة/ ترجمة د. ضياء نافع/ بغداد/ ١٩٩٠/ ص٢٢.

(٢٢) جورج كلاوس/ لغة السياسة/ ترجمة ميشيل عيلوم دفستق/ وزارة الثقافة/ ١٩٧٧/ ص١٢٣.

(٢٣) د. فريال مهنا/ تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري/ دمشق/ دار طلاس للنشر/ ١٩٨٩/ ص١٨٤.

(٢٤) جون كراد/ تحليل اجتماعي للتكيف الاجتماعي بواسطة وسائل الإعلام/ مجلة شؤون فلسطينية/ بيروت/ العدد ١٨/ شباط/ ١٩٧٣/ ص٥٨.

(٢٥) بسام طيبي/ الاستعمار الجديد والفاشية الأمريكية/ مجلة دراسات عربية/ بيروت/ العدد ١١/ آب ١٩٧٧/ ص٢٥.

(٢٦) كلود جوليان/ الإمبراطورية الأمريكية/ ترجمة فريد شاهين/ بيروت/ دار الحقيقة/ ١٩٧٠/ ص٤٢.
(٢٧) كارن بروتنتس/ الاستعمار الجديد: جوهره وأساليبه/ موسكو/ دار التقدم/ ب.ت/ ص١٦٤.
(٢٨) جوزيف فرانكل/ العلاقات الدولية/ ترجمة د. غازي عبد الرحمن/ جدة/ دار تهامة للنشر/ ١٩٨٢/ ص١٢٦.
(٢٩) زينغيوبريجنسكي/ بين عهدين/ ترجمة مركز البحوث والمعلومات/ بغداد/ ب.ت/ ص٣٦.
(٣٠) نقلاً عن شتناكوف/ م. س/ ص٩.
(٣١) المصدر نفسه/ ص٣٦.
(٣٢) المصدر نفسه/ ص٤٠.
(٣٣) جورج كلاوس/ م. س/ ص٤١.
(٣٤) عبد الإله الخزرجي/ لغة الدعاية/ بغداد/ بلا مطبع/ ١٩٨٤/ ص٣٨.
(٣٥) مطاع الصفدي/ خطاب التقدّم العربي/ مجلة الفكر العربي المعاصر/ بيروت/ حزيران/ ١٩٨٥/ ص١٧.
(٣٦) د. قيس النوري/ م.س/ ص٣٦.
(٣٧) محمد حسنين هيكل/ زيارة جديدة للتاريخ/ بيروت/ شركة المطبوعات/ ١٩٨٥/ ص٤٣٠.
(٣٨) محمد رضا مبارك/ لغة الخطاب الإعلامي الأمريكي/ مجلة آفاق عربية/ بغداد/ العدد ٢/ نيسان/ ١٩٩١/ ص١٣٩.
(٣٩) د. مختار التهامي/ فلسفة الدعاية الأمريكية/ مجلة قضايا عربية/ بيروت/ العدد ٢/ أيار/ ١٩٧٥/ ص١٤٧.

تكنولوجيا الاتصال الحديثة ودورها في تطور الصحافة

م. جمال عسكر مضحي
جامعة تكريت/ كلية الآداب / قسم الإعلام

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤلات التالية

١- مامستويات استفادة الصحف من الانترنيت.

٢- مادور الاقمار الصناعية في تطور تقنيات الاتصال.

٣- مادور القمر الصناعي العربي في تطور تقنيات الاتصال ومدى استفادة الصحف منها.

٤- مادور تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتقنيات الطباعة في تطور الصحافة.

اهداف البحث

١- التعرف على تطور تكنولوجيا الاتصال.

٢- التعرف على تطور تكنولوجيا الطباعة.

٣- التعرف على مدى استفادة الصحف من ثورة الانترنيت.

٤- التعرف على التطورات الحديثة في تطور الصحافة.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي للوصول الى أهداف البحث لأنه من انسب المناهج لتحقيق أهداف البحث.

المبحث الأول

تكنولوجيا الاتصال الحديثة

تنشد مجتمعات العالم الثالث التقدم للحاق بركب الدول الصناعية و أن تتبوأ مركزها المرموق بين الأمم وتحاول الدول العربية اليوم اللحاق بهذا الركب من خلال الاستفادة من مختلف فنون المعرفة والعلوم التي يتميز بها العالم المتقدم.. ومن ابرز تلك العلوم هي التكنولوجيا. والتي يمكن تعريفها بأنها: ((مجموعة من النظم والقواعد التطبيقية وأساليب العمل التي تستقر لتطبيق المعطيات المستحدثة لبحوث أو دراسات مبتكرة في مجالات الإنتاج والخدمات كونها التطبيق المنظم للمعرفة والخبرات المكتسبة والتي تمثل مجموعة الوسائل والأساليب الفنية التي يستخدمها الإنسان في مختلف نواحي حياته العملية وبالتالي فهي مركب قوامه المعدات والمعرفة الإنسانية. وعرفها أسامه ابن الخولي بأنها: (عبارة عن مجموعة من المعارف والخبرات المكتسبة التي تحقق إنتاج سلعة أو تقديم خدمة وفي إطار نظام اجتماعي واقتصادي معينأما محمد مرآتي فقد عرفها بأنها (مجموعة من المعارف والخبرات والمهارات اللازمة لتصميم ولتصنيع منتج أو عدة منتجات وإنشاء مشروع لهذا الغرض)[١]

ومن خلال ما تقدم ظهرت لدينا مصطلحات ثلاث هن:-

١- تكنولوجيا الاتصال.

٢- تكنولوجيا المعلومات.

٣- تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وحقيقة الأمر انه برز الاهتمام بالتفاعل الاجتماعي من خلال الحاسب الآلي في سياق تنظيم الحياة اليومية خلال القرن العشرين. حيث عرف البريد الالكتروني وشبكة الانترنت وخلق لنا ظواهر جديدة مثل التسوق عبر الانترنت. والحصول على عمل وأدائه من المنزل وكذلك جماعة الدردشة. لقد خلق بالفعل مجتمع اتصالات أو

ما يسمى المجتمع السبرنطيقي وهي تسمية تطلق على شبكة الاتصالات الفضائية التي تتسم بوجود تخيلي افتراضي. وقد كان الناس يشيرون في الماضي إلى إن (تكنولوجيا المعلومات) يقصد بها استخدام الحاسب الآلي أو عملية معينة من عملياته لغرض معين، على نحو ما يحدث في الاستخدام الآلي للمعلومات في ضبط الأعمال الإدارية والسيطرة عليها ميكانيكياً[٢].

لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطور تكنولوجيا الاتصالات من خلال خمس ثورات أساسية، تمثلت الثورة الأولى في تطور اللغة والثورة الثانية في الكتابة، واقترنت الثورة الثالثة في باختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر، وبدأت معالم ثورة الاتصال الرابعة في القرن التاسع عشر مع اكتشاف الكهرباء والموجات الكهرومغناطسية والتلغراف والتصوير الضوئي والفوتوغرافي والسينما والهاتف، ثم ظهور الراديو والتلفزيون في النصف الأول من القرن العشرين. أما ثورة الاتصال الخامسة فقد أتاحتها التكنولوجيا في النصف الثاني من القرن العشرين من خلال اندماج ظاهرة التفجر المعلوماتي وتطور وسائل الاتصال وتعدد أساليبه وأشكاله واستخدام الحاسب الآلي والأقمار الصناعية، ولقد أدى ذلك إلى ظهور خدمات الاتصال الحديثة وأهمها: الإنترنت، والتلفزيون الكابلي والتلفزيون منخفض القوة، والفيديو كاسيت والفيديو تكست، والتليتكس [٣].

إن تكنولوجيا الاتصال ومنجزاتها المستمرة وسريعة التطور وما يتصل بها من تكنولوجيا المعلومات، إنما يمثلان ثورة أخرى انطلقت مع تصاعد الإحساس بان الواقع الاتصالي القائم لم يعد كافياً للوفاء باحتياجات ذلك المجتمع الجديد، وتلك البيئة الجديدة، وهكذا وجدنا على مدى تاريخ العمليات الاتصالية التي فرضها وجود الإنسان كمخلوق لا يمكنه أن يعيش بدون اتصال بالآخرين والذي تصفه بأنه مخلوق اتصالي، وجدنا أن كل مجتمع جديد، وكل بيئة جديدة إنما تخلق أدواتها الاتصالية التي تعبر

عنها، وتوفر لها الممارسات الاتصالية اللازمة التي تتطلبها آليات ذلك المجتمع الجديد، وتلك البيئة الجديدة وعندما نقول تكنولوجيا الاتصال فإنما نعني مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وانتاجها وتخزينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها أي توصيلها الى الأفراد والمجتمعا [٤].

وعلى الرغم من اتجاه المؤسسات الإعلامية العربية الى تحديث بنيتها التكنولوجية عبر الكومبيوتر الذي يتنبأ العلماء بانفجار لم يسبق له مثيل في النشاط العلمي من الآن وحتى العام ٢٠٢٠م [٥].

وقد تطورت تكنولوجيا الاتصال الحديثة في مجال البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية وخاصة ما يتعلق منها بالنقل التلفازي عبر الأقمار الصناعية بإحدى طريقتين، تعتمد الطريقة الأولى على توصيل الاتصال من موقع الى آخر، وتعتمد الطريقة الثانية على نقل الاتصال من نقطة الى مجموعة من النقاط عبر مساحة شاسعة. وتخشى الإذاعات التقليدية من البث المباشر عبر الأقمار الصناعية وما يسببه من مشكلات عديدة تتعلق بسيطرة الدول العظمى على هذا النوع من الاتصال وتدفق المعلومات. وتستخدم الاتصالات الفضائية في توفير الاتصال في اتجاهين ونقل المحادثات الهاتفية بين الدول والقارات، وعقد المؤتمرات عن بعد وتسهيل الأعمال والخدمات[٦].

ولقد شهد عقد السبعينيات من القرن الماضي تطوراً ملحوظاً نحو تحقيق البدايات الأولى للبث التلفازي الفضائي المباشر، ذلك لان الشبكات التلفازية الإقليمية الموجودة في معظم أنحاء القارات الخمس وارتباط هذه الشبكات بعضها ببعض يتيح لاكثر من مليار مشاهد في أكثر من ستين دولة مشاهدة البرامج الحية التي تذاع من

مناطق أخرى بعيدة أو التي تذاع في معظم المناطق في وقت واحد. وكان لهذا الإرسال المباشر بالصوت والصورة على النطاق العالمي.

لقد اقتلع البث التلفازي الفضائي الملايين من حياتها التي اعتادت ان تعيشها على الرغم من اعتراض الحكومات على الصور والمعلومات والإيحاءات وكل ما يبث، إلا أنها لم تعد تستطيع أن تنشر سيادتها على فضائها الجوي أو التحكم فيه، فالمراقبة أصبحت مستحيلة عملياً ولم يعد للدول في هذا المجال سوى خيار واحد هو تسهيل الاتصال وسريان الإعلام لفائدة الشبكات العالمية التي يقوم مديروها بوضع أسس التحكم في الصور والمعلومات، وفي عملية تداولها والإشراف على معالجتها وتخزينها وتنقيحها واحكام السيطرة عليها وتوظيفها لتحقيق الأثر المطلوب في مواقف الإنسان وسلوكه[٧]. ويعتبر روبرت مردوخ ومجموعته (نيوز انترناشيونال) الأوائل في تسويق البرامج التلفازية الفضائية، حيث قام في الثمانينيات بشراء مؤسسة تلفازية صغيرة تبث عبر الأقمار الصناعية، وهي في بدايتها، وقام بتفعيلها من اجل خلق قناة أوربية مختصة في التسلية اسماها (سكاي نيوز) لكن التجربة أخفقت، وذلك لعدم اهتمام كبار الأسواق التلفازية بها في دول الجوار كفرنسا وبريطانيا. وعلى أثر ذلك تمت عملية إعادة توجيه سكاي نيوز بحصرها في بريطانيا والدول المتعودة على التقاط برامجها. وقد سرع نظام التلفاز الرقمي عملية تطور البرامج التلفازية عبر الأقمار الصناعي[٨].

ويعرف البث الفضائي المباشر عبر الأقمار الصناعية انه (ذلك الاتصال الذي يتم بصفة آنية من محطة الإرسال مباشرة الى جهاز التلفاز الفردي دون أي وسيط، بواسطة ذلك الجهاز المسمى بالهوائية المقعرة، ويتمثل هذا الإرسال بالاتصال الإذاعي الذي لا يتقيد بحدود المكان والزمان [٩]. إن البث الفضائي هو الإرسال القادم من خلف الحدود عن طريق أقمار البث المباشر، ومن ثم استقباله من قبل الجمهور

في المنازل أو أي مكان آخر يتم دون تدخل من قبل المسؤولين، طالما كان الجمهور في نطاق المناطق المستهدفة ويستخدم الهوائيات الطبقية الصغيرة المناسبة. والبث الفضائي بهذا المعنى هو: (الرسالة التلفازية الدولية الوافدة عبر السواتل متخطية الحدود السياسية والعوائق الجغرافية، وتحول دون إمكانية إخضاع هذا البث الوافد لاختيارات حراس البوابات والرقباء) [١٠].

ومما تقدم نستطيع القول أن البث الفضائي هو الإرسال التلفازي من خلف الحدود عبر السواتل ويصل الى المتلقي دون أي تدخل من الجهات المعنية بالإعلام في هذه البلدان.

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة تطلق قمراً صناعياً تجريبياً للبث المباشر وهو القمر المتزامن (AST- 6) الذي وضعته وكالة الفضاء الأمريكية NASA تحت تصرفها لتقديم خدمات تلفازية مباشرة، ثم تطور الأمر عام ١٩٨٢ عندما أصبحت شركة كومسات الأمريكية في المقدمة في هذا المجال، حيث بدأت النقل التلفازي باستخدام الأقمار المباشرة ذات القدرة المتوسطة مع بداية عام ١٩٨٣[١١].

لقد شهدت الخريطة العالمية للاتصالات عبر الفضاء تطورات تقنية وإعلامية هائلة فمنذ أن وضع أول قمر للاتصال في منتصف الستينيات في مدار قريب من الأرض وحتى نهاية عقد التسعينيات من القرن الماضي أصبحت تقنية الاتصال عبر الأقمار الصناعية عنصراً ملازماً لكل مظاهر الحياة العصرية كما في البث التلفازي المباشر عبر شبكات الأخبار العالمية. إن التطور الهائل في مجال الاتصال عبر الأقمار الصناعية وضع دول العالم الثالث أمام تحديات إعلامية كبيرة يفترض أن تضعها في الحسبان عندما تريد أن تواكب المتغيرات السريعة الهائلة في مجال الاتصالات، أو تريد أن تخفف من حدة الآثار السلبية الناتجة عن البث الفضائي

الوافد إليها على الأوضاع السائدة فيها اجتماعياً وثقافياً وسياسياً بل وحتى نفسياً، ذلك ان البث الفضائي الوافد يسعى الى خلق عقل تابع أو تصدير عقول خاوية إلا من آليات نظام السوق الاستعمارية في رسم علاقة بين المنتج والمستهلك. فالنظر الى نموذج الإعلان الذي تزدحم به القنوات الفضائية انه يهدف الى إثارة شهية غير القادرين على امتلاك مالا يستطيعون ويقودهم الى الإحباط والى إيجاد جيل ليس للمواد المعلنة فقط بل الى نمط حياة غريبة عن الخصوصية لشعوب العالم الثالث [١٢]. وبشكل خاص يبدو ظاهرياً أن الهدف التقليدي لفكرة الاختراق الثقافي التلفازي الفضائي هو التفاعل الحضاري ولكنه في الواقع يمثل السلب الحضاري.

ولا بد من الإشارة الى إن وجود البث المباشر عبر الأقمار الصناعية في أيدي قلة من الدول قد تساعد على هيمنة إعلامية تهدد الهوية الثقافية والوطنية، ففي الوقت الذي تتيح التكنولوجيا الحديثة آفاقاً جديدة لتطوير وسائل الاتصال فإنها تخلق أيضاً مشكلات وأخطاراً حيث أن هذه التكنولوجيا قد لا تكون دائماً أداة صالحة لجميع الأغراض [١٣].

وتعد محطة BBC البريطانية التي بدأت البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية عام ١٩٨٦ من أهم القنوات الدولية الوافدة في العالم الثالث وتهيمن هذه المحطة بشكل مطلق على البث التلفازي في بريطانيا والعالم الثالث. وفي عام ١٩٩١ ببث برامج عبر المحطة التجارية ولمدة ٢٤ ساعة مغطية آسيا وأوربا وأمريكا والمنطقة العربية ودول العالم الثالث بهوائيات صغيرة الحجم أو بأسلوب إعادة البث بواسطة محطة وسطية ومن خلال الكابلات [١٤].

المبحث الثاني

ظهور شبكة الانترنت

ودور القمر الصناعي العربي في تطور تقنيات الاتصال

يذكر انه في عام ١٩٥٦ نشر مؤلف روايات الخيال العلمي (ايزاك سيمون) روايته الخيالية ((الشمس العارية))، وقد تحدث فيها عن مجتمع يمتاز بسمات تسير أموره بالوسائل والنظم السبرنطيقية، والغريب انه في ذلك التاريخ كان الحاسب الآلي ما يزال يحبو. وتتكلم هذه الرواية عن عالم يتكلم أفراده مع بعض، ويرى بعضهم البعض دون أن يلتقوا عن طريق الصور ثلاثية الأبعاد(١٥). وبعد عقد ونيف من تأليف هذه الرواية تحققت نبوءة (ايزاك) عن طريق الانترنت وأصبحت حقيقة واقعة نلمسها يومياً، حيث انه في عام ١٩٦٩ بدأت فكرت اختراع الانترنت كنظام اتصالات أقامته وزارة الدفاع الأمريكية لتمكين العسكريين من متابعة عمل الحكومة (١٦). بالاشتراك مع عدد كبير من الجامعات التي تعمل على أبحاث ممولة من وزارة الدفاع الأمريكية، وقد أطلق على هذه الشبكة في البداية أربا (ARPA) وهي مختصر للعبارة الإنكليزية (The Advanced Research Project Administration) وكان الهدف من إنشاء هذا المشروع تطوير تقنية تشبيك كمبيوتر يصمد أمام أي هجوم عسكري نووي تشنه روسيا ضد الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الباردة التي كانت دائرة فيما بين البلدين طيلة منتصف القرن الماضي، وقد صممت شبكة أربا عن طريق خاصية إعادة التوجيه الديناميكي (Dynamic Rerouting) وهي عملية تسمح على تشغيل الشبكة بشكل مستمر حتى في حالة انقطاع إحدى الوصلات أو تعطيلها عن العمل في حالة تعرضها إلى أية ضربة.

ونتيجة للزخم الذي حصل عليها بسبب الاستخدام الواسع لها من قبل الجامعات والمعاهد العلمية بالإضافة إلى القنوات العسكرية التي أنشأت بالأساس لها. أصبح من الضروري إنشاء شبكة جديدة، وبذلك ظهرت شبكة مل نت (MILNET)

لتخدم المواقع العسكرية فقط، وبهذا تفرغت (أربا نت) للاتصالات غير العسكرية مع بقائها موصولة مع (مل نت)من خلال برنامج اسمه بروتوكول ""انترنيت""(١٧).

وتوسع هذا الربط وشمل أكثر من (٤٠) موقعاً مختلفاً في السبعينات من القرن الماضي ولم تصبح (الاربانيت) العمود الفقري للانترنت إلا سنة ١٩٨٣ م حين عزلت وزارة الدفاع الجانب العسكري للشبكة وأدمجت (الاربانيت) المدني في شبكة المؤسسات القومية الأمريكية للعلوم (NSF) التي تكفلت بتمويل تنميته حتى أواسط التسعينات تاريخ تعويضه بمجموعة من الشبكات الكبرى المتداخلة والمستغلة من طرف شركات الاتصال الكبرى مثل(MCI net) و (Sprint net) وغيرها وهو ما فتح للانترنت التطور التجاري الواسع(١٨).

وأصبحت الانترنت عبارة عن بروتوكول تكنولوجي لربط مجموعة من الشبكات التي تتداخل مع بعضها البعض وتتواصل مؤلفة مزيجاً من الشبكات تعمل بنظام مفتوح لكل هذه الشبكات حتى أصبح يطلق عليها شبكة الشبكات(١٩).

ومثلما فرضت نفسها كشبكة معلومات فإنها فرضت نفسها بالقدر ذاته (وسيط الوسائط) الاتصالية بلا منازع، وتجلى عظمتها في قدرتها على احتواء الوسائل الأخرى كمصادر للمحتوى. ويمكن لنا أن ندرك قيمة الانترنت، كوسيلة اتصالية، من نظرة الباحثين إليها بكونها حداً فاصلاً في مسيرة الإعلام والاتصال من حيث التقسيم إلى ما قبل الانترنت وما بعدها، ويتوقع أن يكون الانترنت وسيلة اتصالية قائمة بحد ذاتها، وبخصائص تميزها عن ما سواها من جميع وسائل الاتصال، بحيث إن الانصهار ألمعلوماتي الذي ينتج منها نتيجة اتحادها مع وسائل الإعلام الأخرى، سيؤدي إلى تغيرات جذرية في مفهوم الاتصال والعلاقة مابين منتج الرسالة الإعلامية وموزعها ومتلقيها.واضحى اليوم لدينا ما يعرف بإعلام الانترنت والذي يشمل الصحافة الالكترونية بالإضافة إلى الإشكال الأخرى. ويمكن أن نعرف الإعلام الانترنتي: بأنه

هو كافة أشكال الإعلام الناتج عن عملية الاتصال مع الانترنت ويعتبر نقلة نوعية في الإعلام الجماهيري الذي يبث رسائله إلى الكتل البشرية من المستمعين والمشاهدين. حيث يجمع الانترنت بين الإعلام الجماهيري والإعلام الشخصي – الفردي، فهو يمكن أن يبث الرسالة الإعلامية إلى شخص معين، أو جماعة معينة، أو إتاحتها لجمهور المتعاملين مع الشبكة[٢٠]. ويعد أول استخدام للانترنت في الوطن العربي هو بداية عام ١٩٩٥م. حيث تم استخدمه بشكل تجاري. وفي عام ١٩٩٨ م بلغ عد المشتركين (٧٠٠٠٠٠) سبعمائة ألف مشترك كما زادت المواقع العربية الى (٩٠٠٠) تسعة الاف موقع[٢١].

مجالات استخدام الانترنت

تتوفر على شبكة الانترنت مجموعة من الخدمات التي يمكن أن نجملها بالاتي :-

١- خدمات الصحافة الالكترونية (الرقمية).

إن التطور الحاصل في الوسائل الاعلامية الجديدة سيعطي للناس السرعة والحرية في التنقيب عن الموضوعات التي تهمهم إذ من الممكن أن تبحث عن تفاصيل بعينها حول أية شبكة في العالم مما لا يتاح حالياً في الاخبار اليومية بوجه عام لإحتواء الصحيفة الاكترونية على مجموعة أفضل من الاحداث الاخبارية والصفحات الرياضية والاعلانات المبوبة على نحو أكثر تفصيلاً وبذلك تكون وسيلة أكثر شمولاً وتفاعلاً وتنوعاً[٢٢]

٢- خدمات البريد الالكتروني :وهي من ابرز خدمات انترنت حيث تمكن المستخدم من إرسال رسائله عبر الانترنت إلى كافة بقاع الأرض من الأشخاص المشاركين عليها واللذين لديهم بريد الكتروني في هذه الشبكة العنكبوتية.

٣- الدراسة عن بعد: وهي عملية تعليمية متطورة حيث يتمكن الطالب من حضور محاضرات تجري في جامعات مختلفة من العالم عبر الانترنت كما تمكنه من الحصول على محاضرات مكتوبة من خلال هذه الشبكة.

٤- الدردشة: عملية اتصال مع شخص أو مجموعة من الأشخاص عبر الانترنت يمكن للشخص الحصول على ثقافات الأمم والأشخاص والتقاليد والعادات من خلالها عن شعوب العالم المختلفة. ونجدها اليوم منتشرة بشكل واسع مابين الشباب بايجابياتها وسلبياتها.

٥- البحث عن رفيق للزواج: ظهرت في بداياتها الأولى بشكل محدود في بعض المواقع الغربية على الانترنت وتطورت تباعاً ونجد لها حضور واسع على موقع مكتوب الخاص باللغة العربية. ورغم ملاحظاتنا عن الزواج عبر هذه الوسيلة إلا انه أصبح حقيقة ملموسة.

٦- مصادر والتماس المراجع العلمية: نجد اليوم كثير من مواقع المكتبات على شبكة الانترنت تمكن طالب العلم من الحصول على المصادر المطلوبة لقاء مبالغ بسيطة جداً قياساً بأسعار الكتب الأصلية، ومثال على ذلك مكتبة الإسكندرية[٢٣].

٧- الخدمات المالية والمصرفية: أصبحت شبكة المعلومات من ابرز روافد اغلب البنوك العالمية لتزويدها بما يجري في البورصات العالمية وأخبار المال والاقتصاد، وفتحت شبكة الانترنت الطريق أمام شركات مختلفة للنشوء أو النهوض منشأ التسوق عبر الانترنت وظهرت العولمة الاقتصادية ونشأت شبكات الاتصال لشركات التمويل والتامين وعملياً فان النمو الاقتصادي الذي ارتبط بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بدء في الولايات المتحدة الأمريكية بداية عام ١٩٩١ واستمر حتى عام ٢٠٠٠م وزادت من فرص العمل فقد ظهرت ٣٠٠ ألف فرصة عمل عام ١٩٩٩م في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات و ٨٠٠ ألف في

البرمجيات وتشير الإحصائيات إن السوق الأمريكي يحتاج إلى ٨٠٠ ألف شخص عجز السوق الأمريكي عن توفيرهم[٢٤].

وقد تكون لهذه التكنولوجيا آثار سلبية أو سيئة اجتماعياً وثقافياً إلى جانب آثارها الايجابية ومن هنا ينبغي أن نعرف ما هي سلبياتها بعد أن عرفنا استخداماتها الايجابية. وتؤكد دراسة أجرتها الدكتورة هناء الجوهري قدمتها إلى الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع عن الشباب التي عقدت في شهر ابريل من عام ٢٠٠٠ م. إن السلبيات يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:- [٢٥]

- تسهم في خفض الأجور وتقليل العمالة مما تسبب ارتفاع البطالة.
- تعمق الفجوة بين من يملكون المعلومات ومن لا يملكون وتدعم المجتمع العالمي على حساب الهوية القومية.
- يصعب على الدولة جباية بعض أنواع الضرائب في المنتجات الرقمية مثل الصحف الالكترونية.
- تكوين شبكات اجتماعية جديدة وفك شبكات اجتماعية قديمة.
- ظهور مجتمع المخاطر الذي لديه حالة من عدم اليقين.
- ربما يؤدي تطور تكنولوجيا الاتصال وظهور الانترنت إلى قيام الشباب المتحمس لها إلى عدم استلام الرسائل الآتية لهم من المصادر الاجتماعية التقليدية (الاسرة، المدرسة، وسائل الاتصال الجماهيري، ... الخ). وظهور مجتمع انعزالي انطوائي

مستويات افادة الصحف من الانترنت:

هناك سبعة مستويات لافادة صحافة الانترنت تتمثل بالاتي:[٢٦]

المستوى الاول: الانترنت كمصدر للمعلومات كونه:

١- اداة مساعدة للتغطية الاخبارية او مصدراً اساسيا للاحداث العاجلة.

٢- استكمال المعلومات والتفاصيل والخلفيات عن الاحداث المهمة.

٣- الاستفادة من الصفحات المتخصصة.

٤- التعرف على الكتب والاصدارات الجديدة.

المستوى الثاني: الانترنت كوسيلة اتصال كونه:

١- وسيلة اتصال خارجية بالمندوبين والمراسلين وتلقي رسائلهم عن طريق البريد الالكتروني.

٢- وسيلة اتصال بالمصادر.

٣- عقد الاجتماعات التحريرية مع المراسلين والمندوبين.

المستوى الثالث: الانترنت كوسيلة اتصال تفاعلي من حيث:

١- توسع فرص مشاركة القراء عن طريق البريد الالكتروني.

المستوى الرابع: الانترنت كوسيلة للنشر الصحفي:

من خلال اصدار نسخ من الجريدة نفسها،او ملخص لها او قواعد للبيانات او ارشيف للصحيفة، او اصدار جرائد ومجلات كاملة.

المستوى الخامس: الانترنت كوسيط اعلاني يضيف دخلا للصحيفة

المستوى السادس: الانترنت كاداة لتسويق الخدمات التي تقدمها المؤسسة الصحفية:

من خلال انشاء موقع او اكثر يقدم معلومات اساسية عن تطوراتها وانجازاتها.

المستوى السابع: تقدم خدمات معلوماتية:

من خلال تحول المؤسسة الصحفية الى مزود خدمات للمشتركين،وتقديم خدمات التصميم واصدار الصحف والنشرات لحساب الغير.

الأقمارالصناعيةودورالقمرالصناعي العربي في تطور تقنيات الاتصال:

يعرف القمر الصناعي بأنه مركبة فضائية تدور حول الكرة الأرضية لها أجهزة لنقل إشارات الراديو والبرق والهاتف والتلفاز، وترسل محطات على سطح الأرض (المحطات الأرضية) الإشارات إلى القمر الصناعي الذي يبث الإشارات بعد ذلك إلى محطات أرضية أخرى، ويعرف أيضا بأنه محطة صغيرة في جسم متحرك وعائم في الفضاء. تعمل على موجات متناهية في الصغر (Microwave) وتقوم المحطة باستقبال وإعادة إرسال الموجات الدقيقة التي تحمل الرسائل والمعلومات من والى الأرض عبر المحطات الأرضية الموزعة في مناطق المشتركين، ويتم استقبال وإرسال الموجات عن طريق هوائيات مثبتة على سطح القمر الصناعي العلوي الموجة لسطح الأرض.

ويذكر انه بدأت عمليات تطوير الأقمار الفضائية أو الصناعية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة شهور. وقد تنبأ بها العالم الابرطاني (آرثر كلارك) في مقال له حيث تخيل إطلاق قمر صناعي في مدار ثابت في الفضاء يقوم بعكس الإشارات من أي مكان في الأرض إلى آخر.. [٢٧]

وقد تحققت هذه النبوءة على يد مجموعة من العلماء السوفيت في تشرين أول من عام ١٩٥٧ م بإطلاق قمر سبوتنيك (Sputnik) وان لم يكن مخصصاً للاتصالات ثم في العام التالي أطلق الأمريكان اكس بلور-١ (Explore) وتبعه عدة أقمار حتى جاء القمر الثامن ويطلق عليه سكور(Score) في عام ١٩٥٨ وكان مخصصاً للاتصالات وهو أمريكي وكان يحمل شريط تهنئة من الرئيس إيزنهاور – حينذاك بمناسبة أعياد الميلاد[٢٨].

وتتميز وسائل الاتصال عبر الأقمار الصناعية عن غيرها من الاتصالات (السلكية واللاسلكية) بالمميزات الآتية :-[٢٩]

١- قدرتها على نقل المعلومات وتوفير الترابط على المستوى العالمي بكفاءة عالية.
٢- ملائمة ومثالية للربط بين الشبكات المتشابهة والرقمية.
٣- توفر الوصول المتزامن في (نفس الوقت).
٤- إمكانية بناء شبكات إقليمية للاتصالات والمعلومات.
٥- تقليص تكاليف ونفقات الاتصال.
٦- الأقمار الصناعية تؤمن نقل المعلومات بأشكالها المختلفة، مثل النصوص والأرقام والرسوم والأشكال والأصوات والصور والموسيقى وغير ذلك من الأوعية والوسائط وهي وسيلة جيدة للصحافة الرقمية وانتشارها.
٧- كمية المعلومات في الثانية الواحدة كبيرا جداً قياساً لأي وسيلة اتصال أخرى.

من هذا يتضح إن ثورة الأقمار الصناعية واكتشافها كانت لها اليد الطولى في تطور الاتصالات وقدرتها على نقل المعلومات من مختلف بقاع الأرض وإيصالها إلى أي نقطة في المعمور وبلحظات قصيرة.

القمر الصناعي العربي

في عام ١٩٧٦م أنشأت المؤسسة العامة للاتصالات الفضائية العربية والتي تعرف اختصاراً تحت اسم Arab sat عرب سات المنظمة العربية لأقمار الاتصالات ومقرها الرياض وهي تتبع الجامعة العربية وتعمل علي توفير خدمات الاتصالات والبث ألتلفازي الفضائي للدول العربية المشاركة فيها وهي التي تمتلك وتدير أسطول أقمار عرب سات الموجود في المدارين٢٦ و ٣٠ درجة شرق(٣٠).

و(عربسات) كان من ابرز أهدافها :-

١- توفير الخدمات العامة المتخصصة في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية لجميع الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية وفقاً للمعايير الفنية والاقتصادية المعمول بها عربياً ودولياً.

٢- مساعدة الدول العربية فنياً ومادياً في تصميم وتنفيذ المحطات الأرضية في الدول العربية.

٣- التشجيع على إنشاء الصناعات اللازمة لتجهيز القطاع الفضائي والمحطات الأرضية في الدول العربية.

٤- التشجيع على إجراء البحوث والدراسات الخاصة بعلوم وتكنولوجيا الفضاء.

٥- الاستفادة من النقل الإذاعي ولتلفازي بين الأقطار العربية عبر الشبكة الفضائية لتحقيق المطالب المحلية والجماعية للدول العربية.

كانت الأولوية للاتصالات عبر الهاتف والتلكس ثم تطورت إلى المعلوماتية وخدمات البث الإذاعي والتلفازي. وأعتقد أن عربسات لعبت دورا في إيصال المعلومات وتعميم التغطية الإذاعية والتلفازية المحلية بما في ذلك في البلدان العربية ذات الصحارى والمناطق النائية مثل الجزائر وليبيا والمملكة العربية السعودية، وفي التسعينات جاءت تجربة البث التلفزيوني للفضائيات .. (٣١)

يذكر إن الفكرة العربية لإقامة مشروع القمر الصناعي العربي في مدينة بنزرت بتونس خلال اجتماع مجلس وزراء الإعلام العرب عام ١٩٦٧م وقامت عدد من المنظمات والاتحادات العربية المتخصصة بالعديد من الدراسات وحلقات البحث بما يتعلق بالفوائد الإعلامية والتربوية والإنمائية للقمر الصناعي العربي.

وفي عام ١٩٨١ وقع الاختيار، بعد مناقصة دولية، على شركة أيروسباسيال الفرنسية التي تعاونت مع شركة فورد أيروسبيس في تصنيع ثلاثة أقمار صناعية(٣٢). للاتصالات حيث يطلق اثنان منها في الفضاء ويبقى الثالث احتياطياً مخزوناً في الأرض. وقد أطلق القمر الأول بواسطة صاروخ الايريان الأوربي في منتصف عام ١٩٨٤م أما الثاني فتم إطلاقه في نهاية عام ١٩٨٤م بواسطة مكوك الفضاء الأمريكي. وعمر القمر الصناعي العربي سبع سنوات. إلا إن القمر العربي (عربسات /١ أي) و (عربسات / ١ بي) قد أطلق في شباط وحزيران من عام ١٩٨٥م وانتهت مدتهما في عام ١٩٩١م وفي عام ١٩٩٢ م تم إطلاق (عربسات/اس) وعمل حتى عام ١٩٩٥ م(٣٣).

ثم أطلق القمر الصناعي الثالث من الجيل الأول وهو A3 والذي استمر لمدة سبع سنوات وبالتحديد في عام ١٩٩٩ م وكانت الأطباق التي تستقبل بث هذه الأقمار قطر الواحد منها ٣م. وتم إطلاق أقمار أكثر تطورً عام ١٩٩٩ م بعد انتهاء مدة القمر A3 من الجيل الأول حاملة معها محطة تلفزيونية واحدة، ويسمى بالجيل الثاني، ويستخدم هذا الجيل موجة تسمى (KU) وهو موجه ويستخدم للبث المباشر للمنازل ويستطيع المواطن العربي استقبال بث هذا القمر بطبق لايزيد قطره ٢٥ سم وبهذا أصبح ينافس منظمة الانترسات والمنظمات الدولية الأخرى التي تجري اتصالاتها من خلال منظمة انترسات(٣٤).

ومن عيوب القمر الصناعي الأول. هو إن إشارته لايمكن التقاطها مباشرة عن طريق جهاز الاستقبال ألتلفازي العادي وإنما يجب أن تمر على محطات أرضية خاصة بالقمر العربي تلتقط إشارته وتوصلها إلى شبكة التلفاز الوطنية التي تقوم بدورها في البث والتحكم بالمواد الاعلامية التي يبثها القمر الصناعي العربي. حيث بامكانها نقل هذه المواد مباشرة الى مواطني دولها او تقوم بعملية التسجيل وتعيد بثها في الوقت الذي تراه مناسباً. بالنسبة للجيل الاول .. اما الجيل الثاني فلاتوجد فيه هذه العيوب وقد تم تخطيها. وبهذا يمكن ان نميز بين نوعين أو جيلين من التوابع الصناعية وهما التوابع الصناعية للبث غير المباشر والتوابع الصناعية للبث المباشر. ويكمن معيار التفرقة بينهما في وجود محطة أرضية تستقبل الإرسال من التابع الصناعي ثم تعيد بثه للجمهور في النوع الأول، وعدم وجود هذه المحطة في النوع الثاني(٣٥) ، فقد بلغ عدد القنوات الفضائية العربية ١٢٠ قناة يتم بثها بواسطة القمر الصناعي العربي "عربسات" والقمر الصناعي المصري "نايلسات". وحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ الذي يصدر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، فإن ٧٠% من هذه القنوات تابعة رسميا لحكومات عربية(٣٦). من هذا نصل إلى إن تطور تكنولوجيا الاتصال أفاد بشكل كبير وسائل الإعلام المختلفة ومنها تحديداً الصحافة المرئية بنوعيها التلفازية والالكترونية.

حيث استخدم القمر الصناعي كوسيلة لبث الرسائل الاعلامية بسرعة ودقة فائقتين من مكان لاخر على سطح الكرة الارضية(٣٧).

المبحث الثالث

دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تطور الصحافة

يعجب الإنسان العادي إلى ما وصلت إليه الصحافة من تطور بعد ظهور الانترنت ويدفع الباحث والمتتبع للصحافة على إعادة ترتيب الإستراتيجية الإعلامية وفق معطيات العصر. وظهور الصحافة الالكترونية، فهي قد جمعت مابين وسائل الإعلام كافة، فان أردتها صحافة ورقية مطبوعة ظهرت لك ذلك وان أردتها صحافة تلفازيه كانت لك ما أردت أو ان رغبت بقراءتها على حالتها الرقمية. وللتطورات الكبيرة في وسائل الاتصال الحديثة أثرها الكبير في تطور وسائل الإعلام.

وبهذا يجب علينا الاعتراف بان الصحف التي تصدر في المجتمعات المتقدمة قد توسعت في استخدام النظم الالكترونية الحديثة، مثل نظم إرسال النصوص المرئية وهي منظومات تجمع مابين شاشات التلفزة من جهه والكمبيوتر والتلفون والأقمار الصناعية من جهه أخرى، وهذه النظم تقوم على الإرسال في اتجاهين في الإرسال وفي الاستقبال. وهذا التطور التكنولوجي مكن الصحفي من كتابة الحدث في وقت وقوعه وفي نفس مكان الحادث إرساله إلى مقر المؤسسة الإعلامية. كما انه يمكنه من الاتصال ببنك المعلومات الالكتروني في مقر المؤسسة للحصول على المعلومات الخلفية عن الحدث الذي يكتب عنه المحرر الميداني(٣٨).

وتعد الصحافة المطبوعة من أقدم وسائل الإعلام على الإطلاق، وهي سبقت الإذاعة والتلفاز بعدة قرون، ورغم قدمها إلا إن لها سلبيات ارتبطت بها منذ ظهورها حتى يومنا هذا وهي عدم قدرتها على نقل الأخبار بالسرعة التي تنقلها الإذاعة ولا يمكنها رسم صورة واضحة وقريبة من الواقع كما يفعله التلفاز، ومع ذلك فهي تقوم بعمل رائع جعلها جزءاً لايتجزء من حياة الفرد المتعلم(٣٩).

والصحافة إحدى مراحل تطورات المجتمعات وتعد ظاهرة اجتماعية لتلبية حاجات إعلامية اتصالية على مستوى الفرد والمجتمع وهي تعكس واقع المجتمع الذي توجد فيه وهذا الانعكاس كان دائماً يعود ليتطابق مع الحاجات الإعلامية للفرد والمجتمع تلك الحاجات التي تعكس وتعبر عن مستوى التطور العام الحاصل في الحياة المادية والفكرية للفرد، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية للمجتمع أي تعكس المستوى الحضاري للفرد والمجتمع [٤٠]. وأصبحت الصحف حارس الديمقراطية وحقوق المجتمع واتاحة الفرصة للمرشحين والناخبين بالتعرف على بعضهما البعض دون اتصال مباشر وانما عن طريق أفكار كل منهما المنشورة على واجهات الصحف ثم ساعدت على نشر وتصريف السلع وايجاد فرص العمل[٤١]. ويعتبر اختراع الطباعة على يد جوتنبرغ عام ١٤٥٣ البداية الحقيقية للاتصال الجماهيري حيث اصبح بالامكان طباعة نسخ عديدة من الصحف [٤٢].

وكذلك نجد بعض الخدمات الاساسية المساندة للصحافة قد نشأت وتطورت في القرن التاسع عشر حيث توفرت الخدمات التالية [٤٣]:

١- تطوير طريقة تقنيات الطباعة (اختراع فريدرك كوينغ للمطبعة المدارة بالطاقة عام ١٨١١ واختراع المطبعة الدوارة عام ١٨٤٨)

٢- اكتشاف البرق ١٨٣٧_١٨٩٩ ثم وسائل المواصلات السلكية ١٨٧٦التي اسهمت في تطوير صناعة الخبر.

٣- تطوير طريقة تصنيع الورق من معجون الخشب مما ادى الى رخص اسعار الورق وتقليل تكاليف الطباعة.

٤- اختراع التصوير عام ١٨٢٤-١٨٣٠ واستخدامه في الصحافة عام ١٨٨٤

٥- انشاء وكالات الانباء العالمية التي تقدم خدماتها الى الصحف هافاس عام ١٨٣٥، اسوشيتدبرس عام ١٨٤٨ وروريترز عام ١٨٥١.

٦- تحسين شبكات الطرق والمواصلات لتأمين توزيع الصحف.

٧- انشاء مؤسسات مختصة لتوزيع الصحف.

٨- ظهور الاعلان في الصحافة الذي امن مصدرا تمويليا هاما لها.

٩- التقدم الهائل في تقنيات الاعلام وذلك بتطور وسائل الاعلام الالكترونية والطباعية والاقمار الصناعية والكمبيوتر عام ١٩٤٦ ومارافق ذلك من قدرة على بث المواد الاتصالية.

١٠- انتشار الهواتف المحمولة واجهزة الاتصال الكفية التي اصبحت ذات استخدامات متعددة تتجاوز حدود الاتصال الشخصي او الوسطي لتصير الان وسيلة اتصال جماهيرية واستقبال الرسائل وبثها.

ونستطيع أن نلخص إن من ابرز مميزات الصحافة المطبوعة هي[٤٤]:-

١- تساعد القارئ على التكيف معها ومطالعتها في الوقت المناسب له.

٢- قدرته على إعادة القراءة كلما أراد ذلك.

٣- من الوسائل المناسبة لمخاطبة الجماعات والشرائح الاجتماعية الصغيرة والمتخصصة.

٤- جميع القراء للصحف يعرفون القراءة والكتابة وهم من المثقفين الذين يسهل معهم الحجة والمنطق[٤٥].

٥- تساعد في اثارة اهتمام القاريء بالمضمون.

٦- تمكن الصحيفة القاريء من السيطرة على ظروف التعرض .. بالتعرض لاكثر من مرة للرسالة والتعرض في اى وقت وفي اي مكان مما يتيح فرصة كافية لاستيعاب معناها واعادة النظر في تفاصيلها [٤٦].

٧- تحتاج الصحافة من القاريء مشاركة خلاقة وجهد ايجابي لاتتطلبه بعض وسائل الاعلام الاخرى وبذلك يجد امامه حرية كبيرة في التخيل وتصور المعاني وفهم التلميحات اللبقة والرموز والتفسيرات المتعددة وقراءة مابين السطور [٤٧].

لقد اتاحت ثورة الاتصالات التي حدثت بعد منتصف القرن العشرين وتكنولوجيا الاتصال ،الفرصة لنقلة واسعة لوسائل الاتصال نقلة واسعة مثل استخدام الاقمار الصناعية وهندسة الطباعة الحديثة والطبع ونقل الصورة والصفحات وقد اصبحت الاقمار الصناعية تستخدم بشكل واسع في صناعة الصحف ونقل النسخ الى محطات بعيدة وفي الواقع فان نقل الصحيفة من مدينة الى اخرى ومن دولة الى اخرى، بالرغم من الفوائد الاتصالية التي تبني على استخدام عامل الزمن الا انها في الوقت نفسه توفر تكاليف الطباعة التي تصرف في المكان الجديد [٤٨]. ثم شهدت بداية الستينات تحول نحو استخدام انظمة الجمع الاليكتروني والانظمة الرقمية ودخول الحاسبات في مجال المعالجة الصحفية للاخبار والموضوعات، ومنذ بداية التسعينات بدأت تدخل اجهزة الكمبيوتر بشكل مكثف الى صالات الاخبار والتحرير في الصحف الامريكية والكندية ولحقت بهم بعض دول اخرى. وتحولت بعض الصحف للالية الكاملة في عملية انتاج الصحيفة من خلال الاستعانة بالحاسبات الاليكترونية ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية والتحول من الملفات الورقية الى الملفات الاليكترونية للتوثيق والتخزين وأطلق علماء الصحافة على صحافة التسعينات الصحافة الالكترونية او الصحافة الرقمية [٤٩].

وان اهم اوجه الاستفادة من المبتكرات التكنلوجية واستخداماتها المتطورة وذلك لمختلف الجوانب والمراحل التي يمر بها النشاط الصحفي تمثل في كل من[٥٠].

١- جمع وأستسقاء المعلومات الصحفية وتراسلها مع الصحيفة.
٢- حفظ وتخزين المعلومات الصحفية واسترجاعها.

٣- انتاج ومعالجة المواد الصحفية.
٤- تغطية المواد الصحفية. نشر المواد والمعلومات الصحفية ونقلها او تبادلها ويترتب على هذه الامكانية فوائد اهمها:-

- توفير الزمن الذي يستغرقه نقل الصحف من مركزها الرئيسي الى أماكن توزيعها (محليا او اقليميا)
- سرعة وصول الاخبار المطبوعة الى القاريء في اى جهة
- تنشيط الصحافة الاقليمية وزيادة انتشارها.
- وصول طبعات الصحف الى القراء في الوقت المحدد دون تأخيرز
- التقليل من نسبة المرتجعات من الصحف من خلال تحديد كميات التوزيع من النسخ تبعا لاحتياجات التوزيع.
- امكانية اخراج الطبعات بالشكل والمضمون الذي يناسب اذواق القراء.
- تقليل تكاليف الطباعة ونقلها مباشرة عن طريق الاستقبال عن بعد
- الحصول على صحيفة جاهزة من حيث المحتوى والاخراج والمونتاج من المطابع الفرعية.

٥- توصلت شركات الكمبيوتر العالمية الى تطوير نظام النشر الصحفي في اوائل التسعينات بحيث يعمل على توظيف عدة برامج لمعالجة المتن والصورة والرسوم ومن اهمها برنامج معالجة الصورة الفوتو شوب (وسائل الاتصال-محمد منير)ان مصطلح النشر المكتبي يشير بصفة اساسية الى تكنلوجيا الحاسب الالي التي تسمح للمستخدم بان تصبح لديه ملفات تضم النصوص والاطارات والصور والرسوم في مستند واحد يتميز بجودة عالية [٥١].

ان التطور العلمي والتكنلوجي في صناعة وانتاج الصحف اصبح ضرورة وله فوائد من حيث المواجهة والتحديات[٥٢]:

١- مواجهة التحديات الحالية والمستقبلية في مجال الاعلام.
٢- مواجهة عصر ثورة المعلومات والاتصالات
٣- تطوير العملية الانتاجية للصحف وغيرها من المطبوعات لتحقيق الفائدة المثلى لصناعة الصحافة والطباعة والنشر.
٤- الموازنة الاقتصادية بين تكلفة الانتاج والعائد المحقق.
٥- اعادة تخطيط المهام والمسؤوليات في الحقل الصحفي بما يتناسب وروح العصر.
٦- مواجهة المنافسة بين التلفزيون والصحافة.

لقد استطاعت الصحافة مجابهة الوسائل الاعلامية الاخرى التي توالى ظهرها تباعا وتعالت الصيحات بان هذه الوسائل سوف تحدث تاثيرا سلبيا كبيرا على الصحافة الا ان الصحافة استطاعت ةان تطور نفسها وتغير محتواها لتصبح متفاعلة مع الجماهير وتاريخ الصحافة تاريخ لعناصر ومكونات كثيرة فالصحف ليست اشياء فحسب بل هي اشخاص وعمليات وتاثيرات وتاثر ووظائف وانجازات وغيرها من التحولات والتغيرات التاي ادخلتها الصحافة على نفسها من كافة الجوانب(٥٣).

مصادر البحث:

(١) محمد مرآتي: نحو اكتساب التكنولوجيا في الوطن العربي مع تغيرات بداية القرن الواحد والعشرين،بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع: www.arabcin.net/arabiaall/studies/nahowa.htm، ٢٠٠٦/٨/٣١، ص٥.

(٢) فاطمة القليني و (آخرون): علم الاجتماع الإعلام، التعليم الجامعي المفتوح لجامعة سانت كليمنتس العالمية، ص٢٧٠.

(٣) حسن عماد مكاوي: تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات، دار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص٢١.

(٤) عبد المجيد شكري: تكنولوجيا الاتصال . الجديد في إنتاج البرامج في الراديو والتلفزيون، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦، ص١١.

(٥) ميتشيو كاكو: رؤى مستقبلية . كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة د. سعد الدين خرفان، الكويت، سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٧٠)، ٢٠٠١، ص٢٥٠.

(٦) حسن عماد مكاوي، (مصدر سبق ذكره)، ص١١٦.

(٧) السيد احمد مصطفى عمر: إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي العدد (٢٥٦) حزيران ٢٠٠٠، ص ص٧٥. ٧٦.

(٨) الصادق رابح: وسائل الإعلام والعولمة: بحث منشور في مجلة المستقبل العربي العدد (٢٤٣) أيار ١٩٩٩. ص٣٠. ٣١.

(٩) نصير بو علي: الباربول والجمهور في الجزائر . دراسة في عادات المشاهدة وأنماطها والتأثيرات على قيم المجتمع وثقافته، مجلة علوم الاتصال (الجزائر) العددان (٧ . ٨)، معهد الإعلام والاتصال، ١٩٩٥، ص١٥٦.

(١٠) هادي نعمان الهيتي: مدى تأثير القنوات الفضائية الوافدة على المجتمع العربي، مجلة الإذاعات العربية العدد (٣) لسنة،١٩٩٤، ص٣١.

(١١) انشراح الشال: الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال في مجال التلفاز، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ص٢٠٠.

(١٢) سعد سلمان المشهداني: التأثيرات المباشرة لبرامج الفضائيات الوافدة على الأطفال في الدول النامية، بحث مقدم الى المؤتمر العالمي بشأن انتهاكات حقوق الطفل في العالم الذي انعقد ببغداد للمدة من ٦ . ٨ تشرين الثاني ٢٠٠١، ص٤.

(١٣) بلسم محمود شاكر: البث الفضائي الوافد وتأثيره على الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى الجامعة المستنصرية معهد الدراسات القومية والاشتراكية . قسم الدراسات الدولية عام ٢٠٠٠، ص٣٤.

(١٤) أياد شاكر البكري: البث التلفزيوني الفضائي المباشر . دراسة في واقع المحطات الفضائية الدولية الواصلة الى الوطن العربي واحتمالات تأثيرها . رسالة ماجستير قدمت الى جامعة بغداد / كلية الآداب . قسم الإعلام عام ١٩٩٩ ص ص١٧١. ١٧٢.

(١٥) فاطمة القليني و آخرون:(مصدر سبق ذكره)، ص٢٦٩.

(١٦) منى كمال: الانترنت في المكتبات المدرسية والعامة والجامعات ومراكز التوثيق، بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع:
www.arabcin.net/arbic/5adueh/print/pivot

(١٧) جابر خليل: تأريخ شبكة المعلومات العالمية، بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع الاتي :
www.openarab.net/faq/2006/henet.shtml

(١٨) عباس جاور كفاحي، الاعلام الدولي وعلاقته بالنظم الإعلامية الاقليمية "النظام الاعلامي العربي نموذجاً"،رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى قسم الاعلام كلية الاداب جامعة بغداد عام، ٢٠٠١ص٤٣.

(١٩) يحيى اليحياوي: العولمة أية عولمة؟، الدار البيضاء:افريقيا الشرق، ١٩٩٩ ص١٤١.

(٢٠) نبيل علي: الصفر والواحد. ثنائية العصر، بحث منشور في مجلة(القاهرة) وجهات نظرة،العدد٤٤،السنة الرابعة،سبتمبر ٢٠٠٢، ص٣٤.

(٢١) عبد الباسط محمد عبد الوهاب: استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني(دراسة تطبيقية ميدانية)، اليمن،المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥ م، ص١٧٠.

(٢٢) عبدالامير الفيصل: الصحافة الالكترونية في الوطن العربي،عمان،دار الشروق،٢٠٠٥، ص١١٤.

(٢٣) مكتبة الإسكندرية: بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع الأتي :
http://informatics.gov.sa/magazine

(٢٤) الكساد القادم:بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع الاتي: ١٧/٥/ ٢٠٠٦
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8FD54E7F-56C5-49A0-B60A-89A67426F3B3.htm

(٢٥) فاطمة القليني و آخرون(مصدر سبق ذكره) ص ص٢٦٧ – ٢٧٩.

(٢٦) عبدالامير الفيصل: (مصدر سبق ذكره)، ص ص٤١ – ٤٢.

(٢٧) حمدي قنديل: ((اتصالات الفضاء))، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ ص٤١.

(٢٨) عبد الباسط محمد عبد الوهاب(مصدر سبق ذكره)، ص٩٧.

(٢٩) ربحي مصطفى عليان ومحمد عبدا لدبس: وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، ط٢، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ ص١١٠-١١١.

(30) http://forum.sh3bwah.com/t18239.htm

(31) http://news.bbc.co.uk/go/pr/fr

(32) http://www.wikipedi

(٣٣) ياس خضر ألبياتي، (الإعلام الدولي العربي)، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٣ص ص٤٧٧-٥٧٦.

(٣٤) عبد الباسط محمد عبد الوهاب(مصدر سبق ذكره)، ص١١٦.

(35) http://www.tashreaat.com/view_studies2.asp?id=383&std_i36.d=63

(٣٦) معتز بالله عبد الفتاح، التحول الديمقراطي العربي،في طور تسلطية تنافسية، (ملف – تجميع من إسلام أون لاين).على الرابط:
http://sharkiaonline.com/images/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9

(٣٧) محمد منير حجاب: وسائل الاتصال. نشأتها وتطورها، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٨ص٢٤٦.

(٣٨) فاروق أبو زيد: الصحافة المتخصصة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨، ص١٢.

(٣٩) صابر فلحوط و د.محمد البخاري: العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، ط١، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ١٩٩٩، ص٧.

(٤٠) أديب خضور: الإعلام الرياضي، دمشق، ط١، المكتبة الإعلامية، ١٩٩٤ ص٧٨.

(٤١) صابر فلحوط و د.محمد البخاري(مصدر سبق ذكره)، ص٨.

(٤٢) صالح خليل ابو اصبع:الاتصال والاعلام في المجتمعات المعاصرة،عمان،دار مجدلاوي،٢٠٠٤ص٥٥.

(٤٣) صالح خليل ابو اصبع(مصدر سبق ذكره)ص٥٧-٦١.

(٤٤) صابر فلحوط و د.محمد البخاري(مصدر سبق ذكره)، ص٨.

(٤٥) محمد منير حجاب: (مصدر سبق ذكره)ص٥٩.

(٤٦) عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد:مدخل الى الاتصال، مفاهيمه، مجالاته، انواعه، وسائله، تأريخه، وتأثيراته،دار الفكر العربي،القاهرة،٢٠١٠، ص ١٢٢.

(٤٧) عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد(مصدر سبق ذكره)ص١٢٣.

(٤٨) مجد الهاشمي :تكنلوجيا وسائل الاتصال الجماهيري عمان، دار اسامة للنشر، ٢٠٠٤، ص١٠٨.

(٤٩) اسما حسين حافظ :تكنلوجيا الاتصال الاعلامي والتفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني المعلوماتي والرقمي، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص١١.

(٥٠) اسما حسين حافظ(مصدر سبق ذكره)، ص١٠٤.

(٥١) عبدالامير الفيصل(مصدر سبق ذكره)، ص٥١.

(٥٢) عبدالامير الفيصل(مصدر سبق ذكره)، ص ٣٣.

(٥٣) عبدالامير الفيصل(مصدر سبق ذكره)، ص٣٠.

المناقضات النثرية
في الرسائل المتبادلة بين ابي جعفر المنصور ومحمد ذي النفس الزكية
(إشكالية النقض والدفاع عن الأحقية)

أ. م. د. رمضان صالح عباد الجبوري
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

مدخل:

المناقضات مأخوذة من نقض ينقض نقضاً ومناقضة، أي انتكث، وقيل نقض الحبل بعد فتله، ونقض الثغر بمعنى أنفتق، وأطلقت مجازاً على نكث العهد[١].

وللنقائض معنيان، احدهما حسّي متمثلا في نقض الحبل أو البنيان ومعنويّ أطلق على أمر نقض الثغر بعد سَدّه[٢] ((**والمناقضة في القول أنْ يتكلم بما يناقض معناه**))[٣] والنقيضة الاسم وجمعها نقائض، وقد تطورت عن الهجاء في الشعر وتوسعت أهميتها وزادت من جذوتها وتيرة روح المناقضة[٤].

((**وإن أساس المناقضة نقض المعاني، وهو أمر نجده في النثر قالت به العرب في مجالسها، بل هو اسلوب يستخدمه الإنسان حتى في حياته الأسرية عندما يريد أن يدفع عن نفسه تهمةً، أو تقصيراً معيناً، أو يعبر عن رأي يراه هو الصحيح، وقد يحصل ذلك بين الرجل وزوجته، كما روي عن تشاكي امرأة وزوجها في قصة ترجعنا إلى عهد جديس وملكها عمليق**[٥]))[٦].

وتنبثق المناقضات النثرية المتطورة في نقض المعاني من موضوع الخصومة، وما جاءت فيه المنافرات في أسلوبها وأهميتها دليل ذلك هو أن تعقد لها المجالس

والمراسيم وتوضع الرهائن بحضور الحكام[٧]، وهي ((**المفاخرات التي تقع بين سيدين، يزعم كل واحد منهما أنه أعظم سؤدداً واعز نفرا، ومن هنا سُميت بالمنافرات**))[٨] مثل منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل في العصر الجاهلي[٩]، إذ ينقض كل واحد منهما ما يدعيه صاحبه من مآثر وأمجاد ومكارم مجهداً نفسه في ذلك أمام حكم قاض بينهما، ومن هنا جاءت أهمية المنافرات في التأسيس للمناقضات النثرية التي وردت في الخطب والمناظرات والرسائل وغيرها من الفنون النثرية، بيد أن المناقضات الشعرية كانت أشيع وأظهر في التاريخ وكان لها حضور واسع بين شعراء الجاهلية والإسلام، فضلا عن شهرتها بين شعراء العصر الأموي حتى عرفت بنقائض جرير والفرزدق[١٠]، وهي أن يورد شاعر قصيدة فيقوم الشاعر الآخر بنقضها جملة، أو بيتاً بيتاً، بقصيدة على الوزن والقافية[١١] وكانت تجري في المجالس، والمنتديات الأدبية، والأسواق، ومواطن فض الخصومات، وقد تتأجج فتميل إلى الملاحاة والذم عندما تخرج عن حدود التوازن، والأعراف وأحياناً تشتد وتقدح بالأخلاق، والشيم المعنوية وتقذع في الشتم والطعن في الأنساب.

وتنهض المناقضات النثرية عموماً على نقض الأفكار والمعاني عند اختلاف يقوم بين طرفين في الرأي والاعتقاد بسبب تنافس على منصب أو مفاخرة أو منزلة سياسية واجتماعية بحيث يحتدم الصراع حين يسلك أحدهما مسلكا اعتقده الأخر تجاوزاً عليه أو على المشروعية الاجتماعية، وقيمها وأعرافها، وما يدور حول الأحقية الدينية والدنيوية والسلطة والزعامة.

ويبدو لنا أن للنقائض النثرية حظوظاً سارت مع الزمن على استحياء، ولم يهتم بها الدارسون لطغيان النقائض الشعرية عليها، إلاّ أننا وقفنا على أطرافٍ منها في الخطب والمناظرات والرسائل قبل العصر العباسي إبان الخصومات السياسية، والاجتماعية، والفتن بين الأحزاب، وكثرة الثورات والخارجين على السلطة، وهناك مواد

تحملها هذه الفنون تنطبق على مفهوم المناقضات النثرية ابتداءً ما جرى بين الإمام علي وابنه الحسن وابن عباس (ﷺ) من جهة ومعاوية بن أبي سفيان وأصحابه من جهة أخرى، فضلا عمّا جرى من تبادل للتهم بين ابن الزبير وآل هاشم، وغير ذلك(١٢)، غير أننا لا نريد في هذا البحث أن ندرس تطور المناقضة النثرية تاريخياً ونؤسس لجذورها، بقدر ما نريد أن نلفت النظر إلى وجود هذا الفن النثري في الموروث العربي ونشدد على إعادة النظر فيه والتعمق في مضامينه ومزاياه وأساليبه وآلياته الفنية.

أشرنا إلى أن المناقضات جرت في ألوان الفنون النثرية كالمنافرات والخطب والمناظرات وغيرها، إلاّ أنّ موضوع بحثنا اتجه إلى دراستها في الرسائل النثرية، وهي المكاتبات التي تجري بين طرفين حاملة موضوعا معينا، وان الرسائل مازالت إلى يومنا هذا تؤدي وظيفتها، وتصدر عادة عن فرد إلى آخر أو عن فرد إلى جماعة أو بالعكس، وهي نصوص نثرية مدونة وموثقة في عصرها الذي كتبت فيه(١٣) ((**وقد تكتب في أمور سياسية فتأخذ أسلوبها السياسي، وقد تكتب في أمور اجتماعية** ...))(١٤).

ونهض البحث على رسائل المناقضات في العصر العباسي التي وقفنا عليها وجرى تبادل أطواف منها بين المنصور وابن أخيه عيسى بن موسى بما يخص ولاية العهد، والخلاف حوله، وبين الأمين والمأمون إبان الفتنة بينهما، وموضوع بحثنا الذي نتعرض له كأنموذج للنقض في فن الترسل (ألرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد ذي النفس الزكية)(١٥).

ومن أسباب اختيارنا للرسائل ما وجدناه فيها من قدرة تعبيرية، وخاصية فنية وأسلوبية تتوافق مع النقض، فضلا عما تتمتع فيه من تنظيم للأفكار ونزعة فائقة في النقض، لان الناقض يشغل فكره، وذهنه متأنياً في كيفية الرد، والطاف الحيلة والحجة،

وتقويتها بالدليل وسطوع البرهان، إذ يمنح الترسل الكاتبَ حريةً كافية في البحث عن الرد والتروي في استخدام الأسلوب اللائق في إظهار الحجة، وبوسائل قادرة لأن تقوده في التفوق على خَصْمه، مسلسلا أفكاره ومرتبها ومشددا العزم على إسكات خصمه وإفحامه جامعاً كل ما يستطيع جمعه من أدلة عقلية وسببية سواء أكانت مادية أم شرعية يهديه بها فكره وثقافته لدحض ما يورده مخالفة، بانياً بعض ردوده على منطق شحنة علم الكلام وفكر الاعتزال من قوة في المحاورة وعمق في الجدل والنظر ما يدعم به آراءه ويدحض به آراء المتلقي المخالف إذ يمتح الكاتب من هذا الأسلوب القدرة على سلوك أيسر الوسائل، وأقصرها في التغلب على الآخر، وهنا تخضع عقلية المتراسلين إلى الثقافة العامة والخاصة مقرونة بقوة البلاغة والإقناع في بسط الدليل وإظهار الحق.

موضوع المناقضة والدفاع عن الأحقية

تبادل المنصور وذو النفس الزكية وتراسلا كتبا نادرة معدودة من محاسن الكتب أُحتُجَ فيها في كل مذهب من الاحتجاج(١٦)، فقد كتب المنصور أولها حين علم بخروج ذي النفس الزكية عليه(١٧) الذي ردّه عليه برسالة مفصلة مما دعا المنصور لأن يجيبه برسالة أخرى فنَّدَ فيها ما جاء في رسالته بأجمعها إذ تنهض الرسائل على موضوع يستند إلى بيان واضح حول إدعاء الأحقية الشرعية في الخلافة لكل منهما، بحيث يدعم كل واحد منهما أدلته بآي الذكر الحكيم ثم يرفدها بالأحقية الاجتماعية – من النسب – ويمدونها بأسباب التفاخر بالأحساب والأنساب مقرونة بالسعي الجاد في تقويض دولة بني أمية، ومحاولة كل واحد منهما نقض أفكار الآخر جملة وتفصيلا وقد نظرنا في مدار المناقضات الترسلية فوجدناها تنهض على أربعة محاور.

المحور الأول: الديباجة.

المحور الثاني: الترغيب والترهيب.

المحور الثالث: التفاخر بالأفضال والاحساب والأنساب.

المحور الرابع: ثبوت الأحقية في الخلافة.

وجاء في رسالة المنصور الأولى ((**بسم الله الرحمن الرحيم – من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله، أما بعد:** ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[١٨] **ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله (ﷺ)، إنْ تُبتَ ورجعتَ من قبل أنْ أقدر عليك أَنْ أُؤَمنك وجميع ولدك وإخوانك، وأهل بيتك ومن اتبعكم، على دمائكم وأموالكم وأسوِّغك ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألفَ ألفِ درهم، وما سألت من الحوائج، وأُنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أُطلق لك من في حبسي من أهل بيتك، وأن أُؤَمِّن كل من جاءك وبايعك واتبعك، أو دخل معك في شيء من أمرك ثم لا أتبع أحداً منه بشيء كان منه أبداً، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليَّ من أحببت أنْ يأخذَ لك من ألأمان والعهد والميثاق ما تثق به))**[١٩].

وكتب على العنوان من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله.

أولا: قدم المنصور اسمه في الرسالة بتقديم الأهم بوصفه (أمير المؤمنين) وأخّر اسم المرسل إليه من دون لقب، وهكذا مضت سنة المكاتبة في الابتداء بين المتكاتبين[٢٠].

ثانيا: جاء بعد (أما بعد) بآية من الذكر الحكيم صدّر بها رسالته واشتملت على وصف لحال الكافرين المفسدين والمحاربين لله ورسوله محاولا من ورائها مقارنة موقف خروج ذي النفس الزكية وسيطرته على المدينة بمثل حال هؤلاء وما ذكره الله تعالى من جزاء لهم محوره (الترهيب والترغيب).

جزاء المحارب لله ورسوله من المفسدين (لهم خزي في الدنيا)

يقتلوا يصلبوا تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف

عقوبة في الدنيا قبل الآخرة مشددا على أنواعها متدرجا في شدتها فقدم القتل ثم الصلب الذي هو قتل ولكن فيه صورة فضيعة أقوى من صورة القتيل المتروك من دون صلب ثم أخر ما هو أبشع من الصلب في مشهد التشديد في العقوبة والتدرج في الموت البطيء قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أولاً وإتمام عملية القتل بالتمثيل والاعتبار به أبلغ (من خلاف) (أما في الآخرة فلهم عذاب عظيم) لا يعلمه إلا الله، كان هذا في ميدان التخويف والترهيب لمن يسعى فسادا ويحارب الله تعالى ورسوله (ﷺ) بيد أن هذه العقوبة فيها استثناء تتدخل فيه رحمة الله تعالى فيفتح باب الترغيب للعباد(إلا الذين تابوا من قبل أن نقدر عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) يريد المنصور من هذا الاقتباس القرآني تذكير ذي النفس الزكية بحال هؤلاء لخروجه على أمير المؤمنين وفيها إشارة إلى مراجعة النفس واغتنام الفرص والتدبر في المآل قبل وقوع أسوأ الأحوال.

ومما يتداخل في محور الترغيب ما قدمه المنصور في كتابه من العهد والأمان لذي النفس الزكية وأهل بيته وأصحابه مكررا مرادفات الأمان: (لك العهد– والموثق – والذمة ← لله والرسول ←نتيجة إن تبت ورجعت قبل التمكن منك).

وينطوي أمان المنصور وموثقه على عهد مقسم على ثلاثة أنواع:–

الأمان ← **العهد** / **الموثق** / **الذمة** ← **قبل المقدرة**

١ ← **أمان عام** ← **كل من جاءك وبايعك + واتبعك + أو دخل معك في شيء من أمرك.**

٢ ← **أمان خاص** ← **أن أؤمنك + وجميع ولدك + وأهل بيتك.**

٣ ← **مزج العام بالخاص** ← **ومن اتبعكم على دمائكم + وأموالكم + وأسوغك ما أصبت من دم أو مال+ وأن لا أتبع أحداً بشيء كان منه أبداً.**

واستخدم المنصور الترغيب المادي والمعنوي وسيلة للتأثير في المتلقي لإغرائه بما يناله من جاه عريض وإصابة مال كثير وملك في البلاد وإطلاق من في الحبس من أهله:-

الترغيب المادي:
- أعطيك ألفَ ألفِ درهم + وما سألت من الحوائج.
- أنزلك في البلاد حيث شئت.

الترغيب المعنوي ← أن أطلق من في حبسي من أهل بيتك.

واتخذ المنصور القسم في الأمان وقصره عليه بعهد الله ورسوله إغلاظاً على نفسه، مؤكدا ذلك مع كل فقرة أمّنه فيها، ومن معه وكل فقرة رّغبه فيها ولمن معه، ليتخلص إلى خاتمة رسالته التي سعى في كتابة إليها لحقن الدماء، وجمع هدفه في جملة شرطية مؤكدة(فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من أحببت أن يأخذ لك من ألأمان والعهد والميثاق ما تثق به).

ومن ملاحظاتنا على الرسالة ما نراه في دقة مخاطبة المنصور لذي النفس الزكية بكاف الخطاب المباشر فضلا عن تسلسل العرض، ولم يحاول أن يجرح المخاطب أو يخدش مشاعره أو يذمه وأراد مسايرته ومداراته فلم يفاخره بفضل أو حسب أو موقف سوى تقدمته نفسه عليه في عنوان الرسالة وهم رسم أعتاده الكتّاب وأهل صنعة الكتابة من تقديم الإمام (الخليفة) على غيره تشريفاً له.

وقد اشتملت الرسالة على المحورين الأولين الديباجة والتصدير ثم الترغيب والترهيب إلاّ أنّ هذا العرض لم يجد أذناً صاغية، أو يلقَ مكاناً عند ذي النفس الزكية فرد عليه برسالة طويلة ناقضاً ما جاءت به رسالة المنصور، ومفاخراً إياه بالنسب والشرف والسبق في الإسلام وغير ذلك.

بادئاً من عنوان الرسالة، مقدماً نفسه على المنصور وملقباً نفسه بالمهدي أمير المؤمنين غير معترف به خليفة:- (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد أما بعد:-)

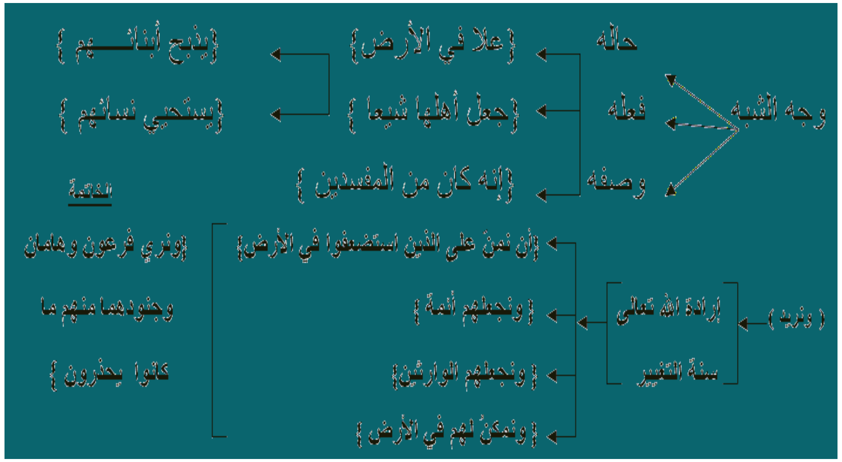
وأورد بعد أما بعد، آياً من الذكر الحكيم وما تحمله من قصص عن الأقوام السابقة التي أهلكت بذنوبها وعدم طاعتها الأنبياء والرسل، قول الله تعالى:

((چگ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ې ې ى ى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ب ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ[٢١] **وأنا اعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ، فأَن الحقَّ حَقُّنا، وإنّما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا، وإنّ أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام وكيف ورثتم ولايته ولدُه أحياء ؟))**[٢٢].

ثم يستمر بالفخر بالآباء والجدود والنساء والمواقف والإسلام وأهل الجنة وأهل النار[٢٣]، ثم يعرج على الأمان عوداً على بدء فيقول: **((ولك الله عليّ إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك وولدك ومالك وعلى كلِّ أمرٍ أحدثته إلا حداً من حدود الله، أو حقاً لمسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك في ذلك، وأنا أولى في بالأمر منك وأوفى بالعهد وأنت أحرى بقبول الأمان مني، فأما أمانُك الذي عرضت عليَّ فأيّ الأمانات هو؟ أأمان ابن هبيرة؟[٢٤] أم أمان عمك عبد الله بن علي؟[٢٥] أم أمان أبي مسلم؟[٢٦] والسلام))**[٢٧].

سلك ذو النفس الزكية برسالته المناقضة المسلك نفسه الذي سار عليه المنصور في رسالته وأورد من القصص القرآني ما أراد به مقارنة المنصور بطغاة الأمم السالفة التي أبادها الله للامعان في ترهيبه بتشبيهه بفرعون مصر زمن موسى (عليه السلام) في ست آيات من سورة القصص، ومؤدياً ذلك في صورة بيانية تقوم على التشبيه، علماً أن المنصور أورد آية واحدة من سورة المائدة حاول أن يقرن ما فيها بخروج ذي النفس الزكية عليه.

المشبه	المشبه به
المنصور	فرعون



إن تتابع الأفعال المضارعة المنصوبة بأن المصدرية الناهية والمعطوف عليها تدل على التدرج في منح الفضل للذين أصابهم الظلم بسبب التسلط من قبل فرعون وشيعته (هامان وجنودهما) إذ يكنى عن فرعون بالمنصور والذين استضعفوا (آل البيت وشيعتهم) الذين هضم حقّهم من قبل ومن بعد، وما جاء في هذه الآيات بوصف حال المفسدين أكثر تخصيصاً وتفصيلاً في التوسع وذكر الأسماء والتوضيح والدلالة مما وجد في الآية التي أوردها المنصور من سورة المائدة.

ثم ينتقل بأسلوبية النقض إلى الأمان الذي أثاره المنصور في رسالته فانه يجعل من نفسه صاحب الحق الشرعي وليس مكافئاً بالفعل والموقف بأن يُعطى الأمان، فالأحرى أن يُعطِي هو الأمان لغيره، إذ عمل على نقض مضمون العهد والأمان الذي عرضه المنصور في رسالته وعكسه، وإعطاء ما أعطاه المنصور له مشدداً على:-

(الأحقية في الخلافة)

↓

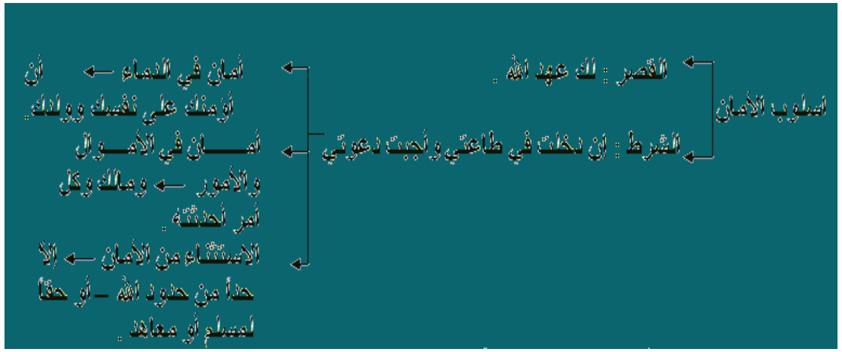
فإن الحقّ حقنا

وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا

جاء ذو النفس الزكية بالأفعال الماضية (ادعيتم ــ خرجتم ــ حظيتم) يريد من ذلك سلب بني العباس لأيّ فضل مما وقع في أيديهم من الخلافة وإنه عائد لآل البيت مدعياً أن الوصي في آل محمد (ﷺ) هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (وإنّ أبانا علياً كان الوصي) وأدت الجمل المتوازنة خاصية التلوين الإيقاعي مع ضمائر المتكلمين والمخاطبين.

ثم ينتقل إلى بيان فضل أهل الحق والوصاية الذين حرموها على الرغم من شرفهم العالي، وقربهم من رسول الله (ﷺ)، وإعلان شرف ذلك القرب من النساء والفخر بهن، وما كان في الجنة من المولدين في الإسلام، مفتخراً مرتين بولادة الرسول محمد (ﷺ) وهاشم له، وإنه ليس من أمهات الأولاد، والفخر بمن هو أخير أهل الجنة، وابن خير أهل النار أبن خير الأشرار، وهذه المفاهيم والأفكار سيرد عليها المنصور في رسالة أخرى يفصل فيها القول وينقض ما ادعاه ذو النفس الزكية بالتفصيل.

وبما أن في رسالة ذي النفس عطفاً على كتاب الأمان الذي عرضه للمنصور مرة أخرى وما يتداخل فيه الترغيب بالترهيب فقد جعل عهد الله موثقاً له بالوفاء إذ استخدم أسلوب القصر والشرط في عرض الأمان على المنصور:-



ونقض مضمون الأمان وعكسه لكنه أخلاه من شيئين اثنين لم يضمنهما للمنصور– مثلما فعله معه – فضلا عن شكه بنية المنصور وغدره، وهي:–

١– انه خصص الأمان للمنصور وولده وماله وكل أمر أحدثه فقط، وأستثنى شيعته وأتباعه ومعاهديه ومؤيديه.

٢– لم يستثن المنصور في حدٍ من حدود الله، ولا حقٍّ لمسلم أو معاهد مثلما فعَل المنصور معه، لأنه حدود الله يجب أن تقام عند ولي الأمر، وأن حقوق الناس مصونة عنده، ولأصحابها الحق في المطالبة بها ولا يملك أحداً حق التغاضي عنها أو السماح فيها أو سلبها من أيديهم، والقضاء فيها بما أمر الله ... .

٣– يشير ذو النفس الزكية إلى عدم اطمئنانه لأقوال المنصور وأمانه لأن أفعاله تخالف مواثيقه مشددا على غدره ونكثه العهود، فلا أمان عنده، وأي شيء من ذلك وفّى به؟ ويستفهم عن الأمان عند المنصور، منكراً ومعرضاً به وبفعله، مع يزيد بن هبيرة، وعبد الله بن علي، وأبي مسلم، فقد غدر بهم جميعاً وقضى عليهم بعد أن استوثق منهم[٢٨].

لقد أشرت إلى مفاخرة ذي النفس الزكية ومضمونها وهي في تسلسلها وقعت بين الإشارة إلى الأمان وتفصيله، لذا بغينا أن نرجئها لغرض إيراد النص كاملاً من الرسالة:– **((وأن أبانا علياً كان الوصيَّ، وكان الإمام، وكيف ورثتم ولايته وولده**

أحياء ؟ ثم قد علمتَ أنه لم يطلب هذا الأمر من أحدٌ له مثلُ نَسَبنا وشَرفَنا وحالنا، وشرف آبائنا، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطُّرداء ولا الطّلقاء، وليسَ يمتُّ[٢٩] أحدً من بني هاشم بمثل الذي نَمتُّ به من القرابة والسابقة والفضل وأنّا بنو أمِّ أبي رسول الله (ﷺ)، فاطمة بنت عمرو[٣٠] في الجاهلية، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم، إن الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد (ﷺ)، ومن السَّلف أولهم إسلاماً عَلِيّ، ومن الأزواج أفضلَهُنّ خَديجة الطاهرة، أولُ من آمَنَ بالله وَصلّى إلى القِبلْة، ومن البنات خيرهُنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولدين في الإسلام: حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وإن هاشماً ولَدَ علياً مرتين[٣١]، وانّ عبد المطلب ولد حسناً مرتين[٣٢] وإن رسول الله (ﷺ) ولدني مرتين من قبل حسن وحسين[٣٣]، وإني أوسط[٣٤] بني هاشم نسباً، وأصرَحهُم أباً، لم تُعرق فيَّ العَجمُ، ولم تَنازعْ فِيَّ أمهاتُ الأولاد[٣٥]، فما زال الله يختار لي الآباءَ والأمهاتِ في الجاهلية والإسلام، حتى اختار لي في النار، فأنا ابنُ أرفعِ الناس درجة في الجنة وأهونهم عذاباً في النار[٣٦]، وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير الأشرار، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ...))[٣٧].

إن هذا المقطع من الرسالة اختص بالمحور الثالث (التفاخر بالأفضال والأحساب والأنساب) في الجاهلية والإسلام من قبل ذي النفس الزكية، ما لم يثره المنصور في رسالته الأولى (مفاخراً)، وأراد كاتب المنصور أن يجيب على كتاب ذي النفس الزكية الذي أغلظ له فيه فرفض وقال: ((**إذا نحن تقارعنا على الأحساب فدعني وإياها**))[٣٨]، ونقض كل ما جاء في الرسالة ولم يغادر فكرة عامة أو جزئية إلا نقضها وزاد عليها مستعيناً بأدلة نقلية وعقلية واجتماعية ومنطقية تظهرُ براعة وعلماً وتصميماً على التفوق، والتمسك بما يدعي ويزعم، فضلاً على فخره بالآباء والجاه والأموال ووراثة النبوة وإدراك الثأر لآل البيت.

وكان عرضه مقروناً بأدلة قاطعة وبرهان ساطع، معززاً ذلك بمعرفة دقيقة وعلم في الأنساب، وماله من حقوق شرعية فكان جوابه جواب خبير بصير.

جاءت الرسالة بالعنوان نفسه في رسالته الأولى بعد البسملة ((**بسم الله الرحمن الرحيم – من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله أما بعد: فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فإذا جُلَّ فخرك بقرابة النساء لتضل بها الجفاة والغوغاء ..**))[٣٩].

إذ قدّمَ نفسه، ودخل في موضوعه مباشرة، ولم يلطف في القول ولم يدارِ مشاعر المتلقي فجاء نقضه سريعاً لأن الأمر لا يحتمل التمهيد وتسويغ الفعل لغرض الاسترسال في الابتداء في حسن لياقة مخاطبة الآخر، وكانت غايته الرد الحازم والبعد عن أيّ شكل من أشكال المداراة ولذلك اتهمه بأنه يريد في أمره ومفاخرته (بقرابة النساء لتضل بها الجفاة والغوغاء) بيد أن أمر القرابة يخضع لِمن يعلم الأنساب.

فجاء فخره على عدة وجوه تداخل فيها محور التفاخر ومحور الأحقية في الخلافة وكالآتي:

١- فخر ذو النفس الزكية بالنساء (بصورة عامة) في البدء قبل التفصيل ...

ونقض المنصور قيمة الفخر بالنساء بقوله: ((**ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء، ولا كالعصبة والأولياء، لأن الله جعل العم أبا ...**))[٤٠] ولهذا الأمر يرى بنو العباس أنهم أحق بالخلافة من العلويين لأن الرسول محمد (ﷺ) لمّا مات كان عمّه العباس حياً وهو أولى بوراثته من ابن عمه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بالشرع والعصبة لأن الرسول (ﷺ) لم يكن له عقب من الأولاد فيرثه الأقرب من جهة أعمامه لوفاة والده وكان الحيّ من أعمامه عمه العباس (رضي الله عنه) جد المنصور ...

٢- الفخر والاحتجاج بالسبق في الإسلام والإيمان بالنبوة ...

إذ افتخر ذو النفس الزكية باختيار الله لهم وهم أبناء فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) والدهم من جهة الأم[٤١] وأبوهم علي أولهم سلاماً.

ونقض المنصور ذلك وردّه معتمداً على قوله تعالى، وأمْرِهِ لنبيّه ((ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[٤٢] **فأجاب اثنان أحدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك**[٤٣] **فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل الله بينه وبينهما إلاّ**[٤٤] **ولا ذمة ولا ميراثا**))[٤٥] وهنا حاول المنصور أن ينقض قول ذي النفس الزكية بطريقة لافتة للنظر راداً ادعاءه محاولاً إفراغه من محتواه المقصود بالدليل ألنقلي من آي الذكر الحكيم، ثم دخول الإسلام من جهة الأجداد وقطع ميراث النبوة عمّن لم يؤمن من أقربائه وماتوا قبل العباس.

٣- يعود المنصور معرجاً على الفخر بالنساء والقربة بهنّ ناقضاً ومفصلاً النقض بدقة عالم وحكمة مجرب، قائلاً ((... **فلو أعطينَ على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه**))[٤٦] لأن آمنة بنت وهب أمّ رسول الله (ﷺ) أقرب إلى ولدها رحماً وحقاً ... وقوله ((**وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ولا ولداً**[٤٧]**، ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقرابة رُزِقَه عبد الله**[٤٨] ... **قال الله** ﷻ : ﭼ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ[٤٩]))[٥٠]. وفخر ذي النفس الزكية بفاطمة أم أبي طالب – من وجهة نظر المنصور – غير مسوغ، لأنها لم تسلم داعماً نقضه بالفخر المبني على الدخول في الإسلام، مورداً الآية القرآنية دليلاً على أنّ الله لو شاء لأدخلها الإسلام ولكنه يختار لهدايته ودينه من يشاء.

٤- وينكر المنصور ادعاء ذي النفس الزكية من جهة الولادة وينقضه ((**وأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد**[٥١] **أم علي بن أبي طالب، وفاطمة أم الحسن، وأن**

هاشماً ولد علياً مرتين، وأنّ عبد المطلب ولد الحسن مرتين، وأن النبي محمد (ﷺ) ولدك مرتين، فخير الأوّلين والآخِرين محمد (ﷺ)، لم يلده هاشم إلاّ مرّة واحدة ولم يلده عبد المطلب إلاّ مرة واحدة))(٥٢).

ويرى المنصور إن الفخر بالولادة ولمرة واحدة يجب أن تكون من جهة الأب لا مِن جهة النساء، وهذا هو العرف السائد عند العرب في التفاخر بالأحساب، والأحرى الفخر بالنبي (ﷺ) في ذلك لا كما ادعيت وصورت، وأن هاشماً ولده مرة واحدة وعبد المطلب ولده مرة واحده.

٥- نقض المنصور زعم ذي النفس الزكية بوجود الفاضل (يعني نفسه) على المفضول (يعني المنصور) بـ((**وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماً وأباً وأنه لم تلدك العَجم، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ... فانك قد تعديت طورك، وفخرت على من هو خير نفساً وأباً وأولاً وآخراً، فخرت على إبراهيم**(٥٣) **ابن رسول الله (ﷺ) وعلى والدِ ولده، وما خيارُ بني أبيك وأهلُ الفضل منهم إلاّ بنو أمهات أولاد...))**(٥٤) وأم إبراهيم ماريه القبطية، ويذكر من أبناء أمهات الأولاد علي بن الحسين وهو خير من جدك حسن بن حسن،ومحمد الباقر خيركم،وجدته أم ولد،وهو خير من أبيك(يعني عبد الله بن حسن)، ولا مثل أبيه جعفر الصادق، وجدته أم ولد، وهو خير منك...

وأراد المنصور أن يفرغ فخرَه ويذكّره بأبناء آل هاشم من الذين كانت لهم عراقة بإمهات الأولاد من العجم ليقرن ذلك بفخره بنفسه وليس عاراً عليه بأنه ابن لأم ولد وإنما هو خيرٌ منه. إذ قال عمر (رضي الله عنه) ((**ليسَ قوم أكيس من أولاد السراريّ، لأنهم يجمعون عزَّ العرب ودهاء العجم))**(٥٥).

٦- ويرد على فخره بالقرابة من الرسول (ﷺ) وهم أبناء ابنته ((**وأما: قولك إنكم بنو رسول الله (ﷺ)، فإن الله (عز وجل) قد أبى ذلك فقال: چ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ**(٥٦) **ولكنكم بنو ابنته، وإنها لقرابة قريبة غير إنها امرأة لا تجوز الميراث، ولا تجوز لها الإمامة فكيف تورث الإمامة من قبلها؟... ولقد جاءت السّنة ... أن الجدَّ أبا الأم والخالَ والخالة لا يرثون))**(٥٧).

وهنا تظهر براعة المنصور في استنباط مفردات النقض بأدلة نقليه من القران الكريم وشرعية من فقه السنة في باب الإمامة والإرث، ومنطقية في القرابة في تسلسل مدعوم بالحجة، والإفاضة فيها بحيث لا يترك مجالاً للطعن أو النقض فيها.

٧- وَردَّ المنصور على فخر ذي النفس الزكية معرضاً بآبائه وأعمامه ممن هم أخف الناس شراً وكفراً رداً مفحماً مقتبساً من آي الذكر الحكيم ما يدعم قوله ((**وأما قولك: إنّ الله اختار لك في الكفر، فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً فليسَ في الشرِّ خيار، ولا من عذاب الله هيِّن، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم، چ□ □ □ □ □ ى ى ې چ**(٥٨)**))**(٥٩).

٨- ونقض المنصور فخر ذي النفس الزكية بسابقة علي (رضي الله عنه) في الإسلام وتقدمه على غيره، وحقه في ذلك، وبيّن المنصور في وقائع لم يرتضِ الصحابة والمسلمون تقديم علي (رضي الله عنه) وخالفه بعضهم في المواقف والآراء، وعرض ذلك بشكل منطقي مُفنداً كل ما يمتَّ بصلة تقدم علي (رضي الله عنه) من قبل الصحابة: ((**وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته، فقد حضرت رسول الله (ﷺ) الوفاة فأمَّر غيره**(٦٠) **بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل**(٦١) **فلم يأخذوه، ثم كان في أصحاب الشورى**(٦٢) **فتركوه كلُّهم دفعاً لهُ عنها، ولم يروا له حقاً فيها، أما عبد الرحمن، فقدم عليه عثمان، وقُتل عثمان وهو مُتَّهم، وقاتله طلحة والزبير، وأبَى سَعدُ بيعته**(٦٣) **وأغلق دونه بابه، ثم بايع معاوية بعده))**(٦٤).

٩- نقض المنصور أحقية علي (رضي الله عنه) بالخلافة وفضلاً عمّا – أورده في الفقرة السابقة – عارضاً طلب عليّ (رضي الله عنه) للخلافة ومقاتلته عليها بعد عثمان (رضي الله عنه) فجرى بينه وبين معاوية حكم الحكمين فخلعاه، محاولاً المنصور ردّ كل ماله من علاقة بالأحقية ونفي مقال ذي النفس الزكية بالأحقية لأن المسلمين لا يرغبون فيه، إذ يقول: ((**ثمَّ طلبها بكلِّ وجه، وقاتل عليها، وتفرق عنه أصحابه، وشَكَّ فيه شيعتُه قبل الحُكومة، ثم حكَّمَ حَكَمين**[٦٥]**، وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه**))[٦٦].

ويتسلسل المنصور في قضية ردّه ادعاء ذي النفس الزكية بالأحقية بالخلافة والإمامة عندما قتل الإمام علي (رضي الله عنه) وصار الأمر إلى الحسن ابنه فتنازل عن الخلافة لمعاوية مقابل مال وأعطيات، ودفعها إلى من لا يستحق، فلم يبق لكم شيء فيها لأنكم بعتموهُ وقبضتم ثمنه، يقول ((**وأفضى أمرُ جدِّك إلى أبيك الحسن، فبايعها من معاوية بخِرَقٍ ودراهم، ولحِقَ بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية، ودفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حلِّه، فإن كان لكم شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه**))[٦٧].

ثم يعرض حوادث خروج آل البيت وما آل إليه مصيرهم، مفصلاً ذلك لكي يتيح لنفسه الحق في آخر الأمر، عندما اخذ العباسيون حقوقهم ممن ناوَءهم وقتلهم، معرجاً على خروج الحسين (رضي الله عنه) ((**ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانه**[٦٨] **فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه، وأتوا برأسه إليه، وقتلوا رجالكم، وأسروا الصبية والنساء، وحملوهم بلا وطاء**[٦٩] **في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام**))[٧٠].

ويضيف المنصور إلى هذا خروج زيد بن علي[٧١] وخروج يحيى بن زيد بخراسان وانتهى ذلك بقتلهم ((**ثم خرج غير واحد على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد**[٧٢] **بخراسان**))[٧٣] وهو يعدد أنواع الظلم الذي تعرضوا له من (قتل وصلب وحرق ونفي) ولم يقدروا أن يدفعوا ذلك عنهم.

١٠- بعد عرض المنصور لحال آل البيت من القتل والتشريد والصلب أراد أن ينوه بفضل بني العباس عليهم، وفخره بفعلهم – وهذا يعني أنهم الأجدر والأحق بالأمر – عندما خرجوا على بني أمية، يقول ((**حتى خرجنا عليهم، فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة، كما تلعن الكفرة، فعنفناهم وكفرناهم، وبينا فضله، وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة وظننتَ أنّا – لِمَا ذكرنا من فضل علي – قدّمناه على حمزة والعباس وجعفر، كلّ أولئك مضوا سالمين مُسَلَّماً منهم وابتُلي أبوك بالدماء**))[٧٤].

أراد المنصور من عرضه ما تعرض له آل البيت بيان ضعفهم إذ لم يدركوا حقهم وثأرهم حتى جاء بنو العباس (فأدركوا ثأركم ورفعوا أقداركم وأورثوكم الأرض) فتتابع الأفعال الماضية المتوازنة في جملها بينت ترتيب فعل بني العباس بالإدراك أولاً ثم رفع الأقدار ثانياً ووراثة الأرض ثالثاً، ويتابع إعلانه بفعل بني العباس في رفع اللعن عن علي (رضي الله عنه) وتعنيف بني أمية على ذلك فضلاً على بيان فضله وذكره، ولا يريد أن يجعل ذلك في ميدان فخرهم على بني العباس ليعدونه حجة لهم في فضل الإمام كرم الله وجهه، فان بني العباس كانوا يقدمون حمزة والعباس وجعفر عليه.

١١- فخر المنصور بجده في الجاهلية والإسلام على ذي النفس الزكية، مفصلاً القول في مكارمهم من سقاية الحجيج وولاية زمزم في الجاهلية وتوسل عمر (رضي الله عنه) بالعباس في الإسلام ولم يتوسل بعلي كرم الله وجهه.

يقول **((ولقد علمتَ أنَّ مَكرُمتنا في الجاهلية، سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم، وكانت للعباس دون إخوته، فنازعنا فيها أبوك**(٧٥)**، فقضى لنا عليه عمر، ... ولقد قحط أهل المدينة**(٧٦)**، فلم يتوسل عمر إلى ربه ... إلاّ بأبينا ... وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به))**(٧٧).

ونال العباس ميراث النبوة من غير عمومة رسول الله (ﷺ) لأنهم ماتوا والعباس حي، وطُلب هذا الأمر أكثر من واحد فلم ينله إذ يقول في معرض فخره وحيازته لتلك الفضائل ناقضاً كل فخر جاء به ذو النفس الزكية بقوله **((فالسقاية سقايته، وميراث النبي له، والخلافة في ولده، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلاّ والعباس وارثه وموِّرثه))**(٧٨).

ونرى أن المنصور يحاول أن يحوز الفضل كله ويسنده إلى جده العباس بن عبد المطلب محاولاً تحجيم كل مفخرة لآل البيت، وإفراغها من محتواها داعماً إجابته بتسلسل لوقائع تاريخية لا تقبل الجدل – فيما يرى – واستمر في فخره إذ كان العباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته، وكان العباس من المطعمين، فأذهب عنكم العار وكفاكم النفقة، وكذلك فدى عقيلاً بن أبي طالب يوم بدر.

ليصل إلى نقطة الحسم في التفاخر والأحقية ويستفهم استفهام منكر بعد عرضه للمكارم والمآثر والأفضال في فخره معدداً مواد النقائض التي جرت بينهما إذ يقول: **((فكيف تفخر علينا؟ وقدّمناكم**(٧٩) **في الكفر، وفديناكم من الأسر، وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه، ووضَعْناكُم بحيث لم تضعوا أنفسكم، والسلام عليكم ورحمة الله))**(٨٠).

وختم ذو النفس الزكية رسالته بـ(السلام) فقط وختم المنصور رسالته بـ(السلام عليك ورحمة الله) تفصيلاً بما يتلاءم وطول رسالته.

وفي نهاية الرسالة يستخدم المنصور السجع والتوازن في رسالته مع منظومة الأفعال الماضية المتتابعة في تسلسل يوحي بقدرة عقلية منظمة ومنضبطة فجاء السجع في جملتين جملتين مع توازن الجمل جاعلاً من الأفعال الماضية رابطاً لأفكاره فضلاً عن تكرار الكاف والميم (كم) لجماعة المخاطبين سبع مرات والتاء مرة واحدة، (ونا) ضمير المتكلمين ثمان مرات – على لسان المنصور – مما أعطى تراكيبه تردداً صوتياً جميلاً موزوناً ذا نغمةٍ فيها براعة في العرض والتتابع الإيقاعي والتأثير الشعوري النفسي.

١- وقَدُمْنَاكم في الكفر ← توازن + ضمير المتكلمين (نا الفاعل) + ضمير المخاطبين (ك المفعول به) + اللاحق من الجار
وفديناكم من الأسر ← والمجرور ← المسجوع بحرف الراء.

٢- وحزنا عليكم مكارم الآباء ←توازن+ ضمير المتكلمين (نا الفاعل)+الضمير (كاف المخاطبين) المجرور بحرف الجر أو المضاف إلى الظرف + المفعول به المضاف الاسم
وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ←المسجوع ← بالهمزة.

٣- التوازن في التراكيب.

{وطلبنا ← فأدركنا}(ما عجزتم عنه) ←ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم.

في الجملة الأخيرة ينوه المنصور بفعلهم تجاه بني عمومتهم من اخذ لحقكم ورفع لشأنهم.

وفي هذا النقض يُعبأ المنصور كل ما يملك من طاقة شحنها بعلم شرعي واجتماعي من اجل أن يفرغ رسالة ذي النفس الزكية من محتواها الفخري في الأحساب والأنساب والأفضال والأحقية الشرعية في الخلافة على الرغم من إنه لا يستطيع أن يعدم شرف ذي النفس الزكية بوصفه ابناً لفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) ولا يمكن له أن يجحد هذا الفضل، محاولاً تقليل أهمية هذا الفخر بطريقة كان أسلوب المتكلمين وبسطهم الأدلة والبراهين بما غذاهم به فكر المعتزلة أمراً واضحاً في رسالة المنصور وهذا نابع من ثقافته ومرافقته لعمرو بن عبيد الزاهد ألمعتزلي[٨١] (صديقه). والمنصور داهية إذا أراد أن يقطع أمراً فانه يحزمه فلم يترك في رسالته مجالاً للعودة والصلح فجهز الجيش بقيادة ولي عهده عيسى بن موسى[٨٢] – ابن أخيه – فقضى على ثورة ذي النفس الزكية وجيء برأسه إلى المنصور ثم أجهض ثورة أخيه إبراهيم وقتله سنة ١٤٥ هـ.

وأخيراً فإن المناقضات في الرسائل وجدت لها متسعاً وأثبتت صلاح الترسل لها بحكم دورانها على أفكار متتابعة يتأنى المناقض في التفكير بها والبحث عن وسائل قادرة في تأدية المناقضة وتفنيد بنودها والمحاور التي تقوم عليها، ولهذا ينزع المناقض إلى التفنن في الرد بطريقة لافتة للنظر، تمتلك الحيلة والتلطف، والتمكن من ناصية اللغة والمنطق واختيار الأساليب التي تتلاءم وموضوع المناقضة لغرض التفوق على الخصم عند إجراء الموازنة والقضاء بينهما.

المصادر والمراجع وهوامشها

(١) ينظر الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ أو ٤٠٠ هـ) – اعتنى به خليل مأمون شيحا، ط٣، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ٢٠٠٨ م: ١٠٦٤، ولسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)- ط١، دار صادر- بيروت – ١٩٦٨ م: مادة نقض.

(٢) ينظر تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦ هـ، مادة نقض.

(٣) لسان العرب: مادة نقض.

(٤) ينظر معجم النقد العربي القديم – د.أحمد مطلوب، طبع دار الشؤون الثقافية – بغداد- العراق – ١٩٨٩ م، ٢ / ٤٠٩.

(٥) القصة: أنّ رجلاً طلق زوجته وأراد أخذ ابنها فوقفت أمام الملك تقول: ((أيها الملك، حملته تسعاً ووضعته دفعاً، فأرضعته شفعاً ... أراد أن يأخذه مني كرها... فقال: زوجها: أيها الملك إنها أعطيت مهرها كاملاً ولم أصَبْ منها طائلاً، إلاّ وليداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً)) وكان الملك ظالماً إذ ضمَّ الغلام إلى غلمانه وأمر ببيع والديه على أن يعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هي عشر ثمن زوجها. يراجع:-

- الأغاني:- أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) شرحه وكتب وهوامشه، سمير جابر- ط١ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان، ١٩٨٦: ١٦٧/١-١٦٨.
- الكامل في التاريخ – علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨: ١ / ٢٠٣.

(٦) المناقضات في الجاهلية وصدر الإسلام – رحيم جبر أحمد – رسالة ماجستير – مكتوبة بالآلة الكاتبة – كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٥ م: ٢٠.

(٧) م. ن: ٢١.

(٨) قس بن ساعدة الأيادي – د.أحمد الربيعي، مطبعة الآداب – النجف الأشرف: ٢٦ وتنهض المناقضات على التفاخر في الشجاعة، والكرم والمحامد، ومآثر رجالات القبيلة، وكل سيد يريد أن يتفوق على خصمه، وتجري غالباً في الأسواق، كسوق عكاظ.

(٩) ينظر، جمهرة خطب العرب – أحمد زكي صفوت – العصر الجاهلي – عصر صدر الإسلام، ط١، المكتبة العلمية – بيروت – لبنان: ٤١/١ – ٤٥.

(١٠) ينظر كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق) تأليف أبي عبيدة (ت٢٠٩ هـ) وضع حواشيه محمد أحمد عبد العزيز سالم – مجلدان – ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ٢٠٠٧ م.

(١١) تاريخ النقائض في الشعر العربي – أحمد الشايب، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – ١٩٦٦ م: ٣.

(١٢) ينظر جمهرة خطب العرب: ٣١٢/١ – ٣٦٨، ٣٩٠ وما بعدها، ٤٠١ – ٤٠٨، وجمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت – المكتبة العلمية – بيروت، لبنان، ما دار بين الإمام علي (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان: ١٤/٢– ٣٣.

(١٣) ينظر تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية – د. محمود المقداد، ط١، دار الفكر المعاصر – بيروت، لبنان – دار الفكر دمشق / سوريا، ١٩٩٣ م: ٩٣.

(١٤) الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، زينة عبد الجبار محمد المسعودي، ط١، طبع مركز البحوث والدراسات الإسلامية (ديوان الوقف السني)، بغداد / العراق: ٢٠٠٩ م:١٦.

(١٥) محمد ذو النفس الزكية: هو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان من سادات بني هاشم، وجيهاً فاضلاً متقدماً في زمانه، ورشحه بنو هاشم للخلافة، ومنهم المنصور، ولقبوه بالمهدي، ينظر الفخري في الآداب السلطانية – محمد بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت٧٠٩ هـ)، دار صادر – بيروت / لبنان: ١٦٥ – ١٦٦.

(١٦) م. ن: ١٦٦ – ١٦٧.

(١٧) كان خروج ذي النفس الزكية على المنصور في المدينة عام (١٤٥ هـ)، ينظر تاريخ الرسل والملوك – محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر: ١٩٨٦: ٥٦٦/٧، والفخري في الآداب السلطانية: ١٦٦–١٦٧.

(١٨) المائدة: [٣٣– ٣٤].

(١٩) جمهرة رسائل العرب: ٧٨/٣، وينظر الوثائق السياسية والإدارية (العصر العباسي الأول) دراسة ونصوص – محمد ماهر حمادة، ط٣، بيروت / لبنان – ١٩٨٢ م: ١٣٠، وينظر الرسائل المتبادلة بينهما أوردها الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك: ٥٦٦/٧ – ٥٧١.

(٢٠) ينظر أدب الكاتب – أبو بكر محمد بن يحيى ألصولي (ت ٣٣٥ هـ) علق عليه محمد بهجة الأثري ونظر فيه العلامة محمود شكري الآلوسي، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان: ٢٢٤.

(٢١) القصص: ١ – ٦.

(٢٢) جمهرة رسائل العرب: ٧٩/٣.
(٢٣) م. ن: ٧٩/٣ – ٨٠.
(٢٤) ينظر م. ن ١٣/٣ – ١٤، نص كتاب الأمان لابن هبيرة، وتاريخ الرسل والملوك: ٤٥٢/٧– ٤٥٦، ووفيات الأعيان – أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق، د.إحسان عباس، دار الفكر – دار صادر / بيروت / لبنان، ١٩٧٢ م: ٢/ ٤١٥.
(٢٥) ينظر كتاب الأمان لعبد الله بن علي عم المنصور، م.ن: ٢٤ –٢٥ وموت عبد الله بن علي، تاريخ الرسل والملوك: ٧/ ٥٠١ –٥٠٢، والفخري في الآداب السلطانية: ١٦٧ – ١٦٨، وأمر المنصور بقتل عمه بعد أن بقي تسع سنين في حبسه سنة (١٤٩ هـ) ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) تحقيق وتعليق، قاسم الشماعي الرفاعي، ط١، دار الظلم، بيروت/ لبنان، ١٩٨٩ م:٣/ ٢٨٦.
(٢٦) ينظر الكتب بين المنصور وأبي مسلم الخراساني، وكتاب أبي داود إلى أبي جعفر، م.ن:٢٦/٣ – ٣٠ وتاريخ الرسل والملوك في قتل أبي مسلم: ٧/ ٤٩١–٤٩٢، وكان قتله سنة (١٣٧ هـ) والفخري في الآداب السلطانية: ١٦٨– ١٧١.
(٢٧) ينظر: م. ن: ٨٠/٣.
(٢٨) ينظر الهوامش من: ٢٣ – ٢٥.
(٢٩) يمتُّ: (ألمَتّ) التَوَسُل بقرابة، ينظر مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦ هـ) عنى به محمود خاطر – مراجعة لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: مادة: متَّ.

(٣٠) فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، أم (عبد الله والزبير وعبد مناف وهو أبو طالب) بنو عبد المطلب، ينظر شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد (ت٦٥٦ هـ) مراجعة وتحقيق لجنة إحياء الذخائر، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت/ لبنان: ١/ ٣٣.
(٣١) يعني علياً بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وعلياً زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ).
(٣٢) يعني جدّه وأبا جده، فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ابن عبد المطلب.
(٣٣) يعني نفسه، ويعني محمد الباقر بن علي زين العابدين.
(٣٤) أوسطهم: ارفعهم وأخيرهم، وأعدلهم، ينظر مختار الصحاح مادة وسط.
(٣٥) يعرض بالمنصور، وكانت أمّه أم ولد يقال لها سلامة، بربرية، ينظر مروج الذهب: ٢٦٥/٣.
(٣٦) يعني جدّه أبا طالب، وأن الله سيُخفف عنه العذاب لما كان له من نصرة رسول الله (ﷺ) وحمايته من أذى قريش، وعمّه أبو لهب (خير الأشرار) ينظر هوامش جمهرة رسائل العرب: ٧٩/٣ – ٨٠.
(٣٧) م. ن والصفحة.
(٣٨) كتاب الوزراء والكتاب – أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي – ط١، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده – القاهرة / مصر ١٩٣٨ م: ١١٥.
(٣٩) جمهرة رسائل العرب: ٨١/٣.
(٤٠) م.ن والصفحة نفسها.

(٤١) لا يستطيع المنصور إنكار شرف ذي النفس الزكية من جهة جده الحسن بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) فهو أبوهم من جهة الأم، وقرابتهم من جهة العمومة (أبو طالب جده والعباس جد المنصور أخوان).

(٤٢) الشعراء: ٢١٤.

(٤٣) يعني بمن أجاب جدّه العباس وسيدنا حمزة (ﷺ) ومن كفر جدّ ذي النفس الزكية أبو طالب وثانيهما عمه أبو لهب.

(٤٤) إلاّ: عهداً وذمة.

(٤٥) جمهرة رسائل العرب: ٨١/٣.

(٤٦) م. ن: ٨٢/٣.

(٤٧) (وأم عبد الله والد النبي محمد (ﷺ) وأبي طالب والزبير، وجميع النساء غير صفية هي من فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ....، يراجع: السيرة النبوية – أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق محمد فهمي السرجاني وخيري سعيد – المكتبة التوفيقية – مصر ٢٠٠٣ م: ١ / ٧٣.

(٤٨) عبد الله: والد رسول الله (ﷺ)، فهو الأقرب إليه ولكن الإسلام لا يرزق بالقرابة، والله تعالى هو الذي يختار لدينه من يشاء.

(٤٩) القصص: ٥٦.

(٥٠) جمهرة رسائل العرب: ٣/ ٨٢.

(٥١) هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وكان عليٌّ كرم الله وجهه أصغر بنيها، ينظر شرح نهج البلاغة – أبن أبي الحديد: ٣٢/١ ولا نجد لفاطمة هذه ذكراً في كتاب ذي النفس الزكية السابق.

(٥٢) جمهرة رسائل العرب: ٨٢/٣.

(٥٣) أمه مارية القبطية التي أهداها المقوقس ملك مصر إلى رسول الله (ﷺ) فتسرى بها تاريخ الرسل والملوك: ٣ / ١٦٩.

(٥٤) جمهرة رسائل العرب: ٨٣/٣.

(٥٥) الكامل في اللغة والأدب – محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق د.يحيى مراد، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة / مصر / ٢٠٠٤ م: ٣٨٣.

(٥٦) الأحزاب: ٤٠.

(٥٧) جمهرة رسائل العرب: ٣ / ٨٣ – ٨٤.

(٥٨) الشعراء: ٢٢٧.

(٥٩) جمهرة رسائل العرب: ٣ / ٨٤.

(٦٠) تاريخ الرسل والملوك: ١٩٥/٣ – ١٩٦ – أمَّر الرسول محمد (ﷺ) أبا بكر في الصلاة بالمسلمين لمرضه وقال: (مُرُوا أبا بكر فليصَلّ بالناس) ينظر في ذلك مفصلاً، سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق خيري سعيد، تقديم د.سعيد حسين العفاني، طبع المكتبة التوفيقية، مصر: ٣٧٢/١ – ٣٧٣.

(٦١) يريد في تولي الخلافة وبيعه أبي بكر ثم عمر (ﷺ).

(٦٢) أصحاب الشورى وهم (عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف)، تاريخ الطبري ٥ / ١٥٤.

(٦٣) وسعد أبي وقاص لم يبايع علياً حين ولي الخلافة.

(٦٤) جمهرة رسائل العرب: ٨٣/٣.

(٦٥) بعد معركة صفين أقرّ علي كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان مسألة التحكيم فحكّم أولهما أبا موسى الأشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص، ينظر ما جرى بينهما من كتب، م.ن: ٢/ ١٩ – ٢٠.

(٦٦) م. ن: ٣/ ٨٤.

(٦٧) م. ن: ٣/ ٨٤ – ٨٥.

(٦٨) هو عبد الله بن زياد وأمه مرجانه، ينظر الأخبار الطوال – أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) تقديم وتوثيق د. عصام محمد الحاج علي، ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان/ ٢٠٠١ م، ٣٨٦.

(٦٩) وطاء:المهاد الوطيء،وتأتي بمعنى الموافقة.ينظر مختار الصحاح:مادة وَطِئ.

(٧٠) جمهرة رسائل العرب: ٣ / ٨٥.

(٧١) خرج زيد بن علي بن الحسين علي هشام بن عبد الملك سنة (١٢١ هـ) في الكوفة فقتل وصلب واحرق ينظر تاريخ الرسل والملوك: ٧ / ١٦٩ والفخري في الآداب السلطانية: ١٣٢ – ١٣٣.

(٧٢) هرب إلى خراسان عند مقتل والده، وثار في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة (١٢٥ هـ) فصلب وأحرق: ينظر كتاب أمرَ الوليد بن يزيد فيه: جمهرة رسائل العرب: ٧/ ٢٢٩ – ٢٣١.

(٧٣) جمهرة رسائل العرب: ٣ / ٨٥.

(٧٤) م. ن والصفحة.

(٧٥) ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ) تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمد عبد الوهاب فايد، دار الشعب/ مصر: ٣ / ١٧٤ لأن السقاية كانت في الجاهلية بيد أبي طالب ثم سلمها لأخيه العباس.

(٧٦) حدث ذلك القحط سنة (١٨ هـ) أصابت الناس فيها مجاعة وكان يثار الغبار فيها كالرماد من الأرض فسمي العام عام الرمادة ينظر تاريخ الرسل والملوك: ٤/ ٩٨– ٩٩/ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/ ١٦٧.

(٧٧) جمهرة رسائل العرب: ٣/٨٦.

(٧٨) م. ن والصفحة.

(٧٩) خرج العباس وعقيل بن أبي طالب مع المشركين، ثم أُسرا بيد المسلمين فدعا الرسول محمد (ﷺ) العباس أن يفدي نفسه، وابن أخيه عقيل لأنه ذو مال، ينظر تاريخ الرسل والملوك: ٢ / ٤٦٥ – ٤٦٦.

(٨٠) جمهرة رسائل العرب: ٣ / ٨٧.

(٨١) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب وكان جدّه من سبي كابل ولد سنة ثمانين، وكان صديقاً لأبي جعفر المنصور وله معه أخبار ومواعظ معروفة، وله كتب مؤلفة توفي سنة أربع وأربعين ومائة بموضع بين مكة والبصرة يعرف بمران ورثاه المنصور وهو أول خليفة يرثى من هو دونه، ينظر الفهرست – محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠ هـ) ضبط د.يوسف علي طويل، ووضع فهارسه أحمد شمس الدين– ط٢، دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان، ٢٠٠٢ م:٢٨٤ – ٢٨٥.

(٨٢) ينظر خروج ذي النفس الزكية وأخيه، الأخبار الطوال: ١ / ٥٥٨ – ٥٥٩.

FABLE IN CHAUCER'S "THE NUN'S PRIEST'S TALE"
AND KIPLING'S "RIKKI-TIKKI-TAVI"

Amal M. Jasim

Abstract

Since the dawn of the history, the fable is one of the most lovely literary genres which keeps of all those who either hear, recite, or read it amused. However, it is considered to be Children Literature, but it is read and examined by the majority of adult readers; because of its enjoyable uniqueness.

This paper tries to shed light on the fable in Geoffrey Chaucer's The *Nun's priest's Tale* and Rudyard Kipling's "Rikki-Tikki-Tavi". In addition, it attempts to study the fable and its origin as a literary genre, then it would illustrate the use of fable in both, the Tale and the short story of Kipling. Moreover it would lend a hand to present an idea about the differences and similarities between both works. And finally the conclusion ,which would sum up the findings of the study.

I. Fable

The gorgeous work that amuses, entertains and keeps busy every one not only children but also the child in every adult is Fable. Chris Baldick defines the fable as:

> A brief tale in verse or prose that conveys a moral lesson, usually by giving human speech and manners to animals and inanimate things. Fables often conclude with moral, delivered in a form of epigram. A very old form of story related to folklore and proverbs. The fable in Europe descends from tales attributed to Aesop, a Greek slave in the 6th century BCE: his fable of the fox and the grapes has given us the "sour grapes". An Indian collection, the *Bidpai*, dates back to about 300 CE.The French **fabulist** La Fonntaine revived the form in the 17th century with his witty verse adaptations of Greek Fable. More recent examples are Rudyard Kipling's *Just So Stories*(1902), James Thurber's *Fable of Our Time* (1940), and George Orwell's *Animal Farm* (1945) (Baldick:123).

Fable is the work that appeals to all people, no matter about how old they are and regardless of their levels, and their backgrounds. And the majority of these genre are musing. One can easily watch their animation movies in cartoon, digital, and the marionettes and puppet shows.

I.i.The Earliest Fable

The beast fables, stories about animals who act like human beings and suggest a moral lesson, were the earliest fables.

> Fable, a term most commonly used in the sense of a short story devised to convey some useful moral lesson, but often carrying with it associations of the marvelous or mythical, and frequently employing animals as a characters. Aesop's fables and the Reynard the fox series were well known and imitated in Britain by Chaucer, Henryson and others, and La Fontaine, the greatest of modern fable writer, was imitated by Gay. Mandeville's *The Fable Of The Bees,* Swift's *Gulliver's*

> *Travels* and Orwell's *Animal Farm* may be described as satirical fables (Drabble:335).

The Greek slave Aesop (ca.620-560 B.C.) is, of course, the great exemple here. Through his dogs and crows, foxes and lions, he speaks warning wisdom that is still taken to heart. The moral is clearly stated at the end. A fable needs not have animals as actors, but it must always have a moral, implicit or explicit: that is its chief identifying characteristic . The idea of presenting a story in which beasts act as human beings, and so giving moral lessons from a world thus turned upside down, goes back as far as Greek literature, and is associated with the name of Aesop in the sixth century B.C. In these fables the fox is always the embodiment of treachery (J.B. Tarapp etal:176).

> Aesop (620?-560?BC), ancient Greek writer of fables, who is supposed to have been a freed slave from Thrace. His name became attached to a collection of beast fables long transmitted through oral tradition. The beast fables are part of the common culture of the Indo-European peoples and constitute perhaps the most widely read collection of fables in world literature. Many of Aesop's fables were rewritten in Greek verse by the poet Babrius, probably a Hellenized Roman of the 1st or 2nd century AD, and in Latin verse by the Roman poet Phaedrus in the 1st century A. D. The collection that now bears Aesop's name consists for the most part of later prose paraphrases of the fables of Babrius (Encarta Encyclopedia "Aesop").

I.ii. African Fable

Fable is the genre that can be found in different cultures around the world.

It was the oral stories in Africa that were told by the word of mouth and its characters were, apparently , animals of this area.

> Fable from the oral literature of west Africa featured a trickster character, either a snake or a spider or a hare.

> The trickster hare is an ancestor of Brer Rabbit in Joel Chandler Harris's Uncle Remus stories. Other collection of fables include the *Bidpai;* traditional fable from India; *Just So Stories* by Rudyard Kipling; and in a more satirical vein, James Thurber's original fable, *Fables For Our Time* and *More Fable of Our Time*. George Orwell's satire, *Animal Farm*, has also been called a fable(although a complicated one) because of its animal characters"(Morner and Rausch:79)

I. iii. Eastern Fable

India "Jewel of the East (N,Applebee:399)" ,which is the source of eastern culture has its own fable which had begun since the dawn of the history.

> *Panchatantra*, the oldest extant collection of fables in Sanskrit literature. Dating probably from the 3rd century BC to the 4th century AD, it is based on still earlier collections of folk tales. The *Panchatantra* is attributed to Indian writer Vishnusharman. The fables, primarily about animals, are organized into five books on such topics as winning friends, losing property, and waging war. They were originally intended to instruct a young prince in the conduct that would ensure his worldly success. The Sanskrit original is lost, but the *Panchatantra* was translated into the major languages of Europe and Southeast Asia and has influenced the folktales of those regions (Encarta "Panchatantre**")**

It is believed that India is the starting place where the world fables tried to supply with including the English, and ,specially, in the early colonization. "The body of the Renaissance travel writing reveals a domestication of fable into fact" (Tarrp etal:544).

Walt Whitman also believes that India represents the east with its myths as he used it in his poem "A Passage To India", and it is also believed that it is not only the west that is influenced by this ethnicity but also the Arabs. *Kalilah and*

Dimnah, the Arabian book of fables was written as a translated form of the Indian Fable *Bidpai*.

> *Bidpia* or *Pilpay*, The Fable of, or *Kalilah and Dimnah* , is the title of the Arabic Version of a lost original of the *Panchatantra*, a celebrated Sanskrit collection of fables, the source of much European folklore. 'Bidpia' is a corruption of 'bidbah' the appellation of the chief scholar at the court of an Indian prince.
>
> The fables were translated into many European languages,… A recent version, *Kalilah and Dimna*: *Selected Fables of Bidipia*(1980) by Ramsay Wood, has an introduction by D. Lessing describing the history of the tales and their naturalization in other cultures (Drabble:100).

Abdullah Ibn al-Mukaffa was the author of this collection of Arabian fables. It is "one of the most popular books ever written is the book the Arabs know as *Kalila wa Dimna*, a bestseller for almost two thousand years, and a book that is still read with pleasure all over the Arab world" (www.saudiaramcoworld.com)

After the Muslim conquest of Persia and the Near East, three hundred years after the writing of *Bidipia, a* Persian convert to Islam named Ibn al- mukaffa, his real name was Burzoe's Pehlave, translated it into Arabic with a very clear style, that it is still considered as a model of Arabic prose(ibid).

I.iv. Europeaan Fables

Geoffrey Chaucer, who is imitated by many other writers, the father of English language and poetry had written the earliest English fable in his Canterbury Tales.

> The best-known early fable in English is the Nun's Priest's Tale in Thw Canterbury Tales by the English poet Geoffreuy Chaucer. Another English writer of fables was John Gay, whose Fables (first series, 1727;

> second series, 1738) are written in sprightly verse and characterized by great originality and wit
>
> Other important modern European fabulists include the 18th-century Spanish poet Tomás de Iriarte y Oropesa, author of *Fábulas literarias* (Literary Fables, 1782); and the famous 19th-century Danish writer Hans Christian Andersen, many of whose fairy tales are actually fables. In the United States a contemporary form of fable developed, the chief exponents of which included Ambrose Bierce (Fantastic Fables, 1899), George Ade (Fables in Slang, 1900), James Thurber (Fables for Our Time, 1940), and William Saroyan (Fables, 1941) (Encarta "Fable")

The French Fable is represented by, French writer, Jean de La Fontaine (1621-1695) who produced the most famous fables of modern times. His work influenced many later writers. His fables are distinguished by vivid and artful narration and by the subtlety and range of their author's understanding of life. Though his *works of art* have as their sources *The Decameron* of Giovanni Boccaccio, *L'heptaméron* (1559; *The Heptaméron*) of Margaret of Navarre, and *Les cent nouvelles nouvelles* (One Hundred New Tales), reputedly by Antoine de La Salle, La Fontaine restated the stories of these earlier authors with considerable variation and with unique energy and wit (Encarta "Jean de La Fontaine").

La Fontaine revived this genre in the seventeenth century by his witty fashion and techniques, even though fables were written in monasteries During the medieval period, and few if any consequence have survived. The writing of fables was revived in France during the 12th century, and from that time on the fable literature of France was more prolific than that of any other European country. the most important poet in the 12th century Marie de France. Between the 12th and 14th centuries a popular collection of animal fables entitled *Roman de Renart*

appeared in France, the principal character of which was a wily fox known as Reynard (Encarta "Fable").

Influenced by La Fontaine the eighteenth century Germanic Fable represented by Gotthold Ephraim Lessing appeared (ibid).

Another English writer of fables was John Gay, whose *Fables* (first series, 1727; second series, 1738) were written in sprightly verse and are characterized by great originality and wit (Ousby:361). Another important modern European fabulist is the 18th-century Spanish poet Togmás de Iriarte y Oropesa, author of *Fábulas literarias* (Literary Fables, 1782) (Encarta"Fable").

Kipling, Rudyard (1865-1916) showed unusual sympathy with the children he was partly writing for (Ousby:511). In the United States a contemporary form of fable developed, the chief exponents of which included Ambrose Bierce (Fantastic Fables, 1899) (ibid:86), George Ade achieved success with his extensive use of colloquialism in (*Fables in Slang*, 1900) (ibid:7). James Thurber (*Fables for Our Time*, 1940), and William Saroyan (*Fables*, 1941) (Encarta :"Fable").

Fable is the only one of its kind that will amuse all, beyond dispute, unlike modern category of amusing type which may use other prohibited subjects, according to some beliefs, to get their goals of amusement.

II. Joseph Rudyard Kipling (1865- 1936)

Authentic writings, whether it is poetry or prose, elevate their author to be a well known figure even when it was not the time of net and satellites. Kipling was born in 1865, Bombay, India. As he was taken to England he came back to India in 1882 and worked as a journalist. Between 1887-1889 he brought out six volumes of short stories. When came back to England his reputation had preceded him, and this reputation was redoubled upon the publication of "Barrack Room Ballad" in

1892. After marrying Caroline he stayed in America and there he published his books *The Jungle Book (*1894), *The Second Jungle Book* (1895), *Captain Courageous (1897), and Kim (1901*) (*Webster's Dictionary*: "Kipling").

The English novelist, short story writer, and poet, was well known for children stories and tales about soldiers in India and Burma . His stories were characterized by subtler if less amazing technical talent to the exploration of deeper thought sometimes more confusing themes. There is much in Kipling's later art to limit its popular appeal. It is compressed oval in manner and serious in many of its themes. But that his reputation among informed critics should have declined steadily during his life time can scarcely be accounted for except in terms of political prejudice (*Encyclopedia Britannica "*Kipling*"*).

He published lots of poems while he was a teenager. His first book *Schoolboy Lyrics*. In 1889 he became foreign correspondent for the Allahabad *pioneer* and began travelling to China, Japan, America, Australia and Africa that helped him to observe into the African affairs not only Indian affairs, and he declined several honours (Schmidt:15).

In 1886, his light verse for newspaper was collected in *Departmental Ditties.* Though the real mark that paved the way for his return to England was *Plain Tale from The Hills* (1888) (ibid). Kipling's poems also share his stories their characters and themes, and one may locate his poem "The Law of the Jungle*"*, that he was influenced by the eastern culture and the colonization. W.H. Auden had selected this poem in addition to other six poems including, "M'Andrew's Hymn", "My new- cut ashlar" and "Song of the Galley-Slaves" (Auden:574-591). "My Boy Jack" , which he wrote after the death of his son, was his poem which reflects the generalized loss (.Schmidt:15)

Kipling is regarded as one of the greatest English short-story writers. As a poet he is remarkable for

rhymed verse written in the slang used by the ordinary British soldier. His writings consistently project three ideas: intense patriotism, the duty of the English to lead lives of strenuous activity, and England's destiny to become a great empire. His insistent imperialism was an echo of the Victorian past of England (Encarta "Kipling")

His works have captured the attentions of the movie makers that most of them were either acted by real actors or animated as cartoon films. Indeed to the extent almost all the children around the world know who Mowgli is.

The Jungle Book, animated motion picture about a boy raised by wolves, produced by Walt Disney. Released in 1967, this box-office hit was based on Rudyard Kipling's stories about the boy Mowgli's adventures in a remote area of India. Mowgli (voiced by Bruce Reitherman) meets a series of amusing characters before he decides he must leave the jungle in order to become a man. Jazz musician Louie Prima plays King Louie of the apes and Phil Harris plays Baloo the bear (Encarta "The Jungle Book").

He had got a noble Prize in literature in 1907(ibid).

II.i. "Rikki Tikki Tavi"

"Rikki-Tikki-Tavi" is Rudyard Kipling's short story in *The Jungle Book* (1894)which is about the adventures of a valiant young mongoose. The story is a favourite of Kipling's admirers and is distinguished for its frightening and serious tone. Some epic features (sharp prosaic style, songs to the hero) added to the standard typology of hero defeating villain. It has often been anthologised and has also been published more than once as a short book in its own right. The story was also adapted into an animated TV specially by American animator Chuck Jones in 1975 that same year the story was adapted as a Russian animated short film (www.wikipedia.com)

II.ii. The Plot

An English family has moved to a bungalow in the jungles of India . They discover a young mongoose half drowned from a storm and decide to keep it as a pet. The young mongoose, named Rikki-Tikki by its new owner, soon finds himself confronted by two dangerous, murderous cobras, *Nag* (the word is Hindi for "cobra") and his even more dangerous mate *Nagaina*, who had the run of the garden while the house was unoccupied. After that first encounter with the cobras, Rikki's first true battle is with Krait, a dust brown snakeling who threatens the poor boy (Teddy). Although Rikki is inexperienced and the snake, because of its deadly venom and small size, is an even more dangerous foe than a cobra, the mongoose defeats him.

At Nagaina's urging, Nag plans to kill the human family to get the house empty again so they can become king and queen of the garden. She also reminds him that their eggs would hatch soon (as they might the next day) and that their children will need room and quiet. Nag goes to the bathroom to wait to kill the "big man." Rikki, who sneaks in, grabs Nag by the head above the hood. Nag thrashes about furiously, and the noise wakes the man, who fires both barrels of a shotgun into Nag, blowing him into two pieces and almost hitting Rikki. Nag is then thrown on the rubbish heap, where Nagaina mourns for him and vows vengeance.

Rikki, well aware of the threat, enlists a tailor bird, Darzee, to distract Nagaina while he searches for her eggs. However, as Rikki finds and destroys most of the brood (by stomping on the eggs), Nagaina approaches the family at the dinner table in the garden and threatens to kill the family's son with her poisonous bite. Alerted to the crisis, Rikki races to the family with the last egg in tow. Once there, he claims he killed Nag himself and shows the egg to distract Nagaina long enough for the man to

pull the boy to safety. Nagaina snatches the egg and flees to her hole, with Rikki in pursuit. The underground fight is not described, but after an agonizingly long time, Rikki comes out of the hole in triumph, having killed Nagaina. After this victory, Rikki spends the rest of his days defending the family garden where no snakes dare to enter (Applebee etal:386-399).

Kipling has used a very knowledgeable style, which is still loved and it appeals to all the readers and the viewers of this story, to advocate the thoughts that he has believed in, which are accepted from the nineteenth century up to now.

II.ii. Themes

Any work of art should have a theme, and since this short story was written as a Children Literature, it should have two main elements firstly entertainment and secondly didacticism. Kipling could include them both by the informative themes he comprised.

II.ii.1. Courage

To distribute the values of virtuous behavior, courage, is one such virtue displayed by the hero, Rikki-tikki-tavi,. Rikki, knowing that he has to kill Nag in order to protect the human family, is fearful of the cobra's size and strength, but he triumphed over his fear by his own courage, and he succeeded in killing the snake. He is rewarded for his courage by being considered a hero and given a permanent place in the home of the humans. The virtue of courage is further emphasized by the story's portrayal of shameful cowardliness; Chuchundra, the fearful muskrat who "never had spirit enough to run out into the middle of the room" is unable to overcome his fear and, therefore, brings out disregard from Rikki and the other garden creatures.

II.ii.2. Progress and Work

Progress and hard work were idealized during The Industrial Revolution which took place In Victorian England and the British Empire expanded greatly. Kipling emphasizes the virtue of hard work by contrasting Rikki-Tikki-Tavi's heroic behavior with the "insensible" behaviour of Darzee.

II.ii.3. Loyalty and Duty

Influenced by the systems of honor and duty evangelized at the military prep school Kipling attended in his late childhood. Loyalty figures as a theme in "Rikki-Tikki-Tavi." Rikki is loyal to the human family that takes him in, and his loyalty drives him to protect them from the cobras, even to the point of risking death. When he attacks Nag Rikki also risks death out of a sense of duty regarding his heritage as a mongoose.

II.ii.4. British Imperialism

Victorian-era imperialism was not just the practice of colonization, but it reflected an attitude and philosophy of assumed British superiority, Kipling is well known for promoting British imperialism in his writing; which reflects this cultural prejudice. The story makes clear that the family living in the bungalow in India is an English family, and it is intimated that Rikki is a very lucky mongoose for having been rescued by humans who are white— which dramatizes the British presence in India — is idealized and, in the specific use of the term "white men" portrayed as superior to the native cultures of India. The culture of the Indian people and their Hindu religion is further symbolically put down in the story when Nag, the villain, is directly associated with the Hindu god Brahma.

II.ii.5. Survival

The survival of the British family implies both British superiority and British domination. Therefore it is a motivating factor behind the action of all the characters , and it seems to be the only law that governs the fantasy world of the garden: the act

of killing, for example, is not against the laws of the garden but is consistently portrayed as a means towards the more important goal of survival for both the heroic and villainous characters (www.answer.com).

One can say that Teddy represents Kipling as he was a British-born government official. In addition to that Kipling has named the characters of his fable, which are animals, Indian names. These are evidences which can be signs of his attitude and philosophy of assumed British superiority. He confirms that human beings should be nice and kind to those who are lower in class even if the upper classes are their superiors. This is evident when Teddy's father asks Teddy not to put the mongoose in a cage and not to be harsh in his treatment of such a creature.

Almost all critics do agree about Kipling's didactic themes in his works of prose that "Rikki-Tikki-Tavi" seems to be a simple tale in which the hero and villains are clearly defined and good triumphs over evil. However, the ways by which good and evil are defined and represented can serve to make a greater ideological point. Kipling, who wrote during the height of British imperial power, was a well-known promoter of British imperialism. His ideologies were not absent from his children's stories. In the case of "Rikki-Tikki-Tavi," Kipling uses the cobras, Nag and Nagaina, as a symbol of evil in order to demonize the Hindu culture and thereby promote the British agenda of rule over India (Fernando.Tamara.answer.com). It seems that he was also influenced by Christianity that he depicts the villain as a snake. Also he was swayed by the Indian myths (ibid).

According to other critics Kipling is the kind of author who believes and wants others to believe that the British colonialism is for the benefits of all, as he is so sensitive and intelligent writer, he could manage his ideology (Montefiore:299).

II.iii. "Rikki- Tikki- Tavi " as a Fable.

A short story which usually deals with animals and teaches a lesson. Kipling had utilized these animals to reproduce his belief in imperial subject matters with other moral topics in addition to the entertainment which is the primary aim of Children Literature.

> Fable, in literature, an anecdote with a moral in which the characters are animals behaving as humans. The fable was a popular literary genre in Greece, as in other countries, at all times. Quintilian observes that it appeals particularly to the simple and uneducated. It is not found in Homer, but occurs in Hesiod and Archilochus. By the end of the fifth century BC Greek fables were generally attributed to Aesop; they were probably written in prose. A collection of 'Tales of Aesop' was made by Demetrius of Phalerum. The earliest surviving collection of fables is that of Babrius, probably of the second century AD, written in choliambic verse. It enjoyed wide popularity. (Classical Literature Companionwww.crude-experts.com)

This parable is a narrative not based on fact. It is imaginary that was handled cleverly by Kipling to amuse his readers and still doing so up to now. Even it might be an entertainment and often an oral account of a fictitious occurrence: anecdote, story, but it still captures the attentions of all its viewers, through the animations and movies of real actors in the American Cinema.

Kipling had manipulated the animals and their moral constitution and their natural disposition to teach, educate and instruct his readers various subjects. "Fight for survival" and "law of the jungle" are drawn in this fable to reflect good versus evil. Children are also produced to different kinds of animals, their way of living, names and their positions.

Unlike old and traditional fables, Kipling had not given his animal characters human attitude. His beasts live two different

situations. Firstly they communicate with each other by their own language, secondly they behave in a very normal, usual and ordinary way while mixing with human beings.

Using a simple narrative style, Kipling had written his fable to be effortlessly understood by the booklovers. "Fable is a fictitious story that uses animal characters to express or teach a moral lesson (M Reitz. Joan: Fable)".

Kipling turned out to be very talented . He had not been the first writer who was able to empathize (in this case it means to humanize) the animal world but he was definitely the first one who created the empire of animated animalistics – in spite of tautology-- in so picturesque and colourful tones. All the animals conduct themselves as people, have their own souls, and they have the same hierarchy of power as in human society. One may say it is a real projection from human society (*Igor Burnashov, the Kazak National University*).

In spite of Kipling's imperialism and colonialism in this Fable, it should not be considered as only anti-human. The gifted author had fashioned it in a very distinctive way to represent the power of good and evil. What is more, this fable has shown the humanized animals in two different manners. Firstly, while these animals are in the middle of other animals are humanized and having been animated, secondly, while being with human beings they (animals) act just like pets, which is so loved by the majority of children all over the world.

According to his work, Kipling can really be called a jingoist and this is enough to show that his human values dominated over his possible orthodoxy (ibid).

One can see that not only the people who wanted to enrich themselves as a result of British imperial conquests but also those of them who created the Empire and worked together with the natives side by side have been depicted in Kipling's fable.

III. The Nun's Priest's Tale.

The Nun's priest is one of the characters in *The Canterbury Tales* of Geoffrey Chaucer written in Middle English in 1387-1400. He is one of three priests in the General Prologue given a bare mention after the Prioress. But only one Nun's Priest tells a tale ; and our only description of him comes from the Host , who calls him powerfully built and his tale is the eighteenth one and it comes as a response to "The Monk's Tale".

His tale is one of the twenty-four stories of Chaucer's Tales, which might have been written at any time after 1381(there is a reference in it to the Peasants' Revolt of that year). It is based on an animal fable which Chaucer probably found in one of the popular collections of stories concerning Reynard the Fox and his tricks which had began to be built into beast epics in the twelfth century. Preachers naturally found such stories useful in sermons. These would open with a text from the *Bible* or other sacred works. This tale, in the mouth of its teller, such a sermon, in a perfectly conventional form, with the lesson firmly stated at the end does not trust flatterers (Tarapp et al:176).

However, Chaucer's Tales are fabulous and amazing works of art which are considered to be one of the main reasons behind the appearance of the short stories of modern time. Hence the Nun's Priest's Tale is , also , more than a sermon or a moral lesson. It is another illustration of that quality which makes Chaucer one of the greatest poets in the language through his ability to work within a convention and transform it. Chaucer has taken two conventions -- the theory and practice of rhetoric and the beast fable -- which makes a spectacular distinction with the sparkling amusing, erudite tale of the Nun's Priest's Tale (ibid).

The Nun's Priest's Tale is written in a the mock heroic epic style:

> Written in an ironically grand style that is comically incongruous with the "low" or a trivial subject treated. This adjective is commonly applied to mock epic, but serves also for works or parts of works using the same comic method in various forms other than that of the full-scale mock-epic poem (Baldick:212).

He has written his tale , "The Nun's Priest's Tale", in a poetic language but it is filled with different kinds of ironies, by the use of human aspects of these barnyard creatures, to show the absurdity of human ambitions (Coles Notes: 64). Furthermore the story is overflowing with the classical allusion ,with discussion about heavenly foreknowledge, and with a high moral tendency. It is a comic irony by being presented by a barnyard chicken.

III.i. The Plot:

When Chaunticleer, the cock, dreamt of a beast roaming his yard and was confused by that and by the hen, Pertelote, which said that it was cowardly of him, the cock, to be frightened by a dream. She added that it was because of eating too much, and she recommended a laxative for him. He disagreed with her and supported his speech by quoting a few authors who maintain that dreams had very definite meanings. Referring to a story of the two pilgrims and he quoted several more authorities by reciting the *Dream of Scipio*, St. Kenelm, Danial , Joseph's interpretation of dreams, and Andromache's dream. Later he tried to avoid being unkind with her he quoted a Latin phrase, which he translated mockingly as "woman was man's joy".

Shortly the cock began to run by catching a sight of a fox, Daun Russel, the later cheated the cock by calling him in a low voice that he the fox wanted to see if the cock could sing as well as his father had done. afterward the fox grasped him by the neck and made off with him. Being rescued by the widow, the owner

of the land, and her daughters and all the animals of the barnyard, Chaucer has used subtle technique to demonstrate the mock heroic epic by comparing this event with the fall of Troy (593-594). The cock tricked the fox by his own tool. The cock asked him to throw few insults on the others. Abruptly the cock flew upon the tree, when the fox opened his mouth. And finally the fox failed to lure the cock again because he had learned the lesson (Austin:34-67).

III.ii. Themes:

Chaucer wanted to criticize human beings and the meaninglessness of life through his distinctive style to treat the simple events in a highly ornamented manner (J. B. Tarrp etal:177). The sermon that Chaucer would like to tell is ,also, that the fox stands for the devil which wants to seduce the Christian, the cock and the widow stands for the church (ibid.). Moreover the Tale is of the cock in charge of hens, which is closely related to the priest's own authority over women (www.exampleessayes.com)

Using the fable as an amusing means to teach morality, the cock has fallen because of being proud, which is an immoral attitude. Chaucer gives the reader an idea about flattering and flatterers and he helps to censure this human aspect.

Chaucer uses allusions or references to people, places or even historical events as Troy, Adam and Eve, cries of Roman matrons, and Josephs interpretations of dreams…etc., which appeal to the reader, so that he can reflect the trivial issue he wants to convey.

Free will is also treated in this tale, God must at all times have correct foreknowledge of human actions, since He is the Omniscient. As a man has "free choys", he is responsible for the good and the evil (Austin:30).

III.iii. The Nun's Priest's Tale as a Fable.

A traditional story or tale that has no proven factual basis, is one of the very amusing works of Chaucer. His Tale is a fable

> Short comic tales making a moral point about human nature, usually through animal characters behaving in human ways. The great majority are first recorded in Ancient Greece or India; they became very popular in medieval Europe in both oral and literary versions, especially those about the trickster Reynard the Fox. By now, many are regarded as traditional English tales, their foreign origins forgotten (EnglishFolklore:) http://www. answers.com/topic/fable

Animals which have all abilities that human beings have. Those animals have the manners and the attitudes of sophisticated, lively and energetic men, were used humorously to censure the meaninglessness of life. Chaucer has utilized his animated animals to demonstrate his mock epic style.

Almost all of his characters are animals, though they are framed by human beings, who appeared at the beginning and at the end Just to give human frame or setting to the animal drama which is about to unfold. It also gives the sense of connection between human affairs and the animals fable ,which is the main concern of the Tale (Austin:22).

As the source of entertaining and compelling, the fable, is what the stage manager, the Host, asked to be told to comfort the pilgrims after being depressed and disheartened by *The Monk's Tale.* Also to amuse and keep the pilgrims amused used to tell traditional fable stories and passed on from generation to generation , although they started to rely on their oral tradition to pass down their histories and worldviews.

Chaucer's Fable is notable by his use of the mock heroic, which refers to the *Bible*, myths, historical information and legendary events to obtain his aims out of his work.

Ethical, ethics, moral and morality are the themes behind many works of art. Either they are treated directly or indirectly, by divergences. Thus Chaucer employed his fable to reflect his sermon to his readers .

> fable, brief allegorical narrative, in verse or prose, illustrating a moral thesis or satirizing human beings. The characters of a fable are usually animals who talk and act like people while retaining their animal traits. The oldest known fables are those in the *Panchatantra*, a collection of fables in Sanskrit, and those attributed to the Greek Aesop, perhaps the most famous of all fabulists(Columbia: "fable").

Beasts, monsters, creatures and living things are usually represented as characters in a story that was written in poetry to illustrate and to teach a moral lesson. That is Chaucer's Fable.

Conclusion

To appreciate any work of art, nearly, one has got to be entertained by its subject. Fable is the genre that almost all those who read it or even hear it since their early childhood, feel affection for it. What's more, they never forget the moral themes it evokes and states. Habitually these stories become as proverbs in the cultures of the majority of the whole world.

Chaucer had wittily used this genre in his masterpiece *The Canterbury Tales* , in *The Nun's Priest's Tale;* which becomes as a starting point of gratifying for the pilgrims, as they were depressed because of the Monk's Tale. Hence, Chaucer considered it as a relief for the pilgrims, though it contains many ethical themes . Human attitude also was given to Chaucer's animals in his fable even if he had framed those animals by the

human characters, the widow and her daughters, the animals have the ability to use logic and reason to convince each other. However it is Chaucer's wittily use of allusion and citations.

Chaucer's fable is the first English fable that influenced a good number of authors. It refers to many grand dealings, either religious by referring to the Bible, historical, by mentioning Richard the Lionheart; legend, by being related to the Arthurian legend; or myths, by giving some descriptions to the falling of Troy. Although it has the fable form and being framed by human beings, it congregates numerous subjects, which can be deliberate on the perspectives of fable.

The pedagogical, didactic, instructional, and educational technique of writing fable was Kipling's writings of his, colonial literature, children short stories.His works add together the old style of fable and giving other information about different kinds of animals, their ways of living, their opponents and how can they fight for their survival. Kipling's works still attract the attentions of the contemporary readers , and viewers who watch the animation films of his works and the children video games which contained the characters of his fables.

Readers are captured by the great fables of Kipling, though he was preceded by other fabulists . His characters are known by the majority of the world children and adults as well as the elders.

This work is intended not only to present the author's practical innovations while teaching the 'British Foreign Policy' course, but also to arouse the real interest of all those readers who want to know Kipling's fable and his own creativity. His creativity in fable writings deserves to be investigated more and more.

Bibliography

Arthur, Applebee N. et al. *The Language of literature*.USA: McDougal Little Inc. Printed in the United States of America,1997.

Austin. Robert J. *Chaucer's Canterbury Tales The Nun's Priest's Tale*. Canada: Coles Publishing Company Limited. 1977.

Baldick. Chris. *The Oxford Dictionary of Literary Terms*. New York: Oxford University press, 2008.

Board. Coles Editorial. *Chaucer Canterbury Tales*. Toranto: Coles Publishing Company Limited: 1980

Drabble. Margaret. *The Oxford Companion To English Literature*. New York, fifth edition: Oxford University Press, 1985.

Encyclopedia Britannica: *Encyclopedia Britannica*, Inc. London: 1977.

Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993-2007 Microsoft Corporation. All rights reserved.

Morner. Kathleen and Ralph Rausch. *NTC 's Dictionary of Literary Terms* . Chicago:NTC Publishing Group, Inc. 1991.

Ousby. Ian. (Edit) . *Companion to Literature I English* .London : Forward by Margaret Atwood. Published by Wordsworth Editions Ltd,1994.

Schmidt. Michael. *The Great Modern Poets:* Quercus.

Trapp, J. B. et al. (eds.). *The Oxford Anthology of English literature* . London: Vol: 1. Oxford University Press, Inc 1973.

Webester. Merriam. *Encyclopedia of Literature*: Merriam-Webster, Incorporated, Publishers ,Springfield, Massachusetts .United States of America:1995.

Wilfred Stone, Nancy Huddleston Packer and Robert Hoopes *: The short Story: An Introduction*. New York: McGraw-Hil Book Company, 1983.

WEBSITES:

http://www.answers.com/topic/fable
www.answer.com topic/rikki-tikki-tavi-story-7
www.ColumbiaEncyclopedia.com
www.crude-experts.com
http://www.exampleessays.com/viewpaper/2144.html(chaucer's mock heroic fable: the canterbury tales)
http://www.kipling.org.uk/facts_burnashov.htm
Iec.oxfordjournals.org(Montefiore. Janet. *Day and Night in Kipling*)
http://lu.com/odlis/odlis_f.cfm
http://www.saudiaramcoworld.com/issue/197204/kalila.wa.dimna.htm
(Paul Lunde: Illustrated by Don Thompson. July/August 1972
www.wikipidida.com.

الخلاصة

منذ فجر التاريخ، القصة ذات الشخصيات الحيوانية هي إحدى الأجناس الأدبية الأكثر حبا" والتي تجعل كل من أولئك الذين إما يسمعونها أو يروونها أو يقرؤنها يستمتعون بها. ورغم ذلك فإنها تعد من أدب الأطفال ولكنها تقرأ وتفحص من قبل القراء البالغين بسبب فرادتها الممتعة.

تحاول هذه المقالة تسليط الضوء على القصة ذات الشخصيات الحيوانية في جفري جوسر ((قصة رجل الدين الراهب)) و روديارد كبلنغ ((ريكي– تيكي– تافي)) بالإضافة إلى ذلك، إنها تحاول دراسة القصة ذات الشخصيات الحيوانية واصلها باعتبارها جنسا" أدبيا". وكذلك تشرح استخدام القصة ذات الشخصيات الحيوانية في كلا" من هذا الجنس والقصة القصيرة لدى كبلنغ. علاوة على ذلك، ربما تمد يد العون لتقديم فكرة عن الفروق والتشابه بين العملين كليهما. وأخيرا" تأتي الخاتمة والتي توجز نتائج الدراسة.

مشكلة كتابة بعض الحروف العربيّة
دراسة لغويّة صوتيّة

د. عزّة عدنان أحمد عزّت
جامعة دهوك/ كليّة التربية

الملخّص

عالجنا في البحث مشكلات كتابة ثلاثة حروف هي: الألف والتاء والواو، من خلال القواعد اللغوية (النحوية والصرفية)، فأمّا الألف، فمن حيث شكلها في أوَّل الكلمة أو وسطها أو آخرها، مبيّنينَ أثر الصوامت والصوائت في اختلاف أشكالها، فهذا ممّا يتعلّق بعلم الصرف الذي يتغير فيه المعنى بتغير الحركات أو الحروف، فضلا عمّا يتعلق بعلم النحو، الذي بحثنا فيه زيادة الألف أو الواو أو حذفهما، وأمّا التاء فمن حيث شكلها في آخر الكلمة، وعلاقة ذلك بالصيغة الفعلية أو الصيغة الاسمية أو غير ذلك، وكان ذلك من خلال تناولنا المفردة منفردة سواء اسما كانت أم فعلا أم حرفا، أو من خلال تناولها في سياق الجملة، فضلا عن دخول بعض السوابق أو اللواحق عليها وأثر ذلك في كتابتها. وكعادتنا في التدريس، ورؤيتنا أن الجداول والمخططات تريح الطالب وترسم له صورة المعلومات واضحة، وتقلل من الجهد المبذول في التركيز ومحاولة جمع المعلومات واستذكارها – فما يكتب في عدة صفحات يمكن أن يدرج في جدول واحد يوضح الكثير– أوردنا في البحث بعضا من ذلك لتيسير القواعد ومحاولة جمعها في مساحة واحدة، فقواعد الكتابة لا تتغير ولكننا نعرضها بشكل مختلف، ومن زاوية أخرى فحسب.

مُقَدِّمَة

ليس بالضرورة أن تكون البحوث اللغويَّة كالبحوث العلميَّة فيها الجديد، وإنما تكمن أهميَّة البحث اللغويِّ في الحاجة إليه وفائدته، وما تعانيه اللغة العربيَّة هذه الأيام من تدهور كتابي إن هو إلاّ بسبب الجهل بالقواعد العامة لكتابتها، وليس ما تعانيه اللغة العربيِّة لا تعانيه اللغات الأخرى، فالإنكليزية مثلا، أكثر الأخطاء فيها تقع في حروف العلة الواقعة في وسط الكلمة أو في نهايتها، فمنهم من يَلْتَبِسُ عليه الأمر فيبدل حرف الـ (e) بـ حرف الـ (i)، أو لا يكتبه في نهاية الكلمة، أو يضعه في موضع يتحتَّم عليه فيه أن يلغيَهُ، وقد يخطئ بعض من يكتب، فيضع الحرف (i) قبل الحرف (e) في كلمات يجب أن يكون فيها الحرف (e) قبل الحرف الحرف (I)، وذلك بسبب القواعد غير المعروفة لديه، ولو عرف القاعدة التي تقول: before(e) (I)except after (c) لكتب الكلمتين (believe: يؤمن)[١] و(receive : يستلم)[٢] بصورة صحيحة على الرغم من تشابه الصوت عند النطق بهما، فضلا عن ذلك نجد الأخطاء تقع في الكلمات التي تلفظ بشكل يختلف عمّا يكتب، بل لا علاقة له أحيانا، كأن تلفظ أصوات معينة بدل أصوات الحروف المكتوبة كما في: (psychiatric: طب النفس أو الطب العقلي)[٣] حيث (psy) تلفظ (ساي) و(chi) تلفظ (كاي) و(c) تلفظ (ك)، وقد يُعبِّر أكثر من حرف عن صوت واحد كما في حرف (c) و(k)، أو(c) و(s)، وقد تكتب حروف لا تلفظ أصواتها كما في كلمة: (mnemonics: أساليب تقوية الذاكرة)[٤] حيث لا يلفظ صوت الـ (m) في بداية الكلمة، ومثل هذا كثير جدا في اللغة الإنكليزيّة.

وتختلف اللغات في الكتابة وإن استخدمت الحروف نفسها، كما في اللغة الكردية مثلا فنحنٍ لا نرى للحركات من وجود، بل نرى حرف الهاء بشكل دائرة (ه) يكتب بدل الفتحة، كما في (زه لام: رَجُل)[٥] أو (فسته ق: فستق)[٦]، أمّا إن قُصِدَ به

الحرف فيكتب على شكل الهاء في بداية الكلمة كما في كلمة (هه لكه فت: مناسبة)[٧]، وإن انتهت به الكلمة كما في (سيه: ثلاثون)[٨]، ونرى الواو بدل الضمة، كما في (دو: اثنان)[٩] والياء غير المنقوطة بدل الكسرة، كما في كلمة (كوردى)، ولا وجود لحركة الشدَّة (ّ)، التي يُستغنى عنها بتكرار الحرف، كما في كلمة (شيعرييه: شعريَّة)، وهي بهذا تشبه الكتابة العروضية عند فك الإدغام، كذلك يكرر حرف العلة عند المد كالواو مثلا، كما في (نه بوو: لم يكن)[١٠]، (نه موونه: نموذج)، أو الياء في (ثايين: شريعة)، ومتى عُرِفَتْ مثل هكذا قواعد سَهُلَتِ القراءة والكتابة.

ويبدو لي أنَّ اعتماد طريقة الكتابة التوليفية، كان له الأثر الأكبر في هذا التدهور، فضلا عن طرق التدريس التي تختلف من مجتمع إلى آخر، فهي قد تكون ناجحة في مجتمع معين، لكنّها دون شك قد تكون غير ناجحة بل فاشلة في آخر، ناهيك عن نجاحها مع لغة معيَّنة وفشلها مع لغة أخرى، وليس وجود هذا الخلل يعني عدم محاولتنا تصحيحه أو التقليل منه، بل يجب علينا بوصفنا تدريسيين في إحدى المؤسسات التعليمية العليا أن نعالج هذا ما أمكننا.

كتابة الحروف

قد تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة إيضاح الفرق بين الحرف والفونيم، فالحرف من كلّ شيء: طرفه وجانبه[١١]، والحرف كلُّ واحد من حروف المباني الثمانية والعشرين التي تتركب منها الكلمات، وتسمّى حروف الهجاء، وحروف المباني تدلُّ على معانٍ في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام[١٢]. والحرف كلُّ واحد من حروف المعاني التي قد تتكون من أكثر من حرف من حروف المباني، وهي أحد أقسام الكلمة الثلاثة: الاسم والفعل والحرف[١٣]، ويظهر له معنى من خلال الجملة، وحروف المعاني هي: (العطف، والنفي، والجواب، والتفسير، والشرط، والتحضيض، والتنديم، والعرض، والمصدرية، والاستقبال، والتوكيد، والاستفهام، والتمني، والترجي، والإشفاق،

والتشبيه، والصلة، والتعليل، والردع، والزجر، والابتداء، والبعد، والتأنيب، والسكت، والطلب، والتنوين، والنداء، والنصب، والجزم، والأمر، والنهي، والمشبّهة بالفعل، والعاملة عمل ليس، والجر، والتنبيه)[١٤] وغير ذلك.

أمّا الفونيم فهو أصغر وحدة صوتية تحدث تمييزا في المعنى، وتبعث اختلافات صرفية ونحوية ومفهومية ودلالية[١٥]، فتكون جزءاً أساسيا من الكلمة المفردة كالباء والتاء والثاء و... أو تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق[١٦].

ويسمى الفونيم صوتونا أو صوتيما، إلا أن الأول أفضل، لأن الأخير نصفه الأول معرّب ونصفه الثاني غير معرّب[١٧]، وعلى الرغم من أن عدد الفونيمات في النظام الصوتي محدد فإنّ بعضاً منها قد تنطق مختلفة أحيانا في سياقات مختلفة[١٨]، لأن الفونيم هو الصورة الذهنية المثالية للصوت، أما الإنجاز المحقق للصوت فيسمى الالوفون أو الصويتون.

والفونيمات قسمان: فأما الأول وهو اللبنات الأساسية ويسمى الفونيمات الأولية أو الأساسية، أو التركيبية، وفيها تدرس الأصوات المفردة بنوعيها: الصوامت والصوائت، ويمكن نطقها على انفراد، ترسمها الأبجدية بحروف مميزة[١٩]، والفونيم هنا لا معنى له وإن كان له دور في المعنى، لكنه حين يعطي معنى معينا يسمى مورفيما مثل تاء التأنيث.

أما القسم الثاني فيسمى الفونيمات الثانوية أو فوق التركيبية أو فوق مقطعية وهي وحدت تطريزية ذات مغزى في الكلام المتصل[٢٠]، تحدث تمييزا في المعنى، لا بنفسها، لأنها وحدات لا يمكن النطق بها منفصلة عن الفونيمات التركيبية[٢١]، تتمثل في ظاهرة الطول أو القصر في الأصوات، وبداية المقاطع ونهاياتها[٢٢]، والنبر، وطول النغمة، والتنغيم[٢٣]، فتؤثر في تغير الدلالة ولاسيما الدلالة التركيبية[٢٤].

ويتغيّر شكل الحرف العربي نظرا لموقعه في الكلمة، كما في الباء (بـ، ب)، والثاء (ثـ، ث)، والجيم (جـ، ج)، والحاء (حـ، ح)، والخاء (خـ، خ)، والسين (سـ، س)، والشين (شـ، ش)، والصاد(صـ، ص)، والضاد(ضـ، ض)، والعين (عـ، ـعـ، ـع، ع)، والغين (غـ، ـغـ، ـغ، غ)، والفاء(فـ، ف)، والقاف (قـ، ق)، والكاف(كـ،كـ، ك)، واللام(لـ، ل)، والميم (مـ، م)، والنون (نـ، ن)، والهاء(هـ، ـهـ، ـه)، والياء (يـ، ي، ي)، ولا مشكلة في ذلك إلاّ مع ثلاثة أحرف وهي:

١- **الألف بنوعيها:**

- اللينة بشكليها: (الألف الطويلة والألف المقصورة).
- اليابسة (الهمزة) بأشكالها المتعددة: (المنفردة، وعلى الألف، وعلى الواو، وعلى النبرة).

٢- **التاء بشكليها:** (المفتوحة، والمربوطة).

٣- **الواو** كتابتها وحذفها.

لابدَّ قبل أن نتكلّم على الكتابة من ذكر نوعي خط الكتابة:

الأول: القياسي وهو خط الكتابة الاعتيادية الذي نستعمله في الكتب والجرائد والمجلات ويكون رسم الكلمة فيه حسب النطق بها، أو وفق قواعد الإملاء.

الثاني: الخط غير القياسي وهو الخط الذي كتبت به كلمات من القرآن الكريم كما وجدت في المصحف الشريف وجاء رسمها، مخالفا للنطق ولقواعد الإملاء[٢٥]، نذكر منها:

خط المصحف	الخط القياسي	الآية
ۋ	رحمة	چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۋ ۋ ۋ ۅ ۅ چ [البقرة: ٢١٨]. چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ۅ چ [الأعراف: ٥٦]. چٹ ڻ ڻ ٿ ٿڌ ڎ ٿ ڐ ڐ ڦڦ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[هود: ٧٣].
ٻ	الجواري	چٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ چ [الشورى: ٣٢]. چڃ ڃ ڃ چ چ ڇ چ [الرحمن: ٢٤]. چک ک ک چ [التكوير: ١٦].
□	فارهبوني	چڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ چ چ چ چ [البقرة: ٤٠]. چۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ې ې ې □□ □□ □ □ □چ [النحل: ٥١].
□	يمشي	چ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [الملك: ٢٢].
ڇ	أمْ من	چ... ڦ ڦ ڄڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ... چ [يونس: ٣٥]. چڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ...چ [النمل: ٦٠].
ے[٢٦]	يَسْألونك	چے ے ۓۓ ڭ ڭ ڭ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ ۉ ې ې ې □□ □ □ □ □ □ □ چ [البقرة: ١٨٩].
□	أسألكم	چ□ □ □ □□ □ □□ □ □ □ □□ □ □ ې ې ي ي چ [الأنعام: ٩٠].
ۇ	تسألني	چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ چ [الكهف: ٧٠].
□	دعاني	چ□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ...چ [البقرة: ١٨٦].
□	الداعي	چ□ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [القمر: ٦]. چپ پ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ [القمر: ٨].
ہ ہ	ولا تسأموا	چ... ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ... چ [البقرة: ٢٨٢].
ۋ	غنيٌّ	چ ٻ ٻ پ پ...چ [الأنعام: ١٣٣].

ٻ	يسري	ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [الفجر: ٤].
ٻ	سليمان	ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ... ﭼ [البقـــرة: ١٠٢].
ﯗ	اسماعيل	ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ [الأنعام: ٨٦].
□	دعاني	ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ﭼ [البقرة: ١٨٦].
ﭘ ﭗ	نعمة الله	ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [إبراهيم: ٣٤].
ﮈ	الحياة	ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [الأنعام: ٣٢].
ﭺ	هواه	ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [طه: ١٦].
ﮒ ﮓ	والله يدعو	ﭽ ... ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [البقـرة: ٢٢١].
ﮃ	الربا	ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [البقرة: ٢٧٦].
ﭫ	التوراة	ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭼ [آل عمران: ٣].
ﭿ	والليل	ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الضحى: ٢].
ﮕ	يا بن أمي	ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ...ﭼ [طه: ٩٤].
ﭰ	شجرة	ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [الدخان: ٤٣].
□	امرأة[٢٧]	ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [آل عمران: ٣٥]. ﭽ □ □ ى ﯾ ﯿ □ □ □ □ ...ﭼ [يوسف: ٣٠]. ﭽ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ﯾ ﯿ □ □ □ □ ﭼ [يوسف: ٥١]. ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ...ﭼ [القصص: ٩]. ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ...ﭼ [التحريم: ١٠]. ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ...ﭼ [التحريم: ١١]. ﭽ... ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ...ﭼ [النساء: ١٢].

		ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ...ﭼ [النســاء: ١٢٨]. ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭼ [النمل: ٢٣]. ﭽ... ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ... ﭼ [الأحزاب: ٥٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى نوع آخر من الكتابة التي تختلف عن النوعين السابقين ألا وهي الكتابة العروضية[٢٨] التي تكتب كما تلفظ تماما حيث:

- يُقلب فيها التنوين نونا ساكنة أينما وجد كما في (قلبٌ)التي تكتب (قلبن) أو (كتاباً) التي تكتب (كتابَن) أو (بِشَرَفٍ) التي تكتب (بشرفن).
- يُفَكُّ فيها التضعيف فيكتب الحرف مرتين كما في (كَرَّمهُ) التي تكتب (كررمه).
- تتغير لام التعريف بالنظر إلى ما بعدها من حروف قمرية أو شمسية إذ تبقى كما هي مع الأحرف القمرية وتتغير إلى الحرف الذي بعدها مع الحروف الشمسية كما في: (الرسول) التي تكتب (ار رسول) أو (الشمس) التي تكتب (أششمس).
- تحذف الألف في(لكن وهؤلاء وهذا).
- وتحذف الألف عند الوصل كما في: (في المدرسة)التي تكتب (فلمدرسة) وغير ذلك.

والجدول الآتي يوضح ذلك[٢٩]:

الكلمة	الكتابة العروضية	الزيادة	سبب الزيادة أو النقصان	النقصان
ذلك	ذالك	الألف	يلفظ	
كتاب	كتابن	النون	التنوين	
كتاب النحو[٣٠]	كتابن نحو	النون	النون حرف شمسي يكرر ولام التعريف لا تلفظ فلا تكتب	لام (أل التعريف)
كتاب نحو	كتاب نحون	النون	نون التنوين، تلفظ ولا تكتب	
ذو العلم[٣١]	ذُل علم		الواو بعد الذال وألف أل التعريف	

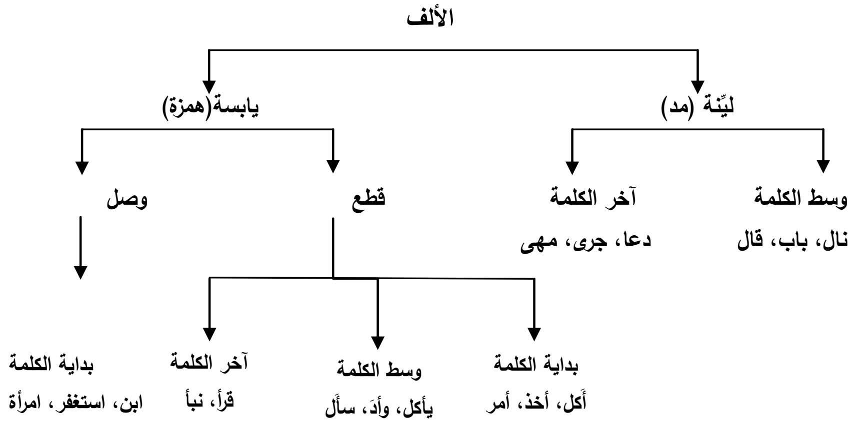
ذو علم	ذو علمن	النون	نون التنوين، تلفظ ولا تكتب	
عمرو	عمر		الواو لا تلفظ	الواو
قالوا	قالو		الألف لا تلفظ فلا تكتب	الألف في آخر الفعل
الشمس	اششمس	الشين	حرف شمسي تحذف اللام ويكرر الحرف الشمسي	لام أل التعريف
الرحمن	اررحمان	الراء والألف	الراء حرف شمسي يكرر، ولام التعريف لا تلفظ فلا تكتب، والألف بعد الميم تلفظ فتكتب	لام أل التعريف
ما لذَّة العيش	ما لذ ذ تلعيش	الذال	التشديد في الذال يعني تكرارها	لام أل التعريف
ما الفرق	مل فرق	ألف(ما) وألف أل التعريف	الاختلاس في الف ما، وعدم لفظ الف ال التعريف	الف(ما) الاستفهامية

❖ أولا: الألف

الألف حرف على قياس سائر الحروف يكون متحركا ويكون ساكنا، فالمتحرك يسمى همزة، والساكن ألفا[٣٢]، وعليه فإنَّ الألف نوعان:

ألف لينة: وتسمى حرف مد، وهي ألف ساكنة في وسط الكلمة أو في آخرها ويكون ما قبلها مفتوحا مثل (نال، دعا، جرى، عصا، مهى)[٣٣] والألف اللينة تكتب ألفا في وسط الكلمة دائما وفي آخرها ألفا أو ياء (ألفا مقصورة)[٣٤].

ألف يابسة: وتسمى الهمزة، ويقال للهمزة (ألف) توسعا لا تحقيقا، فتسمى همزة الوصل ألف الوصل، وهمزة القطع ألف القطع[٣٥]، والهمزة تكتب منفردة وتكتب على الألف وعلى الواو وعلى الياء.



☒ ألألف اللينة / زيادتها

١- تزاد الألف في آخر الكلمة بعد واو الجماعة في:

- الأفعال الماضية (حضروا)،(كتبوا).
- الأفعال المضارعة المجزومة (لم يحضروا)،(لم يكتبوا).
- الأفعال المضارعة المنصوبة (لن يحضروا)،(لن يكتبوا)[٣٦].

٢- وتزاد الألف في آخر الاسم المنصوب المنوّن كما في: (كتابا، قلما، أرواحا، درسا)[٣٧] إلاّ إذا كان:

- منتهيا بتاء مربوطة (معلّمة).
- منتهيا بهمزة فوق الألف (ملجأ).
- منتهيا بهمزة مسبوقة بألف (كساء).
- منتهيا بألف لينة (فتى).

٣- وتزاد ألف الصلة أو الإشباع[٣٨] كقوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [الأحزاب: ٦٧] أو ألف الإطلاق في نهاية البيت الشعري لضرورة الشعر كقول ابن الفارض:

قسماً بمن فيه أرى استذلالي ... عذباً وفي استذلاله استلذاذا[٣٩]

أو قول المعرّي:

أرى العنقاء تكبر أن تُصادَ ... فعاند من تُطيقُ له عنادا[٤٠]

☒ الألف اللينة / حذفها

١- تحذف الألف اللينة من هاء التنبيه مع اسم الإشارة شرط أن لا يكون مبدوءا بالتاء ولا بالهاء(هذا، هذه، هذان، هؤلاء، هكذا)

٢- تحذف الألف من (ذا)إذا وقع بعدها لام البعد (ذلك)

٣- تحذف الألف من (ها) إذا وقع بعدها ضمير مبدوء بهمزة (هأنذا).

٤- تحذف الألف من الكلمات الآتية: (الله، الرحمن، إله، السموات، أولئك، لكِن، لكنَّ، طه، يس، اسحق، هرون)

٥- تحذف ألف (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر أو كانت مضافا إليه (عَمَّ، حَتّامَ، إلامَ، فيمَ، لِمَ، مِمَّ، بمَ، علامَ، مُقْتَضامَ)[٤١].

☒ الألف اللينة /أشكالها

((في الأسماء))

- تكتب الألف اللينة في أواخر الأسماء الثلاثية ألفا طويلة إن كان أصلها واوا، ويعرف الأصل بتثنية الاسم أو ردّ جمعه إلى المفرد مثل: عصا مثناها عصوان، قطا مثناها قطوان.
- وتكتب الألف ألفا طويلة إذا سبقت بياء مثل: (دنيا، رؤيا).

- وتكتب الألف ألفا طويلة إذا كانت الأسماء مبنية مثل: (أنا، مهما، هنا، حيثما، ذا) ويستثنى من ذلك الأسماء الآتية: (أنّى، ألألى، حتى، لدى، متى) فإنَّ ألفها تكتب ياء[٤٢].
- الاسم المندوب الذي يلحق آخره ألف مثل: (يا غلاما، وا غلاما، يا ربّاه، واربّاه)[٤٣].
- وتكتب الألف ياء في الأسماء الثلاثية إن كان أصلها ياء ويعرف أصلها بالتثنية أو الجمع مثل (فتى) مثناها فتيان و(حصى) جمعها حصيات، أو الصفة المؤنثة مثل (لمى) الصفة منها لمياء.
- وتكتب الألف ياء في الأسماء التي تزيد على ثلاثة أحرف مثل: (سلمى، يحيى، مستشفى).
- وتكتب الألف ياء في خمسة أسماء أعجمية هي: (موسى، عيسى، كسرى، بخارى، موسيقى)[٤٤].

<u>ملاحظة:</u>

- كل اسم ثلاثي مضموم الأول أو مكسوره، تكتب ألفه ياء بلا فرق بين الواوي واليائي، المضموم الأول مثل: (هُدى، ضُحى، خُطى، لُمى، رُبى، بُنى، مُنى)

والمكسور الأول مثل: (غِنى، حِمى، زِنى، مِنى) شرط ألاّ يكون الحرف الذي قبل الألف اللينة (ياء) إذ لا تنطبق القاعدة على الاسم أو الفعل الذي ما قبل آخره ياء مثل زوايا، خبايا حكايا[٤٥].

- الأسماء الثلاثية المضمومة الأول والمنتهية بألف كثر استعمالها بالألف المقصورة على خلاف القاعدة، ولا مانع من استعمالها بالياء أو الألف مثل:(عرا، عرى، سها، سهى)[٤٦].

كتابة الألف في أوآخر الأسماء

- (ا): الأسماء الثلاثية مما كان أصلها واوا
  * إذا سبقت بياء
  * ألأسماء المبنية (باستثناء أنّى،الألى،حتّى،لدى،متى)
  * الاسم المندوب الذي يلحق آخره ألف
- (ى): الأسماء الثلاثية إن كان أصلها ياء
  * كل اسم ثلاثي مكسور أوله أو مضمومه
  * الأسماء التي تزيد على ثلاثة أحرف
- (ا) و(ى): الأسماء الثلاثية المضمومة الأول
  * المنتهية بألف

((في الأفعال))

- يلاحظ الفعل بأخذ مضارعه أو مصدره، أو إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك أو إلى ألف الاثنين، فإن كان واوا، كتب ألفاً، وإن كان مضارع الفعل ياء، كتب ياءً[٤٧].

معرفة أصل الألف من خلال			
المضارع	المصدر	ضمير الرفع المتحرك	ألف الاثنين
يسمو	سُمُوّاً	سموْتُ	سمَوا
يلهو	لَهْواً	لهوْتُ	لهَوا
يحبو	حَبْواً	حبَوْتُ	حبَوا
يرمي	رَمْياً	رميْتُ	رمَيا
يجري	جَرْياً	جريْتُ	جرَيا

- تكتب الألف طويلة في آخر الفعل الماضي الثلاثي إن كان أصلها واوا، ويعرف أصل الفعل بإسناد الفعل إلى التاء المتحركة (تاء الفاعل)، أو بأخذ الفعل المضارع كما في: دعا دعوتُ يدعو، كسا كسوتُ يكسو، خلا خلوتُ يخلو[٤٨].

ملاحظة:

هناك الألف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة مثل قوله تعالى: ﭽ... ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ[٤٩] التي يمكن كتابتها {لنسفعن }[٥٠].

- تكتب الألف ياء في الأفعال الثلاثية إذا كان أصلها ياء مثل (رمى، بنى، جرى) فهي أفعال أصل ألفها ياء إذا أسندت إلى التاء كانت: رمى رميتُ يرمي، بنى بنيتُ يبني، جرى جريتُ يجري.
- تكتب الألف ياء إذا كانت رابعة فصاعدا مثل: (استوى، انقضى، استشفى) فهي أفعال تزيد على ثلاثة أحرف، أمّا إذا كان الحرف الذي قبلها ياء فتكتب الألف طويلة مثل (يحيا، استحيا، أعيا)[٥١]، فضلا عن ذلك يمكن القول إن للاسم والفعل الثُلاثِيَّينِ خمسة أحوال تكتب فيها الألف ياء هي:
  - عند الإمالة مثل قولنا كفى.
  - إذا كان أول الكلمة واوا مثل (وعى، وشى).
  - إذا كان وسط الكلمة واوا مثل (هوى، عوى).
  - إذا كان أول الكلمة همزة مثل (أبى، أتى).
  - إذا كان وسط الكلمة همزة مثل (نأى، رأى)[٥٢].

تكتب الألف الليّنة بشكل(ى)

- إذا كان أوّل الكلمة (واواً)،(همزة)
- عند الإمالة
- إذا كانت الألف رابعة فصاعدا
- إذا كان وسط الكلمة (واواً)، (همزة)

((في الحروف))

تكتب حروف المعاني كلها ألفا على هذا الشكل وهي (لولا، لوما، ألا، كلاّ، إذا، خلا، عدا، حاشا) أمّا التي تشذّ عنها فأربعة: (إلى، على، حتى، بلى) فإنها تكتب بصورة الياء[٥٣].

☒ **الهمزة / أنواعها**

قبل الحديث عن الهمزة لابد أن نوضح أنَّ الهمزة أصولها ثلاث: أصلية وتكون جزءاً من جذر الكلمة مثل (أخذ، أفل) وقطعية مثل (أحمد، أحسن) ووصليّة مثل (استخرج، استوفى)[٥٤].

((همزة الوصل))

هي همزة زائدة يؤتى بها في أول الكلمة للتوصل إلى النطق بالساكن لأنّ العرب لا تبتدئ بساكن كما لا تقف على متحرك، وحكمها أن تلفظ وتكتب إن قرئت ابتداء، وأن تكتب ولا تلفظ إن قرئت بعد كلمة قبلها، وهي لهذا تكتب في أول الكلام على شكل ألف مجردة عن الحركة، أمّا في درج الكلام فتكتب على شكل صاد بتراء(٥٥).

☒ همزة الوصل / مواطنها

يذكر ابن مالك في ألفيته(٥٦)

للوصـل همْـزٌ سـابِقٌ لا يَثْبُـتُ ... إلاّ إذا ابتـدى بـه كـ اسـتثبتوا

وهـو لفعـلٍ مـاضٍ احتـوى علـى ... أكثـر مـن أربعـةٍ نحـو انجلـى

والأمـر والمصـدر منـه وكـذا ... أمـر الثلاثـي كـاخشَ وامـضِ وانفـذا

وفـي اسـمِ اسـتٍ ابـن ابـنمٍ سُـمِعْ ... واثنـين وامـرئٍ وتأنيـثٍ تَبَـعْ

وايمـنُ همـزُ أل كـذا ويُبْـدَلُ ... مـداً فـي الاسـتفهامِ أو يُسَـهَّلُ

همزة الوصل

- **الفعل**
  - * الماضي الخماسي والسداسي
  - * الأمر الخماسي والسداسي
  - * أمر الثلاثي المبدوء بهمزة
- **الاسم**
  - * مصدر الخماسي والسداسي
  - * اسم،ابن،ابنة،ابنم،اثنان،اثنتان
  - * امرؤ،امرأة،ايمن،است
- **الحرف**
  - * (أل) التعريف فقط

((في الأفعال))

- مع الماضي الخماسي والسداسي مثل (انتظَرَ، استغفَرَ).
- مع أمر الخماسي والسداسي مثل (انتظِرْ، استغفِرْ).

- أمر الثلاثي المبدوء بهمزة مثل (يا سمير اكتب درسك) وكقوله تعالى: چ ... ﮑﮒ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ [الحجرات: ٩].

((في الأسماء))

- مع مصدر الخماسي والسداسي مثل (انتظار، استغفار).
- مع (اسم، ابن، ابنة، ابنم، اثنان، اثنتان، امرؤ، امرأة، ايمن: للقسم، است: بمعنى أساس).

((في الحروف))

- مع (أل) التعريف فقط(٥٧).

☒ همزة الوصل/ حذفها

- تحذف الهمزة إذا دخلت عليها همزة الاستفهام مثل: أبنك هذا؟(٥٨).
- تحذف همزة (ابن) إذا وقعت مفردة بين علمين، والمراد بالعلم:

١. الاسم مثل (سعيد بن كامل).
٢. الكنية مثل (معاوية بن أبي سفيان).
٣. اللقب المشتهر مثل (هاشم بن زين العابدين) ويشترط في هذه القاعدة عدم تنوين العلم الأول.

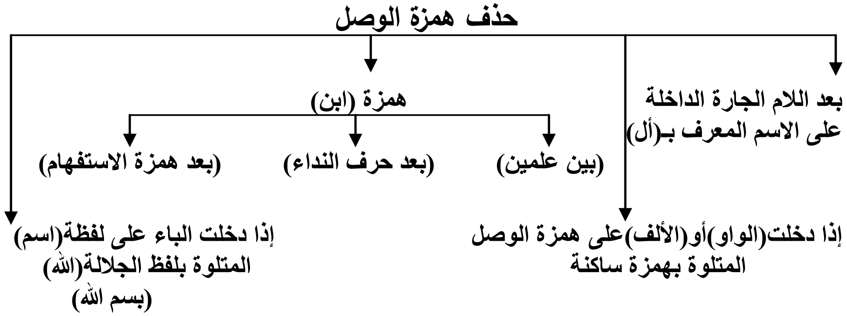
- وتحذف همزة (ابن) بعد حرف النداء مثل يا بن آدم.

ملاحظة: إذا وقعت همزة (ابن) في أول السطر تثبت ولو كانت بين علمين(٥٩).

- تحذف همزة الوصل إذا دخلت اللام (الجارة) على الأسماء المعرّفة بـ(أل) مثل (للزائر، للاستغفار) أما إذا دخلت الباء والكاف والفاء على الأسماء المعرّفة بـ(أل) فلا تحذف الهمزة مثل (بالقلم، فالولد، كالليمون).
- وإذا تلت همزة الوصل همزة ساكنة (إئتِ)،(إئتمن) وتقدمها الواو أو الألف فتحذف الهمزة الساكنة على الألف (فَأْتِ)، (وأْتَمِنْ).

- ولا تحذف همزة (اسم)إلاّ في كتابة البسملة الكاملة {بسم الله الرحمن الرحيم } وفي ما عدا ذلك تثبت كما في قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ چ [الواقعة: ٧٤]، وقوله تعالى: چڇ چ چ ڇ ڃ چ چ [العلق: ١].

وإن كنا نجد أنَّ مجرد إضافة لفظة (باسم) إلى لفظ الجلالة (الله) يفقدها ألفها كما في قوله تعالى: چک ک ک ک گ گ گگ گ ڳ ڳ ڳ گ چ [هود: ٤١].



☒ همزة القطع: أشكالها

الهمزة في أول الكلمة

- تكتب الهمزة في أول الكلمة على الألف دائما سواء أكانت مضمومة مثل (أُم، أُخت أُستاذ) أم مفتوحة مثل (أعود، أحمد، أن) أم مكسورة (إحسان، إكرام، إلى، إذا)[٦٠].
- وإذا دخلت السين أو الفاء أو الواو أو اللام أو الباء على كلمات مبدوءة بهمزة فلا تتغير كتابتها (سأحضر، فإنَّ، وإقبال، لإخوانه، بالتهذيب)، وهمزة القطع (ء) تلفظ في ابتداء الكلام وفي وسطه وتكتب فوق الألف إذا كانت مضمومة مثل: (أُم) أو إذا كانت مفتوحة مثل (أب)، أمّا إذا كانت مكسورة فتكتب تحت الألف مثل (إنسان)[٦١].

الهمزة في وسط الكلمة

تكون الهمزة في وسط الكلمة إمّا متحركة (مكسورة، مضمومة، مفتوحة) وإمّا ساكنة، فإذا ما أردنا كتابة همزة متوسطة فننظر إلى حركتها وإلى حركة الحرف الذي قبلها، ونرسمها على حرف يناسب الحركة التي هي أقوى[٦٢] ،ولكل حركة حرف يناسبها، فالضمة تناسبها الواو، والفتحة تناسبها الألف، والكسرة تناسبها الياء، والحركات حسب القوة ترتب كالآتي (الكسرة، الضمة، الفتحة)، وقد تعتبر الياء الساكنة بقوة الكسرة [٦٣]، لذا نجد أن الهمزة تكتب في وسط الكلمة ألفا في ثلاثة مواضع هي:

- إذا كان الحرف الذي قبلها مفتوحا وهي ساكنة مثل (يَأْمر، قرَأْتُ، رَأْس، مَأرب).
- إذا كان الحرف الذي قبلها مفتوحا وإياها مثل (بدَأَتْ، سَأَل).
- إذا كان الحرف الذي قبلها صحيحا ساكنا وهي مفتوحة[٦٤] مثل (نَشْأَة، يَسْأَل، مِسْأَلة).

وفيما يأتي توضيح لحالات الهمزة الأربعة: المكسورة والمضمومة والمفتوحة والساكنة.

(١) الهمزة المكسورة في وسط الكلمة

القاعدة

- تكتب الهمزة المكسورة في وسط الكلمة على نبرة، سواء أساكناً كان الحرف الذي قبلها أم متحركا، لأنَّ الكسرة هي الحركة الغالبة دائما، ويتضح هذا في الأمثلة الآتية:

(سُئِل، يَئِسَ، أفئِدة، يَئِنُّ، أسئلة) حيث كتبت الهمزة فيها على نبرة لأنها مكسورة والكسرة هي الحركة الغالبة[٦٥]

(٢) الهمزة المضمومة في وسط الكلمة

القاعدة

- تكتب الهمزة المضمومة في وسط الكلمة على الواو، سواء أ ساكناً كان الحرف الذي قبلها أم متحركا (بحركة الضمة أو الفتحة) كما في:

(رؤوس): كتبت الهمزة على الواو؛ لأنها مضمومة بعد ضم.

(يؤم): كتبت الهمزة على الواو؛ لأنها مضمومة بعد فتح والضمة أقوى من الفتحة.

(يَضْؤُلُ): كتبت الهمزة على الواو؛ لأنها مضمومة بعد سكون والضمة أقوى من السكون.

كذلك الكلمات (لُؤْم، يُؤْمن، سُؤال، يقرؤه، التفاؤل)إذ الضمة أقوى ويناسبها الواو[٦٦].

- أما إذا كانت مضمومة بعد كسر فإنها تكتب على نبرة كما في قوله تعالى: چ ۉ ۋ ۋ ۊ ۅ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ې ى ې ... چ[البقرة: ١٤]، فلفظة مستهزئون كتبت الهمزة فيها على النبرة؛ لأنها مضمومة بعد كسر والكسرة أقوى من الضمة[٦٧].

(٣) الهمزة المفتوحة في وسط الكلمة

القاعدة

- تكتب الهمزة في وسط الكلمة على ألف إذا كانت مفتوحة بعد فتح كما في(سأل)، وكذلك إن كانت مفتوحة بعد سكون مثل: يسْألُ التي كتبت الهمزة فيها على الألف لأنها مفتوحة بعد سكون.
- وتكتب بحرف حركة ما قبلها إذا كان مكسورا أو مضموما أو ياء ساكنة كما في:

(فؤاد) التي كتبت الهمزة فيها على الواو لأنها مفتوحة بعد ضم والضمة أقوى من الفتحة.

(فئة) التي كتبت الهمزة فيها على النبرة لأنها مفتوحة بعد كسر والكسرة أقوى من الفتحة.

(بيئة) التي كتبت الهمزة فيها على النبرة لأنها بعد ياء والياء بقوة الكسرة.

- وتكتب منفردة بعد ألف أو واو ساكنة، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

(قراءة) التي كتبت الهمزة فيها منفردة لأنها مفتوحة بعد ألف ساكنة.

(ضَوْءَهُ) التي كتبت الهمزة فيها منفردة لأنها مفتوحة بعد واو ساكنة.

كذلك الكلمات (رأس، يأمر، نشأة، جزْأين، مسْألة)[٦٨].

(٤) الهمزة الساكنة في وسط الكلمة

القاعدة

- تكتب الهمزة الساكنة في وسط الكلمة بحركة الحرف الذي قبلها[٦٩] ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

(رُؤية):كتبت الهمزة على الواو؛ لأنها ساكنة والحرف الذي قبلها مضموم.

(رَأس): كتبت الهمزة على الألف؛ لأنها ساكنة والجرف الذي قبلها مفتوح.

(بِئر): كتبت الهمزة على النبرة؛ لأنها ساكنة والحرف الذي قبلها مكسور.

قاعدة عامة

القياس في الهمزة أن تكتب بالحرف الذي تسهل إليه إذا خففت، فالهمزة في (يقرأ) تكتب بالألف لأنها تُسَهّلُ إليها فنقول (يقرا) والهمزة في (فؤاد) تكتب بالواو لأنها إذا خففت تلفظ واوا (فواد) وفي مثل (خطيئة) و(ذئاب) تكتب (خطيّة) و(ذياب)[٧٠].

الهمزة في آخر الكلمة

- إذا كانت الهمزة مسبوقة بحرف ساكن فترسم وحدها مثل (ضوء، سماء، بناء، إنشاء، بطئ، عبء، دفء، ملء) فنجد هنا أنَّ الهمزة كتبت في آخر هذه الكلمات منفردة لأنَّ الحروف التي قبلها ساكنة[٧١].

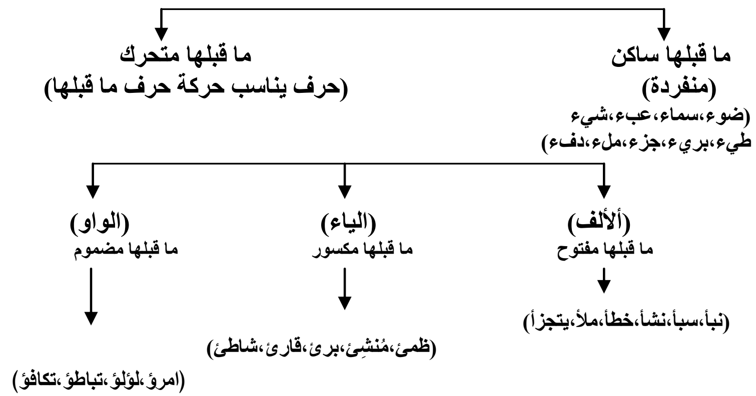
إذا كانت الهمزة مسبوقة بحرف متحرك فإنها ترسم على حرف يناسب حركة ما قبلها، فالفتحة تناسبها الألف كما في: (نبأ، نشأ، سبأ، خطأ، يتجزأ، ملأ)، والكسرة تناسبها الياء كما في: (ظمئ، مُنشئ، برئ، قارئ، ينبئ، شاطئ)،

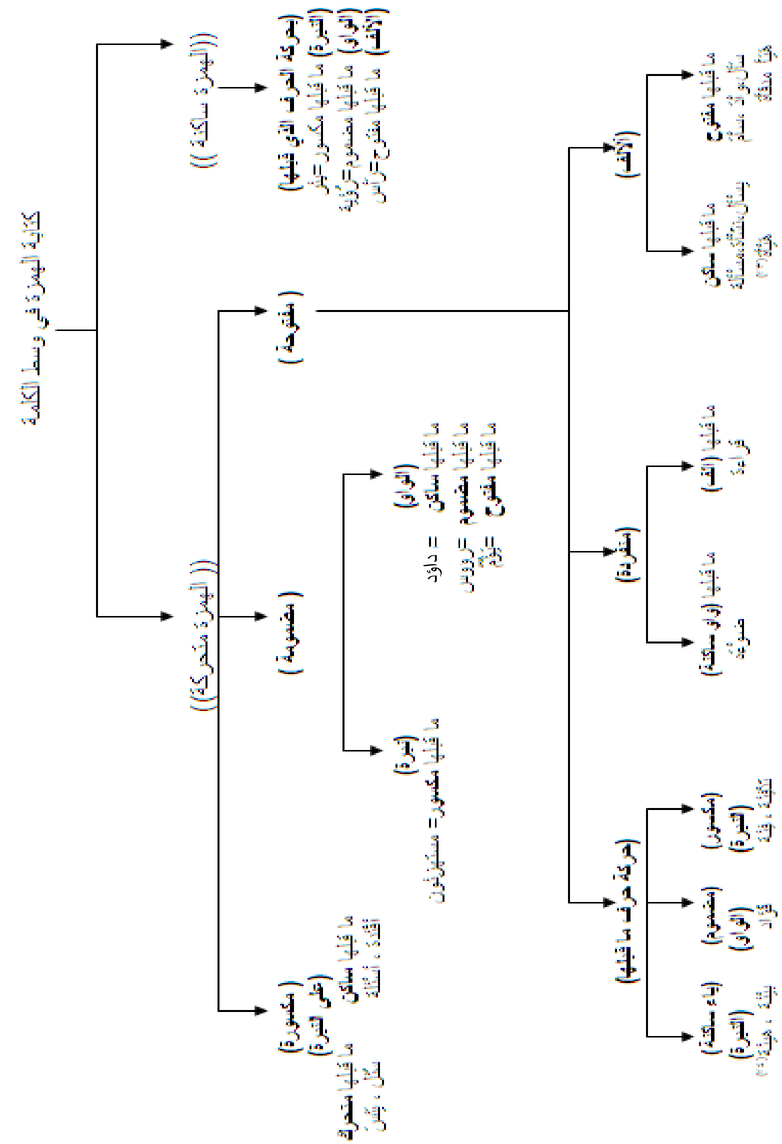
والضمة تناسبها الواو كما في: (امرؤ، لؤلؤ، تجزّؤ، تباطؤ، تكافؤ، جرُؤ)[٧٢]، ويمكن إجمال ذلك بقولنا:

إن الهمزة في آخر الكلمة تكتب على أربعة أشكال:

- على الألف إذا كان الحرف الذي قبلها مفتوحا.
- على الواو إذا كان الحرف الذي قبلها مضموما.
- على الياء إذا كان الحرف الذي قبلها مكسورا.
- منفردة إذا كان الحرف الذي قبلها ساكنا.

الهمزة في آخر الكلمة





❖ ثانيا: التاء

يقع الإشكال في تاء التأنيث، فهي تارة تكتب مربوطة وأخرى مفتوحة[٧٥].

((في الأسماء))

تكتب التاء مفتوحة في:

- كل اسم ثلاثي ساكن الوسط مثل: (بنْت، توْت، بيْت).
- جمع التكسير إذا كان مفرده ينتهي بتاء مفتوحة مثل: (زيت، وقت) (زيوت، أوقات).
- جمع المؤنث السالم مثل: (معلمات، بنات، طالبات، روايات).
- كل اسم ينتهي بتاء قبلها حرف مكسور مثل: (ساكِت، ثابِت، مائِت)[٧٦].

تكتب التاء مربوطة في:

- الأسماء المفردة المؤنثة مثل: (ساعة، فاطمة، عائلة، فتاة، امرأة، عالمة، غرفة).
- جموع التكسير التي ينتهي مفردها بالياء (سعاة، أُباة، قضاة، مضاة) فمفردها (الساعي، القاضي الماضي أو ساعٍ، قاضٍ ماضٍ).
- كلمة (ثمّة) الظرفية للتمييز بينها وبين (ثمت)العاطفة[٧٧].

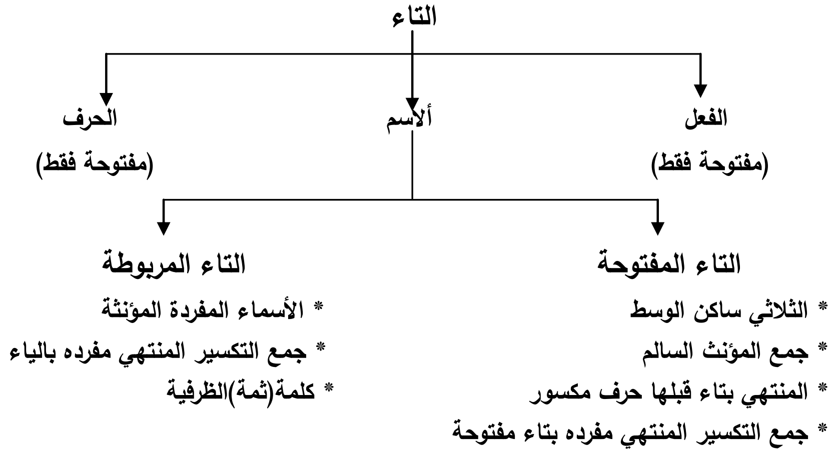
((في الأفعال))

- تكتب التاء مفتوحة في آخر كل فعل، أصليّة كانت مثل:(سكت، بات، مات)، أم زائدة مثل: (ذهبت، علمت، سكتُّ).

((في الحروف))

- تكتب التاء مفتوحة في آخر كل حرف ينتهي بالتاء مثل: (ليت، رُبت، لات، لَعَلّت، ثُمّت)[٧٨].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تاء التأنيث المفتوحة تتصل بأربعة أحرف فقط هي: (ربَّ، لعلَّ، لا، ثمَّ)[٧٩].



❖ ثالثا: الواو

لا توجد مشكلة في كتابة الواو إلاّ من حيث حذفها وزيادتها.

١- زيادة الواو

- (أولاء) الإشارية و(أولي) و(أولات) و(أولوا).
- اسم (عَمرو) في حالتي الرفع والجر.

ملاحظة: اسم (عُمَر) ممنوع من الصرف، واسم (عمرو) مصروف، ويتضح هذا من خلال الشكل الآتي:

واو عمرو

الرفع	النصب	الجر
(عَمرو)....هذا عَمرو	رأيت عَمْراً[٨٠]	مررتُ بعَمْرو
(عُمَر).... هذا عُمَرُ	رأيت عُمَرَ[٨١]	مررت بعُمَرَ[٨٢]

٢- حذف الواو

تحذف خطاً لا لفظاً من كل كلمة التقى فيها واوان، أوّلهما مضمومة، مثل: (داود[٨٣]، طاوس)[٨٤].

الخاتمة

كشفنا في البحث مشكلات كتابة الألف والتاء والواو وبيَّنّا أثر الصوائت والصوامت في المفردة، منفردة سواء اسما كانت أم فعلا أم حرفا، أو في سياق الجملة، وأثر موقعها في السطر أحياناً كما في لفظة (ابن) التي لا تكتب ألفها إن وقعت بين علمين، لكنها تحذف في بداية السطر وإن كانت واقعة بين علمين، فضلا عن دخول بعض السوابق أو اللواحق على بعض الألفاظ وأثر ذلك الكتابة حذفا أو تغييراً، كما في لفظة (اسم) المضافة إلى لفظ الجلالة (الله) التي تحذف ألفها عند دخول حرف الجر الباء عليها (بسم الله)، ولا تحذف إذا أضيفت إلى غيره كما في: (باسم ربك)، أو (باسمي)، وأوضحنا الاختلاف بين الخط القياسي والرسم القرآني والكتابة العروضية، وأظهرنا في الجداول والمخططات المعلوماتِ واضحةً وبيَّنّا أنها تقلل من الجهد المبذول في التركيز والحفظ، فضلا عن تيسير جمع المعلومات أو استذكارها، كما في المخطط الذي يبين كتابة الهمزة في وسط الكلمة، الذي جمع القواعد كلّها في ورقة واحدة، أو الجدول الذي يبين الفرق بين خط المصحف والخط القياسي، فما يكتب في عدة صفحات يمكن أن يدرج في جدول واحد يوضح الكثير، و لاسيَّما أنَّ قواعد الكتابة العربية لا تتغيّر، لكنَّ عرضها بشكل معيَّن ومن زاوية أخرى يجعلها مُيَسَّرة فحسب.

الهوامش:

(١) المورد ٩٧
(٢) المورد ٧٦٤
(٣) المورد ٧٣٦
(٤) المورد ٥٨٥
(٥) تكلم اللغة الكردية بطلاقة ٤٤
(٦) تكلم اللغة الكردية بطلاقة ٧٠
(٧) تكلم اللغة الكردية بطلاقة ١٥
(٨) تكلم اللغة الكردية بطلاقة ٥٣
(٩) تكلم اللغة الكردية ٥٢
(١٠) ينظر تكلم اللغة الكردية ٥٧
(١١) ينظر لسان العرب مادة حرف
(١٢) ينظر المعجم الوسيط١:١٦٧
(١٣) ينظر المعجم الوسيط١:١٦٧
(١٤) ينظر معجم الشامل في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها ٤٤٩
(١٥) الألسنية العربية/الأصوات/٦٢.
(١٦) ينظر علم اللغة العام/١٦١.
(١٧) ينظر الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ١٢٧ في الهامش. وعلم وظائف الأصوات اللغوية،٥٧ في الهامش.
(١٨) ينظر: مدخل إلى علم اللغة،١٣-١٤.
(١٩) أقنعة النص٧٥ وينظر: محاضرات في اللسانيات١٢٩.

(٢٠) ينظر علم اللغة العام١٦١.

(٢١) ينظر أقنعة النص ٧٥.

(٢٢) ينظر علم اللغة العام ٥.

(٢٣) ينظر محاضرات في اللسانيات ٢٤٥.

(٢٤) ينظر مباحث في علم اللغة ٨١.

(٢٥) ينظر كتاب الإملاء ٥١و٥٣ و٥٥

(٢٦) ينظر المعجم المفهرس، ٤١٤

(٢٧) النظر إلى الاستعمال القرآني يرينا أنَّ كل امرأة أضيفت إلى زوجها وردت مكتوبة بالتاء المبسوطة، وما سواها كتبت بالتاء المربوطة.

(٢٨) ينظر المنهل الصافي في العروض والقوافي:د/عبد الله الظاهر٣٨-٤٠.

(٢٩) ينظر أثر الجداول والمخططات في تدريس مادة العروض٤١.

(٣٠) لاحظ كيف تختلف الكتابة العروضية عند الإضافة وعند التعريف.

(٣١) لاحظ الفرق بين (ذو العلم) و (ذو علم).

(٣٢) ينظر بصائر ذوي التمييز ١١:١

(٣٣) ينظر الإملاء الواضح ٢٤

(٣٤) ينظر قواعد الإعراب ١٥

(٣٥) ينظر بصائر ذوي التمييز ٦:١

(٣٦) ينظر قواعد الإعراب ٣٧.

(٣٧) ينظر قواعد الإعراب ١١.

(٣٨) ينظر معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ٩.

(٣٩) ديوان ابن الفارض، ٩٠

(٤٠) سقط الزند، ١٨٥

(٤١) ينظر قواعد الإعراب ٢٩ و قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء٣٩.

(٤٢) ينظر قواعد الإعراب ٩ و قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٢١.

(٤٣) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٢٢.

(٤٤) يمكن أن نختصر القاعدة بالقول : (تكتب الألف في الأسماء التي تزيد على ثلاثة أحرف) فالأسماء الأعجمية المذكورة عدد حروفها أكثر من ثلاثة.

(٤٥) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء٢٤.

(٤٦) ينظر قواعد الإعراب ١٩.

(٤٧) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٢٨.

(٤٨) ينظر قواعد الإعراب ١٥.

(٤٩) سورة العلق: الآية١٥.

(٥٠) ينظر معجم الشامل في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها ٩.

(٥١) ينظر قواعد الإعراب ١٥.

(٥٢) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٣٠.

(٥٣) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٢١.

(٥٤) ينظر بصائر ذوي التمييز ١١:١.

(٥٥) ينظر ألإملاء الواضح ٢٤.

(٥٦) ينظر ألفية ابن مالك: ابن مالك٧٥.

(٥٧) ينظر الإملاء الواضح ٢٥ و قواعد الإعراب ٤١ و ٤٣

(٥٨) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٥٢

(٥٩) ينظر قواعد الإعراب ٣٥

(٦٠) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٣.

(٦١) ينظر قواعد الإعراب ٤١.

(٦٢) ينظر الإملاء الواضح ٣٠.

(٦٣) ينظر قواعد الإعراب ٤٧.

(٦٤) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ٥.
(٦٥) ينظر الإملاء الواضح ٣٠-٣٥.
(٦٦) ينظر الإملاء الواضح ٣١.
(٦٧) ينظر قواعد الإعراب ٥٣.
(٦٨) ينظر الإملاء الواضح ٣٠-٣١.
(٦٩) ينظر قواعد الإعراب ٤٩.
(٧٠) ينظر قواعد الإعراب ٤٧.
(٧١) ينظر الإملاء الواضح ٢٩ و قواعد الإعراب ٥٧.
(٧٢) ينظر الإملاء الواضح ٢٩ وقواعد الإعراب ٥٧-٥٩.
(٧٣) لا حظ هنا أن كلمة (هيأة) كتبت هكذا، لأنَّ الهمزة مفتوحة وما قبلها ساكن.
(٧٤) لاحظ هنا أن الكلمة نفسها كتبت بشكل آخر وهو (هيئة)، لأن الهمزة مفتوحة و ما قبلها ياء ساكنة.
(٧٥) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ١٣.
(٧٦) ينظر قواعد الإعراب ٢٣.
(٧٧) ينظر قواعد الإعراب ٢٧.
(٧٨) ينظر قواعد الإعراب ٢٥.
(٧٩) ينظر قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء ١٤.
(٨٠) (عمرو) مصروفة لذا أمكن تنوينها.
(٨١) (عمر) ممنوعة من الصرف لذا لم تنون.
(٨٢) الممنوع من الصرف يجر بالكسرة بدلا من الفتحة.
(٨٣) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ٣٢٤، فقد وردت لفظة (داود) ١٦ مرة في القران الكريم مكتوبة بواوين، الثانية صغيرة الحجم.
(٨٤) ينظر قواعد الإعراب ٣٧.

المصادر والمراجع

١- أثر المخططات والجداول في تدريس مادة العروض، د.عزة عدنان أحمد عزّت، ط ١، مكتبة الشامل، سورية، حلب ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير شريف استيتة، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٣- أقنعة النص في قراءات نقدية في الأدب، سعيد الغانمي، ط١، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.
٤- الألسنية العربية (مقدمة، الأصوات، المعجم، الصرف)، ريمون طحان، ط١، دار الكتاب اللبناني، المكتبة الجامعية، بيروت، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
٥- ألفية ابن مالك في النحو والصرف، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، مطبعة كرم، دمشق، سورية، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
٦- الإملاء الواضح، عبد المجيد النعيمي ودحّام الكيّال، ط٧، مطبعة الرصافي، بغداد، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، الناشر مكتبة دار المتنبي
٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، تحقيق محمد علي النجار، ط٣، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٨- تكلم اللغة الكردية بطلاقة، هفال أحمد علي، تدقيق إملائي، د. نوزدار صلاح الدين، مكتبة هيفان، ط ١، دهوك، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٩- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٠- علم اللغة العام، الأصوات، د. كمال بشر، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

١١- علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، عصام نور الدين، ط١، دار الفكر اللبناني، مطابع يوسف بيضون، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
١٢- ديوان ابن الفارض، ابن الفارض، شرح هيثم هلال، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٣- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة، ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي، تحقيق د.أحمد حسن فرحان (د.ت)، توزيع دار الكتب العربية.
١٤- سقط الزند، المعرّي، شرح الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
١٥- قواعد الإعراب والإملاء، جماعة من الأساتذة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، بيروت ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.
١٦- قواعد الإملاء ومعجم كلمات الظاء، سالم سعيد الصميدعي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
١٧- كتاب الإملاء، عبد الجبار عبد الله الآلوسي و د. باقر جواد محمد و د.عبد الحق أحمد محمد و تركي عبد الغفور الراوي ط٩ المطبعة الوطنية، بغداد ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٨- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
١٩- مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م
٢٠- محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، منشورات وزارة الثقافة، عمان- الأردن، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢١- مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٢- معجم الشامل في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها، محمد سعيد أسبر وبلال جنيدي، ط١، دار العودة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية (د.ت) بيروت، لبنان.
٢٥- المنهل الصافي في العروض والقوافي، د.عبد الله فتحي الظاهر، ط١، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٦- المورد قاموس انكليزي عربي، منير البعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

Problems of Writing Some Arabic Alphabetic Letters

Dr. Azzah A. A. Izzat
University of Duhok

Abstract

The current research treats the problems of writing three letters: (alef), (ta'a) and (waw). As for alef the research treats its initial, medial and final position, in addition to its increment or omission. The same thing applies to waw in the sense of its increment or omission. As for ta'a; the current research treats its form in initial position. All these will be dealt with on the level of word regardless whether it is a noun or a verb or an article, or through taking into account its context (the letters) in a sentence, in addition to prefixes and postfixes that are attached to the letter and their impacts on it.

As we used to do in teaching; we believe that tables and figures make the student feels restful and they draw for him a very clear picture, and they decrease the efforts of concentration and try to collect information and recall it. What is written in many pages can be put into one table that cal explain a lot. We treat some of what is mentioned above in order to facilitate the grammatical rules and gather it in just one area.

المكتبة المركزية لجامعة تكريت

دراسة حالة

م. د. سهامة غفوري علي

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المستخلص

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على واقع الخدمات المقدمة في المكتبة المركزية لجامعة تكريت والتعريف بوحداتها المختلفة.

استخدم منهج دراسة الحالة للتعرف على أعمال وخدمات كل وحدة من وحدات المكتبة من خلال الملاحظة المباشرة لسير الأعمال، إذ تم التعرف على احتياجات موظفي المكتبة ليكونوا أكثر قدرة وكفاءة على إدارة العمليات المكتبية.

توصل البحث إلى جملة من المقترحات والتوصيات منها:-

١- التنسيق والتعاون بين المكتبة المركزية والأقسام المعنية بالحاسبات في الجامعة

٢- إعطاء إدارة المكتبة قدرا من الاستقلالية ومنح الصلاحيات لممارسة أعمالها

٣- للجامعة دور مهم وحيوي في دعم وإسناد المكتبات

٤- ملاحقة التطورات الجارية في مهنة المكتبات والمعلومات والاتجاهات والأساليب المعاصرة في الخدمة المرجعية

٥- الاهتمام بالتقنيات الحديثة وتوفيرها في المكتبة مثل الأقراص الليزرية وقواعد البيانات المختلفة

٦- كما وأوصى البحث بضرورة العمل من اجل إنشاء موقع الكتروني للمكتبة المركزية يبث من خلال الشبكة العالمية للمعلومات..

الواصفات: ١-جامعة تكريت ٢-المكتبة المركزية ٣-الخدمات المكتبية ٤-الإعارة ٥- الإجراءات الفنية ٦- المراجع ٧- الدوريات ٨- الحوسبة ٩- الانترنيت

المقدمة وأهداف البحث

لقد أصبحت المعلومات والمعرفة في السنوات الأخيرة هي سيدة الموقف في المجتمع و أصبح عصر المعلومات أو مجتمع المعلومات هي المصطلحات الجديدة التي تطلق على المجتمع مابعد الصناعي.

ومن العوامل الأساسية المهمة التي أحدثت وستحدث كل هذه التحولات في المجتمع هو التطور الهائل والمستمر في تكنولوجيا المعلومات وعلى وجه الخصوص في تكنولوجيا الحاسبات الشخصية التي جعلت تفاعل الإنسان مع الآلة حقيقة واقعة. فالعصر الحالي يمثل قمة التطور في تاريخ المكتبات والنشرعلى سبيل المثال حيث أصبح من الممكن بناء خدمات واسعة النطاق حيث أصبح خزن مجاميع من المعلومات بصيغ رقمية واسترجاعها عبر شبكات حاسوبية ممكنا فالمواد من مصادر المعلومات تخزن في حاسبات والشبكات تعمل على وصل الحاسبات الشخصية إلى مكاتب المستفيدين ولقد تعددت وتنوعت المكتبات الالكترونية التي يتم بناؤها بالاستعانة بمختلف تقنيات المعلومات والاتصالات وذلك إيمانا من العاملين بالتحول نحو تكنولوجيا المعلومات حيث تم دمج تقنية الاتصالات البعيدة المدى مع تقنية المكتبات والمعلومات وهو ذروة عصر المعلومات والمجتمع ألمعلوماتي[*].

أهداف البحث:- يسعى البحث إلى تحقيق الآتي

١- يحاول البحث تسليط الضوء على واقع الخدمات المقدمة في المكتبة المركزية.

٢- التعريف بوحدات وأقسام المكتبة

(*) ينظر نشرة المعلوماتية.- مج ٢ ، ع ١.--الصادرة عن المكتبة المركزية لجامعة تكريت حيث يتضمن العدد ذكر نماذج عدة لمكتبات الكترونية

٣- محاولة وضع بعض المقترحات والتوصيات للنهوض بواقع حال المكتبة المركزية.

١- **تعريف المكتبة الجامعية**:- عرفت المكتبة الجامعية بتعاريف مختلفة ولكنها وفي مجملها تصب في واد واحد.

حيث عرفها احمد حسن سعيد بأنها "ذلك النوع من المكتبات الذي يخدم مجتمعا معينا، وهو مجتمع الأساتذة والطلبة والإدارات المختلفة في الجامعة، أو الكلية، أو المعهد حيث توفر لهم الكتب الدراسية وغيرها من اجل خدمة أهداف وإغراض هذه الجامعة" وفي تعريف آخر له"هي عبارة عن مجموعة من الكتب والمخطوطات والوثائق والسجلات والدوريات وغيرها من المواد منظمة تنظيما مناسبا لخدمة طوائف معينة"[١].

كما عرفتها الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات بأنها"مكتبة أو نظام من المكتبات تنشئه وتدعمه وتديره جامعة لمقابلة الاحتياجات المعلوماتية للطلبة وهيئة التدريس كما تساند برامج التدريس والأبحاث والخدمات"[٢].

١-١ وظائف المكتبة الجامعية:-

يمكن تلخيص وظائف المكتبة الجامعية وقدرتها على الاستجابة لاحتياجات الجامعة التي تخدمها في النقاط الآتية:-

١- **إدارة وتنمية المجموعات**:- بما يضمن توفير مصادر المعلومات اللازمة لقيام الجامعة بمهامها في التعليم والبحث، وذلك عن طريق الاختيار والتزويد والتسجيل وغيرها من الإجراءات الفنية.

٢- **تنظيم المجموعات:**- وما يتضمنه ذلك من فهرسة وتصنيف وتكشيف واستخلاص وغيرها من العمليات، التي تكفل ضبط المجموعات وتحليلها وحفظها وصيانتها.

٣- **التعاون والتنسيق:**- وذلك للإفادة من مصادر المعلومات على المستوى الوطني وخارجه والمشاركة والإسهام في إنجاح شبكة المعلومات الوطنية.

٤- **البحث والتطوير:**- وتعليم جميع مستفيدي المكتبة كيفية استخدام المكتبة والاستفادة.

٥- **العمل على توفير العنصر البشري المؤهل مكتبيا:**- تأهيل العاملين في المكتبات الجامعية للوصول إلى موظفين يمتلكون القدرة على التعامل مع أوعية المعلومات المختلفة ويمتلكون قابلية عالية على التحليل والخزن والاسترجاع.

٦- **إقامة الندوات والملتقيات العلمية المختلفة** مما يعكس الاهتمام بتقديم أفضل الخدمات العلمية والتقنية.

٧- **إصدار الببليوغرافيات** المختلفة للتعريف بالأوعية الفكرية المختلفة التي تقتنيها المكتبة(٣).

١-١-١ المكتبة المركزية لجامعة تكريت

تستمد المكتبات المركزية الجامعية وجودها و أهدافها من الجامعة ذاتها وبالتالي فان أهدافها هي أهداف الجامعة ورسالة المكتبة هي جزء لايتجزء من رسالة الجامعة التي تختص في التعليم والبحث وخدمة المجتمع فعلى هذا الأساس تسعى المكتبة المركزية لجامعة تكريت ومنذ إنشائها سنة ١٩٨٨ أسوة بالمكتبات المركزية في الجامعات العراقية الأخرى إلى تحقيق الأهداف الآتية:-

١- توفير وتقديم المواد العلمية والثقافية المختلفة للطلبة التي تسهم في إكمال المناهج التعليمية وتساعدهم على إكمال مشاريعهم العلمية إن هذا الهدف ينصب على

خدمة طلبة الدراسات الأولية في الجامعة الذين يشكلون الجزء الأكبر من مجتمع الجامعة.

٢- العمل على توفير أوعية المعلومات المختلفة اللازمة لتنشيط البحث العلمي والدراسات المتقدمة وينصب هذا الهدف على خدمة طلبة الدراسات العليا والباحثين الذين يحتاجون إلى أوعية معلومات علمية دقيقة التخصص فضلا عن امتيازها بالحداثة.

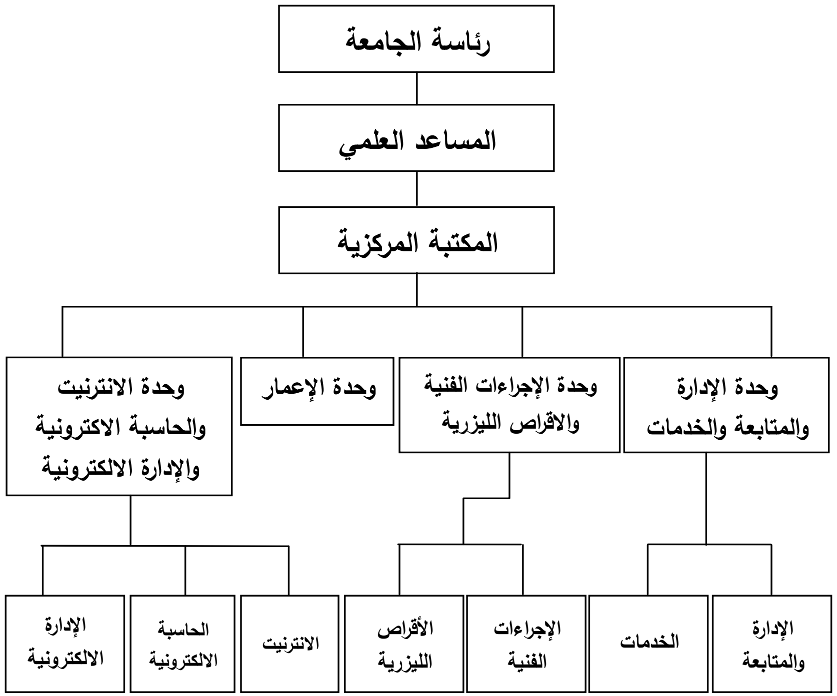
٣- مساعدة مستفيدي المكتبة من طلبة وأساتذة ومنتسبي الجامعة في تطوير أنفسهم وثقافتهم العامة.

٤- التعاون مع المكتبات الجامعية الأخرى.

٥- القيام بتقديم المعلومات لإفراد المجتمع من غير منتسبي الجامعة في المنطقة التي توجد بها إضافة إلى تقديم خدماتها لأي مستفيد بحاجة إلى معلومة أو معلومات معينة.

١-١-١ الهيكل الإداري للمكتبة المركزية

يتكون الهيكل الإداري للمكتبة المركزية من المنتسبين المدرجة أسماؤهم وتخصصاتهم أدناه هذا وتتبع المكتبة المركزية إداريا رئاسة الجامعة وكما موضح في الشكل المدرج لاحقا ولمدير المكتبة دور مهم وحيوي في متابعة عمل المكتبة والإشراف المباشر عليها فضلا على التنسيق والتعاون مع رئاسة الجامعة من اجل الوصول إلى أفضل مستوى من الخدمات المقدمة فيها.



١-١-١-٢ وحدات المكتبة بدأت المكتبة بداية بسيطة إلا أنها توسعت نتيجة للاهتمام والرعاية والوعي بأهمية ودور المكتبات الجامعية في خدمة المجتمع والسعي للوصول إلى أعلى درجة من التقدم العلمي والمعلوماتي هذا وتتضمن المكتبة المركزية الوحدات الآتية(*):-

١- **وحدة الإعارة Circulation unit:-** تقدم هذه الوحدة خدمة الإعارة لمستفيدي المكتبة من طلبة الدراسات الأولية والعليا فضلا عن أساتذة الجامعة وموظفيها ومستفيدي المكتبة المركزية من الجامعات الأخرى وتكون الإعارة داخلية وخارجية وفق ضوابط وتعليمات وضعت من اجل المحافظة على مقتنيات المكتبة من الفقدان أو التلف ولأي سبب كان. كما ويقوم منتسبوا الوحدة بالأعمال الاتيه:

- تلبية طلبات المستفيدين بتوفير احتياجاتهم من الكتب المختلفة.
- التأكد من صحة المعلومات الوارده في هوية المستفيد.
- تدقيق الكتب على الرفوف.
- إرجاع الكتب إلى أماكنها الصحيحة.
- التأكد من عدم التأخير في إرجاع الكتب.
- دفع الغرامات على الكتب المتأخرة في الإرجاع.
- إصدار براءة الذمة.
- إرسال إشعارات إلى كليات وأقسام الجامعة المختلفة والخاصة بالكتب المتأخرة بالإرجاع.

(*) تم جمع البيانات الخاصة بوحدات المكتبة من خلال عمل الباحثة كمشرف فني للمكتبة المركزية

٢- **وحدة الإجراءات الفنية Technical Procedure**:- تقوم الوحدة بتسجيل المجموعة المكتبية في سجلاتها بتدوين المعلومات الآتية عن كل وعاء من الأوعية الفكرية والمعلومات هي(رقم التسلسل- المؤلف- العنوان- مكان النشر- الناشر- تاريخ النشر- النسخ-الملاحظات) فضلا عن القيام بفهرسة المجموعة المكتبية وفق قواعد الفهرسة الانجلو أمريكية وتصنيفها وفق نظام تصنيف (ديوي العشري). يضاف إلى هذه الواجبات يتم القيام بالأعمال الآتية:-

- إعداد قوائم باحتياجات المكتبة المركزية من الكتب المختلفة.
- إعداد قوائم بالكتب المهداة إلى المكتبة المركزية.
- إعداد قوائم بالكتب التي تقوم المكتبة المركزية بإهدائها إلى المكتبات في الجامعات العراقية الأخرى.

٣- **وحدة الحاسب الالكتروني Computer unit**:- يقوم موظفو الوحدة بعمل الهويات الخاصة باستخدام المكتبة من قبل مستفيدي المكتبة من طلبة دراسات أولية وعليا وأساتذة وموظفين.

٤- **وحدة الرسائل الجامعية Thesis &Dissertation unit**:- تتضمن هذه الوحدة الرسائل والاطاريح الجامعية الخاصة بجامعة تكريت وبعض الجامعات العراقية التي تصل المكتبة عن طريق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كذلك تأتي عن طريق الإهداء من قبل بعض الأساتذة ولأهمية الرسائل الجامعية كمصدر أولي من مصادر المعلومات لايسمح بإخراجها خارج المكتبة وإنما تستخدم استخداما داخليا للحفاظ عليها كونها من المصادر غير منشورة والأولية.

٥- **وحدة المراجع والدوريات**:- تتضمن هذه الوحدة نوعين من مصادر المعلومات هما:-

٥- أ **المراجع References**:- تتضمن المراجع المصادر التي يحتاج الرجوع إليها لغرض الحصول على معلومات فكرية معينة لأجل الاستشارة ولايتطلب الأمر قراءتها كنص كامل وتتضمن الأوعية الفكرية الآتية:-

- الكشافات Indexes
- المستخلصات Abstracts
- الكتب السنوية Yearbook
- الكتب اليدوية Handbook
- الأدلة Guides &Directories
- المعاجم Dictionaries
- الموسوعات أو دوائر المعارف Encyclopedias
- الببليوغرافيات أو قوائم المؤلفات Bibliographies
- كتب السير والتراجم Biography
- الإحصاءات Statistics
- التقاويم Almanac
- المصادر الجغرافية Geographical Sources وتشمل الخرائط Maps والأطالس Atlases و الأطالس الجغرافية Gazetteers وأدلة الرحلات Travel Guides

ويقوم منتسبوا الوحدة بالأعمال الآتية:-

- الإجابة على أسئلة واستفسارات المستفيدين
- ترتيب وتدقيق المراجع
- تقديم المعلومة المناسبة في الوقت المناسب
- إحالة المستفيد إلى المرجع الذي يتضمن الإجابة على تساؤلاته واستفساراته

٥-٢ الدوريات Periodicals :- وتتضمن الأوعية التي تصدر بشكل دوري منتظم وتشمل المجلات العلمية والمتخصصة والصادرة عن الهيئات الرسمية وشبه الرسمية والجامعات المحلية والعربية والدولية والصحف اليومية والسنوية والفصلية والأسبوعية والشهرية والنشرات والكتيبات المختلفة هذا وسوف يتم العمل ببطاقة الدوريات المدرجة في أدناه ليتم تسجيل البيانات الخاصة بالدوريات.



مكتبة جامعة تكريت

عنوان المجلد .... تاريخ تجديد الاشتراك ....
عدد النسخ ....
المصدر .... السعر ....
الناشر ....
عنوان الناشر ....

المجلد	مدة المجلد	تاريخ قائمة الثمن		تاريخ الطلب	القيمة	المجلد	مدة المجلد	تاريخ قائمة الثمن		تاريخ الطلب	القيمة

نموذج لبطاقة الدوريات

٦- **وحدة الأقراص CD Unit :-** يقع على عاتق موظفي هذه الوحدة استلام الرسائل والاطاريح الجامعية بشكل أقراص ليزرية والقيام بعملية الفرز والتنظيم حسب الجامعات العراقية ثم حسب الموضوعات العلمية فضلا عن القيام بمساعدة مستفيدي المكتبة من الحصول على احتياجاتهم من الرسائل الجامعية باستنساخ الأقراص التي لها علاقة باهتماماتهم الموضوعية.

٧- **وحدة الانترنيت Internet:-** يقوم موظفو الوحدة بمساعدة مستفيدي المكتبة المركزية من تصفح الانترنيت وكذلك في البحث عن المعلومة أو

المعلومات التي يبحثون عنها سواء باستخدام طرائق البحث البسيط Simple Search أو المتقدم Advance Search بالإضافة إلى ذلك قيامهم بمساعدة المستفيدين من الحصول على مخرجات طباعيه وخزن المعلومات على وسائط الخزن المختلفة.

هذا ويمكن الاستفادة من خدمة الانترنيت في الجوانب الآتية:-

- الاهتمام بوضع فهارس المكتبات الجامعية على شبكة الانترنيت.
- الاستفادة من إمكانات الشبكة في خدمات الإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات.
- استثمار محتويات الشبكة في اغناء المكتبات الجامعية وتحسين خدماتها في مجال المعلومات كالاشتراك في الدوريات الالكترونية واستخدام الشبكة في تحسين الخدمات المرجعية والببليوغرافية وغيرها.
- فالإنترنيت أداة مثالية لعملية التزويد كان يحلم بها أمناء المكتبات في الخمسينيات والستينيات، حيث يتحقق التعاون بين المكتبات، بإتاحة الفهارس على شبكات محلية، يتم تحديثها أولا بأول دون الانتظار لإعادة الطبع أو التحديث أو إعادة توزيع الفهارس المحدثة على المكتبات. دون وجود أية اتفاقيات مسبقة، و لكن فقط من خلال الاستفادة من إتاحة المعلومات على شبكة الإنترنيت، تلك الفهارس التي أدت دورا إيجابيا في عملية الاختيار و ترشيد الإنفاق، من خلال خفض نسبة التكرار لبعض أنواع الأوعية مرتفعة الثمن، أو الاشتراكات في الدوريات التي تعد عبئا على كاهل المكتبات الجامعية خاصة. كما يمكن للإنترنت تسهيل إجراءات التبادل و الإهداء بين المكتبات بسرعة وذلك باستخدام البريد الإلكتروني و إمكانياته الواسعة في نشر قوائم المطبوعات المطروحة للإهداء أو التبادل.
- الاستفادة من الشبكة في خدمات التكشيف والاستخلاص.

– الاشتراك بقواعد البيانات المختلفة للاستفادة من المعلومات المختلفة مثل قاعدة MEDLINE و ERIC .

٨-وحدة المكتبة الافتراضية Virtual Library:- انضمت جامعة تكريت إلى مجموعة المؤسسات والجامعات العراقية المشتركة بالمكتبة الافتراضية العراقية والذي يتيح لمستفيديه الوصول إلى النصوص الكاملة للمجلات العلمية فضلا عن الوصول المباشر إلى مصادر المعلومات الأخرى والجدير بالذكر أن مشروع المكتبة الافتراضية العراقية هو مشروع تعاوني تم بمساهمة عدد من المؤسسات الأمريكية منها الجمعية الأمريكية للعلوم المتقدمة والجمعية الأمريكية الكيميائية والمعهد الأمريكي للفيزياء والمعهد الأمريكي للهندسة الميكانيكية والمعهد الأمريكي للهندسة البيئية وغيرها من المؤسسات العلمية الأمريكية ودور النشر الأمريكية لمساعدة الاساتذه والباحثين العراقيين(♦).

٩-وحدة الاستنساخ Copying Unit:- تعمل هذه الوحدة على استنساخ مصادر وأوعية المكتبة المختلفة لقاء مبالغ زهيدة.

١٠- وحدة الإدارة الالكترونية الإدارة الالكترونية، **"E-Management"** هي بكل بساطة الانتقال من إنجاز المعاملات و تقديم الخدمات العامة من الطريقة التقليدية اليدوية إلى الشكل الالكتروني من أجل استخدام أمثل للوقت كما وتعرف بشكل امثل و أشمل بأنها "إستراتيجية إدارية لعصر المعلومات، تعمل على تحقيق خدمات أفضل للمواطنين، والمؤسسات مع استغلال أمثل لمصادر المعلومات المتاحة من خلال توظيف الموارد المادية و

(♦) للمزيد من التفاصيل حول المكتبة الافتراضية العلمية العراقية ينظر موقع المكتبة http://www.ivsl.org

البشرية و المعنوية المتاحة في إطار الكتروني حديث من اجل استغلال أمثل للوقت و المال و الجهد"(٤).

بدأت هذه الوحدة أعمالها بمتابعة البريد اليومي للمكتبة المركزية من حيث استلامه وإرسال البريد الصادر من المكتبة المركزية الكترونيا.

١-١-١-٣ إجراءات التزويد:- يقصد بالتزويد Acquisition الطرق التي تتبعها المكتبة في الحصول على مصادرها المختلفة والمدرجة أدناه:-

مصادر التزويد									
الشراء						الإهداء			
ناشرون أو موزعون			معارض الكتب			منظمات أو هيئات			أشخاص
محلي	عربي	دولي	محلية	عربية	دولية	محلية	عربية	دولية	

وبعد وصول المصادر والأوعية المختلفة إلى المكتبة تجرى عليها عدة إجراءات تمهيدا لتقديمها إلى المستفيد بشكلها النهائي ومن هذه الإجراءات الآتي:-

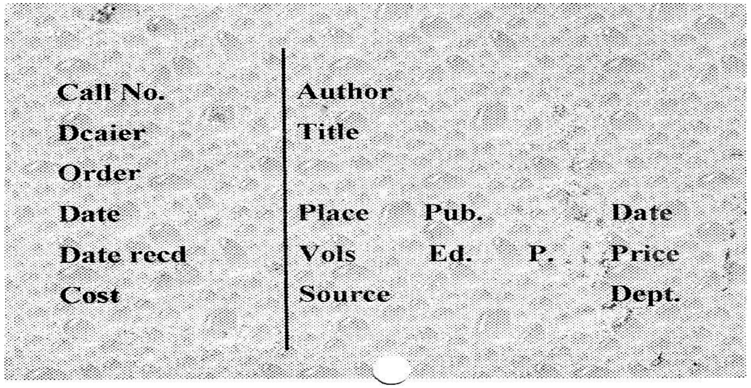
تدون المعلومات الخاصة بالكتاب الصادر باللغة العربية في سجل خاص بمقتنيات المكتبة من الكتب العربية حيث تدون المعلومات الآتية:-

التسلسل-العنوان-المؤلف-النشر-الطبعة-عدد النسخ-السعر-الملاحظات وكما مبين في نموذج بطاقة التزويد الآتية:-

رقم الطلب	المؤلف						
البائع	العنوان						
الطلب							
التاريخ	مكان		ناشر		تاريخ		
تاريخ التسجيل	مج		ط		ص		س
التكلفة	المصدر		القسم				

نموذج لبطاقة التزويد

وكذلك تدون المعلومات الخاصة بالكتب الأجنبية في سجل خاص بها وتدون في بطاقة التزويد المدرجة أدناه:-



١-١-١-٤ الفهرسة Cataloging:- بدأت المكتبة المركزية أولى خطواتها بتطبيق قواعد الفهرسة الانجلوامريكية أسوة بالمكتبات العراقية لذا سنحاول إعطاء بعض المعلومات عن مفهوم الفهرسة.

الفهرسة:- هي عملية تنظيمية تهدف إلى تنظيم المعرفة البشرية وتقديمها للمستفيدين بأيسر وأسهل الطرائق وتعد الفهرسة من أهم العمليات الفنية وأدقها حيث تتطلب أدوات وتقنيات للسيطرة عليها وتتطلب أيضا متدربين فنيين ومتخصصين في القيام بهذه المهمة فهنالك فيض هائل من المواد المختلفة التي تنتج سنويا بمختلف اللغات والمستويات والمواضيع والأشكال المختلفة من كتب ودوريات وأفلام وأقراص تحتاج إلى السيطرة عليها.

تقسم الفهرسة إلى قسمين:-

١- **الفهرسة الوصفية Descriptive Cataloging:-** تهتم بتحديد الكيان المادي للوعاء أي وصفه وصفا فنيا بتحديد بعض الحقول والبيانات منها بيان المسؤولية والتأليف وبيانات العنوان والطبعة وبيانات النشر وبيانات التو ريق وبيان السلسلة إن وجدت وكذلك إعطاء معلومات عن بعض الملاحظات التي يتضمنها الوعاء والتي لايمكن إدراجها في ثنايا المتن(٥) كما وتعرف بأنها عملية

تحديد المسؤولية عن وجود مادة مكتبية معينة أو مصدر للمعلومات وبيان الملامح المادية والفكرية له وإعداد السجلات الخاصة بذلك وترتيبها وفق نظام معين(٦).

٢- **الفهرسة الموضوعية Subjective Cataloging:-** وتتضمن إعطاء معلومات عن موضوع أو موضوعات المادة أو الوعاء وذلك بتحديد رأس أو رؤوس الموضوعات مثل قائمة الخازندار.

إن عملية الإعداد الفني للأوعية الفكرية تتطلب وجود ركائز فنية ثلاث أولها وجود تقنينات للوصف البيليوغرافي مثل التقنين الدولي للوصف البيليوغرافي للكتب ISBD International Standard Bibliographic Descriptive ووجود قوائم رؤوس الموضوعات مثل قائمة الخازندار أو المكانز Thesauri الخاصة بالتحليل الموضوعي وتتطلب العملية وجود جداول التصنيف مثل جداول تصنيف ديوي العشري. والشكل الآتي يمثل أنموذج لبطاقة متكاملة الحقول علما إن قياس البطاقة ٣×٥ انج أو ١٢، ٥×٧، ٥ سم.

رقم التصنيف

رقم المؤلف المؤلف.

العنوان: معلومات العنوان الأخرى/ بيان المسؤولية الأول؛ بيان اللاحق.- بيان الطبعة، بيان إضافي للطبعة.- مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر.

الصفحات: المصورات؛ الحجم.-(بيان السلسة، بيان إضافي للسلسلة؛ رقم السلسلة).

الملاحظات.

ردمك.

١.رأس موضوع. ٢.رأس موضوع أ.مدخل إضافي.

رقم التسلسل

نموذج متكامل لبطاقة الفهرسة

١-١-١-٥ التصنيف Classification:- إن كلمة تصنيفClassification مشتقة من كلمة Class بمعنى قسم أو فئة أو طبقة أو طائفة والتي تعني في ابسط بيان لها هو وضع الأشياء المتشابهة معا وهو ترتيب الأشياء وفق التشابه والاختلاف انه فرز الأشياء وتجميعها وبالإضافة إلى ذلك يعتبر تصنيف الكتب تصنيفا للمعرفة مع التعديلات اللازمة التي يمليها الشكل المادي للكتاب(٧).

يعتبر تصنيف ديوي العشري من أقدم أنظمة التصنيف الحديثة في العالم ويعود الفضل إلى ملفل ديوي عام ١٨٧٦ حيث اصدر ديوي الطبعة الأولى وتوالت إصدار الطبعات فالطبعات إلـ ١٢ الأولى كانت بإشراف ديوي أما بقية الطبعات اللاحقة فقد اشرف عليها الكونكرس.

١-١-١-٥-١ وظائف التصنيف:-

١- هو الأساس في تنظيم المجموعة المكتبية بقصد الاستخدام.
٢- لابد من ارتباط الوثائق ارتباطا نوعيا أي لابد من التصنيف.
٣- التصنيف يضمن ترتيبا يعكس الصلات بين مختلف الأوعية الفكرية.
٤- قد يكون التصنيف أساسا لتنظيم التعاون بين المكتبات في الترتيب الموضوعي المتخصص في ميدان التعاون الدولي و عمليات التزويد التعاونية وفي هذا الدور يلعب التصنيف دور اللغة العالمية.
٥- يحقق التوازن الموضوعي في مجموعة المكتبة بالكشف عن مواطن الضعف والقوة في مقتنيات المكتبة مما يساعد إدارة المكتبة على تنمية مجموعتها وشراء الأوعية الفكرية الناقصة لديها لتحقيق أقصى درجات التوازن والتكامل في المجموعة المكتبية.
٦- يقوم التصنيف وبواسطة رموزه بالاتي:-
٦-١ يضمن ترتيب الأعداد الكبيرة من الوثائق أو بطاقات الفهرس كما يسهل سحب وإرجاع الوثائق دون أن يؤثر ذلك سلبيا على الترتيب.
٦-٢ هو الوسيلة المستخدمة للربط بين الرفوف والفهارس
٦-٣ يستخدم لأغراض الإعارة.
٦-٤ يساعد في إرشاد المستفيدين إلى مجموعات الموضوع الواحد.

١-١-١-٥-١-١ تصنيف ديوي العشري

سمي النظام عشري لأنه قسم المعرفة إلى عشرة أقسام رئيسية ويمكن تقسيم كل قسم من هذه الأقسام إلى مالا نهاية نظريا وباستخدام الأرقام العربية والرموز ويتمتع النظام بالمرونة العالية إلى حد تتوسع فيه الأرقام بأسلوب خطي لتغطي المظاهر الخاصة للمواضيع العامة والأقسام الرئيسية العشرة هي:-

١- ٠٠٠ المعارف العامة

٢- ١٠٠ الفلسفة

٣- ٢٠٠ الديانات

٤- ٣٠٠ العلوم الاجتماعية

٥- ٤٠٠ اللغات

٦- ٥٠٠ العلوم البحتة

٧- ٦٠٠ العلوم التطبيقية

٨- ٧٠٠ الفنون

٩- ٨٠٠الاداب

١٠-٩٠٠ التاريخ والجغرافية والتراجم والرحلات[٨]

فنظام تصنيف ديوي هو نظام هرمي أي يتفرع من العام إلى الخاص فمثلا

٦٠٠ العلوم التطبيقية

٦١٠ الطب

٦١٠، ٧ دراسة وتدريس بالطب.

والجدير بالذكر أن المكتبة المركزية بدأت أولى خطواتها بتطبيق نظام تصنيف ديوي العشري في تصنيف مجموعتها المكتبية أسوة بالمكتبات العراقية.

١-١-١-٦ إجراءات الإعارة:-

قبل البدء بإجراءات الإعارة لابد من إعطاء القارئ فكرة عن أنواع الإعارة حيث تقسم الإعارة إلى قسمين

١- **الإعارة الخارجية External Circulation**:- أي السماح لمستفيدي المكتبة باستخدام الكتب استخداما خارجيا ولمدة محددة حددت بموجب ضوابط وتعليمات خاصة بفترة الإعارة والتي تم تحديدها من قبل إدارة المكتبة.

٢- **الإعارة الداخلية Internal Circulation:-** أي استخدام الكتب وغيرها من أوعية المكتبة استخداما داخليا أي داخل المكتبة.

وينبغي على مستفيدي المكتبة جلب هوية المكتبة لغرض الحصول على احتياجاتهم المختلفة من الكتب وتتضمن هوية المكتبة المعلومات المدرجة وفق النموذج المرفق أدناه علما أن المكتبة صممت نموذج الهوية بأربعة ألوان لون معين لطلبة الدراسات العليا والآخر لطلبة الدراسات الأولية والآخر لموظفي الجامعة والأخير للاساتذه



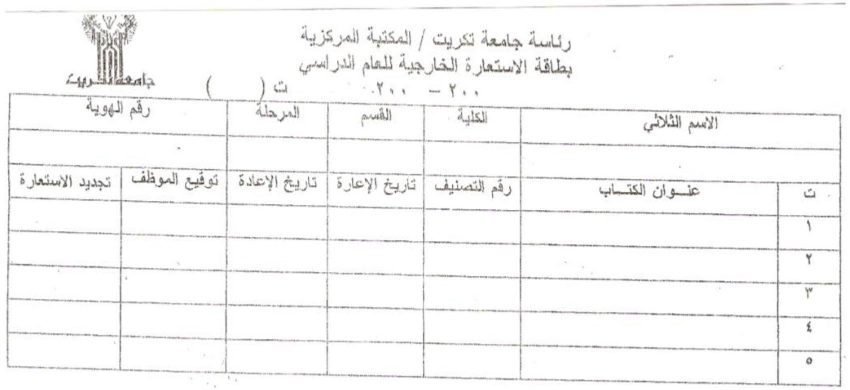
نموذج لهوية المكتبة الخاصة بمستعيري المكتبة

أولا- تحتوي وحدة الإعارة على سجلات خاصة بمحتويات المكتبة خصص لكل موضوع أو تخصص سجل خاص به يتضمن معلومات عن عناوين الكتب ومؤلفيها وتواريخ نشرها فضلا عن رقم الكتاب والذي بموجبه رتبت الكتب داخل

الرفوف علما ان العمل بهذه السجلات ساري المفعول لحين انجاز عملية تصنيف الكتب وفق نظام ديوي العشري وفهرستها وفق قواعد الفهرسة الانجلو أمريكية لتهيئة الفهارس البطاقية التي سيتم العمل بها مستقبلا حيث ستتيح توفير نقاط إتاحة Access Pointلأوعية المعلومات حسب المؤلف والعنوان والموضوع.

ثانيا- بعد جلب المستفيد لرقم الكتاب وإعطائه لموظفي وحدة الإعارة يتم جلب الكتاب في حالة وجوده في موقعه ضمن الرف حيث يقوم موظفو قسم الإعارة بتدوين المعلومات المدرجة أدناه عن كل وعاء أو مصدر تتم إعارته إلى مستفيدي المكتبة والمعلومات هي (عنوان الكتاب–المؤلف–تاريخ الإعارة–تاريخ الإرجاع–توقيع الموظف المسؤول– فضلا عن المعلومات الخاصة بالمستفيد اسمه والكلية والقسم والمرحلة الدراسية وكما مبين في النموذج المرفق طيا) وترتب هذه البطاقات حسب الكليات في جرارات خاصة لهذا الغرض

ثالثا- يقوم موظفو الإعارة بتدقيق البطاقات الخاصة بالإعارة للتأكد من إرجاع الكتب في الأوقات المحددة للإعارة وفي حالة التأخير يقوم موظفو القسم بإرسال إشعارإلى كليات وأقسام الجامعة تتضمن قائمة بأسماء الطلبة المتأخرين بالإرجاع لإرجاع مابذمتهم من كتب وغيرها من مصادر المكتبة.



رئاسة جامعة تكريت / المكتبة المركزية
بطاقة الاستعارة الخارجية للعام الدراسي
٢٠٠ – ٢٠٠ . ت (   )
جامعة تكريت

الاسم الثلاثي	الكلية	القسم	المرحلة	رقم الهوية

ت	عنوان الكتاب	رقم التصنيف	تاريخ الإعارة	تاريخ الإعادة	توقيع الموظف	تجديد الاستعارة
١						
٢						
٣						
٤						
٥						

نموذج لبطاقة الاستعارة الخارجية

رابعا- بعد إعادة الكتاب إلى المكتبة يتم سحب البطاقة الخاصة بالكتاب وشطب المعلومات الخاصة به وإعادته إلى مكانه الطبيعي في الرف المخصص.

خامسا- عمل الإحصاءات الأسبوعية حيث يتم تقديمها شهريا إلى إدارة المكتبة متضمنة معلومات عن أعداد المستعيرين وفئاتهم وتوزيعهم من حيث الكليات ومستوى الدراسة ونوع الإعارة.

سادسا- القيام بإجراءات الجرد السنوي لمجموعة المكتبة للتعرف على النقص في المجموعة فضلا عن أن الجرد يساعد إدارة المكتبة على التعرف على مستوى الضعف والقوة في مجموعة المكتبة لغرض تحقيق أقصى درجات التوازن الموضوعي فيها.

سابعا- القيام بتقديم براءة الذمة الخاصة بمستفيدي المكتبة حيث لايتم منح براءة الذمة لطلبة الجامعة مالم يتم إرجاع جميع الكتب والمصادر المكتبية التي بذمتهم ولإتمام براءة الذمة يقوم طلبة الجامعة بجلب الاستمارة الخاصة ببراءة الذمة من كلياتهم بالإضافة إلى نموذج براءة الذمة الخاص بالمكتبة المركزية وكما مرفق أدناه.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة تكريت
المكتبة المركزية

العدد
التأريخ

إلى كلية :
قسم :

م/ براءة ذمة
((نسخة القسم))

نؤيد براءة ذمة طالبكم المرحلة
من المكتبة المركزية للعام الدراسي ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ الدور الأول .

تأييد وحدة إعارة الكتب

تأييد وحدة الرسائل الجامعية

تأييد وحدة الأقراص الليزرية

تأييد وحدة المراجع

مسؤول وحدة شؤون المستعيرين

نموذج للأستمارة براءة الذمة الخاصة بالمكتبة المركزية

١-١-١-٧ الضوابط والتعليمات الخاصة باستخدام المكتبة

لكل مكتبة جامعية لابد من وجود ضوابط وتعليمات تعلن ويطلع عليها كافة الرواد المحتملين لكي يتم الالتزام بها لغرض المحافظة على مجموعة مقتنيات المكتبة وحسب الضوابط التالية:-

١- لاتقدم خدمة الإعارة إلا بعد الحصول على هوية المكتبة السنوية التي تنظم للسادة التدريسيين وطلبة الدراسات العليا والأولية والعاملين من موظفي الجامعة.
٢- لاتنظم أية هوية جديدة إلا بعد إعادة كافة الكتب وغيرها من مصادر المعلومات التي بذمة طالب الهوية
٣- تنظم هوية المكتبة استنادا الى استمارة تأييد من كليات الجامعة وكذلك هوية الجامعة مقابل مبلغ وقدره ١٠٠٠ إلف دينار للسادة التدريسيين وطلبة الدراسات العليا و(٥٠٠) وخمسمائة دينار لطبة الدراسات الأولية وتودع المبالغ المستحصلة لدى صندوق وحدة الحاسبة
٤- يحق للسادة التدريسيين استعارة خمسة كتب كحد أقصى ولمدة ثلاث أسابيع قابلة للتجديد في حالة عدم وجود طلب أو حجز على الكتب من مستفيد آخر.
٥- يحق لطلبة الدراسات العليا استعارة أربعة كتب كحد أقصى ولمدة ثلاث أسابيع قابلة للتجديد في حالة عدم وجود حجز على الكتب من مستفيد آخر.
٦- يحق لطلبة الدراسات الأولية استعارة ثلاثة كتب كحد أقصى ولمدة أسبوعين قابلة للتجديد في حالة عدم وجود حجز على الكتب من مستفيد آخر.
٧- يحق لمنتسبي الجامعة من موظفين وموظفات استعارة الكتب غير التخصصية لمدة أسبوعان قابلة للتجديد في حالة عدم وجود حجز على الكتب من مستفيد آخر.

٨- لاتجدد إعارة الكتب لفترة ثانية إلا بعد أن تجلب الكتب من قبل المستعير وتدقق من قبل الوحدة المعنية قبل انتهاء فترة استعارتها الأولى.

٩- لاتعار خارجيا المراجع القيمة وأمهات الكتب والرسائل الجامعية والدوريات وإنما تستخدم داخل المكتبة فقط.

في حالة تأخير الكتاب الواحد عن موعد استحقاق إرجاعه يغرم المستعير مبلغ وقدره(٥٠٠) خمسمائة دينار.

المحافظة على الكتاب المعار وفي حالة فقدانه أو تلفه على المستعير تعويضه وتقديمه إلى المكتبة وبنفس العنوان والمؤلف والطبعة.

١٠- يسمح لرواد المكتبة من خارج الجامعة الاستفادة من المصادر والمراجع داخل المكتبة فقط.

١١- تعاد كافة الكتب المعارة للجميع حتما في بداية شهر (١١) تشرين الثاني لغرض إتمام الجرد السنوي.

١٢- هذه الضوابط والتعليمات وضعت لغرض المحافظة على مجموعة مصادر المكتبة من الفقدان أو التلف، فيرجى الالتزام بما ورد أعلاه لغرض تقديم أفضل الخدمات.

١-١-١-٨- مصادر المعلومات التي ينبغي توافرها في المكتبة المركزية

لقد تنوعت وتعددت مصادر المعلومات التي ساهمت على مدى العصور في تقدم البشرية كما واختلفت الآراء حول تصنيف هذه المصادر التي ينبغي توافرها في المكتبات المركزية إذ تم تصنيفها وفق الآتي:-

مصادر المعلومات				
وثائقية			غير وثائقية	
أولية	ثانوية	ثالثة	رسمية	شخصية
الدوريات المتخصصة التي تهتم بنشر البحوث المبتكرة	الدوريات المتخصصة التي تهتم بتطبيق التطورات العلمية المسجلة في المجلات الأولية	الكتب السنوية والأولية	الأجهزة الحكومية	محادثات الزملاء والزوار
تقارير البحوث	خدمات التكشيف والاستخلاص	الوراقيات	مراكز البحوث	اللقاءات الجانبية
أعمال المؤتمرات	المراجعات العلمية	فهارس المجلات	الجمعيات المهنية والعلمية	
تقارير الرحلات العلمية	الكتب المرجعية	قوائم البحوث الجارية	المؤسسات الصناعية	
المطبوعات الرسمية	الأعمال الشاملة	قوائم الكتب	الجامعات والكليات	
براءات الاختراع	الكتب الدراسية	أدلة النتاج الفكري	المكاتب الاستشارية	
المواصفات القياسية		أدلة المكتبات والمعلومات		
الكتالوجات الصناعية		أدلة الهيئات		
الرسائل الأكاديمية				

شكل يبين تقسيم مصادر المعلومات

إن هذا التقسيم لمصادر المعلومات المختلفة تم الاعتماد على تقسيم حشمت قاسم "في" كتابه مصادر المعلومات(٩).

١-١-١-٩ انجازات المكتبة المركزية

١- تم إعادة تنظيم هيكل وحدات المكتبة المركزية وتوزيع الكادر الموجود حاليا بشكل يتناسب مع التخصص الفني والمهني والعمل الخاص لكل وحدة حيث تم تقسيم المكتبة إلى (٩) تسعة وحدات متخصصة وتم تسمية مسؤول لكل وحدة وتكليفهم بالإعمال والواجبات الخاصة بعمل الوحدة.

٢- استحداث وتنظيم قاعة المراجع تضم أمهات الكتب المرجعية مثل المعاجم والموسوعات وكتب الترجمة والسير أي الكتب التي تحتاج إليها للتعرف على معلومة أو معلومات معينة وتجدر الإشارة إلى انه قد تم دمج الدوريات معها وذلك لعدم توافر أمكنة إضافية في المكتبة

٣- تم إعادة تنظيم عمل وحدة الإعارة بشكل يمكن فيه السيطرة على عملية إعارة الكتب بحيث تم تغيير نظام الإعارة واستحداث هويات جديدة للإعارة الخاصة بالمستفيدين من طلبة وأساتذة وموظفين وبما يتلاءم مع التطور الذي تسعى المكتبة لتحقيقه.

٤- تم إصدار ضوابط وتعليمات خاصة بعملية إعارة مصادر المكتبة المختلفة لعدم توافر الضوابط سابقا وبما يتلاءم واحتياجات العمل الحالية.

٥- تم إصدار نشرة المعلوماتية التي تتناول التعريف بالتطورات الجديدة في علم المعلومات والمكتبات.

٦- تم تشكيل فريقي عمل احدهما للفهرسة والأخر للتصنيف حيث تم تدريب كادر عمل الفريقين لغرض القيام بعملية فهرسة وتصنيف المجموعة المكتبية وفق نظم الفهرسة والتصنيف المتبعة دوليا.

٧- تبلغ مجموعة المكتبة من المصادر المختلفة من الكتب عدد (٢٢٠٧٩) دوريات عدد(٢٩٣٥) رسائل جامعية عدد(١٤٢٣٨) المراجع عدد(١٨١٦) هدايا على شكل مصادر متنوعة (١٤٠٠) مكتبتي كتب مهداة عدد (٢٦٢١) أقراص مضغوطة عدد (٢٨٧٠).

٨- تم تقديم خدمة الإعارة الخارجية لـ(١٥٠٠) مستفيد وتقديم خدمة الإعارة الداخلية لـ(٢٥٠٠) وكذلك الإجابة على الأسئلة والاستفسارات وتوجيه الاستخدام لمراجع معينة لـ(١٠٠٠) مستفيد خلال شهر واحد.

٩- تم استحداث خدمة معلوماتية جديدة بالنسبة للمكتبة وهي خدمة الإحاطة الجارية Current Awareness أي إحاطة المستفيدين علما بالإصدارات الجديدة من الدوريات التي تصل للمكتبة عن طريق إرسال قائمة المحتويات وصفحة العنوان إليها ذا ت العلاقة بتخصص الدورية.

١٠- تم إعادة تأهيل العمل بوحدة الأقراص الليزرية حيث تم إضافة عدد من الأقراص الليزرية التي تضم النصوص الكاملة للكتب لغرض إنشاء المكتبة الالكترونية.

١١- تم استحداث وحدة المكتبة الافتراضية Virtual Library لتكون بوابة للولوج إلى مختلف أوعية المعلومات وكذلك استحداث وحدة الإدارة الالكترونية E-Management للقيام بمهام إرسال واستقبال البريد اليومي للمكتبة ولتحويل العمل من الشكل التقليدي إلى الشكل المحوسب.

١٢- إقامة عدد من معارض الكتب على قاعات المكتبة لتعريف مستفيديها بكل ماهو جديد في تخصصاتهم الموضوعية.

ثانيا:- احتياجات منتسبي المكتبة المركزية

من اجل تأهيل العاملين في المكتبة المركزية وجعلهم أكثر فاعلية وقدرة على القيام بأعمالهم بأفضل صيغة ممكنة ينبغي توافر الآتي:-

١-الدورات التدريبية في الجوانب الآتية:-

- دورة تدريبية في مجال الفهرسة تتضمن التعرف على قواعد الفهرسة الانجلو أمريكية AACR2 Anglo American Cataloging Rules 2 وكذلك الفهارس الالكترونية OPAC Online Public Accsses Ctaloge والتعرف على قوائم رؤوس الموضوعات ومنها الخازندار والطبية متمثلة بقائمة Mesh Medical subject headings.
- دورة تدريبية في محركات البحث تتضمن التعرف على محركات البحث على الانترنيت الفيديوية والصورية.
- دورات تدريبية في مجال تنمية وتطوير المجموعة المكتبية.
- دورة تدريبية في مجال المشاركة بالمصادر .
- دورة تدريبية في مجال خزن واسترجاع المعلومات.
- دورة تدريبية في مجال التصوير الرقمي والمسح الضوئي.
- دورة تدريبية في مجال النشر الالكتروني.
- دورة تدريبية في مجال امن المعلومات.
- دورة تدريبية في مجال المكتبات الالكترونية.
- دورة تدريبية في مجال صيانة الحواسيب.
- دورة تدريبية في مجال تصميم المواقع للمكتبات.
- دورة تدريبية في نظم التصنيف.
- دورة تدريبية في نظم الإعارة المتبادلة.

جدول يبين احتياجات وحدة الانترنيت من مستلزمات الحواسيب(♦)

internet unit -central library need COMPUTERS				
ITEM NO.	DESCRIPTION	UNIT	UNIT PRICE	TOTAL PRICE
01	processor Intel® Celeron440 (2.00GHz, 800FSB)®	30		
02	Operating SystemGenuine Windows Vista® Home Basic, Service Pack 1 or higher	30		
03	Monitors Dell 17 inch plasma	30		
04	Optical Drive Removable Media Storage Devices 16X DVD-ROM SATA, Roxio Creator™ Cyberlink Power DVD™ Removable Media Storage Devices	30		
05	Memory 3GB DDR2 SDRAM 800 MHZ - 1x2GB 1x1GB	30		
06	Primary Hard Drive Primary Hard Drive 250GB3 Serial ATA Hard Drive (7200RPM) w/DataBurst Cache™	30		
07	Video Card Integrated Video, Intel® GMA X4500HD	30		
08	AUDIO Integrated 5.1 Channel Audio	30		
	Total			

(♦) تم ذكر معلومات الجدول باللغة الانكليزية كون الموضوع تخصص حاسبات

جدول يبين احتياجات المكتبة المركزية من مستلزمات الانترنيت

internet unit – Central library need Internet resever				
ITEM NO.	DESCRIPTION	UNIT	UNIT PRICE	TOTAL PRICE
01	Comctch 570 L	1	$8000	$8000
02	DESH 180cm CABLE BUC 3wat ku Band LNB DSL ku Band	1	$2500	$2500
03	Rackt power	1	$275	$275
04	Router cisco 2600	1	$2100	$2100
05	Hub switch cisco	1	$800	$800
06	Dvbs 2 sky stream	1	$1400	$1400
07	Server 1 mega	1	$2900 one month	$2900 one month
08	Total			$17975

المقترحات الخاصة بالمكتبة المركزية

١- تحديد ميزانية خاصة بالمكتبة لغرض شراء الكتب ومصادر المعلومات المختلفة فضلا عن القيام بصيانة الأثاث والأجهزة والمعدات الخاصة بعمل المكتبة.

٢- إجراء التغييرات على بناية المكتبة وبمايتلائم والتوسعات المستقبلية خاصة والمكتبة مقبلة على حملة لشراء الكتب ومصادر المعلومات المختلفة.

٣- تشكيل لجنة داخل الجامعة مكونة من متخصصي المعلومات والمكتبات ومتخصصي الحاسبات للوقوف على مستوى التحول في أوعية المعلومات والاحتياجات الخاصة بنظم المعلومات الآلية.

٤- التنسيق والتعاون بين المكتبة المركزية والأقسام المعنية بالحاسبات لغرض القيام بصيانة الحاسبات الخاصة بالمكتبة والذي يؤدي الى ديمومة واستقرار العمل المعلوماتي.

٥- إعطاء إدارة المكتبة قدرا من الاستقلالية ومنح الصلاحيات وذلك لعلاج مشكلات إدارية مزمنة ومما يساعد على تحرير النظام التعليمي والبحثي لينطلق إلى آفاق رحبة.

٦- للجامعة دور مهم وحيوي في دعم وإسناد المكتبات من حيث توفر الدعم المادي والمعنوي.

٧- الإكثار من الدورات التدريبية والبرامج التاهيلية الخاصة بعلم المكتبات والمعلومات وذلك لتوفير كوادر قادرة على التعامل مع المعلومات واسترجاعها وتحليلها وخزنها.

٨- مواكبة التطورات الجاريه في مهنة المكتبات والمعلومات والاتجاهات المعاصرة في أساليب الخدمة المرجعية لتطوير ورفع كفاءة العمل.

٩- الاهتمام بالتقنيات المتطورة وكيفية التعامل معها كالحاسبات الالكترونية وقواعد البيانات والأقراص الليزرية وتوفيرها في مكتبات جامعة تكريت ليتسنى لها القيام بدورها المعلوماتي في المجتمع.

١٠- الاهتمام بتوفير كوادر مؤهلة قادرة على التعامل مع المعلومات فالمكتبات الجامعية تعتبر مشكلة الدخول إلى المجتمع المعلوماتي من المدخل الصحيح وذلك عن طريق إعداد الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة على تنظيم وإدارة النظم وشبكات المعلومات.

١١- توفير مصادر المعلومات المناسبة لاحتياجات مستفيدي المكتبات من حيث تخصصاتها الموضوعية وفئاتها النوعية والوظيفية واللغوية.

١٢- الارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة وتقديم خدمات جديدة متطورة مثل خدمة الاستخلاص والتكشيف والبث الانتقائي للمعلومات.

١٣- ضرورة إعادة النظر في جميع الأساليب المعمول بها في مكتبات الجامعة ومقارنتها مع بعضها واتخاذ مايلزم لسد الثغرات التي تعاني منها.

١٤- توصي الباحثة بتصميم موقع خاص للمكتبة المركزية يتضمن المواد الواردة في ملحق(أ).

١٥- الدعوة إلى أن تكون هذه الدراسة بمثابة دليل عمل للتعريف بالمكتبة المركزية وأقسامها وأهدافها التي أنشئت من اجلها.

ملحق(أ)

الموقع المقترح للمكتبة المركزية لجامعة تكريت على الانترنيت

مواد موقع المكتبة على الانترنيت

تأسيس المكتبة وأهدافها

تأسست المكتبة المركزية في جامعة تكريت سنة ١٩٨٨

تهدف

١) دعم برامج التعليم العالي والبحث العلمي في الجامعة والمجتمع من خلال توفي مصادر المعلومات التي تفي بحاجات المستفيد من المعلومات

٢) تخدم المكتبة جميع أعضاء هيئات التدريس في كليات ومعاهد ومراكز جامعة بغداد والطلبة والموظفين وغيرهم من الموظفين

موقع المكتبة المركزية

تقع المكتبة المركزية داخل الحرم الجامعي في منطقة القادسية

* يبلغ حجم رصيد المكتبة من مصادر المعلومات (٣٥٠٠٠) من كتب٠ ودوريات ( ) رسائل جامعية ( ) أقراص ليزرية ( )
* ة تصنيف المجموعة المكتبية بالنسبة إلى تصنيف المجموعة المكتبية المكتبة تتبع نظام السجلات الورقية لكل وعاء من أوعيتها المختلفة وان عملية تصنيف المجموعة وفق نظام تصنيف دوي العشري وقواعد الفهرسة الانكلو – امريكية ورؤوس موضوعات مكتبة الكونكرس بالإضافة إلى أرقام (Cutter) للمؤلفين الأجانب وقائمة أرقام المؤلفين باللغة العربية

خدمات المستفيدين

الإعارة

خدمة الإعارة مفتوحة أمام جميع المستفيدين من المكتبة المركزية وكالاتي

فئة المستفيدين	عدد الكتب المسموح بإعارتها	مدة الإعارة
عضو هيئة التدريس		
طالب دراسات عليا		
طالب دراسات أولية		
موظف		

ولغرض الاستعارة يجب على المستفيدين الحصول على هوية المكتبة من وحدة الإعارة بعد تقديمه تأييد من الجهة المنتسب إليها كونه واحد من الفئات المذكورة أعلاه ومستمر بالدوام على المستفيد الالتزام بمدة الإعارة وبعكسه يتم فرض غرامات مالية على من يتجاوز مدة الإعارة كما يستطيع المستفيد حجز الكتب التي تم استعارتها منه

الخدمة المرجعية

تعنى هذه الخدمة بالإجابة على أسئلة واستفسارات المستفيدين التي تتعلق بالحصول على معلومة أو معلومات معينة من خلال المراجع المتوفرة بالمكتبة كما تعنى هذه الخدمة إعداد قوائم بالمؤلفات (بيلوغرافيات) في موضوع معين حسب طلب المستفيد، وتعليم المستفيد كيفية استخدام المراجع، وكيفية استخدام المكتبة، بالإضافة إلى إرشاد المستفيد إلى شعب ووحدات المكتبة يستطيع المستفيد الحصول على الإجابة على أسئلته واستفساراته عن طريق

١- مصادر المكتبة ( )

٢- البريد الالكتروني ( )

٣- التلفون ( )

خدمة الدوريات

يتوفر في المكتبة ما يقارب ( ) عنوان من الدوريات بمختلف الموضوعات التي تخدم الاختصاصات العلمية للجامعة ٠للوصول إلى الدورية التي يريدها المستفيد في الوقت الحاضر لا تستطيع المكتبة تجهيز الدوريات لمن يطلبها بالطرق الالكترونية وعلية المصدر داخل المكتبة / وحدة الدوريات فيتم استعارة الدورية المطلوبة (داخليا فقط) تتوفر خدمة الاستنساخ لمن يريد الحصول على مصدر لبحث أو مقالة ( )

خدمة الانترنيت

تتوفر في المكتبة ( ) محطة متاحة في المكتبة أمام المستفيدين للبحار في الانترنيت لقارئ اجر بسيط قدره ( ) للساعة الواحدة ٠بالاضافة الى ذلك يتوفر في وحدة الانترنيت عدد من الموظفين المؤهلين ولعدة ساعات لمساعدة المستفيدين في كيفية استخدام الانترنيت للوصول إلى مايريده المستفيد.

المواد السمعية والبصرية

خدمة الر سائل الجامعية

تضم هده الوحدة مجموعة من الرسائل الجامعية لجامعة تكريت وبعض الجامعات العراقية ومنها

دكتوراه

ماجستير

دبلوم عالي

خدمات أخرى

استشارات فنية

تعمل المكتبة المركزية على تقديم استشارات فنية إلى مكتبات الكليات لغرض انجاز الإجراءات والأعمال الفنية المختلفة

معارض الكتب

تقدم المكتبة المركزية التسهيلات الكافية لأية جهه ترغب بإقامة معارض الكتب وقد تم لحد الآن إقامة ( ) معرضا

فهارس المكتبة

قواعد البيانات على الأقراص المدمجة

يتوفر في المكتبة القواعد الآتية

للاستفادة من هذه القاعدة بالوقت الحاضر يستوجب الحضور إلى المكتبة ٠ وتعمل المكتبة حاليا لإتاحة هذه الأقراص الكترونيا أمام المستفيدين ٠

التبادل والإهداء

تتوفر في المكتبة أعداد من الكتب والدوريات المعدة للتبادل والإهداء وتعتبر هذا كوجه من أوجه التعاون الذي يرمي إلى تنمية المجموعات المكتبية .... تحتاج إلى قاعدة بيانات لهذه المجموع

* جديد المكتبة

* مكتبات كليات ومعاهد ومراكز جامعة بغداد قائمة فقط لحين قيام هذه المكتبات بإنشاء مواقع لها على الانترنيت ويمكن آنذاك

* اتصل بنا

إذا كان لديك أي سؤال أو استفسار أو مقترح يمكن الاتصال بنا عن طريق البريد الالكتروني وستلقى كامل الترحيب والشكر على اتصالك

البريد الالكتروني .....

الهوامش

(١) احمد حسن سعيد. المكتبة الجامعية: نشأتها تطورها أهدافها وظائفها. عمان: دار عمار، ١٩٩٢.

(٢) سيد حسب الله. الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات إنجليزي–عربي. القاهرة :المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠١.

(٣) احمد حسن سعيد. مصدر سابق. ص٦٥

(٤) علي حسين باكير. المفهوم الشامل لتطبيق الإدارة الالكترونية"في "مجلة آراء الخليج.–ع٢٣ (اب٢٠٠٦)

(٥) عمر احمد همشري. ربحي مصطفى عليان. المرجع في علم المكتبات والمعلومات.–عمان: دار الشروق، ١٩٩٧. ص١٥٥.

(٦) ربحي مصطفى عليان. أسس الفهرسة والتصنيف للمكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات العربية.–عمان: دار صنعاء، ١٩٩٩. ص١٣.

(٧) أسس الفهرسة والتصنيف. عبدا لله مشعل عبيدات (وآخرون). تقديم عامر إبراهيم قنديلجي.–عمان: دار المسيرة ، ٢٠٠٠. ص١١٣.

(٨) أسس الفهرسة والتصنيف. المصدر نفسه. ص١٧٥–٢٠٨.

(٩) حشمت قاسم. مصادر المعلومات :دراسة لمشكلات توفيرها في المكتبات ومراكز المعلومات.–القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٩. ص٦٩

Abstract

The research aims at shading light on the current services that provided by the central library of Tikreet University in all its branches. Case study methodology used to focus all of objects & services for each unit in the library throughout the direct observation for the work in the library. All the demands of the library staff was studied, in order to be more efficient, on managing of library processes.

The present research concludes at the following:-

1- Cooperation between central library &computer departments in the university.
2- Giving the library management a lot of independence and authorities for doing their work
3- An important roles must be supported for the universities and libraries.
4- Continuous in a touché with all current developments in information &libraries specialist references approaches.
5- Pay a great attention of new technology as CD, database internet etc…
6- The research suggested that all libraries must have its own website.

Descriptors: Tikrit University -central library-library services – circulation- technical procedure- -references- periodicals- computerize-internet

التعالق النصي
بين كوميديا دانتي وغفران أبي العلاء المعري

د. سناء كامل شعلان

مركز اللغات/ الجامعة الأردنية/ الأردن

ملخص

رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي والكوميديا الإلهيّة لدانتي مثالان على المنجزات الإبداعيّة التّي شكّلت بصمةً في مجالها، وعلامة فارقة في حقلها، وهما منتجان تأثّرا بمعطىً ثقافيٍّ إسلاميٍّ واحد، وهو قصّة المعراج، التّي أفادا منها وهضماها، ثمّ متحا منها لنحت نماذج إبداعيّة جديدة، لها تفرّدها وخصوصيّتها.

وإن كانت رسالة الغفران هي المبلور الأوّل لتلك الصّيغ الإبداعيّة الموروثة عن المعراج، فإنّ الكوميديا الإلهيّة نموذجٌ على عبقريّة التّأثّر التّي لا تنفي الذّاتيّة الإبداعيّة، والخصوصيّة الحضاريّة، ولكنّها تستأنف الانفتاح على معطيات ثقافيّة متنوّعة المشارب، وتعيد إفرازها في أشكالٍ ثقافيّةٍ خاصّة.

وهذه الدّراسة خلصت إلى قناعاتٍ تطمئنّ إلى صحّة فرضيّة تأثّر الكوميديا بالمصادر المشرقيّة الإسلاميّة، وهي قناعات تركن إلى جهود كبار المستشرقين والنّقاد في هذا القرن، مع جهدٍ طيّب بذلته الباحثة في مطالعتها ودراستها وتحليلها في بعض المواطن.

والكوميديا الإلهيّة وإن كانت مثالاً خصباً وعبقرياً للتأثّر، إلاّ أنّها ليست إعادة اجترار، بل منجزٌ إبداعيّ استطاع أن يستفيد من تراث الحضارة الإسلاميّة، ولا سيّما (رسالة الغفران). وهذا التأثّر له مواطن تشابه ومطابقة، كما أنّ فيه ملامح من التّأثّر والمقاربة التّي تصدّرت الدّراسة لأبرزها.

وقفة تعريفيّة بغفران أبي العلاء المعرّي:

كتاب أو رسالة الغفران قد أملاها أبو العلاء في المعرّة حوالي سنة ٤٢٤هـ، وهي تأخذ صورة رسالة إخوانيّة من الرّسائل الطّوال التّي تجري مجرى الكتب المصنّفة، لكنّها تُستهلّ بمقدّمة غير مألوفة، يستطرد فيها أبو العلاء في رحلة خياليّة في العالم الآخر، ويقود إليها ابن القارح، ويوجّه فيها خُطاه بين الجنّة والجحيم، ويلقّنه ما يقول ويفعل.

والكتاب يقع في ثلاثمئة من الصّفحات المتوسّطة الحجم، ممّا يناهز الواحدة والسّتين ألفاً من الكلمات. وقد كتبها أبو العلاء وهو رهين المحبسين، يردّ بها على رسالة رجلٍ اسمه أبو الحسن، عليّ بن منصور القارح الحلبيّ، وكان طلعة، ماكراً، يتوسّل بمراسلة عظيم المعرّة إلى الشّهرة، والاستفادة[١].

"وفي الرّسالة طرائف أدبيّة، ومقاييس أدبيّة ونقديّة، ولغويّة، وفنيّة، تدلّ على عمق الكاتب، وسعة ثقافيّة [ثقافته] وخياله"[٢].

والرّسالة من أهمّ أثار أبي العلاء وأغناها، وقد رأى فيها القدماء دليلاً على تمكّن أبي العلاء من الأدب واطّلاعه حتّى أولئك الذّين تحاملوا على أبي العلاء، ورموه بسوء المعتقد ورأوا فيها صورة من مزدكة، لم يكتموا إعجابهم بما تومئ إليه من مقدرة أبي العلاء الأدبيّة.

يقول الذّهبيّ، وهو من أولئك المتحاملين: "وله رسالة الغفران في مجلّدٍ، قد احتوت على مزدكةٍ واستخفاف، وفيها أدبٌ كثير"[٣].

وقد نالت الغفران شهرة كبيرة، وعُدّت رائدة، ومعلماً في درب النّثر العربي، "وحسبنا أن نقرّر أنّ هذه الرّسالة هي أوّل قصّة خياليّة عند العرب"[٤]، مع أنّ بعض النّقّاد قد غبنها حقّها. فطه حسين يقول: "لم يخترع أبو العلاء في هذه الرّسالة شيئاً كثيراً، وإنّما وردت أقاصيص الوعّاظ بأكثر ما فيها"[٥].

وقد رَفَدَ أبو العلاء المعرّي رسالته بروافد عدّة منها: "الأساطير العربيّة عن الذّين استهواهم الجنّ، وأساطير العرب عن الغيلان[٦] وحكاياتهم على ألسن الحيوان، والقرآن الكريم، وقصص الإسراء والمعراج، ومجموعة الأخبار الحديثيّة التّي تدور حول الجنّة والنّار، والقصص المترجمة مثل كليلة ودمنة، وأسمار الجهشياريّ، ورسائل الجاحظ التّي لعلّها أمدّته بعنصر السّخرية اللاّذعة.

والرّسالة تتكوّن من قسمين:

القسم الأوّل: وهو قصّة الغفران، **والقسم الثّاني:** الرّدّ على ابن القارح، وقد صدّر أبو العلاء هذه الرّسالة بوصفٍ لرسالة ابن القارح.

والحقيقة أنّه ما كان لهذه الرّسالة أن تُعدّ في مصافي تاريخ الأدب العربي لو لم يردّ أبو العلاء على رسالة ابن القارح [٧] بصورةٍ قصصيّة، بعد أن أرسل إليه ابن القارح رسالة، يشكو أمره إليه، ويُطلعه على بعض أحواله، ويذكر فيها شيئاً من أخبار الزّنادقة والملاحدة أو المتّهمين بدينهم، ويسأله أن يجيب عن رسالته، فيجيبه أبو العلاء عن أسئلته بعد أن يُصدّرها بقصّةٍ رائعة جرت حوادثها في موقف الحشر، في الجنة والنار، ووسمها باسم رسالة الغفران؛ لكثرة ما يرد فيها ذكر الغفران ومشتقّاته، وما ورد في معناه، وسؤال الشّاعر الذّي غُفر له، وكُتبت له النّجاة: بِمَ غُفر لك؟

وهذه الرّسالة طبّقت الأفاق شهرةً حتّى قيل إنّها كانت مورداً لأعمالٍ عظيمة لاحقة على رأسها الكوميديا الإلهيّة لدانتي، وفي ذلك يقول شوقي ضيف: "لم يصنع أبو العلاء للعرب كوميديا إلهيّة فحسب بل أثّر بها أيضاً تأثيراً عميقاً في الآداب العالميّة"[٨]. ويقول محمّد غنيمي هلال: "ولا شكّ أنّ رسالة الكوميديا تشبه رسالة الغفران في نوع الرّحلة وأقسامها وكثير من مواقفها"[٩].

وقفة تعريفيّة بكوميديا دانتي:

الكوميديا الإلهيّة الرّائعة الخالدة لمبدعها الإيطالي دانتي اليغييري، من روائع الأدب المسيحي في القرون الوسطى. "وكان دانته قد سمّاها الكوميديا فحسب، ثمّ أُضيف وصف (الإلهيّة) بعده في طبعة ١٥٥٥م. ويُرجّح أنّ الشاعر بدأ في نظمها في حوالي عام ١٣٠٧م، واستمرّ في نظمها سنين كثيرة يصعب تحديدها"[١٠].

ويبدو أنّ دانتي أسماها الكوميديا بمعنى السّخرية، وهي السّخرية من سخافة النّظرة التّعصبيّة المغلقة التّي كانت تسود عقائد العصور الوسطى[١١].

وتتكوّن هذه الملحمة الدّينيّة كما يسمّيها البعض من ثلاثة أجزاء[١٢]: الجحيم، والمطهر، والجنّة الأرضيّة والسّماويّة، وكلّ جزء مكوّن من ثلاثةٍ وثلاثين نشيداً مع مقدّمة في نشيدٍ واحد، فالملحمة إذن مكوّنة من مائة نشيد. وكلّ بيتٍ في هذا النّشيد يتكوّن من أحد عشر مقطعاً، وتسير أبياتها الثّلاثة على شكل وحدات وموجات مترابطة متتابعة، الواحدة في إثر الأخرى.

وقد سار دانتي في ملحمته على النّسق الثّلاثيّ؛ على اعتبار أنّ "الوحدانيّة تؤمن بالأقانيم الثّلاثة، فهي مؤلّفة من ثلاثة أجزاء: الجحيم، والمطهر، والفردوس، وكلّ جزء يشتمل على ثلاثةٍ وثلاثين نشيداً، وهو عمر المسيح"[١٣].

والجحيم في الملحمة هو مملكة العقاب والبؤس الأبديّين، وهو برميلٌ كبير على شكل مدرّج، تتوزّع فيه تسعُ دوائر تجمع الهالكين، وفْق جسامة خطاياهم، وفي الوسط المقابل لمحور الأرض، يجلس لوسيغوروس أمير الهالكين[١٤].

أمّا المطهر، وهو جبلٌ عالٍ طالع من الأوقيانوس الجنوبيّ مقابل أورشليم، ومكلّل بالفردوس، فيجمع على تلاله السّبع النّفوس التّي في طور التطهّر، وعليها يهيمن أمل الخلاص، ممزوجاً بالتّذكارات الحزينة، والحنين إلى السّماء.

وأمّا الفردوس فيحتوي على تسع كراتٍ متّحدة المركز تدور من سريعٍ إلى أسرع حول الأرض، ويبدو الطّوباويّون الموزّعون في مختلف الدّوائر مجتمعين في "الوردة السّماويّة"، التّي هي تاج اللّه. وتحتشد في الممالك الثّلاث الوجوه، أكثرها لا ينسى، إنّما يطغى عليها وجه دانتي.

وموضوع الملحمة هو رحلة إلى الجحيم والمطهر والفردوس، وهو تصوير رمزي لسعي الإنسان إلى خالقه، ورجوعه إليه، وظفره بالتّوبة والمغفرة والخلاص.

وتبدأ الملحمة مذ يضلّ دانتي الطّريق، وهو عندئذٍ في منتصف العمر، فيجد نفسه في غابةٍ مظلمة (رمز الضّلال)، ويبحث عن مخرج، فيرى جبلاً رائعاً،طفقت الشّمس (رمز المحبّة الإلهيّة) تظهر فوقه، يحاول تسلّقه، فلا يستطيع؛ لأنّ دونه فهداً (رمز الخداع)، وأسداً (رمز العدوّ)، وذئبةً (رمز الشّهوة)، فيهرب منهم جميعاً، فيظهر له شبح فرجيل (رمز العقل)، ويخبره أنّه لن يستطيع متابعة الطّريق من هذه النّاحية، ويرشده إلى طريق آخر يمرّ بالجحيم ثمّ بالمطهر، وعندها يتركه لمن هو أجدر منه ليصحبه إلى الفردوس، يتركه لبياتريس[١٥] (رمز الإيمان)، فيرتدّ دانتي، ومن ثمّ يسير مع أستاذه (فرجيل).

ويخوض دانتي مع أستاذه (فرجيل) رحلة عجيبة في الجحيم والمطهر، إذ يجد في قمّته الجنّة الأرضيّة حيث تظهر بياتريس، التّي يصحبها إلى السّماوات السّبع، مكان الملائكة والأرواح المؤمنة، وهناك يُشغل دانتي عن حبيبته بحبّ اللّه، بعد أن أوصلته بحبّها الطّاهر إلى أعلى درجات الأطهار المحبّين للّه.

وقد تُرجمت الكوميديا إلى كثيرٍ من لُغاتِ الدّنيا، ونالت شهرةً طبّقت الآفاق، وقد تُرجمت كذلك إلى العربيّة، ومن أشهر من ترجمها إلى العربيّة حسن عثمان، وفي ثلاثة مجلّدات، وترجمها كذلك حنّا عبّود إلى العربيّة في مجلّدٍ واحد.

ودانتي[١٦] أديب وشاعر إيطالي،وُلد في فلورنسا عام ١٢٦٥م، وعُمّد باسم دورانتي أليجييري، ومن معنى اسمه حامل الجناح الباقي على الزّمن. وهو ينتمي إلى أسرةٍ يُقال إنّها تنحدر من أصلٍ رومانيٍّ نبيل، وتُدعى أسرة إليزيىْ التّي يرجع نسبها إلى عهد يوليوس قيصر.

وفي وقت ميلاد دانتي كانت أسرته أسرةً متواضعةً، ملكتْ بعض الأرياف في ريف فرنسا. وماتت أمّه موّنا بيلاّ وهو في سنٍّ مبكّرة، وتزوّج أبوه أليجييرو دي بلنتشونى امرأةً أخرى، وكان يعمل مسجّل عقود، كما اشتغل بالرّبا.

درس دانتي الآداب القديمة، واللاّهوت، وساهم بنشاطٍ في الحياة السّياسيّة لفلورنسا، فتغلّب خصوم حزبه عليه، فقُضي عليه وزملائه بالنّفي عام ١٣٠٢م. ومذ ذاك هام على وجهه، متنقّلاً بين مدن إيطاليا، فعرف مرارة الضّيق حتّى كاد يهوي إلى درك التّسوّل. وسمح له في عام ١٣١٦م بالعودة إلى موطنه على أن يدفع غرامةً ويعترف بأنّه كان مذنباً، ويطلب العفو، فأبى؛ لأنّه رأى في ذلك إذلالاً لكرامته، وظلّ هائماً متنقّلاً حتّى توفّي عام ١٣٢١م.

وكان قد تزوّج بجيما دوناتي، وأنجبت له أولاداً عدة، ولم تتّجه إلى منفاه للعيش معه.

وله مؤلّفات كثيرة منها فضلاً عن (الكوميديا الإلهيّة) بأجزائها الثّلاثة، كتاب (الضّيف)، وكتاب (الحياة الجديدة)، وكتاب (الأسلوب الجديد)، وكتاب (مسألة الماء والتّراب).

الكوميديا الإلهيّة لدانتي وأصولها المشرقيّة الإسلاميّة:

اختلفت الآراء وتضاربت المزاعم كلّ التّضارب في ما يخصّ الأصول المشرقيّة والإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة، وعلاقتها برسالة الغفران للمعرّي فمن قائلٍ إنّ المعرّي كان معلّماً لنابغة إيطاليا في الشّعر والخيال، وقائلٍ إنّ دانتي لم يكن مبدعاً بل

مقلّداً سارقاً موضوعه من المعرّي المبتكر الحقيقيّ، ومتخلّفاً عنه في السّموّ البيانيّ، وقد اكتفى بعضهم بالقول أنّ دانتي اقتبس من المعرّي فكرة الانتقال إلى العالم الآخر فقط، في حين نذر البعض أقلامهم في هذا الصّدد للتّأكيد على أنّ الكوميديا الإلهيّة متأثّرة بما لا يدع مجالاً للشكّ بالتّراث الإسلاميّ في كثيرٍ من مصادره، وأنّ الأمر لم يعد مقصوراً على تشابهات أو اختلافات بين الأثرين.

ومن فضول القول أن نذكر إنّ الحكم في هذا الأمر وتبيّن حقائقه وأبعاده يدفعنا إلى أن نستعرض آراء الباحثين الذّين تفتّقت أذهانهم وثقافاتهم ودراساتهم ومطالعتهم عن القول إنّ الكوميديا الإلهيّة فيها آثار شرقيّة إسلاميّة، مروراً بآراء أولئك المفنّدين لهذا القول، وصولاً إلى بناء رأيٍ خاصٍّ، نركن إليه ونتبنّاه في هذه المسألة، ونستجلي الأمور والوقائع في ضوئه[١٧].

وقبل الدّخول في معترك هذه الآراء والرّؤى والاجتهادات، أرى ضرورة لفت النّظر إلى قضيّتين مهمّتين ستنيران لنا الدّرب في هذه الدّراسة، كما أنّهما تلمّحان إلى قضايا مهمّة ومركزيّة فيها، وقد تقدّمان تعليلاً لتلك الجذور المشتركة بين الكوميديا والغفران إنْ وُجدت.

القضيّة الأولى: إنّ العلاقات بين الشّرق والغرب ترجع إلى أزمنةٍ قديمة تمتدّ عبر التّاريخ، وتُعدّ حروب الإسكندر من أبرز الوسائل التّي نقلت تيارات التّأثير المتبادَل بين الشّرق والغرب.

وفي العصور الإسلاميّة ازدادت الاتّصالات وتعدّدت المنابر التّي عبرت عليها حضارة المسلمين في طريقها إلى أوروبا، والتّي من أهمّها: الحروب الصّليبيّة، وصقليّة، والأندلس، وحركات التّرجمة[١٨].

القضيّة الثّانية: إنّ قضيّة النّزول إلى العالم الآخر ليست جديدة، فقد ورد ذلك في كثيرٍ من الأساطير السّومريّة[١٩]. كما انتشرت فكرة العبور بالقارب إلى عالم الأموات

من السّومريّين والبابليّين إلى أممٍ شرقيّة وغربيّة، ودخلت أدب اليونان والرّومان، فظهرت مسرحيّة الضّفادع التّي ألّفها الكاتب اليونانيّ أرستوفان[٢٠].

وهذه الفكرة تعود مرّةً أخرى للظّهور في رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي، ويكون لها ما يكون من ذيوع صيتٍ وشهرة، ثمّ تُستأنف هذه الفكرة مرّة أخرى عند دانتي في الكوميديا الإلهيّة.

وهذا التّشابه البيّن في الفكرة في الأثرين، فضلاً عن التّشابهات في الجزيئات أزجى السّاحة النّقديّة في معترك الذّين ادّعوا صلة الملحمة بالآثار الشّرقيّة، والذّين فنّدوا هذا الرّأي.

وقد تعرّض الكثير من الدّارسين والباحثين إلى هذه المسألة في القرن التّاسع عشر بصورةٍ جزئيّة، إلاّ أنّ الدّراسات المفصّلة المنهجيّة قد ظهرت في هذا المجال في بداية القرن العشرين بكتاب المؤرّخ الفرنسيّ (أ. بلوشيه) وهو (المصادر الشّرقيّة للكوميديا الإلهيّة) المنشور سنة ١٩٠١م.

ويرى بلوشيه في كتابه هذا أنّ دانتي قد تأثّر في ملحمته بكتابين منفصلين عن قصّة المعراج، كانا موجودين في الشّرق، وقد كتبا منفصلين في فارس، كَتب الأوّل كاتبٌ مزدكيّ في عصرٍ غير محدّد، والآخر كُتب في معراج النّبيّ –صلّى اللّه عليه وسلّم– في حدود القرن الهجريّ الثّاني[٢١].

ومن ثمّ جاء المستشرق الإسبانيّ القسّ (ميجويل آسين بلاثيوس) ليعلن في كتابه المشهور (فكرة الحشر والنّشر الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي) أنّ للكوميديا الإلهيّة جذوراً إسلاميّة واضحة وبيّنة، بل تكاد في بعض أجزائها أن تقوم على تلك الجذور[٢٢].

وقد ذكر (بللور) كذلك أنّ الكوميديا الإلهيّة والمفاهيم الشّعريّة لحياة ما وراء القبر المنبثقة من المسيحيّة قد تأثّرت بالأدب الإسلاميّ، وأنّ دانتي قد تأثّر بها[٢٣].

وفي سنة ١٩٥٠ أسهم المستشرق الإيطالي (فراسسكو كابريّلي) في المناقشات التّي دارت بين الباحثين بصدد المسألة التّي أثارها المستشرق الإسبانيّ (ميجويل آسين بلاثيوس)، وهي مسألة العلاقة بين ملحمة الكوميديا الإلهيّة لدانتي والمصادر الشّرقيّة الإسلاميّة، وقد ضمّ رأيه بعد دراسةٍ وتحليل إلى رأي بلاثيوس.

وقد تأكّدت مسألة تأثّر دانتي بالتّراث الإسلاميّ بعد أن قام المستشرق الإسبانيّ (ساندينو) والمستشرق الإيطاليّ (إنريكو تشيرولي) بنشر التّرجمات اللاّتينيّة والفرنسيّة لوثيقة معراج محمّد في الوقت نفسه دون اتّفاقٍ مسبق عام ١٩٤٩م. وعُدّت هذه الوثيقة الدّليل الحاسم الذّي كان ينقص نظريّة (بلاثيوس) في تأثير التّراث الإسلاميّ على دانتي، وعرف العالم من هذه الوثيقة أنّ ملك إسبانيا ألفونسو العاشر أو المعروف بالعالم أو الحكيم كان قد أمر طبيباً يهوديّاً يعمل في بلاطه، ويُدعى (أبراهام الحكيم) بترجمة قصّة المعراج الإسلاميّة من العربيّة إلى الإسبانيّة عام ١٢٦٣م، وأنّ هذه التّرجمة كانت أصلاً لترجمةٍ أخرى إلى اللاّتينيّة والفرنسيّة قام بها مترجم وموثّق إيطاليّ كان يعمل في البلاط نفسه، وهو (بونيا فينتورا دى سينا) في العام التّالي، أي في عام ١٢٦٢م، أي قبل أن يُولد دانتي بسنةٍ واحدة[٢٤].

وقد أثبت المستشرق الإيطاليّ (تشيرولي) أنّ أجزاءً من هذه التّرجمات قد دخلت في كثيرٍ من مجموعات المخطوطات التّي انتشرت في أوروبا عامّةً، ولا سيّما في إيطاليا في هذه المدة، وأنّها كانت كفيلةً بشيوع قصّة الإسراء والمعراج في الأوساط الثّقافيّة الأوروبيّة جميعها في عهد دانتي[٢٥].

وقد انتصر الكثير من الباحثين العرب لفرضيّة الجذور الإسلاميّة لملحمة دانتي، ومنهم عفاف بيضون في كتابها (بين المعرّي ودانتي)، التّي قالت بتأثّر دانتي برسالة الغفران، وعزت طريقة ذلك التّأثر إلى[٢٦]:

أوّلاً: أنّ عدد المعلّمين الذّين كانوا يدرّسون اللّغة العربيّة، ويترجمون منها إلى اللاّتينيّة كان كثيراً في المدارس الإيطاليّة.

ثانياً: أنّ معلّم دانتي كان قد أُرسل سفيراً في بلاط ألفونسو العاشر، وقد درس اللّغة العربيّة هناك، وعندما رجع إلى إيطاليا ألّف كتاباً تكلّم فيه عن النّبيّ العربيّ.

ويبيّن عمر فرّوخ رأيه في مسألة العلاقة بين دانتي والمصادر العربيّة، فيتأرجح بين موقفين أوّلهما: أنّ دانتي متأثّر برسالة الغفران، وثانيهما تأثّره بقصّة المعراج بأسلوب تميّز بالطّابع الإنشائيّ. ثمّ يقول: "يقترب دانتي من لزوميّات المعرّي، ولكنّه اهتمّ بكتابه المشهور رسالة الغفران، وبنى عليه ملحمته المشهورة (الكوميديا الإلهيّة)" [٢٧].

وذلك من دون أن يثبت الصّلة التّاريخيّة بين المعرّي ودانتي، ثمّ يقول في موضعٍ آخر: "رسالة الغفران تنتزع من دانتي فضل السّبق إلى موضوعه"[٢٨].

وأمّا جلال مظهر في كتابه (مآثر العرب على الحضارة الأوروبيّة)[٢٩] ومحمّد غنيمي هلال في كتابه (الأدب المقارن) فقد ذهبا إلى ما ذهب إليه بلاثيوس من تأثّر دانتي بالمصادر العربيّة الإسلاميّة[٣٠]، وفي ذلك يقول محمّد غنيمي هلال: "تأثّر دانته في الكوميديا الإلهيّة بمصادر عربيّة"[٣١].

أمّا لويس عوض فهو يطرح في كتابه (على هامش الغفران) السّؤال التّالي: "هل اعتمد دانتي في الكوميديا الإلهيّة على ما تعلّمه من قصّة المعراج وحدها، أو أنّه كان على علمٍ أيضاً برسالة الغفران"[٣٢].

وهو مقتنعٌ تماماً بأنّ دانتي قد تأثّر بقصّة المعراج أوّلاً، ثمّ يرجّح أنّ رسالة الغفران للمعرّي كانت في متناول يديّ دانتي، وقد قرأها عن ترجمة لاتينيّة ضائعة، ويعزو ترجيحه هذا إلى "أنّ أوجه الشّبه بينها وبين الكوميديا الإلهيّة أوضح ما يمكن أن يُنسب إلى محض الصّدفة أو توارد الخواطر بين الشّعراء"[٣٣].

أمّا عبد الرّحمن بدوي فيبدو أنّه قد ثبت عنده أنّ كوميديا الإلهيّة متأثّرة بالمصادر الإسلاميّة، فهو يقول: "وإذا أردنا تلخيص الموقف قُلت إنّ مسألة المصادر الإسلاميّة للكوميديا الإلهيّة تتعلّق خصوصاً بكتاب المعراج وبالمجموعة الطّليطليّة، وبسائر الأخبار الأوروبيّة عن الأخرويّات الإسلاميّة، أي أنّ المسألة تتعلّق بكتب عربيّة غير علميّة دخلت في الثّروة الثّقافيّة لأوروبا في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر عن طريق إسبانيا"[٣٤].

ويدعم عبد الرّحمن بدوي هذا الاعتقاد الذّي خَلُص إليه بأدلّة وبراهين يستنبطها من أراء (سندينو) وتحقيقات (تشيرولّلي) و (انريكو)[٣٥].

ويذهب داود سلّوم في دراسته المقارنة بين الكوميديا الإلهيّة ومصادر التّراث الإسلاميّ إلى وجود علائق واضحة بينهما، وذلك على ضوء استخلاصه لمجموعة من التّأثيرات الشّرقيّة في الملحمة والتّي عنونها تحت العناوين التّالية: الأثر القرآني المباشر، أثر التّصوّف الإسلاميّ، الأثر التّاريخيّ، الأثر الإسلاميّ العام، أثر الحديث النّبويّ، أثر بعض الأعمال الأدبيّة مثل رسالة الغفران[٣٦].

وفي إزاء كلٍّ ما ذُكر من آراءٍ تدعم نظريّة تأثّر الكوميديا الإلهيّة بالمصادر الشّرقيّة الإسلاميّة، لا نعدم أصواتاً تستنكر هذا التّأثر، وترفض هذه النّظريّة جملةً وتفصيلاً.

فمن الذّين رفضوا هذه النّظريّة المستشرق الإيطاليّ غابرييلي، ومازوني، وراجنا. ففي حين يقبل كلٌّ منهم فكرة وجود بعض التّشابه بين النّصوص الإسلاميّة والكوميديا الإلهيّة، فإنّهم يرفضون كلّ الرّفض أن يكون ذلك الشّبه مردّه اطّلاع دانتي على الثّقافة الإسلاميّة، وتأثّره بها، وفي الوقت نفسه يخفقون في وضع نظريّةٍ بديلة قادرة على تفسير هذه التّشابهات[٣٧].

كما "أنّ أصحاب هذا الرّأي يضعون أنفسهم في موقفٍ أبعد ما يكون عن إمكانيّة التّبرير، حينما يقبلون بتأثيرات الكتاب المقدّس والمصادر الكلاسيكيّة في الكوميديا الإلهيّة، ولا يرون فيها عناصر تمسّ قدرة الخلق والإبداع عند دانتي، في حين يرون أن تقليده المصادر الإسلاميّة بطريقة فنيّة فيها حريّة، ينتقص من قدراته الإبداعيّة"(٣٨).

ويرى عيسى النّاعوري أنّ الباحثّين العرب الذّين أيّدوا المستشرق الإسبانيّ (بلاثيوس) في دعواه بتأثير رسالة الغفران في الكوميديا الإلهيّة قد دفعهم التعصّب من دون أن يقدّموا حججاً منطقيّة على تلك الدعوى(٣٩)، مدعّماً رأيه بما نقله من مقدمة حسن عثمان مترجم الكوميديا الإلهيّة إلى اللّغة العربيّة الذّي يقول: "إن الصّلة ضعيفة بين دانتي وأبي العلاء، لاختلاف الطّريقة والمضمون في كلٍّ منهما"(٤٠).

ولكنّ عيسى النّاعوري قد أخفق في تدعيم رأيه بالأدلة، كما لم يستطع أن يفنّد آراء من سبقوه في ذلك.

وبعد؛

في ضوء ما سبق فإنّه من الممكن بسهولة قبول الافتراض القائل إنّ دانتي قلّد المسلمين في عمله كما قلّد الكلاسيكيّين، وكما قلّد الكتاب المقدّس، من دون أن ينال ذلك من عظمته، بل على العكس، إنّ اطّلاعه على العلوم الإسلاميّة يدل على عبقَريتّه العالميّة.

إنّه لمن الخطأ أن نجهد أنفسنا لننفي عن دانتي اطّلاعه على المعراج، بل إنّ ثبوت تأثّر دانتي بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة، ودانتي هو الذّي تدين له الآداب الأُوروبيّة في العصر الوسيط بالشّيء الكثير "يوضّح لنا مدى اتّصال التّراث الإنسانيّ، وتشابك علاقاته، ممّا يدعونا لأن نكون أكثر حرَية في الأخذ من هذا التّراث اليوم دون أدنى حساسيّة"(٤١).

والقول إنّ دانتي لم يطّلع على الثّقافة الإسلاميّة، ولم يستفد منها ليس في مصلحة دانتي ، كما أنّ التّمسّك بالأمل بألاّ يستطيع أحدٌ أبداً البرهنة على أنّ العلوم الإسلاميّة كانت معروفة في أوروبا بوجه عام، وفي إيطاليا بوجه خاص في زمن دانتي ليس ممّا يخدم عظمة دانتي.

ويثبت عندي على وفق هذه الدّراسة المتواضعة أنّ أوّل ترجمةٍ عن المعراج ظهرت عام ١٢٦٤م أي قبل ولادة دانتي بسنةٍ واحدة، وهي سنة ١٢٦٥م، والكوميديا الإلهيّة على حسب ما هو مرجّح ألّفت ما بين ١٣٠٢م، ١٣١٥م، وجميع الوثائق تشهد أنّ في هذه الحقبة كانت هناك ثلاث ترجمات للمعراج، واحدة باللّهجة القشتاليّة المسمّى الكسلافيّة، والثّانية بالفرنسيّة، والثّالثة باللاّتينيّة، وكلّها كانت منتشرة في أُوروبا(٤٢).

ولا بدّ من أنّ دانتي كان قد اطلّع على إحداها على الأقل، لا سيّما أنّها كانت رائجةً جدّاً في أُوروبا، ودانتي كما تذكر المصادر رجلٌ طُلْعَة، عُرف "بنهمه الشّديد للمعرفة"(٤٣)، وقد كان "دؤوباً على القراءة والدّرس"(٤٤).

وإلى جانب كلّ ما ذكرنا من معطياتٍ خارجيّة تدعم ما أذهب إليه، فإنّ نظرةً عجلى على الكوميديا، ولا سيّما في مضامين وصف الجحيم والجنّة تؤكّده ؛ فإنّ "وصف الكوميديا للجحيم والجنّة كان متّفقاً مع ما جاء في النّصوص الإسلاميّة حول ذلك الموضوع تمام الاتّفاق، ومخالفاً لما جاء بالمسيحيّة من مفاهيم"(٤٥) فأنّى لدانتي مثل هذا التّوافق في الوصف؟

إخالُ أنّ كلّ ما ذُكر يسوقنا إلى تعليلٍ منطقيٍّ واحد، ألا وهو أنّ دانتي كان مطّلعاً بشكلٍ واسع على الثّقافة الإسلاميّة، ولم يكن منجزه بما فيه من تشابهات في القصص والتّفاصيل مع الثّقافة الإسلاميّة مجرّد توارد خواطر، وتشابه قوالب؛ "إذ إنّ واقعة التّأثير تَثبتُ بمجرّد رصد ملامح التّشابه التّفصيليّة التّي يُستبعد أن تقوم بمحض الصّدفة، وحتّى ولو لم نستطع كشف كيفيّة وطرق وقوع هذا التّأثير بالوضوح الكافي،

وحسبنا في هذا الصّدد أن لا يكون هناك مانع ماديّ أو تاريخيّ حاسم يحول دون إمكانيّة وقوع هذا التّأثير، أي أنّه ما دام التّأثير ممكناً، فإنّ براهينه تكمن حينئذٍ في تطابق المادّة وتناظر الأصول والتّفصيلات"[٤٦].

وإذا ثبت أنّ دانتي كان مطّلعاً على الثّقافة الإسلاميّة –وأظنّه كان مطّلعاً بشكلٍ كبير– فهذا قد يكون مسوّغاً إلى قبول فكرة أنّ دانتي يكون قد اطلّع على مخطوطةٍ مترجمةٍ من كتاب الغفران لأبي العلاء المعّري، فلا شيء ينفي هذا الاحتمال وإن لم يكن هناك ما يدعمه حتّى الآن[٤٧]. وحتّى لو عزّ مثل هذا الدّليل حتّى الآن، فيكفينا أن نجزم أنّ كلاً من الكوميديا ورسالة الغفران أُستقيتا بشكلٍ واضح من موردٍ واحد في بنائهما القصصيّ، وهو مورد قصّة المعراج، وما فيه من عجائب[٤٨] وغرائب[٤٩]، وهذا المتح من معينٍ واحد يعلّل هذا التّشابه بين عملين شُهد لهما بالعظمة، وهما: الغفران لأبي العلاء المعرّي، والكوميديا الإلهيّة لدانتي، وإن كان "لأبي العلاء المعرّي فضل الإفادة أدبيّاً من التّراث الإسلاميّ قبل دانته"[٥٠].

مقارنة بين الغفران والكوميديا الإلهيّة

يُقال "إنّ واقعة التّأثر تثبتُ بمجرّد رصد ملامح التّشابه التّفصيليّة التّي يُستبعد أن تقوم على الصّدفة، حتّى ولو لم نستطع كشف كيفيّة وطرق وقوع هذا التّأثير بالوضوح الكافي"[٥١] طبعاً هذا فضلاً عن اعتراف الكاتب بتأثّره بعملٍ معيّن، أو شهادةِ أحد معاصريه عليه.

وهذا يقودنا إلى استجلاء العلائق والملامح المشتركة والفارقة في العملين للوقوف على تأثّر العمل الثّاني بالأوّل، فضلاً عن رصد ملامح الاختلاف، وتسجيل بؤر التّشابه ومواطن التّماثل، وصولاً إلى الحكم على درجة التّأثّر بينهما.

هذه المواطن: التّشابه والاختلاف نستطيع أن نجملها في طائفتين من الملامح:

١- ملامح التّشابه والاختلاف بين الغفران والكوميديا الإلهيّة.
٢- ملامح التّشابه في حوادث بعينها في الغفران والكوميديا الإلهيّة.

أوّلاً:- ملامح التّشابه والاختلاف بين الغفران والكوميديا الإلهيّة:-

(١)

البناء والشّكل

إذا طفقنا في المقارنة بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهيّة وجدنا أنّنا أمام رحلةٍ للعالم الآخر تتميّز بخلوّها من الخوارق[٥٢]، باستثناء الفكرة الأساسيّة للرّحلة التّي تقع في نطاق الخوارق.

ورسالة أبي العلاء تبدأ بنهوض ابن القارح من القبر تلبيةً لنافخ الصّور، كما لبّى سكّان القبور نافخ الصّور، والفصل فصل عراك وكفاح لهذا الرّجل الذّي يريد منه أن ينتهي إلى الجنّة بعد الشّفاعة والمغفرة. وفي الجنّة يجتمع إلى أهلها وبعض سكّانها، ثمّ يعرّج على النّار، فيتحدّث إلى من لم تشملهم المغفرة.

وأمّا في الكوميديا الإلهيّة فتبدأ الرّحلة في ظلال الشّاعر نفسه في غابة مظلمة لا نور فيها[٥٣]. ولولا أنّه أتاه دليل من ذلك العالم هو الشّاعر (فرجيل) لكان نصيبه الهلاك الأبديّ، فيزوران معاً جهنّم التّي امتلأت بالأثمة والمغضوب عليهم، ثمّ ينتهيان إلى الأعراف أو المَطْهر، ثمّ يُنعِم اللّه عليهما بدخول الجنّة، وتذوّق طوباها.

والظّاهر مما ذكر أنّ الرّسالتين تتشابهان في البناء والجوهر، ولكنّ هذا التّشابه قد يقلّ أو يزول أو يتنافر عندما تتوالى الصّور.

والجدير بالذّكر أنّ الكوميديا متناسقة البناء، مترابطة الأجزاء، يعتمد فيها السّابق على اللاّحق، وقد جعل دانتي الإنسان فيها مع الدّنيا والآخرة والعالم واللّه في بؤرةٍ واحدة، كما ألغى فوارق الزّمان والمكان، ومزج بين الأسطورة والتّاريخ، وبين الواقع والخيال[٥٤].

(٢)

الأسلوب

وأمّا من جهة الأسلوب فرسالة الغفران رسالة نثريّة أفسد من جمالها الغلوّ اللّغويّ، والبحث النّحويّ، وشيء من التكلّف، وهي تعتمد على اقتباسٍ كثير، واستشهادٍ كثير.

"واصطناع الأسلوب القصصيّ التّعليميّ الفكه محمولاً على الخيال المبدع والسّخرية اللاّذعة، والاستقصاء الأدبيّ الجامع، هو أسلوبه في رسالة الغفران"[٥٥]، وهو "يؤثّر الصّعوبة والمتانة والتّعمق اللّغويّ والسّجع ولزوم ما يلزم، والتّفننّ اللّفظي والمعنويّ، وحشد المعرفة"[٥٦].

والتّعقيد اللّغوي هو الميزة الأسلوبيّة للمعرّي في رسالته، وهذا ليس بالجديد عليه، فهو يُعدّ زعيم مذهب التّصنّع في زمنه[٥٧] في إزاء عصرٍ شهد تطوّراً حضاريّاً، "وغدت الكتابة فيه –كسائر فنون العصر– معقّدة في قواعدها وأساليبها"[٥٨]. ولعلّ التّعقيد له أكثر من مسوّغ في أدب المعرّي، فهو من جهةٍ حبيس بيته لخمسين سنة، فماذا يفعل في خلال ذلك؟ "سوى الفزع إلى ضروب العبث في فنّه، وإنّها لضروبٌ تؤدّيه إلى التّعقيد اللّغوي"[٥٩] كما أنّ هذا التّعقيد ضربٌ من ضروب بحثه عن طريقٍ تجعله يتفوّق على معاصريه[٦٠]، كما أنّ ثقافته الواسعة واطّلاعه على الغريب والشّاذ، وتعمّقه في النّحو واللّغة جعلته يجنح إلى توظيف ذلك الرّصيد الضّخم في كتابه[٦١]، وما يجده غيره غريباً، قد يجده المعرّي "غير غريب بالنّسبة إلى زمانه وإلى من كتب إليه؛ لأنّ التّاريخ لم يحدّثنا أنّ أحداً طلب من أبي العلاء أن يفسّر له شيئاً من كلامه"[٦٢]. ويذهب سليم الجندي إلى أنّ التّعقيد في اللّغة عند المعرّي قد يكون توجّهاً مقصوداً؛ "ليستر تحته ما يريد من غمزٍ أو تهكّم أو سخرية"[٦٣].

"وفي رسالة الغفران معرض نادر الصّور في التّاريخ الفكريّ للسّخرية العقلية من العقول المرقّعة، والسّخرية جسر ممتدّ بين الواقع والمفترض، وبين المكانيّ الموحل، والزّمنيّ المصعّد"[٦٤]. ولا شكّ أنّ هذه السّخرية هي مظهر من مظاهر النّقد التّي يسلك بها طريقاً خفيّةً وباطنةً؛ ليتجلّى موقفه من كثيرٍ من الأمور؛ "ذلك أنّ أبا العلاء يسلك في هذه الرّسالة إلى النّقد مسلكاً خفيّاً، لا تكاد تبلغه الظّنون"[٦٥]. وفي كثيرٍ من أحداث الرّسالة نجد سهام سخرية أبي العلاء موجّهةً نحو الأدباء؛ "ولعلّ المعرّي أراد أن يسخر من عالم الأدباء في رسالته، وقد أصاب ذلك إصابةً محكمة"[٦٦].

وهذه السّخرية امتدّت لتشمل بطل القصّة ابن القارح، فنراه يدخل الجنّة على ظهر جاريّةٍ فاطميّة، وفي مكانٍ آخر يحاول ان يستجلب رضى سادن الجنّة بالنّفاق، وبنظم قصيدةٍ في مدحه.

ولعلّ أبا العلاء أراد من ذلك أن يعرّض بالحياة التّي كان يحياها ابن القارح، وبتملّقه للحكّام، وباستغراقه في أصناف المتع الحسّيّة[٦٧].

وفي الرّسالة كلها كان المعرّي مستطرداً استطراداً متشعّباً "يغلب عليه طابع السّجع ويصعب معه على القارئ أن يتابع تسلسل الأفكار وتطوّرها؛ لأنّ أبا العلاء في رسالته يخلط كثيراً من المسائل بقضايا لغويّة، وشروح متعدّدة، يعرض بها آراءه على لسان من يستحضرهم من الشّعراء للاستجواب في محكمته الأدبيّة المتنوّعة الأغراض والأهداف"[٦٨].

ولعله أراد من الاستطراد التّعمية على أفكاره، وتلوينها لدفع السّأم الحاصل من كثرتها، ولعلّه استجابةٌ غير واعية لثقافةٍ غزيرة، أو بسبب إملائه لفقدان بصره[٦٩].

أمّا الشّعر فقد كان حاضراً في الرّسالة وهو يؤدّي أدواراً مهمّة في نسيج العمل، فمن جهةٍ يقوم بوظيفةٍ استعراضيّة للبطل تدعيماً لبطولته القصصيّة، وإثباتاً

لتميّزه عن الأدباء الآخرين من أهل الجنّة[٧٠]. كما أنّه مولّد للسّرد داخل المشاهد كلها التّي قام عليها النّص[٧١]، كما انّه يستخدم للتّسلية واللّهو في مجالس الجنّة[٧٢].

والحقيقة أنّ تنوّع الأساليب وتداخلها ضمن النّسيج السّرديّ، جعل الكثير يحار في تجنيس الرّسالة، ففي حين اتّفق الجُلُّ على أنّها ليست رسالة بالمعنى الاصطلاحيّ، عدّها البعض قصّة[٧٣]، في حين عدّها آخرون شكلاً من أشكال الرّواية[٧٤]، ونزعت طائفةٌ ثالثة إلى إدراجها تحت فنّ المسرحيّة بسبب غناها بالحوار، والتّقسيمات إلى مشاهد[٧٥].

أمّا الكوميديا الإلهيّة لدانتي فتعتمد على لغةٍ دقيقةٍ محدّدة، لا زخرف ولا صناعة في شعره، وكلماته دقيقة مختارة، وأسلوبه موجز مركّز[٧٦].

كما أنّ دانتي يجعل شعره "فيّاضاً بالحياة: بالمفاجأة، والاقتراب التّدريجيّ من الهدف، وبالضّوء، واللّون، والصّوت، والحركة، والحوار. واستخدم الاستعارة والتّشبيه والرّمز بفنٍّ عظيم. ولم يتّخذ رموزه من المعاني المجرّدة، بل من الأحياء الذّين يشعرون ويتكلّمون ويتحرّكون، ومن الحيوانات والنّباتات ومظاهر الطّبيعة"[٧٧].

والسّخرية تظهر بشكلٍ واضح في الكوميديا، وقد تكون مبطّنةً أو ظاهرةً على السّطح، ولا سيّما "عندما يتعلّق الأمر بالبابوات الذّين حشرهم في الدّرك الأسفل من جهنّم، وكذلك عندما يتحدّث عن خصومه السّياسيّين، والحكّام الطّغاة"[٧٨].

(٣)

الرّاوي

في رسالة المعرّي هناك انفصالٌ ظاهريٌّ بين الرّاوي وبطل الرّسالة (القصّة = ابن القارح)، ولكنّ المعرّي توخّى "في تقديم قصّة الغفران طريقة في الرّؤية متميّزة استطاع من خلالها أن يسوق الكلام على لسان راوٍ غير مشارك في الأحداث، إلاّ أنّه عليم بالظّواهر، والمكنونات، فهو يذكر الأفعال والأقوال ويصف الأحوال. وبهذا يتماهى في أكثر الأحيان مع المعرّي ويضطلع بدورٍ بارز في التّوسّط بين القرّاء والكون الممثّل في مختلف عناصره"[٧٩].

أمّا في الكوميديا الإلهيّة فالرّاوي مندغمٌ بالبطل، فكلاهما واحد، ويكون السّرد بلسان البطل = الرّواي. وهذا الرّاوي البطل هو الذّي ينقل الأحداث، ويصف المشاهد، ويتدخّل في كثيرٍ من الحوار.

(٤)

الوصف

وأمّا الوصف فقد كان في رسالة دانتي غنيّاً جدّاً، مكتظّاً بالصّور المبتكرة والمنقولة، حتّى كأنّ الشّاعر لم يترك مسموعاً ولا منقولاً إلاّ عكسه على جحيمه، بينما أبو العلاء قد قلّ النّقل في وضعه؛ "لأنّ بصره يخونه في هذا المجال"[٨٠].

بينما الصّفات المعنويّة عند دانتي أغزر. "وقد كان المنطق يفرض العكس؛ لأنّ الأعمى أكثر إدراكاً للصّور المعنويّة التّي يحسّها بعقله وقلبه دون بصره"[٨١].

(٥)

الشّخصيّات

الشّخصيّات عند أبي العلاء المعرّي ثلّة محدودة، اصطفاها الشّاعر من عالم الشّعراء والأدباء دون سواهم، "وكأنّما هذا الاصطفاء اعتراف منه بأنّ النّاس الذّين يحبّ أن يعودوا في الحياة هم هؤلاء النّاس"(٨٢).

ويبدو أنّ هؤلاء وأولئك كانوا يتمتّعون بالحريّة الشّخصيّة إلى أبعد الحدود، فهم لم ينسوا أهواءهم وأنفسهم وأنانيّتهم، بل هم يغضبون أو يرضون أو يتمرّدون.

والمعذّبون عنده يتلوّون من الألم، ولكنّ ذلك على وتيرةٍ واحدة، في حين أن المعذبين في جحيم الكوميديا احتفظوا بجميع مشاعرهم وعواطفهم التّي تبدو واضحة في تعبيرات القوّة والقسوة والضّغينة المتفجّرة في أساريرهم(٨٣).

وقد ملأ المعرّي جحيمه بعددٍ ضخم من الرّجال والنّساء، والمسلمين والمسيحيّين، والجاهلين، والشّرفاء، والوضعاء، الأغنياء، والفقراء، لكنّهم كانوا في الغالب أدباء أو شعراء أو علماء؛ "لأنّ هدفه الرّئيسيّ من رحلته كان إجراء لونٍ من النّقد الأدبيّ واللّغويّ"(٨٤).

أمّا الكوميديا الإلهيّة فالشّخصيّات فيها متنوّعة، والخلق فيها يشبهون الخلق في الدّنيا، ففيهم الكسالى، والمبذّرون، والأغنياء، والخبثاء، والطّغاة، والظّلاّم، والغاضبون، والفاسقون، والمتملّقون، والمتاجرون بالدّين والفضيلة، . . . الخ. وبذا نجد أنّ الشّخصيّات في الكوميديا تفوق الشّخصيّات في الغفران عدداً وتنوّعاً.

والشّخصيّات في توزيعها المكانيّ في الجحيم أو في الجنّة تتميّز بخاصيّة بارزة، فهم عند المعرّي جماعات صغيرة، تدور كلٌّ منها حول جنسٍ أدبيٍّ معيّن،

والأمر سيّان في الجنّة. أمّا في الجحيم فهم على العكس من ذلك يبدون أفراداً مشتّتين أو معزولين عن غيرهم.

في حين أنّ الشّخصيّات في جحيم دانتي تعيش جماعات صغيرة، أو متفرّقة، وفي الجنّة مجتمعة في طوائف.

وكلٌّ من المعرّي ودانتي له معيار خاصّ في توزيع الشّخصيّات على الجحيم أو على الجنّة. ويتميّز المعيار الذّي يعتمد عليه أبو العلاء بوضع شخصيّاته في الجحيم أو الجنّة بالسّعة والرّحمة واللّطف وتحرّر النّظرة بل ويتقدّم في تلك السّعة على دانتي؛ لأنّه غفر لأشخاص غير مؤمنين، لعملٍ منهم صالح أو لقولٍ حسن، "ممّا كان يصطدم بلا شكّ بمنظور الفقهاء الذّين يرون في دخول أُناسٍ معروفين بكفرهم أو فسوقهم الجنّة زندقة لا تُغتفر"(٨٥). ولعلّ تأويل عظم سعة رحمة أبي العلاء، وتقدّمه بها على رحمة دانتي لأنّه "رجل فكّر منذ فكّر بالتّسامح والإنسانيّة"(٨٦). في حين يعتقد دانتي بالنّكال الأبديّ والعذاب السّرمديّ.

واللاّفت للنّظر أنّ دانتي كان قاسياً على العُشّاق، وعلى الغواني اللّواتي اشتهرن بجمالهنّ، فقد حشرهنّ في النّار، وكان من المتوقّع أن يكون أرقّ حالاً معهم، لا سيّما أنّه عاشق عتيد، بل إنّ عشقه (لبياتريس) الجميلة كان المحرّك الأعظم في إنشائه للكوميديا الإلهيّة، ولكن يبدو أنّ وجهة نظر الكنيسة والدّين المسيحي تجاه الزّنى قد جعلته يتّخذ هذا الموقف الحادّ من العاشقين والجميلات.

ولكنّنا في المقابل، نجد دانتي يتسمّح أُسوةً بأبي العلاء، ويتصوّر نجاة أبطاله من عذاب الجحيم، ومنهم الشّعراء والوثنيون والمسلمون وغيرهم، فيضع في المطهر قيصر وسقراط وأفلاطون وأرسطو وفرجيل وشيشرون وسينيكا إلى جوار ابن سينا وابن

رُشد وصلاح الدّين الأيّوبيّ، ثمّ يرقّي ببعض هؤلاء إلى الجنّة، ويبقي الآخرين في المطهر. كما نجد أنّ ميوله وأهواءه السّياسيّة تحدّد أيضاً إدانته لبعض رجال الكنيسة من عصره، وإدخالهم نار السّعير، ومنهم أمراء مسيحيّون، ساء مصيرهم عند دانتي، لا لعقيدتهم الدّينيّة، وإنّما لممارستهم للأعمال العامّة على غير هواه.

والشّخصيّة المركزيّة في رسالة الغفران، وهي شخصيّة ابن القارح يستخدمها المعرّي ليجمع حولها الشّخصيّات الأخرى بسماتهم الإنسانيّة، وعقليّاتهم، ورواسبهم النّفسيّة[٨٧]. والأمر ذاته في الكوميديا الإلهيّة إذ تؤدي الشّخصيّة الرّئيسيّة، وهي شخصيّة دانتي نفسه دور الرّابط بين كلّ الشّخصيّات، إذ يمرّ بها جميعاً، ويصفها، ويعرض أحوالها، وقد يناقشها، أو يسعد لمصيرها أيّاً كان، أو يشمت بعذابها، أو يمطرها بوابل سخريته.

وقد رصدتُ سلوكاً خاصّاً للمعرّي مع شخصيّاته في الغفران ولم أجد له مثيلاً في الكوميديا الإلهيّة، فنجد المعرّي يعوّض الشّخصيّات عن محن الدّنيا بمقابلٍ سخيٍّ في الآخرة[٨٨]. فيذكر في هذا المعرض قصّة حَمْدونة، وقصّة توفيق السّوداء، ففي القصّة الأولى يقول المعرّي على لسان حَمْدونة التّي تكلّم ابن القارح:

"أتدري من أنا يا عليّ بن منصور؟ فيقولُ: أنتِ من حور الجنان اللّواتي خلقكُنّ اللّه جزاءً للمتّقين، وقال فيكُنّ: "كأنّهنّ الياقُوتُ والمَرْجان"[٨٩]، فتقول: أنا كذلك بإنعام اللّه العظيم، على أنّي كنتُ في الدّار العاجلة أُعرفُ بـ "حمدونة"، وأسكن في باب العراق بحلب، وأبي صاحب رَحىً، وتزوّجني رجلٌ يبيع السّقط[٩٠]، فطلّقني لرائحةٍ كرهها فيَّ، وكُنتُ من أقبح نساء حلب، فلمّا عرفتُ ذلك زَهدتُ في الدّنيا الغرّارة، وتوفّرتُ على العبادة، وأكلتُ من مَغزلي ومِرْدَني. فصيّرني ذلك إلى ما ترى"[٩١].

أمّا في القصّة الثّانية فتوفيق السّوداء، تغدو بيضاء مثل الكافور، بعد أن كانت في الحياة الدّنيا سوداء.

"وتقول الأخرى: أتدري من أنا يا عليَّ بن منصور؟ أنا تَوْفِيقُ السّوداء التّي كانت تخدُمُ في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمّد بن عليّ الخازن، وكنتُ أُخرجُ الكتب إلى النّسّاخ.

فيقول: لا إله إلاّ اللّه، لقد كنتِ سوداءَ فصرتِ أَنصَعَ من الكافور، وإن شئتِ القافور[٩٢]، فتقول: أتعجبُ من هذا؟ والشّاعر يقول لبعض المخلوقين:

لـــو أنَّ مِـــنْ نـــورِهِ مِثْقـــالَ خَرْدَلَـــةٍ

فـي السُّـودِ كُلِّهـمُ، لابْيَضَّـتِ السُّـودُ[٩٣]

وترى عائشة عبد الرّحمن أنّ محنة أبي العلاء في فقد بصره هي التّي أملت عليه عمليّة التّعويض في الآخرة عن محن الدّنيا[٩٤]. في حين يرى فوزي محمّد أمين أنّ عمليّة التّعويض هذه ليست إلاّ وسيلة من وسائل أبي العلاء في العبث بصاحبه (ابن القارح) [٩٥].

وترد في الغفران قصص عن الجنّ والملائكة، فقد "مرّ ابن القارح بمدائن الجنّ في الفردوس، فزارهم، وسمع من أشعارهم، فإذا أشعارهم بلغت من غرابة اللّفظ والأسلوب، مبلغاً يخيّل إلى سامعها أنّه كلام الجنّ حقّاً"[٩٦].

والملائكة كذلك يرد ذكرهم، بل إنّهم يشاركون في الأحداث شخوصاً تتكلّم وتناقش وتفسّر وتعذّب. وهذا الوجود لمثل تلك الكائنات فوق الطبيعيّة مثل الملائكة والجنّ له شبيه في الكوميديا الإلهيّة، حيث العوالم المتداخلة، والإنسان والملائكة والرّبّ والكائنات.

والطّريف في الأمر أنّنا نجد الغفران تعجّ بالملائكة والجنّ، ثمّ نلتفتُ إلى صانعها أبي العلاء فنجد كثيراً من شعره يدلّ "على أنّ إيمانه بوجود الملائكة والأرواح الخبيثة الشّريرة من الجنّ لم يكن إيماناً صريحاً مؤكّداً. ولم يحمله ما ورد في القرآن الكريم من نصوصٍ صريحة تثبتُ وجود هذه الكائنات على الاعتقاد اليقينيّ بوجودها؛ فإنّ عقله المفكّر في الكائنات، وتجاربه الطّويلة في الحياة لم تثبت وجودها، ولم تساعده على الاعتقاد بها، أليس هو القائل:

قد عشتُ عمراً طويلاً ما علمتُ به

حسّاً يُحِسُّ لجنّيٍ ولا مَلَكِ[٩٧].

(٦)

الغرض

الغرض الرّئيسيّ من رسالة أبي العلاء هو غرضٌ ذاتيّ هو إجراء لونٍ من ألوان النّقد الأدبيّ واللّغويّ، بالإضافة إلى هدفٍ آخر ثانويّ هو مقاومة الفكرة السّائدة لدى العلماء في عصره، الذّين يضيّقون فسحة الدّين، واستبدلها بفكرةٍ أخرى وهي أنّ رحمة اللّه وسعت كلّ شيء[٩٨].

أمّا الكوميديا الإلهيّة فهي فسحة تتّسع للأسطورة والكون والوجود، ولا تقتصر على الأفكار اللّغويّة والأدبيّة، بل تشمل جملة معارف عصرها. كما أنّها جمعت بين الشّعر والخيال والفلسفة والواقع، كلّ ذلك في جوٍّ إنسانيٍّ رفيع سجّل به ما تحسّ الإنسانيّة من طموح ويأس، وشقاء واضطراب، وألم وندم.

ثانياً:- **ملامح التّشابه في حوادث بعينها في الغفران والكوميديا الإلهيّة**

وإلى جانب الملامح العامّة السّابقة نستطيع أن نلمح صوراً من التّشابه إلى درجة التّطابق بين الكوميديا والغفران، نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر:-

أوّلاً:

من قبيل هذا النّوع من التّشابه لقاء ابن القارح بآدم عليه السّلام في الجنّة؛ إذ نرى إنّ موضوع الحديث الرّئيسيّ بينهما هو اللّغة الفطريّة الأولى التّي كان يتحدّث بها أبو البشر؛ فيقول آدم: "إنّما كنتُ أتكلّم بالعربيّة وأنا في الجنّة، فلمّا هبطتُ إلى الأرض نُقل لساني إلى السّريانيّة فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكتُ. فلمّا ردّني اللّه سبحانه إلى الجنّة عادت عليّ العربيّة"[٩٩].

كذلك يلتقي دانتي في السّماء الثّامنة بآدم، حيث يكون موضوع الحوار الرّئيسيّ بينهما هو أيضاً اللّغة التّي كان يتحدّث بها أبو البشر خلال إقامته في جنّة الأرض[١٠٠]. هذا مع اختلاف اللّغات التّي ذكرها المعرّي بطبيعة الحال.

ثانياً:-

وعندما يعود ابن القارح من الجحيم تلقاه الحوريّة المكلّفة بخدمته، فتلومه برقّة على تأخّره، وتصحبه في نزهةٍ في حدائق الجنان. وهذا نفس ما تفعله الحسناء (ماتيلدى) مع دانتي إذ تلقاه باسمةً عاتبةً عند دخوله غابة الفردوس الأرضيّ، وتجيب على أسئلته بلطفٍ ومهارة، ويمضي في نزهته معها حتّى تقع عيناه على كوكبةٍ من الحسان اللاّتي يحطن بحبيبته (بياتريس) وهي تهبط من السّماء للقائه، كما وقعت عينا ابن القارح من قبله على كوكبةٍ مماثلةٍ من الحوريّات وهنّ يُحطنَ بحبيبة امرئ القيس التّي خلّد ذكرها في شعره[١٠١].

هوامش البحث ومصادره:

(١) وقد شُهر هذا القارحيّ الحلبيّ السّندباديّ بلقب دوخلة، كما عُرف بسوء السّمعة والنّفاق.

(٢) محمّد رمضان الجربي: الأدب المقارن، ط١، منشورات EIGA، مالطا، ٢٠٠٢، ١٢٨.

(٣) طه حسين وآخرون: تعريف القدماء بأبي العلاء، ط١،الهيئة العامّة للكتاب، ١٩٨٦، ١٨٩.

(٤) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، ط٨، دار المعارف، القاهرة، [د.س]،٢٢٤.

(٥) نفسه، ٢٢٣.

(٦) "الغول اسمٌ لكلّ شيء من الجنّ يعرض للسّفار، ويتلوّن في ضروب الصّور والثّياب، ذكراً كان أو أنثى، إلاّ أنّ أكثر كلامهم على أنّه أنثى، والعرب تزعم أنّ الغول تتصوّر في أحسن صورة إلاّ أنّه لا بدّ أن تكون رِجْلُها رجلَ حمارٍ، وتزعم كذلك أنّ شقّ عينيها بالطّول":- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق عبد السّلام هارون، ط١، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة، ١٩٣٨،ج ٦، ١٥٨ + ٢١٤.

(٧) "ابن القارح هو عليّ بن منصور بن طالب الملقّب بدوخلة، قال عنه من شاهده ببغداد، كان شيخاً من شيوخ الأدب راويةً للأخبار، وحافظاً لقطعٍ كثيرة من اللّغة والأشعار، عالماً بالنّحو، وقد درس ابن القارح على شيوخ اللّغة في الشّام وبغداد، وتكسّب بالتّعليم في الشّام ومصر": ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج ٤، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩١، ٣٣٠ – ٣٣١.

(٨) شوقي ضيف: الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ٢٧٦.

(٩) محمّد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣، ٢٣٠.

(١٠) نفسه، ١٤٩.

(١١) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، ترجمة حنّا عبّود، ط١، وزارة الإعلام، دمشق، ٢٠٠٢،المقدّمة، ٣٠.

(١٢) انظر تفسير ذلك. محمّد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ١٤٧ – ١٤٨.

(١٣) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، ترجمة حنّا عبّود، المقدّمة، ٢١.

(١٤) يذكّرنا هذا التّصوّر بوجود جهنّم في باطن الأرض بأسطورة هاديس، وهو إله الظّلام والموت وباطن الأرض عند اليونانيّين، كما يُسمّى (بلوتو). ويبدو أنّه كان سعيداً في مملكته السّوداء القاتمة، فلم يكن يغادرها إلاّ قليلاً وهو متخفٍّ بخوذته التّي تجعله غير مرئيّ: لطفي خوري: معجم الأساطير، ج٢، ط١، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، ٢٣٠،١٩٩٠.

(١٥) بياتريس أو بياتريتشي، هي ابنة فولكو بورتيناري من أثرياء فلورنسا، أحبّها دانتي، ولكنّها تزوّجت من سيمون دي باردي الثّريّ، ثمّ ماتت في شرخ الصّبا، فحزن دانتي، وبكاها حتّى مرض، وخلّدها برائعته الإلهيّة، دانتي: الكوميديا الإلهية، ترجمة حسن عثمان، الجحيم، المقدّمة، ٢١ – ٢٢.

(١٦) انظر ترجمته عند : دانتي: الكوميديا الإلهية، ترجمة حسن عثمان، ط٢،دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢، الجحيم، المقدّمة، ١٣ – ٧٧؛ مصطفى آل عيال: دانتي، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦، ١٤ – ١٠٤؛ بول ارّيغي: الأدب الإيطاليّ، ترجمة هنري زغيب، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٨، ١٥ –

٢١؛ الكردينال فرنان شينتو: دانتي المربّي العبقريّ، ترجمة إلياس سعد غالي، ط١، المطبعة البوليسيّة، جوفيه، ١٩٦٧، ٤٠ –٩٢.

(١٧) حكمة على الأوسي: التّأثير الإسلاميّ في كوميديا دانتي: قصّة نظريّة صارت حقيقة تاريخيّة كبرى، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة الأردني، مجلّد ٢٣، عدد ٥٧، عمّان، ١٩٩٩، ١١ – ٣٤.

(١٨) طه ندا: الأدب المقارن، ط١، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٨٧، ٢٥١ – ٢٥٤.

(١٩) انظر: صموئيل كريمر: ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ط١، مكتبة المثنّى، بغداد، ١٩٥٦، ٢٦١.

(٢٠) هذه مسرحيّة هزليّة ساخرة يسافر فيها أحد الآلهة إلى العالم الثّاني بغرض استرجاع أحد كتّاب المأساة العظام بعد أن خَلَت أثينا من كتّابها الكبار.

(٢١) انظر: عبد المطّلب صالح: دانتي ومصادره العربيّة والإسلاميّة،الموسوعة الصّغيرة، ٧، ط١، منشورات وزارة الثّقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ٥ – ٢٢.

(٢٢) صلاح فضل، تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي، ط٢، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، ١٩٨٥، ٣٨ – ٤٢.

(٢٣) انظر: عبد المطّلب صالح: دانتي ومصادره العربيّة والإسلاميّة، ٢٢ – ٣٣؛ حكمة علي الأوسي: التّأثير الإسلامي في كوميديا دانتي، ١٨ – ٢١.

(٢٤) عبد المطّلب صالح: دانتي ومصادره العربيّة والإسلاميّة، ٢٤؛ حكمة علي الأوسي: التّأثير الإسلاميّ في كوميديا دانتي، ٣٣ – ٣٥.

(٢٥) صلاح فضل، تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي، ٣٨.

(٢٦) ما يرد من كلام هو نقلٌ عن كتاب عبد المطّلب صالح: دانتي ومصادره العربيّة والإسلاميّة، ٤٥ – ٤٨، أمّا الكتاب الأصليّ وهو (بين المعرّي ودانتي) لعفاف بيضون فقد أعيتني السّبل بحثاً عنه دون فائدة.

(٢٧) عمر فرّوخ: حكيم المعرّة، ط١، دار الكشّاف، بيروت، ١٩٤٨، ١٢٠ – ١٢٥.

(٢٨) نفسه.

(٢٩) انظر جلال مظهر: مآثر العرب على الحضارة الأوروبيّة، ط١، مكتبة الأنجلو الأمريكيّة، القاهرة.

(٣٠) انظر محمّد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ١٤٩ – ١٥٩.

(٣١) نفسه، ١٥٢.

(٣٢) لويس عوض: على هامش الغفران، ط١، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٦، ١٤١.

(٣٣) نفسه، ١٤٢.

(٣٤) عبد الرّحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط٣، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ٦٥.

(٣٥) انظر: عبد الرّحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ٦٨+١١٢؛ وانظر صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي: ٣٩ – ٤٢.

(٣٦) انظر: داود سلّوم: الأدب المقارن في دراسات المقارنة التّطبيقيّة، ط١، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ٢٨٦ – ٣٠٢؛ انظر :صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي، ٤٦ – ٥١؛ انظر: عبد الرّحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ٥٦ – ٩٥.

(٣٧) حكمة علي الأوسي: التّأثير الإسلاميّ في كوميديا دانتي، ٢٨ – ٢٩؛ محمّد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ١٥٣.

(٣٨) حكمة علي الأوسي: التّأثير الإسلاميّ في كوميديا دانتي، ٣٠.

(٣٩) عيسى النّاعوري: أدباء من الشّرق والغرب من الأدب المقارن، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٦،، ١٣ – ٣٥.

(٤٠) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، ترجمة حسن عثمان: الجحيم: المقدّمة، ٦١.

(٤١) عبد السّميع المصريّ: الثقافة الإسلامية والكوميديا الإلهيّة، مجلّة العربي، ع ٢٦٦، الكويت، ١٩٨١، ١٧٨؛ انظر: حكمة علي الأوسي: التّأثير الإسلاميّ في كوميديا دانتي، ٣٧ –٣٨؛ انظر عبد المطّلب صالح: دانتي ومصادره العربيّة الإسلامية: ٤٠ – ٤٤.

(٤٢) صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي، ٤٠ – ٤٤.

(٤٣) عبد السّميع المصريّ: الثقافة الإسلامية والكوميديا الإلهيّة، مجلّة العربي، ع ٢٦٦، الكويت، ١٩٨١، ١٧٨.

(٤٤) انظر حكمة علي الأوسي: التّأثير الإسلاميّ في كوميديا دانتي، ٣٣ – ٣٥.

(٤٥) صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي،٥٢.

(٤٦) نفسه: ٧٠.

(٤٧) محمّد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ٢٣.

(٤٨) "يتحدّد جنس العجيب أو العجائبيّ إذ قرّر القارئ أنّه ينبغي قبول قوانين جديدة للطّبيعة، يمكن تفسير الظّواهر بها". تزفيتان تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبيّ، ترجمة الصّديق بو علاّم، ط١، دار شرقيّات، القاهرة، ١٩٩٤، ٤٩.

(٤٩) "يتحدّد جنس الغريب أو الغرائبيّ إذ قرّر القارئ أنّ قوانين الطّبيعة تظلّ سليمة، وتسمح بتفسير الظّواهر الموصوفة": تزفيتان تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبيّ،٨٧.

(٥٠) محمّد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ٢٣٠.

(٥١) صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي،٧٠.

(٥٢) الخوارق: الخارق: "كلّ ما خالف العادة، ويطلق على ما يجاوز قدرة الإنسان، مثل قدرة بعض الأفراد على الاتّصال بعالم الغيب أو قدرتهم على قراءة الأفكار، أو اتّصافهم بسرعة الكشف والإلهام، وهو لا يخالف كونه مراداً للّه" جميل صليبا: المعجم الفلسطينيّ، جزء (٢)، ط١، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ١٩٧١، ٥١٣.

(٥٣) انظر: دانتي: الكوميديا الإلهيّة، الجحيم، ترجمة حسن عثمان، الأنشودة

(٥٤) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، الجحيم، المقدّمة، ترجمة حسن عثمان، ٦٤.

(٥٥) محمّد الشّريقي: أسلوب المعرّي ومنهاجه، مقالة ضمن كتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي: مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ في دمشق، ١٩٤٥، ٢٢٠.

(٥٦) نفسه: ٢٢٠.

(٥٧) شوقي ضيف: الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ، ٢٨٠.

(٥٨) عمر الدّقّاق: ملامح النّثر العبّاسيّ، ط١، دار الشّرق العربي، بيروت، [– ١٩٩]، ٣٩٠.

(٥٩) شوقي ضيف: الفنّ ومذاهبه في النّثر العربيّ، ٢٦٩.

(٦٠) نفسه: ٢٦٩.

(٦١) أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، تحقيق علي شلق، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥، ١١.

(٦٢) سليم الجندي: نواحي التّجديد والتّقليد في نثر أبي العلاء المعرّي، ط١، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ١٩٩٩، ١٢٤ – ١٢٥.

(٦٣) نفسه: ١٢٤.

(٦٤) أبو العلاء المعرّي، (ت ٤٤٩هـ)، رسالة الغفران، تحقيق علي شلق، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥، ١٥.

(٦٥) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، ٢٢١.

(٦٦) مصطفى آل عيال: دانتي، ٩٥.

(٦٧) فوزي محمّد أمين: رسالة الغفران بين التّلميح والتّصريح، ط١، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٩٣، ٣٦.

(٦٨) أبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران، تحقيق مفيد قمحة، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٤، ١٤.

(٦٩) عدنان عبيد العلي: المعرّي في فكره وسخريته، ط١، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ١٩٩٩، ١٠٨.

(٧٠) ألفت كمال الرّوبي: تحوّل الرّسالة وبزوغ شكل قصصيّ في رسالة الغفران، فصول، مجلّد ١٣، عدد ٣، القاهرة، ١٩٩٤، ٨٧.

(٧١) نفسه: ٨٨.

(٧٢) نفسه: ٨٨.

(٧٣) انظر مقالة: ألفت كمال الرّوبي: تحوّل الرّسالة وبزوغ شكل قصصيّ في رسالة الغفران، فصول، مجلّد ١٣، عدد ٣، القاهرة، ١٩٩٤، ٧٢ – ٩٣.

(٧٤) أحمد الطّويليّ: رهين المحبسين أبو العلاء المعرّي، ط١، دار بو سلامة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، ١٩٨١، ١٨.

(٧٥) عائشة عبد الرّحمن: جديد في رسالة الغفران، نصّ مسرحيّ من القرن الخامس الهجري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢، ٨٩ – ٢٢٣.

(٧٦) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، الجحيم، حسن عثمان، المقدّمة، ٦٦.

(٧٧) نفسه: ٦٦.

(٧٨) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، ترجمة حنّا عبّود، المقدّمة، ١٤.

(٧٩) محمّد القاضي: جدليّة النّصّ السّرديّ في رسالة الغفران للمعرّي، علامات في النّقد، مجلّد ٣١، عدد ٢، سنة ١٩٩٩، ١٠٧.

(٨٠) خليل الهنداوي: بين المعرّي في رسالة الغفران ودانتي في الكوميديا الإلهيّة، العربي، عدد ٢٣، الكويت، ١٩٦٠، ١١٤.

(٨١) خليل الهنداوي: بين المعرّي في رسالة الغفران ودانتي في الكوميديا الإلهيّة، العربي، ع ٢٦٦، الكويت، ١٩٨١، ١١٥.

(٨٢) نفسه: ١١٥.

(٨٣) مصطفى آل عيال: دانتي، ٩٧.

(٨٤) صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي، ٧٣.

(٨٥) نفسه: ٧٤.

(٨٦) خليل هنداوي: بين المعرّي في رسالة الغفران ودانتي في الكوميديا الإلهيّة، العربي، عدد ٢٣، الكويت، ١٩٦٠، ١١٥.

(٨٧) أحمد الطّويليّ: رهين المحبسين أبو العلاء المعرّي، ١٨.

(٨٨) الطّريف في الأمر أنّ أبا العلاء الذي كان يؤمن بالتّعويض في الآخرة، كان قد سلف له أشعار تذكر إنكاره للبعث والنّشور إذ يقول:

ضحكنا وكانَ الضَّحكُ منّا سفاهةً   وحقّ لسكّان البريّة أن يبكوا

تحطّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنا   زجاجٌ ولكن لا يُعادُ له سَبْكُ

ويقول في موضعٍ أخر:

ما أطيب الموت لشُرّابه   إن صحّ للأمواتِ وشْكُ التقاء

ويعجب عبد الكريم الخطيب من هذا الموقف لأبي العلاء المعرّي الذّي يقفه من الشّكّ واليقين: عبد الكريم الخطيب: رهين المحبسين أبو العلاء المعرّي بين الإيمان والإلحاد، ط١، دار الفكر العربي، [د.م.]، [–١٩]، ٦٧.

(٨٩) سورة الرّحمن، آية ٥٩.

(٩٠) السَّقَطَ: ما لا خير فيه من كلِّ شيء، أو هو رديء المتاع.

(٩١) أبو العلاء المعرّي : رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرّحمن، ٢٨٧.
(٩٢) القافور : وعاء طلع النّخل.
(٩٣) أبو العلاء المعرّي، (ت ٤٤٩هـ)، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرّحمن، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، [د.س]، ٢٨٧.
(٩٤) عائشة عبد الرّحمن: جديد في رسالة الغفران نصّ مسرحيّ من القرن الخامس الهجريّ، ٦٠.
(٩٥) فوزي محمّد أمين: رسالة الغفران بين التّلميح والتّصريح، ١٢٠.
(٩٦) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، ٢٢٣.
(٩٧) حامد عبد القادر: فلسفة أبي العلاء مستقاةٌ من شعرِه، ط١، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ١٢٢؛ انظر: عطا بكري: أثر كتاب المعراج على الكوميديا الإلهيّة، مجلّة العربي، ع ١٠٦، الكويت، ١٩٦٧، ١٥٠.
(٩٨) صلاح فضل: تأثير الثّقافة الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي، ٧٣.
(٩٩) أبو العلاء المعرّي : رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرّحمن، ٣٦١.
(١٠٠) دانتي: الكوميديا الإلهيّة، الفردوس، ترجمة حسن عثمان، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢، النّشيد السّادس والعشرون، أبيات ٧٩ – ٩١.
(١٠١) أبو العلاء المعرّي، (ت ٤٤٩هـ)، رسالة الغفران: أبو العلاء المعرّي، تحقيق عائشة عبد الرّحمن، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، [د.س]، ٣٧٣.

ABSTRACT

Abu Alala' Alma'ari The Pardon Letter (Resalet Alghufran) and Dante's Divine Comedy are two examples of creative achievements that are well-recognized in their field, and made difference in their domain. These two works are affected by one cultural Islamic perspective, which is the story of Me'rag (ascending). Both of them get use of the story. Apparently they assimilate and process it, then they drive new creative models that have their own individuality and particularity.

Although The Pardon Letter is the first seminal of the inherited creative formulas from Me'rag, Divine Comedy is a model of being genially affected without ignoring the individual creativity and the cultural specialty. It accepts different and various cultural perspectives, then produces them in special cultural forms.

This study concludes to contentment that assures the accuracy of the theory that comedy is influenced by oriental Islamic sources. This contentment depends on the efforts of great scholars and critics of this century on which good effort is spent through reading, studying, and analyzing some points.

Although Divine Comedy is a rich genius example of being affected, it is not restating. In fact it is a creative achievement that is able to get use of Islamic civilization legacy especially The Pardon Letter (Resalet Alghufran). This effect has points of simile and accordance, also it has features of influence and converging that the study reveals.

بيع الشجر إذا كان فيه ثمر باد

م. م. خالد فياض علي الجبوري
جامعة تكريت/ كلية القانون/ قسم القانون

مُقدِّمة

الحمد لله الذي علمَّ بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا وشفيعنا محمد (ﷺ) الذي محا الله به ظلمات الجهل والكفر، وأزال معالم الوثنية والضلال، وأعلى به منار الإسلام والإيمان، وعلى آله وأصحابه شموس العلم والعرفان، والتابعين ومن تبعهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأن الله بعث محمداً (ﷺ) منقذاً للبشرية مخرجاً لهم من ظلمات الجاهلية وشرع لهم على لسان نبيه ديناً متكاملاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فامن به أناس وكفر به آخرون، وكانت مكانة أمته التي أمنت به بين الأمم الأخرى تتناسب تناسباً طردياً مع التزامها بإحكام ذلك الدين فكلما كان التزامهم أكثر كانت مكانتهم أعلى لذلك نراهم عندما التزموا بدينه التزاماً كاملاً في مختلف نواحي الحياة، كانوا يفتحون بلدان المعمورة بلداً بعد أخر حتى حكموا الأرض من الصين شرقاً حتى الأندلس غرباً، إلا أنهم لما ابتعدوا عن مبادئ ذلك الدين الحنيف بدءوا يخسرون تلك البلدان بلداً بعد أخر وكانت الخسارة على قدر خسارتهم لدينهم، حتى إذا ما ابتعدوا عن دينهم وأحكامه خسروا كل شيء حتى أنهم خسروا أنفسهم وأصبحوا إتباعاً لغيرهم من الأمم وهذا ما نراه واضحاً في عصرنا الحاضر، فتحولت هذه الأمة من امة حاكمة إلى امة محكومة مغلوبة على أمرها، وهذا ما جعل الحمل ثقيلاً على كاهل

العلماء والدعاة في إرجاع هذه الأمة إلى منهجها الحقيقي من اجل أن تنهل من الرافد العذب الذي أعطاه الله إياها.

وإن علماء هذه الأمة فإنهم كانوا بحق ورثة الأنبياء حيث نجدهم على مر الزمان يحاولون بكل قوة أن يعيدوا الأمة إلى ما كانت عليه في عصر نبيها (ﷺ) ويدفعون عنها كل شائبة ودخيل، فألفوا لأجلها الكتب والمجلدات في شتى صنوف العلوم الشرعية وغيرها.

ومع ذلك أصاب الأمة الإسلامية ما أصاب غيرها من الأمم من الابتعاد عن المنهج الذي ثبته لها قائدها الأول، وجعل أبناء هذه الأمة الأعراف والتقاليد أحكاماً يرجعون إليها بدل الرجوع إلى شرع الله ويحكمون بها وان كانت مخالفة لإحكام الله عز وجل وسبب ذلك الجهل بأحكام الله التي بقي الكثير منها في طيات الكتب القديمة مركونة على رفوف المكتبات أو موضوعة في البيوت للزينة والتفاخر، وهذا يفسر قولنا إن الحمل أصبح ثقيلاً على العلماء وطلاب العلم في إخراج هذه الأحكام من صفحات تلك الكتب إلى ارض الواقع ودعوة المسلمين كافة إلى الاحتكام إليها بدل الاحتكام إلى الطاغوت.

ومن هذا المنطق كان اختياري لهذا الموضوع وهو (بيع الشجر إذا كان فيه ثمر باد) وذلك لأهمية هذا الموضوع ولكثرة من يتعامل به، ولجهل كثير من هؤلاء بأحكامه مما سبب الكثير من الخصومات وربما يصل الأمر احياناً إلى التقاتل، وكل ذلك بسبب عدم الالتزام بما أمر به الشارع الكريم.

أما خطة عملي فاني جمعت المادة العلمية أولاً من كتب الفقه فدونت منها أراء الفقهاء وأدلتهم ثم قارنت بينها ورجحت ما رايته راجحاً على أساس الدليل دون تعصب لمذهب على حساب مذهب أخر وقسمت البحث على مبحثين وخاتمة.

فكان المبحث الأول: في تعريف البيع قسمته على أربعة مطالب، درست فيه ماهية تعريف البيع ومشروعيته وأركانه وشروطه وبعض الخيارات المتعلقة به، ولكل من هذه المواضيع فروعه.

المبحث الثاني حكم بيع الشجر إذا كان فيه ثمر باد، ثم أتبعته بخاتمةٍ سجلت فيها ملخص بحثي هذا.

المبحث الأول

تعريف البيع في اللغة والاصطلاح، مع وأركانه، شروطه.

البيع لغة:

البيع ضد الشراء والبيع شراء ايضاً وهو من الأضداد، وبعت الشيء شريته[١]، وباع الشيء يبيعه (بيعاً) و (مبيعاً) شراه و (باعه) ايضاً اشتراه، والشيء (مبيع) و (مبيوع) مثل مخيط مخيوط ويقال للبائع والمشتري (بيعان) بتشديد الياء و (أباع) الشيء عرضه للبيع[٢]، وابتاعه اشتراه[٣]، وهو شاذ والقياس مباعاً إذا باعه وإذا اشتراه[٤].

البيع اصطلاحاً:

١- **عرفه الحنفية**: بأنه مبادلة المال بالمال على وجه التراضي، والمال هو ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره إلى وقت الحاجة، والمالية إنما ثبتت بتمويل الناس كافة أو بتقويم البعض والتقويم يثبت بها وبإباحة الانتفاع به شرعاً فما يكون مباح الانتفاع بدون تمول الناس لا يكون مالا كحبة حنطة، وما يكون مالا بين الناس ولا يكون مباح الانتفاع لا يكون متقوماً كالخمر، وإذا عدم الأمران لم يثبت واحد منهما كالدم[٥].

وعرفه بعضهم بأنه مبادلة شيء مرغوب بشيء مرغوب وذلك قد يكون بالقول أو يكون بالفعل[٦].

وقصد بقوله بالقول الإيجاب والقبول، وبقوله بالفعل بيع المعاطاة[٧].

٢- **وعرفه المالكية بالوجه الأعم**، انه عقد معاوضة على غير منافع ولا متعة لذة[٨].

فيخرج العقد على المنافع والنكاح ويدخل هبة الثواب والصرف والسلم، والغالب عرفاً اخص منه بزيادة، [ذو مكايسة[٩]] احد عوضيه غير ذهب ولا فضة معين على العين فيه لتخرج هبة الثواب والصرف والسلم الداخلة في الأعم لان الهبة في الثواب لا مكايسة فيها أي لا مغالبة فيها والصرف المبادلة للعوضان فيها من العين والسلم المعين فيها العين وهو رأس المال وإما غير رأس المال وهو المسلم فيه فانه في الذمة ومعنى كون رأس المال معيناً انه ليس في الذمة[١٠].

وعرفه بعضهم بأنه نقل الملك بعوض بوجه جائز[١١].

٣- **عرفه الشافعية**: بأنه مقابلة مال بمال على وجه مخصوص[١٢].

وعرفه بعضهم بأنه عقد معاوضة محضة يقتضي ملك عين أو منفعة على الدوام لا على وجه القربة، فخرج بقوله معاوضة: الهبة، وبالمحضة نحو النكاح وبقوله على الدوام الإجازة فإنها وان كانت فيها مقابلة منفعة مال فليست على الدوام وبقوله لا على وجه القربة القرض وان كان فيه معاوضة مال بمال فهو على وجه القربة[١٣].

٤- **عرفه الحنابلة**: بأنه مبادلة المال بالمال تمليكاً وتملكاً[١٤].

وذكروا إن اشتقاقه من الباع لان كل واحد من المتعاقدين يمد باعه للأخذ والإعطاء، ويحتمل أن كل واحد منهما يبايع صاحبه أي يصافحه عند البيع ولذلك سمي البيع صفقة.

وقال بعضهم هو الإيجاب والقبول إذا تضمن عيني للتمليك.

ورد عليه بأنه حد قاصر لخروج بيع المعاطاة منه ودخول عقود سوى البيع فيه[١٥].

٥- **عرفه الأمامية**: بأنه الإيجاب والقبول اللذان تنتقل بهما العين المملوكة من مالك إلى غيره بعوض مقدر[١٦].

الترجيح:

الذي أرجحه هو ما ذهب إليه الحنابلة وهو مبادلة المال بالمال تمليكاً وتملكاً، وذلك لكونه شاملاً لمعنى البيع.

والمال كما قال الحنفية وهو ما يتموله الناس كافة ويكون مباح شرعاً وهذه المبادلة تدل على التراضي لأنها تعني تسليم المبيع إلى المشتري وتسلم الثمن من قبل البائع وهو ما قاله الحنفية وهو المعاوضة التي ذكرها المالكية والشافعية، وقولهم تملكاً وتمليكاً يدل على ثبات هذه المبادلة أي أنها غير مؤقتة بوقت فيملك احدهما السلعة ويتملك الأخر الثمن وفيه ايضاً التراضي واضح لان الملك لا يثبت لأي منهما إذا لم يكن قد خرج من صاحبه وهو راض بذلك، والله اعلم.

المطلب الثاني

أركان البيع وشروطه:

هذا المبحث من أهم المباحث في موضوعنا هذا وذلك لان بيع أصول البساتين ثمارها يدخل تحت مسمى البيع وكل ركن من أركان البيع ركن من أركانه وتأخر أي ركن من هذه الأركان يؤثر تأثيراً مباشراً في صحة هذا البيع، ولذا فإننا سندرس أركان البيع وشروطه كجزء من أجزاء هذا البحث.

وفي هذا المطلب فرعان:

الفرع الأول: أركان البيع.

الفرع الثاني: شروط البيع.

الفرع الأول

أركان البيع.

يرى الحنفية إن البيع له ركن واحد هو: الصيغة هي الإيجاب والقبول الدالان على تبادل الملكين بين البائع والمشتري من قول او فعل وما عداها يعد من الشروط(١٧).

بينما يرى جمهور الفقهاء إن أركان البيع ثلاثة(١٨) وهي:

١- عاقدان: وهما البائع والمشتري.

٢- معقود عليه: وهو الثمن والمثمن.

٣- الصيغة: وهي الإيجاب والقبول.

الفرع الثاني

شروط البيع.

أولاً: شروط البيع عند الحنفية:

قسم الحنفية شروط البيع إلى أربعة أقسام وهي(١٩):

القسم الأول: شرط الانعقاد، فلا ينعقد البيع إلا إذا تحققت به هذه الشروط، وهي على أنواع، فمنها ما يتعلق بالعاقد سواء كان بائعاً أو مشترياً ومنها ما يتعلق بالعقد ومنها ما يتعلق بالمكان ومنها ما يتعلق بالمعقود ونذكر فيما يأتي تفصيلهم:

أولاً: أما ما يتعلق بالعاقد فاشترطوا فيه:

١- أن يكون عاقلاً فلا ينعقد بيع المجنون ولا شراءه.

٢- أن يكون مميزاً فلا ينعقد بيع الصبي غير المميز، ويتوقف نفاذ بيع الصبي المميز على إجازة الولي أو الوصي.

٣- أن يكون العاقد متعدداً فلا يصلح الواحد عاقداً من الجانبين في باب البيع إلا إنهم استثنوا من ذلك الأب، فأجازوا له بيع مال نفسه من ابنه الصغير بمثل قيمته، أو يشتري مال الصغير لنفسه وكذلك الوصي إذا باع مال نفسه من الصغير أو اشترى مال الصغير لنفسه إذا كان فيه نفع ظاهر للصغير وإلا فلا يجوز بالإجماع في المذهب.

ثانياً: أما ما يتعلق بالعقد فاشترطوا فيه أن يكون القبول موافقاً للإيجاب بان يقبل المشتري ما أوجبه البائع فان خالفه بان قبل غير ما أوجبه أو بعض ما أوجبه أو بغير ما أوجبه أو ببعض ما أوجبه لا ينعقد البيع، فإذا قال البائع بعتك هذا البستان بعشرة ألاف دينار فان البيع لا ينعقد إلا إذا قال المشتري قبلت شراءه بهذا الثمن إما إذا قال قبلت شراءه بتسعة ألاف دينار مثلاً فان البيع لا ينعقد.

ثالثاً: وأما الذي يرجع إلى مكان العقد فاشترطوا فيه شرطاً واحداً وهو اتحاد المجلس بان كان الإيجاب والقبول في مجلس واحد فان اختلف المجلس لا ينعقد حتى لو اوجب احدهما البيع فقام الأخر عن المجلس قبل القبول أو اشتغل بعمل أخر يوجب اختلاف المجلس ثم قبل لا ينعقد البيع.

رابعاً: وأما الذي يرجع إلى المعقود فاشترطوا فيه:-

١- أن يكون موجوداً فلا ينعقد بيع المعدوم وما له خطر العدم كبيع ثمرة العام القادم وكذا بيع الثمار قبل بدو صلاحها لأنه إن باع ثمرة العام القادم فهو بيع المعدوم وان باع الثمار قبل بدو صلاحها، فله خطر العدم وهو ما سندرسه في محله.

٢- أن يكون مالاً متقوماً شرعاً لان البيع مبادلة المال بالمال فلا ينعقد بيع الحر لأنه ليس بمال ولا ينعقد بيع الخمر ولحم الخنزير ونحو ذلك من كل ما لا يباح الانتفاع به شرعاً.

٣- أن يكون مما يتعلق به الملك لان البيع تمليك فلا ينعقد بيع العشب المباح ولو نبت في ارض مملوكة.

٤- أن يكون مملوكاً للبائع عند البيع فان لم يكن لا ينعقد وان ملكه بعد ذلك بوجه من الوجوه إلا السلم فانه ينعقد فيه بيع ما سيملكه بعد العقد، وكذلك المغصوب إذا باعه الغاصب ثم ضمنه المالك فان بيعه ينعقد.

٥- أن يكون مقدور التسليم عند العقد فان لم يكن فلا ينعقد البيع.

القسم الثاني: شروط النفاذ وهي:

١- الملك والولاية: وهو أن يكون المبيع مملوكاً للبائع فلا ينفذ بيع الفضولي لانعدام الملك والولاية لكنه ينعقد موقوفاً على إجازة المالك.

٢- أن لا يكون في المبيع حقاً لغير البائع، فلا ينفذ بيع المرهون والمستأجر لأنه وان كان محبوساً في يده ولكن للغير حق فيه فلا ينفذ بيعه.

القسم الثالث: شروط الصحة

وهي أنواع: منها شروط عامة تتعلق بجميع أفراد البيع ومنها خاصة تتعلق ببعض الأفراد دون بعض، فأما الشروط العامة فمنها:

١- ما ذكرنا من شروط الانعقاد والنفاذ لان ما لا ينعقد ولا ينفذ البيع بدونه ضرورة إذ الصحة أمر زائد على الانعقاد والنفاذ فكل ما كان شرط الانعقاد أو النفاذ كان شرط للصحة ضرورة وليس كل ما يكون شرط للصحة أن يكون شرط للنفاذ أو الانعقاد فان البيع الفاسد ينعقد عند اتصال القبض به عند الحنفية وان لم يكن صحيحاً.

٢- أن يكون المبيع معلوماً وثمنه معلوماً علماً يمنع المنازعة فان كان احدهما مجهولاً جهالة لا تفضي إلى المنازعة لا يفسد ن لان الجهالة إذا كانت مفضية

إلى المنازعة كانت مانعة من التسليم والتسلم فلا يحصل مقصود البيع وإذ لم تكن مفضية إلى المنازعة لا تمنع من ذلك فيحصل المقصود.

٣- الخلو من الشروط الفاسدة كان يشتري شجراً بشرط أن يكون مثمراً لان المشروط يحتمل الوجود والعدم، ولا يمكن الوقوف عليه للحال فكان من وجوده غرر.

أما الشروط الخاصة فهي:

١- أن يكون الأجل معلوماً في بيع فيه أجل، فإن كان مجهولاً يفسد البيع.

٢- القبض في بيع المشتري للمنقول - فلا يصح بيعه قبل القبض.

٣- المماثلة بين البدلين في أموال الربا.

القسم الرابع: شروط اللزوم

شرط اللزوم هو أن يكون العقد باتاً عارياً عن شرط الخيار للعاقدين أو لأحدهما، فإن البيع بشرط الخيار لا يلزم.

ثانياً: شروط البيع عند الجمهور

لم يقسم جمهور الفقهاء شروط البيع كما قسمها الحنفية، وإنما وضعوا شروطاً لكل ركن من أركان البيع وكما يأتي:

أولاً: العاقدان:

ويشترط فيهما العقل والبلوغ، فلا يصح عقد من المجنون ولا الصبي غير المميز ولا مكره بغير حق[٢٠]، أما الصبي المميز فقد مر بنا أن الحنفية يجيزون بيعه إذا أجازه الولي أو الوصي، وكذا المحجور عليه بسفه، وإلى هذا ذهب المالكية والحنابلة في رواية والزيدية والإمامية[٢١].

وذهب الشافعية والحنابلة في رواية إلى عدم جواز بيع الصبي المميز ولا المحجور عليه بسفه، لأنه غير مكلف فأشبه غير المميز، ولأن العقل لا يمكن

الوقوف منه على الحد الذي يصح به التصرف لخفائه وتزايده خفي التدرج فجعل الشارع له ضابطاً وهو البلوغ، فلا تثبت له أحكام العقلاء قبل وجود المظنة[٢٢].

ورد عليه:

إن قوله سبحانه وتعالى ﭽ ... ى ى ... ﭼ[٢٣].

معناه اختبروهم لتعلموا رشدهم، وإنما يتحقق ذلك بتفويض التصرف إليهم في البيع والشراء ليعلم هل تغير أولاً، ولأنه عاقل مميز محجور عليه فيصح تصرفه بأذن وليه كالعبد، وفارق غير المميز فإنه لا تحصل له المصلحة بتصرفه لعدم تمييزه ومعرفته ولا حاجة إلى اختباره لأنه قد علم حاله، وردوا على قولهم: أن العقل الاطلاع عليه بأنه يمكن أن يعلم ذلك بتصرفاته وجريانها على وفق المصلحة، كما يعلم في حق البالغ فإن معرفة رشده شرط لدفع ما له إليه، وصحة تصرفه كذا ههنا[٢٤].

الترجيح:

والذي أرجحه هو ما ذهب إليه الجمهور من صحة بيع الصبي المميز إذا أذن له وليه أو وصيه لما فيه من مصلحة ظاهرة وهي الوقوف على مدى إدراكه وحرصه على ماله وهو المقصود من الابتلاء المأمور به في الآية القرآنية التي احتج بها الجمهور.

ثانياً: المعقود عليه

اشترط الجمهور في المعقود عليه ما يأتي[٢٥]:

١- أن يكون طاهراً، فلا يصح بيع النجس كالكلب والخنزير ولا متنجس لا يمكن تطهيره كالخل واللبن.

٢- أن يكون نافعاً فلا يصح بيع الحشرات وكل سبع لا ينفع وما نفعه محرم كالخمر، وما لا يباح إلا عند الاضطرار كالميتة.

٣- إمكان تسليمه فلا يصح بيع الطير في الهواء.

٤- أن يكون مملوكاً لبائعه وقت العقد ملكاً تاماً.

٥- أن يكون المبيع والثمن معلومين للمتعاقدين، فلا يصح بيع المجهول.

الترجيح:

الذي أرجحه هو ما ذهب إليه الجمهور هو اشتراط أن يكون المبيع والثمن معلومين للمتعاقدين ؛ لأنه لا يصح بيع المجهول، ولكي لا يقع المتعاقدين في الحرج بعد البيع. والله اعلم.

ثالثاً: الصيغة

للبيع صورتان ينعقد بهما أحدهما الصيغة القولية، والثانية الصيغة الفعلية.

أولاً: الصيغة القولية: وهي الإيجاب والقبول، وهي التي يتم بها بيع أصول البساتين وثمارها، والإيجاب يقول بعتك أو ملكتك أو لفظ يدل عليهما. والقبول أن يقول اشتريت أو قبلت ونحوهما، وإن تقدم القبول على الإيجاب بلفظ الماضي، فقال: ابتعت منك، فقال: بعتك صح، لأن لفظ الإيجاب والقبول وجد منهما على وجه تحصل منه الدلالة على تراضيهما به، فصح كما لو تقدم الإيجاب[٢٦].

وإن تقدم بلفظ الطلب فقال: بعني بستانك فقال: بعتك، ففيه وجهان:

الأول: يصح البيع، وبه قال المالكية والشافعية والحنابلة في رواية[٢٧].

الثاني: لا يصح، وبه قال الحنفية والحنابلة في رواية ثانية[٢٨].

أما إذا تقدم بلفظ الاستفهام مثل إن يقول أتبيعني بستانك بكذا فيقول بعتك لم يصح[٢٩].

وذهب بعض الحنابلة والزيدية إلى صحة البيع إذا وقع بكل لفظ يدل على التراضي كقول الموصي وليتك أو أشركتك فيه أو وهبتكه أو أعطيتك فيقول القابل اشتريت أو ابتعت أو قبلت أو رضيت، وكما إذا قال المشتري بعني بكذا أو اشتريت منك بكذا فقال البائع بارك الله لك فيه أو هو مبارك عليك فالبيع الذي أحله الله سبحانه وتعالى وجعله مقتضياً لانتقال الأملاك من مالك إلى مالك لا يعتبر فيه إلا مجرد التراضي وطيبة النفس بأي لفظ وقع وعلى أي صفة كان ولو بمجرد إشارة أو كتابة فإذا حصل هذا المناط وتفرق البائع والمشتري من المجلس راضين بالبيع طيبة به نفساهما فقد انتقل ذلك البيع من ملك البائع إلى ملك المشتري إذا كان البيع مما احل الشرع بيعه وجوز التعامل فيه[٣٠].

ثانياً: الصيغة الفعلية: أو بيع المعاطاة.

وصورة بيع المعاطاة أن يقول أعطني بهذا الدينار خبزاً فيعطيه ما يرضيه أو يقول خذ هذا الثوب بعشرة دنانير فيأخذه، فقد ذهب إلى صحة هذا البيع كل من الحنفية والمالكية والحنابلة والزيدية[٣١].

وذهب الشافعية والامامية إلى عدم صحة مثل هذا البيع.

وقالوا إنما احتيج في البيع إلى الصيغة لأنه منوط بالرضا لقوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [٣٢].

والرضا أمر خفي لا يطلع عليه، فأنيط الحكم بسبب ظاهر وهو الصيغة فلا تنعقد بالمعاطاة إذ الفعل لا يدل بوضعه فالمقبوض بها كالمقبوض ببيع فاسد فيطالب كل صاحبه بما دفع إليه إن بقي وبدله إن تلف وقال بعضهم للبائع أن يمتلك الثمن الذي قبضه أن ساوى قيمة ما دفعه لأنه مستحق، ظفر بمثل حقه والمالك راض هذا في الدنيا، وأما الأخرة فلا مطالبة لطيب النفس بها[٣٣].

وذهب بعض الحنفية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة إلى جواز المعاطاة في اليسير والخسيس كالبقل والبيض ونحوها(٣٤).

واحتج أصحاب الرأي الأول القائل بصحة بيع المعاطاة:

بان الله سبحانه وتعالى احل البيع ولم يبين كيفيته فوجب الرجوع فيه إلى العرف كما رجع إليه في القبض والاحراز والتفرق، والمسلمون في أسواقهم وبياعاتهم على ذلك.

ولان البيع كان موجوداً بينهم معلوماً عندهم، وإنما علق الشارع عليه احكاماً وأبقاه على ما كان، فلا يجوز تغييره بالرأي والتحكم، ولم ينقل عن النبي (ﷺ) ولا عن أصحابه (رضي الله عنهم) مع كثرة وقوع البيع بينهم استعمال الإيجاب والقبول، ولو كان ذلك شرطاً لوجب نقله، ولم يتصور منهم إهماله والغفلة عن نقله، ولان البيع مما تعم به البلوى فلو اشترط له الإيجاب والقبول لبينه (ﷺ) بياناً عاماً ولم يخف حكمه لأنه يفضي إلى وقوع العقود الفاسدة كثيراً وأكلهم المال الباطل، ولم ينقل ذلك عن النبي (ﷺ) ولا عن احد من أصحابه.

ولو كان الإيجاب والقبول شرطاً في البيع لشق ذلك، ولكانت أكثر عقود المسلمين فاسدة وأكثر أموالهم محرمة، ولان الإيجاب والقبول إنما يرادان للدلالة على التراضي، فإذا وجد ما يدل عليه من المساومة والتعاطي قام مقامهما واجزأ عنهما لعدم التعبد فيه(٣٥).

وذهب بعض الشافعية إلى أن من اخذ حوائجه من البياع مرة بعد مرة من غير مبايعة ولا معاطاة ثم بعد مدة يحاسبه ويعطيه العوض فهذا البيع باطل لأنه ليس بيع لفضي ولا معاطاة فلا يعد بيعاً.

ورد بعضهم إلى ذلك بان اخذ الحاجات من البياع على ضربين:

الأول: إن يقول أعطني بكذا لحماً أو خبزاً مثلاً وهذا هو الغالب فيدفع إليه مطلوبة فيقبضه ويرضى به ثم بعد مدة يحاسبه ويؤدي ما اجتمع عليه، فهذا مجزوم بصحته عند من يجوز المعاطاة.

الثاني: أن يلتمس مطلوبة من غير تعرض لثمن كأعطني كذا رغيف خبز مثلاً فهذا محتمل.

وردوا على بيعهم انه لا يعد بيعاً ولا معاطاة، بان ذلك فيه نظر والغالب أن يكون قدر ثمن الحاجة معلوماً لهما عند الأخذ والإعطاء وان لم يتعرضا له لفظاً(٣٦).

الترجيح:

الذي أرجحه في بيع المعاطاة ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول القائل بصحة بيع المعاطاة لما فيه من التيسير على الناس ولرجاحة الدليل الذي استدلوا به على رأيهم، أما في مسألة اخذ الحاجات من البائع ثم التحاسب بعد ذلك، فالذي أرجحه هو عدم صحة هذا البيع في حالة عدم التعرض للثمن لأنه يؤدي إلى الخصومة بين البائع والمشتري، خاصة وان أسعار الحاجات في تذبذب مستمر ولا مستقر على سعر واحد لذا وجب على البائع تبيين سعر الحاجة للمشتري، كما انه يجب على المشتري معرفة سعرها عند شرائه لها ثم التحاسب بعد ذلك على قدر ما أخذه ويؤدي ما اجتمع عليه، أما في حالة التعرض إلى الثمن كقوله أعطني بدينار خبزاً ثم أخذه فان ذلك يكون دليلاً على الرضا ولا يؤدي إلى الجهالة التي تفضي إلى النزاع فيكون البيع صحيحاً والله اعلم.

المبحث الثاني

حكم بيع الشجر اذا كان فيه ثمر باد

من باع شجراً فيه ثمراً فهل يدخل الثمر في البيع تبعاً للأصل وهو الشجر بمجرد العقد أو يبقى على ملك البائع استصحاباً لما كان عليه الحال ؟

فيه تفصيل بين المذاهب وكما يأتي:

ذهب الحنفية إلى أن من باع نخلاً أو شجراً فيه ثمر فثمرته للبائع إلا أن يشترطه المبتاع واحتجوا على ذلك بقوله (ﷺ): (من اشترى ارضاً فيها نخل فالثمرة للبائع، إلا أن يشترطه المبتاع)[٣٧].

ولان اتصال الثمر بالشجر وان كان خلقه فهو للقطع لا للبقاء فصار كالزرع حيث لا يدخل في بيع الأرض ويقال للبائع اقطع الثمرة وسلم المبيع في حالة عدم دخول الثمرة في عقد البيع لان ملك المشتري مشغول بملك البائع فكان على البائع تفريغه وتسليمه إلى المشتري[٣٨].

ولم يفرق الحنفية بين المؤبرة وغير المؤبرة[٣٩] في كونها للبائع إلا بالشرط[٤٠]، واحتجوا على ذلك بان النخل اسم لذات الشجرة فلا يدخل ما عداه إلا بقرينة زائدة[٤١].

وزادوا: من باع شجراً عليه ثمر لا يدخل الثمر فلو استأجر الشجر من المشتري ليترك عليه الثمر لم يجز ولكن يعار إلى الإدراك فلو أبى المشتري يخير البائع إن شاء أبطل البيع أو قطع الثمر[٤٢].

وذهب المالكية إلى أن من باع نخلاً وفي النخل ثمر لم يؤبر فالثمرة للمشتري سواء اشترطه أو لم يشترطه ولا يحتاج إلى اشتراطه فان كانت النخلة قد أبرت فثمرتها للبائع إلا أن يشترطه المبتاع في صفقته فيكون ذلك له باشتراطه[٤٣].

وأما سائر الثمار فالعقد والظهور حكم ذلك في البيع كحكمه في الآبار، وأجازوا بيع الثمرة كلها في رؤوس الشجر من الرطب والعنب والتين والزيتون وسائر

الأشجار مع الأصل وان لم يبد صلاحه فان لم يشترط المبتاع الثمار بعد آبار النخل أو بعد ظهور الثمار في سائر الأشجار ثم أراد شرائه قبل بدو صلاحه فذلك[٤٤].

واحتجوا لما ذهبوا له بما صح عن النبي (ﷺ) انه قال: (من ابتاع نخلاً بعد أن يؤبر فثمرتها للذي باعها إلا أن يشترطه المبتاع)[٤٥].

وبمثله قال الشافعية.

وزادوا: أن من باع الذكور من النخل بعد تشقق طلعها فالطلع للبائع وإلا فوجهان: أصحهما: للمشتري.

والثاني للبائع.

((أما ما عدا النخل من الشجر فأقسام:

القسم الأول: ما يقصد من الورق كالحناء فانه إذا ظهر ورقه كان للبائع لأنه لا ثمر له سوى الورق.

القسم الثاني: ما يقصد منه الورد، وهو ضربان:

الضرب الأول: يخرج في أكمام[٤٦]. ثم يتفتح فهو كالورد الأحمر ؛ فإذا بيع أصله بعد خروجه وتفتحه فهو للبائع كطلع النخل المتشقق، وإن بيع قبل تفتحه فللمشتري على الأصح.

والضرب الثاني: يخرج ورده ظاهراً كالياسمين، فإن خرج وردة فللبائع وإلا فللمشتري.

القسم الثالث: ما يقصد منه الثمرة وهو نوعان:

الأول: ما تخرج ثمرته بارزة بلا قشر ولا أكمام كالتين والعنب فهو كالياسمين.

الثاني: ما تخرج ثمرته بقشر وأكمام، وهو ضربان))[٤٧]:

أحدهما: ما تخرج ثمرته في نور ثم يتناثر نوره فتبرز الثمرة بلا حائل كالمشمش والتفاح والكمثري وشبهها، فإن بلع الأصل قبل انعقاد الثمرة انعقدت للمشتري،

وإن كان النور قد خرج، وإن باعه بعد الانعقاد وتناثر النور فللبائع. وإن باعه بعد الانعقاد وقبل تناثر النور، فوجهان:

أصحهما: أنها للمشتري ؛ والثاني: (أنه للبائع)[٤٨].

الضرب الثاني: ما يبقى له حائل على الثمرة المقصودة وهو صنفان:

الأول: له قشرة واحدة كالرمان. فإذا بيع أصله وقد ظهر الرمان فهو للبائع وإلا فهو للمشتري.

والثاني: ما له قشران كالجوز واللوز والفستق ونحوه، فان باعها قبل خروجها فالذي يخرج للمشتري وإلا فللبائع، ولا يعد مع ذلك تشقق القشر الأعلى على الأصح.

ثم من هذين الصنفين ما تخرج ثمرته في قشر بغير نور كالجوز والفستق، ومنها ما تخرج في نور ثم يتناثر نوره كالرمان واللوز.

وما ذكر من حكمهما هو فيما إذا بيع الأصل بعد تناثر النور فان بيع قبله عاد فيه الكلام كالسابق[٤٩].

وزادوا: إذا باع أصلاً وعليه ثمرة للبائع لم يكلف قطع الثمرة إلى أوان الجذاذ فان كان مما يقطع رطباً لم يكلف قطعه إلا أن يصير رطباً لان نقل المبيع على حسب العادة والعادة في قطع الثمار هو أوان الجذاذ فلا يكلف القطع قبله[٥٠].

أما الحنابلة فقد قسموا الشجر إلى ستة أقسام وهي[٥١]:

القسم الأول: ما يقصد زهره كالورد ونحوه الذي يبقى اعواماً فهو كالنخل إن تفتحت أكمامه وتشقق جوزه فهو للبائع وإلا فهو للمشتري.

القسم الثاني: ما له ثمرة بارزة كالعنب والتين فما كان منه ظاهراً فهو للبائع لأنها ثمرة ظاهرة فهي كالطلع المؤبر وما ظهر بعد العقد فهو للمشتري لأنه حدث في ملكه.

القسم الثالث: ما له قشر لا يزال إلى الأكل كالرمان والموز فهو للبائع ان كان ظهر لان قشره من مصلحته فهو كأجزاء الثمرة.

القسم الرابع: ما له قشران كلجوز واللوز فهو للبائع بنفس الظهور لان قشره لا يزال به في الغالب إلا بعد الجذاذ فهو كالرمان.

وقيل إن تشقق قشره الأعلى فهو للبائع وإلا فهو للمشتري لأنه لا يدخر في قشره الأعلى بخلاف الرمان.

القسم الخامس: ما يظهر ثمره في نوره ثم يتناثر نوره فيظهر كالتفاح والمشمش فما تناثر نوره فهو للبائع وما لم يتناثر نوره فهو للمشتري لأنه لا يظهر إلا بعد تناثر نوره فكان كتابير النخل، وقيل انه للبائع لظهور نوره لان استتار الثمرة بالنور كاستتار ثمرة النخل بعد التأبير بالقشر الأبيض.

القسم السادس: ما يقصد ورقه كالتوت فيحتما انه للمشتري بكل حال قياساً على سائر الورق ويحتمل انه تفتح فهو للبائع وإلا فهو للمشتري لأنه ها هنا كالثمر.

فان تضرر الأصل بترك الثمار دون قطع إلى وقت الجذاذ تضرراً كبيراً ففيه وجهان:

احدهما: تترك وان تضرر.

الثاني: يجبر على قطعها[٥٢].

وحيثما كان الثمر للبائع فانه يأخذه أول وقت أخذه بحسب العادة ولو كان بقائه خيراً له وهو الصحيح عندهم.

وقيل يؤخره إلى وقت أخذه في العادة إن لم يشترطه المشتري[٥٣].

وذهب الظاهرية مذهب المالكية والشافعية والحنابلة في كون الثمرة للبائع إذا كانت النخل قد أبرت إلا أن يشترطها المبتاع، وإما قبل الآبار فالطلع للمبتاع إلا أنهم لم يجوزوا في ثمرة النخل إلا الاشتراط فقط، وأما البيع فلا حتى يزهو فإذا أزهى جاز

فيها الاشتراط مع الأصول وجاز فيها البيع مع الأصول دون الأصول وليس هذا الحكم إلا في النخل المأبور وحده.

وأما سائر الثمار فان من باع الأصول وفيها ثمرة قد ظهرت أو لم يبد صلاحها فالثمرة ضرورة ولا بد للبائع لا يحل بيعها إلا مع الأصول ولا دونها ولا اشتراطها اصلاً، واحتجوا على تخصيص النخل بما ذكروا بان النص لم يرد إلا فيها فقط مع وجود الآبار وكون القياس عندهم باطل.

وزادوا: من باع نخلة أو نخلتين فيها ثمر قد ابر لم يجز للمبتاع اشتراط ثمرتها اصلاً ولا يجوز ذلك إلا في ثلاث نخلات فصاعداً، ومن باع حصة له مشاعة في نخل فان كان يقع له في حصته فيها لو قسمت ثلاث نخلات فصاعداً جار للمبتاع اشتراط الثمرة وإلا فلا والثمرة في الكل للبائع ولابد واحتجوا لما ذهبوا إليه بان النبي (ﷺ) لم يحكم بالاشتراط إلا في النخل واقل ما يقع عليه اسم نخل ثلاث فصاعداً[٥٤].

وأما الأمامية فذهبوا إلى عدم دخول الثمرة بعد ظهورها في بيع الصول مطلقاً ولا غيره من العقود إلا في ثمرة النخل فإنها تدخل في بيعة خاصة[٥٥].

وذهب ابن أبي ليلى إلى أن الثمرة للمشتري في حال كون النخل قد أبرت أو لم تؤبر[٥٦].

الترجيح:

الذي أرجحه هو ما ذهب إليه المالكية ومن وافقهم من أن الثمرة قبل التأبير للمشتري، أما بعد التأبير فهي للبائع إلا أن يشترطه المبتاع لوجود النص الثابت عن النبي (ﷺ) في ذلك لكونه جعل الآبار قيداً في الحديث فان لم يكن المراد ذلك لما كان لمثل هذا القيد فائدة كما انه إذا ابر يكون شيئاً متكاملاً يمكن فصله عن الأصل

وبيعه مع وجود اختلاف بين الفقهاء في صحة هذا البيع، أما قبل الآبار والظهور فقد اجمعوا على عدم جواز بيع الثمر لوحده.

أما قطع الثمر أو تركه إلى أوان الجذاذ في حاله كونه للبائع فالذي يرجحه الباحث هو قول الجمهور بتركه إلى أوان الجذاذ لان في قطعه قبل ذلك إضاعة للمال وإلحاق الضرر بالبائع وهذا ما لا تقره الشريعة الإسلامية وترده القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار) ولكون المشتري اشترى الأصول وهو عالم بذلك فلا يكون في ذلك إضرار به.

أما قول ابن حزم: أن النخل لا يجوز فيه إلا الاشتراط، وأما سائر الثمار فهي للبائع ضرورة فانه ذهب إلى ذلك، لأنه ينكر القياس.

ومع ذلك فالذي يميل إليه الباحث ويرجحه في هذه المسألة هو هذا الرأي، وليس ذلك للسبب الذي ذهب إليه ابن حزم، وإنما لإمكان أن يكون هذا البيع طريقاً من طرق الربا وصورته.

أن يشتري البستان بثمن ثم يدفع إلى البائع جزءاً من هذا الثمن ثم يشتري الثمار بثمن أعلى من ثمن المثل على أن يكون تسديد الجزء الباقي من الثمن في وقت لقاط الثمر فيكون قرضاً جر نفعاً وذريعة من الذرائع المؤدية إلى الربا وفي جعل الثمرة بعد التأبير للبائع أو إنها للمشتري بالشرط سداً لمثل هذه الذريعة، والله اعلم.

الخاتمة

من خلال بحثنا في بيع الثمر إذا كان فيه ثمر باد:

١- أركان البيع ثلاثة: عاقد ومعقود عليه والصيغة.

٢- البيع على ضربين إيجاب وقبول.

٣- إذا التقى الإيجاب والقبول يقع البيع جائزاً ويثبت لكل من المتعاقدين خيار المجلس.

٤- المدة في خيار الشرط ثلاثة أيام لا يزاد عليها.

٥- يكون الخيار للمشتري في حالة تخلف الصفة التي وصف بها المبيع ولزوم البيع في حالة عدم التخلف.

٦- الشجر الذي يزرع من اجل أن يكون خشباً، أو ما يزرع لأجل القلع لا يدخل في البيع إلا بالذكر.

٧- في حالة بيع الشجر وعليه ثمر فإن الثمرة تكون للمشتري إذا لم تؤبر، أما بعد التأبير فهي للبائع إلا أن يشترطها المشتري.

٨- يجوز بيع الثمار بعد بدو صلاحها بكل حال.

الهوامش

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (باع) ١/ ٢٩٨.

(٢) ينظر: مختار الصحاح: ٧١.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط ٧٩/١.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٢/ ٣٦٥.

(٥) ينظر: البحر الرائق: ٥/ ٢٧٨.

(٦) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ٥/ ١٣٣.

(٧) ينظر: البحر الرائق ٥/ ٢٧٨.

(٨) ينظر: الفواكه الدواني: ٢/ ٧١.

(٩) ذو مكايسة: عقد صاحب مشاحة، لأن كل واحد من المتعاقدين يريد أن يغلب صاحبه. ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة: ١١٦/٢.

(١٠) ينظر: الفواكه الدواني: ٢/ ٧٢.

(١١) ينظر: كفاية الطالب: ٢/ ١٧٧.

(١٢) ينظر: الإقناع: محمد الشربيني: ٢/ ٢٧٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ٢/ ٢.

(١٣) ينظر: إعانة الطالبين: ٢/ ٣.

(١٤) ينظر: المغني: ٣/٤.

(١٥) ينظر: المغني والشرح الكبير: ٤/٢.

(١٦) ينظر: المختصر المنافع في فقه الامامية: ١٤٦.

(١٧) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٥/ ١٣٣ وما بعدها، والفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري:٢/ ١٥٥.

(١٨) ينظر: بلغة السالك لأقرب المسالك: ٣/٢، ومغني المحتاج ٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع: ٣/ ١٤٦.

(١٩) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٥/ ١٣٥ وما بعدها. حاشية ابن عابدين: ٦٩/٥، وبداية المجتهد ١٥٧/٢ وما بعدها.
(٢٠) ينظر: بلغة السالك ٤/٢، وحلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء: ١٠/٤، وكشاف القناع ١٥١/٣، والروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: ٢٧٦/١، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني: ٦/٣.
(٢١) ينظر: بلغة السالك ٤/٢، والمغني والشرح الكبير ٦/٤، والسيل الجرار ٦/٣، والروضة البهية: ٢٧٦/١.
(٢٢) ينظر: مغني المحتاج ٧/٢، والمغني والشرح الكبير ٦/٤.
(٢٣) ينظر: سورة النساء، الآية ٦.
(٢٤) ينظر: مغني المحتاج ١٠/٢، وشرح منتهى الإرادات: منصور بن يونس البهوتي، دار الفكر ١٤١/٢.
(٢٥) ينظر: بلغة السالك ٥/٢، ومغني المحتاج ١٠/٢، وشرح منتهى الإرادات: ١٤١/٢.
(٢٦) ينظر: بدائع الصنائع ١٣٣/٥، وبلغة السالك ٣/٢، وإعانة الطالبين٢/٤.
(٢٧) ينظر: بلغة السالك ٣/٢، وإعانة الطالبين ٤/٢، والمغني والشرح الكبير ٣/٤.
(٢٨) ينظر: بدائع الصنائع ١٣٣/٥، والمغني والشرح الكبير ٣/٤.
(٢٩) ينظر: بدائع الصنائع ١٣٣/٥، بلغة السالك ٣/٢، وإعانة الطالبين ٤/٢، والمغني والشرح الكبير ٣/٤.
(٣٠) ينظر: كشاف القناع ٣/ ١٤٧، والسيل الجرار ٣/ ٦.
(٣١) ينظر: فتح القدير ٧٧/٥ وشرح منتهى الإرادات ٢/ ١٤١، والسيل الجرار ٨/٣.
(٣٢) سورة النساء، الآية ٢٩.
(٣٣) ينظر: مغني المحتاج ٤/٢، والروضة البهية ٢٧٥/١.
(٣٤) ينظر: فتح القدير ٧٧/٥، ومغني المحتاج ٤/٢، وكشاف القناع ١٤٨/٣.

(٣٥) ينظر: المغني والشرح الكبير ٤/٤.
(٣٦) ينظر: مغني المحتاج ٤/٢.
(٣٧) ينظر: ذكر صاحب كتاب الدراية الحافظ بن حجر العسقلاني: انه لم يجد هذا الحديث/ الدراية في تخريج أحاديث الهداية: ابن حجر العسقلاني: ١٤٧/٢.
(٣٨) ينظر: البناية شرح الهداية للعيني: ٦/ ٢٤٠.
(٣٩) الابار: أن يجعل طلع ذكور النخل في طلع إناثها وفي سائر الشجر أن تنور وتعقد/ ينظر: بداية المجتهد ٢/ ١٥٨.
(٤٠) ينظر: فتح القدير ٥/ ٩٩.
(٤١) ينظر: بدائع الصنائع ٥/ ١٦٤.
(٤٢) ينظر: البحر الرائق ٥/ ٢٧.
(٤٣) ينظر: الكافي: ٣٣٦/١-٣٣٧، ومواهب الجليل: ٤٩٥/٤
(٤٤) ينظر: الكافي: ٣٣٦/١، ومواهب الجليل: ٤٩٥/٤.
(٤٥) صحيح البخاري ٧٦٨/٢ وصحيح مسلم ٣/ ١٧٣.
(٤٦) وهي جمع أكمة وهي غطاء الثمرة والنور، الروضة البهية ٣٠٤/١.
(٤٧) روضة الطالبين: ٥٤٩/٣، والروضة البهية: ٣٠٤/١.
(٤٨) روضة الطالبين: ٥٥٠/٣.
(٤٩) ينظر: روضة الطالبين ٥٤٩/٣- ٥٥٠. المهذب: ٢٧٩/١-٢٨٠.
(٥٠) ينظر: المهذب ١/ ٢٨٠.
(٥١) ينظر: الكافي ٧٢/٢.
(٥٢) ينظر: الإنصاف ٥/ ٦٥.
(٥٣) ينظر: المصدر السابق ٥/ ٦٥.
(٥٤) ينظر: المحلى ٨/ ٤٢٤.
(٥٥) ينظر: الروضة البهية ١/ ٣٠٥.
(٥٦) ينظر: المغني والشرح الكبير ٢/ ١٩٠.

المراجع والمصادر

❖ القرآن الكريم

١- إعانة الطالبين: السيد البكري بن السيد محمد الدمياطي/ دار الفكر/ بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ ١٩٧٦م.

٢- الإقناع: محمد الشربيني الخطيب/ دار الفكر/ بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٤هـ ١٩٧٦م.

٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل احمد بن حنبل: المرداوي: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الحنبلي (ت ٥١٠هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. دار إحياء التراث العربي. ط١ (١٣٧٤هـ ١٩٥٥م).

٤- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين بن إبراهيم بن محمد، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، دار الكتب العلمية/ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٦- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد الحفيد (ت٥٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧- بلغة السالك لأقرب المسالك: احمد الصاوي/ المكتبة التجارية الكبرى/ مصر، ١٩٨١م.

٨- البناية شرح الهداية: محمود بن محمد العيني/ دار الفكر/ الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازي ليبيا تحقيق، ط٢، (د. ت).

١٠- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء: لأبي بكر محمد بن احمد الشاشي القفال، مكتبة الرسالة، تحقيق الدكتور: ياسين احمد، ط٢.

١١- الدراية في تخريج أحاديث الهداية: احمد بن علي بن حجر العسقلاني/ دار المعرفة بيروت/ تحقيق عبدالله هاشم (د. ت).

١٢- الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: لزين الدين ألعاملي، دار الكتاب العربي/ مصر.

١٣- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت/ تحقيق: محمود إبراهيم: ١٩٩٦م.

١٤- شرح منتهى الإرادات، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

١٥- صحيح البخاري:(لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢/٢٠٠١.

١٦- صحيح مسلم:(للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ) دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣/٢٠٠٢.

١٧- فتح القدير: لابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٨- الفقه على المذاهب الأربعة، تأليف: عبد الرحمن الجزيري، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

١٩- الفواكه الدواني: احمد بن غنيم بن سالم المالكي/ دار الفكر، بيروت: ط١، ١٩٨٧م.

٢٠- الكافي: يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي/ دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

٢١- كشاف القناع عن متن الإقناع/ منصور بن يونس البهوتي/ مكتبة النصر، الرياض/ تحقيق هلال مصيلحي: ١٩٩٧م.
٢٢- كفاية الطالب: أبو الحسن المالكي (ت٧٤٣هـ)، دار الفكر، بيروت: تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط٢، ١٩٩١.
٢٣- لسان العرب: للعلامة ابن منظور الافريقي(ت٧١١هـ)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.
٢٤- المحلى، تأليف: أبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ احمد محمد شاكر، دار الفكر.
٢٥- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت/ ط٢، ١٩٩٥م.
٢٦- المختصر المنافع في فقه الأمامية: جعفر بن الحسن الحلي/ مطبعة النعمان/ النجف (د. ت).
٢٧- المعجم الوسيط، اخرج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتشر وعطية الصوالي ومحمد خلف الله احمد اشرف/ القاهرة، الطبعة الثانية. ١٣٩٧هـ.
٢٨- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد السربيني الخطيب/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١.
٢٩- المغني والشرح الكبير: موفق الدين بن قدامة المقدسي وشمس الدين بن قدامة المقدسي/ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ.
٣٠- المهذب، إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الفكر، بيروت.
٣١- مواهب الجليل: محمد بن عبد الرحمن المغربي/ دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

مراحل التدوين التاريخي
في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة
دراسة مقارنة بين مدرسة المدينة ومدارس العراق

د. رشيد لطيف إبراهيم الحشماوي
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمداً وعلى اله وأصحابه وسلم

أما بعد:

ما إن انتقلت الخلافة الراشدة من المدينة المنورة إلى العراق في عهد الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) ثم إلى دمشق في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وبعد ذلك إلى بغداد في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور حتى بدأت مدرسة المدينة يقل إنتاجها العلمي بصورة عامة، على العكس من مدرسة الشام ومدارس العراق بدء إنتاجها العلمي يزداد وخاصة تدوين الحديث النبوي الشريف والتاريخ الإسلامي بفضل الخلفاء أولا الراعي للعلم والعلماء وتطوير وسائل التدوين التاريخي فضلا عن الحاجة الماسة لتدوين الحديث النبوي والتاريخ على حد سواء، فبدأت مدرسة بغداد تستقطب علماء مدرسة المدينة ومدرسة الشام ومدارس بلاد فارس حتى قيل عن بغداد أنها أم الدنيا.

وبفعل الحاجة الماسة للتفسير والحديث النبوي ومضي على الرسالة النبوية الشريفة أكثر من قرنين ظهر تدوين الحديث النبوي والتفسير وتدوين التاريخي على حد سوء، وخاصة بعد أن اختلط الحابل بالنابل بالحديث والتاريخ الأمر الذي اظهر الحاجة إلى مختصين في أئمة الجرح والتعديل فكانوا مؤرخين ومحدثين في نفس الوقت فعلى سبيل المثال المدائني (ت، ٢٢٥هـ) هو مؤرخ واحد أئمة الجرح والتعديل ويحيى بن معين (ت، ٢٣٣هـ) واحمد بن حنبل (ت، ٢٤١هـ) والبخاري (ت، ٢٥٦هـ) ومسلم (ت، ٢٦١هـ) وغيرهم من العلماء الفضلاء.

فشمل البحث ثلاث فصول رئيسية:

شمل الفصل الأول مراحل التدوين التاريخي في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة في مدرسة المدينة، أما الفصل الثاني فقد ركز على مراحل التدوين التاريخي في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة في مدارس العراق (مدرسة الكوفة، مدرسة البصرة ومدرسة بغداد ومدرسة واسط)، أما الفصل الثالث فكان دراسة مقارنة بين مدارس العراق ومدرسة المدينة.

كان هنالك مصادر ومراجع مهمة لها الدور الرئيسي في تقويم البحث.

الفصل الأول

مراحل التدوين التاريخي

في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة في مدرسة المدينة.

استقر التدوين التاريخي التحريري في القرن الثالث للهجرة بعد أن قطع شوطا طويلا بين الشد والجذب في القرنين الأول والثاني حيث استقر النظام الحولي والنظام الموضعي في التدوين التاريخي الذي نعرفه الآن، وأصبح التدوين التاريخي التحريري شائع بل وأصبح سباق بين المؤرخين في كتاباتهم وكان الخلفاء العباسين يكافؤن المؤلفون على وزن كتبهم بالذهب أو المبالغ النقدية، كل ذالك شجع ظهور التدوين التحريري.

فظهر علماء فضلاء في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة أمثال وهب بن وهب (ت، ٢٠٠ هـ) ومحمد بن عمر الواقدي (ت، ٢٠٧ هـ) ومحمد بن سعد (ت، ٢٣٠ هـ) واحمد بن حنبل (ت، ٢٤١ هـ) والبخاري (ت، ٢٥٦هـ) ومسلم (ت، ٢٦١هـ) وغيرهم من العلماء المشاهير.

ظهر في نهايات القرن الثاني للهجرة المؤرخ وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن الأسود[١] أبو البحتري (ت، ٢٠٠هـ) القاضي، كان فقيها إخباريا نسابة معروف[٢]، ولي على ا لمدينة المنورة في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠هـ -١٩٢ هـ) وعزل في عهد الخليفة الأمين (١٩٢هـ - ١٩٨هـ) وولاه الرشيد القضاء على عسكر المهدي ثم القضاء على بغداد[٣].

كان وهب متهم عند أهل الحديث[٤]، ويبدو لي أن هذه التهمة لا تتماشى مع ما تبوء من مناصب ومهام في عهد الرشيد، وإذا كان متهما فكيف عينه الخليفة هارون الرشيد على مركز أشعاع الدين الإسلامي المدينة المنورة ثم بعد ذلك على

مركز قرار الخلافة الإسلامية بغداد مع العلم إن الخليفة هارون الرشيد احد علماء الحديث.

أما مؤلفاته كتاب الرايات كتاب طسم وجد بس كتاب صفة النبي(ﷺ) كتاب فضائل الأنصار كتاب الفضائل الكبير كتاب نسب ولد إسماعيل بن إبراهيم ويحتوي على قطعة من الأحاديث والقصص[٥].

ثم ظهر عبد الله بن محمد بن عمارة أبي محمد القداح (ت، ٢٠٠هـ) الأنصاري المدني[٦] كان عالما نسابة إخباريا موثق به حتى أن بن حجر العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ) وصفه بأنه كان اعلم الناس بنسب الأنصار[٧]، له كتاب يسمى كتاب الأنصار[٨].

ثم محمد بن عمر الواقدي المدني الاسلمي أبي عبد الله (ت، ٢٠٧هـ) قاضي بغداد في عهد الخليفة المأمون[٩]، عالما بالمغازي والسير والفتوح – والحديث والفقه والأحكام والأخبار[١٠]، قال عنه محمد بن إسحاق (ت، ١٥٠ هـ) خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر[١١] من الكتب كل قمطر منها حمل رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار، وقيل انه باع كتابا له بألفي دينار في ذلك الوقت فهو قضي أعوامه الثلاثين الأخيرة في بغداد[١٢].

كان أهل الحديث لا يقبلون كل القبول بالوا قدي على العكس من إن المؤرخين كانوا يوثقونه[١٣].

أما المستشرقون فيرون فيه بسبب تدقيقه الزمني والجغرافي واعتماده الوثائق في مؤلفاته المؤلف الأول في التاريخ الإسلامي[١٤].

له من الكتب كتاب التاريخ والمغازي والمبعث وكتاب أخبار مكة وكتاب الطبقات وكتاب فتوح الشام وكتاب فتوح العراق وكتاب الجمل وكتاب مقتل الحسين (رضي الله عنه) وكتاب السيرة وكتاب أزواج النبي (ﷺ) وكتاب الردة والدار وكتاب الأوس

والخزرج وكتاب صفين وكتاب وفاة النبي (ﷺ) وكتاب أمر الحبشة والفيل وكتاب المناكح وكتاب السقيفة وبيعة أبي بكر وكتاب ذكر القران وكتاب سيرة أبي بكر ووفاته وكتاب مداعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عمر (رضي الله عنه) الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها وكتاب ضرب الدنانير والدراهم وكتاب تاريخ الفقهاء وكتاب الأدب وكتاب التاريخ الكبير وكتاب غلط الحديث وكتاب السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج في الفتن وكتاب الاختلاف[١٥].

<u>نستنتج من ذلك ما يلي:-</u>

١- أن اغلب مؤلفاته تاريخية مؤكدا على التاريخ الإسلامي.

٢- عين قاضي على بغداد وهذا ما يبطل من تكلم عنه، لأن المأمون لا يمكن إن يعين قاضي لبغداد ضعيف عند أئمة الجرح والتعديل.

٣- يتضح من خلال ما قاله بن إسحاق أن مؤلفاته أكثر مما دونت عند ابن النديم وغيره.

٤- تأثر تلميذه وكاتبه محمد بن سعد (ت، ٢٣٠ هـ) بكتب الواقدي وخاصة كتاب المغازي ذو التنظيم العالي والعرض السلس والبسيط والمحافظ على التسلسل التاريخي حيث ظهر بوضح في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد.

ثم محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الحافظ (ت، ٢٣٠هـ) أبو عبد الله تلميذ وكاتب الواقدي، كان من أهل العلم والفضل والحديث والرواية حتى وصفه ابن النديم (ت، ٣٥٤هـ) ثقة مستورا عالما بأخبار الصحابة والتابعين، فيما قال عنه الخطيب البغدادي[١٦] (ت، ٤٦٣هـ) كان من أهل العلم والفضل والفهم والعدل[١٧].

أما مصنفاته كتاب أخبار النبي(ﷺ) كتاب الطبقات الكبرى ويحتوي على أخبار طبقات الصحابة من أهل المدينة طبقات أهل مكة طبقات الطائف اليمن

أدى هذا العمل إلى تطور علم التاريخ شانه كشأن العلوم الأخرى في بغداد والبصرة والكوفة وواسط.

ظهر في بدايات القرن الثالث العلامة الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد الطائي الكوفي (ت، ٢٠٧ هـ) عالم الشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب وكان اعلم الناس بالسير والأيام وأخبار العرب[٢٥]، قال بن حبان، (ت، ٣٥٤هـ) عنه كان عالما بتاريخ ومعرفة الرجال[٢٦]، غير قوي عند أهل الحديث[٢٧].

أما أهم مصنفاته فهي كتاب المثالب كتاب المعمرين كتاب بيوتا ت قريش كتاب الدولة كتاب بيوتات العرب كتاب هبوط ادم وافتراق العرب ونزولها منازلها كتاب نزول العرب بالسواد وخراسان كتاب نسب طي كتاب مديح أهل الشام كتاب حلف كليب وتميم وحلف ذهل وحلف طي وأسد كتاب تاريخ العجم وبني أمية كتاب المثالب الصغير كتاب المثالب الكبير كتاب مثالب ربيعة كتاب أخبار طي ونزولها الجبلين وحلف ذهل وثعل كتاب مداعي أهل الشام كتاب النوافل كتاب زياد ابن أبيه كتاب من تزوج من الموالي في العرب كتاب النشاب كتاب الجامع كتاب الوفود كتاب أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء

من ولدن كتاب خطط الكوفة كتاب ولاة الكوفة كتاب النساء النكد كتاب فخر أهل الكوفة على أهل البصرة كتاب تاريخ الإشراف الكبير كتاب تاريخ الإشراف الصغير كتاب طبقات الفقهاء والمحدثين كتاب كنى الإشراف كتاب خواتيم الخلفاء كتاب اشرف الكتاب كتاب حرس الخلفاء كتاب شرط الخلفاء كتاب قضاة الكوفة والبصرة كتاب عمال الشرط لأمراء العراق كتاب المواسيم كتاب أمراء خراسان واليمن كتاب تاريخ الخلفاء كتاب الخراج كتاب الصوائف كتاب الخوارج كتاب النوادر كتاب من روى عن النبي من أصحابه كتاب تسمية الفقهاء والمحدثين كتاب التاريخ على السنين كتاب سجل الجواهر كتاب إخبار الحسن ووفاته كتاب السمير كتاب إخبار

اليمامة البحرين الكوفة البصرة الشام الجزيرة مصر الأندلس واسط المدائن بغداد خراسان وكتاب الطبقات الصغرى وكتاب الحيل[١٨].

ثم أبي زكرياء يحيى بن معين بن عون بن زياد (ت، ٢٣٣هـ) سيد الحفاظ وأمام الجرح والتعديل[١٩] قيل عنه المديني (ت، ٢٣٤ هـ) لا احد من لدن ادم (عليه السلام) كتب من الحديث ما كتب يحيى بن معين[٢٠]، وله كتابان التاريخ والعلل[٢١]، الكتابان عملا على أساس مصطلح علم الحديث، أما كتاب التاريخ فقد جمعه أصحابه له من بعده ورتب على حروف المعجم وقد أضيف له وهذب منه، أما كتاب العلل فلم يصل ألينا سواء الجزاءين الأول والثاني[٢٢].

الفصل الثاني

مراحل التدوين التاريخي

في مدراس العراق في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة

ما أن استقر ت الخلافة العربية الإسلامية في عهد الخلفاء العباسين في بغداد وجعلت بغداد مركزا للخلافة العباسية حتى بدء التدوين يؤخذ شكله النهائي في كافة المجالات العلمية وخاصة التطور التاريخي، فبدء الاختصاص ودقة في التواريخ تظهر جليا في مؤلفات المؤرخين وخاصة بعد التراكم التاريخي الحاصل نتيجة الإنتاج التاريخي في القرنين الأول والثاني للهجرة.

شجع خلفاء بني العباس التدوين بكافة مجالاته، فالخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ – ١٩٣هـ) كان علامة وراوي للحديث النبوي الشريف حتى انه أمر علان الوراق[٢٣] بنسخ ما في بيت الحكمة له، أما الخليفة المأمون (١٩٨ هـ – ٢١٨ هـ) كان علامة فقيه لديه دراية في كافة المجالات العلمية حتى انه طور بيت الحكمة الذي أصبح مركز جذب لكل علماء الإسلام وكان(يعطي من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلا بمثل)[٢٤].

الفرس كتاب خطب المضرس بمكة والمدينة كتاب مقطعات الإعراب كتاب المحبر كتاب مقتل خالد بن عبد الله القسري والوليد بن يزيد ويزيد بن خلف بن عبد الله[٢٨].

<u>ويستنتج من ذلك:-</u>

١- انفتاح على التاريخ العالمي فهو يناقش في كتبه أخبار الفرس ثم ينتقل إلى خراسان وبعد ذالك يعود إلى أخبار الخلفاء ثم يعود إلى تاريخ العجم وبني أمية.

٢- يتكلم بكثرة عن المثالب.

٣- لديه إلمام عالي بالنسب فهو يذكر انساب القبائل العربية بتفاصيلها الصغيرة.

٤- استخدم أسلوب جديد في التاريخ فدرس التاريخ المحلي لمدينة الكوفة من كافة جوانبها، فكتب كتاب خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب فخر أهل الكوفة على أهل البصرة وبذالك يكون قد درس مدينة من كافة جوانبها العمرانية والإدارية والأثرية والقضائية والنسبية.

٥- استخدم كتب النوادر فهو استخدم كتاب النساء كتاب النوادر كتاب النشاب ... الخ.

٦- كان لديه تركيز على كتب التاريخ فألف كتاب التاريخ المرتب على السنين تاريخ الإشراف تاريخ الخلفاء تاريخ العجم وبني أمية.

٧- كان اهتمامه قليل بالسند والتدقيق برجاله، مما سهل دخول الأساطير والقصص الخرافية على الرغم من هذا كله إلا أن الطبري اعتمد عليه كثيرا في تاريخ الرسل.

٨- مؤلفاته التي تجاوزت الخمسين مؤلف تعطي رصيد للتاريخ العربي الإسلامي وان كان يشوب معظمهما الضعف والنحول.

ثم معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي (ت، ٢١١هـ) البصري النحوي اللغوي الإخباري كان لديه معرفة بالأدب والشعر علامة[٢٩]، وصفه الجاحظ (ت، ٢٥٥ هـ)

لم يكن في الأرض خارجي ولا جامعي اعلم بجميع العلوم منه[٣٠]، ووصفه ابن النديم (ت، ٣٨٤ هـ) له علم الإسلام والجاهلية[٣١].

إما كتبه فهي تتجاوز ١٣٠كتاب أكثر من النصف في اللغة والباقي في التاريخ والدين ويمكن أن تقسم كتبه إلى أربعة أقسام[٣٢]:-

القسم الأول المثالب والمآثر ... كتاب مآثر العرب كتاب مناقب بأهلة كتاب الموالي كتاب المثالب كتاب لصوص العرب كتاب فضائل الفرس.

القسم الثاني الفتوح ... كتاب فتوح الأهواز كتاب فتوح أرمينية كتاب خراسان كتاب السواد وفتحه.

القسم الثالث أيام العرب وإخبارهم ... كتاب مغارت قيس واليمن كتاب بيوتات العرب كتاب الأيام كتاب أيام بني يشكر كتاب بني مازن وأخبارهم كتاب الحمس من قريش كتاب الغارت كتاب القبائل.

القسم الرابع التاريخ العام ... كتاب خوارج البحرين واليمامة كتاب مروج راهط كتاب المجان كتاب مقاتل الفرسان كتاب مقاتل الأشراف كتاب الحمد وصفين كتاب مقتل عثمان كتاب أخبار الحجاج كتاب قصة الكعبة كتاب الأوس والخزرج كتاب قضاة البصرة كتاب مكة والحرم.

ثم نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي أبو الفضل العطار[٣٣] (ت، ٢١٢ هـ) سكن بغداد كان علامة بالإخبار وخاصة التاريخ الإسلامي فألف كتاب الغارات وكتاب صفين كتاب الجمل كتاب مقتل حجر بن عدي وكتاب مقتل الحسين بن علي (رضي الله عنهما)[٣٤].

عند التأمل في مؤلفاته نجدها تدور حول استشهاد الحسين والأمام على بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وهذا يدلل على انه لديه ميول نحو أحداث الأمام علي أو

أصحابه وهذا ما يقودنا إلى التطابق مع الذي يقولون بأنه لديه ميول مع أصحاب الأمام علي (رضي الله عنه).

ثم الأصمعي عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي أبو سعيد[٣٥]، (ت، ٢١٣- ٢١٦ هـ) البصري النحوي الإخباري كان ينشد الشعر علامة بالنسب[٣٦]، له مؤلفات كثيرة اغلبها في اللغة.

أما التي في الأخبار والأنساب والتاريخ العام فهي كتاب النسب كتاب الخوارج كتاب الفتوح كتاب النوادر كتاب تاريخ ملوك العرب الأولية، وان جميع هذه الكتب فقدت ولم يبق غير كتاب تاريخ ملوك العرب الأولية الذي اخذ عنه الطبري (ت، ٣١٠ هـ) في أخبار ذي قار أكثر من (١١) مرة[٣٧].

ثم العباس بن بكار أبو الوليد الضبي البصري[٣٨] (ت، ٢٢٢ هـ) أخباري معروف له أخبار الوافدين من الرجال من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان، واله اخبار الوافدات على معاوية وهما مخطوطتان صغيرتان لا تتجاوز ١٢ورقه وهما في المتحف الاسباني[٣٩].

ثم علان بن مقصود الشعوبي (ت، في أوائل القرن الثالث للهجرة) نزيل بغداد هو راوية عارفا بالإخبار والأيام والأنساب والمثالب والمنافرات ينسخ في بيت الحكمة للرشيد ثم للبرامكة ثم للمأمون[٤٠]، كان يطعن بنسب القبائل العربية حيث طعن بنسب أكثر من ٧٥ قبيلة عربية بما فيها قريش[٤١] قبيلة النبي محمد(صلى الله عليه وسلم).

أما كتبه كتاب الميدان في المثالب وكتاب الحلية وكتاب المثالب وهو يختص بمثالب القبائل العربية وكتاب فضائل كنانة وكتاب نسب النمر بن قاسط وكتاب نسب تغلب بن وائل كتاب فضائل ربيعة كتاب المنافرة[٤٢].

ويستنتج من ذالك:-

١- كان بارعا بالمثالب ولاشك أن نسبه الفارسي شجعه على ذالك حيث اظهر مثالب أكثر ٧٥ قبيلة عربية.

٢- لا تخلوا كتبه من معلومات جديدة في التاريخ العربي الإسلامي وخاصة وأنه كان ينسخ في بيت الحكمة للخلفاء والبرامكة وهما مركز قرار مهم للخلافة العباسية في وقتهم.

ثم القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد أبي عبيد (ت، ٢٢٤هـ) كان حافظا للحديث وعلله عارفا بالفقه واختلافاته أماما في القراءات توفي بمكة وهو حاجا[٤٣]، ولي القضاء على طرسوس[٤٤]، ثم على بغداد، له كتب في التاريخ منها كتاب الأموال الذي يعتبر هو وكتاب الخراج لأبي يوسف من أهم وأقدم

الكتب التي وصلتنا في معالجة التداولات والعملات النقدية الإسلامية وله أيضا كتاب النسب وكتاب الأمثال[٤٥].

ثم المدائني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف (ت، ٢٢٤- ٢٢٨هـ) هو علامة إخباري معروف[٤٦]، وهو مؤلف مشهور يعد أكثر المؤلفون أنتاجا في النصف الأول من ذلك القرن أذ تجاوزت كتبه ٢٥٠ كتابا وقد قسمها مرغليوث إلى عشر مجموعات حسب ما ذكره المؤرخ شاكر مصطفى[٤٧]، تضم كل مجموعة قسم من مؤلفاته وهي:-

١- في أخبار النبي، كتاب أمهات النبي كتاب صفة النبي كتاب أخبار المنافقين كتاب عهود النبي كتاب تسمية المنافقين.

٢- في أخبار قريش، مثل نسب قريش كتاب العباس بن عبد المطلب كتاب أخبار أبي طالب وولده ... الخ

٣- مناكح الأشراف وأخبار النساء، وجميعها في الدين.

٤- أخبار الخلفاء، كتاب من تزوج من نساء الخلفاء كتاب تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم كتاب حلى الخلفاء كتاب الخلفاء الكبير الذي ابتدأه من أبي بكر وختمه بالمعتصم.

٥- أحداث مهمة في الإسلام، كتاب الجمل كتاب النهروان كتاب الخوارج كتاب خطبة الأمام علي بن أبي طالب وكتبه إلى عماله كتاب أخبار الحجاج ووفاته وكتاب الدولة العباسية.

٦- أخبار الفتوح، كتاب فتوح الشام منذ أيام أبي بكر وحتى أيام عثمان كتاب فتوح العراق إلى أخر أيام عمر كتاب فتوح خراسان وأخبار أمرائها كتاب ثغور الهند كتاب أعمال الهند.

٧- الأخبار الغريبة، كتاب من نسب إلى أمه كتاب من سمي باسم أمه كتاب الخيل والرهان كتاب بناء الكعبة.

٨- أخبار التاريخ الشعري، مؤلفاته في الشعر واللغة.

٩- كتب في التاريخ الحضاري، كتاب قضاة أهل البصرة كتاب قضاة أهل المدينة كتاب ضرب الدراهم والصرف كتاب المدينة كتاب مكة.

١٠- كتب أخلاقية وجغرافية. منها مقالة في الكور وجبايتها.

ثم ظهر بعده زهير بن حرب بن أبي خيثمة (ت، ٢٣٤هـ) النسائي البغدادي العلامة الإخباري له من الكتب كتاب العلم وكتاب المسند[٤٨].

ثم مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت، ٢٣٣ او ٢٣٦هـ) نزيل بغداد وهو راوية وأديبا ومحدثا وشاعرا ونسابة له كتابان كتاب النسب الكبير وكتاب نسب قريش[٤٩]، يقول مصطفى كانا محتويات الكتب تلقي ضوءا خاصا على التحولات في الروابط القبلية وعلى التبديلات في خطوط

الأنساب[٥٠]، ويعطي الزبيري بالإضافة إلى ذلك أخبارا عن بعض الشخصيات الهامة في الجاهلية والإسلام.

ثم الحسن بن ميمون من بني نصر بن قعين البصري الإخباري له من الكتب كتاب الدولة وكتاب المآثر[٥١].

ثم خليفة بن خياط شباب العصفري[٥٢] (ت، ٢٤٠هـ) الحافظ من أهل البصرة شيخ الإمام البخاري له من الكتب كتاب الطبقات كتاب التاريخ كتاب طبقات القراء كتاب تاريخ الزمني والعرجان والمرضى والعميان كتاب أجزاء القران وأعشاره وأسباعه وآياته[٥٣].

ويعد كتاب الطبقات والتاريخ من أكثر الكتب رواجا من بين كتبه في العالم الإسلامي وخاصة وانه يحافظ على التسلسل التاريخي من جهة ومن جهة ثانية فمؤلفاته تعد من المؤلفات القديمة تاريخا.

الفصل الثالث

دراسة مقارنة بين مدرسة المدينة

ومدارس العراق في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة.

عند النظر إلى مدرسة المدينة ومدارس العراق نجد اختلافات كثيرة بين المدرستين فمدرسة المدينة منذ دخول القرن الثالث للهجرة بدأت تضعف في كافة المجالات على العكس من مدارس العراق بدأت تقوى تدريجيا في الحديث والتاريخ وكافة الميادين العلمية وخاصة وان هنالك رعاية للعلم بكافة صنوفه من قبل خلفاء بني العباس فعلى سبيل المثال أن الخليفة المأمون كان (يعطي من الذهب زنة ما ينقل من الكتب إلى العربية مثل بمثل)[٥٤] من كافة الحضارات إلى الحضارة الإسلامية وخاصة المترجمة منها.

مدارس العراق بدأت تنتج أنتاج تاريخا يفوق مدرسة المدينة ومدرسة مكة ومدرسة اليمن ومدرسة بلاد فارس كثيرا فعلى سبيل المثال علي بن محمد المدائني

احد رواد مدرسة العراق لديه ما يقارب ٢٥٠ كتاب ثلث تلك الكتب في التاريخ المتنوع مركزا على التاريخ الإسلامي وأبو عبيدة معمر بن المثنى فهو أيضا قد تجاوزه كتبه ١٣٠ كتاب نصفها في التاريخ والباقي في اللغة والهيثم بن عدي تجاوزت كتبه ٥٥ كتابا اغلبها في التاريخ والواقدي المنسوب في بعض الأحيان إلى مدارس العراق لأنه ولي القضاء في عهد الخليفة المأمون على بغداد فترة قليلة واقضي الثلاثين من عمره الأخيرة في بغداد تجاوز ٣٣ كتاب، وبذالك يكون مؤلفين مدرستي العراق قد جمعوا بين التاريخ واللغة والحديث النبوي الشريف.

ظهر في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة في مدارس العراق المثالب والنيل من الشخصيات العربية الإسلامية والقبائل العربية الكبيرة جدا حيث أنال علان الشعوبي من ٧٥ قبيلة عربية بما فيها قريش قبيلة النبي محمد (ﷺ)، ونال الهيثم بن عدي في كتاب المثالب من شخصيات أسلامية كثيرة، كما ولم تخلوا كتب أبي عبيد معمر من المثالب والتشهير بشخصيات الإسلامية العريقة حتى انه عندما توفى لم يخرج لجنازته الكثير ألا انه لم يسلم احد من تشهيره في زمانه[٥٥]، فيما كانت المثالب والتشهير مختفية في مدرسة المدينة.

انفردت مدارس العراق عن مدرسة المدينة فمدارس العراق أظهرت نوعا جديد من الدراسة المالية والإدارية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية فعلى سبيل المثال الهيثم بن عدي (ت، ٢٠٧هـ) درس الكوفة من الناحية الإدارية والقضائية والنسبية والعمرانية وبذالك يكون الهيثم بن عدي قد اختص بالتاريخ المحلي ليكن واضع اللبنة الأولى للتاريخ المحلي، أما القاسم بن سلام (ت، ٢٢٤هـ) درس في كتاب الأموال الأمور المالية والمصرفية والتداولات والعملات الإسلامية النقدية دراسة دقيقة وبذالك يكون القاسم بن سلام من الرواد الأوائل الذي درس الأمور المالية وهو بذالك يكون قد ضاف صبغة جديدة إلى التدوين التاريخي ليصبح التدوين التاريخي المالي ركيزة لا يمكن الاستغناء عنها في التاريخ الإسلامي.

أما الثقة وعدم الثقة في السند والرواية التاريخية في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة فان مدرسة المدينة بقت متمسكة بنظامها الذي ظهر في القرنين الأول

والثاني للهجرة الذي يؤكد على ثقة السند واتصاله من الراوي إلى الرواية معتبرتا احد شروط الروية التاريخية الأساسية مما ضيق دخول الأساطير الخرافية والقصص الإسرائيلية إلى التاريخ، أما مدارس العراق فتقبلت شروط السند وصحته ببرود قليل معللة ذالك البرود بان الحدث التاريخي يمكن النظر أليه من عدة جوانب وان العنعنة تتعب القارئ وتمله مما سهل دخول القصص الخرافية والروايات الإسرائيلية والاستطراد الممل إلى التاريخ الإسلامي.

أن اختصاص مدرسة المدينة كان يدور حول اتجاهين رئيسين أولهما مغازي وفتوح الرسول محمد (ﷺ) وثانيها وسير الصحابة والتابعين وربما تابعي التابعين، أما مدارس العراق فقد أظهرت لها عدة اتجاهات منها الانفتاح نحو التاريخ العالمي فالهيثم بن عدي (ت، ٢٠٧هـ) كتب تاريخ العجم وبني أمية وكتب إخبار الفرس، وكتب أبو عبيد معمر (ت، ٢١١هـ) كتاب فتوح أرمينية ونصر بن مزاحم (ت، ٢١٢هـ) كتب فتوح خراسان والمدائني (ت، ٢٢٤هـ) كتب ثغور الهند.

وكانت مدارس العراق قد سبقت مدرسة المدينة في التاريخ المحلي حيث أن الهيثم بن عدي (ت، ٢٠٧هـ) كتب عن الكوفة كل ما يدور حولها من الأمور العمرانية في عدة مؤلفات.

كانت مدارس العراق يشوبها التحزب إلى طائفة أو اتجاه معين فعلى سبيل المثال كان الهيثم بن عدي له ميول نحو الحسين بن علي (عليه السلام) ومن معه.

الخاتمة

يستنتج من خلال ذلك كله ما يأتي:-

١- ظهر بدء التدوين المحلي في مدارس العراق حيث ظهر الهيثم بن عدي عندما درس الكوفة وحذا حذوه مؤرخون كبار أمثال الازدي الذي كتب تاريخ الموصل في القرن الرابع للهجرة والخطيب البغدادي الذي كتب تاريخ بغداد في القرن الخامس للهجرة.

٢- ظهور التدوين المالي في بديات القرن الثالث للهجرة على يد القاسم بن سلام الذي يعتبر النواة الأولى للتدوين المالي.

٣- الإنتاج العلمي التاريخي في القرن الثالث للهجرة في مدارس العراق يفوق إنتاج مدرسة المدينة في ذالك القرن.

٤- ظهور المثالب ونيل من الشخصيات الإسلامية في مدارس العراق بكثرة فعلى سبيل المثال علان الشعوبي نال بكتاب المثالب من ٧٥قبيلة عربية بما فيه قبيلة قريش.

٥- بقيت مدرسة المدينة ملتزمة بالسند فيما تساهلت مدارس العراق بالسند.

٦- ضعف التدوين التاريخي في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة في مدرسة المدينة على العكس من مدارس العراق بداء يقوى أكثر فأكثر.

٧- التطور الحاصل في مدارس العراق راجع لسببين رئيسين أولهما تشجيع خلفاء بني العباس للتدوين وثانيهما الأرض الخصبة والرغبة الموجودة على ارض العراق.

هذا ما جهد عليه الباحث ومن الله العون والتوفيق.

الباحث

الهوامش

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منبع (ت، ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، الناشر دار صادر، بيروت (ت، بلا)، ج ٧ص٣٣٢ ؛ ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج، (ت، ٣٥٤ هـ) الفهرست، الناشر دار المعارف، بيروت(١٩٧٨م – ١٤٩٨هـ)، ج١ص ١٤٦؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت، ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت (ت، بلا)، ج٨ ص١٨٨.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ج١ص ١٤٦.

(٣) خليفة بن خياط، أبو شباب العصفري الليثي، (ت، ٢٤٠هـ)، التاريخ، الناشر دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق وبيروت(١٩٧٧ م – ١٣٩٧ هـ)، ج١ص١٣٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨ ص١٨٨.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص ١٤٦.

(٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت، ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الناشر المكتبة التوافقية (ت، بلا)، ج ١ ص١٥٤٦؛ ابن حجر، احمد ابن علي بن محمد (ت، ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعرف النظامية، طبعة٣، الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت (١٩٨٦م – ١٤٠٦هـ)، ج٣ ص٣٢٦.

(٧) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت، ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد البجاوي، طبعة ١، الناشر دار الجيل بيروت(ت، بلا)، ج١ ص ٦٥.

(٨) ابن حجر، لسان الميزان، ج ٣ ص٦ ٢٣.

(٩) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، الناشر دار الفكر، لبنان(ت، بلا)، ج١ ص١٧٨؛ التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة ١، الناشر دار الوعي ومكتبة دار التراث، حلب والقاهرة (١٩٧٧م – ١٣٩٧ هـ)، ج١ ص٣١١؛ ابن عدي، عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت، ٣٦٤)، الكامل في الضعفاء، تحقيق يحيى مختار غزاوي، طبعة ٣، ا لناشر دار الفكر، بيروت (١٩٨٨م –١٤٠٩هـ)، ج٦ ص٢٤١.

(١٠) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٢٤.

(١١) قمطر: القمطر ما يصان فيه الكتب، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان ناشروان، بيروت(١٩٩٥م – ١٤١٥هـ)، ج١ ص٥٦٠.

(١٢) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٢٤.

(١٣) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، طبعة ٢، الناشر دار العلم للملاين، بيروت(١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ) ج١ ص١٦٣-١٦٦.

(١٤) م. ن. ج١ ص١٦٣- ١٦٦.

(١٥) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٢٤.

(١٦) م. ن. ج١ ص١٤٥.

(١٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، طبعة ١، الناشر دار الفكر، بيروت (١٩٨٤م – ١٤٠٤ هـ)، ج٩ ص ١٦١؛ الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان كتب الستة المصنفة، تحقيق محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، طبعة ٤، الناشر دار البشائر الإسلامية، بيروت(١٩٨٦م –١٤٠٦هـ)، ج١ ص١٣٩.

(١٨) ابن النديم، الفهرست، ج ١ ص١٤٥؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة، ج١ ص١٣٩.

(١٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٣٥٤؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة، ج١ ص١٣٩.

(٢٠) م. ن. ج٧ ص٣٥٤.

(٢١) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص ٣٢٢.

(٢٢) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١ ص٢٠٧.

(٢٣) علان الوراق: هو علان بن مقصود الشعوبي (ت، في أوائل القرن الثالث للهجرة) كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، كان يطعن بالقبائل العربية، ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٥٣؛ مصطفى، تاريخ العربي والمؤرخون، ج١ ص١٩٥.

(٢٤) الصفدي، صلاح الدين خليل ابيك (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، طبعة ٢، الناشر مراتز شتايز(ت، بلا)، ج١ ص١٨٣٦.

(٢٥) ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (ت٣٥٤ هـ)، المجروحين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الناشر دار الوعي، حلب(ت، بلا)، ج ٣ص٩٢.

(٢٦) م. ن. ج ٣ص٩٢-٩٣.

(٢٧) ابن حجر، لسان الميزان، ج٧ ص٧٦.

(٢٨) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٤٥.

(٢٩) ابن حبان، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين احمد، طبعة١، (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ)، ج٩ ص١٩٦؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، طبعة١، الناشر دار الرشيد، سوريا(ت، بلا)، ج١ ص٩٤٥.

(٣٠) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١٣ص٢٥٢.

(٣١) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص٧٩.

(٣٢) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١ ص١٩٩-٢٠٠.

(٣٣) البخاري، التاريخ الكبير، ج٨ ص١٠٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣ص ٢٨٢؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، ٥٩٨ هـ)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، طبعة ١، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت(١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ)، ج٣ ص١٦٠؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٦ ص١٥٧.

(٣٤) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص ١٣٩.

(٣٥) الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق محمد عوامة، الناشر دار القبلة الثقافية الإسلامية، جدة (١٩٩٢م - ١٤١٣هـ)، ج١ ص٦٦٨؛ بن حجر، لسان الميزان، ج٧ ص٥٠٤.

(٣٦) ابن النديم، الفهرست، ج١ص ٨٢.

(٣٧) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، ج١ص ٢٠٠.

(٣٨) العقيلي، محمد بن عمر بن موسى (ت، ٣٢٣هـ)، الضعفاء الكبار، تحقيق عبد المعطي أمين، طبعة١، الناشر دار الكتب، لبنان(١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ)، ج٣ ص٣٦٣؛ ابن أبي حاتم، محمد بن إدريس الرازي (ت، ٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، الناشر دار أحياء التراث العربي، بيروت (٢ ١٩٥ م -١٢٧١هـ)، ج٦ ص٢١٦؛ ابن حبان، الثقات، ج٨ ص٥١٢؛ ابن عدي، الكامل في الضعفاء، ج٥ ص٥.

(٣٩) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، ج١ ص٢٠٥.

(٤٠) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٥٣-١٥٤.

(٤١) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، ج١ ص ١٩٥.

(٤٢) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٥٣-١٥٤.

(٤٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص٣٥٥.

(٤٤) طرسوس: بلد بالشام مشرفة على البحر، ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، الناشر دار الفكر العربي، بيروت (ت، بلا)، ج٤ ص٣٠.

(٤٥) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٠٦.

(٤٦) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، الناشر مكتبة المعارف، بيروت(١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ)، ج٥ ص٢٧٤؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير(ت، ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، الناشر مكتبة المعارف، بيروت(ت، بلا)، ج١٠ ص٢٩١.

(٤٧) التاريخ العربي والمؤرخون، ج١ ص١٨٥-١٨٩.

(٤٨) البخاري، التاريخ الكبير، ج٣ ص٤٢٩؛ بن النديم، الفهرست، ج١ ص٣٢١؛ الباجي، سليمان بن خلف بن سعد (ت، ٤٧٤هـ)، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق أبو لبابة حسين، طبعة١، الناشر دار اللواء، الرياض (١٩٨٦م -١٤٠٦هـ)، ج٨ ص٤٨٢.

(٤٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥ ص ٤٣٩؛ ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٦٠؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٧ ص٣٨٨.

(٥٠) التاريخ العربي والمؤرخون، ج١ ص ١٩٦.

(٥١) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص١٥٨؛ مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١ ص٢٠٥.

(٥٢) الذهبي، الكاشف، ج١ ص ٣٧٥ ؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة، ج١ ص١٣٩.

(٥٣) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص ٣٢٤.

(٥٤) الصفدي، الوافي بالوفيات ج١ ص١٨٣٦.

(٥٥) ابن النديم، الفهرست، ج١ ص ٧٩

Abstract

While transmission success from Al-madina Al-munawara to Iraq in reign of imam Ali Ibn Aby Taleb (consent god of him) after that to Demascus in reign of Moawya bn Aby Suffian after that to Baghdad in reign of Abo jaafer Al-Mansor untill began school of Al-madina decrease scientific production commonly,on reflex Al-sham school and Iraq school started scientific production increase specially notation of conversation of onal prophet and Islamic history.By successors,in that period Baghdad school bring scientists of Al-madina,Al-sham and faris schools until said about Baghdad in world mother.

And by urgent needed for dictinerate &conversation of prophet and pass tow century notation of prophet conversation,explaining and historical notation specially mixed the right to the fouls head to appearance of emams Al-jareh repairment which are historicans&conversation in same time example madaine,he is historical and one of emam Al-jareh repairment,Yahya bn moean, Ahmed bn hanble , Al-bokhary and Muslim &others of the best.

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ليبيا

(١٩٥١- ١٩٦٩)

م.م. عطية مساهر حمد العبيدي

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

التمهيد :

عكس ماكان يزعمه بعض المؤرخين، فإنَّ ليبيا لم تكن غائبة عن تاريخ المنطقة بل إنها قامت بحكم موقعها الجغرافي بدور حلقة الوصل بين شمال أفريقيا ووادي النيل، وبين البلدان الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وساحل البحر المتوسط.

وتبرز أهمية الموقع الحيوي الذي تحتله ليبيا ضمن الوطن العربي وأفريقيا كونه يشكل حلقة الوصل بين المشرق العربي والمغرب العربي، وبالنسبة للأوربيين فليبيا ومنذ القدم كانت بوابة أفريقيا، وهي تحتل شاطئاً من شواطئ البحر المتوسط يمثل على نحو ثلث سواحله الجنوبية، كما أنها تمتد عمقاً في الصحراء حتى تصل الى قلب أفريقيا ووسطها، ويتصف مناخها بالاعتدال، الأمر الذي زاد من أهمية الموقع الحيوية في عصر الطيران والتدريب عليه.

لم تختلف سياسية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ليبيا عن سياستها تجاه باقي دول المنطقة، وهي سياسة ذات أهداف حيوية وإقليمية وتجارية، وتتمثل الأهداف الحيوية في حدها الأدنى في منع استخدام أراضي ليبيا عسكرياً، ومنع استغلال مواردها خاصة النفط من جانب الاتحاد السوفيتي، بينما ركز الهدف الإقليمي على

تقليل احتمال نشوب حرب عربية مع الكيان الصهيوني، والإبقاء على تدفق النفط الليبـي الـى الأسـواق الغربيـة وبأسـعار منخفضـة، وحمايـة مصـالح شـركات الـنفط الأمريكية العاملة فيها والتي تستغل مايزيد عن (٩٠%) من نفط ليبيا والإبقاء على توجه الحكومة الليبية نحو الغرب الى المدى الممكن والحيلولة دون خضوعها لسيطرة قوة معادية والدفاع عنها ضد أي هجوم خارجي.

ظلـت تجـارة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـع ليبيـا تعكـس النفـوذ السياسـي الامبريالي والروابط الاقتصادية والامبريالية المستمدة من تأليفات مختلفة من المعونات الاقتصادية والقواعد العسكرية والاستثمارات النفطية، ومن هنا سوف يركز البحث على جوانـب سياسـة الولايـات المتحـدة الامريكيـة تجـاة ليبيـا والتقـارب الليبـي مـع مشـروع ايزنهاور وبحث الاتفاقية العسكرية بين ليبيا وادارة الولايات المتحدة الامريكية لعام ١٩٥٧، فضــلا عــن تنــاول الجوانــب الاقتصــادية بــين البلــدين لاســيما جانــب الاستثمارالنفطي منها.

أولا: بدايات التوجه الأمريكي نحو ليبيا

أدركت الولايات المتحدة الأمريكية الأهمية الحيوية للقارة الإفريقية، وما سيكون لها من دور في مصائر نظام الرأسمالية العالمي، ولهذا أخذت على عاتقها وضع دراسة جدية لرسم سياستها تجاه المنطقة، فحتى نهاية الخمسينات من القرن العشرين لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك قاعدة لسياستها الخارجية لمواجهة بلدان القارة الأفريقية، لكن سياستها كانت مبنية على أساس نظرية ملء الفراغ[١]، زاعمة بأنها قادرة على توجيه مجرى الأحداث في البلدان الأفريقية[٢].

انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبدايات الخمسينات سياسة واضحة اتجاه الشرق الأوسط، وذلك لما تشكله المنطقة من أهمية اقتصادية وإستراتجية اذ تمتلك عدد من دول الشرق الأوسط أضخم احتياطي من النفط العالمي، والذي تعتمد عليه معظم البلدان الأوربية والولايات المتحدة الامريكية، اما من الناحية الإستراتجية فتنظر الى المنطقة بأنها محور هام في المنافسة الايدولوجية بينها وبين الاتحاد السوفيتي[٣]، قسمت الولايات المتحدة الأمريكية الأقطار العربية حسب سياستها على ثلاثة أقسام:

أ- الدول الثورية: تشمل مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن، وتتميز هذه الدول بسياسة التحول الثوري وميلها الى التعاون مع الكتلة الشرقية (الاتحاد السوفيتي).

ب- الدول المحافظة: وتشمل ليبيا والكويت والأردن والمغرب والسعودية، وتتبع هذه الدول سياسة التطور والتقرب إلى الكتلة الغربية.

ج- الدول المحايدة: تشمل لبنان وتونس والسودان[٤]

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية في ليبيا أنها أكثر البلاد العربية استقراراً لاهتمامها او تركيزها على الشؤون الداخلية، وتفاديها الشؤون الخارجية، وعلى أساس ذلك شهدت المدة بين(١٩٥١حتى ١٩٦٩) تعاوناً كبيراً بين حكومتي البلدين، وكانت

الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على ربط ليبيا بعدد كبير من المعاهدات والإتفاقيات النفطية والعسكرية حتى تضمن السيطرة عليها[٥].

كانت النقطة الأساسية للتواجد الأمريكي أونقطة الانطلاق باتجاه علاقتها مع ليبيا تعود الى عام ١٩٤٣وذلك عندما منحت بريطانيا الولايات المتحدة الأمريكية الحق في استخدام مطار ايطالي قديم لاستغلاله اثناء الحرب بصفة مؤقتة، وكانت في بداية تداخلها في المنطقة تعتمد اعتماداً كلياً على بريطانيا الحليف القوي لليبيا، وقد اعلن الملك إدريس السنوسي(١٩٥١-١٩٦٩)[٦] أنه حليف بريطانيا، بل ابدى موافقته على تعيين موظفين بريطانيين في مختلف المؤسسات الليبية، وحصلت بريطانيا على امتيازات كثيرة حتى بدون عقد المعاهدات وبعد إعلان الاستقلال(في ٢٤كانون الاول ١٩٥١)، وقد وعدت بريطانيا بتقديم معونات مالية للادريسي فضلاً عن وعودها بضمان غطاء العملة المتداولة وسد عجز الموازنة، وقد أعطى هذا الدعم البريطاني مبرراً كي تمنح مستشاريها حق الإشراف على مالية البلاد وقد لوحظ خلال زيارة بعثة الأمم المتحدة عام ١٩٥٢ أن اكثر الموظفين في برقة من البريطانيين، وخضوع الحكومة الليبية للمستشارين الأجانب[٧].

أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تنظر الى ليبيا محور ارتكاز يجب التوغل فيه، وبدأت تظهر اتجاهات جديدة في السياسية الخارجية الأمريكية والعمل على ضرورة استخدام أساليب اكثر مرونة للتغلغل في ليبيا، وكان محور للسياسة المعتمدة في المنطقة يرتكز على ضرورة إنشاء نظام دفاعي إقليمي مرتبط بالمعسكر الغربي بشكل عام والحاجة إلى ضرورة العمل على تقوية المناطق التي يعدونها على مقربة من حدود الكتلة الشرقية[٨].

من تلك المناطق(المنطقة العربية) التي ظهرت فيها الاضطرابات مع نهاية الحرب العالمية الثانية، فسارعت الى إعلان ما عرف بمبدأ (ترومان) Truman[٩]،

ثم ازدادت الاضطرابات على اثر قيام دولة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، فوجدت الولايات المتحدة الأمريكية بان المنطقة معرضة للخطر الشيوعي، فسارعت الى إنشاء حلف شمال الأطلسي[١٠] عام ١٩٤٩ لمنع توطيد السيطرة الشيوعية، وحماية المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة.

كان الرفض المصري لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط سبباً في تعثر المفاوضات المصرية- البريطانية حول الجلاء عن مصر في الوقت الذي حرصت فيه الولايات المتحدة الأمريكية على توطيد وترسيخ وجودها في الشمال الإفريقي وذلك من خلال توقيع اتفاقية عسكرية مع الحكومة الليبية في يوم إعلان الاستقلال (٢٤ كانون الاول١٩٥١) تلك الاتفاقية التي حظيت بتصديق البرلمان الليبي عليها[١١].

إِنَّ السر وراء التمسك الليبي في تلك المدة بالغرب هي الحالة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد، فقد أكدت التقارير أن ليبيا فقيرة جداً وتعتمد على المساعدات الخارجية وعلى الاتفاقيات العسكرية مع القوى الأجنبية، ومعدل الإنتاج منخفض، مع حدوث جفاف حاد وان ٩٠% من السكان اميون[١٢].

تلك الأسباب كانت المسوغ أَمام صانعي القرار الليبي في تلك المدة التي دفعتهم لتقديم موطئ قدم للغرب كان الغرض منها الحصول على الامتيازات التي تؤدي الى رفع المستوى المعيشي للفرد الليبي، اما بالنسبة للغرب فان الموقع الحيوي لليبيا جعل منها نقطة جذب للقوى الغربية من جهة ونقطة للتأثر بالمد القومي من الجانب المصري المتمثل بالسياسية الناصرية من جهة ثانية[١٣] فبعد الإعلان عن ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢حدثت تغيرات في المنطقة وكان أبرزها تراجع الدور البريطاني وتقدم الولايات المتحدة الأمريكية على اثر تسلم إيزنهاور(١٩٥٣-١٩٦١)[١٤] رئاسة الولايات المتحدة الامريكية في(كانون الثاني١٩٥٣)، الذي ركز اهتمامه على منطقة الشرق الأوسط وتجلى ذلك من خلال بعثه وزير خارجية (جون فوستر دالاس) John

Fostet Dallas [١٥] الذي زار ليبيا وأكد أن حرية وأَمن العالم يكمن في أهمية الموقع الاستراتجي للمنطقة[١٦].

حاولت بريطانيا وضع حد لتحركات الولايات المتحدة الأمريكية فقد قامت بعقد معاهدة مع ليبيا في ٢٩ تموز ١٩٥٣في بنغازي واشتملت على سبع مواد واتفاقية عسكرية مؤلفة من ٣٥ مادة وثلاثة ملاحق، واتفاقية مالية مكونة من خمس مواد وكانت مدة المعاهدة (٢٠) عاماً، نصت على تحالف يقوم بين الطرفين سواء في الحرب او في أي نزاع مسلح، مقابل مساعدة مالية لليبيا، وقد أتاحت هذه المعاهدة التدخل في القضاء الليبي، والأمن والرقابة من قبل بريطانيا، فضلاً عن اشرافها على الميزانية الليبية، وقد قوبلت المعاهدة بمعارضة شديدة من القوى الوطنية الليبية[١٧].

امتازت العلاقات الليبية البريطانية خلال مدة حكم حكومة محمود المنتصر [١٨] الحكومة الوزارية الأولى (من ٢٤ كانون الاول ١٩٥١–١٨ شباط ١٩٥٤) بالتقارب ومحاولة ترسيخ العلاقات الى ابعد حد ممكن، الا ان تلك السياسية أخذت تتغير الى حد ما اثر تسلم مصطفى بن حليم[١٩] رئاسة الوزارة في (١١نيسان١٩٥٤) والتي تميزت ببناء علاقة صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، والتي لم تقتصر على المساعدات الاقتصادية بل لضمان مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لحل مشكلات ليبيا المعلقة مع فرنسا وايطاليا والدول المجاورة[٢٠]

بسبب سياسة مصطفى بن حليم قيدت ليبيا بتبعيتها الولايات المتحدة الأمريكية لقاء مساعدات مالية تقدر بنحو ٤٠ مليون دولارا تقسم على عشرين عاماً فضلاً عن أربعة ملايين دولارا لمدة ست أعوام(من١٩٥٤الى ١٩٦٠) على ان تكون الدفعات سنوية في شكل مشروعات تعدها لجنة ليبية أمريكية، ونالت مساعدة اخرى لتخفيف اثر الجفاف الذي اجتاحها وذلك بتقديم ٢٤ الف طنا من القمح تسلم حتى

نهاية عام ١٩٥٤، وقد نالت الاتفاقية المصادقة من قبل الحكومة في ٣١ كانون الأول ١٩٥٤[٢١].

كان البنتاغون ينظر الى القواعد العسكرية الأمريكية في ليبيا على أنها رأس الجسر لتنفيذ سياستها في المنطقة وكانت قاعدة (ويلوس) wheelus[٢٢] من أهم القواعد حتى بداية السبعينات، وبرزت هذه القاعدة أكثر عندما أغلقت الولايات المتحدة الأمريكية قاعدتها العسكرية في المغرب الغربي[٢٣] وكانت أهمية تلك القاعدة تكمن بأنها نقطة هامة من بين سلسلة القواعد المحيطة بالاتحاد السوفيتي[٢٤] وتمثل محطة عسكرية للتوقف في منطقة البحر المتوسط لضمان التفوق الجوي في المنطقة بين السعودية والمغرب اللتين توجد بهما قواعد عسكرية أمريكية من شأنها تسهيل عملية إنزال القوات للعمل في المنطقة وهي مركز للتدريب على المدفعية والصواريخ للسلاح الجوي الأمريكي في أوربا[٢٥].

كانت ليبيا ترى في القواعد العسكرية مورداً اقتصادياً مهماً ولم تنظر او تحاول مجرد التفكير بان تلك القواعد هي سيطرة مباشرة للولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا على بلادها، وإنما أخذت الجانب الاقتصادي بعين الاعتبار، وجدت بان تلك القواعد ستقوم بتوفير المساعدات الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة مثل توفير فرص العمل للعمال الليبيين وزيادة الطلب على بعض المنتجات الليبية، فضلاً عن الحصول على التأييد الدبلوماسي الأمريكي في القضايا الليبية الخارجية المعلقة مع فرنسا حول الحدود الليبية الجزائرية التي تمثل حدود حرجة لقربها من حقول النفط الجزائرية الصحراوية، كما أن فرنسا كانت تخصص مساعداتها لليبيا لولاية فزان لتزاول نوعاً من السيطرة غير المباشرة عليها[٢٦].

أن توقيع اتفاقية القواعد العسكرية في آب١٩٥٥ مع الولايات المتحدة أعطت ليبيا وسيلة ضغط على فرنسا حتى غيرت وضعها في فزان، والتي تم بموجبها حل مشكلة الحدود وتعهد الطرفان بعدم الإضرار بمصالح الطرف الآخر في المجالات الدولية مقابل مساعدة مالية تقدمها فرنسا لليبيا[٢٧].

أما مع الجانب الايطالي فقد طالبت ليبيا بتعويضات متنوعة منها نتيجة الأضرار التي أصابتها أثناء الحرب العالمية الثانية وعن الممتلكات المصادرة وعن الآثار التي نقلت الى ايطاليا منذ عام ١٩٣٤وكانت نتيجة تلك المطالب ان عقدت تسوية في كانون الأول عام ١٩٥٦ تم بموجبها تحويل كافة الحقوق في الأملاك الايطالية العامة والأملاك غير القابلة للتصرف للحكومة الليبية وان تتعهد ليبيا باحترام حقوق الرعايا الايطاليين وامتيازاتهم[٢٨].

على أساس المتغيرات التي شهدتها المنطقة وازدياد أهميتها أخذت الولايات المتحدة الأمريكية توطد نفوذها في ليبيا من خلال تقديمها عدداً من المشاريع والمعاهدات والاتفاقيات.

ثانيا: قبول ليبيا لمشروع أيزنهاور[٢٩]

تعددت البرامج التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية الى ليبيا والتي كانت تهدف من ورائها فرض السيطرة على المنطقة ومنع التغلغل السوفيتي اليها ولعل من اهم البرامج التي قدمتها هو مشروع أيزنها ور.

ففي ١٥ اذار ١٩٥٧ قام نائب الرئيس الأمريكي (ريتشارد نيكسون) Richard Nikson بزيارة ليبيا وأجريت مشاورات مع رئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم حول المساعدات الأمريكية ومشروع أيزنهاور وطالب الأخير بزيادة المساعدات الى ليبيا لقبول المشروع من حيث المبدأ وقال رئيس الوزراء الليبي.

((إننا مقتنعون ان هذا المشروع يهدف الى مساعدتنا وتحقيق استقلالنا في وجه أي محاولة للحد من الاستقلال أننا مثل الشعب الأمريكي نرفض الشيوعية الدولية لانها ضد معتقداتنا ومبادئنا، ومن حسن الحظ أن تأخذ الولايات المتحدة نظرة عميقة في مساعدتها للدول المتأخرة، ويعتقد بأنه في مساعدتها لهذه الدول تخدم الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وأننا نؤمن بهذه السياسية البعيدة المدى، ونشكر مساعدة الشعب الامريكي لتحقيق هدفنا القومي حتى نستطيع الوقوف كأطراف متساوية مع العالم الحر))[٣٠].

وقد رد نيكسون تعقيباً على ما قاله مصطفى بن حليم((إننا نقدر كثيراً ملاحظاتك الكريمة التي تلطفت بها بالنسبة الى سياسية الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة أشارتك الى مبدأ أيزنهاور المرتبط أرتباطاً مباشراً بقضايا البلاد. لقد تاثرت كثيراً بسبب تعرفك ياسيادة رئيس الوزراء الى حقيقة أساسية وهي ان مبدأ أيزنهاور إنما خطط لمساعدة البلاد على صيانة استقلالها لا للإساءة الى ذلك الاستقلال .. ولأقل بان هذه الحقيقة الأساسية تنطبق على جميع برامج المساعدة التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية .. باستطاعتي ان اوكد لكم انه من حيث الأيمان بمبدأ

استقلال الشعوب وحريتها والسلام للإنسانية فان قلوبنا وقلوب شعب ليبيا والشعوب الشبيهة بنا في العالم كله انما هي قلب واحد...ونحن نعرف انه عندما يهدد استقلال البلاد الاخرى، فإن استقلالنا نفسه يصبح مهدداً، ومن اجل ذلك نرحب بالفرصة التي أتيحت لنا للعمل معكم، وللعمل مع بلاد أخرى، لإقامة القوة اللازمة لتمكينكم من المحافظة على استقلالكم أمام أي نوع من الاعتداء))(٣١).

وبعد يومين من زيارة نائب الرئيس الأمريكي وصل الى طرابلس مستشار الرئيس (جميس.ب. ريتشارد) Jeams.B.Richard وجرت بينه وبين رئيس الوزراء الليبي مباحثات أسفرت عن التوصل الى اتفاق مستوحى من اقتراحات الرئيس أيزنهاور للشرق الأوسط وأهدافها واتفقا على وجوب العمل معاً لتطبيق خطة الشرق الأوسط المبنية على أساس القواعد التالية:

١- الدفاع ضد أي اعتداء من قبل القوى الشيوعية على المنطقة.
٢- تنمية قوات الأمن في الشرق الأوسط من اجل المحافظة على حريتها واستقلالها.
٣- تطوير النظام الاقتصادي وتقويته ليكون قادراً على الوقوف امام أي تحديات اقتصادية خارجية او داخلية.

واتفق الطرفان على ان الشيوعية هي مصدر الخطر الأساس الذي يهدد المنطقة وان سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لاترمي الى إقامة مناطق نفوذ او مراكز قوة خاصة في الشرق الأوسط، بل ترمي الى تقوية شعوب المنطقة بحيث يكونون قادرين على إدارة بلادهم وتم الاتفاق على أن ليبيا بحاجة الى مساعدة اقتصادية أضافية(٣٢).

وافقت ليبيا على مشروع أيزنهاور وكان رد الحكومة الليبية ان هدف ليبيا هو سعيها لضمان استقلالها، وانها دخلت في مشاريع مع القوى الغربية أكثر عمقاً في طبيعتها من تلك التي تدخل ضمن مشروع أيزنهاور وبالتالي أصبحت ليبيا تطبق

سياسة مكشوفة موالية للولايات المتحدة الأمريكية، وتلقت مبلغ سبعة ملايين دولار(٣٣) وبالتالي كان هنالك ارتباط وثيق بين حاجة ليبيا الى المساعدات الاقتصادية والفنية وبين قبولها المشروع.

أكدت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية على أهمية الحفاظ على ليبيا من خلال التقرير الذي قدم للرئيس أيزنهاور الذي جاء فيه اذا فقد الغرب مركز الإستراتيجية في شمال أفريقيا تماماً سيجد ان سيطرته على البحر المتوسط مهددة بصورة جدية... وان ليبيا تؤدي دوراً في منظومة الامن الغربية في المنطقة من خلال قيامها بدور الدولة العازلة بين الشرق الأوسط والمغرب كما انها تحمي ولو جزئياً المغرب من زخم القومية العربية الذي ينبعث من القاهرة... ومادامت ليبيا صديقة للغرب، فإنَّ الغرب يستطيع السيطرة على الشاطئ الجنوبي، وعلى جزء من شرق البحر المتوسط))(٣٤).

لقد تعارض قبول ليبيا لمشروع أيزنهاور مع الجهود العربية المبذولة لمساعدة الثورة الجزائرية والتي كانت في بدايتها وخاصة مصر التي كانت تدعم الثوار، وادى ذلك الى ضمور في العلاقات بين الدول الثورية وليبيا، ويوضح ذلك الدور الذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من جعل ليبيا دولة حاجزة لمنع تسرب المساعدات العسكرية لتحرير الجزائر، ومما يؤكد ذلك أيضاً ما قامت به قاعدة ويلوس بوصفها مصدر تهديد للحركات الثورية في إفريقيا(٣٥).

لقد عبر الرئيس أيزنهاور عن سياسته بالحفاظ على ليبيا وأشار بأنه طالما بقيت المملكة العربية السعودية وليبيا صديقتين حميمتين للولايات المتحدة الأمريكية فإنه لايمكن لمصر ان تستمر في علاقتها الوثيقة مع الاتحاد السوفيتي، كما انه من المؤكد لاتبقى في موقع الزعامة للعالم العربي(٣٦).

تمكنـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـن الإشـراف علـى وادي النيـل وقنـاة السويس من القواعد الليبية ومن الجدير بالذكر أن رئيس الحكومة الليبية عمل على الدفاع عن المشروع لتقوية مركزه لدى السلطات الأمريكية لدرجة أنه دعا الى الانتباه الى الانتقادات التي توجهها الصحافة العربية للمشروع[٣٧].

نستنتج مما تقدم أن أنظار ليبيا الى مشروع أيزنهاور كانت متجهة لتحقيق هدفين رئيسين هما:

١- تأكيد الانضمام الى المعسكر الغربي وخدمة السياسية الأمريكية في المنطقة.

٢- الحصول على المساعدات الاقتصادية.

ثالثا: الاتفاقية العسكرية الأمريكية عام ١٩٥٧

لم تكن اتفاقية عام ١٩٥٧ هي الاتفاقية العسكرية الأولى مع الولايات المتحدة الأمريكيـة الا أن التطـورات التـي شـهدتها السـاحة الليبيـة وطموحهـا بالحصـول علـى أسلحة لتطوير جيشها دفعها الـى توقيـع معاهدة ١٩٥٧، فعندما تـولى عبـد المجيد كعبار[٣٨] رئاسة الوزراء خلفاً لمصطفى بن حليم في ٢٦ مايس ١٩٥٧ شرع في إجراء مباحثات مع الحكومة الأمريكية لتوقيع اتفاقية عسكرية جديدة وفعلاً في ٣٠ حزيران ١٩٥٧ تم توقيـع المعاهدة وأوضـحت الحكومـة الليبيـة في مذكرتها التـي قدمتها الـى البرلمان للتصديق على المعاهدة أنها عقدت الاتفاقية بناءً على طلب منها للحصول على أسلحة للجيش ولانضمام ليبيا الى مشروع أيزنهاور ولم تعلن الحكومة الليبية نصوص تلك الاتفاقية لخطوره محتوياتها[٣٩].

كان الطلب المقدم لتسليح الجيش الليبي منذ عهد مصطفى بن حليم والراجح ان عبد المجيد كعبار قد أتم الاجرات المطلوبة لعقد تلك المعاهدة التي وقعت من قبل وزير الخارجية الليبي وهبي البوري و(جون تاين) John Thain السفير الأمريكي بطرابلس، تلك المعاهدة التي وجدت فيها الولايات المتحدة الأمريكية الفرصة لترسيخ

نفوذها وتقييد ليبيا والتي بموجبها عينت بعض رجالها العسكريين الذين التحقوا بالسفارة الامريكية في طرابلس لبحث مطالب ليبيا العسكرية[٤٠].

تضمنت الاتفاقية عدة بنود وهي:-

البند الاول:- المحافظة على السلم والامن الدولي:

حسب ميثاق الأمم المتحدة المدني الذي اوجب على جميع الأعضاء مسؤولية المحافظة على السلم والأمن الدوليين، أي أن الاتفاقية قامت لحفظ أمن ليبيا ضد أي عدوان خارجي، فأشارات المادة الثالثة الى انه يجب أن لاتفسر المعاهدة بما يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة وحق ليبيا في الدفاع الشرعي واستقلالها وسيادتها وتكاملها الاقليمي[٤١].

البند الثاني:- الدفاع المشترك

على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم المساعدة العسكرية الى ليبيا اذا ما تعرضت لاي خطر خارجي تلك المساعدة تكون مقرونة بطلب مقدم من الحكومة الليبية مقابل التزامات وتسهيلات تقدمها ليبيا، مع أن الأخيرة لم تكن واقعة تحت تهديد او عدوان خـارجي ولكن المقصـود مـن الاتفاقيـة هـو تهديـد مصـر، وبالتـالي فإنهـا تتعارض مع ميثاق جامعة الدول العربية، الذي يلزم الأعضاء بعدم اتخاذ سياسة متعارضة من شأنها أن تخدم دولة تتخذ موقفاً عدائيا من بعض الدول الأعضاء، وهو مايتعارض مع روح الميثاق، ومع ذلك عقدت ليبيا اتفاقية تهدف الى اخذ موقف معارض من دولة عربية عضو في الجامعة العربية[٤٢].

البند الثالث:- تقديم المساعدات

قيـام الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بتقـديم المسـاعدات الـى ليبيـا وفـق شـروط يحددها الطرفان حول المبادئ والظروف التي يتم على أساسها تقديم المساعدات وان هذا الالتزام مقيد بقرار من الامن المشترك او أي تشريع يتماشى مع هذا القرار حول تحديد وقت وكمية هذه المساعدات وذلك بعد تشاور الحكومتين حول الترتيبات اللازمة[٤٣].

البند الرابع: اقتران تقديم المساعدات بعدة شروط على ليبيا دون الزام الولايات المتحدة الأمريكية في المقابل لعدم تكافؤ الطرفين.

أ- تحديد استخدام المساعدات في المحافظة على الامن الداخلي وهذا يخدم الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على النظام القائم والذي يخدم سياستها، ولايتم استخدام المساعدات لأي غرض الا بعد موافقة الولايات المتحدة الأمريكية، ومعنى هذا أنه ليس لليبيا ان تستخدم هذه المساعدات لمساعدة دولة عربية إذ وقع عليها عدوان خارجي[٤٤].

ب- المحافظة على سرية الاتفاقات العسكرية والخدمات التي تدخل في نطاق هذه المعاهدة إلاّ ما يخصص منها للإعلام العام، واستمرار ملكية الولايات المتحدة الأمريكية لمواد المساعدات، وان توفر الحكومة الليبية العملة الليبية لتمويل عملية المساعدات وان تعفى جميع السلع والخدمات التي تدخل في نطاق المساعدة[٤٥].

البند الخامس:- تنص المادة الخامسة على قبول عدد من العسكريين من اعضاء البعثة الاستشارية للمساعدة العسكرية ويكون ضمن أختصاصهم ويتمتعون بصلاحيات مراقبة وتتبع سير تنفيذ احكام الاتفاقية ولهم حق الحصول على المعلومات والبيانات المتعلقة بذلك.

البند السادس:- أما المادة السادسة فتقضي بإلزام ليبيا بتوفير المواد الخام والسلع المصنوعة التي تحتاج اليها القوات الأمريكية التي تقوم بعمليات عسكرية في المنطقة[٤٦].

البند السابع:- أعطت المادة السابعة الحق للولايات المتحدة الأمريكية مراقبة تجارة ليبيا الخارجية خاصة مع الدول التي تهدد الأمن الدولي، ويعنى بذلك دول الكتلة الشرقية والهدف من ذلك تقليل التبادل التجاري بينهما، إذ أن تلك الدول عملت على توسيع نشاطها التجاري بعد أن فشلت في تنمية علاقاتها الاقتصادية

والسياسية مع ليبيا، كما عملت على الحد من تجارة ليبيا مع مصر التي أخذت بالزيادة[٤٧] وقد أشارت الاتفاقية الى انها اتفاقية مفتوحة وذلك باستمرار سريان أحكامها، وتنتهي بمرور عام على طلب يقدمه أحد الطرفين وهي بذلك تختلف عن الكثير من الاتفاقيات التي يحدد أجلها مسبقاً لطبيعتها العسكرية[٤٨].

صادق البرلمان على تلك الاتفاقية واثير موضوعها في عام ١٩٦٣ أثناء مناقشة الاتفاقيات الخاصة بالقواعد العسكرية، وقد بلغت المساعدات العسكرية التي تدفعها الولايات المتحدة الامريكية بموجب تلك الاتفاقية حتى نهاية عام ١٩٦٣ (٧,١٦٨.٠٠٠) دولار امريكي وقدمت في نفس العام طائرتين امريكتين من نوع (T.33)[٤٩] وقامت بالاشتراك مع بريطانيا في تسليح فرقة من الجيش الليبي، وتقديم عشر عربات مصفحة[٥٠] ألا أن التسليح لم يكن ذو أهمية وكان الهدف منة تقديم عرض بديل للعرض الذي تقدمت به مصر عام ١٩٥٥ لتسليح الجيش الليبي بعد أن أعلن رئيس الحكومة الليبية استعداده لقبول ذلك العرض ما لم تتقدم الدول الغربية بعرض مماثل[٥١].

على الرغم من النتائج الايجابية التي حصلت عليها ليبيا نتيجة المعونات والمساعدات الأمريكية التي أثرت في الدخل القومي الليبي خلال العقد الاول من الاستقلال الا أن تلك النتائج لم توازي ما قدمته ليبيا للقواعد الأجنبية على أراضيها من إنقاص لسيادتها الوطنية.

رابعاً استثمارات النفط

استطاعت المساعدات الأمريكية ان تحقق أهدافها بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وساعدت على بقاء الأوضاع السياسية على ما هي عليه لكن في الجانب الاقتصادي بقي دورها متواضعاً ولم يشهد المستوى المعيشي للفرد الليبي أي تحسن، وأخذت المساعدات تفقد أهميتها مع بداية الستينات لتحل الاستثمارات الأمريكية محلها في استغلال النفط.

تعود بدايات التنقيب عن النفط في ليبيا الى عهد الاستعمار الايطالي (١٩١١-١٩٤٣) ففي عام ١٩٣٠م تم العثور على النفط في سهل الجفارة ومصراته، لكن الكشف لم يثبت وجوده بكميات تجارية وقد وضعت شركة (أجب Agip) الايطالية برنامجاً للتنقيب، قسمت بموجبه الاراضي الليبية على ١٢ منطقة جيولوجية، واشير أن منطقة (سرت) تعد اكثر المناطق احتمالا لوجود النفط وقد بدأت الشركة بالحفر عام ١٩٤٠ واستمرت بعد ذلك الى ان اوقفت العمليات الحربية نشاطها دون ان تصل الى أي اكتشاف لنقص الخبرة وعدم ملائمة التجهيزات[٥٢].

أسست الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٣ إدارة تعنى بشؤون النفط يطلق عليها ((هيئة احتياطات البترول)) هدفها تنمية المصالح النفطية الأمريكية والدفاع عنها أينما تكون ووضع الخطط للحصول على الامتيازات في جميع أنحاء العالم[٥٣].

وفي عام ١٩٤٧ قامت شركة (ستاندارد أويل الأمريكية) بإعداد دراسة وأرسلت اثنين من خبراءها للقيام بمسح محدد في ليبيا، ألا أن الشركة لم تقدم على أي نشاط واسع نظراً لطبيعة الوضع السياسي في تلك المدة إذ منعت الإدارة الأمريكية الشركة من الاستمرار في عمليتها بموجب حظر من وزارة الطاقة والوقود البريطانية نتيجة لشدة المنافسة بين الشركات الأمريكية والبريطانية في أماكن أخرى من الشرق الأوسط[٥٤].

وفي ١٨ تموز ١٩٥٥ قسمت ليبيا على أربع مناطق رئيسة تعمل الشركات في إطارها وهي فزان وطرابلس وبرقة إلى قسمين ومن هنا بدأ عهد جديد بالتمسك بكافة الوسائل للحصول على الامتيازات وخاصة مع الزيادة الهائلة للنفط الليبي[٥٥].

واجهت الولايات المتحدة الأمريكية مشكلة كبيرة كانت سبباً في فشلها بفرض السيطرة المطلقة على البلاد وذلك من خلال تنامي الشعور العدائي المتمثل بالتيار الناصري ضد السياسة الاستثمارية النفطية الاستعمارية، وكان ذلك واضحاً من خلال تقارير السفير الأمريكي الى الحكومة الأمريكية التي توضح ان الشخص الأكثر شعبية في ليبيا هو الزعيم المصري جمال عبد الناصر(١٩٥٦-١٩٧٠)، وان احتمال وقوع انقلاب عسكري من قبل الناصريين في ليبيا وارد[٥٦].

فظهور النفط وبكميات تجارية يعني ان ليبيا لن تعتمد على الإعانات الأجنبية، ولكنها ستحقق ثروات ضخمة سيكون لها أكبر التأثير على مستقبل علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ففي عام ١٩٦٣ سجلت ولأول مرة في تاريخ استقلالها رصيداً تجارياً إذ كانت الواردات (٨٥.٣) مليون دينار ليبي والصادرات (١٣٣٥) مليون دينار، واذا ما قورنت الاجور التي كانت تدفعها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا مقابل استخدام الاراضي الليبية من أجل القواعد العسكرية في نفس العام(٦.٨) مليون دينار ليبي فإنه نسبة المقارنة تشير الى فارق كبير إذ تصل الى (١١%) وبذلك فإن سياسية تأجير الأراضي قد أصبحت غير معقولة واستهلكت نفسها من الجانب الليبي، أما الجانب الأمريكي فقد زادت لديه أهمية الحفاظ على القواعد العسكرية فضلاً عن الجانب العسكري والاستراتيجي، صارت تلعب دور المحامي عن مصالح الشركات الأجنبية[٥٧].

ذلك التغير السريع في تطور الواردات الاقتصادية الليبية سيكون عاملاً مساعداً لضرب المصالح الأمريكية واحتمال انجاح الانقلاب الأمر الذي استدعى من الولايات المتحدة الأمريكية تعزيز وجودها في المنطقة من خلال نشر شبكات التجسس بشكل واسع ودعم العمليات الرامية الى تثبيت ودعم نظام الحكم الموالي لها[٥٨]

امتاز عهد رئيس الولايات المتحدة الامريكية (جون كيندي) (١٩٦١-١٩٦٣)[٥٩] John.F.Kennedy بسياسة جديدة اذ اكد على ضرورة الاهتمام بمستقبل العلاقات مع إفريقيا، واخذ يرسل رسائل الى عبد الناصر توحي ببداية عهد جديد في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو المنطقة، إلاَّ ان الكيان الصهيوني حاول التاثير والايقاع بين كنيدي وعبد الناصر بحجة ان مصر تتبنى صناعة طائرات وصواريخ بواسطة علماء ألمان وعلى الرغم من تأكيد مصر بأنها لاتصنع الطائرات وإنما تحاول الحصول على التكنولوجيا التي تساعدها على تطوير صناعتها المستقبلية لكن ذلك الرد لم يمنع قلق الإدارة الأمريكية التي قررت تزويد الكيان الصهيوني بالأسلحة المطلوبة لتقويتها على حساب الدول العربية[٦٠].

كان جمال عبد الناصر يدرك مخاطر المخطط الأمريكي مما دفعه الى القيام بحملة دعائية ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، إذ طالب على اثر تداعيات المشروع الإسرائيلي بتحويل مياه نهر الاردن بضرورة تصفية القواعد والشركات البريطانية والأمريكية التي امتلأت بها ليبيا كونها خطراً يهدد مصر والبلدان العربية[٦١].

لقيت دعوة جمال عبد الناصر صدىً كبيراً لدى جموع الشعب الليبي والشعوب العربية، فقد كانت الشرارة التي فجرت سخط الشارع الليبي الذي تحول الى أدارة ضغط على النظام الحاكم وخرجت التظاهرات الطلابية والشعبية ضد الوجود الأجنبي في ليبيا، والتي على أثرها دعا مجلس الوزراء الى عقد اجتماع عاجل في يوم

٢٣ شباط ١٩٦٤، برئاسة محمود المنتصر وقد نتج عنه اذاعة بيان على الشعب الليبي جاء فيه:

((أنه وإن كانت بلادنا في فجر استقلالها قد اضطرتها ظروف معينة الى الارتباط باتفاقيات عسكرية الا ان ذلك لم ولن يحول بينهما وبين مشاركتها لإخوانها العرب في كفاحهم ضد الاستعمار والصهيونية ... وليس لدينا أي اتجاه في تجديد او التفكير في تمديد الاتفاقيات البريطانية والأمريكية وان القواعد في ليبيا لن تكون مهما كان الثمن مصدر عدوان على أشقائنا العرب اينما كانوا))[٦٢].

كما تقدم عدد من النواب بمشروع قانون الى مجلس النواب بإلغاء المعاهدة الليبية الأمريكية وأثناء مناقشة البرلمان قامت المظاهرات لتأييد مطالب الجلاء، وقدم الملك إدريس تنازله عن العرش (فيما يبدو انها مناورة قصد بها اختبار قوة الملك) وتشكلت لجنة برئاسة وزير الخارجية، وبدأت محادثاتها مع الجانب البريطاني في ٢٠ نيسان ١٩٦٤، والجانب الأمريكي في ٢٩ من نفس الشهر، واستمرت المفاوضات حتى اعلن رئيس الوزراء الليبي محمود المنتصر في ٢٢ آب من نفس العام بيانا ذكر فيه ان حكومتي بريطانيا وأمريكيا وافقتا من حيث المبدأ على الجلاء[٦٣].

على الرغم من استمرار المحادثات التي كانت مصحوبة بالمناورات من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ظل إلغاء المعاهدتين مجرد وعد وحبراً على ورق، كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدعم ومساندة الكيان الصهيوني، وأعلنت انها لن تقف مكتوفة الأيدي اذا تعرض الكيان الصهيوني لأي هجوم، وبالفعل ساندته في الحرب على مصر في حزيران عام ١٩٦٧[٦٤].

وكان رد فعل الجماهير الليبية ان خرجت في ثورة ضد الوجود الأجنبي وذلك لعدم تنفيذه لوعود، فأحرقت ممتلكات اليهود والمنشات الأمريكية والبريطانية وامتنع عمال النفط عن شحن الناقلات، ودعت نقابات العمال الناصرية الى الإضراب العام

في حقول النفط ومقاطعة السفن البريطانية والأمريكية، مما اجبر السلطات الليبية على استخدام قوة الجيش والشرطة لايقاف الإضراب وسد عدد من مكاتبها[٦٥].

وبالرغم من كل المحاولات الشعبية ظل المسؤولون الليبيون يناورون على مدار الوزارات التي تعاقبت، ونجد في نيسان من عام ١٩٦٨أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عملتا على إقناع ليبيا بتوقيع صفقة اسلحة بـ(١٥٠ مليون جنية استرليني مع الشركة البريطانية لصناعة الطائرات لبناء دفاع جوي في ليبيا، ويتمشى ذلك مع المصالح الأمريكية للوقوف في وجه المد الناصري وحماية مصالحها البترولية[٦٦].

كل تلك المحاولات لم تمنع الشعب الليبي من العمل السري وتوزيع المنشورات لمواصلة نضاله لإخراج المحتل وإنهاء تواجده في المنطقة، وكانت هناك بدايات او مؤشرات لحدوث تغير كبير في الساحة الليبية، وهو الأمر الذي حدث بظهور ثورة الفاتح من كانون الاول بقيادة معمر القذافي عام ١٩٦٩ ورافق تلك الأحداث أن وصل الى البيت الابيض رئيس جديد للولايات المتحدة الأمريكية (ريتشارد نيكسون)[٦٧] Richard Nikson (١٩٦٩-١٩٧٤) لتبدأ صفحة جديدة من العلاقات الليبية الأمريكية.

المصادر والمراجع

(١) نظرية ملء الفراغ: أفرزت الحرب العالمية الثانية عدة عوامل ساعدت الولايات المتحدة الامريكية على توسيع نفوذها في المنطقة منها استغلالها الصعوبات المالية لكل من بريطانية وفرنسا اثناء الحرب وفي السنوات الاولى منها استطاعت ان تزحزهما بشكل ملحوظ عن موقعيهما في ميدان التوظيفات الخارجية وكذلك اضطرار بريطانيا بيع قسم من هذه التوظيفات الى الولايات المتحدة الأمريكية للديون المتراكمة عليها خلال الحرب وهبوط القيمة الفعلية للباون الاسترليني بدرجة كبيرة ادى الى انخفاض القيمة الاسمية للتوظيفات البريطانية في الخارج مما اضطرها الى بيعها ايضاً تلك الاسباب مع السبب الرئيس للوقوف بوجه المد الشيوعي كانت نتاج سياسة ملء الفراغ التي اتخذتها الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة. ينظر:- رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، للفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ج٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٨-٦٠.

(٢) أندرية اوزاد فسكي، الولايات المتحدة الامريكية وافريقيا، ترجمة عماد حاتم، مركز البحوث والدراسات الافريقية، الجماهيرية الليبية الشعبية العربية الاشتراكية العظمى، ١٩٨٦، ص١٧.

(3) U.S. Department of State, Foreign Relations of United Stats 1949, Vol-b, Washington. DC:U.S. Coverment printing office, 1977, P.52.

(٤) محمد عمر الهمالي، العلاقات الليبية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية حتى قيام الثورة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص١٧٥.

(٥) مصطفى بكري، عملية الخيمة الخضراء، أسرار المؤمرات الأمريكية على ليبيا، مركز الفكر للدراسات والنشر، ط١، القاهرة ١٩٩١، ص١.

(٦) أدريس السنوسي(١٨٩٠-١٩٨٣)أحد افراد العائلة السنوسية التي حكمت في شمال أفريقيا، تم تتويجه ملك على ليبيا عام ١٩٥١بعد طرد الاحتلال الايطالي، كانت سياسته موالية للغرب وعقد مجموعة من الاتفاقات والمعاهدات مع كلاً من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، وخلع من عرشه على اثر قيام ثورة الفاتح في كانون الاول عام ١٩٦٩بقيادة معمر القذافي، المنجد في الأعلام، الطبعة السادسة والعشرون، دار العلم للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣١.

(٧) وثائق الأمم المتحدة، التقرير السنوي الثاني لمندوب منظمة الأمم المتحدة في ليبيا، التقارير الرسمية، الدورة السادسة، ص٤٨.

(8) Makghee, George: Envoy to the Midde World Adventure In Diplomacy,Newyork.1983,P374

(٩) مبدأ ترومان: لقد مثل ترومان عام ١٩٤٧، ذروة الكشف والاعلان عن الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وتطبيقاً لسياسته، اذ وجه(ترومان) رسالة الكونكرس الأمريكي ١٢/أذار/١٩٤٧أعلن فيها عن تصميم الولايات المتحدة الامريكية على تقديم المساعدات العسكرية الى حكومتي اليونان وتركيا، بهدف الوقوف بوجه النفوذ السوفيتي وقد اوضح بان سياسة الولايات المتحدة الامريكية هي تقديم العون للشعوب الحرة التي تقاوم الخضوع للنفوذ السوفيتي لقد كان حقيقية هذا المبدأ هي الحرب الاهلية في اليونان وعدم قدرة حكومة بريطانيا على دعم الملكية في وجه الشيوعيين، فاقدمت على طلب المساعدة من الولايات المتحدة الامريكية، رياض الصمد، المصدر السابق، ص

١٢٧-١٢٨؛ عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي، دراسات في تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ١٨١٥- ١٩٥٠، بيروت- بلا، ص٤٧٠-٤٧١.

(١٠) حلف شمال الاطلسي: على اثر اشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي وازدياد نفوذ الاتحاد السوفيتي في اوربا رات كل من فرنسا وانكلترا وبلجيكا وهولندة ولوكسمبورغ ان مصالحها تقتضي ان تتحالف عسكرياً للوقوف بوجه مايسمونه المد الشيوعي وقد تم ذلك في ميثاق بروكس ١٧مارس ١٩٤٨ ولكن تبين ان هذه الدول غير قادرة على حماية نفسها ضد الاتحاد السوفيتي دون مساعدة الولايات المتحدة الامريكية، فبدأت المفاوضات بين الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية والتي أنتهت بابرام معاهدة حلف شمال الاطلسي وتوقيعها في واشنطن ٤ ابريل ١٩٤٨، عمر عبد العزيز ومحمد علي القوزي، المصدر السابق، ص٤٥٨.

(11) Pelt. A: Libyan Independence And Vnited Nations London 1970.P.2.

(12) Mary; jane Deeb: Libyta`s foreign Policy in North Afrca, Oxford.1991,P29.

(١٣) محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٩ص٢٥٨.

(١٤) دوايت دي أيزنهاور: رئيس الولايات المتحدة الامريكية الرابع والثلاثون (١٩٥٣-١٩٦١) تميزت مدة رئاسته بانهاء الحرب الكورية، والمشاكل العنصرية الداخلية، كما شهدت تصاعد في الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا ١٩٦١. ينظر:-ديفيد

دابليوليش، الشرق الاوسط والولايات المتحدة، إعادة تقييم تاريخي سياسي، ترجمة احمد محمود، القاهرة ٢٠٠٥، ص١٧.

(١٥) ج.ف. دلاس: مستشار الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية قام برحلة عام ١٩٥٣شملت بلدان الشرق الأوسط وصرح بأَنَّ ((هذه المنطقة تملك موارد كبيرة جداً، تعتبر حيوية وهامة جداً لرفاهيتنا كالنفط، والمانغنيز، والكروم وغيرها من المعادن والثروات النادرة، فضلاً عن ان حوالي(٦٠%) من احتياطات النفط المستطلعة في الكرة الارضية موجودة في الشرق الأوسط)) أ.ي. أوسيبوف، التوسع الاقتصادي للولايات المتحدة الامريكية في الاقطار العربية، ترجمة هاني خليل، دمشق ١٩٨٢، ص٣٩-٤٠.

(١٦) مصطفى بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، القاهرة ١٩٩٢، ص٢٠٩.

(١٧) للمزيد من التفاصيل حول المعاهدة ينظر السيد عوض عثمان، العلاقات الليبية الامريكية (١٩٤٥-١٩٩٢) مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٤.

(١٨) محمود المنتصر: من قبيلة الكوافي العربية في مصراتة وكان لعائلته دور سياسي مهم إذ تبوأ اعضائها مناصب ادارية في فترة حكم القرمانليين والعثمانيين والايطاليين، ولد في عام ١٩٠٣واتم تعليمه في طرابلس وروما وتخرج من كلية الاقتصاد والتجارة بجامعة روما، وعين عام ١٩٣٦ مديراً لإدارة الأوقاف في إقليم طرابلس وكان ايضاً رئيساً للمدرسة الإسلامية العليا بطرابلس وكان عضواً في اللجنة التي وضعت الدستور الليبي وكان لعائلته علاقات طيبة مع السنوسين وقد كسب ثقة الملك وتقديره فقد اختاره رئيساً لأول حكومة بعد الاستقلال، أنجيلوا ديل بوكا، الايطاليون في ليبيا، ترجمة محمود التائب، ج٢، طرابلس، ١٩٩٥، ص٥٤٨.

(١٩) مصطفى بن حليم: ولد في الإسكندرية عام ١٩٢١واسرته جاءت من(زليطن) اصلاً لكن أباه من مواليد (درنه) وقد هاجر الى مصر عام١٩١١بعد الاحتلال الايطالي لليبيا تلقى مصطفى بن حليم دراسته في مدرسة فرنسية في الإسكندرية، ثم انتقل الى القاهرة لدراسة الهندسة والتقى وهو لايزال طالباً- بالأمير ادريس وكان حينئذ في المنفى وتعرف على إبراهيم الشلعي الذي كان يعمل امين سر الأمير واتيحت له العودة لليبيا عام ١٩٥٠ولعب مصطفى بن حليم دوراً هاماً في تبعية ليبيا للغرب للمزيد ينظر: مصطفى بن حليم، المصدر السابق، ص ١٧-٢٥.

(٢٠) مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نقولا زيادة، بيروت ١٩٦٩، ص٢٨٩.

(٢١) ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩، ترجمة وتقديم الدكتور عماد حاتم، ومراجعة الدكتور ميلاد المقرحي، منشورات مركز دراسة جهاد الدين ضد الغزو الايطالي لليبيا، ١٩٨٨، ص٤٣٣.

(٢٢) قاعدة ويلوس Wheelusسمحت بريطانيا للولايات المتحدة الامريكية من بإنشاء قاعدة في طرابلس عام ١٩٤٣ على اثر المساعدة التي قدمتها القوات الامريكية لدول الحلفاء بالوقوف ضد دول المحور وذلك مقابل مليون دولار سنويا، تدفعها الولايات المتحدة الامريكية للحكومة الليبية المؤقتة، وهو مبلغ ضئيل مقارنة بالمزايا التي كانت تجنيها الولايات المتحدة الامريكية، من وراء هذه الاتفاقية، اذ منحتها هذه الاتفاقية حق السيطرة الكاملة على الاجواء والمياه الليبية والاخطر من ذلك ان هذه الاتفاقية قد اتاحت للولايات المتحدة الامريكية بان تسمح لدول اخرى باستخدام القاعدة مع اعفائها من جميع الرسوم والضرائب ولايسري عليها القانون الليبي. ينظر:- زكي البحيري، الاتفاقيات الليبية -الامريكية حول

القاعدة العسكرية (١٩٥٤-١٩٧١) في كتاب بحوث مؤتمرات افريقيا وتحديات القرن الحادي والعشرين، ٢٧-١٩٩٧/٥/٢٩، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ص ١٩١-١٩٢.

(٢٣) في اواخر عام ١٩٦٣ اعلنت الولايات المتحدة الامريكية اغلاق قاعدتها العسكرية في المغرب والتي بلغت تكاليفها ٤٠٠مليون دولار بموجب الاتفاق الذي وقعه الرئيس أيزنهاور والملك محمد الخامس في عام ١٩٥٩، الا انها تمسكت بحقوق طائراتها بالتحليق فوق اراضي المغرب واحتفاظها لمدة سبع سنوات بسرية التدريب الخاص للابقاء على مركز كبير للمواصلات الحربية في سيدي يحيى على بعد ٥٠ ميلا شمال شرق الرباط كما استمرت في تشغيل قاعدتها البحرية السرية، التي تضم ١٧٠٠جندي لخدمة الاسطول السادس في ميناء القنيطرة. للتفاصيل ينظر:- ستيورات سميث، الاستعمار الامريكي في افريقيا، ترجمة عماد حاتم، ليبيا١٩٨٥، ص٣٣٦.

(٢٤) محمد عمر الهمالي، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٢٦) اندرية اوزافسكي، المصدر السابق، ص١٧١؛ علي شعيب، اسرار القواعد العسكرية في ليبيا، الدار الجماهرية للطباعة والنشر، طرابلس، ١٩٨٢، ص٢٢.

(٢٧) رفعت سيد احمد، العلاقات الليبية الامريكية، الطريق الى طرابلس، مركز القاهرة للكتاب والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٦.

(٢٨) محمد عمر الهمالي، المصدر السابق، ص١٤٥

(٢٩) مشروع ايزنهاور: كان مشروع ايزنهاور في صميمة ما هو إلاَّ حلف عسكري بكل ما ينطوي عليه الحلف من معان وذلك لأنه يمثل النواحي العسكرية، فهو

البديل لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط الذي رفض عام ١٩٥١، وهو ايضاً تكملة لحلف بغداد، القصد منه ان يبث فيه الحياة وإعادة الوجود، للمزيد عن تفاصيل المشروع ينظر صلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٥٣-١٥٤؛ جريدة الأهرام، ٦ أيلول ١٩٥٧؛ وثائق جامعة الدول العربية، تقرير الأمين العام الى مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده العادي السابع والعشرين، في آذار ١٩٧٥، ص ١٩٣-١٩٤.

(٣٠) عبد الحفيظ المنيار، الثورة الليبية والحركات العربية المعاصرة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٣٥.

(٣١) مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٣١٦-٣١٧.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٣١٨.

(٣٣) السيد عوض عثمان، المصدر السابق، ص٥٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٣٢-٣٥.

(٣٥) استخدمت القاعدة في التدخل العسكري في الكونغو ضد القوات الوطنية التي كان يقودها باتريس لومومبا من اجل استقلال الكونغو وخروجه من دائرة النفوذ الاستعماري الأوربي؛كهلان كاظم القبيسي، السياسية الأمريكية تجاه ليبيا ١٩٤٩-١٩٥٧مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٣، ص١٦١.

(٣٦) السيد عوض عثمان، المصدر السابق، ص٣٦.

(٣٧) كهلان كاظم القبيسي، المصدر السابق، ص١٦٢.

(٣٨) عبد المجيد كعبار:من مواليد مدينة طرابلس عام ١٩٠٩، من أصل تركي، وتعد عائلته من العائلات الكبيرة بمنطقة غريان التي كان لها دور بارز في الحركة الوطنية، وقد شارك أثناء حقبة الإدارة البريطانية في تأسيس حزب الاستقلال في طرابلس، واختير عضواً في الجمعية الوطنية التأسيسية وانتخب عضواً في

البرلمان، ثم أصبح رئيساً لأول مجلس نيابي بعد الاستقلال واستمر في هذا المنصب على نحو متواصل لم ينقطع عنه سوى مرتين الأولى عندما عين في ١٩٥٥/٤/٢٦ وزيراً للمواصلات ونائباً لرئيس الوزراء ثم أصبح رئيساً للوزراء في ١٩٥٧/٥/٢٦ عندما سحب البرلمان الثقة من وزارته واضطره لتقديم استقالته بسبب ما عرف بقضية فزان التي اتهمت فيها وزارته بالرشوة والفساد المالي: محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، دولة الاستقلال ١٩٥٧-١٩٦٣، ج١، بيروت بلا، ص٩.

(٣٩) حسين شريف، السياسة الخارجية الامريكية أتجاهاتها وتطبقتها وتحديثها(١٩٤٥-١٩٩٤) ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، ص١٤٤.

(٤٠) نازك زكي ابراهيم، ليبيا والغرب من (١٩٤٥-١٩٥٧) من الحرب العالمية الثانية حتى قبول ليبيا مشروع أيزنهاور١٩٥٧، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ جامعة عين شمس ١٩٨١، ص١٩٦.

(٤١) سامي حكيم، حقيقية ليبيا، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٧٠، ص١٣٤.

(٤٢) محمد عمر الهمالي، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٤٣) حسين شريف، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٤٤) سامي حكيم، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٤٥) نازك زكي ابراهيم، المصدر السابق، ١٩٦.

(٤٦) محمد عمر الهمالي، المصدر السابق، ص١٢٩

(٤٧) السيد عوض عثمان، المصدر السابق، ص٥٠.

(٤٨) سامي حكيم، المصدر السابق، ص١٣٥

(٤٩) دار الوثائق القومية المصرية، أرشيف وزارة الخارجية سري جدا، محفظة رقم ٤٥، رقم القيد٤٢ رقم الملف ١٠١/٤/٥ الطائرات الامريكية في قاعدة هويلس، ٨ يناير ١٩٥٨.

(٥٠) دار الوثائق القومية المصرية، أرشيف وزارة الخارجية سري جدا، محفظة رقم ٤٥، رقم القيد١٤٠ رقم الملف ١١/٥، الاتفاقية العسكرية بين ليبيا وأمريكيا ١٨يونيو ١٩٥٨.

(٥١) السيد عوض عثمان، المصدر السابق، ص٥٨.

(٥٢) مجلة غرفة تجارة وصناعة الكويت، النفط دراسة الصناعة فيه، العدد ١٢٢ لسنة ١٩٧٢، ديسمبر، ص٢٦.

(٥٣) صلاح العقاد، البترول وأثره في السياسة والمجتمع العربي، القاهرة، ١٩٧٣، ص٨٧.

(٥٤) أ. ي. أوسيبوف، المصدر السابق، ص٤٨؛ مجلة نفط العرب، اضواء على ازمة الطاقة، عدد يناير، ١٩٧٣، ص٣٦.

(٥٥) صلاح العقاد، البترول وأثره في السياسة والمجتمع العربي، ص٥٥.

(56) U.S. Depart ment of slate foragin Relation the Untied states ,1955-1957.

(٥٧) فوزي جرجس، السياسة الامريكية تجاه العرب (كيف تصنع ومن يصنعها)مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٥٨، ص٤٧.

(٥٨) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لبعبد الناصر، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، ط١، بيروت١٩٨٢، ص١٥٩.

(٥٩) جون إف كنيدي: رئيس الولايات المتحدة الامريكية الخامس والثلاثون (١٩٦١-١٩٦٣) وهو الذي اقر غزو خليج الخنازير في عام ١٩٦١ واجبر خروشوف على ازالة الصواريخ السوفيتية من كوبا ١٩٦٢واغتيل في دلاس

بولاية تكساس في ٢٢ نوفمر ١٩٦٣: ديفيد دبليوليش، المصدر السابق، ص١٨.

(٦٠) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، ص١٦٠.

(٦١) مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٣١٤.

(٦٢) المصدر نفسه، ص٣١٥.

(٦٣) سامي حكيم، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٦٤) جمال عبد الجواد، العلاقات الإسرائيلية الأمريكية (١٩٤٨-١٩٨٢) مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العددين (١٣-١٤) نيسان ١٩٨٥، معهد الأبحاث العربي، بيروت، ص٣٧-٣٨.

(65) Wright, John: Libya A modern Histor, Baltimore, 1982, P. 103

(٦٦) محمد عمر الهمالي، المصدر السابق، ص١٨٤.

(٦٧) ريتشارد إيم نيكسون: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثون (١٩٦٩-١٩٧٤) توصل الى الوفاق مع الاتحاد السوفيتي وهو المسؤل عن سحب القوات الأمريكية من جنوب شرق آسيا وهو أول رئيس أمريكي يزور الصين، وأول رئيس أمريكي يمنح إسرائيل مساعدة مالية قدرها ٣مليارات دولار، وقد استقال من الرئاسة في أغسطس ١٩٧٤ بعد فضيحة وتركيت، ديفيد دابليوليش، المصدر السابق، ص٢٠.

الأحزمة الخضراء وأهميتها في حماية المدن من العواصف الترابية ومكافحة ظاهرة التصحر
(مدينة تكريت حالة دراسية)

أ.م.د.محمود حمادة صالح الجبوري
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الجغرافية التطبيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص

التصحر ظاهرة بيئية خطيرة تهدد البيئة الطبيعية ومواردها الاقتصادية ومدنها وسكانها، كما ان هذه الظاهرة تاخذ اشكالا متعددة ولا تقتصر على جانب واحد، وانها اصبحت تهدد معظم دول العالم المتقدمة منها والنامية على حد سواء، ولا تقتصر ظاهرة التصحر على الأراضي الجافة وشبه الجافة بل تتعداها الى الأراضي المروية. وهذا البحث يتناول منطقة في محافظة صلاح الدين وهي مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين تلك المنطقة التي تمثل اكبر تركز سكاني على مستوى المحافظة. اذ بلغ عدد سكان مركز المدينة – الحضر (١٥٣٧٧) نسمة في تعداد عام ١٩٤٧ ثم (٥٣٧٨٥) نسمة في تعداد ١٩٧٧. وبلغ (١٢٤١٨٩) نسمة في تعداد ١٩٩٧ وقدر سكان المدينة حسب تقديرات عام ٢٠٠٧ بحدود (٢٩٨٣٩٤) نسمة منهم (١١٥٦٦٥) نسمة هم سكان مركز المدينة – الحضر[1].

ان هذه الأعداد من السكان تحتاج الى بيئة للسكن تتوفر فيها شروط البيئة الصحية، غير ان المدينة تعاني من مشكلة كبيرة وهي هبوب العواصف الترابية وما ينتج عنها من اثار بيئية تهدد صحة المواطن، وخاصة التي تهب على المدينة خلال

فصول (الربيع، الصيف، الخريف) بسبب سعة المناطق الشمالية للمدينة والتي هي بالأساس مكشوفة و خالية من الغطاء النباتي والسكني وهبوب الرياح في هذه المناطق مع قلة سقوط الأمطار والتي لا تزيد في معظمها كمعدل عن ١٥٤ ملم سنويا. وهو ما يساهم من تفاقم مشكلة التصحر وتعرض التربة للتعرية لاقل حركة للرياح الشمالية الغربية. وهنا لابد من ايجاد معالجات لمثل هذه الحالة أي مكافحة حالة التصحر والتصدي لها وان خير وسيلة لحماية المدن هو انشاء احزمة خضراء (مصدات للرياح) والتي تقوم بدور مهم في حماية المدن من الاتربة والتيارات الهوائية وكذلك تقلبات درجات الحرارة. كما انه بامكانها ان توفر البذور والثمار و لربما يمكن استغلالها كمناطق ترفيهية وسياحية. وكما يمكن ان تكون تجارية كصناعة الخشب وكذلك تنمية الثروة الحيوانية. وهنا سنحاول بيان اهمية مصدات الرياح (الأحزمة الخضراء) واثبات اهميتها في الحفاظ على التربة وحماية المدينة من العواصف الترابية. اذ ان هذه الاحزمة لها القدرة على مكافحة ظاهرة تعرية التربة بفعل حركة الرياح والحد من ظاهرة التصحر وخاصة اذا تجاوزت الرياح سرعتها الحرجة اذ تبلغ سرعة الرياح في منطقة الدراسة بحدود ٦م/ ثانية في شهر تموز في الفصل الجاف وخاصة في ظل الظروف المناخية السائدة في منطقة الدراسة. وبذلك وجدنا لزاماً تناول المصدات والاحزمة الخضراء التي تشكل اسهاماً كبيرا في التقليل من مؤثرات الأحوال المناخية، استناداً الى الدراسات العلمية لأثر المصدات في التقليل من مؤثرات سرعة الرياح ودرجات الحرارة المرتفعة على بيئة المدينة. وهنا لابد من مساهمة مؤسسات الدولة والافراد وخاصة الجامعة وكلية الزراعة، ومجلس المحافظة، وان تخصص مبالغ لتنمية الأحزمة الخضراء من مبالغ تنمية الأقاليم للمحافظة على المدينة وسكانها من اثر العواصف الترابية، وهذا الامر يتطلب جهود كبيرة لإنجاح مثل هذه الاعمال وخاصة الاهالي ووجود اختصاصين في هذا المجال.

مُقَدِّمَة

ان الحاجة الفعلية لقيام الاحزمة الخضراء في منطقة الدراسة يتأتى من خلال الضرورة اذ ان منطقة الدراسة تعاني من تفاقم ظاهرة التصحر ووجود اراضي صحراوية جافة تحيط بمنطقة الدراسة، والجغرافيون يرون انفسهم اكثر اهتماما بموضوع التصحر، كونهم اكثر عناية بالعلاقة بين البيئة الجغرافية والإنسان. وقد بينت الكثير من الدراسات العوامل المسببة لظاهرة التصحر سواءاً ما كان منها طبيعيا او ما كان منها بشريا، وفي بحثنا الموسوم ((الأحزمة الخضراء ‹ مصدات الرياح › ودورها في مكافحة التصحر وحماية بيئة المدينة)) سنعالج اثرا بيئيا الا وهو تعرض منطقة الدراسة الى هبوب العواصف الترابية ومدى اثرها على البيئة وكيفية حمايتها من خلال بناء حزام او احزمة خضراء تحمي المنطقة من العواصف الترابية التي تهدد المدينة وسكانها اذ اخذت هذه الظاهرة بالتزايد الشديد اذ تعرض العراق في عام ١٩٩١ بلغت (١٠٣) عاصفة ترابية ثم تدنت الى (١٦) عاصفة عام ٢٠٠٠[٢] ويبدو ان هناك علاقة بين العدوان على العراق عام ١٩٩١ وزيادة العواصف الترابية وذلك بسبب حركة القوات والقصف وانواع الاسلحة التي تم استخدامها من قبل دول العدوان على العراق.

ان مساحة الأراضي المتصحرة والمهددة بالتصحر في محافظة صلاح الدين تبلغ (٦٤٣٢٥٣١) دونم من مجموع مساحة المحافظة البالغة (٩٩٠٠٤٠٠) دونم وتشكل ٦٤.٩% من مجموع مساحة المحافظة[٣].

وقد بدأ الاهتمام بدراسة البيئة ومشاكلها في اوائل السبعينات من القرن الماضي عندما عقد مؤتمرالامم المتحدة حول البيئة البشرية U.N.Conference On The Human Environment في ستوكهولم في السويد عام ١٩٧٢ والذي

تمخض عنه ولادة برنامج الامم المتحدة للبيئة[٤]. وهنا لابد من التذكير بان من حق الانسان ان يعيش في بيئة ملائمة خالية من الملوثات له ولاسرته تحقق العيش السعيد. واذ لابد من التأكيد على المنافع التي يمكن ان يحققة هذا البحث لايجاد بيئة مناخية صالحة للاستقرار السكاني وهو ما يترتب عليه الاهتمام بهذا الموضوع من قبل الدولة ومؤسساتها ودوائرها البلدية والزراعية والموارد المائية لمعالجة ظاهرة التصحر بأستخدام هذا الاسلوب وذلك لمعالجة هذه الظاهره والحد من تفاقمها وتجنب اخطارها البيئية، وكذلك المحافظة على التربة من التعرية الريحية وانجرافها وبذلك لابد ان يدخل التخطيط كأساس للعمل البحثي، لان الظاهرة المدروسة هي ظاهرة تحتاج الى التخطيط لمعالجة المشكلة التي تعاني منها المدينة، من خلال الاجراءات والتدابير اللازمة والتي يمكن استخدامها لمعالجة ظاهرة التصحر التي انعكست اثارها على المدينة من خلال العواصف الترابية وبالشكل الذي يجعلها اكثر ملائمة لعيش السكان والحفاظ على صحتهم وتوفير مناطق الراحة والاستجمام في مناطق الأحزمة الخضراء والتي يمكن استخدامها حتى للأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية[٥]. وهو ما حصل في العديد من دول العالم لتطوير الزراعة وصناعة الأخشاب وغيرها. عسى ان نوفق في هذه البحوث الميدانية خدمة لتطبيق مبدأ الجامعة في خدمة المجتمع وتعشيق الجامعة مع المجتمع. علماً ان هذا البحث هو ميداني من خلال المعايشية اليومية للمدينة والمشاهدات الميدانية لظاهرة العواصف الترابية والغبارية الهابة على مدينة تكريت ومايترتب عليها من اثار بيئية وصحية.

هدف البحث (Research Obgective)

يهدف البحث الى زراعة حزام اخضر شمال مدينة تكريت وذلك لمقاومة العواصف الترابية والتي سببها تفاقم ظاهرة (التصحر)، اذ ان المنطقة الشمالية والشمالية الغربية للمدينة مهيئة ومهددة بظاهرة التصحر وتعاني منها فعلياً والتي تزداد بشكل واضح من خلال الصور الفضائية والخرائط اللاحقة، وان هذا الحزام سيقوم بحماية المدينة من العواصف الترابية والغبارية والتي تهب على المدينة وخاصة في السنوات الاخيرة التي ازدادت فيها العواصف بسبب عوامل الجفاف وكذلك الاثار المدمرة للبيئة بسبب الاحتلال للعراق من قبل القوات الغازية وما تفعله من تدمير للبيئة وغطائها الحيوي والبايولوجي. كما انه من الممكن ان يكون هذا الحزام منطقة ترفيهة او متنفس لسكان المدينة وهو يمثل رئة المدينة المزدحمة بالسكان.

مشكلة البحث (Research Question)

تحدد في مجموعة أسئلة ما هو واقع المدينة؟ ماهي الظروف المحيطة بها؟ أين تقع؟ هل انها تعاني من مشكلة هبوب الرياح وسرعتها؟ ماهي السبل؟ هل هناك مؤهلات متاحه لإنشاء مثل هذا الحزام من حيث المكان، الموارد المائية، الأيدي العاملة، الكلف.

فرضية البحث (Research Hypothesis)

يمكن تحديدها بحقيقة مفادها ان الأحزمة الخضراء تعد من الانشطة المهمة والأساسية في معالجة ظاهرة التصحر، والحد منها وحماية المدن من مشكلة التصحر والعواصف الترابية الهابة على المدينة. اذ ان سطح منطقة الدراسة يسوده الأنبساط العام ومفتوحة امام الرياح مما يساعد على زيادة سرعة الرياح ومن ثن زيادة التعرية الريحية التي تعمل على تعميق مظاهر التصحر، وهذا ما يتطلب ضرورة صياغة توجهات مستقبلية تساهم في انشاء مثل هذه الأحزمة والتي كان قسما منها موجود في (منطقة العوجة) جنوب تكريت ولكن تم تجريفها من قبل قوات الاحتلال لدواعي امنية.

منهج البحث (Research Methodology)

لغرض وصول البحث الى اهدافه والتحقق من صحة فرضيته تم الأعتماد على المنهج التحليلي الميداني والمعايشة اليومية لمنطقة الدراسة مع اعتماد البيانات المناخية التي تدخل ضمن مسببات التصحر.

هيكلة البحث (Structure Research)

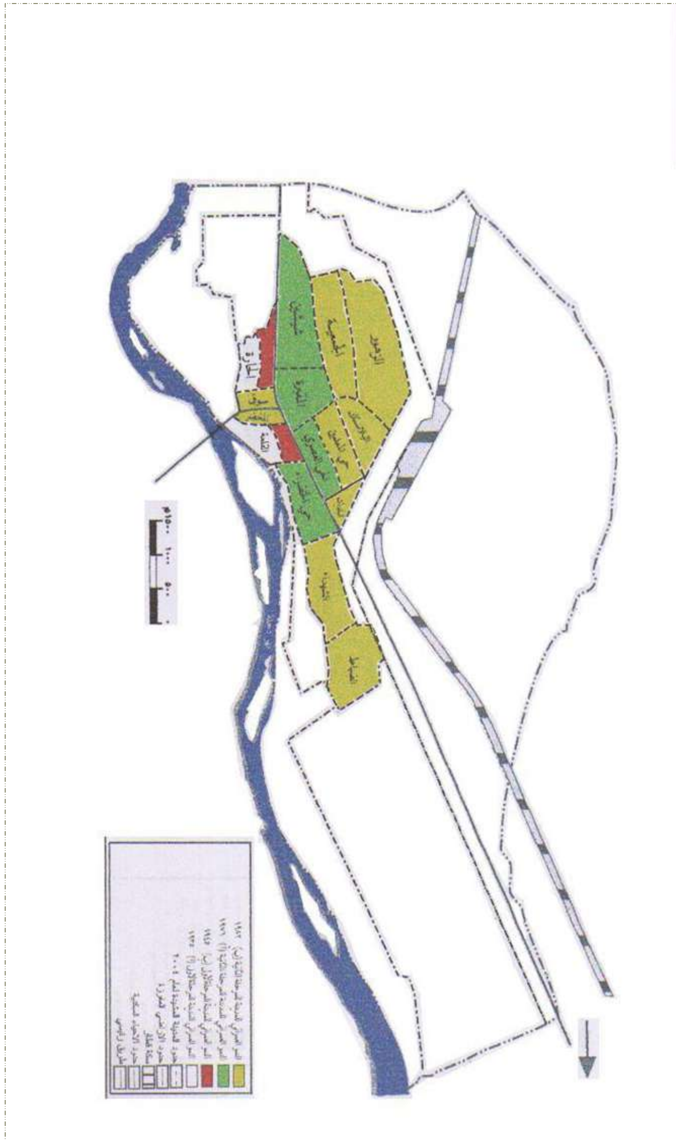
فقد تطلب الوصول الى غاية البحث تقسيمة الى المحاور الآتية: تعريف مفهوم التصحر، الأحزمة الخضراء وتعريفها، انواعها، حاجة المدينة الى الاحزمة الخضراء ومصدات الرياح، المناخ، مبررات انشاء الحزام، تصميم الحزام، طرق زراعة الأحزمة، مميزات وفوائد الاحزمة الخضراء، المناطق المقترحة للاحزمة في منطقة الدراسة، الاستنتاجات والتوصيات، المراجع والمصادر.

حدود منطقة الدراسة

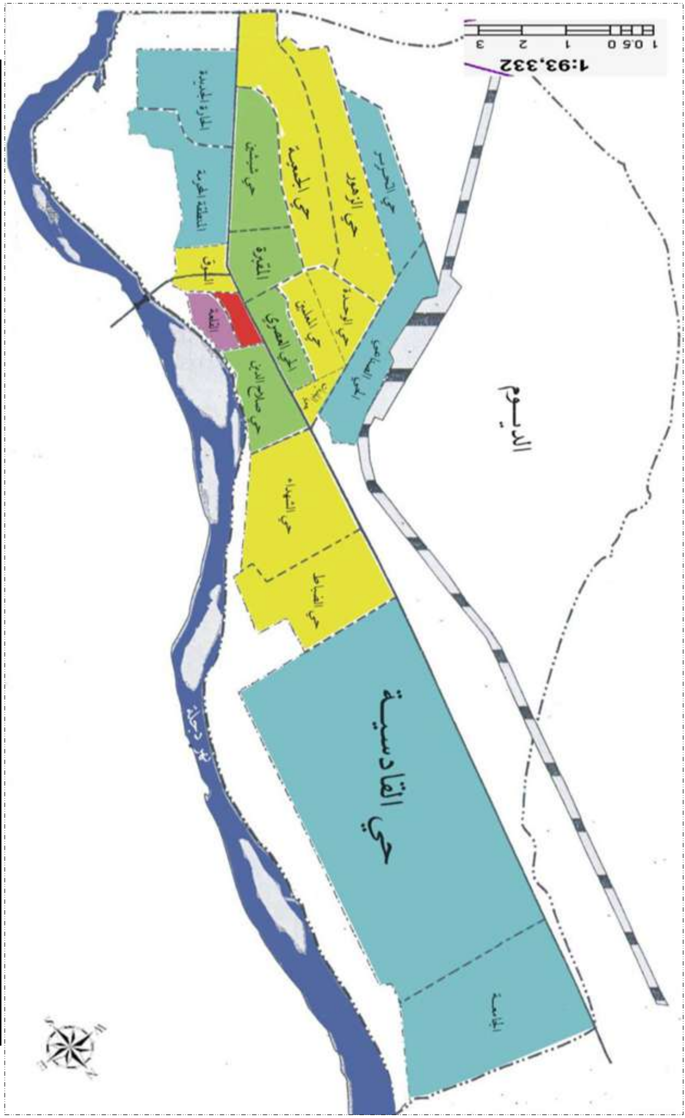
يتحدد البعد المكاني لمنطقة الدراسة لمجمل مساحة المدينة حسب التصميم الاساسي للمدينة وحسب مراحله الزمنية التي يغطيها التصميم الأساسي النافذ الذي اعد في عام ١٩٨٣ لغاية عام ٢٠٠٥ ومنطقة الديوم التي تم اضافتها الى التصميم الاساسي للمدينة عام ٢٠٠٧ كما موضح في الاشكال، رقم (١)، (٢)، (٣) والتي تمتد من وادي شيشين جنوبا الى سياج جامعة تكريت شمالاً ومن الطريق السريع غربا الى الضفة اليمنى لنهر دجلة شرقا وكذلك داخل المدينة.

تقع مدينة تكريت فلكيا بين دائرتي عرض ٤٥.٥ ٣٤ْ ٣٤ من جهتها الشمالية و٠٧ ١٨ ٣٤ْ من جهتها الجنوبية وبين خطي طول ٣٧ ٤٨ ٤٣ْ من جهتها الغربية و ٢٣ ٤٧ ٤٣ْ من جهتها الشرقية خريطة (١). لذلك فان موقعها تحدد ضمن المناطق شبه المدارية الحارة التي كان لها الدور البالغ على نوع المناخ السائد فيها وانواع الحياة النباتية سلبا وايجابا[٦]. كما ان موقع الفتحة شمال المدينة يساعد على مرور الرياح باتجاه المدينة قادمة من الغرب وانها تمثل منطقة حدية بين الاقليم شبه الجاف والاقليم الجاف الصحراوي الحار، الا ان الصفات المناخية السائدة في المدينة اقرب الى الاقليم الصحراوي[٧].

شكل رقم (١) التصميم الأساسي لمدينة تكريت للفترة ١٩٧٢ – ١٩٨٣

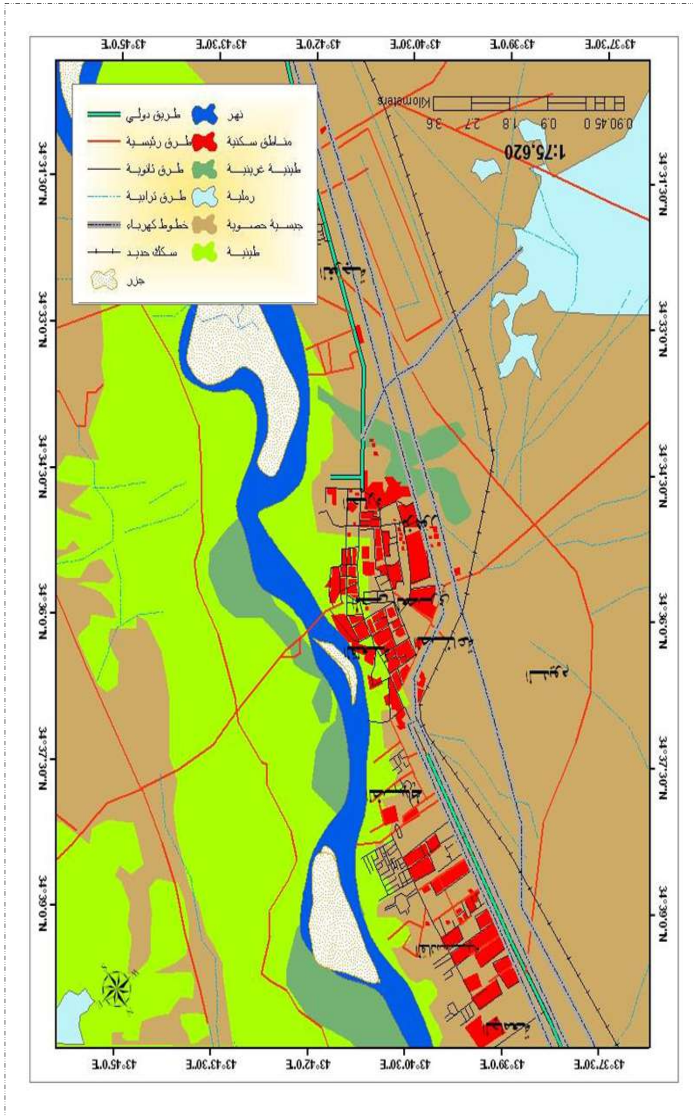


المصدر // من عمل الباحث اعتمادا على خريطة التصميم الأساس لمدينة تكريت لعام ١٩٨٣
د. خالص حسني الأشعب، التخطيط الحضري لمدينة تكريت في العصر الحديث، موسوعة مدينة تكريت ج ٤، ص ١٧٢ (بتصرف)



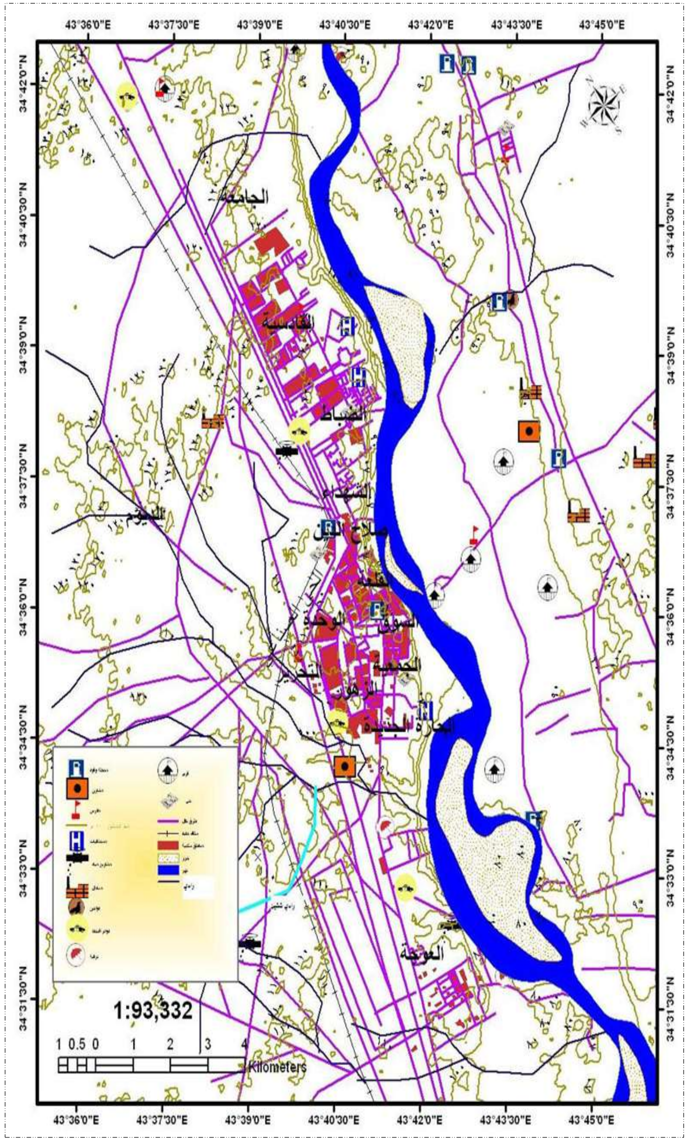
شكل رقم (٢) التصميم الأساسي لمدينة تكريت ٢٠٠٥

المصدر // من عمل الباحث اعتمادا على خريطة التصميم الأساسي لمدينة تكريت لعام ٢٠٠٥



شكل رقم (٣) التصميم الأساسي لمدينة تكريت ٢٠٠٧

المصدر // من عمل الباحث اعتمادا على خريطة التصميم الأساسي لمدينة تكريت لعام ٢٠٠٧



خريطة رقم (١) احدود منطقة الدراسة

المصدر // من عمل الباحث اعتمادا على الصور الفضائية

التصحر

تعد مشكلة التصحر من اهم المشكلات التي تواجه البيئة في العصر الحديث وينتج التصحرعن اختلال التوازن البيئي بين الانسان والبيئة. وقد اشار مؤتمر التصحر في نيروبي عام ١٩٧٧ ان التصحر عملية بشرية وان الانسان صانع التصحر، وهو ما يطلق عليه صحراء الانسان Desert Mans[٨] وكان Aubreville هو اول من استخدم كلمة تصحر Desertification عام١٩٤٩[٩] وهي كلمة فرنسية الاصل، وكذلك الفاو FAO هي اول من استخدم لفظة تصحرمن بين الوكالات الدولية سنة ١٩٦٢. وقدم لوهيرو اللفظ الاصطلاحي تصحر Desertification[١٠] ليقتصر على الأراضي الجافة غير ان لفظة تصحر اعم واشمل ولذا نجدها تضم مناطق اخرى خلاف تلك المناطق.

اما دريجن Dregne فأتخذ تعريفا اصر عليه في عدد من بحوثه (انظر١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٦) وهو افضل تعريف ممكن – على ما يبدو لي – لانه يضم اغلب الاعتبارات وثيقة الصلة بالموضوع فهو يعرفه على هذا النحو:

التصحر هو عملية اضمحلال الانظمة البيئية الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة نتيجة للتاثيرات المشتركة بين انشطة الانسان والجفاف، وانه عملية التغيير في هذه الانظمة البيئية والتي يمكن قياسها بانخفاض الانتاجية للنباتات المرغوبة والتغيرات في الكتلة الحيوية Biomass وتنوع الغطاء النباتي والحيواني سواء على نطاق ضيق او واسع وتزايد تدهورالتربة وتزايد الاخطار التي تهدد السكان[١١].

وعرف التصحر بانه التدهور الكلي او الجزئي لعناصر الانظمة البيئية، ينجم عنه تدني القدرة الانتاجية لأراضيها وتحولها الى مناطق شبية بالصحراء، بسبب الاستغلال المكثف لمواردها من قبل الانسان وسوء اساليب الإدارة التي يطبقها، فضلا عن التأثيرات السلبية للعوامل البيئية الاخرى غير الملائمة وخاصة عوامل المناخ

الجاف[١٢]. وهذا ما ينطبق على منطقة الدراسة من حيث الجفاف. كما سنلاحظ ذلك في متن البحث ولقد تم إزالة الحزام الأخضر الموجود في جنوب مدينة تكريت وازيل بسبب ظروف الاحتلال للعراق بعد عام ٢٠٠٣ وما ينتج عنه من تدمير بيئي لمنطقة الدراسة وعموم العراق.

والتصحر هو الاصطلاح الذي يعبر عن درجة معينة من الاختلال في توازن العناصر المختلفة المكونة للنظم البيئية وتدهور خصائصها، وهنا يأتي التدهور البيئي الذي تتعرض له مدينة تكريت بسبب عوامل الجفاف وتكرار العواصف الترابية الهابة عليها مما يؤثر بشكل سلبي على المدينة وسكانها وهو ما يتطلب البحث في اسباب هذه الظاهرة وكيفية معالجتها وايجاد الحلول المناسبة لها من الاساليب العلمية التي تساهم في تخفيف معاناة المدينة ذات الكثافة السكانية الكبيرة.

مبررات واهمية الدراسة والامكانيات المتاحة لاقامة الاحزمة الخضراء

من اجل اعطاء الموضوع حقه، لابد من امعان النظر الى الظروف الطبيعية المحيطة بمنطقة الدراسة والضوابط المناخية التي تشكل الوسط الجغرافي الذي يشكل بيئة المدينة وعند إخضاع المعلومات التي امكن الحصول عليها للدراسة والتخطيط ووضع السبل والامكانات عند ذلك يمكن تحقيق هدف البحث. كما ان تشريع القوانين التي تساهم في انشاء الاحزمة الخضراء وحماية المدن ستساهم في تحقيق الهدف ونرى ان هناك مبررات موجبة لهذا الموضوع. اذعند ملاحظة الخريطة الطوبوغرافية لمنطقة الدراسة يتبين انها عبارة عن اراضي مستوية خريطة (٢) والصورة الفضائية(١)، إذ تقع مدينة تكريت في منطقة بينية مابين المنطقة المتموجة التي تقع في اقصى طرفها الشمالي وبين السهل الرسوبي جنوباً اذ يمتاز سطحها بكثرة التلال والوديان والشعاب والاخاديد[١٣]. ويرتفع سطحها عن ١١٠م فوق مستوى سطح البحر ويكون انحدار ارضها من الغرب الى الشرق أي باتجاه نهر دجلة وتساير الاودية

الموجودة فيها هذا الانحدار، مثل (وادي شيشين في جنوبها عند بداية الحزام الاخضر وكذلك القائم، الزلة، خر الطيرفي شمالها ووادي الخر) الذي يخترق المدينة القديمة وقد عملت هذه الوديان على تصريف مياه الامطار بعد هطولها الى نهر دجلة[١٤].

وهنا من الممكن استخدام هذه الوديان لعملية حصاد المياه والاستفادة منها لري منطقة الحزام الاخضر وتنمية الزراعة في المناطق المحيطة بها ومكافحة ظاهرة التصحر. اما تكوينها الجيولوجي كمنطقة فهي تعود الى عصر البلايستوسين اذ تغطي سطحها الترسبات العائدة لهذا العصر وتكثر فيها المفاصل والشقوق وصخورها جبسية ورملية قابلة للتفكك كلما زاد الجفاف. اما تربة المنطقة فهي قليلة العمق ولايتجاوز سمكها بضع سنتمترات[١٥]. وقد انعكس ذلك على قلة الزراعة بسبب قلة سمك التربة، كما ان ذلك يساهم بشكل فعال في زيادة تأثر المنطقة بعوامل التصحر اذ تساهم حركة هبوب الرياح في جرف التربة وتعرضها لعوامل التعرية، وهذا ما يتطلب الاهتمام بالحزام الاخضر لحماية التربة من التعرية الريحية والمائية والحد من ظاهرة التصحر.

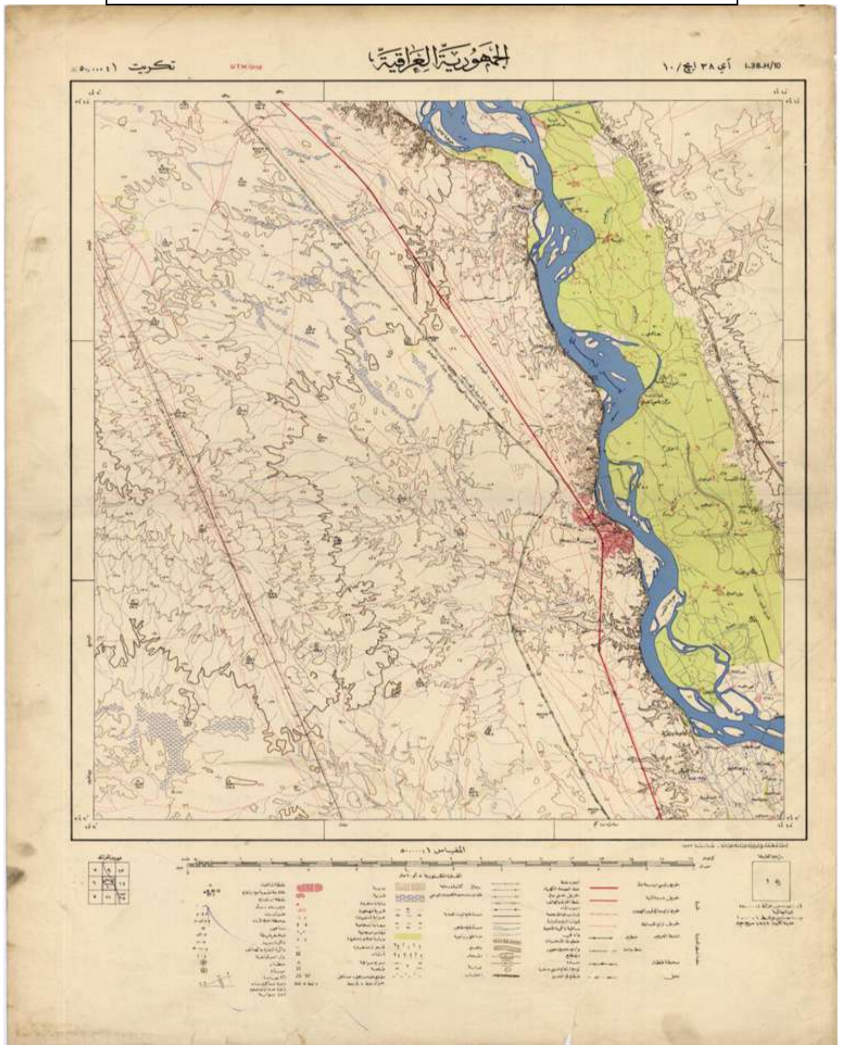
وقد اظهرت بعض التجارب ان للاغراس الخضراء اهمية خاصة اذ تقلل من تركيز اول اوكسيد الكاربون في الهواء، وتقلل من نسبة التلوث وحماية المدن[١٦]. وهذا الامر مهم لمدينة تكريت، اذ انها تقع الى الجنوب من قضاء بيجي المنطقة الصناعية الكبرى في العراق. وهي منطقة صناعية فيها صناعة البتروكيمياويات والزيوت النباتية، الاسمدة والطاقة الكهربائية. وهي مواد ملوثة مشبعة بمادة اول اوكسيد الكاربون. وهنا تأتي اهمية دور الاحزمة الخضراء في حماية المدينة من الملوثات وخاصة اذا ما عرفنا ان مدينة تكريت تقع وسط منطقة صحراوية خالية من الغطاء النباتي.

كما انها خالية من المناطق الخضراء بل تم التجاوز عليها، وقد اظهرت دراسة لمدينة تكريت ان اغلب التجاوزات التي وقعت على التصميم الاساسي للمدينة هو على المناطق الخضراء، التي تعد متنفساً لسكان المدينة والذي كان من الاحرى العناية بها وتطويرها لحاجة السكان لها لقضاء اوقات الفراغ وتلطيف المناخ في مدينة تكريت ذات الطابع الصحراوي(١٧).

أن للاحزمة الخضراء اهمية اخرى اذ تساهم في امتصاص الاصوات، وخاصة في المدن المزدحمة، اذ تمتص الاشجار المورقة ٢٥% من الاصوات وتعكس ٧٥% من الاصوات الساقطة(١٨). وقد تبين ان تشجير منطقة الحزام الأخضر بعرض ٥٠٠م يقلل من كمية الغبار في الهواء بحدود ٣.٥-٤ مرات من حجم الغبار المتواجد في العاصفة الترابية(١٩).

وان الاستعمال المنظم والجيد للمغروسات الخضراء المتمثلة بالاشجار والشجيرات والحشائش تساهم في تحسين المناخ المحلي للموقع او لبيئة المدينة، ففي الغابات الكثيفة جدا اقل من ١% من الاشعة الشمسية يتمكن الوصول الى

خريطة رقم (٢) الخارطة الكنتورية لمنطقة الدراسة



المصدر// مديرية المساحة العامة بغداد ٢٠٠٢

صورة رقم (١) صورة فضائية لمدينة تكريت (منطقة الدراسة)



المصدر// القمر لاندسات الأمريكي لسنة ٢٠٠٩

الارض بواسطة التيجان و٥% فقط من الاشعاع يستطيع الوصول الى سطح الارض وقد تبين ان الغابة المختلطة تقطع حوالي ٦٩% من اشعة الشمس. والغابات ابرد صيفاً وادفأ شتاءً حتى ان غطاء الحشائش الطويلة تسمح فقط بـ(٢٠%) من الاشعة الشمسية للوصول الى الارض[٢٠]. وقام الباحث بأجراء تجربة على الحزام الاخضر في جامعة تكريت فوجد ان درجة الحرارة تنخفض في فصل الصيف داخل الحزام الاخضر بحدود (٥) درجات وفي فصل الشتاء ترتفع درجة الحرارة عن المناطق الخالية من الحزام الاخضر بحدود (٦) درجات وهذا ما يفيد منطقة الدراسة الصحراوية الشديدة الحرارة والمفتوحة امام هبوب الرياح ومن ثم سيساهم الحزام في تحسين مناخ مدينة تكريت.

وهناك مناطق متعددة في العالم معرضة للتصحر تم حمايتها بواسطة الاحزمة الخضراء، وتحولت الى مناطق ذات قيمة اقتصادية، بعد ان تم زراعتها بالاشجار المقاومة للجفاف وعلى سبيل المثال، صحراء (ثار) التي تبلغ مساحتها (٢٠٠.٠٠٠) كم٢، تم تحويلها الى مناطق زراعية خضراء وتم استقرار السكان فيها[٢١].

وكذلك تم تحويل مناطق في جزيرة نيوزيلند الشمالية الى غابة (ودهيل) والتي تقع على بعد (١٥٠) كم من مدينة (اوكلاند) ، والمنطقة مغطاة بالرمال ويصل ارتفاعها الى (١٥٠) متر، وتتوسع بما يتراوح بين (٢٠ - ٣٠) متر/ سنة على حساب الاراضي الزراعية وعلى جبهة طولها ٤٠ كم. اذ تم اتباع اسلوب زراعي كثيف ومتواصل ويتم بثلاث طرق، اذ تزرع اولا بنوع عشبي قوي، ثم يتبعه بعد مدة غرس بذور شجيرات قرنية تدعى Lupinus Arborens بين البقع العشبية واخيرا بعد عامين تغرس بشتلات شجرية من نوع الصنوبر وخلال عشرين عاما، نمت اشجار الصنوبر واصبحت بعد عام ١٩٨١ مركزا تجاريا للاخشاب ونمت فيها المدينة[٢٢]. كما تبين ان الاشجارعندما يبلغ ارتفاعها ٣ -٥م تصبح عنصر للظلال

الجيد كما تساهم في تبريد المنطقة التي يغطيها ظل الاشجار اذ تنخفض درجة الحرارة بحدود (٢٢) مْ بعد (٥) دقائق من مرورها تحت ظل الاشجار مقارنة مع الرياح الهابة بنفس الوقت في المناطق الجرداء[٢٣]. وهذا مايساعد على تلطيف مناخ مدينة تكريت بسبب هبوب رياح جافة حارة على المنطقة. اما ما يتعلق بالامكانيات المتاحة لاقامة مثل هذه الاحزمة فهناك المورد المائي وهو الاهم لادامة ونمو الحزام الاخضر وتنميته، اذ لا يبعد نهر دجلة عن المكان المقترح لاقامة الحزام في بعض المناطق عن ١ – ٢ كم وهي مسافة قريبة جدا ولاتحتاج الى كلف عالية سوى مضخات مائية مع انابيب بلاستيكية ذات اقطار مختلفة ومن ثم تتوزع مع امتداد الحزام الاخضر لأغراض الري. كما ان الامكانيات المادية متوفرة كالمبالغ المالية اذ ان ميزانية المحافظة لتنمية الاقاليم لسنة ٢٠١٠ هو (١٢١)[*] مليار دينار عراقي فاذا ما خصص مبلغ مليار دينار من حصة تنمية الاقاليم سنويا (ميزانية المحافظة) فان هذا المبلغ قادر على تنمية المناطق الخضراء والحزام الاخضر لحماية المدينة فضلا عن ميزانية الوزارات الساندة لمثل هذا المشروع وهي (الزراعة، الموارد المائية، الصحة، البيئة،التعليم العالي، حقوق الانسان،جامعة تكريت، كلية الزراعة).

كما تتوفر مساحات واسعة لزراعة مثل هذه الاحزمة، وهناك ايدي عاملة عاطلة تبحث عن عمل وربما ستكون لهذا الحزام امكانية توفير فرص لبعض العاطلين وهنا لابد من تظافر جهود المجتمع المحلي والاعلام في الاسهام بتنمية الحزام الاخضر للمدينة، اذ تعاني المدينة من نقص حاد في عدد المتنزهات والاراضي الخضراء وهو مايشجع على دفع السكان للمساهمة في تنمية الاحزمة الخضراء وقد تبين في احدى الدراسات ان حصة الفرد في الولايات المتحدة الامريكية من المناطق الخضراء هي بحدود ٤م٢/ شخص[٢٤]. وهي الان اكثر من ذلك.

(*) بيانات غير منشورة مأخوذة من مجلس محافظة صلاح الدين بتاريخ ٢٠١٠/٤/١٤

اما مايوجد في مدينة تكريت فهو لا يتعدى٠.٥٠م٢/ شخص واغلبها خالية من الغطاء النباتي والاشجار[*]. وهنا تكمن الحاجة الماسة لاقامة مثل هذه الاحزمة لحاجة السكان اليها وحماية المدينة، بنفس الوقت وقد اجرى الباحث استبيان لسكان المدينة لمعرفة حاجتهم الى مثل هذه الاحزمة والمناطق الخضراء على عينة عشوائية تتكون من الف شخص ولمختلف الأعمار وقد اجاب ما نسبته ٩٦% من العينة، بحاجتهم الى هذا الحزام كنطاق حامي للمدينة من العواصف الترابية ومنطقة ترفيهية في الوقت نفسه، وأجاب ٩٣% من العينة نفسها بانهم بحاجة ماسة الى مناطق خضراء داخل المدينة لقلتها او عدم توفرها في بعض الاحياء السكنية في المدينة او بسبب التجاوز عليها في السنوات الاخيرة بعد عام ٢٠٠٣[**]. وهذا ما يستدعي الاهتمام الجدي بانشاء مثل هذه الأحزمة للمدينة المعرضة لظاهرة التصحر والمكشوفة امام هبوب الرياح والخالية من العوارض الطبوغرافية التي تعيق حركة الرياح مع تزايد السكان وحاجتهم الى مناطق للراحة وقضاء بعض اوقات الفراغ، وكذلك يمكن ان يكون هذا الحزام منطقة سياحية مع ما يتوفر في المدينة من مقومات سياحية.

(*) مقابلة مع السيد رئيس المهندسين فائق مطلك زيدان مدير بلدية تكريت بتاريخ ٢٠١٠/٤/٢٠.

(**) الدراسة الميدانية للباحث لمنطقة الدراسة للمدة من ٢٠٠٩/٧/١ لغاية ٢٠١٠/٦/١.

الضوابط المناخية لمنطقة الدراسة (مدينة تكريت) ودورها في تفاقم ظاهرة التصحر

على الرغم من التقدم العلمي الذي شهده العالم في مختلف المجالات الا ان السيطرة على العوامل الطبيعية لازالت محدودة، ولايمكن تسييرها وفق رغبة الانسان، الا على نطاق محدود، وفي عناصر محددة فقط. اذ تمتاز الظروف الطبيعية بالثبات النسبي وهذا ما يجعل السيطرة عليها يتطلب وسائل ثابتة من شانها الحد من اثر الظواهر الطبيعية وتتوقف سيطرة الانسان على هذه الظروف على درجة تعلمه وقابليته لاخضاع تلك الظواهر لإرادته[٢٥].

كما ان الظروف الطبيعية هي المحدد للظروف البيئية والمتحكم فيها وتخضع لها العوامل الاخرى ومن المعروف عن الظروف الطبيعية هو التباين من منطقة لأخرى. اذ تتوفر في كل منطقة خصائص تميزها عن الاخرى وتتمثل هذه المميزات بالظروف البيئية في تلك المنطقة[٢٦]. لذلك سنركز في هذا البحث على ظروف منطقة الدراسة المناخية وما لها من علاقة في مظاهر التصحر لمعرفة مدى الحاجة من عدمه الى إنشاء الأحزمة الخضراء في مدينة تكريت، ومنطقة الدراسة تقع في منطقة ذات سطح منبسط مفتوح وخالي من العوارض الطوبوغرافية خريطة (٢) السابقة، اذ يلاحظ ان هناك مجموعة من الاخاديد والاودية، وان اتجاها من الشمال والشمال الغربي، الى الجنوب والجنوب الشرقي أي نحو المدينة وهذا ما يعطي فرصة لمرور الرياح نحو المدينة بدون وجود عوائق او عوارض تعيق هبوب الرياح وهو ما يساهم في زيادة سرعة الرياح، فضلا عن جفاف التربة مما يسهل عملية هبوب العواصف والأتربة والغبار نحو المدينة وذلك مما سنتطرق له عند دراسة الرياح. كما ان لموقع مدينة تكريت من موقع الفتحة في جبل حمرين شمال المدينة من اثر على زيادة سرعة الرياح التي تمر عبر هذا الخانق الارضي واندفاعها نحو مدينة

تكريت[٢٧]. وسنتناول الظروف المناخية لمدينة تكريت والتي لها علاقة بتفاقم ظاهرة التصحر وموجبات انشاء الاحزمة الخضراء.

الاشعاع الشمسي ودرجات الحرارة

عند الرجوع الى معدلات الاشعاع الشمسي لمنطقة الدراسة (مدينة تكريت) التي لها علاقة بمقدار كمية الرطوبة وتكوين الغطاء النباتي والحفاظ على التربة من الجفاف وانجرافها وتعريتها ومقدار التبخر بسبب زيادة كميات الاشعاع الشمسي. اذ كلما زاد مقدار الاشعاع الشمسي الواصل الى سطح الارض كلما ادى ذلك الى ارتفاع درجات الحرارة وخاصة في فصل الصيف الحار وهذا يعتمد على زاوية سقوط الاشعة وشدة ومقدار الاشعاع، سنجد ان الاشعة الشمسية الواصلة الى سطح الارض لمنطقة الدراسة، تكون عمودية او شبه عمودية حسب فصول السنة وعند ملاحظة الجدول رقم (١).

جدول رقم (١)

معدل عدد ساعات السطوع الشمسي الفعلية لمحطة تكريت للمدة ١٩٨٠ – ٢٠٠٨

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
عدد ساعات السطوع الشمسي	٥.٣	٦.٣	٧.٣	٧.٥	٩.٧	١١.٣	١٢	١١.٥	١٠.٦	٨.٧	٦.٣	٦.١

يظهران عدد ساعات السطوع الشمسي الفعلية تبلغ حوالي ١٢ ساعة في شهر تموزوهذا يعني زيادة فترة طول وصول الاشعة الى الارض ويزداد الاكتساب وترتفع درجات الحرارة لسطح الارض ويزداد مقدار التبخر على الرغم من قلة او انعدام المطر وهذا مايزيد من شدة جفاف التربة مع قلة او انعدام الغطاء النباتي الذي يساهم بشكل فعال في زيادة قابلية التربة على التعرية الريحية مما يساهم في زيادة العواصف الترابية وتفاقم مشكلة التصحر. اما ما يخص درجات الحراره اذ يلاحظ ان درجات الحرارة تبدأ بالارتفاع من شهر نيسان وتبلغ ٢٨.٨مْ في محطة تكريت وتصل في شهر تموز الى ٤٥.٥ مْ جدول رقم (٢)

جدول رقم (٢) معدل درجات الحرارة العظمى والصغرى والمعدل العام مْ لمحطة تكريت للمدة ١٩٨٠ – ٢٠٠٨

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١	المعدل
درجة الحرارة مْ الصغرى	٣.٩	٤.٧	٧.١	١٣.٨	١٩.٩	٢١	٢٤.٩	٢٤.١	٣٢.٨	١٦.٥	٩.٣	٥.٣	١٤.٤
العظمى	١٥.٠	١٧.٢	٢٣.٨	٢٨.٨	٣٦.٧	٤٢.٣	٤٥.٥	٤٣.٩	٣٩.٤	٣٢.٨	٢٣.٧	١٥.٧	٣٠.٤
المعدل	٩.٤	١٠.٩	١٥.١	٢١.٣	٢٨.٣	٣١.٩	٣٥.٢	٣٤	٣١.١	٢٤.٧	١٦.٥	١٠.٥	٢٢.٤

المصدر :الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

ان هذا الارتفاع في درجات الحرارة يساهم بشكل فعال في زيادة عوامل التصحر وذلك بفعل ارتفاع درجات الحرارة والذي سيسهل عمليات التجوية للتربة مع امكانية زيادة عدد العواصف الترابية وخاصة مع حركة الرياح وتصبح الحاجة ملحة لانشاء الاحزمة الخضراء لحماية المدينة من العواصف الترابية.

الامطار

يعد عامل الامطار من العوامل الاساسية التي تساهم في زيادة عوامل التصحر او مكافحتها وخاصة في الاقاليم الجافة او شبه الجافة ولربما تتحكم بهذا العامل، فزيادة الامطار تحد من الظاهرة، ونقصها يفاقم المشكلة وعند النظر الى الجدول (٣) يظهر ان كمية الامطار الساقطة في منطقة الدراسة قليلة ولايمكن الاعتماد عليها مع ارتفاع درجات الحرارة والاشعاع الشمسي الكبير. اذ يلاحظ ان اعلى كمية امطار ساقطة في محطة تكريت تبلغ ٢٩.٧ ملم في شهر اذار واقلها في شهر ايلول اذ يبلغ ٠.٢ ملم وان المعدل السنوي لا يزيد على ١٥٤.٥ وتنعدم في (حزيران وتموز واب) الاشهر الحارة وهي كميات قليلة فهي لا تساهم في نمو الغطاء النباتي وبالتالي انكشاف السطح وتسهيل مهمة جرف التربة بفعل عمليات الحراثة وحركة الحيوانات وحركة القوات الاجنبية الغازية التي دمرت البيئة المحلية وكل ذلك يساهم في زيادة قابلية الرياح على جرف التربة وتكوين العواصف الترابية.

جدول (٣) المعدلات الشهرية لكميات الامطار الساقطة ملم لمحطة تكريت للسنوات ١٩٨٠ –٢٠٠٨

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١	المعدل
محطة تكريت	٢٥.٢	٢٣.٧	٢٩.٧	٢١.٤	٨.٢	–	–	–	٠.٢	٦.٧	١٨.٢	٢١.٢	١٥٤.٥

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

التبخر

تعني عملية تبخر الماء من سطح الارض ومن المسطحات المائية والكائنات الحية الى الغلاف الجوي، وهذا الامر يحدث بسبب الفرق في درجات الحرارة ومقدار تشبع الغلاف الجوي. ومن ثم كلما زاد الفرق بين جفاف المنطقة ودرجات الحرارة زاد مقدار التبخر، ومنطقة الدراسة ذات درجات حرارة مرتفعة وخاصة في فصل الصيف كما مر ذكره مع انعدام سقوط الامطار في فصل الصيف. وهذا ما يساعد على زيادة كمية التبخر ومن ثم زيادة جفاف المنطقة وكما يظهر من الجدول الآتي.

جدول (٤) المعدلات الشهرية والسنوية للتبخر/ ملم في محطة تكريت للمدة ١٩٨٠ – ٢٠٠٨

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١	المجموع	المعدل
محطة تكريت	٤٧.٣	٧٤.٢	١٤٣.٣	٢٠٣.٦	٣٩٤.١	٣٩٤.١	٤٤٦.٨	٤١٤.٣	٢٩٣.٣	١٩١.١	٨٥.٣	٤٤.٣	٢٦٦٢.٢	٢٢١.٨

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

وعند ملاحظة الجدول ومقارنة مع كميات الامطار الساقطة يلاحظ ان هناك عجزا مائيا كبيرا مما يساهم في زيادة الجفاف لمنطقة الدراسة، ومع زيادة حركة الرياح تزداد عمليات جرف التربة وتكوين العواصف الترابية على مدينة تكريت وقد تبين من احدى الدراسات ان منطقة الدراسة تعاني من عجز مائي بلغ بحدود (-٢١٦) ملم في محطة تكريت[٢٨] وهذا ما يزيد من مشكلة التصحر والحاجة الماسة الى تبني سياسات تعالج مظاهر التصحر ومنها انشاء الاحزمة الخضراء لحماية المدينة كاحد السبل لمكافحة التصحر.

الرياح:

تعد الرياح المحرك الأساسي لعمليات هبوب العواصف الترابية والغبار ومنطقة الدراسة (مدينة تكريت) تقع ما بين دوائر العرض ٣٥.٣٥ ْ و ٣٤.٤٠ ْ شمالا وهذا الموقع يمثل الطرف الشمالي لخلية هادلي وهو الجزء الهابط لدورة الرياح وتغطي المنطقة باكملها صيفا وتتكون طبقة حرارية تمتد على ارتفاع ٥٠٠م تتكون عنها تيارات هوائية سطحية حارة وجافة وان التيار الهابط يعاني ارتفاعا في حرارته وزيادة جفافه وهذه الوظيفة الطقسية تستمر لمعظم ايام الصيف[٢٩].

ومن المعروف ان أي غطاء نباتي خضري شجري يسبب نوع من الاعاقة الميكانيكية لحركة الرياح ومن ثم سيؤثر على مسارها من حيث القوة والاتجاه والسرعة وتختلف درجة التاثير باختلاف ارتفاع وطول وعرض الحزام وكثافة الحزام وشكله المنفرد او الكلي ونوع الاشجار وهذا مايهم المنطقه المعرضة لهبوب الرياح والمؤثرة على صحة السكان، وخاصة الرياح المحملة بالغبار والرياح الحارة الجافة وهو ما تتعرض له منطقة الدراسة من خلال ملاحظة المعدلات الشهرية والسنوية لسرع الرياح التي تتعرض لها مدينة تكريت، وما ينجم عنها من اثار على المدينة بسبب هبوب العواصف الترابية والغبارية كما يلاحظ في الجدول الآتي: -

جدول (٥) المعدلات الشهرية والسنوية لسرع الرياح لمحطة تكريت للمدة ١٩٨٠ – ٢٠٠٨ م/ ثا

الاشهر	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١	المعدل السنوي
محطة تكريت	٢.٧	٣.٤	٤.٣	٤.٤	٤.٦	٥.٢	٥.٩	٥.٥	٤.٦	٣.٨	٣.٦	٣.٧	٤.٣

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

اذ يتبين ان سرع الرياح تبدا بالارتفاع من شهر نيسان لتصل الى اعلى ارتفاع لها في شهر تموز وبحدود ٦م/ثا. وهي سرعة عالية جدا خاصة في فصل الصيف الحار والجاف مما يزيد من جفاف التربة وتفككها ويساعد الرياح على جرف التربة وهذا ما يساهم في تفاقم ظاهرة التصحر في منطقة الدراسة ومن ثم زيادة تكوين العواصف الترابية وتكرارها وهذا الامر يتطلب الحاجة الملحة لمعالجة مظاهر التصحر باستخدام احد اساليب المكافحة وهو زراعة الحزام الاخضر لحماية المدينة من ظاهرة العواصف الترابية والغبارية.

العواصف الترابية في منطقة الدراسة

لغرض بيان العواصف الترابية الهابة على مدينة تكريت لابد من الرجوع الى البيانات المناخية المتاحة لمعرفة اثارها على المدينة. ان العواصف الترابية التي تهب على المدينة تنشط في فصل الصيف الذي يزيد على (١٧٤) يوما. كما ان العواصف الترابية هي ظاهرة مناخية تزداد في الاقاليم الجافة ومنطقة الدراسة كما اتضح انفاً هي منطقة جافة كما انها تعاني من تدهور الغطاء النباتي وتخلو من العوارض الطبيعية التي يمكن ان تحد من حركة الرياح كما ان نوع التربة وقلة الغطاء النباتي وقلة

الامطار كلها عوامل تساعد في زيادة عدد العواصف الترابية والغبارية على مدينة تكريت، والعواصف الترابية التي تهب على مدينة تكريت تكون حارة وجافة بسبب تعرض الارض لأشعة الشمس خلال ساعات النهار الطويل، وهذا ما يؤدي الى حدوث اضطرابات في الكتل الهوائية، تتحرك خلالها الرياح لارتباطها بحركة الضغط والقسم الاخر بسبب تقدم المنخفضات الجوية من البحر المتوسط و الأحمر اذ تتعرض منطقة الدراسة الى هبوب رياح حارة من الغرب نحو الشرق وعند ملاحظة الجدول (٦) نجد ان هناك زيادة في تكرار العواصف الترابية في محطة تكريت منطقة الدراسة وخاصة في فصل الصيف

جدول (٦) النسب المئوية لتكرار العواصف الترابية في محطة تكريت ١٩٨٠– ٢٠٠٨

المحطة	الفصول			
	الشتاء	الربيع	الصيف	الخريف
تكريت	%١٦,٦	%٢٦,٧	%٤٦	%٢٣,٣

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

وعند ملاحظة الجداول (٧) (٨) (٩) والتي يظهر فيها عدد الايام التي يحصل فيها غبار عالق وعواصف ترابية وغبار متصاعد على مدينة تكريت وخاصة في السنوات الاخيرة بعد عام ٢٠٠٠ ولغاية عام ٢٠٠٨ يتبين ان هناك تزايد في حالات العواصف ولابد ان لها اسبابها وهو تفاقم ظاهرة التصحر التي تسبب هبوب العواصف الغبارية على مدينة تكريت مما يتطلب الامر الاهتمام المتزايد بإنشاء الاحزمة الخضراء لحماية المدينة من آثارها السلبية وكذلك وكأحد السبل لمعالجتها في الوقت نفسه، وتقليل حالات اصابة المواطن بالأختناق بسبب الغبار من المصابين بالربو في مدينة تكريت وتحسين مناخها المحلي.

جدول (٧) عدد الأيام التي يحصل فيها غبار عالق لمحطة تكريت للسنوات ١٩٨٩– ٢٠٠٩

السنة	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
١٩٨٩	٠	٠	٣	٧	١١	١٩	١٢	٨	٩	١٤	٢	١
١٩٩٠	٠	١	٦	٩	٩	٧	١٠	٢	٥	٨	٤	٠
١٩٩١	٠	٠	١	٩	١٣	١٢	٢٢	١٧	٨	١٢	٤	٤
١٩٩٢	٥	٤	٢	٧	١٦	١٩	٢٠	١١	١٢	١٠	٤	١
١٩٩٣	١	٠	٧	٤	١٥	١٧	١٩	١٢	٣	٦	٢	٢
١٩٩٤	٠	٢	٧	١١	١٠	١٣	١٦	٥	١٥	٥	١	٥
١٩٩٥	٢	٠	٠	١	٥	٤	٢	٢	٣	٣	٢	٠
١٩٩٦	٠	٥	٠	٠	٥	١	٥	٣	٨	٦	٠	١
١٩٩٧	٠	٢	١	١	٣	٣	٦	٤	٣	٥	٠	١
١٩٩٨	٠	٠	٢	٠	١	١	٣	٣	٣	٤	٣	١
١٩٩٩	١	١	٤	٤	١٤	١٠	١٦	١٤	٦	١٤	٤	٥
٢٠٠٠	٦	٦	١٠	١٨	٢٢	٢٤	٢٤	١٤	١٧	٥	١	٠
٢٠٠١	٠	٠	٣	٠	٢١	٢١	٢٥	١١	١١	٦	١١	٠
٢٠٠٢	٠	١	٢	١	١٢	١٠	٢٦	١٢	٣	٨	٩	٣
٢٠٠٣	٥	٢	١	٣	١٧	١١	٢٢	٩	٦	١١	٨	١
٢٠٠٤	٦	٦	١١	٩	٢٠	٢٣	٢٣	٧	٨	٨	٧	٢
٢٠٠٥	٦	٨	١٦	١١	٢٢	٢٢	٢٠	١٣	١١	١١	٥	١
٢٠٠٦	٨	٧	١٤	١٣	٢١	٢٣	٢٠	١٩	١٠	١٤	٦	٠
٢٠٠٧	١	٩	٢١	٢١	٢٢	١٩	٢١	١٨	١٣	١٢	٥	٢
٢٠٠٨	١	٦	٩	١٨	١٩	٢٠	٢٠	٢١	١٩	١٠	٢	٢
٢٠٠٩	٤	١٤	١٤	١٣	٢١	٢٠	٢٢	٢١	١٧	٩	٣	٦

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

جدول (٨)

عدد العواصف الترابية الهابة لمحطة تكريت للسنوات ١٩٨٩– ٢٠٠٩

السنة	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
١٩٨٩	٠	٠	١	١	١	٠	٠	١	٢	٠	١	٠
١٩٩٠	١	٠	١	٢	١	١	٠	٠	١	٢	٠	٠
١٩٩١	٠	٠	٠	٠	٩	٠	٣	٠	١	١	١	٠
١٩٩٢	٠	٠	٠	١	٤	١	١	٢	٢	٠	١	٠
١٩٩٣	٠	٠	٤	٠	٢	١	٠	٠	٠	١	١	٠
١٩٩٤	٠	٠	٠	٤	٢	١	٠	٠	١	٢	٠	٠
١٩٩٥	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
١٩٩٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
١٩٩٧	٠	٠	٠	١	٣	٠	١	٠	٠	١	٠	٠
١٩٩٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠
١٩٩٩	١	٠	١	٠	٧	٢	٧	٣	٠	٥	٠	٠
٢٠٠٠	١	٠	٣	٧	٧	٨	٥	١	٠	٠	٠	٠
٢٠٠١	١	١	٢	٧	٧	٦	٥	٢	١	٢	١	١

٢٠٠٢	٠	٢	٣	٥	٨	٤	٧	٦	٥	٣	١	١
٢٠٠٣	١	٣	٢	٤	٧	٥	٧	٥	٧	٣	١	١
٢٠٠٤	٢	٢	١	٧	٦	٦	٦	٦	٥	٢	٣	١
٢٠٠٥	٠	١	٣	٥	٧	٨	٨	٧	٥	٤	٢	١
٢٠٠٦	١	٢	٢	٦	٨	٧	٥	٢	٤	٣	٢	١
٢٠٠٧	٠	٢	٣	٥	٧	٨	٦	٥	١	٢	٢	١
٢٠٠٨	٠	٠	٣	٦	٥	٥	٣	٢	٤	٣	٣	٢
٢٠٠٩	٠	٢	٢	٢	٦	٦	٣	٥	٤	٣	٢	١

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

جدول رقم (٩) عدد الايام التي يحصل فيها غبار متصاعد في محطة تكريت للسنوات ١٩٨٩ -٢٠٠٩

السنة	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١
١٩٨٩	٠	٠	٢	٢	٥	٧	٧	٥	٣	٠	٢	٠
١٩٩٠	٠	٢	٣	٨	٥	٧	١٠	٩	٦	٢	١	١
١٩٩١	٠	١	١	٩	١٠	٩	١٥	١٠	٢	١	٤	١
١٩٩٢	٣	٣	٢	٣	٦	١٠	١٥	٥	٠	١	١	٠
١٩٩٣	٢	٠	٣	١	٧	٥	٨	٢	٣	٢	٢	٠
١٩٩٤	٠	١	٢	٢	٣	٤	٧	٣	١	٠	١	١
١٩٩٥	٠	٠	٠	١	٦	٢	٤	١	١	٢	٠	١
١٩٩٦	١	٠	١	٠	٣	٠	٠	٢	٢	٠	٠	٢
١٩٩٧	٠	١	١	١	٤	٣	٦	٦	١	١	٠	٠
١٩٩٨	٠	٠	١	٠	٢	٢	١	٠	٢	١	٠	٠
١٩٩٩	٠	٠	٣	٣	٥	٢	٣	٤	١	٠	٠	٠
٢٠٠٠	٣	١	٤	٧	٢	٤	٠	٢	١	١	٠	٠
٢٠٠١	٢	١	٥	٤	٢	٣	١	٢	١	٠	١	١
٢٠٠٢	١	٢	٣	٤	٢	٣	٢	١	٣	٥	٢	٢
٢٠٠٣	٠	١	١	٢	٢	٢	٣	١	٠	٢	١	٠
٢٠٠٤	٢	٣	٢	٥	٧	٨	٥	٦	٢	١	١	٠
٢٠٠٥	١	٤	١	٠	٨	٧	٥	٢	٣	٠	١	٠
٢٠٠٦	١	٢	٠	٥	٦	٥	٧	٣	٢	١	٠	١
٢٠٠٧	٢	٤	٣	٧	٦	٤	٢	٥	٣	١	٠	١
٢٠٠٨	١	٣	٤	٧	٣	٦	٢	٥	٢	٣	١	١
٢٠٠٩	٢	٣	٦	٤	٢	٦	٣	٢	٢	٢	٢	١

المصدر: الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية/ وحدة الرصد الزلزالي/ دائرة انواء تكريت بيانات غير منشورة لسنة ٢٠٠٩.

وهذه الظاهرة لا يمكن معالجتها مالم توضع حلول للحد من ظاهرة التصحر ومسببات زيادة العواصف الترابية والغبارية والحد منها لأنها تزداد بشكل مستمر بسبب عدم وجود معالجات حقيقية لمثل هذه الظاهرة وبالتالي نجد ان الحاجة ماسة للأهتمام بهذا الحقل في معالجة ظاهرة التصحر والحد منها وهذا ما يؤكد فرضية البحث التي

تؤكد الحاجة الماسة الى معالجة هذه الظاهرة التي تهدد حياة السكان في مدينة تكريت والاهتمام بها من اجل إيجاد الحلول المناسبة لها.

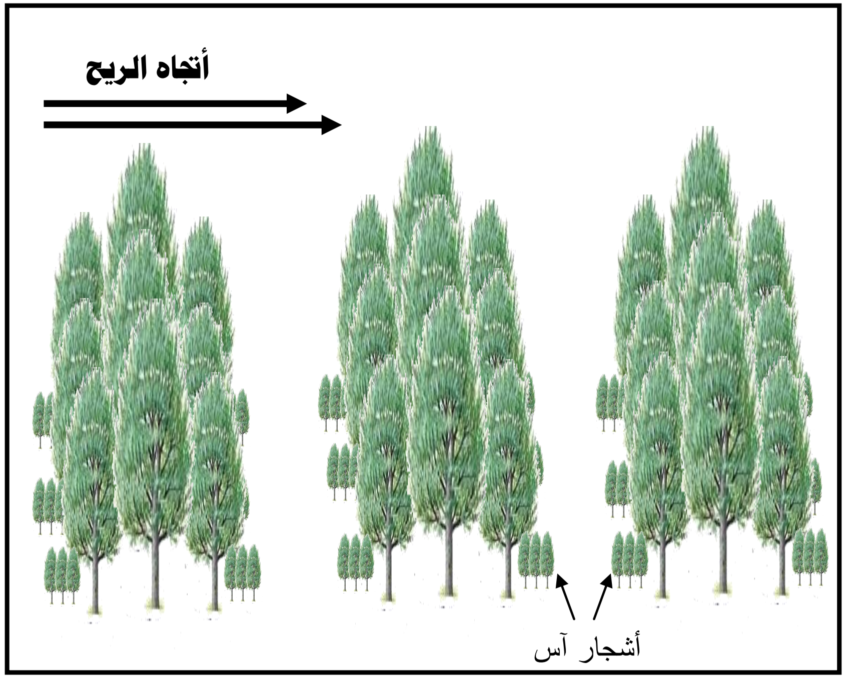
الأسلوب الأمثل لزراعة الحزام الأخضر واتجاه المصدات واختيار الاصناف

ان اختيار الصنف المناسب من المغروسات وحده لا يكفي لتحقيق الهدف لتحسين بيئة المدينة مالم يكن هنالك اسلوب علمي منظم لعملية التشجير للشرائط والاحزمة الخضراء المحيطة بالمدينة. ولذا نرى ان الاسلوب الامثل يجب ان يكون على شكل صفوف تتخللها فراغات وفجوات لغرض تكوين الحركة الميكانيكية، كما ان التشجير المتناوب بين مجاميع الاشجار العالية والواطئة تضمن توليد حركة للرياح حتى في اوقات سكونها وتساعد على خفض نسبة تلوث الهواء من المواد المضرة وتعمل على تصفيتها. ان مجموعة الاشجار التي تكون منطقة الحزام الاخضر المحيط بالمدينة، يفضل ان تكون بعرض يتراوح بين ١٧.٥ م – ٢١م في الحالة التي تكون فيها المسافة بين الاغراس ٣م او ٢.٥م كما في الشكل (٤)[٣٠]. ويتكون الصف الاخير من اشجار منخفضة الارتفاع وتوزع على الجهة اليسرى واليمنى ثم تاتي اشجار متوسط الارتفاع، وفي وسط المجموعة تغرس الاشجار العالية الشكل. وفي المناطق الجافة والصحراوية يمكننا تقليص ابعاد المجاميع عند تشجير منطقة الحزام بحيث تتالف من ٤–٦ صفوف والمسافة بين مجموعة واخرى تتراوح بين ١٠ –٣٠ م وهذا يعتمد على نوع التربة ومساحة الارض المخصصة للحزام وهي كافية في مدينة تكريت. وهناك مقاييس متعددة لاختيار العنصر النباتي الملائم ومن هذه المقاييس على سبيل المثال القدرة على الاحتمال[٣١]. ويقصد بها مدى تحمل العناصر النباتية (الاشجار) للظروف البيئية من مناخ وتربة. اما اتجاه المصدات او زاوية تقاطعها مع اتجاه الرياح فله اهميته البالغة لانه سيعمل حائط صد امام الرياح وتقليل حركتها،

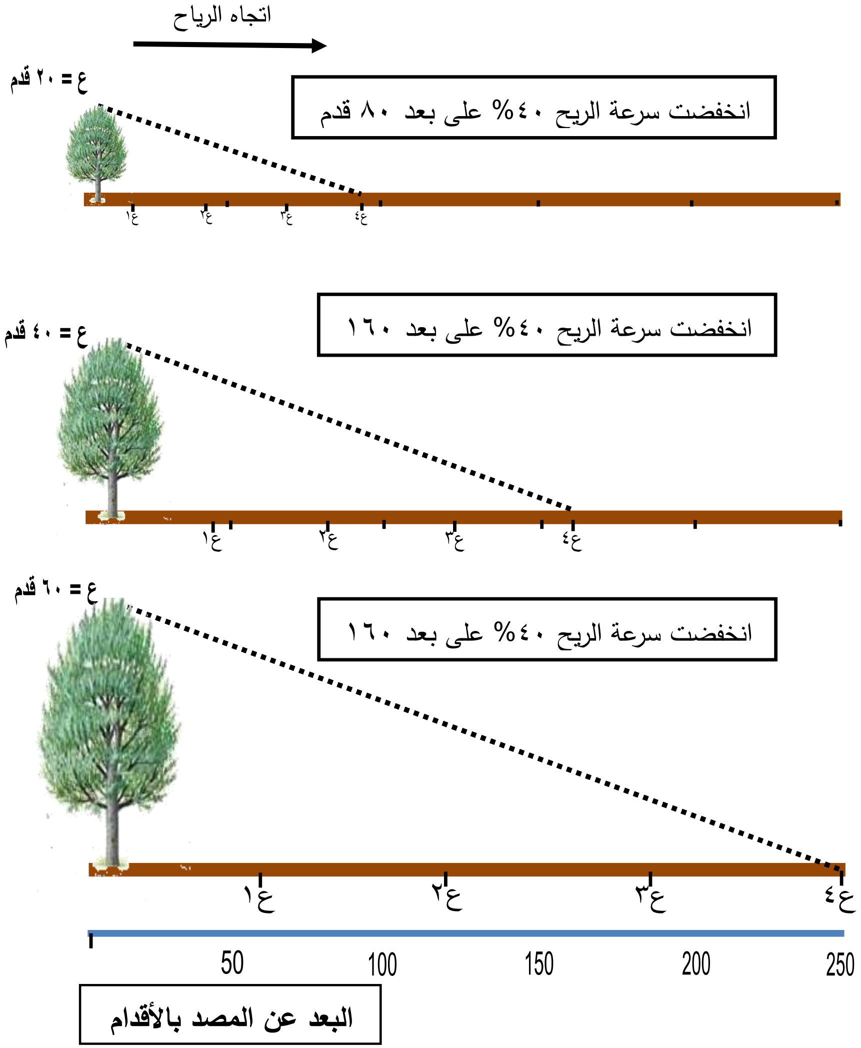
ولقد اثبتت الدراسات انه اذا كانت المصدات بزاوية عمودية على اتجاه الرياح ازدادت فعاليتها، كما ان المصد يوفر حماية لمسافة (٢٠) مرة قدر ارتفاع المصد. فأننا بذلك نستطيع على هذا الاساس تحديد الفاصل المسافي بين مصد سيصل في اوج نموه (٧) متر فأن بناء المصدات يقتضي ان لا تزيد المسافة بين مصد واخر عن (١٤٠) متر حتى نحقق اكبر قدر ممكن من الكفاءة والفاعلية. وقد يتطلب الامر انشاء مصدات داخلية او خارجية ذات ارتفاعات مختلفة وان تشتمل الصفوف على مراحل بدءأ بالصف الداخلي والاطوال وانتهاءاً بالصف الخارجي[٣٢].

كما بينت دراسات اخرى ان سرعة الرياح تقل بنسبة ٤٠% لمسافة اربع اضعاف ارتفاع المصد وكما موضح في الشكل التخطيطي (٥).

شكل رقم (٤) مجموعة الأشجار التي تكون الحزام



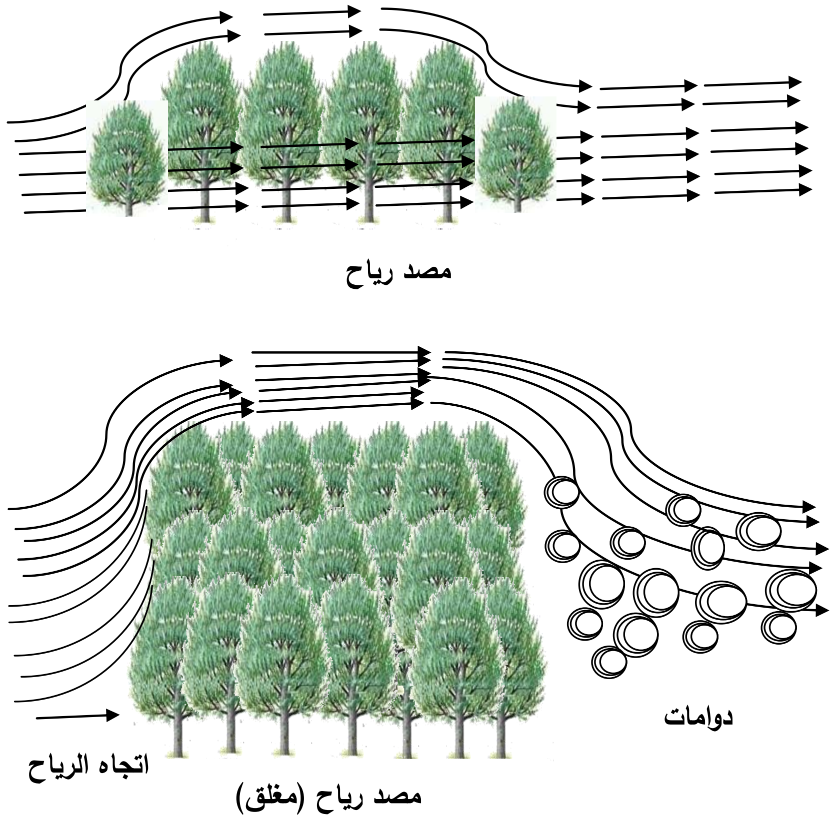
شكل رقم (٥) أنخفاض سرعة الرياح بواسطة مصدات الرياح



المصدر: عثمان عدلي بدران، علو الأشجار وتكنلوجيا الأخشاب، دار المعارف، مصر، ١٩٧١، ص٧٦

وهناك نوع اخر من الاصناف وهي مصدات نافذة ومغلقة وشبه نافذة ويعد الصنف الذي يمكن اختراقه من افضل الاصناف وله اهمية في توسيع مساحة المنطقة المحمية خلف الحزام النافذ وان يكون عدد الصفوف ستة او اكثر ويفضل بينها منطقة فارغة بعرض ١٠ – ٣٠م[٣٣]. اذ ان عدم نفاذية المصد يخلق منطقة ضغط منخفض وراء الحزام وتقوم بسحب مجرى الرياح بسرعة اكبر وتكون مناطق تيارات هوائية مضطربة خلفها (دوامات) كما في الشكل (٦).

شكل رقم (٦)



إن عملية إعاقة الأشجار لتيار الهواء تتم عندما يصل تيار من الهواء إلى الحزام أو المصد فأن جزءاً منه ينحرف إلى الأعلى مع تغيير صغير فقط بالسرعة اذ يمر جزء تحت التيجان مع هبوط شديد في السرعة، ويمر كذلك جزء ثالث خلال التيجان الشجرية بسرعة بطيئة جدا وعندما يصطدم الهواء بهذا الحاجز الشجري فانه يحدث هبوط شديد في سرعته بالقرب منها بينما يحدث هبوط اخر بسيط في المجموعة الشجرية ولهذا لابد من استثمار هذه الخاصية للأشجار لمقاومتها للرياح من اجل تحسين بيئة المدينة والحد من التصحر وخاصة في ظروف منطقة الدراسة ذات المناخات الجافة وان إقامة الأحزمة الخضراء (المصدات) خارج المدينة وفي الاتجاه المعاكس لحركة الرياح سيعمل ذلك على الحد من حركة الرياح وسرعتها وتنقيتها من الغبار ومن ثم حماية المدينة وتقدر المسافة التي يحميها المصد عادة بحوالي عشرين ضعفاً من ارتفاعه في السياج الذي يكون ارتفاعه ٥م يحمي منطقه تجاوره تمتد الى ١٠٠م فقط[٣٤]. وقد أظهرت الدراسات إن سرعة الرياح ستقل بنسبة ٤٠% ولمسافة أربعة إضعاف ارتفاع المصد كما موضح في الشكل التخطيطي السابق شكل رقم (٥).

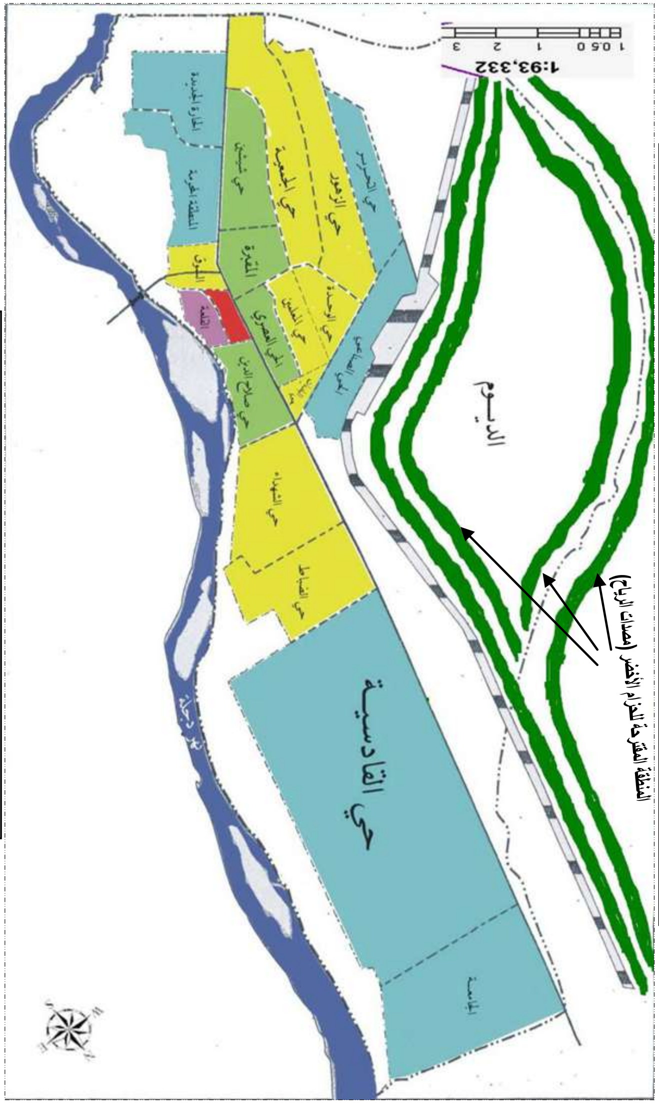
وعندها يتم الغاء فعالية الحزام. وان السماح بمرور ٢٠% من سرعة الرياح خلال فجوات الحزام توفر منطقة حماية قصوى خلف المصد وتمنع حدوث الدوامات العكسية وقد اجريت تجارب على انواع مختلفة من الاحزمة تتراوح بين الشكل الجداري والمثلث والبيضوي والاشجار لاختيار كفاءة تقليل الرياح ومنطقة الحماية لكل منها وكانت كما في الجدول (١٠)

جدول (١٠) كفاءة الحماية حسب نوع المصد

نوع المصد	المسافة تقل عندها السرعة بنسبة ٧٥%	المسافة تقل عندها السرعة بنسبة ٥٠%	المسافة تقل عندها السرعة بنسبة ٢٠%
المداري	١٣ع	٥.١٥ع	٢١.٥ع
المثلث	١٠.٥ع	١٥ع	٢٠.٥ع
البيضوي	٧ع	٩ع	١٤ع
الاشجار	–	١٣.٥ع	٢٧ع

- Victory, Olgyay ''Design with Climat " Princeton University, Press, New jersey U.S.A. 1973.P,97

ويتضح من الجدول اعلاه ان مصدات الاشجار كانت الاكفأ على الرغم من انها لاتوفر حماية بنسبة ٧٥%. الا ان المنطقة المحمية بواسطتها اوسع مقارنة بغيرها من الانواع ثم يليها المصد الجداري ثم البيضوي ثم الشكل المثلث وهو ماينطبق على منطقة الدراسة الجافة هو الشكل الشجري لامكانيات اقامته وتوفره ووجود المساحات الكافية له ونقترح ان يكون الحزام الأخضر لحماية المدينة (منطقة الدراسة) من العواصف الغبارية كما في الشكل رقم (٧).



شكل رقم (٧) المنطقة المقترحة للحزام الأخضر لمنطقة الدراسة

المصدر: من عمل الباحث اعتمادا على:
١- خريطة التصميم الأساس لمدينة تكريت لعام ٢٠٠٥.
٢- الدراسة الميدانية

النتائج المتوخاة من اقامة الحزام الاخضر والجهات المستفيدة منه

يتوقع من اقامة الاحزمة الخضراء نتائج تعالج مشاكل البيئة المحلية وحماية المدينة التي يقام حولها وقد جاء في المبدأ (٢٢) من اعلان ريو بشأن البيئة الصادر عن قمة الارض في حزيران ١٩٩٢ بأن (للسكان الاصليين وتجمعاتهم المحلية دور حيوي في ادارة وتنمية البيئية بسبب مالديهم من معارف وممارسات)[٣٥]. ولما كان الحزام ضربا من ضروب التنمية ويساعد في استقرار البيئة وتحسين مكوناتها، فأن السكان الساكنين في المناطق التي يمر فيها الحزام يعتبرون في مقدمة الفئات المستفيدة من هذا المشروع، فالحزام الاخضر من خلال مكوناتة الشجرية سيساهم ويخفف من سرعة الرياح ويحد من كمية الاتربة ويقلل من ازاحة طبقة الهواء السطحية الرطبة ليحل محلها هواء اكثر جفافا مما يزيد من فاعلية التعرية الريحية وخاصة في المناطق الصحراوية، كأقليم منطقة الدراسة التي هي بالاساس مناطق معرضة للتعرية الريحية بمختلف اصنافها،خفيفة،متوسطة، شديدة في محافظة صلاح الدين بحدود ١٠.٩% من مجموع مساحة المحافظة[٣٦]. كما يمكن ان تساهم الأحزمة في إقامة صناعات ريفية أو إنتاج بعض الأطعمة في بعض الأحيان، وربما يكون مشروع لتربية بعض الحيوانات مثل الغزلان، كما كان موجوداً في جنوب مدينة تكريت قبل إزالة (الحزام الاخضر) من قبل القوات المحتلة وبذلك يمكن إجمال النتائج المتوخاة والجهات المستفيدة بما يلي:

١- التجمعات السكانية المجاورة للحزام الأخضر وخاصة في المناطق المعرضة للعواصف الترابية.

٢- توفير فرص جديدة للدخل وخاصة للفقراء من الذين يقومون بجمع الخامات النباتية ولا توجد لهم فرص عمل.

٣- الصناعات الطبية (طب الإعشاب) والصناعات التجميلية.

٤- مناطق للراحة والنزهة.
٥- السفرات الطلابية للمدارس والجامعات والمعاهد والأهالي
٦- مراكز للبحوث العلمية وتدريب الطلبة في الجامعات والمعاهد والمدارس المهنية.
٧- المحافظة على بعض النباتات والأشجار وتنميتها داخل الحزام الأخضر.
٨- المزارعون الذين يمكن إن يقوموا ببناء أحزمة حول حقولهم الزراعية إذ تساهم في زيادة الإنتاج وتحسينه(٣٧).
٩- إيقاف التصحر والحد منه.
١٠- تكوين مصدر للاحتطاب للسكان الريفيين.
١١- حماية الوديان والمنحدرات من جرف تربتها.

الاشجار التي تصلح لانشاء الحزام الاخضر في منطقة الدراسة

تتوفر في العراق انواعا متعددة من الاشجار والتي يمكن استخدامها لاقامة الحزام الاخضر لحماية المدن من حركة العواصف الترابية والغبارية وذلك خلال المشاهدات اليومية للباحث ضمن حدود منطقة الدراسة كما يلاحظ من الصوره (٢) والتي تمثل الحزام الاخضر داخل جامعة تكريت شرق المدينة وان هذه الاشجار تتوفر فيها الصفات الآتية:

١- انها سريعة النمو بحيث تصل الى الارتفاعات بحدود ١٠ - ١٥م في وقت قصير اذ ان عمر الحزام الاخضر داخل الجامعة عمره لا يتعدى سبع سنوات.
٢- انها اشجار دائمة الخضرة ولا تتأثر بانخفاض او ارتفاع درجات الحرارة وتبقى اوراقها طيلة العام وتتحمل الاحوال المناخية المتطرفة.
٣- ذات نمو خضري كبير ولها جذور تصل الى المياه الجوفية ولا تحتاج الى ري مستمر مما يساهم في قلة كلفها والعناية بها، وكذلك توفر المياه الجوفية لمنطقة

الدراسة اذ لاحظ الباحث ان هناك عدد كبير من الابار في منطقة الدراسة يعتمد عليها في ري المحاصيل الزراعية
٤- تكون قوية لاتتكسر اغصانها عند هبوب الرياح الشديدة.
٥- قسم منها اوراقها رقيقة مما تسهل حركة الرياح ونفوذها من خلالها وبالتالي يسهل ذلك من عملية ميلان اغصانها وعدم تكسرها وكذلك لا تتكون خلفها دوامات للرياح.
٦- اشجار غير مستساغة من قبل الحيوانات (الابل، الماعز، الاغنام) وبالتالي يساهم ذلك في الحفاظ عليها وعدم تعرضها للرعي.
٧- اغلب هذه الاشجار لا تتأثر بالامراض الفطرية التي تصيب الأشجار الاخرى ومنها (اليوكالبتوس – Eucalyptus)وهي اشجار دائمة الخضرة سريعة النمو وقد يصل ارتفاعها الى حوالي ١٥متر وتتحمل جفاف التربة والرياح وارتفاع درجات الحرارة والبرودة وهناك ما يقارب ٢٠ نوعا كلها تصلح لإنشاء الحزام الأخضر وان معدل النمو السنوي لهذه الاشجار في السنة الاولى يبلغ ١٠١سم وفي السنة الثانية ٢٤سم والمعدل العام لنموها ٧٣سم.

(الاثل Tamarix Articulata) وهي اشجار سريعة النمو ودائمة الخضرة وقد يصل ارتفاعها الى اكثر من ١٠ امتار وتتحمل النمو في الترب الجبسية الملحية (تربة منطقة الدراسة) وتتحمل العطش ولاتحتاج الى عناية وان معدل نموها بلغ١٠٤سم.

(الكازورينا Casuarina pp) شجرة دائمة الخضرة سريعة النمو وكثيرة الاغضان ولها قابلية للنمو في مختلف مناطق العراق وتتحمل العطش والظروف المناخية القاسية وان معدل نموها السنوي (٩٧) سم .

(الصفصاف Salixalba) يصل ارتفاعه الى ٩ متر ويمكن زراعته في منطقة الدراسة لانها تتحمل البرودة.

(القوغ Populus spp) وهي من النوع المتساقط الاوراق في فصل الشتاء ولكنها تنمو في فصل الربيع الى فصل الشتاء الاخر وسريعة النمو ويصل ارتفاعها بعض الاحيان الى (١٥) متر مما يساهم في زيادة صلاحيتها كمصدات للرياح ولاتنكسر بسهولة ومقاومة للرياح.

السرو وهي شجرة عالية دائمة الخضرة تضم انواعا عديدة وتنجح زراعتها في جميع مناطق القطر وتتحمل درجات الحرارة القاسية حرا وبردا (التطرف المناخي).

(السيسم Dalbergid Siseo) شجرة متساقطة الاوراق شتاءاً ويصل ارتفاعها الى ٢٥متر تصلح زراعتها في المناطق الوسطى والجنوبية ضمن حدود منطقة الدراسة تقاوم الجفاف الشديد والملوحة.

(الدردار – لسان الطير Fratimas Votundilfolna) شجرة كبيرة الحجم متساقطة الاوراق شتاءاً تصلح في المناطق الوسطى سريعة النمو يصل ارتفاعها الى ٥ امتار وتصلح زراعتها في المناطق الشمالية

(الخروب Cerataniasileqea) شجرة كبيرة ذات اغصان متعددة وواسعة الانتشار وسريعة النمو، دائمة الخضرة تصلح زراعتها في المناطق الوسطى والجنوبية وتقاوم الحر والرياح الجافة (السموم) والعطش الشديد وهناك انواع متعددة مثل الخروع، والطرفة والدفلة والزيتون.

(اكاسيا Acaciahoria)، النخيل وهي من الاشجار دائمة الخضرة والمعمرة والقوية التي تتحمل الظروف المناخية القاسية المتطرفة كما انها دائمة الخضرة وهي

متوفرة في محافظة صلاح الدين بشكل كبير ويمكن زراعتها والعناية بها لمدة ثلاث سنوات وهي لا تحتاج الى مياه كثيرولا عناية سوى مرة واحدة في السنة.

صورة رقم (٢)

تمثل جانب من الحزام الأخضر داخل جامعة تكريت شرق منطقة الدراسة



الاستنتاجات

١- ان منطقة الدراسة تعاني من مشكلة تفاقم ظاهرة التصحر وهذا ما ينعكس على مدينة تكريت اذ بلغت مجموع الاراضي المتصحرة في محافظة صلاح الدين بحدود (٦٤٣٢٥٣١) دونم وتشكل حوالي ٦٤.٩ % من مجموع مساحة المحافظة اغلبها في قضاء تكريت، بيجي، الدور.

٢- ان هناك عجز مائي بلغ (-٢٦٢) ملم وهذا يزيد من مشكلة تفاقم ظاهرة التصحر وانعكاساتها السلبية وهي ماتزيد من جفاف التربة ومن ثم زيادة عدد العواصف الترابية والغبارية على منطقة الدراسة والمرتبطة بزيادة هبوب الرياح.

٣- ان معدل الامطار الساقطة لا تتجاوز ١٥٤ ملم وهي قليلة جداً مما تزيد من مشكلة التصحر وتزايد جفاف التربة وسهولة تكون العواصف الترابية والغبارية.

٤- خلو المنطقة من الظواهر الطوبوغرافية التي تعمل على اعاقة الرياح الهابة ومن ثم امكانية زيادة سرعة الرياح وزيادة العواصف الترابية وهو ما اتضح في الجداول الخاصة بعدد العواصف الغبارية والتربة العالقة

٥- زيادة نسبة التبخر بفعل السطوع الشمسي وطول االنهار مما يؤدي الى زيادة وتفاقم ظاهرة التصحر والحاجة الى ايجاد سبل لمعالجتها.

٦- هناك تاثير كبير للعمليات العسكرية بعد الاحتلال بسبب حركة الاليات العسكرية وتدميرها للغطاء النباتي وتفتيت التربة مما يسهل تكوين العواصف الغبارية والترابية.

٧- تعاني مدينة تكريت من قلة المناطق الخضراء داخل المدينة وهذا مايزيد من الحاجة الى انشاء الاحزمة الخضراء لكي تكون مناطق حماية للمدينة ومناطق للترفية للسكان.

٨- تزيد عدد العواصف الترابية والغبارية على مدينة تكريت وخاصة في السنوات بعد عام ٢٠٠٣ أي بعد الاحتلال وهذا ما يعطي انطباعا ان للحرب اثر سلبي على البيئة وتدميرها ما ساهم في زيادة هبوب العواصف الترابية.

٩- وقوع منطقة الدراسة في مناطق تقع ضمن المناطق الجافة وهذا يساهم من تفاقم ظاهرة التصحر وزيادة العواصف التربية.

١٠- قلة الاهتمام الحكومي بكافة دوائر الدولة في عملية التشجير، بل ان هناك قسم من الحزام الاخضر تعرض للدمار وللتجريف من قبل القوات المحتلة ومن المواطنين للاستخدام كمادة وقود للطهي بسبب ارتفاع اسعار المشتقات النفطية او عدم الحصول عليها اذ بلغ سعر اللتر الواحد من النفط الابيض بحدود (١) دولار مع انخفاض دخول المواطنين او عدم وجود دخل اصلاً.

١١- اظهرت الدراسة للاحزمة الخضراء اهمية خاصة في حماية المدن وتنقية الهواء من الملوثات والاتربة كما انها توفر مناطق حماية للمدينة من خلال ارتفاعاتها التي تساهم في صد تيارات الهواء وتقليل من سرعها.

التوصيات:-

١- من اجل مكافحة التصحر في منطقة الدراسة لابد من اتباع كافة السبل من اجل الحد من هذه الظاهرة ومنها استخدام الاحزمة الخضراء.

٢- لابد من التعاون الحكومي الجاد والفاعل وخاصة الحكومات المحلية لمعالجة ظاهرة التصحرواقامة الاحزمة الخضراء حول المدن من خلال رصد الاموال اللازمة لها.

٣- تشجيع الابحاث والدراسات ودعمها ماديا من اجل ايجاد افضل السبل لمعالجة ظاهرة التصحر.

٤- ان تقوم الجامعات والمراكز البحثية وخاصة كليات الزراعة ووزارة الزراعة والبيئة بدورها في هذا الاتجاه لغرض الحد من مظاهر التصحر ومكافحتها.

٥- تشجيع نظام الزراعة بالرش في المناطق المعرضة للتصحروالقريبة من مدينة الدراسة لغرض تقليل جفاف التربة مما يساهم في تقليل تفتت التربة وقدرة الرياح على جرفها وتكوين العواصف الترابية.

٦- الاستفادة القصوى من مياه نهر دجلة والتي لاتبعد عن حدود ومنطقة الدراسة بأكثر من ٢كم وزيادة استغلال المياه لري الاحزمة الخضراء والمناطق المفتوحة خارج منطقة الدراسة.

٧- اقامة سدود (حصاد المياه) في الوديان في المناطق الموجودة شمال وشرق وغرب منطقة الدراسة للاستفادة منها في فصل الجفاف وري الاراضي القريبة و زراعتها وبالتالي التقليل من المناطق الجافة وتكوين مناطق زراعية تساهم في ايقاف او الحد من تفاقم ظاهرة التصحر وتقليل المناطق المعرضة للتصحر.

٨- إجراء الدراسات التطبيقية وتشجيعها ودعمها ماديا من قبل الجامعة ومؤسسات الدولة الأخرى كوزارة البيئة وحقوق الأنسان والصحة لأنها تتأثر بهذه الظاهرة.

٩- عمل جوائز ومسابقات سنوية للحصول على احسن الحلول لمعالجة مظاهر التصحر والحد منها،

١٠- نشر الوعي البيئي وبث البرامج الخاصة على القنوات الفضائية لمعاجة ظاهرة التصحر والتي هي اكثر اهمية من برامج الأغاني ومسلسلات القتل واحتراف الجريمة.

الهوامش

(١) محمود حمادة الجبوري ونجم عبدالله احمد، التباين المكاني لنموسكان محافظة صلاح الدين للمدة ١٩٧٧- ١٩٩٧ وافاقة المستقبلية لغاية عام ٢٠٠٧، مجلة كلية الاداب، بغداد، العدد/ ٦٠ لسنة ٢٠٠٠، ص ٥١٧.

(٢) جامعة الدول العربية (حالة التصحر في الوطن العربي، دراسة محدثة) برنامج الامم المتحدة للبيئة، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة، اكساد،دمشق، ٢٠٠٤، ص٣٣١.

(٣) محمود حمادة صالح الجبوري (ظاهرة التصحر واثرها على الاراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين) اطروحة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص١٩١.

(٤) علي علي البنا (المشكلات البيئية وصيانة الموارد الطبيعية، نماذج دراسية في الجغرافية التطبيقية) ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤.

(٥) محمود حمادة صالح الجبوري (ظاهرة التصحر واثرها على الاراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين) مصدر سابق، ص٢٦٦.

(٦) مجيد ملوك السامرائي (العلاقات المكانية بين النقل والتجارة) مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد ٩، لسنة ٢٠٠٣، ص١٦.

(٧) صالح فليح حسن الهيتي (مناخ مدينة تكريت) موسوعة مدينة تكريت، ج١، ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٥، ص٧٣.

(8) Mustafa,M.,EL- Hagu Study Of Desertification Based Upon Landsat Imagery, Ph.Dtesis,State Unversity Of Ghent , Belgium , unpublished 1984 ,p8.

(9) Aubreville, A., (1949)Climats, Forests et Desertification de IAfrique tropicale, societe d edition Geographiques, Maritimes et colonials,Paris p.p. 102-106.

(10) Le Houerou, H.1977(The Nature and Causes Of Desertization,in M.Glantz,(ed). Desertification: invironmental Degradation, in and around Araids Lands,Westview press , London pp.18-25.

(11) Dreghe,H, Desertification of acrisis ,in paylore and R.Harey,Jr.,(ed), Desertification:

a. Dreghe,H,(1976) Desertification of acrisis,in p.paylore and R. Haney ,Jr.(ed), Desertification process ,problems ,persprectives ,pp.12-22.

b. Dreghe,H,(1977) Desertification of Araid Land s, Economic Geography,vol.53 (4) pp.322- 331.

c. Dreghe,H,(1978) Desertification: Mans Abuse of The Land , Journal of and Water Conservation vol. 33 ,pp. 11-14.

(١٢) عبير يوسف العيسه (استخدامات الاراضي وغطاء الارض والاراضي حسب المناطق المناخية الزراعية وتدهور الاراضي) المعهد العربي للتدريب والبحوث الاحصائية، دورة حول الاحصائات البيئية، ١١-١٧/ تموز، ٢٠٠٥، دمشق – سوريا، ص١٣.

(١٣) جابر خليل جابر (مواطن الاثار في تكريت وانماطها) ندوة تكريت ودورها في احياء التراث، ج١، مكتب الطباعة المركزية، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص١٠١.

(١٤) نعمان دهش العقيلي (البيئة الطبيعية في تكريت) موسوعة مدينة تكريت، ج١، ط١، بغداد، ١٩٩٥، ص ٥٧.

(١٥) المصدر نفسه ص٥٧.

(١٦) حيدر عبد الرزاق كمونه (ظاهرة التلوث في المدن) مجلة النفط والتنمية، العدد١١، بغداد، ١٩٧٧وص٩٠-٩١.

(١٧) عماد طارق عمر الحديثي (التجاوزات الحاصلة على التصميم الاساسي لمدينة تكريت، رسالة ماجستير، غير منشورة،مقدمة الى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٦، ص٢٢٢.

(18) Rubenstein, Harvey, M., Aguid to site and Environmental planning , 2eded , U.S.A , john wiley, 1980, p.226.

(19) Hackett , Brian , planning design, London , Macmillan ,1979, p152.

(20) Saini,Balwant Singh , Building in hot dry climates, New york, John wiley and sons,Ltd, U.S.A ,1980, p.86.

(٢١) رادهاكريشناراو (تسخير صحراء ثار، صراع البقاء في اكثر صحاري العالم المأهولة بالسكان) مجلة سيريز، مجلة منظمة الاغذية والزراعة F.A.O.، رقم ١١٠، العدد٢، السنة ١٩، لبنان، اذار – نيسان، ١٩٨٦، ص٢١.

(٢٢) نوبل فيبتماير (نهاية سعيدة لمشكلة التصحر في نيوزيلند، تقهقر الكثبان امام الاشجار) مجلة سيريز، المصدر نفسه ص ٢٩ –٣٠.

(23) Saini, Balwant Sing , Building in hot dry climates, op.cit ,p,88.

(24) Joseph ,Dechiara ,Leekopplemant ,planning Desing Criteria ,NewYork, 1960,p.50.

(٢٥) نوري خليل البرازي، ابراهيم المشهداني (الجغرافية الزراعية) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص٤٣.

(٢٦) كينث والتون(الاراضي الجافة) ترجمة علي عبد الوهاب شاهين، مجموعة الكتب الجغرافية، مكتبة هتشتون الجامعية، دار بورسعيد للطباعة، الاسكندرية، ١٩٧٦، ص١٨.

(٢٧) صالح فليح حسن الهيتي (مناخ مدينة تكريت) موسوعة مدينة تكريت، ج١، ط١، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٩٥، ص٧٣.

(٢٨) محمود حمادة صالح الجبوري (ظاهرة التصحر واثرها على الاراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين) مصدر سابق ص٧٢.

(٢٩) باسل احسان القشطيني (العناصر المناخية للتصحر واثرها البيئية، دراسة لثلاث اقاليم من حوض الرافدين) مجلة المخطط والتنمية، العدد٥، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، بغداد، كانون اول، ١٩٩٧، ص٥١-٥٢.

(٣٠) حيدر عبد الرزاق كمونه (اهمية التشجير في تخطيط المدينة) مجلة الصناعة، العدد ٦، مطبعة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٧٨، ص١٤٨.

(31) Rubenstein, Harvey, M., guid to site and Environmental planning op.cit p.228.

(٣٢) زين الدين عبد المقصود (محافظة الجهراء، دراسة في التخطيط البيئي والتنمية الريفية) اصدارات الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، يناير، ١٩٨١، ص٩٢.

(٣٣) اناتولي ريمشا (تخطيط وبناء المدن في المناطق الحارة) ترجمة داود سليم المنير، دار مير للطباعة والنشر، موسكو، ١٩٧٧، ص٣٥.

(٣٤) حسن عبد القادر منصور، منصور حمدي ابو علي (الاساس الجغرافي لمشكلة التصحر، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، ١٩٨٩، ص ٢٠٤.

(٣٥) جامعة الدول العربية (الاحزمة الخضراء في الوطن العربي) برنامج الامم المتحدة للبيئية، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة، اكساد، دمشق، اذار، ١٩٩٦،ص٥

(٣٦) الجبوري محمود حمادة صالح (ظاهرة التصحر واثرها على الاراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين) مصدر سابق ص١٧٠.

(٣٧) المصدر نفسه ص ٢٧٣.

المصادر العربية

الأحزمة الخضراء وأهميتها في حماية المدن من العواصف
مجلة آداب الفراهيدي
أ. م. د. محمود حمادة صالح
العدد (٥) كانون الأول ٢٠١٠

١- البرازي، نوري خليل، ابراهيم المشهداني (الجغرافية الزراعية) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠.

٢- البنا، علي علي (المشكلات البيئية وصيانة الموارد الطبيعية، نماذج دراسية في الجغرافية التطبيقية) ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣- جابر خليل جابر (مواطن الاثار في تكريت وانماطها) ندوة تكريت ودورها في احياء التراث، ج١، مكتب الطباعة المركزية، جامعة بغداد، ١٩٩١.

٤- جامعة الدول العربية (الاحزمة الخضراء في الوطن العربي) برنامج الامم المتحدة للبيئية، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة، اكساد، دمشق، اذار، ١٩٩٦

٥- جامعة الدول العربية (حالة التصحر في الوطن العربي، دراسة محدثة) برنامج الامم المتحدة للبيئة، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة، اكساد، دمشق، ٢٠٠٤.

٦- الجبوري، محمود حمادة ونجم عبدالله احمد، التباين المكاني لنموسكان محافظة صلاح الدين للمدة ١٩٧٧- ١٩٩٧ وافاقة المستقبلية لغاية عام ٢٠٠٧، مجلة كلية الاداب، بغداد، العدد/ ٦٠ لسنة ٢٠٠٠.

٧- الجبوري، محمود حمادة صالح (ظاهرة التصحر واثرها على الاراضي الزراعية في محافظة صلاح الدين) اطروحة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.

٨- الحديثي، عماد طارق عمر (التجاوزات الحاصلة على التصميم الاساسي لمدينة تكريت، رسالة ماجستير، غير منشورة،مقدمة الى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٦.

٩- رادهاكريشناراو (تسخير صحراء ثار، صراع البقاء في اكثر صحاري العالم المأهولة بالسكان) مجلة سيريز، مجلة منظمة الاغذية والزراعة .F.A.O، رقم ١١٠،العدد٢،السنة ١٩، لبنان، اذار- نيسان، ١٩٨٦

١٠- ريمشا، اناتولي (تخطيط وبناء المدن في المناطق الحارة) ترجمة داود سليم المنير، دار مير للطباعة والنشر، موسكو، ١٩٧٧

١١- السامرائي، مجيد ملوك (العلاقات المكانية بين النقل والتجارة) مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد ٩، لسنة ٢٠٠٣.

١٢- العيسه، عبير يوسف (استخدامات الاراضي وغطاء الارض والاراضي حسب المناطق المناخية الزراعية وتدهور الاراضي) المعهد العربي للتدريب والبحوث الاحصائية، دورة حول الاحصائات البيئية، ١١-١٧/ تموز، ٢٠٠٥، دمشق - سوريا.

١٣- العقيلي، نعمان دهش (البيئة الطبيعية في تكريت) موسوعة مدينة تكريت، ج١، ط١، بغداد، ١٩٩٥.

١٤- فييتماير، نوبل (نهاية سعيدة لمشكلة التصحر في نيوزيلند، تقهقر الكثبان امام الاشجار) مجلة سيريز، مجلة منظمة الاغذية والزراعة F.A.w، رقم ١١٠، العدد ٢، السنة، لبنان، اذار - نيسان، ١٩٨٦.

١٥- القشطيني، باسل احسان (العناصر المناخية للتصحر واثرها البيئية، دراسة لثلاث اقاليم من حوض الرافدين) مجلة المخطط والتنمية، العدد٥، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، بغداد، كانون اول، ١٩٩٧.

١٦- كمونه، حيدر عبد الرزاق (اهمية التشجير في تخطيط المدينة) مجلة الصناعة، العدد ٦، مطبعة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٧٨.

١٧- كمونه، حيدر عبد الرزاق (ظاهرة التلوث في المدن) مجلة النفط والتنمية، العدد١١، بغداد، ١٩٧٧.

١٨- المقصود، زين الدين عبد (محافظة الجهراء، دراسة في التخطيط البيئي والتنمية الريفية) اصدارات الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، يناير، ١٩٨١.

١٩- منصور، حسن عبد القادر، منصور حمدي ابو علي (الاساس الجغرافي لمشكلة التصحر، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، ١٩٨٩.

٢٠- الهيتي، صالح فليح حسن (مناخ مدينة تكريت) موسوعة مدينة تكريت، ج١، ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٥.

٢١- والتون، كينث (الاراضي الجافة) ترجمة علي عبد الوهاب شاهين، مجموعة الكتب الجغرافية، مكتبة هتشتون الجامعية، دار بورسعيد للطباعة، الاسكندرية، ١٩٧٦.

المصادر الاجنبية

1- Aubreville ,A. ,(1949)Climats , Forests et Desertification de IAfrique tropicale, societe d edition Geographiques ,Maritimes et colonials,Paris.
2- Dreghe,H, Desertification of acrisis ,in paylore and R.Harey,Jr.,(ed), Desertification:
a. Dreghe,H,(1976) Desertification of acrisis,in p.paylore and R. Haney ,Jr.(ed), Desertification process ,problems ,persprectives.
b. Dreghe,H,(1977) Desertification of Araid Land s, Economic Geography,vol.53 (4) ,
c. Dreghe,H,(1978) Desertification: Mans Abuse of The Land , Journal of and Water Conservation vol. 33
3- Hackett,Brian,planning design,London,Macmillan,1979.pp 152
4- Joseph ,Dechiara ,Leekopplemant ,planning Desing Criteria ,NewYork,1980.
5- Le Houerou, H.1977(The Nature and Causes Of Desertization,in M.Glantz,(ed). Desertification: invironmental Degradation ,in and around Araids Lands ,Westview press ,London
6- Mustafa,M.,EL- Hagu Study Of Desertification Based Upon Landsat Imagery , Ph.Dtesis,State Unversity Of Ghent , Belgium , unpublished 1984.
7- Rubenstein,Harvey,M., Aguid to site and Environmental planning ,2eded ,U.S.A , john wiley, 1980.
8- Saini,Balwant Singh , Building in hot dry climates, New york, John wiley and sons,Ltd, U.S.A ,1980.

Abstract

Desertification is a critical environmental phenomenon threatening life economically , geographically and demographically. This phenomenon, however, threatens the majority of developing and developed countries. Indeed ,desertification is not confined to dry and semi-dry land ,but even the irrigated lands are endangered by this phenomenon. The study is concduded in Tikrit, the centre of Salahaddin governorate.

The population of Tikrit is 15377 in 1947 ; 53785 in 1977 ;124189 in 1997 in 2007 the population of Salahaddin is 298394 ;115665 of them are in the city. undoubtedly, the inhabitants of the city of Tikrit need a healthy environment; but , the city suffers from a real problem represented by the dust storms in spring ,summer and autumn due to the open distance in the north of the city which is neither populated nor implanted. The low rainfall which does not exceed 15 ml throughout the year complicates the situation even more since soil will be easily drifted by the northern and north eastern winds.

As such ,there should be adequate solutions for this problem and the best way to defend cities is to establish green strips to be wind buffers that protect the city from dust storms and unstable temperature.

These green strips may also provide seed and products as well as their importance in tourism. They may even be invested in wood production and animal breeding. In this paper, we are going to emphasize the significance of the green strips against the dust storms and in protecting the soil from erosion caused by the wind especially when the wind exceeds the critical speed. In

the dry season the wind speed in the study region is about 6m per second. Hence, we believe that it is essential to the investegate of these green strips which play a decisive role in softening the influence of the climate according to the scientific studies of the role of the wind buffers and wind and high temperature.

The governmental establishment , especially the university of Tikrit and the college of Agriculture ,the governorate council and the individuals should all contribute to establishing the green strip which should be funded by the budget allocated to develop the provinces to protect the city and the population from the dust storms. To achieve this aim , plenty of effort is needed especially on the part of the inhabitants. Also, the availability of experts in this field is highly emphasized.

أثر برنامج تعليمي في تنمية الذكاء الاجتماعي لدى طلبة المرحلة المتوسطة

م.م. أبتسام عبد الحميد مجيد أ.م.د. حميد سالم خلف
جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم العلوم التربوية والنفسية

ملخص البحث

يعد الذكاء الاجتماعي من العوامل المهمة في الشخصية لانه يرتبط بقدرة الفرد على التعامل مع الآخرين على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة.

ويعد عنصراً مهماً في الحياة الاجتماعية سواء في محيط الاسرة ام المجتمع وتشكل اهميته من خلال احتكاك الفرد بالاخرين ومن تقويم الاخرين له ومن خبرات النجاح والفشل وله علاقة بعدد من المتغيرات (كالتوافق النفسي والاجتماعي والمهنة والتحصيل والجنس والعمر).

ولاهمية المرحلة المتوسطة باعتبارها مرحلة تعليمية تسهم في غرس المبادئ والقيم الاصلية في نفوس الطلبة من خلال اعدادهم تربوياً واجتماعياً مما يجعلهم قادرين على التوافق السليم وممارسة حياتهم العملية سواء داخل البيت او خارجه.

ويهدف البحث الى بناء مقياس للذكاء الاجتماعي وبرنامج تعليمي لدى طلبة المرحلة المتوسطة في مركز مدينة تكريت، ومعرفة اثر البرنامج في تنمية الذكاء الاجتماعي، ومعرفة دلالة الفروق في اثر البرنامج التعليمي في الذكاء الاجتماعي، ولتحقيق هذا الهدف تم بناء مقياسين احدهما للذكاء الاجتماعي والاخر لاعداد البرنامج التعليمي، وتم تطبيقها على عينة مكونة من (٩٦) طالباً وطالبة من طلبة الصف الاول المتوسط، وتم تحليل البيانات احصائياً باستخدام (T. test)، واظهرت النتائج وجود فروق دالة احصائياً بين متوسط درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي في الذكاء الاجتماعي ووجود فروق دالة بين متوسط درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الذكاء الاجتماعي وفقاً لمتغير الجنس (ذكور – إناث).

الفصل الأول

التعريف بالبحث

مشكلة البحث:-

يعد الذكاء الاجتماعي من العوامل المهمة في الشخصية، لأنه يرتبط بقدرة الفرد على التعامل مع الآخرين وتكوين علاقات اجتماعية ناجحة (الدريني، ١٩٨٤، ١٠٥).

وتتجلى أهميته في التفاعل مع الآخرين ومدى النجاح الاجتماعي للفرد الذي يحققه بمدى إدراكه لسياق الظروف والأحداث المحيطة به، كما أن من خلال الأنشطة الاجتماعية اليومية التي يمارسها غالباً ما يجد الفرد نفسه أمام عائق المحاولة لاستخلاص المعاني من سلوك الأفراد الآخرين لكي يفهم سلوكه وتصرفاته.

فقدرة الفرد الإنسانية الاجتماعية تتضح من خلال تحليل المواقف الاجتماعية المهمة كونه يكتسبها من خلال تفاعله مع الآخرين والتي تنمو من خلالها أنماط سلوكية عامة كما أن بعض المهن تحتاج الى التعامل السليم وفهم الآخرين مثل مهنة التمريض، التدريس، البيع والشراء والعلاج النفسي والسكرتارية وغيرها.

وقد أدى التطور السريع الذي أصاب المجتمع والحياة عموما الى ظهور مؤثرات قوية تتلاعب بعواطف الفرد وعلاقاته وتستغلها لمآرب متعددة.

ويعد ما تواجهه المجتمعات من حروب مدمرة مثلا جليا على ذلك ساهم في تفاقمها التطور السريع في مجال الأسلحة ناهيك عما تخلفه هذه الحروب من أثار نفسية مأساوية للأفراد عموما وللمراهقين على جهة الخصوص.

والفرد العراقي بالذات عاش وما زال يعاني من تاثير الحروب التي اثقلت قواه وما أفرزته هذه الحروب من اثار سلبية شديدة في جوانب الحياة كافة كما تؤثر في العلاقات الاجتماعية من خلال سيطرة المعايير المادية على المعايير والقيم

الاجتماعية والدينية والخلقية ولا سيما في مرحلة المراهقة التي تعد من اخطر المراحل التي يمر بها الفرد.

وكان نتيجة لكل الظروف والاثار السلبية التي ذكرت ان تزايدت الحاجة الى اعداد برنامج وقائي تنموي يساعد الفرد في تخطي هذه المحنة لتحقيق الصحة النفسية وتزيد من مناعة الفرد في مواجهة التأثير النفسي المدمر لها وتحسين وضعه الاجتماعي من خلال مهمة الاخرين والتعامل السليم مع ابناء مجتمعه.

أهمية البحث:

لابد للانسان من العيش في مجتمع اذ لايستطيع العيش بمفرده بعيداً عن الاخرين، فهو يحتاج اليهم ليعزز وجوده وتفاعله معهم من خلال ما تربطه مع الاخرين من علاقات اجتماعية متنوعة في جميع نواحي نشاطه التي تتميز باسلوب اجتماعي معين من اجل استمراره وديمومته.

فلكل مجتمع حضارته بجانبيها المادي والروحي، ولكل مجتمع عاداته وتقاليده في التفكير وأساليب السلوك ولهذا فقد حاول بعض العلماء الربط بين الذكاء وبعض العوامل التي تعتبر نتاجاً للتفاعل الاجتماعي او المرتبطة بنظم المجتمع او مدى نجاح الفرد في هذا المجتمع (الشيخ، ١٩٨٢: ٥٠).

لقد تنبه ثورندايك (Thorindike) للناحية الاجتماعية في الذكاء بوصفه ناتجاً عن التفاعل الاجتماعي، من حيث انه لايمكن فهم الفرد (ومشكلاته وطموحاته ودوافعه) الا من خلال سياق اجتماعي (Social Context) (السوداني، ١٩٩٠: ٢٠) مشيراً الى العلاقة الرئيسية الموجودة بين الذكاء ومدى نجاح الفرد في حياته الاجتماعية وذلك ان الفرد لا يحيا في فراغ وانما يعيش في مجتمع يتفاعل معه يؤثر ويتاثر به (كرمه، ١٩٩٤: ٢١).

ان الشخصية تتكامل فيها قوى الانسان الجسمية والعقلية والوجدانية ككائن اجتماعي وبدون هذه الصفة الاجتماعية لاتيسر له ان ينمو كانسان لذلك استمرت التساؤلات الرئيسية حول طبيعة الذكاء تشير اهتمام الباحثين واحد هذه الاسئلة يدور حول وجود مجال ما من القدرات ذات المحتوى الاجتماعي او هل هناك مجال تجريبي متماسك منفصل للذكاء الاجتماعي (Ford ,m,f,1993:p. 96).

ان اول من بحث موضوع الذكاء الاجتماعي الفيلسوف ادوارد ثورندايك عام (١٩٣٥) الذي عرفه بانه القدرة على فهم الرجال والنساء والفتيان والفتيات والتحكم فيهم وادارتهم بحيث يؤدون اداءاً حسناً ويعملون بطريقة حكيمة من العلاقات الانسانية (عبد الجبار، ٢٠٠٢: ١٣-١٤) ويرى ثورندايك ان الذكاء الاجتماعي يتميز عن الذكاء العام بوصفه ناتجاً عن التفاعل الاجتماعي من خلال فهم المواقف الاجتماعية والتعامل الناجح مع الاخرين ومعرفة ما تتطلبه الاعمال الانتاجية من قدرات فاعلة قادرة على تفهم أعمال الأفراد والجماعات ضمن سياق اجتماعي (Foley , 1971 p – 1123).

ومما لا شك فيه ان نجاح الانسان في حياته يحتاج الى كل من الذكاء العام والذكاء الاجتماعي في الوقت نفسه اذ لا يغني احدهما عن الاخر. (طه، ٢٠٠٠: ١٨٦).

وفيما يتعلق بطبيعة المهمة فهي ترتبط بعلاقة ايجابية مع الذكاء الاجتماعي فقد اشارت دراسة (هنت) الى ان مهنة التدريس والارشاد النفسي والاجتماعي والسكرتارية والبيع والشراء والتمريض من حيث طبيعتها تحتاج الى افراد لديهم القدرة على فهم تصرفات ونوايا سلوك الاخرين من خلال التعامل السليم معهم (البدري، ٢٠٠١: ٥).

ويرى ثورندايك ان الذكاء الاجتماعي يتغير تبعاً للسن والجنس والمكانة الاجتماعية، فبعض الناس يتعاملون بكفاءة مع الراشدين بينما لا يستطيعون التعامل مع الاطفال كما ان بعض الافراد يجيدون القيام بدور القيادة بالجماعات بينما يجد غيرهم الرضا والارتياح في ان يترك القيادة لغيره (الشيخ، ١٩٨٢: ٥).

وان الذكاء الاجتماعي ينمو من خلال الخبرة والاحتكاك الاجتماعي (المغازي، ٢٠٠٣: ٩٠).

وله علاقة بالجنس فقد توصلت دراسة هنت (١٩٢٨) الى وجود علاقة ايجابية دالة فالنساء يظهرن مستوى اعلى مما لدى الرجال وعللت على اساس حاجة المراة اكثر من الرجل الى الانسجام مع الاخرين (Hunt,T.1928:p.334).

اما دراسة الديب (١٩٨٧) فقد اشارت الى ان الذكاء الاجتماعي للذكور اعلى من الذكاء الاجتماعي للاناث وهذا يرجع الى اختلاف المعاملة الوالدية بين الجنسين وطبيعة التنشئة الاجتماعية وما تواجهه البنت من ضغوط عائلية واجتماعية اكثر بكثير مما يواجه الابن فهو يتصرف بحرية مطلقة في مجتمعنا العربي خاصة وذلك نتيجة التخلف والقهر التي مر بها المجتمع (سفيان، ١٩٩٨: ٤٣).

واشارت العديد من الدراسات والابحاث الميدانية الى اهمية مرحلة المراهقة ومما تتميز به من خصوصية معقدة نتيجة التغيرات الداخلية الانفعالية والنفسية تصحب التغيرات الجسدية الظاهرية وتعيب أساليب التعبير عن العواطف والمشاعر المتاججة التي تنتاب المراهق اضافة الى التاثيرات المحيطة به والمتعددة الاساليب الامر الذي اكدته دراسات عديدة منها دراسة (جيمس كمر) (James Comer) والتي اوضحت فيها اثر تاثيرات الوالدين وتوجيهاتهم على الابناء بشكل عام والمراهقين بشكل خاص تتضاءل في ظل الحضارة العالمية الجديدة التي تطرح مفاهيم متناقضة ومتعددة الثقافات (Elias , 2000: p.4).

ومن هنا فان لهذه المرحلة اهميتها الكبيرة والخاصة في تكوين شخصية الانسان ولذا وجب فهم خصائصها ومتطالباتها ومشاكلها المتشابكة لتحسن التعامل مع المراهقين بشكل تربوي ذو اثر ايجابي في النمو (محمود، ٢٠٠٦: ٧).

يتضح من خلال كل ما تقدم اهمية البحث الحالي في تعميق العلاقات الاجتماعية بين ابناء المجتمع الواحد يسود الحب والتفاهم والتعاطف مع بعضهم الاخر.

أهداف البحث.

هدف البحث الحالي الى تحقيق الاتي:

١- قياس مستوى الذكاء الاجتماعي لدى طلبة المرحلة المتوسطة في مركز مدينة تكريت.
٢- بناء برنامج تعليمي لتنمية الذكاء الاجتماعي لدى طلبة الصف الاول متوسط.
٣- معرفة اثر البرنامج التعليمي في تنمية الذكاء الاجتماعي لدى طلبة الصف الاول متوسط تبعاً لمتغير الجنس (ذكور – اناث).

فرضيات البحث.

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة في الذكاء الاجتماعي.
٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار القبلي ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار البعدي.
٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار القبلي ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار البعدي.

٤- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار البعدي ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار البعدي.

حدود البحث.

يقتصر البحث الحالي على طلبة المرحلة المتوسطة للعام الدراسي (٢٠٠٧_ ٢٠٠٨) ومن كلا الجنسين (ذكور _ إناث) في مركز مدينة تكريت.

تحديد المصطلحات.

أولاً:- البرنامج Program.

وقد عرفه كل من:

١- **بيرس (Pierce _1963):** انه مجموعة من الفعاليات والأنشطة التي تستخدم للأفراد الذين يحتاجون الى تعديل في السلوك النفسي والاجتماعي (التكريتي، ٢٠٠٦، ١٩).
٢- **الحسن (١٩٩٠):** هو خطة مصممة لبحث أي موضوع يختص بفرد أو مجتمع بشرط أن تكون هادفة للأفراد تتضمن بعض العمليات المحددة بدقة (الحسن،١٩٩٠,٢٢٠).
٣- **محمد (٢٠٠٤):** (جميع الخبرات او الفعاليات او أي نشاط تربوي يقدم إلى المتعلم تحت إشراف المؤسسة التعليمية وخلال مدة زمنية).
(التكريتي، ٢٠٠٦، ٢٠).

ثانياً:- البرنامج التعليمي Instructional Program.

عرفه كل من:

١- **كـود (Good ،1973)**: بأنـه مجموعـة مـن الـدروس والخبـرات المخططـة التـي يكتسبها الطالب تحت أشراف المدرسة او الكلية. (البجاري، ٢٠٠٦، ٢٠).

٢- **العتبي (١٩٩٦)**: وهو عبارة عن مزيج متداخل من مجالات النشاطات والتجارب والخبرات التي يمر بها أعضاء الجماعة تساعد في تطويرهم ونموهم نفسيا وعقلياً واجتماعيا، وهو وسيلة وليس غاية (حمدان، ٢٠٠٥، ١٨).

٣- **الفخـرو (٢٠٠٣)**: بأنـه مجموعـة مـن الجلسـات الموزعـة ضـمن دروس معنونـة وتختلف هذه الجلسات في محتوياتها وطرق التفاعل ما بين الإفراد خلالها وتعالج كل جلسة تنمية مهارة أو أكثر لدى المتدربين ضمن استراتيجيات مخطط لها ويتم اختيارهـا بمـا يـتلائم مـع أهـداف البرنـامج الـذي تـم الاعتمـاد عليـه. (الفخـرو، ٢٠٠٣، ٦٤).

التعريف الإجرائي للبرنامج التعليمي:

انه مجموعة من الدروس التي قام الباحثان ببنائها وتتكون هذه الدروس من (١٢) درسا بكل ما تتضمنه من مقدمة وأمثلة وتمارين ومناقشة وواجبات بيتية وأنشطة تعليمية مصممة لغرض تنمية الذكاء الاجتماعي والتي تم تطبيقها على طلبة الصف الأول متوسط.

ثالثاً:- الذكاء الاجتماعي: Intelligence Social

عرفه كل من:

١- **بوكـاردوس (1967) (Bogardus)**: بأنـه مسـتويات التفـاهم والمشـاعر التـي يسمعها الفرد الأخر، تفسر طبيعة فهم الأفراد بعضهم مع بعض.(Boyadus, 1967 , 71)

٢- **عاقـــل (١٩٧٧)**: بأنـــه حســـن التصـــرف فـــي المواقـــف والأوضـــاع الاجتماعية.(البدري، ٢٠٠١، ١٦)

٣- **ساتلر (Sattler _1982)**: بأنه القدرة على التكيف وحل المشكلات الاجتماعية والقدرة على الاستقلال والاستنتاج. (Sattler , 1982 , p.818).

٤- **زهـران (١٩٨٨)**: بأنـه القـدرة علـى أدراك العلاقـات الاجتماعيـة وفهـم الآخـرين والتعامـل معهـم وحسـن التصـرف فـي المواقـف الاجتماعيـة يـؤدي الـى التوافـق الاجتماعي ونجاح الفرد في حياته الاجتماعية. (زهران، ١٩٨٨، ٢٢٥)

٥- **سـفيان (١٩٩٨)**: فهـم النـاس أي فهـم أفكـارهم واتجاهـاتهم ومشـاعرهم وطـبعهم ودوافعهم والتعرف السليم في المواقف الاجتماعية بناء على هذا الفهم. (سفيان ١٩٩٨، ١٣)

أما التعريف الإجرائي فهو:

درجات استجابة أفراد عينة البحث على أداة مقياس الذكاء الاجتماعي المعد لهذا الغرض.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

أولاً:- دراسات عربية.

١- دراسة الدماطي (١٩٩١).

هدفت الدراسة الى كشف العلاقة بين الذكاء الاجتماعي وكفاءة التدريس لدى طلبة دور المعلمين من جمهورية مصر العربية، ومعرفة العلاقة بين الجنسين في الذكاء الاجتماعي ولتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الذكاء الاجتماعي على عينة تتكون من (١٠٠) طالب وطالبة (٥١) طالباً و(٤٩) طالبة من المعهدين (المعلمين – والمعلمات) وبعد معالجة البيانات احصائياً، اظهرت النتائج وجود علاقة بين الذكاء الاجتماعي وكفاءة التدريس لدى الطلبة ذكوراً واناثاً وكذلك عدم وجود فروق دالة بين الجنسين في الذكاء الاجتماعي.

٢- دراسة كرمة (١٩٩٤).

هدفت الدراسة الى بناء مقياس مقنن للذكاء الاجتماعي ولتحقيق هذا الهدف تمت صياغة فقرات المقياس البالغة (١٣٨) فقرة ضمن ستة مجالات، وتم استخراج الصدق بطريقة تحليل المحتوى والارتباط بمحك خارجي، وطبق المقياس على (٦٦٠) طالباً وطالبة من طلبة جامعة بغداد، وتم استخراج الثبات بطريقة اعادة الاختبار باستخدام معادلة كودر – ريتشاردسون.

٣- دراسة سفيان (١٩٩٨).

هدفت الى كشف العلاقة بين الذكاء الاجتماعي والتوافق النفسي والاجتماعي والفروق في الذكاء الاجتماعي (العالي، الواطئ) وفقاً لمتغير الجنس (ذكور – اناث) لدى طلبة جامعة تعز في اليمن، ولتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الذكاء الاجتماعي المعد من قبل الباحث، على عينة مكونة من (٣٢٧) طالباً وطالبة من طلبة جامعة تعز (١٧٥) طالباً و (١٥٢) طالبة، وبعد معالجة البيانات باستخدام معامل ارتباط

بيرسون، ومعامل الارتباط الثنائي وتحليل التباين، اظهرت النتائج وجود علاقة دالة احصائياً بين الذكاء الاجتماعي والتوافق النفسي والاجتماعي، وعدم وجود فروق دالة احصائياً في الذكاء الاجتماعي تبعاً لمتغير الجنس.

٤- دراسة البدري (٢٠٠١).

هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى الذكاء الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الاعدادية من المدارس النهارية (علمي، ادبي، صناعي، تجاري) في مركز محافظة البصرة، والتعرف على طبيعة العلاقة بين الذكاء الاجتماعي وبعض ابعاد الشخصية، ولتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الذكاء الاجتماعي على عينة من الطلبة وبعد معالجة البيانات احصائياً باستخدام مربع كاي ومعامل ارتباط بيرسون ومعامل الارتباط الثنائي والاختبار التائي وتحليل التباين، اظهرت النتائج تمتع طلبة المرحلة الاعدادية بذكاء اجتماعي وكذلك وجود علاقة بين الذكاء الاجتماعي وبعض ابعاد الشخصية.

ثانياً:- دراسات اجنبية.

١- دراسة فالي وآخرون (Foley et al, 1971).

هدفت الدراسة الى التعرف على العلاقة بين الذكاء العام والذكاء الاجتماعي ولتحقيق هذا الهدف طبق اختبار Otis IQ للذكاء العام واختبار جيلفورد للذكاء الاجتماعي على عينة من (٣٠٠) طالب وطالبة من المراحل (٩، ٦، ١٢) وبعد معالجة البيانات احصائياً اظهرت النتائج ان الذكاء الاجتماعي يزداد بتقدم العمر، وكذلك حصلت الاناث على درجات اعلى من الذكور، وظهرت علاقة بين الذكاء العام والذكاء الاجتماعي.

٢- دراسة فورد وتاسك (Ford & Taisk, 1983).

هدفت الدراسة الى قياس الذكالء الاجتماعي، ولتحقيق هذا الهدف تمت صياغة فقرات المقياس البالغة (٥٩) فقرة باسلوب اختبار اختيار من متعدد وتضمن

المقياس ثلاث مجالات واستخرج صدق المقياس بطريقة الصدق العاملي وطبق على (٦٢٠) طالباً من طلاب المرحلة الثانوية واستخرج الثبات وفق معادلة الفاكرونباخ.

٣- دراسة مارلو (Marlowe, 1986).

هدفت الدراسة الى قياس الذكاء الاجتماعي ولتحقيق هذا الهدف تمت صياغة فقرات المقياس البالغة (١٨١) فقرة باسلوب اختبار من متعدد، وتضمن المقياس اربعة مجالات، وتحقق الصدق بطريقة الصدق العاملي، وطبق المقياس على (١١٨) فرداً تراوحت اعمارهم بين (١٨– ٢٥) سنة.

مناقشة الدراسات السابقة.

في ضوء استعراض الدراسات السابقة (العربية والاجنبية) التي تناولت موضوع الذكاء الاجتماعي ومقارنتها بالدراسة الحالية، يمكن ابداء الملاحظات الاتية:

تباينت اهداف الدراسات السابقة التي تم عرضها ومنها ما كان يهدف الى بناء مقاييس كدراسة كرمة (١٩٩٤) ودراسة مارلو(١٩٨٦)، واشارت دراسات اخرى الى التعرف على مستوى الذكاء العاطفي كدراسة البدري (٢٠٠١) وكذلك علاقته بمتغيرات عديدة مثل التوافق النفسي والاجتماعي كدراسة سفيان (١٩٩٨) ودراسة فالي وآخرون ودراسة كورنيل (١٩٨٩) وغيرها من الدراسات الاخرى.

ان اغلب الدراسات السابقة تباينت فيها اعداد العينات، إذ بلغ الحد الادنى للعينة (٦٠) طالب وطالبة كما في دراسة كورنيل (١٩٨٩) وكان الحجم الاعلى للعينة (٦٦٠) طالب وطالبة كما في دراسة كرمة (١٩٩٤) اما الدراسة الحالية فكان عدد افراد العينة المختارة والتي تبلغ (٩٦) طالباً وطالبة يتناسب مع الاعداد الواردة في الدراسات السابقة.

اما فيما يتعلق بادوات البحث والوسائل الاحصائية والنتائج فانها متباينة وتختلف باختلاف الأهداف والاطر النظرية المعتمدة في الدراسات السابقة.

الفصل الثالث

إجـراءات البـحث

إجراءات البحث:-

يتضمن هذا الفصل الإجراءات المتمثلة في تحديد مجتمع البحث واختيار العينة واعداد ادوات تتمتع بصفتي الصدق والثبات وعرض الوسائل الإحصائية المناسبة لتحليل البيانات وكما يأتي:

أولا:- مجتمع البحث:-

تحدد مجتمع البحث الحالي بطلبة الصف الأول المتوسط من المرحلة المتوسطة في مركز مدينة تكريت والبالغ عددهم (٢٣٣٨) طالباً وطالبة موزعين على (٣٧) مدرسة منها (٢١) مدرسة للبنين ضمت (١٣٧٣) طالباً و(١٦) مدرسة للبنات ضمت (٩٦٥) طالبة.

ثانيا":-عينة البحث:-

اختيرت مدرستان بطريقة عشوائية هما ثانوية خالد بن الوليد للبنين وثانوية البيان للبنات وقد تم اختيار شعبتين وبشكل عشوائي من كلا المدرستين المشمولتين بالتجربة لتكون احداهما مجموعة تجريبية والأخرى مجموعة ضابطة، وفي ضوء ذلك تم اختيار (٩٦) طالباً وطالبة عشوائياً موزعين على مجموعتين مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة بواقع (٤٨) طالباً وطالبة في كل مجموعة.

ثالثا:- التصميم التجريبي:-Experimental Design

تم الاعتماد على تصميم المجموعتين المتكافئتين ذات الاختبار القبلي والبعدي وبذلك تكونت مجموعتان أحداهما تجريبية (ذكور– إناث) والثانية ضابطة (ذكور – إناث) وكما مبين في الجدول (١).

جدول (١)

التصميم التجريبي المستخدم في البحث

المجموعة	قياس قبلي	البرنامج	قياس بعدي
التجريبية (ذكور – إناث)	الذكاء الاجتماعي	البرنامج التعليمي (المتغير المستقل)	الذكاء الاجتماعي
الضابطة (ذكور – إناث)	الذكاء الاجتماعي	–	الذكاء الاجتماعي

رابعاً: تكافؤ المجموعات:

لغرض تطبيق البرنامج التعليمي على المجموعة التجريبية فقد تم إجراء التكافؤ لكل من المجموعة التجريبية(ذكور _ إناث) والمجموعة الضابطة (ذكور – إناث) في المتغيرات الاتية:-

١- العمر الزمني للطلبة.
٢- المستوى التعليمي للأب
٣- المستوى التعليمي للأم
٤- عمل الأب
٥- عمل الأم
٦- الذكاء
٧- الذكاء الاجتماعي

١- العمر الزمني:-

تم التحقيق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة من خلال اجراء المقارنة بين الاوساط الحسابية لها باستخدام الاختبار التائي (T-test)، إذ أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة بين المجموعتين التجريبية والضابطة حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (٠.٧٧) وهي أقل من القيمة التائية الجدولية (١.٩٦) عند مستوى دلالة (٠.٠٥)، وبهذا تم التكافؤ في هذا المتغير.

٢- المستوى التعليمي للأب:

تم التحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة باستخدام مربع كاي وقد اظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة بين المجموعتين، حيث بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة (١.٧١) وهي اقل من القيمة الجدولية لمربع كاي (١٩.٦٧) عند مستوى دلالة (٠.٠٥).

٣- المستوى التعليمي للأم:

تم التحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة باستخدام مربع كاي وأظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المجموعتين حيث بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة (٢.١١١) وهي اقل من القيمة الجدولية لمربع كاي والبالغة (١٩.٦٧٥) عند مستوى دلالة (٠,٠٥).

٤- عمل الأب:

تم التحقق من التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة باستخدام مربع كاي وكانت قيمة مربع كاي المحسوبة (٩.٤٩) مقارنة بالقيمة الجدولية والبالغة (١٩.٦٧) وكانت النتائج غير دالة.

٥- عمل الأم:

تم التحقق من التكافؤ بين المجموعتين في متغير عمل الأم باستخدم مربع كاي وقد أظهرت النتائج بأنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة إذ بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة (١٦.٨٦) مقارنة بالقيمة الجدولية والبالغة (١٩.٦٧) عند مستوى دلالة (٠,٠٥).

٦- الذكاء:

تم التحقق من التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة باستخدام القيمة التائية وكانت القيمة المحسوبة (٠.٣٠) مقارنة بالقيمة الجدولية (١.٩٦) وكانت النتائج غير دالة.

٧- الذكاء الاجتماعي:

تم التحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة من خلال اجراء المقارنة بين الاوساط الحسابية لها في الاختبار القبلي باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين. حيث كانت القيمة التائية المحسوبة والبالغة (٠.٠٢) مقارنة بالقيمة الجدولية البالغة (١.٩٦) وبينت النتائج الى عدم وجود فروق دالة بين المجموعتين.

خامساً: أدوات البحث:-

إعداد أداة لقياس الذكاء الاجتماعي.

أ- **تحديد مجالات المقياس:** تم تحديد مجالات مقياس الذكاء الاجتماعي لطلبة المرحلة المتوسطة في ضوء المقاييس والأدبيات السابقة التي اهتمت ببناء المقاييس ذات العلاقة وإعدادها فقد حددت بثلاثة مجالات.

ب- **اعداد فقرات المقياس:** تم إعداد فقرات المقياس من خلال الرجوع إلى المقاييس والأدبيات السابقة التي تخص موضوع الذكاء الاجتماعي، وتم صياغة (٥٦) فقرة بصورتها التمهيدية تضمنتها المجالات الثلاث.

ج- **صدق فقرات المقياس:** تم عرض فقرات المقياس على مجموعة من المحكمين المختصين في العلوم التربوية والنفسية، وتم الابقاء على الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق (٨٠%) فاكثر، وتم اسقاط (٢) فقرة.

د- **التحليل الاحصائي للفقرات:** تم تحليل فقرات المقياس من خلال القيام بالاجراءات الاتية:

- **القوة التمييزية (فقرات المقياس):** ولتحقيق هذا الهدف فقد تم تطبيق مقياس الذكاء الاجتماعي على عينة عشوائية من طلبة الصف الأول متوسط بلغت (٢٠٠) طالباً وطالبة، وتم الاعتماد على اسلوبين هما:

١- **أسلوب المجموعتين المتطرفتين:** وذلك بإيجاد القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات المقياس باستعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين إجابات المجموعتين العليا والدنيا على كل فقرة من فقرات المقياس وتبين ان جميع فقرات المقياس مميزة.

٢- **علاقة الفقرة بالمجموع الكلي (صدق الفقرات).**

ولتحقيق ذلك تم استخدام معامل ارتباط بيرسون لإيجاد العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس، وتبين ان جميع الفقرات دالة إحصائياً.

هـ- الثبات.

تم استخراج الثبات بطريقة التجزئة النصفية لمعرفة العلاقة بين درجات الطلبة على الفقرات الفردية ودرجاتهم على الفقرات الزوجية، فبلغ معامل الارتباط بين النصفين (٠.٨٦) وبعد التصحيح باستخدام معادلة سبيرمان براون (Spearman- Brown) بلغ معامل الثبات (٠.٩٢).

٢- <u>البرنامج التعليمي لتنمية الذكاء الاجتماعي.</u>

لإعداد برنامج تعليمي لدى افراد المجموعة التجريبية فقد تم اختيار مكونات البرنامج التعليمي لتحقيق أهداف البحث.

خطوات بناء البرنامج

أ- هدف البرنامج.

ب- الاسس العلمية التي اعتمدها البرنامج.

ج- انشطة البرنامج.

د- المحتوى التعليمي للبرنامج.

هـ- اعداد دروس البرنامج التعليمي.

و- صدق البرنامج.

لتحقيق ذلك تم عرض البرنامج التعليمي على عدد من الخبراء المختصين في التربية وعلم النفس وقد حصل البرنامج على اتفاق الخبراء على صلاحية الدروس بعد الاخذ بالتعديلات التي قدمها الخبراء.

ز- التجربة الاولية للبرنامج التعليمي.

تم تطبيق البرنامج على عينة البحث الاساسية لمعرفة المستوى المناسب للدروس والوقت اللازم لتطبيق كل درس ومعرفة مدى استيعاب الطلبة لدرس البرنامج التعليمي، وكان تطبيق الدرس الواحد يستغرق (٤٥) دقيقة.

تطبيق الاختبار البعدي.

بعد الانتهاء من تطبيق البرنامج التعليمي لتنمية الذكاء الاجتماعي لطلبة المرحلة المتوسطة تم تطبيق الاختبار البعدي لمقياس الذكاء الاجتماعي للمجموعتين التجريبية والضابطة (ذكور – اناث) وتم استخراج النتائج لمقارنتها مع درجات الاختبار القبلي.

سادساً:- الوسائل الإحصائية:-

تمت معالجة بيانات البحث باستخدام وسائل احصائية عديدة منها:

١- مربع كاي.

٢- الاختبار التائي (T. test) لعينتين مستقلتين.

٣- معامل ارتباط بيرسون.

الفصل الرابع

عرض النتائج ومناقشتها

يتضمن هذا الفصل عرضا لنتائج البحث ومناقشتها في ضوء الأهداف والفرضيات ومقارنتها مع نتائج الدراسات السابقة وعلى النحو الآتي:-

- فيما يتعلق بالهدف الاول الخاص ببناء مقياس للذكاء الاجتماعي فقد تحقق الهدف من خلال الإجراءات المتبعة في الفصل الثالث.
- اما فيما يخص الهدف الثاني المتعلق ببناء برنامج تعليمي فقد تم تحقيق هذا الهدف من خلال الإجراءات التي تم عرضها في الفصل الثالث.
- ولغرض تحقيق الهدف الثالث المتعلق باثر البرنامج التعليمي في تنمية الذكاء الاجتماعي لدى طلبة المرحلة المتوسطة (ذكور – إناث) فقد تم صياغة الفرضية الاتية:

(لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة في الذكاء الاجتماعي).

للتحقق من هذه الفرضية تمت معالجة البيانات بالاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين. إذ بلغ متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية (ذكور – إناث) (٣٦.٥٧) بانحراف معياري قدره (١.٧٩) وبلغ متوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة (ذكور – إناث) (٣٣.٦٧) بانحراف معياري قدره (١.٨٨) وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وجد ان القيمة التائية المحسوبة (٧.٨٤) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة (٢.٠٠) لصالح المجموعة التجريبية وبذلك ترفض الفرضية الصفرية القائلة بعدم وجود فروق دالة في متوسط درجات طلبة المجموعتين (التجريبية والضابطة)، وبهذا يكون البرنامج له تأثيراً كبيراً في المجموعة التجريبية من حيث ان المتعلم يكون دوره ايجابياً في العملية التعليمية من خلال فهم مشاعر الغير

وترجمتها وقيادته لجماعته وقدرته في مساعدة زملائه في حل مشاكلهم واسلوبه في التعامل الجيد معهم والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

نتائج الاختبار التائي لدلالة الفرق بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الذكاء الاجتماعي

المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٦,٥٧	١,٧٩				
الضابطة	٣٣,٦٧	١,٨٨	٩٤	٧,٨٤	٢,٠٠	٠,٠٥

اما فيما يتعلق بتحقيق الهدف الرابع الخاص بالكشف عن دلالات الفروق في اثر البرنامج التعليمي في تنمية الذكاء الاجتماعي وفقا لمتغير الجنس (ذكور _ إناث)، فقد تم صياغة الفرضيات الاتية:

الفرضية (أ).

(لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار القبلي ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار البعدي)

اذ كان متوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور على الاختبار القبلي (٣٢.٦٢٥) بانحراف معياري قدره (٤.٦٩٨) وبلغ متوسط درجات ذكور المجموعة التجريبية على الاختبار البعدي (٣٧.٧٩٢) بانحراف معياري قدره (٣.١٨٩) وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وجد ان القيمة التائية المحسوبة هي (٢.٤٥) وهي أكبر من قيمة (ت) الجدولية والبالغة (٢.٠٦٤) عند مستوى دلالة

(٠.٠٠٥)، وهذا يدل على وجود فروق بين المتوسطين ولصالح الذكور في الاختبار البعدي وكما موضح في الجدول (٣).

جدول (٣)

يبين متوسط درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي/ ذكور

المجموعة	الاختبار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية ذكور	قبلي	٣٢.٦٢٥	٤.٦٩٨				
التجريبية ذكور	بعدي	٣٧.٧٩٢	٣.١٨٩	٢٣	٢.٤٥	٢.٠٦٤	٠.٠٥

الفرضية (ب).

(لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار القبلي ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار البعدي).

إذ كان متوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث على الاختبار القبلي (٣٣.٧٠٨) وبانحراف معياري قدره (٣.٧٤٧) وبلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار البعدي (٣٧.١٦٧) وبانحراف معياري قدره (٣.١٣٠) وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، وجد ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (٢.٢٨) وهي أكبر من القيمة الجدولية (٢.٠٦٤) عند مستوى دلالة (٠.٠٠٥)، وهذا يدل على وجود فرق بين المتوسطين ذو دلالة ولصالح المجموعة التجريبية للإناث في الاختبار البعدي والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤)

يبين متوسط درجات المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي للإناث

المجموعة	الاختبار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية إناث	قبلي	٣٣,٧٠٨	٣,٧٤٧	٢٣	٢,٢٨	٢,٠٦٤	٠,٠٥
التجريبية إناث	بعدي	٣٧,١٦٧	٣,١٣٠				

الفرضية (ج).

(لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار البعدي ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للاناث في الاختبار البعدي).

إذ بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الاختبار البعدي (٣٧.٧٩٢) وبانحراف معياري قدره (٣.١٨٩) في حين بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية للاناث في الاختبار البعدي (٣٧.١٦٧) وبانحراف معياري قدره (٣.١٣٠) وباستخدام الاختبار التائي وجد ان القيمة التائية المحسوبة (٠.٢٥) وهي أقل من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢.٠٠) بمستوى دلالة (٠.٠٥) وكما موضح في الجدول (٥).

جدول (٥)

يبين متوسط درجات المجموعة التجريبية في الاختبار البعدي (ذكورر– إناث)

المجموعة	الاختبار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية ذكور	بعدي	٣٧,٧٩٢	٣,١٨٩	٤٦	٠,٢٥	٢,٠٠	٠,٠٥
التجريبية إناث	بعدي	٣٧,١٦٧	٣,١٣٠				

أشارت النتائج الى وجود فرق لم يرقى لمستوى الدلالة الإحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية للإناث ومتوسط درجات المجموعة التجريبية للذكور في الذكاء الاجتماعي.

وهذا يدل إلى تفوق الذكور على الإناث بفارق قليل مما يدل على وجود أثر للبرنامج التعليمي على متغير الجنس وبالتالي استفاد أفراد العينة (ذكور وإناث) من دروس البرنامج التعليمي من خلال النتائج التي حصلوا عليها.

الفصل الخامس

الاستنتاجات، التوصيات، المقترحات

أولاً:- الاستنتاجات.

تتحدد استنتاجات البحوث التجريبية بنتائجها لذا فان اهم الاستنتاجات التي يمكن التوصل اليها في هذا البحث هي:

١- ان للبرنامج التعليمي الخاص بالمرحلة المتوسطة تاثيراً واضحاً في تنمية الذكاء الاجتماعي لدى طلبة الصف الاول متوسط، حيث ساهم بشكل فاعل في زيادة درجة ذكائهم الاجتماعي مقارنة بدرجات المجموعة الضابطة.

٢- بالرغم من تاثير البرنامج التعليمي في الذكاء الاجتماعي للذكور كان اعلى مما هو عليه عند الاناث، الا ان الفرق بين المجموعتين التجريبيتين للذكور والاناث لم يرقى الى مستوى الدلالة الاحصائية مما يمكن الاستنتاج ان فاعلية هذا البرنامج لم تتاثر بعامل الجنس (ذكور – اناث) ويعزى ذلك الى ان الطلبة يعيشون ضمن رقعة جغرافية واحدة ويعانون نفس الظروف التي يعيشها طلبة المجموعتين.

ثانياً:- التوصيات

١- امكانية استخدام الذكاء الاجتماعي في انتقاء الافراد ووضعهم في المكان المناسب.

٢- توجيه الاباء وتوعيتهم باتباع اساليب التنشئة الاجتماعية التي من شانها ان تنمي الذكاء الاجتماعي والابتعاد عن الاساليب التي تكون معطلة وذلك عن طريق

استثمار العطلة الصيفية لتطوير قدرات الطلبة ومواهبهم كاقامة دورات او مخيمات كشفية تتضمن استخدام برامج الذكاء اجتماعي.

٣- امكانية استفادة الباحثين والمشرفين والمدرسين من مقياس الذكاء الاجتماعي من خلال التحكم بميزاته وتطبيقها عملياً امام الطلبة لمساعدتهم في تنميته.

٤- تصميم برامج تربوية للطلبة الذين لديهم سمات غير مرغوبة اجتماعياً.

ثالثاً:- المقترحات:-

١- اجراء دراسة للذكاء الاجتماعي بين الطلاب والطالبات في المرحلة الابتدائية.

٢- اجراء دراسة مقارنة بين الطلبة الاسوياء وبين الطلبة الذين يعانون من حالات العوق في الذكاء الاجتماعي.

٣- اجراء دراسة حول اثر برنامج تعليمي في تنمية الذكاء الاجتماعي لدى الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

٤- اجراء دراسة مماثلة للبحث الحالي في محافظات اخرى وتشمل شرائح اجتماعية اخرى.

المصادر

١- البجاري، خالدة عبد الوهاب اسماعيل (٢٠٠٦) **اثر برنامج تعليمي في التعلم المنظم ذاتياً من منظور زمن المستقبل لدى طلبة جامعة الموصل**، أطروحة دكتوراه فلسفة، كلية التربية، جامعة الموصل.

٢- البدري، نادية كريم عامر (٢٠٠١) **الذكاء الاجتماعي وعلاقته ببعض الأبعاد الأساسية للشخصية لدى طلبة المرحلة الإعدادية**، أطروحة دكتوراه(غير منشورة) كلية التربية، جامعة البصرة.

٣- التكريتي، جنان قحطان سرحان (٢٠٠٦) **اثر برنامج تدريبي لمهارات الإدراك والتنظيم في تنمية حل المشكلات لدى طلبة المرحلة الإعدادية**، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية جامعة تكريت.

٤- الحسن، احسان محمد وبهيجة أحمد شهاب (١٩٩٠)، **خدمة الجماعة**، ط١، مطابع التعليم والبحث العلمي.

٥- حمدان، سناء سعدي شيت(٢٠٠٥) **اثر برنامج تعليمي في تعديل السلوك الخرافي لدى طالبات معهد إعداد المعلمات**، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية جامعة الموصل.

٦- الدريني، حسين عبد العزيز (١٩٨٤) **الذكاء الاجتماعي وقياسه في الثقافة العربية**، مجلة التربية، العدد (٦٤) قطر.

٧- الدماطي، فاطمة عبد السميع محمود (١٩٩١) **الذكاء الاجتماعي وعلاقته بكفاءة التدريس لدى طلبة دور المعلمين**، رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس.

٨- زهران، حامد عبد السلام (١٩٨٨) **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، ط٤، عالم الكتب، القاهرة.

٩- سفيان، نبيل صالح (١٩٩٨) **الذكاء الاجتماعي والقيم الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة تعز**، اليمن، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد.

١٠- الشيخ، سليمان الخضري (١٩٨٢) **سيكولوجية الفروق الفردية الذكاء**، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

١١- طه، فرج عبد القادر (٢٠٠٠) **أصول علم النفس الحديث**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٢- عبد الجبار، احمد عبد الجبار(٢٠٠٢) **كيف تنمي ذكاؤك وتزيد من قدراتك العقلية**، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير.

١٣- الفخرو، عبد الناصر (٢٠٠٣) **فاعلية برنامج السهل في تنمية بعض مهارات التفكير العليا لدى عينة من الطلبة المتفوقين عقلياً وغير المتفوقين**، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، سنة ١٢، ٢٤٤.

١٤- كرمة، صفاء حبيب (١٩٩٤) **بناء مقياس للذكاء الاجتماعي لدى طلبة الجامعة**، أطروحة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، ابن رشد جامعة بغداد.

١٥- محمود، محمد اقبال (٢٠٠٦) **المراهقة**، ط١، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان.

١٦- المغازي، ابراهيم محمد (٢٠٠٣) **الذكاء الاجتماعي والوجداني والقرن الحادي والعشرين**، ط ١، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة، القاهرة.

17- Bogardus, E. (1967) **Measuring Social Distances in M. Fishbone (Ed) Reading in Attitude and Measurement,** New York. John wiley & sons.

18- Elias, Maurice J & others (2000) **Raising Emotionally Intellignt Teenagers, the Rirers press** , New York.

19- Foley , walker , shanl (1971) **SocialIntelligence Aconcept in Searcg of Data Psychological Report**, 29. 11232, Psychological report.

20- Ford, M. F. & Taisk, M. S. (1983) **A further Search for Social Intelligence Journal of educational psychology** vol. 75. No:2 , April.

21- Hunt. T. (1928),**The Measurement of Socid Intelligence**. journal of Applied Psychology Vol. XII, 1928. PP. 317_ 334.

22- Marlow, H.A.(1986), **Social Intell igence.** Evidence for Multimenslonali and constract independence. journal of educational Psychology.Vol.78.No1 February,1986.PP.52-60.

23- Sattler, J. (1982) **Assessment of children Intelligence and special Abilities**. Boston: Allen & Bacon.

نظرية المعرفة عند لوك

م. م. أحمد ناظم داود
جامعة كركوك / كلية التمريض

الخلاصة

يعتبر الفيلسوف الانكليزي (جون لوك) من اهم الفلاسفة الانجليز، حيث ترك اثرا كبيرا على الفلاسفة اللاحقين له، خاصة الفلاسفة التجريبيين من امثال جورج باركلي وديفيد هيوم وجون ستيوارت مل وبرتراند رسل.

ويعتبر لوك اول فيلسوف يطبق المنهج التجريبي في الفلسفة، خاصة في مجال نظرية المعرفة، ورفض نظرية الافكار الفطرية التي كانت سائدة بين الفلاسفة، وناقش (لوك) اصحاب هذه النظرية وفند حججهم باسلوب علمي دقيق، واكد ان العقل البشري ليس فيه افكار من هذا النوع، فلو كانت موجودة فيه لكان محل اجماع الناس بما فيهم الاطفال والبلهاء والقبائل المتوحشة ولكن الواقع يشير الى عكس ذلك.

واعتبر (لوك) التجربة المصدر الوحيد للمعرفة وان العقل لحظة ولادته صفحة بيضاء وليس فيه اية معلومات، فكل ما لدينا من افكار مصدرها التجربة وليس كما يذهب اصحاب المذهب العقلي بان العقل مزود بافكار فطرية.

ويعتبر (لوك) من الفلاسفة الذين تاثروا بالمنهج العلمي السائد في عصره وحاول تطبيق المنهج الاستقرائي في الفلسفة خاصة في نظريته في اصل المعرفة.وفي التفرقة بين الصفات الاولية والصفات الثانوية ومسالة الكليات وتحليل اللغة وكذلك في تحليل الافكار وتقسيم الافكار الى بسيطة ومركبة كل ذلك يثبت تاثر لوك بالمنهج العلمي (الاستقرائي) والذي كان سائدا في عصره وكما طبقه العلماء امثال غاليلو ونيوتن وبريل.

ولقد دعى (لوك) الى دراسة العقل البشري اولا ومعرفة الابحاث التي في امكانه تناولها، والابحاث التي لا تستطيع العقل ان يخوض بها، وبعد معرفة قدره العقل وحدود المعرفة البشرية يستطيع الانسان ان يسعى للحصول على المعرفة وهو مطمئن بان جهوده لا تذهب عبثا.

مُقَدِّمَة

يعتبر الفيلسوف جون لوك (John Locke) (١٦٣٢- ١٧٠٤) مؤسس التجريبية الانكليزية[١]، وجميع الفلاسفة التجريبيين امثال جورج باركلي وديفيد هيوم وجون ستورات مل ووليم جيمس وبرتراند رسل يقرون بتاثيره الكبير فيهم، ويدينون له من حيث طريقته في تناول مسالة نظرية المعرفة ورد المعرفة الى التجربة[٢].

يعتبر المؤرخون ان كتاب لوك (محاولة في الفهم البشري) اول محاولة جدية وعلمية في مجال نظرية المعرفة حيث يسعى في هذا الكتاب، الى فهم المعرفة البشرية وتحليل الفكر الانساني وتحديد طبيعة المعرفة برغم ان الفلاسفة السابقين له قد تناولوا نظرية المعرفة بالبحث والدراسة الا ان بحث لوك في نظرية المعرفة تميز بالجدية والعمق[٣].

ولقد تصدى (لوك) لنظرية الافكار الفطرية التي كانت محل اجماع عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين وكانوا يعتبرونها قضية مسلمة لا تحتاج الى نقاش ولا برهان. الا ان لوك رفض ذلك وناقش مختلف حجج الفلاسفة المؤيدين لهذه النظرية وفند الاسس التي تقوم عليها نظريتهم.

واعتبر ان كل معلومات الانسان مصدرها التجربة، وان عقل الانسان صفحة بيضاء لحظة ولادته وان ما فيه من معلومات وافكار مصدرها التجربة[٤].

ولفلسفة (لوك) اهمية كبرى في التاريخ لانه طبق الفلسفة التجريبية على نظرية المعرفة في كتابه (محاولة في الفهم البشري) وكذلك طبق المنهج الاستقرائي في بحثه عن اصل المعرفة البشرية بعكس الفلاسفة المدرسيون الذين كانوا يستعملون المنهج القياسي في نظرية المعرفة، لذا ثار لوك عليهم وطبق المنهج الاستقرائي وكما هو معروف ان لمنهج الاستقرائي منهج علمي ويعتبر من اهم العوامل التي ساعدت على تطوير العلم الحديث[٥].

ولقد شهد عصر (لوك) تطور كبير في مجال العلم بفضل العلماء امثال: غاليلو ونيوتن وبريل ... وغيرهم، لذا تاثر (لوك) بالعلم الحديث وسعى لاستخراج النتائج الفلسفية للعلم في عصره، فالمهمة الاساسية للفلسفة في كل العصور – كما يذهب الفلاسفة التحليليون – هي استنتاج المضامين الفلسفية للعلم[٦].

نظرية المعرفة عند لوك

تعتبر نظرية المعرفة من الاقسام الاساسية في الفلسفة، ذلك لان معرفة كيف نعرف ؟. وقيمة ما نعرف وحدود معرفتنا بالاشياء كل ذلك تدخل ضمن مجال نظرية المعرفة بل ان نقد المعرفة العلمية تدخل كذلك في مجال نظرية المعرفة[٧].

ونظرية المعرفة هي: " البحث في طبيعة المعرفة واصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها "[٨] والمقصود بالمعرفة: هي المعرفة بصورة عامة المعرفة العقلية والنقلية والعلمية والميتافيزيقية، وتتطلب المعرفة وجود عنصرين لا بد من وجودهما لكي تصبح المعرفة ممكنة، العنصر الاول: الشخص العارف او الذات العارف والعنصر الثاني المعروف أي الذات والموضوع[٩].

ويعتبر (لوك) اول من درسه نظرية المعرفة في العصر الحديث دراسة علمية ومستقلة، بل ان المؤرخون يحددون بداية التفكير الحديث في نظرية المعرفة بسنة ١٦٩٠ م وهي السنة التي طبع (لوك) كتابه الرئيسي (محاولة في الفهم البشري) الذي قضى لوك شطرا كبيرا من حياته وهو يؤلف هذا الكتاب والذي افتتح عصرا جديدا في مجال نظرية المعرفة[١٠].

دعى (لوك) في بداية كتابه (محاولة في الفهم البشري) الى دراسة حدود المعرفة البشرية اولا ثم اكتساب المعرفة ثانيا، فقبل اكتساب المعرفة يجب معرفة مدى قدره العقل البشري على الحصول على المعلومات التي يسعى اليها، ومعرفة صلاحيته

على اكتساب المعرفة الصحيحة وبدون ذلك يؤدي – كما ذهب لوك – الى قيام المعرفة البشرية على اساس متصدع.

ويشير (لوك) الى انه واصدقائه كانوا يجتمعون في بيته لبحث مشكلات المعرفة والعلم ن ولكنهم سرعان ما توصلوا – بعد محاولات كثيرة – الى انهم لم يكونوا على الطريق السليم وان الطريق الى المعرفة الصحيحة تبدأ اولا من دراسة حدود المعرفة وقدرة العقل على اكتساب المعرفة ونوعية المعارف المؤهل لدراستها، ولكن (لوك) لا يسعى لدراسة العقل في ذاته أي طبيعة العقل بل دراسة العقل عندما يسعى للحصول على المعرفة أي ملاحظة العمليات العقلية وعمل العقل ويذهب (لوك) الى انه من المستحيل دراسة العقل في ذاته وان من يفعل ذلك يشبه من يحاول ان يرى عينيه (لانه يحاول ان يرى عقله بعقله)[١١] يقول لوك: (لقد ربكنا انفسنا حينا من الدهر دون ان نخطو خطوة واحدة نحول حل ما حيرنا من شكوك، ثم عنت لي بعد ذلك فكرة هي اننا نسير على غير هدى وانه كان ينبغي قبل البدء في مثل هذه الابحاث ان نختبر قوتنا لنرى لاي الموضوعات تصلح عقولنا لمعالجتها ولايهما لا تصلح)[١٢].

رفض الافكار الفطرية

نظرية المعرفة عند (لوك) لها جانبين، الجانب الاول: سلبي يرفض فيه الافكار الفطرية التي نادى بها الفلاسفة العقليون. والجانب الايجابي ويقر فيه ان التجربة المصدر الوحيد للمعرفة[١٣].

والافكار الفطرية هي الافكار التي توجد في العقل البشري منذ لحظة الولادة[١٤]، او هي افكار موجودة في العقل وغير مستمدة من التجربة يسلم جميع الناس بصحتها وبمجرد من معرفتها[١٥] ولنظرية الافكار الفطرية صورة متعددة:

١- **النظرية الاولى:** وضعها (افلاطون) ويرى ان الانسان قبل ان ياتي الى هذه الدنيا كان يعيش في العالم المثل بلا جسم أي بروحه، في هذا العالم ادرك الانسان المبادئ الاخلاقية والجمالية والمعرفية ولكن بعد ان نزل الانسان الى العالم (عالمنا الذي نعيش فيه) واصبح له بدن (جسم) نسى صور الاشياء المثالية بتاثير الجسد الا انه عندما يرى الاشياء الجزئية يتذكر عالم المثل، فالمعرفة حسب هذه النظرية تذكر وجهل ونسيان[١٦].

٢- **النظرية الثانية:** والتي وضعها (ديكارت) وحسب هذه النظرية فان الانسان يمتلك في عقله تصورات ومبادئ منطقية واخلاقية وضعها الله في عقله، والانسان يسير في حياته حسب هذه التصورات مثل المبادئ المنطقية والرياضية والكوجيتو (انا افكر اذن انا موجود) وفكرة الكائن الكامل (الله) والنفس البشرية[١٧].

٣- **النظرية الثالثة:** التي وضعها (كانط) وحسب هذه النظرية ان العقل يمتلك تصورات قبلية مثل (الزمان والمكان والمقولات) وهذه الاشكال القبلية مصدرها العقل البشري الذي يفرضها على التجربة وذلك لاجل تنظيم التجربة اذن المفاهيم الاساسية ليست مصدرها التجربة بل العقل[١٨].

٤- **النظرية الرابعة:** الافكار الفطرية حسب ما يذهب اليه اصحاب هذه النظرية عبارة عن ادراك مباشر للافكار والاشياء ولا تشير هذه الافكار شكوك لانها واضحة بذاتها ولا تحتاج الى برهان[١٩].

ويرفض لوك التسليم بوجود افكار ومبادئ فطرية في العقل البشري وينتقد أصحاب هذه النظرية بشدة، ويقسم لوك الافكار الفطرية الى نوعين للرد عليهما ويفند كلا القسمين معا:-

أ-**المبادئ النظرية:** وتشمل المبادئ المنطقية التي هي اساس كل استدلال وتكون (المبادئ المنطقية) واضحة بذاتها، ولا تحتاج الى برهان مثل قانون الذاتية الذي

يقر ان (الشيء هو هو) وقانون التناقض والذي ينص ان الشيء (يكون او لا يكون). ذهب الفلاسفة العقليون بان هذه المبادئ فطرية لانها محل اجماع الناس، ولكن لوك رد عليهم بان هذه الافكار ليست معروفة عند جميع الناس بدليل ان الاطفال والبلهاء لا يعرفونها(٢٠) ويقول (لوك) (انه ليبدو لي شيئا متناقضا حين اقول ان هناك شيئا مطبوعا في العقل، وهو في نفس الوقت غير مدرك، لان هذا الطبع ان كان يعتبر شيئا فلن يعتبر اكثر من وجود حقائق معينة في العقل بحيث لا بد وان يدركها ويكون بها واعيا. لذلك نجد انه من الصعب علينا ان نفهم ان يكون هناك شيء في العقل مطبوع فيه او مفطور – والعقل في نفس الوقت لا يدركه ...)(٢١). اي لو كانت هذه الافكار مطبوعة في العقل لأدركها جميع الناس بما فيهم الاطفال والبلهاء، وبما ان هؤلاء لا يدركونها، اذن هذه الافكار ليست فطرية.

ب–**المبادئ العملية:** كما رفض (لوك) الافكار الفطرية النظرية كذلك رفض المبادئ الفطرية العملية والتي تشمل الاخلاق والقانون والضمير وذهب (لوك) الى ان الاخلاق ليس محل اجماع الناس، اذ يختلف من شعب الى اخر ومفهوم الدين يختلف من شعب الى اخر كذلك(٢٢). وفكرة الله ليست معروفة لدى الناس جميعا بدليل ان هناك شعوب ليس لديها فكرة او تصور عن وجود الله(٢٣)، فلو كان ما يقوله اصحاب المذهب العقلي صحيحا لكان الله تعالى قد اعطى فكرة عن ذاته ووضعها في العقل البشري كفكرة فطرية(٢٤). وكذلك الضمير ليس فطريا في العقل فلو كان كذلك لاصبح محل اجماع الناس ولاصبح مفهومه واحدا لدى جميع الناس ولكن الواقع يبين ان مفهوم الضمير يختلف من شعب الى اخر.

التجربة عند لوك

بعد ان هاجم (لوك) نظرية الافكار الفطرية في القسم الاول (الكتاب الاول) من كتابه (محاولة في الفهم البشري) اصبح بالامكان طرح نظريته الجديدة في المعرفة وهذا ما فعله في (الكتاب الثاني) (القسم الثاني) من الكتاب المذكور.

اعتبر (لوك) ان التجربة هي مصدر الوحيد لكل ما لدينا من افكار ومعلومات فالعقل عند البداية (عند لحظة الولادة) لوحة بيضاء خالية من كل فكر، وعن طريق التجربة نحصل على الافكار(٢٥) يقول (لوك) (لنفرض ان العقل صفحة بيضاء خالية من اية كتابات ودون اية افكار ... فمن اين حصل على كل مواد التفكير ؟. والجواب بكلمة واحدة: من التجربة، ففي التجربة تقوم كل معرفتنا ومنها تستمد ...)(٢٦).

يستعمل (لوك) مصطلح الفكرة Idea بمعنى أي شيء يكون موضوع للعقل يفكر فيه الانسان(٢٧)، وهناك ملاحظة مهمة هي ان التجربة المصدر الوحيد للمعرفة عند (لوك) لا يعني ذلك ان العقل ليس لديه قابلية ايجابية بل يقر (لوك) بوجود قوة فطرية في العقل من خلالها يستطيع ان يقوم بالعمليات التالية: التركيب والمقارنة والربط(٢٨).

تكوين الافكار عند لوك

التجربة عند لوك – كما سبق ان شرحنا – المصدر الوحيد للمعرفة البشرية وكل ما لدينا من افكار ترجع في النهاية الى التجربة، ولا يمكن ان نجد شيء في العقل البشري، الا وكان موجودا من قبل في المحسوسات أي في التجربة(٢٩).

ويذهب لوك الى ان كل افكارنا ومعارفنا ترجع الى مصدرين:–

١– **الاحساس (Sensation):** هو ادراك الموضوعات الخارجية عن طريق الحواس وبالتالي تنتج افكار عنها (أي عن الموضوعات الخارجية) والغالبية العظمى من افكارنا نحصل عليها عن طريق تاثر حواسنا بالموضوعات او الموجودات الخارجية أي الموجودة في خارج العقل، مثل فكرتنا عن اللون مثل (الابيض

والاصفر والاحمر والاخضر ...) أي يزودنا الاحساس بالصفات المحسوسة او الكيفيات وبذلك تكون لدينا فكرة عنها[٣٠].

٢- **التامل (Reflection)**: ان ادراك العقل لعملياته الخاصة يؤدي الى تكوين افكار مثل: الادراك والتفكير والشك والاعتقاد والاستدلال والمعرفة والارادة وجميع اعمال العقل المختلفة[٣١] او بعبارة اخرى هو تامل العقل في الافكار التي حصل عليها عن طريق الحواس يؤدي ذلك الى تكوين افكار لم ترد الينا عن طريق الحواس، لانها ناتجة عن تامل العقل لعملياته الخاصة[٣٢]. كل ما لدينا من افكار افكار حصلنا عليها عن طريق هذين المصدرين: الاحساس والتامل، ولا يمكن ان نجد فكرة واحدة في كل معارفنا ومعلوماتنا لا ترتد الى الحواس والتامل[٣٣] يقول لوك (وهذان المصدران الاشياء الخارجية من حيث هي موضوعات للحس وعمليات العقل الداخلية من حيث هي موضوعات للتفكير. هي في الواقع الاساس الذي يمكن ان يبدأ به او يتوقف عليه تكوين اية فكرة...)[٣٤].

انواع الافكار عند لوك

الفكرة هي أي شيء يكون موضوع للتفكير، ولا يمكن ان يقوم العقل بوظيفته الاساسية بدون الافكار أي ان الافكار مادة عملية التفكير[٣٥]، لذا نرى ان لوك يحلل الافكار تحليلا دقيقا، ويقسم الافكار من حيث تركيبها الى نوعين:-

١- **الافكار البسيطة Simple**: هي الافكار التي نحصل عليها عن طريق الحواس بصورة بسيطة وغير ممتزجة مع غيرها أي هي منفصلة[٣٦]، او هي التي لا تتكون الا من فكرة واحدة أي لا يمكن تحليلها الى ما هو ابسط منها[٣٧].
ولتوضيح الافكار البسيطة بصورة اكثر وضوحا نعطي المثال التالي: عندما نرى قطعة ثلج فاننا ندرك الصفات المحسوسة (البياض والبرودة والصلابة) مجتمعة او مترابطة في الموضوع (قطعة ثلج) أي ان قطعة الثلج هي باردة وبيضاء وصلبة في نفس الوقت. ولكن هذه الصفات الحسية تصل الى عقلنا عن طريق

الحواس بصورة منفصلة. فعن طريق حاسة البصر ندرك بياض الثلج وعن طريق اللمس ندرك صلابة وبرودة الثلج وعندما تصل الصفات الحسية الى العقل منفصلة يؤدي الى تكوين افكار واضحة ومنفصلة عن الصفات الحسية وهي ما يسميه (لوك) بالافكار البسيطة أي ان الصفات الحسية تؤثر على الحواس وبذلك يكوّن العقل افكار بسيطة عن الصفات الحسية[٣٨].

ويقسم لوك الافكار البسيطة الى اربعة انواع

أ- افكار بسيطة نحصل عليها عن طريق حاسة واحدة أي صادرة عن احساس واحد معين مثل اللون والاصوات والصلابة.

ب-افكار بسيطة نحصل عليها عن طريق اكثر من حاسة واحدة أي صادرة عن حواس متعددة مثل: افكارنا عن المكان والامتداد والشكل والحركة والسكون. وتكوين هذه الافكار البسيطة عن طريق حاستي اللمس والبصر.

ت-افكار بسيطة نحصل عليها عن طريق التامل مثل: الشهوة، الادراك والتفكير.

ث-افكار بسيطة نحصل عليها عن طريق الاحساس والتامل معا مثل: الوجود والقوة والوحدة[٣٩].

٢- **الافكار المركبة**: هي التي يكونها العقل من خلال العمليات العقلية التالية: تركيب ومقارنة وتجريد الافكار البسيطة، فالعقل في الافكار البسيطة كان سلبيا، اما في الافكار المركبة فالعقل ايجابي وفعال ويربط الافكار في اشكال مختلفة يؤلف افكار مركبة[٤٠]، ويذهب لوك الى ان العقل لا يستطيع ان يبتكر فكرة بسيطة واحدة كما ان الاعمى ليس لديه فكرة عن اللون مهما حاول فلن يستطيع ادراك اللون[٤١].

وتنقسم الافكار المركبة الى ثلاثة انواع

أ- افكار مركبة عن الاعراض: وهي تدل على صفات غير موجودة بذاتها بل في غيرها مثل الجمال فاننا لا نجد في الطبيعة شيء بذاته يسمى جمال بل نصف

به الاشياء الجميلة مثل الزهرة[٤٢]. فالعقل يحصل على هذا النوع من الافكار المركبة عن طريق اضافة فكرة بسيطة واحدة اكثر من مرة مثل فكرتنا عن العدد العشرين ينتج عن طريق اضافة الواحد عشرين مرة او نحصل عليها عن طريق تركيب مجموعة من الافكار البسيطة المتنوعة مثل فكرتنا عن الجمال يتم عن طريق تركيب الافكار البسيطة عن طريق اللون والشكل والجسم[٤٣].

ب-افكارمركبة عن الجواهر: وهي تدل على اشياء موجودة بذاتها وتوصف عن طريق الاعراض[٤٤] وتوجد نوعان من الافكار المركبة عن الجواهر: جواهر مفردة مثل فكرتنا عن انسان او جواهر جمعية مثل فكرتنا عن الجيش او الانسان[٤٥].

ت-افكار مركبة عن العلاقات: وهي الافكار التي تعبر عن العلاقات بين الاشياء[٤٦] الاشياء[٤٦] فالعقل يحصل على هذا النوع من الافكار عندما يقارن بين فكرة بسيطة او مركبة وبين افكار اخرى مثل فكرة الزوج والابوة والاكبر والاصغر[٤٧].

الصفات الاولية والصفات الثانوية

يناقش لوك في كتابه (محاولة في الفهم البشري) الصفات الموجودة في الموضوعات الخارجية وتكون ملازمة للشيء والصفات الثانوية التي لا تعتبر اساسية في الشيء[٤٨]، وتنقسم الصفات من حيث انطباقها على الاشياء الخارجية الى نوعين:-

١- **الصفات الاولية Primary Qualities**: وهي صفات اساسية في الاشياء وملازمة لها، بحيث لا يمكن ان تنفصل عن الاشياء مهما جرى من تغيرات على الاشياء[٤٩]، وبعبارة اخرى في حالة الصفات الاولية تتطابق الافكار البسيطة التي حصلنا عليها عن طريق الحواس وبين صفات الاشياء، وتشمل الصفات الاولية: الصلابة والامتداد والشكل والعدد والحركة والسكون ويحاول لوك اثبات

ان الصفات الاولية لا تنفصل عن الاشياء ابدا عن طريق هذا المثال: ينقسم أي موضوع مادي الى اجزاء صغيرة جدا فانه يلاحظ ان الشيء احتفظ بنفس الصفات التي يمتلكها قبل عملية التقسيم[٥٠]. اذن المادة مهما قمنا بتقسيمها فانها تحتفظ بالصفات الاولية التي هي في نظر لوك ملازمة للشيء واساسية فيه، ولا يمكن تصور الشيء بدون هذه الصفات، أي اذا قسمنا قطعة من الحديد الى اجزاء فاننا نلاحظ ان الاجزاء احتفظت بنفس الصفات التي كانت قطعة الحديد تمتلكها وهكذا بالنسبة لجميع الاشياء[٥١].

٢- **الصفات الثانوية Secondary Qualities**: وهي صفات غير اساسية في الاشياء بحيث يمكن تصور وجودها في الاشياء ويمكن تصور عدم وجودها في الاشياء، فهي غير ملازمة للشيء مثل الصفات الاولية[٥٢]. اذن الصفات الثانوية ليست موجودة في الاجسام او الاشياء وانما قوة في الاجسام او الاشياء تحدث فينا احساسات عن طريق صفاتها الاولية أي من خلال الصلابة، الامتداد، الشكل، التحرك والعدد[٥٣]. يقول لوك (ان كتلة اجزاء النار والثلج وعددها وشكلها هي صفات موجودة فيها بالفعل، سواء ادركتها حواس أي شخص او لم تدركها، لانها توجد في هذا الاجسام بالفعل، لكن الضوء والحرارة والبياض او البرودة، لا تكون صفات موجودة فيها بالفعل مثلما لا يكون المرض او الالم موجودا في الغذاء ذاته، جرد هذه الصفات من الاحساس، فاجعل العين لا ترى الضوء او الالوان واجعل الاذن لا تسمع الاصوات واجعل اللسان لا يتذوق واجعل الانف لا يشم وسوف تجد ان جميع الالوان والطعوم والانغام والاصوات، من حيث انها افكار جزئية، تتلاشى وتختفي وترتد الى عللها، اعني الى الحجم والشكل وحركة اجزائها)[٥٤].

انواع المعرفة عند لوك

يعرف لوك المعرفة بانها: ادراك اوجه التطابق او الاختلاف في افكارنا[٥٥]. أي ان المعرفة تتم عند ادراك الانسان اوجه التشابه والاختلاف في افكاره، اذا تم ذلك، حصل الانسان على المعرفة. ولكن عندما لا تحدث ادراك التشابه او الاختلاف بين الافكار الموجودة في العقل فان ذلك لا تعتبر معرفة في نظر لوك وانما مجرد خيال او ظن يقول لوك (اننا حين نعرف ان اللون الابيض والاسود ليستا متشابهتين بل مختلفتين، وكذلك حين نعرف ان مجموع زوايا المثلث ٢ ق فان هذا يعني اننا ادركنا التساوي او التشابه بين فكرتنا عن مجموع الزوايا الثلاث في المثلث وبين فكرتنا عن الزاويتين القائمتين)[٥٦] اذن فعملية المعرفة هي ادراك التشابه والتطابق او الاختلاف والتناقض بين الافكار ان ادراك التشابه او الاختلاف بين الافكار لا يتم بصورة عشوائية وانما – كما ذهب لوك – يحدث وفق اعتبارات هي:-

١- **ادراك الذاتية والتباين Identity and Diversity**: وهو مبدأ ضروري واساسي في جميع العمليات العقلية، فان اول شيء يجب ادراكه في الافكار التي اتتنا عن طريق الحواس هو معرفة ان فكرة معينة ليست هي فكرة اخرى وانما الفكرة هي هي. أي ان تميز فكرة عن فكرة اخرى فاللون الاسود غير اللون الابيض والحديد غير الذهب ... وهكذا[٥٧].

٢- **ادراك الاضافة Relative**: هو تميز او ادراك العلاقات التي تجمع بين فكرتين، والافكار قد تكون افكارا عن الاعراض او الجواهر او غيرها. وتعتبر عملية الاضافة مهمة جدا في المعرفة ولا يمكن ان نصل الى معرفة بدون ادراك العلاقات الموجودة بين الافكار[٥٨].

٣- **التأني في وجود الروابط الضرورية Co-Existence of Connection Necessery**: هو ادراك تلازم او ترابط بين الافكار حول موضوع ما. وهذا النوع من الادراك يستعمله الانسان في معرفة الجواهر ويعطي لوك مثال بالذهب

الذي ترتبط به مجموعة من الصفات هي اللون الاصغر والصلابة والذوبان في الماء الملكي، فهذه الصفات تلازم فكرة الذهب في العقل البشري[٥٩].

٤- **علاقة الافكار بالوجود الحقيقي Real Existence**: وهي ادراك الوجود الحقيقي أي معرفة ما يقابل الفكرة الموجودة في العقل في العالم الخارجي مثل معرفتنا بوجود الله[٦٠].

انواع المعرفة عند لوك: تنقسم المعرفة عند لوك الى ثلاثة انواع وتختلف درجة اليقين في كل معرفة باختلاف الطريقة التي يحصل الانسان عليها:

١- **المعرفة الحدسية Intuition**: هي المعرفة البديهية – الواضحة بذاتها – والتي لا تحتاج الى برهان فالأبيض غير الاسود والمثلث غير المربع والانسان غير الحيوان، وفي الرياضيات فالعدد (٥) اكبر من العدد (٢) واصغر من العدد (١٠) وذهب لوك الى ان جميع معارفنا تعتمد على هذا النوع من المعرفة[٦١] والمعرفة – كما شرحنا سابقا – عبارة عن ادراك الاختلاف او التوافق بين فكرتين لذا فالمعرفة الحدسية هي ادراك الاختلاف او التوافق بين فكرتين بصورة مباشرة وبدون تدخل اية فكرة اخرى[٦٢].

٢- **المعرفة بالبرهان Demonstrative Knowledge**: هي ادراك اختلاف او توافق بين فكرتين يتوسط فكرة او افكار اخرى لا يصل الى العقل الى هذا النوع من المعرفة بطريقة مباشرة مثل المعرفة الحدسية بل عن طريق توسط او المقارنة بافكار اخرى تكشف لنا الصلة او العلاقة بين الفكرتين وسمى لوك هذه العملية بالاستدلال (التعقل) Reasoning مثلا يتطلب معرفة العلاقة بين زوايا المثلث وبين زاويتين قائمتين الاستعانة بزوايا اخرى تساوي زوايا المثلث من جهة وتساوي زاويتين قائمتين من جهة اخرى وبذلك تتكشف العلاقة بينهما[٦٣] والمعرفة

بالبرهان تعتمد على المعرفة بالحدس لان ادراك الاتفاق او الاختلاف بين فكرتين عن طريق الاستعانة بافكار اخرى لا يتم الا عن طريق الحدس(٦٤).

٣- **المعرفة الحسية:** وهي المعرفة التي لدينا عن الاشياء الواقعية (الاشياء المحسوسة)(٦٥) والمعرفة الحسية تعتمد على الموجودات التي هي خارج العقل البشري بعكس المعرفة الحدسية والبرهانية اللتين نحصل عليهما عن طريق عمليات العقل وتامل العقل لافكاره(٦٦). والمعرفة الحسية في نظر (لوك) لا يقل يقينه عن المعرفة الحدسية والمعرفة البرهانية ونصل عن طريق هذه المعرفة الى وجود العالم الخارجي(٦٧).

حدود المعرفة البشرية

ليست المعرفة عند لوك معرفة بالطبيعة الحقيقية للاشياء او الطبيعة النهائية للاشياء وماهيتها، بل مجرد ادراك الاتفاق او الاختلاف بين الافكار، لذا فالمعرفة البشرية لا يمكن ان تمتد الى ما وراء افكارنا بل قد لا تشمل جميع افكارنا الموجودة في العقل البشري. فالمعرفة اذن مقيدة لها حدود لا يمكن تجاوزها ويمكن ان نشرح حدود المعرفة – كما وضحها لوك – بالاتي:-

١- معرفة الانسان مقيدة بالافكار التي يحصل عليها عن طريق التجربة فالمعرفة لا يمكن تجاوز نطاق افكار الانسان(٦٨).

٢- معرفة الانسان مقتصرة على ادراك الاتفاق او الاختلاف بين الافكار بواسطة الحدس والبرهان والحس فلا يمكن تجاوز حدود هذه المعرفة ابدا(٦٩).

٣- لا يمكن ادراك التشابه والاختلاف بين جميع الافكار الموجودة في العقل البشري عن طريق الحدس فقط بل لا يمكن معرفة جميع الافكار عن طريق المعرفة البرهانية. أي لا يمكن الاقتصار على المعرفة الحدسية لانها لا تشمل على جميع افكارنا(٧٠).

٤- قد لا يستطيع العقل ان يدرك التشابه او الاختلاف ما بين الافكار الموجودة فيه عن طريق الحدس والبرهان وذلك لاننا قد لا نجد افكار وسيطة تربط بين فكرتين(٧١).

٥- المعرفة الحسية تكون مقتصرة على الاشياء الماثلة امام الحواس ولا يمكن تجاوز نطاق الاشياء الماثلة امام الحواس. لذا يعتبر (لوك) المعرفة الحسية اضيق من المعرفة الحدسية والبرهانية(٧٢).

تاثير فلسفة لوك

يقاس اهمية كل فيلسوف بالاثر الذي يتركه على الفلاسفة الاخرين، سواء الذين عاصروه او الذين جاءوا من بعده، وليس المقصود من كلمة التاثير هنا، التاثير الايجابي فقط مثل (سقراط) على تلميذه (افلاطون) الذي جعل الاخير يكمل عمل استاذه، ويكمل طروحاته الفلسفية، ويسير على نهجه في معالجة مشكلات الفلسفة، وانما يشتمل التاثير على التاثير العكسي الذي يقوم على معارضة الفيلسوف على توجهات فيلسوف اخر، مثل تاثير السوفسطائين على سقراط ادى الى ان يثور الاخير عليهم وعلى منهجهم في الفلسفة، لذا يعتبر المؤرخون ان من اهم العوامل التي ساعدت على طوهر فلسفة سقراط هي فلسفة السوفسطائين ورغبة سقراط على دحض طروحاتهم الفلسفية. ولا يقتصر التاثير على الجانبين اللذين ذكرناهما (التاثير الايجابي والتاثير العكسي) بل يشمل كذلك الاتجاه الي يحاول الجمع بين فلسفين والتوفيق بينهما مثل محاولة كانط الذي حاول التوفيق بين الاتجاه التجريبي الذي يمثله لوك وباركلي وهيوم والاتجاه العقلي الذي يمثله ديكارت وليبنز، واذا طبقنا هذا المعيار على فلسفة لوك فاننا سوف نصل الى نتيجة وهي ان تاثير لوك كان عظيما على الفلاسفة في العصر الحديث، سواء كانوا معارضين له وبنوا فلسفتهم وهم يحاولون الرد عليه مثل ليبنز او الفلاسفة الذين حاولوا توسيع نطاق الفلسفة التجريبية التي

اسسها لوك أي توسيع طروحات لوك التجريبية، او الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين فلسفة لوك التجريبية وفلسفة ديكارت وليبنز العقلية مثل كانط الذي كان ذو نزعة عقلية ولكن تاثير ديفد هيوم جعله لا يستطيع السير في الفلسفة بدون ان ياخذ بنظر الاعتبار طروحات الفلسفة التجريبية وسوف نعرض بشكل مختصر كل هذه الاتجاهات[٧٣].

١- **تاثير لوك على الفلاسفة التجريبيين:** يعتبر لوك مؤسس الفلسفة التجريبية – كما ذكرنا سابقا – وامام المذهب الحسي كما يسميه الاستاذ يوسف كرم، لذا كان تاثيره كبيرا على الفلاسفة: الفيلسوف الفرنسي (كونداياك) الذي تاثر بفلسفة لوك التجريبية خاصة في كتابه (مقالة في اصل المعرفة الانسانية) الا انه ذهب الى ابعد من لوك في تطبيق الفلسفة التجريبية على المعرفة فقد انكر أي دور للعقل في المعرفة واعتبر الاحساس المصدر الوحيد للمعرفة وان دور العقل سلبي بعكس لوك الذي اعطى دور للعقل في التركيب والمقارنة بين الافكار وتكوين الافكار المركبة، ولا يقتصر تاثير لوك على هذا الفيلسوف بل يمكن ذكر فلاسفة اخرين مثل هيوم وباركلي ورسل ووليم جيمس وجون ستيوارت مل واخرين[٧٤].

٢- **التاثير العكسي:** كانت لفلسفة لوك التجريبية دورا مهما في نشاة فلسفة ليبنز العقلية ولكن كرد فعل لاتجاه لوك التجريبي الذي رد المعرفة البشرية كلها التجربة، فقد ذهب ليبنز الى ان جميع الافكار ومعارف الانسان فطرية الا ان وجود هذه الافكار تكون بصورة لا شعورية او قبل الشعورية لا نحس بها الا عندما يتطور ادراكنا للاشياء، وذلك لان المعرفة عند لينز يبدأ من مرحلة لا شعورية وصولا الى المرحلة الحدسية التي هي في نظره اعلى مراحل المعرفة. وهذا كله يعارض طروحات لوك. وعارض كل ما قاله لوك بتاثير ارسطو انه لا

شيء في العقل ما لم يكن من قبل في الحس واكد ان الصحيح انه لاشيء موجود في العقل ما عدا العقل نفسه[٧٥].

٣- **تاثير لوك على فلسفة كانط:** حاول كانط التوفيق بين النزعة التجريبية والنزعة العقلية مثلما حاول لوك التوفيق بين النزعة المادية الحسية عند هويز وجسندي وبين الاتجاه العقلي عند ديكارت وليبنز. ولقد بحث كانط مثل لوك في نظرية المعرفة واصل المعرفة وحدود المعرفة الا انهما اختلفا في تحديد دور التجربة بينهما قرر لوك ان التجربة اساس المعرفة فقد قرر كانط ان الانطباعات الحسية لا يمكن اعتبارها معرفة بدون ان تدخل الى العقل الذي بدوره ينظمها في مقولات التي هي اشكال قبلية موجودة في العقل البشري وكذلك ينظمها في الزمان والمكان اللذين هما صوتين للحساسية البشرية، فلكي تكون هناك معرفة لا بد ان تنتظم الانطباعات الحسية في الزمان والمكان والمقولات العقلية. واكد كانط بان العقل يملك افكار قبلية بدونها لا يمكن ان تكون هناك معرفة، ولكن بتاثير المدرسة التجريبية قال بدون التجربة تكون المعرفة فارغة[٧٦].

نقد نظرية المعرفة عند لوك

تعرض نظرية لوك في المعرفة الى كثير من النقد الذي وجهه فلاسفة كثيرين، ولا يمكن في هذا البحث ان نذكر كل ما قيل بهذا الصدد، لذا سوف نقتصر على ذكر بعض النقاط المهمة. انتقد كوزان Cousion لوك في مسالة وجود الافكار الفطرية واكد على ان طريقة لوك في مناقشة وجود الافكار الفطرية لم تكن علمية لان من الصعب ان نحصل على معلومات حول اذ كان الاطفال والبلهاء يعرفون هذه الافكار او لا يعرفونها، اذ لا توجد طريقة تمكننا من معرفة ذلك، ويؤكد كوزان بان الاطفال والبلهاء يعرفون الافكار الفطرية بشرط ان تعرض لهم في اشكال محسوسة

تناسب عقليتهم[٧٧]. وبرغم ان لوك رفض الافكار الفطرية في العقل البشري واكد ان العقل لا يعرف سوى افكاره الى اننا نجده يعود الى اقرار وجود بعض الافكار الفطرية في العقل البشري أي افكار مطبوعة في العقل البشري مثل وجود الله والنفس ووجود العالم الخارجي[٧٨]. واعتبر المؤرخون موقف لوك من مسالة عرقة الفرد من وجود العالم الخارجي يتسع بالتناقض والتردد، اذ انه يقرر بان الانسان لا يعرف سوى افكاره التي قد لا تكون متطابقة للاشياء الخارجية أي الاشياء كما هي في الطبيعة ولكنه يعود فيقرر بان الموجودات الخارجية او الاشياء المادية هي التي توثر على الحواس وبذلك تنشأ المعرفة[٧٩].

الهوامش

(١) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث: ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي (مصر: مكتبة مصر، د.ت) ص ١٧٨.

(٢) الدكتور: هاني يحيى نصري، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة (مصر: المؤسسة الجامعية للدراسات، د.ت) ص ١٧١.

(٣) عزمي اسلام، جون لوك (مصر: دار المعرف، ١٩٦٤) ص ١٧.

(٤) ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٢) ص ٣١٩ – ٣٢٠.

(٥) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ١٧–١٨.

(٦) الدكتور: زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، الطبعة الثالثة (دار الشؤون، ١٩٨٢) ص ١٤.

(٧) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، مدخل جديد الى الفلسفة، الطبعة الثالثة (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩) ص ٦٧–٦٨.

(٨) الدكتور: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١) ص ٤٧٨.

(٩) الدكتور: محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت) ص ١٣٩.

(١٠) هنترميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، ترجمة: د. فؤاد زكريا، الطبعة الثانية (القاهرة، نيويورك: مؤسسة فرانكلين، ١٩٧٥) ص ١٧٥.

(١١) الدكتور: زكي نجيب محمود والدكتور احمد امين، قصة الفلسفة الحديثة، الجزء الاول (القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦) ص٢٠٢.

(١٢) المرجع السابق، ص ٢٠٣٢.

(١٣) الدكتور ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم (الاسكندرية: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر) ص٢٥٩.

(١٤) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني (ايران: ذوي القربى، د.ت) ص ٣٧٣.

(١٥) الدكتور: محمد فتحي الشنيطي، المعرفة (القاهرة: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١) ص١١٠.

(١٦) الدكتور: ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، سابق، ص٢٥٨-٢٥٩.

(١٧) المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(١٨) المرجع السابق، ٢٦٠.

(١٩) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٢٠) الدكتور: كريم متي، الفلسفة الحديثة: عرض نقدي (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠١ م).

(٢١) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط٥ (مصر: دار المعارف، د.ت) ص ١٤٥-١٤٦.

(٢٣) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص ٣٧٤.

(٢٤) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢٥) عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص ٣٧٤.

(٢٦) الدكتور: كريم متى، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص١٥٦.

(٢٧) المرجع السابق، ص١٥٦.

(٢٨) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٢٩) الدكتور: يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٣) ص ٦١.

(٣٠) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٣٧٤.

(٣١) الدكتور: كريم متى الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٣٢) الدكتور: محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، مرجع سابق، ص١١٠-١١١.

(٣٣) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ٣٧٤.

(٣٤) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٣٥) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٣٦) الدكتور: كريم متى، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣٧) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص ٣٧٤.

(٣٨) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص٥٦-٥٧.

(٣٩) الدكتور: محمد محمد قاسم، مدخل الى الفلسفة (بيروت: دار النهضة، ٢٠٠١) ص ١٨٥-١٨٦؛ اسلام عزمي، جون لوك، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٤٠) الدكتور: محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، مرجع سابق، ص ١١٠-١١١.

(٤١) الدكتور: كريم متى: الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٤٢) الدكتور: كريم فتحي الشنيطي، المعرفة، مرجع سابق، ص ١١١.

(٤٣) عزمي اسلام، جون لوك، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٤٤) الدكتور: محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، المرجع السابق، ص١١١.

(٤٥) الدكتور :عزمي اسلام، جون لوك، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٤٦) الدكتور: محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، المصدر السابق، ١١١.

(٤٧) الدكتور: عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤٨) المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦.

(٤٩) المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦.

(٥٠) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمد سيد احمد تقديم ومراجعة: امام عبدالفتاح امام (بيروت: دار التنوير، ٢٠١٠) ص١٦٠-١٦١.

(٥١) المرجع السابق، ص ١٦١.

(٥٢) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٥٣) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص ٣٧٥.

(٥٤) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص١٦١.

(٥٥) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٥٦)عزمي اسلام / جون لوك، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٥٧) المرجع السابق، ص ١٤٦، وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ١٦٩

(٥٨) عزمي اسلام، جون لوك، المرجع السابق، ص ١٤٦، وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٦٩.

(٥٩) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٦٩.

(٦٠) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٦١) دكتوراه، رواية عبدالمنعم عباس، جون لوك، امام الفلسفة التجريبية (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٦) ص ٩٣.

(٦٢) الدكتور: كريم متى، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ١٧٢ -١٧٣.

(٦٣) عزمي اسلام، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(٦٤) الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص ٣٧٦.

(٦٥) الدكتور: كريم متى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ١٧٤-١٧٥.

(٦٦) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٦٧) دكتوراه: رواية عبدالمنعم عباس، جون لوك، المرجع السابق، ص ٦٥ ؛ ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(٦٨) ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة، ص ٢٨٠.

(٦٩) المرجع السابق، ص ٢٨٠.

(٧٠) عزمي اسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٧١) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٧٢) ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة، ص ٢٨٠.

(٧٣) عزمي اسلام، جون لوك، ص ١٨١-١٨٢.

(٧٤) المرجع السابق، ص ١٨١-١٨٣.

(٧٥) المرجع السابق، ص ١٩٢-٢٠٠.

(٧٦) المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠٥، الدكتور زكريا ابراهيم، كانت او الفلسفة النقدية (مصر: مكتبة مصر، د.ت) ص ٥٢-٥٤.

(٧٧) الدكتور: زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٧٨) المرجع السابق، ص ٢١٥.

(٧٩) المرجع السابق، ص ٢١٩.

قائمة المصادر والمراجع

١- الدكتور: ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم (الاسكندرية: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر).
٢- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي (مصر: مكتبة مصر، د.ت).
٣- الدكتور: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١).
٤- الدكتوراه: رواية عبدالمنعم عباس، جون لوك امام الفلسفة التجريبية (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٦).
٥- الدكتور: زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، الجزء الاول (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦).
٦- الدكتور: زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، الطبعة الثانية (دار الشروق، ١٩٨٢).
٧- عزمي اسلام، جون لوك (مصر: دار المعرف، ١٩٦٤).
٨- الدكتور: عبدالرحمن بدوي، مدخل جديد الى الفلسفة، الطبعة الثانية (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).
٩- الدكتور: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني (ايران: ذوي القربى، د.ت).
١٠- الدكتور: كريم متى، الفلسفة الحديثة، عرض نقدي (بيروت: دار الكتابة الجديدة المتحدة، ٢٠٠١).
١١- الدكتور: محمد فتحي الشنيطي، المعرفة (القاهرة: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١).
١٢- الدكتور :محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)

١٣- محمد محمد قاسم، مدخل الى الفلسفة (بيروت: دار النهضة، ٢٠٠١).
١٤- هترميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، ترجمة الدكتور: فؤاد زكريا، الطبعة الثانية (القاهرة، - نيويورك: مؤسسة فرانكلين، ١٩٧٥).
١٥- الدكتور: هاني يحيى نصري، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة (مصر: المؤسسة الجماعية للدراسات، د.ت).
١٦- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمد سيد احمد تقديم ومراجعة: امام عبدالفتاح امام (بيروت، دار التنوير، ٢٠١٠).
١٧- ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: الدكتور فتح الله محمد المشعشع (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٢).
١٨- يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
١٩- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، الطبعة الخامسة (مصر: دار المعارف، د.ت).

"Abstract"

Ahmed Nadim Dawod
Assistant professor
Kirkuk University/ Nursing College

The English philosopher John Locke was one of important English philosophers; he left a big vestige for other philosophers

especially the empiricists e.g. Jorge Barkley and David Hume and John Stewart Mil and Bertrand Russel.

Locke was the first philosopher whom applied the empiricist approach in philosophy especially in field of knowledge theory and he refused the fungal ideas which were called by the others and Luke discussed his theory with others and confirmed his theory by accurate scientific style and said that the human mind have not like this kind, and if it is existent, many peoples including children and buzzards were called for that idea but the fact refers into reverse that.

Locke considered experience the only recourse for knowledge and the mind when born it is a white paper have no any information and all what we have from ideas were comes by the experience and it is not as what others says that human's mind is supplied from ideas by fungal.

Locke is one of the philosophers whom take his effectiveness from science approach in his age, and he tried to apply the extrapolating approach in philosophy specially in his theory in origin of knowledge and in differentiating between initial descriptions and sub-descriptions and the matter of colleges and language analysis and also ideas analysis and ideas dividing into simple and complicated. All these approve his effectiveness with scientific approach (the extrapolating) which used in his age as supplied by scientists as Galileo and Newton and Boil.

Locke called into studying the human minds at first and for knowing the researches which it contains and which could not be human's mind imagine it and after finding minds ability and its limit, human being could be get knowledge without wasting it.

((المدونات كأداة اتصال تفاعلي في المشاركة السياسية)) دراسة تحليلية لخروقات الانتخابات البرلمانية العراقية لعام ٢٠١٠ كما عكستها المدونات العراقية

م.م عذراء إسماعيل حسين جمعة محمد عبد الله
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

تقتضي صناعة القرار السياسي في الوقت الراهن وفي ظل النفوذ المستمر لتكنولوجيا الاتصال، الاستفادة من الأنماط المختلفة لمستويات الديمقراطية الالكترونية، والتي تحققت من خلال شبكة الانترنت وتمثل المدونات إحدى خدمات الانترنت وكذلك وسيلة اتصال تفاعلية مباشرة، وليس لها نمط تحريري خاص بها، كما انه لا يوجد محرر يحول بين كاتبها وقارئها، لذا فهي يمكن ان تقدم شكلا ارتجاليا ومثيرا من أشكال التقرير والتحليل يضفي عليها المزيد من جذب للمشاركين، حيث إنها ليست موجهه لتحقيق أهداف معينة، كما إن المدونات أحدثت شهرتها بالاحتلال الأمريكي للعراق من خلال ما قدمته من معلومات حقيقة نالت ثقة جمهور الشبكة العنكبوتية على مدار المعمورة، أحرجت في معظم معلوماتها ما كانت تقدمة مكانة الأعلام الغربية والأمريكية خاصة وتأتي في مقدمة هذه المؤسسات شبكة CNN وشبكة FOX وغيرها من المؤسسات الإعلامية الغربية.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة وتشمل:

١- مشكلة الدراسة

أصبحت المدونات ساحة اتصالية خصبة لمستخدمي الانترنت بشكل عام والشباب العراقي بشكل خاص وحازت المدونات العراقية على سمعة جيدة من بين المدونات العالمية والعربية نظرا لدورها في عرض حقائق الحرب الأمريكية على العراق وتداعيات هذه الحرب وكذلك كشفها للحقائق المغلوطة التي حاولت الإدارة الأمريكية ان تسوقها عبر وسائلها العالمية مثل الـCNN وغيرها من الشبكات الأخرى.

كل هذا جعل هذه المدونات محط أنظار الأحزاب السياسية العراقية في طرح رؤاها وأفكارها للناس ضمن الاستخدام المتعدد لوسائل الأعلام الحديدة الأخرى مثل (Face book) والتويتر (twitter) والمنتديات وساحات الحوار الأخرى، وان الانتخابات البرلمانية العراقية هي مادة خصبة وحيوية لأصحاب المدونات سواء للمنتسبين للأحزاب السياسية او المنتقدين لها ومن هنا تأتي الدراسة التي تتناول **(طروحات المدونين العراقيين في عرض الخروقات الانتخابية البرلمانية كما تعتبر محاولة للتعرف على الأبعاد المختلفة واكتشاف الكيفية التي يمكن ان يشكل بها أصحاب المدونات التي ستطبق رأيا عاما حول قضية معينة عبر هذا النوع من الإدارة الاتصالية التفاعلية البديلة عن وسائل الاتصال التقليدية الأخرى).**

كل هذا جعل المدونات العراقية مثار اهتمام الباحث للتعرف على كيفية استخدامها كاداة اتصالية من قبل القوى السياسية الفاعلة في الساحة العراقية في متابعة الخروقات الانتخابات البرلمانية العراقية من خلال تحليل هذه الخروقات التي تنشر داخل مواقع المدونات العراقية باعتبارها نمط اتصالي حيوي يغري الكثير من القوى والشخصيات السياسية لطرح رؤاهم من خلالها.

لقد شكلت العمليات الصحفية التي تتم على مواقع محددة التعريف على شبكة الانترنت او كما يطلق عليها صحافة الشبكات (on line Journalism) مجالا أساسيا من المجالات التي برزت فيها تجليات وتداعيات ذلك الحوار، وتأتي المدونات كأحد الأدوات أو المواقع المتاحة لتبادل الآراء مع الآخرين، خصوصا في الحالات التي يزداد فيها القيود على النشر و التعبير في الرسائل والقنوات العادية، ومن ضمن الانشطة العديدة في مجال المدونات وخصوصا بعد انتعاش استخدام الانترنت في العراق حيث ارتفع عدد مستخدمي الانترنت من ٥٠ الف شخص عام ٢٠٠٣ الى٥،٢ مليون عام ٢٠٠٧ حسب تصريح مدير شبكة الاتصالات العراقية[1]. أي يمثل مانسبته ١٠% من سكان العراق.

٢- أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة الى تحقيق أهدافها

١- التعرف على المدونات كأداة اتصال تفاعلي على الانترنت وكنمط صحفي بديل في التعبير عن الآراء حول القضايا المختلفة بصفة عامة والقضايا السياسية بصفة خاصة

٢- تحليل العناصر الخاصة بمضمون المدونات في رصدها الخروقات التي حدثت في ألانتخابات البرلمانية وتتفرع من الجزئيات التالية

أ- أجراء دراسة مقارنة بين المدونات محل البحث حول كيفية وحجم عرضها لهذه الخروقات والفنون الصحفية المستخدمة في هذا العرض

ب- معرفة الاهتمام الذي تبديه المدونات العراقية تجاه حدث مهم إلا وهو الخروقات التي حدثت في الانتخابات البرلمانية العراقية التي جرت عام ٢٠١٠

٣- تساؤلات الدراسة

١- ما الموضوعات التي تضمنتها المدونات العراقية كنمط للصحافة العراقية البديلة في حيال قضية خروقات الانتخابات البرلمانية في العراق؟

٢- ما الأطراف التي استهدفتها هذه المدونات في عرضها لقضية الخروقات التي شابت الانتخابات البرلمانية العراقية ؟

٣- ما أنواع الحجج المستخدمة في البرهنة التي استندت عليها المدونات عند عرضها لهذه الخروقات

٤- منهج الدراسة

تنتمي هذه الدراسة للدراسات الوصفية التحليلية، حيث تهتم برصد وتوظيف المدونات على شبكة الانترنت كأداة اتصالية تفاعلية، وكذلك بديل للصحافة التقليدية وفاعل في المشاركات السياسية، وذلك من خلال تحليل المضمون الذي تحتويه هذه

المدونات تجاه قضية الخروقات التي شابت الانتخابات البرلمانية العراقية وحسب مانادت به معظم الكتل السياسية المشاركة في هذه الانتخابات تشهدها العراق وأثرها الاستراتيجي مما سيؤول إليه هذا الواقع وهذا المسار، كما تم الاعتماد على منهج المقارن في تحليل أوجه التشابه والاختلاف داخل بنية المدونات العراقية في عرضها لهذه المواضيع مدار البحث

١- منهج المسح الإعلامي: المسح المضمون (مدونات مجمتمع البحث) الذي يتعلق بقضية الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠١٠ والتي بدأت منذ فترة بداية الدعاية الانتخابية وانتهت لغاية بداية إعلانات الجزئية الأولية

أدوات جمع البيانات: اعتمدت الدراسة على:

أ- أداة تحليل المضمون: كأداة أساسية لتحليل مضمون الصحف محل الدراسة الذي يدور حول قضية خروقات الانتخابات البرلمانية العراقية ٢٠١٠

وقد طبقت الدراسة التحليل الكمي وكذلك التحليل الكيفي لتفسير وتأكيد التحليل الكمي وربط النتائج بالعوامل النسبية المؤثرة على الظاهرة موضوع الدراسة.

٥- الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي تناولت الخطاب السياسي عبر الانترنت، وأدوات الاتصال التفاعلي بها، كانت دراسة Parham (٢٠٠٤) حول استخدام المهاجرين من أصول هايتيته لساحات النقاش على الانترنت وتوصلت إلى إن عدم ممارسة أي نوع من أنواع الرقابة من جانب مديري ساحات النقاش يوفر للمشاركين في النقاش مزيدا من الحرية في التعبير عن الرأي وتحكم اكبر في أجندة الأفكار والموضوعات المطروحة للنقاش من ناحية وفي طبيعة الاتجاهات التي تكون بشأنها من ناحية أخرى[٢].

إما دراسة عصام نصر (حدود الرأي في ساحات النقاش العربية عبر الانترنت – دراسة تحليلية) في عام ٢٠٠٢ فقد تناولت أهم الموضوعات التي يتطرق إليها هذا النقاش وأسلوب التعبير عن هذه القضايا ومواقف المشاركين في الحوار منها، وأسلوب التحاور ومفرداته المستخدمة فيها بين المتحاورين واثر الانتماءات المذهبية على طبيعة هذه الآراء وتوجيهاتها، حيث منح الدراسة في مواقع الحوار في الشبكات العربية المعروفة والعاملة عبر شبكة الانترنت والتي بلغ ١٠ مواقع و تتنوع اهتماماتها مابين الأدبية والثقافية والسياسية والرياضية وتوصل الباحث إلى إن أكثر الموضوعات المطروحة بين المشاركين تركزت في الجانبين الديني والسياسي على المستوى الموضوعي، ولم يعتمدوا أي نوع من الحجج والبراهين التي تعطي الطرح نوعا من الموثوقية[٣].

في حين إن دراسة ماهنياز رمزي في دراستها (بنية أطروحات خطاب الإصلاح السياسي داخل ساحات النقاش على المواقع الإذاعية والتلفزيونية لشبكة الانترنت) حيث توصلت هذه الدراسة إلى نتائج مفادها افتقاد النسبة الأكبر من أطروحات الخطاب للحجج الاجتماعية ما يضفي صبغه إنشائية على الخطاب، ويحوله إلى نوع من الخطابة السياسية القائمة على الاحتياج اللفظي دون وجود حجج موضوعية[٤]

الإطار النظري للدراسة

تعتمد هذه الدراسة في بناءها النظري وفروضها على نظرية وتحليل الأطر (Framing analysis) والتي من ابرز سماتها تفسير دور وسائل الإعلام في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته تجاه قضايا معينة وتطرح نظرية تحليل الأطر، إن الصحفيين غالبا ما يعملون وفقا لأطر إخبارية من اجل تبسيط الإحداث ووضع

أولويات لها حيث يفي مفهوم وضع الإطار وإعطاء الأولوية لبعض الحقائق والأحداث دون غيرها[٥]

وهناك أربع وظائف لتحليل الإطار الإعلامي وهي

١- تحديد المشكلة أو القضية بدقة
٢- تشخيص أسباب المشكلة
٣- وضع إحكام أخلاقية
٤- أخراج سبل العلاج[٦]

وهناك بعض العوامل المؤثرة في بناء الإطار الخبري التي يعزى إليها تحديد الأطر الخبرية بوسائل الأعلام في تغطيتها للقضايا المختلفة وهي درجة الاستقلال السياسي لوسائل الإعلام ومصادر الأخبار، الأعراف السائدة في وسائل الأعلام وأنماط ممارستها والإيديولوجية السياسية والثقافية للصحفيين والمحررين والأحداث ذاتها[٧]

وهناك نمطان من الأطر الإعلامية وهي:

١- الإطار المحدد المرتبط بوقائع ملموسة وقضية محددة مثل الانتخابات البرلمانية في العراق
٢- الإطار العام وهو الذي يعالج القضايا المثارة في سياق مجرد يتسم بالعمومية مثل الديمقراطية في الشرق الأوسط وتفترض البحوث الخاصة بهذه النظرية إن اختلاف وسائل الإعلام في تحديد الأطر الإعلامية تؤدي إلى اختلاف إحكام الجمهور المرتبط بكل وسيلة فيما يتعلق بتشكيل المعارف والاتجاهات نحو القضايا المثارة

الفصل الثاني

الإطار المعرفي والتحليلي للدراسة

تعريف المدونات

على الرغم من النشأة الحديثة للمدونات نسبة الى استخدامات الانترنت الاخرى، الا انها حظيت بدراسات كثيرة ومستفيضة أدت الى ظهور عدد كبير من التعاريف للمدونات، وكلا حسب الزاوية التي ياخذها منها، او حسب الخدمة التي تقدمها هذه المدونة بالتالي تم الاجتهاد في تعريفها من قبل كثيرمن المختصين منذ النشاة حتى الان، ولا تختلف التعريفات كثيرا عن بعضها خصوصا في تحديد السمات والخصائص، ويقع الاختلاف فقط في تصميم البرامج والتعامل مع الشبكات ونظم الاتصال: ومن هذه التعريفات

١- انها نظام توصيل المحتوى، وانها الجيل الثاني لمواقع الانترنت، وانها صفات من الويب دائمة التغيير يتم تأريخ الرسائل والمداخلات في قوائم زمنية عكسية[٨].

وأن المدونات أصبحت شائعة وتتزايد كشكل من إشكال الاتصال على شبكة الانترنت في حين انه يراها (جولد مان) أنها تمثل شكل أخر من أشكال الانترنت كوسيط اتصالي، وهي في هذا لا تختلف عن قوائم مستخدمي الشبكة User net او قوائم البريد الالكتروني list E-mail او المحادثة chat او لوحات الرسائل او الصفات الشخصية او مواقع المراجعات[٩]

ويظل التعريف الذي صاغه الدكتور محمد عبد الحميد هو الشمل في رسم صورة متكاملة عن المدونات والذي يقول فيه (يمكن تعريف المدونات اتصاليا إنها وسيلة من وسائل الاتصال على شبكة الانترنت وشكل من إشكال صحافة الشبكات ينشؤها افراد او جماعات لتبادل الافكار والاراء حول الاخبار او الموضوعات ذات

الاهتمام المشترك التي يطرحها الناشر على صفاتها بنظم الاتاحة الفورية، او الاستدعاء اللاحق من ارشيف الرسائل والروابط النصية الفائقة دون قيود على حرية القارئ في المناقشة والتعليق على الرسائل المتاحة، بالنصوص او الرسائل المتعددة، وكذلك حريتة في التجول بين الروابط واستدعاء الرسائل والمدخلات السابقة[١٠].

في حين عرفها البعض على انها: المدونات Blogs انها صفحات يتم انشائها على الانترنت تحتوي على سجل من المعلومات التدوينات posts متسلسلة زمنيا تشمل في نصوص وصور وبرامج ومواد صوتية متاحة لجمهور معين او سلسلة هرمية مرتبة من النصوص والصور والعناصر الإعلامية والبيانات زمنيا والتي يمكن قراءها على متصفحات الويب.

ومن مواطن قوة المدونات وضعفها هو عدم وجود رقابة عليها وعدم وجود وسيط بين المدونيين والجمهور وعدم خضوع المدونات للتحكم مما يطرح تحفظات سياسية واخلاقية حول مضمونها[١١]

ومهما اختلفت التعريفات المدونة فانها تظل هي موقع الكترون يتوافر فية مايلي

١- محتوى منظم كمداخل مستقلة يتمثل كل منها على نص وربما بعض الروابط العالقة ومتاحة جميعا في ترتيب زمني عكسي (من الاحدث الى الاقدم)

٢- تاريخ زمني لكل مدخل، بحيث يعرض المستفيد منها محتوياتها، ثم تدوين هذا المدخل على درجة التحديد

٣- سجل ارشيفي بجميع المداخل السابقة بحيث يمكن الوصول اليها بسهولة من قبل الزائرين[١٢]

النشأة التاريخية للمدونات

تعود بداية ظهور المدونات الالكترونية إلى عام ١٩٩٤ وكانت تعرف حينها باسم المذكرات الالكترونية، وتعتبر المدونات أو ملتقيات التعبير على الانترنت تطور لموقعي (Pointers commentary & winner's scripting) للإخبار في عام ١٩٩٧، عندما كانت لاتزال تعرف كمرشحات (Filter) ولتطوير هذين الموقعين قام جورن بارجر في عام ١٩٩٧ بوضع كلمة Weblog او مدون التعبير على الانترنت، والذي بدا بنشر ببطء، ثم دفعت العديد من الأحداث ما بين عام ١٩٩٩، ٢٠٠٣ منذ وقوع إحداث سبتمبر والغزو الأمريكي العراق، والتي تميزت بشد جذب النظر الى المدونات على الانترنت بحيث أصبحت تجذب إليها الآلاف المشتركين[١٣].

مثل بدايات أشياء كثيرة قام المدونين الأوائل بإنشاء المدونات حيث لم يكن لديهم مسمى يطلقونه على ما كانوا يقومون به. رغم ان الأمر استغرق بعض الوقت لتطوير مصطلح يعبر عنها، فان عملية التدوين كانت قائمة وتمارس بأشكال متعددة منذ بداية الانترنت، فقد كانت المدونات الاولى عبارة عن مواقع لروابط الويب (Link- driven sites) وكان كل موقع يضم خليطا من الروابط لمواقع متشابهه في الافكار والرؤى، وبالتالي كان على المدونين ان يمتلكوا مهارات مماثلة لمهارات مصممي مواقع الويب، وقد مهد ظهور برامج التدوين وواجهات التضييف السهلة الطريق لظهور المدونات بشكلها الحالي[١٤].

حيث بدا (تيم بارهرز لي Tim – Berhers Lee) مخترع الويب بالاحتفاظ بقائمته يتم تحديثها باستمرار لتضم كل مواقع الويب الجديدة بمجرد ظهورها، وفي عام ١٩٩٣ بدات في اظهار موقع اسمه (ما الجديد) على برنامج التصفح الخاص بها لعرض القوائم، وشهد عام ١٩٩٣ قيام(باست هال) باطلاق موقع يقدم روابط للمواقع الغير معروفة. وفي عام ١٩٩٧ قام (ديق ويتر) بتقديم عدد من البرامج الخاصة لمحتوى المواقع والمدونات مثل، (Radio user land- manila , Froniter).

في حين ان هناك أحداث ساهمت في الانتشار الجماهيري للمدونات والدور الذي تلعبه في الساحة الاتصالية عبر الانترنت، ومن أهم هذه الإحداث الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ والانتخابات الأمريكية في العام الذي تلاه[١٥]، المدونة (Blogs) هي صنعة الكترونية مكتوبة ترتيبا زمنيا من الأحدث الى الأقدم ومعروضة من الأقدم الى الأحدث، في حين ان التدوين هو مصطلح يستخدم لاضافة المحتوى الى المدونات، ولقد تطورت المدونات فكره المدونات الشخصية من نشر الاحداث اون لاين، حين يكفي الأشخاص عن حياتهم الشخصية وكذلك من خلال الصفحات الالكترونية التي تحوي أخبارا مستجدة، ظهر مصطلح (weblog) من خلال جورن بارجر في ٧ كانون الاول ١٩٩٧، في حين ان الاختصار (blog) فقد ورد من خلال (بيتر هيرولز) الذي استخدم هذا المصطلح في مدونته في مايو ١٩٩٩ وتوسع استخدام المدونات في نفس العام والاعوام التالية حيث اصبحت الادوات التي تضم المدونات اكثر انشارا وتداولا[١٦].

في حين يرى البعض ان ظهور المدونات على الانترنت بالشكل الذي تبدو علية الان في عام ١٩٩٦ مع ظهور موقع (ديف وينر Dave winer) لكتابة الاخبار وتسجيل ردود الفعال بشأنها والتعليقات على طائفة واسعة من القضايا[١٧].

كانت الطليعة في المدونات العربية من حيث النشأة فقد ظهرت مدونة سلام باكس في يونيو ٢٠٠٢ مدونة سلام الجنابي (slam pax) وذاع صيتها وانتشرت اثناء الغزو الامريكي للعراق في نيسان من عام ٢٠٠٣ وهي بذلك تكون قد سبقت من حيث النشأة والانتشار ايضا مدونة عبد الله المهيري من أمارة ابوظبي sardal.com التي أنشئت في مارس ٢٠٠٤ [١٨]

التي ترى فيها شيماء اسماعيل انها تمثل بدايات المدونات العربية وقد استطاعت المدونات العراقية بعد هذا التاريخ ان تترك بصماتها على عالم التدوين العربي[١٩]

نشأة المدونات في العراق

على الرغم من محدودية انتشار المدونات العراقية، نسبة الى الدول العربية ودول المنطقة الاخرى،نظرا للظروف السياسية والاقتصادية في هذا البلد، لكنها استطاعت ان تشغل حيزا افتراضيا في شبكة الانترنت من حيث الكم والنوع، من خلال تواجدها في محافظ مدونيها خاصة بها، مثل دليل المدونات العراقية، او في محافظة المدونات الاخرى مثل محفظتي جبران ومكتوب ، والمدونة تأتي أهميتها من انها قدمت نافذة مهمة على المجتمع والتطورات السياسية، وتناولت قضايا تحاشى الاعلام التقليدي الخوض فيها[٢٠].

مثل مدونة سلام باكس (salam pa) لصاحبها المهندس العراقي (سلام الجنابي) التي ظهرت على الانترنت في يونيو عام ٢٠٠٣ وحققت شهرتها العالمية من خلال وصفها الدقيق لمعاناة العراقيين اثناء الهجمات الامريكية الشرسة على بغداد حيث كانت مصدرا نادرا للمعلومات عن حقيقة الاحداث التي تحدث في بغداد، وبعد انتهاء الحرب صدرت هذه المدونة على شكل كتاب باللغة الانكليزية وربما يكون اول كتاب ماخوذ من مدونة في العالم، ووصل عدد المدونات العراقية لغاية عام ٢٠٠٤ حوالي ٣٠ مدونة في بغداد وعدد أخر يكتب في الخارج[٢١].

هذا بدوره يعود الى تأخر استخدام الانترنت في العراق لاسباب هي (النظام السياسي) واقتصادي (الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق بعد دخوله للكويت).

ومن اشهر المدونات العراقية والتي حظيت بإقبال المدونين ووسائل الاعلام بشكل عام هي هي مدونة سلام باكس ومدونة عمر الكبيسي ومدونة (A family in Baghdad)[٢٢].

وقد اعتبر البروفسور الالماني (لو فلهو هش) ان مدونة سلام باكس، الشاب العراقي الذي نقل صور الحرب في بداية الغزو الامريكي للعراق، اوضح نماذج مدونات الحرب، خاصة حين غاب الطرف الأخر، وحين يتبنى باكس اللغة الانكليزية وسيطا للعبور الى قراءه الذين اغلبهم في الغرب[٢٣]

تصنيف المدونات

يعتبر البعض تصنيف المدونات وتقسيمها مطلبا علميا، بعد ان انتشرت بهذا الكم الهائل والذي يتنامى بطريقة أسية كل عام، حيث يعكس التصنيف خصائص المدونين والمشاركين من جانب، وخصائص المحتوى من جانب اخر، ويعكس ايضا خصائص المدونة وروابطها مع المدونات الاخرى، وهناك اسهامات عديدة في تصنيف المدونات الى انواع متعددة بناء على رؤى الكاتب، او معايير معينة، سواء من حيث اهدافها او خصائص المشاركين فيها او خصائص المحتوى[٢٤]، وتتشابه المدونات من حيث الشكل والبناء الفني والتقني، ولكنها تتنوع من حيث المضمون تنوعا كثيرا، حيث تبدا من مجرد عرض آراء الشخص وتحليلاته الى جمع تعريفي بالمدونات الاخرى، وبعضها داخلية يتم الوصول اليها عبر شبكة المؤسسة فقط بينما البعض الاخر يعرف جماهيريا وبعضها يكون مدعوما ماليا من جهات محددة (جمعيات، منظمات، شركات) ورغم صعوبة تصنيف المدونات فان (دير ستيني) يصفها الى خمس

انواع رئيسية وهي:

١- المدونات الشخصية للأخبار والآراء، وهي صحف شخصية يتبناها أفراد لمشاركة الآخرين في الأخبار المتعلقة بحياتهم وعائلاتهم ونقدهم الشخصي للتعبير عن الذات، وهذا أكثر انتشارا في أوساط المراهقين، مدونات الأخبار والتعليقات، وتهتم في الأساس بتزويد الناس بالأخبار والتعبيرات والتعليقات، وفي حالات كثيرة تكون المدونات في مواضيع مستمرة مع ما تنشره وسائل الأعلام التقليدي من أخبار وتعليقات.

٢- مدونات الترويج والاعلام والتسويق وخدمات المستهلكين، ويتم من خلالها الترويج للسلع والخدمات والحوار مع المستهلكين المتوقعين.

٣- مدونات المال والأعمال والمدونات المهنية، وتشمل المدونات المديرين التنفيذيين والمهنيين والموظفين، وقد تتضمن نتائج للبحوث واستطلاعات الرأي وتقديم تفسيرات لإحداث ذات صلة بنشاط الشركة او المؤسسة.

٤- المدونات الداخلية للمؤسسة وتستخدم داخل المؤسسات لتبادل الرؤى ووجهات النظر بين الادارة والعاملين

٥- المدونات المؤسسية الداخلية وتستخدم داخل المؤسسات لتبادل الرؤى ووجهات النظر بين الادارة والعاملين(٢٥).

ان التطبيق الذي قام به (دير ستيني) الذي سبق ذكره قد قدم على اساس المواد التي تختص بها او تتناولها، وليس هو التطبيق او التقسيم الوحيد الذي يتناول المدونات، بل هناك من صنفها حسب الوسائط الاعلامية التي تستخدمها او تمولها، بغض النظر عن المادة الاعلامية التي تحتويها، وهي مدونات الفديو بلوغ (v. log) والتي تحتوي على مقاطع فديو تتناول احداث معينة ومدونات الصور فوتو بلوغ (photo. Blog) وتكون الصور مادتها الاساسية، ومدونات تحتوي اخبارة قصيرة وانواع مختلفة من الوسائط المتعددة واسمها تيوم بلوغ (tum blog) ومدونات فنية

اسمها ارت بلوغ (Art blog) والمدونات التي تحتوي على مقاطع بث إذاعي (Broad casting) ويمكن اعتبار مقاطع البث الاذاعي على انها برامج اذاعية قصيرة مسجلة بواسطة صاحب المدونة وبامكان المستمع تحميلها عندما يريد الاستماع اليها، حيث ان مصطلح (Broad casting) ماخوذ من اجهزة (ipod) وهي عبارة عن مشغلات لملفات صوتية لصيغة mp3 والتي يمكنها تشغيل ملفات (broadcasting) ومن ثم مدونات فيديو بلوغ (video cast blog) وهي التي تحمل مقاطع البث المرئي وهواحدث اتجاه في اوساط المدونات الالكترونية وهي مماثلة من مقاطع البث الإذاعي غير انها تعد بواسطة الفيديو.

الوظيفة الإعلامية للمدونات

تعد المدونات نوعا جديدا ومختلفا من انشطة النشر الالكتروني، التي بدات في تغيير المعادلات الاعلامية القائمة في العالم، خاصة فيما يتعلق في نتاج وتوزيع المعلومات، ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين الى القول بان المدونات تمثل بداية ثورة جديدة وواسعة في صناعة النشر، وان قدرة الافراد على انتاج النصوص ونشرها بسهولة ومجانا في مدوناتهم دون الحاجة الى تصريح بالنشر من محرر او ناشر، ربما تصل الصحافة الى افاق جديدة وتجعل بنية العمل في وسائل الاعلام التقليدية اكثر ديمقراطية(٢٦).

لقد شكلت تكنولوجيا الثورة الرقمية الحالية تحديا للدور الذي تلعبة المؤسسات الإعلامية التقليدية والتي تقوم بوضع سياسة تحريرية معينة تحدد القيم الخبرية وكافة المضامين الصحفية التي يجب ان تصل الى جماهير القراء والتي يعمل الصحفيون في اطارها، اما المدونات فقد حولت المواطنين خلال السنوات الاخيرة الى مراسلين

صحفيين ومعلقين على الأحداث الاجتماعية. وقد حققوا بروزا سريعا ملحوظا في المنابر الخاصة بهم في مجال النقاش الاجتماعي والسياسي(٢٧).

ومنذ عصور لم تتح للبشرية وسيلة اعلامية جماهيرية بسهولة مثل المدونات والتي يمكن للشخص من ابداء الراي ونقل الاحداث كما يراها هو، بدون أي تاثير خارجي، وبدون خضوعها للرقابة وبالتالي، فالمدونة، هي صحافة المواطن بكل ما تكلمه الصحافة من مغزى واهداف، وتعد المدونات احدى اخطر وسائل مقاومة وكسر ثقافة الصمت المفروضة على الحياة السياسية والاعلامية، الخاصة في المجتمعات النامية(٢٨).

وفقا للمعايرالعلمية المتفق عليها لتصنيف وسائل الاتصال الجماهيرية فان المدونة تعد بالفعل وسيلة اعلام جديدة قائمة بذاتها وان كانت تستخدم تقنيات النشر الالكتروني عبر الانترنت، فهناك قائم بالاتصال او القائمين بالاتصال (المدون او المدونون) لديهم ما يريدون ان ينشروه على الآخرين من أخبار ومعلومات وما يردون ان يعبروا عنه من افكار ووجهات نظر (الرسالة) وهناك وسيلة جماهيرية يتم استخدامها لإيصال الأخبار والمعلومات والرسائل الشخصية والجماهيرية المتنوعة المضامين (شبكة الانترنت) الى جمهور غير محدد وغير معروف من مستخدمي الانترنت (الجمهور)(٢٩).

الفصل الثالث

الإطار التحليلي للدراسة ويشمل:

الحدود الزمانية للدراسة: تم تحديد الفترة الزمنية للدراسة والتي تبدا ٢٠١٠/٣/٨ ولغاية ٢٠١٠/٣/٢٣ وهي الفترة التي شملت من لحظة انتهاء فترة الانتخابات ولغاية الاعلان النهائي لنتائج الانتخابات البرلمانية

مجتمع الدراسة: تم تحديد مجتمع الدراسة محل التحليل هي اربع مدونات عراقية تمثل عينة عن مجموع اربعين مدونة من المدونات التي تناولت قضية الخروقات التي شابت الانتخابات البرلمانية العراقية حيث تعذر استخدام عينة الحصر الشامل لصعوبة ذلك فنيا وكميا.

مجتمع الدراسة

تم تحديد مجتمع الدراسة وهو المجتمع الذي يستطيع الباحث ان يختار منه عينه للبحث فلذلك قد اختار الباحث (محفظة المدونات العراقية) وهي المحفظة التي تحتوي على المدونات العراقية حصريا خلاف المحافظ الأخرى التي تحتوي مدونات عربية وعراقية وأجنبية مثل (محفظة جبران) و (محفظة مكتوب).

العينة:

والتي تعني العينة التي يختارها الباحث لأجراء الدراسة عليها وقد اختار الباحث العينة العمدية (Purposive sample) حيث تم اختيارها بناءا على مواصفات معينة للمدونة من البحث والتي اختصرت على المدونات التي تناولت الخروق التي شابت الانتخابات البرلمانية بكل إشكالها وصورها وبغض النظر عن القالب الصحفي الذي تم عرض فيه هذه التجاوزات.

وكذلك لصعوبة أجراء الحصر الشامل للمدونات العراقية على شبكة الانترنت فقد قام الباحث بحصر حوالي ٤٥ مدونة تم اختيار منها ٤ مدونات والتي هي تناولت بالفعل مشكلة الخروق القانونية والدعائية للانتخابات البرلمانية العراقية لعام ٢٠١٠

تحليل محتوى المدونات

هناك فروق بين تحليل المحتوى السائد في دراسة الوسائل الإعلامية التقليدية ودراسة المواقع الإعلامية على شبكة الانترنت، أهمها أن المحتوى المستهدف في المواقع الإعلامية لا يقف عند حدود النص ذاته، لكنة يمتد ليشمل كل ما هو متاح على المواقع من معلومات تشمل النص او النصوص التي تفيد في الكشف عن بنية النص او النصوص واتجاهاتها[٣٠].

وتمثل مواقع المدونات صورة تطبيقية لهذه المواقع، ينطبق عليها ما ينطبق على المواقع الإعلامية بصفة عامة في التحليل والوصف والاستدلال، كما تختلف عن المواقع الإعلامية ببناء يلبي حاجات القراء المشاركين بالتعليق كطرف أساسي في العلاقات على المدونات، ولذلك فان محتوى المدونات المستهدف تحليلها، ويمثل مادة التحليل يشمل محتوى البناء او رسم خصائص لاغراض الوصف والمقارنة وتلبيه حاجات المشاركين بالضافة الى محتوى النص او النصوص او الصور والوسائل المتعددة في حالة وجودها، ويشمل محتوى النص

الرسائل والتعليقات في أطار الموضوع او الحدث او الواقعة او الفكرة او الرأي والتعليقات المتاحة في الأرشيف في اطار التصنيف المرتبط بذات الموضوع والموضوعات المرجعية خارج المدونة المرتبطة بذات الموضوع او الحدث او الفكرة والصور المستقلة او التابعة للرسائل والتعليقات في ذات الموضوع او الفكرة او الحدث او الرأي وشكل العرض والتقديم على الشاشات الرئيسية وواجهات التفاعل والشاشات الفرعية التابعة[٣١].

لقد شكلت الانتخابات البرلمانية العراقية، منذ لحظة اجرائها والايام التي تلتها، مادة خصبة لوسائل اللاعلام التقليدية والجديدة، ومنها المدونات العراقية بسبب مارافقها من صخب اعلامي وسياسي، ترك ظلالا كثيفة حول نزاهتها وتبادل الاتهامات حولها فيما بين اغلب الكتل السياسية المشاركة في العملية السياسية و وحتى الفائزة منها، ومارافقها من خروقات اثارت جدلا واسعا، وتناولت وسائل الاعلام المختلفة صورا واشكال متعددة لهذه الخروقات.

ويظل الاعلام الالكتروني سباقا في الاشارة الى هذه الخروقات ورصدها نتيجة لطبيعة الوسيلة نفسها، ومااتتصف به من مواصفات (الانية والتفاعلية) وتاتي المدونات في مقدمة هذا الاعلام في تناولها لهذه الخروقات.

حيث قام الباحث برصد اكثر من اربعين مدونة كمجتمع محدد للبحث، واختار منها اربع مدونات كعينة عمدية وهي (مدونة سندباد ومدونة الجدار الحر ومدونة الوعي السياسي ومدونة الروح العراقية) وتم تحليل ما أحتوته هذه المدونات من مواضيع بالعد والتحليل من خلال المقاييس التي اعتمدها الباحث في تحليل المدونات المشار اليها سابقا وكالتالي

جدول رقم(١)يوضح الفنون الصحفية التي اعتمد عليها خطاب المدونات موضوع البحث

المدونة / الفن الصحفي	مدونة سندباد		مدونة الجدار الحر		مدونة الوعي السياسي		مدونة الروح العراقية		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الخبر	٦	%٥	٧	%٣,٤	٨	%٢٥	٤	%٢٠	٢٥	%٢٥,٥
المقال	٣	%١٢,٥	٤	١٧,٥	٢	٦,٢	٣	١٥,٠	١٢	١٢,١
التقرير	٥	٢٠,٨	٣	١٣	٧	٢١,٨	٢	%١٠	١٧	١٧,١
العمود	٢	٨,٤	٣	١٣	٣	٩,٥	٤	%٢٠	١٢	١٢,١
التعليق	٥	٢٠,٨	٤	١٧,٥	٨	%٢٥	٦	%٣٠	٢٣	٢٣,٤
الصورة	٣	١٢,٥	٢	٨,٦	٤	١٢,٥	١	%٥	١٠	١٠,١

من خلال الجدول رقم (١) والذي تناول أنواع الفنون الصحفية المستخدمة في المدونات المبحوثة في عرض موادها الإعلامية كان فن الخبر ياتي في المرتبة الاولى بنسبة ٢٥,٥% ومن ثم المقال في المرتبة الثانية بنسبة ٢٣,٤% والقرير في المرتبة الثالثة بنسبة ١٧,١% ان استخدام هذه القنوات الصحفية أكثر من سواها من القنوات الاخرى يعود الى طبيعة الوسيلة المستخدمة (المدونة) لما تحملة من صفات مثل التراكمية في عرض الخبر حيث ان عملية تحديثها خاصة في المدونات النشطة تم كل عشر دقائق تقريبا في حينها ان أي صحيفة مهما كانت كبيرة وذات إمكانيات هائلة فأنها تحتاج الى طوال ثماني ساعات لتقدم طبعة جديدة تغطي اخر الاحداث والتطورات وكذلك الطبيعة التفاعلية التي تسمح للقاري والمدون على حد سواء ميزة

التفاعلية فيما بينهما وتبادل الادوار في عرض المعلومات والاراء والتعليقات نتيجة طبيعة الوسيلة – كما اسلفنا – التي تتيح للجميع صفة التفاعلية المتبادلة.

جدول رقم (٢)

يوضح اللغة التي استخدمها الخطاب في المدونات الأربع موضوع التحليل

المدونة / اللغة	مدونة سندباد		مدونة الجدار الحر		مدونة الجدار الحر		مدونة الوعي الس		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
فصحى	١٥	٦٥,٢	١٦	٦٦,٧	٢٠	٦٢,٦	١٥	٧٥,٠	٦٦	٦٦,٨
عامية	٥	٢١,٩	٦	%٢٥	١٠	٣١,٢	٥	٢٥	٢٦	٢٦,٢
أجنبي	٣	١٣,	٢	٨,٣	٢	٦,٢	–	–	٧	٧

اما الجدول رقم (٢) والذي تناول اللغة المستخدمة في المدونات فقد كان استخدام اللغة الفصحى بالمرتبة الاولى بنسبة ٦٦,٧ واللغة العامية بنسبة ٢٦,٢% وقد تقاربت النسبة المئوية بين المدونات الاربع مدار البحث مما يدل على رقي اللغة المستخدمة من قبل المدونين وكذلك يعطي مؤثرا ان القائمين على التدوين هم من الكوادر الحزبية المشاركة في العملية الانتخابية وأنصارهم من الطبقة المثقفة وهي بذلك تختلف عن بعض المدونات العربية التي تستخدم اللغة العامية على نطاق اوسع كما هو الحال في المدونات المصرية.

جدول رقم (٣)

يوضح المحافظات التي وقعت فيها خروقات الانتخابات البرلمانية في العراق حسب ماعرضته المدونات موضوع البحث

الخرق الانتخابي / المحافظة	مدونة سندباد		الجدار الحر		الوعي السياسي		الروح العراقية		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
بغداد	٥	١٤,٢	٧	١٦,٢	٨	٢٢,٢	٦	٢٢,٢	٢٦	١٨,٤
الموصل	٢	٥,٧	٣	٦,٩	١	٢,٧	٢	٧,٤	٨	٥,٦
كربلاء	٣	٨,٥	٢	٤,٦	١	٢,٧	١	٣,٧	٧	٤,٩
النجف	١	٢,٩	٢	٤,٦	٢	٥,٥	٠	٠	٥	٣,٥
صلاح الدين	٤	١١,٤	٤	٩.٣	١	٢.٧	٠	٠	٩	٦.٣
الانبار	٣	٨,٥	٣	٦,٩	٢	٥,٥	٢	٧,٤	١٠	٧,٠
القادسية	١	٢.٩	٠	٠	١	٢.٧	١	٣.٧	٣	٢.١
المثنى	٠	٠	٢	٤.٦	٠	٠	١	٣.٧	٣	٢.١
ميسان	٠	٠	١	٢,٣	١	٢,٧	٢	٧,٤	٤	٢,٨
ذي قار	٠	٠	٣	٦,٩	٢	٥,٥	٣	١١,١	٨	٥.٦
البصرة	٦	١٧,٣	٦	١٣,٩	٣	٨,٣	٤	١٤,٨	١٩	١٣,٤
ديالى	٣	٨,٥	٢	٤,٦	٤	١١,١	٢	٧,٤	١١	٧,٨
واسط	٠	٠	١	٢,٣	١	٢,٧	٠	٠	٢	١,٤
السليمانية	١	٢,٩	١	٢,٣	٢	٥,٥	٠	٠	٤	٢.٨
اربيل	١	٢.٩	١	٢.٣	١	٢.٧	١	٣.٧	٤	٢,٨
دهوك	١	٢.٩	١	٢,٣	٠	٠	٠	٠	٢	١,٤
بابل	٠	٠	٢	٤,٦	٢	٥,٥	٠	٠	٤	٢,٨
كركوك	٤	$.١١	٢	٤.٦	٤	١١,١	٢	٧.٤	١٢	٨.٥
المجموع	٣٥	٢٤,٨	٤٣	٣٠,٤	٣٦	٢٥,٥	٢٧	١٩,١	١٤١	%١٠٠

اما الجدول رقم (٣) فقد تناول المحافظات التي وقعت بها الخروقات وكما رصدتها المدونات الاربع مدار البحث والتحليل حيث جاءت محافظة بغداد في المرتبة الأولى بنسبة ١٨,٤% وتليها محافظة البصرة بنسبة ١٣,٤% وكركوك بنسبة ٨,٥ % وديالى بنسبة ٧,٨% والانبار بنسبة ٧,٠ % والموصل بنسبة ٥,٦% ان حصول هذه المحافظات على المراتب الخمس الاولى من حيث حجم الخروقات الانتاجية وكما رصدتها المدونات الاربع بدل عن شدة التنافس بين الكتل الحزبية في هذه المحافظات وكذلك ثقلها في البرلمان لما تحمله من النسبة الاكبر من المقاعد وكذلك الاختلاف ألاثني والعرقي والديني في هذه المحافظات والسياسي ايضا. والتي تقود بدورها الى محاولة الكتل الكبيرة والمتنفذة في المشهد السياسي العراقي للحصول على اكبر كم من المقاعد المخصصة لهذه المحافظات في البرلمان.

جدول رقم (٤)

يوضح أنواع الخروقات التي حدثت في الانتخابات البرلمانية العراقية وحسب ماعرضتها المدونات موضوع البحث

المدونة / نوع الخرق	سندباد		الجدار الحر		الوعي السياسي		الروح العراقية		المجموع	
	ل	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
استخدام المال العام	٥	١٤,٨	٧	٢٣,٤	٦	٢٢,٢	٤	١٤,٨	٢٢	١٨،
استخدام السلطة	٣	٨,٨	٢	٦,٦	٢	٧,٥	٥	١٨,٥	١٢	١٠,٢
شراء الأصوات	٧	٢٠,٥	٤	١٣,٣	٣	١١,١	٧	٢٦	٢١	١٧،
الاقتراع بالإنابة	٣	٩	٥	١٦,٧	٤	١٤,٨	٢	٧,٤	١٤	١١,٩
التشكيك بوثائق الناخب	٦	١٧,٦	٤	١٣,٣	٦	٢٢,٢	٣	١١,١	١٩	١٦,١
شراء الأصوات	٤	١١,٧	٥	١٦,٧	٤	١٤,٨	٤	١٤,٨	١٩	١٦,١
ترهيب الناخب	٦	١٧,٦	٥	١٦,٧	٤	١٤,٨	٤	١٤,٨	١٩	١٦,١

في حين ان جدول رقم (٤) تناول إشكال الخروقات التي شابت الانتخابات البرلمانية العراقية وكما حددتها وأشارت أليها الكتل السياسية المشاركة في الانتخابات والتي رصدتها المدونات العراقية (مدار البحث) حيث جاءت صفة (استخدام المال العام) في المرتبة الاولى وبنسبة ١٨,٦ وتليها مخالفة (شراء أصوات الناخبين) بنسبة ١٧,٧ وفي المرتبة الثالثة جاءت مخالفة (اختفاء أسماء الناخبين) بنسبة ١٦,١ مناصفة في هذه المرتبة مع مخالفة (ترهيب الناخب من خلال التلوح بالقوة) ان حصول هذه المخالفات الاربع على المراتب الاولى من حيث نوعية المخالفة تجدها

المدونات كأداة اتصال تفاعلي
في المشاركة السياسية
مجلة آداب الفراهيدي
م. م. عذراء إسماعيل حسين
جمعة محمد عبد الله
العدد (٥) كانون الأول ٢٠١٠

جميعا مختصره بالمال والسلطة، ما يدل على ان الكتل الكبيرة والماسكة بزمام السلطة او المؤتلفة معها هي التي اخترقت هذه المخالفات نسبة الى الكتل الصغيرة الاخرى التي تفتقد الى هذه الإمكانيات وإذا تم ربطها مع التاريخ التي ظهرت في الجدول رقم (٣) والذي تناول المحافظات التي وقعت فيها المخالفات تظهر لنا ان الكتل والأحزاب السياسية المتعددة في المحافظات بغداد والانبار وكركوك والبصرة والموصل هي المتهمة الرئيسية في ارتكاب خروقات الانتخابات باستخدام المال والسلطة وحسب ما عرضته المدونات العراقية المبحوثة ولو قارنا بين أي من المدونات الاربع اكثر رصدا للمخالفات وبغض النظر عم مكانها ونوعها تجد ان مدونه سندباد نون تاتي بالمرتبة الاولى بنسبة ٢٨,٨ ومدونة الحدباء الرئيسية ٢٥,٤ في حين تقاسمها مدونتي الوعي السياسي و (الروح العراقية المرتبة الثالثة بنسبة ٢٢,٩) وان الفارق القليل بين اعلى المدونات رصدا للمخالفة (سندباد) والاقل (الروح العراقية) يدل عن مدى اهتمام هذه المدونات لموضوع الخروقات التي شابت الانتخابات البرلمانية العراقية والتي نادت بها واشارت اليها المدونات العراقية المبحوثة.

التوصيات

من خلال التحليل المتواضع الذي قام به الباحث للمدونات العراقية الاربع حول موضوع الخروقات الانتخابية التي رافقت الانتخابات البرلمانية العراقية والتي جرت في السابع من نيسان من عام ٢٠١٠ نود ان نبين مايلي

١- الأهمية الإعلامية والاجتماعية والديمقراطية التي تشكلها المدونات العراقية نظرا لما تقوم به من جهد اعلامي واتصالي يتسم بالشفافية والمصداقية والانية في نقل وعرض المعلومة والخبر

٢- تشكل هذه المدونات سلطة تتفق على راس السلطة الرابعة (الاعلام التقليدي) سواء بالرصد والتقويم او من خلال بث روح المناقشة والتطور من خلال سرعتها في نقل الخبر والمعلومة

٣- على الرغم من الأهمية الإعلامية والاتصالية التي تحظى بها المدونات العراقية، اذ يكفيها فخرا انها قد ساعدت في شيوع نموذج الأعلام البديل أمام وسائل الأعلام الأخرى من خلال ما قامت به من جهد حقيقي في عرض بشاعة جرائم الاحتلال الأمريكي للعراق وعدم المصداقية في عرض المعلومة والخبر ما أعطاها منصب السبق بين المدونات العالمية ألا أنها لاتزال لا تحظى بالاهتمام المناسب من الباحثين والأكاديميين والمثقفين العراقيين، لذلك نوحي بضرورة إياءهم المزيد من الاهتمام في الأبحاث والرصد والتحليل.

٤- من خلال الرصد والعرض والتحليل، نجد ان المدونات العراقية قد سمت بنفسها عن الطائفية والمذهبية وحتى القومية وانصهرت جميعها في بوتقة الوطن الواحد وهو العراق ولا تعرف بين مدونة واخرى من حيث المذهب والولاء سوى الولاء للوطن على العكس من الاعلام العراقي المرئي والمكتوب والذي تستطيع ان تعرف من خلال خطابه وملكيته والى اي مذهب او قومية ينتمي والى أي جهة ينتسب.

الهوامش والمصادر

(1) http:baghdadee.iphost.com1_1

(٢) السياسية والإستراتيجية – العدد ١٥٠ – يوليو ٢٠٠٧ ص ٧١- ٧٢

(٣) عصام نصر: حدود حرية الرأي في ساحات النقاش العربية عبر الانترنت – دراسة تحليلية – المؤتمر العلمي السابع لكلية الإعلام – المؤتمر العلمي الثالث عشر لكلية الإعلام – جامعة القاهرة – مايو ٢٠٠٧

(٤) ماهنياز رمزي حسن (نسبة أطروحات خطاب الإصلاح السياسي داخل ساحات النقاش على المواقع الإذاعية والتلفزيونية لشبكة الانترنت، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد(٧)العدد الأول/يناير/ يونيو ٢٠٠٦ ص٢٤٥-٢٨٢

(٥) د. آمال الغزاوي مصدر سابق ص ٢٠٥

(٦) د. آمال الغزاوي، الأطر الخبرية لقضايا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على القنوات الفضائية الفلسطينية والإسرائيلية / القاهرة/ المجلة المصرية لبحوث الرأي العام المجلد الخامس – العدد الأول يناير ٢٠٠٤ ص ٢٠٤

(٧) د. حسن عماد مكاوي و د. ليلى حسين السيد / الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ط ٦ ٢٠٠٦ ص ٣٤٩

(٨) محمد عبد الحميد، المدونات الإعلام البديل، القاهرة دار عالم الكتب ط١ عام ٢٠٠٩

(٩) د. محمد سيد محمد. وسائل الإعلام من النادي إلى الانترنت، مصدر سابق ص ٢٧٥

(١٠) المدونات، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار المصري – مجلس الوزراء

(١١) موقع الويكي http://en.wikipedia.org/wiki/weblog

(١٢) د. حسني محمد نصر، المدونات الالكترونية ودعم التعبير عن التعددية في الوطن العربي، القاهرة، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد الثامن العدد الثالث يوليو / سبتمبر ٢٠٠٧ ص ١٠

(١٣) مصدر سابق ص ١١

(١٤) محمد سيد محمد، وسائل الإعلام من المنادي إلى الانترنت، القاهرة، دار الفكر العربي ط ١ ٢٠٠٩.

(15) Diane. j. schiano ,Bonnie ANardi, Michell gumbrech a and Luke swarts , Blogging by the Rest of **US , CH2004 Lare Breaking Results pepar,24-29 April Vienna, Austria p.114**

المدونات؟ تأليف جولي ملوني، بيروت، الدار العربية للعلوم ط١ ٢٠٠٦ ص٢

(١٦) محمد عبد الحميد، المدونات، الإعلام البديل، مصدر سابق ص ٦٩

(١٧) د. حسني محمد نصر، المدونات الالكتروني ودعم التعبير عن التعددية في الوطن العربي، مصدر سابق ص٢٩

(١٨) د. عبد الفتاح مراد، الأصول العلمية والقانونية للمدونات على شبكات الانترنت، الإسكندرية، دار السني، بلا سنة صدور ص ١٣٣

(١٩) مؤتمر الحوار الإعلامي العربي الألماني، بوابة أجيال الالكترونية

(20) http//www.ajeal.net/magzin/conet/viw. 2009/8/2

(٢١) بروفسور مارتن لوفلهولش أستاذ الاتصال بجامعة ميونخ، مؤتمر الحوار الألماني العربي–المدونات في زمن الحروب والنزاعات–الأردن، يوليو ٢٠٠٧ www.aljazera.net

(٢٢) د. محمد عبد الحميد، المدونات، الأعلام البديل، مصدر سابق ص ٧٠

(23) Derstny. Bruce, w Blogs: new information Revolution the information management Journal-septemper-2005 p.9-24

نقلا عن حسني محمد نصر، المدونات الالكترونية ودعم التعبير عن التعددية في العالم العربي المجلة المصرية لبحوث الرأي العام المجلد الثامن العدد الثالث سبتمبر ٢٠٠٧ ص١٥

(24) http://www.druge.Report.com Glaogeno2 juillet 2004 Embrums: carnet web de Laurent 2009/8/20

(٢٥) حسني محمد نصر، المدونات الالكترونية ودعم التعبير عن التعددية في العالم العربي مصدر سابق ص١٣

(٢٦) احمد فضل شيول: قضايا النشر الالكتروني: متوفر على شبكة الانترنت الموقع التالي

http://www.arabiancreavity.com /fadl4.htm

(٢٧) د عبد الهادي احمد النجار و د. محمد عبد الكريم محمد (العلاقة بين اعتماد الشباب الجامعي على المدونات ومستويات المعرفة بالأحداث الجارية في المجتمع المصري، القاهرة، المؤتمر العلمي الرابع لأكاديمية أخبار اليوم، القاهرة ٢٣–٢٤ أكتوبر ٢٠٠٧ ص٢٢٥.

(٢٨) حسني محمد نصر المدونات الالكترونية ودعم التعبير عن التعددية في الوطن العربي مصدر سابق ص ١٤.

(٢٩) د. هشام عطية: تأثير السياسة الخارجية في معالجة الصحافة للشؤون الدولية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعه القاهرة ١٩٩٥ ص ٤٧

(٣٠) المصدر السابق ص ٥٠

(٣١) د. محمد عبد الحميد، المدونات الإعلام البديل، مصدر سابق ص٢٤٦

(٣٢) مصدر سابق ص ٢٤٧

الإمامُ الشاطبي وقصيدتُه حِرْزُ الأماني ووجهُ التَّهاني

تعريفها، وعناية العلماء بها

د. صـــلاح ســـاير فرحـــان العبيـــدي
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ علم القراءات القرآنية من العلوم الإسلامية المهمة جداً بسبب ارتباطها المباشر بالقرآن الكريم وطرق أدائه، وقد حظي هذا العلم الشريف بعناية العلماء قديماً وحديثاً، تأليفاً وتدريساً.

ومن أبرز من أَلَّف فيه من العلماء إمامٌ كبير، وعالمٌ نحرير، ذلك هو الإمام أبو القاسم القاسم ابن فِيْرُّه، بكسر الفاء وسكون الياء وتشديد الراء وضمها وبعدها هاء، بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير (ت 590 هـ). الذي نظم قصيدةً لاميةً من بحر الرجز سماها: (حرز الأماني ووجه التهاني) نظم فيها كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان ابن سعيد الداني (ت 444 هـ)، فاشتهرت هذه القصيدة، التي سماها العلماء بـ(الشاطبية، أو الحرز، أو القصيد) شهرةً واسعةً، واعتمدها علماء القراءات في البلاد الإسلامية كلها منذ أن نظمها الإمام الشاطبي إلى يوم الناس هذا. بل كادت لشهرتها أن تغطي على أصلها وهو كتاب التيسير للداني.

وقد رأيتُ أنَّ معرفة هذه القصيدة وأهميتها، في بلادنا على الأقل، تقتصر على المتخصصين بعلم القراءات فقط، والقليل القليل من طلبة العلم يعرفون لها حقها ومنزلتها، فأردت في بحثي هذا أن أسلط الضوء على هذه القصيدة العظيمة المباركة، وأعرِّفَ بها، وبمؤلفها وبشروحها وبأهميتها عند علماء الإقراء قديماً وحديثاً، ولا سيما في زماننا هذا، إذ ما يزال علماء القراءاتِ يشترطون على طالب هذا العلم أن يحفظَ أو يُلِمَّ، على الأقل، بالشاطبية ورموزها وأبوابها، ليكون على بينةٍ في ما يقرؤه من وجوه القراءات السبع المختلفة في القرآن الكريم.

ولما كان من لوازم الحديث عن الشاطبية الحديث عن مؤلفها وناظم عقدها الإمام الشاطبي، رأيت أنَّ من المناسب التعريف بهذا الإمام الجليل وبمؤلفاته وبأهميتها في الدراسات القرآنية. فجاءت خطة البحث مقسمة على مقدمة ومبحثين:

المبحث الأول: الإمام الشاطبي: حياته ومؤلفاته.

المبحث الثاني: حرز الأماني ووجه التهاني: التعريف بها، أهميتها في علم القراءات، عناية العلماء بها.

الخاتمة: وقد تضمنت أبرز نتائج البحث والتوصيات التي خرج بها البحث.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

الإمامُ الشاطبي: حياتُه، ومؤلفاته[1].

المطلب الأول

حياته وسيرته العلمية

أولاً: حياته:

-اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبه:

هو القاسم بن فِيْرُّه بن أبي القاسم خلف بن أحمد، أبو القاسم، وأبو محمد، الرُّعيني الشاطبي الأندلسي الضرير. وفي كنيته ثلاثة أقوال:

الأول: أبو القاسم. وهو قول الإمام الشاطبي نفسه، قال الحافظ شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ): (وكذلك أملى عليهم الشاطبي، فقال: يقول أبو القاسم الشاطبي الرعيني: سمع مني التيسير أبو الحسن السخاوي، وأبو عمرو بن الحاجب ثلاثة مجالس، سنة سبع وثمانين وخمس مئة، عن ابن هذيل، وابن أبي العاص النفري بسندهما)[2].

وكذلك ما ذكره تلميذ المؤلف علم الدين السخاوي (ت 643 هـ)[3]. وأبو شامة عبد الرحمن المقدسي (ت 665 هـ)[4]، وأبو إسحاق الجعبري (ت 732 هـ)[5]، وغيرهم.

الثاني: أبو محمد. وهو قول شيخ الشاطبي: علي بن محمد بن هذيل، الذي قال في إجازته للشاطبي: (يقول علي بن محمد بن علي بن هذيل: إن المقرئ أبا محمد قاسم بن فيره بن أبي القاسم ...)[6]. وكذلك شيخه محمد بن علي النفري، الذي قال في إجازته للشاطبي أيضاً: (إنَّ صاحبنا أبا محمد القاسم بن فارَّه بن أبي القاسم

الرعيني، حفظه الله وأكرمه، قرأ عليَّ ...)[7]. وقال أيضاً: (فليروِ أبو محمد القاسم المذكور ذلك كله عني ...)[8].

ومن القائلين بذلك أيضاً، القاضي إبراهيم بن فرحون المالكي، إذ قال: (... وقيل: اسم الشيخ المذكور أبو القاسم، وكنيته هي اسمه، لكن وُجِدَتْ إجازاتُ أشياخه: أبو محمد)[9].

الثالث: الجمع بين الكنيتين: أبي القاسم، وأبي محمد. ومن هؤلاء شمس الدين الذهبي[10]، وابن الجزري (ت 833 هـ)[11]، وغيرهما. إذن يتضح من الأقوال السابقة أن للشاطبي كنيتين، هما: أبو القاسم، وأبو محمد.

ومعنى اسم أبيه (فِيْرُّه)، بكسر الفاء، بعدها ياء، آخر الحروف ساكنة، ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء. هو: الحديد، بلغة عجم الأندلس[12].

ونسبته: (الرُّعيني) إلى ذي رعين، بضم الراء وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون، وهو أحد أقيال اليمن، نُسِبَ إليه خلقٌ كثيرٌ[13].

أما نسبته: (الشاطبي) فهي نسبة إلى مدينة شاطبة، وهي، كما قال ياقوت: (مدينة كبيرة شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قد خرج منها خلقٌ من الفضلاء)[14].

ولادته: ولد الإمام الشاطبي في أواخر سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، في مدينة شاطبة. وفي رواية أخرى: أنه ولد في شهر ذي الحجة من سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة[15].

طلبه العلم ورحلاته العلمية:

رحل الشاطبي لطلب العلم في وقت مبكر من حياته. فقرأ القرآن الكريم بقراءاته أولاً في بلدته (شاطبة) على أبي جعفر وأبيه أبي عبد الله ابني اللايه، وعلى

أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري[16]. ثم بدأ بعد ذلك برحلاته العلمية ليلتقي الشيوخ والعلماء ويشافههم، وهذه الرحلات هي:

1- **رحلته إلى بلنسية**: وهي مدينة بالقرب من شاطبة، رحل إليها الشاطبي فعرض بها كتاب التيسير للداني من حفظه والقراءات على ابن هذيل، وسمع منه الحديث، وروى عنه وعن طائفة من الشيوخ المتصدرين في ذلك الوقت في مدينة بلنسية. وقرأ كتاب سيبويه، والكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وغيرها من الكتب، على أبي عبد الله محمد بن حُميد. وروى عن أبي القاسم بن حبيش تفسير المحرر الوجيز لابن عطية[17].

2- **رحلته إلى الحج**: وكانت رحلته هذه سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة[18]، وسببها أنه أُريدَ منه أن يتولى الخطابة في مصر، فلما سافر إليها، احتج بأنه قد وجب عليه الحج، وأنه عازم عليه، فتركها، أي الخطابة، ولم يرجع إليها تورعاً مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعاً، وصبر على فقر شديد[19].

3- **رحلته إلى الإسكندرية**: وهو في رحلته هذه لم يقصد الإسكندرية بل مرَّ بها في طريقه إلى الحج، وسمع بها من حافظ العصر ومسنده أبي طاهر السِّلفي وغيره[20].

4- **رحلته إلى بيت المقدس**: ورحل الإمام الشاطبي إلى بيت المقدس وزاره قبل وفاته بثلاث سنين[21].

استقراره بمصر: ثم استوطن الشاطبي مصر، وتصدر في جامع عمرو بن العاص ﷺ للإقراء والإفادة، وتزوج إلى قوم يُعرفون ببني الحميري، ثم نقله القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني إلى مدرسته التي أنشأها بالمُعزِّية القاهرة، وأفرد له فيها حجرة لطيفة مرخمة على يسار الداخل من الباب، وكان مقيماً بها للإقراء والإفادة،

وأفرد لأهله داراً أخرى خارج المدرسة، ولم يزل على هذا الحال حتى وفاته، رحمه الله تعالى[22]. وقد اشتهر اسمه في مصر، وقصده الطلبة من مختلف النواحي، وقرأ عليه بالروايات خلقٌ كثير[23].

ثانياً: شيوخ الإمام الشاطبي:

أخذ الإمام الشاطبي العلم عن شيوخٍ كُثُر، وروى عن طائفةٍ مباركةٍ من الشيوخ، وهؤلاء أبرز شيوخه، مرتبين بحسب وفياتهم:

[illegible]) الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفري الشاطبي المقرئ، إمام مجود محقق كامل، (ت بعد [illegible] هـ)[24]. قرأ عليه الإمام الشاطبي وأخذ منه الإجازة. وإجازته هذه نقلها السخاوي بتمامها في فتح الوصيد[25].

[illegible]) الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن هذيل البلنسي. إمام زاهدٌ ثقة، انتهت إليه رئاسة الإقراء عامة عمره لعلو روايته وإمامته في التجويد والإتقان (ت [illegible] هـ)[26]، قرأ عليه الإمام الشاطبي وأخذ الإجازة منه، وإجازته نقلها السخاوي أيضاً[27].

[illegible]) الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف بن النعمة الأنصاري البلنسي، إمام كبير، أستاذ حافظ علامة (ت [illegible] هـ)[28].

[illegible]) الشيخ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي، حافظ الإسلام، وأعلى أهل الأرض إسناداً في الحديث والقراءات، مع الدين والثقة والعلم (ت [illegible] هـ)[29].

[illegible]) الشيخ محمد عبد الرحيم بن الفرس الأنصاري الخزرجي، كان عالماً حافظاً راويةً مكثراً، عالماً بالقراءات والفقه (ت [illegible] هـ)[30].

6) الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حبيش الأندلسي الأنصاري المرسي، إمام كبير حافظ علامة صالح (ت 584 هـ)[31].

7) الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حميد بن مأمون الأموي البلنسي، مقرئ حاذق كامل (ت 586 هـ)[32].

8) الشيخ أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الأشبيلي، نزيل تلمسان، كان مقرئاً فاضلاً، ومحدثاً ضابطاً (ت 600 هـ)[33]. وغيرهم من الشيوخ والأساتذة[34].

ثالثاً: تلاميذ الإمام الشاطبي:

تصدر الإمام الشاطبي للإقراء في بلده شاطبة، فأفاد منه خلق كثر قبل سن التكهل[35]، ثم واصل تدريسه بعد أن انتقل إلى مصر، فتصدر للإقراء في جامع عمرو بن العاص(رضي الله عنه)[36]، ثم استقر في المدرسة الفاضلية، التي بناها القاضي الفاضل في معزية القاهرة، يدرس القراءات وينتفع به طلبة العلم حتى وافاه الأجل[37]، وكان، رحمه الله تعالى، يقصده طلبة العلم في كل بلدةٍ يحلها، فانتفع به خلق كثير لا يحصون كثرةً[38]، قال ابن الجزري: (أخبرني بعض شيوخنا الثقات عن شيوخهم، أن الشاطبي كان يصلي الصبح بغلس بالفاضلية، ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السُّرى إليه)[39].

ومن أشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه، مرتبين بحسب وفياتهم:

1) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل التونسي، المعروف بابن الحداد، علامةٌ أستاذ، قرأ على الشاطبي، وله شرحٌ على الشاطبية، ويحتمل أن يكون أول من شرحها (ت 625 هـ)[40].

2) أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن أحمد الجمال التجيبي الشاطبي، إمام مقرئ كامل، عرض السبع على أبي القاسم الشاطبي إفراداً وجمعاً[41] (ت 626 هـ)[42].

3) زين الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الكردي، عالم متصدر للإقراء بجامع دمشق زمن السخاوي، قرأ القراءات والقصيد على الشاطبي (ت 628 هـ)[43].

4) أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري القرطبي المالكي، إمام عالم فقيه مفسر نحوي زاهد مقرئ، قرأ القراءات على الشاطبي، وقرأ عليه القصيدتين اللامية (الشاطبية) والرائية، جلس للإقراء بالفاضلية بعد موت الشاطبي (ت 631 هـ)[44].

5) أبو بكر محمد بن محمد بن وضاح اللخمي الأندلسي الشقري، إمام رحال متصدر، قرأ على الشاطبي، وهو الذي أدخل الشاطبية إلى بلاد المغرب والأندلس (ت 643 هـ)[45].

6) علم الدين علي بن محمد السخاوي، إمام مقرئ، أخذ عن الشاطبي، وله شرح على الشاطبية اسمه: فتح الوصيد (ت 643 هـ)[46].

7) أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن الحاجب الكردي، العلامة الفقيه المالكي الأصولي النحوي المقرئ (ت 646 هـ)[47].

8) أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي، الخطيب المعروف بابن الجميزي، قرأ على الإمام الشاطبي (ت 649 هـ)[48]. ومن تلاميذه أيضاً: أبو القاسم عيسى بن حسين السديد العامري (ت 649 هـ) وهو صهر الشاطبي[49]، وابن الإمام الشاطبي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم (ت 655 هـ)[50]، وصهره كمال الدين أبو الحسن علي بن شجاع الهاشمي

العباسي الضرير (ت محرم جمادى ثان جمادى ثان هـ) الشهير بصهر الشاطبي[51]، وهو الذي تمر به أسانيد أغلب القراء في العالم الإسلامي اليوم، ومعين الدين أبو الفضل عبد الله بن محمد بن عبد الوارث الأنصاري، المعروف بابن الأزرق (ت ربيع ثان جمادى ثان جمادى ثان هـ)[52]. وغيرهم.

رابعاً: مذهبه الفقهي:

كان الإمام الشاطبي في أول حياته مالكي المذهب على عادة أكثر أهل الأندلس، بدليل أنَّ القاضي ابن فرحون المالكي قد ترجم له ترجمة وافية، بل عدَّه من أعيان فقهاء المالكية[53]. ثم انتقل الشاطبي بعد ذلك إلى مذهب الشافعي، لذلك ترجم له أصحاب طبقات الشافعية، ومنهم تقي الدين ابن الصلاح في طبقات الشافعية له[54]، والنووي في طبقاته في الأسماء الزائدة على ما ذكره ابن الصلاح[55]، والإمام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى[56]، والأسنوي[57]، وابن قاضي شهبة في طبقاته.

خامساً: مكانة الإمام الشاطبي وأقوال العلماء فيه:

للإمام الشاطبي مكانة علمية كبيرة في علوم القرآن الكريم خاصة وفي علوم الشريعة عامة، فهو إمامٌ كبير مبرز في العلم، ويعرف له حقه من اطلع على سيرته وتتبع أخباره. يقول تلميذه علم الدين السخاوي: (... إذا قُرئَ عليه البخاري ومسلم والموطأ، يصحح النسخ من حفظه، ويملي النكت على المواضع المحتاج إلى ذلك فيها .... وكان عالماً بكتاب الله، بقراءاته وتفسيره، عالماً بحديث رسول الله (ﷺ) مبرزاً فيه ... وكان مبرزاً في علم النحو والعربية، عارفاً بعلم الرؤى، حسن المقاصد، مخلصاً في ما يقول ويفعل)[58].

وقال الإمام شمس الدين الذهبي: (كان يتوقد ذكاءً، له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقه والحديث، وله النظم الرائق، مع الورع والتقوى والتأله والوقار)[59].

وقال أيضاً: (كان إماماً علامة ذكياً، كثير الفنون، منقطع القرين، رأساً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، واسع العلم)[60].

وقال فيه الإمام المحقق ابن الجزري: (... أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار، كان إماماً كبيراً، أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع والكشف، شافعي المذهب، مواظباً على السنة)[61].

أخلاق الإمام الشاطبي وأحواله:

كان، رحمه الله تعالى، حسن الخلق، زاهداً ورعاً تقياً، قال فيه تلميذه علم الدين السخاوي: (... كان يجتنب فضول القول، ولا يتكلم في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة، في هيئة حسنة وخضوع واستكانة، ويمنع جلساءه من الخوض في شيء إلا في العلم والقرآن ... وكان، رحمه الله، يعذل أصحابه في السر على أشياء لا يعلمها منهم إلا الله، عز وجل)[62]. ولا شكَّ في أنَّ أهل القرآن هم أفضل الناس أخلاقاً، والشاطبي رحمه الله تعالى، كان من أهل القرآن الذين بذلوا حياتهم كلها خدمة لكتاب الله تعالى.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والدرس والبذل والعطاء أجاب الشاطبي منادي ربه، فتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة

تسعين وخمس مئة، ودفن يوم الاثنين في مقبرة البيساني، بناحية تدعى بـ (سارية)، وصلى عليه أبو إسحاق المعروف بالعراقي، إمام جامع مصر يومئذٍ[63].

وقال ابن الجزري: (... ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة، بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، وقبره مشهور معروف يقصد للزيارة، وقد زرته مرات، وعرض عليَّ بعض أصحابي الشاطبية عند قبره، ورأيت بركة الدعاء عند قبره بالإجابة، رحمه الله ورضي عنه)[64].

المطلب الثاني

مؤلفاتُ الإمام الشاطبي

على الرغم من المكانة العلمية التي كان يحتلها الإمام الشاطبي، رحمه الله تعالى، إلا أنه لم يكن مكثراً في التأليف، ولعل السبب في ذلك بصره الذي فقده. وكُلُّ مؤلفات الإمام الشاطبي منظومات علمية بديعة، وهذه هي مؤلفاته التي وصلتنا:

أولاً: منظوماته وقصائده التعليمية:

- القصيدة اللامية المسماة بـ (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات السبع، والمشهورة بالشاطبية. وسيأتي الكلام عليها مفصلاً في المبحث الثاني من هذا البحث، إن شاء الله، تعالى.
- القصيدة الرائية المسماة بـ (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) في علم الرسم العثماني. نظم فيها الشاطبي كتاب المقنع في مرسوم مصاحف الأمصار للداني، وإلى ذلك أشار الشاطبي بقوله:

وهاك نظم الذي في المقنع عن أبي ... عمرو وفيه زيادات فطب عمرا[65]

قال السخاوي: (... وله، رحمه الله، عدة قصائد، وجعل هذه عقيلتهن ... ولعمري إنه لكما قال، فإنه أبدع فيها، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا من أحاط بكتاب المقنع،

فإنه حينئذ يعلم كيف نظم ما تفرق فيه، فرب كلمة اجتمعت مع أخرى وكان بينهما في المقنع مسافة بعيدة، ثم ما زاد فيها من الفوائد وغرائب الإعراب وغير ذلك)[66].

وعدد أبيات العقيلة: ثمانية وتسعين ومئتين، وزعها الشاطبي على سبعة وعشرين باباً، وتتفاوت هذه الأبواب في ما بينها من حيث عدد أبيات كل باب. أولها:

الحمدُ لله موصولاً كما أمرا ... مباركاً طيباً يستنزلُ الدررا

وقد طبعت مفردةً مع مجموعة من المتون، جمعها الشيخ محمد علي الضباع في كتاب (إتحاف البررة بالمتون العشرة)، وعليها الكثير من الشروح[67].

- ناظمةُ الزُّهر في أعداد آيات السور: وهي قصيدة رائية في علم الفواصل، نظم ما رواه الفضل بن شاذان في عد آي القرآن، مستعيناً بما جمعه ابن عمار والداني، وفي ذلك يقول الشاطبي:

وقد أُلِّفتْ في الآي كتب وإنني ... لما ألف الفضل بن شاذان مستقري

ولكنني لم أسر إلا مظاهراً ... بجمع ابن عمار وجمع أبي عمرِو

وعدد أبياتها سبعة وتسعون ومئتا بيتٍ، قال الشاطبي:

وأبياتها تسعون مع مئتين قل ... وزد سبعةً تحكي اللجين مع الدر[68]

وقد طبعت مفردةً مع مجموعة من المتون، جمعها الشيخ محمد علي الضباع في كتاب: (إتحاف البررة بالمتون العشرة). وعليها شروح كثيرة[69].

- القصيدة الدالية: نظم فيها كتاب التمهيد لابن عبد البر، وتقع في خمس مئة بيت، من حفظها أحاط بالكتاب علماً[70].
- أبيات في موانع الصرف: وهي أربعة أبيات[71].
- أبيات في ظاءات القرآن: وهي أربعة أبيات أيضاً[72].
- إجابته على الأبيات الدالية لأبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري في المد[73]. وله قصيدتان أخريان لكنهما غير تعليميتين[74].

وسأذكرهما في شعره التعليمي.

ثانياً: شعره غير التعليمي:

للإمام الشاطبي أشعار لطيفة ذكرها تلميذه السخاوي في شرحه للشاطبية، وهذه هي:

1) **قصيدته البائية[75]، وهي في ثمانية عشر بيتاً، ومطلعها:**

بكى الناس قبلي لا كمثل مصائبي ... بدمعٍ مطيعٍ كالسحابِ الصوائبِ

2) **قصيدته الميمية[76]، وتقع في ستة وثلاثين بيتاً، ومطلعها:**

يلومونني إذ ما وجدتُ ملائما ... وما لي مُليماً حين سمتُ الأكارما

3) **لغزه في النعش[77]: وكان كثيراً ما ينشد هذا اللغز في نعش الموتى:**

أتعرفُ شيئاً في السماءِ يطيرُ ... إذا سارَ صاحَ الناسُ حيثُ يطيرُ

فتلقاهُ مركوباً وتلقاهُ راكباً ... وكُلُّ أميرٍ يعتليهِ أسيرُ

يحضُ على التقوى ويُكره قربه ... وتنفرُ منه النفسُ وهو نذيرُ

ولم يستزر عن رغبةٍ في زيارةٍ ... ولكن على رغم المزورِ يزورُ

المبحث الثاني

التعريف بقصيدته حرز الأماني ووجه التهاني، وعناية العلماء بها

المطلب الأول

التعريف بحرز الأماني ووجه التهاني شكلاً ومضموناً

أولاً: من حيث الشكل:

قصيدة حرز الأماني ووجه التهاني من تأليف الإمام الشاطبي، رحمه الله تعالى، ونسبتها ثابتة إليه، إذ قال هو نفسه في البيت السبعين منها:

وسميتُها حرز الأماني تيمناً ... ووجه التهاني فاهنه متقبَّلا

ويطلقُ عليها أيضاً اسم (الشاطبية) اختصاراً، نسبةً إلى مؤلفها، حتى صارت هذه التسمية أكثر شهرةً من العنوان الأصلي للقصيدة. وتسمى أيضاً (اللامية) نسبةً إلى قافيتها.

وهي من بحر الرجز[78]. وعدد أبياتها (1173) بيتاً، قال الشاطبي في البيت الواحد والستين بعد المئة والألف:

وأبياتها ألفٌ تزيدُ ثلاثةً ... ومع مئةٍ سبعينَ زهراً وكُمَّلا

وبدأ الشاطبي نظمها في الأندلس، فوصل إلى البيت الخامس والأربعين، وهو:

جعلتُ أبا جادٍ على كُلِّ قارئٍ ... دليلاً على المنظومِ أول أولا

ثُمَّ أكمل نظمها في القاهرة[79].

وكان سبب تأليفها رغبة الشاطبي، رحمه الله تعالى، في ثواب الله تعالى، وحرصاً على إحياء العلم الذي تضمنه كتاب التيسير للداني[80].

ثانياً: من حيث المضمون:

مضمون قصيدة (حرز الأماني ووجه التهاني) القراءات القرآنية السبع المتواترة، نظم فيها الإمام الشاطبي كتاب التيسير في القراءات السبع للداني، واختصر مسائله، وزاد عليه زيادات غير موجودة فيه، قال الشاطبي في البيت الثامن والستين:

وفي يسرها التيسير رمتُ اختصاره	**فأجنت بعونِ اللهِ منه مؤمَّلا**
وألفافها زادت بنشر فوائد	**فلفَّت حياءً وجهها أن تفضلا**

وجاءت القصيدة على قسمين كبيرين:

القسم الأول: خصصه للمقدمة والأصول، ويقع هذا القسم في أربع مئة وأربعة وأربعين بيتاً. ويتضمن المباحث الآتية:

- **المقدمة**: وقد ضمنها الشاطبي أولاً حمد الله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على نبيه ورسوله (ﷺ) وآله وصحابته الكرام (رضي الله عنهم)، ثم تحدث عن فضل كتاب الله تعالى، وفضل حملته. وانتقل بعدها إلى الحديث عن القراء السبعة وسمَّاهم البدور السبعة ورواتهم، ووصف كل واحد منهم بما يليق به من الصفات. ثم تحدث عن الرموز التي استعملها لكل قارئ وراوييه منفردين ومجتمعين، وتحدث عن اصطلاحاته التي اتبعها في قصيدته. وختم المقدمة بالدعاء إلى الله تعالى أن يتقبل منه، والطلب ممن قرأ القصيدة أن يحسن الظن به، وينظر فيها بعين الرضا والتسليم لإحدى الحسنيين، وهما: الاجتهاد أو الصواب.
- **الأصول**: ثم بدأ الشاطبي بأصول القراء، ورتبها على النحو الآتي:

باب الاستعاذة، باب البسملة، باب سورة أم القرآن (الفاتحة)، باب الإدغام الكبير، باب إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين، باب هاء الكناية، باب المد والقصر، باب الهمزتين من كلمتين، باب الهمز المفرد، باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، باب وقف حمزة وهشام على الهمزة، باب الإظهار والإدغام، ذال

(إذ)، دال (قد)، تاء التأنيث، (هل) و (بل)، اتفاقهم في إدغام (إذ) و (قد) وتاء التأنيث و (هل) و (بل)، باب حروف قربت مخارجها، باب أحكام النون الساكنة والتنوين، باب الفتح والإمالة وبين اللفظين، باب مذهب الكسائي في إمالة هاء التأنيث في الوقف، باب مذهبهم في الراءات، باب اللامات، باب الوقف على أواخر الكلم، باب الوقف على مرسوم الخط، باب مذاهبهم في ياءات الإضافة، باب مذاهبهم في ياءات الزوائد.

القسم الثاني: خصصه لفرش الحروف والخاتمة، ويقع في سبع مئة وتسعة وعشرين بيتاً. وقد رتبه الشاطبي على وفق ترتيب سور القرآن الكريم، فبدأ بسورة البقرة، وانتهى بسورة الناس. وذكر في آخر القصيدة بابين مهمين:

الأول: باب التكبير، لأنه سنة عند القراء.

الثاني: مخارج الحروف وصفاتها التي يحتاج إليها القارئ.

وتتضح قيمة عمل الإمام الشاطبي، رحمه الله تعالى، بموازنة هذه الأبواب بمباحث وأبواب كتاب التيسير للداني، على النحو الآتي:

- في ترتيب المباحث والأبواب.
- في الزيادات التي زادها الشاطبي في قصيدته على التيسير، مثل: باب التكبير، وباب أحكام النون الساكنة والتنوين، وباب مخارج الحروف وصفاتها.

ثالثاً: ثناء العلماء على الشاطبية (حرز الأماني):

أول من مدح الشاطبية مؤلفها الإمام الشاطبي نفسه، إذ قال في خاتمة القصيدة:

وقد كُسيت منها المعاني عنايةً	**كما عريت عن كل عوراء مفصلا**
وتمت بحمد الله في الخلق سهلةً	**منزهةً عن منطقِ الهُجرِ مِقولا**
ولكنها تبغي من الناس كُفؤها	**أخا ثقةٍ يعفو ويُغضي تجمُّلا**

ولــــيس لهـــا ذنـــــوب وليـــــها   فيـا طيـبَ الأنفـاسِ أحسـن تـأَولا[81]

وقال فيها أيضاً: (لا يقرأُ أحدٌ قصيدتي هذه إلا وينفعه الله، عَزَّ وجلَّ، بها، لأني نظمتها لله، سبحانه وتعالى)[82].

وقال السخاوي: (وما علمت كتاباً في هذا الفن منها أجمع، وأجلَّ قدراً وأرفع، إذ ضمنها كتاب التيسير في أوجز لفظ وأقربه، وأجزل نظم وأغربه ... وقد أربت هذه القصيدة عليه وزادت، ومنحت الطالبين أمانيهم وأفادت)[83].

وقال ابن خلكان: (ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها، وهي مشتملة على رموز عجيبة، وإشارات خفية لطيفة، وما أظن سُبق إلى أسلوبها)[84].

وقال الذهبي: (وقد سارت الركبان بقصيدتيه " حرز الأماني " و: عقيلة أتراب القصائد " اللتين في السبع والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحذاق القراء، فلقد أبدع وأوجز، وسهل الصعب وأخلص النية)[85].

وقال ابن الجزري: (ومن وقف على قصيدتيه، علم مقدار ما آتاه الله في ذلك، خصوصاً اللامية، التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها، أو قابل بينها وبين ما نُظِمَ على طريقها. ولقد رُزِقَ هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علمٍ يخلو من نسخة به، وقد تنافس الناس فيها، ورغبوا في اقتناء النسخ الصحاح بها ... وما ذلك إلا لشدة اعتناء الناس بها. ومن الجائز أن تبقى الشاطبية باتصال السماع بهذا السند إلى رأس الثمان مئة ... ولا أعلم كتاباً حُفظَ وعُرضَ في مجلس واحدٍ وتسلسل بالعرض إلى مصنفه إلا هو)[86]. وكلام ابن

الجزري في اتصال سندها صحيح، إذ إن الشاطبية ما تزال إلى يوم الناس هذا، تقرأ على المشايخ بالسند الصحيح المتصل إلى ناظمها، رحمه الله تعالى، ونحن اليوم قد دخلنا في الربع الثاني من المئة الرابعة عشرة، أي فوق الزمن الذي حدده ورآه الإمام ابن الجزري، رحمه الله تعالى[87].

رابعاً: أبرز سمات منهج الإمام الشاطبي في قصيدته حرز الأماني:

محرّم- استعماله الرموز:

استعمل الإمام الشاطبي الرموز في قصيدته من إيجازاً واختصاراً وتسهيلاً لحفظها والاستدلال بها. ورموزه في الشاطبية جاءت على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرموز الحرفية للقراء السبعة ورواتهم في حال انفرادهم.

النوع الثاني: الرموز الحرفية للقراء السبعة ورواتهم في حال اجتماعهم.

النوع الثالث: الرموز الكلمية للقراء والرواة في حال اجتماعهم أيضاً.

وهذا جدول يبين رموز القراء السبعة ورواتهم في الأنواع الثلاثة المذكورة

ت	الرمز الحرفي أو الكلمي	دلالته والمقصود به
محرّم.	أ	نافع
صفر.	ب	قالون
ربيع أول.	ج	ورش
ربيع ثان.	د	ابن كثير
جمادى الأولى.	هـ	البزي
جمادى الثانية.	ز	قنبل
رجب.	ح	أبو عمرو
شعبان.	ط	الدوري

الرمز	القارئ أو الراوي
ي	السوسي
ك	ابن عامر
ل	هشام
م	ابن ذكوان
ن	عاصم
ص	شعبة
ع	حفص
ف	حمزة
ض	خلف
ق	خلاد
ر	الكسائي
س	أبو الحارث
ت	الدوري
و	للفصل بين أسماء القراء ورواتهم وليست رمزاً لقارئ أو راوٍ.
ث	الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي).
خ	القراء كلهم غير نافع.
ذ	الكوفيون وابن عامر.
ظ	الكوفيون وابن كثير.
غ	الكوفيون وأبو عمرو.

الرمز	القارئ أو الراوي
ش	الكسائي وحمزة.
صحبة	الكسائي وحمزة وشعبة.
صحاب	الكسائي وحمزة وحفص.
عم	نافع وابن عامر.
سما	نافع وابن كثير وأبو عمرو.
حق	ابن كثير وأبو عمرو.
نفر	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.
حرمي	ابن كثير ونافع.
حصن	الكوفيون ونافع.

- **الاستغناء بذكر أحد الضدين عن الآخر بسبب دلالته عليه**[88]:

المصطلحات المتضادة عند القراء وعلماء التجويد قسمان: قسم يطردُ ولا ينعكس، وقسم يطرد وينعكس، وقد كان منهج الإمام الشاطبي في ذكر هذه المصطلحات يتسم بذكر أحد الضدين ولا يذكرُ ضده لأنه يعرف من ضده، وهذا منهجه في ذلك:

أ- الأضداد التي تنعكس ولا تطرد:

- **الإثبات وضده الحذف.**
- **اختلاسُ الحركة وضده إشباعها وإكمالها.**
- **الإدغام وضده الإظهار.**
- **التخفيف وضده التثقيل.**
- **التذكير وضده التأنيث.**
- **التنوين وضده تركه.**

- الجمع وضده التوحيد.
- الغيبة وضدها الخطاب.
- الفتح وضده الإمالة.
- المد وضده القصر.
- النقل وضده عدمه (إثبات الحركة).
- الهمز وضده تركه.

ب- الأضداد التي تطرد ولا تنعكس:

- التحريك وضده الإسكان.
- الجزم وضده الرفع.
- الرفع وضده النصب.
- الضم وضده الفتح.
- الفتح وضده الكسر، لأنهما حركتا بناء.
- النصب وضده الخفض، لأنهما حركتا إعراب.

فالإمام الشاطبي إذا أثبت أحد الضدين لقارئ من القراء السبعة، فإن ذلك يدل ضمناً على إثبات ضده للقراء الباقين من السبعة ورواتهم من دون أن يصرح بذكر ذلك. فمثلاً إذا أثبت إمالة الألف التي بعدها تاء التأنيث عند الوقف للكسائي فإنه يثبت بذلك أن غير الكسائي يفتحها. من دون أن يصرح بذلك لدلالة ضده عليه.

ربيع أول- **الواو الفاصلة بين رموز القراء ورواتهم**[89]:

لم يجعل الإمام الشاطبي الواو رمزا لأحد من القراء أو رواتهم، بل اختاره ليكون فاصلا بين الحرف المختلف ورموز أصحابه، وبين الحرف الآخر الذي يليه ورموزه، حتى لا يلتبس السابق باللاحق، واستثنى من ذلك في منهجه الحروف التي يؤمن معها اللبس حال اتصالها.

ربيع ثاني- **الاكتفاء بلفظ الحرف القرآني عن القيد أو الوصف**[90]:

ويكتفي الإمام الشاطبي، في منهجه في القصيد، أحيانا، بلفظ القرآن الكريم من دون أن يقيده بما يرافقه من قيد، سواء أكان قصراً أم مداً، تخفيفاً أم تثقيلاً، إذا وضح اللفظ ولم يحتج إلى التقييد. مثل قوله في الشاطبية:

ومالـك يـوم الـدين راويـه ناصـر .....

ولم يقل: ومالك يوم الدين بالمد.

هذه كانت أبرز معالم منهج الإمام الشاطبي في قصيدته، وقد جاءت هذه القصيدة على مستو عال من البلاغة والإتقان والإبداع نالت به إعجاب العلماء قديما وحديثا.

خامسا: زيادات الحرز على التيسير:

تقدم ذكر أن الشاطبية قد ضمت أموراً وقضايا لم يتضمنها كتاب التيسير للداني، وقد تتبع العلماء هذه الزيادات فأفردها بالتأليف منهم الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي (ت صفر شعبان شوال محرم هـ) الذي ألف كتاباً بعنوان: (بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير)[91]، واختصرها في منظومة يسهل حفظها وتيسير استيعابها[92]، ومما قال فيها:

وهـاكَ مـا زِيـدَ علـى التيسـيرِ لـدى الأمـاني جـا علـى التيسـيرِ

وقال في عدد هذه الزيادات:

وقـدرها عـدد ميقـات الكلـيم مـن بعـد خمسـةٍ فخـذها عـن علـيمِ

وهذه الزيادات تنحصر في الأنواع الآتية:

محرم– الزيادات في الأبواب.

صفر– الزيادات في أصول القراء.

ربيع أول– الزيـادات فـي فـرش الحـروف. ولـيس هنـا موضـع التفصـيل فـي ذكـر هـذه الأبواب، ومن أراد الاطـلاع عليها فليرجع إلى شروح الشاطبية وهي كثيرة جداً، وسيأتي الكلام على هذه الشروح في المطلب الثاني من هذا الفصل، إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني

عناية العلماء بحرز الأماني (الشاطبية)

لقد حظيت الشاطبية (حرز الأماني) باهتمامات العلماء قديماً وحديثاً فتناولوها بالشرح والتعليق وفك الرموز، والتكميل والاختصار والتوضيح والتبويب، وقد أدت هذه العناية إلى إثراء درس القراءات القرآنية إثراءً كبيراً يتضح في جهود العلماء لخدمة هذه القصيدة العظيمة المباركة. وسيتناول هذا المطلب عناية العلماء بالشاطبية على النحو الآتي:

أولاً: الشروح التي وضعها العلماء على الشاطبية:

قـال الإمـام ابـن الجزري: (ولقـد رُزِق هـذا الكتـاب مـن الشـهرة والقبـول مـا لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن)[93]. **ومن هذه الشروح، مرتبةً حسب وفيات مؤلفيها:**

محرم– شرح الشاطبية: للشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل الأزدي التونسي، المعروف بابن الحداد، علامة أستاذ، رحل وقرأ على الشاطبي، وتحول في آخر عمره إلى المغرب، فسكن مراكش، وألف شرحاً على الشاطبية (ت جمادى أول صفر جمادى ثان هـ)، قال عنه ابن الجزري: (ويحتمل أن يكون هو أول من شرحها)[94].

صفر– المهند القاضي شرح قصيدة الشاطبي: لأبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن علي الأندلسي المقرئ، نزيل الفيوم (ت شوال ربيع ثان جمادى ثان هـ)[95]. وشرحه هذا توجد نسخة خطية منه بمكتبة ولي الدين جار الله باستانبول برقم: [ربيع ثان/ جمادى ثان صفر][96].

ربيع أول– المبسـوط فـي شـرح الشـاطبية: لشـمس الـدين محمـد بـن محمـود السـمرقندي المتوفى بعد سنة شوال شوال جمادى ثان هـ[97]. وتوجد من نسخ في بعض مكتبات العالم، منها نسخة بخزانة جاريت/ برنستون برقم: [ربيع ثان شوال صفر محرم][98].

ربيع ثان– فتح الوصيد في شرح القصيد: لعلم الدين السخاوي (ت ربيع أول ربيع ثان جمادى ثان هـ)، وقد حققه تحقيقاً علمياً الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري، وهو أطروحته لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة محمد الخامس بالرباط، تحت إشراف الدكتور التهامي الراجي الهاشمي. وقد طبعها في مكتبة الرشد، في المملكة العربية السعودية سنة جمادى ثان صفر ربيع ثان محرم هـ . جمادى أول شوال شوال صفر م.

جمادى أول– الدرة الفريدة في شرح القصيدة: للشيخ أبي يوسف المنتجب بن أبي العز الهمذاني (ت ربيع أول ربيع ثان جمادى ثان هـ)، قال فيه ابن الجزري: (لا بأس به)[99]. وقال أبو شامة: (وانتفع بشيخنا أبي الحسن في معرفة قصيدة الشاطبي، ثم تعاطى شرح القصيدة، فخاض بحراً عجز عن سباحته، وجحد حق تعليم شيخنا له وإفادته، فالله يعفو عنا وعنه)[100].

وتوجد من هذا الشرح نسخ كثيرة في مكتبات العالم، منها: نسخة في جامعة استانبول، برقم: [جمادى أول ربيع أول شعبان محرم A ربيع ثان رجب صفر][101].

جمادى ثان– كنز المعاني في شرح حرز الأماني: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي الملقب بشعلة (ت شوال جمادى أول جمادى ثان هـ)[102]. وقد حققه تحقيقاً علمياً رائعاً الدكتور محمد إبراهيم فاضل المشهداني، وكان هو موضوع أطروحته للدكتوراه في كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد سنة محرم شوال شوال صفر م، بإشراف الأستاذ الدكتور هشام إبراهيم الحداد، وسيصدر مطبوعاً قريباً إن شاء الله تعالى[103].

رجب– اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة: لأبي عبد الله محمد بن حسن بن محمد الفاسي (ت جمادى ثان جمادى أول جمادى ثان هـ)، وصفه ابن الجزري بقوله: (وشرحه الشاطبية في غاية

الحسن)[104]. وتوجد منه عدة نسخ في مكتبات العالم، وأقدم هذه النسخ توجد في المركز الحكومي باستانبول، وقد نسخت سنة ([illegible] هـ)، أي في عصر الشارح، رحمه الله تعالى[105].

وقد اختصره الحسين بن أحمد بن علي بن حجاج في كتاب سماه: (منتقى اللآلئ للفاسي)، ومنه صورة عن الأصل في مكتبة مخطوطات أوقاف بغداد برقم: [[illegible]][106].

[illegible]– المفيد في شرح القصيد: للشيخ علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد اللورقي (ت [illegible] هـ)[107]. وتوجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم: [[illegible]][108].

[illegible]– شرح الشاطبية لأبي الفتح شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن موسى الأنصاري الدمشقي (ت [illegible] هـ)، قال فيه الذهبي: (وقد شرح الشاطبية شرحاً متوسطاً)[109].

[illegible]– إبراز المعاني من حرز الأماني: للإمام الشيخ أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت [illegible] هـ) وهذا الشرح قد طبع لأول مرة في مصر بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة [illegible] هـ، وبهامشه إرشاد المريد إلى مقصود القصيد، والبهجة المرضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر، وكلاهما للشيخ الضباع، وطبع أخيراً في مجلد بتحقيق إبراهيم عطوة عوض في دار الكتب العلمية، ببيروت.

وذكر صاحب الفهرس الشامل أن لشرح أبي شامة هذا مختصراً مخطوطاً في مكتبة أوقاف الموصل برقم: [[illegible]]، كتبت سنة [illegible] هـ، وعدد أوراقها ([illegible] ورقة)[110].

[illegible]– شرح الشاطبية: لأبي الحسن علي بن يعقوب بن شجاع المعروف بالعماد الموصلي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق (ت [illegible] هـ)، قال عنه ابن

الجزري: (... وصنف شرحاً للقصيد في نحو أربع مجلدات لم يكمله ولم يبيضه)[111].

[illegible]– نظم حل رموز الشاطبي: لأبي يوسف يعقوب بن بدران بن منصور الدمشقي، المعروف بالجرائدي (ت [illegible] هـ)، قال ابن الجزري: (نظم حل رموز الشاطبي)[112]، وتوجد منه عدة نسخ متفرقة في مكتبات العالم، منها نسخة المكتبة الوطنية بباريس (فايدا) برقم: [[illegible]][113].

[illegible]– كاشف المعاني في شرح حرز الأماني: لعباد بن أحمد الحسيني، الذي كان حياً سنة أربع وسبع مئة للهجرة. توجد نسخة منه في مجلس الشورى الإسلامي بطهران، برقم: [[illegible]] بخط المؤلف[114].

[illegible]– شرح الشاطبية: لعلاء الدين علي بن أحمد (ت [illegible] هـ). ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون[115].

[illegible]– شرح الشاطبية: لأبي موسى جعفر بن مكي الموصلي شيخ شيراز ونزيلها (ت [illegible] هـ)، قال فيه ابن الجزري: (إمام فاضل كامل صالح، وقفت له على شرح الشاطبية)[116].

[illegible]– شرح الشاطبية: لعلي بن يوسف بن حريز، أبي الحسن الشنطوفي اللخمي، شيخ الإقراء بالديار المصرية (ت [illegible] هـ)، قال ابن الجزري: (... وبلغني أنه عمل على الشاطبية شرحاً، فلو ظهر لكان من أجود شروحها)[117].

[illegible]– الشعلة على الشاطبية: لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي القاضي المعروف بالصُّغَيِّر، مصغراً[118].

[illegible]– فرائد المعاني شرح حرز الأماني: لمحمد بن محمد بن آجروم (ت [illegible] هـ)، توجد منه نسخة خطية بخزانة القرويين بخط المؤلف[119].

رمضان محرم– شرح الشاطبية: ليوسف بن أبي بكر المعروف بابن خطيب بيت الأبار (ت جمادى أول صفر رجب هـ)، ذكره إسماعيل باشا البغدادي(120)، والدكتور عبد الهادي الفضلي(121).

شوال صفر–كشف المعاني في شرح حرز الأماني: ليوسف بن أسد الخلاطي العباسي، توجد نسخة منه في الخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم: [ربيع ثان ربيع أول جمادى أول صفر محرم ز]، وتاريخ نسخها في ربيع الثاني سنة جمادى أول ربيع أول رجب هـ(122).

محرم صفر– المفيد في شرح القصيد: لأبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جبارة المقدسي، نزيل القدس الشريف (ت شعبان صفر رجب هـ)(123)، وتوجد نسخة منه في خزانة بلدية الاسكندرية بمصر تحت رقم: [رمضان صفر جمادى أول محرم ب](124).

صفر صفر– تذهيب الأمنية في تهذيب الشاطبية: لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد الملك بن عوانة القرشي الهاشمي، المتوفى في حدود سنة (شوال ربيع أول رجب هـ)، ذكره في هدية العارفين، وقال: يقع في ثلاثة أسفار(125).

ربيع أول صفر– كنز المعاني في شرح حرز الأماني: لبرهان الدين أبي محمد إبراهيم بن عمر بن الجعبري، شيخ مدينة الخليل (ت صفر ربيع أول رجب هـ)(126). توجد منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم، منها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس، برقم: [محرم جمادى ثان محرم] كتبت في عصر المؤلف(127).

ربيع ثان صفر– الحواشي المفيدة في شرح القصيدة: لأبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ابن الدقوقي (ت جمادى أول ربيع أول رجب هـ)، قال ابن الجزري: (ألف الحواشي المفيدة في شرح القصيدة، يعني الشاطبية)، وقال الذهبي، فيما رواه عنه ابن الجزري: (وقفت على السفر الأول منه، فرأيته ينبئ بإمامته)(128).

جمادى أول صفر– الفريدة البارزية في حل الشاطبية: لشرف الدين أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم ابن البارزي الحموي (ت شعبان ربيع أول رجب هـ)(129). توجد منه نسخ في مكتبات

الإمام الشاطبي وقصيدته حرز الأماني ووجه التهاني
مجلة آداب الفراهيدي
د. صلاح ساير فرحان العدد (6) آذار 2011

العالم، منها نسخة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم: [(شعبان رجب صفر) جمادى أول شعبان صفر صفر صفر] كتبت في عصر المؤلف(130).

جمادى ثان صفر–شرح الشاطبية: لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن بضخان الدمشقي (ت ربيع أول ربيع ثان رجب هـ)، قال ابن الجزري: (شرح القصيد فوصل فيه إلى أثناء باب الهمز، وهو شرح متكلف للتصنيف)(131).

رجب صفر– شرح الشاطبية: لأبي محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله المعروف بابن أم قاسم المرادي (ت رمضان ربيع ثان رجب هـ)، قال ابن الجزري في ترجمته: (وشرح الشاطبية)(132).

شعبان صفر–العقد النضيد في شرح القصيد: لأبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي المعروف بالسمين النحوي (ت جمادى ثان جمادى أول رجب هـ)، قال ابن الجزري: (لم يسبق إلى مثله)(133). وهذا الشرح توجد نسخة منه في الجامع الكبير بصنعاء، برقم: [جمادى ثان جمادى ثان جمادى أول محرم]، وأخرى بدار الكتب بالقاهرة، برقم: [ربيع ثان ربيع ثان](134).

رمضان صفر–مبرز المعاني في شرح قصيدة حرز الأماني: لمحمد بن عمر بن علي العمادي، (ت صفر جمادى ثان رجب هـ)، فرغ منه سنة صفر جمادى ثان رجب هـ(135). توجد منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم، منها: نسخة بمكتبة الحرم المكي الشريف، برقم: [صفر ربيع ثان].

شوال ربيع أول– جامع القواعد لشرح الشاطبية: لحمزة بن قتلوبك (ت رجب جمادى ثان رجب هـ)، توجد نسخة منه في مكتبة إسحاق الحسيني بالقدس، برقم: [م رمضان ربيع ثان/ محرم](136).

محرم ربيع أول– الجوهر النضيد في شرح القصيد: لأبي بكر بن أيدغدي بن عبد الله الشهير بابن الجندي (ت رمضان جمادى ثان رجب هـ)، قال ابن الجزري: (وألف شرحاً على الشاطبية، يتضمن إيضاح شرح الجعبري، رأيته يبيض فيه)(137). توجد منه

نسخ في مكتبات العالم، منها:نسخة بالمسجد الأقصى بالقدس الشريف،برقم:[صفر رجب][138].

صفر ربيع أول– شرح الشاطبية، للسيد عبد الله بن محمد الحسيني (ت جمادى ثان رجب رجب هـ)[139].

ربيع أول ربيع أول– شرح القصيدة الشاطبية، لشمس الدين محمد بن محمود بن محمد بن أحمد السمرقندي (شوال شعبان رجب هـ)، وتوجد نسخة منه في مكتبة تشستربتي بدبلن، برقم: [رجب جمادى ثان محرم جمادى أول][140].

ربيع ثان ربيع أول– شرح الشاطبية، لأبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن البغدادي الواسطي (ت محرم شعبان رجب هـ). قال ابن الجزري: (شرح الشاطبية شرحين)[141].

جمادى أول ربيع أول– سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي، لعلاء الدين علي بن عثمان بن القاصح العذري (ت ربيع أول ربيع أول شعبان هـ)، وهذا الشرح اعتمد عليه علماء الإقراء قديماً وحديثاً، إذ ما يزال علماء القراءات يطلبون من الطالب قراءة هذا الكتاب أثناء طلبهم القراءات[142]. والكتاب مشهور وتوجد منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم، وقد طبع طبعات كثيرة، ولكني لم أطلع له على طبعة محققة تحقيقاً علمياً.

جمادى ثان ربيع أول– شرح حرز الأماني، لمحقق علم القراءات الإمام ابن الجزري، رحمه الله تعالى، توجد نسخة منه في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة[143].

رجب ربيع أول–كنز الأمالي شرح حرز الأماني، لعجلان بن محمد البقاعي (ت شعبان جمادى ثان شعبان هـ)، توجد نسخة منه بمكتبة راغب باشا باستانبول برقم: [شوال محرم][144].

شعبان ربيع أول– شرح الشاطبية، لأبي العباس أحمد بن عبد الواحد الأسيوطي (ت صفر رجب شعبان هـ)[145].

رمضان ربيع أول– شرح الشاطبية، لأحمد بن إسماعيل الكوراني (ت ربيع أول رمضان شعبان هـ)، توجد نسخة منه في المكتبة العمومية باستانبول برقم: [جمادى أول ربيع ثان محرم][146].

شوال ربيع ثان– حل الشاطبية، لعبد الرحمن بن أبي بكر العيني (ت ربيع أول رمضان شعبان هـ)، توجد نسخة منه في المكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم: [(صفر جمادى أول صفر) رمضان جمادى أول صفر صفر صفر][147].

محرم ربيع ثان– شرح الشاطبية، لأحمد بن علي بن أحمد بن يوسف الحصفكي (ت جمادى أول رمضان شعبان هـ)[148].

صفر ربيع ثان– شرح حرز الأماني، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (محرم محرم رمضان هـ)، توجد منه نسخ عديدة في مكتبات العالم، أقدمها نسخة كتبت قبل وفاة المؤلف بثماني سنوات[149].

ربيع أول ربيع ثان– الدرر المضيئة في حل الشاطبية، لعلي بن ناصر الملكي (كان حياً سنة جمادى ثان محرم رمضان هـ)، توجد نسخة منه في متحف طوبقا بو سراي برقم: [جمادى أول رجب محرم A رجب ربيع ثان جمادى ثان محرم][150].

ربيع ثان ربيع ثان– توضيح المعاني من رموز حرز الأماني، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت ربيع أول صفر رمضان هـ)، توجد منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم: [رمضان ربيع ثان جمادى أول محرم][151]. وله أيضاً الفتح الداني في شرح حرز الأماني.

جمادى أول ربيع ثان– شرح حرز الأماني، لعبد الكريم بن عبد القادر الجعبري (ت ربيع أول ربيع أول رمضان هـ)، توجد نسخة منه بخزانة تامكروت بالمملكة المغربية برقم: [رمضان جمادى أول جمادى أول صفر][152].

جمادى ثان ربيع ثان– شرح الشاطبية، لمحمد بن مصطفى الشيخ زاده (ت محرم جمادى أول رمضان هـ) توجد نسختان منه بمكتبة الغازي خسرو بسراييفو برقم: [ربيع أول جمادى أول جمادى أول محرم] ورقم [جمادى أول شعبان ربيع أول محرم](153).

رجب ربيع ثان– الغاية في شرح الشاطبية، لحسين بن علي الحصني (ت محرم رجب رمضان هـ)، توجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم: [محرم ربيع ثان](154).

شعبان ربيع ثان– المعين في شرح الشاطبية، لإمام محمد بن حسام دده الأياثلوغي (ت جمادى ثان شعبان رمضان هـ)، توجد نسخة منه في المكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم: [(جمادى أول جمادى ثان صفر) صفر رجب صفر صفر صفر](155).

رمضان ربيع ثان– شرح حرز الأماني ووجه التهاني، لأحمد بن عبد الحق السنباطي (ت جمادى أول رمضان رمضان هـ)، توجد منه نسخ في مكتبات العالم، أقدمها نسخة المسجد الأحمدي بطنطا بمصر برقم: [خ شعبان محرم . رمضان صفر جمادى ثان محرم](156).

50– شرح حرز الأماني، لملا علي القاري (ت ربيع ثان صفر شوال محرم هـ)، توجد منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم، أقدمها نسخة متحف طوبقا بو سراي باستانبول برقم: [ربيع أول شعبان محرم A 1661] نسخت قبل وفاة المؤلف بسنة تقريباً(157).

محرم جمادى أول– إظهار المعاني شرح حرز الأماني، لأحمد المغنساوي (ت شوال رمضان شوال محرم هـ)(158).

صفر جمادى أول– الدرة الفريدة في شرح القصيدة، لمحمد بن داود العناني (ت شعبان رمضان شوال محرم هـ)، توجد نسخة منه في متحف باتافيا بجاكارتا، برقم: [رجب شوال صفر](159).

ربيع أول جمادى أول– الإشارات العمرية في حل أبيات الشاطبية، لعمر بن عبد القادر الأرمنازي (ت شعبان ربيع ثان محرم محرم هـ)، توجد نسخ منه في مكتبات العالم، أقدمها نسخة في المكتبة الظاهرية برقم: [ربيع أول شعبان محرم رجب]، كتبت بعد وفاة المؤلف بسنة واحدة تقريباً(160).

ربيع ثان جمادى أول– الفوائد السنية في حل ألفاظ الشاطبية، لمحمد بن علي بن علوان، كان حياً بعد سنة صفر رجب محرم محرم هـ، توجد منه نسختان في مكتبة بلدية الإسكندرية، الأولى برقم: [ربيع أول صفر شوال محرم ب]، والثانية برقم: [رجب جمادى ثان جمادى ثان ربيع أول ج](161).

جمادى أول جمادى أول– حسن التعبير في بيان ما للحرز من التعبير، لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت صفر رمضان محرم محرم هـ)، توجد منه نسختان في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، الأولى برقم: [(جمادى ثان شعبان) رجب شعبان ربيع ثان ربيع ثان]، والثانية برقم: [(جمادى أول ربيع ثان صفر محرم) زكي ربيع أول ربيع ثان جمادى أول شوال ربيع ثان](162).

جمادى ثان جمادى أول– كنز المعاني بتحرير حرز الأماني، لسليمان بن حسين بن الجمزوري (ت شعبان رمضان محرم محرم هـ)، وهو نظم في تحريرات حرز الأماني(163)، وقد شرحه الناظم نفسه بشرح سماه: (الفتح الرحماني شرح كنز المعاني بتحرير حرز الأماني)، وطبع هذا الشرح بتحقيق الشيخ عبد الرزاق بن علي.

رجب جمادى أول–إتحاف الأخ الأود المتداني لمحاذي حرز الأماني ووجه التهاني، لمحمد بن عبد السلام الفاسي (ت ربيع ثان محرم صفر محرم هـ)، توجد نسخ منه في خزانات المملكة المغربية، منها نسخة في خزانة تطوان برقم: [شوال شعبان شعبان] كتبت في عصر المؤلف(164).

شعبان جمادى أول– فتح المقفلات لما تضمن نظم الحرز والدرة من القراءات، لرضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي (ت محرم محرم ربيع أول محرم هـ)، توجد منه نسختان بمصر، الأولى بدار الكتب برقم: [ربيع أول ربيع أول ربيع ثان]، والثانية بالخزانة التيمورية برقم: [رجب جمادى أول].

رمضان جمادى أول– إرشاد المريد إلى مقصود القصيد، لعلي بن محمد الضباع (ت جمادى ثان رجب ربيع أول محرم هـ)، طبع بعناية إبراهيم عطوة عوض بمصر سنة ربيع ثان شوال ربيع ثان محرم هـ.

شوال جمادى ثان– الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت ربيع أول شوال ربيع ثان محرم هـ) طبع ونشر مرات كثيرة.

محرم جمادى ثان– تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع، لسيد لاشين أبي الفرج، وخالد محمد الحافظ، طبع في المدينة المنورة.

صفر جمادى ثان–تقريب الشاطبية، لإيهاب فكري، شيخ القراءات في المسجد النبوي الشريف، وقد طبع هذا الكتاب في المدينة المنورة أيضاً.

ومن الشروح التي لم أقف على وفيات مؤلفيها:

ربيع أول جمادى ثان– الفيض الرباني في تحرير حرز الأماني، للشيخ جلبي الطنتدائي[165].

ربيع ثان جمادى ثان– إيضاح المعاني في شرح حرز الأماني، لحسين بن حسين أصفهاني[166].

جمادى أول جمادى ثان– العقد النضيد في شرح القصيد، لمحمد بن أحمد البرجي[167].

جمادى ثان جمادى ثان– تلخيص المعاني وتبيين المباني في شرح حرز الأماني، لمحمد بن محمود الشيرازي[168].

رجب جمادى ثان– تشريح المعاني لحرز الأماني ووجه التهاني، لمحمود بن محمد صبغة الله، وقد طبع قديماً.

ثانياً: مختصرات حرز الأماني المنظومة والمنثورة:

محرم– حوز المعاني في اختصار حرز الأماني، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت صفر رجب جمادى ثان هـ)، وهذا النظم جاء على وزن الشاطبية ورويها، أوله:

بذكر إلهي حامداً ومبسملا بدأت فأولى القول يبدأ أولا

وآخره:

وزادت على حرز الأماني إفادة وقد نقصت في الجرم ثلثاً مكملا

وتوجد نسخة منه في مكتبة داود إبراهيم باشا بإستانبول، برقم: [شعبان][169].

صفر– الخلاصة المرضية على متن الشاطبية، لمحمد بن أحمد المبلط، الذي كان حياً سنة (ربيع أول محرم ربيع أول محرم هـ)[170].

ثالثاً: المؤلفات التي أكملت حرز الأماني واستدركت عليه:

محرم– التكملة المفيدة لحافظ القصيدة، لأبي الحسن علي بن عمر بن إبراهيم الكتاني القيجاطي (ت شوال ربيع أول رجب هـ)، وصفها الإمام ابن الجزري بأنها: (قصيدة محكمة النظم في وزن الشاطبية ورويها، نظم فيها ما زاد على الشاطبية من التبصرة لمكي، والكافي لابن شريح، والوجيز للأهوازي)[171].

ومن المؤلفات التي عارضت الحرز ونُظمت على منواله:

صفر– جمع الأصول في مشهور المنقول، لأبي الحسن علي بن أبي محمد بن أبي سعيد الديواني الواسطي (ت ربيع أول ربيع ثان رجب هـ)، وهي قصيدة في وزن الشاطبية ورويها[172]. توجد نسخة منها في مكتبة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية برقم: [صفر شعبان صفر]. أولها:

بدأتُ وقد فوضت أمري مبسملا إلى مستحق الحمد في النظم أولا[173]

وتوجد نسخة مصورة من نسخة المؤلف عندي، وهي بخط المؤلف نفسه، قال في آخرها: (تمت والحمد لله رب العالمين بخط مؤلفها وناظمها في شهر رمضان المبارك من سنة أربع وعشرين وسبع مئة في بلدة شيراز حين قدمت إليها.)[174]. وأعمل حالياً على تحقيقها والتعليق عليها.

ربيع أول– عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي، لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت جمادى أول ربيع ثان رجب هـ)، وهي بوزن الشاطبية ورويها أيضاً، لم يأت فيها برمز)[175].

ومن الكتب التي جمعت بين الحرز وغيره من كتب القراءات:

ربيع ثان– البيان في الجمع بين القصيدة والعنوان، ليحيى بن أحمد بن صفوان (ت صفر رجب رجب هـ).

جمادى أول– بيان الخلاف والتشهير، لابن القاضي المكناسي[176].

وبعد هذه الجولة في شروح الشاطبية (حرز الأماني) وعناية العلماء بها، يستطيع القارئ الكريم أن يطمئن لقول ابن الجزري، رحمه الله تعالى، في مدح الحرز والثناء عليه: (ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة منه)[177].

أبرز النتائج والتوصيات التي خرجت بها في هذا البحث:

1- الإمام الشاطبي إمام مدرسة القراءات القرآنية في المشرق والمغرب، وجهوده في علم القراءات عظيمة وكثيرة، وآثاره تدل على ذلك.

2- قصيدته (حرز الأماني ووجه التهاني) أو الشاطبية، أهم منظومة علمية في علم القراءات على الإطلاق، ومن طريقها يقرأ المسلمون القرآن الكريم اليوم برواياته وقراءاته المختلفة. ولها الصدارة في ذلك منذ عصر مؤلفها إلى يوم الناس هذا، ولا يضاهيها في ذلك كتابٌ آخر.

3- حظيت الشاطبية بعناية العلماء الكثيرة، فشروحها، مثلاً، زادت على المئة شرح، أحصيت منها أكثر من سبعين شرحاً وأشرت إلى أماكن وجودها ما وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.

4- زادت الشاطبية على أصلها (كتاب التيسير للداني) زياداتٍ علمية قيمةً في القراءة لم يذكرها الإمام الداني، واشتهرت هذه الزيادات عند العلماء باسم: (زيادات الشاطبية على التيسير).

5- أكدت الشاطبية حقيقة مهمة جداً، وهي أنَّ المنظومات العلمية لا تمثل الانحطاط العلمي عند المسلمين في العصور المتأخرة، كما ظنَّ بعض من لم يطلع على حقيقة الحياة العلمية عند المسلمين وقتئذٍ، بل كانت هذه المنظومات منهجاً علمياً أملته طبيعة الحياة في ذلك الوقت.

جمادى ثان– يوصي الباحث بالعناية بالشاطبية وشروحها، درساً وتحقيقاً، والاتصال بشيوخ الإقراء المعاصرين في العراق وخارجه للاطلاع على مناهجهم في تدريس القراءات القرآنية، وفهم الشاطبية وحل رموزها.

رجب–كتابة بحوث علمية رصينة تتناول دراسة زيادات الشاطبية على التيسير دراسة مفصلة من حيث السند، وأركان القراءة الصحيحة، وغيرها.

شعبان– كتابة بحوث علمية رصينة تتناول الموازنة بين الشاطبية وكتب القراءات السبع الأخرى التي ألفها العلماء بعدها، لمعرفة زيادات هذه الكتب على الشاطبية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش والإحالات:

(1) ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت 626 هـ): 5/ 2216، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (ت 643 هـ): 4/ 160، والتكملة لوفيات النقلة، للمنذري (ت 656 هـ): 207، والذيل على الروضتين، لأبي شامة المقدسي (ت 665 هـ): 7، ووفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان (ت 681 هـ): 4/ 71، والبداية والنهاية، لابن كثير (ت 744 هـ): 13/ 10، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (ت 748 هـ): 21/ 216، والعبر في خبر من غبر، للذهبي أيضاً: 4/ 273، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: 3/ 1110، وطبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي (ت 771 هـ): 7/ 270، ونكت الهميان في نكت العميان، للصفدي (ت 764 هـ): 228، وطبقات الشافعية، للأسنوي (ت 772 هـ): 2/ 113، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون (ت 799 هـ): 323، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (ت 833 هـ): 2/ 20، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (ت 851 هـ): 2/ 35، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (ت 911 هـ): 2/ 260، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي: 1/ 236، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري (ت 1041 هـ): 2/ 22، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت 1041 هـ): 4/ 301، والأعلام، للزركلي: 5/ 180.

(2) معرفة القراء: 3/ 1110.

(3) فتح الوصيد: 1/ 4، 6، 54، والوسيلة إلى كشف العقيلة: 143.

(4) إبراز المعاني: 1/ 106.

(5) كنز المعاني: 9.

(6) نقلها الإمام السخاوي في فتح الوصيد: 1/ 39.

(7) فتح الوصيد: 1/ 10.

(8) فتح الوصيد: 1/ 38.

(9) الديباج المذهب: 324.

(10) ينظر: سير أعلام النبلاء: 21/ 261، ومعرفة القراء: 3/ 1110.

(11) ينظر: غاية النهاية: 2/ 20.

(12) ينظر: المصدر نفسه: 2/ 20.

(13) وفيات الأعيان: 4/ 72.

(14) معجم البلدان: 3/ 309.

(15) ينظر: فتح الوصيد: 1/ 104.

(16) غاية النهاية: 2/ 20.

(17) المصدر السابق نفسه.

(18) وفيات الأعيان: 4/ 72.

(19) الذيل على الروضتين: 7.

(20) غاية النهاية: 2/ 20.

(21) الذيل على الروضتين: 7، وسير أعلام النبلاء: 21/ 263.

(22) إنباه الرواة: 4/ 160.

(23) ينظر: معرفة القراء الكبار: 3/ 1112.

(24) ترجمته في: معرفة القراء: 3/ 1048، وغاية النهاية: 2/ 204.

(25) فتح الوصيد: 1/ 8.

(26) ترجمته في: معرفة القراء: 2/ 990، وغاية النهاية: 1/ 573.

(27) فتح الوصيد: 1/ 39.

(28) غاية النهاية: 1/ 553.

(29) غاية النهاية: 1/ 102.

(30) غاية النهاية: 2/ 20.

(31) غاية النهاية: 1/ 378، 2/ 20.

(32) غاية النهاية: 2/ 108.

(33) غاية النهاية: 2/ 288.

(34) ينظر: غاية النهاية: 2/ 20.

(35) إنباه الرواة: 4/ 160.

(36) المصدر نفسه.

(37) المصدر نفسه.

(38) غاية النهاية: 2/ 21.

(39) المصدر نفسه.

(40) المصدر نفسه: 1/ 366.

(41) الإفراد: هو أن يقرأ الطالب على شيخه ختمةً كاملةً لكل قارئ أو راوٍ من القراء أو الرواة، وهي الطريقة التي كانت سائدة قبل القرن الرابع للهجرة. أما الجمع فهو أن يجمع الطالب القراء ورواتهم بختمة واحدة في قراءته على شيخه، وهي الطريقة التي انتشرت عند المقرئين بعد القرن الرابع للهجرة، واستمر العمل عليها إلى وقتنا هذا. ينظر: الجمع بالقراءات المتواترة: 128– 135 بتصرف.

(42) غاية النهاية: 1/ 567.

(43) غاية النهاية: 2/ 216.

(44) غاية النهاية: 2/ 219.

(45) غاية النهاية: 2/ 257.

(46) غاية النهاية: 1/ 568.

(47) غاية النهاية: 1/ 508.

(48) غاية النهاية: 1/ 583.

(49) غاية النهاية: 1/ 641.

(50) غاية النهاية: 2/ 230.

(51) ينظر: إجازة الشيخ المقرئ إبراهيم فاضل المشهداني للدكتور صلاح ساير فرحان العبيدي في القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة: 13.

(52) غاية النهاية: 1/ 452.

(53) الديباج المذهب: 323.

(54) نكت الهميان: 228.

(55) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 2/ 35.

(56) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 113.

(57) طبقات الشافعية: 2/ 35.

(58) فتح الوصيد: 1/ 6.

(59) سير أعلام النبلاء: 21/ 262.

(60) معرفة القراء: 3/ 1111.

(61) غاية النهاية: 2/ 21.

(62) فتح الوصيد: 1/ 6 . 7.

(63) المصدر نفسه.

(64) غاية النهاية: 2/ 23.

(65) الوسيلة إلى شرح العقيلة: 249.

(66) المصدر نفسه: 710.

(67) ينظر مقدمة تحقيق كتاب الوسيلة إلى شرح العقيلة بشرح السخاوي، للدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري.

(68) القول الوجيز: 16.

(69) المصدر نفسه.

(70) فتح الوصيد: 1/ 6.

(71) فتح الوصيد: 1/ 54.

(72) المصدر نفسه.

(73) فتح الوصيد: 2/ 284.

(74) فتح الوصيد: 1/ 55 . 59.

(75) فتح الوصيد: 1/ 55 . 56.

(76) فتح الوصيد: 1/ 57 . 59.

(77) وفيات الأعيان: 4/ 72.

(78) ينظر: زعيم المدرسة الأثرية في القراءات: 83، 85.

(79) ينظر: غاية النهاية: 2/ 22.

(80) ينظر: الفتح المواهبي: 59.

(81) الأبيات: 1162، 1163، 1164، 1265 من الشاطبية.

(82) فتح الوصيد: 1/ 6.

(83) فتح الوصيد: 1/ 5.

(84) وفيات الأعيان: 4/ 71.

(85) معرفة القراء: 3/ 1111.

(86) غاية النهاية: 2/ 22 . 23.

(87) وقد مَنَّ الله تعالى عليَّ بقراءتها وعرضها على أكثر من شيخ، ولي بروايتها سندٌ متصلٌ إلى مؤلفها الإمام الشاطبي، رحمه الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

(88) ينظر: منهجية أئمة القراء: 71.

(89) ينظر: منهجية أئمة القراءة: 76.

(90) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(91) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب علم النصرة: 113.

(92) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب النصرة: 106.

(93) غاية النهاية: 1/ 366.

(94) ينظر: معرفة القراء: 3/ 1384، وغاية النهاية: 1/ 87.

(95) الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط: 199.

(96) غاية النهاية: 2/ 310.

(97) غاية النهاية: 2/ 260.

(98) تاريخ الأدب العربي بروكلمان: 1/ 521، والفهرس الشامل، قسم القراءات: 190.

(99) غاية النهاية: 2/ 310.

(100) الذيل على الروضتين: 175.

(101) الفهرس الشامل، قسم القراءات: 95.

(102) غاية النهاية: 2/ 81.

(103) أخبرني بذلك محقق الكتاب الدكتور محمد إبراهيم فاضل المشهداني في مكالمة هاتفية أجريتها معه ليلة الثلاثاء 16/ 3/ 2010 م.

(104) غاية النهاية: 2/ 123.

(105) فتح الوصيد: 1/ 143.

(106) زعيم المدرسة الأثرية في القراءات: 155.

(107) غاية النهاية: 2/ 16.

(108) الفهرس الشامل، قسم القراءات: 189.

(109) معرفة القراء: 3/ 1331.

(110) الفهرس الشامل، قسم القراءات: 233.

(111) غاية النهاية: 1/ 584.

(112) غاية النهاية: 2/ 389.

(113) الفهرس الشامل: 88.

(114) الفهرس الشامل: 160.

(115) كشف الظنون: 1/ 648.

(116) غاية النهاية: 1/ 198.

(117) غاية النهاية: 1/ 585.

(118) زعيم المدرسة الأثرية: 163.

(119) الفهرس الشامل: شعبان ربيع ثان محرم.

(120) كشف الظنون: محرم/ شعبان ربيع ثان جمادى ثان.

(121) القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف: ربيع أول ربيع ثان.

(122) فهرس الخزانة الحسينية: جمادى ثان/ شوال ربيع ثان محرم . محرم ربيع ثان محرم.

(123) غاية النهاية: محرم/ صفر صفر محرم.

(124) الفهرس الشامل: ربيع ثان ربيع ثان صفر.

(125) هدية العارفين: محرم/ رجب شوال محرم.

(126) غاية النهاية: محرم/ محرم صفر.

(127) الفهرس الشامل: رجب جمادى ثان محرم.

(128) غاية النهاية: محرم/ ربيع أول جمادى ثان ربيع أول.

(129) غاية النهاية: صفر/ صفر جمادى أول ربيع أول.

(130) الفهرس الشامل: شعبان ربيع ثان محرم.

(131) غاية النهاية: صفر/ شعبان جمادى أول.

(132) غاية النهاية: محرم/ رجب صفر صفر.

(133) غاية النهاية: محرم/ صفر جمادى أول محرم.

(134) الفهرس الشامل: شعبان ربيع أول محرم.

(135) هدية العارفين: صفر/ صفر جمادى ثان محرم، وإيضاح المكنون: صفر/ ربيع ثان صفر ربيع ثان.

(136) الفهرس الشامل: جمادى أول جمادى ثان.

(137) غاية النهاية: محرم/ شوال شعبان محرم.

(138) الفهرس الشامل: شعبان جمادى ثان.

(139) القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، د. عبد الهادي الفضلي: ربيع أول ربيع ثان.

(140) الفهرس الشامل: رجب صفر محرم.

(141) غاية النهاية: محرم/ ربيع ثان جمادى ثان ربيع أول.

(142) ينظر في ذلك: إجازة الدكتور صلاح ساير فرحان العبيدي في القراءات العشر: رجب.

(143) الفهرس الشامل: شوال صفر محرم.

(144) الفهرس الشامل: جمادى ثان جمادى ثان محرم.

(145) هدية العارفين: ربيع أول ربيع أول محرم.

(146) الفهرس الشامل: ربيع ثان صفر محرم.

(147) الفهرس الشامل: رمضان شعبان.

(148) القراءات القرآنية: ربيع أول ربيع ثان.

(149) الفهرس الشامل: محرم صفر محرم.

(150) الفهرس الشامل: ربيع ثان رمضان.

(151) الفهرس الشامل: صفر جمادى أول.

(152) الفهرس الشامل: محرم صفر محرم.

(153) الفهرس الشامل: ربيع ثان صفر محرم.

(154) الفهرس الشامل: صفر ربيع ثان محرم.

(155) الفهرس الشامل: رجب شعبان محرم.

(156) الفهرس الشامل: ربيع ثان صفر محرم.

(157) الفهرس الشامل: محرم صفر محرم.

(158) القراءات القرآنية: ربيع ثان ربيع ثان.

(159) الفهرس الشامل: ربيع ثان رمضان.

(160) الفهرس الشامل: شوال صفر.

(161) الفهرس الشامل: رمضان ربيع ثان محرم.

(162) الفهرس الشامل: شعبان شعبان.

(163) الفتح المواهبي: ربيع ثان محرم.

(164) الفهرس الشامل: محرم محرم.

(165) الفهرس الشامل: جمادى أول شعبان.

(166) الفهرس الشامل: ربيع ثان شعبان.

(167) المصدر نفسه.

(168) الفهرس الشامل: رمضان ربيع ثان.

(169) غاية النهاية: صفر/ محرم شعبان محرم.

(170) الفهرس الشامل: رمضان شعبان.

(171) النشر في القراءات العشر: محرم/ رجب رمضان.

(172) النشر: محرم/ جمادى أول رمضان.

(173) جمع الأصول: ورقة محرم ظ.

(174) جمع الأصول: ورقة شعبان ربيع أول و.

(175) النشر: محرم/ جمادى أول رمضان.

(176) فتح الوصيد: محرم/ جمادى أول جمادى أول محرم.

(177) غاية النهاية: صفر/ صفر صفر.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة:

محرم– إجازة الدكتور صلاح ساير فرحان العبيدي في القراءات العشر المتواترة، أجازه بها الشيخ المقرئ إبراهيم فاضل المشهداني.

صفر– جمع الأصول في مشهور المنقول في القراءات العشر، نظم العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير علي بن أبي محمد بن أبي سعيد الواسطي، المقرئ بجامعها، نسخة بخط المؤلف نفسه، مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت برقم: [خ صفر شعبان صفر]، وعندي نسخة مصورة عنها.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

محرم– إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت جمادى الأولى جمادى الثانية جمادى الثانية هـ)، تحقيق: محمود بن عبد الخالق جدو، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مطابع الجامعة ربيع الأول محرم ربيع الثاني محرم هـ.

صفر– إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت جمادى الثانية ربيع الثاني جمادى الثانية هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط محرم، جمادى الثانية شوال ربيع الثاني محرم هـ . جمادى الثانية شعبان رمضان محرم م.

ربيع الأول– إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي (ت رمضان ربيع الأول ربيع الأول محرم هـ)، استانبول، محرم رجب رمضان محرم م.

ربيع الثاني– البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ربيع الثاني رجب رجب هـ)، منشورات مكتبة المعارف، بيروت . لبنان، ط جمادى الأولى، ربيع الثاني شوال ربيع الثاني محرم هـ . ربيع الثاني شعبان رمضان محرم م.

جمادى الأولى– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي (ت محرم محرم رمضان هـ)،تحقيق:محمد أبي الفضل إبراهيم،مطبعة البابي الحلبي، ط محرم، ربيع الثاني شعبان ربيع الأول محرم هـ.

جمادى الثانية– حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، لأبي القاسم محمد بن القاسم بن فيره الشاطبي (ت شوال رمضان جمادى الأولى هـ)، دار المطبوعات الحديثة، المدينة المنورة، ط محرم، رمضان شوال ربيع الثاني محرم هـ.

رجب–الجمع بالقراءات المتواترة، د. فتحي العبيدي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط محرم رجب صفر ربيع الثاني محرم هـ . جمادى الثانية شوال شوال صفر م.

شعبان– الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، للقاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (ت رمضان رمضان رجب هـ)، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط محرم، رجب محرم ربيع الثاني محرم هـ . جمادى الثانية رمضان رمضان محرم م.

رمضان– الذيل على الروضتين، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت جمادى الأولى جمادى الثانية جمادى الثانية هـ)،عني بتصحيحه: محمد زاهد الكوثري،ط صفر، ربيع الثاني رجب رمضان محرم م.

شوال محرم– زعيم المدرسة الأثرية في القراءات وشيخ قراء المغرب والمشرق، الإمام أبو القاسم الشاطبي، د. عبد الهادي عبد الله حميتو، ط محرم، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، جمادى الأولى صفر ربيع الثاني محرم هـ . جمادى الأولى شوال شوال صفر م.

محرم محرم– سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لأبي القاسم علي بن عثمان بن القاصح العذري (ت محرم شوال شعبان هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جمادى الأولى شوال شوال صفر م.

صفر محرم– سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت شعبان ربيع الثاني رجب هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ربيع الأول، جمادى الأولى شوال ربيع الثاني محرم هـ . جمادى الأولى شعبان رمضان محرم م.

13– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت).

14– طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة الدمشقي (ت 851 هـ)، صححه وعلق عليه: د. عبد الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت . لبنان، ط1، 1407 هـ . 1987 م.

15– طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي (ت 772 هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1401 هـ.

16– طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي (ت 771 هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة (د.ت).

17–العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد، مطبعة الكويت، 1963 م.

18– غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري الشافعي (ت 833 هـ)، عني بنشره: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

19– فتح الوصيد في شرح القصيد، لعلم الدين السخاوي (ت 643 هـ)، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426 هـ . 2005 م.

20– الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي، للإمام شهاب الدين القسطلاني، اعتنى به وعلق عليه، محمد أنس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426 هـ . 2005 م.

21– فهارس الخزانة الحسينية، محمد العربي الخطابي، الرباط، 1407 هـ . 1987 م.

22– الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، عمان، الأردن، 1989 م.

23– القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، د.عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1980 م.

24– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، المعروف بحاجي خليفة (ت 1067 هـ)، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1941 م. بالأوفسيت.

25– كنز المعاني شرح حرز الأماني، لأبي عبد الله بن أحمد الموصلي، المعروف بشعلة (ت 656 هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1997 م.

26– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، منشورات مركز البحوث الإسلامية باستانبول، ط1، 1416 هـ . 1995 م.

27– منهجية أئمة القراءة في الغرب الإسلامي ابتداء من القرن الخامس الهجري، د. التهامي الراجي الهاشمي، بحث مطبوع ضمن كتاب: قضايا في اللغة والأدب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987 م.

شعبان صفر– النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (ت ربيع أول ربيع أول شعبان هـ)، أشرف على تصحيحه: الشيخ علي بن محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (د.ت).

رمضان صفر– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرِّي التلمساني (ت محرم ربيع ثان شوال محرم هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، شعبان جمادى ثان رمضان محرم م.

شوال ربيع أول– نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي (ت ربيع ثان جمادى ثان رجب هـ)، وقف على طبعه: أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية، مصر، محرم محرم رمضان محرم م.

محرم ربيع أول– هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، لإسماعيل باشا البغدادي (ت رمضان ربيع أول ربيع أول محرم هـ)، استانبول، محرم جمادى أول رمضان محرم م.

صفر ربيع أول– الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، لعبد الفتاح القاضي (ت ربيع أول شوال ربيع ثان محرم هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ربيع ثان محرم ربيع ثان محرم هـ . ربيع ثان رمضان رمضان محرم م.

ربيع أول ربيع أول– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان (ت محرم شعبان جمادى ثان هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د.ت).

الدعاية الانتخابية من منظور الفكر الإسلامي

م. د. محمد أحمد مصلح المشهداني
جامعة تكريت/ كلية الشريعة/ قسم أصول الدين

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم أما بعد:

ان موضوع الدعاية الانتخابية له قوة تأثير على الفرد في حياته وأفكاره ومعتقداته، وهو يحاول بهذا كسب ثقته بأسلوب يحترم حقوق الآخرين. لذا تناولت موضوع الدعاية من منظور فقهي إسلامي لعل هذا يساهم في سد النقص في البحوث التي تتناول الدعاية الانتخابية وتطبيق مفاهيمها وأسسها العلمية من جوانب أخرى.

كما عرفنا أيضا أنها قديمة بقدم المجتمعات البشرية وان الآراء والقناعات عند الإنسان هي الأخرى قديمة قدم التاريخ نفسه، منذ حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل المتمثلة بالفراعنة ومن ثم الإغريقيون، والصينيون وهكذا حتى وصلت إلى الحضارة الإسلامية والمتمثلة بشخص النبي (ﷺ) وبشكل يضفي لها الصبغة الإسلامية التي تبيح لنا استخدامها في هذا العصر والذي أضفت عليه الفتن الغبار الكبير والذي من خلاله لا يمكن الرؤيا وبشكل واضح إلا بعد معرفة لها ولا يتم التعرف على الأشخاص إلا بها. وبعد علمنا بجواز الأمر تحت ضوابط الشريعة الإسلامية من خلال حدود القصد وعدم التجاوز إلى الكذب والتلبيس بالعامة فهي تتسع لها قواعد السياسة الشرعية وكذلك عرفنا إن عملية الدعاية الانتخابية لا تتضمن من نقد إلى أعمال الآخرين والتشهير بهم وتتبع عوراتهم وسقطاتهم تحت شعار النقد وحرية التعبير بل يجب أن يرد ذلك كله إلى الشرع ويعاد النظر فيه إلى الأصول والقواعد الشرعية وان هذا كله من عمل الدولة من خلال تأسيس أهم نظامين هما الحسبة والنصيحة ويقتضيان بذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للوصول إلى الغاية المنشودة.

الباحث

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، حمداً يوافي نعمهُ ويكافئُ مزيده ويدفع عنا نقمه وبلاءه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين ومعلم الناس أجمعين وإمام المتقين وسيد المرسلين و حبيب الحق والخلق أجمعين.

أما بعد:

فالدعاية قديمة بقدم البشرية و مارس الإنسان الدعاية منذ أقدم العصور حين اهتدى في حياته وصارت له علاقات بالناس، فلها حس معين من خلاله يمكن التأثير به على أفكار الناس، وإذا بدأنا بالحضارات فالرائد الأول بهذا حضارة وادي الرافدين وما بعدها من الحضارات الأخرى كيف تأثر هذا المصطلح على مر العصور والأزمنة بسبب التغيير الحاصل في الأمم السابقة.

يبقى أمر أخر يجب التعرف عليه، يظن البعض بان الدعاية بهذا المصطلح البسيط هو أمر هين بل إنها في غاية التعقيد، لأنها مع الإعلان تكون عملية مركبة فكيف بها إذا أفردت. ومن ثم أن لها عوامل تؤثر فيها بقوة، تؤثر على الفرد في حياته وأفكاره وعلى معتقداته بل حتى وصل الأمر إلى الأمر ألمعاشي والكسبي في استخدامها مع السلع التجارية بل أكثر من هذا، وتعداه إلى الأمور السياسية والحكم، ففيها تقام الدول وتقعد، لكن تبقى تلك التساؤلات التي تستعصي الإجابة عنها في طرق الدعاية نتيجة للمتغيرات الحاصلة والمحيطة بها.

وتقوم الدعاية على أسلوب علمي وعلى احترام عقلية الناخب ومحاولة كسب ثقته بأسلوب يحترم حقوق الفئات من الناس، ولما لها من الأهمية بمكان فقد انبرى هذا الأمر في الإسلام واستخدمها النبي (ﷺ) حين أرسل الوفود إلى الملوك وأعلمهم بظهور دين جديد ولابد من أن ينقادوا له، فعلمنا بأهميتها لهذا الواقع وخصوصا في هذه الأيام فإن الأمور قد تعقدت في وقتنا الحاضر واتسعت، وما عاد بالإمكان معرفة الأمة للأكفاء حتى تنتخبهم، ولما كان تولي هؤلاء مناصب الدولة في غاية الأهمية؛ حتى يساهموا في إدارة شؤون الدولة وفق الشرع الإسلامي، فإن ترشيح الكفء نفسه

يعتبر من قبيل الدلالة على الخير، ومن قبيل إرشاد الأمة وإعانتها على انتخاب الأصلح؛ لتحقيق المطلب المهم.

فللدعاية مفردات قادرة على التأثير في طرق حوار الفكر والمنطق والعقل فإنها بالتالي تستمد قوتها وجاذبيتها على تحريك الأحداث الجارية والأكثر أهمية والتي تتخذها موضوعا لها،فبهذا الأسلوب اللغوي المعاصر والتفنن في استيعاب وسائل الاتصال التي من خلالها يمكن ضمان العملية الدعائية فلغة الخطاب في الصحف تختلف مما في الإذاعة والتلفزيون وفي المساجد لها شأن أخر وكذالك الحال مع المؤتمرات.

وبعد التوكل على الله تعالى ولأجل إشعار الناس بهذا المصطلح الذي نتداوله ولا نعلم ماهيته وحقيقته الفقهية، إذ وجدت أن الباحثين من الذين سبقوني جزاهم الله خيرا قد بذلوا جهدا جهيدا في إشباع هذا الفن الإعلامي المعاصر، وكذلك في قضية الانتخابات وما يتعلق بها من ضوابط وضعية إضافة إلى الإسلامية، ولم يتكلم احد بشكل مفصل عن هذا الموضوع وبالميزان الفقهي المقارن، وإنما وجدت كتابات لكنها تحتاج إلى تأصيل وتفصيل. والله الموفق

مشكلة البحث:

تعرف مشكلة البحث انها (عبارة عن موقف اوقضية او فكرة او مفهوما يحتاج الى البحث والدراسة العلمية للوقوف على مقدماتها وبناء العلاقات بين عناصرها ونتائجها الحالية واعادة صياغتها من خلال نتائج الدراسة ووضعها في اطار العلمي الصحيح)[1].

أهمية البحث:

يساهم هذا البحث في سد النقص في البحوث التي تتناول الدعاية الانتخابية وتطبيق مفاهيمها واسسها العلمية من منظور الفقه الاسلامي.

اهداف البحث:

لا يستطيع الباحث في اية دراسة التوصل الى حقائق واحكام من دون تحديد مسبق لطبيعة الاهداف التي يتوخى ان تتحقق في ضوءها لهذا وضع الباحث اهداف البحث بالنقاط الاتية:

1. الاهمية الخاصة للمشكلة.
2. الاصالة.
3. الاضافة.
4. التجديد.

منهج البحث:

اقتضت مشكلة البحث التي نحن بصدد بحثها اعتماد المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة للوصول الى اسبابها والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج والتعميمات وذلك من اجل تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها[2]

هيكلية البحث:

المبحث الأول: تعريف وتاريخ الدعاية وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الدعاية لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: تاريخ الدعاية

المبحث الثاني: مفهوم وتاريخ الانتخابات، وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف وتاريخ الانتخابات

المطلب الثاني: طرق الانتخابات

المبحث الثالث: الدعاية الانتخابية في الميزان الفقهي، وفيه مطلبان

المطلب الأول: أقوال المانعين وأدلتهم

المطلب الثاني: أقوال المجيزين

ثم بيان رأى الراجح في المسالة. وخاتمة بأهم المقترحات، وقائمة بالهوامش والمصادر.

الباحث

المبحث الأول

تعريف وتاريخ الدعاية الانتخابية

المطلب الأول

تعريف الدعاية لغة واصطلاحا

الدعايــة فــي اللغــة: مصدر محدث للفعل الثلاثي جاءت من الفعل دعا، يدعو، دعوة، دعاء، ادعى، الدعوة، وداعية[3]. وهي تدل على المقصود من نشرللأفكار،أونشر للدعوة لشخص معين أو حزب ما أو مبدأ أو طلب فعل شيء[4]. أوأن نميل الشيء اليك بصوت وكلام يكون منك[5].

والدعايــة اصــطلاحا: تعددت تعريفات الدعاية واختلفت فيما بينها نتيجة التغيرات التي طرأت عليها بمرور الزمن وتعد هذه اللفظة أو هذا المصطلح وسيلة مهمة لكسب الأفراد والجماعات، نحو سلوك أو فكر لأنجاز هدف معين عن طريق استخدام الرموز والعبارات والخطب، التي تؤثر في النفوس وتجذب الرأي العام. تعاملت معها الجماعات والأفراد تعاملا مهما لأنها وسيلة لكسب الآخرين فعند الوقوف على تعريفها يتبين لنا اختلافها بسبب اختلاف المشكلات ونفسية الشعوب، ثم إن الرعاية الناجحة هي التي تتماشى مع الأحداث ورح الشعوب[6].

وهنا ابدأ بعرض التعاريف على سبيل المثال لا الحصر، فقد عرفها الباحث " نورمان جون باول": الدعاية هي نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار او السلوك او كليهما معا[7].

وعرفها " دووب ": إن الدعاية يمكن أن تسمى بمحاولة التأثير على الشخصيات والسيطرة على سلوك الأفراد لأغراض تعتبر غير عملية او مشكوك في قيمتها في مجتمع ما إبان وقت معين[8].

وعرفها الباحث والدكتور هادي نعمان الهيتي ": الدعاية محاولة استمالة الآخرين عقليا وعاطفيا لاتخاذ الموقف الذي تسعى اليه وتعتمد الإقناع، وتبتعد عن الضغط والإكراه او الثورات او العقاب او المكافأة المادية للتأثير في الرأي والمعتقد وطريقة التفكير [9].

وتعتبر الدعاية الانتخابية بأنها طريقة المرشحين لتعريف الجمهور بخصوص مواقفهم من القضايا المتنوعة الموجودة على جدول الإعمال في الانتخابات وإقناعهم بدعمهم من خلال وسائل الإعلام التي يتم من خلالها تنفيذ الدعاية الانتخابية وهي إحدى الطرق التي يتبلور مواطنوا الدولة من خلالها تصورهم السياسي[10].

وكما أيضا تعرف بأنها محاولة إعلامية للتأثير في اتجاهات الناس وأرائهم وسلوكهم ووسيلتهم نشر معلومات وحقائق او أنصاف حقائق أو حتى (تضليل) في محاولة منظمة للتأثير على الرأي العام فهي عملية تلاعب بالعواطف والمشاعر يقصد منها الوصول لخلق حالة من حالات التوتر الفكري والشعب العاطفي لاستقطاب المشاعر والأحاسيس باتجاه حالة معينة[11].

وعرفها الدكتور محمود بوترعة: بأنها طلب شيء من الغير على وجه غير ملزم[12]، وهذا مافعله الرسول (ﷺ) في بيعة الرضوان[13].

وعليه فان الدعاية يستخدم فيها مجموعة أساليب تمكنها من مخاطبة وإقناع المستهدفين من المجتمع سواء كانوا أفرادا ام جماعات بهدف التأثير في سلوك وأراء المستهدفين او اتخاذ وسائل الإقناع عن طريق الاتصال من قبل رجل دعاية[14].

وبهذا يتبين لي: أن الراجح منها ما ذهب إليه إلهيتي لأنه الأقرب تماما إلى كل ما ذكر والى معناها الحقيقي من حيث قوله" استمالة" وهو إسلوب إقناع وهو فن يستخدم فيه عدة وسائل أضف إلى ذلك قوله " بالعقل" اوبالعاطفة. فالعقل بالفكر والعاطفة بروح الحماس والشعر والخطابة ويبتعد عن كل الوسائل المشبوهة مثل

الضغط والإكراه او العقاب او المكافأة المادية في الضغط على الآخرين وما هو إلا اسلوب استفزازي لشراء الذمم وبيع أنفسهم لهؤلاء عبر المال والشهوات.

المطلب الثاني

تاريخ الدعاية

عرفت الدعاية بانها قديمة قدم المجتمعات البشرية وان تعبير الاراء والقناعات عند الانسان هي الاخرى قديمة قدم التاريخ نفسه، فقد وضع العراقيون القدامى قواعد واسس للدعاية التي استخدموها في حروبهم معتمدين على الفعل القتالي فمارس الاشوريون النشاط الدعائي للتأثير على معنويات اعدائهم، فيما برع الفراعنة في اتقان فنون الاعلام والدعاية اثناء الحرب يماثلهم في ذلك الصينيون القدامى الذين استخدموا اسلوب التشهير بالخصم كنوع من انواع الدعاية يسبق بدء الحرب الفعلية[15]. وقد عرف اليونانيون الاساليب الدعائية لتحقيق اهدافهم السياسية من خلال الخطابة فيما انفرد الرومان باستخدام اسلوب الردع الفوري للقضاء على دعاية العدو. ومنذ الحرب العالمية الاولى ظهرت الحاجة الماسة الى الدعاية السياسية فتطورت حتى اصبحت علما له قوانينه [16].

لذا نرى ان فن الدعاية قديم كقدم البشرية، حيث مارس الإنسان هذا النشاط منذ أقدم العصور لأجل تنظيم حياته وعلاقته بالناس والتأثير في أحاسيسهم وأفكارهم لاتخاذ مواقف معينة، ومن هنا نبع ظهورها في حضارة أصيلة كحضارة وادي الرافدين وكانت اطر الاستخدام فيها بث الفوضى في صفوف العدو[17]. ثم لجأ الصينيون إلى الأسلوب نفسه لبث الرعب في صفوف العدو وبعدها انتقل مفهومها من هذا الدور الدعائي إلى مفهوم الخطابة والشعر الحماسي الذي عد وسيلة من وسائل الدعاية السياسية[18]. وهو ما استخدمه الإغريق في مجالهم السياسي ثم العسكري وبهذا أشار أفلاطون إلى أهميته وأرسطو عن طريق من الإقناع بالحديث والخطابة[19].

وقد استخدم الرومان من الشعر الحماسي كوسيلة للردع الفوري على دعايا العدو وبطريق مباشر وكان له دور حقيقة في إثارة المشاعر الوطنية وإلهاب حماس الجماهير وتمكن الروم من استخدام الدعاية بمهارة كاملة لتكتيل أراء الناس من خلال أسلوب المخاطبة الدعائية وبساطة اللغة التي يستخدمونها[20].

وكان للحضارة العربية الإسلامية بعدا أخر وهو البعد العقائدي ينطلق من لغة الحق والصدق والعدل ومنطق الإيمان للسياسة الخارجية وله دور قبل مجيء الإسلام تمثل بالشعر والخطابة وكان شعراؤهم وخطباؤهم من البلغاء قبل الإسلام وبعده[21].

إلا انه بمجيء الإسلام أضحى له مبدأ مهما وهو مبدأ " النقل " لا" العقل" فكل ما نقل عن الرسول (ﷺ) عد قاعدة أساسية للحياة الإسلامية في جميع جوانبها جميعا[22]. لكن كلمة الدعاية لم تكن غريبة عن الفكر الإسلامي اذا استخدمها النبي (ﷺ) عندما أرسل رسله الى هرقل عظيم الروم، وكسرى وغيرهم مما جاء فيها قوله (ﷺ): " فإني ادعوك بدعاية الإسلام ... "[23]. وقال ابن حجر في بيان كلمة " دعاية: (دعاية ... من دعا يدعو دعاية ... أي الكلمة الداعية إلى الإسلام "[24]. ونفس المعنى ذهب إليه النووي فقال: الدعاية بمعنى دعوة الإسلام[25] إذن فالدعاية في منظور الإسلام: طلب شيء من الغير على وجه غير ملزم[26]. وهناك حوادث تؤيد استخدام النبي(ﷺ) لها كما في بيعة الرضوان[27]، حيث انه (ﷺ) دعا بالبيعة في أصل الشجرة فبايعته أول الناس"[28]. وهذا شاهد من قبل الصحابي بطلب النبي (ﷺ) بالبيعة حيث قال له: دعا بالبيعة. **قلت:** وكلمة"دعا"تعني الدعاية فلهذا الشاهد دليل منصوص عليها. وبالتالي فان من يخالف بين كلمة دعاية ودعوة غير صحيح لأنهما مصطلحان لمعنى واحد وهو الطلب للشيء على غير وجه إلزام[29].

ثم بعد هذا تم استخدام لفظة الدعاية عند عصر الراشدين حين كانت العيون تقول بايعوا خليفة رسول الله (ﷺ) أبو بكر (رضي الله عنه) من غير طلب منه لها، بل دعا لها عمر بن الخطاب وبين فيها صفات أبي بكر رضوان الله عليهم أجمعين[30].

ثم من بعد الراشدين العصر الأموي الذي تم فيه استخدام اسلوب الترغيب والترهيب إضافة إلى الجانب العاطفي في خطابهم الدعائي لإثبات شرعيتهم، كما وامتازت الدولة العباسية بالمناظرة والكتاب ومجلس الدعاة لإثبات حقيقة مذهب معين كالمعتزلة على سبيل المثال وتوالت الحقب في استخدام لفظ الدعاية وأساليبها حتى أن الدولة الفاطمية قد اعتمدت على الإثارة العاطفية واسلوب الإقناع عن طريق التشكيك بالمذاهب الأخرى وهو طريق المناظرة والكتابة والشعر والأعياد والاحتفالات كلها عوامل نفسية للتأثير في روح دعاتها[31].

وبعد ظهور الطباعة وانتشارها بشكل واسع في بدايات القرن الخامس عشر من خلال المطبوعات او الملصقات او النشرات الإخبارية والصحف، حيث استخدمت ولأول مرة كلمة الدعاية في وصف الكنيسة الرومانية في عام 1962م حينما أسس البابا (غريفوري) في ذلك القرن وهو الخامس عشر مؤسسة الدعاية لتدريب رجال الدين على القيام بالإعمال التبشيرية[32]. واذا ما أردنا أن نقول ان جذور هذه الكلمة تعود إلى اللاتينية (Propaganda) أي مخصص للنشر و (Propagandas)[33]، وتأتي كلمة الدعاية بمعنى نشر مذهب معين او زرع الشجيرات الصغيرة لكي تنمو وتترعرع[34]. ويشير القاموس إلى ان كلمة الدعاية لفظة ايطالية مأخوذة من اللاتينية الحديثة في التسمية (Ongrogati Propaganda) مجمع او لجنة نشر العقيدة وترجع هذه اللفظة إلى الفعل اللاتيني (Propagare) الذي يعني دعاية غرس العسلوج ليعطي نباتا جديدا[35]. وفي ظهور العداء بين (البروتستانت) و (الكاثوليك) في أوربا ابان القرن السادس عشر بسبب حركة إصلاح ظهرت في تلك الدول وفي

عهد البابا (غريفوري) السابع الذي حاول نشر دعاية للكاثوليك عبر مؤتمرعقده في ذلك الوقت فأخذت هذه الكلمة معناها في اللغات الأوربية[36]، وبهذا تكون الدعاية قد اكتسبت تطرفا سياسيا أخر من خلال عدم حيادية الدعاية للافتراضات المشكوك فيها، وفي القرن السابع عشر انتشرت الدعاية انتشارا كانتشارالطباعة في الصحف والنشرات والملصقات[37]. اما فكرة ظهور الأحزاب السياسية واستعمالها لهذه الوسيلة للوصول إلى السلطة إلى القرن الثامن عشر، اذ أصبح كل حزب يدعو إلى مرشحه لتولي منصب الرئيس[38]. وفي القرن التاسع عشر ظهرت أنواع من الدعاية كالدعاية النابليونية فاستخدمها كوسيلة في السياسة، والعسكرية لغرض زرع عقيدة في جيشه وفي البلدان التي قام بفتحها باعتباره المحرر الأكبر[39].

اما الدعاية السياسية فقد ظهرت في القرن العشرين وما هذا الا لكثرة التغيرات والحروب منها الدعاية النازية والدعاية الشيوعية، فقد ظلت هذه التغيرات في معسكرات ذات اتجاهات سياسية متباينة[40]، وتم استخدام الديمقراطية والدكتاتورية للدعاية بوساطة مؤسساتها الخاصة ظنا منها بتشكيل الرأي العام وممارسة الضغط الاجتماعي[41], وبعد التقدم العلمي والتكنولوجي الذي حصل ووضع في يد الدولة الإمكانيات الضخمة للتأثير في عقول شعوبها وتوجههم كيفما يشاؤن[42].

ولقد سمي القرن العشرين قرن الدعاية[43]، لأنها أصبحت سلاحا يتخذ في جميع الميادين واستخدام جميع الأساليب كالخطابة او الأناشيد او الندوات او الأحاديث كلها تعد من صلب الدعاية ودعائمها الثابتة بصورة عامة[44]. فالدعاية سلاح قوي يتميز بأهميته وتأثيره والذي لا يقل خطرا عن أسلحة الفتك والدمار الشامل بمعنويات العدو وخلق حالة من الإرهاب النفسي، يجب ان تستثمر استثمارا صحيحا لها وسنوضح هذا في المطلب الثالث عند تأصيل هذه الكلمة تأصيلا شرعيا وعند دخول العالم في قرنه الحادي والعشرين شهد منه مشاهد كبرى في العالم ومن خلال

ضبابية في الإعلام عملية خداع من غير ذكر للحقيقة تماما، كما حدث مع أمريكا وتعرضها إلى كل من العراق وأفغانستان، وجعل الصورة بين الأسود والأبيض بلون رمادي تماما بعيدا كل البعد عن حقيقته التي جاءت من اجلها[45].

المبحث الثاني

مفهوم وتاريخ الانتخابات

المطلب الأول

تعريف الانتخاب وتاريخه

1- **تعريف الانتخاب لغة واصطلاحا:** تعد الانتخابات الدعامة الأساسية لنظام الحكم الديمقراطي في المصطلح الحديث والمعاصر, ووسيلة للمشاركة في تكوين حكومة نيابية تستمد وجودها من السلطة واستمراريتها في استنادها على الآراء الشعبية،وهنا يظهر الانتخاب كوسيلة للاتصال بين الحاكم والمحكوم، وبين مصدري القرارات السياسية والمنفذين لها[46].

ووردت كلمة البيعة في الشرع سواء في القران الكريم او في السيرة النبوية ولم يرد لفظ الانتخاب بالمصطلح الحديث,أضف إلى هذا لم يرد أيضا طريقة البيعة وكيفية المبايعة او الانتخاب. وتحدث بعض الباحثين من القدامى عن هذه المسألة مثل:الماوردي، وأبي يعلى, الجويني,اما المعاصرون فلم اعثر على أي مرجع لهم تناولها ما عدا كتاب (البيعة) للخالدي[47].

وتعريف الانتخاب لغة: جاء من كلمة الناخب ففي اللغة يعني مصّوت ومقترع، وناخب[48]، والناخب يعني منتخب[49].

وفي الاصطلاح: هو التنظيم القانوني لمبدأ مشروعية ممارسة السلطة باسم الشعب الذي عن طريقه تتنافس الأحزاب السياسية للحصول على التأييد الشعبي

لها[50]. وأيضا هي الأداة الرئيسة التي تتيح المساواة بين المواطنين سواء في الوصول إلى المناصب العامة او في قيمة أصواتهم اذا توافر فيها معيار الحرية والعدالة في المقام الأول للحصول على نظام انتخابي وقانوني ناجح[51]. ان عملية الديمقراطية المباشرة هي المشاركة المباشرة لأفراد الشعب كلهم في الحكم وبذلك ينوب الشعب عن أبناءه لتولي شؤون السلطة والحكم[52]. فقد أصبح الانتخاب ضرورة وقاسم مشترك في الدول الديمقراطية جميعها[53]، فلهذا يعد مما قلت: الأداة التي تسمح بإشراف الشعب في صنع القرار السياسي بما يتفق والنظم المعاصرة، ويعرف الانتخاب بان يتوجه الناس نحوصناديق الاقتراع للإدلاء بأصواتهم لصالح مرشح او عدد من المرشحين وفق نظام انتخابي معين, ويعرف الشخص الذي يدلي بصوته (بالناخب)، والشخص المرشح للمنصب بـ(المرشح)، والنظام الذي يحدد آلية الانتخاب يسمى بـ(قانون الانتخابات) [54].

2- **تاريخ الانتخابات:** الكلام الذي تقدم هو يعبر عما في وقتنا المعاصر من اختيار لهذه المصطلحات وارى الإسلام حقيقة قد اهتم بهذا الموضوع اهتماما رئيسا كما في قوله تعالى(يأيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...الخ الآية)[55]، من حيث اختيار ولي الأمر أي الذي ستقوم أنت بانتخابه اليوم ومن هو؟ وكيف سيكون؟ تناول هذا الموضوع الفكر الإسلامي والباحثون فيه وجعلوا جل اهتمامهم بأهم أمرين هما: (الخلافة) (او الأمامة) ضمن إطار الجانب السياسي والتي في المصطلح الحديث تسمى (السلطة التنفيذية)[56].

وبالرجوع إلى المصادر التاريخية او السيرة النبوية نجد ان الانتخاب كان يتم بطرائق متعددة، ولم يقتصر على طريقة واحدة، وهذه الطرق يمكن حصرها في أمرين هما:-الانتخاب المباشر والانتخاب غير المباشر[57].

والانتخاب المباشر: يكون الانتخاب مباشرا إذا قام الناخبون أنفسهم باختيار ممثليهم او حكامهم مباشرة دون اية وساطة وهو ما يعرف بالانتخاب على درجة واحدة[58]، او بحضور الشخص او الناخب إلى مكان الانتخاب والإدلاء بصوته في العملية الانتخابية, وهذا النوع الذي كان قد تم في عهد النبي (ﷺ) وعهد الراشدين[59].

الانتخاب غير المباشر: يعرفه المسلمون بانه انتخاب بالنيابة او بالوكالة او عن طريق الكتابة [60]، وهذا الثالث الذي اليوم مجرى عليه الحال. فإذا كانت عملية الانتخاب على درجتين او أكثر بحيث يقتصر دور الناخبين على اختيار مندوبين عنهم يتولون اختيار الحكام او النواب في البرلمان ويلاحظ في هذا المجال ان بعض الدساتير تاخذ بنظام الانتخاب المباشر[61].

ولكن الانتخاب المباشر هو الأكثر قربا من المبدأ الديمقراطي لان الشعب يمارس حقه الانتخابي بطريقة مباشرة دون وساطة احد كما يحدث في الانتخاب غير المباشر، بحيث لا يتمكن الناخب من رؤية حقيقية بل هناك ضبابية وعدم شفافية في الموضوع، ثم ان الانتخاب المباشر يمكن القاعدة الشعبية العريضة من الاطلاع بمهمة اختيار أعضاء البرلمان لان من الصعوبة الضغط عليها من جانب الأحزاب السياسية لضخامة عددها[62].

المطلب الثاني

طــرق الانتـخابــات

بعدما تكلمنا عن اهم الطرق التي تتم بها الانتخابات نحاول ان نلقي نظرة على الفرق بينهما وجسور الترابط.

أولا:- **طريقة الانتخاب المباشر**: ويتم الإدلاء بالأصوات بطريقتين في الإسلام **المصافحة باليد والمشافهة.**

1- **طريقة المصافحة باليد:** وقد جرى هذا الانتخاب بهذه الطريقة خلال عهد الرسالة في عدة مواطن اذكر منها على سبيل المثال: بيعة اهل يثرب إلى الرسول (ﷺ) وهي ما تسمى ببيعة العقبة الثانية، وجرت وقائعها قبل سنة من هجرة النبي (ﷺ) إلى يثرب وقد ذكر المؤرخون وكتاب السيرة إلى ان بيعة اليثربيين قد تمت عن طريق المصافحة باليد كما ذكر ذلك ابن هشام في سيرته[63].

2- **البيعة مشافهة:** وردت عدة روايات عن وقائع تمت فيها البيعة مشافهة وكانت هذه الطريقة خاصة بالنساء وهذا ما رواه الإمام مالك رحمه الله، ان اميمة بنت رقية قالت: " أتيت رسول الله (ﷺ) في نسوة يبايعنه على الإسلام فقلت يارسول الله نبايعك فقال رسول الله (ﷺ) فيما استطعتن وأطقتن فقلن: الله ورسوله ارحم بنا من أنفسنا هلم نبايعك فقال إني لا أصافح النساء[64]. وهذا النص ان دل على شيء فهو يفيد ان النساء لا يبايعن بالمصافحة وإنما بالمشافهة رغم انه فيه دلالة اخرى وهي تحريم مصافحة المرأة للرجل الذي يحل عليها وهذه من طرق الانتخاب في عهد الرسالة[65].

ثانيا: **الانتخاب غير المباشر**: والانتخاب غير المباشر كما عرفه التاريخ الإسلامي يتم بطريقتين هما عن طريق الوكالة او النيابة او عن طريق الكتابة[66].

1- **الانتخاب بالوكالة:** استخدم هذا الأمر في عهد الراشدين، حينما بعث عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) إلى فارس وفود للحصول على البيعة وطبق عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الأمر نفسه والطريق ليحصل على بيعة عامة من الأمصار كما طبقها عبد الله بن الزبير عندما خرج عن الأمويين بعد تولي يزيد بن معاوية الحكم والحسين بن علي (عليه السلام) خرج على يزيد وأرسل مسلم بن عقيل لكي يحصل على بيعة أهل الكوفة[67]. **قلت**: وما إقدام الصحابة على فعل هذا إلا لأنه لم يكن هنا نص شرعي مانع من فعله وكذلك لم يعترض احد عليه من العلماء فصار طريقا مجمعا على جوازه.

ثم أن النبي (ﷺ) أمر **بالبيعة بالنيابة** وان كان هذا في غير الانتخابات الرئاسية كما يقال في لغة العصر وحدث هذا عندما دعا الرسول (ﷺ) إلى بيعة الرضوان في السنة السادسة للهجرة: " وكان عثمان بن عفان رسول رسول الله (ﷺ) إلى أهل مكة فبايع الناس فقال الرسول (ﷺ):" اللهم ان عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله فضرب إحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله (ﷺ) لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم[68]"

وبهذا يتبين ان النيابة قد استعملت كأحد الطرق التي تتم بها البيعة او الانتخاب لتولية منصب رئاسة الدولة.

2- **الانتخاب بالكتابة:** فقد أورد التاريخ الإسلامي طرق الكتابة أيضا كما في بيعة النجاشي للرسول (ﷺ) وبيعة ابن عمر إلى عبد الملك بن مروان.

أ- <u>بيعة النجاشي:</u>

أورد ذلك الطبري وقال " اما بعد فقد بلغني كتابك يارسول الله ... فاشهد انك رسول الله صادقا ومصدقا وقد بايعتك"[69].**قلت:** ان النبي (ﷺ) قبل بيعة النجاشي وإسلامه والدليل ما جاء عن النبي (ﷺ) صلاته عليه بعد وفاته صلاة الغائب فقد روى البخاري:"ان ابا هريرة (رضي الله عنه) قال ان رسول الله (ﷺ) نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج إلى المصلى فصف بهم وكبر أربعا "[70]. وقبول النبي (ﷺ) بيعته بهذه الطريقة قبول منه وتقرير لمسالة الكتابة.

ب- <u>بيعة ابن عمر إلى عبد الملك بن مروان:</u>

روى البخاري: ان عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) كتب إلى عبد الملك بن مروان يبايعه فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد لعبد الملك بن مروان امير المؤمنين سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واقر لك بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله فيما استطعت "[71].

وهذا يبين لنا ان فعل ابن عمر رضوان الله عليه قد ثبت عنه إجازة البيعة او الانتخاب بالكتابة.

وبهذا نخلص الى القول ان ماحدث في بيعة النبي (ﷺ) مصافحة ومشافهة وبالنيابة كلها تدخل في باب ما يطلق عليه علماء الحديث والأصول مصطلح **(السنة الفعلية)**[72]. ثم انه وافق على بيعة النجاشي بالكتابة فهذا يدخل ضمن **(السنة التقريرية)**[73].

ويظهر من تعدد الطرق في اختيار رئيس الدولة في عهد الرسالة الأول وعصر الراشدين ان هذه الطرق ان دلت على شيء فإنها تدل على ان اختيارها من قبل أفراد الأمة وليس من اختيار الرسول (ﷺ) فكل طريق يراه المسلمون أصلح وأيسر للانتخاب يكون مقبولا شرعا ومن ذلك الانتخاب بالوكالة والانتخاب بالكتابة

وغيرها من الطرق المعروفة في العصر الحديث لان الغرض من الانتخاب هو معرفة رضا عامة المسلمين وهذا الأمر ممكن ان نختار له مختلف الطرق[74] على حسب أحوال المسلمين وحاجاتهم.

المبحث الثالث

الدعاية الانتخابية في الميزان الفقهي

تمثل الدعاية الانتخابية بشكلها المعاصر إحدى القضايا التي تفرز إشكاليات فقهية عديدة، بدءً من شرعيتها ثم إلى الغاية المنشودة وهذا ما حدث في مناهج المعاصرين في نظرهم من حيث أنها وسيلة تفضي إلى مدح البعض وذمهم وفق معايير وضوابط يعتقد البعض إنما هي الصواب وقد تعمل على إيصال رجل قد يكون غير مؤهل لتولي زمام الأمور كرئاسة الدولة او من مناصب أخرى قد تكون سيادية لان هناك من هو أفضل منه أمانة وحفظا وقوة وعملا.

لذا انقسم الفقهاء إلى فريقين منهم المجيز لها ومنهم المانع منها وسأبين كلا الرأيين ثم نرجح ما نراه موافقا وسليما ان شاء الله.

<u>المذهب الأول</u>:

لم أجد خلال قراءتي عن هذا الموضوع أحدا من الباحثين سواء من القدامى او المعاصرين قد تحدث عن الموضوع الا ثلاثة فقط وهم كل من المباركفوري[75]، ومحمد بن عبد الله أليريمي الملقب بالإمام[76]. وهناك أيضا وجدت كلاما في مجلة مجمع الفقه الإسلامي – التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي – لفضيلة الشيخ عبد الله بن منيع في بحث مقدم بعنوان (عقد المزايدة بين الشريعة الإسلامية) لا يجيز قضية الدعاية الإعلامية في المبيعات لأنها تفضي إلى التأثير بالمشتري لشراء بضاعة غير مرغوب فيها فيكون (بيع النجش) فهي قريبة الحديث عما نتكلم عنه أيضا[77].

وما الاعتراض على الدعاية الانتخابية إلا لأنها مفضية للمدح والذم في بعض الأحيان للمترشح او طالب الولاية بنفسه فقال في هذا الشيخ المباركفوري وإما مدح الرجل نفسه وبيان مناقبه وفضائله فلا شك ان هذا يعاب اشد العيب في الشريعة الإسلامية وان النبي (ﷺ) لم يسمح للرجل ان يمدحه رجل في وجهه فضلا عن ان يمدح نفسه[78]. وقال الإمام محمد بن عبد الله ألريمي لو تقوم الانتخابات على الترويجات الإعلامية في الداخل والخارج فالدول بيدها وسائل إعلام وليس عندهم شيء اسمه كذب او حرام وإنما السياسة الكاذبة والدعايات الزائفة ويصور نفسه ان همه نصر الإسلام وهو طالب للوظيفة ليس الا "[79].

وكان الاستدلال بعدة نصوص من السنة اذكر منها:

1- مارواه البخاري عن أبي بكرة ان رجلا ذكر عند النبي (ﷺ) فأثنى عليه رجل خيرا،فقال النبي (ﷺ):"ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله مرارا"[80].
2- وعن ابي موسى قال: ان عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ) رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال:((أهلكتم او قطعتم ظهر الرجل))[81].
3- ومارواه الترمذي ان عبد الله بن مسعود قال:قال رسول الله (ﷺ) ((ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء))[82].

فقال الإمام المباركفوري في إسناده لهذه النصوص: وأما ان يطعن الرجل على اخيه المسلم فممنوع جملة وتفصيلا"[83]

ما جاء في كلام الشيخ عبد الله بن منيع مفاده (لايجيز الدعاية في المبيع لأنها تفضي إلى النجش الذي يدخل فيه طرف ثالث ليغري غيره بالشراء فيرتفع ثمن المبيع تبعا لتدخله، وبهذا يدخل فيه جانب المخادعة والكذب الغرض منه التأثير على عقول الأفراد والشعوب"[84]. فهذا في المعاملات فكيف يكون في سدة الحكم. والطعن ان كان على عيب يوجد في المنافس فهو غيبة قد قال الله جل وعلا فيها (أيحب

أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه...الخ الآية)[85]، واذا كان على عيب لا يوجد فيه فهذا بهتان يوجب الإثم المبين[86]. وقوله (ﷺ): يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعييوهم و لا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف رحله[87].

وبالتالي خلص كل من الإمام المباركفوري والإمام محمد بن عبد الله ألريمي إلى ان نظام تعدد الأحزاب والدعاية الانتخابية التي يقومون بها لا تتماشى مع طبيعة الإسلام[88].

المذهب الثاني:

وقد قال بهذا الرأي ألبياتي والدكتور صلاح الصاوي [89]، الا انه فرق بين نوعين من الدعاية الانتخابية فرأى ان ما يعرف في الوقت المعاصر من المدح للنفس غير مقبول واما الدعاية المقتصرة على بيان منهجية المترشح في العمل جائزة.

غبر ان رأيه هذا لم يؤيده بسند شرعي سواء كان نصا او اجتهادا مما يجعله ناقصا و تصعب نسبته إلى الإسلام وقد جاء في قوله ليس لمن رشح نفسه ان يقوم بالدعاية الانتخابية التي يقوم بها المرشحون عادة في الوقت الحاضر والتي تتضمن إرجاء المديح لأنفسهم وإلصاق النقص بغيرهم لان كلا من هذين العملين _ حرام في الشرع، وإنما الذي يجوز للمرشح ان يعرف نفسه للناخبين ويبين لهم فكرته ومنهاجه في العمل فصدق المسلم القوي الأمين بعيدا عن الخداع والتمويه المحرمين في الشرع [90].

مناقشة الآراء والترجيح:

1- مناقشة أدلة المانعين

استدل أصحاب المذهب الأول بعده نصوص لمنع الدعاية الانتخابية لذلك فان مناقشة الآراء تقتضي بحث مدى دلالة تلك النصوص على ما يرونه ومدى صحة وسلامة ماذهبوا اليه:

أ- **مناقشة استدلالهم بحديث ابي بكرة:** ان قولهم بعدم المدح بسبب اقتطاعهم جزءا من النص لانهم لو ذكروه كاملا لتغير المعنى تماما ولما قالوا وما قالوا، اذ ان بقية النص تجيز المدح للغير وهذا ما يتضح من قوله (ﷺ) في تلك البقية: إن كان أحدكم صادقا لامحالة فليقل: احسب كذا وكذا ان كان يرى ان كذلك و حسيبه الله ولا يزكي على الله أحدا [91].

وهكذا ورد في صحيح مسلم وشرحه القاضي عياض فقال: جاءت أحاديث في النهي عن المدح وأخرى تجيزه فقال العلماء وطريق الجمع بينهما ان النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف وخوف الفتنة عليه واذ كان لا يخاف عليه بتقواه وورعه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في ذلك حتى ولو كان في وجهه وان كان به تحصيل مصلحة كنشطه للخير والازدياد منه او الدوام عليه او الاقتداء به كان أمرا مستحبا[92]. قلت:هذا في امر قد يكون بعيدا عن السياسة، فكيف اذا كان الأمر يتعلق بمصلحة الامة من حيث التعريف ببرنامج بالناخب.

وقد نقل ابن حجر في فتح الباري حين شرح هذا الحديث قولا مفاده " إن كان أحدكم مادحا لا محالة " أي: لاحيلة له في ترك ذلك، وهي بمعنى لابد ... " فليقل احسب كذا وكذا " اذ كان يعلم ذلك[93].

قلت: وهذا يفيد انه اذا كانت ضرورة في خيرية المدح إلى المادح فليقل ذلك ولا يسكت لأنه من باب كتم الحق.

وقد رأينا ان الاستدلال لم يكن في محله بل على العكس منه من قبل المانعين.

ب- **مناقشة الدليل الثاني:** بحديث ابي موسى ولفظه انه سمع (ﷺ) رجلا يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: " أهلكتم او قطعتم ظهر الرجل"[94].

قال الإمام النووي في شرحه للحديث يطريه في المدحة بكسر الميم والإطراء: مجاوزة الحد في المدح "[95]. وقال ابن حجر: " يطريه بضم أوله والإطراء مدح الشخص بزيادة على مافيه"[96].

ج- مناقشة الدليل الثالث من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) وجاء في لفظه ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء "[97].

ان النص النبوي الذي ينهى عن صفات لا بد ان يكون الإنسان المسلم بعيدا عنها بعد المشرق عن المغرب،ويتخلق بأخلاق الإسلام[98]. وعلى هذا فإذا بقيت الدعاية الانتخابية في حدود القصد، ولم تتجاوز ذلك إلى الكذب والتلبيس والتغرير بالعامة فهي مما تتسع لها قواعد السياسة الشرعية في هذه الحالة، ويكون الأمر من جنس التعريف للحاجة. ويبقى بعد ذلك واجب الدولة الإسلامية أن تضع دستورا ينظم هذا العمل ويبقيه في دائرة القصد، وينأى به عن أن يجنح إلى الكذب والمزايدات المنكرة، أما بالنسبة لما يتضمنه التنافس الحزبي والدعاية الانتخابية من نقد أعمال الآخرين والتشهير بهم وتتبع عوراتهم وسقطاتهم وإشاعتها على الملأ تحت ستار النقد وحرية التعبير ونحوه فإن ذلك كله يجب أن يرد إلى الشرع، وأن يعاد النظر فيه في ضوء الأصول والقواعد الشرعية المعتبرة.[99] وبهذا يتبين الى انه ما الداعي من منعه اذا كان فيه ضوابط شرعية بالاضافة إلى ان المترشح ليس من الضرورة ان يطعن في غيره او يلعنه او يرتكب فواحش لاجل نجاح دعايته بل انه في دعايته لا يرغب المدح الا من قبيل نجاح برنامجه بما هو فيه دون إطراء كما ورد في النصين السابقين ومن

صنع هذا فقد خالف الضوابط الشرعية ودخل في المنع ومن لم يفعل فالشرع لا مانع فيه من صنعه لذا فان هذا الدليل لا يصلح ان يكون موضع استدلال للقول بالمنع في الدعاية الانتخابية والذي يؤكد ما ذهب اليه كل من دكتور محمد بن عبد الله الملقب (بالإمام)، والإمام المباركفوري اعتقادهم بجريان الدعاية الانتخابية في إطار غير الإطار الإسلامي هو عرضه لبعض النماذج من الإعمال منها التجسس والاستطالة في عرض المسلم بغير حق، والحسد والبغض، وإتباع عورات المسلمين[100]. ثم قولهم ان أي نظام يشتمل على هذه الأمور لا يتماشى مع طبيعة الإسلام"[101].

لذا نخلص القول بأن الاستدلال فيه لايكون بالمنع الكلي من الدعاية الانتخابية اذا جرت كما ذكرنا وفق الضوابط الإسلامية، اذا كان من باب الضرورة في بيان برنامجه للأمة ووالوصول الى الترشيح بهذه الصيغة دون قدح بالآخرين او مبالغات زائدة او صفات غير محمودة.

الرأي الراجح:

قد اتضح لنا الأمر بعد عرض الأدلة ومناقشتها من قبل المانعين ان الأدلة لا تفيد المنع الصريح، ثم ان الرأي المجيز فانه لم يستند إلى دليل شرعي سواء كان من نص أو اجتهاد لذلك فاني ارى تأييد وترجيح الرأي الثاني المجيز واويده بأدلة نصية وأخرى اجتهادية ومن هذه الأدلة:

1- قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ((قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم)) [102].

قال الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره " ان في هذه الآية سبع مسائل منها طلب الإمارة، والنبي (ﷺ) قال: لعبد الرحمن بن سمرة " لا تسال الإمارة" والثانية كيف يطلبها من كافر والثالثة انه مدح نفسه بقوله " اني حفيظ عليم" مع انه تعالى يقول "فلا تزكوا أنفسكم" ولم ترك الاستثناء في هذه ولم يقل ان شاء الله " لقوله تعالى " لا

تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا " فهذه أسئلة سبعة لا بد من جوابها فيقول الامام: فطلبه للإمارة لانه واجب عليه رعاية الخلق فجاز له ان يتوصل باي طريق كان والثانية في قضية مدح نفسه انه كان محتاجا لهذا امام الملك والثانية اذا كان المدح ليس فيه تفاخر وتوصل إلى غير ما يحل فانه محرم واذا قصد به إلى غاية مباحة وزكى نفسه وهو عالم بها وبصدق وصف ما يقول فهذا غير ممنوع منه "[103].

هنا أشير إلى مسالة ذكرها الفخر الرازي (رحمه الله) في تفسيره لهذه الآية انه قال: (جاز له تحصيل ذلك بأي طريق كان) حتى لا يتسرب الى بعض أذهان الغير ان يترك الضوابط الشرعية للحصول عليها وفق ما اراد هواه وشهوته كلا وإنما هذا الكلام ان دل على شيءٍ فإنما يدل انه اذا كان الرجل واثقا من نفسه وصادقا في دعواه فلا مانع منها والله اعلم.

وفي تفسير القرطبي لهذه الاية جاء قوله ((ان يوسف عليه السلام أنما طلب الولاية لانه علم انه لاحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى ان ذلك فرض متعين عليه فانه لم يكن هناك غيره وهكذا الحكم اليوم: لوعلم انسان من نفسه ان يقوم بالحق في القضاء والحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لنعين ذلك عليه، ووجب ان يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به عن العلم والكفاية وغير ذلك[104] قلت ان هذا نص صريح لمن كان في ضرورة ولم يكن هناك من يصلح فانه واجب عليه فعل هذا الأمر لان (مالا يتم الواجب الا به فهو واجب) حتى و لو قام بفعل الدعاية الانتخابية للوصول إلى تلك الغاية الشريفة والهدف السامي لما فيه نصرة لأمة الإسلام والله اعلم.

ويقول الجصاص في أحكام القرآن: (فوصف نفسه بالعلم والحفظ، وفي هذا دلالة على أنه جائز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور من تزكية النفس في قوله تعالى(فلا تزكوا أنفسكم)[105].

ويقول الإمام الآلوسي في روح المعاني: وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلا وكان متعينا لذلك[106].

وقال ابن عاشور عن تفسيره النص ذاته: (هذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة اذا علم انه لا يصلح له غيره [107].

أيضا نستدل بما جاء من الشواهد في عصر الراشدين ومن بعدهم منهم خير سلف لخير خلف منها:

1- سابقة بيعة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) فقد قام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في المهاجرين والأنصار بين فيها صفات ابي بكر (رضي الله عنه) وقال في اجتماعه الذي عقد في مسجد النبي(صلى الله عليه وسلم) للبيعة العامة بعد يوم واحد من بيعة السقيفة ...أيها الناس إن الله جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله وثاني اثنين اذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا فبايع الناس أبا بكر بيعة تامة بعد بيعة السقيفة"[108] **هذا الأمر يتميز بأمرين هما:**

أ- الدعاية الانتخابية في المصطلح المعاصر قد تمت لأبي بكر من خلال إبراز صفاته لأجل إقناع الناس

ب- انه مدحه في ذكر صفاته التي يتميز بها الصديق"رضوان الله عليه" كونه صاحب النبي (صلى الله عليه وسلم) ورفيقه في الهجرة إلى المدينة.

2- ماحدث خلال الاجتماع الخماسي الذي عقد بعد وفاة الفاروق عمر(رضي الله عنه) وما دار فيه من تنافس وقيام كل من عثمان، وعلي (رضي الله عنهم اجمعين) بإبراز صفات تقدمهما على غيرهما، فقد قال عثمان واصفا نفسه له انه" شيخ كبير" من عبد مناف وصهر رسول الله وابن عمه ولي سابقة وفضل ... فلن يصرف عني

هذا الأمر[109]، كما نجد وان عليا (رضي الله عنه) قال قولا مشابها وجاء فيه: ان عبد الرحمن بن عوف خاطب عليا بقوله: (انك تقول: اني احق من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك، وحسن أثرك في الدين[110].

قلت: هذا الذي حدث مع علي وسيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنهما) ماكان الا ممارسة للداعية الانتخابية ولإبراز كل منهما دوره وفضله من حيث إنهما قريبان إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصهراه ولهما سابقة في الدين وتميز عثمان عن علي (رضي الله عنهما) بأنه (شيخ كبير) ولم يكن هناك اعتراض على هذا من قبل العلماء حسب علمي وارى انه اجتماع قد انعقد على جواز الأمر والله اعلم.

3- مافعله الحسين بن علي (رضي الله عنه) حين خرج على يزيد بن معاوية عام 60 هـ وهرب إلى مكة وبلغ خبره أهل الكوفة وبايعوه بالإمامة فبعث إليهم كتابا جاء فيه قوله (...من حسين بن علي ... قد فهمت الذي ذكرتم، ومقالة ... انه ليس علينا إمام... فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى والحق...أقدم عليكم وشيكاً..فلعمري ما الإمام الا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله [111]، وكان أهل الكوفة قد بايع منهم الحسين اثنا عشر الفا[112]. وذكر الصفات التي ذكرها سبط النبي (صلى الله عليه وسلم) ماهي الابمثابة الممارسة إلى الدعاية لان قوله فعل الإمام (بأنه العامل، والأخذ بالقسط ...الخ) كلها موجودة فيه غير موجودة في يزيد وانه مستحق لها ولم يعترض عليه احد.

بعد هذا كله الذي ذكرته من النصوص القرآنية والسوابق التاريخية فما هي الا بمثابة الجواز على فعل هذا الأمر والقيام به ولكن تحت ضوابط قد ورد منها في الأحاديث السابقة وغيرها وهي كما يلي:

1- ان تكون مقتصرة على ذكر الصفات والخصائص المميزة للمترشح دون إطراء وزيادة فوق الحد المطلوب وكما في حديث ابي موسى السابق[113].

يجب تجنب المعاصي والوارد ذكرها في حديث ابن مسعود (ﷺ): وهي الطعن واللعن وال، والفحش، والبذاءة(114).

2- تجنب معصية عظيمة وهي تتبع عورات المسلمين او المعيرة كما في الحديث الذي رواه الترمذي(115).

3- ان تتجنب المعاصي الواردة في قوله (ﷺ) إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولاتحسسوا، ولاتجسسوا، ولاتحاسدوا، ولا تباغضوا، ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا(116).

4- كما يفهم أيضا تجنب أن يقدم الشخص نفسه على قصور منه وعدم امتلاكه القدرة على إدارة الأمور فهو عين الخطاء والمنع فيه واجب.

الدعاية الانتخابية
من منظور الفكر الإسلامي
مجلة آداب الفراهيدي
م. د. محمد مصلح المشهداني
العدد (6) آذار 2011

الخاتمة:

الحمد الله الذي يسر كل عسير وقلب المحال إلى يسير وأعان على الصعب بالتسهيل، الهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الرؤوف الرحيم، وعلى اله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين اللهم اجمعنا وإياهم على حوضه غير ممنوعين ولا مبعدين وبعد، فقد من الله علينا إلى ختم هذا العمل أؤد ان الخص فيه أهم ماحصلت عليه من النتائج توصلت لها من خلال البحث مقترحا مايترجح فيه للوصول إلى تحقيق المهمات لننعم بالعلم والعمل في الحياة والرضا في الآخرة بعد الممات وهي على النحو الاتي:

1- بقاء الدعاية الانتخابية في حدود القصد، وعدم تجاوزها ذلك إلى الكذب والتلبيس والتغرير بالعامة فهي مما تتسع لها قواعد السياسة الشرعية في هذه الحالة، ويكون الأمر من جنس التعريف للحاجة. ويبقى بعد ذلك واجب الدولة الإسلامية أن تضع دستورا ينظم هذا العمل ويبقيه في دائرة القصد، وينأى به عن أن يجنح إلى الكذب والمزايدات المنكرة أما بالنسبة لما يتضمنه التنافس الحزبي والدعاية الانتخابية من نقد أعمال الآخرين والتشهير بهم وتتبع عوراتهم وسقطاتهم وإشاعتها على الملأ تحت ستار النقد وحرية التعبير ونحوه فإن ذلك كله يجب أن يرد إلى الشرع، وأن يعاد النظر فيه في ضوء الأصول والقواعد الشرعية المعتبرة.ومعلوم أن من قواعد التنافس الحزبي هذه الحملات الانتخابية التي يقوم بها المرشحون المتنافسون يزكون فيها أنفسهم, ويدعون فيها الناس إلى انتخابهم, ويقدحون في الآخرين, ولا يخفى ما في ذلك من مصادمة للنصوص الناهية عن تزكية الأنفس وعن اللمز في الآخرين, وهذا الطعن في الآخرين إن كان بحق

فهو غيبة وإن كان بالباطل فهو بهتان!! وتحريم الأمرين مما علم بالضرورة من الدين.

2- إن المدخل الشرعي المعتبر لهذا العمل أمران: النصيحة والحسبة: والنصيحة لها آدابها وشرائطها، والحسبة لها أحكامها المفصلة ودرجاتها المرعية، وأولها أن يكون أمرك بالمعروف بالمعروف، وأن لا يكون نهيك عن المنكر بالمنكر، وجماعها الصدق، والحكم بالظاهر، وعدم التجسس أو تتبع العورات،فعندئذ تمت صياغة الأحكام الشرعية المتعلقة بالنصيحة والحسبة وتضمنتها وثيقة تكون دستورا للمنافسات الحزبية والدعايات الانتخابية فإننا نكون قد قطعنا شوطا كبيرا على طريق الطهارة السياسية، وأتحنا للأمة منافسة شريفة تتقدح فيها الآراء، وتتكشف فيها المواهب، وتوسد فيها الأمور إلى أهلها، بعيد عن الأهواء الحزبية والمهاترات الدعائية.

3- الدعاية الانتخابية والإعلام هما وسيلتان تدعو الحاجة إليهما لا سيما مع واقع ملئ بالفتن والباطل والبدع مما يوقع الناس في شك وتردد عند الاختيار. فالدعاية تعرف الناس بمزايا كل منهم إضافة إلى منافعها فتبدد الحيرة عند الناس في الاختيار واتخاذ القرارات الصائبة وبالتالي (ان الأشياء على الإباحة ما لم يرد دليل على التحريم)، ولم يكن هناك نص لا من الكتاب او السنة او الإجماع او القياس يحرم الدعاية، وكل ما دعت اليه حاجة الناس وتعلقت به مصلحة معاشهم وكانت مصلحته راجحة فان الشريعة لا تحرمه، اذ ان تحريمه يفضي إلى الحرج، والحرج منتف شرعا"[117].

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الباحث

هوامش ومصادر البحث:

(1) د. محمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، 2000 م، ص 70.

(2) عبد الباسط محمد حسين: اصول البحث الاجتماعي، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، 1977 م، ص 109.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، "دار صادر – بيروت، ط 1" 257/14. مختار الصحاح الجوهري، إسماعيل بن حماد" ت 393 هـ " دار العلم للملايين بيروت، ط 4، 1999م"186/7، ألزاهري في غريب ألفاظ الشافعي، للإمام الهروي، محمد بن احمد بن الأزهري، "وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– الكويت، ط1، 1399 هـ"12/1.

(4) قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار ينظر: المعجم الوسيط، "دار الدعوة – استانبول، تركيا – ط2، د. ت"مادة " دعا " ص288، والدعاية الانتخابية للأحزاب والكتل السياسية في محافظة صلاح الدين (انتخابات مجلس النواب 2010) دراسة تحليلية، م.م مرتضى أحمد خضر القيسي، بحث منشور في كلية القانون/ قسم العلوم السياسية /جامعة تكريت، ص 9.

(5) لابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: شهاب الدين ابو عمرو معجم مقاييس اللغة، (دار الفكر بيروت، ط1، 1415 هـ – 1995) مادة " دعو " ص 365.

(6) فتحي الابياري: الإعلام الدولي والدعاية، " دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ط 1، 1985 م " ص 143.

(7) محمد عبد القادر حاتم: الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب، " دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت" ص 142

(8) عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه، " دار الفكر العربي – القاهرة – 1965 " ص 23.
(9) هادي نعمان إلهيتي: الاتصال الجماهيري المنظور الجديد، " دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1998م" ص 23.
(10) نقلا عن سليمان صالح، الإعلام الدولي "مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع 207".
(11) خالد ممدوح ألعزي: الإعلام والاتصال الجماهيري محاضرة ألقيت بدعوة مدار الإفتاء في (حلبا) عكار الشمال، جريدة المستقبل اللبنانية 2009/10/11م/ ص8.
(12) د. محمود أبو تريجة: رئيس الدولة في الفكر الإسلامي بين نصوص الشريعة وتراث الفقه " دار المصطفى – دمشق ط1 1429 هـ – 2008 م" ص146.
(13) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(14) حاتم بديوي عباس ألشمري: الدعاية الانتخابية عبر الملصقات الجدارية لانتخاب مجلس النواب عام 2005 رسالة ماجستير غير منشورة " جامعة بغداد كلية الإعلام 2008 "ص 77.
(15) د. سعد سلمان المشهداني: الدعاية الصهيونية الموجهة الى العراق خلال الحرب العراقية الايرانية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2002، ص19.
(16) د. ناظم الطحان: دراسات في الدعاوى السياسية، القسم الاول، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1976، ص 47.
(17) عصام فاهم العامري: الدعاية الإيرانية والدعاية الإسرائيلية " دار الحرية بغداد 1997 "ص 26.
(18) صلاح نصر: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد " دار القاهرة للطباعة والنشر القاهرة 1968 م " ص 26.
(19) هاني رضا، رامز محمد عمار: الرأي العام والدعاية والإعلام "المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1998 م " ص 95.

(20) عبد الرحمن بسيوني: ينظر دراسات في علم النفس الاجتماعي "دار النهضة العربية، بيروت، 1974 م " ص 15
(21) تيسير محجوب الغباني: مقومات رجل الإعلام الإسلامي، "دار عمار للتوزيع والنشر – عمان، 1988 م " ص 40 – 43.
(22) عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية، " دار المعارف بغداد 1968 م " ص69.
(23) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري، الجامع، الصحيح المختصر دار ابن كثير اليمامة– بيروت ط 3، 1407 هـ 1987 م " تحقيق: مصطفى ديب البغا 10 / 7 ورقم الحديث "7" باب كيف كان بدء الوحي، صحيح مسلم، ابو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري " دار الجبل بيروت " 5 / 162 رقمه " 4707 باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه.
(24) ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري، " ت 852 هـ " تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها محمد فؤاد عبد الباقي، " دار الفكر– بيروت" 1 / 38. إعمال المعلم شرح صحيح مسلم: للعلامة القاضي ابو الفضل عياض اليحصبي (ت 544 هـ)، 61/6، الفجر الساطع على الصحيح الجامع: محمد الفضيل ألشبيهي الإدريسي الزر هوني، تحقيق: د.فواز ريشة. 47/6. تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذي: ابو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري"دار الكتب العلمية– بيروت" 416/7.
(25) ابو زكريا عيسى بن شرف النووي: شرح النووي على صحيح مسلم، " دار احياء التراث العربي ببيروت، ط 2، 1392 هـ " 107/12 – 110.
(26) رئيس الدولة، ص 146.
(27) محمد بن جرير الطبري: وقعت سنة 6 هجرية: تاريخ الطبري "دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1، 1407 هـ " 2/ 121.

(28) المتحدث الصحابي الجليل سلمة بن الاكوع سنان بن عبد الله الاسلمي وهو سلمة بن عمرو بن الاكوع واسم الاكوع: سنان بن عبد الله ابو عامر وابو مسلم ويقال: ابو إياس الاسلمي الحجازي المدني، شهد مع النبي (ﷺ) سبع غزوات منها بدر واحد وقيل مؤته وبيعة الرضوان كما انه روى عن النبي (ﷺ) عدة احاديث، وحدث عنه ابناءه ياس ومولاه يزيد بن ابي عبيد وغيرهم عنه احاديث عدة كما قال عنه قوله: يزيد رايت سلمة يصغر لحيته وسمعته يقول: بايعت النبي (ﷺ) على الموت وغزوت معه سبع غزوات. سيرالاعلام والنبلاء، الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله غيث: مجموعة محققين باشراف شعيب الارناؤوط" نشر مؤسسة الرسالة " 5 / 324.

(29) رئيس الدولة، 146.

(30) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد "دار الجيل – بيروت" 1/ 82

(31) علاء مصطفى داخل: الشعار السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة "جامعة بغداد كلية الإعلام 2006" ص 69.

(32) عبد الإله مصطفى الخزرجي: تحليل لغة الدعاية، "مكتبة الشرق، بغداد، ط1، 1984م" ص11.

(33) فلاح كاظم المهنا: الإعلام والرأي العام للدعاية مطبعة العمال، 1984م، ص 90.

(34) كرم شلبي: معجم المصطلحات الإعلامية، بيروت، دار الشروق,1989م، ص 476.

(35) فتحي الابياري: الإعلام الدولي والدعاية، ص151.

(36) عاطف عدلي العبدا: مدخل الى الاتصال والرأي العام" دار الفكر العربي، 1999م" ص18-19.

(37) هاهينا طلعت: الاتصال والدعاية "مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، 1988م" ص17.

(38) صفي الرحمن المباكفوري: الأحزاب السياسية في الإسلام، " دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط1، 1987 م" ص 14-15.

(39) طلعت: الاتصال والدعاية، ص 18.

(40) فتحي الابياري: الراي العام والدعاية والتخطيط الصهيوني، " دار المعرفة، الإسكندرية ", ص143.

(41) انور الساعي: التخطيط الإعلامي السياسي، 1971م, ص42-43.

(42) مي العبد الله: الدعاية وأساليب الإقناع، " دار النهضة العربية, بيروت,2006م، ص 44.

(43) فتحي الابياري: الراي العام والدعاية والتخطيط، ص 214.

(44) حاتم بديوي: الدعاية الانتخابية عبر الملصقات الجدارية، ص72.

(45) المصدر نفسه، ص 73.

(46) مصطفى عفيفي: نظامنا الانتخابي في الميزان, مكتبة سعيد رأفت, القاهرة، 1984م, ص 17.

(47) رئيس الدولة في الفكر الإسلامي، ص 155.

(48) قاموس محدث عربي انكليزي، 1/ 23435،د.ت.

(49) المصدر نفسه 1/ 25436.

(50) ينظر: الدعاية الانتخابية عبر الملصقات الجدارية، ص36.

(51) ينظر: الدعاية الانتخابية للأحزاب والكتل السياسية، ص 12.

(52) محمد مرعي خيري: الوجيز في النظم السياسية, دار المعارف, القاهرة, 1981م, ص 216.

(53) صلاح الدين فوزي: النظم والإجراءات الانتخابية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985, ص4.

(54) جميل إبراهيم عودة: رؤية علمية في الانتخابات البرلمانية، مجلة النبأ، مجلة شهرية ثقافية علمية، العدد 73، السنة العاشرة، 2004م، ص72. وينظر: موقع لجنة الانتخابات المركزية، فلسطين، انتخابات 2006
http://www.elections.ps/atemplate.aspx?id

(55) سورة النساء، الاية 59.

(56) رئيس الدولة، ص 5-6.

(57) المصدر نفسه، ص 155.

(58) النظم والإجراءات الانتخابية، ص 135.

(59) رئيس الدولة، ص 155.

(60) المصدر نفسه، ص 157.

(61) براين اوداي: دليل الحملات السياسية والانتخابية ص 13.

(62) ينظر: رئيس الدولة في الفكر الإسلامي، ص133، والحملات الانتخابية للأحزاب والكتل السياسية، ص1، والحملات الانتخابية عبر الملصقات الجدارية، ص38.

(63) سيرة ابن هشام،2/ 287-291.

(64) الإمام مالك: الموطأ كتاب (الجامع) باب: ما جاء في البيعة. حديث رقم 1556.

(65) محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، المباركفوري: تحفة الاحوذي في شرح جامع الترمذي، " دار الكتب العلمية – بيروت " 5/ 183. فتح الباري 20 / 256 رقمه (6674)

(66) رئيس الدولة ص 157.

(67) الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والرسل والملوك، " دار الكتب العلمية – بيروت، 1407هـ" 3/278، البداية والنهاية ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، "مكتبة المعارف – بيروت" 23/6

(68) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القران العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة" دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط 3 1420 هـ 1999 م 137/24، تحفة الاحوذي،10 /133- 134.

(69) البداية والنهاية 84/3.

(70) صحيح البخاري 420/1، رقم الحديث "1188" باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه.

(71) المصدر نفسه 2634/6، رقم الحديث "6777"باب كيف يبايع الإمام الناس.

(72) احمد محمود الشافعي: اصول الفقه 59 -60.

(73) المصدر نفسه 60 – 61

(74) للشيخ المودودي: ينظر: نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور، ص483-284.

(75) الأحزاب السياسية في الإسلام ص 48

(76) الإمام محمد بن عبد الله ألريمي: مفاسد الانتخابات (بدون تاريخ) او طبعة 53/1، 58، 79.

(77) للشيخ عبد الله بن منيع: مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي تحت عنوان (عقد المزايدة بين الشريعة الإسلامية) 16187/2.

(78) الأحزاب السياسية في الإسلام ص50.

(79) مفاسد الانتخابات 79/1.

(80) صحيح البخاري، 946/2 ورقم الحديث(2519) باب اذا زكى رجلا رجلا كفاه.

(81) المصدر نفسه، 586/6 ورقم الحديث (2663) باب الطيب للجمعة.

(82) محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي السلمي: سنن الترمذي تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون "دار إحياء التراث العربي- بيروت "350/4 ورقمه (1977) (باب اللعنة).

(83) الأحزاب السياسية في الإسلام، ص50.

(84) مجلة مجمع الفقه الإسلامي 16187/2.

(85) سورة الحجرات،الاية 12

(86) الأحزاب السياسية 50 – 51، مفاسد الانتخابات 53 – 56.

(87) سنن الترمذي 378/4 ورقمه (2032) كتاب البر والصلة عن رسول الله (ﷺ) في باب: ماجاء في تعظيم المؤمن.

(88) د.صلاح الصاوي، الأمين العام للمجمع: الأحزاب السياسية، 52 ومفاسد الانتخابات 38/1 – 40، 45، 79، التعددية السياسية في ميزان الشريعة، بحث مقدم الى مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا: دورة المشاركة السياسية: المشروعية والجدوى،اللقاء الثالث، ربيع الاول1427هـ – ابريل 2006م، ص16- 18 (وذكر فيها ردا على القائلين بعدم التعدد او التحزب).

(89) التعددية السياسية، ص15- 16. (وانوه هنا الى ان الدكتور الصاوي أيد كلامه بالأدلة على عكس الدكتور ألبياتي).

(90) د.منير حمدي ألبياتي: الدولة القانونية والنظام الإسلامي، أطروحة دكتوراه مقدمة لكلية الحقوق جامعة القاهرة"نشر الدار العربية للطباعة، بغداد، ط1، 1979م) ص474 -475، التعددية السياسية، ص15-16.

(91) صحيح البخاري، 946/2.

(92) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم 4 / 2296 ورقمه (3000).

(93) فتح الباري 10 / 477.

(94) صحيح مسلم 2296/4، رقمه (300)

(95) شرح النووي على صحيح مسلم، 18 / 127.

(96) فتح الباري 276/5

(97) سنن الترمذي 350/4

(98) الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي: ينظر: المنير شرح الجامع الصغير " مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – 1408 هـ – 1988 م، ط 3 " 624/2، وتحفة الاحوذي 95/6، وتطريز رياض الصالحين فيصل بن عبد العزيز المبارك " 1313 – 1376 هـ " 2، 335.

(99) التعددية السياسية، ص15-16.

(100) الأحزاب السياسية في الإسلام، ص51.

(101) المصدر نفسه ص52، مفاسد الانتخابات 28/1، 35، 44- 46

(102) سورة يوسف،الاية 55

(103) لإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي: التفسير الكبير، " دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1421 هـ 200 م " 128/18- 129

(104) الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق احمد عبد العليم البردوني (دار الشعب – القاهرة، ط2، 1372هـ) 216/9.

(105) الجصاص، ابو بكر احمد بن علي الرا زي الجصاص: احكام القران، تحقيق:محمد الصادق القمحاوي" دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1405 هـ"389/4.

(106) أبو الفضل، محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، " دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت"5/13.

(107) ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (الشركة التونسية للتوزيع– تونس عام 1979م) 9/13.

(108) سيرة ابن هشام 82/6.

(109) تاريخ الأمم والملوك: 582/2

(110) المصدر نفسه.

(111) المصدر نفسه، 278/3.

(112) المصدر نفسه 274/3.

(113) صحيح البخاري586/6.

(114) سنن الترمذي 350/4.

(115) المصدر نفسه 387/4.

(116) صحيح البخاري، 276/15، رقمه (6064) باب" ماينهي عن التحاسد والتدابر"

(117) احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: ينظر: مجموع الفتاوى، دار عالم الكتب – الرياض " 29 / 64، 277، والعقود لابن تيمية، تحقيق: محمد حامد ألفقي، " مكتبة ابن تيمية – القاهرة" ص 227.

Abstract

Praise be to God, prayer and peace upon our master Muhammad and his family and him after a while:

That the issue of the election campaign has the force of the impact on the individual in his life and his ideas and his beliefs, he tries to gain confidence in a manner that respects the rights of others. So on the subject of propaganda from the perspective of

Islamic jurisprudential Perhaps this contributes to fill the gap in research dealing with the election campaign and the application of scientific concepts and foundations of other aspects.

As we know it also as old as human societies and that the views and convictions in humans are also as old as history itself, since the civilizations of Mesopotamia and the Nile Valley of Pharaohs, and then the Greeks, and Chinese and so on until I got to the Islamic civilization and of the person of the Prophet peace be upon him and in giving her character Islamic, which allows us to use in this day and age, which I added it and the great temptation of dust through which the vision cannot be clearly only after knowing her are not recognized by persons only. After we learned is permissible to be under the control of Islamic law through the limits of intent and no overrun to lie and deceive the common folk is expanding its rules of Islamic politics as well as they knew that the process of campaigning does not include criticism to the work of others and slander them and follow their nakedness and Sagtathm under the banner of criticism and freedom of expression, but must be This is done to all of Islam and re-consideration to the assets and the legal rules and that all of the work of the State through the establishment of two systems are the most important calculation, advice and thus require the Promotion of Virtue and Prevention of Vice to reach the desired end.

Researcher

القاضي عياض مفسرا من خلال كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) ﷺ

م. د. احسان طه ياسين
جامعة تكريت/ كلية التربية/ سامراء/ قسم علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأخيار أجمعين، والعلماء العاملين، ومن سلك طريقهم الى يوم الدين. وبعد:

فإن حملة الشريعة العاملين هم ورثة النبوة، هيأهم الله تعالى ليخدموا هذا الدين، فكانت حياتهم مليئة في تحصيل علوم القرآن والسنة، فحفظوا لنا تلك العلوم، وعلّموها ونشروها، وذادوا عنها، وأفنوا أعمارهم في خدمتها، ولهذا وجب بيان فضائلهم واستذكار أحوالهم ونشر سيرهم، وتيسير الإستفادة من تراثهم النافع الذي تركوه لنا.

والقاضي عياض (رحمه الله) أحد علماء الأمة العاملين الذي أجمع علماء المسلمين قديما وحديثا على جلالة قدره وعلمه، فهو العالم المتمكن في الحديث الشريف وعلومه، والسيرة النبوية، والتفسير وعلوم القرآن، والفقه وأصوله، واللغة

العربية... وله مصنفات كثيرة في العلوم الشرعية المهمة، ومما زادني حبا وإعجابا بهذه الشخصية قراءتي لبعض كتبه، منها كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) (ﷺ)، و(إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم)، و(بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد).. وغيرها، وما تحمله هذه المؤلفات من علوم تدل على غزارة علم صاحبها.

أُلفت في حقه وعلمه دراساتٍ أكاديميةً وغير أكاديمية عديدة فأظهروا لنا جهود القاضي في الحديث الشريف وعلومه، والسيرة النبوية، والفقه، واللغة، والأدب...

يعد القاضي عياض من علماء التفسير وعلوم القرآن بل من أئمته، وهذا ما ذكرته بعض كتب التراجم وطبقات المفسرين، ومما يعزز هذا نقل بعض المفسرين عنه في التفسير وعلومه، أمثال الإمام ابن كثير في تفسيره (تفسير القرآن العظيم)، والشوكاني في تفسيره (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير)، والآلوسي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) وغيرهم، ومع ذلك فلم أجد من أظهر لنا اهتمام القاضي عياض وجهوده في التفسير، إلا ما نوّه عليه الأستاذ عبد السلام أحمد الكنوني في كتابه المفيد (المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية) حيث بيّن فيه أنه يمكن النظر إلى طريقة القاضي مفسرا من خلال فهمه للشواهد القرآنية الواردة في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) (ﷺ)، وشرحه لها.

وها أنا أقدم هذا البحث بعد تنويه الأستاذ الكنوني . جزاه الله خيرا. مبينا فيه طريقة القاضي عياض في التفسير في ضوء فهمه وشرحه لما استشهد به من آيات قرآنية كريمة في كتابه المذكور وشرحه وإستدلاله عليها فيما طرحه، واحتج به على الخصوم.

وبهذا يمكن القول ان هذا الموضوع جدير بإفراده ببحث مستقل وهو مبادرة علمية جادة رائدة في الكشف عن منهج القاضي عياض في التفسير، لم تتناوله الدراسات الأكاديمية . على حد علمي . والله تعالى أعلم.

إقتضت ضرورة البحث تقسيمه على هذه المقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

ضم المبحث الأول حياته وآثاره. وضم المبحث الثاني منهجه في تفسير القرآن الكريم. وضم المبحث الثالث مباحث علوم القرآن في كتابه (الشفا)، وأما الخاتمة فقد أودعتها أهم النتائج التي توصلت اليها.

والله تعالى أسأل أن يمنحنا الإخلاص في الأعمال، والصدق في الأقوال، وأن يمنّ علينا بحسن الختام، ويحشرنا مع سيد الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

المبحث الأول
حياته وآثاره

المطلب الاول: حياته الشخصية

المطلب الثاني: حياته العلمية

المطلب الثالث: عصره

المطلب الأول
حياته الشخصية

- **اسمه ونسبه**:

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي, و(اليحصبي) نسبة الى قبيلة عربية ترجع الى حمير, وتنسب الى يحصب بن مالك, و(السبتي) نسبة الى مدينة سبتة، وهي مدينة القاضي عياض حيث ولد ونشأ وقضى أكثر حياته فيها[1].

- **مولده ونشاته**:

أجمع المؤرخون على أن مولد القاضي عياض كان في مدينة (سبتة) ببلاد المغرب,في منتصف شهر شعبان سنة (ست وسبعين واربعمائة من الهجرة)[2].

أما نشاته فقد نشأ بين أحضان عائلة كريمة، كثيرة الأمجاد والمفاخر, معروفة بالعلم والفضل والخير والاحسان والصلاح والوجاهة واليسار، إذ انتقل جده (عمرون) من مدينة فاس بالمغرب الأقصى الى مدينة سبتة، فاشترى بها أرضا بنى في بعضها مسجدا، وفي بعضها ديارا أوقفها على المسجد وجعل باقي الارض مقبرة للمسلمين، وكان رجلا خيرا صالحا من أهل القرآن، شارك في الجهاد بالأندلس...، ينتمي القاضي عياض الى هذه الأسرة الفاضلة وفي كنفها تربى، وبذلك فقد نشأ على العلم والعبادة والجهاد، وفي ظل هذه الحياة أقبل على حفظ كتاب الله عالى حتى أتمه في سن التمييز، وأكثر من مجالسة العلماء حتى برع في مختلف العلوم الشرعية[3].

تربى القاضي في مسجد أسرته ملتزما بالصلاة فيه، وكان (عاملا مجتهدا، صواما قواما، يقوم ثلث الليل الآخر لجزء من القران، لم يترك ذلك قط على أية حالة حتى يغلب عليه، متدينا متورعا متواضعا..)[4].

- **رحلاته**:

تلقى القاضي عياض العلم في مدينة (سبتة)، المدينة التي ولد فيها، وعلى يد علمائها ومن يفد اليها من أهل العلم، ثم رحل الى الأندلس فوصل (قرطبة) مستهل جمادى الآخرة سنة (507هـ) لمقابلة بعض أصول سماعه والأخذ عمَّن لم يلق من علمائها، ثم رحل الى (مرسية) فقدمها في غرة صفر سنة (508هـ)، وكان من الذين قابلهم، وقابل بعض أصول سماعه عليه الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الصدفي (ت514هـ)، ولم تتجاوز رحلته ثلاثة عشر شهرا، تتلمذ خلالها على ستة وثلاثين من أجلة علماء الأندلس في أكبر مدنها وحواضرها العلمية، وبخاصة (قرطبة) حاضرة الاندلس, و(اشبيلية) و(مرسية)[5].

- **عقيدته ومذهبه**:

قارئ كتب القاضي عياض والمطالع لها يجد أن مؤلفها من أهل السنة والجماعة، بل هو من أئمتهم، وذلك واضح من خلال مايفعله في استدلاله للمسائل التي يستعرضها في كتبه, حيث يستدل بالقران والسنة وكلام ائمة السلف من آل بيت النبوة والصحابة والتابعين وممن جاء بعدهم (ﷺ) جميعا فهو إمام شديد التعصب للسنة كما قال ابن العماد الحنبلي عنه: (كان عديم النظير, حسنة من حسنات الأيام، شديد التعصب للسنة والتمسك بها)[6].

أما مذهبه فكان مالكيا، وذلك ما أجمعت عليه المصادر التي ترجمت له، بل هو أحد كبار علماء ذلك المذهب في عصره، والقارئ يجد ذلك واضحا في ضوء مؤلفاته التي خدم فيها المذهب المالكي وتفانى في خدمته[7].

- **وفاته**:

اتفقت المصادر على أن القاضي عياض قد توفي مغرّبا عن سبتة في يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة سنة (544هـ)، ودفن في مراكش بالمغرب الأقصى[8].

المطلب الثاني
حياته العلمية

بدأ تعلم القاضي عياض العلوم الشرعية في سن مبكر، اذ كان ذكيا، يقضا، فطنا، فاهما، هيأ الله تعالى له عوامل عدة أهلته لأن يتصدر علماء عصره، ويسود أقرانه، ويبلغ في العلم منزلة عظيمة، نذكر منها: ذكائه الحاد وفطنته، وسرعة حفظه، وحرصه على طلب العلم، وكان لأسرته المباركة وثرائها واهتمامها بالعلم الأثر الكبير، ومن تلك العوامل أيضا رحلاته الى (قرطبة- اشبيلية- مرسية) التي كرسها في طلب العلم، فكان له ذلك على يد أجلة علمائها آنذاك، فضلا عن مدينته (سبتة) التي كانت مركزا ثقافيا وعلميا يأتيها طلبة العلم ؛ لينهلوا على يد علمائها مختلف العلوم والمعارف[9].

وبذلك فقد أسهمت هذه العوامل وغيرها في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والفكرية، وذاع صيته فكان ذا شأن عظيم حتى صار أحد مشايخ علماء المالكية ومن أبرز وجوه المغرب الفكرية، بل عالم المغرب وامام أهل الحديث في زمانه.

- **شيوخه**:

تلقى القاضي عياض العلوم الشرعية واللغة العربية على يد عدد وافر من العلماء الذين أخذ عنهم قراءة وسماعا ومناولة واجازة، وممن كتب له ممن لم يلقه, وقد عدّدهم في كتابه فهرست شيوخ القاضي عياض المسمى (الغنية) وسماهم فيه وذكر

من خبر كل واحد منهم ترجمة له لايخلو من الاختصار والإيجاز لبعضهم وذلك بحكم ما أدت اليه الحال من رحلاته.

وقد ذكر في فهرسته مئة من شيوخه، ترجم لهم وذكر تخصصاتهم وجملة مما سمعه أو قرأه على كل منهم، واجازاتهم ومكاتباتهم ومناولاتهم له[10].

1- القاضي محمد بن عيسى التميمي[11]: ابو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي، كان كثير الكتب، ولي القضاء وكان من أحسن القضاة وأنزههم، ومما سمعه عليه وقرأه موطأ الامام مالك من رواية يحيى بن يحيى الليثي والمسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله (ﷺ) للامام البخاري، والمسند الصحيح المختصر من السنن للامام مسلم، توفي سنة (505هـ).

2- القاضي محمد بن علي التغلبي[12]: الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي، أجل رجال الأندلس وزعيمها في وقته، تقلد الشورى في قرطبة ثم ولي القضاء بها سنة (490 هـ)، قال القاضي عياض عنه:- (لقيته بقرطبة.. وسمعت عليه الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي.. وقرأت عليه بعض رسائله وردوده على الغزالي وسمعت بعضها، وسمعت منه كثيرا من كلامه وأجاز لي سائر رواياته)، توفي سنة (508 هـ).

3- الفقيه عبد الله بن محمد الخشنى[13]: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبدالله الخشنى، شيخ فقهاء وقته بشرق الاندلس، وأحفظهم للمذهب مع المعرفة بالتفسير لكتاب الله والتفنن في المعارف، لقيه القاضي عياض بسبته ومرسية فقرأ عليه، ومما قرأه عليه كتاب مسلم، وحضر عنده مجالسه في المناظرة في المدونه وأجازه جميع مروياته، توفي بمرسية سنة (526هـ).

4- أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي (ت533هـ)[14].

5- والشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني (ت498هـ)[15].

- **تلاميذه**:

تتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء في سبته وغرناطة نذكر منهم:

1- أحمد بن عبدالرحمن اللخمي[16]: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي,أخذ عن كثير من العلماء منهم القاضي عياض,كان محدثا ضابطا لما يحدث برع في العربية والفقه والاصول وعلم الكلام وحفظ القران وأتقن القراءات, وكان ماهرا في الطب والهندسة والحساب، ولي قضاء فاس ثم مراكش ثم انتقل الى الأندلس وفرغ نفسه لنشر العلم محتسبا لله تعالى حتى توفي سنة (593هـ).

2- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصاري الخزرجي[17]، أصبح محدثا ضابطا حافظا مجودا عارفا بالفقه والأصول، مقدما في علم الكلام، توفي بمراكش سنة (569هـ).

3- عبدالرحمن بن أحمد الازدي[18]: عبد الرحمن بن احمد بن احمد بن محمد الازدي، من اهل غرناطة، كان فقيها صاحب شورى، أديبا، ولي القضاء، توفي بمرسى تونس شهيدا وهو في طريقه للحج سنة (576هـ).

4- ابن بشكوال[19]: خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال, ولد بقرطبة سنة (511هـ)، له مؤلفات كثيرة منه (الصلة), (الغوامض والمبهمات)، توفي سنة (598هـ).

- **جهوده وأعماله**:

نبغ القاضي عياض وسمت مكانته العلمية إذ كانت له أعمال جليلة القدر عظيمة النفع خدم بها مجتمعه وأمته فكان بحق ابن الأمة البار.

وفيما يأتي أهم تلك الأعمال بأيجاز:-

- التدريس: جلس القاضي لتدريس المدونه، وكان مداوما على اسماع الحديث وتدريس الفقه الاسلامي، وكان لايترك ذلك حتى في أحلك الضروف, بل ولم يصرفه عن التدريس أيظا انشغاله بوظيفة القضاء التي قلدها ابتداءاً من السنة (515هـ)[20].
- الافتاء: أُجلس القاضي للشورى والافتاء اذ كان من مقدمي المفتين بسبتة وكان خطيبا بليغا تولى خطبة الجمعة والعيدين[21].
- القضاء: عمل عياض (رحمه الله) في القضاء ؛ لذلك لقب بالقاضي، إذ عُين قاضيا في سبتة ثم غرناطة في عهد المرابطين، ثم في قرية (داي) ببادية (تادلة) مغرّبا معاقبا في عهد الموحدين بعد أن قاد ثوراتٍ عليهم فلم يستطيعوا الخلاص المباشر منه تحسبا لشعبيته الواسعة، وتجنبا لآثار ذلك السلبية على حكمهم ,فعينوه للقضاء مغرّبا في تلك القرية الصغيرة (داي)[22].
- الاصلاح الاجتماعي والسياسي: إنّ المتتبع لسيرته يجد مظاهر الاصلاح والخدمة لمجتمعه ظاهرة في كل مجالات عمله واهتماماته حتى كان من أكبر المدافعين عن مدينة (سبتة) وفي ذلك قال عنه ابن خلدون بأنه: (تولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير وكان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه)[23].

لم تكن مظاهر الاصلاح الاجتماعي ظاهرة في مجالات عمله فحسب بل كان الى جانب ذلك الاصلاح السياسي، إذ عاصر سلطان دولتين بالمغرب هما دولة المرابطين ودولة الموحدين، أيد القاضي السلطة الأولى لشرعيتها واعتدالها في الحكم، وعارض دولة الموحدين لعدم شرعيتها، ولأنهم ليس لهم الحق في الأمر والإمامة وإنما كان ينظر انهم متغلبون[24].

وبالجملة فإن موقف القاضي مع حكام عصره هو موقف المؤيد للحق، الناصح لهم عن الانحراف، المدافع المقاتل في سبيل المبدأ دفاعا لانظير له، المهادن عند خوف الفتنة وعندما تكون المقاومة انتحارا[25].

- الشعر: ذكرنا فيما سبق ان القاضي عياض كان خطيبا فصيحا بارعا، وكان لايخطب الابانشائه، وكان له شعر كثير حسن رائق[26]، ولشعره أغراض مختلفة، منها في حب النبي (ﷺ)، ووصفه البعد والفراق وتمني القرب والشوق للاوطان، ومنها مناجاته لمولاه سبحانه... وغيرها من الأغراض.

ومن شعره قوله في اشتياقه الى الروضة الشريفة وحبه الشديد لساكنها[27]:

يادار خير المرسلين ومن به	**هدي الانام وخص بالآيات**
عندي لاهلك لوعة وصبابة	**وتشوق متوقد الجمرات**
وعلي عهد ان ملأت محاجري	**من تلكم الجدران والعرصات**
لأعفرن مصون شيبي بيها	**من كثرة التقبيل والرشفات**
لولا العوادي والاعادي زرتها	**أبدا ولوسحبا على الوجنات**
لكن سأهدي من حفيل تحيتي	**لقطين تلك الدار والحجرات**
أزكى من المسك المعتق نفحة	**تغشاه بالآصال والبكرات**
وتخصه بزواكي الصلوات	**ونوامي التسليم والبركات**

هذا وللقاضي عياض شعر كثير كما ذكرنا موزع في بعض مؤلفاته وبعض كتب الادب والتاريخ وغيرها.

- التأليف: للقاضي عياض آثار علمية قيمة عديدة، وضع فيها عصارة فكره وجهده، فنشاطه العلمي في الكتابة والتاليف كان في خدمة الامة، وقد أسهمت تلك المؤلفات في اثراء المكتبة الاسلامية بمؤلفات قيمة في فنون متعددة، يقول ابن البار في ذلك بان القاضي: (له تواليف مفيدة، كتبها الناس وانتفعوا بها، وكثر

استعمال كل طائفة لها)[28]، وقال ابن فرحون: (له التصانيف المفيدة البديعة)[29]، وقال الذهبي: (وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق.. وتواليفه نفيسة)[30]، وفيما يأتي أسماء هذه المؤلفات مقسمة بحسب فنونها:

أولا: مؤلفاته في الحديث النبوي وعلومه[31].

1- اكمال المعلم بفوائد مسلم. (مطبوع).
2- الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع. (مطبوع).
3- بغية الرائد في حديث أم زرع من الفوائد. (مطبوع).
4- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. (مطبوع).
5- الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ). (مطبوع).
6- الغنية. (مطبوع).
7- مشارق الانوار على صحاح الآثار، أو مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار.. (مطبوع).
8- المعجم في شيوخ ابن سكرة الصدفي. (مطبوع).
9- غريب الشهاب. (مفقود).

ثانيا: مؤلفاته في الفقه الأسلامي وأحكامه[32].

1- أجوبة القرطبيين. (مفقود).
2- الأجوبة المحبّرة على المسائل المتخيرة. (مفقود).
3- الأعلام بحدود قواعد الأسلام. (مطبوع).
4- التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة. (مخطوط).
5- سر السراة في آداب القضاة. (مفقود).
6- مطامح الأفهام في شرح الأحكام. (مفقود).
7- المقاصد الحسان فيما يلزم الأنسان. (مفقود).

8- نظم البرهان على صحة جزم الآذان. (مفقود).

ثالثا: مؤلفاته في العقيدة[33].

1- السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول (ﷺ). (مفقود).

2- كتاب العقيدة. (مفقود).

رابعا: مؤلفاته في التاريخ[34].

1- تاريخ المرابطين. (مفقود).

2- الجامع في التاريخ، أو (جامع التاريخ). (مفقود).

3- الفنون الستة في أخبار سبتة. (مفقود).

المطلب الثالث

عـــصره

مــامن شــك ان لكــل مجتمــع أحوالــه وتطوراتــه الاجتماعيــة والاقتصــادية والسياسية, قد تـؤثر سلبا وايجابا فـي تكوين شخصية افراده ,وقد عاصر القاضـي عياض .رحمه الله .سلطان مرحلتين مرت بها بلاد المغرب هما:- مرحلة دولة المرابطين وحكامها آل تاشفين, ومرحلة دولة الموحدين وزعيمها المهدي ابن تومرت.

عَدَّت المرحلة الأولى من مراحل الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي مما ساعد على تطور وازدهار الحركة الثقافية والعلمية في ظل حكم دولة المرابطين التي قامت على يد الفقيه (عبد الله بن ياسين (ت451هـ)), والذي قادها على أسس شرعية, متمسكا بالاحكام الشرعية الاسلامية, اذ هاجم قبائل البربر الذين ارتد كثير منهم, وتركوا العمل بأحكام الشريعة وفروضها, وظلوا وانحرفوا عن تعاليم الاسلام, وسرعان ماتوسع سلطان هذه الدولة في عهد يوسف بن تاشفين (ت500هـ)، فسيطرت هذه الدولة على المغربين الأقصى والأوسط، ثم بلاد الاندلس بعد أن كانت تلك البلاد ممزقة ومقسمة الى دويلات وقبائل متفرقة ومتناحرة فيما بينها[35].

تعايشت في عصر دولة المرابطين تيارات ثقافية متعددة, منها التيار الفقهي والصوفي والكلامي.. وغيرها، وذلك لانفتاح هذه الدولة على تشجيع العلم والعلماء, وقد تبنى المرابطون عقيدة أهل السنة والجماعة في الأصول، ومذهب الامام مالك في الفروع, وقدموا الفقهاء وشجعوا على طلب العلم, وجاهدوا أعداء الملة لذلك كان جل العلماء مؤيدين لها[36].

إن ازدهار الحركة الادبية والعلمية في ظل دولة المرابطين أثمر ظهور عدد كبير من العلماء الذين برزوا في شتى العلوم, ففي النحو وعلوم اللغة مثلا برز عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت321هـ), وفي الرواية والكتابة التاريخية نبغ أبو زكريا بن يحيى ين محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بابن الصيرفي (ت570هـ), الذي كان من أعلام عصر علي بن يوسف في البلاغة والأدب والتاريخ, صاحب كتـاب قصـص الأنبيـاء (وسياسـة الرؤسـاء), وأبـو الحسـن بـن بسـام الشـنتريني (ت542هـ), صاحب كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة), وفي العلوم الطبيعية والصيدلانية منهم أبو مروان عبد الملك بن زهر (ت525هـ) وهو من أشهر علماء الطب في الاندلس, من مؤلفاته كتاب (الخواص) وكتاب (الادوية المفردة), وفي علم الجغرافية ظهر عدد كبير نذكر منهم: أبو عبد الله محمد الادريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق), وعبدالله بن ابراهيم بن وزمر الحجاري, صاحب كتاب (المسهب في غرائب المغرب), وفي الفقه أمثال الفقيه القاضي أبو بكر بن العربي (ت543هـ)[37].

إن الاستقرار السياسي والاقتصادي واحترام أهل العلم والدين وتكريمهم كان هذا هو حال دولة المرابطين الى أن دب الظلم في عهودهم الأخيرة لها, وانحراف نظام الحكم من نظام الشورى الى الوراثي الذي سبب نزاعا عنيفا على منصب ولاية العهد بين أولاد علي بن يوسف, كما تطلع مجموعة من الأمراء الى منصب الأمير

علـي ونـازعوه فـي سلطانه ممـا سـبب تمزقـا داخليـا, فقدت الدولـة المرابطيـة وحـدتها الأولى, وفقد الكثير من قياداتها وعلمائها العظام, فضلا عن الأزمة الاقتصادية الحادة نتيجـة لانحبـاس المطـر عـدة سنوات, وحلـول الجفـاف وانتشـار الأوبئـة بـين كثيـر مـن السكان, والصدام المسلح مـع جيوش الموحدين وغيـر ذلك[38], ممـا أدى الـى تقلص سلطانها لصالح دولـة الموحدين, (515هـ–668هـ) التي أسست علـى يد أبـي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بـ(ابن تومرت), والملقب بعد قيام الدولـة بـ(المهدي), امام الموحـدين (ت524هـ), وهـو بربـري مـن قبيلـة مصـمودة المشـهورة بالبـأس ووفـرة العدد,وكان استقرارهم في جبال(دَرَن) ببلاد المغرب[39].

بدأ ابـن تـومرت القتـال ضـد القبائـل المغربيـة بعد أن اجتمـع لـه أتبـاع كثيـرون بـايعوه سـنة (515هـ) زاعمـا لهـم أنـه المهـدي المنتظـر, وسـمى أتباعـه (الموحـدون) تعريضـا بـان من خـالف طريقتـه ليس بموحد, فاستولى علـى تلك القبائل ثم ضـد دولـة المرابطين, فأفتك ببعض اجزائها, ثم تمكن خلفاؤه من بعده القضـاء عليها والسيطرة علـى المغربين الأوسط والأقصـى, وبلاد الأندلس, وبلاد افريقية[40].

كـان حـال العلمـاء والفقهـاء وقتئـذٍ حـال المعـادي لتلك الدولـة, بل كـانوا يقودون النـاس للثورة ضـدها, علـى اعتبـار انهـا قامت علـى أسس باطلـة شـرعا, وللممارسـات المخالفة للاسلام منهـا: زعمهم أن ابن تومرت هو المهدي المنتظر, مدعيا العصمة والامامة, وانـه مأمور بنوع من الوحي والالهام, وانـه عالم بالمغيبات, وحصره الايمان لأتباعه, وأنهم الطائفة المنصورة، وتكفير من عداهم، ومنها وضعه لأتباعه كتابا في التوحيـد خلـط فيـه بـين عقائـد الأشـاعرة والشـيعة والمعتزلـة والخـوارج, وفـرض علـيهم حفظه, وكفّر من لم يحفظه, وأبطل متابعة أئمة الفقه, والتعبد بالاحكام الظنية وانتقد الفقهـاء وأمـر بحـرق كتـب الفقـه المـذهبي بعد أن يجرد مافيهـا مـن حـديث رسـول الله (ﷺ) فتوضـع ويطلق فيها النار[41].

إن موقف العلماء من الموحدين هو موقف المعادي المقاوم ضدهم في البداية ثم المهادن لما قويت شوكة الموحدين وحصلت لهم الغلبة, لاحبا فيهم ولا تأييدا لهم, وإنما من باب من قويت شوكته وجبت طاعته, وخوفا من أن يزج العالم بنفسه وأهله في فتنة لا يعلم مداها الا الله, قد تنتهي بالقضاء عليهم واستئصالهم[42].

وبـذلك يمكـن القـول ان الحيـاة العلميـة فـي هـذا العصـر قـد شـهدت تـدهورا وانحدارا, ومـا احـراق كتـب الفقـه كالمدونـة وغيرهـا الا صـورة واضـحة مـن صـور هـذا التدهور.

المبحث الثاني

منهجه في تفسيرآيات القرآن الكريم

المطلب الاول: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المطلب الرابع: تفسير القرآن باللغة.

تمهيد

عنى كثير من العلماء بالتأليف في سيرة النبي محمد (ﷺ) وبيان أحواله وصفاته وأخباره، ولا عجب في ذلك فهو البشير النذير، والرحمة المهداة، ومنقذ البشرية من الظلمات الى النور..، وممن اعتنى بها الأمام الترمذي في كتابه (الشمائل)، والأمام البيهقي في كتابه (دلائل النبوة)، والقاضي عياض في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى).

يعد كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) أشهر ما كتبه القاضي عياض (رحمه الله تعالى) حتى قيل (لولا الشفا ما ذكر عياض)[43] وقد كتبه بعد تكرر سؤال أحدهم عليه بتأليف كتاب يعرف فيه بقدر المصطفى (ﷺ)، وما يجب له من توقير واحترام،وحكم من لم يوف واجب عظيم ذلك أو قصر فيه والرد فيه على المفترين الذين استهانوا بحرمة النبي قديما وحديثا، فقصروا في واجبه وشككوا في رسالته وحاولوا أن ينقصوا من شأنه... وجمع أقوال السلف والائمة في هذه الأمور، وقد أبان القاضي ذلك في مقدمة كتابه قائلا (فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر، وان أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل، صور وأمثال)[44].

وبهذا فان موضوع كتاب (الشفا) العام هو سيرة النبي (ﷺ)، مع ما تناوله من قضايا لغوية وعقيدية وفقهية بلغة فصيحة وأسلوب بديع. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات وفي أغلب أنحاء العالم الأسلامي تارة متنا مجردا وتارة مشروحا، وقع في أكثرها على جزئين، وقسّمه مؤلفه الى مقدمة وأربعة أقسام، وكل قسم من هذه الأقسام

الى أربعة أبواب الا القسمين الثالث والرابع فقسمهما الى بابين، وهذه الأبواب مكونة من فصول.

إن القسم الأول فيه كان في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي (ﷺ) قولا وفعلا، والقسم الثاني فيما على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام، والقسم الثالث في ما يجب للنبي عليه الصلاة والسلام وما يستحيل في حقه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أو يضاف اليه، أما القسم الرابع فكان في تعريف وجوه الأحكام فيمن نقصه أو سبه عليه الصلاة والسلام.

درّس القاضي هذا الكتاب في حياته لعدد لايحصى من الناس، وكُتِب عنه، وتوزعت نسخه في الآفاق، وكتب الله له القبول فشرح بشروح تجاوزت الثلاثين شرحا ما بين مختصر ومبسوط، وقرأه الناس تبركا واستشفاءا، وبلغ عظم هذا الكتاب عند أهل المغرب ان الجند في الجزائر كانوا يحلفون عليه عند تأدية الخدمة العسكرية[45].

ولا يُنكر أن موضوع كتاب (الشفا) هو السيرة النبوية التي اعتمد صاحبه فيها على القرآن الكريم في طرحه لمادته، ومن هنا فإن هذا الكتاب غني في التفسير، وذلك في ضوء فهم مؤلفه وشرحه للآيات القرآنية التي ذكرها، فهو يذكر الآية ويشرحها شرحا وافيا، ذاكرا ما قيل في حقها من معاني.

وفيما يأتي بيان لمنهج القاضي عياض في ضوء كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، ضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول

تفسير القرآن بالقرآن

تُعد طريقة تفسير القرآن بالقرآن أقوى طرق التفسير بل أصحها، فما أجمل في مكان فانه بسط في موضع آخر[46]، ففهم القرآن من داخله أقوى وجوه التفسير الصحيح، فالقرآن فيه العام والخاص والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

وقد اعتمد القاضي في شرحه لآيات القرآن الكريم التي ذكرها في كتابه على هذه الطريق من ذلك ما ذكره في كون النبي (ﷺ) رحمة للعالمين من قوله چككگگگچ[47]، يسترسل في تبيين هذه الرحمة فيقول (وصفه بأنه چڤڤڤچ[48]، چگگگ گ چ[49] چۇ ۆ ۆچ[50][51].

ويستدل بالقرآن على صحة ما يذكره، من ذلك ما ساقه عند قوله تعالى چگگگںڻڻٹٹہہچ[52] أي في علمهم بأنك رسول الله.. وإن لم يقروا بذلك، وليس المراد به شكه فيما ذُكِرَ في أول الآية.. وقد يكون أيضا على ما تقدم.. أي قل يامحمد لمن امترى في ذلك: لاتكونن من الممترين، بدليل قوله في أول الآيةچككگگچ[53] الآية وان النبي (ﷺ) يخاطب بذلك غيره[54].

وبمناسبة الحديث عن وجوب الأيمان بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام وتصديقه يذكر أمر الوجوب من قوله چىیی□□چ[55] وقوله چۇۆۆۈچ[56]، فيقول بعد ذلك (فالأيمان بالنبي محمد (ﷺ) واجب متعين لايتم ايمان إلا به.. ولا يصح إسلام إلا معه.. قال الله تعالى چہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮫ چ[57] [58].

وعند حديثه عما خص نبيه (ﷺ) بميزة بالعلم في قوله تعالى: چ□ □□ىیی□□□چ[59]، أتبعه بآية توضح ذلك الأمر وهي قوله تعالى:چوۆۈۋىیيچ [60][61].

وبنية التوضيح يمثل لمراد الآية بأكثر من مثل، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: چ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ چ[62]

بأنه خطاب للنبي لكن المراد به غيره كما قلل چﯗ ﯘ ﯙ ﯚچ[63] الآية.

الخطاب له والمراد غيره، ومثله چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ چ[64]، ومثل هذه الآية قوله: چﮌ ﮍ ﮎ ﮏچ[65] المأمور ههنا غير النبي (ﷺ) ليسأل النبي، والنبي (ﷺ) هو الخبير المسؤل، لا المستخبر السائل..[66].

وقد يجمع بين الآية ونظائرها، فعند الحديث عن توقير أصحاب النبي (ﷺ) وبرهم ومعرفة حقهم، يذكر القاضي أن (من توقيره وبره (ﷺ) توقير أصحابه وبرهم، ومعرفة حقهم والأقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم.. قال الله تعالى چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ چ[67]. وقال: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ چ[68] وقال تعالى چ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ . . چ[69]، وقال تعالى چ . ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ چ[70] [71].

المطلب الثاني

تفسير القرآن بالسنة

قارىء كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) يقطع على أن موضوعه يتعلق بسيرة النبي محمد (ﷺ) وما على الأنام له من حقوق وما يستحيل في حقه وما يجوزعليه... وهذا واضح من عنوان الكتاب فضلا عن قراءته، وقد أحبه صاحبه حبا عظيما حتى أنه عوتب ذات مرة على ذلك فرد عليهم قائلا:

فقالوا: أراك تحب الشفا وتخبر فيه عن المصطفى
فقلت: لأني عليل الفؤاد وكل عليل يحب الشفا[72]

وما دام موضوع الكتاب هو سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فلا يمكن بحال من الأحوال الأستغناء عن السنة النبوية المتمثلة بأقواله (ﷺ) وأفعاله وصفاته.. بل ان السنة من أعمدة مادته.

ان السنة هي الموضحة والمبينة للمعنى المراد لكثير من الآيات، قال تعالى: چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ چ[73]، وقد أورد في كتابه ثروة كبيرة من الأحاديث النبوية التي يذكرها ويستشهد بها في أقواله ونقولاته بلغت (1362) حديثا. ولا بد من ملحوظة ان القاضي في (الشفا) حينما يورد حديثا قد لا يذكر تخريجه، مكتفيا بإيراد الراوي الذي سمع الحديث من النبي عليه الصلاة والسلام، وقد لا يذكر راوي الحديث أصلا مكتفيا بايراد متن الحديث بقوله (قال النبي (ﷺ)) ويذكر الحديث.

فمن مواطن ذكره الحديث مكتفيا بذكر الراوي الذي سمع الحديث من النبي (ﷺ) ما جاء بمناسبة اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته ورفعه العذاب بسببه: (عن أبي موسى قال: قال رسول الله (ﷺ): أنزل الله عليّ أمانين: چ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □چ[74].. فاذا مضيت تركت فيكم الأستغفار)[75].

ومما أورده من الأحاديث دون ذكر راويها: ماوضحه في أمر لبث يوسف عليه السلام في السجن بعد ما قال لأحد صاحبي السجن چ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ چ[76]، أورد القاضي حديثا في قضية لبث يوسف عليه السلام قائلا (قال النبي (ﷺ): (لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث)[77][78].

ومما أورده من أحاديث نبوية مع طرقها والتصريح بما صح منها: ما ذكره في قوله تعالى: چ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ . ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ[79] فسر القاضي هذه الآية وذكر إجماع المفسرين وأهل السنة على وقوعه، ثم جاء بأحاديث عدة توضح حادثة انشقاق القمر، منها ما روي (عن أنس: سأل أهل مكة النبي (ﷺ) أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراءً بينهما[80]... رواه عن أنس قتادة[81]، وفي رواية معمر وغيره

عن قتادة عنه: أراهم القمر مرتين انشقاقه.. فنزلتچھھےےچ[82] ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد، وابن ابنه جبير بن محمد[83] ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[84]. ورواه عن ابن عمر مجاهد[85]. ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي، ومسلم بن أبي عمران الأزدي[86]. وأكثرطرق هذه الأحاديث صحيحة..)[87].

ويذكر القاضي تفسير الرسول محمد (ﷺ) للآية أو للفظة القرآنية، وهو في ذلك غالبا ما لا يكتفي بحديث واحد فقط بل حديثين فأكثر إذا اقتضى المقام ذلك، فعند حديثه عن تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود الوارد في قوله تعالىچچ چچ چچ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈچ[88] ذكر عدة أحاديث عن معنى (المقام المحمود) ومنها: (عن أبي هريرة: سُئِلَ عنها رسول الله (ﷺ).. فقال ((هي الشفاعة))[89]. وروى كعب بن مالك عنه (ﷺ) ((يُحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تلّ، ويكسوني ربي حلةً خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول... فذلك المقام المحمود))[90] ثم ذكر بعدهما روايات كثيرة[91].

ويرجع الى السنة في تفصيل عموم آية أو جملة من آية، مثال ذلك ما أورده في حديثه عن معجزة الأسراء الواردة في قوله تعالى چٱٻٻٻ پپپچ[92] الآية وقولهچٱ ٻٻچ[93] الى قولهچھ ہ ہ ھ ھچ[94]، أورد أحاديث كثيرة منها: ما أورده الأمام مسلم في صحيحه بسنده (عن مالك بن أنس (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: أُتيتُ بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، ويضع حافره عند منتهى طرفه،قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء،ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن، فاخترت اللبن...) الى آخر الحديث[95]. ثم أكمل الأحاديث[96].

جمع لنا الإمام السيوطي الأحاديث النبوية الواردة في كتاب (الشفا) وخرجها في كتابه المسمى (مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا) حيث بلغت (1362) حديثا[97].

ومع ذكر القاضي عياض في بعض الأحيان لما صح من طرق الحديث فإن هذا لا يعني أن كتابه (الشفا) خال من الأحاديث الضعيفة بل يوجد فيه ما هو ضعيف، وقد تتبعها لنا الدكتور الحسين بن محمد الشوّاظ[98] في تخريج الأمام السيوطي لها فوجدها ثلاث أحاديث موضوعة فقط، وخمسة أحاديث فقط لم يعرفها السيوطي، وتسعة أحاديث لم يجدها، وثلاثة أحاديث منكرة، وحديثين ضعيفين جدا، واثنين وثلاثين حديثا ضعيفا بما في ذلك المراسيل، والبقية كلها أحاديث مقبولة، منها الصحيح ومنها الحسن[99].

المطلب الثالث

التفسير بأقوال الصحابة والتابعين

إعتمد القاضي عياض في توضيحه وشرحه لآيات القرآن التي يوردها في كتابه على المأثور من أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء السلف (ﷺ)، ومصادره في ذلك كثيرة، منها ما ورد مأثورا عن سيدتنا عائشة، وسيدنا أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن جبير، وجعفر الصادق، والأمام مالك، والحسن البصري، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، وكعب الأحبار، والزهري... وغيرهم (ﷺ) جميعا.

فمن مواطن ذكره لفهم بعض الصحابة لبعض الآيات القرآنية ما أورده في معنى قوله تعالى في سورة الكهف:چۆۈ ۈ ۋ ۋ ۅچ[100]، قول ابن عباس . رضي الله عنهما . بأنه (لوح من ذهب مكتوب: عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب. عجبا لمن أيقن

بالنار كيف يضحك، عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها. أنا الله لا إله إلا أنا...)[101].

وعند حديثه عن خلق النبي العظيم الذي أثنى الله عليه به فقال چگـگگںچ[102]، وضح ذلك قائلا: (قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، يرضى برضاه ويسخط بسخطه)[103]، وقال (ﷺ) (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[104]، وقال أنس: كان رسول الله (ﷺ) أحسن الناس خلقا)[105]، وعن علي بن أبي طالب مثله)[106].

وبمناسبة الحديث عن وصفه تعالى للنبي (ﷺ) بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة ذكر قوله تعالى چٺٺٺٺٿ ٿچ[107] قال (قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم: (قدم صدق)هو محمد (ﷺ) يشفع لهم. وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم. وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ): هي شفاعة نبيهم محمد (ﷺ). هو شفيع صدق عند ربهم. وقال سهل بن عبد الله التستري: هي سابقة رحمة أودعها في محمد (ﷺ). وقال محمد بن علي الترمذي: هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد (ﷺ) حكاه عنه السلمي)[108].

وعند تعدد الأقوال والآراء لبعض الصحابة أو التابعين أو علماء السلف (ﷺ) نراه اما يعرض تلك القوال أو الآراء ويكتفي بذلك ولا يعقب عليها، ولعله في هذه الحالة يعرب عن رضاه عنها، أو نراه يعرضها ويرجح بعضها على بعض، أو يعرض المعنى المقبول ويحذر من المعنى المخالف ذاكرا علة التحذير.

فمن الأول ما أورده عند قوله تعالىچۀ ڤـڤچ[109]، قال: (اختلف المفسرون في معنى (ڤ) على أقوال. فحكى أبو محمد مكي[110]: أنه روي عن النبي (ﷺ): أنه قال ((لي عند ربي عشرة أسماء)) ذكر منها أن((طه)) و((يس)) اسمان له[111]. وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق: أنه أراد ياسيد مخاطبة لنبيه

(ﷺ)[112]. وعن ابن عباس ((يس)) ياانسان.. أراد محمدا (ﷺ)[113]. وقال: هو قسم.. وهو من أسماء الله تعالى[114]. وقال الزجاج: قيل: معناه: يامحمد. وقيل: يارجل وقيل: ياانسان[115]. وعن ابن الحنفية ((يس)) يامحمد[116]...)[117].

ومن الثاني ما ذكره من معنى في قصة زيد (ﷺ) قال تعالى چڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ..چ[118]، قائلا (فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي (ﷺ) عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بأمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين.. وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير[119] عن علي بن الحسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه.. فلما شكاها إليه زيد.. قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله. وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره تمام التزويج واطلاق زيد لها.

ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا چگ گ گ گچ[120]، أي لابد لك أن تتزوجها.. ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها، فدل أنه الذي أخفاه (ﷺ) مما كان أعلمه به تعالى)[121].

ومن الثالث ما ذكره القاضي ردا على من أجاز على الأنبياء الصغائر، مبينا أن الذي أفضى بهم وسبب ذلك احتجاجهم بظواهر كثيرة من القرآن والحديث، إن التزموا ظواهرها أفضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الإجماع، وما لا يقول به مسلم. وقد نظر في تلك الآيات وبين ما يبريء النبي، من ذلك ما ورد في قوله تعالى چچ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎچ[122]، ذكر أنه (أمر لم يتقدم للنبي (ﷺ) فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية.. ولا عده الله تعالى معصية.. بل لم يَعُدَّهُ أهل العلم معاتبة وغلّطوا من ذهب الى ذلك. قال نفطويه: وقد حاشاه الله تعالى من ذلك.. بل كان مخيرا في أمرين.

قالوا: وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي.. فكيف وقد قال الله تعالى: چﭫﭬﭭچ[123] فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سره.. أنه لو لم يأذن لقعدوا وأنه لا حرج فيما فعل. وليس ((عفا)) هنا بمعنى غفر بل قال النبي (ﷺ) ((عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق))[124] ولم تجب عليهم قط. أي لم يلزمكم ذلك، ونحوه للقشيري قال ((وإنما يقول ((العفو)) لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال: ومعنى ((عفا الله عنك)) أي لم يلزمك ذنبا. قال الداودي (روى أنها كانت تكرمة). قال مكي[125] ((هو استفتاح كلام مثل – أصلحك الله– وأعزك)) وحكى السمرقندي ((أن معناه . عافاك الله..)))[126].

وبهذا لا بد من القول أن القاضي عياض لم يكن ناقلا لأقوال العلماء من المفسرين وغيرهم فحسب بل كانت جهوده ظاهرة في ضوء متابعته لمختلف التأويلات والأقوال، بشكل يدل على إحاطة كبيرة بعلوم عديدة، وفي ضوء ترجيحاته ومايبديه ردا على تأويلات البعض وأقوالهم.

المطلب الرابع

تفسيره باللغة

إهتم القاضي عياض في شرحه للشواهد القرآنية بلغة العرب، وذلك لأنها تعينه في توضيح ماأراد بيانه وبيان مقاصده، لذلك فهو يبين معاني المفردات التي تحتاج الى توضيح، فيرجع الى اللغة في توضيحها، وهذا معلم واضح في كتابه، من ذلك ما ذكره في أمر الصلاة على النبي (ﷺ) حيث أعاد لفظة الصلاة الى لسان العرب قائلا: ((والصلاة) في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء[127].. وذلك على الأطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع..)[128].

وقد يذكر المعنى الأصطلاحي ثم يتبعه بالمعنى اللغوي، فعند حديثه عن وجوب مناصحته (ﷺ)،إستشهد بقوله تعالىچﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ

ﮧ ﮨ ﮩچ[129]، إسترسل في حديثه مبينا معنى النصيحة قائلا: (قال الأمام أبو سليمان البستي[130] (النصيحة) كلمة يُعبَّر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعبَّر عنها بكلمة واحدة تحصرها.. ومعناها في اللغة ((الأخلاص)) من قولهم (نصحت العسل) إذا خلصته من شمعه[131]..)[132].

ويعيد الكلمة الى أصلها كما فعل عند حديثه عن قسمه تعالى بعظيم قدر النبي (ﷺ)، في قوله تعالى چﭖﭗﭘﭙﭚچ[133]، بين أصل (العمر) قائلا (وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الأستعمال، ومعناه: وبقائك، وقيل: وحياتك[134]..)[135].

واستشهد بالشعر في التمثيل لتوضيح معنى من المعاني، فعند استفهامه عن قوله سبحانه چﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒچ[136]، ثم قال سبحانه بعدُ عن الرسل: چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙچ[137] قال القاضي: (فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي أنهم إنما يعودون الى ما كانو فيه من ملتهم. فقد تأتي هذه اللفظة من كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء، بمعنى الصيرورة، كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حُمَمًا[138]، ولم يكونوا قبلُ كذلك. ومثله قول الشاعر [139]:

**تلك المكارم لاقعبان لها من لبن		شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا[140]**.

أما بالنسبة للقضايا البلاغية فقد تطرق الى بعض فروعها، من ذلك ما بينه فيما تضمنته سورة الفتح من كرامات النبي (ﷺ) ذكر قوله سبحانه چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖچ[141]، بيعة الرضوان. أي إنما يبايعون الله ببيعتهم أياك. ((يد الله فوق أيديهم)) يريد عند البيعة. قيل قوة الله. وقيل: ثوابه. وقيل: منته. وقيل: عقده. وهذه استعارات وتجنيس في الكلام. وتأكيد لعقد بيعتهم إياه، وعظم شأن المبايَع (ﷺ). وقد يكون من هذا قوله تعالى چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘچ[142]. وإن كان الأول في المجاز، وهذا في باب الحقيقة. لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله، وهو خالق فعله، ورميه، وقدرته

عليه، ومشيئته، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت، حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينه، وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة)[143].

المبحث الثالث
مباحث علوم القرآن
في كتابه (الشفا)

المطلب الأول: أسـبـاب النـزول

المطلب الثـانـي: القـراءات القـرآنـيـة

المطلب الثالث: المكـي والمدنــي

المطلب الرابـع: الإعـجاز القـرآنــي

المطالب الخامس: التفسيرالإشاري

المطلب الأول

أسباب النزول

عالج القاضـي عياض بعض موضوعاته التي تناولها في كتابـه (الشفا) في ضوء ما يستنبطه من الآيات القرآنية مستعينا بسبب النزول . إن وجد . وهو منهج صـحيح معروف عند عامـة المفسرين، والأبتعاد عنـه تعسف فـي التفسير، فمعرفة الواقعة التي نـزل فـي حقها نـص قرآنـي ومعرفة خلفيتها عامل مساعد في فهم ذلك النص.

وفيمـا يـأتي بيـان ذلـك: فعنـد إستشـهاده بقولـه تعـالى چےۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ[144] يشرح القاضـي هذا النص ذاكرا سبب النزول فيقول: (قال علي (ﷺ): قـال أبـو جهـل للنبـي (ﷺ): إنـا لا نكـذبك ولكـن نكـذب بمـا جئـت بـه فـأنزل الله تعالىچۆ ۈ ۈ ۇٴ چ الآيـة[145]. وروي: أن النبـي (ﷺ) لمّا كذبه قومـه حزن فجاءه جبريل عليـه السـلام فقـال: مـا يحزنك؟ قـال: كذبني قومي. قـال: إنهم يعلمـون انـك صـادق. فأنزل الله تعالى الآية)[146].

ويستعرض الأقوال والروايات بشأن نزول الآيـة وإن تعددت تلك الأقوال لقولـه تعالىچ□□□□□□□□□چ[147]، يذكر الأقوال الواردة فيها فيقول (قيل نزلت الآيـة في وفد بني تميم. وقيل في غيرهم[148].. أتوا النبي (ﷺ) فنادَوه.. يامحمد يامحمد: أخرج الينا. فذمهم الله تعالى بالجهل، ووصفهم بأن أكثرهم لايعقلون. وقيل نزلت الآيـة الأولـى فـي محـاورة كانـت بيـن أبـي بكر وعمر بين يدي النبي (ﷺ) واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما[149].

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس خطيب النبي (ﷺ) في مفاخرة بني تميم، وكان في أُذنيه صمم... فكان يرفع صوته. فلما نزلت هذه الآيـة أقام في منزلـه وخشـي أن يكـون حبـط عملـه.. ثم أتـى النبـي (ﷺ) فقـال: يـا نبـي الله، لقد خشيت أن

أكـون هلكـتُ.. نهانـا الله أن نجهـر بـالقول.. وأنـا امـرؤ جهيـر الصـوت. فقـال النبـي (ﷺ): ياثابـت.. أما ترضـى أن تعيش حميدا وتُقتل شـهيدا وتدخل الجنـة.. فقتل يوم اليمامة[150])[151].

ويستشهد بسبب النزول تأييدا لما يستعرضه من معنى، فعند ذكره لمعركة بدر ومـا ورد فـي القرآن بشـأنها بـيّن مـا جـاء مـن معنـى فـي قولـه تعـالى چ□ □ □ □ □□□□□□چ[152]، وهـو أن (الخطـاب لمـن أراد ذلـك مـنهم، وتجـرَّد غرضـه لعـرض الدنيا وحده والإستكثار منها. وليس المراد بهذا النبي (ﷺ) ولا عِلْيَةَ أصحابه بل قد روي عن الضحاك: (أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسَلَب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمرأن يعطف عليهم العدو))[153].

ويورد أحيانا معنى الرواية في سبب النزول دون ذكر الراوي، من ذلك ما ذكره في مقدمة القسم الرابع: فيما يجب من الحقوق للنبي (ﷺ) وما يتعين لـه، قولـه تعـالى فـي تحـريم التعـريض لـه چڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ[154] فيقول: (وذلـك ان اليهـود كـانوا يقولـون ((راعنـا)) يـا محمـد، أي أَرْعِنـا سـمعك واسـمع منـا، ويعرّضـون بالكلمـة يريـدون الرُّعونة)[155].

ولم يكتف القاضـي عياض بذكر المعنى بل بيّن المسوغات الواردة في هذا النهي فقال (نهى الله المؤمنين عن التشبيه بهم، وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لـئلا يَتَوَصَّلَ بهـا الكـافر والمنـافق الـى سبه والأسـتهزاء بـه.. وقيل (بـل لمـا فيهـا مـن مشاركة اللفظ، لأنها عند اليهود بمعنى إسمع لاسمعت) وقيل: (بل لما فيها من قلة الأدب، وعـدم تـوقير النبـي (ﷺ) وتعظيمـه، لأنهـا فـي لغـة الأنصـار بمعنـى (إرعَنـا نرعَك) فنهوا عن ذلك.. إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم.. وهو (ﷺ) واجب الرعاية بكل حال))[156].

بنـاءا علـى مـا تقدم ذكره فـإن القاضـي عيـاض يستعين بأسباب النـزول فـي توضيح معنى النصوص القرآنية، ولايلتزم في ذكره للروايات بمنهج واحد فقد لا يعزو الرواية الى أصحابها تارة إختصارا، وبذكر الراوي تارة أخرى، وبذكر نص الرواية تارة وبذكر معنى الرواية تارة أخرى.

المطلب الثاني

القراءات القرآنية

عنى المفسرون بالقراءات القرآنية وهي (مذهب يذهب اليه إمام من أئمة القرّاء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع إتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها)[157]، وقد إهتم القاضي بالقراءات القرآنية عند شرحه لما يذكر من آيات القرآن الكريم.

من ذلك ذكره قراءة (مَنْ تَحتَها) في قصة مريم عليها السلام بعد ولادتها، من قولـه تعالىچ□□□□□□□□□□چ[158]، فـ(مِن تحتِهـا) قرأت (مَـن تَحتَهـا)[159]، على قول من قال: ان المنادي هو عيسى عليه السلام[160].

وقد سوغ القاضـي لبعض القراءات القرآنية مجيء بعضـها علـى وجهين، وقرأ بهما معا الجمهور، وثبتتا في المصحف، من ذلك ماورد في قوله تعالى چ□ □ □ □ □ . .چ[161] قرأت (نُنْشِرُها)[162].

ويحرص القاضي على ذكر القراءة الشاذة[163] خصوصا إذا خالفت أصلا من العقيدة الأسلامية كتنزيه الأنبياء والملائكة وعصمتهم، فيضعفه ويرد عليه بأدلة معتبـرة نقليـة منهـا وعقليـة، ففـي قصـة هـاروت ومـاروت الـواردة فـي قولـه چ..ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄڃ..چ[164]، بـين أنـه اختلـف فيهمـا، هل هما ملكان أم انسيان؟ وهل هما المراد بالملكين أم لا؟ وهل القراءة (مَلَكَين) أم (مَلِكَين)؟

وضح القاضي أنهما يقولان لمن جاء يطلب بعلم السحر بأن لاتفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه، ولا تتخيلوا بكذا فانـه سحر. فلا تكفروا. فعلى هذا: فعل الملكين طاعة، وتصرفهما فيما أمرا به ليس بمعصية.. وهي لغيرهما فتنة.

ويسترسل قائلا ان قراءة ((الملِكين) بالجر قول مكي: هما جبريل وميكائيل دعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فأكذبهم الله في ذلك چپپٺ ٺٺٺٺ ٿٿ ٿ ٿچ[165]، قيل: هما رجلان تعلماه، قال الحسن: (هاروت وماروت علجان من أهل بابل) وقرأ (وما أُنزل على الملِكين) بكسر اللام، وتكون (ما) إيجابا على هذا، وكذلك قراءة عبد الرحمن أبزى[166] بكسر اللام، ولكنه قال: (الملكان هما داوود وسليمان).. وتكون (ما) نفيا على ما تقدم.. وقيل كانا ملكين من بني اسرئيل فمسخهما الله..

حكاه السمرقندي[167]، والقراءة بكسر اللام شاذة، فمحمل الآية على تقدير أبي محمد مكي حسن.. يُنَزّه الملائكة، ويذهب الرجس عنهم.. ويطهرهم تطهيرا..

وقد وصفهم الله بأنهم چپچ[168] وچڑکچ[169] وچ□□ □□ □ چ[170].

ومايذكرونه: قصة ابليس وأنه كان من الملائكة ورئيسا فيهم، ومن خزّان الجنة.. الى آخر ماحكوه وأنه استثناه من الملائكة بقوله چهھچ[171]، وهذا أيضا لم يتفق عليه، بل الأكثر ينفون ذلك..)[172].

ويذكر القراءة الشاذة وإن لم تخالف أصلا من أصول العقيدة، مبينا علة شذوذها، من ذلك ما ذكره بعد قوله تعالى چۆۈۈۋۋۅ ۅچ[173] من قراءة شاذة بعد أن بين معنى الآية، وهي (وهو أبٌ لهم)، وذكر بأنها قراءة شاذة ولا يقرأ به الآن، لمخالفته المصحف المبارك[174].

المطلب الثالث

المكي والمدني

ذهب كثير من المفسرين الى ذكر المكي في تفاسيرهم عند بداية السورة القرآنية، فيقول أحدهم في سورة الطور مثلا: (تفسير سورة الطور مكية وآيها تسع وأربعون)، أما القاضي عياض فلم يكن كتابه (الشفا) مخصصا لتفسير القرآن الكريم بل كان في السيرة النبوية ؛ لذلك لا نجد اهتمامه واضحا كما هو الحال عند المفسرين ـ في بداية السورة . لأختلاف المنهجية في الطرح بين المادتين إلا بعد قراءته قراءة إستقرائية.

إن من يقرأ هذا الكتاب يجد أن مؤلفه عنى بذكر المكي والمدني عند شرحه للآيات القرآنية المباركة، فعند ذكره قوله تعالى في حق رسوله (ﷺ) چ□□ □ □□□چ[175]، يقول: (أي ما كنت بمكة، فلما خرج النبي (ﷺ) من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل: چ□□ □ □ □ □چ[176]... فلما هاجر المؤمنون نزلت: چٱ ٻ ٻ ٻچ[177]... وهذا من أبين ما يُظهر مكانته (ﷺ) ودرأته العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم، فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم، وغلبتهم إياهم...)[178].

لم يكتف القاضي بذكر كون الآية أو السورة مكية أو مدنية بل يرجح معنى من المعاني مستندا على زمان نزول السورة، فقد عرض الأقوال في المراد بـ(البلد) من قوله تعالى چچچچ.چچچچ[179]، فمنهم من ذهب الى أنه مكة، ومنهم من ذهب الى أنه المدينة، عرض القاضي المعنيين في الآية ثم رجح أحدهما مستندا الى السورة ذاتها فيقول: ((لاأقسم) به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه. حكاه مكي. وقيل (لا) زائدة. أي أقسم به وأنت به يامحمد (حلال) أو (حل) لك مافعلت فيه. على التفسيرين. والمراد بـ(البلد) عند هؤلاء مكة. وقال الواسطي[180]: أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا، يعني المدينة. والأول أصح، لأن السورة مكية ومابعده يصححه قوله تعالى چچچچ[181])[182].

المطلب الرابع
الأعجاز القرآني

يعد القاضي عياض من علماء القرن السادس الهجري الذين تكلموا في قضية إعجاز القرآن الكريم، مع غيره من العلماء أمثال ابن عطية والزمخشري.. وغيرهم، فقد ذكر في كتابه (الشفا) أمورا كثيرة مما عده البعض وجوها للإعجاز، لكنه حصر الإعجاز من جهة ضبط أنواعه في أربعة وجوه هي[183]:

1- حسن تأليفه، والتآم كلمه، وفصاحة وجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب. وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام.. قد خصُّوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من دراية اللسان ما لم يُؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيّد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخِلقةً، وفيهم غريزة وقوة..
2- صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه.. ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.. ولااستطاع أحد مماثلة شيء فيه منه بل حارت فيه عقولهم.. وتدلهت دونه أحلامهم.. ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم.. من نثر، أو نظم، أوسجع، أو رجز، أو شعر..
3- ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات ومن لم يكن ولم يقع كما ورد على الوجه الذي أخبر. كقوله تعالى چۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋچ[184].
4- ما أنبأنا به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك.

ويبدوا في ضوء عرض هذه الوجوه أن القاضي عياض متفق مع ما ذكره أبو بكر الباقلاني (ت403هـ) وأصحابه في وجوه الإعجاز، فقد جعلوا تلك الوجوه من جهات ثلاث هي(1. أخبار الغيب. 2. الاخبار عن الأمم الماضية. 3. نظمه البديع).، وكان الوجه الثالث (نظمه البديع) هو الوجه الذي أطال الباقلاني شرحه وتوضيحه وبيان معانيه في كتابه (اعجاز القرآن)[185]، وهذا النظم يمثل الوجه الأول والثاني عند القاضي عياض.

وبعد حصره وجوه الإعجاز فيما ذكر أضاف وجوها ثلاثة أخرى بيّنها في إعجازه من غير تلك الوجوه[186] وهي:

أ- تعجيز قوم في قضايا ذكرتها آيات بينات، وإعلامهم أنهم لايغفلونها، فما فعلوا ولم يقدروا على ذلك، كقوله تعالى لليهود: چٱٻٻٻ ٻپ پپپ پ پپپ ٺ ٺ ٺچ[187]، بيّن سبحانه أنهم لايتمنون الموت أبدا، فلم يتمنّه أحد منهم، بل كانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا، فثبتت بذلك المعجزة.

ب- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وأناقة خطره.

ج- كون القرآن آية باقية لاتعدم ما بقية الدنيا.. مع تكفل الله تعالى بحفظه.

هذه هي وجوه الإعجاز عند القاضي عياض، وهناك وجوه أخرى ذكرها جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة، ذكر بعضها في كتابه (الشفا)[188] وهي أمور لايعارض القاضي في أن تكون وجوها أخرى للأعجاز.

المطلب الخامس

التفسير الإشاري

يُذكر أن القاضي عياض كان عالماً عاملًا مجتهداً صوّاماً قوّاماً، يقوم ثلث الليل الأخير لجزء من القرآن، لم يترك ذلك قط على أية حال حتى يغلب عليه، متديناً متورعاً، متواضعاً متشرعاً محباً للصالحين[189] مكثراً من ذكر أخبارهم وسيرهم، وكان مكثراً من ذكر أقوال الصوفية وأخبارهم، وقد كان يتبع أقوال الصحابة والتابعين غالبا

بالنقل عنهم في مواضع كثيرة، وينقل عن كثير من أهل الصوفية ومشايخهم، وممن نقل عنهم: سهل بن عبد الله التُستَري[190]، والجنيد البغدادي[191]، وأبوبكر الواسطي[192]، وأبوعبد الرحمن السلمي[193]... وغيرهم.

وللتوضيح لابد من ذكر مثال على ذلك وهو ما نقله عند شرحه لقول الله تعالى: چہھھھ ھےےۓ ۓڭ ڭڭۇ ۆ ۆ ۈ ۇٴۋۋۅۅ ۉۉې ې ې ې ى ىيي چ[194]، فيقول: (قال كعب الأحبار وابن جبير: المراد بالنور الثاني هنا محمد (ﷺ)، (مثل نوره) أي نور محمد (ﷺ)، وقال سهل بن عبد الله: المعنى: الله هادي أهل السموات والأرض. ثم قال: مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب، (كمشكاة) صفتها كذا... وأراد بـ(المصباح) قلبه، (الزجاجة) صدره... أي كأنه كوكب دري لما فيه من الأيمان والحكمة (يوقد من شجرة مباركة) أي من نور إبراهيم عليه السلام. وضرب المثل بالشجرة المباركة...)[195].

والتفسير الإشاري هو (تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة)[196]، وقد وضع العلماء شروطا لقبول هذا التفسير وهي[197]:

1- أن لا يكون منافيا للظاهر من النظم القرآني الكريم.
2- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.
3- أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
4- ألا يدعي أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر.

وقد نقل القاضي عياض عن الصوفية بعضا من تفسيراتهم الإشارية، من ذلك ما ذكره عند تعرضه لقوله تعالىچ ى ييچ[198]، قال في معنى (الفضل العظيم): (قيل: (فضله العظيم) بالنبوة. وقيل: بما سبق له في الأزل. وأشار الواسطي الى أنها إشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه السلام)[199].

ولا يفوتني أن أذكر في هذا المطلب أن القاضي عياض . رحمه الله تعالى . لم يكثر من تلك التفسيرات الإشارية، بل تعرض لها بقدر محدود.

الخاتمة:

خرج الباحث ببعض النتائج، وفيما يأتي بيان أهمها:

1- ان القاضي عياض اليحصبي السبتي المالكي هو أحد أبرز وجوه المغرب الفكرية، امتاز بفضائل كثيرة منها ذكاؤه الحاد وفطنته، وحرصه على طلب العلم، وسرعة حفظه، مع التزامه وحبه للعبادة فكان عابدا صوّاما قوّاما ورعا متواضعا.

2- بلغ القاضي عياض منزلة عظيمة، فكان الإمام، العلامة، الحافظ، إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وعلومه، فقيها، أصوليا، عاما بالنحو، واللغة، وكلام العرب وأيامهم، وأنسابهم، بصيرا بالأحكام لمذهب الإمام مالك.

3- كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) ليس كتابا في تفسير القرآن الكريم، فلم يُعثر للقاضي مؤلَف مستقل في تفسير كتاب الله تعالى، لكن هذا الكتاب في السيرة النبوية، وهو غني في التفسير، وذلك في ضوء فهم مؤلِفه للآيات القرآنية التي ذكرها، فالقاضي يذكر الآية ويشرح ماستشهد به منها شرحا وافيا.

4- سار القاضي عياض على منهج أسلافه من علماء الأمة في تفسير كتاب الله تعالى

5- إعتمد القاضي في شرحه للآيات القرآنية على تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم (ﷺ) جميعا وتفسير القرآن بما وردفي لغة العرب.

6- لم تكن مهمة القاضي في كتابه (الشفا) نقل أقوال العلماء من المفسرين وغيرهم فحسب، بل كانت جهوده ظاهرة في ضوء متابعته لمختلف التأويلات والأقوال والرد عليها، وفي ضوء ترجيحاته التي ذكرها بشكل يدل على إحاطة كبيرة بمختلف العلوم الشرعية.

7- عنى القاضي بمسائل علوم القرآن في شرحه للآيات القرآنية، من ذلك: أسباب النزول، القراءات القرآنية وتوجيهها، المكي والمدني، الإعجاز القرآني...

8- تكلم القاضي في مسألة وجوه إعجاز القرآن الكريم في كتابه (الشفا)، وقد كان قريب الرؤى من رأي أبي بكر الباقلاني وأصحابه في تلك الوجوه.

والله تعالى أسأل أن تجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(1) ينظر: اللباب في تهذيب الانساب، 407/3، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص494، وسير أعلام النبلاء، 212/20-213، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 138/4.

(2) ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص168، وشذرات الذهب، 138/4، والبداية والنهاية، 225/12.

(3) ينظر: القاضي عياض عالم المغرب ص37.

(4) المصدر نفسه ص37، نقلا عن كتاب (التعريف بالقاضي عياض، لولده محمد، ص5).

(5) ينظر: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ص494-496، والقاضي عياض عالم المغرب ص76.

(6) شذرات الذهب في أخبار من ذهب 139/4.

(7) ينظر: الديباج المذهب ص168.

(8) ينظر: الديباج المذهب، ص 168ـ171، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 285/5ـ286، والبداية والنهاية 225/12.

(9) ينظر: الديباج المذهب ص169، والبداية والنهاية 225/12.

(10) اختيار هؤلاء الشوخ كان تبعا لمكان الأخذ عنهم، فمنهم من أخذ عنه في سبتة، ومنهم في قرطبة، ومنهم في مرسية، ومنهم في اشبيلية.

(11) الغنية، ص10-15.

(12) المصدر نفسه ص24.

(13) المصدر نفسه ص 110-111.

(14) ينظر: المصدر نفسه 75.

(15) ينظر: المصدر نفسه 99.

(16) الديباج المذهب ص47، والقاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ص169–170.

(17) القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ص171–172.

(18) المصدر نفسه ص172.

(19) الديباج المذهب ص 50.

(20) مقدمة كتاب: إكمال المعلم بفوائد مسلم، 78/1.

(21) ينظر: الديباج المذهب ص 169، والقاضي عياض عالم المغرب ص 168.167.

(22) ينظر: شذرات الذهب 138/4، والقاضي عياض عالم المغرب 165.161.

(23) تاريخ ابن خلدون، 307/6.

(24) ينظر: الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 115/2.

(25) ينظر: إكمال المعلم 23/1.

(26) ينظر: الديباج المذهب ص 171.

(27) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 133/2. 134.

(28) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ص 308.

(29) الديباج المذهب ص 170.

(30) سير أعلام النبلاء 20 /214.

(31) ينظر: الديباج المذهب 170، والنجوم الزاهرة 286/5، وكشف الظنون 158/1.

(32) ينظر: الديباج المذهب ص 170، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 493/1.

(33) ينظر: النجوم الزاهرة 286/5، وسير أعلام النبلاء 214/20.

(34) ينظر: الديباج المذهب ص 171، والنجوم الزاهرة 286/5.

(35) ينظر: الكامل في التاريخ, 329/8. والقاضي عياض عالم المغرب وامام أهل الحديث في وقته, ص16.

(36) ينظر: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي, ص 214. والقاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ص90 . 91.

(37) ينظر: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 230–231.

(38) ينظر: المصدر نفسه ص 233. 235.

(39) ينظر: القاضي عياض عالم المغرب ص22.

(40) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى, 196/1. والقاضي عياض عالم المغرب, ص22–23.

(41) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين, ص278.

(42) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 115/2.

(43) القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ص195.

(44) مقدمة كتاب (الشفا) 28/1.

(45) ينظر: القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث ص155. ويبدو أن الحلف على كتاب (الشفا) . إن ثبتت صحته . لم يكن في حياة القاضي عياض، والحلف المقبول عند أهل السنة والجماعة يجب أن يكون باسم الله أو صفة من صفاته سبحانه قال سيدنا محمد (ﷺ) في الحديث الصحيح: (إن الله ينهاكم أن

تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم 1646، 1267/3.

(46) ينظر: تفسير القرآن العظيم 3/1.

(47) الانبياء/107.

(48) الجمعة/ من الآية 2.

(49) المائدة / من الآية 16.

(50) التوبة/ من الآية 128.

(51) الشفا 451/1.

(52) الأنعام/ من الآية 114.

(53) الأنعام/ من الآية 114.

(54) الشفا 236/2.

(55) التغابن/ من الآية 8.

(56) الأعراف/ من الآية 158.

(57) الفتح /13.

(58) ينظر: الشفا 2 /9.

(59) النساء/ من الآية 113.

(60) البقرة / من الآية 151.

(61) ينظر: الشفا466/1.

(62) يونس/ من الآية 94.

(63) الزمر/ من الآية 65.

(64) هود/ من الآية 109.

(65) الفرقان/ من الآية 59.

(66) الشفا 234/2.

(67) الفتح /29.

(68) التوبة / من الآية 100.

(69) الفتح/ من الآية 18.

(70) الأحزاب/ من الآية 23.

(71) الشفا 116/2 . 117.

(72) القاضي عياض عالم المغرب ص 218.

(73) سورة النحل /44.

(74) الأنفال /33.

(75) الشفا 118/1، والحديث أخرجه الترمذي في: سنن الترمذي، 270/5، وقال عنه: (هذا حديث غريب).

(76) يوسف/ من الآية 42.

(77) أخرج هذا الحديث ابن حبان في صحيحه بسنده عن أبي هريرة (ﷺ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، رقم 6206، 86/14، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس . رضي الله عنهما . في: المعجم الكبير، 249/11، رقم11640.

(78) الشفا 388/2.

(79) القمر /1. 2.

(80) أخرج الحديث بهذا السند الأمام البخاري في: صحيح البخاري، رقم 3655، 1404/3.

(81) أخرج الحديث الأمام مسلم في: صحيح مسلم، رقم 2802، 2159/4.

(82) القمر /1. وأخرج هذا الحديث الأمام مسلم في: صحيح مسلم، رقم 2802، 1404/3.

(83) أخرج هذا الحديث ابن حبان في: صحيح ابن حبان، رقم 6497، 14 /422.

(84) أخرج هذا الحديث الأمام البخاري في صحيحه، رقم 3657، 3/ 1403.

(85) أخرجه الأمام مسلم في صحيحه، رقم 2801، 2159.

(86) أخرجه الأمام البخاري في صحيحه، رقم 3656، 1404/3.

(87) الشفا 546/1 .547.

(88) الأسراء /79.

(89) أخرجه الأمام أحمد في: مسند الأمام أحمد، رقم 9696، 296/9، وقال عنه: إسناده ضعيف لأجل داود الزعافري، والحديث صحيح أخرج أصله البخاري في التفسير رقم 4719، 399/8.والحديث في نسخة البخاري التي اعتمدها الباحث برقم 7002، 2708/6.

(90) أخرجه الحاكم في: المستدرك على الصحيحين، رقم 3383، 395/2، وقال عنه بأنه (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وأخرجه الأمام أحمد في مسنده، بلفظ (يبعث) بدل (يحشر)، رقم 5723، 309/12، إسناده صحيح.

(91) ينظر: الشفا 418/1 . 433.

(92) الأسراء/ من الآية 1.

(93) النجم/1.

(94) النجم /17.

(95) أخرجه الأمام مسلم في صحيحه، رقم 162، 145/1.

(96) ينظر: الشفا 346.344/1.

(97) ينظر: مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ)، ص 248.

(98) الحسين بن محمد شوّاظ الرئيس السابق لقسم الدراسات الأسلامية، ورئيس قسم البحوث والترجمة في معهد العلوم الأسلامية والعربية في أمريكا. القاضي عياض عالم المغرب ص 14.

(99) ينظر: القاضي عياض عالم المغرب ص 220 . 221.

(100) الكهف/ من الآية 82.

(101) الشفا 340/1. وأخرج هذا الأثر الامام القرطبي في: الجامع لأحكام القرآن، 11 / 38.

(102) القلم/ من الآية 4.

(103) أخرجه البيهقي بلفظ (لرضاه) بدل (برضاه)، و(لسخطه) بدل (بسخطه) في: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، 310.309/1.

(104) أخرجه الامام أحمد في مسنده بلفظ (صالح) بدل (مكارم)، رقم 8932، 56/9. اسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك بهذا اللفظ أيضا، رقم4221، 670/2، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(105) الحديث أخرجه الأمام البخاري في صحيحه، رقم 5850، 2291/5. والأمام مسلم في صحيحه، رقم 659، 475/1، ورقم 2150، 1693/3.

(106) الشفا 207/1.

(107) يونس/ من الآية 2.

(108) الشفا 77/1 . 78.

(109) يس /1 . 2.

(110) هو العلامة المقرىء أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم القرطبي، كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، توفي سنة (437هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء 17 /591 . 593.

(111) أخرج هذه الرواية الإمام السيوطي في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وعزاه الى ابن مردويه عن أبي الطفيل، 551/5.

(112) أخرجه ابو عبد الرحمن السلمي في: حقائق التفسير، 2/ 271.

(113) أخرج هذا الأثر الإمام الطبري في: جامع البيان، 22/ 148.

(114) أخرج هذا الأثر أيضا الإمام الطبري في: جامع البيان، 22/ 148.

(115) أخرج هذين الأثرين الإمام البيهقي في: دلائل النبوة، 1/ 159. 160.

(116) أخرج هذا الأثرأيضا الإمام البيهقي في: دلائل النبوة، 1/ 158.

(117) الشفا 88/1 . 89.

(118) الأحزاب/ من الآية 37.

(119) ينظر: المحررالوجيز، 386/4. وتفسير القرآن العظيم، 492/3، والدر المنثور، 614/1 . 615.

(120) الأحزاب/ من الآية 37.

(121) الشفا 425/2 . 428.

(122) التوبة /43.

(123) النور/ من الآية 62.

(124) أخرجه البزار في: مسند البزار، رقم 840، 75/3. وقد أخرج الحديث أيضا الأمام أحمد في مسنده بأسانيد مختلفة عن سيدنا علي (ﷺ)، بعبارة (عفوت) بدل (عفا الله لكم)، رقم 1266، و1268، 148/1.

(125) سبقت ترجمته ينظر: هامش رقم (110).

(126) الشفا 360/2 . 361.

(127) لسان العرب، مادة (صلا)، 465/14.

(128) الشفا 188/2.

(129) التوبة / من الآية 91.

(130) هو الامام الحافظ اللغوي أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف، توفي ببست سنة (388 هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء، 37/17.

(131) معجم مقاييس اللغة 5 /435.

(132) الشفا 72/2.

(133) الحجر /72.

(134) معجم مقاييس اللغة 4 /140.

(135) الشفا 86/1.

(136) ابراهيم/ من الآية 13.

(137) الأعراف /89.

(138) أخرجه البخاري في: صحيح البخاري، رقم 6192، 2400/5. ومسلم في: صحيح مسلم رقم 183، ص 167 . 170.

(139) الشاعر هو أمية بن أبي الصلت من قصيدة يمدح فيها سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة، والبيت في: ديوان أمية بن أبي الصلت، ص 179.

(140) الشفا 261/2. 262.

(141) الفتح/ من الآية 10.

(142) الأنفال/ من الآية 17.

(143) الشفا 126/1. 127.

(144) الأنعام/ 33.

(145) أخرجه الترمذي في: سنن الترمذي، رقم 3064، 261/5. وأخرجه الحاكم في: المستدرك على الصحيحين، رقم 3230، 2/ 345، وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(146) الشفا 82/1.

(147) الحجرات/ 4.

(148) كما في: السيرة النبوية، لابن هشام، 5 / 250 . 259.

(149) أخرجه البخاري في: صحيح البخاري، رقم 4566، 4 / 1834.

(150) كما في: المستدرك على الصحيحين، رقم 5034، 260/3، وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(151) الشفا 82/2 . 83.

(152) الأنفال/ من الآية 67.

(153) الشفا 362/2.

(154) البقرة /104.

(155) الشفا 468/2.

(156) المصدر نفسه 468/2.

(157) مناهل العرفان في علوم القرآن، 405/1.

(158) مريم /24.

(159) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر بفتح ميم(من)، وقرأ الباقون بكسرها، ينظر: التيسير في القراءات السبع، 148/1.

(160) ينظر: الشفا، 209/1. وهو قول أبي بن كعب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، ووهب بن منبه، ينظر: جامع البيان 68/16.

(161) البقرة/ من الآية 259.

(162) ينظر: الشفا 209/1. وقراءة الكوفيين وابن عامر بالزاي والباقون بالراء،التيسير في الفراءات السبع 82/1.

(163) القراءة الشاذة: هي القراءة التي فقد فيها شرط من الشروط الثلاثة للقراءة الصحيحة وهي: موافقة العربية ولو بوجه، وموافقة المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحة السند، ينظر: النشر في القراءات العشر، 1418هـ .1998م، 15/1.

(164) البقرة/ من الآية 102.

(165) البقرة/ من الآية 102.

(166) هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي، مولى نافع بن عبد الحارث، ونقل أن عليا استعمله على خراسان، عاش الى نيف وسبعين، ينظر: سير أعلام النبلاء 202/3.

(167) هو أبو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الحنفي صاحب التصانيف الجليلة، توفي سنة (350هـ)، ينظر: المصدر نفسه 16/ 322.

(168) الواقعة/ من الآية 79.

(169) عبس/ من الآية 16.

(170) التحريم / من الآية 6.

(171) البقرة/ **من الآية24**.

(172) الشفا 402/2 . 404.

(173) الأحزاب/ من الآية 6.

(174) ينظر: الشفا 1 /134 .135.
(175) الأنفال/ من الآية 33.
(176) الأنفال / من الآية 33.
(177) الأنفال / من الآية 34.
(178) الشفا 117/1 . 118.
(179) البلد /1. 2.
(180) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، من أصحاب الجنيد، ومن علماء مشايخ الصوفية، أصله من فرغانة، وكان يعرف بابن الفرغاني، توفي بعد سنة (320هـ)، طبقات الصوفية، 10 /231.
(181) البلد / من الآية الثانية.
(182) الشفا 1 /91.
(183) وجوه الإعجاز والحديث عنها ينظر: الشفا 500/1 . 522.
(184) الفتح / من الآية 27.
(185) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص13 وما بعدها.
(186) ينظر: الشفا 526/1 . 533.
(187) البقرة /94.
(188) ينظر: الشفا 1 / 535 . 543.
(189) ينظر: القاضي عياض عالم المغرب، ص 45، نقلا عن كتاب (التعريف بالقاضي عياض، ص 6).
(190) أبو محمد سهل بن عبد الله التُستَري الصوفي الزاهد أحد أئمة القوم وعلمائهم، ولد بمدينة (تُستَر) وإليه ترجع نسبته، توفي في المحرم سنة (283هـ)، ينظر: طبقات الصوفية 167/1.

(191) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي القواريري نسبة لبيع والده الزجاج، من أئمة الصوفية وسادتهم، أتقن العلم وتعبد ونطق بالحكمة، توفي سنة (297هـ) وقيل غير ذلك، ينظر:المصدر نفسه 129/1.
(192) سبقت ترجمته، ينظر الهامش رقم (179).
(193) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي، الامام الحافظ شيخ خراسان وكبير الصوفية، صاحب التصانيف، توفي سنة (412هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء 17 / 247.
(194) النور / 35.
(195) الشفا 1/ 58 . 59.
(196) التفسير والمفسرون، للذهبي، 238/2.
(197) المصدر نفسه 256/2، 257.
(198) النساء /113.
(199) الشفا 135/1.

المصادر والمراجع:

1- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى اسماعيل، دار الوفاء، المنصورة . مصر، ط 2، 1425هـ . 2004م.
2- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصر، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، 1418هـ 1997م.
3- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر،1982م.
4- البداية والنهاية، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 771 هـ)، مكتبة المعارف، بيروت . لبنان.
5- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحظرمي (ت808هـ)، دار القلم، بيروت، ط 5، 1948م.
6- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي، د.علي محمد الصابوني، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط1، 1426هـ . 2005م.
7- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي الدمشقي (ت771هـ)، مؤسسة المختار، مصر الجديدة، ط3، 1423هـ . 2002م.
8- التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1.
9- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو الداني (ت444هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1404هـ . 1984م.
10- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت311هـ)، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
11- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، دار الشعب، القاهرة.

12- حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت412هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط 1، 1421هـ . 2001م.
13- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، دار الفكر. بيروت، 1993م.
14- دلائل الشريعة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، مؤسسة البراق.
15- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي (ت799هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.
16- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق وشرح: د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.
17- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت179هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
18- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ.
19- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت213هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ.
20- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي(ت1089هـ)، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ.

21- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (ت544هـ)، تحقيق: محمد قره علي،وآخرون، دار الفيحاء، عمّان، ط2، 1407هـ . 1986م.
22- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي (ت354هـ)، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ . 1993م.
23- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت 256هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ . 1987م.
24- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
25- طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ . 1998م.
26- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق: سليمان بن صالح، السعودية، ط1، 1417هـ . 1997م.
27- الغنية، وهي فهرست شيوخ القاضي عياض، القاضي عياض، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423هـ . 2003م.
28- القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، د.الحسين بن محمد شوّاط، دار القلم، دمشق . سوريا، ط1، 1419هـ . 1999م.
29- القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، د. البشير علي حمد الترابي، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، ط1، 1418هـ . 1997م.

30- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط2، 1415هـ.
31- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت1067هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ . 1992م.
32- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630هـ)، دار صادر، بيروت . لبنان، 1400هـ .1980م.
33- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط 1.
34- المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية . لبنان، ط1، 1413هـ . 1993م.
35- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ .1990م.
36- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، شرحه ووضع فهارسه: حمزة أحمد الزين، ط 1، دار الحديث . القاهرة، 1995م.
37- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت292هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت . المدينة، ط1، 1409هـ.
38- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين، محمد عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ط1، 1368هـ.

اثر استراتيجيات الذكاءات المتعددة في اكتساب المفاهيم النحوية وتنمية التفكير الإبداعي لدى طلاب الصف الرابع العلمي

د.نضال مزاحم رشيد
جامعة تكريت/كلية التربية

الفصل الاول

التعريف بالبحث

مشكلة البحث:

على الرغم من التقدم الحاصل في مجال طرائق التدريس فان تعليمنا في كافة مراحله لا سيما في المرحلة الإعدادية بحاجة ماسة إلى التطوير من خلال بحث فاعلية طرائق ونماذج واستراتيجيات تعليمية حديثة قد يكون لها اثر فاعل وملموس في التقدم العلمي والتقني، وتحقيق الاهداف التربوية المنشودة، ومنها اكساب الطلاب المفاهيم النحوية وتنمية التفكير ولا سيما الابداعي.

ان تدريس المفاهيم النحوية يتم بشكل عارض وليس مقصودا، حيث يجعل من الدرس يتمحور حول الحقائق، و يجعل من دور المتعلم دورا سلبيا اذ يكون دوره هو دور المتعلم المتلقي فقط، وهذا يؤدي بدوره الى تدني مستويات التحصيل في هذه المادة الدراسية.

كما وجد الباحث من خلال ملاحظاته وخبرته في مجال التدريس ان هناك تاكيدا متزايدا على الاهتمام بالمستويات الدنيا من العمليات العقلية كالتذكر والفهم والتطبيق وقلة التركيز على تنمية تفكير الطلبة، وهذا قد يعزى الى اسباب عدة من اهمها هو طرائق التدريس المستخدمة، وقلة الوقت المخصص للتدريس، وعدم كفايته

39- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، أبو عبد الله محمد عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت659هـ)، دار صادر، بيروت . لبنان، 1885م.
40- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، 1404هـ . 1983م.
41- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،بيروت . لبنان، ط2، 1429هـ . 2008م.
42- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ)، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: الشيخ سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية- دار الجنان، بيروت . لبنان، ط 1،1408هـ . 1988م.
43- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط3.
44- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت874هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
45- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (833هـ)، تقديم: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ . 1998م.

لتغطية جميع مفردات المنهج المقرر للمادة بالشكل الأمثل، والارتقاء بالمستوى العلمي للطلبة، وقلة استخدام المدرسين والمدرسات للتقنيات التعليمية الحديثة، وعدم التاكيد على زيادة دافعيتهم نحو هذه المادة، وقد وجد الباحث انه من الممكن استعمال بعض الاستراتيجيات الحديثة ومنها استراتيجية الذكاءات المتعددة، كمحاولة لتنمية التفكير الابداعي لدى الطلبة وغيره من انواع التفكير.

اهمية البحث:

ان اللغة اداة مهمة من ادوات التعليم والتعلم، فقد اسهمت في نقل المعرفة من امة الى امة ومن طبقة الى طبقة على تباعد الامكنة والازمنة ومن هنا كانت آية من آيات الله تعالى, فبوساطتها يستطيع الانسان التفاهم مع غيره من افراد المجتمع ونقل افكاره الى غيره ممن يتعامل معهم، وهي وسيلة الفهم والافهام بين الفرد والمجتمع، لانها اداة الفرد اذا اراد التأثير في الآخرين وأداته حين يحاول اقناع غيره في مجالات المناقشة وتبادل الرأي(ابراهيم،1968،43) (سلمان،14،1991).

واما اللغة العربية فهي عون كبير للطلبة على الرقي، وعدة صالحة توجههم الى النجاح حتى يتعرفوا تجارب الماضين ويقفوا على أخبارهم والاتعاظ بحوادثهم (سمك، 1975، ص 63).

ويرى بعض المربين ان تدريس قواعد اللغة العربية أصبح ضرورياً جداً لان لها تراكيب خاصة وطبيعة خاصة ليست كبقية اللغات، فهي بما فيها من قواعد نحوية وصرفية كثيرة تدعو الى ضبط اللسان عند الكلام وضبط القلم عند الكتابة (الجومرد، 1962، 165−166).

ان تعلم القواعد يوقف الطلبة على اوضاع اللغة وصيغها وذلك لان القواعد وصف علمي لتلك الاوضاع والصيغ وبيان التغيرات التي تطرأ على الالفاظ وتعين

على فهم التراكيب الغامضة المعقدة وتوضح اسباب غموضها (خليل ونعمة، 1966، 121).

ولقواعد اللغة العربية اهداف تربوية اذ تساعد على تنمية الثروة اللغوية وعلى صقل الاذواق الادبية من خلال وقوف الطلبة على الامثلة والشواهد والاساليب الجيدة والتراكيب الصحيحة وتساعدهم على ترتيب المعلومات اللغوية وتنظيمها في اذهانهم فضلا عن انها تنمي في نفوسهم دقة الملاحظة وتربي فيهم صحة الحكم (الكرباسي، 1971، 91).

يعد التنوع بأساليب التدريس من القضايا الجديدة المهمة منذ أواخر القرن السابق، نظراً لما كشفته البحوث التربوية في مجال علم النفس من الاختلافات بين الطلبة في نوعية الذكاءات واختلاف الطلبة في أساليب تعلمهم. وقد يشعر الطلبة بالملل من طريقة تدريس واحدة تقليدية تعتمد على التكرار أو على اسلوب المحاضرة فقط، ومن هنا اجتهد علماء النفس في تطوير استراتيجيات تعليم مختلفة تقابل ذلك الاختلاف في أساليب تعلمهم. ومن بين أساليب التدريس الجديدة ظهر أسلوب التدريس وفقاً لنظرية الذكاءات المتعددة لـ (هوارد جاردنر). وقد أنشأ مكتب التربية بالولايات المتحدة مشروع وطني لما يقارب الأربعين مدرسة تبنى فيه فلسفة تلك النظرية وطرق تدريسها ومن بين النتائج التي أثبتت فاعليتها هو رفع مستوى الدافعية لدى التلاميذ في التعلم، وتعزيز مشاركة أولياء الأمور في المدرسة كذلك ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة. ولا تزال العديد من المدارس تعتمد بشكل كبير على أسلوب المحاضرة والتلقين، .(Moretto , 2000: 52).

يعدّ بناء الإنسان وتنمية قدراته العقلية الهدف الرئيس للعملية التعليمية في أية دولة من دول العالم المتقدم والنامي، ويقاس تقدم أية دولة من دول العالم بمقدار قدرتها على تنمية عقول أبنائها، والعمل على استثمارها بحيث تصبح قادرة على

التعامل والتفاعل الإيجابي البناء مع متغيرات العصر، وبما يخدم التوجهات التنموية في الدولة، وعلى ذلك اصبح العمل على تنمية العقول وتطويرها أهمية كبيرة، وبات النجاح في هذا المجال أساس التقدم، والترقي في مختلف دول العالم المتقدم والنامي. وما البحوث والدراسات التي يسعى إليها الدارسون والباحثون في هذه الدول، والمؤتمرات التي تعقد في الخارج والداخل، إلاّ لهدف العمل والبحث والدراسة لتحديد السبل التي يمكن أن تسهم في تنمية تلك العقول وتطويرها. لذا يمكن القول إنه يجب أن يسعى التعليم إلى مساعدة الطلبة على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم العلمية، وقدراتهم العقلية وميولهم إلى تنمية مهارات التفكير –على وجه العموم– لديهم، ويكون ذلك من خلال بناء مناهج جيدة، ومعالم قادرة على وضع استراتيجيات، وخطط تدريسية فاعلة بصفة عامة (الحيلة، 2001، 161–162).

يرجع الاهتمام بدراسة التفكير الإبداعي إلى تعقد المجتمع المعاصر الذي يتطلب عدداً كبيراً من المتخصصين القادرين على حل المشكلات التي تتطلب تفكيراً إبداعياً. ولقد أشار (جيلفورد) إلى الحاجة الكبيرة لكوادر تملك المواهب المبدعة بتأكيده على القيمة الاقتصادية الضخمة للأفكار الجديدة، وعلى ضرورة تمييز أولئك الذين يَكمن فيهم القدرة من الجنسين، على توظيف الفكر الإبداعي والوصول إلى اختراعات نافعة للمجتمع، وقد ترتب على ذلك أن تنبه علماء النفس والعلوم الإنسانية إلى أهمية هذه الظاهرة ودراستها، لذلك لم يقتصر الاهتمام على المستوى النظري والمنهجي فحسب،وإنما امتد ليشمل المستوى التطبيقي العملي.(قطامي، 1996، 98)

ومما لاشك فيه، أن التفكير الإبداعي أصبح الآن اللغة السائدة لعصر الحديث (العصر المعلوماتي)، اذ انتقل اهتمام علماء النفس من دراسة الشخص الذكي إلى دراسة الشخص المبتكر والعوامل التي تسهم في إبتكاريته، كما تحول الاهتمام من التعليم التلقيني الذي يعتمد حشو المعلومات إلى التعلم الإبداعي الذي يعتمد على تعلم

التفكير، وطرق مواجهة المشكلات، وتقديم الحلول الابتكارية لها وذلك لما لقدرات التفكير الابداعي من دور مهم في تطوير المجتمع الحديث وازدهاره وما يمكن أن يتولد عن هذه القدرات من أفكار أصيلة وحلول جديدة للمشكلات اليومية للأفراد والمجتمع، وهذا ما أكده كثير من علماء النفس في مجال التفكير الابداعي منهم (Mitchell 1983)(Guilford 1975)(Torrance 1997)(أديبي، 2001، 82).

وأشار (الدباغ، 2001) أن في عصرنا الحالي أصبحت الحاجة ملحة لمزيد من الباحثين والعلماء والتقنيين المبدعين، والطلب والرغبة في الحصول على المبدعين أمر يتعاظم يوماً بعد آخر، والقطاع الخاص أو العام بحاجة إلى العلماء والمخترعين والمهندسين المبدعين وذوي الخبرة الإدارية المبدعة، وهذا ما يدعو البلاد المتقدمة إلى إجراء الدراسات والبحوث وعقد المؤتمرات والندوات لدراسة الإبداع وفهمه وتنمية واقتراح انسب الطرائق لتربية المبدعين وإثارة التفكير الإبداعي عند الطلاب، مما يتطلب تطوير التعليم بالشكل الذي يشجع على إظهار النبوغ والإبداع عوضاً عن الأسلوب المتبع الذي ينطوي على الإعادة والتشجيع والحفظ والتكرار وعدم إعطاء الفرصة للتفكير العلمي السليم الذي يساعد الطالب على اكتشاف المعلومات بنفسه وتطويرها بالشكل الذي يسمح له باستخدام عقله وتفكيره، وعملية إعادة النظر في العملية التربوية تتطلب التشدد في أهمية التفريق بين الحفظ والتذكر وبين الفهم، بحيث لا يكون الهدف هو مجرد تعلم الحقائق البسيطة والتواريخ الدقيقة والمهارات العادية فحسب، وإنما اصبح الهدف هو إمكانية تطبيق ما يتعلمه الطالب في الحياة، أي دفع الطالب إلى تطبيق ما فهمه من أسس وقواعد ومبادئ في المواقف التي يتعرض لها في حياته. وإلى الإفادة من تعميم المهارات في حل المشكلات التي تواجهه (الدباغ، 2001: 1).

وتعدّ تنمية التفكير من أهم أولويات التعليم بصورة عامة ولذلك نجد أنها من بين الأهداف الرئيسة في التعليم وتحتل تنمية التفكير الإبداعي مكانة بارزة في الدول المتقدمة تقنياً ولذلك مبررات لا تخفى على أحد ويتميز التفكير الإبداعي بأنه تفكير في نسق مفتوح غير مقيد بروتين أو بطريقة محددة يتم استجابة لمشكلة أو موقف مثير ويتميز الإنتاج فيه بخصائص فريدة، فالتفكير الإبداعي نشاط عقلي ينطلق صاحبه من موقع لآخر ومن حل إلى ضده دون الحاجة للسير بشكل روتيني التغيير هو أسلوبه وهدفه لذلك فهو مفيد في توليد الأفكار الجديدة. (الكيلاني، 2003، 1).

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي الكشف عن اثر استراتيجيات الذكاءات المتعددة في اكتساب المفاهيم النحوية وتنمية التفكير الابداعي لدى طلاب الصف الرابع العلمي.

فرضيتا البحث:

1- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم النحوية.
2- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الإبداعي.

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بـ –

1- طلاب الصف الرابع العلمي في المدارس الثانوية والاعدادية التابعة لمديرية تربية بلد.
2- الفصل الاول من العام الدراسي 2010-2011.
3- الموضوعات النحوية المقرر تدريسها في الفصل الدراسي الاول.

تحديد المصطلحات:

سيقوم الباحث بتعريف المصطلحات الآتية:-

الاستراتيجية Strategy

عرفها كل من:

- جامل (2000) بانها "الاجراءات والوسائل التي يستعملها المعلم ويؤدي استخدامها الى تمكين التلاميذ من الافادة من الخبرات التعليمية المخططة وبلوغ الاهداف التربوية المنشودة " (جامل، 2000: 105).
- عفانة و الخزندار (2007) بانها " تقنية او مبدأ او قاعدة تساعد على تسهيل اكتساب وضبط وخزن واسترجاع المعلومات التي تقدم في المواقف التعليمية المختلفة " (عفانة والخزندار، 2007: 147).

الذكاءات المتعددة:

يعرفه الباحث نظريا بانه " هي مجموعة من القدرات او الذكاءات المنفصلة يمكن تنميتها من خلال انشطة معينة "

اكتساب المفاهيم Concept Acquiring.

عرفه كل من:-

- وينتج (1984): (عملية تتضمن ممارسة شيء ما، تؤدي هذه الممارسة الى تنمية الاثر الناتج عن الحدث في الجهاز العصبي للكائن الحي، وكثيراً ما يوصف كعملية مدخلات). (وينتج،1984: 155).

- Joyce (1986): (إستطاعة المتعلم معرفة عناصر المفهوم الاساسية، اسم المفهوم والامثلة والخصائص الاساسية وقاعدة المفهوم (Joyce , 1986: 30).
- العمر (1990): (مدى معرفة التلميذ بما يمثل المفهوم او لا يمثله خلال انتباهه الى فعاليات ونشاطات المعلم ومن ثم يقوم بمعالجة المعلومات بالطريقة الخاصة ليكون منها معنى عن طريق ربطها بما لديه من معلومات قبل ان يقوم بحفظها في مخزن الذاكرة لديه). (العمر، 1990: 202).
- Novak (1995): (هي العملية التي يكتسب فيها المتعلم المفهوم من خلال استخدامه للغة معينة وكذلك من خلال استخدامه للاشياء والاحداث بصورة مباشرة). (Novak , 1995: 80).
- <u>**التعريف الاجرائي:**</u>

" قدرة طالب الصف الرابع العلمي على تعريف وتطبيق المفاهيم النحوية وفقاً لخصائصها المشتركة وتقاس من خلال اجاباته على فقرات اختبار المفاهيم المعد من قبل الباحث ".

<u>**التفكير الإبداعي:-**</u>

عرفه كل من:

- (جروان، 1999) بأنه " نشاط عقلي مركب وهادف توجه رغبة قوية في البحث عن حلول أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقاً ويتميز التفكير الإبداعي بالشمولية والتعقيد فهو من المستوى الأعلى المعقد من التفكير لأنه ينطوي على عناصر معرفية وانفعالية وأخلاقية متداخلة تشكل حالة ذهنية فريدة" (جروان، 1999: 96).
- (نشوان وجبران، 1999)بأنه "التفكير المنتج الذي يقود إلى أشياء وأفكار جديدة في المشاكل بطريقة جديدة أو التفكير بأفكار جديدة" (نشوان وجبران، 1999: 68).

- (Hornby, 2000).بانه "التفكير في المشاكل بطريقة جديدة أو التفكير بأفكار جديدة"(Hornby, 2000:311).
- (أديبي، 2001) هو "قدرة الفرد على الإنتاج، الإنتاج الذي يتميز بأكبر قدر ممكن من الطلاقة الفكرية والمرونة التلقائية والأصالة وذلك كاستجابات لمشكلة أو موقف مثير". (أديبي، 2001: 85).

الفصل الثاني

الاطار النظري

<u>الذكاءات المتعددة</u>:

اقترح هوارد جاردنر نظرية الذكاءات المتعددة في عام (1983) وقد جاءت نظراً لدراسات عديدة هو مع فريقه في جامعة هارفارد، وقد بين أن الذكاء الإنساني لا يمكن وضعه في أطار اختبار الذكاء(آي كيو) بل أن الدراسات أن الأفراد يتنوعون في ذكاءاتهم. وأن لدى الأفراد ملف من الذكاءات المتعددة يتفاضلون بها فيما بينهم، وقد بدأ بحصر سبعة ذكاءات متعددة هي الذكاء المنطقي الرياضي، الذكاء اللغوي، الذكاء المكاني، الذكاء الموسيقي، الذكاء البينشخصي، الذكاء الاجتماعي، والذكاء الحركي. وقد كشفت بحوثه عن وجود ذكاء ثامن هو الذكاء الطبيعي.

إن عديدا من المختصين يرون أن تحقيق الأهداف التربوية يرتبط بصقل وتنمية الذكاءات المختلفة للمتعلمين. إن العمل الرائد الذي قام به هوارد جاردنر في علم النفس أحدث طفرة نوعية في الممارسة التربوية. فبعد تجربة كبيرة في علم النفس المرضي، استنتج جاردنر أن العقل البشري مجزئ الى قوالب، كل واحدة مسؤولة عن عمليات ذهنية معينة وذكاءات محددة. ومن مميزاتها أنها قابلة للصقل عبر التكوين الهادف والسليم. وبدأ جاردنر بتحديد (7) أنواع من الذكاءات هي:

1- الذكاء اللغوي: يتضمن حساسية اتجاه اللغة...، ويتضمن كذلك القدرة على تعلم اللغات وعلى استعمال اللغة لتحقيق أهداف معينة.
2- الذكاء المنطقي الرياضي: يتضمن القدرة على تحليل الإشكاليات المنطقية وحل العمليات الرياضية، والتعامل مع مواضيع بشكل علمي.
3- الذكاء الموسيقي: يتمظهر من خلال مهارات في الغناء، التأليف، وتذوق المقاطع الموسيقية.
4- الذكاء الجسمي–الحركي: يتمظهر من خلال مهارات في استعمال كل الجسد أو أعضاء منه (كاليد أو الفم) لحل مشاكل معينة....
5- الذكاء البصري الفضائي: يتمظهر من خلال إمكانية التعرف أشكال الفضاءات الواسعة (حالات البحارة وربان الطيران...) وكذلك الفضاءات الضيقة.
6- الذكاء الاجتماعي التفاعلي: يعطي الشخص القدرة على فهم نيات ودوافع ورغبات الآخرين وفي النهاية يخول للشخص العمل المشترك الفعال مع الآخرين.
7- الذكاء الذاتي: يتضمن القدرة على فهم الذات، وعلى اكتساب نموذج فعال وعملي للذات بما فيها من رغبات وقدرات... وكذلك استعمال هذه القدرات بشكل فعال في تنظيم الحياة الشخصية...

وبالنسبة لتعريف الذكاء الثامن فهو من الذكاء:

الذكاء الطبيعي: وهو المسؤول على القدرة على معرفة عناصر البيئة الأخرى المحيطة بالذات.

الذكاء الوجودي: وهو المسؤول على تحديد مكان الذات في علاقتها مع أبعد نقاط الكون (اللامتناهي في الكبر واللامتناهي في الصغر) وعلى القدرة المرتبطة بتحديد مكان الذات في علاقتها مع أوجه الوجود هذه... (Hoerrm T, R. ,2000; 186)

وقد اهتم جاردنر بتفعيل النظرية مع البيئة المدرسية والاهتمام بتطوير أساليب تدريس وتعلم لها. وقد تفاعلت مدارس عديدة باستراتيجيات التدريس منظمين بأنفسهم برامج تدريس وتقييم طبقاً لتصوره الفلسفي، بل واهتمت دول عديدة سواء في أوروبا واستراليا ودول شرق آسيا بتبني فلسفته في التدريس. وقد أثبتت دراسات عديدة فاعلية برامج الذكاءات المتعددة في رفع مستوى الدافعية لدى الأطفال في مراحل التعليم العام وخصوصاً المرحلة الابتدائية.(Gardner , 2003 ; 58)

تأثير برامج تعليم الذكاءات المتعددة على مستوى دافعية التلاميذ:

بينت دراسات عديدة فاعلية نظرية الذكاءات المتعددة بتطبيقاتها في المدرسية على رفع مستوى دافعية التلاميذ منها دراسة ديبوراه: جل و موريتو(2000)التي قامت بتقييم أثر برنامج في التعلم بالذكاءات المتعددة والتعلم الجماعي على دافعية التلاميذ. وقد اختيرت العينة من مراحل رياض الأطفال وتلاميذ من الصف الرابع والسادس الآبتدائي، هذه العينة قد اختيرت طبقاً لملاحظة مدرسيهم حول وجود انخفاض في مستوى الدافعية لديهم، وكذلك ضعف في مستوى التفاعل والتواصل مع بقية أقرانهم. وقد أوجدت نتائج الدراسة رفعاً في مستوى دافعيتهم و مستوى التفاعل الجماعي مع أقرانهم بعد استخدام برنامج تدريس قائم على الذكاءات المتعددة والتعلم الجماعي. كذلك قام كلٌ من جيننس: بروفانس, فاندين وزيمرمان(118) بتطوير برنامج تعليمي قائم على فلسفة التدريس باستخدام الذكاءات المتعددة من أجل تعزيز مناهج اللغة لعلاج مشكلة عسر القراءة لدى عينة من تلاميذ الصف الأول والثاني والذين ينتمون من طبقات اجتماعية ذات مستوى متوسط في ولاية شيكاغو. وقد تم اختيارهم نظراً لاختبارات قياس اللغة وملفهم التتبعي في المدرسة. وبعد تعزيز المنهج العادي ببرنامج الذكاءات المتعددة أوجدت نتائج رفع في مستوى التحصيل الدراسي لدى هؤلاء الطلبة. وقد تحرى كل من كاروتاكس:كارن وكاثي(2000) أثر استخدام استراتيجية تدريس

قائمة على أسلوب التدريس من الذكاءات المتعددة على عينة من تلاميذ الصف السادس والحادي عشر في الأدب والنحو، التربية البدنية، والدراسات الآجتماعية في ولاية شيكاغو وقد كشفت نتائج الدراسة وجود تحسن في مستوى الدافعية نحو تعلم المادة.(انترنيت).

الإبداع:

يعد الابداع من اكثر المصطلحات النفسية شيوعا وهو يعني خلق او ايجاد شيء جديد، ويندرج تحت معناه كل من الاختراع والاكتشاف والابتكار، فكل ما يتعلق بتطور البشرية وتقدمها وازدهارها في كافة مناحي الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وسياسة وادب وتربية وفنون وغيره يرتبط بالابداع والمبدعين. وقد دفع هذا حكومات كثيرة الى رعاية البحوث التي تهدف الى اكتشاف المواهب الابداعية وقياسها وتنميتها، وبما ان القدرات العقلية التي تسهم في التفكير الابداعي لا تنحصر في مجموعة قليلة من الناس بل تنتشر بين جميع الناس، لكنهن يختلفون فيما بينهم من حيث هذه القدرات في مدى ما لدى كل منهم، وهكذا يمكن دراسة هذه العملية دون ان نلجأ الى من ثبت ان له انتاجا ابداعيا (رضوان، 2004، 5).

والابداع ظاهرة متعددة الجوانب والأوجه، فقد تعددت النظرة إليها وتعددت التعريفات لها، فبعض الباحثين أو العلماء يقصدون بالإبداع المقدرة (Ability) على خلق شيء جديد او مبتكر حديث (Novel) تماماً وإخراجه إلى حيز الوجود. بينما يقصد علماء آخرون بالإبداع العملية أو العمليات وبخاصة السيكولوجية التي يتم بها خلق وإبداع ذلك الشيء الجديد ذي القيمة العالية. كما ينظر باحثون آخرون من العلماء إلى الإبداع في نطاق الإنتاج أو العمل الإبداعي ذاته أو المحصلة (الناتج) الذي ينشأ عن القدرة على الابتكار وعن العملية الإبداعية التي تؤدي في نهاية الأمر إلى إنجاز ذلك العمل الإبداعي وتحقيقه. وينظر فريق رابع إلى الإبداع على أساس الموقف الإبداعي أو البيئة المبدعة، وعليه ينظر إلى الإبداع أو الظاهرة الإبداعية

على أنها الشخص (Person) أو الإنتاج (Product) أو العملية(Process) أو الموقف الإبداعي – البيئة المبدعة(Press) ، وقد وضع رودز (Rhoodes) شعاراً يلخص به هذه النظريات ويجمع به المناحي الأربعة في ما يعرف بـ: Four P's of Creativity)أي: (Product , Person, Press, Process)، ولعل تعدد هذه التعريفات نشأ من اختلاف المدارس التي تناولتها وحاولت تفسيرها كل من وجهة نظرها الخاصة (زيتون، 1987: 15-16).

ويعرف الابداع على انه دالة لمجموعة الشروط التي تمكن الشخص من الربط غير العادي للافكار بما يحقق نواتج جديدة تتضح في اسلوبه في معالجة المواقف او المشكلات المختلفة، ومن الشروط اللازمة لتحقيق الابداع توفر مجموعة متيسرة من الحقائق ووجود مشكلة تتطلب حلا ابداعيا او جديدا ونموذجا من الافكار يؤدي الى تحقيق الربط بين جوانب الموقف بطريقة جديدة او فعالة (منصور واخرون، 2002، 202).

قدرات التفكير الابداعي:-

اشار عدد من الباحثين مثل (كلفورج، 1967) و(تورانس، 1980) الى ان اهم قدرات التفكير الابداعي هي:-

1- **الطلاقة**:-

ويقصد بها القدرة على توليد عدد من الابدال او المترادفات او الافكار او الاستعمالات عند الاستجابة لمثير معين، والسرعة والسهولة في توليدها، وهي في جوهرها عملية تذكر واستدعاء اختياري لمعلومات او خبرات او مفاهيم سبق تعلمها، وهناك عدة انواع من الطلاقة من ابرزها:-

أ- طلاقة الكلمات:-

وتشير الى سرعة التفكير في الكلمات باعطاء كلمات في نسق محدد، كأن تقول (اكتب اكبر عدد من الكلمات التي تبدأ بحرف (أ) وتنتهي بحرف (ب).

ب- الطلاقة الفكرية:-

وتشير الى قدرة الفرد على انتاج اكبر عدد ممكن من الافكار التي تتوفر فيها شروط معينة كأن تقول (اذكر جميع الاستخدامات الممكنة لورق الجرائد، واعط اكبر عدد ممكن من العناوين للقصة الاتية (.........).

ج- طلاقة الرسوم:-

وتتعلق بقدرة الفرد على وضع بعض الاضافات لاشكال معينة لتكوين رسوم لاشكال عديدة (ابراهيم، 2002، 24).

2- **المرونة**:-

ونعني بها القدرة على توليد افكار متنوعة، وليست من نوع الافكار المتوقعة عادة مع توجيه مسار التفكير بحسب تغير المثير او متطلبات الموقف، وكما يلاحظ فان المرونة عكس الجمود الذهني الذي يعني ان يتبنى الفرد انماطا ذهنية محددة سلفا وغير قابلة للتغيير يواجه بها مواقف الحياة مهما تغيرت واختلفت. فاذا كانت الطلاقة تتحدد كميا بعدد الاستجابات التي تصدر عن الفرد، فان المرونة تتحدد كميا بكيف هذه الاستجابات كما يتمثل في تنوعها واختلافها، وتنقسم المرونة الى نوعين:-

أ- المرونة التلقائية:-

وهي تعني حرية تغيير الوجهة الذهنية فيما يتصل بمشكلة محددة تحديدا ضيقا. اذ يقوم الفرد بتغيير مجرى تفكيره وتوجيهه نحو اتجاهات جديدة بسرعة وسهولة بسبب واضح او بغير سبب واضح (السيد، 1971، 196).وهي المرونة التي تقاس مباشرة من مقاييس الطلاقة وذلك بعد الفئات المختلفة التي تصنف اليها استجابات الفرد، فمثلا عندما يطلب من الفرد ان يذكر اكبر عدد ممكن من استعمالات ورق الجرائد، فيستجيب بانه يمكن ان يستعمل في تنظيف السيارة او الزجاج او المكتبة او المرايا او ادوات المكتب، فانه يحصل على درجة (5) في الطلاقة، ولكنه يحصل على درجة(صفر) في المرونة، اما الفرد الذي يذكر ان ورق الجرائد يمكن ان يستخدم في

تنظيف السيارات او لتغليف بعض السلع او يوضع على رفوف المطابخ او تصنع منه طائرات ورقية فانه يحصل على درجة جيدة في الطلاقة والمرونة.

ب- المرونة التكيفية:-

وهي المرونة التي تشتق من الاختبارات التي تعد خصيصا لذلك، ومثال ذلك (اذا علقنا خيطين في طرفي الحجرة بحيث يكون كل منهما بعيدا عن الاخر وطلبنا من مجموعة من الاشخاص كل منهم على حدة ان يقف في وسط الغرفة وان يحاول ان يجد حلا يستطيع ان يساعده على الامساك بالخيطين في وقت واحد فان الشخص المرن يستطيع ان يسلك سلوكا ناجحا يمكنه من مواجهة هذه المشكلة فيقترح مثلا القيام بارجحة احد الخيطين عند تناول الخيط الاخر. اما الشخص غير المرن عقليا فانه قد لا يستطيع ان يجد حلا لتلك المشكلة لانه قد لا يتمكن من ان يواجه الموقف بحل عقلي مناسب (ابراهيم، 2002، 25).

3- **الاصالة**:-

ونعني بها الجدة والتفرد والقدرة على انتاج الاستجابات والافكار غير المالوفة والتي تعد مع ذلك استجابة مقبولة مثل الميل للادلاء بتداعيات لفظية نادرة في اختبار لتداعي الكلمات وتنقسم الى نوعين:-

أ- الاصالة التلقائية:-

وهي تقاس مباشرة من اختبارات الطلاقة، وفي هذه الحالة يقوم الباحث بتحديد اوزان الاصالة طبقا لتكرار حدوث الاستجابة التلقائية في عينة التقنين (ابو حطب، 1983، 340).

ب- الاصالة التكيفية:-

وهي التي تقاس باختبارات عدت خصيصا لقياس الاصالة في ذاتها مستقلة نسبيا عن اختبارات الطلاقة.ومن اشهر هذه الاختبارات هو اختبار كلفورد(اختبار عناوين القصص) اذ تقدم قصة للفرد ويطلب منه اقتراح عناوين لهذه القصة(ابو حطب، 1983، 340).

ويرى (شلبي، 2001) ان الابداع يشير الى قدرة الفرد على اكتشاف علاقات جديدة بين عناصر موجودة او مقترحة وهو يتطلب وجود قدرات معقدة مع قدرات على التعامل مع عدد كبير من المعلومات السابقة التي تم تخزينها في الذاكرة الطويلة المدى (شلبي، 2001، 79).

أساليب تنمية التفكير الإبداعي:

هناك أساليب عدّة طرحها رواد التربية العلمية وعلماء النفس التربويين لتنمية الإبداع والتفكير الإبداعي في المدرسة، فقد اشار (حسن، 1994) إلى ما استعرضه الحوراني عن أساليب تنمية الابتكار لدى الطلاب بالأساليب الآتية:

1- **تفريد التعليم**:

وهو أسلوب يساعد في التعرف على حاجات وميول ورغبات الطالب المبتكر والموهوب، وفي نفس الوقت فان هذا النوع أو الأسلوب في التعلم يشبع حاجات وميول الطلاب المبتكرين الذين يجدون معاناة وملل من الدراسة في المدارس العادية.

2- **التعليم المبرمج**:

تتعدد أشكال التعليم المبرمج من كتب وحاسبات إلكترونية، وهذا النوع من التعليم يوفر للطالب الموهوب الجهد والوقت ويساعد على التقدم بنجاح خلال سلسلة من الخطوات الواضحة والمتجهة نحو تحقيق الهدف، فضلاً عن أنه يتمشى في استجاباته السريعة والواضحة مع قدرات واحتياجات الطالب الموهوب.

3- **الحاسبة**:

ودورها حيوي وفعّال لا سيّما فيما يتعلق بالموهوبين والمبتكرين، فإلى جانب الأدوار و المهام التي توفرها للطالب فانها تقوم بدور المشرف والموجه الذكي للطالب، فهي توجهه و تساعده في حل بعض المشكلات أثناء التعامل معها، وتعاونه على

متابعة أية تجربة أو مشكلة خطوة بخطوة وتعديلها أثناء التجريب والبحث (حسن، 1994: 80-81).

دراسات سابقة:

1- **دراسة خطايبة وعدنان (ب ت)**

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر استخدام إستراتيجيات الذكاءات المتعددة في اكتساب طلبة الصف السابع الأساسي لمهارات عمليات العلم، وذلك من خلال فحص أثر إستراتيجية تدريس قائمة على نظرية الذكاءات المتعددة المتضمنة في منهاج العلوم العامة.

تشكلت عينة الدراسة من (95) طالباً وطالبة موزعين على شعبتي ذكور من طلبة الصف السابع الأساسي في مدرسة المزار الأساسية للبنين وشعبتي إناث من طالبات الصف السابع الأساسي في مدرسة المزار الأساسية للبنات.ولجمع بيانات الدراسة ثم استخدام اختبار مهارات عمليات العلم المترجم والمعدل والمتضمن خمسة مستويات مصنفة هرمياً توزعت على مجالي عمليات العلم الأساسية والمتكاملة.وتم حساب معامل ثباته باستخدام معادلة كودر ريتشاردسون – KR-20 فوجد مساوياً(0.88).

كما تم تدريس المحتوى العلمي المحدد للمعالجة التجريبية من خلال تدريس ثلاث وحدات (القوى والضغط، والضغط الجوي والرياح، وأنماط من التكاثر) من منهاج العلوم العامة للصف السابع الأساسي. تم تطويرها وفقاً لأربع إستراتيجيات من إستراتيجيات الذكاءات المتعددة تم اختيارها استناداً لنتائج مسح الذكاءات المتعددة، وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- تفوق أثر إستراتيجية الذكاءات المتعددة على الطريقة التقليدية في اكتساب الطلبة لعمليات العلم بمجال عمليات العلم الأساسية.

2- تفوقت الطالبات على الطلاب في اكتساب عمليات العلم الأساسية. وأوصت الدراسة بضرورة التأكيد على استخدام هذه الإستراتيجية في تدريس العلوم.

2- دراسة (خالد، 2002):

هدفت هذه الدراسة الاجابة عن التساؤلات الاتية:-

1- ما أثر تدريس برنامج لتعليم التفكير في مادة الرياضيات على اكتساب المهارات المعرفية (للتفكير الابتكاري – للتفكير الناقد) والتحصيل الدراسي لطلاب الصف الأول الإعدادي ؟

2- ما أثر تدريس البرنامج على اكتساب الاتجاهات نحو استخدام الكمبيوتر؟

استخدمت الباحثة الادوات الاتية:-

1- اختبار تورانس بجزئية (اللفظي – الصور) للتفكير الابتكاري.

2- اختبار واطسون وجليسر المهارات المعرفية للتفكير الناقد لتلاميذ المرحلة الإعدادية.

3- اختبار التحصيل الدراسي لبعض جوانب تعلم الرياضيات (من إعداد الباحثة)

4- مقياس الاتجاهات الوجدانية نحو استخدام الكمبيوتر لتلاميذ المرحلة الإعدادية (من إعداد الباحثة).

استخدمت الباحثة الطريقة العشوائية لاختيار عينة من طلاب الصف الاول المتوسط وقسمتها الى مجموعتين تجريبية وضابطة، وبعدها قامت ببناء البرنامج المقترح عن طريق تضمين مهارات التفكير الابتكاري والناقد والاتجاه الوجداني نحو استخدام الكمبيوتر .كما قامت بالتحقق من صدق الاختبار التحصيلي ومقياس الاتجاه نحو الكومبيوتر وحساب معاملي ثباتهما، وبعدها استخدمت البرنامج في تدريس

المجموعة التجريبية، اما المجموعة الضابطة فقد درست بالطريقة الاعتيادية، وقد اظهر البحث النتائج الاتية:-

1- تنمية مهارات تفكير التلاميذ الابتكاري بطريقة ذات دلالة إحصائية.

2- تنمية مهارات تفكير التلاميذ الناقد.

3- زيادة تحصيلهم لجوانب تعلم الرياضيات المتضمنة في مقرر الهندسة والمفاهيم والعلاقات والمهارات.

4- زيادة النمو في اتجاه التلاميذ نحو استخدام الكمبيوتر فى العملية التعليمية والتعليم والتعلم. (خالد، 2002، انترنت).

3- دراسة (حسين، 2004)

استهدف البحث الحالي التعرف على أثر استخدام الحاسوب في القدرة على التفكير الإبداعي واكتساب المفاهيم العلمية لدى طلبة الصف الأول / كلية المعلمين في مادة العلوم.

وتكونت عينة البحث من (82) طالباً وطالبة من طلبة الصف الأول / كلية المعلمين للعام الدراسي 2002-2003، تم اختيارهم عشوائياً من مجتمع البحث وبواقع (25) طالب و (57) طالبة ومن الفرعين العلمي والأدبي للدراسة الإعدادية.

ثم قسّمت العينة إلى مجموعتين متكافئتين في عدد من المتغيرات (الذكاء – المعدل العام – الجنس – الفرع الدراسي)، ثم أتخذت إحداها عشوائياً لتمثل المجموعة التجريبية التي تدرس باستخدام الحاسوب وبلغ عدد أفرادها (44) طالباً وطالبة، في حين اتخذت المجموعة الثانية لتمثل المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية، وبلغ عدد أفرادها (38) طالباً وطالبة.

طبقت التجربة في بداية الفصل الثاني من العام الدراسي 2002-2003 بعد استكمال إعداد الخطط الدراسية وتهيئة الحاسوب لعرض البرامجيات الجاهزة الخاصة لهذا الغرض. وقد قام تدريسيو المادة في الكلية بتدريس مادة العلوم كلٌ حسب

اختصاصه (الفيزياء – الكيمياء – علوم الحياة) ولغرض تحقيق هدف البحث تطلب ذلك أداتين اثنتين، أولاهما: اختبار التفكير الإبداعي، إذ اعتمدت الباحثة على اختبار (تورانس) لقياس قدرات (الطلاقة – المرونة – الأصالة) من التفكير الإبداعي. أما الأداة الأخرى، فقد كانت اختباراً تحصيلياً مكوناً من (23) فقرة منها (17) فقرة موضوعية من نوع) اختيار من متعدد) و (6) فقرات مقالية محددة الإجابة تتطلب إجابتها ثلاثة مطالب هي) التعريف – المثال – التطبيق)، وقد حصلت كلتا الأداتين على الصدق والثبات والتحليل الإحصائي لفقرات الاختيار التحصيلي. وبعد إنهاء التجربة طبقت الباحثة الأداتين على أفراد عينة البحث، وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً بموجب فرضيات البحث باستخدام الاختيار التائي لعينيتين مستقلتين توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط قدرة أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة في التفكير الإبداعي عند المستويات (الطلاقة – المرونة – الأصالة – الكلي).
2- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط اكتساب المجموعتين التجريبية والضابطة للمفاهيم العلمية. وقد خرجت الباحثة بعدد من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات والتي تعدّ موجهات لبحوث مستقبلية وتخطيط برامج تعليمية لتدريس مادة العلوم في كلية المعلمين (حسين، 2004، أ–ج).

الفصل الثالث

إجراءات البحث

يشمل هذا الفصل الاجراءات التي قام بها الباحث والتي تشمل اختيار التصميم التجريبي المناسب وتحديد مجتمع البحث واختيار عينته وبناء ادواته وتطبيق تجربته، وفيما يلي عرض مفصل لهذه الاجراءات مرتبة وفق تسلسل:–

- اختيار التصميم التجريبي

اعتمد الباحث التصميم التجريبي ذا المجموعتين بالاختبار البعدي وهو من تصاميم الضبط الجزئي وكما مبين في المخطط (1):

مخطط (1)

التصميم التجريبي للبحث

المجموعات	المتغير المستقل	المتغيرين التابعين
المجموعة التجريبية	التدريس باستراتيجيات الذكاءات المتعددة	اكتساب المفاهيم النحوية والتفكير الإبداعي
المجموعة الضابطة	التدريس بالطريقة الاعتيادية	

- مجتمع البحث

شمل مجتمع البحث طلاب الصف الرابع العلمي في المدارس الثانوية والإعدادية النهارية التابعة لتربية ناحية بلد للعام الدراسي 2010 – 2011.

- عينة البحث

اختار الباحث إحدى المدارس الثانوية (ثانوية الخضراء للبنين) قصدياً لتعاون إدارة المدرسة ومدرس مادة اللغة العربية مع الباحث واستعدادهم لتقديم التسهيلات اللازمة لتطبيق البحث. اختار الباحث شعبة (ب) عشوائياً لتكون المجموعة التجريبية التي سيدرس طلابها باستخدام استراتيجية الذكاءات المتعددة، وشعبة (أ) لتكون المجموعة الضابطة التي سيدرس طلابها بالطريقة الاعتيادية، وقد استبعد الطلاب الراسبين وعددهم (3) طلاب وقد أصبح عدد العينة (32) طالبا في المجموعة التجريبية و (34) طالبا في المجموعة الضابطة.

- تكافؤ مجموعتي البحث:

قام الباحث باجراء عملية التكافؤ في بعض المتغيرات التي اعتقد بأنها قد تؤثر في المتغيرين التابعين و هذه المتغيرات هي:–

أ- الذكاء باستخدام اختبار رافن (Ravin) للمصفوفات المتتابعة.

ب- التحصيل الدراسي في مادة اللغة العربية للسنة السابقة (الصف الثالث المتوسط)

ج- التفكير الابداعي.

استخدم الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لمقارنة متوسطات المجموعتين لكل من المتغيرات اعلاه، وقد اظهرت النتائج ان القيم التائية المحسوبة أقل من القيمة الجدولية البالغة (2,00) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (64) مما يدل على أن المجموعتين التجريبية والضابطة متكافئتان إحصائياً في كل المتغيرات والجدول (1) يوضح ذلك.

جدول (1)

تكافؤ مجموعتي البحث

المجموعة	المتغير	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	الذكاء	32	34,9	3,63	0,3	2,00	غير دال
الضابطة		34	35,9	3,42			
التجريبية	التحصيل السابق في اللغة العربية	32	62,27	13,17	0,39		غير دال
الضابطة		34	63,50	12,9			
التجريبية	التفكير الإبداعي	32	172,41	4,40	0,23		غير دال
الضابطة		34	172,29	4,53			

- اعداد مستلزمات البحث:

تضمنت مرحلة اعداد مستلزمات البحث مايلي:

1- تحديد المادة العلمية التي ستقوم بتدريسها من كتاب اللغة العربية المقرر تدريسه لطلاب الصف الرابع العلمي.

2- صياغة الأغراض السلوكية للموضوعات حسب المادة العلمية التي تضمنها كل فصل وبلغ عددها (76) غرضا سلوكيا وبعد عرضها على نخبة من الخبراء مع الكتاب المقرر، تم الأخذ بالملاحظات والتعديلات التي أشار إليها الخبراء من

إضافة وحذف وتعديل، إذ اصبح العدد النهائي للاغراض السلوكية هو (78) اغراض سلوكية.

3- اعداد الخطط التدريسية بالتعاون مع مدرِّس مادة اللغة العربية في المدرسة لكل مجموعة وقد تضمنت الخطط المفردات نفسها لكلا المجموعتين من مقدمة وعرض وأسئلة وواجبات وأنشطة بيتية. ولكي تتأكد الباحثة من ان الخطط المعدة صالحة للتطبيق فقد عرضتها على بعض الخبراء،وبناء على التعديلات والتوجيهات عدلت الخطط وأصبحت جاهزة للاستخدام.

إعداد أداتي البحث:

يتضمن البحث الحالي اداتين هما اختبارا لاكتساب المفاهيم اللغوية واختبارا للتفكير الابداعي، وفيما ياتي خطوات او اجراءات اعداد هاتين الاداتين:-

1- اختبار اكتساب المفاهيم النحوية

- تحديد عدد فقرات الاختبار:

قام الباحث باستشارة بعض مدرسي اللغة العربية لغرض تحديد عدد فقرات الاختبار اذ اقترحوا ان يشمل الاختبار (50) فقرة، ان هذه العملية تضمن شمول الاختبار للمحتوى الدراسي.

- اعداد الخارطة الاختبارية:-

الخارطة الاختبارية هي مخطط تفصيلي لمحتوى المادة الدراسية بشكل عناوين و توضح الوزن النسبي لكل عنوان ممثلا بعدد الاسئلة المتعلقة بموضوع هذا العنوان، كما توضح مستويات الاغراض السلوكية مع الوزن النسبي لكل مستوى وقد اعتمد الباحث عدد الساعات المقررة لتدريس كل فصل من فصول الكتاب لاستخراج وزن محتوى ذلك الفصل وكذلك استخرج وزن مستويات الاغراض السلوكية الخاصة بكل فصل دراسي كما في الجدول (2)

جدول (2)

الخارطة الاختبارية للاختبار

مستوى الأغراض السلوكية / المحتوى مقدر بعدد الساعات			تذكر	استيعاب	تطبيق	تحليل	تركيب	المجموع
الفصل	عدد الساعات	النسبة	%41	%12	%20	%21	%6	%100
الاول	11	%11	6	2	2	2	1	13
الثاني	11	%10	5	2	2	1	2	12
الثالث	10	%7	5	3	2	2	1	13
الرابع	12	%12	5	2	2	2	1	12
المجموع	44	%100	21	9	8	7	5	50

– اعداد فقرات الاختبار:

قام الباحث بترجمة الاغراض السلوكية المحددة في الخارطة الاختبارية الى فقرات اختبارية اذ تم صياغة (50) فقرة اختبارية موضوعية من نوع الاختيار من متعدد وامام كل فقرة توجد (4) بدائل.

– وضع تعليميات الاجابة عن اختبار اكتساب المفاهيم:

قام الباحث بوضع تعليمات خاصة للطلاب للاجابة على فقرات الاختبار توضح كيفية الاجابة على اسئلة الاختبار وكذلك طريقة توزيع الدرجات على الاسئلة والفقرات.

– تصحيح اختبار اكتساب المفاهيم:

قام الباحث بتصحيح فقرات الاختبار وفقا للاجراءات الاتية:-

1-اعداد اجوبة نموذجية لفقرات الاختبار الموضوعية.

2-اعطيت درجة واحدة للاجابة الصحيحة وصفر للاجابة الخاطئة اوالفقرة المتروكة.

– صدق اختبار اكتساب المفاهيم.

اعتمد الباحث صدق المحتوى للتاكد من صدق الاختبار، لذا قام بعرض فقرات الاختبار مع المحتوى على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في مجال طرائق التدريس والقياس و التقويم واعتمد نسبة 80 % فأكثر كنسبة لاتفاق الخبراء على كل فقرة فوجد إن جميع الخبراء اتفقوا على صلاحية جميع فقرات الاختبار مع إجراء بعض التعديلات البسيطة على بعض منها وعند إجراء جميع التعديلات المقترحة عد الاختبار صادقا.

– إجراء التجربة الاستطلاعية

قام الباحث بتطبيق الاختبار على عينة من طلاب الصف الرابع العلمي تكونت من (60) طالبا اختيروا من ثانوية الرماح العوالي للبنين، وذلك للتأكد من وضوح فقرات الاختبار وتقدير الوقت ألللازم للإجابة عنه، وقد تبين إن فقرات الاختبار كانت مفهومة وواضحة من قبل الطلاب وقد استغرق الطلاب وقتا للاجابة عن فقراته تراوح بين (40–50) دقيقة.

– تحليل فقرات الاختبار احصائيا:-

ويقصد بالتحليل الاحصائي لفقرات الاختبار حساب ثبات الاختبار ومدى صعوبة او سهولة فقراته، وكذلك حساب القوة التمييزية لكل فقرة وفعالية بدائل الفقرات الموضوعية, والغاية من تحليل الفقرات هو التاكد من ان هذه الفقرات تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث سهولتها وصعوبتها والقدرة على التمييز بين المتعلمين ذوي القابليات العالية والمتعلمين ذوي القابليات الضعيفة,وعليه رتبت درجات طلاب العينة الاستطلاعية والبالغ عددهم (60) طالبا تنازليا وتم اخذ مجموعتين من درجات الطلاب تمثل الاولى اعلى الدرجات في الاختبار وتمثل المجموعة الثانية اوطأها، اذ قام الباحث بتقسيم العينة البالغة (60) طالبا الى (30) طالبا في المجموعة العليا و(30) طالبا في المجموعة الدنيا ثم اجريت عليها الاجراءات الاتية:-

حساب درجة صعوبة فقرات الاختبار

يمثل مستوى صعوبة الفقرة النسبة المئوية للاجابات الخاطئة على فقرات الاختبار ولهذا تم حساب معامل صعوبة كل فقرة عن طريق حساب عدد الاجابات الخاطئة عن الفقرة الموضوعية للمجموعتين العليا والدنيا، وباستخدام معادلة معامل الصعوبة وجد انها تقع بين (0,29–0,70), ولهذا عدت جميع الفقرات مناسبة من حيث صعوبتها، اذ تعد الفقرة جيدة وذات صعوبة مناسبة اذا كان مستوى صعوبتها بين (20–80)%.

حساب القوة التمييزية لفقرات الاختبار

وتعني القوة التمييزية للفقرة مدى قدرتها على التمييز بين المتعلمين وتم حساب القوة التمييزية للفقرات الموضوعية بحسب عدد الاجابات الصحيحة لكل من المجموعة العليا والمجموعة الدنيا على الفقرة، وقد وجد ان القوة التمييزية لفقرات الاختبار الموضوعية تقع بين (0,34–0,71) لذا تعد فقرات الاختبار مميزة، اذ تعد الفقرة مميزة اذا كان معامل تمييزها اكبر من (0,25).

فعالية البدائل الخاطئة

يقصد بفعالية بدائل الفقرة قدرة الفقرة على اجتذاب الممتحنين، ويكون البديل الخاطئ فعالا عندما يكون عدد افراد المجموعة الدنيا الذين اختاروه اعلى من عدد افراد المجموعة العليا, وبعد استخراج فعالية بدائل الفقرات وجد انها تقع بين (– 0,17– –0,33) وبذلك تعد بدائل فقرات الاختبار فعالة ومناسبة، وكلما كانت قيمة معامل فعالية البديل الخاطئ قليلة دل ذلك على ان البديل فعال.

ثبات الاختبار

تم ايجاد معامل كرونباخ الفا للاختبار التحصيلي فكانت قيمته (0,63)، وبعد تحويل هذه القيمة الى القيمة التائية المقابلة، وجد انها تساوي (2,44) وبمقارنتها مع القيمة الجدولية والبالغة (2,00) تبين ان القيمة التائية المحسوبة اعلى من القيمة الجدولية وهذا يدل على ان قيمة معامل الارتباط دالة احصائيا عند مستوى دلالة (0,05) وهذا يعني ان المقياس يتسم بثبات جيد.

2- **مقياس التفكير الابداعي**:-

اعتمد الباحث مقياس تورانس بصيغتيه اللفظي والشكلي (حسين، 2004) لقياس التفكير الابداعي لدى طلاب العينة.

استراتيجيات الذكاءات المتعددة:-

حددت استراتيجية التدريس في أربع إستراتيجيات تم فيها تقديم نظرية الذكاءات المتعددة قبل التجربة الاول من التجربة, وفيما يلي نموذج من التوجيهات التي قدمت للمدرس من اجل عرضها على الطلبة في الدرس:-

اخي المدرس

إن أحد أهم معالم نظرية الذكاءات المتعددة هو إمكانية توضيحها لمجموعة من الطلبة بمختلف الأعمار وبوقت قصير بحيث يمكنهم استخدام مفردات الذكاءات المتعددة ليعبروا عن الكيفية التي يمكن أن يتعلموا بها. فالعديد من نماذج التعليم الأخرى تحتوي على تعابير ومختصرات يصعب على الكبار فهمها، وعلى النقيض من ذلك نجد أن نظرية الذكاءات المتعددة السبعة مبنية على أساس أن للصغار والكبار خبرة سابقة لها تتمثل في الكلمات البسيطة الاتية:

الجسد، الموسيقى، المجتمع، النفس، الحركي، الرياضي، المنطقي.

المدرس: يطرح السؤال التالي: من منكم يعتقد بأنه ذكي؟

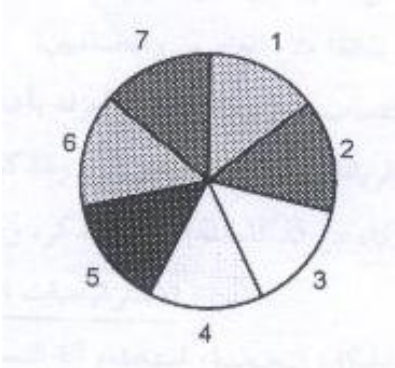
وبغض النظر عن عدد الأيدي المرفوعة.

المدرس: كلكم أذكياء ولكن ليس بنفس الطريقة، فكل واحد منكم ذكي بسبعة طرق مختلفة.

المدرس: يرسم المعلم الذكاءات المتعددة على شكل فطيرة على اللوح.

- ويبدأ بتوضيح النموذج مستخدما مصطلحات بسيطة لوصف الذكاءات المتعددة. (ذكي بالكلمات بدل ذكاء لغوي) لأن مصطلح لغوي كبير بالنسبة للعديد من الطلبة (وكما هو موضح في الشكل الاتي) ويمكن تبسيط المصطلحات وجعلها قريبة من أذهان الطلبة باستخدام مصطلحات مبسطة لكل ذكاء وبعض الأسئلة التي يمكن للطلبة استخدامها في الدرس، كما وضحها (Armstrong, 1994) في فطيرة

الذكاءات المتعددة.



فطيرة الذكاءات المتعددة (Armstrong , 1994)

1- ذكي بالكلمات. 2- ذكي بالنطق (أعداد).
3- ذكي بالصور. 4- ذكي بالجسد.
5- ذكي بالموسيقا. 6- ذكي بالعلاقات الاجتماعية.
7- ذكي الذات.

1- ذكاء لغوي (ذكي بالكلمات)
2- ذكاء منطقي رياضي: من منكم يستطيع أن يحل مسائل؟
3- الذكاء التصوري خيال (ذكي بالصور): من منكم يرسم؟
- من منكم يرى صورة حين يغلق عينه؟
- من منكم يستمتع بمشاهدة الصور المتحركة؟
4- الذكاء الحركي (ذكي بالجسد) (ذكي رياضي): يتم استخدام مصطلحات متعددة للوصول إلى الحقائق المختلفة لهذا الذكاء، كم شخصا يختار الرياضة؟
- كم شخصا يستمتع بعمل النماذج بيده؟
5- الذكاء الموسيقي (ذكي بالموسيقي): كم شخصاً يستمتع بالموسيقى؟
- من منكم عزف على آلة موسيقى أو غنى أغنية؟
6- الذكاء الشخصي الخارجي (ذكي بالعلاقات)

- من منكم له صديق واحد على الأقل ؟
- من منكم يستمتع باللعب الجماعي هنا في المدرسة ولو لبعض الوقت على أقل تقدير ؟
7- الذكاء الشخصي الداخلي (ذكي بذاته).
- من منكم له مكان خاص أو سري يأوي إليه عندما يهرب من كل الناس وكل الأشياء؟
- من منكم يستطيع قضاء جزء من وقته يعمل منفرداً في الصف؟

المدرس: يعطي أمثلة لنهايات كل ذكاء(Gardner, 19983) ويعني ذلك الأشخاص الذين طوروا ذكاءات معينة بإمكانية عالية تلك الأمثلة تعطي الطالب نماذج يتمكن من فهمها ويطمح لها فمثلاً أعطي نماذج لأبطال مختارين لكل نموذج بحيث يمكن أن تشتمل الأمثلة على ذكي بالكلمات: مثل مؤلفي كتب أدب أطفال، وذكي بالمنطق مثل مشاهير العلماء الذين يدرس عنهم الطلبة، وذكي بالصور مثل مشاهير صانعي أفلام الكرتون، وذكي بالجسد: مثل أبطال الرياضة والممثلين، وذكي بالموسيقا مثل الموسيقار المشهور، وذكي بالعلاقات (أشخاص): مثل ضيوف برنامج التلفاز، والسياسيين،وذكي بذاته: مثل المغامرين والعصاميين.

تم تدريس المفاهيم النحوية بالتركيز على اكتساب المحتوى (المفاهيم والمعرفة بأشكالها المختلفة) باستخدام إستراتيجيات الذكاءات المتعددة المتعلقة بالذكاء المنطقي، والذكاء التصوري، والذكاء اللغوي: مستخدماً إستراتيجية فرعية أو أكثر لكل ذكاء من الذكاءات السالفة الذكر، وعلى النحو الاتي:

نوع الذكاء	الإستراتيجيات الخاصة بكل ذكاء
1. الذكاء اللغوي	الحكاية القصصية، استخدام آلة التسجيل، دفتر اليوميات، النشر، الكتابة
2. الذكاء المنطقي	عمليات التبويب والتصنيف والتساؤل السقراطي
3. الذكاء المكاني – التصوري	التخيل البصري، الاستشعار، رسم الفكرة، الرموز الصورية
4. الذكاء الجسدي – الحركي	أجوبة الجسد، المسرح الصفي، المفاهيم الحركية

- كما أعد لهذه الغاية مذكرات خاصة غطت المفاهيم النحوية بأشكالها المختلفة كما ورد في المنهج المقرر.

– تطبيق التجربة:

قام مدِّرس المادة بتدريس المجموعتين على وفق الخطط التدريسية التي أعدها الباحث إذ أعطيت المادة والأمثلة والواجبات البيتية نفسها للمجموعتين ودرست المجموعة التجريبية باستراتيجيات الذكاء المتعدد، اما المجموعة الضابطة فقد درست بالطريقة الاعتيادية التي هي عبارة عن محاضرة تتخللها بعض الأسئلة, وبعد الانتهاء من تدريس المادة العلمية، طبق اختبار اكتساب المفاهيم على مجموعتي البحث. وفي اليوم التالي طبق اختبار التفكير الابداعي. وبذلك انتهت تجربة البحث التي استغرقت (14) اسبوعا.

الوسائل الاحصائية

1- معامل ارتباط بيرسون
2- معامل الصعوبة
3- معامل التمييز
4- معامل فعالية البدائل
5- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين
6- معامل كرونباخ الفا

الفصل الرابع

عرض النتائج ومناقشتها

عرض النتائج:

بعد معالجة البيانات إحصائيا اظهر البحث النتائج الاتية:-

1- **الفرضية الأولى**

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية التي تدرس باستخدام استراتيجيات الذكاء المتعدد ومتوسط

درجات طلاب المجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم النحوية.

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين استخدم الاختبار التائي (t–test) لعينتين مستقلتين فوجد أن القيمة التائية المحسوبة (2,13) وهي أعلى من القيمة الجدولية البالغة (2,00) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (64) مما يدل على أن استخدام استرايجيات الذكاء المتعدد له أثر واضح في زيادة تحصيل طلاب المجموعة التجريبية مقارنة بتحصيل طلاب المجموعة الضابطة في المفاهيم النحوية وبذلك ترفض الفرضية الصفرية الأولى.وكما في الجدول (3)

جدول (3)

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	32	67,93	5,22	2,13	2,00	دال
الضابطة	34	63,07	7,13			

القيمة التائية لدرجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار اكتساب المفاهيم

2- **الفرضية الثانية**

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة على اختبار التفكير الابداعي.

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي الدرجات على مقياس الاتجاه للمجموعتين، استخدم الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين، وقد تبين ان القيمة التائية المحسوبة (1,51) عند درجة حرية (64) وهي أقل من القيمة الجدولية البالغة

(2,00) عند مستوى دلالة (0.05). وبذلك تقبل الفرضية الصفرية الثانية وكما في الجدول (4).

جدول (4)

القيمة التائية للاختبار الإبداعي للمجموعتين التجريبية والضابطة

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	32	175,41	4,51	1,51	2,00	غير دال
الضابطة	34	172,33	4,62			

تفسير النتائج

- تقدم نظرية الذكاءات المتعددة المادة العلمية من خلال الانتقال من ذكاء إلى آخر ليتم تنشيط كل ذكاء على حدة وبالتالي يتم تقديمها بأساليب التدريس التي تتناسب مع أنماط التعلم المختلفة حتى يتسنى مخاطبة ذكاء كل طالب من المدخل الذي يناسبه. كما أن الأنشطة الخاصة بكل ذكاء تتكامل مع بعضها البعض لتجتمع معاً في موضوع الخبرة في نظرية الذكاءات المتعددة وعلى النحو الاتي:
- إستراتيجية التدريس للذكاء اللغوي والتي تعطي الفرصة للطلبة للتحدث عن كل ما يجول في أذهانهم وعما يريدون التحدث به ويكون ذلك شفهياً وأمام أقرانهم، كما تعطي الفرصة للطلبة بالكتابة أو الحديث عن قصة معينة لها علاقة بالمفهوم المراد تعلمه – أو أن يتعلموا من خلال كتابة التقارير، والمذكرات، والملاحظات. ويمكن للطلبة أن يتعلموا من خلال مهارات الاستماع للآخرين سواء كانوا المعلمين أو زملائهم أو وسائط الاتصال السمعية الأخرى(Campbell , 1994).
- إستراتيجية الذكاء الجسدي – الحركي والتي تقدم من خلال إستراتيجية تدريس تعني بخبرة الفرد في استخدام جسده للتعبير عن أفكاره، ومشاعره كما تعطي

الفرصة للطلبة بعمل مسرحية أو تمثيل دور قصير لتوضيح مفهوم علمي معين.
- عرض بعض المفاهيم باستخدام لغة الجسد والحركات الجسدية، وتوضيح العلاقات بين بعض المفاهيم أو بعض الأشياء من خلال التمثيل أو التقليد.
- تعطي إستراتجية الذكاء المكاني الفرصة لتمثيل البيانات والمعلومات العلمية على شكل رسومات تخطيطية لعرض المحتوى لبعض الأهداف والموضوعات ورسم صور أو جمع رسومات وخرائط ونماذج لتدعيم الوحدات الدراسية تنمي القدرة على التفكير المنطقي، وبناء النماذج والتصنيف والتبويب والاستدلال والتعميم والتفسير واختبار الفروض والقياس، ويمكن القول إن إستراتيجيات الذكاء المكاني مهتمة بتنمية التفكير الاستدلالي والاستنباطي والأعداد، والأنماط المجردة.
- زيادة القدرة على التحصيل الدراسي بمستوياته المعرفية (التذكر، الفهم، العمليات العقلية العليا).

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات

1- ان لاستراتيجيات الذكاءات المتعددة اثر ايجابي ودال في اكتساب المفاهيم لدى طلاب الصف الرابع العلمي.

2- ان لاستراتيجيات الذكاءات المتعددة اثر ايجابي ودال في تنمية التفكير الابداعي لدى طلاب الصف الرابع العلمي.

التوصيات

1- تركيز المدرسين في مراحل التعليم المختلفة على استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة المختلفة في التدريس.

2- ادخال موضوع (الذكاءات المتعددة) كموضوع اساس في مناهج كليات التربية وكليات التربية الاساسية.

المقترحات

1- اجراء دراسات مشابهة على مراحل دراسية اخرى كالمرحلة المتوسطة والجامعية.
2- اجراء دراسات مشابهة في مواد دراسية اخرى كالرياضيات والعلوم.
3- اجراء دراسة للكشف عن اثر استراتيجيات الذكاءات المتعددة في متغيرات اخرى.

المصادر العربية:

1- ابراهيم، عبد الستار، (2002)، الابداع قضاياه وتطبيقاته، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
2- ابراهيم، عبد العليم، (1968) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط10، دار المعارف، القاهرة.
3- ابو حطب، فؤاد، (1983) القدرات العقلية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
4- اديبي، عباس عبد علي، (2001)، قدرات التفكير الابتكاري في علاقتها بعادات الاستذكار وقلق الاختبار لدى طلاب التعليم الثانوي والجامعي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد (2)، العدد(3).
5- جامل، عبد الرحمن عبد السلام (2004)، طرق تدريس المواد الاجتماعية، ط2، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
6- الجروان، فتحي عبد الرحمن (1999)، الموهبة والتفوق والإبداع، ط1، دار الكتاب الجامعي، العين، الامارات العربية المتحدة.
7- الجومرد، محمود, (1962), الطرق العملية لتدريس اللغة العربية، مطبعة الهدف، الموصل.
8- حسن، محمد صديق، (1994)، الابتكار وأساليب تنميته، مجلة التربية، العدد (110)، السنة (23).
9- حسين، فاتن سالم، (2004)، أثر استخدام الحاسوب في القدرة على التفكير الإبداعي واكتساب المفاهيم العلمية لدى طلبة الصف الأول كلية المعلمين في مادة العلوم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية المعلمين، جامعة الموصل.

10- الحيلـة، محمد محمـود، (2001)، أثـر أنـواع الأنشـطة الفنيـة فـي التفكيـر الابتكاري لدى طالبات المرحلة التأسيسية، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، السنة (10)، العدد (19).

11- خالـد، زينـب احمد، (2002)،استخدام برنـامج تعليمـي بـالكومبيوتر فـي تـدريس الهندسة لتنمية التفكير الابتكاري والناقد والتحصيل وتكوين الاتجاه نحو استخدام الكومبيـوتر لـدى تلاميـذ الصـف الاول الاعـدادي، مجلـة التربـوي الاسـلامي العربي، العدد (81).

12- خطايبــة، عبــد الله، و البــدور عــدنان (ب ت)، اثــر اســتخدام اســتراتيجيات الذكاءات المتعددة في تدريس العلوم في اكتساب الطلبة لعمليات العلم، انترنت، http://www.hrdiscussion.com/hr10459.html#ixzz1DCUCdAMY

13- خليل، قاسم، ونعمة رحيم العزاوي، (1966) اصول تعليم اللغة العربية والدين، ط2، مطبعة الاداب، النجف الاشرف.

14- الـدباغ، البتـول، (2001)، تنميـة الإبـداع، النـادي الادبـي بمنطقـة حائـل، العدد(7)،انترنيت.

15- رضـوان، وسـام سـعيد، (2004)، الـدافع المعرفـي والبيئـة الصـفية وعلاقتهمـا بـالتفكير الابتكاري، لدى طـلاب الصـف الرابـع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الازهر, غزة.

16- زيتون، عايش محمود (1987)، تنمية الإبداع والتفكير الإبداعي في تدريس العلوم، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الاردن.

17- سلمان، عدنان محمد,(1991) دراسات في اللغة والنحو، جامعة بغداد، كلية الاداب.

18- السـيد، محمـود عبـد الحلـيم (1971)، الابـداع والشخصـية، دار المعــارف، القاهرة.

19- شـلبي، محمد احمـد، (2001)، مقدمـة فـي علـم الـنفس المعرفـي، دار غريـب، القاهرة.

20- عفانـة، عـزو اسـماعيل و الخزنـدار، نائلـة حبيـب (2007)، التـدريس الصـفي بالذكاءات المتعددة، دار المسيرة، عمان.

21- العمر، بدر عمر(1990) " المتعلم في علم النفس التربوي" ط1، كويت تايمز، الكويت.

22- قطـامي، يوسـف، (1996)، المتغيـرات الاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافيـة المسهمة في تفسير تباين إبداع طلبة الصف العاشر الأساسي في مدينة عمان، مجلة دراسات (العلوم التربوية)، المجلد (23)، العدد (1)، الجامعة الأردنية.

23- الكرباسي، موسى ابراهيم. دراسات في اساليب تدريس اللغة العربية في مرحلة الدراسة الابتدائية، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، 1971.

24- الكيلانــي، مـريم، (2003)، التفكيـر الإبـداعي ومكانتــه فــي الـدول المتقدمـة (انترنيت).

25- محمـد حفنــي اسـماعيل، (2002)، الــتعلم باسـتخدام اسـتراتيجيات العصـف الذهني، انترنيت.

26- منصور، طلعت وآخرون (٢٠٠٢)، علم النفس العام، مكتبة عين شمس, القاهرة.

27- نشـوان، يعقـوب وحيد جبـران، (1999)، أسـاليب تـدريس العلـوم، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن.

28- وينتج، ارنوف(1984) " سيكولوجية التعلم " ترجمة عز الدين الاشول وآخرون، سلسة شوم في العلوم الاجتماعية، دار واكجوهيل، فيوبروك.

المصادر الاجنبية:-

1- Baldes, D.; Cahill ,C &.Moretto, F. (2000). Motivating Students To learn through Multiple Intelligences, Cooperative Learning, and Postitive Displine. Saint Xavier University and Skylight Professional Development. USA.
2- Hoerrm Thomas R. (2000 .(Becoming a Multiple Intelligence School. Association for Supervision & Curriculum Deve. USA.
3- Hornby, A. S., (2000), Oxford advanced Learner's dictionary, sixth ed., Oxford University Press.
4- Gardner, H .(2003) .Multiple Intelligences. Basic book. USA.
5- Internet: http://albahethah.com/MultipleIntelligence.aspx
6- Joyce, B.,Weil, M.(1986), Models of Teaching, 2nd ed., Engle Wood Chiffs Prentice –Hall, New Jersey.
7- Novak & Gowin (1995) Concept Mapping to Facilitate Teaching & Learning, prospects ,Vol(25), No.(1) March, pp: 79-86.

سيميوطيقا الشخصية الأنثوية
في رواية (مدينة الله) لـ حسن حميد

أ. م. د. فيصل غازي محمد النعيمي
جامعة الموصل/ كلية التربية

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة الشخصيات الأنثوية في رواية – مدينة الله– للروائي الفلسطيني السوري حسن حميد على وفق المنطلقات النظرية للسيميوطيقا المعاصرة، التي قاربت الشخصية الروائية طبقا لرؤى مختلفة مع كريماس وسوريو وتودوروف وفيليب هامون وتتراوح بين التصنيف السيميوطيقي وعلاقات الحضور والغياب ونظام التسمية. ويمكن للقارئ أن يلاحظ أن هذه الرواية تحتفي بالشخصية الأنثوية على مستويين: الأول الحضور النصي الطاغي في عالم الرواية المتخيل، والثاني النظام السيميوطيقي الذي اتبعه المؤلف عند بناء هذه الشخصيات مما يدل على وعي نقدي ومعرفي أهلّ هذه الرواية لتكون أنموذجا لهذه الدراسة السيميوطيقية.

إضاءة..

1-عن المدونة السردية:

رواية (مدينة الله) لـ حسن حميد تميل في بنائها العام باتجاه التقنيات السردية التجديدية/ التجريبية(رواية رسائلية من جهة واحدة – الراوي المشارك)، لكن ما يفاجئ قارئ هذه الرواية مضمونها (أو مضامينها) وطريقة طرح التعدد في الرؤى (الأنا/ الآخر الصديق/ الآخر العدو/ الآخر المحايد/ الصوت الأنثوي المقيد بالرؤية الأيديولوجية الذكورية) لقضية الصراع العربي الإسرائيلي، وبذلك تكون إحدى أهم الروايات العربية في العقد الأول من القرن الحالي التي قاربت هذه الموضوعة من دون الوقوع في الدعائية والفجاجة وتغليب الأيديولوجي على جماليات البناء السردي، فجاءت الرواية متماسكة في خطوطها العامة وتفاصيلها الدقيقة.

المدونة السردية لـ(حسن حميد) تحاول أن تقدم رؤية حضارية مغايرة عن تلك التي قدمها الفن الروائي العربي التقليدي ولا سيما في بواكيره، وللقضية الفلسطينية والمكان والتاريخ والعادات والتقاليد والطقوس.الرواية نص أنثروبولوجي لكن بشكل يناقض تماما ما يسمى بالمرحلة الانثروبولوجية في الرواية العربية (سائح روسي في القدس العربية المحتلة)، وهي بذلك (الرواية) تؤسس لفرادتها على أكثر من مستوى.

الرواية عصية على التصنيف فهي رواية حضارية/ انثروبولوجية/ مكانية/ طقوسية/ احتفالية/ رواية توثق بفنية عالية للقمع وانتهاك الإنسان والمكان والتاريخ والحاضر والمستقبل.

ونلاحظ أن هذه الرواية تحتفي بالأنثى إلى جنب كل ما ذكرناه، وتبرز الأنثى بمرجعياتها المختلفة (الفلسطينية/ الإسرائيلية/ الغربية) بشكل واضح وجلي على صفحات الرواية وتتماهى مع المكان (القدس/ السجن/ البيت/ الأماكن المقدسة)

وتصنع التاريخ والمستقبل، المرأة بحضورها الطاغي وخصوبة رمزيتها كانت منطلقا لهذه الدراسة.

2-عن سيميوطيقا الشخصية الروائية:

تأخذ كلمة (الشخصية) معان مختلفة على وفق المنظومات التي تتعامل معها(الفلسفة/ الأدب/ اللاهوت/ الاجتماع.....السياسة) وشكّل مفهوم الشخصية الروائية قطيعة وتحولا (في الدرس النقدي السردي الحديث) ولا سيما مع الأشكال الحكائية التقليدية (الأسطورة، الملحمة، الحكايات الشعبية) واكتسب مفاهيم جديدة ومتعددة بتعدد المدارس الأدبية والاتجاهات النقدية.

وفي إطار النظام السيميوطيقي لتحليل الشخصية الروائية يمكن أن نرصد التطورات المنهجية الآتية وبشكل موجز:

يعدّ الأنموذج المورفولوجي للحكايات العجائبية الروسية الذي قدمه (فلاديمير بروب) العتبة الأولى للدراسات السيميوطيقية والمنصب على عدد وظائف الشخصية والمعتمد على مبدأ (الثبات والتحول) فالشخصية الحكائية في نظره كائن متحول لا يشكل سمة يمكن الاعتماد عليها، والأجدى للدراسات أن تتخلى عن هذا العنصر المتغير وأنّ تركز اهتمامها في بنية الحكاية وماتقدمه من وظائف(1).

وبذلك يبرز اهتمام بروب بالجانب المورفولوجي للشخصية الحكائية بشكل عام مع اهتمام خاص بالوظائف الصادرة عن الشخصية.

الخطوة الثانية التي استلهمت أنموذج بروب وحاولت تجاوزه ومن ثم تطبيقه على الفن المسرحي كانت لـ(سوريو) الذي أفاد من كون مفهوم الحدث هو تضارب القوى المتعارضة والمتلاقية، وبذلك فإنّ كل لحظة في الحدث تشكل موقفا للصراع بين الشخصيات(2).

عمد (كريماس) في خطوة لاحقة إلى التوفيق بين آراء (بروب وسوريو) ووسع من الإطار التطبيقي للمفاهيم النظرية من خلال أنموذجه العاملي الذي يتسع ليشمل كل أنماط الخطاب السردي، ومن خلال هذا الأنموذج تجاوز كريماس ((الوضع الداخلي للشخصية (أي الشخصية بصفتها وحدة معجمية) إلى الوضع الخارجي أي من المستوى التركيبي إلى المستوى الدلالي))[3]. وبذلك يعدّ الأنموذج العاملي مرحلة انتقالية من نمط العلاقات إلى نمط العمليات، فالشكل النسقي له يتجلى كونه صورة تجريدية تعكس لصورة اجتماعية.

الخطوة المنهجية الأبرز في وضع قانون سيموطيقي للشخصيات الروائية كانت مع (فيليب هامون) الذي عدّ الشخصية الروائية ((مفهوما سيمولوجيا ووحدة دلالية (...) وشكلا فارغا تقوم بنيته على الأفعال والصفات وتكتسب معناها ومرجعيتها من خلال سياق الخطابات، ولا تكتمل إلا حينما تنتهي الصفحة الأخيرة من النص، فباكتماله تكتمل الشخصية، وتحدد علاماتها))[4].

وبهذا فإنّ (هامون) يضع حدّا للشخصية الروائية يتوافق مع منطلقاته ومرجعياته التي سبقته (بروب، سوريو، كريماس) وكما يأتي: ((اعتبار الشخصية، وبشكل قبلي، علامة، أي اختيار وجهة نظر تقوم ببناء هذا الموضوع من خلال دمجه في الإرسالية منظورا إليها هي الأخرى كإبلاغ، أي مكونة من علامات لسانية))[5].

وبذلك تكون مقاربة هامون للشخصية الروائية في موقع المعارضة للنقد السياقي (التاريخي والنفسي والاجتماعي) وكل مايدور حوله، فالشخصية مقولة علامية ترتكز في تحليلها على مجموعة من المقولات التي أسس لها هامون وهي:

1- مدلول الشخصية.

2- الانموذج العاملي.

3- دال الشخصية.

أولا. النظام السيميوطيقي لبناء الشخصية (تعدد المرجعيات وبناء المعنى):

مما لاشك فيه إنّ خضوع النصوص الروائية لخطابين فاعلين ومتعارضين وهما الواقعي والتخييلي يفرض سؤالا عن مرجعيات الشخصية وتعددها وتشظيها ما بين الخطابين السابقين.

يقدّم (فيليب هامون) في قانونه السيميوطيقي عن الشخصية الروائية تيبولوجية شكلية تعتمد على المقولات الآتية[6]:

1- إنها (الشخصية) ليست حكرا على الميدان الأدبي.

2- إنها ليست مقولة مؤنسنة دائما.

3- ليست مرتبطة بنسق سيميائي خالص.

4- إن القارئ يعيد بناءها كما يقوم النص بدوره ببنائها.

وتأسيسا على هذه المقولات يصنف (هامون) الشخصيات الروائية الى ثلاثة أنماط رئيسة، تندرج ضمنها أنماط أخرى، ويمكن لأية شخصية عن طريق التبادل والتناوب أن تعد جزءا من هذه الأنماط، ذلك أن كل وحدة تتميز بتعدديتها الوظيفية في السياق[7].

وأبرز هذه الأنماط، النمط الأول: الشخصيات المرجعية، وهي التي تحيل على معنى ناجز وثابت، أقرته ثقافة ما، وتبقى مقروئيتها مرتهنة بفاعلية القراءة ومشاركة القارئ في تلك الثقافة[8].

وهذه الشخصيات (المرجعية) تقسم على أربعة أقسام لدى هامون:

1- الشخصيات التاريخية 2- الشخصيات الأسطورية 3- الشخصيات الرمزية 4- الشخصيات الاجتماعية.

إنّ مفهوم فيليب هامون عن الشخصية المرجعية واعتماده على آليات نصية لا يلغي كون أنّ الفهم السيميوطيقي قد يتفاعل مع الأبعاد الخارجية للنص الروائي،

وأن يشير بدوره إلى واقع خارجي/ افتراضي/ تعاقدي يتشكل على وفق المقولات السوسيو – ثقافية لأن خضوع المرجع لسلطة الحقيقة الواقعية يجعل من فاعلية اشتغاله في الخطاب الروائي ضعيفة وذلك للعلاقة الجدلية بين الخطابين الواقعي (المرجعي) والتخييلي). وبهذا لايمكن التأسيس لفعالية المرجع على وفق احتمالية (الصدق/ الكذب) كما في العلوم الطبيعية، بل على وفق ما يعتقد أنه صحيح أو قد يصح، أي يصبح المرجع نوعا من التعاقد بين المؤلف والقارىء، وبدلا من انعكاس الواقع سيكون لدينا واقع الانعكاس الذي يتحدد على وفق شفرة سوسيو – ثقافية(9).

يعتمد عالم (مدينة الله) الروائي في بناء الشخصية الأنثوية على نظام سيميوطيقي يقسم عالم المرأة على عالمين متناقضين متضادين متصارعين مابين الأنثى الفلسطينية والأنثى الإسرائيلية، ومعلوم ما للقسمين من مرجعيات متعددة (أسطورية/ دينية/ تاريخية/ اجتماعية/ شعبية) مؤثرة في بناء الشخصية وتحديد تصرفاتها في العوالم المحكية.

يعمد الروائي عند بناء شخصية الأنثى الى مرجعيات مختلفة ومتعددة، لكن التداخل بين هذه المرجعيات هو السمة الحاضرة، مما يؤشر على خصوبة رمزية الأنثى في هذه المدونة.

تتماهى وتتداخل المرجعيات الأسطورية والتاريخية غير المحددة والمخيال الشعبي ذو الصبغة التقديسية في بناء شخصية الأنثى وكذلك في إضفاء البعد الأسطوري والعمق التاريخي على جذور المكان (القدس) وبذلك تضافرت المرجعيات في بناء الشخصية الأنثوية التي منحت للفضاء المكاني الاسم (سلوان/ نبعة السلوان) ومن ثم منحته هذه العلامية الأنثوية الدالة على العطاء والخصوبة والحياة الممتدة اللامتناهية ((هنا، وقد رأيت جمال الصبايا يسيل مثل العسل من أقراص الشمع، تذكرت الحكاية التي قصصتها عليّ، حكاية البنت سلوان التي أعطت النبعة اسمها،

كما أعطت المكان روحها.. اذكر انك قلت لي.. إن القدس كانت حوضة ماء مابين عديد من الجبال المحيطة بها، الجبال التي تبدو حين تنظر إليها أشبه بالكهوف الحاضنة لحوضة الماء الصافي.. (...) فكان أن انتدبت أجمل صبايا القدس نفسها، واسمها سلوان، كي تبيت كل ليلة قرب حوضة النبع تدعو وترجو السماء لتملأ بيدها الرحيمة حوضة النبع بالماء الزلال (....) ولم تكن غصة سوى افتقاد سلوان.. التي طفا جسدها فوق صفحة الماء.. مثل ورق لا لون لها سوى لون الذهب...)) (10).

وكما ترشح فإنّ تعدد المرجعيات وخصوبتها لا يلغي خصوصية الأنثى وفاعلية علاميتها (الحياة/ التضحية) وتتداخل الأسطورة هنا مع الأساطير الفرعونية في العلاقة ما بين الفتاة وفيضان النيل الموسمي، على الرغم من ورود المرجعية الأسطورية في إطار تأصيل المكان على مستوى البعدين التاريخي والشعبي، وبذلك فإنّ الدوال التي ترسم ملامح الأنثى/ المكان لا تعمد إلى المرجعيات الرسمية فحسب بل تستثمر وتوظف التاريخ المغيب المتأسس على الذاكرة الشعبية.

تتداخل المرجعيات وتبتعد عن الأحادية في النظام السيميوطيقي في عملية بناء الشخصية الأنثوية، مابين مرجعيات أسطورية وتاريخية وأخرى، هي الأكثر وضوحا في نص الرواية (الاجتماعية والرمزية)، فشخصية الأنثى لا تبقى أسيرة الدلالات التاريخية والاجتماعية التي تكون في الغالب مرتهنة بمكانة الشخصية ووظيفتها وربما حتى طبقتها التي تنتمي إليها، بل تتجاوز ذلك نحو المرجعيات الرمزية الكامنة في أصل نظامها السيميوطيقي، فأغلب العلامات تنشأ عن نظام (قانون) رمزي(11).

والعلاقة بين الرمز والمرجع ثابتة ومنظمة فكل رمز يقابله معنى معين وكل معنى يقابله مرجع محدد ومعرّف(12).

في رواية (مدينة الله) نماذج كثيرة دالة على تداخل المرجعيات الاجتماعية والرمزية، مابين الأنموذج الاجتماعي (الأم/ المناضلة/ العاملة) ومابين رمزية الأنثى (المحبة/ الكراهية/ الطغيان/ القمع/ الشبق)، إلا أن الأنموذج صاحب السطوة في نص الرواية والمؤثر في العلاقات التضادية والتحاورية بين شخصيات الرواية وذا الأبعاد الرمزية المتعددة والمتشظية هو للفتاة الإسرائيلية (سيلفا) الباحثة الاجتماعية في السجون الإسرائيلية وعشيقة الراوي المشارك في الأحداث (فلاديمير) والشخصية المختلفة الوجوه والمركبة بشكل يوحي بالتناقض مابين وضعية العشيقة (الوصف الجسدي/ الشبقي) ومابين وضعية السجانة (وصف القمع والانتهاك) معبرة بذلك عن علامة كبرى في نص الرواية وهي وجه إسرائيل الحقيقي حيث المظهر المشع والجوهر المسكون بالخوف والازدواجية والتدمير والقتل والانتهاك لكل ماهو إنساني، يكشف نص الرواية عن الصورة التمويهية لهذه الشخصية الأنثوية بشكل متدرج يفاجئ القارئ من أنثى عاشقة إلى جنرال إسرائيلي تنافس الذكور في أعمالهم العسكرية ((سيلفا فرد من الأفراد الذين يعملون في السجون... ولها أدوارها، فان كان هؤلاء قساة، فهي لا تقل عنهم قسوة.. لأنها نسيت أنها امرأة، فما عادت تعرف معنى الأنوثة))(13).

هذه البطاقة التعريفية ذات المرجعية الاجتماعية (والأوهام التاريخية) تؤسس للصورة المركبة المتناقضة لهذه الشخصية التي تتجلى في مفتتح الرواية أنثى عاشقة بعيدة كل البعد عن العسكرة الإسرائيلية ضمن علاقة إنسانية (في مظهرها) اغوائية (في جوهرها) مع الآخر الغربي المتفرج/ السائح، ويكشف السرد عند الوجه الثاني للأنثى سيلفا (العاشقة) عن لغة شعرية تفصح عن أنثوية هذه المرأة ((جاءت مثل بستان مثقلة بالألوان، واللمعان والروائح، والرؤى الساحرة، والشوق الحميم، لكأنها كانت مثل رغيف الخبز الذي يتقمر على مهل، ولعلي كنت محتشدا بالشوق

لها..لأنني بدوت في غيابها. وفي أثناء انتظارها، مثل طائر يحوم فوق عشه، ولا يستطيع الدخول إليه لأن ثعبانا كمن فيه.. سمعت صوتها الخافت وهي تحدث مؤجرتي العجوز اليهودية أم اهارون، فضج قلبي وهاج.سمعتهما يتناغيان كالمزاريب دون أن افهم من كلامهما شيئا. وبدلا من أن تهدأ روحي، ويطمئن قلبي لحضورها وقد باتت قربي... ازداد اضطرابي، ولكأن سيلفا تحسبت لذلك فلم تصعد الى مباشرة، بل جالست العجوز وشربت القهوة عندها))(14).

هذه التوصيفات الجسدية المتماشية مع الطبيعة الأنثوية لـ سيلفا، تعارضها توصيفات أخرى، تكشف عن ازدواجية هذه الشخصية مابين الأنثى العاشقة والجنرال العسكري وهي بذلك ترمز إلى دولة إسرائيل في مدنيتها وعسكرة مجتمعها في آن واحد ((ما عدت قادرا على التمييز والمحاكمة، فأنا ممزق بين ضفتين، في الأولى سيلفا السجانة، وفي الثانية سيلفا العشيقة.. هناك ظالمة، وقاسية، ومتوحشة، وهنا مستسلمة، وعذبة، وحنون(...) فها أنذا أراها تدع ثوبها الأصفر الجميل جانبا، وترتدي ثيابها العسكرية، هاهي ذي تخرجها قطعة من حقيبة يدها الصغيرة وترتديها فتستوي أمامي للمرة الأولى سيلفا السجانة، إنني لا أصدق ما أراه لا أستطيع النظر إليها، كما لا أستطيع ملامستها أو ضمها.. هاهي ذي تتحول أمامي إلى كائن شوكي، والى جسد شوكي))(15).

وبهذا فإن هذه البطاقة التوصيفية المركبة تلقي الضوء على الجانب اللاحضاري واللا إنساني في أعماق وتصرفات هذه الشخصية (سيلفا) عندما تقابل بينها وبين الضحية الفلسطينية بين وحشية وقسوة سيلفا وجمال الفتاة الفلسطينية المنتهكة (جسديا ومعنويا) وبذلك تبرز الدلالات الاجتماعية والرمزية لهذه الشخصية المركبة ذات الطبيعة الازدواجية، وهي بذلك علامة على الدولة الإسرائيلية ذاتها وهي تتعامل مع الغرب (فلاديمير) بوجهها الحضاري الأنثوي متبعة في ذلك منطق الكذب

والتزييف والغواية، بينما تركن الى الوحشية والقسوة وإلغاء الذاكرة والحاضر مع الفلسطيني، وينّهج السرد في ذلك أسلوب المراوغة والتعدد في وجهات النظر عند تقديم الحادثة الواحدة عبر تعدد الرواة الكاشفين عن الحقيقة (جو – سيلفا – عارف الياسين – أبو العبد...) ((تقول همسا: قتلوا سعدية في السجن.. قلت: سجينة. قالت: سجينة. قلت ولماذا ؟ قالت: لأنها لم تعترف بشيء. استخدموا معها كل الأساليب الجهنمية، الكهرباء، قلع الأظفار، الاغتصاب، الجلد، الكلاب، القطط، الديوك، الشبح على الحيطان، الكي بالنار والسكائر، ثقب الأذنين، والأنف الشفتين،.... لكنها لم تعترف بشيء ولشدة التعذيب ولإضرابها عن الطعام... انخفض ضغطها مرات ومرات... إلى أن ماتت))[16].

إن النص الروائي وفي محاولة سوسيو – ثقافية يعري الآخر (العدو) ويفضح ازدواجيته اللاإنسانية وبذلك لا تعتمد طريقة رسم الآخر على المخيال فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الواقع الروائي الذي يعيد صياغة الواقع الفعلي ضمن رؤية فنية لا تستبعد الشروط التاريخية والأسطورية المحددة لصورة هذا الآخر.

في انموذج ثانٍ تمتزج فيه المرجعيات الاجتماعية والدينية والأسطورية والرمزية يقدم النص الروائي المرأة اليهودية المتمسكة بالتعاليم التوراتية المحافظة على الأصول والتقاليد الصهيونية البعيدة عن الملامح الإنسانية والتي تعيش لأجل بناء دولة إسرائيل، وبذلك ينحو الخطاب الروائي مع هذه الشخصية منحى أيديولوجيا يعبر عن وجهة نظر المرأة اليهودية في القضايا السياسية المصيرية ((واجهتني العجوز اليهودية مؤجرتي أم أهارون باسمة، لأول مرة أراها باسمة أو شبه باسمة (...) سمعتها تقول لي: أين قضيت نهارك اليوم، فألتفت إليها وقلت: في القدس، قالت: أأعجبتك عاصمة بلادنا، قلت: إنها جميلة فعلا، ولكن فيها ظلما كثيرا، فأعتكر وجه العجوز وهمهمت أي ظلم؟! قلت: البغالة يضربون، وينهرون، ويوقفون، ويمنعون،

ويشتمون، ويخوفون، ويفسدون حياة الناس في كل مكان... في الشوارع، والأحياء، والحارات، والزوايا، والأسواق،... قالت: هذا ليس ظلما. قلت: ما هو إذن ؟ قالت: حراسة مقدسة لأمن البلاد، فهؤلاء الرعاع، يخافون ولا يخجلون، قلت: لكنهم هم أيضا أهل البلاد. قالت: هذه خرافة. كذبة عربية، تحاولون أنتم تصديقها))[17].

في المقتبس السابق الراوي هو الشخصية الإخبارية (فلاديمير الروسي) ولكن هذا لا يمنع من ترشح رؤى معارضة لرؤيته التي يدافع عنها، ويتضح ذلك في خطاب المرأة اليهودية النابع من الفلسفة الصهيونية المرتكزة على مقولات وخرافات دينية وأسطورية، تسوقها بوصفها حقائق قارة.

وضمن قانون سيميوطيقي تقابلي محكم يقدم لنا الخطاب الروائي انموذج المرأة الفلسطينية ذات المرجعية المزدوجة (الاجتماعية والرمزية)، حيث الأنثى الفلسطينية التي تواجه مصاعب الحياة وتعمل لأجل إعالة عائلتها بعد غياب الرجل ((كانت أم العز تشغل فسحة من الأرض مواجهة للشارع مباشرة، فسحة واسعة يبدو إنها كانت بناءً وأزيل. أسأل الحوذي جو عن المكان، فيقول لي: هنا، وفي مكان أم العز كان بناء لمطعم يديره زوجها وأولادها، لكن الجنود البغالة هدموه بالجرافات لأنهم وجدوا كتابات تندد بهم وبأفعالهم الشائنة مكتوبة على جدران المطعم. زوجها، الآن، في السجن.أما هي فقد أتت مع أولادها ورفعوا الأنقاض بمساعدة الآخرين. ثم أقترحوا هذه الطريقة لتقديم الطعام للناس كي لا يستولي البغالة على الأرض. وقد تضامن الناس معهم، لهذا تراهم، وفي الصباح الباكر يتناولون طعام الإفطار هنا كواجب وطني))[18].

وعلى الرغم من أن هذا النمط من الشخصيات لم يكن له الدور المؤثر في أحداث الرواية إلا أنه مثّل مواقف المؤلف السياسية والفكرية والوطنية، وكشف عن

طبيعة المجتمع المقدسي تحت الإحتلال، وعن قوة وصلابة الأنثى الفلسطينية وهي تواجه الطغيان والظلم الإسرائيلي لوحدها مع غياب الرجال في السجون.

ثانيا. تجليات الأنثى (شبكة العلاقات وجدلية الحضور والغياب):

تشكل أنماط العلاقات المتعددة التي تقيمها الشخصيات الروائية فيما بينها منطلقا أصيلا للدراسات السيميوطيقية كما هو موجود عند كريماس وتودوروف، وتتأسس هذه الدراسات من منطلق الفرضية التي تربط الفاعل بالموضوع على وفق ترسيمة كريماس المبنية على ثلاث قواعد قاعدية (الرغبة/ الاتصال/ المشاركة)، وقد حور تودوروف قليلا في آراء كريماس، فالعلاقات الكبرى ستصبح لديه مسندات أساسية، يمكن الإنطلاق منها بهدف إشتقاق أنواع أخرى من العلاقات، لتصبح مسندات فرعية[19]. إن التعقيد في العلاقات القائمة بين الشخصيات ينشأ من ((تعدد الممثلين في العامل الواحد، أو عن تعدد العوامل في ممثل واحد(...) بحيث تؤدي كل هذه التعقيدات إلى جعل النمط الحكائي في أنواعه المعاصرة على الخصوص، شائك العلاقات))[20].

منذ عتبة الإهداء المعنون باسم ناديا (ملاك) الروائي الحارس له أبدا، يتجلى حضور الشخصيات الأنثوية في هذه المدونة السردية التي يحتشد في فضائها النصّي كل شيء (المكان/ التاريخ/ الجمال/ القسوة/ الظلم/ المحبة/ العشق/ الشبق/ الأنثى...).

تشتغل جدلية الحضور والغياب في هذا النص على وفق مسارين اثنين احدهما فردي يعبر عن الذات الجمعية (فلسطيني/ إسرائيلي) والآخر جمعي يكشف عن صورة مكتملة للمرأة الفلسطينية.

ولو استعرنا مفاهيم جينت السردية (الحكاية/ السرد) لوجدنا ان سيلفا الشخصية الأنثوية الإسرائيلية، شكلت حضورا بارزا على مستوى التواجد النصّي

ومستوى إنتاج الدلالة، كثافة حضور هذه الشخصية على المستوى النصي يقابلها غياب واضح ومقصود للأنثى الفلسطينية (رشيدة) زوجة المستشرق الروسي لكن هذا الغياب النصّي يوازيه حضور دلالي عميق ومكثف فرشيدة الحاضرة في غيابها في (السرد) متواجدة في أصل الحكاية وهذا ما ولد مفارقة/ دلالية/ سردية/ زمنية، فعلى الرغم من هيمنة الصوت الأنثوي الإسرائيلي متمثلا بسيلفا الجلادة/ العاشقة إلا أن هذا لم يمنع من أن تتشكل رشيدة القطب المضاد تماما لـ سيلفا والمتغلب عليها على الرغم من سطوة حضورها وإغوائها (سيلفا) ((أنا بعد ما ماتت رشيدة زوجتي الفلسطينية، العكاوية، كما أخبرتك سابقا، قلت لنفسي: الآن آن أوان الفطام عن النساء (...) لم أعرف امرأة بعد رشيدة. كنت وكلما تعرفت إلى امرأة، طوال السنوات الماضية، كان عقلي يجري حسابات سريعة كانت كلها في صالح قناعاتي بالفطام. لم التفت إلى امرأة كجسد أو شهوة، إلى أن قدمت إلى هنا، سيلفا كانت مغويتي الأولى، بها بدأت أولى خطواتي لمحو الفطام، قال: وساقية الورد. قلت: أتمنى أن تصير مغويتي الجديدة. قال: وسيلفا ؟ قلت: عقلي نافر منها))[21].

وبهذا يتجلى الحضور الطاغي الآسر في الغياب وتبرز فاعلية الشخصية في تغيير رؤى الراوي عن فلسطين وكذلك في إبراز الجذور الحقيقية للأنثى الفلسطينية المنتمية إلى الأرض والتاريخ (رشيدة/ القدس/ عكا) وبين الجذور المنقطعة لـ(سيلفا) ((روحي مألومة أيضا.. فأنا لم أزر البحر الميت، لم أتعمد بماء النهر المقدس. لم أر طبريا.. ولم اذهب إلى عكا.. كي أرى بيت رشيدة مراد/ زوجتي في حي المنارة))[22].

إن نمط العلاقات التي محورها (فلاديمير) تتأسس على وفق مبدأ الرغبة أولا تجاه رشيدة (الزوجة/ الحبيبة) وبهذا يكون نمط العلاقة ثابتا في الحضور والغياب، أما مع سيلفا فالرغبة كانت متحولة من الحب إلى الشبق وانتهاءً بعدم الرغبة والانقطاع التام الذي كان أساسه التواصل في البداية، لكن مع تغير القناعات حصل تحول

واضح ومهم في أدوار مواقع الشخصيات ومن ثم طبيعة علاقتها ولا سيما الرغبة واللارغبة وأدوار المعارض والمساعد. والتحول في العلاقات لا يأتي دفعة واحدة بل يتكشف بشكل تدريجي مستفيدا من تقنية تعدد وجهات النظر التي تزخر بها الرواية، وهي توسع من مفهوم الراوي الإخباري ما بين الآخر الغربي والآخر اليهودي والفلسطيني ((قلت: وماذا تود أن تقول لي أيضا ؟. قال: كل السجن، وكل ما حدث فيه من ضرب، ودم، وإغماء وخوف، وبرد وجوع، وألم وتحقير، وإهانات... في طرف، ومافعلته السجانة سيلفا بي في طرف آخر، فنهضت بكامل قامتي بعد أن صرخت به: ماذا... سيلفا ؟ فقال وقد ذعر: رفيق، أتعرفها ؟ قلت: الباحثة الإجتماعية. قال: الباحثة الإجتماعية. قلت: الطويلة الملأى صاحبة الشعر الأشقر. قال: الطويلة الملأى صاحبة الشعر الأشقر. قلت: وشامة انفها. قال: وشامة انفها (...) مضيت إلى البيت.. فوجدت سيلفا (...) فصرخت سيلفا في ظهري: سألحق بك..إنتظرني.. فاستدرت نحوها وقلت: أرجوك.. لا. فتجمدت في وقوفها. أظن إنني كنت جلفا وقاسيا أكثر مما ينبغي))[23].

يكشف المقطع السابق عن التحول العلائقي الحقيقي والجذري في ادوار الشخصيات وفي موقف فلاديمير تجاه سيلفا (اسرائيل) نتيجة المعلومات التي تلقاها من الأسير الفلسطيني الذي فضح ازدواجية ووحشية هذه الأنثى.

الحضور الآخر للشخصية الفلسطينية الأنثوية ذو طابع جماعي ينسج خيوط هوية الأنثى الفلسطينية عندما تندمج الهوية الفردية بالهوية الجماعية ((فالأنا هو الأنا الاجتماعي فحسب، وهو يسهم في المشاركة الجمعية وخاصة فيما يتعلق بالخرافات والطقوس والعادات. إذ لا وجود للإنسان المحدد إلا من خلال انتمائه الجمعي))[24].

يحاول الروائي/ الراوي أن يرسم توصيفا دقيقا لهذه الأنثى معبرا عنها ومعتمدا في ذلك على شبكة من العلامات الداعمة من أهمها (المكان/ الأزياء/ الطقوس/

الخرافات/ الوظيفة) ((في المنعطف الأول واجهتنا جماعة جديدة من البغالة والبغال والكلاب المتوحشة... (...) بدت المقدسيات بأثوابهن السود المطرزة وهن يقفن في الشرفات، بعضهن ينشرن الغسيل على الحبال، وبعضهن الآخر يسقين النباتات وأخريات يشربن القهوة... وينظرن إلينا))[25].

ولا بد أن نلاحظ التكرار الدوري للوصف الجماعي للنساء المقدسيات في متن الرواية المتداخل والمتشابك (بنائيا ودلاليا) مع وصف المكان (البيوت/ الحارات) ووصف الآلة العسكرية القمعية الإسرائيلية (البغالة/ البغال/ دوريات الجيش/ الكلاب) وبذلك يوظف المشهد السردي صورتين متضادتين لكن هذا التضاد يكشف عن الصورة الحقيقية/ الواقعية المتمركزة في الأراضي العربية المحتلة ((عتبات البيوت متشابهة مثل أولاد أسرة واحدة، والشبابيك الوسيعة طولا وعرضا مملوءة بنداءات الترحيب.. لأول مرة اشعر هنا بان شبابيك البيوت تشبه المرايا الصقيلة، تشبه وجوه ساكنيها.. بالطلات النساء المقدسيات من الشبابيك الحانية))[26].

مسار آخر يتجلى فيه حضور الأنثى الفلسطينية المتأسس على رؤية جماعية وحضور جماعي وينبثق هذا الحضور متلازما مع الطقوس الدينية والخرافات الشعبية، مما يمهد لنشوء علامة مركبة من الأنثى الصامدة والعلامة الطقوسية، التي هي شكل من اشكال التواصل بين الأفراد والجماعات وهي تعبر عن المشاركة الجماعية والتواصل والتضامن بين الأفراد وولائهم والتزاماتهم الدينية والإجتماعية والقومية، وتعبر بذلك عن طريقة التفكير والعيش عند المواطن المقدسي البسيط، وتجذر الإنسان وتحميه من أوهام التاريخ المزيف ((اقترب من المرأة والصبية أجالسهما فترحبان بي بابتسامتين واسعتين كالضفاف، اسأل المرأة، منذ متى وهي تخبز أقراصها، فتقول جاءت قبل ساعتين كي توفي نذرها، جاءت من بيتها حافية، كي تخبز أرغفة الخبز، وأقراص السبانخ هي وابنتها.. اسألها عن النذر، فتقول هذه ابنتي واسمها فضة، كانت

مريضة فنذرت لستنا مريم نذرا أن اخبز يوما كاملا أمام كنيسة القيامة إن تشفعت لي وقبلت دعائي بان تشفى فضة))[27].

ويمكن رصد قصدية المؤلف في المطابقة عبر النظام السيميولوجي بين دال الاسم ومدلوله للأم وابنتها (زهية وفضة) بين دلالات الأسماء الدالة والزهو والبريق وامتداد الحياة وبين توصيفات الشخصيات الأنثوية (التوصيف الجسدي) الدالة على الجمال.

ثالثا. أنثوية المكان:

المكان العنصر المادي الأساسي في الحياة الإنسانية وفي الخطابات الإبداعية، فهو يوثق من علاقات الأنا بعالمها الخارجي ويسهم في تقديم فهم للظواهر المتعددة المحيطة بالإنسان.

رواية (مدينة الله) رواية مكان بامتياز، وتحتفي به ضمن رؤية إنسانية عميقة تجذر الانتماء وتبحث عن الهوية، القدس مركز فلسطين، المدينة بأوابدها التاريخية(الأقصى/ قبة الصخرة/ كنيسة القيامة) وبيوتها وحاراتها وأزقتها ومقاهيها وربما حتى بـ سجونها هي المحتفى بها في عالم الرواية الذي يزاوج بين الواقعي والمتخيل والتاريخي والعجائبي والأسطوري، والرواية تحتفي بتفاصيل المكان على نحو توثيقي/ جمالي/ كرنفالي يعلي من قيمة الفضاء الروائي ويقدمه قسيما للإنسان الفلسطيني المنكوب والمرابط عند جدران الأقصى.. إلا أن القضية التي تشغل هذه الدراسة وفي هذا المحور هي التداخل والتماهي وربما التصارع التركيبي والدلالي والعلائقي بين المكان (المعاش/ المقدس/ المدنس) وبين الأنثى.

وسنرصد لذلك نماذج دالة على هذا التلازم بين الكائن الأنثوي والمكان الذي يتعدى مفاهيم الحيز والديكور والفضاء إلى ((كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى))[28].

وبذلك لا تتحدد القيمة الدلالية للعلامة المكانية من إطارها الطوبوغرافي فحسب، بل بشحنها بدلالات وقيم حضارية تفصح عن هوية المكان/ الإنسان، وبذلك يصبح المكان علامة على حضارة امة معينة يسودها نمط ثقافي معين في عصر ما، أي بتعبير (جوليا كرستيفا) الايديولوجيم[29].

سنتجاوز أنموذج (نبعة السلوان) الذي تتضح في تماما علاقة الأنثى (المانحة للحياة عبر مدلولات المياه) بالمكان وتماهيها حتى يأخذ المكان الكثير من صفات الأنثى. وسنتوقف عند نماذج دالة على هذا التداخل وهي تقسم على قسمين، احدهما يتصف بالجمال والآخر بالوحشية.

الرامة اسم لـ قرية فلسطينية ذو مرجعيات دينية مسيحية لارتباطه بالطريق الذي مرّ به السيد المسيح، والرامة اسم عبري يعني المرتفعة أو السامية أو العظيمة(...) وهو اسم لأكثر من قرية وأكثر من مدينة[30]. ويبدو أن توصيفات القرية خرجت عن طابعها الطوبوغرافي وأخذت منحى انزياحي مما ولّد علامة مكانية موسومة بطابع أنثوي ((يا الهي، ما هذا، إنها أكوام من الورد، اجل أكوام من الورد الزاهي الألوان، لا بل، هي بيادر من الورد المقطوف اسأل الحوذي عنها، فيقول: هنا وفي مكانها تماما جلس سيدنا مقابلة للبيوت لذلك وكي يظل المكان طاهرا لا تدوسه قدم، تقوم صبايا القرية في كل صباح بقطف الورد من أمام بيوتهن، ومن أسيجة الدور، ويأتين به إلى هنا(...)))[31].

المرأة الفلسطينية الأرملة الصابرة جزء من البيت/ الحارة/ القدس/ فلسطين والعلاقة بين الكائن والمكان عميقة ضمن بنية متوالدة تستدعي الكل لمجرد ظهور الجزء، والنص الروائي (بعيون الآخر الروسي) يقدم صورة مكتملة للبيت/ الحارة/ المرأة ويتجسد ذلك في أنموذجين دالين: أم اسعد، وميرنا.

ونرصد في الأنموذج الأول التناسب والتطابق بين اسم الشخصية واسم الحارة (السعدية) ((يقف بنا الدليل فرج أمام قوس حانية وسيعة لها بوابة خشبية كبيرة، مصفحة بقطع القصدير المثبتة بمسامير نحاسية كبيرة، يقول لنا هنا بداية الحارة، وقد سميت بحارة السعدية نسبة إلى السيدة حليمة السعدية مرضعة النبي محمد، وأضاف أو أنها سميت بهذا الاسم طلبا للهناءة والعيش السعيد))[32].

يبدو أن التناسل الدلالي من الجزء نحو الكل والمتكأ على مرجعيات دينية وتاريخية إسلامية قد اشتغل بفعالية وهو يقدم توصيفا طوبوغرافيا للمكان إلا أن الانحراف الدلالي يكمن في التناقض الحاد بين اسم الحارة واسم الشخصية من جهة ووضعية الشخصية الدالة على الحزن المتواتر والترمل والذل والمهانة من جهة اخرى، ويعمد الروائي (بعيون الراوي الآخر) إلى إضفاء روح المكان (محبة/ تعايش/ قدسية/ جمال) على الشخصية الأنثوية (ام اسعد) وان كان بطريقة غير مباشرة ((قد وصلنا..علينا أن نصعد هذه الدرجات الخشبية. فصعدناها. كانت النباتات تحيط بالدرجات مثل الحراس، نباتات نعناع (...) ظلت النباتات تماشي الدرجات وتماشينا إلى أن وصلنا إلى البيت. قلت للدليل فرج: هنا بيت الأرملة. قال هنا ونحن نناديها بأم اسعد. امرأة رائعة، وتقدمنا الدليل فرج، وقرع الباب، فأطلت امرأة شابة، ما إن رأتنا حتى ابتسمت فشع الضوء في وجهها))[33].

وتمتزج صورة الأنثى بالعادات والتقاليد الشعبية المتجذرة في المكان والمنتمية إليه، وبذلك تصبح الأنثى جزءا من المكان وحاملة لقيمه الحضارية والجمالية، كما في أنموذج حارة الأرمن والفتاة (ميرنا) ساقية الشراب في الحارة، ويمكن أن نستشف أن شعرية المكان التاريخي المؤطر بقدسية دينية مسيحية وطقوس شعبية متوارثة متداخلة تماما مع شعرية الجسم الإنساني للأنثى، وبذلك تكون توصيفات الجسم متماهية مع القيم الحضارية والإنسانية للمكان ((اجتزنا البوابة فرأينا فتاة طويلة، ملأى لها صدر مشدود وناهد، ووجه حمرته نافرة، يشبه قرص عباد الشمس (...) سألتها: إن كانت بائعة. فقالت لا. أنا ساقية شراب الورد في حي الأرمن. قلت اهو بالمجان ؟ فقالت

بالمجان، وحين استوضحتها أكثر قالت: أنها تمثل عتبة الترحيب الأولى بزائري الحي(...) وقبل أن أستدير سألتها عن اسمها، فقالت: ميرنا. فقلت وأنا استل آخر نظراتي إلى وجهها الوردي: ما أجملك يا ميرنا ياساقية شراب الورد في الحي الأرمني))[34].

الجمال الإنساني للأنثى لا يدخل في شبكة علاقات دلالية مع الأمكنة (المقدسة/ المبجلة/ المعيشة) فحسب بل يتجاوز هذا الجمال الأنثوي مع وحشية المكان وقسوته عبر ثنائية (الإنساني/ اللاانساني) ولا سيما (أمكنة السجون) حيث القمع والانتهاك لإنسانية الإنسان، وبهذا يتجاوز النص أحادية الطرح الموضوعاتي ويستعرض صورا متنافرة تعبر عن التعدد والتحول. ((رحنا نهبط، وفكري يدور حول هذا المكان الموحش القاسي الذي لا يخلو من جمال وأعاجيب. في أسفل الدرج رأيت أربع أو خمس فتيات يأخذن بطاقات الدخول، ويرشدن الناس إلى جهة المرور، ويساعدن الآخرين على الصعود من أجل الخروج بَدَونَ كنسيج من الضوء، أو كائنات من الماء أو الزجاج))[35].

وتأخذ العلاقة بين المكان والكائن الأنثوي شكلين اثنين الأول: المكان هو من يطبع الشخصية بطابعه ولا سيما الأماكن ذات الزخم التاريخي والديني (المسجد الأقصى/ قبة الصخرة/ كنيسة القيامة/ الأسواق القديمة). والثاني: الشخصية تحرك المكان وتعيد تشكيله كما في (المستوطنات اليهودية/ المخيمات الفلسطينية/ السجون) والمكان الآخر تتضح فيه العلاقة التلازمية التي تقصدها المؤلف بين الجمال الأنثوي وسلبية المكان المتأسسة على قمع الإنسان وانتهاكه وتعذيبه ولا سيما عندما تربط النصوص بين سيلفا (الجلادة) والمكان.

((قلت: ما الذي أعجبك بـ سيلفا يا جو؟ قال: عذوبتها، أشواقها لهفتها الدائمة، استسلامها مثل ساقية لروح عطشى تطلبها، قلت: وما الذي لم يعجبك فيها؟ قال: كثير كثير جدا، فأنت حين تعرف بأنها تجرد السجينات الفلسطينيات داخل غرفة التحقيق، ربي كما خلقتني، من أجل أن يتمتع رفاقها بمشاهدة أجسادهن وأنها تكوي الأعضاء النبيلة بملاقط الحديد))[36].

النص يجمع بين صورتين متناقضتين تعبران عن شخصية واحدة في الأولى تتضح المعالم الأنثوية (الحب/ الشبق/ الرقة/ الأنوثة الطاغية)، في الثانية تعبر الأنثى عن قيمة المكان السلبية (المعتقل) وتتحول إلى جزء وآلة منه حيث القمع والانتهاك والمعالم اللاإنسانية.

** ** ** ** ** ** ** ** **

إن رواية (مدينة الله) قامت في بناء الشخصيات الأنثوية على نظام سيميوطيقي كشف عن الرؤية الحضارية للآخر الغربي (المستشرق) للقضية العربية الإسرائيلية من خلال التعدد في وجهات النظر وذلك بالإعتماد على المرجعيات التي أسست لظهور هذه الشخصيات مابين (الدينية/ الأسطورية/ التاريخية/ الاجتماعية/ الرمزية) فضلا عن الشبكة العلائقية المعقدة التي قامت بين شخصيات الرواية والدالة في مجملها على(الرغبة/ اللارغبة) و(التواصل والانفصال)، هذا إلى جانب العلاقة الحميمة بين المكان والكائن الأنثوي والعلاقة التبادلية القائمة على التناقض والانسجام بينهما.

إن الشخصية الأنثوية لم تكن مجرد كائن متخيل يترك في فضاء الرواية بل تحولت إلى رمز وهوية ولكن ضمن طرح متعدد الرؤى لم يقف عند حدود الأنثى العربية بل تجاوزها إلى الأنثى الإسرائيلية، وحتى الغربية.

** ** **

مكتبة الدراسة:

أولاً: الكتب

1- الأدب والدلالة/ تودوروف/ ت: محمد نديم خشفة/ المركز الإنمائي الحضاري/ حلب/ ط1/ 1996.

2- بنية الشكل الروائي/ حسن بحراوي/ المركز الثقافي العربي/ بيروت/ الدار البيضاء/ ط1/ 1990.

3- بنية النص السردي/ حميد لحمداني/ المركز الثقافي العربي/ بيروت/ الدار البيضاء/ ط1/ 1991.

4- جماليات المكان/ غاستون باشلار/ ت: غالب هلسا/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ بيروت/ ط2/ 1984.

5- السيمياء/ بيار غيرو/ ت: انطوان ابو زيد/ منشورات عويدات/ بيروت/ باريس/ ط1/ 1984.

6- السيمياء والنص الأدبي/ منشورات قسم الادب العربي/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة محمد خيضر/ بسكرة/ الجزائر الكتاب الرابع/ 2006.

7- السيميائية والنص الادبي/ اعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها/ جامعة عنابة باجي مختار/ منشورات جامعة عنابة باجي مختار/ الجزائر/ 1996.

8- شعرية المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لأدور الخراط نموذجا)/ خالد حسين حسين/ مؤسسة اليمامة الصحفية (كتاب الرياض 83)/ الرياض/ 2000.

9- عالم الرواية/ رولان بورنوف – ريال اوئيليه/ ت: نهاد التكرلي/ دار الشؤون الثقافية العامة/ ط1/ 1991.

10- علم النص/ جوليا كرستيفا/ ت: فريد الزاهي/ مراجعة: عبدالجليل ناظم/ دار توبقال للنشر/ الدار البيضاء/ ط1/ 1991.

11- مدينة الله/ حسن حميد/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط1/ 2010.

12- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث/ ازولدو تزيفان وآخرون/ ت: عبدالقادر قنيني/ افريقا الشرق/ بيروت – الدار البيضاء/ 2000

13- النقد البنيوي والنص الروائي/ محمد سويرتي/ افريقيا الشرق/ بيروت/ الدار البيضاء/ ط1/ 1991.

14- الهوية/ اليكس ميكشيللي/ ت: علي وطفة/ دار الوسيم للخدمات الطباعية/ دمشق/ ط1/ 1993.

ثانيا: الكتب الرقمية

1- سيميولوجية الشخصيات الروائية/ فيليب هامون/ ت: سعيد بنكراد/ موقع سعيد بنكراد Saidbengrad.free.fr.

2- سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا نموذجا) سعيد بنكراد/ موقع سعيد بنكرادSaidbengrad.free.fr .

ثالثا: الدوريات

1- مفهوم المرجعية وإشكالية التأويل/ محمد خرماش/ مجلة الموقف الثقافي/ بغداد/ ع9/ 1997.

الهوامش:

(1) نقلا عن: سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينا نموذجا)/ سعيد بنكراد/ Saidbengrad.free.fr

(2) عالم الرواية/ رولان بورنوف- ريال اوئيليه/ ت: نهاد التكرلي/ 144.

(3) الشخصية في السيميائيات السردية/ معلم وردة/ 316 -317.ضمن كتاب محاضرات الملتقى الرابع (السيمياء والنص الأدبي).

(4) نقلا عن: سيميائية الشخصية الروائية (تطبيق آراء فيليب هامون على رواية غدا يوم جديد)/ شريبط احمد شريبط/ 200-201.ضمن كتاب السيميائية والنص الأدبي.

(5) سيميولوجية الشخصيات الروائية/ فيليب هامون/ ت: سعيد بنكراد/ Saidbengrad.free.fr

(6) سيميولوجية الشخصيات الروائية/ فيليب هامون/ ت: سعيد بنكراد/ Saidbengrad.free.fr

(7) النقد البنيوي والنص الروائي/ محمد سويرتي/ 1/ 110.

(8) بنية الشكل الروائي/ حسن بحراوي/ 217.

(9) مفهوم المرجعية وإشكالية التأويل/ محمد خرماش/ مجلة الموقف الثقافي/ بغداد/ ع9/ 1997/ 37-38.

(10) مدينة الله/ حسن حميد/ 16-17.

(11) السيمياء/ بيير جيرو/ ت: انطوان ابو زيد/ 56.

(12) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث/ ازولدو تزيفان وآخرون/ ت: عبدالقادر قنيني/ 110.

(13) الرواية/ 251.

(14) الرواية/ 105.

(15) م.ن/ 195.

(16) الرواية/ 158.

(17) م.ن/ 199.

(18) الرواية/ 116-117.

(19) الأدب والدلالة/ تودوروف/ ت: محمد نديم خشفه/ 56-59.

(20) بنية النص السردي/ حميد لحمداني/ 37.

(21) الرواية/ 432.

(22) الرواية/ 450.

(23) م.ن/ 232-233.

(24) الهوية/ اليكس ميكشيللي/ ت: علي وطفة/ 104.

(25) الرواية/ 174-175.

(26) م.ن/ 12.

(27) م.ن/ 386-387.

(28) جماليات المكان/ غاستون باشلار/ ت: غالب هلسا/ 36.

(29) علم النص/ جوليا كرستيفا/ ت: فريد الزاهي/ 22.

(30) ينظر: شعرية المكان في الرواية الجديدة/ خالد حسين حسين/ 219.

(31) الرواية/ 29-30.

(32) م.ن/ 397.

(33) م.ن/ 399.

(34) الرواية/ 411-412.

(35) م.ن/ 231.

(36) الرواية/ 253.

FEMININE CHARACTER SEMIOTICS IN THE NOVEL OF (THE CITY OF ALLAH) BY HASAN HAMID

Dr.Faisal Ghazi M. Al-Nua'imi
Mosul University/ College of Education

Abstract

The study aims at studying the characters of the novel - The City of Allah – by the Palestinian-Syrian novelist Hasan Hamid according to the theoretical bases of the contemporary semiotics that studies the novelistic character according to various visions by Gremas,Soryo ,Tuedrof,and Philip Hamon. Those bases are ranging between the semiotic classification and the relations of presence ,absence ,and nomination system. The reader can observe that the novel (The City of Allah) has the feminine character on two levels: The first is the overwhelming presence in the novel imagined world, for it forms more than a half of the characters. The second is the semiotic system that is adopted by the novelist through constructing those characters in a way that reveals the critical and cognitive consciousness, the matter that leads this novel to be a sample of this semiotic study.

العلاقات السورية– الصينية

1946 – 1973

د. شـــيماء فاضـــل مخيبــــر
جامعة تكريت/ كلية التربية/
قسم التاريخ

م. م. خالـــد ســـلمان شـــدهان
جامعة تكريت/ كلية الآداب/
قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

تعد العلاقات السورية – الصينية للفترة الممتدة 1946– 1973 من العلاقات المميزة ضمن إطار العلاقات العربية– الصينية، لكون الصين تمثل قوة تؤثر في رسم خارطة المنطقة العربية وفي رسم موازين القوى لا سيما بين المعسكر الغربي والمعسكر الإشتراكي، وتُرجع هذه الدراسة بدايات هذه العلاقات إلى اربعينيات القرن العشرين عندما عَّد ماو الوطن العربي الحيز الأهم في منطقة الشرق الأوسط التي تحرص الصين على النشاط فيها من الناحية الآيديولوجية، وكيف جسدت الصين علاقاتها بأقطار الدول العربية عندما ساندتها وشجعتها على نيل استقلالها، وما حدث في سوريا عام 1946 هو خير دليل على ذلك، ومَثل افتتاح مؤتمر باندونغ 1955 مرحلة جديدة من اندفاع الدبلوماسية الصينية في الوطن العربي وقد تجلى هذا الأمر في توقيع العديد من الإتفاقيات الإقتصادية والثقافية وتبادل الوفود الدبلوماسية، وكيف حدث فتور في هذه العلاقات أبان الوحدة السورية – المصرية لعام 1958، عندما اتخذت حكومة الوحدة موقفاً معادياً من العناصر الشيوعية، وتأثير تدهور العلاقات الصينية– السوفيتية وتعاظم دور الإتحاد السوفيتي في منطقة الشرق الأوسط على

عزلة الصين آنذاك على الساحة الدولية التي حاولت تأكيد وجودها في منطقة الشرق الأوسط من خلال عقد الاتفاقات الإقتصادية والثقافية بينها وبين الدول العربية والتي كانت سوريا من ضمنها طيلة فترة الستينيات ثم تناولت الدراسة الموقف المميز للصين من حرب 1967 وكيف أنها دعمت العرب في حربها ضد اسرائيل على الرغم من محدودية هذا الدعم وعدم مقدرتها على ان تحل محل العون العسكري السوفيتي في هذه الحرب واقتصر دورها على تشجيع (حرب الشعب) هذا من جهة ومن جهة ثانية انها استخدمت هذه الحرب خدمة لمصالحها من خلال ادانة دور الاتحاد السوفيتي في الحرب وكيفية تطور التنافس الصيني– السوفيتي حول الصراع العربي– الإسرائيلي ليشمل سوريا التي كانت غير راضية عن النهج السوفيتي مما أثر بصورة غير مباشرة على تعميق وتعزيز العلاقات السورية– الصينية.

- بدايات العلاقات السورية- الصينية

منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين أخذ الوطن العربي يحظى باهتمام القيادة الصينية، وهناك من المؤرخين من يرجع هذا الاهتمام إلى اربعينيات القرن العشرين، ويعزو ذلك الى تخوف الصين آنذاك من أن تؤدي هزيمة بريطانيا في الحرب العالمية الثانية إلى خسارة مصالحها في الشرق الأوسط، وانتصار محور المانيا– اليابان الذي سيلتف (في حال تحقيق الإنتصار) لتطويق الصين وهذا التخوف هو الذي دفع الزعيم الصيني ماوتسي تونغ[1]، الى اطلاق نظرية (المنطقة الوسيطة) عام 1946، التي أكد فيها ان التناقض الرئيسي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ليس بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وانما بين المعسكر الامبريالي الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية وتقوده من جهة والدول المستضعفة في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية من جهة ثانية، وبموجب هذه النظرية استبعد ماو أي هجوم امريكي على الاتحاد السوفيتي طالما بقيت بعض اجزاء المنطقة الوسيطة خارج السيطرة الأمريكية[2].

وبحسب نظرية ماو هذه فإن الوطن العربي يعد الجزء الأهم في منطقة الشرق الأوسط ويشكل محوراً في تلك المنطقة التي تحرص الصين على النشاط فيها فكرياً واقتصادياً، من أجل ابعاد خطر القوى العظمى عنها، كما ترى ان هذه المنطقة جزء من العالم الثالث الذي تعتبر نفسها تنتمي اليه[3].

لهذا عندما عُرض على مجلس الأمن قضية جلاء الجيوش الفرنسية والبريطانية عن سوريا ولبنان عام 1946، وقف مندوب الصين الى جانب سوريا ولبنان في هذه القضية فعندما تحدث المندوب عن الصين الوطنية ((إن بقاء الجيوش الفرنسية والانكليزية في سوريا ولبنان دون رغبتهما في ذلك يحد من سيادة هذين البلدين إذ يعد ذلك انتهاكا لحرمة الميثاق ولا يتفق مع القانون الدولي، من هنا طالب

المندوب الصيني بأتخاذ التدابير العملية لتمديد موعد بدء الجلاء وانتهائه وحبذ مبدأ المفاوضة مع هؤلاء الحلفاء بشرط اطلاع المجلس على سيرها وتقدمها اللذّين يجب ان يتما بسرعة))[4].

سجل مؤتمر الدول الأفرو– آسيوية الذي عُقد في باندونغ في أندونيسيا للفترة ما بين 18– 25 نيسان 1955 بداية مرحلة جديدة في الاندفاع الدبلوماسي الصيني داخل الوطن العربي لا سيما وان الأقطار العربية الإسلامية شكلت نسبة كبيرة من المشاركين والتي كانت سوريا من ضمنها، فقد أعلن شوان لاي (1949–1976) (رئيس الوفد الصيني) المشارك خلال المؤتمر عن تأييد بلاده لنضال الشعب العربي من أجل الاستقلال الوطني، واتصل بالعديد من زعماء الدول العربية واجتمع معهم لمناقشة تطوير الصداقة بين الطرفين ومسائل ذات اهتمام مشترك، فقد اجتمع شوان لاي في باندونغ لأول مرة بالوفد السوري واعلن عن تأييده الكامل للمشاركة في طرح المشكلات السورية والفلسطينية أمام المؤتمر ووعد شوان لاي ان يدعم في المستقبل الأهداف العربية عامة والموقف من المسألة الفلسطينية خاصة[5].

ولتعزيز العلاقات السورية – الصينية قدمت وزارة الخارجية السورية في آب 1955 مذكرة الى وزارة الخارجية الصينية دعت فيها الى تأييد نضال الشعبين المغربي والجزائري في سعيهما للحصول على الاستقلال، كما قدمت وزارة الخارجية الصينية رسالة جوابية أعربت فيها عن تأييدها للمبدأ نفسه[6].

ومن المعروف ان سوريا اندفعت بشكل كبير في عقد الخمسينيات للتعاون مع بلدان أو دول الكتلة الاشتراكية وما علاقتها مع الاتحاد السوفيتي الاخير دليل على ذلك ومن ثم تبعها التعاون مع دول اخرى منها الصين التي وقعت معها العديد من الاتفاقيات التجارية والثقافية، ففي كانون الأول 1955 وقعت جمهورية الصين الشعبية

وسوريا اتفاقية التجارة والدفع والتي عدت اول اتفاقية وقعها الطرفين لتطوير التجارة بين البلدين[7].

وفي أيار 1956 زارت بعثة ثقافية من جمهورية الصين الشعبية ودمشق بدعوة من الرئيس السوري شكري القوتلي[8]، وتم عقد اتفاق ثقافي بين البلدين في الثاني عشر من حزيران وفي الشهر نفسه قام وفد سوري كان مؤلفاً من ستة عشر شخصاً بزيارة الصين وكان يضم مجموعة من القضاة والمحامين والعلماء وقد طالت هذه الزيارة ثلاثة اسابيع[9].

وفي الأول من تموز 1956 اصدرمكتب رئيس الوزراء السوري قراراً اعترفت فيه بجمهورية الصين الشعبية، وفي العاشر من العام نفسه اصدرت الحكومتان بياناً مشتركاً اعلنتا فيه اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[10].

وفي اواخر تشرين الأول 1956 زار أربعة عشر نائباً سورياً بكين وحلوا ضيوفاً على حكومة الصين الشعبية، وفي العاشر من تشرين الثاني من العام نفسه جرت مفاوضات تجارية بين البلدين لعقد اتفاقية تجارية تضمنت على تبادل القطن والصوف والمنسوجات وزيت الزيتون من سوريا مقابل المكائن الصناعية الصينية[11].

وفي تشرين الأول عام 1957 وصل الى دمشق اول سفير صيني لدى سوريا (تشن شي فانغ)، لتولي مهام منصبه، وفي العام نفسه بدأت سفارة سوريا لدى بكين عملها[12].

هذا وحققت جهود الحكومتين السورية والصينية الهادفة الى تعزيز التعاون والتبادل الثقافي وايجاد الآليات المناسبة لذلك نجاحاً كبيراً فمنذ عام 1957 ترسل سوريا طلابها للدراسة في الصين[13].

وذكرنا سلفاً انه في أواخر تشرين الأول 1956 كان وفداً نيابياً سورياً قد زار الصين، وكان قد التقى هذا الوفد السوري بـ شوان لاي (وزير الخارجية الصيني) وقد

عبر شوان لاي عن رغبة الصين في بث البرامج الإذاعية الموجهة باللغة العربية املاً من ان تقدم سوريا مساعدات للصين في هذه الناحية وكان قد لقي هذا الاقتراح رداً ايجابياً من جانب سوريا ففي ايلول عام 1957 وصل ثلاثة خبراء سوريين الى الصين لمشاركة زملائهم الصينيين في الأعمال التحضيرية لبث البرامج العربية في الاذاعة الصينية، وفي الثالث من تشرين الثاني 1957 بدأت اذاعة الصين الدولية رسمياً بث برامجها باللغة العربية وبذلك توطدت العلاقة بين البلدين عن طريق بث الصين البرامج باللغة العربية والتي كانت تصل الى سوريا[14].

وفي شباط 1958 اعلنت مصر وسوريا الوحدة واقيمت الجمهورية العربية المتحدة واستمرت الوحدة المصرية – السورية حتى أيلول 1961 عندما أعلنت سوريا الانفصال.

– موقف جمهورية الصين الشعبية من الوحدة المصرية- السورية 1961-1958

دعمت حكومة الصين الشعبية برئاسة ماوتسي تونغ الجمهورية العربية المتحدة سنة 1958، ولكنها ادانت المرحلة التي تلتها والتي تميزت بأنها مرحلة قمع رهيبة معادية للشيوعية في سوريا وقد أدانوا هذا الاضطهاد من دون لبس[15].

واذا عدنا الى الأزمة بين الشيوعيين السوريين وبين قادة الجمهورية العربية المتحدة نراها انها اندلعت في شهر كانون الثاني 1958 أي خلال المفاوضات التي كانت تجري لتحقيق الوحدة بين سوريا ومصر، إذ كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري قد اجتمعت وناقشت مسألة الوحدة ثم أصدرت بياناً تضمن رفض طلب حل الأحزاب السياسية وضرورة تأمين الأسس الديمقراطية للدولة الجديدة، وفي الرابع من شباط من العام المذكور غادر الأمين العام للحزب الشيوعي السوري (خالد بكداش) الى بلغاريا اذ حضر المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي البلغاري، ومن

هنـاك أخـذ يهـاجم الوحـدة[16]، وبالمقابـل شـنت سـلطات الجمهوريـة العربيـة المتحـدة حملات مطاردة للعناصر الشيوعية في سوريا ومصر، وفي الثالث والعشرين من تموز 1959 هاجم الرئيس جمال عبد الناصر ذاته في خطاب لـه الشيوعيين العرب واصفاً ايـاهم بــ((عملاء الأجنبـي)) وقـد كانـت ردة فعـل الصـين علـى ملاحقـة الشـيوعيين المحليين، وعلـى هجمـات الرئيس جمـال عبد الناصـر قويـة فقد أدانـت هذه الأعمـال واطلقت هجمات ضد شخص الرئيس جمال عبد الناصر وقد ردت الجمهورية العربية المتحدة بحملـة دعائيـة ضد الصين وعلـى اثر ذلك دعت الصين خالد بكداش الى احتفالات الذكرى العاشرة لتأسيس جمهوريـة الصين الشعبية واستقبلته بترحيب حار ونظم لـه الصينيون في الثامن عشر من ايلول 1959 اجتماعاً عاماً والقى فيه خالد بكداش خطابا ضد الجمهوريـة العربيـة المتحدة وشخص الرئيس جمـال عبد الناصر بحضور مجموعة من الشيوعيين العالميين (ماوتسي تونـغ– شوان لاي– ليوشاوتشي)، وقد اذاعت هذا الخطاب محطات بكين باللغة العربية، ورغم ان المسؤولين الصينيين اكـدوا بـان بكـداش لـيس لـه صـفة رسـمية، الا ان المسـؤولين فـي الجمهوريـة العربيـة المتحدة وجهوا احتجاجاً شديد الـى جمهوريـة الصين الشعبية وتأزمت العلاقات بين البلدين لمدة من الزمن[17].

العلاقات السورية – الصينية 1960-1967

تركت فترة الثورة الثقافية[18]، التي تبنتها حكومة الصين الشعبية من 1960–1970 تأثيراً كبيراً في سياسة الصين الخارجية في العالم العربي. وبدأت العلاقات بين الصين والاتحاد السوفيتي بالتدهور في حزيران 1960 بتبادل المجادلات العنيفة في لقاء بوخارست خلال انعقاد المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الروماني، وانعكس هذا الأمر علـى علاقـة الصين مع العالم العربي لاسيما عندما كانت تأمل من الأقطـار العربيـة اتخـاذ موقـف ضـد الطروحـات السـوفيتية وعـدم موافقـة الأقطـار العربيـة مـن تجاهل الاتحاد السوفيتي من حظيرة منظمة التضامن الأفريقي– الآسيوي، والواقع ان هذا الموقف دفـع بكين الـى نهج سياسـة الانكفـاء والعزلـة عن مجمل بلدان الشـرق الأوسط، الا اذا استثنينا الانتصـار الوحيد الذي حققتـه الصين عندما ساندتها الدول العربية ومن ضمنها سوريا في ترشيحها لأن تصبح عضواً دائماً بمجلس الأمن[19]، والواقع ان عزلـة الصـين آنـذاك علـى السـاحة الدوليـة هـو فـي الحقيقـة نتيجـة واضـحة لتعاظم دور الاتحـاد السوفيتي داخل دول العالم الثالث بعامـة وبلدان الشرق الوسط وافريقيا خاصة، مما أدى الى تبني الصين سياسة راديكالية بمساندتها للحركات الثورية العربيــة، اذ دعمــت حــزب الثــورة الاشــتراكية الــذي انشــق عــن الحــزب الشــيوعي السوري[20]، فمـع خـروج النـزاع الصـيني– السوفيتي الـى العلـن حاولـت الصـين تأكيـد وجودها ووضعها بأوسع العبارات الدبلوماسية الممكنة فقد تبرعت بعثة صداقة عسكرية صـينية برئاسـة تشـانغ تسـونغ هسـون (نائـب رئـيس الأركـان العامـة لجـيش التحريـر الشـعبي الصـيني) بثلاثين الـف ليرة سـورية لمخيم اللاجئين الفلسـطينيين فـي دمشـق، وزار اعضـاء البعثـة الصـينية مخيم اللاجئين الفلسطينيين فـي دمشـق فـي الثالـث مـن تشرين الأول 1960 وتم الترحيب بهم هناك[21].

روت وكالة (ا.ش. أ) عن دمشق في العاشر من نيسان 1963 ((ان اتفاقاً ابرم بين الدولتين تقدم بمقتضاه الصين الشعبية لسوريا قرضاً مقداره سبعون مليون فرنك دون فائدة ابتداء من تموز 1963 حتى نهاية 1973يسدد على عشرة اقساط ببضائع او أية عملات قابلة للتمويل))[22].

وتابعت حكومة صلاح الدين البيطار البعثية سياسة التعاون بين سوريا والصين الشعبية فروت وكالة (أ. ش.أ)عن دمشق في أوائل حزيران 1963 ان الفريق لؤي الأتاسي (رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة) اصدر مراسيم تشريعية في التصديق على اتفاقيات ثلاثة اقتصادية كان الأولى المذكورة سلفاً من ضمنها[23].

في اوائل 1964 استقبل حسن مريود (وزير الخارجية السوري) سفير الصين في سوريا (هُسُوبي شين) واعرب الوزير (مريود) بالنيابة عن الحكومة السورية عن تقديره الخالص والحار للشعب الصيني للمهرجان الذي نظموه في بكين تأييداً لنضال الشعب الفلسطيني والعربي ضد الامبريالية وقال((ان الحكومة السورية تأثرت بالدعم الصيني الصديق))[24].

وفي الثامن عشر من آذار 1965 وقع البلدان اول اتفاقية للتعاون الثقافي بينهما فقد ذكرت بعض المصادر ان وزير الخارجية والثقافة السوري قاموا بزيارة الى الصين نتج عنها توقيع هذه الاتفاقية واتبع ذلك توقيع العديد من البرامج التنفيذية للاتفاق الثقافي[25].

في حزيران 1965 توقف رئيس مجلس الدولة الصيني شوان لاي بمطار دمشق وهو في طريقه الى افريقيا وكان في استقباله بالمطار الرئيس السوري (أمين الحافظ)، وقد أجرى الزعيمان محادثات سياسية هامة، وفي ايلول من العام نفسه زار سوريا نائب رئيس مجلس الدولة ووزير الخارجية الصيني (شن يي)[26].

في تشرين الأول 1965 وفي خضم تبادل المناوشات بين سوريا واسرائيل على الحدود زار وفد عسكري سوري جمهورية الصين الشعبية وقد تباحث الطرفان حول المساعدة العسكرية في حال تعرض سوريا للعدوان[27].

يمكن القول انه فُرضت على الصين البحث عن التوازن في الساحة الدولية وايجاد شركاء لتجاوز حالة التطويق والتهميش المضروبة عليها من قبل الاتحاد السوفيتي واعادة بناء سياستها الخارجية جملة وتفصيلاً ولغرض تحقيق اهدافها استخدمت المساعدات الخارجية الصينية والتجارة الخارجية مع العالم الثالث وسيلة لهذا الغرض[28]، اذ أن مسؤولية الصين الأممية بوصفها عضواً دائماً بمجلس الأمن كان غالباً ما يظهرها على الرغم منها بمظهر المستقل عن كل من السياسة الأمريكية والسياسة السوفيتية بالإضافة الى قربها من طروحات دول العالم الثالث مما سمح لها من جديد بالعودة الى مسرح الأحداث في الشرق الأوسط بالتدريج وهذا ما سوف نراه من خلال موقفها من حرب حزيران 1967[29].

موقف جمهورية الصين الشعبية من حرب حزيران1967.

كانت حرب حزيران 1967 نقطة تحول في تاريخ الصراع العربي– الإسرائيلي إذ استطاعت اسرائيل في هذه الحرب الخاطفة ان تلحق هزيمة عسكرية بالجيوش العربية على الجبهة المصرية والسورية والأردنية وكانت المضاعفات السياسية لهذه الهزيمة عميقة منها تلاشي الخط الذي كان يقوده الرئيس جمال عبد الناصر، وانعدام ثقة الجماهير العربية بأنظمتها وبقدرتها على مواجهة اسرائيل في حرب تقليدية وشهدت منظمة التحرير الفلسطينية بروز حركة (فتح) بوصفها الحركة المسيطرة على مسار المقاومة الفلسطينية[30].

لقد كانت الصين في هذه الحقبة تعيش في أوج أحداث الثورة الثقافية وبالتالي فإن مواقفها جاءت في اطار تجذير السياسة الخارجية اي بمعنى انها استثمرت الحرب

(حرب 1967) و (الثورة الثقافية) معاً، لإدانة الولايات المتحدة الامريكية و الاتحاد السوفيتي مشددة على اخطاء الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، والتأكيد على تأييدها السياسي للحكومات العربية وتقديم الدعم العسكري والسياسي لحركة فتح وتحريض الشعب الفلسطيني على (حرب الشعب) التي اعتبرتها السبيل الوحيد لتحقيق تطلعات الفلسطينيين والعرب(31).

ففي اوائل 1967 وعندما بدأت التحضيرات للحرب من قبل الجانبين كانت ردة فعل الصين سريعة ومدوية، فقد اشترك عشرة آلاف صيني في مهرجان نظم يوم 25 أيار 1967 في قاعة الشعب الكبرى في بكين في تظاهرة تضامنية مع القضية الفلسطينية وحضر المناسبة العديد من المبعوثين الدبلوماسيين العرب(32)، وصدر بعد المهرجان بيان يعرب عن تأييد (700) مليون صيني للقضية العربية ويدين (الإمبريالية الأمريكية والبريطانية) لمساندتهم (اسرائيل) من خلال الأمم المتحدة بهدف اعاقة الوحدة العربية والسيطرة على الوطن العربي ويدين الاتحاد السوفيتي لعدم وقوفه ضد الولايات المتحدة في المشروع كله ويؤكد ان ((الشعب الصيني يؤيد بحزم الكفاح المسلح للشعب الفلسطيني لتحرير وطنه)) وارسلت الصين من خلال موظفيها الدبلوماسيين البعيدين في العواصم العربية رسائل تأييد تم الرد عليها بمثلها فقد أعرب (أي تشون) القائم بالأعمال الصيني في دمشق عن تأييد بلاده الشديد لنائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السورية، واصدرت الحكومة الصينية بيانا تندد فيه باسرائيل وتهاجم الولايات المتحدة لتدبيرها مؤامرة عدوانية ضد سوريا والجمهورية العربية المتحدة ودول عربية أُخرى منها(الأردن) وتدين القيادة السوفيتية والامبريالية الأمريكية وتعرب عن تأييدها الغير محدود للعرب.

وخلال الفترة الأُولى من الأزمة تابعت الصحافة الصينية الموضوعات ذاتها كلما لاحت مناسبة وكانت الصحافة السوفيتية ترد بهجوم مضاد، قدمت الحرب التي

استمرت من الخامس الى العاشر من حزيران فرصة نادرة للصين لكي تعرب عن تأييدها السياسي الواضح للقضية العربية بالرغم من انها لم تقدم سوى مساهمات بسيطة من العون بسبب محدودية مصادرها وعدم مقدرتها على ان تحل محل العون العسكري السوفيتي بشكل كاف بما يشبع المتطلبات السورية والمصرية من الأسلحة التقليدية، لقد ارتكزت قوتها وتشديدها على كون حرب الشعب هي الخيار الوحيد للانتصار النهائي ضد العدو الأقوى، فأخذت بالتالي تزيد من دعمها لـ حركة فتح تدريجياً وبثبات فقد قالت افتتاحية لصحيفة الشعب اليومية في اليوم الثاني من الحرب ((إن اسرائيل التابعة للإمبريالية الأمريكية شنت بشكل كبير في 5 حزيران حرب عدوان ضد الدول العربية وشنت هجمات جوية وبرية واسعة ضد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ودول اخرى (الأردن)(33).

ابلغ الموقف الصيني الرسمي الى سوريا أولاً ومصر ثانياً، وبعد يوم من نشوب الحرب ارسل شوان لاي باسم ماوتسي تونغ ولين بياو (نائب الرئيس الصيني) رسالة تأييد الى نور الدين الأتاسي (الرئيس السوري)(34)، يؤكد فيها تأييد الصين للعرب، وبدأت لمدة ثلاثة ايام متتالية من السابع الى التاسع من حزيران إذ تظاهر حوالي مليون ومائتي الف صيني من بكين تضامنا مع القضية العربية.

ومن الواضح ان ادانة الصين دور الاتحاد السوفيتي في الحرب كان مبالغاً فيه إذ خدمت اهداف الصين الدعائية لكنها منحت الصين فرصة لمهاجمة السوفيت لعدم تدخلهم بشكل مباشر الى جانب العرب كحليف حقيقي وخصصت الصحافة الصينية اثناء الحرب عدداً كبيراً من الافتتاحيات والتعليقات لتخلي السوفيت عن العرب وخيانتهم(35).

ان تأييد الصين للعرب في حرب حزيران 1967 كان قد اقتصر على الجانب الاعلامي، فالصين لم تتمكن من تزويد دولتي المواجهة العربية الرئيسيتين مصر

وسـوريا اللتـين هزمتـا بعـد أن تـم تزويـد العـدو الاسـرائيلي بالأسـلحة المتطـورة التـي تحتاجان اليها لإمالة الميزان العسكري لمصلحتهما، وبالرغم من ان الصين اجرت في حزيران 1967 التفجير النووي السادس لها الا ان ذلك لم يكن ذا فائدة مباشرة لمصر أو سوريا، لأن الصين رفضت نقل هذه التقنية الأمر الذي كان سيورطها في احدى اكثـر الحـروب تفجراً وحساسـية فـي التـاريخ الحـديث فقـد قـال شـوان لاي فـي مقابلـة صحفية مع الباكستان تايمز ((ان بلاده انتجت الأسلحة الذرية لتواجه الابتزاز النووي مـن قبـل الولايـات المتحـدة وروسـيا)) وحـول الشـرق الوسـط نقـل عـن شـو قولـه: ((ان الشعوب الأفرو– اسيوية بمن فيهم العربية يجب عليها الا تعتمد على الأسلحة الثقيلة بل عليها ان تعتمد اكثر على القدرة على اطالة الحرب والاستمرار فيها))[36].

ان مـا قدمـه الصـينيون كـان ((نظريـة وتطبيـق حـرب الشـعب)) علـى الطريقـة الصينية، الا ان هذا النهج كان ابعد ما يكون عن القيادة المصرية والسورية انذاك، لأن تطبيقـه كـان يعنـي اعادة صـياغة السياسـات الاسـتراتيجية فـي الجوانـب العسـكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، بطريقة تتعارض تماماً مع التفكير التقليدي[37].

وكـان اوسـع واشـمل تحليـل لحـرب حزيـران عـام 1967 مـن وجهـة النظـر الصينية ما تضمنه مقال كاتب يدعى (تشو تيين) بعنوان (دروس من الحرب العربية ضد العدوان)، نشر لأول مرة في مجلة العلم الحمر الصينية، ومن ثم اعادت نشره صحيفة الشعب اليومية واهم ما جاء فيه ((ثبتت هذه الحرب ضد العدوان ان الاعتماد على الأسلحة الحديثة لن يفي بالغرض كما لن يفي بالغرض الاعتماد على الطائرات والـدبابات والمدفعيـة بعيـدة المـدى.إذ يقـول الـرئيس مـاو ان الأسـلحة عامـل مهـم فـي الحرب، لكنها ليست العامل الحاكم فالشعب لا الاشياء هي الحاسم))[38].

ان النكسـة التـي سببتها هزيمـة 1967 فـي الـوطن العربـي شـجعت علـى تبنـي أفكار جديدة وعلى تطوير منظمة التحرير الفلسطينية، وان هذا لاقى ترحيب الصين

في وقت كانت فيه في مرحلة التجذير إذ كانت تريد رؤية نظريات ماوتسي تونغ تطبق في دول أُخرى.

العلاقات السورية- الصينية ما بعد حرب 1967

ترك الدعم الصيني للعرب في حرب 1967 اثره الإيجابي في تعزيز العلاقات العربية الصينية على كافة المجالات وكانت سوريا ضمن هذه الدول ففي السادس من نيسـان 1968 عقدت اتفاقيـة بـين الصـين وسـوريا حـول التعـاون الاخبـاري بـين وكالـة انبـاء الصين الجديدة مـع وكالـة الانبـاء العربيـة السورية[39]، شـهدت هذه الفترة تطـور التنـافس الصـيني– السـوفيتي فـي المنطقـة المتمركـز حـول المسـألة الفلسـطينية ليشـمل سـوريا التـي كانـت غيـر راضـية عـن الـنهج السـوفيتي تجـاه مجمـل النـزاع العربـي – الاسـرائيلي، فقـد تبـين الـنهج المختلـف لكـل مـن الصـينيين والسـوفيات تجـاه النـزاع العربي– الاسرائيلي ففي الوقت الذي كان الصينيون قد واصلوا المناداة بنظرية الحرب الطويلة الأمد، ركز الاتحاد السوفيتي على الحل السياسي والسلمي من خلال قنوات الأمـم المتحـدة واعتمـد لـذلك علـى الحكومـات العربيـة والأحـزاب الشـيوعية العربيـة التقليديـة، ففـي الخـامس مـن أيـار 1969 كـان مـن المفروض ان يـزور رئـيس الدولـة السوري نور الدين الأتاسي موسكو، الا ان موسكو الغت الزيارة لانزعاجها كما يبدو رفـض سـوريا اقتراحـات تسـوية السياسـة السـوفييتية، وفـي رد واضـح ارسـل السـوريون العقيد مصطفى طلاس على رأس اول بعثة عسكرية سورية الى بكين[40].

وصـل الوفـد العسكري السوري الـذي دعـاه هوانـغ يونـغ شـنغ (رئـيس الأركـان لجيش التحرير الشعبي الصيني) الى بكين في الثالث عشر من أيار 1969 واستقبله الصينيون باحتفال كبير وزار الوفد قاعدة البحرية في شنغهاي واجتمـع مـع شوان لاي قبل مغادرتـه عائداً الـى بـلاده، واثنـاء تواجد الوفـد فـي بكين اجرى مراسل وكالـة أنبـاء الصين الجديدة في دمشق مقابلـة صـحفية خاصـة مـع العقيد حديث مراد (قائد الجيش

الشعبي السوري ووزير شؤون القرى الأمامية) تحدث فيها العقيد عن المودة والصداقة في العلاقات الصينية – السورية وكان يعتقد ان طلاس كان يشتري اسلحة هجومية حجبتها موسكو عن سوريا بما فيها صواريخ أرض– أرض من الصين[41].

وفي الثالث من تموز 1969 قام رئيس الدولة السوري (نور الدين الأتاسي) بزيارته المؤجلة الى موسكو لكي يعيد تطبيع العلاقات الباردة بين الجانبين والاتفاق على صفقة سلاح وفي اثناء غياب الأتاسي قام السفير الصيني (تشنغ تيين) في السادس من تموز بعدة زيارات الى القادة السوريين فقابل وزراء الداخلية والاقتصاد والنفط والكهرباء والمشروعات الصناعية وفي الثامن من تموز بينما كانت الطائرات السورية الاسرائيلية تشتبك في حمى معركة لها منذ 1967 كان للسيد تشنغ يقابل القادة السوريين، وفي ذلك اليوم ايضاً عقد مؤتمر سري في العاصمة السورية لقادة القوات المسلحة في سوريا والجمهورية العربية المتحدة والعراق والأردن وبعد يومين على ذلك كتبت صحيفة بيروتية مؤيدة لمصر ان سوريا حصلت على معونة عسكرية صينية تقدر بعشرة الى خمسة عشر مليون دولار (كهدية) واضافت انها ارسلت فوراً الى الجبهة مع اسرائيل[42].

وفي السابع عشر من آذار 1970 اجتمع تشي بنغ (نائب وزير الخارجية الصيني) بثمانية مبعوثين عرب في الصين (الجزائر، سوريا، مصر، اليمن الشمالي، العراق، المغرب، اليمن الجنوبي، ورئيس بعثة منظمة التحرير الفلسطينية) وقد تم الاجتماع بناء على طلب من المبعوثين العرب للحصول على تأييد الصين ضد المحاولات الاسرائيلية لإقامة مستوطنات في قطاع غزة مما يعني ضم اراضي عربية مهمة، وكان رد الصين هو ((التأييد الثابت للعرب)) وقد تحدث تشي بنغ قائلاً: ((ما دام الشعب الفلسطيني وشعوب الدول العربية متحدين كرجل واحد مثابرين على

النضال فانهم سيحبطون بالتأكيد جميع مؤامرات الامبريالية وسيحققون النصر النهائي))[43].

وفي 1971 وافقت جمعية الشعب الصيني للصداقة مع البلدان الاجنبية واللجنة الثورية لبلدية بكين وبناء على طلب الجامعة العربية بإقامة اسبوع تضامن وفعلا وافقت بكين على تنظيم الاحتفالات لمدة اسبوع من الثالث الى الثامن من ايار في بكين وحضره مندوبين عن الدول العربية وقد بدأت الاحتفالات في الثالث من ايار بمقالات طويلة في الصحافة الصينية عن الشرق الأوسط وقد حضر هذه الاحتفالات عشرة الاف صيني وقد كان دور سوريا في هذه الاحتفالات مميزة حيث تكلم السفير السوري (يوسف شقرة) باسم المبعوثين الدبلوماسيين العرب في الصين[44].

وفي الواقع شكلت فترة السبعينات مرحلة مهمة في تاريخ سوريا على الصعيد الاقتصادي في علاقتها مع الصين ففي الثالث من كانون الاول 1971 عقدت اتفاقية بين الصين وسوريا تضمنت مساعدة الصين لسوريا في بناء مصنع للغزل والنسيج، وفي الرابع والعشرين من ايار 1972 عقدت الاتفاقية الصينية – السورية حول للتعاون الاقتصادي والتقني بين الطرفين[45].

الخاتمة

توصل البحث الى العديد من الاستنتاجات:

1- كان موقف الصين من منتصف الاربعينات حتى اواسط الخمسينات من القرن العشرين من الشرق الاوسط هو تأييد نضال شعوب الشرق الاوسط ضد الاستعمار للحصول على الاستقلال الوطني والتي كانت سوريا من ضمنها.

2- أعطى مؤتمر باندونغ عام 1955 فرصة للصين للانفتاح على العالم الثالث وتطوير علاقاتها معه وعلى الرغم من ان النجاح كان محدوداً لكن المؤتمر اعطى للصين الفرصة لتتعامل مباشرة مع الدول العربية والتي كانت سوريا في مقدمتها.

3- إن النزاع الصيني – السوفيتي الذي استمر من 1960–1966 خافتاً بسبب التطورات الصينية الداخلية المتعلقة بالمسائل الملحة النظرية والعملية حول كيفية تطبيق الاشتراكية أعاق بخروجه الى العلن التحرك الدبلوماسي الصيني أيضاً وهكذا واجهت الصين قوة معادية اخرى هي الاتحاد السوفيتي التي كانت قوته تكمن الى حدّ كبير في عدد من بلدان العالم الثالث المهمة بما فيها سوريا يضاف الى ذلك الاحزاب الشيوعية المحلية وخاصة العربية التي التزمت بثبات بالاتحاد السوفيتي.

4- أكدت السياسة الخارجية الصينية على التأكيد على عنصر (حرب الشعب) والتي كانت مسألة مناورة دبلوماسية وعلى الرغم من ادراك عدد من القادة الصينيين القوة الكامنة لحرب الشعب الا ان حركات التحرر الوطني التي تشن النضال المسلح وحرب الشعب هي في حاجة للعون لكي تقاوم الضغوطات المتزايدة الناجمة عن التقدم في تكنولوجيا السلاح والقوة الاقتصادية للقوى الامبريالية وهذا ما حدث في عام 1967.

5- وعت بكين ان التأثير الايديولوجي والثقافي يظل ضعيفاً اذا كان مجرداً من القوة الاقتصادية والتكنولوجية لذلك عقدت الكثير من الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع بلدان الشرق الاوسط لاسيما بعد حرب 1967 مع سوريا.

هوامش البحث:

(1) ماوتسي تونغ: ولد 1893 في قرية شي هان، في 1911 التحق بالجيش الثوري ضد الملك للإطاحة به، في 1919 اعتنق الماركسية، عُد أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الصيني عام 1925، وضع كتاب تحليل طبقات المجتمع الصيني، وأكد فيه على دور الفلاحين في الثورة، اصطدم بقوات تشيانغ كاي شيك الرسمالية اربعة مرات ولكنه انتصر عليه في الخامسة، اضطر الى التحالف مع عدوه في مواجهة اليابان الى 1945، اثناء الحرب الاهلية 1946- 1949 تحت راية حكومة الصين الوطنية ، وفي سنة 1949 اعلن ماو في بكين قيام جمهورية الصين الشعبية، أصبح رئيساً للحكومة ورئيساً للجمهورية 1954–1959، في 1966 أطلق ماو شرارة الثورة الثقافية، توفي في 1976 بعد صراع مع المرض وخلف العديد من المؤلفات. يراجع: ياسر حسين، 24 شخصية سياسية هزت البشرية، مركز الراية للنشر والإعلام، ط2، القاهرة، 2000، ص67–70.

(2) جابر إبراهيم سلمان، الصين والصراع العربي الاسرائيلي، مجلة الفكر السياسي، العدد24، السنة الثامنة، تصدر عن اتحاد العرب بدمشق، 2006، ص1.

(3) المصدر نفسه.

(4) وليد المعلم، سوريا1918–1958، (التحدي والمواجهة)، ط1، دمشق، 1958، ص39.

(5) هاشم بهبهاني، سياسة الصين الخارجية في العالم العربي1955–1975، ترجمة د. سامي مسلم، مؤسسة الابحاث العربية، ط1، بيروت، 1984، ص 29–30.

(6) www.china Today. Com , Arabic مجلة الصين اليوم باللغة العربية.

(7) Ibid, P.1.

(8) شكري القوتلي:سياسي من الرعيل الاول ولد في دمشق 1892، تلقى تعليمه الابتدائي في دمشق، والثانوي في استانبول، انضم الى الجمعية العربية الفتاة، حكم عليه غيابيا من قبل مجلس الحرب الفرنسي بدمشق في 9 آب 1920، اشترك في الثورة السورية 1925، في 1936أصبح وزيراً للمالية والدفاع الوطني للجمهورية العربية السورية في 31 آذارمن العام نفسه تم التصديق على ميثاق جامعة الدول العربية، في 18 نيسان اعيد انتخابه لرئاسة الجمهورية، عندما قام الانقلاب الاول 1949 تم اعتقاله لفترة ثم افرج عنه وخرج خارج القطر، عاد الى البلاد بعد سقوط الشيشكلي صاحب الانقلاب الاخير، كان سباق للوحدة مع مصر 1958، توفي 1967 في بيروت ثم نقل جثمانه الى دمشق لمزيد من التفاصيل يراجع: أكرم نور الدين الساطع، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين1950–2000، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2008، ص 235–237.

(9) جوردن هـ. توري، السياسة السورية والعسكريون 1945– 1958، ترجمة محمود فلاحة، دار الجماهير، ط2، بيروت، 1969، ص 360.

(10) كانت سوريا ثاني دولة عربية بعد مصر قد اعترفت بجمهورية الصين الشعبية و أقامت معها علاقات دبلوماسية عام 1956.

(11) جوردن هـ. توري، المصدر السابق، ص 313–314.

(12) مجلة الصين اليوم باللغة العربية، المصدر السابق، ص 1.

(13) المصدر نفسه، ص 3.

(14) www. Arabic.cri.cn/ اذاعة الصين الدولية

(15) صادق الاسود، الاتحاد السوفيتي والوحدة العربية، مجلة المنار، العدد 19تموز، باريس، 1986، ص 92 .

(16) هاشم بهبهاني ، المصدر السابق، ص 13.

(17) المصدر نفسه، ص 14.

(18) الثورة الثقافية: وهي من الأحداث الهامة التي شهدتها الصين بعد استقلالها تعود البدايات الأولى لها عام 1956، وهي حركة سياسية تربوية وفكرية وقد امتزجت بحركة تطهير واسعة في الحزب الشيوعي الصيني... لمزيد من التفاصيل يراجع: بطرس بطرس غالي وآخرون، الثورة الثقافية، مجلة السياسة الدولية، السنة 4، العدد 11، 1968، ص 203– 271.

(19) بدأ الموقف العربي يتبلور على ضوء قرار مؤتمر بلغراد لدول عدم الانحياز عام 1961الذي دعا الدول المعترفة بحكومة الصين الشعبية الى تأييد تمثيلها في الامم المتحدة وحيث قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في اجتماعها في العام نفسه ان يترك لكل دولة عربية حرية اتخاذ الموقف الذي تراه اثناء عرض هذا الموضوع في الجمعية العامة في الامم المتحدة وكانت سوريا من المؤيدين لذلك. يراجع معين أحمد محمود، الصين والعالم العربي. الموقع على شبكة الانترنيت www.rai-akhar.com

(20) مركز دراسات الصين وآسيا، العلاقات السياسية والاقتصادية بين الصين والدول العربية الموقع على شبكة الانترنيت http.//china-asia-org

(21) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 33.

(22) جريدة الشعب 11–4/ 1963 دمشق، نقلا عن محمد جميل بيهم، عالم حر جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1964، ص 295.

(23) المصدر نفسه، ص 296.

(24) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 42.

(25) ج. س. هورويتز، الصراع السوفياتي – الامريكي في الشرق الاوسط، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1971، ص 225.

(26) مجلة الصين اليوم، المصدر السابق.

(27) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 237.

(28) Bartke, Wolfgang, China's Economic Aid, New york, 1975, P.23.

(29) معين احمد محمود، المصدر السابق.

(30) Walid Kazziha, Revolutionary transformation in the Arab World: Habash and his Comrader from Nation alism to Marxism, London, 1975, P. 84.

(31) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 61.

(32) John Cooley, china and the Palestinians the Journal of palstine studies, vol. 1. No2 winter, 1972, P27.

(33) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 61.

(34) نور الدين الاتاسي: ولد في حمص 1929، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في حمص ودمشق، انتسب الى كلية الطب ونال الاجازة فيها 1955، انتسب الى حزب البعث العربي الاشتراكي واصبح من كبار اركانه، في 4 آب 1964عين وزيراً للداخلية في حكومة امين الحافظ ثم عين عضواً في مجلس الرئاسة في 14 آيار 1964 الى 23 ايلول، في 23 شباط 1966 شارك في قيادة الحركة الانقلابية ضد الرئيس السوري امين الحافظ وانتخب اميناً عاماً ورئيساً للجمهورية، اعتقل 16تشرين الثاني 1970 بعد قيام الحركة التصحيحية التي قادها حافظ الاسد وافرج عنه في 28 آب 1992 بعد ان مضى قرابة 22 عاماً في السجن، توفي في 2 كانون الاول1992. يراجع: اكرم نور الدين الساطع، المصدر السابق، ص 627.

(35) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 65.

(36) أنس مصطفى كامل، السياسة الصينية والصراع العربي الاسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، العدد 25، اذار ،بيروت، 1981، ص61.

(37) المصدر نفسه، ص 63.

(38) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص67.

(39) مسعود ضاهر،العلاقات الثقافية العربية الصينية الواقع والافاق المستقبلية، مجلة الفكر السياسي، العدد7، السنة2، دمشق،1999.

(40) Walid Kazziha, Op. Cit, P.84.

(41) هاشم بهبهاني، المصدر السابق، ص 130.

(42) جوردن هـ. توري، المصدر السابق، ص 362.

(43) هاشم بهبهاني، المصدر السابق ، ص 80.

(44) Bartke, Wolfgang, Op. Cit, P. 54.

(45) Ibid, p. 55.

العبيد في المجتمع العراقي القديم
فــي ضــوء القوانــين الــعراقيــة القديمــة
(دراسة لأحواله الاقتصادية والاجتماعية)

م. م. غيـــــث حبيــــــب خليــــــل
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التـاريخ

ملخص البحث

قد حاولنا في هذا البحث استعراض حقوق العبيد من خلال دراسة أحوالهم الاقتصـادية والاجتماعيـة فـي المجتمـع العراقـي القـديم والقينـا الضـوء علـى ذلـك من الجانب التاريخي وما يحتويه من موروث حضاري وقانوني.

وتعد حقوق الإنسان ومدلولاتها من خلال ما ورد في النصوص المسمارية حجر الزاوية في إقامة المجتمعات, واحترام حقوق الإنسان ورعايتها هو عماد الحكم العادل والسبيل الوحيد لخلق مجتمع حر وآمن ومستقر، ولعل من نافل القول التأكيد علـى أهميـة القوانين بين النتاجات الفكريـة لحضـارة بـلاد الرافدين، وبسبب دلالاتها المتعـددة فقـد أصـبح الحـديث عنهـا يتقدم بقيـة الموضـوعات الحضـارية، كمـا أكثـر الباحثون من تناول النصوص القانونية سواء شمل اهتمامهم ترجمتها أو تحليل موادها وأبعادهـا الحضـارية فيمـا لـه علاقـة باستكشـاف الجوانـب الحياتيـة المختلفـة لسـكان المجتمـع العراقـي القـديم، ومـا تظمنتـه تلـك الإصـلاحات والقـوانين مـن تحديـد حقـوق وواجبات كل فرد وكل طبقة وبالتالي عرفوا ما يسمى اليوم مبدأ حقوق الإنسان. والذي

بالتأكيـد يختلـف بمفهومـه عـن المفهـوم السـائد فـي الوقـت الحاضـر وذلـك لكـون الإصلاحات والقوانين ما هي إلا مرآة تعكس واقع المجتمع الذي صدرت منه ولذا فان مفهوم حقوق الإنسـان فـي ذلـك العصـر كانـت تـتلاءم مـن حيـث تطورهـا مـع تطـور مجتمع ذلك العصر ومؤسساته الاقتصـادية والاجتماعيـة والسياسـية ففي مجتمـع يقـوم أساسه على الزراعة وكذلك وجود نزاعات وحروب بين دويلات المدن المتجاورة من اجل الحصول على أراضـي جديدة ومصادر للمياه فلا بد أن حقوق الإنسان يحكمها واقـع المجتمـع ومؤسسـاته المختلفـة ومـن ذلـك وجـود الـرق (العبيد) والـذي يتنـافى مـع حقوق الإنسان لكن أفرزته الظروف وجعلت منه مباحا ولكن مع ذلك أوجدت لذلك ضوابط وقوانين تحكمه وتحافظ عليه وعلى حقوقه وتناولنا ذلك بالتفصيل والنظر إلى ذلك من منظار واقعي أساسه المجتمع وما يحيط به من ظروف مختلفة.

مُقَدِّمَة

الإنسانيَّة هي أرقى صفة يتحلَّى بها المرء، وبها ينبل ويعظم قدرُه في القلب والضمير أوّلاً، ثم في مجتمعه ومحيطه ثانيًا، ولا يفقد امرؤ شيئًا من إنسانيته إلاَّ حينما يفقد شيئًا من حريته، إذ هي أصالة ذاتيَّة يحثُّها الضمير الصادق، وتلازمها الرُّوح الصافية.

وتعد حقوق الإنسان ومدلولاتها من خلال ما ورد في النصوص المسمارية حجر الزاوية في إقامة المجتمعات, واحترام حقوق الإنسان ورعايتها هو عماد الحكم العادل والسبيل الوحيد لخلق مجتمع حر وآمن ومستقر، ولعل من نافله القول التأكيد على أهمية القوانين بين النتاجات الفكرية لحضارة بلاد الرافدين، وبسبب دلالاتها المتعددة فقد أصبح الحديث عنها يتقدم بقية الموضوعات الحضارية، كما أكثر الباحثون من تناول النصوص القانونية سواء شمل اهتمامهم ترجمتها أو تحليل موادها وأبعادها الحضارية فيما له علاقة باستكشاف الجوانب الحياتية المختلفة لسكان المجتمع العراقي القديم.

وقد حاولنا في هذا البحث استعراض حقوق العبيد من خلال دراسة أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العراقي القديم والقينا الضوء على ذلك من الجانب التاريخي وما يحتويه من موروث حضاري وقانوني.

أولا: القوانين مصدر دراسة العبيد في المجتمع العراقي القديم:

العراق غني بثروة قانونية وحضارية هائلة فقد كانت بلاد الرافدين مهدا لأعرق الحضارات في العالم، فنشأت على أرضه حضارة امتزجت فيها عادات وتقاليد من استوطن وسكن على أرضها وأبرزهم السومريين[1] والجزريين[2]. فضلا عن كونها مهدا لأولى القوانين البشرية وتطورت في كنفها على مر العصور وفقا لمتطلبات التطور السياسي والوعي الاجتماعي والديني تلك القواعد التي تظهر وتبين درجة التطور في المجتمع.

ومن الجدير بالذكر أن الحاجة إلى إصدار قانون ما لتنظيم حياة المجتمع من حرية وعدالة اجتماعية والى احترام حقوق الإنسان لا تظهر وليدة الصدفة بل تحتاج إلى مقومات لتبرز ضرورة إصدارها والتي تتمثل بنمو وتطور المجتمع سياسيا واجتماعيا وتاريخ بلاد الرافدين يظهر فيه بوضوح بان التكوينات السياسية والتي ظهرت بصورة رئيسة من ظهور المدن وتطورها في منتصف الألف الرابع ق.م في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين في الوركاء[3] وجمدة نصر[4]. ومن ثم اكتمل نضوجها في عصر فجر السلالات[5] وهي بداية العصور التاريخية وظهور التدوين بشكل حقيقي وما تلاها من عصور حتى سقوط بابل (539 ق.م).

وتكمن ضرورة إصدار القوانين في كونه لا يمكن أن تسير الحياة اليومية ومتطلباتها الاجتماعية وهي تعتمد على التقاليد والأعراف البدائية والتي لا تتلاءم مع متطلبات الحياة المدنية الجديدة بأوجهها المختلفة فكان لا بد من سن القوانين لتسيير الحياة بجوانبها المختلفة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.وبما أن أولى المجتمعات قد ظهرت في العصر الحجري الحديث وحيث انه لم تكن الكتابة قد اكتشفت بعد فان معلوماتنا عن القوانين في هذه الفترة قليلة جدا أو تكاد معدومة، ولكن بعد اكتشاف الكتابة في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وبدأ سكان بلاد الرافدين يدونون بها

معاملاتهم الاقتصادية والقضائية وغيرها تمكنا من أن نتعرف على طبيعة الحياة اليومية وكذلك على أولى الإصلاحات الاجتماعية والتي تعود إلى (أوروانمكينا)[6]، فضلا عن القوانين المدونة تعود أقدمها إلى حاكم أور (أور نمو)[7]، وقانون (لبت عشتار)[8] وقانون أشنونا[9] وآخرها وأنضجها هو قانون (حمو رابي)[10].

والتي يدل اكتشافها وتدوينها إلى إدراك العراقيون القدماء إلى أهميتها لتنظيم حياتهم وضرورتها وسبقوا بذلك باقي الأمم والحضارات، وما تظمنته تلك الإصلاحات والقوانين من تحديد حقوق وواجبات كل فرد وكل طبقة وبالتالي عرفوا ما يسمى اليوم مبدأ حقوق الإنسان. والذي بالتأكيد يختلف بمفهومه عن المفهوم السائد في الوقت الحاضر وذلك لكون الإصلاحات والقوانين ما هي إلا مرآة تعكس واقع المجتمع الذي صدرت منه ولذا فان مفهوم حقوق الإنسان في ذلك العصر كانت تتلاءم من حيث تطورها مع تطور مجتمع ذلك العصر ومؤسساته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ففي مجتمع يقوم أساسه على الزراعة وكذلك وجود نزاعات وحروب بين دويلات المدن المتجاورة من اجل الحصول على أراضي جديدة ومصادر للمياه فلا بد أن حقوق الإنسان يحكمها واقع المجتمع ومؤسساته المختلفة[11]. ومثال ذلك وجود الرق (العبيد)[12]. والذي يتنافى مع حقوق الإنسان لكن أفرزته الظروف وجعلت منه مباحا ولكن مع ذلك أوجدت لذلك ضوابط وقوانين تحكمه وتحافظ عليه وعلى حقوقه وسنتناول ذلك لاحقا بالتفصيل لذلك لابد من النظر إلى ذلك من منظار واقعي أساسه المجتمع وما يحيط به من ظروف مختلفة.

ثانيا: **مصادر العبيد في العراق القديم**:

كان المجتمع العراقي القديم يحصل على العبيد من مصدرين رئيسين:

الأول: مصدر خارجي: ويقصد بهم العبيد من خارج بلاد الرافدين ويكونون بالدرجة الأولى أسرى الحروب الذين تقضي القوانين العراقية القديمة بعملهم في الأشغال العامة بدلا من قتلهم كانوا يوزعون على الخدمة في القصور والمعابد أو يباعون في الأسواق[13]. هذا فضلا عن العدد القليل الذي يجلبه معهم التجار ليس كتجارة رئيسة بل مصدر ثانوي للربح والإناث يمثلن النسبة الأكبر مما يجلبهم التجار ليبيعوهم للأسر والأفراد[14]. وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية حيث لم يعثر على ما يشير إلى وجود أسواق خاصة لبيع العبيد كما في الغرب ولا نصوص تدل على ذلك، ومن ذلك نجد أن العبيد الأجانب يشكلون نسبة قليلة جدا من العبيد في المجتمع العراقي القديم ولذلك فان العبيد هم من نفس جنس ولون وحتى ديانة طبقة الأحرار [15].

ثانيا: المصدر الداخلي: ويقصد بهم العبيد من داخل بلاد الرافدين وهم:

1- العبيد الذين ولدوا لأبوين من العبيد.
2- الأحرار الفقراء الذين يؤولون إلى العبودية نتيجة فقرهم واضطرارهم بيع أولادهم أو نسائهم وحتى أنفسهم.
3- الأطفال غير الشرعيين الذين يرمون على أبواب المعابد وفي الطرقات.
4- استعباد الحر بسبب ارتكابه جرائم معينة ومثال ذلك عقوق الوالدين وإنكار الزوجة لزوجها[16].
5- من يؤول إلى العبودية بسبب دينه فيعمل هو وربما حتى أفراد أسرته لدى الدائن حتى يتم سداد الدين وزاد عدد العبيد من الأحرار الذين يؤولون إلى العبودية بسبب الدين وخاصة في القرون الأولى من العصر البابلي القديم المسمى (ايسن

_ لارسا) وذلك بسبب زيادة عدد المرابين الذين يعملون على امتلاك القوة العاملة فزاد عدد العبيد سواء من العبيد أصلا فضلا عن الأحرار الفقراء[17].

ومن ذلك فان الحر ممكن أن يصبح عبدا بسبب الحاجة أو لارتكابه جرائم معينة تكون عقوبتها العبودية المؤقتة للعمل في أراضي ومرافق الدولة العامة كما هو الحال في السجون حاليا فان السجين مقيدة حريته ويعمل في مرافق للدولة بدون مقابل نتيجة ارتكابه جرم بحق نفسه والمجتمع.

ثالثا: الأسباب التي أدت إلى تكون طبقة العبيد في المجتمع العراقي القديم:

كان من نتائج اتساع المدن وزيادة عدد سكانها واختلاف مهنهم وأعمالهم وظهور التخصص في العمل والملكية الفردية أن ظهرت بوادر العلاقات التجارية والزراعية فزاد معها التعقيد في علاقة الأفراد فيما بينهم، وأصبحت هناك حاجة اكبر للحصول على عدد من العمال والمزارعين للحصول على إنتاج أكثر فزادت الحاجة إلى العبيد لاستخدامهم في الأراضي الحكومية وأراضي الأفراد للقيام بزراعتها وإنشاء مشاريع الري ولو كانت على نطاق محدود في بداية الأمر[18]، كما نمت العادات والتقاليد وغدت أعرافا يسير عليها أفراد المجتمع وكان ينظر باستهجان إلى كل من يخرج عن تلك الأعراف والتقاليد، ومنذ أواخر الألف الثالث ق.م تبلورت هذه الأعراف والتقاليد والنظم السائدة في قوانين مدونة أصدرها الملوك والحكام وضمنوها مختلف الأحكام القانونية وفرضوا تنفيذها وحاسبوا الخارجين عنها، وقد حددت القوانين كما كانت الأعراف والتقاليد أيضا تحدد علاقات الأفراد بعضهم بالبعض الأخر وثبتت حقوقهم ووجباتهم كل تجاه الآخر وتجاه السلطة[19]، كما تحددت معها فئات ومكونات المجتمع العراقي القديم والذي كسائر المجتمعات قديما وحديثا يتألف من عدة فئات منها الحاكمة والمتنفذة المسيطرة على الأمور الدينية والدنيوية ومنها المحكومة، ويأتي

في قمة الهرم الاجتماعي الأسرة المالكة والتي اكتسبت على مر العصور قدسية خاصة باعتبار الملك ممثل الآلهة على الأرض، ويلي الأسرة الحاكمة فئة النبلاء وأصحاب الاقطاعات الكبيرة وكبار الكهنة والموظفين وقادة الجيش والمتنفذين سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا[20]، أما الفئة المحكومة فكانت تتألف من المواطنين الأحرار وأصحاب الحرف والمهن وأصحاب الورش، أما العبيد أو الأرقاء فيأتون في قاعدة الهرم الاجتماعي للمجتمع العراقي القديم كما هو الحال في المجتمعات القديمة كالرومانية والإغريقية، والذين لم يؤلفوا نسبة كبيرة من السكان وخصوصا في العصور التاريخية الأولى المتمثلة بعصر فجر السلالات بل زاد عددهم باتساع سلطة الحكام والملوك واتساع الحروب والمنازعات لتشمل مناطق خارج حدود بلاد الرافدين منذ العصر الاكدي وفي عصر سلالة أور الثالثة تطورت الأنظمة الإدارية والسياسية وظهر معها إقطاعية عبيد حقيقية لأول مرة في تاريخ بلاد الرافدين وذلك لان العبيد من الذكور والإناث أصبحوا يؤلفون قوة عمل لا يستهان بها للعمل بصورة رئيسة في الإقطاعيات الحكومية الكبرى والتي كانت تدار من قبل حكام المقاطعات الذين يعينهم الملك وعلى الرغم من ذلك لم يؤلفوا قوة الانتاج الكبرى بل الفلاحين من الاحرار وانما اصبحوا قوة العمل الرئيسة في اقطاعيات الدولة للاستفادة من خدماتهم بدون مقابل او باجور قليلة وخصوصا في العصور المتأخرة[21]. حيث يذكر أن عدد العبيد ازداد بشكل كبير في العصر الآشوري الحديث وكان يتم اخذ العدد اللازم وبيع أو مبادلة الباقي بأنواع مختلفة من السلع للاستفادة منهم[22]. ووصل ذروته في العصر البابلي الحديث[23]. وكانوا يعيشون في بيت خاص يسمى (بيت العمال) ولهذه التسمية دلالة قاطعة على الغاية الرئيسة من الحصول على العبيد وهي اليد العاملة وبالمجان أو بأجور قليلة جدا في العصور اللاحقة من ظهور المدنية في بلاد الرافدين[24].

وعلى العموم فان المجتمع العراقي القديم كان يتألف من عدة فئات إلا انه يمكن تقسيمه طبقيا إلى (طبقة الأحرار) والتي تضم جميع الفئات الاجتماعية عدا فئة العبيد، والطبقة الثانية هي (طبقة العبيد)، وطبقة العبيد تتألف من العبيد الذكور ويطلق عليهم في اللغة الاكدية مصطلح (وردم) والأنثى (أمتم)، وكانت أعمال طبقة العبيد بصورة عامة هي أعمال زراعية فضلا عن قيام الإناث بالعمل في البيوت، ثم زادت في العصور التاريخية اللاحقة لتشمل العمل في بعض الحرف والمهن كالنجارة وصناعة الفخار ... الخ[25].

وعلى الرغم من أن العبيد كانوا يمثلون قاعدة الهرم الاجتماعي ومركزا ضعيفا في المجتمع إلا أنهم كانوا يتمتعون بحقوق وامتيازات ضمنتها لهم القوانين كما سنوضح ذلك لاحقا.

رابعا: الأسباب التي دفعت الحكام والملوك في المجتمع العراقي القديم إلى الاهتمام بطبقة العبيد

لقد أخذت العدالة من اهتمام الملوك في العراق القديم وبالأخص الملوك البابليين الكثير، وقد سبق ذلك إصلاحات ومنها إصلاحات اوروانمكينا (اوروكاجينا سابقا) (2355 ق.م) قد أصدر إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية في مدينة لجش الهدف منها تحقيق العدل ورفع الظلم عن الناس، وكذلك الملك حمو رابي الذي سعى خلال مدة حكمه الطويلة (42 عام) إلى تحقيق العدل والمساواة واتبع نظاما مركزيا يهدف إلى مراقبة كل الولايات التي تحت حكمه والتي اتسعت في أواخر سني حكمه لتشمل بلاد بابل وآشور وعودة العراق إلى الوحدة وسعى في قوانينه إلى جعل الجميع خاضعا للقانون وضمان العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد وحتى حقوق العبيد كما سنوضح لاحقا وهذا ما أكد عليه في مقدمة وخاتمة مسلته الشهيرة التي تضمنت {282} مادة قانونية شملت مختلف نواحي الحياة وجاءت محاكاة لواقع المجتمع

آنذاك وكانت في قمة التقدم الفكري والقانوني والتشريعي وجعل من الإنصاف موضع اهتمامه الرئيسي وجاء في المقدمة (هذه مراسيم الإنصاف التي وضعت)، ومن دراسة وتحليل القوانين وكذلك الأحكام القضائية يمكن التأكيد على أن (حمورابي) حاول دائما التخفيف من شدة القانون الصارم عندما يؤدي التطبيق الأعمى للقانون إلى نتائج مقاربة للا عدالة، ولكن الحدود بين متطلبات الإنصاف وبين تطبيق القانون دائما ما يكون رسمها في غاية الصعوبة، إذ قد يهتم فرد بخرق القانون ولهذا الغرض لا بد من قضاء متمرس وخصب ومرن قادر على تحديد الأسباب الأساسية التي تبرر تقييد القانون. وقد اثبت الملك حمو رابي بما ادخله من إصلاحات وأصدره من قوانين قادرة على إدارة العدالة بوجهتها الصحيحة ودلل على قضاء قادر على حل المشاكل التي تثيرها مراعاة الإنصاف وقادر أيضا على تقديم الضمانات الضرورية لحقوق الإنسان[26].

وفي الحقيقة إن القانون والعدالة والحرية تعد مبادئ أساسية في المجتمع العراقي القديم سواء أكانت نظرية أو مطبقة في الواقع وفي مختلف جوانب الحياة منها الاقتصادية والاجتماعية والقضائية ... الخ، وهذا ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية فقد تم العثور على الآلاف من الرقم الطينية والعديد من النصب والمسلات الحجرية التي تضم مختلف الوثائق القانونية سواء السومرية أو البابلية والآشورية تتعلق بالعقود والوصايا والاتفاقيات والاعتراف بالديون والوصولات والأحكام القضائية التي تصدر في المحاكم، وكانت تحفظ هذه الأحكام بعدة نسخ وعلى رقم طينية وتحفظ في أغلف طينية تدون عليها القضية وإطرافها والحكم الذي صدر عنها منعا للتلاعب والغش[27].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن حمورابي في مقدمة قانونهِ يذكر فيها نفسه بلقب (ملك القانون) وجاء فيها (حمو رابي الأمير التقي الذي يخشى آلهته، لأوطد العدل

في البلاد، لأقضي على الخبيث والشر، ولكي لا يستعبد القوي الضعيف، ولكي يعلو العدل كالشمس فوق ذوي الرؤوس السوداء)[28].

ومما تقدم يتضح لنا الأسباب التي دعت إلى اهتمام الملوك بإصدار القوانين في مختلف مجالات الحياة وتنظيم حقوق وواجبات الأفراد وكلا حسب طبقته ومنهم العبيد وهذا لان الملوك في كل قوانينهم لم يذكروا أن القوانين والأحكام تسري على الأحرار بل كانت شاملة لكل فئات المجتمع هذا فضلا عن أسباب أخرى منها إن العبيد في العصور التالية لعصر فجر السلالات زاد فيها عدد العبيد في المجتمع وخصوصا في العصور البابلية والأخير منها على وجه الخصوص مما تطلب إصدار قوانين تحدد وجودهم في المجتمع وحقوقهم والواجبات المترتبة عليهم، ويمكن تفسير ذلك إن القوانين كانت تحاول حماية ممتلكات الأفراد ومنها العبيد لذا فهي لم تنص على معاقبة قاسية، كما يمكن تفسير ذلك بان القوانين وقفت إلى جانب العبيد في تحديد نوع العقوبة وجعلها مخففة نظرا لوضع العبيد الاجتماعي والاقتصادي. فكانت جريمة هروب العبيد من أسيادهم وهي الجريمة الأكثر شيوعا لا يعاقب عليها العبد نفسه بل يعاقب عليها كل من ساعده على الهرب أو آوى عبدا هاربا[29].

خامسا: العبيد والعبودية في بلاد الرافدين (حقوقهم وامتيازاتهم)

إن العبودية في بابل وآشور لم تكن هي قاعدة الإنتاج التي يعتمد عليها اقتصاد المدينة في بلاد الرافدين بل كان ما ينتجه الفلاحين من طبقة الأحرار فئة المشكينم ويمثلون صغار المنتجين هم القاعدة الأساسية لان العبيد لم يكن انتشارهم واسع في العصور الأولى للمدنية والتي تبدأ بالعصر الشبيه بالكتابي بل زاد عددهم في العصور البابلية وأكثرها في العصور الآشورية بسبب كثرة الحروب واتساعها إلى مناطق خارج حدود بلاد الرافدين، وفئة العبيد تمثل أسفل القاعدة الهرمية التي يتألف منها المجتمع العراقي القديم حيث تكون على قمته الأسرة الحاكمة ثم يأتي بعدهم

النبلاء وكبار الموظفين وأصحاب الأملاك و ثم أصحاب المهن والحرف والكتاب والأطباء ثم طبقة الأحرار المقيدة وهم طبقة المشكينم والذين ورد ذكرهم لأول مرة في قانون حمو رابي، وملخص القول أن العبيد لم يكونوا يمثلون مركزا مهما لكون حريتهم مقيدة لكن لهم حقوق وواجبات كما سنوضح لاحقا وهذا ما يميز العبيد في العراق القديم عن بلاد الإغريق والرومان[30]. وذلك لكون عمل العبيد كان محدودا ومقتصرا على مزاولة بعض الحرف والأشغال العامة التي تحتاجها الدولة المتمثلة بالقصر والمعبد فضلا عن العمل في البيوت والتي كانت على نطاق ضيق في العصور التاريخية الأولى ثم ازدادت واتسعت في العصور التالية،وكان العبيد لا يملكون اقتصاد فردي والذي كان يشكل القطاع الرئيس للإنتاج حيث كان العمل الحر هو السائد وذلك بسبب ظهور الملكية الفردية والتخصص في العمل وكانت القوى العاملة على وجه الخصوص تعتمد على الأحرار من سكان المدن أي قوى عاملة محلية ولم يكن للعبيد بمعنى عام وجود فعلي في الاستخدام[31].

ولم يكن العبيد يتمتعون بشخصية كاملة طالما كانوا ملكا لأسيادهم واعتبارهم شيئا من الأشياء التي يملكونها، لذلك كانت أسماء العبيد تتألف من اسمهم واسم مالكهم، وكان العبد يباع ويشترى ويختلف ثمنه وفقا إلى قدراته الجسمية والشكل والجنس والعمر كما كان الاسم يكتب على ظهر اليد أو على قطعة من الطين تعلق في رقبة العبد أو الأمة، كما كانوا يميزون عن غيرهم من أفراد المجتمع بطريقة قص شعورهم أو بوضع بعض العلامات المميزة كوشم على الذراع فضلا عن مميزات أخرى[32].

كما كان العبيد يعدون من الملكية الخاصة للرجل الحر ويذكرون مع ما يملكه الرجل الحر من مواشي وأموال غير منقولة[33].

حقوق وامتيازات العبيد:

1- على الرغم من إن القوانين العراقية القديمة قد ميزت بين طبقة الأحرار والعبيد في أحكامها ولكن إذا ما أمعنا النظر في المواد القانونية المختلفة التي تطرقت إلى حقوق وواجبات الأفراد لتبين بما لا يقبل الشك أن حال العبيد في المجتمع العراقي القديم كما تعكسه تلك القوانين كان أفضل بكثير من حال العبيد في الغرب في روما مثلا بعد ما يقارب الألف عام، بل إن دراسة القوانين العراقية القديمة تشير بوضوح إلى إن المصلحين والحكام الذين سنوا القوانين في العراق القديم كانوا يسعون دائما لإعطاء المزيد من الحماية لفئة العبيد وتيسير السبل الكفيلة بضمان حقوقهم وإمكانية حصولهم على الحرية مقابل اجتهادهم في العمل وتمكنهم من إيجاد القدرة الاقتصادية لشراء حريتهم[34]. وفضلا عن ذلك فان الشخص الذي يولد عبدا يمكن أن يصبح حرا إذا ما تمكن من أن يدفع مبلغ لسيده لقاء حريته وذلك أصبح ممكنا وبالأخص في العصور البابلية الأخيرة بعد أن أصبح للعبيد حقوق وامتيازات تمكنهم من امتلاك الأموال[35].

2- إن الفارق الكبير بين العبودية الغربية والعبودية في العراق القديم هو أن الغالبية العظمى من العبيد ليسوا ملكا لأحد بل هم ملك للدولة يحق لها وحدها التصرف بهم ويعملون لديها في زراعة أراضي القصر والمعبد فضلا عن مزاولة الحرف هذا فضلا عن أن العبيد لم يكونوا مجردين تماما من ملكية الأدوات الإنتاجية البسيطة ولذلك فليسوا عبيدا لمالكيها، أي إنهم يكونون بالنتيجة يعملون لأنفسهم وذلك من خلال عملهم للدولة وكذلك فان عملهم للدولة يبقى فيه مجالا واسعا للحصول على حريتهم الإنسانية والتي تكون معدومة في حالات العبودية التقليدية من خلال التجار وسوق العبيد في الغرب، أي إنهم إما بسبب تمكنهم من شراء حريتهم أو بسبب رضا أسيادهم عنهم من خلال عملهم المتفاني يحصلون على حريتهم[36].كما أن استخدام العبيد في عمليات الإنتاج كما في المشاريع الزراعية

الكبرى كان يعد عمل ضئيل الإنتاج وذلك بسبب الرقابة الشديدة على عمل العبيد في مثل تلك المشاريع وهذا يوضح لماذا كان العبيد العائدين للدولة والذين يشكلون الغالبية العظمى من العبيد في المجتمع العراقي القديم كانوا يعملون في المكاتب الحكومية والورش وكعمال بناء وربما هذا ما يفسر محاولات استخدام العبيد في بعض الأعمال المهمة سواء من قبل الدولة أو من قبل الأفراد تقترن بإيجاد محفزات فعالة وهذا يعني بالتالي العمل بنظام شبه العبودية بدلا عن العبودية التامة[37].

3- العبيد في المجتمع العراقي القديم لم يكونوا طبقة مغلقة، إذ يعتمد كون الإنسان عبدا أو حرا في اغلب الأحيان على الوضع الاقتصادي للفرد كما وضحنا سابقا، ومن ذلك فقد كان هناك ما يعرف بـ (العبودية المؤقتة) والذي يعود سببه بصورة رئيسة إلى عامل اقتصادي لا يستطيع بسببه رجل مدين من تسديد دينه إلى الدائن مما يلزمه هو أو زوجته أو أولاده وربما جميعهم للعمل كعبيد لدى الرجل الدائن إلى حين تسديد الدين بالعمل يعود بعدها إلى حريته وممارسة عمله الخاص به وكانت محددة بمدة هي أقصاها (ثلاث سنوات) مهما كان مقدار الدين المادة {117} من قانون حمو رابي[38]. كما كان العبيد ومنذ العصر البابلي القديم يحصلون على أجور وعلى الرغم من أنها قليلة ولا تعادل سوى 3/1 ما يحصل عليه الحر ولا يحصل على أجره إلا بعد إتمام عمله لكن هذا يعني إمكانية حصولهم على مصدر رزق يمكنهم من شراء حريتهم لاحقا[39].

4- اعترفت القوانين ومنها قانون حمو رابي بحق الذكور من العبيد بناء أسرة شرعية فقد نصت المادتين {170 و176} على حق العبد في الزواج من امرأة حرة وسمح له بان يكون لديه بيت خاص وأموال خاصة كما ضمنت حرية أولاده من بعده، ولم يعط الحق لمالكه إلا في نصف ما كان يملك وزوجته الحرة بعد

زواجيهما[40]. أما إذا تزوج العبد من امة يحق له أن يكون لديه بيت إلا أن الأطفال الذين يولدون يكونون من العبيد أيضا[41].

5- كان يحق للعبيد وخصوصا في العصر البابلي الحديث الدخول في معاملات تجارية واقتراض الأموال لشراء حريتهم، كما كان لهم الحق في استغلال ارض والتي تمنح لهم من قبل الأغنياء وكانوا يملكون حق تأجيرها والاستفادة منها، كما كان يحق لهم أن يشتركوا مع آخرين لتأجير أراضي زراعية أي أنهم كان يحق لهم أن يأجروا أو يستأجروا أراضي للاستفادة منها في تحسين أوضاعهم الاقتصادية ونتيجة طبيعية لذلك فقد كان يحق لهم امتلاك الأدوات الزراعية وكذلك الحرفية أي أنهم لهم الحق في الملكية الخاصة ولكن ذلك لا يتم إلا بموافقة أسيادهم[42]، وفضلا عن ذلك فقد ازدادت حقوقهم وامتيازاتهم الاقتصادية وأصبحت واضحة وبشكل خاص حق الحيازة، كما كان لبعض العبيد الحرفيين كالنجارين والمزارعين حق في امتلاك مشاغل تعليمية خاصة بهم، كما أصبح لهم الحق في اخذ ضمانات بمختلف أنواعها من مدينيهم ضمانا لقروضهم وبالأخص الصيارفة والتجار من العبيد، وفضلا عن كل ما تقدم فكان يحق لهم استئجار مواطنين أحرار كعمال أو وكلاء تجاريين[43].

6- كانت القوانين العراقية القديمة تلزم مالكي العبيد بحسن معاملتهم وفي العصور الآشورية الحديثة و البابلية الحديثة كان يحق للعبد أن يعمل لحسابه الخاص ويمتهن مهنة معينة، كما كان يحق له أن يتفق مع مالكه على مبلغ معين يدفع له بأقساط ثابتة يكسب بعدها حريته، كما أشارت بعض الوثائق أن بعض العبيد قد تقلدوا مراكز حكومية مرموقة في حين تمكن بعضهم من امتلاك بيوت وورش عمل خاصة بهم وامتلكوا عبيدا لخدمتهم[44].

7- الإناث من الرقيق كان حظهم أفضل من حيث الحقوق والامتيازات وذلك لعيشهن في البيوت دوما وعلاقتهن المباشرة مع أفراد الأسرة التي قد تتطور إلى علاقة عاطفية وإنسانية تكسب الآمة من خلالها امتيازات تصل إلى حد عتقها من العبودية، ومن ذلك ما ورد في قانون لبت عشتار المادة {25} (إمكانية اكتساب الآمة وأولادها إن أنجبت هي أولادا من سيدها)، والمادة {26} من نفس القانون ورد فيه جواز زواج السيد من أمته بعد وفاة زوجته الأولى وإذا ما اعترف بها كزوجة ثانية فيكون لأولاد الآمة من سيدها حقوقا في تركته بعد وفاته[45]. وهذا ما جاء به قانون حمو رابي في المواد {176،171،170}[46]. ونص قانون حمو رابي المادة {146} منع بيع الآمة التي كانت قد ولدت أولادا من سيدها حتى وان كانت قد أساءت الأدب تجاه سيدتها وحاولت مساواة نفسها بها ولكن لها أن تبقي علامة العبودية وعدها من الإماء[47].

كما نصت المادة {119} من قانون حمو رابي على أعطاء الحق لمالك الأمة التي ولدت له أولادا وباعها مضطرا أن يستعيد أمته ويعيدها لأولادها[48]. ومن الممكن تفسير ذلك بأنها محاولة من المشرع لحماية حقوق مالك الأمة في أمته ورغبة منه في جمع شمل الأمة بأولادها من اجل تربيتهم والإشراف عليهم.

8- حددت القوانين العراقية القديمة العقوبات الواجب إنزالها على كل من يعتدي على العبيد بالضرب أو القتل غير أن جميع القوانين بما فيها قانون حمو رابي والقوانين الآشورية التي كانت تعتمد مبدأ القصاص في العقوبات بين الأحرار كانت تعتمد كباقي القوانين العراقية القديمة أشنونا ولبت عشتار وأور نمو مبدأ التعويض فيما يتعلق بتحديد عقوبة الجاني إن كان المجني عليه من العبيد، وجاء في قانون أور نمو المادة (21) إذا ما اعتدى رجل على أمة رجل آخر فعليه أن يعطيه تعويضا ثمنها فضة (عشرة شيقلات) أو امة مثلها تعويضا له،

أما قانون أشنونا المواد (23 و 24) فقد ضاعف العقوبة على من احتجز أمة وتسبب في موتها بتعويض أمتين بدل أمة واحدة، وإذا لم تمت فعليه أن يدفع فضة تساوي سعر الأمة، وفي قانون حمورابي المادة 116 (تعويض صاحب العبد الذي احتجز عبده من قبل تاجر وتسبب في موته من سوء المعاملة فعليه ان يدفع 3/1 منا من الفضة فضلا عن دفعه المبلغ الذي له بذمة التاجر)[49].

9- أما العقوبات التي نصت عليها القوانين بحق العبد الذي يرتكب جريمة ضد غيره فتبدو لينة جدا بالقياس إلى العقوبات المتعلقة بالأحرار، ويمكن تفسير ذلك أن القوانين كانت تحاول حماية ممتلكات الأفراد ومنها العبيد لذا فهي لم تنص على معاقبة قاسية، كما يمكن تفسير ذلك بان القوانين وقفت إلى جانب العبيد في تحديد نوع العقوبة وجعلها مخففة نظرا لوضع الرقيق الاجتماعي والاقتصادي فكانت جريمة هروب العبيد من أسيادهم هي الجريمة الأكثر شيوعا لا يعاقب عليها العبد نفسه بل يعاقب عليها كل من ساعده على الهرب أو آوى عبدا هاربا[50]. أو من قام باحتجاز عبدا مفقودا ولم يسلمه إلى مالكه أو إلى السلطة { المواد 16 و19 من قانون حمو رابي}، أو من ساعد على إزالة علامات العبودية المادتين {226 و227} من قانون حمو رابي، وتكون عقوبة هذه الجرائم شديدة جدا وصارمة قد تصل إلى الإعدام او قطع اليد، وأحيانا التعويض المادي الباهض جدا[51].

10- كما حددت عقوبة كل عمل خاطئ يقوم به العبد، فقد ورد في قانون أور نمو مثلا تحديد عقوبة الأمة التي تسئ إلى سيدتها (بفرك فمها بالملح) المادة {22}[52]. وكذلك ورد في قانون حمو رابي قوانين حددت عقوبة العبد المخطئ

ومن ذلك مثلا ما ورد في المادة {282} إن العبد الذي ينكر سيده تكون عقوبته قص الأذن، وهي عقوبة هينة إذا ما قورنت بعقوبة الحر الذي يضرب أباه وهي قطع اليد {المادة 195}[53].

ومما تقدم نجد إن هذه الحقوق التي تمتع بها العبيد في المجتمع العراقي القديم هي حقوق خاصة بالإنسان أضفت على المجتمع العراقي صفة حضارية أخرى هي الرقي الإنساني والعدالة الاجتماعية والتي أخرجت العبد من صفة شئ مملوك إلى صفة إنسان في مجتمع متحضر ومتمدن ليس كما عند الإغريق والرومان[54].

المصادر والهوامش:

(1) السومريون: وهم من أقدم الأقوام التي سكنت بلاد الرافدين ويعدون أول من وضعوا أسس الحضارة في بلاد الرافدين وتشييد المدن وأنظمة الحكم والإدارة وإصدار القوانين، وسكنوا منطقة السهل الرسوبي وتوجد عنهم أراء عديدة حول أصولهم ولكن الرأي الأصح والذي يتفق عليه معظم الباحثين ومنهم الباحثين العراقيين بأنهم سكان البلاد الأصليين الذين شيدوا أول القرى في شمال العراق حتى استوطنوا جنوب العراق بعد تعلمهم الزراعة وتقنيات الري الاصطناعي ثم شيدوا المدن أقدمها مدينة اريدو.

حول ذلك ينظر: علي، فاضل عبد الواحد. السومريون والاكديون، العراق في التاريخ، بغداد، 1983، ص، 226.، وكذلك ينظر: باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، 1986، ص، 65.

(2) الجزريون: وهي التسمية التي أطلقت على الأقوام التي جاءت من الجزيرة العربية وقد انتشروا منذ أزمان بعيدة في أطراف الجزيرة ومنها بوادي العراق الغربية، وجزيرة العرب وأطرافها الشمالية وما يعرف بالهلال الخصيب ومن تلك المناطق انحدرت إلى المناطق الأكثر خصوبة مثل وادي الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها من المناطق.

حول ذلك ينظر: عبد الله، عبد الكريم. ملامح الوجود السامي في جنوب العراق، مجلة سومر، 1974، العدد30،، ص،262.

(3) الوركاء: تقع مدينة الوركاء على مسافة (30 كم) جنوب مدينة السماوة مركز محافظة المثنى, تتكون المدينة من مجموعة تلال ومرتفعات تبلغ مساحتها (7 كيلو متر مربع), نقب الموقع لأول مرة في عام 1849 من قبل البعثة البريطانية

برئاسة (لوفتس) وأستمر حتى عام 1854, وفي عام 1856 نقب الموقع من قبل البعثة الألمانية برئاسة (يوليوس يوردان), واستأنفت التنقيبات مرة أخرى عام 1928 برئاسة (نولدكه) ثم (لنزن) حتى عام 1964، كشفت التنقيبات طبقات عديدة ومن خلال نتائج التنقيبات أرجع تاريخ الاستيطان في المدينة إلى عصر العبيد في الألف الخامس ق.م وحتى الفترة السلوقية.

حول ذلك ينظر: بصمة جي, فرج. الوركاء, مجلة سومر, العدد. 11, 1955, ص,47 – 49.

(4) جمدة نصر: موقع يقع على مسافة (25 كم) شمال شرق زقورة تل الأحيمر في منطقة مشروع المسيب الكبير جرت في الموقع تنقيبات تركزت في التل المركزي وذلك في عام 1988 أجرتها البعثة البريطانية برئاسة (روجر ماثيوس), يتكون الموقع من (3) تلول, أسم الموقع محلي, ويقع على مسافة (25 كم) شمال شرق زقورة تل الأحيمر في منطقة مشروع المسيب الكبير, أبعاد التل (850×180م) وأعلى ارتفاع حوالي (3.40 م) عن مستوى سطح السهل المجاور والتل المركزي هو الأكثر أهمية أبعاده (360×180 م), التل غير منتظم الشكل, نقب التل من قبل بعثة تنقيبية مشتركة من جامعة أكسفورد ومتحف الأشمولين برئاسة (لانكدون) وذلك في عام 1925, ثم برئاسة (مكاي) في عام 1926، تم الكشف خلالها عن بقايا بنائية مختلفة تعود إلى عصر فجر السلالات.

حول ذلك ينظر: ماثيوس, روجر, و شاكر, برهان. التنقيبات في جمدة ناصر, موسم 1, 1988, ص, 2 – 3.

(5) عصور فجر السلالات: وهي العصور التي بدأت فيها قيام أولى السلالات الحاكمة الوارد ذكرها في أثبات الملوك السومرية وتبدأ بحدود 2900 ق.م وتنتهي

بقيام الدولة الاكدية 2371 ق.م، ويطلق عليه عدة تسميات منها (عصر ما قبل سرجون، عصر لجش، عصر اللبن المستوي المحدب، وعصر دويلات المدن).

حول ذلك ينظر: ساكز، هاري. عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، 1979، ص, 68.، وكذلك ينظر: بوتيرو، جين, وآخرون. الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة:عامر سليمان، الموصل، 1986، ص, 101.

(6) اوروانمكينا: الحاكم الثامن ضمن سلالة (لجش) وآخر حكامها (2355_2352ق.م). حكم مدة 8 سنوات وتشير المصادر المسمارية إلى انه تولى الحكم بعد انقلاب قام به على الحاكم المسمى (لوكَالندا) و(أوروانمكينا) (اوروكاجينا سابقا) أصلاً من طبقة الكهنة إذ كان لقبه في بادئ الأمر (EN) ثم اتخذ في سنة حكمه الثانية لقب (LUGAL) قضى عليه حاكم مدينة (أوما) المسمى (لوكَال زاكَيزي). وصلت إلينا الإصلاحات مدونة بالخط المسماري وباللغة السومرية على ثلاثة مخاريط فخارية وعلى لوح فخاري بيضوي الشكل اكتشفت في مدينة (لجش) وذلك في عام (1878) م, وقام بدراستها الباحث (ثورودانكَان)، وقد وجهت تلك الإصلاحات بشكل أساسي ومباشر ضد الضرائب وسوء المعاملة والإيذاء من قبل ممارسي السلطة السياسية وتابعيهم أي (القصر وحاشيته) وعلى الاستيلاء على ممتلكات المعبد.

حول ذلك ينظر: باقر, طه. 1986, ص, 321.، وكذلك ينظر: بوتيرو, جين وآخرون, 1986, ص, 92.

(7) قانون أور نمو: وهو القانون الذي يعود إلى مؤسس سلالة أور الثالثة أور نمو (2113 – 2096 ق.م)، ويعد أقدم مشرع في تاريخ العراق القديم وليس في العراق فحسب بل في العالم اجمع ومدون باللغة السومرية، عثر على القانون مدون على لوح في مدينة نفر ولوحين آخرين في مدينة أور، تمكن الباحثون من

قراءة 22 مادة قانونية، ويرجح انه يحتوي في نسخته الأصلية على أكثر من ثلاثين مادة ومدونة على مسلة، ويتألف من مقدمة ومتن وخاتمة وعالجت المواد نواحي مختلفة هي (الأحوال الشخصية، هروب الرقيق، شهادة الزور، التجاوز على الأراضي) واخذ بمبدأ التعويض بدل القصاص.

حول ذلك ينظر: سليمان عامر: العراق في التاريخ القديم، الجزء الثاني، موجز التاريخ الحضاري، الموصل، 1993، ص، 196–197.

(8) قانون لبت عشتار: وهو القانون الذي يعود إلى لبت عشتار خامس ملوك سلالة ايسن (1934_ 1924 ق.م) ومدون باللغة السومرية، وقد أمكن التعرف عليه مدونا على لوح من الطين مهشم إلى قطع عثر عليه في مدينة نفر وتمكن الباحثون من قراءة 37 مادة قانونية، ويمكن أن يكون القانون بهيئته الأصلية مدون على مسلة من الحجر ويضم أكثر من 100 مادة، وقد أخذت بمبدأ التعويض ويتألف من مقدمة ومتن وخاتمة وعالجت المواد (القوارب، الأراضي الزراعية، السرقة، الرقيق، الاعتداء على الأشخاص، الضرائب والرسوم، الأحوال الشخصية، الأضرار التي تحدثها الحيوانات).

حول ذلك ينظر: رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة، بغداد، 1979، ص، 54.

(9) قانون أشنونا: وهو القانون الذي سمي نسبة إلى مدينة أشنونا التي تقع على بعد 25 كم جنوب شرق مدينة بعقوبة (حاليا)، ويعد ثالث القوانين العراقية المدونة المكتشفة حتى الآن عثر عليه مدون على لوحين من الطين في تل حرمل وباللغة الاكدية، يضم القانون مقدمة مدونة باللغة الاكدية ومتن وخاتمة ويضم 60 مادة تم قراءتها وربما كان النص القانون الأصلي يضم أكثر من 100 مادة

ومدون على مسلة حجرية وعالجت المواد (تسعير المواد والأجور، السرقة، العقود التجارية، الأحوال الشخصية، الإيذاء، الرقيق، أضرار الحيوانات، الإهمال).

حول ذلك ينظر: رشيد، فوزي. 1979، ص، 225.، وكذلك ينظر: باقر، طه. قانون مملكة أشنونا، مجلة سومر، 1948، العدد، 4، ج 2، ص، 153 _ 157.

(10) قانون حمو رابي: حمو رابي (وهو سادس ملوك سلالة بابل الأولى تمكن في سني حكمه الطويلة (1792 _ 1750 ق.م) من رفع شان مدينة بابل وزيادة قوتها، وقام خلال سني حكمه تقوية مدينة بابل وجيشها وتحصينها حتى تمكن في إعادة توحيد العراق في أواخر سني حكمه الطويلة البالغة 42 عام بعد قضاءه على السلالات المعاصرة له الواحدة تلو الأخرى حتى تمكن من إقامة دولة عظيمة موحدة شملت كل العراق وأجزاء من سوريا (حاليا) كما ارتفع شان الإله مردوخ الإله القومي للبابليين وأصبح إلها قوميا، وتوج حمو رابي إنجازاته الإدارية والعمرانية بإصداره قانونه الشهير في السنة الأربعين من حكمه وصهر في هذه القوانين جميع النظم والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة في المدن القديمة وجعله قانونا واحدا يطبق على جميع الناس دون استثناء وبذلك قضى على الاختلافات الشكلية التي كانت موجودة بين الدويلات والممالك المختلفة.

حول ذلك ينظر: علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. عادات وتقاليد الشعوب القديمة، بغداد، 1979، ص، 21-22.

(11) الأحمد, سامي سعيد. نظام الإدارة والحكم, حضارة العراق, ج1, 1985, ص, 7؛ وكذلك ينظر: برستد, جيمس هنري. انتصار الحضارات, ترجمة: أحمد فخري, القاهرة, 1962, ص، 158.

(12) الرق: بكسر الراء: وهو جلد رقيق يكتب عليه، والرقيق: الصحيفة البيضاء.

حول ذلك ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. معجم القاموس المحيط، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2007، ص، 525.

العبيد: جمع عبد والعبد هو الإنسان سواء كان حرا أو مملوكا والعبيد والعبودية معناها الطاعة.

حول ذلك ينظر: الفيروز آبادي. 2007، ص، 831.

ولذلك أطلق على الإنسان المسلوبة حريته اسم عبد لان ليس له لا حول ولا قوة وما عليه سوى الطاعة، وعلى هذا الأساس وبما إننا نتكلم عن عصور سبقت الإسلام استخدمت كلمة عبد وعبيد للدلالة على وضعهم الذي يقوم على طاعة أسيادهم من الأفراد أو الدولة.

(13) ساكز، هاري. 1979، ص 195.، وكذلك ينظر: سليمان، عامر. القانون في العراق القديم، بغداد، 1987، ص، 45.

(14) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. 1979، ص، 61.

(15) Oppenheim, L. ancient Mesopotamia, Chicago, 1964, p. 75.

(16) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. 1979، ص، 61- 62. وكذلك ينظر: ساكز، هاري. 1979، ص، 196.

(17) ف. ف. ستروف. العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة، سليم طه التكريتي، بغداد، 1976، ص، 78 _ 79.

(18) المصدر نفسه. ص29.، وكذلك ينظر: ساكز، هاري.1979، ص، 190.

(19) سليمان، عامر. جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التاريخ، بغداد، 1983، ص، 185.

(20) المصدر نفسه. ص، 186 _ 187.

(21) ف.ف. ستروف. 1976، ص، 63.

(22) ف.ف. ستروف. 1976، ص، 41.

(23) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. 1979، ص، 59_60.
(24) المصدر نفسه. ص، 35.
(25) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. 1979، ص، 61.
(26) cuq,E., studes sur le droit babylonien ,les lois assyrienes et les lois Hittites, paris,1929, p.244.
(27) سليمان، عامر. 1993، ص، 189_190.
(28) رشيد، فوزي. 1979، ص، 113.
(29) المصدر نفسه. ص، 122.
(30) الطعان، عبد الرضا: الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد، 1981، ص، 139.
(31) المصدر نفسه، ص، 140.
(32) ساكز، هاري. 1979، ص196.، وكذلك ينظر: ف. ف. ستروف. 1976، ص، 35.
(33) ف.ف. ستروف. 1976، ص، 76.
(34) سليمان، عامر. 1987، ص، 41.
(35) varaga, Y., Politico – economic problems of capitalism, prograss pub, mosco,1968 , p.33.
(36) الطعان، عبد الرضا. 1981، ص، 143.
(37) المصدر نفسه. ص، 196.
(38) بوتيرو، جان. بلاد الرافدين الكتابة_ العقل_ الآلهة، ترجمة، الأب ألبير أبونا، مراجعة، وليد الجادر، بغداد، 1990، ص، 207.
(39) ف. ف. ستروف. 1976، ص، 73.
(40) الهاشمي، رضا جواد. القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، ج2، بغداد، 1985، ص، 92. حول المواد القانونية ينظر: رشيد فوزي. 1979، ص، 150.

(41) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. 1979، ص، 62.
(42) سليمان، عامر. 1983، ص، 188.
(43) الطعان، عبد الرضا. ص، 197_198.، وكذلك ينظر: ف.ف.ستروف. 1976، ص، 93.
(44) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر. 1979، ص، 62.
(45) سليمان، عامر. 1987، ص 56.، وحول المواد ينظر: رشيد، فوزي. 1979، ص 74 _ 75.
(46) الهاشمي، رضا جواد. 1985، ص، 99.، وكذلك ينظر: ف.ف. ستروف. 1976، ص، 84 _ 85.، وحول المواد ينظر: رشيد، فوزي. 1979، ص، 148_150.
(47) رشيد، فوزي. 1979،. ص، 144.
(48) سليمان، عامر. 1987، ص 56.، وكذلك ينظر: رشيد، فوزي. 1979، ص، 139.
(49) الطعان، عبد الرضا. 1981، ص 198.، وكذلك ينظر: سليمان، عامر. 1987، ص، 60.
(50) سليمان عامر. 1987، ص، 62.
(51) رشيد، فوزي. 1979، ص، 122، 158.
(52) المصدر نفسه. ص، 30.
(53) بوتيرو، جان.1990، ص، 207.
(54) الطعان، عبد الرضا. 1981، ص، 198.

Abstract

We tried in this research review the rights of slaves through the study of their economic and social development in the old Iraqi society and we throw light on it

From the historical aspect and contents of the inherited cultural and legal.

the human rights infringement corner stone in the establishment of communities and respect for human rights and care is the mainstay of provision of equitable and the only way to create a free, secure and stable. Perhaps needless to say, stressing the importance of laws between the outcomes of intellectual the Mesopotamian civilization, and because of the multiple implications has become talk about it make the rest of the civilization subjects. As more researchers the intake of legal texts included both interest translated it and cultural dimensions relating to his exploration various aspects of life inhabitants the old Iraqi Community and what those reforms and laws contained from define the rights and duties of each individual and every layer and thus knew what today called the principle of human rights which certainly differs from the concept prevailing in the present time and that the fact that the reforms and the laws it is only a mirror that reflects the reality of society Which it was issued and therefore the concept of human rights in that era were compatible in terms of its development with the development of the community of that eria And economic institutions and social and political in a society based on agriculture, as well as the existence of conflicts and wars between the neighboring city-states in orderobtain new land And sources of water must be that human rights are governed by the reality of society and its institutions including the existence of slavery (slaves), which is incompatible with human rights conditions but was produced by And made it permissible, but with that created for the controls and governed by the laws and keep him and his rights and we discussed it in detail and look at it from the perspective of a realistic basis of society and its surroundings from different conditions.

بعض أعراض القلق لدى عينة من طلبة جامعة تكريت

م. م. رحاب عبد الوهاب أحمد
جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم العلوم التربوية والنفسية

ملخص البحث

أهداف البحث: استهدف البحث الحالي التعرف على مستوى أعراض القلق لدى طلبة الجامعة، ونسبة انتشار أعراض القلق بينهم، وفيما إذا كانت هنالك فروقاً دالة تبعاً للجنس (ذكور/ إناث)، والاختصاص(إنساني/علمي), والمرحلة الدراسية(ثانية/ رابعة).

الإجراءات : **(107)**هم عينة البحث مكونة من **(60)** طالباً و**(44)** طالبة، في جامعة تكريت, للعام الدراسي **(2009-2010)**.

تبنى الباحث **مقياس** "**سمة القلق**" **من قائمة سبيلبيرغر**. وتم التحقق من صدقه وثباته.

النتائج: متوسط أعراض القلق لدى عينة الجث الحالي هو **(46.68)**, ونسبة انتشار أعراض القلق بينهم (**14.7**٪), وبينت نتائج تحليل الإحصائي أنه توجد فروق دالة بين الذكور والإناث لصالح الأخيرة, وكذلك تبعاً للاختصاص أنساني وعلمي لصالح ألأخيرة وكذلك تبعاً للمرحلة الدراسية ثانية ورابعة لصالح الأخيرة. كما تبين أن متوسطات أعراض القلق ونسبة انتشار القلق الحالية عالية.

الاستنتاج:إن ارتفاع متوسط وانتشار أعراض القلق في عينة البحث الحالي يستدعى إجراء دراسات انتشارية في بقية الجامعات العراقية، وإعداد برامج إرشادية وعلاجية.

الفصل الأول

أهمية البحث

وصف المختصون النفسيون القرن العشرين أنه عصر القلق(هيلز وهيلز، 1999، ص18) ألا إن القلق مازال قائماً في القرن الحالي مع دخول الإنسان عصر المعلوماتية وازدياد الحروب والكوارث. وتبين أنه حدثت 6677 كارثة في العالم بين عامي 1961–1991 ، أدت إلى موت 7مليون شخص وأثرت في حياة 3 مليارات من الناس (Joseph, Williams and Yule, 1997, P.1).

وقد شهدت الثلاثين عاماً الأخيرة ازدياداً هائلاً في عدد البحوث السريرية التي تناولت مجموعة من الحالات النفسية سميت" باضطرابات القلق"طبقاً للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM) (Kaplan and Sadock,2003,p.117).

تتواجد أعراض القلق في العديد من الاضطرابات، وتكون بارزة في الاضطرابات القسرية. ففي الدليل التشخيصي والإحصائي الصادر عن جمعية الطب النفسي الأمريكية – الإصدار الرابع(DSM-IV) تصنف الاضطرابات القسرية ضمن اضطرابات القلق، لكن في التصنيف الدولي للاضطرابات الصادر عن منظمة الصحة العالمية الإصدار العاش(ICD-10) يعطى للأعراض القسرية تقديراً اكبر، والاضطرابات االقسرية يعطى لها تصنيف مستقل Gelder ,Mayou ,and Cowen (2001,p.p.292-3). وفيما يعاني 40٪ من المرضى المصابون باضطرابات القلق، فأنهم سيواجهون خلال تأريخ حياتهم خطر الإصابة باضطرابات اكتئابية مصنفة ضمن الدليل التشخيصي والإحصائي الصادر عن جمعية الطب النفسي الأمريكية – الإصدار الرابع(DSM-IV-TR) (Shelton,2008,p.351).

فقد يبدأ القلق بشكل مفاجئ ويرتبط ظاهرياً بحادث أو تجربة معينة يأتي بسببها, ويكون الفرد واعيا في نفسه هذا الارتباط، وقد يأتي بشكل تدريجي وبعد مرور فترة متفاوتة الطول من الزمن وعلى اثر حادث معين.و بسبب مرور الزمن قد لا يفطن الفرد لهذا الارتباط (كمال, 1983، ص160 - 61 1).

لا يوجد سبب واحد يمكن أن يفسر كل الحالات المشخصة ضمن اضطرابات القلق. وبشكل واضح تعد العوامل الجينية جزءاً من الصورة. فعلى سبيل المثال، إذا كان احد التوأمين المتماثلين يعاني من اضطراب الهلع, فأن هنالك احتمال يصل إلى 30%بأن يصاب التوأم الثاني بنفس الاضطراب. بالإضافة لذلك، فالخصائص الشخصية العائدة لمستوى القلق والمرتبطة بموروث معين مسئول عن أنتاج المرسل العصبي السيروتونين. وهذا يتوافق مع النتائج المثبتة التي تشير إلى أن خللاً كيميائيا محدداً يحدث في الدماغ ينجم عنه ظهور بعضاً من اضطرابات القلق (Feldman,2005,p.545).

يعتقد باحثون آخرون, بأن النشاط الزائد للجهاز العصبي الذاتي ربما يكون هو السبب الرئيس لموجات الهلع لدى الفرد المصاب. وتحديداً فأنهم يقترحون بأن ضعف التنظيم في منطقة locus ceruleus الموجودة في الدماغ قد تقود إلى موجات الهلع، والتي تقود النظام الحافي إلى أن يصبح متحفزاً أكثر مما مضى. والأخير ينشأ عنه بعد التحفيز الزائد، ما يسمى بالقلق المزمن Alloy, Riskind and Manos , 2005, p. 164).

و يعد القلق من المشكلات المهمة لدى الكثير من الطلبة في حياتهم الدراسية. إذ أشار كل من (; .Dundar, Yapici, and Topcu,2007,p.p24-25 Adigwe ,1997,p.p773-780), إلى وجود علاقة سلبية ودالة بين القلق والتوافق الشخصي للعينات المدروسة من الطلبة. وبينت دراسة كل من (Gableand Sherwood,1983,p.p.163-177.; Hong,1999,p.p.19-23)، إلى أن ارتفاع

مستوى التوافق الشخصي لدى الطلبة يقابله انخفاض في مستوى القلق وكذلك تبين أن النجاح الأكاديمي ومستوى القلق يرتبطان ارتباطاً سلبياً. كذلك أظهرت دراسة (Yildirim and Ergene,2003,p.p.224-234) أن الفشل الدراسي يمكن أن يرتبط ارتباطاً موجباً و قوياً لدى الطلبة ذوي مستوى القلق المرتفع. ويعاني الطلبة ذوى القلق المرتفع من مشكلات في القراءة والإجابة الصحيحة على أسئلة الامتحان، وكذلك صعوبات في تنظيم أفكارهم والتعبير عن تلك الأفكار باستخدام كلمات تناسبها (Erdem,2007, p.752).

وعن البيئة العراقية, تناولت دراسة (البدري,2003) القلق لدى طلبة جامعة تكريت قبيل اندلاع الحرب عام2003, وتوصلت إلى وجود قلق عام لدى طلبة جامعة تكريت كما بينت الدراسة أن الإناث أكثر قلقاً من الذكور (البدري، 2003، ص67-69). فيما توصلت دراسة (العاني,2006) والتي أجريت على عينة من طلبة جامعة بغداد والتي تناولت اضطراب ما بعد الضغوط الصدمية وعلاقته بالتوافق النفسي – الاجتماعي, إلى وجود مستوى منخفض من اضطراب ما بعد الضغوط الصدمية لدى الطلبة, والى وجود علاقة سلبية ودالة بين اضطراب ما بعد الضغوط الصدمية والتوافق النفسي – الاجتماعي(العاني, 2006، ص320 - 328).

وتعد فئة الطلبة من الفئات المهمة في المجتمع والتي يقع عليها دور كبير في بناء مستقبل البلد، ومع ما شهده المجتمع العراقي من حروب وظروف قاسية، ولا يزال يتعرض للعنف. وخاصة بعد عام2003, يرى الباحث و بعد مراجعته للدراسات التي تناولت طلبة جامعة تكريت، أهمية إجراء دراسة تتناول أعراض القلق لدى طلبة الجامعة، وسيحاول الإجابة عن السؤال الآتي: **ما هي أعراض القلق لدى طلبة جامعة تكريت؟ وما هي مستوياته؟**

أهداف البحث:

يستهدف البحث الحالي ما يأتي:-

1- التعرف على مستوى أعراض القلق لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغير الجنس (ذكور/ إناث).
2- التعرف على نسبة انتشار أعراض القلق بين طلبة الجامعة.
3- التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير الجنس(ذكور/ إناث).
4- التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير الاختصاص (أنساني/ علمي).
5- التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية(ثانية/رابعة).

حدود البحث:-

يتحدد البحث الحالي بعينة من طلبة الجامعة ومن المرحلتين الثانية والرابعة, في كليات جامعة تكريت, للعام الدراسي(2009-2010).

تحديد مصطلح القلق:

عرفه فرويد(1957):

حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يتملك الإنسان, ويسبب له الكثير من الضيق والكدر والألم (فرويد, 1957, ص13).

ويعرفه Kaplan و Sadock (2003):

وجود خوف وتوجس أكثر بكثير من اللازم لدى الفرد مما يسود الوضع العام (Kaplan and Sadock,2003,p.117).

ويعرفه كل من Manos, Riskind, Alloy (2005):

هو شعور الفرد بالتخوف وعدم الراحة المتواصلة تجاه تهديدات غامضة ومصاعب يمكن أن تحدث في المستقبل, لكن ليس واضحاً فيما إذا كانت تلك التهديدات ذات تأثير مباشر و خطير على سعادة أو رفاهة ذلك الفرد (Alloy, Riskind and Manos , 2005, p. 151,).

ويعرفه Shelton : (2008)

بأن القلق يشخص بالاستثارة المتزايدة(ومن أعراضها الجسمية على سبيل المثال التوتر, وتزايد ضربات القلب، والتنفس, والرجفة), يصاحبها التوجس والخوف والوساوس (Shelton, 2008 , p.351).

ويعرفه ريبر و ريبر(2008):

حالة انفعالية غامضة غير سارة ومزعجة مصحوبة بأنواع من التوجس, والتخوف, والضيق, وعدم الارتياح (ريبر وريبر ,2008، ص46).

و التعريف النظري,المتبنى للقلق في البحث الحالي, هو التعريف ألأخير لريبر وريبر (2008).

التعريف الإجرائي:

أعراض القلق هي الدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس" سمة القلق" والمتبنى في البحث الحالي.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

المنظور النفسي الديناميِ:

- القلق يشابه ما نسميه في الغالب "خوف"، انه حالة من الأسى النفسي والتي تمثل تحذير للذات أو أل *ego* بأن هنالك خطراً يحدق بها. ويمكن أن يكون القلق مصدراً في الواقع, مثلما يحدث عندما نواجه لصاً وقد اقتحم منزلنا. ويعد القلق من اهتمامات فرويد الرئيسة، و وفقاً لفرويد فالقلق ينشأ عن ديناميات داخلية، بدافع من الهو أو أل *id*، والذي يهدد بإضعاف وسائل الضبط الخاصة بالذات ومؤدية إلى إلحاق عقوبة بالفرد، إما من خلال الذات العليا أو أل *super ego* (على شكل شعور بالذنب) أو من خلال الواقع.وأغلب القلق لا يكون شعورياً.أي انه يبقى محتجزاً بعيداً في منطقة اللاشعور. أن مواجهة الخطر يتم التعامل معها من خلال توظيف الذات أو أل *ego* للآليات الدفاعية. فتميل الذات لتشويه الواقع أو ببساطة إلى إنكار الواقع (الحقيقة) (سواءً كان خارجياً أو داخلياً)، والذي يثير قلقاً لا يمكن تحمله وطوال عمل الآليات الدفاعية, فأن القلق لن يصبح خبرة في مستوى الشعور. وطبقاً لفرويد فأننا نستخدم الآليات الدفاعية في معظم الأحيان ما لم نصبح عاجزين نفسياً (Alloy, Riskind and Manos ,2005, p. 108).

المنظور المعرفي:

- تلعب العمليات المعرفية دوراً مهماً في تطور اضطرابات القلق. فطبقاً لمنظري المنظور المعرفي فأن ذلك الدور هو دور أساسي, إذ يفترض أولئك المنظرون بأن المشكلة الرئيسة لدى المصابين بالقلق أنهم يُقدَرون التهديد (الخطر) تقديراً مبالغاً فيه ويعتمدون طرق تتسم بعدم المرونة عندما يتعاملون مع المخاوف التي

يتعرضون لها من خلال قيامهم بمضاعفة مشكلاتهم بدلا من محاولة حلها. فلا يوجد مستوى أو حد مطلق للأشياء الخطرة في الموقف والتي تحدد كيفية شعور الأشخاص القلقين، لكن يضاف إليها التقديرات الذاتية للخطر لأولئك الأفراد. كما لا يوجد مجال للشك بأن إدراك الأخطار الناجمة عن خطر ممكن الحدوث, هو أحيانا فعل تكيفي، مثاله عندما يحاول الفرد العبور من خلال تقاطع مروري مزدحم. وفي الحقيقة قد تعد التحيزات المعرفية للمثيرات التي تهدد حياة الفرد ذات وظيفة نشوئية.

- إذ وجد Riskind وجماعته بأن الأفراد المستهدفون معرفياً بالقلق اظهروا استرجاعا لكلمات التهديد أو صوره (حوادث السيارات)، مقارنة بالأحداث العادية أو ألايجابية حتى وان لم يكونوا في حينها يعانون من القلق, وهذا النمط من سؤ التكيف, قاد أولئك الأفراد إلى المبالغة في توسيع مدى الأحداث المهددة بالخطر الذي يحدق بهم. فأحداث مرحلة الطفولة، والمتضمنة علاقات تعلق خاطئة، يبدو أنها تقود الأفراد إلى تشكيل استهداف معرفي للإصابة باضطرابات القلق والمشكلات النفسية الأخرى (Alloy, Riskind and Manos,2005, p. 164).

دراسات سابقة:

1- **البدري**(2003)

- هدف البحث إلى بناء مقياس القلق العام لدى طلبة الجامعة والى قياس القلق العام. وقد طبق المقياس على عينة من طلبة الجامعة بلغت(905) طالباً وطالبة منهم (447) طالبة و(458) طالب، وتوصل البحث إلى أن عينة البحث تعاني من القلق بشكل عام, وان الإناث أكثر قلقا من الذكور, وان طلبة الدراسات الإنسانية أكثر قلقاً من طلبة الدراسات العلمية, كما توصل البحث إلى أن طلبة

المرحلة الثالثة هم أكثر قلقاً من المراحل الثلاثة الأخرى(البدري, 2003، ص40 – 73)

2- **دراسة** Erdem (2007)

- اختبرت هذه الدراسة العلاقة بين القلق والأفكار المعرفية وحل المشكلات لدى طلبة الجامعة ضمن مادة الكيمياء العامة في المراحل الدراسية الأولى والثانية والرابعة.وتكونت عينة البحث من173 طالباً وطالبة منهم 141طالباً وطالبة في جامعة Hacettepe و32 طالباً وطالبة من جامعة الشرق الأوسط التقنية في تركيا. ولقياس القلق تم استخدم مقياس" سمة القلق " لسبيلبيرغر. وأظهرت نتائج هذه الدراسة بأن متوسط الطلبة الذكور على مقياس سمة القلق (40.80) والطالبات الإناث هو(45.05). وان هذه الفروق في المتوسطات هي فروق دالة، كما بينت الدراسة أن هنالك فروقاً دالة بين المراحل الثلاثة وفقاً لمتغيرات القلق, والأفكار المعرفية, وحل المشكلات. كذلك بينت الدارسة وجود فروق دالة لمتغيري القلق وحل لمشكلات تبعاً للجنس, بينما لم تجد الدراسة فروقاً دالة لمتغيرالأفكار المعرفية لنفس المقارنات. وأظهرت الدراسة وجود علاقة سلبية وضعيفة بين القلق والأفكار المعرفية وحل المشكلات لدى الطلبة إذ كان معامل الارتباط يساوي– 0.187 عند مستوى دلالة0.05 (Erdem,2007,p.p.750-758).

الفصل الثالث

إجراءات البحث

مجتمع البحث :

يتمثل مجتمع البحث الحالي في طلبة جامعة تكريت للدراسة الصباحية وضمن المرحلتين الثانية والرابعة للعام الدراسي(2009 – 2010) وهو مكون من(4267)(*) طالباً وطالبة منهم (2385) طالباً، ونسبتهم من مجتمع البحث56 ٪ و(1882) طالبة ونسبتهم من مجتمع البحث44 ٪.والجدول(1) يوضح مجتمع البحث فقط للمرحلتين الثانية والرابعة والكليات التي تم اختيار عينة البحث منها وهو لا يمثل كل كليات الجامعة للعام الدراسي (2009 – 2010).

جدول(1)

يوضح مجتمع البحث

الكلية	المرحلة الثانية		المرحلة الرابعة		المجموع
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
كلية التربية الرياضية	68	10	27	4	109
الصيدلة	22	35	18	25	100
الهندسة/ قسم الكهرباء	21	13	27	17	78
الهندسة/ قسم الكيماوي	28	12	25	32	97

(*) حصل الباحث على الإحصائيات الخاصة بأعداد الطلبة من وحدة شؤون الطلبة في جامعة تكريت

الكلية	المرحلة الثانية ذكور	المرحلة الثانية إناث	المرحلة الرابعة ذكور	المرحلة الرابعة إناث	المجموع
تربية/قسم اللغة العربية	32	33	40	24	129
تربية/قسم الرياضيات	16	4	30	19	69
المجموع	187	107	167	121	582

عينة البحث:

لقد تم اختيار عينة البحث الحالي بأسلوب العينة العشوائية الطبقية,إذ تم اختيار أربع كليات بصورة عشوائية وتم بعدها اختيار مرحلتين دراسيتين ومن ثم تم اختيار قسمين دراسيين في الكليات متعددة الأقسام بصورة عشوائية.وتكونت عينة البحث من(107) طالباً وطالبة.إذ بلغ عدد الذكور(60) بنسبة(56%) وبلغ عدد الإناث (47) بنسبة (44%). وكما موضحة في الجدول(2).

جدول(2)

يوضح توزيع أفراد العينة

الكلية	المرحلة الثانية		المرحلة الرابعة		المجموع
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
كلية التربية الرياضية	12	3	6	1	22
الصيدلة	4	7	3	4	18
الهندسة/ قسم الكهرباء	4	2	4	3	13
الهندسة/ فسم	2	4	2	7	15

الكيماوي					
تربية/ قسم اللغة العربية	6	7	9	4	26
تربية/قسم الرياضيات	2	2	6	3	13
المجموع	30	25	30	22	107

أداة البحث:

لتحقيق أهداف البحث الحالي تبنى الباحث الصيغة العربية"ى" لمقياس سمة القلق وهو احد مقياسي " قائمة سمة وحالة القلق " والتي بدأ سبيلبيرغر Spielberger ببنائها في عام 1964, ونشرت لأول مرة عام 1966 الصيغة (آ), وكان الهدف تطوير قائمة تقرير ذاتي مختصرة نسبياً كي تستخدم في البحوث، وتمدنا بمقياس موضوعي يشتمل على مجموعة من البنود تقيس حالة القلق وسمة القلق. ومن ثم عدلت أهداف بناء القائمة وإجراءاتها وأصبحت بنود كل مقياس فرعي(للحالة والسمة) مستقلة ومنفصلة في الصيغة "س" التي نشرت عام 1970 ثم نقحت الأخيرة ونشرت عام1983 تحت اسم" الصيغة ى" والتي أعدها كل من سبيلبيرغر وجورستس ولوشين وفاج وجاكوبز. وقام بتعريبها " أحمد عبد الخالق" عام1984 في طبعته الأولى وعام (1992) في طبعته الثانية **(والتي تبناها الباحث في بحثه الحالي)** والتي تعتمد على الصيغة الأمريكية "ى" المعدلة عام 1983. وقد بُذلت عناية فائقة بعملية الترجمة والترجمة العكسية، كما طُبقت القائمة على مفحوصين يتقنون اللغتين العربية والإنكليزية. فضلا عن خطوات تقنين القائمة على بضع آلاف من مصر والسعودية والكويت وقطر واليمن ولبنان(عبد الخالق,1993,ص.267).

ويشتمل مقياس سمة القلق على عشرين بنداً أو فقرة وكما موضح في الملحق(1). ويجاب عن كل بند باختيار بديل من أربع بدائل للإجابة وكما موضح في المثال التالي:

ت	الفقرة	أبدا	أحيانا	كثيراً	دائماً
2	اشعر بالعصبية وعدم الاستقرار.	1	2	3	4

التصحيح:

يضم مقياس سمة القلق احد عشر بنداً مشيرا إلى وجود القلق, وتسعة بنود فقط تشير إلى عدم وجود القلق. يعطى كل بند أو فقرة في مقياس سمة القلق درجة موزونة تتراوح من1-4 وتصحح البنود الدالة على وجود القلق بإعطائها الأوزان ذاتها, كما في المثال أعلاه وهي الأرقام التي قام المفحوص بوضع علامة(√) عليها في نسخة الاختبار، بينما تصحح البنود المشيرة إلى عدم وجود القلق بإعطائها أوزانا معكوسة,أي أن الاستجابات التي وضع عليها المفحوص علامة(√) في **4,3,2,1**, تصحح بالترتيب**1,2,3,4**,و أرقام بنود أو فقرات مقياس سمة القلق الدالة على عدم وجود القلق(والتي تعطى أوزانا معكوسة) هي كما يأتي: **19,16,14,13,10,7,6,3,1**.

تحليل بنود المقياس:

- **مؤشرات الصدق والثبات :**
- **مؤشرات الصدق:**

أ- الصدق الظاهري:

فقد قام الباحث بعرض فقرات مقياس "سمة القلق "بصورته الأولية على مجموعة من الخبراء المتخصصين في علم النفس وكما موضح في الملحق(2) مع

تعريف القلق، وتبين اتفاقهم على صلاحية جميع فقرات المقياس بنسبة تجاوزت (90%)، وبذلك قد تحقق هذا النوع من الصدق في المقياس الحالي.

ب- صدق البناء Construct Validity

من خلال علاقة درجة الفقرة بدرجة المقياس الكلية:

وقد تحقق هذا النوع من الصدق, إذ تم التحقق من معامل الارتباط بين كل بند والدرجة الكلية على مقياس سمة القلق, وباستخدام معامل ارتباط بيرسون. فقد أظهرت المعالجة الإحصائية بعد استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS), أن معاملات الارتباط لجميع بنود المقياس مع الدرجة الكلية ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) وكما موضح في الجدول(3).علماً أن القيمة التائية الجد ولية بدرجة حرية105 ومستوى دلالة(0.05)= 1.980 (مايرز ,1990، ص493).

جدول(3)

معاملات ارتباط فقرات مقياس" سمة القلق" بالدرجة الكلية للمقياس

رقم الفقرة	معامل الارتباط	القيمة التائية المحسوبة	النتيجة	رقم الفقرة	معامل الارتباط	القيمة التائية المحسوبة	النتيجة
1	0.490	5.75	دالة	2	0.359	3.94	دالة
3	0.492	5.79	دالة	4	0.370	4.07	دالة
5	0.526	6.33	دالة	6	0.620	8.09	دالة
7	0.463	5.34	دالة	8	0.630	8.31	دالة
9	0.453	5.20	دالة	10	0.369	4.06	دالة
11	0.352	3.84	دالة	12	0.480	5.60	دالة
13	0.528	6.35	دالة	14	0.402	4.48	دالة
15	0.495	5.83	دالة	16	0.534	6.47	دالة
17	0.604	7.76	دالة	18	0.640	8.52	دالة
19	0.591	7.50	دالة	20	0.499	5.89	دالة

- الثبات:

تمّ إيجاد الاتساق الداخلي لمقياس " سمة القلق " بطريقتين هما التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرونباخ.

وقد قام الباحث بحساب معامل الارتباط بين قسمي المقياس وقد بلغ(0.63) ومن ثم تم استخدام معادلة سبيرمان- براون، وتبين أن قيمة معامل الثبات هو (0.770) وهو معامل ثبات مقبول في كثير من البحوث والدراسات الأكلنيكية (Braker , Pistrang and Elliott, 1998, P.71)., في حين توصلت دراسة الأنصاري على طلبة الجامعة إلى معامل ثبات بطريقة التجزئة النصفية قيمته (0.90) (الأنصاري,2002,ص366).

و بلغ معامل ألفا كرونباخ لمقياس " سمة القلق "(0.80) في البحث الحالي, في حين توصلت دراسة الأنصاري على طلبة الجامعة, إلى معامل ثبات بطريقة ألفا كرونباخ مقداره(0.87) (الأنصاري,2002,ص366).

وتعد معاملات الثبات بطريقة التجزئة النصفية وبطريقة ألفا كرونباخ مقبولة حيث يعد معامل الثبات الذي يساوي أو يزيد عن(0.70) مقبولا في مقاييس الشخصية (عبد الخالق, 1993,ص50-51).

- التطبيق النهائي:

بعد أن أتم الباحث إعداد المقياس بصورته النهائية اعتمد أسلوب التقرير الذاتي للإجابة من قبل الطلبة أنفسهم على فقرات المقياس وتم توزيع المقياس على عينة البحث, بداية الفصل الثاني للعام الدراسي(2009 – 2010). وتم التطبيق بشكل فردي وجماعي، حسب ما أمكن وتوفر الوقت لدى عينة البحث.

- الوسائل الإحصائية:

اعتمد الباحث على الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Sciences) (SPSS)، الإصدار 11.5.

والوسائل الإحصائية هي:-

1- معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient).

2- معادلة الفا كرونباخ (Alpha Cronbach).

3- معادلة سبيرمان براون التصحيحية لإيجاد معامل الثبات بالتجزئة النصفية.

4- معادلة القيمة التائية الخاصة بمعامل ارتباط بيرسون.

5- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين. (أبو النيل,1987، ص .(231

الفصل الرابع

النتائج ومناقشتها

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي تم التوصل إليها، ومناقشتها على وفق تسلسل أهداف البحث، ومن ثم التوصيات والمقترحات وكما يأتي:

الهدف الأول: التعرف على مستوى أعراض القلق لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغير الجنس(ذكور/ إناث).

- بعد المعالجة الإحصائية لبيانات الاستمارات الخاصة بمقياس " سمة القلق" تبين أن متوسط أفراد عينة البحث هو(46.68)، وبانحراف معياري(8.87)، وان متوسط الطلاب الذكور على مقياس سمة القلق هو(44.64) وبانحراف معياري قدره(9.92)، أما عن متوسط الإناث فهو(48.46) وبانحراف معياري قدره (7.35) وهو كما موضح في الجدول (4). ويشير متوسط الطلبة العراقيين ذكوراً وإناثا انه مرتفع عند مقارنته مع نتائج دراسة (Erdem,2007,p.754) على الطلبة الأتراك

والتي بينت أن متوسط الطلبة الذكور على مقياس" سمة" القلق هو (40.80) والطالبات الإناث هو(45.05). وتتفق نتائج البحث الحالي مع نتائج دراسة(البدري,2003) والتي بينت أن متوسط الإناث على مقياس القلق العام أعلى من الذكور لدى طلبة جامعة تكريت. كما وتتفق نتائج البحث الحالي مع نتائج دراسة (Erdem,2007,p.754).

ومن وجهة نظر كل من (Larson and Sylvester,2003,p255) اللذان أشارا إلى أن نتائج البحوث بينت أن للعوامل البيئية كالمشكلات الانفعالية للآباء والتعلق المشوش بين الأب وأبنائه, والأحداث الحياتية الضاغطة, والخبرات الصادمة, تجعل الأبناء أكثر عرضة للإصابة بالقلق. وقد شهد مجتمعنا العراقي ولا يزال يشهد كماً لا يستهان به من الأحداث الصادمة والضاغطة وتبعات الحروب التي شهدها البلد لعقود مضت والعنف المستمر, وهذا ما انعكس على أفراد عينة البحث الحالي بمستوى أعراض القلق تلك.

جدول(4)

يوضح متوسط أعراض القلق على مقياس"سمة القلق" في كل من جامعتي تكريت وفي جامعتين تركيتين تبعاً لمتغير الجنس

العينة	العدد	الانحراف المعياري	المتوسط
الطلبة العراقيين –جامعة تكريت	107	8.87	46.68
الذكور	60	9.92	44.64
الإناث	47	7. 35	48. 46
الطلبة الأتراك	173		
الذكور	96	10.50	40.80
الإناث	77	10.60	45.05

<u>الهدف الثاني: التعرف على نسبة انتشار أعراض القلق لدى طلبة الجامعة</u>

- تبين أنّ نسبة انتشار أعراض القلق لدى أفراد عينة البحث عند درجة القطع المعتمدة(*) هو (14.7٪) , وكما مبين في الجدول(5) ويبلغ عددهم (16) فردا منهم 8 طلاب و 8 طالبات في حين تصل نسبة انتشار اضطرابات القلق مجتمعة, عالمياً, إلى (13.1٪) (Halgin and Whitbourne,2007, p.178). وكما يظهر أن نسبة أنتشار أعراض القلق في عينة البحث الحالي أعلى من النسبة العالمية المذكورة أعلاه, وقد يعود للأسباب السابقة, من مواجهه الأحداث الضاغطة وأحداث العنف المستمرة في بلدنا.

جدول(5)

يوضح نسبة انتشار أعراض القلق لدى طلبة جامعة تكريت

العينة	المتوسط الحقيقي	الانحراف	درجة القطع	النسبة المئوية	العدد
الكل	46.68	8.87	55.45	14.7	16
الذكور	44.64	9.92	55.58	15.4	8
الإناث	48. 46	7. 35	55.81	13.3	8

<u>الهدف الثالث: التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير الجنس(ذكور/ إناث):</u>

- وتبعاً لأهداف البحث, فقد عولجت البيانات إحصائياً باستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق في مستوى أعراض القلق وفق متغير

(*) درجة القطع التي اعتمدها الباحث هي (الوسط الحقيقي + انحراف معياري واحد).

الجنس(ذكورا/ إناث) وكما موضح في الجدول (6). إذ تبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي (2.288) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (1.98) عند درجة حرية(105) (مايرز, 1990، ص493). وهذه النتيجة تشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا ولصالح الإناث وهذا يتفق مع دراسة (Erdem,2007 ,p.754) ودراسة (البدري,2003,ص63) اللتان وجدتا فروقاً دالة بين الجنسين ولصالح الإناث. وهذا قد يعود إلى إن اضطرابات القلق تكون أكثر شدة بين الإناث منها بين الذكور، كما أن أعراض القلق تزداد انتشارا بين الإناث بنسبة قد تصل 1:6 مقارنة بالذكور في مرحلة المراهقة (Larson and Sylvester,2003,P.255).

جدول(6)

يوضح الفروق في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير الجنس(ذكور/ إناث)

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	النتيجة
الذكور	60	44.64	9.92	2.288	1.980	دالة
الإناث	49	48. 46	7. 35			

<u>الهدف الرابع: التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير الاختصاص(علمي/ إنساني):</u>

- تبين من المعالجة الإحصائية باستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمتغير الاختصاص (علمي/ أنساني) وكما موضح في الجدول (7), أن القيمة التائية المحسوبة تساوي(3.897) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (1.98) عند درجة حرية(105) (مايرز,1990، ص497).

- وهذه النتيجة تشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا ولصالح الاختصاص العلمي وهذا يختلف مع دراسة (البدري,2003,ص65) التي توصلت إلى أن طلبة الاختصاص الإنساني أكثر قلقاً من الاختصاص العلمي, وهذا قد يعود إلى أن الاختصاصات العلمية تحتاج إلى جهود كبيرة من الطلبة والمواظبة المستمرة وأوقات أطول في المختبرات مقارنة بالاختصاصات الإنسانية (موضع البحث).

جدول(7)

يوضح الفروق في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير الاختصاص

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة التائية		النتيجة
				المحسوبة	الجدولية	
إنساني	61	44.64	9.92	3.897	1.980	دالة
علمي	46	48. 46	7. 35			

<u>الهدف الخامس: التعرف على الفروق بين أفراد العينة في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية(ثانية/رابعة):</u>

- وبعد استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق في مستوى أعراض القلق وفق متغير المرحلة الدراسية (ثانية/ رابعة)، وكما موضح في الجدول (8). تبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي(3.431) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (1.98) عند درجة حرية(105) (مايرز ,1990، ص493).
- وهذه النتيجة تشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا ولصالح المرحلة الرابعة وهذا يتفق مع دراسة(البدري,2003, ص66) التي أظهرت أن طلبة المرحلتين الثالثة والرابعة هم أكثر قلقاً من المرحلتين الأولى والثانية. وقد يعود ذلك إلى أن طلبة

المرحلة الرابعة تتزايد عليهم المتطلبات العلمية والمواد ذات الاختصاص الدقيق, وكذلك فأن هذه المرحلة هي مرحلة نهائية في الحياة الدراسية الأكاديمية الأولية وتهيؤ الطلبة للبحث عن فرص عمل بعد تخرجهم، ومع توقع شبه مؤكد بعدم الحصول على فرص للعمل وذلك لتوقف التعيين رسمياً في دوائر الدولة (خلال مدة إجراء البحث) و الفترة المستقبلية القريبة.

جدول(8)

يوضح الفروق في مستوى أعراض القلق تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة التائية		النتيجة
				المحسوبة	الجدولية	
ثانية	55	44.64	9.92	3.431	1.980	دالة
رابعة	52	48. 46	7. 35			

الاستنتاجات:

1- أسفرت نتائج البحث الحالي وبعد مقارنتها مع نتائج إحدى الدراسات في تركيا ومع نسب انتشار القلق عالمياً، عن ارتفاع مستوى أعراض القلق لدى عينة البحث الحالي أكثر من النسب العالمية, وهذا يشير إلى مدى التوجس والمصاعب التي تضغط على طلبتنا شأنهم شأن بقية قطاعات المجتمع الأخرى,استجابة للظروف الحادة والناجمة عن مدى واسع من الأحداث الصادمة مع التوقعات السلبية عن المستقبل، والتي استجابوا لها بهذا المستوى من أعراض القلق.

2- وكشفت الدراسة أنه توجد فروق دالة بين الذكور والإناث لصالح الأخيرة, وكذلك تبعاً للاختصاص أنساني وعلمي لصالح ألأخيرة, وكذلك تبعاً للمرحلة الدراسية ثانية ورابعة لصالح الأخيرة، يصاحبه مستوى أكثر ارتفاعا في أعراض القلق.

التوصيات والمقترحات

التوصيات:

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما يأتي:

1- استخدام مقياس "سمة القلق" في الوحدات الإرشادية التابعة للجامعات العراقية.

2- إعداد برامج إرشادية متخصصة للتخفيف من معاناة الطلبة من أعراض القلق.

المقترحات:

1- إجراء دراسة انتشارية تتناول جميع المراحل الدراسية وكذلك في بقية الجامعات العراقية للتعرف على نسبة انتشار أعراض القلق.

2- إجراء دراسة مقارنه تتناول أعراض القلق لدى طلبة الدراسة المسائية وطلبة الدراسة الصباحية للتعرف على دور متغير العمر وعلاقته بأعراض القلق.

3- إجراء بحوث تتناول أعراض القلق لدى طلبة الجامعة وعلاقته بالمتغيرات الآتية:

أ- أعراض الاكتئاب. ب-الصحة النفسية. ج-الإنجاز الدراسي د- اضطراب الشدة ما بعد الصدمة النفسية (PTSD). هـ -الإسناد الاجتماعي. و-الاضطرابات السايكوسوماتية.

المصادر:

1- أبو النيل, د.محمود السيد (1987).الإحصاء النفسي والاجتماعي والتربوي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

2- الأنصاري, بدر محمد(2002).المرجع في مقاييس الشخصية: تقنين على المجتمع الكويتي: دار الكتاب الحديث.

3- البدري, نبيل عبد العزيز عبد الكريم(2003).القلق وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة. رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية، جامعة تكريت.

4- ريبر, د.آرثر أس و ريبر, د. إيميلي (2008). المعجم النفسي الطبي[تعريب الدكتورعبدالعلي الجسماني والدكتور عمار الجسماني]. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون و جدة: مكتبات تهامة.

5- هيلز, ديانا وهيلز,روبرت(1999).العناية بالعقل والنفس. [تعريب الدكتورعبد العلي الجسماني].بيروت:الدار العربية للعلوم.

6- العاني, ضحى عادل محمود (2006). اضطراب ما بعد الضغوط الصدمية وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى طلبة جامعة بغداد.رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية ابن الهيثم – جامعة بغداد

7- عبد الخالق,احمد محمد(1993). قياس الشخصية.(ط1)الكويت :لجنة التأليف والتعريب والنشر,جامعة الكويت. **في** بدر محمد الأنصاري (2002).المرجع في مقاييس الشخصية:تقنين على المجتمع الكويتي:دار الكتاب الحديث.

8- فرويد, سيجموند (1957).الكف والعَرَض والقلق.(ترجمة محمد عثمان نجاتي): دار الشروق(ظهرت الطبعة الأولى للكتاب الأصلي عام1926 في فينا).

9- كمال, الدكتور علي (1983).النفس :انفعالاتها وأمراضها وعلاجها.(ط2).بغداد: دار واسط للطباعة والنشر التوزيع.

10- مايرز ,آن,(1990).علم النفس التجريبي(ترجمة الدكتور خليل إبراهيم البياتي).
بغداد :دار الحكمة للطباعة والنشر.

11- Adigwe, J.C.,(1997).Ethenicity, test anxiety and science achievement in Nigerian students. *International Journal of sciences and Education* . , 19(7): 773-780.**In** Erdem, Emine(2007).Study of the Relationship Test Anxiety and Epistemological and Problem-Solving Beliefs of student on a General Chemistry Course. *World Applied Sciences Journal* 2(S):750-758,

12- Alloy, Lauern B., Riskind , John H. and Manos, Margret J. (2005).*Abnormal Psychology: Current Perspectives*.(9th ed.) New York: United States of America ;McGraw-Hall Companies ,Inc

13- Braker,Chris,Pistrang, Nancy and Elliot ,Robert (1998). *Research Method in Clinical and counseling Psychology*. Chichester, England; John Wiley & Son Ltd.(original work published in1994).

14- Dundar, S.,Yapici,S. and Topcu,B.,(2007)**.** *Examination of The Relations between Characteristics of Students and their Test Anxiety level*. 8 TH Econometric and Statistics Congress of Turkey, 24-25 May,2007 Inonu University, Malatya. **In** Erdem, Emine(2007).Study of the Relationship Test Anxiety and Epistemological and Problem-Solving Beliefs of student on a General Chemistry Course. *World Applied Sciences Journal* 2(S):750-758,

15- Erdem, Emine(2007).*Study of the Relationship Test Anxiety and Epistemological and Problem-Solving Beliefs of student on a General Chemistry Course. World Applied Sciences Journal* 2(S):750-758,

16- Feldman, Robert S.(2005). *Essentials of Understanding Psychology*. (4th ed). Toronto: McGraw-Hill.

17- Gable, D. L. and Sherwood R.D. (1983).*Facilitating problem solving in high school chemistry. Journal of Research in science Teaching*, 20(2): 163-177. **In** Erdem, Emine(2007).Study of the Relationship Test Anxiety and Epistemological and Problem-Solving Beliefs of student on a General Chemistry Course. *World Applied Sciences Journal* 2(S):750-758,

18- Gelder ,Michael; Mayou , Richard, and Cowen, Philip (2001).*Shorter Oxford Textbook of Psychiatry.*(4 ed.) New York: United States of America ;Oxford University Press.

19- Halgin, Richard P. and Whitbourne , Susan Krauss (2007). *Abnormal Psychology: Clinical Perspective on Psychological Disorders*.(5th ed.) New York: United States of America ;McGraw-Hall Companies ,Inc.

20- Hong, E.,(1999).*Effect of gender, math ability, trait test anxiety, statstics achievement and perceived test difficulty on trait test anxiety*. The Annual Meeting of the American Educational Research Association, Montreal, Canada, il19-23 **In** Erdem, Emine(2007).Study of the Relationship Test Anxiety and Epistemological and Problem-Solving Beliefs of student on a General Chemistry Course. *World Applied Sciences Journal* 2(S):750-758,

21- Joseph, Stephen, Williams, Ruth, and Yule, Williams.(1997). *Understanding Posttraumatic Stress; A psychosocial Perspective on PTSD and Treatment*. Chichester, England; John. Wily & Son.

22- Kaplan , Harold & Sadock , Benjamin J. (2003) : *Comprehensive Text book of Psychiatry*. Vol 2 (6th ed). USA : Willimas &Wilkins.

23- Larson, Lene Holmin and Sylvester, Carrie (2003). in Lubet,Roy .(Ed) . *Pediatric Development & Behavior*. [CD-ROM].

24- Shelton ,Richard C.(2008). **In** Ebert, Michael H.; Loosen ,Pert T; Nurcombe , Barry and Leckman , James F.(2008)*Current Diagnosis & Treatment Psychiatry. .(*2th ed.) Singapore: McGraw-Hall Companies ,Inc

25- Yildirim, I and T .Ergene. (2003). *Social support submissive acts and test anxiety as predictors of academic achievement among high school students.* Hacettepe Universitesi Egitim Fakultesi Dergisi, 25: 224- 234. **In** Erdem, Emine(2007).Study of the Relationship Test Anxiety and Epistemological and Problem-Solving Beliefs of student on a General Chemistry Course. *World Applied Sciences Journal* 2(S):750-758.

ملحق(1) مقياس" سمة القلق"

ت	العبارة	أبدا	أحيانا	كثيراَ	دائماَ
1	أشعر بالسرور.				
2	أشعر بالعصبية وعدم الاستقرار.				
3	أشعر أنني مقتنع بنفسي.				
4	أتمنى أن أكون سعيدا كما يبدو الآخرين.				
5	أشعر كأنني فاشل.				
6	أشعر بالراحة.				
7	أنا هادئ وساكن ومتماسك.				
8	أشعر أن الصعوبات تتراكم علي بحيث لا استطيع التغلب عليها.				
9	أقلق كثيرا جدا على أشياء ليست مهمة في الواقع.				
10	أنا سعيد.				
11	لدي (عندي) أفكار مزعجة.				
12	تنقصني الثقة بالنفس.				
13	أشعر بالأمان.				
14	أتخذ القرارات بسهولة.				
15	أشعر أنني غير كفء.				
16	أشعر بالرضا.				

17	تمر بخاطري بعض الأفكار غير المهمة وتزعجني.				
18	أتأثر بشدة بالأشياء المخيبة للأمل لدرجة أنني لا استطيع استبعادها من تفكيري.				
19	أنا شخص ثابت (مستقر).				
20	تصيبني حالة من التوتر أو ألاضطراب عندما أفكر في مشاغلي و اهتماماتي في الفترة الأخيرة.				

ملحق(2) أسماء الخبراء

	اسم الخبير	مكان العمل
	أ.د. واثق عمر موسى	أستاذ في قسم العلوم التربوية والنفسية- كلية التربية- جامعة تكريت.
	أ.م.د. حميد سالم	أستاذ مساعد في قسم العلوم التربوية والنفسية- كلية التربية- جامعة تكريت.
	أ.م.د. أديب محمد نادر	أستاذ مساعد قسم العلوم التربوية والنفسية –كلية التربية– جامعة تكريت.
	أ.م.د. صباح مرشود	أستاذ مساعد قسم العلوم التربوية والنفسية –كلية التربية– جامعة تكريت.

Abstract:

PURPOSE: The aims of this research are to identify the average of anxiety symptoms among students of university ,the prevalence rate of anxiety symptoms, and the differences in anxiety symptoms according to the sex(males/ females) the specialization (scientific/ humanistic) ,the stage (second/fourth). PROCEDURES: One hundred and seven- university students in Tikrit University, (60) males and (44) females, in 2009-2010 Academic Year. The researcher adopted Spielberger`s inventory "trait anxiety". And indicators of validity and reliability was achieved. RESULTS: The results has shown that mean of anxiety symptoms was(46.68) and the prevalence rate of anxiety was(14.7%), and results of revealed there was a significant difference in anxiety symptoms with regard to the sex for female, the specialization for scientific, and the stage for fourth . The mean of anxiety symptoms and prevalence rate of anxiety in this study has shown that it’s a high. CONCLUSION: That higher mean and prevalence rate suggest to study anxiety symptoms prevalence rates among another Iraqi universities, and prepare a therapeutic and consulting programs.

المجمعات السكنية ألعموديه وعلاقتها بالأرض الحضريه
(حي السلام للعمارات السكنية في مدينة بغداد كحاله دراسية)

م. م. مظهر عباس أحمد
المعهد التقني / الدور

المستخلص

إن توسع المدن بشكل أفقي مشكلة بحد ذاتها، لان ذلك يؤدي الى هدر في الارض الحضرية وتجاوز على الارض الزراعية في اغلب الاحيان، ونتيجة لذلك تصبح نسبة الاستعمال السكني كبيرة مقارنة بباقي الاستعمالات الاخرى للارض الحضريه في المدن، لذا توجهت الكثير من الدول الى نمط او اسلوب الابنية السكنية العمودية متعددة الاسر التي يتراوح ارتفاعها مابين (3 – 4) طوابق للسكن منخفض الكلفة والى ارتفاعات اعلى بما يتناسب وقيمة وموقع الارض الحضرية ضمن المدينة، ولما تتصف بة هذة العمارات السكنية من كثافات سكنية وسكانيه مناسبه، واستعمال فعال واقتصادي للارض الحضريه، وتكون المجمعات السكنية التي تكاملت فيها الخدمات من الاماكن المريحة والمحققة لشروط ومعايير السكن الملائم، ويدعم هذا البحث دراسة ميدانية لاحد المجمعات السكنية متعددة الاسر، وهي عبارة عن عمارات سكنية تتكون من وحدات سكنية على شكل شقق وهي تمثل البناء العمودي السكني.

1-المقدمة

إن اعتماد بناء المجمعات السكنية العمودية له تأثير في الحد من التوسع الافقي للمدن الذي يكون فية كثيرا من السلبيات اذا لم يكن وفق دراسات تخطيطية صحيحة، وهذا السكن العمودي هو نظام اقتصادي واجتماعي متطور، اعتمدته كثير من الدول، ووجدت فية الحل لمشكلات السكن، وذلك لسرعة تنفيذة مقارنة بالبناء الافقي المنفرد، وكذلك للعدد الكبير من الوحدات السكنية التي يمكن بناءها او انتاجها من خلال اتباع هذا النظام الذي يمكن ان يكون نمطيا ايضا عن طريق البناء الجاهز والمصنع أو عن طريق البناء الهيكلي الخرساني او الحديدي اوالمشترك، لذا لابد ان تكون هنالك سياسة واضحة وتهيئة لمستلزمات اعتماد هذا الاسلوب من البناء، اما على الصعيد الاجتماعي فهناك كثير من الناس يفضلون السكن فية، وخصوصا العوائل المتكونة من (2– 5) افراد او المتزوجين حديثا، ان هذا النمط من البناء يكون ناجحا وجاذبا فيما اذا طبقت فية المعايير التخطيطية، والتصميمية المناسبة التي تجعل منة مجمعات سكنية متكاملة الخدمات والأنشطة الترفيهية والثقافية والاجتماعية.

- **مشكلة البحث/** إن الاعتماد على البناء السكني الافقي في توفير الوحدات السكنية في ظل وجود حاجة سكنية كبيرة يصاحبه هدر في الأرض الحضرية، ونسبة عالية للاستعمال السكني فيها.
- **فرضية البحث/** ينطلق البحث من فرضية مفادها إن التوجه إلى بناء المجمعات السكنية العمودية جنبا الى جنب بناء الدور السكنية المنفردة يمكن أن يسهم في تقليل نسبة الاستعمال السكني ضمن استعمالات الأرض ألحضريه.
- **هدف البحث/** يهدف البحث الى تقليل نسبة الاستعمال السكني للارض الحضرية في المدن ومنها المدن العراقية وجعلها مقاربة الى نسب الاستعمال السكني في

العالم من خلال الاعتماد على نمط البناء العمودي السكني وبشكل مجمعات سكنية متطورة ومتكاملة تخطيطيا وتصميميا وخدميا.

- **منهجيية البحث/** سيعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي الكمي والذي من خلالهما يمكن الوصول الى معالجة مشكلة البحث واثبات صحة ألفرضيه أو خطئها.

2-أهمية الأرض الحضرية في البيئه العمرانيه للمدينه

إن للأرض أهميه أساسيه وحاسمه في إمكانية تأمين السكن للسكان، وتمتاز الأرض الحضرية بكونها متعددة الاستعمالات، فالاستعمال السكني هو احد هذه الاستعمالات، ويتنافس بدورة مع الاستعمالات الاخرى الصناعية والتجارية والإدارية والترفيهية والثقافية.....الخ. وتعد قطعة الأرض الحضرية المخصصة للسكن والتي توفر فيها التسهيلات الأساسية ضمن الحد المقبول, موطئ القدم للاسرة الواطئة الدخل في المجتمع الحضري فهي الضمان بالنسبة لها وذلك لكونها تحقق الامان والاستقرار فضلا عن إعطائها الشعور بالهيبة والوقار[1]. ان توفير الاراضي للاستعمالات السكنية من العوامل المهمة التي لها تأثير كبير ومباشر على حجم الطلب الفعال في سوق السكن، وان ارتفاع معدل الدخل او زيادة حجم القروض الممنوحة قد لاتعني بالضرورة ازدياد حجم الطلب الفعال على الوحدات السكنية من دون توفر الارض السكنية، ففي بعض الاحيان تصل كلفة الارض السكنية الى نحو 50% من الكلفة الاجمالية للوحدة السكنية في المناطق والاحياء السكنية الجديدة، واكثر من ذلك في المناطق المركزية للمدن[2]. إن زيادة كلفة الارض تنعكس بصورة مباشرة على كلفة الوحدة السكنية، فتصبح أعلى من إمكانية ذوي الدخل المحدود في كثير من الاحيان مما يؤدي بهم الى البحث عن مناطق سكنية اخرى تبتعد عن مركز المدينة، وهذا بدورة يؤدي الى زيادة كلفة النقل كما ان ارتفاع كلفة الارض ينعكس على الكثافة

السكانية للمدينة، بما يؤدي إلى ارتفاع الكثافات السكانية في المناطق المركزية بشكل كبير[3]. اذن مسألة الارض السكنية ينبغي ادارتها وتوجيهها بشكل يضمن وضع نظام قادر على تحسين الاستخدام الامثل لها، إذ ينبغي أن يكون للسلطات المركزية والمحلية دور فعال في توفير الاراضي حتى يمكن تثبيت اسعارها والحفاظ على التوازن بين العرض والطلب

3-أهمية المجمعات السكنية العمودية في استيعاب الكثافات السكانيه وتقليل الهدر في استخدام الارض الحضريه

ان التطرق للبناء العمودي يعني التطرق الى السكن العمودي، والذي أصبح حاجة ملحة لاستيعاب الزيادات السكانية، وتوفير المساكن اللائقة لها حيث توجهت الدول الى بناءالمجمعات السكنية عن طريق القطاعين العام والخاص وحتى المختلط، مما جعل امكانية التوجة نحو الاستثمار في هذا القطاع ممكنا مع مراعاة النواحي الاجتماعية التي لها علاقة مباشرة بتحسين الكفاءة الإنتاجية للفرد، ومنها توفير السكن الملائم للمواطنين مع تركيز نسبي على نظام السكن العمودي[4] هذا وقد تم اعداد منهاج للاسكان العمودي في مراكز المحافظات وكانت من بين اهدافه:-

1- زيادة الكثافة الاسكانية عما موجود في السكن الافقي.
2- تقليل الكلف لتنفيذ الخدمات العامة (شبكات المياه والمجاري والكهرباء والهاتف والطرق) بما يتوافق وامكانيات المدن من النواحي الاقتصادية والاجتماعية.
3- توفير وحدات سكنية ملائمة للعائلة ضمن خطة زمنية محددة.
4- خلق بيئة اجتماعية ملائمة.
5- تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي للعائلة[5].

اذ ان عملية التوسع في السكن العمودي تشمل جوانب عدة منها:-

أ-**الجوانب الاقتصادية:-** حيث تسهم الدولة والقطاع الخاص في انشاء الوحدات السكنية.

ب-**الجوانب الاجتماعية:-** وذلك عن طريق توفير البيئة الاجتماعية الملائمة بمعيشة السكان بما يضمن له الخصوصية والاستقلالية.

ج- **الجوانب المعمارية والانشائية:-** وذلك للوصول الى افضل التصاميم للشقق السكنية في العمارات التي تلائم طبيعة الحياة الاجتماعية للسكان، وكذلك مراعاة الجوانب البيئية والمناخية لهذة التصاميم، وإعطاء البناء أشكالا جميلة تعكس التطور العمراني، وتعطي خصوصية ضمن المجمع العام لكل ساكن انسجاما مع مفهوم السكن الجماعي[6].

4-استعمالات الارض الحضرية في المدن

ان مفهوم استعمالات الارض يطرح عند التطرق الى التخطيط العمراني الحديث في ثلاثة اتجاهات كحد ادنى هي:-

أ-التوزيع الفراغي الوظيفي للمدينة مثل توزيع مساحات الاراضي للسكن والصناعة والتجارة والمناطق الادارية والترفيهية والخدمات.

ب-هناك من يراها على جزئين الهدف منهماتحديد المناطق الحضرية، اذ يقصد بالجزء الاول انشطة عمل الافراد Employment وهي الخاصة بأنشطة العمل اليومية، اما الجزء الثاني فيهتم بالخدمات العامة الاجتماعية والاقتصادية والصحية وغيرها وكذلك استغلال الارض في الوضع الحضري لها بحيث تخدم انشطة الافراد المرتبطين بها.

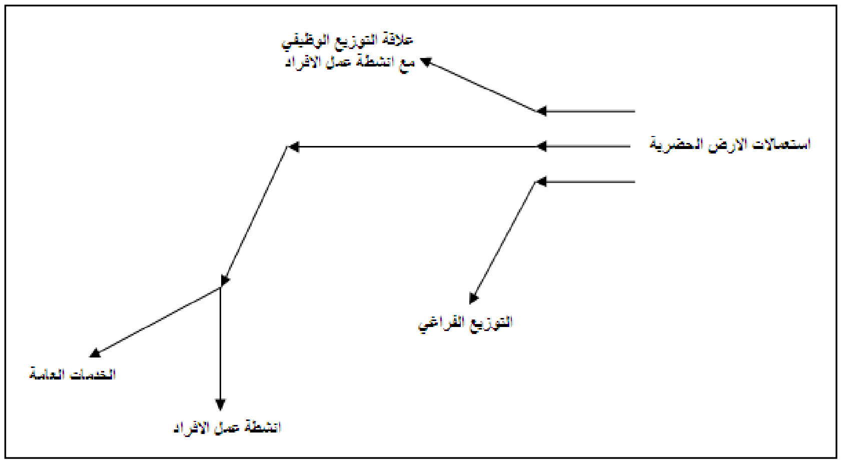
ج- الاتجاة الثالث يركز على علاقة استعمالات الانشطة في حدود الجزئين السابقين اي علاقة التوزيع الفراغي مع انشطة الافراد وخدماتهم كما في الشكل(1)[7]،

وحسب ذلك يمكن تعريف استعمالات الأرض ألحضريه على إنها استخدام الفضاء الطبيعي سواء كانت الارض لوحدها ام مع اية اضافات طبيعية او اصطناعية اليها من غابات وبساتين وابنية مشيدة وغيرها على ان يتم افرازها بصورة قانونية[8]. وهناك تعريف اخر يقول انها البعد البصري لهيكل المنطقة (الهيكل العمراني للمدينة) والذي يتكون من قسمين:-

الأول/ يتحدد من خلال مختلف انواع الانشطة البشرية وهي تشغل فضاءات من الارض الحضرية كالنشاطات التي يمارسها الإنسان للحصول على مستلزمات الحياة اليومية.

الثاني/ يتحدد بالخدمات المادية والتحسينات المختلفة لأرض المنطقة الحضرية كي تكون ملائمة لمختلف انماط الانشطة البشرية. وتعرف استعمالات الأرض ألحضريه على إنها التوزيعات المكانية لوظائف المدينة المتعددة التي تشتمل على الوظائف السكنية والصناعية والتجارية والخدمية والترفيهية وغيرها[9].

الشكل (1) مفهوم استعمالات الأرض ألحضريه في التخطيط العمراني الحديث



المصدر: الباحث عن (حيدر، فاروق عباس، "تخطيط المدن والقرى"، جامعة الاسكندرية، 1994, ص151)

المجمعات السكنية ألعمودية وعلاقـتها بـالأرض الحضـرية | مجلة آداب الفراهيدي | م. م. مظهر عباس أحمد
العـدد (6) آذار 2011

إن مفهوم استعمالات الارض الحضرية من المفاهيم الواسعة والمعقدة ولكن يمكن ان نفهمة عن طريق العلاقات المتبادلة والمتفاعلة بين الانسان والارض الحضرية، وان هذه الاستعمالات تمثل التغير المستمر في علاقة الانسان بالأرض وايجاد حالة من التوازن فيما بينهما، إذ يزداد اعتماد الانسان على الأرض بمرور الزمن بسبب النمو السكاني، لأن الأرض هي البعد المكاني الذي يستقر عليها ويستغل ثرواتها ومواردها لسد احتياجاتة وتحقيق رفاهيتة التي يرمي الوصول اليها[10].

من كل ماتقدم فان استعمالات الأرض ألحضريه مفهوم يطلق على كل مايشغلة الهيكل العمراني من مكان على الارض مثل ابنية قطاع السكن او خدمات الطرق والابنية الحكومية وغير ذلك اي انها تشكل منظومة مترابطة الاجزاء والوحدات تشغل قطعة من الارض الحضرية لتلبية حاجات الانسان المادية والمعنوية.

5-الطلب على المنطقه الحضريه والحيز المكاني للمنطقه السكنيه

تعاني المدن الكبيرة في العالم من تزايد عدد سكانها بشكل غير طبيعي لا ينسجم وباقي المدن الاخرى ضمن البلد الواحد ,وتمثل هذه المشكلة احد المعضلات الرئيسية في البلدان النامية ايضا حيث يتزايد الطلب على المساكن وهذا يعني زيادة الطلب على الارض الحضريه. ويعزى السبب الرئيسي لهذه الزيادة الى الهجرة من الريف الى المدن من جهة والى تحسين المستوى الصحي وانخفاض معدل الوفيات مع ارتفاع معدل الولادات من جهة اخرى ومن اهم اسباب الهجرة الى المدن:-

- الارتفاع النسبي لمستويات الاجور في المدن.
- توفر فرص العمل وتزايد الطلب على القوى العاملة في المدن كانعكاس لبرامج التنمية والتطوير العمراني.
- توفر الخدمات كفرص التعليم في المعاهد العليا والجامعات ,وتوفر الرعاية الصحية متمثلة بالمستشفيات والعيادات الصحية.

- المركزية الشديدةالمميزة للمدن العربية والتي تتمثل بتركز الاسواق والبضائع والتجارة ووسائل الترفيه والوزارات والاداؤات الحكومية فيها.
- المظاهر الحضارية والاجتماعية التي يتميز بها اهل المدن والارياف[11].

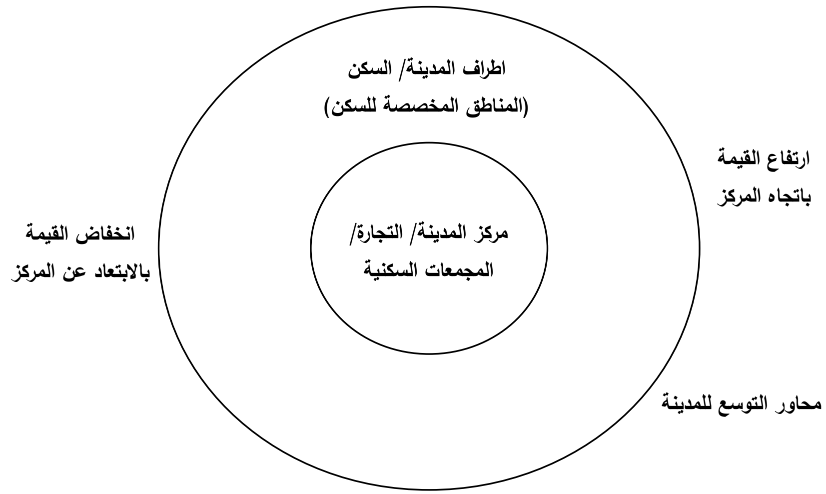
ان المنطقة السكنية تمثل الحيز المكاني الاساسي من النظام الحضري حيث انها تحتل الجزء الاكبر من مساحة المدينة وهي تعتبر الجزء الرئيسي من المنطقة الحضرية، ويقصد بالمنطقة السكنية المكان الذي يعيش فية الناس وهي تتكون من الدور السكنية والحدائق، واستعمالات اخرى كالمتاجر المحلية والمدارس والفضاءات المحلية المفتوحة، والصناعات الخدمية البسيطة.إن المساحات المخصصة للاستعمال السكني تختلف من مدينة الى اخرى وقد دلت العديد من الدراسات التي اجريت في هذا المجال بأن الاستعمال السكني يشغل مساحة يتراوح معدلها مابين (30 – 40 %) من مساحة المدينة[12]. وان هذة النسبة ترتفع في اغلب المدن العربية نتيجة للامتداد الافقي لهذا الاستعمال اذ بلغت هذة النسبة في بغداد (55.4%)[13]. ونرى ان للبناء العمودي السكني دور مهم في تقليص مساحة الاستعمال السكني وبالتالي التوفير في الارض الحضرية التي تعتبر ذات اهمية وندرة ومحدودية ونظرا لمحدودية الارض الحضرية في مدينة بغداد فقد صدرت تعليمات من امانة بغداد تسمح ببناء طابق ثالث للدور السكنية الحالية والمستقبليه، وفي مدننا ذات المناخ الحار نحتاج الى المساحات الخضراء، والمناطق الترفيهية والمسابح التي ممكن ان تتوفر من خلال اتباع نمط البناء العمودي مما يخفف من معاناة السكان وجعل المدينة بيئة تحقق الراحة للانسان، ويعد الاستعمال السكني مظهرا عمرانيا مهما ومميزا لشكل المدينة، وعاملا مؤثرا في تركيبها كما انة يعد جزءا اساسيا من اجزاء النسيج الحضري وهي البيئة العمرانية والاجتماعية التي ينمو فيها الانسان ويمارس فيها اغلب نشاطاتة. أما

الاستعمالات الاخرى والتي سوف نشير اليها فقط لأستكمال موضوع تصنيف استعمالات الارض الحضرية للمدينة فهي:-

- استعمالات الأرض التجارية.
- استعمالات الارض الصناعية.
- استعمالات الارض الترفيهية والمناطق الخضراء.
- استعمالات الارض الخدمية والمجتمعية.
- استعمالات الأرض السكنية.

إن الارض تخضع لأستعمالات الانسان المتعددة ومن وجهة النظر الاقتصادية فأن استعمال الارض ينتج مايسمى بسوق استعمال الارض Landuse Market، وينظر الى الارض في هذا السوق على انها سلعة يتاجر بها وتخضع الى قوى العرض والطلب[14]، وهنالك صراع على اشدة بين الانماط المختلفة من الاستعمالات الوظيفية على شغل المكان في المدينة بالأيجار او بالملكية وهذا ما يوضحة نموذج المزايدة الأيجارية Bid rent، هذا الصراع على المكان يحصل عليه من يدفع اعلى ثمن ليحصل على حق الانتفاع او الانتقال او الاستعمال والشكل(2)

الشكل(2) يوضح أهمية الارض الحضريه في المدينه



المصدر: الباحث بالاعتماد على (Garner,1968,p3 40)

إن مايرفع من قيمة المركز معماريا وتاريخيا هو وجود تلك الاحياء القديمة فية، والتي تمثل تاريخ المدينة، وتعد جزء من التراث المعماري المميز لها[15]. وعليه فمن الأهميه التوجه الى البناء في منطقة المركز بسبب ندرة الأرض الحضريه فيه.

6- الهدر في الارض الحضريه بالمدن العراقية ومقارنة ذلك مع المدن العالميه

ان نسبة الاستعمال السكني اي المساحة المستغلة للاغراض السكنية تختلف من مدينة الى اخرى وقد قدرها كلا من .Edward F.R. Hearle & John H) (Niedercorn بنحو 30% من مجموع مساحة المدينة الكلية، وبحدود 39% من المساحة المعمورة منها في المدن الامريكية الكبيرة[16]، وهناك دراسة قام بها (بارثليميو) لنحو 35 مدينة امريكية توصل فيها ان الوظيفة السكنية تحتل حوالي 40% من المساحة المعمورة، وفي دراسة اخرى وجد انها تصل الى 43% من مساحة

المنطقة المعمورة في المدن البريطانية التي تزيد نفوسها عن عشرة الاف نسمة، وفي مدينة لندن بحدود 42%[17].

وفي المدن العراقية فأن نسبة الاستعمال السكني ترتفع الى اكثر من 60% من المساحة المعمورة في المدن الكبيرة الحجم فقد بلغت في بغداد الى 7. 62% عام 1977، أما في مدينة الموصل فوصلت النسبة الى نحو 62% لعام 1979[18]. إن السبب في زيادة هذه ألنسبه يعود إلى التوسع الأفقي في السكن.

وفي مقارنه مع مدينه تعتمد على البناء العمودي السكني (المجمعات السكنيه العموديه) هي مدينة العاشر من رمضان في جمهورية مصر العربيه، ويبين لنا الجدول رقم (1) الفرق في نسبة الاستعمال السكني والذي يكون هدرا كبيرا للارض الحضريه، فمثلا في مدينة بغداد نسبة الاستعمال السكني بحدود (60%) وفي مدينة العاشر من رمضان تقريبا (28%) وهذا فرق كبير يزيد عن الضعف لذا لابد ان تكون هنالك مراجعه واعادة نظر من قبل أصحاب الشأن للحد من الهدر المستمر للارض الحضريه والتي تمتاز بالند ره والشكل (3) يوضح مخططا لمدينة العاشر من رمضان في جمهورية مصر العربيه.

جدول (1)

النسب المئوية للأنشطة في البيئة العمرانية لمدينة العاشر من رمضان في مصر

ت	نوع الاستعمال	النسبة %
1.	الاستعمال السكني	28.4
2.	الاستعمال الصناعي	26
3.	طرق وفراغات	21
4.	متنزهات وحدائق	14.4
5.	تجاري	1.2
6.	سياحي	2
7.	خدمات	7
المجموع		%100

المصدر: عمل الباحث اعتمادا على الموقع؛ http://www.tortp.gov.eg/arabic/site.htm

ان المقارنة بين نسبتي الاستعمال السكني في المدن العراقيه ومدينة العاشر من رمضان كمثال لمدينه عربيه تبين مدى الهدر في مساحة الارض الحضرية في مدننا بسبب التوسع الافقي الذي هو الاعم الاغلب في مدننا العراقية لذا ينبغي التوقف عند هذة الحالة ووضع الحلول والمقترحات لها من قبل المختصين بالتخطيط والتصميم التي تؤدي الى عدم الهدر في الارض الحضرية.

الشكل(3) مخطط مدينة العاشر من رمضان في جمهورية مصر العربيه



المصدر: الموقع الدولي (http://www.tortp.gov.eg/arabic/site.htm)

7-الامتداد الافقي للمدن العراقية وعلاقة ذلك بالارض الحضريه

ان التوسع الافقي للمدن العراقية قد يكون ذو سمة واحدة ولكن يبرز ذلك بشكل كبير في مدينة بغداد لذا سنتطرق الى موضوع التوسع الافقي لمدينة بغداد حيث ان توسع مدينة بغداد عام 1956 والذي ازداد وبلغ ذروتة في بداية الستينات كان توسعا فوضويا غير مدروس(19). واستمر هذا التوسع حتى بلغت مساحة بغداد 900 كم2.

ان التوسع الافقي هو ايضا انعكاسا سلبيا للاسراف في توزيع القطع السكنية ذات المساحات الواسعة التي تراوحت ما بين 400 – 600 م2، واحيانا الى 1000 م2 او اكثر. ان هذا ادى الى قلة الاستفادة من المساحات للاراضي الحضرية، حيث قلت كثافة المساكن وكان التوسع على حساب الكثير من اراضي البساتين الخصبة.

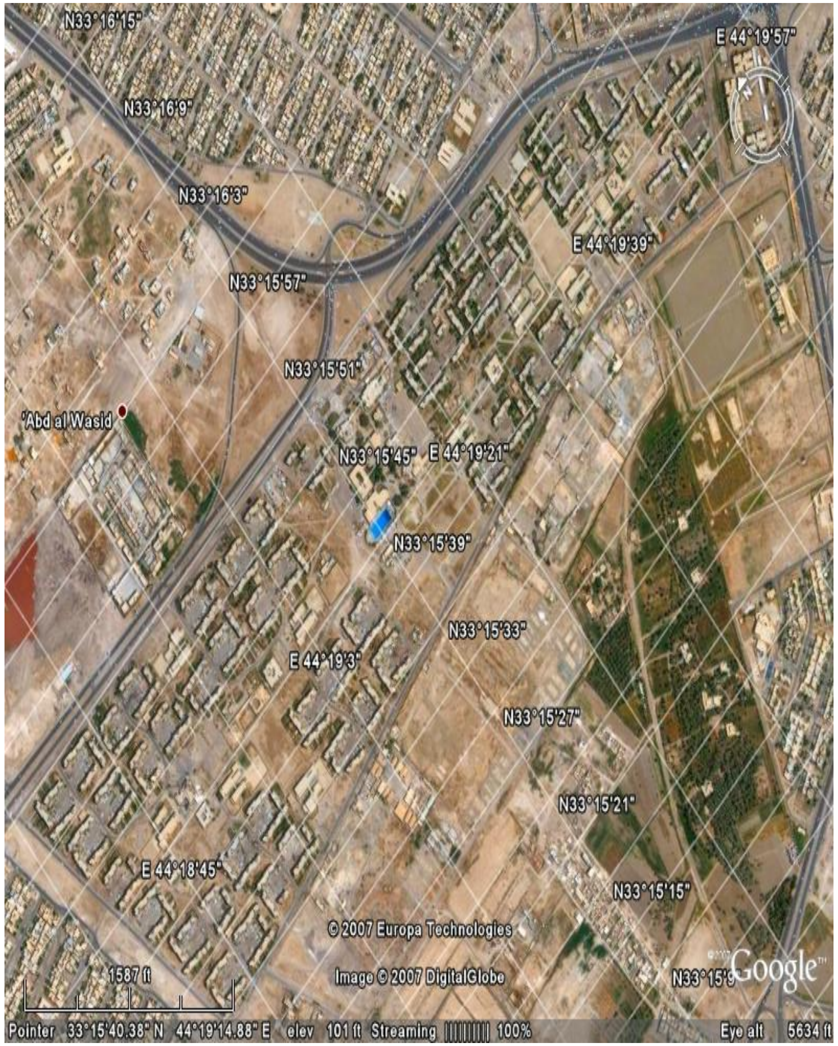
ومن الآثار السيئة لهذا التوسع هو عدم استطاعة البلدية من ايصال الخدمات والمرافق العامة الى السكان، ثم ان هذا الامتداد الافقي يخلق متاعب ومشكلات حقيقية كمشكلات المرور مثلا، كما انة يبعث مللا في النفس البشرية لتشابة المناظر، وتكرار الأنماط الحجرية التي تقع قبالة البصر، ويفقدنا ايضا نقاط الدلالة كعمارة شامخة او مبنى متميز في هذا المحيط المتشابه كبغداد. ان معدل النمو السكاني الذي سجل منذ عام 1960 وحتى عام 1978 هو 3.1 %سنويا وهذا مؤشر على وجود زيادة في النمو السكاني كنتيجة لتحسن الاوضاع الصحية والاجتماعية(20)، وبعد إن عرفنا الاثر السلبي للتوسع الافقي لابد ان تكون لنا وقفة وحلول لهذة الحالة التي اصبحت مشكلة واول من يتصدى لذلك المخططون، وان يكون التوجة الآن الى التوسع البديل وهو التوسع العمودي السكني وايجاد المساحات المناسبة لأنشاء

المجمعات السكنية العمودية المتكاملة وهنا نؤكد على ان تكون متكاملة الخدمات والفضاءات والخدمات الترفيهية وبالأرتفاعات المناسبة اقتصاديا واجتماعيا والأستفادة من تجارب الدول العربية والأجنبية بهذا المجال.

الجانب التطبيقي

من اجل تعزيز الجانب النظري للبحث لابد ان يستعين الباحث بالدراسة الميدانية، وبما ان النسيج الحضري لمدينة بغداد يحتوي على انماط مختلفة من البناء العمودي والبناء الافقي، ولغرض اجراء المقارنة بين نمطي البناء العمودي والبناء الافقي لغرض معرفة علاقة ذلك بالارض الحضريه، فقد تم اختيار منطقة في جانب الكرخ من مدينة بغداد، وهي تشمل (حي المثنى، ومجمع العمارات السكنية في البياع (حي السلام) حيث ان هذة المنطقة تحتوي على نمطي البناء قيد البحث اي البناء العمودي والبناء الافقي، والصوره الفضائيه التاليه تبين ذلك المخطط الفضائي الافقي لحي السلام.

شكل (4) صوره فضائيه لمجمع السلام السكني



المصدر: الباحث اعتمادا على (Googole earth)

مجمع العمارات السكنية/ حي السلام

ان مجمع العمارات السكنية في حي السلام قد صمم بنمط البناء العمودي (الاسكان العمودي)وهو يتكون من عمارات ذات ثلاثة طوابق واخرى ذات اربعة طوابق،ويقع هذا المجمع السكني في الجنوب الغربي من بغداد وضمن جانب الكرخ.

شكل (5) خارطة محافظة بغداد

تبين مناطق مدينة بغداد ومنطقة الدراسة التي تتمثل بمجمع السلام للعمارات السكنيه



المصدر : وزاره البلديات والاشغال العامه ،المديريه العامه للتخطيط العمراني ،قسم الوحدات الاداريه خريطه محافظه بغداد ،٢٠٠٣

محافظة بغداد ضمن الحدود الادارية حسب الناحية لسنة 2003

وتبين الحدود الادارية بالنسبة للمحافظات التي تحاددها

1- المساحة والسكان وعدد الوحدات السكني في المجمع

ان الجدول (2) في ادناة يبين عدد السكان وعدد الوحدات السكنية والمساحة للمجمع.

جدول (2)

المساحة والسكان وعدد الوحدات السكنية في مجمع العمارات السكنية/ حي السلام

ت	مساحة المجمع السكنية	38هكتار
1.	عدد الوحدات السكنية	2004 وحدة سكنية (شقق)
2.	عدد السكان في المجمع	10520 نسمة
3.	الكثافة السكنية الاجمالية	52 وحدة سكنية/ هكتار
4.	الكثافة السكانية	276 شخص/ هكتار

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على بيانات المؤسسة العامة للاسكان، دائرة التصاميم والدراسات، دراسه غير منشوره , بغداد، 1982 ص9.

2- استعمالات الأرض في مجمع السلام/عمارات سكنيه

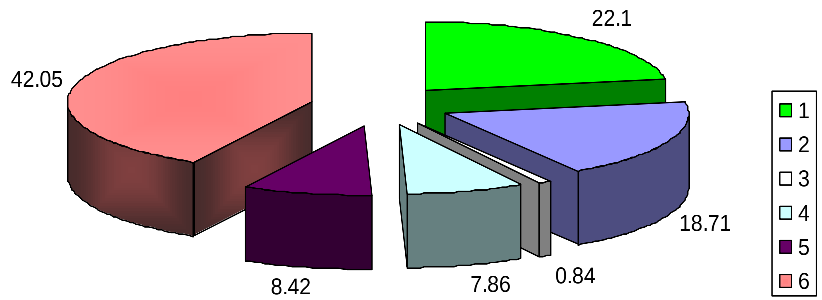
لقد تم توزيع الاستعمالات المختلفة من سكنية وتجارية واجتماعية ومساحات مفتوحة وخضراء، والجدول (3) يبين ذلك.

جدول (3) توزيع استعمالات الارض للمجمع السكني

نوع الاستعمال	المساحة/ هكتار	النسبة المئوية %
الابنية السكنية	8.4	22.1
ابنية المدارس	7.11	18.71
الاسواق المحلية	0.32	0.84
الطرق	2.99	7.86
مواقف السيارات	3.2	8.42
المناطق الخضراء والمماشي	15.98	42.05
المساحة الكلية	38	%100

المصدر: المؤسسة العامة للاسكان،دائرة التصميم والدراسات، دراسه غير منشوره،بغداد، 1982 ص10.

نسب توزيع استعمالات الارض



شكل (6) نسب توزيع استعمالات الارض لمنطقة الدراسه

من الجدول رقم (3) والشكل (6) نستنتج أن الاستعمال السكني هو (22.1%) من مجموع مساحة الأرض ألحضريه المخصصه لهذا المجمع السكني والبالغه 38 هكتار، وهذه النسبه تعتبر متماشية مع النسب في المدن العالميه الحديثه التي تهتم بالمحافظه على الارض الحضريه وعدم الهدر فيها في حين مرعلينا خلال البحث أن نسبة الاستعمال السكني في المدن التي تعتمد البناء الافقي الواسع قد تصل فيها نسب الاستعمال السكني الى (60%) تقريبا أو أكثر ومن هنا تبرز علاقة الارض الحضريه بالمجمعات السكنيه العموديه ودور هذه المجمعات في المحافظه على الارض الحضريه وعدم الهدر فيها وكانت النسبه الاكبر للمناطق الخضراء ونحن نعرف أهمية المساحات الخضراء في المدن لما لها من تأثير ايجابي على الجانب الصحي والنفسي.

الاستنتاجات:

فيما يلي أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث:-

1- إن الاستعمال السكني يستحوذ على اكبر نسبة من استعمالات الأرض الحضرية في نمط البناء الأفقي (الدور المنفردة) إي في المدن ذات التوسع الأفقي كما هو حال المدن العراقية، وان الأرض الحضرية دائما تمتاز بالندرة.

2- إن بناء المجمعات السكنيه العموديه يحقق نسبة اقل في الاستعمال السكني للأرض الحضريه قد تصل الى النصف مقارنة بالبناء الأفقي السكني، ويعتمد ذلك على عدد الطوابق التي تتألف منها العمارات السكنية وعلى التخطيط والتصميم لتلك العمارات والمجمعات السكنيه.

3- إن التوسع الأفقي للمدن يزيد من نسبة الاستعمال السكني للأرض ألحضريه والذي يكون على حساب النسب للاستعمالات الاخرى.

4- إن اغلب دول العالم اتبعت اسلوب بناء المجمعات السكنية العمودية وعلى نطاق واسع وذلك لمميزات هذا النمط في سرعة تلبية الحاجة السكنية.

5- إن التوسع الافقي هو نتيجه للإسراف في توزيع القطع السكنية ذات المساحات الواسعة، وهذا أدى إلى قلة الاستفادة من المساحات للأراضي الحضرية، حيث قلت كثافة المساكن وكان التوسع على حساب الكثير من الأراضي ألزراعيه الخصبة.

6- السكن في المجمعات السكنية العمودية أكثر قدرة على استيعاب الزيادات السكانية مع زيادة الكثافه السكنيه والاسكانيه في الارض الحضرية.

7- ان متطلبات السكن العمودي تتمثل بالمستلزمات الخدمية والتربوية والصحية والتجارية والترفيهية. لذا فعند تنفيذ المجمعات السكنية العمودية يجب أن تنفذ معها كافة المتطلبات كي يصبح السكن في هذه المجمعات سكنا لائقا ومريحا ومحققا لأهدافه.

التوصيات

فيما يلي اهم التوصيات التي خرج بها البحث:-

1- ضرورة الاهتمام والتركيز على الصناعات الإنشائية بمختلف أنواعها وصولا الى الاكتفاء الذاتي لان مخرجات هذه الصناعة هي المادة الأولية لإنتاج الوحدات السكنية.

2- إجراء مسابقات تصميمية وتخطيطية لمجمعات سكنية على مستوى الدولة تشارك فيها الجامعات ذات العلاقة والمكاتب الاستشارية من داخل العراق وخارجة لغرض الوصول الى نماذج مختلفة لهذة المجمعات تناسب الواقع المحلي البيئي والاجتماعي.

3- اختيار أماكن مناسبة لإقامة المجمعات السكنية في بغداد وبقية مراكز المحافظات، تكون ذات طبيعة جمالية مع مراعاة ان تكون كاملة الخدمات.

4- تأهيل الشركات التابعة لوزارة الإسكان والتعمير مثل شركة الفاو وغيرها وتوجيهها نحو بناء المجمعات السكنية العمودية وخلق منافسة بينها في هذا الاتجاه، وإعطاء دور اكبر للقطاع الخاص من اجل المساهمة في بناء الوحدات السكنية.

5- تأهيل معامل البناء المصنع الجاهز وبناء المزيد منها للمساهمة في عملية إنتاج الوحدات السكنية لما تتميز بة هذه الطريقة من سرعة في التنفيذ وخفض في الكلف، خصوصا المتعلقة بالانهاءات الخارجية.

6- التوجه نحو اعتماد الأبنية السكنية متعددة الطوابق ذات ارتفاع مابين (3- 4) طوابق من اجل المساهمة الفعالة في مواجهة الحاجات السكنية المتراكمة.

7- الاهتمام بدور القطاع الخاص للمشاركة بالاستثمار في قطاع السكن خصوصا بعد ان تم إصدار قانون للاستثمار في العراق، والعمل على تسهيل الإجراءات في هذا المجال، وإقامة نظم الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص.

8- الاطلاع على التجارب لبعض الدول في مجال قطاع السكن والاستفادة منها لتطوير واقع قطاع الإسكان.

9- إعطاء الأولوية لمشاريع المجمعات السكنية في التسهيلات المصرفية والاعفاءات الضريبية وتسهيل معاملات الاستيراد لغرض ترغيب المستثمرين للتوجه إلى هذا المجال.

10- عند تنفيذ المجمعات السكنية العمودية ينبغي ان تنفذ معها كافة المتطلبات كي يصبح السكن في هذه المجمعات سكنا لائقا ومريحا ومحققا لأهدافه.

11- ان موضوع تخصيص وتهيئة الارض السكنية بشكل عام ينبغي ادارتة وتوجيهة من قبل الحكومة المركزيه والحكومات المحليه.

المصادر

(1) Orville and Grimes , Jr. " Housing of low income urban families " ,Economic and policy in the development world , 1979, P 42.

(2) Oktay Ural , " Construction of lower cost housing " , Wiley series of construction guides , 1st ed , John Wiley& Sons press , 1980, P 5.

(3) احمد، اميرة جليل، " مؤثرات تخطيطية وتصميمية لمواقع المجمعات السكنية المحلية واطئة الكلفة "رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد ،2004ص (6-7).

(4) هوشيار، فائق، " الاسكان العمودي وقانون التسجيل العقاري "، مجلة العدالة، العدد الاول، 1975ص 55.

(5) التكريتي، اياد محمد صالح، " تخطيط الاسكان العمودي بمدينة بغداد في ضوء المتطلبات الاجتماعية"، رسالة ماجستير مقدمة الى مركز النخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد،982ص 33.

(6) الملا حويش، لؤي طة، " تأثير نمط الإسكان الجديد على السلوك الاجتماعي " اطروحة دكتوراه، مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا، جامعة بغداد، 1999ص 36.

(7) حيدر، فاروق عباس، " تخطيط المدن والقرى "، جامعة الاسكندرية، 1994ص 87.

(8) Chad Wick, George , " Asystems View of planning , Towards the Theory of the urban and Regional planning process " Pergamon Press , 2nd Edition , England , 1978, P349.

(9) Chapin , F.S, " Urban Landuse Planning " , 2nd Edition, university of Illinois press , USA , 1976, P3.

(10) Davis, P. Kenneth, " Mc Graw , Hill Book Company, USA, 1976, P285.

(11) Keeble , Lewis , " Principles and practice of T0wn and country planning" 4th Edition, The Estimates Gazette Ltd, London , 1976, P99.

(12) Murphy , Raymond E., " The American City-An Urban Geography " , Mc. Graw Hill-Inc. NewYork , 1971 P369.

(13) امانة بغداد، " التصميم الإنمائي الشامل لمدينة بغداد حتى سنة 2000 " بغداد، دراسه غير منشوره , 1983 ص12.

(14) الحيدري، سناء ساطع، " التجديد الإسكاني " رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الهندسة، جامعة بغداد، 1981ص 52.

(15) Niedecorn, John. H, and Edward F.R. Hearle, "Recent Landuse Trends in forty-eight Large American Cities ", 1973, P 122.

(16) J.A.Everson and P.F.Fitzgerald, " Inside The City" Longham second Impression Hongkong 1973, P 114.

(17) الجنابي، صلاح حميد، " استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية عن الموصل الكبرى " مطبعة جامعة الموصل ،1985ص 52.

(18) الهيتي، صالح فليح حسن، " تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى للفترة من (1950– 1970) "، مطبعة دار السلام، بغداد، 1976, ص255.

(19) الهيتي، صبري فارس وصالح فليح حسن، " جغرافية المدن " مطبعة جامعة الموصل، 1986, ص 255.

(20) المؤسسة العامة للاسكان، دائرة التصميم والدراسات، " دراسة احوال سكنة العمارات السكنية في زيونة "، الرصافة، دراسه غير منشوره , بغداد، 1982 ص9.

21-http://www.tortp.gov.eg/arabic/site.htm

Abstract

Horizontal expansion of a city in it self considered as a problem, because that's lead to waste of the urban land and go too far to the agricultural areas, as a result for that the percentage

of land used for population settling purposes will be more than any other usage of land in the city. Due to that many countries start using the vertical (multi-stories) constructions (3 - 4) stories, because of the efficient characteristics of these buildings and suitable residential densities. Such group of complexes would be a comfortable place to live with achieving the best standards and conditions of housing. The constructions of such edifices reflect a well civilian and urban phenomena development and it's proudness for the owners and residential people. This research is supported by a field (case study) of certain housing (multi-stories) complex which is a building consists of housing units organized in stories that represent the vertical construction.

DECLINE OF THE AMERICAN DREAM IN SCOTT FITZGERLAD'S *THE GREAT GARSBY*

Dr. Hamdi Hameed Yousif
Tikrit University

Dr. Sirwa Baba-Ali Barzanji
University of Salahaddin

I.1. ABSTRACT

Though the American Dream has been frequently studied, the decline of the American dream in the works of Scott Fitzgerald has never been explored in depth. This paper, therefore, is an in-depth study of Scott Fitzgerald's *The Great Gatsby* (1925). It tries to explore Fitzgerald's attitude to the American Dream and his reflections on, and disapproval of the American dream and it seeks to show the reflection, and the decline of this dream in Fitzgerald's novel *The Great Gatsby*

Through a critical analysis the paper reveals Fitzgerald's disbelief in, and disapproval of, the American Dream. Most of his novels depict the individual decline reflected in the moral decline of a society which has achieved superficial success, but has lost the commitment and purpose necessary to achieve a genuine American dream.

I.ii. PLOT SUMMARY OF *THE GREAT GATSBY*

There is no doubt that *The Great Gatsby* is Fitzgerald's most popular work due to its complexity yet ability to entertain. The novel is Fitzgerald's most complicated and sophisticated piece of writing and clearly offers readers the climax to the erosion of the American dream as seen through the eyes of Fitzgerald. He "draws a number of antithetical relations between the idealism and visionary self-aspirations of the mythic American West and the sham and vulgar materialism of the

civilized present symbolically signified by the modern wasteland of the urban industrial East" (Greasley 200).

Told through the eyes of one of Gatsby's neighbor, Nick, who is originally from Minnesota, readers get a glimpse into the lives of the residents who inhabit the East and West Eggs. Nick introduces readers to a world full of complexities, faded dreams and strict class boundaries as he continues to explain the connections between the various characters in the novel. It is revealed that the seemingly perfect, all American couple Tom and Daisy are not exactly what they appear to be. The mystery deepens when it is revealed that the driving force behind Gatsby's success is his undying passion for Daisy. The protagonist of the story, Jay Gatsby remains a mystery throughout the course of the novel due to the fact that no one exactly knows where he came from or exactly how he generated his wealth.

By introducing these conflicting characters and varying viewpoints of the same world, Fitzgerald immediately grasps readers' attention and drags them into the real and ideal worlds:

> The reader is exposed to Daisy, Tom, Jordan Baker, and the Wilsons, is transported through the valley od ashes and into Myrtle's Manhattan apartment, and gets a fuller glimpse of Gatsby during the first party at his house. The chief results, aside from heightening one's interest in the mysterious Gatsby, are the various juxtapositions of beauty and squalor, peace and violence, vitality and decay—in short, the intensifying of the central contrast between the ideal and real (Bruccoli 1985: 94).

Readers get exposed to the secret passion which Gatsby harbours for his long lost sweetheart Daisy and are presented with another conflict, between innocence and greed. Fitzgerald's portrayal of Gatsby's love for Daisy is an obvious reversion to the innocence of the American dream in its pursuit form, while his need for riches and extravagance indicates the newer and harder

reality of the dream. Fitzgerald continues to expose the new, and failed version of the dream by the further development of the Buchanan's, especially Tom who is revealed to be no more than a bully who does not let any one, especially women, stand in his way of what he thinks he is entitled to. Daisy's fickleness and her hot and the cold attitude with Gatsby's reveals that she is a fraud who is not a victim but rather a perfect match for the greedy and heartless Tom.

On the surface, it seems as if Daisy may be willing to abandon her sheltered and comfortable life in order to take a risk and return the love that Gatsby has harbored for her for so many years, unfortunately, this turns out to be nothing but an illusion. When it finally seems that Daisy will forsake, the restrictions that are placed on her, she falls back into the trap of doing exactly what society expects her to do and neglects the outsider. Daisy's refusal to admit her feelings for Gatsby and her placing the blame on Gatsby for the car crash that killed him, suggests that she is no more than a spoiled child and a symbol of the corrupted American Dream.

Nick realizes that he is not strong enough to handle the new version of the American dream as exposed by the Buchanan's and reverts to a simpler time in his life thus indicating that he wishes to recapture, the old innocent version of the American dream, "ultimately confronted by an historical, ideological and personal impasse. Caraway thus observes that he, no less than Gatsby and other transplanted Westerners in the novel possessed some deficiency that rendered him subtly inadaptable to Eastern life" (Greasley 200). Fitzgerald is attempting to convey that despite the lure of the new American dream it comes with a price. Gatsby paid for it by his death and if Nick does not escape, he too will pay for it in one form or another.

I.iii. DECLINE OF THE AMERICAN DREAM IN *THE GREAT GATSBY*

Even for those who are not familiar with the works of Fitzgerald, it is painfully obvious that there is no escape from his most popular novel *The Great Gatsby*. Fitzgerald conceived the idea of the novel in the spring of 1924 on Long Island (Bruccoli and Smith, 2002: 21). While writing the book, he was convinced that it was better than any previous American novel ever written.

Although Fitzgerald claimed that this novel was pure imagination rather than a reflection of his experiences, upon inspection it becomes clear that Fitzgerald could not help bringing his personal experience into the equation. Like the scenes of grandeur that exist within the pages of *The Great Gatsby*, Fitzgerald himself was living a life of luxury at the time the novel was in progress. Like the world he wrote so convincingly about throughout the pages of the novel, he had the opportunity to live in for real, as Bruccoli comments on this:

> He was at the beginning of a decade in which he would be one of America's best-paid writers of fiction, but money kept vanishing as though at the command of an evil sorcerer. Renting a mansion on Long Island Sound could not have helped, of course, nor could driving into Manhattan for parties and hotels, or living next door to his friend Ring Lardner, a notorious alcoholic. Or a staff that included a live-in couple, a nurse for the baby, and a laundress (Bruccoli, 1985:21)

It is clear, from the type of lifestyle, that Fitzgerald was leading at the time he wrote *The Great Gatsby* that he firmly believed that the American Dream revolved round the principles of excess and pleasure. As indicated in the above quotation, although Fitzgerald was making real money during his life time, it was not enough. The more he made the more he seemed to spend on things he would never have been considered before his new found wealth. His money kept on disappearing thus indicating that the new and materialistic version of the American

dream was nothing more than an illusion that would disappear as soon as the glitz and the lure eroded. During this particular time he was in a state of depression that somewhat impaired him from achieving the results that he desired. It can be argued that because of Fitzgerald's own ongoing personal battles, he subconsciously knew that the American dream that he had held so dearly onto all of these years was coming to an end.

For it is clear that Fitzgerald wanted a luxurious life not only for himself but also for his beloved Zelda and was not afraid to work for it, “I really worked hard as hell last winter—but it was all trash and it nearly broke my heart and my iron constitution” (Petry 103).

The context in which Fitzgerald wrote this particular statement was in the form of a letter to an old friend. During this particular time, he was in a state of depression that somewhat impaired him from achieving the results that he desired. It can be argued that because of Fitzgerald’s own ongoing personal battles, he subconsciously knew that the American Dream that he had held so dearly onto all of these years was coming to an end.

The type of lifestyle that he had held on to all of these years could no longer be maintained, since the strain was too much for any man to bear thus indicating that he himself was the living embodiment of the failure of the American dream:

> In the background of both author's work as reminders of that moralistic and idealistic strain of Americans who populated a wilderness and created its Washingtons and Lincolns. But the society each saw around him was one in which that kind of American was hard pressed to withstand the amoral and materialistic drive for power that characterized American success. The tragic hero set forth in Gatsby is really the American failure, failing to hold to the course of power that wins success and failing, moreover, because of the strength of idealistic illusions (Bruccoli, 1985: 96)

Almost like an omen indicating the end of an era, when *The Great Gatsby* was first published (1925), it was poorly received by the general public generating revenue of a mere $7000 dollars for Fitzgerald in his lifetime. The two main reasons for its commercial failure were its weak title and the lack of any really important women characters as (Perkinson 17) points out.

Due to a variety of factors and a renewed interest in Fitzgerald, *The Great Gatsby* somehow managed to rise to success in the late 50s not only in America but also in Britain. Instead of being a mere observation of a decade, perhaps one of the main reasons for its modern day appeal is its ability to transcend any preset boundaries and lets readers decided the message they would like to take away from it, Prigonzy argues that

> *The Great Gatsby* published in 1925, seems to speak directly to its current audience about love and freedom. Yet the ideas that we bring to the story may not be the ideas that the story brings to us. The book was written before most of its readers were born. It inhabits a different world, with barriers between men and women, Protestants, Catholics, and Jews, rich and poor, capital and labor, educated and half literate. It was a more defined and morally harder world then (Prigozy , 2002: 79)

Keeping the above analysis in mind, it is obvious that *The Great Gatsby* is not a light hearted love story but embraces the struggle of many seemingly glamorous individuals to fit the expectations of society. Although it was written at a particular time period in American history, not much has changed in terms of the message it represents and sends to readers.

The vision of the American Dream that *The Great Gatsby* represents is clearly multifaceted but focuses specifically on how the new dream requires the loss of morality and freedom. It is important to note that although Fitzgerald writes so passionately about the losses of life and failures, he also exposes readers to the

inner working of elite classes, social groups and organizations and the disappointments that they face once they realize that their dreams are nothing but illusions, "The Great Gatsby became a profound examination of not only the American dream but also an examination of the members of a certain social group or class who have been disappointed by their own expectations" (Stanly 16). It can be argued that the novel became such a success after Fitzgerald's death because of the time period that had elapsed between its publication and the time period in which people were finally able to see the connection between Fitzgerald's works and the economic failure due to loose morals and greed.

Fitzgerald started out writing relatively simple prose with straight forward characters, however, with each novel, his perspective started to expand as his characters became increasingly complex and multifaceted (Donaldson: 16). The character of Nick acts as the narrator and ultimately the observer of society and its restrictions and limitations, "Fitzgerald's sensitive recording of a specific and special world, as envisioned and judged by a particular and special intelligence, Nick Caraway, must have escaped many of his contemporaries" (Garrett 130) The character of Nick himself bears striking similarities to Amory in *This Side of Paradise* not only because of his well off background but also because of his seemingly aimless outlook on life and the future. The character of Nick can be an extension of the men who were so common in the lost generation, drifting from one location to another while feeling passionate about everything and nothing at once. Thus Gross describes him as follows:

> Before he meets Gatsby , he is already detached and at loose ends. He turns thirty during the course of the novel. He is unmarried and no profession or specific ambition. He has come to the East with a rather lukewarm intention of going into the bond business, and has left behind a girl for whom

> he has no stronger feelings than friendliness to whom he wishes to avoid commitment. Like Gatsby, he has gone through World War 1, a permanently disorientating experience for many men of his generation. In 1922, four years after the war, he still feels unsettled (Gross 3).

Nick is an accurate representation of the Lost Generation that Fitzgerald wrote so passionately about in so many of his previous novels. Although he comes from a decent background, he has no particular direction or aim that keeps him in one place for more time than is necessary. Perhaps it is his detachment from his settings and environment that makes him the perfect narrator. His vision has not been scarred by a personal agenda, as Pelzer points out:

> Nick Caraway's first glimpse of Daisy Buchanan and Jordan Baker, for an instant, utterly fixes them as representative of their class. Similarly, Caraway's description of Gatsby's car is an evocation of the owner's psyche rather than a recitation of make and model….In the end, Fitzgerald's style--the rhythm of his sentences, the precision of his language, the intensity of his poetic phrase--is an elegant signature that defines his fiction as distinctly as his characters (Pelzer 33).

The above statement is very important because it reminds the reader that what Nick is relating to the audience is not what he chooses to see but what is actually taking place in front of his eyes. His assessments of circumstances are not biases but rather an accurate reflection of what is happening to him in a particular time and place. Another reason why Fitzgerald chose Nick as a narrator and gave him mid-western background is because of his own sentimental feelings towards the particular region and how it shaped his vision of the American dream,

> Fitzgerald's treatment of the Midwest is neither cynical, critical, nor antiprovincial. It is rather the point of departure in Fitzgerald's own self-fashioned quest for achievement and success. Thus, if not necessarily the stuff dreams are made of, still for Fitzgerald and so many of his

protagonists, the Midwest is ultimately the place where those dreams were imaginatively formed and shaped, if only to be played out elsewhere, most often to disillusioning and disappointing effect (Greasley: 200)

Fitzgerald clearly introduces readers to two very different versions of the American dream within the opening chapter of the novel which are divided not only socially but also geographically as West Egg and East Egg. Nick's description of the Eggs is crucially important on a variety of levels because it not only provides a physical description but also a social description of two completely different societies, and thus dreams. The two Eggs are described by Nick as

> they are not perfect ovals—like the egg in the Columbus story, they are both crushed flat at the contact end—but their physical resemblance must be a source of perpetual confusion to the gulls that fly overhead. To the wingless a more arresting phenomenon is their dissimilarity in every particular except shape and size (*TGG* 4).

The gulls are representative of the outside observer who is not familiar with the social construction of the two societies. To the casual observer, the two Eggs are seemingly identical because they are a heaven to the rich and privileged of America, they are not different from each other. However, to the insider, such as Nick, the two Eggs could not be more opposite and thus have nothing in common than their physical exterior. The West Egg, where Nick resides is the new version of the American dream that is based on principles of new found wealth and is represented by the new money flash of Gatsby's mansion:

> The one on my right was a colossal affair by any standard—it was a factual imitation of some Hotel de Ville in Normandy, with a tower on one side, spanking new under a thin beard of raw ivy, and a marble swimming pool, and more than forty acres of lawn and garden. It was Gatsby's mansion (*TGG* 4).

The fact that Nick describes Gatsby's mansion as a factual imitation of a hotel signifies that Gatsby himself is replicating

those born into privilege and wealth. He is no more than a generic representation of wealth rather than the real thing.

In stark contrast to the West Egg, there is the East Egg which is just over the bay but is an entirely different world. The people who inherit the houses of the East Egg represent the glamour and lure of old money thus symbolize the old ideals of the American dream and all of the privileges that come with money. Nick describes the houses in the East Egg as, "Across the courtesy bay the white palaces of fashionable East Egg glittered along the water" (*TGG* 5).Nick shows his outright admiration of the houses by using the words "palaces" and the word "glittered" suggests that that world of the old money rich is one that appears to be perfect and absolutely untouchable, at least from the outside. On the outside, one can assume that the West Egg is the new version of the American dream because of the different social classes of people who live there. In reality, both of the Eggs are homes to the people who have been failed and disillusioned by their dreams.

Nick does not reveal much information about the title character, Gatsby from the get go but rather starts his character descriptions with the inhabitants of the East Egg, mainly the Buchanans. Tom and Daisy are perhaps the textbook definition of the spoiled American dream. When children all across the globe watch films and read books, they are more than likely to encounter numerous Toms and Daisies, although the names might change and the hair color a shade or two darker or lighter, the fact remains, this couple that Fitzgerald so clearly describes through Nick is the classic embodiment of the all American couples. So Fitzgerald describe Tom as

> her husband, among various physical accomplishments, had been one of the most powerful ends that ever played football at New Haven—a national figure in a way, one of those men who reach such an acute limited excellence at twenty-one that

everything afterward savors of anti-climax. His family were enormously wealthy—even in college his freedom with money was a matter for reproach—but now he'd left Chicago and come East in a fashion that rather took your breath away: for instance, he'd brought down a string of polo ponies from Lake Forest. It was hard to realize that a man in my own generation was wealthy enough to do that (*TGG* 5).

Nick's initial description of Tom is equivalent to that of a god-like figure who is perfect in everyway. All aspects of Tom's background indicate that he is the embodiment of the classic American dream. His wealthy background, good looks, academic and athletic achievements put him on a pedestal. To Nick, it is hard to imagine how someone who is almost the same age as himself could be so wealthy and well accomplished. The American dream that Tom lives is equal to that of the innocent Amory as he went off to Princeton. His world is full of privilege and entitlement; there is nothing, absolutely nothing that he cannot have.

The first indication that Tom is not everything that he appears to be and that he and Daisy do not have the perfect, cookie cutter marriage appears in Chapter Two. The reality behind Tom's perfect exterior is no more than ugly, bully who uses those around him to give himself greater power and control. Although Tom has everything that a man can desire, he is not happy. Even though he has a beautiful wife and money, he needs to make himself feel superior by having an open affair with a married woman while mocking her husband at the same time.

Tom's desire to have it all extends to having an affair but then restoring to breaking his mistress's nose when she mentions his wife. Tom is so lost and utterly deprived of any sense of himself that he does not know what he wants.

The all American man has transformed himself into a brutish bully who is bored by his position and circumstances that

he strives to create drama in even the most mundane of situations. Gross supports this idea:

Tom Buchanan is almost a caricature of the American Dream. He is wealthy and physically powerful. He has played football excellently at an Ivy League school and has married a beautiful woman. Butt he is also stupid, brutal, and bored, mouthing ideas that he has stolen, and cannot even remember correctly from third-rate books (Gross 11).

The character of Tom is easy to pity because he does not realize how tragic he is. He has no idea how lost he has become or how his lack of humanity has transformed him into an utter monster who has no remorse for causing hatred and murder. Tom's mockery of others and his use of force to demonstrate his power indicate that his dreams have faded. He has become a victim of his own world. The glamorous life that everyone around him seems to envy is no more than a mere lie, an empty facade that has no real value or depth.

The seemingly perfect life of Tom has put so much pressure on him that he has become a hungry monster who constantly needs to prove him. He needs to exercise power and control over those around him in order to prove that he has it all. His station in life and society has taught him that he is entitled to anything that he desires thus he knows no limits or boundaries and is incapable of showing others any sort of compassion or sensitivity. In short, Prigozy rightly argues that

Tom has become a bloated image of the perfect all American male. His good looks and wealth provide a perfect cover for his lack of direction and meaning, Tom drifts, like each of the characters, some elusive moment of happiness--for him, it is the wistful search for the dramatic turbulence of some irrecoverable football game. By the end of the novel, Tom comes to symbolize the impenetrable wall of old money class that Gatsby is barred (Prigozy, 2004: 27)

Perhaps, what makes Tom even more frightening is his lack of education and his misadjusted attitudes that come across

as wholly racist, “Tom, incidentally, is a man born into wealth and former football hero, whose sense of anti-climax since his days of sporting glory has tempted him to embrace racist ideas for explanation and excitement, to convince himself that he is not stale and past it” (Gray 437). Due to his class and social status, Tom is convinced that the old, white American classes need to be protected from outsiders. Much of Tom’s cold attitude towards Gatsby comes not only from his jealously over the relationship between Daisy and Gatsby but also from his feeling of being threatened by the new self made American man.

Gatsby threatens Tom’s American dream because he is a bit of an outsider with no real connections to the world of old money. If men like Gatsby can become rich and powerful in their own right, to Tom, this indicates that his social position is no longer special and unique. If the poor can rise to the top then there is no longer a distinction between his world and their world. The only thing that makes Tom special and unique in any way is his money and his family name. it is obvious that Tom is a corrupted version of the American dream because he lives and acts in a manner which indicates that he has no morals. His lack of morals has made him into a hateful person who clings to previously set standards and barriers which are in irrelevant. His only identity is defined by his color and status thus it is imperative that he does not lose the only thing that vainly separates him from the masses, therefore;

> The idea is if we don't look out “the white race will be--will be utterly submerged," a statement whose characteristic use of the dash emphasizes the anxiety that underwrites American nativism in the 1920s, its sense that the process of Nordic "submersion" by an ever-expanding “colored empire" may already be underway. What the dash in Tom's statement represents is what, for him, would be unspeakable-miscegenation, a process through which "whiteness" and "color" become undifferentiated, through which "race" itself

> and the white race in particular, becomes indeterminate. For Tom, it is Jay Gatsby in particular who represents a mode of racial indeterminacy or "vanishing" that threatens to violate not only the immediate community of East Egg but also the very concept of Americanism itself (Flanagan, “Fitzgerald’s Radiant World,” 2006).

To Tom, the success of Gatsby is the end of his American dream. The dream of living in a country where those born rich stay that way , while the poor stay poor, is the very essence of his dream. Tom’s actions, his hate and his lack of direction have made him a prisoner of the glamorous world which he so desperately clings to, but the harsh reality is that it is the only world that he knows. Without the illusion of happiness, and the use of money to ward off boredom, Tom is a broken man who is envied by none. To Tom, the procreation of his dreams and his lies is essential to his existence and his survival.

Daisy's character is initially portrayed as a wilting flower that needs to beloved and taken care of. She is the ultimate goddess who has been the object of Gatsby's love, devotion and dreams but in the end, she is a disappointment. To Gatsby, Daisy is beautiful, intelligent and graceful and embodies all the qualities that are worthy of love and riches. In reality, Daisy harsh, jaded and bitter. Throughout the novel Fitzgerald drops hints of Daisy's disillusionment such as the time when she wishes that her daughter would grow up to be a fool because according to her that is the best thing for a woman to be.

Like Gatsby, daisy has been disappointed by her dreams but unlike Gatsby, she transforms her disappointment into bitterness and resentment. At the beginning of the novel it is clear that she never really wanted to marry Tom but did it out of some sort of social obligation, but she didn't say another word:

> We gave her spirit of ammonia and put ice on her forehead and hooked her back into her dress, and half an hour later, when we walked out of the room, the

> pearls were round her neck and the incident was over. Next day at five o'clock she married Tom Buchanan without so much as a shiver, and started off on a three months' trip to the South Seas (*TGG* 61).

Initially, her whole marriage to Tom seems rather forced and necessary rather than being based on any sort of real love or passion. She is fully aware that her husband is unfaithful to her but does not make any efforts to confront him as long as she is safe and secure in the lap of luxury. In other words, her dreams have been replaced by harsh reality. She realizes that the world is not simple as she thought and the only constant thing is money.

When Gatsby comes back into her life , it appears as though Daisy has been reconnected with her dreams of a life, which includes both love and luxury. When Daisy realizes that she may have another chance to have the life that she always dreamed of, she does not hesitate and wait but decides to take action right away. She knows from experience that if she waits Gatsby's attentions may turn towards another, "some authentically radiant young girl who with one flash glance at Gatsby, one moment of magical encounter, would blot out those five years of unwavering devotion" (*TGG* 87).

At first it may seem that Daisy has finally been reformed and reverted to the ideals of her youth but as the story progresses it becomes clear that her dreams have been permanently replaced by practicality. After the car accident, she is happy t let Gatsby take the blame for the crash even though she was the one driving. In the end, it becomes clear that Daisy's love for Gatsby was a pathetic attempt at revenge against Tom rather than true devotion. She runs back to the Toms rich arms and does not look back. Daisy and Tom do not even attend Gatsby's funeral thus showing the reader the depth of their selfishness. In reality, she is neither certain nor sure of her true desires, (Flanagan, "Fitzgerald's Radiant World," 2006)

Fitzgerald cloaks his title character with an air of mystery and then introduces him in an extravagant, over the top party which he hosts. Every aspect of the party, including Gatsby’s house is symbolic of the flash and the urge that screams new money. Everything about Gatsby’s existence embodies his perception of the American Dream which is an ironic two-fold combination of the new dream of material wealth and the traditional and innocent dream of having the ability to reach any of one's goals through hard work and determination. Indications that both of his visions of the American dream are failing are present almost immediately. On a materialistic level Gatsby fails to recognize that despite his desire to buy riches, he cannot buy acceptance or class or family name since he is still "Mr. Nobody from Nowhere" (*TGG* 136). Therefore his attempts at impressing the old money class are thin and easy to deconstruct:

> Gatsby’s house may have indeed been a houseboat sailing up and down the Long Island Coast, as the rumors contend, Material without being real; it is both intangible and monstrously tangible as his dream. To Gatsby himself, it is never real, unless for the moment he wondrously discovers it while showing it to Daisy, who at once sees the house grotesque and dislocated from its place (Callahan 53).

Despite, the grandeur and luxury that surrounds him, Nick notices that Gatsby appears to be wholly distant from the scene around him. He does not seem to drink or socialize very much with the other guests. It seems almost as if Gatsby is watching a film rather than living his true life. Instantly, it is obvious that Gatsby is more of a dreamer than a realist, although he strives to achieve material success.

The most interesting aspect of Gatsby is his ability to gain Nicks approval despite the narrators aversion to the lifestyle of Daisy and Tom, Nick finds it hard not to like Gatsby, “He smiled understandingly—much more than understandingly. It was one of those rare smiles with a quality of eternal reassurance in it,

that you may come across four or five times in life" (*TGG* 40). From the instant Nick meets Gatsby he feels an instant connection to him and a sense that despite the false lifestyle surrounding him, he is a good and honest man. This is important because it at once shows the differences between the two worlds of Tom and Daisy compared to that of Gatsby.

Although Gatsby is materialistic on the surface, internally, he is still pure because he has not lost sight of himself. His wealth is simply a cover for a bigger desire or dream; he does not fully immerse himself into his parties and the happenings around him because he knows that it is not what will make him truly happy. Gatsby's outlook on wealth is entirely different from that of Tom and Daisy who have become prisoners of their own social standing and their own wealth. They are defined only by money and have no greater sense of themselves since they have never had to work or dream for anything greater in their lives.The title character Jay Gatsby is introduced to the readers as a fun loving, typical WASP. However, as the story develops Gatsby is revealed to be more than he appears to be. In Chapter Four, Gatsby's character becomes both clearer and yet more confusing and indefinable. As Nick is further entangled into Gatsby's world, he realizes that all assumptions that he made about him have gone out of the window. Handley comments on this:

> Within Nick's narrative energy, Gatsby's Unwitting imbrications in the national idea Makes him, indeed, great as both sacrifice and ideal, as both fraud and fantasy made real He serves a culturally symbolic project of reconciling American idealism and greed (Handley180).

Gatsby himself does not reveal who he truly is; instead he continues to present conflicting images of himself to Nick. Gatsby, so desperate to fit into the world of old money, lies to Nick and tells him that he comes from a well off family from the

Midwest. At first glance this may seem believable but Gatsby shatters the illusion by mixing reality with lies.

Instead of presenting himself as a believable character, it seems as if Gatsby is almost playing with Nick and pushing his absurd lies to the limit just to see how much Nick will actually believe. One of the reasons that Gatsby may employ these tactics is because he is so convinced that money can buy everything, he no longer needs to tell people the truth.

Gatsby's stories are a humorous but sad reflection of the society he lives in, where people do not respect honesty as much as they respect material wealth and riches. At this point, Gatsby may also tell Nick these lies in order to find some sort of connection with his new friend. The reality is that Gatsby has no true sense of how he should portray himself since he does not come from old money, the only image he can present to others is the one that he believes that they will find acceptable.

Since he cannot reveal his humble roots to those that surround him, he must present himself as a believable illusion, unfortunately it becomes clear that Gatsby's dream of fitting into the world of old money is never going to become a full reality because he has no true sense of what that particular world is constructed of:

> Gatsby has created himself, literally patched himself out of popular ideas and books about self improvement and success that he encountered during his difficult journey from youth to manhood. His attempt to link his background with Nicks-- he says that he is the son of wealthy parents from the Middle West, educated at Oxford as the family tradition (Prigozy, 1998: 27).

Upon closer inspection, Gatsby's desperate desire to fit into the world of old money is almost embarrassing because it is so contrived. Like Tom who has become an inflated version of the old money American Dream, Gatsby himself has also become an inflated version of the new money American Dream.

Everything about Gatsby’s lifestyle and possessions indicate that he is trying to convey the message that he is living the all American Dream. Everything about Gatsby's lifestyle and possessions indicate that he is trying to convey the message that he is living the American dream. His house is too big and somewhat tacky, his cars are too flashy and his language which is filled with phrases like old sport is rather precontrived.

In order to ignore the essential emptiness of his materialistic existence, Gatsby surrounds himself with people he claims are interesting but in reality are just as self absorbed as he is. The dream that he worked so hard to achieve does not exist but he is so caught up in his own determination to notice. Although Gatsby has thrown himself fully into his dream, he constantly remains an outsider and an observer thus indicating that he can never really belong to the world he strives to be part of (Hensley 13). Fitzgerald reveals Gatsby’s true background as the novel progresses and thus dramatically changes the entire dynamics of the novel. It is revealed that Gatsby quits college because he could not bring himself to work as a janitor in order to pay the tuition. From this, the reader catches a glimpse of the traditional American dream in which the ordinary person can achieve great success. Fitzgerald transformed a typical, rich character into a character that dreamed, struggled and fought for what he wanted.

Gatsby rejects the concept of class and race in equation to success. He changed his name from James Gatsby which has tones of Jewish ethnicity into Jay Gatsby which is a typical WASP name. Gatsby’s ethnic origins remain a mystery throughout the novel; he is perceived to be a bit off-white. This perception is brought to reality after his death which is said to be holocaust-like (Will, “The Great Gatsby and the Obscene Word,” 2005).

Instead of being bound by his perceived limitations Gatsby ignored them and was determined to take what was rightfully his, Daisy and a life of luxury. He threatens the distinct border between the privileged white upper class and the poor immigrant classes. He changed his manner of speaking and transformed it into old money language peppered with phrases such as old sport. Although, Gatsby dreamed of being a valid member of the white upper class, he did not fully convince everyone. His speech is contrived which Fitzgerald shows by the constant use of dashes after one of Gatsby’s old money phrases and his ethic origins are constantly a matter of speculation between the other characters.

The most striking difference between Tom and Gatsby is not only their personalities but also their perspectives on money. To Gatsby, money is everything because he never had it while growing up thus it becomes the main aspiration behind all of his hopes and dreams. Also, To Gatsby, the quest for money is endless because only money can buy love and happiness. To Tom, money is a non issue because he has never been without it. Tom does not have to think about buying anything thus does not see Daisy as any sort of prize but as his right. Although the desire for money puts Gatsby in an ambitious place and gives him the ability to treat those around him with more compassion, it also makes him prone to illusions and obsessions that focus too heavily on material possessions and desires. Bruccoli convincingly argues that

> Gatsby’s on the other hand, is new money, money in the process of being acquired. This newness gives the money some sort of purpose and vitality: to win Daisy. But there is a danger for Gatsby in this redeeming purposefulness. When he buys a fantastic house, he thinks he is buying a dream, not simply purchasing a property. This makes Gatsby a more sympathetic man than Tom, but it is sympathy that he projects at the price of naiveté; he is completely innocent of the limitations of what

money can do, a man who we feel, would believe every word of an advertisement (Bruccoli, 1985:51).

Gatsby did not want to be classified and bound by his ethnic origins and humble background but wanted to be on equal footing with the white Americans. He saw the world and dreamed of it not from the eyes of the privileged, "I became aware of the old island here that flowered once for Dutch sailors' eyes--a fresh, green breast of the new world. Its vanished trees, the trees that had made way for Gatsby's house, had once pandered in whispers to the last and greatest of all human dreams" (*TGG* 173). The shocking revelation of Gatsby's background defines the very essence of the new American Dream, the opposite of the one that Daisy and Tom cling to. This American Dream is not based on entitlement but rather stems from the principles of hard work, determination and the ability to transform yourself into whomever and whatever you desire to be.

This version of the American Dream is the one that appears in countless modern day novels and films because of its widespread appeal and accessibility. The character of Gatsby managed to transform himself from nobody into one of the most talked about characters in New York.

> Because the meaning of Gatsby's quest and his invention of a new identity to achieve his dream are at the core of the novel, a naturalistic approach would distract readers from those concerns. Thus Gatsby himself not only embodies the Horatio Alger myth of success but all of the stories of self made men which dotted the history of American expansion in the late 19th century. He, is on one hand, a variation of the log cabin boy who, after an early education at the feet of the genuine relic of the expansion, pioneer Dauchee Dan Cody rises to unparalleled wealth and power, and on the other, a modern-day racketeer moving easily between bootleggers and gangsters like Meyer Wolfshiem (Prigozy, 2004: 27).

Aside from dreaming of being a part of the rich, white upper class, Gatsby dreamed of marrying the love of his life

Daisy. The language that Fitzgerald uses to portray Gatsby's love for Daisy as grand and romantic. This version of the American dream is of a more innocent and fresh nature, one which is not driven by money but by emotion. Since for five years Gatsby has been pining for Daisy and the memory of her, to him, Daisy is not only a beautiful woman but she embodies the fantasy of the all American golden girl. Gatsby compares kissing Daisy for the first time to a God-like experience that could never be relived. Fitzgerald used this extreme language in order to portray the extent of Gatsby's ideal dream and his preoccupation with fantasy (Dillard 3).

But Gatsby's perception of the American Dream and the belief in the money is equivalent to the happiness formula that filled his life with lies and complications. After his realization that his dream or the all American dream of wealth does not live up to its expectations, he desires to revert back to the past and hold on to his memory of how he once loved so freely and openly as argued by (Bruccoli, 1978; 49).

As details of his affair with Daisy are further revealed, it becomes painfully obvious that Gatsby is running on pure imagination and fantasy rather than reality. The extent of his intimacy with Daisy before he went off to war is a shared kiss rather than any sort of real sexual relation. Over the course of five years, Gatsby has taken the memory of the single kiss and transformed it into a vast array of possibly. Gatsby has spent so much of his time preoccupied with fantasy and the dream world. But unfortunately, Daisy bitterly disappoints Gatsby and robs him of all his dreams according to Verhoven:

> Gatsby is above all, thr failure of the American dream. Gatsby's obsession with changing the past and returning to a time in which he and Daisy had loved each other and he had the feeling that anything was possible to him, is a powerful commentary on the hubris of the American

> dream, of a New World, while Tom and Daisy Buchanan's, petty, sordid lives amid the tappings of wealth and affluence reflect on the individual level the tragic failure of America itself which has turned the fresh, green breast of the New World into an ash heap (Verhoeven 16).

However, when faced with reality, Gatsby is a bit distraught, "I'm very sad old sport, and Daisy wants us to run off together. She came over this afternoon with a suitcase all packed and ready in the car" (*TGG p?.*). Gatsby has spent so much of his time preoccupied with fantasy and the dream world that he is surprised when reality hits him and he is able to have what he always dreamed of. In other words, Gatsby is afraid that if he has Daisy and his wealth he has nothing more to dream about and struggle for.

Daisy's character is initially portrayed as a wilting flower that needs to be loved and taken care of. She is the ultimate goddess who has been the object of Gatsby's love, devotion and dreams but in the end, she is a disappointment. To Gatsby, Daisy is beautiful, intelligent and graceful and embodies all the qualities that are worthy of love and riches. In reality, Daisy is harsh, jaded and bitter. Throughout the novel Fitzgerald drops hints of Daisy's disillusionment such as the time when she wishes that her daughter would grow up to be a fool because according to her that is the best thing for a woman to be.

Like Gatsby, Daisy has been disappointed by her dreams but unlike Gatsby, she transforms her disappointment into bitterness and resentment. At the beginning of the novel it is clear that she never really wanted to marry Tom but did it out of some sort of social obligation, but she didn't say another word. "We gave her spirits of ammonia and put ice on her forehead and hooked her back into her dress, and half an hour later, when we walked out of the room, the pearls were around her neck and the

incident was over. Next day at five o'clock she married Tom Buchanan without so much as a shiver, and started off on a three months' trip to the South Seas" (*TGG* 61).

Initially, her whole marriage to Tom seems rather forced and necessary rather than being based on any sort of real love or passion. She is fully aware that her husband is unfaithful to her but does not make any efforts to confront him because as long as she is safe and secure in the lap of luxury. In other words, her dreams have been replaced by harsh reality. She realizes that the world is not simple as she thought and the only constant thing is money. When Gatsby comes back into her life, it appears as though Daisy has been reconnected with her dreams of a life, which includes both love and luxury.

When Daisy realizes that she may have another chance to have the life that she always dreamed of, she does not hesitate and wait but decides to take action right away. She knows from experience that if she waits Gatsby's attentions may turn towards another, "some authentically radiant young girl who with one fresh glance at Gatsby, one moment of magical encounter, would blot out those five years of unwavering devotion" (*TGG* 87).

At first, it may seem that Daisy has finally been reformed and reverted to the ideals of her youth but as the story progresses it becomes clear that her dreams have been permanently replaced by practicality. After the car accident, she is happy to let Gatsby take the blame for the crash even though she was the one driving. In the end, it becomes clear that Daisy's love for Gatsby was a pathetic attempt at revenge against Tom rather than true devotion. She runs back to the Toms rich arms and does not look back. Daisy and Tom do not even attend Gatsby's funeral thus showing the reader the depth of their selfishness.

Daisy's character is realistic whereas Gatsby's character is idealistic. Daisy sees the world for what it really is and is not afraid of going out and getting what she desires. She wants

revenge she gets it, she wants money she gets it but most importantly, she knows what she wants. On the other hand, Gatsby lives in a romantic world that has no solid grasp of reality. When faced with reality he is uncertain and unsure of his true desires (Flanagan, 2006).

In order to truly understand what went wrong with the American Dream in this little community made up of the so called rich, it is important to examine the circumstances that revolve around Gatsby's death and the various reactions of the different characters that are involved. For Tom and Daisy, the death of Gatsby is almost a relief, since now they can continue living their lives as they did before. However, they do not realize that they are corrupted and no longer moral. Thus, they have no problem with letting an innocent man die because of their own crimes and greed. The death of Gatsby confirms that once more decay has begun it can never be reversed. Although it is Wilson who actually kills Gatsby at the end of the story, the Buchanans are the ones who are morally responsible. "They are careless people, Tom and Daisy—they smashes up things and creatures, and then retreated back into their money or their vast carelessness, or whatever it was that kept them together, and let other people clean up the mess they made…" (*TGG* 186).

Gatsby destroyed with the tacit connivance of the very rich he has always admired, his dream shattered thanks to the quiet agency of the woman he wanted to dwell at its center, the story is almost over (Gray 438). Nick, on the other hand, reverts back to his narrative duties and describes the death as a loss of perception, "Gatsby's end coincides with a decline in perception. When they gaze at Gatsby's body, only Nick's description of the laden mattress on its accidental course with its accidental burden, suggests the presence of a body and only a thin, red circle in the water" (Hensley 41). To Nick, the death of Gatsby is not so much the death of a human being or his friend but rather the death of a

dream, "In the end, Nick does not seem to care so much about Gatsby as he does about the fact that, after Gatsby's death, the East was "haunted for me….distorted beyond my eyes' power of correction" (Handley 181). Gatsby's death ushers the death of the American dream in all of its forms. After Gatsby's death, Nick sees what Gatsby may have dreamed, since

> his dream must have seemed so close that he could hardly fail to grasp it. He did nit know that it was already behind him, somewhere back in the vast obscurity beyond the city, where the dark fields lf the republic rolled on under the night. Gatsby believed in the green light, the organistic future that year by year recedes before us. It eluded us then, but that's no matter … borne back ceaselessly into the past (*TGG* 188).

In order to further demonstrate how the American dream has died, Fitzgerald reverts back to the use mixed imagery and uses colors to represent how the once innocent dream has been corrupted and died. For instance, the use of colors through out the novel and their meaning transform as the dream begins to die. At the beginning, the color white is meant to represent innocence and purity, "white appears to be the color of purity. When Nick first visits the Buckanans, he sees Jordan and Daisy wearing white dresses. The mansions of East Egg glitter in white. New York rises in white heaps and sugar lumps" (Shuman 532). As the story develops, it becomes clear that color white is a mere illusion for the evil that it covers. The white buildings of New York city are where Tom has his affairs, Daisy's white dress covers her greed and Tom's and Daisy's white mansion covers their evil plan to blame someone else for Gatsby's death.

Like the color white, the color green also takes on a new, corrupt meaning as the dream begins to die. Originally, the color green represents nature and peace. However, as time progresses, the color green turns into a representation of greed and corruption, "the light at the end of Daisy's dock is green. The first

time Nick sees Gatsby, he is reaching out to that object. To Gatsby, Daisy represents youth and the regeneration of springtime, but in the end her green light brings only death" (Parkinson 76). Fitzgerald, this time, clearly conveys that the innocent version of the American dream no longer exists. The white snow that once represented Nick's youth as well as the green tickets that he bought to go home for Christmas are now tainted, "the green breast of the New World flowered once for the Dutch sailors and filled them with wonder. However, Fitzgerald knows that this world no longer exists" (Shuman 535).

Ultimately, *The Great Gatsby* is about the various failures of the American Dream in all of its forms. Gatsby embodies the newer version of the American dream which is based on principles of material wealth as well as the traditional and more romantic and ideal version of attainable goals. For instance, he represents the corrupt version because he adopts corrupt means achieving his dream but at the same time he is still representing the ideal one. More importantly, he was corrupt but he was killed while he tried to be ideal. However, to readers, Gatsby's endless quest for money and his beloved Daisy may come across as slightly exaggerated, yet, one cannot help but feel pity for him as he meets his death.

Since the dreams that Gatsby represented are not simply illusions but desires of a man who wants to purify and glorify the American dream through his attempts to purify Daisy and to bring her back into the innocent and the idealistic time of their love which metaphorically means to purify and clarify the corruption which occurs to the dream itself, the following conversation is enhancing this idea:

> I [Nick] ventured, "You can't repeat the past." "Can't repeat the past?" [Gatsby] cried incredulously. "Why of course you can1" He looked around him wildly, as if the past were lurking here in the shadow of the house, just out of reach

> of his hand. "I'm [Gatsby] going to fix everything just the way it was before," he said, nodding determinedly…. He talked a lot about the past, and I gathered that he wanted to recover something, some idea of himself perhaps, that had gone into loving Daisy. His life had been confused and disordered since then, but if he could once return to a certain starting place and go over it all slowly, he could find out what that thing was… (*TGG* 116).

But the result was Gatsby's death. It is clear that the dream that Gatsby once embraced represented great hope; "he was clutching at some last hope" (*TGG* 154), desire of an entire generation to recapture and restore the ideal American dream and this is what makes Gatsby great. His quest for Daisy is a search for the American dream's destiny. But the price was his life

> He had lost the old warm world, paid a high price for living too long with a single dream. He must have looked up at unfamiliar sky through frightening leaves and shivered as he found … a new world, material without being real, where poor ghosts, breathing dreams like air, drifted fortuitously about (*TGG* 168).

Thus, when Gatsby died, he essentially took the dreams of an entire generation with him and hence signifying the death of the American dream itself. In stark contrast to the pity felt for Gatsby, readers feel disgust at Daisy and Tom who are the representatives of the corrupt version of the American dream. Money and class are their birthright and cannot be taken away from them, no matter how many innocent people get hurt along the way. In other words, they are ready to get rid of any threat which disturbs their materialistic world and kills any one if he tries to purify and clean their corruption.

In this novel Fitzgerald intently wants to prove that this age is the age of corrupt people and exploiters (like Daisy and Tom) and opportunists (like Meyer Wolfsheim). They are responsible for the death of the ideal American dream. Therefore it is very difficult to a man like Gatsby,in this materialistc and

corrupt age topurify, idealize and bring back the glorious time of the American dream. So, this novel is considered the climax of the decline of the dream. It witnesses the death of Gatsby as the death of the dream. Fitzgerald is very determined to clearly show the death of the American dream through direct elaboration of greed, wealth, and immorality as vital factors behind the death of the dream.

I. iv. CONCLUSION

Although, the American Dream started off innocently enough by sheltering the hungry and poor, it suddenly transformed into an uncontrollable monster. Since the American Dream of hope, hard work and perseverance in order to get ahead soon became all consuming. Before America knew it, its innocence, willingness to offer protection to all in need became a shameless display of competition, ill will and a desperate attempt at outdoing the competition at all things big and small. The dream suddenly transformed into the need for money and power rather than ideals.

Money became the distinguishing factor between the worthy and the unworthy. The ideal dream turned to be a corrupt and obsessive pursuit of wealth at all costs. Basically, those who possessed a certain amount of wealth were living the American Dream while those who were struggling were not living up to their potential. Most people in society failed to realize that money did no necessarily equate to success, since not everyone could possibly become a millionaire. Thus, one can conclude that the American dream eventually loses its innocent face and comes to adopt a materialist face, which has caused its decline.

Through his novels, Fitzgerald is able to accurately portray the decline and failure of the American dream in its various stages, from its more idealistic days all the way to its death. The reason why Fitzgerald was so profound in expressing the

development of the dream stems from his own life experiences and their reflection within the pages of his novels. He lived his life as a writer during the infamous Jazz Age and chronicled the impact of wealth and access on the lives of young Americans as well as the traditional version of the American dream.

The Great Gatsby is an interesting novel because it clearly outlines the dual nature of the American Dream as well as its ultimate death. Fitzgerald accurately pictures the double face of the American dream; the ideal (innocent) face as well as the material corrupt one, since the duality of the dream is well represented in the character of Gatsby himself Gatsby represents both the newer and the materialistic version of the American dream which promotes the pursuit of wealth and access at all costs. However, ironically, he represents the idealistic and more romantic version of the American dream that promotes the pursuit of dreams regardless of one's background.

Although it is clear that Gatsby himself promotes materialistic values, he also embodies the hope of possibilities of the reformation of corruption through the traditional and ideal pillars of the American dream. Through the death of Gatsby, Fitzgerald clearly demonstrated the ultimate death of the American dream, therefore, the novel was seen as the climax of the decline of the dream. One can conclude that, when Fitzgerald penned this novel, he himself was facing the backlash of the American dream. His novels and marriage were both off-track and seemed on their way to an ultimate end as reflected in *The Great Gatsby*.

I.V. BIBLIOGRAPHY

Bakker, J, and Verhoeven, W. *Rewriting the Dream: Reflections on the Changing American Literary Canon*. Rodopi, 1992.

Baughman, and Bruccoli, M. *Before Gatsby: The First Twenty-Six Stories*,Columbia: University of South Carolina Press, 2001.

Bruccoli, M, and Fitzgerald, S. *Some Sort of Epic Grandeur: The Life of F. Scott Fitzgerald*, Chicago: Michigan: University of Illinois Press, 2002.

Bruccoli, M, and F. Fitzgerald, *The Great Gatsby*, Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

Bruccoli, M. *New Essays on The Great Gatsby*, Cambridge: Cambridge University Press, 1985.

Callahan, J. *The Illusions of a Nation: Myth and History in the Novels of F. S Fitzgerald*, Michigan: University of Michigan Press, 1972.

Fitzgerald, S., *The Beautiful and Damned.* New York: Penguin Group, 1998.

Fitzgerald, S. and Prigozy, R. *The Great Gatsby*, Oxford: Oxford University Press, 1998.

Flanagan, Thomas. "Fitzgerald's Radiant World." *The New York Times* 13 June 2006.

Gray, R. *A history of American literature*. Texas, Marshall: Wiley-Blackwell, 2004.

Greasley, Philip. *Dictionary of Midwestern Literature*. Bloomington: Indiana University Press, 2001.

Gross, D. *Understanding The Great Gatsby: A Student Casebook to Issues, Sources, and Historical Documents*, New York: Greenwood Publishing Group, 1998.

Handley, W. *Marriage, Violence, and the Nation in the American Literary West* . Cambridge: Cambridge University Press, 2002.

Petry, A. *Fitzgerald's Craft of short Fiction*. Montgomery: University of Alabama Press, 2000.

Prigozy, R. *The Cambridge Companion to F. Scott Fitzgerald*. Cambridge: Cambridge University Press, 2002.

Shuman, R. *Great American Writers: Twentieth Century*. Texas: Marshall Cavendish, 2002.

Stanley, L. *The Foreign Critical Reputation of F. Scott Fitzgerald, 1980- 2000: An Analysis and Annotated Bibliography*, New York: Greenwood Publishing Group, 2004

المستخلص

لقد كتبت الكثير من الدراسات عن "الحلم الأمريكي" إلا أن فشل وتدهور الحلم الأمريكي في روايات سكوت فتزجيرالد لم تكتب عنه دراسة معمقة لحد الآن. ولذلك يحاول هذا البحث دراسة رواية سكوت فتزجيرالد: **غاتسبي العظيم** (1925) محاولة الكشف عن موقف فتزجيرالد من "الحلم الأمريكي" ووجهة نظره فيه وعدم إيمانه به. ويحاول البحث أن يبين كيفية تناول فتزجيرالد لهذا الحلم في رواية غاتسبي العظيم.

تبين الدراسة, من خلال تحليل رواية **غاتسبي العظيم**, عدم إيمان فتزجيرالد بالحلم الأمريكي وعدم قناعته به0 وان معظم رواياته تتناول الفشل والتدهور الفردي متمثلا في التدهور الأخلاقي للمجتمع الذي قد حقق نجاحا زائفا ولكنه فقد الأيمان والدف الضروريان لتحقيق الحلم الأمريكي.

استعمال " قبل " و " بعد "

في القرآن الكريم وصحيح البخاري

م. م. فارس علي صالم

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين وجعله باقيا محفوظا الى يوم الدين على لسان سيد المرسلين وأفصح الناس أجمعين محمد الأمين صلى عليه وسلم رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فلا زال أهل اللغة ينهلون من كلام الله وكلام رسوله أبلغ الحجج والقواعد في علوم العربية كلها. فاردت أن أتناول في هذا البحث دراسة ظرفين من ظروف الغايات وهما: قبل وبعد، من خلال إستقراء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري، ومن ثَمَّ الموازنة بين هذا الإستقراء وبين ما في كتب النحو من قواعد، لمعرفة استعمالهما.

والله أسال التوفيق والسداد للصواب في القول والعمل. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولاً: حالات " قبل " و" بعد ":

يورد النحويون لـ " قبل " و" بعد " أربع حالات:

- **الحالة الاولى:** أن يكونا مضافين، وأن يُصرّح بالمضاف إليه. فيعربان نصباً على الظرفية، أو جرّاً بـ " من ".

وجاء الاستعمال في القرآن الكريم موافقاً لهذه الحالة، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[آل عمران: ٨٦]، وقوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [يوسف: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ[النمل: ٤٦].

هذا وقد ورد مثل هذا الإستعمال في الحديث النبوي، كما في قول النبي(ﷺ): " من ذَبَحَ قبل الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ "[١]. وكقوله (ﷺ): " قال نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يوم الْقِيَامَةِ بَيْدَ كل أُمَّةٍ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِنَا وَأُوتِينَا من بَعْدِهِمْ فَهَذَا الْيَوْمُ الذي اخْتَلَفُوا فيه فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى "[٢].

- **الحالة الثانية:** أن يحذف المضاف إليه، فيبنيان على الضم. ويشترط النحويون في هذه الحالة: "أن ينوى معنى المضاف إليه"[٣].

قال سيبويه: "فأما ما كان غايةً نحو: قبلُ، وبعدُ ... فإنَّهم يحرِّكونه بالضمّة... ويدلُّك على أنْ قَبلُ وبَعدُ غير متمكّنين أنه لايكون فيهما مفردين ما يكون مضافين؛ ولا تقول: قَبْلُ وأنت تريد أن تَبني عليها كلاماً، ولا تقول: هذا قَبْلُ، كما تقول: هذا قَبلَ العَتَمة، فلمّا كانت لا تَمكَّنُ، وكانت تقع على كلِّ حينٍ، شُبِّهتْ بالأصوات وهَلْ وبَلْ ؛ لأنَّها ليست متمكّنة"[٤].

وجاء الاستعمال القرآني موافِقاً لهذه الحالة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ [المائدة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [الروم: ٤]، وقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الطور: ٢٦].

أما الحديث النبوي فقد ورد في مثل قول النبي (ﷺ) :" فيؤتيني عليه ما لم يَكُنْ يؤتيني عليه من قَبْلُ "(٥). وقوله (ﷺ): " فَكُلُّ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ فلم يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حتى الْآنَ "(٦).

وقوله (ﷺ): " لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَمَنْ ابْتَاعَهَا بَعْدُ فإنه بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ"(٧). وقوله (ﷺ): " ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فإن الْفَضْلَ فيه "(٨).

- **الحالة الثالثة:** أن يحذف المضاف إليه، وينوى ثبوت لفظه، فيعربان نصباً على الظرفية، أو جراً بـ" من "، ولا ينونان لنية الإضافة. مثل: (جئتك قبلَ وبعدَ) و(من قبلِ ومن بعدِ).

وفي سياق كلام الفراء عن قوله تعالى: چ ۋ ۋ و و ۋ ۋچ [الروم: ٤]، كما هي قراءة الجمهور(٩)، قال: "فإن نويت أن تظهره (يعني: المضاف إليه) أو أظهرته قلت: لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ، كأنك أظهرت المخفوض الذي اسندت إليه قبل وبعد "(١٠). ونقل الفراء أنّ الكسائي حكى عن بعض بني اسد: (لله الأمرُ من قبلِ ومن بعدُ) يخفض " قبلِ" ويرفع "بعدُ" على ما نوى(١١). فالفراء يجوّز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حذف التنوين، وأنكر النحاس ما قاله الفراء وردّه، وأثبت التنوين في حكاية الكسائي عن بعض بني أسد: (من قبلٍ ومن بعدٍ)، فقال النحاس: "الاول مخفوض منوّن، والثاني مضموم بلا تنوين"(١٢). ولكننا نجد العكبري يثبت الكسر بلا تنوين لـ "قبل" و "بعد"، فقال: "وقرئ شاذاً بالكسر فيهما على إرادة المضاف إليه"(١٣).

وقد استشهد الفراء للجر مع حذف التنوين بما أنشده الكسائي:

أكابِدها حَتى أُعَرِّسَ بَعْدَ مَا ... يكون سُحَيْراً أو بُعَيدَ فأهْجَعَا(١٤)

أراد بُعيدَ السحر فأضمره(١٥).

- **الحالة الرابعة:** أن يحذف المضاف إليه لفظاً ومعنىً، فيعربان أيضاً نصباً على الظرفية، أو جراً بـ " من "، ولكنّهما يُنوّنان، كسائر الاسماء النكرات. مثل: (جئتك قبلاً وبعداً) و(من قبلٍ ومن بعدٍ).

واستشهد النحويون لهذه الحالة بقراءة ابي السمال والجحدري وعون العقيلي: (من قبلٍ ومن بعدٍ)[الروم ٤]، بالكسر والتنوين فيهما(١٦).

وبعد عرض حالات "قبل" و"بعد" يمكن أن نلاحظ جملة أمور، هي: أنّ الحالتين الأولى والثانية يؤيدهما الإستعمال في القرآن الكريم، ويؤيدهما أيضاً الإستعمال في الحديث النبوي، بحسب ما استقريناه في صحيح البخاري.

أما الحالة الثالثة والرابعة فلم تردا في الحديث النبوي، ولافي القراءات المشهورة في القرآن الكريم، وإنما وردتا في القراءات الشاذة ولآية واحدة فقط.

ويبدو لنا أنَّ هذه القراءات الشاذة تمثل لهجات عربية، كما قال ابن قتيبة: "فكان من تيسيره: أنْ أمره بأن يقرئَ كلّ قوم بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم"(١٧). وإذا استحضرنا أنَّ أساس التعدد في القراءات هو: تعدد في اللهجات، سيتبيّن لنا أنَّ هذا التعدد ما هو في حقيقة الأمر إلاّ صور متعددة لظاهرة لغوية واحدة.

ويؤيد ذلك . فيما يخص بحثنا هذا . ما اشار إليه بعض علماء العربية من نسبة هاتين الحالتين إلى لهجات بعض العرب. ففي الحالة الثالثة نقل الفراء عن الكسائي أنَّه سمع بعض بني أسدٍ يقرأ بخفض "قبلِ"(١٨).

وفي الحالة الرابعة قال سيبويه: " وزعموا أنّ بعض العرب يصرف قبلاً وبعداً، فيقول: ابدأ بهذا قبلاً فكأنه جعلها نكرة"(١٩). أما الفراء فيمكن أن نلمس أثناء كلامه على هذه الحالة من حالات "قبل" و"بعد"، أنه يتحدث عن ظاهرة واحدة بصور متعددة، في قوله: "ولو أطلقتهما بالعربية فنوّنت وفيهما معنى الاضافة خفضت في الخفض ونوّنت في النصب والرفع لكان صواباً. وقد سمع ذلك من العرب، وجاء في اشعارها"(٢٠).

من كلّ ذلك يمكن أن نستنتج أنّ النحويين قد خلطوا انظمةً لهجية متعددة لصياغة قاعدة واحدة، فالحالتان الثالثة والرابعة من حالات "قبل" و"بعد" ماهما إلاّ صورتان لهجيتان للحالة الثانية الواردة في الاستعمال القرآني وفي الحديث النبوي، كما استقرينا في صحيح البخاري.

ذلك أنّ لكل لهجة عرفها ونظامها الخاص بها، والتداخل بين أنظمة لهجية متعددة لا يعطي صورة واحدة واضحة عن أيّ نظام من هذه الانظمة، وسنجد أنفسنا أمام نظام غير واضح المعالم، ومستويات متعددة من الاستعمال، دون معرفة المستوى المقبول منها، أو مدى الإفادة منها تطبيقياً.

ثانياً: دخول "مِنْ" على قبل وبعد:

لا توجد قاعدة معينة لدخول (من) على(قبل) و(بعد)، إذ قد يميل الاستعمال إلى الجر بـ (من)، كما قد يميل إلى الاستغناء عنها أيضاً[٢١]، ويتضح ذلك جلياً في المواضع المتشابهة في السياقات، ومثال دخول (من) على (قبل) أو عدم دخولها في قوله تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﭼ [يوسف: ١٠٩]، وفي قوله تعالى: ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﭼ [الأنبياء: ٧]، وكذلك في قوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭼ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □ □ □ □ □ □ □ﭼ [الفرقان: ٢٠].

والامر نفسه ينطبق على "بعد"، فمثال دخول(من)على "بعد" أو عدم دخولها، ما جاء في قوله تعالى: ﭽﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼ [البقرة: ١٦٤]

وقولـه تعالى: ﭽ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﭼ [العنكبوت: ٦٣]، وقوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭼ [الجاثية: ٥][٢٢].

ولايختلف الأمر بالنسبة للحديث النبوي، فقد ورد الاستعمال فيما استقريناه من صحيح البخاري بدخول (من) عليهما، من ذلك قوله (ﷺ): " وإذا الْخَيْرُ ما جاء الله بِهِ من الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الذي آتَانَا الله بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ"[٢٣]. وكقوله (ﷺ): " ألا وَإِنَّهَا لم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي "[٢٤]. وكقوله(ﷺ): " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ

الْأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ..."[٢٥]. وكقوله (ﷺ): " خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ من بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ"[٢٦].

ويتضح ذلك أكثر فيما ورد من الأحاديث التي تعدد فيها ألفاظ الحديث الواحد بحسب الروايات، كما في قوله (ﷺ): " من كانت عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها فإنه ليس ثَمَّ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ من قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ من حَسَنَاتِهِ"[٢٧]. فقد ورد هذا الحديث بلفظ: " من كانت له مَظْلَمَةٌ لأحد من عِرْضِهِ أو شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه الْيَوْمَ قبل أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ إن كان له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ"[٢٨].

هذا، وقد اختلف النحويون في "من" الداخلة على "قبل" و"بعد"، على ثلاثة أقوال:

١- انها لابتداء الغاية[٢٩].
٢- انها زائدة[٣٠].
٣- انها بمعنى "في"[٣١].

والذي يبدو لنا من خلال الشواهد القرآنية والاحاديث النبوية أنّ الراجح هو القول الثاني الذي يرى زيادة "من".

الخلاصة:

١- اقتصر استعمال "قبل" و"بعد"، في القرآن الكريم والحديث النبوي على حالتين إعرابيتين، الأولى: التصريح بالمضاف إليه، فينصب على الظرفية أو يجر بـ"من"، والثانية: حذف المضاف إليه، فيبنى على الضم.

٢- إنّ ما يذكره النحويون من حالات أخرى لـ "قبل" و"بعد" هو صور للهجات عربية أخرى للحالة الثانية المذكورة آنفاً وهي أن يحذف المضاف إليه، فيبنيان على الضم، فقد خلط النحويون بين هذه اللهجات لاستخلاص قاعدة واحدة.

٣- الراجح من آراء النحويين زيادة "من" الداخلة على "قبل" و"بعد". وليس لظهورها أو عدمه قاعدة معينة.

٤- من الضروري اللجوء إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لمعرفة المستوى المقبول من الاستعمال.

الهوامش:

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢١١٢ برقم ٥٢٣٦.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٢٨٥ برقم ٣٢٩٨.

(٣) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك، ٢٤٢/٣.، ارتشاف الضرب لابي حيان ٥١٣/٢.، شرح المفصل لابن يعيش ١٠٧/٣، شرح قطر الندى لابن هشام ٥٨.، همع الهوامع، للسيوطي ١٤١/٢.، خزانة الأدب للبغدادي ٥٠٣/٦-٥٠٤.

(٤) الكتاب لسيبويه ٢٨٦/٣. وينظر: المقتضب للمبرد ١٧٥/٣.

(٥) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٦٣ برقم ٦٣١٦.

(٦) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٩٩ برقم ٥٨٧٣.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٧٥٥ برقم ٢٠٤١.

(٨) صحيح البخاري ٣ /١٢٣١ برقم ٣١٨٦.

(٩) ينظر: تفسير البحر المحيط لابي حيان ١٥٨/٧.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢.

(١١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢١٢/٢.

(١٢) إعراب القرآن للنحاس ٧٣٦. وينظر: تفسير البحر المحيط ١٥٨/٧.

(١٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٣٠٤. وينظر: مغني اللبيب لابن هشام ١٥٨. و شرح قطر الندى ٥٨.، أوضح المسالك لابن هشام ١٣٢/٣.

(١٤) البيت لسويد بن كراع العكلي أحد بني الحارث بن عوف بن وائل كان شاعرا فارسا مقدما من شعراء الإسلام في الدولة الأموية وكان في أيام جرير والفرزدق استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان على سويد بن كراع في هجائه إياهم فطلبه ليضربه ويحبسه فهرب منه ولم يزل متواريا حتى كلم فيه فأمنه على أن

لا يعاود فقال سويد بن كراع في ذلك الطويل ينظر: الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٩ –٣٠ ،. و خزانة الأدب ٦/٥٠٥.

(١٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٢

(١٦) ينظر: تفسير البحر المحيط ٧/١٥٨. و: ارتشاف الضرب ٢/٥١٤، وأوضح المسالك ٣/١٣٢، وهمع الهوامع ٢/١٤١.

(١٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٩. وينظر: في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ٤٩.٥٠، و الأجوبة العلمية لغانم قدوري الحمد ١٥.١٩.

(١٨) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٢.

(١٩) الكتاب ٢/ ١٩٩.

(٢٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٢.

(٢١) ينظر: دراسات لأسلوب القران الكريم، لمحمد عبد الخالق عظيمة ٩/٥٤٣.

(٢٢) ينظر أيضاً: فاطر:٩، والحديد:١٧، والنحل:٦٥، والروم:٢٤ و ٥٠.

(٢٣) صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٦ برقم ٣٤٢٥

(٢٤) صحيح البخاري ١/ ٥٣ برقم ١١٢ ١٢٨٤ و ١٧٣٦.

(٢٥) صحيح البخاري ٣/ ١٣٠٠ برقم ٣٣٤٢.

(٢٦) صحيح البخاري ٥ /٢٣٦٢ برقم ٦٠٦٥.

(٢٧) صحيح البخاري ٥/ ٢٣٩٤ برقم ٦١٦٩.

(٢٨) صحيح البخاري ٢/ ٨٦٥ برقم ٢٣١٧.

(٢٩) ينظر: مغني اللبيب ٣١٣. و معاني النحو، لفضل السامرائي ٢/١٦٧.١٦٨.

(٣٠) ينظر: مغني اللبيب ٣١٣. و معاني النحو ٢/١٦٧.١٦٨.

(٣١) ينظر: شرح الكافية، للرضي ١/١٧١. و معاني النحو ٢/١٦٧.١٦٨.

المصادر:

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ)، تحـ: مصطفى أحمد النماس، ط١، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م.

٢- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ): اعتنى به: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.

٣- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ): دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٩ م.

٤- البحر المحيط، لأبي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.

٥- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحـ: السيد أحمد الصقر، المكتبة العلمية، القاهرة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٦- التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٦١٦هـ)، إعداد فريق بيت الافكار الدولية.

٧- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحـ: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٨- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٩- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٠- شرح التسهيل، جمال الدين ابن مالك (٦٧٢هـ)، تحـ: د.عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

١١- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، مكتبة دار الفجر، دمشق، ط٣، دمشق، ٢٠٠١.
١٢- شرح المفصل، لابن يعيش (٦٤٣هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣- في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٤- الكتاب، لسيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٥- محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد: دار عمار، عمان.
١٦- معاني القرآن، للفرّاء (٢٠٧هـ)، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٧- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٨- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الافغاني، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٩- المقتضب، للمبرد (٢٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر، وزارة الاوقاف، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

المسائل المستحدثة ومرونة الفقه الإسلامي

(دراسةٌ فقهيةٌ تحليلية)

د. إبراهيم جاسم محمد

جامعة تكريت/ كلية التربية/ بنات/ قسم علوم قرآن

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آلـهِ وصحبهِ أجمعين وبعد:

فقد أفرز التقدّم العلمي والتقني الذي دخلَ حياة المجتمعات الإسلامية مسائلَ وقضايا كثيرة لها مساس وأهمية في ضروريات المسلمين أو حاجياتهم او تحسيناتهم، ولمّا كان الناس يحتاجون للعلم الإسلامي الذي يرفع عنهم الحرج والضيق ويزيل الجهل والغموض في معرفة الاحكام الشرعية لهذه المسائل المستحدثة إذ يخشى مع الجهل في ذلك الوقوع في الحرام وإرتكاب المعاصي بغير علمٍ ؛ فإنَّ الفقه الإسلامي هو العلم والميدان الشرعي الذي يضطلعُ بهذه المهمّة العظيمة فيمكن من خلال دخول ميادين المرونة فيهِ التعامل مع المسائل المستحدثة ويزالُ والجهل بالأحكام الشرعية والحلول الملائمة لذلك بإعتبار أنَّ الفقه هو معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين وأقوالهم المكتسبة من أدلتها التفصيلية وهي نصوص القرآن والسنة ومايتفرّع عنها من إجماعٍ وإجتهادٍ، ولأهمية الموضوع فإني جعلتهُ موضوعاً لدراستي هذه والتي أسميتها: (معالجةُ المسائل المستحدثة عن التقدّم العلمي والتقني في ضوء مرونة الفقه الإسلامي)، لكي أبين من خلال ذلك قدرة الفقه الإسلامي ومرونته في التعامل مع هذه المسائل ومواكبته للتطور في ضوء مايتوفر فيه من مقوماتٍ، وفي ظلِّ ماتقتضيه الضرورات والحاجات الناشئة عن التطورالطبيعي لعلاقات المسلمين وتأثر حياتهم المعاصرة بالتقدم العلمي والحضارة الزاحفة، فكانت أسباب إختياري لهذا الموضوع قد تعددت ويمكن تلخيصها في ماياتي:

١- بيان حاجة المسلمين في عصرنا هذا لإستنباط الأحكام العملية من الأدلة الشرعية لِم أستحدث من المسائل ذات العلاقة بحياتنا المعاصرة بإعتبار أنَّ عامّة

المسلمين يلقون حرجاً وضيقاً في إيجاد الحلول الشرعية لهذه المسائل التي لم يرد النص الشرعي الصريح على حكمها فيخشى في مثل هذه الحال أنْ يحرّم الناس ما أحلَّ الله تعالى أو يحللوا ماحرّم فينالهم الإثم بذلك ويرتكبون المعاصي بغير علمٍ.

٢- توضيح ما للفقه الإسلامي من مرونةٍ حيث تعطي الفقيه المجتهد القدرة على التعامل مع المسائل والقضايا المستحدثة والمستجدة على كثرتها وإيجاد الاحكام الشرعية والإستيعاب والمواكبة لكلِّ جديدٍ ومفيد.

٣- بيان حكم الإجتهاد في المسائل المستحدثة والقضايا المستجدة ومايلزم توفرهُ في المجتهد والمفتي من مؤهلاتٍ لذلك.

٤- بيان الموقف الإسلامي المنشود إزاء التقدّم العلمي والتقني الذي دخل في حياة الناس.

وقد أقتضت طبيعة هذا البحث أن أجعله في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمةٍ، أمّا المبحث الأول: فجعلته في بيان أهمية المعالجة الشرعية للمسائل المستحدثة. وقسّمت هذا المبحث الى مقدمةٍ وخمسة مطالب، فجعلت المطلب الأول للتعريف بالمسائل المستحدثة في اللغة والإصطلاح الشرعي، أمّا المطلب الثاني فجعلته لبيان الحاجة للإجتهاد في المسائل المستحدثة، امّا المطلب الثالث فبينت فيهِ حُكم الإجتهاد والإفتاء في المسائل المستحدثة والقضايا المستجدة، أمّا المطلب الرابع فبينت فيهِ ماينبغي توفرهُ من شروط الأهلية فيمن يتصدّى للمسائل المستحدثة والقضايا المستجدة، أمّا المطلب االخامس فبينت فيهِ مكانة العلوم الدنيوية والتقدّم العلمي في الشريعة الإسلامية.

أمّا المبحث الثاني: فبينت فيهِ مرونة الفقه الإسلامي وأثرها في معالجة المسائل المستحدثة.

أمّا المبحث الثالث: فأفردته لبيان نماذج من المسائل المستحدثة والتي تطرقت إليها وناقشتها المؤتمرات والمجامع الفقهية الأسلامية، ثمَّ تناولتُ فقرات هذه المسائل بالتحليل الموضوعي مبيناً ميادين المرونة التي ولِجها الفقهاء المعاصرين فيما ذهبوا إليه من إختياراتٍ وترجيحاتٍ، ثمَّ أنهيت البحث بخاتمةٍ تضمنت خلاصةً وأهمَّ النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول

أهمية المعالجة الشرعية للمسائل المستحدثة

المطلب الأول

تعريف بالمسائل المستحدثة

تعريف (المسألة) لغةً واصطلاحاً:

المسألة لغةً: مأخوذةٌ من سألَ، وجمعُها مسائلَ، ومعناها: طلبُ معرفةٍ أو مايؤدّي الى معرفةٍ ممّا يقتضي جواباً، تقولُ: سألتهُ العافية: أي طلبتها، وسألتهُ عن أمرٍ: أي إستعلَمتهُ[١].

المسألةُ إصطلاحاً: المسألة في إصطلاح الفقهاء: تعني الحادثةً والأمر الّذي أخرج بدقة نظرٍ وتحتاج الى إستنباط حكمٍ شرعيٍّ لها[٢].

تعريف المستحدثة لغةً واصطلاحاً:

المستحدثة لغةً: ومُذكّرها مستحدَث مأخوذةٌ من إستحدث الشيء، أي أوقعَهُ وأوجدَهُ بعدَ عدمٍ، وإبتدعهُ. والحدوثُ نقيض القِدَم، تقولُ حدثَ حدوثاً: أي تجددَ وقوعَهُ[٣].

ولا يخرجُ المعنى الإصطلاحي لمفردة (مستحدثة) عن المعنى اللغوي[٤].

إنَّ المسائل المستحدثة كمركب من كلمتي: (مسائل: ومفردها مسألة) و(مستحدثة): هي الأمور التي إستحدثها الناس وأوجدوها نتيجةً للتطور الطبيعي لعلاقات الإنسان ونشوء الحاجات الإجتماعية للناس أو نتيجةً لظروفٍ طارئةٍ وأقتضت إيجاد الأحكام الشرعية العملية لها بإجتهادٍ او فتوى[٥]، إذا ماعلمنا انَّ الإجتهاد في الإصطلاح الشرعي يعني: بذلُ الفقيهَ وسعَهُ لإستنباط الاحكام العملية من أدلتها التفصيلية[٦]، وهذا المعنى لايبتعد عن المعنى اللغوي للإجتهاد إذ هو بذل الجهد

والطاقة في طلب أمرٍ ليبلغ مجهوده ويصِلَ الى نهايتهِ[٧] غيرَ أنَّ بينهما عمومٌ وخصوص فالإستعمال اللغوي يفيد العموم وهو مطلق التكلفة والجهد أمّا الإستعمال الإصطلاحي فهو مختصٌ ببذل الجهد والوسع لإستنباط الحكم الشرعي.

إنَّ الإجتهاد بمعناه الأصولي على ضربين أحدهما هدفهُ الإستنباط والآخر هدفهُ التطبيق[٨].

وأنَّ الفتوى (شرعاً): هي بيان الحكم الشرعي في مسألةٍ من المسائلِ مؤيدةً بالدليل من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو الإجتهاد[٩]، وهذا التعريف لايبتعد عن التعريف اللغوي للفتوى وهو طَلَبَ بيان ما أُبهِمَ بيانه[١٠] غير أنَّ التعريف الإصطلاحي للفتوى يظهرُ أنَّ الفتوى تختصُّ ببيان المسائل التي يطلب حكم الشرع فيها، أمّااللغوي فيشمل الإجابة عن المسائل الشرعية وغيرِها.

المطلب الثاني

الحاجة للإجتهاد والإفتاء في المسائل المستحدثة

تقديم الحلول الإيجابية وإيجاد الأحكام الشرعية الصائبة لما يستجدَّ من المسائل الوقائع التي يقتضيها العصر يُعَدُّ ضرورةٌ لاغنى عنها من أجل تلبية حاجات الناس ومواكبة عجلة الحياة، وإنَّ إجتهاد أهل العلم في ذلك يُعَدُّ من مقوّمات التشريع وأسُسِهِ وإنَّ الحاجة إليهِ تزدادُ بإزدياد التطور والتقدّم ودخول الأفراد في هذا الدين، إنَّ الإجتهاد هو إبراز لحكم الشريعة في الواقعة المستجّدة وليس تفرّداً من إنسانٍ بعينهِ، وإذا لم تعرف أحكام المسائل والوقائع المستجدة التي لم يُنصَّ عليها لوقعَ الناسُ في الحرجِ والضيق وبقوا في جهلٍ فحّرموا ما أحلَّ الله وأحلّوا ماحرّم الله وتتبعوا الرخصَ والحيل غير الجائزة وعملوا المعاصي بغيرِ علمٍ ونال الأمّةَ بذلك الإثمَ والعقاب[١١]. ولو أنَّ الفقهاء والمجتهدين أقاموا على الفقه ولم يجمدوا على القديم لما كنّا بحاجةٍ الى قوانين مستوردةٍ وبين ظهرانينا ثروةٌ فقهيةٌ زاخرةٌ بقواعدٍ وأصولٍ عامةٍ وفروعٍ وجزئياتٍ ونظرياتٍ مرنةٍ قادرةٍ على إستيعاب تفاعلات الحياة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ. وفيما يتعلّق

بالإفتاء في المسائل المستحدثة والقضايا المستجدة فإنَّ ذلك أمرٌ لهُ خطرَه على الواقع الإسلامي فالإفتاء ميدانٌ واسع يستوعب ما استجدَّ من شؤون الحياة وتعرَف من خلاله أحكام الشرع في الوقائع والمستجدات الدينية والدنيوية، وللفتوى في مجتمعنا أثرٌ كبير في التباين والإختلاف أو التقارب والإئتلاف وما أحوجنا كمسلمين في هذا الوقت للتقارب والإئتلاف على كلمة الحق الصادرة عن الفتوى النزيهة المستندة على كتاب الله تعالى وسنة رسول الأمين عليهِ أفضل الصلوات والتسليم، وفي ضوء القراءة لوجوه النظر والإستدلال في أحكام النوازل والمستجدات في وقتنا الحاضر نجدُ يتبع منهج التضييق والتشدد حتى يصل أحياناً في فتواه الى تكفير المجتمعات والحكومات ويجعل من فعل المعاصي سبباً للخروج عن الإسلام، أو من ينتهج في فتاواه التحايل على أوامر الشرع الإسلامي والجرأة على النصوص وإتخاذ الشريعة وسيلة للوصول الى رغباتٍ دنيويةٍ وأداةٍ لتبرير سلوكيات المنحرفين والظلمَة وإظفاء الشرعية عليها فإنهُ ينبغي على أهل الفتيا أن يكونوا على الوسط المعتدل في فتاواهم بلا إفراطٍ ولاتفريطٍ، فيفرّقوا بين مايحسن إقتباسهُ وما لا يُحسن ويميّزوا بين مايلزم فيهِ الثبات والتشدد وما يقبل فيه المرونة والتطور وأن يجدوا الحلول للمسائل الجديدة في ضوء نصوص الشريعة وقواعدها الكلية وبعيداً عن المؤثرات الإجتماعية والسياسية، وأن يعيدوا النظر في القديم في ضوء ظروف العصر وواقعه وحاجاتهِ، ويجعلوا الناس على بصيرةٍ حتى لايخرجوا في تعاملهم مع المستجدات على أحكام الشرع، وينبغي على عامة المسلمين أن يتثبتوا من الفتيا حتى يقفوا على الصواب ولا يأخذوا الفتوى من غير أهلها، إنَّ على أولياء أمورِ المسلمين إيجاد المفتين والمجتهدين الكفوئين وإيجاد الوسائل الضرورية لإعدادهم وتهيئتهم وتعليمهم العلوم الأساسية في ذلك، وينبغي أيضاً إيجاد من يتصدّى للإفتاء في كلِّ قريةٍ ومدينةٍ وإستبعاد من كان غيرَ أهلاً لذلك، أو من ثبت فسقهِ ومجونهِ او عدَمَ دقتهِ في الفتوى والتسرّع في تكفير الناس[١٢].

المطلب الثالث

حكم الإجتهاد والإفتاء في المسائل المستحدثة والقضايا المستجدّة

المسائل المستحدثة والقضايا المستجدة إذا وقعَت وخيف فواتها على الوجه السليم يكون الإجتهاد لإستنباط حكم شرعي لها واجباً على من كان مكلّفاً شرعاً بالإجتهاد من حيثُ إمتلاك الأهلية والقدرة على إستنباط الأحكام للأدلة، أمّا إذا لم يُخف فوات الحادثة وكان يوجدُ غيرَهٌ من المجتهدين فيكونُ الإجتهاد فيها عندئذٍ فرضاً كفائياً عليهِ وعلى غيرِهِ، فإنْ ترَكهُ الجميع أثموا وإذا أفتى فيها أحدَهم سقطَ الطلبُ عن جميعهم لحصول المقصود[١٣].

أمّا الحوادث الإفتراضية وهي التي لم تحصَلْ فإنَّ الإجتهادَ فيها يكونُ مندوباً سواءً سُئِلَ المجتهد أم لم يُسأل، وذلك إستعداداً لما يستجدُّ من النوازل والوقائع.

في حين يكونُ الأفتاءُ حراماً إذا كان المفتي جاهلاً لأنَّ الإفتاء إخبارٌ عن الله تعالى.

كذلك يكونُ حراماً كذلك إذا أُريدَ إتخاذ الفتوى حجّةً لباطلٍ أو لتحريفها أو تأويلها، و يكونُ حراماً إذا ترتبت على الفتوى مفسدةٌ أعظم من الإحجامَ عنها[١٤].

المطلب الرابع

شروط المجتهد في المسائل المستحدثة

إذا وقعت حادثة أو مسألةٌ جديدة وأراد إنسان معالجتها وإستخلاص رأيٍ راجحٍ فيها فلا بُدَّ أنْ يكون أهلاً للإجتهاد لأنَّ التعامل مع المسائل المستجدة وإيجاد الحلول لها فتحٌ لباب الإجتهاد، فينبغي توفر الشروط الآتية فيمن تصدّى لذلك وأهمَّ هذه الشروط:

١- الإسلام: لأنَّ الإجتهاد إستخراج الحكم وذلك يتطلّب الإيمان بالحاكم.

٢- العدالة: لجواز إعتماد الناس على فتواه.

٣- العلم بالقرآن مع معانيهِ ووجوههِ وعلومهِ ومواضعَ آيات الأحكام.

٤- أنْ يعرف السنة بمتنها وسندها ومواقعَ آيات الأحكام والصحيح منها والضعيف، والجرح والتعديل وحال الرواة (ولو بالنقل عن أئمة الحديث).

٥- المعرفة بمسائل الإجماع[١٥] ومواقعهِ وبعلم الخلاف بالأحكام الفقهية.

٦- أنْ يكون محيطاً بعلوم اللغة العربية.

٧- أن يكون متمكناً من علم أصول الفقه لأنّهُ عماد الإجتهاد وأساسهُ الذي يقوم عليهِ.

٨- أنْ تكون لديهِ مَلَكةٌ فقهية تعينهُ على فهم مسائل الفقه وإستنباط الأحكام.

٩- المعرفة بمقاصد الشريعة ومراد الشارع من تشريع الأحكام فيراعيها عند إجتهاده.

١٠- القدرة على تخريج الأحكام من المسائل المنصوص عليها.

١١- أنْ يكون مُطلِعاً على الواقع أو الظرف المحيط بهِ[١٦].

المطلب الخامس

العلوم الدنيوية والتقدّم العلمي في الفقه والشريعة الإسلامية

بما أنَّ هذهِ الدراسة تتناول تعامل الفقه الإسلامي مع المسائل المستحدثة عن التقدّم العلمي والتقني الذي دخلَ المجتمعات الإسلامية للكشف عن الحلول والأحكام الشرعية لهذهِ المسائل ؛ لذا نرى من المناسب بيان نظرة الشريعة الإسلامية للعلوم الدنيوية النافعة والموقف المطلوب من التقدّم العلمي والنتاج الآلي والتقني وتجارب الأمم الأخرى في ذلك؛ وكما يأتي:

١-تعريف العلم لغةً وإصطلاحاً:

العِلْمُ لغةً: العِلْمُ لغةً بكسر العين وسكون اللام من عَلِمَ وجمعُهُ عُلوم: يُطلَق على المعرفة بالشيء والمسبوقة بالجهلَ بهِ، يقالُ عِلِمَ الشيء يعلَمهُ عِلماً أي عَرَفَهُ،

كما يطلق العِلْمُ على اليقينْ يقال عَلِمَ يعْلَمٌ إذا تيقّنَ، كذلك يطلق العِلْمُ على الإتقان، يقالُ عَلِمَ الأمر وتعلّمُهُ: أي أتقنَهُ[١٧].

العلمُ إصطلاحاً: العِلْمُ في الإصطلاح يرادُ بهِ إدراك الشيء بحقيقتهِ، أو هو حصول صورة الشيء في العقل[١٨].

٢-مكانة العلم الدنيوي في الإسلام:

العلوم في المنظور الإسلامي نوعان علومٌ دينيةٌ وهي أصلُ العلوم وأشرفها وهي التي تهدي الناس الى سُبُلِ الرشاد وسعادة الدارين، وعلومٌ دنيوية (غير شرعية) كالطب والحساب والكيمياء والهندسة والزراعة والصناعات وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس لتسيير أمورَ دُنياهُم وتوفير إحتياجاتهم، وإنَّ الشريعة الإسلامية تنظرُ الى كلا النوعين (الدينية أو الدنيوية) نظرةً متوازنة حيثُ تكشف بهما أسرار الحياة ويستعان بهما على تسخير ما في الكون لسعادة الدارين وإنَّ العلم الدنيوي النافع مساندٌ للعلوم الدينية وفي خدمة تفسيرها، وإنَّ دراسة العلوم الإنسانية والمادّية والتعمّق فيها وإتقانها وفق الطرق والمناهج الصحيحة سيقودُ حتماً الى الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وتوحيدِهِ ومعرفة عظيم خلقهِ ودقيق صنعهِ فلا يمكن فصل العلم عن الإيمان لتداخلهما وعمق الوشائج بينهما[١٩].

٣-حكم تحصيل العلم الدنيوي:

إتفق علماء الإسلام على وجوب تعلّم وتعليم العلوم الدنيوية النافعة التي لايستغني عنها الناس في قيام أمور دنياهم والتي تحتاج الى معرفة ودرايةٍ للقيام بها، وإنَّ وجوب تحصيل هذه العلوم في أحكام الفقه الإسلامي هو وجوبٌ كفائي على المسلمين لايجوز إهماله فإنْ فعَلَهُ البعض سقط الإثمُ عن الباقين وإذا تركهُ أو قصَّرَ بهِ الجميع أثموا جميعاً، وإنَّ على ولي أمر المسلمين أنْ يأمر أهل البلد في ذلك ويجبرُهم عليه[٢٠].

أمّا عند وصول الإنسان الى مرحلة التخصص في هذه العلوم فيصبحُ إتقان العلم والصنعة التي يمارسها واجباً عينياً عليهِ إن تعيّن لذلك ولم يقُم بهِ أحدٌ غيرهِ لسببٍ ما كعجزٍ أو غيرَه كي لاتتعطلَ مصالح الناس في هذا المجال حيثُ تكون فرضية العين عليهِ من باب مالا يتمُّ الواجب الاّ بهِ فهو واجبٌ، وإنَّ هذا الوجوب تتحققُ بهِ الغاية من وجود العِلْم فَتُسدُّ إحتياجات الناس المستمرّة والمتجددة، وتعمّرُ البلاد وتتحقق راحة الناس ويدافعُ عن حقوق المسلمين ويتعلّم الأبناء وتُحسَّن الأوضاع وإنَّ هذهِ المعارفَ والعلوم تتوسعُ وتتنوعُ حسَبَ الزمانِ والمكان[٢١].

٤-الموقف الإسلامي المنشود من التقدّم العلمي:

إنَّ مقتضى وظيفة الإنسان في خلافة الأرض وإعمارها واستثمارها تقتضي الحركة لتطوير واقعهِ الأرضي الذي يعيشهُ وترقيتهِ وهذهِ الحركة وهذا النزوع الفطري لدى الإنسان للتطور يمكن أن يظهر بصورٍ شتى لكنَّ سبيلهُ الأقوم هو الجدُّ في البحث والموضوعية في طلب العلم والمعرفة.

وإن المنهج الإسلامي يقوم على شمولية العلم وإطلاقه فلا يحدّهُ مكان ولا يقيّدَهُ زمان، وإنّ في قوله تعالى: (وَقل رَبّ زِدْنـي عِلما)[٢٢] ما يوحي بالشمول والإستمراريةِ حتى لكأنَّ الإنسان في كلّ زمانٍ ومكانٍ مكلَّفٌ أنْ يطالب نفسه بالإستزادة من كلَّ علمٍ يسبّر بهِ أغوار الوجود من غير حدودٍ أو قيود فمسيرة العلم لاتتوقف حتى تقتحِمَ كلّ مجهولٍ متاحٍ لها[٢٣].

إنَّ ماينبغي على الأمة جماعاتٍ وافراداً الإفادة الإيجابية من المنجزات الآلية والإنتاجية للعلوم التجريبية وتطبيقاتها العملية ويتمثلُ ذلك بالأخذ والإنتفاع والإبتكار والإبداع والإضافات النافعة، فدين الإسلام يأمر بطلب العلم حيثما وِجدَ، وإنّ العِلمَ إنّما هو ملكٌ لكلّ إنسان لهُ أنْ ينتفعَ بهِ، وإنَّ الإكتشافات العلمية ليست الاّ حلقاتٍ في سلسلة لانهاية لها من الجهد العقلي الذي يشملَ الجنس البشري بكاملهِ وإنَّ المدنية

الناشئة عن العِلم والصناعة وتطبيقاتها في الحياة مثل ادوات المختبرات والآلات والصناعات بأنواعها وما يحتاجهُ الإنسان من أشياء ماديةٍ لتأمين متطلبات حياته لايراعى عند أخذها حَرَجٌ أو قيد لأنّها ليست مرتبطةً بفكرٍ معين وإنما ترتبط بالعقل المجرّد الذي تنبثق عنهُ قوانين العلوم المختلفة[٢٤]. إنّ على المسلمين تبنّي الطرَقَ والوسائل الحديثة في العلوم الصناعية كما أمرتهم شريعتهم وإنَّ عليهم الإفادةَ من خبرات غيرهم مستفادين من خاصية المرونة والتطور في الفقه الإسلامي الذي يساير مصالح الناس في كلّ زمانٍ ومكانٍ مع الثبات في التصّور في القيمِ والمباديء والاهداف في المنهج الإسلامي الذي يضمنُ للحياة الإسلامية خاصية الحركة داخلَ محورٍ ثابتٍ.

وإنَّ الإحجام عن الإستفادة من العلوم وتجارب الآخرين ومنجزاتهم وآلاتهم وصناعاتهم أيّاً كان نوعها واغماض العين عمّا يحيط من موجات الغزو الحضاري والتكنولوجي التي تدخل ضرورات الحياة الأساسية في المأكل والمشرب والمسكن والملبس لمخالفة للسنن الكونية ومعاكسة لفطرة الإنسان ونزوعهِ نحو التجديد والتغييرالإيجابي ومؤدٍ الى التخلف الشديد عن رَكب الحياة ومواكبة عجلة التقدّم والتطوّر الذي يحدُث في العالم، ومن هذا المنطلق فإنَّ على المسلمين إلتماس العلوم والمعارف في شتى أبوابها وإخضاعها لمفاهيم دينهم وتحريرها من زيوف الوثنية والجمود والإضافة اليها ماتستحقّ من إضافاتٍ نافعةٍ[٢٥].

المبحث الثالث

مرونة الفقه الإسلامي وأثرها في معالجة المسائل المستحدثة

التشريع الإسلامي اصولَهُ ومبادؤه ثابتةٌ لايلحقها التغيير والتبديل الاّ أنَّ فروعهُ وجزئياتهِ الفقهية مرنةٌ لها القدرة على مدَّ الحياة بمختلف الحلول للوقائع المستحدثة والوقائع المستجدّه بما يحقق المصالح المشروعة للناس ويتلائم مع

متطلبات العصر بشكلٍ يستحيل معهُ التوقف والجمود[٢٦]، جاء في إغاثة اللهفان: (الأحكام نوعان: نوعٌ لايتغيّر عن حالةٌ واحدة وهو عليها لابحسب الأزمنة والأمكنة ولا بإجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرّمات والحدود المقدّرة بالشرع على الجرائمِ ونحو ذلك فهذا لايتطرّق إليهِ تغيير ولا إجتهادٍ يخالف ما وضِعَ عليهِ، والنوع الثاني: ما يتغيّر زماناً ومكاناً وحالاً)[٢٧]

لقد دخلت الكثير من المسائل المستحدثة المعاصرة الناتجة عن التقدّم العلمي والتقني حياة المجتمعات الإسلامية عن قصدٍ أو غير قصد وزاد إهتمامهم بها في ظل ولادة الإبداعات والإبتكارات العلمية وفي ظل نشوء الحاجات الإجتماعية المختلفة باختلاط المسلمين واحتكاكهم بمدنية وحضارات وعادات الأقوام الأخرى، أو نتيجة تغيّر عادات وأخلاق وطبائع الناس بمرور الزمن أو بحدوث ظروف طارئة أو مستجدة لم تكن معروفةً قبل ذلك، ومن المسائل المستحدثة في عصرنا الحاضر والتي إقتضت إيجاد الحلول الشرعية على سبيل المثل لا الحصر: إجراء العقود بآلات الإتصال الحديثة، وحوادث السير، والتصوير الفوتغرافي أو التصوير بكاميرا الفيديو، ومايقررهُ عِلم الفلَك من رؤية الهلال لإثبات الشهر وإثبات الصيام والفطر، ونسخ واستعمال برامج الكومبيوتر دون دفع الثمن للشركات المنتجة لها كالمايكروسوفت، ومايتعلّق بتشريح الجثث لدارسي الطب، والتلقيح الصناعي (أطفال الانابيب)، ورفع أجهزة الإنعاش عمّن يظن موته، والتبرع بالأعضاء البشرية وزراعتها ونقلها، وما يتعلّق بالترقيع الجلدي، وإستخدام الإنترنيت لمختلف الأغراض، وغير ذلك[٢٨]، وإنَّ أي من هذه المسائل ونحوها تحتاج للكشف عن أحكامها الشرعية بما يتفق مع مباديء الإسلام ومقاصد الشريعة الإسلامية فمعلومٌ قطعاً أنّهُ لم يرِد في كلّ حادثةٍ ومسألةٍ نصٌّ صريح من القرآن الكريم والسنّة النبوية لكنَّ القرآن الكريم ذا كلياتٍ وأصولَ ومباديء عامّة تندرج تحتها جزئياتٍ كثيرةٍ تعرَف أحكامها من حكم الكلي

بطريق الإستنباط الخاضع للضوابط الشرعية ويطبّق ما أستنبط على مقتضى حوادث الزمان[٢٩]، قال الإمام الشاطبي في الموافقات: (فالحاصل أنهُ لابدَّ من إعتبار خصوص الجزئيات مع إعتبار كلياتها وبالعكس وهو منتهى نظر المجتهدين)[٣٠]، وقال الشاطبي في موضعٍ آخر: (ولاتنهض الجزئيات التي تنقض الكليات ولذلك تبقى أحكام الكليات جاريةً في الجزئيات وإنْ لم يظهر فيها معنى الكليات على الخصوص)[٣١]، إنَّ الفقه الإسلامي يتعامل مع الحوادث المستجدّة بمرونةٍ لاتغفل الواقعية ويتوخى المصلحة فيستقطب كلَّ تغييرٍ ويزنهُ بميزانهِ الدقيق ليعطي ما أستجدَّ من المسائل صفة الإباحة والمشروعية إنْ وافق الكتاب والسنّة ومقاصد الشرع وأصولهِ ويخرَج عن نطاقه ما مُنِعَ بِنَصٍّ صريح الدلالة صحيح الثبوت من الكتاب والسنة وخالف الإجماع والقواعد العامة ومقاصد الشريعة ونافى تعاليم الإسلام الخاصة والعامة[٣٢]، وإنَّ للمرونة التي مجالها الفروع والوسائل والجزئيات في هذا الفقه القابلية على التطور بما يجعلهُ قادراً على استيعاب المستحدثات والمتغيّرات من القضايا والمسائل المعاصرة على كثرتها وإتساعها وإيجاد الاحكام الشرعية لها والتكيف والمواكبة لكلِّ جديدٍ ومفيد، ولعلَّ من أهم وجوه وميادين المرونة في الفقه والتي يستطيع المجتهد من خلالها أن يستنبط الأحكام والحلول الشرعية الملائمة للمسائل المستحدثة عن التطور العلمي ويخرّجها عليها مايلي:

١- مرونة مصادر الفقه التبعية[٣٣] كالإجماع[٣٤] والقياس[٣٥] والمصلحة المرسلة[٣٦] والإستحسان[٣٧] والعرف[٣٨] فهذه المصادر فيها من المرونة والسِعة والخصوبة مايمدُّ الحياة بالحلول والفتاوى لكلّ المسائلَ والوقائع والقضايا المستجدّة وفقاً لمتطلبات العصر وبشكلٍ يستحيل معهُ التوقف والجمود.

٢- التطبيق العملي للمبادىء والقواعد العامة التي نصَّ عليها الكتاب والسنّة كمبدأ الشورى ومبدأ العدل ومبدأ عدم الإضرار ومبدأ الوفاء بالعقود إذ نصّ الكتاب

والسنّة على هذه المبادىء وترك الجزئيات فيها والتفصيلات والتفريعات للإجتهاد الفقهي بما يناسبهُ مِن أحكامٍ وحلول توافق الأحوال والأزمنة.

٣- إمكان تغيير الأحكام الإجتهادية بتغير الأزمان إذ لاتجمد الاحكام الفقهية أمام تغير الازمان وعادات الناس وطباعهم ومصالحهم بل تقبل التغيير تبعاً لتغير موجب الحكم وذلك يشمل كلَّ مالم يرِد بهِ نصٌّ صريح من كتابٍ او سنّةٍ.

٤- ومن مجالات المرونة أيضاً جواز تعدد الآراء الإجتهادية في المسألة الواحدة، فوجود عدداً من الآراء المبنية على قواعد الإجتهاد الصحيح في مسألةٍ معينةٍ يعطي الحرية لأيٍّ من هذه الآراء للعمل بما يتلائمُ مع الزمان أوالمكان المراد تطبيق الحكم فيهِ.

٥- وتشملُ المرونة أيضاً الأساليب والوسائل في إستعمال الفروع الفقهية المستندة الى الدليل الظني.

٦- تقرير مبدأ رعاية الضرورات والأعذار والظروف الإستثنائية بإسقاط الحكم أو تخفيفه تسهيلاً على البشرِ ومراعاةً لضعفهم أمام الضرورات والظروف القاهرة، وقد وضع الفقهاء في ذلك قواعد تندرج تحتها جزئياتٍ كثيرةٍ تُعرَف أحكامها من الحكم الكلي للقاعدة ومنها قاعدة المشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الامرُ إتسَعْ، والضرورات تبيح المحظورات، والضرورةُ تقدّر بقدرها، وما جاز لعذر بَطُلَ بزوالهِ، وإذا زال المانعُ زال الممنوع، وفي مثل هذه القواعد يمكن للمجتهدين اليوم أن يواجهوا الكثير من القضايا المستجدّة ويخرجوا لها أحكاماً تثبتُ قدرة الفقه والتشريع الإسلامي على مواجهة الحياة في كلَّ عصرٍ وزمان[٣٩].

إنَّ ماذكرنا من جوانب المرونة ووجوهها في الفقه الإسلامي لايعني خضوع التشريع لكلَّ تغييرٍ ومستجدٍّ خطئاً كان أو صواباً وإعطاؤه صفة الإباحة والمشروعية، فالمرونة والتطور في إختيار الحكم الإجتهادي من قبل الفقهاء مجالها الظنيات التي

يمتدَّ إليها العقل البشري بالبحث، أمّا ما دلّت عليه النصوص القطعية واندرجَ في ماهيتهِ وحيثياتهِ ضمن الأصول والقواعد العامة والسنن الثابتة أو دخلَ في الغايات والأهداف من الوجود الإنساني وخضع للقيم الدينية أو الأخلاقية للدين الإسلامي فلا تقبل أحكامه من حيثُ الوجوب والحرمة ونحوها الإجتهاد والتغيير ولا يُشَكُّ في صلاحية هذه الأحكام لتسيير أمورالحياة والتعامل والتطبيق في كلَّ زمانٍ ومكانٍ، فإنَّ ثبات المقومات والقيمِ ينمُّ عن ضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا تمضي شاردةٌ على غيرِ هديٍ، وإنَّ الثبات ضرورةٌ من ضرورات صيانة الحياة البشرية والنفس البشرية بحيثُ تتحرك ضمنَ إطارٍ ثابتٍ يمنحها صفة النظامِ والعدل والإنضباط ويحرسها من التخبط والفوضى وإطلاق الحرية للشهوات والنزوات البشرية(٤٠).

إنَّ إجتماع صفات الثبات والمرونة في الفقه الأسلامي هي من الخصائص المميزة للمنهج الإسلامي، وإنَّ الثبات لايقتضي تجميد حركة الفكرِ والحياة لكنهُ يسمحُ لها بالحركة في داخِلَ إطار الثبات(٤١).

المبحث الثالث

نماذج من المسائل المستحدثة

سنتعرض في هذا المبحث لنماذجٍ من المسائل المستحدثة عن التقدم العلمي والتقني والتي تطرق لها الفقهاء المعاصرين من خلال المؤتمرات والندوات الفقهية وبيّنوا الأحكام والحلول الشرعية الملائمة لها:

المسألة الأولى: إجراء العقود بواسطة وسائل الإتصال الحديثة:

ذهب كثير من الفقهاء المعاصرين الى جواز إجراء العقود(٤٢) بين شخصين في مكانين متباعدين بواسطة وسائل الإتصال الحديثة كالهاتف اللاسلكي والبرق والفاكس والتلكس وشاشات الحاسب الآلي (الكومبيوتر)(٤٣)، وممّا ورَدَ في ذلك ماجاء في القرار رقم ٤٥/٥/ ٦ والصادر عن مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمرهِ

السادس بجدّة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ١٤-٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م، حيث نصَّت الفقرات الوارده في هذ القرار على مايلي: (

١- إذا تمَّ التعاقد بين غائبين لايجمعهما مكانٌ واحد، ولا يرى أحدهما الآخر معاينةً، ولا يسمعُ كلامه، وكانت وسيلة الإتصال بينهما الكتابة أو الرسالة أو السفارة (الرسول) وينطبق ذلك على البرق والتلكس والفاكس وشاشات الحاسب الآلي الكومبيوتر – ففي هذه الحالة ينعقد العقد عند وصول الإيجاب الى الموجه إليه وقبوله.
٢- إذا تمَّ التعاقد بين طرفين في وقتٍ واحدٍ وهما في مكانين متباعدين، وينطبق هذا على الهاتف واللاسلكي، فإنّ التعاقدَ بينهما يُعتَبرُ تعاقدا بين حاضرين، وتطبّق على هذه الحالة الأحكام الاصلية المقررة لدى الفقهاء المشار إليها في الديباجة.
٣- إذا أصدَرَ العارض بهذه الوسائل إيجاباً مُحدد المدّة يكون ملزماً بالبقاء على إيجابِه تلك المدّة وليس له الرجوع عنه.
٤- أنَّ القواعد السابقة لاتشمل النكاح لإشتراط الإشهاد فيهِ ولا الصرف لإشتراط التقابض، ولا السلَم لإشتراط تعجيل رأس المال.
٥- مايتعلّق بإحتمال التزييف أو التزوير أو الغلط يرجع فيهِ الى القواعد العامة للإثبات.)(٤٤).

التحليل:

بيّنت الفقرات المنصوص عليها في هذا القرار جواز إجراء العقود المتنوعة بين الناس بواسطة آلات الإتصال الحديثة المعتمدة على التقنيات الفنية العالية والتي تمكّن من إيصال فحوى خطاب المتعاقدين المتفارقين مكاناً بشأن العقد وبالصوت أو الصورة والصوت أو الكتابة أو بأي شكلٍ آخر، وإذا أردنا أنْ نتأمل ونقف على أهم

العلل وراء هذا الخيار الفقهي والحكم الإجتهادي في هذه المسألة (وهو الجواز) دون غيرِهِ من الأحكام التكليفية نجد أنها تستندُ الى ما يأتي من ميادين المرونة في الفقه الإسلامي:

١ – إنَّ الأصل في المعاملات ومايتصل الإباحة:

أنَّ الأصل في المعاملات من عقود وما يتصل بها من شروطٍ وغيرها هي الإباحة فلا يمنعُ فيها شيء الاّ ما منعهُ الشرع في نصٍّ من صريح الدلالة والثبوت من نصوصهِ[٤٥]، قال تبارك وتعالى: (وقَد فصَّلَ لَكُمْ ماحرَّمَ عَليكُمْ)[٤٦]، وجه الإستدلال: أنَّ كلَّ ما لَم يفصَّل لنا في تحريمهِ فهو حلالٌ بنصّ القرآن و ويدخُلُ في ذلك المعاملات التي يحتاج اليها الناس من بيوعٍ وإجارةٍ وغيرها و ما لم يفصّل لنا في تحريمه منها من كتابٍ أو سنّةٍ فهو مباحٌ حلالٌ لنا. فالمعاملات ومنها العقود لاتتطلب ورود الدليل الشرعي بها وإنّما يكفي في صحتها ألاّ تحرّمها الشريعة فإنْ لم يرد الدليل الذي يحظرها فإنها تباحُ إستصحاباً للأصلِ[٤٧].

٢ – مراعاة مصالح الناس:

يعوّل في تخريج أحكام المعاملات وإستنباطها على مقاصد الشريعة الإسلامية في جلب مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، وأساس ذلك أنَّ هذه الشريعة إنّما جائت لتلبية الحاجات الحقيقية التي تستلزمها ظروف الحياة ومقتضيات التعامل في كلّ زمانٍ ومكان تيسيراً على الخلق ورفعاً للحرجَ عنهم قال تعالى: (يُرِيدُ اللهُ بكُمُ اليُسرَ ولا يُرِيدُ بكُمُ العُسْرَ)[٤٨]، وقال جلَّ وعلا: (وَماجَعَلَ عَلَيكُم في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ)[٤٩]، فما شُرِّعَ من العقود والمعاوضات من بيعٍ وإجارةٍ وسَلَمٍ إنّما كان لسد حاجات الناس ورفع الحرجَ والمشقة عنهم وحفظ أموالهم وإستثمارها ومنع أكلها بالباطل[٥٠].

٣ – وجود التراضي بين طرفي العقد (حرية التعاقد ورضائيتهِ):

التراضي في العقود صورةٌ حيةٌ لإجتماع صفتا المرونة والثبات قي مسائل الفقه الإسلامي ففي جانب الثبات يعدُّ التراضي من المباديء الأساسية في جميع العقود، أمّا وجه المرونة فيتمثل في قبول أي شكلٍ يعبّرُ عن رضائية الطرفين سواءً كان لفظياً مباشراً أو رسالة أو وكيلاً أو إتصالاً برقياً أو هاتفياً مما أضحى التقدّم الحضاري يمدّ الإنسان بهِ[٥١].

إنَّ العقود المتبادلة كالبيوع والإجارات ونحوها وما يدورُ حولها لاتتطلّبُ في الشريعة الإسلامية أكثر من إلتقاء الإرادتين الصحيحتين وعندئذٍ يتمّ التعاقد وتترتب عليهِ آثارِهِ، فالتراضي هو أساس إنعقاد العقود بإتفاق إجتهادات فقهاء المذاهب الإسلامية وإنَّ الإيجاب والقبولَ ونحوهما وسيلةٌ للتعبير عنهُ[٥٢]، قال تعالى: چ ڤ چ ج ڇ ج چچ [٥٣]، وقال النبي (ﷺ): (إنّما البيع عن تراضٍ)[٥٤]،، قال عليهِ الصلاة والسلام: (لايحِلُّ مالَ إمريءٍ مسلمٍ ألاّ عن طيب نفسٍ منهُ)[٥٥]. ووجه الإستدلال: أنَّ مجرّدَ التراضي هو الذي يولّد العقد والتزاماتهِ دون حاجةٍ لممارسةٍ شكليةٍ معينةٍ.

٤ – جواز التعاقد بين غائبين بمختلف وسائل الإتصال:

يجوزُ أيضاً التعاقد بين غائبين وذلك عن طريق الكتابة أو إرسال رسول بينهما ونحو ذلك، فلو كتب شخصٌ لآخرَ غائب بعتك داري بكذا ووصلَ الكتاب لهُ كان ذلك إيجاباً من الأول وكأنَّ الموجب حضرَ بنفسهِ العقد، فإذا قبَلَ المشتري بعد إطلاعهِ على ما أوجبهُ الأول في الكتاب إنعقد العقد وكان صحيحاً على قول أكثر الفقهاء[٥٦].

إنَّ مجلس العقد بين الغائبين هو زمان الإتصال بينهما في شأن العقد والحال التي يكون المتعاقدان مقبلين على التفاوض في العقد و وينطبق هذا الامر على

التعاقد بين غائبينِ عن طريق أجهزة الإتصال الحديثة كالبرق والتلكس والفاكس وشاشات الحاسب الآلي – الكومبيوتر – والهاتف واللاسلكي فحينما يصلُ الخطاب أو البرقية أو إشعار التلكس أو الفاكس بشأن العقد والمتضمن إيجاب المرسِل الى الطرف الثاني يبدأ المجلس، وبعبارةٍ أوضح إنَّ مجلس التعاقد بين الغائبين هنا هو محل وصول المحادثة الهاتفية أو الإشعار الى مَن وجّهَ إليه، أي هو الحال التي يكون فيها المتعاقدان مقبلين على التفاوض بشأن العقد بهذه الطريقة وإتحادَ مجلسهما هو زمن الإتصال بينهما ما دامَت محادثتهما في شأنْ العقد، فإن إنتقل مضمون محادثتهما الى شأنٍ آخر إنتهى المجلِسُ، فإذا قبلَ المخاطب الذي وصلهُ الإيجاب ما أوجبهُ الأول في المجلس ولم يَعرض عنهُ إنعقدَ العقدُ، أمّا إذا صدرَ منهُ مايَدلُّ على إعراضِهِ عُرْفاً فإنَّ العقد لاينعقدَ، وكذلك لاينعقد إذا إنتقلَ المتحدثان الى حديثٍ آخر في غير شأن العقد[٥٧]. وعلى ما تقدَّم نجدُ أنَّ وجه المرونة الداعي لهذا الخيار الفقهي واضحٌ إذ لايشترَطُ لصحّة العقد أن يكون المتعاقدان في مكانٍ واحدٍ فيجوزُ أن يتعاقدا في حال كون مكان أحدهما غير مكان الآخر فإنْ وصَلَ الإيجاب الى المخاطب فكأنّ الموجب قدْ حضرَ بنفسهِ وأوجب العقدْ.

المسألة الثانية: نقل الأعضاء

أجاز كثير من الفقهاء المعاصرين إنتفاع الإنسان بإعضاء جسمٍ آخر حيّاً أو ميتاً عن طريق نقل هذه الإعضاء بواسطة التقنيات الطبية الحديثة، مع مراعاة الضوابط والقيود الشرعية التي تصانُ بمراعاتها كرامة الإنسان وتتحقق مقاصد الشريعة الإسلامية في تحصيل الخير للفرد والجماعة ويحصلَ التراحمَ والإيثار ويُتغلّب على الاضرار النفسية والإجتماعية الحادثة لمن جرت لهم هذه العمليات[٥٨]. وفي مايتعلّق بذلك نبيّن في ما يأتي جوانب من قرار مجلس الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره

الرابع بجدّة بالمملكة العربية السعودية من ١٨–٢٣ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ٦–١١ شباط ((فبراير)) سنة ١٩٨٨م حيث نصّت فقرات هذا القرار على مايأتي:

(أولاً: يجوز نقل العضو من مكانٍ من جسم الإنسان الى مكانٍ آخر من جسمهِ، مع مراعاة التأكد من أنَّ النفع المتوقع في هذه العملية أرجحُ من الضرر المترتب عليها، وبشرط أن يكون ذلك لإيجاد عضو مفقود أو لإعادة شكلهِ أو وظيفته المعهودة له، أو لإصلاح عيب أو إزالة دمامة تسببُ للشخص أذىً نفسياً أو عضوياً

ثانياً: يجوز نقل العضو من جسم إنسانٍ الى جسم إنسانٍ آخر، إن كان هذا العضو يتجدد تلقائياً، كالدم والجلد، ويراعى في ذلك إشتراط كون الباذل كامل الأهلية وتتحقق الشروط المعتبرة

ثالثاً: تجوزُ الإستفادة من جُزءٍ من العضو الذي إستؤصلَ من الجسم لعلّة مرضيةٍ لشخصٍ آخرَ، كأخذَ قرنية العين لإنسان ما عندَ إستئصال العين لعلّةٍ مرضيةٍ.

رابعاً: يحرّمُ نقل عضوٍ تتوقف عليهِ الحياة كالقلب من إنسانٍ حيٍّ الى إنسانٍ آخرَ.

خامساً: يُحرَّم نقل عضوٍ من إنسانٍ حيٍّ يُعَطّلَ زوالهُ وظيفةٍ اساسيةٍ في حياتهِ وإنْ لم تتوقف سلامة أصل الحياة عليها كنقلِ قرنية العين كلتيهما، أمّا إن كان النقلُ يعطلَ جزءاً من وظيفةٍ أساسيةٍ فهو محلّ بحثٍ ونظرٍ كما يأتي في الفقرة الثامنة.

سادساً: يجوز نقلَ عضوٍ من ميتٍ الى حي تتوقف حياتهِ على نقلَ ذلك العضو، أو تتوقفَ سلامة وظيفةٍ اساسيةٍ فيهِ على ذلك. بشرطَ أنْ يأذنَ الميت قبلَ موتهِ أو ورثتهِ بعدَ موتهِ، أو بشرط موافقة وليَّ أمر المسلمين إنْ كان المتوفي مجهولَ الهوية، أو لاورثةَ لهُ.

سابعاً: وينبغي ملاحظة الإتفاق على جواز نقل العضوِ في الحالاتِ التي تمَّ بيانها، مشروطٌ بأنْ لايتمَّ ذلك بواسطة بيعَ العضوِ، إذ لايجوزُ إخضاعَ أعضاء الإنسان

للبيع بحالٍ ما، أمّا بذلَ المال من المستفيد، إبتغاء الحصول على العضوِ المطلوب عند الضرورة أو مكافأةً وتكريماً، فمحِلُّ إجتهادٍ ونظَرٍ.

ثامناً: كلُّ ماعدا الحالات والصور المذكورةَ، مما يدخلُ في أصلَ الموضوع فهو محلُّ بحثٍ ونظر، ويجبَ طرحهُ للدراسة والبحث في دورةٍ قادمةٍ على ضوء المعطيات الطبيةِ)[٥٩].

التحليل:

في ما يتعلّق بما جاء في بداية الفقرة الأولى من هذا القرار والتي نصَّت على جواز نقل العضوِ من مكانٍ في جسم الإنسان الى مكانٍ آخرَ من جسمهِ أي النقل الذاتي وبالتفاصيل الواردة؛ فإنَّ وجه المرونة الداعي لإختيار حكم الجواز هنا هو تحقيق المصلحة المتمثلة في إنقاذ الأنفسِ والأعضاء ودفع الخطرِ والضررعنها مع وجود الضرورة أو شدة الحاجة وأنْ تقترن عملية النقل بأمن العواقب الناشئة عن قطع الجزءِ أو غرسهُ، وإلاّ فإنْ حدوثَ الخطرُ على العضو أو عدم أمن نجاح غرسِ العضو عند نقلهِ، أو لمْ تكن هناك ضرورةٌ أو حاجةٌ فلا يجوز عندئذٍ نقل العضوِ لتناقض ذلك مع مقاصد الشارع في وجوب المحافظة على الأنفسِ والأعضاء[٦٠].

وفيما يتعلّق بما جاء في هذه الفقرة من نقل العضو من مكان من جسم الإنسان الى مكانٍ آخر في جسمهِ لأجل إصلاحَ عيبٍ أو إزالة دمامةٍ تسببُ للشخص أذىً نفسياً أو عضوياً فإنَّ وجه المرونة الداعي الى القول بالجواز هو الأخذ بمبدأ رفع الحرج المتمثل بطروء عيبٍ وتشويهٍ خلقي قد يكون مدعاة لنفور الناس أوسخريتهم من الشخص بهِ ومايترتب عليهِ من أذىً نفسي وعضوي ويعزز هذا الخيار الفقهي وهو الجواز ماوري أنَّ النبي (ﷺ): (أذِنَ لرجلٍ قطعت أنفهُ في الحرب أنْ يتخذَ أنفاً من ذهبٍ)[٦١]، وعلى ذلك فإن تعديل الأنف الأعوج أو تعديل العين الحولاء لابأس بهِ لأنّهُ من باب إزالة العيب[٦٢]، أما إذا كان النقل للعضو من باب التجميل الزائد وزيادة

الحُسن وليس من أجل إزالة العيب فهو محرّمٌ لما فيهِ من تغيير خلقِ الله تعالى وهو شبيةٌ بالنمص والوشمَ ووشر الأسنان وتفليجها[٦٣] وإنَّ الرسول (ﷺ) لعنَ النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة[٦٤]، والله أعلم.

أمّا بخصوص ما جاء في الفقرةِ الثانية من جواز نقل العضو من جسمِ إنسانٍ الى آخر إذا كان هذا العضو يتجدد تلقائياً كالدمِ والجلد ؛ فنرى أنَّ وجه الجواز في نقل الدم والتبرّع بهِ من إنسانٍ لآخر؛ محمولٌ على حالة الضرورة فغالباً مايكون التبرّع ونقل الدم لأجل إنقاذ حياة شخصٍ مشرفٍ على الهلاك لفقدهِ كمياتٍ مهمةٍ من دمهِ يحتاجها جسمهُ، ولا يظنَّ أنَّ أحداً يُطلبُ منهُ التبرّع بالدم لغير ضرورة، فالمصلحة هنا راجحةٌ ومفسدة الهلاك مدفوعةٌ سيّما وإنَّ التبرّع بالدم لا يضرُّ بالإنسان المتبرّع إذ أنَّ الدم ممّا يأتي خلقةً سريعاً أي ممّا يتجددُ تلقائياً فهو من المنفصلات بخلاف التبرّع بالأعضاء التي لو تبرّع بها ما نشئت ثانيةً، فإذا كان التبرّع بالأعضاء جائزاً عند مراعاة الضوابط في ذلك ؛ فإنَّ التبرّع بالدمَ جائزٌ من بابٍ أولى لِما ذكرنا[٦٥].

وفيما يتعلّق بجواز الترقيع الجلدي الذي ورَدَ في هذه الفقرة فإنَّ وجه المرونة الداعي الى الجواز هو هو أنَّ الترقيع ربما يكون ضرورةٌ تخضع أحكامها للشروط العامة للضرورة، وأنّهُ يجب أنْ تتوفر في عملية الترقيع الجلدي جملة شروط منها أنْ تكون عملية الترقيع هي الوسيلة الوحيدة لعلاج المريض، وأن لايتسبب نزع الجلد في حالة التبرّع من إنسانٍ حي الى ضررٍ يماثِلُ ضرر المتبرَّع لهُ أو بقوتهِ، ومنها أنْ يغلب على الظن نجاح عملية الترقيع[٦٦]. واللهُ أعلم.

وفي مايتعلّق بالفقرة الثالثة التي نصّت على على جواز الإستفادة من جزءٍ من العضو الذي إستؤصل من جسم إنسانٍ (لعلةٍ مرضيةٍ) وإعطائهِ لشخصٍ آخر محتاجٍ إليها، كأخذ قرنية عين آدمي عند إستئصال عينهِ لعلّة مرضيةٍ وإعطاء هذه القرنية لآخرٍ محتاجٍ إليها ؛ فنرى أنَّ وجه المرونة الداعي الى الجواز يتمثّلُ في أنَّ إعطاء

العضو المستؤصل لشخصٍ آخرَ لعلةٍ مرضيةٍ فيهِ يشتملُ على منفعةٌ خالصةٌ للغير دون إحتمال أيَّ ضررٍ على الشخص المستؤصلة منهُ، سيّما وإنَّ العضو المستؤصل إنْ تُرك فهو صائرٌ الى التحللِ(٦٧)، وأنَّهُ لايوجدُ يوجد دليلٌ صريحٌ على التحريم فيكون الأمرُ هنا على الإباحة ويدخلُ التبرّعَ بالعضو أو الوصية به هنا من باب القربة المأجور عليها إنْ قُرنَ بالنية الخالصة لوجه الله تعالى(٦٨). واللهُ أعلم.

أمّا فيما يتعلّق بما جاء في الفقرة الرابعة والتي جاء فيها النصّ على تحريم نقل عضوٍ تتوقف عليه الحياة كالقلب من إنسانٍ لآخرَ، فنرى أنَّ وجه التحريم والتمسك بثوابت الشريعة محمولٌ على ما يُسببهُ النقل على هذا النحو من ضررٍ مؤكدٍ لنفس المنقول إذ غالباً مايؤدي نقلُ بعض الأعضاء كالقلب أو كلتا الرئتينِ أو الكليتين الى الوفاة، وإن النقل على هذا النحو وإن كان فيه جلبَ نفعٌ للغير ودفعَ ضررٍ فإنَّ فيهِ إعتداءٌ على نفس المنقول منهُ بالإزهاق والقتل، والنفس هي وديعةٌ من الله تعالى عند الإنسان فلا يجوز جلب الضرر المؤكد لها بدافع إزالة الضرر عن الغير(٦٩)، والله أعلم.

أمّا الفقرة السادسة التي نصّت على على جواز نقلَ عضوٍ من ميتٍ الى حيٍّ تتوقف حياتهُ على ذلك العضو او تتوقف سلامة وظيفةٍ أساسيةٍ فيه على ذلك وبشرط أنْ يأذن الميت أو ورثتهِ بعد موتهِ أو موافقة ولي أمر المسلمين إن كان المتوفى مجهول الهوية أو لاورثة لهُ.

فإنَّ جانب المرونة الداعي الى خيار الجواز هنا محمول على أحكام الضرورة التي يباحُ بها المحظور لأجل دفع التهلكة(٧٠) وهو مذهب جمهور الفقهاء(٧١) الذين إستدلّوا على ذلك بقوله تعالى: چ پ پ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ چ (٧٢) وقولهِ تعالى: چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ چ (٧٣) فأبيحَ على ذلك أكل النجاسات والمحرّمات على الرغم مما فيها من

مفسدة إذ أنَّ في ترك المحظور والإشراف على التهلكة مفسدةٌ أعظم ألا وهي هلاك النفس التي أمر الشارعُ بحفظها وقد قال تعالى: چ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ چ (٧٤) وقال عزَّ وجلَّ: چ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ چ (٧٥)، وعندئذٍ لاعبرة لإذن الميت قبل موتهِ(٧٦).

وفيما يتعلّق بجواز نقل العضو من الميت لأجل سلامة وظيفةٍ أساسية في العضو وبالشروط المذكورة وهي إذن الميت (قبل وفاته) أو ورثتهِ أو موافقة ولي أمر المسلمين فرغم أنَّ في ذلك مفسدةً ووجهٌ للتحريم إذ أنَّ في ذلك إنتهاك لحُرْمة وكرامة الآدمي وهي مصونةٌ في الشريعة الإسلامية لا يجوز المساس بها سواءً كان حيّاً أو ميتاً(٧٧)، قال تعالى: چ ک ک ک ک گ چ (٧٨) وقول الرسول الكريم (ﷺ): (كسرَ عظمَ الميّتِ ككسرهِ حي)(٧٩)، فإنَّ هناك مصلحةٌ تربوّ على مفسدة عدم النقل وتتمثلُ بإنتفاع المسلم الحي بنقل العضو من الميت الى العضو المقصود من جسمهِ في حال غلبَ على ظنِّ الطبيب نجاحَ عملية غرس الجزء المنقول الى جسمَ الحي وإستفادة الحي بالعضو المنقول إليهِ بإعتبارهِ علاجاً ومداواة ويؤدي الجسم به وظائفهِ التي إفتقدها، وشريطة أن تؤمن الفتنة وذلك يكون موجوداً مع وصية الميت بذلك قبل وفاتهِ أو يقرن الأمر بموافقة عصبتهِ بترتيب الميراث إن كان الميت وأسرتهِ وأهلهِ معروفين فإن جُهلت شخصيته وجُهِلَ أهله فيجوز ذلك أيضاً بإذن القضاء وولي أمر المسلمين، وأن تجرى العملية للميت بكلِّ عنايةٍ وإحترام كما تجرى للحي ودون مساسٍ بحرمة جسدِهِ ولا ينتقص من حقوقهِ من تغسيل وتكفينٍ وصلاةٍ عليهِ(٨٠).

وفي ما يتعلّق بما جاء في الفقرة السابعة والتي نصّت على تحريم بيع أعضاء الإنسان فوجه التحريم المستند الى ثوابت الشريعة هو أنَّ الإنسان مكرَّمٌ بنصوص القرآن وإنَّ البيع هو مبادلة مالٌ بمالٍ على سبيل التراضي وبدنُ الإنسان ليس بمالٍ حتى يدخل في مجال المساومة والمعاوضة وإنْ أجزنا البيع فإن أعضاء جسد الإنسان

تصبحُ موضع تجارةٍ وصفقاتٍ وهو ماتفعلهُ زمرٌ من العصابات والسماسرة في وقتنا الحاضر حيثُ تشتري أعضاء المستضعفين والفقراء من الناس من مختلف الاجناس والفئات وتبيعها لجهات معينةٍ في تجارةٍ خسيسةٍ محرّمةٍ شرعاً وعقلاً[٨١].

أمّا لو بذل المنتفعُ من النقلِ مبلغا من المال على سبيل الهدية والهبة والمساعدة وبدون شروطٍ مسبقةٍ او مسمّاة فإنَّ ذلك جائزٌ على الراجح[٨٢]، والله أعلم.

<u>المسألة الثالثة: الإستعانة بالحساب الفلكي والمراصد العلمية في إثبات بدايات الشهور القمرية:</u>

من وجوه الإستفادة من مرونة الفقه الإسلامي في التعامل مع المسائل والقضايا المستحدثة والتي تحتمل الأحكام الإجتهادية لعدم ورود النصوص الشرعية الصريحة فيها ؛ قول كثير من الفقهاء المعاصرين بجواز الإستعانة بالحساب الفلكي والمراصد العلمية التي تعتمدُ التقنيات الحديثة لرؤية الهلال وإثبات الصيام، ومنهم العلاّمة أحمد محمد شاكر والشيخ مصطفى الزرقا والدكتور يوسف القرضاوي والشيخ عبدالرزاق عفيفي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية وغيرهم[٨٣]، ويؤيد هذا ماجاء في قرار رقم (٦) الصادر عن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمرهِ الثالث بعمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ١٩٨٦م إذ نصَّ القرار المذكور على مايأتي: (إنَّ مجلس الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمرهِ الثالث بعمّان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية من ٨-١٣ صفر ١٤٠٧ هـ/ ١١الى ١٦ أكتوبر ١٩٨٦م.

بعد إستعراضه في قضية ((توحيد بدايات الشهور القمرية)) مسألتين:

الأولى: مدى تأثير إختلاف المطالع على توحيد بداية الشهور.

الثانية: حكم إثبات أوائل الشهور القمرية بالحساب الفلكي.

وبعد إستماعهِ الى الدراسات المقدمة من الأعضاء والخبراء حول هذه المسألة، قرّرَ:

في المسألة الأولى:

إذا ثبتت الرؤية في بلدٍ وجَبَ على المسلمين الإلتزام بها ولاعبرة لإختلاف المطالع لعموم الخِطاب بالأمرِ بالصوم والإفطار.

في المسألة الثانية:

وجوب الإعتماد على الرؤية، ويستعان بالحِساب الفلكي والمراصِدَ مراعاةً للأحاديث النبوية والحقائق العلمية.)[٨٤].

كذلك جاء القرار رقم (١٠٨) بتاريخ ١٤٠٣/١١/٢هـ والصادر عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية متضمنا أهميةً إنشاء المراصد الفلكية العلمية كعامل مساعدٍ على تحرّي رؤية الهلال بواسطة المنظار وأنَّ ذلك لامانعَ منهُ شرعاً وأنَّهُ إذا رؤي الهلال بالمرصد رؤيةٍ حقيقيةٍ بواسطة المنظار تعيّن العمل بهذهِ الرؤية ولو لم يُرَ بالعين المجردة[٨٥].

ومن أهم ماإستدلَّ بهِ الفقهاء القائلين بالجواز:

١- قول الرسول الكريم (ﷺ): (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيتهِ ...)[٨٦] الحديث.

وجه الإستدلال: أنَّ المعوّل عليهِ في إثبات الهلال هو الرؤية الحقيقية وذلك يصدقُ على الرؤية بالعين المجرّدة أو بالعين عن طريق المنظار الموضوع في المراصد.

٢- إنَّ علمّ الفلك الحديث القائم على التقنيات العلمية القائمة على المشاهدة والتجربة يبيّن لنا بزوغ الهلال وإثبات بدايات الشهور القمرية على وجهٍ يفيدُ الجزم والقطع، والمثبِت مقدَمٌ على النافي[٨٧].

التحليل:

إنَّ الأهمية المتماشية مع المصلحة المشروعة التي دعَت الفقهاءالمعاصرين الى إستنباط حكم الجواز هنا تبين مدى الإستفادة من جوانب المرونة في الفقه الإسلامي وإنَّ وجه المصلحة في الإستعانة بالمراصد والنواظير ذات التقنية العالية تبدو في كوننا مأمورين بتحرّي الهلال لكي نعرف إهلالهِ من عدمهِ إذ أنَّ الشارع الحكيم أمرَ بالصيام لرؤية الهلال والإفطار لرؤيته، فالمعرفة ينبني عليها حكمٌ شرعيٍ وهو وجوب الصوم أو وجوب الفطر، وعلى ذلك فإننا لانبرأ من العهدة أمام الله تعالى إلاّ إذا حاولنا سلوك كلّ الوسائل المتيسرة لمعرفة بزوغ الهلال من عدمهِ في حال عَسُرَ علينا رؤيتهُ بالعين المجرّدة، فإن تيسرت لنا الوسائل التي تعيننا على المعرفة كالمراصد ومايتبعها من الأجهزة البصرية ذات التقنية التي توصلُ للرؤية اليقينية للهلال فإنّهُ يجبُ علينا الإستعانة بها لأنها توصلنا عندئذ الى مالم نصِلُ إليهِ بالعين المجردة فهذه المراصد لها القدرة على قطع الشك باليقين في ثبوت الهلال ومع اليقين لايجوز الركون والبقاء الى الظن فإنَّ الظن لايغني عن الحق شيئا وإنَّ الإستعانة بهذه الإجهزة يندرج تحت قاعدة مالا يتمُّ الواجب إلاّ بهِ فهو واجب[٨٨].

إنَّ ثبوت الهلال ليس من الشؤون الخاصة وإنّما يتعلق بالشعائر الدينية لعامة المسلمين وإنَّ تنازع وإختلاف المسلمين في الأقطار بشأن إثبات الهلال والصوم والفطر يُعَدُّ أمراً خطيراً واختلافهم في القطر الواحد بشأن ذلك لم يعد مقبولاً إذ تتوفر في زماننا الإجهزة التي تصل قدرة إثباتها لثبوت الهلال الى حَدّ القطع القاطِع للتنازع[٨٩].

الذي يجدر بيانه أنَّ بعض علماء الدين في وقتنا يعتقدون أنَّ الحساب الفلكي العلمي هو حساب أصحاب التقاويم الذي تطبع وتوزّع على الناس وفيها مواقيت الصلاة وبدايات الشهور القمرية ونهايتها وهذا الإعتقاد غير صحيح، فإنَّ هذه التقاويم

تختلفُ بعضها عن بعض فمنها ما يجعلُ رمضان (٢٩) يوماً ومنها مايجعلهُ ٣٠ يوماً وكذلك شعبان وغيرها من الأشهر، وعلى هذا فإنها غير قائمة على العلم اليقيني فاليقين لايعارض بعضهُ بعضاً، والصحيح أنّ الحساب الفلكي العلمي الذي أجازهُ بعض الفقهاء المعاصرين للإستعانة بهِ في إثبات الهلال وبدايات الشهور القمرية هو مايقررهُ علم الفلك الحديث القائم على المشاهدة والتجربة ويعتمد الإمكانية التقنية العالية بحيث يبيّن لنا بزوغ الهلال وإثبات بدايات الشهور القمرية على وجهٍ يفيد الجزم والقطع[٩٠]؛ قال الشيخ يوسف القرضاوي: (إنَّ الذي نعنيهِ هو مايقررّهُ عِلمَ الفلك الحديث القائم على المشاهدة والتجربة، والذي غدا يملُكُ من الإمكانات العلمية والعملية – التكنولوجية – ماجعَلَهُ يَصِلَ بالإنسان الى سطحِ القمر، ويبعثُ بمراكِز فضائيةٍ الى الكواكب الأكثر بعداً وغدَت نسبة إحتمالَ الخطأ في تقديراتهِ ١/ ١٠٠٠٠٠ ((واحداً الى مائة الفٍ)) في الثانية، وأصبحَ من أسهلِ الأمور عليهِ أنْ يخبرنا عن ميلاد الهلال فلكيّاً وعن إمكان ظهورهِ في كلِّ أفقٍ بالدقيقةِ والثانية، لو أردنا)[٩١].

المسألة الرابعة: مسألة التلقيح الصناعي:

رغبة الزوجين في الذرّية وفائدة الذرّية للمجتمع قد تصطدمُ بعقم أحدهما مما يمنع تمتعهما بالذرية التي يطمحانِ اليها ويَحْرِم المجتمع من ثمرة هذه الذرّية في الإسهام في خدمته وبنائهِ[٩٢]، وإنَّ من الحلول التي جاءت بها التقنيات الحديثة لمشكلة العقم هي التلقيح الصناعي بين نطفتي الذكورة والأنوثة ضمن أنابيب إختبارٍ في المختبرات الطبية ثُمَّ نقل الجنين البدائي من هذا التلقيح وزرعهِ في رحم المرأة حيثُ ينمو في فترة الحمل المعتادة ويولَدُ ولادةً طبيعيةً لذلك أصبحَ في مقدور كلِّ إمرأةٍ عقيمٍ أنْ تحملَ من طريق التلقيح الصناعي وقد نشأت حالاتٍ متعددةٍ للإنجاب على هذا النحو تستدعي بيان الحكم الشرعي فيما يُحرَّمُ منها أو يحلَّ[٩٣] أخذاً بمرونة الفقه الإسلامي أو ثوابت التشريع والتوازن بين هاتين الخاصيتين وسنكتفي هنا ببيان ماجاء

في هذا الشأن من أحكامٍ وترجيحات في مقررات مجمع مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الثامن بالأردن سنة ١٩٨٦م، فرغم أنَّ الفقهاء المعاصرين في هذا المؤتمر أخذوا بثوابت هذهِ الشريعة فحرّموا خمسا من طرق التلقيح المعرفة في هذه الأيام لما يترتب على الأخذ بهذه الطرق من إختلاط الأنساب وضياع الأمومة ولكنهم إستثنوا من ذلك طريقتان فقالوا لاحرجَ من الرجوع اليهما عند الحاجة مع ضرورة أخذ الأحتياطات اللازمة في ذلك كمعرفة الرجل وامرأة والطبيب، والطريقتان اللتان قالوا بجواز الأخذ بهما ؛ أولاهما: انْ يؤخذ نطفةٌ من الزوج وبيضةٌ من زوجته ويتمّ التلقيح خارجياً ثُمَّ تُزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

أمّاالطريقة الثانية؛ فهي أنْ تؤخذ بذرة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من رحم زوجتهِ تلقيحاً داخلياً.

وفي مايلي نصٌّ القرار رقم (٤) الصادر عن مجلس الفقه الإسلامي بشأن أطفال الانابيب:

(إنّ مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨-١٣صفر ١٤٠٧ م١١-١٦ أكتوبر ١٩٨٦م. بعد إستعراضه لموضوع التلقيح الصناعي ((اطفال الأنابيب)) وذلك بالإطلاع على البحوث المقدّمة والإستماع لشرح الاطباء والخبراء. وبعد التداول تبيّن للمجلس أنَّ طرق التلقيح الصناعي المعروفة هذهِ الأيام هي سبع:

الأولى: أنْ يجري تلقيح بين نطفةٍ مأخوذةً من زوج وبيضة مأخوذة من إمرأةٍ ليست زوجتهِ ثُمَّ تُزرع اللقيحة في رحمِ زوجتهِ.

الثانية: أنْ يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج وبيضة الزوجة ثمَّ تُزرَع تلك اللقيحة في رَحِمِ الزوجة.

الثالثة: أنْ يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثُمَّ تُزرع اللقيحة في رَحم إمراةٍ متطوعةٍ بحملِها.

الرابعة: انْ يجري تلقيح خارجي بين بذرتي رَجلٍ أجنبي وبيضة إمرأةٍ اجنبيةٍ وتُزرعُ اللقيحة في رَحِمِ الزوجة.

الخامسة: أنْ يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثُمَّ تُزرَع اللقيحة في رَحَمِ الزوجة الأخرى.

السادسة: أنْ تؤخذ نطفةٌ من زوج وبيضةٍ من زوجتهِ ويتمَّ التلقيح خارجياً ثُمَّ تُزرع اللقيحة في رَحِمِ الزوجة.

السابعة: أنْ تؤخذ بذرة الزوج وتُحقَنْ في الموضع المناسب في مهبل زوجتهِ أو رَحمها تلقيحاً داخليا.

وقرر:

أنّ الطرقَ الخمسة الأولى كلّها مُحرمةٌ شرعاً وممنوعةٌ منعاً باتّاً لذاتها أو لما يترتب عليها من إختلاط الانساب وضياع الأمومة وغير ذلك من المحاذير الشرعية.

أمّا الطريقان السادس والسابعَ فقد رأى مجلس المجمع أنّهُ لاحرَجَ من اللجوء إليهما عند الحاجة مع التأكيد على ضرورة أخذ كلَّ الإحتياطات اللازمةَ)[٩٤].

إنَّ الطريقتين الأخيرتين (السادسة والسابعة) اللتان أستثنيتا من التحريم واخذتا حكم الجواز مع مراعاة الأحتياطات اللازمة هما من صور المرونة في الجانب التشريعي عند التعامل مع القضايا المستحدثة والتي يمكن أن تحضر في الحكم الإجتهادي والإختيار الفقهي عند قيام دواعيها وتوفر مقوماتها إذ انَّ جانب المصلحة في إنجاب الذرية للفرد والمجتمع واضحٌ وراجحٌ ولا توجد مفسدة لأنَّ الولادة هنا تكون شرعية كالولادة الطبيعية ولا إختلاط أو شبهة في نسب المولود لانهُ جاء من أبوينِ وزوجين شرعيينِ، والله أعلم.

الخلاصة والنتائج

بعد ان إنتهينا بعون الله تعالى من هذه الدراسة المتعلقة بتعامل الفقهاء المعاصرين مع المسائل المستحدثة في ضوء مرونة الفقه الإسلامي ومايترتب على ذلك أمكننا التوصل الى النتائج الآتية:

١- تقديم الحلول الإيجابية وإيجاد الأحكام الشرعية الصائبة لما يستجدُّ من المسائل الناشئة عن التقدّم العلمي يُعدُّ ضرورةٌ لاغنى عنها من أجل تلبية حاجات الناس ومواكبة عجلة الحياة وركب التقدّم.

٢- لو لم تعُرَف الحلول الشرعية للمسائل المستحدثة المعاصرة التي لم يُنص عليها لوقع الناس في الحرج والضيق وحرّموا ماأحلَّ الله تعالى وأحلّوا ماحرَّم وتتبعوا الحيل غير الجائزة ونالهم الإثم والعقاب بذلك.

٣- الفقه الإسلامي غنيّ بالقواعد والأصول العامة والفروع والجزئيات والنظريات المَرِنة القادرة على إستيعاب تفاعلات الحياة ومواكبة التطور.

٤- على المسلمين الإفادة الإيجابية من المنجزات الآلية للعلوم التجريبية وتطبيقاتها وخبرات الآخرين في ذلك مستفادين من خاصية المرونة في الفقه الإسلامي الذي يساير مصالح الناس في كلِّ زمانٍ ومكانٍ وإنَّ الإحجام عن ذلك يؤدي الى التخلف الشديد عن ركب الحياة ومواكبة الحضاري والتكنولوجي الذي يحدث في الالعلم المعاصر.

٥- التصدي للمسائل المستحدثة وحلولها يستلزم الأهلية لذلك ولابدَّ من إعداد علماء قادرين على تقديم الحلول لِما أستحدث و وينبغي رفض الإجتهاد من غيرالمؤهلين له فلا يجوز الإجتراء على نصوص الشرع والإستهانة بأصوله وإتخاذ الشريعة غرضاً لسلوكياتهم الدنيوية المنحرفة.

٦- الإفتاء عن جهلٍ حرامٌ لأنهُ إخبار عن الله تعالى، كذلك يكون الإفتاء حراماً إذا أريد إتخاذ الفتوى حجةً لباطلٍ أو إذا ترتبت على الفتوى مفسدةٌ أعظم من الإحجام عنها.

٧- عند إجتماع المصلحة والمفسدة في المسائل المستحدثة عن التقدّم العلمي وجب إخضاع المسألة للمعيار الشرعي لا المعيار البشري فإنَّ مقصود الشرع هو جلب المصلحة للبشر ودرء المفسدة والضرر.

هوامش البحث:

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، – كتاب السين – ٢٩٧/١، تاج العروس من جواهر القاموس، الفيروز آبادي محب الدين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، مطبعة مصطفى، مادة – سأل – ٧١٥١/١، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، دار المعرفة لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٠٢/١، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، – فصل السين – ١/ ١٣٠٧–١٣٠٨.

(٢) ينظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد روّاس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، مادة – المسألة – ٤٢٥/١، ومادة – سائل– ٢٣٨/١،، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦/ ٣٣٣–٣٣٥، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٨/١.

(٣) ينظر: لسان العرب، للعلامة إبن أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، مادة – حدث– ١٣١/٢، المصباح المنير، مادة – حَدَثَ– ١٢٤/١، تاج العروس، مادة – حدث– ١٢٣٢/١، القاموس المحيط، مادة – حدث– ١/ ٢١٤.

(٤) ينظر: معجم لغة الفقهاء ١/ ٤٩٧، القاموس الفقهي، للدكتور سعدي حبيب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/ ٧٩.

(٥) معجم لغة الفقهاء ٤٩٧/١، مفهوم الفقه الإسلامي وتطوّره وأصالته ومصادره، نظام الدين عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.، بيروت، ٢٥.

(٦) ينظر: شرح منهاج الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي (ت٧٧٢هـ)، طبع مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٥٣، القاهرة – روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت٨٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.، ١٩١/٣، الأحكام في أصول الأحكام للآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، ١٤١/٤، المستصفى من علم الأصول، للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ – الطبعة الأولى. ٣٤٢/١، علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، طبعة دار الحديث، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، القاهرة، ٢٠٠، أصول الفقه، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ٣٥٦.

(٧) لسان العرب ١٣٣/٣، باب (خهد)، المصباح المنير ١١٢/١، كتاب (الجيم) مادة (الجهد).

(٨) ينظر: إرشاد الفحول الى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد سعيد البدري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، الطبعة الأولى ١/ ٤١٩.

(٩) ينظر: صفة الفتوى والمستفتي، لإبن حمدان الحنبلي، المكتب الإسلامي، ٤، مباحث في احكام الفتوى، عامر سعيد الإيباري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، ص٤.

(١٠) ينظر: لسان العرب ١٥/ ١٤٧، مادة (فتا)، النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: ٤١١/٣.

(١١) ينظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين، لإبن القيّم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت٧٥١هـ)، دار الحديث القاهرة ٢١٤/٤، الإجتهاد والتقليد في الإسلام، ناديه شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص٣١٠، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، عبدالله ناصح علوان، دار السلام ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. ص١٢١.

(١٢) ينظر: المصادر السابقة، الإسلام شريعة الزمان والمكان ٢٨- ٢٩، فتاوى معاصرة، للدكتور يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م: ١/٨-٢٥، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، للدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ٤٥- ٤٩، مباحث في أحكام الفتوى ١١٣- ١١٧.

(١٣) ينظر: المستصفى ٣٥٤/٢، الأحكام للآمدي ٢٢١/٤، أصول الأحكام وطرق الإستنباط في التشريع الإسلامي، الدكتور حمد عبيد الكبيسي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ، ٣٧٢، أصول الفقه، محمد الخضري، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، القاهرة، ٤٢٦- ٤٢٧.

(١٤) ينظر: المصادر السابقة.

(١٥) الإجماع: هو إتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصرٍ على حكم شرعي، ينظر: الأحكام للآمدي ٢٨١/١، المستصفى ١٧٣/١، علم أصول الفقه ٤٠، أصول الفقه للخضري ٣٢١.

(١٦) ينظر: المستصفى ٣٥١/٢، شرح الأسنوي على المنهاج ٣٠٨/٣.

(١٧) ينظر: المصباح المنير، مادة – علم – ٤٢٧/٢، تاج العروس ٧٨٢٦/١، مختار الصحاح، لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر ومكتبة لبنان وناشرون، بيروت و طبعة جديدة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. مادة – علم – ٤٦٧/١.

(١٨) ينظر: معجم لغة الفقهاء ١/ ٣٢٠، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفومي، تحقيق: عدنان درويش محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ٦٦٨/١.

(١٩) تعليم المتعلّم طرق التعلّم لبرهان الإسلام الزرنوجي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٧هـ –١٩٤٨م، ٤–٧، دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، الطبعة الثالثة، عمان، ١٠٢٤هـ–١٩٨٢م، ٢٢٢، العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي لمحمد جميل الحبال، تقديم الشيخ ابراهيم النعمة، محمد راتب النابلسي، مكتبة دار المنهاج القويم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ، ٢٤–٢٦، القيادة التربوية في الإسلام، لمفيدة محمد ابراهيم، دار مجدلاوي، الطبعة الأولى، الأردن، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م. ص ٤٥٢–٤٥٤.

(٢٠) تيسير التحرير، لمحمد أمين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر، بيروت ٢١٣/٢، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، دار الفكر

للطباعة، بيروت ١٠٤٠٤هـ، ٧/ ٧٤، الوجيز في أصول الفقه، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م. ص٣٦.

(٢١) المصادر السابقة، نفس الصفحة والجزء، وينظر إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد بن أمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار الوعي، حلب، ١٥/٢، بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الأمام مالك، لأحمد بن محمد الصاوي المالكي، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، الطبعة الأولى. ٣٥٥/١.

(٢٢) سورة طه الآية ١١٤.

(٢٣) الحديث والثقافة الإسلامية، مناع خليل القطان، وزارة المعارف، المديرية العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية، السعودية، ط١، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م. ص ١٤٦، موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، نخبة من العلماء لمعاصرين، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ٤٩٢/٣، دراسات في الثقافة الإسلامية٢٢٢–٢٢٣، الإسلام مقاصده وخصائصه، د٠ محمد عقله و مطبعة الشروق ومكتبتها،، عمّان، الأردن.،١٩٢، الحديث والثقافة الإسلامية ١٤٦–١٤٧.

(٢٤) خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، للدكتور فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص٢٢٩، الحديث والثقافة الإسلامية ١٤٧، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ٥٩–٦٢.

(٢٥) ينظر: خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ٢٢٩، الحديث والثقافة الإسلامية ١٤٧، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية،

عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة،، الطبعة الثالثة، ١٢٩١هـ – ٢٠٠١م، ١٦٢

(٢٦) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لإبن القيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، ١/٣٣٠– ٣٣٨ ،النظم الإسلامية الدكتور منير حميد البياتي، وفاضل شاكر النعيمي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، الخصائص العامة للإسلام٢٤١–٢٥٠، الإسلام مقاصده وخصائصه ٨٨–٩٥، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد ٨٦–٨٧.

(٢٧) إغاثة اللهفان ١/٣٣٠–٣٣١.

(٢٨) فتاوى الناس – فتاوى الصيام وفتاوى معاصرة، جمع وترتيب محمود المصري أبو عمّار، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م. ٣٤٤، ٣٨٤، ٤٦٤، الدين والحياة – الفتاوى العصرية اليومية، للدكتور علي جمعة، نهضة مصر،، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م. ١٢٥، ١٣٣، موسوعة الأحكام والفتاوى الشرعية، لنخبة من علماء المملكة العربية السعودية، مع اللجنة الدائمة للإفتاء، جمع وترتيب: صلاح الدين محمود السعيد، دار العدل الجديد،، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ١١٥١، ١٢٠١، ١٤٦٤، ١٥٥٢، فتاوى معاصرة، ١/٧٤٠، ٢/٥٣٨،، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب، لإسلام بو درباله، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ٢٠٠٨م، ٢٨٢–٢٨٣، ٣٥٤,٤١٤، فتاوى الطب والتداوي، لنخبة من علماء المملكة العربية السعودية ، جمع وترتيب، أبو أنس صلاح الدين محمود السعيد، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤م، ١١٨، الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبه

الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة العاشرة، ١٤٨٠هـ – ٢٠٠٧م. ٧/ ٥٢٦٢.

(٢٩) ينظر: الموافقات في أصول الفقه، أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي اللخمي (ت ٧٩٠)، تحقيق عبدالله دراز،، دار المعرفة، بيروت، ٢/٦١، ٣/٨ ،١٠، ١٣، ١٦، ٢٦١، الخصائص العامّة للإسلام، د. يوسف لقرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت و الطبعة العاشرة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ٢٤٠–٢٤١، الإسلام مقاصده وخصائصه ٨٨–٩٥، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة والطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٨٥–٨٦.

(٣٠) الموافقات ٣/١٣.

(٣١) المصدر السابق ٣/٢٦١.

(٣٢) ينظر: الخصائص العامّة للإسلام، د. يوسف لقرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت والطبعة العاشرة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ٢٤٠–٢٤١، الإسلام مقاصده وخصائصه ٨٨–٩٥، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة والطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٨٥–٨٦.

(٣٣) نقول المصادر التبعية تمييزاً لها عن المصادر الأصلية للفقه الإسلامي التي هي الكتاب والسنة.

(٣٤) الإجماع في إصطلاح الأصوليين: هو إتفاق مجتهدي الأمّه في عصرٍ ما بعد عصرهِ (ﷺ) على حكم شرعي، ينظر: الأحكام للآمدي ١/ ٢٨١، المستصفى ١/١٧٣، علم أصول الفقه ٤٠، أصول الفقه للخضري٣٢١، الأنموذج في أصول الفقه، د. فاضل عبد الواحد عبد الرحمن، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٧٨م ٨٤.

(٣٥) القياس: هو إلحاق أمرٍ غير منصوص على حُكمِهِ بأمرٍ منصوص على حكمهِ لإشتراكهما في العلّة و ينظر: الأحكام للآمدي ٣/ ٢٧٣، أصول الفقه لأبي زهرة ٢١٨.

(٣٦) المصلحة المرسلة: هي الوصف المناسب الذي يترتب على ربط الحكم بهِ جلب مصلحة أو دفع مفسدة ولم يقم دليل شرعي على إعتبارها أو إلغائها. ينظر: الأحكام للآمدي ٣/ ٢٣، شرح الأسنوي على المنهاج ٣/ ١٦٣.

(٣٧) الإستحسان: هو عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي الى مقتضى قياس خفي، أو عن حكم كلّي الى حكم إستثنائي لدليل إنقدح في عقلهِ رجح لديه هذا العدول، ينظر: الموافقات ٤/٢٠٥، فما بعد، أصول الفقه لأبي زهره ٢٦٢، علم أصول الفقه ٧٠، أصول الأحكام وطرق الإستنباط ١٢٩.

(٣٨) العُرْف: هو ماسار عليه الناس وأعتادوه في معاملاتهم من قولٍ أو فعلٍ وهو والعادة بمعنى واحد، وينقسم الى عرفٍ قولي وعرف عملي، ينظر: الأنموذج في أصول الفقه، د٠ فاضل عبد الواحد عبد الرحمن، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٧٨م ص ١٩٦، علم أصول الفقه ٧٩، أصول الأحكام وطرق الإستنباط ١٣٨.

(٣٩) الخصائص العامة للإسلام ٢٤١-٢٥٠، الإسلام مقاصدهُ وخصائصهُ ٨٨-٩٥، مفهوم الفقه الإسلامي ٢١-٢٩، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد ٨٦-٨٧، الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله ناصح علوان، دار السلام للطباعة، القاهرة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ٢٤-٢٨.

(٤٠) النظم الإسلامية ١٤، الإسلام مقاصده وخصائصه، ٨١، ٨٥- ٨٨، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ٨٥-٨٦، موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، مجموعةٌ من علماء الشريعة

المعاصرين، دار الوفاء، و دار إبن حزم، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١٠٠-١٠١، الإسلام شريعة الزمان والمكان ص٢٩-٣١.

(٤١) الإسلام شريعة الزمان والمكان ٢٤-٢٥، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد ٨٥-٨٦، موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر ١/١٠٠-١٠١، الإسلام مقاصده وخصائصه ٨٨-٩٥.

(٤٢) العقد في الإصطلاح الشرعي: يطلق على معنيين عامٌ وخاص فالعقد في معناه العام: هو مايعقدُ الشخص على نفسهُ أو على غيره على وجه الإلزام فالبيع والنكاح والإيجار والتوكيل عقود ومـاألزم الإنسان بـه نفسهُ بنذرٍ أو أو يمين ونحوه يسمّى عقداً كذلك، ينظر: تفسير أحكام القرآن للجصاص ٣/١٣٣، ٣/٢٨٦، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت٨٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ٦/٤٨.، أمّا المعنى الخاص للعقد: فهو إرتباط إيجاب بقبول على نحوٍ مشروعٍ يثبت أثَرَهُ في محلّهِ، ينظر: التعريفات للجرجاني، علي بن محمد بن علي، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ ،الطبعة الأولى. ١/١٩٦، المنثور في القواعد، للزركشي محمد بن بهادر بن عبدالله، تحقيق، تيسير فائق محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، شركة دار الكويت للصحافة، الكويت، ١٤٠٥هـ - الطبعة الثانية، ، ٢/ ٣٩٧.

(٤٣) الفقه الإسلامي وأدلته، ٤/٢٥٩٠- ٢٥٩١، مالايسع التاجر جهله، للدكتور عبدالله المصلح والدكتور صلاح الصاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص٦، إنَّ التلفون والبرق والتلكس والفاكس وغيرِها إنما هي وسائل حديثة للتوصيل حسب لا وسائل للتعبير فإنَّ وسائل التعبير في العقود هي إمّا القول أو الفعل - أي المعاطاة أو البذل - أو الإشارة أو الكتابة

أو السكوت في معرض البيان، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبـي بكـر بـن مسـعود الكاسـاني، نشـر دار الكتـاب العربـي، بيـروت، الطبعـة الثانيـة، ٥/ ١٣٣٣، ١٣٤، ١٣٨، مغنـي المحتـاج مغنـي المحتـاج الـى معرفـة ألفاظ المنهاج، لمحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت ٢/٣-٥، المدخل لدراسـة الشـريعة الإسـلامية، د. عبـد الكـريم زيـدان، مؤسسـة الرسـالة ناشـرون بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م- ١٤٠١هـ: ص٩٠.

(٤٤) الفقه الإسلامي وأدلّته ٤/ ٢٥٩٠-٢٥٩١، مالا يسع التاجر جهلهُ ٦.

(٤٥) مجموع فتاوى ابن تيميه، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ٢٨/ ٣٨٦، الموافقات ١/١٠١، الوجيز في أصول الفقه الفقه، ٤٨.

(٤٦) سورة الأنعام الآية ١١٩.

(٤٧) مجمـوع فتـاوى ابـن تيميـة ٢٨/ ٣٨٦، الموافقـات ١/١٠١، الـوجيز فـي أصـول الفقه ٨.

(٤٨) سورة البقرة الآيه ١٨٥.

(٤٩) سورة الحج الآية ٧٨.

(٥٠) المغني ٤/٥.

(٥١) ينظر: بدائع الصنائع ٤/ ١٧٩، مواهب الجليل بشرح مختصر خليل، محمد بن عبـد الـرحمن، المغربـي، أبـو عبـدالله، دار الفكـر، بيـروت، ١٣٩٨هـ، الطبعـة الأولـى: ٤/ ٢٢٨، ٤٨٦، مغنـي المحتـاج ٢/ ٣، كشـاف القنـاع علـى مـتن الإقنـاع، لمنصـور بـن يـونس بـن إدريـس البهـوتي، تحقيـق هـلال مصـيلحي، مصـطفى هـلال، دار الفكـر، بيـروت، ١٤٠٢هـ ٣/١٤٩، الإسـلام مقاصـده وخصائصه ٨٩.

(٥٢) ينظر: الهداية بشرح بداية المبتدي، لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، المكتبة الإسلامية ٣/٢٧٥، شرح سيدي عبدالله محمد الخرشـي علـى مختصـر الإمـام أبـي الضـياء سيد خليـل، دار الفكـر، بيروت. ٥/٥، المهذب١ في فقه الأمام الشافعي، لأبي إسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١/ ٢٥٧، كشاف القناع ٣/١٤٩.

(٥٣) سورة النساء الآية ٢٩.

(٥٤) أخرجهُ ابن ماجه في سننهِ، باب: بيع الخيار، ٢/٧٣٧، الحديث ٢١٨٥، قال البوصيري في الزوائد – صحيح ورجالهُ موثقون – وقال الألباني – صحيح –، وابن حبّان في صحيحهِ، باب البيع المنهي عنهً، ١١/٣٤٠، الحديث ٤٩٦٧، وقال شعيب الأرناؤوط: – إسناده قوي –.

(٥٥) أخرجهُ الإمام أحمد في مسندهِ من حديث أبي حُرَّه الرقاشي عن عمّهُ مرفوعاً ، ٥/ ٧٢، الحـديث ٢٠٧١٤،، وأوردهُ الهيثمـي فـي مجمـع الزوائـد ٤/٣٠٥، الحـديث ٦٨٦٦، وقـال الهيثمـي: ((رواه أبـو يعلـى وأبـو حـرّه، وثقـه أبـو داود وضعفهُ إبن معين)).

(٥٦) بـدائع الصـنائع ٢/٢٣٢، الشـرح الكبيـر، سيدي أحمـد الـدردير أبـو البركـات، تحقيق محمد عليش، دار الفكر، بيروت، ٣/٣، نهاية المحتاج ٣/٣٨٠، كشاف القناع ٣/١٤٨.

(٥٧) الفقه الإسلامي وأدلته ٤/٢٥٩٠- ٢٥٩١، مالايسع التاجر جهله، ص٦.

(٥٨) موسـوعة الفقـه الإسـلامي فـي سـؤال وجـواب، إسـلام محمـود دربالـة، مكتبـة الإيمان، مصر (المنصورة)، ٣٥٤ – ٣٧٠، فتاوى الطب والتداوي، ص١٤١. أحكـام الجراحـة الطبيـة، د. محمـد بـن محمـد بـن المختـار الشـنقيطي، مكتبـة

الصحابه، جده، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ص٣٣٥، حكم نقل الأعضاء في الفقه الإسلامي. د ٠ عقيل بن احمد العقيلي، مكتبة الصحابة، جده، ١٤١٢هـ، ص١٣٣، الإنتفاع بأجزاء الآدمي، عصمت عناية الله محمد و مكتبة جراغ إسلام، أردوبازار، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه ص١٠٤.

(٥٩) موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٣٥٦، الفقه الإسلامي وأدلته ٧/٥١٢٤–٥١٢٥، فتاوى الطب والتداوي ١٤٣.

(٦٠) موسوعة الفقه الإسلامي٣٥٦، أحكام الجراحة الطبية ٣٣٥،، فتاوي الطب والتداوي ١٤٣.

(٦١) أخرجهُ أبو داود في سننه، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب و ٢/ ٤٩٢، الحديث ٤٢٣٢، وقال الألباني: حسنٌ، والترمذي ٤/ ٢٤٠، الحديث ١٧٧٠، باب ماجاء في شد الأسنان بالذهب، والنسائي، باب من أصيب انفه هل يتخذ أنفاً من ذهب، واحمد في المسند ٥/٢٣، الحديث ٢٠٢٨٣، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

(٦٢) فتاوى الطب والتداوي ١٣٣، فتاوى الناس ٣٣٦، ٤٦٦–٤٦٧، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٣٦٦.

(٦٣) فتاوى الناس – فتاوى الصيام وفتاوى معاصرة ٣٣٦، ٤٦٦، فتاوى الطب والتداوي ١٣٣.

(٦٤) متفقٌ عليه: صحيح البخاري ،باب: المستوشمة، ٥/ ٢٢١٩ الحديث ٥٦٠٣، صحيح مسلم، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ٣/١٦٧٨، الحديث ٢١٢٥.

(٦٥) فتاوى الطب والتداوي١٦٢–١٦٣، فتاوى معاصرة ليوسف القرضاوي ٢/٥٨٥، الدين والحياة ٢٢٩، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٣٧٠.

(٦٦) الفقه الإسلامي وادلته ٧/٥٢٦٢، فتاوى الطب والتداوي ١٤٣، موسوعة الفقه في سؤال وجواب ٣٦٨.

(٦٧) الفقه الإسلامي وادلته ٧/٥٢٦٢، أحكام الجراحة الطبية ٣٣٥، فتاوى معاصرة ليوسف القرضاوي ٢٠/٥٨٦.

(٦٨) موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٣٥٩، ٣٦٨، الطبيب أدبه وفقهه، د٠ زهير أحمدالسباعي، ود٠ محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص٢٢٨، فتاوى معاصرة ليوسف القرضاوي ٢/٥٨٥– ٥٨٩.

(٦٩) فتاوى معاصرة ٢/ ٥٨٦، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب ٣٥٦، ٣٦٥، احكام الجراحة الطبية، د ٠ محمد بن محمد بن المختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ه، ص٣٨٨، حكم نقل الاعضاء في الفقه الإسلامي ص٩٠.

(٧٠) الإنتفاع بأجزاء الآدمي في الفقه الإسلامي ١٣٥، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٣٥٦، ٣٦٠، فتاوي معاصرة ليوسف القرضاوي ٢ / ٥٨٩.

(٧١) بدائع الصنائع ٥/٢٤، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لمحمد أمين بن عابدين، (١٢٥٢ه)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ٥/ ٢٣٨، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، دار المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ، ٥/ ١٨٥، أحكام القرآن للجصاص ١/١٥١و تفسير القرطبي ٢/٣٣٢، احكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بإبن العربي، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان ١/٥٥، القوانين الفقهية لإبن جزي محمد بن احمد الغرناطي المالكي (ت٧٣٠ه)، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،

الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ١٧٣، مغني المحتاج ٤/ ٣٠٦، كشاف القناع ٦/١٩٤، المغني لإبن قدامه ٥/ ١٨٥.

(٧٢) سورة الأنعام الآية ١١٩.

(٧٣) سورة البقرة الآية ١٧٣.

(٧٤) سورة البقرة الآية ١٩٥.

(٧٥) سورة النساء الآية ٢٩.

(٧٦) موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب٣٥٩-٣٦٠، ٣٦٧، المنثور في القواعد ٣/١٣٨، ٢١١، فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/ ٥٩١- ٥٩٢.

(٧٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، الطبعة الثانية: ٩/١٨، فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/٥٨٩-٥٩١، أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، د٠ حسن بن أحمد بن حسن الفكي، تقديم محمد بن ناصر بن سلطان السحيباني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ص٤٠٧-٤٠٨، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب، ٣٥٦، ٣٦٩.

(٧٨) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٧٩) أخرجهُ الإمام أحمد في مسندِهِ ،من حديث عائشة ٦/١٠٥، الحديث ٢٤٧٨٣، (قال شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي ال جال فمن رجال أصحاب السنن وهو صدوق)، ٦/ ١٦٨، الحديث ٢٥٣٩٥، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب: في الحفار يجد العظم هل ينتكب ذلك المكان ؟ ٣/ ٢٣١، الحديث ٣٢٠٧، قال الألباني: صحيح، وإبن ماجه، في كتاب الجنائز، باب: في النهي عن كسر عظام الميت، ١/ ٥١٦، الحديث ١٦١٦.

(٨٠) فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/٥٨٩-٥٩١، أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، د٠ حسن بن أحمد بن حسن الفكي، تقديم محمد بن ناصر بن سلطان السحيباني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ص٤٠٧-٤٠٨، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب، ٣٥٦، ٣٦٩.

(٨١) فتاوى معاصرة ٢/٥٨٨، أحكام الادوية ٣٧٢، ٤٠٠، ٤٠٧، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب ٣٥٦-٣٥٧.

(٨٢) فتاوى معاصرة ٢/٥٨٨.

(٨٣) الفقه الإسلامي وأدلته ٧/٥١٠٢، فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/٢٢٧، موسوعة الأحكام والفتاوي الشرعية ٥٩٩، مسائل من الفقه، د٠ هاشم جميل عبدالله، دار السلام، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ص٣٠٣-٣٠٦، فتاوى الناس – فتاوى الصيام وفتاوى معاصرة – ص٤٤.

(٨٤) الفقه الإسلامي وأدلته ٧/ ٥١٠٢.

(٨٥) مجلة البحوث الإسلامية ٢٩/٣٤٢.

(٨٦) متفق عليه: رواه البخاري، باب: قول النبي (ﷺ) إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، ٢/٦٧٤، الحديث ١٨١٠. ومسلم، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر، ٢/٦٧٢، الحديث ١٠٨١.

(٨٧) فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/ ٢٢٩-٢٣٠، مجلة البحوث الإسلامية ٢٩/ ٣٤٢، مسائل في الفقه المقارن ٣٠٤-٣٠٥، فتاوى الناس ٤٤، موسوعة الأحكام والفتاوى الشرعية ٥٩٩.

(٨٨) فتاوى معاصرة ٢/٢٣٠، مسائل من الفقة المقارن ٢٩٥، موسوعة الأحكام والفتاوي الشرعية ٥٩٩.

(٨٩) فتاوى معاصرة ٢/٢٢٧، ٢٣٧، فتاوى الناس ٤٤، مسائل من الفقه المقارن٣١٤، ٣١٩-٣٢٠، موسوعة الأحكام والفتاوى الشرعية ٥٩٩-٦٠١.

(٩٠) فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/٢٢٩، موسوعة الأحكام والفتاوى الشرعية ٥٩٩، مسائل من الفقه المقارن ٢٩٩-٣٠٦.

(٩١) فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/ ٢٢٩.

(٩٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، نخبة من علماء الفتوى، دار الوفاء، ودار إبن حزم، الطبعة الأولى، مصر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٣/٦٣٤-٦٣٥، ٦٤٢، النظم الإسلامية ١٥٢ ،أحكام المرأة في الفقه الإسلامي، د. أحمد الحجي الكردي، دار الإمام البخاري، دمشق، ١٤٠٠هـ ص١٦٢-١٦٤.

(٩٣) الفقه الإسلامي وأدلته ٧/٥٠٩٩، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٢٨٢- ٢٩٦، فتاوى الطب والتداوي١٤١-١٤٥، فتاوى الناس ٤٥٢.

(٩٤) الفقه الإسلامي وأدلته ٧/٥٠٩٩، موسوعة الفقه الإسلامي في سؤال وجواب ٢٨٢-٢٨٣.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم

١- الإجتهاد والتقليد في الإسلام،ناديه شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بإبن العربي، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان.

٣- الأحكام في أصول الأحكام للآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى.

٤- أحكام المرأة في الفقه الإسلامي، د. أحمد الحجي الكردي، دار الإمام البخاري، دمشق، ١٤٠٠هـ.

٥- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦- أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية، د. حسن بن أحمد بن حسن الفكي، تقديم محمد بن ناصر بن سلطان السحيباني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٧- أحكام الجراحة الطبية، د. محمد بن محمد بن المختار الشنقيطي، مكتبة الصحابه، جده، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٨- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار الوعي، حلب.

٩- إرشاد الفحول الى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، تحقيق محمد سعيد البدري، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٠- الإسلام مقاصده وخصائصه، د٠ محمد عقله و مطبعة الشروق ومكتبتها،، عمّان، الأردن.

١١- الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبداالله ناصح علوان، دار السلام للطباعة، القاهرة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١٢- أصول الفقه، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٣- أصول الأحكام وطرق الإستنباط في التشريع الإسلامي، الدكتور أحمد عبيد الكبيسي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.

١٤- أصول الفقه، محمد الخضري، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، القاهرة.

١٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لإبن القيّم الجوزية، أبو عبداالله محمد بن أبي بكر، (ت٧٥١هـ)، دار الحديث القاهرة.

١٦- الإنتفاع بأجزاء الآدمي، عصمت عناية الله محمد و مكتبة جراغ إسلام، أردوبازار، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ

١٧- الأنموذج في أصول الفقه، د٠ فاضل عبد الواحد عبد الرحمن، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٧٨م ٨٤.

١٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، الطبعة الثانية.

١٩- بلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥مم، الطبعة الأولى.

٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس، الفيروز آبادي محب الدين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، مطبعة مصطفى.

٢١- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ.

٢٢- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق ابراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى.

٢٣- تعليم المتعلّم طرق التعلّم لبرهان الإسلام الزرنوجي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٧هـ -١٩٤٨م.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبداالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥- حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لمحمد أمين بن عابدين، (١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٦- الحديث والثقافة الإسلامية، مناع خليل القطان، وزارة المعارف، المديرية العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية، السعودية، ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢٧- حكم نقل الأعضاء في الفقه الإسلامي. د ٠ عقيل بن احمد العقيلي، مكتبة الصحابة، جده، ١٤١٢هـ.

٢٨- الخصائص العامّة للإسلام، د٠ يوسف لقرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت و الطبعة العاشرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ،

٢٩- خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، للدكتور فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠- دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، الطبعة الثالثة، عمان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣١- الدين والحياة – الفتاوى العصرية اليومية، للدكتور علي جمعة (مفتي الديار المصرية)، نضة مصر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م ز
٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت٨٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣- سنن إبن ماجه، أحمد أبو محمد عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
٣٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٣٥- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (ت٢٧٩هـ) و تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب، (ت ٣١٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدّه، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
٣٧- شرح منهاج الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي (ت٧٧٢هـ)، طبع مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٥٣، القاهرة .
٣٨- شرح سيدي عبدالله محمد الخرشي على مختصر الإمام أبي الضياء سيد خليل، دار الفكر، بيروت.
٣٩- الشرح الكبير، سيدي أحمد الدردير أبو البركات، تحقيق محمد عليش، دار الفكر، بيروت.

٤٠- صحيح إبن حبان بترتيب غبن لبّان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٤١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٢- صحيح البخاري، – الجامع الصحيح المختصر – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الجعفي، تحقيق وتعليق مصطفى ديب البغا، دار إبن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٤٣- صفة الفتوى والمستفتي، لإبن حمدان حمدان الحنبلي، المكتب الإسلامي.
٤٤- الطبيب أدبه وفقهه، د. زهير أحمدالسباعي، ود. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٤٥- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، طبعة دار الحديث، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، القاهرة.
٤٦- العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي لمحمد جميل الحبال، تقديم الشيخ ابراهيم النعمة، محمد راتب النابلسي، مكتبة دار المنهاج القويم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٤٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، الطبعة الثانية.
٤٨- فتاوى الناس – فتاوى الصيام وفتاوى معاصرة، جمع وترتيب محمود المصري أبو عمّار، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
٤٩- فتاوى معاصرة، للدكتور يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٥٠- فتاوى الطب والتداوي، لنخبة من علماء المملكة العربية السعودية ، جمع وترتيب، أبو أنس صلاح الدين محمود السعيد، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر ، ٢٠٠٤م.
٥١- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبه الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة العاشرة، ١٤٨٠هـ - ٢٠٠٧م.
٥٢- الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة و الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥٣- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، - فصل السين.
٥٤- القاموس الفقهي، للدكتور سعدي حبيب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٥٥- القوانين الفقهية لإبن جزي محمد بن احمد الغرناطي المالكي (ت٧٣٠هـ)، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥٦- القيادة التربوية في الإسلام، لمفيدة محمد ابراهيم، دار مجدلاوي، الطبعة الأولى، الأردن، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٥٧- كشاف القناع على متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٥٨- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفومي، تحقيق: عدنان درويش محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٩- لسان العرب، للعلامة إبن أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
٦٠- ما لايسع التاجر جَهلهُ، للدكتور عبدالله المصلح والدكتور صلاح الصاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٦١- مباحث في احكام الفتوى، عامر سعيد الإيباري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٦٢- مجموع فتاوى ابن تيميه، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
٦٣- محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها، عبدالله ناصح علوان، دار السلام ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٦٤- مختار الصحاح، لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان وناشرون، بيروت و طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦٥- المستصفى من علم الأصول، للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - الطبعة الأولى.
٦٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة ،القاهرة.
٦٧- مسائل من الفقه المقارن، د. هاشم جميل عبدالله، دار السلام، دمشق، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٦٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٦٩- معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة و الطبعة الثالثة و ١٢٩١هـ - ٢٠٠١م.

٧٠- معجم لغة الفقهاء، لمحمد روّاس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨.
٧١- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٧٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة لبنان.
٧٣- مفهوم الفقه الإسلامي وتطوّره وأصالته ومصادره، نظام الدين عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.، بيروت.
٧٤- المنثور في القواعد، للزركشي محمد بن بهادر بن عبدالله، تحقيق، تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ - الطبعة الثانية.
٧٥- الموافقات في أصول الأحكام، أبي إسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، خرّج أحاديثه: أحمد السيد سيد أحمد علي، شرح وتعليق: عبدالله دراز، المكتبة التوفيقية.
٧٦- موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، نخبة من العلماء لمعاصرين، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٧٧- موسوعة الأحكام والفتاوى الشرعية، لنخبة من علماء المملكة العربية السعودية، مع اللجنة الدائمة للإفتاء، جمع وترتيب: صلاح الدين محمود السعيد، دار العدل الجديد،، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٧٨- موسوعة الفقه الإسلامي في سؤالٍ وجواب، لإسلام بو درباله، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ٢٠٠٨م.

المسائل المستحدثة ومرونة الفقه الإسلامي — مجلة آداب الفراهيدي — د. إبراهيم جاسم محمد — العدد (٧) حزيران ٢٠١١

٧٩- النظم الإسلامية الدكتور منير حميد البياتي، وفاضل شاكر النعيمي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٨٠- نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير ،دار الفكر للطباعة، بيروت ١٠٤٠٤هـ.
٨١- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: ٣/٤١١.
٨٢- الهداية بشرح بداية المبتدي، لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، المكتبة الإسلامية.
٨٣- الوجيز في أصول الفقه، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

المنهجُ التعليميُّ في التُّراثِ النّحويِّ
قراءةٌ في كِتابِ
(شَرْحُ قَوَاعِدِ البُصْرَوِيَّةِ في النّحوِ)

د. خضر حسن ظاهر اللهيبي
الكلية التربوية المفتوحة
المركز الدراسي /كركوك

د. يوخنا مرزا الخامس
كركوك

ملخص البحث

يهدفُ البحثُ التفريق بين مصطلحين شاع استعمالها وهما، النّحو التّعليميّ وتيسير النحو. ويثبت أنّ العلماءَ من السلفِ لم يضعوا في مناهجهم تيسيرَ النحو على مانفهم (التيسير) في العصرِ الحديثِ.

ثم اراد البحثُ أنْ يطَبق ذلك على واحدٍ من الكتبِ التعليميةِ القديمةِ هو (شرح قواعد البُصروية في النحو) للعلامةِ علي بن الخليلِ البُصروي (ت. ٩٥٠هـ)، وانقسمَ البحثُ قسمين:

الأولُ: دراسةٌ نظريةٌ فكان اسمُ البحثِ (المنهج التعليمي في التراث النحوي ، قراءة في كتاب شرح قواعد البصروية في النحو).

مُقَدِّمَة

شاع بين الدّارسين المحدثين الرّبط بين مصطلحين، (النّحو التعليميّ)و(تيسير النّحو) فكلُّ ما كان تعليميّاً عندهم هو تيسيرٌ للنحو وتسهيل له ولقواعده فالنحو التعليمي إنْ لم يكن ميسَّراً وواضحاً، ليس من النّحو التّعليميّ في شيءٍ، والعكس صحيح، فتيسير النحو وضع ليُلائم دارسيه في عصره من دون تعقيد.

ويُحاول هذا البحث أنْ يثبت أنَّ علماءَنا من السَّلف الصّالح لم يضعوا في فكرِهم ومناهجِهم تيسير النّحو على ما نفهم (التّيسير)في العصر الحديث،وإنّما كان همُّهم الأول والأخير تقديم القواعد النحويّة بشكلٍ مفهومٍ وواضح من دون أنْ يكون لهم وَكْدُ تيسير النحو،أو تقليم ما يمكن تقليمه منه بحُجَّة أَنّها من الزّيادات التي وُضِعَت في هذا العلم أو لعلّةٍ أَنّها غدت غير مستعملة الآن، مثل موضوعات (التنازع)و(الأمثال التدريبيّة)،ثم ما خصَّ (العامل)،و(الأصل والفرع)،و(العلّة النّحويّة)،وغير ذلك من الموضوعات المناقشة في كتب المحدثين، مثل: كتب الأُستاذ إبراهيم مصطفى والدكتور مهدي المخزومي والدكتور شوقي ضيف(رحمهم الله).

ثُمّ بعد ذلك أردْنا أنْ نُطبّق ذلك على واحدٍ من الكُتُب التعليميّة المغمورة في التّراث، هو كتاب (شرح قواعد البُصرويّة في النّحو)للعلامة علي بن الخليل بن أحمد بن سالم البُصرويّ (ت٩٥٠ هـ)فتصدّينا للكتاب مناقشين ومحللين له، لكي نثبت ما قلناه في القسم الأوّل من هذا البحث عن النّحو التّعليميّ وسماته ومميزاته وعلى هذا انقسم البحث قسمين الأوّل: دراسة نظريّة عن النّحو التّعليميّ، والقسم الآخر: التطبيق على ذلك التنظير فكان اسم بحثنا هذا (المنهج التّعليميّ في التّراث النّحويّ، قراءة في كتاب(شرح قواعد البُصرويّة في النّحو)). نسألُ الله أَنْ يوفّقنا لخدمة هذه اللُّغة الجميلة.

والحمدُ للهِ أوّلاً وآخراً

التّعليم والتّيسير لغةً واصطلاحاً

قبل أنْ نبيّن ما التّعليم وما التّيسير في الفكرِ النّحويّ عند علمائِنا من السّلف، وعند الباحثينَ المحدثينَ، لابُدَّ من وقفة على معنى هذين المصطلحين في اللغة والاصطلاح، لتتوضّح لنا صورهما، ويتبيّن مفهومها.

العلم لغةً: جاءت مادة (عَلِمَ) بفتح العين وكسر اللام، في المعجمات العربيّة لمعانٍ كثيرة ،منها:

١- ضدّ الجهلِ: فـ((عَلِمَ يَعْلَمُ علماً ضدُّ الجهل، رجلٌ عالِمٍ من قومٍ علماء وعالمين))[١]. فقولُنا: علمتُ بأنَّه قادرٌ على فِعْل كذا أي: علمي هذا نقيضُ الجهل وضدّهُ تماماً.

٢- عَرِفَ: إذ((علمتُ الشّيءَ أَعْلَمُهُ عِلْماً: عرفته))[٢]؛أي: علمتُ الكتابَ الصّادر: عرفته.

٣- خَبَرَ: نقولُ ((عَلِمَ الرَّجُل: خَبَرَهُ))[٣]، فَعَلِمَ هنا بمعنى: خَبَرَ.

٤- شَعَرَ ودَرَى: فعَلِمَ بالأمر: شَعَرَ به ودَرَى[٤].

هذه أشهر معاني (عَلِمَ)في المعجمات العربيّة.

أَمّا (عَلِيم)،على وزن (فَعِيل)،فمن أبنية المبالغة[٥]. وعلّمه فتعلّم[٦]، وتعلّمتُ مِن فلان بمنزلة علمتُ[٧].

وقد فرّقَ اللّغويون بين الإعلام والتّعليم، فقالوا: الإعلام هو الإخبار السّريع،والتّعليم ما يكون بتكرير وتكثير[٨].

وبذا نَعلمُ أَنّ التّعليمَ: هو تكرارُ المعارفِ على المتعلّمينَ، وتكثيرُها عليهم قصد ترسيخها في أذهانهم وتعميقها في أفكارِهم،مع الفهم والاستيعاب للمادة المدروسة. أمّا (التّعلّم)على وزن (تَفَعُّل)،فهو إتقان الأمر ومعرفته، وتصوّر طالب العلم لذلك. لذا فإنّ

تعلُّم النّحو هو إتقانه ومعرفته، وتعلُّم البلاغة هو أيضا إتقانها وهكذا فيما يخص باقي العلوم العربية وغيرها.

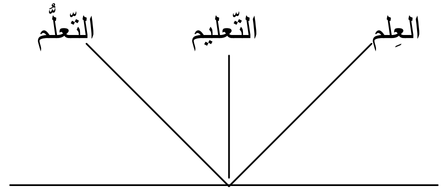
إذن ما يُهمُّنا مِن مادة (عَلِمَ)،هو:

-العِلم.

-التّعليمُ.

-التَّعلُّم

فـ(العِلمُ)هو المادة العلميّة المقدمة لطُلاب العِلمِ والدّارسين ،و(التّعليم)هو الطّريقة التي يتمُّ إيصال المادة العلميّة للطُلاب والدّارسين، و(التعلّمُ)هو إتقان المادة العلميّة المدروسة. وعلى هذا فإنَّ المادةَ التّعليميّة تعتمد على الأبعاد (العِلم/التّعليم/التّعلُّم)



القاعدة العلميّة الصحيحة

من هنا نستنتج أَنّنا عندما نقولُ: تعليم النّحو، فإنّنا نبغي من ورائه معرفته وإتقانه. وهذا كلّ ما تريده المراكز العلميّة والبحثيّة.

ووردتْ كلمةُ (عَلِمَ)في القرآن الكريم غير مرة[٩]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[١٠]،وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[١١]وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[١٢]ومعانيها لا تخرجُ عمّا ذكرناه آنفاً[١٣].

وجديرٌ بنا أَنْ نذكرَ في آخرِ هذا المطلب أَنّ الفعلَ(عَلِمَ)من أفعال (النّواسخ)،ينصبُ مفعولينِ أصلهما مبتدأ وخبر، ويفيدُ اليقين مثل: عَلِمْتُ الطالبَ

ناجحاً. وإذا جاء بمعنى (عَرِفَ)فإنّهُ ينصبُ مفعولاً واحداً[١٤]، مثل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[١٥].

العلمُ اصطلاحاً: ذهب نفرٌ مِن علمائِنا إلى أنّه ((لا يُحَدُّ (العِلمُ) لكونه مِن الضروريات، وقيلَ: لصعوبتهِ وعسرهِ))[١٦]. وهذا لا يخرجُ عن كونهِ محدّداً ومعرّفاً مِن باقي العلماء. قال أبو البقاء الكفويّ (ت ١٠٩٤هـ)((هو معرفةُ الشيءِ على ما هو به))[١٧]وقال في حَدِّهِ ثانيةً: ((العِلمُ هو الإدراكُ))[١٨]. ونَحسبُ أنّ (العِلمَ)عند أَبي البقاء الكفويّ هو أقربُ إلى حدِّ الثقافةِ منه إلى حدِّ (العِلمِ)هذا في التّعريف الأوّل. أمّا في التّعريف الآخر: فكان فيه الكفويُّ أقرب إلى العلميّة، إذ جَعَلَ (العِلم)هو(الإدراك) بالشيء، فإنّ الإنسان إذا أدرك بوجود مشكلةٍ أو أي شيءٍ آخرَ أَحسَّ بوجوده وكيانِهِ، فكان العِلمُ بالشيء.

أَمّا المحدثون فذهبوا إلى أَنّ العِلمَ هو((مجموعُ مسائلٍ وأصولٍ كلّيةٍ تجمعها جهةٌ واحدةٌ، كعِلمِ الكلامِ، وعِلمِ النّحو،وعِلمِ الأرضِ))[١٩]وعلى هذا فصّل الباحثون المحدثون ما قاله القدامى في حدّ العلم على أنّه مجموع المسائل المتعلقة بمادة معينة أُدرجت تحت اسم ذلك العلم. فالمسائل النّحويّة جميعاً وُضِعَتْ تحتَ علمٍ سُمّي (علم النّحو)،وهكذا فيما يخصُّ باقي العلوم، مثل الصّرف،والبلاغة،والعَروض.

وقُصارى القول إنّ العِلمَ هو: الإتقان، والإدراك والفهم. فإنّنا عندما نقولُ (نحو التّعليم)،أو (النّحو التّعليميّ)،نقصدُ به توصيل هذا العلمِ إلى طالبيه بإتقان. فالنّحو التّعليميّ إذن هو إتقان استعمال اللغة بشكلٍ صحيح وسليم دون الوقوعِ في اللّحنِ والخطأ، وبذا يُحقّق التّعليم رسالته في إيصال المواد النّحويّة إلى طالبيه ومريديه.

التّيسيرُ لغةً: وكلمة(التّيسير) تأتي أيضاً لمعانٍ تكادُ تكونُ واحدةً على الرّغمِ مِن اختلاف ألفاظها، وهي:

١– ضدّ العُسر: قال ابنُ دُريد (ت٣٢١هـ)((واليسر ضدّ العُسْرِ)).[٢٠]

٢– الهيّن: قال الفارابيُّ (ت٣٥٠هـ) ((يُقالُ شيءٌ يسيرٌ، أي: هيّن ويسير،أي: قليل)).[٢١]

٣– الليّن: جاء في لسانِ العربِ: ((اليُسرُ: الليّن والانقياد يكون ذلك للإنسانِ والفرسِ،وقد يَسَرَ يَيْسِرُ وياسره: لاينه)).[٢٢]

٤– السّهلُ: قال الزّمخشريُّ(ت٥٣٨ هـ) ((يَسَرَ الأمرُ ويَسُرَ وتَيَسَّر واسْتَيْسَرَ ويسّره الله تعالى وياسره: ساهله)).[٢٣]

٥– التَّهيُّؤ: وقال الفارابيُّ أيضاً ((تيَسَّر له الخروج، أي: تهيَّأَ)).[٢٤]

هذه أغلبُ ما ذكرته المعجماتُ العربيّة عن معاني كلمة (يَسَرَ) إذ تدورُ أغلبُها حولَ معنى واحد هو:ضدُّ العُسرِ. وعلى هذا فإنّ (تيسير النّحو)هو السُّهولة في طرحِ الموضوعات النّحويّة وتسهيلها وتخليصها مما عَسَرَ فيها.

ووردتْ هذه الكلمة في القرآنِ الكريم[٢٥] غير مرَّةٍ أيضاً وجاءتْ لعددٍ مِن المعاني التي ذكرناها[٢٦] فبمعنى (ضدّ العُسر)[٢٧]، كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ .[٢٨] وبمعنى (تسهّل)و(تهيّأ)[٢٩]كقوله تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾.[٣٠]

التّيسيرُ اصطلاحاً: لم نجد في الكتب التي اهتمّت بالمصطلحات بعامّة والمصطلحات النّحويّة بخاصّة حدّاً أو تعريفاً بهذا المصطلح. وهذا يدُّل على أَنّ العلماءَ مِن السّلفِ لم يستعملوا هذه الكلمةَ على أَنَّها مصطلحٌ نحويٌّ.وعلى الرّغمِ مِن ذلك فإنَّ أبا البقاءِ الكفويّ ألمَحَ في حدِّ هذا المصطلح، ومسَّه مسّاً ؛فقال: ((كلُّ شيءٍ جزَّأته فقد يَسّرتَهُ)).[٣١]إذ أَورد في هذا الحدّ أمراً مِن أُموره التّيسير، وجزءاً مِن أجزائهِ هو (التّقسيم)،فنحنُ إذا جزّأنا الموضوع إلى أقسام، فقد يسّرناه. هذا كلُّ ما عند القدماءِ مِن السّلفِ عن مصطلحِ (التّيسير).

أمّا المحدثون، فعلى الرّغمِ من أنّهم لم يضعوا تعريفاً خالصاً لهذا المصطلح – وهذا أمرُ غريبٌ – إذ كان حقّاً عليهم أنْ يضعوا تعريفاً خالصاً، وحدوداً له ولموضوعاتِهِ. ولكنَّنا استشففنا مِن كلامِهم عليه أنّه: دراسةُ النّحوِ وتَعلّمِهِ بطريقةٍ سهلةٍ ومختصرة،مع وجود منهاجٍ يُيَسِّرُ على طالبِ علم النّحوِ واقتران كلِّ ذلك بإعدادِ تدرسيينَ يكونونَ على عِلمٍ ومعرفةٍ بالطّريقةِ الجديدةِ لدراسةِ النّحو.[٣٢]

<u>أمّا الحدُّ الذي نضعهُ له فهو</u>:((كلُّ ما يطرأُ على القاعدةِ النّحويّةِ مِن تبديلٍ في موقعِها، أو إلغاءٍ لها، أو إضافة جديدة ومفاهيم مبتكرة إليها بقصد التسهيل والإيضاح والبيان)).

نحو التّعليم... ونحو التّيسير عند النّحويينَ القُدامى:

بيَّنا قبل قليل أنَّ نحوَ التّعليمِ معناهُ وهدفهُ هو إتقان النّحو للمتعلمينَ والدارسينَ، والنّتيجة المرجوّة من دراسةِ النّحو في هذا الاتجاه هو تمكين المتعلمين والدارسين من فهم وإعراب الجملة العربيّة. وأيضاً التّمكُّن من العربيّة كتابةً ونطقاً من دون لحنٍ نحويٍّ أو لُغويٍّ. أمّا نحو التّيسير فكان همُّه الأوّل والأخير تقديم القاعدة النّحويّة بشكلٍ جديدٍ، وفي ثلاثةِ أحوالٍ، ذكرناها قبل قليل؛ هي: تبديلُ مكان القاعدةِ النّحويّة، أو إلغاء عددٍ من القواعدِ النّحويّة، أو إضافة قواعد أُخرى. وهذا نجده جليّاً في كتابِ (تجديد النّحو)[٣٣]للدكتور شوقي ضيف (رحمه الله).وإذا أردنا أنْ نبحثَ عن التّيسيرِ في التُّراثِ النّحويّ، فلا نجد نحويينَ ميسرينَ للنّحو العربيّ، بل اقتصرَ عملُهم في النّحوِ والاشتغالِ بهِ على تأليفِ كُتُبٍ في النّحوِ الأساسي وهذا ما نلمسه عند سيبويه ومَن تلا تلوه وآخرون اهتمُّوا بتدريس النّحو فظهر على أيديهم (النّحو التّعليميّ).

إذن (تيسير النّحو)ظهرَ في العصرِ الحديثِ ولا نجدُ لهُ أثاراً في التُّراثِ النّحويّ على الرّغمِ مِن أنّ عدداً مِن الباحثينَ المحدثينَ يؤكدُ على وجودِهِ عندَهم[٣٤]،

إذ خلطوا في ذلك بين (التّعليم)و(التّيسير)فكلٌّ له حدودُهُ وأهدافُهُ فليسَ هدفُ (نحو التّيسير)هو (التّعليم)وحدَهُ، على الرّغمِ من توجُّه الميسيرينَ إلى هذا الهدفِ المهمِ، وإنّما هدفُ (التّيسير) هو محاولةُ تجديد النّحو، وإظهارِهِ بمظهر غير ما وضعَهُ النّحاةُ القدماءُ؛ بحجّةِ أنّ النّحوَ لا يوافقُ الدّراسات الحديثة بخاصّة، والعصر الحديث بعامة. كلُّ ذلك أدّى إلى البحثِ عن قواعدٍ ومصطلحاتٍ نحويّة جديدة تُيسر النّحوَ وتجعلُهُ ملائماً لروحِ العصرِ. ومِن تعريفنا لهذينِ المصطلحينِ نُحِبُّ أنْ نناقشَ مسألتينِ، هما:

<u>الأولى</u>: إنّ المؤلفاتِ الخاصة بالنّحو التّعليميّ ازدادت في العصرِ الحديثِ، حتى إنّنا لا نُنكرُ أنّ الأعمَّ الأغلبَ مِن المؤلفاتِ كانتْ في هذا الاتجاه؛ مثل: (النّحو الوافي) للأستاذ عباس حسن (رحمه الله)،و(جامع الدّروس العربيّة) للشيخ مصطفى الغلاييني (رحمه الله)،و(النّحو الواضح) للأستاذينِ علي الجارم ومصطفى أمين (رحمهما الله). ماعدا الكتب المنهجيّة المؤلفة للدارسينَ في المدارسِ الابتدائيةِ والثانوية.

<u>الآخر</u>: لا يمكن أنْ نُعِدَّ كتابَ (الرد على النّحاة) لابنِ مضاء القرطبيّ (ت٥٩٢ هـ) مِن كتبِ التّيسيرِ وإنّما هو دعوةٌ لنقدِ الفكرِ، وليسَ مِن التّيسيرِ في شيءٍ. فكلُّ ما فيه هو نقدٌ لنظرياتِ النّحوِ وقواعدِهِ.

مراحل النّحو التّعليميّ:

فرّقنا قبلَ قليلٍ بينَ مصطلحي (النّحو التّعليميّ) و(تيسير النّحو) وعرفنا أهدافَ كلِّ واحدٍ منهما واتجاهاتِهِ وبعد هذا التّعريف يبسطُ لنا الطريقَ في دراسةِ النّحو التّعليميّ على حِدِه؛ ولكن قبلَ أنْ نبيّن سماتِ هذا الاتجاه في النّحوِ لابُدَّ لنا أنْ نتعرفَ على المراحل التي مَرّ بها (النّحو التّعليميّ) في التُّراثِ النّحويّ. نقولُ بعدَ استقراءِ أغلب الكتبِ التي كان اتجاهها تعليميّاً إنّ مراحلَ النّحوِ التّعليميّ ثلاثةٌ وهذا بيانُها:

المرحلةُ الأولى: بدأتْ هذه المرحلةُ مع بدايةِ تأسيس النّحو العربيّ في القرنِ الأول للهجرةِ، لأنّ النّحوَ وُضِعَ لحاجةٍ إليهِ هي صونُ الألسنةِ من اللّحنِ وغير ذلك من الأسبابِ [٣٥]. وممّا يؤسفُ له أنّ الأعمَّ الأغلبَ مِن مؤلفاتِ هذه المرحلةِ مفقودةٌ، ولم تُبْقِ عوادي الزمانِ منها باقيةً إلا كتاباً واحداً مشكوكاً في نسبتهِ إلى صاحبِهِ هو كتابُ (مقدّمة في النّحو)[٣٦] لخلف الأحمر[٣٧] (ت١٨٠هـ) فهذه المقدّمةُ مختصرٌ اهتمَّ بتعليمِ القارئِ النّحو، والتّعريف بموضوعاتِهِ [٣٨].

المرحلة الثانية: تأخرتْ هذه المرحلةُ عن المرحلةِ السابقةِ فقد بدأتْ بوادرُ تأليفِ كتبٍ تعليميّة في النّحوِ مرةً ثانية في نهاية القرن الثالث للهجرة وبداية القرن الرابع للهجرةِ.

والحقُّ أنّ سببَ التّأخُّرِ في تأليفِ كتبٍ نحويّةٍ تعليميّةٍ يعودُ إلى سيطرةِ (الرِّوايةِ)، والبحثِ عن الصّحيحِ مِن الكلمِ العربيّ في بطونِ الجزيرةِ العربيّةِ ومفازها، فقد هاجرَ علماؤُنا من السَّلفِ، لُغويونَ ونحويونَ، ورواةٌ، وحفظةُ الشّعرِ والأرجازِ إلى الجزيرةِ العربيةِ للبحثِ عن لفظةٍ أو إعرابٍ، أو غريبٍ، أو شاذٍ، ثمّ أخذوا في تنسيقِها في بطونِ كتبٍ، فمنها ما كان عن الحيوانِ وحياتِهِ، وأُخرى عن النباتِ وأنواعِهِ وأشكالِهِ، وثالثةٍ عن خلقِ الإنسانِ وصفاتِهِ وغير ذلك من المصنّفاتِ. وهذا الحالُ ينطبقُ على المصنّفات النّحويّةِ أيضاً؛ لذا انمازَ كتابُ سيبويه وغيره بالعلميّةِ، وحسناً فَعَلَ بعضُ الباحثينَ عندما سمَّى نحوَ سيبويه ومَن نسجَ على منوالِهِ بـ(النّحو العلميّ)[٣٩]. إذن انشغالُ علماءِ السلفِ بالرِّوايةِ كان السّببُ في تأخُّرِ وَضعِ مؤلفاتٍ خاصةٍ بالنّحوِ التّعليميّ.

وثمّةَ أمارات في كتبِ التُّراثِ تؤكدُ أنّ عدداً غيرُ قليلٍ من كتبِ النّحوِ وُضِعَتْ لتعليمِ النّحوِ وتدريسِهِ. فعندما يُقالُ إنّ كتابَ (الإيضاح) لأبي علي الفارسيّ (ت٣٧٧هـ) كتابُ تعليميّ إنّما جاءَ ذلك مِن خبرٍ منقولٍ عنه، بأنّه ((تقدّم عندَهُ عَضُد

الدّولة، وله صنّفَ الإيضاح في النّحوِ والتّكمُلة في التّصريفِ ويُقالُ إنّهُ لمّا عملَ الإيضاحَ استقصره، وقال: ما زدتُ على ما أعرفُ شيئاً؛ إنّما يصلحُ هذا للصّبيانِ، فمضى وصنّفَ التّكمُلةَ، فلمّا وقفَ عليها، قال: غَضِبَ الشّيخُ وجاء بما لا نفهمُهُ نحنُ ولا هو))[٤٠].(والنّصُّ الآخر الذي يؤكّد على أنّ الكتابَ تعليميّ، ما قاله ابنُ الدّهان النّحويّ (ت٥٦٩هـ)في وصفِ شرحِهِ لكتابِهِ (الدّروس في النّحو): ((...فإنّه سألني مَن إجابتُهُ عندي غُنُمُ، وامتثالَ إشارته لديّ حزمٌ، بحقوقه السّالفة، وأياديه المترادفة، أنْ اشرحَ المقدّمةَ التي وسمتُها بالدّروسِ، وأُخرجَ منها المتوهمّ إلى المحسوسِ، وكنتُ أنشأتُها للمبتدئين مختصرةً حرصاً على تحصيلِها،وسُنناً إلى معرفةُ جملتِها وتفصيلِها...))[٤١].

ولو أمعنّا النّظرَ في هذينِ النّصينِ لاستشففنا منهما ملامحَ تعليميّة، ففي النّصِّ الأوّل، نرى أنّ الفارسيَّ – رحمه الله –ألّفَ كتابَ (الإيضاح) لعَضُدَ الدّولة البويهيّ (ت٣٧٢هـ)،وقد كان وَضَعَ في بالِهِ أنّ عَضُدَ الدّولةِ رجلٌ متعلّمٌ، لذا لم يُرِدْ أنْ يضعَ القواعد التّحليليّة، والتّعليلات المعقّدة في كتابِهِ هذا، فجاء كتاباً تعليميّاً وفي النّصِّ الآخرِ يَضَعُ ابن الدّهان في كتابِهِ (الدّروس) للمبتدئينَ وعندما فَقِهَ قُرّاءُ كتابِهِ هذا أرادوا أنْ يتوسّعوا في تَعلّمِ النّحو، فاستجاب لهم ووضعَ شرحاً لكتابِهِ (الدّروس)سمَّاه (شرح الدّروس في النّحو)وهذا الكلامُ ينطبقُ تمامَ الانطباقِ على شرحِ ابنِ عصفور الإشبيليّ (ت٦٦٩هـ) لكتابِ (الجملِ)،إذ وضعَ ثلاثةَ شروحٍ عليهِ، الأوّلُ صغيرٌ والثّاني متوسطٌ والثّالثُ كبيرٌ.[٤٢]والسّببُ في ذلك يعودُ إلى أنّ منهاجَهُ في الشّروحِ الثّلاثةِ تعليميٌّ في وَضْعِ المواد النّحويّة، وعلى حسبِ درايةِ المتعلّمِ ومعلوماتِهِ فكان الأوّلُ سهلاً والثّاني متوسطاً والثّالث أكثرُ صعوبةً من المصنّفينِ الأوّلين. وهذا الكلامُ ينطبقُ على باقي الكتبِ النّحويّةِ التي سنتعرّفُ على أشكالِها في الصفحاتِ القابلةِ من هذا البحثِ.

<u>المرحلـة الثالثـة</u>: وهذه المرحلةُ اتّسمتْ بالمختصراتِ والمنظوماتِ النّحويّةِ. هذه المختصراتُ ليستْ بالضّرورةِ أنْ تكونَ كُتُباً صغيرةَ الحجمِ، وإنّما هي كتبٌ كثيفةُ اللّغةِ، ذاتُ عباراتٍ قليلةٍ، ومعاني كثيرة وسهلةُ الحفظِ لذلك كانتْ في حاجةٍ ماسّةٍ إلى شرحٍ وتفسيرٍ وقد تصدّى لها مجموعةٌ من علماءِ النّحوِ فظهرتْ شروحٌ ومطوّلاتٌ. ولا نغالي إذا قلنا إنّ أضخمَ كتبُ النّحوِ حجماً هي شروحٌ لتلك المختصراتِ، ومنها:

١- شرحُ تسهيل الفوائدِ وتكميل المقاصدِ، لأبي حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)،صدر منه ربعُهُ إلى الآن في تسعةِ مجلداتٍ بتحقيق الدّكتور حسن هنداوي.

٢- تمهيد القواعد بشرحِ تسهيلِ الفوائدِ، لناظر الجيشِ، محبّ الدّين محمد بن يوسف بن احمد (ت٧٧٢هـ). تحقيق د.علي احمد فاخر وآخرين، في عشرة مجلدات.

٣- المقاصد الشّافية في شرحِ الخلاصةِ الوافيةِ، للإمامِ أبي إسحاق إبراهيمَ بن موسى الشاطبيّ (ت٧٩٠هـ).صَدَرَ في عشرةِ مجلّداتٍ، بتحقيقِ الدّكتور عبد الرحمن بن سليمان العُثيمين وآخرين.

نفهمُ من هذا أنّ كتبَ المختصراتِ هي التي ولدتِ المطوّلاتِ النّحويّةِ.

<u>مميزاتُ المصنفاتِ النّحويّةِ التّعليميّة:</u>

للمصنفاتِ الخاصّة بالنّحو التّعليميّ مميزاتٌ وصفاتٌ، سوف ندرجُها هنا، وسنرى تطبيقاً عليها عندَ تحليلِ كتاب (شرح القواعد البُصرويّة) وهذه السّمات هي:

١- وضوحُ العبارةِ، وسهولةُ طرح القاعدةِ النّحويّة.

٢- كثرةُ الأمثلةِ والشّواهدِ على القواعدِ المتناولة مع تجنّبِ ذكر الشواردِ النّحويّة.[٤٣]

٣- الاهتمامُ بالجوانبِ العمليّةِ عند التّصدّي للنصوصِ، مثل الإعراب.

٤- الابتعادُ عن التّعليلِ، إلا ما خدمَ فهم القاعدةِ النّحويّةِ. [٤٤]

٥- الاهتمامُ بالقواعدِ الكليّةِ، وعدم الولوجِ إلى التّحليلِ والتعمقِ في ذكر القواعدِ النّحويّةِ.

<u>المؤلفات النّحويّة التّعليميّة</u>:

تنوّعتِ المؤلفاتُ النّحويّةُ التّعليميّةُ، واختلفتْ أشكالُها ومناهجُها فعددٌ من تلك الكتبِ مالتْ إلى الإطالةِ، وأخرى نهجتْ منهجَ الاختصارِ، وهذا تقسيمٌ لتلك المؤلفاتِ:

<u>أولاً: المختصرات النّحويّة:</u> لا نقصدُ بالمختصراتِ النّحويّةِ، الكتبَ التي لا تبلغُ عدّةَ وريقاتٍ فقط، وإنّما الكتبَ النّحويّةَ التي أُعدّت بخاصةٍ لتعليمِ النّحو، ويفهمُ مِن فحواها وطريقةِ تناولِها للقواعدِ النّحويّةِ أنّها تعليميّةٌ. فمن النوع الأوّل، أي: الكتب الصغيرة في حجمها، المكثّفة اللغة:

١- التفاحةُ في النّحو- لأبي جعفر النّحاس (ت٣٣٨هـ).

٢- الكافية في النّحو –لجمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت٦٤٦هـ).

٣- الآجرومية –لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصّنهاجيّ، الشهير بـ(ابن آجروم)(ت٧٢٣هـ).

ومِن النوع الثّاني أي الكتب التّعليميّةِ التي تتناولُ القواعدَ النّحويّةَ بطريقةٍ سهلةٍ:

١-الموجز في النّحو –لأبي بكر محمد، ابن السّرّاج (ت٣١٦هـ).

٢-الجمل في النّحو–لأبي القاسم الزّجاجي (ت٣٤٠هـ).

٣-الإيضاح –لأبي علي الفارسيّ (ت٣٧٧هـ).

٤- اللُّمع –لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ).

<u>ثانياً: كتبُ العواملِ النّحويّة:</u> وثمّةَ كتبٌ تعليميّةٌ أخرى هي قريبةٌ في مضمونِها مِن كتبِ (المختصراتِ) يمكنُ أنْ نسميَها كتبَ (العواملِ)،إذ اهتمّتْ بتناولِ القواعدِ النّحويّة تحت أبوابِ العواملِ النّحويّةِ وكان همُّ أصحاب هذه الكتب هو جمعُ المسائل

النّحويّة وقواعده تحت أبواب العوامل وكان هدف هذه الكتب تعليميّاً، ليسهلَ التّعرفَ على القواعدِ المتقاربةِ والمتباينةِ فيما بينها ثمَّ إنّ التّقسيمَ يعطي مفهوماً واضحاً تعليميّاً لقضيةِ التّأثيرِ والتّأثرِ في نظريةِ العاملِ بالنّحو العربيّ. ومن هذه الكتبِ:

١- كتابُ العواملِ المئة – للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ).

٢- العوامل – للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ).

٣- الإظهار – لمحمد بير علي البركويّ (ت٩٨١هـ).

ثالثاً: المنظوماتُ النّحويّة: أمّا المنظوماتُ النّحويّةُ فهي عبارة عن نُظُم شعريّة،وضعها النّحاةُ لسهولةِ حِفظِها وتناولِها أغلب الموضوعاتِ النّحويّةِ والصرفيّةِ. وتصّنف على أنّها ضمن الشعر التّعليميّ لذا تصدّى لها العلماءُ بالشّرحِ والتّفسيرِ وقد قامَ عددٌ منهم بصناعةِ هذه المنظومات ثمَّ شرحَها بنفسِهِ وبيّنَ معانيها، ومِن الذين قاموا بالتّصنيفِ والشّرحِ أبو محمد القاسم الحريريّ (ت٥١٦هـ) في منظومتِهِ (ملحة الإعراب) ثمَّ قامَ بشرحِها[٤٥]، وزينُ الدينِ عمرُ بن المظفرِ بن الورديّ (ت٧٤٩هـ) ألّفَ منظومةَ (التّحفة الورديّة)، ثمّ شرحَها أيضاً.[٤٦] ومِن المنظوماتِ المشهورةِ الأخرى منظومة أبي الحسين بن معطٍ بن عبد النّور (ت٦٢٨هـ) سمّاها (الدّرّة الألفيّة) وأشهرَ المنظوماتِ النّحويّةِ التي طارَ صيتُها في الآفاقِ واهتمّ بها النّحويونَ اهتماماً كبيراً منظومة الألفيّةِ (الخلاصة) لابن مالك الطائيّ (ت٦٧٢هـ).

رابعاً: كتبُ شروحِ الشّواهدِ الشّعرية: تُعدُّ كتبُ شروحِ الشّواهدِ من الكتبِ التّعليميّة المهمّة فهي تقدّمُ مادةً نحويّةً مع شواهدَ مشروحة شرحاً تاماً من ناحيةِ المعنى، واللّفظِ والإعرابِ، وكلُّ ما يتعلّقُ بالشّاهدِ المشروحِ في موطن الشّاهد أو غيره. والكتب المؤلفة في هذا المجال:

١- شرحُ أبياتِ سيبويه، لأبي جعفر أحمد بن محمد النّحاس (ت٣٣٨هـ).

٢- شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد يوسف بن المرزبان السيرافي (ت٣٨٥هـ).

٣- تحصيلُ عينِ الذهبِ من معدنِ جوهرِ الأدبِ في علمِ مجازاتِ العربِ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان، المعروف بـ(الاعلم الشنتمري) (ت٤٧٦هـ).

٤- تخليصُ الشواهدِ وتلخيصُ الفوائدِ، لأبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ).

٥- شرحُ شواهدِ المغني، لجلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).

٦- ويُعَدُّ عبدُ القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) من أشهرِ علماءِ العربيّةِ في شرحِ الشّواهد، وله في ذلك:

أ- خزانةُ الأدبِ ولبُّ لبابِ لسانِ العربِ على شواهدِ شرح الكافية للرَّضي الاسترابادي (ت٦٨٨هـ).

ب- شرحُ أبياتِ مغني اللّبيبِ.

ج- شرحُ شواهد التّحفةِ الورديّةِ.

٧- وهناك مؤلفاتٌ أخرى اهتمّت بالقصائدِ المشهورةِ أو المجموعاتِ الشّعريةِ، ومثالها:

أ- شرحُ المفضليات، لأبي محمد القاسم بن محمد الأنباري (ت٣٠٤هـ).

ب- شرحُ القصائدِ السّبعِ الطوال الجاهليات – لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ).

ج- شرحُ القصائدِ العشرِ، لأبي زكريا يحي بن علي التبريزي (ت٥٠٢هـ).

د- الغيثُ المسجّمِ في شرحِ لاميّةِ العجمِ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ).

هـ- شروحُ الدواوينِ الشعريّةِ.

خامساً: كتبُ المسائلِ النّحويّة: وهذا نوعٌ آخرُ مِن الكتبِ التّعليميّةِ اهتمّتْ بالمسائلِ النّحويّةِ المتفرقةِ ولم تلتزمْ بسردِ موضوعاتِ النّحو من أولِهِ إلى آخرِهِ على

منهاجٍ واحدٍ وإنّما تناولتْ كتبُ المسائلِ النّحويّةِ هذه مشكلاتٍ نحويّة متفرقةٍ لا علاقة للسابقةِ باللاحقةِ والحقّ أنّها ليستْ من كتبِ الأمالي وإنّما كتبُ الأمالي النّحويّة جزءٌ منها. وأوّلُ مَن ابتكرَ هذا النوعَ من التّأليفِ وشقَّ طريقَهُ أبو علي الفارسيّ في كتبٍ كثيرةٍ سنذكرُها بعدَ قليلٍ وإذا كان سيبويه قد درس الجملةَ والتركيبَ النّحويّ فإنّ الفارسيّ تخطّى الجملةَ ودخل فيها واقتحمَ أسوارَها اقتحاماً حتى وصلَ إلى الكلماتِ فأوضحَ غوامِضَها وأعربَ مشكلها وفسّر ظواهرَها الغريبةَ، ويعدُّ هذا أوّلُ دخولٍ إلى الجملةِ العربيّةِ بعد أنْ كان يُنظرُ إلى كلماتِ الجملةِ مِن الخارجِ أي: من خلل الجملة. فمثلاً اهتمّتْ هذه الكتبُ بإعرابِ (حمداً) مِن قولنا(حمداً للهِ) أو إعرابِ (أهلاً وسهلاً) أو إعرابِ (خلافاً) مِن قولِنا(خلافاً للكسائي) وهكذا[٤٧] فإنّ مثلَ هذه الإعرابات هدفُها الأوّلُ والأخيرُ هو تعليميّ ويُعرِّفُ الدّارسَ النّحو ومتعلّمه الإعرابَ ومِن المؤلفاتِ التي تناولتِ المسائلَ النّحويّة:

١- كتبُ أبي علي الفارسي:

أ- المسائلُ الشيرازيات.

ب- المسائلُ البصريات.

ج-المسائلُ المنثورة.

د- المسائلُ البغداديات.

هـ-المسائلُ الحلبيات.

٢- الأمالي الشجرية لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة الشجري (ت٥٤٢هـ).

٣- أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو بن عثمان بن الحاجب (ت٦٤٦هـ).

سادساً: الكتب غير النّحويّة: ونقصدُ بها كتبَ تفسير القرآنِ الكريمِ، وكتبَ شروحِ الحديثِ، وكتبَ الفقهِ وأصولِهِ، وغيرَ ذلك من الكتبِ التي لم تُوضعْ لتناول القضايا النّحويّة. وهذه الكتبُ تمتلكُ النّصوصَ الأصليةَ والرفيعةَ وتحتوي أيضاً التّفسيرَ

والتخريجَ لكثيرٍ مِن المسائلِ النّحويّةِ، أي: هي كتبٌ تعليميّةٌ فيها الشّواهدُ وفيها القاعدةُ والإعرابُ وكلُّ ما يحتاجُهُ طالبُ النّحو ودارسه.[٤٨]

وأشهرُ الكتبِ التي اهتمّتْ بالنّحوِ في هذه الأنواعِ من المؤلفاتِ، هي كتبُ التفسيرِ وشروحُ الحديثِ الشريفِ، والفقهِ وأصولهِ كافة، وهي معروفةٌ ومتداولة لدى الباحثينَ والدارسينَ.

وبعد هذه الدّراسة النّظريّة عن التّعليمِ النّحويّ عند القدامى نبدأُ الآنَ في قراءةِ احد الكتبِ التّعليميّةِ، وهو كتابُ (شرح قواعد البُصرويّة).

قراءةٌ في كتابٍ تعليميّ (شرحُ قواعد البُصرويّة في النّحو):

يعدُّ كتاب (قواعد البُصرويّة)في النّحو[٤٩] من كتبِ المختصراتِ في النّحو العربيّ، ألّفَهُ الشيخُ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عبد العزيز القرشيّ البُصرويّ المتوفى سنة (٨٧١هـ)[٥٠]،وهو كتابٌ اقتصرَ ((على ذكر مبادئ النّحو وقواعدِهِ المسلّمُ بها دون مناقشة، فجاء مقتضباً ومختصراً جداً ليسهلَ حفظهُ من قبلِ طلبتِهِ الذين كان يدرسُهم في الجامعِ الأمويّ وفي مساجد دمشق ومدارسِها))[٥١]. وهذا كان ديدَنُ المختصراتِ كافة تذكرُ القواعدَ الكليّةَ ليسهلَ حفظها كما وصفناها قبل قليل. أمّا الشّرح[٥٢]، أي (شرحُ قواعد البُصرويّة)،فهو للعلامةِ علي بن الخليل بن احمد بن سالم علاء الدين البُصروي [٥٣] (ت٩٥٠هـ)وقد وصفَ محققُه الشرحَ وأبوابَهُ النّحويّةَ فقال: ((عالجَ المؤلفُ هذه الأبوابَ جميعَها بطريقةٍ سهلةٍ واضحةٍ خاليةٍ من التعقيدِ ومن خلافاتِ النّحويينَ وتأويلاتِهِم وتعليلاتِهِم فجاءتْ سهلةً ميَسّرةً واضحةً وقد امتاز المؤلفُ بأنّه كان كثيراً ما يُعربُ الأمثلةَ التي أتى بها لتوضيحِ مسألة نحويّة، أو لإثباتِ قاعدةٍ ما، ممّا زادَ الكتابَ أهميّة)).[٥٤]

أمّا الشيخُ علاء الدين البُصرويّ فقد وصفَ شرحَهُ فقال: ((فهذا تعليقٌ مختصرٌ على قواعدِ البُصرويّة المشتملة على مواضع مِن علمِ العربيّةِ، للشيخ العلامة

شمس الدين البُصرويّ – تغمده الله تعالى برحمتِهِ واسكنه فسيحَ جناتِـهِ – تحلُّ بـه ألفاضـها وترغِّب فيه – إنْ شاء الله تعالى حفّاظَها...))[٥٥]وبذا فإنّ الكتابَ على ما يقولُه مؤلفُه ميسّرٌ للمتعلّمِ والدّارس للقواعدِ النّحويّةِ.

وصـفُ الكتـابِ: يقعُ في (٢٨٣) صفحةً منها (٥٠) صفحةً للمقدّمـةِ ويبدأُ الشّرحَ من الصفحةِ (٥٩)، وينتهي بالصفحةِ (٢٢٠)،ومن الصفحةِ (٢٢١) تبدأُ الفهارسُ العامةُ إلى نهايةِ الكتابِ في الصفحةِ (٢٨٣).

ويتـألفُ الكتـاب من مقدّمـةٍ و(٧٤)مبحثاً من مباحثِ النّحـو. ويبـدأُ مؤلفُـهُ بمبحثِ (أقسام الكلام)[٥٦] وأنهاهُ بمبحثٍ عن (لمّا)[٥٧].ويختلفُ شرحُهُ للمباحثِ من حيثُ الطّولِ والقصرِ فثمّةَ مباحث أطالَ في شرحِها مثل مباحث (حروف الجر)[٥٨]،و(الصفة)[٥٩]،و(الاستثناء)[٦٠]،وأوجزَ في مباحث أخرى مثل(أقسام الفعل)[٦١]،و(أسماء الإشارة)[٦٢]،و(لو)[٦٣]ومهما يكن من شيءٍ فإنّ الكتابَ ليس مرتباً على ما عهدناهُ في كتبِ النّحويينَ المتأخرينَ إلى يومِنا هذا. فهما (صاحب المتن، وصاحب الشرح) يدرجان (أقسام الكلام) في أوّلِ الكتاب، ثمّ ينتقلانِ إلى مبحثِ (حروف الجر) ثمّ مباحث (المعرفة والنكرة)،وبعد ذلك بقليلٍ نستقبلُ مباحث (التوابع)، ثمّ يعودانِ إلى المرفوعاتِ، فالمنصوباتِ، فالمجروراتِ، فالمشتقاتِ، وينهيانِ (الكتابَ وشرحَهُ) بمباحثَ عن حروفِ المعاني، وما يتعلقُ بها، مثل: (التنوين)، و(آمين)،و(همزة الوصل). هذا هو الوصفُ العامُ للكتابِ.

الأسلوبُ التّعليميّ في (شرحِ قواعدِ البُصرويّة في النّحو):

لكي نتمكنَ من دراسةِ الأسلوبِ التّعليميّ لهذا الكتابِ لابدَّ من تقسيمِهِ إلى ما يأتي:

أولاً: الشواهد: إنّ الشواهدَ النّحويّةَ في هذا الكتابِ من القرآنِ الكريمِ وقراءاتِهِ والحديثِ الشريفِ والأمثالِ والشواهدِ الشعريّةِ كثيرةٌ على الرّغمِ من صِغرِ الكتابِ ولم

يكتفِ صاحبُ هذا الكتابِ من إيرادِ الشواهد وإنّما نجدُهُ يتوسعُ في الاستشهادِ بالشواهدِ الشعريّةِ فبعدَ أنْ حدّد النّحويونَ الاستشهادَ إلى سنة(١٥٠هـ)[٦٤]نرى أنّ صاحبَ كتابِنا هذا يستشهدُ بشعرِ المتنبي ليستدلَّ بهِ على دخولِ (ال) التّعريفِ على الأسماءِ قال: ((ومن علاماتِهِ أيضاً[٦٥]: أنْ يصلحَ دخولُ الألفِ واللام أوّله كقوله(المتنبي)[٦٦]:

الخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... والسَّيْفُ والرُّمحُ والقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فهذه الكلماتُ السبعُ أسماءٌ لدخولِ الألفِ واللامِ في أوّلها))[٦٧].والمتنبي لا يستشهدُ بشعرِهِ كما معروفٌ لدى دارسي النّحو العربيّ.

ثمّ نجدُهُ يُكثرُ من التّمثيلِ، ليُوضحَ النّصَّ الذي يتناولُهُ بالدّرسِ والشرحِ من ذلك ما فعلَهُ في شرحِهِ للأسماءِ الموصولةِ ((الذي: للمفردِ المذكرِ كقولِهِ تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[٦٨]والتي: للمفردِ المؤنثِ، كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[٦٩]واللذان: للمثنى المذكرِ رفعاً كقوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ﴾[٧٠]واللتان: للمثنى المؤنثِ رفعاً مثل: جاءت اللتان جاء أبوهُما واللذين: للمثنى المذكرِ جراً ونصباً، مثل: رأيتُ اللذينِ قام أبوهما. ومررتُ باللذينِ قام أبوهما واللتين: للمثنى المؤنثِ جراً ونصباً مثل: مررتُ باللتين قام أبوهما. ورأيتُ اللتين قام أبوهما والذين اسم لجمعِ المذكرِ العاقل...))[٧١]نقرأُ في هذا النّصِّ المطوّلِ شواهدَ قرآنيةٍ وغيرَ قرآنيةٍ كثيرةً وهذا ما أردناه بكثرةِ الشواهدِ؛ لتوضيحِ القواعدِ النّحويّةِ.

وكما استشهدَ بالقرآنِ الكريمِ استشهدَ بالحديثِ النبويّ الشريفِ لإثباتِ أحكام نحويّة قال عن (رُبّ) ورُبّ كقوله(صلى الله عليه وسلم): ((رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة[٧٢]. فكاسيةٍ: اسمٌ لدخولِ حرف من حروف الجرِ في أوّلِهِ وهو رُبّ))[٧٣]ومثل هذا يتكررُ في هذا الشرحِ. [٧٤]

ومع اهتمامِ كتبِ التّعليمِ النّحويّ بالشواهدِ، إلا أنّنا نجدُها شحيحةً في الاستشهادِ باللّغاتِ، والسببُ في ذلك يعودُ إلى اهتمامِ هذه الكتبِ بالقواعدِ العامةِ دون

الدخولِ في التفصيلاتِ والخلافاتِ. فمن شواهدِ كتابِنا على ذلك: ((ومتى[٧٥] في لغةِ (هُذيل)،وهي بمعنى مِن الابتدائيّة، ومن كلامِهم (أخرجها متى كُمِّه...))[٧٦].

وأخيراً نقولُ إنّ الاستشهادَ في هذا الكتابِ بخاصةٍ، والكتبِ التّعليميّةِ بعامّةٍ لم يكنْ مِن أجلِ تقديم حجةٍ على قاعدةٍ مخالفةٍ للقواعدِ النّحويّةِ العامة، أو لتأكيدِ صحَّةَ عددٍ من القواعدِ غير المستعملةِ وإنّما جاءتْ هذه الشواهدُ لتدلَّ على القاعدةِ العامّةِ وهذا من الأدلةِ على أنّ منهاجَ هذا الكتاب تعليميٌّ.

ثانياً: الإعراب: ظاهرةٌ شائعةٌ نجدُها في كتبِ التّعليمِ هي ظاهرةُ إعرابِ الشواهدِ والأمثلةِ التي يذكرُها مؤلفُ الكتابِ الموضوعِ للتّعليمِ، هذا الإعرابُ –لا يختلفُ عليه اثنان – تعليميّ لذا يقولُ الدّكتور علي أبو المكارم: ((إعرابُ النّصوصِ اللّغويّةِ إعراباً مفصلاً سمةٌ من سماتِ الأعمالِ التّعليميّةِ لما يتضمّنَهُ الإعرابُ من لحظِ العلاقاتِ التي تربطُ بينَ الكلماتِ في الجملِ))[٧٧].وهذا الأمرُ نجدُهُ بشكلٍ واضحٍ في كتابِنا هذا.

فمن ذلك إعرابُ آياتِ القرآنِ الكريمِ قال في إعراب قوله تعالى: ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾[٧٨]((لن:حرفُ نفي للمستقبلِ ينصبُ المضارعَ، نبرحَ:فعل مضارع ناقص يرفعُ الاسمَ وينصبُ الخبرَ منصوب بلن وعلامةُ نصبِهِ فتحُ آخرِهِ، واسمُهُ:ضميرٌ مستترٌ فيهِ وجوباً، عاكفينَ: خبرُ نبرحَ وهو منصوبٌ وعلامةُ نصبِهِ الياء ؛ لأنّه جمعُ مذكرٍ سالمٍ، عليه: جار ومجرور متعلق بعاكفين))[٧٩].وقد أكثرَ من إعرابِ الآياتِ القرآنيةِ[٨٠].

ومن إعرابِهِ للأمثلةِ ما قاله في بابِ الاسمِ المنقوصِ((... مثل: جاء الهادي والداعي، فجاء: فعلٌ ماضٍ والهادي: فاعل والفاعلُ مرفوعٌ وعلامةُ رفعِهِ ضمةٌ مقدرةُ على الياءِ منعَ من ظهورِها الاستثقالُ لأنّه اسمٌ منقوصٌ، والواو حرفُ عطفٍ والداعي:

اسم معطوفٌ مرفوع وعلامة رفعِهِ ضمةٌ مقدرةٌ على الياء منع من ظهورِها الاستثقالُ))[٨١].

وقد يشوبُ الإعرابَ توضيحٌ للآياتِ القرآنيةِ والأمثلةِ وهذا يزيدُ من التبيينِ لتلك الآياتِ والأمثلةِ قال في بابِ (صلةِ الوصلِ): ((ولابدَّ للاسمِ الموصولِ أيضاً من محلٍّ من الإعرابِ رفعٌ أو نصبُ أو جرٌ ؛ لأنّه مبنيٌّ لشبهِهِ بالحرف. تقولُ:جاء الذي قامَ أبوهُ فجاء فعلٌ ماضٍ والذي اسمٌ موصولٌ لابدَّ له من صلةٍ وعائدٍ ومحلٍ من الإعرابِ (فمحله من الإعراب): الرفعُ على أنّه فاعلُ جاء. وقام: فعلٌ ماضٍ وأبوه: فاعله والهاء: مضافٌ إليه وجملة قام أبوه: صلة الذي والعائد(الهاء)في (أبوه)وقِسْ على هذا))[٨٢].

الملاحظةُ التي نلحظُها أثناءَ الإعرابِ في هذا الكتابِ هي ظاهرةُ الإعرابِ السهلِ اليسيرِ دونَ التوغلِ في التّفصيلاتِ الإعرابيّةِ على ما رأينا ذلك في الأمثلةِ التي ذكرناها.

ثالثاً:الحدودُ النّحويّةُ: تحقّقُ الحدودُ النّحويّةُ ((صورة ذهنية للمصطلحِ المراد تعريفه في عقلِ الدّارسِ دونَ أنْ تقِفَ عند مجرد تمييز الباب النّحويّ الذي يُستعملُ المصطلحُ له أو فيه))[٨٣].فمثلاً حدُّ (المفعولِ به) هو الصورةُ الذهنيّةُ لمصطلحٍ اسمه (المفعول به)وهكذا فيما يخصُّ المصطلحات النّحويّة كافة.

والحقُّ أنّ كتبَ التّعليمِ النّحويّ لم تتوغلْ كثيراً في وضعِ الحدود النّحويّة لما فيها من تكثيفٍ في اللّغةِ، ورعايةٍ للجوانبِ الذهنية والفلسفية للموضوعِ المحدود، حتى تكونَ تلك الحدودُ جامعةً مانعةً. وإنْ وَجَدَ علماءُ النّحوِ في كتبِهِم التّعليميّةِ حاجةً إلى الحدِّ والتّعريفِ وضعوا لذلك حداً وتعريفاً ميسراً وسهلاً ومِن هذه التعريفاتِ:

١-حدُّ الخبرِ[٨٤]:((والخبرُ: هو الجزءُ – أي جزءُ الجملةِ الاسميةِ- الذي يتمُّ فيه –أي بذلك الجزء الفائدة مثل: قائمٌ، مِن قولِك: زيدٌ قائمٌ فقائمٌ: جزءٌ من جملةٍ اسميةٍ))[٨٥].

٢-الصفةُ الحقيقيّةُ: [٨٦]((وهي الجاريةُ على مَن هي لهُ؛ أي التي جرتْ لتبيّنَ حالَ الموصوفِ نفسَهُ، مِن كونِه قائماً أو قاعداً))[٨٧].والصفةُ (غيرُ الحقيقيّةِ) [٨٨]: ((هي الجاريةُ على غيرِ مَن هي له ؛أي جرتْ لتبيين حالَ متعلق الموصوف لا الموصوف نفسه مثل: مررتُ برجلٍ حسن غلامه))[٨٩].

٣-الأفعالُ الخمسةُ[٩٠]: ((الأمثلةُ الخمسةُ ويعبّرُ عنها أيضاً بالأفعالِ الخمسةِ،وهي كلُّ فعلٍ مضارع اتّصلَ به ألفُ الاثنين غائبينِ كانا أو مخاطبينِ، أو اتّصلَ به واو الجماعة – أي جماعةُ الذكورِ – غائبينَ كانوا أو مخاطبينَ،أو اتّصلَ به ياءُ المؤنثةِ المخاطبةِ))[٩١].

فنجدُ أنّ حدودَهُ التي تمثلنا بها، قد أسعفت كتابَه في فهمِ النّصِّ، وكانتْ تعليميّةً أكثرَ مِن كونِها جملاً مكثفةً وذهنية. وهذا الأمرُ نلمَحَهُ في كلِّ الكتابِ أيضاً[٩٢].

وأخيراً يمكنُ لنا بعدَ هذا أنْ نلخصَّ وضعَ الحدودِ النّحويّة في هذا الكتابِ بخاصّةٍ، والكتبِ التّعليميّةِ بعامّةٍ على ما يأتي:

١- اللّغةُ السّهلةُ الواضحةُ وأسلوبٌ مفهومٌ ميسرٌ.
٢- التطويلِ في سردِ مفهوم الحدِّ وشرحِهِ ونلمسُ عكسَ ذلك في الكتبِ النّحويّةِ غير التّعليميّة، فنجدُ في هذه الأخيرةِ، الكثافةَ في اللّغةِ، والاقتصادَ في عددِ الكلماتِ الموضوعةِ للحدِّ.
٣- الاستشهادُ بالأمثلةِ في داخل الحدِّ ممّا يزيدُ في فهمِ الموضوعِ النّحويّ.

رابعاً:تسهيلُ القواعدِ النّحويّةِ: قدّمتِ الكتبُ النّحويّةُ التّعليميّةُ القواعدَ النّحويّةَ في شكلٍ واضحٍ ومفهومٍ، ونلمسُ ذلك في هذا الكتابِ بصورٍ متعددة هي:

١- العنواناتُ: وَضَعَ مؤلفُ الكتابِ عنواناتٍ فرعية للموضوعاتِ الكبيرةِ، مثال ذلك عنوان ((استتارُ الفاعلِ وجوباً))[٩٣] في باب(الفاعل).وعنوانُ((كيفية بناء فعل الأمر))[٩٤]من باب ((بناء الأفعال للمفعول))، وعنوان ((جملة الصفة وجملة الحال))[٩٥]في باب (الحال).

هذه العنواناتُ الفرعيةُ غايتُها تسهيلُ الموضوعَ النّحويّ المطروق وتزيدُ في الوقتِ عينِهِ فهمَ تلك الموضوعات.

٢- المباشرةُ بالموضوعاتِ: نجدُ مؤلفَ الكتابِ التّعليميّ يباشرُ الموضوعَ دونَ مقدّماتٍ لا تنفعُ الدّارسَ المتعلّم، مثالُ ذلك ما قالَهُ صاحبُ كتابِنا الذي ندرسُهُ:((وقال: (البدلُ) على أربعةِ أقسامٍ:بدلُ (كلٍّ من كلٍّ) وهو المطابق للمبدلِ منه المساوي له في المعنى...))[٩٦]. نَجدُ أنّهُ باشرَ الموضوعَ من دونِ مقدماتٍ لا تنفعُ المتعلّمَ.

٣- التّقسيمُ: فرّقَ عددٌ مِن الباحثينَ المحدثينَ في النّحو بينَ (التّقسيمِ) و(التّحليلِ)، فقال: ((فالأوّلُ يكشفُ الأجزاءَ ويُعيّنُ أنواعَها ومقاديرَها، بحيث يكونُ مجموعُ كمياتِها يساوي تماماً مقدار كميّة الكلِّ. أمّا الثّاني فإنّه يسعى لاكتشافِ العناصرِ والأصولِ، ويُحاولُ تعرُّف العللَ والأسبابَ والنتائجَ))[٩٧].ويمكنُ أنْ نوّظِفَ هذا النّصَّ لصالحِ موضوعِنا فنقولُ إنّ (التّحليل) يخصُّ الدّراساتِ النّحويّة الأساسية العلميّةِ، مثل (الكتاب) لسيبويه (ت١٨٠هـ) و(المقتضب للمبرّد (ت٢٨٥هـ)، وغيرها. أمّا (التّقسيمُ) فيخصُّ الدّراسات النّحويّة التّعليميّة، فالتّقسيمُ يَقودُنا إلى توضيحِ ما بداخلِ النّصِّ خصوصاً النّصوص التي فيها ألوانٌ وأشجارٌ ومِن التّقسيماتِ التي نلمِسُها في هذا الكتابِ، ما قالَهُ في بابِ (النّداء): ((والاسمُ المنادى استقرّ على أربعةِ أقسامٍ: احدُها: منادى مفرد: وهو ما ليسَ مضافاً ولا

مشبّهاً بهِ كما يأتي معرفة قبلَ النّداء مثل: يا إبراهيمُ أو معرفة حالة النّداء، مثل: يا رجلُ. ويعبَّرُ عنها بالنّكرةِ المقصودةِ. وهو – أي المنادى المفرد – مبنيٌّ على الضّمِّ أو نائبِهِ. فالأوّلُ كقولِكَ: يا محمدُ ويا احمدُ... والثّاني: كقولِكَ:يا محمدانِ ويا احمدانِ...))(٩٨).

٤- الاهتمامُ بالمعلوماتِ المهمّة بالقواعدِ النّحويّةِ؛ إذ قدّمتِ الكتبُ النّحويّةُ التّعليميّةُ القواعدَ الأساسيّةَ في النّحوِ العربيّ ولم تهتم بالشاردِ أو غيرِ المستعملِ. فمِن ذلك ما قِيلَ في هذا الكتابِ عن الجرِ بالمجاورةِ: ((...وزادَ بعضُهُم – أي بعضُ النّحويينَ – الجرَ بالمجاورةِ للمجرورِ وهو شاذٌّ وذلك في بابَي النّعتِ والتوكيدِ. قيلَ:وبابُ العطفِ – أي عطفُ النَسَقِ – فالنّعتُ كقولِهِم – أي العربُ–: هذا موضعُ ضبٍّ خَربٍ. وقال غيرُهُ: (هذا جُحرُ ضبٍّ خَرِبٍ...))(٩٩).فعدَّ الجرَّ بالمجاورةِ شاذاً خارجاً عن القاعدةِ النّحويّةِ الأساسيّةِ.

الخاتمةُ

بعد هذه الدّراسةِ المتواضعة توصلنا إلى النتائجِ الآتية:

١- فَصَلَ البحثُ بينَ مصطلحي (النّحو التّعليمي)و(تيسير النّحو).

٢- توصلَ البحثُ إلى أنّ (تيسيرَ النّحوِ) ظَهرَ في العصرِ الحديثِ وعندَ باحثينَ محددينَ اهتمّوا بأمرِ تيسيرِ النّحوِ، ولم يكن همُّ القدماءِ مِن السّلفِ تيسير النّحو بل كان همّهُم تعليم النّحو.

٣- وَضَعتْ هذه الدّراسةُ المميزاتِ الأساسيةَ للنّحوِ التّعليمي وسماتِهِ.

٤- حاولتِ الدّراسةُ تطبيقُ التنظيراتِ النّحويّة التّعليميّة على واحدٍ مِن الكتبِ التّعليميّةِ وهو (شرحُ قواعدِ البُصرويّةِ في النّحو).

٥- أكّدتِ الدّراسةُ مِن خلل التّطبيقِ، على أنّ علماءَ العربيةِ اهتمّوا اهتماماً شديداً بتعليمِ النّحو وتطبيقاتِهِ.

والحمدُ لله

الهوامش

(١) جمهرة اللغة ١٣٨/٣، وينظر: ديوان الأدب ٢٥١/٢، لسان العرب ٤١٧/١٢ (علم).

(٢) لسان العرب ٤١٧/١٢، (علم) وينظر: القاموس المحيط ١٥٣/٤، تابع العروس ٧٣/٣٣، المعجم الوسيط ص(٦٢٤).

(٣) لسان العرب ٤١٨/١٢ (علم).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط ص ٦٢٤.

(٥) ينظر: لسان العرب ٤١٦/١٢ (علم).

(٦) ينظر: ديوان الأدب ٤٦٢/٢.

(٧) ينظر: لسان العرب ١٢ / ٤١٨(علم).

(٨) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨٠.

(٩) ينظر: المعجم المفهرس للقرآن الكريم ص٤٦٩-٤٨١.

(١٠) سورة البقرة /١٢٩.

(١١) سورة البقرة /٣١.

(١٢) سورة الكهف /٦٥.

(١٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨٠-٥٨٢، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص١٨٨.

(١٤) ينظر: المعجم الوافي في النحو العربي ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٥) سورة النحل/٧٨.

(١٦) تاج العروس ٧٣/٣٣.

(١٧) الكليات ص٦١٠.

(١٨) الكليات ص٦١١،وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٣٤١/٣،دستور العلماء ٢٤٣/٢.

(١٩) المعجم الوسيط ص٦٢٤.

(٢٠) جمهرة اللغة ٣٤٠/٢،وينظر: ديوان الأدب ٢١٢/٣ أساس البلاغة ص٥١٣،شجر الدر ص٢١٦،لسان العرب ٢٩٥/٥،(يسر) القاموس المحيط ١٦٣/٢،تاج العروس ٢٥١/١٤.

(٢١) ديوان الأدب ٢٣٨/٣.

(٢٢) لسان العرب ٢٩٥/٥، (يسر) وينظر: القاموس المحيط ١٦٣/٢.

(٢٣) أساس البلاغة ص٥١٣،وينظر: لسان العرب ٢٩٥/٥،القاموس المحيط ١٦٣/٢،تاج العروس ٢٥٠/١٤،المعجم الوسيط ص١٠٦٤.

(٢٤) ديوان الأدب ٢٨٨/٣.

(٢٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٧٢.

(٢٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٨٩١-٨٩٢،تحفة الأريب بما في القرآن من غريب ص٢٩٣.

(٢٧) مفردات ألفاظ القرآن ص٨٩١.

(٢٨) سورة البقرة /١٨٥.

(٢٩) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٨٩٢.

(٣٠) سورة المزمل/٢٠.

(٣١) الكليات ص٩٧٨.

(٣٢) ينظر: نحو التيسير ص١٥،تجديد النحو ص٤-٥.

(٣٣) ينظر: تجديد النحو ص١١-٤٣.

(٣٤) ينظر: في حركة تجديد النحوص٣٠ وما بعدها، موضوعات في نظرية النحو العربي ص١٧٧.

(٣٥) صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي بدمشق سنة ١٩٦١م.

(٣٦) صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي بدمشق سنة ١٩٦١م.

(٣٧) ينظر: أبحاث في اللغة والنحو والقراءات ص١٦٣–١٨٩،المصطلح النحوي من النشأة إلى الاستقرار ٤٧١/١–٤٧٣.

(٣٨) ينظر في ذلك: مقدمة في النحو ص٤٨،٦٤،٧٤،٧٩،وغيرها.

(٣٩) ينظر: اللمع ص٢٦(المقدمة).

(٤٠) بغية الوعاة ٤٩٦/١، وينظر: أنباه الرواة ٢٧٤/١.

(٤١) شرح الدروس في النحو ص٧٩.

(٤٢) ينظر: بغية الوعاة٢/٢١٠،شرح جمل الزجاجي (المقدمة) ٣٧/١–٣٨.

(٤٣) ذهب الأستاذ حامد المؤمن إلى أنّ الأمثلة والشواهد في الكتب التعليمية قليلة ونرى أنّ الشواهد كثيرة ومتعددة وان رأى الباحث الكريم قلة الشواهد فان ذلك يأتي من حجم هذه الكتب بالمقارنة مع المصنفات النحوية الكبيرة، ينظر اللمع ص٢٦–٢٧ (المقدمة).

(٤٤) ينظر: اللمع ص٢٧ (المقدمة).

(٤٥) ينظر: شرح ملحة الإعراب ص٢٦.

(٤٦) ينظر: تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ص١٧،شرح شواهد التحفة الوردية ٥٩/١.

(٤٧) ينظر في ذلك: المسائل الشيرازيات ٢٩٣/١،المسائل المنثورة ص٣٥.

(٤٨) ينظر: المصطلح النحوي من النشأة إلى الاستقرار ٧٦١/٢ وما بعدها.

(٤٩) صدر الكتاب بتحقيق الدكتور عبد الهادي الفضلي ونشر في المجلد الخامس عشر من مجلة اللسان العربي، في العام ١٩٧٧م.

(٥٠) ينظر ترجمته: هدية العارفين ٣٠٤/٢،معجم المؤلفين ١٤٦/١٠–١٤٧.

(٥١) شرح قواعد البصروية في النحو ص١(المقدمة).

(٥٢) صدر عن مؤسسة الرسالة ببيروت /دار البشير بالأردن بتحقيق:د،عزام عمر الشجراوي سنة ٢٠٠٠ م.

(٥٣) ينظر ترجمته: هدية العارفين ٧٤٤/١،الأعلام ٢٨٦/٤،معجم المؤلفين ٨٨/٧.

(٥٤) شرح قواعد البصروية ص٢٨.

(٥٥) شرح قواعد البصروية ص٥٩.

(٥٦) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٦٠.

(٥٧) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٢١٩.

(٥٨) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٦٦.

(٥٩) ينظر: شرح قواعد البصروية ص١٤٩.

(٦٠) ينظر: شرح قواعد البصروية ص١٨٣.

(٦١) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٦٣.

(٦٢) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٩٦.

(٦٣) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٢١٨.

(٦٤) ينظر: خزانة الأدب ٥/١.

(٦٥) أي: من علامات الأسماء.

(٦٦) ديوانه بالشرح المنسوب إلى العكبري (ت٦١٦هـ) ٣٦٩/٣،برواية (فالخيل والليل..).

(٦٧) شرح قواعد البصروية ص٦١.

(٦٨) سورة الزمر /٣٣.

(٦٩) سورة المجادلة /١.

(٧٠) سورة النساء/١٦.

(٧١) شرح قواعد البصروية ص٨٦، وينظر: ص١٣٩،١٥٢،١٦٥.

(٧٢) اخرجه البخاري في كتاب (العلم) الحديث /١١٥،صحيح البخاري ص٤٠،وأخرجه الترميذي في (الفتن) –الحديث/٢١٩٦،صحيح سنن الترميذي ٢/٤٧٤.

(٧٣) شرح قواعد البصروية ص٧٢.

(٧٤) ينظر: شرح قواعد البصروية ص١٥٧.

(٧٥) ينظر: الجنى الداني ص٤٦٨،مغني اللبيب ١/٤٤٠.

(٧٦) شرح قواعد البصروية ص٧١.

(٧٧) تعليم النحو العربي ص٢٣١.

(٧٨) سورة طه ٩١.

(٧٩) شرح القواعد البصروية ص١٤٠.

(٨٠) ينظر: شرح قواعد البصروية: ص٧٥،١٤١،١٤٥،١٥٦،١٦٠،١٧٧.

(٨١) شرح قواعد البصروية ص١١٩.

(٨٢) شرح قواعد البصروية ص٩١،وينظر: ص١١٣.

(٨٣) تعليم النحو العربي ص١٤٣.

(٨٤) ينظر: شرح الحدود النحوية ص٩٧.

(٨٥) شرح قواعد البصروية ص١٢٥.

(٨٦) ينظر: شرح الحدود النحوية ص١١٩.

(٨٧) شرح قواعد البصروية ص١٤٩.

(٨٨) ينظر: شرح الحدود النحوية ص١٢٠.

(٨٩) شرح قواعد البصروية ص١٥٠.

(٩٠) ينظر: شرح الحدود النحوية ص٥٠.

(٩١) شرح قواعد البصروية ص١١٢.

(٩٢) ينظر: شرح قواعد البصروية ص٧٩،٨١، ١١٣،١٧٨،١٨١،١٩٦،١٩٨.

(٩٣) شرح قواعد البصروية ص١٣٤.

(٩٤) شرح قواعد البصروية ص١٣٧.

(٩٥) شرح قواعد البصروية ص١٧٩.

(٩٦) شرح قواعد البصروية ص١٥٤.

(٩٧) التحليل النحوي أصوله وأدلته ص١٤.

(٩٨) شرح قواعد البصروية ص٢٠٢،وينظر: ص ٢٠٦،١٨٩، ٢١٤.

(٩٩) شرح قواعد البصروية ص١٨٩.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

١- أبحاث في اللغة والنحو والقراءات –د.محمود حسني عفالة – ط/١- دار البشير –عمان /الأردن ٢٠٠٢م.

٢- أساس البلاغة –لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)- تحقيق عبد الرحيم محمود – دار المعرفة للطباعة والنشر –بيروت /لبنان ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣- الأعلام – خير الدين الزركلي – ط/٤- دار العلم للملايين –بيروت ١٩٧٩م.

٤- إنباه الرواة على أنباه النحاة – للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ)- تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم – ط/١- مطبعة دار الكتب المصرية –القاهرة ١٩٥٠-١٩٧٣م.

٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: محمد ابي الفضل إبراهيم – ط/١- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٨٤هـ-١٩٤٦ م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) – نشره: د–عبد المنعم خليل، وكريم سيد محمد –ط/١- دار الكتب العلمية –بيروت /لبنان ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧- التبيان في شرح الديوان (ديوان المتنبي)-المنسوب لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)-تحقيق: مصطفى السقا وآخرين –البابي الحلبي بمصر ١٩٥٦م.

٨- تجديد النحو- د.شوقي ضيف – ط/٥- دار المعارف بمصر ٢٠٠٣م.

٩- تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة – يزيد عمر بن المظفر بن الوردي (ت٧٤٩هـ) تحقيق: د.محمد مزعل خلاطي – ط/- دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٠- تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب –لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)- تحقيق د.احمد مطلوب، د.خديجة الحديثي – ط/١- مطبعة العاني –بغداد ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧م.

١١- تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)-علي أبو المكارم – ط/ذ- مؤسسة المختار للطباعة والنشر – مصر ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

١٢- جمهرة اللغة – لابن دريد (ت٣٢١ هـ)- دار صادر – بيروت.

١٣- الجنى الداني في حروف المعاني –لابن أم قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)- تحقيق:د.طه محسن – مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر –جامعة الموصل/العراق ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

١٤- دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون –للقاضي عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري – ط/١- دار الكتب العلمية –بيروت /لبنان ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٥- ديوان الأدب –لأبي إبراهيم إسحاق الفأرابي (ت٣٥٠هـ)- تحقيق: د.احمد مختار عمر – مطبوعات مجمع اللغة العربية –القاهرة.

١٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني –للإمام احمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ)- تحقيق: احمد محمد الخراط – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٧- سنن الترمذي –للحافظ محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)- تحقيق: محمد ناصر الألباني – ط/٢- مكتبة المعارف –الرياض ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٨- شجر الدر –لأبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ)- تحقيق: محمد عبد الجواد – دار المعارف بمصر ١٩٨٥م.
١٩- شرح جمل الزجاجي –لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ)- تحقيق:د.صاحب أبو جناح – مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر –جامعة الموصل/العراق ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٠- شرح الحدود النحوية- لعبد الله بن احمد الفاكهي (ت٩٧٢هـ)-تحقيق: د.زكي فهمي الآلوسي – مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر –جامعة الموصل /العراق ١٩٨٨م.
٢١- شرح الدروس في النحو (الكتاب)-لأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدمان (ت٥٦٩هـ)- تحقيق: د.إبراهيم محمد احمد – ط/١- مطبعة الأمانة – القاهرة ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٢- شرح شواهد التحفة الوردية –لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)-تحقيق: د.عبد الله بن علي الشلال – ط/١- مكتبة الرشد –الرياض ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٣- شرح قواعد البصروية –للشيخ علاء الدين البصروي (ت٩٥٠هـ)-تحقيق:د.عزام عمر الشجراوي – ط/١- دار البشير بالأردن مؤسسة الرسالة – بيروت /لبنان ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٤- شرح ملحة الإعراب –لأبي محمد القاسم الحريري (ت٥١٦هـ)-تحقيق: د-فائز فارس –ط/١- دار الأمل للنشر والتوزيع –اربد /الأردن ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢٥- صحيح البخاري –للإمام البخاري (ت٢٥٦هـ)- دار الكتاب العربي – بيروت/لبنان ١٤٣١هـ.
٢٦- في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث – د.نعمة رحيم العزاوي – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٩٥م.

٢٧- القاموس المحيط –لمجد الدين الفيروز الآبادي (ت٨١٧هـ)-عالم الكتب – بيروت.
٢٨- كشاف اصطلاحات الفنون – لمحمد بن علي التهانوي (ت١١٥٨هـ)- تحقيق:احمد محمد بسج – ط/٢- دار الكتب العلمية –بيروت /لبنان ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٩- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)-لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)-تحقيق: د.عدنان درويش ومحمد المصري – ط/٢- مؤسسة الرسالة – بيروت /لبنان ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٣٠- لسان العرب – لابن منظور (ت٧١١هـ)- دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
٣١- اللمع في العربية –لأبي الفتح عثمان بن جنّي _ ت٣٩٢هـ)- تحقيق: حامد المؤمن – ط/١- مطبعة العاني – منشورات منتدى النشر – النجف الأشرف بغداد ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٢- المسائل الشيرازيات –لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)- تحقيق:د. حسن هنداوي – ط/١-كنوز اشبيليا –المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٣٣- المسائل المنثورة –لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)- تحقيق: د.شريف عبد الكريم النجار – ط/١- دار عمار للنشر والتوزيع –عمان ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٣٤- المصطلح النحوي من النشأة إلى الاستقرار (أطروحة دكتوراه)- يوخنا مرزا خامس – بإشراف الدكتور جمعة حسين محمد –جامعة تكريت /كلية التربية/جمهورية العراق ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٣٥- معجم المؤلفين –عمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث – القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٧- المعجم الوافي في النحو العربي – تصنيف: د.علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي- دار الجيل /بيروت – دار الأفاق الجديدة /المغرب.

٣٨- المعجم الوسيط – أخرجه: د.إبراهيم أنيس، وآخرون -دار الأمواج- بيروت/لبنان ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب -لابن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ)-تحقيق: د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله – ط/٥- مؤسسة الصادق -طهران ١٣٧٨هـ.

٤٠- مفردات ألفاظ القرآن – للراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ)- تحقيق: صفوان عدنان داوودي – ط/١- دار القلم /الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق وبيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤١- مقدمة في النحو -لخلف بن حبان الأحمر البصري (ت١٨٠هـ)-تحقيق: عز الدين التنوخي – مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم- وزارة الثقافة والإرشاد القومي -دمشق ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٤٢- موضوعات في نظرية النحو العربي – د.زهير غازي زاهد – ط/١- دار الزمان للطباعة والنشر – دمشق /سوريا ٢٠١٠م.

٤٣- نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي – د.احمد عبد الستار الجواري – مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤٤- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وأثار المصنفين -لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٢٤٨هـ)- مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

Summary of Research

This Research aims to differentiate between two terms used generally ; these two terms are ; teaching syntax and simplification of syntax. this Research emphasized that scientists , specially fundamentalists they never included in their curricula the simplification of syntax at the way that we understand , in modern time. The research wanted to apply this on one of the classical teaching book which is ; explanation of Bussrayia grammar in syntax , for the scholar Ali bin khalil Al- bussrawi passed away in 950 Hijri. the research divided in to two parts ; first ; theoretical study about teaching theory , the name was (the teaching course in the syntactic heritage – Reading in the book of AL – Bussrawyia grammer explination in syntax

شكل التراجم ومضمونها
في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير(*)

أ.م.د. هاشم يونس عبد الرحمن   رائدة حازم محمد علي

جامعة الموصل/ كلية التربية

الملخص

لقد اهتم بن الأثير في كتابه أسد الغابة بدراسة شكل التراجم ومضمونها حيث انصب جهده على تنظيم التراجم ووضع الدلالة المنهجية للإحالة فضلاً عن تحديد أسلوب المؤرخ في العرض.

كما اهتم بتحديد عناصر التراجم الأساسية ابتداءاً من الاسم والكنية واللقب وانتهاءاً بالوفاة فضلاً عن تراجم أخرى تتعلق بغير المسلمين ممن عاصروا الرسول (ﷺ).

وابن الأثير هذا هو عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري وهو ينتسب الى قبيلة بني شيبان المعروفة واجمع المؤرخون ان ولادته كانت سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م في جزيرة ابن عمر[١] وان وفاته كانت سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)[٢].

وقد نشأ ابن الأثير في أسرة عرفت بثرائها العلمي اذ اشتهر أخواه بالعلم والتأليف وكان بيته أشبه ما يكون بالمنتدى الثقافي الذي يلتقي فيه كبار العلماء والأدباء، ووسط هذا الجو العلمي شق ابن الأثير طريقه في اكتساب المعرفة، اذ تتلمذ

(*) بحث مستل من رسالة الماجستير المشرف عليها والموسومة " منهج بن ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة " للطالبة رائدة حازم محمد علي.

على يد كبار علماء عصره وعزز مسيرته العلمية من خلال رحلاته المتكررة الى حلب والشام ومكة وفارس وبلغ نضجه العلمي انه ألف في التاريخ العام والخاص والمحلي والتراجم وقد عرف ابن الأثير بدماثته وخلقه الرفيع حتى ان الذهبي وصفه فقال:"كان صدراً معظماً كثير الفضائل وبينه مجمع الفضلاء[٣].

ويعد كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة واحداً من مؤلفاته البارزة وهو في الواقع معجم أبجدي خصص لتراجم الصحابة وأخبارهم ويبدو ان ابن الأثير ألفه بين سنة (٦٢٦هـ - ٦٢٨هـ/ ١٢٢٨م-١٢٣٠م) وقد اعتمد أسلوب النقل والبحث والتقصي والنقد وصولاً الى الحقيقة التاريخية، وتكمن أهمية الكتاب فيما أورده من روايات لكتب نادرة ومفقودة أحياناً. وقد أثنى بعض العلماء اللاحقين على هذا الجهد العلمي اذ قال ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):"ان ابن الأثير صنف كتاباً حافلاً في معرفة الصحابة جمع فيه كتاب ابن مندة وأبي نعيم وابن عبد البر وأبي موسى وزاد وأفاد وسماه أسد الغابة في معرفة الصحابة"[٤].

تمهيد

تعد التراجم نمطاً محدداً من أنماط التدوين التاريخي عند العرب وتبرز صفتها التاريخية في اعتمادها على نظام زمني للفترات التي عاش فيها المترجم لهم فضلاً عن سيرهم الشخصية.

وهي تختلف عن التاريخ العام بكونها تواريخ أشخاص معينين كانوا موضوع الدراسة في جوانبها الزمانية والمكانية(٥).

ويعد الاهتمام بسيرة الرسول (ﷺ) أساساً حيوياً لنشوء التراجم. وعن ذلك نشأت ضرورة المعرفة بالأحاديث الصحيحة للرسول (ﷺ) فكان لابد من التحقق من سلسلة الإسناد في الحديث انتهاءاً بالمحدث الأول الذي اخذ عن الرسول (ﷺ) بشكل مباشر، فظهر على اثر ذلك الاهتمام (بعلم الرجال) الذي أصبح ضرورياً لتحقيق الإسناد في (الحديث)(٦). وعلى هذا فقد كان أوائل المهتمين بالسيرة والمغازي من المحدّثين(٧).

وقد حرص ابن الأثير من خلال كتابه أُسد الغابة على توثيق أسماء الصحابة من خلال دراسته معتمداً الشكل والمضمون والسعة لتشمل غير المسلمين.

أولاً: الشكل

١- التنظيم

نظم ابن الأثير عز الدين ابو الحسن علي بن محمد تراجمه في كتابه الموسوم"أسد الغابة في معرفة الصحابة"على وفق حروف المعجم على الترتيب الهجائي وقد تم شرحه وافياً في خطة الكتاب(٨)، وبهذه الطريقة سهل على القارئ لكتابه ووفر له من الوقت وسرعة البحث عما يرغب في الاطلاع على سيرة الصحابي الذي ورد اسمه في الكتاب من دون عناء، وهذا الترتيب يقوم مقام الفهارس الحديثة والعصرية بحيث يتتبع القارئ ترتيب الحروف الأبجدية ويحصل على ما يريد، وربما تفضَّل هذه الطريقة الفهارس، إلا انها لا تصلح إلا لترتيب المعاجم وكتب التراجم التي تتحدث عن الرجال والنساء.

ولم ينفرد ابن الأثير في اعتماده على هذا التنظيم، فقد سبقه الى ذلك جماعة من أصحاب التراجم كالبخاري(٩) المتوفى سنة (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، وابن الفرضي(١٠) المتوفى سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، والخطيب البغدادي(١١) المتوفى سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الذي حدد سبب التنظيم على حروف المعجم، بقوله:"ليسهل ذلك على طالبيه "، وياقوت الحموي(١٢) المتوفى سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) الذي ذكر دافعه الى ذلك بقوله:"وجعلت ترتيبه على حروف المعجم ... لتطلبه في موضعه ".

واستهل ابن الأثير كتابه بذكر رسول الله (ﷺ) فقال:"نبدأ بذكر سيدنا رسول الله (ﷺ) تبركاً باسمه وتشريفاً للكتاب بذكره المبارك، ولأن معرفة المصحوب ينبغي ان تقدم على معرفة الصاحب، وان كان اظهر من ان يعرف(١٣)، وقال ايضا:"لكن الأكثر يعرفونه جملة فارغة عن معرفة شيء من أحواله، ونحن نذكر جملاً من تفاصيل أموره على سبيل الاختصار ..."(١٤) وهذا نابع من إيمانه العميق، كما انه يأتي من تقديره لمكانة رسول الله (ﷺ) الكبيرة في نفوس المسلمين.

وتلا ذكره ذكر وفاة أمه وجده، وكفالة عمه ابي طالب، وزواجه من خديجة الكبرى (رضي الله عنها)، وأولاده، وبناء الكعبة، ووضع رسول الله (ﷺ) الحجر الأسود، ووفاة خديجة الكبرى (رضي الله عنها) وابي طالب، وذهاب رسول الله (ﷺ) الى الطائف وعودته، والإسراء وما حدث بعد الهجرة، وصفته وشيء من أخلاقه (ﷺ) ومعجزاته، ولباسه، وسلاحه، ودوابه، وأعمامه وعماته وزوجاته وسراريه، ومبلغ عمره ثم وفاته[١٥] (ﷺ) حتى اذا ما انتهى من سرد هذا التاريخ مضى على حروف المعجم فحدَّث عن الصحابة.

ولأن الصحابة تأثروا بالصاحب رسول الله (ﷺ) لذا يجب معرفة الصاحب والمصحوب ذلك ان معرفة الصحابة ضرورية وبخاصة في الأمور التي تتعلق بالقرآن والسنَّة التي تتوقف عليها مدار تفصيل الأحكام.

قدم ابن الأثير تراجم الصحابة وتفاوتت التراجم في حجمها تبعاً لأثرهم وتأثيرهم في نفوس المسلمين، فالخلفاء الراشدون مثلاً افرد لهم عدة أوراق فأفرد ثلاث عشرة ورقة لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) [١٦]، وافرد لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ثماني عشرة ورقة[١٧]، وافرد لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) ست ورقات[١٨]، كما افرد لعلي بن ابي طالب (رضي الله عنه) سبع عشرة ورقة[١٩].

وترجم لعدد من المشهورين بأقل من ذلك فترجم لبلال بن رباح بورقتين[٢٠]، وترجم لهرمي بن عبد الله في ما يقارب من ورقتين[٢١]، ولحسان بن ثابت ورقتين[٢٢]، ولصفية بنت حيي بن اخطب ما يقارب من ورقتين[٢٣].

وتراجم أخرى منها عمار بن ياسر[٢٤]، وعبد الله بن عمر[٢٥]، وعبد الله بن مسعود[٢٦] وغيرهم.

وبالمقابل هناك تراجم يوردها موجزة ولعل سبب ذلك عدم توافر معلومات عن تلك الترجمة، ومن هذه التراجم ترجمة الحارث بن عتيق[٢٧]، ورافع بن

جعدبة[٢٨]، وطلحة بن نضيلة[٢٩]، وقزعة بن كعب[٣٠]، ومسلم بن عمير الثقفي[٣١]، وابو شقرة[٣٢]، وجميمة بنت حمام[٣٣]، وليلى عمة عبد الرحمن بن ابي ليلى[٣٤].

وعند عرضه لمعلومات الترجمة تدرَّج فيها فبدأ باسم المترجم واسم أبيه ثم اللقب ثم الكنية وبعدها ذكر المعلومات المتوافرة لديه والتي جمعها من مصادره ثم ذكر الوفاة كما في ترجمة عمرو بن عوف المزني[٣٥]. هذا اذا توافرت له المعلومات. وأحياناً وعند عدم توافر المعلومات لم يذكر إلا ما عنده فحسب مثال أم عبد الله من بني زهرة[٣٦].

وذكر الاسم بحروفه حرفاً وحركة أي انه ينطق الحرف نطقاً خاصة الحروف المشتبه بها والتي يتوقع حصول التصحيف فيها، فذكر مثلاً سخبرة الأسدي وقال:"بالسين المفتوحة"[٣٧] وذكرها في بداية الترجمة وأحياناً كان في نهاية الترجمة كما في ترجمة عطية بن بسر[٣٨].

٢- الإحالات

اعتمد ابن الأثير نظام الإحالات في تراجمه، وكان ذلك دافعاً منه للحرص على منهجيته التي اتخذها في تنظيم تراجمه بحسب الحروف الهجائية كما مر ذكرها آنفاً، وقد اتخذت الإحالات في تراجمه أشكالاً ومقاصد مختلفة.

وأشار الى ذلك أشارة صريحة، فأحال الى ترجمة لاحقة كما في ترجمة أم الضحاك بنت مسعود فقال:"وهي أم الضحاك، وستذكر في الكنى ان شاء الله تعالى"[٣٩].

وأحال تارة أخرى الى ترجمة سابقة لوجود الاختلاف في الاسم كما في ترجمة خزاعي بن اسود قال:"وقيل اسود بن خزاعي الاسلمي، وقد تقدم في الأسود"[٤٠].

وأحال مرة أخرى الى ما اشتهر به المترجم له كما في ترجمة صيفي بن الاسلت قال:"صيفي بن الاسلت، ابو قيس الأنصاري ... وهو مشهور بكنيته، ونذكره

في الكنى ان شاء الله تعالى أتم من هذا"[٤١]، وبرير ابو هريرة قال:"وقد اختلف في اسم ابي هريرة اختلافاً كثيراً، ويرد ذكره في الأبواب التي سمي بها، وانما نستقصي ذكره عند كنيته، فانها اشهر من جميع أسمائه"[٤٢].

وأحال أحياناً لترجمة سابقة للاختصار وتجاوز للتكرار فمثلاً في ترجمة طفيل بن ابي كعب الأنصاري قال:"وقد تقدم نسبه عند ذكر أبيه"[٤٣].

وأحياناً أخرى أحال إحالات عديدة متداخلة لوجود أكثر من اسم للمترجم يعرف به، مثال ذلك إبراهيم ابي رافع[٤٤] له عدة أسماء وهي اسلم[٤٥]، وذكوان[٤٦]، وصالح[٤٧]، وطهمان[٤٨]، وشقران[٤٩]، وهرمز[٥٠]، ومهران[٥١]، وميمون[٥٢]، وكيسان[٥٣]، وابو رافع[٥٤]. فمنهم أحال إحالة صريحة كما في اسلم قال:"ويرد في الكنى ان شاء الله تعالى"[٥٥]، وفي القسم الآخر لم يشر الى الإحالة بل ذكر فقط اسماً واحداً من أسمائه او عدداً من أسمائه المتعددة كما في شقران قال:"قيل: اسمه صالح"[٥٦]، وذكر أحياناً انه ورد اختلاف في الاسم كما ورد في ترجمة ابي رافع"اختلف في اسمه فقيل: اسلم. وقيل: إبراهيم. وقيل: صالح. وقد ذكرناه في الجميع"[٥٧].

وأحال أحياناً أخرى الى اسم مختلف واختلافه كان عند أصحاب المصادر الرئيسة كما في ترجمة عمرو بن ثابت الأوسي فقال"قلت نسبه ابن منده فقال:"عمرو بن ثابت بن وقش بن أصرم بن عبد الاشهل ". وهذا نسب غير صحيح، فان اصيرم لقب عمرو، لأسم جد له، وقد أسقطه ايضا، فانه جعل اصيرم بن عبد الاشهل، وبينهما لو كان نسلاً صحيحاً (زغبة وزعوراء) لابد منهما، والصواب ما ذكرناه في نسبه. وقد اخرج ابن منده ترجمة أخرى فقال:"عمرو بن اقيش، ..."[٥٨].

وله تراجم أخرى لا يصرح بالإحالة اليها مع ان لها ترجمة أخرى او أكثر كما في ترجمة عبد الله ابي قابوس اذ قال:"اختلف في اسمه فقيل: اسمه المخارق"[٥٩] ولم يشر بأية أشارة الى ترجمته الأخرى باسم مخارق بن عبد الله الشيباني[٦٠].

ويحيل أحياناً بحسب شهرة المترجم له في المكان التي حط بها واشتهر بها فمثلاً في ترجمة بشر بن جحاش قال:"ويقال: بشر ... أهل الشام يقولون بشر وأهل العراق يقولون بسر ..."[٦١].

كما أورد إحالات ارجاعية والتي تشير بدورها الى الدقة في الإحالة كما جاء في ترجمة ابي عبد الله القيني قال:"وقيل فيه ابو عبد الرحمن ويرد في موضعه ان شاء الله تعالى"[٦٢]. ثم قال:"ابو عبد الرحمن القيني وقد ذكره ابن منده فقال: (ابو عبد الله القيني) وقد تقدم"[٦٣].

وهناك إحالات كان قد اخطأ فيها فمثلاً في ترجمته لعداس قال:"له ذكر في صفة النبي (ﷺ)"[٦٤] وهو خطأ والصحيح ان ذكره جاء في وفاة خديجة وابي طالب وذهاب الرسول (ﷺ) الى الطائف وعوده، في حديثه عن أذى ثقيف للرسول (ﷺ) فقال:"وذكرنا القصة في عداس"[٦٥].

وله إحالات أخرى ذكر انه سبق ان نفذها كما في ترجمة أم كلثوم بنت سهيل قال:"وقد ذكرناها في ترجمة زوجها"[٦٦]، والصحيح عدم ورودها في ترجمة زوجها ابي سيرة ابن ابي رهم[٦٧].

ان كل ما تقدم من أنواع الإحالات كانت إحالات ضمن إطار الكتاب نفسه الموسوم (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، ولكن هناك إحالات الى مصادر تاريخية أخرى ليست ضمن إطار الكتاب وذلك اما لطول الحديث المذكور او لأسباب أخرى. كما ورد في ترجمة زياد بن سمية اذ قال:"فلما قرأ زياد الكتاب قال: ... فاستلحقه، في

حديث طويل تركناه، وذلك سنة أربع وأربعين، وقد ذكرناه مستقصى في الكامل في التاريخ"[٦٨].

وجاء في الكامل"لما ولي علي الخلافة استعمل زياداً على فارس ... واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده ويعرض له بولادة ابي سفيان إياه، ... وبلغ ذلك عليا فكتب اليه اني وليتك ما وليتك وانا أراك له أهلا وقد كانت من ابي سفيان فلتة ... وان معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ... فاحذر ثم احذر، والسلام ... فلما قتل علي، وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية ما ذكرناه ... فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه أول ما ردت أحكام الشريعة علانية، ان رسول الله (ﷺ) قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر"[٦٩]. ثم قال:"وكتب زياد الى عائشة: من زياد بن ابي سفيان، وهو يريد ان تكتب له: الى زياد بن ابي سفيان، فيحتج بذلك، فكتب من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد. وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة، وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فأضربنا عنها"[٧٠] ثم قال:"ومن اعتذر لمعاوية قال: انما استلحق معاوية زياداً لأن انكحة الجاهلية كانت أنواعاً، لا حاجة الى ذكرها جميعها، ... قيل: أراد زياد ان يحج بعد ان استلحقه معاوية، فسمع أخوه ابو بكرة، وكان مهاجراً له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة ابن شعبة ... فترك زياد الحج وقال: جزاك الله خيراً فلقد بلغت في النصح"[٧١].

والشيء نفسه في ترجمة عمرو بن سالم الخزاعي قال:"وقد استقصينا هذه الحادثة في كتابنا الكامل في التاريخ"[٧٢]. فذكر في الكامل في فتح مكة قال:"وأقام رسول الله (ﷺ)، بعد غزوة مؤتة جمادي الآخرة ورجباً ثم ان بني بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله (ﷺ)، وبكر في عهد قريش في صلح الحديبية، وكان سبب ذلك ان رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك ... وكان حليفاً للأسود ... البكري في الجاهلية

خرج تاجراً، فلما كان بأرض خزاعة قتلوه واخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة عل بني الأسود بن رزن ... فقتلوهم ... فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد النبي (ﷺ) ودخلت بكر في عهد قريش اغتنمت بكر تلك الهدنة ... وقيل: كان سبب ذلك ان رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبي (ﷺ) فشجه الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيّتو هم بالوتير"[٧٣] ثم قال:"وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين ... فلما نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي (ﷺ) خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم الكعبي حتى قدم على رسول الله (ﷺ) المدينة فوقف ثم قال:

لاهـم انـي ناشـد محمـداً　　　حلـف أبينـا وأبيـه الأتلـدا

الى ان انتهت الأبيات بقوله:

(فقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا)

فقال رسول الله (ﷺ):"قد نصرت يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله (ﷺ) عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بني كعب"[٧٤]. ثم قال:"وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم، فلهذا قال عمرو بن سالم: حلف أبينا وأبيه الأتلدا.

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي (ﷺ) المدينة فنادوه ... ثم ان رسول الله (ﷺ) تجهز وأمر الناس بالتجهيز الى مكة وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ..."[٧٥].

كذلك ما جاء في ترجمة قارب بن الأسود اذ قال:"وقد استقصينا ذلك في كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب)[٧٦].

فذكر في اللباب:"وفاته ايضا: الأحلاف في نسبه الى احد قبيلتي ثقيف، فان ثقيفا ولد عوفا وجشم فولد عوف عدة بطون، وهم الأحلاف، ومنهم عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد الحجاج بن يوسف بن الحكم ابن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب وغيرهم. وولد مالك يذكرون في المالكي"(٧٧).

وأحياناً له إحالات الى مصادر أخرى ولكن من دون الإشارة اليها. كما في ترجمة صفية بنت محمية اذ قال:"لها ذكر في الحديث"(٧٨) ولكنه لم يذكر أيّة حديث ولا مصدره في حين ان محققي الكتاب أوردوا مصادر الحديث(٧٩).

يتضح من خلال عدد من الإحالات التي أوردها ابن الأثير الى مصادر أخرى من دون الإشارة الى تلك المصادر انه نقل تلك الإحالات كما وردت اليه من دون التحقق منها ويبدو انه اعتمد على أسلوب النقل المباشر من مصادره من دون الوقوف على مرجعية المعلومات التي أثبتها في كتابه (أسد الغابة)، كما في الترجمة المذكورة أعلاه دون التحقق من صحة الإحالة في حين أورد الإحالات التي أشار اليها في تراجم أخرى بشكل واضح ودقيق. ويتضح من ذلك ان ابن الأثير اعتمد في عدد من التراجم على أسلوب إيراد المعلومات دون الاهتمام الواضح بإحالاتها مما يشير الى عدم اهتمامه بالمنهجية التاريخية المتعلقة بالإحالات مقارنة بأسلوبه ومنهجه الرصينين في كتابه الكامل في التاريخ.

اما موقع الإحالة فمنها ما كان في بداية الترجمة ومنها في وسطها ومنها في نهايتها وكما في الأمثلة الآتية:

فأما الإحالة في البداية فكما جاء في ترجمة سهلة بنت سهل اذ قال:"تقدم نسبها في ترجمة أبيها"(٨٠).

وأما الإحالة الوسطية فكما جاء في ترجمة زيد بن الصامت فقال:"ويرد في الكنى أتمَّ من هذا ان شاء الله تعالى ..."(٨١).

ومثال الإحالة في النهاية قوله في ترجمة القاسم بن الربيع:"ويرد ذكره في الكنى ان شاء الله تعالى"(٨٢).

ان هذا الترتيب في موقع الإحالات ربما ورد مرتبا على وفق المعلومات التي ذكرها.

٣- الأسلوب

لما كان كتابه هذا هو نتاج ما جمعه من الكتب الأساسية والتي عدت مصادره الرئيسة وهي ما ألفه الحافظان ابو عبد الله ابن منده وابو نعيم احمد بن عبد الله الاصفهانيان والإمام ابو عمر ابن عبد البر القرطبي ومن بعدهم ابو موسى محمد بن ابي بكر الذي كان كتابه استدراكاً لما جاء به ابن منده، فمن الضروري ان يخطر ببال كل من يتصفح كتابه هذا ان يعلم انه لم يجمع من هذه الكتب فحسب من دون ان يأتي بشيء جديد يضيفه الى ما جمع بل جمعها وأضاف اليها أشياء جوهرية لم تكن فيها من قبل، كما جاء في ترجمة اكثم بن صيفي(٨٣)، وخراش الكلبي(٨٤)، وعبد الله بن ابي ربيعة(٨٥)، وقيس بن سعد الأنصاري(٨٦)، ونافع ابو سليمان(٨٧)، وابي اللحم(٨٨)، وسلمى بنت عميس(٨٩).

ولكن قوله:"ان اجمع بين كتبهم الأربعة"(٩٠) هو شيء من التواضع اعتاده المؤرخون السابقون لأنهم لا يَّدعون بشيء انهم ابتدعوه أبدا ولكنهم يعزونه الى أسلافهم، ويعدون عملهم مهما كان كبيراً، صغيراً تجاه أعمال سالفيهم، وهذه الطريقة ان دلت على شيء فإنما تدل على شيء من التواضع المقبول(٩١).

ويمكن القول ان طريقة عرض الكتاب بما فيه كان بأسلوب جذاب، ونظراً لكونه أكثر اقتباساً فقد حدد أسلوبه ومنهجه وهو كما يبدو واضحاً بأنه نقل جميع التراجم الموجودة في المصادر الأساسية المذكورة آنفاً ما عدا التراجم المتكررة منها

ولم يترك أية ترجمة حتى الخاطئة فنقلها كما هي ثم صحح الخطأ الوارد فيها، كما جاء في ترجمة بريدة بن سفيان الاسلمي[٩٢].

كما انه التزم تماماً بما قاله بأنه لم يترك أية ترجمة حتى ولو لم ترق له فذكرها على الرغم من اعتراضه عليها وعلى صحة ما جاء بها او نكرانه لها تماماً كما جاء في ترجمة زوبعة الجني فقال:"ولو لم نشرط اننا لا نترك ترجمة لتركنا هذه وأمثالها"[٩٣].

وقد جرى على أسلوب من سبقه من المحدّثين (أصحاب الحديث) في اعتماد سلسلة الإسناد لأنه أوضح ان معرفة الصحابي مهمة في السُّنة ويجب معرفة المترجم له وعن من اخذ لأهميته في أمور الشرع والسُّنة كما في ترجمة مشرح الاشعري فقال:"اخبرنا يحيى ... بإسناده الى ابي بكر ..."[٩٤].

كما استعمل في أسلوبه الربط بالأحداث كما ورد في ترجمة اسعد بن حارثة عن خبر استشهاده انه استشهد يوم الجسر فقال:"وكان الجسر أيام عمر بن الخطاب"[٩٥] للسهولة وتقريب الصورة.

كما انه شرح العبارة التي رأى فيها غموضاً وأعطى معنى لما ذكره من اسم او لقب فمثلاً في ترجمة النمر بن تولب ... العكلي قال:"ويقال لولد عوف بن وائل:"عكل"لأنهم ممن حضنتهم امة اسمها عكل، فغلبت عليهم"[٩٦].

وكعادته فقد عمد الى الاختصار وقلة الكلام كما في ترجمة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) قال:"وأخباره في حروبه كثيرة لا نطول بذكرها"[٩٧]، وكذلك قال ايضا:"وزهده وعدله (رضي الله عنه) لا يمكن استقصاء ذكرهما فلنقتصر على هذا"[٩٨].

وأحياناً يأتي أسلوبه وصفياً يصف شخصية المترجم له كما في ترجمة عائشة بنت ابي بكر الصديق (رضي الله عنها) وصفها بانها فقيهة عارفة بالفرائض طيبة شاعرة

صدِّيقة بنت صدِّيق بريئة مبرَّأة[٩٩] وفقهها جاء من شدة ملازمتها للرسول (صلى الله عليه وسلم) كونها زوجته.

وتأثر أسلوبه في عدد من التراجم بدور الشخصية التي ترجم لها كما في ترجمة جندب بن جنادة[١٠٠] الذي يظهر انه كان سريع الانفعال.

وله في النقل أسلوب آخر فعندما ينقل الكلام من الصدر الرئيس وينتهي منه يقول: (انتهى كلامه) كما في ترجمة ديلم بن فيروز[١٠١].

كما أورد كلمة (والله اعلم) في الترجمة التي يشك في صحة معلوماتها كما في ترجمة هالة بنت خويلد[١٠٢]. وهنا تتضح أمانته ودقة معلوماته.

وقد لايبت في حكمه، وأشار لذلك في تراجمه كما في ترجمة ثابت بن خنساء اذ قال في الكلام عن نسبه:"قلت: لاشك انه غيره، فأن النسب مختلف في الأب والجد ... فلا ادري كيف اشتبه عليه"[١٠٣].

كما انه أورد في عدد من التراجم وبخاصة في الإحالات كلمة (ان شاء الله تعالى) ما يدل على طبيعته الدينية المسلمة المؤمنة بالله كما جاء مثلاً في ترجمة المنذر بن سعد فقال:

" ونذكره في الكنى ان شاء الله تعالى"[١٠٤].

وينسب الأخبار الى رواتها ممن سمع منهم باستعماله (اخبرنا) كما في ترجمة انس بن النصر[١٠٥]، و (حدثني) كما في ترجمة عبد الرحمن بن سنة الاسلمي[١٠٦]، و (حدثنا) كما في ترجمة عم جبر بن عتيك[١٠٧]، مما يدل وثاقة تراجمه فضلاً عن ذكره التراجم بإسناد و(ذكره) كما في ترجمة معبد بن خالد قال:"ذكره الواقدي في الصحابة ..."[١٠٨]، و(قاله) كما في ترجمة ابي لقيط قال:"قاله جعفر"[١٠٩]، وذكر ايضا (قال) ففي ترجمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في هجرته قال:"قال ابن اسحق: ..."[١١٠]، وايضا في ترجمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذكر (أنبأنا)[١١١]، كما ذكر

(روى) كما في ترجمة ساعدة بن حرام[١١٢]، (وروى عنه) كما في ترجمة عبد الرحمن بن أم الحكم[١١٣].

وهكذا كان أسلوب توثيقه لما أورده من معلومات فأسندها الى من جاء بها، وبهذا كان ناقلاً وصفياً كما واستشهد بآيات قرآنية كما في ترجمة رفاعة بن وهب[١١٤]، وأحاديث نبوية شريفة كما في ترجمة فروة بن عمرو الأنصاري[١١٥]، وأبيات شعرية كما في ترجمة معقل بن سنان بن مطهرة[١١٦] بعد ان كان متدرجاً في عرض الاسم والكنية واللقب ثم عرض المعلومات.

يكمن ان نستنتج مما سبق ان أسلوبه كان سلساً واضحاً مفهوماً فيه شيء من الروعة تغلب عليه البساطة وعدم التكلف فقد شرح الغريب والصعب الذي صادفه في التراجم والأحاديث، مما أغنى القارئ عن استشارة القاموس إلا ما ندر وعلى الرغم من كثرة النقل يلاحظ ان أسلوبه الخاص خال من الغموض والتعقيد المعنوي واللفظي وليس في كتابه أسلوب سجع ولا ازدواج ولا استعارات ولا تشبيهات إلا ما ندر او قد يكون معدوماً وهذه المحسنات اللفظية كثيراً ما تلاحظ في أساليب كُتَّاب عصره. اما كتابته فكانت مرسلة.

وكان يتوخى من طريقته هذه في الكتابة السهولة وعدم التكلف الضارب على أكثر الكتابة المسجوعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الكتابة المرسلة تؤدي المعنى المطلوب تماماً وربما تقصر عن الكتابة المسجوعة وذلك لتقيدها بنظام السجع.

وعلى الرغم من جهوده في هذا المجال وإخراج كتابه إخراجاً طيباً، إلا ان هناك عدداً من المآخذ عليه منها انه اتبع اثر ابن منده وابي نعيم وابي عمر وابي موسى ونقل عنهم فنقل منهم الأشخاص الذين روى كل منهم عن أبيه وعن أخيه وجده وخاله وعمه وان كان الراوي ومن يروي عنهم مجهولين مثل رجل من بلي عن

أبيه[١١٧] ثم ذكر الحديث الذي رواه ذلك الرجل الذي من بلي دون ذكر شيء عن الرجل وأبيه وقد اختلف هنا مع نفسه في قوله بأن الغرض من الترجمة هو معرفة الصحابي راوي الحديث للاطمئنان على صحة الحديث.

كما انه كرر عدداً من الأسماء أكثر من مرة وهنا اختلف ايضا مع نفسه فقد ذكر انه اخرج ترجمة واحدة ونبه عليها إلا انه اخرج الترجمة وبأسماء مختلفة وفي كل ترجمة ذكر معلومة غير التي قبلها كما في ترجمة برير ابي هريرة[١١٨]، وجندب بن جنادة[١١٩] على سبيل المثال.

ثانيا: المضمون

١- الاسم والكنية واللقب

رتب ابن الأثير تراجمه بصورة مختلفة فمنها ما ابتدأت بالاسم الكامل والنسب ثم الكنية ثم اللقب وقد اعتمد هذا الترتيب من الجزء الأول الى نهاية الجزء الخامس، كما في ترجمة الحارث بن عوف بن أسيد[١٢٠]، واعتمد الاسم والنسب واللقب بدون كنية كما في ترجمة خباب بن قيظي[١٢١]، واعتمد ايضا الاسم واسم الأب واللقب بدون نسب كما في ترجمة عبد الله بن مقرن[١٢٢]، وذكر أحياناً الاسم واسم الأب والكنية واللقب بدون نسب كما في ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن ابي رويحة[١٢٣]، وأحياناً يذكر اللقب ثم الاسم ثم الكنية كما في ترجمة الأحنف بن قيس[١٢٤].

كما يذكر أحياناً أخرى الاسم واللقب فقط كما في ترجمة معاوية الليثي[١٢٥]، وذكر ايضا الاسم واسم الأب فقط كما في ترجمة لبيد بن عطارد[١٢٦]، وذكر الاسم فقط كما في ترجمة لبيد[١٢٧]. وأحياناً أورد أكثر من هذا فقال: اخو ... وابن أخي وهكذا كما في ترجمة الأسود بن سفيان[١٢٨]، كما أورد في بعض التراجم حتى اسم الأم كما جاء في ترجمة مطلب بن حنطب[١٢٩]. وهذا جاء من محصلة ما نقل من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها في تأليف كتابه واقتفى أثرها، فهذا ابو عمر بن

عبد البر صاحب الاستيعاب هو الذي تعمق في إيضاح نسب المترجم له بحيث قال أحياناً: ابن أخي فلان او اخو فلان او ابن عم فلان وهكذا كما جاء في ترجمة مطلب بن أزهر[١٣٠].

اما الجزء السادس وهو كتاب الكنى فرتبه على أساس الكنية فأحياناً يذكر الكنية ثم الاسم ثم النسب ثم اللقب كما في ترجمة ابي خزيمة يربوع[١٣١]، وأحياناً الكنية فقط كما في ترجمة ابي حصيفة[١٣٢]، كما يذكر أحياناً أخرى الكنية واللقب فقط كما في ترجمة ابي جنيدة الفهري[١٣٣]، وأحياناً الكنية مع القرابة كما في ترجمة ابي خالد الكندي قال:"ابو خالد الكندي، جد خالد بن معدان"[١٣٤]، وذكر الكنية واللقب والاسم كما في ترجمة ابي رافع الصائغ[١٣٥].

وقد أورد كنية واحدة على الأعم الأغلب ولكنه قد يورد للمترجم له كنيتين كما في ترجمة عمرو بن العاص قال: يكنى أبا عبد الله، وقيل: ابو محمد"[١٣٦].

اما الجزء السابع فهو خاص للنساء الصحابيات وقد اختلف في ترتيبه بالنسبة للاسم والكنية واللقب كما في كتاب الرجال الصحابة فقد ذكر عدداً من التراجم ابتداءاً بالاسم ثم النسب كما في ترجمة رائطة بنت الحارث[١٣٧]، وأحياناً الاسم والنسب واللقب والكنية كما في ترجمة لبابة بنت الحارث[١٣٨]، وأحياناً أخرى أورد فقط الاسم كما في ترجمة ذرة[١٣٩]، وأحياناً الاسم واللقب فقط كما في ترجمة رقيقة الثقفية[١٤٠]، وأحياناً الاسم واسم الأب فقط كما في ترجمة رضوى بنت كعب[١٤١]، وهكذا سار من (أ–ي) الى ان انتهى من أسمائهن ثم بدأ بالكنى من أسماء الصحابيات، فبعضها رتبها ابتداءاً بالكنية ثم النسب ثم اللقب ثم الاسم ثم كنية أخرى مشهورة بها كما في ترجمة أم الخير بنت صخر[١٤٢]، ويذكر أحياناً الكنية مع اللقب فقط كما في ترجمة او فروة الأنصارية[١٤٣]، كما يذكر الكنية ثم النسب ثم اللقب ثم درجة القرابة كما في ترجمة أم الحكم بنت ابي سفيان[١٤٤]، ويذكر الكنية واسم الأب فقط كما في ترجمة أم

جميل بنت عبد الله[١٤٥]، كما يذكر الكنية واسم الأب واسم الجد كما في ترجمة أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب[١٤٦]، وأحياناً الكنية فقط كما في ترجمة ام الشريد[١٤٧]، وأحياناً الكنية مع صلة القرابة كما في ترجمة ام عبد الله امرأة نعيم بن النحام[١٤٨].

وجاء موقع الكنية على الأغلب في النهاية كما في ترجمة عويمر بن عامر[١٤٩] فبعد ان أورد اسمه والاختلاف فيه أورد نسبه ثم كنيته فقال:"ابو الدرداء ..."[١٥٠]، وأحياناً أوردها في البداية كما في ترجمة صخر ابو حازم[١٥١].

ولوحظ ان أسماء التراجم متباينة عددياً فقسم من التراجم ذكر فيها الاسم بصورة مطولة كما في ترجمة ابان بن سعيد[١٥٢]، وزيد بن حارثة[١٥٣]، والقسم الآخر مختصر جداً حتى وصل أحياناً حد كلمة واحدة كما في ترجمة التيهان[١٥٤]، وسلمى[١٥٥].

وقد ذكر اسم المترجم له تبعاً لما عرف به في المنطقة التي استقر فيها كما في ترجمة بسر بن جحاش او بشر بن جحاش قال:"أهل الشام يقولون بشر وأهل العراق يقولون بسر"[١٥٦].

وهو يعلل الاسم كما جاء في ترجمة الأحنف بن قيس قال:"والأحنف لقب له لحنف كان برجله ..."[١٥٧].

وذكر أحياناً الاسم رسماً وحرفاً ونطقه نطقاً كما جاء في ترجمة شنتم اذ قال:"شنتم بالنون والتاء فوقها نقطتان ..."[١٥٨].

وذكر أحياناً وعند الاختلاف في الاسم انه يوجد عَدّة أسماء للمترجم له يعرف بها ليطلبها من له حاجة بها كما جاء في ترجمة يثربي بن عوف فقال:"مختلف في اسمه، قيل: عمارة وقيل: رفاعة، وقيل: يثربي ..."[١٥٩].

وذكر ايضا عدداً من الذين غير الرسول (ﷺ) أسماءهم مثل ابي هريرة فقد كان اسمه عبد شمس فسماه النبي (ﷺ) عبد الرحمن[١٦٠].

ورجَّح أحياناً احد الأسماء عندما وجد اختلاف فيها كما في ترجمة زياد بن طارق اذ قال:"وقيل طارق بن زياد وهو الصواب"[١٦١]، وكذلك عبد الرحمن بن عرابة الجهني قال:"وقيل: عبد الله، والصواب: رفاعة بن عرابة"[١٦٢].

وأورد الكنى لأنه عدَّ ان المترجم أكثر شهرة بها كما جاء في ترجمة عمرو بن سفيان ... ابي الأعور السلمي فقال:"وهو مشهور بكنيته"[١٦٣].

كما انه أوردها أحياناً تشريفاً للمترجم له كما في ترجمة ذي اللسانين فقال:"سمي لفصاحته ..."[١٦٤] ثم قال في مولة بن كثيف وهو اسمه: وكان يدعى ذا اللسانين من فصاحته وبلاغته"[١٦٥].

وصحح عدداً من الكنى كما هو الحال بالنسبة لأبي اللحم الغفاري الذي ابتدأ كتابه بالنسبة للتراجم به اذ قال:"انه لقب وليس كنية له فقال:"قال ابو نعيم: ذكره عدد من المتأخرين – يعني ابن منده – وتوهم انه كنية له، وهو لقبه، لأنه كان يأبى أكل اللحم، قلت: لا شبهة في انه ليس بكنية، وان ذكره في الكنى وهم"[١٦٦].

وبالنسبة للألقاب فان عدداً منها لم يكن يطلق عفوياً وانما عن قصد كالمهاجر بن قنفذ الذي اكتسب لقبه من الهجرة اذ قال:"وقيل ان اسم المهاجر عمرو، واسم قنفذ خلف، وان مهاجراً وقنفذاً لقبان، وأنما قيل له (المهاجر) لأنه لما أراد الهجرة أخذه المشركون فعذبوه، ثم هرب منهم، وقدم على رسول الله (ﷺ) مسلماً، فقال رسول الله: هذا المهاجر حقاً"[١٦٧].

وارتبطت عدد من الألقاب عنده بالسمات الجسدية لأصحابها كالأقرع بن حابس: فقال: قال ابن دريد: اسم الأقرع: فراس، ولقب الأقرع لقرع كان له في رأسه"[١٦٨].

ودلت ألقاب أخرى على ثقافة ونباهة حاملها كالنابغة الجعدي فقال:"قيل له النابغة، لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقاله، فسُميَّ النابغة"[١٦٩].

وهناك ألقاب عفوية أطلقت على المترجم له واشتهر بها كما في شقران مولى رسول الله (ﷺ) فقال:"مشهور بهذا اللقب"[١٧٠] والذي ذكره في ترجمة صالح، مولى رسول الله (ﷺ) فقال:"يعرف بشقران، غلب عليه هذا اللقب، واسمه صالح"[١٧١].

٢-النسبة

أ- أنواعها

لقد تنوعت تراجم ابن الأثير واختلفت فمنها ما كانت منسوبة الى القبائل فيها رجع بالنسب الى قبيلة المترجم له وبهذا حدد سلسلة نسب المترجم له كما في ترجمة ابي اللحم الغفاري[١٧٢].

وذهب الى أكثر من هذا في بعضها الآخر فحدد نسبه المباشرة للقبيلة كما في ترجمة الحارث بن عوف بن أسيد فقال:"بن كنانة ابو واقد الليثي. وليث بطن من كنانة"[١٧٣] فهنا حدد النسبة من العام الى الخاص فنسبه الى قبيلة كنانة العربية ثم الليثي وليث هي بطن من كنانة.

وذكر في القسم الآخر النسب ومباشرته من الخاص الى العام كما في ترجمة طلحة بن عتبة اذ قال:"الأوسي، ثم من بني جحجبي"[١٧٤] فنسبه الى قبيلة الأوس العربية ثم تدرَّج في ذكر النسب فقال:"من بني جحجبي"[١٧٥].

كما ذكر النسبة استناداً الى المكان وكانت بأشكال مختلفة فأحياناً يذكر النسبة الى منطقة محددة كما في ترجمة جزء السدوسي فقال:"ثم اليمامي"[١٧٦] فجاء في ترجمته انه أتى الرسول (ﷺ) بتمر من اليمامة[١٧٧].

كما نسب الى المنطقة التي كان قد سكنها المترجم له، كما في ترجمة ابي شداد الذماري فقال:"الذماري العماني سكن عمان ... واما ذمار من اليمن من نواحي صنعاء"[١٧٨].

ونسب أحياناً أخرى الى منطقة ايضا وردَّ ذلك النسب الى حادثة كانت قد حصلت للمترجم له ولقومه كما في ترجمة حذيفة بن اليمان اذ قال:"واليمان لقب حسل بن جابر ... وانما قيل له ذلك لأنه أصاب دما في قومه فهرب الى المدينة، وحالف بني عبد الاشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار، وهو من اليمن"[١٧٩].

كما اعتمد النسبة المكانية ايضا على أساس الأنصار والمهاجرين، فعندما يذكر الأنصاري فهذا يعني انه من الأنصار كما في ترجمة عمرو بن اخطب الأنصاري[١٨٠]. واما المهاجرون فلم يشر اليهم لكنه ذكرهم بأنسابهم القبلية فحسب كما في ترجمة خالد بن ربعي التميمي ثم النهشلي[١٨١]، وكذلك في ترجمة أم مسطح....... القرشية المطلبية[١٨٢] فهي مهاجرة وفي النساء الأنصاريات ذكر الأنصارية كما في ترجمة حفصة بنت حاطب ... الأنصارية[١٨٣].

كما انه اعتمد على الشهرة أساساً للنسب كما في ترجمة شريح بن المكدد اذ قال:"وانما قيل: المكدد ببيت قاله، وهو:

سلوني فكدوني واني لباذل ... لكم ما حوت كفاي في العسر

ولا يفوتنا ان نذكر ان لابن الأثير كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب) الذي هذبه لابن السمعاني أي انه له معرفة في النسب فهو أحياناً يوافق ما ذكره من الأنساب عن التراجم في مصادره وأحياناً أخرى يعارض ذلك. ففي ترجمة عمرو بن تغلب العبدي قال:"من عبد القيس، وقيل: هو من بكر وائل. وقيل: من النمر بن

قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وجميع ما ذكر في نسبه يرجع الى أسد بن ربيعة، فهو، ربعي على الاختلاف الذي فيه"[١٨٥].

وكذلك ما جاء في ترجمة اكثم بن صيفي فقد ذكر الاختلاف في النسب ثم ذكر التصحيح في نسبه فقال:"والصحيح في انه اكثم بن صيفي ... هكذا ساق نسبه غير واحد من العلماء"[١٨٦].

ومن النسب يحدد شخصية المترجم له ان كان هو المقصود أم لا كما في ترجمة ثابت ابن خنساء اذ قال:"قلت لا شك انه غيره، فان النسب مختلف في الأب والجد، ثم ان ثابت ابن خالد من بني مالك بن النجار، وهذا من بني عدي بن النجار، فلا ادري كيف اشتبه عليه"[١٨٧]. وعندما لا يعترض على النسب فلا يذكر شيئاً كما في ترجمة خولة بنت الهذيل[١٨٨].

ويذكر أحياناً في الترجمة نسباً متعددة فنسب قبلياً ومكانياً كما في ترجمة غزية بن عمرو اذ قال:"الأنصاري ثم الخزرجي ثم النجاري"[١٨٩]. وكما في ترجمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال:"القرشي العدوي"[١٩٠].

ويذكر أحياناً أسماء من دون نسب كما في ترجمة قبيصة قال:"غير منسوب"[١٩١].

وكذلك ترجمة شرحبيل فقال:"مجهول، غير منسوب"[١٩٢].

وقد يذكر أحياناً نسباً واحداً كما في ترجمة ابو ذؤيب الهذلي[١٩٣]، وكذلك رقيقة الثقفية[١٩٤].

ب-تحقيقها

وبعد إثباته الأنساب قام ابن الأثير بتقيّدها من حيث الضبط اللغوي وتفسير المعنى لأنه هناك من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه فقيَّد أحياناً النسبة المكانية كما في ترجمة ابي شداد الذماري فقال:"قلت: كذا قاله ابو عمر: (الذماري). والذي يقوله غيره

من اهل العلم: (دمائي)، بالدال المهملة، والميم، وبعد الألف ياء تحتها نقطتان، نسبة الى (دما وهي من عمان)"[١٩٥].

وأحياناً قيَّد النسبة القبلية كما في ترجمة أديم التغلبي قال:"والتغلبي ذكره ابو نعيم ومن تبعه بالثاء المعجمة بثلاث والعين المهملة، وانما هو بالتاء المثناة من فوقها والغين المعجمة، لأن بني تغلب كانوا نصارى، واما بنو ثعلبة فكانوا على دين العرب"[١٩٦].

وكذلك في ترجمة ابي بن شريق قال:"غيره: بكسر الغين المعجمة، وفتح الياء تحتها نقطتان، وبعدها راء"[١٩٧]. وكذلك ما جاء في ترجمة ابان العبدي وابان المحاربي فقال:

" وديعة بفتح الواو وكسر الدال. ولكيز بضم اللام وفتح الكاف. وافصى بالفاء"[١٩٨].

ونظراً لمعلوماته في الأنساب فقد شرح ما التبس عليه كما في ترجمة قارب بن الأسود فقد ارجع نسبه الى ثقيف الثقفي فقال:"وغير الحميدي يرويه قارب، من غير شك، وهو الصواب، فإن قاربا من وجوه ثقيف معروف مشهور، وكانت معه راية الأحلاف لما حاربوا النبي (ﷺ) في حصار ثقيف وحنين. والأحلاف احد قبيلي ثقيف، فإن ثقيف قسمان احدهما"بنو مالك: والثاني: الأحلاف"[١٩٩] وقد أرجعنا الى كتابه اللباب فقال:"وقد استقصينا ذلك في كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب)"[٢٠٠].

٣-الشهرة

لقد ذكر ابن الأثير لمن ترجم له ما اشتهر به في مجال معين ولكن ليس لكل التراجم فحسب بل لعدد منها وكانت أشارته الى الشهرة مختلفة باختلاف الشهرة للمترجم له وفي أي مجال كان، ففي عدد من التراجم أشار بوضوح الى شهرة المترجم له كما في ترجمة إبراهيم ابي رافع اذ قال:"مولى رسول الله (ﷺ)"[٢٠١]. وكذلك رزينة

خادم رسول الله (ﷺ) [٢٠٢]، وكذلك أسماء مقينة [٢٠٣] عائشة[٢٠٤]، وأشار في ترجمة الأسود بن يزيد الى انه كان فقيهاً بقوله:"هو من فقهاء الكوفة وأعيانهم"[٢٠٥].

وفي عدد من التراجم أشار الى شهرة المترجم له بما عرف به في المجتمع نتيجة لعمل قام به كما في ترجمة الأسود بن عبس الذي اشتهر باسم المقترب فذكر ابن الأثير انه"ولد على عهد النبي (ﷺ) وقال: (أتيتك لأقترب اليك) فسُميَّ: المقترب"[٢٠٦].

وخزيمة بن ثابت الأنصاري المشهور بذي الشهادتين فقد جعل رسول الله (ﷺ) شهادته بشهادة رجلين[٢٠٧].

وقد تكون الإشارة الى شهرة سياسية نسبة لسلطة ومنصب المترجم له كما في ترجمة اصحمة النجاشي اذ قال"اصحمة النجاشي ملك الحبشة"[٢٠٨].

او تكون شهرة حربية عسكرية نسبة لمنصب المترجم له ايضا كما في ترجمة عكرمة ابن ابي جهل فقال:"وكان فارساً مشهوراً ... [٢٠٩]، وفي ترجمة عبادة بن الصامت قال:"وكان نقيباً على القواقل[٢١٠] لبني عوف بن الخزرج ..."[٢١١]، وكذلك في ترجمة سعد بن خيثمة قال:"كان نقيباً لبني عمرو بن عوف ..."[٢١٢]، وفي ترجمة عبد الله بن نعيم الاشجعي قال:"كان دليل النبي (ﷺ) الى خيبر"[٢١٣]، وفي ترجمة عمرو بن المسبح قال عنه:"كان ارمى العرب ..."[٢١٤]، وفي ترجمة ابي سفيان صخر بن حرب ذكر ان اليه كانت راية رئيس الرؤساء تسمى العقاب[٢١٥].

كما أشار في تراجم أخرى الى شهرة ادارية نسبة الى تولي المترجم له مهام خاص كما في ترجمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال:"واليه كانت السفارة في الجاهلية..."[٢١٦].

وفي ترجمة اكيدر بن عبد الملك قال:"صاحب دومة الجندل[٢١٧] ... [٢١٨].

وأشار في تراجم أخرى الى شهرة دينية اشتهر بها المترجم له كما في ترجمة اويس بن عامر قال:"ثم القرني الزاهد المشهور.. وهو من كبار تابعيها.. كان محدثاً بالكوفة ..."[٢١٩]، وفي ترجمة بلال بن رباح قال:"وكان مؤذناً لرسول الله (ﷺ) وخازناً"[٢٢٠]، وفي ترجمة مصعب بن عمير ذكر انه كان سمى بالمدينة المقرئ وكان يفقه أهلها ويقرؤهم القرآن[٢٢١]، وذكر في ترجمة نمير بن اوس انه"كان قاضياً بدمشق، قليل الحديث"[٢٢٢]، وفي ترجمة قيس بن الحارث الأسدي قال"كانت العرب تتحاكم اليه"[٢٢٣]، وفي ترجمة سجل ذكر انه كان كاتباً للنبي (ﷺ)"[٢٢٤]، وفي ترجمة عبد الرحمن بن مل قال:"وكان كثير العبادة، حسن القراءة ..."[٢٢٥].

وذكر لعدد من التراجم شهرة مهنية نسبة الى مجال التخصص في تلك المهنة التي اشتهر بها المترجم له كما في ترجمة الحارث بن كلدة الثقفي اذ قال:"طبيب العرب ..."[٢٢٦].

ونسب الى ما اشتهر به المترجم له في المجال الثقافي كما في ترجمة صخر بن حرب فقال:"وكان هو القاص في جيش المسلمين يحرِّضهم ويحثُّهم على القتال"[٢٢٧]، وفي ترجمة حسان بن ثابت قال:"كان شاعر العرب في يثرب قبل الإسلام، وشاعر النبي (ﷺ) في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"[٢٢٨]، وفي ترجمة زياد بن سمية قال:"وكان من دهاة العرب، والخطباء الفصحاء ..."[٢٢٩]، وفي ترجمة عتبة بن ابي سفيان قال:"وكان فصيحاً خطيباً، قيل لم يكن اخطب منه ...[٢٣٠]، وفي ترجمة عدي بن عمرو بن سويد ذكره على انه شاعر[٢٣١]، وفي ترجمة عمرو بن الأهتم قال:"وكان خطيباً أديباً ..وشاعراً بليغاً محسناً ..."[٢٣٢]، وفي ترجمة ابي صرمة ذكره بأنه كان شاعراً محسناً[٢٣٣]، وفي ترجمة ذي الجوشن الضبابي قال:"وكان شاعراً مطبوعاً محسناً ..."[٢٣٤]، وفي ترجمة الوليد بن عقبة قال:"وكان من الشعراء المطبوعين ..."[٢٣٥]، وفي ترجمة سويد بن الصامت قال:"وكان شاعراً محسناً

شكل التراجم ومضمونها في كتاب أسد الغابة
مجلة آداب الفراهيدي
أ. م. د. هاشم يونس عبدالرحمن
رائدة حازم محمد علي
العدد (٧) حزيران ٢٠١١

كثير الحكم في شعره، وكان قومه يدعونه الكامل لحكمه في شعره وشرفه فيهم..."[٢٣٦].

وأحياناً نسب الشهرة الى ما يملكه من موجودات المترجم له كما في ترجمة بشير بن عنبس فقال:"ويعرف بشير بن العنبس بفارس الحواء، اسم فرسه"[٢٣٧].

وذكر أحياناً تحول المترجم له من شهرة الى أخرى لبراعته في عمل ما كما في ترجمة عامر بن سنان فقال:"انه كان شاعراً وارتجز برسول الله (ﷺ)"[٢٣٨].

وفي أحيان أخرى أشار الى شهرة المترجم له في الجانب الاقتصادي كما في ترجمة ابي سفيان صخر بن حرب فذكر انه"كان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش الى الشام وغيرها من ارض العجم"[٢٣٩].

ويورد أحياناً شهرة شخصية تخص الشخص نفسه كما في ترجمة رافع بن عميرة فقال:"هو الذي كلمه الذئب، كان لصا في الجاهلية فدعاه الذئب الى اللحوق برسول الله (ﷺ) ..."[٢٤٠]، وفي ترجمة العلاء بن الحضرمي قال:"يقال ان العلاء كان مجاب الدعوة ..."[٢٤١]، وفي ترجمة أم زفرماشطة خديجة[٢٤٢]، وفي ترجمة الغامدية المرجومة في الزنا[٢٤٣].

وذكر في تراجم أخرى شهرة خاصة وشهرة عامة للمترجم له كما في ترجمة اهبان بن عياذ فقال:"قيل: انه مكلم الذئب، وهو من أصحاب الشجرة ... [٢٤٤].

وفي تراجم أخرى ذكر أكثر من شهرة واحدة للمترجم له كما في ترجمة أسيد بن حُضير فقال:"كان نقيباً لبني عبد الاشهل ... وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان احد العقلاء الكملة من أهل الرأي ..."[٢٤٥]، وكذلك ما جاء في ترجمة زيد بن ثابت قال:"انه كان يكتب لرسول الله (ﷺ) الوحي وغيره، ... وكتب لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وكتب القرآن في عهد ابي بكر وعثمان ... وهو اعلم الصحابة بالفرائض واعلم الصحابة والراسخين في العلم ..."[٢٤٦]، وكذلك ما جاء في

ترجمة زيد بن حارثة قال:"وهو مولى رسول الله (ﷺ)، أشهر مواليه، وهو حب رسول الله (ﷺ)، ... وهو الذي كان البشير الى المدينة بالظفر والنصر، وزوّجه رسول الله (ﷺ) مولاته أم أيمن ... وهي التي تزوّجها رسول الله (ﷺ) بعد زيد ... ولم يسم الله سبحانه وتعالى، احد من أصحاب النبي (ﷺ) وأصحاب غيره من الأنبياء إلا زيد بن حارثة"(٢٤٧).

كما ذكر شهرة الأوائل الذين كانوا سباقين لغيرهم في مجال معين كما في ترجمة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) اذ قال:"وهو أول من اتخذ الدرة(٢٤٨)، وأول من جمع الناس على قيام رمضان، وهو أول من سميّ"أمير المؤمنين"(٢٤٩).

وفي ترجمة عمار بن ياسر قال:"وهو أول من استشهد في الإسلام في سبيل الله عز وجل"(٢٥٠)، وفي ترجمة عمير بن الحمام الأنصاري قال:" وهو أول قتيل من الأنصار في حرب"(٢٥١)، وفي ترجمة المقداد بن عمر قال:"وكان المقداد من أول من اظهر الإسلام بمكة"(٢٥٢)، وفي ترجمة صفية بنت عبد المطلب قال:"وهي أول امرأة قتلت رجلا من المشركين"(٢٥٣)، وكذلك ما جاء في ترجمة عبادة بن الصامت فقال:"قال الاوزاعي: أول من ولي قضاء فلسطين عبادة بن الصامت"(٢٥٤).

يتضح مما سبق أن ذكر الشهرة في مجالات متعددة سواء أكانت سياسية او دينية أم ثقافية أم اقتصادية أم مهنية أم خاصة شخصية تشير الى طبيعة المجتمع العربي وتعكس الجهد الكبير الذي بذله ابن الأثير في تنظيمه لمؤلفه هذا.

٤- الهجرة

لقد كانت الهجرة لأسباب دينية حتماً، وهناك من هاجر الى ارض الحبشة ومنهم الى المدينة وهناك من هاجر الهجرتين معاً، والذين هاجروا الى المدينة هم المهاجرون ومن لم يهاجر من أهل المدينة هم الأنصار الذين ناصروا الرسول الكريم (ﷺ) بعد دخوله المدينة.

وأورد ابن الأثير في كتابه توضيحاً للمهاجرين فذكر أنواعاً من المهاجرين منهم المهاجرين الأولين كما ذكر في ترجمة الأرقم بن ابي الأرقم فقال:"كان من المهاجرين الأولين"(٢٥٥)، وكذلك في ترجمة فاطمة بنت الوليد بن عتبة قال:"وكانت من المهاجرات الأول ..."(٢٥٦).

ومن المهاجرين من هاجر الى ارض الحبشة كما في ترجمة اربد بن حمير فذكر انه"فيمن هاجر الى ارض الحبشة"(٢٥٧)، وذكر كذلك في ترجمة حسنة ام شرحبيل انها"ذكرت فيمن هاجر الى ارض الحبشة"(٢٥٨).

ومن المهاجرين من هاجر مع الرسول (ﷺ) كأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عبد الله بن عثمان فهو صاحب رسول الله (ﷺ) في الغار(٢٥٩).

وحدد في عدد من التراجم مكان الهجرة وعددها كما في ترجمة خالد بن حزام فقال:"وهاجر الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ..."(٢٦٠)، وكذلك في ترجمة عبد الله بن حذافة ذكر انه هاجر الى ارض الحبشة الهجرة الثانية(٢٦١).

وحدد في القسم الآخر من التراجم مكان الهجرة فقط كما في ترجمة عبد الله بن شريح اذ قال:"قدم المدين مهاجراً ..."(٢٦٢)، وفي ترجمة فراس بن النضر القرشي قال:"هاجر الى ارض الحبشة"(٢٦٣).

وهناك تراجم أخرى حدد فيها من أين هاجر المترجم له كما في ترجمة عبد الله بن الأسود السدوسي فذكر انه هاجر من ربيعة(٢٦٤). وفي ترجمة ذكوان بن عبد قيس ذكر انه:"خرج من المدينة مهاجراً الى النبي (ﷺ) وهو بمكة، فكان يقال له:"أنصاري مهاجري"(٢٦٥).

وحدد في تراجم أخرى زمن الهجرة كما في ترجمة اسود بن عوف قال:"هاجر قبل الفتح ..."(٢٦٦)، وفي ترجمة سليم بن عامر قال:"هاجر في عهد ابي بكر ..."(٢٦٧). يلاحظ هنا ان تحديده غير دقيق بل مقارب، في حين يلاحظ أحياناً ان

تحديده كان دقيقاً نوعاً ما كما في ترجمة عبد الله بن شريح فذكر انه قدم المدينة مهاجراً بعد بدر بسنتين[٢٦٨]، وفي ترجمة ام كلثوم بنت عقبة قال:"هاجرت ام كلثوم بنت عقبة الى رسول الله (ﷺ) عام الحديبية"[٢٦٩].

ولم يحدد في عدد من التراجم مكان الهجرة ولا زمنها كما في ترجمة آمنة بنت الأرقم فقال:"وكانت من المهاجرات"[٢٧٠]، وفي ترجمة صبيحة بن الحارث قال:"وكان من المهاجرين ..."[٢٧١].

وحدد في تراجم أخرى أعمار المهاجرين تحديداً مقارباً وأحياناً دقيقاً ففي ترجمة سليمان ابن ابي حثمة حدد تحديداً مقارباً فقال:"هاجر صغيراً ..."[٢٧٢]، وفي ترجمة ابي رهم بن مطعم جاء تحديده دقيقاً فقال:"هاجر الى النبي (ﷺ) وهو ابن مائة وخمسين سنة ..."[٢٧٣].

وحدد في تراجم أخرى مع من كان المهاجر مهاجراً كما في ترجمة قيس بن عبد الله الأسدي فقال:"هاجر قيس الى الحبشة مع امرأته بركة بنت يسار ..."[٢٧٤]، وفي ترجمة مالك بن زمعة قال:"هاجر الى ارض الحبشة مع امرأته: عمرة بنت السعدي العامرية"[٢٧٥]، وفي ترجمة أسماء بنت عميس قال:"وهاجرت الى ارض الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب ..."[٢٧٦].

كما حدد في تراجم أخرى من له أكثر من هجرة كما في ترجمة جعفر بن ابي طالب قال:"وله هجرتان: هجرة الى الحبشة، وهجرة الى المدينة"[٢٧٧]، وفي ترجمة عامر بن ربيعة قال:"وهاجر الى الحبشة ... ثم هاجر الى المدينة ايضا ..."[٢٧٨]، وفي ترجمة ليلى بنت ابي حثمة قال:"وكانت من المهاجرات الأول، هاجرت الهجرتين الى الحبشة والى المدينة ..."[٢٧٩]، وفي ترجمة عثمان بن عفان قال:"وهاجر كلاهما الى ارض الحبشة الهجرتين ثم عاد الى مكة وهاجر الى المدينة"[٢٨٠].

وفي تراجم أخرى حدد أول وآخر من قدم المدينة مهاجراً ففي ترجمة عمرو بن زائدة قال:"وهو ابن أم مكتوم ... أول من أتانا مهاجراً مصعب بن عمير، ثم قدم ابن أم مكتوم"[٢٨١]، وفي ترجمة صهيب بن سنان قال:"وقدم في آخر الناس في الهجرة الى المدينة علي بن ابي طالب وصهيب ..."[٢٨٢].

كما حدد في ترجمته لعباس بن عبد المطلب انه كان آخر المهاجرين فأورد في ترجمته"وأراد الهجرة لرسول الله (ﷺ)، فقال له رسول الله (ﷺ): مقامك بمكة خير ... وقال له النبي (ﷺ): (أنت آخر المهاجرين كما أنني آخر الأنبياء ...) وقال: (يا عم، أقم مكانك الذي أنت به، فان الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة) ثم هاجر الى النبي (ﷺ) وشهد معه فتح مكة، وانقطعت الهجرة ..."[٢٨٣].

وفي تراجم أخرى حدد من لم يهاجر كما في ترجمة عبد الله بن عوف فقال:"لم يهاجر ..."[٢٨٤].

وحدد في تراجم أخرى كيفية الهجرة او وسيلتها كما في ترجمة أم كلثوم بنت عقبة فقال:"وهاجرت الى المدينة ماشية ..."[٢٨٥].

٥- السمات الشخصية

ذكر ابن الأثير أنواعاً متعددة من السمات الشخصية للتراجم التي أوردها، فاثبت في عدد من التراجم السمات الجسدية لأصحابها كما في ترجمة صخر بن حرب فقال:"كان ربعةً، عظيم الهامة، وقيل: كان قصيراً دَحْداحاً ..."[٢٨٦]، وفي ترجمة ابي حذيفة بن عتبة قال:"وكان طويلاً، حسن الوجه، أطول أثعَل – والأثعَل الذي له سن زائدة –"[٢٨٧]، وفي ترجمة عمرو بن الأهتم ذكر انه كان يدعى (المُكَحلَّ) لجماله[٢٨٨]، وفي ترجمة محمد بن مسلمة قال:"وكان أسمر شديد السمرة، طويلاً أصلع"[٢٨٩].

وذكر في عدد من التراجم سمات فكرية تميز قدرة المترجم له في مجال تخصصه كما في ترجمة الأحنف بن قيس اذ قال:"وكان احد الحكماء الدهاة العقلاء"[٢٩٠]، وفي ترجمة شريح بن الحارث قال:"كان ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل وشاعراً محسناً له أشعار محفوظة"[٢٩١]، وفي ترجمة أسيد بن حضير قال:"وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان احد العقلاء الكملة أهل الرأي ..."[٢٩٢]، وفي ترجمة الوليد بن عقبة قال:"وكان من رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعةً وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين"[٢٩٣].

وأورد في تراجم أخرى سمات شخصية أخرى كأن يكون فقيراً او غنياً او سخياً ففي ترجمة مخرمة بن نوفل قال:"وكان من المؤلفة قلوبهم"[٢٩٤]، وفي ترجمة عبيد الله بن العباس قال:"وكان عظيم الكرم والجود يضرب به المثل في السخاء"[٢٩٥].

او قد يكون متواضعاً كما في ترجمة عبد الرحمن بن سمرة قال:"وكان متواضعاً فاذا كان اليوم المطير لبس برنسا واخذ المسحاة يكنس الطريق"[٢٩٦]، وفي ترجمة سعد بن مالك القرشي قال:"متواضع في خبائه، عربي في نمرته[٢٩٧]، أسد في تاموره، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، ويعطف علينا عطف الأم البرة، وينقل الينا حقنا نقل الذرة"[٢٩٨].

وأورد في تراجم أخرى سمات فكرية ذاتية كما في ترجمة زيد بن ثابت قال:"وكان افكه الناس اذا خلا مع أهله، وأزمتهم[٢٩٩] اذا كان في القوم ..."[٣٠٠]، وفي ترجمة ابي بن شريق قال:"أشار الاخنس على بني زهرة بالرجوع الى مكة ... فعادوا ولم يقتل احد منهم ببدر"[٣٠١] وهذا يدل على ذكاء وفطنة المترجم له.

وهناك سمات محددة يمكن إيرادها وراء حوادث جانبية لها علاقة بالمترجم له ولكنها لا تعبر عن سمات خاصة كما في ترجمة علبة بن زيد قال:"وهو احد البكائين الذين (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع)"[٣٠٢].

ولم يغفل ابن الأثير السمات السلبية التي تمتع بها قسم ممن ترجم لهم كما في ترجمة صهيب بن سنان فقال:"وكان في لسانه عجمة شديدة"[٣٠٣]، وفي ترجمة عبد الرحمن بن ام الحكم قال:"وكان قبيح السيرة في إمارته"[٣٠٤].

٦- المولد والوفاة

لم تتخذ تراجم ابن الأثير شكلاً ثابتاً في الإشارة الى تاريخ الولاة والوفاة فأحياناً ذكر تاريخ الولاة محدداً بشكل دقيق كما في ترجمة إبراهيم بن رسول الله (ﷺ) قال:"وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة"[٣٠٥]، وفي ترجمة الحسين بن علي قال:"ولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ..."[٣٠٦]، وفي ترجمة عبد الله بن الزبير قال:"وولدته بالمدينة على رأس عشرين شهراً من الهجرة. وقيل: ولد في السنة الأولى"[٣٠٧]، وفي ترجمة محمد بن عمرو بن حزم قال:"ولد سنة عشر من الهجرة بنجران"[٣٠٨].

ويذكر أحياناً أخرى تاريخ الولادة ولكن ليس تحديداً دقيقاً وانما بشكل مقارب ويقرنه بأحداث مشهورة كما في ترجمة إبراهيم بن عبد الله فقال:"ولد في عهد النبي فسماه: إبراهيم، وحنكه"[٣٠٩]، وفي ترجمة حكيم بن حزام قال:"ولد في الكعبة، ... وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف في ذلك ... ، [٣١٠]، وفي ترجمة عامر بن واثلة قال:"ولد عام واحد"[٣١١]، وفي ترجمة ابي كثير قال:"ولد في حياة النبي (ﷺ) [٣١٢].

وذكر الولادة بالنسبة للوفاة قليلة نسبياً فهو يذكر الوفاة أكثر من الولادة بل نادراً ما يذكر الولادة فحسب كما في ترجمة محمد بن حطاب اذ قال:"ولد هذا بأرض الحبشة"[٣١٣].

وأما الوفاة فيذكر في عدد من التراجم تاريخ الوفاة ويحددها تحديداً دقيقاً مع ذكر العمر للمترجم له كما في ترجمة الزبير بن العوام فقال:"وكان قتله يوم الخميس

لعشر خلون من جمادي الأولى من سنة ست وثلاثين ... وكان عمره لما قتل سبعاً وستين سنة، وقيل: ست وستون"[٣١٤]، وفي ترجمة أبي طلحة الأنصاري قال:"قيل: انه توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين. وقيل: سنة رابع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة"[٣١٥]، وفي ترجمة اوس بن الصامت قال:"وتوفي بالرملة من ارض فلسطين سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة"[٣١٦].

ويذكر في القسم الآخر من التراجم تاريخ الوفاة مقترناً بحادث معين مشهور كما في ترجمة عبد الله بن حنظلة قال:"وقتل عبد الله يوم الحرة، في ذي الحجة، سنة ثلاث وستين، قتله أهل الشام"[٣١٧]، وفي ترجمة زيد بن حارثة قال:" فقتل زيد في مؤتة في ارض الشام في جمادي من سنة ثمان من الهجرة"[٣١٨]، وفي ترجمة ابي جحيفة وهب بن عبد الله قال:"وتوفي في إمارة بشر بن مروان بالبصرة سنة اثنتين وسبعين"[٣١٩]، وفي ترجمة هند بنت ابي أمية قال:"وتوفيت أم سلمة أول أيام يزيد بن معاوية وقيل: انها توفيت في شهر رمضان – او شوال – سنة تسع وخمسين"[٣٢٠].

ويذكر في عدد من التراجم الأخرى مكان دفن المترجم له كما في ترجمة خديجة بنت خويلد فقال:"ودفنت بالحجون"[٣٢١]، وفي ترجمة عائشة بنت بكر قال:"وأمرت ان تدفن بالبقيع ليلا، فدفنت ..."[٣٢٢]، وفي ترجمة ابو واقد الليثي قال:"ودفن في مقبرة المهاجرين بفخ[٣٢٣]"[٣٢٤]، وفي ترجمة بريدة بن الحصيب قال:"وكان من ساكني المدينة، ثم تحول الى البصرة ... ثم خرج منها غازياً الى خراسان، فأقام بمرو حتى مات ودفن بها"[٣٢٥].

وذكر ايضا في عدد من التراجم من صلى على المترجم له كما في ترجمة عمران بن فيصل قال:"مات وصلى عليه النبي (ﷺ) ودفنه"[٣٢٦]، وفي ترجمة ابي ذر الغفاري قال:"وصلى عليه عبد الله بن مسعود ..."[٣٢٧]، وفي ترجمة عائشة بنت ابي بكر قال:"وصلى عليها ابو هريرة"[٣٢٨].

وقد ذكر أحياناً سبب الوفاة كالحرب مثلا كما جاء في ترجمة ابي بن معاذ فقال:"شهد مع أخيه انس بن معاذ بدراً، وقتلا يوم بئر معونة شهيدين"[٣٢٩]، وفي ترجمة نافع بن بديل قال:"قتل نافع بن بديل بن ورقاء يوم بئر معونة ..."[٣٣٠]، وفي ترجمة عبد اله بن ثوب قال:"وتوفي ابو مسلم بأرض الروم غازياً أيام معاوية"[٣٣١].

وقد تكون الوفاة بسبب حدوث الكوارث كانتشار الأمراض كما في ترجمة معاذ بن جبل اذ قال:"وتوفي في طاعون عمواس ..."[٣٣٢]، وفي ترجمة الحارث بن هشام بن المغيرة قال:"استشهد يوم اليرموك في رجب من سنة خمس عشرة"[٣٣٣].

وقد تكون الوفاة طبيعية كما في ترجمة إبراهيم بن رسول الله (ﷺ) فقال:"وتوفي وهو ابن ثمانية عشر شهراً"[٣٣٤].

او قد تكون الوفاة بفعل مقصود كما في ترجمة بشر بن البراء قال:"ومات بخيبر حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة، من الأكلة التي أكل مع رسول الله (ﷺ) من الشاة المسمومة ..."[٣٣٥].

وغالباً ما كان يذكر الوفاة في نهاية الترجمة كما في ترجمة جندب بن زهير[٣٣٦] إلا ما ندر فذكرها في الأسطر الأولى من الترجمة كما في الحارث بن انس[٣٣٧].

وقد يورد التراجم من غير ذكر لولادة او وفاة من ترجم لهم كما في ترجمة قبيصة بن وقاص[٣٣٨]، وفي ترجمة أم حكيم بنت وداع[٣٣٩]، وكذلك في ترجمة خويلد بن عمرو السلمي[٣٤٠].

ثالثا: تراجم غير المسلمين

اعتمد ابن الأثير في منهجه تراجم لعناصر من غير المسلمين من المعاصرين للرسول (ﷺ) كما في ترجمة المقوقس قال:"ذكره ابن منده وابو نعيم، ولا مدخل له في الصحابة، فانه لم يسلم ولم يزل نصرانياً، ومنه فتح المسلمون مصر في

خلافة عمر (ﷺ)، ولهما أمثال هذا، ولا وجه لذكره"[٣٤١]، وفي ترجمة أسقف نجران قال:"قال ابو موسى: لا ادري اسلم او لا. قلت: قول ابي موسى أسقف نجران؛ فجعله اسماً عجيب، فانه ليس باسم، وانما هو منزله من منازل النصرانية، كالشماس والقس والمطران والبترك، والأسقف، واسمه ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل ولم يسلم ..."[٣٤٢].

وفي ترجمة جعفي قال:"ذكره ابن ابي حاتم فقال: جعفي بن سعد العشيرة، وهو من مذحج، كان وفد على النبي (ﷺ) في وفد جعف في الأيام التي توفي النبي (ﷺ) فيها ... ثم قال: قلت: وهذا اغرب ما يقوله عالم؛ فان جعفي بن سعد العشيرة مات قبل النبي (ﷺ) بدهر طويل ... ولو علم ان جعيفا هو الاسم، وانه قبل النبي (ﷺ)، لم يجعله صحابياً"[٣٤٣]، وفي ترجمة فهم بن عمرو قال:"قال ابو بكر بن علي: ذكره ابو بكر بن ابي عاصم في الاحاد ... قلت: هذا القول غلط فان فهم بن عمرو بن قيس عيلان قبل الإسلام بدهر طويل، واليه ينسب كل فهمي، منهم تأبط شرا واسمه: ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان، فهذا تأبط شرا قبل الإسلام، بينه وبين (فهم) سبعة آباء، فكيف يكون (فهم) صحابياً ؟! وقد ذكر ابن تأبط شرا في الصحابة"[٣٤٤]، وفي ترجمة عامر بن الطفيل العامري قال:"أخرجه ابو موسى وقال:"اختلف في إسلامه، فأورده ابو العباس المستغفري في الصحابة ... ثم قال: قلت: قول المستغفري وغيره ليس بحجة في إسلام عامر، فان عامرا لم يختلف أهل النقل من المتقدمين انه مات كافرا، ... ولم يختلفوا في ذلك، فتركه كان أولى من ذكره"[٣٤٥].

من المحتمل ان وجود هذه التراجم في متن الكتاب يعود الى علاقة أولئك المترجم لهم في سير الحدث المصاحب لنشاط الصحابي سواء في مجال الجهاد كما في ترجمة الحارث بن كلدة (طبيب العرب) فذكر فيها ان سعدا بن ابي وقاص مرض

وهو مع رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع فعاده رسول الله (ﷺ) وطلب من الحارث بن كلدة ان يعالج سعدا مما به فعالجه[٣٤٦].

وكان قد ذكر في ترجمة الحارث بن كلدة ان أباه الحارث بن كلدة مات أول الإسلام ولم يصح إسلامه وقال:"وقد روى ان رسول الله (ﷺ) أمر سعد بن ابي وقاص ان يأتيه ويستوصفه في مرض نزل به. فدل ذلك على انه جائز ان يشاور أهل الكفر في الطب اذا كانوا من أهله ..."[٣٤٧].

نخلص مما تقدم الى ان ما قدمه ابن الأثير يعد على جانب كبير من الأهمية وذا قيمة تاريخية كبيرة لمن أعقبه من الدارسين على الرغم من بعض الهفوات التي وقع فيها ومنها تكراره للترجمة الواحدة لأشخاص معينين استناداً الى الاسم او الكنية او الى اسم آخر يحمله الشخص اذ انه ذكر في كل ترجمة معلوماتٍ لم ترد في التراجم الأخرى لهؤلاء الأشخاص.

الهوامش

(١) زكي الدين ابو محمد المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق وتعليق بشار عواد معروف، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦: ٦/ ٧٥؛ عماد الدين إسماعيل ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط١، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت ٣/ ١٥٤؛ ابو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت: ٤/ ١٣٩٩.

(٢) المنذري، التكملة: ٦/ ٧٥؛ الذهبي، تذكرة: ٤/ ١٣٩٩.

(٣) ابو عبد الله شمس الدين، العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت: ٣/ ٢٠٧.

(٤) ابو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت: ٥/ ١٣٧.

(٥) المنذري، التكملة: ١/ ٧؛ هاني العمد، دراسات في كتب التراجم والسياق، ط١، عمان، المؤسسة الصحفية الأردنية، ١٩٨١، ص ٩٣.

William Benton, Biography Encyclopedia Britannica, (Chicago-1966), Vol 3. p. 636.

(٦) محمد عبد الله النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ط٢، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٧٧، ص ٥-٦؛ صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥، ص ١٢٦؛ أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥، ص ٢٠٥؛ مرغلوليوث د. س، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، بيروت، دار الثقافة، د.ت، ص ٦٨؛ عمر رضا كحالة، التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٧٢، ص ٦٥؛

عثمان موافي، منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوربي، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت، ص ٩٦.

J. Robson, (Hadith), The Encyclopedia of Islam, Lozac, Second Edition,
(London- 1971), Vol. 111, p. 24 ; Somogyi. j: The Development of Arabic Historiography. JSS. The British Library (London – 1958). Vol. 3. p. 345.

(٧) عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠، ص ٢٠؛ فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣، ص ١٤٢؛ نور الدين حاطوم، المدخل الى التاريخ، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٦٥، ص ١٨٧؛ عفت محمد الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، بيروت، دار العودة، د.ت، ص ٣٠٧؛ بشار عواد معروف، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، مجلة الأقلام البغدادية، بغداد، ١٩٦٥، ج٥، ص ٢٥.

Richter. G:(Medieval Arabic Historiography). IG.. The British
Library (London – 1959). Vol. 33. p. 139.

خليل إبراهيم جاسم، منهج ابن خلكان في وفيات الأعيان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ٩٤.

(٨) ينظر تفاصيل ذلك الفصل الثاني من الرسالة، ص ٤٦-٤٩.

(٩) ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت: ١/ ٥ وما يليها.

(١٠) عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦،: ١/ ١؛ ينظر السيد عبد العزيز سالم التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١، ص ١٢.

(١١) احمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت: ١/ ٢١٣؛ العمري، بحوث، ص ١٤٩.

(١٢) شهاب الدين ابي عبد الله، معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، د.ت،: ١/ ٥١.

(١٣) عز الدين ابي الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، إبراهيم البنا وآخرون، القاهرة، دار الشعب ١٩٧٠-١٩٧٧،: ١/ ١٩.

(١٤) المصدر نفسه: ١/ ١٩.

(١٥) ينظر التفاصيل: المصدر نفسه: ١/ ٢٠-٤٢.

(١٦) المصدر نفسه: ٣/ ٣٠٩-٣٣٥.

(١٧) م. ن: ٤/ ١٤٥-١٨١.

(١٨) م. ن: ٣/ ٥٨٤-٥٩٦.

(١٩) م. ن: ٤/ ٩١-١٢٥.

(٢٠) م. ن: ١/ ٢٤٣-٢٤٥.

(٢١) م. ن: ٥/ ٣٩٤-٣٩٦.

(٢٢) م. ن: ٢/ ٥-٧.

(٢٣) م. ن: ٧/ ١٦٩-١٧١.

(٢٤) م. ن: ٤/ ١٢٩-١٣٥.

(٢٥) م. ن: ٣/ ٣٤٠-٣٤٥.

(٢٦) م. ن: ٣/ ٣٨٤-٣٩٠.

(٢٧) م. ن: ١/ ٤٠٥.

(٢٨) م. ن: ٢/ ١٨٩.

(٢٩) م. ن: ٣/ ٩٢.

(٣٠) م. ن: ٤/ ٤٠٣.

(٣١) م. ن: ٥/ ١٧٢.

(٣٢) م. ن: ٦/ ١٦٧.

(٣٣) م. ن: ٧/ ٥٥.

(٣٤) م. ن: ٧/ ٢٥٩.

(٣٥) م. ن: ٤/ ٢٥٩.

(٣٦) م. ن: ٢/ ٣٦٠.

(٣٧) م. ن: ٢/ ٣٢٨.

(٣٨) م. ن: ٤/ ٤٣.

(٣٩) م. ن: ٧/ ١٧٩. وينظر: ٧/ ٣٥٤.

(٤٠) م. ن: ٢/ ١٣١. وينظر: ١/ ١٠١.

(٤١) م. ن: ٣/ ٤٠. وينظر: ٦/ ٢٥٦-٢٥٨.

(٤٢) م. ن: ١/ ٢١٢. وينظر: ٦/ ٣١٨-٣٢١.

(٤٣) م. ن: ٣/ ٧٦.

(٤٤) م. ن: ١/ ٥٢.

(٤٥) م. ن: ١/ ٩٣.

(٤٦) م. ن: ٢/ ١٦٨.

(٤٧) م. ن: ٣/ ٥.

(٤٨) م. ن: ٣/ ٩٩-١٠٠.

(٤٩) م. ن: ٢/ ٥٢٧.

(٥٠) م. ن: ٥/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٥١) م. ن: ٥/ ٢٨١.

(٥٢) م. ن: ٥/ ٢٨٦.

(٥٣) م. ن: ٤/ ٥٠٤.

(٥٤) م. ن: ٦/ ١٠٦.

(٥٥) م. ن: ١/ ٩٣.

(٥٦) م. ن: ٢/ ٥٢٧.

(٥٧) م. ن: ٦/ ١٠٦.

(٥٨) م. ن: ٤/ ٢٠٢؛ ٤/ ١٩٣.

(٥٩) م. ن: ٥/ ١٢١.

(٦٠) م. ن: ٥/ ١٢١.

(٦١) م. ن: ١/ ٢١٨-٢١٩.

(٦٢) م. ن: ٦/ ١٩٤.

(٦٣) م. ن: ٦/ ٢٠١.

(٦٤) م. ن: ٤/ ٤.

(٦٥) م. ن: ١/ ٢٦.

(٦٦) م. ن: ٧/ ٣٨٥.

(٦٧) م. ن: ٦/ ١٣٤-١٣٥.

(٦٨) م. ن: ٢/ ٢٧٢.

(٦٩) عز الدين ابي الحسن بن الأثير، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦: ٣/ ٤٤٣-٤٤٤.

(٧٠) م. ن: ٣/ ٤٥.

(٧١) م. ن: ٣/ ٤٤٥.

(٧٢) ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٢٤٤-٢٢٥.

(٧٣) ابن الأثير،: ٢/ ٢٣٩.

(٧٤) م. ن: ٢/ ٢٣٩-٢٥٥.

(٧٥) م. ن: ٢/ ٢٤٠-٢٥٥.

(٧٦) ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٣٧٥.

(٧٧) ابن الأثير، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ١٠/ ٣٣-٣٤.

(٧٨) ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ١٧٥.

(٧٩) المصدر نفسه، هامش رقم (٢)، ٧/ ١٧٥.

(٨٠) م. ن: ٧/ ١٥٤.

(٨١) م. ن: ٢/ ٢٩١.

(٨٢) م. ن: ٤/ ٣٧٧.

(٨٣) م. ن: ١/ ١٣٤-١٣٥.

(٨٤) م. ن: ٢/ ١٢٦.

(٨٥) م. ن: ٣/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٨٦) م. ن: ٤/ ٤٢٤.

(٨٧) م. ن: ٥/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٨٨) م. ن: ٦/ ٢٦٨.

(٨٩) م. ن: ٧/ ١٤٨.

(٩٠) م. ن: ١/ ١٠.

(٩١) محمود شيت خطاب، من أشهر المؤرخين في العالم، جريدة البلاغ، العدد، ٥١٦، الموصل، ١٩٣٦، ص ١.

(٩٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣١٠.

(٩٣) م. ن: ٢/ ٢٦٧.

(٩٤) م. ن: ٥/ ١٧٩.

(٩٥) م. ن: ١/ ٨٦.

(٩٦) م. ن: ٥/ ٣٥٧.

(٩٧) م. ن: ٤/ ٩٨.

(٩٨) م. ن: ٤/ ١٠٣.

(٩٩) م. ن: ٧/ ١٩١.

(١٠٠) م. ن: ١/ ٣٥٧.

(١٠١) م. ن: ٢/ ١٦٤.

(١٠٢) م. ن: ٧/ ٢٨٥.

(١٠٣) م. ن: ١/ ٢٦٧.

(١٠٤) م. ن: ٥/ ٢٦٧.

(١٠٥) م. ن: ١/ ١٥٥.

(١٠٦) م. ن: ٣/ ٤٥٦–٤٥٧.

(١٠٧) م. ن: ٦/ ٣٦٥.

(١٠٨) م. ن: ٥/ ٢١٧.

(١٠٩) م. ن: ٦/ ٢٦٨.

(١١٠) م. ن: ٤/ ١٥٣.

(١١١) م. ن: ٤/ ١٥٣.

(١١٢) م. ن: ٣/ ٤٣٧.

(١١٣) م. ن: ٣/ ٤٣٧.

(١١٤) م. ن: ٢/ ٢٣٣.

(١١٥) م. ن: ٤/ ٣٥٧.

(١١٦) م. ن: ٥/ ٢٣٠.

(١١٧) م. ن: ٦/ ٣٥٢.

(١١٨) م. ن: ١/ ٢١٢.

(١١٩) م. ن: ١/ ٣٥٧.

(١٢٠) م. ن: ١/ ٤٠٩.

(١٢١) م. ن: ٢/ ١١٨.

(١٢٢) م. ن: ٣/ ٤٠١.

(١٢٣) م. ن: ٣/ ٣٠١.

(١٢٤) م. ن: ١/ ٦٨.

(١٢٥) م. ن: ٥/ ٢١٤.

(١٢٦) م. ن: ٤/ ٥١٨.

(١٢٧) م. ن: ٤/ ٥١٩.

(١٢٨) م. ن: ١/ ١٠٤.

(١٢٩) م. ن: ٥/ ١٨٩.

(١٣٠) م. ن: ٥/ ١٨٩.

(١٣١) م. ن: ٦/ ٩٠.

(١٣٢) م. ن: ٦/ ٩١.

(١٣٣) م. ن: ٦/ ٥٦.

(١٣٤) م. ن: ٦/ ٨٢.

(١٣٥) م. ن: ٦/ ١٠٧.

(١٣٦) م. ن: ٤/ ٢٤٤.

(١٣٧) م. ن: ٧/ ١٠٥.

(١٣٨) م. ن: ٧/ ٢٥٣.

(١٣٩) م. ن: ٧/ ١٠٤.

(١٤٠) م. ن: ٧/ ١١١.

(١٤١) م. ن: ٧/ ١١٠.

(١٤٢) م. ن: ٧/ ٣٢٦.

(١٤٣) م. ن: ٧/ ٣٢٦.

(١٤٤) م. ن: ٧/ ٢٠.

(١٤٥) م. ن: ٧/ ٣٠٩.

(١٤٦) م. ن: ٧/ ٣١٣.

(١٤٧) م. ن: ٧/ ٣٥٠.

(١٤٨) م. ن: ٧/ ٣٦١.

(١٤٩) م. ن: ٤/ ٣١٨.

(١٥٠) م. ن: ٤/ ٣١٨.

(١٥١) م. ن: ٣/ ١٠.

(١٥٢) م. ن: ١/ ٤٦.

(١٥٣) م. ن: ٢/ ٢٨١.

(١٥٤) م. ن: ١/ ٢٦٢.

(١٥٥) م. ن: ٧/ ١٤٧.

(١٥٦) م. ن: ١/ ٢١٨-٢١٩.

(١٥٧) م. ن: ١/ ٦٨.

(١٥٨) م. ن: ٢/ ٥٣٠.

(١٥٩) م. ن: ٥/ ٤٦٨.

(١٦٠) م. ن: ٦/ ٣١٩.

(١٦١) م. ن: ٢/ ٢٧٢.

(١٦٢) م. ن: ٣/ ٤٧٤.

(١٦٣) م. ن: ٤/ ٢٣٢.

(١٦٤) م. ن: ٢/ ١٧٨.

(١٦٥) م. ن: ٥/ ٢٨٣.

(١٦٦) م. ن: ٦/ ٢٦٨.

(١٦٧) م. ن: ٥/ ٢٧٩-٢٨٠.

(١٦٨) م. ن: ١/ ١٣٠.

(١٦٩) م. ن: ٥/ ٢٩١.

(١٧٠) م. ن: ٢/ ٥٢٧.

(١٧١) م. ن: ٣/ ٥.

(١٧٢) م. ن: ١/ ٤٥.

(١٧٣) م. ن: ١/ ٤٠٩.

(١٧٤) م. ن: ٣/ ٩٠.

(١٧٥) م. ن: ٣/ ٩٠.

(١٧٦) م. ن: ١/ ٣٣٦.

(١٧٧) م. ن: ١/ ٣٣٦.

(١٧٨) م. ن: ٦/ ١٦٣.

(١٧٩) م. ن: ١/ ٤٦٨.

(١٨٠) م. ن: ٤/ ١٩٠.

(١٨١) م. ن: ٢/ ٩٤.

(١٨٢) م. ن: ٧/ ٣٩٣.

(١٨٣) م. ن: ٧/ ٦٥.

(١٨٤) م. ن: ٢/ ٥١٩.

(١٨٥) م. ن: ٤/ ٢٠١.

(١٨٦) م. ن: ١/ ١٣٤-١٣٥.

(١٨٧) م. ن: ١/ ٢٦٧.

(١٨٨) م. ن: ٧/ ٢٩٨.

(١٨٩) م. ن: ٤/ ٣٣٩.

(١٩٠) م. ن: ٤/ ١٤٥.

(١٩١) م. ن: ٤/ ٣٨٥.

(١٩٢) م. ن: ٢/ ٥١٦.

(١٩٣) م. ن: ٦/ ١٠٢.

(١٩٤) م. ن: ٧/ ١١١.

(١٩٥) م. ن: ٦/ ١٦٣.

(١٩٦) م. ن: ١/ ٧١.

(١٩٧) م. ن: ١/ ٦٠.

(١٩٨) م. ن: ١/ ٤٨.

(١٩٩) م. ن: ٤/ ٣٧٥.

(٢٠٠) م. ن: ٤/ ٣٧٥.

(٢٠١) م. ن: ١/ ٥٢.

(٢٠٢) م. ن: ٧/ ١٠٩.

(٢٠٣) م. ن: المقينة هي التي تزين المرأة ليوم زفافها. تم شرحها من قبل المحققين. ينظر: ٧/ ١٣.

(٢٠٤) م. ن: ٧/ ١٣.

(٢٠٥) م. ن: ١/ ١٠٧.

(٢٠٦) م. ن: ١/ ١٠٥.

(٢٠٧) م. ن: ٣/ ١٣٣.

(٢٠٨) م. ن: ١/ ١١٩.

(٢٠٩) م. ن: ٤/ ٧٠.

(٢١٠) القوافل: لأنهم اذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً وقالوا له قوقل به بيثرب حيث شئت. والقوقلة ضرب من المشي. ينظر: محمد بن عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (بيروت، دار التراث العربي، د.ت)، ٢/ ٧٤.

(٢١١) أسد الغابة، ٣/ ١٦٠.

(٢١٢) م. ن: ٢/ ٣٤٦.

(٢١٣) م. ن: ٣/ ٤٠٦.

(٢١٤) م. ن: ٤/ ٢٧٠.

(٢١٥) م. ن: ٦/ ١٤٨.

(٢١٦) م. ن: ٤/ ١٤٦.

(٢١٧) دومة الجندل: وهي من أعمال المدينة ... حصن على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول (ﷺ) ... وسميت بدومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل. للمزيد من التفاصيل ينظر: شهاب الدين بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥، ٢/ ٤٨٧-٤٨٩.

اما عن الجندل: فهي الحجارة، وقيل: الحجر كله الواحدة جندلة ... ودومة الجندل موضع. وقيل: الجندل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير البذل. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج١ / ٥١٣.

(٢١٨) أسد الغابة، ١/ ١٣٥.

(٢١٩) م. ن: ١/ ١٧٩.

(٢٢٠) م. ن: ١/ ٢٤٣.

(٢٢١) م. ن: ٥/ ١٨١.

(٢٢٢) م. ن: ٥/ ٣٥٩.

(٢٢٣) م. ن: ٤/ ٤١٦.

(٢٢٤) م. ن: ٢/ ٣٢٦.

(٢٢٥) م. ن: ٣/ ٤٩٨.

(٢٢٦) م. ن: ١/ ٤١٣.

(٢٢٧) م. ن: ٣/ ١٠.

(٢٢٨) م. ن: ٢/ ٦.

(٢٢٩) م. ن: ٢/ ٢٧١.

(٢٣٠) م. ن: ٣/ ٥٦٠.

(٢٣١) م. ن: ٤/ ١٤.

(٢٣٢) م. ن: ٤/ ١٩٧.

(٢٣٣) م. ن: ٦/ ١٧٢.

(٢٣٤) م. ن: ٢/ ١٧١.

(٢٣٥) م. ن: ٥/ ٤٥٢.

(٢٣٦) م. ن: ٢/ ٤٨٩.

(٢٣٧) م. ن: ١/ ٢٣٤.

(٢٣٨) م. ن: ٣/ ١٢٤.

(٢٣٩) م. ن: ٦/ ١٤٨.

(٢٤٠) م. ن: ٢/ ١٩٦.

(٢٤١) م. ن: ٤/ ٧٤.

(٢٤٢) م. ن: ٧/ ٣٣٣.

(٢٤٣) م. ن: ٧/ ٤٤٠.

(٢٤٤) م. ن: ١/ ١٦٣.

(٢٤٥) م. ن: ١/ ١١٢.

(٢٤٦) م. ن: ٢/ ٢٧٩.

(٢٤٧) م. ن: ١/ ٢٨١–٢٨٤.

(٢٤٨) الدرة: بالكسر: التي يضرب بها، عربية معروفة، وفي التهذيب: درة السلطان التي يضرب بها. ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٩٦٧.

(٢٤٩) أسد الغابة، ٤/ ١٨١.

(٢٥٠) م. ن: ٤/ ١٣٠.

(٢٥١) م. ن: ٤/ ٢٩٠.

(٢٥٢) م. ن: ٥/ ٢٥٣.

(٢٥٣) م. ن: ٧/ ١٧٤.

(٢٥٤) م. ن: ٣/ ١٦٠.

(٢٥٥) م. ن: ١/ ٧٤.

(٢٥٦) م. ن: ٧/ ٢٣١.

(٢٥٧) م. ن: ١/ ٧٢.

(٢٥٨) م. ن: ٧/ ٦٥.

(٢٥٩) م. ن: ٣/ ٣٠٩.

(٢٦٠) م. ن: ٢/ ٩٢.

(٢٦١) م. ن: ٣/ ٢١١.

(٢٦٢) م. ن: ٣/ ٢٧٦.

(٢٦٣) م. ن: ٤/ ٣٥٤.

(٢٦٤) م. ن: ٣/ ١٧٥.

(٢٦٥) م. ن: ٢/ ١٦٨.

(٢٦٦) م. ن: ١/ ١٠٦.

(٢٦٧) م. ن: ٢/ ٤٤٦.

(٢٦٨) م. ن: ٣/ ٢٧٦.

(٢٦٩) م. ن: ٧/ ٣٨٦.

(٢٧٠) م. ن: ٧/ ٥.

(٢٧١) م. ن: ٣/ ٩.

(٢٧٢) م. ن: ٢/ ٤٨.

(٢٧٣) م. ن: ٦/ ١١٨.

(٢٧٤) م. ن: ٤/ ٤٣٥.

(٢٧٥) م. ن: ٥/ ٢٦.

(٢٧٦) م. ن: ٧/ ١٤.

(٢٧٧) م. ن: ١/ ٣٤١.

(٢٧٨) م. ن: ٣/ ١٢٢.

(٢٧٩) م. ن: ٧/ ٢٥٦.

(٢٨٠) م. ن: ٣/ ٥٨٥.

(٢٨١) م. ن: ٤/ ٢٢٣.

(٢٨٢) م. ن: ٣/ ٣٧.

(٢٨٣) م. ن: ٣/ ١٦٥.

(٢٨٤) م. ن: ٣/ ٣٥٩.

(٢٨٥) م. ن: ٧/ ٣٨٦.

(٢٨٦) م. ن: ٣/ ١١.

(٢٨٧) م. ن: ٦/ ٧١.

(٢٨٨) م. ن: ٤/ ١٩٧.

(٢٨٩) م. ن: ٥/ ١١٣.

(٢٩٠) م. ن: ١/ ٦٩.

(٢٩١) م. ن: ٢/ ٥١٧.

(٢٩٢) م. ن: ١/ ١١٢.

(٢٩٣) م. ن: ٥/ ٤٥٢.

(٢٩٤) م. ن: ٥/ ١٢٥.

(٢٩٥) م. ن: ٣/ ٥٢٤.

(٢٩٦) م. ن: ٣/ ٤٥٥.

(٢٩٧) النمر: بردة من صوف يلبسها الأعراب. تم شرحها من قبل المحققين. ينظر: م. ن، هامش رقم ١، ٢/ ٣٦٩.

(٢٩٨) م. ن: ٢/ ٣٦٩. اما الذرة: فيقصد بها النملة الصغيرة. الحمراء تم شرحها من قبل المحققين. ينظر: م. ن، ٢/ ٣٦٩.

(٢٩٩) أزمتهم: أوفرهم. تم شرحها من قبل المحققين. ينظر: م. ن، هامش رقم ٢، ٢/ ٢٧٩.
(٣٠٠) م. ن: ٢/ ٢٧٩.
(٣٠١) م. ن: ١/ ٦٠.
(٣٠٢) م. ن: ٤/ ٨٠.
(٣٠٣) م. ن: ٣/ ٣٩.
(٣٠٤) م. ن: ٣/ ٤٣٧.
(٣٠٥) م. ن: ١/ ٤٩.
(٣٠٦) م. ن: ٢/ ١٩.
(٣٠٧) م. ن: ٣/ ٢٤٢.
(٣٠٨) م. ن: ٥/ ١٠٦.
(٣٠٩) م. ن: ١/ ٥٣.
(٣١٠) م. ن: ٢/ ٤٥.
(٣١١) م. ن: ٣/ ١٤٥.
(٣١٢) م. ن: ٦/ ٢٦٣.
(٣١٣) م. ن: ٥/ ٨٨.
(٣١٤) م. ن: ٢/ ٢٥٢.
(٣١٥) م. ن: ٦/ ١٨٢.
(٣١٦) م. ن: ١/ ١٧٢.
(٣١٧) م. ن: ٣/ ٢١٩.
(٣١٨) م. ن: ٢/ ٢٨٣.
(٣١٩) م. ن: ٦/ ٤٨-٤٩.
(٣٢٠) م. ن: ٧/ ٢٨٩.
(٣٢١) م. ن: ٧/ ٨٥.
(٣٢٢) م. ن: ٧/ ١٩٢.

(٣٢٣) فخ: واد بمكة. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٢٣٧-٢٣٨.
(٣٢٤) أسد الغابة: ٦/ ٣٢٥.
(٣٢٥) م. ن: ١/ ٢٠٩.
(٣٢٦) م. ن: ٤/ ٣٨٣.
(٣٢٧) م. ن: ٦/ ١٠١.
(٣٢٨) م. ن: ٧/ ١٩٢.
(٣٢٩) م. ن: ١/ ٦٤.
(٣٣٠) م. ن: ٥/ ٢٩٩.
(٣٣١) م. ن: ٣/ ١٩٢.
(٣٣٢) م. ن: ٥/ ١٩٧.
(٣٣٣) م. ن: ١/ ٤٢١.
(٣٣٤) م. ن: ١/ ٥٠.
(٣٣٥) م. ن: ١/ ٢١٨.
(٣٣٦) م. ن: ١/ ٣٥٩.
(٣٣٧) م. ن: ١/ ٣٧٨.
(٣٣٨) م. ن: ٤/ ٣٨٤.
(٣٣٩) م. ن: ٧/ ٣٢٣.
(٣٤٠) م. ن: ٢/ ١٥٢.
(٣٤١) م. ن: ٥/ ٢٥٦.
(٣٤٢) م. ن: ١/ ٩٠.
(٣٤٣) م. ن: ١/ ٣٤٤.
(٣٤٤) م. ن: ٤/ ٣٧٠-٣٧١.
(٣٤٥) م. ن: ٣/ ١٢٧.
(٣٤٦) م. ن: ١/ ٤١٣.
(٣٤٧) م. ن: ١/ ٣٨٤.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، إبراهيم البنا وآخرون، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٣م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

٢- البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).
- التاريخ الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٣- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

٤- الخطيب، البغدادي، احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
- تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٥- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م).
- تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق، ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٦- ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).
- المختصر في أخبار البشر، ط١، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.

٧- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).
- تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

٨- المنذري، زكي الدين ابو محمد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق وتعليق، بشار عواد ومعروف، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦.

٩- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).
- لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٠- النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ٧٦٢م).
- معرفة علوم الحديث، ط٢، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٧٧.

١١- ابن هشام، محمد بن عبد الملك (٢١٨هـ/ ٨٢٢م).
- السيرة النبوية، تحقيق، مصطفا السقا وآخرون، بيروت، دار التراث العربي، د.ت.

١٢- ياقوت الحموي، شهاب الدين (٦١٦هـ/ ١٢٢٨م).
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.
- معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، د.ت.

ثانياً: المراجع

١- جاسم، خليل إبراهيم
- منهج ابن خلكان في وفيات الأعيان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٩.

٢- حاطوم، نور الدين
- المدخل الى التاريخ، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٦٥.

٣- الدوري، عبد العزيز
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠.

٤- روزنثال، فرانز

- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة، صالح احمد العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣.

٥- سالم، عبد العزيز

- التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١.

٦- الشرقاوي، محمد عفت

- أدب التاريخ عند العرب، بيروت، دار العودة، د.ت.

٧- الصالح، صبحي

- علوم الحديث ومصطلحه، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥.

٨- العمد، هاني

- دراسات في كتب التراجم والسياق، ط١، عمان، المؤسسة الصحفية الأردنية، ١٩٨١.

٩- العمري، أكرم ضياء

- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥.

١٠- كحالة، عمر رضا

- التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٧٢.

١١- مرغليوث، د.س

- دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، بيروت، دار الثقافة، د.ت.

١٢- موافي، عثمان

- منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوربي، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت.

ثالثاً: الدوريات

١- خطاب، محمود شيت

- من أشهر المؤرخين في العالم، جريدة البلاغ، الموصل، ١٩٣٦.

٢- معروف، بشار عواد

- مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، مجلة الأقلام البغدادية، بغداد، ١٩٦٥.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1- Richter G: (Medieval Arabic Historiography) IG The British Library (London – 1959).
2- J. Robson (Hadith), The Encyclopedia of Islam. Lozac. second Edition (London 1971).
3- Somogyi, J: The Development of Arabic Historiography, Jss, The British Library (London – 1958).
4- William Benton, Biography. Encyclopedia Britannica, (Chicago – 1966).

Form and Context of Translation
A Study of Ibn Al- Atheer's Book
Osud Al- Ghaba Fe Maarifat Al – Sahaba

Asst. prof. Dr. Hashim Younis Researcher
Department of History Raida Hazim Mohammed
Gollege of Education

Abstract

Ibn –Al-Atheer in his book"Osud Al- Ghaba Fe Maarifat Al – Sahaba"was very muah concerned with the forms and contexts of translation. His focus was on the organization and translation of biographies , He depended certain methods and procedures for originality and authenticity as well as the historian's style in presentation.

Ibn Al- Atheer has shed light on the main elements of translation , starting with the name , the sur name , the title and the date of death in addition to other biograpluis related to non-Muslims contemporary to prophet Mohammed peace be upon him.

المبالغة والغلو في شعر الغزل في العصر الأموي

د. دلال هاشم كريم
جامعة تكريت/ كلية التربية/ سامراء/ قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص بحث

العنوان: المبالغة والغلو في شعر الغزل في العصر الأموي

تناولت في البحث الدلالة اللغوية والإصطلاحية لمفردتي المبالغة والغلو، ثم درستُ المبالغة والغلو في الصفات الحسّية والمعنوية للمحبوبة، فتوصلتُ إلى عدّة نتائج: كان من أهمها تركيز شاعر الغزل في مبالغاته في الصفات الحسية إذ نراها أكثر من مبالغاته في الصفات المعنوية، وقد بينا ذلك في أثناء دراسة الموضوع، شمل البحث عدداً من شعراء الغزل في العصر الأُموي على اختلاف أطيافهم.

وقد أوضحنا جل ما توصل إليه البحث في الخاتمة، منها ان الشاعر قد أوصل إلينا صورة المرأة المثال (المحبوبة) من خلال مبالغاته في صفاتها المعنوية والحسّية فضلاً على وجود الغلو الذي نراه قد ابعد النشاط التصويري عن قوته التأثيرية في المتلقي على عكس ما نراه في الغلو الذي يُسبق ببعض الألفاظ مثل (كاد، كأن، لو ...).

توطئة:

إن البحث في مصطلح ما وتقصي مفهومه يهيء موضوعة تفكيرية عند الباحث ويشكل منطلقاً علمياً للدخول في منطقية المصطلحات وماهيتها، ولاسيما المصطلح النقدي الذي أثار جدلاً عند النقاد ولاسيما القدامى منهم، كمصطلحي المبالغة والغلو اللذين نحن بصدد دراستهما في هذا البحث، إذ يمثلان وسيلة للتدبر والدراسة والتحليل، وأداة ننفذ منها إلى ما هو معرفي مؤمنين بيقين علمي كامل أن ((لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يُعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهمه دليلاً))[1].

ونحن بذلك سنلتمس طريق الاهتداء في ضوء البحث في مفهوم المصطلحين وماهيتهما ونصطفي ذلك منطلقاً إلى تكوين مادة بحثية تحليلية مشكّلة باستقراء النصوص والشواهد الشعرية.

المبالغة والغلو في اللغة والاصطلاح:

المبالغة لغة: ((أن تبلغ من العمل جهدك))[2]، ((وبالغ فلان في الأمر إذا لم يقصر فيه))[3]، أما الغلو لغة فهو: ((تجاوز الحدَّ ... وغلا في الدين يغلو غُلُوّاً: إذا جاوز الحدَّ وغلا بالسهم يغلو غُلُوًا: إذا رمى به ... والمغالي بالسهم: الرافع يده يُريد به أقصى الغاية))[4]، ((وقال بعضهم غلوت في الأمر غُلُوًّا وغَلانيةً وغلانياً إذا جاوزت فيه الحد وأفْرَطْت فيه ... والغلو في الدين أي التشدد فيه ومجاوزة الحد ... الغلو الذي هو التجاوز لقدر ما يجب))[5].

أما المعنى الاصطلاحي فقد أشار بعض النقاد القدامى إشارات بسيطة لمصطلح المبالغة لا يتضح معها المصطلح، كتلميح ابن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١هـ) إلى المبالغة في الهجاء[6]، وإشارة الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى المبالغة بوضوح الدلالة[7]، وتبيان ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) لها بالاستعارة والوصف[8]، ونحن نرى أن مثل هذه

التلميحات لا تتعدى كونها ومضات لا تصل بنا إلى مفهوم دقيق وواضح للمصطلح، لذا سنسير قدماً للوصول إلى نقاد قد أعطوا هذا المصطلح تحديداً يضعنا في دائرة الوضوح والإفهام لِما نحن نبحث عنه من ذلك ما نجده عند قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) بقوله: ((الغلو إنما هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له))[9]، وقد ذكر أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) المبالغة بقوله: ((أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه في أدنى منازله وأقرب مراتبه))[10]، أما الغلو فهو عنده: ((تجاوز حد المعنى والارتفاع منه إلى غاية لا يكاد يبلغها الغلو))[11].

وهذه التعريفات قد أدخلت الاطمئنان إلينا وأبعدتنا عن الخطأ والملابسة وحددت سيرنا بالاتجاه الصحيح؛ لأنها وضحت لنا مصطلحي المبالغة والغلو بشكل يعطي للكلمتين القوة الاصطلاحية الدقيقة.

وقبل البدء بمشروعنا البحثي هذا لابد من الإشارة إلى أننا سنعتمد فيه على هذين اللفظين الذين يمثلان مصطلحاً واحداً، ونحاول تتبعه في شعر غزل العصر الأموي؛ لأن الغلو والإغراق يدخلان في باب المبالغة ومن النقاد ما أكد دمج المبالغة مع الغلو وعدّها ((تأكيداً لمعاني القول))[12]، وقد سبق أن فعل ذلك ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ) فذكر المبالغة وجعلها مرادفةً لِما سمّاه ((الإغراق في الوصف والإفراط في التشبيه))[13].

المبالغة والغلو في شعر غزل العصر الأُموي:

إنَّ المتتبع لشعر الغزل في العصر الأَموي لابد من أن يدرك إدراكاً كاملاً ما كانت تناله المبالغة – ومعها الغلو في بعض الأحيان – من نصيب وافر ولاسيما في الاتجاهين الآتيين:

الأول: الصورة الحسية: وتتحد في وصف صفات المحبوبة الحسية.

الثاني: الصورة المعنوية: وتشمل وصف ما يعانيه شاعر الغزل من ألم الشوق وحرقة البين وشدة الوجد والهوى واللهفة للقاء المحبوبة وما إلى ذلك.

لذا رأينا السير في هذين الاتجاهين عند البحث واستقراء الشواهد الشعرية؛ لأنه سيؤطّر الدراسة بإطار منهجي قويم، مبتدئين بما كان يمثل الاتجاه الحسي لأنه الأغلب وجوداً للمبالغة والغلو فيه، ثم الاتجاه المعنوي لأنه الأقل نماذج قياساً بالاتجاه الحسي ولكنه الأوقع تأثيراً، مع العلم أَنَّ المعيار الكمي جعلنا نقدم الاتجاه الحسي لأنه الأكثر.

المبالغة والغلو في الصفات الحسية:

إنَّ شاعر الغزل يرى في المحبوبة صورة للمرأة المثال والأنموذج في الأشياء كلها إذ لا يدخلها أي عيب خَلقي يمكن الإشارة أو التلميح إليه، لذا فهو حينما يذكر صفاتها الحسية لا يكتفي بإيراد هذه الصفات أو رسمها في غير حقيقتها بل يعالج الأمر بالمبالغة التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الغلو والاغراق وهو بهذا الأمر قد ضرب عصفورين بحجر؛ لأنه نال رضا المحبوبة، واشبع غروره في إظهار صحة اختياره لها وقد يُحسد عليها لامتلاكها هذه الصفات التي يركز عليها في مبالغاته ومن الشواهد الدالة على ذلك، ما يرسمه عمر بن أبي ربيعة لصورة المحبوبة المضاءة في الليل، بقوله:

خَـوْدٌ تُضِـيءُ ظَـلامَ البَيْـتِ صـورَتُها كَمَـا يُضِـئُ ظَـلامَ الحِنْـدِسِ القَمَـرُ[١٤]

ففي هذا البيت تأكيد ما تمتلكه المحبوبة من جمال من دون تحديد لصفة جمالية معينة فاختار (صورتها) ليعبر عن عمومية الصفات وليست هناك خصوصية لصفة جمالية بذاتها، ومن الطبيعي أن نشعر بالمبالغة فيه، إذ لا يمكن أن يكون الوجه – مهما كان جميلاً – مضاءً هذا الضياء الذي يدحر ظلام الليل وأي ليل، الليل الشديد الظلام (الحندس)، زيادة منه في تأكيد المعنى لذا جعل النقاد القدامى

المبالغة من المحسنات المعنوية، ولاسيما ابن طباطبا الذي أكد عدم:((الاقتصار على ذكر المعاني التي يغير عليها دون الابداع فيها والتلطيف لها لئلا يكون كالشيء المعاد المملول))[١٥].

وكلما زاد الشاعر في مبالغاته خرج عن دائرة المألوف الذي يؤدي بالمتلقي إلى السأم والضجر، فيزيد عمر بن أبي ربيعة من المبالغة في وصف المحبوبة فيضع نصب عينيه صفة جمالية معينة فيُغرق في وصفها كـ(الهيفاء) التي تكاد تنبتر من ثقل الأَرداف، فيقول:

هَيْفَـاءُ لَفّـاءُ مَصْـقولٌ عَوَارِضُـها تَكَـادُ مِـنْ ثِقَـلِ الأَردَافِ تَنْبَتِـرُ[١٦]

ويبدو أن عمر بن أبي ربيعة من المولعين في رسم هذه الصورة والمبالغة فيها، إذ نراه يكررها في أكثر من شاهد شعري كقوله:

تَكَـادُ مـن ثِقَـلِ الأَرْدَافِ إن نَهَضَـتْ إلـى الصـلاةِ بُعيـدَ البُسْـرِ تَنْبَتِـرُ[١٧]

ولعل سبب تمسكه بهذه الصورة ناتج عن اتجاه الغزل الذي اتخذه لنفسه وهو الغزل الحسي أو ما نسميه الغزل الصريح، ومثله قوله أيضاً:

خَـوْدٌ مُهَفْهَفَـةُ الأَعْلـى إذا انْصَـرَفَتْ تَكَـادُ مِـنْ ثِقَـلِ الأَردَافِ تَنْبَتِـرُ[١٨]

وقوله أيضاً:

وَتَنَـو فَتَصْـرَعُها عَجيزَتُهـا مَمْشَـى الضَّـعِيفِ يـؤودُهُ البُهـرُ[١٩]

ونراه لا يتحرج من أن يذكر صفات جسدية للمحبوبة قد يتعفف في ذكرها شاعر الغزل العذري، ولكنهما – شاعر الغزل الصريح وشاعر الغزل العذري – يتفقان على تصوير رقة جلد المحبوبة ويدخلان هذا التصوير من ضمن مبالغاتهما، من ذلك قول جميل بثينة:

فلـو درج النمـل الصـغار بجلـدها لأنـدبَ أعلـى جلـدها مـدرج النمـل[٢٠]

وقول أبي صخر الهذلي:

صـراحيةٌ لـو تـدرج الـذَّرُّ أنـدبت علـى جلـدها خَـوْدٌ عمـيم قوامهـا[٢١]

وقول مجنون ليلى:

منعَّمةٌ لو باشر الذَّرُّ جلدها   لاثر منها في مدارجها الذَّرُّ[٢٢]

والاتفاق على الاتيان بـ(الذر) ليكون محور المبالغة في رسم صورة رقة جلد المحبوبة أمر متعارف عليه عند شعراء الغزل كما رأينا في الشواهد السابقة، إلاّ أننا نلحظ التفاوت في مدى تأثير المبالغة على المتلقي بين هؤلاء الشعراء فمنهم من يبالغ في المعنى فيصل به إلى شد ذهن القارئ والتأثير فيه وهذا ما نراه في قول عمر بن أبي ربيعة:

لو دبَّ ذرٌ رويداً فوق قرقرها   لأَثَّرَ الذَّرُّ فوق الثَّوب في البشر[٢٣]

فالمبالغة في هذا البيت أحدثت نوعاً من شد انتباه القارئ إلى المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله له باستعماله كلمة (فوق) أي أن تأثير النمل الصغير في هذه المحبوبة متأتٍ من دون أن يمس جلدها حتى لو مساً خفيفاً بل بمجرد مشيه فوق ثوبها، أما الأبيات الشعرية – المذكورة آنفاً – لـ(جميل، وأبي صخر، ومجنون ليلى) فالمبالغة فيها أقل شأناً ووزناً في لفت الانتباه إليها لأن الذّرّ فيها قد مشى أو مس جلد المحبوبة، فدخلت باب الاستحسان لا الدهشة لأن ما يحدثه الذرّ من ندوب على الجلد أمراً طبيعياً ولاسيما إذا ما عرفنا تأثير الذر في الجلد الرقيق وغير الرقيق[٢٤]، لذا نرى أن عمر بن أبي ربيعة قد وفق في مبالغته قياساً بالشواهد المذكورة سابقاً، وقد يقترب منه جميل بثينة عندما يجعل مكان الذر بين حواشي الثوب، فيقول:

منعمة لو يدرج ذرٌ بينها   وبين حواشي ثوبها ظل يجرحُ[٢٥]

ولكننا لا نجد التأثير ولا الاستحسان في مبالغة جاء بها الأحوص ليبين رقة جلد محبوبته عندما يجعل الذر تحت ثوبها، فيقول:

لو دبَّ حوليُّ ذرَّ تحت مدرعها   أضحى بها من دبيب الذرّ آثار[٢٦]

فأضعف تأثير مبالغته (تحت وآثار) على عكس ما رأيناه عند الشعراء السابقين في الشواهد الشعرية – المذكورة آنفاً – إذ لاقت مبالغاتهم الاستحسان والرضا

بجعل الذرّ يجرح جلد المحبوبة فدخلوا من هذا الباب لدعم المعنى أما عمر فقد نال شدة الاندهاش والاعجاب بالمبالغة لأنه أسندها بكلمة (فوق) فضلاً على الجروح التي سببها الذرّ كقوله:

مُنعَّمة لو دب ذرٌ بجسمها   لكاد دبيب الذَّرَّ في الجلد يكلمُ[٢٧]

وكأن التفاوت في المبالغة بالمعنى ومدى قبولها واستحسانها والتعجب لها قد حُدد في الكلمات (فوق، بين، تحت) فكانت مقاسات مناسبة لبيان تفوق شاعر على آخر، ومع هذا كله استطاع هؤلاء الشعراء من خلال هذه المبالغات إيصال صفة حسية وهي رقة جلد المحبوبة وصفة معنوية وصلوا إليها بالكناية عن كون المحبوبة مترفة ومخدومة ومنعمة فصارت النتيجة لهذا رقة الجلد التي تتمتع بها، فبانت واتضحت باستعمال (الذر)[٢٨]، وتتضح من زوايا أُخر كقول جميل بثينة:

يكاد فضيض الماء يخدش جلدها   إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلدِ[٢٩]

والذي يبدو من هذا البيت المبالغة في المعنى لدرجة أحدثت مفهوماً عكسياً فبدلاً من أن يخيِّل الشاعر رقة جلد المحبوبة ونعومته أوصل إلى أذهاننا المتاعب التي تعانيها المحبوبة إذا اغتسلت بالماء وكأنها تعاني مرضاً جلدياً أو عيباً خلقياً لا يجعلها تتحمل رقة الماء، والذي زاد الطين بلة هو عدم تحمل المحبوبة لبس الحرير كما يتضح ذلك في قول مجنون ليلى:

يُدمي الحرير جلودهن وإنَّما   يكسين من حلل الحرير رقاقها[٣٠]

ومما يحتمل القبول أو عدمه أن الحرير يدمي الجلود فمهما كانت المرأة رقيقة ويثقل لبسه عليها لا يمكن قبول مسيل الدم منها من لبسه، بل حتى النظرة إليها قد تؤثر في خدها لنعومته فيقول قيس لبنى:

يثقلها لبس الحرير للينها   وتشكو إلى جارتها ثقل العقدِ
وأرحم خديها إذ ما لحظتها   حِذاراً للحظي أن يؤثر في الخدِ[٣١]

حتى أن رقة ورق الورد تؤذيها وتخدش جلدها إذا ما لبست ثوباً من الورد، ولعلنا نعذر الشاعر في هذه المبالغات؛ لأنه أراد أن يبين ما تتمتع به المحبوبة من ترف ونعمة، إذ يقول:

ولو لبست ثوباً من الوردِ خالِصاً لخدش منها جلدها وَرَقُ الوردِ[٣٢]

والعذر في الخدش لعله مقبولاً، لكن ليس من الصحيح العذر في أن الحرير يُدمي الجلود إلاّ إذا كان من يلبسه يعاني مرضاً جعله يتحسس من الحرير إلى الدرجة التي يصل بها إلى أن يُدمي جلده، فمثل هذه الصورة تكون عائقاً من الوصول بالمبالغة والغلو إلى التأثير بالمتلقي، كما اتضح ذلك في قول مجنون ليلى الذي سبق ذكره.

ويدخل (الوجه) من ضمن مبالغات شاعر الغزل، إذ يستمتع بما يراه من وجه المحبوبة إلى درجة تجعله يبالغ في وصفه فهو عنده يسقي كل أرض تزورها، وهو بذلك قد حقق اتجاهين: الأول حسي: إذ بين جمال وجه المحبوبة والدلالة عليه، والثاني معنوي: معبراً فيه عن الخير الذي يجلبه وجه المحبوبة في أي مكان تذهب إليه، فيقول:

سقيت بوجهك كلُّ أرضٍ جُبْتِها وبمثل وجهكِ أَستقي الأَمطارا[٣٣]

فهو لا ينفك من بيان تأثير وجه المحبوبة وجماله الذي أخذ البدر ضياءه منه، فيقول:

لأَسيلة الخدين واضحةٍ يُغْشَى بِسُنَّةِ وجهِها البدرُ[٣٤]

فهذا الضياء الذي يمحو شدة ظلام الليل دليل على بياض الوجه الناصع، فالعرب عامة يفضلون اللون الأبيض لبشرة المرأة، ولاسيما الشعراء في اتخاذهم له لوناً محبباً لوجه المحبوبة[٣٥]، ومنهم عمر بن أبي ربيعة الذي لا يخرج عن استحضار هذه الصورة اللونية في ذهنه، إذ يقول:

وإذا تراءت في الظلام جلت دُجن الظَّلامِ كأنَّها بدرُ

....

وكأنَّ ضوء الشمس تحت قناعها أو مُزنةً أَدنى بها القطرُ[٣٦]

وقد يكون الغلو في المعنى مقبولاً إذا ما أدى الفكرة بشكل لا يسيء إلى النشاط التخييلي في الصورة الشعرية من خلال حُسن الاستعمال اللغوي وفهمه، لذا نرى المبالغة التي تصل إلى مرحلة الغلو والاغراق التي يبحث فيها الشاعر عن منفذ ينفذ منه إلى التخفيف من وطأة الغلو والابتعاد به عمّا لا يجوز، فلا يجد مهرباً إلاّ باستعمال (كأن، وكاد، ولو ...) ليبتعد بمبالغته عمّا لا يُحسن في مذهب المبالغة والغلو ويدخل ضمن مخارج الغلو[٣٧]، فيضمن بذلك عدم اختلال المعنى، ووصوله للمتلقي بشفافية وقبول واستحسان، فيقول:

لو سقي الأموات ريقتها بعد كأس الموت لانتشروا
ويكاد الحجْلُ من غصصٍ حين يستأنيه ينكسر
ويكاد العجز إنْ نهضت بعد طول البُهرِ يَنبترُ[٣٨]

ونلحظ مدى تأثير استعمال (لو، وكاد) في هذه الأبيات التي كانت سبباً في قبولها واستحسانها على الرغم مما فيها من غلو وإغراق على عكس ما نلمسه في قول كثير عزة:

والميتُ ينشرُ أن تمس عظامه مساً ويخلدُ أن يراكِ خلودا[٣٩]

فالشاعر لم يخفف من وطأة الغلو في بيان تأثير عزة في الميت الذي ما إن تمسه حتى تعود له الحياة من جديد، وبطبيعة الحال لا يمكن قبول مثل هذا المعنى فليس من المنطقي أن يحيي الشاعر الميت بأي سبب من الأسباب مهما كان قوياً والذي ابعد المعنى عن القبول جعل صفة الخلود لهذا الميت والخلود صفة كما هو متعارف عليه لا تناط بالإنسان مهما كانت قوته، لذا نرى من الضروري الاتيان بمثل هذه الكلمات (لو، كاد، لولا، كأن) ولاسيما إذا كان المعنى غير منطقي فلابد من

تقريبه إلى الاقناع بها، ((وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها، نحو كأن ولولا))[٤٠].

حتى أننا ندرك جمالية المعنى بهذه الاستعمالات كما نجد ذلك في قول أبي صخر الهذلي:

تكـاد يـدي تنـدى إذا مـا مسسـتها وتنبُتُ في أطرافها الورقُ الخُضرُ[٤١]

وقد أحسن أبو صخر الهذلي في إيصال المعنى المطلوب وتمكن منه باستعماله الدقيق والمناسب لكلمة (تكاد)، فهو يريد أن ملامسة المحبوبة تدرُّ عليه بالخير والنماء والعطاء فيعود الأمل له من جديد، فإنبات الورق الخضر تعني الحياة الجديدة المعطاء المليئة بالأمل، ومن المبالغة والغلو الذي استحسن بوجود هذه الكلمات، قول مجنون ليلى:

ولـو مسـحت بـالكفِ أعمـى لأذهبـت عمـاه وشيكاً ثـم عـاد بـلا عمـى[٤٢]

واستعمال (كأن) في قول قيس بن ذريح:

كـأنَّ فِجـاجَ الأرض حلقـةُ خـاتمٍ علـيَّ تَـزدادُ طـولاً ولا عَرضـا[٤٣]

زاد المعنى جمالية وجعلها ذات فعالية ونشاط صوري تميز به الشاعر، مما يجعلنا نُدرك متيقنين مدى عناية شاعر الغزل في العصر الأموي بموضوع المبالغة والغلو في غزله وتنبهه إلى مسألة التوافق والموازنة التي لا يختل معها المعنى وذلك باستعماله (لو، وكاد، وكأن ...)[٤٤]، سواء أكان ذلك في الجانب الحسي كما هو مبين في الشواهد الشعرية السابقة أم في الجانب المعنوي كما هو موضح في الشاهد السابق الذي بين معاناة الشاعر وألمه.

ومثله استعمال (كأن) الذي خفف من وطأة الإفراط في المبالغة والغلو في قول الأحوص:

لـي ليلتـان فليلـةٌ معسـولةٌ ألقـى الحبيـبَ بهـا بخـيمِ الأسـعُدِ
ومريحـة همَّـي علـي كـأنني حتـى الصـباح مُعَلَّـق بالفرقـدِ[٤٥]

وكذا الأمر باستعمال (كاد) في قول ذي الرمة الذي يبين تأثير كلام المحبوبة في الأخرس:

هِجـانُ الثَّنايـا مُغْرِبـاً لـو تَبَسَّـمَتْ لِأَخْـرَسَ عَنـهُ كَـادَ بـالقولِ يُفْصِـحُ[٤٦]

كما نجده يختار (الوعول) مصدراً لصورته الشعرية التي منها يُظهر تأثير كلام المحبوبة فيُشغل هذه الوعول عن أولادها، إذ يقول:

ولَـو كَلَّمَـتْ مَـيٌّ عواقِـلَ شـاهِقٍ رِغاثاً مِنَ الأَرْوَى سَهَونَ عَنِ الغُفرِ[٤٧]

وكثيراً ما يلجأ شاعر الغزل إلى (الوعول) لبيان جمالية صوت المحبوبة وحُسن كلامها[٤٨]، وقد ضرب المثل في حُسن الحديث وبلاغته أنه سينزل العصم التي تتحصن بأعالي الجبال الوعرة التي لا يستطيع أن يرقاها أحد ولا يهتدي إليها[٤٩]، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

وحـديثٍ، بمثلـهِ تَنْـزِلُ العُصـ ـمُ، رَخِـيمٍ، يَشُـوبُ ذَلِـكَ حِلـمُ[٥٠]

ولعل الموازنة بين ما أدّاه البيت الأول (**لو تبسمت لأخرس عنه كاد بالقول يفصح**) وتأدية البيتين الآخرين (ولو كلمت مي عواقل ...) و (وحديث، بمثله تنزل...) تحسم الموقف التأثيري للبيت الأول؛ لِما له من نشاط وأداء يحركان الاندهاش من أن ابتسامتها للأخرس تجعله ينطق نطقاً لا تلعثم فيه، بل بالقول الفصيح الذي يفهمه السامع، وهذا تأكيد شدة تأثير ابتسامة المحبوبة، على أن الحديث إلى الحيوان – (الوعول) الذي يُشغله عن أولاده – ليس بالقوة التأثيرية التي أداها المعنى الأول، لأن أمر استماع هذا الحيوان لصوت المحبوبة ولصوت غيرها سيان عنده ويشغله عمن حوله لأنه لا يفهم هذا الكلام فيديم النظر إما لخوفه وإما لأخذه الحذر من المتكلم، وقد يدمج الشاعر الغزلي الصورتين معاً مبيناً مدى تأثير كلام المحبوبة في الحيوان (الحمام) والانسان (الميت)، كقول مجنون ليلى:

فَلَـو أَنَّهـا تَـدعو الحَمَـامَ أَجَابَهـا ولَـو كَلَّمَـتْ مَيتـاً إذاً لَتَكَلَّمـا[٥١]

فقوة المعنى في الشطر الثاني بادية لنا أكثر من الشطر الأول للأسباب نفسها التي سبق أن ذكرناها.

وقد يستحضر شاعر الغزل في العصر الأموي في مبالغاته ما يساعده على دعم هذه المبالغات واسناد المعنى وتقويته، ولعل الجانب الديني كان له حضوره وافادته في المبالغة والغلو من ذلك ما استمده مجنون ليلى من القرآن الكريم متأثراً بقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[٥٢] فيذكر أن هاروت تعلم السحر من ليلى، بقوله:

مُنَعَّمَــةٌ تَسْــبي الحَلــيمَ بوجهِهــا ... تُــزَيِّنُ منهــا عِفَّــةً وَتَكَرُّمــا
فَتِلــكَ التــي مَــن كــان داءً دواؤُهُ ... وهاروتُ كُلَّ السِحرِ منها تَعَلَّما[٥٣]

ويسرع جميل بثينة في اختيار (ليلة القدر) ليجعلها مرتكزاً للانطلاق في الموازنة بين جمال المحبوبة والآخرين فيحسمها لصالح محبوبته فيفضلها حسناً كما فُضلت ليلة القدر على ألف شهر متأثراً بقوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ[٥٤]، إذ يقول:

لَقَد فُضّلَتْ حُسناً على الناسِ مِثلَما ... على أَلفِ شَهرٍ فُضَّلَت لَيلَةُ القَدرِ[٥٥]

لقد وجد شاعر الغزل في العصر الأموي في الجانب الديني مادة يمكن له أن يغترف منها ما يناسب مبالغاته، فنهل منها إما مباشرة كما مر بنا في الشواهد السابق – ألفاظاً من القرآن الكريم –، وإما بطريقة غير مباشرة يستلهم من الحياة الدينية ما يوفر لمبالغته المعنى الذي يريد إيصاله، كقول ذي الرمة الذي اختار (لقمان) ليبين من خلاله مدى تأثير مي في الآخرين حتى أن لقمان الحكيم يقع تحت طائلة هذا المؤثر، إذ يقول:

وَلَــو أَنَّ لُقمَــانَ الحَكِــيمَ تَعَرَّضَــت ... لِعَينَيــه مَــيٌّ سَــافِراً كَــادَ يَبــرَقُ[٥٦]

أما كثير عزة فينال ما يريد من مبالغة تبين مدى تأثير كلام عزة من خلال استحضار صورة (رهبان مدين) الذين قضوا أعمارهم بالايمان والبكاء حذراً من عذاب الآخرة، فهم لو سمعوا حديثها لتأثروا به وتحولوا عما هم عليه، وعلى الرغم من هذا الافراط في المبالغة تصوّر الإحساس الذاتي لكُثيِّر بحُسن حديث عزة وشدة تأثيره فيه، فيقول:

رُهبــانُ مَــدينَ والــذين عهِــدتُهُم ... يبكــونَ مــن حــذر العــذابِ قُعــودا
رُهبــانُ مَــدينَ والــذين عهِــدتُهُم ... يبكــونَ مــن حــذر العــذابِ قُعــودا
لــو يســمعون كمــا ســمعتُ كلامهــا ... خَــرُّوا لعــزّة رُكَّعــاً وسُــجودا[٥٧]

ومثله قوله أيضاً:

رُهبــان مَــدينَ لَــو رأوكِ تَنَزّلــوا ... والعُصمُ مِن شَعَفِ الجبالِ الفادرِ[٥٨]

وقول العرجي:

مِـنَ الحُـورِ لَـو تَبـدو لأشـمَطَ رَاهِـبٍ ... تَعَبَّـدَ مِمَّــا أَحرَزَتـهُ الصَّـوَامِعُ[٥٩]

ويظهر نشاط هذه المبالغة حينما يختار الشاعر (الراهب) الذي قضى أغلب عمره بالتعبد وهو زاهد في كل شيء، فضلاً على أنه حدد زمن عبادة هذا الراهب بثمانين عاماً ليدنو بمعناه من خلال هذه الأعوام وطولها إلى زيادةٍ في المبالغة وشد انتباه المتلقي ونيل استحسانه لها، فالراهب على الرغم من ذلك كله سيترك محرابه ويطلب ود هذه المرأة ويشتهيها.

وقد يكون التراث منهلاً مناسباً لمبالغات شاعر الغزل في العصر الأموي، فيستحضر منه (المثل) الذي يؤكد اقتداره على توظيف كل ما من شأن في زيادة نشاط المعنى؛ لأن المبالغة ((أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون ابلغ في ما قصد))[٦٠]، والزيادة في المعنى تبرز اقتدار الشاعر وامكانيته على الكلام؛ لأن الإفراط في الصفة أن تبالغ في الوصف لإظهار اقتدارك

على الكلام[٦١]، ويظهر ذلك جلياً باستعمال ذي الرمة المثل (إياب المنخل)[٦٢] في قوله:

تُقَارِبُ حتى تُطمعَ التَّابعَ الصّبيَ   وليسَتْ بِأَدنَى من إِيَابِ المُنَخَّلِ[٦٣]

وقد يضعف حال المبالغة فلا تنشط بالمعنى ولا تبلغ به إلاّ مبلغاً متواضعاً لا يشفي لهفة المتلقي لسماع ما يُدهشه فيجذبه، فيبدو جلياً للآخرين خمول المبالغة ولاسيما إذا ما أدركنا أنها من محض التقليد لمن سبقوهم من الشعراء، كقول العرجي الذي يشبه فيه شعر المحبوبة الأسود بركام العنب وحليها المضاءة بنجوم الفجر، فيقول:

تُريكَ وَحْفاً فوقَ جيدٍ لها   مثل رُكامِ العِنَبِ المُدمجِ
كأَنَّما الحَلى على نحرِها   نُجومُ فجرٍ ساطعٍ أَبلجِ[٦٤]

ولعل الاخفاق في إيصال المعنى بالشكل الذي يثير فينا الاستحسان واضح للعينان، إذ إن الشاعر أراد أن يصف الضياء القوي المتأتي من حليها فشبهه بنجوم الفجر الساطع المضيء والمُشرق، وهذا الاشراق يجعل من ضياء النجوم يضمحل ويقل، فجاء المعنى عكس ما طلب الشاعر إيصاله للمتلقي، لذا يمكننا القول أننا نلمس تفاوتاً في مستوى المبالغة والغلو عند أغلب شعراء الغزل في العصر الأموي، فتارة نراهم يرفعون من شأنها – المبالغة –[٦٥]، وتارة أخرى يقللون من تأثيرها.

المبالغة والغلو في الصفات المعنوية:

أدرج شاعر الغزل في العصر الأموي الصفات المعنوية التي وصف بها المحبوبة من ضمن مبالغاته الشعرية، فضلاً على الجانب المعنوي الذي تناول به مشاعره وأحاسيسه تجاه المحبوبة وما يعانيه من آلام الفراق ولوعة الشوق، والاشتياق للقائها ونشوته وطربه لذكراها، كما يتضح ذلك في قول عمر بن أبي ربيعة الذي يبرأ من مرضه ويرتاح من تعبه إذا ما ذكرها، فيقول:

إذا خَدِرَت رِجلي ذَكرتُكِ صادقاً،   وصرَّحتُ إذ أدعوكِ باسمكِ لا أكني
وإني لتغشاني لذكراكِ روعةٌ   يخفُّ لها ما بين كعبي إلى قَرْنِي[٦٦]

ومثله قوله أيضاً:

إذا خَدِرت رجلي أَبوح بذكراها   لِيَذهبَ عن رجلي الخُدورُ فَيَذهبُ[٦٧]

وقوله:

أَهيمُ بها: في كلِّ مُمسىً ومُصبحٍ   وأُكثرُ دعواها إذا خَدِرت رجلي[٦٨]

وكأن الشفاء مرهون بالمحبوبة التي هي وحدها تستطيع شفاءه[٦٩]، فحديثها ما أن يسمعه حتى يشفى من مرضه، فيقول:

لو كنتُ، إذ أُدنفتُ مِنْ كلفٍ بها   يوماً أَصبتُ حَديثها لشافني[٧٠]

ويرتبط مفهوم الزمن وقياسه بالمبالغة التي يوردها شاعر الغزل إذ إن الزمن يقصر أو يطول تبعاً لرؤية المحبوبة أو عدم رؤيتها، فيرى يزيد بن الطثرية يومه كإبهام القطاة في قصره لأنه يلتقي المحبوبة، فيقول:

ويوماً كإبهام القطاة مُزيَّناً   لعيني ضُحاهُ غالباً لي باطله[٧١]

ويكون يومه أشهراً إذا لم يَلْتَقِ المحبوبة فيقول عمر بن أبي ربيعة:

ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرسلاً   أو نلتقي فيهِ عَليَّ كأَشهُرِ[٧٢]

ثم يقيس الزمن قياساً طردياً يجعل الشهر مثل اليوم إن رضيت عنه المحبوبة، واليوم شهراً إن غضبت عليه، فيقول:

والشَّهرُ مثلُ اليومِ إنْ رَضيتْ   واليومُ إن غَضبتْ بهِ شهرُ[٧٣]

ويستمر شاعر الغزل ببيان مشاعره الصادقة تجاه محبوبته فلا يرى من بد ولا من سبيل في الاتجاه بهذه الأحاسيس والمشاعر نحو المبالغة ليرضي المحبوبة التي يكون حينه وهلاكه بيدها[٧٤]، وفراقها يجعل عينه تنطق وتكاد تتكلم وتُصرح بمكنونات قلبه وبعبراته، فيقول:

تكادُ، غداةَ البينِ، تَنطِقُ عينهُ   بِعَبرتهِ، لو كانت العينُ تَنطِقُ[٧٥]

واعتاد شاعر الغزل في العصر الأموي ادراج عينه الباكية في مبالغاته[٧٦]، فغالباً ما يبالغ في كثرة جريان دموعه، وفي وصف عينه الباكية ليبين معاناته من الوجد، كقول العرجي واصفاً عبرات عينه التي تؤثر في أضخم الجبال (رضوى)، فيقول:

تُعـدَّد نفسـي مـن سُـلَيْمَى عِـدادها … فَلَـم تَـرقَ عينـي، واسـتطيرَ رُقادُهـا

فأيسـر مـا تَلقـى مِـن الوجـدِ أنَّهـا … مـع الحُـزنِ مغمـورٌ بمـاءٍ سـوادُها

ذَروفُ النهـارِ حـينَ تَحمـى مِنَ البُكـا … كثيـرٌ – إذا جـنَّ الظـلامُ – اطِّرادُهـا

علـى عبـراتٍ تعترينـي لـو أنَّهـا … بجانـب رضـوى أنفذتـه وهادُهـا

يُجـافينَ جنبـي عـن فِراشـي كأنّهـا … عليـه سُـيُوفٌ أَقلقتـه حِـدادُها[٧٧]

وقول مجنون ليلى:

لـم تَـزل مُقلتـي تَفـيضُ بـدمعٍ … مثـل الغيـوث مُـذ فَقَـدتها[٧٨]

وواضح هنا أن الشاعر استعمل لفظة (الغيوث) للمبالغة في كثرة جريان دموعه ولاسيما أنه استعان بهذه الكلمة وهي جمع كلمة (غيث) التي لو استعملها لدلَّ أيضاً على كثرة الدموع إلاّ أنه أراد المبالغة ففضل الإتيان بالجمع للدلالة على الكثرة.

ويستعين شاعر الغزل بالمبالغة لبيان تعلقه بمحبوبته وطالباً لرضاها، فيبدأ بعرض صفاته ومنها صدق الوعد، وعدم الخيانة، كقول عمر بن أبي ربيعة:

لا أخـونُ الخليـلَ مـا عِشـتُ حتَّـى … يُنقـلَ البحـرُ بالغرابيـلِ نقـلا[٧٩]

وقد أحسن الشاعر في هذا الربط بين عدم الخيانة ونقل البحر بالغرابيل، إذ من غير الممكن بل من المستحيل نقل البحر بالغرابيل كذلك أمر خيانته التي قرنها بهذا النقل الذي لا يمكن تحقيقه.

ويبين وفاءه لها وأهمية رضاها عليه، بقوله:

لـو كَفِّـيَ اليُمنـى سَـأَتكِ قَطعتُهـا … ولذُقتُ، بعد رضاكِ، عيشَ الأجذمِ[٨٠]

وقد خصَّ الشاعر يده اليمنى لأهميتها له إذ من الواضح أن الشاعر يستعملها من دون يده اليسرى، ليوضح للمحبوبة صعوبة الأمر عليه ومع هذا كله يستطيع أن يعاني هذه المعاناة إن أغضبها يوماً ليحقق رضاها وإن عاش عيشة الأجذم.

فَرِضا المحبوبة هو ما يطلبه شاعر الغزل حتى إن خاطر بنفسه في مجاهل البحر ولاقى ما لاقى، فيقول يزيد بن الطثرية:

فلـو زُرْتُ مَلكـاً كنـتُ غيـر مخـاطر … وإن كنـتُ أدنـى واصـلا وأقـرَّبُ

ولـو أننـي لججتُ فـي البحرِ عائمـاً … علـى خطـرٍ فـي لُجـةٍ اتسَّـربُ

لكنـتُ علـى ودَّيـك فيمـا تسـومُني … مخاطرة في الناس من ذَينِ أعجبُ[٨١]

ويتكئ شاعر الغزل على المبالغة والغلو في إظهار المحبوبة في صورة المرأة المثال، إذ لا يكتفي بالمبالغة في صفاتها الحسية وإنّما يتعدى ذلك إلى صفاتها المعنوية، فيمحو منها أي عيب خَلقي كما مر بنا في الشواهد الشعرية التي ذكرناها مع الصفات الحسية، أو خُلقي كما في قول يزيد بن الطثرية:

أليسـتْ أُعطيـت فـي حُسـنِ خُلـقٍ … كمـا شـاءت وجُنَّبَـتِ العيوبـا[٨٢]

فالمحبوبة على هذه الأخلاق التي تمنعها من أن تُريه الود حتى تبلغ يداه النجم، مؤكداً استحالة الأمر الذي لا يمكن حدوثه، فيصف العرجي تمنّعها بقوله:

لـنْ نُريـكَ الـودَّ حتَّـى … تَبلُـغَ الـنَّجْمِ يَـداكا[٨٣]

لذا يكون تأثير المحبوبة شديداً فيه، فيقول ذو الرمة:

وكنـتُ أرى مـن وجـهِ مَيَّـةَ لَمحَـةً … فـأَبرَقُ مَغشـيّاً عَلـيَّ مَكانيَـا

وأَسـمعُ منهـا نَبـأةً فَكأنَّمـا … أصـابَ بِهـا سَـهمٌ طَريـرٌ فُؤاديـا

.... … ....

هـي السِـحرُ إلاَّ أَنَّ للسـحرِ رُقيـةً … وأَنَّـي لا أَلقَـى لِمـا بِـيَ رَاقيـا[٨٤]

ونلحظ أحياناً دمجاً للصفات الحسية والمعنوية، ممّا يدل تأكيد إحساس شاعر الغزل تجاه محبوبته وشغفه بها حتى أنه لا يرى لها شبيها في البشر، فيقول عمر بن أبي ربيعة:

تِلْكَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا   فِي النَّاسِ شِبهاً بَشَرُ[٨٥]

فالشاعر هنا لم يحدد تميز محبوبته من البشر، أبالصفات المعنوية أم بالصفات الحسية؟ فنلتمس له العذر في عدم التحديد لأنه حائر ومرتبك في أي الصفات تميزها لذا لجأ إلى هذا الإعمام.

نخلص مما تقدم أن شاعر الغزل في العصر الأموي سار بالمبالغة والغلو في اتجاهين: الأول، الاتجاه الحسي متمثلاً بما أورده من الصفات الحسية التي بالغ بها ولاسيما رقة جلد المحبوبة الذي يتأثر بأرق الأشياء ألا وهو الحرير، وفضيض الماء، وأقساها (الذر)، ونحن إذا ما تتبعنا سير هذه المبالغات نجد التفاوت واضحاً فيما بينها، فبعضها لا يمكن استساغته أو تصديق وقوعه كما في تأثير الحرير الذي يدمي الجلد، وبعضها الآخر بان تأثيره واتضح في المتلقي إذ يمكن حدوثه كما في تأثير الذر على جلد المحبوبة، والشاعر حينما بيّن رقة جلدها بهذه المبالغة إنّما أراد صيد ما هو معنوي (ترف المحبوبة وتنعمها) بشبكة ما هو حسي (رقة جلدها) الذي هو نتيجة حاصلة من نتائج الدلال والترف والغنى؛ فالمحبوبة من النساء المخدومات التي لا تحتاج إلى العمل الذي يخشن الجلد معه، ومثله وصف ثقل الأرداف والمبالغة في ما تسببه من بترٍ وتعب للمحبوبة فهو أيضاً بسبب الترف الذي تعيشه، ومبالغته بمدى تأثير حديثها وابتسامتها في لقمان الحكيم، والراهب المتعبد، وإياب المنخل، والوعول الجبلية، وقد اتكأ شاعر الغزل في هذه المبالغات على عدة مرجعيات صورية نشّطت مبالغاته وحسّنت من أداء المعنى وزادتْ من قوته، ولاسيما حين أورد لنا الموروث الديني باسناده التأثير بشخصية كل من (لقمان الحكيم، والراهب المتعبد)، والموروث

الحضاري بإيراده المثل بشخصية عربية (إياب المنخل)، وعامل الطبيعة المتحركة (انزال الوعول من حصنها في الجبل).

أما الاتجاه الثاني الذي سار فيه شاعر الغزل في العصر الأموي فهو الاتجاه المعنوي، فقد اتخذ المبالغة فيه موصلاً جيداً لبث مشاعره وأحاسيسه تجاه المحبوبة، فشكا الوجد والجفاء وبكى الفراق والبين، وطلب الود واللقاء، فأنزل هذه المعاني جميعها في مجال مبالغاته ليستطيع أن يُقنع المتلقي بما عانى وكابد من الآلام التي سببتها له المحبوبة، فاختلت عنده المقاييس الطبيعية للمرض والشفاء فلا يعرف متى يمرض ومتى يُشفى، واختلف الزمن عليه فلا يُدرك أهذا يوم أم شهر الذي يعيشه ؟ وهذه الأمور كلها متعلقة برضا المحبوبة أو غضبها، وقد ينأى شعراء الغزل بأنفسهم عن تحديد الصفات الحسية أو المعنوية في مبالغاتهم فيجمعون بينها تمييزاً لهذه المحبوبة من الآخرين.

قائمة الهوامش:

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: ١/١.

(٢) تهذيب اللغة: مادة (بلغ).

(٣) لسان العرب: مادة (بلغ).

(٤) تهذيب اللغة: مادة (غلا).

(٥) لسان العرب: مادة (غلا).

(٦) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٦٤/١، ٤٩٣.

(٧) ينظر: البيان والتبيين: ٧/١.

(٨) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٢٧.

(٩) نقد الشعر: ٢٠٢.

(١٠) الصناعتين: ١٢٩.

(١١) المصدر نفسه: ٣٥٧.

(١٢) اعجاز القرآن: ٤١٤.

(١٣) عيار الشعر: ٤٧، ٨٦، ٨٨.

(١٤) شرح ديوانه: ١٣٢، خَوْدٌ: الفتاة الحسنة الخلق الشابة؛ وينظر: قوله في ص١٧٥ بالمعنى نفسه.

(١٥) عيار الشعر: ٢٣.

(١٦) شرح ديوانه: ١٣٣، عوارضها: جانبا وجهها.

(١٧) المصدر نفسه: ١٣٩، البسر: الماء.

(١٨) المصدر نفسه: ١٤٢.

(١٩) المصدر نفسه: ١٧٥، تنو: اصل الفعل تنوء: أي تنهض بجهد، يؤوده: يبلغ منه، البُهرُ: انقطاع النفس والتعب.

(٢٠) ديوانه: ١٧٢.

(٢١) شرح أشعار الهذليين: ٩٥٤.

(٢٢) ديوانه: ١٠١.

(٢٣) شرح ديوانه: ١٣٧، القرقر: ثياب المرأة، البشر: جلدها.

(٢٤) ينظر: حياة الحيوان الكبرى: ٣٦٦/٢.

(٢٥) ديوانه: ١٤٥.

(٢٦) شعر الأحوص بن محمد الأنصاري: ٨٧.

(٢٧) شرح ديوانه: ٣٣٦.

(٢٨) ينظر: بحث دلالة الحيوان في شعر الغزل في العصر الأموي.

(٢٩) ديوانه: ٧٦.

(٣٠) ديوانه: ١٦٧.

(٣١) قيس ولبنى: ٨٣.

(٣٢) نفسه: ٨٣.

(٣٣) شرح ديوانه: ١٤٧، وينظر قوله ص٣٠١:

وَجْهُكِ الوَجهُ لو بهِ تَسألُ المُزْ
نَ، مِنَ الحُسْنِ والجَمَالِ، استَهَلا

أراد أن الدعاء إلى الله بوجهها، أن يمطر السحاب، مستجاب، كناية عن جمالها الرائع.

(٣٤) المصدر نفسه: ١٥٩، السُنة: الوجه.

(٣٥) ينظر: الصورة الشعرية في شعر الغزل العذري في العصر الأموي: ١٠٤–١٠٥.

(٣٦) شرح ديوانه: ١٧٥.

(٣٧) ينظر: نقد الشعر: ٢٠٢.

(٣٨) شرح ديوانه: ١٧٧، تستأنيه: تتثبته.

(٣٩) ديوانه: ٤٤٢.

(٤٠) العمدة: ٢/٦٤.

(٤١) شرح أشعار الهذليين: ٩٥٧.

(٤٢) ديوانه: ٢٠٢.

(٤٣) قيس ولبنى: ١٣٩.

(٤٤) ينظر مثل هذه الاستعمالات على سبيل المثال لا الحصر: ديوان العرجي: ٨، ٤٤، ٨٨؛ وشرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١٩٣.

(٤٥) شعر الأحوص: ٧٣.

(٤٦) ديوانه: ٨٣، هجان: بيض، مغرب: شديد البياض.

(٤٧) المصدر نفسه: ٢٦٤، العواقل: وعول قد اعتقلت في الجبال، الرغاث: المرضعات، الأروى: الاناث من الوعول، الغفر: أولاد الوعول.

(٤٨) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: ديوان كثير عزة: ١٦٠؛ ديوان مجنون ليلى: ٧٦.

(٤٩) ينظر: الصورة الشعرية في شعر الغزل العذري في العصر الأموي: ١٢٨.

(٥٠) شرح ديوانه: ٣٥٥، العصم: الوعول التي تعتصم في أعلى الجبال.

(٥١) ديوانه: ٢٠٢.

(٥٢) البقرة: ١٠٢.

(٥٣) ديوانه: ٢٠٢.

(٥٤) القدر: ٣.

(٥٥) ديوانه: ١٠٤.

(٥٦) ديوانه: ٣٩٢، برق: تحيّر. قال تعالى: ﴿فإذا برق البصر﴾ أي إذا دهش وتحيّر، سافراً (استغناء عن تأنيث الصفة) تعني المرأة إذا ألقت عنها نقابها أو برقعاً يكون على وجهها.

(٥٧) ديوانه: ٤٤١-٤٤٢.

(٥٨) المصدر نفسه: ٥٣١، الفادر: العظيم؛ ينظر: لسان العرب: مادة (فدر).

(٥٩) ديوانه: ٤٩، الأشمط: الذي يخالط سواد شعره بياض.

(٦٠) نقد الشعر: ١٤٦.

(٦١) ينظر: كتاب البديع: ٦٥.

(٦٢) المنخل رجل في الزمن الأول وهو القارض العنزي سار يطلب القرض فلم يرجع إلى اليوم، فيقال (حتى يؤوب المنخل) فراح يُضرب مثلاً يتمثل به في اليأس عن الشيء. جمهرة الأمثال: ١/٣٦١؛ وينظر: مجمع الأمثال: ١/٢١١.

(٦٣) ديوانه: ٥٠٩، تقارب: أي تقارب في القول حتى تطمع صاحب الصبي.

(٦٤) ديوانه: ١٨.

(٦٥) ينظر: المصدر نفسه على سبيل المثال لا الحصر: ٣٧، ٤٠.

(٦٦) شرح ديوانه: ٤٠٢، ما بين كعبي إلى قرني: أي من قدمي إلى رأسي.

(٦٧) المصدر نفسه: ٢٨.

(٦٨) المصدر نفسه: ٢٧٨، كان من زعم العرب أن الواحد منهم، إذا خدرت رجله يكثر من ذكر أحب الناس إليه فيذهب عنه الخدر. فهذه العبارة تعني أنها أحبّ الناس إليه، وينظر قوله: ٢٨٠ في المعنى نفسه.

(٦٩) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: شعر يزيد بن الطثرية: ٥٤.

(٧٠) المصدر نفسه: ٣٨٤، أدنفت: مرضت، أصبت: سمعت.

(٧١) شعر يزيد بن الطثرية: ٥٤، يضرب المثل بالقصر بإبهام القطا؛ ينظر في ذلك بحثنا دلالة الحيوان في شعر الغزل في العصر الأموي: ٤٤٩.

(٧٢) شرح ديوانه: ١٩٩.

(٧٣) المصدر نفسه: ١٧٥.

(٧٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٦.

(٧٥) المصدر نفسه: ٢٥٩.

(٧٦) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: ديوان مجنون ليلى: ١٠٥، ١٧٤، ٢٣٩ – ٢٤٠؛ وديوان كثير عزة: ١١٤، ٤٠٣، ٤٦٦ – ٤٦٧.

(٧٧) يوانه: ١٦٦–١٦٧، العِداد: العطاء، اطرادها: جريانها، رضوى: جبل ضخم من جبال تهامة.

(٧٨) ديوانه: ٧١.

(٧٩) شرح ديوانه: ٣٠٢.

(٨٠) المصدر نفسه: ٣٤٨.

(٨١) شعر يزيد بن الطثرية: ١٧.

(٨٢) المصدر نفسه: ٢٠.

(٨٣) ديوانه: ٦٣.

(٨٤) ديوانه: ٦٥٢–٦٥٣.

(٨٥) شرح ديوانه: ١٨٩.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم.

١– إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧١م.

٢– البديع في نقد الشعر: اسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، تحقيق: احمد بدوي وحامد عبدالحميد، الادارة العامة للثقافة، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣– البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م.

٤– تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٥٤م.

٥– تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، راجعه: محمد علي النجار، دار الصادق للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٦– جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، طبع: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٧– ديوان جميل شاعر الحب العُذري: تحقيق: د. حسين نصار، الناشر مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

٨– ديوان شعر ذي الرمة: وهو غيلان بن عقبة العَدَويّ، عُني بتصحيحه وتنقيحه: كارليل هنري هيس مكارتي، طبع على نفقة جامعة كمبريج في مطبعة الكلية، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م.

٩- ديوان العرجـي: روايـة أبـي الفـتح الشـيخ عثمـان بـن جنـي (ت٣٩٢هـ)، شـرحه وحققـه: خضـر الطـائي ورشـيد العبيـدي، الشـركة الاسـلامية للطباعـة والنشـر المحدودة – بغداد، ط١، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

١٠- ديوان كثير عزة، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.

١١- ديوان مجنون ليلى، تحقيق: عبدالستار احمد فرّاج، الناشر مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

١٢- شـرح أشـعار الهـذليين: صـنعة أبـي سـعيد الحسـن بـن الحسـين السـكري (ت٢٧٥هـ)، رواية: أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي، عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني، عن السكري، تحقيق: عبدالستار احمد فرّاج، راجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ت.

١٣- شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة (٩٣هـ)، شرحه وقدّم له: عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٤- شـعر الأحـوص بـن محمـد الانصـاري، جمـع وتحقيـق: د. ابـراهيم السـامرائي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

١٥- شـعر يزيـد بـن الطثريـة، صـنعة: حـاتم صـالح الضـامن، دار التربيـة للطباعـة والنشر والتوزيع، ساعدت وزارة الاعلام على نشره، مطبعة أسعد، بغداد، د.ت.

١٦- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلاّم الجمحي (ت٢٣١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤م.

١٧- العمـدة فـي محاسـن الشـعر وآدابـه ونقده: أبـو علـي الحسـن بـن رشـيق القيروانـي (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

١٨- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، د. ت.

١٩- قيس ولبنى شعر ودراسة، تحقيق: د. حسين نصّار، الناشر مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

٢٠- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٢م.

٢١- كشـاف اصـطلاحات الفنـون: محمـد علـي الفـاروقي التهـانوي (ت١١٨٥هـ)، تحقيـق: لطفـي عبدالبـديع، مراجعـة أمـين الخـولي، المؤسسـة المصـرية العامـة للتأليف والترجمة، ١٩٦٣م.

٢٢- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٣- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، طبع دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٢٤- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.

الرسائل والاطاريح الجامعية:

٢٥- الصورة الشعرية في شعر الغزل العذري في العصر الاموي: دلال هاشم كريم، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الدوريات:

٢٦- مجلة العلوم الانسانية – جامعة تكريت بحث (دلالة الحيوان في شعر الغزل فـي العصـر الأمـوي) د. دلال هاشـم كريم، المجلد (١٧)، العدد (٤)، نيسـان ٢٠١٠م.

Abstract

Titel: Amplification and extravagance in Yarn Poehy in the Amawayan age.

This research deals with the linguistic and idiomatic denotation for Amplification and extravagance vocabulan'es. Then it studies these two vocabulan'es in the sensitive and moral characteristics for the ladylove.

This obtains several results , the most important of them is the yarn poet's focus in his amplifications on the sensitive characferistcs, that they are mentioned more then moral ones – as it is explained in the research. The's research concerns with a specific number of yarn pests in the Amawayan age with their different presences.

This conclusion of this research contaions the main points of this topic. One of them is that the poet has explained the description of the ideal woman (ladylove) very through his amplifications in her moral and sensitive characteristics, besides the extravagance which has less effect in the recipieut in contrast with the extravagance that is preceded by Such words like (abont kada), as world.

وظائف الشعر عند المبرد
في كتابه الكامل في اللغة والأدب

م. د. مريم محمد جاسم المجمعي
جامعـة تكريـت / كليـة التربيـة / قسـم اللغـة العربيـة

ملخص باللغة العربية

اتجهت بعض الدراسات النقدية إلى بيان وظائف الشعر في مراحل زمنية محددة، واستكمالا لهذه الدراسات فأنَّ هذا البحث يقوم ببيان هذه الوظائف من خلال كتاب (الكامل في اللغة والأدب) لما لهذا الكتاب من أهمية في الدراسات الأدبية واللغوية،وبعد رصد عام وشامل للكتاب في جزئيه حددت الوظائف باللغوية والتكسبية، والانفعالية،والسلوكية، والأخلاقية فضلا عن وظائف أخرى اجتهدنا في تسميتها تمثلت بالتعريفية، والعلمية، والدينية، ووجدنا أنَّ الوظيفة اللغوية هي الأبرز والأكثر في الكتاب تلتها التكسبية ثم الأخلاقية وقد جسدت هذه الوظائف العلاقة بين القائل والمتلقي من جهة وبين النص والمتلقي من جهة أخرى، تلك العلاقة المستمرة مااستمر الشاعر في الإنتاج والمتلقي في استقبال القول بفهم وإدراك وتأمل.

لما كان الشعر الصوت المعبرعن مكنونات النفس ومحسوساتها وعن كل ماتثيره الأشياء الحية والجامدة في الشاعر فإن منطلق الشعر لابد من أن يكون مقصودا، ولابد من أن تعبر هذه المقاصد عن وظائف عامة أو خاصة وإلا مافائدة مايقال إلاّ إذا كان الشعر فنا خاصا، ومع كثرة ماقدم للمكتبة العربية من رصد لهذه القضية فالسعي لكشفها في كتب خاصة ومهمة مثل كتاب(الكامل في اللغة والأدب) للمبرد يعطي للدراسة شيئا من الحضور والجدية، متخذين من السياق القولي، وسببه منحى معبرا عن الوظيفة فضلا عما تحمله حكاية القول وماتثيره في نفس المتلقي من مشاعر وأحاسيس، وهو اجتهاد شخصي استنباطي؛ لأنَّ طبيعة المتحدث(المبرد) لايصرح بالوظيفة وإنَّما نتلمسها تلمساً.

فالشاعر عندما يتحدثُ لايتحدث بمنطلق فني بحت وإنما يسعى أيضا إلى نقل تصورات وحقائق إلى معلوم وأحيانا إلى مجهول يمثل صدق الرؤية الشعرية عنده، لذا فالشعر قد ينطلق بعيدا دون محددات زمانية أو مكانية (عالمية الشعر) ليترجم بأكثر من لغة،وقد يقيد بمكان محدد لايتعدى قائله، وإنما تتلمس هذه الأشياء بفعل محددات نصية، متمثلة باختلاف النصوص وحوادثها، وصورها،وبفعل شعبيتها(القرّاء)، ولكن لابد من أن تؤسس لبيان وظيفة محددة؛ لأنَّ الشاعر عالم حضوري يستلهم وجوده من التواصل بين الأشياء.

وسيكون البحث مقسما تبعا للوظائف المستنبطة، وهذا لايعني أنّ مسميات الوظيفة مبتكرة فقد تكون متداولة ولكن جديتها في أنَّها منبثقة مما وقع في كتاب المبرد (الكامل) الذي استطاع أن يثير عقول العلماء والمفكرين حتى قيل فيه: (سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنَّ أصول فن الأدب وأركانه أربعة وهي كتاب الكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وماسوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها)[1] فهو قد جمع فيه

كل شيء أحكمه، ومن كل قول أفصحه وأبلغه، دلالة على رفعة الذوق وعمق المعرفة، وهو يعدُ من أهم كتب أصول فن الأدب وأركانه، جعل الشعر من أبرز النصوص الحاضرة فيه، وقد وظّفه في بيان المعاني وفي تقوية دلالة أو بيان أسلوب أو تأييد حادثة، فضلا عن وظائف أخرى. وعلى النحو الآتي:

أولا: **الوظيفة اللغوية**.

اتخذت المقام الأول في الكتاب إذ وظّف المبرد الشعر لكل مايقوي رأيا لغويا أو قاعدة (صرفية أو نحوية) أو غير ذلك وما أبان من لفظ إلاّ وقواه ببيت شعر حتى وإن كان اللفظ قد استعمل في القرآن الكريم، وعلى ماشاع عند اللغويين ففي بيان لفظ (نضيد) في قوله تعالى:(لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ))[2] قال: أي: ضممت الشيء إلى بعضه، ومنه نضدت المتاع، وهو ما نُضِد في البيت من متاع، قال النابغة[3]:

ورَفَّعَتهُ إلى السَّجْفَيْنِ فَالنَضدِ[4]

وفي بيان دلالة قال المبرد: (ويقال للمائل برأسه كبرًا:مُتشاوسٌ،وثاني عِطفهِ، وثاني جيده، إنَّما هذا كله من الكبرياء.قال الله عز وجل: (ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)[5] وقال الشماخ (يهجو الرُبيْعَ بن عَلياء االسُلَميَّ)[6]

نُبِّئْتُ أنّ ربُيَعاً أنْ رَعى إبلا ... يُهدي إلي خَناهُ ثانيَ الجِيدِ[7]

ومن ذلك قوله: (فالزُبْيَةُ مصيدة الأسد، ولاتتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة، قال الطرماح[8]:

يا طَيِءَ السَهْلِ والأجْبَالِ موعِدُكمْ ... كمبْتَغي الصيْدِ أعلى زُبْيَةَ الأسَدِ[9]

ومن المستعمل الصرفي والنحوي، ماورد في بيان كلمة (مُسَوِّمِينَ) أي: مُعْلِمينَ واشتقاقه من السّيما...، ومن قال: (سيما) قصر ويقال في هذا المعنى: (سيمياء) ممدودة قال الشاعر (وهو ابن عنقاء الفزاري في عُميلة الفزاري)[10]:

غلامٌ رمَاهُ الله بالحسْنِ يافعاً ... لهُ سيمياءُ لاتشُقُّ على البصَرْ[11]

وهي من الوظائف المهمة للغة إذ إن الشعر يحفظها فهو وعاؤها الثر، فالشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ويمدون المقصور، ويقدمّون ويؤخرون، ويومئون ويشيرون[١٢] ونحوه ماورد في قصر (البقاء) في الضرورة كقول الشاعر:

يسُرُّ الفتى طولُ السلامة والبقا　　　فكيفَ يرى طول السلامةِ يفعَلُ؟

وللشاعر إذا اضطر أن يقصر الممدود[١٣] على أنّ المبرد لم يجز للشاعر أن يمد المقصور إذ قال: (وذلك إن الممدود قبل آخره ألف زائدة، فإذا احتاج حذفها، ورد الشيء إلى أصله، فلو مد المقصور لكان زائدا في الشيء ماليس منه)[١٤] قال علي ابن حمزة: (إن بيت النمر روايته (طول السلامة والغنى) ثم قال: هذا من فعل المبرد غير مستنكر، لأنه ربما ركب هذا المذهب الذي يخالف فيه أهل العربية واحتاج إلى نصرته فغير له الشعر واحتج به)[١٥] ويستدل بأقوالهم على بناء قاعدة أو تهديم أخرى من ذلك ماجاء كثيرا على لسان الفرزدق[١٦]:

وإذا الرجال رَأَوْا يزيدَ رأيتهُمْ　　　خُضُعَ الرّقابِ نَواكِسِ الأبصارِ

وفي استعمال نواكس مايستطرفه النحويون، وهو أنهم لايجمعون ماكان من (فاعل) نعتا على (فَوَاعِلَ) لئلا يلتبس بالمؤنث ... ولم يأت إلا في حرفين،أحدهما:في جمع فَارِس فَوَارِسْ؛ لانّ هذا مما لايستعمل في النساء،فأَمِنُوا الالتباس، ويقولون في المثل: هو هالك في الهوالِكِ فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال؛ لأنّهُ مَثَلٌ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال: (نواكس الأبصار) ولايكون مثل هذا إلا في ضرورة[١٧] وفيها خروج عن القاعدة، ولكن هذا لايمنع من البحث عن علة دلالية إذ إنَّ هؤلاء الرجال إذا مارأوا الممدوح يصبحون في حل من الذل والخنوع، أو كما عبر عنهم بقوله: (نواكس الأبصار) وتلك حال تعتري النساء حين يرين رجالا مثل يزيد في مهابته وجلاله فاجري على ذلك.

كما يجوز للشاعر إذا احتاج إلى قلب الهمزة قلبها،إن كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء، أو ساكنة جعلها على حركة ماقبلها، وإن كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفا، وإن كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء، وإن كان قبلها ضمة جعلها واوا[١٨] قال الفرزدق[١٩]:

رَامتْ بمَسْلمَةَ البغالُ عَشِيَّةً　　　فارْعى فَزارةُ لاهناكِ المرْتَعُ

وفي بيان قبح لفظ أو معنى قوله: ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ وابعد المعاني قول الفرزدق:

وما مثلُهُ في الناسِ إلاّ مُمَلَّكاً　　　أبو أُمِّهِ حَيّ أبوه يُقارِبُهْ[٢٠]

ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحا، إذ يقول: (ومامثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملك أبو أمّ هذا المملك أبو هذا الممدوح) فدل على أنَّه خاله بهذا اللفظ البعيد،وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير[٢١]

وقد يستخدم الشاعر التقاء الساكنين في وسط الكلام، وهي ظاهرة أشد ندرة في الشعر العربي وتنحصر في المتقارب، وكأن الشاعر نوى الوقوف على الجزء وإلا فالجمع بين ساكنين لم يسمع به في حشو بيت، وهذه من غرائب المتقارب، ولاتكاد تقبل من الشعر في وسط البيت اللهم إلا في جزء القافية وإذا استطاع الشاعر أن ينأى بنفسه عنها فلينأ حتى لايعرض نفسه لانتقاد أحد[٢٢] وعليه قول الشاعر:

فذاكَ القِصاصُ وكان التَّقا　　　صّ فرْضاً وحتْماً على المُسلمينا

ولو قال: (وكان القصاص فرضا) كان أجود وأحسن، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض، ولانظير له في غيرها من الأعاريض[٢٣]. وفي بيان بعض مااستعمل من دلالة بعض الألفاظ التي لم تسبق ولم تستعمل قبله استدل بقول الطِرِمَّاحُ[٢٤]

سوفُ تُدنيكَ من لَميسِ سَبَنْدا　　　ةُ أمارَتْ بالبول ماءَ الكِراضِ

نَضَّجَتْهُ عِشرين يوماً ونيلَتْ　　　حينَ نيلتْ يعَارةٍ في عِراضِ

زعم الأصمعي أن (الكراض) حَلَقُ الرَحِمِ قال: ولم أسمعه إلا في هذا الشعر[٢٥] والكراض جمع لاواحد له فيجوز أن يكون الطرماح قد أراد بالكراض حلق الرحم،ويجوز أن يريد به الماء فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه قال ابن بري: الكراض في شعر الطرماح ماء الفحل، قال: فيكون على هذا القول من باب إضافة الشيء إلى نفسه مثل عرق النسا وحب الحصيد قال: (والأجود قول الأصمعي،ليسلم من إضافة الشيء إلى نفسه، وصف هذه الناقة بالقوة، لأنها إذا لم تحمل كان أقوى لها)[٢٦] فمعرفة الشاعر باللغة تدل على ذكائه وحسن تخيره الألفاظ واستخدامها في مواضعها، كأنها عقد لايصح إبدال حباته بعضها مكان بعضٍ وفي تمكن الشاعر وحسن ظنه بمتلقيه تجده يلجأ للتأويل دون التصريح وهو ماأجازه العلماء للشاعر فللشعراء أن يؤمئوا ولا يصرحوا من ذاك قول الفرزدق[٢٧]:

ضَرَبَتْ عليكَ العَنكبوتُ بنسُجِها وقَضى عليكَ به الكتابُ المُنزَل

فتأويله أن بيت جرير كالبيت الواهي الضعيف (وقضى عليك به الكتاب المنزل)، يريد به قول الله تبارك وتعالى: (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)[٢٨]، فلم يصرح وترك الأمر على مايتأوله القارئ[٢٩]

وقد يسهم الشعر بحفظ الأمثال والغرائب، التي يعتمدها اللغويون في بيان غرائب اللغة ولاسيما تلك التي ضمنها الشعراء في أشعارهم،نحو قول ابن جناء التميمي.

لا أقرَبُ البَيتَ أحبُو من مؤَخّرِهِ ولا أُكسِّرُ في ابن العَمِّ أظفاري

فقوله: (لاأقرب البيت أحبو من مؤخره) يقول: لا آتيه لريبة،وقوله:(ولا اكسر في ابن العم أظفاري) يقول: لااغتابه وهذا مثل، ومثله، قول الإعرابي من بني الحارث ابن كعب:

رَئِمتُ لسَلمى بَوَّ ضَيْمٍ وإنَّني قديماً لآبي الضَيْمِ وابنُ أباةِ

قوله: (رئمت لسلمى بوّ ضيم) فإنما هذا مَثلٌ، وأصله أنَّ الناقة إذا أُلْتَقَتْ سَقْبَها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حُوارٍ فحَشَوْهُ تبنا ولطخوه بشيء من سَلاها ثم حشوا أَنَفها بخرقة فتجد لذلك كَرْباً، ويقال للخرقة التي تُجعَلُ في أنفه: الغِمامةُ،ثم تُسلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحاً وترى ذلك البوَّ تحتها،وهو جلد الحُوار المَحْشوّ، فتَرأمُهُ فإن دَرَّت عليه قيل: ناقة درورٌ... فينتفع بلبنها[٣٠] ومثل ذلك كثير في الشعر يأتي به الشاعر لإيقاع يسهل حفظه ويزيد أثره في النفس، فيثبت بلفظه ومعناه في ذهن السامع من البيت الشعري فيكون أعلق بذاكرته[٣١]

ثانيا:الوظيفة الكسبية.أو التكسبية.

اتخذ بعض الشعراء الشعر بابا لرزقه يتكسب به، فيمدح الملوك والخلفاء والأمراء والقضاة والتجار وكل من يجد العطاء منه فيلبس الممدوح حلل الكلام وأفنان القول ودرر المعاني وأبلغ الصور حتى يكون العطاء جزلا، والمنح أعظم،قال عمر رضي الله عنه: (من أفضل ماأُعطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقدّمُها الرجلُ أمام حاجتهِ،فيستعطفُ بها الكريم ويستنزل بها اللئيم)[٣٢] وفي سبيل ذلك قد يلجأ إلى المبالغة في التصوير، توصله أحيانا إلى الكذب فيكون مثار نقد وازدراء قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)[٣٣]، وهذا لايضعف من قيمته الجمالية في المنظور النقدي الفني، وإنما يتم تشويه الهدف منه ولاسيما عندما يصبح المال قضية الشاعر، فالشعر في الأساس خطاب جمالي راق، يعبر فيه الشاعر عن اهتماماته وهواجسه وغير ذلك على نحو فريد واستثنائي، وهذا لايعني أن الشاعرلايعطي ممدوحه شيئا بل إنّ مايقوله قد يبقى محفورا في الذاكرة خلاف مايعطيه الممدوح للشاعر، قال معاوية لابن الأشعث بن قيس: ماكان جدُّك قيس بن معدي كرِبَ أعطى الأعشى؟ فقال: أعطاه مالاً وظهرا ورفيقاً وأشياء أنسيتها، فقال معاوية: مأعطاكم الأعشى لايُنسى.

وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لابنة هَرَمٍ بن سنان المرّي:ماوهب أبوكِ لزهير؟ فقالت:أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدهر.فقال عمر: لكن ماأعطاكموه لايُفنيه الدهر[٣٤] فقيمة الشعر بوصفه كلاما خالدا باقيا عبر العصور خلافا للمال والهدايا.

ويمكن أن نتحسس كذلك القيمة الجمالية إذ لايمكن أن يُدر المال أوتُهب العطايا من دون أن يثير القول لدى الممدوح إعجابا، فيكون الجزاء بقدر مايؤثر في الممدوح فأبو البَخْتَريّ (بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وهْب بن وَهْب، كان من أجود الناس،وكان إذا سمع مدْحَ المادِح ضحك وسَرى السُرورُ في جوانحه، وأعطى وزاد) فأتاه شاعراً فمدحه:

لِكُلِّ أخي فَضْلٍ نصيبٌ من العُلا وَرأس العُلا طرّا عَقيدُ النّدى وَهبُ[٣٥]

فثنى له الوسادة، وهش إليه ورفده، وحملهُ وأضافهُ.

وقد يبالغ الممدوح بالعطاء فهذا نُصِّيب امتدح عبدا لله بن جعفر، فأمر له بخيل وإبلٍ وأثاث ودنانير ودراهم، فقال له رجل: أَمِثْلُ هذا الأسود يعطى مثل هذا المال؟ فقال له عبدا لله بن جعفر: إن كان أسود، فأنّ شعره لأبْيَضُ، وإنّ ثناءه لعربيّ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال. وهل أعطيناه إلاثياباً تبلى، ومالاً يَفنى،ومطايا تُنضى،وأعطانا مدحا يُروى، وثناءً يبقى[٣٦] فـ(أنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح وأبقاها أثراً وأحسنها ذكراً: أن يكون المديح صدقا، وللظاهر من حال الممدوح موافقا، وبه لائقا، حتى لايكون من المعبر عنه الواصف له إلا الإشارة إليه والتنبيه عنه)[٣٧].

فما تغني مكسبة الشاعر مقولته عندئذ، بل إن مكسبة الممدوح أعظم، ولمعرفة الخلفاء بذلك فأنهم يجزلون العطاء؛ لأنَّ لسانا مادحا قد يكون ذاما، فسُمعَ أنّ أبا العتاهية قد أهدى الخليفة المَهديّ في النيروز والمهرجان بَرْنيّة ضخمة،فيها ثوب ناعم مُطَيَّبٌ، قد كَتَبَ في حواشيه:

نفسي بشيء من الدنيا معلَّقةٌ اللهُ والقائمُ المهديُّ يَكفيها

إني للأَيْئَسُ منها ثم يُطْمِعُني فيها احتِقَارُكَ للدّنيا وما فيها

فهمّ بدفع عُتْبةَ إليه، فجَزِعَتْ، وقالت: ياأميرالمؤمنين،حُرمتي وخدمتي، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر، بائع جرار، ومكتسب بالعشق؟ فأعفاها، وقال: إملؤا هذه البرنية مالاً[٣٨]، فكان عِظم العطاء لعظم القول.

ثالثا: الوظيفة الانفعالية التأثيرية(النفسية).

الشعر أقوال يلقيها الشاعر فينزلها منازل أخرى،يتلقاها المتلقي ليبعث فيها روحا جديدة تمزج بما تثيره فيه من انفعالات داخلية تتناسب مع عمق الإحساس والتوافق بين رؤية القائل والمتلقي، فضلا عما تحدثه من استجابات فنية تحرك مخيلته وتبعث في نفسه تصورات مستوحاة من أفكار الشاعر ومعانيه وهي من الوظائف المهمة في الخطاب الشعري، لكونها ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب العاطفي والانفعالي والوجداني الذي يؤسس للشعر، ولايمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان الشاعر يملك المهارة الإبداعية والقدرة على احتواء المتلقي والتأثير فيه، وإحداث نوع من التواصل وكأن النص قد أُنشأ ليلاءم الحالة التي هو عليها، ولايمكن التحسس بذلك إلا من خلال النظر لرد فعل المتلقي سواء أ كان سلبا أم إيجابا، فقد تهيج المصائب في شخصٍ الحزن فيتذكر مايؤنسه ويسليه، قال أبو العباس المبرد: قال أبو بكر بن عياش نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمة[٣٩]:

لعلّ انحدارَ الدّمع يُعقِبُ راحَةً من الوجدِ أو يَشفي نَجِيّ البلابلِ

فخلوت فبكيت فسلوت[٤٠] فجلا حزنه ودفع عن نفسه حرقتها وكأنّ حاله حال الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان يردد عند وفاة ابنه أيوب(إني لأجدُ في كبدي جَمرة لاتطفئها إلا عبرةٌ)[٤١] ومما يسكن من وجد المبتلى أن يرى ذو البلاء من به

مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه،مما يطمئن النفس ويدفعها إلى القول فهذه الخنساء قد آلمها مصابها بصخر ومعاوية فرأت من الباكين مايسكن حالها(٤٢)

فلولا كثرةُ الباكين حـــولي   على إخْوانِهِمْ لقتَلْتُ نفسي

وما يبكونَ مثل أخي ولكن   أُعزّي النفْسَ عنه بالتأسّي

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشَمْس صَخْراً   وأذكرُهُ لكُلِّ غُروبِ شَمْسِ

فأذكره من أول النهار للغارة وفي آخره للضيفان(٤٣) وهي من أجمل الصور التي عبرت عن مأساة الأخ بأخيها ولشدة حزنها على صخر نسيت أخا كانت تندبه قبل صخر إلا وهو معاوية(٤٤)، فأصبح شعرها تسلو به حال المصاب ونفسه.

وقد تندفع النفوس إلى تذكر كل مايطمئنها ويبعد عنها الأحزان أو يقلل من شدتها فهذا الحجاج بن يوسف الثقفي يأتيه في يوم واحد خبر موت أخيه وموت ولده محمد، فأي بلاء وأي مصاب فلايكون معه إلا قول (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) مُحمّدٌ ومُحمّد في يوم واحدٍ:

حَسْبي بَقاءُ اللهِ من كل مَيّتٍ   وحَسْبي رجاءُ اللهِ من كل هالكِ

إذا كان ربُّ العَرْش عَنّي راضياً   فإنَّ شفاء النفس فيما هنالِكِ(٤٥)

وقال من يقول شعراً يُسَلّيني به؟ فقال الفرزدق (٤٦):

إنّ الرَزِيّةَ لا رَزِيةَ مثلُها   فُقْدانُ مثلِ محمدٍ ومحمدِ

مَلِكانِ قد خَلَتِ المنابرُ منهما   أخَذَ الحِمامُ عليهما بالمَرْصَدِ

فقال لو زدتني، فقال الفرزدق:(٤٧)

إنّي لباكٍ على ابْنَيْ يوسفٍ جَزَعاً   ومثلُ فقْدِهما للدّين يُبْكيني

ماسَدَّ حَيٌّ ولامَيْتٌ مسدَّهُما   إلا الخلائفَ من بعد النبيِّينِ

فقال له ماصنعت شيئا، إنما زدت في حُزني، فقال الفرزدق(٤٨)

لئِنْ جَزِعَ الحَجّاجُ ما من مصيبةٍ   تكون لمحزونٍ أجَلّ وأوجعا

من المُصْطَفى والمُصطفى من خيارهم   جناحَيْهِ لما فارقاه فوَدّعا

أخٌ كان أغْنى أيمَـــنَ الأرضِ كلّـــهُ   وأغنى ابْنُهُ أهلَ العِراقَيْن أجمعا

جَناحا عُقـــابٍ فارَقَاهُ كِلاهُـــما   ولو نُزِعا من غيره لتَضَعْضَعَا

فقال الآن(٤٩) فقد حرك دفائن القلب،وأمتع في الخلوة، وآنس في الوحشة، فقد استطاعت أبيات الفرزدق أن تلامس الشعور النفسي للحجاج، ومازال الحجاج يستزيد ليستنزف حزنه وألمه، وليحاكي نفسه ويحركها من انفعالها الحزني إلى انفعال آخر هو أقل حدّة مما كان عليه، وربما يكون هذا الانفعال هرباً من الواقع الأليم الذي حلّ بهِ.

وقد يغير الشعر أو سماعه أو التغني به الحال من الفقر إلى الغنى ومن الجوع إلى الشبع ومن الكسل إلى النشاط ومن العطش إلى الارتواء على سبيل المجاز، فمما قيل إن عبدا اسود سُمع وهو يغني، فطلب منه أن يعيده، فقال (والله لو كان عندي قرى أقريك مافعلت، ولكني أجعله قراك، فإنّي بما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى، ثم انبرى يغنيني:

وكنتُ إذا مازُرْتُ سُعْدَى بأرضها   أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويَدْنو بعيدُها

من الخَفِرات البيض وَدَّ جليسُها   إذا ماقَضَتْ أُحْدوثةً لو تُعيدُها

وبعده:

تُحلِّلُ أَحقادي إذا مالقيتُها   وتَبْقى بلا ذنب عليَّ حُقودُها

وكيف تُحِبُّ القلبُ مَنْ لا يُحِبُّهُ   بَلى قد تريد النفسُ مَن لا يريدها

فقال من سمعها، فحفظتهُ ثم تغنيت بها على الحالات التي وصف، فإذا ما هو ذكر(٥٠) ولولا جمال الصورة، وعذوبتها، وجودتها ماردها السامع، فضلا عن صدق المعنى والشعور الذي يعبر عنه، فإذا (ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث

السحر، وأخفى دبيبا من الرّقى وأشد إطرابا من الغناء، فسلّ السخائم، وحللّ العقد، وسخي الشحيح، وشجّع الجبان)[٥١] وبمثل هذا تأثر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأقوالٍ قالها متمم بن نُوَيْرَةَ اليربوعي في حق أخيه مالك:[٥٢]

نِعم القَتيلُ إذا الريـــاحُ تَناوَحــــتْ — خَلْفَ البيوت قَتَلْتَ يا بن الأَزْوَرِ

ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرْعِ كنتَ وحاسراً — ولنعم مَأْوَى الطارِقِ المُتَنَوَّرِ

أَدَعوْتَهُ بالله ثم غـــــرَرْتَــــهُ — لو هُو دعاكَ بذِمَّةٍ لم يَغْدِرِ

ثم أتم شعره فقال:

لا يُمْسِكُ الفحشاءَ تحت ثيابه — حُلْوٌ شَمائلُهُ عَفيف المئزَرِ

ثم بكى وانحط على سيةَ قوسه، وكان أعور دميما، فمازال يبكي حتى دمعت عينه العوراء، فقام إليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: لودِدْت أنَّي رثيت أخي زيدا بمثل مارثيت به مالكا أخاك، فقال : ياأبا حفص، والله لو علمت أنَّ أخي صار بحيث صار أخوك مارثيته، فقال عمر: ماعزّاني أحدٌ بمثل تعزيتك، وكان زيد بن الخطاب قُتل شهيدا يوم اليمامة،... ويروى أنَّ متمما رثى زيدا، فلم يُجد، فقال له عمر: لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا!،فقال:لأنه والله يحركني لمالك مالايحركني لزيد[٥٣]

فبناء القول وإدراك الجودة فيه مقيد بقدر مايثيره في نفس القائل،(يحركني... مالايحركني) والتحسس به من المتلقي بقدر مايثيره فيه أيضا (لم ترث زيدا كما رثيت مالكا) وهي من القضايا المهمة جدا في الإبداع الشعري، وفي عملية التوصيل للمتلقي، وهي قضية الإحساس بالشعر من المبدع والشاعر، ولاسيما في غرض الرثاء.

رابعا: الوظيفة السلوكية أو الأخلاقية.

العرب أمة فاخرت بأمجادها وأخلاقها، والشعر عندها لاينأى عن بيان كل مايجسد مناقبها، وأخلاقها، وصفاتها، وسلوكياتها ولاسيما في أوقات الحرب والسلم فالعربي مثلاً ينأى بنفسه عن الانغماس بملذات الدنيا وشهواتها ولاسيما في حال الحرب حتى يستقيم الأمر: (اليوم خمر وغدا أمر)[٥٤]، فالخلق الرفيع يمنع النفس، ويردها، وليس هذا مقتصرا على عامة الناس بل إن الخلفاء والأمراء يأخذون بها فهذا عبد الملك بن مروان وقد أهديت له جارية لم يُر مِثلُها قطٌّ، ذات وجهٍ جميل وخلقٍ نبيلٍ،وجسم يبهر من يراه، فلما هَمَّ بها أعلمه بوصول رسول الحجاج فأذن له بالدخول فأخبره بأبيات من الشعر بحدوث حربٍ مع ابن الأشْعَثِ فرد الخليفة عليه بشعر وهو يردده،ثم بات يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول: ماأفدت فائدة أحب إلي منك، فتقول: فما بالك ياأمير المؤمنين، وما يمنعك؟ قال يمنعني ماقاله الأخطل،لأني إن خرجت منه كنت ألأمَ العرب:[٥٥].

قَوْمٌ إذا حاربوا شَدُّوا مآزِرَهُمْ — دونَ النساء ولو باتَتْ بأطْهارِ

فما إليك سبيل أو يحكم الله بيني وبين عدو الرحمن بن الاشعث فلم يقربها حتى قتل عبد الرحمن[٥٦] فلم ينزل النفس وأخذ بما ثبته العرب وأشاعوه بأقوالهم وأفعالهم وهو أعرف بهذه المنازل، حتى صارت حكما يقتدى بها. ويصنع نفسا أبية وإنسانا في صراع دائم مع النفس والآخر،فالإباء يمنع الخنوع والذل بل قد يدفع أحيانا إلى مسابقة المنايا، لأنّهم مدركون أنّ موافاة المنية أمر محتوم لابد منه مهما فعلت النفس، ومهما حاولت التهرب منه وعلى ذلك فإنَّ الشعراء قد نقلوا بشعرهم مايجسد ذلك، إذ قال الشاعر أمية بن أبي الصلت:[٥٧]

يُوشِكُ منْ فرَّ من مَنِيّتِهِ — في مَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوافِقُها

منْ لمْ يمُتْ عبْطَةً يمُتْ هرماً — لِلمَوْتِ كأسٌ فالمرْءُ ذائِقُها

فالمفارقة تكمن في هذا التلازم الأبدي بين الإنسان– بكل تحايله وهربه– والموت – القدر المحتوم، مفارقة يدركها الإنسان ويخضع لها مقهورا مغلوبا على أمره، والشاعر قد أقر بهذه المعادلة التي مهما بلغ الإنسان فيها أمداً ومهما فرّ من قدره فهو صائر إليه ناكص في منازله، يسير بخطى توشك أن توصله إلى غريمه الموت،[٥٨] ولابدَّ من أن تنقاد النفوس إلى منياتها ولو تحصنت في الحصون أو بذلت الغالي والنفيس، وهنا يصنع الشعر الغيث في النفس ليحقق غاية الإفهام ويرضيها بقضائها وقدرها.

خامساً:الوظيفة الاجتماعية.

إن الوضع الاجتماعي للقبيلة يدخل في صميم حياة العربي وقلب وجدانه، ويشغل جزءا مهما من وظيفة الشعر بوصفه الأداة الإعلامية الأولى للتعبير عن الشخصية العربية آنذاك، ولما كان الشعر هو الوسيلة لبيان ذلك أُلزم الشاعر ببيان مايستحسن، ويمجد من قيم وعادات وأعراف، ويذم مايضفي على القبيلة منقصة أو سبة، ففي قول النمر بن تولب حث على الجود والمبادرة به،لما للكرم من قيمة عليا عند العرب:

أعاذِلَ أنْ يُصْبِحْ صَدايَ بقَفْرَةٍ ... بَعيداً نآني صاحبي وقريبي

ترَى أن ما أبقَيْتُ لم أكُ رَبَّهُ ... وأنَّ الذي أنفَقْتُ كان نصيبي

وذي إبلٍ يَسْعى ويَحْسِبُها له ... أخي(نصعبٍ) في رَعيْها ودُؤوبَ

غَدَتْ وغدا رَبُّ سِواه (يعقودُها) ... وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قَليبِ[٥٩]

فتحدث بما يتقبله العربي ويفتخر به، ويعتز به– الجود بالمال– من إبلٍ ونوقٍ وخيلٍ وغيرها، بعد أن اجتهد في رعيها حتى أصبح أخا نصب، وزيادة على قوة حثه للجود لم يهمل المآل الذي يغدو له بعد أن يفارقه الصديق والحبيب ويؤول كل مايملك

لغيره فأي صبابة وأي حزن؟ فلايطيب حاله إلا ماانفقه فهو مابقي له لا مابقاه في دنياه.

و يحمل (جرير) بشدة على قوم من بني العنبر لبخلهم و؛ لأنَّهم لم يقروه حتى اشترى منهم القرى[٦٠]

يا مالكُ بنَ طَريفٍ إنَّ بَيْعَكُم ... رِفْدَ القِرى مُفْسِدٌ للدَّينِ والحَسَبِ

نَبيعُكَهُ بَيْعاً فقلتُ لهم ... بيعُوا المَواليَ واسْتَحْيُوا من العربِ

لولا كرامُ ماغَفَرْتُ لكم ... بَيْعي قِرايَ ولا أنْسَأْتُكُم غضَبي

هل أنتمُ غَيرُ أوْشابٍ زَعَانفةٍ ... رِيشُ الذُّنابَى وليس الرأسُ كالذَنب

فأنزلهم منازل الذليل، فضعف أصلهم، ومكانتهم، ولم يساوهم بمن نزلوا عندهم (وليس الرأس كالذنب)، وفيه إشارة إلى الحط من قدرهم، فضلا عما في قوله: (غير أوشاب زعانفة)من طعن في النسب (لأن أمهم – خارِجة البَجَلِيَّة– قد ولدت في العرب في نيف وعشرين حياً من آباء متفرقين)[٦١]، ولعل أقبح صورة تناشدها الناس في ذلك قول الأخطل يعير جريرا[٦٢] مع ماتحمله من سب أو شتم ولكن حملت صورة بالغة القوة في بيان شدة البخل وعدم الرغبة في قري الضيف:

قومٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأضْيافُ كلبهم ... قالوا لأُمِّهِمُ بُولي على النار

ولشدته وقوته يقال: (إن جريرا توجع من هذا البيت، وقال:جمعَ بهذه الكلمة ضروباً من الهجاء والشتم: لما حمله من ضروب الهجاء والشتم: منها البخل الفاحش، ومنها عقوق الأم في ابتذالها دون غيرها، ومنها تقذير الفناء، ومنها السوءة التي ذكرها من الوالدة)[٦٣]

وهناك بعض الوظائف التي اجتهدنا في تسميتها منها:

أولا: الوظيفة التعريفية.

فقد يصور الشاعر حادثة ما أو أمراً يتعلق به فيطلق لفظا قد يطول الدهر عليه فيكون غالبا عليه دون اسمه[٦٤] ومنه ماجاء عن (عبدا لله بن مصعب الزبيري)[٦٥] إذ يسمونه (عائد الكلب الزبيري) فلايعرف إلا به، وذلك بسبب قوله:[٦٦]

مالي مَرِضْتُ فلم يَعُدْني عائدٌ ... منكم ويَمْرَضُ كلْبُكمْ فأعودُ

وأشدُّ من مَرَضي عليَّ صُدودكمْ ... وصدودُ كلْبِكمْ عليَّ شديدُ

ولم يتجاوز هذا اللقب إلى غيره، ولايوخذ على معنى الذم بل فيه مغزى الإخلاص في التواد لمن يعاشرهم فقد كان وفيا لأصحابه، حتى انه إذا اعتل كلبهم عاده وابتأس لابتئاسهم، فما بالهم يعرضون عنه في مرضه؟ حتى ازداد ترحه على علته التي يعانيها. ومن ذلك أن ابن مُفرَّغ (اسمه ربيةُ) وسمي مفرغا، لأنه شرِبَ سقاءين ففرّغهما وفي ذلك يقول:

وَشرَيْتُ بُرداً ليتني ... من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهُ

هَتّافة تَدْعو صَدّى ... بين المُشَقَّرِ واليمامَه[٦٧]

فتجد أن الشعر قد الحق لقائله صفة تحولت إلى لقب أو اسم غلب عليه بل أصبح لايعرف إلاّ به، وبذلك استطاع الشعر أن يقود إلى التعريف بالشاعر من خلال لمحة شعرية توافر عليه شعره. وقد ينزل الشاعر المهجو منزلة تضفي عليه تعريفا مشينا يصبح ملازما له، وقد يعرف الشاعر بطباع القبائل أو بهم فيغلب عليهم فلا يعرفون إلاّ به ومنه قول جرير في بني حنيفة[٦٨]:

هجانيَ الناسُ من الأحياءِ كُلِّهِمِ ... حتى حنيفةُ تَفْسو في مَناحيها

فـ(تُعَيَّر بنو حنيفة بالفَسْوِ،لان بلادهم بلاد نخل،فيأكلونه ويحدث في أجوافهم الرياح والقوا قير)[٦٩]، ولزمهم ذلك فهم يعرفون به وتعرف طباعهم.

ثانيا:- الوظيفة المعرفية أو العلمية[٧٠]

قد يلجأ الشاعر إلى سرد حقيقة معرفية أو علمية يفاد منها من ذلك مانقل عن الشماخ قوله:[٧١]

فَمَظَّعَها حَوْلَيْنِ ماء لحائِها ... ويَنْظُرُ منها أيُّها هُوَ غامِزُ

فقوله: (مظعها: أي: شرَّبها...أي : تركها في الظل حولين حتى تَشرَبَ ماء اللحاء، يقال: تمَظَّعَ الرجل الظل:إذا تحوَّل من مكان إلى مكان)[٧٢] فالقوس إن صنعت صنعا متقنا وأجادها صاحبها وجب عليه بعد أن يأخذها من مكمنها – شريطة أن يكون مما يصلح لصنعه – ثم يتركه أو يستودعه الشمس عامين كاملين لايرفع عنه عينه حتى يمتص العود لحائه،فلايجاد الصنع مالم يعرف ويحصل ذلك ومنه يميز بين جائد الأقواس من عدمه وفي بيان الشبه بين المولود من جهة ووالديه قال الشاعر:[٧٣]

أعرِفُ منهُ قِلّة النُعاس ... وخِفّةٌ في رأسِه من رأسي

كيفَ تَرَيْنَ عنْدَهُ مراسي؟

فخاطب أمَّ ابنه (كيف ترَيْن عنده مراسي) إذ يقول لها: (عززْتُكِ على شَبَهِهِ ويقال: أنجبُ الأولاد ولدُ الفارك، وذلك؛ لأنّها تُبغِضُ زوجها فيسبقها بمائه فيخرج الشبه إليه فيخرج الولد مذكرا)[٧٤] فإن علا ماء المرأة كان عليها وفيه يقول الشاعر:[٧٥]

واللهِ ما أشْبهَني عصامُ ... لاخُلُقٌ منهُ ولا قَوامُ

نِمْتُ وعِرْقُ الخالِ لاينامُ

ثالثا: الوظيفة الدينية.

وفيها ينطلق الشاعر من منطلقٍ ديني بحت ليجسد حقائق شرعية أو اعتراف بفعل ما اتبعه بتوبة، قال الفرزدق:[٧٦]

أطعتك يإبليسُ تسعين حِجّة ... فلما انقضى عمْري وتمَّ تمامي

رجعت إلى ربي وأيقنت أنني ... مُلاقٍ لأيام المنون حِمامي

وكثر مثله عند الفرزدق ولاسيما بعد نُسْكِهِ.[٧٧]

الخاتمة والنتائج:

بعد متابعة النصوص الشعرية الواردة في كتاب المبرد يمكن القول إن المبرد استطاع إن يوظف الشعر لغايات متعددة حددت مفاهيم خاصة ومفاهيم عامة جسدت وظائف متعددة للشعر..

وقد مثلت الوظيفة اللغوية الاتجاه الأبرز في كتابه ذلك أن المبرد من اللغويين المبرزين الذين يقيمون قواعدهم على الحجة وليس أقوى من الشعر سوى كلام الله سبحانه وتعالى حجة، ولم يقصره على النحو فقط بل توسع فيه ليشمل الصرف، واللغة، وغير ذلك واتخذت الوظائف الأخرى منازل لاحقة فكانت الكسبية والتعريفية والأخلاقية والاجتماعية والانفعالية وغيرها.

وأظهرت هذه الوظائف العلاقة بين القائل والمتلقي من جهة، وبين النص والمتلقي من جهة أخرى،تلك العلاقة المستمرة ماستمر الشاعر في الإنتاج والمتلقي في استقبال القول بفهم وإدراك وتأمل.

الهوامش:

(١) الكامل في اللغة والأدب.٣/١.

(٢) سورة ق/آية ١٠.

(٣) الكامل ١/١٠، وينظر: ديوانه:ص ٢٧.

(٤) الكامل ١/١٠

(٥) سورة الحج/آية ٩..

(٦) ديوان الشماخ بن ضرار ص٢٢.

(٧) الكامل ١/١١.

(٨) ديوان الطرماح ص١٢٢.

(٩) الكامل ١/ ١٥.

(١٠) نفسه.(لم أعثر عليه في الديوان)

(١١) الكامل ١/١٧

(١٢) الصاحبي، ابن فارس، تحقيق السيد صقر، مصر، ١٩٧٧، ص ٤٦٧-٤٦٨.
(الكلام للخليل بن احمد الفراهيدي)

(١٣) الكامل ١/١١٣. والشاعر: النمر بن تولب وفي ديوانه:

يودُّ الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل

(ديوانه:ص١٠١.)

(١٤) الكامل ١/١١٣

(١٥) التنبيهات على أغاليط الرواة(نقلا عن الرواية والاستشهاد باللغة)،د.محمد عيد،ص ٢٠٦.

(١٦) ديوان الفرزدق، ٢٦٦.

(١٧) الكامل ١/٢٣٠-٢٣١

(١٨) الكامل ١/٢٥٢,٢.

(١٩) ديوان الفرزدق ص ٣٥٣. وفيه:

ومضت لمسلمة الركاب مودعا فارعي فزارة لا هناك المرتع

(٢٠) الكامل ١/ ٢١وينظر :طبقات فحول الشعراء ٣٦٥/٢

(٢١) الكامل ٢١/١.

(٢٢) موسوعة العروض،مولود زعتر،التفصيل في البحر المتقارب(عبر الانترنيت)

(٢٣) الكامل ١٩/١.

(٢٤) ديوان الطرماح ص ١٧٢..

(٢٥) الكامل ٨٨/١-٨٩.

(٢٦) لسان العرب، مادة(كرض)

(٢٧) ديوان الفرزدق، ٤٩٠.

(٢٨) سورة العنكبوت/آية ٤١.

(٢٩) الكامل ٢٠/١

(٣٠) نفسه ٥٩/١.

(٣١) فن التقطيع الشعري والقافية،ص١٧

(٣٢) الكامل ٤٤/١

(٣٣) صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٩٧،رقم٣٠٠٢ وفيه(إذا رأيتم المداحين فأحثوا في وجوههم التراب).

(٣٤) الكامل ١٩٠/١-١٩١

(٣٥) نفسه٢٧٦/١وينظر الأبيات في ديوان المعاني ٧٥/١.

(٣٦) نفسه ٢٨٧/١

(٣٧) رسائل الجاحظ(عبده أمهنا)،٣٦/١.

(٣٨) الكامل ١٣/٢.وينظر: الأغاني ٢٥١/٣، يتيمة الدهر ٢٨٨/٢.

(٣٩) ديوان ذي الرمة ص٢٢٠.

(٤٠) الكامل ٥٠/١

(٤١) نفسه ٢٢٨/٢

(٤٢) ديوان الخنساء ص٣٢٦.

(٤٣) الكامل ١٣/١.

(٤٤) نفسه٢٢٧/٢.

(٤٥) لم يعرف القائل ينظر الكامل ٢٥٦/١.

(٤٦) في الديوان(للناس فقد)،(ملكين)،(أخذ المنون)ديوان الفرزدق ص١٤٦.

(٤٧) لم اعثر عليه في الديوان.

(٤٨) في الديوان(صبر مكان جزع)،(لمرزوء مكان لمحزون)، (تقاته مكان خيارهم) (خليليه مكان جناحيه)، (إذا بانا جميعا فودعا مكان لما فارقاه فودعا) (أخا مكان أخ) (أيسر مكان أيمن)، (وأجزى مكان وأغنى) (العراقين مكان العراقيين)، (عتيق مكان عقاب) ينظر: ديوان الفرزدق: ص٣٤٤.

(٤٩) الكامل ٢٥٦/١(وهو ماعرف عند أرسطو بـ"التطهير"وهو مصطلح يستعمل في أغلب لغات العالم بلفظه اليوناني (كاتارسيس) وقد يترجم إلى كلمات تحمل معنى التطهير والتنقية أو التنظيف (وهي الكلمة التي وردت في ترجمة أبي بشر بن متّى لكتاب أرسطو فن الشعر) وهي من مفردات الطب وتعني التقنية والتطهير والتفريغ على المستوى الجسدي والعاطفي،ويعد أرسطو أول من طرح التطهير بمعنى الانفعال الذي يحرر من المشاعر الضارة (بحث منشور عبر الانترنيت، مجلة أفق عربية).

(٥٠) نفسه ٣٢٦/١. وينظر الأبيات في: الأغاني ٩٩/٧.

(٥١) عيار الشعر، ص٥٤.
(٥٢) الأغاني ٢٩٧/١٥، التذكرة الحمدونية ٢٥٠/٤.
(٥٣) الكامل ٢٤٠/٢.
(٥٤) ديوان امرىء القيس، ٨.
(٥٥) في الديوان (بأطهار)، ديوان الأخطل: ص١٤٤.
(٥٦) الكامل ١٤١/١. للمزيد: نظرية الشعر عند الجاحظ ص٩١.
(٥٧) الكامل ٤٢/١
(٥٨) مفارقة الحياة والموت في الشعر الجاهلي، (بحث عبر الانترنيت) ص٢.
(٥٩) الكامل ١٨٨/١. وينظر: ديوان النمر بن تولب ص ٤٣-٤٤. وفيه (أمضيت مكان أنفقت)، (وذي مكان وذا)، (سقيها مكان رعيها)، (يسوقها مكان يعقودها). وربما تكون الكلمتان بين القوسين (نصبٍ، ويقودها) ليستقيم الوزن ولكن في كتاب المبرد والديوان هكذا.
(٦٠) ديوان جرير ص ٤٦ وفيه

ياطعم ياابن قريط إن بيعكم ... **رفد القرى ناقص للدين والحسب**
لولا عظام طريف ماغفرت لكم ... **يومي قراي ولا أنسأكم غضبي**
قالوا اشتروا جزرا فقلت لهم ... **بيعوا الموالي واستحيوا من العرب.**

(والبيت الأخير غير موجود في الديوان)
(٦١) الكامل ٢٣٢/١-٢٣٣
(٦٢) ديوان الأخطل،١٦٦.
(٦٣) الكامل ٢٢٣/٢.
(٦٤) ينظر للمزيد: الكامل ٧٢/١-٧٣ (عروة الصعاليك)، ٨٧/١ (محبر واسمه عامر بن الطفيل)،٩٠/١ (محرقا، اسمه عمر بن هند)،٩٥/١ (الاسود أو

العبد، واسمه نصيب) وكلها القاب بسبب أبيات قالوها، وكذلك مثلا: (عويف القوافي واسمه عوف بن معاوية بن عقبة) ينظر: معجم الشعراء ١١٠/٤ وكذلك (ذي الرمة واسمه غيلان بن نهيس بن مسعود العدوي المضري) ولقب بذي الرمة لقوله:

على ثلاث باقياتٍ سودِ
وغير باقي ملعب الوليد
وغير مرضوخ القنا موتود
أشعث باقي رمّة التقليد

ينظر: ديوان ذي الرمة،شرح الخطيب التبريزي، ص ٧.
(٦٥) اسمه: عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبدا لله بن الزبير القرشي(١١١هـ-١٨٤هـ)-.أمير.من أهل الورع والشعر والفصاحة، يلقب بعائد الكلب لشعر قاله(ينظر معجم الشعراء ٢٩٨/٣)
(٦٦) الكامل ٢٧٢/١وينظر: الأغاني ٢٠١/٢٤
(٦٧) الكامل ١٨٨/١.
(٦٨) نفسه ٣٠/٢.
(٦٩) نفسه
(٧٠) ينظر للمزيد الكامل:١٣٤/١,١٣٨,١٣٩,١٥٠,١٧٦.
(٧١) نفسه ٤٢/١
(٧٢) نفسه ٤٢/١
(٧٣) نفسه ٧٢/١
(٧٤) نفسه ٧٣/١
(٧٥) نفسه ٧٤/١.
(٧٦) نفسه ٦٦/١.
(٧٧) نفسه ٦٧/١.

المصادر والمراجع:

١- الأغاني، أبو فرج الاصبهاني،تحقيق:علي مهنا، سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)

٢- التذكرة الحمدونية،ابن حمدون،تحقيق:إحسان عباس،بكر عباس،دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٣- التطهير (catharsis) بحث عبر الانترنيت، مجلة أفق عربية، ١/ سبتمبر/ ٢٠٠٠م، الموضوع: أقواس (www.ofouj.com)

٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،عبد القادر البغدادي،تحقيق:محمد نبيل طريفي،إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٨م.

٥- ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.

٦- ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، تحقيق: المرحوم حسن السندوس، منشورات علي بيضون، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

٧- ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

٨- ديوان الخنساء، شرحه: ثعلب(أبو العباس احمد بن يحيى الشيباني النحوي)، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، ط١، ١٩٨٨م.

٩- ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي،كتب هوامشه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٠- ديوان ذي الرمة، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

١١- ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني،شرح:أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٧هـ.

١٢- ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن،دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.

١٣- ديوان الفرزدق، شرحه: علي فاعور،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

١٤- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

١٥- ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر،١٩١١م.

١٦- ديوان النمر بن تولب العكي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

١٧- رسائل الجاحظ، الجاحظ، شرح: عبده أمهنا، دار الحداثة، بناية حلمي عويدات، ط١، ١٩٨٨م.

١٨- الصاحبي، ابن فارس، تحقيق:السيد صقر، مصر، ١٩٧٧م.

١٩- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

٢٠- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر،دار المدني، جدة، (د.ت).

٢١- عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق: محمد زغلول سلام، مطبعة التقدم، ١٩٧٧م.

٢٢- فن التقطيع الشعري والقافية، صفاء خلوصي، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م.

٢٣- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٤- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، ط٣، (د.ت).

٢٥- مفارقة الحياة والموت في الشعر الجاهلي، د.جاسم العراقي، بحث عبر الانترنيت (www.leblover.com)

٢٦- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٣م.

٢٧- موسوعة العروض، مولود زعتر(التفصيل في البحر المتقارب)، بحث عبر الانترنيت،(www.nu5ba.net)

٢٨- نظرية الشعر عند الجاحظ، مريم محمد جاسم، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م..

٢٩- يتيمة الدهر، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل ت(٤٢٩هـ)، تحقيق:مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م

م. د. مريم محمد جاسم
وظائف الشعر عند المبرد — مجلة آداب الفراهيدي — العـدد (٧) حزيران ٢٠١١

Abstract

Some critical studies tend to show the functions of poetry in limited peviod,and to complete these studies this research is tending these functions during the book(AL-Kamel fe –AL-lugha wa-AL-Adab) for the impotance of this book in Literary and Linguistics studies.After general observation for the book in its two parts,the functions are determined by linguistics, gaining, emotive, behaviorism and ethical,moreover,to another function we make our effort to named that represnting in definition, scientific and religious,we find that the linguistic function is the most and tge best in this book ,then the gaining and later ethical. These functions represented the relationship between the speaker and the Listener in one hand and between the subject matter and the listener in the other hand . this continuous relationship is what the poet continuing in producing and the listener in receiving the speaking with under standing, conception and meditation

السمرقندي
وآراءه الإقتصادية في الشركات

د. صلاح الدين حسين خضير
مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد:

يعد كتاب (تحفة الفقهاء) للإمام علاء الدين السمرقندي، واحداً من الكتب المعتمدة في الفقه الحنفي، تولى تلميذه (الكاساني) شرحه بعنوان (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع)، والذي حاز على ثناء وتقدير شيخه.

ولقد حاولت في هذا البحث إبراز آراء الإمام علاء الدين السمرقندي الإقتصادية في الشركات، والتي جاءت مركزة ودقيقة، وذلك بالإستعانه بشرح تلميذه الكاساني سالف الذكر، فقسمت الدراسة إلى مبحثين، أفردت المبحث الأول للتعريف بالإمام علاء الدين السمرقندي وشيوخه وتلاميذه، وعرجت فيه على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت عصره.

وخصصت المبحث الثاني لدراسة وتحليل آراء الإمام علاء الدين السمرقندي الإقتصادية في الشركات، بالتعرف بالشركات وأنواعها وتفرعاتها بالمقارنة مع آراء العلماء الآخرين، فضلاً عن بيان مشروعيتها.

واعتمدت في هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع، وختمت البحث بخلاصة عنه مع الإشارة إلى النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

المبحث الأول
السمرقندي، حياته وعصره
المطلب الأول
حياته، ونشأته، وثقافته

أولاً: (**اسمه ونسبه وكنيته**).

هو محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسبة إلى سمرقند[١]، أبو بكر، الملقب بـ(علاء الدين)، ويكنى أيضاً بـ(أبي منصور)[٢]، وأبي (أحمد)[٣] كان إماماً، وأصوليا، وتتفق المصادر التي ترجمت لحياته على اسمه واسم أبيه وكنيته[٤]. بينما ذهب الأستاذ الدكتور عبد الملك السعدي إلى القول بأنه: علاء الدين، محمد بن أحمد بن علي، مظفر الدين السمرقندي، أبو بكر، وأن أبي أحمد هو كنية لجده علي[٥].

ثانياً: (**نشأته ووفاته**).

لقد أغفل أغلب أهل التراجم الإشارة إلى ولادته ونشأته، إلا ما ذكره السمعاني[٦] : بأنه نزيل بخارى، كتب إلي الإجازة[٧]، وأما وفاته فقد اختلف أصحاب التراجم في ذلك، فذهب السمعاني إلى القول بأنه: ((توفي غرة جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببخارى))[٨]، بينما قال الزركلي بأنه: توفي سنة (٥٤٠هـ)[٩]، وقال حاجي خليفة بأنه: توفي سنة (٥٥٣هـ)[١٠]، وإليه ذهب كحالة[١١].

ثالثاً: (**شيوخه**).

(١) **القاضي أبو اليسر البزدوي**: وهو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن مجاهد البزدوي، أخو الإمام علي البزدوي، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن محمد النيسابوري، وكان إمام الأئمة على الإطلاق، ومن فحول المناظرين، والموفود إليه من الآفاق، وكان قاضي القضاة بسمرقند، ملأ المشرق والمغرب

بتصانيفه في الأصول والفروع، وقال عنه عمر بن محمد النسفي: كان شيخ أصحابنا بما وراء النهر، تفقه عليه أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي، وركن الأئمة عبد الكريم بن محمد مصنف طلبة الطلبة، توفي ببخاري سنة (٤٩٣هـ)[١٢].

(٢) **فخر الإسلام البزدوي:** وهو علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد، أبو الحسن المعروف بفخر الإسلام البزدوي، ويكنى بأبي العسر أخو القاضي أبي اليسر البزدوي، كان إماماً، وفقيهاً من علماء الحنفية ببلاد ما وراء النهر، ومن تصانيفه: المبسوط إحدى عشر مجلدا، وشرح الجامع الكبير والجامع الصغير، وله في أصول الفقه كتاب كبير مشهور، توفي سنة (٤٨٢هـ)، ودفن بسمرقند[١٣].

(٣) **أبو المعين النسفي المكحولي:** وهو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد بن محمد بن مكحول ابن الفضل أبو المعين النسفي المكحولي، كان إماماً زاهداً، صنف كتابي التمهيد لقواعد التوحيد، وتبصرة الأدلة[١٤]، توفي سنة (٥٠٨هـ) وله سبعون سنة[١٥].

رابعاً: (**تلاميذه**).

(١) **ضياء الدين النوسوخي:** وهو محمد بن الحسين بن ناصر بن عبد العزيز الملقب بـ(ضياء الدين) النوسوخي[١٦]، أحد الفقهاء الأحناف، تفقه على الإمام علاء الدين أبي بكر، محمد بن أحمد السمرقندي، وروى عنه الحديث، والنوسوخي أستاذ (صاحب الهداية)[١٧]، قال صاحب الهداية: أجاز لي جميع مسموعاته مشافهة بمرو[١٨]، وكتب بخط يده سنة (٥٤٥هـ)[١٩]، وعلى هذا يكون النوسوخي قد عاش إلى هذه السنة، ولما لم يذكر أصحاب التراجم تاريخ وفاته، فيمكن القول بأن وفاته بعد عام (٥٤٥هـ).

(٢) **أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاشاني**[٢٠]، **أو (الكاساني كما هو الشائع)**[٢١]:
وهو علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الملقب بـ(ملك العلماء)، تفقه على محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي المنعوت علاء الدين أيضاً، وقرأ عليه معظم تصانيفه مثل التحفة في الفقه، وغيرها من كتب الأصول، ولازمه وشرح كتاب (تحفة الفقهاء)، بكتابه (بدائع الصنائع)، وكان بارعاً في الفقه وأصوله، وأصول الدين[٢٢]، ومن مصنفاته الأخرى (السلطان المتين) في أصول الفقه، قيل وسماه (المعتمد في المعتقد)[٢٣]، ورد إلى نور الدين محمود[٢٤] بحلب فولاه التدريس بالمدرسة الحلاوية التي أنشئت في سنة (٥٤٣هـ)، عوضاً عن رضي الدين السرخسي[٢٥]، تفقه عليه جمع غفير من الطلبة، اختلف أصحاب التراجم في وفاته، فمنهم من قال بأنه توفي سنة (٥٧٨هـ)[٢٦]، وذهب آخرون إلى القول بأنه توفي سنة(٥٨٧هـ) [٢٧]، ويبدو أن الراجح منها أن وفاته كانت سنة (٥٨٧هـ).

(٣) **فاطمة العالمة** : وهي فاطمة بنت محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، تفقهت على أبيها، وحفظت مصنفة التحفة، وأخذ عنها كثيرون، وكانت ذات خط جميل، فضلاً عن إحاطتها بمذهب الإمام أبي حنيفة، فكانت الفتوى تخرج وعليها خطها وخط أبيها السمرقندي، فلما تزوجت من أبي بكر بن مسعود الكاساني صاحب البدائع، كانت الفتوى تخرج بخط الثلاثة، وكان الملك (نور الدين محمود) يكرمها لمكانتها في العلوم الشرعية، وبقيت مع زوجها إلى أن توفيت فدفنت في ظاهر حلب وقبرها مشهور عندهم ويعرف بقبر المرأة وزوجها الذي توفي بعدها ودفن عندها، ولم تذكر التي ترجمت لها سنة وفاتها[٢٨].

(٤) **أبو المعالي بن أبي اليسر البزدوي:** وهو أبو المعالي أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عبد الله ابن مجاهد النسفي البزدوي،

عرف بالقاضي الصدر، من أهل بخارى، كان إماماً فاضلاً ومناظراً حسن السيرة، من بيت العلم والحديث فوالده أبو اليسر وعمه فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي، كانت ولادته سنة(اثنتين أو إحدى وثمانين وأربع مائة) ببخارى، تفقه على والده، وعلى أبي منصور (علاء الدين أحمد بن محمد بن أبي أحمد السمرقندي)، ومن أبي المعين ميمون بن محمد بن محمد المكحولي، حتى برع في العلم، ولي القضاء ببخارى وحمدت سيرته، وتوفي بسرخس سنة (٥٤٢هـ)[٢٩].

المطلب الثاني

مكانة السمرقندي العلمية ومصنفاته

أولاً: (مكانة السمرقندي العلمية).

على الرغم من القصور الواضح في تناول شخصية السمرقندي ونشأته العلمية من قبل أصحاب التراجم، إلا إننا نلاحظ من خلال دراسة مصنفاته، والوقوف على مؤهلات تلاميذه أن هذه الشخصية قد حظيت بمكانة علمية متميزة في العلوم الشرعية، فأقر له العلماء بالإمامة في الفقه وأصوله وعلم الكلام، فتصدر لتحمل مسؤولية الإفتاء، فكانت الفتوى تخرج بخطه وخط أبنته فاطمة[٣٠]. فعده السمعاني(ت٥٦٢هـ)، بأنه: ((إمام فاضل في الفتوى والمناظرة والأصول والكلام))[٣١]. ووصفه تلميذه الكاساني بوارث السنة وموروثها، فقال: ((وقد كثرت تصانيف مشايخنا في هذا الفن قديماً وحديثاً وكلهم أفادوا وأجادوا، غير أنهم لم يصرفوا العناية إلى الترتيب في ذلك سوى أستاذي وارث السنة وموروثها، الشيخ الزاهد علاء الدين رئيس أهل السنة محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي رحمه الله تعالى))[٣٢]. وأما القرشي فقد وصفه: بالإمام، والأصولي[٣٣]، وذكره حاجي خليفة

(ت١٠٦٧م) : بالشيخ، والإمام، والزاهد، وشمس النظر، والأصولي[٣٤]. وقال عنه الزركلي: فقيه، من كبار الحنفية[٣٥].

قلت : ففي وصفه بوارث السنة وموروثها، والإمام، والأصولي، والزاهد، وشمس النظر، من أبلغ الإشارات إلى جلالة قدره، وعلو منزلته، ومكانته العلمية، التي أهلته لتصدر الفتوى، وحازت على الرضا والقبول والثناء من العلماء.

ثانياً: (مصنفاته).

(١) **تحفة الفقهاء**[٣٦]: ويعد هذا الكتاب من أمهات الكتب المعتمدة في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو في الحقيقة يعتبر شرحاً على مختصر أبي الحسن القدوري، ورتبه على أحسن ترتيب، فيذكر ترجمة الباب أو الفصل ثم يعقب ذلك بإيجاز لما في الباب من مواضيع سيبحثها[٣٧]، وقد قام تلميذه الكاساني ببسط وشرح متن هذا الكتاب، والتوسع فيه حتى أصبح متلاشياً معه، متجهاً في إبداعه وحسن تنظيمه وتنسيقه نحو وجهة شيخه وسماه بـ(بدائع الصنائع وترتيب الشرائع)، فحاز على ثناء وتقدير شيخه لجهده بتزويجه ابنته فاطمة العالمة، فضلاً عن تقدير أقرانه ومعاصريه بمنحه لقب (ملك العلماء)[٣٨].

(٢) **ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه**[٣٩]: ويعد هذا الكتاب من أمهات الكتب المعتمدة في أصول الفقه القديمة، إذ لم يسبقه من المصادر في هذا العلم إلا القليل من الكتب المؤلفة في الفقه الحنفي، فهو ينم عن عقليه رائدة، وفكر نير، وعلم غزير، وأسلوب دقيق، وبراعة في التأليف، تتميز به شخصية السمرقندي وثقافته[٤٠].

(٣) **اللباب في الأصول:** نسبه إليه ابن قطلوبغا، وحاجي خليفة[٤١].

(٤) **إيضاح القواعد في المعما:** فارسي مختصر على تسعة عشر أصلاً، نسبه إليه حاجي خليفة[٤٢].

(٥) **شرح تفسير التأويلات:** وهو من أبدع الشروح أسلوباً، وأعذبها عبارة، وأوسعها توضيحاً، وقد سلك المصنف في طريقة تأليفه بتصدير الآية، ثم التوسع في تفسيرها وشرحها وإيضاحها، ولا يزال هذا الشرح في عداد المخطوطات[٤٣].

المطلب الثالث

عصره

لما كانت المصادر التي ترجمت للسمرقندي لم تذكر لنا إلا الشيء اليسير عن حياته، فلم تتطرق إلى ولادته ونشأته، ولتعذر تعيين تاريخ محدد لولادته، يمكن القول بأن ولادته كانت محصورة بين عامي (٤٦٥هـ - ٤٧٠هـ)، أي قبل خمسة عشر عاماً من وفاة شيخه علي البزدوي(ت٤٨٢هـ)، وهي الفترة التي يكون فيها مؤهلاً لتلقي العلوم من شيخه، وتحمل الرواية عنه.

وعلى أية حال فإن الإمام السمرقندي نشأ في بلاد ما وراء النهر، فتلقى علومه، وعاصر الحياة في هذا الإقليم بكافة جوانبها، ومنها الجانب السياسي حيث كانت هذه البلاد بما فيها (سمرقند) تابعة لحكم السلاجقة الذين بدؤوا بالاستقرار فيها منذ بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)[٤٤]، فكانوا يغيرون على المناطق المجاورة [٤٥]، وبذلك استطاعوا السيطرة على جزء كبير من العالم الإسلامي في عصرهم.

وأما حال عاصمة الخلافة فلم تكن بأفضل من الأقاليم، إذ تطورت الأوضاع فيها وازدادت الاضطرابات سنة (٤٣١هـ) بسبب شغب الأتراك مما أدى إلى ارتفاع الأسعار[٤٦] وظهور الفتن والصراعات المذهبية، مما أدى إلى قتل وجرح الكثير من الناس فيها[٤٧]، والتي تجددت وعظمت أضعاف ما كانت عليه[٤٨]، وذلك بسبب ضعف الخلافة، واستئثار البويهيين بالسلطة وتجريدهم الخليفة منها، ولم يكن

السلاجقة أقل سطوةً على الخلافة من البويهيين على الرغم من اختلاف نظرتهم إليها واحترامهم إياها.

وعندما ظهرت بوادر للعصيان في بلاد ما وراء النهر، سار السلطان ملكشاه[٤٩] في سنة (٤٨١هـ)، ونزل بظاهر كاشغر[٥٠]، ولما علم خاقان كاشغر بذلك أرسل رسولاً إلى السلطان مع الهدايا ملتمساً العفو والغفران، فعفى عنه السلطان ملكشاه[٥١] الذي توجه بعد ذلك إلى بخارى في سنة (٤٨٢هـ) وأخذ ما في طريقه ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد، وقصد سمرقند، وقبض على صاحبها احمد خان[٥٢]، الذي اتهم بفساد الاعتقاد والزندقة[٥٣]، وبوفاة السلطان ملكشاه في سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) بدأ عهد جديد من الضعف والانقسام، إذ كثر النزاع بين أفراد البيت السلجوقي، وأصبحت السلطة يتقاسمها أفراد السلاجقة الذين لم يعد همهم نصرة الإسلام، وتوسيع رقعة سلطانهم، بل محاولة القضاء على بعضهم البعض، حتى يخلو الجو للمنتصر منهم، فادى كثرة القتال بينهم إلى إسقاطهم جميعاً في النهاية.

ويُعدّ إقليم ما وراء النهر منطقة ذات أهمية اقتصادية، إذ تشكل هذه المنطقة المحصورة بين نهري جيحون وسيحون مجمع طرقات نجمية الشكل تتفرع في جميع الاتجاهات نحو الصين والهند وتركستان وفارس، وقد كانت مدنها بخارى وسمرقند وفرغانة وكشغر...الخ، ملتقى هذه الطرق[٥٤]. وبذلك أصبح سكان هذا الإقليم الوسطاء في نقل البضائع والسلع والحرير من الصين أو ربما من بلادهم إلى بلاد الدولة البيزنطية قبل الإسلام، فعندما عبر العرب نهر جيحون وفتحوا تلك البلاد وجدوا فيها نشاطاً تجارياً وزراعياً وصناعياً، إذ ((أن أهل بخارى وصغديا[٥٥]، كانوا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين يسيرون بقوافل الحرير العظيمة عبر الإمبراطورية الساسانية الى شرق بلاد الإمبراطورية الرومانية))[٥٦].

وقد استفاد التجار المسلمون من الطرق التجارية القديمة بعد توطد النفوذ العربي الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، فكلما ساد الأمن والهدوء نشطت الحركة التجارية وتوطدت تبعاً لذلك[٥٧]، ونشطت الصناعة في إقليم ما وراء النهر، فأصبحت

لبخارى داراً خاصةً، تعرف ببيت الطراز [٥٨]، كما وتعد بلاد ما وراء النهر مركزا لتجارة الرقيق، فكانت قوافل الرقيق القادمة من أواسط آسيا تجتاز هذه البلاد إلى خراسان ومنها إلى أسواق المدن الإسلامية في الغرب [٥٩]، وتُعدّ سمرقند مركزا متميزا لهذه التجارة، فخير الرقيق تربية سمرقند [٦٠]، وكان في بغداد شارع خاص يطلق عليه: ((شارع دار الرقيق))[٦١]، كما وان لهم الكثير من إنتاج الثروة الحيوانية بما فيه كفايتهم ونحو ذلك[٦٢].

كما نشطت الحركة الفكرية والثقافة الإسلامية في هذا العصر والذي سبقه، وانتشرت انتشاراً واسعاً بفضل الدين الإسلامي، الذي كان الحافز الرئيس لهذا النشاط، وكان لتشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء أثره البارز في اتساع أُفق الفكر الإسلامي وارتحال الكثير من طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها طلبا للعلم، حيث زخر بلاط الكثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية بالعلماء والشعراء والأدباء، وكانت مدن ما وراء النهر مركزا لاجتذاب العلماء وطلبة العلم، فقد كانت مدينة سمرقند مركزه السياسي، بينما كانت بخارى عاصمته الدينية، إلا أنّ كلا من المدينتين كانتا في مرتبة واحدة[٦٣].

ولقد انتشرت المدارس النظامية في مختلف المدن الإسلامية على غرار المدرسة النظامية في بغداد والتي أنشاها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي، إذ تمَّ افتتاحها سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)[٦٤]، فكانت من أشهر المدارس الإسلامية في القرن الخامس الهجري. وكذلك انتشرت المدارس الأحادية والثنائية والرباعية في طول البلاد وعرضها، وكانت لهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة، تصير إلى الفقهاء والمدرسين بها، ويجدون على الطلبة ما يقوم بهم[٥٤].

وتزاحمت حلقات التدريس في المساجد ، وأصبحت المساجد مراكز ثقافية لمختلف العلوم، فكان يفسر فيها القرآن الكريم ، ويملى فيها الحديث النبوي الشريف ، كما تدرس به علوم العربية، كالنحو والعروض ونحو ذلك، وكانت تعقد فيها مجالس للعلماء والأدباء[٦٦].

المبحث الثاني

معنى الشركة، وأدلة مشروعيتها، والحكمة منها

المطلب الأول

معنى الشركة، لغة واصطلاحاً.

أولاً: (**الشركة لغة**).

الشرك(الشين والراء والكاف)، أصلان أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة[٦٧]، وتوجد ثلاث لغات في الشَّرِكَةِ، أولها اللغة المشهورة(بكسر الشين وسكون الراء)، وثانيها (بفتح الشين وكسر الراء)، وثالثها (بفتح الشين وسكون الراء)[٦٨].

فأما الأصل الأول: الشِّرِكَةُ والشَّرِكَةُ سواء، أي مخالطة الشريكين، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، يقال شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك، وقد اشترك الرجلان و تشاركا وشارَكَ أحدُهُما الآخَرَ، واشتركنا بمعنى تشاركنا، والجمع: أشراك، وشركاء، وهو شريكه في البيع[٦٩]، وعلى ذلك فتكون الشركة من فعل الإنسان، لان الخلط لا يثبت إلا بفعل الخالطين [٧٠]، قال الله جل ثناؤه في قصة النبي موسى عليه السلام ((وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)) [٧١]. وأما الأصل الآخر فالشرك لقم الطريق وهو شراكه أيضا، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شرك الصائد سمي بذلك لامتداده [٧٢].

ثانياً: (**الشركة في اصطلاح الفقهاء**).

قال التهانوي(من علماء القرن الثاني عشر الهجري)، أن الشركة شرعاً ((هي اختصاص اثنين أو أكثر بمحل واحد))[٧٣]، وقال صاحب درر الأحكام: هي اختصاص ما فوق الواحد بشيء وامتيازهم به[٧٤]، لكنها تستعمل أيضا عرفا

واصطلاحا في معنى عقد الشركة الذي هو سبب لهذا الاختصاص، فتنقسم الشركة المطلقة بناء على هذا إلى قسمين الأول شركة الملك والثاني شركة العقد، وتأتي تفصيلات القسمين لاحقاً [٧٥].

وعرفها الشربيني: بأنها ثبوت الحق في شيء لاثنين فأكثر على جهة الشيوع[٧٦]، وقال ابن قدامة المقدسي(ت٦٢٠هـ): هي الاجتماع في استحقاق أو تصرف[٧٧]، فَالأَوَّلُ شَرِكَةُ مِلْكٍ أو اسْتِحْقَاقٍ وَالثَّانِي شَرِكَةُ عُقُودٍ [٧٨].

بينما عدها ابن مودود الموصلي(ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م): بأنها ((الخلطة وثبوت الحصة))[٧٩].

وقال الجرجاني(ت٨١٦هـ/١٤١٣م) : الشركة هي اختلاط النصيبين فصاعداً بحيث لا يتميز احدهما عن الأخر، ثم أطلق اسم الشركة على العقد وان لم يوجد اختلاط النصيبين[٨٠].

ويعد التعريف الأول والثاني عند (الحنفية) بأنه تعريف عام يشمل جميع أنواع الشركات، ويجمع معنى الشركة دائراً حول الاختصاص اثنين أو أكثر بمحل واحد وامتيازهم به سواء أكان هذا الاختصاص عملاً أو مالاً، أو عيناً أو ديناً، أو جاهاً. وأما تعريف ابن قدامة المقدسي فهو من التعاريف المشهورة عند (الحنابلة) وهو شامل لجميع أنواع الشركات، لأن الشركة عندهم عبارة عن اجتماع في استحقاق أو تصرف، فأما الأول(الاجتماع في استحقاق) فهو شركة الأملاك: كثبوت الملك في عقار أو منفعة لاثنين فأكثر، وأما (الاجتماع في تصرف) فهو شركة العقود: سواء أكانت شركة أموال، أو أعمال، أو وجوه، أو شركة مضاربة(أموال وأعمال معاً).

وأما تعريف الجرجاني بأنه : اختلاط النصيبين، ففيه تساهل لأن الشركة اسم للمصدر، والمصدر الشرك، مصدر شركت الرجل، أشركه شركا، بمعنى أنها من فعل الإنسان، وفعله الخلط.

وأما الاختلاط فصفة للمال، تثبت عن فعلهما ليس له اسم من المادة وتمامه فيه، لكن الشركة قد تتحقق بالاختلاط، ثم إن اسم الشركة قد يطلق على العقد مجازا وان لم يوجد اختلاط النصيبين، لأنه سببها، أي لأن العقد سبب الشركة التي حقيقتها الخلط، فالعلاقة السببية من إطلاق اسم المسبب على سببه، وأما إذا قيل شركة العقد بالإضافة فهي إضافة بيانية. وبناء على ذلك يتحد المعنى اللغوي والشرعي للشركة، فإنها في الشرع تطلق على الخلط، وكذا على العقد مجازا [٨١].

المطلب الثاني

أدلة مشروعية الشركة، والحكمة منها

ثبتت مشروعية الشركة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، على اختلاف في بعض أنواعها عند العلماء، لا في أصل ثبوتها[٨٢].

أولاً: (**الكتاب**).

فأما الكتاب: فقوله سبحانه وتعالى ((فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ))[٨٣]، وقوله تعالى ((وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ))[٨٤]، فالخلطاء هم الشركاء[٨٥].

ثانياً: (**السنة النبوية المطهرة**).

وأما السنة النبوية المطهرة: ففي الحديث القدسي فيما يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:((إن الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه،فإذا خانه خرجت من بينهم –بينهما–))[٨٦]. وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يتعاملون بالشركة فأقرهم عليها[٨٧].

ثالثاً: (**الإجماع**).

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على جواز الشركة في الجملة. وإنما اختلفوا في أنواع منها[٨٨]. وتعامل الناس بالشركة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا من غير نكير منكر[٨٩].

رابعاً: (**المعقول**).

وأما المعقول: حث الإسلام على حفظ الضروريات وهي ما تقوم به حياة الناس واستقامة حياتهم كحفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وراعى الحاجيات وهي ما يحتاج إليه الناس من اليسر والسعة ويبعدهم عن المشقة والضيق[٩٠]، قال سبحانه وتعالى: ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...)) [٩١] وقال ((.. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...)) [٩٢]، كما وضع من التحسينات ما تستقيم به أمور العباد وتصلح أحوالهم، وترقى شؤونهم.

خامساً: **الحكمة من مشروعية الشركة**

وأما الحكمة من مشروعية الشركة، فقد شرعت الشركة لمصالح العباد وحاجاتهم لاستثمار أموالهم وتنميتها بإقامة المشاريع الصناعية والتجارية والزراعية الكبرى التي يتعذر على الواحد الاستقلال بالقيام بها[٩٣].

المبحث الثالث

أنواع الشركات عند السمرقندي، و آراؤه الاقتصادية فيها

أنواع الشركات عند السمرقندي.

قال السمرقندي: الشركة نوعان شركة أملاك، وشركة عقود[٩٤]، وبه قال أغلب الفقهاء [٩٥]، ونوع ثالث سمي بشركة الإباحة، لأنها تشمل جميع أنواع الأشياء المباحة التي لم تمتد إليها يد الإنسان، ولقد عدها الإمام السمرقندي بالشركة الفاسدة، لأن الشركة تقتضي الوكالة، والوكالة في الاصطياد ونحوه لا تصح، وإذا فسدت، فالأخذ سبب الملك، فيكون ملكا له، فإن اشتركا على أن ما أصابا من ذلك فهو بينهما، ولكل واحد منهما ما أخذه [٩٦]، بدليل قول رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ في ثَلاَثٍ في الْمَاءِ والكلأ وَالنَّارِ))[٩٧]، وركنها في شركة العين أي (الملك) اختلاطهما، وفي العقد اللفظ المقيد له، وشرط جوازها كون الواحد قابلا للشركة [٩٨].

فأما النوع الأول: **شركة الأملاك**، وتكون على ضربين:

احدهما – ما كان بفعلهما، أي أنه يثبت بفعلهما، فنحو أن يشتريا شيئا أو يوهب لهما أو يوصى لهما أو يتصدق عليهما فيقبلا.

والأخر – ما كان بغير فعلهما، وهو الذي يثبت بغير فعلهما، نحو أن يرثا شيئاً[٩٩]، والحكم فيها واحد، وهو أن الملك مشترك بينما[١٠٠]، فيصير المشتري والموهوب والموصى به والمتصدق به مشتركا بينهما شركة ملك، وكذلك الحال بالنسبة لما يثبت بغير فعلهما، فيكون الموروث مشتركا بينهما شركة ملك[١٠١]، بمعنى أن كل واحد منهما في نصيب شريكه كالأجنبي، فلا يجوز له التصرف فيه إلا بإذنه[١٠٢]، فما يتولد من الزيادة يكون مشتركاً بينهما بقدر الملك[١٠٣]، لعدم تضمنها وكالة، وأنه يجوز له أن يبيع نصيبه من الشريك في جميع الصور، وأما

من غير الشريك فيجوز بغير أذنه في جميع الصور إلا في صورة الخلط والاختلاط، فإنه لا يجوز بيع أحدهما نصيبه من غير الشريك إلا بإذنه [١٠٤].

وأما النوع الثاني: شركة العقود.

عرف الأحناف هذه الشركة بأنها: عبارة عن عقد بين المتشاركين في الأصل وهو رأس المال، والربح وهو جوهره[١٠٥]، أي واقعة بسبب العقد قابلة للوكالة، وركنها أي (ماهيتها) الإيجاب والقبول[١٠٦]، وهو أن يقول أحدهما شاركتك في كذا وكذا، ويقول الآخر قبلت[١٠٧]، أو ((قالا ما اشترينا فهو بيننا، أو اشترى أحدنا من تجارة فهو يبيننا يكون شركة)) [١٠٨]، وهو اللفظ المفيد للعقد، وسمي بها العقد مجازا لكونه سببا للشركة التي في حقيقتها الخلط، فالعلاقة السببية من إطلاق اسم المسبب على سببه، ولأنه سبب الخلط، فإذا قيل شركة العقد بالإضافة فهي إضافة بيانية[١٠٩].

وأشار السمرقند ي إلى أقسام هذه الشركة قائلاً: ((وأما شركة العقود فعلى ثلاثة أوجه: شركة بالأموال، وشركة بالأعمال، وشركة بالوجوه، ويدخل في كل واحد منها شركة العنان، وشركة المفاوضة)) [١١٠]، ليصبح عددها ستة أقسام، وبه قال الكاساني[١١١]. بينما ذهب السرخسي إلى القول: ((وأما شركة العقد فالجائز منها أربعة أقسام المفاوضة والعنان وشركة الوجوه وشركة التقبل ويسمى هذا شركة الأبدان وشركة الصنائع)) [١١٢]. وحدد الميرغيناني أنواع الشركات بـ((أربعة أوجه مفاوضة وعنان وشركة الصنائع وشركة الوجوه)) [١١٣].

وقال ابن رشد(ت٥٩٥هـ): والشركة بالجملة عند فقهاء الأمصار على أربعة أنواع: شركة العنان، وشركة الأبدان، وشركة المفاوضة، وشركة الوجوه، واحدة منها متفق عليها وهي شركة العنان، وان كان بعضهم لم يعرف هذا اللفظ، والثلاثة الأخرى مختلف فيها، ومختلف في بعض شروطها عند من أتفق منهم عليها[١١٤].

وقال ابن قدامة المقدسي(ت٦٢٠هـ): إن شركة العقود أنواع خمسة: شركة العنان والأبدان والوجوه والمضاربة والمفاوضة[١١٥]. وقال الشربيني(ت٩٩٧هـ) من الشافعية: الشركة من حيث هي أنواع أربعة، الأول شركة الأبدان، و الثاني شركة المفاوضة بفتح الواو، و الثالث شركة الوجوه، **وهذه الأنواع الثلاثة باطلة**. والرابع شركة العنان وهي صحيحة بالإجماع [١١٦].

شرائط صحة شركة العقود.

أشترط الإمام السمرقندي شروطاً لصحة شركات العقود، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص ببعضها دون الأخر، فأما الشرائط العامة التي يجب توافرها لصحة شركات العقود فهي :

١- **أهلية الوكالة:** وهو أن يكون التصرف المعقود عليه عقد الشركة قابلاً للوكالة، احترازاً عن الشركة في المباحات التي تملك بالأخذ كالاصطياد والاحتطاب والاحتشاش ونحو ذلك، فإن الملك في كل ذلك يختص بمن باشر السبب، ولأن من حكم عقد الشركة هو ثبوت الاشتراك في الربح المستفاد بالتجارة، ولا يصير المستفاد بالتجارة مشتركا بينهما إلا أن يكون كل واحد منهما وكيلاً عن صاحبه في بعض أموال الشركة، و عاملاً لنفسه في البعض الأخر، وبناءً على ذلك تتطلب الشركة أن يأذن كل شريك لصاحبه في التصرف بالشراء والبيع وتقبل الأعمال، والوكيل هو المتصرف بأذن غيره، فيشترط فيها أهلية الوكالة.

٢- **أن يكون الربح معلوم القدر بجزء محدد:** فإن كان مجهولا تفسد الشركة، لأن الربح هو المعقود عليه، وجهالته توجب فساد العقد كما في البيع والإجارة.

٣- **أن يكون الربح جزءا شائعا في الجملة لا معينا:** فإن عينا ربحاً معيناً لأحدهما كعشرة أو مائة أو نحو ذلك، كانت الشركة فاسدة، لأن العقد يقتضي تحقق الاشتراك في الربح، والتعيين يقطع الاشتراك فيه، لأنه من الجائز أن لا يتحقق

الربح إلا في القدر المعين لأحدهما [١١٧]. وأما الذي يخص البعض دون البعض فيختلف باختلاف أوجه الشركة، وسنتناوله كل حسب موضوعه.

أوجه شركة العقود.

أولاً: شركة الأموال.

وهو أن يشترك اثْنَانِ في رَأْسِ مال، فيقولان اشْتَرَكْنَا فيه على أَنْ نشتري ونبيع معاً أو شتى، أو أطلقا على أَنَّ ما رَزَقَ اللَّهُ عز وجل من رِبْحٍ فَهو بيننا على شرطِ كَذَا، أو يقول أَحدهما ذلك ويقول الآخَرُ نعم، ولَوْ ذَكَرَا الشِّراء دون الْبَيْعِ، فَإِن ذَكَرَا ما يدل على شركة العقود، بأن قالا ما اشترينا فهو بيننا، أو ما اشترى أَحَدُنَا من تِجارةٍ فهو بيننا يكون شركة[١١٨]، لأنهما لما جعلا ما اشتراه كُلُّ واحد بينهما، علم أنهما أرادا به الشركة لا الوكالة، لأن المقصود منها تحصيل الربح، فالأصل في الشركة العموم وهذا المقصود لا يحصل إلا بتكرار التجارة مرة بعد أخرى [١١٩].

١- شرائط صحة شركة الأموال.

أشار الإمام السمرقندي إلى شرائط صحة شركة الأموال فقال: وأما الشركة بالأموال فلها شروط، عنانا كانت الشركة أو مفاوضة منها :

أ- أن يكون مال الشركة عيناً حاضرا، إما عند العقد أو عند الشراء، وهو رأي جمهور العلماء، ولا يجوز بمال غائب أو دين في الحالين، لان المقصود من الشركة الربح، وهو يتم بواسطة التصرف، ولا يمكن التصرف في حالتي الدين والمال الغائب[١٢٠].

ب- أن يكون رأس مال الشركة من الأثمان المطلقة، كالدراهم والدنانير، عِناناً كانت الشركة أو مفاوضة عند جمهور العلماء. وأضاف السمرقندي: ويصح عقد الشركة فيهما بالإجماع، ولو كان من أحدهما دراهم ومن الأخر دنانير: جازت الشركة عندنا، وعند زفر: لا يجوز. وأما التبر فلا تصح الشركة به، وخلط الماليين ليس بشرط عندنا، وعند زفر شرط [١٢١].

وأما المكيل والموزون والعديدات المتقاربة: فلا تصح الشركة بها، قبل الخلط، بالإجماع، لأنها ليست بأثمان عند التعيين، والشركة لا تصح فيها إلا وهي ثمن، وإنما هي أثمان في الذمة، أما بعد الخلط: فتصح الشركة عند الإمام محمد بن الحسن الشيباني [١٢٢].

وإنما يظهر الخلاف فيما إذا كان المكيل نصفين، وقد شرطا أن يكون الربح أثلاثا، فخلطاه واشتريا به: قال أبو يوسف: الربح على قدر الماليين، وقال محمد: على ما شرطا [١٢٣].

وأما الشركة بالعروض: فلا تجوز عندنا، لان الشركة تقتضي الوكالة والتوكيل على الوجه الذي تضمنه الشركة، ولأنها ليست من ذوات الأمثال، وإنما من ذوات القيمة التي تختلف باختلاف أعيانها، ولأن الشركة في العروض تؤدي إلى جهالة الربح عند قسمة رأس مال الشركة، لأن رأس المال يكون قيمة العروض لا عينها والقيمة مجهولة، لأنها تعرف بالحزر والظن، فيصير الربح مجهولا فيؤدي إلى المنازعة عند القسمة، وهذا المعنى لا يوجد في الدراهم والدنانير لأن رأس المال من الدراهم والدنانير عند القسمة عينها فلا يؤدي إلى جهالة الربح[١٢٤].

وذهب الإمام مالك إلى القول بجواز الشركة في العروض، لأنه لا يشترط كون رأس مال الشركة نقداً، وإنما تصح بالدراهم والدنانير، كما تصح بالعروض سواء اتفقا جنساً أو اختلفا، لأن العروض مقدرة بقيمتها، ودليله أن الشركة عقدت رأس مال معلوم، فأشبهت النقود[١٢٥].

٢- أقسام شركة الأموال.

أ- شركة العنان.

تعريف شركة العنان لغة واصطلاحاً:

شركة العنان لغة: العنان (بفتح العين وكسرها)، أختلف في تسميتها فقيل أنها مشتقة من العنان مشتق من قول القائل عنّ لي كذا يعنّ عنوناً، إذا عرض وظهر أمامك، قال امرئ القيس:

فعنّ لنا سرب كأن نعاجه   عذارى دوار في ملاء مذيّل(١٢٦).

وقيل أنها سميت بالعنان لأن الأصل في الشريكين أن يتساويا في المال والتصرف، كالفارسين إذا سوّيا بين فرسيهما وتساويا في السير، فإن عناني فرسيهما يكونان سواء، لان العنان طاقان متساويان، بمعنى أن راكب الدابة يمسك بإحدى يديه ويعمل بالأخرى، وكل واحد من الشريكين يجعل عنان التصرف في بعض المال إلى صاحبه دون البعض، فيجوز في هذه الشركة أن يتساويا في رأس المال والربح، أو يتفاوتا في المال والربح كما يتفاوت العنان في كف الفارس طولاً أو قصراً في حالتي الإرخاء وضده، على معنى ان للدابة عنانين أحدهما أطول والأخر أقصر، فسميت عناناً(١٢٧).

ولقد كان العرب قبل الإسلام يتعاطون هذه الشركة قال النابغة (١٢٨):

وشاركنا قريشا في بقاها   وفي أحسابها شرك العنان(١٢٩).

شركة العنان اصطلاحا: وهو أن يشترك اثنان برأس مال لهما يحضره كل واحد منهما على أن يتجرا فيه، والربح بينهما حسب اتفاقهما(١٣٠)، أي والخسارة عليهما أيضاً، فالشركاء يشتركون في الربح والخسارة ولا يصح إعفاء أحدهما من تحمل الخسارة مع مقاسمته في الربح، وهذا المبدأ مقرر شرعاً وقانوناً (١٣١).

وقال الإمام السمرقندي: ((فتفسيرها أن يشارك صاحبه في بعض الأموال ... لا في جميع الأموال، ويكون كل واحد منها وكيلا عن صاحبه في التصرف في النوع الذي عينا من أنواع التجارة، أو في جميع أنواع التجارة إذا عينا ذلك، أو أطلقا، وببيان قدر الربح)) (١٣٢).

حكم شركة العنان وشرائطها:

قال الإمام السمرقندي: وهذه الشركة جائزة بلا خلاف(١٣٣)، ذكره ابن المنذر(ت٣١٨هـ)(١٣٤)، لأنها تقتضي الوكالة في التصرف، عن كل واحد منهما، لصاحبه، والتوكيل صحيح، فتجوز هذه الشركة بين كل من كان من أهل التجارة مأذونا فيها، كالعبد المأذون والصبي المأذون والمكاتب والذمي، كما تجوز بين الأحرار البالغين المسلمين، لان قبول الوكالة صحيح منهم (١٣٥)، وإنما اختلف في بعض شروطها كما اختلف في علة تسميتها(١٣٦).

وأما شرائط شركة العنان فهي:

١- لا يشترط في شركة العنان المساواة بين رأسي المال، فيجوز مع تفاضل الشريكين في رأس المال، كما لا يشترط التساوي في الربح، بل تصح هذه الشركة مع التفاوت في الربح، لأن فضل الربح لأحدهما قد تكون مقابل كفائته ومهارته في العمل، والأصل في ذلك: أن الربح إنما يستحق إما بالمال، وإما بالعمل، وإما بالضمان، لأن الربح نماء رأس المال فيكون لمالكه (١٣٧).

٢- ويجوز لهما أن يكون الربح بينهما، إذا شرطا ذلك على قدر المالين متساويا أو متفاضلاً سواء شرطا العمل عليهما أو على أحدهما، والوضيعة على قدر المالين متساويا ومتفاضلاً، لأن الوضيعة اسم لجزء هالك من المال فيتقدر بقدر المال. وأما إن كان المالان متساويين فشرطا لأحدهما فضلا على ربح، ينظر إن شرطا العمل عليهما جميعا جاز، والربح بينهما على الشرط في قول أصحابنا الثلاثة

(أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني)، بينما ذهب زفر إلى القول بأنه: لا يجوز أن يشترط لأحدهما أكثر من ربح ماله، وبه أخذ الشافعي، ولا خلاف في شركة الملك أن الزيادة فيها تكون على قدر المال [١٣٨].

٣- ويجوز أن يشترطا العمل على الذي شرط له فضل الربح، لأنه عامل في ماله، وربحه له، وعامل في مال شريكه ببعض ربحه، والربح يستحق بالعمل، وإن شرطا العمل على أقلهما ربحا: لا يجوز، لأنه شرط للأخر فضل ربح بغير عمل ولا ضمان، والربح لا يستحق إلا بمال أو عمل أو ضمان[١٣٩].

٤- كما لا يشترط أن تكون الشركة في عموم التجارات، بل يجوز لهما أن يشتركا في بعضها دون البعض الآخر، كالبز والخز والرقيق والثياب ونحو ذلك، لأنها تقوم على الوكالة، والوكالة تقبل العموم والتخصيص والتقييد والأصل أن الربح إنما يستحق عندنا إما بالمال وإما ومعناه وإما بالضمان أما ثبوت الاستحقاق بالمال فظاهر لأن الربح نماء رأس المال فيكون لمالكه [١٤٠].

٥- ويحق لكل واحد من الشركاء أن يبيع ويشتري مساومة أو مرابحة حسب المصلحة؛ لأن مبنى هذه الشركة على الوكالة فينفذ تصرف كل واحد منهما بحكم الملك في نصيبه، والوكالة في نصيب شريكه[١٤١].

ب- شركة المفاوضة.

تعريف شركة المفاوضة لغة واصطلاحاً:

شركة المفاوضة لغة: المفاوضة مصدر مفاعلة من التفويض، بمعنى المساواة والمشاركة، كأن كل واحد من الشريكين رد ما عنده إلى صاحبه[١٤٢]، وسمي هذا النوع من الشركة مفاوضة لاعتبار المساواة فيه في رأس المال والربح والتصرف وغير ذلك، وقيل لأن كل واحد منهما يفوض التصرف إلى صاحبه على كل حال[١٤٣]. والفوضة الشركة، والناس فوضى في هذا الأمر أي سواء لا تباين

بينهم [١٤٤]، ويقال مالهم فوضى بينهم، إذا لم يخالف أحدهم الآخر، ومن ذلك قولهم: باتوا فوضى، أي مختلطين، وتفاوض الشريكان في المال، إذا اشتركا ففوض كلُّ أمره الى صاحبه، هذا راضي بما صنع ذاك، وذاك راضي بما صنع هذا مما أجازته الشريعة[١٤٥].

المفاوضة اصطلاحا: ويقال لها شركة مفاوضة بالتوصيف، وشركة المفاوضة بالإضافة [١٤٦]، وهي شركة متساويين أو أكثر، مالاً وتصرفاً، وحرية كاملة وبلوغا ودينا، وهي من أقسام شركة العقود أيضا [١٤٧].

وبناء على ذلك فإن المعنى الاصطلاحي لا يكاد يفترق عن المعنى اللغوي: وهي أن يتعاقد اثنان فأكثر على أن يشتركا في عمل بشرط أن يكونا متساويين في رأسي مالهما وتصرفهما ودينهما، لأنها شركة عامة في جميع التجارات، مشتملة على الوكالة والكفالة، والتساوي في الربح والمال، لأن كل واحد منهما يفوض التصرف إلى صاحبه على كل حال [١٤٨].

وأما شروط صحة شركة المفاوضة فهي:

١-أن تكون في جميع التجارات، ولا يختص أحدهما بتجارة دون شريكه، لما في الاختصاص من إبطال معنى المفاوضة وهو المساواة، وأن يكون ما يلزم أحدهما من حقوق ما يتجران فيه لازما للأخر، وما يجب لكل واحد منهما يجب للأخر.

٢-يجب أن يتساويا في رؤوس الأموال: في قدرها وقيمتها، كما يجب أن يتساويا في الربح، فإن تفاوتا في شئ من ذلك، لم تكن مفاوضة وكانت عنانا، ولايختص أحدهما بملك مال يصلح أن يكون رأس ماله في الشركة من النقود. [١٤٩].

٣-أن يكون كل واحد منهما فيما وجب لصاحبه بمنزلة الوكيل، وفيما وجب عليه بمنزلة الكفيل عنه، لان هذه الشركة مشتملة على الوكالة والكفالة والتساوي في الربح والمال الذي يقع به الشركة، بمعنى أن كل واحد منهما يفوض التصرف إلى

صاحبه في جميع مال التجارة[١٥٠]، ولهذا لا تجوز إلا بين المسلمين الحرين البالغين العاقلين لتساويهما في أهلية الكفالة وأهلية سائر التصرفات، بخلاف العبد والصبي والمكاتب والذمي والمجنون[١٥١].

٤-إن كل ما يجوز لشريك العنان أن يفعله، يجوز للمفاوض أن يفعله أيضا، لأن شركة المفاوضة أعم، ثم إن كل ما هو شرط في صحة شركة العنان، فهو شرط في صحة شركة المفاوضة، وكل ما فسدت به شركة العنان فهو مفسد لشركة المفاوضة [١٥٢].

حكم شركة المفاوضة:

أشار الإمام السمرقندي إلى حكم شركة المفاوضة عندما تناول شرائط الصحة فيها، قائلاً: ((وأما شركة المفاوضة: فشرط صحتها أن تكون في جميع التجارات، ولا يختص أحدهما بتجارة دون شريكه، وأن يكون ما يلزم أحدهما من حقوق ما يتجران فيه لازما للأخر، وما يجب لكل واحد منهما يجب للأخر، ويكون كل واحد منهما، فيما وجب لصاحبه، بمنزلة الوكيل، وفيما وجب عليه بمنزلة الكفيل عنه)) [١٥٣]، فهي جائزة عند الإمام أبي حنيفة(ت١٥٠هـ) وأصحابه[١٥٤]، والأوزاعي(ت١٥٧هـ) والثوري(ت١٦١هـ)[١٥٥]، والإمام مالك(ت١٧٩هـ)، وصفتها عنده ان يفوض كل واحد منهما إلى الأخر التصرف في رأس المال استقلالاً مع حضور صاحبه أو غيبته، وتكون يده كيده مما تحتاج إليه التجارة من تصرف، ويلزم كل شريك بكل ما يعمله شريكه، ولا تكون إلا فيما تم العقد عليه من أموالهم، من دون ما ينفرد به كل منهم من مال لم يدخله في الشركة[١٥٦].

وذهب الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ)، و الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) إلى القول ببطلان هذه الشركة [١٥٧]. وقال الشافعي: إن كان في الدنيا عقد فاسد فهو المفاوضة وعدها ضرب من القمار، ولأنها تتضمن الكفالة بالمجهول للمجهول[١٥٨].

وقال ابن قدامة المقدسي(ت٦٢٠هـ): لا تصح شركة المفاضلة لان فيها غرر، كبيع الغرر، وبيان غره انه يلزم كل واحد ما لزم الأخر، فقد يلزمه شيء لا يقدر على القيام به[١٥٩].

ثانياً: شركة الوجوه، وتسمى (شركة المفاليس).

١-تعريف شركة الوجوه :

وهي أن يشترك اثنان في نوع أو أكثر بلا مال ولا عمل لهما، ليشتريا ويبيعا نقدا أو نسيئة بوجوههما، على أن ما اشتريا أو اشترى أحدهما، فهو بينهما نصفان، وسُميت (شركة الوجوه)لأنه لا يشتري بالنسيئة إلا من له وجه عند الناس، ولما فيها من ابتذال الوجوه أي الوجاهة بين الناس وشهرتها بحسب المعاملة، أو لما أنهما إنما يشتريان بوجاهتهما، إذ ليس لهما مال يشتريان بنقد، ولذا سميت بشركة المفاليس[١٦٠].

وعرف ابن رشد(ت٥٩٥هـ) شركة الوجوه: بأنها شركة على الذمم من غير صنعة ولا مال[١٦١]. وقال ابن قدامة المقدسي(ت٦٢٠هـ) : شركة الوجوه ان يشترك بدنان بمال غيرهما، وذلك بأن يشترك اثنان فيما يشتريان بجاههما، وثقة التجار بهما من غير أن يكون لهما رأس مال، على أن ما اشتريا بينهما نصفين أو ثلاثاً أو أرباعاً أو نحو ذلك، ويبيعان ذلك، فما قسم الله تعالى فهو بينهما، فهي جائزة سواء عين أحدهما لصاحبه ما يشتريه أو قدره، أو وقته أو ذكر صنف المال أو لم يعين شيئاً من ذلك، بل قال ما اشتريت من شيء فهو بيننا[١٦٢].

قال الإمام السمرقندي: ((وهي عقد جائز عندنا، ... لتعامل الناس في الإعصار من غير نكير)) [١٦٣]. وهو مروي عن الإمام أبي حنيفة(ت١٥٠هـ)، واليه ذهب علماء الحنفية[١٦٤]، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ): على أن ما يشتريه كل واحد منهما بينهما، والثوري(ت١٦١هـ)، و ابن المنذر(ت٣١٨هـ)[١٦٥].

بينما ذهب الإمام مالك(ت١٧٩هـ)، والإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) إلى القول بأنها شركة باطلة[١٦٦]. قال ابن رشد(ت٥٩٥هـ): وعمدة الإمام مالك والشافعي: ((أن الشركة إنما تتعلق على المال أو على العمل، وكلاهما معلومان في هذه المسالة مع ما في ذلك من الغرر، لان كل واحد منهما عارض صاحبه بكسب غير محدود بضاعة ولا عمل مخصوص))[١٦٧].

٢-أقسام شركة الوجوه: **تقسم شركة الوجوه إلى نوعين أيضاً**:

أ- شركة مفاوضة:

وشرط جواز هذا النوع من شركة الوجوه عند الإمام السمرقندي: أن يكون الشريكان فيها من أهل الوكالة والكفالة، يتضامنان في التزام الحقوق والواجبات، وأن يلتزم كل منهما بالثمن الذي يشتريان به نسيئة بالتساوي، على كل واحد منهما النصف، وأن يكون المشتري بينهما نصفين، وأن يكون الربح بينهما نصفين، ومنها أن يتلفظا بلفظ المفاوضة، لأن هذه الشركة قائمة على المساواة التامة بين الشريكين[١٦٨].

ب- شركة عنان:

وأما هذا لنوع من شركة الوجوه فلا يشترط لها أهلية الكفالة، ولا المساواة بينهما في ملك المشتري، حتى لو اشتركا بوجوههما على أن يكون ما اشتريا أو أحدهما بينهما نصفين أو أثلاثا أو أرباعا، وكيف ما شرطا على التساوي والتفاضل كان جائزا، لأنهما أطلقا الشركة، والشركة المطلقة تقتضي العنان، وضمان ثمن المشتري بينهما على قدر ملكيهما في المشتري، كما يكون الربح على قدر تحملهما ثمن المشترى، فإن شرطا لأحدهما فضل ربح على حصته من الضمان فالشرط باطل، ويكون الربح بينهما على قدر ضمانهما ثمن المشتري[١٦٩].

ثالثاً: **شركة الأعمال**.

١-تعريف شركة الأعمال وحكمها:

وتسمى شركة الصنائع، وشركة التقبل، وشركة الأبدان، وشركة التضمن أيضاً، وتعتمد هذه الشركة على الجهد البدني أو الفكري، لان العمل يكون بالبدن، وهو أن يشترك اثنان في عمل من الأعمال كالخياطة أو القصارة أو غيرهما، فيقولا اشتركنا على أن نعمل فيه على أن ما رزق الله عز وجل من أجرة فهي بيننا على شرط بحسب الاتفاق [١٧٠].

قال الإمام السمرقندي: ((وهذه الشركة جائزة عندنا))[١٧١]، وهو مروي عن الإمام أبي حنيفة(ت١٥٠هـ) وأصحابه[١٧٢]، سواء أكانت الشركة عنانا أو مفاوضة [١٧٣]، والأصل في جوازها أنها تشتمل على الوكالة، والوكالة جائزة، والمشتمل على الجائز جائز، وتوكيل كل واحد منهما صاحبه بتقبل العمل صحيح، فكذلك الشركة، ولتعامل الناس بها من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا من غير نكير[١٧٤].

وذهب الإمام مالك(ت١٧٩هـ)، والإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، إلى القول بجواز هذه الشركة [١٧٥]. واشترط زفر (ت١٥٨هـ) من علماء الحنفية، لجواز هذه الشركة اتفاق الأعمال [١٧٦].

بينما الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)، و ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، إلى القول ببطلان هذه الشركة[١٧٧]، لأن الشركة عندهم تختص بالأموال لا بالأعمال، لأن الشركة إنما شرعت لاستنماء المال بالتجارة، ولابد من أصل يستنمي، ولأن العمل فيها لا يخلو من الغرر وعدم الانضباط، فلا يدري احدهما أن صاحبه يكسب أم لا، وربما قام أحد الشريكين بالعمل كله من دون الأخر، فيكون فيه غبن واضح عندما يتقاسم الشريكان

ثمار العمل، لان كل واحد منهما متميز عن الأخر ببدنه ومنافعه فيختص بفوائده[١٧٨].

ويرد الأحناف على ذلك في استدلالهم بأن الشركة إنما شرعت لاستنماء المال، فنحتاج إلى أصل يستنمي وهو المال، فنقول الشركة بالأموال شرعت لتنمية المال، وأما الشركة بالأعمال أو بالوجوه فما شرعت لتنمية المال، بل لتحصيل أصل المال، والحاجة إلى تحصيل أصل المال فوق الحاجة إلى تنميته، فلما شرعت لتحصيل الوصف فلأن تشرع لتحصيل الأصل أولى [١٧٩].

٢-أقسام شركة الأعمال:

قال الإمام السمرقندي: وهذا النوع من الشركات قد تكون مفاوضة، وقد تكون عنانا [١٨٠] :

أ- فأما شركة المفاوضة:

يشترط في هذا النوع من شركة الأعمال مراعاة لفظ المفاوضة، أو ما في معنى المفاوضة، وأهلية الكفالة، وذلك بأن يشترك العاملان على تقبل جميع الأعمال، ويكون كل واحد منهما كفيلا عن صاحبه في ضمان العمل، وكل ما يلزم أحدهما من حقوق يلزم الأخر فيما لحقه بسبب هذه الشركة، وأن يضمنا جميعا العمل على التساوي، وأن يتساويا في الربح والوضيعة [١٨١].

ب- شركة العنان:

وأما في هذا النوع فلا يشترط فيها ما يشترط في شركة المفاوضة من أهلية الكفالة والتساوي في الربح، وإنما يشترط لها أهلية الوكالة فقط، فلكل واحد منهما أن يتقبل العمل، ومتى تقبل يجب عليه وعلى شريكه، لأن كل واحد منهما بعقد الشركة أذن لصاحبه بتقبل العمل عليه، فصار وكيله فيه، كأنه تقبل العمل بنفسه، فإن شرطا على أن ما قبلا من الأعمال وضمنا العمل، فعلى أحدهما الثلثان من العمل، وعلى

الأخر الثلث، والأجر والوضيعة بينهما على قدر ذلك، فهذه شركة عنان لوجود معنى شركة العنان، وكذا لو أطلقا فهي شركة عنان أيضا استحسانا، لا نهما جميعا قبلا الأعمال وضمنا تسليم ذلك إلى صاحبه [١٨٢].

وبناء على ذلك تخرج الشركة بالأعمال في المباحات من الصيد والحطب والحشيش في البراري، وما يكون في الجبال من الثمار، وحفر المعادن، وما أشبه ذلك، وعدها الإمام السمرقندي من أبواب الشركة الفاسدة، فإن اشتركا على أن ما أصابا من ذلك فهو بينهما، فالشركة فاسدة، ولكل واحد منهما ما أخذه، لان الشركة تقتضي الوكالة، والوكالة في الاصطياد ونحوه لا تصح، وإذا فسدت، فالأخذ سبب الملك، فيكون ملكا له لاستوائهما في سبب الملك.

وإن أخذ كل واحد منهما شيئا بانفراده وخلطاه، وباعاه: فإن كان مما يكال ويوزن: يقسم الثمن على قدر الكيل والوزن الذي لكل واحد منهما، وإن كان مما لا يكال ولا يوزن، يقسم الثمن بينهما، بالقيمة، فيأخذ كل واحد منهما بقيمة الذي له، وإن لم يعرف الكيل والوزن والقيمة، يصدق كل واحد منهما، فيما يدعي إلى النصف، وإن ادعى أكثر. وإن أخذاه جميعا معا كان المأخوذ بينهما نصفين لاستوائهما في سبب الاستحقاق فيستويان في الاستحقاق [١٨٣].

الخلاصة والنتائج.

يمكن استخلاص أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، بما يلي :

١- يعد هذا كتا بـ(تحفة الفقهاء) من أمهات الكتب المعتمدة في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو في الحقيقة يعتبر شرحاً على مختصر أبي الحسن القدوري، رتبه الإمام السمرقندي على أحسن ترتيب، فيذكر ترجمة الباب أو الفصل، ثم يعقب ذلك بإيجاز لما في الباب من مواضيع سيبحثها، فجاءت عباراته وإشاراته الاقتصادية في موضوع الشركات مركزة وفي غاية الدقة والإيجاز، فتصدر تلميذه الكاساني ببسط وشرح هذه الآراء في كتابه(بدائع الصنائع)، متجهاً في إبداعه وحسن تنظيمه وتنسيقه نحو وجهة شيخه، فحاز على ثناء وتقدير شيخه.

٢- يمكن القول إن العصر الذي عاش فيه الإمام السمرقندي، كان له الأثر البالغ في صياغة آراءه الإقتصادية في الشركات، فقد نشطت الحركة الفكرية والعلمية في ذلك العصر والذي سبقه، وكانت مدن ما وراء النهر مركزا لاجتذاب العلماء وطلبة العلم، فضلاً عن النشاط الاقتصادي لهذه المدن، إذ إن المنطقة المحصورة بين نهري جيحون وسيحون تشكل مجمع طرقات نجمية تتفرع في جميع الاتجاهات نحو الصين والهند وتركستان وفارس، فكانت مدنها ملتقى هذه الطرق، فكان لها أثرها في صياغة الأفكار والآراء الاقتصادية وبيان مشروعيتها.

٣- على الرغم من القصور الواضح في تناول شخصية الإمام السمرقندي ونشأته العلمية من قبل أصحاب التراجم، إلا إننا نلاحظ من خلال دراسة مصنفاته، والوقوف على مؤهلات تلاميذه، أنه شخصيته قد حظيت بمكانة علمية متميزة في العلوم الشرعية، فأقر له العلماء بالإمامة في الفقه وأصوله وعلم الكلام، فتصدر لتحمل مسؤولية الإفتاء.

٤- اعتمد الإمام السمرقندي في صياغة أفكاره وآراءه الاقتصادية في الشركات على المصادر الأساسية في التشريع الإسلامي (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)، فضلاً عن آراء العلماء الأحناف، كما تطرق إلى آراء أصحاب المدارس الفكرية كالإمام الشافعي، مبيناً ومرجحاً لآراء المدرسة التي ينتمي إليها.

الهوامش

(١) سمرقند: (بفتح أوله وثانيه) ويقال لها بالعربية سمران بلد معروف مشهور، قيل انه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، وهي فرضة ما وراء النهر، ومعظم جهاز ما وراء النهر يقع بها ثم يتفرق إلى سائر الكور. (ينظر: الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي(توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)، المسالك والممالك، تحقيق: د. محمد جابر عبد العال الحيني، ومراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، (القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص ص١٧٧-١٧٨. ياقوت الحموي، بن عبد الله الحموي أبو عبد الله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر (بيروت، بلا تاريخ)، ج٣، ص٢٤٦).

(٢) القرشي أبو محمد، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء(ت٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، نشر مير محمد كتب خانه، (كراتشي، بلا تاريخ)، ج١، ص٣٠، وص ٢٤٤. ابن قطلوبغا، أبي العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا(٨٧٩هـ)، تاج التراجم في طبقات الحنفية، مكتبة المثنى، ومطبعة العاني، (بغداد، ١٩٦٢م)، ص ٦٠، رقم الترجمة (١٧٧). الحميدي، علاء الدين بن أمر الله، المعروف بابن الحنائي، وقنالي زادة(ت٩٧٩هـ/١٥٧٢م)، طبقات الحنفية، دراسة وتحقيق: أ. د. محي هلال السرحان، مطبعة ديوان الوقف السني، (بغداد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٢، ص ص ٩٨ - ٩٩، الترجمة : ١١١، و ص ص ١٤٠ - ١٤١، الترجمة: ١٤١. القاري، علي بن سلطان محمد(ت١٠١٤هـ)، الثمار الجنية في أسماء الحنفية، دراسة وتحقيق: د. عبد المحسن عبد الله أحمد، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١،(بغداد، ٢٠٠٩م)، ج٢، ص٥٥٦، رقم الترجمة ٤٤٨.

(٣) السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد(ت٥٦٢هـ)، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، ط١،(بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ج٢، ص٨٤، رقم الترجمة ٦٨٧.

(٤) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٣٠، و ص ٢٤٤. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٦٠، رقم الترجمة (١٧٧). الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص ٩٨ – ٩٩، الترجمة:١١١، و ص ص ١٤٠ – ١٤١، الترجمة:١٤١. القاري، الثمار الجنية، ج٢، ص٥٥٦، رقم الترجمة ٤٤٨. السمعاني، التحبير، ج٢، ص٨٤، رقم الترجمة ٦٨٧.

(٥) علاء الدين السمرقندي، محمد بن أحمد (من علماء القرن السادس الهجري)، ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، دراسة وتحقيق وتعليق: د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، ج١، مقدمة المحقق ص ص ١٤–١٥. وينظر أيضاً: الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، هامش: ص ١٤٠.

(٦) السمعاني: وهو عبد الكريم بن محمد بن منصور، أبو سعد السمعاني، المروزي الشافعي، ولد في سنة (٥٠٦هـ)، محدث المشرق، وصاحب التصانيف الكثيرة، والفوائد الغزيرة، والرحلة الواسعة، عمل معجم شيوخه في عشر مجلدات كبار، وكان واسع الرحلة صدوقا ثقة دينا جميل، قال ابن كثير: رحل إلى بغداد فسمع بها، وذيل على تاريخها للخطيب البغدادي، وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم، وذكر عنه أنه كان يتعصب على أهل مذهبه، ويطعن في جماعة منهم، توفي سنة(٥٦٢هـ). ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت،بلا تاريخ)، ج١٢، ص٢٥٤. الدمشقي، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق:عبد القادر

الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير، ط١،(دمشق، ١٤٠٦هـ)، ج٤، ص ص٢٠٥ – ٢٠٦.

(٧) السمعاني، التحبير، ج٢، ص٨٤، رقم الترجمة ٦٨٧. علاء الدين السمرقندي، ميزان الأصول، ج١، مقدمة المحقق ص١٧، نقلاً عن التميمي، تقي الدين بن عبد القادر(ت١٠١٠هـ) مخطوطة (الطبقات السنية في تراجم الحنفية)، نسخة دار الكتب المصرية ورقة(٣٨٨)، ونسخة مكتبة نور عثمانية في ورقة(٢٩٨)،. وينظر أيضاً: الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، هامش: ص ١٤٠.

(٨) السمعاني، التحبير، ج٢، ص٨٤، رقم الترجمة ٦٨٧.

(٩) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٦، (بيروت، ٢٠٠٥هـ)، ج٥، ص ٣١٧.

(١٠) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت١٠٦٧م)، كشف الظنون، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج٢، ص ٧٣١.

(١١) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا تاريخ)، ج٨، ص٢٦٧.

(١٢) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ٢٧٠، رقم الترجمة ١٩٣.ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ص ٦٥ – ٦٦، رقم الترجمة (١٩٨). الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص ١٠١ – ١٠٢، رقم الترجمة ١١٣.

(١٣) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ٣٧٢، رقم الترجمة١٠٢٤. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٤١، رقم الترجمة (١٢٢).

(١٤) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ٥٢، رقم الترجمة٥٩١، وص ١٨٩، رقم الترجمة٥٩١. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٧٨، رقم الترجمة (٢٤٠).

(١٥) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٧٨، رقم الترجمة (٢٤٠).

(١٦) النوسوخي:نسبة إلى نوسوخ بلدة من بلاد فرغانة، وذكرها القرشي بـ(اليرسوخي) بالياء والراء في طبعة الهند، ينظر القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ٥١، رقم الترجمة ١٦٤. بينما نقل الأستاذ الدكتور محي هلال السرحان عن الطبعة المحققة من الجواهر المضية التي نشرها الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو في مطبعة عيس البابي الحلبي بمصر (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) بـ(النوسوخي)، والتي لم يتيسر لنا الحصول عليها، ينظر: الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص١٣١–١٣٢، رقم الترجمة ١٣٣، وهامش (١٢).

(١٧) صاحب الهداية: وهو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني، أبو الحسن برهان الدين المرغيناني، نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة)، كان من أكابر فقهاء الحنفية، كان حافظا مفسرا محققا أديبا، من المجتهدين، توفي في سنة (٥٩٣هـ)، ومن تصانيفه: كتاب (بداية المبتدى في الفقه) وشرحه كتاب(الهداية في شرح البداية) وغيرهما. ينظر: القرشي، طبقات الحنفية، ج١، ص٣٨٣، رقم الترجمة ١٠٥٨. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٤٢، رقم الترجمة ١٢٤.

(١٨) مرو: (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده واو)، المرو: الحجارة البيض، تقتدح بها النار، وهي مدينتان: مرو الروذ (بضم الراء المهملة وبالذال المعجمة)، ومرو الشاهجان (بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء بعدها جيم)، وكلاهما من بلاد فارس، والمرو بالفارسية المرج، فمعنى مرو الروذ وادي المرج أو النهر، لوقوعها على النهر، وهي صغيرة بالنسبة إلى مدينة مرو الشاهجان والتي معناها مرج نفس الملك، وهذه أشهر مدن خراسان وبينهما خمسة أيام، خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون مروروذي ومروذي، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخا، ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون

فرسخا اثنان وعشرون منزلا. ينظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٧٨/هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج٤، ص ص ١٢١٦ – ١٢١٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ص ١١٢–١١٣.

(١٩) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ص ٥١ – ٥٢، رقم الترجمة ١٦٤. الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص١٣١–١٣٢، رقم الترجمة ١٣٣.

(٢٠) الكاشاني: نسبة إلى كاشان(بالشين المعجمة وآخره نون) مدينة بما وراء النهر على بابها وادي أخسيكث. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٣٠. وقد وردت بهذا اللفظ عند : ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٨٤، رقم الترجمة (٢٦٢). الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص١٦٣، رقم الترجمة ١٥٧.

(٢١) كاسان: (يروى بالسين المهملة)، وهي مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان، وراء نهر سيحون، وراء الشاش، ولها قلعة حصينة، وعلى بابها وادي أخسيكث، وكانت مدينة عامرة آهلة كثيرة الخيرات واسعة الساحات متهدلة الأشجار حسنة النواحي والأقطار ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٥، وص ٤٣٠. ووردت بهذا اللفظ عند : القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٤٤، رقم الترجمة ٤٠. الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص١٦٣، هامش(٣). القاري، الثمار الجنية، ج٢، ص٧٠٥.

(٢٢) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٤٤، رقم الترجمة ٤٠. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٨٤، رقم الترجمة (٢٦٢). الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص١٦٤–١٦٩، رقم الترجمة ١٥٧. القاري، الثمار الجنية، ج٢، ص ص٧٠٥–٧٠٧.

(٢٣) القاري، الثمار الجنية، ج٢، ص ص٧٠٥.

(٢٤) نور الدين محمود: وهو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك، قسيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زنكي الملقب بالشهيد بن الملك آقسنقر الأتابك، الملقب بقسيم الدولة التركي السلجوقي مولاهم، ولد سنة (٥١١هـ) بحلب، نشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما، وتعلم القرآن والفروسية والرمي، وكان شهما شجاعا ذا همة عالية، عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث وأسمعه طلبا للأجر، توفي سنة (٥٦٩هـ). ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن محمد(٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،ط٢، (بيروت/ ١٤١٥هـ)، ج١٠، ص ص٥٥-٥٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ص٢٧٧ - ٢٧٨، وص٢٨٣.

(٢٥) رضي الدين السرخسي: وهو محمد بن محمد بن محمد الملقب برضي الدين وبرهان الإسلام السرخسي، الإمام الكبير الجامع للعلوم العقلية والنقلية، أخذ العلم عن الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازة، قدم حلب ودرس بالمدرسة النورية والحلاوية بعد محمود الغزنوي، فتعصب عليه جماعة ونسبوه إلى التقصيرألف كتابه المحيط وسماه بالمحيط الرضوي تمييزاً له عن المحيط البرهاني، تناول فيه عامة مسائل الحنفية توفي سنة(٥٤٤هـ). ينظر: القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ٣٦٤. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٥٨. الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص١٧٠-١٧٢، رقم الترجمة ١٥٨، وهامش١، ص١٧٠.

(٢٦) الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص١٦٩. القاري، الثمار الجنية، ج٢، ص ٧٠٧.

(٢٧) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٤٦. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٨٤. الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد(ت٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، ط١،(بيروت،١٤٢٠ه/٢٠٠٠م)، ص٧.

(٢٨) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ص ٢٧٨- ٢٧٩، رقم الترجمة٢١٧. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٨٤. الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ١٤٠، وهامش٣ ص١٤١، وص ١٦٩.

(٢٩) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ص ١١٨ - ١١٩، رقم الترجمة٢٣٢، وص ٢٧٠. الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص ص١٧٢- ١٧٣، رقم الترجمة ١٥٩.

(٣٠) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص ٢٧٨.

(٣١) السمعاني، التجبير في المعجم الكبير، ج٢، ص٨٥.

(٣٢) الكاساني، بدائع الصنائع، ج١، ص٧.

(٣٣) القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص٢٨، رقم الترجمة ٨٤. وينظر أيضاً: ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٦٠، رقم الترجمة (١٧٧).

(٣٤) حاجي خليفة، كشف الظنون،ج١، ص ص ٣١٦- ٣١٧، وج٢، ص ٧٣١.

(٣٥) الزركلي، أعلام، ج٥، ص٣١٧. كحالة، معجم المؤلفين، ج٨، ص ٢٦٧.

(٣٦) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٦٠، رقم الترجمة (١٧٧). الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص١٤٠. حاجي خليفة، كشف الظنون،ج١، ص ص ٣١٦- ٣١٧، وج٢، ص٧٣١. الزركلي، أعلام، ج٥، ص٣١٧. كحالة، معجم المؤلفين، ج٨، ص ٢٦٧.

(٣٧) حاجي خليفة، كشف الظنون،ج١، ص ص ٣١٦– ٣١٧. السمرقندي، ميزان الأصول، مقدمة المحقق، ج١، ص ٤٥.

(٣٨) القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٤٤.

(٣٩) الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص١٤٠، هامش رقم١. حاجي خليفة، كشف الظنون،ج٢، ص ٧٣١. كحالة، معجم المؤلفين، ج٨، ص ٢٦٧.

(٤٠) علاء الدين السمرقندي، ميزان الأصول، دراسة وتحقيق وتعليق: د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، ج١، مقدمة المحقق ص ص ٦٠–٦١.

(٤١) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص٦٠، رقم الترجمة (١٧٧). الحميدي، طبقات الحنفية، ج٢، ص١٤٠، هامش رقم١. حاجي خليفة، كشف الظنون،ج٢، ص ٤٥٥.

(٤٢) حاجي خليفة، كشف الظنون،ج١، ص ٢١٢.

(٤٣) علاء الدين السمرقندي،ميزان الأصول،ج١، مقدمة المحقق، ص ص٥١– ٥٢.

(٤٤) حسنين، عبد المنعم (الدكتور)، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط١،(القاهرة،١٩٥٩م)، ص ص١٧–١٨.

(٤٥) أمين، حسين(الدكتور)، الدولة السامانية والدولة الغزنوية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، (بغداد، ١٩٨٧م)، ص٢١. حسنين، سلاجقة العراق وإيران، ص ص٢٨–٢٩.

(٤٦) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، ط١،(بيروت، ١٣٥٨هـ)،ج٨،ص ص١٠٤–١٠٥.

(٤٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٥٣١ و ص٥٦١ (حوادث ٤٣٦هـ وحودث ٤٤١هـ).

(٤٨) م. ن، ج٩، ص٥٧٥.

(٤٩) ملكشاه: وهو السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان بن داود خلف والده في الملك سنة (٤٦٥هـ)، وهو في السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمره، وقد شجع العلم رغم توجهه للأعمال الحربية، وحفر الترع وأقام الجسور وحصن المدن، كما ولع بالفلك وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية بمعونة وزيره نظام الملك الذي انشأ المدرستين النظاميتين في بغداد ونيسابور توفي سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م). (ينظر: البندراني، الفتح بن علي الأصفهاني، اختصار تاريخ دولة آل سلجوق لمحمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، دار الأفاق الجديدة، ط٢،(بيروت، ١٩٧٨م)، ص ص٧٠– ٧٣. حسن، حسن إبراهيم (الدكتور)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢،(القاهرة، ١٩٨٢)،ج٤، ص ص٢٥–٢٧.

(٥٠) كاشغر: بالتقاء الساكنين والشين المعجمة والغين أيضاً، وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند، وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون، وينسب إليها عدد من العلماء. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣٠).

(٥١) الحسين، ناصر بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، اعتناء محمد إقبال، (لاهور، ١٩٣٣م)، ص ص٦٥–٦٦.

(٥٢) احمد خان: ويعرف بـ (أحمد خان الثاني بن خضر) عامل السلاجقة على سمرقند، أسره ملكشاه سنة (٤٨٢هـ) وقتل في الحرم سنة (٤٨٨هـ). (ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ص١٧١–١٧٢ و ص٢٤٣. زامبور، المستشرق، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، جامعة فؤاد الأول، (القاهرة،١٩٥١م)، ص٣١٢).

(٥٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ص١٧١-١٧٢ و ص٢٤٣.

(٥٤) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، منشورات دار السلاسل، ط١، (الكويت، ١٩٨٨م)، ج٢، ص٤٤٣.

(٥٥) صغديا: ويراد بها الصغد أو صغديانا، وتكتب الصغد بالسين مكان الصاد أي (السغد)، ويشمل الأرض الخصبة فيما بين نهري جيحون وسيحون، وتسمى بنهر الصغد، وقصبتها سمرقند، وقيل هما صغدان، صغد سمرقند، وصغد بخارى، وتعدان قصبتي الصغد، وهي عبارة عن قرى متصلة، لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الأشجار بها، فهي من أطيب ارض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار، واليها ينسب طائفة من أهل العلم. (ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٦٥. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ص٤٠٩-٤١٠).

(٥٦) فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وتعليق د. احمد محمود الساداتي، وراجعه وقدم له د. يحيى الخشاب، شركة الإعلانات الشرقية، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ص٤٥-٤٦.

(٥٧) الدليمي، طارق فتحي سلطان، الحركة الفكرية في بخارى في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، (جامعة بغداد/ ١٩٨٥م)، ص١٨٦.

(٥٨) فامبري، تاريخ بخارى، ص٢٥.

(٥٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٨.الإصطخري،المسالك والممالك، ص١٦٢. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨١.

(٦٠) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٠٧. الإصطخري، المسالك والممالك، ص١٧٨.

(٦١) الخطيب البغدادي، احمد بن علي أبو بكر(ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا تاريخ)، ج١٤، ص١٦٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٧٣.

(٦٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٨٥.الإصطخري،المسالك والممالك، ص١٦١.

(٦٣) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ص٥٠٣-٥٠٤.

(٦٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٥.

(٦٥) معروف، ناجي (الدكتور)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص١٩.

(٦٦) مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ص ص٦٩٠-٦٩١.

(٦٧) ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط١،(بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٥٣٥.

(٦٨) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بيروت، بلا تاريخ)،ج٢٧، ص٢٢٣. حيدر، علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تحقيق وتعريب: المحامي فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا تاريخ)، ج٣، ص٢.

(٦٩) ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص٥٣٥. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط١،(بيروت، بلا تاريخ).ج١٠، ٤٤٨. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ترتيب (الزاوي، الطاهر احمد)، على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، ط٣،(ليبيا، ١٩٨٠م)، ج٢، ص٧٠٤.

(٧٠) حيدر، درر الحكام، ج٣، ص٢.

(٧١) سورة طه، الآية (٣٢).

(٧٢) ابن زكريا، معجم مقاييس اللغةً، ص٥٣٥.

(٧٣) التهانوي، محمد بن علي (توفي في القرن الثاني عشر الهجري)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق:علي دحروج، ترجمة: د. عبد الله الخالدي، و.د.جورج زيناني، نشر مكتبة لبنان، ط١،(بيروت، ١٩٦٦م)، ج١، ص١٠٢٦. الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق وتعريب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية،ط١، (بيروت،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢، ص١٥١.

(٧٤) حيدر، درر الحكام، ج٣، ص٢، مادة(١٠٤٥).

(٧٥) ابن عابدين، محمد أمين (ت١٢٥٢هـ)، حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار(حاشية ابن عابدين)، دار الفكر، ط٢، (بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)، ج٤،. ص٢٩٩. حيدر، درر الحكام، ج٣، ص٢، مادة (١٠٤٥).

(٧٦) الشربيني، محمد الخطيب (ت٩٩٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار الفكر، (بيروت، بلا تاريخ)، ج٢، ص٢١١.

(٧٧) ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ)، المغني والشرح الكبير، دار الفكر،ط١ (بيروت، ١٤٠٥هـ)، ج٥، ص٣. المرداوي، علي بن سليمان (ت٥٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا تاريخ)، ج٥، ص٤٠٧.

(٧٨) المرداوي، الإنصاف، ج٥، ص٤٠٧. البهوتي، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ)، الروض المربع، مكتبة الرياض الجديدة، (الرياض، ١٣٩٠هـ)، ج٢، ص٢٦٠.

(٧٩) ابن مودود الموصلي، عبد الله بن محمود (ت٦٨٣هـ)، الاختيار لتعليل المختار، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٣،(بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج٣، ص١١.

(٨٠) الجرجاني، أبو الحسن، علي بن محمد(ت٨١٦هـ)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٦م)، ص٧٣. القونوي، قاسم بن عبد الله(ت٩٧٨هـ)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، ط١، (جدة، ١٤٠٦هـ)،ج١، ص١٩٣.

(٨١) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٤،.ص٢٩٩.

(٨٢) السرخسي، أبو بكر، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ)، المبسوط، دار المعرفة،(بيروت،١٤٠٦هـ)، ج١١، ص ص١٥١–١٥٢. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٠٩.

(٨٣) سورة النساء، الآية (١٢).

(٨٤) سورة ص، الآية (٢٤).

(٨٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١١٧. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٠٩.

(٨٦) الصديقي، أبو عبد الرحمن، شرف الحق محمد أشرف (توفي قبل ١٣٢٢هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج٩، ص١٢٩، رقم

الحديث (٣٣٨١) والنص له. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٠٩.

(٨٧) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥١. الميرغيناني، علي بن أبي بكر (ت٥٩٣هـ)، الهداية شرح بداية المبتدئ، شركة ومطبعة البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأخيرة، (مصر، بلا تاريخ)،ج٣، ص٣. الكاساني، بدائع، ج٦، ص٨٥.

(٨٨) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٠٩.

(٨٩) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥١. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص ص١١-١٢. ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج٤، ص٢٩٨.

(٩٠) الخياط، الدكتور عبد العزيز عزة، الشركات في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة في بيروت، ودار البشير في عَمان، (بيروت وعَمان، ١٩٩٤م)، القسم الأول، ص ٦٤.

(٩١) سورة الحج، الآية(٧٨).

(٩٢) سورة البقرة، الآية(١٥٨).

(٩٣) الكاساني، بدائع، ج٦، ص٥٨. الزحيلي، وهبة(الدكتور)، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر المعاصر، ط٤ معدلة،(بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٥، ص٣٨٧٧.

(٩٤) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٥.

(٩٥) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ١٥١. المرداوي، الإنصاف، ج٥، ص٤٠٧. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٠. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص٣. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص ١٠٩.

(٩٦) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣،ص١٥.

(٩٧) ابن حنبل، الإمام أحمد، أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١ هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، (مصر، بلا تاريخ)، ج٥،ص٣٦٤، رقم الحديث(٢٣١٣٢)، رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي خراش عن رَجُلٍ من أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم.

(٩٨) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٤، ص٢٩٩.

(٩٩) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣ص٥. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٠.

(١٠٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٥.

(١٠١) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٠.

(١٠٢) السمرقندي، تحفة الفقهاء،ج٣، ص٥. السرخسي، المبسوط،ج١١، ص١٥١. المرغيناني، الهداية، ج٣، ص٣.

(١٠٣) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ١٥١.

(١٠٤) ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي(ت٨٦١هـ)، شرح فتح القدير على الهداية للميرغيناني(ت٥٩٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ)، ج٦، ص ١٤٥.

(١٠٥) الحصفكي، محمد بن علي (ت ١٠٨٨هـ)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، ط٢ (بيروت، ١٣٨٦م)، ج٤،.ص٢٩٩.

(١٠٦) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٤،.ص٢٩٩.

(١٠٧) المرغينا ني، الهداية، ج٣، ص٣.

(١٠٨) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٠.

(١٠٩) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج٤،.ص٢٩٩.

(١١٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٥.

(١١١) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٠.

(١١٢) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ١٥١.

(١١٣) المرغيناني، الهداية، ج٣، ص٣.

(١١٤) ابن رشد، محمد بن أحمد القرطبي(ت٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر،(بيروت، بلا تاريخ)، ج٢، ص١٨٩.

(١١٥) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٠٩.

(١١٦) الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص٢١١.

(١١٧) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٦، وص٧، وص١٥.الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٤.السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥٢، وص١٥٦، وص١٥٧.

(١١٨) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٠.

(١١٩) م، ن، ج٦، ص ص٩٠ –٩١.

(١٢٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص ص٥– ٦. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ص ٩٦–٩٧.

(١٢١) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٦. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ص ٩٤ –٩٥.

(١٢٢) السمرقندي، تحفة الفقهاء،ج٣، ص ٦. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ص٩٥ – ٩٦.

(١٢٣) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص ٦. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٦.

(١٢٤) السمرقندي، تحفة الفقهاء،ج٣،ص٦.الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٤.

(١٢٥) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٦.الكاساني، بدائع الصنائع،ج٦، ص٩٤. ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص ١٩٠.

(١٢٦) ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص٦٢٧. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٢. ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٦، ص ١٦٤.

(١٢٧) الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر،(بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٣١٥.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بترتيب الزاوي، ج٣، ص٣٣٢. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٩. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ص ١٥١– ١٥٢. ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٦، ص ١٦٥.

(١٢٨) النابغة الجعدي: وهو أبو ليلى، واسمه قيس بن عبد الله، وقيل عبد الله بن قيس، وقيل حبان بن قيس، والنابغة لقب له، قالوا وإنما قيل له النابغة، لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم تركه نحو ثلاثين سنة، ثم نبغ فيه فقاله، كانت له صحبة ووفادة، وكان يتنقل في البلاد ويمتدح الأمراء، وطال عمره في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النابغة الذبياني، ومات الذبياني قبله، وامتد عمره بعده، قيل عاش مائة وعشرين سنة،وقيل عاش إلى حدود سنة سبعين، ومات في أيام عبد الملك..(ينظر:الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٥، ص ص٢٥٨– ٢٥٩. النووي، محي الدين، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، المجموع، دار الفكر(بيروت، ١٩٩٧م)، ج٥، ص٤١٨.).

(١٢٩) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٢.

(١٣٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٧. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٢، و ص ٩٩. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ١٥٢. ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٦، ص ١٦٥.

(١٣١) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٥، ص ٣٨٨٠.

(١٣٢) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٧. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٩.

(١٣٣) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٧.

(١٣٤) ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم (ت٣١٨هـ)، الإجماع، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم احمد، دار الدعوة، ط٣، (الإسكندرية، ١٤٠٢هـ)،ج١، ص٩٥. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١١١.

(١٣٥) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٧.

(١٣٦) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١١١.

(١٣٧) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٧. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٩. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ص ١٥١– ١٥٣، و ص١٥٧. الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)، الأم، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ١٣٩٣هـ)، ج٣، ص٢٣١. ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٦، ص ١٦٥. الحفيف، الشيخ علي، الشركات في الفقه الإسلامي، (القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦٢)، ص٢١. الزحيلي، الفقه الإسلامي، ج٥، ص٣٨٨١.

(١٣٨) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص ص ٧– ٨ الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ١٠٠.

(١٣٩) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص ص ٧– ٨. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ١٠٠.

(١٤٠) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٩.

(١٤١) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص ص ٨ – ٩. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص ٩٤.

(١٤٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغةً، ص٨٠١.ابن منظور، لسان العرب ج٧، ص٢١٠. الأحمد نكري، دستور العلماء ج٢، ص١٥١.

(١٤٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٢.

(١٤٤) الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمود الجابري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢،(بيروت، بلا تاريخ)، ج٣، ص١٤٨.

(١٤٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغةً، ص٨٠١. أبو السعادات الجزري، المبارك بن محمد(ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٣، ص٤٧٩.

(١٤٦) التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص١٦٠٧.

(١٤٧) م، ن، ج٢، ص ١٦٠٧. السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٩. الجرجاني، التعريفات، ص١٢٣. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفومي(ت١٠٩٤هـ)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج١، ص٥٣٧. الأحمد نكري، دستور العلماء ج٢، ص١٥١.

(١٤٨) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٩. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص٣. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٢. الزحيلي، الفقه الإسلامي، ج٥، ص٣٨٨١.

(١٤٩) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٧، وص٩. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ص٩٧ – ٩٨. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥٣ و ص١٥٢. السغدي، علي بن الحسين (ت٤٦١هـ)، النتف في الفتاوي، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، نشر رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م)، وطبعة أخرى، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، ط٢، (بيروت، وعمان، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص٥٣٠–٥٣١. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص٤. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٢.

(١٥٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٩. الكاساني، بدائع، ج٦،ص٩٢، ص ص٩٧– ٩٩.. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٧٧. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٣.

(١٥١) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٩. الكاساني، بدائع، ج٦، ص٩٩.

(١٥٢) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٩. الكاساني، بدائع الصنائع،ج٦، ص ص ١١٤–١١٥.

(١٥٣) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص٩.

(١٥٤) الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت٣٢١هـ)، مختصر اختلاف العلماء، تحقيق: د. عبد الله نذير احمد، دار البشائر الإسلامية، ط٢،(بيروت، ١٤١٧هـ)، ج٤، ص١٥. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص ص١٥٣–١٥٤. السغدي، النتف في الفتاوي، ج١، ص ص٥٣٠–٥٣٢. الكاساني، بدائع، ج٦، ص٩٢. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص٤. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٣.

(١٥٥) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٣٩.

(١٥٦) ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص ص١٩١–١٩٢. ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي(ت٧٤١هـ)، القوانين الفقهية، ضبطه وصححه: محمد أمين الضنَّاوي، دار الكتب العلمية، ط٢،(بيروت،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج١، ص٢١٢. الدردير، أبو البركات، أحمد بن محمد (ت١٢٠١هـ)،الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي – محمد عرفه الدسوقي– تحقيق: محمد عليش، دار الفكر،(بيروت، بلا تاريخ) ج٣، ص٣٥١، و ص٣٥٩.

(١٥٧) الشافعي، الأم، ج٣، ص٢٣١. الطحاوي، مختصر اختلاف العلماء، ج٤، ص١٦. الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص ٢١٢. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٣٩. ابن جزي، القوانين الفقهية، ج١، ص٢١٢.

(١٥٨) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥٣.

(١٥٩) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٣٩.

(١٦٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج١، ص١٠٢٧.

(١٦١) ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢.

(١٦٢) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٢٢.

(١٦٣) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١.

(١٦٤) الطحاوي، مختصر اختلاف العلماء، ج٤، ص٩. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص٩٢، وص١٠٣. السغدي، النتف في الفتاوي، ج١، ص٥٣٤. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص١١. ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٨.

(١٦٥) ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١٢٢.

(١٦٦) الشافعي، الأم، ج٣، ص٢٣١. ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥٤. الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص٢١٢.

(١٦٧) ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢.

(١٦٨) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١.

(١٦٩) م، ن، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٦، ص١٠٣. الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٥، ص ٣٨٩٩.

(١٧٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ٩٢. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج١، ص ١٠٢٧.

(١٧١) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ٩٢. القوانين الفقهية ج١/ص١٨٧.

(١٧٢) السغدي، النتف في الفتاوي، ج١، ص٥٣٥. السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص١٠. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٧. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١١١. ابن المرتضى، البحر الزخار، ج٥، ص١٤٤.

(١٧٣) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع، ج٦، ص٩٣. السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥٥.

(١٧٤) ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢. الطحاوي، مختصر اختلاف العلماء، ج٤، ص١٠. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١١١.

(١٧٥) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ٩٢.

(١٧٦) السرخسي، المبسوط، ج١١، ص١٥٥. الميرغيناني، الهداية، ج٣، ص١٠. ابن مودود الموصلي، الاختيار، ج٣، ص١٧.

(١٧٧) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ٩٢. ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢. الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص٢١٢. ابن حزم الظاهري، أبو محمد، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، المحلى، تحقيق : لجنة أحياء التراث العربي، دارا لآفاق الجديدة، (بيروت، بلا تاريخ)، ج٨، ص ص١٢٢– ١٢٣. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١١١.

(١٧٨) ابن رشد، بداية المجتهد، ج٢، ص١٩٢. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ٩٢. الشربيني، مغني المحتاج، ج٢، ص٢١٢. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ج٥، ص١١١. ابن حزم، المحلى، ج٨، ص١٢٢. الزحيلي، الفقه الإسلامي، ج٥، ص ص٣٨٨٨–٣٨٨٩.

(١٧٩) الكاساني، بدائع، ج٦، ص٩٣.

(١٨٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١١. الكاساني، بدائع، ج٦، ص ٩٢.

(١٨١) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١٢. الكاساني، بدائع، ج٦، ص١٠١، وص١١٩.

(١٨٢) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١٢. الكاساني، بدائع، ج٦، ص١٠١.

(١٨٣) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج٣، ص١٥. الكاساني، بدائع، ج٦، ص١٠١.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن محمد(٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،ط٢، (بيروت/١٤١٥هـ).

٢- الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق وتعريب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٣- الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي(توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)، المسالك والممالك، تحقيق: د. محمد جابر عبد العال الحيني،ومراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم،(القاهرة،١٣٨١هـ/١٩٦١م).

٤- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفومي(ت١٠٩٤هـ)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٥- البكري، عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٧٨/هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، (بيروت، ١٤٠٣هـ).

٦- البندراني، الفتح بن علي الأصفهاني، اختصار تاريخ دولة آل سلجوق لمحمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، دار الأفاق الجديدة، ط٢،(بيروت، ١٩٧٨م).

٧- البهوتي، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ)، الروض المربع، مكتبة الرياض الجديدة، (الرياض، ١٣٩٠هـ).

٨- التهانوي، محمد بن علي (توفي في القرن الثاني عشر الهجري)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق:علي دحروج، ترجمة: د. عبد الله الخالدي، و.د.جورج زيناني، نشر مكتبة لبنان، ط١،(بيروت، ١٩٦٦م).

٩- الجرجاني، أبو الحسن، علي بن محمد(ت٨١٦هـ)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٦م).

١٠- ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي(ت٧٤١هـ)، القوانين الفقهية، ضبطه وصححه: محمد أمين الضنَّاوي، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

١١- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، ط١،(بيروت، ١٣٥٨هـ).

١٢- ابن حزم الظاهري، أبو محمد، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، المحلى، تحقيق : لجنة أحياء التراث العربي، دارا لآفاق الجديدة، (بيروت، بلا تاريخ).

١٣- الحسين، ناصر بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، اعتناء محمد إقبال، (لاهور، ١٩٣٣م).

١٤- الحميدي، علاء الدين بن أمر الله، المعروف بابن الحنائي، وقنالي زادة(ت٩٧٩هـ/١٥٧٢م)، طبقات الحنفية، دراسة وتحقيق: أ. د. محي هلال السرحان، مطبعة ديوان الوقف السني، (بغداد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

١٥- ابن حنبل، الإمام أحمد، أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١ هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، (مصر، بلا تاريخ).

١٦- الحصفكي، محمد بن علي (ت ١٠٨٨هـ)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، ط٢ (بيروت، ١٣٨٦م).

١٧- الخطيب البغدادي، احمد بن علي أبو بكر(ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا تاريخ).

١٨- الدردير، أحمد بن محمد (ت١٢٠١هـ)،الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، ومحمد عرفه الدسوقي، تحقيق:محمد عليش، دار الفكر،(بيروت، بلا تاريخ).

١٩- الدمشقي، عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق:عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير، ط١،(دمشق، ١٤٠٦هـ).
٢٠- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٢١- ابن رشد، محمد بن أحمد القرطبي(ت٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر،(بيروت، بلا تاريخ).
٢٢- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بيروت، بلا تاريخ).
٢٣- ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط١،(بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٢٤- الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر،(بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٢٥- الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمود الجابري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢،(بيروت، بلا تاريخ).
٢٦- السرخسي، أبو بكر، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ)، المبسوط، دار المعرفة،(بيروت،١٤٠٦هـ).

٢٧- أبو السعادات الجزري، المبارك بن محمد(ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٢٨- السغدي، علي بن الحسين (ت٤٦١هـ)، النتف في الفتاوي، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، نشر رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م)، وطبعة أخرى، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، ط٢، (بيروت، وعمان، ١٤٠٤هـ).
٢٩- السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد(ت٥٦٢هـ)، التجبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، ط١،(بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
٣٠- الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)، الأم، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ١٣٩٣هـ).
٣١- الشربيني، محمد الخطيب (ت٩٩٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار الفكر، (بيروت، بلا تاريخ).
٣٢- الصديقي، أبو عبد الرحمن، شرف الحق محمد أشرف (توفي قبل ١٣٢٢هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٣٣- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت٣٢١هـ)، مختصر اختلاف العلماء، تحقيق: د. عبد الله نذير احمد، دار البشائر الإسلامية، ط٢، (بيروت،١٤١٧هـ).

٣٤- ابن عابدين، محمد أمين (ت١٢٥٢هـ)، حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار(حاشية ابن عابدين)، دار الفكر، ط٢، (بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٣٥- علاء الدين السمرقندي، محمد بن أحمد (من علماء القرن السادس الهجري)، ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، دراسة وتحقيق وتعليق: د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي.

٣٦- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ترتيب (الزاوي، الطاهر احمد)، على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، ط٣،(ليبيا، ١٩٨٠م).

٣٧- القاري، علي بن سلطان محمد(ت١٠١٤هـ)، الثمار الجنية في أسماء الحنفية، دراسة وتحقيق: د. عبد المحسن عبد الله أحمد، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١،(بغداد، ٢٠٠٩م).

٣٨- ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد (ت٦٢٠هـ)، المغني والشرح الكبير، دار الفكر ،ط١ (بيروت، ١٤٠٥هـ).

٣٩- القرشي أبو محمد، عبد القادر بن أبي الوفاء (ت٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، نشر: مير محمد كتب خانه، (كراتشي، بلا تاريخ).

٤٠- ابن قطلوبغا، أبي العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا(٨٧٩هـ)، تاج التراجم في طبقات الحنفية، مكتبة المثنى، ومطبعة العاني، (بغداد، ١٩٦٢م).

٤١- القونوي، قاسم بن عبد الله(ت٩٧٨هـ)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، ط١، (جدة، ١٤٠٦هـ).

٤٢- الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد(ت٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، ط١،(بيروت،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٤٣- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت،بلا تاريخ).

٤٤- المرداوي، علي بن سليمان (ت٥٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا تاريخ).

٤٥- ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم (ت٣١٨هـ)، الإجماع، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم احمد، دار الدعوة، ط٣، (الإسكندرية، ١٤٠٢هـ).

٤٦- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط١،(بيروت، بلا تاريخ).

٤٧- ابن مودود الموصلي، عبد الله بن محمود (ت٦٨٣هـ)، الاختيار لتعليل المختار، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٣،(بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٤٨- الميرغيناني، علي بن أبي بكر (ت٥٩٣هـ)، الهداية شرح بداية المبتدئ، شركة ومطبعة البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأخيرة، (مصر، بلا تاريخ).

٤٩- النووي، محي الدين، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، المجموع، دار الفكر(بيروت، ١٩٩٧م).

٥٠- ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي(ت٨٦١هـ)، شرح فتح القدير على الهداية للميرغيناني(ت٥٩٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ).

٥١- ياقوت الحموي، بن عبد الله الحموي أبو عبد الله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر(بيروت، بلا تاريخ).

المراجع والدوريات

٥٢- أمين، حسين(الدكتور)، الدولة السامانية والدولة الغزنوية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، (بغداد،١٩٨٧م).

٥٣- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت١٠٦٧م)، كشف الظنون، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٥٤- حسن، حسن إبراهيم (الدكتور)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢،(القاهرة،١٩٨٢).

٥٥- حسنين، عبد المنعم (الدكتور)، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط١،(القاهرة،١٩٥٩م).

٥٦- حيدر، علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تحقيق وتعريب: المحامي فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا تاريخ).

٥٧- الحفيف، الشيخ علي، الشركات في الفقه الإسلامي، (القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦٢).

٥٨- الخياط، الدكتور عبد العزيز عزة، الشركات في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة في بيروت، ودار البشير في عَمان، (بيروت وعَمان، ١٩٩٤م).

٥٩- الدليمي، طارق فتحي سلطان، الحركة الفكرية في بخارى في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، (جامعة بغداد/ ١٩٨٥م).

٦٠- زامبور، المستشرق، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، جامعة فؤاد الأول، (القاهرة،١٩٥١م).

٦١- الزحيلي، وهبة(الدكتور)، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر المعاصر، ط٤ معدلة،(بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٦٢- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٦، (بيروت، ٢٠٠٥هـ).

٦٣- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا تاريخ)، ج٨، ص٢٦٧.

٦٤- فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وتعليق د. احمد محمود الساداتي، وراجعه وقدم له د. يحيى الخشاب، شركة الإعلانات الشرقية، (القاهرة، ١٩٦٥م).

٦٥- مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، منشورات دار السلاسل، ط١، (الكويت، ١٩٨٨م).

٦٦- معروف، ناجي (الدكتور)، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

دراسة حوض وادي الفضا

لتحديد افضل موقع لأنشاء سد باستخدام التقنيات الجغرافية

أ.م.د. مدالله عبدالله محسن الجبوري — م. م. دلي خلف حميد الجبوري

جامعة تكريت /كلية الاداب/ قسم الجغرافية التطبيقية — جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم الجغرافية

المستخلص

يقع حوض وادي الفضا في المنطقة المتموجة من العراق الذي يقع بين دائرتي عرض ٣ – ١٥ – ٣٥ ,٢٣– ٣٥شمالاً : وبين خطي طول ٢٧ – ٤٣ ,٤٨ – ٤٣شرقاً وتبلغ مساحته ٦٢٤ كم٢ وبطول ٦٥ كم، وان الغاية الاساسيه من تلك الدراسة هو دراسة الخصائص الطبيعية والخصائص ألمساحيه والشكلية للحوض والخصائص الهيدرولوجيه ألمتمثله بحجم الجريان السنوي البالغ ١٤٧،٠ مليون م٣/ثانيه ومن ثم امكانيه استثمار تلك المياه وتحديد الموقع الامثل للسدود والخزانات المائية وتم التوصل الى تحديد موقعان للسدود الاول يقع عندملتقى الراوفد الثانويه في الاقسام الشماليه من الحوض عند مستقره تل الغزال وعند خط ارتفاع ١٨٧–٢٠٦ فوق مستوى سطح البحر وبطاقه خزنيه بلغت٣،٦٦٤،٧٥٠ مليار/ م٣ بينما الثاني يقع جنوب السد الاول وبمسافه قدرها ١٧ كم وبطاقه تخزينه ٩٦٨, ٢١١,٢٢١مليون/ م٣ وتم التوصل لذلك باستخدام التقنيات الجغرافيه و لغرض استثمارها وتحقيق خزين مائي لمنطقه الدراسة مما يحقق للمنطقة تنميه اقتصاديه واجتماعيه شامله وفي كافه المجالات، بما يعزز تطور قطرنا العزيز.

مُقَدِّمَة

تعد المياة من أفضل الهبات التي أنعم بها البارئ عز وجل للطبيعة والإنسان، وهي من العناصر الأساسية لديمومة الحياة، وعنصر جوهري لكل نشاط اقتصادي فهي تشكل المورد الأساسي لكل تنمية ولكل بلد. وان استثمارها بشكل منظم وعقلاني مظهر من مظاهر التقدم والرقي الحضاري وإن الماء مادة اساسية للإنسان ولا تستقيم الحياة بدونه لان انعدامه او شحتة في منطقة ما يحيل المنطقة الى أرض جرداء يصعب العيش فيها، لان الطبيعة لاتمد الإنسان بالماء دائماً ومتى اراد لذا فان دراسة أحواض الأنهر ووجود المياه فيها أمرا في غاية الأهمية فضلاً عن بيان مقدارها وكميتها ونوعيتها وخصائصها وعناصرها الكيميائية والفيزيائية التي تدخل كلها ضمن الهيدرولوجيا والجيولوجيا؛ لذلك تعد دراسة الأحواض المائية الموسمية الجريان جزءاً لا يتجزأ ومكملا لدارسة الموارد المائية الدائمة الجريان، وذلك لديمومة الحياة وقدرة الاستثمار بشكل أفضل. وفى كافة الجوانب واستغلال مساحات زراعية اكبر وسد النقص الحاصل من مياه الشرب وتربية الحيوان.

هدف البحث/ يهدف البحث **الى إبراز** اهم **الخصائص الطبيعية لمعرفه وتحديد الموقع المثالي لإنشاء سد على حوض وادي الفضا. ودراسة الخصائص المورفومتريه والهيدرولوجيه وباستخدام التقنيات ألجغرافيه**

مشكله البحث/ ماطبيعه الخصائص الجيوهيدرولوجيه لحوض وادي الفضا في حال اختيار موقع أفضل سد على حوض وادي الفضا.وهل لتلك الخصائص والمقومات الطبيعية دور وتأثير لأقامه موقع السد.،

فرضيه البحث/ هل للصفات الجيوهايدرولوجيه والعناصر ألمناخيه تأثير على النظام الهيدرولوجي للأحواض ألنهريه. وهل طبيعة الرواسب السطحية التي تتمثل

بالنفاذينه دور كبير في ترشيح كميات كبيرة من المياه الى باطن الأرض وماهو دور الانحدار في عمليه اختيار السدود

منهجيه البحث/ يسير البحث ضمن طريقه الذي يسلكه من اجل الكشف عن الحقائق ألعلميه في تفسير الظواهر التي تقع في دراسته.فيأتي المنهج ضمن التخصص وحسب بعد الموضوع ووسائل البحث.فيمكن استخدام المنهج التحليلي ومنهج النظم الذي يتميز بطريقه ستريلر.

الوسائل ألمستخدمه في البحث

١-الخرائط الطوبغرافيه بمقياسِ ١:١٠٠٠٠٠

٢-البيانات الاحصائيه من **Deem** /نموذج التضرس الرقمي

٣-العمل ألمختبري للمياه والتربة

٤-البرمجيات:**ARC Map: Global Map per**

هيكليه البحث

البنية الجيولوجية

المناخ وعناصره، والتحاليل للتربة

الخصائص المورفومتريه للحوض

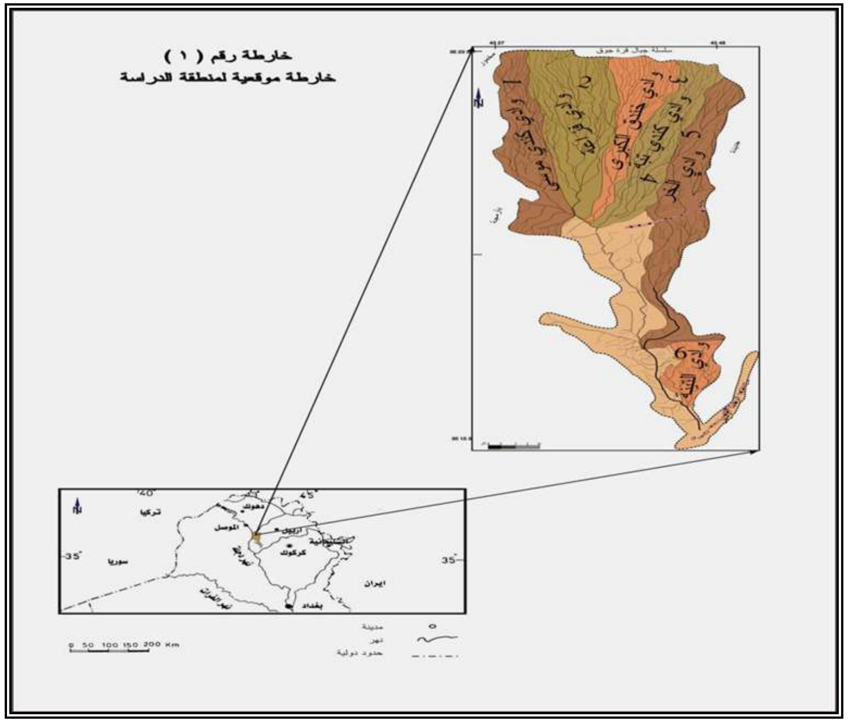
امكانيه تحديد الموقع الأفضل لأقامه سد على وادي الفضا

الموقـــع :

يقع حوض وادي الفضا ضمن الحدود الإدارية لقضاء مخمور التابع لمحافظة نينوى، أما الجزء الجنوبي منه فيمتد ضمن الحدود الإدارية لناحية الزاب التابعة لمحافظة كركوك، ومن الشرق تشترك حدوده مع أودية فرعية صغيرة بالقرب من مستقرة جديدة، ومن الغرب تحده ثلاثة مستقرات تل الفارة ويارمجه رواله، وبهذه الحدود يتكون لدينا إقليم جغرافي طبيعي تتفق حدوده مع طبيعة منطقة الدراسه التي

اعتمد فيها على خطوط تقسيم المياة. انظر الشكل (١) ويتجه من الشمال نحو الجنوب ليصب في نهر الزاب الاسفل جنوب غرب مستقره شميط بحدود ٣كم تقريباً. وينحصر فلكياً بين دائرتي عرض ً٣-َ١٥-٣٥ْ و، َ٢٣، ْ٣٥ شمالاً، وبين خطي طول َ٢٧، ْ٤٣ و َ٤٨، ْ٤٣ شرقاً. ويبلغ طوله ٦٥كم، وبمساحة ٦٢٤كم٢. اما انحدارسطحه فيتمثل للمسيلات المائية المنحدرة من طيه قره جوق

الشكل (١) موقع منطقة الدراسة بالنسبة للعراق[1]



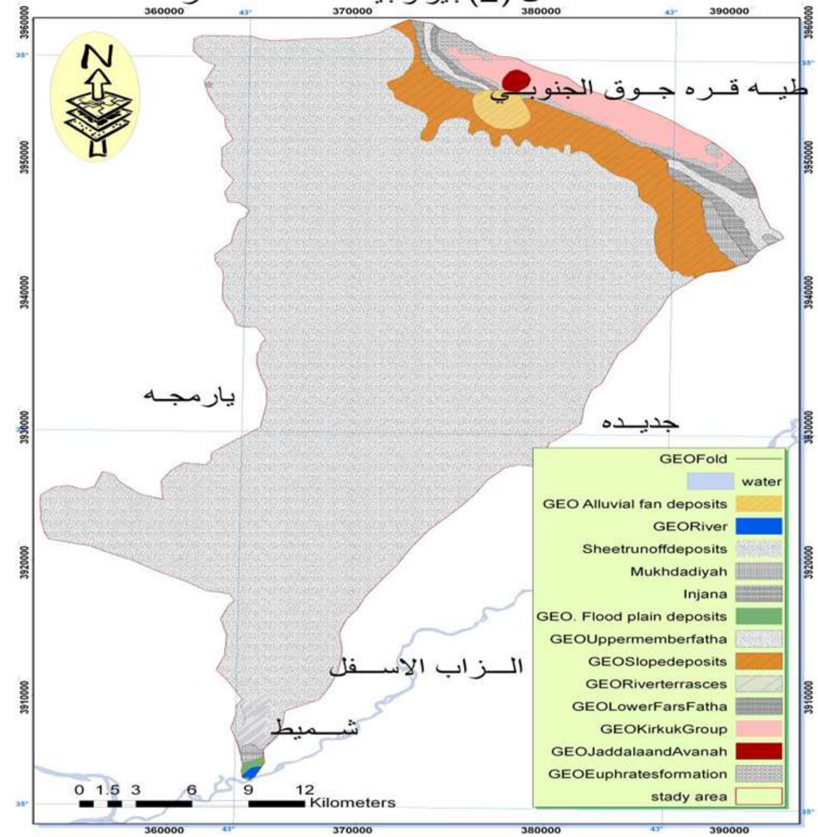
المصدر : عمل الباحثين بالاعتماد على الخرائط الطوبوغرافيه ، المساحه العسكرية بمقياس ١:١٠٠٠٠٠ ، بغداد، ١٩٨٦

ثانيا : **جيولوجية منطقه الدراسة** :

تقع منطقة الدراسة بنيوياً ضمن نطاق الطيات الواطئة.، إذ تبدأ التكوينات الجيولوجية من بداية منابع الحوض المتمثلة بطيه قره جوق الجنوبية، وتعد هذه الطية ذات نطاق عريض نسبياً عند نهايتها باتجاه الجنوب الشرقي، وتقع عندها أهم منابع وادي الفضا الذي يمثل معظمها أهم أجزاء الطية، وذلك لانكشاف التكوينات الجيولوجية المتمثلة بتكوين البختياري وتكوين الجريبي الكلسي الذي يعود عمره إلى المايوسين الأسفل[٢]. فضلاً عن وجود صخور تتكون على الأغلب من الحجر الرملي الذي يمثل **sand Ston، Limestone، Gyp sume**

وقد تأثرت بالحركات الالبية التي حدثت في أواخر عصر الاوليجوسين والمايوسين وحتى أوائل البليوسين، فقد ضغطت هذه الحركة على الطبقات التي تراكمت في بحر تشن**(Teethes)**[٣]، وتغطي الترسبات الحديثة أجزاء واسعة من الحوض انظر الشكل (٢) ويتكون على العموم من فتات من الرمل والحصى باستثناء المصاطب فأنها تتكون من رواسب رملية[٤]، فضلاً عن تكوينات من ترسبات غرينية وحصى الأنهار والسيول ورمال ومواد ملئتها الرياح، وفيما ياتي سنبين أهم التكوينات الجيولوجية في منطقة الدراسة والتي لها دور في تحديد الخصائص الجيومور فولوجي والهيدرلوجية من الاقدم الى الأحدث

الشكل (2)جيولوجيه منطقه الدراسه



المصدر :الهيئة ألعامه للمسح الجيولوجي والتحري المعدني،بالاعتماد على برنامج Gis

أ- **تكوين الفتحة** Father for mati

يعود زمن هذا التكوين إلى فترة المايوسين الأوسط وهو عبارة عن دورات رسوبية متعاقبة من صخور الكبريات والأملاح والأطيان والجير[٥]. فضلا عن وجود المارل، ويوجد في هذه التكوين ترسبات متعاقبة من حجر الكلس والمارل الأخضر

المصفر وهذه المجموعة تمثل رسوبيات مياة دافئة ضحلة،وتغطي هذه التكوينات أجزاء وأسعه من طية قرة جوق المتمثلة بمنطقة المنبع لمنطقة الدراسة. نظر الشكل(٢)

ب- تكوين انجانه .Angina fn

يرجع العمر الزمني لهذا التكوين إلى عصر المايوسين ألا على – البلايوسين الأسفل ويمثل المرحلة الانتقالية من البيئات البحرية إلى البيئات الارضية المائية. وان صخارية هذا التكوين عبارة عن صخور صلصالية وغرينيه وصخور رمليه ويمثل رسوبيات بيئية نهريه[٦]. الشكل (٢) وينكشف هذا التكوين في مناطق واسعة من قدمات طية قره جوق الجنوبية والعديد من المستقرات الموجودة على قدمة هذه الطية، وملاحظة كثرة الفواصل في هذا التكوين ساعد كثيراً في تحديد خصائص شبكة الصرف المائي السطحي في منطقة الدراسة، اذ يتصف هذا التكوين بوجود الطين والرمل فضلاً عن وجود الجبس، إذ يفصل تكوين انجانه عن تكوين الفتحة وجود طبقات الجبس، ويتأثر هذا التكوين بالتعرية المائية حتى أزيلت الطبقات الطينة والرملية الهشة من قمة الطيات المحدبة واقتصرت مكاشفها الصخرية عند اقدام هذه الطيات.وان لهذا التكوين أهمية كبيرة لكونها حاوية للمياة الجوفية بسبب النفاذية العالية لطبقات الرمل الموجود في ذلك التكوين[٧].

ج- تكوين المقدادية وباي حسن/

يعود عمر هذا التكوين إلى عصر البلايوسين ويتكون من طبقات سميكة من الرمل متداخلة معهُ طبقات كتلية من الحجر الطيني والحجر الغريني وتمثل البيئة الترسيبية لهذا التكوين بيئة نهرية عند مصبات الأنهار ضمن منطقة عميقة التكلس وخاصة عند حافات الجبال. ويشكل شريط موازٍ لطية قرة جوق الجنوبية الغربية وكذلك في الأحواض المائية الموجودة ضمن تلك الطية ويحتوي على مواد نهرية

خشنة وسميكة،كونت التعرية المائية لمناطق الطيات المحدبة ثم ترسبت المفتتات في تلك الأجزاء، ويتميز هذا التكوين بمسامية ونفاذية عالية وله دور مهم في تغذية مكامن المياه الجوفية في الأحواض[٨]. ويظهر هذا التكوين بصورة واضحة بالقرب من وادي كندي الذي يدخل ضمن المرتبة الأولى لوادي الفضا.

د- رواسب الزمن الجيولوجي الرابع

- الترسبات الحديثة Recent Deposes

وهي عبارة عن ترسبات العصر الرباعي التي تتكون من رسوبيات مختلفة الأحجام، وتتضمن تكوينات هذا العصر من ترسبات عصر البلايوسين والهولوسين حتى الوقت الحاضر ،وتنتشر هذه الترسبات في مناطق حول تركيب قرة جوق والسهول المحيطة به وتشمل أيضاً ترسبات الوديان النهرية وتتكون بصورة عامه من فتات رديئة ذات الحجوم الصغيرة[٩]. فضلاً عن ترسبات من الطين والغرين والحصى والرمل وقطع من الحجر الكلسي وتجمعات ملحية،وتنتشر رواسب هذا العصر في معظم مساحة منطقة الدراسة وتبدأ من مستقرة تل الغزال وصولاً الى مستقرة شميط الشكل (٢) وتتمثل في منطقة الدراسة ما يعرف بالسهول التحاتية المحلية وتكوينات الحمادا والسرير ورواسب قيعان الأودية. وتشمل كافة مناطق حوض الوادي

ثانياً- الخصائص التضاريسية:

يعد سطح الارض ذا تأثير واضح على سرعة الجريان وتباين وصول الذروات الفيضانية من المنبع الى المصب. وللتضاريس دور هام في تباين عناصر المناخ ومن ثم على الجريان السطحي في تشكيل العمليات الجيمورفولوجية في التعرية والارساب، ولها تأثير في تكوين التربة بسبب تأثيره على حرارة التربة والجريان السطحي وفي تشكيل الغطاء النباتي. وبناءاً على أهمية هذه الخصائص في تشكيل

العمليات المتمثلة بعامل الارتفاع والانحدار. لذا سوف نبين دور كل واحده منهما وعلى النحو التالي :

أ- وحدة المرتفعات :

تتمثل طيه قره جوق الجنوبية بالتحديد من اهم منابع منطقة الدراسة وبلغ اقصى ارتفاع لها ٧٥٠م شمالاً فوق مستوى سطح البحر وتنخفض حتى تصل الى ٣٠٠ عند مستقرة كرد كراوي وتعد هذه الطية محدبة غير متناضرة ثنائة الغاطس غير مستقيمه المفصل وبمسافة طولها ١٥كم وبمساحة ١٣٠كم٢ وباتجاه شمال غرب جنوب شرق وتتفرع من تلك الطية اودية فرعية ومتمثلة بوادي كندي موسا وكندي تبة والتي تمثل بالمرتبه الاولى من الحوض واغلب الصخور الموجودة هي من صخور sand ston، Laneston، Gypsune انظر الشكل (٤،٣)

ب- وحدة الهضاب :

تنتشر الهضاب في اجزاء واسعة من حوض منطقة الدراسة ما عدا الاراضي السهلية الواقعة عند منطقة المصب، وتتحصر وحدة الهضاب ما بين خط ٣٠٠-١٥٠م جنوباً حيث يبدأ من مستقرة كردي كراوي شمالاً الى مستقرة شميط شمالاً جنوباً وبطول ٤٥كم وبمساحة ٤٣٠كم٢ تقريباً وتكون الاراضي رديئة في بدايتها واغلب رواسبها عائدة الى رواسب العصر الرباعي وتتميز هذه الهضبة بشدة التموج ومتقطعه بشبكة كثيفة من الاودية التي تصب في المجرى الاساس، وكما تتسم الاودية بالاتساع وذات حافات تنحدر وبشده صوب المجرى اذ بلغة معدل عرض الحوض بحدود ٢١.٩كم ويتميز الجانب الشرقي منه بوجود اودية فرعية قصيرة اما المجاري القريبة منه تتصف بالاستقامة ولا سيما المجاري الواقعة عند مستقرة تل الغزال نزولاً الى مستقرة ذويب.

ج- وحدة الاراضي السهلية

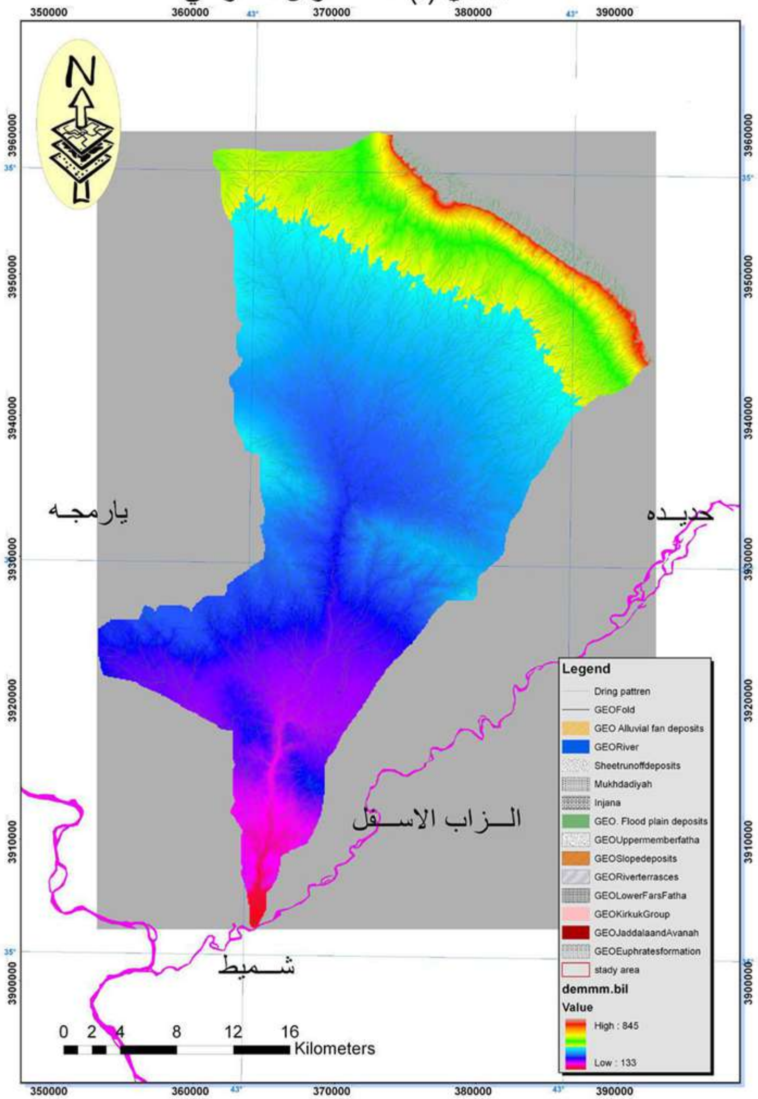
تظهر هذه الوحدة على شكل نطاق واسع يتمد مع طول وادي الفضا اذ توجد مساحات سهلية واسعة تتداخل ما بين الهضاب الموجوده في المنطقة وهي من افضل الاراضي الصالحة لزراعة الحنطة والشعير وتنحصر من خط ارتفاع (٢٠٠م-١٥٠م) فوق مستوى سطح البحر ويتباين الوضع الطوبوغرافي في هذا السهل بين منطقة وأخرى حيث توجد أراضي رديئة ومنخفضات ومسطحات مائية وحصوية

لتحليل الشكلي للمقطع الطولي لوادي الفضا

أن لدراسة تشكل المقطع الطولي لوادي الفضا دوراً مهماً في التحليل المورفولوجي لان انسيابية هذا المقطع ومايعترضة من نقاط تجديد تساعد الباحث في تحديد ابرز العوامل المتحكمة في مجراه وذلك من العوامل التكتونية والصخارية، وببدلات مناخية وخاصة تبدلات الزمن الرباعي التي ادت إلى تعديلات واضحة في مقاطع الاتزان للوديان النهرية[١٠]. لان هذه العوامل تحدد كمية الصبيب المائي وما يرتبط به من حمولة نهرية من حيث الكمية و النوع[١١]. تم رسم المقطع الطولي لوادي الفضا من الخرائط الطبوغرافية اعتماداً على مدى ارتفاع وطول مجرى الوادي بيانياً، حيث تثبت ارتفاعا أجزائه من مستوى سطح البحر على المحور العامودي ويكون حسابياً خطياً مقابل اطوال تلك الأجزاء على المحور الافقي كما في الجدول (١) والشكل (٥، ٦، ٧).وعليه تم رسم المقطع الطولي للوادي، لان ارتفاع اجزاء المجرى ولجميع رتبة النهرية مع مستوى المصب وطول المسافة الافقية لهذه الاجزاء التي تحدد طبيعة انحدار القطاع الطولي للوادي النهري، وتم حساب متوسطات الانحدار وفقاً للعلاقة الرياضية

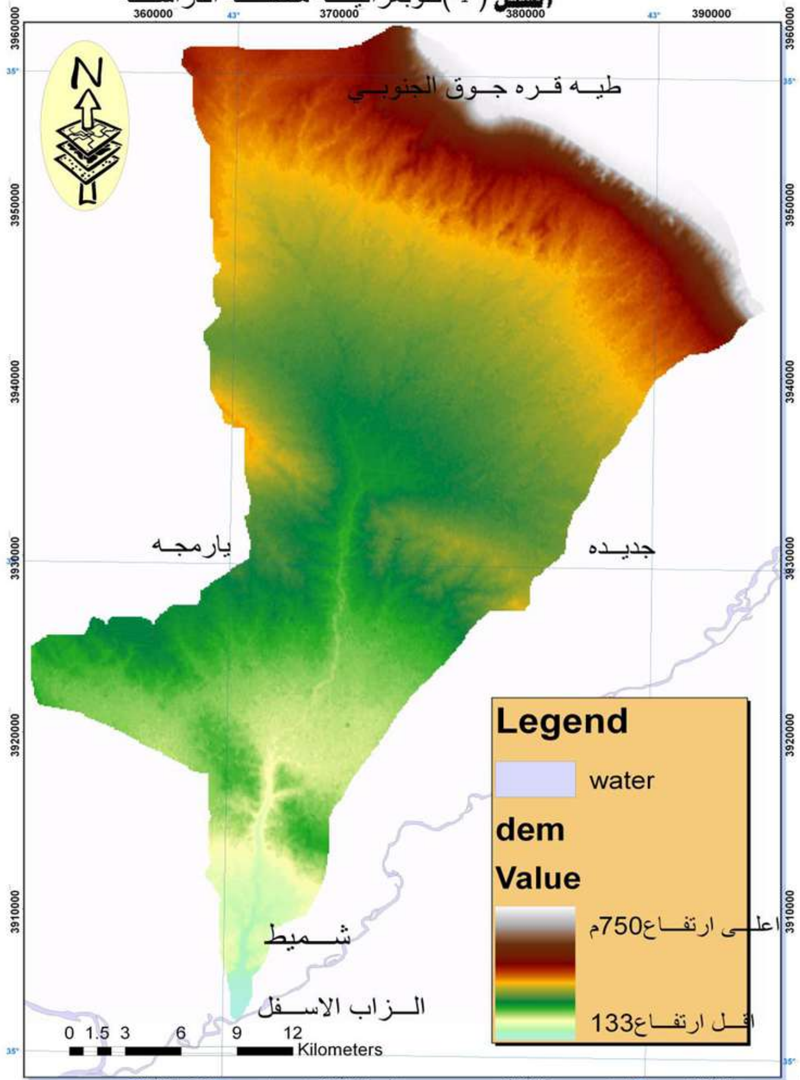
$$\text{متوسط الانحدار} = \frac{\text{البعد الراسي}}{\text{البعد الافقي}}$$

الشكل (3) التضــــرس الـــرقمي



المصدر:البيان الفضائي بالاعتماد على نموذج التضرس الرقمي DEMوبرنامج 9,3ARCGAS

الشكل (4)طوبغرافيـــه منطقـــه الدراســـه



لمصدر:اعتمــاداً نمــوذج التضـــرس الرقميوبرنـــامج ArcGis

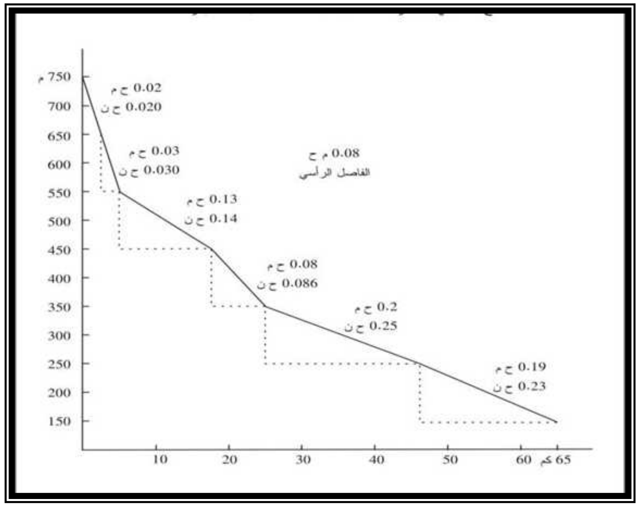
الجدول (١) التحليل الشكلي للمقطع الطولي لحوض وادي الفضا

المراتب	المرتبة الاولى	المرتبة الثانية	المرتبة الثالثة	المرتبة الرابعة	المرتبة الخامسة	المرتبة السادسة
متوسط انحدار المراتب النهرية	٠.٠٠٢	٠.٠٠٣	٠.٠١٣	٠.٠٠٨	٠.٠٠٢	٠.١٩
نسبة الانحدار	٠.٠٠٢٠	٠.٠٠٣٠	٠.٠١٤	٠.٠٠٨	٠.٢٥	٠.٢٣
متوسط انحدار مجرى وادي الفضا	٠.١٩					
نسبة انحداره	٠.٢٣					

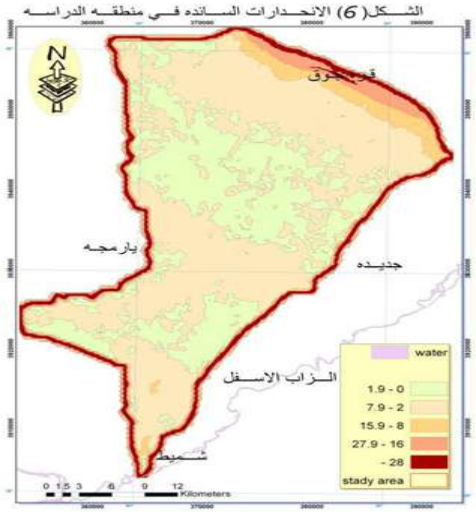
المصدر : عمل الباحثين اعتمادا على الخريطة الطبوغرافية بمقياس ١/١٠٠٠٠٠

ويتضح من الجدول (١) أن متوسطات انحدار وادي الفضا لجميع المراتب النهرية تتباين مابين ٠.٠٠٢ و٠.١٩ ويتبين أن متوسطات الانحدار تنخفض في المراتب الرابعة والخامسة والسادسة، ويستدل من ذلك بان كل اقسام المجرى في حالة توازن، ويتصف بدرجة انحدار تكفي لتوليد سرعة الجريان لنقل الحمولة الورادة من الجزء الذي يعلوه، ونستنتج من ذلك المقطع بانه تعبير عن العلاقة بين كمية الصبيب المائي وانماط الفيضان ومقدار ونوعية الحمل وهذه العناصر متغيرة عبر الزمان والمكان، ويعتبر شكل انحدار المقطع بانه يميل إلى التفلطح مع الاقتراب إلى المصب، ويكون شديد الانحدار من بداية المنبع من مرتفعات قرة جوق ويتلاشى انحداره وصولاً إلى نقطة المصب، وهذا يدل على أن الوادي لايزال في مرحلة النضج متمثلا بزيادة صبيبه المائي، وسرعة وصول موجات الفيضان، وهو يعمل لتكوين مجرى متوازن لواديه حينما تدركه الظروف المناخية.اما نسبة انحدار وادي الفضا للمراتب فقد تباين مابين، (٠.٠٠٢ والى ٠.٢٥)، اما متوسط انحدار الوادي فقد بلغ ٠.١٩ وبنسبة انحدار ٠.٢٣ وهذه يبين بأن وادي الفضا بشكل عام متوسط الانحدار.

شكل(٥) يبين متوسطات الانحدار ونسبه الانحدار

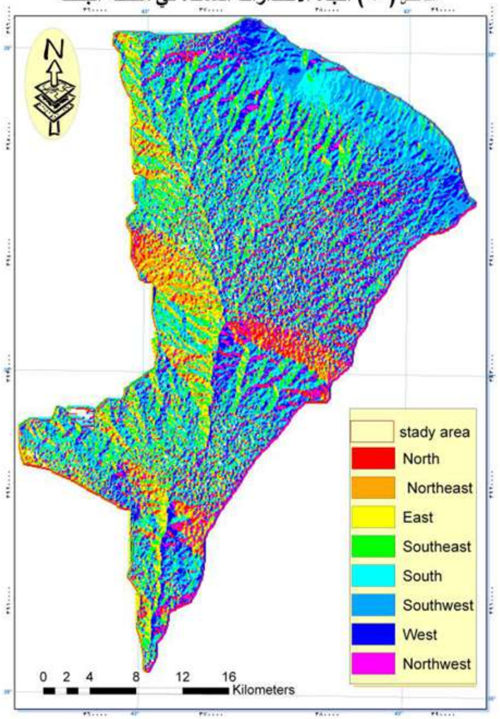


المصدر :بالاعتماد على طول وارتفاع الحوض والجدول(١)



المصدر :المرئيه الفضائيه بالاعتماد على برنامج GAS

الشكل (7) اتجاه الانحدارات السائدة في منطقة البحث



المصدر : المرئيه الفضائيه باالاعتماد على برنامج GAS والشكل(٦)

المناخ Climate

يعُد المناخ احد اهم العناصر في الدراسات الهايدرولوجية من حيث التغذية المائية ومقدار التصريف المائي وتحديد الذروات التصريفية العالية وفترات التلكؤ ومن هنا جاء الاهتمام بتحليل المعطيات المناخية .[١٢]، وذلك لبيان فعالية العناصر المناخية في تشكيل معالم شبكة الصرف المائي السطحي في منطقة حوض وادي الفضا .ويعُد من العناصر البيئة المهمة بحكم تأثيراتة المباشرة وغير المباشرة على جوانب الحياة المختلفة، وكذلك يؤثر في تحديد نوع النبات في أي منطقة ونوع التربة

ومواردها المائية،فضلاً عن وجود النشاطات الاقتصادية المختلفة للإنسان كالزراعة والري والرعي والسياحة. ويؤثر المناخ بعناصره المختلفة على بيئة منطقة الدراسة بدرجات متفاوتة، فالحرارة والرياح والأمطار والتبخر والرطوبة النسبية كل عنصر من هذه العناصر له تأثير مباشر على أشكال سطح الأرض، وان المحطات التي تم الاعتماد عليها في دراستنا هي محطة كركوك والموصل ومخمور، بسبب خلو منطقة الدراسة من المحطات المناخية، وبالاعتماد على متوسطات محطتتي كركوك والموصل ولجميع المعطيات المناخيه، ماعدا الامطار لمحطه مخمور وتم الركون إلى تلك المحطات لوقوع منطقة الدراسة ضمن إقليم هذه المحطات، ويمكن لهذه المحطات أن تعطينا مؤشرات يمكن الاعتماد عليها في تحليل المعطيات المناخية لمنطقة الدراسة.

الحرارة/

تنحصر منطقة الدراسة بين خطي الحرارة المتساوية(٢٠مْ - ٢٢مْ) شمالاً ويتبين من تحليل معدلات درجات الحرارة السنوية الجدول (٢) أنها تزداد كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب تبعاً للموقع الجغرافي وعامل الارتفاع للمحطات المشمولة بالدراسة.فمحطة منطقه الدراسه بلغ معدل الحراره(٣٤.٤)م في شهر تموز و(٧.٥)م في شهر كانون الثاني. وتبعا لذلك فان منطقه الدراسه تتميز بارتفاع المدى الحراري السنوي والفصلي فقد بلغ(١٤.١) م ويرتفع في اشهر الصيف ليصل الى(٢٠.٤)م في شهر اب.

الرياح/

ان الرياح الشماليه الغربيه هي السائده في منطقه الدراسه لتصل اقصى سرعه لها في شهر حزيران اذ بلغت (١.٨)م/ تتراوح سرعتها أحياناً بين٢٠ - ٤٠ ميلاً في الساعة خلال النهار ولكنها تتلاشى أثناء الليل كما أنها تلعب دوراً ملطفاً في المساء

الذي يخفف من شدة الحرارة[١٣]، وذلك بسبب تركز منطقة الضغط المنخفض في تلك الفترة على منطقة الخليج العربي وجنوب العراق مما يدفع بالرياح نحوها بسرعة بينما تقل سرعتها إلى أدنى قيمتها في فصل الشتاء وبخاصة في شهر كانون الثاني إذ بلغت ٠.٩م/ثا في محطة منطقه الدراسه، الجدول رقم وبلغ المعدل السنوي للرياح ٥،١م/ثا لمحطه منطقة الدراسة وبعد تزامن انخفاض سرعة الرياح مع فصل التساقط المطري مما يقلل من عملية الفاقد المائي بالتبخر، النتح.

الجدول (٢) المعطيات المناخية لمنطقة الدراسة للمدة (١٩٨٠ – ٢٠٠٨)*

الحرارة العليا	١٢.١	١٤	١٨.٧	٢٦.١	٣٤.٨	٤٠.٣	٤٢.٤	٤٤.١	٣٩.٨	٣١.٣	٢٠.٧	١٤.٦	٢٨.٣
الحرارة الدنيا	٢.٩	٣.٣	٦.٥	٢١	١٦.٣	٢٢	٢٦.١	٢٣.٧	١٩.٦	١٣.٦	٧.٦	٤	١٣.٨
المعدل	٧.٥	٨.٦	١٢.٦	٢٣.٥	٢٥.٢	٣١.١	٣٤.٢	٣٣.٧	٢٩.٧	٢٢.٤	١٤.١	٩.٣	٢٠.٩
المدى الحراري	٩.٢	١٠.٧	١٢.٢	٥.١	١٧.٩	١٨.٣	١٨.٣	٢٠.٤	٢٠.٢	١٧.٧	١٣.١	١٠.٦	١٤.١
حرارة الهواء الجاف	٧.١	٨.٩	١٢.٩	٢١.١	٣١.٤	٣٢.٢	٣٥.٧	٣٠.١	٢٩.٤	٢٤.٦	١٣.٧	٨.٦	٢١.٣
الامطار ملم*	٤٨.٥	٤٢.٧	٣٢.٠	٣٢.٤	١١.٦	١.٤	٠.١	.	٠.٩	١٤.٨	٤٩.١	٤٦.٠	٢٧٧.٣
الرطوبه النسبيه%	٨٦.٧	٧٧.٤	٧١.٩	٦٣.٦	٤٨.١	٢٧.٩	٢٥.٧	٢٧.٧	٣٢.٦	٤٧.٥	٦٤.٧	٧٨.٨	٥٤.٣
سرعه الرياح/م/ثانيه	٠.٩	١.٣	١.٢	١.٤	١.٦	١.٧	١.٨	١.٥	١.١	٠.٧	٠.٦	٠.٨	١.٥

المصدر :هيئه العامه للانواء الجويه والرصد الزلزالي بيانات غير منشوره بغدارد * محطة مخمور للامطار فقط

الأمطار/

تتركز اغلب الأمطار الساقطة في منطقة الدراسة في فصل الشتاء والربيع، الجدول (٢) وذلك لارتباطها بمرور الانخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط والتي تبدأ من شهر تشرين الأول حتى مايس، وتنحصر منطقة الدراسة بين خطي المطر المتساوي (٣٠٠ –٤٠٠ ملم). تباين الأمطار السنوية الساقطة في محطة مخمور،. إذ بلغت، ٢٧٧.٣ ملم، ويرجع سبب ذلك إلى تباين الموقع الجغرافي وعامل الارتفاع، وتشكل الأمطار الشتوية بنسبة، ٦٥.٨% من مجموع الأمطار السنوية،

بينما شكلت الإمطار الربيعية ٣٥.١%، لمحطات منطقة الدراسة، بينما لاتشكل الإمطار الخريفية ألا نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١٤.٨%.

الرطوبة النسبية /

تعُد الرطوبة النسبية إحدى العناصر المناخية التي تؤثر في الموازنة المائية المناخية[١٤] إذ تتميز منطقة الدراسة بانخفاض معدلات، ٥٤.٨%، لمحطه منطقه الدراسه وانها تمتاز بتفوقها في المعدلات الشهرية والمعدلات السنوية والبالغة قيمتها ٥٤,٨% ويعود السبب في ذلك إلى موقعها في الصدارة للرياح الشمالية الغربية الرطبة فضلاً عن تضاريسها المنبسطة والمنفتحة بأنياب الرياح مما يساهم في زيادة رطوبتها النسبية. انظر الجدول (٢).

تم تحديد الاقليم المناخي لمنطقة الدراسة، اعتمد على معادلة كوبن[١٥]. وهي:

$$r = \frac{0.44t - 14}{2}$$

أذن r = **قرينة الجفاف** t = **معدل الحرارة السنوي بالفهرنهايت.**

وبعد تحليل النتائج على ضوء المعطيات المناخية المؤشرة في الجدول (٢) تبين أن قرينة الجفاف تشير إلى إن المطر اكثر من الناتج واقل من ضعفه في محطة منطقة الدراسة فقد بلغ مجموع المطر السنوي فيها (١٤.٩) بوصة. وقرينة الجفاف (٨.٤) بوصة، لذا فان المحطة تقع ضمن المناخ شبة الجاف (Bwshs). وتحقيقاً لما سبق يمكن القول بان مناخ منطقة الدراسة تتميز بأنه حار في فصل الصيف إذ أن معدل درجات الحرارة لأشهر الصيف اكثر من (٢٧م) وتبعاً لذلك يرمز له (Bwshs) وتقع ضمن المناخ شبه المداري شبه الجاف الحار صيفاً (Bwshs)

- الموازنة المائية لحوض وادي الفضا

تعد الموازنة المائية المناجية من الخصائص الهيدرلوجية المهمة لحوض منطقة الدراسة لأنها تبين أهمية التأثير المباشر لمقدار الفقدان المائي بواسطة التبخر النتح على كمية المياه السطحية والجوفية وعلى خصوبة التربة ومخزونها من المياه وعلاقة ذلك بالجريان السطحي ومقدار ما يتبخر منه ومعرفة الفائض والعجز المائي[١٦] وهي تعبير عن العلاقة بين التساقط والتبحر النتح الذي يمثل المقارنة بين الجريان والتبخر والتشبع والتسرب للوصول الى فائض المطر المسبب الجريان في حوض النهر او عجزه عن طاقة التبخر/ النتح[١٧] ولمعرفة ذلك تم حساب عناصر الموازنة المائية فضلا عن حساب التبخر/ النتح. الذي يعد عنصرا مهما من عناصر الموازنة المائية والذي يختلف من مكان الى اخر تبعا لاختلاف المكونات البيئة وطبيعية استغلال الأراضي الزراعية في منطقة الدراسة، وتم حساب الموازنة المائية باستخدام معادلة خروفة[١٨].

معادلة خروفة = $ET = \frac{P^{1.31}}{3}$

حيث ان :

ET = تمثل مقدار النتح المحتمل

P = النسبة المئوية لعدد ساعات السطوع الشمسي الشهري بالنسبة للسنة

C= المعدل الشهري لدرجة الحرارة /م

أ- فصل الفائض المائي

تتباين مدة هذا الفصل بين محطة وأخرى إذ يبدأ هذا الفصل في محطة منطقه الدراسه من شهر كانون الأول الى شهر اذار وبلغت النسب (+٣٦.٥، + ٢٧.٣، + ١٠.٩) على التوالي، أنظر الجدول رقم (٣) ويتميز بزيادة كمية الأمطار

الساقطة على طاقة التبخر / النتح المحتمل حدوثه بسب انخفاض درجات الحرارة وقصر النهار مع زيادة عدد الايام الغائمة وارتفاع كمية التساقط ونادرا ما تحتاج الزراعة لمياه الري (السقي) في السنوات الرطبة بينما في السنوات الجافة تحتاج الى كمية أكبر من الري، لذلك نلاحظ بأن الفائض المائي يحدث عندما تزيد كمية الأمطار على كمية او طاقة التبخر / النتح المحتمل هذا من الجانب المناخي اما من جانب تغذية وتشبع التربة، فانه يتكون من جزئين اساسيين هما الجريان السطحي والتغلغل الذي يغذي التربة والجريان تحت السطحي الذي يغذي التربة والجريان التحت السطحي للقسم المشبع[١٩].

ب- فصل العجز المائي

يبدأ هذا الفصل من شهر نيسان الى شهر تشرين الثاني في محطة منطقه الدراسه، وتتراوح مدة العجز المائي ثمانية أشهر في محطة منطقه الدراسه إما المجموع السنوي للعجز المائي بلغ (١٩١٩.٢) ملم وكما في الجدول رقم (٣) نستنتج مما سبق بأن الأمطار تشكل المصدر الرئيس لتغذية منطقة الدراسة وخاصة خلال فترة الفائض المائي، أما في فصل العجز المائي تلعب المياه الجوفية دورا مهما في تغذية المنطقة وعلى الرغم من قلتها في فصل الجفاف وزيادة ملوحتها ولكنها قادرة على ان تغذي المنطقة، إضافة الى العيون والينابيع التي تغذي الحوض أحيانا.

الجدول (٣) الموازنة المائية المناخية الشهرية والسنوية لمحطه منطقة الدراسة للمدة (١٩٨٠-٢٠٠٨) حسب معادلة خروفة

الخصائص	ك٢	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	ت١	ت٢	ك١	المعدل السنوي
معدل الحرارة / منوي	٧.٥	٨.٦	١٢.٦	٢٣.٥	٢٥.٢	٣١.١	٣٤.٢	٣٣.٧	٢٩.٧	٢٢.٤	١٤.١	٩.٣	٢٠.٩
معدل ساعات السطوع الشمسي للشهر	٤.٧	٥.٦	٦.٤	٧.٥	٩.٨	١٠.٨	١١.١	٢١.٠	١.٩	٨.٦	٥.٥	٤.٣	٩٧.٢
النسبة المنوية لمعدل ساعات السطوع الشمسي الشهري %	٤.٨	٥.٧	٦.٥	٧.٧	١٠.٥	١١.١	١١.٤	١٢.٣	١١.٢	٨.٨	٥.٦	٤.٤	%١٠٠
طاقة التبخر / ملم	٢٢.٤	٣١.٨	٥٩.٨	١٦٠.٤	٢٣٩.٨	٣٣٣.٩	٣٨٨.٤	٤١١.١	٣١٧.٢	١٧٢.٢	٥٩.٧	٢٧.٢	٢٢٢٣.٣
الامطار	٥٨.٩	٥٩.١	٧٠.٧	٤٦.٨	١٥.١	١.٤	٠.٢	-	٠.٣	١٣.٢	٤٩.٤	٦٩.٠	٣٨٢.٧
الفائض المائي / ملم	+ ٣٦.٥	+ ٢٧.٣	+١٠.٩	-	-	-	-	-	-	-	-	+ ٤١.٨	+ ١١٦.٥
العجز المائي	-	-	-	١١٣.٦-	٢٢٤.٧-	٢٣٢.٥-	٣٨٨.٢-	٤١١.١-	٣١٧.٢-	١٧٢.٢-	٥٩.٧-	-	١٩١٩.٢-

المصدر / الجدول من عمل الباحثين اعتمادا على جدول (٢)

- التربة. Soil:

تُعد التربة أحد العوامل الطبيعية المؤثرة في عملية الصرف المائي السطحي، وذلك لوجود علاقة متبادلة بين الجريان السطحي ونسجة التربة من حيث المسامية والنفاذية، ويقصد بها القدرة على نفاذ المياه من خلال المسامية اما المسامية فهي حجم الفراغات الموجودة بين جزيئات التربة اما نسجة التربة فيقصد بها الترتيب الحجمي لمفصولات التربة وللتربة وخصائصها الطبيعية المتمثلة بالمسامية والنفاذية قيمة عالية ومهمة في الدراسات الهيدرلوجية[٢٠]. وتتكون التربه من خليط من المواد المعدنية والعضوية والماء والهواء حيث يمر فيها النبات ومنها يستمد غذاءه وعلية تعيش النباتات والحيوانات، ويتراوح لون التربة مابين البني المصفر والبني الداكن (3 / 10 y R 4 /4- 10y R 5 /4- 10y R7) ويتضح من الدراسة التحليلية لعينات أخذت من ترب منطقة الدراسة، كما يوضح الجدول (٤) والشكل (٨) الذي يمثل

أ. م. د. مد الله عبد الله محسن
م. م. دلي خلف حميد
العدد (٧) حزيران ٢٠١١
مجلة آداب الفراهيدي
دراسة حوض وادي الفضا

الأماكن الموقعية للعينات بأنها تربة ذات نسجة ناعمة تتراوح ما بين الترب المزيجية الطينية الغرينية والمزيجية الرملية، وهذا يدل على أنها ترب قد نقلت من الطيات المحدبة التي ينبع منها الوادي بفعل المياة الجارية وترسبت في بيئتها الجديدة، ويتبين من تحليل الجدول أن تلك الترب من اصل كلسي وتراوحت نسبة الكلس ما بين(٣٤.٥% -٥٥%) ونستدل من تلك المادة بأنها تكوينات ترجع إلى المكاشف الصخرية لتكوين الفتحة وانجانه،وأنها ترب بين القاعديه والحامضية بدلالة قيم (PH) تراوحت ما بين (٧.١- ٨.٦) أما الأملاح الذائبة في منطقة الدراسة فتراوحت ما بين ٥٤g/L- /mg/L/- ٩٩) أما نسبة التوصيلية فقد تراوحت مابين 2.13 MMS /cm - 0.01MMS /cm). وتبعاً لذلك يمكن تقسيم ترب منطقة الدراسة إلى الأقسام التالية.

أ- التربة الفيضية :

تظهر هذه الترب على شكل شريط يمتد على ضفتي وادي الفضا ابتدأ من المناطق القليلة التضرس عند المنبع وصولاً الى المصب عند التقاء الوادي بنهر الزاب الاسفل، وهي تربة رسوبية تكونت من الرواسب الرملية التي رسبها وادي الفضا. فضلاً عن أرسابات نهر الزاب الأسفل التي تقع بمحاذاته أثناء الفيضان المتكرر وتمتاز بخشونة ذراتها ومساميتها الجيدة مع قلة نسبة الأملاح فيها وتتصف بعمقها وصرفها الجيد. وتمتاز بأنها غنية بالمواد العضوية وتعد من افضل أنواع الترب للاستثمار الزراعي في تلك المنطقة ويصل عمقها الى ٧ امتار في بعض المناطق وهي عبارة عن مواد طينية ورملية وحصوية تختلف باختلاف موقعها[٢١]

ب- التربة البنية الحمراء :

من المعروف لدينا أن صخور ألام هي ألا ساس في تكوين الترب لمنطقة الدراسة، إذ تبين أن تكوينات المنطقة اغلبها من تكوينات انجانه والفتحة (الجبس و

حجر الكلس والصخور الجبسيه الصلصالية والصخور الطينية والرمل والحصى) وتتصف الترب العميقة بأنها تحوي على طمى وصلصال، و تشكل الطبقة العليا (٥) سم تقريباً وتتدرج إلى الطمى وصلصال بني مائل إلى الاصفرار[٢٢]، كما هو موجود في اغلب المستقرات بداية من موقع مستقرة دينكاوة وصولاً إلى مستقرة البطروز واغلبها مزيج من الطين والغرين المتمثلة باللون البني المصفر،أما نسبة (pH) بلغت ٨,٦ وهي قاعدية إما نسبة الملوحة(٦٩ mg/L) اما التوصيلة للكهربائية بلغت (MS/cm / ٠.١٢) والتي تعبر عن ملوحة التربة وان زيادة نسبة الملوحة في التربة تؤثر على نمو النبات وقلة إنتاجها، الجدول (٤) لتحليل أصناف الترب.

الجدول (٤) تحليل أصناف عينات لترب منطقة الدراسة.

مكان الموقع	النسجه			النوع	اللون	PH	الملوحة الذائبة MG / L	التوصيلية الكهربائية MMhs/cm	الكلس %
	رمل	طين	غرين						
حاوي قرية شميط	٨٥	١٠	٥	مزيجيه رملية	10 y R – 7 / 3	7 , 2	54	**0 , 0 1**	**42**
البطروز	٢٠	٣٥	٤٥	مزيجيه طينيه غرينيه	10 y R – 5 / 4	8 , 6	69	**0 , 1 2**	**45**
ذويب	٤٠	٢٥	٣٥	مزيجيه	10 y R – 4 / 4	8 , 6	135	**2 , 1 3**	**41**
تل الورد	٣٥	٤٠	٢٥	طينيه غرينيه	10 y R – 4 / 4	8 , 5	68	**0 , 1 1**	**34,5**
دوما إدريس	٦٠	١٥	٢٥	طبنبه غرينيه	10 y R – 5 / 4	8 , 2	625	**0 , 9 8**	**37**
تل الغزال	١٥	٥٠	٣٥	مزيجيه غرينيه	10 y R – 4 / 4	8 , 1	929	**0 , 1 4**	**47**
كرمش لزاكه	١٥	٥٥	٣٠	طينيه غرينيه	10 y R – 5 / 4	8 , 5	620	**0 , 7 9**	**48**
خندق الكبرى	٢٠	٤٥	٣٥	مزيجيه طينيه غرينيه	10 y R – 6 / 4	7 , 1	990	**0 , 1 9**	**49**
لاكجه	٢٥	٤٠	٣٥	طينيه	10 y R – 6 / 4	7 , 9	660	**1 , 4 5**	**37**
كرد كليخة	٢٥	٣٥	٤٠	طينيه غرينيه	10 y R – 5 / 4	7 , 4	175	**2 , 1 0**	**55**

المصدر / الجدول من عمل الباحثين، اعتماداً على التحليلات المختبرية، جامعة الموصل، كلية الزراعة، قسم التربه.

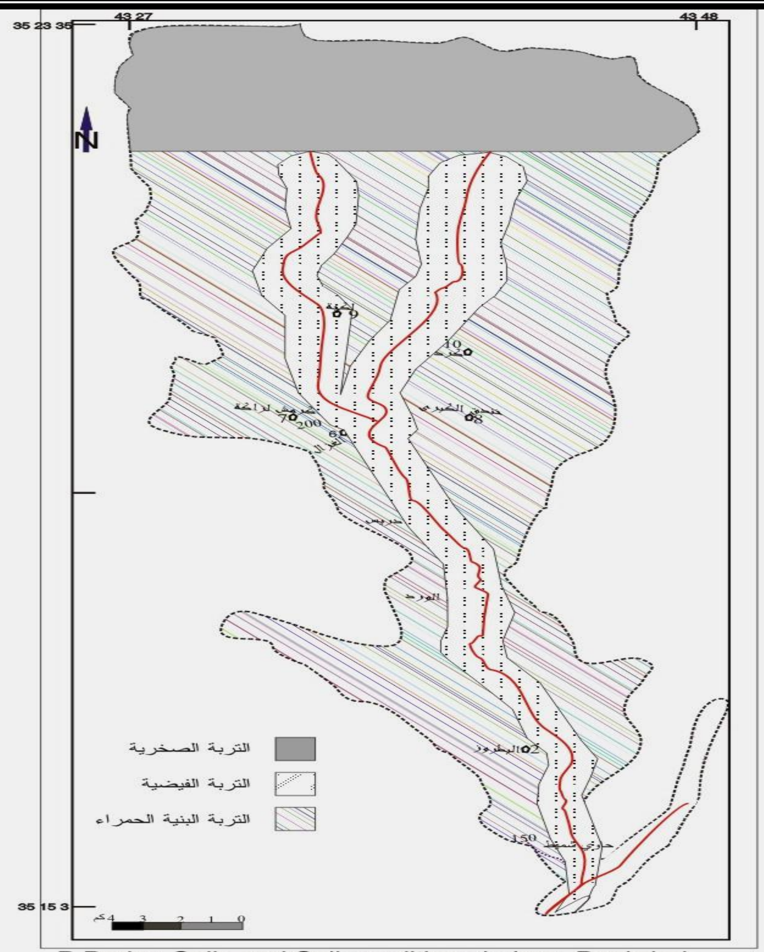
أضافه إلى ذلك تعد الترب البنية ألداكنه من احسن أنواع الترب الملائمة لزراعة المحاصيل الزراعية وخاصة الزراعة الديمية (الحنطة والشعير) فأن أغلب

المستقرات في منطقة الدراسة، تعتمد في معيشتها على زراعة المحاصيل الديمية وأحيانا القطن إذا توفرت الظروف الملائمة لزراعته المتمثلة بالري وزيادة منسوب المياه الجوفية، وبالإضافة إلى ذلك فأن تلك الترب تكاد تكون صالحة لانبات أنواع عديدة من الأعشاب الربيعية وخاصة الاستبس التي تعيش عليها أغلب الحيوانات فهي منطقة واسعة وصالحة للرعي.

ج- **التربة الصخرية** :

يظهر مثل هذا النوع من التربة في بداية قدمات قرة جوق إلى مستقرة دينكاوة واغلب صخورها تتكون من صخور ساند ستون ولا يمستون والجبس، ويصل سمكها بين (١م، ٣م) وهي عبارة عن ترب حديثة التكوين ضحلة العمق ويكون تكوينها الأساسي من حطام صخري كلسي وكبريتات الكالسيوم المتبلورة[٢٣] اذ تزيد خشونتها كلما انحدرنا نحو السهول لاختلاطها بنواتج التجويه المتمثلة بالمفتتات الصخرية المتباينة في حجمها والتي انجرفت بعوامل النقل ولإرساب وخاصة المياة التي رسبتها في تلك المواقع

الشكل (٨) التوزيع الجغرافي لاصناف الترب في منطقة الدراسه



المصدر : P.Buring Soils and Soil conditions in Iraq, Baghdad , 1960, Map. 1 , scale 1/100.000

- الأهمية المكانية للتعرية والقيمة الهيدرلوجية للمسيلات المائية

تعد التعرية الهيدرلوجية من أخطر أنواع التعرية التي تتعرض لها أحواض تغذية الأنهار[٢٤]، نتيجة لتدخل وتفاعل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية وهي عبارة عن عملية مكانية بمفهومها الواسع والتي يمكن ان تحدث بتاثير الجريان وارتطام الأمطار الساقطة على السطح[٢٥] وللوقوف على دورها وفعهاليتها في المنطقة تم أعداد خريطة لشبكة الصرف المائي السطحي لمعرفة درجة وأنواع التعرية لحوض منطقة الدراسة من خلال تقسيم شبكة الصرف المائي الى ١٥٦ موقع مساحة كل موقع ٤ كيلومتر مربع واعتمد نظام Bergsma ١٩٨٣ في تطبيق معدلات التعرية كما في جدول (٥) الى درجاتها اذ تبين (٢٩٦ كم^2) من مساحة الحوض تعاني من تعرية خفيفة مكونه نسبة قدرها (٤٧.٤%) وشغلت التعرية المتوسطة مساحة مقدارها (١٦٠كم^2) وبنسبة (٢٥.٧%) من المساحة الكلية للحوض. اما التعرية الشديدة فقد بلغت مساحة مقدارها (١٦٨كم^2) مكونة نسبة قدرها (٢٦.٩%) من المساحة الكلية للحوض، وصنفت درجات التعرية في حوض وادي الفضا الى درجاتها حسب نظام (Bergsma - ١٩٨٣)[٢٦].

الجدول (٥) تصنيف التعرية الاخدودية عند Bergsma ١٩٨٣

درجة التعرية	طول الأخدود م / كم^2
١	صفر – ٤٠٠
٢	٤٠٠ – ١٠٠٠
٣	١٠٠٠- ١٥٠٠
٤	١٥٠٠ – ٢٧٠٠
٥	٢٧٠٠ – ٣٧٠٠
٦	٣٧٠٠ – ٤٧٠٠
٧	٤٧٠٠ فأكثر

المصدر : من عمل الباحثين بالاعتماد على نظام Bergsma ١٩٨٣.

وباستخدام معادلة (معدل التعرية م/كم) لمعرفة أطوال الاخاديد م/كم لكل موقع ومساحة كل واحدة من الوحدات.

معدل التعرية م / كم = مجموع أطوال الاخاديد في وحدة مساحة /م ÷ مساحة الوحدة الواحدة كم٢

وحسبت المساحة الكلية لكل درجة من درجات التعرية ونسبتها من المساحة الكلية للحوض جدول (٦).

الجدول (٦) مجموع المساحة لكل درجة من درجات التعرية ونسبتها من المساحة الكلية

درجة التعرية	عدد المواقع	مجموع المساحة كم٢	% من المساحة الكلية
١	٥٦	٢٢٤	٣٥.٩٠
٢	١٨	٧٢	١١.٥٤
٣	١٦	٦٤	١٠.٢٦
٤	٢٤	٩٦	١٥.٣٩
٥	٢٦	١٠٤	١٦.٦٦
٦	١٦	٦٤	١٠.٢٥
المجموع	١٥٦	٦٢٤	١٠٠%

المصدر : الجدول بالاعتماد على نضام Bergsma

- تقسيمات انطقة التعرية لحوض منطقة الدراسة

يمكن تقسيم انطقة التعرية على النحو الاتي [٢٧].

١- نطاق التعرية الخفيفة

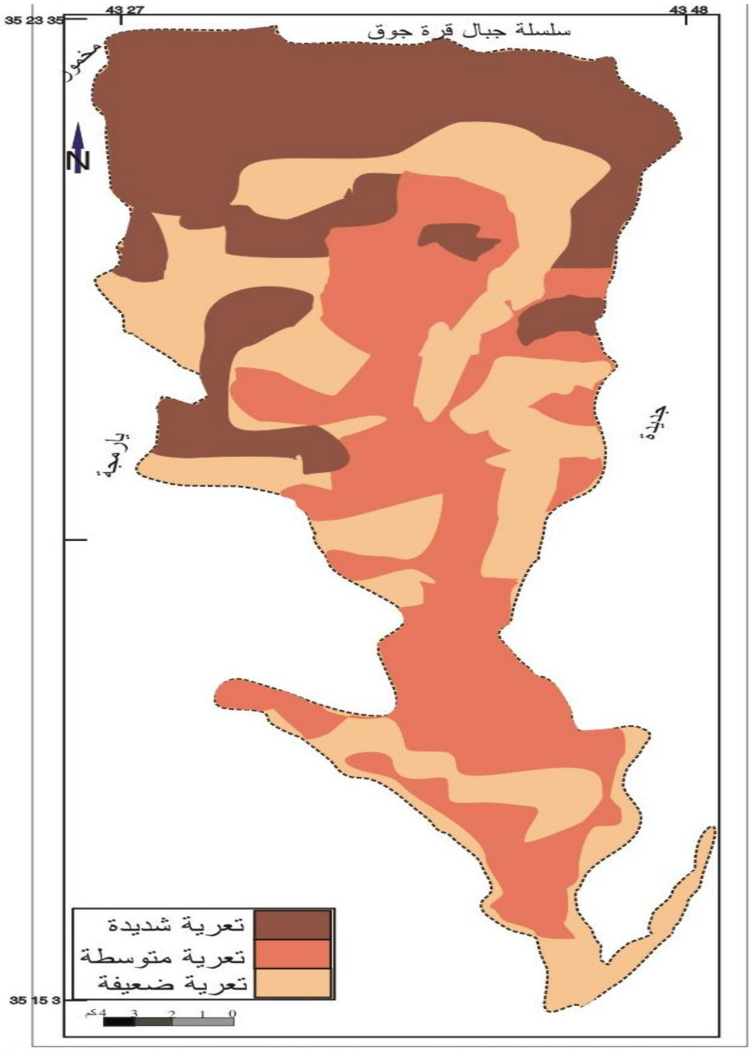
يصنف هذا النطاق ضمن درجات التعرية (١، ٢) ويظهر في (٧٤) موقع وبنسبة ٤٧.٤٣% من مجموع المواقع المدروسة ويشكل مساحة مقدارها (٢٩٦كم٢) مكونا نسبة قدرها ٤٧.٤% من المساحة الكلية. يظهر هذا النطاق وكما يتضح من الشكل (٩) في الاجزاء الوسطى والسفلى من الحوض وفي الأجزاء ذات الانحدارات القليلة وأن قلة الانحدار مع توفر غطاء نباتي متمثل بالحشائش والشجيرات المتمثلة

بالطرفة والزرور وغيرها من النباتات ساعدت على تطور غطاءات فيضية غير مركزية مثل تطور المسيلات المائية. ولهذا فان جزءٍ كبيراً من المياه يضيع بالتبخر والتسرب لقلة انحدار الأرض حيث تتميز هذه المسيلات لقلة فعاليتها التعروية.

٢- نطاق التعرية المتوسطة

يتمثل هذا النطاق بدرجات التعرية (٣، ٤) وظهر في (٥٠) موقع وبمساحة قدرها ١٦٠ كم٢ مكونا نسبة ٢٥.٧ % من مجموع المواقع المدروسة وتسود أغلب أجزاً هذا النطاق ضمن الأجزاء الوسطى والجنوبية الشرقية للحوض. وضمن هذا النطاق يبرز التطور النموذجي للتصريف النهري الشجري والذي له دور في نشاط التعرية أن المجاري المائية تكون ضحلة في بداياتها وكثيرة العدد وليس لديها فعٍلا جيومورفولوجيا مؤثرا ولكن بفعل الأسر النهري يقل عددها وتزداد طولا ويعظم فعلها في تمزيق سطح الحوض باخاديد ثم تستمر المجاري بتطوير نفسها وتنظم أشكالها وتعمق مجاريها ويبرز فعلها الجيومورفولوجي في أجزاء الحوض الوسطى وذلك بازدياد نشاط التعرية الجانبية فتساعد الجدولة المتمثلة بالتقاء الجداول بعضها مع بعض من جانب أو مع الوادي الرئيسي من جانب أخر وخير مثال في الحوض (جهفة الغزال) عند مستقرة تل الغزال فهناك يزداد نشاط التعرية الجانبية من جانب واحد، حيث تهدم الكتل الأرضية في الجرف مع تساقط وانجراف التربة وتوسع الوادي على حساب

الشكل(٩)اصناف التعريه لمنطقه الدراسه



المصدر :عمل الباحث اعتمادا على الخرائط الطوبوغرافية المساحة العسكرية، بغداد ،١٩٨٦مخمور 1-38-B-NE القيارة 38-B-NW3 الفتحة 1-38-B-SE الشرقاط 1-38-B-SW بمقياس ١/١٠٠٠٠٠

٣- نطاق التعرية المتوسطة

يتمثل هذا النطاق بدرجات التعرية (٣، ٤) وظهر في (٥٠) موقع وبمساحة قدرها ١٦٠ كم٢ مكونا نسبة ٢٥.٧ % من مجموع المواقع المدروسة وتسود أغلب أجزاً هذا النطاق ضمن الأجزاء الوسطى والجنوبية الشرقية للحوض. وضمن هذا النطاق يبرز التطور النموذجي للتصريف النهري الشجري والذي له دور في نشاط التعرية أن المجاري المائية تكون ضحلة في بداياتها وكثيرة العدد وليس لديها فعِلا جيومورفولوجيا مؤثرا ولكن بفعل الأسر النهري يقل عددها وتزداد طولا ويعظم فعلها في تمزيق سطح الحوض باخاديد ثم تستمر المجاري بتطوير نفسها وتنظم أشكالها وتعمق مجاريها ويبرز فعلها الجيومورفولوجي في أجزاء الحوض الوسطى وذلك بازدياد نشاط التعرية الجانبية فتساعد الجدولة المتمثلة بالتقاء الجداول بعضها مع بعض من جانب أو مع الوادي الرئيسي من جانب أخر وخير مثال في الحوض (جهفة الغزال) عند مستقرة تل الغزال فهناك يزداد نشاط التعرية الجانبية من جانب واحد، حيث تهدم الكتل الأرضية في الجرف مع تساقط وانجراف التربة وتوسع الوادي على حساب

٤- نطاق التعرية الشديدة

يتبين هذا النطاق بأنه يقع ضمن (٥، ٦) من درجات التعرية وظهر في[٤٢] موقع من عدد المواقع وبمساحة ١٦٨كم٢ وبنسبة ٢٦.٩% من المساحة الكلية، ويعادل ربع المساحة الكلية للحوض، ويرجع سبب زيادة الحيز الذي يشغله هذا النطاق الى زيادة نسبة التضرس في الجزء الشمالي الذي ينحدر من طية قرة جوق وارتفاع خطوط الارتفاعات لتصل الى ٧٥٠ م فوق مستوى سطح البحر الذي يمثل اقصى ارتفاع للحوض ويمثل خط تقسيم المياه، ويظهر هذا النطاق واضحا في ألاقسام الشمالية الشرقية والغربية ويحدد من طية قرة جوق الى خط ارتفاع ٥٥٠ فوق

مستوى سطح البحر تقريبا وترجع سيادة التعرية الشديدة في هذه الاجزاء الى وجود الأراضي المنحدرة مع قلة الغطاء النباتي فيها والتي لها دور كبير في سرعة الجريان العالية ولها قدرة عالية في حدوث تعرية شديدة، وان كمية التعرية تزداد لكل وحدة مساحة ٢.٥ مرة عند مضاعفة درجة الانحدار اذ بلغت نسبة التضرس لحوض منطقة الدراسة ٩.٢٣ م/كم وهي نسبة متوسطة بالنسبة للانحدار والتي تعد من العناصر الأساسية المؤثرة في التعرية المائية لأن النهر يحصل فيه ميل مع تآكل الجوانب.

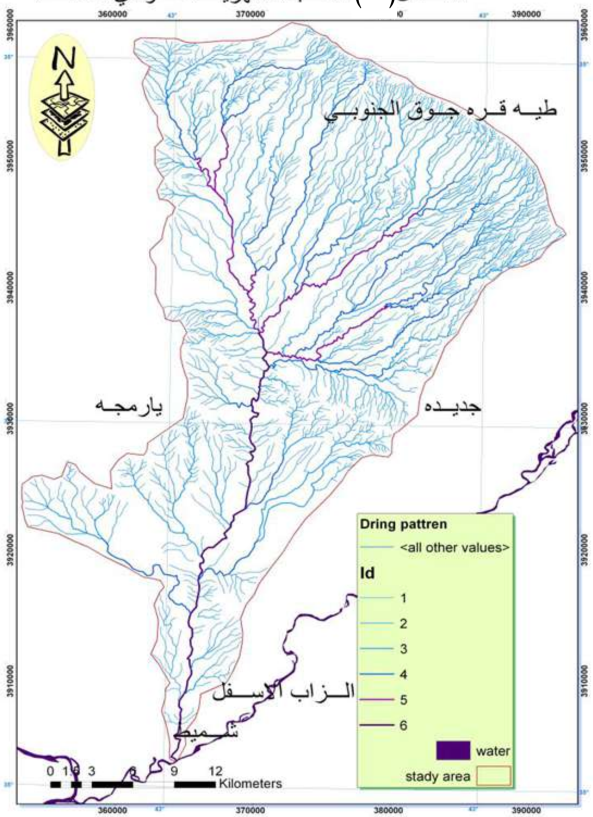
- تحليل الخصائص المورفومتريه لحوض وادي الفضا

الخصائص المساحية والشكلية للحوض منطقة الدراسة

تعد دراسة احواض الصرف المائي من ابرز الخصائص المورفومترية التي يمكن قياسها والتعرف عليها من خلال تطبيق القوانين والمعادلات التي تعكس لنا استثمار اجزاء كبيرة من الحوض والتعرف على بيئة المنطقة بادق تفاصيلها، ولاهميتها في تحديد كمية التغذية المائية التي تجهز المجرى المائي الرئيسي بالماء وتعكسها بذروات التصريف وفترات التلكؤ[٢٨] ومن ثم ابراز شدة التعرية المائية في الحوض، وهذا هو محور اهتمام الباحثين المهتمين بالدراسات المائية لغرض ابراز التاثير السلبي والايجابي لتلك الخصائص وعلى الوضع المائي للنهر من حيث معرفة مدى ترابط او تباعد اجزاء الاحواض عن بعضها تمت دراسة الخصائص المساحية والشكلية للحوض الرئيسي، وبالاعتماد على الخارطة الاساسية لحوض وادي الفضا (الشبكة النهرية للحوض) وقُسمت الى ستة احواض والمتمثلة بحوض (وادي كندي موسى)، وحوض (وادي فزاعة)، وحوض (وادي خندق الكبرى)، ووادي الخر) وحوض(كندي تبة)، (وادي التينة) وتراوحت مساحة كل حوض ٦٦.٥ كم٢، لحوض كندي موسى و ١٠٤.٥ كم٢ لحوض وادي فزاعة، ٨٢ كم٢ لحوض وادي خندق الكبرى و ٤٦ كم٢ بحوض وادي كندي تبة، ٩٨. كم ٢ لحوض وادي الخر، و ٣٦

كم٢ حوض وادي التينه، اما حوض وادي الفضا فبلغت مساحته ٦٢٥ كم٢. وكما في الشكل (١٠) و الجدول (٧) وتم اجراء جميع القياسات المورفومترية للاحواض ولتحديد الخصائص الشكلية التي تمت الدراسة بموجبها وعلى النحو التالي.

الشكل(١٠) الشبكه النهريه لوادي الفضا



المصدر :المرئيه الفضائيه، والخرائط الطوبغرافيه، بالاعتماد على برنامج Arc Gis v٩.٣

الجدول رقم (٧)الخصائص المساحية والشكلية لحوض وادي الفضا

ت	الحوض	المساحة كم٢	الاستدارة %	معامل الاستطالة %	نسبة تماسك المحيط%	معامل شكل الحوض %	نسبة التضرس م/كم٢
١	الفضا	٦٢٥	٠.٣٠	٠.٧٦	١.٨٢	٠.١٤	٩.٢٣

المصدر / الجدول من عمل الباحثين بالاعتماد على الخرائط الطوبوغرافيه مقياس ١:١٠٠٠٠٠

١- **الاستدارة والاستطالة**:

لاستخراج نسبة الاستدارة والاستطالة للاحواض المدروسة تم تطبيق المعادلتين الاتيتين وادرجت النتائج في الجدول(٧)الذي يبين نتائج تلك الدراسة :

نسبة الاستدارة (نسبة تماسك المساحة)[٢٩]. = (٤×٢٢/٧ × مساحة شس) / مربع محيط الحوض

نسبة الاستطالة = (٢ √مساحة الحوض كم٢) / طول الحوض كم

ويتبين من تحليل الجدول (٧) بان نسبة الاستدارة في حوض وادي الفضا فبلغت نسبه الاستدارة ٠.٣٠ وهذا ما يدل على اقترابه الى الشكل المستطيل، وعلى ضوء ذلك فان الاحواض المستطيلة تتميز بتصاريف مائية منتظمة مع تباطؤصول التصاريف المائية بسرعة لانها تقطع مساحة اطول، اما نسبه الاستطاله بلغت ٧٦،٠ ويتعرض جزء كبير منها للضياع بالتبخر والتسرب، على عكس الاحواض المستديرة

التي تتميز بجريان ماء غير منتظم وسرعة وصول الموجات الفيضانية مما يولد اثار مدمرة متمثلة بالفيضانات الوماضة.

٢- **نسبة تماسك المحيط** :

وتستخرج من تطبيق القانون التالي:[٣٠]

نسبة تماسك المحيط = ١ / (٢√نسبة الاستدارة)

وتكون نتيجة هذا القانون اكثر من واحد دائماً. وتفيد في تحقيق قيم نسبة الاستدارة والاستطالة من ناحية ابتعاد او اقتراب شكل الحوض من المستطيل او المستدير[٣١]، ويوضح الجدول (٧) ويتبين من دراسة نسبة تماسك المحيط بان حوض وادي الفضا يأخذ قيمة مرتفعة اذ بلغت ٨٢،١وتأكد هذه القيمة ابتعاد شكل الحوض عن الشكل المستدير واقترابه من الاستطاله البالغة ٧٦،٠ لحوض وادي الفضه لذا فان الشكل المستطيل يتصف بجريان منتظم وبتصريف واطىء وان طول المسافة التي يغطيها المجرى المائي في الحوض المستطيل من المنبع حتى المصب، كما ان تعرضه للاسر النهري يكون ضعيفا تقريبا بعكس المجاري المائية التي تتعرض للاسر النهري في مناطق تقسيم المياه وذلك لانها تسير بشكل غير منتظم وتمر بتعرجات كثيرة على طول المجرى المائي.

٣- **معامل شكل الحوض** :

ويستخرج من المعادلة الاتية :

معامل شكل الحوض[٣٢] = مساحة الحوض كم٢ / مربع طول الحوض كم

نستنتج من تطبيق هذا القانون على ان حوض وادي الفضا بلغ فيه معامل شكل الحوض (١٤،٠) تميل الى الشكل المستطيل، وينتج انعكاس الشكل المستطيل زيادة كمية الرواسب واتساع السهل الفيضي وظهور المصاطب النهرية، وتؤثر

خصائص الشكل في وضع النهر الهيدرولوجي وخاصة في نظام التصريف المائي. فالاحواض المستطيلة الشكل تتصف بجريان منتظم زمانيا وتصاريف واطئة عند مقارنتها بالاحواض الدائرية بسبب تعرض التصريف الى عاملي الترسب والتبخر خلال عملية الجريان من المنبع الى المصب[٣٣]. الجدول (٧) أي ان قاعدة المثلث تمثل منابع الاحواض وراسه المصب.

-نسبة التضرس.

تعطي نسبة التضرس صورة واضحة للخصائص التضاريسية من خلال التباين في الارتفاعات والانخفاضات مابين منطقة المنبع والمصب وانعكاس ذلك على المجاري المائية للاحواض الثانوية والحوض الرئيسي مما يبين شدة التعرية في منابع الحوض والترسيب في منطقة المصب. وكما في المعادلة التالية :

$$\text{نسبة التضرس} = \frac{\text{الفرق بين اعلى واخفض نقطة في الحوض}}{\text{طول الحوض كم}}$$

اذ بلغت نسبة التضرس ٩.٢٣ م/كم٢ لحوض وادي الفضا الجدول (٧) الذي يبين انحدار الوادي الرئيسي لمنطقة الدراسة لذلك فان تاثيرها سيتمثل من خلال زيادة سرعة جريان المياه في مجرى الوادي، اضافة الى حملها للرواسب، وتعظم درجة التضرس في الاراضي الوعرة اذ تعمل الانهار على شق التكوينات الصخرية اللينة وحفر مجاري عميقة غير منتظمة الشكل قصيرة الامتداد[٣٤]. ولها اهمية في معرفة طبيعة التضاريس وخصائصها

الخصائص الهيدرلوجيه للحوض

على اساس ذلك قام الباحثين بدراسة الحوض الرئيسي المعرفة كمية الصرف المائي، مما له تاثير على استعمالات الارض وكيفية استثمارها وتوفير اكبر كمية من

المياه للوادي ومعرفة عدد الاوديه الثانويه واطوالها ونسبة تشعبها وكثافة الصرف المائي والتكراري النهري وهذه العوامل كلها تساعد للوصول الى ذروة التصريف المائي التى تصل الى الوادي الرئيسي.

١-المراتب النهرية :

يقصد بها التدرج لمجموعة الروافد (المسيلات والاودية) التي تتكون منها دراسة النظم النهرية في احواض التصريف النهري[٣٥] وعلى اساس ذلك فانه عند دراسة نظم التصريف المائي في احواض المجاري النهرية والمراتب النهرية او الاودية شبه الجافة فان الدراسة المورفومترية تهتم في البداية بتميز مرتبة المجرى المائي، وقد اعتمد الباحثين في هذه الدراسة طريقة (ستريلر) في تحديد المراتب النهرية وتبين بان المسيلات والجداول الصغيرة التي لا تصب فيها مسيلات او وديان اخرى تنتهي الى المرتبة الاولى والتقاء رافدين من المرتبة الاولى سيشكل مجرى من المرتبة الثانية والتقاء وديان من المرتبة الثانية يكون مجرى من المرتبة الثالثة، الشكل (١٠)،وهكذا حتى يصل النهر الى المجرى الرئيسي الذي يحمل اعلى مرتبة. تبين مما سبق ان المراتب النهرية تعرف بانها جميع الروافد او الاودية الموجودة في حوض الوادي الرئيسي التي تشكل شبكة الصرف المائي في هذا الحوض[٣٦]. ودراسته تفيد في معرفة كمية التصريف المائي. ومن خلال دراسة وادي الفضا لتصنيف المراتب،اذ تراوحت رتب الحوض بين الاولى والسادسة الجدول (٨)

هذا يشير الى ان السيادة للمجاري المنخفضة الرتب وان مجموعة اطوال الوديان تقل كلما تطورت من مرتبة دنيا الى عليا، وان ٤٥.١% من مجموع اطوال الشبكة المدروسة تعود للمرتبة الاولى، كما شكلت نسبة عدد المجاري ٦٧.١ % من مجموع اودية هذا الحوض، بينما نسبة اطوال الوديان للمرتبة الثانية والثالثة والرابعةالخامسة والسادسة شكلت على التوالي ٢٧.٤%، ١٢.٥%، ٨.٢%، ٤.٨%،

٢-طول المجاري المائية للاحواض الثانوية :

تتباين اطوال المجاري المائية بين مرتبة واخرى لكل وادي لكل من الادوية حيث استولت المرتبة الاولى على ٥٥% من مجموع اطوال الاودية لجميع الاحواض و ٢٥ % للمرتبة الثانية و ١٥ للمرتبة الرابعة و ٥ % للمرتبة الخامسة تقريباً كما في الجدول (٨) اما معدل طول الاودية الذي استخرج من القانون التالي.

معدل طول الوديان[٣٧] = $\frac{\text{الطول الكلي للمجاري المائية لمرتبة ما}}{\text{عدد المجاري المائية التابعة لهذه المرتبة}}$

والجدول (٨) يبن معدلات اطوال المجاري المائية لجميع الاحواض الثانوية لمنطقة الدراسة.

٣-نسبة التشعب :

تعد دراسة نسب التشعب ذات اهمية كبيرة في اعطاء مؤشر مورفومتري للدلالة على تشابه الخصائص الطبيعية لحوض الصرف المائي من خلال الاختلافات في نسب التشعب انعكاساً لاختلاف عدد المجاري لكل مرتبة بحسب الظروف الجيولوجية والمناخية، وتنحصر نسبة التشعب في حوض وادي الفضا بين (٢، ٤) الجدول (٨) وان نسب التشعب للمراتب النهرية كانت بنسب ٢.٧، ٣.٩، ٣.٥، ٤، ٢ على التوالي من المرتبة الاولى وحتى المرتبة الخامسة، الجدول (٨) يتضح من دراسة نسبة التشعب لحوض وادي الفضا بانها تتاثر فعلاً بالظروف الجيولوجية والانكشافات الصخرية والظروف المناخية والتربة والنبات واستخرجت من المعادلة الاتية :

نسبة التشعب[٣٨] = $\frac{\text{عدد مجاري مرتبة ما}}{\text{عدد مجاري مرتبة لاحقة}}$

لذلك فهي من المقاييس المهمة لانها من العوامل التي تتحكم في معدلات التصريف وكلما انخفضت هذه النسبة زاد احتمال الفيضان وان النسب متباينة بين

٢.١%بينما نسبة عدد المجاري لكل مرتبة ومجموع عدد ها ٢٤.٢ % ٦١.١%، ١.٧%، ٠.٤%، ٠.٢% للمراتب الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة على التوالي، ان سبب تناقص عدد المجاري المائية واطوالها بتطورها من مرتبة دنيا نحو مرتبة عليا يعود الى ان مجاري المرتبة الاولى تستغل تطورها مجاري المرتبة الثالثة بوساطة الاسر النهري وما يرافقها من عملية نحت تراجعي على حساب منطقة تقسيم المياه واخيراً اتساع المساحة الحوضية، وللمراتب النهرية اهمية لمعرفة كمية الصرف المائي الخاص بكل وادي نهري وله انعكاسات على تقدير قابلية تلك الاودية الحتية والارسابية وبالتالي تاثيرها على استعمالات الارض المختلفة للمناطق المجاورة لتلك الاودية ووضع الاحتياجات المائية اللازمة، كما ان هناك علاقة وطيدة بين مرتبة الوادي والمجاري التي تتبع هذه المرتبة.

الجدول (٨) خصائص الشبكة المائية لمنطقة الدراسة.

المرتبة الاولى				المرتبة الثانية اطوال الوديان نسبة التشعب				المرتبة الثالثة			
عدد الوديان	اطوال الوديان	نسبة التشعب	معدل الطول	عدد الوديان	اطوال الوديان	نسبة التشعب	معدل الطول	عدد الوديان	اطوال الوديان	نسبة التشعب	معدل الطول
٣٠٥	٣٣٨	٢.٧	١.١	١١٠	٢٠٦	٣.٩	١.٨	٢٨	٩٤	٣.٥	٣.٣

المرتبة الرابعة				المرتبة الخامسة				المرتبة السادسة				التكرار النهري كم	كثافة الصرف المائي كم/كم٢
عدد الوديان	اطوال الوديان	نسبة التشعب	معدل الطول	عدد الوديان	اطوال الوديان	نسبة التشعب	معدل الطول	عدد الوديان	اطوال الوديان	نسبة التشعب	معدل الطول		
٨	٦٠	٤	٧.٥	٢	٣٦	٢	١٨	١	١٦	-	١٦	١.٢٠	٠.٢٧

المصدر: من عمل الباحثين وبالاعتماد على الشكل (١٠) وباستخدام برنامجArC gIS

مرتبة واخرى حيث تباينت في المرحلة الاولى مابين (٢.٢٥- ٤.٤) اما في المرتبة الثانية تباينت مابين (٢.٢١ –٥) فهي على العموم نسب مختلفة باختلاف الصخور ونوعية التربة والمناخ وهذا وصولاً الى المرتبة الخامسة

كثافة الصرف المائي والتكرار النهري للحوض

بلغت كثافه الصرف لوادي الفضا ١.٢٠ كم / كم٢ وهي تكون ملائمة لطبيعة الظروف السائدة ولكنها منخفضة مقارنة بالمستوى العام وتعكس الكثافة التصريفية العلاقة مع كمية الامطار الساقطة اضافة الى الخصائص المساحية والشكلية وخصائص الشبكة المائية التي مر الحديث عنها سابقاً، وكذلك طول المجاري المائية وسرعة مرور العاصفة المطرية ومدى تغطيتها لمساحة الحوض وتستخرج من المعادلة التالية.

$$\text{كثافة الصرف المائي}^{(٣٩)} = \frac{\text{مجموع طول المجاري المائية لجميع المراتب / كم}}{\text{مساحة الحوض / كم٢}}$$

تعتبر كثافة الصرف المائي نتاجاً لظروف البيئة السائدة في المنطقة، حيث انها ترتبط بالدرجة الاولى بالظروف المناخية السائدة وخاصة كمية الامطار، فالمناطق التي تهطل عليها كميات كبيرة من الامطار ترتفع فيها الكثافة التصريفية مقارنة بالمناطق التي تقل فيها نسبة الامطار، وتتميز المجاري المائية بطول مجراها مقارنة بالحوض بسبب لطبيعة التضاريسية وخاصة في نصفه الشمالي، وانعكس هذا الطول على تاثير العوامل المناخية وعوامل المسامية والنفاذية للتربة والصخور.

- التكرار النهري :

ان لدراسة التكرار النهري اهمية لمعرفة تكرار المجاري المائية في مساحة معينة من الحوض، و بلغ التكرار النهري لحوض وادي الفضا ٠.٢٧ / كم٢ كما في الجدول (٨) وهذا مؤشر على العلاقة بين التكرار والمساحة الحوضية، وينتج عنه

معرفة عدد وارتفاع المرتبة النهرية للحوض من الصرف المائي أي انه كلما كانت الكثافة والتكرار النهري عاليتين فان ذروة التصريف تكون عالية وان هناك علاقة عكسية بين التكرار والمساحة الحوضية، فكلما صغرت المساحة زاد التكرار النهري والعكس صحيح ويتناسب طردياً مع الكثافة التصريفية. ومن تطبيق المعادلة التالية :

$$\text{التكرار النهري}^{(٤٠)} = \frac{\text{عدد المجاري المائية لجميع الرتب}}{\text{مساحة الحوض / كم}^{٢}}$$

ولمعرفة عدد وارتفاع المرتبة النهرية لحوض الصرف المائي. وذلك لوجود علاقة طردية مابين الكثافة النهرية والتكرار النهري فكلما كان التكرار والكثافة عاليتين، كانت ذروة التصريف عالية وعلاقة عكسية مابين صغر المساحة والتكرار النهري والعكس صحيح، فكلما صغرت المساحة زاد التكرار وهذا يعطي مؤشراً حقيقياً بان للبنية الجيولوجية ووحدة المساحة دور بارز في زيادة التكرار النهري.

- معامل الانعطاف :

يقصد بمعامل الانعطاف بانه تعبير عن نسبة الطول الحقيقي للمجرى المائي الى الطول المثالي، فغالباً مايكون الطول الحقيقي اكبرمن المثالي، ويقصد بالطول الحقيقي هو المسافة التي يقطعها النهر من منبعه الى مصبه على اليابسه،اما الطول المثالي فهو يمثل اقصر مسافة يسلكها المجرى مابين المنبع والمصب، ويستخرج وفق المعادلة الاتية.

$$\text{معامل الانعطاف}^{(٤١)} = \frac{\text{طول المجرى الحقيقي}}{\text{طول المجرى المثالي}}$$

وتكمن اهمية ايجاد معامل الانعطاف في معرفة مدى انعطاف النهر او المجرى وماله من تاثير على كمية المياه في المجرى، وكلما زادت درجته زاد احتمال التبخر والترشيح، وتقل بقلة انعطاف النهر، وذلك لسرعة الجريان ووصول المياه الى

منطقة المصب في اسرع فترة زمنية، الجدول (٩)، وبلغ نسبة معامل الانعطاف في حوض وادي الفضا ١.٢٥ والذي صنف ضمن الاودية المستقيمة،

الجدول(٩) معامل الانعطاف لحوض لمنطقة الدراسة.

ت	الحوض	الطول الحقيقي	الطول المثالي	معامل الانعطاف
١	الفضا	٦٥	٥٢	١.٢٥

المصدر : الجدول من عمل الباحثين باستخدام عجلة القياس منالخارطه الطوبغرافيه ١:١٠٠٠٠٠

- انماط شبكة الصرف المائي :

تعد انماط الصرف المائي لاي منطقة انعكاساً للبنية الجيولوجية والجيومورفولوجية للمنطقة فضلاً عن عوامل الوضع التضاريسي وطبيعة الانحدار ونوع المناخ السائد والنبات الطبيعي، وتتميز منطقة الدراسة بنمطين رئيسيين :

أ- النمط المتوازي :

يظهر هذا النمط في حوض وادي الفضا بصورة واضحة في الاقسام الواقعة في مناطق تغذية الوادي في اعلى الحوض حيث تشكل منطقة مرتفعة ومتضرسة في نفس الوقت اذ يتحكم هذا النمط بانحدار سطح الارض وعامل البنية المشكلة لهذه المنطقة حيث نتحدر المسيلات المائية على سفوح المنحدارت متخذة من الشقوق والفواصل مسارات لها تجري مع الميل العام لسطح الارض كما هو الحال لكافة المسيلات

ب- نمط التصريف النهري الشجري وشبه الشجري :

يرتبط وجود هذا النمط من التصريف بالمناطق التي تكون صخورها متجانسة وتكون على الاغلب ذات طبقات صخرية افقية الامتداد او تمثل ميلاً بسيطاً. اذ تبدو الانهار من هذا النمط وكانها تفرعات اغصان الاشجار. وتختلف كثافة التفرع النهري

في هذا التصريف تبعاً لدرجة صلابة الصخور ومساميتها وكذلك نوعية المناخ. اذ تزداد كثافة التفرع كلما كانت الصخور ذات صلابة قليلة، كما هي الحالة في الصخور الرسوبية في حين يقل التفرع في مناطق الصخور النارية الصلبة المقاومة، وتزيد درجات التفرع ايضا مع زيادة كمية تساقطة وتقل بقلته(٤٢) اذ يعدان النمطان من اكثر الانماط التصريفية شيوعاً في منطقة الدراسة، مما يعكس صورة تجانس الصخور السائدة على السطح والتربة والظروف الطبيعية والمناخية،فضلا عن ارضية المنطقة التي تتمتع بمساحة قليلة الانحدار، ويتميز هذا النمط بتشعب غير منتظم نحو الاطراف، ففي بداية نشوئه يتكون من عدة مجاري ثم يصبح اكثر تعقيداً وتشعباً بسبب اضافة مجاري مائية جديدة بفعل عملية الاسر النهري، وكما يلاحظ ان هذا النمط يظهر مع اغلب المسيلات، ويغلب على حوض الوادي الاستطالة تقريباً وان النمط الشجري يظهر على كافة المسيلات المائية في منطقة الدراسة.

حجم الجريان السنوي المتوقع لشبكة الصرف المائي للحوض

تعد منطقة الدراسة من المناطق التي تعاني بنقص واضح من الموارد المائية السطحية الدائمة الجريان، وذلك لوقوعها ضمن أقاليم المناخ شبه الجافة ولا يحدث أي جريان مائي فيها الاعقب سقوط الأمطار ويعتمد مقدار طول فترة الجريان على كمية الأمطار الساقطة عليها، ولهذا يمكن اعتبارها من الاودية الموسمية الجريان ما عدا بعض العيون والينابيع التي ترشح في أماكن متفاوتة من تلك المنطقة، مع وجود بعض المستنقعات في الاودية، وتعد شبكة الصرف المائي الموسمية الجريان هي الوحيدة التي يمكن من خلالها استثمار المساحات الزراعية إذ ما استثمرت مياهها من خلال انشاء السداد الترابية الموضعية المدروسة ولغرض معرفة كمية الجريان السنوي المتوقع لهذه الشبكة المائية استخدمت معادلة بيركلي كما في القانون التالي :

معادلة بيركلي(٤٣) = $R = CIS\frac{1}{2}\left(\frac{W}{L}\right)^{0.45}$

حيث أن

R = حجم الجريان السنوي المتوقع مليار /م٣. C= 0.30 معامل ثابت في المناطق الجافة وشبه الجافة وتعتمد قيمته على سطح التربة والغطاء النباتي وجيولوجية المنطقة. I = حجم المطر مليار / م٣S = معدل الانحدار م / كم W = معدل عرض الحوض / كم L = طول الوادي (من المنبع الى المنصب)

I = حجم التساقط بـ مليار م٣= ———————— × ————————

وعند تطبيق معادلة بيركلي على شبكة الصرف المائي لحوض منطقة الدراسة من الجدول (١٠) تبين أعلى حجم للجريان السنوي يحدث في الحوض إذ بلغ (٠.١٤٧) مليار م٣ لحجم الجريان،. اما معدل المطر السنوي فاستخرج بالاعتماد على خطوط المطر المتساوية وبتقسيم خطوط المطر من ٣٠٠ –٤٠٠ واعتمد الفاصل ٢٥ ملم بين خط واخرولهذا يجب استثمار هذا المورد المائي الجيد وغير المستغل كانشاء سد متوسط الحجم على الأحواض الثانوية من جهة والحوض الرئيس من جهة ثانية، ويكون بدقة متناهية وعلى أحواض مقترحة من الحوض، ويتضح مما تقدم بأن حجم الجريان السنوي المتوقع لمنطقة الدراسة يتباين من حوض لأخر وفقا لعاملين هما منابع الأحواض والمساحة، إذ تعد الأحواض التي تتبع من سلسلة قرة جوق ذات إيراد مائي أكثر مقارنة بالأحواض التي تتبع من الأراضي السهلية والهضبية وذلك لغزارة الامطار وشدة الانحدار، أما بالنسبة لمساحة الحوض فتلعب دورا بارزا في حجم الجريان، فالأحواض ذات المساحات الكبيرة تكون إيراد مائي أكثر من المساحات ذات الأحواض الصغيرة، والأحواض الثانوية هي أكبر دليل على ذلك.

الجدول (١٠) حجم الجريان السنوي المتوقع الحوض الرئيسي لشبكة الصرف المائي

ت	الحوض	أطوالها	المساحة كم	معدل المطرالسنوي ملم	حجم المطر مليار / م٢	معدل عرض الحوض كم	معدل الانحدار م كم	حجم الجريان المتوقع مليار / م٣
١	الفضا	٦٥	٦٢٥	٢٧٧.٣	٠.١٧٣٠	٢١.٩٣	٩.٢٣	٠.١٤٧

الجدول من عمل الباحثين بالاعتماد على معادلة بيريكلي.

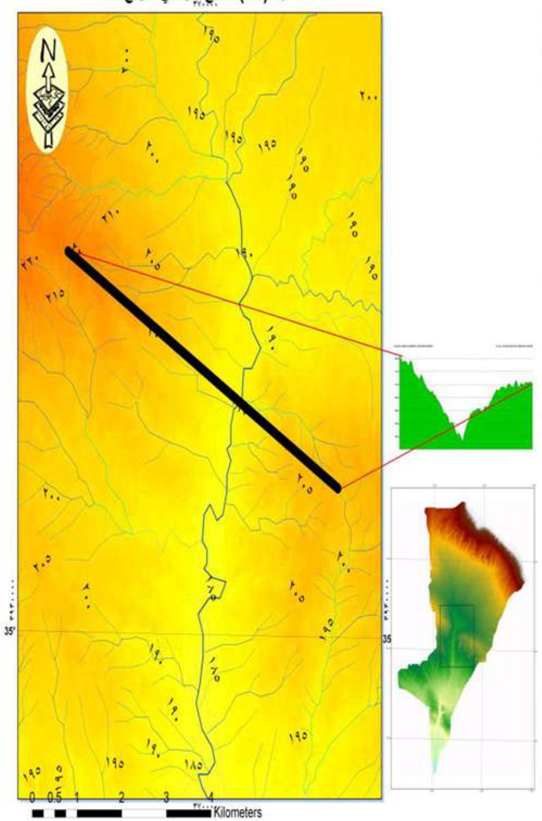
تحديد موقع السد الامثل

تعد عملية تحديد الموقع المثل للسد على وادي الفضا امراً ظروريا من خلال دراسة جيولوجية وجيمورفولوجية المنطقة وذلك لمعرفة الموقع الذي يقام عليه السد وفق الاسس التي تتمثل معرفة الخصائص الجيولوجية والجيورفولوجية والهيدرلوجية التي تم دراستها وافضل موقع خزني للمياه والتي تمم تحديدة باستخدام التقنيات الجغرافية والبرمجيات الخاصة بالاستشعار عن بعد والخرائط الخاصة بالمنطقة وذلك لتحديد اصلح المناطق في مجرى الوادي من انشاء سد الخزن للمياه فيها وتم الوصول الى انه يمكن اختيار موقعان السد الاول في الجزء الشمالي في بداية مجرى الوادي على وادي الفضا السد الاول يقع عند قرية تل الغزال بطول ٢٠٥م من الجانب الايمن الى الجانب الايسر للوادي عند التقاء الاودية الثانوية المتمثله بوادي كندي موسى ووادي فزاعه ووادي خندق الكبرى ووادي كندي تبه عند خط الارتفاع ١٨٧ـ ٢٠٦م فوق مستوى سطح البحر ويمكن خزن مائي في السد مامقدارة٠.٠٦٣ ٣,٦٦٤,٧٥ مليار/م٣ في بحيرة تقع امام السد بمساحه قدرها ١٠٥كم٢ انظر الشكل(١١)(١٢)(١٣)

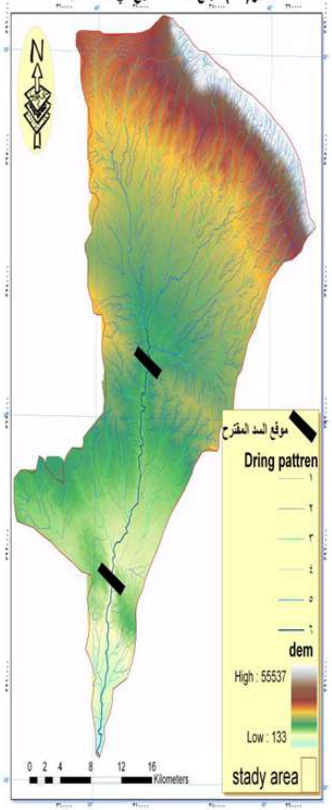
موقع السد الثاني يقع السد الثاني جنوب موقع السد الاول بطول ١٧كم و يقع السد الثاني عند قرية ذويب بطول ١٧٠م على خط الارتفاع ١٧٠.١٦٢م فوق مستوى سطح البحر وطاقة هذه السد الخزنيه هي اقل من طاقة السد الاول حيث يمكن خزن مائي مقداره ٩٦٨, ٢٢١, ٢١١ مليون م٣ في بحيرة تقع امام السد بمساحه قدرها ٧كم٢ انظر الشكل (١٤) وهذه السدود هي كونكريتيه مرتكزه على قاعده الوادي

وبارتفاع ١٠ م كما يتبين الاشكال(١٥)اما البحيرات التي تقع امام السدوود فتكون كبيره امام السد الاول وذات خزن مائي كبير بينما البحيرة التي تقع امام السد الثاني تكون اقل مساحه وخزنها المائي اقل الشكل (١٦).

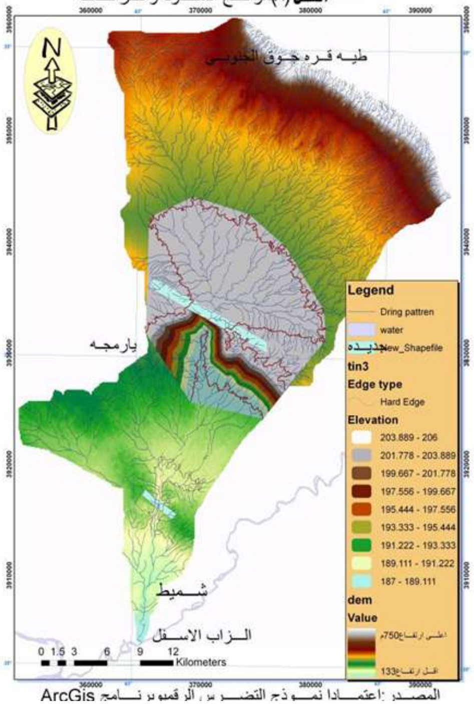
الشكل (12) مقطع عرضي لموقع السد



الشكل (11) موقع السد المقترح في منطقة البحث

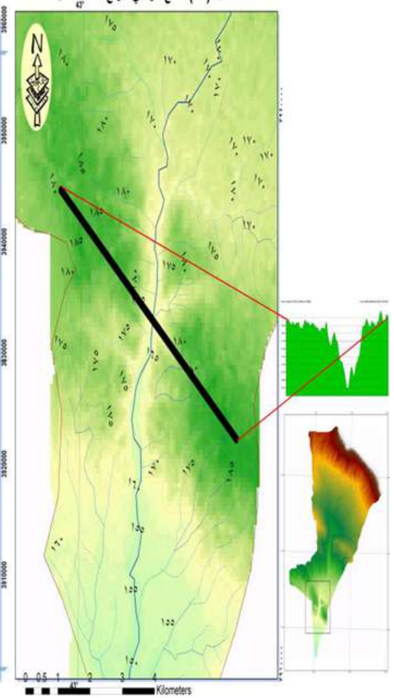


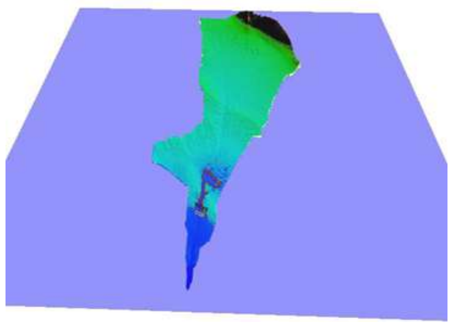
الشكل (14) مواقع السدود والخزانات

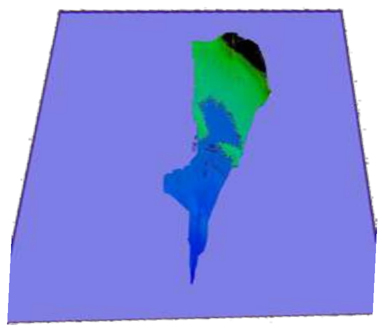


المصدر: اعتمادا نموذج التضرس الرقمي برنامج ArcGis

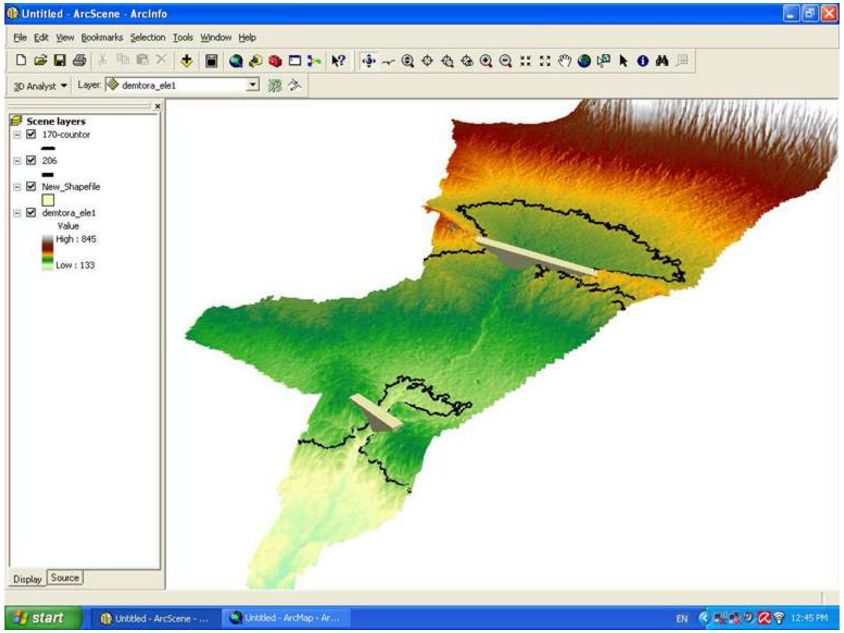
الشكل (13) مقطع عرضي لموقع السد الاسفل







الشكل (١٦) يوضح التضرس وحجم البحيره



المصدر :البيان الفضائي ونموذج التضرس الرقمي بأستخدام برامج globalMaber– وبرنامج Arsmab

التنميه المستقبليه

ان المنطقة تعاني من نقص في الموارد المائيه السطحيه الدائمه الجريان وذلك لوقوعها ضمن المناخ شبه الجاف Bshs وبخاصة في فصول الصيف والخريف. لذا يعد استثمار الفائض المائي الحاصل عقب سقوط الامطار في فصل الشتاء والربيع امرا ضرورياً لتحقيق امن مائي صيفاً[٤٤] علماً ان حجم الجريان للوادي يبلغ ١٤٧,٠مليارن م٢ /ثانيه. وبذلك فانه من خلال انشاء هذه السدود الكونكريتيه يتحقق خزن مائي وتنميه المنطقه واستثمارها في فتره الجفاف والصهود. اذ يواجة الاستقرار البشري في منطقه الدراسه صعوبات من ابرزها شحه المياه. ولوحظ من خلال الدراسة الميدانيه ان العديد من هذه المستقرات قد هجرت مستقراتها وانتقل

سكانها الى القرى الواقعه على نهر الزاب الاسفل منها مستقرات الحلوات ورنجي وشريعه والزراريه والنميصه واشميط كما هاجر البعض الاخر الى القرى الواقعه على نهر دجله كمستقرات الهياجل واسديرات. لذا اصبح من الضروري انشاء السدود التي يمكن من خلالها تحقيق عملية استثمار المساحات الزراعية وتربية الحيوان واي نشاط اخر يمكن من خلاله تنميه المنطقه اقتصادياً واجتماعياً مستقبلاً وتقليل الاثار السلبية التي تحدثها ذروات التصريف المائيه العاليه التي يحدثها الوادي اثناء سقوط الامطار الغزيره في فصلي الشتاء والربيع كما تحقق هذه السدود مايلي

١- احداث تنميه شاملة وفي كافة المجالات لمنطقة الدراسه ورفع منسوبها في منطقه الحوض

٢- تغذية المياه الجوفيه لمنطقة الدراسة ورفع منسوبها

٣- استفاده منها في استثمارالبحيرات كمناطق سياحية

٤- توسيع المساحات الزراعيه التي يمكن استغلالها.

٥- اعادة السكان الذين هجروآ المنطقه الى المناطق الاخرى

الاستنتاجات

١- ان السد المقترح يمكن ان يحقق سهوله اتصال بين المستقرات الواقعة على نهر دجله والمستقرات الواقعه على نهر الزاب الاسفل شرق الفضا لانه غالبا مايحدث سقوط امطار غزيرة الى قطع الطريق لعدة ايام لارتفاع منسوب المياه في الوادي ان وجود السد يقود الى رفع منسوب المياه الجوفيه في مناطق الحوض. مما يحقق امن مائي جوفي للمستقرات البشريه البعيدة من مجرى الوادي.

٢- بما ان المنطقة تقع ضمن اقليم شبه جاف Bshs ونظام سقوط الامطار شتاءً وربيعاً فعمليه خزن الفائض يتم في هذين الفصلين مما يحقق ديمومة الحياة في فصلي الجفاف (الصيهود) الصيف والخريف ويساهم في معالجه للشحه المائيه في هذين الفصلين لمنطقة الحوض

٣- يمكن الاستفادة من البحيرة كموقع سياحي يحقق تنميه اقتصاديه وتحقيق مناخ محلي مريح للبحيرة

٤- يمكن استخدام هذه البحيرة للتنميه الثروة السمكيه مما يحقق فائدة اقتصادية اخرى

٥- تعد تربة المنطقة ذات تربة جيدة الخصوبة لذلك وجود البحيرة يحقق فائض مائي مخزوناً يمكن من خلاله توسيع المساحات الزراعيه التي يمكن استغلالها في النشاط الزراعي

٦- اختير موقع السد ضمن الخوانق الضيقه بالنسبه لمعدل عرض المجرى مما يقلل من الكلفه الاقتصاديه وبالتالي يحقق قدره للخزن المائي بصوره اكبر

٧- وقاية العديد من المستقرات البشريه من درء خطر الفيضانات والجفاف والقحط الذي يهدد المنطقه بين الحين والاخر

٨- توسيع رقعة الاراضي الزراعيه وتحويل معظم اجزاء الاراضي الرعويه الى اراضي صالحه للزراعه وكما ان انشاء السد يمكن ان يؤدي الى تقليل الاثر السلبيه التي تحدثها ذروات التصريف العاليه وحدوث الفيضانات الوماضه

٩- تقييس المقاطع العرضية للمواقع المختارة بالقياس الحقلي و الخرائط الطوبوغرافية والبرمجيات ومطابقتها مع واقع حال المنطقه ميدانياً خلال الزيارات التي حصلت للباحثين في شهرين نيسان وايلول عام ٢٠١٠.

١٠- اقامت السد المقترح يساعد على خزن المياه وبناء مستقرات سكنية لان الهدف من ذالك هو وجود الماء بالنسبة للانسان والنبات والحيوان.

التوصيات

١- انشاء محطه هايدرولوجيه ومحطه مناخيه في المناطق المختاره لمواقع السدود على الوادي

٢- احالة موضوع انشاء السدود الى الجهات ذات العلاقه ومنها وزارة الموارد المائيه ووضع ذلك من اولويات خططها لمعلجة الشحه المائيه ضمن اقليم منطقة الدراسه

٣- الاهتمام بالخزين المائي الموجود داخل البحيره بعد انشاء السد لغرض ديمومتها وصيانتها من الترسبات التي توجد داخل الخزان لغرض الحفاظ على نوعية المياه السطحيه والجوفيه

٤- زيادة الاهتمام في اقامة المشاريع الاروائيه والسدود على احواض الانهار الموسمية الجريان لغرض تنمية المنطقه واستثمار مياهها في فترات الجفاف فضلا عن توفير الخدمات من اجل تشجيع المواطن للسكن بعد بناء السد مما يعد انجاز كبير يخدم المنطقة وتنمية البلد.

٥- اعادة توزيع الاراضي الزراعيه بما يتلائم مع حجم الايراد المائي المخزون امام السد

٦- بناء جسر لتحقيق الاتصال الذي يتعرض للقطع احياناً والذي يستمر لمدة اسبوع عقب سقوط الامطار الغزيره التي تحدث فيضانات وماضه في الوادي والتي تقطع الاتصال مابين المستقرات الواقعه على الضفه الشرقيه والمستقرات الواقعه على الضفه الغربيه.

مصادر الهوامش

(١) الهيئه العامه للمساحه ،الخرائط الطبغرافيه بمقياس ١,١٠٠٠٠٠ بغداد١٩٨٦

(٢) صفاء الدين فخري عبد المجيد فؤاد، دراسة جيولوجية تركيبية لطيات قره جوق،رسالة ماجستير غير منشوره ،جامعة بغداد، كلية العلوم ،١٩٨٣ ص٢٦.

(٣) شاكر خصباك، العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، جامعة بغداد مطبعة شفيق. ١٩٧٣ ص١١.

(٤) طورهان مظهرسليمان المفتي، استخدام تقنيات التحسس النائي والدلالات الجيومورفلوجيه في تفسير ظاهرة الشذوذ الحراري في منطقة قرة جوق الجنوبي، وباي حسن من شمال العراق أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية العلوم، سنة ٢٠٠٢، ص٣

(٥) اسباهية يونس المحسن،التحليل الجيومورفولوجي للخصائص المورفولوجية في حوض مخمور ،مجلة الموارد المائية وزارة الري، ١٩٩٤ ص١١

(٦) طورهان مظهر سليمان المفتي ، مصدر سابق ص٣

(٧) مد الله عبد الله محسن الجبوري، التشكل المائي لنهر دجلة مابين مصب الزابين واستثماراته في العراق، دراسة في الجغرافية الطبيعية، اطروحه دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية ١٩٩٨، ص٧

(٨) فاروق صنع الله العمري،علي صادق،جيولوجية شمال العراق،مؤسسة دار الكتب والطباعة والنشر ،جامعة الموصل، ١٩٧٧،ص١٤٥.

(٩) عبد الهادي يحيى الصائغ واخرون، التحري عن الملوثات النفطية باستخدام معطيات التحسس النائي والدلالات الجيوكميائية لمنطقة قره جوق شمال العراق، المجلة العراقية لعلوم الأرض، المجلد - ٣- العدد (١) ٢٠٠٣، ص٤٩.

(١٠) عبد الرحمن حميد ، اشكال الارض المناخيه والبنيويه مديرية الكتب دار المطبوعات الجامعيه جامعة حلب ١٩٧٧ ص١١١

(١١) اسباهيه يونس المحسن، حوض وادي الخوصر ، دراسه في الجمورفولوجيه الكميه مجلة الانسانيات جامعة تكريت، مجلد٨،عدد٣، ٢٠٠١،ص١٣

(١٢) مدالله عبدالله محسن الجبوري، التشكل المائي لنهر دجلة مابين مصب الزابين واستثماراتة في العراق دراسة في الجغرافية الطبيعية، مصدر سابق ص٤٨

(١٣) رجاء خليل محمد الجبوري، الموازنه المائيه المناخيه للمنطقه المتموجه من العراق دراسه في المناخ التطبيقي ، رسالة ماجستير في الجغرافيه الطبيعية جامعة بغداد، كلية تربية البنات ، شباط ٢٠٠٢ ،ص١٦

(١٤) علي حسين الشلش ، الاقاليم المناخيه ، مطبعة جامعة البصره ، ١٩٨١ ،ص٥٠

(١٥) علي العنانزة، الموازنة المائية بناءا على معدلات الامطار وكميات التبخر / النتح في حوض وادي الكرك، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد الحادي عشر والعدد الخامس، أيار ١٩٩٦، بحث منشور بتاريخ ١٩٩٧/٤/٥، ص ١٦٦ .

(١٦) مدالله عبدالله محسن الجبوري، التشكل المائي لنهر دجلة مابين مصب الزابين واستثماراتة في العراق دراسة في الجغرافية الطبيعية، مصدر سابق ص١٣٨

(١٧) علي العنانزة، المصدر نفسه ص١٦٦.

(١٨) عبد الأله جميل حاو ، محاضرات الدورة التدريبية في الموازنة المائية، مركز البحوث الزراعية والموارد المائية / بغداد. ١٩٨٤، ص١٦.

(١٩) صهيب حسن خضر طه ، تأثير سد صدام للخصائص المياه الجوفيه ، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعة الموصل كلية التربية ، ٢٠٠١ ص٣٢

(٢٠) عباس فاضل السعدي ، منطقة الزاب الصغير في العراق ، جامعة بغداد كلية الاداب ، مطبعة اسعد ، ١٩٧٦ ص١٠٦

(٢١) الامانه العامه للزراعة والاصلاح الزراعي ، مركز البحوث الزراعيه والموارد المائيه ، ندوة التقييم الكمي والنوعي لموارد المياه الجوفيه لحوض مخمور ، اربيل ١٩٨٤ص١٠

(٢٢) عبدالله نجم العاني ، مباداء علم التربه ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعه والنشر الموصل ١٩٨٠ص٢٥٨

(٢٣) جعفر حسين محمود، تقييم المخاطر البيئية في حوض نهر الكور / رافد نهر خاصة صو انهر العظيم باستخدام التقنيات الجغرافية، اطروحة دكتوراه، جامعة تكريت، كلية التربية سنة ٢٠٠٤، ص٥٥.

(٢٤) صباح تومه جبوري ، علم المياه ودارة احواض الانهر دار الكتب للطباعه والنشر جامعة الموصل سنة ١٩٨٨ ص٢٢٥

(25) Bergsma , ELKO , 1983 , Rain fall Evosion servey for conservation Planing ITCj 1983 P.P 160 – 1754.

(٢٦) اسباهية يونس المحسن، التعرية المائية في حوض وادي السويدي بدلالة الشبكة التصريفية، مجلة الانسانيات جامعة تكريت، مجلد ١١ عدد٣، ٢٠٠٣، ص٨.

(٢٧) مهدي محمد علي الصحاف، كاظم موسى محمد، هيدرومورفومترية حوض ديالى، دراسة في الجيومورفولوجيا التطبيقية، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد ١٦، ١٩٨٨، ص ٧٨٣-٨١٠.

(٢٨) لطفي راشد المؤمن ، هيدرولوجية حوض وادي الموجب الرئيسي في الاردن دراسه في الجغرافيه الطبيعيه ، مطبعة دار الثقافه في الاردن ١٩٩٧ ص١٧٩

(٢٩) اسباهيه يونس المحسسن ، جورج ياقين بحو ، التحليل المورفو متري لحوض نهر الخازر بستخدام البيانات الفضائيه مجلة التربيه والعلم جامعة الموصل ، العدد١٦ ، ١٩٩٤ص٣٠٩

(٣٠) مدالله عبدالله محسن الجبوري، التشكل المائي لنهر دجلة مابين مصب الزابين واستثماراتة في العراق، مصدر سابق ص٢٩

(٣١) لطفي راشد المؤمن ، مصدر سابق ص١٢٠

(٣٢) مهدي محمد علي الصحاف، كاظم موسى محمد، هيدرومورفومترية حوض ديالى، دراسة في الجيومورفولوجيا التطبيقية، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد ١٦، ١٩٨٨، ص ٧٨٣-٨١٠

(٣٣) حسن سيد احمد ابو العينين، اصول الجيومورفولوجيا، دراسة الاشكال التضاريسية لسطح الارض ط٦، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١

(٣٤) حسن سيد احمد ابو العينين ،مصدر نفسة ص٤٣٦

(٣٥) حسن سيد احمد ابو العينين ، حوض وادي دبه ، في دولة الامارات العربيه المتحده ، دراسه في الجغرافيه الطبيعيه واثارها في التنميه الزراعيه ، مطبعة جامعة الكويت ١٩٩٠ ص٢٩١

(36) Strahlar ,A,N,wantitaive analysis of water Shed , geomorphopgy ,Trans Amer , Geogrphys union , vo1 38,1957.

(٣٧) اسباهيه يونس المحسسن ، جورج ياقين بحو ، التحليل المورفو متري لحوض نهر الخازر بستخدام البيانات الفضائيه مصدر سابق ص٣٠٩

(٣٨) حسن رمضان سلامة، التحليل الجيومورفولوجي للخصائص المورفومترية لأحواض التصريف المائية في الاردن، مجلة دراسات العلوم الانسانية، المجلد رقم (٧) العدد ١ سنة ١٩٨٠ ص٩٧

(٣٩) حسن رمضان سلامة، التحليل الجيومورفولوجي للخصائص المورفومترية لاحواض التصريف المائية في الاردن المصدر نفسه ص٩٧

(40) M.Morisawa Geomorphology Texts , Rivers form cmd process op. cit p. pp 91-94.

(٤١) عبد الاله رزوقي كربل، علم الاشكال الارضية الجيومورفولوجية، كلية الاداب، جامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص١٢٥.

(٤٢) مدحت فضيل فتح الله، دراسة العلاقة بين الجريان السنوي والأمطار في حوض نهر العظيم، مجلة المهندس، المجلد ١٢ العدد ٣٨ سنة ١٩٦٨.

(٤٣) مداالله عبدالله محسن الجبوري،الخصائص الهيدرلوجيه لوادي مرمس وامكانيه استثمار مياهه دراسه في الهيدرولوجيا التطبيقيه، مجله الجمعيه الجغرافيه العراقيه،المجلد١، العدد٦٠ /٢٠١٠.

– تم الاعتماد على برامج Arcmap Globermaper في تثبيت المعلومات على معظم خرائط البحث.

المصادر:

١- ابو العينين، حسن سيد احمد، اصول الجيومور فولوجيا دراسة الاشكال التضاريسية لسطح الارض، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت ط٦، ١٩٨١.

٢- ابو العينين، حوض وادي دبا في دولة الامارات العربية المتحدة، دراسة في الجغرافية الطبيعية واثارها في التنمية الزراعية، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٩٠.

٣- الجبوري، رجاء خليل احمد، الموازنة المائية المناخية للمنطقة المتموجة في العراق، دراسة في المناخ التطبيقي، رسالة ماجستير في الجغرافية الطبيعية، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٢.

٤- الجبوري، مد الله عبد الله محسن، التشكل المائي لنهر دجلة مابين مصب الزابين واستثماراته في العراق، دراسة في الجغرافية الطبيعية، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٩٨.

٥- الجبوري، مدالله عبدالله محسن، الخصائص الهيدرلوجيه لوادي مرمس وامكانيه استثمار مياهه دراسه في الهيدرولوجيا التطبيقيه، مجله الجمعيه الجغرافيه العراقيه،المجلد١، العدد٦٠ /٢٠١٠.

٦- السعدي، عباس فاضل، منطقة الزاب الصغير في العراق، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٦

٧- الشلش، علي حسين الاقاليم المناخية، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨١..

٨- الصائغ، عبد الهادي يحيى، واخرون، التحري عن الملوثات النفطية باستخدام معطيات التحسس النائي والدلالات الجيوكيميائية لمنطقة قرة جوق – شمال العراق المجلة العراقية لعلوم الارض، المجلد الثالث، العدد١ ٢٠٠٣

٩- الصحاف، مهدي علي، كاظم موسى محمد، هيدرمورفومترية حوض ديالى دراسة في الجيومور فولوجيا التطبيقيه مجله المستنصريه، بغداد، العدد (١٦) ١٩٨٨.

١٠- العنانزة علي، الموازنة المائية بناءا على معدلات الامطار وكميات التبخر / النتح في حوض وادي الكرك، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد ١١العدد ٥، أيار ١٩٩٦،

١١- العمري، فاروق صنع الله، جيولوجية شمال العراق، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٧.

١٢- العاني، عبد الله نجم، مبادئ علم التربة، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٠.

١٣- المؤمني، لطفي راشد، هيدرلوجية حوض وادي الموجب الرئيسي في الاردن، دراسة في الجغرافية الطبيعية، مطبعة وزارة الثقافة، الاردن ١٩٩٧.

١٤- المفتي، طورهان مظهر سليمان، استخدام تقنيات التحسس النائي والدلالات الجيوكيمائية في تفسير ظاهرة الشذوذ الحراري في منطقة قرة جوق الجنوبي وباي حسن من شمال العراق، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية العلوم ٢٠٠٢.

١٥- المحسن، اسباهية بونس، التحليل الجيومور فولوجي للخصائص المورفولوجية في حوض مخمور، مجلة الموارد المائية، ١٩٩٤.

١٦- المحسن، اسباهيه يونس، التعريه المائيه في حوض وادي السويدي بدلاله الشبكه التصريفيه، مجلة العلوم الانسانية جامعة تكريت مجلد ١١ عدد٣/٢٠٠٣.

١٧- المحسن، اسباهية يونس، حوض وادي الخوصر، دراسة في الجيومورفولوجيا الكمية، مجلة الانسانيات جامعة تكريت، مجلد ٨ عدد٣ /٢٠٠١.

١٨- المحسن، اسباهية يونس وجورج ياقين بحو، التحليل المورفومتري لحوض نهر الخازر، باستخدام البيانات الفضائية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العدد (١٦) ١٩٩٤.

١٩- المرئيات الفضائيه، ونموذج التضرس الرقمي،والتي تم رسم جميع الخرائط منها وباستخدام برمجيات نظم المعلومات الجغرافيه،

٢٠- الهيئه العامه للمساحه ،الخرائط الطبغرافيه بمقياس ١,١٠٠٠٠٠ بغداد١٩٨٦

٢١- الدراسه الميدانيه لمنطقه الدراسه من قبل الباحثين من خلال الزيارات في شهري نيسان وايلول ٢٠١٠.

٢٢- الامانة العامة للزراعة والاصلاح الزراعي، مركز البحوث الزراعية والموارد المائية، ندوة التقيم الكمي والنوعي لموارد المياه الجوفية في حوض مخمور اربيل، ١٩٨٤.

٢٣- جبوري، صباح توما، علم المياه وادارة احواض الانهر، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٨٨.

٢٤- حاو، عبد الأله جميل، محاضرات الدورة التدريبية في الموازنة المائية، مركز البحوث الزراعية والموارد المائية / بغداد. ١٩٨٤.

٢٥- حميد، عبد الرحمن، اشكال الارض المناخية والبنيوية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٩٧.

٢٦- سلامة، حسن رمضان، التحليل الجيومورفولوجي للخصائص المورفومترية – لاحواض التصريف المائية في الاردن، مجلة دراسات العلوم الانسانية، المجلد (٧) العدد (١) ١٩٨٠.

٢٧- طه، صهيب حسن خضر، تاثير سد صدام لخصائص المياة الجوفية، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠١.

٢٨- فؤاد، صفاء الدين فخري عبد المجيد، دراسة جيولوجية تركيبية لطيات قرة جوق اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم، ١٩٨٣

٢٩- كربل، عبد الاله رزوقي، علم الاشكال الارضية الجيومور فولوجية، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦.

٣٠- محمود، جعفر حسين، تقييم المخاطر البيئية في حوض نهر الكور، رافد نهر خاصة صو، نهر العظيم باستخدام التقنيات الجغرافية اطروحة دكتوراه، جامعة تكريت، كلية التربية ٢٠٠٤.

٣١- مدحت فضيل فتح الله، دراسة العلاقة بين الجريان السنوي والأمطار في حوض نهر العظيم، مجلة المهندس، المجلد ١٢ العدد ٣٨ سنة ١٩٦٨.

32- Bergsma , ELKo , 1983 , Rain Fall , Evosion , Servey For Cons evvation , planing Itcj,1983

33- M.Morisaw " Geomorphology Texts , Riven Formoand poacess. op. cit. ٣٣_

34- -Strahlar , A,N,Qwantitaive analysis of water Shed , geomorphopgy , Trans Amer , ٣٤

35- Geogrphys union , vo1 38,1957.

A Study deal with a pool of the vally fuda for determining the best location a dam by using geographical techniques

Ph. D. Madalah Abbdullal Mahsen Al-Jubori Dali Khalaf Hameed
Assistant proff. Assistant Teachwr
College of Arts UniverslT/ of Tikirit
Department of applied Georaphy College of Edacation
Depar tment of Geography

Abstract

AL-fadhaValley is situated in wavy area of Iraq between Latiude 3-15-35,23-35 Northwards and between longitude 27-43,48-43.the area of the valley is abcout 624 Square Kilometers with alength of 65 kilometers. the aim of the study is the studying of the noturol and the features of the Land and the Hydrological features. In addition to the volume of the anaual flow which is 147 million m /second and also the ability of investing the water and assign the places of dam and of the water container. The situation of the first dam which is situated in the meeting of the secondary tributrics. The area is at tel Algazal and at the height line 187- 206 of sea –level and with capacity whioh is 3,664,750 billion/cm. Thesecond dam is situoted to the north of the first one of abaut 7 kilometers with a capacity about 211,221,986 million/cm werach this by to invest and achievr water security for the study ara which benefts the area sand siol rising at all the fields that will develop our country.

الاعلام المعلوماتي
وتنمية التفاعل في المجتمعات الرقمية

د. يسرى خالد إبراهيم
الجامعة الإسلامية / كلية الإعلام

المستخلص

من ابرز منتجات عصر تكنولوجيا المعلومات هو ظهور المجتمعات الرقمية او المجتمعات على الخط والتي ساهمت كثيرا في تنمية القدرات البشرية واتساع نطاق التفكير والادراك لما تتمتع به هذه المجتمعات من قدرات عقلية وفكرية قادرة على انتاج المعرفة وتطوير اقتصاده لذا يعالج هذا البحث قضية الاتصال التفاعلي بين هذه المجتمعات وما تفرزه من نتائج ايجابية في تقدم البشريةكما يبين انه ليست كل المجتمعات الرقمية هي مجتمعات معرفة مثل المجتمعات العربية اليوم يمكننا اعتبارها مجتمعات رقمية كونها اخذت تتعامل مع هذه الوسيلة لكنها ليست مجتمعات معرفة لانها غير منتجة لها وينتهي البحث الى طرح معالجة مهمة لهذه القضية وهو فسح المجال امام حرية التعبير والفكر والتوزيع المتوازن للثروات والخدمات من اهم مبررات دخول العرب الى مجتمعات المعرفة والمعلومات.

مقدمة

طرحت قضية المجتمعات الرقمية و(مجتمعات على الخط)(*) في الكثير من الادبيات العلمية وهي قضية مهمة وبحاجة الى عمق في البحث والدراسة ففي عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال الشبكي كان لابد من تحديد معالم هذه المجتمعات وبيان مفهوم المعرفة ومفهوم مجتمع المعرفة والمعلومات والفرق بين المعلومات وهي بيانات والمعرفة التي تظهر بعد معالجة هذه البيانات بطرق البحث المنهجي وكذلك دراسة الانعكاسات السلبية والايجابية لهذه المجتمعات التي تعتمد الانترنت مصدرا لوجودها وقد تضمن اربعة مباحث عالجت الموضوعات الاتية :

- **منهج البحث**
- **مفهوم المعرفة والمعلومات في المجتمعات الرقمية**
- **السمات الاساسية لمجتمعات المعرفة ومؤشرات تكوينها**
- **دور الاتصال التفاعلي في تنمية المجتمعات الرقمية وهل كل المجتمعات الرقمية هي مجتمعات معرفة ؟**

المبحث الاول

منهجية البحث

اهمية البحث :

اتخذ عصرنا هذا سمة المعلومات فأصبح اسمه عصر المعلومات اومايسمى بحضارة الموجة الثالثة حيث اعتمد المعلومة هي ركن اساسي في بنائه ومكوناته ورأسماله فظهر ما يعرف بأقتصاد المعرفة التي تعتمد على المعلومات كقوة مادية في سير المجتمعات ودوامها.

لذلك فأن المجتمعات التي تتعامل مع المعلومات والمعرفة اطلق عليها مجتمع المعلومات او مجتمع المعرفة فأهمية البحث تكمن في ضرورة تحديد سمات هذا المجتمع وهل ان كل المجتمعات الرقمية هي مجتمعات معرفة لتمكننا كذلك من التوقع لمستقبل هذه المجتمعات وما يمكن ان تفرزه من تطورات محتملة.

مشكلة البحث :

تتحدد مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية :

١) ماذا يقصد بالمعرفة وما فرقها عن المعلومات وهل ان كل معلومة معرفة ؟
٢) ماهي السمات الاساسية لمجتمعات المعرفة ومؤشرات تكوينها ودور الاعلام المعلوماتي في تكوينها؟
٣) كيف تعمل المعلومات على تنمية واستمرار مجتمعات المعرفة ؟وما دور الاتصال التفاعلي في هذه العملية ؟
٤) هل كل المجتمعات الرقمية هي مجتمعات معرفة ؟

أهداف البحث:

١) تحديد مفهوم المعرفة ومفهوم المعلومات والفرق بينهما.
٢) توضيح معنى مجتمعات المعرفة وبيان اهم سمات وخصائص المجتمعات الرقمية.
٣) تفسير العلاقة بين الاتصال التفاعلي و تطور المجتمعات الرقمية.
٤) بيان الانعكاسات السلبية والايجابية للمعلومات في مجتمعات المعرفة.

منهج البحث:

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تحاول وصف الظاهرة ومحاولة التنبوء بمستقبلها حيث يساعد المنهج الوصفي على تسجيل الوقائع والظواهر المرتبطة بالبحث وتفسير العلاقات الترابطية بين المتغيرات وما تحمله من اثار تنعكس على السلوك والافكار والاتجاهات وقيم الجمهور المستهدف.

مصطلحات البحث:

حدد العديد من خبراء الاتصال الغرب والعرب مفهوم الإعلام(*) واعطو له الكثير من التوصيفات أهمها ان الإعلام هو النقل الموضوعي للحقائق والإخبار والمعلومات الى الجمهور .

أما **الإعلام العلمي** (هو نقل وتبسيط المعلومات وشرحها ليكون لها دور فاعل في عملية التغيير الاجتماعي التي يهدف من خلالها رفع مستوى المعرفة العلمية والثقافية لدى الجمهور)[١]

بينما يعرف **الإعلام ألمعلوماتي** (هو عملية نقل المعلومات والحقائق بكافة أشكالها العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية والتاريخية وشرحها وتبسيطها للمساهمة في عملية التغيير الاجتماعي وتطوير

المجتمع)[*] فالإعلام ألمعلوماتي هو أكثر شمولية من الإعلام العلمي لأنه يهتم بنقل المعلومات بكافة صورها وأشكالها دون تحديد.

مجتمع المعرفة[٢]اهو عبارة عن مجموعات وكتل بشرية قادرة على التواصل والتخاطب والعمل والانتاج باستخدام المعارف والتقنيات الحديثة حيث تدحل المعرفة في اساس تكوينها الذي يسبح في فضاء المعلومات ويستخدم المعرفة المتجددة كوسيلة للابتكار والابداع والانتاج والتسويق والمنافسة.

الاتصال التفاعلي[٣]اويتم من خلال استخدام الانترنت بهدف التعلم اوالترفيه والترويج بناء على خاصية الاستجابة كأبرز سمات التفاعل مما يجعل الشبكة وسيلة جماهيرية اكثر تميزا عن باقي اشكال الاتصال الاخرى اذ تشمل خصائص الاتصال الشخصي والجماهيري معا.

المجتمعات الرقمية [٤]ايعد فيها الإنسان كفاعل أساسي اذ هو معين الإبداع الفكري والمعرفي والمادي وانه الغاية المرجوة من التنمية البشرية كعضو فاعل يؤثر ويتأثر ويبدع لنفسه ولغيره من خلال شبكات التبادل والتخاطب والتفاعل وتعتمد تقنيات المعلومات في الاتصال فيما بينها.

المبحث الثاني

مفهوم المعرفة والمعلومات في المجتمعات الرقمية

في عصر ثورة الاتصالات وتطور تكنولوجيا المعلومات اصبحت وسائل الاعلام مصدرا حيويا للمعرفة لانها اصبحت هي المصادر الاولى لانتاجها وبكافة اشكالها فمن البث الفضائي الى الانترنت والنشر الالكتروني والوسائط المتعددة كلها اصبحت تشكل معينا خصبا للمعرفة لايمكن لانسان هذا العصر تجاهلها.

فلعبت المعرفة دورا بارزا في عملية التغيير الاجتماعي حيث تمكنت وسائل الاعلام المعرفية من السيطرة على الطرق التي تنقل عبرها المعرفة الذاتية الى المجتمع فالمعرفة هنا عملية اكثر من كونها حالة فهي عبارة عن علاقة بين الشخص العارف والشيء المعروف، [٥] وهناك تعريفات عديدة للمعرفة حيث اجتهد اغلب الفلاسفة والمفكرين بالبحث في محاولة لتحديد مفهوم المعرفة فعرف ارسطو المعرفة (انها المعرفة بالاسباب وحددها بأربعة اشياء هي السبب المادي والسبب الصوري والسبب الفاعل والسبب الغائي)[٦] وأصبحت المعلومات موردا اساسيا من الموارد الاقتصادية بل هي مورد استراتيجي في الحياة الاقتصادية لان المعرفة هي القاعدة التي ترتكز عليها التنمية الانسانية بهدف الارتقاء بالمجتمعات وتطويرها.

لقد افضت الثورة المعرفية الى جعل الانسان هو الفاعل الاساس في الابداع الفكري والمعرفي والمادي والغاية المرجوة من التنمية البشرية فالمعرفة (هي حصيلة امتزاج بين المعلومات والخبرة والمدركات الحية والقدرة على الحكم فنحن نتلقى المعلومات ونمزجها بما ندركه من حواسنا ونقارنه بما تختزنه عقولنا من واقع خبراتنا السابقة وصولا الى النتائج والقرارات واستخلاص مفاهيم جديدة)[٧].

وقسم الباحثين المعرفة الى عدة اقسام كل حسب رؤيته العلمية فهناك من قسمها الى ثلاثة اقسام وفقا لمجالها وطبيعتها وهي :[٨]

١) المعرفة العلمية \وتشمل العلوم الطبيعية(الفيزياء، وعلم الأحياء البيولوجيا الذي يتعامل مع الحيوي)ويعد التقاء المعلوماتية مع التكنولوجيا الحيوية من أهم الأسس التي يرتكز عليها اقتصاد المعرفة.

٢) المعرفة الإنسانية \أهمها اللغة وعلم الاجتماع وعلم الاناسة[*] (الإعلام) والانتروبولوجيا (علم الإنسان)والتاريخ والجغرافية وعلم الثقافة وقد استدرجت تكنولوجيا الاعلام والمعلومات علوم الانسانيات الى حلبة الاقتصاد المعرفي.

٣) المعرفة الكامنة وراء الفنون\ كالفن الرمزي والفن المفهومي والفن الاتصالي لان الفن في جوهره ضرب من المعرفة تختلف من حيث طبيعتها عن تلك التي يمدنا بها العلم الذي اتخذته فنون عصر المعلومات كطرق للاتصال وتمثل المعرفة الكامنة وراء الفنون مدخلا نظريا أساسيا لإحدى التكنولوجيات المحورية لاقتصاد المعرفة ويقصد بها تكنولوجيا الوسائط المتعددة(Multi-Media)التي تمتزج فيها انساق الرموز المختلفة نصوصا وأشكالا واصواتا.

أما أبعاد المعرفة الإنسانية فهي :[٩]

١) البعد الاقتصادي \مرتبط بمعرفة السلطة حيث تعتبر المعلومة هي السلعة الرئيسية والمصدر الأساسي للقيمة المضافة وخلق فرص العمل وترشيد الاقتصاد وهذا يعني ان المجتمع الذي ينتج المعلومة ويستعملها في مختلف شرايين اقتصاده ونشاطاته هو مجتمع يستطيع ان ينافس ويمتلك السلطة.

٢) البعد التكنولوجي \مرتبط بتكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها التي تهتم بدراسة وسائط الاعلام والمعلوماتية وتطويعها حسب الظروف الموضوعية لكل مجتمع.

٣) البعد الاجتماعي \اي سيادة درجة معينة من الثقافة المعلوماتية في المجتمع وزيادة مستوى الوعي بتكنولوجيا المعلومات والمجتمع هنا مطالب بتوفير الوسائط والمعلومات الضرورية من حيث الكم والكيف ومعدل التجدد وسرعة التطوير للفرد.

٤) البعد السياسي \اي اشتراك الجماهير في اتخاذ القرارات بطريقة رشيدة وعقلانية مبنية على استخدام المعلومة.

٥) البعد الثقافي \يعني إعطاء أهمية اكبر للمعلومة والمعرفة والاهتمام بالقدرات الإبداعية للأفراد وتوفير إمكانية حرية التفكير والعدالة في توزيع العلم والمعرفة والخدمات بين طبقات المجتمع كما يعني نشر الوعي والثقافة في الحياة اليومية للفرد والمؤسسة والمجتمع لان أهم ما يقلق البعض في القضايا التي يثيرها مجتمع المعرفة هو ما لها من أثار على الهوية والخصوصية الثقافية.

وهنا لابد لنا من تحديد مفهوم المعلومات لبيان علاقتها بالمعرفة حيث تقابل مصطلح المعلومات في الانكليزية معنى الاعلام وحددها خبراءعلوم الاتصال والمعلومات بالمعادلة الاتية :[١٠]

بيانات ← معلومات ← معرفة ← حكمة
١ ٢ ٣ ٤

وهذه الحلقة الرباعية تعتبر المعلومات هي مرحلة وسط بين البيانات والمعرفة التي بتنظيمها تتحول الى حكمة، فالمعلومات هي تمثيل للحقائق والمفاهيم والتعميمات بشكل معياري يناسب عملية الاتصال والمعالجة الالية لتحويلها الى معرفة .

وتعطي الدول المتقدمة اهتماماً بالغاً بقطاع المعلومات لما له من دور حيوي في بناء المجتمعات الرقمية وتطورها فقد اصبحت المعلومات من ابرز العوامل المؤثرة في المجتمع وارتبطت بعمليات التنبوء المستقبلية فالمجتمع الذي نعيشه اليوم انما هو نتيجة التحول من مجتمع ذي اقتصاد صناعي رأسماله المال الى اقتصاد معلوماتي رأسماله المعلومات وبدا ذلك منذ عام ١٩٥٦ اذ احتلت صناعة المعلومات الموقع الاول فيها حيث ان ٦٠%من جهد القوى العاملة ينفق من اجل انتاج خدمات وبضائع معلوماتية، [١١] اما اهم الخصائص الواجب توفرها بالمعلومة الجيدة فهي (الحداثة،

الاعتمادية، والثقة، الوضوح، الدقة) فالمعلومات بصورتها المطبوعة لم تساعد فقط في نشر المعرفة بل ساعدت ايضا على تنمية المهارات العقلية من خلال التعامل البارد مع النصوص(*) كما ساهمت الوسائل السمعية في ارتفاع معدل التغيير الاجتماعي من خلال نشر المعلومات المعرفية خاصة بعد تطور الاتصال التفاعلي(١٢).

والسؤال هو كيف تتحول المعلومات الى معرفة؟ وكيف تساهم في بناء مجتمعات المعرفة ؟وهل كل المجتمعات الرقمية هي مجتمعات معرفة ؟والجواب ان هذه العملية تسير بالتجاهين هما :(١٣)

الاول/ اتجاه رأسي يتم بناء عليه مراجعة المفاهيم والتصورات التي تغطيها المعلومات في موضوع ما.

الثاني/ اتجاه غني يفضي الى تغييرات مصاحبة للنتائج التي ترتبط بموضوع التغيير مثال ذلك النظام السياسي يغير من نتائج المعلومات السياسية وربما الاقتصادية والمعطيات التي تدل عليه.

وهكذا فأن ادراك المعلومات وفهمها وتحليلها واستيعابها يؤديان الى المعرفة ومن هنا يبرزالفرق بينها وبين المعلومات (فالمعارف تسمو فوق المعلومات بأشتمالها الخبرات والقدرة على الاستنتاج واستخلاص الحكمة من زخم المعلومات التي تحاكي الخبير البشري والنظم الذكية)(١٤) وقد كانت المعرفة من اهم الاسلحة في كل معارك التاريخ الانساني والشعب الذي يمتلك المعرفة هو الذي يستطيع ان يحقق النصر وكانت مهمة توفير المعرفة من اهم مبررات اطلاق حرية التعبير حيث اولت المنظمات والهيئات الدولية اهمية كبيرة لهذا الموضوع فأقر في الميثاق العالمي لحقوق الانسان الذي كفل للانسان حرية الفكر وحرية الوصول الى المعلومات بهدف تحقيق الديمقراطية واتخاذ القرارات فليست هناك ديمقراطية دون وجود مواطن يمتلك المعرفة ولا معرفة بدون اعلام حر.(١٥)

وهنا لابد من تحديد مفهوم مجتمعات المعرفة والمجتمعات الرقمية وبيان اهم سماتها ودور الاتصال التفاعلي في تطور هذه المجتمعات ونموها.

المبحث الثالث

مجتمعات المعرفة سماتها ومؤشرات تكوينها

ظهر مفهوم المجتمعات الرقمية ومجتمعات المعرفة نتيجة تطور اقتصاد المعرفة الذي جاء حصيلة تشابك اصيل لظواهر مختلفة مثل ثورة الاتصالات وظاهرة انفجار المعلومات وانتشار استخدام تكنولوجيا المعلومات حيث تعد تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات جزءا لايتجزأ من فعاليات المجتمعات الرقمية.

وكان اول استعمال لمفهوم مجتمع المعرفة عام ١٩٦٩ من قبل الاستاذ بيتر دوركر حيث اكد اننا لانستطيع دراسة المجتمعات الرقمية بصورة منعزلة عن مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة وقد ارتبطت هذه المفاهيم بأساسيات البحث والتربية والابتكار لانها اولت التعليم اهمية كبيرة لبناء هذه المجتمعات وتطورها،(١٦) فالمجتمعات الرقمية هي مجتمعات معلوماتية تستند الى تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتسيير تدفق المعلومات والمعارف وتبادلها بأعتبارها موارد اولية لها.(١٧)

فقد تمحورت فلسفة المعرفة في الماضي حول المعرفة الفردية بينما المعرفة اليوم هي ذات طابع جمعي ابرزتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بعد ان اصبح الانترنت ساحة للمشاركة في انتاج المعرفة وترشيحها فأعتمدت بذلك على فلسفتين مهمتين هما :(١٨)

١) **ثورة فيزياء الكوانتم** /التي اطاحت بكثير من الافتراضات والمسلمات المستقرة التي قامت عليها الفيزياء الكلاسيكية والعلوم الطبيعية بأسرها التي اعتمدت على مفاهيم واقعية واساليب الاثبات العلمي.

٢) **ثورة البيولوجية الجزيئية** /التي كشفت التقارب بين الية الوراثة ولغة الجينات وهو مأحدث ثورة على المفاهيم القديمة وعمل على تغييرها.

ومجتمع المعرفة تطور عن مجتمع المعلومات فهو يعتمد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كعامل مؤثر في تسيير امور حياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والصحية والسياسية وهناك ثلاثة خصائص اساسية تتحكم بهذا المجتمع وهي : [١٩]

١) استخدام المعلومات كمورد اقتصادي لزيادة نمو شركات المعلومات وتحسين الاقتصاد.
٢) الاستخدام المتناهي للمعلومات بين الجمهور العام بشكل مكثف يعد عنصرا لاغنى عنه في الحياة اليومية.
٣) ظهور قطاع المعلومات كقطاع مهم ومؤثر في الدخل القومي في العديد من الدول.

وهناك اربعة اركان رئيسة ترتكز عليها المجتمعات الرقمية وتشكل عناصره الجوهرية وتشمل :[٢٠]

١) البنية التحتية للمعلومات والاتصالات وتعد العصب الحيوي الذي ترتكز عليه هيكلة المجتمع الرقمي، وتبرز هذه النقطة امام خمسة تيارات هي :
أ- مقاييس ترتكز على مؤشرات اقتصادية ذات صلة بتقنية المعلومات والاتصالات.
ب- مستوى تبني تقنية المعلومات والاتصالات ومستوى انتشارها.
د- مستوى يعتمد المتغير والاقتصادي والثقافي كمؤشر لها.
و- مستوى يتضمن جملة من المقاييس التي تتعلق بحساب مستوى الفجوة الرقمية التي تصنع فيصلا رقميا يميز مستوى الرقي المعلوماتي الذي بلغته المجتمعات المعاصرة .

ي- مستوى يضم مقاييس منفردة لاصلة لها بالمعايير الاقتصادية حيث تحدد في ضوء البيانات الميدانية المتوفرة مثل عدد الخطوط الهاتفية وحجم استخدام الانترنت وعدد الحواسيب الشخصية

٢) الثقافة والقدرة على التعامل مع التقنية المعلوماتية :حيث لم تعد مقتصرة على القراءة والكتابة وإنما توسعت دائرتها باتجاه توظيف مستويات الخطاب المختلفة للاتصال مع الأخر.
٣) المعلومات وشمولية المحتوى العولمي :الذي يعتمد تسليع كل شيء حتى الثقافة وتؤدي شمولية المعلومات ودقتها الموضوعية وامتدادها على بعد زمني مناسب دورا مهما في ترسيخ جدوى توظيفها.
٤) الاقتصاد الرقمي –العولمي :فقد أضحى الاقتصاد الجديد في مجتمع المعلومات ذا نسق شبكي بعد أن تحولت إلى منظمات شبكاتية–رقمية وأمست جميع العمليات السائدة في مجتمع المعلومات موجهة إلى تسليع كل المفردات والخدمات التي تسري داخل كيان المجتمع الجديد.

والمجتمعات الرقمية تجد رواجا وقبولا لدى المشاركين على الشبكة في اوجه عدة مثل غرف الدردشة وجماعات الأخبار والبريد الالكتروني وهذه المجتمعات المحلية الافتراضية في جزء منها هي رد فعل واستجابة لحاجة المجتمع المحلي بعد تفككه وانحلاله ومجتمع الانترنت يمثل الثقافة الاصطناعية الرقمية التي تجسد الكيان التكنولوجي الاجتماعي لمفهوم ماكلوهان في القرية الكونية.[٢١]

اما اهم ما يميز النسق المفاهيمي الذي يرتكز عليه مفهوم مجتمع المعلومات فهو :[٢٢]

١) خاصية الرقمية	٢) السمة التخيلية
٣) السمة الجزيئية	٤) النسق الشبكاتي

٥) التقارب والتلاحم بين الانتاج والاستهلاك

فمجتمع المعرفة يحمل انماط سلوكية تختلف عن المجتمعات التي سبقتها فهو يعتمد المعلومات كأساس لنشاطه الاقتصادي ويركز على تطويرها الى معرفة تؤدي الى توليد معرفة جديدة مما يجعل مجتمع المعرفة متجدد ولاتنضب خزائنه وقد حدد جودارد اربعة عوامل مترابطة للانتقال الى مجتمع المعرفة والمعلومات وهي:[٢٣]

١) ان تحتل المعلومات الدور المركزي وتصبح ذات اهمية استراتيجية واقتصادية يعتمد عليها في البيئة الجديدة.
٢) النمط المطرد لقطاع تجارة المعلومات في الاقتصاد وولادة الكثير من التقنيات الجديدة مما يجعل هذا السوق في تجدد مستمر.
٣) استخدام تقنيات الحاسوب والاتصالات التي تشكل البناء التحتي الذي يعتمد عليه في معالجة المعلومات وبثها بسرعة ودقة.
٤) نمو اقتصاد المعلومات الذي يؤدي الى التكامل الوطني والمحلي للاقتصاد وذلك من خلال الانتقال السريع للعمليات التجارية المتبادلة الانجاز والتواصل محليا ودوليا

المبحث الرابع

الاتصال التفاعلي وتنمية المجتمعات الرقمية

السمة التفاعلية هي من اهم مميزات وسائل الاتصال الالكترونية الحديثة حيث تعمل على التسريع في عملية التنمية وتطوير المجتمعات من خلال زيادة التبادل المعرفي والمعلومات وتراكم الخبرات حيث اتاحت وسائل الاعلام الالكترونية في ظل تكنولوجيا المعلومات المواجه الحقيقية عن بعد بين الافراد وتحقيق الاستجابة الفورية وبذلك لم يعد الجمهور متلقي سلبي للمعلومات بل اصبح متفاعلا معها ومنتجا لها فأصبحت سمة التفاعل الاجتماعي هي محور الحركة والتنظيم في هذه المجتمعات.

ولم يأتي ظهور المجتمعات الرقمية فجأة ودون سابق انذار بل جاء نتيجة سلسلة عمليات مرت بها في نهايات القرن الماضي حتى اتخذت صورتها الحالية فهناك ثلاثة مراحل جوهرية مرت بها المجتمعات الرقمية هي :[٢٤]

المرحلة الاولى–مجتمع غني بالمعلومات للفترة من ١٩٦٠–١٩٨٩.

المرحلة الثانية–مجتمع مرتكز على المعلومات في عصر العولمة التخصص والترابطية ١٩٨٠–١٩٨٩.

المرحلة الثالثة– مجتمع هيمنة المعلومات يعتمد ثقافة المعلومات وانتشار الوسائط والمعلومات بوصفها منتجا منذ عام ١٩٩٠–٢٠١٠.

وفي اطار الصلة بين مصطلحي الاتصال التفاعلي وتكنولوجيا الانترنت يمكن تفسير ذلك ان الاتصال التفاعلي يتم في المجتمعات الرقمية في الفضاء الالكتروني ويرتبط بشكل وثيق بتطور استخدامات الاتصال الحديثة عبر هذه الشبكة وعلى ذلك فأننا نجد ان الاتصال التفاعلي يتعدى حدود الاتصال الانساني الى التفاعل مع الوسيلة الاتصالية ذاتها.[٢٥]

اما العناصر الاساسية لبناء المجتمع الرقمي فهي :[٢٦]

١) الخلفية – وتمثل ارضية المنطلق الاصلي للتفاهم والتخاطب.

٢) الحضور– يعني التمثل الاجتماعي الذي يشبع حاجة الوجود والشعور بالذات الاجتماعية.

٣) الفن– وهو ما يتعلق بوسط الاتصال وايفائه بمتطلبات الاجتماع.

٤) المشاعر– بمنى تقمص المشاعر وتبادلها اي الاحساس بأخرين عبر التكنولوجيا.

٥) الثقة – وهي عنصر تبادل الاعتماد الشخصي والمعلوماتي.

ومع تطور العلوم وتقدمها وخاصة علم النفس الهندسي الذي يتولى عملية تحديد مواهب الانسان الفردية وتنميتها بشكل يؤدي الى توزيع دقيق للقدرات البشرية وتحقيق انتاجية عالية فكان لتطور تكنولوجيا الاتصال بريق امل لشعوب الدول النامية في تسريع خطط التنمية البشرية والاقتصادية والقفز عبر الزمن للوصول الى الهدف المنشود.[٢٧]

وان ظهور مجتمع المعلومات هو الذي مهد لمجتمع المعرفة فالمعلومات ان لم يتم تحسينها وخضوعها لقواعد وقوانين المنهج العلمي لامعنى لها كونها بحاجة الى توظيف وان كثرة المعلومات لايعني زيادة المعرفة بل ان اهم مقومات التنمية هو القدرة البشرية على توظيف المعلومات لانتاج المعارف التي بدورها تساهم في تقدم المجتمع وانجاز مشاريع التنمية.

وان توفر المعلومات ليس سبيلا للتنمية بل التفاعل الاجتماعي الشبكي يساهم في نقل المعارف وتنميتها ويعمل على تحويل المجتمعات من مجتمعات تقليدية الى مجتمعات معرفة تساهم في الابتكار والانتاج وتأمين حاجات الانسان الاساسية.

وقد لعبت شبكات المعلومات دوراً في انفتاح الشعوب والثقافات على بعضها مما سمح بنقل المعارف وتبادل المعلومات وتوفير بيئة ثقافية وتربوية وعلمية جديدة كان السبب في تكوين المجتمعات المعرفية الرقمية.[٢٨]

فمن ابرز شروط مجتمع المعرفة انه قائم على اقتصاد المعرفة وان يتمكن من دمج افراده والنهوض بأشكال جديدة من التضامن وان مجتمعات المعرفة في عصر تكنولوجيا المعلومات تتميز عن المجتمعات القديمة للمعرفة بطابعها التكاملي الذي يعتمد حرية التعبير وحقوق الانسان احد اهم شروطه [*].[٢٩]

وقد تم تصنيف اربعة مؤشرات لتشكيل قاعدة الاقتصاد المعرفي وهي :[٣٠]

١) التحفيز الاقتصادي (زيادة معدلات النمو)النظام المؤسساتي (ادارة تشريعات، عدالة، محاربة الفساد، البيروقراطية).

٢) التعليم والعلوم.

٣) الموارد البشرية.

٤) تطور نظم الابتكار والابداع وتكنولوجيا المعلومات والاتصال.

وبذلك فأن احد اهم وسائل تحسين معدلات التنيمة البشرية والاقتصادية لبناء مجتمعات المعرفة ينتج عن اقتصاد المعرفة.

وهنا نجد انفسنا امام سؤال وهو هل يمكننا اعتبار المجتمعات العربية مجتمعات معرفة خاصة وانها تمتلك القدرة في التعامل مع وسائل الاتصال الالكترونية وهنالك عدد لابأس به من المجتمعات الشبكية في المواقع العربية ؟

الجواب كلا ----لان من ابرز سمات مجتمعات المعرفة هو انتاج المعرفة بينما المجتمعات العربية لاتنتج بقدرماتستهلك من المعلومات لذلك فقد فشلت الكثير من مشاريع التنمية في هذا المجتمع والسبب في ذلك هو (تشبث الفكر العربي بالثنائية في معظم مجالات المعرفة الانسانية من العقيدة الى التكنولوجيا ومن الطبيعة الى

علوم اللغة والبيولوجياومن الادب الى المنطق والرياضيات هذه الثنائية التي كبلت العقل العربي وحددت من امكانية انطلاقه الى مجتمع المعرفة والمعلومات). [٣١]

وتشير المعلومات المقدمة من تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥ إلى وجود ركود في الكثير من مجالات انتاج المعرفة وخاصة في مجال البحث العلمي وشح الانتاج والضعف في مجالات البحث الاساسية وشبه غياب للدعم المؤسساتي وعدم توافر البيئة المناسبة لتنمية المعارف وانخفاض اعداد المؤهلين للعمل فيه فلايزيد عدد العلماء والمهندسين بالبحث والتطوير في البلدان العربية على ٣٧١ لكل مليون نسمة.[٣٢]

وهناك باحثين يرجعون اسباب ذلك الى وجود مشكلات في مكونات العقل العربي ورؤيته العلمية في مجتمع المعرفة وهي :[٣٣]

١) يعيش العقل الفردي العربي ازمة طاحنة فقد جرى تهميشه وضمر انتاجه وتفشت اوبئة العقل من شبه علمية وزيف علمي ولاعلمية الى حد الخرافة.
٢) العقل العربي عقل نخبوي منفصل عن واقعه ودراسات العقل العربي انشغلت بالصفوة واهملت باقي الفئات الاجتماعية.
٣) لم ينشغل العرب بدراسة المخ البشري الذي اعطاه العقل الغربي مساحة واسعة من البحث والتفكير حتى كان العقد الاخير من القرن الماضي عقد المخ.
٤) بالنسبة للعقل الجمعي غير موجود بالعالم العربي حيث تعوقه الكثير من العوائق على رأسها ارتفاع نسبة الامية والتشرذم الفكري وتعددية نظم التعليم وضعف مهارات التواصل وضعف المشاركة.

كل ذلك ساهم في تأخر المجتمعات العربية عن الحاق بمجتمعات المعرفة فكان من نتائجه زيادة اتساع الفجوة وكبر حجمها وتعدد اشكالها فظهرت الكثير من

الفجوات منها الفجوة الاقتصادية والفجوة التكنولوجية والتقانية والرقمية وفجوة سياسية وفجوة اجتماعية وفجوة ثقافية وتعد الفجوة الرقمية هي فجوة الفجوات.

وقد حدد تقرير التنمية لعام ٢٠٠٥ اهم ملامحها بالأتي: [٣٤]

١) المصادر الاقتصادية –ارتفاع كلفة شراء الحاسوب الشخصي وارتفاع ثمن الاتصالات.
٢) الجغرافيا– عدم التساوق بين الريف والمدينة وعدم المساواة في توزيع المعلومات بينهما.
٣) العمر –يواجه الشباب في المجتمعات العربية مشكلات اقتصادية واجتماعية تقف دون امكانية الاشتراك بهذه المجتمعات .
٤) الجنس–عدم المساواة بين الرجال والنساء في استخدام التكنولوجيا الجديدة حيث يشكل ثلثي الامية في المجتمعات العربية من النساء.
٥) اللغة –وعائق اللغة يمنع من المشاركة الرقمية خاصة وان اغلب المواقع المعرفية تتعامل مع اللغة الانكليزية وتترك مساحات قليلة للغات الاخرى في المجال السيبيري [*].

ويقدم احد الباحثين عدة معالجات بهدف تحقيق تمثل عربي واقعي لمجتمع المعلومات ولتتحول الى مجتمعات رقمية مشاركة وفاعلة وتبدأ هذه المعالجات من نزع بعض الاوهام والاعتقادات التي نسجت حول هذا المفهوم وهي :[٣٥]

١) الاعتقاد بأن مجتمع المعلومات مجتمع نمطي وواحد بمعنى انه ناجز وقائم ومعروف سلفاً وانه يختزل في الانترنت او استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة.
٢) الاعتقاد بأن توفير بنية تحتية وانتشار استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال سيؤدي الى تحقيق الاندماج الالي في مجتمع المعلومات.

٣) الاعتقاد بأن مجتمع المعلومات مجتمع مشاعي مفتوح للجميع والمعلومات متاحة والوصول اليه مرهون فقط باقتناء التكنولوجي.

٤) الاعتقاد بأن مجتمع المعلومات هو مجتمع استهلاك المعلومات وليس انتاجها وتصنيعها واستغلالها ونشرها .

وقد أكدت اليونسكو في تقريرها السنوي لعامي(٢٠٠٣ –٢٠٠٥) على ضرورة إتاحة حرية التعبير وفسح المجال امام التنوع الثقافي والقضاء على الامية بأنواعها واصدار قوانين تضمن حق الملكية الفكرية والثقافية بهدف تجاوز الفجوة الرقمية والتحول الى مجتمعات رقمية حيث يرد الكثير من الباحثين معوقات تحول المجتمع العربي الى مجتمع معلومات انها تكمن في الحقل الثقافي وليس الحقل التقني.

الخاتمة والاستنتاجات

ومن هنا يتضح لنا الاتي :

١- ان ظهور المجتمعات الرقمية هو النتيجة الطبيعية للتطورات العلمية والتقنية التي يشهدها عصر ثورة المعلومات (حضارة الموجة الثالثة) وان تطور هذه المجتمعات مرهون بتطور الانترنت.

٢- ليست كل المجتمعات الرقمية هي مجتمعات معرفة ويتبين ذلك من المجتمعات العربية فهي مجتمعات تتعامل مع التكنولوجيا الحديثة على مواقع الانترنت مثل (مجموعات الحوار والدردشة والبريد الالكتروني) لكن في الوقت ذاته ليست مجتمعات معرفة لانها غير منتجة لها الا في حال تمكنت من انتاج المعرفة حيث ان مجتمعات حضارة الموجة الثالثة تعتمد المعرفة موردا مهما لها.

٣- لكن المجتمعات العربية لم تدرك ذلك حتى يومنا هذا.

التوصيات :

١- فسح المجال امام حرية التعبير والفكر وضمان حقوق الملكية الفكرية وحق النشر ومحاولة تشريع قوانين تضمن الحق الالكتروني للمعلومات.

٢- التوزيع المتوازن للثروات وتوفير الخدمات الاساسية اهمها الخدمات الصحية والقضاء على الأوبئة والأمراض ومعالجة الفقر والجوع في العالم العربي والدول النامية.

٣- معالجة الأمية الأبجدية والتوجه لمعالجة الامية بأشكالها الاخرى (خاصة بعد ان قدم النظام الإعلامي الجديد عام ٢٠٠٥ تعريفا لمحو الأمية هو مجموعة القدرات والمهارات التي تتداخل فيها الثقافة الشفهية والمكتوبة والبصرية والرقمية وهذا

يشمل المقدرة على فهم قوة المرئيات والمؤثرات الصوتية واستخدام تلك القوة لمعالجة وتحويل الرسائل الرقمية ونشرها وتكييفها بصيغ جديدة).

٤- الاهتمام بالمرآة وتعليمها ومنحها الفرصة المناسبة للتعبير عن ذاتها.

٥- الاستفادة من تقنيات العصر في نشر التعليم عن بعد وتشغيل واستعمال الطرق الجديدة للمعلومات واستيعاب التكنولوجيا والمعارف الحديثة في التربية والتعليم.

٦- العمل على تطوير مشاريع نقل التكنولوجيا بهدف انشاء قاعدة علمية قادرة على انتاج المعرفة.

٧- توفير مستوى وفرص عمل ملاءمة للمبدعين والمفكرين والباحثين العرب لتقليل الهجرة من جانب وللاستيعاب ابداعاتهم محليا بدلا من تصديرها.

٨- تطوير كفاءات الشباب من خلال تنظيم بعثات علمية لتبادل الخبرات وتنشيطها ويتم الترشيح لهذه البعثات من ذوي الخبرة والكفاءة او من نجد فيه الاستعداد العلمي والفكر الخلاق المبدع .

الهوامش:

(*) تتميز أنها ذات تفكير مفتوح بينما المجتمعات التقليدية تتصف بغياب التفكير المفتوح ووجود خطاب اجتماعي فردي ملائم لكل الأنواع أما المجتمعات الشبكية (أي مجتمعات تتكون على شبكة الانترنت) فإنها تشجع التعبيرات غير الشخصية والعمل الفكري والذهني المفتوح ويجب أن تتوفر شروط ومقومات عديدة لهذه المجتمعات تكاد تغطي جميع جوانب المنظومة المجتمعية والتي تشمل أمور السياسة والاقتصاد والتعليم ومنظومة القيم والمعتقدات والعلم والتكنولوجيا والإعلام ولكل جانب من هذه الجوانب أبعاده التنموية التي طرأت عليها تغييرات جذرية بفعل المتغير ألمعلوماتي، ويعد عالم الاجتماع ألمعلوماتي مانويل كاستيلس رائد الدراسات الاجتماعية والابستمولوجية في ميدان المجتمع ألشبكاتي (للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر (حسن مظفر الرزو–الفضاء ألمعلوماتي ص٢٥٨، إقامة مجتمع المعرفة –نبيل على المستقبل العربي العدد٣٤٢، ٢٠٠٧\٨، والصادق رابح الإعلام والتكنولوجيا الحديثة ص٣٧).

(*) عرف محمد منير حجاب الإعلام(يستخدم الإعلام للدلالة على عمليتين في وقت واحد تكمل أحداهما الأخرى فهو يشير من جهة إلى استقاء واستخراج المعلومات والحصول عليها من مكان الحدث والغوص في أعماق صاحب المعلومة ومن جهة أخرى يشير إلى إعطاء وبث المعلومات إلى الآخرين أي نقل الآراء والاتجاهات من شخص الى أخر عبر وسيلة وهنا يشير الإعلام في مدلوله العام الى وسائل التكنولوجيا الحديثة والى حرية النشر والى الأنشطة الاجتماعية) المصدر (المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر، ٢٠٠٤) ص٦١-٦٢.

(١) يسرى خالد إبراهيم، الفضائيات العربية المتخصصة والإعلام العلمي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٧)، ص ٢٢.

(*) تعريف إجرائي للباحثة لبيان وتحديد الأطر العلمية لمفهوم الإعلام ألمعلوماتي.

(٢) عبد الحسن الحسني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، (بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٨)، ص١٤٧.

(٣) أسماء حسين حافظ، تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني ألمعلوماتي الرقمي، (بيروت، الدار العربية للنشر، ٢٠٠٥)، ص١٥.

(٤) سعيد بن حمد الربيعي، التعليم العالي في عصر المعرفة، (عمان، دار الشروق، ٢٠٠٧)، ص١١٠.

(٥) باتريشيا ميلر، نظريات النمو، ترجمة محمود محمد عوض الله، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥)، ص٣٨.

(٦) توماس س.كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، بدعم من صندوق الأوبك للتنمية، (بيروت، بيت النهضة، ٢٠٠٧)ص٢٠.

(٧) فؤاد يوسف قزانجي، السلطة الخامسة، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٧)، ص٧٥.

(٨) نبيل علي، اقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة، مجلة المستقبل العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٤٢، اب\ ٢٠٠٧)، ص٨٣.

(*) علم الاناسة (انتروبيولوجي) هو علم يحاول معرفة القوانين التي تسود حياة الإنسان في المجتمعات الصناعية المعاصرة كما في المجتمعات القديمة ويأخذ بعين الاعتبار المحددات الاتصالية في المجتمعات الحديثة ويشير من ناحية أخرى إلى تبادل الحوار والمعلومات بين شخصين ونشر المعلومات عن طريق

وسائل الإعلام (للمزيد من المعلومات انظر – صادق رابح الإعلام والتكنولوجيا الحديثة ص٨٦).

(٩) سعيد بن حمد الربيعي، مصدر سابق، ص١١١.

(١٠) عيسى عيسى العسافين، المعلومات وصناعة النشر، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠١)، ص٣١.

(١١) جاسم محمد جرجيس، قطاع المعلومات في الوطن العربي، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠١)، ص٢١.

(*) إشارة الى مقولة ماكلوهان في الوسائل الساخنة والباردة(حيث ابتكر ماكلوهان مصطلحا الساخن والبارد ليصف بناء وسيلة الاتصال واهتم بالقدرة على التخيل الذي يعتبر محور فكرته عن الساخن والبارد فالوسيلة الساخنة هي التي لاتحافظ على استخدام التوازن في الحواس او التي تقدم معنى مصطنع وجاهز مما يقلل احتياج الفرد للخيال مثل الوسائل المطبوعة والراديو لانها تحتاج الى قدر بسيط من الخيال اما الوسيلة الباردة فهي التي تحافظ على التوازن وتثير الخيال باستمرار وتحتاج الى ممارسة جهد في التخيل مثل السينما والتلفزيون (للمزيد من المعلومات انظر عماد حسن مكاوي وليلى حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة ص٢٧٧، وساندرا بول، نظريات وسائل الإعلام).

(١٢) عيسى عيسى العسافين، مصدر سابق، ص٧١.

(١٣) فؤاد قزانجي، مصدر سابق، ص٧٨.

(١٤) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٦٥، يناير ٢٠٠١)، ص٧١.

(١٥) سليمان صالح، ثورة الاتصال وحرية الإعلام، (الكويت، مكتبة الفلاح، ٢٠٠٧)، ص٣٢٣.

(١٦) تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥، ص٢٣.

(١٧) المنصف العياري، مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة (تونس، مجلة الإذاعات العربية، العدد٣، ٢٠٠٥)، ص٣٥.

(١٨) نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، ج١، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، العدد ٣٦٩، نوفمبر ٢٠٠٩)، ص١١٧.

(١٩) ابو بكر محمود الهوش، المعلومات والتنمية، الندوة العلمية الأولى لقسم المعلومات، (طرابلس، الجفرة، ٢٠٠٣)، ص٤٢.

(٢٠) حسن مظفر الرزو، الفضاء ألمعلوماتي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧)، ص٢٥٤-٢٥٧.

(٢١) علي محمد رحومة، علم الاجتماع الآلي، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤٧، ٢٠٠٨)، ص٦٤-١٢٤.

(٢٢) حسن مظفر الرزو، مصدر سابق، ص٢٥١.

(٢٣) ابو بكر محمود الهوش، مصدر سابق، ص٣٦.

(٢٤) حسن مظفر الرزو، مصدر سابق، ص٢٤٤.

(٢٥) اسماء حسين حافظ، مصدر سابق، ص١٥.

(٢٦) علي محمد رحومة، مصدر سابق، ص١٠١.

(٢٧) عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص١٤٥.

(٢٨) عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص١٤٧.

(*) وهذه الحقوق الاساسية هي :

١) حرية الرأي والتعبير المادة ١٩ للاعلان العالمي لحقوق الانسان وحرية الاعلام وتعددية وسائل الاعلام والحرية الاكاديمية.

٢) الحق في التربية وما يرافقه من مجانية التعليم الاساسي المادة ٢٦ من الاعلام العالمي لحقوق الانسان والمادة ١٣ من الميثاق الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٣) الحق في الاسهام بالحياة الثقافية والتمتع بالفنون والاسهام في التقدم العلمي المادة ٢٧ الفقرة ١من الاعلان العالمي لحقوق الانسان.

(٢٩) تقرير التنمية البشرية، ٢٠٠٥، مصدر سابق، ص٢٠.

(٣٠) عبد الحسن الحسيني، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٣١) نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد١٨٤، ١٩٩٤)، ص٣٠٩.

(٣٢) سعيد بن حمد الربيعي، مصدر سابق، ص١٣٧.

(٣٣) نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، ج١، مصدر سابق، ص٦٠.

(٣٤) تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥، مصدر سابق، ص٣٢.

(*) cybernetic علم يتيح توجيه الة ما بطريقة إلية لبلوغ هدف ما او هو علم الاتصال الالي وحاليا يعتمد هذا المفهوم كثيرا في الاتصال عن بعد من خلال الأقمار الصناعية والانترنت والذي يدعى فضاء السايبر (للمزيد من المعلومات انظر، جيهان رشدي – الأسس العلمية انظريات الاعلام، وكتاب يوتوبيا الاتصال لفيليب بريتون)

(٣٥) عبد الوهاب بو خنوقة، مسألة مفهوم مجتمع المعلومات، مجلة الإذاعات العربية، مصدر سابق، ص٤١.

مصادر البحث :

١- اسماء حسين حافظ، تكنولوجيا الاتصال الاعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني المعلوماتي والرقمي، (القاهرة، الدار العربية للنشر، ٢٠٠٥).

٢- ابوبكر محمود الهوش، المعلومات والتنمية، الندوة العلمية الاولى لقسم المعلومات، (طرابلس، الجفرة، ٢٠٠٣).

٣- باتريشيا ميلر، نظريات النمو، ترجمة محمود محمد عوض الله، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥).

٤- توماس س.كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة، حيدر حاج اسماعيل، بدعم من صندوق الاوبك للتنمية، (بيروت، بيت النهضة، ٢٠٠٧).

٥- جاسم محمد جرجيس، قطاع المعلومات في الوطن العربي، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠١).

٦- حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧).

٧- سعيد بن حمد الربيعي، التعليم العالي في عصر المعرفة، (عمان، دار الشروق، ٢٠٠٨).

٨- سليمان صالح، ثورة الاصال وحرية الاعلام، (الكويت، مكتبة الفلاح، ٢٠٠٧).

٩- عيسى عيسى العسافين، المعلومات وصناعة النشر، ((دمشق، دار الفكر، ٢٠٠١).

١٠- علي محمد رحومة، علم الاجتماع الالي، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤٧، ٢٠٠٨).

١١- عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، (بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٨).

١٢- فؤاد يوسف قزانجي، السلطة الخامسة، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٧)

١٣- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٦٥، ٢٠٠١).

١٤- نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، ج١، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، العدد ٣٦٩، نوفمبر ٢٠٠٩\).

١٥- نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٤، ١٩٩٠).

١٦- الصادق رابح، الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، (الأمارات، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٤).

١٧- يسرى خالد إبراهيم، الفضائيات العربية المتخصصة والإعلام العلمي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٧).

المجلات

١- نبيل علي، اقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة، مجلة المستقبل العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٤٢، آب\٢٠٠٧).

٢- تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٥.

٣- المنصف العياري، مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة، (تونس، مجلة الاذاعات العربية، العدد ٣، ٢٠٠٥).

Abstract

Cyberntic Media and developing Interaction in the Digital Societies

One of the most prominent products of the age information technology is the appearance the digital societies or online societies which played an influential role in developing the human abilities and broadening thinking and awareness.

These societies possess mental and intellectnal abilities that can produce knowledge and develop its economy therefore this paper studies the interactive communication between these societies and what they produce positive effects in the progress humanity.

Additionally the paper shows that not all the digital societies are societies knowledge for example the arab communities can be considered as digital societies for dealing with these devices but they are not societies for dealing with these devices but they are not societies of knowledge because they do not produce it the paper concludes by suggesting a remediation for this issue which is to open the space for freedom of speech and intellect and the stable distribution of fortunes and services thes are the major reasons for arabs to enter the world of knowledge and cyber neties

لغة القرآن الكريم بين القراءات القرآنية والقواعد النحوية

د. خضير حسين صالح الجبوري — جامعة تكريت/ كلية التربية
أ.د.عبدالرحمن مطلكَ وادي الجبوري — جامعة بغداد/كلية التربية أبن رشد

جنسية القرآن الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن اللغة العربية هي جنسية القرآن الكريم لقوله تعالى * إنا أنزلناه قرآنا عربيا *(١)، * كتابٌ فُصِلَت آياتُه قرآنا عربيا *(٢)، * إنا جعلناه قرآنا عربيا *(٣)، وهذه العربية التي نزل بها القرآن لم تكن في أول ولا في آخر مراحل حياتها، بل كانت يوم نزول القرآن بها، في مرحلة وصلت بها إلى حد جعلها أهلا لأن تسع كتاب الله عز وجل، وهذه الأهلية إنما اكتسبتها بفضل الله تعالى بجعلها لغة أهل بيته (في مكة المكرمة) الذي صار مرتكزا يدور حوله أبناء القبائل العربية المنتشرة على طول الجزيرة وعرضها، يتجهون نحوه ويجتمعون فيه ويمرون به في رحلاتهم فضلاً عن تقديسهم له وحجهم إليه وطوافهم حوله كل قبيلة بلهجتها التي اعتادت عليها، فيتقاربون مؤثرين ومتأثرين بلغة أهل مكة.

وقد أدى هذا الاتصال المستمر ((أن نشأ لذلك المجتمع العربي نواة لغة مشتركة تقرب بين القبائل وتؤلف بين قلوبهم))(٤) وموطن هذه اللغة مكة وسكانها قريش الذين كانوا ((إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزها وسلائقهم التي

طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب))(٥). وبمرور الزمن تبوأت قريش مكانة السيادة اللغوية في نظر القبائل العربية الأخرى، وقد بلغ الأمر بهذه القبائل إلى أنها ((كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردوه منها كان مردودا))(٦)، ولذا كانت تحرص على أن تكون لغة أشعارها ومساجلاتها وخطبها تجمع خصائص لغة قريش الأصلية المتخيرة من لغات مختلف القبائل العربية الوافدة إليها(٧)، وتلك هي صفات اللغة المشتركة، لغة الآثار الأدبية التي كانت فوق مستوى العامة من العرب، ((لأنها منسجمة موحدة خالية من الخواص المحلية))(٨).

ولما كانت هذه اللغة (أعني لغة قريش المتخيرة) آخذة من كل لهجة بنصيب فقد كثرت فيها المفردات والصيغ والأوزان، ونتج عن ذلك الألفاظ المترادفة والمشتركة، كما اتسع فيها نطاق الاستعمالات المجازية للألفاظ وتعدد طرق التعبير على سنن مختلف القبائل العربية في كلامها، وحين استوت هذه اللغة وتوطدت قدمها وتمكنت من ألسنة الناطقين بها، وصارت لغتهم الموحدة، خلت مما يخلُ بالفصاحة من اللهجات المختلفة ((فارتفعت عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء))(٩)، وذلك لا ينفي كونها تنتسب إلى العرب جميعا، بدليل احتفاظ اللهجات المختلفة ببعض الخصائص فيها، وان كانت هذه الخصائص، لا تمثل خلافات لغوية واضحة فيما وصل إلينا من نصوص تنسب إلى شعراء أو خطباء من مختلف القبائل العربية، مما يؤكد ذوبان اللهجات المختلفة إلى حد ما في هذه اللغة المختارة بفعل التهذيب اللغوي الذي أفضى إلى توحيد لغات العرب بلغة مشتركة حتى تكلم بها في القرن السادس الميلادي معظم سكان جزيرة العرب(١٠).

وهذا يعني أن القرآن لا يمثل لغة قبيلة بعينها، وإنما يمثل اللغة المشتركة بين العرب، اللغة التي أسهمت كل القبائل في إنمائها، ونهضت قريش بها لمكانتها الدينية

والسياسية بين القبائل، وجاء التعبير عن ذلك على لسان النبي (ﷺ)، بقوله: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف))[١١] أي: ((فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش مرة، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في الفقه))[١٢]، وصرح أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) أن: ((بعض الأحياء اسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض))[١٣].

واللغات التي ضمها القرآن المسهمة في بناء اللغة المشتركة، ثابتة ثبوت القرآن على مر العصور وتوالي الأحقاب، وكان النبي (ﷺ)، اعلم الناس بها لقوله(ﷺ) لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقد سأله: يا رسول الله إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ولنحن العرب حقا: (إن ربي علمني فتعلمت وأدبني فتأدبت)[١٤] وتروي لنا كتب التفسير ألفاظا وردت في القرآن خفي معناها على القرشيين، بما فيهم ابن عباس (رضي الله عنهما)، لأنها لم تتوجه عنده على لغة قريش كـ (فطر) في قوله تعالى *.. فاطر السموات والأرض *[١٥]، وتعني عند غير قريش: (ابتدأ خلق الشيء وعمله، حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر فقال احدهما: أنا فطرتها، ففهم حينئذ قوله تعالى * فاطر السموات والأرض *)[١٦]، ويروى انه قال أيضا: (ما كنت ادري معنى قوله تعالى * ربنا افتح بيننا وبين قومنا *[١٧] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك، أي: أحاكمك)[١٨]. وكان عمر (رضي الله عنه)، لا يفهم معنى قوله تعالى: * أو يأخذهم على تخوف *[١٩]، فوقف به فتى فقال: إن أبي يتخوفني حقي فقال عمر: الله اكبر * أو يأخذهم على تخوف * أي: على تنقص لهم[٢٠].

فالله سبحانه وتعالى يختار للمعنى المقصود أفضل لفظ يدل عليه وأفصحه وأبلغه، بغض النظر عن كون ذلك اللفظ ينتسب إلى قريش أو هذيل أو بكر أو هوازن أو ثقيف....... الخ، متوخيا الدقة في التعبير بهذا اللفظ أو ذاك عن المعنى المراد. وهذا الاصطفاء القرآني للألفاظ والاختيار الدقيق لها، ما هو إلا تهذيب للغة العربية

الموحدة، ليجمع العرب عليها ((بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغبا، إذ يرونها كمالا لما في نفوسهم من أصول تلك الفطرة البيانية، مما وقفوا على حد الرغبة من مذاهبها دون أن يقفوا على سبيل القدرة عليه))[٢١]، ولذلك امتنعوا عن الزيادة فيها بعد بعث النبي (ﷺ)، لأجل القرآن[٢٢] الذي ((نظم من حواشي العربية وأخضعها لقانون بياني ثابت وأمات ما هو متراوح الفوضى فيها وانتاشها بحيوية أخرى جديدة))[٢٣]. لكن الدراسات اللغوية لم يقتصر أخذها على القرآن بل أحيت ما أماته القران من سفاسف اللهجات وخللها، وتبارى اللغويون والنحاة والرواة بجمع ذلك وبث الروح فيه فعادت الفوضى إلى ما كانت عليه قبل نزول القرآن مدونة مكتوبة بعد أن كانت تروى شفاها فلا يثبت أكثرها ولو اقتصروا، في أخذهم على القرآن والحديث، إذن لخدموا العربية وأهلها خدمة لا نظير لها، ولكن الذي حصل أن منهم من قعد القواعد على وفق ما كان شائعا قبل نزول القرآن مع ما فيه من فوضى واضطراب ثم قاس لغة القرآن على تلك القواعد فوقع في المحذور، ذلك لان لغة القرآن التي أخذت من كل لهجة بنصيب حتى جمعت شمل القبائل العربية كلها صارت أنموذجا يقتدى به ويقاس عليه ويذعن له، والعكس غير صحيح البتة.

القرآن بين اللغة العربية ولهجاتها

كانت اللغة العربية، وقت نزول القرآن الكريم تتألف من لهجات متفقة في جوانب ومختلفة في عدد من الظواهر النطقية بسبب تباعد القبائل العربية بعضها عن بعض، واختلاط قسم منها بالأعاجم، والله سبحانه وتعالى ((بعث نبيه، (ﷺ)، والعرب متناوئون في الحال والمقامات، متباينون في كثير من الألفاظ واللغات، ولكل عمارة لغة دلت بها ألسنتهم، وفحوى جرت عليها عادتهم...))[٢٤]. والسابقون الأولون من الصحابة (رضي الله عنهم)، لم يكونوا جميعهم من قريش بل من قبائل مختلفة متفاوتة في قربها

من قريش ولهجتها وبعدها عنها، ولذا حكمتهم لهجاتهم التي نشؤوا عليها، فما كان بمقدورهم أن ينطقوا كثيرا من ألفاظ القرآن الكريم كما ينطقها النبي (ﷺ)، والقرشيون، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى التيسير، وقد تجلى ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام لجبريل الأمين ((... إني بعثت إلى امة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يامحمد إن القرآن انزل على سبعة أحرف))[٢٥]. وفي رواية لمسلم، إن جبريل عليه السلام، قال: ((... إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا))[٢٦]، وقوله (ﷺ): ((اقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف))[٢٧].

وقد وضح ابن قتيبة هذا وذاك بقوله: ((فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه (ﷺ)، أن يقرئ كل قوم بلغتهم وماجرت عليه عادتهم، فالهذلي يقرأ * عتى حين* يريد (حتى حين) لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والاسدي يقرأ: تِعلمون وتِعلم و* تِسود وجوه * والتميمي يهمز والقرشي لايهمز والآخر يقرا * وإذا قيل لهم *، * وغيظ الماء * بإشمام الضم مع الكسر و * هذه بضاعتنا رُدت إلينا * بإشمام الكسر مع الضم و* مالك لا تأمُنا * بإشمام الضم مع الإدغام وهذا مالا يطوع به كل لسان، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته و ماجرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات))[٢٨].

واستمرت مسيرة القران تلقيا و تدوينا، ثم تعلما وحفظا وتعليما على يد النبي(ﷺ)، يقرئ الصحابة يعلمهم ويلقى الناس في المواسم يدعوهم ويقرأ عليهم

القرآن، فإذا اسلم احد منهم أمر عليه الصلاة والسلام، الصحابة أن يفقهوه في دينه ويقرئوه القرآن ويعلموه أحكامه[٢٩].

وانتشر الإسلام بعد النبي (ﷺ)، في بقاع الأرض واستوطن الصحابة معه في تلك البقاع يقرئون أهلها كلٌ على حرفه وطريقة أدائه، فارسوا أسس القراءات في تلك البقاع والأمصار، وكان لأغلب هؤلاء الصحابة المعلمين مصاحف تنسب إليهم. ولم تكن متفقة في كل حروفها بل مختلفة في قسم منها، كما إن رسومها لم تكن واحدة أيضا، ولذا بدأت وجوه القراءة المختلفة تأخذ طريقها في النقل، فتعددت القراءات بل اتسعت الفروق بينها.

وإذا علمنا أن المسلمين الأولين أخذوا القرآن من فم النبي (ﷺ)، مشافهة وتناقلوه عن طريق الرواية والسماع من أفواه الثقات الحفظة، أدركنا بما لايقبل الشك أنه لا يمكن الفصل بين الرسم والرواية والنقل، إذ كلٌ في القراءات أصل ليس غير ((فإذا احتمل الرسم قراءة غير مروية ولا ثابتة ولا مسندة إسنادا صحيحا، ردت وكذِبت وكُفِر معتمدها، وما وافق الرسم من القراءات الصحيحة تُعُبد به وكان تنزيلا من حكيم حميد))[٣٠].

وفي عهد التابعين كان القراء قد سمعوا قراءات كثيرة صحت عندهم ووثقوا بمن نقلوها عنهم وقرؤوها عليهم وهي موافقة لخط المصحف ،فكان كل إمام في القراءة يختار من مجموع ما يرويه عن شيوخه قراءة أو أكثر من القراءات. والقراءات السبع التي أثبتها ابن مجاهد (ت٣٢٤ هـ في كتابه، والثلاث التي أثبتها غيره كانت ((اختيارات أولئك القراء، فان كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهَه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها واشتهرت عنه ونسبت إليه فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير ولم يمنع واحدٌ منهم حرفَ الآخر ولا أنكره، بل سوغه وحسنه))[٣١]

وبعد:

فيظهر مما تقدم أن القراءات القرآنية سنة متبعة بمعنى:- أنها مروية عن رسول الله (ﷺ)، فلا يجوز لقارئ أن يخترع أو يبتدع قراءة ليست مروية مسندة بحجة انه يختار، وان كانت هي الاقيس في العربية ((لان القراءة لا تبتدع على وجه يجوز، وإنما سبيل القراءة إتباع من تقدم))[٣٢]. وإضافة قراءة ما إلى قارئ دون آخر إنما هي ((إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد))[٣٣]، يقول الداني: ((وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة والاقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشوا لغة لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها))[٣٤]، وقد روي عن جمهور من الصحابة والتابعين قولهم: ((والقراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤوا كما عُلمتموه))[٣٥]. وفي كتب اللغة والنحو والتفسير ما يؤكد هذه الحقيقة[٣٦]، كقول سيبويه: ((... إن القراءة لا تُخالَف لان القراءة سنة))[٣٧]، وقول الزجاج: ((ولا يجوز أن يقرأ قارئ بما لم يقرأ به الصحابة أو التابعون أو من كان من قراء الأمصار المشهورين في القراءة))[٣٨]، ((ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول: لولا انه ليس لي أن اقرأ إلا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا كذا))[٣٩].

موقف النحاة من القراءات القرآنية

فما موقف النحاة واللغويين مما وصل إليهم من قراءات هي في حقيقتها القرآن الكريم نفسه الذي لا يدانيه نص من حيث الفصاحة، وهو قمة الشواهد عندهم وغاية الاحتجاج لديهم، وقد اجمعوا على جواز الاستشهاد بمتواتر قراءاته وشاذها[٤٠] ؟

للجواب عن هذا السؤال أقول: على الرغم من تصريحهم بان القراءة سنة ((تتبع في القرآن، ولا يلتفت فيها إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها القراء

المشهورون بالضبط والثقة))[٤١]، واحتجاج ابن جني للقراءات الشاذة واعتزازه بها ودفاعه عنها[٤٢]، اجترأ كثيرا منهم على قراءات مروية بدعوى مخالفتها لما وضعوه من قواعد وارتضوه من أصول واقيسة فناقضوا أنفسهم في رد قراءات وتضعيف أخرى وهدم قسم من مشهورها والتصريح بخطئه. فهذا الأصمعي (ت٢١٦هـ) يلحن الاخفش في قراءته لقوله تعالى* منِ ولايتهم من شيء*[٤٣] بكسر الواو، وهي قراءة الأعمش وابن وثاب وحمزة[٤٤] ورد عليه أبو حيان بقوله: ((وأخطأ في ذلك لأنها قراءة متواترة))[٤٥]. وكان المبرد (ت ٢٨٥ هـ) يقول: ((لو صليت خلف إمام يقرأ * وما انتم بمصرخيٍ*[٤٦] و * اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ*[٤٧] لأخذت نعلي ومضيت))[٤٨]. والزجاج، تلميذه كان يقول في قراءة حمزة لآية النساء: ((فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر...))[٤٩]، أما ابن جني، فمن أقواله: ((فأما قراءة عاصم * وقيل مَنْ راق *[٥٠] ببيان النون من (من) فمعيب في الإعراب معيف في الأسماع، وذلك لان النون الساكنة لا توقف في وجوب إدغامها في الراء)) [٥١]. واجمعوا على تخطئة قراءة من قرأ * معائشَ *[٥٢] بالهمز ورد عليهم أبو حيان بقوله: ((وقرأ الأعرج و زيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر في رواية (معائش) بالهمز، وليس بالقياس، ولكنهم رووه وهم ثقات فوجب قبوله... ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة))[٥٣]. ولحن الزمخشري من قرأ * أيمّة *[٥٤] بهمز بعدها ياء، وقال: ((وأما التصريح بياء فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون قراءة، ومن صرح بها فهو لاحن مُحَرف))[٥٥]، وذهب غيره وهم البصريون، إلى أن تحقيق الهمزتين قراءة غير مقبولة وعدوها لحناً [٥٦]. ويصف الأزهري قراءة ابن عامر * بالغَدوة والعشي *[٥٧] بالشذوذ[٥٨]، وهي قراءة سبعية [٥٩]، وابن عامر من المشهود لهم بالتقدم والضبط، وهي أيضا قراءة ابي عبد الرحمن السلمي [٦٠]، ويقول في قراءة حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه * فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاقَ

يعقوبَ *[٦١] بنصب يعقوب: ((وهذا غير جائز عند حذاق النحويين من البصريين والكوفيين))[٦٢]. وهذه القراءة احتج لها أبو زيد والاخفش، ونقل الأزهري نفسه احتجاجهما بقوله: ((ومن فتح يعقوب فإن أبا زيد والاخفش زعما انه منصوب وهو موضع الخفض عطفا على قوله بإسحاق... وقول الاخفش وأبي زيد عند النحويين خطأ))[٦٣]. والجوهري أيضا، يصم احد القراء السبعة، وهو حمزة، بالوهم في استشهاده بـ (وما انتم بمصرخيِ)[٦٤] فيقول: ((الياء إن جاءت بعد ياء الجمع فتحت، كقوله تعالى * وما انتم بمصرخيِ *... وكسرها بعض القراء توهما أن الساكن إذا حُرك حُرك بالكسرة، وليس بالوجه))[٦٥]، وقراءة حمزة هذه ليست وهما، كما ظن الجوهري وغيره ولا لحناً، بل هي جارية على ما كان يجب في الأصل، وقد قال قطرب: أنها لغة في بني يربوع[٦٦].

ويبدو أن النحويين في أحكامهم هذه، جعلوا القواعد أمام النصوص، فما وافق القواعد النحوية من القراءات فصحيح، وما لم يوافقها فغير صحيح وان كان متواتراً[٦٧]، والصواب كما يقول الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي أن تسير القواعد وراء النصوص، ولا سيما بالنسبة للقرآن الكريم والقراءات المعتمدة الموثقة[٦٨]. ولسان العرب ((ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط، والقراءات لا تجيء على ما عليه البصريون ونقلوه))[٦٩]. والملاحظ أيضا أنهم أي النحاة واللغويين كانوا يبذلون جهدهم من اجل شاهد نادر أو بيت من الشعر مجهول لإثبات لغة ما، وإذا وجدوا قراءة متواترة صحيحة السند إلى رسول الله (ﷺ)، لا يتورعون عن التطاول عليها وتخطئتها، يقول الفخر الرازي: ((إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود البيت المجهول على وفقها دليل على صحتها فلأن يجعلوا ورود

القرآن دليل على صحتها كان أولى)[٧٠]. وإني لذاكر، في هذه العجالة فضلا عما سلف، أمثلة نحوية وصرفية وصوتية ولغوية تتبين لنا من خلالها لغة القرآن التي وردت إلينا عن النبي (ﷺ)، وتثبت، بما لا يقبل الشك، أن القراءات القرآنية مرآة صافية للغات العرب التي بمجموعها نزل القرآن الكريم ومثل لغتها الموحدة المشتركة.

من الظواهر النحوية

١- التفاوت بين الرفع والنصب:

نحو قراءة أغلب القراء "قالوا إنَ هذان لساحران"[٧١] برفع (هذان)، وقياسه النصب، لأنه اسم إن. والنصب لغة أكثر العرب،أما الرفع، الذي عليه هذه القراءة فلغة محكية عن عدد من القبائل العربية هي: كنانة[٧٢] وبلحارث بن كعب[٧٣] وخثعم وزبيد وبنو العنبر وبنو الهجيم ومراد وعذرة[٧٤]، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، فيقولون: رأيت الزيدان، ومررت بالزيدان ((يجعلون التثنية بالألف في كل وجه، لا يقلبونها لنصب ولا خفض، قال شاعرهم:[٧٥]

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها.

فلما ثبتت هذه اللفظة (هذان) في السواد بالألف، وافقت هذه اللغة فقرؤوا بها ولم يغيروا ما ثبت في المصحف))[٧٦] هذا فضلا عما روي عن ابي زيد انه سمع من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفاً[٧٧].

وقد اختار الفراء هذه القراءة لئلا يخالف الكتاب، وان كانت عند بعضهم كما يقول، لحناً. واحتج لها بقوله: ((فقراءتنا بتشديد (إن) وبالألف على جهتين، إحداهما: على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف، وأنشدني رجل من الأسد عنهم:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغا لناباه الشجاع لصمما[٧٨]

قال: وما رأيت أفصح من هذا الاسدي. وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خط يدا أخي بعينه، وذلك، وان كان قليلاً، أقيس، لأن العرب قالوا: مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة... ثم قالوا: رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم،فلما رأوا أن الياء من الاثنين لايمكنهم كسر ماقبلها، وثبت مفتوحا: تركوا الألف تتبعه، فقالوا: رجلان في كل حال. وقد اجتمعت العرب على إثبات الإلف في كلا الرجلين، في الرفع والنصب والخفض، وهما اثنان... والوجه الأخر؛ أن تقول: وُجِدَت الألف من (هذا) دعامة وليست بلام فعل، فلما ثنيتُ زدتُ عليها نونا ثم تركتُ الألف ثابتة على حالها لا تزول على كل حال كما قالت العرب (الذي) ثم زادوا نونا تدل على الجماع، فقالوا:الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا (هذان) في رفعه ونصبه وخفضه..))[٧٩]،

ولما كانت هذه اللغة، التي عليها هذه القراءة، معروفة عمن ذكرنا من العربِ ((وقد حكاها من يرتضى علمه وصدقه وأمانته، منهم أبو زيد الأنصاري وهو الذي يقول: إذا قال سيبويه حدثني من أثق به فانه يعنيني، وأبو الخطاب الاخفش، وهو رئيس من رؤساء أهل اللغة روى عنه سيبويه وغيره))[٨٠]، اختارها أغلب جمهور قَرأة الأمصار، مؤكدين بذلك ما روي عن ابن عباس، (رضي الله عنهما)، من أن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حيٍّ من أحياء العرب[٨١] ولا عبرة بالتأويلات التي تنأى بها عن هذه اللغة المعروفة.

٢- التفاوت بين النصب والجر:

نحو قراءة العشرة إلا حمزة ((واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ))[٨٢] بنصب (الأرحام) عطفاً على اسم الله تعالى، والتقدير: واتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وقراءة حمزة، التي هي أيضا قراءة ابن مسعود وابن عباس، (رضي الله عنهم)، والنخعي

ومجاهد والحسن وقتادة والأعمش وآخرين غيرهم ((والأرحامِ))[٨٣] (٥) بالجر، وهو اسم ظاهر، عطفاً على الهاء في (به) وهو ضمير متصل.

وهذا العطف، أعني: عطف الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، لا يجوز عند قسم من النحويين، لاسيما البصريون[٨٤]، إلا في ضرورة الشعر كقول الشاعر[٨٥]:

فاليَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا ... فَاذهَبْ فَمَا بِكَ والأيامِ مِنْ عَجَبِ

بجر (الأيام) عطفاً على الكاف المجرور بالباء، وكان الوجه إن يقول: فما بك وبالأيام. وإما في النثر فأجازه فريق، وقبّحهُ آخر، قال سيبويه: ((ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور، وذلك قولك: مررت بك وزيدٍ، وهذا أبوك وعمروٍ، كرهوا أن يشرك المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله))[٨٦].

وتفاوتت مواقفهم من قراءة (والأرحامِ) قال النحاس: ((فأما البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحلُّ القراءة به، وأما الكوفيون فقالوا: هو قبيح، ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علّة قبحه فيما علمته))[٨٧]، وفي جمهرة اللغة: ((ومن قرأ عند البصريين بالجر (والأرحامِ) فقد لحن))[٨٨]، وقال العكبري: ((وهذا لا يجوز عند البصريين، وإنما جاء في الشعر على قبحه، وأجازهُ الكوفيون على ضعف))[٨٩]، وذكر ابن خالويه أن البصريين أنكروا الخفض ولحنوا القارئ بهِ، وأبطلوه من وجوه، وأجازوا مثل ذلك في الشعر اضطرارا، وليس في القرآن موضع اضطرار، وأما الكوفيون فأجازوا الخفض، واحتجوا للقارئ بأنه أضمر الخافض واستدلوا بأنّ العجاج كان إذا قيل له: كيف تجدك ؟ يقول: خيرٍ عافاك الله، يريد بخير[٩٠]. أما مكي القيسي فقد جاء في كشفه عن عطف (الأرحام) على الهاء في (به) قوله: ((وهو قبيح عند البصريين، قليل في الاستعمال بعيد في القياس، لان المضمر في (به) عوض من التنوين، ولان المضمر المخفوض لاينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف،

ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في احدهما ما يحسن في الآخر، ويقبح في احدهما ما يقبح في الآخر، فكما لايجوز: ((واتقوا الله الذي تساءلون بالأرحام، فكذلك لا يحسن: تساءلون به والأرحام، فان أعدت الخافض حسن))(٩١).

وقد تتبعنا أقوال النحاة في هذه القراءة المتواترة فوجدنا أكثرهم اجتراء عليها وتماديا في الكلام عليها، المبرد والزجاج، إذ روي عن المبرد قوله: ((لو صليت خلف إمام يقرأ [واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحامِ]، لأخذت نعلي ومضيت))(٩٢)، وقوله: ((... هذا مما لايجوز عندنا إلا أن يضطر إليه شاعر... والقرآن إنما يحمل على اشرف المذاهب))(٩٣). قال الزجاج: ((فأما الجر في (الأرحام) فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم...))(٩٤)، ووصف الزمخشري العطف في هذه القراءة بأنه ليس بسديد، لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد(٩٥). أما سيبويه والفراء فلم يخطئا هذه القراءة صراحة، ولم ينصا على ذلك، وان كانا قد اجترءا عليها بوصفهما عطف الظاهر على المضمر بأنه قبيح أو فيه قبح، لان العرب لا ترد مخفوضا على مخفوض وقد كني عنه... وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه(٩٦).

والقول في هذه المسألة ما قاله، أو ذهب إليه أكثر الكوفيين ويونس والأخفش وقطرب والشلوبين(٩٧) والفخر الرازي وابن مالك وأبو حيان وابن هشام(٩٨) من أن عطف الظاهر على المضمر جائز(٩٩)، ذلك لان وجوه احتجاج المنكرين ليست قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات(١٠٠)، وقد قرأ بهذه القراءة عدد من الصحابة والتابعين، ثم كانت اختيار حمزة، وهو احد السبعة الذين أجمعت الأمة على تواتر قراءتهم وصحتها، ولذا قال الإمام الفخر الرازي: ((والظاهر انه، أي حمزة، لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول (ﷺ)، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع لاسيما بمثل هذه الأقيسة التي هي اوهن من

بيت العنكبوت... والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة ببيتين مجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع إنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن))(١٠١)، وجاء في شرح ابن عقيل ((وأما الضمير المجرور فلا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له... هذا مذهب الجمهور، وأجاز ذلك الكوفيون، واختاره المصنف، ابن مالك، وأشار إليه بقوله:

وعودُ خافضٍ لدى عطفٍ على ... ضمير خفضٍ لازماً قد جعلا
وليس عندي لازما، إذ قد أتى ... في النثر والنظم الصحيح مثبتا))(١٠٢)

وقال أبو حيان: ((وما ذهب إليه أهل البصرة وتابعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ومن اعتلالهم غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وانه يجوز))(١٠٣)

وبعد:

فما كان ينبغي للنحاة أن يردوا هذه القراءة أو يرفضوها، مادامت ثابتة عن النبي (ﷺ)، بالتواتر، قال القشري: ((وإذا ثبت شيء عن النبي، (ﷺ) فمن رد ذلك فقد رد على النبي (ﷺ)، واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، فان العربية تُتلقى من النبي (ﷺ)، ولا يشك احد في فصاحته))(١٠٤)، ولذا قال ابن جني: ((ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس، يعني المبرد، بل الأمر فيها دون ذلك واقرب واخف وألطف))(١٠٥).

٣-صرف ما لا ينصرف:

نحو قراءة أبي بكر عن عاصم وأبي جعفر ونافع والكسائي *(إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا)*(١٠٦) بتنوين(سلاسلا) وصرفه، حملا على لغة من يصرف كل ما لا ينصرف إلا افعل التفضيل،روي ذلك عن الكسائي(١٠٧). وقال

الاخفش:((سمعنا من العرب من يصرف هذا أي افعل التفضيل،ويصرف جميع ما لا يصرف))[١٠٨]، وهم بنو أسد[١٠٩]، وروي عنه أيضا: أن هذا الصرف ((لغة الشعراء، ثم كثر حتى جرى في كلامهم))[١١٠]، و((كل ما يجوز في الشعر فهو جائز في الكلام، لان الشعر أصل كلام العرب، فكيف تتحكم في كلامها وتجعل الشعر خارجا عنه))[١١١].

ويبدو لنا إن الصرف المطلق، أو صرف ما لا ينصرف، سمة لهجية لقسم من العرب ليس فيها شذوذ أو خروج على القياس، ولهذا احتج لها كثير من النحاة وحاولوا تعليلها، ومما روي عنهم من تعليل لصرف ما جاء مجموعا جمع تكسير على (مفاعل) و (مفاعيل) صيغة منتهى الجموع، قولهم: إن هذه الجموع تشبه الآحاد لأنها تجمع كما تجمع الاتحاد كقول النبي، (ﷺ)، لحفصة، (رضي الله عنها): (إنكن لأنتن صواحبات يوسف)[١١٢] فجمعَ (صواحب)، وهي جمع، على (صواحبات) بالألف والتاء، وقالوا: مواليات فلان، جمع (موالي) فصار كالواحد، ولهذا انصرفت كما انصرف الواحد[١١٣].

قال أبو علي ((ومن هنا استجازوا قراءة من قرأ *(قواريرا)*[١١٤] و *(سلاسلا)* تصرف من حيث ضارع الواحد في انه يجمع كما يجمع الواحد))[١١٥].
وقد قيل في شيوع صرف هذا الجمع وكثرته:

والصرف في الجمع أتى كثيرا   حتى ادعى قوم به التخييرا[١١٦]

وبعد: فهذه اللغة، اعني لغة الصرف، كانت اختيار قراء من بيئات مختلفة، فأبو جعفر ونافع من المدينة المنورة، وابن كثير[١١٧] من مكة، وعاصم والكسائي وخلف من كوفة العراق، أما من لم يصرف (سلاسل) و (قوارير) من القراء[١١٨]، فانه حمل ذلك على الأصل، لأنهما جمع تكسير على مفاعل ومفاعيل والأصل في هذا الجمع المسمى بـ (منتهى الجموع) المنع من الصرف قال سيبويه في باب ما كان

على مثال مفاعل ومفاعيل: ((إعلم انه ليس شيء يكون على هذا المثال إلا لم ينصرف في معرفة ولا نكرة، وذلك لأنه ليس شيء يكون واحدا يكون على هذا البناء، والواحد أشد تمكنا، وهو الأصل، فلما لم يكن هذا من بناء الواحد الذي هو أشد تمكنا وهو الأول تركوا صرفه، إذ خرج من بناء الذي هو أشد تمكنا))[١١٩].

فقياس العربية في هذا الجمع، هو المنع من الصرف، لأنه ((نهاية الجمع المخالف لبناء الواحد، فهذا ثِقَلٌ، وهو مع ذلك جمع، والجمع فيه ثِقَلٌ ثانٍ، فلما اجتمع فيه ثِقلان منعاه من الصرف))[١٢٠].

من الظواهر الصرفية

١-التفاوت بين يَفعِل و يَفعَل، بالكسر والفتح في المضارع

نحو قراءة (يَحسِب أن ماله أخلده)[١٢١] بكسر سين (يحسِب)[١٢٢]، وماضيهِ (حسِبَ) بكسر السين على فعِل وقياس هذا الباب أعني فعِل مكسور العين في الماضي الفتح في المضارع أي: حسِب يحسَبُ وعليه القراءة الثانية لهذا الحرف[١٢٣]،والكسر في هذا الحرف لغة فصيحة جاءت عن العرب في أربعة أحرف هي (حسِبَ يحسِبُ ونعِمَ ينعِمُ ويئِسَ ييئِسُ ويبِسَ ييبِسُ)[١٢٤]،قال سيبويه: ((وقد بَنوا فعِلَ على يفعِلُ في أحرف...والفتح في هذه الأفعال جيد، وهو أقيس))[١٢٥]، وروي عن ابن عباس ، (رضي الله عنهما)، أن كسر السين لغة قريش، وهي لغة النبي، (ﷺ)، وفتحه لغة تميم[١٢٦] ،ولذا ذهب ابن خالويه إلى أن الكسر في هذا الحرف أقيس والفتح لُغيَّة[١٢٧].

وقيل: إن حسِبَ يحسِبُ بالكسر في الماضي والمضارع جاء من تداخل لغتين، وذكر ابن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) عن الكسائي أن قريشا ((اخذوا يحسِب بكسر السين في المستقبل من قوم من العرب، يقولون حسِب يحسِب،فكأن حسِب من لغتهم في أنفسهم ويحسِب لغةٌ لغيرهم سمعوا منهم فتكلموا بها ولم يقع أصل البناء على فعِل

يفعِل))[١٢٨]. ومال إلى هذا الرأي الفراء بقوله: ((قوّى هذا الذي ذكره الكسائي عندي أني سمعت بعض العرب يقول: فضِل يفضُل))[١٢٩]، كقراءة الخليل بن احمد (من بعد ما قنُطوا)[١٣٠]، بضم النون، وهي لغة مركبة من تداخل لغتين، لان ماضيه (قنِط) بكسر النون، على (فعِل)، وقياسه الفتح في المضارع، وعليه قراءة الجمهور. ومثله في التداخل (فضِل يفضُل ونعِم ينعُم وحفِر يحفُر ونكِل ينكُل و شمِل يشمُل و نجِد ينجُد وركِن يركُن بكسرها في الماضي وضمها في المضارع)[١٣١]، ماضيها من لغة ومضارعها من لغة أخرى.

٢-التفاوت بين فَعَلَ وأفعَلَ

نحو قراءة (فاسْرِ)[١٣٢]، و(ان اسر)[١٣٣]، بالوصل من (سرى)[١٣٤]،وبالقطع من (أسرى)[١٣٥]، وهما لغتان فصيحتان مشهورتان معناهما واحد[١٣٦]، قال المبرد: ((فأسر بأهلِك، من قولك: أسريت، وهي اللغة القرشية، وغيرهم من العرب يقول: سَريتُ))[١٣٧]

ونحو قراءة (فيَسحَتكم بعذاب)[١٣٨]، بفتح الياء من (سحت)[١٣٩]، و(فيُسحتكم) بضم الياء من (أسحت)[١٤٠]، وهما لغتان، يقال: سَحته وأسحَته بمعنى: استأصله[١٤١]، (سَحَتَ) على (فَعَلَ) لغة الحجازيين وأهل العالية، و (أسحَت) على (افعَل) لغة أهل نجد وبني تميم[١٤٢]، وذكر الطبري أن (سَحَتَ) أفصح اللغتين ،لأنها لغة أهل العالية[١٤٣].

وبعد:

فـ (فَعَلَ) و (افعَلَ) بناءان مختلفان، احدهما ثلاثي والآخر رباعي، ومنطق اللغة يقضي أن يكون كل منهما قد وضع لدلالة معينة، وهذا هو المشهور فيهما في اللغة الواحدة، لأنه ((لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ كل عدول عن صيغة إلى أخرى لابد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر))[١٤٤]، غير إنهما يتفقان

أحيانا في الدلالة، وأكثر ما يكون ذلك في لغتين، لهجتين، مختلفتين بمعنى: أن هناك أفعالا اعتاد قسم من القبائل العربية على نطقها بصيغة (فَعَلَ) في حين اعتادت قبائل أخرى على نطقها بصيغة (افعَل) ودلالتهما عند الجميع واحدة ((وأصل ذلك إن كل واحد منهما لغةٌ لقوم، ثم تختلط فتستعمل اللغتان))[١٤٥]، وقال سيبويه: ((وقد يجيء فعَلت وأفعَلت، المعنى فيهما واحد، إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل، فيجيء به قوم على فعلت، ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على (أفعَلت)، كما انه قد يجيء الشيء على أفعَلت لا يستعمل غيره))[١٤٦].

وعلى هذا، لا يكون البناءان بمعنى واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، وعلى الأغلب حين يكون ففَ َل وأفعَل بمعنى واحد، فإن (فعَل) لهجت أهل الحجاز و (أفعَل) لهجة بني تميم وأهل نجد[١٤٧]

من الظواهر الصوتية

١-تفاوت الهمزة بين التحقيق والتسهيل:

نحو قراءة من قرأ (فقاتلوا أئمة الكفر...)[١٤٨]، بتحقيق همزتي (أئمة)، قال العكبري: ((فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل))[١٤٩] وهي قراءة مشهورة[١٥٠]، ولكنها غير مقبولة عند البصريين لأنه ليس من كلام العرب عندهم أن تلتقي همزتان فتُحققا[١٥١]، وذكر النحاس أن أكثر النحويين يذهبون إلى أنها لحن لا يجوز، لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة[١٥٢]. فالبصريون يستصعبون اجتماع الهمزتين و(أئمة) عندهم لغة واحدة هي (ايمّة) بهمزة واحدة بعدها ياء[١٥٣]. وقد تحجروا في ذلك حتى جانبوا الحق الذي جاءت به متواترة قِراءة قَرَأَةٍ ثقاتٍ مشهورين، ويزداد الأمر سوءاً حين ينبري الزمخشري لهدم ما ذهب إليه البصريون بقوله: ((وأما التصريح بالياء فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون قراءة، ومن صرح بها فهو لاحِن محرِّف))[١٥٤]، وهذا دليل على استهانة النحويين بالنقل المتواتر لهاتين القراءتين

المشهورتين عن رسول الله (ﷺ)، وعدم اكتراثهم بإصدار الأحكام، وإلا ما ضرهم لو قالوا مثل ما قال الاخفش مثلاً: ((جُعلت الهمزة ياء لأنها في موضع كسر، وما قبلها مفتوح، فلم يهمز لاجتماع الهمزتين، ومن كان من رأيه جمع الهمزتين هَمَزَهُ))[١٥٥]، والأزهري: ((وكل ذلك جائز...ولا أقول إنها غير جائزة))[١٥٦]، وابن الحاجب: ((وقد صح التسهيل والتحقيق في أئمة))[١٥٧]، لاسيما إن كلام العرب وشعرهم حجة لتحقيق الهمزتين المجتمعتين في كلمة، كقول بعض العرب: (اللهم اغفر لي خَطائِي)[١٥٨]، وقول الشاعر[١٥٩]:

فانك لا تدري متى الموت جائىءٌ إليك ولا ما يحدث الله في غدِ

هذا فضلا عن أن. ((أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القران على الافشى في اللغة والاقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها))[١٦٠]. ولم تكن مدارج العرب الصوتية على مستوى واحد من حيث النطق بأصوات اللغة وصفاتها، فبعضهم اشد صوتا من بعض[١٦١] ،ولما كانت ألهمزه صوتا مجهورا شديدا، لأنها ((نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي ابعد الحروف مخرجا وادخلها في الحلق))[١٦٢] شاع تحقيقها عند أكثر أهل البادية من العرب كتميم وتيم الرباب وغنى وعكل وأسد وعقيل وقيس وبني سلامة من اسد[١٦٣]، وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقيها[١٦٤]، لما في بيئتهم من شدة وقسوة في حين مالت القبائل الحضرية كـ ((أهل الحجاز وهذيل وأهل المدينة وكنانة وسعد بن بكر))[١٦٥]، إلى تخفيفها ،يقول ابن يعيش: ((إن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق، إذ كان ادخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذا كان إخراجه كالتهوع فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحساني لثقل الهمزة، والتحقيق لغة' تميم وقيس...))[١٦٦].

٢-الإبدال بين السين والصاد

ذلك لأنهما حرفان من مخرج واحد[١٦٧]، ويشتركان في صفات الهمس والصفير والرخاوة[١٦٨]، لذا تبدل الصاد من السين جوازاً على لغة[١٦٩]، نحو قراءة العشرة إلا ابن كثير في رواية ويعقوب الحضرمي[١٧٠]، (إهدنا الصراط المستقيم)[١٧١]، بالصاد، وقراءة ابن كثير في رواية القواس وابن محيصن ويعقوب (السراط) بالسين على الأصل في هذا الحرف[١٧٢]، والصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب[١٧٣]،وهي أيضا، فيما يبدو، اللغة الفصحى الجيدة[١٧٤]، لأنها لغة قريش، فالصاد إذن في (اهدنا الصراط) مبدل من السين، لأنه أقوى منه، وأصول العرب في الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى[١٧٥]، والمسوغ للإبدال، وجود الطاء بعد السين في (السراط) لان الطاء حرف استعلاء والصاد كذلك، أما السين فحرف تسفُلٍ ((فصار كل واحد منهما، الصاد والطاء، وفق صاحبه في الاستعلاء))[١٧٦].

ومما أبدل فيه السين، وهو الأصل، صاداً قراءة ابن كثير ونافع وخلف (وزاده بسطةً)[١٧٧] ،بالصاد، بدل (بسطة) بالسين، لوجود الطاء وهو حرف استعلاء، بعد السين. وقراءة من قرأ (أم هم المصيطرون)[١٧٨] بدل (المسيطرون) لوجود الطاء بعد السين. وقد نسبت هذه الظاهرة إلى بعض بني تميم[١٧٩] وعلى هذا فالسين والصاد في هذه الحروف وغيرها لغتان[١٨٠]، ولكن لما كانت السين هي الأصل فالاعرب الأكثر الأجود في كلام العرب تركها على حالها، كما يقول سيبويه[١٨١]، لأن السين أعلى اللغتين[١٨٢]، في هذه الحروف.

٣-في الإدغام

الإدغام في العربية تخفيف النطق بالأصوات المتماثلة أو المتقاربة إذا اجتمعت في كلمة أو كلمتين، لأن إظهار الصوتين المتماثلين مثلا، ونطقهما مكررين فيه ثقل بين، وكذلك التضعيف مستثقل ((غاية الاستثقال إذ على اللسان كلفة شديدة

في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه...))[١٨٣]، ولذا يُعمد الى تخفيفهما بإدغام احدهما في الأخر، وذلك بان يضع المتكلم لسانه على مخرج الحرف المكرر وضعةً واحدة ويرفع بالحرفين رفعة واحدة، لئلا ينطق بالحرف ثم يعود إليه[١٨٤]

ومن الإدغام ما وصف بأنه قليل ولكنه جائز، نحو قراءة ابي جعفر المدني وأبي عمرو ونافع ويعقوب (عادَ لُو لى)[١٨٥] بإدغام النون في اللام بعد نقل حركة الهمزة إليها، واصلها (عادنِ الأولى)، وسبب كون هذا الإدغام قليلا، هو انه جعل حركة اللام من(الأولى) كأنها حركةٌ لازمةٌ أصليةٌ، وهي في الحقيقة عارضة نُقلت إليها بعد حذف الهمزة، وعلى هذا فهي في الأصل على تقدير السكون لحركة النون (عادنِ لْأولى) فلما حذفت الهمزة نقلت حركتها الى اللام الساكنة قبلها فصارت (عادَن لُولى) على لغة من يقول (لَحْمَرَ) في (الأحمر) فيحذف ألف الوصل لحركة اللام[١٨٦] ثم أدغمت النون الساكنة في اللام(عادَ لُولى)[١٨٧]

من الظواهر اللغوية

١-التفاوت في الحركات بين الضم والكسر

نحو قراءة (يُرسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ)[١٨٨] بضم الشين وكسرها[١٨٩]. والكسر لغة بني كلاب[١٩٠] [٣] وقد ذهب إبراهيم أنيس الى أن بني كلاب هؤلاء تأثروا بلهجات الحجاز ((لأنهم عاشوا على الطريق الذي كان الحجازيون يسلكونه دائما في تجارتهم مع بلاد الشام، فبيئتهم ليست إلا امتدادا طبيعيا للبيئة الحجازية))[١٩١] ولما كان ابن كثير مكيا وابن محيصن من قريش، فلا عجب إذا قرآ بالكسر، لأنهما يمثلان لهجتهما الحضرية التي تجنح الى الكسر، كما يقول الجندي[١٩٢] ونقول: إن ذلك ليس قاعدة مطردة ولا قانونا ثابتا، لأن القراءات قائمة على الاختيار الذي يتجاوز في كثير من الأحيان قيود لهجات المقرئين ويخالف قوانينها.

وقد أجمعت المصادر على إن شُواظ وشِواظ بضم الشين وكسرها، لغتان بمعنى اللهب[١٩٣] وإذا كان الكسر لغة الكلابيين، كما ذكر ابن السكيت، فان الضم لغة باقي العرب، ولذا كانت اللغة المعروفة، وعليها قراءة القَرَأَة من أهل الأمصار.

٢-التفاوت في الحركات بين الضم والفتح

نحو قراءة (فَنَظِرَةٌ الى ميسَرَة/ميسُرَة)[١٩٤] بضم السين وفتحها[١٩٥] وهما لغتان في (مفعَلة) الفتح لغة أهل نجد والضم لغة أهل الحجاز[١٩٦] معناها: السعه والغنى[١٩٧]، إلا أن الفتح أكثر من الضم وأشهر في كلام العرب[١٩٨]، ومما جاء على (مفعُلة/مفعَلة) بالضم والفتح، قولهم: المشربة والمأثرة والمكرمة والمأدبة والمزرعة والمفخرة والمقبرة والمأكلة... الخ[١٩٩]، و(مفعُلة) بالضم، صيغة مبنية على التأنيث، ولولا الهاء (التاء المربوطة) الدالة عليه لما جاز في عينها الضم، لأنه لم يجئ في الآحاد بناء على (مفعُل) بالضم من غير تاء، كما يقول البصريون. ولذا عدت قراءة من قرأ (فنظرة الى ميسُرِهِ) على جهة الإضافة الى الهاء[٢٠٠] خطأ وغير جائزة، فقال الاخفش مثلا: ((ليست بجائزة لأنه ليس في الكلام (مفعل) بغير هاء))[٢٠١]، وقال الزجاج: ((فأما من قرأ (الى ميسُرِهِ) على جهة الإضافة الى الهاء... وزعم البصريون أنهم لا يعرفون مفعلا إنما يعرفون مفعلة))[٢٠٢]، وقال النحاس: ((وقراءة من قرأ (الى ميسُرِهِ) لحن لا يجوز))[٢٠٣] وقال ابن جني: ((وأما (الى ميسُرِهِ) فغريب...))[٢٠٤]، أما العكبري فقال: ((هو بناء شاذ لم يأت منه إلا مكرم ومعون، على أن ذلك قد تؤول على انه جمع مكرمة ومعونة))[٢٠٥].

٣- **ومن الأمثلة اللغوية أيضا**، التفاوت بين التشديد والتخفيف ،نحو قراءة (ما وَدَّعك ربُك)[٢٠٦] بتشديد الدال وتخفيفها: ما ودَعك[٢٠٧]، وهما (أي: التشديد والتخفيف) لغتان، والمعنى فيهما واحد، أي: تركك، لكن التشديد أشهر، وان كان التخفيف أقيَس لأنه الأصل، ولكونه قليلا في الاستعمال وصفه النحاة واللغويون

بالشذوذ(٢٠٨)، وقالوا: إن العرب استغنوا عن (ودع) بـ (ترك)، فقالوا: ترك تركا ولم يقولوا ودع وَدَعا، ويقولون: يَدَع، ولا يقولون: وَدَع(٢٠٩)، والسبب: هو ((أن العرب تستثقل الواو في أول الكلمة، يدل على ذلك أنها لا توجد زائدة في الكلام))(٢١٠).

وقد ورد مصدر هذه الصيغة، أي (ودَع) بتخفيف الدال، في أحاديث للنبي(ﷺ)، منها: ((لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدَعهم الجُمُعات، أو ليُختَمَنَّ على قلوبهم، ثم ليكتبَنَّ من الغافلين))(٢١١). كما وردت الصيغة نفسها في أشعار العرب، كقول سويد ابن ابي كاهل(٢١٢):

سَلْ أميري ما الذي غيَّره عن وصالي اليوم حتى وَدَعَه

وقول ابي الأسود الدؤلي(٢١٣):

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى وَدَعَه

وقول الآخر(٢١٤):

ثم وَدَعْنا آلَ عمروٍ وعامرٍ فرائسَ أطرافِ المثقفةِ السُمرِ

وإذا كان النحاة قد خرَّجوا (ودع) في هذه الأبيات وغيرها على الضرورة، لأن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما ينتجه القياس وان لم يرد به سماع، فماذا عما ورد عن النبي، (ﷺ)، من قراءة وأحاديث، وهو أفصح العرب.

قال ابن الأثير: وإنما يُحمَل قولُ النحاة على قلة استعماله، فهو، أي: (ودع) شاذ في الاستعمال صحيح في القياس(٢١٥).

ويبدو لنا أن اللغتين فصيحتان غير أن التشديد أكثر تداولا وأسير على لسان العرب، وهو هنا للمبالغة في عدم تركِ الله سبحانه وتعالى النبيَ، (ﷺ)، والتوكيد على التزامه له وحنوهِ عليه ورضاه عنه، وجاء التخفيف على لسانه لأنه قرشي، وقريش حضرية تميل الى ذلك غالبا. ومما لا شك فيه ان في التشديد وظيفةً معنوية متأتية من زيادة المبنى لفظا، فـ (فَعَل) ثلاثي، و(فعَّل) بتشديد العين، رباعي، وهذا الاختلاف

بين الصيغتين المتأتي من تضعيف حرف من الحروف احداهما، لم يكن جزافا بل لوظائف معنوية لطيفة، منها: التعدية، والتكثير، والمبالغة والتوكيد، والمداومة والتكرير، وهذه المعاني التي تدل عليها الصيغ المشددة في الغالب لا تؤديها الصيغ المخففة ولا تدل عليها. وقد عرف أبناء القبائل التي تغلب عليها صفة البداوة بميلهم الى الأصوات الشديدة في نطقها (" وهو أمر طبيعي يلائم ما عرف عن البدو من غِلظة وجفاء في الطبع ")(٢١٦)، وربما يعزى ذلك الى انفتاح الأرض التي يسكنون عليها وترامي أطرافها وانعدام مصدات الصوت فيها؛ فكانت أصواتهم فيها تذوب في جنباتها فلا تكاد تتضح ،لذا حرصوا على توضيح أصواتهم حتى تسمع، ولجؤوا الى هذا بطرق شتى منها الجهر والتفخيم والشدة(٢١٧). في حين عُرفَ أبناءُ القبائل التي تغلبُ عليها صفة الحضارة والتمدُن والإستقرار بميلهم الى خفة النطق وسهولة الأداء وخفض الصوت انسجاما مع بيئتهم وطبيعتهم.

الخاتمة

بحمد الله وحسن توفيقه أنجز هذا البحث، وقد تبين لنا من مجموع ما ذكر فيه جملة نتائج نجملها بـ:

١- ان الله سبحانه وتعالى هيأ للقرآن الكريم قبل نزوله، في أذهان العرب على اختلاف قبائلهم وتباعدها، لغة مهذبة مشتركة انتشرت بينهم، قوي سلطانها وثبتت دعائهما ونهضت في الأغراض والمعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ وقد نزل القرآن بها، ففهموا أغراضه على حسب عرفهم وعادتهم في استعمالها ،

٢- ولذا فان القراءات القرآنية أحيت كثيرا من اللهجات العربية لأنها تمثل لغة كل حي من إحياء العرب وتحمل وجوها من مختلف قراءات الصحابة (ﭫ)، تصديقا لقول النبي (ﷺ)، (أنزل القرآن على سبعة أحرف).

٣- ان القراءة سنة متبعة أي إنها مروية عن رسول الله (ﷺ) فلا يجوز لقارئ ان يخترع أو يبتدع قراءة ليست مروية مسندة بحجة انه يختار وان كانت هي الأقيس في العربية لأنها لاتبتدع على وجه يجوز وإنما سبيلها إتباع ما تقدم.

٤- وعلى هذا فأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة والاقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل و الرواية، ولذا فما كان على النحويين واللغويين، وهم يضعون قواعد النحو واللغة إلا ان يجعلوها تسير وراء القراءات القرآنية المعتمدة المتواترة ويحكموها بها، لا ان يحاكموا القراءات على وفق ما قعدوا من قواعد ووضعوا من اقيسة فيلحنوا قراءات ويضعفوا أخرى ويخطئوا قراء بحجة مخالفة القاعدة أو الخروج على القياس.

٥- ان تفاوت القراءات نحويا قد جاء مرآة صافية لمذاهب العرب في كلامهم، وان للغات العرب نصيبا في هذا التفاوت أو ذاك، فرفع اسم (ان) لغة لعدد من القبائل، وعطف الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار جائز عند قسم منهم وكذا يجوز الصرف وعدمه.

٦- ان التفاوت بين أبنية الأفعال في القراءات قائم على عدم اطراد اغلبها و اختلافها من قبيلة لأخرى، وتداخل بعضها ببعض، فحسب يحسب بالكسر في الماضي والفتح في المضارع لغة تميم، وحسب يحسب بالكسر في الماضي والمضارع لغة قريش، وحين تكون صيغتا فَعَلَ و أفعل بمعنى واحد، فان فعل المجردة لغة أهل الحجاز وأهل العالية، على الأغلب، وأفعل لغة أهل نجد وبني تميم.

٧- ان النطق بالهمزة تحقيقا وتسهيلا ظاهرة طبيعية تفاوتت فيها القبائل، لسبب أو لآخر، فتميم تهمز وأهل الحجاز يسهلون الهمزة في الغالب، وقد جاءت القراءات بالهمز والتسهيل على اختلاف القراء وبيئاتهم، واجمع ثقات المسلمين على صحة هذا وذاك لتواتره عن رسول الله (ﷺ) كما ان الإبدال بين الحروف سماعي نادر ندرة جواز لا وجوب، ومسوغاته قائمة على علاقات التجانس أو التقارب بين الحروف، وهو قائم على اختلاف اللغات أيضا، ولذا لم يطرد، فبعض بني تميم يبدلون السين صادا إذا وليه احد حروف الاستعلاء، وبنو كلاب يبدلونه زايا مع القاف...

٨- ان الاختلاف في الحركات اختلاف لهجي ممتدة جذوره في القبائل العربية، كما ان التشديد والتخفيف لغتان بمعنى، على الأعم الأغلب، غير ان في التشديد وظيفة معنوية متأتية من زيادة المبنى لفظا، وغالبا ما يعزى التشديد الى القبائل البدوية، والتخفيف الى الحضرية انسجاما مع البيئات والطبائع.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد في الأولين والآخرين وعلى اله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) يوسف ٢
(٢) فصلت ٣
(٣) الزخرف ٣
(٤) مستقبل اللغة العربية المشتركة ٨
(٥) ألصاحبي في فقه اللغة ٢٣، وينظر: اللسان (عرب)
(٦) الأغاني ٢٢٥/٢١
(٧) ينظر في ذلك: فقه اللغة، الوافي ١١٤ وما بعدها
(٨) فصول في فقه العربية ٧٤، واللغة بين الفرد والمجتمع ٩٤
(٩) مجالس ثعلب ١٠٠، وجاء في الخصائص لابن جني ٢/١١-١٢ (فأما عنعنة تميم فإن تميم تقول في موضع أن: عنً، تقول: عنً عبد الله قائم... وأما تلتلة بهراء، فإنهم يقولون: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف، وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: إنكش ورأيتكش واعطيتكش، تفعل هذا في الوقف فإذا وصلت أسقطت الشين، وأما كسكسة هوازن فقولهم أيضا: اعطيتكس ومنكس وعنكس. وهذا في الوقف أيضا). وينظر في ذلك أيضا: المزهر ٢٢١/١ وما بعدها
(١٠) ينظر: العرب والعربية ٦٦
(١١) صحيح البخاري ٣/ ٢٢٦، تفسير الطبري ١/ ٤٧.
(١٢) تفسير ابن عطية ٥٩/١، مقدمتان في علوم القرآن ٢٧١، وينظر: تفسير القرطبي ٢٢/١، البرهان في علوم القرآن ٢١٧/١ و ٢٨٣، القاموس المحيط (حرف)
(١٣) تفسير القرطبي ٤٤/١

(١٤) البرهان في علوم القرآن ٢٨٤/١
(١٥) الأنعام ١٤، يوسف ١٠١، إبراهيم ١٠، فاطر ١، الزمر ٤٦، الشورى ١١
(١٦) تفسير ابن عطية ٥٩/١، تفسير القرطبي ٤٤/١، اللسان (فطر)
(١٧) الأعراف ٨٩
(١٨) تفسير ابن عطية ٦٠/١، تفسير القرطبي ٤٤/١
(١٩) النحل ٤٧
(٢٠) تفسير ابن عطية ٦٠/١، تفسير القرطبي ٤٤/١
(٢١) تاريخ آداب العرب ٧٨/٢
(٢٢) ينظر: الفهرست ٨
(٢٣) تهذيب المقدمة اللغوية ٩٩-١٠٠
(٢٤) ألف باء البلوي ١/ ٢١١، وينظر: الإبانة ٤٢، المشرد الوجيز ١٢٨
(٢٥) صحيح الترمذي ١١/ ٦٣ وينظر: مسند الإمام احمد ٥/ ١٣٢ وفيه ((... فمرهم فليقرءوا القران على سبعة أحرف))
(٢٦) صحيح مسلم ١/ ٥٦٣، وينظر: المسند ٥/ ١٢٧، سنن النسائي ٢/ ١٥٣
(٢٧) صحيح البخاري ٦/ ٢٢٧، مسلم ١/ ٥٦١
(٢٨) تأويل مشكل القران ص٣٠
(٢٩) ينظر: السيرة النبوية ٣٠٨/٢، تاريخ الطبري ٤٧٤/٢، الفتح الرباني ٩/١٨
(٣٠) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ٢٧
(٣١) البرهان في علوم القران ٢٢٧/١
(٣٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٧/٢
(٣٣) النشر في القراءات العشر ٥٢/١
(٣٤) النشر ١٠/١-١١، منجد المقرئين ٦٥، الإتقان في علوم القرآن ٢١١/١

(٣٥) المرشد الوجيز ١١٦، وينظر: النشر ١٧/١

(٣٦) ينظر على سبيل المثال: الكتاب ١٤٨/١، معاني القرآن وإعرابه ٤٩٧/١، تهذيب اللغة ٣٥٦/٨، ٥٧/١٠، اللسان (سلق)، (صدق)، البحر ١٣٦/٤

(٣٧) الكتاب ١٤٨/١

(٣٨) معاني القرآن وإعرابه ١٩٧/١

(٣٩) النشر ١٧/١

(٤٠) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو ١٤-١٥، خزانة الأدب ٩/١

(٤١) معاني القرآن وإعرابه ٧/١

(٤٢) ينظر: المحتسب ٣٢/١

(٤٣) الأنفال ٧٢* والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا...*

(٤٤) ينظر: السبعة ٣٠٩، إرشاد المبتدى ٣٤٩، إعراب القرآن للنحاس ٦٨٩/١، البحر ٥٢٢/٤

(٤٥) البحر ٥٢٢/٤

(٤٦) إبراهيم ٢٢

(٤٧) النساء١

(٤٨) تفسير القرطبي ٣/٥. وينظر: فتح القدير ٣٨٣/١

(٤٩) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢

(٥٠) القيامة ٢٧.

(٥١) الخصائص ٩٤/١. وينظر: المنصف ٣٠٧/١.

(٥٢) الاعراف١٠ (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون)، والحجر ٢٠(وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين)

(٥٣) البحر ٢٧١/٤

(٥٤) التوبة ١٢ (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم)

(٥٥) الكشاف ١٧٧/٢.

(٥٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٧/٢، البحر ١٥/٥.

(٥٧) الأنعام ٥٢ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه...)

(٥٨) تهذيب اللغة ١٧٠/٨

(٥٩) ينظر: السبعة ٢٥٨، إرشاد المبتدى ٣٠٨

(٦٠) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٣٩/٢

(٦١) هود ٧١

(٦٢) تهذيب اللغة ٢٧٨/١.

(٦٣) تهذيب اللغة ٢٧٨/١

(٦٤) إبراهيم ٢٢

(٦٥) الصحاح (ياء)، وينظر: اللسان، معاني القرآن للفراء ٧٥/٢ -٧٦

(٦٦) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات ٢٦/٢

(٦٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٧٧/١

(٦٨) ينظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٤١

(٦٩) البحر المحيط ٣٦٢/٢

(٧٠) التفسير الكبير ١٩٣/٣

(٧١) طه ٦٣. وهي قراءة العشرة الاحفصا عن عاصم وابن كثير وأبا عمرو، فقر حفص وابن كثير (إن هذان) بتخفيف النون وسكونها، وقرأ أبو عمرو (إن هذين) بتشديد النون ونصب هذين. ينظر السبعة في القراءات ٤١٩، المبسوط

في القراءات العشر ٢٩٦، إرشاد المبتدى ٤٣٤، النشر ٢/٣٢٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٤٨

(٧٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٥/٥٦٦، التبيان في إعراب القران ٨٩٥،البحر المحيط ٦/٢٥٥.

(٧٣) ينظر: معاني القران للاخفش ٤٠٨، معاني القران للفراء ٢/ ١٨٤، تفسير الطبري ١٦/١٨٠، الحجة في القراءات السبع٢٤٢، الصحاح (ذا)، الكشاف ٢/٥٤٣، شرح الشافية الكافية ١٨٨.

(٧٤) ينظر: إبراز المعاني ٣٩٦، البحر المحيط ٦/٢٥٥، شرح الشافية الكافية ١٩٠.

(٧٥) ينظر: شرح ابن عقيل ١/٥١

(٧٦) ينظر: الحجة في القراءات السبع ٢٤٢

(٧٧) ينظر: البحر المحيط ٦/٢٥٥

(٧٨) ينظر: البيت للمتلمس الشاعر كما في اللسان (صمم). وينظر: تفسير الطبري ١٦/١٨٠، شرح الاشموني ١/٤٥ بلا غزو فيهما.

(٧٩) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٣-١٨٤. وينظر: تفسير الطبري ١٦/١٨٠-١٨١

(٨٠) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٦، وينظر: البحر المحيط ٦/٢٥٥

(٨١) ينظر: الحجة في القراءات السبع٢٤٢

(٨٢) النساء ينظر: السبعة ٢٢٦، التيسير ٩٣، إرشاد المبتدى ٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ١/٥٠١

(٨٣) وهي أيضا قراءة ابن وثاب وطلحة بن مصرف، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١/٣٩٠، شرح اللمع ٢٦٦، تفسير القرطبي ٥/٢، البحر المحيط ٣/١٥٧

(٨٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٦٣، المسأله ٦٥

(٨٥) البيت في الكتاب ٢/٣٨٣، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٩٠، شرح ابن عقيل ٢/٢٤٠ بلا غزو فيها جميعا

(٨٦) الكتاب ٢/٣٨١

(٨٧) إعراب القران ١/٣٩٠، يشير إلى قول الفراء في معانيه ١/٢٥٢ ((هو كقولهم: بالله والرحم، وفيه قبح، لان العرب لاترد مخفوضا على مخفوض وقد كنى عنه))

(٨٨) جمهرة اللغة ٥٢٣

(٨٩) التبيان في إعراب القران ٣٢٧

(٩٠) الحجة في القراءات السبع ١١٨، وينظر: الكامل ٣/٣٨-٣٩. ومثل قول العجاج هذا قول مسكين الدارمي في ديوانه ٥٣ نعلق في مثل الشواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف أراد بينها وبين الكعب، فحذف(بين) لدلالة الأولى عليها. ينظر: البيان في غريب إعراب القران ١/٢٤١.

(٩١) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٣٧٥ – ٣٧٦، ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٤٠، شرح جمل الزجاجي ١/ ٢٤٣ – ٢٤٥

(٩٢) تفسير القرطبي ٥/ ٣، وينظر: المقتضب ١/ ١٢٠ مقدمة الأستاذ المحقق.

(٩٣) الكامل ٣/ ٣٩ بتصرف

(٩٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢

(٩٥) الكشاف ١/ ٤٩٣

(٩٦) ينظر: الكتاب ٢/ ٣٨١، معاني القرآن للفراء ١/ ٢٥٢ – ٢٥٣

(٩٧) ينظر: البحر المحيط ٢/ ١٤٧

(٩٨) ينظر: شرح التصريح على التوضيح ٢/ ١٥١ – ١٥٢

(٩٩) ينظر الإنصاف ٤٦٣، والمسألة ٦٥، والخزانة ٢/ ٣٣٨

(١٠٠) ينظر التفسير الكبير ٩/ ١٦٣

(١٠١) نفسه ٩/ ١٦٤

(١٠٢) ٢/ ٢٣٩، وينظر: شرح الاشموني ٢/ ١١٧ – ١١٨

(١٠٣) البحر المحيط ٣/ ٢٥٨ – ٢٥٩، وينظر: تفصيل ذلك أيضا في ٢/ ١٤٧ – ١٤٨، عند تفسير قوله تعالى: { وكفر به والمسجد الحرام. .. } البقرة ٢١٧.

(١٠٤) تفسير القرطبي ٥/ ٤

(١٠٥) الخصائص ١/ ٢٨٥

(١٠٦) الانسان٤. ينظر: السبعة٦٦٣، المبسوط٤٥٤، إرشاد المبتدى٦١٣، النشر ٣٩٤/٢

(١٠٧) ينظر: إعراب القران للنحاس٣/١،٥٧٣/١٨٢

(١٠٨) الكشف عن وجوه القراءات٣٥٢/٢.

(١٠٩) إتحاف فضلاء البشر ٥٧٧/٢.

(١١٠) البحر المحيط٣٩٤/٨

(١١١) إعراب القران للنحاس ٥٧٣/٣

(١١٢) المسند ٤١٢/٤،سنن ابن ماجه ٣٨٩/١،سنن النسائي٩٩/٢

(١١٣) ينظر: مشكل إعراب القران ٧٨٣، الكشف عن وجوه القراءات ٣٥٢/٢، التبيان في إعراب القران١٢٥٧

(١١٤) النسان١٥ *(ويطاف عليهم بانية من فضه وأكواب كانت قواريرا، قوارير من فضه......)*

(١١٥) المخصص ١١٧/١٤

(١١٦) ينظر: البحر المحيط ٣٩٤/٨

(١١٧) قرأ*(قواريرا، قوارير)* بصرف الأولى ومنع الثانية، وكذا خلف البزار. ينظر: المبسوط في القرارات العشر ٤٥٤، إرشاد المبتدى ٦١٣، النشر ٣٩٤/٢.

(١١٨) وهم حفص عن عاصم وابن عامر وحمزة وأبو عمرو ويعقوب الحضرمي. تنظر: المصادر السابقة والسبعة ٦٦٣ وإتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٧٦_٥٧٧.

(١١٩) الكتاب٢٢٧/٣

(١٢٠) الحجة في القراءات السبع ٣٥٨

(١٢١) الهمزة ٣

(١٢٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والكسائي ويعقوب، ينظر: إرشاد المبتدى ٢٥١، النشر ٢٣٦/٢،إتحاف فضلاء البشر٣٣٥/٢، ٦٢٩

(١٢٣) وفي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة وأبي جعفر المدني. تنظر: المصادر السابقة

(١٢٤) ينظر: الكتاب ٣٨/٤، أدب الكاتب ٣٧٢، إعراب ثلاثين سورة ١٨١–١٨٢، شرح الملوكي ٤٢، شرح الشافية١٣٥/١، المزهر ١٠٢/٢

(١٢٥) الكتاب ٣٩/٤

(١٢٦) اللغات في القران ٢٧. وفي أدب الكاتب ٣٧٢ ((عليا مضر تكسر وسفلاها تفتح))، وفي إتحاف فضلاء البشر ٣٣٥/٢ إن الكسر لغة الحجاز وهو الأصل

(١٢٧) إعراب ثلاثين سورة ١٨٢.

(١٢٨) الأضداد ١٢

(١٢٩) المزهر ٤٠٢/١

(١٣٠) العباب الزاخر (قنط). ولم أقف على نسبتها إلى الخليل في غيره.أما قراءة (قنطوا) بكسر النون وهي غير قراءة الجمهور فقراءة ابي رجاء العطاردي والأعمش والدوري عن ابي عمرو، ينظر: تفسير القرطبي ٣٦/١٠، ٣٤/١٤،البحر المحيط ٥١٨/٧،العباب (قنط)

(١٣١) المزهر ٣٨/٢، ٧١

(١٣٢) هود ٨١،الحجر ٦٥.

(١٣٣) طه٧٧،الشعراء ٥٢.

(١٣٤) بالوصل قراءة ابن كثير وأبي جعفر ونافع ،ينظر:المبسوط ٢٤١ ،٢٩٦،إرشاد المبتدى ٣٧٢

(١٣٥) بالقطع قراءة باقي العشرة، ينظر: المصدران السابقان والسبعة ٣٣٨ ، التيسير ١٢٥، الكشف عن وجوه القراءات ٥٣٥/١، النشر ٢٩٠/٢

(١٣٦) ينظر: تفسير الطبري ٨٩/١٢، إعراب القران للنحاس ١٠٥/٢، التبيان في إعراب القران ٧١٠

(١٣٧) الكامل ١٠٤/١

(١٣٨) طه ٦١

(١٣٩) قراءة ابي بكر عن عاصم وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو ونافع وحمزة وأبي جعفر ورويس عن يعقوب، ينظر: السبعة ٤١٩، المبسوط ٢٩٥، الكشف ٩٨/٢، إرشاد المبتدى ٤٣٤ النشر ٣٢٠/٢

(١٤٠) قراءة حفص عن عاصم والكسائي وخلف وروح عن يعقوب. تنظر: المصادر السابقة نفسها

(١٤١) ينظر: معاني القران للفراء ١٨٢/٢، جمهرة اللغة ٤٣٦/١، الصحاح (سحت) التبيان في إعراب القران ٨٩٤

(١٤٢) ينظر: إعراب القران للنحاس ٣٤٢/٢،الكشاف ٥٤٣/٢،إتحاف فضلاء البشر ٢٤٨/٢

(١٤٣) جامع البيان عن تأويل القران ١٧٩/١٦

(١٤٤) معاني الأبنية في العربية ٧.

(١٤٥) شرح الملوكي في التصريف ٧٠

(١٤٦) الكتاب ٦١/٤

(١٤٧) ينظر: معاني القران للفراء ٧٨/٢، إعراب القران للنحاس ٣٤٢/٢، المحتسب ٣٦٨/١، كشاف ٥٤٣/٢، البحر ٣٣٩/٣. ٢٤٤/٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٨/٢

(١٤٨) التوبة ١٢.

(١٤٩) التبيان في إعراب القران ٦٣٧

(١٥٠) قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة الكسائي وخلف. ينظر: السبعة ٣١٢-٣١٣، التبصرة في القراءات السبع ٥٢٦، المبسوط ٢٢٥، إرشاد المبتدى ٣٥٠، النشر ٣٧٩/١-٣٨٠

(١٥١) الكتاب ٥٤٩/٣

(١٥٢) ينظر: إعراب النحاس ٧/٢، الخصائص ١٤٣/٣

(١٥٣) قرأ بها نافع وابن كثير وابوعمرو. ينظر: السبعة ٣١٢-٣١٣، التبصرة ٥٦٢، المبسوط ٢٢٥، إرشاد المبتدى ٣٥٠

(١٥٤) الكشاف ١٧٧/٢

(١٥٥) معاني القران ٣٢٨، وينظر: الصحاح (امم)

(١٥٦) تهذيب اللغة ٦٣٨/١٥، وينظر: اللسان (امم)

(١٥٧) شرح الشافية ٥٣/٣ ، ٥٩

(١٥٨) نفسه ٣/٥٨.

(١٥٩) ينظر: الخصائص ٢/٦، ١٤٣/٣.

(١٦٠) منجد المقرئين ٦٥، النشر ١/١٠-١١.

(١٦١) ينظر: الكتاب ١٧٤/٤.

(١٦٢) شرح الشافية ٣١/٣.

(١٦٣) ينظر: الخصائص ٢٠٧/٣، المحتسب ٥٥/١، المخصص ٢٠٩/٢١، اللسان (رأى)، (ضنو)، البحر المحيط ١٦٣/٦، ٥١٢/٨

(١٦٤) في اللهجات العربية ٧٦.

(١٦٥) اللهجات العربية في القرآن ٣٣٦.

(١٦٦) شرح المفصل ١٠٧/٩ ،وينظر: الكتاب ٥٥٠/٣.

(١٦٧) هو مابين الثنايا وطرف اللسان.ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤.

(١٦٨) الكتاب ٤٣٣/٤،المقتضب ٢٢٥/١.

(١٦٩) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل الفوائد ٣١٧

(١٧٠) ينظر: السبعة ١٠٥-١٠٦، إرشاد المبتدى ٢٠١-٢٠٢، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٥/١

(١٧١) الفاتحة ٦

(١٧٢) ينظر: الكتاب ٤٨٠/٤،إعراب ثلاثين سورة ٢٨، الكشف عن وجوه القراءات ٣٧/١، ٣٠٢ ، التبيان في إعراب القرآن ٨/١، اللسان (سرط)

(١٧٣) اللسان (سرط)، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٥/١

(١٧٤) البحر المحيط ٢٥/١

(١٧٥) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات ٣٤/١، ٣٠٢، ٢٩٢/٢، المزهر ٤٦٩/١

(١٧٦) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع ٢٦١/٢ بتصرف

(١٧٧) البقرة ٢٤٧. ينظر النشر ٢٣٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٤٤٤/١

(١٧٨) الطور ٣٧ قراءة العشرة الى ابن كثير وحفص عن عاصم. ينظر السبعة ٦١٣، الكشف عن وجوه القراءات ٢٩١/٢، إرشاد المبتدى ٥٧٠، النشر ٣٧٨/٢

(١٧٩) ينظر: الكتاب ٤٨٠/١، لهجة تميم ٩٢

(١٨٠) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١٦، إعراب ثلاثين سورة٢٨، الصحاح (حلق)

(١٨١) ينظر: الكتاب ٤٨٠/٤

(١٨٢) جمهرة اللغة ٨٥٠

(١٨٣) شرح الشافية ٢٣٨/٣

(١٨٤) ينظر:الكتاب ٤١٧/٤،المقتضب ١٩٧/١،شرح المفصل ١٢١/١٠

(١٨٥) النجم٥١.ينظر:السبعة٦١٥،الكشف عن وجوه القراءات٢٩٦/٢،إرشاد المبتدي ٥٧٣، النشر ٤١٧/١-٤١٨

(١٨٦) ينظر:حجة القراءات٦٨٧

(١٨٧) الحجة في القراءات السبع٣٦٩

(١٨٨) الرحمن ٣٥

(١٨٩) الضم قراءة العشرة إلا ابن كثير قرأ بالكسر وكذلك ابن محيصن ينظر: السبعة ٦٢١، المبسوط ٤٢٤، إرشاد المبتدى ٥٧٨، النشر ٣٨١/٢، البحر المحيط ١٩٥/٨، إتحاف فضلاء البشر ٥١١/٢

(١٩٠) ينظر: إصلاح المنطق ١٠٦، المخصص ٨٦/١٥

(١٩١) في اللهجات العربية ٩٥

(١٩٢) اللهجات العربية في التراث ٢٥٤

(٢٠٦) الضحى ٣

(٢٠٧) التشديد قراءة الجمهور، والتخفيف مروي عن النبي (ﷺ)، وابن عباس وهشام ابن عروة بن الزبير وابن ابي عبلة وأبي حيوة. ينظر: مختصر في شواذ القرآن ١٧٥، المحتسب ٣٦٤/٢، تفسير القرطبي ٩٤/٢٠، البحر المحيط ٤٨٥/٨.

(٢٠٨) ينظر: المحتسب ٣٦٤/٢، الخصائص ٢٦٦/١، اللسان (ودع)

(٢٠٩) ينظر: الكتاب ٢٥/١، المنصف ٢٨٦/٢ – ٢٨٧، النهاية في غريب الحديث١٦٥/٥

(٢١٠) إعراب القرآن للنحاس ٧٢٤/٣–٧٢٥

(٢١١) الفائق في غريب الحديث ١٥٣/٣، وينظر: النهاية في غريب الحديث ١٦٥/٥

(٢١٢) اللسان (ودع)

(٢١٣) الخصائص ٩٩/١،المحتسب ٣٦٤/٢

(٢١٤) الكشاف ٢٦٣/٤

(٢١٥) النهاية في غريب الحديث ١٦٥/٥

(٢١٦) في اللهجات العربية ١٠٠

(٢١٧) ينظر: اللهجات العربية في التراث ٦٥٧

(١٩٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١١٧/٣، تفسير الطبري ١٤٠/٢٧، إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٣، ديوان الأدب ٣٨٨/٣، الحجة في القراءات السبع ٣٣٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٠٢/٢، التبيان في إعراب القرآن ١٢٠٠

(١٩٤) البقرة ٢٨٠

(١٩٥) بضم السين: قراءة نافع ؛ وبفتحها: قراءة باقي العشرة. ينظر: السبعة ١٩٣. الكشف عن وجوه القراءات ٣١٩/١، إرشاد المبتدى ٢٥٢، النشر ٢٣٦/٢.

(١٩٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/١، حجة القراءات ١٤٩، البحر المحيط ٣٤٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٤٥٨/١

(١٩٧) ينظر: الصحاح، العباب الزاخر (يسر)

(١٩٨) ينظر: الحجة في القراءات السبع ١٠٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣١٩/١

(١٩٩) ينظر: الكتاب ٩١/٤، الحجة في علل القراءات ٣٠٨/٢، المخصص ١٩٨/١٤، ٢٠١،المزهر ٧١/٢

(٢٠٠) قراءة منسوبة الى مجاهد وعطاء بن ابي رباح وأبي سراح، ويعقوب الحضرمي برواية زيد عنه. ينظر: مختصر في شواذ القراءات ١٧، ليس في كلام العرب ٤٨، البحر المحيط ٣٤٠/٢

(٢٠١) معاني القرآن ١٨٨، الصحاح (يسر)

(٢٠٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/١

(٢٠٣) إعراب القرآن ٢٦٩/١

(٢٠٤) المحتسب ١٤٤/١

(٢٠٥) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٦. وينظر: ليس في كلام العرب ٤٨، الصحاح (يسر)

المصادر و المراجع

١- **القران الكريم**.
٢- إبراز المعاني من حروف الأماني، أبو شامة المقدسي ت ٦٦٥ هـ، الحلبي بمصر ١٣٤٩ هـ.
٣- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، البنات ١١١٧ هـ، تح د. شعبان محمد إسماعيل، بيروت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
٤- الإتقان في علوم القران، السيوطي توفي ١٩١١ هـ، تح أبي الفضل، بيروت ١٩٨٦ م.
٥- أدب الكاتب، ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ط٣ مصر ١٩٥٨ م.
٦- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر. ألقلانسي توفي ٥٢١ هـ، تح عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
٧- الأضداد في اللغة، محمد بن القاسم محمد بن بشار الأنبا ري ت ٣٢٧ هـ تح، محمد إبراهيم الدسوقي، مكتبة القرآن القاهرة.
٨- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه ت ٣٧٠ هـ، القاهرة ١٩٤١م.
٩- إعراب القرآن، النحاس ت ٣٣٨ هـ. تح زهير غازي زاهد، بغداد ١٩٧٧ – ١٩٨٠ م
١٠- الأغاني، الاصبهاني ت ٣٦٠ هـ، تح فراج، بيروت ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م.
١١- الاقتراح في علم أصول النحو. السيوطي، ط٢، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ.
١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف. الانباري، أبو البركات ت ٥٧٧ هـ، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

١٣- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ت ٧٥٤ هـ. ط٢، بيروت ١٩٧٨ م
١٤- البرهان في علوم القرآن. الزركشي ت ٧٩٤ هـ. تح أبي الفضل، مصر ١٩٥٧م.
١٥- البيان في غريب إعراب القرآن، الانباري أبو البركات ت ٥٧٧ هـ، تح طه عبد الحميد القاهرة ١٩٦٩ م.
١٦- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) الطبري ت ٣١٠ هـ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ م.
١٧- التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧ هـ. تح محمد غوث الندوي، الدار السلفية بالهند، ط٢. ١٩٨٢ م.
١٨- التبيان في إعراب القرآن. العكبري ت ٦١٦ هـ. تح البجاوي، مصر ١٩٧٦ م.
١٩- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ابن مالك ت ٦٧٢ هـ تح محمد كامل بركات، القاهرة ١٩٦٧ م.
٢٠- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن). الطبري ت ٣١٠ هـ . ط٢ الحلبي ١٩٥٤ م.
٢١- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي ت ٦٧١ هـ، ط٣، ١٩٦٧ م.
٢٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) الرازي ت ٦٠٦ هـ، ط٢ طهران مصورة.
٢٣- تهذيب اللغة، الأزهري ت ٣٧٠ هـ، تح هارون وآخرين، القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٦٧ م.
٢٤- جمهرة اللغة. ابن دريد ت ٣٢١ هـ، تح د. رمزي منير البعلبكي، بيروت ١٩٨٧ م.
٢٥- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي النحوي ت ٣٧٧ هـ. القاهرة ١٩٨٣م.

٢٦- الحجة في القراءات السبع. ابن خالويه، تح عبد العال سالم مكرم، ط٢ ١٩٧٧م.

٢٧- حجة القراءات. الخصائص.(ت القرن الرابع الهجري)، تح الأفغاني ليبيا ١٩٧٤م.

٢٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي ت ١٠٩٣ هـ بولاق ١٢٩٩ هـ.

٢٩- الخصائص. ابن جني ت ٣٩٣ هـ. تح محمد علي النجار، ط٢.

٣٠- الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري. د. فاضل صالح السامرائي.

٣١- رسم المصحف و الاحتجاج به في القراءات. د. عبد الفتاح شلبي، القاهرة ١٩٦٠ م.

٣٢- السبعة في القراءات. ابن مجاهد ت ٣٢٤ هـ. تح شوقي ضيف: مصر ١٩٨٠م.

٣٣- سنن ابن ماجة: ابن ماجة ت ٢٧٥هـ. تح محمد فؤاد عبد الباقي، مصر ١٩٥٢ م.

٣٤- سنن النسائي: النسائي ت٣٩٣ هـ. المطبعة المصرية: بالأزهر.

٣٥- السيرة النبوية: ابن هشام ت ٢١٨ هـ. تح محي الدين، القاهرة ١٩٣٧ م.

٣٦- شرح الأشموني على الألفية: الأشموني ت ٩٠٠ هـ. مطبعة السعادة ١٩٥٠ م.

٣٧- شرح الشافية: الاسترابادي ت ٦٨٨ هـ. القاهرة ١٣٥٥- ١٣٥٨ هـ.

٣٨- شرح ابن عقيل: ابن عقيل ت ٧٦٩ هـ. مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٥ م.

٣٩- شرح اللمع: ابن برهان العكبري ت ٤٥٦ هـ. تح فائز فارس. الكويت ١٩٨٤ م.

٤٠- شرح المفصل: ابن يعيش ت ٦٤٣ هـ. القاهرة ١٩٧٨ م مصورة.

٤١- شرح الملوكي في التصريف: ابن يعيش. تح د. فخر الدين قباوة. حلب ١٩٧٣م.

٤٢- ألصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس ت ٣٩٠ هـ. تح مصطفى الشويمي بيروت ١٩٦٣ م.

٤٣- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهري ت ٣٩٨ هـ، تح العطار، ط٤، ١٩٨٧ م.

٤٤- صحيح البخاري: البخاري ت ٢٥٦ هـ. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥- العرب والعربية: العيدروسي، مط دار التأليف ١٩٦٤ م.

٤٦- الفائق في غريب الحديث: الزمخشري ت٥٣٨ هـ. مصر ١٩٧١م.

٤٧- فصول في فقه العربية: د. رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٧٣ م.

٤٨- في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط٢، القاهرة ١٩٥٢.

٤٩- الكامل في اللغة و الأدب: المبرد: ت ٢٨٥ هـ. تح أبي الفضل وسيد شحاتة، مط نهضة مصر ١٩٥٦ م.

٥٠- الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو ابن عثمان، ت ١٨٠ هـ. تح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

٥١- الكشاف: الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٥٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها مكي بن أبي طالب القيسي ت٤٣٧هـ تح د. محي الدين رمضان. دمشق ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

٥٣- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ. مط الأميرية بولاق ١٣٠٠-١٣٠٨هـ

٥٤- اللغات في القرآن: رواية ابن سحنون، إسماعيل بن عمرو المقرئ ت٤٢٩هـ بإسناده إلى ابن عباس تح صلاح الدين المنجد ط٢ بيروت ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٥٥- اللغة بين الفرد و المجتمع: اوتوجسبرسن، ترجمة، عبد الرحمن أيوب، مصر ١٩٥٤ م.

٥٦- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: غالب فاضل ألمطلبي، بغداد ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.
٥٧- اللهجات العربية في التراث: د. احمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٧٨ م.
٥٨- ليس في كلام العرب: ابن خالويه، تح احمد عبد الغفور العطار، ط٢، ١٩٧٩م.
٥٩- المبسوط في القراءات العشر، ابن مهران، أبو بكر احمد بن حسين الاصبهاني ت ٣٨١ هـ. تح سبيع حمزة حاكمي، دمشق ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م.
٦٠- مجالس ثعلب: ثعلب، أبو العباس احمد بن يحيى، ت ٢٩١ هـ. تح عبد السلام هارون، النشرة الثانية، دار المعارف بمصر ١٩٤٩ م.
٦١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، ج١ تح علي النجدي، القاهرة ١٣٨٦، ج٢ تح علي النجدي، القاهرة ١٣٨٩ هـ.
٦٢- المخصص: ابن سيده، بولاق ١٣١٧ هـ – ١٣٢١هـ.
٦٣- المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ت٦٦٥ هـ، تح طيار آلتي قولاج. بيروت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٦٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ، تح محمد جاد المولى؛ محمد أبي الفضل، علي البجاوي بيروت ١٩٨٦ م.
٦٥- مستقبل اللغة العربية المشتركة د. إبراهيم أنيس، مصر ١٩٥٩ م.
٦٦- مسند الإمام احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ، مط الميمنية بمصر ١٣٠٣ هـ.
٦٧- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ط١، الكويت ١٩٨١ م.

٦٨- معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، ت ٢٠٧ هـ، مصر ١٩٥٥ م، ١٩٧٢ م.
٦٩- معاني القرآن: الاخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد ت ٢١٥ هـ، تح فائز فارس، الكويت ١٩٧٩ م.
٧٠- معاني القرآن **وإعرابه**: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١١ هـ، تح د. عبد الجليل شلبي، ط١، ج١ وج٢ القاهرة ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.
٧١- المقتضب: المبرد، تح محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
٧٢- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري، مكتبة المقدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ.
٧٣- المنصف: ابن جني، تح إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، القاهرة ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م.
٧٤- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، مصر.
٧٥- النهاية في غريب الحديث و الأثر: ابن الأثير، مجد الدين المبارك ابن محمد الجزري، ت ٦٠٦ هـ. تح طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مط البابي الحلبي بمصر ١٣٧٣ هـ – ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٣ – ١٩٦٥ م.

SELF-DISCOVERY IN JAMES JOYCE'S THE DEAD

م. م. خميس خلف محمد
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم الانكليزي

Abstract

"The Dead" is the last, longest and most famous story of James Joyce's ***Dubliners***. This study deals with the processes of self-realization of Gabriel Conroy, the protagonist of this story, who is a pompous master of ceremonies at the Christmas party of his old aunts. A number of external factors, especially assaults and humiliations, are trying progressively to break down the walls of Gabriel's circle of his own egotism. Within this process of events, we will be in touch with the power of the dead over the living and the past over the present.

Introduction

Kate and Julia Morkan, two elderly sisters who live with their spinster niece, are holding their annual Christmas dance. Their married nephew, Gabriel Conroy, sensitive professor and part-time book reviewer attends with his wife Gretta who his habit on such occasions, delivers an after-dinner speech. At the party Gabriel meets a young Irish nationalist called Miss Ivors who accuses him of being a playful West Briton. Among the guests is a tenor, Bartell D'Arcy, who sings after the dinner a ballad that affects Gabriel's wife, Gretta, strangely. As the party is breaking up, Gabriel witnesses his wife listening to this song, but the intensity of her focus or the music causes him feel both sentimental and lustful for her. In a hotel room later, while he is trying to approach her, she breaks into tears and tells him that the tenor's song had reminded her of a former young lover named

Michael Furey she had known when she lived in the country, and she believes that the young boy died for her. Gabriel is so much shocked to discover that he has misunderstood his wife's feelings. He realizes that she has never felt similarly passionate about their marriage. He feels that all his assumptions about his life feelings and love are in a moment torn down. And, as he is watching the snow continues to fall alike on the living and the dead, he undergoes on an epiphany, a moment of sublime understanding. He feels alone and profoundly mortal, but spiritually connected for the first time with others.

Unity of Themes and Use of Symbolism

This story "The Dead", is the longest one among the other ***Dubliners***. It reflects the real "ingenious insularity and hospitality" (Peake: 45) of Dublin city. Through such atmosphere, Joyce tries to build up a story with new qualities he had not done, but without weakening the sharpness of his criticism. "The Dead" reflects a dominant image of a dying city rather than a paralyzed one as in the most of Joyce's ***Dubliners***. In spite of the atmospheric celebration of an annual party but one can feel the smell of death and graveyards everywhere from the title of the story to the lifeless relationship between Gabriel and his wife. In this sense, some critics stress that Joyce is representing symbolically a society of the "living dead". For instance, Bernard Benstock confirms that this story is mainly concerned with "those who remain alive, but fail to live: the disillusioned, the self-destructive, the blighted and wasted lives" while Hugh Kenner goes so far to describe "The Dead" as a "definition of living death" (quoted in Triggs:1).

Hence, the theme of death is very clear in this story in addition to the two main themes of moral paralysis and corruption. Joyce links these themes closely to most of

Dubliners. As paralysis often precedes death, and corruption could also be defined as resulting from a kind of spiritual or moral death, Joyce introduces the events of most of his stories in ***Dubliners*** as if they were linked together, for instance, death can be found in every story. In the first one "The Sisters" we wittiness the death of father Flynn and in "Araby" we have the death of the priest who was the last that lived in the house; while in "Eveline" the death of Eveline's mother, brother and friend are clear examples of the presence of death. In addition to the above mentioned evidence death can be easily noticed in the other stories, as for example, the death of Mrs. Mooney's father in "The Boarding House"; the death of Mrs. Sinico in "A Painful Case" ; the death of the nationalistic figure Charles Parnell in "Ivy Day in the Committee Room"; while in "Clay" the title itself symbolizes death.; and finally Michael Furey and the other inhabitants, of the churchyard where he lays buried, in "The Dead". Those are only the actual deaths in the book of ***Dubliners***; added to the spiritual and moral deaths. But, though Joyce paints a severe picture of his hometown and its inhabitants, he blamed outside forces--England and the church--rather than the Irish themselves.

Through reading most of Joyce's works, one can feel that there is an enhanced record of the author's own experiences, but perhaps "The Dead" can be considered as an autobiographical story. Gabriel Conroy, the protagonist of this story, can be identified with James Joyce. He is an intelligent, complex, literary man, college teacher, contributor of a literary column to the Dublin *Daily Express*, superior, European enthusiast, out of sympathy and critical of Ireland's nationalistic aspirations and

sensitive to its frustration- ('O, to tell the truth , … I'm sick of my own country, sick of it! " (***D***: 187).[*]

He has also married a beautiful girl of low education from the Galway the west of Ireland, the same town of Joyce's wife, Nora Barnacle. (Burgess: 43).

> Of course "The Dead" is also "autobiographical" in the sense that Joyce based his characters on people he knew, his family, friends, and himself, …. Ellman believes that while Gretta is fairly obviously based on Nora Barnacle, and the Misses Morkan on Joyce's own great aunts, the character of Gabriel is actually a composite of Joyce himself, his father John Joyce, and a friend named Constantine Curran, whose brother was a priest like Gabriel's brother Constantine …. The fact that Gabriel is only partially autobiographical can explain both Joyce's sympathy for and detection of his character in "The Dead." (quoted in Triggs:2).

The scene of this story starts with the annual Christmas party of the Misses Morkan (Kate and Julia Morkan) two elderly sisters and old music teachers who live with their spinster niece. The highlight of the party centres on their married nephew, Gabriel Conroy, who used to deliver an after dinner speech, attends with his wife, but as the house is some way out of Dublin, they have booked a hotel room for the night. He is a favoured and admired guest, but he appears slightly pompous to impose on them his own attitudes and his own good opinion of himself. But, during the party, a number of frustrations will harsh his self-esteem which makes his impulse to retreat. Among the guests is a tenor, Bartell D'Arcy, who sings an impressive balled that affects

(∗) All quotations from "The Dead" in this paper are from the edition of Laurence, James: ***Dubliners***, and will be referred to by (***D***) and page number in the text.

Gabriel's wife Gretta too much. It is also worth mentioning that in spite of the warm and musical atmosphere of the story's setting, holding in a vivacious lighted house which is an image of life, but what we will find is that almost every speech and every incident has an impact of the presence of death everywhere.

Accordingly, the sense of death can be found everywhere in the story, starting with the title itself which may mean as a plural or singular dead. Then the symbolic meaning of Lily's name, the housemaid, is associated with the flower of the graveyards. But, at the time Joyce wants to show the importance and the high social level of Misses Morkan through mentioning the details of the makeshift "ladies' dressing-room" (***D***:127), which indicate the extraordinary nature of the day's events, he also tries to show their old age through the mention of their brother's death "Pat" before thirty years, and taking his daughter Mary Jane to live with them, helping the reader to estimate their old age which is associated with death more than life.

Thus, in spite of the happy occasion of the story which is the annual dance party, the use of special words at the beginning of the story like 'dark, gaunt house on Usher's Island" or "Julia, though she was quite grey" (***D***: 127) this makes one feel that Joyce wants to portray an atmosphere of darkness, depressing, decay and sterile that spread over the events of the story from the beginning to the end. The reader also can feel that in spite of the atmosphere of happiness and familial relationships, there is a sense of uncertainty and tension since the two sisters Miss Kate and Miss Julia are too worried about the delaying of Gabriel and the arrival of the always drunken Mr. Freddy Malins.

Theme of death is also embodied in Gabriel's speech with Lily after he and his wife being greeted by her; Gabriel explained in a witty colloquial manner that they were late because his wife took "three mortal hours to dress herself." (***D***:128). The other important symbolic image which predominates the story from the

beginning till the end is the snow which seems to represent coldness, isolation, inhumanity, paralysis and death in contrast to the warmth of the indoors atmosphere; "He [Gabriel] stood on the mat, scraping the snow from his galoshes," (***D***: 128). Generally, most critics agreed that Joyce's use of snow in "The Dead" reflects the theme of paralysis. Hugh Kenner, for example, states that the "snow continued to fall and Ireland continued to be paralysed, in Joyce's mind, throughout his life." (Kenner: 73).

Gabriel's galoshes are another symbolic image which was fashionable in Europe but very rare in Ireland at that time. Galoshes are also associated with coldness and death. "The flicking of snow from Gabriel's boots has also been seen by critics like Allen Tate (408) and Kenneth Burke (410) as an early suggestion of paralysis and death, the first appearance of snow symbolizes that death comes gradually to dominate the story." (quoted in Triggs: 6).

Anyhow, in this scene, Joyce tries to employ a mild irony against Gabriel's pride who appeared here as different; a man of higher level of culture, self-satisfaction; more strict of his opinion, more formal than the others and an imitator of Europe but he has trouble in acting naturally, therefore, he frequently fails.

> 'Goloshes!' said Mrs. Conroy. 'That's the latest. Whenever it's wet underfoot I must put on my galoshes. Tonight even, he wanted me to put them on, but I wouldn't. The next thing he'll buy me will be a diving suit.' Gabriel laughed nervously and patted his tie reassuring, while Aunt Kate nearly doubled herself, so heartily did she enjoy the joke. The smile soon faded from Aunt Julia's face and her mirthless eyes were directed towards her nephew's face. After a pause she asked:
> 'And what are goloshes, Gabriel?'

> 'Goloshes, Julia!' exclaimed her sister. Goodness me, don't you know what goloshes are?
> You wear them over your… over your boots, Gretta isn't it?'
> "Yes,' said Mrs Conroy. 'Guttapercha things. We both have a pair now. Gabriel says everyone wears them on the continent.' (***D***: 130-131)

Theme of death is embodied in the speech of the aunts when they say to Gretta that she must be "perished alive". This theme is also connected with the theme of paralysis which is embodied in their movement "Kate and Julia came toddling down the dark stairs at once. Both of them kissed Gabriel's wife, said she must be perished alive." (***D***: 128). In this sense William Chace says that in ***Dubliners***: "Dublin is a city of the paralysed and dead and Joyce's characters speak lifeless language, spiritually inert" (Chace: 2). Paralysis is also represented in this story through the use of yellow and brown colours, in addition to the main images of symbolism of snow and ice, in the sense that if something is frozen, it is motionless-paralyzed.

Assault and Humiliation

In fact through out the reading of ***Dubliners*** one can find that one of the most important characteristic of the Dubliners is that they are spiritually weak, they cannot communicate with each other and they even find difficulty in understanding each other. Thus, the first themes of assault and miscommunication are embodied in the scene of speech between Lily, the caretaker's daughter and the first character we see in the story, and Gabriel who is withdrawn into the circle of his own egotism. After Lily received him and his wife, he directly tries to make the environment as a special environment for himself, so he condescends to the young girl, saying that one of these days he

will be going to her wedding. Unexpectedly, Gabriel finds himself in a little confrontation with Lily who replies bitterly that:

> "The men that is now is only all palaver and what they can get out of you."
> Gabriel coloured, as if he felt he had made a mistake and, without looking at her, kicked off his goloshes and flicked actively with his muffler at his patent-leather shoes."(***D***: 129).

Though, it is a little incident, but, Lily's answer disturbs Gabriel's deeply. It is considered the first attempt to break down the circle of Gabriel's pride. And, on thinking over this incident he finds it as a failure on his part to make up the right tone, because it is thoughtless of him to ask a girl of her station if she still goes to school. In fact, this incident also reflects Gabriel's character which is not so far from the character of Mr. Duffy in "A Painful Case", in the sense that both of them are proud and lack real empathy with others. "Mr. Duffy's deadly sin is pride or, as Freud puts it, ego." (Tindall: Number: 59-15126). Hence, in Lily's answer one can think that Joyce wants to show a clear contrast, between the vain spirit of the young men nowadays and the fruitful one of the olds embodied in, Michael Furey, the sacrificed lover of Gretta. Jeffery Triggs also says that Lily's answer is significant in the sense that it introduces "the real or imagined superiority of the past to the present, of the dead to the feeble living, who are all words." (Triggs:6).

The second miscommunication and assault on Gabriel's arrogance is made by Miss Ivors, the Irish nationalist academic and colleague of Gabriel "a frank-mannered talkative young lady", (***D***: 135) who has tried to persuade him to join them going to Galway, an Islands off the west coast of Ireland, but Gabriel has made it plain that he has no intention to go there or of such a journey. Accordingly, she accuses him of being less than loyal to

Ireland. She attacks his individualism and asks what he is doing for his people and his country. She accuses him of being more loyal to West Britain than to Ireland, so she calls him a "West Briton!" because he writes literary reviews for *The Daily Express*. But, in spite of this exchange which is not wholly serious, it disturbs Gabriel and makes him unsure of himself. Hence, in spite of the embarrassed situation of Gabriel in front of the others, Miss Ivors continues to press on him to spend their summer holiday in the West, adding that "It would be splendid for Gretta too if she'd come. She's from Connacht [in the west], isn't she?' 'Her people are' said Gabriel shortly." (***D***: 136). So, Miss Ivor's provocative way has succeeded in making Gabriel very uncomfortable, putting him in a narrow corner until he comes out with, "...you know, Irish is not my language." (***D***: 136). Then, he is finally led to the confession that:" 'O, to tell you the truth,' retorted Gabriel suddenly, I'm sick of my own country, sick of it!' " (***D***: 136-137). And here, once again Gabriel has failed socially because of his lack of empathy and insight into other people. "Critics often point out that Gabriel resembles James Joyce. He is a literary man and a college teacher and like Joyce, he is not keen to share the sympathy with the Irish nationalistic aspirations." (Persic: 5).

It seems also that in Gabriel refusal as if he wants to separate his wife Gretta from her people, in spite of her enthusiasm about the idea of visiting Galway. What we find here is that in spite of his love to his wife, he is a little ashamed of her social background having come from the west of Ireland. That is why the idea of visiting the west makes him feel upset because such a place reminds him of his wife's past which he wishes to forget.

> During most of the story, the west of Ireland is connected in Gabriel's mind with a dark and rather painful primitivism, an aspect of his country which

> he has steadily abjured by going off to the continent. The west is savagery; to the east and south lie people who drink wine and wear galoshes" (Ellman:178).

Henceforth, as long as the west of Ireland is associated with Gretta's past and comes to be associated with the general past itself, so symbolically it is associated with death. Therefore, his journey to the west of Ireland can be connected, in an easy step, with the journey to death, which is traditionally associated with the west. Concerning the symbolic image of the west Peake states that

> In Irish mythology the journey westward was to the Isles of the Blessed or of the Dead, the mythical islands out in the Atlantic sometimes identified with the Aran Isles. Miss Ivor's trip is to be to the Aran Isles literally, but it is for her a symbolic journey, expressing the background-looking nationalism and language revivalism which Gabriel has rejected. For Gabriel's mind, losing consciousness, the journey westward is an acquiescent drift towards 'that region where dwell the vast hosts of the dead.' In refusing Miss Ivors he has refused to join in the past-seeking death-wish which seems to dominate his contemporaries in Ireland (Peake: 51).

In fact, the clash between Miss Ivors and Gabriel unfolds the image of the real personality of Gabriel who withdraws from direct confrontation whether with Lily at first or Miss Ivors who leaves the party before dinner. Ghiselin states that Miss Ivors' "refusal of supper is a rejection, symbolically, of communion in the house of the dead." (Ghiselin:58).But, at the end of a convulsive conversation, he feels that Miss Ivors has made a fool of him.

> Of course the girl or woman, or whatever she was, was an enthusiast but there was a time for all things.

> Perhaps he ought not to have answered her like that. But she had no right to call him a West Briton before people, even in joke. She had tried to make him ridiculous before people, heckling him and staring at him with her rabbit's eyes. (*D*: 137).

Gabriel's Speech

After he has been upset by such assaults, he continues to think deeply within himself and wonders whether he ought or not to change the speech he has prepared for after dinner. So, while others appear cheerfully busy with food, drink, music and conversation, Gabriel seems obsessed over the speech he will make after dinner. He appears as if he were disconnected from the people around him, and instead of enjoying the familial, friendly and warm atmosphere he looks out of the window of the Morkans' drawing room and thinks "How pleasant it would be to walk out alone, first along by the river and then through the park! The snow would be lying on the branches of the trees and forming a bright cap on the top of the Wellington. How much more pleasant it would be there than at the supper-table! (***D***: 138).

So, he seems not only disconnected but he is even cut off from the sensual pleasures offered by a celebration of an annual gathering. It is true that he is distinguished by his high level of education, but he is alienated and suffering from a lack of emotional intelligence empathy and true sensitivity which will lead to his painful downfall at the climax of the story. Confirming Gabriel's lack of empathy Juan states that

> A moment before his carving the goose, Gabriel assumes a willed distance from society by projecting his consciousness to external world. He feels oppressed by the demands of his environment. Faced by a circumstance with unknown threats in the

> offing, Gabriel feels severely estranged. In contrast, the wintry world outside, an alienating and hostile force at the beginning, now offers a spacious and comfortable haven for Gabriel's spirit. (Juan: 224).

As a result, he decides to change his speech, a change in such a way as a kind of diplomatic counterattack against these assaults that have been made on his self-esteem.

At the dinner table, the conversation turns to praise great singers, singers of the past, those who are gone to the world of the dead. Then all the presents praise Aunt Julia to her distinguished sweet dish of pudding which is also considered to be a kind of praising the past generosity embodied in the image of her old age. "The pudding was of Aunt Julia's making and she received praises for it from all quarters. She herself said that it was not quite brown enough. 'Well, I hope, Miss Morkan', said Mr. Brown, 'that I'm brown enough for you because, you know, I'm brown."(***D***: 144). Through this conversation one can find how Joyce portrays themes of paralysis and sterility of his people through using the brown and yellow colours as he used to do in most of his stories. Then the conversation is followed by another one about the behaviour of the monks, who sleep in their coffins due to religious orders, in which Joyce portrays the most religious clergymen as no less than the living dead, as if they were lifeless among us, in an attempt to hold the Catholic church accountable for Ireland's failure to move forward into modernity, as he did in his previous stories. "He [Gabriel] was astonished to hear that the monks never spoke, got up at two in the morning and slept in their coffins.", …."The coffin, 'said Mary Jane, 'is to remind them of their last end." (***D***: 144-145).

The silence came now and all the presents kept quiet waiting for Gabriel's speech. He pushed his chair and stood up, but he appeared unsettled. It seems that he was still under the impact of the previous two assaults in addition to the other

negative characteristics of his personality. He smiled nervously and his fingers were trembling on the tablecloth. He looked outside from the window and he saw some people standing in the snow looking at the lighted windows and listening to the music. In this scene, one can feel that Joyce presents Gabriel in an unenviable situation to the level that he imagined the outside atmosphere more pure and friendly than the atmosphere of the party where he was. However, Gabriel started his speech, trying to do the best to make it as a kind of a familial and domestic talking about hospitality, humanity, humour and the virtues of the older generation and how he was proud of his grandfathers. But, he criticized the new generation saying "I fear that this new generation, educated or hyper-educated as it is, will lack those qualities of humanity, of hospitality, of kindly humour which belonged to an older day."(***D***: 164).

Thus, again we feel how the past and death dominate the whole atmosphere of their annual dance party, as it is very obvious in all Gabriel's speech. "… 'there are always in gatherings such as this sadder thoughts that will recur to our minds: thoughts of the past, of youth, of changes, of absent faces that we miss here tonight." (***D***: 147). Even in his attempt of praising his Aunts, Gabriel describes them as "… -the Three Graces of the Dublin musical world." (***D***: 147) which is an allusion to the myth of the three sister goddesses who have certain mysterious forces of the classical world, and control over pleasure, charm, and beauty in human life and in nature, but their language is not ours because they are not human beings so they are a source of fear and death. (Lytle: 202).

At the end of the party someone brings up an old family joke about Old Johnny, the horse of Gabriel's grandfather. This horse is used to work in the old gentleman's glue factory "Walking round and round in order to drive the mill." (***D***: 149). One day Gabriel's grandfather hitched up his carriage to Old

Johnny and led him out into the city. Upon reaching a famous statue of King William III (1650-1702), the Protestant Champion, however, the horse could not be made to proceed onward, instead plodding dumbly in an endless circle around the statue, as if it could not break the habit of the treadmill. Gabriel acts this out, circling the front hall of the Morkans' house in his galoshes, to the delight of all. From a literary and symbolic point of view, what we find here is that though it is an old family joke, it is also connected with past, death and paralysis; in the sense, that in spite of the usual and conventional meaning of the circle which is a symbol of life with positive connotations, as in wedding rings, but in ***Dubliners*** its meaning is different. It means an undefeatable lack of progress, growth and development which is associated with paralysis, as in most of Joyce's stories; characters are used to circling around themselves, no matter how far they go but they would return to where they came from with empty hands.

Processes of Self-discovery

The party ends and the guests are in the hall preparing themselves to leave. Through these moments, and while Gabriel is waiting for Gretta to get ready, he sees her standing in the shadow at the end of the stairs, listening to a man's voice singing in a nearby room, "as if she were a symbol of something." (***D***: 151). Gabriel picks up such a scene only as a subject for art. He even constructs a poetic title, "*Distant Music*" mostly because such a music is used to be distant to him. It is the music of passions and understanding that he has never heard. But, for Gretta this music is on the spot and directly evoking the memory of a young man, she had known years before, who had sung that song and who had died in the brilliance of his passionate love for her. Litz explains that "The scene is really a "symbol of

something" a symbol of Gabriel's separation from Gretta's secret life" (Litz: 57), while Lytle asserts that "She is the symbol of life and love, into whom the Grace of the Holy Ghost is about to descend. This is the mystery of the awakening which leads to salvation." (Lytle: 206).

In other words, the verses of that song, for Gretta, are associated with her immobility, the deeper grief of her past emotional state, and death; and such a distant music is specifically belonged to a distance in time, while for Gabriel, it is on the contrast. He takes the music and its strange effect on her for his own positively. Suddenly he desires her, thinking of their long intimate relationship together. So, he longed to be alone with her, but unfortunately, he doesn't know that his long, wide and warm passionate imagination is going to betray and humiliate him as he was humiliated before.

> ….Gabriel watched his wife, who did not join in the conversation. She was standing right under the dusty fanlight and the flame of gas lit up the rich bronze of her hair, which he had seen her drying at the fire a few days before. She was in the same attitude and seemed unaware of the talk about her. At last she turned towards them and Gabriel saw that there was colour on her cheeks and that her eyes were shining. A sudden tide of joy went leaping out of his heart.
> 'Mr. D'Arcy', she said, 'What is the name of that song you were singing?'

> 'It's called The Lass of Aughrim'(*) said Mr. D'Arcy', 'But I couldn't remember it properly. Why? Do you know it?' (*D*: 152).

Thus, with Gabriel's furious lust against his wife, they walk to a place where they can find a cab, he looks at her, while she is walking up ahead of him with Mr. Bartell D'Arcy and a young woman named Miss O' Callaghan. In the cab, he continues to look at his wife with great feeling. When they cross O'Donnell bridge, Miss O'Callaghan repeats the saying that one can never cross the bridge without seeing a white horse. Gabriel says that instead he sees a white man, referring to a statue covered with snow. And, here may be, his uncalculated warm passions against his wife push him to see himself in an image of a white knight who is on a quest to achieve his goal. The same passion will also encourage him at the hotel, to pay the whole fare of the cab and sees off Miss O' Callaghan and Mr. D'Arcy.

At the hotel, the porter brings them to their room, leading them by candlelight because electric lights are not working. But, in spite of the dark and cold atmosphere Gabriel asks the man to take the candle away with him, because they have enough light from the window. In Gabriel's behaviour one can find that his sparking passions also push him to think that the little light is enough to achieve his quest, but, when he approaches his wife she breaks into tears, and informs him that the tenor's song reminds her of a former lover she has known when she was living in Galway. Therefore, ironically Gabriel asks her whether that was the reason of her desire to go to Galway for the summer

(*) *Lass of Aughrim*: The quoted words are a young woman's, as she begs her lover to take her and their baby into his castle. She does not know that Lord Gregory's mother is plotting to keep them a part. The setting of this old ballad migrated from Scotland to the village of Aughrim, east of Galway City, Gretta's home. (***D***: 170).

holiday. But, when he knows that the young lover is dying when he was only seventeen and he was a mere worker in the gasworks, his self-confidence is destroyed by such sharp blows. He felt upset and so much humiliated by the failure of the irony and for being even not equal to such a simple boy. So, he burns with shame, he feels that he is a mere loser and he has no further defenses left. He starts to feel sad and jealous from the dead Michael whose passions are still alive in the minds of Gretta at the time he has himself always lacked. His feelings are transformed into a powerful sense of inferiority which terrifies him and obscures his vision. He sees himself:

> …as a ludicrous figure, acting as a pennyboy for his aunts, a nervous, well-meaning sentimentalist, orating to vulgarians and idealizing his own clownish lusts, the pitiable fatuous fellow he had caught a glimpse of in the mirror. Instinctively he turned his back more to the light lest she might see the shame that burned upon his forehead. (*D*: 154).

As Gretta finishes her story, she breaks down into an uncontrollable cry. Gabriel watches her sleeping, as if they had never lived together as man and wife. He feels insignificant in her life and wondering about her girlish beauty and how the seasons have changed it. Her face now is not that which caused Michael Furey had braved death. "Generous tears filled Gabriel's eyes. He had never felt like that himself towards any woman, but he knew that such a feeling must be love."(***D***: 160). Thus, his sympathy towards his wife transforms lust into love and as he gains transforming insight into his life, his feelings of superiority seem to vanish away and step by step lead him to his self-knowledge. Ellman stresses that at the time Gabriel envies Michael Furey for his sacrifice, he is also dying for Gretta in giving up his pride which holds him apart from the people around

him especially when he feels close not only to her through sympathy and love but to her dead lover also. (Ellman: 180-181).

Hence, Gabriel realizes that he knows nothing about the other world of his wife; a world of a dead youth memory. Therefore, he bitterly feels the absolute failure of his mockery to bring his wife back to the world of which he was the centre of attraction; such a failure finally helps to break the walled circle of his pride. As a result of knowing such realities Gabriel escapes from himself to feel a sense of absolute unity and identity with all those parts which before had been unfavorable to his self-esteem. Thus, he realizes his pompous sense of dignity and being superior to everyone, and knows that they were just illusions. On that basis, Juan states that

> His wife's past life excludes him completely. No longer a participant and no longer anxious about attacks against his ego and the peril of self-mockery, he can depend on his own detachment, which spontaneously begets a poised and sensitive registration of actuality (Juan: 231-232).

At last, and as Gabriel sleepily looks through the window watching the flakes fall, the snow is coming down all over Ireland, "the time had come for him to set out on his journey westward." (***D***: 160). What we find here is that in spite of the symbolic conventional meaning of the west which is usually associated with death, ghosts, unhappy things and paralysis, but in this story it has a special meaning. For Gretta, it is a place of life and love, while for Gabriel it is associated with the past, backwardness and death from which he has alienated himself before, but now things are changed. The sense of Gabriel's importance of his self-esteem is shattered and he no longer possesses himself which is a kind of spiritual death. So, while he is watching the falling of the snow which suggests the unifying

consciousness of the living and the dead, and falls everywhere upon all things; he starts to imagine through a sudden epiphany how it covers the whole earth like a blanket and how it covers the dead and the living. He thinks of how the snow falling over Ireland and unifying the strange land of the west, where Michael Furey who defeats him is buried, with the familiar and comfortable eastern Dublin world. Thus, he starts to feel close to Gretta and her dead lover whether thorough sympathy or love. Henceforth, through such a symbolic portrait Gabriel realizes his new sense of identity with the world he is living in, because the breakdown of the circle of his pride helps him to know the reality of himself as a normal person not different from others. Thus, Gabriel moves from his self-importance and pride to be objective and adopting an impersonal point of view. In fact, such a way of living is the ideal aesthetic attitude of Joyce himself.

Conclusion

In spite of its realistic description, "The Dead" reveals Joyce's use of certain modern narrative devices, such as the use of the stream of consciousness in Gabriel's monologue, death symbolism through the use of morbid vocabulary, poetic language, and the use of epiphany where a character has a special moment of self-understanding or illumination. Then, the way of narrating this story is told through the use of third person omniscient point of view, by a narrator who describes vividly all the characters and especially the thoughts of the protagonist. So, the use of such devices in addition to the use of a subjective tone by focusing on Gabriel's personality, helps the reader to comprehend such a fictional world without any direct interference or any voice of the narrator. Hence, the stressing on the subjectivity of the protagonist makes such a fiction present a unity of place and time since most of the details are connected

with Gabriel's self-awareness of his life and love. Such detailed description gives the clues not only to the development of the actions but are closely associated with the development of the characters. Through these developments, the reader can be in touch with the processes of Gabriel's self-discovery which is embodied in his stream of consciousness when it allows him to rediscover himself. Thus, within such processes of self-doubt and self-discovery the reader becomes involved by the development of the narrative.

In this story, as in the other stories of ***Dubliners***, we can see how the image of Dublin as a city of the spiritually dead is connected with the memories of the physically dead which haunt the living, who are physically alive but spiritually dead, and colours every action in their life. In fact death, in "The Dead", as in most of the stories of ***Dubliners*** throws a shadow on the present. To reflect that and to emphasize the gloominess of such a city, Joyce portrays Dublin as if it were in an eternal dark. He gives no stream of such light, therefore, characters walk through Dublin at nightfall and live their most deep and difficult moments in the darkness of late hours. Usually such a dark setting evokes the thin line between life and death. In such a ghostly and depressed atmosphere Gabriel sees the snow as representing a mutual connection between the dead and the living. So, through such a complicated passions, Gabriel becomes aware of the world around him and the world of the dead, into which the living pass. He feels that the living and the dead are living peacefully together under a strange connection with each other to the limit that Michael Furey is more alive than him.

As a result, and in spite of the fact that some critics have described Gabriel as a living dead but at the end he realizes his new sense of self-identity with the world he is living in. Now, he is completely realizing that, the splendid picture of his self-esteem, was only in his mind, and it removes his blindness and leaves him alone with the realization that life and love differ from the dream. He realizes that he is competing for the love of

his wife with a dead man whose passions will never be able to match. He realizes that he is a normal person who does not differ from the others. Joyce succeeds so well in portraying Gabriel's struggle with himself because he engages his readers with Gabriel's inner psychological state. Thus, Joyce proved that he is a psychologist more than a philosopher.

Bibliography

Burgess, Anthony. ***Here Comes Everyday: An Introduction to James Joyce for the Ordinary Reader***. London: Faber and Faber, 1965.

Chace, William. ed., ***Introduction, James Joyce: A Collection of critical Essays***: New Jersey: Princeton Hall, 1974.

Davies, Laurence. ***James Joyce: Dubliners. London***: Wordsworth Editions
Limited, 2001.

Ellman, Richard. The Back Grounds of "The Dead" (1959). In Morris Beja's ***James Joyce: Dubliners and A Portrait of the Artist as a Young Man***. London: Macmillan Publishers 1973.

Ghiselin, Brewster. "The Unity of ***Dubliners***". In James R. Baker and Thomas F. Stanely, ed. James Joyce's ***Dubliners***: A Critical Handbook. Belmont, California: Wadsworth, 1969, PP.35-62.

Juan, Epifanio San Jr. ***James Joyce and the Craft of Fiction***. New Jersey: Associated Univ. Presses,Inc.,1972.

Kenner, Hugh. "***Dublin's Joyce***". London: University of California Press, (1999), PP.73-75.

Lytle, Andrew. A Reading of Joyce's "The Dead" : The Sewanee Review, Vol. 77, No.2 (spring, 1969), pp. 193-216. URL:htt://www.jstor.org.

Peake, C. H. ***James Joyce: The Citizen and the Artist***. London: Arnold Press, 1977.

Persic, Ilonka. ***Clarity and Obscurity in James Joyce and Italo Svevo: The Theme of Maturation and Development in "***The Dead***" and Unavita***.(2001).URL:http://www.reading.ac.uk/group/articales-studyday.

Tindall, William York. ***A Reader's Guide to James Joyce***. The Noondays Press, Inc. New York, Library of Congress, Catalog Card Number: 59-15126.

Triggs, Jeffery**. *A Controlling Sympathy: The Style of Irony in Joyce's "*** The Dead***"***. (1988).
URL:http//www.ohiostatepress.org/books.

أثر اتحاد المجلس في الخلع

م. د.محمود يونس حمادة ألحديثي
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

ارتأيت في تناولي لهذا البحث عرض مسألة مهمة يكثر وقوعها بين الناس سابقاً وفي الوقت الحاضر ، إذ وقع اختياري لبعض من المسائل ذات الصلة بأحوال الأسرة من أجل بحثها موسعاً وتسليط الضوء عليها عل من أبرزها (**أثر اتحاد المجلس في الخلع**) كذلك تطرقت إلى بعض صور الخلع التي تفتقر إلى اتحاد المجلس ، فكان من المهم جداً بيان الحكم الشرعي لهذهِ الصور، فحرصت كل الحرص على عرض آراء فقهاء المذاهب (رحمهم الله) وأدلتهم فيها ومناقشتها مع بيان الراجح منها ، لا سيما أنه كثر الحديث عن شيء اسمه الخلع وعن آثاره القانونية في بعض البلاد العربية والإسلامية فتناولوه بين مؤيد له و رافض .

الخلاصة

(عملية اكتشاف الذات)

في

قصة (الميت)

للكاتب

جيمس جويس

تعد قصة (الميت) الخيرة والاطول والاكثر شهرة من مجموعة (سكان دبلن) القصصية للكاتب الايرلندي (جيمس جويس).

تناولت هذه الدراسة مراحل اكتشاف الذات لبطل القصة (كابريل كونروي)؛ المتسم بالغرور، وعريف حفل اعياد رأس السنة الذي اقيم في بيت عماته الطاعنات في السن.

بينت الدراسة عدد من العوالمل الخارجية خاصة التهكم والسخرية التي ادت الى تحطم جدران الغرور التي يمتاز بها (كابريل)، ومع تتابع عمليات الاحداث، نجد ان القارئ اكتشف تأثير وقدرة الميت على الحي والماضي على الحاضر.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أوضح للعالمين أحكام شرعه الحنيف ، والصلاة والسلام على نبيه محمد . صلى الله عليه وسلم . الذي بعثه رسولاً ونبياً مرشداً، وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار ، وعلى من نهج نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن سعة المسائل الفقهية التي تناولها الفقهاء ، وكثرتها وتشعبها ، مما يصعب على القارئ تتبعها والإحاطة بها ، لذلك كانت البحوث التي سلط فيها كاتبوها الضوء على مسائل معينة لتسهيل الوصول إليها من جهة وللتوسع في دراستها من جهة أخرى .

ومن هذا ارتأيت عرض إحدى المسائل التي يكثر وقوعها بين الناس ، وكان اختياري لبعض المسائل المتعلقة بأحوال الأسرة ، من أجل بحثه موسعا وتسليط الضوء عليه ، وهو : (**أثر اتحاد المجلس في الخلع**) ، ولاسيما أن هناك بعض صور الخلع تفتقر إلى اتحاد المجلس ، فكان من المهم تبيان الحكم الشرعي لهذه الصور . وقد حرصت فيه على عرض آراء فقهاء المذاهب وأدلتهم ومناقشتها مع بيان ما ترجح لي منها ، ولاسيما أنه كثر الحديث عن الخلع وعن آثاره القانونية في بعض البلاد العربية بين مؤيدٍ ورافضٍ .

وقد قسمت البحث على مقدمة ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث.

المبحث الثاني : مشروعية الخلع وألفاظه .

المبحث الثالث : حقيقة الخلع .

ثم خاتمة البحث .

وألحقته بقائمة المصادر والمراجع .

آمل أن يكون هذا البحث نافعاً ، والله من وراء القصد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المبحث الأول

في التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث

سأبين في هذا المبحث تعريف المفردات الواردة في عنوان البحث بشكل موجز ، وهي : اتحاد المجلس ، والخلع ، والمخيرة .

١. اتحاد المجلس:

الاتِّحَادُ لُغَةً : صَيْرُورَةُ الشَّيْئَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا ، أو امْتِزَاجُ الشَّيْئَيْنِ وَاخْتِلاَطُهُمَا حَتَّى يَصِيرَا شَيْئًا وَاحِدًا ، أو صَيْرُورَةُ الذَّاتَيْنِ وَاحِدَةً ، وَلاَ يَكُونُ إلاَّ فِي الْعَدَدِ مِنَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا [١] . ولا يخرج الاستعمال الفقهي عن هذا المعنى ، فهو أيضاً امتزاج شيئين حتى يصيرا شيئا واحداً[٢].

والمجلس لغة : هو موضع الجلوس[٣] .

ويراد به المجلس الواحد عند الفقهاء الذي تحدث فيه تصرفات متفرقة وهذا قد يحصل بالوقوف ومع تغاير المكان والهيئة ، ولا يتبدل إلا بأحد أمرين هما : أما بالقيام من المجلس ، أو بعمل ليس من جنس ما مضى[٤] . وزيادة على ذلك يستعمله الحنفية دون غيرهم بمعنى تداخل متفرقات المجلس[٥] .

واتحاد المجلس : من إضافة الشيء إلى ظرفه . وليس المراد بالمجلس موضع الجلوس ، بل هو أعمُّ من ذلك ، فقد يحصل اتحاد المجلس مع الوقوف ، ومع تغاير المكان والهيئة[٦] .

٢ . الخلع :

الخَلْعُ في اللغة : الْخَلْعُ (بِالْفَتْحِ) لُغَةً هُوَ النَّزْعُ وَالتَّجْرِيدُ ، وَالْخُلْعُ (بِالضَّمِّ) اسْمٌ مِنْ الْخَلْعِ . وَخَلَعَ الشَّيءَ : نَزَعَهُ إلاَّ أَنَّ فِي الخَلْعِ مُهْلَة ، وَقِيل : هُمَا سَوَاءُ . وَخَالَعَتْ زَوْجَهَا : افْتَدَتْ مِنْهُ ، وَالاسْمُ الْخُلْعُ بِالضَّمِّ : وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مِنْ خَلْعِ اللِّبَاسِ ، لأَنَّ كُلاًّ لِبَاسٌ لِلآخَرِ [٧] .

وفي الاصطلاح : عرفه الفقهاء بألفاظ مختلفة على وفق اختلاف مذاهبهم في كونه طلاقاً أو فسخاً .

قال الحنفية: أخذ مال من المرأة بإزاء ملك النكاح بلفظ الخلع[٨]، أو إزالة ملك النكاح المتوقفة على قبولها بلفظ الخلع ،أو ما في معناه [٩].

وقال المالكية : " عقد معاوضة على البضع ، تملك به الزوجة نفسها، ويملك الزوج العوض به "[١٠].

وقال الشافعية : " فرقة بعوض بلفظ طلاق أو خلع " [١١].

وقال الحنابلة : فراق الزوجة بعضو بألفاظ مخصوصة " [١٢].

وقال الإمامية : " هو الطلاق في مقابل بذل المرأة مالاً للرجل " [١٣]

وبنحوه تعريف الزيدية [١٤].

وقال الظاهرية : " الافتداء إذا كرهت المرأة زوجها " [١٥].

وقال الإباضية : " فداء ببعض الصداق" [١٦].

وعرّفه السيد سابق بأنه " فراق الرجل زوجته ببدل يحصل له" [١٧].

ومعنى ذلك أن الرجل يقبل أن تخلعه زوجته مقابل عوض من المال يحصل عليه

والتعريف الراجح هو تعريف الحنفية ، لشموليته ولوضوح نوع الفرقة الحاصلة بين الزوجين .

وقد خرج بقولهم : " إزالة ملك النكاح " الخلع في النكاح الفاسد ، وبعد البينونة ، وبعد الردة . فإنه لغو[١٨].

وخرج بقولهم : " المتوقفة على قبولها " ما لو قال : خالعتك ناوياً الطلاق ، فإنه يقع بائناً غير مسقط للحقوق لعدم توقفه عليه[١٩]. وخرج بقولهم : " بلفظ الخلع " الطلاق على مال ، فإنه غير مسقط للمهر [٢٠].

وقولهم : " أو ما في معناه " يدخل لفظ المبارأة [٢١] ؛ فإنه مسقط للمهر أيضاً[٢٢].

والتعريف يفيد صحة خلع المطلقة رجعياً ؛ لأن الرجعي لا يزيل الملك [٢٣].

المبحث الثاني

مشروعية الخلع وألفاظه

المطلب الأول

مشروعية الخلع

لقد شرع النكاح للتوفيق بين الزوجين ليعيشا حياتهما معاً ، وشرع الطلاق لمكان المصلحة ؛ لأن الزوجين قد تختلف أخلاقهما ، وعند اختلاف الأخلاق لا يبقى النكاح مصلحة ؛ لأنه لا يبقي وسيلة إلى المقاصد فتنقلب المصلحة إلى الطلاق ليصل كل واحد منهما إلى زوج يوافقه فيستوفي مصالح النكاح منه ، والمخالفة قد تكون من جهة الزوج ، وقد تكون من جهة المرأة ، كالخلع [٢٤].

والأصل في الخلع قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ [٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا** ﴾ [٢٦].

وجه الدلالة :

يتبين من الآيتين جواز أخذ الزوج من زوجته مالاً في حالة الخوف من عدم إقامة حدود الله باستخفاف المرأة بحق زوجها ، وسوء طاعتها له [٢٧].

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢٨].

وجه الدلالة :

لا يحل للرجل أن يضار زوجته ، حتى تفتدي منه ، إلا إذا أتت بفاحشة مبينة(٢٩).

ومِن السُّنّة قصة امرأة ثابت بن قيس . رضي الله عنها . ، عن ابن عباس . رضي الله عنهما . : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي . صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام . فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : اقبل الحديقة ، وطلِّقها تطليقة . وفي رواية له أنه . عليه الصلاة والسلام . قال : فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ ؟ فقالَتْ : نَعَمْ . فَرَدَّتْ عَلَيْهِ ، وأَمَرَهُ ففارَقَها (٣٠).

ومعنى الحديث أن أخاف على نفسي في الإسلام ما ينافي حكمه من نشوز وفرك وغيره ، مما يتوقع من الزوجة المبغضة لزوجها إذا كان بالضد منها ، فأطلقت على ما ينافي مقتضى الإسلام الكفر(٣١) . فالخلع إذاً وسيلة لتخليص الزوجة من زوجها على وجه لا رجعة فيه إلا برضاها ، وبعقد جديد ،

وأجمع الفقهاء على مشروعية الخلع ، وهو قول عمر وعثمان وعلي . رضي الله عنهم . ولم يعرف لهما مخالف في عصرهم ، فكان إجماعاً (٣٢).

المطلب الثاني

ألفاظ الخلع

اتفق الفقهاء على عدّ ألفاظ (الخلع ، والمفاداة ، والمبارأة) من ألفاظ الخلع الصريحة ، واختلفوا في غيرها وكما يأتي:

١- الحنفية : ألفاظ الخلع عند الحنفية سبعة خالعتك، باينتك، بارأتك، فارقتك، طلقي نفسك على ألف، والبيع كبعت نفسك، الشراء كإشتري نفسك (٣٣).

٢- المالكية : ألفاظ الخلع أربعة ، وهي: الخلع، الفدية، الصلح، المبارأة (٣٤).

٣ - الشافعية ، والحنابلة: تنقسم إلى صريح وكناية فالصريحة المتفق عليها عندهما لفظان : لفظ خلع وما يشتق منه ؛ لأنه ثبت له العرف ، ولفظ المفاداة وما يشتق منه لوروده في القرآن ، وزاد الحنابلة لفظ فسخ لأنه حقيقة فيه . وهو من كنايات الخلع عند الشافعية ومن كناياته عندهم أيضاً بيع ، ولفظ بارأتك ، وأبرأتك ، وأبنتك ، وصريح خلع وكنايته ، كصريح طلاق وكنايته عند الشافعية والحنابلة ، فإذا طلبت الخلع وبذلت العوض فأجابها بصريح الخلع وكنايته ، صح من غير نية ؛ لأن دلالة الحال من سؤال الخلع ، وبذل العوض صارفة إليه فأغنى عن النية فيه ، وإن لم يكن دلالة حال فأتى بصريح الخلع وقع من غير نية ، سواء قلنا هو فسخ أو طلاق ، ولا يقع بالكناية إلا بنية ممن تلفظ به منهما ، ككنايات الطلاق مع صريحه (٣٥).

٤ - الزيدية : هما الخلع والمبارأة (٣٦).

٥- الإمامية : هما الخلع والمبارأة (٣٧).

٦ - الظاهرية: لم يفرقوا في الألفاظ بين الخلع والمفاداة والطلاق على مال ، فهي عندهم كلها تؤدي إلى معنى واحد ، وهو بذل الزوجة مالاً لزوجها لقاء طلاقها(٣٨).

٧ - الإباضية : هما الخلع والفداء والمبارأة (٣٩).

المبحث الثالث

حقيقة الخلع

اتفق الفقهاء على أن الزوج لو خالع امرأته ؛ فإن القبول يقتصر على المجلس[٤٠].

فإذا طلبت المرأة من زوجها الخلع ، وكان طلبها مشروعاً مستكملاً شروط انعقاده كافة ، وصحته الظاهرة والباطنة ، فلا ينعقد عقد الخلع ، وبالتالي لا ينتهي به عقد النكاح إلا إذا وافق الزوج على طلب زوجته الخلع ؛ لأن الخلع عقد ، وكل عقد لا ينعقد إلا بإيجاب من أحد طرفيه ، وقبول من الطرف الآخر ، فليس الخلع تصرفاً بالإرادة المنفردة ، حتى يقع بمجرد طلبه من قبل الزوجة ، وإنما هو تصرف باتفاق إرادتين ، أي إيجاب وقبول من طرفيه وهما المرأة وزوجها[٤١].

وهو بهذا لا يخالف شرط اتحاد المجلس أسوة بغيره من العقود ومنها النكاح .

ويصح فيه التوكيل كما يصح في سائر العقود [٤٢].

ويتعلق بهذا إن شرط العقد الصادر من الزوج يتوقف ، أي : يظل ساري المفعول على قبول الآخر وراء المجلس بالاتفاق، كأن يقول: خالعت امرأتي الغائبة على كذا ، فبلغها الخبر، فقبلت، جاز [٤٣].

ولكن الفقهاء اختلفوا في حقيقة الخلع أهو معاوضةً أو يميناً ؟ على ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول :

إنّ الخلع من جانب الزّوجة معاوضة ، ومن جانب الزّوج يمين، وعلى هذا يصحّ للزوجة شرط الخيار في الخلع .

وإليه ذهب أبو حنيفة . رحمه الله .[٤٤].

حجته :

إن الموجود من جهتها مالاً ، ولهذا يصح رجوعها قبل القبول ، ولا تصح إضافته وتعليقه بالشرط ، ولا يتوقف على ما وراء المجلس فصار كالبيع ، ولا نسلم أنه للفسخ بعد الانعقاد ، بل هو مانع من الانعقاد في حق الحكم وكونه شرطا ليمين الزوج لا يمنع أن يكون معاوضة في نفسه [٤٥].

ويترتّب على كون الخلع يميناً من جانب الزّوج ما يأتي :

١. أنّه لا يصحّ رجوعه عنه قبل قبولها .
٢. لا يقتصر إيجاب الزوج على مجلسه، فلو قام من المجلس قبل قبول الزوجة لا يبطل إيجابه بهذا القيام .
٣. لا يصح للزوج أن يشترط الخيار لنفسه في مدة معلومة؛ لأنه لا يملك الرجوع عن الخلع، لأنه يمين من جانبه، فإذا اشترط الخيار كان الشرط باطلاً، ولكن لا يبطل الخلع به .
٤. يجوز للزوج أن يعلق الخلع بشرط، وأن يضيفه إلى زمن مستقبل، مثل: إذا قدم فلان فقد خالعتك على كذا، أو خالعتك على كذا غداً أورأس الشهر القادم، والقبول للزوجة عند تحقق الشرط، أو حلول الوقت المضاف إليه [٤٦].

ويترتّب على كونه معاوضةً من جانبها :

١. يشترط في قبولها علمها بمعناه ؛ لأنه معاوضة، بخلاف طلاق وعتاق وتدبير؛ لأنه إسقاط ، والإسقاط يصح مع الجهل .
٢. يصح للزوجة رجوعها عن الإيجاب إذا ابتدأت الخلع قبل قبول الزوج.
٣. يقتصر قبول الزوجة في المجلس إن كانت حاضرة فيه، وفي مجلس علمها بالخلع إن كانت غائبة عن مجلس الإيجاب كالبيع. ولا يشترط حضور المرأة في

المجلس، بل يتوقف الإيجاب على ما وراء المجلس بعكس عقد الزواج، فلو كانت غائبة فبلغها الخبر، فلها القبول في مجلس علمها به؛ لأنه في جانبها معاوضة.

٤. يجوز للزوجة أن تشترط الخيار لنفسها في مدة معلومة يكون لها فيها الحق في القبول أو الرد، إذا ابتدأت الخلع، كأن تقول لزوجها: خالعتك على ألف على أن لي الخيار ثلاثة أيام، فإذا قبل الزوج صح الشرط، ولها أن تقبل أو ترفض؛ لأن الخلع من جانبها معاوضة، والمعاوضات يصح فيها اشتراط الخيار (٤٧).

المذهب الثاني :

إنّه يمين من الجانبين .

وإليه ذهب صاحبا أبي حنيفة (٤٨) ، والحنابلة (٤٩) .

قال الحنابلة : إنّ العوض في الخلع كالعوض في الصّداق ، والبيع إن كان مكيلاً أو موزوناً لم يدخل في ضمان الزّوج ، ولم يملك التّصرّف فيه إلاّ بقبضه ، وإن كان غيرهما دخل في ضمانه بمجرّد الخلع وصحّ تصرّفه فيه (٥٠).

حجتهم :

إن الموجود من جانبه طلاقا ، وقبولها شرط اليمين ، فلا يصح خيار الشرط فيهما ؛ لأن الخيار للفسخ بعد الانعقاد لا للمنع من الانعقاد ، واليمين وشرطها لا يحتملان الفسخ (٥١).

المذهب الثالث :

إنّ الخلع معاوضة من الجانبين .

وإليه ذهب المالكيّة (٥٢) ، والشّافعيّة (٥٣) .

حجتهم :

أنه لا يحتاج لصحته قبض العوض، فلو تم من قبل الزوج، فماتت المرأة أو فلّست، أخذ العوض من تركتها وأتبعت به، ويجوز رد العوض فيه بالعيب؛ لأن

إطلاق العقد يقتضي السلامة من العيب، فثبت فيه الرد بالعيب كالمبيع والمهر، ويصح الخلع منجزاً بلفظ المعاوضة، لما فيه من معنى المعاوضة، ويصح معلقاً على شرط لما فيه من معنى الطلاق، ويملك العوض بالعقد، ويضمن بالقبض (٥٤).

إلاّ أنّ الشّافعيّة ذكروا أنّ المعاوضة على القول بأنّ الخلع طلاق معاوضة فيها شوب تعليق ، لتوقّف وقوع الطّلاق فيه على قبول المال ، وأمّا على القول بأنّه فسخ ، فهي معاوضة محضة لا مدخل للتّعليق فيها ، فيكون الخلع في هذه الحالة كابتداء البيع ،وللزّوج الرّجوع قبل قبول الزّوجة، لأنّ هذا شأن المعاوضات (٥٥).

الخاتمة

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه .

بعد هذا العرض أوجز أهم ما جاء فيه بما يأتي :

١. الأصل في الزواج الدوام ، والطلاق أمر طارئ عند الحاجة إليه .
٢. الخلع : هو رفع النكاح بعوض .
٣. الحكمة منه : إعطاء المرأة الحق في طلب حل عقد الزواج عند تضررها ، أو كراهيتها لزوجها .
٤. الخلع مشروع بالكتاب والسنة والإجماع .
٥. الخلع في رأي جمهور الفقهاء معاوضة من الجانبين .
٦. الخلع مثل سائر العقود يستلزم اتحاد المجلس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(١) ينظر : لِسَان العَرَب ، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط١ ، ١٩٦٨م : مادة (أحد) ٣/٧٠ ، و التَّعْرِيفات ، لأبي الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، (ت٨١٦ هـ) ، تحقيق : إبْرَاهِيم الأبياري ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ : ٢٢ ، و التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبدالرؤوف المناوي ، (ت١٠٣١هـ) ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر . دمشق ، ودار الفكر للطباعة والنشر- بيروت ، ط١ ،١٤١٠هـ : ٣١ .

(٢) ينظر : التعريفات : ٢٢ ، والتوقيف : ٣١ ، وحواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، لعبدالحميد بن حسين الشرواني الداغستاني المكي ، (ت١٢٥٣ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا تاريخ : ٥/٣٧٩ .

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة (جلس) ٦/٤٠.

(٤) ينظر : قواعد الفقه ، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، مطبعة الصدف ببلشرز ، كراتشي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ٤٦٧ ، والموسوعة الفقهية الكويتية ، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دارالسلاسل ، الكويت ، ١٤٠٤هـ : ١ /٢٠٢ ، و معجم لغة الفقهاء ، لمحمد رواس قلعة جي ، تحقيق : د . حامد صادق قنيبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ: ٤١

(٥) ينظر : الْبَحْر الرَّائِق شَرْح كَنْز الدَّقَائِق ، لزَيْن الدين بن إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بكر الشهير بابن نُجَيم . (ت٩٧٠ هـ) ، دار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ :٢/١٣٤ .

(٦) ينظر : الموسوعة الفقهية : ١/٢٠٢ .

(٧) ينظر : طَلِبَة الطَّلَبَة فِي الاصطلاحات الْفِقْهِيَّة ، لأبي حفص نجم الدِّين بن حَفْص عُمَر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إسماعيل بن لقمان النَّسَفي السَّمَرقَنْدي ، (ت٥٣٧هـ) ، تحقيق : خليل الميس ، دار القلم . بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦م : ٥٩ ، و الْمُغْرِب فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرِبِ ، لأبي الفَتْح ناصر الدِّين بن عبد السيد بن علي بن المُطَرِّز ، (ت٦١٠هـ) ، تحقيق : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مُخْتَار ، مكتبة أسامة بن زَيْد ، حلب ، ط٢ ، ١٩٧٩م : ١/١٥٢ ، ولسان العرب : مادة (خلع) ٨ /٧٦ .

(٨) يُنْظَرْ : شَرْح فَتْح الْقَدِيرِ ، لكمال الدِّين مُحَمَّد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام ، (ت٨٦١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : ٤/٢١٠ ، والبَحْر الرَّائِق : ٣/٢٦٦.

(٩) شرح فتح القدير : ٤/٢١٠ ، والبحر الرائق : ٤/١١٩ ، و الدُّرِّ الْمُخْتَار ، لمُحَمَّد بن علي الملقَّب علاء الدِّين الْحَصْكَفِيِّ الدمشقي ، (ت١٠٨٨هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ : ٣/٤٣٩ .

(١٠) شَرْح الخَرَشي عَلَى مُخْتَصَر سيدي خليل بن إسْحَاق الجُنْدي المالكي ، (ت٧٧٦هـ) ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله بن علي ، (ت١٠١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ : ٤/١٢ ، ومَوَاهِب الجَلِيْل لشَرْح مُخْتَصَر خليل ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن عبدالرحمن الطَّرَابُلُسي المَغْرِبي ، المعروف بالحَطّاب ، (ت٩٥٤ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٣٩٨م : ٤/١٨ مِنْح الجَلِيْل عَلَى مُخْتَصَر سيدي خليل ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد الملقب بعِلِيش ، (ت١٢٩٩هـ) ، المطبعة الكُبْرَى العامرة ، مصر ، ١٢٩٤هـ : ٢/١٨٢ .

(١١) مُغْني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدِّيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّرْبِيْني القاهري الشافعي الخَطِيب ، (ت٩٧٧هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا تاريخ : ٣/٢٦٢ ، ونهاية الْمُحْتَاج إلى شَرْح الْمِنْهَاج ، لشمس الدِّين مُحَمَّد بن أَبِي العباس شهاب الدِّين أَحْمَد بن حمزة الرَّمْلي المتوفى المَصِري الأنصاري الشهير بالشَّافِعِيّ الصغير ، (ت١٠٠٤هـ) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٣٨م : ٦/٣٩٣ .

(١٢) المحرر فِي الْفِقْه عَلَى مذهب الإمام أَحْمَد بن حنبل ، لمجد الدِّين عبد السلام بن عبدالله بن أَبِي القاسم ابن تيمية الحراني ، (ت٦٥٢ هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ : ٢/٤٤ ، و الرَوْض المربع شَرْح زَادُ الْمُسْتَقْنِع ، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، (ت١٠٥١هـ) ، مكتبة الرياض الْحَدِيثَة ، الرياض ، ١٣٩٠هـ : ٢/٣٢٢ .

(١٣) شَرَائِع الإسلام فِي مسائل الحلال والحرام . لأبي القاسم جعفر بن الْحَسَن بن يحيى الهذلي المعروف بـ(المحقق الحلي) ، (ت٦٧٦هـ) ، مؤسسة مطبوعاتي إسماعليان ، بلا تاريخ : ٢/٤٧٢ .

(١٤) لم أقف على تعريف صريح للخلع ، ولكن ما ورد في كتبهم يوافق ما ذهب إليه الإمامية . ينظر : التَاج الْمَذْهَب لأحكام الْمَذْهَب ، للشيخ أَحْمَد بن قاسم العبَّادي العنسي اليماني الصنعاني ، (ت٩٩٢هـ) مكتبة اليمن الكُبْرَى ، بلا تاريخ : ٢/١٧١.

(١٥) المُحَلَّى ، لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد سعيد بن حَزْم الظاهري الأَنْدَلُسي ، (ت٤٥٦ هـ) ، تحقيق : لجنة إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، دار الآفاق الجديدة ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٨م : ٩/٥١١ .

(١٦) شَرْح النِّيل وشفاء العليل ، لمُحَمَّد بن يوسف بن عيسى أَطَّفَيِّش ، (ت١٣٣٢هـ) ، مكتبة الإرشاد، جدة ١٤٢٣هـ. ١٩١٤م : ٢٧٧/٧ .

(١٧) فقه السنة ، السيد سابق ، دار الفتح ، مصر ، ٢٠٠٠م : ١٩١/٢ .

(١٨) البحر الرائق : ١١٩/٤ ، والدر المختار : ٤٣٩/٣ .

(١٩) فتح القدير : ٢١٠/٤ ، والبحر الرائق : ١١٩/٤ ، والدر المختار : ٤٣٩/٣ .

(٢٠) البحر الرائق : ١١٩/٤ ، وحاشية ابن عابدين : ٤١١/٣ .

(٢١) المبارأة : هي صيغة مفاعلة تقتضي المشاركة في البراءة . وهي في الاصطلاح اسم من أسماء الخلع ، والمعنى واحد ، وهو بذل المرأة العوض على طلاقها . لكنها تختص بإسقاط المرأة عن الزوج حقاً لها عليه . فالمبارأة صورة خاصة للإبراء تقع بين الزوجين لإيقاع الزوج الطلاق – إجابة لطلب الزوجة غالباً – مقابل عوض مالي تبذله للزوج ، هو تركها ما لها عليه من حقوق مالية ، كالمهر المؤجل ، أو النفقة المستحقة في العدة . والجمهور على أنه لا يسقط بها أي حق إلا بالتسمية ، خلافاً لأبي حنيفة وأبي يوسف القائلين بسقوط جميع حقوقها الزوجية . ينظر : حاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٦٠ ، وبِدَايَة المُجتهِد ونهاية المقتصد ، لأبي الوليد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن رشد القرطبي بن الإمام مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رُشْد القُرْطُبي الملقب بابن رُشْد الحَفيد ، (ت٥٩٥هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ٢٠٠٢م : ٢ / ٦٦ ، وحاشية القَلْيُوبي ، شِهاب الدِّين القَلْيُوبي أَحْمَد بن أَحْمَد بن سَلاَمة الشَّافِعِيّ المَصْري ، (ت١٠٦٩هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، بلا تاريخ : ٣ /٣٠٧ ، و المُقْنِع ، لمُوفَّق الدِّين عبدالله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامَةَ المَقْدِسي ، (ت٦٢٠هـ) ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٢م : ٣ / ١٢٩ .

(٢٢) الدر المختار : ٤٣٩/٣ ، وحاشية ابن عابدين : ٤١١/٣ .

(٢٣) المصدران نفسهما .

(٢٤) ينظر : بدائع الصنائع فِي ترتيب الشَّرَائِع ، لأَبِي بَكْرٍ علاء الدِّين بن مسعود أَحْمَد الكَاسَاني أو الكاشاني ، (ت٥٨٧هـ) ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٩٨٢م : ١١٢/٣.

(٢٥) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٢٦) سورة النساء : الآية ٤ .

(٢٧) ينظر : أَحْكَام الْقُرْآن ، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن عبدالله بن مُحَمَّد بن عبدالله بن أَحْمَد المَعَافري الإِشْبِيْلي المعروف بـ(ابن العَرَبِيّ) ، (ت٥٤٣هـ) ، تحقيق : علي مُحَمَّد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحَلَبي بمصر ، سنة ١٩٧٤م : ١٩٤/١ ، والْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبدالله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي ، (ت٦٧١ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٢ هـ : ٩٤٦/٢ .

(٢٨) سورة البقرة : الآية ٢٣٢ .

(٢٩) ينظر : أحكام القرآن لابن عربي : ٣٦٢/١ ، وتَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم المعروف بـ(تَفْسِيْر ابن كَثِير) ، لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدِّمَشْقي ، (ت٧٧٤هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ١٤٠١هـ : ٤٦٦/١.

(٣٠) صَحِيْح الْبُخَارِيّ ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي ، (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، ودار اليمامة ، بَيْرُوْت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م : كتاب الطلاق ، باب الخلع وكيف الطلاق فيه ، ٢٠٢١/٥ ، رقم (٤٩٧١) ، ٢٠٢٢/٥ ، رقم (٤٩٧٢) .

(٣١) ينظر : فتح الباري شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ ، لأَحْمَد بن علي المعروف بابن حَجَر العَسْقَلاني ،(ت٨٥٢ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، ومُحِبّ الدِّين الْخَطِيب ، (ت١٩٦٩م) ، دار المَعْرِفَة بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٣٧٩هـ : ٥٠٠/٩ .

(٣٢) لم يخالف في هذا إلا المزني من الشافعية ، فإنه قال : لا يحل للرجل أن يأخذ من امرأته في مقابل فراقها شيئاً . ينظر : بداية المجتهد : ١٤٠٠/٣ ، وفَتْح البَاري : ٤٥٩/٩ ، و الْمُغْنِي ، لمُوفَّق الدِّين عبدالله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامَةَ المَقْدِسي ، (ت٦٢٠هـ) ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٢م : ٢٤٦/٧ .

(٣٣) ينظر : البحر الرائق : ١١٩/٤ ، والدر المختار : ٣٤٩/٣ .

(٣٤) ينظر : بداية المجتهد : ١٣٩٩/٣ .

(٣٥) ينظر : مغني المحتاج : ٢٦٢/٣ ، والمغني : ٢٥٠/٧.

(٣٦) ينظر : الْبَحْر الزَّخَّار الْجَامِع لمَذَاهِب عُلَمَاء الأَمْصَار ، لأَحْمَد بن يحيى المرتضى ، (ت٨٤٠هـ) ، مؤسسة الرِسَالَة ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٥م : ١٧٨/٤ .

(٣٧) ينظر : شرائع الإسلام : ٣٦/٣ .

(٣٨) ينظر : المحلى : ٥١١/٩ .

(٣٩) ينظر : شرح النيل : ٢٧٧/٧ .

(٤٠) ينظر : حاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٥٨ ، الشرح الصغير عَلَى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك ، لأَحْمَد بن مُحَمَّد الصَّاوِي المالكي الخَلْوَتي ، (ت١٢٤١هـ) ، خرج أحاديثه وفهرسه وقرر عليه بالمقارنة بالقانون الْحَدِيث : الدكتور مصطفى كمال وصفي ، مطبعة دار المعارف ، ط١ ، مصر ،

١٩٧٢ . ١٩٧٤م : ٢ / ٥١٨ ، ومغني المحتاج : ٢ / ٢٦٩ ، والمغني : ١٧٤/٧ .

(٤١) ينظر : مدى حق الزوجة في إنهاء عقد النكاح بالخلع ، للدكتور عبد الكريم زيدان ، من أبحاث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة ،٢٠٠٦م : ٢٧ .

(٤٢) ينظر : أَحْكَام الْقُرْآن ، لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن علي الرَّازِي الجَصَّاص ، (ت٣٧٠ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد الصادق قمحاوي ، دار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ١٤٠٥هـ : ١٥٢/٣ ، ومَوَاهِب الجَلِيْل : ٣٢/٤ ، والوَسِيْط فِي الْمَذْهَب ، لأبي حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الْغَزَالِيِّ ، (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق : مَحْمَد محمود إبْرَاهِيم . ومُحَمَّد مُحَمَّد تامر ، دار السلام ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ : ٢٨٤/٣ ، وكَشَّاف القِنَاع عن مَتْن الإِقْنَاع ، لمنصور بن يونُس بن صلاح الدِّين بن حسن بن أَحْمَد بن علي بن إدريس البُهُوتي الحَنْبلي ، (ت١٠٥١ هـ) ، تحقيق : الشيخ هلال مصيلحي مصطفى هلال ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ : ٢١١/٥ .

(٤٣) ينظر : بدائع الصنائع : ١٣٨/٥ .

(٤٤) ينظر: الْعِنَايَة شَرْح الْهِدَايَة ، للإمام أكمل الدِّين مُحَمَّد بن محمود البابرتي ، (ت٧٨٦هـ) ، مطبوع عَلَى هامش الْهِدَايَة ، المكتبة التجارية الكُبْرَى ، مصر ، سنة ١٣٥٦هـ : ٣ / ١٩٩ ، وحاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٥٨ .

(٤٥) ينظر : بَدَائِع الصَّنَائِع : ٣ / ١٤٥ ، و تَبْيِين الْحَقَائِقِ شَرْح كَنْزِ الدَّقَائِقِ ، لأبي عُمَر فَخْر الدِّين عثمان بن علي بن مِحْجَن الزَّيْلَعي الْحَنَفِيّ ، (ت٧٤٣ هـ) ، دار المَعْرِفَة للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ٢٠٠٤م : ٢ / ٢٧١ – ٢٧٢ ،

وشرح فتح القدير : ٣ / ٢١٣ – ٢١٤ ، والبحر الرائق : ٤ / ٩٢ ، وحاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٥٩ .

(٤٦) ينظر : الْعِنَايَة : ٣ / ١٩٩ ، وحاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٥٨ – ٥٥٩ ، والْفِقْه الإسلاميّ وأدلته ، للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، ط٤ ، ١٩٩٧م : ٤٦٠/٩ .

(٤٧) ينظر : الْعِنَايَة : ٣ / ١٩٩ ، والدر المختار : ٤٨٢/٣ ، وحاشية ابن عابدين: ٢ / ٥٥٨ – ٥٥٩ ، والْفِقْه الإسلاميّ وأدلته : ٤٦٠/٩ .

(٤٨) ينظر : الْعِنَايَة : ٣ / ١٩٩ ، وحاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٥٩ .

(٤٩) ينظر : المغني : ٧ / ٦٦ .

(٥٠) ينظر : المصدر نفسه : ٧ / ٦٦ .

(٥١) ينظر : بدائع الصنائع : ٣ / ١٤٥ ، وتبيين الحقائق : ٢ / ٢٧١ – ٢٧٢ ، وشرح فتح القدير : ٢١٣/٣ – ٢١٤ ، والبحر الرائق : ٤ / ٩٢ ، وحاشية ابن عابدين : ٢ / ٥٥٩ .

(٥٢) ينظر : الشَرْح الصغير : ٢ / ٥١٨ .

(٥٣) ينظر : مغني المحتاج : ٢ / ٢٦٩ .

(٥٤) ينظر : الشرح الصغير : ٢ / ٥١٨ ، ومغني المحتاج : ٢ / ٢٦٩ .

(٥٥) ينظر : مغني المحتاج : ٢ / ٢٦٩ .

المصادر والمراجع

١. أَحْكَام الْقُرْآن ، لأَبِي بَكْرٍ أَحْمَد بن علي الرَّازِي الجَصَّاص ، (ت٣٧٠ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد الصادق قمحاوي ، دار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ١٤٠٥هـ .

٢. أَحْكَام الْقُرْآن ، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن عبدالله بن مُحَمَّد بن عبدالله بن أَحْمَد المَعَافري الإِشْبِيْلي المعروف بـ(ابن العَرَبِيّ) ، (ت٥٤٣هـ) تحقيق : علي مُحَمَّد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحَلَبي بمصر ، سنة ١٩٧٤م .

٣. الْبَحْر الرَّائِق شَرْح كَنْز الدَّقَائِق ، لزَيْن الدين بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد ابن مُحَمَّد بن بكر الشهير بابن نُجَيم . (ت٩٧٠ هـ) ، دار المَعْرِفَة بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .

٤. الْبَحْر الزَّخَّار الْجَامِع لمَذَاهِب عُلَمَاء الأَمْصَار ، لأَحْمَد بن يحيى المرتضى ، (ت٨٤٠هـ) ، مؤسسة الرِسَالَة ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٥م .

٥. بدائع الصنائع فِي ترتيب الشَّرَائِع ، لأَبِي بَكْرٍ علاء الدِّين بن مسعود أَحْمَد الكَاسَاني أو الكاشاني ، (ت٥٨٧هـ) ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

٦. بِدَايَة المُجتهِد ونهاية المقتصد ، لأبي الوليد مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد ابن رشد القرطبي بن الإمام مُحَمَّد بن أَحْمَد بن رُشْد القُرْطُبي الملقب بابن رُشْد الحَفيد ، (ت٥٩٥هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر بَيْرُوْت ، ٢٠٠٢م .

٧. التَاج الْمَذْهَب لأحكام الْمَذْهَب ، للشيخ أَحْمَد بن قاسم العبَّادي العنسي اليماني الصنعاني ، (ت٩٩٢هـ) مكتبة اليمن الكُبْرَى ، بلا تاريخ .

٨. تَبْيِين الْحَقَائِقِ شَرْح كَنْزِ الدَّقَائِقِ ، لأبي عُمَر فَخْر الدِّين عثمان بن علي بن مِحْجَن الزَّيْلَعي الْحَنَفِيّ ، (ت٧٤٣ هـ) ، دار المَعْرِفَة للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ٢٠٠٤م .

٩. التَّعْرِيفات ، لأبـي الْحَسَن علـي بـن مُحَمَّد بـن علـي الجرجـاني المعـروف بالسيد الشريف ، (ت٨١٦ هـ) ، تحقيق : إبْرَاهِيم الأبياري ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٠. تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم المعـروف بـ(تَفْسِيْر ابـن كَثِيـر) ، لأبـي الفداء عمـاد الـدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدَّمَشْقي ، (ت٧٧٤هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ١٤٠١هـ .

١١. التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبدالرؤوف المناوي ، (ت١٠٣١هـ) ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر . دمشق ، ودار الفكر للطباعة والنشر . بيروت ، ط١ ١٤١٠هـ .

١٢. الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبـي عبدالله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي ، (ت٦٧١ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٢ هـ .

١٣. حاشـية القَلْيُـوبي ، شِـهاب الـدِّين القَلْيُـوبي أَحْمَـد بـن أَحْمَـد بـن سَـلاَمة الشَّـافِعِيّ المَصْري ، (ت١٠٦٩هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، بلا تاريخ .

١٤. حواشـي الشـرواني علـى تحفـة المحتـاج بشـرح المنهـاج ، لعبدالحميد ابـن حسـين الشرواني الداغستاني المكي ، (ت١٢٥٣ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا تاريخ .

١٥. الـدُّرّ الْمُخْتَـار ، لمُحَمَّـد بـن علـي الملقَّـب عـلاء الـدِّين الْحَصْـكَفِيِّ الدمشـقي ، (ت١٠٨٨هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ .

١٦. الـرَوْض المربـع شَـرْح زَادُ الْمُسْـتَقْنِع ، لمنصـور بـن يـونس بـن إدريـس البهـوتي ، (ت١٠٥١هـ) ، مكتبة الرياض الْحَدِيثة ، الرياض ، ١٣٩٠هـ .

١٧. شَرَائِع الإسلام فِي مسائل الحلال والحرام . لأبي القاسم جعفر بن الْحَسَن بن يحيى الهذلي المعروف بـ(المحقق الحلي) ، (ت٦٧٦هـ) ، مؤسسة مطبوعاتي إسماعليان ، بلا تاريخ .

١٨. شَرْح الخَرَشي عَلَى مُخْتَصَر سيدي خليل بن إِسْحَاق الجُنْدي المالكي (ت٧٧٦هـ) ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله بن علي ، (ت١٠١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .

١٩. الشـرح الصـغير عَلَـى أقـرب المسـالك لمـذهب الإمـام مالـك ، لأَحْمَـد بـن مُحَمَّـد الصَّـاوِي المـالكي ألخلـوتي ، (ت١٢٤١هـ) ، خـرج أحاديثـه وفهرسـه وقـرر عليـه بالمقارنة بالقانون الْحَدِيث : الدكتور مصطفى كمال وصفي ، مطبعة دار المعارف ، ط١ ، مصر ، ١٩٧٢ . ١٩٧٤م .

٢٠. شَرْح النِّيل وشفاء العليل ، لمُحَمَّد بن يوسف بن عيسى أَطْفَيِّش ، (ت١٣٣٢هـ) ، مكتبة الإرشاد، جدة ١٤٢٣هـ . ١٩١٤م .

٢١. شَرْح فَتْح الْقَدِيرِ ، لكمـال الدِّين مُحَمَّد بـن عبد الواحد السيواسـي المعروف بـابن الهمام ، (ت٨٦١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .

٢٢. صَحِيْح الْبُخَارِيّ ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، ودار اليمامة ، بَيْرُوْت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

٢٣. طَلِبَة الطَّلَبَة فِي الاصطلاحات الْفِقْهِيَّة ، لأبي حفص نجم الدِّين بن حَفْص عُمَر بـن مُحَمَّـد بـن أَحْمَـد بـن إسـماعيل بـن لقمـان ألنسـفي السَّـمَرقَنْدي ، (ت٥٣٧هـ) ، تحقيق : خليل الميس ، دار القلم . بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦م .

٢٤. الْعِنَايَة شَرْح الْهِدَايَة ، للإمام أكمل الدِّين مُحَمَّد بن محمود البابرتي (ت٧٨٦هـ) ، مطبوع عَلَى هامش الْهِدَايَة ، المكتبة التجارية الكُبْرَى ، مصر ، سنة ١٣٥٦هـ .

٢٥. فتح الباري شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ ، لأَحْمَد بن علي المعروف بابن حَجَر العَسْقَلاني ، (ت٨٥٢ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، ومُحِبّ الدِّين الْخَطِيب ، (ت١٩٦٩م) ، دار المَعْرِفَة بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٣٧٩هـ .

٢٦. الْفِقْه الإسلاميّ وأدلته ، للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ط٤ ، ١٩٩٧م .

٢٧. فقه السنة ، السيد سابق ، . دار الفتح ، مصر ، ٢٠٠٠م .

٢٨. قواعد الفقه ، لمحمد عميم الإحسان ألمجددي البركتي ، مطبعة الصدف ببلشرز ، كراتشي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

٢٩. كَشَّاف القِنَاع عن مَتْن الإِقْنَاع ، لمنصور بن يونُس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن أَحْمَد بن علي بن إدريس البُهُوتي الحَنْبلي ، (ت١٠٥١هـ) ، تحقيق : الشيخ هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

٣٠. لِسَان العَرَب ، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بَيْرُوْت ، لُبْنَان ، ط١ ، ١٩٦٨م .

٣١. المحرر فِي الْفِقْه عَلَى مذهب الإمام أَحْمَد بن حنبل ، لمجد الدِّين عبد السلام بن عبدالله بن أَبِي القاسم ابن تيمية الحراني ، (ت٦٥٢هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .

٣٢. المُحَلَّى ، لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد سعيد بن حَزْم الظاهري الأَنْدَلُسي ، (ت٤٥٦ هـ) ، تحقيق : لجنة إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ ، دار الآفاق الجديدة ، بَيْرُوْت، ١٩٧٨م.

٣٣. مدى حق الزوجة في إنهاء عقد النكاح بالخلع ، الدكتور عبد الكريم زيدان ، من أبحاث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة ، ٢٠٠٦م .

٣٤. معجم لغة الفقهاء ، لمحمد رواس قلعة جي ، تحقيق : د . حامد صادق قنيبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ .

٣٥. الْمُغْرِب فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرِبِ ، لأبي الفَتْح ناصر الدِّين بن عبد السيد ابن علي بن المُطَرِّز ، (ت٦١٠هـ) ، تحقيق : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مُخْتَار ، مكتبة أسامة بن زَيْد ، حلب ، ط٢ ، ١٩٧٩م

٣٦. الْمُغْنِي ، لمُوفَّق الدِّين عبدالله بن أَحْمَد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامَةَ المَقْدِسي ، (ت٦٢٠هـ) ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٢م.

٣٧. مُغْني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدِّيْن مُحَمَّد ابن أَحْمَد الشر بيني القاهري الشافعي الخَطِيب ، (ت٩٧٧هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا تاريخ .

٣٨. المُقْنِع ، لمُوفَّق الدِّين عبد الله بن أَحْمَد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامَةَ المَقْدِسي ، (ت٦٢٠هـ) ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ١٩٧٢م.

٣٩. مِنْح الجَلِيْل عَلَى مُخْتَصَر سيدي خليل ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن مُحَمَّد الملقب بعِلِيش ، (ت١٢٩٩هـ) ، المطبعة الكُبْرَى العامرة ، مصر ، ١٢٩٤هـ.

٤٠. مَوَاهِب الجَلِيْل لشَرْح مُخْتَصَر خليل ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الرحمن الطَّرَابُلُسي المَغْرِبي ، المعروف بالحَطّاب ، (ت٩٥٤هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٣٩٨م .

٤١. الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٤هـ .

٤٢. نهاية الْمُحْتَاج إلى شَرْح الْمِنْهَاج ، لشمس الدِّين مُحَمَّد بن أَبِي العباس شهاب الدِّين أَحْمَد بن حمزة الرَّمْلي المتوفى المَصِري الأنصاري الشهير بالشَّافِعِيّ الصغير ، (ت١٠٠٤هـ) ، مكتبة ومطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٣٨م.

٤٣. الوَسِيْط فِي الْمَذْهَب ، لأبي حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الْغَزَالِيّ (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق : مَحْمَد محمود إِبْرَاهِيم . ومُحَمَّد مُحَمَّد تامر دار السلام ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

Abstract

I suggested in the Eat of this research offer an important issue frequently they occur among people formerly At the present time, it was an obvious choice for some of the issues related to the conditions of the family in order to search an extensive and the highlight perhaps the most prominent (the impact of the Federation Council in divorce), also addressed some of the pictures Khula, which lacks the Federation Council, was a very important statement of the ruling in this image, Vmutir every care to present the views of scholars of doctrines (may Allaah) and their evidence and discussed with the statement correct them, as it is much talk about such thing as divorce and its legal effects in some Arab and Islamic countries Vtnol between supporters and dismissive.

القول وجملته بين النحو والدلالة

م. د. عبد الرزاق فياض علي
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث شكلاً من أشكال الأداء اللغوي في العربية، هو القول وجملته للوقوف على بنائها ودلالتها.

فلم يرد القول وجملته في العربية على شكل واحد، فقد تؤدّى بالفعل الماضي، أو المضارع، أو الأمر، وقد ترد محكية بالقول.

وحاول البحث تقصّي هذه الأشكال في النصوص الفصيحة، وفي أمثلة النحويين، وبيان موقف أصحاب الدلالة منها.

وكان للمجاز أثر كبير في توجيه دلالات هذه الجملة القولية، فضلاً عن المقام والقرائن.

وتبين لنا من خلال البحث أنّ جملة القول باب واسع وكبير من أبواب اللغة والعربية خاصة؛ لأنها اعتمدت السماع مصدراً للتقعيد النحوي وتفسير التراكيب النحوية على أسس نحوية دلالية تكشف عن أداء المتكلم في مواقف الاستعمال المختلفة.

المبحث الاول

القـــول

يطلق القول على الكلام المفيد وغير المفيد، أمّا الكلام المحكي بعد القول فلا يكون إلا مفيداً فائدة يحسن السكوت عليها[١].

وقد تنوعت أشكال الأداء التي يأتي بها لفظ القول، فمرة يؤدّى بصيغة الماضي، وأخرى بصيغة المضارع، وأحياناً بصيغة الأمر.

أ: الدلالة الزمنية لأفعال القول.

١-دلالة الماضي:

كقوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ چ[٢]، وقوله تعالى: چ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ چ[٣] وقوله تعالى: چ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ چ[٤]

فورد فعل القول في الآيات الثلاث المذكورة آنفاً بصيغة الماضي للدلالة على حوار قد جرى وانتهى؛ إلاّ أنْ التعبير بصيغة الفعل الماضي لفظاً قد يصرف إلى دلالة أخرى مستقبلية يظهرها سياق النص وقرائنه، نحو قوله تعالى لعيسى بن مريم (عليه السلام) : چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ[٥]، فدلالة فعل القول نحو المستقبل؛ لأن الحوار سيجري يوم القيامة، يقول ابن الشّجري ت(٥٤٢هـ) : ((هذا القول إنّما يوجّه من الله تعالى إلى عيسى ابن مريم (عليه السلام) يوم البعث))[٦]والاتيان بصيغة الماضي للاحداث المستقبلية في القرآن الكريم جاء لزيادة التحقيق وتأكيد الوقوع كما هو معروف.

٢-دلالة المضارع:

وأمّا الأداء بصيغة المضارع فقد ورد بأشكال مختلفة، نحو قوله تعالى: چ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ [٧]. فورد المضارع منفياً بعد القول، ودلالته المستقبل؛ لأن ((لا لنفي المستقبل))[٨].

يدل الفعل المضارع على الحال والاستقبال ،ان لم تكن في السياق قرينة تدل على احدهما ، وورد بدلالة الحال في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ چ[٩].

وجاء المضارع بدلالة الماضي في قوله تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[١٠]، يقول ابن هشام ت(٧٦١هـ): ((تَلْزم (إذ) الإضافة إلى جملة إمّا اسمية أو فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنىً، أو فعلها ماضٍ معنىً لا لفظاً))[١١]. وهنا وردت الجملة الفعلية في محل المضاف اليه وفعلها مضارع لفظاً وماضٍ معنىً.

وقد يقترن فعل القول المضارع بالسين فتنصرف دلالته نحو الاستمرار على رأي السيوطي ت(٩١١هـ)[١٢] نحو قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ چ[١٣].

ويأتي فعل القول المضارع دالاًّ على الاستمرار دون التقييد بزمن معين نحو قوله تعالى چ ک ک گ گ چ[١٤]، أي دائماً وباستمرار؛ لأنه هو الحق.

وقد يرد فعل القول مضارعاً في سياق الاستفهام للتقرير، نحو قوله تعالى: چ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں چ[١٥] والمضارع هنا دَلّ على الماضي بعمل (لم) أداة القلب.

٣-دلالة الامر:

ويأتي القول بصيغة الأمر في قوله تعالى: چ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ چ[١٦].

وهكذا تتعدد صيغ القول بالفعل مع اختلاف الدلالة باختلاف السياق الذي يرد فيه فعل القول.

ب:علاقات القول الدلالية:

١ـالترادف (تضمين الافعال معنى القول)

ثمة طائفة من الأفعال تجري مجرى القول فتحكى بعدها الجمل نحو:

- (دعا) في قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[١٧]، فكسر إنّ دلالة على تضمن الفعل لمعنى القول والجملة بعده محكية[١٨].

وقرأ، في قولنا: قرأتُ بالحمد للهِ ربّ العالمين[١٩]، أي: قلتُ.

- ونادى في قول الشاعر[٢٠]:

تنادوا بالرّحيلُ غداً وفي ترحالِهم نفسي

أي تنادوا بقولهم: الرحيلُ غداً.

- وظنّ، وهذا الفعل قد تلازمه (ما) ليكتمل توجيهه نحو القول على رأي الفرّاء ت(٢٠٧هـ)، نحو قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[٢١]، فقد ذكر أنّه ((دخلت ما مع الظنّ؛ لأنها في معنى القول واليمين))[٢٢].

ومنه الفعل (أرسَلَ) في قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[٢٣]، فالزمخشري ت(٥٣٨هـ) يرى أنّ ((أَنْ، مفسِّرة لأرسَلْنا، أي: قلنا لهم على لسان الرسول (ﷺ) اعبدوا الله))[٢٤].

وكذلك الفعل (أوحى) في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ[٢٥]. يقول الزمخشري: ((الإيحاء فيه معنى القول.. وأصله أنذر الناس على معنى أنّ الشأنَ، قولنا: أنذر الناس))[٢٦] وكذلك الفعل تلا في قوله تعالى:

ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[٢٧]، يقول الزمخشري ((التلاوة من القول))[٢٨].

٢-المشترك اللفظي (الاشباه والنظائر للفظ القول):

للقول دلالات تختلف باختلاف الأحوال والمقامات التي ترد فيها، وسنعرض لأهم ما خرجت به جملة القول من الدلالات:

١- القول بمعنى الأمر: ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ[٢٩] ، يقول الراغب الإصفهاني ت(٥٠٢هـ) معناه: ((لفي أمرٍ مختلف من البعث فسمّاه قولاً، فإنّ المقول فيه يسمّى قولاً، كما أنّ المذكور يسمّى ذكراً))[٣٠]. وهنا يلحظ أنّ الراغب قد صرف دلالة القول نحو الأمر مجازاً بملاحظة سياق الحال بين المتكلّم والمخاطب.

٢- القول بمعنى الحلف: ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[٣١]. يقول الزمخشري: ((يُراد بالقول: الحلف الكاذب))[٣٢].

٣- القول بمعنى الدّعاء: ومنه قوله تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[٣٣]، ويرى أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) ((أنّ القولَ المعروف هو الدّعاء))[٣٤].

٤- القول بمعنى المعجزة: وذلك نحو قوله تعالى: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ[٣٥]، يقول الشريف الرضي ت(٤٤٩هـ): ((هذه استعارة؛ استعارة؛ لأنه ليس هناك شيء على الحقيقة يُؤمر ولا قول يسمع، وإنّما هذا القول عبارة عن تحقيق الإرادة وسرعة وجود المراد من غير معاناة ولا مشقة فهو إخبار عن نفاذ قدرته تعالى))[٣٦].

٥- القول بمعنى الظن: إذا ورد بعد القول جملة اسمية فيُعامل القول معاملة الظنّ فينتصبُ به المبتدأ والخبر، وذلك بشروط اشترطها النحويون[٣٧]، ومنه قول الشاعر الكميت بن زيد الأسدي[٣٨]:

أ جُهّالاً تقولُ بني لؤيٍّ لَعَمْرُ أبيكَ أم متجاهلينا

وأمّا بنو سُليم فيجرون القول أجمع مجرى الظّنّ لفظاً ومعنىً بدليل قول الشاعر:

إذا قلتُ أنّي آيبٌ أهلَ بلدةٍ نزعتُ بها عنهُ الوليةَ بالهَجرِ

والمعنى إذا ظننتُ أنّي[٣٩].

٣-المجاز (مجاز القول)

قد يسند القول إلى غير الإنسان فتترك الدلالة المعجمية للقول و تحلّ محلها الدلالة المجازية، وهو ما يعكس الطاقة التعبيرية للعربية بانزياح الدلالات من معناها الحقيقي إلى المعاني المجازية اتساعاً في التعبير. ومن ذلك قوله تعالى: چ ٻ ٻ ٻ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ چ[٤٠]، والواو في (قالوا) ضمير عائد على الملائكة في صدر الآية: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ ڀ چ[٤١]، فأسند سبحانه وتعالى فعل القول للملائكة، ويرى الزمخشري أنّه ((مجاز من الكلام ولا قول))[٤٢]، في حين يرى ابن قتيبة ت(٢٧٦هـ) أنّ ((المحاورة حقيقية مبنية على الخطاب))[٤٣].

ومنه اسناد القول إلى الجنّ في قوله تعالى: چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ چ[٤٤]، فقول الجنّ هنا ((لا يعلم حقيقته إلاّ الله تعالى، وكلّ ما يمكن أن نقوله في هذا الموضوع – إذا كان المراد بالجنّ ما يقابل الإنس فإنّ الله تعالى علّم بالكلام أولئك النفر من الجنّ فأوحى معناه إلى رسوله كما أوحى إليه سائر آيات القرآن الكريم))[٤٥].

ومنه أيضاً إسناد الكلام إلى النملة في قوله تعالى: چ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ چ[٤٦]، أو إلى الهدهد في قوله تعالى: چ ... ى ى ې ې ... چ[٤٧].

ويعقّب الجاحظ ت(٢٥٥هـ) على اسناد القول الى النمل بقوله: ((ما صدر عن النملة من البيان والقول والمنطق الذي يفصل بين المعاني التي هي سبيلها ربّما يدلّ على أنّها كانت مكلّفة ومأمورة ومنهية ومطيعة وعاصية))[٤٨]. ويرى غيره ((أن للحيواناتِ لغة تتفاهم بها كل مجموعة ، وهي لغة غريزية ألهم الله بها خلقه من الحيوانات))[٤٩]. وقوله بالغريزة يبعدها عن المفهوم الحقيقي للغة في نقل الأفكار خاصة، بل ربما لغة إشارة تنبئ بالشيء ودلالة طبيعية حالها حال الدلالات الأخرى غير اللغوية، وإنّما الإسناد هنا مجازي.

وقد يسند فعل القول إلى ما هو جماد نحو قوله تعالى: چ ې ... چ[٥٠]، أو قوله تعالى: چ ... ى ى ې ې ... چ[٥١].

فإنّ ما لحِقَ بجملة القول من معانٍ إضافية أو ثانوية إنما يعود إلى قرائن حالية وسياقية تحيط بالنص أو تكتنفه للدلالة على سعة العربية وقدرتها على استيعاب كلّ أنواع التعبير والدلالات المختلفة، ويلحظ ذلك في أسلوب الحوار ((فكل نصٍّ يقع بعد كلمة قال يعتبر حواراً))[٥٢].

المبحث الثاني

جملة القول

أ-حكاية جملة القول:

وحكاية القول باب واسع في العربية، قال سيبويه ت(١٨٠هـ): ((واعلم أنّ (قلتُ) إنّما وقعت في كلام العرب على أنْ يُحْكَى بها، وإنما تَحْكِي بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً نحو: قلتُ: زيدٌ منطلقٌ؛ لأنّه يحسن أن تقول: زيدٌ منطلقٌ، ولا تدخل (قلتُ)وما لم يكن هكذا اسقط القول عنه))(٥٣).

فموضع جملة مقول القول على رأي سيبويه يكون بعد فعل القول، والجملة بعد القول هي حكاية القول، قال المبرد ت(٢٨٦هـ): ((ألا ترى أنّك تقول: قال زيدٌ: عمروٌ أخوك، وقلتُ: قام عبدُ الله، ولو كان فعلاً لا يقع بعد الحكاية لم يجز أن يكون إلى جانب قامَ))(٥٤).

ويرى ابن عصفور ت(٦٦٩هـ) أنّ ((الحكاية إمّا أنْ ترجع إلى اللفظ أو إلى المعنى. وباطل أن ترجع في مثل قولك: قال زيدٌ: عمروٌ، إلى المعنى؛ لأنّ عمراً اسم شخص و الأشخاص ليست من جنس المعقولات فلم يبق إلاّ أن ترجع الحكاية إلى اللفظ. وإذا كان كذلك فينبغي أن تحافظ على لفظ المتكلم، يريد من رفع أو نصب أو خفض))(٥٥).

فإذا سميت بـ((تأبّط شرّاً)) فالحكاية جاءني تأبط شرّاً، ورأيتُ تأبّطَ شرّاً ومررتُ بتأبطَ شرّاً. فحكاية تأبط شرّاً جرت مجرى القول.

ب-اعراب جملة القول :

يرد بعد القول جملة فعلية أو اسميّة صريحة أو مؤولة، ومثال المؤول قول امرئ القيس(٥٦):

إذا ذقتُ فاها قلتُ طعْمَ مُدامةٍ معتّقةٍ مما تجيءُ به التُّجرُ

فجملة القول في محل نصب على تقدير: ذقتُ طعمَ مُدامةٍ؛ لأنّه حكاية(٥٧).

((وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله تعالى: ﴿ ٿ ٹ ٹ ڤ ﴾ على تقدير: يقال له يا إبراهيمُ، فحكى))(٥٨).

جـ-حذف فعل القول :

يحذف فعل القول احياناً، ويدلّ عليه سياق الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿ ژ ژ ڑ ک ک ک ک ﴾(٥٩)، أي يقولون: ما نعبدهم(٦٠).

ومثله قوله تعالى: ﴿ گ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ﴾(٦١)، ((أي يقولون: سلامٌ عليكم))(٦٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ﴾(٦٣). والمعنى عند الزمخشري: ((يقولان: ربَّنا، وهذا الفعل في محل نصب على الحال، وقد أظهره عبد الله في قراءته، ومعناه: يرفعانها قائلين: ربّنا إنَّك أنت السميع العليم))(٦٤).

خاتمة البحث ونتائجه:

من المعروف ان السماع يعد مصدراً واسعاً من مصادر اللغة العربية؛ لأنه مبنيٌّ على المشافهة والحوار، ويصف اللغة في مواقف الاستعمال؛ لذلك كانت الحكاية بالقول هي نقل للخبر في تلك المواقف مثلما هي، وهذا ما يؤكد عليه المنهج الوصفي في الدرس اللغوي الحديث.

وقد عرض البحث لأداءالقول وجملته بأشكالها المختلفة مشيراً إليها سواء في لفظ القول، أو ما تضمنته الافعال من معنى القول، وقد يحذف فعل القول أحياناً لدلالة الحال عليه.

وكان للسياق والقرائن الأثر الكبير في توجيه الدلالات المختلفة للقول وجملته وفي المجاز خاصة، وهو ما يؤكد سعة الاستعمال في هذه الأفعال وقدرتها على استيعاب المعاني المختلفة التي تؤديها جملة القول.

وتمّ التركيز في هذا البحث على النصوص الفصيحة من القرآن الكريم أولاً، ومن شعر العرب ثانياً؛ لأنها تمثّل المستوى الأعلى والأفصح للأداء اللغوي.

وأظهر البحث دلالات القول من مصادرها المختلفة وآراء العلماء فيها، مؤكّداً على أنَّ الدلالات التي أفضى اليها القول أغلبها قد جرى في محاورات كلامية بين متكلم ومخاطب، فهما العنصران الأساسيان في عملية التداول اللغوي عند الاستعمال.

الهوامش:

(١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٢٨٢.
(٢) البقرة: ٣٠.
(٣) البقرة: ١١.
(٤) المائدة:١١٧.
(٥) المائدة:١١٦.
(٦) أمالي ابن الشجري: ٢/ ٣٥.
(٧) الأنعام: ٥٠.
(٨) شرح المفصل، ابن يعيش ٨/ ١٠٨
(٩) ص: ٨٤.
(١٠) الأحزاب: ٣٧.
(١١) مغني اللبيب: ١/ ٧٧.
(١٢) ينظر: معترك الأقران ٣/ ٢٧٤.
(١٣) البقرة: ١٤٢.
(١٤) الأحزاب: ٤.
(١٥) البقرة: ٣٣.
(١٦) طه: ٤٤.
(١٧) القمر: ١٠.
(١٨) الكسر :قراءة عيسى وابن ابي اسحاق.ينظر :شواذ القراءات لابن خالويه :١٤٧.
(١٩) ينظر: شرح جمل الزجاجي٢/ ٤٦٤.
(٢٠) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢١) فصّلت: ٤٨.
(٢٢) معاني القرآن، الفراء:١/ ٨٠.
(٢٣) المؤمنون: ٣٢.
(٢٤) الكشاف:٢/ ٦٢.
(٢٥) يونس: ٢.
(٢٦) الكشاف:١/ ٥٤٠.
(٢٧) الأنعام: ١٥١.
(٢٨) الكشاف:٢/ ٦٢.
(٢٩) الذاريات: ٨.
(٣٠) المفردات للراغب الاصفهاني: ٦٨٩.
(٣١) النساء: ١٠٨.
(٣٢) الكشاف:١/ ٤٣٧.
(٣٣) النساء: ٥.
(٣٤) البحر المحيط: ٣/ ١٧٦.
(٣٥) النمل: ٤٠.
(٣٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن : ١٩٤.
(٣٧) ان يكون فعل القول فعلاً مضارعاً لمخاطب قبله اداة استفهام لا يفصل بينها وبين الفعل إلا بظرف أو مجرور أو أحد مفعولي القول. ينظر: شرح جمل الزجاجي: ٢/ ٤٦٣.
(٣٨) من شواهد سيبويه: ينظر الكتاب:١/ ١٢٣.
(٣٩) ينظر: شرح جمل الزجاجي:٢/ ٤٦٤.
(٤٠) البقرة: ٣٠.

(٤١) البقرة:٣٠.
(٤٢) الكشاف: ٢/ ٤٧٢.
(٤٣) تأويل مشكل القرآن: ١١٢.
(٤٤) النمل: ٣٩.
(٤٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٢/ ٢٤٦.
(٤٦) النمل: ١٨.
(٤٧) النمل: ٢٢.
(٤٨) الحيوان: ٤/٩.
(٤٩) العربية لغة العلوم والتقنية: ٣٧.
(٥٠) فصّلت: ١١.
(٥١) ق: ٣٠.
(٥٢) الزمن في النحو العربي:١٩١.
(٥٣) كتاب سيبويه: ١/ ١٢٢.
(٥٤) المقتضب : ٤/ ٧٩.
(٥٥) شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: ٢/ ٤٦٢– ٤٦٣.
(٥٦) ديوانه: ١١٠.
(٥٧) ينظر: شرح جمل الزجاجي٢/ ٤٦٣.
(٥٨) شرح جمل الزجاجي:٢/ ٤٦٣.
(٥٩) الزمر: ٣.
(٦٠) ينظر: شرح جمل الزجاجي٢/ ٤٦٤.
(٦١) الرعد: ٢٣، ٢٤.
(٦٢) شرح جمل الزجاجي:٢/ ٤٦٤.
(٦٣) البقرة: ١٢٧.
(٦٤) الكشاف :١/ ١٤٠.

ثبت المصادر والمراجع:

١- أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مصر، ١٩٩٢.
٢- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: أحمد عبد الموجود عوض، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
٣- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، ١٩٧٣.
٤- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تح: محمد عبد الغني حسن، القاهرة، ١٩٥٥.
٥- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٩٤٣م.
٦- الزمن في النحو العربي، د. كمال إبراهيم بدري، ط١، دار أمية للنشر، الرياض، ١٤٠٤هـ.
٧- شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
٨- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، تح: د. صاحب أبو جناح، دار الكتب ، الموصل، ١٩٨٢.
٩- شرح المفصل، ابن يعيش، المطبعة المنيرية، مصر، د. ت.
١٠- العربية لغة العلوم والتقنية، د. عبد الصبور شاهين، ط٢، دار الاعتصام، ١٩٨٦.
١١- كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، القاهرة، ١٩٨٣.
١٢- الكشاف، الزمخشري،ط٢، القاهرة، ١٩٥٣.
١٣- معاني القرآن، الفراء، تح: أحمد صالح نجاتي، الهيئة العامة المصرية، ١٩٧٠.

١٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر، بيروت، د. ت.
١٥- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٣.
١٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،ابن هشام الأنصاري،مطبعة البابي الحلبي، دمشق، د.ت.
١٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧.
١٨- المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

""العلاقة بين الإسم الموصول و أسم الاشارة في اللغات العاربة - السّامِيّة - ""

- دراسة مقارنة-

م. م. محمـــــود شـــــفيق عــــــرميط
جامعة تكريت/ كلية الآداب/قسم اللغة العربية

" مستخلص البحث"

"" بسم الله الرحمن الرحيم ""

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين

وبعد:

فبين يدينا موضوعُ يتناول العلاقة بين اسم الموصول واسم الاشارة في اللغات العاربة دراسة مقارنة، الغاية منها محاولة إرجاعه الى صيغ هي أقدم بالمقارنات الصوتية ومن ثم مراحل تطوره الصوتي في اللغات العاربة، فضلاً عن محاولة اكتشاف أقدم صورة للاستعمال المشترك للإسم الموصول للتعبير عن كلا الجنسين استقراء من خلال المقارنة الصوتية والشواهد ذات الصلة وكيف تطورت حركته فيما بعد إلى صائت آخر ومن ثم استعمال هذا التباين الصوتي في التطور الى صيغتين للتفريق بين التذكير والتأنيث.

وأرجو أن أكون قد أوفيت لهذه المحاولة حقها، والله الموفق.

-الباحث-

الرموز الصوتية الدالة:

،: عين.

,: همزة.

ā: فتحة طويلة ، اليف.

a: فتحة قصيرة.

ī: كسرة طويلة، ياء.

i: كسرة قصيرة.

ē: امالة طويلة.

e: امالة قصيرة.

Ə: امالة مخطوفة.

Ō: ضمة طويلة ممالة.

O: ضمة قصيرة ممالة.

ū: ضمة طويلة ، واو.

u: ضمة قصيرة.

ṭ: حرف طاء.

المحور الاول

الإسم الموصول في اللغات العاربة – السّاميّة –"وجهة نظر تاريخية"

مدخل

يتناول هذا البحث موضوع العلاقة بين اسم الاشارة والاسم الموصول في اللغات العاربة وهو يختلف عن اسم الاشارة غير المتصرف " ذا "[١].

والاسم الموصول هو ما افتقر الى الوصل بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور تامَّيْن او وصف صريح وإلى عائد[٢] وهو من الضمائر الموصولة وهي " مَنْ وما وأي والذي ""[٣] ويعَد أحد المعارف في اللغات العاربة، والمعارف هي عكس المناكير أو النكرات.

والتعريف والتنكير ظاهرة شائعة في لغات العالم تقع بين المعروف والمجهول أو المعين والشائع في جنسه، ومن ثم كان مفهوم التعريف والتنكير في اللغات واحدًا أو يكاد، لكن وسائل التعبيرعنه تختلف من لغة إلى اخرى[٤].

واللغويون المحدثون " من غير العرب " أيضًا يرون أن ظاهرة التعريف متصلة " في أصلها " اتصالا وثيقا بظاهرة " الإشارة " أو هي جزء منها

كما أدركوا أن ثمة مورفيمات أخرى تقوم بوظيفة التعريف فضموها إليها وأطلقوا عليها جميعا مصطلحا جامعا وهو " المحددات "" Determines " وجعلوه دالا على فصيلة مستقلة وهي " المعارف "[٥]

المطلب الأول

المعارف في اللغات العاربة " السّاميّة "

يرجع بعض الأدوات في اللغة العربية (واللغات العاربة) الى أصول واحدة مشتركة يساعد في الكشف عنها الدراسة المقارنة مع باقي اللغات العاربة، ومثال هذا هو" اسماء الإشارة " "والأسماء الموصولة"واللتان تُعَدّان من المعارف فسنحاول أن نسلط الضوء على ذلك كي نثبت العلاقة بينهما والوشائج والروابط التاريخية اللغوية بينهما في اشتراكهما في أصل واحد يرجعان إليه في مرحلة سابقة على اختصاص كل منهما بوظيفة لغوية مستقلة عن الأخرى[٦] والمعارف سِتّ أساسيات في اللغات العاربة وألحقت بها عند العرب بعض الأدوات التي تعد لواحق للمعارف، والمعارف في اللغات العاربة: –

١ – الضمير　　٢– العلم　　٣– اسم الاشارة　　٤ – الاسم الموصول
٥ – المعرف بالأداة　　٦ – المضاف إلى معرفة من ألمعارف السابقة[٧]

وهناك من العرب من ألحق المنادى " النكرة المقصودة " بالمعارف [٨]، وهناك أيضا من أدخل نوعاً ثامناً من المعارف عند العرب وهو ألفاظ التوكيد: " أجمعون – أجمع – جمعاء– جمع " [٩]

وهناك من ألحق " من " و " ما" الاستفهاميتين[١٠] بالمعارف " وهي ما تعرف بالكنايات ".

المطلب الثاني

"الأصل التاريخي المشترك لضمير الوصل الإشاري في اللغات العاربة "السّاميّة "

ترتبط الأسماء الموصولة في جمهرة اللغات العاربة بأسماء الإشارة ولاسيما "الذال " [١١] ويرد "الذال " علامة للإشارة في جميع اللغات العاربة تقريبا لأنّ الأسماء الموصولة أصلها في كل اللغات العاربة أسماء إشارة[١٢]، وفي كتاب سيبويه يسميها سيبويه " الأسماء المبهمة " للدلالة على أسماء الإشارة والأسماء الموصولة[١٣] وأن " ذو " بمعنى " صاحب " قريب من إسم الإشارة[١٤]،"كأن فيها إشارة معنوية ""، وأنّ الذي تظهره المقارنة اللغوية للغات العاربة أنَّ التمايز بين هذين النوعين من الأدوات أو الأسماء " الإشارة والموصولة " لم يكن في حقبة مبكرة من التاريخ اللغوي قد إكتمل على الوجه الذي آل اليه لاحقا، ففي كثير من اللغات العاربة أدوات متقاربة تقاربا شديدا بعضها إشاري وبعضها موصولي، الأمر الذي يوحي بأصول مشتركة بينهما[١٥] فان صح هذا الترابط فقد توسعت دائرة الاشتراك في الأصول لتشمل الضمائر عامة بما فيها ما يمكننا أنْ نسميه " ضمائر الإشارة والموصول " [١٦] وليس بمستغرب إذْ إنّ بعض اللغات العاربة كالسريانية والعبرية تستعمل ضمائر الغيبة للإشارة، فهي إنما ترجع إلى أصل مشترك[١٧] إذ تلحق بالضمائر: أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وقد نشأت في اللغات للتعبير عن شيء واحد، فالإشارة هي نوع من الدلالة على الاشياء، والموصولات هي دلالة على الأشياء كذلك، وفي كل هذه تعابير عن أشياء ذوات مدلولات مادية أو شخصيات معنوية ولهذا وجب الكلام عليها في صعيد واحد[١٨].

ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في اللغة الحبشية " Za "، "Əlla’" بإزاء ZƏ و Əllū’ للإشارة[١٩]، وفي اللغة الحبشية أيضاً يرد في الأنجيل المدون بالحبشية

شيء من ذلك فيرد اسم الاشارة "زا" "هذا" بدلاً من "ز" اسم الموصول "الذي" في عبارة: "جاع أخيراً / انجيل مَتّى صح ٤/ع٢" والترجمة الحرفية: – الذي جاع أخيراً – [٢٠].

وفي العبرية تقع " Zēh " للاشارة غالبا إلا انهاقد تكون موصولية ولا سيما في الشعر[٢١]، وقد استخدمت العبرية اسم الأشارة "Zēh" اسم موصول في العهد القديم "التوراة" مثل "Māqōm Zēh yāsadtā" "م ا ق و م "زِ يَ هْ" ي ا سَ دْ ت ا / مزمور ١٠٤–٨ " بمعنى: "المكان الذي أسسه"[٢٢]. كما أنّ " Zū " من الأدوات الموصولة، ويقابلها في العربية " ذو" الطائية، والتقارب بين النوعين قائم في سائر اللغات الشمالية الغربية: كالفينيقية والارامية والأوجاريتية[٢٣].

وفي السريانية ايضاً ورد استخدام اسم الاشارة محل الاسم الموصول، في مثل:– " Mtl "hana " ’amreen nara‘ ̩ndbah lmaria " "م طِ ل " هـٰ ن ا " ام ر ي ن ن ا ر ع ن د بَ ح ل م ر ي ا " / خروج صح ٥ / ع ١٧ " بمعنى: "لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب" ، والترجمة الحرفية: – من أجل "ما" يقولون... –.

كما يجعلنا نذهب إلى القول ان استعمال اسم الاشارة بدلاً من الاسم الموصول "عاربي – سامي – " الأصل، وقد حافظت اللغة العربية على هذا الاستعمال، كما يرد في القرآن الكريم، وفي بعض كلام العرب، واشار اليه نحاة الكوفة – كما سنرى بعد قليل–[٢٤].

أما في الأكدية فاننا نجد أن العنصر الموصولي ألاساسي هو الشين " Š"[٢٥] الذي عرفته الأكدية بفرعيها البابلي والأشوري[٢٦] لكنها أخذت " Šā " فقط لتعني " ذا، ذو، ذي " وأما " Šu، Ši " فقد أخذتا لمدلولي " هو، هي " [٢٧] " فمنه Š u للمفرد المذكر، Šāt للمفرد المؤنث، Šūt لجماعة الذكور.... الخ " ومن المرجح ان يكون مرتبطا في النشأة بضمائر الغيبة المتصلة نحو: –

" uŠ للمفرد المذكر، Ša للمفرد المؤنث، Šunu لجماعة الذكور، الخ"[٢٨] إذّ حل حرف الصفير فيها " s" محل "الهاء " في المذكر في الاكدية والمعينية والقتبانية وحلت "الهاء " محل حرف الصفير في المؤنث في سائر اللغات واللهجات[٢٩]

وفي العربية مسائل تتجلي في ضوء العلاقة بين الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وقد تنبه النحويون العرب الى طرف من هذه العلاقة ومن ذلك مانقله ابو البركات الانباري في كتابه " الانصاف "[٣٠] عن الكوفيين من أنّ: " هذا، وما أشبهه من أسماء الإشارة قديكون بمعنى الذي والأسماء الموصولة"، نحو: – " هذا قال ذاك زيد " أي: " الذي قال ذاك زيد "

واحتج الكوفيون لذلك لأنه قد جاء في كتاب الله تعالى وكلام العرب[٣١]،

قال تعالى: ((ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم)) [٣٢] ، والتقدير فيه: ثم انتم "الذين" تقتلون انفسكم، فأنتم مبتدأ، وهؤلاء خبره، وتقتلون صلة هؤلاء[٣٣]،

وقال تعالى:((هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا)) [٣٤]، والتقدير فيه: ها أنتم "الذين" جادلتم عنهم، فأنتم مبتدأ، وهؤلاء خبره، وجادلتم صلة هؤلاء[٣٥]،

وقال تعالى:((وما تلك بيمينك ياموسى)) [٣٦]، والتقدير فيه: ما "التي" بيمينك، فما مبتدأ، وتلك خبره، وبيمينك صلة تلك[٣٧].

ويبدو أنّ أصل هذه المسأله مما وردفي معاني القرآن للفراء[٣٨]، فقد ذكر ان:– " العرب قد تذهب هذا وذا الى معنى الذي " وأن: "تلك وهذه توصلان كما توصل الذي "، وشاهده على ذلك قول يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميري[٣٩]: –

عَدسْ ما لعبادٍ عليك إمارةٌ أَ منْتِ وهذا تحملين طليقُ:

اي والذي تحملين، إن في هذا الشاهد لبقية من مرحلة لغوية قديمة لم تكن وظيفة الإشارة والموصولية فيهما متمايزتين لابالأداة ولابالتركيب ولم يبقَ في العربية

كما وَ صَلتْنا إلاشواهد قليلة على تلك المرحلة، ولم يعد المشترك بين " هذا " الإشارية و" الذي " الموصولية إلا الصامت " ذ" الذي يرجع استعماله الإشاري والموصولي إلى مرحلة العاربة الام[٤٠].

وبينما تؤيد اللغات العاربة – السّاميّة – ما ذهب اليه الكوفيون برأيهم هذا، نرى البصريين يذهبون برأيهم إلى أصل الوضع في هذه الاسماء بقولهم: "إن الأصل في "هذا" وما أشبهه من أسماء الاشارة أن يكون دالاً على الاشارة، و"الذي" وسائر الأسماء الموصولة ليست في معناها"، فينبغي أن لا يحمل عليها[٤١].

وقد أرجع المستشرقون اصل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة إلى أم واحدة هي " النداء interjection" فمن النداء على رأيهم ظهرت الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة – أدوات الوصل – ودليلهم في ذلك أنّ النداء يشمل كل هذه الاشياء. وأنَّ جذور الضمائر والإشارة والموصولات مأخوذة من أصول النداء، وأنَّ طبيعة النداء كامنة لا تزال فيها وأنّ مرور الأيام وتوسع مدارك الإنسان قد طورتا النداء وصنعتا منه تلك الأمور[٤٢]، وأنّ الترابط الكائن بين أسماء الإشارة والموصولة لا يقتصر على اللهجات العربية او اللغات العاربة وحدها بل هي منطقيا موجودة في سائر اللغات، وهناك مجموعة أخرى لها صلة بأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وهي أسماء الاستفهام" The interrogative pronouns" [٤٣] إذ يجوز استعمال أسماء الإستفهام موصولة[٤٤] أيضا لكنّ استعمالها موصولة هو أول ماخصصت له[٤٥] هذا وإن وجد في سائر اللغات العاربة فحيزهُ في العربية أوسع بكثير منه في سائر اللغات العاربة[٤٦].

وأنّ للضمائر أهمية كبيرة في موضوع دراسة اللغات العاربة فهي مع أسماء الأعداد وأسماء بعض أعضاء الجسم وجملة من الألفاظ العامة " والظواهر الطبيعية " الموجودة في الحياة اليومية من الامثلة التي تصلح أن تكون شاهداً على اشتراك

اللغات العاربة في أصل واحد[٤٧]، فإن هذه الألفاظ ترد جميعها مشتركة في جميع تلك اللغات لكن يضيق بنا المقام في سردها هنا، وإن ورودها بلفظها ومعناها المفهوم في تلك اللغات دليل على أنها من بقايا اصل واحد قديم، نطلق عليه اسم اللغة العاربة القديمة الأولى التي هي أم جميع هذه اللغات المنسوبه إليها، ولا سيما إن الأمثلة المذكورة تمثل كل النواحي الحيوية المهمة من حياة الإنسان في أبسط مجتمع عاش فيه ولهذا بقيت مترسبة في جميع هذا الفروع التي تفرعت من ذلك الأصل وقد مرت الضمائر " الإشارية "[٤٨] في جميع اللغات العاربة بعدة تطورات تعد في نظر علماء اللغات أقدم عهدا من التطورات التي مرت على الأسماء والأفعال[٤٩].

المطلب الثالث

"الإسم الموصول في اللغات العاربة "

" قراءة تطبيقية مقارنة "

إن الدراسات المقارنة في اللغات في العاربة (السَّامِيَّة) تكشف لنا أن التمايز بين هذين النوعين من الأدوات أو "الأسماء" حسب تقسيم النحاة العرب – لم يكن في حقبة قديمة من تاريخ اللغات العاربة (السَّامِيَّة) قد اكتمل على الوجه الذي تبلور عنه لاحقاً، ففي كثير من اللغات العاربة نجد هناك أدواتٍ متقاربة تقارباً واضحاً شديداً، لكن اللافت للنظر أن بعضها إشاري وبعضها موصولي، مما يوحي بفكرة الأصل المشترك بينهما[٥٠].

ان صيغ الإسم الموصول أصلها في كل اللغات "السّاميّة" العاربة أسماء إشارة[٥١]وخاصة الذال[٥٢] ففي اللغة العربية في لهجة "طيِّء" ترد "ذو"، وفي نقش النمارة "شاهد قبر الملك العربي امريء القيس بن عمرو الذي يرجع الى سنة ٣٢٨ م" ترد "ذو"[٥٣] بمعنى "الذي" في السطر الاول والخامس منه[٥٤] وفي اللغة الأدبية تستعمل المؤكدة باللام مع أداة التعريف " أل al’" "الذي" والمؤنث "التي" ويبنى منها الجمع قياساً على الإسم "الذين" والمؤنث "اللاتي"[٥٥] وفي الحبشية "Za" والمؤنث: "’enta" والجمع ’ēlla[٥٦]

إن التقارب بين النوعين (اسم الموصول واسم الاشارة) ماثل في رقعة اللغات العاربة الشمالية الغربية كالعبرية والفينيقية والآرامية والأوجارريتية[٥٧] وفي العبرية القديمة تستعمل "احياناً "، "zū " و Zē تلفظ "زاي" إسمي موصول للمفرد المذكر والمؤنث ويندر استعمالها في العبرية الحديثة[٥٨]

وفي العبرية الحديثة غالباً ما ترد الأداة " Zēh " "زِيَ " اسم اشارة للمفرد المذكر القريب[٥٩].

وفي اللغة الآرامية، وآرامية التوراة – آرامية كتبت بها نصوص من التوراة العبرية – ترد صيغة " d¯i" دِيْ "[٦٠]

وفي السريانية والترجوم إختصرت الى صيغة dě[٦١] وهو يقابل صوت الذال في الفاظ الاسماء الموصولة العربية، فالاساس هو الذال في صيغ الأسماء الموصولة[٦٢] إلاّ أنها سُهِّلَتْ إلى نظائر صوتية أخرى في اللغات العاربة – السّامِيّة– .

وفي نصوص الرقعتين "السّاميتين" العاربتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية ترد عدّة صيغ مختلفة للموصول مؤلفة من الشين "Š" [٦٣]

ففي النصوص العبرية: " Š، Še " غير أنه غالباً ما تستعمل في العبرية المعاصرة "ăŠer"' [٦٤] وأصلها غامض[٦٥] وهي في الأصل على مايرجَّح اسم بمعنى "مكان" ثم استعملت فيما بعد ظرفاً بمعنى "حيث" كما في الاشوريةaŠar'[٦٦]،

أما في اللغة الأكدية فإن أسماء الأشارة وأسماء الصلة الدالة (الاسماء الموصولة) مع ضمائر الأستفهام والضمائر المطلقة وضمائر التملك تدخل في موضوع "الضمائر" لتشمل الضمائر في اللغة الأكدية على بعض ما يدخل ضمن الأسماء في الدراسات الخاصة باللغة العربية، مثل أسماء الاشارة والاستفهام والوصل[٦٧].

وكانت اللغة الاكدية تمتلك في الفترات المبكرة من حياتها عدداً من "ضمائرالصّلة الدالة" حسب ما يسميها د.عامر سليمان والتي هي الأسماء الموصولة وكانت تلك الضمائر تميزبين العدد والجنس وتأخذ شكلها النهائي حسب موقعها من الإعراب[٦٨]

ففي المفرد المذكر في حالة الرفع Šu، وفي حالة النصب Ša، وفي حالة الجر Ši، ونلاحظ هنا التشابة مع "ذو" من الاسماء الستة في أحوالها الاعرابية المختلفة مما يوحي بفكرة الأصل المشترك.

ويرى أ.د. قبيسي أنَّ هذه الصيغ قد عرفتها بعض اللهجات (أو أكثر) اللهجات العربية الكنعانية، إلاّ أن الأكدية أخذت "شا" فقط لتعني: " ذا، ذو، ذي" وأما (شو – شي) فقد أخذتا لاعطاء مدلولين آخرين، حيث أخذت (شو) مدلولاً لتعني "هو" بينما أخذت "شي" مدلولاً لتعني "هي"[٦٩].

وفي المفرد المؤنث في حالة الرفع Šat، وفي حالة النصبŠat ايضا وفي حالة الجر Šati

وفي الجمع المذكر وفي حالة الرفع Šūt، وفي حالة النصبŠūt ايضا، وفي حالة الجر Šūti

وفي الجمع المؤنث وفي حالة الرفعŠāt، وفي حالة النصبŠāt ايضا، وفي حالة الجر Šāti[٧٠]

إنّ هذه الصيغ يمكن أن تفهم على أنها مرتبطة "شكلاً " بالضمير الشخصي الإشاري للغائب قد إختصرت الى صورة المفرد "Ša" حتى عهد البابلية القديمة وما بعدها، ولم تبق الصورتان "Šut" و"Šat" إلاّنادراً [٧١]

وكانت ضمائر الغيبة الشخصية المنفصلة للمفرد المذكر في الرفع والنصب والجر: شُ، شَ، شِ ، وللمؤنث "شات"، وللجمع "شوت" تقوم بعمل الاسماء الموصولة في تلك الفترات المبكرة[٧٢].

وقد بطل استخدام ضمائر الصلة في الفترات اللاحقة[٧٣] باستثناء الضمير "Ša" "شَ" بمعنى "الذي" أو "التي" [٧٤] او يعني حرفياً "يعود الى " [٧٥] وهو ضمير المفرد المذكر في حالة النصب "Ša"، وقد حل محل جميع ضمائر الصلة الأخرى،

واستخدام لجميع الحالات بغض النظر عن الجنس والعدد والحالة الإعرابية[٧٦] ويستعمل كضمير تعريف أيضاً مع جميع الأجناس[٧٧].

وفي اللغة الأشورية يستعمل أسم الموصول "Ša" "Šu" [٧٨].

وفي اللغة العمورية من (السامية) العاربة الشمالية الغربية يرد اسم الموصول فيها بلفظ "Šu" والمؤنث بلفظ "Š̄i "

على حين أن للأوجاريتية صيغتين هما "d" "دْ" "شخصي" للعاقل و "dt دت" غير شخصي " لغير العاقل " [٧٩]

وفي الاوجاريتية فإن معنى at̲r كان موضع جدل[٨٠]

وفي مسارد تل العمارنة يرد اسم الموصول بلفظة "aŠar'"[٨١]

ويرد إسم الموصول في المؤابية بلفظ "Šr'" في نقش ميشع ملك مؤاب[٨٢].

وقد فسحت صيغةaŠer' المجال فيما بعد للصيغة الاكثر اختصاراً[٨٣]

وفي نقوش اللغة الفينيقية "لهجة بيبلوس Byblos " فإن استعمال الزاي كأسم موصول "Z"هو أمر نادر، والصيغة المستعملة هي "Š" والمستعملة كثيراً صيغة "Š'"[٨٤]،

وتستعمل النقوش الكنعانية الإسم الموصول " "Š'وهي لاتفرق بين الجنس والعدد[٨٥] وقد ورد هذا الموصول في أحد استعمالات نقوش النصوص البونية بالعين مكان الهمزة أي بلفظ " "Š'ولعله نوع من المبالغة في تحقيق الهمزة "عنعنة" [٨٦]

وقد وردت أداة أخرى تحمل معنى الموصول "الذي" وهي "z" الزاي وذلك في نقش إِشْمُنَعَزَرْ فقد ورد Z bķbr أي: "الذي في القبر" وهو يقابل الإستعمال العبري Zē ،Zū

كما وردت أداة أخرى بلفظ "Z'" بمعنى "الذي" ايضا، ولعله الأصل الذي جاء منه الإستعمال السابق" Z" بعد سقوط الهمزة، وسقوطها ليس غريباً في اللغات العاربة عامة[٨٧]

وفي نفس النقش "إشمنعزر" ترد صيغة " "Š'لتحمل معنى الموصول "الذي"[٨٨] وفي الرقعة الأرامية "وفاقاً للتطور الصوتي للذال "d̲" تظهر النقوش الآرامية القدمى [٨٩] إسماً موصولاً واسماً للإشارة معاً هو "Z̄i" "زي" [٩٠] الذي يصير فيما بعد "d̄i" "دي" وفي السريانية dƏ[٩١]

وفي نصوص اللغة المندائية "لهجة آرامية بابلية" ونقوشها يرد إسم الموصول وأداة الإضافة بلفظ "إد" "d'" وهو يستعمل للمذكر والمؤنث ولجمعهما للعاقل وغير العاقل[٩٢]

وفي نقوش العربية الجنوبية يرد أسم الموصول بلفظ "ذ d̲ " للمفرد المذكر ويستعمل أيضا للجمع، و"d̲t ذت" للمفردة المؤنثة، " 'lw " للجمع[٩٣]،

والصور المختلفة للقتبانية هي " d̲ū" ذو[٩٤] أو "ذم" "d̲m " للمذكر، و"ذتم" "d̲tm " للمؤنث[٩٥]،

وكذلك في النقوش السبئية "d̲" "ذ" والمؤنث "d̲t" "ذت" [٩٦]

وهكذا "كما رأينا" وعوداً على بدء واستناداً لصيغ مأخوذة من نقوش لنصوص عاربة – ساميّة– نعود فنقول إن الأسماء الموصولة ترتبط في جمهرة اللغات "السامية" العاربة بأسماء الإشارة وخاصة "الذال" ونظائره في اللغات العاربة، فإنه يدخل كعنصر أساسي في تراكيب معظم صيغها كما لاحظنا آنفاً .

المحور الثاني

الإسم الموصول في اللغات العاربة " السّاميّة"

"وجهة نظرصوتية – فونيمية – "

المطلب الأول

التطور الصوتي لضمير الوصل في اللغات العاربة "السّاميّة" " "

وجهة نظر صوتية – فونيمية –"

إنّ الاسم الموصول أساسهُ ضمير إشاري أو جذر إشاري فالآن سنوجز القول في بعض الجذور الإشارية واضعين بالحسبان تطورها من الناحية الصوتيه وتوضيح مقابلاتها في اللغات العاربة، لكن أولاً نبدأ بضمير الوصل " **الذي**".

١- "ضمير الوصل – الذي – "

يقترح د. رمزي منير بعلبكي أن يسمّي "أسماء الإشارة" و "الأسماء الموصولة" معاً بإسم ضمائر الإشارة والموصول(٩٧).

بينا يسمية هنري فليش مع "من" و"ما" و"أيْ" الضمائر الموصولة، ويقول: إن هذا الضمير الوصفي الموصول شأنه شأن سائر الضمائر الوصفية الإشارية له صلاحيته لتحديد النوع والعدد بما في ذلك المثنى الخاضع للإعراب، و " الذي" حسب رأي هنري فلايش يتحلل إلى: " أل + ل + ذي " (٩٨).

فأول عناصره أل التعريف وثانيهما" لام " التوكيد "كما يرى برجشترايزر وجرجي زيدان"، وثالثهما " ذِيْ " (٩٩) أو " ألْ + آ + ذِيْ"(١٠٠) "كما يرى د.عبد الحق فاضل"، و " الذي " يطابقها في العبريه: " Hallāzēh " حرفاً بحرف، غير أن " h ā " هي أداة التعريف في العبرية، لكن معنى " Hallāzē " هو: – " هذا " وليس الذي، أما " ذي " فهي هنا مذكر، كما في " zēh " العبرية(١٠١)

ويذكر د.داود سلوم في دراسته عن اللهجات العربية القديمة أنه: يلفظ " اللذِ " " اللذْ " في لغة ربيعة بن نزارمن مضر، وبلحارث بن كعب من كهلان القحطانية(١٠٢) وعند هذَ يْل تلفظ " اللَّذْ " فقد أورد السُكَّرِيّ في اشعار الهذليين وما أنشدهُ الفراء لرجلٍ من هذيل:–

فَكُنْـتُ والأَ مْـرُ الّـذي قَـدْ كِيـدَا   كاللّـذْ تَزَبَّـى زُبَيّـةً فآصْـطِيَدا(١٠٣)

وَتردُ في العبرية مقابلها حرفاً بحرف " Hallāz ": لكن كإسم إشارة للمذكر بمعنى " هذا "، وللمؤنث أيضاً وبمعنى " هذه " (١٠٤).

ويرد " اللّذو " بحذف حرف النون من الموصول "وهو ظاهرة لغوية" في لغة أهل اليمن وهم بنو الحارث بن كعب وبعض ربيعة، وهو شيء عرفه الهذليون، وقد استعمل الأخطل التغلبي هذه اللغة حينما قال:–

أَبَنِـي كُلَيْـبٍ إنَّ عَمَّـيَ اللَّـذا   قَـتَلا المُلُـوكَ وَفَكَّكـا ألأَغْـلالا(١٠٥)

فقد ورد اسم الموصول "اللذا" بحذف النون، وهو كما في كتب النحو من لغة بلحارث بن كعب، وهي من لغات اليمن، وهي لغة بعض ربيعة أيضاً،

ومثل هذا قول الأخطل نفسه:

هُمَـا اللَّتَـا لَـوْ وَلَـدَتْ تَمِـيمُ   لَقِيـلَ فَخْـرٌ لَهُـمْ صَـمِيمُ(١٠٦)

وليس قول الأخطل هذا ومجيء "الموصول فيه محذوف النون" لغة تغلب "قبيلة الشاعر"، ولكنه قال بها لأنها عربية صميمة،(١٠٧)

وكأنه أراد بذلك أنّها عربية منتشرة لدى عدة قبائل، ويعضدُ هذا القول قول أمية بن الأسكر الكناني:–

قـومي اللَّـذو بعكـاظٍ طَيَّـروا شَـرَراً   مِنْ رُوسِ قَوْمِكَ ضَرْباً بالمصاقيل(١٠٨)

ويرد مقابل " اللذو " بعينها في اللغة العبرية "hallēzū " حرفاً بحرف لكنه ينصرف إلى معنى آخر، إذْ يرد نادراً إسمَ إشارة للمفرد البعيد بِنَوْعَيهِ بمعنى " تلك،

ذلك " [١٠٩]، وحالياً يرد إسمَ إشارةٍ للمفرد المؤنث البعيد[١١٠] وواضح هنا أنّهُ من المشترك اللفظي القديم.

٢- ضمير الوصل والإشارة " ذا "

أما عن الجذر الإشاري " ذا " فمن الواضح البين أن اللغة العاربة ألام قد استعملت هذا الجذر كضمير للإشارة فإنّ هذا الجذر من أهم الجذور الإشارية وأكثرها شيوعاً في اللغات العاربة وكأنه ميراث لغوي قديم لايمكن الإستغناء عنه ولما تفرقت القبائل العاربة الأولى ظل ملازماً لها، ومتداولاً بينها، وليس هذا من قبيل المصادفة، فالخصائص التي يمتاز بها هذا الجذر " ذا " جعلته متداولاً مع نظائره في أغلب اللغات العاربة[١١١] باستثناء بعض اللهجات في الرقعتين العاربتين – السّاميّتين– الشمالية الشرقية والشمالية الغربية في صيغ مختلفة للموصول مؤلفة من الشين[١١٢] كالبابلية والاشورية[١١٣] والعمورية[١١٤].

وكلها ابدالات صوتيه شائعة فيما بين اللغة العربية من جهة واللغات العاربة – السّاميّة_ من جهة أخرى حسب ما يذهب اليه القبيسي[١١٥].

وقد أطلق المستشرق جيزنيوس Gesenius على هذا الصامت " ذ " تسمية " الصوت الإشاري " " وكما مَّر يتبادل مع صوت صفيري، وتبدأ به أسماء إشارة حتى في بعض اللغات العاربة السامية – الحامية والهندوأوربية كالسنسكريتية: sa, sa, tat والكوشية: sa,so,thata والألمانية da, der, die, das [١١٦]

تعتمد الإنجليزية كل الاعتماد على هذا الجذر الاشاري" الذالي" فتصوغ منه سائر أسماء الإشارة فيها نحو: – اولئك: Those وهؤلاء: These وذاك: That وهذا: This وترد The للتعريف و that للإشارة والموصول[١١٧] ومن ذلك صيغة so المتطورة من ذا بمعنى كذا[١١٨] وأيضا الضمير أنت Thou: you " ذاو " اثلها السكسوني: ذو – Thu = ذو، تو، تا [١١٩]

المطلب الثاني

تطور" الذال " ونظائره في اللغات العاربة "السّاميّة"

"وجهة نظرصوتية – فونيمية – "

وهناك من يرى أنَّ هذا الجذرالإشاري أَثلهُ هو " تا " [*] لكن لا نعرف عن أثل التاء " تا " أكثر من أنها على الأرجح ماثلة في لغة الطفل في قوله تا تا تا[١٢٠]، فإنَّ الدال والذال والتاء والسين والشين هي إبدالات صوتية شائعة في اللغات العاربة على ما يذكر القبيسي وغيره[١٢١].

وقد استعمل " التاء " " ضميراً عاماً " وهي مازالت موجودة في عربيتنا متصلة ومنفصلة وأثيلة ومبدلة، غير أنها لا توجد منفصلة كضمير[١٢٢] بل كإسم إشارة وبصيغتها البدائية الأولى " تا ": هذه، وتثنيتها تان، تَيْن، ومنها نشأت: تي، تيك، تلك[١٢٣] وقد اختصت صيغتا "تا "، " تي " بالأنثى[١٢٤] وبإبدالها " ذالا" نتج منها: ذا، ذي[١٢٥]، واختصت كذلك "ذي " ومنها " ذه " للأنثى بمعناها[١٢٦]، أما صيغة "ذا " فاختصت بالذكر، وبقيت صيغة جامدة بهذا المعنى " أي انها مبنية "، لكنها تكون معربة أحيانا أخرى وذلك اذا جاءت بمعنى " صاحب " أي انها تكون"ذا، ذو، ذي" حسب موقعها من الاعراب[١٢٧].

ولقد أنَّثَ العرب الجذر "ذا " بصيغته الجامدة فصارت "ذات " وجمعها " "ذوات"" غير أن المثنى منها يأتي شاذّاً بصيغته "ذواتان " وكأنه تثنية للجمع بدلامن " ذاتان " ومنها الآية " ذواتا أفنان " [١٢٨]

غير أنّ"ذات ": استعملوها كذلك على أنها كلمة بذالها وتائها أي بِعَدّ التاء جزءاً منها لا أداةً للتأنيث، فصارت بهذه الصورة تعني النفس أو الجوهر، مثل: ذات الشيء، ومنها " الذوات " باصطلاح المتأخرين: أعيان الناس والشخصيات البارزة منهم، غير أنَّ تثنيتها " ذاتان " أي على القياس[١٢٩]

المطلب الثالث

ظاهرة السهولة اللفظية -الأنسجام الصوتي –

أما صوت " الذال" في العاربة الأولى فهو صوت رخو مجهور مخرجه مابين الأسنان[١٣٠] وقد حافظت اللغة العربية على هذا النطق بفرعيها الشمالي والجنوبي،"وربما يكون سبب حفاظ العربية على هذا المخرج كونها لم تختلط باللغات الأخرى كثيراً حتى جاء الإسلام فحفظه بتلاوة القرآن" بل وتحتفظ به حتى بعض اللغات الهندوأوربية، فتعتمد اللغة الإنجليزية كل الاعتماد على هذا "الجذر الإشاري الذالي" فتصوغ منه أسماء الاشارة فيها، نحو:–

This , that , these , those , thay,

وايضاً الضمير أنت "Thou: you" "ذاو" أصلها السكسوني "Thu ذو" [١٣١]

وترد "The" للتعريف، بينما نلاحظ أن "That" تستعمل للإشارة والموصول معاً !

على حين فقدته اللغات العاربة الأخرى، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ظاهرة السهولة اللفظية أو قانون السهولة والتيسير، فآثرت تيسير الجهد العضلي المبذول في نطقه لأنَّهُ يتطلب وضع طرف اللسان مابين الأسنان فعملت على تيسير وتسهيل لفظه[١٣٢] مع احتفاظها بصفة الجهر فيه فأرجعت مخرجه الى ماوراء الأسنان، فتحول صوت الذال عند بعضهم الى صوت " زاي "كما حصل ذلك في اللغات الفينيقية والحبشية (ولهجاتها) والعبرية " كما مَرَّبنا "، في حين تحول عند بعضهم الآخر الى صوتي "دال " أو " زاي " كما في اللغة الآرامية ولهجاتها وفي بعض اللهجات العربية المحكية "الدارجة" ومنها اللهجة المصرية نجد لذلك نظير في بعض الكلمات حينما يقولون مثلاً: إزاعة أي إذاعة، وتحول الى صوت " الزاي " في الأكدية[١٣٣] (*) ، وإنّ ظاهرة تسهيل " الذال " إلى "زاي " أو "دال " جارية في اللهجات

العربية الحديثة ، ففي اللهجة العراقية نقول بزر، أي بذر، وفي المصرية البذُور، أي البذور، أو الدَّهب: أي الذَّهب، وما إلى ذلك... [١٣٤].

لقد تميزت العربية بفرعيها الشمالي والجنوبي ولهجاتها باحتفاظها بصوت"الذال"[١٣٥]

في حين اتجهت بقية اللغات العاربة – السّاميّة– الأخرى الى تسهيل نطق " الذال " وتيسيره كما نجد ذلك في أسماء الإشارة في اللغة الحبشية ولهجاتها واللغة الفينيقية والعبرية، ففي اللغة الحبشية " اللهجة الجعزية ": نجده تحول الى صوت " الزاي "، فمثلا المذكر القريب " Zĕ" هذا: في حالة الرفع، و "Zắ" في حالة النصب، بمعنى هذه[١٣٦].

إلى جانب الصيغ الأخرى المؤكدة بعناصر إشارية مضافة، مثل: "Zĕntū" في حالة الرفع، و " Zentū" [١٣٧]: في حالة النصب بمعنى هذا.

وإسم الإشارة في المفرد المؤنث " Zā ": في حالتي الرفع والنصب بمعنى " هذه " إلى جانب الصيغ الأخرى مثل " Zāti " في حالة الرفع[١٣٨] ، و " Zāta" في حالة النصب بمعنى "هذه ".

وحول وجود الجذر الإشاري "ذا " في اللغة الحبشية في أسماء الإشارة البعيدة فقد اتفقت مع العربية الشمالية في اقتصارها على[١٣٩] الجذر الإشاري[١٤٠] في المفرد المذكر البعيد " ذلك " إذ يكون المقابل في الحبشية[١٤١] "Zekwa" في حالة النصب بمعنى: "ذلك"، وفي بناء الصيغ المؤكدة بالعنصر الأشاري " التاء " مثل:–

" Zekwetū" [١٤٢] و " Zeketū" في حالة الرفع بمعنى " ذلك "، و" Zekwet" و " Zeketa": في حالة النصب، بمعنى "ذلك " [١٤٣] ، وأيضا اعتمدت الحبشية على الجذرالإشاري "ذا " كاسم موصول عام "Ză" للمذكر والمؤنث وفي

حالتي الافراد والجمع[١٤٤] كما دخل الجذر الإشاري "ذا " في تركيب أسماء الإشارة في اللهجات الحبشية الاخرى: –

ففي التجرينية مثلا: " ezā‘" بمعنى " هذه "، و " eze‘" بمعنى " هذا " و " ezōm‘": صيغة الجمع المذكر " هؤلاء "، و " ezān"الجمع المؤنث " هؤلاء "

وفي الأمهرية مثلا "z¯ikha"و"z¯i kh" بمعنى هذا، ومؤنثه:– "Zič"[١٤٥]: "هذه" وفي اللغة العبرية فقد سهل صوت " الذال" الى صوت " الزاي " في اسماء الإشارة للقريب " Zēh: hazzēh "، " zū" بمعنى هذا، وفي صيغ المؤنث "zot "، "zo"، " hazzot "، "Zu" بمعنى هذه، وأيضا في أسماءالإشارة للمفرد المذكر البعيد: "hallāz "، "hallāzēh " بمعنى ذلك[١٤٦] ونلاحظ هنا أيضاً إقتصارالجذرالإشاري "ذا" في اللغة العبرية[١٤٧] على المفرد المذكر البعيد كما وجدناه في العربية والحبشية من قبل[١٤٨]

كما سُهِّل الجذر الإشاري "ذا" في اللغة الفينيقية البونية – الفينيقية المتأخرة – إلى صوت " الزاي " كما نجده مثلا في إسم الإشارة الفينيقي " Z"، ربما: Zū، Zĕ، وكذلك " Zn " بمعنى هذا، و " Zt" بمعنى هذه[١٤٩]

ويرد إسم الإشارة الفينيقي: " z " كذلك للإشارة إلى المفردة المؤنثة القريبة[١٥٠] وسَهل الجذر الاشاري " ذا " في المؤابية إلى "z" كإسم إشارة للمفرد المؤنث القريب[١٥١]. سَهل الجذر الإشاري " ذا " إلى "z" أيضا في الآرامية القديمة[١٥٢] ، في " zy" كإسم إشارة وموصول بمعنى " ذو "[١٥٣]

وفي آرامية الدولة إلى " z" كإسم إشارة للمفرد المؤنث القريب[١٥٤].

وفي الآرامية اليهودية وآرامية الدولة والآرامية القديمة إلى " z " في " znh" أيضاً كإسم إشارة للمفرد المذكر القريب[١٥٥]

وفي الآرامية اليهودية "zy" كإسم موصول غير متصرف لابالجنس ولا بالعدد[١٥٦] كما سهل الجذر الإشاري "ذا" في النبطية إلى "z"، فنجد " zy " اسم موصول مبنياً لا تتغير صيغته بسبب الجنس أو العدد[١٥٧] وفي النبطية أيضا: " znh". " zā " كإسم إشارة للمفرد المذكر القريب[١٥٨]

وفي الآرامية التدمرية ترد "دي": " ¯di" كإسم إشارة[١٥٩]

أما اللغة السريانية فقد اتجهت إلى تسهيل الجذر الإشاري "ذا" إلى " الدّال " في أسماء الإشارة كما نجد هذا في الصيغة المؤنثة: "hādē: هذه " المخففة عن الصيغة "hādā: هذه "[١٦٠] ومذكرها "hānā: هذا " والأصل فيها " hādnā " وبجانبها الصيغة المختصرة: " hān " عن " hādēn "[١٦١]

وفي آرامية التوراة: فالمفرد المذكر "dn¯ah: هذا " ومؤنثه: " dā: هذه"[١٦٢] والمفرد المذكر البعيد "dēk: ذلك " ومؤنثه "dāk: تلك " وبجانب ذلك هناك الصيغ المؤكدة بالعنصر الإشاري النون "dikkēn بمعنى ذلك، تلك " لكلا الجنسين[١٦٣]

وفي اللغة العربية: إختلف النحويون في الصيغة الأصلية لإسم الإشارة " ذا " والإسم الموصول " الذي "، أما نحاة الكوفة فيرون أن الاسم في " ذا " و" الذي "[١٦٤] هو الذال وحدها[*] والألف والياء زيدت للتكثير، في حين ذهب البصريون إلى أنَّ الالف والياء أصلان في الصيغتين السابقتين، فذهب الأخفش ومن تابعه من البصريين إلى أن الألف منقلبة عن ياء، أي " ذيْ" بدليل جواز الإمالة، فإنه قد حكي عنهم أنهم قالوا في " ذا ": " ذا بالإمالة: d̠ē "[١٦٥].

وبحسب دراسة سابقة أجراها الباحث حول أصل الاسم الموصول في اللغات العاربة – السّاميّة– يرى الباحث أن الصيغة القدمى لاسم الموصول في اللغة العربية واللغات العاربة – السّاميّة– هي "اللاء ذ" أي انها مكونة من العناصر الاشارية الآتية: " أل" الإشارية + "لاء" الإشارية + "ذ" الذال الإشارية، ويرى ان العنصر الأساسي في تلك اللصيغة القدمى هو ما ذهب اليه الكوفيون في أنها "الذال" وحدها[١٦٦].

المطلب الرابع

" حركة الجذر الإشاري " - وجهة نظر تأثيلية -

وربما كان أصل " ذا " في اللغة العربية " ذَ يْ" كما ذهب الأخفش ومن تابعه من البصريين(١٦٧) لكنه على ما يذكر الخفاجي كان واقعاً تحت تأثير الحالة الاشتقاقية للأسماء العربية في بنائها على أصول ثلاثية إذ إن فكرة الأصل الثلاثي(***) لاسم الإشارة " ذا " واضحة في عقلية نحاة البصرة إذ يذهبون إلى أنّ التصغير يَرُدّ الأشياء إلى أصلها، وأفترض الأخفش أنَّ الأصل في " ذا ": " ذَ يّ " بتشديد الياء، وهو مسلك خاص(١٦٨)، لكن يبقى مجرد افتراض، ويميل الباحث إلى مذهب الكوفيين إلى أن أصل "ذا" في اللغة العربية هو "الذال" وحدها أستناداً للمقارنات اللفظية بين العات العاربة – السّاميّة–

علماً أن فكرة الأصل الثنائي قديمة قد قال بها بعض شيوخ اللغة القدماء كالفراهيدي في معجمه وسيبويه في كتابه، وفي اللغات العاربة – السّاميّة– فأن الأصل الثنائي يعدُّ ظاهرة لغوية شاخصة للعيان عند الباحثين في مجال الدراسات اللغوية للغات العاربة – السّاميّة– المقارنة.

وهناك رأي ثالث ذكره السيوطي في همع الهوامع عن أبي حيان بقوله: "" قال أبو حيان: –

ولو ذهب ذاهب إلى أنَّ "ذا" ثنائي الوضع نحو" ما " وأنَّ الألف أصل بنفسها غير منقلبة عن شيء إذ أصل الأسماء المبنية أن توضع على حرف أو حرفين، لكان مذهباً جيداً سهلاً قليل الدعوى، قال: – ثم رأيت هذا المذهب للسيرافي والخشني(*)""(١٦٩)، ويقول الخفاجي " أنَّ هذا الرأي القليل الدعوى قد نتفق معه بثنائية "ذا" لكننا لسنا معه فيما ذهب اليه من أن الفهُ أصل قائم بذاته "غير منقلبة عن شيء"، ويقول أيضاً: وهنا قد نذهب إلى ماقاله البصريون من أنّ الفهُ منقلبة عن ياء،

طبقاً لقاعدة التصغير في ردّ الأشياء إلى أصولها"، أما الباحث فيرى أن الرأي الصائب لهذه المسألة يأتي من خلال المقارنة الصوتية مع اللغات العاربة – السّاميّة– الأخرى(١٧٠).

أما النقوش العربية فإنها لاتفصح لنا عن نوع هذه الحركة لآعتمادها في الكتابة على الصوامت فقط دون الصوائت ففي النقوش اللحيانية ترد " ذ" بمعنى هذا بدون حركة مد(١٧١) لكن في أسماء الإشارة الأخرى الواردة في الكتابات اللحيانية ترد " ذو " "ذا " " ذه " على مايذكر المستشرق ويرنركاسكل، وقد ورد "ذو " للإشارة إلى الأشخاص(١٧٢)، وربما كان هذا قبل أن تختلف "ذو" الطائية عن "ذو" من الاسماء الستة اما "ذا" فقد ورد للأشياء غير العاقلة، وأما " ذه" فقد استعمل للإشارة الى المؤنث(١٧٣) وللأشياء " لغيرالعاقل " أيضاً (١٧٤) ، وفي اللهجة الثمودية يرد إسم الإشارة في نقوشها "ذن" وهو يقابل "ذن" في النقوش العربية الجنوبية، كذلك يرد فيها " ذ" وهو يقابل " هذا " في العربية الفصحى، كما يَرِد إسم إشارة آخر للمفرد المذكر القريب وهو " زن ": " بالزاي " في قراءة لأحد الشواهد النقشية الثمودية بمعنى " هذا" ايضا(١٧٥).

وفي اللّهجة الصّفاوية يرد إسم الإشارة في نقوشها " ذ" ويرد قبل الإسم المراد الإشارة إليه كما يرد بعده أيضاً (١٧٦).

ويرى المستشرق ليتمان أنّ القوم كانوا ينطقون به "ذا" حين يشيرون للمذكر، و " ذي " حين يشيرون للمؤنث(١٧٧) واستنتاج ليتمان هنا في تقدير الصائت بعد اسم الإشارة " ذ" الذي استعمل للجنسين هو استنتاج قياسي على ماوجد في اللغة العربية الفصحى لكنه مجرد إستنتاج(١٧٨)

وفي اللغة السريانية تظهر حركة العنصر الإشاري في الاسم الموصول إذا دخل على حرف الجر اللام(١٧٩) المتصل بضمير المِلْك، إذ تظهربينه وبين حرف الجر "ياء": ديْ + ل " تَمَلُّكْ " نرى أنها منْ أصل الأداة " ذِيْ " (١٨٠).

هناك افتراض تُقرُّه القوانين الصوتية كما يجد صداه في الصيغ الإشارية العاربة ولاسيما في اللغة العربية التي عدّها بعض العلماء " اللّغويين " أنّها الأقرب إلى اللغة العاربة الأم[١٨١]

وهذا الافتراض هو ماذهب إليه نحاة البصرة " كما مر " إلى أنّ الأصل في "ذا" هو "ذيْ" بدليل ماسمع فيه بإمالة ألف " ذا " نحو الياء كما يقول سيبويه في "الكتاب "[١٨٢]: –

وقال ناس يوثق بعربيتهم: " هذا باب وهذا مال " هاذَيْ بَيْب وهاذَ ي ميل، لمّا كانت بدلاً من الياء كما كانت في " رميت ": " رَ مَ يْ ت " شبهتْ بها، أي ان الأصل في "ذيْ" ما نراه الأصل العاربي الأول للجذر الإشاري "ذا " وقد سمع في المرحلة التي واكبها النحاة العرب الاوائل بإمالة ألفهِ نحو الياء وهي المرحلة الثانية التي تطور فيها الأصل "ذي" المشكل بالحركة المركبة "Dif thong"[١٨٣] "ay" الى " dē" بالحركة الممالة " ē "، أي إنَّ بيئة لغوية معينة إحتفظت لنا بالنطق الممال في ألف "ذا" ولم يحددها النحاة العرب بدقّة وإنما ذكر بأنهم: "ناس يوثق بعربيتهم"[١٨٤]

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فهي تحُول الحركة الممالة في الصيغة الى الفتحة الطويلة أي dēالى dā فالصوت المركب "ay" قد تطور أولاً الى " ē " بالإمالة ثم الى " ā" بالمدة الطويلة: ā <ē<ay

تلك هي المراحل التطورية التي تقررها القوانين الصوتية التي لها نظائر في اللغات الأخرى ولذلك نستطيع أنْ نرجح أنَّ بعض الكلمات التي اشتملت على ياء أصلية[١٨٥] أنْ تكون قد تطورت أولاً إلى إمالة ثم إلى الفتح، فالأصل إذن في مثل هذه الكلمات هو الإمالة وقد تفرع الفتح عنها[١٨٦]

لذا نرى أن الجذر الإشاري تأثر بالمحيط اللغوي العام ولم يكن بمعزل عن قوانين التطورات الصوتية وعلى ذلك تكون المراحل التطورية للجذر الإشاري هي: – dā<dē <day

وإن ماحدث في العربية للجذر الإشاري "ذا " قد حدث أيضاً في اللغات العاربة التي تشترك مع اللغة العربية في هذا الأصل العاربي الأول: " ذَ يْ " المشكَل بالحركة المركبة "ay"، وقد إحتفظت اللغات العاربة بإمالة حركة الفتحة نحو الياء في صيغة المذكر، وبذلك تتفق مع صيغة الإشارة المفردة العربية " ذا " للمذكر التي سمع فيها الإمالة[١٨٧]

ففي الحبشية "zĕ" بالكسرة القصيرة الممالة: اسم اشارة للمفرد المذكر القريب[١٨٨] وكذلك "zĕntū"[١٨٩]، وفي العبرية المفرد المذكر"Zeh " بالكسرة القصيرة الممالة أيضاً[١٩٠] إسم إشارة للمفرد المذكر القريب، وفي الآرامية اليهودية[١٩١] "dē-n" "[١٩٢] و ""dēķ و "deķī"[١٩٣] وفي الترجوم والتلمود نجد "hādē-n"[١٩٤]

المحور الثالث

الأداة بين التذكير والتأنيث

المطلب الاول

الإستعمال المشترك للأداة لكلا الجنسين " المذكر والمؤنث "

هناك إحتمال أنّ الأصل الأول " ذَ يْ " المشكل بالحركة المركّبة "ay " [١٩٥] قد إستخدم للإشارة إلى الجنسين في أقدم مراحل اللّغة العربية، إلاّ أنّهُ لم يصل إلينا بأي شكل من الأشكال[*] وكذلك صيغة المرحلة الثانية " d̲ē " الممالة[١٩٦]

ويرى المستشرق " جري Gray " أنَّ اللّغة العاربة الأولى تمتلك صيغتين أصليتين لاسم الإشارة المفردْ هما " d̲i¯: ذِيْ " " d̲ā: ذا " وهما صيغتان أصليتان لاتختلفان في الإشارة إلاّ بالجنس بين المذكر والمؤنث[١٩٧] وربما يكون إختلاف حركتي الجنس للجذر الإشاري "ذا " في اللّغات العاربة يعود إلى مرحلة متأخرة نسبياً عمّا كانت عليه الصيغ الأصلية في اللّغة العاربة الأم أي انَّ الإختلاف الحاصل بين العربية واللّغات العاربة بين حركتَيْ المذكّر والمؤنث للجذر الإشاري " ذا " في أغلب الظن أنّه ليس إختلافاً جوهرياً بقدر مايكون إختلافاً بعد مراحل التطور التي مَر بها الجذر الإشاري " ذا " [١٩٨] ووصل إلينا بصورته هذه في اللغة العربية، وجعلته للمذكر، في حين عدّته اللّغات العاربة الأخرى التي إعتمدت هذا الجذر كإشارة إلى المفردة المؤنثة[١٩٩]

فكان هذا الجذر بصيغته البدائية المفترضة مضبوطاً بحركة مركّبة "ay" ثم تحولت في مراحل تطورية الى حركة ممالة " ē" أمّا المرحلة الثالثة والأ خيرة فهي " كما مر " تحوُّل الحركة الممالة إلى الفتحة الطويلة " ذا " وتظهرهذه الصيغة النهائية المتطورة في مرحلتها الثالثة [٢٠٠] في استعمالها أيضاً دون تمييز في الإشارة للمفرد

المذكر والمؤنث في بادئ الأمر إذ إستعملت للإشارة إلى المفردة المؤنثة كما ذكر سيبويه في "الكتاب" نقلاً عن الفراهيدي، بقوله: ((وقال الخليل: – قولك: هذا شاة بمنزلة قوله تعالى[٢٠١]""هذا رَحْمَةُ مِنْ رَبّي "")) [٢٠٢]

وكذلك مانجده في اللغة العبرية في إستعمالها للصيغة "Zū " بعد إمالة حركتها الضمة الطويلة الخالصة الى ضمة طويلة ممالة أي تصبح "zū>zō " فأصل الضمة الطويلة في الصيغة العبرية الأصلية " zū" التي تطورت عنها الصيغة الممالة: " zō " هي: " zā " أي: Zā >Zū >Zō

فتحولت الفتحة الطويلة " ā" إلى " ō" أو "ū " [٢٠٣]

وقد ورد ذلك في لغة مَسارِدْتَلْ العمارنة واللغة الكنعانية، والآرامية الغربية فيما بعد[٢٠٤] ويرجح أنَّ ذلك راجع الى عادة صوتية لدى سكان البلاد السابقين قبل الكنعانيين[٢٠٥]

وهكذا نجد اللغة العبرية في إستخدامها للصيغة "zū " للمذكر والمؤنث بمعنى " هذا، وهذه " وكذلك إستخدامها الأداة "zō" الاشارية بمعنى "هذه" [٢٠٦] غير أنّها ترد في العهد القديم " التوراة " كإسم إشارة للمذكر بمعنى "هذا" [٢٠٧]، مثل:–

" زو " ل ع ك م ب أ ر ص م ص ر ي م[٢٠٨]:– هـذا هُـزْؤُهُمْ بـأرض مصر، كذلك يستعمل في العبرية القديمة إسم إشارة للمفرد البعيد " hallāz " لكلا الجنسين المذكر والمؤنث[٢٠٩] وكذلك ما نجد في اللغة الفينيقية في إستخدام " z" كإسم إشارة لكلا الجنسين إيضاً[٢١٠]

وهذه الأمثلة وإنْ كانت قليلة وحدثت في بعض اللغات العاربة إلا أنّها توضح الفكرة التي نذهب إليها من أن اللغات العاربة قد إستعملت الجذر الإشاري لكلا الجنسين في أقدم مراحلها[٢١١]

قلت: – ونحو ذلك أيضاً في الإسم الموصول في بعض اللغات العاربة كالآرامية والنبطية والحضرية " نقوش آرامية الحضر " والأوجاريتية، فإنّهُ قد إستخدم ضميراً عاماً لكلا الجنسين أيضاً إذا ما تذكرنا بأنه عنصر إشاري.

المطلب الثاني

" تخصص الأداة بأحد الجنسين "

وهكذا يكون " كما مَرَّ " الإختلاف في حركتي " المذكر والمونث " للجذر الإشاري "ذا " في اللّغات العاربة يعود إلى مرحلة متأخرة نسبياً فهو أغلب الظن ليس إختلافاً جوهرياً بقدر ماهو إختلاف بعد مراحل التّطور الصّوتيّة التي مرَّ بها الجذر الإشار "ذا " (٢١٢)

فلجأت اللّغة العربية في التفرقة بين المذكر والمؤنَث إلى الجذر الإشاري بواسطة التعارض بين المصوتات، فالفتحة "ذا " للمذكر، والكسرة "ذي" للمؤنث(٢١٣)، **وفي ذلك يقول سيبويه في كتابه:**

"... لأن الكسر مما يؤنث به، تقول: إنك ذاهبة وأنت ذاهبة، ونقول: هاتي هذا للجارية، وتقول لهذي أمة الله واضربي إذا أردتَ المؤنث وإنما الكسرة من الياء"(٢١٤)

وأمّا المفرد والمثنى والجمع فإنّ التفرقة بينهم متحققة بواسطة التبادل الصامتي: "ذ" للمذكر، "ت" للمؤنث الذين: اللاتي، اللواتي(٢١٥) ، وفقدت اللغة الحبشية " التاء " في صيغة الإشارة المؤنثة وبقي الجذر الإشاري "z¯a " للإشارة إلى المؤنث(٢١٦)، وكذلك في العبرية تخصصت "ze"بالمذكر، في حين تخصصت" zō" بالمؤنث، والتي غالباً ماتتصل بنهاية التأنيث الإسمية لتصبح "Zō t "

أمّا الآرامية فان "¯di " تستخدم إسماً موصولاً عاماً، وتستخدم "dā": للمؤنث(٢١٧)

"الإستنتاجات"

نستنتج مما سبق إنَّ الأسماء الموصولة ترتبط في جمهرة اللّغات العاربة " بأسماء الإشارة " ولاسيما بحرف " الذال"، لكن على الرغم من ذلك نجد في الرقعتين الجزرِيَّتَيْن " السَّامِيّتَينْ " الشمالية الشرقية والشّمالية الغَرْبِيّة عدّة صيغ مختلفة للموصول مرتبطة بحرف " السين " أو مكّونة منه، كحرف أساسي في تراكيبها، كما هو في الأكادية والعمورية والموآبية ومسارد تل العمارنة والفينيقية في حين في الأوجاريتية والعربية الجنوبية – ومنها القتبانيّة – والعربية الفصحى نجد صيغاً للإسم الموصول مكوّنة من " الذال "، علماً أنَّ للعربية الفصحى مجموعتين للإسم الموصول(*): " ذو " وتصريفاتها جنساً وعدداً، و" الذي " وتصريفاتها جنساً وعدداً.

أمّا عن أَصْلِ هذه " الذال " فإنّ هناك من ذهب إلى أنَّ أصل هذا الجذر إنّما هو " التاء " لكنْ وبحسب التطور الصوتي وبحسب ظاهرة " السهولة اللّفظية " فإنّ هذه الذال قد تطورت هي الأخرى إلى صوت " الزاي" كما في اللّهجة الفينيقية " لهجة بيبلوس" – وإنْ كان نادراً – وأيضا في اللّهجات الآرامية في النقوش الأكثر قدماً إذ تطوّرهو الآخر إلى صوت " الدال " في السّريانّية – كلهجة آرمية –

أمّا حركة هذا الجذر فإنّه قَدْ مَرَّ بمراحل تطوريّة صوتيّة تؤيدها القوانين الصوتية ولها نظائر في سائر اللّغات العاربة الأخرى، فإنّ هذا الجذر قد تأثر بالمحيط اللّغوي العام ولم يكن بمعزل عن قوانين التّطورات الصوتية، وبذلك تكون المراحل التاريخّية التطوريّة للجذر الإشاري هكذا: –

"ذَيْ " ـــــــ> " ذِيَ " ـــــــ> "ذا": – Day > d̲ē > d̲ā

وإن الإختلاف الحاصل بين العربية واللغات العاربة بين حركتي الجذر للتفريق بين الجنسين في أغلب الظن ليس إختلافاً جوهرياً بقدر ما هو إختلاف بعد مراحل التطور التي مر بها هذا الجذر، فمن المحتمل إذن أنْ تكون حركة هذا الجذر في أقدم صورها تستعمل ثابتة للتعبير عن كلا الجنسين ثم أصبح التطور الصوتي لحركة الجذر يستخدم للتفريق بين الجنسين.

" والله أعلم " .

الهوامش

(١) موسكاتي. سباتينو، وآخرون، مدخل إلى نحو اللّغات السّامِيّة المُقارَن، عربُه وقدم له د.مهدي المخزومي – د. عبد الجبار المطلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، فق ١٣ – ٣٨ ص ١٩٢.

(٢) الأنصاري ابن هشام، شرح شذور الذّ هب، تحقيق د. محمد ياسر شرف، ط١، دار إحسان للنشر والتوزيع، طهران، ١٤١٧ هـ، ص ١٠٧.

(٣) فلايش. هنري، العربية الفصحى، عَرّبَهُ عن الفرنسية وحَقّقهُ د. عبد الصبور شاهين، ط٣ منشورات دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣ م، ص ١٧٢.

(٤) نحلة د. محمود أحمد، التّعريف والتّنكير بين الدّلالة والشّكل، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩، ص١١ كذلك: الآلوسي. محمود شفيق، أداة التعريف في اللغات الجَزرِيّة، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعَة بغداد، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م، ص٤.

(٥) نحلة. د. محمود احمد، المصدرنفسه، ص ١٤.

(٦) بعلبكي. د. رمزي منير فقه العربية المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٤٧.

(٧) الآلوسي. محمود شفيق، مصدر سابق، ص٢٨ وما بعدها.

(٨) السيوطي. الشيخ جلال الدين، البهجة المرضية في شرح الألفية بهامش شرح ابن عقيل، مطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، بلاتاريخ، ص ١٤.

(٩) حسن. عباس، النحو الوافي، ج١، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٤٤.

(١٠) السيوطي مصدر سابق، ص ١٥.

(١١) موسكاتي. سباتينو، وآخرون، مصدر سابق فق ١٣ – ٢٤، ص١٩٠.

(١٢) بروكلمان. كارل، فقه اللغات السامية، ترْجمَهُ عن الألمانية، د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م، فق ١٥٧، ص٩١.

(١٣) بعلبكي، د. رمزي منير، فقه العربية المقارن، ص ١٤٥.

(١٤) برجشتراسر. جوتهولف، التطور النحوي للّغة العربية، أخرجه وصححه وعلّق عليه د. رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص٨٣.

(١٥) بعلبكي. د. رمزي منير، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

(١٦) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

(١٧) مصدر سابق، ص٢٤٨، كذلك: زيدان. جرجي، الفلسفة اللّغوية والألفاظ العربية، مراجعة د. مراد كامل، دار الهلال، بلا تاريخ، ص ١٢٤.

(١٨) علي. د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٧م، ص٧٩ كذلك: بعلبكي، د. رمزي، مصدر سابق ص٢٤٨.

(١٩) بعلبكي. د. رمزي منير، مصدر سابق، ص٢٤٨..

(٢٠) الخفاجي. علاء الدّين هاشم، أسماء الإشارة بين العربيّة واللّغات الجَزرِيّة (السامية) دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م، ص٢١٥.

(٢١) بعلبكي. د. رمزي منير، مصدر سابق، ص٢٤٨..

(٢٢) الخفاجي، مصدر سابق، ص٢١٥.

(٢٣) بعلبكي. د. رمزي منير، مصدر سابق، ص٢٤٨.

(٢٤) الخفاجي، مصدر سابق، ص٢١٥.
(٢٥) بعلبكي. د. رمزي منير، مصدر سابق، ص٢٤٨.
(٢٦) قبيسي. د. محمد بهجت، ملامح في فقه اللّهجات العربّيات من الأكاديّة والكنعانيّة وحتى السبئية والعدنانيّة، دار شمأل للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٥٥.
(٢٧) المصدر نفسه، ص١٥٨.
(٢٨) بعلبكي، د. رمزي، مصدر سابق، ص ٢٤٨.
(٢٩) المصدر نفسه، ٢١٦.
(٣٠) الانباري. كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد، مج٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ، ص٧١٧.
(٣١) الانباري. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٦.
(٣٢) سورة البقرة، الآية ٨٥.
(٣٣) الانباري. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٦.
(٣٤) سورة النساء، الآية ١٠٩.
(٣٥) الانباري. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٦.
(٣٦) سورة طه، الآية ١٧.
(٣٧) الانباري. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٦.
(٣٨) الفراء، أبو زكريا يحيى بنزياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار،ج١، ط١، دار السرور، بلا تاريخ، ص١٣٨، المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٣٩) الانباري. كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد، ج٢، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٣٦، كذلك: البغدادي. الشيخ عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، مج٢، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ، ص٥١٤، كذلك:– سلوم. داود، شعر ابن مُفَرِغٌ الحميري مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٦٨م، ص١١٥، كذلك:– هارون عبد السلام محمد، معجم شواهد العربية، ج١، ط١، القاهرة، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ص٢٤٦، ص٢٤٧، كذلك: بعلبكي. د. رمزي منير، فقه العربية المقارن، ص٢٤٨.
(٤٠) بعلبكبي، المصدر سابق، ص٢٤٩.
(٤١) الانباري. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٧ ، ٢٣٨.
(٤٢) علي.د. جواد، مصدر سابق، ص٧٩.
(٤٣) المصدر نفسه، ص٨٤
(٤٤) برجشتراسر، مصدر سابق، ص١٨٣.
(٤٥) فلايش. هنري، مصدر سابق، ص ١٧٤.
(٤٦) برجشتراسر، مصدر سابق، ص ١٨٣.
(٤٧) علي. د. جواد، مصدر سابق، ص ٧٥.
(٤٨) المصدرنفسه، ص ٧٦.
(٤٩) مصدر سابق. ص ٧٦.
(٥٠) بعلبكي، د. رمزي، مصدر سابق، ص ٢٤٨.
(٥١) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٧، ص٩١.

(٥٢) موسكاتي. سبايتينو، مصدر سابق، فق١٣–٣٤، ص ١٩٠.

(٥٣) ولفنسون. إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط١، مطبعة الإعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر 1348 هـ، ١٩٢٩ م، ص ١٩٠.

(٥٤) بعلبكي. د. رمزي منير، الكتابة العربية والسامية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١،ص١٢٤، ص١٢٥، ص١٢٩.

(٥٥) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق١٥٧، ص٩١، كذلك: موسكاتي. سبايتينو، مصدر سابق، فق ١٣ – ٣٧، ص١٩١.

(٥٦) عبد التواب. د. رمضان، في قواعد الساميات (العبرية السريانية الحبشية مع النصوص والمقارنات)، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣١٠ كذلك: بروكلمان. كارل، مصدرسابق، فق ١٥٧، ص٩١، كذلك:
Wright. William, lectures on the comparative Grammar of the semitic languages , Amsterdam , philo press , 1966 , p. 116

(٥٧) بعلبكي. د. رمزي منير، فقه العربية المقارن، ص٢٤٨.

(٥٨) موسكاتي، سبايتينو، مصدر سابق، فق ١٣ – ٣٦، ص١٩٠، كذلك كارل، مصدر سابق، فق ١٥٧، ص١٩١، كذلك: كمال. ربحي، دروس في اللغة العبرية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥، ص١٥٢.

(٥٩) العناني. د. علي، مصدر سابق، ص١٣٧. عبد الرؤوف. عوني، مصدر سابق، ص٤٥ Kemhi. David. Op. cit, p.84.

(٦٠) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٧، ص٩١، كذلك: wright. William، op.cit , p. 116 كذلك: فوزي. د. يوسف – روكان. محمد كامل، آرامية العهد القديم قواعد ونصوص، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، ص٩٢.

(٦١) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٧، ص٩١، كذلك: wright. William , op.cit ,p.116

(٦٢) حداد. بنيامين، الميزان معجم الأصول اللغوية المقارنة سرياني – عربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، ص٨٣.

(٦٣) موسكاتي. سبايتينو، مصدر سابق، فق ١٣ –٣٤، ص١٩٠.

(٦٤) العناني. د. علي وآخرون، كتاب الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، ط١ المطبعة الاميرية ببولاق، القاهرة، ١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥م، ص١٤١، كذلك: بدر. محمد، الكنز في قواعد اللغة العبرية، المطبعة التجارية الكبرى، عابدين، مصر، ١٩٢٦ م، ص٩٤، كذلك: عبد الرؤوف. عوني، اللغة العبرية، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧١م، ص٤٥، كذلك: D. J. Kamhi , modern Hebrew an introductory course , oxford university press , London , 1982, p.84

(٦٥) برجشتراسر. جوتهولف، مصدر سابق، ص١٨٢.

(٦٦) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق١٥٧، ص٩١، كذلك , wright. William op.cit , p.116

(٦٧) سليمان. د. عامر، اللغة الأكدية (البابلية – الاشورية) تاريخها تدوينها قواعدها، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م ،٢٢٣–٢٢٤.

(٦٨) المصدر نفسه، ص٢٣٥.

(٦٩) قبيسي، المصدر السابق ، ص١٥٥ – ١٦٦..

(٧٠) المصدر نفسه، ص٢٣٦.

(٧١) موسكاتي. سبايتينو، فق ١٣ – ٣٥، ص١٩٠.

(٧٢) حنون. د. نائل، المعجم المسماري معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية ، ج١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١ م، ص١٤٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٧٤) سليمان. د. عامر. وآخرون، المعجم الأكدي ، ج١، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ص٢٧.

(٧٥) حنون. د. نائل، مصدر سابق، ص١٤٢، كذلك: حنون. د. نائل، شريعة حمورابي، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣ م، ص ٥٩.

(٧٦) سليمان. د. عامر، اللغة الأكدية، ص٢٣٦.

(٧٧) رشيد. د. فوزي، قواعد اللغة الأكدية، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٧.

(٧٨) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق١٥٧، ص٩١. كذلك wright. William , op.cit , p.118

(٧٩) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣ –٣٦، ص١٩٠ كذلك: إسماعيل. د. خالد، مقدمة في قواعد الأوجاريتية، جامعة اليرموك، عمان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م، ص٣٣ كذلك: Gordon. cyrus H.,ugaritic textbook, roma2, 1965 , p. 39

(٨٠) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣ – ٣٦، ص١٩٠ كذلك: – Ibid , Glossary indices , p. 369

(٨١) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣ – ٣٦، ص ١٩٠.

(٨٢) ولفنسون. إسرائيل، مصدر سابق، ص١٠٨، ص١١٠ كذلك عبابنة. أ. د. يحيى، اللغة المؤابية في نقش ميشع، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٠ م، ص١٤٨، كذلك: –

Gibson. John C.L., Textbook of Syrian semitic inscriptions , clarendon press , oxford , 1971 , V1 , p.75

(٨٣) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق١٣–٣٦، ص١٩٠، ص١٩١.

(٨٤) المصدر نفسه، فق ١٣ – ٣٦، ص١٩١.

(٨٥) عبابنة. أ. د. يحيى، اللغة الكنعانية، ط١، عمان، الاردن، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م، ص٢٩٣.

(٨٦) المصدر نفسه، ص٢٩٤.

(٨٧) المصدرنفسه، ص ٢٩٤.

(٨٨) ولفنسون. إسرائيل، مصدر سابق، ص٧٠، ص٧٢.

(٨٩) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣–٣٦، ص١٩١.

(٩٠) لبنكسي. إدوارد، نقش الجص الأرامي من دير علا، ترجمة عمر الغول، منشورات البنك الأهلي الأردني وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ١٩٩٧، ص٧.

(٩١) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣ – ٣٦، ص ١٩١.

(٩٢) بدوي. نعيم، و: رومي. غضبان، مدخل في قواعد اللغة المندائية، ط١، بغداد، ١٩٩٣، ص٥٨، كذلك: حطاب. امين فعيل، قواعد اللغة المندائية، ط١، بغداد، ٢٠٠٢ م، ص٢٩٣، كذلك: wright William , op.cit , p. 116

(٩٣) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣–٣٧، ص ١٩١ كذلك: بيستون. ف. ل. ، قواعد العربية الجنوبية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص٩١، ص٩٢، كذلك wright. William , op. cit , p. 116

(٩٤) بيستون. ف. ل، المصدر نفسه، ص ٩١.

(٩٥) موسكاني. سبايتينو، مصدر سابق، فق١٣-٣٧، ص١٩١.

(٩٦) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٧، ص ٩١. كذلك: بيستون. ف. ل. ، المصدر نفسه، ص ٩١. كذلك: بيستون. ف. ل. ، وآخرون، المعجم السبئي، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة – مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، p. 37.

(٩٧) بعلبكي. رمزي منير، فقه العربية المقارن، ص٢٤٨.

(٩٨) فلايش. هنري، مصدر سابق، ص ١٧٢.

(٩٩) برجشتراسر، مصدر سابق، ص ٨٦.

(١٠٠) فاضل. عبد الحق، مغامرات لغوية ، دار العلم للملايين، بلا تاريخ، ص٣٤٥.

(١٠١) برجشتراسر، مصدر سابق، ص ٨٦.

(١٠٢) سلوم. د. داود دراسة اللهجات العربية القديمة، ط١، مطبعة المكتبة العلمية لاهور، باكستان ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م، ص ١٨، ص٣٦. والسامرائي.د.ابراهيم، في اللهجات العربية القديمة ، ط١، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص١٦٩.

(١٠٣) ابن الحاجب. الأمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عُمَر النحوي المالكي، كتاب الكافية في النحو شرحه: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الستراباذي، ج٢، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص٤٠، كذلك: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري، ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد، ج٢، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٠٣، ص٢٠٠، كذلك: ابن الشجري. هبة

الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، أمالي ابن الشجري، ج٣، ط٢، تحقيق ودراسة د. محمود محمد الطناحي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، ص٥٣، كذلك: البغدادي. الشيخ عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مج٢، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، ص٤٩٨، السكري. ابو سعيد الحسن بن الحسين، شرح ديوان اشعار الهُذليين، مج٢، ط٢، تحقيق: عبدالستار احمد فراج، محمود محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص٦٥١. والسامرائي. د. إبراهيم، في اللّهجات العربية القديمة، ط١، دار الحداثة للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص١٦٩.

(١٠٤) كمال.د. ربحي. دروس في اللغة العبرية، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥، ص١٤٧، وقارن بـ: شايم رابين، اللهجات العربية والغربية القديمة، ترجمة عبد الرحمن أيوب، مطبعة ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، فق م، ص١٦١.

(١٠٥) ابن الشجري، مصدر سابق، ج٣، ص٥٥ ؛ كذلك: البغدادي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٩٩.

(١٠٦) ابن الشجري، مصدر سابق، ج٣، ص٥٩ ؛ كذلك: البغدادي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠٣.

(١٠٧) السامرائي. د. إبراهيم، مصدرسابق، ص١٥٤.

(١٠٨) السامرائي. د. إبراهيم، مصدرسابق، ص١٥٥: ابن الحاجب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠، كذلك: البغدادي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠٣.

(١٠٩) كمال. د. ربحي، مصدر سابق، ١٤٨.

(١١٠) المصدرنفسه، ص ١٤٧.

(١١١) الخفاجي. علاء الدّين هاشم، أسماء الإشارة بين العربيّة واللّغات الجَزرِيّة (السامية) دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

(١١٢) موسكاتي، مصدر سابق، فق ١٣– ٣٤، ص ١٩٠.

(١١٣) المصدر نفسه، فق ١٣– ٣٦، ص١٩٠.

(١١٤) المصدر نفسه، فق ١٣– ٣٦، ص١٩٠.

(١١٥) قبيسي ، مصدر سابق، ص١٥٣ ومابعدها.

(١١٦) الخفاجي، علاء الدين، مصدر سابق، ص ٩٧.

(١١٧) زيدان. جرجي، مصدر سابق، ص ١٢٢. كذلك: البعلبكي. منير، البعلبكي. روحي، المورد القريب، ط١٢، دار العلم للملايين، ٢٠١٠، ص٣٩١.

(١١٨) فاضل. عبد الحق، مصدر سابق، ص ٣٣٥.

(١١٩) المصدر نفسه، ص٣٣١.

(*) نرى أن أصلهُ في لغة الطفل كصوت ممزوج يتراوح بين الدال والتاء في نداء الطفل: د ا.... د ا

(١٢٠) فاضل. عبدالحق، مصدر سابق، ص٣٦٢.

(١٢١) قبيسي ، مصدر سابق، ص١٥٣ وما بعدها ، كذلك: موسكاتي. سبايتينو، مصدر سابق، فق ٨–١٤، ص٥٤، ص٥٥، كذلك: بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ٥٤، ص٤٩، كذلك: برجشتراسر. جوتهولف، مصدر سابق، ص٢١، ٢٤، ٢٥، كذلك: زيدان. جرجي، مصدر سابق، ص٦٤، ١٢٢، ١٢٣.

(١٢٢) المصدرنفسه، ص٢٦٣ كذلك زيدان. جرجي، مصدر سابق، ص١٢٤.

(١٢٣) فاضل. عبد الحق، مصدر سابق، ص٢٤٦.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص٣٤٥.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص٢٦٤.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص٣٣٥.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص٣٤٥.

(١٢٨) الرحمن / ٤٨،.

(١٢٩) فاضل. عبد الحق، مصدر سابق، ٣٤٥.

(١٣٠) بروكلمان. كارل، مصدر سابق فق ٤–٦، ص ٣٩.

(١٣١) فاضل. عبد الحق، مصدر سابق، ٣٣١. كذلك: زيدان. جرجي، مصدر سابق، ص٦٤، ١٢٢، ١٢٣.

(١٣٢) الخفاجي، علاء الدين، مصدر سابق، ص ٩٧. كذلك: زيدان. جرجي، مصدر سابق، ص١٢٢. كذلك: فاضل. عبد الحق، مصدر سابق، ص٣٣١. كذلك: الآلوسي. محمود شفيق عرميط، أصل الأسم الموصول في اللغات العاربة – السّاميّة– دراسة مقارنة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مج١٧، ع٣، ربيع الأول ١٤٣١هـ – آذار ٢٠١٠م ، ص٢٣١.

(١٣٣) المصدرنفسه، ص ٩٨، كذلك: عبد التواب. د. رمضان، التطور اللغوي، مظاهرهُ وعللهُ وقوانينهُ، مطبعة المدني، القاهرة، بلاتاريخ، ص ٥٤.

(*) علماً أن الأكدية قدأبْدَلَتْهُ بصامت صفيري هو (الشين): Ša وأصله إشاري، أنظر: برجشتراسر، مصدر سابق، ص ١٨١

(١٣٤) عبد التواب، د. رمضان، المصدر نفسه، ص٥٣.

(١٣٥) الخفاجي. علاء الدين هاشم، مصدر سابق، ص ٩٨، كذلك: بيستون. ف. ل. قواعد العربية الجنوبية، ترجمة د. خالد إسماعيل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، فق ٤٠– ١، ص٩١.

(١٣٦) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٤، ص ٨٩، الخفاجي. مصدر سابق، ص ٩٩.

(137) Wright. William, Lectures on the comparative grammar of the Semitic Languages, Amsterdam, philo press, 1966, .P. 109

(١٣٨) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ٩٩. كذلك: p. I bid, ١٠٩.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص٩٩.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص٩٩.

(١٤١) المصدر نفسه، ص١٠٠.

(١٤٢) عبد التواب. د. رمضان، في قواعد السّاميات، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص ٣١٠. وكذلك: – Wright. Op. cit., p. 111 .Willim.

(١٤٣) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠٠.

(١٤٤) عبد التواب. د. رمضان، المصدر نفسه، ص ٣١٠. كذلك.. p.116-117 .Ibid.

(١٤٥) الخفاجي. علاء الدين هاشم، مصدر سابق، ص ١٠٠. كذلك: Ibid,.P. 109

(١٤٦) العناني. د. علي وآخرون، الأساس في الأمم السّاميّة ولغاتها وقواعد اللّغة العبريّة وآدابها، ط١، مطبعة الا ميرية ببولاق، القاهرة، ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م، ص ١٣٧، وكذلك: Kamhi.D.J,modern Hebrew an introductory .course , oxford university press, 1982, p. 84

(١٤٧) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ١٠٠.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص١٠١.

(149) Wright. William , op. cit. , p. 108.

(١٥٠) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠١، كذلك: Ibid ,p. 108.

(١٥١) عبابنة. د. يحيى، اللغة المؤآبية في نقش ميشع، الاردن، ٢٠٠٠م، ص ١٥٨ كذلك مكياش. عبدالله، مصدر سابق، ص ٣٢٣.

(١٥٢) لـپنسكي. إدوارد، نقش الجص الآرامي من دير عَلاّ، ترجمة، عمر الغول، منشورات البنك الاهلي الاردني وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ١٩٩٧، ص٧.

(١٥٣) لپنسكي. ادوارد. المصدرنفسه، ص ٧.

(١٥٤) مكياش. عبدالله، مصدر سابق، ص ٣٢٢.

(١٥٥) المصدر السابق، ص ٣٢٢ كذلك Wright. William , op. cit. p. 109.

(١٥٦) مكياش. عبد الله، مصدر سابق ص٣٢٠ كذلك I bid , p. 116.

(١٥٧) مصدر سابق،ص٣٢٠، كذلك: إسماعيل. د. خالد، لغة النقوش النبطية، إربد، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١، ص ٣٨.

(١٥٨) مكياش. عبدالله. مصدر سابق، ص ٣٢٢، كذلك، إسماعيل. د. خالد، مصدر سابق، ص٣٥ كذلك: Wright. William , op. cit , p.109.

(١٥٩) قبيسي. د. محمد بهجت ، مصدر سابق، ص ١٥٣.

(160) Wright. William , op. cit. ,p. 109.

(١٦١) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠١ كذلك I bid , p.109
كذلك: داود. المطران إقليميس يوسف، اللّمعة الشهيّة في نحو اللّغة السريانيّة، ط٢، مطبعة دير الاباء الدومينيكيين، الموصل، ١٨٩٦م، ص ٢٧٣.

(١٦٢) موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق فق، ١٣ – ٢٩، ص ١٨٧ كذلك Wright. William. op. cit. , p108.

(١٦٣) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠٢، كذلك I bid, p. 111.

(١٦٤) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(*) يعد نحاة الكوفة اقدم من قال بالاصل الاحادي في اللغة من علماء اللغة، فقد سبقوا المستشرقين والمحدثين اللغويين ممن ذهب الى الاصل الاحادي في اللغة، وكان قصد الكوفيين بالاصل الواحد هنا: – ان الذال هو الحرف الثابت (الصامت) اما الالف فهو حرف صائت كحركة اعرابية صرفية ففي النصب تكون ذا، وفي الرفع تكون ذو، وفي الجر تكون ذي، فهي اذن حركات اعرابية متغيرة حسب الجنس والموقع من الجملة، لكن الثابت والمتبقي دائما في الصرف هو الذال وحدها، لذا قالوا بالأصل الأحادي.

(١٦٥) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(***) علماً أن فكرة الأصل الثنائي قديمة قد قال بها بعض شيوخ النحو القدماء كالفراهيدي في معجمه وسيبويه في كتابه

(١٦٦) الآلوسي. محمود شفيق عرميط، أصل الأسم الموصول في اللغات العاربة – السّاميّة– دراسة مقارنة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مج١٧، ع٣، ربيع الأول ١٤٣١هـ – آذار ٢٠١٠م ، ص٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٠.

(١٦٧) الانباري، مصدر سابق، ج٢، دار الطلاع ، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٩٩.

(١٦٨) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠٧.

(*) الخشني: هو الشيخ الامام محمد بن عبدالسلام الخشني، المتوفى سنة ٢٨٦هـ ، له كتاب في الغريب والأثر ، وصف محمد بن خير كتابه فقاله: نيفى على عشرين جزاً، شرح حديث النبي عليه الصلاة والسلام في أحد عشر جزاً، وحيث الصحابة في ستة اجزاء ، والتابعين في خمسة أجزاء. أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. للأمام مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد ابن الاثير الجزري، ج١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ ، ص٤.

(١٦٩) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم اللغة العربية، عنى بتصحيحه، السيد محمد بدرالدين

النعساني، ج١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ ، ص٧٥.

(١٧٠) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠٧.

(١٧١) علي. د.جواد، مصدرسابق ص ١٤٧.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(١٧٣) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(١٧٤) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(١٧٥) المصدرنفسه، ص٢١٣، كذلك: ولفنسون. إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط١، القاهرة، ١٩٢٩ م، ص ١٧٨.

(١٧٦) علي. د. جواد، مصدر سابق، ص ٢٥٩، كذلك: عبابنة. د. يحيى، النظام اللغوي للّهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، جامعةمؤته، ١٩٩٧، ص٩١.

(١٧٧) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(١٧٨) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١٠٨.

(١٧٩) داود، القس اقليميس يوسف، مصدر سابق ص ٢٧١.

(١٨٠) رشدي. زاكية محمد، السريانية نحوها وصرفها، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ، ص٥٧.

(١٨١) نولدكة. ثيودور، اللغات السامية، عَرَّبَهُ عن الالمانية. د. رمضان عبد التواب، ط٢، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٣.

(١٨٢) سيبويه. ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج٤، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢، ص١٢٨.

(١٨٣) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص١٠٩.

(١٨٤) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص١١٠.

(١٨٦) انيس. ابراهيم، اللهجات العربيّة، ط٤، المكتبة الإنجلو مصريّة، القاهرة، ١٩٧٣، ص٦٦ كذلك: كانتينو. جان دروس في علم أصوات العربيّة، عَرّبَهُ عن الفرنسية: د. صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦، ص ١٦٧.

(١٨٧) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص١١١.

(188) Wright. William. op. cit. ,p108.

(189) I bid., p. 109

(190) I bid. , p. 108

(١٩١) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص ١١١.

(192) Wright. William. op. cit. , p. 108

(193) I bid. , p. 110

(194) I bid. , p. 109

(١٩٥) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ١٠٩.

(*) يستخدم في لغة الأطفال فقط بلفظهم: (دَ يْ day) للتنبيه والإشارة بعد الإختباء بمعنى (ها أنا ذا) للمنادى من كلا الجنسين.

(١٩٦) المصدر نفسه، ص١١٠.

(١٩٧) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(١٩٨) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(١٩٩) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٢٠٠) المصدر نفسه، ص١١٠.

(٢٠١) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٢٠٢) سورة الكهف، ٩٨.

(٢٠٣) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص١١٢.

(٢٠٤) بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٠، ص ١٨.

(٢٠٥) كمال. د. ربحي، مصدر سابق، ص١٤٧.

(٢٠٦) الخفاجي. علاء الدين، مصدر سابق، ص١١٢، الهامش.

(٢٠٧) سفر هوشع، اصحاح ٧، عدد ١٦.

(208) Hebrew old test ment , the Bible house, London , 1958.p. 885.

(٢٠٩) كمال. ربحي، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(210) Wright. William. op. cit. , p.108.

(٢١١) الخفاجي، مصدر سابق، ص١١٢.

(٢١٢) مصدر سابق، ص ١٠٨.

(٢١٣) فلايش. هنري، مصدر سابق، ص ١٦٧، كذلك: بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٤، ص٨٩.

(٢١٤) سيبويه. ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، ج٢، ط١، بلا تاريخ، ص٢٧٢، وكذلك:-

الفراهيدي. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار الهلال، بلا تاريخ، ج٣، ص٢٠٤، كذلك:-

المبرد. أبو العباس محمد، المقتضب، ج٣، تحقيق عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ص٣٧٤.

(٢١٥) فلايش. هنري، مصدر سابق، ص ١٧٢.

(٢١٦) بروكلمان. كارل، مصدر سابق فق ١٥٤، ص ٨٩.

(٢١٧) Wright. William. op. cit., p.108 كذلك بروكلمان. كارل، مصدر سابق، فق ١٥٤، ص٨٩.

(*) انظر في ذلك: موسكاتي. سباتينو، مصدر سابق، فق ١٣ – ٣٧، ص ١٩١

"المصادر"

"المصادر العربية"

١- ابن الأثير. مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ.

٢- ابن الحاجب. الأمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عُمَر النحوي المالكي، كتاب الكافية في النحو شرحه: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الستراباذي، مج٢، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣- إسماعيل. د. خالد، لغة النقوش النبطية، إربد، الأردن، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤- إسماعيل. د. خالد، مقدمة في قواعد الأوجاريتية، جامعة اليرموك، عّمان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٥- الآلوسي. محمود شفيق، أداة التعريف في اللغات العاربة دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة بَغداد، ١٤٢٣- ٢٠٠٢م.

٦- الآلوسي. محمود شفيق عرميط، أصل الأسم الموصول في اللغات العاربة "السَّامِيَّة" دراسة مقارنة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٧، ع٣، ربيع الأول ١٤٣١هـ. أذار، ٢٠١٠م.

٧- الانباري. كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد، مج٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

٨- الأنصاري ابن هشام، شرح شذور الذهب، تحقيق د. محمد ياسر شرف، ط١، دار احسان للنشر والتوزيع، طهران ١٤١٧هـ

٩- أنيس. إبراهيم، اللّهجات العربية، ط٤، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٣.

١٠- بدر. محمد، الكنز في قواعد اللغة العبرية، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، عابدين، ١٩٢٦م.

١١- بدوي. نعيم – رومي. غضبان، مدخل في قواعد اللغة المندائية، ط١، بغداد، ١٩٩٣.

١٢- برجشتراسر. جوتهولف، الّتطور النّحوي للّغة العربّية، أخرجهُ وصححهُ وعلّق عليه د. رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة – دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٣- بروكلمان. كارل، فقه اللّغات السّامِيّة، عَرّبهُ عن الألمانية د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م

١٤- بعلبكي. د. رمزي منير، فقه العربية المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.

١٥- بعلبكي. د. رمزي منير، الكتابة العربية والسامية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

١٦- البغدادي. الشيخ عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، ج٦، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، مطبعة المدني، القاهرة، كذلك:- البغدادي. الشيخ عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، مج٢، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١٧- بيستون. ف.ل.، قواعد العربية الجنوبية، عَرَّبَهُ د. خالد إسماعيل مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

١٨- جويدي. إغناطيوس، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديم، القاهرة، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠

١٩- حسن. عباس، النحو الوافي، ج١، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٠- حَطّاب. أمين فعيل، قواعد اللغة المندائية، ط١، بغداد، ٢٠٠٢م.

٢١- حنون. د. نائل، شريعة حمورابي، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣م.

٢٢- الخفاجي. علاء الدين هاشم، أسماء الإشارة بين العربية واللّغات العاربة " السّامية " دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شَمس، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م

٢٣- داود. المطران إقليميس يوسف، اللّمعة الشّهية في نحو اللّغة السّريانّية، ط٢، مطبعة دير الآباء الدومنيكيين، الموصل، ١٨٩٦ م

٢٤- رابين شايم ، اللهجات العربية الغربية القديمة، ترجمة عبد الرحمن أيوب، مطبعة ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٦م. كذلك: رابين شايم ، اللهجات العربية الغربية القديمة، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. عبدالكريم مجاهد، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفاركس للتوزيع، الأردن، ٢٠٠٢م.

٢٥- رشدي. زاكية محمد، السريانية نحوها وصرفها، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة بلا تاريخ

٢٦- رشيد. د. فوزي، قواعد اللغة الأكدية، بغداد، ١٩٨٨م.

٢٧- زيدان. جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق: د. مرادكامل، دار الهلال، بلا تاريخ

٢٨- السامرائي. د. إبراهيم، في اللهجات العربية القديمة، ط١، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

٢٩- السُكَّرِيّ: أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح ديوان اشعار الهُذَلِيّين، مج٢، ط٢، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج - محمود محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٠- سلوم. داود، دراسة اللهجات العربية القديمة، ط١، مطبعة المكتبة العلمية، لاهور - باكستان، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦

٣١- سلوم. داود، شعر ابن مُفَرِّغ الحميري، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٨٦

٣٢- سليمان. د. عامر، اللغة الأكدية (البابلية الاشورية) تاريخها تدوينها قواعدها، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٣- سيبويه. ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج٤، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٤- سيبويه، الكتاب، ج٢، ط١، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بلا تاريخ.

٣٥- السيوطي. الشيخ جلال الدين، البهجة المرضية في شرح الألفية بهامش شرح ابن عقيل على الالفية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بلا تاريخ.

٣٦- السيوطي. الشيخ جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج١، ج٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٣٧- عبابنة. د. يحيى، اللغة الموآبية في نقش ميشع، جامعة مؤته، الاردن،٢٠٠٠م

٣٨- عبابنة. د. يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، جامعة مؤته، ١٩٩٧.

٣٩- عبد التواب. د. رمضان، في قواعد السّاميّات ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٤٠- فاضل. عبدالحق، مغامرات لغوية، دار العلم للملايين، بيروت، بلا تاريخ.
٤١- عبد الرؤوف. عوني، اللغة العبرية، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧١م.
٤٢- عفيفي. د. أحمد، التعريف والتنكير في النحو العربي، دار زهراء الشرق، القاهرة، بلا تاريخ
٤٣- علي. جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٧ م
٤٤- العناني. د. علي – وآخرون –، الأساس في الأمم السامية ولغاتها، ط١، مطبعة الاميرية، بولاق، القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م
٤٥- فاضل. عبد الحق، مغامرات لغوية، توزيع دار العلم للملايين، بيروت، بلا تاريخ
٤٦- الفراء. أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ط١، ج١، تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، بلا تاريخ.
٤٧- فلايش.هنري، العربية الفصحى، عَرّبَهُ عن الفرنسية وحققه د. عبد الصبور شاهين، ط٣، منشورات دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م
٤٨- قبيسي. د. محمد بهجت، ملامح في فقه اللّهجات العربية من الأكادية والكنعانية حتى السبئية والعدنانية، دار شمأل للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٩م
٤٩- قوزي. د. يوسف – روكان. محمد كامل، آرامية العهد القديم قواعد ونصوص، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٠- كانتينو. جان، دروس في علم أصوات العربية، عَرّبَهُ عن الفرنسية د. صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م
٥١- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).
٥٢- كمال. د. ربحي، دروس في اللغة العبرية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م
٥٣- لبنكسي. إدوارد، نقش الجص الآرمي من دير علاًّ، عَرّبَهُ عن البلجيكية عمر الغول، البنك الأهلي الأردني وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا، طبع في مطابع المؤسسة الصحفية الاردنية " الرأي "، ١٩٩٧م
٥٤- المبرد. أبو العباس محمد، المقتضب، ج٣، تحقيق عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.
٥٥- مكياش. د. عبد الله أحمد، نقوش عربية جنوبية من اليمن، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية اللغات جامعة بغداد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٥٦- موسكاتي. سباتينو – وآخرون، مدخل إلى نحو اللّغات السّامِيّة المقارن، عرّبهُ وقدم له د. مهدي المخزومي – د. عبد الجبار المطلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
٥٧- نحلة. د.محمود أحمد، التعريف والتنكير بين الشكل والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٩م
٥٨- نولدكة. ثيودور، اللغات السامية، عَرّبَهُ عن الألمانية، د. رمضان عبد التواب، ط٢، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م
٥٩- ولفنسون. إسرائيل " أبو ذؤيب "، تاريخ اللغات السامية، ط١، القاهرة ١٩٢٩ م

المعاجم والقواميس

٦٠- إلياس. إلياس انطوان وإدوارد الياس، قاموس الجيب عربي – انجليزي، توزيع دار الجيل، بيروت، بلاتاريخ، الناشر إدوارد الياس إلياس. شارع كنيسة الروم بالظاهر، مصر، بلا تاريخ

٦١- البعلبكي. منير، البعلبكي. روحي، المورد القريب، ط١٢، دار العلم للملايين، ٢٠١٠.

٦٢- بيستون. ف. ل – وآخرون، المعجم السبئي، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٣- سليمان. د. عامر – وآخرون، المعجم الأكدي، ج١، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦٤- حداد. بنيامين، الميزان معجم الاصول اللغوية المقارنة، معجم سرياني – عربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٦٥- حنون. د. نائل، المعجم المسماري، معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية، ج١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١م.

٦٦- الفراهيدي. أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد، العين، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، ج٣، دار الهلال، بلا تاريخ.

٦٧- عبد الباقي. محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت مطبعة دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٤٥م

٦٨- هارون عبد السلام محمد، معجم شواهد العربية، ج١،ط١، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

المصادر الانجليزية

69- Gibson.John C.L, Text book of Syrian semitic inscriptions, Clarendon press, Oxford, 1971, V1.

70- Gordon. Cyrus H., Ugaritic textbook,Roma$_2$, 1965.

71- Kamhi. D.j, modern hebrew an introductory course, oxford university press, 1982.

72- Wright. William, Lectures on the comparative Grammar of the Semitic Languages , Amsterdam , Philo press, 1966.

المصادر العبرية

73- Hebrew old testament , the Bible house, London, 1958

معاني (الكـــاف) في القرآن الكريم

دراسة نحوية

م. م. أحمد عكاب داحور الجبوري

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

خلاصة البحث

تعد الدراسة النحوية في القرآن الكريم أشرف أنواع الدراسات خاصةً أن ميدانها هو كتاب الله العزيز، ولهذا السبب كانت نفسي تتوق الى دراسة نحوية في القرآن الكريم، ولهذا إخترت موضوع بعنوان (معاني الكاف في القرآن الكريم دراسة نحوية) وتبين لي من خلال دراسة هذا الموضوع أن الكاف لها خمسة معانٍ عند العلماء وهي: التشبيه والتعليل و الاستعلاء و المبادرة و التوكيد، وقد وردت قسم من هذه المعاني وهي التشبيه و التعليل و التوكيد، وقمت بدراسة هذه المعاني دراسة نحوية وقارنت بين أقوال النحاة و المفسرين لهذه المعاني.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن تبعهم بهدى إلى يوم الدين ..

أما بعد:-

ففي البدء وقبل الدخول إلى مضمون البحث أود أن أشير إلى أهمية هذا البحث في مجال الدراسة النحوية والقرآنية،وذلك لأنه اتخذ حرفاً من حروف العربية وهو حرف (الكاف)مجالاً للدراسة النحوية، ولاسيما أن ميدان هذهِ الدراسة هو القرآن الكريم،ومن خلال اطلاعي على معاني هذا الحرف وجدتهُ موضوعاً جديراً بالبحث والدراسة، فتوكلت على الله واخترت هذا الحرف للدراسة،وقد سميت هذا البحث بـ((معاني حرف الكاف في القران الكريم،دراسة نحوية))،وقبل أن أتناول معاني حرف الكاف في القرآن الكريم، رأيت لزاماً عليّ أن أكتب في المبحث الأول عن معاني الكاف عند النحاة والعلماء،وما كتبوا عن هذا الحرف، وقبل أن أبدأ بدراستي التطبيقية له في القران الكريم، ولهذا قسمت البحث على فصلين هما:

المبحث الأول:معاني حرف الكاف عند النحاة،والمبحث الثاني: دراسة تطبيقية لهذهِ المعاني التي ذكرها النحاة في القرآن الكريم، وقد جمعت مادة البحث من القرآن الكريم ثم قمت بدراستها في الكتب النحوية والتفاسير، وذكرت آراء العلماء واختلافهم في معنى الكاف ومحله في الآيات القرآنية؛وقد استعنت بجملة من المصادر من بينها: إعراب القرآن للنحاس (ت338هـ) وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية (ت546هـ) والتبيان في إعراب القرآن للعكبري(ت616هـ)وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(ت671هـ) وتفسير البحر المحيط لابن حيان الأندلسي (ت745هـ) والجنى الداني للمرادي(ت749هـ) و مغني اللبيب لابن هشام الانصاري(ت 761هـ)، وغيرها من كتب النحو والتفسير،ثم كتبت في نهاية البحث أهم النتائج التي توصلت

إليها في هذا البحث،ثم فهرست للمصادر والمراجع،أما فيما يخص الهوامش في البحث فقد إكتفيت بالإشارة في الهامش إلى اسم الكتاب والمؤلف،إلا أنني ذكرت البطاقة التعريفية للكتاب كاملة في فهرست المصادر والمراجع.

وأخيراً هذا ما يسره الله لي، وعسى أن أكون قد وفقت في هذا الجهد المتواضع،فما كان فيه من صواب فمن الله وحده،وما كان فيه من خطأ وسهو فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله براء من ذلك،وأسأل الله الكريم أن يوفق الجميع لخدمة هذا الدين العظيم ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين، والحمد لله أولاً وأخراً.

المبحث الأول

معنى الكاف عند النحاة.

لم يختلف النحاة في أنّ الكاف تكون عاملة وغير عاملة،والعاملة قد تكون حرفاً أو تكون اسماً،فقد قال المرادي:((الكاف حرف يكون عاملاً، وغير عامل، فالعامل كاف الجر ،وغير العامل:كاف الخطاب))[١] وقد عرّف كاف الجر: ((بأنها حرف ملازم لعمل الجر ،والدليل على حرفيتهِ أنه على حرف واحد صدراً، والاسم لا يكون كذلك،وأنه يكون زائداً والأسماء لا تزاد،وأنه يقع مع مجروره صلةً من غير قبح،نحو: جاء الذي كزيدٍ، ولو كان اسماً لقُبح ذلك لاستلزامهِ حذف صدر الصلة من غير طول))[٢]

ويقسم العلماء الكاف على قسمين هما:١- الكاف الجارة٢- الكاف غير الجارة.

النوع الأول-: الكاف الجارة-: وهي أيضاً على قسمين،إما أن تكون حرفاً أو تكون اسماً،وسوف نقوم ببيان كل قسم مع معانيهِ.

أ-الكاف الحرفية الجارة-:وقد ذكر لها النحاة خمسة معانٍ[٣]،وهي:

١-**التشبيه**-:اتفق النحاة على أن كاف الجر تجيء في معنى التشبيه،وذلك كقولك: (أنت كزيدٍ) و (زيدٌ كعمرٍو) و(زيدٌ كالأسد)[٤].

٢-**التعليل**-:ذكر قسم من النحاة أنّ حرف الجر الكاف،يأتي للتعليل[٥]،قال ابن هشام: ((اثبت ذلك قومٌ ونفاه الأكثرون،وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بـ(ما) كحكاية سيبويه:كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه،والحق جوازهُ في المجردة من(ما)، وفي المقرونة بـ(ما)الزائدة وبـ(ما)المصدرية))[٦]،واستدل مثبتو هذا المعنى بجواز أن تكون الكاف للتعليل وهي مقرونة بـ(ما)المصدرية، بقوله تعالى چﮈ ﮉ ﮊ چ[٧]

أي: لهدايتهِ إياكم[٨]،وقد استدل ابن هشام في المغني على جواز أن تأتي الكاف للتعليل،حتى وان كانت مجردة من(ما)الكافة بقوله تعالى چ ۋ ۋ ى ېچ[٩]

أي أعجب لعدم فلاحهم[١٠].،ويرى الدكتور فاضل السامرائي ان هذا المعنى يرجع في حقيقتهِ إلى معنى التشبيه،بقوله:: ((وهو للتشبيه فيما أرى ونحن نستعمل مثل هذا التعبير في كلامنا الدارج فنقول:أحسن الى فلان مثلما أحسن أليك،واصنع له خيراً مثل ما صنع إليك،واذكره مثلما ذكرك،أي أصنع مثل فعلهِ وقابله بمثل ما فعل،واعمل مشابها لعمله،ونحو ذلك))[١١]

3- **الاستعلاء**-:ذكر المرادي وابن هشام أن هذا المعنى ذكرهُ الأخفش والكوفيون وأن بعضهم قيل له: كيف أصبحت ؟ فقال: كخير أي: على خير، وقيل المعنى بخير[١٢] وقد إعترض ابن هشام على مجيء الكاف بمعنى الباء، بقوله: ((ولم يثبت مجيء الكاف بمعنى الباء))[١٣] ويبدو أن ابن مالك ممن أثبت مجيء الكاف بمعنى (على) إذ نقل ذلك المرادي بقوله: ((وزاد ابن مالك معنىً ثالثا وهو أن تكون الكاف بمعنى (على) كقول العرب :كخير، في جواب كيف أصبحت))[١٤] ويرى قسم من النحاة أن رجوع هذا المعنى إلى التشبيه أولى من أدعاء معنى لم يثبت، وأولوا قولهم: (كخير) على حذف مضاف، أي: كصاحب خير[١٥] وقيل في تأويل قولهم (كنْ كما أنت) معناه: كن على ما أنت عليه[١٦] ويرى الدكتور فاضل السامرائي كونه للتشبيه ظاهراً، أي: كنْ مثلما أنت عليه الآن لا تغيّر، لتشبه حالتك في المستقبل حالتك الآن[١٧]

4 - **المبادرة:** ذكر ابن هشام أن هذا المعنى ذكره ابن الخباز وأبو سعيد السيرافي، وذلك إذا اتصلت بـ(ما) نحو (سلم كما تدخل) و (صلِّ كما يدخل الوقت)[١٨] وقد رد ابن هشام على هذا المعنى بقوله: ((وهو غريب جداً))[١٩]

5 -**التوكيد:** تأتي الكاف للتوكيد، وهي عندئذ زائدة عند أكثر النحاة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى چ ٺ ٺ ٿ چ[٢٠] فالكاف هنا زائدة[٢١] قال ابن هشام في المغنى((قال الأكثرون: التقدير ليس شيء مثله، إذا لو لم تُقدّر زائدة صار المعنى:ليس شيء مثل مثلهِ، فيلزم المحال وهو إثبات المثل، وإنما زِيدت توكيد نفي المثل، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً، قاله ابن جني))[٢٢] وقد جزم الرضي في شرح الكافية بزيادة الكاف بقوله: ((ويحكم بزيادتها عند دخولها على (مثل) في نحو قوله تعالى چ ٺ ٺ ٿ چ أو دخول مثل عليها كقوله:

فصُيِــروا مـثل كعْـــصف مأكـــول[٢٣]

إذا الغرض انه لا يُشبّه بالمشبه فلا بد من زيادة إحدى أداتي التشبيه وزيادة ماهو على حرف أولى ولاسيما إذا كانت من قسم الحروف في الأغلب والحكم بزيادة الحروف أولى))[٢٤]

وذكر المرادي أن زيادتها في كلام العرب غير قليلة، فقد حكى الفراء انه قيل لبعضهم، كيف تصنعون الأقط ؟ فقال: كَهَيّن، يريد هيناً، فزاد الكاف[٢٥]

ب- **الكاف الإسمية الجارة** .: قد تخرج الكاف من الحرفية الجارة إلى الإسمية الجارة، قال النحاة وهي المرادفة لمثل[٢٦] ومذهب سيبويه والمحققين أنها لا تقع إلا في الضرورة، كقوله :

يضــحكن عن كــالــبردِ المنُـــهم[٢٧]

أي: مثل البرد، فالكاف هنا اسم بمعنى مثل، لدخول حرف الجر عليه[٢٨]

وذكر المرادي وابن هشام أنّ الأخفش والفارسي وغيرهما جوزوا أن تكون الكاف حرفاً وا سماً في الإختيار، فجوزوا في قولهم: (زيدُ كالأسد) أن تكون في موضع رفع، والأسد مخفوضاً بالإضافة[٢٩] وقد تقع الكاف فاعلاً كقوله :

أتنتهــون ولــن ينهــى ذوي شــطط   كـالطعن يـذهب فيـه الزيـت والفُتُل[٣٠]

فالكاف اسم مرفوع على الفاعلية والعامل فيه (ينهى) والتقدير: ولن ينهى ذوي شطط مثل الطعن[٣١]

كما أنها تقع مبتدأ[٣٢] كقول الشاعر:

أبـداً كـالفراء فـوق ذراهـا حـين يطـوي المسـامع الصّـرّارُ[٣٣]

وكذلك تقع اسم كان[٣٤] كقوله:

لـو كـان فـي قلبـي كقَـدْرِ قُلاَمـة حُبـاً، لغيـرك، مـا أتتـكِ رسـائلي[٣٥]

وكذلك تقع مفعولا به[٣٦] كقول النابغة:

لا يبرمـون إذا مـا الأفـق جللّـه بْرد الشتاء من الإمحالِ، كالأدمِ[٣٧]

قال المرادي ((واعلم أن منهم من تأول هذا كله، على حذف الموصوف، وإقامة الصفة التي هي الجار والمجرور مقامه))[٣٨]

٢- النوع الثاني: الكاف غير الجارة، وذكرها ابن هشام في المغني أنها على نوعين:

الأول: مضمر منصوب أو مجرور كقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ[٣٩]

والثاني: حرف معنى لا محل له ومعناه الخطاب[٤٠] وقد سماها المرادي: كاف الخطاب بقوله: وأما كاف الخطاب: فحرف يدل على أحوال المخاطب[٤١] وكاف الخطاب تتصل بعدة أشياء وهي :

١- اسم الإشارة: نحو (ذلك، تلك، ذاك)[٤٢] قال المرادي ((ولا خلاف في حرفية كاف الخطاب المتصلة ب: اسم الإشارة))[٤٣]

٢- الضمير المنفصل المنصوب، في قولهم: (إياك، إياكما) وغيرها[٤٤].

٣- بعض أسماء الأفعال نحو (حيهلك، رويدك، النجاءك)[٤٥]

٤- الفعل (أرأيت) بمعنى أخبرني كقوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﭼ[٤٦]

فالتاء فاعل والكاف حرف خطاب لا محل له من الأعراب[٤٧] قال ابن هشام ((هذا هو الصحيح، وهو قول سيبويه، وعكس ذلك قال الفراء: التاء حرف خطاب

والكاف فاعل، لكونها المطابقة للمسند إليه، ويرده صحة الاستغناء عن الكاف وأنها لم تقع قط مرفوعة))[٤٨]

٥- بعض الأفعال وهي: (أبصر، وليس، ونِعْم، وبِئْسَ) فنقول: أبصرك زيداً، وليسك زيدّ قائماً، ونعمك الرجل زيد، وبئسك الرجل عمرو، فالكاف في هذا كله حرف خطاب لا محل له من الأعراب وإتصالها بهذه الأفعال قليل جداً[٤٩]

٦- بعض الحروف، نحو (بلى، كلا) فيقال: بلاك، كلاك وهو قليل[٥٠]

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية لمعاني(الكاف)

في القرآن الكريم

في هذا المبحث سأقوم بدراسة معاني (الكاف) في الآيات التي وردت في القرآن الكريم على ضوء المعاني التي ذكرها النحاة وبيناها في المبحث الأول من هذا البحث، وهي :

1- معاني الكاف الحرفية الجارة، وأول هذه المعاني التي ذكرها النحاة :

أ- **التشبيه:** لقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم فيها الكاف على هذا المعنى، ومن هذه الآيات:

١- قال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[٥١]

اتفق العلماء على أن الكاف في قوله تعالى (كالحجارة) جاءت بمعنى التشبيه، قال أبو حيان الأندلسي ((وهذه جملة ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم كالحجارة إذ الحجر لا يتأثر بموعظة ......، والكاف المفيدة معنى التشبيه: حرف وفاقاً لسيبويه وجمهور النحويين. خلافاً لمن ادعى أنها تكون اسماً في الكلام وهو عن الأخفش، فتعلقه هنا بمحذوف، والتقدير: فهي كائنة كالحجارة، خلافاً لابن عصفور، إذ زعم أن كاف التشبيه لا تتعلق بشيء))[٥٢]

وقال القرطبي معلقاً على قوله تعالى كالحجارة فالمعنى ((هي مثل الحجارة أو أشد))[٥٣]

وذكر أبو البقاء العكبري أنّ الكاف في قوله كالحجارة متعلقة بمحذوف تقديره: فهي مستقرة كالحجارة، ويجوز أن يكون أسماً بمعنى (مثل) في موضع رفع ولا تتعلق بشيء[٥٤] وكذلك ذهب الزمخشري إلى أن الكاف أفادت التشبيه بقوله: ((فهي في قسوتها مثل الحجارة))[٥٥] ويتبين لنا أن الكاف في هذه الآية أفادت معنى التشبيه ...

٢- قال تعالى :ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ[٥٦]

قال أبو حيان في تعليقه على الكاف في هذه الآية ((الكاف: للتشبيه، وذلك اسم إشارة، والكاف في موضع نصب إما لكونه نعتاً لمصدر محذوف، وإما لكونه حالاً والمعنى: وجعلناكم أمة وسطاً جعلاً مثل ذلك))[٥٧]

و قال بهذا القول أبو البقاء العكبري: ((والكاف في موضع نصب صفة لصدور محذوف تقديره: ومثل هدايتنا من نشاء، جعلناكم))[٥٨].

وقد ذكر الإمام الشوكاني أن الكاف في قوله (كذلك) أفادت معنى التشبيه أي مثل ذلك الجعل جعلناكم[٥٩]

٣- قال تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[٦٠]

اختلف المفسرون في هذه الآية فذهبوا إلى آراء كثيرة، ومن هذه الأقوال .: قال الزمخشري: ((إنّ شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم))[٦١] فجعل المثل بمعنى الشأن والحال وهو راجع لقول من قال: المثل هنا الصفة، كقوله تعالى: ﭽﭑﭒﭼ[٦٢] وفي هذا إقرار الكاف في قوله (كمثلِ آد م) على معناها التشبيهي[٦٣].

أما ابن عطية فكان له قول آخر على قول من قال إن المثل هنا بمعنى الصفة: ما نصهُ((وهذا عندي ضعف في فهم معنى الكلام، و أنما المعنى أنّ المثل الذي تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمتصور من آدم، إذا الناس كلهم مجمعون على أنّ الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل، ..... وفي هذه الآية صحة القياس، أي: إذا تتصوروا أمر آدم قِيس عليه جواز أمر عيسى، والكاف في قوله كمثل اسم على ما ذكرناهُ من المعنى))[٦٤]

وذكر ابو حيان انه لا يظهر له فرق بين كلام الزمخشري وابن عطية،فلا فرق بين من جعل المثل بمعنى الشأن والحال،أو بمعنى الصفة[٦٥].

وقد نقل أبو حيان أن أبا علي الفارسي يقول:المثل بمعنى الصفة لا يمكن تصحيحه في اللغة،إنما المثل التشبيه(٦٦).

والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب،كآدم،لا على انه خلق من تراب،والشيء قد يشبه الشيء وان كان بينهما فرق كبير بعد ان يجتمعا في وصف واحد فأن ادم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة،ولكن التشبيه بينهما أنهما خُلقا من غير أب(٦٧).

وبعضهم جعل الكاف زائدة،وبعضهم جعل كلمة (مثل) هي الزائدة،وبعضهم جعل المثل هنا من ضرب الأمثال،وقال أن العرب تضرب الأمثال لبيان ما خُفي معناه ودق إيضاحه،فلما خُفي سر ولادة عيسى من غير أب،لأنه خالف المعروف ضرب الله المثل بآدم الذي استقر في الأذهان وعُلِم انه وجد من غير أب ولا أم،كذلك خلق الله عيسى بلا أب،ولابد من مشاركة معنوية بين من ضُرِب به المثل،وبين من ضرب له المثل،من وجه واحد أو من وجوه ولا يشترط الاشتراك في سائر الصفات(٦٨).

٤- قال تعالى: چ ۇ ۆ ۈ ۈ ۋ چ(٦٩)

اتفق العلماء والمفسرون على أن الكاف في هذه الآية أفادت معنى التشبيه ولكنهم اختلفوا في موقعه من الأعراب إلى عدة أقوال، ومنها :

قال أبو حيان الأندلسي ((الكاف هنا للتشبيه، وهي في موضع نصب على أنها نعت لمصدر محذوف، واختلف في تقديره، فقيل التقدير: ولأتم نعمتي عليكم إتماماً مثل: إتمام إرسال الرسول فيكم، ومتعلق الإتمامين مختلف، فالإتمام الأول: بالثواب في الآخرة، الإتمام الثاني بإرسال الرسول إلينا في الدنيا، أول بإجابة الدعوة الأولى لإبراهيم في قوله: چ ڤ ٹ ٹ ڤ ڤ چ(٧٠) والإتمام الثاني: بإجابة الدعوة الثانية في قوله: چ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ چ(٧١)

وقيل التقدير ولعلكم تهتدون أهتداءً مثل: إرسالنا فيكم رسولاً، ويكون تشبيه الهداية بالإرسال في التحقيق والثبوت، أي: اهتداءً ثابتاً متحققاً، كتحقق إرسالنا وثبوته))(٧٢)

وذكر القرطبي أن الكاف أيضاً أفادت التشبيه بقوله ((والتشبيه واقع على أن النعمة في القبلة كالنعمة في الرسالة وإن الذكر المأمور به في عظمه، كعظم النعمة، وقيل معنى الكلام على التقديم والتأخير، أي: فاذكروني كما أرسلنا))(٧٣).

أما ما ذكره ابن عطية عن الكاف فهو قوله((والكاف في قوله كما رد على قوله لأتم أي :إتماماً كما، وهذا أحسن ألأقوال، أي: لأتم نعمتي عليكم في بيان سنة إبراهيم، كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم إجابة لدعواته في قوله: ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم، وقيل الكاف من كما رد على تهتدون أي: اهتداءً كما، وقيل هو في موضع نصب على الحال، وقيل في معنى التأخير متعلق بقوله: فاذكروني))(٧٤)

ب- التعليل: وهو المعنى الثاني لمعاني الكاف الحرفية الجارة، وقد جاءت آيات من القرآن الكريم ورد فيها حرف الكاف بمعنى التعليل، ومن هذه الآيات :

١- قال تعالى: چ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چ(٧٥)

ذكرنا في الفصل الأول أن هذا المعنى اثبته قوم ونفاه آخرون، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بـ(ما)(٧٦)، وقلنا مذهب ابن هشام أنه يثبت هذا المعنى بقوله((والحق جوازه في المجردة من ما وفي المقرونة بـ(ما) الزائدة وبـ(ما) المصدرية))(٧٧)، وقال أبو حيان معلقاً على الكاف في هذه الآية: ((ويحتمل أن تكون الكاف للتعليل على مذهب من أثبت هذا المعنى للكاف، فيكون التقدير: كما هداكم، أي: اذكروه وعظموه للهداية السابقة منه تعالى لكم، وحكى سيبويه: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه، أي: لأنه لا يعلم، وأثبت هذا المعنى الأخفش وابن برهان))(٧٨)

بينما ذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أن الكاف في الآية بمعنى مثل بقوله((موضع الكاف نصب، والمعنى: أذكروه مثل هدايته إياكم، أي يكون جزءاً لهدايته إياكم))[٧٩] وذكر القرطبي أن الكاف نعت لمصدر محذوف و ما مصدرية أو كافة، والمعنى: إذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هدايةً حسنة، واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه[٨٠]

٢- قال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[٨١]

اختلف العلماء والمفسرون في معنى الكاف في هذه الآية إلى عدة أقوال، ومن هذه الأقوال قال أبو حيان الأندلسي ((والكاف في قوله كما ذكرنا أنها للتعليل، وهو واضح فيها وإن كان إستعمالها فيه قليلاً))[٨٢] في حين نقل ابن عطية في تفسيره معنى جديداً للكاف في قوله كما إذ يقول((وقالت فرقةٌ الكاف في كما في هذه الآية إنما هي بمعنى المجازاة أي لما لم يؤمنوا أول مرة نجازيهم بأن نقلب أفئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم، فكأنه قال ونحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم جزاًء لما لم يؤمنوا أول مرة بما دعوا إليه من الشرع))[٨٣]

وقد إعترض أبو حيان الأندلسي على قول أبن عطية بـ المجازاة بقوله: ((وهو معنى التعليل الذي ذكرناه، إلا أنّ تسمية ذلك بمعنى المجازاة غريبة، لم يعهد في كلام النحويين أنّ الكاف للمجازاة))[٨٤]

ونقل أبو حيان أنّ جماعة من العلماء قالوا إن معنى الكاف في الآية هو للتشبيه[٨٥]

أما عن موضع الكاف فقد قالوا إن الكاف نعت لمصدر محذوف[٨٦] وقيل التقدير: تقليباً ككفرهم، وعقوبة مساويةً لمعصيتهم[٨٧] وقيل في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: أنها إذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا أول مرة ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ونذرهم في طغيانهم يعمهون، أي: يتحيرون[٨٨]

٣- قال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[٨٩]

إتفق المفسرون على أن الكاف في هذه الآية جاءت للتعليل، فقد قال أبو حيان ((والظاهر أن الكاف في كما للتعليل، أي ربّ أرحمهما لتربيتهما لي وجزاءاً على إحسانهما إلي في حالة الصغر والإفتقار))[٩٠] وإلى هذا القول نفسه ذهب الشوكاني فقد ذكر ((انه يجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لأجل تربيتهما لي، كقوله تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[٩١] وقد بالغ الله سبحانه وتعالى في التوصية بالوالدين مبالغة تقشعر لها جلود أهل العقوق وتقف عندها شعورهم))[٩٢] وقال أبو البقاء((كما نعت لمصدر محذوف، أي رحمةً مثل رحمتهما))[٩٣]

ج- **الاستعلاء:** لم أعثر على شاهد من القرآن الكريم بخصوص هذا المعنى،والله اعلم.

د - **المبادرة** :كذلك لم أعثر على شاهد من القرآن الكريم بخصوص هذا المعنى، والله اعلم.

هـ -التوكيد: وردت آيات من القرآن الكريم مما يخص هذا المعنى، ومن هذهِ الآيات:

١- قال تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ[٩٤]

اختلف النحاة والمفسرون في هذهِ الآية فمنهم من قال إن الكاف هي الزائدة ومنهم من قال إن كلمة مثل هي الزائدة، وغيرها من الأقوال،وسأذكر أراء العلماء والمفسرين في تعليقهم على هذهِ الآية:

قال القرطبي: ((قيل إن الكاف زائدة للتوكيد، أي ليس مثلهِ شيء، كقول الشاعر:

وصالياتِ ككما يؤثفين[٩٥].

فأدخل على الكاف كافاً تأكيداً للتشبيه))[٩٦].

وقد نقل القرطبي أن ثعلباً وغيره قالوا إن كلمة مثل هي الزائدة، كما في قوله تعالى چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ چ[٩٧] ومنهُ قول،اوس بن حجر:

وقتلـــى كمثـــل جـــذوع النخيـــــل يغشـــاهم مطـــرٌ منهمـــرٌ[٩٨]

أي: كجذوع،و الأول أولى[٩٩]

وقد اعترض ابو حيان على قول الطبري بقوله((وما ذهب اليه الطبري وغيره من أن مثل زائدة للتوكيد،كالكاف في قوله

فـأصبحت مثـل كـعصف مــأكول[١٠٠]

وقوله:وصاليات ككما يؤثفين[١٠١]، ليس بجيد،لأن مثلاً اسم والأسماء لا تزاد بخلاف الكاف، فإنها تصلح للزيادة))[١٠٢]

وذكر ابن عطية أن الكاف مؤكدة للتشبيه، فبقي التشبيه أوكد ما يكون،وذلك أنك تقول:زيدٌ كعمرو ،وزيدٌ مثل عمرو، فإذا أردت المبالغة التامة قلت:زيدٌ كمثل عمرو[١٠٣].

وقد اعترض ابو البقاء على من قال إن كلمة مثل هي الزائدة بأنه قولٌ بعيدٌ[١٠٤].

وقد اتفق كل من الاخفش وابن قتيبة وأبي إسحاق الزجاج وأبي جعفر النحاس على أن الكاف في هذهِ الآية زائدة للتوكيد لا محل لها من الإعراب لأنها حرف[١٠٥].،وتبعهم بهذا القول المرادي وابن هشام بأن القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم[١٠٦].

وذكر المرادي أن الفائدة من زيادة الكاف في الآية هي توكيد نفي المثل من وجهين،هما:الأول:لفظي وهو أن زيادة الحرف في الكلام تفيد ما يفيده التوكيد اللفظي من الاعتناء به،والثاني:معنوي فإنه من باب قول العرب:مثلُك لا يفعل كذا،فنفوا الفعل عن مثلهِ،وهم يريدون نفيهِ عن ذاتهِ لأنهم قصدوا المبالغة في ذلك[١٠٧].

٢- قال تعالى چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ چ[١٠٨]

ايضاً اختلف النحاة والمفسرون في معنى الكاف في هذهِ الآية،وهل هي زائدة أو لا ؟ قال ابو حيان الاندلسي: ((وقيل الكاف زائدة،فيكون الذي،قد عُطف على الذي، والتقدير:ألم ترى الى الذي حاج ابراهيم؟أو الذي مر على قريةٍ؟فزيدت الكاف كما زيدت في قوله تعالى چ ﭧ ﭨ ﭩ چ وقول الراجز:

فصُـيرو مثـل كعـصف مـــأكولُ[١٠٩]

ويحتمل أن لا يكون ذلك على حذف فعل،ولا على العطف على المعنى،ولا على زيادة الكاف، بل تكون الكاف اسماً،على ما ذهب إليه أبو الحسن، فتكون الكاف في موضع جر معطوفة على الذي))[١١٠]، وذكر الزمخشري أن الكاف في قوله(أو كالذي) معناه:أو رأيت مثل الذي مر، فحُذفِ لدلالة (ألم تر) عليه،لأن كليهما كلمة تعجب[١١١]، وقد علق ابو حيان على قول الزمخشري بأنه تخريج حسن،لأن إضمار الفعل لدلالة المعنى عليه أسهل من العطف على مراعاة المعنى[١١٢].، وقد فصّل أبو البقاء العكبري القول في الكاف في قوله(أو كالذي)، وقال((في الكاف وجهان:الأول:أنها زائدة،والتقدير:ألم تر الذي حاج إبراهيم،أو الذي مر على قريةٍ،وهو مثل قوله: چ ﭧ ﭨ ﭩ چ، والثاني:هي غير زائدة وموضعها النصب والتقدير:أورأيت مثل الذي، ودل على هذا المحذوف قوله: چ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ چ[١١٣]

٢- **معاني الكاف الاسمية الجارة**-:قد تخرج الكاف من الحرفية الجارة الى الاسمية الجارة،وهي المرادفة لمثل كما ذكرنا في الفصل الأول، ومن الآيات التي وردت في القران الكريم، بهذا الخصوص-:

١- قال تعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ چ[١١٤]

اتفق أكثر النحاة والمفسرين على أن الكاف في هذهِ الآية اسم فقد قال ابن عطية: ((وقوله مثلهم رفع بالابتداء والخبر في الكاف وهي على هذا اسم كما في قول الأعشى:

أتنتهـــون ولا ينهـــى ذوي شـــططٍ كالطعن يذهب فيه الزيتُ والفتلُ[١١٥].

ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً تقديره مثلهم مستقر كمثل، فالكاف على هذا حرف، ولا يجوز ذلك في بيت الأعشى لأن المحذوف فاعل تقديره شيء كالطعن، والفاعل لا يجوز حذفه عند جمهور البصريين، ويجوز حذف خبر الابتداء اذا كان الكلام دالا عليه))[١١٦]

وذهب مكي القيسي إلى أن الكاف في قوله كمثل اسم بقوله((والكاف في قوله:كمثل الذي،هي في موضع رفع خبر لقوله مثلهم تقديره مثلهم مثل الذي استوقد ناراً))[١١٧]

في حين ذهب العكبري إلى أن الكاف حرف جر ،بقوله ((وقوله: مثلهم كمثل، ابتداء وخبر ،والكاف يجوز أن يكون حرف جر فيتعلق بمحذوف))[١١٨]

النوع الثاني:- الكاف غير الجارة (غير العاملة) وتسمى كاف الخطاب، وهو حرف معنى، وقد وردت كاف الخطاب في بعض آيات القران الكريم على أنها حرف خطاب،لا محل لها من الإعراب ومنها-:

أ- المتصلة بأسماء الإشارة-:

١- قال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ چ[١١٩]

لم يختلف العلماء والمفسرون في أن الكاف في(ذلك) في هذه الآية حرف خطاب، يقول ابن عطية: ((والاسم من ذلك الذال والألف، وقيل الذال وحدها،والألف تقوية،واللام لبعد المشار إليه وللتأكيد، والكاف للخطاب))[١٢٠].

وكذلك علق ابو حيان على الكاف في هذه الآية بقوله((والكاف حرف خطاب تبين أحوال المخاطب من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث،كما تبينها إذا كان ضميراً، وقالوا:ألك في معنى ذلك))[١٢١]

والى هذا القول ذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أن الاسم من(ذلك) ذا، والكاف زيدت للمخاطبة ولاحظ لها من الإعراب[١٢٢].

ب- المتصلة بضمير الفعل المنصوب:

١- قال تعالى چ ٿ ٿ ٿ ٿ چ[١٢٣]

اختلف النحويون في(إياك) إلى عدة أقوال، فقد قال ابوحيان الاندلسي((اياك:إيا:تلحقهُ ياء المتكلم وكاف الخطاب، وهاء الغائب وفروعها، فيكون ضمير نصب منفصلاً، لا إسماً ظاهراً أضيف خلافاً لزاعمهِ))[١٢٤]، (إيا) عند الخليل وسيبويه اسم مضمر مفعول به مقدم في الآية، وأما الكاف فهي حرف خطاب عند سيبويه لا موضع لها، ولا تكون اسماً لأنها لو كانت اسماً لكانت إيا مضافة إليها، والمضمرات لا تضاف[١٢٥]، بينما هي عند الخليل اسم مضمر ،أضيفت إيا إليه لأن ايا تشبه المظُهر لتقدمها على الفعل والفاعل، ولطولها بكثرة حروفها، وحكي عن العرب: اذا بلغ الرجل الستين فإياه، وايا الشواب[١٢٦]، في حين ذهب الكوفيون إلى أن إياك بكمالها اسم وقال عنهُ العكبري وهذا بعيد، لأن هذا الاسم يختلف آخره بحسب اختلاف المتكلم والمخاطب والغائب،فيقال:إياي،وإياك،وإياه[١٢٧].

وذهب قوم إلى أن الكاف اسم وإيا عمادٌ له، وهو حرف، وموضع(إياك) نصب بنعبد، فإن قيل: إياك خطاب، والحمد لله على لفظ الغيبة،فكان الأشبه أن يكون: إياه[١٢٨].

وذهب الشوكاني إلى ان الضمير المنفصل هو إيا وما يلحقهُ من الكاف والهاء والياء هي حروف لبيان الخطاب والغيبة والتكلم،لا محل لها من الإعراب وهو

مذهب الجمهور وتقديمه على الفعل لقصد الاختصاص وقيل للإهتمام، والصواب أنه لهما لا تزاحم بين المقتضيات[١٢٩].

جـ–المتصلة بالفعل(أرأيت) بمعنى أخبرني، وردت آيات من القرآن الكريم اتصلت كاف الخطاب بالفعل أرأيت ومنها:

١– قال تعالى :ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[١٣٠]

اختلف النحاة في الكاف في قوله (أرأيتكم) إلى عدة أقوال، فذهب الفراء إلى أن موضع الكاف رفع وتأويله،كما انك إذا قلت للرجل،دونك زيداً، وجدت الكاف في اللفظ خفضاً وفي المعنى رفعاً،لأنها مأمورة[١٣١] وقد رد العكبري على الفراء بقوله((وإذا كانت مرفوعة فهو باطل لأمرين: الأول: أن الكاف ليست من ضمائر المرفوع، والثاني: أنه لا رافع لها،إذ ليست فاعلاً،لأن التاء فاعل، ولا يكون لفعل واحد فاعلان))[١٣٢]

وكذلك رد أبو إسحاق الزجاج على قول الفراء، بقوله ((وهذا لم يقلهُ من تقدم من النحويين، وهو خطأ،لأن قولك:أرأيتك زيداً ما شأنه!تصير أرأيت قد تعدت إلى الكاف والى زيد، فيصير لـ(أرأيت)اسمان يعني فاعلان فيصير المعنى :أرأيت نفسك زيداً ما حاله، وهذا محال))[١٣٣]

في حين ذهب الكسائي إلى أن الفاعل هو التاء وإن أداة الخطاب اللاحقة في موضع نصب المفعول الأول[١٣٤]. وقد رد ابو البقاء العكبري على من قال إن الكاف في موضع نصب بقوله ((وأما إذا كانت منصوبة فهذا باطل من ثلاثة أوجه: الأول:إن هذا الفعل يتعدى إلى المفعولين،كقولك:أرأيت زيداً ما فعل، فلو جعلت الكاف مفعولاً لكان ثالثاً، والثاني:أنه لو كان مفعولاً لكان هو الفاعل في المعنى، وليس المعنى على ذلك،إذ ليس الغرض أرأيت نفسك،بل أرأيت غيرك،ولذلك قلت:أرأيتك زيداً، وزيدٌ غير المخاطب ولا هو بدل منه، والثالث: أنه لو كان منصوباً على أنه

مفعول ظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء، فنقول: أرأيتما كما، وأرأيتموكم، و أرأيتكن))[١٣٥].

وقد أنهى أبو إسحاق الزجاج هذا الخلاف في الكاف في هذهِ الآية بقوله ((والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى:أرأيت زيداً ما حاله، وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب، وهي المعتمد عليها في الخطاب))[١٣٦].

وقد أيد هذا القول الزمخشري بقوله ((والضمير الثاني (يعني الكاف) لا محل له من الإعراب لأنك تقول: أرأيتك زيداً ما شأنه،فلو جعلت للكاف محلاً لكنت كأنك تقول: أرأيت نفسك زيداً ما شأنه؟ وهو خلفُ من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره:إن أتاكم عذابُ الله))[١٣٧].

وقد رجح المرادي وابن هاشم أن تكون التاء فاعلاً في قوله تعالى (أرأيتكم) والكاف حرف خطاب وهذا هو الصحيح وهو قول سيبويه[١٣٨].

٢– قال تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[١٣٩]

اتفق النحاة والمفسرو على أن الكاف في قوله (أرأيتك) حرف خطاب،يقول الزمخشري((الكاف للخطاب، وهذا مفعول به))[١٤٠]، وقد أيّد هذا القول أبوحيان إذ يقول ((والكاف للخطاب، ولا يلحق كاف الخطاب هذهِ إلا إذا كانت بمعنى: أخبرني، وبهذا المعنى قدرها الحوفي وتبعه الزمخشري وهو قول سيبويه فيها والزجاج، قال الحوفي: أرأيتك بمعنى: عرفني وأخبرني))[١٤١] وقد ذهب إلى هذا الرأي ابن عطية فيرى أن الكاف في قوله (أرأيتك) هي كاف خطاب ومبالغة في التثنية لا موضع لها من الإعراب فهي زائدة[١٤٢] وكذلك ذكر أبوجعفر النحاس أن الكاف لا موضع لها من الإعراب وإنما هي لتوكيد المخاطبة[١٤٣].

الخاتمة

بعد أن اكملت كتابة البحث والحمد لله رب العالمين، يمكن أن أذكر أهم النتائج التي توصلت أليها وهي:

١- إن حرف الكاف قد تكون عاملة، فالعاملة إما أن تكون حرفاً أو تكون اسماً.

٢- الكاف الحرفية الجارة لها خمسة معان وهي: التشبيه والتعليل والاستعلاء والمبادرة والتوكيد، أثبت بعض هذه المعاني قسم من العلماء ونفاها آخرون .

٣- الكاف الاسمية قد تكون فاعلاً أو مبتدأ أو اسم كان أو مفعولاً به.

٤- الكاف غير العاملة تكون حرف خطاب لا محل له من الإعراب.

٥- تبين لنا أن أكثر معاني الكاف في القرآن الكريم جاءت للتشبيه.

الهوامش:

(١) الجنى الداني: 78

(٢) المصدر نفسه: 78

(٣) ينظرمغني اللبيب١/ 233

(٤) ينظر:الكتاب٤/ 217، و حروف المعاني للزجاجي 39، وشرح المفصل ٤/ 502،وشرح ابن الناظم265، وشرح كافية ابن الحاجب٣/ 324، ومغني اللبيب/234 وشرح ابن عقيل٣/ 25،وهمع الهوامع٢/447، ومعاني النحو٣/57

(٥) ينظر:شرح ابن الناظم ص265،والجنى الداني ص84، ومغني اللبيب١/ 234، وأوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ١/350،وشرح ابن عقيل ٣/٢٥ – ٢٦، وهمع الهوامع٢/ 447،ومعاني النحو ٣/٥٧

(٦) مغني البيب١/ 234

(٧) البقرة: 198

(٨) ينظر: شرح ابن الناظم ص265، وأوضح المسالك١/٣٥٠ وشرح ابن عقيل٣/٢٥–٢٦ وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل١/ 529

(٩) القصص: 82

(١٠) ينظر مغني اللبيب١/ 234

(١١) معاني النحو ٣/ ٥٧

(١٢) ينظر الجنى الداني ص٨٤–٨٥، ومغني اللبيب ١/ 235

(١٣) مغنى اللبيب١/ 235

(١٤) الجنى الداني ص84

(١٥) ينظر :الجنى الداني ص,85 مغنى اللبيب ١/235

(١٦) ينظر :مغني اللبيب ١/ 235

(١٧) ينظر :معاني النحو :٣/ 57

(١٨) ينظر مغني اللبيب: ١/ 237 وهمع الهوامع ٢/ 447

(١٩) مغني اللبيب١/ 237

(٢٠) الشورى: 11

(٢١) ينظر .: المقتضب ٤/ 615 وكتاب حروف المعاني ص 40 وشرح كافية ابن الحاجب ٤/ 326 وشرح ابن الناظم ص265، والجنى الداني ص٨٦- ٨٧، ومغني اللبيب ١/237 وأوضح المسالك١/ 350 وهمع الهوامع 448/2، ومعاني النحو 58/3

(٢٢) مغني اللبيب ١/ ٢٣٧- ٢٣٨

(٢٣) البيت لرؤبة، وهو في المقتضب 414/4، وشرح كافية ابن الحاجب 326/4، ومغني اللبيب238 1/

(٢٤) شرح كافية ابن الحاجب 326/4

(٢٥) ينظر الجني الداني ص87

(٢٦) ينظر مغني اللبيب 238/1 وهمع الهوامع 449/2

(٢٧) البيت للعجاج وهو في شرح المفصل 502/4 والجني الداني 79 ومغني اللبيب 239/1 وهمع الهوامع 449/2

(٢٨) ينظر: المصادر نفسها

(٢٩) الجني الداني ص79، ومغني اللبيب 239/1

(٣٠) البيت للأعشى في ديوانه٤٨/٤ وهو في شرح المفصل 504/4 وشرح ابن الناظم ص265 وشرح ابن عقيل 27/3

(٣١) ينظر شرح المفصل 504/4-5 50 وشرح ابن الناظم ص265 والجني الداني ص82 وشرح ابن عقيل 27/3 وهمع الهوامع 450/2

(٣٢) ينظر: شرح ابن الناظم 265 والجني الداني 83

(٣٣) البيت بلا نسبة وهو في شرح ابن الناظم 265 والجني الداني 83

(٣٤) ينظر: الجني الداني 83 وهمع الهوامع 450/2

(٣٥) البيت: لجميل بثينة، في ديوانه 180

(٣٦) ينظر الجني الداني 83 وهمع الهوامع 450/2

(٣٧) البيت: للنابغة الذبياني في ديوانه 127

(٣٨) الجني الداني 83

(٣٩) الضحى: 3

(٤٠) ينظر: مغني اللبيب 240/1

(٤١) الجني الداني 79

(٤٢) ينظر: الجني الداني 91 ومغني اللبيب 340/1

(٤٣) الجني الداني 91-92

(٤٤) ينظر الجني الداني 92 ومغني اللبيب 340/1

(٤٥) ينظر: الجني الداني 92 ومغني اللبيب 340/1

(٤٦) الإسراء 62

(٤٧) ينظر الجني الداني 92-93 ومغني اللبيب 340/1

(٤٨) مغني اللبيب 340/1

(٤٩) ينظر الجني الداني 93-94

(٥٠) ينظر المصدر نفسه 93 - 94

(٥١) البقرة: 74

(٥٢) البحر المحيط 380/1
(٥٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن 391/1
(٥٤) ينظر: التبيان في إعراب القران 74/1
(٥٥) الكشاف 156/1
(٥٦) البقرة: 143
(٥٧) البحر المحيط: 602/1
(٥٨) التبيان في إعراب القرآن 108/1
(٥٩) ينظر: فتح القدير 213/1
(٦٠) آل عمران: 59
(٦١) الكشاف 360/1
(٦٢) الرعد: 35
(٦٣) ينظر: البحر المحيط: 763/2
(٦٤) ينظر: المحرر الوجيز 446/1
(٦٥) ينظر:البحر المحيط 763/2
(٦٦) ينظر:المصدر نفسه 763/2
(٦٧) ينظر:تفسير الجامع لأحكام القرآن 71/4-72،وتفسير فتح القدير 468/1
(٦٨) ينظر:البحر المحيط 763/2-764
(٦٩) البقرة: 151
(٧٠) البقرة: 128
(٧١) البقرة: 129
(٧٢) البحر المحيط: 631/1
(٧٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن 115/2، وينظر فتح القدير للشوكاني 223/1

(٧٤) المحرر الوجيز 226/1
(٧٥) البقرة: 198
(٧٦) ينظر مغني اللبيب: ١/ 234
(٧٧) المصدر نفسه: ١/ 234
(٧٨) البحر المحيط: 2/ 161
(٧٩) معاني القران وإعرابه للزجاج ١/ 235
(٨٠) ينظـر: تفسـير الجـامع لأحكـام القـرآن 281/2 وينظـر: تفسـير فـتح القـدير للشوكاني١/ 280
(٨١) الأنعام: 110
(٨٢) البحر المحيط ٤/ 262
(٨٣) المحرر الوجيز:334 2/
(٨٤) البحر المحيط: 263/4
(٨٥) ينظر: المصدر نفسه: 264/4
(٨٦) ينظر: التبيان في أعراب القران 414/1، وينظر البحر المحيط 263/4
(٨٧) ينظر: التبيان في أعراب القرآن 414/1
(٨٨) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن 85/7-86 وتفسير فتح القدير 196/2
(٨٩) الإسراء :24
(٩٠) البحر المحيط 6/ 35
(٩١) البقرة: 198
(٩٢) تفسير فتح القدير 276/3
(٩٣) التبيان في إعراب القرآن 80/2
(٩٤) الشورى: 11

(٩٥) البيت: لخطام المجاشعي:في الكتاب 32/1،وشرح المفصل 503/4، والجنى الداني 80، ومغني اللبيب 239/1

(٩٦) تفسير الجامع لأحكام القرآن: 9/16

(٩٧) البقرة137 :

(٩٨) البيت:لأوس بن حجر في ديوانه 30وفي المحرر الوجيز 28/5، وتفسير الجامع لأحكام القرآن 9/16 والبحر المحيط ٧/ 776، وتفسير فتح القدير 627/4

(٩٩) ينظر :تفسير الجامع لأحكام القرآن 9/16 وتفسير فتح القدير 627/4

(١٠٠) سبق تخريجه

(١٠١) سبق تخريجه

(١٠٢) البحر المحيط 676/7

(١٠٣) المحرر الوجيز 28/5

(١٠٤) ينظر:التبيان في إعراب القران 337/2

(١٠٥) ينظر :معاني القران للأخفش ص130،وتأويل مشكل القران لابن قتيبة 157،ومعاني القران وإعرابه للزجاج 30/4، وإعراب القران للنحاس 51/4

(١٠٦) ينظر : الجنى الداني 78، ومغني اللبيب 238/1

(١٠٧) ينظر : الجنى الداني 87-88

(١٠٨) البقرة: 259

(١٠٩) سبق تخريجه

(١١٠) البحر المحيط: 2/ 66 4-467

(١١١) ينظر:الكشاف 301/1

(١١٢) ينظر البحر المحيط: 466/2

(١١٣) التبيان في إعراب القران 173/1

(١١٤) البقرة: 17

(١١٥) البيت للأعشى: وقد سبق تخريجه

(١١٦) المحرر الوجيز لابن عطية 99/1،وينظر: البحر المحيط 111/1، وتفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم 153/1 وتفسير فتح القدير 99/1

(١١٧) مشكل إعراب القرآن 81/1

(١١٨) التبيان في إعراب القرآن 36/1.

(١١٩) البقرة: 2

(١٢٠) المحرر الوجي: 83/1

(١٢١) البحر المحيط: 52/1

(١٢٢) ينظر:معاني القران وإعرابه 68/1، و ينظر مشكل إعراب القران 73/1

(١٢٣) الفاتحة: 5

(١٢٤) البحر المحيط: 37/1

(١٢٥) ينظر:معاني القرآن وإعرابه 53/1،وإعراب القرآن للنحاس 19/1 -20، والمحرر الوجيز 72/1، والتبيان في إعراب القرآن 17/1

(١٢٦) ينظر:معاني القرآن وإعرابه 54/1،والتبيان في إعراب القرآن 17/1

(١٢٧) ينظر:التبيان في إعراب القرآن 17/1

(١٢٨) ينظر:المصدر نفسه 17/1

(١٢٩) ينظر:تفسير فتح القدير 45/1

(١٣٠) الأنعام: 40

(١٣١) ينظر:معاني القرآن للفراء 333/1

(١٣٢) التبيان في إعراب القرآن 389/1

(١٣٣) معاني القرآن وإعرابه 198/2

(١٣٤) ينظر:البحر المحيط 4/ 165

(١٣٥) التبيان في إعراب القرآن 389/1

(١٣٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 198/2

(١٣٧) الكشاف 21/2، وينظر تفسير فتح القدير149/2-150

(١٣٨) الجنى الداني 93، ومغني اللبيب 240/1

(١٣٩) الإسراء: 62

(١٤٠) الكشاف650/2 :،وينظر المحرر الوجيز 469/3،وتفسير الجامع لأحكام القرآن 185/10،والبحر المحيط 71/6،وتفسير فتح القدير 303/3

(١٤١) البحر المحيط 710/6

(١٤٢) ينظر: المحرر الوجيز 469/3

(١٤٣) ينظر: إعراب القرآن277/2

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

١- إعراب القرآن للنحاس، أبي جعفر احمد بن محمد إسماعيل بن النحاس(ت 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، ط 1، 1421هـ - 2001 م، دار الكتب العلمية بيروت

٢- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، لابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري(ت 761 هـ)، تحقيق أميل بديع يعقوب، ط1، 1418 هـ 1997 - م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي(ت 745 هـ)حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه، د. عبد الرزاق المهدي، ط1، 1423 هـ - 2002 م، دار أحياء التراث العربي - بيروت

٤- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت 276 هـ) تعليق إبراهيم شمس الدين، ط1، 1423 هـ 2002 -م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت616 هـ) تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميه بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ 1998 - م.

٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد ألانصاري القرطبي (ت671هـ)، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، ط1، 1422 هـ - 2002 م، دار أحياء التراث العربي - بيروت.

٧- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم المرادي، (ت749 هـ)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، والاستاذ محمد نديم فاضل، ط1، 1413 هـ - 1992 م، دار الكتب العلمية – بيروت

٨- حاشية الخضري على شرح أبن عقيل، شرحها وعلق عليها تركي فرحان المصطفى، ط2، 1426هـ 2005-م، دار الكتب العلمية بيروت.

٩- ديوان اوس ابن حجر: تحقيق محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، لا ط 1986م

١٠- ديوان جميل بثينة: تحقيق أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م

١١- ديوان النابغة الذبياني زياد بن معاوية تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1977 : م

١٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله أبن عقيل القريشي الهاشمي العقيلي(ت769هـ) ط2، 1419 هـ 1998 – م مكتبة دار التراث القاهرة

١٣- شرح ابن الناظم عل ألفية ابن مالك، أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك(ت686هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، 1420هـ 2000 – م، دار الكتب العلمية – بيروت

١٤- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترباذي (ت686 هـ) تحقيق احمد السيد احمد المكتبة التوفيقية القاهرة

١٥- شرح المفصل، موفق الدين ابي البقاء يعيش بن يعيش الموصلي (ت643 هـ) قدم له ووضع فهارسه وهوامشه الدكتور أميل بديع يعقوب، ط1، 1422هـ - 2001م، دار الكتب العلمية – بيروت

١٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1255 هـ) تحقيق سيد إبراهيم، 1423 هـ - 2003 م دار الحديث القاهرة

١٧- الكتاب، لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، 1408 هـ 1988- م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٨- كتاب حروف المعاني للزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي(ت340هـ) تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ط1، 1404 هـ - 1984م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٩- الكشاف، للزمخشري: الأمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت 538 هـ)، رتبه وصححه محمد عبد السلام شاهين، ط4، 1427 هـ 2006 – م، دار الكتب العلمية – بيروت

٢٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي (ت546هـ) إعداد د. جمال طلبة، ط2، 1428 هـ 2007 -م، دار الكتب العلمية بيروت

٢١- مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) تحقيق، د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية 1975م.

٢٢- المقتضب، لأبي العباس بن يزيد المبرد(ت285هـ)تحقيق حسن محمد، ط1، 1420هـ 1999 -م، دار الكتب العلمية بيروت

٢٣- معـاني القـرآن للأخفـش، أبـي الحسـن سـعيد بـن مسـعده المجاشـعي البصـري المعروف بالأخفش الأوسط(ت215هـ)تحقيق إبراهيم شمسس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت

٢٤- معاني القرآن للفراء :أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت207هـ) تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد النجار، دار السرور

٢٥- معـاني القـرآن وإعرابـه للزجـاج، أبـي إسـحاق بـن إبـراهيم السـري (ت311هـ) تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، ط1، 1424هـ 2004–م، دار الحديث القاهرة.

٢٦- معاني النحـو للدكتور: فاضـل صـالح السـامرائي، بيت الحكمـة، سـاعدت علـى نشره جامعة بغداد 1986م 1987 –م

٢٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصـاري(ت761هـ) حققه وعلق عليه الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مؤسسة الصـادق للطباعة والنشر

٢٨- همـع الهوامـع فـي شـرح جمـع الجوامـع للسيوطي، جـلال الدين عبد الرحمن بن أبـي بكر السيوطي (ت911 هـ) تحقيـق الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبـة التوفيقية.

معاني (الكاف) في القــرآن الكــريم | مجلة آداب الفراهيدي | م. م. أحمد عكاب داحور العـدد (٨) أيلـول ٢٠١١

Abstract

A syntacfic study in the Holy Qur'aan is considered the greatest study in its field , for this reason I did my best to chose the following title of the research as the meanings of Al- kaaf " K " in the holy Qur'aan Which as the following meanings: simi lanres , Highness , and emphatic So. these meanings tackled from different points of row with a comparison among different explanations of linguists .

القضاء في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور

(١٣٦ - ١٥٨هـ)

م.د. بسمان نوري الكوان
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

ملخص البحث

البحث الموسوم (القضاء في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور ١٣٦ – ١٥٨هـ) أوضحت في هذا البحث اهتمام الخليفة المنصور بمؤسسة القضاء بأعتبار أن القضاء هو الأحكام الشرعية المأخوذة من القرآن الكريم فضلاً عن الاجتهاد والمصادر التي تكون القانون الإسلامي.

توصل البحث إلى عدة نتائج منها :-

القيمة العليا والمكانة الرفيعة التي منحها الخليفة لمؤسسة القضاء ونقطة التحول التي شهدها منصب القاضي الذي أصبح ارتباطه مباشرة بالخليفة المنصور بعد أن كان ولاة الأقاليم هم الذن يتولون هذه المسألة ، فضلاً عن اشراف الخليفة بنفسه على سير عمل القضاة ليطمئن على سير العدالة والقانون في أقاليم الدولة العباسية.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين .... وبعد :

تزخر المؤلفات التي عنت بالتراث العربي الإسلامي والإرث الفكري والتشريعي للدولة الإسلامية بالكثير من الإضاءات ، ولعل المنظومة القضائية تأتي في مقدمات ذلك الأرث القيم لما تحمله من أهمية قصوى في تلبية متطلبات الرغبة في تلك الجهود.

وفي هذا الصدد عزمت أن أبين مدى اهتمام الخليفة المنصور بمؤسسة القضاء ، فالقضاء هو الأحكام الشرعية المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فضلاً عن الاجتهاد و المصادر المعتبرة شرعاً في هذه الأحكام تكون بمجموعها القانون الإسلامي الذي يحكم جميع شؤون الحياة وينظم مختلف العلاقات بين الناس ويعزز بنفس الوقت ما للأفراد وما للمجتمع من حقوق يجب احترامها وما عليهم من التزامات يجب أداؤها.

والمطلوب من أفراد المجتمع الإسلامي تنفيذ القانون والوقوف عند حدوده وعدم مخالفة أحكامه لأن هذا المجتمع قد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ومقتضى هذا الإيمان أن يرضى المجتمع الإسلامي في فترة موضوع البحث بأحكام الإسلام وينفذها عن رضا واختيار.

فقد لفت نظري وأسترعى انتباهي استحداث بعض التطورات التي حدثت لمنصب القضاء في زمن الخليفة المنصور والتي تتمثل بتعيين القاضي من الخليفة وليس من الوالي ، وأن مؤسسة القضاء جعلت منه قضاءاً عادلاً نزيهاً تقياً صافياً من كل الشوائب ومطامع الدنيا ونزعات النفوس والذي استمد صفاءه ونقاءه ونزاهته من وحي القرآن الكريم وهدى النبوة الشريفة ، فكان نسيج وحده في عالم القضاء الذي عزفته المجتمعات البشرية.

كما حرص الخليفة المنصور على هذا المنصب الذي أخرجه من سيطرة ولاة الأقاليم إلى الارتباط المباشر بالخليفة ، وعليه أصبح القاضي أكثر استقلالية وحرية بناءاً على مساندة الخليفة لهذا المنصب والذي جعل من هذا المنصب مؤسسة قضائية تؤدي واجباتها بشكل ينسجم وأحكام الشريعة الإسلامية وأن هذه التطورات الأنفة الذكر تقدمت مفاخر القضاء في تاريخ الإنسانية ، وقدم الخليفة المنصور الذي كون من هذا المنصب مؤسسة قضائية رفيعة المستوى سامية الهدف خاصة وأنها تتميز ببائية المصدر والاستقلال التام والتسوية بين الخصوم وسرعة البت في القضايا والحرية المطلقة في الدفاع عن الحقوق والرفق في الحكم ومكافحة شهادة الزور كي يسود الحق والعدل أقاليم للدولة العباسية.

١- القضاء في اللغة والاصطلاح :

القضاء في اللغة : عبارة عن إبرام الأمر والفراغ منه (١) ، وهو في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه (٢) ، فيكون القضاء بمعنى الصنع والتقدير فيقال :

قضى الشيء قضاء إذا صنعه وقدره (٣) ، ومنه قوله تعالى " فقضاهن سبع سموات في يومين " (٤) ، أي خلقهن وعملهن وصفهن وقدرهن وأحكم خلقهن (٥) ، كما يكون بمعنى الحتم والأمر ومنه قوله تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه " (٦) حتم وأمر (٧).

أما في الاصطلاح : فأن الكلمة المذكورة ترد الحكم الفصل بين الناس ، قال تعالى " ولو لا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم " (٨) أي لفصل بينهم (٩) ، ومثل ذلك قولهم : قد قضى القاضي بين الخصوم أي قطع فيهم بالحكم(١٠) ، فهو قاضٍ إذا حكم وفصل بين المتنازعين (١١) ، فالقضاء في اللغة : الإتقان والإحكام وفي الاصطلاح الشرعي في فصل الخصومات (١٢).

٢- اهتمام الخليفة المنصور بالقضاء :

أهتم الخليفة أبو جعفر المنصور في القضاء وكان هذا الاهتمام من السمات الواضحة في سياسته لإدارة الدولة العباسية.

وولاية القضاء من الولايات الدينية وقيل أنه أعظم الولايات (١٣) ، ولا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء (١٤) ، وقد تولاه الله وتولاه رسوله (١٥) محمد (ﷺ) ، والقضاء من الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي .... فكان ذلك من وظائف الخلافة ومتدرجاً في عمومها (١٦) ، فقال أبن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ) أن هذه الدولة من كبار الدول ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك (١٧) ، وقد أكد العباسيون على سلطتهم الدينية لتي استمدتها من انتمائهم لبيت النبوة ، وقد خطب الخليفة المنصور بمكة فقال:

أيها الناس أنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وتبصيره (١٨) ، ولعل إشارة الصابي (٤٤٨هـ) كانت الخلافة من النبوة (١٩) ، وظهر بنو العباس فظفروا بالملك فاشتدوا في شأن القضاة وتحيدوا للأعمال الشرعية صدور العلماء (٢٠) ، أن القضاة عظم شأنهم وقوي مركزهم منذ عهد الخلفاء الأولين من بني العباس (٢١) ، فكان الخليفة المنصور وهو مثبت كيان العباسيين وواضع أسس سياستهم (٢٢).

يعد القاضي أحد أربعة هم أركان الدولة التي لا تصلح إلى بوجودهم ، قال المنصور :

ما أحوجني يكون على بابي أرجع نفر لا يكون على بابي أعف منهم ، هم أركان الدولة ولا يصلح الملك إلا بهم ، أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والأخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث صاحب خراج يستقضي

ولا يظلم الرعية ، ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات في كل مرة آه آه قيل ما هو يا أمير المؤمنين قال كاتب بريد يكتب لي خبر هؤلاء على الصحة [٢٣].

ويبدو لي أن اهتمام الخليفة المنصور بالقضاء بلغ ذروته بحيث أراد من صاحب البريد أن يكتب له بشكل يومي عن القضاة وطريقة أحكامهم.

قال الطبري (ت٣١٠هـ) أن ولاة البريد في الآفاق كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته كل يوم بكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم وأن شك في شيء فما قضى به القاضي كتب إليه يسأل من بحضرته من عمله فأن أنكر شيء عمل به كتب إليه يوبخه ويلومه [٢٤] ، وذلك حفاظاً على سير العدالة والقانون.

٣- الشروط الواجب توفرها في القاضي :

يراد في اختيار القاضي غزارة العلم والتقوى والورع والعدل فقد أشار الماوردي (ت٤٥٠هـ) إلى الشروط الواجب توفرها في القاضي بقوله :

أن يكون رجلاً حراً بالغاً ، صحيح التمييز ، جيد الفطنة ، بعيداً عن السهو والغفلة ، ويشترط فيه الإسلام ، بل يجوز تقليد القضاء بين أهل دينه كما يشترط فيه العدالة وأن يكو صادق اللهجة طاهر الأمانة عفيفاً عن المحارم بعيداً عن الريب مأموناً في الرضا والغضب ، ومن الشروط المعتبرة فيه سلامة السمع والبصر ليصح بهما إثبات الحقوق وليفرق بين الطالب والمطلوب ، ويميز الحق من المنكر ومن الشروط الأخرى المعتبرة في القاضي أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية أصولها وفروعها وبكتاب الله ناسخاً ومنسوخاً ، محكماً متشابهاً وعموماً وخصوصاً ومجملاً ومفسراً وكذلك العلم بسنة رسول الله محمد (ﷺ) من أقواله وأفعاله ، علمه بتأويل السلف فيما اجتمعوا فيه واختلفوا فيه يتبع الإجماع ويجتهد برأيه في الاختلاف ، ثم العلم بالقياس الموجب لرد الفروع إلى الأصول المتطرف بها والمجتمع عليها حتى يجد طريقاً إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل ، فإذا أحاط علمه بهذه

الأصول صار من أهل الاجتهاد في الدين وجاز له أن يفتي ويقضي [٢٥]، ومن الشروط الأخرى حيث قال الفقهاء :

ينبغي أن يكون القاضي قوياً من غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، ذا فطنة وتيقظ ، لا يؤتى من غفلة ولا يخدع لفره ، عفيفاً ورعاً بصيراً بعيداً عن الطمع .... إلى آخر ما قالوه[٢٦] ، ويعتقد الباحث أن هذه الشروط مفروضة بل واجبة على القاضي.

٤- مسؤولية تعيين القضاة :

تطور القضاء في العصر العباسي الأول تطوراً ملموساً وكان من أبرز مظاهر هذا التطور ارتباط القاضي حتى أصبح أمر تعيينهم وعزلهم من مسؤولية الخليفة مباشرة بعد أن كان الولاة هم الذين يولون القضاة.

وكان المنصور أول من ولى القضاء في الأمصار من قبله [٢٧] ، أن سلطة تعيين القضاة في الأمصار كانت من قبل العباسيين من صلاحيات الولاة ، وكانت ولاة البلدان إليهم القضاء يولون من أرادوا وكان لا يركب القاضي مركباً ولا يذهب حاجة إلا إذا أستأذن أمير البلد ، لأنه يطيب له الرزق[٢٨] ، وكان ولاة المدينة هم الذين يختارون القضاة ويولونهم[٢٩] ، وبهذا حول الخليفة المنصور القضاة من هيمنة الولاة إلى مسؤوليته مباشرة.

أن ولاة الأمصار كانوا يستقضون القضاة ويولونهم دون الخلفاء حتى أستخلف أبو جعفر المنصور[٣٠] ، وإلى مثل أشار أبن خلكان (ت٦٨١هـ) فقال:

كان ولاة البلد هم الذين يولون القضاة قبل أبو جعفر المنصور[٣١] ، أكتسب القضاء في هذا العصر مركزاً قوياً في التشريع ، فكان القضاة يمثلون حكام الشرع في تطبيق القانون الإسلامي ، حتى أصبح ربط مؤسستهم بالخليفة أمراً تقتضيه ضرورة الهيمنة على إدارة جهاز الدولة ، خاصة وأن النظام الإداري في العصر العباسي

الأول نحو النظام المركزي[٣٢] ، وصار الخليفة يمثل فيه سلطة امتزاج الدين بالسياسة[٣٣] ، وكان ارتباط القضاة بالخلفاء دون الولاة قد أكسبهم القوة على تنفيذ الأحكام ، وقد خاطب أبو جعفر المنصور قاضيه على الكوفة شريك بن عبد الله النخعي فقال :

قد بلغني عنك صرامة فأزدد[٣٤] ، فقال له شريك :

فأعتمد عليك ؟ قال نعم[٣٥] ، وربما أراد شريك أن يختبر الخليفة المنصور بالتدخل أو عدم التدخل في شؤون القضاء.

وأعتمد القضاء على مركزهم الجديد في الدولة للوقوف بوجه تصرفات بعض الولاة المنافية لأحكام الشرع التي يمثلها القاضي ، فلما أطلق محمد بن سليمان والي الكوفة للمنصور، كاتبه من حبس القاضي ختم هذا قمطره ودخل على الوالي فقال له:

أن أمير المؤمنين أمرني أن أعتمد عليه لتقوى بذلك أحكامي وأنك أضعفتها ، أخرجت رجلاً من حبسي والله لأن لم ترده لا يكون وجهي إلا إلى أمير المؤمنين من بساطك[٣٦].

فطلب الوالي من القاضي أن يوافق على إخراجه فأبى القاضي فرده إلى الحبس[٣٧] ، لقد ظل تعيين القضاة منوطاً بالخليفة حتى في أسوأ العهود من حيث أن القضاة من أول الوظائف التي تعكس هيبة الشريعة أو السلطان المتمثل بالخليفة[٣٨] ، أن الذي أستطاع الخليفة المنصور بلوغه هو إنشاء علاقة دائمة بين منصب القاضي والشريعة الإسلامية فلم يبقى القاضي هو السكرتير القانوني للوالي ، بل كان يمينه الخليفة عادة ، وكان عليه طوال بقائه في منصبه ألا يطبق إلا الشريعة[٣٩] ، وهذا ما أراده ونفذه فعلاً الخليفة المنصور.

٥- ملابس القضاة في زمن الخليفة المنصور :

تنوعت ألبسة الناس في العراق ، كما تنوعت أزيائهم ، فللجند زي خاص بهم وللكتاب زي خاص ، كما أن للفقهاء والعلماء – ومنهم القضاة – زياً خاصاً [٤٠] ، وقد جرت العادة في العراق أن يلبس القضاة (العمائم السود والطيالسة السود) [٤١] ، وقد أشار الصابي (ت٤٤٨هـ) إلى ذلك في حديثه عن ملابس أرباب المراتب في الدولة فذكر ملابس قضاة العراق :

الطيلسان والدنيات والعمائم السود المصقولة (والطيلسان يشبه الجبة ، والدنية قلنسوة طويلة ، والقلنسوة تشبه العرقجين الحالي) [٤٢].

لبس القضاة الطيلسان الأسود ، وهو الزي الرسمي لهم ، كما لبسوا الطيلسان بحنك ، وهو زي أهل الملم[٤٣] ، وكان العرف ان يخلع القاضي طيلسانه إذا نقل على وظيفة غير القضاء[٤٤] ، ولبس بعض القضاة مع الطيلسان الجبة في الشتاء ، وقد خلع الخليفة أبو جعفر المنصور على سوار القاضي (جبة وشي وطيلسان) [٤٥] ، وذكروا من ملابس القضاة الطرحة (وهي تلبس فوق العمامة) ورفع الطرحة عن القاضي من علامات عزله[٤٦] ، كما يرفع القضاة طرحاتهم عندما تعلن الدولة الحداد[٤٧].

٦- رواتب القضاة في زمن المنصور :

كانت الدولة العباسية في العصر العباسي تقدر المكانة العلمية للقضاة فهم مسؤولون عن تطبيق العدل بين الناس ، لهذا أجزلت لهم الأرزاق لتوفر لهم حياة اجتماعية تليق بمكانتهم ومسؤولياتهم [٤٨] ، وبشكل عام تزايدت رواتبهم باستمرار ، ومع الرواتب كانت لهم بعض الجوائز[٤٩] ، فأبو جعفر المنصور أجاز القاضي محمد بن عمران بعضرين الف دينار[٥٠] ، وكان رزق حفص بن غياث في الكوفة (٣٠٠) درهم[٥١] ، وكان رزق قاضي واسط في الشهر (١٥٠) درهماً ، وبعد ذلك زادها

الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ) فصارت (٣٠٠) درهم ، ثم زيدت فبلغت (٤٨٠) درهماً [٥٢] ، وكان رزق قاضي البصرة سوار بن عبد الله مائتي درهم[٥٣] ، وكان رزق القاضي عبد الله بن الحسن مائتي درهم[٥٤].

٧- القضاة الأكفاء في زمن المنصور :

يعد الخليفة أبو جعفر المنصور من أكثر خلفاء بني العباس اهتماماً بشؤون القضاة فهو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية وباني مجدها ومثبت أركانها.

فهو الذي أصل الدولة ، وضبط المملكة ورتب القواعد[٥٥] ، وأستقضى القضاة[٥٦] ، وكان صاحب البريد يكتب إليه في مدينة السلام عن الأمصار وما يجدي فيها من أحوال القضاة والولاة[٥٧] ، وقد دعا المنصور شريكاً ليوليه القضاء فقال شريك :

أذهب فأنقذ ما أحسنت وتكتب إلي فيما لا تحسن[٥٨].

وأستقضى المنصور الكثير من القضاة نذكر منهم[٥٩]:

في الهاشمية : أستقضى يحيى بن سعيد الأنصاري[٦٠].

وفي مدينة السلام (بغداد) [٦٢] : استقضى الحسن بن عمارة مولى بجلة[٦٣]، وعبيد الله بن صفوان[٦٤].

وفي الكوفة : إستقضى المنصور شريك بن عبد الله النخعي[٦٥].

وفي البصرة : أستقضى سوار بن عبد القاضي[٦٦] ، فلما توفي سوار سنة(١٥٧هـ) استعمل المنصور مكانه عبد الله بن الحسن المنيري[٦٧] ، ومن قضاته في البصرة عمر بن عامر السلمي[٦٨].

وفي المدائن : أستقضى عاصم بن سليمان الأحول[٦٩] ، ويزيد بن هارون[٧٠].

وفي دمشق[٧١] : أستقضى المنصور بن حمزة الحضرمي[٧٢].

فأعتل بأنه شاب لا يصلح للقضاء فقال له المنصور :

أني أدى أهل بلدك قد أجمعوا عليك فإياك والهدية فلم يزل قاضياً حتى مات[٧٣].

وفي آخر عهد الخليفة المنصور صار تعيين القضاة في مصر يصدر من بغداد مباشرة بعد أن كان من صلاحية الولاة ، وكان أول قاضي استقضاه فيها عبد الله بن لهيمة الحضرمي ، قال الكندي (ت ٣٥٠هـ) :

ولي القضاء بها (مصر) عبد الله بنن لهيمة مستنهل ستة خمس وخمسين مائة من قبل أمير المؤمنين أبي جعفر وهو أول قاضي ولي مصر من قبل الخليفة وأجري عليه ثلاثون ديناراً في كل شهر[٧٤] ، وأستقضى المنصور في مكة المكرمة ابا بكر بن أبي سمر السهمي[٧٥] ، كما جمع لمحمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري القضاء وبيت المال في المدينة[٧٦] ، ويبدو لي مما تقدم أن منصب القاضي أخذ دوره الصحيح في ممارسة واجباته وإصدار أحكامه دون تدخل الخليفة المنصور في شؤون هذا المنصب.

٨- نفوذ القاضي وسلطته وأحكامه زمن المنصور :

تطور القضاء في العصر العباسي الأول وخاصة في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور ويمثل هذا التطور بخروج القاضي وسلطته عن دائرة وسلطة ونفوذ الوالي.

فأصبح القاضي يعين من الخليفة مباشرة ، فثبتت بذلك أحكامه وقويت سلطته القضائية التي اكتسبت التنفيذ من الخليفة مباشرة ، كما استمدت منه مقومات الاستقلال من دائرة الوالي ، قد بلغني عنك صرامة فأزدد : قلت : فأعتمد عليك ؟ قال نعم[٧٧] ، وأعتمد شريك في ممارسة المسؤوليات في القضاء على الخليفة فما أطلق والي الكوفة أحد أتباع من حبس القاضي دخل عليه شريك وذكره ، أن أمير المؤمنين أمرني أن أعتمد عليه لتقوى بذلك أحكامي ، وأنك أضعفتها ، أخرجت رجلاً من

حبسي ، والله لئن لم ترده ا يكون وجهي إلا إلى أمير المؤمنين من بساطك[٧٨] ، فأخطر الوالي إزاء تهديد القاضي فرده إلى الحبس[٧٩] ، ويبدو لي أن القاضي يداً يستمد قوته من قوة الخليفة المنصور الذي كان يساند القاضي قولاً وفعلاً في إصدار أحكامه وممارسة مسؤولياته القضائية.

أن القاضي هنا يمثل صلاحية الشريعة أمام السلطة التنفيذية التي مثلها الوالي ، فلم يبقى القاضي السكرتير القانوني للوالي ، بل كان يعينه الخليفة عادة ، وكان عليه طول بقائه في منصبه ألا يطبق إلا الشريعة[٨٠].

ومع استقلال القاضي عن الوالي ، فأن اختصاصه بالنسبة على اختصاص الوالي لم يحدد تحديداً دقيقاً[٨١] ، وإذا لم يقبل الوالي بحكم القاضي لم يكن أمام القاضي إلا الرجوع إلى الخليفة ، أو يصرف من الحكم ويعتزل القضاء معرباً عن احتجاجه على تدخل الوالي في شؤون القضاء ، وقد ذكر الكندي مثالاً على التصادم بين حكم القاضي وبين الوالي في مسائل الأحوال الشخصية ، و ذلك أن رجلاً تزوج امرأة فقام بعض أوليائها في ذلك وأنكروه وترافعوا إلى أبي حزيمة قاضي مصر سنة (١٤٤هـ) ليقضي بينهم فقال :

ما أحل ما حرم الله ولا أحرم ما أحل الله ، إذ زوجها ولي فالنكاح ماضٍ ، فارتفعوا إلى يزيد بن حاتم وهو الأمير يومئذ ، فقال يزيد : ليس عبد الأعلى وهو (الزوج) من أكفائها ، وأمر أبا خزيمة بفسخ نكاحها ، فأمتنع أبو خزيمة من ذلك وفرق بينهما يزيد ب حاتم[٨٢] ، اتسعت سلطة القاضي العباسي ولم تعد مقتصرة على الفصل بين الخصوم استبقاء بعض الحقوق العامة للمسلمين ، وبالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السنة ، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج اليتامى عند فقد الأولياء على رأي من رآه ، والنظر في مصالح

الطرقات والأبنية وتصفح الشهود والأمناء والنواب ، واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدل والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من معلقات وظيفة وتوابع ولايته[٨٣].

كان القاضي في هذه الفترة ينظر في الخلافات والمنازعات المتعلقة في الأحوال الشخصية والمدنية والعلاقات التجارية وشؤون اليتامى والأوقاف دون أن يكون له دور علمي في التشريعات التنظيمية للأمور الإدارية ، كما ذهب إلى ذلك شاخت إذ يقول :

أن سلطة القاضي فيما يختص بوضع التشريعات التنظيمية للأمور الإدارية إنما سحبت إلى الخليفة ومن يعهد إليه في تنفيذها ، وهي تمثل في جوهرها كامل السلطات القضائية[٨٤].

لقد أسهبت كتب الأحكام السلطانية وأدب القضاء ، فيما يدخل تحت ولاية القاضي من أمور ، ولم تشر إلى النواحي الإدارية التي هي من واجبات الخليفة[٨٥].

يقول الدكتور العلي : اقتصرت اختصاصات القاضي النظر في الأحوال الشخصية وفي شؤون اليتامى والحفاظ على أموالهم ، وفي بعض الخلافات التي تدخل ضمن القانون المدني والتجاري[٨٦] ، يقول شاخت :

أن استقلال القضاء ظل أمراً نظرياً ، ولم يكن القضاة معرضين للعزل بحسب أهواء الحكومة المركزية فحسب بل كان عليهم الاعتماد على السلطات السياسية في تنفيذ أحكامهم[٨٧] ، ويمكن القول أن القاضي في عهد الخليفة المنصور أصبح يصدر أحكامه ويزاول مسؤولياته بحرية أوسع ، طالما أن هذه الأحكام لا تخرج عن دائرة الشريعة الإسلامية.

٩- حرص الخليفة المنصور على القضاء :

حرص الخليفة المنصور على أن تكون مؤسسة القضاء والقضاة بالمستوى الذي يطمح فيه تأدية أعمالهم وواجباتهم بشكل مرضي فكان يختبرهم ليتعرف على دقة عملهم وأحكامهم.

فقد شكى إليه بعض القواد أن القاضي سوار بن عبد الله قاضي البصرة، قضى في أرض كان يتخاصم فيها القائد مع أحد التجار فكتب المنصور إلى القاضي:

أنظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فأدفعها إلى القائد فكتب إليه القاضي سوار :

أن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر فلست أخرجها من يده إلا ببينة ،فكتب إليه المنصور :

والله الذي لا غله إلا هو لتدفعنها للقائد ، فرد عليه سوار :

والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجنها من يد التاجر إلا بحق ، فقال المنصور :

ملأتها والله عدلاً ، وصار قضاتي يردونني إلى الحق ، وقد سعى المشاة بين المنصور وقاضيه سوار فأستقدمه فعطس المنصور ، فلم يشمته سوار فقال :

ما يمنعك من التشميت ، قال سوار :

لأنك لم تحمد الله ، قال :

قد حمدت الله في نفسي ، قال :

وأني شمتك في نفسي ، قال المنصور :

أرجع إلى عملك فإنك إذا لم تحابني لم تحاب غيري[٨٨] ، وقد أكد الخليفة المنصور على العدل في مناسبات كثيرة منها قوله :

(لا تعمر البلاد يمثل العدل) والحادثة التالية التي وقعت للمنصور تؤيد هذا الاتجاه بصورة عملية ، ذلك (أن الحمالين الذين نقله متاعه أحماله في طريق الحج ، اشتكوا إلى قاضي المدينة محمد بن عمران الطلحي ، يشتكون المنصور إليه عدم إعطائه أجوراً ترضيهم ، فكتب القاضي إلى الخليفة للحضور في مجلس الحكم،فلما حضر حكم القاضي لهم على الخليفة وطلب منه أنصافهم ففرح المنصور بذلك وقال:

جزاك الله عن دينك أحسن جزاء وقد أمرت لك بعشرة آلاف دينار[٨٩] ، وهذا أن دل على شيء إنما يدل على حرص الخليفة المنصور على القضاة والأحكام التي يصدرونها.

١٠- رفض ممن ترشحوا لمنصب القضاء زمن المنصور:

لم يكن منصب القضاء في زمن الخليفة المنصور موضع رضا أكثر العلماء ، قال السمرقندي (ت٣٨٣هـ) :

أختلف الناس في قبول القضاء ، قال بعضهم لا ينبغي ان يقبل القضاء ، وقال بعضهم إذا ولي يغير طلب منه ، فلا بأس بأن يقبل إذا كان يصلح لذلك الأمر وهو قول أصحابنا وأصحاب أبو حنيفة (ت١٥٠هـ) ، أما من كره فقد أحتج بما روته عائشة (رضي الله عنها) عن النبي محمد (ﷺ) فجاء بقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أن لم يكن قضى بين أثنين[٩٠] ، لقد كان للأحاديث المنسوبة للرسول الكريم محمد (ﷺ) في التحذير من مهمة القضاء وأثر ملموس في زمن بعض الأتقياء من تولي القضاء ، وعن النبي محمد (ﷺ) أنه قال :

من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين[٩١] ، وعن النبي محمد (ﷺ) أنه قال :

القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاضي في الجنة فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به وأما اللذان في النار فرجل عرف الحق فجار في الحكم ، ورجل قضى على جهل فهما في النار[٩٢] ، وظاهر هذه الأحاديث أنها محمولة على التخرج من القضاء لعظم خطره[٩٣] ، وقول النبي محمد (ﷺ) من جعل قاضياً ذبح

بغير سكين ، لم يخرج مخرج الذم للقضاء ، وإنما وصفه بالمشقة فكان من وليه قد حمل على مشقة كمشقة الذبح [٩٤] ، وإلا فالقضاء سنة[٩٥] ، وقد ذكر الخليفة المنصور للأوزاعي (ت ١٥٠هـ) بعد أن وعظه فقال له :

قد عرفت الذي قلت وفهمت ما وصفت والأمر على ما ذكرت ولكن كيف أصنع وقد بليت بأمر الأمة ودعوت الفقهاء فلاناً وفلاناً على أن أستعين بهم على ما أنا فيه فهربوا مني[٩٦] ، وربما أرادوا من هربهم هذا أن يتفرغوا لعلمهم الفقهي خدمة للناس.

فقال الأوزاعي : أنهم لم يهربوا منك ولكن لم يعلموا أنك ترديهم للعمل بالحق[٩٧].

وكان أبو حنيفة ممن دعاهم المنصور لتولي القضاء في بغداد فأبى وأصر على إبائه، قال الخطيب (ت ٤٦٣هـ) :

أشخص أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين أبا حنيفة فأراده على أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل[٩٨] ، وقيل أن المنصور حبس أبا حنيفة بعد ذلك فقال له :

أترغب عما نحن فيه ؟ قال أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح القضاء ، فقال له كذبت ...... فقال أبو حنيفة : قد حكم علي أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء لأن ينسبني إلى الكذب ، فأن كنت كاذباً فلا أصلح ، وأن كنت صادقاً فقد أخبرت أمير أني لا أصلح[٩٩].

أن خطورة منصب القاضي في هذه الفترة ، وتعلق أحكامه بحياة الناس ومصالحهم وخوف القضاة من الوقوع في الخطأ ، كل هذه الأمور دفعت بعض المرشحين لتولي القضاء إلى التردد والتمنع عنه لأن فيه خطراً عظيماً ووزراً كبيراً لمن

لم يؤد الحق فيه ، لذلك كان السلف رحمة الله عليهم يمتنعون منه أشد الامتناع ويخشون على أنفسهم خطره[١٠٠] ،غير انه لا يمكن القول أن الاتجاه العام إنما لا يمثله هؤلاء الأتقياء في الترفع عن منصب القضاء ، بل العكس هو الصحيح وقد ولت الدولة طائفة كبيرة من القضاة وكان بعضهم ممن سعى في طلب المنصب ضماناً للرزق وكسباً للعيش ، مما دفع الفقهاء على تحذير من طلب القضاء[١٠١] ، ويمكن القول أن كثرة الخلافات والخصومات بين الناس فرض على الخليفة المنصور أن يقوم بتعيين أكثر عدد ممكن من القضاة ، لا سيما وأنه كان يتابع بنفسه كل صغيرة وكبيرة تخص القضاء مما أخذ منه وقتاً كثيراً من أجل أن تؤدي مؤسسة القضاء واجباتها بالشكل الصحيح ليأتي منسجماً مع الشريعة الإسلامية.

١١- تحذير الخليفة المنصور بعض قضاته من ظلم الرعية:

أهتم الخليفة أبو جعفر المنصور منذ بداية عهده ، ورأى أن إزالة المظالم من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدولة وتجعلها قوية محببة لدى العامة ، لذلك حرص المنصور على العناية بسماع الظلامات التي ترفع إليه.

فقد أثر عنه أنه قال لولده المهدي (لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه ، فأن فكرة العاقل مرأة تريه حسناته وسيئاته ، وأعلم أن الخليفة لا تصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه)) [١٠٢].

وكان ينتهز كل فرصة لتحذير الناس من الظلم ودعوتهم إلى التناصف ، فقد صعد المنبر في مدينة السلام في سنة (١٥٢هـ) وخاطب الناس قائلاً : (يا عباد الله لا تظالموا فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لو لا يد خاطئة وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم[١٠٣] ، ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر لأتيته حتى ادفعه إليه) [١٠٤] ، وتؤكد المصادر أن المنصور قد عين موظفاً خاصاً هو الحسن

بن عمارة[١٠٥] ، فقد ذكر وكيع (ت ٣١٠هـ) أن أبا جعفر المنصور قدم بغداد ومعه الحسن بن عمارة على المظالم ، وأكد أبن قتيبة [١٠٦] ، (ت ٢٧٦هـ) ذلك أيضاً ، وهناك إشارات كثيرة تدل على أن المنصور كان يباشر النظر في المظالم بنفسه ، ولعل وظيفة أبن عمارة كانت تقتصر على تلقي رقاع المتظلمين ورفعها للمنصور ، وهناك نماذج من توقيعاته في المظالم وحده[١٠٧] ، فيذكر الطبري[١٠٨] أن رجلاً تظلم للمنصور من عامله مدعياً أن ذلك العامل أخذ شيئاً من ضيعته فأضافه إلى ماله ، فوقع في رقعة المتظلم:

(إن أثرت العدل حجتك السلامة ، فأنصف هذا المتظلم من هذه الظلامة)

وكان المنصور يبت في المظالم التي تصل إليه على وجه السرعة ، وكان يسارع على عقد محاكمة علنية لواليه أو قاضيه المتظلم منه إذا كان الأمر يستوجب ذلك ، فيذكر أن أهل البصرة تظلموا من قضاء القاضي سوار بن عبد الله (ت ١٥٧هـ) إلى أبو جعفر المنصور ، فاستقدمه المنصور على وجه السرعة كما مرَّ ذكره ، فلما قدم عليه جلس ، فعطس المنصور فلم يشمته القاضي سوار ، فقال المنصور : مالك لم تشمتني ؟ فقال لأنك لم تحمد الله ، فقال : أتزعمون أن هذا أيحابي ؟ والله ما حابئ في عطسه[١٠٩] ، ويبدو للباحث أن هذا الحرص الشديد من قبل الخليفة المنصور هو لإقامة الحق ونشر العدل بين رعايا الدولة العباسية وإنصاف المظلوم من الظالم.

١٢- معارضة بعض القضاة الخليفة المنصور في إحقاق الحق:

كان الخليفة المنصور يقدر مكانة القاضي ، وينفذ أحكامه ولا يرد له مطلباً ، وكان القاضي يعرف مكانته عند الخليفة المنصور ، فلا يتهاون في إحقاق الحق ، ولو خالف في ذلك الخليفة بنفسه وبعض الأمراء والقادة المتنفذين.

فمما يرويه أبن عبد ربه (ت٣٢٧هـ) [١١٠] ، أن إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب تنازعا بين يدي القاضي أحمد بن أبي داود في عقار بناحية السواد

، فزرى عليه أبن المهدي ، وأغلظ عليه القول بين يدي أحمد بن أبي داود ، فأحفظه ذلك ثم قال :

يا إبراهيم إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا اعلمن انك رفعت عليه صوتاً ، ولا أشرت إليه بيد ،ووف مجالس القضاة حقوقها من التوفير والتنظيم والتوجه إلى الواجب،ولا تعجل، فدب عجله تهب ريثاً.

لقد بلغ القضاة من المكانة والاعتداد بالحق ما جعلهم يرفضون أي أوامر تصدر إليهم إذا كانت مجانبة للحق ولو كانت من الخليفة ، وتذكر المصادر أن أبا جعفر المنصور كتب إلى قاضيه سوار في شيء كان عنده خلاف الحق الذي يراه سوار ، فلم ينفذ سوار كتابه وأمضى الحكم ، فأغتاظ المنصور وتوعده فقيل له :

يا أمير المؤمنين ، إنما عدل سوار مضاف إليك وتزيين لخلافتك فأمسك[١١١] ، ويبدو للباحث أن الخليفة المنصور منح للقضاة ثقة واعتداد بأنفسهم إلى الحد الذي جعلهم ينقضون أي حكم باطل ولو كان من الخليفة نفسه لطالما أنه معارض لأحكام وقوانين الشريعة الإسلامية.

الخاتمة:

بعد إكمال بحثي الموسوم (القضاء في عهد المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ) أكد البحث عدة نتائج يمكن إجمالها بالشكل التالي :

١- أكد البحث القيمة العليا والمكانة الرفيعة التي منحها الخليفة المنصور للقضاء بحيث أعتبره من الأركان الأساسية للدولة ، بل تعدى الأمر أبعد من ذلك عندما قال أن الدولة والملك لا يصلحا إلا بوجود القضاء الذي يمثل العدل والقانون.

٢- نقطة التحول التي شهدها منصب القاضي الذي أصبح ارتباطه مباشرة بالخليفة المنصور بعد إن كان ولاة الأقاليم هم الذين يتولون هذه المسالة.

٣- أكد البحث استقلالية القاضي في عهد المنصور بحيث أصبح القاضي بعيداً عن تدخل أصحاب السلطة والنفوذ في شؤونه حتى يتمكن من تطبيق العدالة وفقاً لمفردات الشريعة الإسلامية.

٤- أبرز البحث مساندة الخليفة المنصور للقاضي قولاً وفعلاً ، ومعاقبة كل من يحاول التأثير عليه بأي شكل من الأشكال ومن قبل أي شخص ومهما كان مركزه ونفوذه في الدولة.

٥- أثبت البحث حرص الخليفة المنصور على مؤسسة القضاء بحيث كان يختبر قضاته وطريقة أحكامهم ليطمئن على سير العدالة والقانون في أقاليم الدولة العباسية.

٦- أكد البحث أن كثير من الفقهاء والعلماء ممن هم على درجة عالية من التقوى والورع قد رفضوا منصب القضاء ، ليس لأن منصب القضاء غير مشروع ولكن لما يحمله هذا المنصب من مخاطر دنيوية وأخروية وبما في هذا المنصب من مشقة وجهد وخطورة.

الهوامش:

(١) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر ، ١٩٦٦م) ، ج٧ ، ص٤٧١.

(٢) أبن الأخوة ، محمد بن محمد القرشي ، (ت٧٩٢هـ) ، معالم القربة في أحكام الحسبة ،عني بتصحيحه ، وين ليوي ، (كمبردج ، ١٩٣٧م) ، ص٣٠٠.

(٣) أبن منظور ، أبو الفضل جمال السيد محمد بن مكرم ، (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، (بيروت ، ١٩٦٥م) ج٥ ، ص١٨٧.

(٤) الزبيدي ، محمد مرتضى ، (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس ، (بيروت ، لات) ج١٠ ، ص٢٩٦.

(٥) سورة فصلت ، آية : ١٢.

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص٢٩٦.

(٧) سورة الإسراء ، آية : ١٢٣.

(٨) أبن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص١٨٦.

(٩) سورة الشورى ، آية : ١٤.

(١٠) أبن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص١٨٧.

(١١) أبن منظور ، المصدر نفسه ، ج١٥ ، ص١٨٧.

(١٢) الرازي ، أحمد بن حمدان ، (ت٦٠٦هـ) ، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٨م) ، ج٢ ، ص١٣٨.

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١٣٦٦.

(١٤) فلها وزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة ، الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، (القاهرة ، ١٩٦٨م) ، ص٢٦٢.

(١٥) الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود ، (ت٥٨٧هـ) ، بدائع الضائع في ترتيب الشرائع ، (القاهرة ، ١٩١٠م) ، ج٧ ، ص٣.

(١٦) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣.

(١٧) السمناني ، علي بن محمد ، (ت٤٩٩هـ) ، روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي ، (بغداد ، ١٩٧٠م) ، ص٥١.

(١٨) أبن الطقطقي ، محمد بن علي ، (ت٧٠٩هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٦٦م) ، ص١٤٠.

(١٩) أبن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت٢٧٦هـ) ، عيون الأخبار ، (مصر ، ١٩٦٣م) ، ج١٢ ، ص٢٥١.

(٢٠) الصابي ، هلال بن المحسن ، (ت٤٤٨هـ) ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، (بغداد ، ١٠٦٤م) ، ص٥.

(٢١) متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، (القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ج١ ، ص٣٨٠.

(٢٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٣٨٠.

(٢٣) الدوري ، الدكتور عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ العربي الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، (بغداد ، ١٩٤٨م) ، ص١٤.

(٢٤) أبن الأثير ، أبو الحسن بن أبي الكرم ، (ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، (بيروت ، ١٩٦٧م) ، ج٥ ، ص٤٦.

(٢٥) الماوردي ، علي بن محمد ، (ت٤٥٠هـ) ،الأحكام السلطانية ،(الباب الحلبي ، ١٩٦١م) ، ص ٦٠ – ٦٦.

(٢٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١٠ ، ص٤٢٥.

(٢٧) أبن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد ، (ت٦٢٠هـ) ، المفتي ، (القاهرة ، ١٣٦٧م) ، ج٩ ، ص٢١.

(٢٨) اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن واضح ، (ت٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم ، (العراق ، ١٩٦٤م) ، ج٣ ، ص١٢٧.

(٢٩) وكيع ، محمد خلف ، (ت٣١٠هـ) ، أخبار القضاة ،(بغداد ، لات) ج١ ، ص١٤١.

(٣٠) أبن سعد ، محمد ، (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، (بيروت ، ١٩٥٧م) ، ج٥ ، ص٣١٤.

(٣١) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، (ت٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، (القاهرة ، ١٩٣١م) ، ج١٤ ، ص١٠٣.

(٣٢) أبن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (ت٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، ١٩٤٨م) ، ج٢ ، ص٢٤٣.

(٣٣) حسن ، ابراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، (القاهرة ، ١٩٦٢م) ، ص٢٨٩.

(٣٤) الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الأول ، (بغداد ، ١٩٤٤م) ، ص٥٦.

(٣٥) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص١٥١.

(٣٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥١.

(٣٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥١.

(٣٨) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥١.

(٣٩) شاخت ، يوسف القانون ، فصل من كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، ترجمة الدكتور صديق حمدي ، مراجعة الدكتور صالح أحمد العلي ، ص١٠٧.

(٤٠) متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج١ ، ص٣٨٤.

(٤١) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص٤٨.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص٥٠.

(٤٣) متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج١ ، ص٣٨٤.

(٤٤) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص٤٩.

(٤٥) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص١٥٢.

(٤٦) الأنباري ، عبد الرزاق ، النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي ،(النجف ، ١٩٧٤م) ، ص٧٤.

(٤٧) متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج١ ، ص٣٨٥.

(٤٨) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص٥٢.

(٤٩) الأنباري ، النظام القضائي في بغداد ، ص٧٤.

(٥٠) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص١٨٩.

(٥١) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص٥٤.

(٥٢) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٢٨٨.

(٥٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٨٨.

(٥٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٨٩.

(٥٥) شاخت ، القانون ، ص١٠٧.

(٥٦) أبن الطقطقي ، الفخري في الآداب القرآنية ، ص١٦٠.

(٥٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص١٢٧.

(٥٨) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن ، (ت٣٥٦هـ) ، الأغاني ، تحقيق عبد السلام أحمد فراج ، (بيروت ، ١٩٥٧م) ، ج٢ ، ص٣٥١.

(٥٩) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥٠.

(٦٠) البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ،(القاهرة ، ١٩٥٦م) ، ج٢ ، ص٣٢٢.

(٦١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص١٢٧.

(٦٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢ ، ص٣٥١.

(٦٣) بغداد : سماها المنصور بعد أن أتمم بنائها سنة (١٤٩هـ) مدينة السلام ، الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، (بيروت ، ١٩٥٥م) ، ج١ ، ص٤٥٦.

(٦٤) المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين البشاري ، (ت٣٨٧هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ، ١٩٠٦م) ، ص١٣١.

(٦٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص٤٦٨.

(٦٦) أبن سعد ، الطبقات ، ج٥٦ ، ص٣٦٣.

(٦٧) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٣٠.

(٦٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص٤٦٨.

(٦٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٢٨٠.

(٧٠) الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٣٠.

(٧١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٣ ، ص٤٦٨.

(٧٢) السمعاني ، عبد الكريم ن محمد ، (ت٥٦٢هـ) ، الأنساب ، اعتناء عبد الرحمن بن يحيى ، (الدكن ، ١٩٦٢م) ، ج١ ، ص١٢٩.

(٧٣) الذهبي ، أبو عبد الله محمد ، (ت٧٤٨هـ) ، تذكرة الحفاظ ، (الدكن ، ١٩٥٦م) ، ج١ ، ص٢٨٦.
(٧٤) الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، (ت٣٥٠هـ) ، الولاة والقضاة ، اعتناء زمن كست ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ج٢ ، ص٢٣٧.
(٧٥) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٢٦٧.
(٧٦) الكندي ، الولاة والقضاة ، ج٢ ، ص٢٣٨.
(٧٧) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٣٤٩.
(٧٨) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥١.
(٧٩) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥١.
(٨٠) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥٢.
(٨١) شاخت ، القانون ، ص١٠٧.
(٨٢) الكندي ، الولاة والقضاة ، ج٢ ، ص٢٦٧.
(٨٣) أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة ، تصحيح نصر الهوريتي ، (سنة ١٢٧٤هـ) ، ص١٠٨.
(٨٤) شاخت ، القانون ، ص١٠٨.
(٨٥) شاخت ، القانون ، ص١٠٧.
(٨٦) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٧٠.
(٨٧) العلي ، الدكتور صالح أحمد ، قضاة بغداد في العصر العباسي ، (بغداد ، ١٩٨٦٩م) ، ص١٣.
(٨٨) شاخت ، القانون ، ص١٠٧.
(٨٩) السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أب بكر ، (ت٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محي الدين عبد الحميد ، (مصر ، ١٩٦٤م) ، ص٢٦٥.
(٩٠) السمرقندي ، نصر بن محمد ، (ت٣٨٣هـ) ، تنبيه الغافلين ، (القاهرة ، لات) ، ص١٩٠.

(٩١) أبن قدامة ، المفتي ،ج٩ ، ص٣٥.
(٩٢) وكيع ، أخبار القضاة ، ج١ ، ص١٤ – ١٥.
(٩٣) أبن قدامة ، المفتي ،ج٩ ، ص٣٥.
(٩٤) الماوردي ، أدب القاضي ، تحقيق محي الدين ، هلال السرحان ، (بغداد ، ١٩٦٩م) ، ج١ ، ص١.
(٩٥) البيهقي ، أبراهيم بن محمد،(ت٤٧٠هـ) ،المحاسن والمساوئ ، (البيك ، ١٣١٩هـ) ، ج٢ ، ص٣٦٨.
(٩٦) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ج٢ ، ص٣٦٨.
(٩٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٣٢٨.
(٩٨) المصدر نفسه ، ج١٣ ، ص٣٢٨.
(٩٩) المصدر نفسه ، ج١٣ ، ص٣٢٨.
(١٠٠) أبن قدامة ، المفتي ،ج٩ ، ص٣٩.
(١٠١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٦١.
(١٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٧١.
(١٠٣) أي : لاستغنيت عن الإمارة وكنت واحداً معكم في أسواقكم.
(١٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٨٨.
(١٠٥) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٢٤١.
(١٠٦) أبن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج٢ ، ص٣٢٥.
(١٠٧) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٢٤١.
(١٠٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٩٧.
(١٠٩) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٢ ، ص٦١.
(١١٠) أبن عبد ربه ، أبو محمد أحمد بن محمد الأندلسي ، (ت٣٢٧هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، (القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ج١ ، ص٨٥.
(١١١) وكيع ، أخبار القضاة ، ج٢ ، ص٦٠.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر الأولية.

❖ بعد القرآن الكريم.

١- أبن الأخوة ، محمد بن أحمد القرشي ، (ت٧٢٩هـ).
معالم القربة في أحكام الحسبة ،عني بتصحيحه ، وين ليوي ، (كمبردج ، ١٩٣٧م).
٢- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن ، (ت٣٥٦هـ).
الأغاني ، تحقيق عبد السلام أحمد فراج ، (بيروت ، ١٩٥٧م).
٣- أبن الأثير ، أبو الحسن بن أبي الكرم ، (ت٦٣٠هـ).
الكامل في التاريخ ، (بيروت ، ١٩٦٧م) ، ج٥.
٤- البلاذري ، احمد بن يحيى ، (ت٢٧٩هـ).
فتح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ،(القاهرة ، ١٩٥٦م).
٥- البيهقي ، أبراهيم بن محمد ، (ت٤٧٠هـ).
المحاسن والمساوئ ، (البيك ، ١٣١٩هـ).
٦- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، (ت٦٢٦هـ).
معجم البلدان ، (بيروت ، ١٩٥٥م).
٧- أبن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (ت٦٨١هـ).
وفيات الاعيان ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، ١٩٤٨م).
٨- أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ).
المقدمة ، تصحيح نصر الهوريتي ، (سنة ١٢٧٤هـ).
٩- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، (ت٤٦٣هـ).
تاريخ بغداد ، (القاهرة ، ١٩٣١م).
١٠- الذهبي ، أبو عبد الله محمد ، (ت٧٤٨هـ).

تذكرة الحفاظ ، (الدكن ، ١٩٥٦م).
١١- الرازي ، أحمد بن حمدان ، (ت٦٠٦هـ).
الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ،(القاهرة ، ١٩٥٨م).
١٢- الزبيدي ، محمد مرتضى ، (ت ١٢٠٥هـ).
تاج العروس ، (بيروت ، لات).
١٣- أبن سعد ، محمد ، (ت٢٣٠هـ).
الطبقات الكبرى ، (بيروت ، ١٩٥٧م).
١٤- السمرقندي ، نصر بن محمد ، (ت٣٨٣هـ).
تنبيه الغافلين ، (القاهرة ، لات).
١٥- السمناني ، علي بن محمد ، (ت٤٩٩هـ).
روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي ، (بغداد ، ١٩٧٠م).
١٦- السمعاني ، عبد الكريم ن محمد ، (ت٥٦٢هـ).
الأنساب ، اعتناء عبد الرحمن بن يحيى ، (الدكن ، ١٩٦٢م).
١٧- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أب بكر ، (ت٩١١هـ).
تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محي الدين عبد الحميد ، (مصر ، ١٩٦٤م).
١٨- الصابي ، هلال بن المحسن ، (ت٤٤٨هـ).
رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، (بغداد ، ١٠٦٤م).
١٩- أبن الطقطقي ، محمد بن علي ، (ت٧٠٩هـ).
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٦٦م).
٢٠- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ).
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر ، ١٩٦٦م).

٢١- أبن عبد ربه ، أبو محمد أحمد بن محمد الأندلسي ، (ت٣٢٧هـ).
العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، (القاهرة ، ١٩٦٥م).
٢٢- أبن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت٢٧٦هـ).
عيون الأخبار ، (مصر ، ١٩٦٣م).
٢٣- أبن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد ، (ت٦٢٠هـ).
المفتي ، (القاهرة ، ١٣٦٧م).
٢٤- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، (ت٣٥٠هـ).
الولاة والقضاة ، اعتناء زمن كست ، (بيروت ، ١٩٨٠م).
٢٥- الكاساني ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود ، (ت٥٨٧هـ).
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، (القاهرة ، ١٩١٠م).
٢٦- الماوردي ، علي بن محمد ، (ت٤٥٠هـ).
أ- تحقيق محي الدين ، هلال السرحان ، (بغداد ، ١٩٦٩م).
ب- الأحكام السلطانية ،(الباب الحلبي ، ١٩٦١م).
٢٧- المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين اليثاري ، (ت٣٨٧هـ).
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، (ليدن ، ١٩٠٦م).
٢٨- أبن منظور ، أبو الفضل جمال السيد محمد بن مكرم ، (ت٧١١هـ).
لسان العرب ،(بيروت ، ١٩٦٥م).
٢٩- وكيع ، محمد خلف ، (ت٣١٠هـ).
أخبار القضاة ،(بغداد ، لات).
٣٠- اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن واضح ، (ت٢٩٢هـ).
تاريخ اليعقوبي ، علق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم ، (العراق ، ١٩٦٤م).

ثانياً : ألمراجع الحديثة.

١- الأنباري ، عبد الرزاق.
النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي ،(النجف ، ١٩٧٤م).
٢- حسن ، إبراهيم حسن.
النظم الإسلامية ، (القاهرة ، ١٩٦٢م).
٣- الدوري ، الدكتور عبد العزيز.
أ- مقدمة في التاريخ العربي الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، (بغداد ، ١٩٤٨م).
ب- العصر العباسي الأول (بغداد ، ١٩٤٤م).
٤- شاخت ، يوسف.
القانون ، فصل من كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، ترجمة الدكتور صديق حمدي ، مراجعة الدكتور صالح أحمد العلي.
٥- العلي ، الدكتور صالح أحمد.
قضاة بغداد في العصر العباسي ، (بغداد ، ١٩٨٦٩م).
٦- فلها وزن ، يوليوس.
تاريخ الدولة العربية ، ترجمة ، الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، (القاهرة ، ١٩٦٨م).
٧- متز ، آدم.
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، (القاهرة ، ١٩٥٧م).

Abstract

Find marked (the judiciary in the reign of Caliph Abu Jafar al-Mansur ١٥٨-١٣٦e) indicated in this research attention caliph al-Mansur as the institution of the judiciary that the judiciary is the legal provisions taken from the Koran as well as the diligence and resources that are of Islamic law.

Research has come to several conclusions, including- :

The highest value and prestige awarded by the Caliph of the judiciary and the turning point witnessed by the office of judge, which has become linked directly Caliph al-Mansur after it was the governors of the regions are caudalis charge of this issue, as well as the supervision of the Caliph himself on the functioning of judges to reassure the course of justice and law in the territories of the Abbasid state.

تدخل العنصر التركي في تعيين ولاية العهد في العصر العباسي الثاني للمدة(٢٢٧ – ٣٢٠ هـ)

د. أركان طه عبد سهيل
جامعة تكريت/ كلية الآداب/قسم التاريخ

الملخص

اتبع بنو العباس في ولاية العهد الأسلوب الذي سار عليه الأمويون ، وهو عقد الولاية لأكثر من واحد من الأبناء والأخوة . و على الرغم من نجاح الخلفاء العباسين في حصر ولاية العهد في الأبناء وعدم انتقالها إلى خارج البيت العباسي ،ألا أن ذلك أدى لإفراز الكثير من السلبيات التي كانت تعد البذرة الأساسية لحصول الصراع والتناحر بين أفراد البيت العباسي بشكل عام والأسرة الحاكمة خاصة.

الأمر الذي أدى إلى تقسيم الدولة العربية الإسلامية ومن ثم تدخل العناصر غير العربية من الأتراك في تصريف شؤون الدولة ، وتعاظم نفوذهم مما اتاح لهم المجال للتدخل بشؤون الخلافة في كل جوانبها.

و من الجدير بالذكر إن من أهم الأمور التي رافقت ولاية العهد خلال العصر العباسي الثاني نقض العهود و المواثيق التي قطعها الخلفاء العباسيين وولاتهم على أنفسهم في سبيل حصر ولاية العهد بأبنائهم .

كل ذلك دفعني لاختيار موضوع(ولاية العهد في العصر العباسي الثاني للمدة ٢٢٧_٣٢٠هـ) عنوانا لبحثي لتسليط الضوء على الصراع والمشاكل التي وقع بها الخلفاء العباسيون في تولية العهد خلال هذه الفترة.

كـذلك لتوضـيح قـوة العنصـر التركـي ونفـوذه فـي الـتحكم بالخليفـة والخلافـة العباسية ، بل وصل الأمر بالأتراك إلى اختيار الخليفة العباسي و خلعه و كذلك تعين ولاة العهد من بعده .

تضمن البحث فضلا عن المقدمة مبحثين ، تناول المبحث الأول ولاية العهد في اللغة و الاصطلاح ،في حين اختص المبحث الثاني بالخلفاء العباسيين و ولاتهم ابتداء من عهد الخليفة المعتصم وانتهاء بالخليفة المقتدر وما حدث من تطورات في ولاية العهد .

أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا انه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الاول

ولاية العهد في اللغة والاصطلاح

اولاً:- ولاية العهد في اللغة.

أولاً:- الولاية في اللغة:-

الولايـة بالكسـر تعنـي السـلطان[١] فـي حـين اذا جـاءت الولايـة بـالفتح تعنـي النصرة[٢].

والـولي:- هـو الناصـر وقيـل المتـولي لأمـور النـاس القـائم بهـا، ومـن اسمائه الولي ((وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير))[٣].

والـولي هـو مالـك الاشـياء جميعـاً المتصـرف فيهـا، كقولـه تعـالى((والله ولـي المؤمنين))[٤] والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والعقل وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الولي[٥].

وقـال ابن بري:- وقريء((مـا لكـم مـن ولايـتهم مـن شـيء))[٦] بـالفتح والكسـر وهي بمعنى النصرة.

والولايـة التـي بمنزلـة الامـارة مكسـورة ليفصـل بـين المعنيـين وقـد يجـوز كسـر الولاية لأنه في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل[٧].

ثانياً:- العهد في اللغة:-

العهد اليمين والعقد[٨] كقوله تعالى((أوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً))[٩] أي ان الذي تعاهدون عليه الناس والعقود كل منهما يسأل صاحبه عنه.

والعهـد الامـان[١٠] كقولـه تعـالى((وأتموا اليهم عهدهم الـى مـدتهم))[١١] وكذلك نجـد ان العهـد اليمـين[١٢] كقولنـا((علي عهـد الله وميثاقـه واخـذت عليـه عهـد الله وميثاقه))[١٣].

وقولنا((وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أي انا مقيم على ما عاهدتك عليه من الايمان بك والاقرار بواحدانيتك لا أزول عنه واستثنى بقوله ما أستطعت موضع القدر السابق في امره أي ان كان قد جرى القضاء ان انقضى العهد يوماً ما فأني اخلد عند ذلك الى التنصل والاعتذار لعدم الاستطاعة في دفع ما قضبته علي))[١٤] والعهد هو كل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من المواثيق، فهو عهد[١٥].

وعهد اليه من باب فهم أي أوصاه[١٦] وقولنا : عهد الي في كذا أي اوصاني به.

والعهد هو((الذي يكتب للولاة وهو مشتق منه))[١٧] والعهد :الوفاء[١٨] كقوله تعالى((وما وجدنا لاكثرهم من عهد))[١٩] وقيل ولي العهد لانه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة[٢٠] وقيل العهد((الوصية))[٢١] كقوله تعالى((الم اعهد اليكم يا بني ادم))[٢٢] وقوله عز من قائل ((وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل))[٢٣].

والعهود جمع العهد وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممن يعاهدك، وانما سمي اليهود والنصارى اهل العهد: للذمة التي اعطوها والعهدة المشترطة عليهم ولهم والعهد والعهدة واحد. نقول برئت اليك من عهدة هذا العبد أي ما يدرك فيه من عيب كان معهوداً فيه عندي[٢٤].

والعهد :الذمة[٢٥] كقوله تعالى((لا ينال عهدي الظالمين))[٢٦] وانما سمي اليهود والنصارى اهل العهد للذمة التي اعطوها فأذا اسلموا سقط عنهم اسم العهد [٢٧].

ثانياً:- ولاية العهد في الاصطلاح:-

الاصل انتخاب الخليفة برضا الامة، فمن ذلك يستمد قوته، هكذا رأى المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد انتخبوا ابا بكر الصديق اختياراً منهم، لا استناداً الى نص او امر من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، وبعد ان

انتخبوه بايعوه، ومعنى ذلك عاهدوه على السمع والطاعة فيما فيه رضا الله سبحانه كما انه عاهدهم على العمل فيهم بأحكام الدين من كتاب الله وسنة رسول الله(ﷺ).

وهذا التعاهد المتبادل بين الخليفة والامة هو معنى البيعة[٢٨] وقد سن ابو بكر الصديق رضي الله عنه طريقة اخرى في انتخاب الخليفة، وهي ان يختار هو من يخلفه ويعاهده الجمهور على السمع والطاعة وقد وافق جمهور المسلمين على هذه الطريقة ورأى ان هذا مما تجب الطاعة فيه وذلك العمل هو ولاية العهد[٢٩].

وبذلك فأن ولاية العهد تعني ان خليفة المسلمين وهو على قيد الحياة يعين ولي عهد من بعده وتؤخذ له البيعة في حياته، ثم تؤكد البيعة مرة ثانية بعد وفاته، وعند اعتلاء ولي العهد الخلافة.

واشار الماوردي الى ذلك بقوله((ان الامامة تنعقد من وجهين احدهما باختيار اهل الحل والعقد، والثاني بعهد الامام من قبل))[٣٠].

وقد اختلف العلماء في العدد الواجب توفره كي تنعقد الامامة فبعضهم يرى انها لا تنعقد الا بجمهور اهل الحل والعقد من كل بلد واصحاب هذا الرأي يستندون في ذلك الى بيعة ابي بكر(رضي الله عنه) أذ تمت بمن كان موجوداً، ومنهم من جعل لها حداً ادنى وهو خمسة تنعقد بهم الامامة او بعقدها احدهم برضا الاربعة الباقين مستندين في ذلك الى أن بيعة ابي بكر (رضي الله عنه) انعقدت بخمسة هم عمر بن الخطاب (ﷺ) وابو عبيدة واسيد بن حضير وبشير بن سعد وسالم مولى ابي حذيفة(رضي الله عنهم) وكذلك استندوا الى جعل عمر(رضي الله عنه) الشورى في ستة ليعقد لاحدهم برضا الخمسة[٣١].

وهذا هو قول اكثر العلماء والفقهاء من اهل البصرة، في حين نجد ان اهل الكوفة يرون ان الامامة تنعقد بثلاثة يتولاها احدهم برضا الاثنين ليكونوا(حاكماً وشاهدين)[٣٢].

واذا اراد الامام ان يعهد بالامامة فيجب عليه ان يجهد رأيه في الاحق بها والاقوم بشروطها فاذا تعين له الاجتهاد في واحد نظر فيه ولم يكن ولداً ولا والداً جاز ان ينفرد بعقد البيعة له وبتفويض العهد اليه وان لم يستشر فيه احداً من اهل الاختيار لكن اختلفوا هل يكون ظهور الرضا منهم شرطاً في انعقاد بيعته او لا فقد رأى جمع من علماء البصرة ان رضا اهل الاختيار لبيعته شرط في لزومها للامة لانها حق يتعلق بهم فلم تلزمهم الا برضا اهل الاختيار منهم[٣٣].

((وان كان ولي العهد ولداً او والداً فقد اختلف في جواز انفراده بعقد البيعة له على ثلاثة مذاهب))[٣٤].

المذهب الاول:- لا يجوز ان ينفرد بعقد البيعة لولد ولا والد حتى يشاور فيه اهل الاختيار فيرونه اهلاً لها فيصيح منهم عقد البيعة له لان ذلك منهم تزكية له تجرى مجرى الشهادة وتقليده على الامة يجرى مجرى الحكم[٣٥].

اما المذهب الثاني فأنه((يجوز ان ينفرد بعقد البيعة لولد ووالد لانه امير الامة نافذ الامر لهم وعليهم فغلب حكم المنصب على حكم النسب، وصار فيها كعهدة بها الى غير ولده ووالده))[٣٦].

في حين يرى المذهب الثالث انه((يجوز ان ينفرد بعقد البيعة لوالده ولا يجوز ان ينفرد بها لولده لان الطبع يبعث على ممايلة الولد اكثر مما يبعث على ممايلة الوالد ولذلك كان كل ما يقتنيه في الاغلب مذخوراً لولده دون والده فاما عقدها لاخيه ومن قاربه من عصبته ومناسبة عقدها للبعداء الاجانب في جواز تفرده بها))[٣٧].

ويضيف الماوردي في الاحكام السلطانية((الظاهر من مذهب الشافعي وما عليه من جمهور الفقهاء انه يجوز فمن افضت اليه الخلافة من اولياء العهد ان يعهد بها الى من شاء ويصرفها عمن كان معه ويكون هذا الترتيب مقصوراً على من

يستحق الخلافة منهم بعد موت المستخلف، فاذا افضت الخلافة منهم الى احدهم على مقتضى الترتيب صار املك بها بعده في العهد بها الى من شاء))[٣٨].

ويقول ابن خلدون في الامامة ((ان حقيقة الامامة النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى امورهم، كما كان هو يتولاها ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف وذلك من الشرع باجماع الامة على جوازه وانعقاده))[٣٩].

المبحث الثاني

ولاية العهد في العصر العباسي الثاني للمدة(٢٢٧- ٣٢٠هـ)

- خلافة المعتصم بالله (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م):-

هو ابو اسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بينه وبين اخيه المامون تسع سنوات وكان على عهد أخيه المأمون والياً على بلاد الشام ومصر، وكان المأمون يميل اليه لشجاعته. فولاه عهده وترك ابنه العباس[٤٠].

بويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه الخليفة المأمون، وكان ذلك في التاسع عشر من رجب سنة٢١٨هـ الموافق يوم الثلاثاء ٢٧ كانون الثاني سنة ٨٣٣م. ولقب بالمعتصم بالله[٤١]. وقد شغب بعض الجند وارادوا ان يولوا العباس بن المأمون، فخرج عليهم العباس وقال لهم:- ما هذا الحب البارد؟ انا قد بايعت عمي المعتصم فسكن الناس وخمدت الفتنة[٤٢].

ولم يزل خليفة الى ان توفي بمدينة سامراء في الثامن عشر من ربيع الاول من سنة مائتين وسبع وعشرين الموافق يوم الجمعة ٢١تشرين اول سنة٨٤١م، فكانت خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام[٤٣].

وقد عهد الخليفة المعتصم بالخلافة من بعده لأبنه هارون الواثق[٤٤] ولم يجعل معه في الولاية غيره.

- خلافة الواثق بالله (٢٢٧- ٢٣٢هـ /٨٤١ – ٨٤٦م) :-

هو ابو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بن الرشيد، ولي الخلافة بعهد من ابيه المعتصم[٤٥].

اذ بويع له في تاسع عشر من ربيع الاول سنة مائتين وسبع وعشرين الموافق يوم الجمعة٢١ تشرين الاول ٨٤١م[٤٦]. وقد استخلف في سنة مائتين وثمان وعشرين على السلطنة اشناس التركي والبسه وشاحين مجوهرين وتاجا، فكان اول خليفة عباسي استخلف سلطاناً تركيا" لان الترك انما كثروا في ايام ابيه[٤٧].

ولم يزل خليفة الى ان توفي لست بقين من ذي الحجة من سنة مائتين واثنتين وثلاثين الموافق يوم السبت ٢٨ اب سنة ٨٤٦م، فكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وخمسة عشر يوماً[٤٨] ولم يعهد الخليفة الواثق لأحد من بعده بالخلافة[٤٩] فالخلافة من بعده ذو شكل جديد لم تكن له سابقه للدوله العباسية وقد ختم هذا القرن بانتهاء الخلفاء العسكريين الذين كانوا يقودون الجيوش بانفسهم ويخوضون غمرات الموت ولا يستسلمون لداعي الترف .

- خلافة المتوكل على الله (٢٣٢- ٢٤٧هـ / ٨٤٦ – ٨٦٦م):-

هو جعفر ابو الفضل المعتصم، بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة مائتين واثنتين وثلاثين بعد الواثق الموافق يوم السبت ٢٨اب ٨٤٦م[٥٠] اذ ان الخليفة الواثق لم يعهد بالخلافة من بعده لاحد وبهذا ان وفاة الخليفة الواثق دون ان يعين ولي عهدقد فسحت المجال امام كبار رجال الدولة والقادة الاتراك لاختيار الشخص الذي يرونه مناسبا للخلافة ومن الطبيعي ان يكون الخليفة الذي ينتخبونه تلائم ميولهم ورغباتهم ،فكانت سابقة خطيرة ومثلا سيئا لتدخل القادة العسكرين في السياسة، فأجتمع كبار

رجال الدولة كأبي داود القاضي ومحمد بن عبد الملك الوزير وعمر بن فرج واحمد بن خالد الكاتبين وايتاخ ووصيف من قواد الاتراك وتناظروا فيمن يولونه الخلافة فأشار محمد بن عبد الملك الى محمد بن الواثق وكاد الامر يتم له الا انهم لما جاؤوا به والبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية قال لهم وصيف:- اما تتقون الله تولون مثل هذا الخلافة وهو لا تجوز معه الصلاة[٥١].

ثم اشار ابن داود الى جعفر بن المعتصم فاتفق رأيهم عليه واحضروه فألبسه احمد بن ابي داود الطويلة وعممه وقبله بين عينيه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وبايعه الحاضرون ولقب بالمتوكل على الله ثم بايعته العامة وكان ذلك في يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين[٥٢].ويظهر هنا جليا ان القادة العسكريين استطاعوا لاول مرة في التاريخ العباسي ان يجعلوا كلمتهم نافذة في امر سياسي وهو اختيار خليفة للمسلمين.

وكان قد عهد الخليفة المتوكل بالولاية لاولاده الثلاثة وهم محمد المنتصر ومحمد المعتز وابراهيم المؤيد وكان ذلك في السابع والعشرون من ذي الحجة لسنة مائتين وخمس وثلاثين وقسم البلاد بينهم[٥٣]. ونجد هنا إن الخليفة المتوكل لم يستفد من الأخطاء التي وقعت للخلفاء الذين سبقوه في تعاملهم مع ولاية العهد اذ كرر الخطأ نفسه الذي وقع فيه جده الرشيد عندما عقد ولاية العهد الى ابناءه الثلاثة التي ادت الى الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون .

فجعل للاكبر المنتصر افريقيه والمغرب، وجعل لابنه المعتز كور خراسان وطبرستان والري واذربيجان وكور فارس وضم اليه في سنة مائتين واربعين للهجرة بيوت الاموال ودور الضرب وامر بضرب اسمه على الدراهم، وجعل لابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الاردن وجند فلسطين وكتب بينهم كتاباً، وجعل الخليفة

المتوكل لابنيه المعتز والمؤيد تمام الاستقلال في اعمالهما اذا الت الخلافة للمنتصر [٥٤].

وقد قتل الخليفة المتوكل بسامراء في ليلة الاربعاء لاربع ليال خلت من شوال سنة سبع واربعين ومائتين[٥٥].

وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة اشهر وثمانية ايام [٥٦] وقيل ان سبب قتل الخليفة المتوكل، انه غضب على ابنه المنتصر تارة يشتمه وتارة يتهدده بالقتل والتفت الى الفتح فقال برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ان لم تلطمه يعني المنتصر فقام اليه الفتح فلطمه لطمتين وقال اشهدوا اني قد خلعته فأنصرف على غضب فواعد الاتراك على قتل المتوكل فما كانت الا ساعة حتى دخل الاتراك على الخليفة المتوكل فقتلوه وقتلوا معه الفتح بن خاقان[٥٧].

وبعد مقتل الخليفة المتوكل على يد ابنه المنتصر منعطفاً خطيرا" في تاريخ الخلافة العباسية والدولة العربية الاسلامية، اذ دق ناقوس الخطر في الصراع الاسري داخل البيت العباسي من اجل الوصول الى الخلافة.

ومن الجدير بالذكر انه قد اقترن بتاريخ وفاة الخليفة الواثق بن المعتصم سنة ٢٣٢هـ تدخل النفوذ التركي في شؤون الدولة، لان الواثق لم يعهد الى احد من بعده بولاية الامر فتجاوز الاتراك ابنه وبايعوا اخاه المتوكل، والحقيقة ان مصرع الخليفة كان منطلقاً للعبث بكرامة الخلفاء والتعدي عليهم بسمل عيونهم او تشويه وجوههم لاسقاط حقهم في تحمل تبعات الحكم او اجبارهم على التنازل عن الخلافة، وقد بقي الاتراك يتمتعون بالسلطات التنفيذيه كلهاحتى كانوا يسمون اهل الحل والعقد.

- **خلافة المنتصر**(٢٤٧- ٢٤٨هـ/٨٦٢-٨٦٣م):-

هو ابو جعفر محمد بن المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع في الليلة التي قتل فيها المتوكل، وبقي في الخلافة خمسة اشهر واياماً وقيل ستة اشهر [٥٨].

ومن التطورات المهمة في ولاية العهد خلال عهد الخليفة المنتصر انه سنة مائتين وثمان واربعين خلع المعتز والمؤيد نفسهما وسبب ذلك ان المنتصر لما استقامت له الامور طلب ذلك منهما، وتشير الروايات التاريخية الى ان احمد بن الخصيب قال لوصيف وبغا انا لا نأمن الحدثان وان يموت امير المؤمنين فيلي الامر المعتز فلا يبقي منا باقية والرأي ان نعمل في خلع هذين الغلامين قبل ان يظفرا بنا فجد الاتراك في ذلك والحوا على المنتصر وقالوا تخلعهما وتبايع لابنك هذا عبد الوهاب فاحضرهما وجعلا في دار الخلافة...[٥٩].

فكتبا خطوطهما بالخلع وأنهما عجزة عن الخلافة وقد خلعناها من أعناقنا ثم دخلا عليه ، فقال الخليفة المنتصر اتريانى خلعتهما طمعا في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابايع له، والله ماطمعت في ذلك ولان يليها بنو ابي احب الي من ان يليها بنو عمي ولكن هولاء واومأ الى الموالي الحوا علي في خلعكما فخفت ان لم افعل ان يعترضكما بعضهم بحديده فيأتي عليكما ، فلو قتلته ما كان دمه يفي دماكما فقبلا يده ثم انصرفا وكان خلعهما في يوم السبت لسبع بقين من صفر هذه السنة أي مائتين وثمان واربعون [٦٠] .

خلافة المستعين (٢٤٨-٢٥٢/ ٨٦٢-٨٦٦م) :-

هو احمد بن محمد بن المعتصم بن الرشيد ، بويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو لست بقين من بيع الاخر سنة مائتين وثمان واربعين [٦١]. وسبب بيعته انه لما توفي المنتصر اجتمع الموالي وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير

فاستحلفوا قواد الاتراك والمغاربه على ان يرضوا بمن يرضى به بغا الكبير وبغا الصغير وذلك بتدبير ابن الخصيب فحلفوا وهم كارهون ، فاجتمع راي الثلاثة على الا يولو احدا من اولاد المتوكل لئلا يغتالهم بدم ابيه كما انهم لا يريدون اخراجها عن اولاد المعتصم مولاهم ، فاقترح عليهم تولية احمد بن المعتصم فقال لهم محمد بن موسى بن شاكر المنجم اتولون رجلا عنده انه احق الناس بالخلافة قبل المتوكل وانكم دفعتموها عنه وانه احق بالامر من المتوكل والمنتصر فبأي عين يراكم واي قدر يكون لكم عنده ؟ ولكن اطيعوا انسانا يعرف لكم ذلك [٦٢]. فكانت هذه الكلمات مما وافق هواهم جميعاً الا بغا الكبير فانه قال لهم بمن نهابه ونفرقه فنبقى معه وان جئنا بمن يخافنا حسد بعضنا بعض فقتلنا انفسنا ،ثم ذكر ابا العباس احمد بن محمد بن المعتصم وقالوا هذا من ولد مولانا المعتصم ولم نخرجها عنهم ونصطنعه فيعرف ذلك لنا ولم يزالوا بغا الكبير حتى وافقهم فبايعوه [٦٣].

ولم يزل خليفة الى ان خلع يوم الجمعة الرابع من محرم سنة مائتين واثنين وخمسين ، فكانت مدة خلافته ثلاث سنوات وثمانية اشهر وثمانية وعشرون يوماً [٦٤] وكانت سبب خلع المستعين ان بعض القادة الاتراك غضب عليه، فاجتمع امرهم على اخراج المعتز والبيعة له وكان المعتز والمؤيد في حبس الجوسق بسامراء في حجرة صغيرة مع كل واحد منهما غلام يخدمه ، فاخرج المعتز وبايعوه بالخلافة ولاخية المؤيد ولاية العهد[٦٥] وبذلك صارت بغداد الى جانب الخليفة المستعين والقائم بأمره محمد بن عبد الله بن طاهر ، وسامراء الى جانب المعتز ، فكان اول ما فعله ابن طاهر ان منع الميرة عن سامراء وقام بتحصين بغداد فأدير عليها السور وحفرت حولها الخنادق ورتبت الرجال على ابوابها واسوارها ، وكتب الخليفة المستعين الى عمال الخراج الى كل بلدة وموضع ان يكون حملهم ما يحملون من الاموال الى بغداد ولا يحملون الى سامراء شيئاً[٦٦].

ودارت المكاتبات فكتب المستعين الى اتراك سامرا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعتهم اياه ويذكرهم اياديه عنده وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته وكان كتابه بذلك الى سيما الشرابي [٦٧].

وكتب المعتز الى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه الى الدخول فيما دخل فيه من بايعه بالخلافه وخلع المستعين ويذكره ما كان ابوه المتوكل اخذ عليه بعد اخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة ، فلم تفد هذه المكاتبات شيئاً وهيأ المعتز جيشاً لحرب المستعين وجعل قيادته لاخيه احمد بن المتوكل وتدبيره الى كلبا نكين التركي[٦٨].

خرج الجيش من سامرا سنة مائتين واحدى وخمسين ووصل باب الشماسية ببغداد وقد حصلت بين الفريقين مواقع هائلة حول اسوار بغداد وبعيداً عنها وانقطعت بذلك السابلة وخربت الضياع وذهبت الأرزاق وكانت الحرب بين الفريقين في البر والبحر[٦٩].

وقد ظلت بغداد مسرحا للفتن والحروب سنة (٢٥١هـ) كلها وفي اخرها كاتب ابن طاهر المعتز في الصلح وخلع المستعين [٧٠] . وبذلك اجبر المستعين على خلع نفسه من الخلافة ومبايعة المعتز على منبري بغداد ومسجدي جانبيها الشرقي والغربي في يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم ، واخذ البيعة له بها على من كان يومئذ من الجند واشهد عليه الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء [٧١] .

خلافة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦ - ٨٦٩م) :-

هو عبد الله بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، كان ابوه المتوكل جعله ولي عهده بعد المنتصر ، فلم تتم له الولاية لان المنتصر ارغمه على ان يخلع نفسه ، ولما ولي المستعين بعد المنتصر حبسه هو واخاه المؤيد ، حتى كانت الفتنة بين قواد المستعين من الاتراك ، فاخرجوا المعتز وبويع له في سامرا ، فتم

له الامر بعد خلع المستعين ، لست خلون سنة اثنتين وخمسين ومائين[٧٢]. ولما صلح الامر للخليفة المعتز بالله لم يابه لعهد اخيه ابراهيم المؤيد ولا لسابقه اخيه ابي احمد بن المتوكل وهو الذي قاد الجيش الى بغداد وحاصرها حتى اسقط المستعين من عرش الخلافة ، فانه خلع الاول من ولاية العهد وحبسه ثم اماته ، وحبس الثاني وضيق عليه [٧٣]. وسبب ذلك ان عامل ارمينية العلاء بن احمد قد بعث الى ابراهيم المؤيد بخمسة الاف دينار ليصلح بها امره فبعث ابن فرخانشاه الوزير اليه فاخذها فاغرى المؤيد الاتراك بابن فرخا نشاه وخالفهم المغاربة وكانت فتنة فبعث المعتز الى اخويه المؤيد وابي احمد فحبسهما في الجوسق وقيد المؤيد وصيره في حجرة ضيقة ثم خلعه عن ولاية العهد يوم الجمعة السابع من رجب لسنة مائتين واثنين وخمسين [٧٤].

وبقي المعتز بالخلافة الى ان اجبر على خلع نفسه لثلاث بقين من رجب سنة مائتين وخمس وخمسين ، فكانت خلافته ثلاث سنين وستة اشهر واثنتين وعشرين يوما [٧٥] .

والسبب الذي ادى الى خلع المعتز هو ان صالح بن وصيف لم يجد في بيت المال مايسد مطامعه ومطامع الجنود الذين معه ، فذهبت الجنود الى الخليفة المعتز وقالوا له : اعطنا ارزاقنا حتى نقتل لك صالح بن وصيف الذي كان الخليفة يخشاه ، فارسل المعتز الى امه ذات الثروة الطائله يسالها ان تعطيه مالا ليعطيهم فابت ان تعطيه وانكرت ان يكون عندها شيئ ، ولما وجد الاتراك أن المعتز وأمه قد امتنعا ان يسمحا لهم بشيئ وبيت المال خال اتحدت كلمة الاتراك والفراعنة والمغاربة على خلع المعتز[٧٦] . فساروا اليه لثلاث بقين من رجب فلم يرعه الا صياح القوم واذا صالح بن وصيف وبايكباك ومحمد بن بغا قد دخلوا عليه في السلاح فجلسوا على باب المنزل الذي ينزله المعتز [٧٧] . ثم بعثوا اليه اخرج الينا فبعث اليهم اني اخذت الدواء امس وقد اجفلني اثنتي عشر مره ولا اقدر على الكلام من الضعف فان كان امرا

لابد منه فليدخل الي بعضكم فليعلمني ، فدخل اليه القوم فجروا برجله الى باب الحجرة وتناولوه كما قيل ضربا بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرق في مواضع واثار الدم على منكبه [٧٨].

فاقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر ، وهم يلطمون وجهه ويقولون اخلع نفسك ثم احضروا القاضي ابن ابي الشوارب والشهود وخلعوه ثم احضروا من بغداد الى دار الخلافة وهي يومئذ سامرا محمد بن الواثق وكان المنتصر قد ابعده الى بغداد فسلم المعتز اليه الخلافة وبايعه (٧٩). وقيل ان الملأ قد اخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فادخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ثم اخرج وهو اول ميت من الخلفاء العباسيين مات عطشا فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتا ، وذلك في شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين [٨٠] واختفت امه قبيحة ثم ظهرت في رمضان واعطت صالح بن وصيف مالا عظيماً [٨١].

وهكذا انتهت حياة هذا الخليفة الذي سعى كثيرا للحصول على هذه الخلافة وركب في سبيل الخلاص ممن توهمهم مزاحمين له مالا يجوز من خليفة ولا من سوقة فقتل المستعين وخلع اخاه ثم قتله ونفى اخاه الثاني كل ذلك لتهيأ له الخلافة فلم ينل ما اراد بسبب الفساد المستحكم في الدولة من الا تراك وغيرهم ، وقد رثاه احد الشعراء حيث قال :-

أصبحت مقلتي تسح الدموعا ... اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسي عليه ما كان املاه ... واسراه تابعاً لتبوعا
الزموه ذنباً على غير جرم ... فثوى فيهم قتيلاً صريعا
وبنو عمه وعم ابيه ... أظهروا ذلة وابدوا خضوعاً
ما بهذا يصح ملك ولا ... يغزى عدو ولا يكون جميعا[٨٢]

خلافة المهتدي بالله (٢٥٥- ٢٥٦هـ / ٨٦٨ ـ ٨٦٩م):-

هو محمد المهتدي بالله بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة بعد ان خلع المعتز نفسه وكان ذلك في ثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين[٨٣].

واشار ابن العماد ان المهتدي لما اراد الامراء مبايعته على الخلافة قال لا اقبل حتى اسمع بأذني خلع المعتز نفسه، فأدخلوه عليه فسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه، فقال له الامراء ارتفع فقال لا ارتفع الا ان يرفعني الله ثم قال للمعتز يا امير المؤمنين خلعت امر الرعية من عنقك طوعاً ورغبة وكل من كانت لك في عنقه بيعة فهو بريء منها فقال المعتز من الخوف نعم، فقال خار الله لنا ولك يا ابا عبد الله ثم ارتفع حينئذ الى صدر المجلس وكان اول من بايعه[٨٤]ولم يهنيء المهتدي بالخلافة طويلاً، فقد خلع وقتل سنة ست وخمسين ومائتين[٨٥].

وقيل في سبب خلعه وقتله قولان اوردهما ابن الجوزي[٨٦]:-

القول الاول:- انه كتب الى بعض الاتراك ان يقتل بعضهم، فأطلع المأمور (بايكباك) ذلك الرجل(موسى بن بغا) على هذا وقال له اذا قتلتك اليوم قتلت انا غداً ، قال فما نصنع قال ندبر على المهتدي فقدم ذلك المأمور على المهتدي فقال له الم امرك بقتل من أمرتك بقتله، فقتل ورمى رأسه الى اصحابه ووقع القتال بين الناس وخرج المهتدي يقاتل ويقول يا معشر الناس انصروا خليفتكم فال الامر الى ان قتلوه.

والقول الثاني:- انه كان قد كتب رقعه بخطه أنه متى غدر بهم او اغتالهم فهم في حل من بيعته، ولما كتب الى بعضهم ان يقتل بعضاً استحلوا نقض بيعته ودعوه الى خلع نفسه، فأبى فخلعوا اصابع يديه من كفيه واصابع رجليه من قدميه فورم ومات، ويقال عذبوه بفنون العذاب واشهدوا على موته وبايعوا المعتمد[٨٧].

خلافة المعتمد(٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ـ ٨٩٢م):-

هو احمد بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ويكنى بأبى العباس ، بويع له بالخلافة من غير عهد سابق يوم الثلاثاء لاربع عشرة لليلة بقيت من رجب سنة مئتين وست وخمسين[٨٨].

وفي سنة مائتين واحدى وستين بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه جعفر ولقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وارمينيا [٨٩].

ثم من بعده لاخيه الموفق طلحة وولاه المشرق والعراق والحجاز واليمن وفارس واصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند، وعقد لكل منهما لواءين أبيض واسود وشرط ان حدث به حدث ان الامر لاخيه ان لم يكن ابنه جعفر قد بلغ وكتب العهد وانفذه مع قاضي القضاة ابن ابي الشوارب ليعلقه في الكعبة [٩٠].

وقد انهمك المعتمد في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا اخاه الموفق ، وكان رجلاً صاحب عزيمة ومحبة للقلب والسلطان، فأصبح الامر الى الموفق ولم يكن للمعتمد الا الخطبة والسكة والاسم وما عدا ذلك فهو لاخيه [٩١].

وفي سنة مائتين وتسع وستين اشتد تخيل المعتمد من اخيه الموفق فانه كان خرج عليه في سنة اربعة وستين ومائتين ثم اصطلح فلما اشتد تخيله منه هذا العام كاتب المعتمد ابن طولون نائبه بمصر واتفقا على امر فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق وخرج المعتمد من سامرا على وجه التنزه وقصده دمشق فلما بلغ ذلك الموفق كتب الى اسحاق بن كنداج ليرده فركب ابن كنداج من نصيبين الى المعتمد فلقيه بين الموصل وحديثة فقال يا امير المؤمنين اخوك في وجه العدو وانت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ومتى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجي فيغلب عدوك على ديار ابائك وفي كلمات اخر ثم وكل بالمعتمد جماعة ورسم على طائفة من خواصه ثم بعث الى المعتمد يقول ما هذا بمقام فارجع فقال فاحلف لي انك تنحدر معي ولا

تسلمني فحلف له وانحدر من سامرا فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه اسحاق اليه فأنزله في دار احمد بن الخصيب ومنعه من نزول دار الخلافة ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول اليه(٩٢).

ولما بلغ الموفق ذلك بعث الى اسحاق بخلع واموال واقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ولقبه ذا السندين ولقب صاعداً ذا الوزارتين واقام صاعد في خدمة المعتمد ولكن ليس للمعتمد حل ولاربط(٩٣).

فكان المعتمد اول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به ثم ادخل المعتمد واسط ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع الفقهاء لخلعه من العهد فخلعوه الا القاضي بكار بن قتيبة فأنه قال انت اوردت على المعتمد كتاباً بولايته العهد فأورد على كتاباً اخر منه بخلعه فقال انه محجور عليه ومقهور فقال لا ادري فقال ابن طولون غرك الناس بقولهم ما في الدنيا مثل بكار انت شيخ قد خرفت وحبسه وقيده واخذ منه جميع عطاياه، فلما بلغ الموفق ذلك امر بلعن ابن طولون على المنابر(٩٤). وفي شعبان من سنة مائتين وسبعين اعيد المعتمد الى سامرا ودخل بغداد ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه(٩٥).

وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين مات الموفق واستراح المعتمد منه(٩٦). ولكن ضعف امر الخليفة المعتمد كثيراً في سنة مائتين وتسع وسبعون لتمكن ابي العباس بن الموفق من الامور وطاعة الجيش له فجلس المعتمد مجلساً عاماً واشهد فيه على نفسه انه خلع ولده المفوض من ولاية العهد وبايع لأبي العباس ولقبه المعتضد(٩٧).

ومات المعتمد بعد اشهر من هذه السنة فجأة فقيل انه سم وقيل بل نام فضم في بساط وذلك ليلة الاثنين لأحدى عشرة بقيت من رجب، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة(٩٨) وكان مقصوراً مع اخيه الموفق لأستيلائه على الامور ومات وهو كالمحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد ايضاً.

- خلافة المعتضد(٢٧٩- ٢٨٩هـ/٨٩٢ـ٩٠١م) :-

هو ابو العباس احمد بن ابي احمد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم، كان عضداً لابية الموفق في حربه واعماله، وولي العهد بعد وفاة ابيه، بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المعتمد على الله، يوم الاثنين لاحدى عشر ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين(٩٩).

ولم يزل خليفة حتى توفي لثمان بقين من ربيع الاخر سنة مائتين وتسع وثمانين، وبقي في الامر عشر سنين وتسعة اشهر وثلاثة ايام(١٠٠).

وقد عهد الخليفة المعتضد من بعده بالخلافة الى ابنه علي فبويع في مرضه يوم الجمعة بعد العصر لاحدى بقيت من ربيع الاخر سنة تسع وثمانين ومائتين(١٠١).

- خلافة المكتفي بالله (٢٨٩- ٢٩٥هـ/ ٩٠١ـ ٩٠٧ م):-

هو علي المكتفي بن المعتضد بن ابي احمد بن المتوكل، بويع بالخلافة بعد وفاة ابيه المعتضد بعهد منه وذلك في الحادي عشر من ربيع الاخر سنة مائتين وتسع وثمانين(١٠٢).

ولم يزل خليفة الى ان توفي في ثاني عشر من ذي القعدة سنة مائتين وخمس وتسعون، فكانت خلافته ست سنين وستة اشهر واحد عشر يوماً(١٠٣).

وعهد بالخلافة من بعده الى اخيه ابي الفضل، وقد اشار ابن كثير الى ذلك بقوله((ان الخليفة المكتفي لما حضرته الوفاة سأل عن اخيه ابي الفضل جعفر بن المعتضد فصح عنده انه بالغ فأحضر في يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي العقدة من هذه السنة، واحضر القضاة واشهدهم على نفسه بانه قد جعل الخلافة اليه من بعده ولقبه المقتدر بالله. وتوفي المكتفي بالله بعد ثلاثة ايام(١٠٤).

- خلافة المقتدر بالله(٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ـ ٩٣٢م):-

هو جعفر بن المعتضد بن احمد المتوكل، بويع بالخلافة بعد وفاة اخيه المكتفي سنة مائتين وخمس وتسعين(١٠٥) ولم يل الخلافة قبله اصغر منه، فأنه وليها وله ثلاث عشرة سنة(١٠٦).

فاستصباه الوزير العباس بن الحسن فعمل على خلعه ووافقه جماعة على ان يولوا عبد الله بن المعتز، فأجاب ابن المعتز بشرط ان لا يكون فيها دم فبلغ المقتدر ذلك فأصلح حال العباس ودفع اليه اموالاً أرضته فرجع عن ذلك (١٠٧) .

واما الباقون فانهم ركبوا عليه في العشرين من ربيع الاول سنة ست وتسعين والمقتدر يلعب الاكرة فهرب ودخل واغلقت الابواب وقتل الوزير العباس وجماعته وارسل الى ابن المعتز فجاء وحضر القواد والقضاة والاعيان وبايعوه بالخلافة ولقبوه الغالب بالله فاستوزر محمد بن داوود واستقصى ابا المثنى احمد بن يعقوب ونفذت الكتب بخلافة ابن المعتز (١٠٨) .

وبعث ابن المعتز الى المقتدر يامره بالانصراف الى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل ابن المعتز الى دار الخلافة فاجاب ولم يكن بقي معه الا طائفة يسيرة فقالوا ياقوم أنستسلم لهذا الأمر ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا فلبسوا السلاح وقصدوا المخرم وبه ابن المعتز فلما راهم من حوله القى الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا قتال وهرب ابن المعتز ووزيره وقاضيه ووقع النهب والقتل في بغداد وقبض المقتدر على الفقهاء والامراء الذين خلعوه وسلموا الى يونس الخازن فقتلهم الا اربعة منهم القاضي ابو عمر سلمو من القتل ، وحبس ابن المعتز ثم اخرج فيما بعد ميتا (١٠٩) .

واستقام الامر للمقتدر فيما بعد ، ولم يزل خليفة الى ان قتل في يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وبقي في الامر اربعة وعشرين سنة وشهرين وعشرة ايام (١١٠) .

الخاتمة

بعد أن أكملت بتوفيق من الله البحث الذي توخيت فيه الرصانة و الدقة العلمية للوصول إلى الحقيقة التاريخية خدمة لامتنا وتاريخها المجيد .

سأحاول في هذه الخاتمة تسليط الضوء على الحقائق التي تضمنها البحث :

١- كشف البحث عن أن ولاية العهد في العصر العباسي الثاني ولا سيما خلال مدة البحث قد شهدت الكثير من نقض العهود والمواثيق من قبل الخلفاء العباسيين ، أذ خلع الخليفة المنتصر أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ، وكذلك الخليفة المعتز عند توليه الخلافة قام بخلع أخيه المؤيد وسابقه أخيه أبي احمد بن المتوكل الذي قاد الجيوش إلى بغداد وحاصرها من اجل تولية المعتز للخلافة .

٢- وضح البحث أن ولاية العهد خلال مدة البحث حدثت فيها الكثير من الصراعات من اجل الوصول إلى السلطة ،آذ نجد أن المنتصر قام بقتل أبيه المتوكل بمساندة الأتراك ، كذلك قام المعتز بحبس أخيه إبراهيم المؤيد ثم آماته وكذلك حبس أبي طلحة وضيق عليه.

٣- بين البحث ازدياد قوة الأتراك وتعاظم نفوذهم بل وصل الامر بهم يختارون الخليفة العباسي ويعينوه ، وعندما يشعرون بان الخليفة العباسي قد أصبح خطرا عليهم يقومون بخلعه ومن ثم قتله ،كما حدث مع الخليفة المتوكل ومن بعده الخليفة المستعين و الخليفة المهتدي بالله.

٤- كشف البحث ان قيمة الخلافة ومكانة الخليفة العباسي قد خفضت هنا ، اذ بدأت سلطاته تتقلص رويدا رويدا ولاسيمابعد مقتل الخليفة المتوكل ،اذ اخذ الأتراك يتدخلون في شؤون الخلافة وبشكل كبير ، بل أصبحوا هم الحكام الفعلين ولم يبق بيد الخليفة العباسي سوى السلطة الدينية في كثير من الأحيان .

قائمة الهوامش

(١) الرازي ،محمد بن ابي بكر عبد القادر، (ت: ١٠ه هـ) مختار الصحاح ، عني بترتيبه محمود خاطر بك المطبعة الاميرية ،ط٢،القاهرة ، ١٩٣٧م ص٧٣٧.

(٢) م. ن ،ص٧٣٧ ؛ابن منظور، ابي الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت :٧١١هـ) لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٥م ،ج١٥،ص٤٠٦.

(٣) سورة البقرة، اية: ١٠٧

(٤) سورة ال عمران اية: ٦٨

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٤٠٧

(٦) سورة الانفال اية: ٧٢

(٧) الرازي، مختار الصحاح، ص٧٣٧

(٨) م ن، ص٤٦.

(٩) سورة الاسراء، اية: ٣٤

(١٠) الفيروز ابادي، ابو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت :٨١٧هـ) القاموس المحيط، طبعة القاهرة،١٩٥٢ ،ج١ ،ص٣٣١ ؛ القلقشندي احمد بن علي (ت:٨١٢هـ) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، مطبعة كوستاتوماس ،القاهرة ،ج٩، ص ٣.

(١١) سورة التوبة، اية: ٤.

(١٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز قطر،دار صادر،ط١ ،بيروت ، ج٨ ، ص٤٥٤.

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، مج٣ ص٣١١

(١٤) م. ن ،مج٣ ص٣١١

(١٥) الزبيدي، تاج العروس ج١ ، ص٤٥٤.

(١٦) الرازي، مختار الصحاح ، ص٤٦٠.

(١٧) ابن منظور، لسان العرب، مج٣ ص٣١١.

(١٨) الفيروز ابادي، قاموس المحيط، ج١، ص٣٣١.

(١٩) سورة الاعراف، اية: ١٢.

(٢٠) الرازي، مختار الصحاح ،ص٤٦٠ .الزبيدي، تاج العروس ،ج٨ ،ص٤٥٤.

(٢١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٩ ، ص٣٤٨.

(٢٢) سورة يس اية :٦٠.

(٢٣) سورة البقرة ،اية: ١٢٥

(٢٤) ابن منظور، لسان العرب ،مج٣ ،ص٣١١.

(٢٥) م .ن ،مج٣ ،ص٣١١.

(٢٦) سورة البقرة، اية: ١٢٥.

(٢٧) الزبيدي، تاج العروس ،ج٨ ، ص٤٥٥.

(٢٨) الخضري، محمد، الدولة العباسية، كتب هوامشه محمد خناوي، دار الكتب العلمية،ط٢، بيروت ،٢٠٠٤ م، ص٤٠.

(٢٩) م ن ، مج٣، ص٤٠.

(٣٠) الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية ،مطبعة السعادة، القاهرة،١٩٠٩م ،ص١٠٣ .

(٣١) م .ن ، ص٧ ؛ابو يعلي محمد بن الحسين الفراء (ت: ٤٥٨هـ)، الاحكام السلطانية، صححه وعلق عليه حامد الفقي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص٩.

(٣٢) الماوردي، الحكام السلطانية، ص٧.

(٣٣) م .ن ،ص٧.

(٣٤) م .ن،ص ٧.

(٣٥) م .ن ،ص٧-٨.

(٣٦) م .ن ،ص٨.

(٣٧) م .ن ،ص٨.

(٣٨) م .ن ،ص١١.

(٣٩) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) مقدمة ابن خلدون مطبعة الكشاف ،ط١ ، بيروت ،ج١ ،ص٢١٠.

(٤٠) ابن كثير ،عماد الدين ابي الفداء اسماعيل (ت :٧٧٤هـ) البداية والنهاية، راجعه وخرج احاديثه وعلق عليه محمد محمد تامر وشريف محمد ، دار البيان العربي، القاهرة ،ط١ ، مج٥، ص٦٥٦- ٦٥٧ ؛السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء، اعتنى به وائل محمود الشرقي، دار الكتب العلمية ،ط١، ص٢١٥.

(٤١) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجواهر، حققه وقدم له مصطفى السيد ،المكتبة التوافقية، ط٢،ج٤،ص٤٦.

(٤٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٥، ص٦٥٧.

(٤٣) ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت: ٢٤٠هـ)، تاريخ ابن خياط، مؤسسة الرسالة دمشق ١٣٩٧ ،ط٢ ،تحقيق اكرم العمري، ج١، ص٤٧٨ ؛السمناني، ابي القاسم علي بن محمد بن احمد (ت:٤٩٩هـ) ، روضة القضاة وطريق النجاة، حققه وقدم لها وترجم لمصنفها صلاح الدين الناهي، مطبعة الارشاد (بغداد ١٩٧٤م ، ج٤، ص١٥٠٦.

(٤٤) ابن كثير، البداية والنهاية ،مج٥، ص٦٧٢.

(٤٥) السمناني، روضة القضاة ،ج٤ ،ص١٥٠٧ ،ابن كثير البداية والنهاية، مج٦، ص٤.

(٤٦) ابن الجوزي، ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ) ،المنتظم في تاريخ الامم والملوك دار صادر ،(بيروت ١٣٥٨) ،ج١١ ،ص١١٨

(٤٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٠ .

(٤٨) السمناني، روضة القضاة ،ج٤،ص١٥٠٧

(٤٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٢.

(٥٠) م .ن ،ص٢٢٣ .

(٥١) ابن الجوزي، المنتظم ج١١ ص١٧٨.

(٥٢) م .ن ،ج١١ ،ص١٧٨.

(٥٣) الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ) ، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت، (لا . ت) ،ج٥،ص٣٠٧.

(٥٤) م . ن، ج٥، ص٣٠٨.

(٥٥) م . ن، ج٥، ص٣٣٤.

(٥٦) السمناني، روضة القضاة، ج٤،ص١٥٠٨.

(٥٧) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١١، ٢٥٧.

(٥٨) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت:٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت (لكويت ١٩٨٤م)، ط٢، ، ج١، ص٤٥٢.

(٥٩) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٢، ص٣.

(٦٠) م. ن. ج١٢،ص٤

(٦١) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن واضح(ت:٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، ط٢بيروت، ص٣٩٠.

(٦٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص٦.

(٦٣) م.ن، ج١٢، ص٦.

(٦٤) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥٠٩.

(٦٥) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد العكري(ت : ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الارنؤط، دار بن كثير للنشر والطباعة،ط١١ (دمشق – ١٤٠٦هـ)، ج٢، ص١٢٤.

(٦٦) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٢، ص٤٣.

(٦٧) م.ن، ج١٢،ص٤٤.

(٦٨) م.ن، ج١٢، ص٤٥.

(٦٩) م.ن، ج١٢، ص٤٧– ٤٨.

(٧٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٩٩.

(٧١) م.ن، ج٢، ص٤٩٩.

(٧٢) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥٠٩.

(٧٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٨ . السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٣.

(٧٤) ابن كثير ، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٨.

(٧٥) المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي(ت : ٣٨٦هـ)، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، تحقيق عادل احمد، دار الكتب العلمية ، ط٢، (بيروت ، ١٩٩٨م) ،ج٣،ص٤٧٤.

(٧٦) م.ن، ج٣، ص٤٧٤.

(٧٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٣.

(٧٨) م.ن، ص٢٣٣.

(٧٩) م.ن، ص٢٣٣.

(٨٠) م.ن، ص٢٣٣.

(٨١) م.ن، ص٢٣٣.

(٨٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٤،ص١٧٠.

(٨٣) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر(ت:٧٤٩هـ) ، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية ، (بيروت –١٩٩٦ م) ،ج١،ص٢٢٤.

(٨٤) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص١٣٢.

(٨٥) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥٠٩.

(٨٦) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٢، ص١٠٢.

(٨٧) م.ن، ج١٢،ص١٠٢.

(٨٨) ابن تغري بردي،ابو المحاسن الاتابكي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز احمد، دار الكتب المصرية، (القاهرة– ١٩٩٧)، ج١،ص١٧٠.

(٨٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٦.

(٩٠) م.ن، ص٢٣٦.

(٩١) م.ن، ص٢٣٦.

(٩٢) م.ن، ص٢٣٦.

(٩٣) م.ن، ص٢٣٦.

(٩٤) م.ن، ص٢٣٧.

(٩٥) م.ن، ص٢٣٧.

(٩٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٤،ص٢١٤.

(٩٧) ابن تغري بردي، اللطافة في من ولي السلطنة، ج١، ص١٧١.

(٩٨) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥١٠.

(٩٩) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد (ت: ٣٦٠هـ) ، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٥هـ)، ط٢، ج٦، ص٣٦٣.

(١٠٠) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥١١.

(١٠١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤١١.

(١٠٢) م.ن، ج٦، ص٤١٢.

(١٠٣) السمناني، روضة القضاة ، ج٤، ص١٥١١.

(١٠٤) البداية والنهاية، مج٦، ص١٥٨.

(١٠٥) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥١٢.

(١٠٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٤٥.

(١٠٧) م.ن، ص٢٤٥.

(١٠٨) م.ن، ص٢٤٦.

(١٠٩) م.ن، ص٢٤٦.

(١١٠) السمناني، روضة القضاة، ج٤، ص١٥١٢.

Abstract

Beno Albbas followed in their reign the same method of the Ammyad. It is a contract of ruling in more than one person of the brothers and consins. Although the Abbasyd claiphates were successful in limiting government in their sons and never let it go to outside their ruling house, get this caused more shortcomings that established the conflict and clash among the Abbasyd house in general and the ruling family specifically.

This matter ended into dividing the Arabic Islamic state, and then non-Arabic elements, like the Turks, intruded in running state affairs. They also became more influential to interfere in the Caliphate affairs in all its aspects.

Worthy to mention, one of the important issues which accompanied ruling system in the second Abbasyd reign was to invalidate the agreements and promises that were undertaken by Abbasyd Caliphates and their governors for the sake of monopolizing government to their sons.

All these encourage me to choose the topic (Government in the second Abbasyd reign from 320-227 after Higra).

As a topic for my research and to shed light on the conflict and problems that faced the Abbasyd Caliphates in undertaken government in this period of time.

The paper includes an introduction section and two other sections. The first deals with undertaken government in language and terminology. The second deals with the Abbasyd Caliphates and their governors from reign of Almu’tasim Caliphate till the reign of Almqtader , and all what happened of developments in undertaken government.

Seeking Allah blessing in achieving research.

أثر مبدأ أيزنهاور على العلاقات السورية الأردنية ١٩٥٧- ١٩٧٦

م.م. محمد عماد رديف طالب
جامعة تكريت/ مركز صلاح الدين الأيوبي/ للدراسات التاريخية والحضارية

المستخلص

دفع التنافس الشديد بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على ملء الفراغ الذي أحدثته تراجع بريطانيا وفرنسا عن المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، وخروجهما نهائيا منها ،قد أدى إلى نجاح بعض المشاريع الغربية في المنطقة، وإلى انقسام العالم العربي بين مؤيد لمنظومة الدول الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي ومنحاز إليها ،وبين مؤيد للغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية،ولقد انحاز الأردن والعراق والسعودية ولبنان إلى المعسكر الغربي، فيما انحازت مصر وسوريا إلى المعسكر الشرقي ،ونتيجة لذلك اتسمت العلاقات بين الدول العربية ولاسيما بين سوريا والأردن بكثير من الشك والريبة وحاول كل منهما أن يتدخل في الشؤون الداخلية للآخر، ولذلك تفاعلت صورة الأوضاع السياسية بين الدول الغربية لتشكل صورة العلاقات مابين الأردن وسوريا .

أدى مشروع الولايات المتحدة إلى ردود أفعال قوية لدى الدول العربية إذ عارضت سوريا المشروع وأصدرت بيانا في العاشر من كانون الثاني ١٩٥٧ بيانا رفضت فيه نظرية ملء الفراغ ورفضت أن يكون للدول الكبرى الحق في التدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة وأعلنت أن الخطر المباشر الذي يهدد الوطن العربي ليس الشيوعية وإنما الاستعمار والصهيونية ، وان مسألة الأمن في المنطقة هي من

اختصاص دولها ،وصرح وزير الدفاع السوري خالد العظم(١٩٥٦– ١٩٥٨) بتصريح قال فيه ((لقد أدلت الحكومة السورية رأيها في مشروع أيزنهاور بشكل صريح لا يترك مجالا للغموض وسوء التفسير ونحن نؤكد هذا البيان الصادر بعد دراسة عميقة لجميع النواحي التي تضمنها المبدأ)) .

أما الحكومة الأردنية برئاسة سليمان النابلسي(٢٩ تشرين الأول-١٣ نيسان ١٩٥٧) فقد أعلنت رفضها للمشروع الأمريكي وصرح عبد الله الريماوي وزير الدولة للشؤون الخارجية في الثاني من كانون الثاني ١٩٥٧ بـ ((رفض حكومته لنظرية الفراغ ولكل سياسة تبنى عليها وان الدفاع عن الوطن العربي أمام أية أخطار محتملة يعتمد بالأساس على قدرات الأمة، وأعلن تمسك حكومته بسياسة الحياد الايجابي،ورفضها لأية معونة اقتصادية تحمل أهدافا سياسية تتنافى مع السيادة الوطنية .

كانت العلاقات السياسية عشية ظهور مبدأ إيزنهاور مابين الأردن وسوريا وبالتحديد بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ حيث تعمقت العلاقات وعلى كافة الأصعدة مع سوريا، وعلى المستوى الداخلي عاش الأردن نوع من الديمقراطية والتي تكللت بنجاح الأحزاب الوطنية الأردنية في انتخابات مجلس النواب في٢١تشرين الثاني١٩٥٦ والتي على أثرها شكل زعيم الحزب الوطني الاشتراكي سليمان النابلسي الحكومة الأردنية واستلم زعيم حزب البعث عبد الله الريماوي حقيبة وزارة الخارجية الأردنية.

وبنفس الوقت كانت وزارة الخارجية السورية من نصيب حزب البعث أيضا ، واستطاعت ان تحقق تعاونا وثيقا مع الجمهورية العربية السورية على أساس الثقة المتبادلة والمنفعة المشتركة في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية فعسكرت وحدات من الجيش السوري في إربد مؤلفة من لواء مشاة ولواء مدرع ولواء مدفعية وعناصر من سلاح الهندسة وأخرى من المدفعية المضادة للطائرات يوم ٣١ تشرين

مُقَدِّمَة

تعد منطقة الشرق الأوسط من المناطق المهمة للدول الاستعمارية والتي بدأت تستقطب اهتمام الدول الغربية بها ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية في محاولة منها لجعلها مناطق نفوذ لها في مواجهة الدول الاشتراكية ولاسيما الاتحاد السوفيتي السابق ،ولذلك بدأت في طرح مشاريع اقتصادية ذات صبغة سياسية ومن هذه المشاريع مبدأ أيزنهاور ١٩٥٧ ، وان لكل مشروع لابد من أن يكون له معارضوه ومؤيدوه من الدول العربية ،وبالتحديد كانت هناك دولتان عربيتا الهوية ولكنهما مختلفتان في توجهاتهما السياسية وهما الأردن وسوريا .

ولأجل بيان طبيعة التوجهات السياسية للبلدين كان علينا أن نحدد نقطة انطلاقة لتوضيح العلاقات بين البلدين لذلك جاء اختيار عنوان بحثنا هذا ، لتوضيح ما هو مبدأ أيزنهاور ،وتأثيره على العلاقات بين الأردن وسوريا.

جاءت أهمية البحث لكونه توضيح لطبيعة العلاقات بين الأردن وسوريا وكيف أدت سياسات التنافس بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية في استقطاب كل من البلدين وفق ما يخدم مصالحه ومشاريعه السياسية في المنطقة،وهذا الاستقطاب جعل الأردن وسوريا يعيشان التنافس فيما بينهما ومحاولة خلق مناطق نفوذ داخل الدولة المنافسة لهما،وبالتالي ستشهد العلاقات بينهما توترات ومحاولات التدخل في الشؤون الداخلية للغير وتنفيذ عمليات اغتيال لشخصيات مهمة في البلدين وعلى أعلى المستويات، ولذلك هدف البحث إلى توضيح الصورة السورية المواجهة للأطماع الغربية في المنطقة العربية بوجه عام والتي ستخلق لها مشاكل داخلية وتوترات مع دول الجوار ،وعلى الجانب الآخر يوضح البحث توجهات السياسة الأردنية في علاقتها مع سوريا ومحاولاتها توحيد جهود الدول العربية ضد سوريا وإيجاد مشاريع وحدوية لمواجهة الأخطار التي يعتقد الأردن أنها قادمة من سوريا

الاول١٩٥٦ بقيادة العقيد الركن سهيل عشي لمجابهة أي اعتداءات (إسرائيلية) على الأردن.

وأصبحت سوريا المستورد الثاني بعد لبنان للمنتجات الأردنية وبنفس الدرجة كانت سوريا ثاني بلد في العالم مصدر للأردن وحافظ ميزان التبادل التجاري بين البلدين على زيادة لصالح الاقتصاد السوري.

شهدت الأوضاع في سوريا حدوث متغيرات سياسية داخلية إضافة إلى المتغيرات المستمرة في المنطقة العربية فبعد الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم بعد قيام ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق ، وثورة ٨ آذار ١٩٦٣ في سوريا والتي سيطر بها العسكريون البعثيون على الحكم في سوري وبالتعاون مع العناصر المؤيدة لجمال عبد الناصر ، دخلت الدول الثلاثة سوريا ومصر والعراق في مفاوضات للوحدة بينهما وأسفرت عن قيام الوحدة الثلاثية وإصدار ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ .

انعكس ذلك التطور السياسي على الأوضاع الداخلية في الأردن فسارت مظاهرات شعبية في مدن الأردن والضفة الغربية تطالب بالوحدة وأسفرت المظاهرات عن عدد من الإصابات مابين قتيل وجريح بعد مصادمات دامية مع الجيش وأدت إلى إسقاط حكومة وصفي التل وتشكيل حكومة جديدة برئاسة سمير الرفاعي ٢٧ آذار ١٩٦٣واستمر التقارب الأردني ـ السوري في التطور وتبلور التطابق في مواقف البلدين مما شكل أرضية خصبة لترسيخ العلاقات وعلى كافة الأصعدة حيث تكللت بتشكيل القيادة السياسية الموحدة للبلدين عام١٩٧٦، وأصبحت الزيارات الرسمية على رؤساء الدوائر والوزارات ورؤساء الحكومات وزعماء الدولتين حالة اعتيادية فيما إذا قورنت بالمراحل السابقة فمنذ عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٧٢ لم تحصل أي زيارة رسمية على مستوى زعماء الدولتين أو رؤساء الحكومات وخلال الفترة الزمنية الممتدة بين عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٦ زار الملك الحسين بن طلال دمشق ١٢ مرة بينما زار الرئيس حافظ الأسد عمان خمس مرات ، وعلى مستوى رؤساء الحكومات فقد تمت ١٢ زيارة من الجانب الأردني و٨ زيارات من الجانب السوري.

،ومحاولة سوريا بوجه خاص للرد على المواقف الأردنية لتأمين الحماية لسياستها وبالتالي ضمان استمرار مشاريعها ضد السياسة الغربية،ودورهم في إحباط المشاريع الغربية الاقتصادية في الهيمنة على الدول العربية.

وعليه فقد قسم البحث على أربعة محاور :

تناول المحور الأول مبدأ أيزنهاور ١٩٥٧ والموقف السوري ـ الأردني منه، وكيفية مواجهة كل دولة لهذا المبدأ وكيفية التعامل معه بجميع الوسائل المتاحة.

أما المحور الثاني فقد تناول المؤامرات الانقلابية وأثرها في العلاقات السورية ـ الأردنية.

أما المحور الثالث فتناول تداعيات مبدأ أيزنهاور على العلاقات السياسية السورية ـ الأردنية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣.

أما المحور الرابع فتناول العلاقات السياسية والعسكرية السورية ـ الأردنية ١٩٦٣-١٩٧٦.

مبدأ أيزنهاور ١٩٥٧ والموقف السوري ـ الأردني منه

أدى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ إلى حدوث تأثير كبير على تبدل الأوضاع وتغيير مراكز القوى في المنطقة العربية والشرق الأوسط وانحسار النفوذ البريطاني والفرنسي عن منطقة الشرق الأوسط وإلى ازدياد النفوذ السوفيتي فيها لذلك أعلنت الولايات المتحدة في ٣ كانون الأول ١٩٥٦ تصميمها على ما يسمى: ((إحلال السلام وإعادة الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط)) لكنها كانت تريد ملء الفراغ في منطقة الشرق الأوسط لغرض الاستفادة من المنطقة وتعزيز نفوذها وبالتالي عدم الإضرار بالمصالح الغربية في المنطقة العربية[١].

وعلى هذا الأساس ألقى الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور (١٩٥٣- ١٩٦٠) خطاباً يوم ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ أمام جلسة للكونغرس الأمريكي أكدّ فيه على ضرورة قيام الولايات المتحدة بسد الفراغ في منطقة الشرق الأوسط قبل أن تتعرض المنطقة إلى هيمنة وهجوم الاتحاد السوفيتي مما يؤدي إلى تعريض المصالح الأمريكية هناك إلى الخطر المباشر[٢]. وتضمن المشروع الذي عرضه رئيس الولايات المتحدة أيزنهاور والذي سميّ بأسمه على :

١. استعمال القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية لحماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للأمم التي تطلب مثل هذه المساعدات ضد العدوان المسلح في أيَّةِ دولة تسيطر عليها الشيوعية العالمية.
٢. تقدم الولايات المتحدة الأمريكية معونات عسكرية لأيَّة دولة من دول الشرق الأوسط ترغب بها.
٣. تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المعونة الاقتصادية لدول الشرق الأوسط من أجل تنمية اقتصادياتها[٣] .

وطلب الرئيس أيزنهاور من الكونغرس منحه حق توزيع مساعدات اقتصادية قدرها ٢٠٠ مليون دولار لمساعدة شعب الوطن العربي ولاسيما في الشرق الأوسط اقتصاديا وعسكريا ً وتقدم تلك المساعدات بعد طلبها من الدول المعنية وتكون مشروطة للتصدي لأي خطر سوفيتي، ويعطي المشروع الحق باستعمال القوات المسلحة لضمان حماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للأمم من أي تهديد،وقد وافق الكونغرس الأمريكي في قرار مشترك لمجلس الشيوخ والنواب في ٩ آذار ١٩٥٧ على اقتراح رئيس الولايات أيزنهاور وخوله في حق إرسال القوات المسلحة الأمريكية للدفاع عن أي من الحكومات الصديقة في الشرق الأوسط والتي تواجه تهديدا مسلحا من أي دولة أخرى تتبع الاتحاد السوفيتي ، وفي حال عدم وجود مثل هذا التهديد بالسلاح فللرئيس الحق في تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تحتاج إليها الدول لغرض تامين دفاعاتها[٤].

دفع التنافس الشديد بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على ملء الفراغ الذي أحدثته تراجع بريطانيا وفرنسا عن المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، وخروجهما نهائيا منها ،قد أدى إلى نجاح بعض المشاريع الغربية في المنطقة، وإلى انقسام العالم العربي بين مؤيد لمنظومة الدول الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي ومنحاز إليها ،وبين مؤيد للغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية،ولقد انحاز الأردن والعراق والسعودية ولبنان إلى المعسكر الغربي، فيما انحازت مصر وسوريا إلى المعسكر الشرقي ،ونتيجة لذلك اتسمت العلاقات بين الدول العربية ولاسيما بين سوريا والأردن بكثير من الشك والريبة وحاول كل منهما أن يتدخل في الشؤون الداخلية للآخر، ولذلك تفاعلت صورة الأوضاع السياسية بين الدول الغربية لتشكل صورة العلاقات مابين الأردن وسوريا[٥] .

أدى مشروع الولايات المتحدة إلى ردود أفعال قوية لدى الدول العربية إذ عارضت سوريا المشروع وأصدرت بيانا في العاشر من كانون الثاني ١٩٥٧ بيانا رفضت فيه نظرية ملء الفراغ ورفضت أن يكون للدول الكبرى الحق في التدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة وأعلنت أن الخطر المباشر الذي يهدد الوطن العربي ليس الشيوعية وإنما الاستعمار والصهيونية ، وان مسألة الأمن في المنطقة هي من اختصاص دولها ،وصرح وزير الدفاع السوري خالد العظم(١٩٥٦– ١٩٥٨) بتصريح قال فيه ((لقد أدلت الحكومة السورية رأيها في مشروع أيزنهاور بشكل صريح لا يترك مجالا للغموض وسوء التفسير ونحن نؤكد هذا البيان الصادر بعد دراسة عميقة لجميع النواحي التي تضمنها المبدأ)) [٦] .

أما الحكومة الأردنية برئاسة سليمان النابلسي(٢٩ تشرين الأول–١٣ نيسان ١٩٥٧) [٧] فقد أعلنت رفضها للمشروع الأمريكي وصرح عبد الله الريماوي وزير الدولة للشؤون الخارجية في الثاني من كانون الثاني ١٩٥٧ بـ ((رفض حكومته لنظرية الفراغ ولكل سياسة تبنى عليها وان الدفاع عن الوطن العربي أمام أية ٍّ أخطار محتملة يعتمد بالأساس على قدرات الأمة، وأعلن تمسك حكومته بسياسة الحياد الايجابي،ورفضها لأية معونة اقتصادية تحمل أهدافا سياسية تتنافى مع السيادة الوطنية[٨] .

استقبل الملك الحسين(١٩٥٣ـ ١٩٩٩) في ٧ كانون الثاني ١٩٥٧ سفير الولايات المتحدة في عمان مالوري وأعرب الملك في المقابلة عن تأييده لمبدأ أيزنهاور وعن ((استعداد العرب لقبول كل عون أو مساعدة لتنمية اقتصادهم وتدعيمه وإنشاء القوات المسلحة لصيانة سيادتهم شريطة أنْ لا يكون هذا العون أو المساعدة متعارضة مع سيادتهم أو يعرقل جهودهم لتحقيق الوحدة بينهم))[٩] أما سفير الولايات المتحدة مالوري فقد أكدّ للملك الحسين خلال المقابلة بأنّ بلاده ستعُين الملك في المحافظة

على استقلال الأردن إذا تخلت حكومة النابلسي عن سياسة الحياد وعن إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي والصين مؤكدا خطر تلك السياسة على مصالح بلاده في الأردن، وأكدّ سفير الولايات المتحدة أيضا أن حكومة بلاده لا تطلب منه تأييد مشروع أيزنهاور علنا ًنظرا لكراهية الشعب الأردني له ولكنها تشترط عليه أن يقيم الدليل للكونغرس على وجود خطر شيوعي في الأردن يهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة[١٠] .

تقرر عقد مؤتمر على مستوى القمة لملوك ورؤساء الأردن والسعودية ومصر وسوريا في القاهرة يوم١٨ كانون الثاني ١٩٥٧ ، وفي اليوم المحدد اجتمع الملك الحسين والملك السعودي سعود بن عبد العزيز (١٩٥٣-١٩٦٤) والرئيس المصري جمال عبد الناصر (١٩٥٤-١٩٧٠) ورئيس الوزراء السوري صبري العسلي(١٩٥٦-١٩٥٨) ،وأعاد الملك الحسين عرض موضوع المعونة المالية العربية على الدول العربية الثلاث[١١] وبعد أن أعربت كل دولة عن وجهة نظرها اتفقوا على إصدار البيان التالي : ((القبول بأية مساعدة شريطة أن لا تمس السيادة القومية وأن العرب هم أقدر على ملء الفراغ)) وقد خول الرؤساء الملك سعود الذي تلقى دعوة من أيزنهاور لزيارة واشنطن لينقل إلى رئيس الولايات المتحدة موقفهم نحو المبدأ و التحدث باسم تلك الدول في مختلف الشؤون التي تهمها[١٢] .

انتهى مؤتمر القاهرة بإعلان الدول العربية عن توقيع معاهدة التضامن العربي في ١٩ كانون الثاني١٩٥٧ والتي تعهدت بها السعودية ومصر وسورية عن تقديم مساعدة للأردن قدرها (١٢) مليونا ونصف المليون من الجنيهات المصرية تعويضا عن المعونة البريطانية والتي سيتم قطعها عن الأردن بعد إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية في ١٣ آذار١٩٥٧والتي ستنتهي القواعد العسكرية البريطانية في الأردن[١٣] .

ولم تلتزم في تنفيذ بنود الاتفاقية سوى المملكة العربية السعودية بدفع الالتزامات المالية وجاء ذلك بسبب أنّ الولايات المتحدة أوفدت (كيرميت روزفلت) ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط إلى السعودية لإقناع الملك سعود بضرورة إقرار المساعدات المالية للأردن ضمن خطة أمريكية لإحراج مركز الرئيس جمال عبد الناصر[١٤].

عُقدَ اجتماع رباعي سعودي- أردني -مصري-سوري في القاهرة للمدة من ٢٤ - ٢٧ شباط ١٩٥٧ ضم كل من الملك الحسين بن طلال والرئيس السوري شكري القوتلي والرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود، لمناقشة نتائج زيارة الملك سعود إلى واشنطن إذ أعرب الملك سعود عن عدم قناعته ببحث القضايا العربية في اجتماع رباعي بل أكد عدم تلبية أي دعوة قادمة للاجتماع إلاّبحضور رؤساء الأقطار العربية كافة، وطلب من مصر بشكل خاص الكف عن حملاتها الإعلامية ضد الدول التي تعارض سياستها[١٥] .

رفضت مصر وسوريا الإشارة في البيان الختامي الصادر عن الاجتماع التنديد بالشيوعية والتهديد الشيوعي لبلدان الشرق العربي لأنَّ صدور مثل ذلك البيان يمثل دعم لمبدأ أيزنهاور لأنَّ المبدأ يستند إلى وجود التهديد الشيوعي ،وقد أكدّ البيان الختامي على استقلال الأقطار العربية وسيادتها على نحو تام ومطلق وعدم الانحياز إلى التحالفات الأجنبيةفي المعسكرين الشرقي والغربي من دون ورود أية إشارة للمشروع الأمريكي[١٦] .

أعلن الأردن تأييد الملك سعود في مجمل طروحاته المنبثقة عن الولايات المتحدة حول مستقبل منطقة الشرق الأوسط ورغبته في الإفلات من تأثير النظام السياسي المصري الذي مثله جمال عبد الناصر[١٧] .

أدى مبدأ أيزنهاور إلى التقريب بين وجهات النظر السعودية والأردنية وإلى ظهورهما كحليفين على الساحة السياسية العربية وإلى خلق جبهة موحدة ضد مصر وسوريا ومن ثمَّ يقضي ذلك على الخلافات بين الدولتين[١٨].

انعكس مبدأ أيزنهاور إلى حدوث حالة من الانقسام في الصف العربي فقد رفضته سوريا وبالمقابل وافقت الأردن عليه إذ تقدمت حكومة النابلسي يوم ١٧ كانون الثاني بطلب مساعدة مالية مقدارها ثلاثين مليون دولار من حكومة الولايات المتحدة[١٩] كما قررت الحكومة الأردنية في ٢٦ شباط ١٩٥٧ و على الرغم من توقيع اتفاقية التضامن العربي قبول المعونة الاقتصادية التي نص عليها مبدأ أيزنهاور شريطة أن لا تتضمن أي هدف سياسي يمس بسيادة الأردن الوطنية، وحريته واستقلاله وأن لا تؤثر على القضايا العربية ولا سيما قضية فلسطين ، وبهذا الصدد أكدّ حكمت المصري رئيس مجلس النواب الأردني بقوله: ((أننا نعيش سياسة الحياد الايجابي بما تعنيه من مقاومة الاستعمار و التخلص من نفوذه في جميع أشكاله وأننا نقبل المساعدات الاقتصادية إذا كانت غير مشروطة أو لا تمس سيادتنا أو تَحد من حريتنا))[٢٠] .

إنّ تأييد الملك الحسين لمشروع أيزنهاور جاء رغبةً منه في أنْ يكون المشروع وسيلة لتحسين أوضاع المملكة الاقتصادية من جديد وخاصةً بعد انتهاء المعاهدة الأردنية- البريطانية وكذلك بعد رفضه للمعونة العربية التي تقدمت بها كل من مصر و السعودية وسوريا[٢١] .

يبدو أنّ هناك إجماعا كاملاً بين الملك الحسين وحكومة النابلسي على قبول المساعدات الاقتصادية من الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة لكن الحكومة تريد القبول بمساعدات اقتصادية لا يكون لها أي غطاء سياسي وهذا التوجه لا يتفق وما

يراه الملك الحسين من أنَّه يجب القبول بأيَّة مساعدة وهذا سوف يؤدي إلى عدم التوافق بين الملك والحكومة .

قرر الرئيس الأمريكي أيزنهاور إيفاد جيمس ريتشارد مساعده الخاص لشؤون الشرق الأوسط مع وفد من وزارتي الخارجية والدفاع ودائرة المساعدات إلى منطقة الشرق الأوسط في ١٢ آذار ١٩٥٧ لحث حكومات المنطقة على تأييد مشروعه وقد زار الوفد خمسة عشر بلداً واستبعد الوفد زيارة الأردن ومصر وسوريا من قائمة الدول التي سيزورها،وأعلن كلا من العراق ولبنان تأييدهما لمبدأ أيزنهاور بينما بقيت الموافقة الأردنية ضمنية بسبب الوضع الداخلي المتوتر بين الحكومة والملك الحسين، أما السعودية فقد رفضت إعطاء رأي محدد بينما رفضت كلا من سوريا ومصر مبدأ أيزنهاور[٢٢].

وفي ١٦ آذار ١٩٥٧ اجتمع في القاهرة كلا من الملك سعود بن عبد العزيز والرئيس شكري القوتلي[٢٣] مع الرئيس جمال عبد الناصر وبعد سلسلة من الاجتماعات استمرت أسبوعا انتهت بإصدار الميثاق الثلاثي وهو عبارة عن بيان يتضمن (١١) قرارا شملت التعاون العسكري والاقتصادي والسياسي بين الأقطار الثلاثة تنفيذا لشعار الدفاع عن العالم العربي وكان ابرز هذه القرارات:

١. وضع خطة شاملة لتدعيم الأمن العربي والعمل على حفظ كيان الأمة .
٢. وضع خطة شاملة لتنسيق خطط الدفاع العربي لمواجهة أي عدوان يقع على أي دولة عربية.
٣. وضع خطة شاملة لمواجهة المحاولات التي تبذل عن طريق حلف بغداد للضغط على البلاد العربية
٤. وضع خطة شاملة لمواجهة موقف بعض الدول التي تسمح بتجنيد رجالها في الجيش (الإسرائيلي)

٥.الاتفاق على مساندة الأردن ضد أي ضغط خارجي[٢٤].

وقد نجحت الدبلوماسية الأمريكية في توقيت زيارة الملك سعود لواشنطن مع زيارة الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ،وبالتالي نجاح الوساطة الأمريكية بين الأسرتين السعودية والهاشمية وإحداث تنسيق سعودي ـ عراقي ـ أردني في مواجهة التنسيق السوري ـ المصري وبالتالي أصبح البيان الثلاثي الذي صدر في القاهرة حبرا على ورق[٢٥].

المؤامرات الانقلابية وأثرها في العلاقات السورية ـ الأردنية

كانت العلاقات السياسية عشية ظهور مبدأ إيزنهاور مابين الأردن وسوريا وبالتحديد بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ حيث تعمقت العلاقات وعلى كافة الأصعدة مع سوريا، وعلى المستوى الداخلي عاش الأردن نوع من الديمقراطية والتي تكللت بنجاح الأحزاب الوطنية الأردنية في انتخابات مجلس النواب في٢١تشرين الثاني١٩٥٦ والتي على أثرها شكل زعيم الحزب الوطني الاشتراكي سليمان النابلسي الحكومة الأردنية واستلم زعيم حزب البعث عبد الله الريماوي حقيبة وزارة الخارجية الأردنية[٢٦].

وبنفس الوقت كانت وزارة الخارجية السورية من نصيب حزب البعث أيضا ، واستطاعت ان تحقق تعاونا وثيقا مع الجمهورية العربية السورية على أساس الثقة المتبادلة والمنفعة المشتركة في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية فعسكرت وحدات من الجيش السوري في إربد مؤلفة من لواء مشاة ولواء مدرع ولواء مدفعية وعناصر من سلاح الهندسة وأخرى من المدفعية المضادة للطائرات يوم ٣١ تشرين الاول١٩٥٦ بقيادة العقيد الركن سهيل عشي لمجابهة أي اعتداءات (إسرائيلية) على الأردن[٢٧].

وأصبحت سوريا المستورد الثاني بعد لبنان للمنتجات الأردنية وبنفس الدرجة كانت سوريا ثاني بلد في العالم مصدر للأردن وحافظ ميزان التبادل التجاري بين البلدين على زيادة لصالح الاقتصاد السوري[٢٨].

كلف رئيس الوزراء سليمان النابلسي(١٩٥٦-١٩٥٧) اللواء علي أبو نوار رئيس أركان الجيش الأردني بمهمة الاتصال بالاتحاد السوفيتي، فزار أبو نوار السفير السوفيتي في دمشق وتم تقديم طلب مساعدة باسم الحكومة الأردنية، وعند دعوته إلى الأردن قدم تقريراً إلى سليمان النابلسي جاء فيه: ((إنَّ الاتحاد السوفيتي يقبل بإقامة علاقات دبلوماسية مع الأردن وأنَّه على استعداد لتقديم معونة عسكرية على شكل شحنات أسلحة تكفي لتجهيز فرقتين عسكريتين))، وطلب السفير السوفيتي تشكيل وفد رسمي برئاسة وزير أردني للتفاوض معه[٢٩].

قرر سليمان النابلسي ايفاد شفيق رشيدات وزير العدلية و التربية والتعليم إلى دمشق فاتفق مع السفير السوفيتي على تقديم معونة عسكرية سوفيتية إلى الأردن خالية من اية شروط مُسبقة، وعلى أثر انتهاء الزيارة وعودة الوزير الأردني قررت حكومة النابلسي إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي[٣٠].

ولذلك قامت الولايات المتحدة بدعم الملك الحسين والذي عمل إلى إقالة حكومة سليمان النابلسي والتي كانت اقرب إلى الخط السياسي الذي تنتهجه كل من سوريا ومصر وذلك بعد محاولة انقلابية فاشلة قام بها رئيس أركان الجيش علي أبو نوار في ١٣ نيسان ١٩٥٧ ، إذ وجه الملك الحسين اتهاماته إلى سوريا ومصر لاشتراكهم في المحاولة الانقلابية وخاصة بعد فرار عدد من الضباط وأعضاء من الحزب الوطني الاشتراكي من الأردن إلى دمشق والقاهرة [٣١] .

أمر الحسين بإغلاق حدود المملكة مع سوريا وأرسل إلى الحكومة السورية رسالة بين فيها اشتراك القوات السورية المرابطة في الزرقاء في المحاولة

الانقلابية[٣٢].وطلبت الحكومة الأردنية من الحكومة السورية ان تعسكر قواتها العسكرية في العقبة لكي تحل القوات السعودية محلها،ولكن سوريا رفضت الطلب الأردني وبتاريخ ٢٣ آيار ١٩٥٧ انسحبت مجموعة القوات السورية بناء على طلب الحكومة الأردنية[٣٣].

عقد الرئيس أيزنهاور مؤتمرا صحفيا في البيت الأبيض في ٢٤ نيسان ١٩٥٧ أعلن فيه: ((بأن الولايات المتحدة تعلن تشجيعها وتأييدها السياسي للملك الحسين وأن الولايات المتحدة أخذت وعد [إسرائيل] تجنب أيَّة محاولة لاستغلال الوضع)) وأمر بإرسال الأسطول الأمريكي السادس إلى شرق البحر المتوسط بعد أن أبلغته السفارة الأمريكية في عمان بخطورة الوضع في الأردن وفي الوقت نفسه قال الناطق باسم البيت الأبيض جيم هاغارتي: ((إنَّ الرئيس أيزنهاور ووزير الخارجية دالاس يعدّ استقلال الأردن وسيادته وسلامة أراضيه أمرا ًحيوياً وأساسياً للمصالح الوطنية الأمريكية والسلام العالمي))[٣٤] .

وكان لهذا الإنذار أثره في استقالة حكومة حسين الخالدي ، وأعلن الملك الحسين الأحكام العرفية وحل البرلمان بدعم ومساندة العشائر الأردنية المؤيدة للملك ، وقد أدى الاستقرار هذا إلى إعلان الولايات المتحدة في ٢٩ نيسان ١٩٥٧ بمنح الأردن مساعدة اقتصادية مالية قدرها (١٠) ملايين دولاراً من أجل الحفاظ على استقرار الأردن[٣٥] .وفي غضون ذلك شهدت المنطقة تحركات سياسية عربية في محاولة لتهدئة الأوضاع بين المملكة الأردنية وسوريا ومصر.

قرر الرئيس السوري شكري القوتلي إجراء اتصالات مع الرئيس جمال عبد الناصر للتباحث في الأمر وقد اتفقا على الاتصال بالملك سعود ليتوسط لغرض تهدئة الحالة بينهما وبين الملك الحسين وجاء ذلك خلال سفر الرئيس السوري صباح يوم ٢٦ نيسان ١٩٥٧ إلى السعودية لحملها على إرسال وفد وزاري سعودي للاشتراك مع

الوفدين السوري والمصري بقصد إجراء محادثات رباعية مع الملك الحسين، إلاّ أنَّ الملك سعود أبلغ الرئيس السوري عن تأييده المطلق لسياسة الملك الحسين وإعجابه بالإجراءات التي اتخذها الأردن لمحاربة الشيوعية[٣٦] .

وبالمقابل أتبع الملك الحسين بن طلال إجراءاته تلك بالطلب إلى الحكومة السورية أن تأمر قواتها بالانسحاب من الأردن ، فقابل السوريون ذلك بالاستنكار ورأوا فيه علاقة أخرى للمؤامرات المعادية للعرب فازدادت العلاقات السورية . الأردنية توترا ولاسيما بعد أن اتخذت الحكومة الأردنية برئاسة سمير الرفاعي[٣٧] خطا سياسيا مواليا للغرب ومعارضته لسياسة سوريا ومصر فقضي بذلك على اتفاقية التضامن العربي المعقودة في شهر شباط ١٩٥٧،وأدت الأزمة الأردنية إلى ازدياد التقارب بين الملك سعود والملك الهاشمي في بغداد وعمان، ففي ٢٨ نيسان ١٩٥٧ قام الملك الحسين بزيارة إلى المملكة العربية السعودية و التباحث مع الملك سعود في الرياض، وقد صدر عن الاجتماع بيان حول تصميم المملكتين على متابعة السياسة التي رسمت معالمها في مؤتمر القاهرة، وأدىَّ الاجتماع إلى تعزيز روابط الصداقة و التعاون بين المملكتين وإلى معارضة الدول العربية اليسارية في مصر وسوريا[٣٨] .

بدأت سوريا ومصر اتخاذ إجراءات عدائية ضد الأردن وشنت الصحافة والإذاعة فيهما حملة عنيفة ، وكان من المفروض أن يدفع القسط الأول من الالتزامات العربية في الأول من شهر نيسان ١٩٥٧ بعد أن قطعت بريطانيا معونتها المالية اعتبارا من الأول من آذار وانتظر الأردن دون جدوى وشهدت البلاد أزمة حادة لم ينقذ الأردن منها إلا دفع السعودية مليونين ونصف المليون وهو القسط السنوي الأول من حصة السعودية[٣٩].

وأرسلت وزارة الخارجية الأردنية بتاريخ ٥ آيار ١٩٥٧ مذكرة مستعجلة إلى السفارتين المصرية والسورية تستعجلهما لإرسال المعونات المالية التي بذمتهما للأردن

بموجب اتفاقية التضامن العربي ، وعادت وأرسلت مذكرة ثانية بتاريخ ٢٢ آيار تلح بسرعة الإجابة على الطلب السابق، وتبين الحاجة الماسة لتنفيذ الاتفاقية،وعادت وزارة الخارجية الأردنية فأرسلت بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٥٧ مذكرة ثالثة للسفارتين المصرية والسورية في عمان تبلغهما أن القسط الأول من الالتزامات العربية قد استحق في اليوم الأول من شهر نيسان ورجت بتحويل المبلغ المطلوب بالسرعة الممكنة، ولكن الجواب الذي تلقاه الأردن كان يرد في الصحف والإذاعات المصرية والسورية بالرفض وعلى لسان ناطق رسمي من هذا البلد أو ذاك بان تنفيذ اتفاقية التضامن العربي مرهون بإتباع الأردن سياسة تحرريه، وفي ١٠ حزيران طلبت الحكومة الأردنية سحب الملحق العسكري في عمان لقيامه بنشاط غير مرغوب فيه ، وردت مصر على هذا بالطلب إلى السفير الأردني أن يغادر القاهرة، ولكن الحكومة الأردنية قررت إغلاق السفارة الأردنية في القاهرة اعتبارا من منتصف حزيران١٩٥٧[٤٠] .

بدأت الحكومة الأردنية بجعل معونة الولايات المتحدة بشكل رسمي وذلك بقيام سمير الرفاعي وزير الخارجية الأردني في ٢٩ نيسان ١٩٥٧ بتبادل المذكرات مع وزارة خارجية الولايات المتحدة عن طريق سفيرها مالوري وقد أفضت تلك المذكرات إلى توقيع اتفاقية في آيار ١٩٥٧ منحت الولايات المتحدة بموجبها(١٠) ملايين دولار مساعدة اقتصادية وتقنية لأجل ضمان ودعم حرية الأردن والحفاظ على استقراره الاقتصادي والسياسي،وتضمنت أيضاً تقديم السلاح والذخيرة والعتاد الحربي وسيارات الجيب الأمريكية[٤١] .

تجددت المذكرات مرة ً أخرى بين سمير الرفاعي ومالوري في يوم ٢٩ حزيران ١٩٥٧ برسالة بعث بها إلى سفير الولايات المتحدة جاء فيها: ((تكون الحكومة الأردنية شاكرة لسعادتكم ولحكومة الولايات المتحدة لأية مساعدة إضافية يمكن تقديمها في الوقت الحاضر، وقد أجاب السفير: ((أنَّ الولايات المتحدة ستقدم

١٠ ملايين دولار إضافية وأنَّ بلاده تسعى لضمان حرية بلدكم والحفاظ على استقراره السياسي والاقتصادي)) وقد أشارت عبارة المساعدة الإضافية إلى أنَّه تم إرسال بعض المال إلى الأردن ربما بمساعدة من وكالة الاستخبارات الأمريكية[٤٢].

تم التوقيع على الاتفاقية مع الولايات المتحدة في ٢٩ حزيران ١٩٥٧ وكانت اتفاقية عامة للمساعدات الاقتصادية والفنية بين الولايات المتحدة والمملكة الأردنية الهاشمية، نصت على : ((أنْ تقدم حكومة الولايات المتحدة مساعدات اقتصادية وفنية بناءً على طلب من الممثلين المفوضين عن حكومة المملكة الأردنية الهاشمية وموافقة ممثلين مفوضين عن حكومة الولايات المتحدة لتمكنها من تأدية مسؤولياتها بموجب الاتفاقية وقد طالبت تلك الاتفاقية الحكومة الأردنية بقبول البعثة الأمريكية مع موظفيها للقيام بالمسؤوليات المترتبة على حكومة الولايات بموجب تلك الاتفاقية وتعد تلك البعثة وموظفيها[بناءً على طلب الولايات المتحدة الأمريكية] جزءا من البعثة الدبلوماسية الأمريكية في الأردن من حيث التمتع بالامتيازات الممنوحة لها))[٤٣] .

وبتوقيع الاتفاقية يكون الأردن قد ربط سياسته الخارجية بالسياسة الدولية وبالتحديد الولايات المتحدة ارتباطا وثيقا وهذا بالتالي سيؤدي إلى المزيد من التوتر بينه وبين الدول العربية وبالتحديد سوريا.

وفي شهرحزيران١٩٥٧ بدأت إذاعتا دمشق وعمان تتبادلان الاتهامات والذم وبدأت إذاعة عمان تصف الجيش السوري بالقوة(البوليسية) التي تعتدي على المدنيين وتصف حكام دمشق أنهم مراؤون كذابون ،وبدأ الملك الحسين يسعى إلى إقامة الجسور مع المعارضة السورية ، فقد استدعي إلى عمان المعارض السوري صلاح الشيشكلي لمشاورات مع الملك، واستدعي كذلك رئيس الحزب القومي السوري الاجتماعي للغاية نفسها حيث تم معه الاتفاق على أن يقدم الحزب الرجال للتعاون مع

ضباط الأمن الأردنيين لإحباط الاغتيالات التي تنوي تنفيذها بعض الجماعات السورية في الأردن[٤٤].

وبسرعة شديدة احتدمت المعركة بين جهازي الأمن الأردني والسوري في سعي كل منهما لتنفيذ عمليات إرهابية ضد الآخر، ففي تموز أرسل جهاز الأمن الأردني أشخاص تحت قيادة عميلا له يدعى أديب الدسوقي إلى سوريا لاغتيال القيادات اليسارية السورية وبالتحديد اغتيال كل من أكرم الحوراني[٤٥] وصلاح البيطار واختطاف اللاجئين الأردنيين،ولكن الأجهزة الأمنية السورية ألقت القبض على المتسللين وبحوزتهم الأسلحة والذخيرة،وأما حملة الدعاية على أيدي السوريين فقد كانت على أوسع نطاق بهدف زعزعة استقرار الحكومة الأردنية وخلق الانطباع عن وجود معارضة شعبية واسعة الانتشار لتلك الحكومة وعن وضع ثوري في طور التكوين، فلقد كان الضباط السوريون يزورون الأردن ويجندون العملاء لإلقاء القنابل على بعض الأهداف الحكومية والغربية ،علاوة على أن البعثة السورية كانت تروج الإشاعات في الصحافة عما مفاده أن الملك سيسارع قريبا للإذعان للضغط الشعبي وتكليف النابلسي بتشكيل الحكومة من جديد ، وبدأت عمليات إلقاء القنابل في عمان والخليل وإلقاء قنبلة خارج مكتب المعلومات الأمريكي في عمان وزرع القنابل في رام الله واربد ، وبدأت قوات الأمن الأردنية تكتشف مخابئ الأسلحة المهربة من سوريا إلى الأردن ،كما بدأت الشرطة الأردنية تكتشف أن العديد من رجال الأمن السوريين قد تزوجوا مؤخرا من نساء أردنيات من الضفة الغربية كي يتمتعوا بقسط أوفى من الحرية للسفر إلى الأردن وتوزيع الأموال والتعليمات[٤٦].

وتماشيا مع مخططات عزل سوريا سياسيا عن الدول العربية المجاورة استدعت المملكة العربية السعودية سفيرها في دمشق وفي٣ آب ١٩٥٧ استلمت سوريا إنذارا نهائيا من حكومة الأردن تضمن مطالبة الأردن كي توقف الصحافة

السورية فورا نقدها لسياسة الأردن،وهددت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع سوريا واستخدام كافة الوسائل حتى الهجوم المسلح ،ووصل إنذار مماثل من حكومة لبنان[٤٧].

بدأت هذه الأحداث تزيد من قلق الولايات المتحدة الأمريكية وتدفعها إلى الضغط على سوريا من اجل قبول مبدأ أيزنهاور وخاصة بعد زيارة وفد من الاتحاد السوفيتي سوريا وإجراء عدد من اللقاءات مع المسؤولين السوريين نتج عنها تصريحات سياسية نددت بالسياسة الغربية في المنطقة، إذ صرح فولبرايت احد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي ((بان الولايات المتحدة قد تدخل حرب مع سوريا إذا ما هوجمت الأردن من قبلها واتهمت كل من مصر وسوريا بتهديد استقلال الأردن)) ، وبذلك اتخذت الولايات المتحدة من الأردن ورقة ضاغطة ضد سوريا وأيضا كمحاولة لعزل الأردن عن مصر وسوريا وذلك تحت ذريعة تهديدها من قبل سوريا والخطر الشيوعي ، ومع هذه الضغوط والتهديدات أخذت الولايات المتحدة تزيد من تحركات أسطولها السادس[٤٨].

ونتيجة للموقف الأمريكي الداعم للأردن بدأت سوريا تتطلع نحو الاتحاد السوفيتي ففي السادس من آب ١٩٥٧ توجه خالد العظم وزير الدفاع السوري على رأس وفد سوري إلى الاتحاد السوفيتي ، وانتهت المباحثات إلى التوقيع على اتفاقية اقتصادية وعسكرية،وافق بها المسؤولين السوفيت تزويد سوريا بالأسلحة ولمدة عشر سنوات وإقامة مشاريع عسكرية للجيش السوري ، وتم منح سوريا قرضا ماليا والمساعدة في إنشاء عدد من مشاريع التنمية الصناعية والزراعية،و أثار التقارب السوري السوفيتي حملة إعلامية غربية مركزة ضد سوريا ووصفتها بأنها قاعدة للشيوعية الدولية ،وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت تخطط لقلب نظام الحكم أو غزو سوريا[٤٩].

وفي ١٢ آب ١٩٥٧ أعلنت الحكومة السورية اكتشافها مؤامرة أمريكية لقلب نظام الحكم في سوريا وقامت بإبعاد ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين من البلاد من بينهم هوارد ستون Howard Stoe الخبير الأمريكي بشؤون الانقلابات العسكرية وهو السكرتير الثاني للشؤون السياسية، ونائب القنصل في السفارة الأمريكية ف.جيتن، والملحق العسكري ميللو لتآمرهم مع العناصر الموجودة خارج سوريا وداخلها من رجال الحزب القومي السوري الاجتماعي المحظور لقلب نظام الحكم والإطاحة بالحكومة وتمت تلك المؤامرة بالتعاون مع العقيد إبراهيم الحسيني الملحق العسكري السوري في روما تمهيدا لإعادة أديب الشيشكلي[٥٠]، وقد أكد الحسيني لأحد ضباط المخابرات السورية الذي دس بين المتآمرين انه اتفق مع السلطات الأمريكية للحصول على معونة مالية قدرها(٢٠٠-٤٠٠)مليون دولاراً لقاء تصفية الحكومة في سوريا وعقد صلح مع (إسرائيل)، ولخص الحسيني خطته للاستيلاء على السلطة بقوله ((تقوم بعض قطعات الجيش بالتحرك إلى العاصمة لإحداث انقلاب عسكري بينما يقوم عملاء أمريكيون باغتيال مجموعة من الضباط ضمان لنجاح الانقلاب))، أما أديب الشيشكلي فقد تسلل متنكرا إلى سوريا وأقام في منزل احد الدبلوماسيين الأمريكيين لإجراء اتصالات مع الضباط لضمان انضمامهم إلى الحركة ولما بدء يشعر بعدم جدوى الخطة فر من دمشق بعد استلامه جزءا من أموال المؤامرة[٥١].

وفي المقابل أبعدت الولايات المتحدة السفير السوري في واشنطن فريد زين الدين وأحد معاونيه ،أما السفير الأمريكي في دمشق (موس) فقد كان يمضي إجازته في الولايات المتحدة فبقى في واشنطن لإجراء مشاورات ، وتحرك الأسطول الأمريكي السادس إلى الشواطئ السورية ، فنظمت المقاومة الشعبية ،وحمل الشعب السلاح للتصدي للغزو الأمريكي لكن الغزو لم يحدث حيث صدرت الأوامر للأسطول السادس بالعودة إلى برنامجه الروتيني[٥٢].

وبعد فشل الولايات المتحدة الأمريكية في قلب نظام الحكم في سوريا ، لجأت إلى إثارة جيران سوريا ضدها مستخدمة ورقة تزايد النفوذ السوفيتي وتزايد قوة الشيوعيين السوريين،وبخطة أمريكية تهدف إلى إثارة صدام يبرر تطبيق مبدأ أيزنهاور ،وأوفدت (لوي هندرسون) Loy Henderson نائب وزير الخارجية الأمريكية بجولة في منطقة الشرق الأوسط وزار تركيا يوم ٢٤ آب ١٩٥٧ فاجتمع مع رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس والملك الأردني الحسين بن طلال والملك العراقي فيصل الثاني ورئيس الوزراء العراقي نوري السعيد لتوحيد جهودها للقيام بعمل عسكري ضد سوريا للحد من النشاطات الواسعة للشيوعيين في سوريا،وخاطب لوي هندرسون الحضور بالقول((إن سوريا ستصبح جهاز إرسال للنفوذ السوفيتي في المنطقة فقد استلمت وسوف تستلم شحنات من الأسلحة السوفيتية ووصل معها مجموعة من الخبراء السوفيت الذين سيحولون سوريا إلى معسكر سوفيتي)) وأكد هندرسون بان هدف مهمته هو مناقشة الوضع في سوريا وطلب مساعدتهم في منع التهور السوري وقال:((اذا قررنا اتخاذ عمل عسكري ضد سوريا فيجب إيجاد المبررات له لكي يصبح من الممكن الدفاع عنه في الأمم المتحدة وعلينا تطمين الدول العربية الأخرى بأن ما نقوم به ليس حربا ضد سوريا وإنما هو إجراء ضد حالة شاذة)) ونصح أندرسون العراق بعدم المطالبة بوحدة سورية -عراقية فورية حتى لا ينكشف الغرض من هذه الخطة[٥٣]،وبعد ذلك توجه لوي هندرسون إلى لبنان واجتمع مع وزير الخارجية اللبناني شارل مالك والرئيس اللبناني كميل شمعون[٥٤].

وبعد عودة المبعوث الأمريكي لوي هندرسون إلى واشنطن قدم تقريره إلى وزير الخارجية دالاس وعقد مؤتمر صحفيا في ٥ أيلول ١٩٥٧ قال فيه:((أن الوضع في سوريا خطير جدا ، والولايات المتحدة مهتمة اهتماما عميقا بما يجري في سوريا ومصر اللتين أصبحتا فريسة للشيوعية العالمية وسوف تعمل على تهديد الدول

المجاورة لها ، وان الرئيس الأمريكي قرر زيادة شحن المواد الاقتصادية والدفاعية لجارات سوريا)) [٥٥]. لذلك أوصت الولايات المتحدة تركيا بتحشيد قواتها العسكرية على الحدود السورية وإجراء مناورات استفزازية لجيشها على الحدود السورية [٥٦] .

أثارت بعثة لوي هندرسون وبيان وزير الخارجية الأمريكية ردود أفعال رسمية وشعبية غاضبة ،فقد أصدرت الحكومة السورية بيانا ردت فيه على بيان الحكومة الأمريكية أعربت عن استغرابها لمضمون البيان الأمريكي وجاء فيه((كيف يعرب العرب عن قلقهم إزاء ما يجري في سوريا من دون أن يتصلوا بسوريا لبحث كل ما يتعلق بعلاقاتهم معها حسب ميثاق الجامعة العربية))وأوضح البيان النية لعدوان أمريكي على سوريا[٥٧].

وقد نشرت صحيفة النجم الأحمر السوفيتية خطة الولايات المتحدة لغزو سوريا وهي:

١.قيام (إسرائيل) باستفزازات عسكرية على الحدود مع سوريا.
٢.حشد القوات التركية على الحدود الشمالية لسوريا بهدف المناورات العسكرية.
٣. حشد القوات العراقية على الحدود الشرقية لسوريا بهدف صد العدوان (الإسرائيلي).
٤. البدء بالغارات الجوية العراقية- التركية على القرى السورية بحجة خرق القوات السورية لحدود البلدين.
٥.بدء الزحف العراقي التركي باتجاه سوريا.
٦.مناشدة الولايات المتحدة للتدخل والمساندة لصد الهجوم السوري على البلدين[٥٨].

وفي ٥ أيلول ١٩٥٧ أعلنت الولايات المتحدة عن خطط أمريكية لتزويد حكومات الأردن والعراق ولبنان بالمساعدات العسكرية استعدادا للقيام بعمل عسكري ضد سوريا، وأصبحت الحدود السورية مهددة من جميع الجهات فالأردن و(إسرائيل)

من الجنوب وتركيا من الشمال والعراق من الشرق ولبنان من الغرب،فضلا عن وجود الأسطول الأمريكي السادس في البحر الأبيض المتوسط[٥٩].

ومن جانبها نفت الحكومة السورية التهم الموجهة إليها بأنَّها أصبحت تابعةً للاتحاد السوفيتي وأكدت من جديد: ((أنّ عدم الانحياز هو أساس سياستها الخارجية وأنَّها لا تنوي مهاجمة أي من جيرانها وأنَّ سياستها دفاعية محضة)) واتهم صلاح البيطار وزير الخارجية السوري حكومة الولايات المتحدة بأنَّها تشجع على التآمر ضد سوريا[٦٠] .

وجه الاتحاد السوفيتي مذكرة إلى حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا تحذرهم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول منطقة الشرق الأوسط[٦١].

ولكن بريطانيا وفرنسا أعلنت يوم ١٠ ايلول١٩٥٧ وقوفهما إلى جانب الولايات المتحدة في حملاتها ضد سوريا ،وأعلنت بريطانيا أنها تشارك الدول المجاورة لسوريا قلقها من الوضع هناك.أما فرنسا فقد صرح وزير خارجيتها كريستيان بيو أن الوضع مضطرب في الشرق الأوسط يشكل خطرا على السلم العالمي ،لذلك بدأت أمريكا بالتعاون مع حلفائها في المنطقة بالتحرش والإثارة ضد سوريا ،فقد قامت خمس قطع بحرية أمريكية بالاقتراب من الشواطئ السورية ، كما حلقت طائرتان في سماء اللاذقية[٦٢].

وفي ١١ ايلول١٩٥٧ عقد(أندريه غروميكو)Andrei Gromyko) وزير خارجية الاتحاد السوفيتي مؤتمرا صحافيا طالب فيه بأن يضع الاتحاد السوفيتي حدا لمحاولات المستعمرين للنيل من كرامة سوريا وسيادتها ، وقال :((إن على أولئك الذين يتدخلون في شؤون سوريا الداخلية أن لا ينسوا الدرس الذي تلقوه في العدوان على مصر عام ١٩٥٦))[٦٣].

وعلى ضوء موقف الاتحاد السوفيتي المساند لسوريا ، بدء المسؤلون الأمريكيون تطمين المسؤولين السوريين إلى عدم وجود أي نية للعدوان على سوريا أو التدخل في شؤونها الداخلية، فقد عقد دالاس مؤتمرا صحافيا في ١١ أيلول ١٩٥٧ تراجع فيه عن موقفه السابق إزاء سوريا واعترف اعترافا صريحا بان سوريا غير خاضعة لسيطرة الشيوعية الدولية وأضاف إن البلدان القريبة من حدود سوريا قادرة على صد أي عدوان يأتي من سوريا من دون أي تدخل من الولايات المتحدة(٦٤).

وفي ٣تشرين الاول١٩٥٧ أكد الرئيس الأمريكي أن الوضع السوري اخذ بالاستقرار وبدأ يخف الخطر الذي شعرت به دول عربية مثل لبنان والأردن والعراق(٦٥).

وقد وجهت الحكومة السورية مذكرة دبلوماسية إلى الحكومة الأردنية أعربت فيها عن استغرابها لموقف الأردن والذي ذهب يشتكي للولايات المتحدة دون اطلاع سوريا على شكواها ،وان الأردن مشترك بالمؤامرة مع الولايات المتحدة ضدها في اجتماع أنقرة،وقد ردت الحكومة الأردنية على هذه المذكرة بأسلوب يؤكد عدم اشتراك الأردن فيما خطط في أنقرة ضد سورية وأنكر إجراء أي محادثات مع لوي أندرسون باعتباره لم يزر عمان(٦٦).

وفي المملكة العربية السعودية سارع الملك سعود إلى زيارة بيروت وبعث رسالة عاجلة إلى الرئيس الأمريكي أيزنهاور ناشده فيها سلوك الاعتدال تجاه سوريا ثم أوفد ولي العهد ورئيس الوزراء الأمير فيصل إلى واشنطن حيث صرح بعد اجتماعه مع ايزنهاور في٢٣ أيلول بأنه بحث مع الرئيس الأمريكي الوضع في سوريا وقال: ((إن سوريا بلد شقيق وهي دولة مستقلة متحررة من أي سيطرة أجنبية ، وان السعودية ليست قلقة بشان موقف سوريا ، اذ لا صحة للشائعات عن تغلغل النفوذ الشيوعي فيها) (٦٧).

وأعلن سمير الرفاعي وزير الخارجية الأردني بان الأردن لا يفكر بالتدخل العسكري ضد سوريا،بينما أوفد العراق رئيس وزرائه علي جودت الأيوبي يوم٢٦ ايلول١٩٥٧ وأعلن بعد محادثاته مع شكري القوتلي بان العراق وسوريا وصلتا إلى تفاهم تام وهو الالتزام بميثاق الجامعة العربية والضمان الجماعي وان أي اعتداء يقع على سوريا او أي بلد عربي آخر يعد اعتداء على العراق(٦٨).

وفي ٢٧ أيلول ١٩٥٧ وصل إلى دمشق الملك سعود وصرح للصحفيين ((أرغب أن أعلن دون لبس أو غموض وبالصدق والإخلاص أنني استنكر كل اعتداء على سوريا وعلى أي بلد عربي مهما كان مصدره ،وإنني سأقاوم مع أشقائي السوريين والعرب أي اعتداء يقع عليهم بصرف النظر عن مصدره))(٦٩).

أصبح من الصعب على الحكومات العربية التي قبلت بمشروع أيزنهاور لبنان والأردن والعراق والسعودية الاستمرار في ربط نفسها بعجلة سياسة الولايات المتحدة، وأعلنوا عن انسحابهم في تنفيذ خطة الولايات المتحدة ضد سوريا، وأكدّ الملك الحسين عدم رغبته واستعداده للمشاركة في أي عمل ضد سوريا، وأنّ بلاده ليس لها أي نيّة بالتدخل في سوريا ، وقرّر الملك السفر إلى إيطاليا للاستجمام(٧٠).

عبر أيزنهاور في مذكراته عن موقف الدول العربية قائلاً: ((إنّ موقف الأردن كان على نقيض الاعتقاد منذ أيام ، وأنَّ العراق تراجع خوفاً على خط أنابيب النفط الذي يمر عبر سوريا خوفا من قطع السوريين لأنابيب النفط مما يلحق الضرر بدخل الحكومة العراقية ، أما الملك سعود فقد أدهشنا، فبدلاً من أنْ يعد نفسه لمجابهة سوريا الشيوعية في الشرق الأوسط بدا منشغلا ً ب (إسرائيل) وبخليج العقبة وتأخر الولايات المتحدة في تزويد حكومته بالسلاح)) ، وقد أدى ذلك الموقف العربي والدولي إلى تراجع الولايات المتحدة عن تنفيذ مؤامرتها على سوريا بعد ان تلقت ضربة ً أضرت بسمعتها وبمركزها الدولي(٧١).

بدأت في منطقة الحدود السورية مع تركيا مناورات عسكرية تركية وبقوات تقدر بخمسين ألف جندي وخمسمائة دبابة ومدافع وطائرات ، واتهم وكيل وزارة الخارجية السورية الولايات المتحدة بأنها وراء الحشود ،وفي ١٥ تشرين الاول١٩٥٧ استدعى خليل كلاس وزير الخارجية السوري وكالة ممثلي الدول العربية والدول الأخرى وابلغهم عن الحشود التركية وعلى احتجاج سوريا وتذمرها من مواقف دول الجوار العربية[٧٢].

قررت مصر إرسال وحدات من قواتها المسلحة إلى سوريا لمساعدة الجيش السوري في تعزيز قواته ضد الحشود العسكرية التركية على الحدود السورية ، فوصلت تلك القوات إلى ميناء اللاذقية في ١٣ تشرين الاول١٩٥٧ وذلك بموجب اتفاقية الدفاع المشترك السورية المصرية المعقودة في تشرين الثاني١٩٥٦ وكانت تحرسها في طريقها القطع البحرية المصرية والقطع الجوية المصرية والسورية[٧٣].

ونتيجة ازدياد الحشود التركية على الحدود تقدمت الحكومة السورية بمذكرة شكوى في ١٥ تشرين الأول ١٩٥٧ إلى الأمم المتحدة حول التهديد التركي لأمن سوريا،وقد دعم الاتحاد السوفيتي موقف سوريا وقدم مذكرة يوم ١٦ تشرين الاول١٩٥٧ إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة حول الاستفزازات التركية قرب حدود سوريا، وبعد مناقشات طويلة بين أعضاء الوفود ذات العلاقة بالأحداث السورية وافق الطرفان الأمريكي والسوفيتي على الدخول في محادثات مباشرة والعيش في وئام بغية خدمة السلام في الشرق الأوسط والسلام العالمي[٧٤].

عارض الاتحاد السوفيتي محاولات الولايات المتحدة للتدخل في شؤون سوريا ووجه خروشوفKhrouchtche رئيس الوزراء السوفيتي في ١٩ تشرين الأول ١٩٥٧ رسالةً إلى عدنان مندريس احتج فيها على حشد القوات التركية على الحدود السورية وحث على عدم الاشتراك في أي عمل عسكري مسلح ضدّ سوريا ، وفي الوقت نفسه

قام الاتحاد السوفيتي بتقديم أسلحة عاجلة إلى سوريا، وحشد مقداراً كبيراً من قواته على الحدود التركية في منطقة القوقاز فاضطرت الحكومة التركية على سحب قواتها من الحدود السورية والكف عن تهديد سوريا [٧٥] .

وقد انتهت الأزمة التركية – السورية وتحسنت العلاقات الأمريكية– السورية عقب محادثات جرت في نيويورك بين وزير خارجية سورية صلاح الدين البيطار والآن دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية وعين الرئيس أيزنهاور في نهاية شهر كانون الأول ١٩٥٧ سفيرا أمريكيا جديدا في دمشق[٧٦].

تداعيات مبدأ أيزنهاور على العلاقات السياسية السورية ـ الأردنية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣

كان للأحداث السياسية التي شهدتها سوريا خلال المدة المنصرمة أثرها الواضح في المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا ولاسيما بعد الموقف المصري المؤيد لسوريا في تلك الأحداث[٧٧] .

زار وفد برلماني مصري برئاسة أنور السادات سوريا في أواخر تشرين الثاني ١٩٥٧ وحضر إحدى جلسات البرلمان السوري، وهنا دعا البرلمانيين من البلدين للتفاوض من اجل قيام اتحاد بين القطرين ، وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٥٨ وصل وفد سوري عسكري إلى القاهرة وطلب إقامة وحدة بين البلدين ولم تستطع القاهرة رفض الطلب لكنها اشترطت حلّ الأحزاب وعدم تدخل الجيش في السياسة عند قيام الوحدة ، فوافقت سوريا على مقترحات مصر نظراً لطبيعة الظروف التي كانت تمر بها[٧٨].

وأخيراً جاءت زيارة الرئيس السوري شكري القوتلي إلى القاهرة واجتماعه مع الرئيس جمال عبد الناصر ذلك الاجتماع الذي أفضى باتفاق الرئيسين على إعلان الاتحاد بين البلدين في الأول من شباط عام ١٩٥٨ وتمَّ تحديد يوم الحادي والعشرين

من شباط موعداً لإجراء الاستفتاء بين الشعبين السوري والمصري والذي أسفر عن قيام دولة واحدة سميت (الجمهورية العربية المتحدة) وانتخاب الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً لتلك الجمهورية[٧٩] .

اتخذت القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة، ونقلت وحدات من القوات المسلحة المصرية إلى سوريا ونقلت وحدات أخرى من سوريا إلى مصر ، وتمَّ وضع دستور واحد ، اقر الحريات الدستورية للشعب، وأقام نظام الدولة على أساس القومية العربية[٨٠] .

كان الملك الحسين يعتقد أنّ الجمهورية العربية المتحدة هي خطر على الأردن لأنَّ موقعها بين سوريا ومصر كلاهما في نظر الملك الحسين يساعد التغلغل الشيوعي لذا كان الاتحاد مع العراق يدعم خط الأردن الدفاعي ضد تلك القوى[٨١].

وقد شارك المسؤلون في العراق الملك الحسين في ذلك الاعتقاد وعلى الأخص الملك فيصل الثاني وولي العهد عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد بأنَّ الجمهورية العربية المتحدة خطرُ عليهم كما هي خطر على الأردن[٨٢].

وشكلت الوحدة المصرية – السورية خطرا مفاجئا على بعض الدول العربية مثل لبنان والمملكة العربية السعودية الأمر الذي دفع السياسة الأردنية إلى عقد الاتحاد العربي الهاشمي مع المملكة العراقية بتاريخ١٤ شباط ١٩٥٨ بناءا على ظروف سياسية لان العلاقات بين العراق والأردن تعد علاقة خاصة ترتبط بروابط قوية من صلات القربى والنسب والجوار والدين بالنظر لوجود حكم العائلتين الهاشميتين في البلدين،وكذلك معاهدة الأخوة المعقودة بين البلدين[٨٣].

وكانت الحكومة الأردنية ومع إعلان الاتحاد الهاشمي بدأت تنفيذ مؤامرة أخرى ضد الوحدة السورية المصرية، ففي ١٤ شباط ١٩٥٨ وضعت خطة عسكرية تقوم بها قبائل البدو الأردنية الموالية للشريف ناصر بن جميل خال الملك الحسين يوم

٢١شباط في سوريا بهدف إفشال استفتاء الوحدة السورية المصرية ، وكانت العملية تقضي بقيام عناصر تلك القبائل بالتسلل داخل الأراضي السورية والقيام بأعمال شغب مسلحة في أنحاء متعددة من سوريا ترافقها في الوقت نفسه تحشدات للقوات العسكرية التركية و(الإسرائيلية) على الحدود السورية لمساعدة المتسللين ،إلاَّ أنّّ تلك العملية فشلت بسبب إلقاء القبض على المتسللين الذين اعترفوا بكل تفاصيل المؤامرة، واتهم ناطق عسكري سوري يوم السبت ١٥ شباط ١٩٥٨ الاستعمار والصهيونية وحلف بغداد بتدبير المؤامرة على الوحدة المصرية– السورية[٨٤].

ومقابل ذلك كشفت السلطات الأمنية الأردنية محاولات سورية لاغتيال الملك الحسين عن طريق أنَّه ضابط جاء لمقابلة الملك الحسين وقدم رسالة ً إلى الملك مرسلة ً من العقيد يسري قانصوة الممثل المصري لدى القيادة الموحدة للجيش العربي الأردني وكانت موجهة إلى اللواء محمد حافظ إسماعيل في رئاسة أركان الحرب في القاهرة تبلغه فيها أنّ اللواء السابق الحياري والموجود في دمشق قد وضع خطة لإسقاط الملك بالتعاون مع علي أبو نوار ، و تورد الرسالة أيضاً لائحة بأسماء الأردنيين المخلصين الذين يعدّهم قنصوة (خائنين للقضية) وآخرين يعدّهم (مخلصين لها) لكن الملك قرر التصرف بسرعة وإجراء الاعتقالات وتم اعتراف ١٧ متهماً بأنَّهم تسللوا من سوريا لنسف جسور وطرق وشن هجمات على القصر فيما بعد، وأيضا نظموا عمليات تهريب أسلحة [٨٥] .

وفي شهر آيار ١٩٥٨ قرر الأردن منع جميع الشاحنات المتجهة إلى الكويت والعراق والسعودية من المرور عبر أراضيه ،وبدأت الأوضاع تتجه إلى المزيد من التوتر يوما بعد يوم ولاسيما في ظل الدعاية والدعاية المضادة من قبل البلدين،وذكر نوري السعيد في شهر ايار١٩٥٨ في مقابلة مع الصحفيين ((انه إذا امتنعت الجمهورية العربية المتحدة عن التدخل في الشؤون الداخلية في الأردن والعراق فان

التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد الهاشمي يمكن حدوثه)). ولكن التقارب بين البلدين لم يحدث وظل التوتر قائما بينهما إلى قيام الثورة العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨[٨٦].

انعكست الأحداث السياسية في المنطقة العربية بصورة مباشرة على العلاقات الثنائية بين الأردن وسوريا بعد منتصف عام ١٩٥٨ ولاسيما بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي في العراق وكان لها انعكاس سلبي على الأوضاع الداخلية في الأردن و التي عانت من تدهور كبير في أوضاعها الاقتصادية ولاسيّما بعد قيام العراق بقطع الإمدادات النفطية وغلق الحدود بين البلدين وأغلقت سوريا حدودها البرية والجوية مع الأردن ومنعت عبور صهاريج الوقود المتجهة من لبنان عبر سوريا وهذا أدى إلى جعل الأردن في عزلة سياسية وأزمة اقتصادية خانقة بسبب قلة الوقود اللازم لضخ الماء للسكان وقلة إنتاج توليد الكهرباء وساد التوتر في العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[٨٧] .

ولمواجهة ذلك الوضع وجه الأردن الدعوة للقوات البريطانية للتواجد في أراضيه، واستطاعت الحكومة الأردنية بحكم علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية أن تفك الحصار الاقتصادي من خلال نقل الطائرات الأمريكية الوقود من الخليج العربي ثم من لبنان وعن طريق الأجواء (الإسرائيلية) إلى الأردن[٨٨].

وشهدت العلاقات بين البلدين تطورا خطيرا كاد أن يدفع البلدين إلى عواقب وخيمة، إذ قرر الملك الحسين السفر إلى لوزان بسويسرا لغرض قضاء ثلاثة أسابيع إجازة مع والدته الملكة زين وابنته عالية وباقي أفراد عائلته وأيضاً لغرض الاحتفال بعيد ميلاده يوم ١٤ تشرين الثاني،وقد سبق موعد الرحلة الرسمية خطاب وداع ألقاه الملك الحسين لإعلام الشعب الأردني بحضور جميع ممثلي السلك الدبلوماسي[٨٩] .

غادر الملك الحسين مطار عمان الساعة ٨.٢٠ صباح يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٨ سالكاً طريقه عبر الأجواء السورية – اللبنانية إلى قبرص ومنها إلى أوربا. وحين دخول الطائرة إلى الأجواء السورية وبالتحديد فوق دمشق تلقت أمراً بالهبوط في مطار دمشق إلاَّ أن الطيار رفض الأمر وعاد بطائرته إلى مطار عمان بعد أن حاولت طائرات عسكرية اعتراض طريقها بمحاولة فاشلة[٩٠] .

طلب الملك الحسين من الجمهورية العربية المتحدة إيضاحاً حول الحادث، ولكنها لم تجب على طلب الحكومة الأردنية واكتفى الملك بأن عَد الموضوع أمراً شخصياً ولم يقم بعرضه على الأمم المتحدة[٩١] .

وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٥٩ أعلن رئيس الوزراء الأردني سمير الرفاعي في مقابلة مع السفير البريطاني في عمان أنه تم إعادة الاتصالات الجوية والبرية مع سوريا، وأنَّ الأردن من المستحيل عليه الاستمرار العيش بعزلة عن جيرانه العرب لذلك أعلن أنّ أية إعادة للعلاقات يجب أنْ تكون وفقاً للشروط الأردنية :

١. كان من الضروري أنْ تقوم الجمهورية العربية المتحدة أما بطرد اللاجئين الأردنيين أو اذا فشلت في ذلك، تبقيهم تحت السيطرة وتضمن أنـَّهم يتصرفون وفقاً لقواعد اللجوء السياسي، وقال سمير الرفاعي أن هؤلاء اللاجئين يجدون من الصعوبة العمل في سوريا وأنَّ بعضاً منهم، انتقلوا إلى بيروت وهم يديرون صحيفةً هناك ، وقد احتج الملك الحسين مؤخرا ً لدى السفير اللبناني بخصوص ذلك الموضوع .
٢. يجب على الجمهورية العربية المتحدة تقديم الاعتذار عن اعتراضها لطائرة الملك الحسين فوق الأراضي السورية في شهر تشرين الثاني الماضي، وانه حالما يتم تصفية هذه الأمور ممكن إقامة وإعادة العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة .
٣. وقف محاولات التدخل في الشؤون الداخلية الأردنية[٩٢] .

و في ٥ حزيران ١٩٥٩ أغلقت السلطات السورية حدودها مع الأردن مقدمة أربع ذرائع وهي:

١. أنَّ الأردنيين رفضوا السماح للسوريين الذين يمتلكون أراضيَ داخل الحدود الأردنية بحصاد مزروعاتهم.
٢. أنَّ الأردنيين عززوا قواتهم عند الحدود مما يثير قوات المقاومة الشعبية.
٣. قيام الأردنيين بخطف امرأة سورية.
٤. رَفْضَ الأردنيين طلب سوريا عقد اجتماع لمناقشة موضوع الحادث الحدودي الأخير في ٢٣ نيسان.

احتج الأردن على الطلبات السورية وبالمقابل أعلن السوريون أنَّ على الأردنيين أنْ يتوقعوا إجراءات أكبر[٩٣].

وصف رئيس الوزراء الأردني الذرائع الأربع بأنها غير صحيحة أما الملك الحسين فقد عَدّ إغلاق الطريق من دون سابق إنذار أنَّه ((تصعيد واضح وأنَّ الأردن ينبغي أن تعرف مع من عليها أنْ تتعامل. هل مع دولة أو ببساطة مع حاكم إقليم محلي أم مع من، لقد صبر الأردنيون على الكثير من المسائل من هذا النوع في الماضي، ولكنهم لن يستطيعوا الصبر على المزيد))،لذلك قامت الحكومة الأردنية بإبلاغ القائم بأعمال ممثل الأمم المتحدة وطلبت منه إبلاغ الأمين العام وتمَّ إبلاغ ممثل الأردن في الأمم المتحدة وطلبت الحكومة من السفير البريطاني والسيد ملز سفير الولايات المتحدة التشاور مع حكوماتهما بشأن هذه الأوضاع،وفي ٦ حزيران ١٩٥٩ قام وكيل وزير الخارجية الأردني بإبلاغ السيد شار mr.share القائم بأعمال ممثل الأمم المتحدة بأنَّ السلطات السورية قامت بقطع سكة الحديد بين سوريا والأردن، أمَّا الطريق البري فقد أكدّ السوريون أنَّ السلع الذاهبة إلى سوريا يمكن أن تنقل بسيارات الحمل السورية بعد إنزالها من السيارات الأردنية[٩٤] .

وفي ١١ حزيران ١٩٥٩ زار رئيس الحكومة الأردنية هزاع المجالي محافظة إربد وألقى فيها خطاباً عبر فيه عن وجهة نظر الحكومة جاء فيه: ((إنَّكم تعلمون جيداً أنَّ الحجج التي يتذرع بها السوريين غير صحيحة فنحن لم نمنع أي فلاح سوري من حصاد زرعه، ولم يكن الأردنيين من بدأ الحادث الذي وقع في نيسان الماضي، وقد رَحبنا بعقد اجتماع مع السوريين لحل هذه المسألة))، وقد طلب الجانب الأردني فتح الحدود قبل أي اجتماع يعقد بين الطرفين[٩٥] .

وصل عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية يوم ١٨ تموز ١٩٥٩ في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات من أجل فتح الحدود السورية الأردنية واستئناف العلاقات الدبلوماسية بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة قائمة ، وقد اتفق رئيس الوزراء الأردني وحسونة على وثيقة يؤمل أنَّها ستحقق إعادة فتح الحدود خلال بضعة أيام وإعادة العلاقات الدبلوماسية بعد شهر واحد من ذلك وهي الشروط نفسها التي صاغها سمير الرفاعي والتي أقرها المجالي وقد صادق الملك الحسين على ذلك بشكل عام[٩٦] .

لكن الأمور أخذت تسير نحو الأسوأ وخاصة بعد زيادة الحرب الإعلامية بين الأردن وسوريا،فقد شهد عام ١٩٦٠ زيادة عدد محاولات الاغتيال السياسي في الأردن، ففي يوم الاثنين ٢٩ آب ١٩٦٠ قتل رئيس الوزراء الأردني هزاع المجالي مع ١٢ شخصاً من المواطنين الأردنيين نتيجة انفجار قنبلة موقوتة وضعت في مكتب رئيس الوزراء، قامت الحكومة الأردنية بتوجيه الاتهام إلى الجمهورية العربية المتحدة بتدبير المؤامرات ضد الملك الحسين، وقامت بحشد بعض وحدات الجيش على الحدود السورية بينما شنت عمليات انتقامية بإلقاء عدد من المتفجرات في الأراضي السورية عن طريق الملحق العسكري الأردني في لبنان غازي الخطيب و الذي ابعد عن لبنان

بعد أنْ تم اكتشاف أعماله، وعلى الرغم من ذلك فقد باءت بالفشل كل المحاولات السورية والتي استهدفت الإطاحة بالنظام الأردني[٩٧].

وفي يوم ٢٨ أيلول ١٩٦٠ كانت إحدى الطائرات السورية تقوم بطلعات تدريبية بقيادة الطيار الملازم عدنان المدني في الأجواء الجنوبية من سوريا فضل الطيار اتجاه وقرر الهبوط اضطراريا في ارض صحراوية شرق الأردن بعد نفاذ وقود الطائرة ،وقد تم اقتياد الطيار السوري إلى جهاز المخابرات الأردني والذي كان يشرف عليه الشريف ناصر خال الملك حسين بن طلال وأثناء التحقيق معه ضغطوا عليه ليقول في الإذاعة الأردنية انه طلب اللجوء السياسي إلى الأردن ،ولكن الطيار رفض الطلب وهنا بدأو بتعذيبه حتى فارق الحياة بعد عدة أيام من إلقاء القبض عليه وأعلنت الحكومة الأردنية أن الطيار السوري قد مات منتحرا في سجنه[٩٨].

لقد عكست هذه الأوضاع التي كانت تعيشها سوريا إلى دفع الملك الحسين للقيام بمحاولات انقلابية ضد الوحدة و القيام بالاتصال مع الانفصاليين السوريين[٩٩].

تولى الملك الحسين مهمة الاتصال بالعناصر المناوئة للوحدة للاستفادة منها في تنفيذ حركة انقلابية ضد الجمهورية العربية المتحدة ومن بين تلك العناصر التي استطاع الملك أنْ يكسبها إلى جانبه المقدم حيدر الكزبري الذي يرأس قوات حرس البادية والتي تتخذ من الحدود السورية – الأردنية مقراً لها، وفي نهاية تموز ١٩٦١ وفي أثناء اجتماع دار بين الملك الحسين والكزبري عرض الأخير على الملك الحسين خطة ًعسكرية ً للقيام بعملية انقلابية ضد الوحدة وكانت الخطة تستند على القيام باغتيال الرئيس عبد الناصر في أثناء زيارته إلى دمشق لحضور مهرجان أسبوع الجامعات في سوريا، وقد أبدى الملك الحسين حماساً كبيراً لهذه العملية وأعلن عن استعداده لتقديم كل الدعم المالي و السياسي في سبيل إنجاح الخطة، لذلك بدأ الملك الحسين لأخذ مواقع الهجوم من أجل إعطاء الدعم وتعزيز موقف الانقلابين فقام

الأردن بحشد قواته العسكرية على طول الحدود السورية للتدخل العسكري المباشر إنْ لزم الأمر، يضاف إلى ذلك أن الملك الحسين قام بتغيير الإذاعة الأردنية لصالح الانقلابين لإنجاح عملية الانقلاب، وفي الأول من آب ١٩٦١ سافر الملك الحسين إلى الرياض حاملاً معه خطة الانقلاب إلى الملك سعود الذي أبدى هو الآخر دعمه لتفاصيل الخطة الانقلابية وتعهد بدفع ١٢ مليون جنيه لتشجيع الانقلابين على القيام بالخطة[١٠٠] .

وفي ٢٨ أيلول ١٩٦١ أقيم مهرجان أسبوع الجامعات في سوريا، ولكن الرئيس عبد الناصر اعتذر عن الحضور وأوفد بدلاً عنه عبد الحكيم عامر المسؤول عن الجزء الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة (سوريا) ، ومع ذلك قرر الانقلابيون تنفيذ عمليتهم حيث تحركت قوات حرس البادية و انقسمت إلى قسمين، القسم الأول سيطر على مبنى الإذاعة السورية، و القسم الثاني حاصر عبد الحكيم عامر في مقر قيادته وبسبب ذلك اضطر عبد الحكيم عامر إلى الموافقة على الشروط التي تقدم بها الانقلابيون و التي نصت على إلغاء بعض القوانين الاشتراكية التي اتخذتها دولة الوحدة (مصر)، وكذلك إعادة الضباط السوريين الموجودين في القاهرة إلى سوريا وترحيل الضباط المصريين الموجودين في سوريا، وترحيل المشير عبد الحكيم عامر ووزراء الوحدة من الضباط السابقين في الجيش السوري سابقا إلى القاهرة وهم :أكرم الديري،أحمد حنيدي،طعمة العودة الله ،جادو عز الدين ، وذلك بعد أن باءت كل المحاولات التي قام بها هؤلاء لثني الانفصاليين عن الاستمرار في جريمتهم والعودة إلى ثكناتهم بعد تصحيح الأخطاء التي كانوا قد ذكروها لتبرير حركتهم الانفصالية[١٠١].

كان الرئيس عبد الناصر يفكر في إرسال قوات عسكرية إلى سوريا لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه لكنه رأى أنّ إرسال قوات عسكرية إلى سوريا سوف

يؤدي إلى حدوث قتال بين القوات السورية و المصرية، لذلك أصدر الرئيس عبد الناصر أوامره إلى عبد الحكيم عامر بقبول شروط الانقلابيين السوريين و العودة فوراً إلى القاهرة وبذلك نجح الانقلابيون في خطتهم و الإعلان في ٢٨ أيلول ١٩٦١ الانفصال عن مصر وتشكيل حكومة سورية برئاسة مأمون الكزبري[١٠٢].

وفي ٣٠ أيلول ١٩٦١ أعلن الملك الحسين اعترافه الكامل بالحكومة السورية الجديدة، فضلا عن ذلك فإن الملك أعلن في كلمة له أذاعها راديو عمان بأن الأردن يؤيد الانفصال تأييدا ً لا حدود له، وبعد أن اعترف الملك الحسين بالوضع الجديد في سوريا عقد اجتماعاً مع السفير الأمريكي في عمان، وفي ذلك الاجتماع أبلغ الملك الحسين السفير الأمريكي بعزمه على التدخل في سوريا لمواجهة أية محاولة قد يقوم بها الرئيس عبد الناصر لإعادة الأوضاع في سوريا إلى سابق عهدها وكذلك لمساعدة الانفصاليين على إعادة بسط الأمن الداخلي في سوريا بعد قيام الانفصال، لكن الحكومة السورية الجديدة ما أن علمت بنوايا الملك الحسين حتى قامت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن وكما قامت بغلق الحدود بين سوريا وبين الأردن[١٠٣].

وفي بداية عام ١٩٦١ حاول الملك الحسين وكمبادرة منه لإعادة العلاقات والتقارب مع الجمهورية العربية المتحدة بدأ المراسلات مع الرئيس جمال عبد الناصر عن طريق إرسال الملك الحسين رسالة ً شخصية ً لتحسين العلاقات ووضع حد للدعاية المعادية التي كانت تشنها ضده إذاعتا القاهرة ودمشق وأنه يرجو الاجتماع معه لإجراء محادثات واضحة وجريئة حول القضايا المتعلقة بين البلدين و التي أسهمت في الخلاف بينهما[١٠٤] ، وأكدَّ الملك الحسين على التضامن العربي الذي تبقى فيه الدول العربية حرةً ومستقلةً و العمل سوية مع بعضها البعض، وفي نهاية شباط ١٩٦٢ أجاب الرئيس جمال عبد الناصر على رسالة الملك الحسين بالدعوة إلى الوحدة العربية وتأييد بعض وجهات نظر الملك الحسين وقد أدت تلك المراسلات إلى

خروج تظاهرات في شوارع عمان رافعين صور الملك الحسين وعبد الناصر في محاولة لتأييد موقف البلدين تجاه القضايا العربية[١٠٥].

عادت العلاقات الدبلوماسية الأردنية – السورية في المجالين السياسي و الاقتصادي بعد قرار الحكومة السورية في ١٣ تشرين الأول ١٩٦١ بفتح الحدود بين البلدين، وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٦٢ أوفد الملك الحسين وفداً رسمياً رفيع المستوى إلى دمشق لتقديم التهاني إلى ناظم القدسي بمناسبة اختياره رئيساً للجمهورية في سوريا، وبهذا بدأت العلاقات الثنائية بين البلدين مستوى جديداً في تطوير وتعميق العلاقات[١٠٦] .

أصبحت العلاقة الثنائية بين الأردن وسوريا بعد الانفصال وخلال استقرار الوضع السياسي السوري بمستوى جيد وتم الاتفاق بين البلدين على الوقوف في وجه المحاولات المصرية والداعية إلى قلب نظام الحكم في البلدين، ففي البداية التزمت السياسة الخارجية الأردنية دعم السياسة السورية ضد الجانب المصري على مستوى جامعة الدول العربية ، وشكل انعقاد مؤتمر شتورة في لبنان في ٢٢ اب١٩٦٢ بناء على الشكوى المقدمة من سوريا ضد مصر متهمة إياها بالتدخل في شؤونها الداخلية والتحريض على أعمال التخريب وتنظيم حملة دعائية بقصد إثارة الفتنة انسجام الوفد الأردني والذي مثله سعد جمعة سفير الأردن في دمشق مع المطالب السورية ولاسيما في خطاب السفير الأردني والذي وضح فيه بالتفصيل وسائل التدخل المصري في الأردن وسوريا[١٠٧].

ولم يتمكن مجلس الجامعة في مؤتمر شتورة من اتخاذ قرار ضد مصر بسبب إعلان جمال عبد الناصر انسحاب مصر من الجامعة العربية يوم٢٨ آب واكتفى القرار الذي صدر يوم ٣٠اب ١٩٦٢باجماع الآراء بما يأتي:-

١.عملا بأعمال ميثاق الجامعة لا يستطيع المجلس النظر في الشكوى المقدمة من سوريا بسبب تغيب وفد مصر .

٢.تظل هذه الدورة الاستثنائية مفتوحة على أن يعقد الاجتماع في اقرب وقت ممكن .

٣.تبذل الدول الأعضاء المساعي اللازمة لدعم كيان الجامعة واحترام ميثاقها ولم شملها كفالة لاستمرار نهوضها برسالتها(١٠٨).

وقد عدت سوريا ذلك نصرا لها لأنها استطاعت أن تخلق من خلال مؤتمر شتورة جوا عاما مفعما بالعداء للنظام الديكتاتوري وللناصرية وانعكس ذلك ايجابيا على الصعيد الداخلي إذ تضامنت جميع القوى السياسية السورية في معركة لدعم الديمقراطية بمواجهة النزعة السلطوية العسكرية(١٠٩).

وأيضا ظهر التطابق في المواقف بين الأردن وسوريا إزاء ثورة اليمن بتاريخ٢٧ ايلول١٩٦٢ عندما طالبت الدولتان الدول العربية الأخرى وبالتحديد مصر بالالتزام بعدم التدخل في شؤون اليمن الداخلية(١١٠).

تعرض الأردن بعد مؤتمر شتورة إلى محاولات تخريب في استهدفت المنشات الاقتصادية والحيوية،وكبار الشخصيات السياسية والعسكرية وكان وراء تلك المحاولات مجموعات من السباب الفلسطينيين والأردنيين والذين كانوا متعاطفين مع موقف مصر ، فقد قام هؤلاء أيضا بمحاولات تخريبية في سوريا أيضا في محاولة لقطع العلاقات بين دمشق وعمان، وبالفعل بدأت حملة صحفية سورية ضد الأردن وملكها واتهامه بالضلوع وراء تلك المحاولات التخريبية في دمشق(١١١).

وأدت هذه الاضطرابات في العلاقات السياسية بين الأردن وسوريا إلى ظهور حالة عدم الاستقرار الداخلي في البلدين ،وساهمت سلبا في تدهور العلاقات بين البلدين وأثرت على التعاون الأمني بين البلدين مما خلق حالة جيدة لمحاولات التدخل المصري في الأردن وسوريا واستمرت هذه الحالة إلى إعلان ثورة عام ١٩٦٣ في سوريا(١١٢).

العلاقات السياسية والعسكرية السورية ـ الأردنية

١٩٦٣ -١٩٧٦

شهدت الأوضاع في سوريا حدوث متغيرات سياسية داخلية إضافة إلى المتغيرات المستمرة في المنطقة العربية فبعد الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم بعد قيام ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق ، وثورة ٨ آذار ١٩٦٣ في سوريا والتي سيطر بها العسكريون البعثيون على الحكم في سوري وبالتعاون مع العناصر المؤيدة لجمال عبد الناصر ، دخلت الدول الثلاثة سوريا ومصر والعراق في مفاوضات للوحدة بينهما وأسفرت عن قيام الوحدة الثلاثية وإصدار ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣(١١٣) .

انعكس ذلك التطور السياسي على الأوضاع الداخلية في الأردن فسارت مظاهرات شعبية في مدن الأردن والضفة الغربية تطالب بالوحدة وأسفرت المظاهرات عن عدد من الإصابات مابين قتيل وجريح بعد مصادمات دامية مع الجيش وأدت إلى إسقاط حكومة وصفي التل وتشكيل حكومة جديدة برئاسة سمير الرفاعي ٢٧ آذار ١٩٦٣(١١٤) .

دفعت تلك الأوضاع بالملك الحسين إلى عقد جلسة طارئة لمجلس الوزراء لبحث الموقف ،وإعلان حالة التأهب في الجيش العربي الأردني لإيقاف المظاهرات و إلى تعيين الشرف حسين بن ناصر رئيساً للوزراء يوم٢١نيسان١٩٦٣ بعد استقالة حكومة سمير الرفاعي في اليوم نفسه(١١٥)، و لتفادي تفاقم الأوضاع حذر الملك الحسين في خطاب له يوم٢٢ نيسان١٩٦٣ من كل ما يمزق الشمل تحت شعار الدعوة إلى الوحدة واعتبر أن الحوادث الأخيرة داخل الأردن يقف وراءها أعداء الأردن في سوريا ومصر والعراق حسب ما يقول: ((لقد قدمنا التهنئة إلى الاتحاد المصري – السوري – العراقي وإلى الاستعداد التام للتعاون معه ومددنا يدنا إليهم لاعن خوف ولا عن ضعف أو استجداء وعليهم ان يذكروا واجباتهم نحو الأردن لنمضي معا لبلوغ

الخير المشترك لنا أجمعين وعليهم كذلك ألا يمكنوا لضعاف النفوس بينهم في الصفوف)) [١١٦].

وفي يوم ١٨ تموز ١٩٦٣ شهدت سوريا أحداث سياسية وعسكرية داخلية وصراع على السلطة أسفرت عن تقديم الرئيس السوري لؤي الاتاسي استقالته في٢٧ تموز ١٩٦٣ وتولي الفريق أمين الحافظ رئاسة الجمهورية العربية السورية وبالتالي إعلان سوريا انسحابها من الوحدة الثلاثية بعد حرب باردة مع مصر [١١٧].

وكانت الدول العربية قد وقفت مابين متعاطف مع مصر مثل لبنان وما بين مسرور بانتهاء اتفاق الوحدة الثلاثية مثل السعودية والأردن والتي أعلن على أثرها الملك الحسين بن طلال دعا إلى الوحدة الحقيقية وليس إلى وحدة الأنظمة ففي ٢٢ تموز ١٩٦٣ دعا الملك الحسين أثناء خطاب له في وفود ستون قرية من لواء نابلس في عمان إلى التقاء الدول العربية وبالتحديد سوريا ، وطالب الملك الحسين في خطاب ألقاه في مجلس الأمة الأردني يوم الأول من آب ١٩٦٣ طالب الدول العربية أن يلتفوا جميعا حول فلسطين وان يكون في ذلك التقاء مع بلدنا العزيز الذي سيظل عدتهم وطليعة صفوفهم لاسترداد الحق السليب في الوطن السليب[١١٨].

وعلى الرغم من الظروف السياسية الداخلية الصعبة لسوريا إلا أن الرئيس السوري أمين الحافظ ساهم في دفع العلاقات السورية مع الأردن إلى مستوى جيد مستغلا موقف الأردن الأخير والذي جسده خطاب الملك الحسين في مجلس الأمة الأردني ،وكان ينشد زيارة الأردن ،ولاسيما الاطلاع على الظروف العسكري في الضفة الغربية ، ووصلت العلاقات بين البلدين حتى بداية عام ١٩٦٦ إلى أفضل مستوى وصلت إليه منذ الاستقلال[١١٩].

ولكن ربيع العلاقات الأردنية . السورية لم يدم طويلا فقد قامت حركة انقلابية عسكرية في٢٣ شباط ١٩٦٦ وأطاحت بالرئيس أمين الحافظ وأسندت رئاسة

الجمهورية العربية السورية إلى نور الدين الاتاسي ،وقد بدأت السياسة الخارجية السورية تكيل بمكيالين في التعامل مع الدول العربية اذ قسمت المنطقة العربية إلى معسكرين : الأول المعسكر التقدمي وضم سوريا ومصر والجزائر والمعسكر الرجعي وضم الأردن والسعودية والأقطار العربية الأخرى[١٢٠].

ولذلك بدأت السياسة الأردنية تشعر بالخوف والريبة من سوريا نتيجة سياستها الخارجية والتي تهدف إلى إيجاد أزمات مفتعلة خارجية مع الدول العربية لإبعاد أنظار الشعب السوري عما يجري من صراعات داخلية على السلطة، لذلك كان الملك الحسين يعمل على دعم حركات التآمر على سوريا فأحتضن في عام ١٩٦٦ مجموعة سليم حاطوم واشرف الجيش على تدريب رجاله وتهيأتهم في معسكر خاص في المفرق بنية القيام بعمل مسلح لقلب النظام السوري بمساعدة عناصر داخلية،وقد وقعت الحركة الانقلابية بقيادة الرائد سليم حاطوم في ٨ أيلول ١٩٦٦ والتي باءت بالفشل والتي اضطر على أثرها طلب اللجوء إلى الأردن وقد أعطاه الملك الحسين حق اللجوء السياسي ، باعتبار أن الأردن أصبح منذ مجيء حزب البعث إلى السلطة عام١٩٦٣ ملجأ للهاربين السوريين المعارضين للنظام[١٢١].

بدا الأردن والسعودية يعملان معا ضد سوريا خاصة لأنهما شعرا أن أيام البعث باتت معدودة نتيجة وخاصة بعد اللجوء السياسي للمعارضين السياسيين السورين إليهما ، حيث بدأوا يحركون العداء ضد السياسيين السوريين في دمشق ، وأصبح الأردن مركزا للتآمر ضد سوريا حيث انشأ الأردن محطة إذاعة سرية على أراضيه تدعو السوريين للثورة على حكامهم ،ومن الأردن بدأ سليم الدين حاطوم بجمع الأموال والأصدقاء لمؤامرته ضد سوريا،وذكر مرافقه العقيد طلال أبو عسلي في الصحافة المصرية إن السعودية قد تآمرت معه ضد الحكومة السورية[١٢٢].

وعلى اثر ذلك أغلقت سوريا حدودها مع الأردن وصعدت حربها الإعلامية ضد الأردن والمملكة العربية السعودية وعلى مستوى الإذاعات والجرائد بشكل كبير وساد التوتر في العلاقات إلى حد خطير بقيام المخابرات السورية بعملية تفجير سيارة مفخخة في مركز الرمثا الحدودي الأردني بتاريخ ٢١ ايار ١٩٦٧ فقتلت واحد وعشرين أردنيا وبعد يومين أغلق الأردن السفارة السورية وطرد السفير السوري من عمان[١٢٣].

وبعد هزيمة العرب بحرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال (إسرائيل) شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان، وافق الأردن على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ووقفت منه السياسة السورية موقف المعارض واتهمت القيادة السورية الأردن بالعمالة والرجعية ،وبدأت السياسة السورية التدخل في شؤون الأردن الداخلية مستغلة ولادة حركة التحرر الفلسطيني ونشاطها المسلح ضد (إسرائيل) عبر الأراضي الأردنية[١٢٤].

ولذلك دفع النشاط الفلسطيني الملك الحسين إلى زيارة للقاهرة في ٦ نيسان ١٩٦٨ للتشاور مع الرئيس جمال عبد الناصر ، إضافة كان الموقف السوري المتشدد نحو الأردن ورفض الحكومة السورية التعامل مع الأردن وإجراء التنسيق بينهما شكل هاجس قلق بالنسبة للأردن، لذا طرح الملك الموقف السوري شاكيا أن الرئيس السوري نور الدين الاتاسي رفض أي تنسيق عسكري مع الأردن برغم معرفة سوريا بالنقص الشديد في القدرة الدفاعية للأردن وأشار الملك الحسين أن العالم العربي إذا بقي على ما هو عليه الآن فسوف تظل المبادرة دائما في أيدي العدو ،وأن هناك الآن في (إسرائيل) اتجاه يصر على الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة بل وهناك من يدعو لاحتلال أراضينا بالكامل أي الأردن [١٢٥].

وقد وافق الرئيس عبد الناصر على ذلك،قائلا:((إنه قد أبلغ الاتاسي بأن الاقتراح السوري بإقامة قيادة مشتركة يجب أن يكون مع الأردن والعراق وليس مع

مصر ، لأن للجيش العراقي إمكانات قتالية كبيرة لابد من الاستفادة بها في تعزيز قيام جبهة شرقية)) [١٢٦].

ومن اجل إزالة الخلاف بين الدول العربية ولاسيما دول المواجهة (لإسرائيل) منها، قام الرئيس جمال عبد الناصر بمبادرة سياسية تدعو إلى جبهة شرقية تضم سوريا والأردن ومصر والعراق والسعودية ، حيث قام بإرسال محمود رياض وزير الخارجية المصري إلى هذه الدول للتشاور واطلاعها على المشروع ،وقد زار محمود رياض وزير الخارجية المصري الجمهورية العربية السورية حيث استمع إلى وجهة النظر السورية في رفضها للمبادرة جمال عبد الناصر وكانت القيادة السورية تجد من الصعوبة إقامة حلف بين دول يسيطر التأزم على العلاقات بينهما، وعلى الرغم من موقف سوريا الرافض لتشكيل جبهة شرقية إلا أنها أعلنت عن إمكانية تغيير موقفها من الرفض إلى القبول بالمبادرة في حال تحسن العلاقات بين الدول العربية المعنية بالمبادرة[١٢٧].

انعقد مؤتمر القمة العربي الخامس في الرباط في ٢٣ كانون الأول ١٩٦٩ وشاركت فيه أربعة عشر دولة ناقشوا في وضع إستراتيجية عربية موحدة لمواجهة (إسرائيل) ، وتوفير الدعم المالي الضروري لدول المواجهة سواء بالسلاح أو بالمال،وعقد المصالحة بين الدول العربية وقد عجز المؤتمرون عن التوفيق بين المقترحات العديدة التي قدمت له،وهذا دفع الرئيس جمال عبد الناصر إلى الانسحاب من المؤتمر ، فانتهى المؤتمر دون أن تصدر أية قرارات أو أن يصدر عنه بيان ختامي عدا موافقة الدول العربية على منح منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر حق التصويت في مؤتمراته [١٢٨].

وعلى اثر حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية والأردنية،وفي ٤ كانون الأول ١٩٦٩ قدم وزير الخارجية الأمريكي روجرز خطته من أجل السلام مع

إسرائيل، والتي تشمل انسحاب إسرائيل من المناطق التي احتلتها مع ضمان أمن حدودها ،ووقف القتال لفترة محدودة قبلت مصر مشروع روجرز في ٢٣ تموز ١٩٧٠ ،وشكل قبول عبد الناصر لوقف إطلاق النار نموذجا يحتذى به على الجبهة الأردنية لاسيما أنها كانت تعاني من كثرة الاعتداءات(الإسرائيلية) عليها،وفي تموز ١٩٧٠ أيضا وافق الأردن على قبول المشروع الأمر الذي استوجب وقف العمليات المسلحة من خلال الأراضي الأردنية، وكذلك قبلها ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وحاربت السياسة السورية مشروع روجرز وقبوله وساهمت في تصعيد التوتر الشعبي الداخلي في الأردن وساندت سياسة المنظمات الفدائية الفلسطينية داخل الساحة الأردنية بنفس الوقت الذي حرمت عليها الشروع في تنفيذ عمليات عسكرية من خلال الجبهة السورية رغم استمرارية حالة الحرب بين سوريا و(إسرائيل)(١٢٩).

وكانت سوريا تحتفظ بالآلاف من الفدائيين الفلسطينيين إيمانا بقضيتهم وبفعالية جدوى حربهم ومناوشاتهم بالإضافة إلى أن سوريا كانت تدعم نشاط الفدائيين الفلسطينيين لإقامة توازن أمام الجمهورية العربية المتحدة والتي كانت تدعم وترعى منظمة التحرير الفلسطينية التي يرأسها احمد الشقيري ،وجاء دعم سوريا للفدائيين لاستخدامهم ورقة ضغط على الحكومة الأردنية، وتحريضهم على إسقاط نظام الملك الحسين على أساس أنه الخطوة الأولى لتحرير فلسطين بحسب ادعاءات النظام السوري، وتشجيعهم على عمليات خطف الطائرات المدنية،هذا إلى جانب أن سوريا بدأت ترى في الفدائيين أدوات مفيدة في صراعهما غير المتكافئ والمليء بالإحباط وخيبة الأمل مع (إسرائيل) على المناطق المجردة من السلاح ،وأصدرت سوريا أمرا بعدم حمل الفدائيين الفلسطينيين أسلحتهم علنا،ولا إقامة معسكرات التدريب وساحات الرمي إلا في مناطق محدودة، ولا يستطيعون الفدائيون الفلسطينيين الإغارة على

المناطق المحتلة انطلاقا من سوريا من دون موافقة وزارة الدفاع السورية ،وكانت هذه القرارات السورية قد نجحت في تقييد حركة الفدائيين وحفظت سوريا من صعود تيار فدائي فلسطيني(١٣٠).

وفي الأردن بدأ الفدائيون باستخدام الأردن كقاعدة لنشاطاتهم، وبدأوا يقومون بعملهم دولة داخل دولة واستطاعت الجماعات أن تحول عمان إلى عاصمة فعلية لهم وضربوا بقوانين الأردن عرض الحائط كما تحدوا السلطة الأردنية وكان الفدائيون يسيطرون سيطرة تامة على مخيمات اللاجئين وقاموا بإظهار أسلحتهم بصورة مكشوفة كما انهمكوا في إقامة حواجز عسكرية على الطرق وفي عمليات التفتيش وإلقاء القبض على الآخرين،وقيل أن الفدائيين الفلسطينيين قد ألقوا القبض على ضباط أردنيين وجعلوهم يمشون حفاة، وكانوا الفدائيين الفلسطينيين أحيانا يتجاهلون التعليمات والأنظمة التي تصدرها الحكومة الأردنية،وجعلت الحكومة الأردنية تشعر بالإهانة من تصرفات الفدائيين التي لا تستطيع السيطرة عليهم ولا أن تضبط حركتهم في البلاد(١٣١).

ونتيجة حالة التوتر بين الأردن والفدائيين المستمرة ورغم اتفاقات التهدئة بين الطرفين ،تدهورت العلاقة بين الطرفين ولاسيما بعد اختطاف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش أربع طائرات مدنية يوم السادس والتاسع من ايلول١٩٧٠واحتجزت مئات الرهائن وكان من بينهم أميركيون و(إسرائيليون)،فشكل الملك الحسين حكومة عسكرية في ١٥ أيلول ١٩٧٠، وقامت في اليوم التالي القوات المسلحة الأردنية بتحطيم التحدي المتزايد الذي مثله الفدائيون في للسيطرة على الأردن وبدأت بمجابهة عسكرية(١٣٢).

بدأ الفدائيون الفلسطينيون طلب المساعدة من سوريا ،فقررت سوريا إرسال السلاح لهم وتضمن بنادق وذخيرة من وزارة الدفاع السورية في بداية الحرب ،ومع

استمرار الجيش الأردني بالعمليات العسكرية بقصف الفدائيين بدأت العناصر الفدائية بإرسال نداءات الاستغاثة من سوريا فاستجابت الحكومة السورية وقررت إرسال المزيد من الأسلحة وأيضا إرسال بعض المتطوعين للقتال ضد الجيش الأردني[١٣٣].

وقررت الحكومة السورية فرض حصار اقتصادي على الأردن وأغلقت الأجواء السورية أمام حركة الملاحة الجوية الأردنية وأغلقت الحدود ،وفي ١٨ ايلول ١٩٧٠ دفعت سوريا بقوات عسكرية إلى الأراضي الأردنية وعبرت الدروع السورية الحدود لدعم الفدائيين وفي ١٩ أيلول سيطرة القوات السورية على مدينة اربد في شمال الأردن ، وكان هدف الحكومة السورية من تدخل قواتها حماية المقاومة الفلسطينية وليس الإطاحة بحكم الملك الحسين بن طلال ملك الأردن ،وبالتالي كان الجيش السوري يبغي إقامة منطقة عازلة ومأمونة في شمال الأردن يستطيع منها الفدائيون التفاوض مع الملك الحسين ولكن الخطة السورية لم تنجح ، ففي ٢٢ أيلول ١٩٧٠ أمر الملك الحسين قوات اللواء أربعين المدرع والمعزز بالدعم الجوي بالاشتباك مع الدبابات السورية في اربد والتي أصيب منها عدد كبير مما اجبر وحدات القوات السورية على التراجع والانسحاب إلى داخل الأراضي السورية خوفا من تصعيد القتال العربي ـ العربي. [١٣٤].

والحقيقة أن التدخل السوري كان غير مدروس لأنه قد جلب لسوريا شتيمة الفدائيين الفلسطينيين والذين شعروا بأنهم تعرضوا للخيانة، وأسفرت عن خروج الفدائيين من الأردن في صيف ١٩٧١ وكما جلب لسوريا عداء الملك الحسين بن طلال الأمر الذي منع التعاون بين البلدين لعدة سنوات لاحقة[١٣٥].

كانت حصيلة التدخل السوري في الأردن والحرب التي شنها الملك الحسين على الفدائيين وتصرفات الفدائيين غير المسؤولة إلى إعطاء (إسرائيل) الفرصة لوضع الأردن تحت جناحها ولأن ترتفع مرتبة الأردن في نظر الولايات المتحدة الأمريكية

إلى مرتبة الشريك الإقليمي والذي لا غنى عنه في المنطقة وهكذا قامت كل من سوريا والأردن والفدائيين بتصرفات خاطئة كان من شأنها أن تعكر العلاقات فيما بينهم فخدم ذلك مصلحة (إسرائيل) وأعداء الأمة العربية[١٣٦].

أدى نجاح السياسة الأردنية في كسب المعركة السياسية ضد سوريا إلى قيام الفريق حافظ الأسد بانقلاب عسكري بتاريخ٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ على رئيس الجمهورية نور الدين الاتاسي وأعوانه اللواء صلاح جديد ويوسف زعين وأودى بهم إلى السجن فاتحا الباب أمام أمل أردني في تحسين العلاقات بين البلدين ،فطلبت الحكومة الأردنية رفع الحصار الاقتصادي وفتح الحدود والأجواء السورية واستجاب الرئيس حافظ الأسد بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني١٩٧٢ معلنا فك الحصار الاقتصادي وبدأت تقدم تسهيلات لشحن الفوسفات الأردني وحركة النقل البري من خلال سوريا[١٣٧].

واستمر التقارب الأردني ـ السوري في التطور وتبلور التطابق في مواقف البلدين مما شكل أرضية خصبة لترسيخ العلاقات وعلى كافة الأصعدة حيث تكللت بتشكيل القيادة السياسية الموحدة للبلدين عام١٩٧٦، وأصبحت الزيارات الرسمية على رؤساء الدوائر والوزارات ورؤساء الحكومات وزعماء الدولتين حالة اعتيادية فيما إذا قورنت بالمراحل السابقة فمنذ عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٧٢ لم تحصل أي زيارة رسمية على مستوى زعماء الدولتين أو رؤساء الحكومات وخلال الفترة الزمنية الممتدة بين عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٦ زار الملك الحسين بن طلال دمشق ١٢ مرة بينما زار الرئيس حافظ الأسد عمان خمس مرات ، وعلى مستوى رؤساء الحكومات فقد تمت ١٢ زيارة من الجانب الأردني و٨ زيارات من الجانب السوري[١٣٨].

الخاتمة:

خلص البحث إلى أن مبدأ أيزنهاور جاء كنتيجة لطبيعة الأوضاع السياسية في المنطقة العربية بعد العدوان الثلاثي على مصر عام١٩٥٦ من جهة ، وما أفرزته نتائج الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من محاولات صراع في المنطقة العربية ومحاولاتهم جذب الدول العربية نحوهم من خلال مشاريع اقتصادية، لتحقيق الهيمنة والحفاظ على مصالحهم من جهة أخرى.

وكانت سوريا والأردن بلدان يحملان كل منهما طابع مميز يختلف عن الآخر في النظام السياسي والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،ولذلك اختلفت توجهاتهم نحو القضايا التي تطرحها الدول الغربية في المنطقة ، فطبيعة سوريا السياسية جعلتها ترفض مبدأ أيزنهاور على العكس من الأردن الذي قبل بالمساعدات الأمريكية إيمانا منه بالخطر الذي يمكن أن تشكله سوريا بسياستها التي تتجه نحو المعسكر الاشتراكي والذي يمثله الاتحاد السوفيتي.

وقد فرض ذلك على الدولتين تعزيز علاقاتهما مع الدول الغربية والاشتراكية كلا حسب مصالحه وتوجهاته ،هذا على الصعيد الخارجي.

وأما عربيا فبدأت ظهور حقائق سياسية وجغرافية تفرض على سوريا والأردن التوجه نحو مشاريع وحدوية مع الدول العربية ،وعلى هذا الأساس أعلنت سوريا وحدتها مع مصر وبالمقابل أعلن الأردن وحدته مع العراق ،وهذا كله كان نتيجة ما تشهده المنطقة العربية من تحديات سياسية واقتصادية وعسكرية نتيجة الصراع العربي (الإسرائيلي) .

وقد جاءت الحركات الانقلابية في سوريا والأردن لتشكل حجر الزاوية في بناء سياسة التوترات بين البلدين ومحاولة كل دولة تغيير النظام السياسي في الدولة الأخرى لدرء الخطر الذي تعتقده انه قادم بخطر إليها ،ولذلك كانت العلاقات السورية-

الأردنية تتحسن فترات وتتوتر فترات بسبب هذه الانقلابات، ومرت بفترة من الحرب الباردة بينهما.

وقد أدت التطورات السياسية التي شهدتها سوريا في مرحلة الستينات وتغيير الحكومات، نلاحظ وجود خلافات في التوجهات نحو الأردن تتعلق بطبيعة رؤساء الجمهورية والحكومات في سوريا من جانب ، و كانت الظروف في المنطقة العربية من جانب آخر.

وقد شكلت حرب حزيران ١٩٦٧ وظهور العمل الفدائي بصورة علنية على الساحة العربية ، ورقة فدائية استغلتها سوريا في تصعيد نزاعها مع الأردن وهذا أيضا كان بسبب طبيعة النظام السوري الحاكم في سوريا في تلك الفترة ،والذي دعم الفدائيين للقيام بعمليات في الأردن ضد (إسرائيل) ،وأخيرا يمكن القول أن العلاقات السورية – الأردنية بدأت تأخذ مسارها الطبيعي نتيجة تغييرات سياسية داخلية سورية لتأخذ مسارها الصحيح بين البلدين.

الهوامش:

(١) **الشرق الأوسط** : هو مصطلح يطلق على المنطقة الجغرافية التي تضم بلاد تركيا وإيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر والسودان وشبه جزيرة العرب وقبرص ، وبدأت هذه التسمية يرددها رجال السياسة والحرب أبان الحرب العالمية الثانية ،ثم تسرب الاصطلاح إلى المؤسسات والمنظمات العالمية في العالم.ينظر :ياسين صلاواتي ، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة ،بيروت،مؤسسة التاريخ العربي،ج٥،ط ١، ٢٠٠١،ص٢١٨٧؛ عوني عبد الرحمن السبعاوي ، العلاقات العراقية- التركية ١٩٣٢-١٩٥٨،الموصل مطبعة الجامعة، ١٩٨٥،ص١٩٠.

(٢) دوايت أيزنهاور ، مذكرات أيزنهاور ، ترجمة هيوبرت يو نغمان ، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ط١، ١٩٦٥،ص٨٧.

(٣) احمد نوري النعيمي ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٠،ص٢٤٧.

(٤) إبراهيم سعيد البيضاني، أبحاث في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية، بغداد، مركز الدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٣، ص١٩.

(٥) علي محافظة ، العلاقات الأردنية- البريطانية من تأسيس الإمارة حتى إلغاء المعاهدة ١٩٢١-١٩٥٧، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٣، ص٢٧١-٢٧٢.

(٦) علي الدين هلال، أمريكا والوحدة العربية ١٩٤٥-١٩٨٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٩، ص١٥٤؛باتريك سيل،الصراع على سورية-دراسة للسياسة العربية بعد الحرب١٩٤٥-١٩٥٨،ترجمة سمير عبدة،محمود فلاحة،دمشق،دار طلاس،ط١٩٩٦،٧،ص ٣٧٨.

(٧) **سليمان النابلسي** :سياسي أردني ولد في مدينة السلط في الأردن عام ١٩١٠ درس في الجامعة الأمريكية في بيروت ،بدأ حياته موظفا في المصرف الزراعي ،ثم أصبح وزيرا للمالية والاقتصاد عام١٩٤٧ وفي عام ١٩٥٣، ١٩٥٤ كان النابلسي سفيرا للأردن في لندن ،وهو احد مؤسسي الحزب الوطني الاشتراكي في عام ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٦ أصبح رئيسا للوزراء على اثر الانتخابات النيابية التي جرت في الأردن في تشرين الأول ١٩٥٦. ينظر: عبد الوهاب الكيالي ،الموسوعة السياسية،بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط١، ١٩٧٤،ص٣١٦.

(٨) نوال عبد الجبار سلطان الطائي ،العلاقات الأردنية- التركية ١٩٤٦-١٩٦٧ ،رسالة ماجستير(غير منشورة)،كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٨،ص٧١؛عباس مراد ،الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١- ١٩٧٣، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٣،ص١٨٧.

(٩) أسامة عبد الرحمن نعمان الدوري ، زيارة الملك الحسين بن طلال إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٩ صفحة جديدة من العلاقات الأردنية- الأمريكية، عمان، جامعة الحُسين بن طلال ، بحوث مؤتمر((دراسات فكر الحسين بن طلال وتراثه))، المجموعة الثانية، ٢٠٠٣،ص٦٣.

(١٠) ارسكين تشايلدز، الطريق إلى السويس، ترجمة خيري حماد، القاهرة، الدار القومية للطباعة و النشر، ١٩٦٢، ص٣٧٤.

(11).Raphel Patai, The Kingdom of Jordan, New jersey, Princeton university press, 1958,p.63

(١٢) تضمنت تلك الشؤون في إحدى عشرة نقطة تناولت موضوعات مختلفة منها انسحاب القوات (الإسرائيلية) من الأراضي المصرية وتعويض مصر جراء العدوان، وحل القضية الفلسطينية ومشكلة اللاجئين، وقضية البريمي و الخلاف

البريطاني – اليماني الخاص بالمحميات ، ينظر: ليلى ياسين حسين الأمير، نوري السعيد ودوره في حلف بغداد وأثره في العلاقات العراقية – العربية حتى عام ١٩٥٨، بغداد، مكتبة اليقظة العربية، ٢٠٠٢.، ص٢٤٧ .

(١٣) يوسف خوري ، المشاريع الوحدوية العربية ١٩١٣–١٩١٨(دراسة توثيقية)،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٠، ص٣٠٢–٣٠٥.

(١٤) محمد علي محمد التميم، العلاقات السعودية – المصرية ١٩٥٢–١٩٦٧، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص٩١.

(١٥) ليلى ياسين حسين الأمير، المصدر السابق ، ص٢٤٧–٢٤٨؛محمد علي محمد التميم، المصدر السابق، ص٩٥.

(١٦) علي الدين هلال،المصدر السابق،ص١٤١؛محمد علي تميم ،المصدر السابق،ص٩٦.

(١٧) المصدر نفسه،ص٩٥.

(١٨) وليد المعلم،سوريا١٩١٨ـ١٩٥٨(التحدي والمواجهة)،دمشق،مطبعة عكرمة،ط١، ١٩٨٥،ص٢١٢.

(١٩) خالدة بلال صالح، دور العراق والأردن في السياسة العربية ١٩٤١–١٩٥٨، رسالة ماجستير(غير منشورة)،كلية الآداب،جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص٣٧٨.

(٢٠) علي محافظة ، المصدر السابق ، ص٢٧٢–٢٧٣.

(٢١) فواز موفق ذنون جاسم ، العلاقات الأردنية– الأمريكية ١٩٥٣–١٩٦٧، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية–جامعة الموصل، ٢٠٠١،ص٦٨.

(٢٢) فريد مخلوف ، رحلاتي إلى البلاد العربية، بيروت، دار الروائع، ١٩٥٩،ص ١٩٨–٢٠١ ؛عوني عبد الرحمن السبعاوي ،المصدر السابق،ص١٩١؛ محمد علي محمد التميم، المصدر السابق، ص٩٦؛ وليد المعلم ،المصدر السابق،ص٢١١.

(٢٣) **شكري القوتلي** : ولد في دمشق في ٢١ تشرين الأول ١٨٩١ ،تولى وزارة المالية عام ١٩٣٢، انتخب في ١٧ آب ١٩٤٣ رئيسا للجمهورية العربية السورية وثار عليه حسني الزعيم فأضطر إلى الاستقالة في ٣٠ آذار ١٩٤٩ فاستقر في الإسكندرية ثم عاد إلى دمشق وانتخب رئيسا للجمهورية للمرة الثانية ليتولى الرئاسة في ٦ أيلول ١٩٥٥ حتى تنازله عن الرئاسة في ٢٢ شباط ١٩٥٨،توفي في بيروت بتاريخ ٣٠حزيران ، **ينظر:** يحيى سليمان قسام ، الموسوعة السورية الحديثة، بيروت، دار نوبليس للنشر والتوزيع ج ٤، ٢٠٠٥،ص١١٠.

(٢٤) وليد المعلم ،المصدر السابق ،ص١٩٩.

(٢٥) خالد العظم،مذكرات خالد العظم،بيروت،منشورات الدار المتحدة للنشر،ج٢، ١٩٦٧،ص٤٩١.

(٢٦) عبد المجيد عبد الحميد ، العلاقات الأردنية– السورية منذ استقلال البلدين عام ١٩٤٦ لغاية عام ١٩٧٦، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٣٧، ١٩٨٨،ص٢١٣.

(٢٧) تألفت الوحدات السورية من اللواء الثالث مشاة ،كتيبة الدبابات الرابضة في درعا بقيادة المقدم طعمه العودة الله ،فوج المدفعية بإمرة المقدم جوزيف بيرمان ،وفوج هندسة بإمرة المقدم ممدوح الحبال،ثم تبع ذلك دخول القوات العراقية للمشاركة بالدفاع عن الأردن حيث تمركزت في منطقة المفرق على مقربة من منطقة تمركز القوات السورية ينظر: مصطفى رام حمداني،شاهد على أحداث

سورية وعربية وأسرار ألانفصال ـ مذكرات مصطفى رام حمداني،دمشق، دار طلاس،ط٢، ٢٠٠١،ص١٦١.

(٢٨) عبد المجيد عبد الحميد ،المصدر السابق،ص٢١٣.

(٢٩) علي محافظة ، المصدر السابق ، ص٢٧٣ –٢٧٤.

(٣٠) خالدة بلال صالح، المصدر السابق، ص٣٧٩.

(٣١) وهم نذير رشيد وشفيق رشيدات وعبد الله الريماوي، وأيضا فرار عدد من أعضاء الأحزاب إلى سوريا دون ان يكونو مطلوبين من قبل سلطات الأمن مثل: قاسم الناصر، محمود الموسى، عصام الجندي، كمال الحياري، نذير رشيد، إحسان الحلواني، و غيرهم. بينما تم إعتقال البعض الآخر في معتقل الجفر، و منهم: شاهر أبو شحوت، احمد زعرور، محمود المعايطة، تركي الهنداوي، ضافي الجمعاني، شوكت السبول، عبدالله قاعد وجعفر الشامي، و غيرهم. تراوحت الأحكام بحق أفراد التنظيم بين الحكم المؤبد و الإعدام. لكن تجدر الإشارة إلى أن الملك الحسين أصدر عام ١٩٦٢ عفواً عاماً شمل أعضاء حركة الضباط الأردنيين. و عليه، فقد أفرج عن المعتقلين منهم، و عاد المنفيون إلى الأردن. و من المفارقات أن عدداً من أعضاء التنظيم عادوا إلى الخدمة العسكرية، و تدرجوا بالمناصب إلى أن وصلوا إلى مراكز حساسة، على سبيل المثال، فقد عين نذير رشيد مديراً للمخابرات العامة برتبة فريق، و قاسم الناصر مديراً للدفاع المدني برتبة لواء، بالإضافة للعديد من أعضاء التنظيم الذين شغلوا مناصب عليا و رتب عسكرية متقدمة، مثل مشهور حديثة الجازي الذي عين قائداً للقوات المسلحة الأردنية برتبة فريق، عبد الأمير محسن جبار، التطورات السياسية الداخلية في الأردن ١٩٤٦–١٩٥٨رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب– جامعة بغداد، ١٩٩١،ص٢٢٨.

(٣٢) الحسين بن طلال، مهنتي كملك (أحاديث ملكية)، نشرها بالفرنسية فريدون صاحب جم ترجمة غازي غزيل، طرابلس ، مؤسسة مصري للتوزيع ، ١٩٨٧ ،ص١٠٦ـ١٠٧.

(٣٣) منيب الماضي،سليمان موسى،تاريخ الأردن في القرن العشرين،عمان،ط١، ١٩٥٩،ص٦٨٣.

(٣٤) دوايت أيزنهاور، المصدر السابق، ص٩٣.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٩٣؛ Raphal Patai, OP.CIT, P.72

(٣٦) محمد علي محمد التميم، المصدر السابق، ص٩٨–٩٩.

(٣٧) سمير الرفاعي : سياسي أردني ولد في مدينة صفد الفلسطينية ١٩٠١ تلقى تعليمه العالي في الجامعة الأمريكية، بيروت، عمل موظفاً في حكومة فلسطين، ألف وزارته الأولى عام ١٩٤٤، وشغل عدة مناصب وزارية هي الخارجية والدفاع والداخلية، كما تولى رئاسة مجلس الأعيان لمدة سنتين، توفي في عمان يوم ١٢ تشرين الأول ١٩٦٥. ينظر: سليمان موسى، إمارة شرق الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن ١٩٢١ـ ١٩٤٦ ،عمان لجنة منشورات تاريخ الأردن، ط١، ١٩٨٤ ، ص٣٩٣.

(٣٨) باتريك سيل،المصدرالسابق،ص٣٧٨ـ٣٧٨؛ Raphel patai,op. cit., p68 – 69

(٣٩) منيب الماضي،سليمان موسى، المصدر السابق،ص٦٨٢.

(٤٠) المصدر نفسه،ص٦٨٢–٦٨٣.

(٤١) رولان دالاس، الحسين حياة على الحافة– تاريخ ملك ومملكة، ترجمة جولي صليبا، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص٨٢؛ عباس مراد، المصدر السابق، ص٩٧.

(٤٢) رولان دالاس، المصدر السابق، ص ٨٢–٨٣ .

(٤٣) غالب أبو جابر ،مجموعة المعاهدات والاتفاقيات الاردنية١٩٢٣-١٩٧٣،عمان منشورات وزارة الثقافة والإعلام،ج٢، ١٩٧٥،ص٧٧٩-٧٨٠.

(٤٤) أندرو راثميل،الحرب الخفية في الشرق الأوسط (الصراع السري على سوريا ١٩٤٩-١٩٦١)،ترجمة عبد الكريم محفوض،سلمية،دار سلمية للكتاب،ط١، ١٩٩٧،ص١٧٦.

(٤٥) اكرم الحوراني: ولد في مدينة حماة عام ١٩١٤،وانتسب إلى معهد الحقوق في دمشق ونال إجازته عام ١٩٣٦ ،التحق بثورة رشيد عالي الكيلاني عام١٩٤١ ثم عاد إلى سوريا واشترك في الثورة ضد الفرنسيين في مدينة حماة عام١٩٤٥ ثم التحق بجيش الإنقاذ الذي حارب في فلسطين عام ١٩٤٨،تم ترقيته إلى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة بعد قيام الوحدة المصرية-السورية١٩٥٨،توفي في الأردن عام ١٩٩٦.ينظر: مصطفى طلاس، تاريخ الجيش العربي السوري،دمشق،مركز الدراسات العسكرية،المجلد الثاني ١٩٤٩-١٩٧٠،ط١، ٢٠٠٢،ص٤٤٠.

(٤٦) أندرو راثميل، المصدر السابق، ص١٧٧؛ سامي جمعة،أوراق من ذاكرة الوطن،دمشق،١٩٩٨،ص٣١٢.

(٤٧) بيير بوداغوفا ،الصراع في سوريا لتدعيم الاستقلال الوطني ١٩٤٥ــ ١٩٦٦،ترجمة ماجد علاء الدين،أنيس المتني،دمشق،مطبعة الصباح،دار المعرفة،ط١، ١٩٨٧،ص١٢٣.

(٤٨) إبراهيم سعيد البيضاني: سوريا ١٩٥٤-١٩٥٨، بغداد، مركز الثقلين للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٤،ص١٧٠.

(٤٩) وليد المعلم ،المصدر السابق،ص٢١٥؛بشار الجعفري،السياسة الخارجية السورية ١٩٤٦- ١٩٨٢،دمشق،دار طلاس،ط١، ١٩٨٧،ص١٢٥؛ جوردون

هـ توري ، السياسة السورية والعسكريون١٩٤٥-١٩٥٨،ترجمة محمود فلاحة،بيروت،دار الجماهير ،ط٢، ١٩٦٩،ص٣٨٢.

(٥٠) اديب الشيشكلي: ولد في مدينة حماة ١٩٠٩ ودخل المدرسة الحربية بتاريخ٣ تشرين الاول١٩٢٩ وتخرج منها ،ولعب دورا في الانقلاب الأول الذي قاده حسني الزعيم وعين مديرا للشرطة والأمن العام في حلب ،تولى بعد ذلك منصب رئيس الأركان العامة بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٥١ ،قام الشيشكلي بانقلابه الثاني يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١ وأصبح رئيس الجمهورية في تموز ١٩٥١،غادر الشيشكلي سدة الحكم في ٢٥ شباط١٩٥٤ بعد ان قامت حركة ضده في حلب ،لجأ في بداية الأمر إلى السعودية ثم إلى فرنسا وعاش بضع سنوات ثم غادرها عام ١٩٦٠ إلى البرازيل وعاش هناك إلى ان تم اغتياله على يد المدعو نواف أبو غزالة من أبناء جبل العرب قي ٢٧ أيلول ١٩٦٤، وتم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه في حماة. ينظر: مصطفى طلاس ، المصدر السابق،ص٤٥٨- ٤٥٩.

(٥١) باتريك سيل،المصدر السابق،ص٣٨٣؛ وليد المعلم،المصدر السابق،ص٢١٦؛ جوردون هـ توري ، المصدر السابق،ص٣٨٢.

(٥٢) وليد المعلم،المصدر السابق،ص٢١٦؛ جوردون هـ توري ، المصدر السابق،ص٣٨٢؛ بيير بوداغوفا،المصدر السابق،ص١٢٥؛ محمد حسنين هيكل ، سنوات الغليان، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة و النشر، ج١، ١٩٨٨،ص٢٣٤-٢٣٦.

(٥٣) وليد المعلم،المصدر السابق،ص٢١٦.

(٥٤) جورج جبور ،سورية١٩١٨– ١٩٦٨ ،دمشق،مطبعة الألف باء – الأديب، دار الأبجدية ،ط١، ١٩٩٣،ص٨٧؛ باتريك سيل،المصدر السابق،ص٣٨٦؛ احمد نوري النعيمي،المصدر السابق،ص٣٨٥.

(٥٥) وليد المعلم،المصدر السابق،ص٢١٦.

(٥٦) عوني عبد الرحمن السبعاوي، المصدر السابق، ص١٩٧.

(٥٧) وليد المعلم،المصدر السابق،ص٢٢٠.

(٥٨) المصدر نفسه،ص٢٢٠.

(٥٩) دوايت أيزنهاور، المصدر السابق، ص٩٦–١٠٠؛ علي الدين هلال، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٦٠) احمد عبد الرحيم مصطفى،الولايات المتحدة والمشرق العربي، الكويت، ١٩٧٨،ص١٦٨.

(٦١) إبراهيم سعيد البيضاني، سوريا ١٩٥٤–١٩٥٨،ص١٧٣.

(٦٢) محمد جعفر الحيالي،العلاقات بين سوريا والعراق١٩٤٥–١٩٥٨،بيروت،مركز دلراسات الوحدة العربية،ط١، ٢٠٠١،ص٤٠٨–٤٠٩.

(٦٣) محمد جعفر الحيالي، المصدر السابق، ص٤٠٩؛ أندرو راثميل، المصدر السابق، ص١٨٧.

(٦٤) محمد جعفر الحيالي، المصدر السابق، ص٤٠٩؛ بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٢٧.

(٦٥) وليد المعلم،المصدر السابق ،ص٢٢٢.

(٦٦) المصدر نفسه،ص٢٢١.

(٦٧) المصدر نفسه،ص٢٢١–٢٢٢.

(٦٨) محمد جعفر الحيالي، المصدر السابق، ص٤٠٩.

(٦٩) وليد المعلم،المصدر السابق،ص٢٢٢.

(٧٠) علي الدين هلال، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٧١) دوايت أيزنهاور، المصدر السابق، ص٩٣؛ احمدعبدالرحيم مصطفى،المصدر السابق،ص١٧٠.

(٧٢) إبراهيم سعيد البيضاني، سوريا ١٩٥٤–١٩٥٨،ص١٧٧.

(٧٣) صلاح الدين عبد القادر محمد فائز، عشرون عاماً من حربنا مع إسرائيل ١٩٤٨– ١٩٦٧، بغداد، مطبعة الشعب، د.ت،ص١٨١؛جان وولف ،يقظة العالم العربي،بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر،ط١، ١٩٦٠،ص١٦١؛ بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٢٨– ١٢٩.

(٧٤) احمد نوري النعيمي،المصدر السابق،ص٢٥٤–٢٥٧.

(٧٥) عوني عبد الرحمن السبعاوي، العلاقات العراقية – التركية، ص١٩٧؛ صلاح الدين عبد القادر محمد فائز، المصدر السابق، ص١٨١.

(٧٦) جوردون هـ توري، المصدر السابق،ص٣٨٦؛ احمد نوري النعيمي،المصدر السابق،ص٣٨٩؛ إبراهيم سعيد البيضاني، سوريا ١٩٥٤–١٩٥٨،ص١٨٠.

(٧٧) محمد حسنين هيكل،المصدر السابق،ص٢٨١.

(٧٨) بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٧٩) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، ص٢٨١، جرى استفتاء على الوحدة وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة لمدة سبع سنوات واشترك في التصويت (٩١.٧٥%) من الناخبين من سوريا و (٩٦.٥%) من مصر وصوت لصالح الوحدة وانتخاب عبد الناصر (٩٩.٩٨%) في سوريا و(٩٩.٩٩%) من مصر ينظر : خالدة بلال صالح، المصدر السابق، ص٢٠٦؛ بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٨٠) صلاح الدين عبد القادر محمد فائز، المصدر السابق، ص١٨١.

(٨١) الحسين بن طلال، مهنتي كملك، ص١٣٣-١٣٤.

(٨٢) ليلى ياسين حسين الأمير، المصدر السابق، ص٢٧٢.

(٨٣) لطفي جعفر فرج ، الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠١،ص٢٨٣.٢٧٥.

(٨٤) علي الدين هلال، المصدر السابق، ص١٥٨-١٥٩؛جان وولف ،المصدر السابق،ص١٦٣؛ بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٨٥) الحسين بن طلال: ليس سهلا ً أن تكون ملكاً(سيرة ذاتية)، ترجمة هشام عبد الله، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص١٧٣.

(٨٦) سليم بركات،الوحدة السورية المصرية – مراجعة نقدية لتجديد الفكر القومي العربي،دمشق،مطبعة الاتحاد،ط١، ١٩٩٧،ص٣٨٣.

(٨٧) عبد المجيد عبد الحميد،المصدر السابق،ص٢١١.

(٨٨) أسامة عبد الرحمن نعمان الدوري، المصدر السابق، ص٦٥؛ ***Yahya Armajani, Middle East past and precent, new jersey, USA. 1970 P.397;*** سعد ابو دية ، عملية اتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٠ ،ص١٨٤.

(٨٩) الحسين بن طلال، ليس سهلاً أن تكون ملكاً، ص١٧٦.

(٩٠) رولان دالاس، المصدر السابق، ص٩٢-٩٣.

(٩١) الحسين بن طلال، ليس سهلاً أن تكون ملكاً، ص١٨٢.

(92).F.O. 371/142109, CONFIDENTIAL, From Amman to foreign office, No 70 ,January 24, 1959, P. 387.

(93).F.O. 371/142109, CONFIDENTIAL, from Amman to foreign office, No 482, June 5, 1959, P. 388.

(94).Ibid, P. 389-390

(95).F.O. 371/142110, From Amman to foreign office, No 507,June, 1959, P. 400-401

(96).F.O. 371/142110, Secret, From Amman to foreign office, No 631,July 21, 1959, P. 405.

(٩٧) عباس مراد، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٩٨) مصطفى طلاس،مرآة حياتي،دمشق، دار طلاس ،ج٢، ٢٠٠٢،ص٢١٥.

(٩٩) عباس مراد، المصدر السابق، ص١٠٦.

(١٠٠) فواز موفق ذنون جاسم، المصدر السابق، ص١٠٠.

(١٠١) فوزي الشعيبي ،شاهد من المخابرات السورية ١٩٥٥ـ ١٩٦٨،بيروت، رياض الريس للكتب والنشر،ط١، ٢٠٠٨، ص ١٦٠؛ محمد علي محمد التميم، المصدر السابق، ص١٠٩؛ بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٦٥-١٦٧.

(١٠٢) مامون **الكزبري**(١٩١٤- ١٩٩٨):ولد في دمشق عام ١٩١٤ ودرس الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت وتخرج منها عام١٩٣٦ ثم ذهب إلى فرنسا ودرس في جامعة ليون ونال شهادة الدكتوراة في الحقوق منها،انضم إلى حركة التحرير العربي التي أنشاها الشيشكلي عام ١٩٥٣ وعقب الانفصال شكل حكومة انتقالية يوم ٢٩ أيلول ١٩٦١ وشغل فيها منصب وزير الخارجية ووزير الدفاع بالاضافة الى رئيس الحكومة واتي دامت حتى غاية تشرين الثاني ١٩٦١،ينظر:مصطفى طلاس، تاريخ الجيش العربي السوري،ص٤٤٦؛عزيز السيد جاسم،مقتل جمال عبد الناصر،بغداد،دار آفاق عربية للصحافة والنشر،١٩٨٥،ص١٤١.

(١٠٣) فواز موفق ذنون جاسم ، المصدر السابق، ص١٠١؛ وقد اعترفت حتى ٢٦ تشرين الاول١٩٦١ تسعة وخمسون دولة عربية وأجنبية من بينهم تونس ،الكويت،المملكة العربية السعودية،ليبيا،اليمن،والولايات المتحدة الأمريكية

وبريطانيا،وفي ١٣ تشرين الاول تم قبول عضوية سوريا من جديد في الأمم المتحدة وقبلت في ٢٨ تشرين الثاني في جامعة الدول العربية،ينظر؛ بيير بوداغوفا، المصدر السابق، ص١٦٨.

(١٠٤) خليل يوسف، السياسة الدولية تجاه الشرق الأوسط، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٥،ص١٠٩.

(١٠٥) رولان دالاس، المصدر السابق، ص٩٨.

(١٠٦) فواز موفق ذنون جاسم، المصدر السابق، ص١٠٢.

(١٠٧) شاركت في المؤتمر وفود الدول التالية: السعودية ممثلة بالسفير طاهر رضوان المندوب الدائم في الجامعة والسفير سعود الدغيثر،لبنان ممثلة بالسيد فؤاد عمون أمين عام وزارة الخارجية،الأردن ممثلة بالسيد سعد جمعة سفير الأردن في دمشق،الجزائر ممثلة بالسيد أحمد توفيق المدني المندوب الدائم لدى الجامعة العربية،تونس ممثلة بالدكتور عمر أبو ستة السفير في لبنان ،اليمن ممثلة بالسيد علي المندوب الدائم لدى الجامعة العربية،ليبيا ممثلة بالسيد طاهر بكير السفير في لبنان،السودان ممثلة بالسيد احمد مختار السفير في مصر ،الكويت ممثلة بالسيد راشد مدير الإدارة العربية بوزارة الخارجية،أما سوريا فكان الوفد مؤلف من اسعد محاسن وخليل كلاس وعضوية السفير أديب الداوودي وهيثم الكيلاني وبعض المستشارين في وزارة الخارجية مع عدد من الصحفيين ومندوبي الإذاعة والتلفزيون ،أما الوفد المصري فكان برئاسة الضابطين أكرم الديري وجادو عز الدين الوزيرين السوريين في عهد الوحدة وعضوية سفير مصر في لبنان عبد الحميد غالب وتوفيق حسن دير إذاعة حلب السابق والملاحق من القضاء السوري والضابط السوري طلعت صدقي ومحمد قنديل المستشار بوزارة الخارجية المصرية ووفيق إسماعيل وعدد من

الصحفيين الذين يمثلون كافة دوائر الإعلام والصحف المصرية، ينظر: فوزي الشعيبي ،المصدر السابق،ص١٨٢؛

Houssam EL dawla Khalil : The Soviet Foreigns Policy towards Egypt 1955-1964, (Ph.D.Howard Un Dept. of Political sc, 1979),p.16.

(١٠٨) عبد الكريم زهر الدين،مذكرات الفريق عبد الكريم زهر الدين (مذكراتي في فترة الانفصال مابين ٢٨ايلول١٩٦١و٨اذار١٩٦٣)، دمشق،ط١، ١٩٦٥، ص٣٦٥.

(١٠٩) خالد العظم، المصدر السابق، ص٢٩٦.

(١١٠) عبد المجيد عبد الحميد،المصدر السابق،ص٢١٥.

(١١١) خالد العظم،المصدر السابق،ص٣٥٤.

(١١٢) أكرم الحوراني،مذكرات أكرم الحوراني،القاهرة،دار زغلول،ط١،المجلد الرابع،١٩٩١،ص١٢٣.

(١١٣) عبد المجيد عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١٥.

(١١٤) عباس مراد، المصدر السابق، ص١٠٧-١٠٨.

(١١٥) عدلي حشاد،عطية عبد الجواد ،سقوط الانفصال،القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر،ط١، ١٩٦٨،ص ١٦٢؛ الحسين بن طلال، مهنتي كملك، ص١٨٧.

(١١٦) عبد اللطيف البغدادي،مذكرات عبد اللطيف البغدادي ،القاهرة،المكتب المصري الحديث،ط١، ١٩٧٢،ص٢٤١.

(١١٧) سليمان المدني،تاريخ سورية في القرن العشرين،بيروت،دار المنارة،ط١، ٢٠٠٦،ص٢٥٢.

(١٢٤) أكرم الحوراني، المصدر السابق،ص٣٨٦.
(١٢٥) محمود رياض ، مذكرات محمود رياض ١٩٤٨-١٩٧٨، القاهرة، دار المستقبل العربي، ط٢، ١٩٨٥،ص١٧٧.
(١٢٦) المصدر نفسه،ص١٧٨.
(١٢٧) المصدر نفسه،ص١٧٨-١٧٩.
(١٢٨) محمد حسنين هيكل،الانفجار،حرب الثلاثين سنة،القاهرة،مؤسسة الأهرام-مركز الأهرام للترجمة،ط١، ١٩٩٠،ص٤٨٥.
(١٢٩) عبد المجيد عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١٦.
(١٣٠) احمد الشقيري،من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء ،بيروت،دار العودة،١٩٧١،ص١٤٤؛عبد القادر ياسين،أربعون عاما من حياة منظمة التحرير الفلسطينية ،دمشق،المركز الفلسطيني لتوثيق المعلومات،ط١، ٢٠٠٦،ص١٧١.
(١٣١) أمين عواد مهنا بني حسن،التحديث والاستقرار السياسي في الأردن،بيروت ، دار الجيل،ط١، ١٩٨٩،ص١١٦_١٣٢؛عبد القادر ياسين، المصدر السابق ،ص٢٢٤.
(١٣٢) أمين عواد مهنا بني حسن، المصدر السابق،ص١٣٢؛ باتريك سيل، الأسد والصراع على الشرق الأوسط،ص٢٠٦.
(١٣٣) مصطفى طلاس، مرآة حياتي ،ج٣،ص٤٢٨.
(١٣٤) باتريك سيل، الأسد والصراع على الشرق الأوسط،ص٢٦٤. عبد المجيد عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١٦.
(١٣٥) باتريك سيل، الأسد والصراع على الشرق الأوسط،ص٢٦٤.
(١٣٦) المصدر نفسه،ص٢٦٤.
(١٣٧) عبد المجيد عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١٦.
(١٣٨) المصدر نفسه،ص٢١٧.

(١١٨) يوسف خوري،خلدون الحصري،الوثائق العربية،بيروت،الجامعة الأمريكية في بيروت،دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة،ط١،ج١، ١٩٧١،ص٦٣٥.
(١١٩) عبد المجيد عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١٥.
(١٢٠) سليمان المدني،المصدر السابق،ص٢٧٥.
(١٢١) سليم حاطوم: ولد عام ١٩٢٨ في قرية دبين التابعة لجبل العرب في سوريا وكان عضوا في الجنة العسكرية التي شكلها الضباط البعثيون في القاهرة عام١٩٦٠،عين قائدا لكتيبة الصاعقة بعد ثورة اذار١٩٦٣وشارك في حركة ٢٣ شباط١٩٦٦ حيث قاد الهجوم على منزل أمين الحافظ ، حكم عليه في آذار ١٩٦٧ بالتجسس لحساب (إسرائيل)،وفي يوم ٦ حزيران أعلن انه عائد إلى سوريا ليقاتل متصورا ان الحرب قد مسحت صفحة الماضي، وبالفعل عاد سليم حاطوم إلى دمشق اثر سماعه بان الحكومة السورية أصدرت عفوا عن السياسيين المعتقلين،خلال فترة الحرب التي نشبت مع الإسرائيليين،ولكن حاطوم أخطا التقدير إذ ما أن وصل دمشق حتى اعتقل على الفور، وسيق للمثول أمام المحكمة العسكرية والتي أكدت عليه حكم الإعدام مع رفيقه بدر جمعة، ثم اعدم يوم ٢٦ حزيران ١٩٦٧ بعد تكسير أعضائه من قبل عبد الكريم الجندي وإطلاق النار عليه وهو نصف حي. ينظر: مسعود الخوند ،الموسوعة التاريخية الجغرافية، لبنان ،ج١٠، ١٩٩٧،ص ٢٠١؛ وولتر لاكويير ،الحرب العربية الإسرائيلية أسبابها .. نهايتها، بيروت، د.ن،١٩٦٨ ، ص٨٩؛ عباس مراد، المصدر السابق، ص١٠٧.
(١٢٢) وولترلاكويير ،المصدر السابق ، ص٨٩.
(١٢٣) باتريك سيل، الأسد والصراع على الشرق الأوسط،بيروت،المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع،ط١، ١٩٨٨،ص١٨٧.

Abstract

The Middle East is the key areas of the States Colonial and which started to attract the attention of Western States ,

especially United States of America after World War II in an attempt to make it areas of influence in the face of the socialist countries especially the former Soviet Union, so it started put forward economic projects of a political nature, such as Eisenhower Doctrine, 1957, and that each project they have to have opposites and supporters of the Arab States , specifically there were two Arabic Identity, but they have different political orientations namely, Jordan and Syria.

In order to reflect the nature of the political orientations of the two countries, we had to determine a starting point to clarify the relationships between the two countries that was selected address our present, to clarify what is the principle of Eisenhower Doctrine, and its impact on relations between Jordan and Syria.

The importance of research to clarify the nature of relations between Jordan and Syria and how policies have competition between the former Soviet Union and the U.S.A in the polarization of each of the two countries according to that serves the interests and political projects in region, and this polarization make Jordan and Syria live compete with each other and try to create areas of influence within the state of competition for them, and thus will see their relations tensions and attempts to interfere in internal affairs of others and carry out assassination operations of the important figures in the two countries at the highest levels.

Therefore the goal of research is to clarify the picture of Syrian in front of the ambitions in the Arab region

in general, and that will create its internal problems and tensions with neighboring countries, and on the other hand,

Research shows Policy directions of Jordan in its relations with Syria And its attempts to unite the efforts of Arab countries against Syria projects and the creation of a unitary to face the perils which Jordan believed they are coming from Syria, and generally Syria particular try to respond to the positions of Jordan to secure the protection of its policy and thereby ensure the continuation of projects against western policy, and their role in the aborted project western economic domination in the Arab States .

The Research was divided along to four axes: The first axis dealt with Eisenhower Doctrine 1957 Jordanian and Syrian position, and how to cope with each state of this principle and how to deal with all available means.

The second dealt with conspiracies coup and its impact on relations with Syria- Jordan.

The third addressed the implications of the principle of Eisenhower Doctrine on the Syrian political relations witch Jordan 1958-1963.

The fourth axis handled political relations Jordanian and Syrian military from 1963 to 1976.

تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في تحديد أفضل المواقع لإنشاء سد على وادي الملح في ناحية العلم

م.م عبد الحق خلف حمادة الجبوري
جامعة تكريت/كلية الآداب/ قسم الجغرافية التطبيقية

الملخص

لقد أصبح ميدان الدراسة التطبيقية لعلم الجغرافية يشتمل على دراسة مشاكل البيئة الطبيعية والتي من ضمنها الأودية الجافة موسمية الجريان، وتأثير الإنسان على إشكال و معالم سطح الأرض كعامل هيدروجيومورفولوجي مهم ، فضلاً عن أهمية التنبؤ بالمخاطر الطبيعية من اجل الاستفادة من النتائج لحماية الإنسان و بيئته الطبيعية التي يعيش فيها.

اذ تلعب الأودية الجافة في الأقاليم كظواهر جيومورفولوجية دورا بارزا في تدمير المناطق التي تجتاحها وخاصة في المناطق الواقعة تحت اسر تلال حمرين ، اذا تؤثر العوامل الطبيعية والبشرية المتفاعلة مع الموقع الجغرافي لناحية العلم وقرية السمرة التابعة لها بشكل مباشر في تصاعد تأثير حجز مياه الفيضانات والسيول على الموارد المادية والبشرية مسببة إضرار لا يستهان بها مما يتطلب الوقوف عند مسبباتها والعوامل المؤثرة فيها وتحليل تفاعلها مع بعضها البعض بغية تجنب إخطارها والحد منها وجعل المدينة الواقعة تحت أسرها أمنة إضرارها متوجهة نحو الرفاهية وتقدم المجتمع الحضري فيها.

مُقَدِّمَة

يعد التطور الحضاري والتكنولوجي وتقدمه في أي بلد هدفاً رائداً في الحياة في تفرعاتها كافة، إذ تعكس التطورات الحاصلة في تطبيقات العلوم على كافة أوجه الحياة، ومنها الجغرافية باعتبارها من أبرز العلوم المكانية التي تهتم بالجانبين الطبيعي والبشري ، وهذا الحقل يعيش اليوم عصر التطور والتقدم في جميع مجالاته وخاصة بعد التغير الذي طرأ عليه خلال الربع الأخير من القرن الماضي ، ولعل أهمية نظم المعلومات الجغرافية تنبع من كونها أداة تحليل جيدة وتقنية عالية يحتاج اليها جميع المخططين ومتخذي القرار والمسؤولين عن إدارة المصادر والموارد البيئية والأرضية وتنميتها(١).

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في ان اغلب مياه الأمطار المتساقطة في منطقة الدراسة تتصرف دون الاستفادة منها وبكميات كبيرة الى نهر دجلة و إلى المستنقعات والبرك وقسم منها يغور في الأرض وإمكانية الاستفادة من تقنيات نظم المعلومات الجغرافية GIS والاستشعار عن بعد RS في اختيار أفضل موقع لإنشاء سد على وادي الملح.

هدف البحث

يهدف البحث إلى توظيف واستخدام التقنيات الحديثة GIS و RS في تحليل المقومات الطبيعية للمنطقة وصولاً إلى اتخاذ القرار وتعيين موقع سد لحجز مياه الأمطار بغية الاستفادة منها في الزراعة وارواء الماشية وإعداد جدوى اقتصادية من إقامة السد .

فرضية البحث

للتقنيات الحديثة (نظم المعلومات الجغرافية GIS والاستشعار عن بعد RS) دور في اتخاذ القرار في الدراسات الهيدروجيمورفولوجية لافضل موقع لأنشاء سد على وادي الملح .

منهجية البحث :

اعتمد في البحث على المنهج الاستقرائي ، ابتداءا بتعريف الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة ومرورا بدراسة المقومات الجغرافية للمنطقة بمنظور هيدرولوجي مع استخدام نظم المعلومات الجغرافية في عرض المخرجات الخرائطية التي تدعم المنهج وتعتبر كارتوكرافية الخصائص الهيدروغرافية لاحواض التصريف الجافة بأسلوب الآلي عن طريق GIS& RS من استخلاص المادة الجغرافية لتوضيح الأبعاد المورفومترية لتلك الاودية.

تقنيات الدراسة :

اعتمدت الدراسة على البيانات الفضائية الملتقطة من القمر الصناعي (Land sat7 ETM) متعدد الاطياف والبيان الراداري للقمر الصناعي (SRTM) والمرئيات الفضائية المستقطعة من (Google Earth) لمعرفة ادق التفاصيل عن حجم الخزان خلف السد ، سيهيئ خرائط كنتورية بعمل شبكة ٥٠ × ٥٠ م في موقع السد والخزان فضلاً عن تهيئة الخريطة الكنتورية بفاصل رأسي ٢ م للحوض وبناء ورسم الشبكة النهرية ، كذلك اعتمدنا على بيانات محطة بيجي المناخية المستحصلة من دائرة الأنواء الجوية.

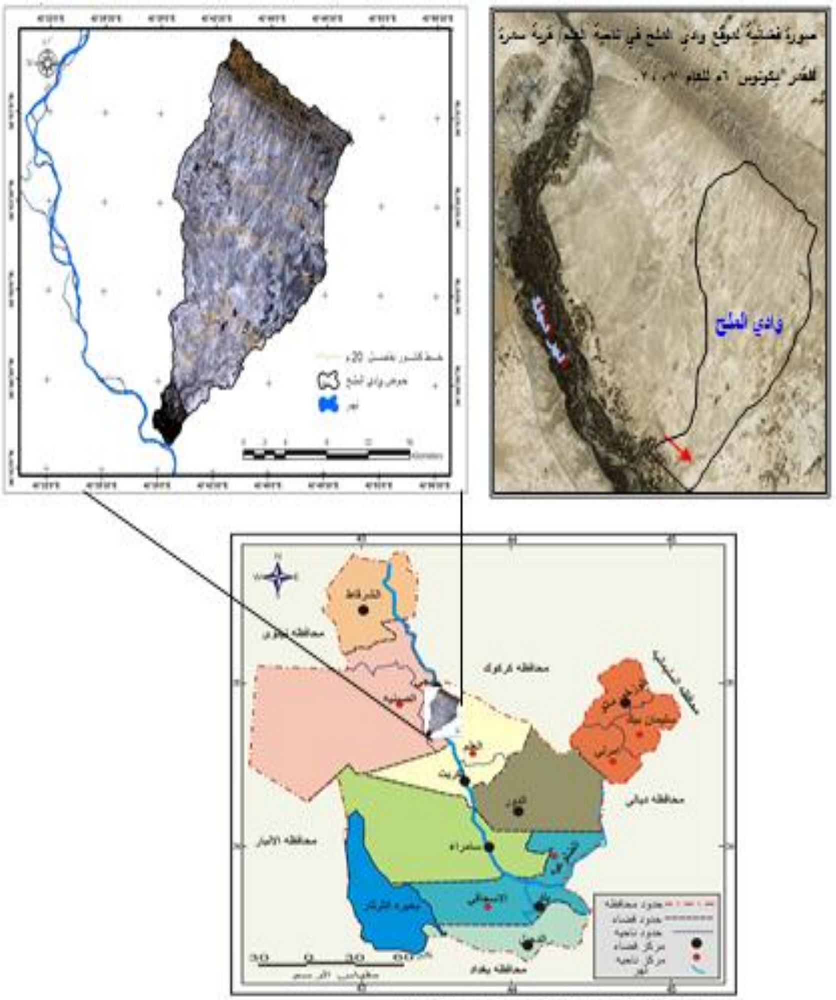
موقع منطقة الدراسة :

تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرضً ٠٠ َ٥٧ ْ٣٤ وً ٠٠ َ٤٣ ْ٣٤ شمالا وخطي طول ً ٠٠ َ٣٢ ْ٤٣ وً ٣٠ َ٥٥ ْ٤٣ شرقا ، وقد اتخذت منطقة الدراسة شكلاً مثلثا ، محوره يتجه (شمال غرب/ جنوب شرق) ، يقع حوض وادي الملح بين منطقتي سمرة من جهة الجنوب والخزامية من جهة الشمال ، ويحده من الشرق مرتفعات حمرين ومن الغرب نهر دجلة(١).

بلغت مساحة منطقة الدراسة ٢٨٢ كم٢ ، التي تضم عدد كبير من الاودية مؤقتة الجريان ، شديدة الحساسية للتذبذبات المناخية الحاصلة في نظام التساقط ، وحصول الفيضانات السيلية التي تتجاوز فوق الطريق الرئيسي في اغلب الفيضانات الاستثنائية وهذا ما أثبتته الزيارات الحقلية والمقابلة الشخصية مع سكان المنطقة .

ضمت الدراسة مبحثين حيث تناول المبحث الأول العوامل الطبيعية المؤثرة في منطقة الدراسة كالبنية الجيولوجية و مظاهر السطح والتربة والمناخ ، اما المبحث الثاني فقد تناول دراسة الخصائص المورفومترية لحوض منطقة الدراسة ، وقد تناول المبحث الثالث التحليل الهايدرولوجي واختيار موضع السد .

خريطة (١) موقع منطقة الدراسة



المبحث الأول

العوامل الطبيعية المؤثرة في منطقة الدراسة

١. البنية الجيولوجية

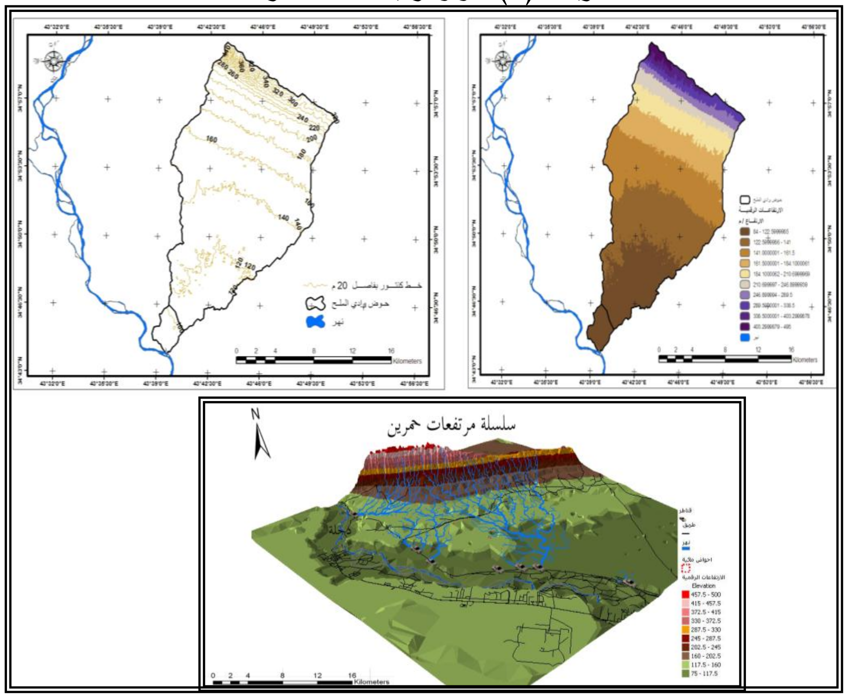
تأثرت المنطقة بالحركة الأرضية الألبية المايوسينية ، وشكلت سلسلة تلال حمرين الجهة الشرقية من منطقة الدراسة ، وتتكون هذه السلسلة من طبقات الصخور الرسوبية المتباينة في خصائصها الطبيعية والمكانية ، إذ تشكل الصخور الجبسية والمارل هيكل هذه السلسلة في حين تنتشر الصخور الرملية والطينية في أطراف هذه السلسلة ، أما المكتلات الصخرية العائدة لتكوين بأي حسن فإنها تتواجد في مواضع متفرقة من منطقة الدراسة[١].

تتألف رواسب الزمن الرباعي من الحصى بمختلف الأحجام وبهيئة مدرجات نهرية شكلها نهر دجلة في عصر البلايوستوسين ، وكذلك الرواسب الريحية بهيئة كثبان رملية وانسياقات رملية في حين تنتشر رواسب نهرية على طول نهر دجلة ، تنحصر سلسلة تلال حمرين ما بين خطي ارتفاع (٢٠٠-٤٥٠) م ، وتصل في بعض قممها إلى (٥٠٠) م ، إذ تظهر بهيئة هضيبات وشواهد صخرية ، وتعد مناطق تقسيم المياه المنحدرة على أطراف هذه السلسلة سلاسل الحواف ابتداءً من خط ارتفاع(٣٠٠)م باتجاه قممها كما موضحة في الخريطة(٢) ، وتبدو بهيئة سلاسل موازية مع بعضها بعضاً مقطعة إلى مجموعات من الأودية الضيقة بهيئة خانقية ، تخرج هذه الأودية إلى أطراف هذه السلسلة مشكلة مجموعة من المراوح الفيضية الملاصقة بعضها بعضاً[٢].

٢. التربة

تسود الترب الصخرية الضحلة منحدرات هذه السلسلة ، بينما توجد ترب فيضية ضحلة في قدماتها ، وتنتشر نباتات رعوية وشجيرات متفرقة من السدر والنباتات الرعوية والحشائش القصيرة ، إلا أنها تتباين في كثافتها ونوعها تبعاً لكميات التساقط من جهة وتواجد الترب من جهة أخرى ، وتسود الجزء الجنوبي من قدمات هذه التلال سهول تجميعية تشكلت بفعل عوامل جيومورفولوجية مختلفة تنحصر بين خط ارتفاع (١٥٠-٢٠٠) م فوق مستوى

خريطة (٢) طوبوغرافية منطقة الدراسة

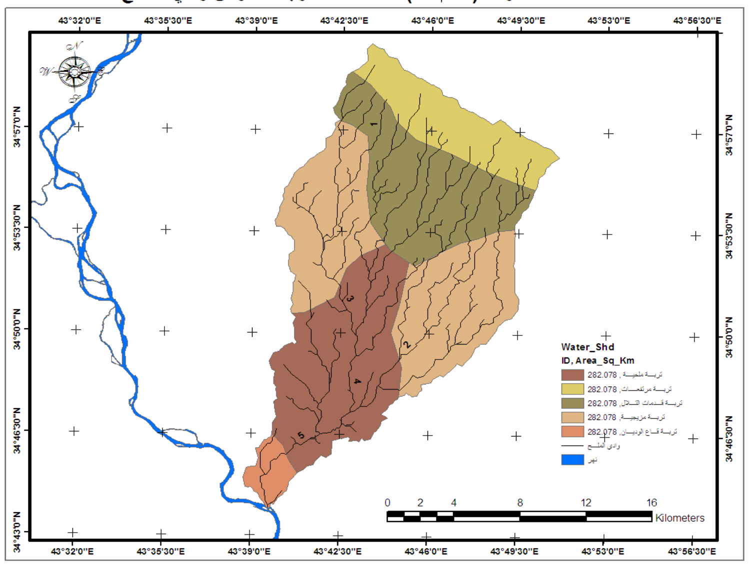


المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج (arc GIS9.3)

سطح البحر ، وتتميز أراضي هذا السهل بالتموج ، إذ تزداد كلما اقتربنا من السلسلة التلالية ، وتنتشر عليها في أجزائها الجنوبية الشرقية كثبان وانسياقات رملية نشطة قد يصل ارتفاعها أحياناً إلى (٥) م، ويوجد عدد من المنخفضات وبطون الأودية الضحلة مشكلة بذلك مجموعة من الخباري والفيضات وتكون مرتعاً جيداً لنمو النباتات، لاسيما في فصل الربيع، وتسود هذه الترب الجبسية الحصوية الضحلة العمق ، إذ تعد من المحددات الأساسية في صلاحية هذه السهول للزراعة ، وتنتشر عليها نباتات صحراوية متفرقة أغلبها شوكية(٣) .

تنتشر على ضفاف نهر دجلة سهول فيضية تقع على ارتفاع (١٠٠) م تتشكل من ترب غرينية عميقة على حافات النهر كما في الخريطة (٣) ، في حين يقل عمقها وتتزايد الارسابات الحصوية والغرينية كلما اقتربنا من نهر دجلة ، وتنتشر عليها مجاري نهرية مندثرة بهيئة بحيرات هلالية ، لذلك تعد هذه السهول من أكثر المناطق استغلالًا في الزراعة ومنذ القدم .

خارطة (٣) اصناف الترب لحوض وادي الملح



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج (arc GIS9.3)

٣. العوامل المناخية :

اعتمدت محطة بيجي المناخية كأساس للتحليل الهيدرولوجي للحوض باعتبارها اقرب المحطات للحوض ، وتتوفر فيها المعلومات المناخية للفترة (١٩٨٨ – ٢٠٠٨) ، اذ يسود منطقة الدراسة مناخ جاف إلى شبه جاف يتميز بالتطرف في خصائصه، لاسيما في درجة الحرارة والتساقط والرياح ، وفيما يأتي شرحا موجزا لهذه الخصائص .

- درجات الحرارة :

تختلف معدلات درجات الحرارة من سنة إلى اخرى وتعبر هذه المعدلات عادة عن ظروف الحرارة في المنطقة واعلى الدرجات الحرارية تكون في فصل الصيف وأدناها في فصل الشتاء ويبلغ المدى الحراري حوالي ٣٠مْ كما في الجدول(١) ، وهذا يعني انه يتصف بصفة القارية ، ورغم أهمية معدلات الحرارة السنوية ،إلا إنها ليست كافية للتعبير عن ظروف الحرارة بدقة ولذلك يتم الاعتماد على معدلات الحرارة الشهرية كتعبير أكثر دقة عن التغيرات الدورية في ظروف الحرارة ، ويوضح الجدول (المعدل الشهري لدرجات الحرارة في محطة بيجي).

جدول (١)

المعدلات الشهرية الصغرى والعظمى لدرجات الحرارة في محطة بيجي المناخية

نوع السنة	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المعدل العام
المعدل	١٣.٦	١٦.١٥	٢٠.٩	٢٨.١	٣٥.٤	٤٠.٧	٤٣.٧	٤٣	٣٨.٧	٣١.٨	٢٢.٥	١٥.٨	٢٩.١
العظمى	١٦.٨	١٨	٢٣.٧	٣٣.٥	٣٧.٦	٤٣.٢	٤٥.٧	٤٥.٩	٤٠.٤	٣٣.٣	٢٧.٢	٢٠.١	٣٢.١١
الصغرى	١١.٨	١١.٨	١٨.٣	٢٦.٤	٣٢	٣٨.٧	٤١.٥	٤١.٧	٣٧.٧	٣١	١٩.٧	١١.٩	٢٦.٨٧

المصدر : بيانات الأنواء الجوية ،غير منشورة ،بغداد ، ٢٠٠٠

- الرطوبة النسبية :

تعتبر معدلات الرطوبة النسبية في منطقة الدراسة واطئة وتبدأ بالارتفاع من شهر تشرين الثاني وتستمر حتى نهاية نيسان حيث تبلغ حدها الأعلى خلال شهر كانون الأول وكانون الثاني، وتبدأ بالانخفاض في اشهر الصيف بسبب ارتفاع درجات الحرارة وانعدام التساقط كما في الجدول(٢) .

جدول (٢)

المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية في محطة بيجي المناخية

نوع السنة	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المعدل العام
المعدل	٧٦.٩	٦٦	٥٦.٢	٤٤	٣٠.٩	٢٢.٨	٢١.٥	٢٣.٨	٢١.٧	٣٨.٨	٥٩	٧٥.٨	٤٤.٧

المصدر : بيانات الأنواء الجوية ،غير منشورة ،بغداد ، ٢٠٠٠

- التبخر :

إن ارتفاع معدلات الحرارة وانخفاض نسبة الرطوبة يؤدي إلى ارتفاع معدلات التبخر مما يؤدي إلى فقدان كميات كبيرة من المياه المخزونة في الخزان خلف السد ، وقد سجلت محطة تكريت المعدلات الشهرية للتبخر للفترة من (١٩٨٨ – ٢٠٠٨) كما مبين في الجدول(٣) الذي يبين اعلى كمية للتبخر الشهري مسجلة في شهر تموز إذ تبلغ ٧٦١ ملم ،وادنى كمية لها مسجلة في شهر كانون الأول والبالغ ٣٢ ملم، حيث تبدأ معدلات التبخر بالزيادة ابتداء من شهر مايس وحتى نهاية شهر أب وقد يصل أقصى تبخر في تموز في حين تنخفض معدلات التبخر في اشهر الخريف والشتاء ويصل ادنى معدل لها في شهر كانون الأول وتصل اقل تبخر في نفس الشهر.

جدول (٣)

المعدلات الشهرية للتبخر في محطة بيجي المناخية

نوع السنة	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المجموع
المعدل	٥٦.٣	٨١.٦	١٦٠	٢٥٣	٤٠٢	٥٤٠	٦٢٧	٥٦٦	٣٩٧	٢٥١	١١٤	٥٧	٣٥٠٤.٩
الأعلى	٨٣	١٠٠	٢٠٧	٣٢٩	٥١٤	٦٢٤	٧٦١	٦٥١	٤٩٩	٣٠٥	٢٦٢	٨٧	٤٤٢٢
الأدنى	٣٣	٦٢	١٢٨	١٨٤	٣٣٣	٤٢٨	٥١٦	٤٧٦	٢٤٤	١٨٨	٨٢	٣٢	٢٧٠٦

المصدر : بيانات الأنواء الجوية ،غير منشورة ،بغداد ، ٢٠٠٠

- **الرياح** :

يعبر عن الرياح حسب اتجاهاتها وسرعتها ويظهر من نتائج المعلومات المستحصلة من محطة بيجي للأنواء الجوية إن الرياح الشمالية الغربية هي السائدة في منطقة السد المقترحة حيث تبلغ نسبتها ٦٠% تليها الرياح الشمالية بنسبة ٣٠ % والغربية بنسبة ١٠ % اما سرعة هذه الرياح فتتراوح بين ٢.٢م/ثا في شهر كانون الأول و تصل إلى ٤.٣ م/ثا في شهر تموز ، وعموما فهي مرتفعة في الأشهر حزيران وتموز وآب ، وتنخفض في اشهر الشتاء تقريبا ، كما وتزداد سرعها في اشهر الربيع ويوضح الجدول ٤ المعدلات الشهرية المسجلة في محطة بيجي للفترة (١٩٨٨ – ٢٠٠٨).

جدول (٤)

المعدلات الشهرية لسرعة الرياح في محطة بيجي المناخية

نوع السنة	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المعدل العام
المعدل	٢.٤	٢.٧	٣.١	٣.٤	٣.٢	٣.٧	٤.٣	٣.٩	٣.٢	٢.٧	٢.٥	٢.٢	٣.١

المصدر : بيانات الأنواء الجوية ،غير منشورة ،بغداد ، ٢٠٠٠

تقنيات الاستشعار عن بعد
ونظم المعلومات الجغرافية
مجلة آداب الفراهيدي
م.م عبد الحق خلف حمادة
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

- **الإمطار** :

توضح الخرائط والجداول المطرية ان أقصى مجموع تساقط سنوي لمحطة بيجي بلغ ٣٦٣.٩ ملم للموسم المائي ١٩٩٤ – ١٩٩٥ ، وهذا يعادل ضعف مجموع المعدل العام للتساقط المطري ، وينحصر تساقطها في الأشهر تشرين الأول، تشرين الثاني ، شباط و آذار ، في حين كانت الأشهر تشرين الأول وكانون الثاني اقل من ذلك ، إما في موسم السنة الجافة فكانت ١٩٩٨ – ١٩٩٩ فقد انخفض إلى اقل من نصف المعدل العام ، وتركز اغلبه في شهري كانون الثاني وشباط . وهذا يعني إن شهري تشرين الأول وشباط هماالاشهر التي تحدث فيها فيضانات المسيلات المائية والتي تنبع من سلسلة تلال حمرين بضمنها حوض وادي الملح .

جدول (٥)

المعدلات الشهرية للتساقط في محطة بيجي المناخية

نوع السنة	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	المجموع العام
المعدل	٠.٣٨	٧.٣٣	٣٢.٢٥	٣٠.٩	٣٠.١٥	٢٨.٤١	٣٣.٨٢	١٢.٧٧	٦.٨	٠	٠	٠	١٨٢.٨
سنة رطبة ١٩٩٤ – ١٩٩٥	٠.٠٠١	٢٧.٦	٧٥.٤	٦٢.٥	٢٧.٣	٧٩	٥٦.٥	٣٣.٢	١.٤	١			٣٦٣.٩
سنة جافة ١٩٩٨–١٩٩٩	٠	٠	٠	٣.٢	١١.١	٤٨	٢	٧.٢	٠	٠	٠	٠	٧١.٥

المصدر : بيانات الأنواء الجوية ،غير منشورة ،بغداد ، ٢٠٠٠

المبحث الثاني

الخصائص المورفومترية لمنطقة الدراسة

ان من أهم الجوانب التي تركز عليها الدراسات الهيدروجيمورفولوجية هو التحليل المورفومتري لأحواض الصرف المائية لما لها من دلائل بيئية كثيرة تعبر عن العلاقات بين العمليات الجيمورفولوجية والأشكال المرتبطة بها والتعرف على المراحل التطورية للأحواض نتيجة للتباين في نشاط عمليتي التعرية والترسيب ، وتعكس هذه الخصائص طبيعة العلاقة مابين الخصائص المورفومترية ونظام الجريان السطحي وتغذية الخزانات الجوفية التي تعمل على إبراز الصورة النهائية لأحواض التصريف ، وقد تطور أسلوب دراسة الأحواض المائية من الأسلوب الوصفي إلى الأسلوب الرياضي الكمي في دراسة الأحواض ، ومنها:

أولا :- الخصائص الشكلية والمساحية للوادي :-

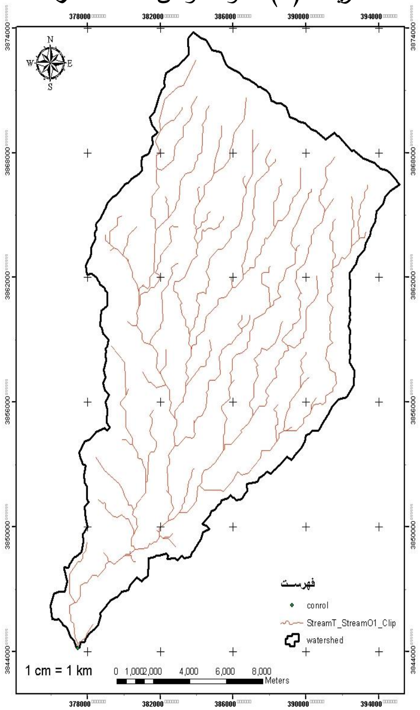
يعد حوض التصريف المائي هو عبارة عن نظام مورفولوجي وتضبطه خواص هندسية وقوانين ذات علاقات وظيفية متبادلة .

عند دراسة وادي معين او حوض تصريف مائي لابد إن تتم دراسة خواصه وتعد الخصائص الشكلية والمساحية للوديان ومجاريها مهمة لأنها تعطي صورة واضحة لنظام التصريف المائي داخل الحوض او الوادي المدروس وقد شملت تلك الخصائص التالي :-

١- حدود الوادي :-

حدود الوادي يقصد به خط تقسيم حوض النهر او الوادي . ويعبر عنه بخط يحيط الحوض مارا بأعلى النقاط المرتفعة المحيطة به ليمثل الحد الذي يفصله عن حوض او وادي اخر كما في الخريطة (٤).

الخريطة (٤) حدود حوض منطقة الدراسة



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج (arcGIS9.3)

٢- مساحة الوادي :-

لمساحة الأحواض المائية علاقة وطيدة بالتركيب الجيولوجي والمناخ للمنطقة ، ففي المناطق الرطبة تنشط عوامل النحت المائي وتزداد مساحة الأحواض المائية ووديانها نتيجة زيادة إعداد الشبكات المائية ضمن الأحواض المائية ، اذ بلغت مساحة وادي الملح (٢٨٢ كم٢) ويعد وادي الملح من الوديان التي تنتمي إلى مجموعة الأحواض المائية ضمن مرتفعات حمرين والتي تصب في بحيرة موسمية وبدورها تشكل جسر يربط بينه وبين عدد من الاودية التي تصب في نهر دجلة وكون المنطقة هي ذات مناخ رطب جاف نسبيا فان شبكة الوديان تكون واسعة ومتعددة المساحات ووادي الملح يعد من الوديان المتوسطة المساحة نسبيا إلى بقية الأودية والأحواض المتكونة منها مايقع شمال او جنوب منطقة البحث .

٣- معامل شكل الوادي:-

إن أي نقطة أينما كانت هي جزء من حوض نهري ،لذلك فان الأحواض والأودية تأخذ إشكالا مختلفة ، فوادي الملح يعد من الأودية الطولية وتصل مياهه متعاقبة من اقرب نقطة إلى المنفذ .

٤- قياس عرض الوادي:-

تم تقسيم الحوض إلى أربعة أجزاء متساوية ، ثم تم إيجاد معدل العرض للوادي وهي :

١- النقطة الأولى ٣،٤ كم

٢- النقطة الثانية ٢.٩كم

٣- النقطة الثالثة ٦،٢ كم

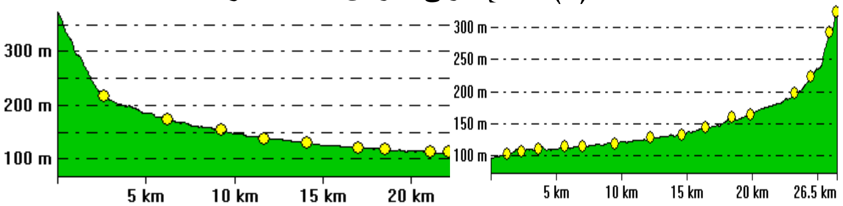
٤- النقطة الرابعة ٦،٣ كم

وبلغ متوسط عرض الوادي (٩٥٠ م)

٥- قياس طول الوادي :-

وهو مسافة النهر او الوادي من مصبه إلى أقصى نقطة عند محيط الوادي والتي تمثل نهايته وتفصله عن الحوض المجاور من جهة المنبع ، حيث بلغ طول الوادي (٢٨ كم٢).

شكل (١) مقطع طولى لحوض منطقة الدراسة



ثانيا:- الخصائص التضاريسية للوادي :-

١- الانحدار في الوادي :-

ويعني المتوسط العام لانحدار الأرض داخل الوادي بالنسبة للمستوى الأفقي للسطح ويحتاج إلى استخراج ظل زاوية الانحدار والفاصل الراسي وعدد خطوط الكنتور وذلك ضمن المنطقة المحددة للوادي .وقد تم استخراج النسب التالية الانحدار.

ا- درجة الانحدار :- إذا بلغت في وادي الملح (٠°- ٩٣°)،وهي قيمة تراوحت بين الصفر وذلك ضمن الأراضي المنبسطة عند المصب و(٩٣°) عند المنبع وذلك لوقوع المنطقة ضمن نطاق إقدام التلال وهي مناطق شبه عمودية ،يلاحظ خريطة (٥)، إما معدل الانحدار العام للحوض فقد بلغ ١.٢٥ ْ وقد اشتملت درجات الانحدار ضمن المنطقة المدروسة على الدرجات التالية[٤].

جدول (٦) درجات انحدار

ت	درجة الانحدار	نوع الانحدار
١	٠°	أراضي منبسطة
٢	١٥°-٢٨°	أراضي متوسطة الانحدار
٣	٢٩°-٤٥°	أراضي معتدلة الانحدار
٤	٤٥°-٦٤°	أراضي شديدة الانحدار
٥	٦٤°-٩٣°	أراضي شديدة الانحدار جدا

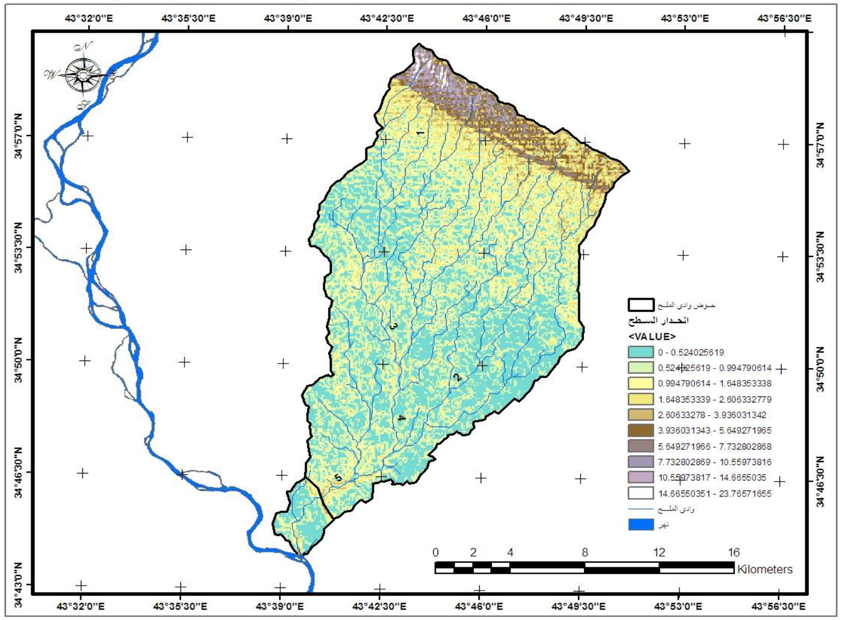
ثالثا:- الخصائص المورفومترية للشبكة :

تعد الخصائص المورفومترية للشبكات النهرية من اهم الصفات التي تدرس لكونها تعطي الصورة الدقيقة والواضحة لطبيعة الجريان والشبكة النهرية داخل الأحواض او الأودية النهرية ومن اهم تلك الخصائص هي :

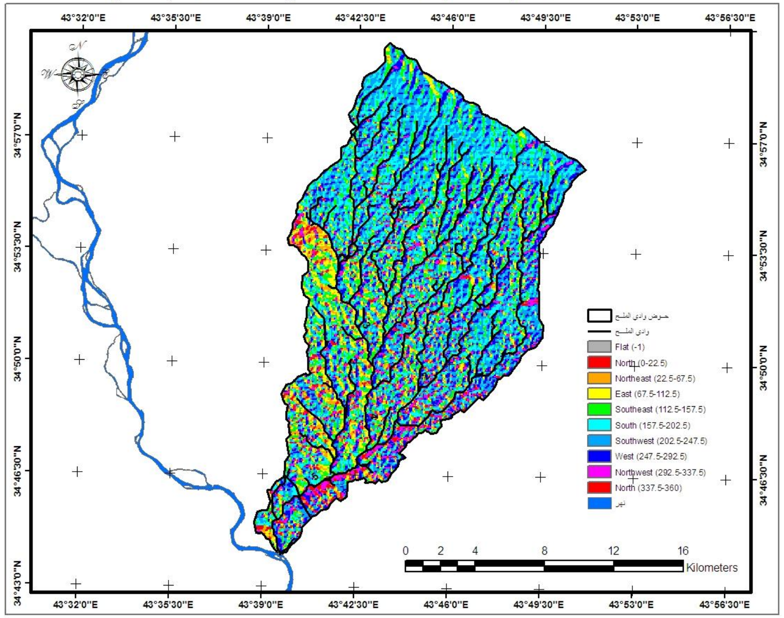
١- رتب المجاري النهرية :-

تعرف الرتب النهرية بأنها الروافد الموجودة في الحوض النهري او الوادي والتي تغذي القناة الرئيسية بالماء .وقد تم الاعتماد على طريقة (strahler 1964) اذ ان الجداول الصغيرة او الأفرع الصغيرة التي ليس لها تفرعات تسمى الترتيب الأول (first ordere) وعندما يلتقي فرعان من الترتيب الأولي معا يُشكل الترتيب الثاني (second order) وهكذا،يلاحظ خريطة يتم التعرف على نوع شبكة الرتب ،اذ ان المناطق الجبلية والشبه جبلية تكون فيها مساحة الرتب الأولى قليلة والعكس اذا كانت الأراضي منبسطة او جافة فقد تصل الى مئات من الكيلومترات(٥) وكما موضح في الجدول (٧) والخريطة (٦) .

خارطة (٥) درجات انحدار السطح لحوض وادي الملح



خارطة (٦) درجات ميل السطح لحوض وادي الملح



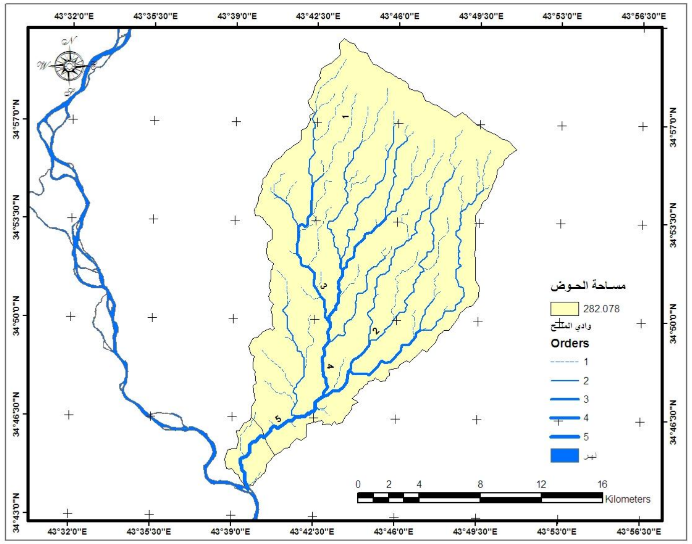
المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج (arc GIS9.3)

جدول (٧) المراتب النهرية لوادي الملح

اسم الوادي	المرتبة	عدد المجاري	مجموع طول المجاري/كم	معدل طول المجاري/كم	نسبة التشعب
وادي الملح	١	١٧٨	٧٥	٠,٣	٣,٧
	٢	٨٠	٤٢	٠,٧	٤,٢
	٣	١٧	٣١	٢,٢	٧
	٤	٣	٥	٢,٥	٢
	٥	١	١٠	١٠	٠
المجموع		٢٧٩	١٦٣		

*من عمل الباحث

خريطة (٦) المراتب النهرية لوادي الملح



٢- نسبة التشعب:-

التشعب هو العلاقة بين عدد المجاري في كل مرتبتين متتاليتين وقد تكون النسب غير متساوية للوادي.ويتم استخراج نسبة التشعب من القانون التالي :-

عدد المجاري في مرتبة ما
____
عدد المجاري في المرتبة التي تليها

يوضح الجدول (٧) ان هناك علاقة طردية بين نسبة التشعب والتصريف فان الرتبة (٤-٣)هي الاكثر تصريفا من بين الرتب،اذ كلما كانت نسبة التشعب عالية فان نسبة التصريف ترتفع[٦].

٣- معدل اطوال المجاري:-

يتم استخراج معدل اطوال المجاري من خلال المعادلة التالية

مجموع أطوال المجاري في المرتبة
معدل أطوال المجاري في مرتبة ما = ______________________
عدد المجاري في المرتبة نفسها

وقد بلغ معدل طول المجاري (٠،٣ - ٠،٧ - ٢،٢ - ٢،٥ - ١٠)،كما في الجدول (٧) ،اما مجموع اطوال المجاري فقد بلغ (٧٥- ٤٢-٣١-٥-١٠) لكل مرتبة[٧] .

٤- نوع شبكة التصريف:-

يحدد نوع شبكة التصريف بالنسبة للوادي طبيعة الجريان في الوادي والتصريف النهري وشبكة التصريف في وادي الملح هي من النموذج الشجري وشبه الشجري ،آذ ينتشر هذا النوع في المناطق ذات المقاومة المتشابهة او المتساوية للتعرية[٨].

٥- كثافة التصريف :-

تعتمد كثافة التصريف على الانهار الدائمية هي تعتبر دليل عن مدى وجود الماء في الوادي ،ويعبر عن كثافة التصريف من خلال المعادلة التالية[٩] :-

مجموع أطوال الأودية في الحوض /كم
كثافة التصريف = ______________________
مساحة الحوض /كم٢

والناتج كان(٢،٥ كم) أي ان كل(١ كم ٢) يتضمن(٢،٥ كم) وهذا يعني ان التصريف قليل ضمن الوادي وشبكة المراتب التي تحتويه قليلة بشكل عام وبالتالي ما يصرُف من مياه قليل أيضا .وتعد كثافة التصريف للوادي او النهر مهمة من الناحية المرفولوجية والهيدرولوجية لأنها تدل على طبيعة الجريان السطحي في الوادي والتي تتأثر بالتراكيب الجيولوجية والانحدار والغطاء النباتي والتساقط .

المبحث الثالث

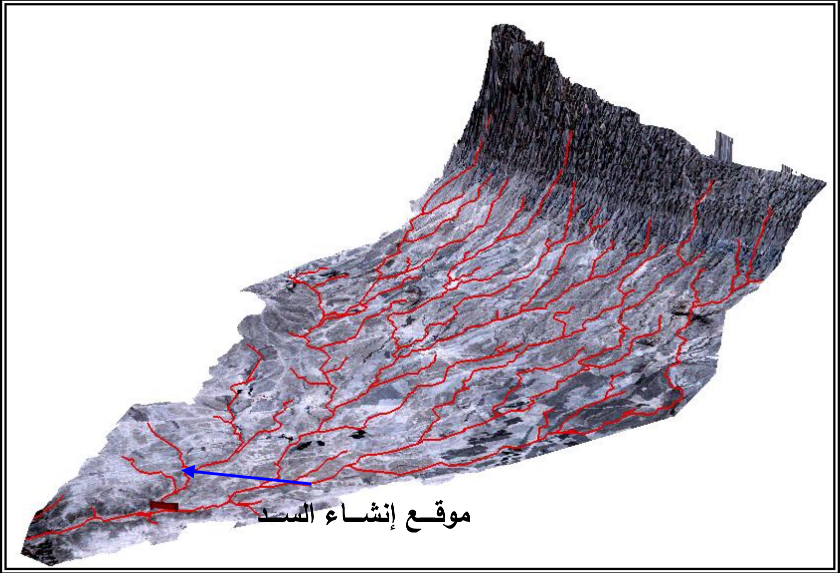
اختيار موضع السد والخزان

لأجل اختيار افضل موقع سد على الحوض لابد من حساب الوارد المائي للحوض (Drainage Basin) وذلك لغرض معرفة حجم الخزان الذي يستوعب اعلى فيضان ، وبهذا سنعتمد على البيان الراداري للقمر الصناعي (SRTM) لمعرفة ادق التفاصيل عن موضع السد وحجم الخزان ، كذلك البيان الفضائي الملتقط من القمر الصناعي (Land sat7 ETM) والمرئيات الفضائية المستقطعة من (Google Earth) . ومن مستلزمات اختيار الموضع وصلاحيته من النواحي الهيدرولوجية والطبوغرافية وتوفر المواد الأولية هو معرفة طبقات التربة التي يستند عليها السد وتخزن المياه خلفه وخصوصا خاصية التحمل والنفاذية وبعد طبقة الصخور من سطح الأرض الطبيعية ، كذلك إيجاد موقع ملائم لمنشأ المسيل (Spillway) لإمرار الفيضانات الكبيرة بصورة أمينة دون حدوث انهيارات في جسم السد بطريقة (Overtopping).

بعد الاطلاع على البيان الراداري للحوض ثم الاستطلاع الميداني للجزء الأسفل من المجرى ، واتضح بان أفضل موضع لأنشاء سد على الوادي هو عند التقاء الرافدان اللذان يشكلا المجرى الأساسي للوادي ، كما في الخريطة (٧) وان هذا الموضع يصلح لكونه يجمع اكبر كمية من مياه الحوض في هذه النقطة فضلا عن انه قريب من السكان والأراضي الزراعية من جهة ولتبعثر مياهه داخل الأفرع العديدة من الأودية اذا انشأ اعلى من هذا الموضع مما يقلل من الفائدة المرجوة للاستفادة من مياهه لذا فهو الموقع الأمثل لانشاء السد يقع موضع السد على ارتفاع ١١٢ م فوق مستوى سطح البحر وحسب الخريطة الكنتورية للبيان الراداري بفاصل راسي مقداره ٢ م .وتبلغ مساحة البحيرة ٣٤.٠٧٤٥٢٦ كم٢ ، ويبلغ طول محيط البحيرة

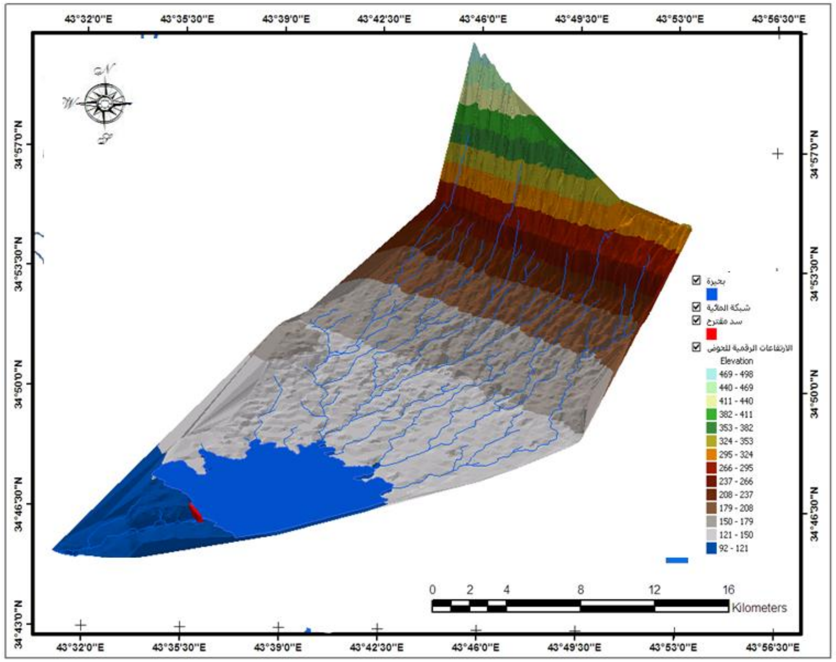
٣٦.٨٦٧ كم ، اما طول السد فيبلغ ١ كم ، كما يبلغ ارتفاعه ٨ متر ، وبطاقة استيعابية قدرها ١٣٦,٠٠٠,٠٠٠ مليون م٣ كما في الخريطة (٨) .

خريطة (٧) موقع السد المقترح



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية لتحديد موقع السد المناسب

خريطة (٨) بحيرة السد لوادي الملح



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية لتحديد موقع السد المناسب

لقد حددت الدراسة مجموع التبخر السنوي بحوالي ٣٥٠٤ ملم ، لمساحة حوض التصريف البالغة ٢٨٢ كم٢ ويمكن للخزان استيعاب اعلى ذروات التصريف في ظروف اعتيادية للكميات المطرية وطبيعة الأرض ، وبالنظر لقلة الغطاء النباتي في الحوض ولعدم وجود تغيرات كبيرة لحالات الاعتراض الطبيعية لأعماق ماء السيح المتجمع اعتبر حجم الماء المعترض في هذا الوادي مستقرا وفي هذا الخصوص يمكن اعتماد العلاقة الاتية وكالاتي :

$Q = p - Jc - J - E$ [١٠]

Q = (ملم) عمق الماء السيح

P = (ملم) عمق المطر الساقط على المنطقة

Jc = عمق الماء السيح المعترض

J = (ملم) عمق الماء النافذ في التربة

E = (ملم) عمق الماء المتبخر

ولغرض درء الفيضانات الكبيرة والتي تمر في السد المقترح تم تقدير اكبر فيضان اعتمادا على المعلومات المستمدة من مقطع لمجرى الوادي اسفل الموقع المقترح بمسافة ١ كم حيث توجد مجموعة من القناطر تحت الشارع الرئيسي العام الذي يربط تكريت العلم / الفتحة وكانت قياسات هذه القناطر كالاتي :

العدد	القياس م	الشكل
١٦	١.٥	مربع

بعد الاستطلاع لآراء سكنه هذه المنطقة وتبين بان المياه في الوادي قد تعبر فوق الشارع او تكون معه في بعض السنين ، مما يدل بان القناطر أعلاه (مربعين + مربعين) لا تستوعب كمية الفيضان التي تمر في هذه المنطقة . ولتقدير اكبر فيضان التي تمر في الوادي تم استخدام معادلة Orifce لحساب الجريان في الوادي وكما موضح الشكل وكالاتي[١١] : –

$$Q_1 \text{ (Square)} = 2\, C_d\, A \sqrt{2gh}$$

$$Q_2 \text{ (Square)} = 2\, C_d\, A \sqrt{2gh}$$

وقد تم اعتبار وجود الماء فوق مركز القناطر بعمق اعلى بقليل من نصف ابعاد القناطر المربعة الشكل وبفرض قيمة غرق الشارع فان قيمة $Cd = 0.6$

وكانت النتائج كالآتي :

$Q_1 = 21\ M^3 / Sec$, $Q_2 = 10\ M^3 / Sec$

مما يمكن تقدير اكبر فيضان والتي تمر من هذا الحوض حوالي $M3 / Sec$ $31m^3$ وعلى هذا الأساس يمكن تصميم المسيل (Spillway) بموجبه .

الآثار البيئية والجدوى الاقتصادية

١ – ان خزن مياه الفيضان في بحيرة السد ستقدم فائدة لأهالي المنطقة أرواء الأراضي الزراعية القريبة والتي تقدر بأكثر من ٥٠٠٠ دونم فضلا عن ارواء قطعان الماشية والتي لا تقتصر على قطعان سكان المنطقة وإنما ستحل مشكلة عند زيارة قطعان الأغنام من المناطق الأخرى .

٢ – سترفع مناسيب الآبار الإلية في منطقة الحوض وبعرض قد يتجاوز ٥ كم في الجانب الشرقي من البحيرة وبذلك سوف توفر مياه إضافية للآبار في موسم الصيهود وعند اشتداد حاجة المحاصيل لهذه المياه .

٣ – بالإمكان نصب مضخات على البحيرة لأرواء الأراضي الزراعية المجاورة للبحيرة علما بان هناك مساحات شاسعة غير مستثمرة وذلك في الجهة الغربية .

٤ – ان انكشاف الصخور الجبسية والمارل في منابع الحوض قد ترفع من نسبة ملوحة مياه البحيرة من جهة سيما في الموقع الأول كما قد تلعب ارتفاع درجات الحرارة صيفا إلى زيادة نسبة التبخر وفقدان كميات كبيرة من مياه البحيرة ، وقد تصاب بعض من أرضية مواضع البحيرة بسبب تواجد الصخور الجبسية سيما في لب السلسلة التالية

٥ – تغطي الأراضي المجاورة للبحيرة رواسب رملية تزيد من ترشيح المياه إلى الأراضي المجاورة مما يزيد من ارتفاع المنسوب المائي الجوفي وقد يؤثر هذا على زيادة تملح الترب أحيانا ، كما ان لعمليات إذابة للصخور الجبسية قد يؤدي الى زيادة هذه الظاهرة .

الخلاصة والاستنتاجات :

تقع المنطقة ضمن سلسلة تلال حمرين والتي تتكشف فيها الصخور الرسوبية في صفاتها الصخرية درجة الصلابة و المسامية والنفاية والتي لها دور واضح في حجم الجريان السطحي ، كما لعب التضرس دور أساسي في سرعة إيصال المياه الى الوادي والمصب وحصول ذروات الفيضان الأقصى فيها .

بما ان المنطقة تقع ضمن النمط المناخي الجاف وشبه الجاف وإمطارها تتبع نظام البحر المتوسط والتي تتميز بقلتها الا أنها تتميز بشدة سقوطها بهيئة عواصف مطرية ، كما يلاحظ ذلك في السنوات الرطبة للأشهر كانون الثاني وشباط وآذار ، وقد تسقط الكميات الشهرية خلال ثلاثة عواصف كاقصى حد لكل شهر منهم.

من خلال الدراسة المورفومترية اتضح سيادة الخصائص التضاريسية في التأثير على سرعة وصول الذروات التصريفية من جهة وتزايد نسبة الرواسب المنقولة علما بان الأحواض المدروسة هي بداية الدورة النهرية اذ تعكس الخصائص المذكورة انفا . ويعد حوض الملح الاكثر خطورة في ذرواتهم التصريفية بسبب كبر مساحتهما .

ان الوضع الطبوغرافي لحوض التغذية يساعد على تامين جريان المياه في الوادي وبالتالي يساعد على انشاء سدود جديدة فضلاً عن السد المقترح وخصوصا في اعلى السد المقترح US.

تتكون اكتاف المجاري من ترسبات فيضية حديثة ، الا ان الوضع الطبوغرافي لايساعد على إنشاء سدود عالية بسبب عرض هذا الوادي الكبير بحدود ١٠٠ – ٥٠٠ م ، ولكنه ملائم لأنشاء سدود قليلة الارتفاع مع مسيل مائي غير مبوب (Ungated Spillway) نظرا لعدم وجود مسح طبوغرافي في هذه المرحلة فيتعذر تحديد ارتفاع الموضع المقترح لأنشاء السد بصورة دقيقة و تحديد حجم خزنه ، ولكن بالإمكان تحديد هذه التفاصيل.

ان وجود حركة المياه الجوفية في أسس السدود والخزانات يؤثر على تحديد طرق معالجة الأسس وعلى طريقة إنشاء هذا السد ، فيتطلب رفع طبقات الترسبات الفيضية من أسس السد وربط لب السد (Core) بالأسس غير النفاذة او الواطئة النفاذية .

ان عدم ورود السيول خلال فترة طويلة من السنة يؤدي إلى عدم الالتزام بالطرق التقليدية في إنشاء السداد الوقتية لحماية الأعمال او تحويل مياه الوادي إثناء التنفيذ ، ولكن يقتضي الأمر بوضع برنامج زمني للتنفيذ للأخذ بنظر الاعتبار موسم ورود السيول .

تؤثر معدلات درجات الحرارة العليا والرطوبة النسبية الواطئة على تصاميم أجزاء السد المختلفة وعلى تشغيل السد الخزن ، فضلاً عن تأثيرها على اختيار نوع المواد الإنشائية ، وينبغي أيضا التفكير في طريقة توفير المياه اللازمة للتنفيذ وعند إعداد برامج التنفيذ .

المصادر :

(١) خلف حسين علي الدليمي ، التضاريس الأرضية ، دراسة جيوموفولوجية ، مطبعة دار الصفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦٢-١٦٤

(٢) عبد الحق خلف حمادة ،التحليل الخرائطي للأنماط التوقيعية لمنطقة تكريت – العلم باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ، رسالة ماجستير ،غير منشورة ،٢٠٠٣.

(٣) كميلة كريم ياسين ، االجيمورفولوجيا التطبيقية للمنطقة المحصورة بين الفتحة – الدور شرق دجلة ، أطروحة دكتوراه ،غير منشورة ،جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد ، ٢٠٠٢. ص ١٣ .

(٤) فؤاد عبد الوهاب العمري ، تأثير المظهر الأرضي في الاستيطان البشري لمدينة تكريت ، ج١ ، موسوعة تكريت ، ١٩٩٥.

(٥) مهدي الصحاف وكاظم موسى ، هيدرومورفومترية حوض رافد الخوصر – دراسة في الجيمورفولوجية التطبيقية ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، نيسان ، العدد ٢٥ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٩٠ ،ص ٣٢ – ٥٢ .

(٦) فيصل خضر محمود الجبر ، جيومورفولوجية وجيوهندسية مدينة الموصل باستخدام تقنيات التحسس النائي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم ، جامعة الموصل ، ١٩٩٧ ، ص ١٥٣ .

(٧) محمد صبري محسوب، جيومورفولوجية الأشكال الأرضية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢٠٥.

(٨) محمد مجدي تراب ، التطور الجيومورفولوجي لحوض وادي قصيب ، شبه جزيرة سيناء ، المجلة الجغرافية العربية ، ع ٣٠ ، الجزء الثاني ، ١٩٩٧ ، ص٢٧٢ .

(٩) وليم دي ثورنبري ، أسس الجيومورفولوجية ، ترجمة د. وفيق الخشاب ود. علي المياح ، ج٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٧٥ ، ص١٦٤.

(10) Tiruvengadachari, S. et. al., Flood in Cauvery Basin. Magnitude and Frequency–Proc. of the National Symp. on Hydr., Nov. 13-15, 1975, University of Roorkee, p. 243 .

(11) H.M. Raghunath, Hydrology principles . analysis . design , Published by New Age International Ltd., ,, Ansari Road, Daryaganj, New Delhi, 2006, p.275 .

TECHNIQUES OF REMOTE SENSING AND GIS IN DETERMINING THE BEST LOCATION FOR "WADI AL-MILH DAM" AT WADI AL-MILIH IN AL-ALAM SUB-DISTRICT

Abstract

The field of practical study of science of geography has become to contain studying the problems of natural environment problems that includes arid valleys with seasonal flow and the effect of man, as an important hydro morphological factor, on the shapes and features of earth surface, in addition to the importance of forecasting natural dangers to make use of results in safeguarding man and his environment.

Arid valleys, as geomorphologic phenomena, play a prominent role in destroying the areas they pass especially areas lie under the hills of Himreen.

Natural and human factors Interacting with the geographical location of Al-Alam Sub-district and Samra Village help increase the effect of holding waters of floods and flows on material and human resources that causes great damage. Then it is necessary to find out their causes and effective factors and analyzing their interaction to avoid their harms or lessening them and make the city under their effect safe and help progress and prosperity in the urban society.

الإحراج وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية

م. وفـــــاء كنعـــــان خضــــــير
جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم العلوم التربوية والنفسية

المستخلص

من المفاهيم التي بدأت تأخذ قدر من الاهتمام من قبل الباحثين في المجال النفسي والتربوي هو الاحراج الذي يشكل احد العوامل النفسية ذات التأثير السلبي في الحد من قدرة التكيف مع الاخرين وبالتالي يقلل من فرصة تكوين علاقات مع الاخرين والاستفادة من خبراتهم .

ونمط الشخصية يكون المدخل الاساسي في فهم السلوك الانساني اذ ينظر الى الشخصية ككل متكامل من خلال تفاعل العناصر مع بعضها البعض .

وقد استهدف البحث الحالي التعرف على مستوى الاحراج ونمط الشخصية تبعاً لمتغير الجنس (ذكور– إناث) وكذلك معرفة العلاقة بين الاحراج ونمط الشخصية تبعاً لمتغير الجنس (ذكور –إناث) .

وقد بلغت عينة البحث (١٢٠) طالب وطالبة من المدارس الاعدادية في محافظة صلاح الدين – قضاء تكريت .حيث قامت الباحثة ببناء مقياس الاحراج وتكون بصورته الاولية (٣٨) فقرة وتم عرضه على مجموعة من الخبراء وكذلك استخراج علاقة الفقرة بالدرجة الكلية واصبح المقياس يتكون بصورته النهائية من (٣٠) فقرة وتم حساب ثبات المقياس بطريقة اعادة الاختبار وبلغ (٠.٨٦) .

اما بالنسبة لمتغير نمط الشخصية (الانبساطية – العصابية) فقد اعتمدت الباحثة اختيار قائمة ايزنك للشخصية (الصورة أ) حيث تم عرضها على مجموعة من

المحكمين لاستخراج الصدق الظاهري وكذلك استخراج معامل الثبات من خلال طريقة اعادة الاختبار والذي بلغ (٠.٨٦) وهذا يعد معامل ثبات جيد .

وبعد استخراج الصدق والثبات للمقياسين قامت الباحثة بتطبيقهما على عينة البحث الاساسية البالغة (١٢٠) طالب وطالبة من طلبة المرحلة الاعدادية وتم معالجة البيانات باستخدام (T.test) ومعامل ارتباط بيرسون وتوصلت الى النتائج الاتية :

ان الطلبة بشكل عام يتعرضون للاحراج في هذه المرحلة في مواقف اجتماعية مختلفة وكذلك تبين ان الاناث يتعرض للاحراج اكثر من الذكور وكذلك اشارت الى ان المجموعة الانبساطية سواء الاتزانية او العصابية نسبها المئوية اعلى من المجموعة الانطوائية وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية بين الذكور والاناث في هذه الانماط ، ويتبين ان هناك علاقة طردية بين الاحراج والمجموعة الانطوائية وكذلك علاقة عكسية بين الاحراج والنمط الانبساطي .

وقد خرجت الباحثة بمجموعة من التوصيات والمقترحات .

الفصل الأول

التعريف بالبحث

مشكلة البحث .

يعد مفهوم الاحراج من المفاهيم الحديثة نسبياً الا انه كان معروفاً لدى علماء النفس قديماً ... ويمثل الاحراج مشكلة لدى الفرد سواء كان بالنسبة لعلاقاته مع الاخرين داخل الاسرة او زملاء العمل او التكيف النفسي والاجتماعي بشكل عام ، واحياناً قد يوصل الفرد الى بعض الاضطرابات النفسية منها القلق ، التوتر ، او كآبة.

وعندما يكون الاحراج ازمة لموقف عابر فهذا أمر بديهي لكن عندما يصبح الاحراج سمة من سمات شخصية الفرد عندما يرتبك عندما توجه البداية ملاحظة عابرة وتسبب له الضيق ويتلعثم في الكلام..والتعبيرات غير الصحيحة فهذا يشكل خطورة الاحراج عندما يكون سمة ثابتة من سمات الشخصية.(Falelman, 1997p.95)

ويشكل الاحراج نتيجة لتاثير الاسرة في تنشئة الطفل اساليب معاملتها مما ينعكس على سلوكه التفاعلي مع البيئة التي يعيش بها اضافة الى عدة عوامل والظروف الموضوعية التي تحيط بحياة كل انسان .

أهمية البحث والحاجة إليه .

من المفاهيم الحديثة نسبياً ، مفهوم الاحراج بوصفه واحد من المفاهيم الزمنية التي حظيت بالدراسة والبحث خلال العقود الثلاثة الاخيرة حيث يختلف الافراد فيما بينهم من حيث طبائعهم وسماتهم وامزجتهم فنرى منهم اللطيف ، والقاس ، وكذلك المنبسط والمنطوي وكذلك الصريح والخجول ، كل له طبعه الخاص ، وفي الحقيقة هناك بعض السمات تعد في بداية الامر سمات عادية ،طبيعية ، ولا تشكل عائق لدى الفرد كسمة الخجل ، والتي قد تلاحظ في فترة المراهقة ، حيث يحس المراهق

بالخجل بسبب مشاعره التي يتعرض والتي يمكن ان نربطها بالتغيرات الجسمية التي تسبق فترة البلوغ والنضج وهذا نتيجة لنشاط الغدد الجنسية كذلك يعد الخجل امر عادي وسمة محمودة في مواقف معينة تستدعي فيها الخجل لدى الفرد كطبيعة انسانية كان يقدم له اطراء حسن لفعل ما قام به وغيرها.(عبد الرحمن ، ٢٠٠١ : ٦).

ويعزو الباحثين في علم النفس الاحراج الى عدم الاختلاط الكثير بالناس ولا شك ان للاسرة لها تاثيراً رئيسياً في نشوء نزعة الإحراج في نفس الفرد ، وتنمية بذرتها الخطيرة التي تحد كثيراً من فعالية الاتساق في مجالات متعددة من حياته الاجتماعية وسلوكه التفاعلي مع البيئة التي يترعرع منها.(Costa, 1995 : P.471)

ومن الطبيعي ان ازمة الاحراج وانفعالاتها الوجدانية والنفسية تختلف من شخص لاخر وذلك لتعدد الاحوال والعوامل والظروف الموضوعية التي تحيط بحياة كل انسان ويشير ميلر (Miller, 1995) الى ان الاحراج بوجود اشخاص لا نعرفهم أو نعرفهم معرفة بسيطة تعلق على رأيهم فينا وهذا هو ما يعلل احراجنا بحق الاسوياء او على الاقل ضفنا حين نجتمع الى من يختلفون عنا في الطبقة الاجتماعية والعلمية او المهنية او غير ذلك . (Miller, 1995 P106)

ويذكر كوفمان (Goffam) الى ان الاحراج يشوه صورة الفرد لما فيها من ارباك وكبت تنتج عندما تهدد الاحداث غير المرغوب فيها هوية الفرد في حالة مقية ولذلك تتجنب الناس الاحراج قدر الامكان حتى لو كلفهم ذلك كثيراً (Goffam 1956 .P , 1)

وتوصل جيبونس (Gibbons, 1990) في دراسة الشعور بالاحراج يعود الى الارتباك وان هناك تشابهات في الاستجابة الملاحظة لكل منها وهما يسهمان في اسباب مباشرة معينة وقد يصعب على بعض الاشخاص التميز بينها وهناك بعض المؤلفين امثال (كوتمان 1970)دمج الشعور بالاحراج والارتباك في فئة واحدة (Gibbons, 1990:p.132).

ويشير كوباش (Caupach, 1999)الى ان الاحراج هو نشاط سلوكي او هو ضرباً في الحركة المستمرة التي لا يتبين لها غرض او نتيجة او غاية معينة ،هذا من الناحية الظاهرية اما من الناحية الباطنية للفرد فنشاطه النفسي يتخذ ضرباً من التصور والمفك الذي لا يحكمه انتظام لا يغلب عليه اتساق ولا تلازم (Caupach, 1999: p.227).

وبناءً على ما تقدم فان هذا كله يدخل ضمن العوامل الاجتماعية والتي تتمثل في التنشئة الاجتماعية التي تطبع الفرد وتساعد على نمو الاحراج لديه وقد بينت بعض الدراسات الى ان الاحراج له تاثير كبير وسلبي على قدرة الفرد على التفاعل الجيد مع الاخرين ويقلل من فرصة الصداقات مع الاخرين . (Edelmann, 1987: p.66)

ومن العوامل الاخرى للحرج هي العوامل البيولوجية وتتضمن الاستعدادات الموروثة التي يمكن ان تجعل الفرد مستهدفاً للارتباك ويشير (Buss, 1980) الى ان هناك استعدادات نفسية ومنها الشعور العام بالذات /عدم الكفاءة الاجتماعية / التكتم الاجتماعي كلها قد تؤدي الى الشعور بالحرج والخجل وقلق الجمهور .(Buss, 1980 :p.111)

واشارت دراسة فيلد (Field, 1995) الى هناك مجموعة من الافراد يشعرون بالاحراج والارتباك ولا يعرفون ماذا يفعلونه ويحاولون القيام بالآف الخدع لابقاء انفسهم في حالة من الرزانة وضبط النفس ثم تحولت هذه الخدع الى عادات لهم (Harr, 1990, p.189).

اما دراسة ايدلمان (Edelman, 1997) فنرى ان الاحراج قد يكون ازمة عارضة ومن النادر ان نجد انسان لم يكن قد خبر الاحراج في مرحلة من مراحل حياته وفي مواقف شخصية او مناسبات اجتماعية ونرى ان بعض الافراد يرتكبون

عندما توجه اليم اية ملاحظة عابرة مما قد تسبب لهم اضطراباً نفسياً ينعكس وينسب عنه حركات مضطربة مترددة .(Edelman, 1997:p. 95)

وتشير الادبيات في علم نفس الشخصية الى اهمية تنميط الشخصية (The Personalty Typlogy) اذ تمكن في ان أهدف البحوث التجريبية المتمثلة في ضبط المتغيرات الدخيلة في التجارب والتناول المنظم لمتغيرات البحث، يمكن ان يكون المدخل الاساس في فهم السلوك الانساني اذ ينظر الى الشخصية الانسانية كونها تنظيماً ديناميكياً مكوناً في عدد من العناصر المتفاعلة مع بعضها البعض وهي عناصر غير ملموسة بل مظاهر وتفسيرات تلحق بالسلوك الانساني.(ريوان، ٢٠٠٨:٨)

ومن اهم الدراسات ما اشار اليه ايزنك (Eyzenk) في ابحاثه عن التفاعل بين بعدي (الانبساط- الانطواء)ومن وجهة (العصابية)من جهة اخرى وما قد يعنيه ذلك فيما يخص مختلف المشكلات النفسية وتوصل الى ان الناس المصابين بالذهان واضطرابات الوساوس القهرية كانوا يميلون الى ان يكونوا شديدوا الانطواء بينما يكون الناس المصابين بالاضطرابات التحويلية مثل (الشلل الهستيري) والاضطرابات التفككية مثل فقدان الذاكرة ميالين لان يكونوا اكثر انبساطاً، ويرى ايزنك (Eyzenk) ان الناس مرتفعي الانبساطية يعيشون على نمو مضبوط للمثيرات المخيفة فاذا ما كانوا انطوائيين فانهم سوف يتعلمون تجنب المواقف التي تسبب الفزع بسرعة شديدة وبدقة حتى يصل بهم الامر الى الاصابة بالذعر حتى من الرموز البسيطة التي تدل على تلك المواقف أي انهم يصابون بالرهاب اما الانطوائيين فسوف يتعلمون بسرعة وبدقة سلوكيات معينة تلازمهم مثل تفقد الاشياء عدة مرات وبكثرة او غسل اليدين مرة بعد اخرى اما الانبساطيون مرتفعي العصابية فانهم مميزون في اهمال الاشياء او نسيانها والتي تقهرهم فهم يتحكمون في آليات الدفاع مثل الانكار والكبت والاسقاط وغيرها من اليات الدفاع .(ناصر ، ٢٠٠٢: ٢-٨)

كما اكد هربل(Harbal, 2002) في دراسته على دور نمط الشخصية حتى في مجال العمل فقد اشار الى ان نمط الشخصية له واهمية كبيرة في مجال المهن والوظائف فدراسات الشخصية وانماطها وميولها وقدراتها ومدى ملائمتها لمهنة معينة وابعاد مهن اخرى لا تلائمها يسهم في تطوير الشخصية وقياسها واختياراتها وفي ظهور تخصصين ومراكز للتوجيه .(Hurbal, 2000: p153)

واشار خياطة (١٩٩٧) في دراسته الى ان الانطواء والانبساط موقفان كل منهما يعني مثيلاً اساسياً بحكم السياق النفسي بكامله فهناك فئة من الناس في لحظة استجاباتهم لموقف معين ينسحبون في البداية وكانهم يهمسون بكلمة (لا) غير مسموعة ثم بعد ذلك يبدأون في رد الفعل وهناك فئة من الناس يقابلون الموقف نفسه باقدام واستعداد اولي للاستجابة وكانهم واثقين من ان سلوكهم صواب بداهة وعلى ذلك فان رد فعل المنطوي يتصف بالسلبية بما يتصف رد فعل المنبسط بالايجابية والثقة والجرأة .(قاسم، ٢٠٠٦: ٣١)

كما اكدت بلايت (Plytt, 1971) في دراسته على ان نمط الشخصية الدور الكبير في قدرة الفرد على الحكم في انفعالاته كما ان العصابية لها دور كبير في خلق شيء من القدرة في السبورة على التحكم في انفعالاته الذاتية .(عبد الفتاح، ١٩٩٣: ٢٤٣)

وقد اشارت دراسة باتوسون (Pattuson) الى دور انماط الشخصية في اخذ المواقع الوظيفية فقد وجد ان هناك اختلاف في انماط الشخصية ضمن الهيكلية الادارية مما يؤكد على دور النمط في المركز الاداري للفرد فضلاً عن اختلافهم في نمط الشخصية التصوري ونمط الشخصية التقليدي .(Petterson, 1986: 74)

واكدت دراسة نشواني (١٩٨٨) على اهمية نمط الشخصية في التحصيل الاكاديمي حيث يتبين ان الانطوائيين للمستويين هم الاكثر قابلية على مواصلة دراسته.

(نشواني، ١٩٨٨: ٢٦١)

وقد اشار بال(Ball) الى ان نمط الشخصية الذي تمتلكه يؤثر في اسلوب التواصل الذي تنتهجه مع الاخرين ويشير بال من خلال دراسته الى ان الاشخاص من نمط الشخصية الانطوائية يميلون الى استعمال وسائل الاتصال الالكتروني مثل البريد الالكتروني والفاكس اكثر من ذوي الشخصية الانبساطية اللذين يفضلون الاتصال المباشر وجهاً لوجه . (Ball, 1997: 18)

وتبرز اهمية البحث الحالي خلال تاكيد الباحثة على شريحة اجتماعية مهمة تتطلع من خلالها الى النهوض بالمجتمع لان الشباب من الطاقات البشرية المهمة وعنصر مهم في عملية بناء المستقبل ومرحلة مهمة في حياة الفرد اذ يتحدد بهذا المسار ومن المعروف من هذه المرحلة الانتقالية لذا تقع على عاتقهم مسؤولية بناء المستقبل ونحن في مرحلة نحن بحاجة الى البحث في هذا المجال .

أهداف البحث .

يهدف البحث الحالي الى :-

١- التعرف على الاحراج لدى طلبة المرحلة الاعدادية وتبعاً لمتغير الجنس (ذكور- اناث).

٢- التعرف على نمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية وتبعاً لمتغير الجنس (ذكور- اناث).

٣- التعرف على العلاقة بين الاحراج ونمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية .

حدود البحث .

يقتصر البحث الحالي على طلبة الصف الرابع العام في مدارس محافظة صلاح الدين/ قضاء تكريت للعام الدراسي ٢٠٠٩- ٢٠١٠ .

تحديد المصطلحات .

أولاً:- الإحراج .

١- تعريف بابكوك Babcock, 1988 .

" سلوك غير مرغوب فيه يبتعد عن المعايير الشخصية التي فرضناها على ذاتنا حتى وان لم تكن معروفة لاحد فقط معروفة عندنا " (Bennett, 1999: 115)

٢- تعريف باروت وسمث(Parrott & Smith, 1991) .

" حالة من الارباك التي تعقب الحوادث التي تزيد من تهديد التقسيمات غير المرغوب فيها .(Parrott &Smith, 1991, p.12)

٣- ليري (Leary, 1995) .

" حالات من الكدر جراء مازق لا نرغب في حدوثه.(Leary, 1995: 961)

٤- كلاس (Klass, 1997) .

" شعور الفرد بالارتباك وعدم الارتياح يصاحبه تغير في لون الوجه وتعلثم في الكلام .(Klass, 1997: p.104)

التعريف الإجرائي للإحراج .

"الدرجة التي يحصل عليها المستجيب من خلال اجابته على المقياس المعد لهذا الغرض"

التعريف النظري للإحراج .

" نظراً الى أن الباحثة قد استخدمت مقياس (Modiglian, 1968) للاحراج عليه فأنها تبنت تعريفه الذي ينص على أن الإحراج هو : فقد ان تقدير ذاتي خاص قصير الامد ولكن حاد التأثير " .(Modigliani, 1968, p.19)

ثانياً :- نمط الشخصية .

١- تعريف ايزنك (Eyzenek, 1964) .

"هو تجمع ملحوظ او سمة ملحوظة من السمات ، وهو نوع من التقويم اكثر عمومية وشمولاً والسمة جزء من الانماط " .(هول وكالفن، ١٩٧١: ٤٩٨)

٢- تعريف يونس (١٩٦٦) .

" عادات التكيف التي اكتسبها الفرد في اثناء نموه " . (يونس ،١٩٦٦: ٣٤)

٣- تعريف ماكوني (١٩٨٥) .

" فئة من الناس لهم طبيعة خاصة تجعل كل فرد في هذه الفئة يشبه غيره في نفس الفئة ، وتفرق بينهم وبين غيرهم من الافراد في فئة اخرى " .(قاسم، ٢٠٠٦: ١٤)

٤- تعريف عبد الله (٢٠٠١) .

" تجمع السمات الاساسية النظرية او الجسمية التي تكونت في مستهل الحياة ولا تخضع لتغير اساسي " .(عبد الله، ٢٠٠١: ٨١)

٥- تعريف الملاح (٢٠٠٣) .

" مفهوم يشير الى فئة او صنف من الناس او الافراد الذين يشتركون في الصفات العامة وان اختلاف بعضهم عن بعض في درجة اتسامهم بهذه الصفة ".(الملاح ، ٢٠٠٣: ٣)

التعريف النظري لنمط الشخصية .

" تبنت الباحثة لتعريف ايزنك للانماط : بوصفه تجمعاً ملحوظاً او سمة ملحوظة من السمات على اساس ان للانماط ما هي الا عبارة عن عدد من السمات تجمعت فشكلت الخط المعين لشخصية الفرد " .

التعريف الإجرائي لنمط الشخصية .

" هو الدرجة التي يحصل عليها المستجيب على مقياس انماط الشخصية الذي اعد لاغراض هذا البحث " .

الفصل الثاني

الإطار النظري ودراسات سابقة

أولاً :- الإطار النظري .

وجهات نظر في الإحراج .

- الاحراج من وجهة نظر كوفمان Goffman.

يظهر الاحراج بعض الخصائص العامة للتفاعل في كل مواجهة او صدام وجهاً لوجه إذ يظهر الاحراج عندما يشعر الفرد انه اسقط التعاريف المتضاربة لنفسه قبل ظهورها . لا تظهر هذه الاسقاطات عشوائياً او لاسباب نفسه بل تظهر في مواقع معينة من المواقف الاجتماعية اذ تنتشر المبادئ المتضاربة للتنظيم الاجتماعي عند الادراك المسبق للصراع بين هذه المبادئ يكون الاحراج وظيفته الاجتماعية الخاصة به .

وقد يلاحظ الفرد الاحراج الشديد عند الاخرين اوفى في نفسه من خلال العلاقات الظاهرة للاضطراب الانفعالي مثل الاحمرار والارتجاف والتمتمة وانخفاض او ارتفاع نغمة الصوت بشكل غير اعتيادي والكلام المرتعش والتعرق وشحوب الوجه

وتطرف العين وارتعاش اليدج والتردد والحركة المتذبذبة وشرود الذهن والخطأ في استعمال الالفاظ .... الخ وكما ذكر مارك بالدن Mark Baldon, 1955 عن الخجل ان من علاماته (غض البصر ، انحناء الرأس ، وضع اليدين خلف الظهر ، مسك الملابس بشكل عصبي ، شبك الاصابع مع بعضها ، التلعثم في الكلام او عدم ترابط الافكار عند التعبير .(Goffman, 1956 :p. 264)

- وجهة نظر مودغليني Modigliani .

استنتج (Modigiliani) اربعة فرضيات من اطاره النظري الذي يعبر عن الإحراج كشعور بعدم التلائم مستنبط من الاعتقاد ان الذات التي يقدمها الفرد تظهر ناقصة امام الاخرين وهذه الفرضيات هي :

١- يمكن ان يظهر الاحراج فقط في وجود الاخرين .
٢- يمكن ان يضعف الاحراج من خلال ان شعور بان سلوكه غير ناقص امام الاخرين .
٣- يرتبط الاحراج بالاتصال البصري (Execontact) .
٤- يرتبط الاحراج بالجهود المبذولة لتطوير ذات الفرد المقدمة من خلال دلالة التعابير (Face Work) .

وقد تم اختيار هذه الفرضيات باستخدام انموذج تجريبي الذي سبب الفشل او النجاح لعينات التجربة سواء كان ذلك في مكان عام او خاص .

وبصورة عامة اكدت النتائج فرضية رقم (١) لكنها اشارت الى ان الشكل المعتدل (الاحراج المعتدل) يمكن ان يظهر في الوجود المتوقع للاخرين لم يجري اختبار الفرضية (٢) وذلك بسبب الفشل الجزئي الذي حدث اثناء التجربة لكن بالرغم من هذا الفشل الا ان لهذه الفرضية مضامين تتعلق بالقدرة على تطبيق الفرضية ، اما الفرضية (٣) فقد حصلت على دعم واضح لكن التحليلات المستفيضة بينت ان

العينات المجربة غضوا اعبهم عند مواجهة احد افراد المجموعة الاخرى لانهم يمتعضون من نقده لادائهم الضعيف كما تم دعم فرضية (٤) بشكل واضح (Modiglianio, 1971, p.15).

انماط الشخصية .

١- انماط هيبوقراط Hipocrat .

تعد نظرية هيبوقراط (٤٦٠- ٣٧٠)ق.م من النظريات الاولى التي حاولت تصنيف الناس الى انماط مزاجية على اساس ان هناك اربعة سوائل جسمية مختلفة تؤثر في اربعة انماط اساسية وهي :-

- النمط الدموي Sangyine صاحبه متفائل ومرح ونشيط وممتلئ الجسم وسهل الاستثارة وسريع الاستجابة ويهتم باللحظة الحاضرة .
- النمط الصفراوي Cholerice اهم ما يتميز به هذا النمط سرعة الغضب والعدوانية والتشاؤم ويكون متقلب المزاج .
- النمط السوداوي Malahcholic يجد صعوبة في التعامل مع الناس ويكون منطوي على نفسه ويكون بطيء التفكير ولا يخلو من القلق والجدية .
- النمط البلغمي او اللمفاوي Phlegmutic يكون هذا النمط بطيء الاستثارة والاستجابة ويميل الى الشره وسلبي ويكون مراعٍ لشعور الاخرين .

(العيسى ، ١٩٧٣: ٧٧)

٢- انماط كرتشمر Kretschmer .

قسم الناس الى ثلاثة انماط :-

أ- النمط الواهن / ربطة بالمزاج العصابية جسمه نحيل ومليء بالحيوية .
ب- النمط السمين / جسمه متباين وقد تم ربطه بذهان الهوس .
ج- النمط الرياضي / يمتاز بقوة الجسم وتقاسيمه حادة وقوية .

(نابلس ،١٩٨٩: ٤٠) (شاهين ،١٩٩٥: ١٩)

٣- انماط شلدون .

قسم الانماط الى :

١- النمط الحشوي / يتميز سلوكه بالهدوء الانفعالي ومتسامح وقوة الجهاز الهظمي .

٢- النمط العظمي او العقلي / قوة الهيكل العظمي وملائمته وكذلك يتميزون بلنشاط العقلي والسيطرة .

٣- النمط الرخو / ويتميز بالطول ونعومة الجسم ورهاقة الحس .

(محمود ، ٢٠٠١: ١٦)

٤- انماط يونك .

استطاع ان يميز بين نمطين اساسيين هما:-

أ- نمط الانبساط Exgrrarsion ويتجه الشخص نحو العالم الخارجي فهو يميل لان يكون اجتماعياً وله علاقات واسعة مع الناس ويحاول ان يجد عملاً لاجتماع بالاخرين .

ب- النمط الانطوائي In troveslon يميل الشخص الى العزلة نوعاً من ما ويميل الى عالمه الذاتي ويعطيه اهمية اكبر .

ويشير يوزنك كل شخص يحمل الاتجاهين معاً غير ان احدهما يكون هو الاكثر سيطرة على شخصية الفرد . (عدس وتوق ، ٢٠٠٥: ٣٣٤)

ثانياً :- دراسات سابقة .

١- دراسات تناولت الاحراج .

أ- دراسات عربية .

١) دراسة الانصاري (١٩٩٧) .

" قياس الاحراج الموقفي لدى طلاب المرحلة الجامعية من الجنسين وعلاقته ببعض المتغيرات في المجتمع الكويتي "

هدفت الدراسة الى تحديد طبيعة العلاقة بين الحرج الموقفي وبعض المتغيرات (الخجل ،القلق التفاعلي ، التحكم الاجتماعي، التجنب الاجتماعي، العصبية ،الانبساط ، الصفاوة، الطبية ، الضجر ، الذنب) .حيث تكونت العينة من (٣٤٥) طالباً وطالبة من المرحلة الجامعية ، وكانت ادوات الدراسة هي مقياس الحرج الذي اعده الباحث المتكون من ١٨ فقرة ،وقد استخدمت الوسائل الاحصائية التالية : الاختبار التائي، معامل ارتباط بيرسون، معادلة سبيرمان ، معامل الفا للالتفاف الداخل ، واظهرت نتائج الدراسة الى وجود فروق جوهرية بين الجنسين في الحرج الموقفي ولصالح الطالبات ووجود فروق في السمات الشخصية بين الافراد الاكثر حرجاً عن الافراد الاقل حرجاً اذ يتسم الافراد المحرجون بالخجل والقلق التفاعلي والتكتم الاجتماعي والعصبية .

(الانصاري،١٩٩٧: ٥٠٣٧)

٢) دراسة عبد الرحمن (٢٠٠٢) .

" علاقة الاحراج بمراقبة الذات لدى طلبة الجامعة "

هدفت الدراسة الى :

١. التعرف على علاقة الاحراج ومراقبة الذات .

٢. التعرف على الفروق الفردية في مستوى الاحراج تبعاً لمتغير الجنس والتخصص العلمي .

تكونت عينة الدراسة من (٥٠٠) طالباً وطالبة موزعة عل ست كليات في جامعة بغداد والمستنصرية ، وكانت ادوات الدراسة هي تعريب مقياس مودغيلني الى اللغة العربية واستعمال مقياس مراقبة الذات لخيري .ومن الوسائل الاحصائية المستخدمة هي : الاختبار التائي ، معامل ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان براون ، ومعامل الفا للاتساق الداخلي . وتوصلت نتائج الدراسة الى ان مستوى الاحراج لدى الطالبات في الجامعة اعلى من مستوى الطلبة الذكور وهناك علاقة ارتباطية بين الاحراج ومراقبة الذات .

(عبد الرحمن ،٢٠٠٣: ١١٧- ٢١٦)

ب- دراسات اجنبية :-

- دراسة برون وكارلاند (Brown & Graland, 1991).

" **اثر ممارسة الفرد نشاط اجتماعي لدى طلبة الجامعة** "

استهدفت الدراسة الى معرفة اثر ممارسة الفرد نشاط اجتماعي كان يكون غناء على وجه التحديد وطلب من (٩٥١) طالب من طلبة الجامعة الغناء مقابل اجر عالي يدفع لهم، اعتبار ان اطول اغنية هي التي ستحصل على اجر اعلى فقد كان الطلبة محرجين من اصواتهم السيئة وكان ذلك كافياً ليجعلهم يقطعوا اغانيهم وبذلك اظهرت النتائج في هذه التجربة محاولة الطلبة الهروب من خلال التظاهر بالانشغال بسلوك اجتماعي بديل .

(Brown & Garland, 1997 p. 30)

- دراسة كاربينتر(Garpenter ,1998) .

" **بعض الخصائص المشتركة بين الاحراج والمبادأة الاجتماعية** "

هدفت الى وجود بعض الخصائص المشتركة بين الاحراج والمبادأة الاجتماعية من حيث :

١) عدم المقدرة على اكتساب اصدقاء جدد سهولة .
٢) الشعور بالاحراج عند الدخول متاخراً الى قاعة الاجتماع بعد دخول جميع الافراد.
٣) الاحساس بالتوتر عند الحديث مع الغرباء او شخص من اصحاب السلطة .

(Garpenter, 1998 p: 461)

- دراسة ميللر (Miller, 2000).

" **العلاقة بين الاحراج والقلق الاجتماعي لدى طلبة الجامعة** "

هدفت الدراسة الى معرفة العلاقة بين الاحراج والقلق الاجتماعي ، حيث اظهرت نتائج هذه الدراسة من (٩٣٣) طالباً وطالبة جامعية ، اظهرت نتائج هذه الدراسة بوجود علاقة ايجابية بين الاحراج (القلق الاجتماعي) لان العينات التي سمت نفسها محرجة هي في الحقيقة قلقة اجتماعياً ، كما ظهرت النتائج انه ليس هناك فروق ذات دلالة احصائية لمتغير الجنس في هذه الدراسة . (Miller, 2000: p.141)

٢- دراسات تناولت نمط الشخصية .

أ- دراسات عربية :-

- دراسة ناصر (٢٠٠٢) .

" **بعد الشخصية الانبساط- الانطواء وعلاقتها باضطراب الشخصية التجنسية** "

هدفت الدراسة الى التعرف على الفروق في الانبساط والانطواء على وفق متغير الجنس وكذلك التعرف على العلاقة بين الاضطرابات الشخصية التجنبية وبين (الانبساط – الانطواء) والعصابية . وكانت عينة الدراسة مكونة من (٤٠٠) طالباً وطالبة موزعة على جامعة بغداد ، وكانت ادوات الدراسة هي قائمة ايزنك للشخصية ومقياس اضطراب الشخصية التجنبية، ومن الوسائل الاحصائية المستخدمة في الدراسة معامل ارتباط بيرسون ، الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ، معادلة كودر .

اظهرت النتائج ان نسبة المصابين باضطراب الشخصية التجنسية ١٨% من طلبة الجامعة وجود علاقة سالبة بين العصابية (الانبساط– الانطواء) ووجود علاقة ارتباطية دالة بين العصابية واضطراب الشخصية التجنسية ولا توجد علاقة ارتباطية واضحة بين الانبساط – والانطواء والشخصية التجنسية .(ناصر ،٢٠٠٢)

– دراسة رويج (٢٠٠٧) .

" اساليب التعامل مع الصراع وعلاقتها بانماط الشخصية "

هدفت الدراسة الى التعرف على اساليب التعامل مع الصراع لدى طلبة الجامعة ، والكشف عن الفروق في اساليب التعامل مع الصراع تبعاً لانماط الشخصية ، وقد تكونت عينة الدراسة من (٣٥٠) طالباً وطالبة في الجامعة المستنصرية وكانت ادوات الدراسة هي مقياس اساليب التعامل مع الصراع ومقياس انماط الشخصية والتي اعدها الباحث .

واظهرت النتائج الى ان هناك علاقة بين اساليب التعامل مع الصراع وانماط الشخصية حيث اسلوب الارغام اكثر الاساليب مبلاً لدى النمط التفكيري وكذلك اسلوب التجنب اكثر الاساليب حيلاً لدى النمط الشعوري .(رويج ،٢٠٠٧)

ب– دراسات اجنبية .

– دراسة ميلير روبي وسميث (Milropy & Smith ,1985) .

" أساليب التعامل مع الصراع وعلاقته بانماط الشخصية على وفق تصنيف يونك "

هدفت الدراسة الى التعرف اساليب التعامل مع الصراع وعلاقتها بانماط الشخصية ، وتكونت عينة البحث من (٨٠) مديراً ، وشملت ادوات الدراسة مقياس كاتل وتوماس لقياس اساليب التعامل مع الصراع ومقياس(M.B.T.I.) لانماط الشخصية. وتوصلت الدراسة الى النتائج التالية: وجدت الدراسة ان المدراء الذين يتسمون بالتفكير (لإ) في طريقة الحكم يميلون للتوكيد بينما يميل الشعوريون(F) للموائمة، وكذلك ان المدراء الانبساطيون يميلون للتكامل في حين يميل الانطوائيون للتجنب .

(رويج ،٢٠٠٧ : ٢٨)

الفصل الثالث

إجراءات البحث

يتضمن هذا الفصل عرضاً للاجراءات التي تمت بغية التحقق من اهداف البحث الحالي والذي يتضمن وصفاً لمجتمع البحث والعينة مع توفير الادوات لقياس متغيراته والتي تتسمان بالصدق والثبات والتمييز وتمت على النحو الاتي :

أولاً :- مجتمع البحث .

لقد تحدد مجتمع البحث الحالي بطلبة الصف الرابع الاعدادي في مدينة تكريت للعام الدراسي (٢٠٠٩– ٢٠١٠) وقد بلغ المجموع الكلي لمجتمع البحث (٨٤٥)[*] إذ بلغ عدد الطلبة في التخصص العلمي (٣٩٨) طالب وطالبة في حين بلغ عدد الطلبة في التخصص الادبي (٤٤٧) طالب طالبة وتوزعت اعداد الطلبة لمجتمع البحث على (١٦) مدرسة منها (٨) للذكور و (٨) للاناث ، والجدول (١) يوضح ذلك .

(*) حصلت الباحثة على الاعداد من تربية صلاح الدين / التخطيط التربوي.

جدول (١)

أعداد طلبة الصف الرابع الإعدادي في مركز مدينة تكريت للعام الدراسي ٢٠٠٩- ٢٠١٠ موزعين حسب المدارس

ت	اسم المدرسة الإعدادية والثانوية	العدد
١	اعدادية عمر بن جندب للبنين	٨٠
٢	اعدادية الفرقان للبنين	٥٨
٣	ثانوية تكريت المطورة للبنين	٧٥
٤	ثانوية عقبة بن نافع للبنين	١٠١
٥	ثانوية خالد بن الوليد للبنين	٧٦
٦	ثانوية الجامعة للبنين	٩
٧	ثانوية المغيرة للبنين	٢٢
٨	ثانوية التوحيد للبنين	١٢
٩	ثانوية تكريت المطورة للبنات	٧٢
١٠	ثانوية الخنساء للبنات	٧٩
١١	ثانوية الميسلون للبنات	٦٥
١٢	ثانوية البيان للبنات	٥٦
١٣	ثانوية سمية للبنات	٢٥
١٤	ثانوية المستنصرية للبنات	٣٣
١٥	ثانوية ام المؤمنين للبنات	٣٢
١٦	ثانوية العقيدة للبنات	٢٠
	المجموع	٨٤٥

ثانياً :- عينة البحث .

بعد ان تم تحديد مجتمع البحث الحالي ، تم سحب عينة عشوائية من طلبة المدارس الاعدادية والثانوية بلغت (١٢٠) طالباً وطالبة وتوزعت على (٦) مدارس تم اختيارها بشكل عشوائي وبواقع (٦٠) طالباً و (٦٠)طالبة تم اختيارهم من طلبة الصف الرابع الاعدادي وفق متغيري الجنس ويمثل هذا الحجم (١٤%) من مجتمع البحث الحالي والجدول (٢) يبين ذلك .

جدول (٢)

توزيع عينة البحث وفقاً لمتغير الجنس

ت	اسم المدرسة الإعدادية والثانوية	ذكور	إناث	المجموع
١	ثانوية تكريت المطورة للبنات	-	١٥	١٥
٢	ثانوية تكريت المطورة للبنين	١٥	-	١٥
٣	ثانوية المستنصرية للبنات	-	٢٠	٢٠
٤	اعدادية عمر بن جندب للبنين	٢٥	-	٢٥
٥	ثانوية الخنساء للبنات	-	١٥	١٥
٦	ثانوية عقبة بن نافع للبنين	٢٠	١٠	٢٠
٧	ثانوية العقيدة للبنات	-	١٠	١٠
المجموع		٦٠	٦٠	١٢٠

ثالثاً :- أداتا البحث .

لغرض تحقيق اهداف البحث اعتمدت الباحثة على اداتين هما :

الاداة الاولى :- مقياس الإحراج .

اعتمدت الباحثة للإعداد مقياس الإحراج على الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع الاحراج سواء العربية او الاجنبية ومنها مقياس:

١- Modiglani مودغيلي للاحراج .
٢- مقياس الانصاري ١٩٩٦ للاحراج .
٣- مقياس عبد العزيز ٢٠٠١ للاحراج .
٤- مقياس الكعبي ٢٠٠٧ للاحراج .

وبعد الاطلاع على المقاييس والدراسات ذات العلاقة تم الحصول على (٣٦) فقرة تمثل فقرات المقياس بصورته الاولية ملحق (١) .

صلاحية الفقرات .

يشكل صدق الاداة من الشروط الواجب توفرها في الاداة وصدق الاختبار عندما يكون الاختبار قادراً على قياس السمة او الظاهرة التي وضع من اجلها ومن الطرق المفضلة للصدق الظاهري هو عرض المقياس على مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحيتها في قياس السمة او الخاصية المراد قياسها . (الزوبعي ، ١٩٨١: ٣٩)

وبناءً على ما تقدم تم عرض المقياس على مجموعة من الخبراء بلغ عددهم (٨) ملحق(٢) في مجال التربية وعلم النفس للحكم على مدى صلاحية الفقرات وبناءً على ذلك تم حذف (٦) فقرات والتي تحمل الارقام (٣٢، ٢٩، ٢١، ١٤، ١٨، ٨) لان نسبة الاتفاق عليها اقل من ٨٠% ، وبذلك اصبح عدد فقرات المقياس (٣٠) فقرة حازت على اتفاق الخبراء .

تحليل الفقرات لحساب القوة التمييزية .

يشير ايبل الى ان الهدف من التحليل هو الابقاء على الفقرات المميزة في المقياس واستبعاد الفقرات غير المميزة في المقياس (Ebel, 1972: 322) ولاختبار الفقرات المميزة استخدمت الباحثة اسلوب المجموعتين المتطرفتين وكما موضح في الاتي :

١- اسلوب المجموعتين المتطرفتين .

بعد ان تم تصحيح الاستمارات والبالغ عددها (٢٠٠) استمارة تم اختيار (١٠٨) استمارات جرى ترتيبها بشكل تنازلي واخذت ٢٧% العليا والبالغ عددها (٥٤) استمارة ثم اخذت ٢٧% الدنيا والبالغ عددها (٥٤) استمارة .

وبعد تطبيق الاختبار التائي (T.test) لعينتين مستقلتين لمقارنة دلالة الفروق بين المجموعة العليا والمجموعة الدنيا وتبين ان جميع الفقرات مميزة لان القيمة التائية المحسوبة اكبر من القيمة التائية الجدولية بمستوى دلالة (٠,٠٥) وكما موضح في الجدول (٣) .

جدول (٣)

معاملات تميز فقرات مقياس الحرج باسلوب العينتين المتطرفتين

الفقرة	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
١	٤.١٦	٠.٦١	٢.٧٢	٠.٨١	١٠.٨٣٣
٢	٤.١١	٠.٥١	٣.٤	٠.٧٢	٧.٠٨
٣	٤.٦	٠.٣١	٤.١	٠.٩	٣.٠٧
٤	٤.٨	٠.٥١	٤.١١	٠.٤٦	٦.٥١
٥	٤.٢	٠.٥٥	٣.٨	٠.٩٧	٤.٠٤
٦	٤.٧١	٠.٢٢	٣.٧٧	٠.٨١	٩.٦٦
٧	٣.٧٢	٠.٨٢	٢.٧	٠.٩	٧.١١
٨	٣.٨	٠.١٢	٤.٠٧	٠.٤٣	٩.٤٩
٩	٣.١١	٠.٢١	٤.٣٣	١.٠٨	٢.٢٥

١٠	٤.٧١	٠.٥	٤.٣٨	٠.٢٨	٨.٤٧
١١	٤.١١	٠.٥	٤	٠.٢٩	٣.٣١
١٢	٣.٠١	١.١	٢.١٢	٠.٧١	٥.٩١
١٣	٤.١٢	٠.٥	٣.٧	٠.٥٦	٥.٥٠
١٤	٤.٢٢	٠.٥١	٣.١٩	٠.٨٨	٨.١٣
١٥	١.٦	٠.٦	٠.٩٧	٠.٨٤	٥.١١
١٦	٣.٩	٠.١٠	٢.٩	٠.٨	١٠.٣٦
١٧	٤.٥٠	٠.٤١	٤.٦	٠.٦	٥.٥
١٨	٢.٨	٠.٧	٢.٥	٠.٨١	٢.٥
١٩	٢.٢٥	٠.٢٥	٢.١	٠.٥٧	٢.١٦
٢٠	٣.٩٨	٠.٠٦	٣.٢١	٠.٨٤	٧.٣١
٢١	٤.١	٠.٤٦	٣.٠٤	٠.٥	٦.٠٢
٢٢	٤.٢٨	٠.٥	٣.٠٩	٠.٤٤	٥.١٣
٢٣	٤.٢٠	٠.١	٤.٠٦	٠.٦	٢.١٢
٢٤	٢.٣	٠.٦٦	٢.١	٠.٤٥	٢.٣١
٢٥	٤.١١	٠.١٣	٣.٩٩	٠.٢٢	٤.٤١
٢٦	٣.٤١	٠.١٦	٢.٥٠	٠.٨٠	٤.٤٢
٢٧	٣.١٦	٠.١٣	٢.٢٢	٠.٣٣	٢.٨٩
٢٨	٤.١١	٠.٢٢	٢.١٣	٠.٢١	٢.٧٨
٢٩	٣.٤١	٠.١٧	٢.٥٨	٠.٨٥	٤.٤١
٣٠	٢.٨١	٠.٤١	١.٩٩	٠.٧٠	٨.١٢

الإحراج وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية
مجلة آداب الفراهيدي
م. وفاء كنعان خضير
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

مؤشرات صدق مقياس الإحراج وثباته .

مؤشرات الصدق Validity .

يعد الصدق من خصائص القياس النفسي التي تكشف عن ان المقياس يقيس الغرض الذي اعد من اجله وتعنى قدرة المقياس على قياس السمة او الظاهرة التي وضع من اجلها . (علام ،١٩٨٦: ١٨٠)

الصدق الظاهري Face Validity .

تم التحقق من هذا النوع من الصدق من خلال عرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجال علم النفس للاستفادة من آرائهم فيما يتعلق بملائمة فقرات مقياس الحرج وتم هذا الاجراء في صلاحية الفقرات في (ص ١٨) .

صدق البناء Construct Validity .

يقصد بصدق البناء تحليل درجات المقياس في ضوء مفهوم نفسي معين وقد تم التحقق من ذلك من خلال :

أ- علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس .

تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وتبين ان جميع الفقرات كانت دالة معنوياً عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وكما في جدول(٤) .

جدول (٤)

معاملات ارتباط فقرات مقياس الاحراج بالدرجة الكلية

الفقرة	معامل الارتباط
١	٠.٤٤
٢	٠.٣١
٣	٠.٢٧
٤	٠.٣٢
٥	٠.٥١
٦	٠.٤٠
٧	٠.٤٢
٨	٠.٥٠
٩	٠.٤٣
١٠	٠.٣٣
١١	٠.٥٢
١٢	٠.٣٨
١٣	٠.٥٥
١٤	٠.٣٩
١٥	٠.٣٦
١٦	٠.٤٢
١٧	٠.٤٢
١٨	٠.٥١

الفقرة	معامل الارتباط
١٩	٠.٣١
٢٠	٠.٤٥
٢١	٠.٢٧
٢٢	٠.٤٧
٢٣	٠.٥٠
٢٤	٠.٣٠
٢٥	٠.٣٧
٢٦	٠.٤٠
٢٧	٠.٣٣
٢٨	٠.٢٢
٢٩	٠.٥٤
٣٠	٠.٤٧

مقياس الإحراج بصورته النهائية .

تكون مقياس الإحراج بصورته النهائية من (٣٠) فقرة تتراوح الدرجة من (٣٠- ١٥٠) وبمتوسط نظري قدره (٩٠) علماً بان بدائل المقياس هي (**لا اشعر بأي إحراج، اشعر بإحراج طفيف، اشعر بإحراج معتدل، اشعر بإحراج تام، اشعر بإحراج شديد**) وتأخذ الدرجات (١، ٢، ٣، ٤، ٥) على التوالي .

ثانياً :- اختبار الشخصية .

كان من اهداف الدراسة الحالية التعرف على العلاقة بين الحرج الموقفي ونمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية ولتحقيق هذا الهدف تم اختيار قائمة ايزنك للشخصية (الصورة أ) اذ تم استعمالها في الدول العربية وقد قام (جابر، فخر

الاسلام) بتعريبها في العراق وطبقها على طلبة الجامعة ، والباحثة ارتأت تطبيق هذا المقياس لانه يقيس بعدين اساسيين من ابعاد الشخصية هما الانبساط Extraversion والعصابية Neuroticisin وفيما يلي توضيح ذلك :

أولاً:– اداة الانبساط والانطواء Extraversion In Trorevsions .

يقيس درجة ميل الفرد الى الاندفاع نحو التصرف اكثر منه الى التريث ونجاحه من خلال تعدد علاقاته الاجتماعية في مقابل التريث وتركيز العلاقة الاجتماعية وتفضل العمق فيها على الاتساع ويتكون من (٢٤)فقرة وبدائل الاجابة هي (نعم ،لا) والمستجيب الذي يأخذ درجة عالية تدل على الانبساط والمنخفضة الى الانطواء .

ثانياً :– اداة العصابية – الاتزان Neavoticiticisn .

تقيس ما لدى الفرد من مظاهر الشعور بالقلق والنقص وعدم الاستقرار ويشتمل على (٢٤) فقرة وبدائل الاجابة (نعم ، لا) والدرجة العالية تشير الى العصابية والدرجة المنخفضة الى الاتزان .(الازيرجاوي ، ٢٠٠٢: ٦٤)

صدق الاختبار .

تم عرض فقرات القياس على مجموعة من الخبراء ملحق(٤) من ذوي الاختصاص في التربية وعلم النفس للحكم على صلاحية الفقرات واجرت الباحثة بعض التعديلات التي اشار اليها الخبراء وتم ابقاء الفقرات جميعاً لانها حصلت على (٨٠%) من اراء الخبراء وبلغ عددها (٤٨) فقرة .

ثبات الاختبار .

يشير الثبات الى ان الباحث يحصل على النتائج نفسها تقريباً اذا ما تم اعادة الاختبار ويعد هذا الاجراء ضرورياً لمتطلبات اعداد أي مقياس .(علي، ١٩٩٦: ١٠٥)

اعادة الاختبار .

قامت الباحثة بتطبيق المقياس على عينة من طلبة المدارس الاعدادية تم اختيارهم بشكل عشوائي وبلغ عددهم (٣٠) طالب وطالبة وكان الفاصل الزمني بين التطبيق الاول والثاني (١٧) سبعة عشر يوماً ، إذ يشير ادمز(Adems) الى ان المدة الزمنية للطبيق الاول والثاني يجب ان لا يتجاوز الاسبوعين او الثلاثة (Adems, 1966: 85).

وباستعمال معامل ارتباط بيرسون لايجاد العلاقة بين التطبيقين وجدت الباحثة ان معامل الثبات يساوي (٠.٨٦) ويعد هذا العامل مقبول .(العيسوي ، ١٩٨٥: ٥٨)

وبعد هذه الاجراءات اصبح المقياس جاهزاً لتطبيقه على عينة البحث ملحق(٤) .

التطبيق النهائي .

بعد ان تاكدت الباحثة من الاجراءات اللازمة للاداتين قامت الباحثة بتطبيق الاختبارين على عينة البحث الاساسية البالغة (١٢٠) طالب وطالبة وتم توزيع الاختبارين بالتناوب على افراد العينة .

الوسائل الإحصائية .

تم معالجة البيانات احصائياً باستخدام :–

١– معامل ارتباط بيرسون :حيث تم استخدامه في:

أ– ايجاد العلاقة بين الاحراج ونمط الشخصية .

ب– استخراج تحليل الفقرات المتمثل بارتباط درجة كل فقرة من فقرات الاحراج بالدرجة الكلية للاختبار .

ج– حساب معامل الثبات .

٢- الاختبار التائي لعينة واحدة : حيث استعمل لقياس الاحراج لدى طلبة المرحلة الاعدادية .

٣- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين : حيث استخدم لاستخراج عينة التمييز .

وقد استخدمت الباحثة الحقيبة الاحصائية للعلوم التربوية (SPSS) في تحليل النتائج .

الفصل الرابع

عرض النتائج ومناقشتها

نتائج البحث .

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصلت اليها الباحثة وتفسيرها في ضوء الأهداف المحددة ومناقشة هذه النتائج ومن ثم الخروج بالتوصيات والمقترحات المتعلقة بالبحث الحالي .

أولاً:- الهدف الاول .

أ- التعرف على مستوى الاحراج لدى طلبة المرحلة الرابعة .

تشير البيانات الموجودة في الجدول (٥) الا ان متوسط درجات الاحراج لدى طلبة المرحلة الرابعة (٩٧.٢٨) درجة وبانحراف معياري (٢٣.١) وعند مقارنة هذا المتوسط بالمتوسط الفرضي البالغ (٩٠) واختبار دلالة الفرق باستعمال الاختبار التائي(T.test) لعينة واحدة ظهر ان القيمة التائية المحسوبة كانت (٢.١٨) مما يشير الى ان هناك فرقاً دال احصائياً عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وبدرجة حرية (١١٨) وكما موضح في جدول (٥) .

جدول (٥)

القيمة التائية ودلالة الفرق بين المتوسط النظري والمتوسط الحسابي لدرجات الإحراج لدى أفراد العينة

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
١٢٠	٩٧.٢٨	٢٣.١	٩٠	٢.١٨	١.٩٦	٠.٠٥

وهذه النتيجة تشير الى الطلبة في مرحلة المراهقة يتعرضون الى الاحراج لما ما يتعرضون له من مواقف اجتماعية قد تكون لها تاثير سلبي على نمط حياتهم وهذه النتيجة تتفق مع ما اشارت اليه بعض الدراسات منها دراسة (Bussl, 1980) و (Modligliani, 1974) وميلر(Miller, 1995) .

ب- متغير الجنس (ذكور – اناث) .

اما فيما يتعلق متغير الجنس يتبين من خلال جدول(٦) عند استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للمقارنة بين (الذكور- الاناث) ان القيمة التائية المستخرجة كانت (٤.٩٢) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١.٩٦) عند درجة حرية (١١٨) ومستوى دلالة (٠.٠٥) مما يشير الى ان هناك فرقاً في الاحراج ولصالح الاناث .

ب-المجموعة الانبساطية – الاتزانية /

بلغ عدد افراد هذا النمط (٤٠) طالباً اذ حصل كل طالب على (٢٤) درجة فاكثر في بعد (الانبساط- الانطواء) وعلى (٢٤) درجة فاقل في بعد العصابية – الاتزان وقد بلغت نسبتهم الى حجم العينة (٣٣.٣%) . ويمتاز الفرد في هذا النمط بانه يقيم علاقات اجتماعية كثيرة ويكون ودي في معاملته الا ان لديه نوع من الاهمال في بعض الامور الحياتية وكما في جدول (٧) .

ج- المجموعة الانطوائية- العصابية /

بلغ عدد افراد هذه المجموعة (٢٣) طالب وطالبة اذ حصل كل فرد على (٢٣) درجة فما دون في بعد الانبساط والانطواء و (٢٥) درجة فاكثر على بعد العصابية – الاتزان ، وقد بلغت النسبة المئوية (١٩.١%) حجم عينة البحث وكما في جدول(٧) .

د- المجموعة الانطوائية المتزنة/

يمتاز هذا النمط بالهدوء والثقة بالنفس واعتدال المزاج وتكون مشاركته الاجتماعية قليلة الى حد ما ، حيث بلغ عدد افراد هذا النمط (٣٢) طالب وطالبة اذ حصل كل فرد (٢٣) درجة فما دون على بعد الانطوائية – الاتزان وقد بلغت نسبتهم (٢٦.٦) وكما في جدول (٧) .

جدول (٧)

الانماط الاربعة للشخصية والعدد والنسبة المئوية لافراد العينة

ت	النمط	العدد	النسبة المئوية
أ	المجموعة الانبساطية العصابية	٢٥	٢٠%
ب	المجموعة الانبساطية الاتزانية	٤٠	٣٣.٣%
ج	المموعة الانطوائية العصابية	٢٣	١٩.١%
د	المجموعة الانطوائية الاتزانية	٣٢	٢٦.٦%

جدول (٦)

الاختبار التائي لمعرفة الفرق بين الذكور والاناث

الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
ذكور	٩١	١٧.٢٢	٤.٩٢	١.٩٦	٠.٠٥
إناث	١٠٤	٢٦.٨٠			

ان هذه النتيجة تشير الى ان الاناث اكثر تعرضاً للاحراج من الذكور وهذا ما تتعرض له الاناث في مجتمعنا لسبب التعامل والاختلاط بالاخرين اقل مقارنة بالذكور وكذلك النشاطات الاجتماعية تكون للذكور نصيب اخر منهن وهذا ما يجعل الاناث اكثر تعرض للاحراج واحياناً يواجهن صعوبات في تخطي كثير من المواقف المحرجة.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة العبيدي(١٩٩٩) وما اشارت اليه بعض الدراسات مثل (Miller, 1990) و (Sharkey, 1997).

الهدف الثاني:- التعرف على نمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية .

أ- المجموعة الانبساطية العصابية/

بعد فرز النتائج توصلت الباحثة الى ان (٢٥) طالباً يتسمون بهذا النمط اذ حصل (١٧)طالب على (٢٤) فاكثر في بعد (الانبساط- الانطواء) و (٨) طالب في بعد (العصابية –الاتزان) وقد بلغت هذه المجموعة وقد بلغت نسبتها (٢٠%) اذ يمتاز الفرد في هذا النمط ان يكون فالاً ونشطاً الى ان سريع الغضب وعدواني كما في جدول (٧) .

الهدف الثالث :- التعرف على نمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية على وفق متغير الجنس .

١- المجموعة الانبساطية – العصابية بحسب متغير الجنس .

يتبين من جدول(٨) ان عدد الذكور في هذه المجموعة (١٣) ونسبة مئوية قدرها (٢٥%) من حجم الذكور البالغ عددهم (٦٠) طالب فيما بلغ عدد الاناث في هذه المجموعة (١٢) طالبة وبنسبة مئوية قدرها (٢٠%) من حجم الاناث البالغ عددهن (٦٠) طالبة وبعد استخراج مربع كاي البالغ (٣.٢) درجة تبين انه اقل من القيمة الجدولية البالغة (٣.٨٤) وهذا يعني لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين الذكور والاناث وهذه النتيجة تتفق مع كل من دراسة (رويج ،٢٠٠٧) والتي تشير الى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في انماط الشخصية وفق متغير الجنس .

٢- المجموعة الانبساطية – الاتزانية بحسب متغير الجنس

يبلغ عدد الذكور في هذا النمط (٢١) طالب وبنسبة مئوية قدرها (٣٥%) من حجم الذكور البالغ عددهم (٦٠) طالباً بلغ عدد الاناث في هذه المجموعة (١٩) طالبة بنسبة مئوية (٣١.٦) من حجم الاناث البالغ عددهن (٦٠) وقد بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة (٢.٥٨) وهي اقل من الجدولية البالغة (٣.٨٤) لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين الذكور والاناث في هذه المجموعة بحسب متغير الجنس .

٣- المجموعة الانطوائية – الاتزانية بحسب متغير الجنس

يبلغ عدد الذكور في هذه المجموعة (١٧) طالباً ونسبة مئوية قدرها (٢٨.٣%) من عينة الذكور البالغة (٦٠) طالباً بينما بلغ عدد الاناث (١٥) وبنسبة مئوية قدرها (٢٥%) وقد تبين ان قيمة مربع كاي المحسوبة (٣.٩٣) وهي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (٣.٨٤) وهذا يدل على وجود فرق ذا دلالة احصائية ولصالح الذكور وتتفق هذه النتيجة مع دراسة ثامر ٢٠٠٤ التي توصلت الى فروق في انماط الشخصية ذات دلالة احصائية بين الذكور والاناث ولصالح الذكور وكما في الجدول٨.

٤- المجموعة النطوائية العصابية بحسب متغير الجنس

بلغ عدد الذكور في هذه المجموعة (٩) ونسبة مئوية (١٥%) من حجم عينة الذكور البالغ (٦٠) طالباً فيما بلغ عدد الاناث في هذه المجموعة (١٤) طالبة ونسبة مئوية (٢٣.٣) من حجم عينة الاناث البالغ (٦٠) طالبة وبعد التوصل الى قيمة مربع كاي المحسوبة (٠.٨٢) وهي اقل من القيمة الجدولية البالغة (٣.٨٤) تبين عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين الذكور والاناث في هذه المجموعة وكما في الجدول(٨) .

جدول (٨)

المجموعة الانطوائية – الاتزانية بحسب متغير الجنس

النمط	الجنس	العدد	النسبة المئوية	قيمة كاي المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
انبساطي عصابي	ذكور اناث	١٣ ١٢ ٢٥	%٢٥ %٢٠	٣.٢	٣.٨٤	٠.٠٥
	مجموع		%٢٠			
انبساطي متزن	ذكور اناث	٢١ ١٩ ٤٠	%٣٥ %٣١.٦	٢.٥٨	٣.٨٤	٠.٠٥
	مجموع		%٣٣.٣			
انطوائي متزن	ذكور اناث	١٧ ١٥ ٣٢	%٢٨.٣ %٢٥	٣,٩٣	٣.٨٤	٠.٠٥
	مجموع		%٢٦.٦			
انطوائي عصابي	ذكور اناث	٩ ١٤ ٢٣	%١٥ %٢٣.٣	٠,٨٢	٣.٨٤	٠.٠٥
	مجموع		%١٩.١			

الهدف الثالث : التعرف على العلاقة بين الاحراج وانماط الشخصية

تشير النتائج الى معامل الارتباط بين الاحراج والمجموعة الانطوائية العصابية هو ٠.٣٤ والقيمة التائية المحسوبة (٤.٨٣) وهي اعلى من الجدولية ١.٩٦ وبمستوى دلالة (٠.٠٥) وكذلك نمط النطوائية المتزنة ان معال الارتباط كان (٠.٤١) والقيمة التائية المحسوبة (٣.٢٢) والقيمة التائية الجدولية (١,٩٦) وبمستوى دلالة (٠.٠٠٥) ويتبين من ان هذه العلاقة طردية أي ان الاحراج يزداد عند هذين النمطين حيث ان هؤلاء الافراد يتسمون بانهم يكونوا متشائمين وكذلك علاقاتهم الاجتماعية المحدودة ولا يعيرون اهتماماً للمشاركات الجتماعية مما جعل تفاعلهم الاجتماعي محدود وكذلك فمعظمهم يتعرضون الى مواقف تسبب لهم الاحراج .

اما النمط الانبساطي المتزن كان معامل الارتباط (-٠.٤١) والقيمة التائية المحسوبة (٥.٢٢) والقيمة الجدولية (١.٩٦) وبمستوى دلالة (٠.٠٠٥) .

اما بالنسبة للنمط الانبساطي العصابي مع الاحراج فكان معامل الارتباط (٠.٣٤) والقيمة التائية المحسوبة (٤.٨١) والقيمة الجدولية (١.٩٦) وبمستوى دلالة (٠.٠٠٥) .

وتبين ان هذه العلاقة عكسية بين الاحراج ونمط الشخصية الى كون الاشخاص المنبسطين سواء النمط العصابي او الاتزاني يكون قادراً على التفاعل مع الاخرين ويشاركهم في انفعالاتهم سواء السارة او غيرها مما تجعل القدرة على التعامل مع المواقف ال مختلفة وهذا يكسبه تفلعل اجتماعي يتخطى الاحراج بسبب خبرته وعلاقاته مع الاخرين والجدول (٩) يبين ذلك.

الإحراج وعلاقته بنمط الشخصية
لدى طلبة المرحلة الاعدادية
مجلة آداب الفراهيدي
م. وفاء كنعان خضير
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

جدول (٩)

العلاقة بين الإحراج وأنماط الشخصية

الانماط	العدد	معامل الارتباط	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
انطوائي عصابي مع الحرج	٢٣	٠.٣٤	٤.٨٣	١.٩٦	٠.٠٠٥
انطوائي متزن مع الحرج	٣٢	٠.٤١	٣.٢٢		
انبساطي متزن مع الاحرج	٤٠	-٠.٤١	٥.٢٢		
انبساطي عصابي مع الاحراج	٢٥	-٠.٣٤	٤.٨١		

الفصل الخامس

التوصيات والمقترحات

أولاً:- التوصيات .

في ضوء النتائج السابقة توصي الباحثة بما يلي :-

١- ضرورة تفعيل عمل لجان الارشاد التربوي لتاخذ دورها بشكل فعال لمساعدة الطلبة الطلبة الذين يعانون من مشكلات سواء بالاحراج او الانطواء .

٢- التعرف من خلال هذه المقاييس على الطلبة الذين يعانون من الانطواء والعصاب .

٣- ضرورة ان يكون هناك تفاعل بين اولياء امور الطلبة والمدرسة لمساعدة الطلبة الذين يحتاجون للارشاد .

ثانياً:- المقترحات .

١- ايجاد علاقة بين اساليب المعاملة الوالدية والاحراج .

٢- بناء برامج ارشادية لمساعدة الطلبة الذين يعانون من الانطواء والاحراج لطلبة المرحلة الاعدادية .

٣- ايجاد علاقة بين الاحراج وعلاقته بمراقبة الذات .

الإحراج وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية
مجلة آداب الفراهيدي
م. وفاء كنعان خضير
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

المصادر

١- الازيرجاوي ، احمد عبد الحسن (٢٠٠٢) قاق الموت وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة الجامعة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد / كلية التربية(ابن رشد) .

٢- الانصاري ، بدر محمد (١٩٩٧) قياس الحرج الموقفي لدى طلبة الجامعة وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية في المجتمع الكويتي ، مجلة حوليات كلية الاداب (١٩٩٧) جامعة الكويت .

٣- ريوان ، سعاد عباس (٢٠٠٨) التفضل الجماعي وعلاقته بانماط الشخصية لمركز المشاعر وفق نظام الافنيكرام لدى طلبة معهد الفنون الجميلة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية / كلية الاداب .

٤- رويح ، عباس حسن (٢٠٠٧) اساليب التعامل مع الصراع وعلاقتها بانماط الشخصية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة المستنصرية / كلية الاداب .

٥- شاهين ، روزماري (١٩٩٥) قراءات متعددة الشخصية ، ط١، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر .

٦- العيسى ،عبد الوهاب (١٩٧٣) العلاقة بين الطموح والانبساط والانطواء ، رسالة ماجستير منشورة ، مطبعة الزهراء ، بغداد .

٧- العيسوي ، عبد الرحمن محمد (١٩٨٠) القياس والتجريب في التربية وعلم النفس، الاسكندرية ، دار المعارف .

٨- الزوبعي ، عبد الجليل وآخرون (١٩٨١) الاختبارات والمقاييس النفسية ، جامعة الموصل ، دار الكتب .

٩- عبد الفتاح ،يوسف ،(١٩٩٣) مركز الضبط وعلاقته بتقدير الشخصية لدى عينة من اطفال المرحلة الابتدائية بدولة الامارات ، مجلة البحوث التربوية ، جامعة قطر ، السنة ٢، العدد (٣١) .

١٠- علي ، علوم محمد (١٩٩٦) السلوك التربوي المدرسي للمرحلة الثانوية في محافظة بغداد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة / جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد) .

١١- علام ،(١٩٨٦) الكويت ، مطابع القبس التجاري .

١٢- عبد الله ، معتز (٢٠٠١) الشخصية الانسانية ، القاهرة ، دار عريب للطباعة والنشر .

١٣- عبد الرحمن ، علا يوسف محمد (٢٠٠٣) الاحراج وعلاقته بمراقبة الذات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد /كلية الاداب .

١٤- عدس ، عبد الرحمن ، ومحي الدين توق(٢٠٠٥) المدخل الى علم النفس ،ط١، دار الفكر للطباعة والنشر ،عمان ، الاردن .

١٥- قاسم ، انتصار كمال (٢٠٠٦) نمط الشخصية وعلاقتها بتحقيق الهوية ودافع الانجاز الدراسي لدى طلبة الجامعة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة تكريت / كلية التربية للبنات .

١٦- محمود ، عصام نجيب (٢٠٠١) ديناميات السلوك الانساني وستراتيجيات ضبطه وتعديله ، دار البركة للنشر والتوزيع ،عمان ، الاردن .

١٧- الملاح، نادر محمد (٢٠٠٣) طرز الشخصية ، مكتبة البحرين ، ط١، المنارة.

١٨- نشواني ، عبد الحميد (١٩٨٨) بنية شخصية وانماطها في نظرية ايزنك واثارها في التحصيل الاكاديمي لدى طلبة جامعة اليرموك في الاردن ، المجلد التربوي (٥) العدد (١٧) جامعة الكويت/ كلية التربية .

١٩- نابلس ، محمود احمد (١٩٨٩) اصول ومبادئ المرض النفسي ،ط١، طرابلس ، بيروت .

٢٠- ناصر ، اشواق صبريج (٢٠٠٢) بعد الشخصية (الانبساط والانطواء والعصابية) وعلاقتها باضطراب الشخصية التجنبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد / كلية الاداب .

٢١- هول وكالفن (١٩٦٨) مبادئ علم النفس الفرويدي ، ترجمة دحام الكيال ، ط٢ ، مطبعة العاني ، بغداد .

٢٢- يونس ، انتصار (١٩٩٦) السلوك الانساني، المكتب المصري الحديث ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، مصر .

23- Adems G. S. (1966) Measurment and Educational Psychology anf Guid ancu New York Holt .

24- Balls, (1997) The relationship between preferred mode of communication and personalty type: Academic pres, New York.

25- Brown, B. R. (1997) saving following experimentally induced embarrassment Journal of Experimental Social Psychology, 6, 255- 271 .

26- Buss, A. H. (1980) Self –Consciousness and Social Anxiety W. H. Ereeman San Francisco . .

27- Capach, W. R. Metts, S. & Hazleton, (1999) coping with embavrassing predicaments Remedial strategies and their perceived utility Journal of Language and Social Psychology, 5, 181- 200 .

28- Costa, (1995) Theneo personality inventory professional manual odessa Fl: Psychological Assess ment Resources.ti venes Psychonomic Science, 12, 456- 471.

29- Edel mann, (1997) Self- redorted express and conseauences of embarrassment national Joruai of spychology .

30- Edelmann R. (1987) The Psychology of Embarrassment, New York: wiley .
31- Field (1995) Emotions New York cambrldye University Press .
32- Gibbons, (1990) What more antne to emotion concepts than protoy ypes Jourad of personality social Psychology, 66, 130- 151 .
33- Goffman, E. (1956) Embarrassment and Social organisation American Journal of Sociology 62, 264- 271 .
34- Harbel, (2000) Harbeleldde (2002) Personalily Typeand dobimaclar the press we bor N.Y.
35- Klass, E. T. (1997) Guilt Shame, and embarrassment cognitive behavioral approaches, In H. Leitenberg(Ed) Handbook of Social and evaluative enxiety pp. 385- 414 New York : Plenum .
36- Leary , M. R., & Meadows, (1995) Predictors elicitors and concomitants of Social Psychology 60, 254- 262.
37- Miller R. S. (2000) The nature and Severity of Self reported embarrassing circumstances personality & Social Psychobgy Bulletin 18, 190- 198.
38- Modigliani, A. (1971) Embarrassmend facemork and eyecontact testing atheory of embarrasment Journal of personality and Social Psychology 17, 15- 24 .
39- Parrott, (1991) Embarrassment Actual Us typicul cases, classical V. S. Prototypical representution cognition and Emotion, 5, 467- 488.

ملحق (١)

جامعة تكريت / كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

استبيان آراء المحكمين في مدى صلاحية فقرات مقياس الاحراج.

الأستاذ الفاضل ....المحترم .

تحية طيبة .

تروم الباحثة القيام بالبحث الموسوم " **الاحراج وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية** " ولتحقيق اهداف البحث تطلبت الحاجة الى بناء مقياس يقيس الحرج الموقفي لطلبة المرحلة الاعدادية .

ويعرف الحرج : " **عبارة عن خبرة او استجابة ذاتية تنصب على الشعور بعدم الارتياح والاستثارة الداخلية والقلق والحساسية للذات والتردد واعباء في حضور الاخرين** " .

ونظراً لما نعهده فيكم من خبرة وموضوعية يرجى التفضل بقراءة الفقرات وبيان رأيكم فيها من حيث صلاحيتها او عدم صلاحيتها والتعديل المقترح عليها .

مع فائق الشكر والتقدير

الباحثة

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
١	اشعر بالحرج عندما اسمع احد يتكلم عني حتى ولو تعبير			
٢	اشعر بالحرج عندما احس ان ملابسي غير نظيفة عند وجودي اما الاخرين			
٣	اواجه صعوبة عندما ازور اناس غرباء			
٤	احرج عندما يطلب مني القاء محاضرة امام الطلاب			
٥	اشعر بالحرج عند حاجتي لمبلغ من المال ولأول مرة من زملائي			
٦	اتحرج عندما اسقط على الارض من مكان عام			
٧	اشعر بالحرج عندما يقول لي المدرس باني الطالب الوحيد الراسب في المادة			
٨	اشعر بالحرج عندما يكون هناك تعليق سلبي او ايجابي امام الحضور			
٩	انحرج عندما اوجه سؤال علمي امام مدرس المادة			
١٠	انحرج عندما تكون ملابسي غير محتشمة ويشاهدني الغرباء			
١١	تنحرج عندما اعلن عن موضوع خطبتي لاول مرة			
١٢	انحرج عندما يجمعني اللقاء لاول مرة بخطيبي			
١٣	اشعر بالحرج عندما يغازلني فرد من			

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
	الجنس الاخر			
١٤	اشعر بالحرج عندما اتناول وجبة طعام وحدي في حانوت المدرسة			
١٥	احرج عندما يكتشف المدرس باني اغش اثناء الامتحان			
١٦	احرج عندما لا اتمكن من الاجابة على سؤال بوجه استاذ المادة			
١٧	انحرج عندما اكون الشخص الوحيد بين مجموعة من افراد الجنس الاخر			
١٨	اشعر بالحرج عندما ادخل قاعة المحاضرة متأخراً			
١٩	احرج عندما يطلب مني الترحيب باحد الضيوف اما الاخرين			
٢٠	اشعر بالحرج عندما ادخل احد القاعات بالخطأ			
٢١	اشعر بالحرج عند عتبي لشخص ولم يستجيب لي			

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
٢٢	ارتبك عندما يجلس بجانبي احد افراد الجنس الاخر			
٢٣	انحرج عندما اضحك بصوت عالي يثير انتباه الاخرين			
٢٤	اشعر بالحرج عندما يطلب مني الكتابة على السبورة اثناء المحاضرة			
٢٥	احرج عندما يطلب مني القاء كلمة الطلبة امام الجمهور			
٢٦	احرج عندما اجلس على مائدة الطعام مع الغرباء			
٢٧	اشعر بالحرج عندما يتهمني الاخرون بانني شخص مخادع			
٢٨	اشعر بالحرج عندما اتلعثم بالكلام امام الاخرين			
٢٩	احرج عندما يتحدث المحاضر في الامور الجنسية او الحساسة			
٣٠	اتحرج عندما يدرك الاخرون بانني ارتدي ملابس احد اخوتي			
٣١	احرج عندما يعرف الاخرون باني مصدر الصوت المزعج في المحاضرة			
٣٢	اتحرج عندما القي بنكتة ولم يضحك الاخرين			
٣٣	احرج عندما يسقط كوب العصير على ثياب احد الضيوف اثناء تقديمي له			
٣٤	اتحرج عندما صرخ بصوت عالي عند رؤية فأر وحيوان مخيف			
٣٥	اتحرج عندما اضطر الى استخدام الحمام والجميع على مقربة منه			
٣٦	احرج عندما اضطر الى استخدام الباص واذا به يغادر المكان قبل وصولي اليه			

الإحراج وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الاعدادية | مجلة آداب الفراهيدي | م. وفاء كنعان خضير العدد (٨) أيلول ٢٠١١

ملحق (٢)

أسماء الخبراء الذين عرضت عليهم الأداتين

١- أ.د.واثق عمر موسى /علم النفس الاجتماعي/ جامعة تكريت كلية التربية.

٢- أ.م.د. رؤوف محمود القيسي / علم النفس التربوي/جامعة تكريت / كلية التربية.

٣- أ.م.د. طارق هاشم خميس/ فلسفة التربية / جامعة تكريت كلية التربية .

٤- أ.م.د. أديب محمد نادر / صحة نفسية/ جامعة تكريت كلية التربية .

٥- أ.م.د.رائد إدريس / طرائق تدريس /جامعة تكريت كلية التربية.

٦- أ .م.د.كاظم علي احمد / علم النفس التربوي/ جامعة تكريت كلية التربية .

٧- أ.م.د.حميد سالم خلف /علم النفس الاجتماعي/ جامعة تكريت كلية التربية.

٨- أ.م. طارق عبد الوهاب /تربية خاصة/ جامعة تكريت كلية التربية.

ملحق (٣)

جامعة تكريت / كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

مقياس الحرج بصورته النهائية

عزيزي الطالب .... عزيزتي الطالبة

فيما يأتي عبارات تتضمن مواقف اجتماعية قد تسبب لك الاحراج بخصوص نفسك او مع شخص اخر معك تعرض لموقف تحرج والاحراج هو شعور الفرد بالارتباك وعدم الارتياح .

تفضل بقراءة الفقرات وتصور ان الاحداث الذي تتضمنها الفقرات قد حدثت لك وبشكل حقيقي نرجو الاجابة على الفقرات جميعاً وبصراحة وذلك بوضع اشارة (✓) امام العبارة المناسبة علماً بان ذلك لغرض البحث العلمي فقط ولا حاجة لذكر الاسم ... مع شكر الباحثة لتعاونكم معها .

الباحثة

ت	الفقرات	لا اشعر بأي إحراج	اشعر بإحراج طفيف	اشعر بإحراج معتدل	اشعر بإحراج تام	اشعر بإحراج شديد
١	اشعر بالحرج عندما اسمع احد يتكلم عني حتى ولو تعبير					
٢	اشعر بالحرج عندما احس ان ملابسي غير نظيفة عند وجودي اما الاخرين					
٣	اواجه صعوبة عندما ازور اناس غرباء					
٤	احرج عندما يطلب مني القاء محاضرة امام الطلاب					
٥	اشعر بالحرج عند حاجتي لمبلغ من المال ولأول مرة من زملائي					
٦	اتحرج عندما اسقط على الارض من مكان عام					
٧	اشعر بالحرج عندما يقول لي المدرس يأتي الطالب الوحيد الراسب في المادة					
٨	انحرج عندما اوجه سؤال علمي امام مدرس المادة					
٩	انحرج عندما تكون ملابسي غير محتشمة ويشاهدني الغرباء					
١٠	تتحرج عندما اعلن عن موضوع خطبتي لاول مرة					
١١	انحرج عندما يجمعني اللقاء لاول مرة بخطيبي					

١٢	اشعر بالحرج عندما يغازلني فرد من الجنس الاخر					
١٣	احرج عندما يكتشف المدرس باني اغش اثناء الامتحان					
١٤	احرج عندما لا اتمكن من الاجابة على سؤال بوجه استاذ المادة					
١٥	انحرج عندما اكون الشخص الوحيد بين مجموعة من افراد الجنس الاخر					
١٦	احرج عندما يطلب مني الترحيب باحد الضيوف اما الاخرين					
١٧	اشعر بالحرج عندما ادخل احد القاعات بالخطأ					
١٨	ارتبك عندما يجلس بجانبي احد افراد الجنس الاخر					
١٩	انحرج عندما اضحك بصوت عالي يثير انتباه الاخرين					
٢٠	اشعر بالحرج عندما يطلب مني الكتابة على السبورة اثناء المحاضرة					
٢١	احرج عندما يطلب مني القاء كلمة الطلبة امام الجمهور					

ت	الفقرات	لا اشعر بأي إحراج	اشعر بإحراج طفيف	اشعر بإحراج معتدل	اشعر بإحراج تام	اشعر بإحراج شديد
٢٢	احرج عندما اجلس على مائدة الطعام مع الغرباء					
٢٣	اشعر بالحرج عندما يتهمني الاخرون بانني شخص مخادع					
٢٤	اشعر بالحرج عندما اتلعثم بالكلام امام الاخرين					
٢٥	اتحرج عندما يدرك الاخرون بانني ارتدي ملابس احد اخوتي					
٢٦	احرج عندما يعرف الاخرون باني مصدر الصوت المزعج في المحاضرة					
٢٧	احرج عندما يسقط كوب العصير على ثياب احد الضيوف اثناء تقديمي له					
٢٨	اتحرج عندما صرخ بصوت عالي عند رؤية فأر وحيوان مخيف					
٢٩	اتحرج عندما اضطر الى استخدام الحمام والجميع على مقربة منه					
٣٠	احرج عندما اضطر الى استخدام الباص واذا به يغادر المكان قبل وصولي اليه					

ملحق (٤)

جامعة تكريت / كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

استبانة الخبراء حول صلاحية مقياس نمط الشخصية

الأستاذ الفاضل ....المحترم

تروم الباحثة اجراء دراسة (**الإحراج وعلاقته بنمط الشخصية لدى طلبة المرحلة الإعدادية**) وفقاً لنظرية ايزنك التي تتكون من مقياس (الانبساط – الانطواء) ومقياس العصابية(الاتزان – عدم الاتزان) وقد تبنت الباحثة مقياس (عطية ،٢٠٠٢) والتي تم تطبيقه على طلبة الجامعة ، ونظراً لما تتمتعون به من خبرة في هذا المجال ترجو الباحثة قراءة فقرات المقياس بدقة وابداء الراي حول ما ترونه مناسباً من حيث صلاحية الفقرات ، علماً بان فقرات مقياس الانبساط والانطواء تسلسلها من (١– ٢٤) والانبساط / هم الافراد الذين تكون لديهم اصدقاء وكثيرون وهو متفائل يتصرف بسرعة وبدون تردد ويندفع في امور كثيرة .

اما المنطوي / فهو هادئ متأمل ومحافظ واصدقائه قليلين وهو يميل الى التخطيط وياخذ الحياة بجدية ولا ينفعل بسهولة ويميل الى التشاؤم ، واخذت الفقرات (٢٥– ٤٨) تتعلق بالعصابية .

علماً بان بدائل المقياس هي (نعم، لا) .

وتقبلوا فائق شكري وتقديري

الباحثة

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
١	هل تاخذ الامور ببساطة وتعبير دقيق			
٢	هل تتوقف وتفكر كثيراً قبل الاقدام على عمل أي شيء			
٣	هل من عادتك ان تقول وتعمل بسرعة دون توقف للتفكير			
٤	هل تقوم باعمال في احيان على نحو مباشر وبدون تردد			
٥	هل تفضل القراءة والاطلاع على التحدث مع الاخرين			
٦	هل انت على استعداد لعمل أي شيء لكي تبدو مغامراً			
٧	هل تشتاق للاثارة في اكثر الاحيان			
٨	هل تحب الخروج من المنزل كثيراً			
٩	هل تفضل ان يكون ذلك عدد قليل من الاصدقاء بشرط ان يكونوا مخلصين			
١٠	اذا صرخ الناس في وجهك هل ترد عليهم بصرخة مثلها			
١١	هل تترك نفسك على طبيعتها عادة في الحفل وتستمتع به			
١٢	هل تعتقد الاخرين انك مملوء بالحيوية			
١٣	هل يغلب الهدوء عندما تكون مع الاخرين			
١٤	اذا كان هناك موضوع تريد ان تعرفه فهل تفضل معرفته من كتاب على ان			

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
	تسال شخصاً اخر عنه			
١٥	هل تحب العمل الذي يتطلب منك الى الانتباه الدقيق			
١٦	هل تكره ان تكون في مجموعة ينكت الواحد منهم على الاخر			
١٧	هل تحب عمل الاشياء التي تتطلب منك التصرف السريع			
١٨	هل انت بطيء في حركتك			
١٩	هل تحب كثيراً التحدث مع الناس لدرجة انك لا تضع فرصة للحديث مع شخص غريب			
٢٠	هل تشعر بتعاسة شديدة اذا لم ترى كثيراً من الناس في معظم الاوقات			
٢١	هل تعتقد انك واثق من نفسك بصفة عامة			
٢٢	هل يصعب عليك الاستمتاع في حفل مرح			

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	التعديل
٢٣	هل يسهل عليك ادخال الحيوية في حفل ممل			
٢٤	هل تحب ان تعطي الاخرين مقالب			
٢٥	هل تحتاج في احيان كبيرة لاصدقاء يفهمونك لكي تشعر بالارتياح			
٢٦	هل يضايقوك جداً ان يجاب طلبك بالرفض			
٢٧	هل يتعكر مزاجك ويروق كثيرا			
٢٨	هل حدث ذات مرة ان شعرت بالتعاسة دون سبب وجيه لذلك			
٢٩	هل تشعر بالخجل اذا اردت التحدث الى شخص غريب			
٣٠	هل يغلب ان تقلق على قول او عمل لم يكن من الواجب ان يصدر عنك			
٣١	هل يسهل جرح احساسك			
٣٢	هل تشعر بنشاط زائد احياناً ويغلب عليك الخمول في اوقات اخرى			
٣٣	هل تكثر من احلام اليقظة			
٣٤	هل يضايقك الشعور بالذنب كثيراً			
٣٥	هل يعتقد انك متوتر الاعصاب			
٣٦	هل تشعر كثيراً بعد الانتهاء من عمل مهم انك كنت تستطيع القيام به على نحو افضل			
٣٧	هل تدور الفكار في راسك لدرجة لا تستطيع معها النوم			
٣٨	هل يحدث لك خفقان في القلب وتسرع دقاته			

٣٩	هل تنتابك رعشة او رجفة			
٤٠	هل انت شخص تسهل اثارته واغضابه			
٤١	هل تقلقك اشياء مخيفة قد تحدث لك			
٤٢	هل ترى احلاماً مزعجة (كوابيس) كثيرة			
٤٣	هل تقلقك الاوجاع والالام			
٤٤	هل تعتقد نفسك شخصاً عصبياً			
٤٥	هل يسهل ايلامك اذا كشف الناس عن عيب فيك او عملك			
٤٩	هل يضايقك شعور بالنقص			
٤٧	هل تقلق على صحتك			
٤٨	هل تعاني من قلة النوم			

الموصل في عيون الرحالة
دراسة اجتماعية تحليلية

م.م ايناس محمد عزيز
جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

الملخص

يتناول بحثنا (الموصل في عيون الرحالة – قراءة تحليلية) معرفة أراء الرحالة الأجانب التي تناولت عرضا لملاحظاتهم ومشاهداتهم عن هذه المدينة في مدونات تحتوي على عادات وتقاليد وقيم سكان المدينة وتقييمهم من خلال رؤية تتبع بمحاولة اكتشاف الآخر (الشرق) لغرض المقارنة مابين شعوبهم والشعوب الشرقية ، وأننا من خلال أعادة اكتشاف أو ذكر هذه الاراء قد نتمكن من فهم عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا من خلال انعكاسها في مرآة وعيون الرحالة الذي كان يتمتع بنوع من الحيادية أو المصداقية في ذكره لأهم مرحلة من مراحل هذه المدينة والتي تكاد تكون مجهولة لنا لذلك أصبحت هذه المدونات مرجع يمكن من خلاله فهم الموصليين في تلك الفترة، كما أننا سنحاول تحليل هذه الملاحظات تحليلا اجتماعيا وفق ما سنجده من مصادر تدعم تحليلنا .

مُقَدِّمَة

لعل حديثنا عن صورة الموصلي بعين الآخر يمكن أن تغني الدارس من خلال اكتشاف الذات في مرآة الآخر، لذا كان الرحالة الذين زاروا الموصل وتحدثوا عنها من خلال الملاحظة والمعايشة في رؤية منهجية نستطيع من خلالها التعرف أكثر عن هذه المدينة من حيث، عاداتها ، وتقاليدها ، من منظور الغرب (الآخر) ، ولابد أن نعترف انه لا يمكننا فهم واقع الحياة الاجتماعية في فترات عرفها التاريخ ، لم نستطع فيها الحصول على مدونات عن ما كانت عليه مدينة الموصل من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية دونت من قبل أبنائها نتمكن من خلالها أجراء مقارنة بين النصوص للتأكد من مصداقية ما قاله الرحالة عن المدينة ، ونحن وان نحاول أن إعادة قراءة النصوص الاستشراقية التي تحدثت عن الشخصية الموصلية بكافة أبعادها ، من خلال منهج بحث علمي رصين قائم على تحليل اجتماعي نستطيع من خلاله أن نحكم على هذه المدونات الاستشراقية بالصواب أو عدمه . في لحظة تجمعت في ذهن الرحالة صورة للموصلي بغض النظر عما كان هذا الوصف ايجابيا أو سلبيا ، وانطلاقا من مبدأ الأمانة العلمية فأنني سأذكر جميع النماذج التي تمكنت من الحصول عليها مسلطة الضوء على أهمها للإفادة العلمية منها واغناء البحث .

ولما كانت الملاحظات والانطباعات التي رواها الرحالة ذات أهمية كبيرة شكلت حقلا خصبا بالمعلومات التي أثرتنا بالمجهول عنا ،كان لابد لنا من ذكر ابرز ما رواه هؤلاء الرحالة ، فقد زار الموصل العديد من الرحالة وأعجب بها الكثير وكتبوا عنها ، وكانت هذه الزيارات قد أخذت طابعا رسميا او غير رسمي ،سيطر عليها مدى قدرة الرحالة على الاختلاط بالمجتمعات بصورة عامة والمجتمع الموصلي بصورة خاصة في وقت زيارته ليسجل لنا انطباعاته الشخصية عنها وليوثقها في كتاب يمثل خريطة جغرافية أو بلوغرافية وسوسيوثقافية لمجتمع عايشه ، وكل حسب

ادواته العلمية لذا كانت المدونات أحيانا متماثلة بين الرحالة ومتناقضة في أحيان أخرى ، ولا يخفى دور العلوم الإنسانية والانثروبولوجيا خاصة ، وان دراسة الفرد والمجتمع احد أهم مقتضيات الضرورات العلمية للدراسة في علم الاجتماع من خلال تحديد اهمية واهداف ومنهج بحث يمكن به الوصول الى النتائج المبتغاة من الدراسة فكانت بهذا نقطة الالتقاء بين الاستشراق والعلوم الإنسانية من خلال دراسة حالة مجتمع خاص وإيصالها إلى مجتمعه .

لذا فقد احتوى هذا البحث عرضا لابرز الجوانب العمرانية والجغرافية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية و التي ماهي إلا انعكاسا للشخصية الموصلي وبصورة مباشرة أو غير مباشرة

من منظور الرحالة وان كان بعضها يحمل نوعا من اللامعقولية في ذكر الاخبار او الاعداد الا اننا التزمنا بالدقة العلمية في نقل ما جاء به الرحالة سواء كان معقولا او غير معقول، ومحاولة تحليلها اجتماعيا بناء على المصادر التي نتمكن من الحصول عليها .

أهمية البحث :

قدم البحث وجهة نظر مفادها أن مدونات الرحالة قد ساعدت على اكتشاف مواطن الإنسان في مختلف إرجاء العالم ، لاسيما الرحالة الأجانب الذين أسهموا أسهاما ايجابيا بتقديم معلومات غنية ، ومعرفة بالشعوب غير ألاوربية ، وإدراكا منا للجوانب المهمة لنتائج تلك الرحلات كالكشف عن آثار الحضارة العربية القديمة وتقديم معلومات جديدة كانت مجهولة لدى العرب انفسهم ، فقد اتصف اغلب الرحالة بدقة الملاحظة ، والوصف ، ،والتقصي خاصة انها كانت بعيدة عن الاغراض الشخصية في توثيق مشاهداتهم بأمانة وصدق اكد عليها الرحالة في مستهل كتاباتهم ، والتي عدت الان بمثابة قواعد أساسية في منهجية البحث الحقلي في الدراسات

الاثنوجرافية ، واننا نجد في إعمال هؤلاء الرحالة مادة ثرية ودليلا بارزا على قيمة رحلاتهم من خلال تزويدنا مباشرة بالمدونات المستمدة من المعاينة الشخصية عن الاحوال السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية للبلدان التي زاروها ، وأقاموا بها ، واطلعوا فيها على طبائع أهلها ومعالم حضارتها وهذا يمثل جوهر العمل الانثروبولوجي .

وهنا تكمن اهمية بحثنا كمحاولة بسيطة للكشف عن اهم مدونات الرحالة التي تناولت المجتمع الموصلي عبر مرحلة من مراحل تاريخ الموصل الاجتماعي ، والتي لايمكن أن نجدها مدونة الا في كتب الرحالة الذين زاروا الموصل وعبروا عن رأيهم فيها .

اهداف البحث :

يهدف بحثنا هذا ألى :

١- معرفة اراء الرحالة في المجتمع الموصلي من خلال مدوناتهم التي عبرت عن رأيهم فيها .

٢- تحليل هذه المدونات تحليلا اجتماعيا .

منهج البحث

نظرا للعلاقة السببية بين الماضي والحاضر ، فقد حاولنا في بحثنا هذا جمع الوثائق اعتمادا على المنهج التاريخي والذي يوفر لنا كما هائلا من المعلومات التي تشكل قاعدة نعتمد عليها في دراستنا ، ألى جانب اعتمادنا على الوثائق الشخصية والتي تعد إحدى الأدوات التي استفادت منها الدراسات الاجتماعية خاصة المتعلقة منها بالدراسات الانثروبولوجية (١) .

الموصل في عيون الرحالة
دراسة اجتماعية تحليلية
مجلة آداب الفراهيدي
م.م ايناس محمد عزيز
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

مفاهيم البحث

الاستشراق* بمفهومه الواسع هو (علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم) .والرحالة (هم جماعة من المؤرخين والكتاب الاجانب الذين خصصوا جزءا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق)(٢).

والمقصود بالرحالة و بتعريفنا لهم إجرائيا (بأنهم جماعة من الأجانب وصفوا أسلوب الحياة ومجموعة العادات والتقاليد والقيم والأدوات والمأثورات الشعبية لدى اهل الموصل) .

أولا:- مشروع الاستشراف وأعلامه

حظيت مدينة الموصل بشهرة تاريخية واسعة منذ اقدم العصور ويعود ذلك الى أهمية موقعها الجغرافي المتميز فضلاً عن موقعها الاقليمي ومركزها الرئيسي في حركة التجارة، لذا فقد ورد ذكر المدينة ومعالم حضارتها في الكثير من الكتب العربية ، كما حرص على زيارتها الكثير من الرحالة الذين وصفوا المدينة و سكانها وطبائعهم، وتفكيرهم ووعيهم في كل المجالات وأبدوا ملاحظاتهم حولها ،وفي حقيقة الأمر ان مادونه هؤلاء وما كتبوه عن أحوال البلاد الاجتماعية والتاريخية والاثرية والجغرافية تعد ثروة تاريخية جليلة الفائدة ،ومصدرا من اوثق المصادر ، وحريا بنا التنويه الى ان بعض الرحلات كانت بدافع المعرفة الشخصية وحب الاطلاع او الفضول ، الا ان القسم الأعظم من البعثات التي جاست بلاد الشرق كانت بعثات رسمية تمولها وتشرف عليها جهات حكومية اوشبه حكومية ، ومن جنسيات ولغات مختلفة ،الا ان الولوج الى مجاهيل الشرق ودراسة أحواله وجمع المعلومات عنه كان الامر الوحيد الذي يجمعهم .

ولا بد لنا من ذكر الرحالة الذين زاروا الموصل ووصفوها وصفاً دقيقاً وتطرقوا إلى مختلف المسائل الاجتماعية والدينية، والتاريخية، لتخرج بعد ذلك المذكرات من بين طيات الكتب التي دونتها أقلام الرحالة الذين وصفوا الموصل من كل النواحي ومن بين هؤلاء الرحالة الرحالة ماركو بولو الايطالي الجنسية الذي ولد في البندقية في العام ١٢٥٥ وسافر الى الصين مع والده وعمره لا يتعدى الستة عشر عاماً وقد وصف في رحلاته مدينة الموصل العراقية عند قيامه برحلات عديدة الى الشرق الأوسط ، وفي العام ١٦٣٦ قام بزيارة العراق جان باست تافرينيه وهو من الرحالة الفرنسيين الاوائل وكتبوا عنه ، ويعد دومينيكو لانزا احد الرحالة الايطاليين الذين زاروا الموصل وسجل ملاحظات قيمة عنها ، وقد ولد في ١٧١٨ ، وزار الموصل عام ١٧٥٤ ، كما ورد ذكر الرحالة الفرنسي أوليفييه الذي زار المنطقة بايعاز من الحكومة الفرنسية فقام بجولة تفقدية في الإمبراطورية العثمانية قبل حوالي مائتي عام فزار الموصل وبغداد والبصرة وغيرها من المدن العراقية سنة ١٧٩١ وسجل انطباعاته عن هذه المدن ، فضلا عن الرحالة الانكليزي جاكسون الذي زار الموصل سنة ١٧٩٧ ، ، والرحالة كارستن نيبور ألماني الجنسية الذي ولد في فرانكفورت سنة ١٧٣٣ وتوفي في ميلدورف سنة ١٨١٥،وكان من أوائل المستكشفين في جزيرة العرب وأقطار عربية أخرى ، ويعد الرحالة الإنكليزي جمس سلك بكنغهام من اهم الرحالة الذين زاروا العراق في أوائل القرن التاسع عشر ، وولد عام ١٧٨٦ وتوفي سنة ١٨٥٥ وقد أمضى عدة سنوات من عمره في أقطار الشرق فزار العراق سنة ١٨١٦وسورية وتركيا وإيران والهند وغير ذلك من البلدان التي عني بوصف شعوبها وأحوالهم في مؤلفاته وغيرهم من الرحالة الذين زاروا المدينة وكتبوا عنها والذين ورد ذكر بعضهم في متون البحث كالرحالة ميرزا وبادجر والميجرسون والرحالة اوتر والرحالة آيفز ، فضلا عن استعانتنا ببعض المصادر التي اوردت ذكر اراء لبعض

الرحالة الذين لم نتمكن من الحصول على كتبهم الاصلية سعيا لاغناء البحث باكبر قدر من الاراء والاخبار وردت عن مدينة الموصل .

ثانيا :- الحياة العمرانية لمدينة الموصل :

لما كانت وظيفة الرحالة معرفة الآخر وكشف ما هو مجهول وغريب عنه ، لاسيما حضارات الشرق التي لفتت انتباه العديد من رجال الدين والعلماء والدبلوماسيين والهواة ، فقد حظيت مدينة الموصل باهتمام اغلب الرحالة الذين زاروا الشرق سيما وان هذه المدينة كانت حلقة وصل بين أربعة أقاليم جغرافية متمايزة هي إقليم الجزيرة وإقليم العراق والمنطقة الجبلية والبادية الصحراوية[٣]

تقع الموصل حسبما أشار اليه الرحالة دومينيكو لانزا١٧٥٤ على ضفة نهر دجلة ومن جنوبها وغربها تمتد الصحراء ، وفي شمالها تقع كردستان حيث المنطقة الجبلية [٤]كما ذكر الرحالة جاكسون١٧٩٧ أن مدينة الموصل تقع على هضبة عند الجهة اليمنى من نهر دجلة وانها مدينة كبيرة تضم الكثير من الابنية الجميلة [٥]،كما اكد جمس بكنغهام ١٨١٦بانها تقع على الضفة الغربية من نهر دجلة في ارض منبسطة تمتد حول المدينة عدة اميال مؤكدا صحة ماجاء به نيبور ١٨١٥من خلال مخططه الذي رسمه لمدينة الموصل[٦] .ومما لاريب فيه أن للموقع الجغرافي دور مهم في تشكيل وتحديد الملامح العمرانية لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية .

بينما ذهب الرحالة تافرينيه١٦٣٦ألى أن الموصل تبدو للمرء من خارجها فخمة المنظر اسوارها حجرية ، بينما هي في داخلها تكاد تكون برمتها خربة ، وليس فيها الا سوقين معقودين ، وقلعة صغيرة مطلة على دجلة يقيم فيها الباشا ، وليس في الموصل مايستحق المشاهدة و الالتفات [٧].

وفي صدد هذا الحديث أشار دومينيكو لانزا ١٧٥٤الذي زار الموصل بعد تافرينيه١٦٣٦ بقرن ألى أن مدينة الموصل تحتوي الكثير من الابنية القائمة واحدة

على أنقاض الأخرى وهذا ماحمله ألى القول ألى كثرة الغزوات والكوارث الطبيعية كالفيضانات التي تعاقبت عليها وتركت تأثيرات واضحة عليها [٨] .

ويسترسل الرحالة نيبور ١٨١٥في وصف الموصل مؤكدا ألى أن بيوت هذه المدينة تلتصق بجدران السور الذي يحيط بالمدينة لصد الغزوات التي قد تتعرض لها المدينة وان شوارعها وازقتها ضيقة وغير منتظمة كما هو الحال في بقية مدن بلاد المشرق ولكنها تختلف عن هذه المدن بفارق واحد هو أنها تخلو من محلات منفصلة بعضها عن بعض وذات ابواب خاصة كما هو الحال في بغداد والقاهرة وان شوارعها وطرقها معبدة والبيوت مبنية بالحجر والجص المحلي [٩] ويذكر الرحالة بريز بان مساكن الموصليين ومبانيهم مبنية بالحجر الرمادي وبالمرمر وتوجد داخل مساكنهم صالونات مفتوحة[١٠].

ويعلل الرحالة بكنغهام ١٨١٦استعمال اهل الموصل للحجر والجص ألى ندرة الاخشاب وارتفاع اسعارها لذلك كانت سقوف منازلهم معقودة تقوم فوقها غرف وسطوح معقودة تسند شرفاتها المنبسطة ومدخل هذه المنازل هي المنافذ المتصلة بالشوارع بمعظم الحالات حيث تفتح الشبابيك على الباحات الداخلية مزخرفة على شكل طراز الاسلامي وان كان العربي اكثر انتشارا واسطح منازلهم محاطة بجدران تحجب من في المنزل وتجنبهم التعرض لأنظار المارة [١١] ، ويؤكد الرحالة لانزا ١٧٥٤ألى أن البيت الموصلي يحتوي على غرفة تحت الارض متقنة البناء تسمى(السرداب) ، ومن بنايات هذه المدينة الخاصة نوع اخر من البنايات تحت الارض لحفظ الحنطة بحيث لا يشك احد بوجود شي في ذلك المحل [١٢] ، والمرجح ان سبب وجود هذه البنايات في البيوت الموصلية يعود الى عادة تخزين المؤن التي تميز بها الموصلي نتيجة للظروف التي قد انتابت المدينة خلال فترات تاريخية متعددة عانت فيه من

الموصل في عيون الرحالة
دراسة اجتماعية تحليلية
مجلة آداب الفراهيدي
م.م ايناس محمد عزيز
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

ويلات كثيرة كالمجاعات والفيضانات والكوارث الطبيعية ، فكانت عادة التخزين هذه انعكاسا لحالة التوجس والخيفة من المستقبل[١٣] .

كما لم يغفل الرحالة بكنغهام١٨١٦ ذكر المساجد والكنائس التي كانت منتشرة في الموصل حيث قدرها بحوالي خمسين مسجدا واكد ان هنالك العديد من الابنية الدينية العريقة في القدم ، بينما قدر عدد الكنائس بحوالي اربع عشرة كنيسة [١٤] ، ويذهب الرحالة بادجر الى انه يوجد في الموصل اكثر من (١٩)جامعا [١٥] ، وهذا مايؤكد على ان سكان المدينة باختلاف اديانهم كانوا على جانب عظيم من التدين والورع من جانب اخر فان وجود الاماكن الدينية المقدسة جنب الى جنب مؤشر مهم على التعايش الأخوي والألفة بين سكان المدينة بمختلف طوائفها واديانها [١٦] .

ومن الملاحظات الاخرى للرحالة جاكسون ١٧٩٧و بكنغهام١٨١٦ الواضحة على شخصية الموصلي وما اكدت عليه اغلب البحوث التي تناولت دراسة الشخصية الموصلية مراعاته للخصوصية المحكمة لسكنة البيت الموصلي منعا لتطفل الغرباء فيعمل على بقاء سياج البيت مرتفعا مختزلا عدد الشبابيك المطلة على الطريق ،محققا بذلك خصوصية اكثر تمنع عابر الطريق من رؤية من في البيت [١٧] .

ثالثاً:- الحياة الاقتصادية لمدينة الموصل :

حظيت مدينة الموصل بمكانة اقتصادية عبر التاريخ لم يغفل عنها الرحالة في مدوناتهم التي نسجت ابرز الملامح التي استوقفت الرحالة خلال زيارتهم لهذه المدينة ، زراعيا فقد اتفق اغلب الرحالة على ان الموصل مدينة زراعية تعتمد على الامطار في زراعتها وانها كانت تعاني من قلة الامطار في سنوات معينة دب الجدب عليها [١٨] ، كما اكد الرحالة دومينيكو لانزا١٧٥٤ الى ان الاراضي الزراعية في الموصل كانت تغزوها اسراب الجراد بكثرة ولا تترك منها شيئا [١٩] .

واسواق الموصل حسبما جاء به الرحالة جاكسون١٧٩٧ واسعة ومزودة تزويدا حسنا بالسلع وكانت اسعار معظم المواد المعروضة للبيع ماعدا الملابس معتدلة تماما فيما قارن بكنغهام ١٨١٦مابين اسواق الموصل واسواق القاهرة الجميلة وان لم تكن اسواق الموصل مثلها الا انها تتميز عنها بشي واحد هو كثرتها ووفرة ما فيها من الحاجات والضرورات التي تاتيها من المناطق الجبلية على أن هذه الاسواق مفتوحة على بعضها ومغطاة بسقوف وهي قذرة بصفة عامة وغير متناسقة مما يشاهد امثاله في هذا الضرب من المدن الشرقية ولا يوجد سوى سوق واحد تباع فيه السلع الغالية وهو أفضل الأسواق من حيث البناء والتصميم ويختص بالبضائع التي تاتي من الهند(٢٠) ، بينما وصف الرحالة نيبور١٨١٥ اسواق الموصل ومقاهيها وحماماتها بان القسم الاعظم منها جميل على ان أجمل وأحسن هذه المحلات العامة تعود الى الأسرة الجليلية* (٢١) .فيما يرى بكنغهام ١٨١٦ ان مقاهي الموصل كثيرة وواسعة وقد يحتل احدها الشارع بطوله .

اما بخصوص التجارة في مدينة الموصل فقد ربط لانزا ١٧٥٤ بين الموقع الجغرافي لهذه المدينة وازدهار التجارة اضافة الى الرعاية التي حظيت بها من قبل الولاة واستقرار الامن فيها ، مما ساعد على ارتقاء التجارة فيها اذ كانت تأتيها الاعراب من البادية والاكراد من الجبال ويبتاعون منها مايحتاجونه ويذكر في الاطار ذاته الى ان أهم البضائع التجارية هي المنسوجات التي اشتهرت بها الموصل وان معظم التجار هم من النصارى الذين يزاولون الصناعة والتجارة ويشتغلون بمهن أخرى(٢٢) ،ويذهب الرحالة نيبور١٨١٥ الى ان لهذه المدينة حركة تجارية واسعة النطاق اذ يردها من كردستان مختلف البضائع وتقوم بتصديرها الى بغداد فالبصرة فالهند (٢٣) ،واشار الرحالة تافرينيه١٦٣٦ الى ان لهذه المدينة اهمية تجارية كبيرة حيث انها ملتقى مهم للتجار خاصة تجار العرب والكرد (٢٤) ، وهذا ما يؤكد أن مدينة

الموصل احد المدن التجارية التي اكسبت أهلها صفات واخلاق طيبة في التجارة والاعمال (٢٥) .

كما تحدث العديد من الرحالة الذين زاروا الموصل عن حالة الرخاء التي كان يشهدها قطاع الصناعة فقد اشار الرحالة جاكسون١٧٩٧ الى انهم اكثر السكان اهتماما بالصناعة من أي اقوام اخرين رايتهم مذ غادرت الهند ، فهناك مصانع عدة يجري تشغيلها وبعض مصنوعاتها تتفوق على المصنوعات الاوربية فسروج الخيول وأحزمتها تظهر جد انيقة بوجه خاص ، وهم يصنعون سجاد الحرير ويطرزونه بالازهار فيظهر احسن وامتن من السجاد الذي يصنع في اوربا وهم مبرزون في صنع المطرزات الثمينة المدهشة للرجال وللنساء معا، اضافة لوجود مصانع للنحاس والحديد،(٢٦) فيما اشار بكنغهام الى ان الصناعة الوحيدة التي تمارس في الموصل على نطاق واسع صنع الملابس القطنية(٢٧) وقد مر الرحالة الايطالي ماركو بولو١٢٥٥ بالموصل فكتب عنها انها في وقته تصنع النسيج الثمين من الحرير والذهب (٢٨) ، وقد احتفظت الموصل بشهرتها ببعض الصناعات التي غزت العالم ويرجع ذلك الى صناعها الذين ذاعت شهرتهم بسبب ما لديهم من خبرات ومهارات فنية(٢٩) ، وكنتيجة طبيعية الى انتشار التعليم والتحاق عدد كبير من سكان المدينة بصفوفه وظهور شريحة جديدة من المهن كالاطباء والمهندسين والقضاة والاساتذة والتي عرفت بالدقة والمهارة ادت الى تغيير الكثير من ملامح الصناعات والمهن .

فيما كان للزراعة في الموصل جانب مهم في كتابات الرحالة لانزا١٧٥٤ الذي شاهد الازدهار الزراعي الذي تنعم فيه الموصل التي امتازت بكثرة الحبوب نتيجة لخصوبة تربتها لذا فان غلتها تكفي لسد حاجة الولايات المجاورة للموصل وان كان زراعة بعض الاراضي امر معقدا نتيجة لخشية الاهالي من غزوات الاعراب ،اضافة الى المخاطر التي كانت تتعرض لها الزراعة من جراد وفيضانات (٣٠) ،

يتضح لنا هنا ان اقتران الاقتصاد الزراعي بهطول الامطار والتي كانت متذبذبة تزدهر سنة وتعاني الجدب في سنة اخرى لذا جاء التناقض بين اراء الرحالة في طيات البحث تبعا لسنة الزيارة التي قام بها الرحالة ان كانت سنة ازدهار ام جدب .

رابعاً:-وصف سكان الموصل :

لقد شهدت مدينة الموصل خلال تاريخها الطويل العديد من الويلات والانتكاسات ،الا انها على الرغم من ذلك وكما اكد دومبيكو لانزا ١٧٥٤الى انه على الرغم من ما انتاب المدينة من تقلبات ودمار فهي لا تزال واسعة جدا كثيرة السكان عامرة البنيان ، تضم العرب والاكراد والأتراك واليزيدية وهناك عدد من اليهود لا يتجاوز (٤٠٠)الف نسمة وكلهم فقراء ، وعدد النصارى حسب ظن لانزا اكثر من اليهود (٣١) ،ولا ندري ماهي المصادر التي وقعت بين يدي لانزلا التي قدر بموجبها اعداد اليهود او النصارى والتي قد يلحظ بها المبالغة بذكر الاعداد ، وهناك من قدر عدد سكان الموصل اعتمادا على عدد بيوتها فقد قدرها نيبور١٨١٥ بين عشرين الى اربعة وعشرين الف بيت واشار الى ان هذا العدد قد يكون مبالغ فيه ، ويشكل المسلمون غالبية سكان المدينة وكلهم من السنة ، ويقدر عدد النصارى بنحو الف ومائتي بيت ، ونحو مائة وخمسين بيتا يقطنها اليهود (٣٢) ، فيما قدر بكنغهام١٨١٦ عدد سكان الموصل طبقا لتقديرات انذاك الى مائة الف نسمة (٣٣) اما الرحالة بادجر فقد قدر سكان الموصل بحوالي (٣٣٥٠)الف عائلة مسلمة و(١٠٥٠)الف عائلة مسيحية و(٢٠٠)عائلة يهودية (٣٤) .

وقد لاحظ احد الرحالة الى ان المشاكل الدينية لم يكن لها اثر على علاقات الطوائف بعضها ببعض نتيجة لغلبة العصبية المحلية على الجميع وانصهارهم في بوتقة الحياة الاجتماعية المشتركة ، كما ذكر الرحالة الميجرسون الذي زار البلاد متنكرا في اواخر القرن التاسع عشر ، ان افراد هذه الطوائف يفسرون تآلفهم مع

بعضهم بانهم على اختلاف اديانهم ، عرب في الاحساس واللغة ، كما انهم يرتبطون برابطة السكنى في المدينة ، وهي على حد قوله رابطة قوية في مدن الشرق المنعزلة(٣٥) ، كما وصف نيبور١٨١٥ حالة النصارى في الموصل قائلا ان حالة النصارى في الموصل احسن بكثير من حالة النصارى في بقية بلدان الامبراطورية العثمانية فهم هنا يعيشون سعداء وعلى وئام مع المسلمين وكثير منهم يعمل في خدمة حسين باشا حتى ان كبير طباخي حرم الباشا كان نصرانيا وكان ابوه يشغل هذه الوظيفة لمدة طويلة عند والد اسماعيل باشا(٣٦)

ومما يستوجب ذكره هنا ان التسامح الديني بين فئات المجتمع الموصلي يرجع الى وعيهم الذي أكسبتهم اياه العشرة والمعاملة الحسنة ، حتى ان هذه المدينة قد حوت العديد من المراقد والأماكن المقدسة ولمختلف الديانات وسمح دخول هذه المناطق للجميع وبغض النظر عن دياناتهم .

كما أثنى العديد من الرحالة على شجاعة أهل الموصل في مواجهتهم لنادرشاه* أثناء محاولته احتلال المدينة فاستبسلوا بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة حيث كان المدافعون على استعداد دائم لسد الثغرات التي تحدثها مدفعية العدو في السور، حتى ان العديد منهم تقلدوا مناصبا في الجيش إضافة للمراكز الإدارية والسياسية (٣٧) . ولم يغفل الرحالة نيبور١٨١٥ عن ذكر هذا الالتحام بين المسلمين والنصارى سويا وببسالة حيث كان جل همهم هو الدفاع عن مدينتهم فالموت عندهم اهون عليهم من عار الأسر والعبودية لذا لم تكن مساهمة النصارى في صده أمرا مفاجيء حتى ان المسلمين اعترفوا للنصارى بالفضل لهم لثبات المدينة بوجه العدو كما اظهروا في مواقف مختلفة شجاعة فائقة حتى ان باشا الموصل سمح لهم ببناء عدد جديد من الكنائس وترميم القسم الباقي وتجديده لموقفهم الشجاع هذا (٣٨) .هذا الى جانب العديد من المحن والغزوات التي تعرضت لها المدينة وتكاتف أبنائها

وصدهم للهجمات وتفانيهم في دفاعهم عن مدينتهم ، وكان من نتاج تلك الظروف ان تركت بصمات واضحة على الشخصية الموصلية حيث عرف بها الموصلي بشجاعته وعزز فيها حب الطاعة والنظام في مختلف ظروفهم الحياتية (٣٩) .

ولم يغفل الرحالة عن ذكرهم للهجة التي يتكلم بها الموصلي فقد أشار الرحالة اوتر الى ان أهل الموصل يتكلمون اربعة لغات هي العربية والتركية والفارسية والكردية ، واضاف الرحالة بكنغهام الى ان اللغة التي يتحدث بها اهل الموصل تختلف عن لغة أهل القاهرة وحتى أهل حلب ففيها مزيج من الكلمات التركية والفارسية والهندية (٤٠) وقد اكد رحالة اخرون على هذه الميزة في اللهجة الموصلية كالرحالة نيبور ١٨١٥والرحالة بريز، وهنا لا يمكن اغفال الدور الذي لعبه الاستعمار في إدخال بعض الكلمات والأحرف التي غزت اللهجة الموصلية فجعلتها بالشكل الذي ميزها عن بقية اللهجات الأخرى .

ومما استوقف احد الرحالة ثقافة وعادات أهل الموصل اذ اثنى احد الرحالة على الثقافة العالية لأعيان الموصل ودماثة أخلاقهم وسعة افاقهم بقوله (ومنذ مغادرتي باريس لم الق ذوي اذهان نيرة مثلهم) (٤١) ، واشار الرحالة جاكسون١٧٩٧ الى اعتدال النزعة المحافظة في الموصل بقوله (والروح المحافظة هنا ليست بمثل الشدة التي تتميز بها المدن الشرقية ذلك لان النساء من جميع الأصناف لسن محجبات وهن اشبه بنساء البلدان الأوربية) (٤٢) . واعتقد ان الرحالة جاكسون قد نظر إلى جانب بعيد عن الصحة في وصفه للمراة الموصلية التي عرفت بمحافظتها ، وورعها ، وشدة التزامها بحجابها كما ان المجتمع الموصلي عرف بانه مجتمع محافظ خاصة وانه مجتمع يغلب عليه الطابع الإسلامي ، وربما تكون النساء اللاتي قابلن جاكسون اثناء وجوده في الموصل نصرانيات وبالتالي هن غير محجات .

وفي معرض الحديث عن أخلاق اهل الموصل وثقافتهم فقد اشار الرحالة وليس بدج الى اصرار صديقه الموصلي على إقامته في منزله طيلة فترة بقائه في الموصل وحسن استقبال صاحبة البيت له واشار الى شدة التزامها بدينها (٤٣) .

وهناك من الرحالة من حاول وصف ملامح الموصليين كالرحالة بكنغهام١٨١٦ بقوله ان لسكان الموصل تقاطيع في وجوههم تميزهم عن غيرهم تماما فكأنهم من عنصر واحد تقريبا وقد اختلط الواحد منهم بالأخر وتمازج معه منذ زمن طويل ، ذلك ان شكل الوجه مدور يختلف عن وجوه العرب او الأتراك ،وشعر الراس اسود غالبا ، والعيون صغيرة حادة نفاذة بينما تكون هيئة البشرة مشابهة لبشرات سكان جنوبي اسبانيا ،ويلبس الصغار من الاولاد غالبا قرطا ذهبيا في إحدى الإذنين، بينما تلبس الفتيات حلية اشبه بالزر مرصعة باحجار صغيرة من الفيروزج معلقة بثقب في الأنف ، ويرتدي الرجال اللباس التركي ما خلا العمائم والطرابيش العالية ، مثل أهالي سوريا ،والسراويل المصنوعة من نسيج صوفي جميل عوضا عن الثياب القطنية،وتلبس النساء رداءً واقيا ازرق اللون اشبه بما هو مالوف في مصر وسوريا، ويستعملن حجابا يغطي الوجه كله وبذلك يظهرون بمظهر لا يثير الاهتمام غالبا(٤٤).

وتحدث الرحالة نيبور١٨١٥ عن طول اعمار الموصليين فهو يرى ان اهالي الموصل يعمرون طويلا ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى هوائها الصحي ومائها العذب المفيد الجسم (٤٥) .

وارى ان وصف بكنغهام ١٨١٦لملامح الموصليين وصفا يحمل في ثناياه البعد عن الصواب حيث انه لاتوجد ملامح معينة تميز الموصلي فهناك الأسمر و الأشقر وهناك الطويل والقصير فلا يوجد ما يثير الاستغراب ، وهذا ما نلحظه يتكرر في وصفنا للصينيين مثلا بانهم متشابهين وأحيانا لا يمكن ان نفرق بينهم وهذه الصفة اعتقد انها قادمة من شعور كل غريب يطا أرضا غريبة عنه .

ويؤكد الرحالة لانزا ١٧٥٤في حديثه عن سكان الموصل قائلا ان المعيشة بانواعها كانت رخيصة جدا واللباس خشنا وقليل الثمن ، وكان النصارى لا يختلفون كثيرا بعاداتهم وازيائهم عن المسلمين ، فلم يكن بين المسيحي والمسلم من علامة فارقة الا انه لما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وايران أخذت الجيوش العثمانية تتحشد في الموصل ، فحدث ان كثيرا من أهالي الموصل سيقوا للحرب وهكذا اختلطوا بالأتراك فاقتبسوا أخلاقهم وعوائدهم السيئة وتعلموا النعومة في ملبسهم والترف في ماكلهم ومعاشراتهم ، كما أشار لانزا ١٧٥٤الى انه بعد تعرض الموصل لغزو طهماسب لجأ الى المدينة عدد من الأكراد والأتراك ، وانخرط معظم الأتراك في سلك الجندية وتعاطوا التجارة في الوقت عينه واحترفوا شتى الحرف وتكاثروا بصورة عجيبة وزادت ثروتهم وأصبحوا صلفين متعجرفين أكثر من أتراك سائر المدن [٤٦]. وقد يحتوي نص لانزا هذا نوعا من الضبابية فهو لم يحدد لنا ماهي هذه العادات السيئة حتى نتمكن من فهم قصده بالعادات السيئة التي انتشرت في الموصل .

ويذهب الرحالة نيبور ١٨١٥الى ذكره للسلطة التي كانت تتمتع بها الأسرة الجليلية في الموصل بعد ان تمكنت من كسب الأهالي إلى جانبها حيث كانوا يعاضدونها ويسمعون كلمتها ، سيما وان كل من حكم الموصل من خارج ولايتها لم يكن له هما سوى جمع المال ، لذا كان من مصلحة أهالي الموصل ان يكون واحدا منهم واليا على المدينة خاصة وان الباشا الذي يريد ان يبقى في الحكم دائما يسعى لكسب رضا الناس وثقتهم [٤٧] لذا فان السلطات التي كانت بيد من هم ليسوا من ابنائها محدودة بل هي بالقدر الذي يسمح به وجهاء الموصل حسبما اشار اليه الرحالة لانزا [٤٨] .

كما حدثنا الرحالة ميرزا عن المستوى الثقافي الرفيع الذي كان موظفي الولاية واعيان سكانها عليه ، فقال (كان هؤلاء ناسا مثقفين ، خاصة ، وذوي أخلاق

محبوبة ، وتفكير واسع ، ومنذ مغادرتي باريس لم الاق رجالا مثلهم) ويقارن بين ثقافتهم وثقافة الموظفين الذين رآهم

في العاصمة العثمانية مقررا بانه لو كان لوزراء السلطان عشر براعتهم فقط ، لما واجهت الدولة العثمانية ما تواجه من مصائب [٤٩] .

ويذهب الرحالة اوليفييه١٧٩١ الى ذكر الحالة الصحية للمدينة مشيرا الى انه قلما تتعرض هذه المدينة للإمراض المستوطنة وتندر فيها الحمى والطاعون الذي يسبب اضرارا فادحة في الساحل السوري غير معروف تقريبا فيها [٥٠] ، فيما اشار الرحالة دومينيكو لانزا ١٧٥٤في تعرض المدينة خلال فترات متعددة لأمراض الطاعون وأمراض أخرى حصدا فيه أرواح الكثير من الناس [٥١] .

من جانب آخر فقد تعرضت المدينة الى فترات عانى فيها الأهالي من المجاعة نتيجة لقلة سقوط الإمطار ، إضافة لتجمد نهر دجلة بأكمله عشرة ايام نتيجة لشدة البرد حتى ان الكثير من الفقراء وخاصة النصارى باعوا اطفالهم للمسلمين حتى ان الرحالة آيفز وصف المجاعة الكبرى بالمأساة التي كان عليها الناس والحالة المحزنة التي كانوا فيها [٥٢] ، فكان من نتيجة تلك الظروف التي قرن فيها الموصليين ارتباط قلة سقوط الإمطار ،وانتشار الأوبئة والإمراض ،ما دفع الموصليين الى اهتمامهم بالصحة العامة حتى انهم عرفوا باهتمامهم البالغ بالنظافة الى حد يقترب من الوسوسة ، حتى كانت ظاهرة النزعة الشديدة بمراجعة الأطباء احد الظواهر التي رصدها احد الرحالة الذين زاروا الموصل [٥٣].

يتضح لنا ان عددا كبيرا من الرحالة استخدموا أدوات يمكن ان نعدها أدوات منهجية تدخل في خانة البحث الاجتماعي ، ومن بين هذه الأدوات التي وجدناها في كتب الرحالة الذين زاروا الموصل الملاحظة ، والمقابلة ، والمشاهدة ، و المقارنة التي اتبعها اكثر الرحالة من خلال المطابقة والاختلاف مابين المدن التي زاروها ومدينة الموصل او حتى مدنهم ، ويمكن ان نصف مفهوم الملاحظة لدى الرحالة من

خلال منهجية علم الاجتماع بانها الملاحظة البسيطة التي لاحظت الظواهر كما هي تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلم وبدون استخدام أدوات دقيقة للقياس للتأكد من دقة الملاحظات وموضوعيتها ، مما أصاب بعض ملاحظات هؤلاء الرحالة بالاضطراب أحيانا ، فضلا عن اتفاق الرحالة على بعض الصفات منها أنها مدينة كبيرة يحيط بها السور من جميع جوانبها تضم بداخلها العديد من الأسواق إضافة الى انها عدت احد أهم المدن التجارية والصناعية ، علما ان الوصف بين هؤلاء الرحالة رغم الفواصل الزمنية الطويلة التي كانت تمتد أحيانا الى قرن او أكثر مؤكدين ان المدينة لم تتطور ماديا كثيرا في مظهرها العمراني في تلك الفترات ، الا ان المجتمع كان يتطور وبصورة تدريجية من خلال انتقاله من مجتمع زراعي الى مجتمع صناعي وتجاري يحمل سمات ثقافية تختلف عن سمات أقاليم المناطق العثمانية الأخرى .

اما الخصوصية الثقافية والدينية التي تميزت بها مدينة الموصل والتي أكد عليها الرحالة من خلال انصهار الثقافات الفرعية التي ارتبطت بتعدد الطوائف والقوميات مثل المسلمون والمسيحيون واليهود والعرب والأكراد والذين عرفوا بارتباطهم وتكاتفهم فتفرد الموصل بهذا التعايش السلمي مما أعطى الثقافة الموصلية خصوصية تميزت عن ثقافة المدن الأخرى التي زارها الرحالة . وأضاف الرحالة الى نقطة مهمة جدا وهي ظلم بعض الولاة الذين حكموا الموصل والذي اتسم بالتسلط وقد عانى منه الموصليين كثيرا.

وأخيرا وليس آخرا أطلق الرحالة العنان لأفكارهم في تصوراتهم لامور متجذرة في مخيلتهم ومرجعيتهم من مدونات الرحالة الذين سبقوهم وذلك بتكرارهم لأراء من سبقهم وهذا مايجعل أرائهم واقعة تحت سيطرة التصور المسبق لمجموعة الصفات التي اخذوا يبحثون عنها لتأكيد ما اطلعوا عليه .

الهوامش :

(١) حسن ،عبد الباسط محمد حسن ،أصول البحث الاجتماعي ،ط٩،مكتبة الناشر ،القاهرة ، ١٩٨٥ ،ص٢٥٣ .

(*) ان مصطلح الرحالة يطلق على العرب والأجانب . وانا اقصد بالرحالة المستشرقيين الأجانب الذين زاروا الموصل وكتب دراسات عن الشرق لذلك اطلق عليهم الرحالة المستشرقين الباحثة

(٢) فوزي ، فاروق عمر ،الاستشراف والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١ ،١٩٩٨ ،ص٣٠ .

(٣) رؤوف،عماد عبد السلام،الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي،النجف الاشرف،١٩٧٥،ص٢٩٣.

(٤) لانزا،دومينيكو ،مصدر سابق ،ص٩.

(٥) جاكسون ،مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧،ترجمة خالد فاروق عمر ،ط١،الدار العربية للموسوعات،بيروت،٢٠٠٠،ص١١٩

(٦) بكنغهام ، جمس،مصدر سابق ،ص٥٩.

(٧) تافرينيه ،العراق في القرن السابع عشر ،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،مطبعة المعارف ،بغداد ،١٩٤٤ ،ص ٥٨ .

(٨) لانزا ،مصدر سابق ،ص١٠-١١ .

(٩) نيبور ،مصدر سابق،ص١٠٧

(١٠) ب.م.د انتسيغ،الرحالة الروس في الشرق الأوسط،ترجمة وتعليق معروف خزنة دار ،دار الرشيد للنشر ،العراق،١٩٨١،ص٢٤٤

(١١) بكنغهام ، جمس ،مصدر سابق ،ص ٦٠-٦١ .

(١٢) جاكسون ،مصدر سابق ،ص ١٠ .

(١٣) الخالدي ،خليل محمد حسين ،التنظيم الاجتماعي والشخصية الموصلية ،بحث ،٢٠٠٢ ،ص٢٨ .

(١٤) نكنغهام ،مصدر سابق ،٦٢ .

(١٥) رؤوف ،مصدر سابق ،ص٤٤٤ .

(١٦) الصائغ ،سليمان ،تاريخ الموصل ،ج٢ ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٢٨ ، ص٣٣ .

(١٧) احمد ،محمد محمود ،الأسرة الموصلية التغير في بنائها ووظائفها ،رسالة ماجستير ،قسم الاجتماع،كلية الآداب،الموصل،٢٠٠٠،ص٢٨ .

(١٨) الديوجي ،سعيد ،تاريخ الموصل ،ج٢ ،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ،٢٠٠١ ،ص١٥٩ .

(١٩) لانزا ،مصدر سابق ،ص ١٥ .

(٢٠) جاكسون ، مصدر سابق،ص١٢٠ .

(*) الاسرة الجليلية من الاسر التي حكمت الموصل في القرن الثاني الهجري وتنتسب هذه الاسرة الى بيت عربي ينحدر من ديار بكر واشتهرت بالتجارة التي ساعدتها على ان تتبوا مركزا كبيرا في مجال السياسة ولاسيما في حكم الموصل ولقد صعد نجمها من خلال تصديها ودحرها للفرس اثناء حصارهم للموصل ، ينظر حصار الموصل ، د. سيار الجميل ، مطبعة الجمهورية، ط١ ، الموصل ، ١٩٩٠ ، ١٩٦ . ١٩٧ .

(٢١) نيبور ،مصدر سابق ،ص ١١١ .

(٢٢) لانزا ،مصدر سابق ،ص١٦-١٧ .

(٢٣) نيبور ،مصدر سابق ،ص١١٤ .

(٢٤) تافرينيه ،مصدر سابق ،ص٥٨ .

(٢٥) الجميل ، كوكب جميل ، حصار الموصل ، ط١ ،مطبعة الجمهور ،الموصل ،١٩٩٠ ،ص ١٩٧

(٢٦) جاكسون ،مصدر سابق ،ص١٢٠ .

(٢٧) بكنغهام ،مصدر سابق ،ص٦٦ .

(٢٨) بكنغهام ،مصدر سابق ،ص٦٩.

(٢٩) الجميلي ،رشيد عبدالله ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ،مطبعة اوفسيت الحديثي ،بغداد ،١٩٨٠ ،ص٢٩٧ .

(٣٠) لانزا ،مصدر سابق ،ص ١٥.

(٣١) لانزا ،مصدر سابق ،ص ١١ .

(٣٢) نيبور ،مصدر سابق ،ص١١٢ .

(٣٣) بكنغهام ،مصدر سابق ،ص٦٤ .

(٣٤) السماك ،محمد ازهر سعيد،وهاشم خضير الجنابي واخرون ،استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق ،دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل،١٩٨٥، ص٣٧.

(٣٥) رؤوف ، عماد عبد السلام ،مصدر سابق ، ص٣٢٣ .

(٣٦) رؤوف ، مصدر سابق ، ٣٣٠

(*) ولد نادر شاه في خراسان سنة ١٦٨٨م تمكن من قيادة حملات عسكرية كبيرة حصل نتيجة عنها على لقب الخان الذي منحه اياه البلاط الصفوي ومن ضمن حملاته العسكرية حصاره لمدينة الموصل سنة ١٧٤٣ التي رفضت رفضا باتا أي نوع من انواع الخضوع والاستسلام والذي انتهى باندحار نادر شاه ورحيله عن الموصل . ينظر سيار جميل ، مصدر سابق ، ١٤٥.

(٣٧) المصدر نفسه ،ص ١٩ .

(٣٨) نيبور ،مصدر سابق ،ص١١١

(٣٩) الصوفي ، احمد ،خطط الموصل ،ج٢ ،مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ،١٩٥٩ ،ص٢٥

(٤٠) بكنغهام ،مصدر سابق ،ص٦٧-٧١ .

(٤١) العدول ،جاسم ،معالم مدينة الموصل ابان الحقبة الجليلة من كتابات عدد من الرحالة الاجانب ،اوراق موصلية ،مركز دراسات الموصل ،الموصل ،ع٢ ،٢٠٠٢ ،ص٢٤ .

(٤٢) جاكسون ،مصدر سابق ،ص١٢٠.

(٤٣) بدج ،سير وليس ،رحلات الى العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، ج٢، ط١ ، مطبعة شفيق ،بغداد ،١٩٦٨ ،ص١٢٢ .

(٤٤) بكنغهام ،مصدر سابق ،ص٦٦ .

(٤٥) نيبور ،مصدر سابق ،ص١٠٧ .

(٤٦) لانزا ،مصدر سابق ،ص١٢.

(٤٧) نيبور ،مصدر سابق ،ص١١٢ .

(٤٨) لانزا ، مصدر سابق ،ص١٧ .

(٤٩) رؤوف ،مصدر سابق ،ص٤٠٧ .

(٥٠) الجلبي ،بسام ادريس ،بعض معالم الموصل الهامة في كتابات الرحالة ،بحوث ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والاجانب ،مركز الدراسات التركية ،الموصل ،١٩٩٧ ، ص١٧٧ .

(٥١) لانزا ،مصدر سابق ،ص١٣ .

(٥٢) نيبور ،مصدر سابق ،ص١١٤ .

(٥٣) العدول ، مصدر سابق ، ص١٤٠

المصادر والمراجع :

١- احمد ،محمد محمود ،الاسرة الموصلية التغير في بنائها ووظائفها ،رسالة ماجستير ،قسم الاجتماع،كلية الاداب،الموصل،.٢٠٠٠

٢- ب.م.د انتسيغ،الرحالة الروس في الشرق الاوسط،ترجمة وتعليق معروف خزنة دار،دار الرشيد للنشر ،العراق،.١٩٨١

٣- بدج ،سير وليس ،رحلات الى العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، ج٢، ط١ ، مطبعة شفيق ،بغداد ،١٩٦٨ .

٤- بكنغهام ، جمس،رحلتي ألى العراق سنة ١٨١٦،ترجمة سليم طه التكريتي،ج١،مطبعة اسعد،بغداد،.١٩٦٨

٥- تافرينيه ،العراق في القرن السابع عشر ،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،مطبعة المعارف ،بغداد ،.١٩٤٤

٦- جاكسون ،مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧،ترجمة خالد فاروق عمر ،ط١،الدار العربية للموسوعات،بيروت،.٢٠٠٠

٧- الجلبي ،بسام ادريس ،بعض معالم الموصل الهامة في كتابات الرحالة ،بحوث ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والاجانب ،مركز الدراسات التركية ،الموصل ،.١٩٩٧

٨- الجميل ، كوكب جميل ، حصار الموصل ، ط١ ،مطبعة الجمهور ،الموصل ،١٩٩٠ .

٩- الجميلي ،رشيد عبدالله ، امارة الموصل في العصر السلجوقي ،مطبعة اوفسيت الحديثي ،بغداد ،١٩٨٠ .

١٠- حسن ،عبد الباسط محمد حسن ،اصول البحث الاجتماعي ،ط٩،مكتبة الناشر،القاهرة ، ١٩٨٥ .
١١- الخالدي ،خليل محمد حسين ،التنظيم الاجتماعي والشخصية الموصلية ،بحث ،٢٠٠٢ .
١٢- الديوجي ،سعيد ،تاريخ الموصل ،ج٢ ،دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل ،٢٠٠١ .
١٣- رؤوف،عماد عبد السلام،الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي،النجف الاشرف،١٩٧٥.
١٤- السماك ،محمد ازهر سعيد،وهاشم خضير الجنابي واخرون ،استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق ،دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ،.١٩٨٥
١٥- الصائغ ،سليمان ،تاريخ الموصل ،ج٢ ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٢٨ .
١٦- الصوفي ، احمد ،خطط الموصل ،ج٢ ،مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ،١٩٥٩.
١٧- العدول ،جاسم ،معالم مدينة الموصل ابان الحقبة الجليلة من كتابات عدد من الرحالة الاجانب ،اوراق موصلية ،مركز دراسات الموصل ،الموصل ،ع٢ ،٢٠٠٢ .
١٨- فوزي ، فاروق عمر ،الاستشراق والتاريخ الاسلامي (القرون الاسلامية الاولى)، الاهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،ط١ ،١٩٩٨ .
١٩- لانزا،دومينيكو ،الموصل في القرن الثامن عشر ،ترجمة روفائيل بيداويد،ط٢،المطبعة الشرقية الحديثة ،الموصل،١٩٥٣.
٢٠- نيبور ،رحلة نيبور ألى العراق في القرن الثامن عشر ،ترجمة محمود حسين الامين ،دار الجمهورية للنشر والتوزيع،بغداد،١٩٦٥.

Abstract

Our research (AL-Mosul in orient lists Eyes - Annalistic Reading) deals with knowing the views of the orient lists and foreign travelers which presented a show of their notices and observances about this city in writings contain the traditions , customs and values of the citizens and evaluating them through a vision tries to discover the other (orient) for the sake of companying between their peoples and the oriental peoples .By the recitation of these views , we might be able to understand dictions , customs and values through their reflection in the orient lists eyes and mirror who had some kind of neutralism or credibility in recitation for the most important phase this city , which is to be unknown for us .Therefore , these writings become a reference by which AL- Mosulain could be understood in that phase . We also will try to analyze these notes socially according to what we will find from references support our analysis .

مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام
دراسة وصفية تحليلية

م. م. هنـــــد عبـــــد اللـــــه أحـــــمد(*)
جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

مُقَدِّمَة

الإسلام دين عالمي سمح يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وترسي دعائم السلام على الأرض، وتسير الحياة الإنسانية على ما فيها من وحدة وتنوع وتطرح الحد الأدنى لتعايش عالمي وتوجه البشرية إلى التآلف والسعي لما فيه خير للمجتمع، فهو دين يدعو إلى التعايش بين البشر جميعاً في جو من التسامح والإخاء بين الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم.

ونلاحظ أن مجتمعنا اليوم بحاجة إلى التسامح والتعايش بين فئاته ومكوناته الاجتماعية أكثر من أي وقت مضى متمثلة في ذلك ما افرزه الاحتلال الأمريكي على مجتمعنا إذ أثر سلباً على مكونات المجتمع وطوائفه وخلق داخل المجتمع مفاهيم ومسميات جديدة غيرت من المجتمع، كما ينتابه حالات من النزاعات والاضطرابات والفتن التي تمزق المجتمع إلى طوائف والتي تسبب الحروب وتزهق الأرواح وتنتهك الحرمات وتسلب الحقوق ويحل التمزق، محل التماسك والخوف محل الأمن والفوضى محل النظام، فهذا كله لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه وجعله خليفته في الأرض على وفق المنهج الذي رسمه الله له وبين له كيف يستثمرها بالشكل الذي يجعله يسعد نفسه وأهله ومجتمعه وبني جنسه. ويشمل البحث هذا أربعة مباحث يشمل المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث والمبحث الثاني العلاقات الاجتماعية بين الأديان والأمم قبل ظهور الإسلام والمبحث الثالث شمل التعايش في الفكر الإسلامي أما المبحث الرابع مظاهر التعايش في الإسلام.

المبحث الأول
الإطار المنجي للبحث

أولاً: تحديد مشكلة البحث

أن الحاجة إلى التعايش وجدت مع وجود المجتمعات البشرية، ويعد التعايش والاجتماع غريزة فطرية لدى الجنس البشري تقوم بناءاً على حاجة الإنسان إلى الاجتماع والتعاون مع الآخرين واستمرت بصرف النظر عن تنوع الثقافات والأديان في المجتمع، والتعايش في الإسلام عقيدة ثابتة وسلوك راق، بل هو منهج حياة المسلمين، ومن هذا المنطلق يمثل مبدأ التعايش في المجتمع الإسلامي مركز الصدارة، لاسيما في عصرنا الحالي لأسباب عديدة منها التوترات والاضطرابات السياسية التي تحدث في المجتمع، والتي أثرت سلباً عليه، كذلك الموقف المتخذ ضد الإسلام والمسلمين والمتجلي في محاولة إظهار هذا الدين ومعتنقيه بصورة مشوهة من بين ملامحها العنف والتعصب وعدم القدرة على التعايش مع الآخرين إلا أن أعمال العنف بدل التعايش حقيقة عرفها الجنس البشري على مر تاريخه وفي جميع مجتمعاته، فهي ليست حكراً على أتباع ديانة أو مذهب معين كما إنها ليست حكراً على أبناء قومية أو عرف أو دولة دون غيرها، وأن كانت بعض المجتمعات عرفت مستويات من العنف المتبادل أعلى من غيرها فأن ذلك يعود في الغالب إلى ظروف سياسية وموضوعية وليس إلى طبيعة متأصلة لذا كان من الضروري السعي المستمر لتوضيح أن الإسلام ليس ديناً عنيفاً وأن أبناءه ليسوا معتدين. ومن أبرز الأدلة على ذلك ما عرفته الأسس الألهية للدين المتمثلة بدستور المسلمين (القرآن الكريم) والتطبيقات العملية لهذا الدستور والمتمثلة بسنة رسوله الكريم محمد(ﷺ).

ثانياً: أهمية البحث

تأتي أهمية البحث أن المجتمع الإسلامي يمر بظروف عصيبة سببها الهجمة الشرسة وغير المبررة التي أخذت طابع الحرب المعلنة والخفية تحت اسم محاربة الإرهاب وهدفه التفرقة وتمزيق المجتمع. وبحثنا هذا يأتي لتوضيح مدى قدرة وأصالة المجتمع الإسلامي على التعايش وذلك بالرجوع إلى منهج الإسلام.

- كما تأتي أهمية هذا البحث في الوقت الحاضر بصورة متزايدة نتيجة لظهور الأزمات السياسية والاجتماعية التي أثرت سلباً على المجتمع وتعايشه.
- كما تأتي أهمية البحث في توضيح حقيقة التعايش الاجتماعي في الإسلام.

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى ما يأتي:

١- التعرف على طبيعة التعايش في المجتمع الإسلامي.

٢- التعرف على مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام.

رابعاً: منهج البحث

يعد هذا البحث من الدراسات الوصفية التحليلية، وهو يهدف إلى تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب عليه صفة التحديد، إذ تعتمد على جمع الحقائق والبيانات وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها وتصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها[١].

وقد استخدمنا في هذا البحث المنهج التاريخي، وجاء استخدامه بسبب أن مثل هذه الظواهر الاجتماعية ترتبط ارتباطاً كبيراً بواقع المجتمع في الماضي، لذا فلابد من الرجوع إلى الماضي لتعقب الظاهرة منذ نشأتها الأولى، كما أن التاريخ ليس مجرد تسجيل للأحداث الزمنية وحسب، بل يعد عملية ربط لهذه الأحداث في وقت ومكان

معينين[٢]. ولقد تم استخدام هذا المنهج لمعرفة حقيقة التعايش ومظاهره الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

خامساً: تحديد المفاهيم

التعايش باللغة/ "تعني الاشتراك في الحياة على الألفة والمودة وهي على وزن (تفاعل) الذي يفيد وجود العلاقة المتبادلة بين الطرفين"[٣].

أما التعايش اصطلاحاً "فيقصد به معيشة جماعات مع بعضها البعض، وقد يتجه التعايش نحو الانصهار بين الطوائف بحيث يؤثر بعضها في البعض الآخر، ويفقد كل منهما خصائصه أو نحو الاندماج بحيث يزول بعضها ويذوب في البعض الآخر، أو تحافظ على التفرقة العنصرية بحيث تقيم من عاداتها وقوانينها ونظمها حواجز فاصلة بين بعضها البعض"[٤].

لكن مع التطور الاجتماعي ظهر مصطلح التعايش السلمي في العصر الحديث للتعبير عن الاختلاف في المذاهب العقائدية وما يترتب عليها من سياسة مختلفة بين دول الشرق والغرب، وقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على إمكانية التعاون والوئام بين الأقلية في دولة ما وبين الأكثرية، وأن كانت هذه الأقلية تختلف عن الأكثرية من حيث الأصل أو اللغة أو الدين[٥].

ومصطلح التعايش السلمي كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا يمكن استخدامه للتوسع في ساحة العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة وبالخصوص المقيمين في دولة واحدة[٦].

أما تعريفنا الإجرائي للتعايش/ هو الاشتراك في الحياة بين المسلمين ومن يعيش معهم في مجتمع واحد على الألفة والمودة والتسامح والتعاون بصرف النظر عن الاختلاف في الجنس أو اللون أو المعتقد.

المبحث الثاني

العلاقات الاجتماعية بين الأديان والأمم قبل ظهور الإسلام

لم يرسل الله رسولاً سماوياً إلا لتصحيح الأوضاع الفاسدة في الناس على نطاق هذه الرسالة، تلك الأوضاع التي نتجت عن فساد النظم الأرضية وانحراف الناس عن التوجهات الربانية وانحرافهم عنها وتحريفها، فبعثة الرسول محمد (ﷺ) الخاتم برسالة عالمية تدل أول ما تدل على أن الأوضاع حينذاك قد وصلت إلى ذروة الانحلال والفوضى، والديانات الموجودة لم تعد تقدر على وضع حد لاستحكام الصراعات حتى بين أتباع ديانة واحدة بل باسم الدين تضطهد فئة فئة أخرى ويسلب شعب كرامة شعب آخر(٧).

ومجرد النظر إلى بعض الأحداث ذات الصلة بالعلاقات بين الأمم يتضح تصاعد القتال والسلب والنهب بين بعضهم البعض، وفيما يلي إشارة إلى بعض الأحداث خلال عصور الظلام قبل بعثة الرسول محمد (ﷺ). فالوثنية لم يكن موقفهم مسامحاً أو مسالماً. ما من رسول إلا لقي من قومه من الوثنية مواجهة قاسية، واليهود كان من المفروض أن يلتقوا مع النصارى أو يتسامحوا على أقل تقدير، باعتبار أن كلا الديانتين من أصل واحد، ولكن بسبب البغي والتحريف واجهوا دعوة المسيح بالعنف والشدة. أما المسيحية نفسها جاءت داعية إلى المساواة بين بني البشر إلا أن الحملة الشرسة التي شنها الرومان على أتباعه اضطر أتباع المسيحية إلى التخلي عن تعاليمه الأصلية والاستسلام لواقع عجزت عن مقاومته(٨).

واتخاذ المسيحية موقفاً عدائياً ضد اليهود والرومان بل ضد أي شعب لم يستعد لاعتناق المسيحية، واليونان تعد من أكثر الشعوب تقدماً من الناحية الفكرية والثقافية إلا أن هذا الوضع لا يساعدها على خلق نوع من العلاقات السليمة مع الشعوب الأخرى ولو في العالم النظري لأن فلسفة أرسطو التي تبناها اليونان تنظر

إلى الشعوب الأخرى على أنهم عبيد لهم، كما أن الفلسفة الأفلاطونية التي سبقتها تعلم الناس أن الآلة خلق نوعين من البشر نوع رفيع زودته بالعقل والإرادة وهم اليونان ونوع لم تزوده إلا بالقوة الجسمانية وهم البرابرة (غير اليونان)، وفي المقابل كان الرومان يعتبرون الآخرين أشياء (ليس أشخاص) مما يبيح للرومان قتلهم ونهبهم وسلبهم(٩).

وفق ذلك فأن الرومان يصفون الآخرين بأنهم عدو فلا يتصور قيام علاقة ودية بين الرومان والشعوب الأخرى، أما اليهود فلم يزالوا يتشبثون بفكرة (شعب الله المختار) كما بينه القرآن الكريم، إذ نظروا إلى الأمم الأخرى على أنهم أميون لا شأن لهم في هذه الحياة ولا اعتبار فقالوا چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ [آل عمران/ الآية٧٥] مثل هذه المعتقدات والمفاهيم تعمل عملها بطبيعة الحال في العلاقات بينهم وبين سائر الأمم لتصبح علاقات استعلائية غير متعايشين ومتسامحين فيما بينهم(١٠).

أما في الجزيرة العربية مهبط آخر دين سماوي حيث الوثنية المتطرفة إلى الحد الذي أصبح الناس عبيداً للأحجار والأخشاب إلى جانب المعتقدات التي أثرت على الحياة الاجتماعية وكانت العصبية القبلية والدموية أساسها وشعارها جاهلياً سهلت للعرب الإقدام على شن حرب في أي وقت ولأتفه الأسباب. مما يدل أن العلاقات الاجتماعية بين الأديان لم تكن قائمة على أساس التعايش والتسامح فيما بينهم قبل ظهور الإسلام.

المبحث الثالث

التعايش في الفكر الإسلامي

جاء الإسلام ليحدد رؤية الإنسان للحياة بمنظار شمولي يشمل جميع جوانب الحياة البشرية بكل أبعادها الروحية والمادية، ونظر إلى الإنسان من خلال وجوده الاجتماعي، ودعاه إلى الانخراط في سلك الجماعة المؤمنة وإحاطة هذه الجماعة بكثير من التدابير التي تضمن وحدتها وتصون تضامنها وتكاملها فالجماعة هي جوهر المنظور الإسلامي، وهي روح تسري في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي، ولقد سعى الإسلام إلى كل ما يشيع روح المحبة والألفة بين أفراد الجماعة المسلمة ودعا إلى تجنب كل ما يؤدي إلى الشقاق والتفرقة[11].

فمن أبرز ما قام به الإسلام لترسيخ روح الجماعة في المجتمع أنه آخى بين المسلمين على اختلاف قبائلهم ومراتبهم وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية، فأصبحوا متساويين جميعاً إذ لا فرق بينهم كما في قوله تعالى چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ چ [الأنفال/الآية٦٣]. وقد استطاع الرسول الكريم محمد (ﷺ) أن ينشر دينه بين الناس وأن يعقد حلفاً بين المسلمين من مهاجرين وأنصار ويوحد بينهم وجعلهم أمة واحدة قائمة على أساس الأخوة في الدين التي تعلو فوق أي صلات أخرى حتى القرابة[12].

وأن أصل التعايش في الإسلام هو وحدة البشرية في المنشأ والمبعث والخلق والتكليف، كما يعزز حقيقة التعايش الإنساني الذي تميز به الدين الإسلامي في قيمها ومبادئها كما في قوله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ [الحجرات/ الآية١٣]. أن هذه الحقائق الألهية إنما تؤكد على وحدة المجتمع الإنساني في أصولهم وفي خلقهم[13].

وتنفي في الوقت نفسه نظرية تباين الأعراف والأجناس التي روج لها بعض الملحدين والعلمانيين والعنصريين بالقول أن هناك أعراقاً نقية وأخرى يجب أن تحكم، أما صفة التعايش فقد جاءت من أنه دين الفطرة الذي يساير طبيعة خلقه للإنسان واستعداده وإدراكه والالتزام به، كما في قوله تعالى: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [الروم/ الآية٣٠]، كما جاءت صفة التعايش من أنه دين الوسطية والاعتدال كذلك أنه دين اليسر كما في قوله تعالى: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ [البقرة/ الآية ١٨٥]، فالتعايش قيمة كبيرة في الإسلام نابعة من السماحة باعتبارها ملمحاً جامعاً يطبع مختلف جوانبه العقيدية والتشريعية والسلوكية[14].

فالدين الإسلامي له مجموعة من الخصائص والسمات التي تميزه عن غيره وتخلق فيه قيم التسامح ألا وهي العالمية أي أن رسالة السماء جاءت عالمية للناس جميعاً فهو دين وئام وسلام ومحبة ومساواة بين البشر ويعمل على تقريب الفوارق بينهم تلك الفوارق التي فرضت بينهم قديماً وحديثاً.

ولقد رفع الدين الإسلامي قدر الإنسان إلى مستوى إلهي بالغ الرفعة كما في قوله تعالى: چ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ چ [الإسراء/ الآية ٧٠]، فهذه النظرة إلى الإنسان تجعل له كرامة تعم البشرية كلها[15].

فالإسلام منذ بزوغه وحتى اكتمال نوره جاء لينشر الأمن والسلام في ربوع الأرض إصلاحاً لها وتجنب الفساد، والإسلام هو سلام للناس ومنبع الإنسانية فهو حريص أشد الحرص على السلم والتسامح بين المؤمنين أنفسهم ومع غيرهم كما في قوله تعالى: چ ھ ے ے ۓ ۓ ﮯ ﮯ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ [البقرة/ الآية ٢٠٨]، فالأصل في العلاقات الاجتماعية في الإسلام هي السلم والتعايش وهي

ليست مقصورة على المسلمين فقط بل إرادة الله تشمل جميع المخلوقات البشرية فالتعايش فطرة الدين الإسلامي.

ومن دعائم العلاقات الإنسانية التي وضعها الإسلام هي الوحدة الإنسانية كمبدأ طبيعي وقانون ثابت لا يتبدل وحسب التعبير القرآني أنهم أمة واحدة تعيش في أسرة إنسانية واحدة وأن عرى هذه الوحدة تقوى وتضعف طبقاً لمدى إدراك أفراد هذه الأسرة لمقوماتها وأن هذه الدعائم ثابتة سواء بين الأفراد أو الجماعات وإذا ما اختلفت حدث اختلال وتصدع في العلاقات الإنسانية[١٦].

كما وضع الإسلام الرحمة التي تعد من المبادئ الأساسية في الإسلام، فلم تقتصر على العلاقات بين الناس بل تجاوزها إلى العلاقة بين الإنسان وسائر المخلوقات في الأرض، كما في قول رسول الله (ﷺ) (من لا يَرحم لا يُرحم)[١٧] في حين يعد العدل المبدأ الذي قامت عليه جميع الشرائع السماوية. فهو الميزان الذي يحدد العلاقات بين الناس في حالة السلم والحرب[١٨].

إضافة إلى مبدأ التسامح الذي يعد من المبادئ المهمة والأساسية التي أكد عليها الإسلام والتي حولها من مجرد قيمة إلى مفهوم عملي لازم حياته في جميع مراحلها قبل البعثة وبعدها[١٩].

وأعتبر الإسلام التسامح من مكارم الأخلاق سواء مع المسلمين أو غير المسلمين ويعد هذا المبدأ قاعدة التواصل والتعاون والتعارض بين الناس ولتكون العلاقة الطيبة الأساس الذي تبنى عليه علاقات ومصالح الأمم والشعوب، فالإسلام متسامح حتى مع أعدائه إلى حد العفو عن أسراهم واللطف بهم والإحسان إليهم، وأن أساس النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين ترجع إلى الأفكار والحقائق التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم ومن أهم الأسس الفكرية للتسامح هي اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان أياً كان دينه أو جنسه أو لونه.

ومن الأمثلة العملية هو ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله أن جنازة مرت على النبي محمد (ﷺ) فقام لها واقفاً فقيل له يا رسول الله أنها جنازة يهودي فقال (أليست نفساً؟). أما الأساس الآخر هو اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى الذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار، وأن المسلم غير مكلف بمحاسبة الكافرين على كفرهم أو يعاقب الضالين على اختيارهم إنما حسابهم عند الله تعالى يوم الحساب، فهذا التكريم الإلهي والعدالة ودعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق حتى مع الكافرين تعمل على خلق التعايش في المجتمع[٢٠].

"والإسلام في أساسه يدين التعصب بكل أنواعه سواء كان جنسياً أو دينياً، فهو يدعو إلى التعارف والتجمع والتساكن وتبادل المنافع والمصالح والتعايش في أخذ وعطاء وفي تأثر وتأثير بعيداً عن أي عصبية جنسية أو عنصرية أو أقلية أو نعره ثقافية ولا فضل شخص على آخر إلا بالتقوى"[٢١].

مما تقدم نلاحظ أن الإسلام لا يعتبر الاختلاف والتنوع عقبة أمام التعايش والتفاعل بين الأقوام والأجناس، وإنما كان مصدراً لثرائها وقوتها في شتى الميادين فكان بحق تعدداً وتنوعاً في إطار الوحدة والتضامن اللذان ميزا المجتمع العربي الإسلامي على مر العصور.

فقد خلق الله تعالى الناس مختلفين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود/ الآية ١١٨-١١٩] فهذا الاختلاف لا ينبغي أن يكون منطلقاً أو مبرراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب بل هو دافعاً إلى التعارف والتعاون والتآلف بين الشعوب من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل المنافع، إذ يعد التعارف الخطوة الأولى نحو التآلف والتعارف في جميع المجالات من أجل الوصول إلى التعايش بين الناس كما يعد هذا الاختلاف سنة الله في الأرض التي تكون قائمة على أساس التباين بين البشر[٢٢].

أما من المبادئ التي تجعل التعايش بين البشر متحققاً هو التكيف الفطري إذ فطر الله تعالى الإنسان على الاجتماع مع البشر جميعاً وجعلها حاجة من حاجاته الأساسية تجسيداً للمهمة العبادية التي تتطلب اجتماعهم ابتداءً من عملية التناسل وانتهاءً بممارسة المبادئ الاجتماعية عليهم، فالنزوع الفطري يحمل البشر على التعايش فيما بينهم[٢٣]. كذلك نزعة الإنسان إلى الخير وهي نزعة فطرية ترجع إلى المبدأ الإسلامي القائل بفطرية الإيمان وكراهية الكفر والفسوق والعصيان كما في قوله تعالى: چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ [الحجرات/ الآية ١٨]. كذلك إلهامية الخير والشر وقد ذكر الله تعالى هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [الشمس/ الآية ٨]، أي أن البشر يستطيع أن يميز بين الخير والشر حتى لو لم يقترن ذلك بتنشئة اجتماعية هادفة، لذلك فأن المعرفة أو الثقافة الفطرية لمفهوم الخير وتميزه عن الشر يفترض على البشر التعايش وانطلاقاً من فرضية وجود الحد الأدنى من القيم التي تحمل الأفراد على التعايش فيما بينهم، وكذلك تساهم القيم الثقافية التي تلقاها الأفراد تلقائياً من خلال التنشئة الاجتماعية إذ تحملهم على التعايش فيما بينهم انطلاقاً من قناعتهم بمعطياته[٢٤].

وقد حدد الإسلام مستويات للتعايش فهناك التعايش الذي يكون أمراً مفروض منه (قائم بالفعل) الذي يطلق عليه بالتعايش المطلق، إذ يحدد هذا التعايش بغض النظر عن الزمان والمكان ومستوى الوعي، فمنذ النشأة البشرية وإلى وقتنا الحاضر لم يحدث انقطاع للوجود البشري، مما يعني أن التعايش فرض وجوده في جميع الحالات والتفسير لاستمرار يته يتمثل في مبدأين هو وجود حد أدنى من حب الاجتماع، ووجود حد أعلى من نزعته إلى الخير التي تحمل الأفراد فطرياً على التعايش فيما بينهم[٢٥].

أما التعايش النسبي الذي يعد النوع الآخر من مستويات التعايش التي حددها الإسلام والذي يقصد به أن مستويات التعايش من حيث حجمه أو نوعه أو مقداره

يتحدد وفقاً لمبدئين يتمثل بالاستعداد الذي يبذله البشر بالتنازل عن الذات يتحدد حجم التعايش، كذلك الأفراد والجماعات ماداموا يملكون معرفة أو ثقافة فطرية نحو مفهوم الخير والشر حينئذ يتوقف مستويات التعايش فيما بينهم ويعتمد على مدى استعدادهم لتقبل هذا الخيار أو ذاك وهذا ما يفسر لنا مدى تفاوت مستويات التعايش التي شهدتها المجتمعات قديماً وحديثاً، كما يتحدد حجم التعايش وفقاً لما يملكه الأفراد والجماعات من قيم اجتماعية ذات طابع ايجابي أو سلبي[٢٦].

وهناك نوع آخر من مستويات التعايش وهو الإسلامي الذي نعني به أن الأفراد والجماعات حينما يتعاملون من خلال التنشئة العبادية متمثلة في مبادئ الإسلام التي رسمت مختلف خطوط التعايش حينئذً فأن التوازن الاجتماعي هو هدف كل المجتمعات ويتحقق حجمه من خلال استعداد الإسلاميين للالتزام بمبادئ الدين أي بقدر ما يرسمونه من الطاعة أو المعصية، وأن هذه المستويات تحدد بوضوح طبيعة التعايش المتحقق في جميع المجتمعات القديمة والحديثة[٢٧].

المبحث الرابع

مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام

أن المجتمع الإسلامي له خصوصية في مظاهره الحضارية والايكولوجية والتاريخية التي جعلته يتميز بإطار ثقافي وحضاري يميزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية، لما يحتويه من تراكيب اجتماعية وثقافية، على هيئة أجناس وديانات وملل تعددت وتنوعت في انحداراتها ومعتقداتها وتقاليدها الاجتماعية[٢٨]. وقد شاءت إرادة الله أن تتكون الدولة الإسلامية منذ نشأتها بالمدينة وتحت قيادة رسول الله (ﷺ) من رعايا مختلف الديانات: المسلمين من المهاجرين والأنصار وأهل الكتاب من اليهود وبقايا مشركي المدينة وبهذا قدمت دولة الإسلام طوال تاريخها وبالخصوص منذ ذلك الحين وحتى أيام الخلافة الراشدة- أنموذجاً رائعاً في التاريخ الإسلامي كله عن التعايش السلمي والتعاوني بين مواطني الدولة المختلفي الديانات والقبائل. وقد اعترف بهذا المؤرخ المستشرق (سير توماس ارنولد) حين قال (يمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام فالنبي محمد (ﷺ) قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة الشعائر الدينية كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة[٢٩].

إلا أن الواقع الحضاري والتاريخي يشير إلى تعايش هذه الأقوام والأجناس جنباً إلى جنب في إطار المجتمع الإسلامي على رغم من عدم تجانسها وتشابهها مع ثقافة المجتمع الكلية إلا إنها عاشت في المجتمع الإسلامي واندمجت فيها وامتثلت لقيمها ومبادئها حتى أصبحت وحدة اجتماعية واحدة في إطار المجتمع[٣٠].

ويظهر هذا واضحاً من خلال مظاهر التعايش الاجتماعي التي حددها الدين الإسلامي وهي متعددة ومتنوعة في المجتمع الإسلامي ويظهر هذا من كثرة الأدلة

والشواهد القرآنية والسنة النبوية الشريفة والمواقف التاريخية والاجتماعية التي مرت بها الأمة في إطار حركتها وصيرورتها الحضارية منذ نشأتها. فالقرآن الكريم منهج إلهي دستوري لم يتضمن احكاماً وتشريعات عقيدية فحسب وإنما يشمل أسس وقواعد ومبادئ تنظم حياة الإنسان وعلاقاته مع خالقه ومع بني جنسه، فضلاً عن تنظيم شؤونه الدنيوية في مجالات الحياة المختلفة، فضلاً عن القوانين والأحكام التي تنظم سبل العيش الإنساني بين مختلف الأجناس والأديان التي عاشت في المجتمع العربي[٣١].

وفيما يلي عرض نماذج من التعايش التي اقرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أولاً/ التعايش بين المسلمين أنفسهم

لقد نظم الإسلام المجتمع بصورة عامة وعمل على خلق التعايش والعلاقات الاجتماعية فيما بينهم، بدأت بالأسرة التي تعد النواة الأساسية في المجتمع، إذ وضع القواعد الأساسية لتنظيم العلاقة ما بين الزوجين وعلاقة الآباء بالأبناء وربط ما بين الأقارب بعلاقات قوية وتفصيل الحقوق والواجبات بينهم[٣٢].

وتنظيم العلاقة بين الغني والفقير وجعل الحقوق والواجبات في الأسرة قائمة على أساس المودة والرحمة والتواصل، فضلاً عن العلاقة بين الجيران وهذا واضح في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي توصي بذلك فقد أوصى النبي (ﷺ) بالجار وشدد في الإيصاء به حتى قال رسول الله (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) جميع هذه الظواهر تدفع إلى خلق التعايش في المجتمع الإسلامي، ولا فرق في هذه الحقوق بين جار مسلم أو غير مسلم[٣٣].

أن السمات التي تفرد بها الدين الإسلامي أضفت على التعايش مزيداً من الحيوية والدينامية في ميادين الحياة الإنسانية وآفاقه المختلفة نحو ضروب من التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية في مجالات الحياة الأسرية والاجتماعية، كالعلاقات

مظاهر التعايش
الاجتماعي في الإسلام

مجلة آداب الفراهيدي

م. م. هند عبد الله أحمد
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

الجار المبنية على التعاون في السراء والضراء والمشاركات الاجتماعية في شتى المواقف والمناسبات الاجتماعية سواء في الأعياد والطقوس والاحتفالات وما يتبع ذلك من علاقات التزاور والتعاون فهذه النماذج موجهة للناس كافة بغض النظر عن أجناسهم ولغاتهم وانحداراتهم ومعتقداتهم[٣٤].

ويلفت الإسلام نظرنا إلى وحدة الأصل الإنسانية على نحو يبين أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة، كذلك جعل القرآن الكريم الاعتداء على فرد واحد من أفراد المجتمع كأنما اعتدى على البشرية كلها[٣٥]. كما في قوله تعالى: چ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿچ [المائدة/ الآية ٣٢].

فقد دعا الدين الإسلامي إلى تأسيس مجتمعاً قائماً على دعائم تسامحية أساسية تقوم على المحبة والمودة والأخوة وهي قيم أكد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في مواطن متعددة كما في قوله تعالى: چ ک گ گ گ گچ [التوبة/ الآية ٧١] فالمسلمون أخوة متساندون ومتناصرون لا ينبغي أن يكون بينهم عداوة وشقاق فالأخوة في الدين أقوى من أخوة الدم والنسب، وبهذا الإسلام سبق جميع الدساتير والقوانين إذ أكد على جميع الحريات والحقوق الخاصة بالإنسان من أجل خلق التعايش في المجتمع[٣٦].

وقد سعى الدين الإسلامي على تحذير الناس من بعض الظواهر السلبية التي تؤثر على تماسك الجماعة وتعايشهم كالتجسس والغيبة لأن في ذلك فتنة بين الناس تخلق العداوة والبغضاء بينهم.

فالجماعة هي جوهر المنظور الإسلامي وروح تسري في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي، ولم يترك الإسلام وسيلة من وسائل الحث على الجماعة في نظمه وشعائره إلا وتبناها على أساس هذه الجماعة[٣٧].

٤٤٢

مظاهر التعايش
الاجتماعي في الإسلام

مجلة آداب الفراهيدي

م. م. هند عبد الله أحمد
العدد (٨) أيلول ٢٠١١

نلاحظ أن كل الشعائر الدينية تساهم في تكوين الجماعة وخلق التعايش بينهم والحث عليها والتمسك بها تعميقاً للأساس العبادي وتنمية لروح الألفة والتآلف بين أفراد المجتمع. فمن مظاهر التعايش الاجتماعي بين المسلين تظهر واضحة في الصلاة، إذ يقف في الصلاة الأمير والسائل والغني والفقير متجاورين يعبدان الله إذ فيها إعداد تربوي وخلقي ونفسي ينمي الأخوة بين المصلين ويحث على وحدة الصف والنظام وتعزيز الإخاء والمساواة بين الناس. لذلك حث الإسلام على صلاة الجماعة وفضلها على صلاة الفرد كما في قول رسول الله (ﷺ) (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة)[٣٨].

كما دعا إلى الالتزام بها لأنها توحد المسلمين وتجمعهم في مكان طاهر وهو المسجد، فعندما يصطف الناس في صفوف منظمة ويتقبلون بوجوههم القبلة مما يخلق فيهم الإحساس بوحدة الجماعة وتعميق الإحساس بوحدة المجتمع والأمة الإسلامية[٣٩]. كذلك الحال في صلاة الجمعة من كل أسبوع وصلاة العيدين وصلاة الجنازة والاستسقاء إذ يلتقي المسلمون في تلك الصلوات الجامعة، ويتفقد بعضهم البعض ويتواصلوا ويتراحموا مما يساعدهم في تعزيز وحدتهم وتماسكهم.

كذلك الحال في بقية الشعائر العبادية كما هو في الصوم الذي يعمل على خلق التعايش في المجتمع الإسلامي عندما يشعر غنيهم بفقيرهم فضلاً عن دوره في تهذيب وتعويد النفس البشرية على الصبر والتحمل مما يساهم في تعميق روح الجماعة ووحدتها وتسهم كذلك في تحقيق التوازن الاجتماعي في المجتمع. كذلك الحال في الحج الذي يعمل على تعزيز التعايش بين المسلمين إذ يدخل المسلمون الحرم وهم مدركون أنهم متساوون في نظر الله تعالى بذلك تتوحد مشاعرهم وتمحى كل الفروق الاجتماعية بين الأجناس والألوان والفقراء والأغنياء مما يكون له الدور الكبير في خلق روح الجماعة في المجتمع الإسلامي.

٤٤٣

من المظاهر الاجتماعية الأخرى التي شرعها الله تعالى لتحقيق التعايش هي التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله فهناك التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم، فالأفراد في المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يتعرضون للهلاك نتيجة عجزهم أو حاجتهم والناس يعلمون بحاله، لأن من حق الأفراد في هذا المجتمع التمتع بحقهم الاجتماعي سواء كان مسلماً أو غير مسلم(٤٠).

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الإسلام جعل الدافع الاجتماعي في المسلم ينبعث من عبادته لله تعالى وطلب مرضاته عن طريق خدمة عبادة لا من تلبية حاجاته المادية والمعنوية إذ جعل الإسلام النشاط الاجتماعي للمسلم يسري في قنوات حددها الشرع ضماناً لسلامة الفرد والمجتمع من الانحلال والفساد في المجتمع، كما جعل الإسلام الكثير من الأعمال الفضائل لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجماعي الذي يجعل المجتمع متعاون ومتساند مع بعضه البعض.

فقد روى الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب أن النبي محمد (ﷺ) قال (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فأن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد ببحبوحة الجنة فليلتزم الجماعة) ولترسيخ روح الجماعة أمر النبي محمد (ﷺ) المسلمين أن يجتمعوا على الطعام ليبارك الله لهم فيه، قال أصحاب رسول الله: إنا نأكل ولا نشبع، قال فلعلكم تفترقون قالوا نعم: قال فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه(٤١).

كما نهى النبي محمد (ﷺ) عن كل ما من شأنه أن يسبب تنافر القلوب، كما حرم أشد التحريم ظلم المسلم فلا يدخل عليه ضرر في نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله، لأن في هذه المحرمات يقوم عليها المجتمع المسلم الأمن وحفاظاً على الدم والمال والعرض شرع القصاص وأعلنت الحدود، بل ترويع المسلم محرم كل هذه

المنطلقات تعد منطلقات نظرية للجانب الاجتماعي في شخصية المسلم التي تدعو إلى التعايش فيما بينهم(٤٢).

ثانياً/ التعايش مع الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي

لقد منع الإسلام الجدال في الأمور الدينية بين الأديان تجنباً من إيقاد نار العصبية والبغاء في القلوب، ورعاية شعورهم وعدم إيذائهم بالقول أو الفعل أو سب معتقداتهم أو الاستهزاء بما يدينون به وعدم التضييق عليهم عند ممارسة طقوسهم الدينية(٤٣). وأعد عفة اللسان واجبة على المسلم حتى مع المشتركين من عبدة الأوثان، فقد أوضح الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ﴾ [الأنعام/ الآية١٠٨] فآداب الحوار مطلوبة في كل الأمور التي يمكن أن يدور فيها النقاش لاسيما في الأمور العقيدية(٤٤). كما حذر الفقهاء المسلمين وعلماؤهم تحذيراً شديداً من إيذاء غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، لأن في إيذائهم خروج من عقد الذمة والعهد الذي أعطاه المسلم لهم هذا فيما يخص أهل الكتاب، أما الأديان الأخرى فقد حث الإسلام على عدم إيذائهم سواء الإيذاء الجسدي والمادي بل يشمل أيضاً الإيذاء المعنوي الذي فيه مساس بالمشاعر والكرامة الإنسانية(٤٥).

مما يؤكد بأن الله تعالى يقر بوجود ديانات أخرى غير ديانة الإسلام وعقيدة غير عقيدة الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ ڈ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ﴾ [الأنعام/ الآية١٠٦-١٠٧] فالإسلام يقر بوجود هذه العقائد وهذه الديانات ليس له إلا أن يتعامل مع أصحاب هذه العقائد والديانات بمنهج عملي تسامحي داعياً الناس إلى عقيدته بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا الأسلوب والمنهج الذي يتبعه الإسلام إقراراً منه أن الإسلام يعد الإكراه غير مجد في تغيير عقائد الناس ودياناتهم لأن مقر

العقيدة في القلب. فالدين الإسلامي أظهر لهم من التسامح الذي يجعلهم متعايشين في المجتمع، وكفل لهم الحرية في ممارسة عقائدهم مما يجعلهم مواطنين مندمجين داخل المجتمع موفوري الحرية والكرامة غير منعزلين أو مهمشين، فمن الوقائع التاريخية التي حدثت في عهد الرسول (ﷺ) ، أنه قدم وفد نجران على الرسول(ﷺ) في السنة العاشرة بالمدينة قال أبن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله دخلوا عليه مسجده فحان وقت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم فقال رسول الله (ﷺ) دعوهم، فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم، مما يدل على إعطاء الإسلام الحرية الكاملة لغير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي(٤٦).

ويدل هذا على مدى سماحة الدين الإسلامي مع الأديان الأخرى لأن السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية يعد جزء من حرية العقيدة والعبادة، فإذا لم يتوافر لهم ذلك لإن هذه الحرية تكون منقوصة وهذا ما لا يرضاه الإسلام وترفضه شريعته السمحة التي حققت الإنسانية كرامتها ومكانتها في الحياة، فقد ورد عن رسول الله(ﷺ) وأصحابه الكرام مواثيق وعهود مع غير المسلمين من أهل الكتاب تؤكد أن الإسلام منح غير المسلمين إقامة شعائرهم الدينية(٤٧).

وفق ما جاءت به عقائدهم وعباداتهم كما في العهد الذي عقده رسول الله(ﷺ) مع أهل نجران تحت عنوان حرية الدين والعقيدة والعبادة والسماح لهم بممارسة شعائرهم داخل معابدهم في أي مكان كانوا في الدولة الإسلامية(٤٨).

وتشمل الحرية الدينية والعقيدية مزاولة التعليم والتربية الدينية لأبنائهم في مؤسسات خاصة والسماح لهم ببناء الكنائس والمعابد وترميمها والحفاظ عليها، ويظهر ذلك واضحاً كما في قوله تعالى: چ ڎ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ

ڃ ڃ چ [الحج/ الآية ٤٠] وترك أحكام الأسرة من نكاح وطلاق واحترام عاداتهم وتقاليدهم، ويدخل أيضاً حقهم بتكوين الهيئات المشرفة على الشؤون الدينية(٤٩).

فمن مظاهر التعايش الديني في الحضارة الإسلامية هي الإقرار بأيام العطل والأعياد والسماح لهم بتناول لحم الخنزير لصلة ذلك باعتقادهم بأنه غير محرم عليهم، ويعد هذا أعلى درجات التسامح والتعايش في الإسلام وعدم التضييق عليهم فيما يعتقدون صلتهم في دينهم أو مذهبهم، والسماح لهم بالاحتفال بأعيادهم، فمثلاً العهد الأموي كانت للنصارى احتفالاتهم العامة في الشوارع تتقدمها الصلبان ورجال الدين بألبستهم الكهنوتية للاحتفال بعيدهم(٥٠).

فمن مظاهر التعايش وضع الدين الإسلامي، تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم مرّ العصور بين الأديان المختلفة، كذلك بناء المساجد بجوار الكنائس في ظل الحضارة الإسلامية إلى يومنا هذا، فالإسلام لم يأتي لإلغاء ما في الأديان والعقائد التي سبقته بل يثبت ما هو صحيح ويعدل ويضيف ما هو أصلح للحياة(٥١).

كما أباح الإسلام مصاهرة أهل الكتاب إذ أباح الإسلام الزواج من الكتابية، وأن وجهة نظر الإسلام في ذلك ترتكز على التعايش الذي بمقتضاه تبقى الزوجة على دينها. ومن الأدلة القرآنية على ذلك كما في قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [المائدة/ الآية ٥] ويقصد بالمحصنات من أهل الكتاب تحل للمسلمين كالمحصنات من المسلمات كما أجمع الصحابة على حل الكتابية للمسلم، فقد روى عن عمر بن لخطاب أنه تزوج من نصرانية وعن طلحة بن عبد الله زواجه بيهودية من الشام(٥٢).

كما أباح الدين الإسلامي أكل طعامهم كما في قوله تعالى: چ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [المائدة/ الآية٥]، والمقصود هنا طعام اليهود والنصارى سواء ما يذبحونه أو يطبخونه مما هو

في الأصل غير جائز لارتباطه بكيفية الذبح. مما يدل على أن الإسلام يحترم الأديان الأخرى لاسيما أهل الكتاب باعتبارهم يتبعون ديناً سماوياً[٥٣].

لقد حدد الإسلام ضوابط للتعامل الاجتماعي مع أهل الكتاب منها إلقاء المودة والولاء لأهل الكتاب إذ أجاز الإسلام إلقاء المودة الشخصية إليهم مع الإنكار لما هم عليه، ومهما كانت المودة التي تربط مسلماً وكتابي يجب أن لا تكون على حساب الدين والمسلمين حتى لا يصبح المسلم في عدادهم بسبب الميل إلى منهج حياتهم وذوبان شخصية الإسلامية في بوتقتهم[٥٤]. كما في قوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [المائدة/ الآية٥١].

كذلك أباح الإسلام الاستعانة بأهل الكتاب، لقد حرص كل الحرص على تقديم العطاء والخبرات للجميع، وهذا من طبيعة الدين الإسلامي إذ جاء رحمةً للعالمين جميعاً، إذ لا يجد ما يمنع من الاستعانة بغير المسلمين إذا كانت فيها مصلحة مؤكدة للإسلام والمسلمين الأمر الذي سيعود تلقائياً على جميع الناس ومن السنة المتبعة، استعان الرسول الكريم محمد (ﷺ) برجل مشرك يقال له عبد الله بن اريقط الليثي كدليل للطريق المؤدي بأمان إلى دار الهجرة بالمدينة، وذلك مقابل قدر متفق عليه من الأجر. كما استعان بهم في غزوة خيبر بعدد من يهود بني قينقاع، واستعان رسول الله بصفوان بن أمية وهو مشرك في غزوة حنين، وذكر البلاذري أن أبا زيد الطائي- الشاعر النصراني- حارب إلى جانب المسلمين ضد الفرس في واقعة الجسر على عهد عمر بن الخطاب إضافة إلى ذلك استعان رسول الله ببعض أسرى بدر من المشركين ممن لا مال لهم فجعل فديتهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أولاد الأنصار الكتابة[٥٥].

كما استخدم الرسول أسلوب الحوار مع أهل الكتاب، إذ يعد الحوار وسيلة من الوسائل الفعالة لتبادل وجهات النظر ولإقناع الطرف الآخر بما أقنع به الطرف

المحاور من خلال الحجج والبراهين، ولقد علمنا الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم محمد (ﷺ) أن نخاطب الناس على قدر عقولهم فإلى جانب وضع الضوابط للحوار سلك القرآن الكريم في مناسبات كثيرة مسلك الحوار مع المخاطبين قدم خلالها أنموذجاً رائعاً ليحتذي به المسلمون في تبليغ رسالة الإسلام، ولقد وضع ضوابط للحوار مع أهل الكتاب إذ لابد أن يكون للحوار هدف محدد وهو دعوة المخاطبين إلى الإسلام كما في قوله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [النحل/ الآية ١٢٥] كذلك اختيار المخاطبين الذين يجدي معهم الحوار، وقد وصف القرآن الكريم أنهم لا يكونوا من الذين ظلموا أي المحاربين ومدبري العدوان على الإسلام. ولا يلتزمون بآداب الجلسة مع المسلمين وأن يسلك المسلم للحوار الطريقة وأسلوب الأداء أدعى للنجاح وأقرب إلى كسب القلوب[٥٦]. فالحوار بين الأديان أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس على مستوى الأفراد والجماعات وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة فهو السبيل لحل المشكلات وتجنب النزاعات[٥٧].

نماذج معاملة المسلمين لأهل الكتاب والأديان الأخرى

الإسلام يجمع بين التعليم والتطبيق، فهو لم يكف بطرح التعاليم عن السلوك السوي والأخلاق الكريمة، بل ربى المسلمين على الالتزام بها عملياً، لذلك حفل التاريخ الإسلامي بنماذج رائعة من السلوكيات الفاضلة التي قام بتمثيلها أعلام الإسلام وعلى رأسهم رسول الله (ﷺ) وما يأتي ذكره إنما لمجرد الأمثلة كمظاهر التعامل من قبل المسلمين مع أهل الكتاب.

على مستوى الجماعة وكسياسة المسلمين العامة والثابتة أنهم فوق احترامهم لأهل الكتاب وسماحتهم لهم وفروا لهم جميع الحقوق اللازمة ليعيشوا حياة آمنة كريمة مع المسلمين. فنجد مثالاً لهذا في كتاب أبي بكر ﷺ إلى نصارى نجران كما جاء في كتاب الخراج "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد

النبي رسول الله لأهل نجران أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله(ﷺ) على أنفسهم وأرضيهم وملتهم وأموالهم وماشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته" هذه السياسة أصبحت سنة متبعة، فكل من تولى أمر المسلمين حريص على المحافظة عليها وعدم الخروج عن إطارها[٥٨].

أما معاملة الأفراد المسلمين لأفراد أهل الكتاب نجد صوراً صادقة ومؤكدة لتلك السياسة الإسلامية وعلى عهد النبوة على سبيل المثال، لقد كان لرسول الله (ﷺ) الاتصال الدائم بأهل الكتاب، وظل يتعهدهم ببره ويتبادل معهم الهدايا[٥٩].

أن من النماذج الأخرى التي تبين معاملة المسلمين لأهل الكتاب أن امرأة قبطية شكت عمرو بن العاص-والي مصر- إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بسبب قراره بضم بيتها إلى المسجد لحاجة المسلمين إلى توسيعه فاستدعى الخليفة العادل عمرو بن العاص لشرح القضية، فبين له ازدياد عدد المصلين في المسجد يقتضي توسيعه، وأن بيت المرأة ملتصق بالمسجد فعرض لها الثمن المرتفع لبيتها ولكنها رفضت فكان القرار بهدم بيتها وحل محله جزء موسع من المسجد أما الثمن المخصص لها فهو مدفوع في بيت المال بوسعها أخذه متى شاءت، ولكن الخليفة فضل إصدار أمر بهدم جزء من المسجد الذي حل محل بيت المرأة كما أمر بإعادة بناء بيتها[٦٠].

والأخلاق الإسلامية لا تتمثل فقط في معاملة المسلمين لأهل الكتاب بل تمتد إلى أنصاف الظلم الذي وقع بين أهل الكتاب بعضهم البعض، مثال ذلك أنه بعد فتح مصر اشتغل اليعاقبة فرصة إقصاء السلطات البيزنطية ليسلبوا كنائسهم ولكن المسلمين أعادوها إلى أصحابها الشرعيين، ومع أتساع رقعة العالم الإسلامي وكثرة مجالات الأعمال لم يحظ أهل الكتاب في ظل المسلمين بالأحترام والتسامح بل

خصص لهم المناصب المشرفة، ففي العهد الأموي أسند معاوية بن أبي سفيان الإدارة المالية في الدولة الإسلامية لأسرة مسيحية توارث أبناؤها الوظائف لمدة قرون من الزمان[٦١].

وبعد سرد الوقائع التاريخية عن مدى إكرام المسلمين لأهل الكتاب وتولي كثير من المسيحيين مناصب وزارية في الدولة الإسلامية، لو رجعنا للتاريخ لم نجد من التاريخ المسيحي استوزر الملوك المسيحيون يهوداً أو مسلمين؟ بل في أي عهد استوزر الكاثوليك بروتستانتياً أو العكس[٦٢].

أما المعاملة الاجتماعية للمشركين (أهل الديانات الأخرى)، تماشياً مع تأسيس الإسلام للعلاقات الإنسانية على السلم أوجد الإسلام صلة البر والإحسان إلى المسالمين من أهل الديانات الأخرى، كان رسول الله (ﷺ) يعمل على تقديم المساعدات المادية إلى المشركين، إذ أرسل بكمية كبيرة من القمح إلى مشركي مكة في أيام القحط وبعث خمسمائة دينار لأن ذلك من باب صلة الرحم والإهداء إلى الغير من مكارم الأخلاق. وقد قال رسول الله (ﷺ) (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٦٣]، كذلك المعاهدات التي عقدها رسول الله (ﷺ) مع مشركي مكة مثل صلح الحديبية وغيرها من المعاهدات والاتفاقات التي عقدها رسول الله مع المشركين[٦٤]. فهذه النماذج تمثل منهج الإسلام السلمي مع غير المسلمين تمهيداً لوضع منهج إسلامي محكم لخلق التعايش بين الأقوام والأمم بصرف النظر عن دينهم وهذا يدل على أن علاقة المسلمين بغيرهم علاقة سلم. كما تبين أن الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي لها حقوقها الاجتماعية والدينية العقائدية والسياسية والشخصية، أي أنهم حصلوا على قدر عظيم من الحماية لحقوقهم وحرياتهم الشخصية لاسيما أهل الكتاب وهذا واضح في قول رسول الله(ﷺ) (من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً)[٦٥] فالشريعة الإسلامية تطالب

المسلمين بالاختلاط والتعامل مع غير المسلمين من أجل تحقيق التعايش والتعاون بين أجزاء المجتمع.

ويعد رسول الله (ﷺ) مثالاً رائعاً في معاملة أهل الكتاب، فقد كان يحضر ولائمهم ويشيع جنائزهم ويعود مرضاهم ويزورهم، ولما زار وفد نجران رسول الله (ﷺ) فرش لهم عباءته وأجلسهم عليها، مما يدل على مدى احترامه لهم(٦٦).

فالحياة الإنسانية لا تستقيم إلا إذا تم التعاون والتناسق وفق منهج الله وشرعه وتحقيقه واجب لصالح الإنسانية كلها، فعندما حدد الإسلام هذه الظواهر بين المسلمين وغير المسلمين هدفه هو تحقيق المصلحة العامة ولكي لا يحدث في أمصار المسلمين شيء من الفتنة والاضطراب عند ممارسة الديانات الأخرى شعائرهم، كذلك ينظر الإسلام إليهم من الزاوية الإنسانية لكونهم مواطنين وإعطائهم الأمان داخل المجتمع، فالمسلمون مسؤولون أمام الله تعالى عن الأمن المعيشي لهذا المواطن والذي يعرف بالضمان الاجتماعي لهم.

ويبقى بعد هذا تعايش المسلمين مع غيرهم من الذين ينتمون لمجتمعات أخرى مخالفة لهم، ويظهر في السلم وهو الصلح والسلامة وضد الحرب وقد ورد السلم باشتقاقات كثيرة في عدة مواطن من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [البقرة/ الآية ٢٠٨]، مع ملاحظة أن إتباع الدعوة إلى الدخول في السلم بالنهي عن إتباع خطوات الشيطان يعني عكس السلم أي الحرب هي من إيعاز الشيطان فالسلام يعني الانقياد لأمر الله تعالى والإخلاص لعبوديته وعبادته ويعلق عليه السلام(٦٧).

ومع ذلك، حين تضطر الدولة الإسلامية إلى الحرب. فأن لهذه الحرب قوانين وشروطاً وأحكاماً وآداباً مثالية إنسانية تضبطها على حد قول رسول الله (ﷺ) (أخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعذروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا

تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع)(٦٨) عن أبن عباس وقوله كذلك عليه الصلاة والسلام (لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة)(٦٩) عن أنس وغني عن البيان أن الدولة الإسلامية في حال السلم تقيم علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية تكون لها مبادلات على أساس المساواة والمعاملة بالمثل والمحافظة على لمصالح المشركة، والتعاون من أجل استمرارها مما تحدده المعاهدات والمواثيق(٧٠). ألتي يحث القرآن الكريم على التزامها، كما في قوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [النحل/ الآية٩١].

وانطلاقاً من هذه الحقائق التي يكمن فيها جوهر الذهنية الإسلامية تسنى للمسالمين أن يحققوا التعايش مع أنفسهم ومع مخالفيهم في الدين من الذين يشاركونهم المواطنة، كذلك بالتعايش مع الشعوب الأخرى.

النتائج

أهم النتائج التي توصلت إليها البحث

- من خلال ما تم ذكره في البحث من آراء وتصورات ومعاني تميز به الدين الإسلامي يتبين لنا عظم المبادئ والقيم التي يحملها الإسلام لتحقيق تقارباً وتعارفاً واندماجاً بين مختلف الأجناس والأقوام والملل التي نشأت وعاشت في المجتمع الإسلامي فهي قيم ربانية جاءت ملبية للفطرة البشرية ومتوافقة مع احتياجاتها، لذا حقق الدين الإسلامي ضروباً رائعة من التعايش والتوافق الإنساني في جوانبه الاجتماعية والحضارية كافة، بل حتى على المستوى النفسي بما يحقق أمن وطمأنينة الإنسان إذ استطاع الدين الإسلامي أن يحقق التعايش بين المسلمين أنفسهم من خلال القيم والمبادئ الربانية التي تنظم العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، كذلك استطاع أن يحقق التعايش مع مخالفيهم في الدين الذين يشاركوهم المواطنة، والتعايش مع الشعوب الأخرى.
- الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي علاقة سلم وتسامح، لا يغير هذه العلاقة إلا ما يطرأ عليها من اعتداء غير المسلمين على نحو مباشر أو غير مباشر على حرية المسلمين. أما علاقة المسامحة فهي علاقة ثابتة تحت أي ظرف من الظروف والتي ترتكز على الإيمان الثابت بالله تعالى وعدم إكراههم على اعتناق الإسلام بأي وجه من الوجوه والسماح لهم بممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية.
- التزام المسلمين في علاقاتهم الإنسانية بالمبادئ الخلقية الثابتة أهمها التكريم والرحمة والمحبة والمساواة والتعارف هذه الأخلاق جميعها تعمل على خلق التعايش في داخل المجتمع الإسلامي.
- تتسع مجالات التعامل الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم فيما لا يمس باعتزاز المسلمين بأخصية دينهم ووضع الإسلام الضوابط الاجتماعية في التعامل معهم

ويرغب المسلمين في تقديم ما يدعم حسن المعاملة والمعايشة مع غيرهم من الصلة والعطاء المادي والمعنوي كما يرغب في قبول هداياهم والاستعانة بهم فيما يعود بالنفع العام على الطرفين كذلك الحوار معهم وفق شروط وضوابط تنظم ذلك، وبهذا استطاع الإسلام أن يحقق التعايش في المجتمع مهما تنوعت الأديان والقوميات مما يتيح له أن يؤسس مجتمعاً راقياً في تنظيماته الداخلية وارتباطاته الخارجية وأنشأ حضارة وثقافة تنصهر فيها جميع كل الأفكار والتصورات والمظاهر الحضارية على نحو من التنظيم، فهو بهذا يستطيع أن يضم عدد من الثقافات الفرعية والأديان المتنوعة في المجتمع الإسلامي في إطار من التسامح والتعايش الإنساني، مما يدل على قدرة الدين الإسلامي على التفاعل والتعايش مع الأديان الأخرى.

الهوامش

(*) مدرس مساعد/ جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع.

(١) د. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، (ط9)، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، 1985، ص198.

(٢) د. معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، مطابع الأرز، عمان (الأردن)، 1997، ص79.

(٣) أبن منظور: أبو الفضل حمال الدين محمد، لسان العرب، المجلد 6، دار المعارف، القاهرة (مصر)، بدون تاريخ، ص321.

(٤) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان (لبنان)، 1977، ص68.

(٥) د. إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص156.

(٦) سور الرحمن هدايات، التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، دار السلام للطباعة، 2001، القاهرة (مصر)، ص20.

(٧) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي منهجاً وسيرة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة (مصر)، 1999، ص30.

(٨) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص36.

(٩) المصدر نفسه، ص37.

(١٠) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مصدر سابق، ص33.

(١١) د. شلال حمي سلمان، الفكر الاجتماعي في الإسلام، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، 2005، ص97.

(١٢) عبد الباقي الهرماسي وآخرون، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، 2001، ص163.

(١٣) د. خليل محمد حسين، الثقافة الإسلامية والثقافات الفرعية وآفاق التعايش، شؤون اجتماعية، صادرة عن جمعية الاجتماعيين، الجامعة الأمريكية بالشارقة، الإمارات المتحدة، العدد (101)، 2009، ص178.

(١٤) عباس الجراري، مفهوم التعايش في الإسلام، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، مطبعة ديدكو، المملكة المغربية، 1996، ص119.

(١٥) د. وليم سليمان، الحوار بين الأديان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، ص110.

(١٦) د. محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة (مصر)، 2004، ص45.

(١٧) رواه البخاري برقم 6081 ، ج1، 398.

(١٨) سور الرحمن، مصدر سابق، ص28.

(١٩) د. محمود حمدي زقزوق، مصدر سابق، ص45.

(٢٠) رواه البخاري برقم 1312، الجزء الأول، ص308.

(٢١) عباس الجراري، مصدر سابق، ص16.

(٢٢) د. يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، 1996، ص55.

(٢٣) محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت (لبنان)، ص71.

(٢٤) محمود البستاني، مصدر سابق، ص73.

(٢٥) المصدر نفسه، ص75.

(٢٦) المصدر نفسه، ص78.

(٢٧) د. محمود البستاني، مصدر اسبق، ص78.

(٢٨) د. خليل محمد حسين، مصدر سابق، ص168.

(٢٩) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص318.

(٣٠) د. خليل محمد حسين، مصدر سابق، ص180.

(٣١) د. خليل محمد حسين، مصدر اسبق، ص183.

(٣٢) د. محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، 1995، ص17.
(٣٣) رواه البخاري برقم 5556، الجزء الأول، ص44.
(٣٤) د. خليل محمد حسين، مصدر سابق، ص178.
(٣٥) د. محمود حمدي زقزوق، مصدر سابق، ص152.
(٣٦) عبد الباقي الهرماسي وآخرون، مصدر سابق، ص164.
(٣٧) د. شلال حميد سلمان، مصدر سابق، ص116.
(٣٨) رواه البخاري برقم 609، الجزء الأول، ص420.
(٣٩) د. شلال حميد سليمان، مصدر سابق، ص117.
(٤٠) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة (مصر)، 2002، ص53.
(٤١) رواهه الترمذي برقم 4795، جامع الأصول من أحاديث الرسول، الجزء ص361.
(٤٢) محمد راتب النابلسي، الجانب الاجتماعي في حياة المسلم، مجلة نهج الإسلام، العدد (59)، مجلة إسلامية فكرية صادرة عن وزارة الأوقاف الجمهورية العربية السورية، 1990، ص44.
(٤٣) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص317.
(٤٤) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص317.
(٤٥) ندل جبر، الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، 2003، ص348.
(٤٦) ندل جبر، مصدر سابق، ص278.
(٤٧) المصدر نفسه، ص300.
(٤٨) المصدر نفسه، ص302.
(٤٩) عباس الجراري، مصدر سابق، ص28.

(٥٠) ندل جبر، مصدر سابق، ص302.
(٥١) د. يوسف القرضاوي، مصدر سابق، ص35.
(٥٢) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص126.
(٥٣) د. يوسف القرضاوي، مصدر سابق، ص37.
(٥٤) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص136.
(٥٥) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، 139.
(٥٦) سور الرحمن، مصدر سابق، ص141.
(٥٧) محمود حمدي زقزوق، مصدر سابق، ص282.
(٥٨) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص145.
(٥٩) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص146.
(٦٠) المصدر نفسه، ص148.
(٦١) المصدر السابق، ص150.
(٦٢) سور الرحمن هدايات، مصدر سابق، ص149.
(٦٣) رواه الموطأ، برقم 1974، جامع الأصول، الجزء الرابع، 413.
(٦٤) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مصدر سابق، ص43.
(٦٥) أخرجه النسائي برقم 1136، جامع الأصول من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ج3، ص257.
(٦٦) سيد قطب، مصدر سابق، ص23.
(٦٧) عباس الجراربي، مصدر سابق، ص38.
(٦٨) رواه الموطأ، برقم 1078، جامع الأصول،الجزء الثالث، 208.
(٦٩) رواه أبو داود، برقم 1076، جامع الأصول من أحادث الرسول، الجزء الثالث، ص207.
(٧٠) عباس الجرري، مصدر سابق، 46.

المصادر والمراجع

الكتب

١- سور رحمن هدايات، التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة (مصر)، ٢٠٠١.

٢- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة (مصر)، ٢٠٠٢.

٣- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، (ط٩)، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، ١٩٨٥.

٤- عبد الباقي الهرماسي وآخرون، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، ٢٠٠١.

٥- عبد العظيم إبراهيم المعطني، مبادئ التعايش السلمي منهجاً وسيرة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة (مصر)، ١٩٩٩.

٦- عباس الجراري، مفهوم التعايش في الإسلام، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، مطبعة ديدكو، المملكة المغربية، ١٩٩٦.

٧- محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ١٩٩٥.

٨- محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت (لبنان)، ١٩٩٤.

٩- محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة (مصر)، ٢٠٠٤.

١٠- معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، مطابع الأرز، عمان (الأردن)، ١٩٩٧.

١١- ندل جبر، الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ٢٠٠٣.

١٢- وليم سليمان، الحوار بين الأديان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (مصر)، ١٩٧٦.

١٣- يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، ١٩٩٦.

الدوريات

١- خليل محمد حسين، الثقافة الإسلامية والثقافات الفرعية وآفاق التعايش، مجلة شؤون اجتماعية، صادرة عن جمعية الاجتماعيين والجامعة الأمريكية في الشارقة، العدد (١٠١)، الإمارات المتحدة، ٢٠٠٩.

٢- محمد راتب النابلسي، الجانب الاجتماعي في حياة المسلم، مجلة نهج الإسلام، العدد (٥٩)، صادرة عن وزارة الأوقاف الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٠.

المعاجم

١- د. إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

٢- د. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان (لبنان)، ١٩٧٧.

٣- أبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة (مصر)، بدون تاريخ.

الأطاريح

١- شلال حميد سليمان، الفكر الاجتماعي في الإسلام، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

الكلام المبين الواضح سرّ سعادتنا

أ. م. د. منال طه عبدالرزاق الرفاعي
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على أوضح خلق الله كلاماَ محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد :

فأن الغايه الاولى التي يهدف اليها المتكلم هو الفهم والافهام ، وهذا يتطلب كلاماً واضحاً مقنعا، وممتعاً معاً ؛

لقد أصبح الكلام غير المتدبر في زماننا أمراً خطيراً وجليلاً ؛ لما تحدثه الكلمات غير الموزونه وغير المتدبره من مآس وويلات ، اكتوى بنارها الكثير ، وقد يكون المتكلم يتكلم بكلام صادق رآه بعينه ولكن بمجرد نقل هذا الكلام الى أخر سيختلف فهمه ؛ لاختلاف الاحوال والمقامات ،وما تدّخره النفوس من تراكمات وخبرات ايجابيه وسلبيه ؛ لذا ارتأيت ان ابحث في هذا الموضوع ؛ ليتعرف القارئ من خلاله كيف يتكلم ؟ وماهي الشروط والادوات التي تثري كلامه وتجعله مفهوماً وواضحاً ومؤنساً ، فكان هذا البحث الذي يدور في :

- مفهوم الكلام لغة واصطلاحاً
- مفهوم البيان لغه واصطلاحا
- فضل البيان

- قيمة الكلمة الطيبه ، وأثرها في النفس
- الكلمه الطيبه وسيله الى الشفاء
- كيف نستطيع أن نجعل كلامنا مبيناً واضحاّ ؟
  ١- مراعاة المقامات والاحوال
  ٢- معرفة النفس ومحاسبتها وترويضها
  ٣- التواصي ومرافقة الصالحين
  ٤- البعد عن الغموض واستعمال الغريب
- ثم الخاتمه والنتائج التي خرج بها البحث والتي ارجو أن تضيف جديداً الى مكتبه اللغه العربيه ، والله من وراء القصد .

الباحثة.

الكلام لغة

من كلّمه تكليماً : وجّه الحديث اليه وتكالم المتقاطعان : تحادثا بعد تهاجر وتكلّم : نطق بكلام [١]

والكلام في اصل اللغه : الاصوات المفيده

والحروف ك ، ل ، م ، المكونه للفظ الكلام ((حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة)) [٢] ، وهذا يؤكد خطورة الكلام وما يحدثه في النفوس من خير أو شر.

أما الكلام اصطلاحا :

((فهو كل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون الجمل ، نحو : زيد أخوك .... وصه ومه .... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمر معناه فهو كلام)) [٣]

وحدّ ارسطو الكلام بقوله : ((هو صوت مركب دال)) [٤]

البيـان لغة

من بان الشيء وأبان : إذا اتضح وانكشف ، وفلان أبين من فلان أي : أوضح كلاماً منه ، وأفصح فهو بائن وبيّن [٥]

أما البيان اصطلاحا

فقد عرّفه الجاحظ بقوله : ((اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ؛ حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ماكان ذلك البيان ، ومن أيّ جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغايه التي اليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع)) [٦]

وهذا معنى البيان الواسع مهما كانت دلالاته ، اذ لم يقتصر البيان عند الجاحظ على الكلام واللفظ فقط وانما هو عام في جميع الدلالات ،

((وجميع اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لقظ خمسة أشياء ، لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الداله التي تقوم مقام تلك الاصناف .... ولكل من هذه الخمسه صورة بائنة من صورة صاحبها ، وحليه مخالفه لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجمله ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن اجناسها وأقدارها ، وعن خاصّها وعامها ، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ ، وعما يكون منها لغواً بهرجاً ، وساقطاً مُطّرحاً)) [7]

فضل البيان

قالوا: البيان بصر، والعيّ عمى كما ان العلم بصر، والجهل عمى، والبيان من نتائج العلم والعي من نتائج الجهل، ويعلل الجاحظ عظم قدر البيان؛ لانه سمع الله يمدحه، ويحث عليه، ولا أدلّ على قيمة البيان من قوله تعالى: **{الرحمن علم القرآن خلق الانسان علّمه البيان))** الرحمن1– 4، ونعت القرآن بالبيان فقال:**{هذا بيان للناس))** آل عمران 138، ولقد بلغت قيمة البيان بمنزلة أصول الفقه للأحكام، وأدلة الاحكام [8] ،

فالبيان يوضح الأسرار الخفيه ، ويصورها يقول عبد القاهر الجرجاني :

((انك لا ترى علما هو أرسخ أصلاً ، وأبسق فرعا وأحلى جنىً ، وأعذب ورداً ، وأكرم نتاجاً ، وأنور سراجاً من علم البيان .... والذي لولا تحفّيه بالعلوم ، وعنايته بها ، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها أبد الدهر صورة ، ولاستمر السرّار [9] بأهلّتها ، واستولى الخفاء على جملتها الى فوائد لا يدركها الإحصاء ، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء)) [10]

((والقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه ماجمع وجوه الحسن واسبابه وطرقه وأبوابه ، من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول)) [11]

وكان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوتنا في تبيين ، الكلام ، وتوضيحه ، حتى سُمي المبين [12] أي الموضّح ؛ لأن كان هدفه الافهام وايصال الفكرة ، ف((كان يعيد الكلمه ثلاثاً لتُعقل عنه)) [13]

((وكان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه)) [14]، سأل مرة الحسن بن علي (رضي الله عنه) خاله هند بن أبي هالة ، وكان وصّافاً ، قال له : صف لي منطق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متواصل الأحزان ، دائم ألفكره ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لايتكلم في غير حاجه ، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ، ويتكلَّم بجوامع الكلم ، كلامه فصل ، لا فضول ولا تقصير)) [15]

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يصغي كل الاصغاء الى من يحدثه ، أو يسأله ، ويقبل عليه ويلاطفه ، واذا همس أحد بأذنه فينحي له حتى يكون الرجل هو الذي ينحّي أولاً ، وكان يزور ضعفاء المسلمين، ويعود مرضاهم، ويبشرهم، ويجبر خاطرهم وينسيهم ماهم فيه من فقر وضيق، ويقول أبشروا بالنور التام يوم القيامه، تلك هي محاوراته معهم يشعرهم بالثقة بأنفسهم ويشاورهم، ويأخذ بآرائهم[16]

فالالفاظ والمعاني عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيله لايصال فكرته الى المستمع ؛ ولاقناعه ، والتأثير فيه ؛ ؛ ليعمل بها ، وليست لأجل استعراض الالفاظ الرصينه والكلمات القويه (حاشاه) ، وقد عاب البلاغيون بأن تجعل السلامه من اللحن هي الفصاحه ، وان تكون المفاضله بين كلام وكلام على اساس اللحن والاعراب ، وعدّوا هذا الرأي فاسداً ، انما المفاضله أن لاتكون الفصاحه ثمرة سمات

تتصل بالنطق ، بل ثمرة لطائف تُدرَك بالفهم [17] ؛ لأنّ ((كل من طلب المعاني من الالفاظ ضاع وهلك ، وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه ، ومن قرّر المعاني أولاً في عقله ، ثم اتبع المعاني الالفاظ فقد اهتدى)) [18] ؛ لأنك لاتتوخّى الالفاظ من حيث هي ألفاظ مرتبه ترتيباونظما بل ((تتوخّى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فإذا تم لك ذلك أتبعتها الالفاظ ، وقفوت بها آثارها واذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى ان تستأنف فكراً في ترتيب الالفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني ، وتابعه لها)) [19]

اذن التفكر والتدبّر أولاً ثم اتخاذ الالفاظ والمعاني وسيلة للتعبير عن الفكره التي نضجت في الذهن وما ميز الله تبارك وتعالى أهل التقى السابقين ، وعلى رأسهم الصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) بكثرة الروايه ، ولا بكثرة المسائل في العلم ولكن بهذا العمق في الفهم واليقين والتدبر .

إنَّ عامة الصحابه (رضي الله عنهم) لم يكونوا يحفظون كتاب الله وإنّما حفظه نفر منهم والحديث كذلك ، ولكن كان اليقين يقر ويثبت في قلوبهم بآيةٍ واحدة، أو بحديث واحد ، فالكلمه الواحده في القرآن تزن مجلدات من الكتب التي نكتبها اليوم ، وما أكثر المحاضرات في المكتبات ، ولكن أين القلوب المتدبّرة المتفكرّة ؟ التي إذا قال صاحبها كلمة هزّت المخاطبين ، وأثرت فيهم وجعلتهم يمتثلون للعمل بها على الفور .

قيمة الكلمه الطيبة وأثرها في النفس

لقد وصف ربّ العزة الكلمة الطيبه في غاية الحسن فقال : **{ ألم تر كيف ضربَ الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (24) تُؤتي أُكلَها كلَّ حينٍ بإذن ربّها (25) }** ابراهيم 24

شبه الله سبحانه الكلمه الطيبه بالشجره الطيبه ؛ لأن الكلمه الطيبه تثمر العمل الصالح ؛ والشجره الطيبه تثمر الثمر النافع ، وجمهور المفسرين يقولون : الكلمه الطيبه هي : شهادة أن لا اله إلاّ الله ؛ فإنها تُثمر جميع الأعمال الصالحه ، الظاهره والباطنه ، فكل عمل صالح مرضيّ لله ، فهو ثمرة هذه الكلمه ، ولاتزال هذه الشجره تثمر الاعمال الصالحه كل وقت ، بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها واخلاصه فيها ، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه ، واتّصف بها ، وانصبغ بصبغة الله فعرف حقيقة إلٰهيته يثبتها قلبه لله ، ويشهد بها لسانه ، وتصدّقها جوارحه ، وهذه الكلمه الطيبه تثمر كلما كثيرا طيبا ، يقارنه عمل صالح ؛ فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب [20] كما قال تعالى: **{إليه يصعدُ الكلِم الطيبُ والعملُ الصّالحُ يرفعُه}** فاطر10

فالمؤمن يسقي هذه الشجره ، وينقيها ، فبسقيها تبقى وتدوم وبتنقية ماحولها تكمل وتتم ، ويكون القول ثابتاً ، فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً . وأثبت القول: كلمه التوحيد ، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخره ؛ وبهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلبا ، والكاذب من أبغض الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوّناً ، وأقلهم ثباتاً ، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاخبار وشجاعته ومهابته ويعرفون كذب الكاذب ، ولايخفى ذلك الا على ضعيف البصيره، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج مايكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم [21]

والكلمه الطيبه تنفع ذوي الفطره السليمه والعقل النيّر ((واما من فسدت فطرته وانتكس قلبه ، وضعفت بصيرة عقله ، فلو ضُرب له من الامثال ماضرب ، فأنه لايزيده الا عمى وتحيّرا .)) [22]

- الكلمه الطيبه وسيله الى الشفاء

هناك امثله توضح أن الكلمه الطيبه قد تكون وسيله الى الشفاء ، فهاهم حكماء الطب النفسي أساس علاجهم الكلمه الطيبه ، ويستطيع الطبيب ان يعرف أحوال النفس بكلمة يقولها صاحبها، ودائما يصدر منهم قول (ان افضل علاج نفسي للزوج عند الزوجه وللزوجه عند الزوج هو كلمه طيبه فيها شفافيه الحب والرفق).

وقد ترد في القرآن الكريم كلمه تشير الى دراسات طبيه كبيرة مثل كلمة **{ناصية كاذبه }**

قال تعالى: **{كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصيه ناصية كاذبه خاطئه}** العلق15–16

الناصيه : مقدم الرأس وهو لفظ يدل بأصله على علو في الشيء ، كما يفهم من شواهد العربيه [23]

هكذا فّسرها اللغويون والنحاة قديماً ، لكن الاطباء يقولون اليوم بعد بحوث تجريبيه ودراسات عن وظائف الدماغ ، إن الناصيه التي تحدث عنها القرآن يضم الجزء الامامي من الدماغ ، وهو الجزء التي تصنع فيه الافكار من صدق وكذب ، وخطيئه ، وغير ذلك ، أما اللسان واليد والرجل فمجرد آلات تتحرك بما تم صنعه في ذلك الجزء من الدماغ ، فلا شك ان الناصيه أولى من اللسان بأن توصف أنها كاذبه وخاطئه . [24]

ومن الجدير بالذكر ان كلمة (الله أكبر) اذا قالها الذابح للأضحيه ستحدث في الخلايا والاورده نفيراً عاماً ؛ فيخرج الدم ، والأذى كلّه ؛ مما يجعل اللحم صحياً ،

فأي قدسيه للكلمة وأي عظمه ؟ والامثله على ذلك كثيرة فقد اخبرنا الباري –عزّ وجلّ –انه بقوله للشيء كن ؛ فيكون فبالكلمه يحيي ربي ويميت ، وبالكلمه نبيع ونشتري ونتزوج ونطلّق ...الخ

ولأهمية الكلمة وما تثمره في القلوب اهتم نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) باختيار الكلمه فكان يغيّر الاسماء غير المريحه عند سماعها [25] ، مثل اسم (حَزْن) حوّله الى (سهل) ، و (حرب) الى (سلم) ، وغيرها كثير.

وكان يكره أن ينسب للنفس كلمة خبث [26] ويوضح لنا أن أبغض كلمه عند الله هي (ملك الملوك) [27] ، وقد تكون الكلمه غير الطيبة وزراً على قائلها ، فإذا قذف بكلمة واحدة أحداً أقيم عليه حدّ واحد ، وإذا قذف بكلمات فلكلّ كلمة حد [28] ،

واذا نطق انسان بالنذر وقال نذرت كذا ، وكان نذره في طاعة فعليه وزر إنْ لم يف [29] والكلمه المنآنه تبطل العمل الخيري ، ولو كان كثيرا قال تعالى: **{لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى }** البقره 264

ولما كانت الكلمه نتاج اللسان ، فأنّ للسان آفات كثيره ، فمن أهمل لسانه وتركه مرخيّ العنان سلك به الشيطان في كل ميدان ، الى ان يضطره الى الهلاك ، ((ولا ينجو من شرّ اللسان إلاّ من قيدّه بلجام الشرع ، فلا يطلق الاّ فيما ينفعه في الدنيا والاخره)) [30]

ولهذا مدح الصمت ؛ لأن من صمت نجا .

قيل لعيسى (عليه السلام) : دلّنا على عمل ندخل به الجنة ؟

قال: لاتنطقوا أبدا، قالوا: لانستطيع ذلك فقال: فلا تنطقوا إلاّ بالخير [31]،

((فالعاقل من خزن لسانه ، ووزن كلامه وخاف الندامه)) [32]

فالحذر الحذر من كلام يغضب خالقنا ويؤذي اخواننا

تكلّم وسدّد ما استطعت فإنما

كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله

فصمتك عن غير السداد سداد [33]

لأن الكلمه ترفع وتخفض صاحبها ، ورد في الحديث الشريف :

((إنّ العبد ليتكلّم بالكلمه من رضوان الله لا يلقى لها بالا ، يرفع الله بها درجات ، وإنّ العبد ليتكلم بالكلمه من سخط الله ، لا يلقي لها بالاً ، يهوي بها في نار جهنّم)) [34]

وكان نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال)) [35]، وكان يقول : ((من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيراً ، أو ليصمت)) ،[36]

((فالكلام في وثاقك مالم تتكلم به ، فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرُب كلمة سلبت نعمة ، وجلبت نقمه))[37].

- **كيف نستطيع أن نجعل كلامنا مبيّناً واضحاً ؟**

1- **مراعاة المقامات والاحوال عند الكلام**

انّ الالفاظ والكلمات لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ، وانما الفضيله في ملائمة معنى اللفظه لمعنى اللفظه التي تليها ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمه تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك ، وتوحشك في موضع آخر)) [38]

فالكلمه التي نتكلم بها يتغير معناها بتغير السياق والمقام والحال ، وفي الدراسات اللغويه الحديثةً للسياق أهميه كبيره أيضا، فالعالم اللغوي الانكليزي فيرث

يرى ان معنى الكلمه يكمن في دورها الذي تؤديه في الكلام ، أو الطريقه التي تستعمل بها [39] ،

ويقول جون لاينز:

((لايمكن فهم أية كلمه على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصله بها)) [40] فللكلمه مدلول قبل التركيب ، فإذا دخلت في سياق التركيب أعطت مدلولاً جديداً ، كأن الكلمه تولد في كل تركيب ولادة جديدة لمعنى جديد .

وكأن الكلام الذي يصدر من صاحبه بألفاظه ومعانيه ترافقه روح المتكلم ، ومايختلج في نفسه من معان ، فالمتكلم الفطن الواعي من يستطيع ان يعرف الناس وأذواقهم ومايحبون ، إذ من العسير في زماننا أن يعرف الانسان العادي الآخرين وأمزجتهم وأحوالهم ((فقد تجد الرجل أصم أبكم في الطريق ؛ فيهتز فؤادك إشفاقاً على حاله ، وتجزم ان نفسه تتقطع بين جنبيه الماً ، وأن قلبه يذوب حسرات ، وتبصر آخر الى جانبه ينهب الارض بسيارته الفخمه وقد لاحت هالة السعاده والعز حول وجهه ، فتجزم بأن نفسه ترقص بين جنبيه فرحاً ، وأن له قلباً لايستفيق من سكر السعادة والانشراح ، لا تستطيع أن تجزم بهذا وذاك وأنت لم تطلع على قلب أحد منهما ، ولو اطلعت لعلمت أن المقياس الذي اعتمدت عليه غير مطرد الدلاله على ماظننت ، وان اسباب السعادة والشقاء لا تنحصر في تلك المظاهر التي تتلبس الجسم ، ومن أكبر الخطأ أن تربط بين حالة القلب ، وهذه المظاهر)) [41]

فالمتكلم يحتاج الى امور كثيره تجعله متكلماً محبوباً مؤثراً ، ومقنعاً فإذا أكرمك الله بذرة من عنايته وأولاك شيئاً من نعيم حبه انمحقت من نفسك مشاعر الهموم ، ونوازع الشهوات ، وغدا القلب مستغرقاً بلذه عارمة ، لايقوى على وصفها إلا من اكرمه الله بمذاقها)) [42]

فتكون أخلاقه وتعامله مع الناس بإخلاص ؛ لأنه من ثمرة هذا الحب الالهي الذي يجعله يحب الآخرين ولسان حاله يمثل قول الامام علي (رضي الله عنه) :

ما ودّني أحدٌ إلا بذلتُ
صفو المودة مني آخر الأبد
ولا قلاني وإنْ كان المسيء بنا
الا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا ائتمنت على سرّ يوماً فبحتُ به
ولا مددتُ الى غير الجميل يدي
ولا أقول نعم يوماً فأتبعه
بلا ولو ذهبت بالمال والولد [43]

فإذا تكلم مع الناس فاض عليهم من محبته وبشره ما يؤنسهم ، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطّى الناس حتى يجلس اليّ لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت) . [44]

هذا الكمال الانساني لم يأت على الطبيعه ، إنما هي قابليه مضافا اليها مجاهدة واكتساب ثقافات واسعه ، وعلوم ومعارف لا حصر لها ، ومخالطة الناس ، فالبيان هو ثمرة جهود كثيرة ، ومعارف عديدة قيل : شيئان لا نهاية لهما البيان والجمال .

فاذا كان الانسان ذا موهبة وقابليه فهو يفتقر الى آلات كثيره عددها البلاغيون القدماء منها:

- معرفة علم العربيه من النحو والصرف
- معرفة اللغه المتداوله المأنوسه غير الوحشيه
- معرفة أمثال العرب وأيامهم
- الاطلاع على المصادر وانتقاء المعلومات منها
- معرفة الاحكام السلطانيه الامامه والاماره والقضاء والحساب

- حفظ القرآن والتدرب على استعماله في مطاوي كلامه
- حفظ الاخبار الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [45]

هذه الآلات البيانيه ، ويضاف اليها الدربه والنفس التي تفيض حباً واحتراماً للسامع ، ومعرفه بأحواله وما يحبه وما لا يحبه من الفاظ ومعان ، فإذا كانت الكلمه لا تفهم الا بما يجاورها كما قرر علماء اللغه والبلاغه فكيف تفهم الكلمه اذا نقلت على ألسنة الجهلاء ، وعندي ان الكلمه حتى لو نقلت على لسان من عرف بالصدق والتقوى فهذه الكلمه تخضع لاحتمالات كثيرة ، لأن المكان والزمان وحال المتكلم اذا كان حزينا او فرحاً ، غاضباًً أو راضياً ، وماتحمله نفسه من تراكمات إيجابية أو سلبية ، وكذا الصوت له أهميه في معنى الكلمه مما يجعلها تحتاج الى مختبرات حتى يعرف المراد .

تعالوا لنتكلم باللغه التي يفهمها المستمع ويأنس بها ، القريبه الى ذهنه ؛ لأن الانسان عدو ما يجهل ، وما يجهله الانسان من مفردات اللغه قد تولد حاجزاً كبيراً بينه وبين الفهم والتأثر ، فلنكسر تلك الحواجز ، ولنستخدم الاساليب المختلفه ؛ ولنعبر عن المعنى الواحد بطرق مختلفه حسب فهم المخاطب ، فنستعمل التشبيه والتمثيل والاستعاره وقد يحتاج الكلام الى كنايه وتوريه اذا كان يرضي المستمع ؛ لأن كشفه قد يؤذيه . وقد نستعمل اللهجه العاميه (أعني شفويا)إن كانت توصل المعاني اسرع الى السامع ، واذا كان يأنس بها ، وماسوء التفاهم والنزاعات القائمه اليوم الا بسبب المفردات الغريبه الغامضه التي لا توصل الى معنى واضح ،

أيها الآباء انزلوا من برجكم العاجي وخاطبوا أبناءكم بوضوح ، والله إني أعرف بيوتاً بين أفرادها تناحر ، وماهو إلا بسبب عدم المصارحه والمحاوره ، والتفاعل الاسري ، رأيت بأم عيني رجلاً يسخر من آخر ؛ لأنه يحاور ابنه ويلاطفه ويجيبه عن أسئلته ، وكأنه يحتقره ويتصور أن منزلة الاب ستتأثر ، وان عدم اجابته له ستبقي مقامه محفوظاً وسيطيعه ، هذا في الظاهر صحيح ، ولكن في واقع الامر

الابن سيحتال على أبيه من أجل أن يخرج عن طوعه ، وستكون العلاقه باردة ، وما درى هذا الأب انه لو أرخى زمامه على ابنه ، وحاوره وأجاب عن أسئلته لفاض قلب ابنه حباً له ، وسيقوده حبه الى طاعته والفناء من أجله ، ولكن بالطريقه الاخرى البارده سينتج قلبا فارغاً من الحب ، مفتقراً الى الحنان قاسياً ، مراوغاً ، وسيصبح معول هدم للاسره والمجتمع يعمل الموبقات دون وعي منه ، فهو لا يعرف حدود حقه ، ولا مقدار حق الآخرين عليه ، وقد يوغل في أخذ حقوقهم ولا يدري ، وإنما يحس أنه مظلوم، ولا يقبل من أحد نصيحه، وأمثال هذا الابن كثيره وا أسفاه،أخشى أن يكون قد اظلّنا زمان الذي قال عنه الصحابي حذيفه بن اليمان(رضي الله عنه):((يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحبّ اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم))[46]

2- **معرفة النفس ومحاسبتها وترويضها** .

((اعلم أن اعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة الى الشر ، فرّاره من الخير ، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر، الى عبادة ربها وخالقها ومنعها من شهواتها وفطامها من لذاتها . فإن أهملت جمحت وشردت ، ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبه والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوّامه التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنه المدعوه الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضيه مرضيه)) [47]

وما مدح يوسف عليه السلام وعلا قدره الا بسبب مخالفته هواه .

والنفس بحر عميق لا يعرف كنهها الاّ الاتقياء العاملون ، فلا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه ، والشريكان يتحاسبان بعد العمل.

قال الحسن البصري :((لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟ والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه))[48]

ومهما حاسب الانسان نفسه فلم تسلم من مقارفة معصية فلا ينبغي إهمالها ؛ لأنها إذا أهملت سهل عليها العصيان ، وأنست به وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها؛ فينبغي أن يحاسبها على كل كلمه قالتها مانيّتها في ذلك ؟ أتريد اصلاحاً ، ام فتنة ؟ هل فكرت بالكلمه قبل قولها ؟ وما عواقبها ؟، فالانسان المؤمن يجب أن يزن كلمته في ميزان حكيم ؛ لأن للكلمه قدسية ووزناً عند الله تعالى ،قال سبحانه جل اسمه :

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد } الحشر 18

وهذه اشاره الى المحاسبه على ما مضى من الأعمال ؛ كان يقول ابو بكرالصديق (رضي الله عنه) على لسانه :

(اوردني الموارد) [49] ، وكان يقول :((جرح اللسان كجرح اليد)) ، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزَنوا)) [50]

وكان يضرب قدميه بالدرة إذا جنّه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم ؟

وهذا لكثرة علمه وخشيته انه لم يعمل به، عن مالك بن دينار قال: ((اذا تعلّم العبد العلم؛ليعمل به كسره علمه،واذا تعلم العلم لغير العمل به زاده فخراً))[51]؛ لأن العالم الذي نوّره الله بنور البصيره ينظر الى آيات الله الدالّه على عدله ودقة نظامه فها هو تعالى

يقول : **{ والسماء رفعها ووضع الميزان }** الرحمن 7

{ ووضع الميزان } كلمه تزلزل النفس اللوّامه ؛ فتسارع للعمل المتقن الجاد الموزون استجابه لأمر الله القائل: **{ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط }** الانعام 152

والميزان لا يعني فقط وزن الأعيان، وانما من ضمنها وزن المعاني ، ووزن الكلام فلنعالج انفسنا في الانتهاء من الفوضى في الكلمات ، ولنتبع منهج التدرج

درجه درجه ؛ لنتخلّص أولاً من معجم الكلمات القبيحه النابيه ، التي تعوّر القلوب عند سماعها ، ولنصبّر النفس ان القرآن الكريم نزل منّجما وبالتدرج ، نزلً اولاً بوصف الجنه والنار ، ثم جاء بالحلال والحرام والمعاملات [52]

((يروى أن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) حين اراد أن يعيد الخلافه الى سابق عهدها كان لابد له أن يمسك الخيوط في يديه ؛ وكان له ابن يقال له عبد الملك كان هذا الابن ينكر على أبيه ، التروي والبطء في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم ، قال له يوما : مالك يا أبت لا تنفذ الامور ؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ، فكان جواب الاب الفقيه : لا تعجل يابني فأنّ الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين ، وحرّمها في الثالثه ، وإنّي أخاف أن احمل الناس على الحق جملةً ؛ فيدعوهُ جملةً ؛ فيكون من ذا فتنه)) [53] وهذا حال العارفين الواعين ذوي التمكين ، والاستطاعه وذوي العقول والمعرفه الذين متى أحست ابدانهم بأصناف المكروه والمحبوب وازنوا وقابلوا وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرّين ، وواصلوا كل مضرة ومنفعه في العاجل بكل مضرّة ومنفعه في الآجل ، وتتبعوا مواقعها ، وتدبّروا مساقطها ، كما يتعرفون مقاديرها وأوزانها واختاروا بعد ذلك أتم الخيرين ، وأنقص الشرين فأما الشر صرفاً والخير محضاً فأنهم لايتوقفون عندهما ، ولا يتكلفون الموازنه بينهما ، وانما ينظرون في الممزوج ، وفي بعض مايخشى من معارضته ، ولا يوثق بمعرّاه ومكشّفه ، فيحملونه على خلاص الذّهن كما يُحمل الذهب على الكير)) [54] ؛ ولهذا قيل ((الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام)) [55] ؛ لأن العدل سيجر صاحبه الى كل خير يصل الى الايمان والاسلام ، ولكن الظلم ظلمات سيجرّ صاحبه الى كل رذيلة حتى ينتهي به الى الكفر والضلال ، والعدل ثمرة المحاسبه التي بها يستطيع أن يميز فانه ((لا يحسُّ بضربة مبنّحٌ ، وانما يعرف الزياده من النقصان المحاسب لنفسه)) [56] ، وبالمحاسبه تدوم النعم ((ومتى رأيت

تكديراً في حال من نكر نعمةً ما شكرت ، أو زلّة قد فُعلت ، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم ، ولا تتغتّر بسعة بساط الحلم فربّما عُجلّ انقباضه)) [57]

ومن منطلق وزن أقوالنا واعمالنا، فعلى المرأه الام أن تحاسب نفسها ، وتزن كلماتها وتتعهد بتربية طفلها وتراقب مشاعره ، وهو في بطنها فقد اكتشف الطب الحديث ان الجنين في شهره السادس يضطرب قلبه واعضاؤه اذا احس ان أمه غاضبه ، ويهدأ إذا كانت مسرورة ، وكذا المولود الجديد اذا أحس أمه غير راغبه فيه ، وفي مجيئه الى الدنيا فهو يضربها بركلات يرسلها بقدمه ، ولم يرضع من ثديها ، اما اذا احس انها سعيده ومسرورة فأنه يهدأ وتنتظم أعضاؤه [58] وقد احست المرأه القديمه بتأثر الجنين والمولود بحالة أمه ؛ فكانت تفتخر انها ربّت ابنها تربية جعلته حليماً واسع الصدر ، رووا أن أم الشاعر تأبط شراً قالت : والله ما ولدته تيناً [59] ولا سقيته غيلاً [60] ولا أبته على مقة [61])) ؛ لأن الأم اذا نوّمت ابنها على سرور يسري فيه ويعمل في طباعه ، واذا نوّمته على فزع وغيظ كان ذلك يعمل في فساد نفسه فيصبح مئقا . [62]

والمئق لايستمتع بشئ مهما نجح ، ووصل الى ما وصل ، فهو متشائم نكدي ، ضجر كثير اللوم على الناس والزوجه والأولاد ، لايعجبه العجب مثل هذا الانسان المئق يؤخر المجتمع لايستفيد ولايفيد وقد يكثر عنده اللعن ، ووزن اللعن كالقتل عند الله ((من لعن مؤمنا لعنه فهو كقتله)) [63]

واللعنة اذا لم يكن صاحبها له أهل رجعت الى القائل ، إذن لنتعهد الأولاد بالتربيه وترويض أنفسهم على الخير ونسقيهم بماء المكرمات ، ولا أستطيع ان أقبل عذر احدهم انه لم يقصر في التربيه ولكن بلا جدوى ؛ هذا كلام مردود ؛ لعلّه قالها كلمات ولم يعدها ، ولم يصبر كثيراً فالطفل يحتاج الى تكرار واعادة ، وصبر ومصابرة حتى يتروّض وينشأ صالحاً وهناك أدله صارخة ترد هذا الزعم ، فالحيوان

وهو حيوان إذا روّضته سمت نفسه وصار يختلف عن غيره ولو كان من جنسه ، يحدثنا ابن الجوزي أن كلاب البيت تحسد كلاب الصيد فتنبحها ، ولكن كلاب الصيد لا تلتفت اليها ، وهي لطيفه ومؤدبه ؛ لأن همها حفظ الصيد لصاحبها فشبهها بالمؤمن العاقل الذي لا يلتفت الى كلام الحساد ويمر عليه مر الكرام ؛ لأنه في واد وذاك في واد آخر [64]

1- **التواصي ومرافقة الصالحين**

((تروي لنا كتب الأدب كيف ينظر بعضهم في كلام بعض ، وكيف كانت ملحوظاتهم مبنية على احساس عميق بجلال الكلمه ، وحاجتها في الاستعمال الى مهارة بالغه، حتى تقع موقعها الذي، لا ينبو بها ، ولا تقلق منه، وحتى تكون أيضاً معبرة تعبيراً صادقاً يصف احساس تلك النفس التي جاشت بها وصاغتها))[65]، ومن حسن الحظ أن ينشأ الانسان في مجتمع راق في تعامله ، يسير على منهج التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملتُ عدلوني كما يعدّل السهم))[66]

وهذا عمرو بن المهاجر قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : ((اذا رأيتني قد جرتُ عن الحق فخذ بثيابي وقل : مالك يا عمر)) [67]

بهذه القلوب الطاهره المتواضعه كان التعامل ، وكان للواحد منهم نظير يتواصى معه ، ويسائِله ، ولكن قلّ أمثالهم في زمان ابن الجوزي ، الذي لا يجد له صاحب حتى مع العلماء ((لأن اكثرهم على غير الجادة مقصودهم صورة العلم لا العمل به)) [68] وهذا الشيخ ابراهيم الدسوقي (رحمه الله) يوصي تلميذه فيقول : ((وأما صديقك فان صدقك فاحفظه ، وما للمرء يا ولدي إلا أن يكون على حذر من جميع البشر ، فأنا في آخر زمان ، وقد قلّ النصح حتى لا تكاد تنظر ناصحاً ، وعاد من توليه سرورا يوليك نكداً وشروراً ، ومن ترفعه يسعى أن يضعك ، ومن لم تحسن

اليه يسيء اليك ، بل ثمّ من تحسن اليه يسيء اليك ، ومن تشفق عليه لو على الرماح رماك ، أو على الشوك داسك ، ومن تنفعه يضرك ، ومن توليه معروفاً يوليك جفاء ، ومن تصله يقطعك ، ومن تطعمه يحرمك ، ومن تقدمه إن استطاع أخرّك ، ومن تربيه يقول أنا الذي ربيتك ، ومن تخلص له يغشك ، ومن تهش له يكش فوا عجبا للدنيا ولأهلها)) [69]

تمسّك إن ظفرت بذيل حر

فان الحر في الدنيا قليل

ولا تعتب أخاك على مقالٍ

فان العتب منك له ممل [70]

سبحان الله تعالى فماذا نقول نحن ؟ فأحدنا لو اراد أن يسأل أو يطلب من الآخرين تعديله يزدرونه ، ويتصورونه ساذجا ؛ لأن النفوس اصبحت لا تثق بما يقال لها من نقد فقد يكون النقد ينطلق من نفس حاسدة بعيده عن الموضوعيه ، فالعاقل ما عليه الاّ يوازن ويأخذ ما ينفعه ويوصله الى الحقيقه ، وان يدع مالا ينفعه ولا يوصله الى هدفه .

اللهم أرنا الاشياء كما هي حتى لا نتجاوز الحد في حسن الظن أو بالعكس ، ولكن لا يخلو زماننا من علماء مخلصين ماهرين في ايصال المعنى الى قلوب تلاميذهم باعثين فيها الثقه .

يقول الدكتور ابراهيم الفقي : ((اعلم أنّ رأي الآخرين فيك لا ولم ولن يدل عليك وذلك ؛ لأن هذا الرأي يكون مبنياً على قيم ونظام وتفكير هؤلاء الآخرين ، لا قيمك انت ، ولا تفكيرك أنت ، ولا مفهومك أنت ، فأنا وانت والجميع معجزة من الله سبحانه وتعالى _ فكيف لشخص أن يحكم على شخص آخر)) [71] هذا دواء لكل نفس لوّامه بالغت في المحاسبه ، وكذا هو دواء لكل من لا يقبل النقد ، ويتصور ان

النقد سيقلل من منزلته ، وما عرف ان البحث الحيوي هو الذي يكثر ناقدوه ، فما عليه الا ان يستفيد من ملاحظاتهم ، ويرى انتقاداتهم هدايا تقدم اليه ، ولتكن الحكمه ضالته ، ورضا الله هدفه ، مكتوب في الزبور ((طوبى لمن يسلك طريق الاثمه ولم يجالس البطّالين ولم يقم في هوى المستهزئين ، إنّما همّه حكمة الله ، لها يطلب ، وبها يتكلم فمثله كمثل شجرة في وسط ماء ، لا يتساقط من ورقها شيء ، وكل عمل مثل هذا تام لا يذهب منه شيء)) [72] ؛ لان الصالحين سوف يكتسب منهم الاتقان في العمل والقول ، لأجل الغاية التي خلقنا من أجلها وهي العباده فالصالحون واعون عارفون ، اذا فرغوا من العمل لجأوا الى الحي الذي لا يموت ، وسبحّوه واستغفروا ، وطلبو منه حاجاتهم وزادوا خشوعا وسجوداً وذكرا اذا أفاض الله عليهم من نعمه ؛ ليستمدوا منه طاقتهم وطاقة الله لا تنفد ، عن احد أصحاب الامام علي (رضي الله عنه) قال : ((صليت خلف علي (رضي الله عنه) الفجر ، فلما سلّم انفتل عن يمينه ، وعليه كآبه فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال : والله لقد رأيت اصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم ، وجباهم ، وكانوا اذا ذكروا الله ، مادوا كما يميد الشجر قي يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، وكأن القوم باتوا غافلين (يعني من كان حوله))) [73]

1- **البعد عن الغموض واستعمال الغريب**

وليكن قدوتنا في الوضوح والبيان القرآن الكريم فهو أعلى مراتب البلاغه والفصاحه ، مشرق في الفاظه ومعانيه ، يبتعد كثيراً عن الغموض ، وما استطاع ان يجمع العلماء من غريب الفاظه الاّ القليل ، وكان الغريب عندهم هو الذي يعبر عن معنى بعيد ، ويحتاج الى تأويل ، ولا فضل ولا فضيله في الكلام الغريب الوحشي وقد ثبت عن علمائنا انهم كانوا يرون الفضيله في ترك استعماله وتجنبه ، أفلا ترى الى قول عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) في زهير : ((أنه لا يتتبع وحشي الكلام في شعره ولا يعاضل بين القول)) (74) ذلك لأنّ الكلام الغامض يستغرق وقتاً حتى يصل الى قلب السامع ، وانما الفضل للكلام الواضح البيّن الذي يشرق بمعناه على القلوب فتتذوقه وتتمثله عملاً .

أيها النقاد والادباء أحبابي ليكن البيان هو وسيلتكم ، اذا كان هدفكم كشف قناع المعنى ، والوصول الى المقصود ؛ لأفادة السامع أختاروا الالفاظ والمصطلحات المأنوسه .

يؤسفنا أن معظم الادباء تدور في نتاجاتهم وبحوثهم ألفاظ ومصطلحات لا يفهمها الاّ أمثالهم ، فهم يغمغمون وحدهم ، وما علموا أن الأدب الراقي هو الواضح الذي يحترم المخاطب والذي يدخل الى القلوب فيقنعها ويمتعها ، ويؤثر فيها ، وروائع الادب تشهد بذلك فما الفائده من كلام طويل عريض وتحليلات لألفاظ لا تقرّب المعنى ولا تنير الفكره ، ولا تزيد القارئ او المستمع الاّ عمى ووحشه ؟؟

وحتى لو جعلوا الفن للفن أي للأمتاع فقط وليس للأقناع أين هو ؟؟ حتى هذا الفن لم نحصل عليه ، أعجب لهذا الغموض الذي يغلفون به أساليبهم ، وما أراه الاّ عدم اهتمام بالمقابل وعدم اخلاص أو هو لا يدري ما يقول وانما مجرد قول وهذه طامة كبرى ،

قال بعض الأدباء :

((عدم اخلاص بعضهم في توضيح دلالة الالفاظ دعاه الى ستر ما يخفيه باللغه)) (75)

وقيل : ((ان اللغه قد تستعمل في كثير من المناسبات ليستر المتكلم بها خلوه من الافكار والمعلومات)) (76)

ان استعمال الغريب الغامض يجعلنا ندور في دائرة مغلقه لا نصل معه الى شيء مفيد ، وهذه تسمى الاغلوطات وقد نهى نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) عن الأغلوطات (77)

يقول الحسن البصري (رحمه الله) :

((إن شرار عباد الله قوم يحبون شرار المسائل يُعمون بها عباد الله)) (78)

خلاصة القول الكلام الغريب وغير المفهوم ليس كلاماً شريفاً ، ولا يستحق صاحبه الاهتمام ، ولا يُعطى له مكانه ولا يُعد قدوة ، فالقدوة هو صاحب الكلام الواضح المتحرر من أغلال النفس الاماره بالسوء وعبودية المال والاشخاص والمناصب

يسرني أن أقرأ ان الصينيين القدماء كان اول مميزات القدوة عندهم أن يستخدم لغة دقيقة واضحة في التعبير ، وأن يبتعد عن استخدام الاسلوب الغامض أو المنمق المزوّق (79)

هلمّوا لنجمع شتاتنا ، ونتصالح مع انفسنا ونتآلف بيننا ، لتكن لنا شخصية قويه واثقه واضحه ليكن المستمع عندنا مهماً ، لنكنّ له كل الاحترام ، ولنحقق له حسن ظنه بنا ، ولنقل له قولاً مفيداً وممتعاً يبعث فيه الحيويه والنشاط ؛ فيهرع لبناء مجتمعه بكل ما أوتي من قوة .

تعالوا نتعود على قول (لا ادري) اذا كنا لا نعرف مسألة ما، فنرتاح ونريح

خرج الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) يوماً ، وهو يمسح بطنه ويقول: ((يابردها على الكبد، سئلتُ عمّا لا أعلم، فقلتُ: لا أعلم والله أعلم)) (80)

يقول لا اعلم وهو من هو في تبحره في العلوم، وقد وردت الاخبار انّه باب العلم، اتسع في العلوم فتراكمت على قلبه الهموم فأستحيا من الحي القيوم، ليس لأحد ان يعرف كل شيء الله وحده هو الذي يعرف كل شيء، فان وجدتم في انفسكم حاجتكم الى العلم فالبدار((البدار يا أرباب الفهوم فان الدنيا معبر الى دار إقامه وسفر الى المستقر والقرب من السلطان، ومجاورته فتهيئوا للمجالسة، واستعدوا للمخاطبة،وبالغوا في استعمال الأدب؛ لتصلحوا القرب من الحضرة))(81)،

لنتعلّم الأدب في كل شئ ، ولنعرف ان الله ناظر الينا ، وشاهد علينا وهو معنا أنّى كنا ، فالادب الادب يا أحبائي ، الادب الادب والاّ فان الله يهلكنا في أي واد شاء ولا يبالي ، ليكن همنا من الكلام الإفاده وإدخال السرور الى الآخرين ، ليكن همنا إصلاح مابيننا وبين الله فهو يكفينا كلّ هم ، ويدفع عنا كل شئ ، ويكرمنا بسداد الكلمه وصحة الطبع ، وجمال العبارة ووضوحها ، والسعادة في الدارين .

اللهم نوّر بالعلم قلبي ، واستعمل بطاعتك لساني وخلّص من الفتن سري ، واشغل بالاعتبار فكري وقني شر وساوس الشيطان ، وأجرني منه يارحمن حتى لا يكون له عليّ سلطان .

آمين

والحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الخاتمه والنتائج

إن أهم الامور التي خرج بها البحث هي :

1- أن أعلى درجات البيان والوضوح هو القرآن الكريم الذي يجب أن يكون قدوة للمتكلمين وللكتاب، وحسب البيان فضلاً أن أطلق على القرآن فقال تعالى:**{علّمه البيان}**

2- أن للكلمه الطيبه أثراً في تثبيت المؤمن في الدنيا والآخره ، فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً ، وأثبت القول كلمة التوحيد ؛ ولهذا نرى الصادق من أثبت الناس واشجعهم قلباً، والكاذب أبغض الناس ، وأكثرهم تلوناً وأقلّهم ثباتاً .

فبالكلمه يحصل المؤمن على أعلى الدرجات، وبالكلمه ينزل الى اسفل الدركات

3- من شروط الكلام المبين مراعاة الأحوال والمقامات ، فالكلمه يتغير معناها بتغير السياق والمقام ، وهي تلد في كل تركيب جديد بمعنى جديد .

4- ان البيان ثمرة جهود كثيرة ومعارف عديدة ، فهو يحتاج الى موهبه تساندها الدربة ومعرفه واسعه لعلم اللغه العربيه من نحو وصرف ، ومعرفه لأمثال العرب وأيامهم . وغيرها ، وحفظ للقرآن الكريم ، والأحاديث الشريفه حتى يجعلمها وسيله لتوضيح كثير من المعاني .

5- أن الاستعانه بالصالحين في محاسبة أنفسنا على كل صغيره وكبيره تجعلنا نحس بالآخرين ، ونعرف مقدار حقوقهم ، ويؤثر ذلك كله في كيفية نظم كلامنا بما يلائم المقامات والاحوال .

6- أن التواصي وتَقَبل النقد من الآخرين من أهم العوامل التي تثري نفوسنا ، وتقوي شخصياتنا ، وتجعل كلامنا موزوناً وسديداً ومثمراً .

7- الذي يريد أن يكون كلامه واضحاً ومقبولاً وشريفاً ومؤثراً عليه الابتعاد عن الغموض ووحشي الكلام ، فالغموض دليل على خلّوه من الفضيله والمعاني الرصينه ، ودليل على عدم الاخلاص ، وسوف لن يكون قدوة للآخرين .

8- من الامور الأخرى التي خرج بها البحث هو أن نعود الى أخلاق اسلافنا ونتعود كلمة (لا أدري) فنريح ونستريح ، وهي علامه على غزارة العلم وقوة الشخصيه.

هذا والحمد لله رب العالمين

الهـــوامش

(1) ينظر المعجم الوسيط / ص796

(2) الخصائص 1/ 14 بن جني/ تحقيق محمد علي النجار

(3) المصدر نفسه 18/1

(4) الشعر / ترجمة د.شكري عياد ص114

(5) ينظر المعجم الوسيط ص79–80

(6) البيان والتبيين 76/1

(7) البيان والتبيين 76/1

(8) ينظر المثل السائر ص1/4

(9) السِّرار : أختفاء القمر آخر ليله في الشهر ، يشير هنا الى اختفاء الفكر النير لولا ظهوره بواسطة البيان

(10) شرح دلائل الاعجاز ص62

(11) اعجاز القرآن / الباقلائي ص173

(12) ورد ذكر اسم المبين في الدع والصلاة على النبي ينظر دلائل الخيرات للجزولي ص146

(13) الشمائل المحمديه للترمذي ص72 رقم الحديث (218)

(14) المصدر نفسه ص72 رقم الحديث (217)

(15) المصدر نفسه ص72 رقم الحديث (219)

(16) محمد (صلى الله عليه وسلم) الانسان الكامل / محمد بن علوي المالكي الحسني ص252–257

(17) ينظر شرح دلائل الاعجاز ص482

(18) المستصفى 62/1

(19) شرح دلائل الاعجاز ص110

(20) ينظر التفسير القيم ص327–328

(21) ينظر التفسير القيم ص334

(22) اسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، ص165

(23) ينظر معاني القرآن للفراء 279/3

(24) ينظر الموضوعات الطبيه في القرآن الكريم ص14 تأليف الطبيب محمد جميل بن عبدالستار الحبّال

(25) ينظر صحيح البخاري كتاب الادب 132/4 رقم الحديث 6190

(26) ينظر المصدر نفسه 130/4 رقم الحديث 6180

(27) ينظر المصدر نفسه 135/4 رقم الحديث 6205

(28) ينظر رحمة الامه في اختلاف الائمه 140/2

(29) ينظر المصدر نفسه 147/1

(30) احياء علوم الدين 146/3

(31) المصدر نفسه 3/ 149 – 150

(32) رسائل الجاحظ 4/ 113 /

(33) ديوان ابي الفتح البستي ص / تحقيق شاكر العاشور / ط2 / دار الينابيع / 2008

(34) صحيح البخاري / كتاب الرقاق 204/4 رقم الجديث 6478

(35) المصدر نفسه 4/204 رقم الحديث 6473

(36) المصدر نفسه

(37) نهج البلاغه / الامام علي / ص543

(38) شرح دلائل الاعجاز ص 28

(39) ينظر علم الدلاله احمد مختار عمر ص68

(40) اللغه والمعنى والسياق / جون لاينز ص83
(41) الانسان وعدالة الله في الارض د.محمد سعيد رمضان البوطي ص21
(42) المصدر نفسه ص96
(43) ديوان الامام علي ص94
(44) التبيان في آداب حملة القرآن الامام النووي (67هـ 1427هـ - 2006م بغداد
(45) ينظر المثل السائر ص4
(46) احياء علوم الدين 417/2
(47) احياء علوم الدين 554/4
(48) المصدر نفسه 4/ 539
(49) الخصائص / ابن جني 15/1
(50) احياء علوم الدين 537/4
(51) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء 372/1
(52) صحيح البخاري / كتاب فضائل القرآن 228/6
(53) ينظر الموافقات للشاطي 94/2
(54) الحيوان 2/ 145-146
(55) مجموعة فتاوي ابن تيميه / 84/28
(56) صيد الخاطر ص22
(57) المصدر نفسه ص22
(58) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنه للنابلسي ص175-176
(59) تيناً : خروج رجل المولود قبل رأسه
(60) غيلاً : لبن الحبلى
(61) مقه : ضجر

(62) ينظر كتاب الحيوان 287/1
(63) صحيح البخاري كتاب الادب
(64) ينظر صيد الخاطر ص532
(65) خصائص التراكيب/ دراسه تحليلية لمسائل علم المعاني د.محمد ابو موسى/ ص14
(66) المخصص ، ابن سيده
(67) صيد الخاطر ص407
(68) المصدر نفسه ص67
(69) الطبقات الكبرى 180/1
(70) ديوان الشافعي ص86
(71) فن واسرار اتخاذ القرار / ص95 المركز الكندي للتنمية البشريه
(72) حلية الاولياء 381/1
(73) احياء علوم الدين 547/4
(74) دلائل الاعجاز ص594
(75) دلالة الالفاظ ابراهيم انيس ص9
(76) المصدر نفسه ص11
(77) ينظر اخلاق العلماء الامام ابو محمد بن الحسين الاجري ص95
(78) المصدر نفسه ص95
(79) ينظر القدوة دراسة تحليلية تاريخيه في مواصفات الشخصية المثاليه ص61
(80) أخلاق العلماء ص99
(81) صيد الخاطر ص376

قائمة المصادر والمراجع

1- إحياء علوم الدين / الامام ابو حامد محمد الغزالي (-505) / ط4 / دار الكتب العلميه / بيروت / 2005م

2- أخلاق العلماء / الامام ابو محمد بن الحسين الآجري (-360هـ) اعتنى به واختصر اسانيده خالد محمود خادم السروجي / ط1 / الدار الدمشقيه مكتبة ابن القيم 2006هـ

3- الانسان وعدالة الله في الارض / د. محمد سعيد رمضان البوطي / ط3 / 1396هـ - 1976م

4- أسماء الله الحسنى / الامام شمس الدين عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (-751 هـ) مرتح : عماد زكي البارودي / المكتبه التوفيقيه .

5- إعجاز القرآن / القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الباقلائي / تعليق : ابي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضه / ط1 / دار الكتب العلميه / بيروت - 2001م .

6- البيان والتبيين / ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تح : عبدالسلام محمد هارون / ط5 / مطبعة المدني 1405 هـ - 1985م .

7- التبيان في أداب حملة القرآن /الامام أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي(-676/1427-2006م

8- التفسير القيم / الامام ابن القيم (-751 هـ) / جمعه : محمد أويس المدني / تح: محمد حامد الفقي / لجنة التراث العربي / بيروت .

9- حلية الاولياء وطبقات الأصفياء / الحافظ ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني / ط2 / 1387 هـ - 1967م .

10- الخصائص / ابو الفتح عثمان بن جني / تح : محمد علي النحار / ط1 / مطبعة دار الكتب المعديه / القاهره / 1370 هـ- 1952م .

11- خصائص التراكيب / دراسة تحليليه لمسائل علم المعاني / د.محمد أبو موسى / ط3 / بلا تأريخ .

12- دلائل الاعجاز / الشيخ الامام ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني النحوي (-471هـ) قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر / مكتبة الخانجي للطباعه والنشر والتوزيع / القاهره مطبعة المدني / بلا تاريخ

13- دلالة الألفاظ / د.ابراهيم انيس / ط5 / 1948/ الناشر / مكتبة الانجلو مصريه.

14- ديوان ابي الفتح البستي/تح: شاكر العاشور/ط2/دار الينابيع/2008م .

15- ديوان الامام علي / جمع وتعليق د.احمد احمد شتيوي / دار الغد الجديد / المنصوره / ط1 1424هـ - 2003م

16- ديوان الشافعي رحمه الله (- 204هـ) / جمع وتعليق مختار فوزي النعّال / دار الرضوان / حلب / 2004م .

17- رحمة الأمه في اختلاف الأئمه / ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الدمشقي العثماني الشافعي / من علماء القرن الثامن البحري / ط1 / دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع / بلا تاريخ .

18- رسائل الجاحظ / ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (- 255 هـ) ، شرحه وعلق عليه : محمد باسل عيون السود / ط1 / دار الكتب العلميه / بيروت 2000م .

19- الشعر / ارسطو طاليس / تح : د.شكري عباد / دار الكتب العربي للطباعه والنشر - 1386هـ - 1976م.

20- شرح دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني (-471هـ) ، د.محمد ابراهيم شادي / دار اليقين للنشر والتوزيع / مصر / ط1 / 1431هـ- 2010م
21- الشمائل المحمديه / الأمام الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (-279هـ) ، اعتنى به : عبد اللطيف إدلبي / دار الاصلاح للطباعه والنشر / سوريه / 2009م .
22- صحيح البخاري / الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن المغيره البخاري (-256هـ) / دار الكتب العلميه / بيروت / ط5 / / 2007م .
23- صيد الخاطر / الامام جمال الدين ابو الفرجه بن الجوزي (-597هـ) / تحقيق : د.حامد احمد الطاهر / دار الفجر للتراث / القاهره / ط1 / 1424هـ-2003م
24- الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الاخيار / ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الانصاري الشافعي المعروف بالشعراني من اعيان القرن العاشر الميلادي / بلا تاريخ .
25- علم الدلاله / احمد مختار عمر / مكتبة العروبه / الكويت 1402هـ-1982م
26- فن وأسرار اتخاذ القرار / د.ابراهيم الفقي / المركز الكندي للتنميه البشريه .
27- القدوة دراسه تحليليه تاريخيه في مواصفات الشخصيه المثاليه / محمد جلوب فرحان استاذ الفلسفه المساعد/ دار الكتب للطباعه والنشر / الموصل / 1990م.
28- كتاب الحيوان / ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تح : عبدالسلام محمد هارون / ط3 / منشورات المجمع العلمي العربي الاسلامي / بيروت 1969م.
29- اللغه والمعنى والسياق / جون لاينز / ترجمه : دزعباس صادق / دار الشؤون الثقافيه العامه ط1/1987م

30- مجموعه فتاوي ابن تيميه / تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن تيميه / (-728هـ) / ط1 / دار الوفاء / المنصوره / 1997م .
31- محمد (صلى الله عليه وسلم) الانسان الكامل / محمد بن علوي المالكي الحسني / دار الشروق للنشر والتوزيع / السعوديه ط3 1404هـ-1984م .
32- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ضياء الدين نصر الله بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الاثير الجرزي (-637هـ) / تح : الشيخ كامل محمد محمد عويضه / دار الكتب العلميه / بيروت / ط1 / 1998م .
33- المخصص / ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بأبن سيدة / قدم له د.خليل ابراهيم جفّال / ط1 / دار أحياء التراث العربي / بيروت / 1996م .
34- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / وضعه محمد فؤاد عبدالباقي / دار أحياء التراث / بيروت .
35- المعجم الوسيط / محمع اللغه العربيه / ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومود علي النجّار / المكتبه الاسلامي للطباعه والنشر والتوزيع.
36- الموافقات / الشاطي / دار المعرفه / بيروت .
37- موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنه ، آيات الله في الانسان / د.محمد راتب النابلسي / الموضوعات الطبيه في القرآن الكريم / تأليف الطبيب محمد جميل عبدالستار الحبّال / مراجعة وتقديم الشيخ ابراهيم النعمة / ط1 / مكتبة الارقم / الموصل 1415هـ - 1995م .
38- نهج البلاغه / الامام علي بن ابي طالب / مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي (عليه السلام) / ضبط نصه وابتكر فهارسه العلميه د.صبحي الصالح / دار الكتاب اللبناني / ط3 / 1983م

THE ROLE OF COLLOCATION IN DETERMINING THE MEANING OF HOMONYMS IN THE GLORIOUS QUR'AN WITH REFERENCE TO ENGLISH

Muhammed Barjes Salman
Assist. instructor
College of Education
Department of English

Abid Hmood Ali
Instructor
College of Education
Department of English

Abstract

The language of the Glorious Qur'an receives great deal of attention by linguists and interpreters alike because of its amazing dexterity employed to reveal the intended meaning. The present study is a semantic one. It attempts at shedding light upon certain characterizing features of the Qur'anic language. The study is devoted to show the role of collocation in determining the meaning of homonyms in the Glorious Qur'an. To carry out the present study, eight examples from the Glorious Qur'an are studied with the analysis of two different translations of these examples to check to what extent the translators give equivalent translations to the studied homonyms. It is found that grammatical and lexical collocation is of a vital role in determining the meaning of homonyms in the Qur'anic text. In addition, collocation is a good means to get rid of ambiguity of homonyms in the Glorious Qur'an for collocation participates identifying the meaning of homonym accurately. Sometimes, the translator fails to give the exact meaning of some homonyms because he depends on one of the meanings of the homonym that is not intended in the translated Ayah.

1. Introduction

The miraculous nature of the Glorious Qur'an is represented by its language. This language, unlike ordinary language, underlies a variety of meanings. Rhetoricians and linguists have shown an increasing interest in it. The multiple meanings of the lexical item may lead to semantic ambiguity which poses real problems in determining the intended meaning to be conveyed. A number of ways are adopted by linguists to study the lexical items that have more than one meaning. One of them is the study of 'homonyms', which are lexical items that each one has different meanings.

This study aims at showing how to determine the meaning of the homonym by using collocation. By collocation, the reader or interpreter of the Glorious Qur'an can look at the words (lexical or grammatical) that accompany the homonym to determine its meaning. This is because most homonyms in Arabic collocate with different words according to the intended meaning. A homonym may have a specific meaning when it is followed by a specific preposition and it has another meaning when it is followed by another word. For example, the verb (ضَـرَبَ) collocates with the preposition (في) and the noun (الأرض) when it means 'travel' whereas it collocates with the noun (مَثَل) when it means 'clarified' or 'described' by giving examples.

The current study is confined to the study of homonyms rather than other lexical relations. It tries to show the role of collocation in determining the meaning of homonyms in the Glorious Qur'an.

It is hoped that the type of analysis conducted in this study will be useful for the purpose of understanding the Qur'anic language fully. It also, sheds valuable light upon the field of semantic study in the Glorious Qur'an. To the best of the researchers knowledge, a separate study entirely dedicated to the

semantic analysis of homonymy in the Glorious Qur'an has been lacking so far. This study is designed to fill such a gab.

To achieve the aims of this study, some relevant notions and definitions will be introduced in order to provide a background knowledge necessary to the data analysis. The data, that will be analyzed, consist of eight examples from the Glorious Qur'an with the analysis of two different translations of these examples to check to what extent the translators give equivalent translations to the studied homonyms.

2. Homonyms

Richards *et al* (1992:168) indicate that homonyms are "words which are written in the same way and sound alike but which have different meanings. For example, the English verb '*lie'* in *'you have to lie down'* and *'lie*' in '*Don't lie tell the truth!*'".

Crystal (2003:220) defines homonymy as "a term used in semantic analysis to refer to lexical items which have the same form but different in meaning. Homonyms are illustrated in the various meanings of bear (=animal, carry) or ear (of body, of corn)".

The use of one lexical item to refer to two or more different meanings is called (المشـترك) 'Al-Mushtarak' (homonymy) by Arab linguists. These different meanings must appear in one language. This concept is not agreed upon. Some people reject it, but many others show that it is possible to happen. It usually appears when two speakers use one lexical item to refer to different things. Sometimes, one speaker uses a lexical item to refer to different meanings to obscure or hide his intention. Many linguists show that 'homonymy' is necessary to happen because the lexical items are limited but the meanings or ideas are not limited. So, the need to express different meanings requires the existence of this phenomenon in language use. For example, the lexical item (عين) can be used in many meanings

like 'eye', 'spring', 'spy', 'cash', 'the same' ..etc. (Al-Sayuti, 1998:292-295).

Ma'an (2001:42) shows that (الاشتراك) 'homonymy' is one of the sources of the semantic richness of language. Linguists define it as the one lexical item that indicates multiple meanings. This phenomenon is named differently before Arab linguists agreed to call it (الاشتراك) or (المشترك).

Yule (2006:106-107) mentions that homonym is one form (written or spoken) that has two or more unrelated meanings. Example of homonyms are the pairs: bank (of river) – bank (financial institution), mole (on skin) – mole (small animal), and pupil (at school) – pupil (in the eye).

Mohammad (2007:111-112) shows that two characteristics must be available to consider the lexical item homonym which are:

1- The similarity or unity of the form of the lexical item. This means that the lexical item must be the same without any change that gives different meanings.
2- The difference of meaning that the same lexical item refers to.

   Butris (2003:7) adds another characteristic which is:

3- The multiple meanings of one lexical item must be real (not metaphorical) and used equally by language speakers. For example, the noun (الخـال) which means 'the mother's brother', 'mole in the face', 'big camel'…etc.

It seems necessary to regard the notion of polysemy because of its similarity and relevance to the identification of homonymy. According to Crystal (2003:359), polysemy is "a term used in semantic analysis to refer to a lexical item which has a range of different meanings, e.g. plain = 'clear', 'unadorned', 'obvious'…".

The distinction between homonymy and polysemy is not always clear cut. However, one indication to distinguish can be

found in the typical dictionary entry for words. If a word has multiple meanings (polysemic), there will be a single entry with a numbered list of the different meanings of the word. If two words are treated as homonyms, they will have two separate entries. Moreover, relatedness of meaning has a crucial role in determining the meanings of polysemy, whereas homonyms have quite separate meanings and have accidentally the same form. Another distinction is that where the differences found in the meaning of various words are regular and predictable, we have polysemy rather than homonymy. A different of establishing polysemy rather than homonymy is to look for a central meaning or a core of meaning. Though ambiguity can result from grammatical and lexical differences, it can be used as a criterion for establishing homonymy rather than polysemy (Palmer, 1981: 101-106; Leech, 1981: 227-229; Yule, 2006:107).

3. Reasons Behind the Appearance of Homonyms in Arabic

There are several reasons behind the appearance of homonymy in Arabic:

1- The semantic development or change , which means that a lexical item is used originally to refer to one thing. Then, its use is changed in a dialect to refer to another thing and both meanings start to be conveyed in the language. For example, the noun (الهَجرَس) means 'monkey' in Al-Hijaz dialect and it means 'fox' in Tameem dialect. This noun was originally used to refer to only one of these two animals, but its use is changed in one of these dialects to the other meaning.

2- Some morphological rules change the form of one word by the process of derivation and transformation to become like another word, which has a different meaning. For example, the verb (وَجَدَ), which means 'find' and 'to be angry'.

Muhammed Barjes Salman
Abid Hmood Ali
العدد (9) كانون الأول 2011 مجلة آداب الفراهيدي
The Role of Collocation in Determining the Meaning of Homonyms in the Glorious Qur 'an with Reference to English

3- The existence of different dialects in old Arabic. The lexical item may be used in one meaning in a dialect and in another meaning in other dialects.

4- The phonological development which the lexical item may have. For example, the noun (نقمة) 'indignation' is changed by this process through time into the noun (نأمة). The last noun is still have the meaning of its original noun with its other meanings.

5- The lexical item is transferred from its original meaning into its metaphorical ones. For example the noun (عين) means originally 'eye', then it is used metaphorically as 'spy'.

6- Sometimes, homonyms appear when a person wants to deceive others or to hide information by using one word in a way to seem as if it refers to a meaning other than its original meaning.

(Hilal, 2002:287-290; Butris, 2003:7)

4. Collocation

Halliday and Hassan (1976:284-288) indicate that collocation is one of the important lexical cohesive devices in text together with reiteration. Collocation achieves cohesion by the association of lexical items that regularly co-occur.

According to Crystal (2003:82), collocations is "a term used in lexicography by some linguists to refer to the habitual co-occurrence of individual lexical items. For examples, *auspicious* collocates with *occasion, event, sign, etc.* … Collocation is, then, a type of syntagmatic lexical relation."

Richards, et al (1992:62-63) show that the concept of collocation is concerned with the way in which words are used together regularly. It refers to the restrictions on how words can be used together, such as which prepositions are used with particular verbs, or which verbs and nouns are used together. For

example, in English the verb 'perform' is used with 'operation', but not with 'discussion':

1- The doctor performed the operation.

2- * The committee performed a discussion.

Instead, to make this last sentence correct, it can be said:

3- The committee held/had a discussion.

Some linguists differentiate between lexical collocation and grammatical collocation. Lexical collocation refers to the combination of two lexical items [nouns, verbs, adjectives and adverbs]. On the other hand, grammatical collocation refers to the combination of a lexical item with 'grammatical item or grammatical construction', like 'do in', 'put up with', 'on approval', 'under consideration', 'proud of'…etc. (Gramley and Pätzold, 1992:61).

A Distinction which is parallel to the open / restricted collocation is the grammatical / lexical collocations. Grammatical collocations are combinations which consist of a word and a preposition such as: depend on, afraid of, by heart or a grammatical structure an infinitive or a clause. On the other hand, lexical collocations consist of nouns, verbs, adjectives and adverbs (Abu-Ssaydeh, 1995:13).

Trask (1993:49) refers to collocational restrictions as one which is usually idiosyncratic or specific: 'grill' collocates with 'meat' but not with bread. This issue is explained by Hanna *et al* (1997:21) when they add that collocation is subject to some restrictions: (1) Agreement of collocation: this means the fitness of words with each other. It depends on our linguistic knowledge, e.g. the word 'pretty' does not go with 'man', so we say 'pretty girl' or handsome man; (2) collocation range: this means the range in which the words is used, e.g. the verb 'die' can be used with words such as: 'human being', 'animal' or 'plant'; (3) Collocation recurrence: this means that collocation has recurrence of some words which cannot be changed because of

the agreement of the speakers, e.g. we can say 'to make a journey' while we cannot 'to make a walk' but 'to take a walk'.

Johnson and Johnson (1999: 57) define collocation as " one of the binding forces in language, organizing lexis according to which words typically occur together and showing networks of word association".

The relations among vocabulary items in texts are of two principal kinds, which are collocation and reiteration. Collocation refers to the probability that lexical items will co-occur. On the other hand, reiteration means either restating an item in a later part of the discourse by direct repetition or reasserting its meaning by exploiting lexical relations. The role of played by collocation and reiteration distinguishes text from a random sequence unconnected sentences (Tehrani and Yeganeh, 1999:32-33).

McIntosh *et al* (2009:V) show that collocation runs through the whole of the English language and it can be seen that one can not find a piece of natural spoken or written English without collocation. Choosing the right collocation makes language much more natural and more native-speaker-like. For example, the one who says 'strong rain' will be understood by others, but it needs more effort by the listener [because originally 'rain' collocates the adjective 'heavy' not 'strong']. So, it can be said that one who chooses the best collocation will express himself or herself much more clearly and be able to convey not just a general meaning, but something more precise. This can be made clear in the following two sentences:

1- This is a good book and contains a lot of interesting details.

2- This is a fascinating book and contains a wealth of historical detail.

Both sentences are perfectly 'correct' in terms of grammar and vocabulary, but the second one is more clear because of the

use of correct collocations, which are 'fascinating' with 'book' and 'wealth' with 'detail'.

Concerning the current research, collocation will be studied according to its relationship with homonym (one lexical item has different meanings). This idea is adopted by Finch (2005:145) when he indicates that collocation refers to the tendency for certain words to occur together. Then, he mentions that one word may give different meanings according to the words that collocate it. For example, the word 'clear' can be found with a number of nouns with different meanings, for example: *clear* sky [without clouds] and *clear* idea [understandable]. Also, the word 'strong' has a completely different meanings, for example: *strong* tea [thick] and *strong* idea [good].

Collocations should not be confused with 'association of ideas'. The way lexemes work together may have nothing to do with 'ideas'. We say 'green' with 'jealousy' (not blue, red, .etc.), though there is nothing literally 'green' about 'jealousy' (Crystal, 1987:105).

Studying collocation is related to how words go together i.e. identifying which words may occur in constructions with other words. Some words often occur together, other words may occur together occasionally, and some combinations of words are not likely to occur. This means that collocation shows the occurrence of words together in the syntactic structure, so it is a matter of combination not of meaning. Idiom, on the other hand, are considered by some linguists as special collocation or fixed combinations of words. As opposed to collocation, idioms have a meaning as a whole, but the meaning of this combination is not the same as the meaning of the individual words that the idiom consist of. Idioms often have the same meaning as other lexical items in the language, but carry certain 'emotive connotations' not expressed in the original words that carry the same meaning. For

Muhammed Barjes Salman
Abid Hmood Ali
العدد (9) كانون الأول 2011
مجلة آداب الفراهيدي
The Role of Collocation in Determining the Meaning of Homonyms in the Glorious Qur'an with Reference to English

example, in English the idiom 'kick-the-bucket' has the same meaning as the verb 'die', but it shows a certain lack of respect. Also, the idiom 'hit the sack' means 'to go to bed', but is more informal (Larson, 1984:141-142).

Another important feature of collocations is that the constituents elements of collocations are, to varying degrees, mutually selective. The semantic integrity of a collocation is the more marked if the meaning of one of its constituents is contextually restricted. For example, the sense of 'heavy' requires narrowly defined contextual conditions: one may speak of 'a heavy smoker' or 'a heavy drug-user', a car may be 'heavy on patrol'. So, to select any one of these senses, one should depend on the immediate environment (Cruse, 1986:40).

Richards *et al* (1992:172) indicate that idiom is "an expression which functions as a single unit and whose meaning cannot be worked out from its separate parts. For example:

1- She washed her hands of the matter. Means: She refused to have anything more to do with the matter.

5. Data Analysis

Eight examples will be studied for showing The role of collocation in determining the meaning of homonyms in the Glorious Qur'an with reference to English with the analysis of two translations of these Ayas:

<u>SL Text:</u> (1 A)

((فَمَا لَنا مِن شافِعين ۞ وَ لا صَديقٍ <u>حَميم</u>)) (الشعراء: 100-101)

<u>TL Texts:</u>

(("Now, then, we have none to intercede (for us) "Nor a single friend to feel (for us),)) (Ali, 2001:920)

((Now we have no intercessors. Nor a <u>close</u> friend (to help us)))

(Al-Hilali and Khan, 2007:497)

SL Text: (1 B)

((وَ الذينَ كَفَروا لَهُم شَرابٌ مِن حَميم)) (يونس: 4)

TL Texts:

((But those who reject Him will have a drink of boiling fluids))

(Ali, 2001:480)

((But those who disbelieved will have a drink of boiling fluids))

(Al-Hilali and Khan, 2007:281)

Discussion:

The noun (حَميم) means 'close person who look after others' in the first Ayah whereas this noun means ' a very hot water' in the second Ayah (At-Tunji, 2003:143).

The meaning of the noun (حَميم) can be determined by collocation in these two Ayas. So, it means 'close' when it collocates lexically with the noun (صَديق) 'friend' and it means 'very hot' when it collocates lexically with the noun (شَراب) 'drink' because fluids can be very hot and the friends can be close and cannot be very hot.

Al-Hilali and Khan give an equivalent translation to the noun (حَميم) in the first Ayah because they use the adjective 'close' before the noun 'friend', whereas Ali does not use this adjective but he uses the phrase 'to feel for us' to convey its meaning. The noun (حَميم), in the second Ayah, is translated as 'boiling fluids' in both translations, which is equivalent.

SL Text: (2 A)

((وَ ما تُنفِقوا مِن خَيرٍ يَعلَمهُ الله)) (البقرة: 273)

TL Texts:

((And whatever of good ye give, be assured Allah knoweth it well))

(Ali, 2001:114)

((And whatever of you spend in good, surely, Allah knows it well))

(Al-Hilali and Khan, 2007:73)

SL Text: (2 B)

((وَ لتكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعونَ إلى الخَير)) (آل عمران: 104)

TL Texts:

((Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good))

(Ali, 2001:154)

((Let there arise out of you a group of people inviting to all that is good (Islam))) (Al-Hilali and Khan, 2007:100)

Discussion:

The noun (خَير), in the first Ayah, means 'money' and it means 'goodness' as opposed to 'badness' in the second Ayah (Al-Eŝfahani, 2004:181).

The verb (تنفق) 'spend' collocates with the noun (خَير) in the first Ayah, therefore the noun (خَير) means 'money' because money can be spent not goodness. On the other hand, the noun (خَير), in the second Ayah, means 'goodness' because it collocates with the verb (يدعو), which means inviting people to do good deeds.

Both translations of the first Ayah adopted the noun 'good' to translate the noun (خَير) in the SL text. They do not even refer to 'money', which is the interpretation of the noun (خَير) as indicated by many interpreters of the SL text. So, these two translations do not convey exactly the meaning of this noun into the TL text. In the second Ayah, the noun (خَير) is translated into the phrase 'all that is good' in both translations and this phrase represent equivalent translation.

SL Text: (3 A)

((رَبِّ اغفِر لي وَ لِوالِديَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيتيَ مُؤمناً وَللمُؤمنينَ وَالمُؤمِنات)) (نوح:28)

TL Texts:

(("O my Lord! Forgive me, my parents, all who enter my house in faith and (all) believing men and believing women)) (Ali, 2001:1537)

(("My Lord! Forgive me, and my parents, and him who enters my home as a believer, and all the believing men and women))

(Al-Hilali and Khan, 2007:780)

SL Text: (3 B)

((وَ رَبائِبِكُم التي في حُجورِكُم مِن نِسائِكُم اللاتي دَخَلتُم بِهِن)) (النساء: 23)

TL Texts:

((your step-daughters under your guardianship, born of your wives to whom ye have gone in)) (Ali, 2001:191)

((your stepdaughters under your guardianship, born of your wives to whom you have gone in)) (Al-Hilali and Khan, 2007:122)

Discussion:

The verb (دَخَلَ) means 'enter' in the first Ayah. It carries this meaning when it accompanies words that refer to a place or time and it can be seen that it accompanies the noun (بَيت) 'home' in this Ayah. In the second Ayah, it means 'to have sexual intercourse' and when it is used to convey this meaning in Arabic, it accompanies the preposition (بِـ) (grammatical collocation) followed by the noun (امرأة) 'woman' or a pronoun that refer to a woman (Al-Eŝfahani, 2004:186-187).

The verb 'enter' is used in the TL text as a translation of the verb (دَخَلَ) by both translations in the first Ayah, which represents an equivalent translation. The verb (دَخَلَ), in the second Ayah, is translated as 'have gone in' in both translations. This translation does not convey ca completely equivalent meaning because it may be understood as just going in with a woman in the same place whether other people are there with them or not

and without referring to what they do to make this rule be applied on them.

SL Text: (4 A)

((فَإن خِفتُم فَرِجالاً أو رُكباناً)) (البقرة: 239)

TL Texts:

((If ye fear (an enemy), pray on foot, or riding, (as may be most convenient))) (Ali, 2001:98)

((And if you fear (an enemy), perform Salat (pray) on foot or riding))

(Al-Hilali and Khan, 2007:64)

SL Text: (4 B)

((مِنَ المُؤمِنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ عَليه)) (الأحزاب: 23)

TL Texts:

((Among the believers are men who have been true to their Covenant with Allah)) (Ali, 2001:1062)

((Among the believers are men who have been true to their Covenant with Allah)) (Al-Hilali and Khan, 2007:562)

Discussion:

The noun (رِجال), in the first Ayah, means 'on foot' (Az-Zamakhshari, 2005:140). In the second Ayah, it means 'men' and it refers to a number of men who performed their covenant completely (ibid, 2005:852).

The noun (رِجال) 'on foot', in the first Ayah', collocates with the noun (رُكباناً) 'riding' and this makes its meaning clear because both of them are ways of moving or traveling from one place to another. In the second Ayah, it accompanies the noun (المُؤمِنينَ) 'believers', therefore it cannot refer to the meaning in the first Ayah, but it means 'men'. This is because men are those who can believe and the meaning of 'on foot' is not suitable here.

The prepositional phrase 'on foot' is used by both translations to convey the meaning of the word (رِجال), in the first Ayah. Also, the noun 'men' is used by both translations to convey

the meaning of the noun (رِجال) in the second Ayah. All of these translations are equivalent ones.

SL Text: (5 A)

((وَ إذا ضَرِبتُم في الأَرض)) (النساء: 101)

TL Texts:

((when ye travel through the earth)) (Ali, 2001:218)

((And when you (Muslims) travel in the land)) (Al-Hilali and Khan, 2007:138)

SL Text: (5 B)

((فاضرِبوا فَوقَ الأَعناقِ)) (الأنفال: 12)

TL Texts:

((Smite ye above their necks)) (Ali, 2001:416)

((So strike them over the necks)) (Al-Hilali and Khan, 2007:244)

SL Text: (5 C)

((وَ كلاً ضَرَبنا لَهُ الأمثال)) (الفرقان: 39)

TL Texts:

((To each on We set forth parables and examples)) (Ali, 2001:898)

((And for each (of them) We put forward examples as proofs and lessons)) (Al-Hilali and Khan, 2007:486)

Discussion:

The verb (ضَـرَبَ) and its derived forms are used in different meanings in the Glorious Qur'an. In the first Ayah, it means 'walk' or 'travel'. In the second Ayah, it means 'strike' and it means 'to clarify' or 'to describe' by giving examples or parables in the third Ayah (Mahmood, 2008:133-134).

These meanings of the verb (ضَـرَبَ) can be determined be collocation. It can be seen that whenever this verb means 'walk' or 'travel', it collocates grammatically with the preposition (في) followed by the noun (الأرض) 'earth'. When it means 'strike', it collocates nouns that refer to parts of the body or to the person

himself. Then the verb (ضَـرَبَ) means 'to clarify' or 'to describe' by giving examples, it collocates with the noun (مَثَل) or its plural form (أمثال) whenever it is used in the Glorious Qur'an.

Concerning translation, both translations use the verb 'travel' to convey the meaning of the verb (ضَـرَبَ) in the SL text that is equivalent. The verb (اضرب), which is the imperative form of the past tense form of the verb (ضَـرَبَ), is translated as 'smite' by Ali and as 'strike' by Al-Hilali and Khan. Both of them are equivalent translations because they carry the same meaning. In the third Ayah, the verb (ضَـرَبَ) is translated by Ali as 'set forth', which means 'clarify', and as 'put forward', which means 'show' by Al-Hilali and Khan. Both of these translations are equivalent because clarifying or showing the matter by giving examples or parables convey the intended meaning of the verb (ضَـرَبَ) in the SL text.

SL Text: (6 A)

((وَ كَتَبنا عَليهِم فيها أنَّ النَّفسَ بالنَّفسِ وَ العَينَ بالعَينِ وَ الأنفَ بالأنفِ وَ الأُذُنَ بالأُذُنِ وَ السِّنَّ بالسِّنِّ و الجُروحَ قِصاص)) (المائدة: 45)

TL Texts:

((We ordained therein for them: Life for life, eye for eye, nose for nose, ear for ear, tooth for tooth, and wounds equal for equal))

(Ali, 2001:262)

((And We ordained therein for them: life for life, eye for eye, nose for nose, ear for ear, tooth for tooth, and wounds for equal))

(Al-Hilali and Khan, 2007:163)

SL Text: (6 B)

((فيهِما عَينانِ تَجريان)) (الرحمن: 50)

TL Texts:

((In them (both) will be two springs flowing (free))) (Ali, 2001:1403)

((In them (both) will be two springs flowing (free)))

(Al-Hilali and Khan, 2007:723)

Discussion:

The noun (عَين) means 'eye' in the first Ayah and it means 'spring' in the second Ayah [but it is used in the dual form] (Al-Eŝfahani, 2004:396).

The noun (عَين), in the first Ayah, can be easily understood as 'eye' because it collocates with other parts of the body. In the second Ayah, it means 'spring' because the dual form of the noun (عَين) collocates lexically with the verb (تَجريان), which refers to the flowing of water from those springs.

The noun 'eye' represents an equivalent translation to the noun (عَين) in the first Ayah as it is used in both translations. Also, both translations use the noun 'spring' to refer to the dual form (عَينان) in the second Ayah, which is equivalent translation.

SL Text: (7 A)

((فَاغسِلوا وُجوهَكُم وَ أيديكُم إلى المَرافِقِ)) (المائدة:6)

TL Texts:

((wash your faces, and your hands (and arms) to the elbows))

(Ali, 2001:247)

((wash your faces and your hands (forearms) up to the elbows))

(Al-Hilali and Khan, 2007:155)

SL Text: (7 B)

((آمنوا بالذي أُنزِلَ عَلى الذينَ آمَنوا وَجهَ النَهار)) (آل عمران: 72)

TL Texts:

(("Believe in the morning what is reveled to the Believers))

(Ali, 2001:145-146)

(("Believe in the morning in that which is revealed to the believers (Muslims)))

(Al-Hilali and Khan, 2007:93)

Discussion:

The noun (وُجوه) is the plural form of the noun (وَجه), which means 'faces'. In the second Ayah, the word (وَجه) means 'the beginning' of the day (At-Tunji, 2003:508 and Al-Eŝfahani, 2004:584-585).

The noun (وُجوه) collocates with the noun (أيدي) 'hand' in the first Ayah and both of them are parts of the body. So, the noun (وُجوه) means 'faces'. In the second Ayah, the word (وَجه) must mean 'the beginning' because it collocates lexically with a noun that refer to time.

The noun (وُجوه) is translated as 'faces' in both translations and this represents an equivalent translation. The noun (وَجه) with noun (نَهار) 'day' are translated as 'the morning' and this conveys an equivalent meaning to the expression in the SL text because the morning is the first part of the day.

SL Text: (8 A)

((الشَّمسُ وَ القَمَرُ بِحُسبانٍ ۞ وَ النَّجمُ وَ الشَّجَرُ يَسجُدان)) (الرحمن:5-6)

TL Texts:

((The sun and the moon follow courses (exactly) computed; And the herbs and the trees – both (alike) bow in adoration)) (Ali, 2001:1397)

((The sun and the moon run on their fixed courses (exactly) calculated with measured out stages for each (for reckoning). And the herbs (or stars) and the trees both prostrate themselves (to Allah)))

(Al-Hilali and Khan, 2007:720)

SL Text: (8 B)

((وَ النَّجمِ إذا هَوى ۞ ما ضَلَّ صاحِبُكُم وَ ما غَوى)) (النجم: 1-2)

TL Texts:

((By the Star when it goes down – Your Companion is neither astray nor being misled)) (Ali, 2001:1377)

((By <u>the star</u> when it goes down (or vanishes). Your companion (Muhammad) has neither astray nor has erred))

(Al-Hilali and Khan, 2007:93)

<u>Discussion:</u>

The noun (النَّجم) in the first Ayah means 'herbs', which refers to the plants that grow without trunks as opposed to trees that have trunks. In the second Ayah, the noun (النَّجم) means 'the star', which goes or fall from the sky (As-San'ani, 2000:305).

The meaning of this noun can be determined in these two Ayas by collocation. In the first Ayah, it can be seen that the noun (الشَّمس) 'the sun' and (القَمَر) 'the moon' are collocated together because both of them are the most famous celestial or heavenly bodies for people . They are famous because the sun appears in the day and the moon appears at night. Then, (النَّجم) means 'herbs' because it lexically collocates with the noun (الشَّجَر) 'trees'. It cannot mean 'stars' because there is no relationship between stars and trees, but the relationship between herbs and trees is clear for their representing the only two kinds of plants concerning the way of growing. In the second Ayah, the noun (النَّجم) means 'star' for its lexical collocation with the verb (هَوى) 'went down' or 'fell down' because only stars may fall as opposed to 'herbs'.

The noun (النَّجم), in the first Ayah, is translated as 'herbs' by Ali, which is an equivalent translation. Al-Hilali and Khan also use the noun 'herbs', but they add 'or stars' between two brackets because some interpreters say that it means 'stars' and some of them say that it combines both meanings i.e. herbs and stars. Both Ali; and Al-Hilali and Khan use the noun phrase 'the star' to translate the noun (النَّجم) in the second Ayah and this translation is an equivalent one.

6. Conclusion

Base on what has been studied above, the following conclusions can be stated as follows:

1- One conclusion can be drawn from this research is that the study of meaning in the Glorious Qur'an cannot be dealt with in the scope of semantics as a single integrated discipline. Rather, it is a set of studies of the different uses of language in relation many different linguistic aspects of a text.

2- Collocation is of a vital role in determining the meaning of homonyms in the Qur'anic text whether a grammatical or lexical kind is employed.

3- It seems that a knowledge of the different meanings of homonyms with careful attention to the language used will be of benefit to identify more precisely the meaning of vocabulary items as they occur in the Glorious Qur'an.

4- Homonyms may be a source of ambiguity in the Glorious Qur'an. In this regard, collocation is a suitable way to get rid of it that collocation participates identifying the meaning of homonym accurately.

5- It seems that, sometimes, the translator fails to give the exact meaning of some homonyms because he depends on one of the meanings of the homonym that is not intended in the translated Ayah.

6- It is concluded that the semantic analysis of lexical relations can be a good means to understand the exact meaning of the lexical items in the Glorious Qur'an.

BIBLIOGRAPHY

Ali, A. Y. (trans.) (2001). *The Meaning of th Holy Qur'an*. 10th Edition. Beltsville: Amana Corporation.

Butris, Antonios (2003). *Al-Mu'jam Al-Mufasal fil-Adhdad*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Crystal, David (1987). *The Cambridge Encyclopedia of English Language*. Cambridge: Cambridge University Press.

--------------------- (2003). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. Oxford: Blackwell Publishing Ltd.

Cruse, D. A. (1986). *Lexical Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press.

Al-Eŝfahani, Al-Husein M. (2004). *Mu'jam Mufradat Alfaz al-Qur'an*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Finch, Geoffrey (2005). *Key Concept in Language and Linguistics*. England: Palgrave Macmillan Press.

Gramley, Stephan and Pätzold, Kurt-Michael (1992). *A Survey of Modern English*. London: Routledge.

Halliday, M. A. K. and Hassan, R. (1976). *Cohesion in English*. London: Longman.

Hanna, S. A. ; Husam Ad-Din, K. and Greis, N. (1997). *Dictionary of Modern Linguistics*. Beirut: Lebanon Library Publishers.

Hilal, Abdul-Ghaffar (2002). *'Ilm ul-Lugha Bein al-Qadeem wal-Hadeeth*. Cairo: Al-Jiresi.

Al-Hilali, M.T. and Khan, M.M. (trans.) (2007). *Interpretation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language*. Riyadh: Darussalam.

Larson, Mildred L. (1984). *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. New York: University Press of America.

Leech, Geoffrey (1981). *Semantic*s. 2nd Edition. England: Penguin Books.

Ma'an, Abbas Mushtaq (2001). *Al-Mu'jam Al-Mufasal fi Fiqh ul-Lugha*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Mahmood, A. Abdul-Fattah (2008). *Nadhariyat ul-Siyaq al-Qur'ani*. Amman: Dar Wa'il for Printing-Publishing.

McIntosh, C. ; Francis, B. and Poole, R. (2009). *Oxford Collocations Dictionary for Students of English. Oxford*: Oxford University Press.

Mohammad, A. Sh. (2007). *Al-Mushtarak Al-Lafdhi fil-Lughat-il-Arabiyah*. Baghdad: Markaz Al-Bohooth wad-Dirasat Al-Islamiyah.

Palmer, F.R. (1981). *Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press.

Richards, Jack, Platt, John and Platt, Heidi (1992). *Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics*. 2nd Edition. England: Longman.

As-San'ani, M. I. (2000). *Tafseer Ghareeb-ul-Qur'an*. Damascus: Dar Ibn Katheer.

Al-Sayūti, Jalal-ud-Deen (1998). *Al-Muzhir fi 'Ulūm il-Lughati wa 'Anwa'uha*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Abu-Ssayadeh, A.F. (1995) "An Arabic English Collocational Dictionary: Issues in Theory and Methodology." *Babel*. Vol. 41, No.1, PP. 12-23.

Tehrani, N.J. and Yaganeh, A.S. (1999). *A Dictionary of Discourse Analysis*. Tehran: Rahnama Publications.

Trask R. L. (1993). *A dictionary of Grammatical Terms in Linguistics*. London: Routledge.

At-Tunji, M. (2003). *Al-Mu'jam al-Mufaŝŝal fi Tafseer Ghareeb-il-Qur'an-il-Kareem*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Yule, George (2006). *The Study of Language*. 3rd Edition. Cambridge: Cambridge University Press.

Az-Zamakhshari, M.O. (2005). *Tafseer ul-Kashshaf*. Beirut: Dar El-Ma'rifah.

Muhammed Barjes Salman
Abid Hmood Ali
العدد (9) كانون الأول 2011 مجلة آداب الفراهيدي
The Role of Collocation in Determining the Meaning of Homonyms in the Glorious Qur'an with Reference to English

إشباع الحركة والاجتزاء بها عن حرف المد في اللهجات العربية القديمة

د. عمــاد حميــد أحمــد الخــزرجي
جامعــة تكــريت/ كليــة التربيــة للبنــات

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدلله المنعوت بجميل الصفات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الكائنات.

وبعد، فإنَّ الدراسات اللهجية واحدة من الدراسات التي أغنت علوم اللغة بالكثير من الفوائد، فضلاً عن حفظ الكثير من آثار العلماء وآرائهم، فأعتنى قسم من العلماء بدراسة اللهجات عناية كبيرة.

وعند اشتغال العلماء بالتأليف لم تأخذ الدراسات اللهجية حظاً وافراً في هذا المجال إذا ما قيست بالدراسات الأخرى كالدراسات النحوية والصرفية.

لقد أدرك علماء اللغة الأوائل الفرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة أو الحركات في المخارج والصفات، وعبَّروا عن هذا الفرق بعبارة دقيقة تدل على العمق والتذوق, وجعلوا ميدان دراستهم القراءات القرآنية والعربية الفصحى ولهجاتها.

ولما اطلعت على جهود الباحثين المحدثين في هذا المجال وجدتهم يتناولون (إشباع الحركة) ويهملون (الاجتزاء بها عن حرف المد)؛ فضلاً عن أنَّ الإشباع عندهم يكون في وسط الكلمة لا في طرفها، وهذا مما دفعني إلى بحث إشباع الحركة

والاجتزاء بها عن حرف المد في طرف الكلمة لا في وسطها، وجعلت ميدان دراستي اللهجات العربية القديمة مع الاستشهاد بالآيات القرآنية وقراءاتها.

واقتضت دراسة الموضوع أن ينقسم على مبحثين يسبقهما تمهيد وتليهما خاتمة.

تناولت في التمهيد (العلاقة بين الصوائت القصيرة والطويلة) وبينت أيهما بعضٌ من الآخر.

أما المبحث الأول فقد أخلصته للحديث عن (إشباع الحركة) معتمداً في بيانه على ثلاثة محاور هي: (إشباع حركة ضمير الغيبة المتصل) و(إشباع ضمة ميم الجمع) و (بقاء حرف المد في طرف الأفعال والأسماء).

وتحدثت في المبحث الثاني عن (الاجتزاء بالحركة عن حرف المد) مبتدئاً بـ (الاكتفاء بحركة ضمير الغيبة المتصل) ثم اتبعته بـ (حذف حرف المد في طرف الأفعال والأسماء).

وختمت البحث بخلاصة للنتائج التي توصلت إليها في دراستي.

وإذ أتقدم بهذا البحث أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الدارسين وينفعني بأجره (إنّ الله سميع عليم).

التمهيد

العلاقة بين الصوائت القصيرة والطويلة

تحدث علماء الصوت على المصوتات القصيرة من خلال علاقتها واجتماعها مع المصوتات الطويلة؛ فقد وردت عندهم إشارات إلى العلاقة الصوتية بين المصوتات الطويلة (حروف المد واللين) والمصوتات القصيرة (الحركات)، وهذه العلاقات يمكن وصفها بعلاقة الجزء بالكل، قال سيبويه (ت 180هـ): ((فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو))[1].

وقد أفاض ابن جني (ت 392هـ) في الحديث عن هذه الفكرة، وله عبارة مشهورة في ذلك، قال: ((اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو؛ فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو))[2].

أمّا ما ذكره ابن الأنباري (ت 577هـ) في قوله: ((وذهب الكوفيون إلى انه يجوز في ضرورة الشعر إشباع الحركات التي هي الضمة والكسرة والفتحة فينشأ عنها: الواو، والياء، والألف))[3].

فلا أجد فيه ما يدل على أنَّ الكوفيين يجعلون الحركات أصولاً لحروف المد.

ومسألة جعل الحركات أصولاً لأحرف المد ذهب إليها علماء التجويد كلهم لأنهم يقولون إنَّ إشباع الحركة يحدث عنه حرف مدّ ومنهم ابن الطحان (ت561هـ) في قوله: ((فإشباع الفتحة يحدث الألف، وبإشباع الضمة يحدث الواو، وبإشباع الكسرة تحدث الياء))[4].

في حين يرى ابن عصفور (ت 669هـ) أنّهما من جنس واحد، لكن الأصل هي المصوتات الطويلة بدليل قوله: ((... الضمة من جنس الواو...))[5]. وقوله: ((... الكسرة من جنس الياء))[6]، وقوله: ((... الفتحة من جنس الألف))[7].

يتبين من هذه النصوص أنَّ هذه الحركات هي من جنس الحروف ولذلك جاء بينهما توافق وتماثل في الخواص النطقية، بدليل وصف ابن جني لهذه الحركات (بالبعض).

قال ابن عصفور: ((وأمّا الحركات فلمّا كانت بعض الحروف عُمِلتْ على صورها فالضمة واو صغيرة على هذه الصورة (ـُـ) والفتحة ألف صغيرة ممتدة على طول الحرف، ولو لم تكن كذلك لالتبست بالألف وصورتها (ـَـ) والكسرة ياء صغيرة وجعلت من أسفل الحرف، لأنها قد يخل بها سرعة الخط فتلتبس بالفتحة وصورتها (ـِـ)))[8].

وفي الحق أنَّ ما ذهب إليه ابن جني إنّما هو خلاصة فكرة الخليل لهذه الأصوات إذ روي أنَّ شكل هذه الأصوات من صنع الخليل[9]. قال أبوعمرو الداني (ت444هـ): ((أعلم أنّ الحركات ثلاث: فتحة وكسرة وضمة فموضع الفتحة من الحرف أعلاه، لأنّ الفتح مُسْتَعْلٍ. وموضع الكسرة منه أسفله، لأنَّ الكسر مُسْتَفِلٌ. وموضع الضمة منه وسطه أو أمامه. لأنَّ الفتحة لما حصلت في أعلاه، والكسرة في أسفله، لأجل استعلاء الفتح وتسفُّل الكسر، بقي وسطه، فصار موضعاً للضمة... وَلتُجْعلْ علامةُ الحركة المُشْبَعَةِ، إن كانت فتحة، ألفاً مُضْجَعَةً))[10].

يتبين مما ذكر أنَّ الحركة جزء من حرف المد، والمد حركة طويلة، فالضمة صوت قصير، أمّا الواو فهي صوت طويل، وتُعَدُّ ضمّة طويلة المدى.

ويلاحظ أنّ الصوائت تشترك كلها في قوة إسماع عالية. تتميز به عن غيرها من أصوات اللغة، وهذا متأتٍ من طريقة خروجها الانطلاقية الحرة؛ لأنَّ مجرى الهواء

معها يندفع حراً طليقاً من الحلق حتى خروجه من الفم من دون أن يتعرض مرور الهواء لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً في مجراها قال الدكتور غانم قدوري: ((إذ لولا وجود تضييق، وان كان محدوداً، لما اختلفت أجراس الذوائب في السمع ولكانت صوتاً واحداً ينتج عن النغمة الحنجرية، لكن التضييق الذي تنشأ عنه الذوائب تضييق تجويفي لا موضعي))[11].

مما يدل على انعدام ظاهرة الاحتكاك في أثناء نطقها، وقد سمحَ لها عدم الاحتكاك، بأن تحمل طاقة أعلى بكثير مما تحمل الصوامت التي تفقد كثيراً من طاقتها في أثناء الاحتكاك بمواضع من آلة الصوت، ومما يزيد في قوة إسماع المصوتات إنها أصوات مجهورة، يهتز الوتران الصوتيان في أثناء نطقها[12]؛ وعليه فإنّها أصوات هوائية تفتقر إلى حيّز تنسب إليه، فخُصّص الجوف مخرجاً لها[13].

أمّا زمن النطق بهذه الأصوات، فلا شك أنَّ زمن النطق بالمصوت القصير (الحركة) يكون أقل من زمن النطق بالمصوت الطويل (حرف المد) عند الإشباع فضلاً عما تبينه كتابة المقاطع الصوتية، فالمصوت القصير يرمز له بـ (ـَ، ـِ، ـُ) في حين أن المصوت الطويل يرمز له بـ (ـَـَ، ـِـِ، ـُـُ).

المبحث الأول

إشبــــاع الحــــــركة

المراد بالإشباع هو الزيادة وإشباع الحركات أو تطويلها أو مطلها حتى ينشأ عنها حرف من جنسها، فمثلاً عند إشباع الكسرة تنشأ الياء المدية[14].

الذي أريد قوله انه قد تزاد الحركة طولاً لتتحول إلى حرف مد عند إشباعها، بزيادة زمن نطقها، فقد أثبتت الدراسة الصوتية القديمة والحديثة أنَّ الفرق بين المصوتات القصيرة والطويلة ليس في الكمية فقط بل يصاحب ذلك اختلاف في النوعية كذلك فالياء والواو لهما طبيعة مزدوجة ترد مرة مدية مصوتة ومرة أخرى شبيهان بالصوامت فالواو والياء في (يَقُوْلُ) و (يَبِيْعُ) غير الواو والياء في (قَوْل) و (بَيْع). قال ابن جني: ((الضمة قد تجري مجرى الواو، وهي واو صغيرة، كما أنَّ الكسرة ياء صغيرة، والفتحة ألف صغيرة. وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كنَّ مدات، نحو: رسالة وصحيفة وعجوز))[15].

وقد سبقه إليه سيبويه وعقد له باباً في كتابه سماه (باب الإشباع في الجر والرفع، وغير الإشباع والحركة كما هي) قال فيه: ((فأمّا الذين يُشبعون فَيُمَطِّطون وعلامتُها واو وياء، وهذا تُحكمه لك المشافهة، وذلك قولك يَضْرِبُها...))[16].

لقد عزا ابن جني إشباع الحركة إلى الضرورة مرة[17]، والى كونها لغة مرة أخرى[18].

وعلى ذلك فإنَّ لغتنا العربية هي لغة مثالية تعطي كل حركة حقها الصوتي بما ينسجم وقوانين اللغة فضلاً عن القوانين اللغوية التي تبين متى تُشْبَعُ الحركات، وَلِمَ تُشْبَعْ بدليل ما قاله الدكتور حسام النعيمي: ((... الحذف للسرعة، كما في{ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} وهذا النوع من الحذف وإن كان من مظاهر البداوة، إلاّ أنّه ورد في لغة الكتاب الكريم ليعطي السامع صورة السرعة في النطق وفي الحركة. إذ الآية

تصوّر حرص موسى على مقابلة العبد الصالح الذي آتاه الله من لدنه علماً، وكان فتى موسى قد نسي أن يذكر له ذهاب سمكتهما في البحر قرب الصخرة، فلمّا أحسّ بالجوع وأراد الغداء ذكر له ذلك، فكأن الآية تسهم بهذا الحذف في تصوير شوق موسى لسرعة اللقاء بسرعة الارتداد نحو المكان، فكانت سرعة اللفظ في الكلمة: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}، واشبع النطق إن شئت بالألف من كنا والياء من نبغي لترى الفرق بين لهفة المشتاق في النطق، وتراخي المتثاقل عن اللقاء))[19].

وقال الداني: ((المُحرّك من الحروف بالحركات الثلاث كوامل من غير اختلاس ولا توهين، يؤولان إلى تضعيف الصوت بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ، يوجبان الإتيان بعدهن بألف وياء وواو))[20].

ولا بد من التنبيه هنا أنَّ إشباع الحركات ابتدأ كعادة نطقية سرعان ما أصبحت سلوكاً صوتياً يحتذيه من اعتاد عليه.

فقد تختلف اللهجات العربية في نطق الصوائت القصيرة اختلافاً بيناً في بعض ألفاظها، فقد يحرك الحرف في لفظة بالكسر في لهجة ويكون بالضم في لهجة ثانية، وقد تُشْبَعُ الحركة حتى تكون حرف مد، أو يجتزأ حرف المد حتى يعود حركة من جنسه[21].

وذهب الدكتور غالب المطلبي إلى أنَّ التحول من درجة القصر إلى درجة الطول لم يحدث ليميز بين المعاني، وإنما كان لأسباب صوتية بحتة، أو لعادة نطقية معينة[22]. ويكثر إشباع الحركة في الشعر؛ لأنَّ الضرورة تتطلب شيئاً منه، ليستقيم الوزن، ومن ذلك ما أورده ابن جني في باب (مطل الحركات) من نحو ((الألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما أنشده أبوعلي لابن هَرْمة يرثي ابنه من قوله:

وأنت من الغوائل حين تُرمَى ومن ذمِ الرجال بمُنتزاحِ

يريد بمنتزح مفتعل من النازح))[23].

ومِمَّا ورد في الكلام النثري الذي تمثل فيه إشباع الفتحة ما حكاه الفراء (ت207هـ) : أكلت لحما شاة، أراد لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفاً[24]. وذكر ابن جني أنَّ مطل الحركة هنا له وظيفة وهي التذكير.

ولا أريد هنا أن أحصر كلَّ ما ورد من إشباع لأصوات المد في اللهجات العربية، ولكن أردت أن أعطي صورة تُعْرَفُ من خلالها المسلك الصوتي العام لهذه اللهجات إزاء هذه الظاهرة.

إن إشباع الحركة ظاهرة صوتية تكون في وسط الكلمة وطرفها، وسأقتصر في هذا المبحث ببيان إشباع الحركة في (طرف الكلمة) عند اللهجات العربية القديمة، ويتضمن ثلاثة محاور هي:

الأول- إشباع حركة ضمير الغيبة المتصل:

اختلفت اللهجات العربية في حركة الهاء في ضمير المفرد الغائب إذ ذكر سيبويه أنَّ الأصل في حركة الهاء هنا هو الضم وبعدها الواو، ولكن العرب تميل إلى كسرها نتيجة سبقها بياء أو كسرة، مع محافظة الضمير على أصله في لهجة أهل الحجاز من دون تغيير فـ ((أهل الحجاز يقولون: مررتُ بهُو قبل، وَلَدَيْهُو مالٌ، ويقولون: {فَخَسَفْنَا بِهِو وبِدَارِهُو الأرضَ}[25]))[26]. وروى الكسائي عن هوازن مثل ذلك[27]، وهذا يدلُّ على أنَّ أهل الحجاز ومعهم هوازن يضمّون هذا الضمير في الأحوال كلها.

وقال الفراء في ما ذكره عنه أبوحيان (ت745هـ): قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم من فصحاء اليمن يرفعون الهاء من {نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ}[28] وعليهما وعليهم وعليهن و{لَا رَيْبَ فِيهِ}[29] و{نزل بهِ}[30] وأهل نجد من بني تميم وقيس وأسد يكسرونها[31].

يفهم من هذا النص أنَّ الاختلاف لم يقتصر على ضمير الغائب المفرد بل تجاوزه ليشمل ضمير الغيبة في التثنية والجمع. ((فقريش وهوازن تذهبان إلى ضم الضمير الهاء تثنية وجمعاً إذا وقع بعد كسرة طويلة. وعلل أحد العلماء ذلك الميل بقوله: ((لأنّ الهاء لمّا كانت ضعيفة، لخفائها، خُصَّت بأقوى الحركات))[32].

والنظر في هذا الباب يدّلنا على أنَّ ضم الهاء في التثنية والجمع ((عليهُما وعليهُم وعليهُنّ)) فيه مسّوغ أنّ هاء الضمير هنا مضمومة في حال انفصالها ((هُما، وهُم، وهُن))، فلعلهم نظروا إلى ذلك في ضمهم إياها في حال الاتصال، ولاسّيما أنّ الكسرة الطويلة هنا، بمدّها، لا تمثّل تغايراً في النطق كما تمثله الكسرة القصيرة، فهي أي الكسرة الطويلة، بشبهها الساكن، عند القدماء، تتيح فرصة لإغلاق المقطع، فتتيح للّسان راحة لا تتيحها الكسرة القصيرة.

أما ضمهم الهاء مع المفرد فمُسْتَغْرَبٌ، لأنّه يخالف السعي الطبيعي إلى المجانسة الصوتية. ففي ((بِهُ)) ينتقل اللسان من الكسرةِ القصيرةِ إلى الضمة القصيرة، أي من حركة خلفية إلى حركة أمامية، والهاء لخفائها، تزيد من شدة هذا الانتقال وصعوبته على اللسان، لأنها تمنح الحركة الأمامية دفعاً سريعاً))[33].

في حين أنّ الدكتور غانم قدوري لا يرى استغراباً في ضم الهاء مع المفرد بدليل قوله: ((إنّ المشكل هنا ليس في ضم الهاء. فهذا أمر جارٍ على قواعد حركة هاء الضمير في لغة العرب، خاصة أنّ الياء إذا جاءت ساكنة وما قبلها مفتوح قربت من الحرف الصحيح، فصارت الهاء في (عَلَيْهِ) تشبه الهاء في (مِنْهُ) لأنَّ الياء صارت قريبة من النون بانفتاح ما قبلها، كما أنّها تشبه الهاء في (فِيه) لأنَّ الياء لا ينفك عنها اللين.فَمَنْ نظر إلى شبهها بـ (منه) ضم الهاء، ومَنْ نظر إلى شبهها بـ (فيه) كسر الهاء))[34]. قال النحاس (ت338هـ) في قوله تعالى: { فِيهِ هُدًى}[35] : ((والأصل: فيهو هدى، الاسم الهاء وزيدت الواو عند الخليل؛ لأنَّ الهاء خفيّة فقُوّيت

بحرف جلد متباعد منها وتبدل منها ياء لأنَّ قبلها ياء، أو يحذف لاجتماع الواو والياء عند سيبويه؛ ولاجتماع الساكنين)[36].

ونسب ابن الانباري هذا الرأي –أعني إشباع حركة الهاء فتصبح واواً نحو (فيهُو)– للكوفيين[37] ((إلا أنَّ البحث اللغوي المقارن اثبت صحة وجهة النظر التي قال بها الخليل والكوفيون، فالهاء هي القاعدة الضميرية للغائب في اللغة السامية، تقابلها الكاف في ضمائر المتكلم والخطاب في اللغة نفسها أي السامية))[38].

ويقول الكثير من العرب في الكلام المتصل: ((بِهُو، وبدارهُو ... وسكنت دارهو...))[39]، وإنَّ رجلاً من بكر بن وائل كان يقول: ((... منهمي ...))[40].

ولا شك أنَّ الأمثلة التي ذكرت تدل على وجود اختلاف لهجي ملموس بين لهجتي الحجاز ونجد ومن جاورهما؛ ففي الوقت الذي يميل فيه أهل الحجاز إلى المحافظة على إبقاء حركة الضمير (الضمة) وإشباعها في حالة ضمير المفرد الغائب نجد أهل نجد قد أخذوا بالإتباع فقالوا: بهِ ولديهِ وبدارهِ[41].

وبين سيبويه أنَّ الغاية من هذا الإتباع هو التخفيف واليسر بالنطق، وأشار إلى أنَّه يشبه إلى حد بعيد الإمالة فقال: ((فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها خفية كما أنَّ الياء خفية، وهي من حروف الزيادة كما أنَّ الياء من حروف الزيادة؛ وهي من موضع الألف، وهي أشبه الحروف بالياء. فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء))[42].

لا شك أنَّ حالة الانسجام الصوتي بين الصوائت القصيرة والطويلة تعد مرحلة متطورة في التطور الصوتي للهجات العربية وهذا يدلُّ على أنَّ ما استقرت عليه لهجة نجد موافقاً لما هو متداول في العربية الفصحى اليوم، في حين أنّ هذه الظاهرة عند أهل الحجاز لا تعدو أن تكون مرحلة من مراحل التطور؛ لأنَّ تنافر الحركات يكون اسبق من انسجامها[43].

استناداً لِمَا سبق فمطل الحركات يُحْمَلُ على ما يتصل باللهجات ولعل عزو هذه الظاهرة إلى هذه الأصوات (الألف والواو والياء) من دون غيرها يعود لما تمتلكه هذه الأصوات من قدرة على الاستطالة مراعاة للحالة النفسية التي تختلف بأختلاف حاجة الإنسان إلى التوقف أو إلى إطالة الصوت (مدّه). فهذه الأصوات تختلف في طولها وامتدادها. ويصف ابن جني (الواو، والياء، والألف) بأنّها ((أين وقعت، وكيف وجدت (بعد أن تكون بعضهن سواكن غير مدّغمات) ففيها امتداد ولين... وأن أصل المدّ وأقواه، وأعلاه، وأنعمه وأنداه، إنّما هو الألف)) [44]. وهذا يعني أنها حروف اتسعت مخارجها. وأنَّ أوسعها وألينها الألف.

الثاني- إشباع ضمة ميم الجمع:

إن إشباع حركة ميم الجمع كثير في كلام العرب؛ وما ورد من نصوص خير دليل على ذلك، إذ نجدهم غالباً ما يشبعون الحركة إلى الصوت الذي يماثلها من أصوات اللين. ومنه قراءة عبدالله بن كثير {عَلَيْهِمُو وَلَا الضَّالِّينَ}[45].

لقد تعدى اختلاف اللهجات العربية في حركة الضمير الغائب وإشباعها إلى حركة الميم التي تقع بعد هذا الضمير كما في (عليهم) إذ ((كان عبدالله بن كثير يصل الميم بواو، انضمت الهاء قبلها أو انكسرت فيقول : عليهمو غير المغضوب عليهمو ولا الضالين، وعلى قلوبهمو، وعلى سمعهمو وعلى أبصارهمو غشاوة))[46].

في حين جنحت تميم وعامة قيس إلى كسر الهاء، وإشباع كسرة الميم فقالوا: ((فيهمي وعليهمي، أمّا بنو أسد وكنانة من قيس فمالوا لتسكين الميم، فقالوا فيهمْ وعليهمْ ولا يحركونها إلاَّ عند التقاء الساكنين، وذلك هو الذي ساد في العربية الفصحى والقرآن الكريم:قال تعالى:{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[47].

أما لهجة سليم فقد جنحت إلى الإشباع فجاء فيها: فيهِمِ وعليهِمِ))[48].

وللعرب في نطق حركة هاء الكناية مذاهب بحسب ما يسبقها من حركة أو سكون، وبحسب نوع الحرف الساكن. وقد ذكر الدكتور غانم قدوري ملخصاً لحالاتها وعلى النحو الآتي[49] :

الحالة الأولى: إذا جاءت الهاء بعد حرف متحرك فحكمها الإثبات ليس إلاّ. وذلك نحو: لَهُ و، وعندَهُ و، وكتابُهُ و، وبكتابِه و، على لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول، كتابِهِ ي.

الحالة الثانية: إذا وقعت الهاء بعد حرف ساكن، والحرف الساكن قد يكون حرف لين أو حرفاً صحيحاً، فإن كان الساكن حرف لين ومد، فإن سيبويه اختار حذف الحرف بعد الهاء وإبقاء الحركة. نحو: عَلَيْهِ يا فتى، ولَدَيْهِ فلان، ورأيت أباهُ قبلُ، وهذا أبوهُ[50].

فإن كان الساكن قبل الهاء حرفاً صحيحاً فإنّ سيبويه رَجَّحَ إثبات الواو والياء بعد الهاء[51].

وقد استقرَّ الأمر في العربية الفصحى في زماننا على حذف الواو والياء بعد هاء الكناية والاكتفاء بالضمة والكسرة، إذا كان ما قبل الهاء ساكناً سواء كان حرفاً صحيحاً أو حرف لين ، فيقال: مِنْهُ، وأكرمْهُ، وفيهِ، وعليهِ، بضمة وكسرة فقط، وترك ما كان جائزاً من إلحاق واو أو ياء بعد الهاء.

الحالة الثالثة: إذا جاءت الهاء بعدَ فِعْلٍ معتلِ الآخر مجزوم، وذلك في مثل: يَرْضى ويغزو ويرمي، إذا اتصل بهذه الأفعال هاء الكناية ووقعت مجزومة فإن حرف اللين والمد في آخرها يحذف للجزم، فتتحول: يرضاه ويغزوه ويرميه إلى لم يَرضَهُ، ولم يَغْزُهُ، ولم يَرْمِهِ. وحكم هذه الهاء أن توصل بواو أو ياء لتحرك ما قبل الهاء، فيكون النطق: لم يَرْضَهُو، ولم يَغْزُهُو، ولم يَرْمِهِي وقد نص علماء العربية على جواز الإشباع وعدمه والإسكان في هذه الحالة[52].

الحالة الرابعة : في الوقف، قانون العربية أنَّ الوقف بالسكون، وهذه القاعدة تنطبق على حركة هاء الكناية، سواء كان ما قبل الهاء ساكناً أو متحركاً، وسواء كانت الحركة ضمة أو كسرة، متبوعة بواو أو ياء أم لا، فتقول: مِنْهُ، ولَهُ، وعَلَيْهْ، وفِيْهْ.

الحالـة الخامسـة: عند التقاء ساكنين، إذا كان ما قبل هاء الكناية متحركاً فإنها توصل بواو بعد الضمة والفتحة، وتوصل بياء بعد الكسرة والياء، وذلك نحو قوله تعالى: {وَكَانَ لَهُ وثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ي وَهُوَ يُحَاوِرُهُ و أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}[53].

وحكمها إشباع حركتها فيتولد منها حرف مدي يجانسها.

وإذا وقعت واو الصلة أو ياؤها قبل همزة فإنها تمدّ مدّاً زائداً، على نحو ما نلاحظ في {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ}[54].

وإذا أوقعت تلك الواو والياء قبل همزة الوصل، فإن ذلك يعني التقاء الساكنين، واو الصلة أو ياؤها والحرف الساكن بعد همزة الوصل التي تسقط عند إدراج الكلام. وتُطَبَّقُ حينئذ قواعد التخلص من التقاء الساكنين، وذلك بحذف الحرف الأول إذا كان حرف مد وإبقاء الحركة دليلاً عليه[55].

وأودُّ أن أشير هنا إلى انّه إذا سبقت هاء الضمير المضمومة ميم جمع وجب أن يفصل بينهما واو مدي لإشباع حركتها نحو: (قدمتموه) و (أسقيناكموه) و (أفنلزمكموها).

أما شرط حكم الصلة لهاء الضمير فهو أن تدل على ضمير مفرد مذكر غائب. وأن تقع بين متحركين. هذه الشروط إنْ لم يتحقق أحدها أمتنعت الصلة.

الثالث- بقاء حرف المدّ في طرف الأفعال والأسماء:

مثال بقاء حرف المدّ في الجزم قراءة حمزة {لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى}[56] بالنهي والجزم في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى}[57]. ذكر الفراء أنَّ لهذه القراءة وجهين هما: **الأول:** الرفع على الاستئناف هنا.

الثاني: الجزم مع بقاء الياء.

ويبدو من ذلك أنّه أجاز الاجتزاء بالسكون عن حذف الياء في الجزم بدليل قوله: ((أنَّه لو نوى حمزة (ولا تخشى) بالجزم، لكان صواباً. وإنْ كانت فيه الياء (الألف المقصورة)، لأنّ من العرب من قال ذلك، قال بعض بني عبس[58].

الم يأتيْكَ والأنباءُ تَنْمِي بما لاقت لَبُونُ بني زياد))[59]

فجاءت الياء في موضع كان ينبغي أن تحذف فيه؛ لأنها سبقت بأداة الجزم (لم) لكن من أثبتها حملها على الجواز .

وانشد بعض بني حنيفة [60].

هُزِّي إليك الجِذْعَ يَجْنِيْك الجَنَى

ولم يقل (يُجْنيِكِ) الجنى[61].

استنادا لِمَا تقدم فإنَّ علة بقاء الألف في الفعل المجزوم (ولا تخشى) هي أنَّ العرب جعلوا الصائت الطويل الساكن (الألف) بمنزلة الصامت الساكن، فتركت على سكونها كما فعل بـ (أحرف المدّ)، وبما أنَّ علامة الجزم الأصلية هي السكون عوملت الألف ساكنة معاملة الألف في (الم يأتيْكَ) و (يَجْنيْك) في حالة الجزم.[62]

ومثل هذا ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب (ت 437هـ) في أن الياء تعامل كسائر الحروف من حيث قبول السكون كعلامة للجزم.[63]

ومثال إشباع صوت اللين في الأسماء، ما أثبتته بعض اللهجات في بقاء لام اسم الفاعل في موضع ينبغي أن تحذف فيه[64]، ومنه في القرآن الكريم على بعض القراءات {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادي}[65].

يفهم من هذا ان الوقف على اسم الفاعل المعتل اللام في حالتي الرفع والجر يكون بالياء وبحذفها .

وروي عن يونس بن حبيب وسيبويه ((أنَّ ناساً من العرب يقولون: هذا قاضي إذا وقفوا فردوا في الوقف الياء))[66] وقد يشبعونها.

إنَّ قضية الإشباع وبقاء حرف المد في مواضع ينبغي أنْ يحذف فيها كثيرة الورود عند العرب، فهم ما يشبعون غالباً المصوت القصير (الحركة) إلى ما يماثله من المصوت الطويل (الألف والواو والياء).

المبحث الثاني

الاجتزاء بالحركة عن حرف المد

إنّ اجتزاء حرف المد وإضعافه يؤدي إلى رجوعه إلى حركة من جنسه لما تقدم من قولنا إن الحركات أبعاض الحروف؛ فدرجة الطول في صوت الألف تختزل إلى درجة القصر في صوت الفتحة، والحال كذلك فيما يخص اجتزاء حرفي الواو والياء المديتين، إذ يختزل الواو إلى ضمة والياء إلى كسرة[67] ، ولعل معترضاً يعترض فيقول: ((... لِمَ جرت الأشياء في الوصل على حقائقها دون الوقف؟ قيل: لأنَّ حال الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهن نحوه طِلْنَ، وشِعْنَ في الصوت، فوفين له، وزِدْنَ في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد))[68].

وقال الداني: ((والمُخفى شيئان: حرف وحركة، فإخفاء الحرف نقصان صوته، وإخفاء الحركة نقصان تمطيطها))[69].

وقد ذكر سيبويه أن اجتزاء حرف المد وحذفه خاصة ببعض القبائل بدليل أن ناساً كثيرين من قيس يحذفون الياء والواو اللتين هما علامة المضمر[70].

في حين أنَّ آخرين عدوه مسلكاً صوتياً يشكل في أحيان كثيرة مظهراً من مظاهر الضرورة الشعرية عند شعراء ينتمون إلى قبائل متباينة[71]. فإنه عند غير الشعراء يمثل لوناً من النطق اللهجي. فعند هذيل يقع الاجتزاء كثيراً بالكسرة عن الياء[72]، ويقع مثله في الواو عند غيرها من قبائل العرب مثل هوازن وعُليا قيس وأسد[73]. وتمثل اجتزاء حرف المد ورجوعه إلى حركة من جنسه في شواهد قرآنية كثيرة معلومة[74].

وفي كتب اللغة طائفة من المفردات أجْتُزِئت فيها الألف فتحولت إلى فتحة ونتج عن ذلك تحول صيغة (فاعيل) إلى (فعيل) كما في (آمين) تتحول إلى (أمين). وهو مظهر من مظاهر التخفيف عند العرب كما يقرر اللغويون[75].

ويبدو لي أنَّ الناطق باللغة يعطي كل حرف أو حركة حقه الصوتي الخاص به وما حدث هنا فهو عادة نطقية ليس إلاّ بدليل انّه ليس كل الناطقين يجتزئون أحرف المد.

وعليه فأنا أبحث ههنا غيابَ حرف المد في آخر الكلمة؛ لتخالف لهجي يوجد في هذه الكلمة نفسها، وهذا يعني أنَّ غياب حرف المد سيكون في طرف بنية الكلمة من دون أن أتجاوز ذلك إلى غياب هذا الحرف في تركيب هذه الكلمة أعني وسطها.

وقد وجدتُ أنَّ للاجتزاء أثراً في غياب الحرف على مستوى الكلمة فيما يأتي:

أولاً- الاكتفاء بحركة ضمير الغيبة المتصل:

إن تحريك ضمير الغائب المفرد المذكر، يمثل موضع اهتمام عند اللغويين المحدثين ويمثل موضع اختلاف بين اللهجات العربية القديمة. فتحريك هاء الغائب المفرد بالضم حين يكون مسبوقاً بكسرة أو ياء هو لغة عزيت إلى الحجاز[76]. فهم يقولون بِهُ وعليهُ وفيهُ، قال الفراء: ((لكل لغة مذهب في العربية، فأمّا من رفع الهاء؛ فإنّه يقول: أصلها رفع، في نصبها وخفضها ورفعها))[77]. وقال ابن جني في قراءة {نَوْتِهُ مِنْهَا}[78] لـ (سلام أبي المنذر): ((هذا على لغة أهل الحجاز))[79] يعني أنهم يضمون مطلقاً، وكان ابن شهاب الزهري يضم تلك الهاء في جميع القرآن، وهو مدني حجازي[80].

ونقل النحاس في حركة الضمير من قوله تعالى: {فِيهِ هُدًى}[81] خمسة أوجه، أجودها: فيهِ هُدى، بالكسر، ويليه: فيهُ هُدى بضم الهاء بغير واو[82].

قال ابن مجاهد (ت324هـ): ((قرأ نافع (فيه هدى)... مختلسة من غير أن يبلغ بها الياء))[83] ويعني بهذا أن نافعاً أراد بأختلاس الحركة هنا عدم تمطيطها حتى تبلغ ياء.

وجاء على لهجة الحجاز أيضاً قراءة حفص قوله تعالى: {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ}[84] بضم هاء الغائب[85] قال ابن مجاهد: ((يقرأ بضم الهاء وكسرها مختلستين فالحجة لمن ضم انه أتى بلفظ الهاء على أصل ما وجب لها والحجة لِمَن قرأه بالكسر فلمجاورة الياء ومثله {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ}[86]))[87].

فالضم لغة أهل الحجاز والكسر لغة غيرهم، قال السيوطي (ت911هـ): ((كسرها... لغة غير الحجازية، أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً))[88].

قال الدكتور غانم قدوري: ((أمّا ضم الهاء في (أنسانيهُ) فقد جاء على الأصل من تحريك هاء الكناية بالضم، لكن الذي رَجَّحَ الضم على الكسر في هذا الموضع لدى عاصم– رحمه الله – توالي الكسرات إذا كسر الهاء، حيث يكون النطق (أنسانِيهِ)، كسرة النون بعدها ياء وهي من جنس الكسرة، ثم كسرة الهاء، والهاء حرف خفي، فهو حاجز غير حصين. فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ هناك من كان يقرأ في الكوفة بإمالة الألف، أي (أنْسِينِيهِ)[89] تأكد لديه ضم هاء الكناية هنا ابتعاداً عن متوالية الكسرات في قراءة من كسرها أو أمال الألف فيها))[90].

وهذا مما أدركه أبو زرعة بن زنجلة (ت 450 هـ) بدليل قوله: ((قرأ حفص عن عاصم{وَمَا أَنْسَانِيهُ} بضم الهاء على أصل الكلمة، وأصلها بالضم، وإنّما عدل عن كسر الهاء إلى الضم لمّا رأى الكسرات من (أنسانيه) وكانت الهاء أصلها الضم، رأى العدول إلى الضم ليكون أخف على اللسان من الاستمرار على الكسرات))[91].

ويرى الدكتور أحمد علم الدين الجندي أنَّ ردّ حركة الضمير الغائب بعد الياء من الكسر الذي يقتضيه الانسجام الصوتي إلى (الضم) يمثل خاصة لغوية للحجازيين كونهم أهل حضر في حين أن أهل البادية يميلون إلى التماثل والمجانسة الصوتية بكسر الهاء[92].

يفهم من هذا الكلام مخالفته لِمَا قيل عن أهل الحضر في أنهم يميلون إلى الخفة، لأن المعروف عن تميم أنها قبيلة بدوية تميل إلى الضم لِمَا فيه من الخشونة كونه – أعني الضم – أثقل الحركات في حين أن الحجاز قبائل متحضرة تميل إلى الكسر لأنّ الكسر أخف من الضم فضلاً عن كونهم عرفوا برقة الحس ورهافة الشعور وعليه فما ذكره الدكتور أحمد علم الدين الجندي فيه تنافر صوتي يتنافى مع طبيعة اللغة فكيف استساغ الحجازي ورضي في أنْ ينقل لسانه من الكسر إلى الضم على ما فيه من قبح عندهم ولعل ما ذكره الدكتور حسام النعيمي يمثل مخرجاً لهذه القضية حيث قال: ((ولعل المخرج أنْ يقال إنّ ذلك سمع من بعض جفاة أهل الحجاز الذين كانوا أقرب إلى موضع البداوة منهم إلى موضع الحضارة))[93].

ويتحصل من أقوال علماء العربية أنّ للعرب في حركة هاء الكناية مذهبين، هما[94]: **المذهب الأول:** تحريكُهُ بالضم مطلقاً، وهو مذهب قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم. **المذهب الثاني:** تحريكه بالضم إلاّ إذا وقع بعد ياء أو كسرة فإنه يُحرَّكُ بالكسر، وهو مذهب أهل نجد من بني تميم وقيس وأسد.

وأود التنبيه هنا إلى أن بني عقيل، وأزد السراة، وبني كلاب لهجات تميل إلى تخفيف حركة هاء الغائب المفرد – أعني حذفها – بعد حرف الجر فتقول: في (لَهُ) : (لَهْ)[95].

أما لهجة هوازن فتلزم الضم على الهاء وإن سبقت هذه الهاء بحرف جر فتقول في: (عليهِ) (عليهُ)[96].

ثانياً- حذف حرف المد في طرف الأفعال والأسماء:

إنَّ حذف حرف المد هنا مظهر من مظاهر التخفيف عند ابن جني[97]، أو قد يمثل هذا لوناً من النطق اللهجي عند هُذيل اجتزاء بالكسرة عن الياء[98]. حيثُ تختزل فيها أحرف المد فتحول إلى حركات من جنس هذه الحروف تخفيفاً، نظراً لكثرة استعمال اللفظة[99].

وما جاءَ من ظواهر حذف أحرف المد واجتزائها بالحركات يمكن عزوه إلى قبائل بعينها لتوثيق ذلك[100].

فمّما ورد من اجتزاء الكسرة عن الياء في غير الجزم، ما ذكره الفراء في قراءة (يأتِ) إذ حذفت الياء في الوقف والوصل في قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ}[101]، قال الفراء: ((كتب بغير الياء وهو في موضع رفع ... وإنْ حذفتها في القطع والوصل كان صواباً؛ قد قرأ بذلك القراء))[102]. وقال الطبري (ت 310هـ): ((والصواب من القراءة عندي: (يوم يأتِ) بحذف الياء، وأنّها لغة معروفة لهذيل في الوصل والوقف إتباعاً لخط المصحف))[103].

يفهم من هذا أنَّ الياء حذفت في موضع كان ينبغي أنْ تذكر فيه لأنَّ الفعل المضارع جاء في موضع رفع .

ثم أخذ الفراء بالاحتجاج لمن وصلها محذوفة بدليل قوله: ((فمن حذفها إذا وصل، قال: الياء ساكنة، وكل ياء أو واو تسكُنان، وما قبل الواو مضموم، وما قبل الياء مكسور، فإن العرب تحذفهما. وتجتزئ بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء. وأنشد فيه بعضهم[104]:

كفّاك كفّ ما تُليق دِرهماً جُوداً وأخرى تُعطِ بالسيف الدَمَا[105]

ومثل هذا يفهم من قول مكي بن أبي طالب إذ انه ((اكتفى بالكسرة في الوصل، وأجرى الوقف على الوصل، فحذف...))[106].

أمّا ما يقف وراء حذف الياء في مثل هذه المواضع فهو الاستخفاف ليس إلاّ بدليل تصريح مكي بن أبي طالب بذلك قائلاً؛ ((والاختيار حذفها استخفافاً))[107]. لكن العكبري (ت616هـ) يجد أنَّ من حذفها اكتفى بالكسرة عنها، تشبيهاً لها بالفواصل[108]، ونظيرها قوله تعالى: {مَا كُنَّا نَبْغِ}[109] و {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}[110].

وقبل أن أنهي كلامي في هذه المسألة أود أن أبين أنَّ ابن كثير ونافعاً وأبا عمرو قد قرؤوا ((يوم (يأتي) لا تكلم نفس))[111]. بإثبات الياء في (يأتي) وصلا ووقفا[112]. وقد قرأ باقي السبعة بحذف الياء وصلاً ووقفاً إتباعاً لخط المصحف[113].

وفي الحقيقة أن ما حدث هنا هو قصر الحركة الطويلة التي هي واو المد إلى حركة قصيرة (الضمة) نتيجة ملاقاة الضمة الطويلة لساكن بعدها.

قالوا: حرف اللين عند حذفه من الخط يماثل قائم، فيكون الفعل مرفوعاً[114].

وقد اكتفوا بالضم عن الواو[115].

وذلك كقول العرب: قد ضربُ (بالضمة) بدل فضربوا بواو الجمع، وقد قالُ (بالضمة) بدل قد قالوا بواو الجمع.

وذلك في هوازن وعُليا قيس إذ اكتفوا من الواو بالضمة قبلها[116].

ومثل هذا قراءة بعضهم: {يوم ينادِ}[117] بحذف الياء من الفعل (ينادي)، وقراءة الجمهور: {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ}[118] بحذف الياء من الفعل (اتمدونني)، وهذا الحذف في لغة هذيل[119].

ومن هذا حذف الواو والاكتفاء بالضمة في (أقبل يضربه لا يَألُ)[120] وحذف الياء من (لا أدرِ)[121] و (ما أدْرِ ما تَقول)[122] والاكتفاء بالكسرة إذ أنَّ الفعل (أدري) سبق بأداة نفي في كلا المثالين والنفي لا يوجب حذف حرف المد بحسب ما قرره اللغويون من قواعد النحو العربي.

تحدثت آنفاً عن اجتزاء أحرف العلة في الأفعال، والآن أتكلم على اجتزاء أحرف المد في الأسماء.

وما حمل على الاجتزاء هنا قراءة عبدالله بن مسعود (الأيدِ) بحذف الياء في قوله تعالى: {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}[123]، إذ فسّرَ الفراء هذا الحذف على أمرين الأول: أن القارئ أراد (الأيدي) وحذف الياء نظيراً لـ {الْجَوَارِ}[124]، وهو صواب. والآخر: أنَّ (الأيد) بحذف الياء تكون أكثر تأييداً وأشد قوة[125]. في حين أسند الطبري قراءة (الأيد) بغير ياء إلى عبدالله[126] أما الدمياطي (ت1117هـ) فعدها من باب اجتزاء الكسرة عن الياء[127].

وقد عد ابن جني ذلك مظهراً من مظاهر التخفيف[128]، أو إرادة القوة في قراءة الحسن البصري[129]، والأعمش وغيرهما[130].

ويبدو – والله أعلم – أن ما هذا إلا لونٌ من النطق اللهجي الذي ذهبت إليه هذيل في اجتزائها الحركات عن الحروف[131]. فكثيراً ما يُجْتَزَأ حرف المد بتحويله إلى حركة من جنسه، وعلة ذلك كثرة استعمال اللفظة بحسب ما ذهب إليه سيبويه[132]، وابن جني[133].

ومنه حذف بعض اللهجات لام اسم الفاعل في موضع ينبغي أن تثبت فيه[134]، فقد جاء في القرآن الكريم على بعض القراءات: {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[135]، وقوله: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}[136]. قال ابن مجاهد: ((قرأ عاصم وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبوعمرو... بالياء في الوصل وبغير ياء في الوقف))[137].

ومن هذا القبيل أيضاً ما جاء في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم الذي حذفت فيه الياء وعوض عنها بالكسرة على لغة من اللغات، وهي اللغة الفصحى نحو قراءة الجمهور: {رَبِّ احكُم}[138]. ويرى ابن جني أنَّ هذا النداء من قبيل النكرة

المقصودة[139]. في حين عَدَّهُ غيره من قبيل المضاف إلى ياء المتكلم الذي حذفت منه الياء فعومل بعد حذفها معاملة المنادى المفرد[140]. أي أنها قُرِئتْ بكسر الباء اجتزاءً بالكسرة عن ياء الإضافة وهي الفصحى[141].

فحذف الياء المتطرفة في المنقوص أو ياء المتكلم في القراءات لهجة عزيت إلى هذيل كما ذكرت آنفاً، وإثباتها إلى الحجاز .

من خلال ما تقدم نرى جنوح لهجة هذيل وأسد وهوازن وعليا قيس للتخلص من أصوات المد بتقصيرها والصوت الذي مالت لتقصيره هو الواو، والياء وذلك لما يتطلبه هذان الصوتان من جهد كبير إذا ما قيست هذه الأصوات بنطق الضمة والكسرة وعليه فعلة الاجتزاء هنا هي الخفة فضلاً عن كثرة استعمال اللفظة وهذه سمة من سمات القبائل العربية التي قطنت في البادية؛ مما يؤكد على أن هذا مسلكٌ صوتي لا يتأتى لكل الناطقين باللغة بل تقول به بعض القبائل دون بعضها الآخر.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اجتزاء أحرف العلة وتحويلها إلى حركات يمثل إحدى السبل للتخلص من أصوات المد الطويلة.

الخاتمة

انتهى البحث إلى جملة من النتائج أوجزها في النقاط الآتية:

1- أنَّ الحركات أبعاض حروف المد وعليه فهذه الحركات (الفتحة والضمة والكسرة) هي من جنس الحروف، ولذلك جاء بينهما توافق وتماثل في الخواص النطقية.
2- إنَّ إشباع الحركة لا يؤدي غرضاً معنوياً بل يؤدي غرضاً صوتياً أو عادة نطقية في بعض الشواهد الشعرية اللهجية أو الشاذة .
3- مالت قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم إلى تحريك ضمير الغيبة المتصل بالضم في حين أن أهل نجد من بني تميم وقيس وأسد يكسرونها.
4- لم يقتصر الاختلاف بين اللهجات العربية في حركة الضمير الغائب، وإشباعها بل تعدى ذلك إلى حركة الميم التي تقع بعد هذا الضمير.
5- لقد جنحت تميم وعامة قيس إلى كسر الهاء وإشباع كسرة الميم فقالوا في (عليهِم) (عليهمي) أما بنو أسد وكنانة من قيس فمالوا إلى التسكين، وعدم الإشباع فقالوا (عليهم).
6- أنَّ أصوات المد تمتلك قدرة على الاستطالة مراعاة لحالة الإنسان النفسية وهذا مما جعل عزو هذه الظاهرة إلى هذه الأصوات من دون غيرها.
7- تميل لهجة هذيل إلى الاجتزاء بالكسرة عن الياء في حين أنَّ هوازن وعليا قيس وأسد تميل إلى الاجتزاء بالضمة عن الواو.
8- أنَّ اجتزاء أحد أحرف المد في وسط الكلمة يؤدي إلى تحول من صيغة إلى صيغة أخرى، فاختلاف الصيغة هذا يؤدي إلى اختلاف المعنى .
9- أجازت القبائل العربية اجتزاء الحروف بالحركات في الشعر، وحمل ذلك على الضرورة.
10- إنَّ غياب أحرف المد في آخر الكلمة يكون أحياناً لتخالف لهجي يوجد في الكلمة نفسها.
11- حذف حرف العلة أو ياء المتكلم في القراءات لهجة عزيت إلى هذيل في حين أن إثباتها عُزِيَ إلى الحجاز.
12- أنَّ المصوتات الطويلة قد تتعرض للاجتزاء فينقص زمن نطقها المألوف وتصير حركة ضعيفة.

الهوامش

(1) الكتاب 4/ 242.

(2) سر صناعة الإعراب 1/ 17.

(3) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين (مسألة 109، 749/2).

(4) مرشد القارئ ص57.

(5) الممتع في التصريف 447/2.

(6) المصدر نفسه 447/2.

(7) شرح جمل الزجاجي 347/2.

(8) المصدر نفسه 355/2.

(9) ينظر: الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والموضوعية ص22، و 26 (دوريات).

(10) المُحْكم في نقط المصاحف ص42-45.

(11) المدخل إلى علم أصوات العربية ص143.

(12) ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية ص94.

(13) ينظر: العين 57/1.

(14) ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص57، وحجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية ص51.

(15) المنصف 1/ 213.

(16) الكتاب 202/4.

(17) ينظر: سر صناعة الإعراب 1/ 31 .

(18) ينظر: الخصائص 2/ 348 - 349، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص326 - 327.

(19) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص209.

(20) التحديد في الإتقان والتجويد ص97.

(21) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص209.

(22) ينظر: في الأصوات اللغوية ص296.

(23) الخصائص 348/2.

(24) ينظر: المصدر نفسه 349/2.

(25) القصص 81.

(26) ينظر: الكتاب 195/4، والحجة في علل القراءات السبع 46/1، ولهجة قبيلة أسد ص143.

(27) ينظر: لهجة قريش ص150.

(28) الحجر 6 .

(29) السجدة 2 .

(30) الشعراء 93.

(31) ينظر: البحر المحيط 541/7، ولهجة قبيلة أسد ص143 .

(32) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص123.

(33) لغة قريش، دراسة في اللهجة والأداء ص202.

(34) ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص60-61.

(35) البقرة 2.

(36) إعراب القرآن للنحاس 1/ 179 - 180 .

(37) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين (مسألة 96، 680/2-682)

(38) الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ص58 .

(39) الحجة في علل القراءات السبع 52/1.

(40) المصدر نفسه 52/1 .

(41) لهجة قبيلة أسد ص145 .

(42) الكتاب 4/ 195 .

(43) ينظر: لهجة قبيلة أسد ص144 .

(44) ينظر: الخصائص 353/2، وسر صناعة الإعراب 8/1، والتوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن) ص128 .

(45) الفاتحة 7. تنظر: القراءة في الحجة في علل القراءات السبع 1/ 71.

(46) المصدر نفسه 42/1 .

(47) الفاتحة 7 .

(48) ينظر: لهجة قبيلة أسد ص144 .

(49) ينظر: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص43-47.

(50) ينظر: الكتاب 189/4.

(51) ينظر: المصدر نفسه 190/4.

(52) ينظر: ارتشاف الضرب 468/1.

(53) الكهف 34.

(54) الكهف 37.

(55) ينظر: شرح الشافية 309/2.

(56) طه 77 .

(57) طه 77 .

(58) نسب البيت إلى قيس بن زهير. ينظر: الكتاب 315/3، والخصائص 333/1.

(59) معاني القرآن للفراء 187/2- 188 .

(60) لم أقف على قائله.

(61) ينظر: معاني القرآن للفراء 187/2- 188 .

(62) ينظر: المصدر نفسه 187/2- 188 .

(63) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 102/2 .

(64) ينظر: المهذب في علم التصريف ص259 .

(65) الرعد 7 .

(66) المسائل الشيرازيات 117/1 .

(67) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص207 .

(68) الخصائص 125/3 .

(69) التحديد في الإتقان والتجويد ص96 .

(70) ينظر: الكتاب 211/4 .

(71) ينظر: ضرائر الشعر لابن عصفور ص126 .

(72) ينظر: اللهجات العربية في التراث للجندي 682/2 .

(73) ينظر: الكتاب 301/2، ومعاني القرآن للفراء 91/1 .

(74) ينظر: معاني القرآن للفراء 90/1 .

(75) ينظر: المحتسب 4/2، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص57 .

(76) ينظر: الكتاب 195/4، ولهجة قريش ص257 .

(77) معاني القرآن 5/1 .

(78) الشورى 30 .

(79) المحتسب 249/2 .

(80) ينظر: اللهجات العربية في التراث 271/1، والظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ص59 .

(81) البقرة 2 .

(82) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 129/1 .

(83) كتاب السبعة في القراءات 120/1 .

(84) الكهف 63. تنظر القراءة في المحتسب 128/1، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص63 .

(85) ينظر: لهجة قريش ص257 .

(86) الفتح 10. تنظر القراءة في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص395، والكشف عن وجوه القراءات 280/2 .

(87) كتاب السبعة في القراءات 226/1 .

(88) همع الهوامع 59/1 .

(89) كان ألكسائي يقرأ هذه القراءات (ينظر: السبعة في القراءات ص393).

(90) ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص59-60.

(91) حجة القراءات ص422.

(92) ينظر: اللهجات العربية في التراث 270/1- 271 .

(93) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص210.

(94) ينظر: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص41.

(95) ينظر: الخصائص 128/1، ودراسة في اللهجات العربية القديمة ص39، والمستويات اللغوية في لهجة بني عقيل ص135 .

(96) ينظر: الخصائص 128/1، والمستويات اللغوية في لهجة بني عقيل ص135.

(97) ينظر: المحتسب 233/2، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص58.

(98) ينظر: اللهجات العربية في التراث 682/2 .

(99) ينظر: الكتاب 4/ 183، والخصائص 135/3.

(100) ينظر: الكتاب 4/ 211.

(101) هود 105.

(102) معاني القرآن للفراء 27/2، وينظر: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن) ص128.

(103) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 479/15 .

(104) لم أقف على قائله. ورد في الخصائص 320/2 .

(105) معاني القرآن 27/2 .

(106) الكشف عن وجوه القراءات 322/1، وينظر: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن) ص128.

(107) المصدر نفسه 322/1 .

(108) ينظر: التبيان في إعراب القرآن 714/2 .

(109) الكهف 64 .

(110) الفجر 4 .

(111) هود 105 .

(112) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 302/2. وفي اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ص50 .

(113) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 479/15، وكتاب السبعة في القراءات 228/1

(114) ينظر: دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي ص171 .

(115) ينظر: معاني القرآن 91/1، دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي ص171 .

(116) ينظر: معاني القرآن 91/1، دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي ص171 .

(117) ق 41. تنظر: القراءة في كتاب السبعة في القراءات 607/1.

(118) النمل 36 . وتنظر: الكتابة في معاني كتاب القراءات ص357-358.

(119) ينظر: في اللهجات العربية ص150 .

(120) المصدر نفسه ص150 .

(121) المصدر نفسه ص150 .

(122) جامع البيان في تفسير آي القرآن 15/ 479 .

(123) ص45 .

(124) الشورى 32. تنظر القراءة في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص220 .

(125) ينظر: معاني القرآن للفراء 406/2- 407 .

(126) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 216/21 .

(127) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص666 .

(128) ينظر: المحتسب 233/2.

(129) ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص58 .

(130) ينظر: المحتسب 233/2، وإعراب القرآن للنحاس 466/3 .

(131) ينظر: اللهجات العربية في التراث 682/2 .

(132) ينظر: الكتاب 183/4.

(133) ينظر: الخصائص 135/3.

(134) ينظر: المهذب في علم التصريف ص259 .

(135) البقرة 186. تنظر القراءة في كتاب السبعة في القراءات 197/1 .

(136) الأعراف 178 .

(137) كتاب السبعة في القراءات 197/1 .

(138) الأنبياء 112 .

(139) ينظر: المحتسب 69/2، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص312 .

(140) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 84/3 .

(141) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص557.

المصادر

1- أبوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: الدكتور علي جابر المنصوري، ط1، مطبعة جامعة بغداد، 1987م.

2- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين احمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي (ت1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1419هـ - 1998م.

3- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبوحيان محمد بن يوسف (ت 745هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى احمد النحاس 1404هـ - 1984م.

4- إعراب القرآن: أبوجعفر النحاس (ت 338ه)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ - 1988م.

5- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: كمال الدين أبوبركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سيد الانباري النحوي (ت 577ه)، ط4، دار إحياء التراث العربي، 1380هـ - 1961م.

6- البحر المحيط: أثيرالدين أبوحيان الأندلسي الغرناطي الجياني (ت 745 هـ)، ط1، مطبعة السعادة، 1328 هـ .

7- التبيان في إعراب القرآن: ابوالبقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1407هـ - 1987م.

8- التحديد في الإتقان والتجويد: أبوعمر وعثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمان، عمان، 1421هـ - 2000م.

9- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن): الدكتور طه صالح أمين آغا، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1428هـ - 2007م.

10- جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبوجعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.
11- الحجة في علل القراءات السبع: أبوعلي الفارسي (ت377 هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه، مصر (ب-ت) .
12- حجة القراءات لابن زنجلة: أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (ت 450هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ-1982م.
13- الخصائص: أبوالفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالحميد هنداوي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1429هـ - 2008م .
14- دراسات في اللهجات العربية القديمة: الدكتور داوود سلوم، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1986م.
15- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (ب- ت)
16- دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي: الدكتور احمد عبدالتواب الفيومي،ط1، القاهرة، 1426هـ - 2005م.
17- الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والموضوعية: جعفر بابوش، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد (2)، 1416هـ - 1995م.
18- سر صناعة الإعراب: أبوالفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: الدكتور حسين هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق، 1985م.
19- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الاشبيلي (ت669 هـ)، تحقيق: الدكتور صاحب ابوجناح، سلسلة إحياء التراث الإسلامي (42)، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1402هـ - 1982م.
20- شرح الشافية: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت هـ)، تحقيق: محمد الزفزاف آخرين، مطبعة حجازي، القاهرة.

21- ضرائر الشعر: ابن عصفور الاشبيلي (ت669 هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1980م.
22- الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز: الدكتور صاحب أبوجناح، مطبعة جامعة البصرة، 1408هـ - 1988م.
23- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: الدكتور صاحب ابوجناح، ط1، مطابع جامعة الموصل، مديرية مطبعة الجامعة، 1405هـ - 1985م.
24- ظواهر لغوية في القراءات القرآنية: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، الأردن، 1427هـ - 2006م .
25- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ).
26- في الأصوات اللغوية - دراسة أصوات المد العربية: الدكتور غالب فاضل ألمطلبي، دار الحرية للطباعة، 1984م.
27- في البحث الصوتي عند العرب: الدكتور خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة (124)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1403هـ - 1983م.
28- في اللهجات العربية القديمة: الدكتور إبراهيم السامرائي، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994م.
29- الكتاب: أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180 هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت (ب - ت) .
30- كتاب السبعة في القراءات: أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت324هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة 1400 - 1980م.
31- كتاب معاني القراءات: الشيخ أبومنصور الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
32- الكشف: عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1394 هـ - 1974م .

33- لغة قريش – دراسة في اللهجة والأداء: الدكتور مهدي حارث الغانمي، ط1، بغداد، 2009م.
34- اللهجات العربية في التراث: الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1398هـ – 1978م.
35- لهجة قبيلة أسد: الدكتور علي ناصر غالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
36- لهجة قريش وأثرها في العربية: علي جميل عباس السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1399هـ – 1979م.
37- المحتسب: في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبوالفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه، القاهرة 1386هـ – 1966م.
38- المُحْكم في نَقْط المصاحف: ابوعمر عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية 1418هـ – 1997م.
39- المدخل إلى علم أصوات العربية: الدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1423هـ – 2002م.
40- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم القارئ:عبدالعزيز بن علي بن الطحان (ت 561 هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، ط1، دار النشر، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ – 1999م.
41- المسائل الشيرازيات لأبوعلي الفارسي (ت377 هـ)، تحقيق: علي جابر المنصوري، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1976م.
42- المستويات اللغوية في لهجة بني عقيل: شيماء حازم خليل بكر، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، كلية التربية للبنات، 1426 هـ – 2006م .

43- معاني القرآن: أبوزكريا الفراء (ت 207هـ)، ط1، عالم الكتب، بيروت، (ب – ت).
44- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: محمد يحيى سالم الجبوري، (أطروحة دكتوراه)، الجامعة الإسلامي، كلية اللغة العربية وعلوم القرآن، 1425هـ – 2004م.
45- الممتع في التصريف: ابن عصفور الاشبيلي (ت669 هـ)، تحقيق: الدكتور فخرالدين قباوة، ط5، الدار العربية للكتاب، 1403 هـ.
46- المنصف: في شرح تصريف المازني: أبوالفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، ط1، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي، القاهرة، 1954م .
47- المهذب في علم التصريف: الدكتور هاشم طه شلاش، والدكتور صلاح مهدي الفرطوسي، والدكتور عبدالجليل عبيد حسين، بيت الحكمة، بغداد، (ب – ت).
48- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911 هـ)، عنى بتصحيحه السيد محمد بدرالدين النعساني، ط1، الأستانة، مصر، 1327هـ.

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت وذي القرنين - عليهما السلام - في القرآن الكريم

م.د. مؤيد نصيف جاسم
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات/ قسم علوم القرآن

مُقَدِّمَة

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، مكور الليل على النهار ،ومكور النهار على الليل ،عبرةِ لأولي الأبصار ،وتبصرةِ لأولي العقول والاعتبار ، حيّرت في عظمته الأفكار وعميت عن إدراكه الأبصار ،وأصلّي وأسلّم على سيد الأولين والآخرين سيد الأبرار سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله ،وعلى آله الطيبين الأطهار ،وأصحابه الغرِّ الميامين الأبرار ،وعلى من اهتدى بهديه، وعلى منهجه وسنته اقتفى وسار .

وبعد:

فإنّ الله تعالى قصّ علينا في القرآن العظيم كثيراً من القصص التي فيها بيان مناهج الأنبياء والمصلحين في الدعوة إلى الله، وقد تضمنت قصصهم الكثير من الدروس والعبر التي أمرنا بالاستفادة منها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ فقال تعالى : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)) [1]، ومن الجوانب المهمة التي عالجها القصص القرآني جانب سياسي يتعلق بأمور الحكم والسلطان إذ تضمنت بعض قصص القرآن دلالات وإشارات سياسية كبيرة ، كما ورد في قصص يوسف ، وداود ،وسليمان ، وطالوت،وذي القرنين ـ عليهم السلام ـ ، وقد استنبط العلماء من هذه القصص العديد

من الأحكام السياسية المتعلقة بأمور الحكم والسياسة ، فكانت هذه القصص دليلاً واضحاً على تلك الأحكام ، ولذا كان من المهم تناول هذه الأحكام بدراسات خاصة، لأنّ الفقه السياسي يحتاج إلى تأصيل قرآني ،حتى تخضع أحكامه للثوابت القرآنية المذكورة في هذه القصص،ليكون الأساس الذي يستند إليه فقه السياسة الشرعية هو القرآن الكريم ؛ لأنّه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد رأيت في هذا البحث أن أجمع أهم أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت ،و ذي القرنين اللذين اتفق على أنّهما كانا ملكين صالحين ، ولكن اختلف في نبوتهما ، وقد تضمنت قصصهما دلالات سياسية مهمة يمكن للحكام والساسة الاستنارة بها والاستفادة منها ،وقد تضمنت قصتهما الكثير من الأحكام الشرعية العقائدية والفقهية والأخلاقية والاقتصادية ، ولكنني اقتصرت في بحثي المتواضع هذا على جمع الأحكام المتعلقة بفقه السياسة الشرعية فقط دون غيرها ؛ لتعم الفائدة بها ، وربما فاتني بعضها ؛ لأنني تتبعت كتب التفسير وكتب السياسة الشرعية، وجمعت أهم ما عثرت عليه من أحكام وإشارات ، واستنباطات تتعلق بها الجانب ، ومع هذا فقد كانت المصادر التي تناولت هذا الموضوع متفاوتة فبعضها كان مصدراً أساسياً بالنسبة لي لكثرة الأحكام والفوائد والاستنباطات التي تضمنها وقد أغنى البحث كـ(كتاب الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي ، و(كتاب المستفاد من قصص القرآن) للدكتور عبد الكريم زيدان، بينما وجدت أنّ الكثير من كتب التفسير ، وحتى المتعلقة منها بالأحكام ـ، اقتصرت على ذكر المعنى الإجمالي للآيات التي ذكرت فيها القصص ، وهذا هو سبب اعتمادي على بعض المصادر أكثر من البعض الآخر .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة تمهيد،ومبحثين، وخاتمة :

أمّا التمهيد : فقد بيّنت فيه المقصود من الأحكام السياسية.

وأمّا المبحث الأول: فقد ذكرت فيه الأحكام السياسية المستفادة من قصة طالوت ـ عليـــه السلام ـ ، و جعلته في تمهيد وأربعة مطالب :

أمّا التمهيد ؛فقد جعلته للتعريف بالملك طالوت ـ

و المطلب الأول: كان في انعقاد الخلافة بالتنصيص.

والمطلب الثاني : العلم والقوة البدنية من أهم شروط الحاكم أو الخليفة .

والمطلب الثالث : بطلان الوراثة في الإمامة.

والمطلب الرابع: وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم.

وأما المبحث الثاني : فذكرت فيه الأحكام السياسية المستفادة من قصة ذي القرنين ـ عليه السلام ـ وجعلته في تمهيد وستة مطالب :

أمّا التمهيد ؛فقد جعلته للتعريف بذي القرنين.

المطلب الأول: التمكين بالملك والحكم من نعم الله على الصالحين.

والمطلب الثاني: الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض من واجبات الحاكم المسلم.

المطلب الثالث: من السياسة الرشيدة للحكّام التفريق بين المسيء والمحسن في المنزلة والجزاء.

المطلب الرابع: من واجبات الحكام مساعدة المظلومين ونصرتهم وإقامة العدل.

المطلب الخامس: دفع الضرر بأيسر ما يندفع به من السياسة الشرعية:

المطلب السادس: اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد من السياسة الشرعية.

وأمّا الخاتمة فقد بيّنت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث .

وبعد : فهذا عمل يسير ، وجهد قليل أردت من خلاله تأصيلاً قرآنياً لبعض الأحكام السياسية المهمة ، وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ هذه الأحكام في ثنايا كتب التفسير والفقه ، فرأيت أن أقوم بخدمة القرآن ، وأجمع هذه الأحكام ، وأذكر أقوال الفقهاء والمفسرين في بحث متواضع لعلّ الله أن ينفع به ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أسأت فمنّي ومن الشيطان ، وأسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم. وصلى الله على محمد وأهل بيته وصحابته أجمعين .

التمهيد

المقصود بأحكام السياسة الشرعية:

أولاً : المقصود بالأحكام:

الأحكام في اللغة : جمع حكم :و هو العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم ، وَمِنْهُ الْحَكَمَةُ لِلْحَدِيدَةِ التي في اللِّجَامِ، وَبِمَعْنَى الْإِحْكَامِ [2].

وفي اصطلاح الأصوليين : (خِطَابُ الشَّرْعِ الْمُتَعَلِّقُ بِفِعْلِ الْمُكَلَّفِ بِالِاقْتِضَاءِ أو التَّخْيِيرِ أو الوضع) [3].

ثانياً: المقصود بالسياسة الشرعية:

السياسة في اللغة : من (سستُ الرعية سياسة :أمرتها ونهيتها، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه)[4].و (السَّوْس: الرياسة يقال: ساسوهم سوساً ،وإذا رأسوه قيل: سوسوه ،وأساسوه ، وساس الأمر سياسة :قام به ،ورجل ساس من قوم ساسة وسواس، ... وفلان مجرب قد ساس وسيس عليه: أي أمر ،وأمِّرَ عليه.

...، والسياسة: فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته)[5].

وأمّا السياسة الشرعية في الاصطلاح : فهي عند علمائنا القدامى؛ لها معنيان:

<u>الأول : المعنى العام:</u> وهو تدبير أمور الناس وشؤون دنياهم بشرائع الدين ، ولهذا نجدهم يعرّفون الخلافة بأنّها : (خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين ،وسياسة الدنيا به)[6].

<u>والثاني: المعنى الخاص:</u> وهو ما يراه الإمام ،أو يصدره من الأحكام والقرارات ،زجراً عن فساد واقع ،أو وقاية من فساد متوقَّع ، أو علاجاً لوضع خاص)[7].

ومن العلماء المعاصرين من عرّف السياسة الشرعية بأنّها: (تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار ،بما لا يتعدّى حدود الشريعة وأصولها الكلية وإن لم يتفق وأقوال الأئمّة المجتهدين)[8].

المبحث الأول

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة طالوت-عليه السلام-

وفيه تمهيد ، وأربعة مطالب :

التمهيد :التعريف بطالوت :

المطلب الأول: انعقاد الخلافة بالتنصيص.

المطلب الثاني: العلم والقوة البدنية من أهم شروط الحاكم أو الخليفة .

المطلب الثالث : بطلان اشتراط الوراثة في الإمامة.

المطلب الرابع: وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم .

المبحث الأول

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة طالوت-عليه السلام-

تمهيد

التعريف بطالوت :

طالوت: هو الملك الذي بعثه الله تعالى ليقود بني إسرائيل في جهاد جالوت وجنوده ،

قال صاحب الكشاف : طالوت اسم أعجمي كجالـوت ،وداود،وإنما امتنـع من الصرف لتعريفه وعجمته ،وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم. ووزنه إن كان من الطول (فعلوت) ،منه أصله طولوت إلاّ إن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلاّ أن يقال: هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطاء حنطة[9].

واسم طالوت بالسريانية(شاول بن امال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن أسن بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) وقيل: كان اسمه شارك وإنما سمي طالوت لطوله، وهو الذي ذكر الله قصته في القرآن ومحاربته لجالوت وكان داود عليه السلام زوج ابنته[10].

وهل كان طالوت نبيّاً ؟ اختلف المفسرون في ذلك على قولين:الأول : أنّه كان نبيّاً . والثاني :أنّه ليس نبيّاً، وقد (استدل من قال: إن طالوت كان نبيا بقوله: إن الله مبتليكم وأن الله أوحى إليه بذلك وألهمه ،وجعل الإلهام ابتلاء من الله لهم ،ومن قال: لم يكن نبياً قال: أخبره نبيهم شمويل بالوحي حين أخبر طالوت قومه بهذا)[11].

المطلب الأول

انعقاد الخلافة بالتنصيص

استدل بعض العلماء بقوله تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾[12] .إلى أن من طرق انعقاد الخلافة للخليفة النص ، وهو المستفاد بالوحي ، كما أخبر الله تعالى على لسان نبي بني إسرائيل ، أن الملك الذي اختاره الله لهم هو طالوت،

قال صاحب الدرة الغراء:(وأما انعقاد الخلافة فبأربعة أشياء: إما بتنصيص الله تعالى كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾، أو بتنصيص رسوله عليه السلام كما جاء في بعض الروايات في حق سليمان بتنصيص داود عليه السلام، وكما جاء في بعض الروايات في حق أبي بكر الصديق رحمه الله،...) [13] .

وذهب إلى ثبوت الخلافة بالنص بعض فقهاء المسلمين، واختلفوا في ذلك :

- فقد ذهب بعض فقهاء أهل السنة، ومنهم ابن حزم الأندلسي إلى أنّ رسول الله (ﷺ) قد نصّ على خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ .واختلفوا في هل أنّ ذلك النص جليّ أو خفيّ : فذهب ابن حزم إلى أنّ رسول الله (ﷺ) قد نصّ على ذلك نصّاً جلياً [14] ،وهو ما رجّحه ابن حجر الهيثمي[15]، [16].
- وذهب البعض الآخر إلى أنّه (ﷺ) قد أشار إلى خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ .بالنص الخفي . وينسب هذا القول إلى الحسن البصري[17] رحمه الله ، وجماعة من أهل الحديث[18],وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل[19]
- وذهب الشيعة الإمامية ،والزيدية إلى أنّ رسول الله(ﷺ) قد نص على إمامة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ . بعده نصّاً جليّاً [20] .
- والذي ذهب إليه جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين هو أنّ رسول الله (ﷺ) لم ينصّ على أحد من بعده ،وإنّما ترك الأمر شورى بين المسلمين [21].

المطلب الثاني

العلم والقوة البدنية من أهم شروط الحاكم أو الخليفة

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) ﴾[22] .

إن بني إسرائيل(لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً منهم ؛فعين لهم طالوت ،وكان رجلا من أجنادهم ،ولم يكن من بيت الملك فيهم؛ لأن الملك كان في سبط يهوذا ،ولم يكن هذا من ذلك السبط فلهذا قالوا :﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ ـ (أي كيف يكون ملكاً علينا) ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ (أي هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك وقد ذكر بعضهم أنه كان سقّاء. وقيل: دبّاغاً ،وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت، وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف) ثم قد أجابهم النبي قائلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ (أي أختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم يقول: لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي ،بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك) ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبرا في الحرب ،ومعرفة بها: أي أتم علما وقامة منكم)[23].

قال ابن كثير : (ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه) [24].

وقال البيضاوي: (لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك؛ أولا: بأنّ العمدة فيه اصطفاه الله سبحانه وتعالى ،وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم.

وثانيا: بأن الشرط فيه وفور العلم ؛ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية ، وجسامة البدن ؛ليكون أعظم خطراً في القلوب ،وأقوى على مقاومة العدو ،ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم ،وقد زاده الله فيهما ،وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه))[25].

وقال الرازي : ((وتقرير هذا الجواب أنهم طعنوا في استحقاقه للملك بأمرين أحدهما: أنه ليس من أهل بيت الملك. الثاني: أنه فقير ،والله تعالى بين أنه أهل للملك ،وقرر ذلك بأنه حصل له وصفان؛ أحدهما: العلم، والثاني: القدرة .وهذان الوصفان أشد مناسبة لاستحقاقه الملك من الوصفين الأولين، وبيانه من وجوه: أحدها: أن العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية ،والمال والجاه ليسا كذلك .والثاني: أن العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر نفس الإنسان ،والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الإنسان. الثالث: أن العلم والقدرة لا يمكن سلبهما عن الإنسان، والمال والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان. والرابع: أن العلم بأمر الحروب والقوي الشديد على المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد وفي دفع شر الأعداء أتم من الانتفاع بالرجل النسيب الغني إذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الأعداء فثبت بما ذكرنا أن إسناد الملك إلى العالم القادر أولى من إسناده إلى النسيب الغني) [26] .

أمّا اشتراط العلم ؛فقد اتفق العلماء على اشتراطه فيمن يتولى الإمامة ؛ وذلك لأنّ وظيفة الإمامة تقتضي من الإمام أن يكون لديه حصيلة علمية كافية لتدبير الأمور على وجهها الأكمل [27] .

وأمّا اشتراط السلامة الجسمية في الإمام ؛فقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية،والمالكية،والشافعية،والحنابلة،والزيدية ،والإمامية[28]إلى اشتراط أن يكون الإمام سليم الأعضاء والحواس من أي نقص فيهما يؤثر على الرأي والعمل والنهوض وسرعة الحركة ، ويؤدي إلى تشوّه المنظر ويضعف من هيبة الإمام في نفوس الرعية؛ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في قصة طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

المطلب الثالث

بطلان اشتراط الوراثة في الإمامة

قال تعالى :﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) ﴾[29].

قال الإمام الرازي في تفسيره : (هذه الآية تدل على بطلان قول من يقول: إن الإمامة موروثة ؛وذلك لأن بني إسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة ،فأعلمهم الله تعالى أن هذا ساقط ،والمستحق لذلك من خصه الله تعالى بذلك وهو نظير قوله : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [30] .

وقد اتفق فقهاء المسلمين ـ حتى من أجاز العهد للأبناء والآباء بالإمامة. على أنّه لا يجوز التوارث في الإمامة ،فإنّه ليس من الإسلام في شيء أن تكون الإمامة في أسرة معيّنة ،أو طائفة خاصة ،

قال العلّامة بن خلدون:(وأمّا أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية، إذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن تحسن فيه النية ما أمكن خوفا من العبث بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء)[31].

ولم يخالف في هذا إلاّ الشيعة الراوندية الذين قالوا إنّ الإمامة في العباس بن عبد المطلب وفي ولده لا تكون في غيرهم [32].

وهذا قول شاذ لا حجّة فيه ؛لأنّه مردود بالإجماع على بيعة أبي بكر ﷺ . ؛فقد بايعه العبّاس ،وابنه عبد الله وجميع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وبايعوا الخلفاء الراشدين من بعده .

المطلب الرابع

وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم

قال تعالى : ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾(33).

ذكر المفسرون من أخبار داود عليه السلام قبل النبوة أنّه كان في جيش طالوت لما برزوا لجالوت وجنوده ، ولمّا خرج جالوت قائد عسكر الكفر يطلب مبارزاً له فجبن الناس ، وخافوا ولم يجرؤ أحد من جند طالوت على مبارزته لما عرف عن جالوت شدة بأسه في القتال ، حتى قال طالوت قائد جيش المؤمنين : من يبرز له ويقتله فأني أزوجه ابنتي وأحكمه في مالي ، فبرز داود ، وكان غلاماً ،فقال : أنا أبرز له وأقتله ، ولم يقبل أن يلبس درعاً ولا أن يحمل سلاحاً بل حمل مقلاعه وحجارته فسخر منه جالوت حين رآه لصغر سنّه ، فرماه داود بحجارة من مقلاعه فأصاب رأسه فقتله وحزّ رأسه وجاء به إلى طالوت(34).

قال القرطبي: (وفي قول طالوت من يبرز له ويقتله فأني أزوجه ابنتي وأحكمه في مالي معناه ثابت في شرعنا وهو أن يقول الإمام: من جاء برأس فله كذا ، أو أسير فله كذا) (35).

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان : (وعلى هذا يجوز لولاة الأمور وضع الجوائز المادية والمعنوية لمن يقوم بأعمال مشروعة عظيمة تنفع المسلمين ، سواء كان ذلك في حالة السلم أو الحرب) (36).

المبحث الثاني

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة ذي القرنين-عليه السلام-

وفيه تمهيد وستة مطالب :

التمهيد: التعريف بذي القرنين.

المطلب الأول: التمكين في الأرض من لوازم الملك ودواعي استمراره.

المطلب الثاني: الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض من واجبات الحاكم المسلم.

المطلب الثالث: من السياسة الرشيدة للحكام إنزال الناس منازلهم التي يستحقونها

المطلب الرابع: من واجبات الحكام مساعدة المظلومين ونصرتهم وإقامة العدل.

المطلب الخامس: دفع الضرر بأيسر ما يندفع به من السياسة الشرعية:

المطلب السادس: اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد من السياسة الشرعية.

المبحث الثاني

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة ذي القرنين-عليه السلام-

تمهيد

التعريف بـ (ذي القرنين):

قال تعالى مخاطباً نبيّه محمداً(ﷺ) :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83)﴾[37].

ورد ذكر ذي القرنين في هذه الآية وما بعدها ،ولكنّ النص القرآني لم يذكر شيئاً عن شخصيته ، ولا عن زمانه أو مكانه . وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن ، فالتسجيل التأريخي ليس هو المقصود ، إنّما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة ، والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان[38].

وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في تحديد شخصية ذي القرنين ، وزمانه ومكانه ، وسبب تسميته بهذا الاسم، وهل كان نبيّاً أم لا ؟ على أقوال كثيرة استناداً إلى الروايات التاريخية الواردة في ذلك ، ولعله لا بدّ من تقديم نبذة موجزة عن ذي القرنين :

(والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين ،وقيل: كان نبياً ، وقيل: رسولاً وأغرب من قال: ملكا من الملائكة)[39].

روي(عن مجاهد قال: لم يملك الأرض كلها إلا أربعة مسلمان وكافران؛ فأما المسلمان فسليمان بن داود ،وذو القرنين ،وأما الكافران فبخت نصر ،والذي حاج إبراهيم في ربه) [40].

وقد جاء في بعض الروايات: أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام ، وروي من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين أن ذا القرنين حج ماشيا وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد)[41]. ولهذا ذكر العلماء أنّ ذي القرنين ليس الاسكندر اليوناني ؛لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام ،وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة ،والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيها بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة ،أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس ؛فلقب ذا القرنين لذلك ،ويرجح ابن حجر أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم والفرق بينهما من أوجه :

أحدها:ما سبق من أنّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ،وأمّا الاسكندر اليوناني فإنّه قريب من زمن عيسى ـ عليه السلام ـ [42].

الثاني: أنّ ذا القرنين كان رجلاً مؤمناً صالحاً ،وقال الفخر الرازي في تفسيره: كان ذو القرنين نبياً ،بينما كان الإسكندر كافراً ،وكان معلمه أرسطا طاليس ،وكان يأتمر بأمره ،وهو من الكفار بلا شك[43].

الثالث: كان ذو القرنين من العرب ،وأما الاسكندر فهو من اليونان[44].

وعن سبب تسميته بذي القرنين ؛فقد اختلف فيه على أقوال كثيرة؛ أهمها:

الأول: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقا ،وملك ما بينهما من الأرض. قال ابن كثير : وهذا أشبه من غيره ،وهو قول الزهري.

والثاني: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين، قال وهب بن منبه: كان له قرنان من نحاس في رأسه. قال ابن كثير : وهذا ضعيف .

والثالث: لأنه ملك فارس والروم .

والرابع:قال الحسن البصري كانت له غديرتان من شعر يطافهما فسمي ذي القرنين)[45].

المطلب الأول

إن التمكين في الأرض من لوازم الملك ودواعي استمراره

قال تعالى مخاطباً نبيّه محمداً(ﷺ) :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)﴾[46].

لقد امتنّ الله تعالى على ذي القرنين بالتمكين في الأرض ، وبإيتاء الله له من كل شيءٍ سبباً ؛ والمقصود بالتمكين هو التمكين بالقوة والرأي والتدبير والسعة في المال والاستظهار بالعدد ؛ و(مكن له في الشيء جعل له عليه سلطانا)[47].

وجاء في تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾: (أي أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين ،وآلات الحرب ،والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد ،وخضعت له ملوك العباد ،وخدمته الأمم من العرب والعجم)[48].

وجاء في تفسير قوله تعالى :﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ : (أي علما وفهما يتوصل به إلى معرفة الأشياء ،والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم ،أو قدرة، أو غير ذلك)[49].فـ(أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه ما به يستعين على قهر البلدان ،وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران ،وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه ،ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي ،والعمل به حصل المقصود وإن عدما أو أحدهما لم يحصل وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها لم يخبرنا الله ولا رسوله بها ،ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة داخلية وخارجية بها صار له جند عظيم ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء ،ومن تسهيل الوصول إلى

مشارق الأرض ومغاربها وأنحائها فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس حتى رأى الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة .)[50].

ولهذا فإنّ هذا التمكين لمّا كان في سياق الامتنان ، علم منه أنّه لا يضير الجماعة المسلمة إلى أن تتطلع إلى التمكين بالحكم والسلطان والعلم بقصد تنفيذ شرع الله تعالى وإعلاء كلمته وإقامة العدل ـ كما فعل ذو القرنين، ـ هو من نعم الله تعالى، والتطلع إلى نوال نعمة الله تعالى أمر مشروع.

وعلى الأمة الإسلامية أن تسعى إلى تحصيل معاني التمكين وأسبابه من قوة وعلم ووعي ديني واعتصام بحبل الله المتين ، وبالوحدة فيما بينهم[51].

المطلب الثاني

الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض من واجبات الحاكم المسلم

قال تعالى عن ذي القرنين:_﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) ﴾[52].

حكى القرآن الكريم عن ذي القرنين أنّه بعد تمكين الله وإيتائه من كل شيء سببا ، فأتبع سبباً: أي؛(ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية إلى مقصده، فيجيء سبب الوصول ،وكان ذو القرنين على ما وقع في كتب التواريخ يدوس الأرض بالجيوش الثقال والسيرة الحميدة والإعداد الموفي ،والحزم المستيقظ المتقد ،والتأييد المتواصل ، وتقوى الله عز وجل ؛فما لقي أمة ،ولا مر بمدينة إلا دانت له ودخلت في طاعته، وكل من عارضه ،أو توقف عن أمره جعله عظة وآية لغيره ،وله في هذا المعنى أخبار كثيرة وغرائب)[53].

يستفاد من خروج ذي القرنين من بلده وتنقله في الأرض شرقاً وغرباً لنشر العدل والحق ،وقمع الكفر وأهله ،والقضاء على الفساد في الأرض ، أنّ على الحاكم المسلم الصالح إذا أوتي قوة كافية ؛ فعليه الخروج والزحف إلى الدول الكافرة ، وإخضاعها إلى حكمه ،إن هي رفضت الإسلام ، فما ينبغي للكفر والكافرين أن يحكموا ، ويتحكّموا في رقاب العباد ؛ ولأنّ حكم الطواغيت في الأرض منكر عظيم ، ومن واجب الحاكم المسلم ، ودولته المسلمة إزالة هذا المنكر[54]. ولهذا كان من سيرة النبي محمد (ﷺ) ، والخلفاء الراشدين من بعده إرسال الجيوش الإسلامية لدعوة الناس إلى الدخول في دين الله تعالى، وإخضاعهم لسلطان الإسلام ، وإزالة حكم الطواغيت من وجه الأرض.

المطلب الثالث

من السياسة الرشيدة للحكّام (إنزال الناس منازلهم التي يستحقونها)

قال تعالى متحدثاً عن ذي القرنين:﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ﴾[55].

(أي إمّا أن تعذبهم بقتل ،أو ضرب ،أو أسر ونحوه ،وإما أن تحسن إليهم ،فخير بين الأمرين؛ لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق أو فيهم شيء من ذلك؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق لم يرخص له في تعذيبهم؛ فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء لتوفيق الله له؛ لذلك فقال سأجعلهم قسمين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ بالكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴾ أي تحصل له العقوبتان عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة ، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ أي : وسنحسن إليه ،ونلطف له بالقول ،ونيسر له المعاملة ،وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء العادلين العالمين حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله)[56].

فالسياسة الرشيدة التي ينبغي على الحكام تطبيقها ، هي التفريق بين المسيء والمحسن ، وبين الظالم والعادل ، فالظالم ينبغي أن ينال ما يستحق من ردع وزجر وعقاب ، والمحسن ينبغي أن ينال ما يستحق من تكريم وجزاء حسن ، وهذه السياسة هي التي أعلنها ذو القرنين، وأخبرنا الله بها،ولم ينكرها، فدلّ على رضاه تعالى عليها.

والحقيقة أنّ ما فعله ذو القرنين ،وأعلنه من سياسته الرشيدة في الحكم هو بعض ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، وأخبرتنا به باعتباره من سنة الله التي لا

تتبدل، قال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[57]. وقد دلت هذه الآية على أنّ الله تعالى قد نفى المساواة بين المؤمنين والكفار ، وبين المتقين والفجار ، فلا تساوي بينهم في الجزاء في الآخرة ، ولا مساواة بينهم أيضاً في الدنيا[58].

(سئل ذو القرنين فقيل أي شيء من مملكتك أنت به أكثر سرورا فقال : شيئان: أحدهما: العدل والإنصاف

والثاني: أن أكافئ من أحسن إلي بأكثر من إحسانه)[59].

ومن أثر هذه السياسة الرشيدة في الحكم ، أنّ الصالحين المحسنين يجدون التكريم والكرامة من الحكام ، ومن مظاهر تكريمهم إنزالهم المنزلة لتي يستحقونها ، ومن هذه المنزلة تقريبهم إليهم والاستماع إلى نصحهم ومشورتهم ، أما الظالمون المعتدون فلا يلقون من الجزاء إلاّ ما يستحقون ، ومن هذا الجزاء العقاب ،ومن عقابهم أيضاً إبعادهم عن منازل المسؤولية وعدم إناطة وظائف الدولة بهم وعدم تقريبهم من ذوي الحكم والسلطان ، وبهذه السياسة تستقيم الأمور وتتصح الأحوال ، ويروج سوق العدل والإحسان ،ويكسد سوق الظلم والطغيان[60].

المطلب الرابع

من واجبات الحكام مساعدة المظلومين ونصرتهم وإقامة العدل

قال تعالى حكاية عن ذي القرنين:﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) ﴾[61].

قال المفسرون: ذهب ذو القرنين متوجها من المشرق قاصدا للشمال فوصل إلى ما بين السدين وهما سدان كانا معروفين في ذلك الزمان سدان من سلاسل الجبال المتصلة يمنة ويسرة حتى تتصل بالبحار بين يأجوج ومأجوج وبين الناس وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قولاً لعجمة ألسنتهم واستعجام أذهانهم وقلوبهم ،وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج ،وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا :﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أي جعلا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبذلوا له أجرة ليفعل ذلك ،وذكروا له السبب الداعي وهو إفسادهم في الأرض ،فلم يكن ذو القرنين ذا طمع ولا رغبة في الدنيا ،ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية ،بل قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلباتهم لما فيها من المصلحة ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره فقال لهم : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أي مما تبذلون لي وتعطوني وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي مانعا من

عبورهم عليكم ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أي قطع الحديد فأعطوه ذلك﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ أي أوقدوها إيقادا عظيما واستعملوا لها المنافيخ لتشتد فتذيب النحاس فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أي نحاسا مذابا ،فأفرغ عليه القطر فاستحكم السد استحكاما هائلا وامتنع به من وراءه من الناس من ضرر يأجوج ومأجوج ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [62].

وهكذا يتبين أنّ على الملوك والحكام وكل من له قوة وقدرة مساعدة المظلومين ونصرتهم ونجدتهم إذا تعرضوا إلى أي اعتداء أو ظلم ، كما فعل ذو القرنين في استجابته ،للقوم في طلبهم منه بناء السد ؛ لتخليصهم من اعتداءات وهجمات يأجوج ومأجوج .

قال القرطبي: ((في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم ،وسد فرجتهم ،وإصلاح ثغورهم من أموالهم التي تفيء عليهم ،وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم تحت يده ونظره حتى لو أكلتها الحقوق وأنفذتها المؤن لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم ،وعليه حسن النظر لهم ،وذلك بثلاثة شروط: **الأول:** ألا يستأثر عليهم بشيء. **الثاني:** أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم. **الثالث:** أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم. فإذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فأطلعت الحوادث أمرا بذلوا أنفسهم قبل أموالهم فإن لم يغن ذلك ،فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير وتصرف بتدبير ،فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في أن يكف عنهم ما يحذرونه من عادية يأجوج ومأجوج قال: لست أحتاج إليه وإنما أحتاج إليكم ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم ،ورأى أن الأموال لا تغني عنهم ،فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه ،فيعود بالأجر عليهم فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى ،وضابط الأمر أنه لا يحل مال أحد إلا لضرورة تعرض فيؤخذ ذلك المال جهرا لا سرا وينفق بالعدل لا بالاستئثار ،وبرأي الجماعة لا بالاستبداد بالأمر) [63].

المطلب الخامس

دفع الضرر بأيسر ما يندفع به من السياسة الشرعية

قال تعالى حكاية عما جرى بين ذي القرنين والقوم الذين شكوا إليه من إفساد يأجوج ومأجوج:﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)﴾[64].

يستفاد من بناء ذي القرنين السد لدفع شر يأجوج ومأجوج أنّ بناء السد هو مسلك سلكه ذو القرنين؛ لأنّه يحقق دفع الشر والضر المتأتي من يأجوج ومأجوج عن أولئك القوم المستضعفين ، ولم يسلك ذو القرنين وسيلة قتال يأجوج ومأجوج ، وهذا قد يكون مرده أنّ قتالهم لا يستأصل قدرتهم على العدوان ، أو أن مفاسده أكثر من مصالحه ، أو لأنّ بناء السد يكفي لتحقيق مقصود المستضعفين وهو منع هجمات يأجوج ومأجوج عليهم ، وهذا هو المطلوب وهو مقصودهم.

وقد دلّت العديد من القواعد الفقهية على هذا المعنى ، وهو دفع الضرر والشر بأيسر ما يندفع به ، ومن أهم هذه القواعد:

1. قاعدة : (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) [65].
2. وقاعدة : (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما)[66].
3. وقاعدة : (يختار أهون الشرين ، أو أخف الضررين)[67].

وهذه القواعد مهما اختلفت ألفاظها فهي متحدة المعنى ، أي : (أنّ الأمر إذا دار بين ضررين أحدهما أشد من الآخر فيتحمل الضرر الأخف،ولا يرتكب الأشد)[68].

وتطبيق هذه القاعدة في بناء ذي القرنين السد لدفع ضرر يأجوج ومأجوج ، فبناء السد وإن كان فيه جهد ومشقة وبذل للأموال ،ـ وهو ضرر ـ ولكنه أخف من الضرر المترتب على قتالهم؛ لأنّ الضرر بذهاب الأنفس أكبر من الضرر بذهاب الأموال والأوقات فيدفع به .

وهكذا ينبغي على الحكام والولاة وكل من له سلطة شرعية ويريد أن يزيل ضرراً فعليه أن يوازن بين الأضرار فما تردّد بين ضررين وشرين عمد إلى دفع أعظمهما بارتكاب أخفهما.

ومن الأمثلة على ذلك من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب فقد روي أنه: لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ﷺ) الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ،..وعللّ النبي (ﷺ) ذلك بقوله لسعد بن معاذ وسعد ابن عبادة لمّا استشارهم وسألوه عن الدافع لذلك؛قال: ((بل شيء أصنعه لكم ،والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر))[69]. فعرض النبي (ﷺ) ثلث ثمار المدينة إنّما كان لدفع الضرر الأكبر المتمثل بقتال غطفان مع قريش بضرر أخف وهو إعطاؤهم بعض الثمار دليل على مشروعية ذلك ، ولكن الأنصار لمّا علموا أنّ النبي (ﷺ) إنّما فعل ذلك ؛لأجلهم ، ولم يلزمهم به، واستشارهم وخيّرهم ،عزموا على القتال حتى قال سعد بن معاذ : (يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ،وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلاّ قرى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة ،والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم) [70].

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت وذي القـرنـين
مجلة آداب الفراهيدي
م. د. مؤيد نـصيف جاسم
العدد (9) كانون الأول 2011

المطلب السادس

اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد من السياسة الشرعية

استنبط العلماء من بناء ذي القرنين السد ـ لدفع شر يأجوج ومأجوج عن القوم المستضعفين ـ مشروعية اتخاذ السجون ، وحبس أهل الفساد؛

قال القرطبي:(في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركون وما هم عليه بل يوجعون ضربا ويحبسون أو يكلفون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه)[71].

وحقيقة السجن أنّه مشتق من الحصر ؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾[72].أي سجنا وحبسا[73].

قال ابن الهمام[74]: (الحبس مشروع بالكتاب؛ لأنه المراد بالنفي المذكور في قوله تعالى:﴿ أو ينفوا من الأرض﴾ [75] ،وبالسنة على ما سلف انه (ﷺ) حبس رجلا في تهمة) [76].

وقال العلاّمة ابن قيم الجوزية: (اعلم أن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق ،وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء سواء كان في بيت،أو في مسجد ،أو كان بتوكل نفس الغريم،أو وكيله عليه وملازمته له)[77]،

ولهذا أسماه النبي (ﷺ) أسيرا ففي سنن أبي داود وابن ماجه عن الهرماس[78] بن حبيب عن أبيه عن جده قال: أتيت النبي (ﷺ) بغريم لي فقال لي: ((الزمه ثم قال لي يا أخا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك))[79].، في رواية ابن ماجه : ((مر بي آخر النهار فقال ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم ؟)) [80].

وهذا كان هو الحبس في زمن رسول الله (ﷺ) وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ،ولم يكن له حبس معد لحبس الخصوم ،فلما انتشرت الرعية في زمن عمر رضي

الله عنه ابتاع بمكة داراً وجعلها سجنا يحبس فيها ،وجاء أنه اشترى من صفوان بن أمية دارا بأربعة آلاف درهم وجعلها حبسا ،وفي هذا دليل على جواز اتخاذ الحبس[81].

وكان مالك يقول فيما رواه عنه مطرف[82] في هؤلاء الذين قد عرفوا بالفساد والجرم : (إن الضرب ما ينكلهم ،ولكن أرى أن يحبسهم السلطان في السجون ،ويثقلهم بالحديد ولا يخرجهم منه أبدا فذلك خير له ،ولأهليهم وللمسلمين حتى تظهر توبة أحدهم وتثبت عند السلطان ،فإذا صلح وظهرت توبته أطلقه)[83].

الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية المفيدة مع أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت وذي القرنين ـ عليهما السلام ـ فإنّه لا بدّ من ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها مع ما تركته مبثوثاً في ثنايا البحث :

1. إنّ القصص القرآني يعتبر مصدراً من مصادر السياسة الشرعية ؛ وذلك لأنّ بعض القصص القرآني اشتمل على بعض الأحكام السياسية المتعلقة بأمور الملك وسياسة الرعية ، فقد ذكر القرآن الكريم سيرة بعض الأنبياء والمصلحين الذين تبوئوا منزلة سياسية كالملك وقيادة الجيوش ، كما في قصة يوسف ،وداود وسليمان وقصة طالوت وذي القرنين ـ عليهم السلام ـ .
2. إنّ طالوت ،و ذا القرنين ـ ـ عليهما السلام ـ كانا ملكين صالحين ،وقيل : كانا نبّيين ، وقد تضمنت قصتهما دلالات سياسية مهمة يمكن للحكام والساسة الاستنارة بها والاستفادة منها .
3. إنّ ذا القرنين ليس هو الاسكندر اليوناني ؛ وذلك لأن ذا القرنين ملك مؤمن ، وأما الاسكندر المعروف ،فهو كافر .
4. ذهب بعض فقهاء المسلمين إلى أنّ من طرق ثبوت الخلافة هو النص ، كما نص الله تعالى على تولية طالوت ملكاً على بني إسرائيل على لسان أحد أنبيائهم ، وقال بعضهم : بانعقاد خلافة أبي بكر رضي الله عنه بالنص عليه ، وقال بعضهم بالنص على علي رضي الله عنه ، والراجح عند أهل السنة والجماعة أنّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ينص على أحد خليفة من بعده ، وإنّما ترك الأمر شورى بين المسلمين.
5. من أهم شروط الخليفة وحاكم العلم والقدرة البدنية ؛فينبغي أن يكون ذا علم، وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه وأن يكون سليماً من العيوب المانعة من أداء

مقاصد الحكم ،أمّا العلم فليتمكن به من معرفة الأمور السياسية ،وأمّا القدرة وسلامة البدن ؛ليكون أعظم خطراً في القلوب ،وأقوى على مقاومة العدو ،ومكابدة الحروب.

6. لا يشترط التوارث في الإمامة ولا يجوز ،فإنّه ليس من الإسلام في شيء أن تكون الإمامة في أسرة معيّنة ،أو طائفة خاصة .

7ـ يجوز لولاة الأمور وضع الجوائز المادية والمعنوية لمن يقوم بأعمال مشروعة عظيمة تنفع المسلمين ، سواء كان ذلك في حالة السلم أو الحرب.

8. إن التمكين بالحكم والسلطان والعلم بقصد تنفيذ شرع الله تعالى وإعلاء كلمته وإقامة العدل . هو من نعم الله تعالى على العبد والأمة ، والتطلع إلى نوال نعمة الله تعالى أمر مشروع.

9ـ من واجبات الحاكم المسلم الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض فالحاكم الصالح إذا أوتي قوة كافية ؛ فعليه الخروج والزحف إلى الدول الكافرة ، وإخضاعها إلى حكمه ،إن هي رفضت الإسلام ، فما ينبغي للكفر والكافرين أن يحكموا ، ويتحكّموا في رقاب العباد ؛ ولأنّ حكم الطواغيت في الأرض منكر عظيم ، ومن واجب الحاكم المسلم ، ودولته المسلمة إزالة هذا المنكر.

10ـ السياسة الرشيدة التي ينبغي على الحكام تطبيقها ، هي التفريق بين المسيء والمحسن ، وبين الظالم والعادل ، فالظالم ينبغي أن ينال ما يستحق من ردع وزجر وعقاب ، والمحسن ينبغي أن ينال ما يستحق من تكريم وجزاء حسن.

11ـ يجب على الملوك والحكام وكل من له قوة وقدرة مساعدة المظلومين ونصرتهم ونجدتهم إذا تعرضوا إلى أي اعتداء أو ظلم.

12ـ إنّ إزالة المنكر العظيم والضرر الكبير ينبغي أن تكون بالأيسر والأخف ،فعلى الحكام والولاة وكل من له سلطة شرعية ويريد أن يزيل ضرراً أن يوازن بين الأضرار فما تردّد بين ضررين وشرين عمد إلى دفع أعظمهما بارتكاب أخفهما.

13ـ من السياسة الشرعية اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركون وما هم عليه.

الهوامش

(1) [يوسف : من الآية 111] .

(2) ينظر : لسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى ، مادة (حكم) (141/12) .

(3) البحر المحيط في أصول الفقه : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر ، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1421هـ – 2000م، الطبعة: الأولى، (91/1) .

(4) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية، (175/16) .

(5) ينظر: لسان العرب لابن منظور(سوس) (108/6) .

(6) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ،دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ،توزيع مكتبة عباس أحمد الباز . مكة المكرمة ،. ص151 .

(7) السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها : الدكتور يوسف القرضاوي ،مكتبة وهبة . القاهرة، الطبعة الأولى (1419هـ . 1998م)، ص32

(8) السياسة الشرعية : الشيخ عبد الوهاب خلاّف ،مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الثالثة (1407هـ . 1987م) . ص 17

(9) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. (320/1).

(10) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر – بيروت – 1995 م.: (436/24).

(11) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة. (251/3).

(12) [البقرة :من الآية (247)].

(13) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، تأليف: محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبتي ، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض – 1417هـ– 1996م (128/1).

(14) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) ،تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي ،دار النشر:المكتبة التوفيقية ،القاهرة . مصر . (28/3).

(15) الشيخ الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، إمام الحرمين كما أجمع على ذلك العارفون، ولد في رجب سنة 909هـ، ، كان بحرا في علم الفقه، توفي بمكة في سنة 974هـ . ينظر: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تأليف: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي،(258/1) ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى(1405هـ).

(16) ينظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيثمي،ص69.

(17) الإمام أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ،واسم أبي الحسن يسار مولى الأنصار ،ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وروي أن

أمه كانت خادمة لأم سلمة زوج رسول الله (ﷺ) ورضي الله عنها، وربما بعثتها في حاجة فيبكي الحسن فتتاوله ثديها ،فرأوا أن تلك الحكم التي رزقها الحسن من بركات ذلك، مات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة . ينظر: طبقات الفقهاء، تأليف: الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ص91 ، تحقيق: خليل الميس، دار النشر: دار القلم – بيروت،وا لمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(136/7) ، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى (1358هـ)

(18) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص403.

(19) ينظر: المعتمد في أصول الدين ،تأليف : القاضي أبي يعلى الفراء ، دار النشر: دار الشرق ، ص226.

(20) ينظر: عقائد الإمامية، تأليف محمد رضا المظفر(ت 1381هـ) ،ص74 ،تقديم : الدكتور حامد حفني داود،دار النشر:انصاريان – قم– ايران،والبحر الزخار لابن المرتضى (105/1) .

(21) ينظر: رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين. (548/1)،وروضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(ت:676هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية– 1405هـ. (43/10)، والأحكام السلطانية والولايات الدينية: القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت450هـ)،تحقيق عصام فارس الحرستاني،ومحمد إبراهيم الزعلي، المكتب الإسلامي ،بيروت . دمشق، ط1. ص 13 .

(22) [البقرة :247].

(23) تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت:774هـ) ، دار الفكر – بيروت – 1401 . (302/1).

(24) المصدر السابق نفسه.

(25) تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل):الإمام أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر – بيروت (543/1، 544).

(26) تفسير الرازي المعروف ب(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى (1421هـ – 2000م). (147/6 ـ 148).

(27) ينظر:حاشية ابن عابدين(548/1) ، الشرح الكبير: سيدي أحمد الدردير أبو البركات، ، تحقيق: محمد عليش، دار النشر: دار الفكر – بيروت. للدردير(129/4) ، والذخيرة : شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب – بيروت – 1994م.(24/10 ،25)،ومغني المحتاج (130/4) ، والأحكام السلطانية للماوردي ص15 ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي ص 20 ،والفصل لابن حزم (96/3). والبحر الزخار لابن المرتضى (105/6)،

(28) ينظر: حاشية ابن عابدين (264/4) ، ، والذخيرة للقرافي (24/10ـ 25)، ومقدمة ابن خلدون ص 152، والأحكام السلطانية للماوردي ص15، ومغني المحتاج للشربيني (130/4وما بعدها)،وغياث الأمم لأبي المعالي الجويني ص 60ـ61، ،والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص 21 ،و منار السبيل في شرح الدليل: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، تحقيق: عصام القلعجي، مكتبة المعارف – الرياض ،الطبعة: الثانية، – 1405هـ (353/2) ،و مآثر الإنافة في معالم الخلافة: أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت:820هـ) ، تحقيق: عبد

الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – الكويت . الطبعة: الثانية 1985، (1/ 33-34)، والبحر الزخار (575/6).

(29) [البقرة :247].

(30) [آل عمران : من الآية26].

(31) مقدمة ابن خلدون ص166 .

(32) ينظر: مقالات الإسلاميين ص 462 ، والبحر الزخار (568/6) ،و الفصل لابن حزم (97/3).

(33) البقرة : [251] .

(34) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (257/3 . 258)، والدر المنثور :عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر – بيروت (762/1).

(35) الجامع لأحكام القرآن (258/3).

(36) المستفاد من قصص القرآن د. عبد الكريم زيدان ص 274.

(37) [الكهف :83].

(38) في ظلال القرآن : سيد قطب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .الطبعة : السابعة ، (1391هـ ـ 1971م). (406/5).

(39) البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت (103/2).

(40) مصنف ابن أبي شيبة المسمّى(الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار): أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي(ت:235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت. دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ، الطبعة: الأولى، 1409 هـ .(346/6).

(41) ينظر:فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).

(42) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (103/2)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).

(43) ينظر: تفسير الرازي (21 / 140)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).

(44) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).

(45) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ– 1993م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (385/9)،و البداية والنهاية لابن كثير (103/2)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها)،

(46) [الكهف :83 ،84].

(47) المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية (881/2).

(48) تفسير ابن كثير (102/3).

(49)التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – 1403هـ– 1983م، الطبعة: الرابعة التسهيل لعلوم التنزيل (195/2).

(50) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المعروف بـ (تفسير السعدي): تأليف : الشيخ : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان ـ الطبعة الأولى (1424هـ ـ 2003م).ص 485.

(51) المستفاد من قصص القرآن ص349.

(52) [الكهف :85 ،92].

(53) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (540/3)، وتفسير الثعالبي(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت (394/2).

(54)المستفاد من قصص القرآن ص350.

(55) [الكهف :86، 88].

(56) تفسير السعدي ص 486.

(57) [ص :28].

(58) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (191/15).

(59) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبتي ، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض – 1417هـ– 1996م ،(159/1).

(60) المستفاد من قصص القرآن ص350.

(61)[الكهف :86، 88].

(62) تفسير السعدي ص 486. وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل(195/2، 196).

(63) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (60/11).

(64) [الكهف :94 ـ 97].

(65) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 88. ومجلة الأحكام العدلية تأليف: جمعية المجلة، دار النشر: كارخانه تجارت كتب، تحقيق: نجيب هواويني ص 19، المادة 27 .

(66) الأشباه والنظائر، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1403، الطبعة: الأولى ص87 ،والأشباه والنظائر لابن نجيم ص 89 ، والقواعد ، تأليف: ابن رجب الحنبلي، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة – 1999م، الطبعة: الثانية القاعدة 112 ، ومجلة الأحكام العدلية ص19 المادة 28 .

(67) مجلة الأحكام العدلية ص19 ،المادة 29.

(68) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية : الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد البورنو ، ص 260 .مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة (1422هـ ـ 2002م)

(69) السيرة النبوية : تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار النشر: دار الجيل – بيروت – 1411، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (180/4، 181).

(70) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 181)، و السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت – 1400 (641/2).

(71) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (59/11).

(72) [الإسراء: من الآية 8].

(73) الدر المنثور (245/5)، والتسهيل لعلوم التنزيل (168/2).

(74) هو :محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال ابن الهمام السيواسى الأصل ثم القاهرى الحنفى ، من كبار علماء الحنفية في القرن التاسع ولد سنة 790 هـ ،قال السخاوى في حقه: انه عالم أهل الأرض ومحقق أولى العصر وصنف التصانيف النافعة كشرح الهداية في الفقه والتحرير في أصول الفقه والمسايرة في أصول الدين، ومات في يوم الجمعة سابع رمضان سنة 861 . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار النشر: دار المعرفة – بيروت – (202/2) .

(75) [المائدة : من الآية 33].

(76) شرح سنن ابن ماجه (175/1).

(77) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تأليف: برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، ، تحقيق: خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي . دار

النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، 1422هـ – 2001م (232/2).
والتراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)(298/1).

(78) هو: الهرماس بن حبيب التميمي العنبري روى عن أبيه عن جده عن النبي (ﷺ) روى عنه النضر بن شميل ،قال عبد الرحمن بن أبي حاتم ذكره أبي عن إسحاق بن منصور أنه قال سئل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين عن الهرماس بن حبيب العنبري فقالا: لا نعرفه قال عبد الرحمن: سألت أبي عنه فقال :هو شيخ أعرابي لم يرو عنه غير النضر بن شميل ولا يعرف أبوه ولا جده روى له أبو داود وبن ماجة . تهذيب الكمال تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1400 – 1980، الطبعة: الأولى، (162/30).

(79) أخرجه أبو داود في سننه (314/3) باب الحبس في الدين وغيره رقم (3629).

(80) سنن ابن ماجه (811/2) باب الحبس في الدين والملازمة رقم (2428).

(81) تبصرة الحكام لابن فرحون (232/2).

(82) هو: أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان ابن يسار الأصم ،ابن أخت مالك ،قال صحبت مالكا عشرين سنة وتفقه به وبعبد العزيز بن الماجشون وابن وأبي حازم وابن دينار وابن كنانة وابن المغيرة وتوفي بالمدينة سنة عشرين ومائتين . طبقات الفقهاء ص153 .

(83) المصدر السابق (134/2).

ثبت المراجع والمصادر

وهي بعد القرآن الكريم:

1ـ **الأحكام السلطانية**:القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت458 هـ)، صححه وعلّق عليه محمد حامد الفقي ،دار الكتب العلمية،بيروت (1421 هـ . 2000م).

2. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**: القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت450هـ)،تحقيق عصام فارس الحرستاني،ومحمد إبراهيم الزعلي، المكتب الإسلامي ،بيروت . دمشق، ط1.

3ـ **أحكام القرآن**: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف ب(ابن العربي) المالكي (ت:543هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

4ـ **الأشباه والنظائر**، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1403، الطبعة: الأولى .

5ـ **الأشباه والنظائر**: تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

6ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – 1415هـ – 1995م.

7. **الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، محمد الشربيني الخطيب، دار الفكر – بيروت – 1415، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر الإقناع للشربيني.

8ـ **البداية والنهاية**، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت .

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار النشر: دار المعرفة – بيروت –

9. البحر الزخار لابن المرتضى الزيدي.

10ـ البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1421هـ – 2000م، الطبعة: الأولى،

11ـ بدائع السلك ، تأليف: إبن الأزرق(م)، تحقيق: د.علي سامي النشار: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى،

12ـ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

13ـ التأريخ الكبير : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي .

14ـ تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى(1405هـ).

15ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر – بيروت – 1995 م.:

16ـ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تأليف: برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، ، تحقيق: خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي . دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، 1422هـ – 2001م.

17. التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية) ، تأليف: الشيخ عبد الحي الكتاني،دار الكتاب العربي – بيروت.

18. التسهيل لعلوم التنزيل:، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – 1403هـ– 1983م، الطبعة: الرابعة التسهيل لعلوم التنزيل (195/2).

19ـ تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت:774هـ) ، دار الفكر – بيروت – 1401 .

20. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

21. تفسير البغوي، البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت.

22. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل):الإمام أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر – بيروت .

23ـ تفسير الرازي المعروف ب(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى (1421هـ – 2000م).

24ـ تفسير الثعالبي(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت (394/2).

25ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، المعروف بـ (تفسير السعدي): تأليف : الشيخ : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان ـ الطبعة الأولى (1424هـ ـ 2003م).

26ـ **فـي ظـلال القـرآن** : سيد قطب، دار إحيـاء التـراث العربـي ، بيـروت ، لبنـان .الطبعة : السابعة ، (1391هـ ـ 1971م).

. **تهذيب الكمال:** تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1400 - 1980، الطبعة: الأولى،

27ـ **تهذيب اللغة** ،أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب تهذيب اللغة

28ـ **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة.

29ـ **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت-

30. **الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء** ، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبتي ، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - 1417هـ- 1996م

31ـ **الذخيرة:** شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب - بيروت - 1994م.

32. **حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة:** ابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت.(1421هـ - 2000م).

33. **روضة الطالبين وعمدة المفتين:** أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(ت:676هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الثانية- 1405هـ.

34ـ **سنن ابن ماجه.** :أليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

35ـ **سنن أبي داود** :تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر - -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

36ـ **السياسة الشرعية** : الشيخ عبد الوهاب خلاّف ،مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الثالثة (1407هـ . 1987م) .

37ـ **السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها** : الدكتور يوسف القرضاوي ،مكتبة وهبة . القاهرة ، الطبعة الأولى (1419هـ . 1998م)،

38ـ **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - 1400.

39ـ **السيرة النبوية** : تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار النشر: دار الجيل - بيروت - 1411، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد

40ـ **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية:** صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (792هـ) .تحقيق : أحمد محمد شاكر مكتبة دار التراث ، القاهرة

41ـ **الشرح الكبير:** سيدي أحمد الدردير أبو البركات، ، تحقيق: محمد عليش، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

42ـ **صحيح البخاري المسمّى(الجامع الصحيح):** الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت:256هـ) ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير , اليمامة - بيروت - الطبعة: الثالثة،(1407 هـ - 1987 م).

43ـ **صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

44ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، ابن حجر الهيثمي.

45ـ طبقات الفقهاء، الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق: خليل الميس، دار القلم – بيروت.

46ـ عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر(ت 1381هـ) ، ،تقديم : الدكتور حامد حفني داود،انصاريان – قم– ايران،

47ـ غريب القرآن : أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – 1416هـ– 1995م،

48ـ غياث الأمم والتياث الظلم: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت 470هـ)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم ، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة – الإسكندرية – الطبعة: الأولى، (1979م) .

49ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

50. الفصل في الملل والأهواء والنحل: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) ،تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي ،المكتبة التوفيقية ،القاهرة . مصر.

51ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

52ـ لسان العرب: تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى .

53ـ مآثر الإنافة في معالم الخلافة: أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت:820هـ) ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – الكويت . الطبعة: الثانية 1985 .

54ـ مجلة الأحكام العدلية: تأليف: جمعية المجلة، دار النشر: كارخانه تجارت كتب، تحقيق: نجيب هواويني.

55ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ– 1993م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد

56ـ المدونة الكبرى: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي(ت 179هـ) ، دار صادر – بيروت.

57ـ المستفاد من قصص القرآن : للدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ناشرون ،دمشق ـ سوريا ،الطبعة الأولى (1430هـ ـ 2009م).

58ـ مصنف ابن أبي شيبة المسمّى(الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار): أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي(ت:235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت. دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ، الطبعة: الأولى، 1409 هـ.

59ـ المعتمد في أصول الدين ،: أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء(ت 458) ، تحقيق: د.وديع زيدان حداد، ط: دار الشرق ، المكتبة الشرقية ،بيروت . لبنان .

60ـ المعجم الوسيط:: تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية

61ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني (من أعيان علماء الشافعيين في القرن العاشر الهجري)، دار الفكر – بيروت.

62. **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني:** أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي(ت620هـ) ، دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى – 1405هـ.
63. **المفردات في غريب القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر: دار المعرفة – لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
64. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت330هـ) ، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة .
65. **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت 808هـ) ، دار الكتب العلمية،بيروت . لبنان ،توزيع مكتبة عباس أحمد الباز . مكة المكرمة
66 **منار السبيل في شرح الدليل:** إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، تحقيق: عصام القلعجي، مكتبة المعارف – الرياض ،الطبعة: الثانية، – 1405هـ.
67. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:** أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى (1358هـ) .
68. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى: دار إحياء التراث – بيروت – 1420هـ– 2000م.
69. **الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية** : الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد البورنو ، ص 260 .مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة (1422هـ - 2002م).

أثر الحضارة في الصورة والخيال في الشعر العباسي
(دراسة تحليلية)

م.م نـايف عبدالله محمـود
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الملخص

يتضح لنا أن الشعراء العباسيين استقوا مادتهم الخام للصورة الفنية من واقع الحضارة العباسية الراقية التي طبعتهم بطابعها ، فجاءت ألفاظهم حضارية تحمل معاني ذات دلالة حضارية .

ثم يتبين لنا أن العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، كان من أزهى العصور وأخصبها بفعل الحضارة والنعيم الذي عاشه إنسان العصر .

كما توافرت كل أسباب وعوامل نمو الحضارة ، بل كانت أرض الرافدين تربة خصبة لبناء حضارة راقية عصرئذ ، وقد جاء الشعراء ليجدوا أنفسهم في خضم هذه الحضارة ، ووسط هذا النعيم في قصور الخلفاء الذين أضفوا على قصورهم هيبة ووقاراً ، كما نقلوا ما وجودوه في بلاط الفرس إلى بلاطهم ، مما جعلهم مثار إعجاب عند الشعراء ، الذين تغنوا بمعالم الحضارة والرقي أنّى كانت ، فجاءت أصواتهم تخليداً لذلك التراث الذي ننحني له إكباراً وإجلالاً إلى يومنا هذا .

تمهيد

تطورت اللغة الشعرية في العصر العباسي بشكل ملحوظ ، وكان مرد ذلك إلى طبيعة الحياة الحضرية ، ومن المعلوم أن اللفظة بمفردها لا يُحَدّد معناها بشكل دقيق ولكن اللفظة مع أختها تصبح قادرة على تحديد المطلوب ؛ لأن علائق اللغة هي التي تستطيع تحديد المفاهيم الدقيقة للفظة ، وعلى الرغم من الاختلافات المتباينة لمفهوم الصورة، فإنها قد تتفق على إطار عام لتعريف الصورة والخيال .

وحدد محمد غنيمي هلال مفهوم الخيال بقوله : ((الخيال هو العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها)) [1].

والخيال ركن رئيس من أركان الشعر، ويعتمد عليها الصورة الشعرية اعتماداً كبيراً مع التجسيد ولا يمكن للشعر أن يخلو من العاطفة والخيال يعدّهما ركنين أساسين من أركان الشعر، ويلجأ الشاعر الى الخيال لإدراك الحقائق التي لا يستطيع إدراكها بالحس ، وفي ذلك يقول محمد مندور: ((إن الخيال عند كبار الأدباء والشعراء ، قد كان دائماً وسيلة لإدراك الحقائق التي قد يعجز عن إدراكها الحس المباشر أو منطق العقل))[2].

يقول أحمد الشايب: ((إن بين العاطفة والخيال ارتباطاً وثيقاً ، فهو الذي يصورها ويبعث منها في نفوس القراء والسامعين ، وقوته مرتبطة بقوتها ، فإذا كانت صادقة قوية ، أنشأت خيالاً رائعاً وإذا كانت سقيمة ، أو مصطنعة كان الخيال هزيلا سخيفا))[3].

فالخيال في الشعر يلعب دوراً مهما في إبراز كينونة الأشياء ليكون عملاً شعرياً متكاملاً منسجماً ليؤثر في ذات القارئ ، ومن النقاد من اعتبر الصورة الفنية

ابنة للخيال الخلّاق ؛ لأنّ الخيال هو الذي يتصور الأشياء مبعثرة ، أو متفرقة ، ليشكل منها صورة منسجمة .

وأشار عبد القادر الرباعي إلى ذلك بقوله : ((والصورة الفنية هي ابنة الخيال الخلاق الذي يبدد ويبعثر الأشياء ثم يختار ويعيد الجمع والتأليف والتشكيل على كيفية خاصة ، يرتضيه له ذات صاحبه وذوقه وموهبته حتى يخرج النتاج مدهشاً يحمل غاية الأدب والفن عموما"))[4].

فالصورة مظهر خارجي للأشياء ، تتشكل لتعبر عن جوهر الانفعالات والخلجات النفسية الداخلية ، التي يصعب ادراكها إلا عن طريق الصورة ، التي تعبر في الغالب عن الاحاسيس الداخلية للإنسان .

فالصورة هي ابنة الخيال الشعري الممتاز ، الذي يتألف عند الشعراء من قوى داخلية ، تفرق العناصر ، وتنتشر المواد لتعيد ترتيبها وتركيبها بقالب خاص ، حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم فالفن ــ والشعر جزء منه ــ نظام للقلب والخيال في آن واحد . والصورة في هذا المفهوم ((مظهر حسّي خارجي شكل ليكون قادراً على التعبير عن عالم من الدوافع والانفعالات والمعاني لا يحد ولا يحس ؛ ذلك لأن الفن ليس سوى خلق للصور التي ترمز الى المشاعر الانسانية المتلاحمة)) [5].

فالصورة الفنية تتولد من الخيال ، والخيال مصدر مهم في مجال الجمال الفني للشعر، وتعد العاطفة مصدراً خصباً للخيال المبدع ، فهي من أركان الشعر الجيد ، كما أن الموسيقى والأوزان من خصائص الشعر عامة ، بالإضافة إلى اللغة التي تتحد مع بعضها بعضاً لتشكل عملاً إبداعياً جميلاً ، مشتملاً على التشبيه والاستعارة والتي ترفع من فنية الإبداع .

إن لغة الشعر هي لغة العاطفة ، فكلما زادت العاطفة في الشعر تجلت أهميته ، لأن الشعر هو إحساس بالذات وتعبير عنها ، وهو تعبير عن خلجات النفس الانسانية نحو قضية معينة بلغة واضحة .

والدارس للشعر العباسي ، يجد فيه بعض الشعراء الذين حاولوا تصوير طبيعة العصر ، وواقع المجتمع الانساني الذي عاش في الحضارة والنعيم ، فنجد هؤلاء الشعراء قد صوّروا حضارة المجتمع ، ومدنيته بكل مظاهرها وتجلياتها .

وقد تناول أنور عليان أبو سويلم مدى تغيير رؤية الشعراء نحو الجديد في الوصف فقال: ((إن الطبيعة أصبحت لا توصف وصفاً شكلياً من الخارج فقط ، ذلك الوصف الذي يعبر عن الاعجاب والافتتان بالمناظر والأشكال والألوان والروائح ، إنما أصبحت تُحَسُّ إحساساً نفسياً داخلياً يمسّ القلب والروح والبدن ، وتمتزج فيه النشوة الروحية باللذة الجسدية))(6) ، فهذا بشار بن برد يصور حديث الحبيبة بالرياض الغنّاء بجامع الرقّة والجمال فقال :

يا لَيلَتي تَزدادُ نُكرا ــــ مِن حُبِّ مَن أَحبَبتُ بِكرا
حَوراءُ إِن نَظَرَت إِلَيــ ــــ كَ سَقَتكَ بِالعَينَينِ خَمرا
وَكَأَنَّ رَجعَ حَديثِها ــــ قِطَعُ الرِياضِ كُسينَ زَهرا (7)

أثرت الحضارة العباسية في لغة الشعراء وصورهم ، إذ جعلتهم يصورون ما يشاهدونه وما يحسون به بصور جميلة تتلاءم وحقيقة العصر الجديد ، كبشار بن برد الذي مزج القديم بالحضارة الجديدة بشكل متوازن .

يقول يوسف خليف : ((استطاع بشار أن يستوعب كل ما في الشعر القديم من تقاليد ومقومات وأصول ، وأن يستغلها في شعره ، ولم يقف عند التراث بل راح يطوره ويجدد فيه ويزاوج بينه وبين ما يضيفه إليه من عناصر جديدة كان يستمدها من الحضارة التي يعيش فيها))(8).

لم ينسلخ بشار بن برد كغيره من الشعراء من ماضيه القديم وإنما لتخفف من صور التقاليد القديمة ، ليستبدل بها أصولاً فنية جديدة تتلاءم وواقع الحضارة العباسية . وهذا بشار بن برد يصور حبيبته (عَبْدَة) فيقول:

زانَها مُسفِرٌ وَثَغرٌ نَقِيٌّ ــــ مِثلُ دُرِّ النِظامِ فيهِ اِستِواءُ
وَلَها وارِدُ الغَدائِرِ كَالكَر ــــ مِ سَواداً قَد حانَ مِنهُ اِنتِهاءُ
وَحَديثٌ كَأَنَّهُ قِطَعُ الرَو ــــ ضِ زَهَتهُ الصَفراءُ وَالحَمراءُ (9)

وعلى الرغم من أن الشاعر يصور حبيبته بمظاهر جمالية عالية ، فإنه قد لجأ الى استعمال ألفاظ ذات دلالة حضارية ، وجمال ، فهي مرفّهة ، ذات أسنان نقية ، وشعر طويل منظم ، كما أنها استوعبت الحضارة الجديدة ، بجمال لغتها التي شبهت بقطع الرياض الجميلة ، فهي صور ايحائية تؤكد قوة اللغة وقدرتها وطاقتها الإيحائية .

يقول محمد غنيمي هلال ((فالكلمات والعبارات في الشعر ، يقصد بها بعث صور ايحائية وفي هذه الصور يعيد الشاعر الى الكلمات قوة معانيها ، التصويرية الفطرية في اللغة))(10).

وهذا ابن المعتز الذي عاش في أحضان الحضارة يقول واصفاً الهلال بلغة حضارية بارعة تحمل صورة زورق أسطوري فقال :

أَهلاً بِفِطرٍ قَد أَنالَ هِلالُهُ ــــ فَالآنَ فَاَغدُ إِلى المُدامِ وَبَكِّرِ
وَاَنظُر إِلَيهِ كَزَورَقٍ مِن فِضَّةٍ ــــ قَد أَثقَلَتهُ حُمولَةٌ مِن عَنبَرِ (11)

إنها صورة بديعة لهلال عيد الفطر إذ صور الهلال في ظلمة السماء وله لمعان وبريق ، بصورة زورق في وسط البحر محمّل بالعنبر ، إنها صورة مغرقة في المدنية ، لا يمكن أن تصدر إلا عن شاعرٍ عاش في أحضان النعيم والحضارة ،

وأثرت الحضارة الجديدة على الشعراء ولا سيما الذين نشأوا في القصور بالقرب من الخلفاء والأمراء ، فانعكس ذلك في صورهم وأخيلتهم الشعرية .

لقد لجأ بعض الشعراء إلى التشبيه لتقريب المطلوب إلى ذهن السامع بصورة حقيقية أو متخيلة ، ومنهم من لجا إلى الاستعارة بعدّها أقوى أثراً من التشبيه .

يقول محمد غنيمي هلال : ((والتشبيه أقل أثراً من الاستعارة ، لأنه أطول منها ، ولأنه لا يفيد مباشرة وحدة المشبه بالمشبه به ، ولذا يقل اهتمام السامع به ، أما الاستعارة ، فهي أقوى أثراً من التشبيه ، ولكن يجب ألا تكون بعيدة المنال ، فلا ينبغي أن يبالغ المرء في البحث عنها حتى تبدو غريبة))[12].

كما أُعْجِب بعضُ النقاد بالتشبيه فقسموه أقساماً منها الحسي والمعنوي ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري الذي أشار إلى الصور اللونية والبصرية والحركية[13]. وهذا ما عبّر عنه البحتري بقوله واصفاً الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحَنينِ الرَعدِ	**مَجرورَةُ الذَّيلِ صَدوقِ الوَعدِ**
مَسفوحَةُ الدَمعِ لغَيرِ وَجدِ	**لَها نَسيمٌ كنَسيمِ الوَردِ**
وَرَنَّةٌ مثلُ زَئيرِ الأُسدِ	**ولَمعُ بَرقٍ كَسُيوفِ الهندِ**
جاءَت بها ريحُ الصَبا من نَجدِ	**فَانتَثَرَت مثلَ انتِثارِ العقدِ**
فَراحَت الأَرضُ بعَيشٍ رَغَدِ	**من وَشيِ أَنوارِ الرُبى في بُردِ**
كَأَنَّما غُدرانُها في الوَهدِ	**يَلعَبنَ من حَبابِها بالنَردِ** [14]

لقد استعمل الشاعر الصور الحسّية في هذه الأبيات ليقرّب إلى السامع صورة الغيث وما فعله بالأرض ، وعن الصور الحسية السمعية قوله : ارتجاز بحنين الرعد ، ورنة مثل زئير الأسد ، وبصرية مثل برق كسيوف الهند ، وانتشار العقد ، ... كما استعمل الشاعر عناصر التشبيه ، ليرسم صورة واقعية قريبة للغيث

الذي عم البلاد ، وانتشرت حبات المطر، كانتشار العِقد من جيد الحسناء ، وجاءت التشبيهات واضحة بسيطة خالية من التعقيد.

وهذا ابن الرومي يصف عرس الطبيعة وجمال الزهر بأسلوب حضاري بديع يشفّ عن مستواه الفني فقال :

نَشَّرَ آذارُ في الثرى حُللاً	**قد كان كانونُ قبلُ طواها**
كسا عراءَ الرُبَا طَيالسةً	**خُضراً وبالعَبْقَريِّ رَدَّاها**
وصاغَ للأرض كُلَّ تاجٍ بها	**أحسنَ في صُنعه فجلّاها**
أعجبَ ذاك السماء فانبعثتْ	**تَنثُر دُرًّا على مُحيَّاها**
ولو ترانا وقد تَكنَّفنا	**من دُكُن الخزِّ لابسٌ جاها**
وتظهرُ الشمسُ في النَّشاص لنا	**من خَلَلِ الغيم إذ تَغَشَّاها**
مثلَ عرُوس تَستَّرت خَجلاً	**من بعلها بعدَ أن تَجلّاها**[15]

لقد أضفى الشاعر على الطبيعة سمات حضارية ، وبخاصة في شهر آذار ، وقد نبتت الأعشاب والورود والأزهار بألوانٍ رائعة بديعة ، كثوبٍ جميلٍ ملوّن بأحلى الألوان والأصباغ ، كما صوّر الشاعر حبّات الندى التي تعلو النباتات والأزهار ، بحبّات الدرّ المتناثرة على وجه الأرض ، ثم صوّر الشمس وقد طلعتْ من بين السحب العالية بالعروس التي تستّرت خجلا من زوجها وقد تحللها .

هذه الصور وغيرها جاءت لتمثل الواقع الحضاري المعيش ، في ظل الطبيعة الفاتنة التي وصفها الشاعر بأجمل عبارات ، تؤكد مدى ارتقاء مستواه الفني ، وتشبيهاته المأخوذة من صميم الحضارة والمدنية ، إذ استعمل ألفاظ الحلل ، والطيالسة على جمال النباتات والأزهار ، واستعمل كلمة التاج وهو رمز الحضارة والملك ، وكذلك الدرّ ، والخزّ وهي بجملتها تدلّ على الرقيّ والتحضّر ، وقد تحقق ذلك بفضل اللغة الحضارية التي عمد الشاعر إلى استعمالها .

وهذا أبو نؤاس يصوّر عمل السحاب بالأرض ، ومـا أنتجتـه مـن ورود وأزهار جميلة ، تؤكد ذوق الشاعر الحضاري لكثرة ما ذكر من أنواعها فقال :

لا تَخشَعَنَّ لطارقِ الحَدثانِ ... وَآدفَع هُمومَكَ بالشَّرابِ القاني
أوَما تَرى أيدي السَحائبِ رَقَّشَت ... حُلَلَ الثَرى ببَدائعِ الرَّيْحانِ
من سَوسَنٍ غَضٍّ القِطافِ وَخُزَّمٍ ... وَبَنَفسَجٍ وَشَقائقِ النُعمانِ
وَجَنيٍّ وَرد يَستَبيكَ بِحُسنه ... مثلَ الشُموسِ طَلَعنَ من أغصانِ
حُمراً وَبيضاً يُجتَنَينَ وَأصفَراً ... وَمُلَوَّناً ببَدائعِ الألوانِ
كَعُقودِ ياقوتٍ نُظمنَ وَلُؤلُؤ ... أوساطُهُنَّ فَرائدُ العِقيانِ
وَمنَ الزَبَرجَدِ حَولَهُنَّ ممثَّلاً ... سَمطاً يَلوحُ بجانبِ البُستانِ
فَإذا الهُمومُ تَعاوَرَتكَ فَسَلِّها ... بالراحِ وَالرَّيْحانِ وَالنُدمانِ[16]

انصرف الشاعر إلى وصف صنع السحاب بالأرض بأسلوب حـضاري ، وبمستوى فني يتلائم مع طبيعة الحضارة فقد جعل الشاعر للسحاب أيدي ، وصوّر الورد في الرياض بالشموس والأقمار ، كما أكثر من ذكر الورود التي تفنن إنسان العصر في تنظيمها .

فالشاعر هنا يصور لنا السحاب ، الذي أغدق الأمطار فنبتت ألوان الورود والنباتات ، وزينت الأرض ، كما يزين النقّاش بساطاً بأجمل الألوان ، كل ذلك جاء بصورة فنية بديعة وبخيالٍ حضاري رشيق .

ومن المعلوم أن الخيال نشاط فعّال ليأتي بهذه الصور الراقية ليشكل منهـا أنموذجاً فنياً منسجماً له تأثيره في النفس .

ويقول عبد القادر الرباعي : ((الصورة الفنية مولود نضر لقوة خلاّقة هي الخيال ، والخيال نشاط فعّال يعمل على استنفار كينونة الأشياء ، ليبني منها عمـلاً فنياً متحد الأجزاء ، منسجماً ، فيه هزّة للقلب ومتعة للنفس)) [17].

وقسم كوليردج الخيال على نوعين : أولي وثانوي فقال:((والخيال الأولي هو القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنساني هو علمي في وظيفته ، أمـا الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق ويصطحب دائما بالوعي الإرادي ، وهـو يتفق مع الخيال الأول في نوع عمله ، ولكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عملـه))[18].

فصُوَرُ الشعر العباسي مأخوذة من البيئة المحلية ، ومن الواقع الحضاري ، بعيدة عن التعقيد في أغلبها ، وبخاصة أن العاطفة تلعب دوراً كبيراً فـي إبرازهـا لتحديد نوعية الصورة .

يقول الدكتور أحمد الشايب : ((إن العاطفة هي التي تستدعي لنا خـواص الصورة الأدبية الصالحة للتعبير عنها ، ولإثارتها ، وأول ما يبدو من ذلك أن لغـة العاطفة يجب أن تكون مألوفة جزلة بعيدة عن المـصطلحات العلميـة والكلمـات الغريبة))[19].

وهذا أبو تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات فقال :

مَتى أَنتَ عَن ذُهلِيَّةِ الحَيِّ ذاهِلُ ... وَقَلبُكَ مِنها مُدَّةَ الدَهرِ آهِلُ
لَكَ القَلَمُ الأَعلى الَّذي بِشَباتِه ... تُصابُ مِنَ الأَمرِ الكُلى وَالمَفاصِلُ
لُعابُ الأَفاعي القاتِلاتِ لُعابُهُ ... وَأَريُ الجَنى اشتارَتهُ أَيدٍ عَواسِلُ
لَهُ ريقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقعَها ... بِآثارِه في الشَرقِ وَالغَربِ وابِلُ
فَصيحٌ إِذا استَنطَقتَهُ وَهوَ راكِبٌ ... وَأَعجَمُ إِن خاطَبتَهُ وَهوَ راجِلُ
إِذا ما امتَطى الخَمسَ اللِطافَ وَأُفرِغَت ... عَلَيهِ شِعابُ الفِكرِ وَهيَ حَوافِلُ
أَطاعَتهُ أَطرافُ القَنا وَتَقَوَّضَت ... لِنَجواهُ تَقويضَ الخِيامِ الجَحافِلُ [20]

يصوّر الشاعر القلم وأثاره لما له من أهمية في واقع الحياة المتحضرة مشيراً إلى أثر الكلمة التي يكتبها القلم ، وبخاصة إذا جاءت صائبة فإنها تصيب الكلى والمفاصل ، مصوراً أثر الخطّ وما يكتبه بلعاب الافاعي حيناً ، أو كطعم العسل المصفى حيناً آخر .

ورسم الشاعر بخياله الخلّاق دور القلم في شحذ الفكر ، موضحاً أثره على الآخرين ، فهي صورة حقيقية بعيدة عن الوهم ، قريبة من الخيال المبدع ، وهناك فرق بين الوهم والخيال ، وقد فرّق وردزورث بين الوهم والخيال وقرّر سمو الثاني وخطر الاول فقال : ((فالوهم سلبي يغتر بمظاهر الصورة ، ويسخرها لمشاعر فردية عرضية ، أما الخيال فهو العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها))[21].

فعن الخيال المبدع تصدر كل الصور مهذبة منظمة ذات تأثير في الآخرين ، ومن النقاد من جعل (البديع) مظهراً من مظاهر تطور الخيال ، وفي ذلك يقول عبد القادر الرباعي : ((فمن الخيال نصدر الصور مشحونة بالانفعال والأفكار ، وبالوعي الفني تهذب ، وتنظم تنظيماً جمالياً ، وعلى هذا فإن ما سمي بالبديع عندنا ما هو إلا مظهر لتطوير الخيال والوعي الفني في الشعر العربي القديم**))**[22].

وبفعل الحضارة والتطور الكبير الذي أصاب اللغة العربية ، استحدثت صور ومعان جديدة ، ركز عليها الشعراء في قصائدهم ، وبخاصة عند مدحهم لخليفة أو أمير أو قائد فقد صورهم الشعراء بانهم أصحاب شجاعة ورأي ثاقب ، لذا جمع الشعراء بين الشجاعة والرأي لتكتمل عندهم الصورة البديعة التي يريدون إلصاقها بممدوحيهم بعدّهم قادة يمثلون الأمة بقوتها وهيبتها ، وهذا صريع الغواني مسلم بن الوليد يمدح داود بن مزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب قائلا:

مُوَحَّدُ الرَأيِ تَنشَقُّ الظُّنونُ لَهُ عَن كُلِّ مُلتَبِسٍ مِنها وَمَعقودِ
(23)

لقد رسم الشاعر صورة رائعة لممدوحه تتلائم وواقع الحضارة الجديدة فوصفه بتوحد الرأي ، لأن الرأي والفكر أصبح لهما مكانة كبيرة في المجتمع الجديد ، تعادل الشجاعة والبطولة ، وهذا الشاعر نفسه صريع الغواني يمدح محمد بن منصور ويصفه بقوة الرأي التي أصبح لها دلالتها في زمن الحضارة والفكر فقال:

عَكَفَتْ عَلى الصَفصافِ مِنكَ عَزيمَةٌ مِن رَأيِ مُكتَنِفٍ بِنَصرٍ أَيِّدِ[24]

ويعلق عبد القادر الرباعي على المعاني التي استعملها صريع الغواني كوصفه للممدوح بأنه صاحب رأي وفكر فقال: ((ومن المعاني الخاصة غير الهيبة ، تمجيده لرأي الممدوح وحكمته وقرن ذلك بشجاعته وقوته ، والشاعر يصدر في هذا عن روح عصره الذي أصبح للرأي فيه قيمة ، لقد تطورت مفاهيم الشجاعة والنصر، فأصبحت لا تتأتى بالسيف وحده ، بل بالسيف مقروناً به الرأي الصائب والحكمة الصادقة))[25].

وأصبحت هذه المفاهيم الجديدة مستساغة في عصر الشاعر ، بفضل الحضارة الجديدة ، كما غدت هذه المفاهيم مواكبة لروح الحضارة وركز الشاعر على ممدوحيه بهذه الصفات والمفاهيم العصرية فوصف الممدوح أحيانا بأنه (شهاب الموت) أو بأنه (الموت نفسه) ، كما أنه عود الطير على متابعته في أثناء الحروب والمعارك ، لأنه منقرّ على عدوه فتجد الطير بغيتها من لحوم الأعداء ، وفي ذلك يقول صريع الغواني:

يَغشى الوَغى وَشِهابُ المَوتِ في يَدِهِ يَرمي الفَوارِسَ وَالأَبطالَ بِالشُعَلِ
يَغدو فَتَغدو المَنايا في أَسِنَّتِهِ شَوارِعاً تَتَحَدّى الناسَ بِالأَجَلِ

قَد عَوَّدَ الطَيرَ عادات وثِقنَ بِها ... فَهُنَّ يَتبَعنَهُ في كُلِّ مُرتَحَلِ
خَلَّفتَ أَجسادَهُم وَالطَيرُ عاكِفَةٌ ... فيها وَأَقفَلتَهُم هاماً مَعَ القَفَلِ
فَافخَر فَمالَكَ في شَيبانَ مِن مَثَلٍ ... كَذاكَ ما لِبَني شَيبانَ مِن مَثَلِ [26]

صوّر الشاعر ممدوحه بهذه الصور الفنية التي خلعها عليه فهو كشهاب الموت عند دخوله أرض الحرب ، يخوضها وهو ضاحك السن مبتسم وهو كالأجل يستلّ الأرواح من أجساد الأعداء ، وهو يطعم الطير جثثهم ، وهذه عصائب الطير تسير وراءه تنتظر الشبع والخير بعد انتهاء المعركة حيث جثث الأعداء مترامية في كل مكان .

ومن الصور الجديدة في الشعر العباسي ، والتي كان للحضارة دور كبير في تركيز الشعراء عليها ، استعمال السفن سواء أكان ذلك في الرحلة الى الممدوح ، أم استعمالها كوسيلة حربية للقاء العدو ، وهذا أشار إليه البحتري بمدحه أحمد بن دينار حين وصف مركباً كان اتخذه ــ وهو والي البحر ــ وغزا فيه بلاد الروم فقال :

وَلَمّا تَوَلّى البَحرَ وَالجودُ صِنوُهُ ... غَدا البَحرُ مِن أَخلاقِهِ بَينَ أَبحُرِ
غَدَوتَ عَلى المَيمونِ صُبحاً وَإِنَّما ... غَدا المَركَبُ المَيمونُ تَحتَ المُظَفَّرِ
إِذا زَمجَرَ النوتِيُّ فَوقَ عَلاتِهِ ... رَأَيتَ خَطيباً في ذُؤابَةِ مِنبَرِ [27]

يصور الشاعر ممدوحه بالجود والشجاعة والكرم ، وحسن الأخلاق والعطاء الجزيل ، ثم يصف صوت النوتي فوق المركب بالقوة والخشونة وكأنه أسد

يزمجر أو خطيب يتكلم فوق المنبر ، ويصور البحتري استعراض ابن دينار لقطعة حربية وجنوده المحاربين الذين وقفوا بأدب واحتشام ينتظرون أوامر قائدهم ، فقال:

يَغُضّونَ دونَ الاِشتِيامِ عُيونَهُم ... وَفَوقَ السِماطِ لِلعَظيمِ المُؤَمَّرِ
إِذا عَصَفَت فيهِ الجَنوبُ اِعتَلى لَها ... جَناحا عُقابٍ في السَماءِ مُهَجِّرِ [28]

ثم يصف جنود ابن دينار بالشجاعة وحسن التدريب ، وأنهم لمثل هذه الأهوال ، وكان المنايا بين أيديهم فقال :

وَحَولَكَ رَكّابونَ لِلهَولِ عاقَروا ... كُؤوسَ الرَدى مِن دارِعينَ وَحُسَّرِ
تَميلُ المَنايا حَيثُ مالَت أَكُفُّهُم ... إِذا أَصلَتوا حَدَّ الحَديدِ المُذَكَّرِ [29]

ويقترب أسطول احمد بن دينار من أسطول الروم ، فيرشق مراكب العدو بالنار فيحرقهم بداخلها ، وتشم رائحة الأجساد المحترقة ويدرك قائد الأسطول الرومي الخطر المحدق به ، فيهرب فزعاً شاكراً للريح مساعدتها لتحريك سفنه الناجية من الحريق وقال :

كَأَنَّ ضَجيجَ البَحرِ بَينَ رِماحِهِم ... إِذا اِختَلَفَت تَرجيعُ عَودٍ مُجَرجِرِ
مَضى وَهوَ مَولى الريحِ يَشكُرُ فَضلَها ... عَلَيهِ وَمَن يولَ الصَنيعَةَ يَشكُرِ

وقد برع بعض الشعراء في وصف السفن باعتبارها وسيلة سفر استعيض بها عن الناقة .

ولجأ بعض الشعراء إلى صور وتشبيهات لم تُعهَدْ من قبل ، بل جاءت وليدة الحضارة وبخاصة تلك التشبيهات المتعلقة بالمرأة التي تؤكد مستواها الحضاري زمن دولة بني العباس ، الذين شجعوا الحياة الجديدة ، والأخذ من الأمم الأخرى ما يساعد هذا الرقي والتطور ، ومن الشعراء الذين استخدموا الصور والتشبيهات (العباس بن الأحنف) الذي يعدّ من الشعراء المميزين في هذا العصر ، ومن الصور الجديدة المبتكرة عند العباس بن الاحنف قوله :

إنَّك لا تَعرفينَ ما الهَمُّ وَالـــ   غَمُّ وَلا تَعلَمينَ ما الأَرَقُ

صِرتُ كَأَنّي ذُبالَةٌ نُصِبَت   تُضيءُ لِلناسِ وَهيَ تَحتَرِقُ (30)

إن الحبيبة منعمة لا تعرف الأحزان ، ولا الغم ولا الهم ، والشاعر حزين محترق كالشمعة التي تضيء على الآخرين ، فهو تشبيه حضاري عقلي ثقافي متمدّن ، وهو جديد في فكرته وصياغته .

ومن التشبيهات والصور المفعمة بالحس الحضاري قوله وهو يشبه الحبيبة بالراح أو التفاح :

ذَكَرتُك بِالتُّفّاحِ لَما شَمَمتُهُ   وَبِالراحِ لَما قابَلَت أَوجُهَ الشَرَبِ

تَذَكَّرتُ بِالتُفّاحِ مِنكِ سَوالِفاً   وَبِالراحِ طَعماً مِن مُقَبَّلِكِ العَذبِ(31)

لقد ربط شعراء العصر العباسي بين صورهم وتشبيهاتهم ، وبين مظاهر الطبيعة ، ومظاهر الترف والغنى ومواد الحضارة المادية التي كانت تسود العصر، وكان لهذه الحياة المترفة أثر كبير على أخيلة وصور الشعراء التي غدتْ مفعمة بمظاهر الحضارة والمدنية ، وجاءت هذه الصور انعكاساً لحياة البذخ والترف التي كان يحياها الإنسان العباسي .

لقد حاول بعض الشعراء المزج بين الجوانب المادية والمعنوية في الحبيبة فوصفوها بالجمال الظاهري ، وزادوا في ذلك بعض الصفات المعنوية التي تتلاءم وروح العصر الجديد كقول مسلم بن الوليد :

غَرّاءُ في فَرعِها لَيلٌ عَلى قَمَرٍ   عَلى قَضيبٍ عَلى دَعصِ النَقا الدَهِسِ

أَزكى مِنَ المِسكِ أَنفاساً وَبَهجَتُها   أَرَقُّ ديباجَةً مِن رِقَّةِ النَفَسِ (32)

إنها جميلة المحيّا ، لها شعر طويل كالليل على وجه صبيح ، ولها كفل كالدعص وأعلاها كالقضيب استواء ، وهي فتاة متحضرة تعيش في النعيم ذات رائحة أزكى من المسك .

وأشار عبد القادر الرباعي إلى قول مسلم بن الوليد في البيتين السابقين فقال: ((وهو إلى جانب ذلك كله لا ينسى فعل الحضارة العباسية وما أعطته للمرأة من خبرة في فن التجميل ، فأدخل في غزله الحسّي هذا مفهوم العصر الناعم الرقيق الذي برعت في استغلاله المرأة فغدت مشغولة في تزيين نفسها بعد أن وجدت في النعيم والترف والراحة والاستقرار . وبعد أن أمدتها الحضارة بكل ما يلزمها من أدوات للزينة ، وأنواع منوعة من الروائح والعطور)) (33).

ولجأ بعض الشعراء إلى استعمال الاستعارة والمجاز في رسم صورهم ، والمجاز ضرب من الإبداع والابتكار كما أن اللغة بمجملها ضرب من المجاز ، قال أبو تمام :

لا تَسقِني ماءَ المُلامِ فَإِنَّني   صَبٌّ قَدِ استَعذَبتُ ماءَ بُكائي (34)

لقد استعمل الشاعر عبارة (ماء الملام) وكأنه جعل للّوم ماء وهذا معنى بعيد ذهب إليه الشاعر ، فهو ضرب من الإبداع والابتكار ويعلق ابراهيم السامرائي تعليقاً على ما روي من قصة بيت أبي تمام وهي أن أحد الظرفاء جاء إلى أبي تمام وسأله أن يعطيه قارورة من (ماء الملام) فقال له ابو تمام : لا أعطيك ما سألت حتى تأتيني بريشة من (جناح الذل) . وأبو تمام يشير في جوابه اللطيف الى الآية الكريمة ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة...﴾ (35) وهو يريد أن يقول : ((إن لاستعمال المجاز في العربية ضروباً من الإبداع والابتكار ، فكما أن لغة التنزيل ابتكرت المجازات الدقيقة اللطيفة ، فصارت من أعلام العربية ، كذلك كان حق الشاعر المبدع أن يبتكر في استعمالات المجازات ، واللغة كما هو معروف ضرب من المجاز))(36).

فالاستعارة والمجاز التي لجأ إليها الشعراء ، إنما جاءت تطوراً طبيعياً لنمو اللغة ونتيجة لتطور العقلية العربية التي أصبحت قادرة على فهم مثل هذه المفاهيم

الجديدة ، التي تولدت بفعل الحضارة وتطور الفكر الإنساني العربي بفعل الاختلاط مع أجناس أخرى .

وفي نضج الاستعارة عند أبي تمام يقول عبد القادر الرباعي : ((إن الاستعارة عند أبي تمام كانت نتيجة طبيعية للتطور الذي تدرجت فيه الصورة من الإشارة والتشبيه في بدايات الشعر العربي إلى الاستعارة المعقدة في القرن الثالث الهجري ، وهذا التطور هو الذي واكب نضج العقلية العربية ونماها ، واتساع قدراتها على التهويل والتعبير الدقيق ، وبخاصة تلك العقلية التي شاركت بفاعلية في تلقي الثقافات المختلفة))[37].

ولا بد للشاعر من المواءمة بين الألفاظ والمعاني حتى تكون مفهومة ، وقريبة من الطبع ، فلا يجعل الرمزية شعاره ولا المعاني سهلة مبتذلة ، وإنما الاعتدال هو الأساس .

وفي ضرورة المواءمة بين الألفاظ والمعاني يقول شوقي ضيف : ((مهارة الشاعر إنما هي في ملاءمته بين ألفاظه ومعانيه بحيث لا يطغى فيها جانب على جانب ، فلا يصبح لفظياً خالصاً ، ولا يصبح رمزياً خالصاً حتى يضحي بمعانيه على مذبح الألفاظ لا على مذبح المجاز))[38]

لقد فهم أبو تمام الشعر على أنه مزاوجة بين العقل والعاطفة وهذا اللون من الشعر هو القادر على العيش ، كما أن الصور عند هؤلاء الشعراء بحاجة الى وقفة طويلة حتى تستوعب .

فقد كان أبو تمام يفهم الشعر على أنه صياغة عقلية ، يمتزج فيها العقل بالشعور ، أو الفكر بالعاطفة ، فالشعر عنده ليس عملاً فنياً خالصاً يستمدّ مادته من العاطفة وحدها ، ولكنه أيضاً عمل عقلي يستمد من العاطفة ، كما يستمدها من

العقل ، فأساس العمل الفني عنده هو هذه المزاوجة بين العقل والشعور أو بين الفكر والعاطفة[39].

فالتشبيه والاستعارة لابد منهما في الشعر ، وبهما يرتقي ، وتبرز فيهما القيمة الحقيقية للصورة الفنية الراقية . يقول صاحب العمدة :

((قال غير واحد من العلماء: الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن))[40].

والتزم بعض شعراء العصر العباسي بالقديم ولم يتجردوا منه ، وإنما حسنوه بصورهم وأخيلتهم وتشبيهاتهم ، المستمدة في أغلب الأحيان من الحضارة .

يقول جورج غريب : ((ليس الجديد دائما أن نتجرد من القديم ، ونطلع على الناس بما يجهلون ، بل هو أحياناً أن نلبس هذا القديم حلّة لم يعهدوها)) [41].

فالجديد عند بعض الشعراء هو أخذ القديم وإلباسه لبوساً جديداً ، يضفي عليه بهجةً وجمالاً ، وليس الجديد كسراً للقديم، وإنما إعادة بنائه وتركيبه ليواكب الواقع الجديد ، كما فعل أبو تمام في شعره .

ويقول عبد القادر الرباعي في ذلك : ((فالتفرّد والتجديد عنده ــ عند أبي تمام ــ لا يعني بالضرورة تكسير القديم وإحلال جديد منفصل عنه تاماً محله ، ولكن التجديد عنده يعني إعادة تركيب القديم تركيباً ذاتياً))[42].

أما فن البديع فهو من أبرز مظاهر التجديد عند بعض الشعراء في العصر العباسي على الرغم من أن فن البديع قديم جديد ، ولكن القدماء استعملوه عفو الخاطر ، إلى أن أصبح ظاهرة في الشعر العباسي ، فمن الشعراء من بالغَ باستعماله إلى حد الإفراط ، ومنهم من استطاع أن يطوره ويستغله استغلالاً رائعاً لإبراز الصورة الفنية الرائعة كالبحتري يقول محمد أبو الأنوار :

((وهو ــ البحتري ــ أول من اتخذ البديع مذهباً يخلص له ويحرص عليه بعد أن كان يأتي دون تعمّد ظاهر مقصود ، ثم جاء أبو تمام وعمق ذلك وطوره وأصبح شيخ هذه الصنعة وإمامها الفذ الذي لا يجارى وكان البديع عند البحتري يقف عند حدود وظيفته اللفظية))[43] ، وهذا البحتري يمدح الفتح بن خاقان وقد استخدم البديع فقال :

مِنِّيَ وَصلٌ وَمِنكَ هَجرٌ ... وَفِيَّ ذُلٌّ وَفيكَ كِبرُ

وَما سَواءٌ إِذا التَقَينا ... سَهلٌ عَلى خُلَّةٍ وَوَعرُ

إِنّي وَإِن لَم أَبُح بِوَجدي ... أُسِرُّ فيكَ الَّذي أُسِرُّ

قَد كُنتُ حُرّاً وَأَنتَ عَبدٌ ... فَصِرتُ عَبداً وَأَنتَ حُرُّ

أَنتَ نَعيمي وَأَنتَ بُؤسي ... وَقَد يَسوءُ الَّذي يَسُرُّ [44]

وعلى الرغم من أن الشاعر قد استعمل البديع ، وخاصة الطباق مثل وصل وهجر، ذل وكبر ، وسهل ووعر ، حر وعبد ، ونعيمي وبؤسي ، ومن الجناس من أَسَرَ وأَسَرَّ ، وجاءت هذه الأبيات ذات واقع موسيقي رائع يلذّ له السمع ، وكذلك فإن أبا تمام لم يحمل عداءه للقديم ، بل طوّع القديم ، وأخرجه بصورة فنية رائعة ، كما في بائيته .

يقول عبد الله التطاوي: ((ومن الواضح أن أبا تمام ــ في بائيته ــ لم يحمل سيف العداء للشكل القديم للقصيدة ، على الرغم مما عرف عن مكانته كقمة من قمم التجديد الثقافي في عصره ، فقد استطاع تطوير العناصر القديمة ليخرجها في صورة جديدة من خلال فنه))[45]. فقال أبو تمام :

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ ... في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في ... مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

وَالعِلمُ في شُهُبِ الأَرماحِ لامِعَةً ... بَينَ الخَميسَينِ لا في السَبعَةِ الشُهُبِ

فَتحُ الفُتوحِ تَعالى أَن يُحيطَ بِهِ ... نَظمٌ مِنَ الشِعرِ أَو نَثرٌ مِنَ الخُطَبِ [46]

استعمل الشاعر في هذه الأبيات ألفاظاً سهلة واضحة محدودة لكنها تأخذنا إلى عالم فسيح في الأرض والسماء ، إذ كان الشاعر منفعلاً ، لأنه يجد في السيف قوة عادلة تمنع العبث وتدوس الخوف ، وأهمية هذه الأبيات تنبع من حالة انفعال الشاعر ؛ لأن الانفعال هو الذي أوجد الإيحاء سواء أكان ذلك عن طريق الاستعارة ، أم ازدواج الصور أو الترديد الإيقاعي في الألفاظ والحروف [47].

واستعمل الشاعر البديع في هذه الأبيات وغيرها ولكن ذلك لم يؤثر على المعنى الذي أراده بل هذه الأبيات تحمل إثارة وتناغماً عاليين في موسيقاها مما أكسبها خلوداً وبقاء .

لقد أثرت الحضارة في الشعراء ، مما جعلهم يستمدّون منها صورهم التي تتلاءم وطبيعة الحياة الجديدة ، ومن المعلوم أن الحضارة قد شجعت على حياة الطرب والغناء والشراب ، فوجد بعض الشعراء بغيتهم في شرب الخمر ، كما هو الحال عند أبي نواس وبشار بن برد، وابن المعتز، ممن كانوا يطلبون اللذة والمتعة ولكن أبا نواس يُعدُّ فارس الخمر بلا منازع ، إذ صورها بأحسن أحوالها وأجاد في وصفها ، وشعره يؤكد ذلك . يقول عمر فروخ في أبي نواس وخمرياته: ((أبو نواس شاعر الخمر قال فيها أشعاراً لم يقل أحد مثلها ، ثم هي أحسن شعره ، ما أجاد في فن إجادته فيها ، فقد سبق إلى معان في الخمر على سجيتها فكانت خمرياته من أجل ذلك مجلى شخصيته))[48].

ومن المعلوم أن أبا نواس من المجددين في الشعر فقد حمل على المقدمة الطلية ، واتخذ من قصائده في الخمر مجالاً للهجوم على المقدمة القديمة ، رافضاً لها وداعياً إلى ضرورة إحلال المقدمة الخمرية مكانها ، بعدّها منهجاً جديداً يصلح للواقع الحضاري .

ومزج أبو نواس في صوره بين الخمر وبين أوصاف الطبيعة بما فيها من أزهار ، ورياحين ، ونسائم ، وأقمار ، وبساتين حيث عبق الزهر وعبق الخمر ، وقد مَسْرَحَ أبو نواس شعر الخمر حيث الأبطال على مسرح الطبيعة الفاتن .

يقول خليل شرف الدين: ((ويتمسرح الشعر الخمري على يدي النواسي ، فإذا بالحديث والمطارحة والمنادمة تتقلب فلذات مسرحية على خشبة الطبيعة الربيعية الغناء ، قوامها الحوار الرشيق وبطلتها الخمرة ، وأبطالها الندامى وكورسها القينة والغلام والدهقان والدهقانة))[49].

وبعث أبو نواس قصيدة الخمر من ركودها وبعث فيها حياة جديدة واتصفت خمرياته بالحيوية والإثارة ، ووصف إمكاناتها وأدواتها التي امتازت بجمالها ورقيها ، وملاءمتها للواقع .

وإذا كان الأعشى هو واضع أصول القصة الخمرية ومرسي قواعدها ، فإن أبا نواس هو الباعث لها من الركود الذي أصابها طول العصر الإسلامي ، والنافخ فيها نسمة الحياة من جديد ، كما لم يفعل أي شاعر آخر من قبل[50] ، أفاد أبو نواس من شعر من سبقه ، فأخذ منه وضمّنه فنَّه ، ففاق على مَن سبقه في صورهم وأخيلتهم في الخمر .

يقول صاحب الأغاني : ((وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة ، وقد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلخوا معانيها ، وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيها كلها ، وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه))[51] ، دمج

أبو نواس في قصائده بين الغزل والخمر ، ولكن للخمر وصفاتها وجمال مجالسها مع الندماء كان الغالب عنده ، لأنها تعدل كل شيء في نظره ، وهي نوع من الاتصال الروحي والحسي

يقول خليل شرف الدين: ((بدأ النواسي خمرياته سبيلاً إلى تذكر الأحباب والحبيبات ، ونجد خمرياته ملازمة لغزلياته في تداعٍ وجداني ، حتى لكأن معاقرة الخمرة أصبحت عنده نوعاً من الاتصال الروحي والحسي والجنسي معاً ، فلم يعد هناك فرق بين المعاقرة ، والمعاشرة ، أو المضاجعة...))[52].

فالخمر النواسية ليست خمراً مادية بل انقلبت في الأوعية إلى إنسانة عذراء وهي عروس يخطبها من أبيها ، يقول أبو نواس مصوراً الخمر بالعروس التي تُخْطَب ويُدْفَع مهرها :

فَأَتى خاطِبٌ مَليحٌ إِلَيها ذو وِشاحٍ مُؤَزَّرٌ بِإِزارِ
نَقَدَ المَهرَ ثُمَّ زُفَّت إِلَيهِ في سَراويلِها وَفي الزُنّارِ [53]

شبّه الشاعر الخمر بالفتاة التي تُخْطَب ، وهذا دليل على أهميتها ، وإنها لا تُقدَّم إلا لمن يستطيع دفع مهرها ، وهو قادر على ذلك ثم صوّر تقديم الخمر إليه بالفتاة العروس التي تُزَفُّ إلى خاطبها على أحسن هيئة ، وهو الذي استعار لها اسم القهوة وصوّرها بجني الورد ، وإبريقها بعنق الظبي ، والساقي بالبدر، فقال :

وَقَهوَةٍ كَجَنِيِّ الوَردِ خالِصَةٍ قَد أَذهَبَ العِتقُ فيها الذامَ وَالرَنَقا
كَأَنَّ إِبريقَنا ظَبيٌ عَلى شَرَفٍ قَد مَدَّ مِنهُ لِخَوفِ القانِصِ العُنُقا
يَسقيكَها أَحوَرُ العَينَينِ ذي صُدُغٍ مُشَمَّرٌ بِمِزاجِ الراحِ قَد حَذِقا
ما البَدرُ أَحسَنُ مِنهُ حينَ تَنظُرُهُ سُبحانَ رَبّي لَقَد سَوّاهُ إِذ خَلَقا[54]

استمد الشاعر صورة من الواقع الحضاري ، فهو مغرم بخمرته يخلع عليها كل الصور الجميلة الجذابة ، فهو يزينها ليحببها الى النفس ، ويبرزها بصورة

بديعة ، تصلح بديلاً عن النظام القديم للقصيدة العربية ، فهو يصفها باقتدار وتفوق ، فتأتي ألفاظه سهلة واضحة ، بعيدة عن الغموض والتعقيد .

يقول محمد أبو الأنوار عن دور أبي نواس في الشعر: ((إن أبا نواس كان قفزة جديدة بالشعر العربي في باب الحداثة التي تعني التمكن والاقتدار والسهولة ، والرونق ، والتأثير الفني المعتمد على صدق الحسن ورهافة الشعور وسهولة التعبير مع ارتفاع سيطرته الفنية))[55] ، ومن النقاد من عدّ مدح أبي نواس للخلفاء والأمراء ، مدحاً للخمر ، وهذا دليل على تعلّقه بها وحبّها المتمكن من نفسه .

يقول طه حسين : ((إنما مدح أبو نواس الخلفاء والوزراء والأمراء ليتخذ مدحهم وسيلة إلى مدح الخمر ، وقل ليتخذ مدحهم وسيلة إلى شرب الخمر ، والاستمتاع بها وبما تستتبع من اللذات ، ومدحهم لأنه كان في حاجة إلى ما يرزقونه من المال ، ومدحهم لأنه كان في حاجة الى أن يتملقهم ، ويتقي شرهم ، مدحهم مستجدياً ومدحهم متقياً))[56].

يقول محمد مندور: ((وصف الخمر قد يشجينا لجمال الوصف وروعة التصوير وكذلك الغزل بالمذكر ، ولكنهما بعد لا يستطيعان أن يبعثا في النفوس تلك الأصداء الإنسانية الواسعة التي لا بد منها))[57].

ولا شك في أن الشاعر قد رسم في شعره صوراً رائعة ، ولوحات كبرى، فيها جمال للطبيعة الفاتنة ، إذ شكل منها إطاراً جميلاً للوحاته الخمرية فصور مجال الشرب ، وسط روضة غنّاء تحفها الأشجار والأطيار ، تبين جانباً من الحضارة العمرانية والمادية التي شهدها المجتمع العباسي بفضل الحضارة الوافدة التي غزت كل مكان .

وعلى الرغم من وجود مظاهر الحضارة وانتشارها ، فإن صور معظم الشعراء قد جاءت مستقاة من هذه الحضارة البديعة ، وبخاصة تلك الصور الحسية

التي تربط مادة الصورة بالقاعدة النفسية ، ويشمل هذا النمط الصور البصرية ، والذوقية ، واللمسية ، والسمعية ، التي استغلها بعض الشعراء لإبراز صور فنية رائعة تسر النفس ، وتسعد الذات ، وقد تجلى ذلك في شعر أبي تمام وبشار وأبي نواس ، وابن المعتز ، ومسلم بن الوليد ، وغيرهم ممن نادوا بالتجديد .

إن الصورة هي التي تكسب النص جودته وقوته لذا نجد الصورة الفنية قد تدرس في ثلاثة أنماط هي : النمط الحسّي ، والنمط البلاغي ، والنمط الفني .

ويوضح عبد القادر الرباعي هذه الانماط الثلاث بقوله : ((النمط الحسّي ويشمل الصور البصرية ، والذوقية ، واللمسية ، والسمعية ، والشمية ، والمركبة ، والنمط البلاغي المرتبط بالوسيلة البلاغية كالتشبيه ، والكناية ، والوصف الإيحائي والرمز ، والنمط الفني يكون بالتحام النمطين السابقين ، ويجب أن ينظر إلى هذه الأنماط نظرة شمولية متكاملة لا نظرة فردية انعزالية))[58].

ومن المعلوم أن أفضل الصور الفنية تلك التي تمزج بين العاطفة والعقل ؛ لأن العاطفة تنمي الإحساس ، وتوسع من حدود الخيال ، والعقل ينظم الخيال ويوقفه عند درجة معينة كي لا يصل الخيال الى مرتبة الوهم ، فيصبح ضارّاً للصورة الفنية ، التي يسعى الشعراء على تشكيلها ، من نبع الحياة ومن الواقع الجديد .

الخاتمة

وهكذا يتضح لنا أن الشعراء العباسيين استقوا مادتهم الخام للصورة الفنية من واقع الحضارة العباسية الراقية التي طبعتهم بطابعها ، فجاءت ألفاظهم حضارية تحمل معاني ذات دلالة حضارية .

إن هذا البحث جاء ملبّياً للحاجة بعد عملٍ شاق لدراسة كل الدواوين الشعرية التي شملها ، إذ تبين لي بأن العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، كان من أزهى العصور وأخصبها بفعل الحضارة والنعيم الذي عاشه إنسان العصر .

كما توافرت كل أسباب وعوامل نمو الحضارة ، بل كانت أرض الرافدين تربة خصبة لبناء حضارة راقية عصرئذ ، وقد جاء الشعراء ليجدوا أنفسهم في خضم هذه الحضارة ، ووسط هذا النعيم في قصور الخلفاء الذين أضفوا على قصورهم هيبة ووقاراً ، كما نقلوا ما وجودوه في بلاط الفرس إلى بلاطهم ، مما جعلهم مثار إعجاب عند الشعراء ، الذين تغنوا بمعالم الحضارة والرقي أنّى كانت ، فجاءت أصواتهم تخليداً لذلك التراث الذي ننحني له إكباراً وإجلالاً إلى يومنا هذا .

الهوامش:

(1) النقد الادبي الحديث :412.
(2) النقد والنقاد المعاصرون : 64.
(3) أصول النقد الأدبي : 223.
(4) الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق :55 .
(5) في تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة : 164.
(6) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول : 330 -331.
(7) ديوان بشار بن برد : 55/4 .
(8) في الشعر العباسي نحو منهج جديد : 47.
(9) ديوان بشار بن برد : 118/1 ــ119 .
(10) النقد الأدبي الحديث : 378.
(11) ديوان ابن المعتز : 366.
(12) النقد الأدبي الحديث : 127 .
(13) للمزيد ينظر: كتاب الصناعتين : 246 -250 .
(14) ديوان البحتري : 567/1ــ568 .
(15) ديوان ابن الرومي : 125/1 ، النشاص : السحاب المرتفع ، ينظر : لسان العرب : مادة نشص .
(16) ديوان ابي نواس : 527 .
(17) الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق : 75 .
(18) النقد الأدبي الحديث : 413 -414 .
(19) أصول النقد الأدبي : 243 .

(20) ديوان أبي تمام : 112 . بشباته : الحد ، اشتارته : جنتْه ، عواسل : تأخذ العسل ، الخمس اللطاف : البنان أو الأصابع .
(21) النقد الأدبي الحديث : 412 .
(22) الصورة الفنية في شعر ابي تمام : 21 .
(23) شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد : 158 .
(24) المصدر نفسه : 235.
(25) صريع الغواني ، مسلم بن الوليد ، حياته وشعره : 120.
(26) شرح ديوان صريع الغواني ، مسلم بن الوليد : 9ــ21. للمزيد ينظر المصدر نفسه : 147 -148 . النوتي : الملاح الذي يدير السفينة .
(27) ديوان البحتري : 2/ 982 .
(28) المصدر نفسه : 983/2 ، الاشتيام : قائد المركب . الجنوب : ريح الجنوب .
(29) المصدر نفسه : 983/2 ــ984 .
(30) ديوان العباس بن الأحنف: 174 .
(31) المصدر نفسه : 53 . للمزيد ينظر المصدر نفسه : 111 و132 .
(32) شرح ديوان مسلم بن الوليد : 325 . الدهس : المكان السهل .
(33) صريع الغواني ، مسلم بن الوليد ، حياته وشعره : 168.
(34) ديوان أبي تمام : 22. قدك : حسبك. اتئب: استحي .
(35) سورة الإسراء : 25 .
(36) التطور اللغوي التاريخي : 45 -46.
(37) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 207 .
(38) في النقد الأدبي : 113 .
(39) في الشعر العباسي نحو منهج جديد : 96 .

(40) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 122/1 .
(41) الغزل تاريخه وأعلامه : 129 .
(42) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 277 .
(43) الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية دراسة تاريخية وتحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار بن برد إلى أبي طالب المتنبي : 383 .
(44) ديوان البحتري : 1050/2 .
(45) القصيدة العباسية قضايا واتجاهات : 286 .
(46) ديوان أبي تمام : 18.
(47) للمزيد ينظر : الصورة الفنية في شعر ابي تمام : 324 - 325 .
(48) تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية ، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري : 160 .
(49) الموسوعة الأدبية الميسرة : 137.
(50) ينظر : حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه : 94 .
(51) كتاب الأغاني : 7 /20 .
(52) الموسوعة الأدبية الميسرة : 111 ، للمزيد انظر المرجع نفسه : 116.
(53) ديوان أبي نواس : 222 . الزنار : حبل يشد به النصارى خصورهم .
(54) ديوان أبي نواس : 370 . الذام : العيب . الرنقا : الكدرة .
(55) الشعر العباسي تطوره وقيمته الفنية ، دراسة تاريخية تحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار الى ابي الطيب المتنبي : 187 .
(56) حديث الأربعاء : 129/2 .
(57) النقد المنهجي عند العرب : 77 .

(58) في تشكل الخطاب النقدي مقاربة منهجية معاصرة : 167 .

المصادر والمراجع

1 ــ **أصول النقد الأدبي** ، د. أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية، 1973.

2 ــ **تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري** ، د.عمر فروخ ، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1985م .

3 ــ **التطور اللغوي التأريخي** . د.إبراهيم السامرائي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983م .

4 ــ **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه**، حسين خريس ، دار البشير ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1994 .

5 ــ **ديوان ابن الرومي** ، لأبي الحسن علي ابن العباس بن جريج ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1973م .

6 ــ **ديوان ابن المعتز** (247 ــ 296هـ) ، شرح د.يوسف شكري فرحات ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1995م .

7 ــ **ديوان أبي تمام** (188 ــ 231 هـ) بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ م .

8 ــ **ديوان أبي نواس** ، تحقيق د.علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1994م .

9 ــ **ديوان البحتري** ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف مصر ، ط3 ، د.ت .

10 ــ **ديوان بشار بن برد** (95 ــ 168هـ) ، نشره وقدم له وشرحه : محمد الطاهر بن عاشور ، وعلق عليه ووقف على طبعه : محمد رفعت فتح الله

ومحمد شوقي أمين ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1369هـ ــ 1950 م .

11 ــ **ديوان العباس بن الأحنف** ، شرح د.عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ط1 ، 1997م .

12 ــ **شرح ديوان صريع الغواني** ، مسلم بن الوليد (ت208هـ) ، لأبي العباس وليد بن عيسى الطبيخي الأندلسي ٣٥٢ هـ ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : د.سامي الدهان ، القاهرة ، دار المعارف ، ط3 ،د.ت.

13ــ **الشعر العباسي .تطوره وقيمه الفنية. دراسة تاريخية تحليلية** ، د.محمد أبو الأنوار ، القاهرة ، دار المعارف ، ط2، ١٩٨٧م.

14 ــ **صريع الغواني** ، مسلم بن الوليد، حياته وشعره، عبدالقادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م .

15 ــ **الصورة الفنية في شعر أبي تمام** ، د.عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1999م .

16 ــ **الصورة الفنّية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق** ، د.عبد القادر الرباعي ، مكتبة الكتاني، اربد، ط2، 1995 .

17 ــ **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول** ، د.أنور عليان ، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ط1 ، 1983م .

18 ــ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، ابن رشيق القيرواني (456هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل، بيروت، ط4 ،1972 .

19 ــ **الغزل تاريخه وأعلامه** ، جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت، ط1، 1975م .

20 ـــ **في تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة** ، د.عبـد القـادر الرباعي ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1998م .

21 ـــ **في الشعر العباسي نحو منهج جديد** ، د.يوسف خليـف ، دار غريـب ، القاهرة ، د.ت.

22 ـــ **في النقد الأدبي** ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، ط7، 1988 م .

23 ـــ **القصيدة العباسية قضايا واتجاهات**،عبـدالله التطـاوي ، دار غريـب ، مصر ، ط2 ، د.ت.

24 ـــ **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر** ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري .تحقيق :علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، لبنان ، بيروت، المكتبة العصرية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

25 ـــ **كتاب الأغاني**، لأبي فرج الأصفهاني (356هـ) ، شرحه وكتب هوامشه : عبد علي مهنا ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

26 ـــ **لسان العرب** ، ابن منظور الأفريقي المصري 0(711هـ) ، دار صادر ، بيروت ، 1956 .

27 ـــ **الموسوعة الأدبية الميسرة** ، تأليف خليل شرف الـدين ، منـشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1980م .

28 ـــ **النقد الأدبي الحديث** ، د.محمد غنيمي هلال ، دار النهـضة ، القـاهرة ، 1996 .

29 ـــ **النقد والنقّاد المعاصرون** ، محمد مندور، مكتبة النهضة ، مصر ، د.ت .

أثـر الحضارة في الصورة
والخيال في الشعر العباسي
مجلة آداب الفراهيدي
م.م نـايف عبدالله محمود
العدد (9) كانون الأول 2011

Abstract

It is obvious that the Addasid Poets draw their raw material of the artistic image from the reality of the majestic Addasid civilization which impressed them . So their wording show civilized meaning .

Then it turns out that the Addasid era , until the end of the third century of the Hegira , was one of the most prosperous eras due to the civilization and bliss bestowed on people at that time .

Not only all reason and factors of growth of civilization are available , Mesopotamia is a fruitful land to establish elegant civilization at the time as well . poets find themselves amid such civilization and within the bliss of palaces of caliphs who confer majesty and reverence on them , and also convey to their palaces what they have found in Persia courts . That makes them worthy of adoration in eyes of poets who celebrate signs of civilization and sublimity and where . Their poems are perpetuate that legacy to which we pay homage till now .

اليهود والامتيازات الأجنبية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

د. نايف عبد نايف النجم
جامعة كركوك/ كلية التربية/ قسم التاريخ

ملخص البحث

يتناول البحث اثر الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود في بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، حيث تم استعراض اوضاعهم في الدولة العثمانيةو منذ ظهورها والكيفية التي عومل بها هؤلاء ، والمعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الاوربية مع الدول الاوربية وما تضمنتها هذه المعاهدات من حقوق للرعايا العثمانيين من غير المسلمين ، فضلا عن انعكاس هذه الامتيازات على اوضاع اليهود من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية ، من خلال التغير الذي طراء على اوضاعهم في جميع هذه المجالات سلبا كان ام ايجابا .

الأقليات في الدولة العثمانية(الجذور والتطبيق):

انطلقت السياسة العثمانية تجاه غير المسلمين من الشريعة الاسلامية ، عندما عامل القرآن الكريم هؤلاء معاملة حسنة ضمن ضوابط وشروط معينة ، قال الله تعالى((ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وألهنا وألهكم واحد ونحن له مسلمون))[1] .

كما حثت الاحاديث النبوية الشريفة على حسن معاملة اهل الذمة[2] ، اذ عد جمهور العلماء قتل المسلم للذمي من الكبائر ودليلهم في ذلك قول الرسول(صلى الله عليه وسلم) "من قتل معاهداًًًً لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة

اربعين عاماً[3] فالاسلام اقر لاهل الذمة التمتع بالحرية في ظل مجتمع يسوده التسامح والآخاء والعدل والمساواة فلهم حرية الديانة من خلال ممارسة شعائرهم في الكنائس والمعابد بحرية[4]، فضلاً عن الحرية في ممارسة الانشطة الاقتصادية ، مع بعض القيود من حيث عدم جواز تقلد اهل الذمة العديد من المناصب كالامارة وقيادة الجيش وعدم جواز الانخراط به مع الزامهم بدفع مبلغ معين من المال سمي بالجزية[5].

اتسمت سياسة الدولة العثمانية بالتسامح تجاه سكان البلدان المفتوحة ، وبقدر تعلق الامر باليهود فان السلطان اورخان(1326–1359م) سمح لليهود في مدينة بورصة باقامة شعائرهم الدينية من خلال اقامة معبد لهم ، فضلاً عن السماح لهم بالسكن في حارة خاصة بهم الامر الذي جعله اول سلطان اعطى لليهود امتيازاً[6] .

استمرت سياسة الانفتاح على اليهود من قبل السلاطين العثمانيين فيما بعد ، ففي عهد السلطان محمد الثاني(1451–1481م) الذي فتح القسطنطينية عام(1453م) اخذت اوضاع غير المسلمين منحاً جديداً نتيجة لدخول اعداد كبيرة من هؤلاء في حوزة الدولة العثمانية ، من خلال وضع نظام الملل[7] الذي نظم حياتهم في الدولة واصبحت تسير على اسس تنظيمية واضحة من حيث القوانين والممارسة[8] .

اصبحت كل مجموعة تسمى ملة وتدير شؤونها بنفسها من خلال ايجاد قانون ينظم ذلك والشخص المسؤول امام الدولة يسمى((ملة باشي)) اذ اعترف السلطان باليهود كملة وما ترتب على ذلك من الحقوق المتمثلة باعتبار((الحاخام))[9] اعلى منصب ديني بصفته رئيس الطائفة الروحي ، فضلاً عن كونه رئيسهم السياسي[10] ، وتم الاعتراف بملكية هؤلاء الخاصة والحرية في ممارسة النشاط الاقتصادي[11] لذا بدأ نفوذهم في الدولة العثمانية خلال مدة حكم السلطان محمد الفاتح، ولاسيما بعد فتح القسطنطينية، فاصبح اليهود جزءاً من الدولة العثمانية ، اذ تغلغل هؤلاء في المرافق

التجارية والصناعية من خلال امتلاكهم المحلات الكبيرة في ازمير وسلانيك واستانبول[12] الى الحد الذي عُدّ ذلك حداً فاصلاً في تاريخ اليهود العثمانيين[13] .

حدثت الهجرة اليهودية على نطاق واسع الى اراضي الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني(1481–1512م) قادمين من اسبانيا بعد سقوط غرناطة بيد الاسبان 1492م ، اذ هربوا مع من استطاع الهرب من المسلمين وقد((هرب اليهود الاسبان المضطهدون في جموع هائلة فلم يلجئوا الا الى تركيا))[14] .

كما حدثت هجرة مماثلة في نهاية القرن الخامس عشر من وسط اوربا الى اراضي الدولة العثمانية ، فسكن هؤلاء مختلف المدن بما فيها استانبول ، فكانوا خير داعم للحرف المختلفة والتجارة ، اذ تولوا مكانة مهمة ولاسيما في الشؤون المالية[15] واستقر قسم كبير منهم في سلانيك ، فضلاً عن الجزائر وتونس وليبيا ومصر وسوريا وفلسطين[16] .

وفي عهد السلطان سليم الاول(1512–1520م) وبعد ان اصبحت بلاد الشام تابعة للدولة العثمانية 1516م[17] ، بدا يهود اوربا يهاجرون اليها واقاموا بنحو خاص في الاماكن المقدسة(القدس ، الخليل ، طبريا ، صفد) اذ منحهم السلاطين العثمانيون الامان وعاملوهم معاملة حسنة[18] .

يمكن القول عن اوضاع اليهود في الدولة العثمانية ، بانهم تمتعوا بحرية العبادة[19] ، وبقدر كبير من الاستقلال الذاتي والاداري والطائفي ، فكان الحاخام (باشي) ممثل اليهود امام الحكومة العثمانية ، كما سمح لهم اختيار رؤسائهم الروحيين بحرية ، فضلاً عن حل الخلافات فيما بينهم من خلال المحكمة اليهودية التي تحكم بينهم بموجب شريعتهم[20] والنظر في القضايا المدنية كالزواج والطلاق والنفقة ، مع استثناء الجرائم الكبرى والقضايا المتعلقة بامن الدولة التي كانت من اختصاص الدولة[21] ، وتمتعت مدارسهم الطائفية باستقلال ثقافي ذاتي من خلال عدم

التدخل بالأموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية والتعليمية[22] ، حتى وصف نهوضهم في القرن السادس عشر بانه لانظير له[23].

الامتيازات الاجنبية[24] في الدولة العثمانية

عقدت الدولة العثمانية عدة اتفاقيات مع العديد من الدول الاوربية ، اذ اتخذت الشكل الرسمي للمعاهدات معها ، واصبحت تسمى بالامتيازات الاجنبية عام 1535م ، بالرغم من توقيع معاهدة عام 1454م مع البندقية ، حيث نال تجارها تسهيلات كثيرة في حماية الممتلكات وتبادل السلع والتنقل ، وكانت ذات طابع تجاري بحت[25].

يعد عام 1535م البداية الحقيقية للامتيازات[26] ، اذ عقدت الدولة العثمانية معاهدة او اتفاقية مع فرنسا في ذلك العام ، عندما وضعت هذه المعاهدة نظاماً للامتيازات وشرعيتها بصورة رسمية حصل بموجبها الفرنسيون على امتيازات تجارية واسعة في الدولة العثمانية[27] ، الا ان هؤلاء لم تكن لهم اية امتيازات على حساب رعايا الدولة العثمانية خلال هذه المدة على الاقل[28] ، بالرغم من انهم حصلوا فيما بعد على حقوق اكثر من رعايا الدولة انفسهم[29].

فُسِرَّ عقد الدولة العثمانية لهذه المعاهدة تفسيرات عديدة ، منها ان الدوافع السياسية كانت العامل الاهم بغية كسب ود فرنسا الى جانب الدولة العثمانية[30] ، وهناك تعليل آخر يعطي الاولوية للجانب الاقتصادي ، بعد ان شعرت الدولة العثمانية بالقلق من جراء تحول تجارة الشرق من اراضيها نحو طريق رأس الرجاء الصالح ، وزيادة الاهتمام بالاراضي الجديدة في قارة امريكا على حساب الشرق[31] ، بينما فسر بعضهم ذلك نتيجة ضعف السلاطين بعد سليمان القانوني(1520–1566) فبدأوا بالتودد للاوربيين ، فكانت الامتيازات مزيداً من الحقوق لهؤلاء الاوربيين على حساب الدولة[32] ، ولكن ينبغي ان تفهم سياسات الدول على انها نابعة من عدة اعتبارات او عوامل وليس عامل واحد ، لذا يمكن القول عن هذه الامتيازات بانها لاتخرج من سياق

العادات التي كانت متبعة في معاملة التجار الاجانب ، فضلاً عن اعتبار العثمانيين بان الشريعة الاسلامية تقر هكذا نوعاً من الاتفاقيات فضلاً عن روح العصر الجديد الذي قاد الى تطور في علاقات الدول مع بعضها[33] .

ان الامر الجدير بالذكر ان المعاهدة لم تذكر شيئاً عن رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين ، اذ ورد ذكر هؤلاء لأول مرة في اتفاقية عام 1604م[34] ، وقد اضيفت الى هذه المعاهدة تعهدات جديدة ففي المادة الرابعة منها اعترف لملك فرنسا بحق حماية النصارى الكاثوليك من رعايا دول اوربا في الدولة العثمانية[35] ، ولم تقتصر العلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا على هذه المعاهدة ، بل اعقبتها العديد من المعاهدات منها ماعقد في الاعوام1569، 1618، 1604، 1597، 1581 ، 1673، 1649، 1640، وعام 1740، علماً ان المعاهدة الاخيرة لاتعني نهاية الامتيازات ، بل انها اتسمت بصفة الدوام ، كونها اصبحت سارية المفعول حتى لو مات السلطان او عزل[36] .

ونتيجة لذلك ان المصالح الاقتصادية كانت تأتي في المقام الاول في تشكيل الدبلوماسية الاوربية وتوجيهها[37]، حاولت الدول الاوربية الاخرى بسبب ذلك منافسة فرنسا في الحصول على امتيازات مماثلة في الدولة العثمانية، بغية ارساء قواعدها الاقتصادية فيها ، فكانت انكلترا السباقة في هذا المجال عندما عقدت عام 1580م معاهدة مع الدولة العثمانية تضمنت اثنتان وعشرون مادة ، حددت فيها الحقوق الممنوحة لهم ، وكانت مماثلة للمعاهدات الفرنسية من حيث حرية التجارة والاقامة في الدولة العثمانية[38] ، ثم تبعتها هولندا عام 1613م وروسيا عام 1717م وبروسيا عام 1740م والنمسا عام 1818م وكل الدول الاوربية عدا سويسرا[39] ، كما عقدت معاهدة في عام 1828م مع الولايات المتحدة الامريكية تضمنت فتح القنصليات بينهما ، فضلاً عن بنود تتعلق بخفض الضرائب والرسوم الكمركية ، وتعهدت فيها

الدولة العثمانية بمعاملة التجار الامريكان كما يعامل تجار الدول الاوربية الاخرى[40] ، علماً ان هذه المعاهدات لم تكن اقتصادية فقط انما كانت ذات ابعاد سياسية كذلك ، كما ان هذه الدول لم تقتصر في علاقاتها مع الدولة العثمانية على معاهدة واحدة فحسب ، بل عقدت اكثر من معاهدة معها لاعتبارات تتعلق بحصولها على تنازلات منها مع استمرار ضعف الدولة العثمانية اكثر من السابق مع تقادم الزمن[41] .

تضمنت بعض بنود المعاهدات المبرمة ، السماح للاوربيين على الاستقرار في الدولة العثمانية وظهر ماطلق عليه (الجاليات الاوربية) ، فاصبح لهم الحق في التجارة بحرية والملاحة مع تحديد الرسوم الكمركية على البضائع ، ومنعت الدولة وموظفيها من استخدام العنف ضدهم فضلاً عن ضمان حرية العبادة لهؤلاء ، واحترام مساكنهم ، فاصبح بمرور الزمن ومع استمرار نظام الامتيازات للقنصل الحق في الحكم بين رعايا دولته ، واللجوء الى السلطان في تنفيذ الاحكام في حالة وجود صعوبات تحول دون امكانية تنفيذ هذه الاحكام[42] ، من خلال تشكيل محاكم قنصلية خاصة ذات صلاحيات كاملة للنظر في الدعاوى التي تخص رعايا القنصلية ، وكان القنصل هو الذي يتولى امر القضاء بنفسه ، وبناءً على ذلك فان الاحكام الصادرة تنفذ على اراضي الدولة العثمانية [43] ، مما يدل على وجود ثنائية السلطة في الدولة العثمانية ، طالما ان القنصلية تحكم بمنأى عن قوانين الدولة ، فانعكس ذلك بنحو سلبي على هيبة الدولة وامنها[44] ، ولاسيما ان عمل القناصل والسفراء الرئيس هو الدفاع عن مواطنيهم واملاكهم ومصالحهم ، من خلال محاولة تطبيق ماجاء في الامتيازات الممنوحة[45].

اضيفت بمرور الزمن الى المعاهدات الجديدة بنود تعطي الحق للاجانب حماية غير المسلمين ، بحيث اصبح الكثير من النصارى واليهود بمثابة مواطنين للدول الاوربية التي تتولى حمايتهم من خلال القناصل[46] ولاسيما اذا علمنا ان

الامتيازات تعطي قناصل الدول الاخرى استقلالاً تاماً في تنظيم وتقرير شؤون مواطنيهم في القضايا التجارية والحقوقية والجزائية على وفق قوانينهم الخاصة[47] .

ينبغي الاشارة الى ان الدولة العثمانية توخت من هذه الامتيازات الحصول على منافع اقتصادية[48] ، فضلاً عن محاولة الاستفادة من خبرات الغرب ، بالرغم من كون النتائج جاءت عكسية من النواحي السياسية والاقتصادية من خلال السيطرة التي فرضتها الدول الغربية على الدولة العثمانية عندما اصبحت قادرة على التاثير على السياسة الداخلية لها كمعاملة اهل الذمة[49] ولاسيما ان هذه الاتفاقيات كمعاهدة بالطة ليمان مع بريطانيا 1838م قد حدت من مقدرة الدولة العثمانية على فرض ضرائب جديدة وفتحت اسواق البلاد للتجار الاجانب ، واباحت لهم حرية الاستيراد والتجارة بعد ان تم تخفيض الضرائب على البضائع المستوردة واصبحت 5% فقط بينما بلغت الضريبة المفروضة على الصادرات 12% وعلى السلع العابرة 3%[50]، ثم عقدت معاهدة مع فرنسا ومعظم الدول الاوربية الاخرى نصت الى حد ما على البنود نفسها التي تضمنتها المعاهدة مع بريطانيا[51] ، ثم بعد ذلك اصبح هناك تخفيضا للرسوم الكمركية على السلع الاجنبية من 10% الى 8% وفق المعاهدات التجارية المعقودة مع البلدان الاوربية عام 1862م[52] مع العمل على تخفيضها 1% سنويا الى أن تبلغ نسبتها 1%[53] ، الامر الذي ادى الى وضع الاقتصاد العثماني تحت نفوذ الدول الاوربية[54] ، علماً ان الدولة العثمانية قررت حرمان الاجانب من امتلاك العقارات ، وحاولت جاهدة تطبيق ذلك[55] ، بعد ان كانت قد بدات بعقد المعاهدات الجماعية مع الدول الاوربية كتلك التي عقدتها مع فرنسا وانكلترا وبلجيكا عام 1840م والحاح الدولة على تطبيق بنود هذه الاتفاقيات[56] .

بحلول عام 1874م الغيت الرسوم الداخلية كلها عن التجارة واستمر تحصيل 8% من قيمة المواد المنقولة بحرا من ولاية عثمانية الى اخرى او من مدينة الى اخرى[57].

انعكست هذه الامتيازات وما تضمنته المعاهدات المختلفة من حقوق للدول المختلفة في الدولة العثمانية ، وبنحو سلبي على الاقتصاد العثماني عندما اصبحت الدولة العثمانية غير قادرة على حماية الانتاج المحلي ، واقبل الناس على شراء المنتجات الاجنبية المستوردة ، فكسر الانتاج المحلي مع تدهور الصناعات الوطنية ، واختل الميزان التجاري ، مما جعل الدولة تشكو من عجز مالي كبير ، لم تر الدولة سبيلاً لمعالجته الا بالاستدانة من الخارج[58] ، اذ شهد عصر السلطان عبد العزيز 1861-1876م الانهيار المالي للدولة وارتفاع نسبة التضخم ، فاعلنت الدولة افلاسها عام 1875م عندما لم تستطع دفع الديون المترتبة عليها[59] حتى تم تشكيل لجنة(ادارة الدين العام) في عام 1881م تم بموجبها وضع بعض واردات الدولة العثمانية تحت تصرف هذه اللجنة كواردات الطوابع المالية والملح والسمك والحرير والتبغ[60] ، اذ استطاعت الدولة دفع مبالغ كبيرة وبنحو مستمر خلال السنوات اللاحقة ولاسيما وان الديون العثمانية خفضت من(191) مليون جنيه استرليني الى(106) مليون جنيه استرليني مع تخفيض الفوائد الى 1%[61] .

وتدار لجنة الدين هذه عن طريق مجلس مكون من سبعة اعضاء ، وهم بريطاني وفرنسي ونمساوي والماني وايطالي وعثماني ، فضلاً عن ممثل عن صيارفة غلطة ، ويرأس المجلس بالتناوب العضوان الفرنسي والبريطاني[62] .

في عام 1900م خفضت الرسوم الى 2% ، وفي عام 1909 الغيت الضريبة عن جميع السلع ما عدا القليل منها ، وعادت الدولة العثمانية فيما بعد تطالب الدول الاوربية بزيادة الرسوم الجمركية لخدمة التنمية[63].

وفيما يتعلق ببلاد الشام فانها وقعت تحت الاحتلالين الفرنسي والبريطاني ، فالغيت الامتيازات الاجنبية فيها بموجب نظام الانتداب 1920م ، اما الدولة العثمانية فقد استمر هذا النظام حتى عام 1923م حيث تخلصت من نظام الامتيازات[64] .

انعكاس الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود في بلاد الشام[65].

يعد القرن التاسع عشر نقطة تحول في تاريخ الولايات العربية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب التغلغل الاوربي فيها ، ومن جملة مانتج عن ذلك ان ظهرت فئات جديدة مرتبطة بهذه التحديات كالبرجوازية التي ارتبطت بالغرب ، فضلاً عن التغييرات على المستويين السياسي والفكري[66] ، ومن البديهي ان يشكل غير المسلمين في طليعة تلك الفئات ، مما جعل الدولة العثمانية تقر بان هناك خرق لنظام الملل الذي اعتمدت عليه في ترتيب وضع الاقليات في الدولة ، من خلال انعكاس التطورات الجديدة على اوضاع غير المسلمين من جميع النواحي[67] ، بحيث اصبح هذا النظام عامل تفكيك لبنية الدولة بنحو تدريجي نتيجة للتداعيات الايجابية على اوضاع هؤلاء من خلال دورهم في تجارة الدول الاوربية داخل الدولة العثمانية ، نتيجة لتحول ولائهم على وفق مصالحهم وليس بموجب نظام الملل[68] .

عدَ هذا التحول بداية لزرع الاوربيين الاتجاهات الانفصالية عن الدولة العثمانية منذ نهاية القرن الثامن عشر ، ولاسيما انه كان مترافقاً مع تحولات اجتماعية شاملة نتيجة لهذا التغلغل الاوربي ، وكان مظهر هذه التحولات متغيرات اقتصادية وايديولوجية ، وما ادل على ذلك التغير الذي طرأ على مفهوم الملة في القرن التاسع عشر انه اصبح مرادفاً لمفاهيم اخرى كالامة او الشعب[69] مما جعل البعض يعد غير المسلمين احد اهم ادوات النفوذ الاوربي في الدولة العثمانية[70] ولاسيما ان متغيرات جديدة ظهرت لدى الملل عندما برزت فئات جديدة من التجار والمثقفين لم تعتمد على

الاسس التقليدية ، بل ان الوعي السياسي المرتكز على اسس اثنية قومية هو المعيار الاساسي لهذه المتغيرات فحلت محل نظام الملل[71] .

ومع تنامي دور هذه الفئات غير الاسلامية ، ولاسيما من الناحية الاقتصادية الا ان هذا الدور يكاد يكون شاذاً بسبب تناقض هذا الدور مع نظام الملل العثماني ، مما ادى الى ايجاد نوع من التعارض بين الجانب التشريعي والواقع الاقتصادي ، فشكل ذلك الظروف الموضوعية التي حدت بالدولة العثمانية الى تشريع التنظيمات العثمانية[72] .

استفاد اليهود منذ وقت مبكر من الامتيازات الاجنبية التي اعطيت للرعايا الاجانب فحققت لهم فوائد كثيرة ، إذ تضمنت اعطاء القناصل والسفراء الاجانب سلطة قضائية على رعاياهم ، مع ضمان حقوقهم في التجارة والامن والحرية الدينية ، كما شملت هذه الامتيازات كل العاملين لدى الاجانب اصحاب الامتيازات كالمترجمين ، اذ اصدرت الدولة ضوابط معينة وتعليمات تم الزامهم بها عندما يعملون في القنصليات الاجنبية في مختلف ارجاء الدولة العثمانية وكان معظمهم من النصارى واليهود[73] لذا فان الحماية شملت هؤلاء اليهود ، فأدى هذا النظام دوراً كبيراً في حياتهم في الدولة العثمانية بنحو عام ، ولاسيما اذا علمنا ان الهجرة اليهودية استمرت نحو اراضي الدولة ، فحافظوا على تبعيتهم الاصلية مع كل مالها من امتيازات استثنائية تتمتع بها الدول الاخرى في الدولة العثمانية[74] .

فعلى سبيل المثال بلغ عدد اليهود الذين منحوا الحماية البريطانية في مدينة حلب وحدها بين عامي 1848–1861م تسعة عشر يهودياً وارتفع عام 1881م الى اربعين يهودياً ، كان لمعظمهم روابط تجارية معها[75] .

ان ارتفاع اعداد التابعين للحماية الاجنبية او ادعاء البعض الاخر بذلك بغية الحصول على امتيازات الحماية والتخلص من الواجبات الملقاة على عاتقهم ، جعل الادارة العثمانية تتشدد ازائهم من خلال التأكد من ذلك ، فضلا عن ايجاد ضوابط جديدة للحد من اعدادهم[76].

انعكاس الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود في بلاد الشام من الناحية الاقتصادية

ان اهم ما اعاق الدولة العثمانية ومنعها من محاولة التخطيط الاقتصادي وبالتالي حماية الانتاج المحلي هو ارتباطها بنظام الامتيازات الاجنبية[77] .

تعد الامتيازات التجارية من اهم الامتيازات التي حصل عليها الاوربيون ، والتي انعكست بنحو واضح وجلي على اوضاع غير المسلمين ، وبقدر تعلق الامر باليهود فان هؤلاء استفادوا كثيراً من الامتيازات في بلاد الشام ولاسيما بعد منتصف القرن التاسع عشر ، عندما ازداد حجم التدخل الغربي في الدولة العثمانية ، مما ساعد على تحسن اوضاع اليهود في جميع المجالات ولاسيما الاقتصادية منها والتي اتاحت لهم العمل في كافة الهيئات الادارية[78].

وقبل الحديث عن اوضاعهم في بلاد الشام لابد من الكلام قليلاً عن اوضاعهم في مركز الدولة اذ عمل قسم منهم كملتزمي ضرائب من خلال عملهم في وظائف السمسرة بين الادارة العثمانية والتجار الاجانب ولاسيما الرسوم الكمركية والضرائب التي تجبى من البضائع والسفن، كما كان قسم منهم اصحابا للمصارف كونهم صيارفة لذا كانوا على تماس وثيق بالاجانب[79] اذ امتلك هؤلاء عددا من المصارف الخاصة ، فقد تبين مع نهايات القرن التاسع عشر ان من بين اربعين من اصحاب المصارف الخاصة كان ثمانية من اليهود وذلك في مدينة اسطنبول وحدها[80] .

ترتب على نشاط غير المسلمين في ميدان التجارة ان انعكس ذلك على النقابات المهنية التي تعكس طبيعة النشاط التجاري ، فكان هؤلاء ناشطين في بعض النقابات المهنية في اسطنبول ولاسيما الذين تعاملوا مع التجار الاجانب ، أي عملوا في التجارة الخارجية ، فعملوا في تجارة الجلود والصوف وتجارة اللؤلؤ[81] .

لم يقتصر اثر الامتيازات على اليهود في القرن التاسع عشر فقط ، فقد ظهرت آثار ذلك من خلال الاوضاع الاقتصادية لهؤلاء في القرون السابقة ، ويمكن الاستدلال على غناهم من خلال كون تجارة الاوربيين مع الدولة العثمانية كانت بيد النصارى واليهود ، بدليل ان تجارة البندقية في القرن الثامن عشر تتعامل مع اربع مؤسسات بندقية واربع مؤسسات يهودية في الولايات العربية[82] ، مما جعل التجار اليهود مقرضين لحكومة ولاية دمشق والحكومة المركزية في بعض الاحيان ، الى الحد الذي جعل احد الباحثين يتحدث عن كون احد اليهود الاغنياء يسمى مجازاً وزير المالية[83] .

ان هذا الدور الفاعل لغير المسلمين خاصة من الناحية الاقتصادية ، نتج عن تداعيات نظام الامتيازات الاجنبية ، بحيث كاد ان يختفي معها نظام الملة العثماني ، فنظر الاوربيون الى غير المسلمين كأقليات تابعة او شبه تابعة لهم[84] .

ان تطور النفوذ الغربي في القرن التاسع عشر قد منح اهمية اكبر لوسطاء الاقلية ، وعزز الدور الذي أدوه وخصوصاً ان العثمانيين تحاشوا التجارة الدولية ، فظهر تبعاً لذلك تحالف بين الاقليات والدول الغربية لايذاء الدولة العثمانية[85] .

أدى اليهود دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية في مختلف ارجاء بلاد الشام ، ففي مدينة حلب كان لهم الدور الفاعل من خلال كونهم اصحاب مصارف وسماسرة بورصة[86] ، كما أدوا الدور نفسه في دمشق ، عندما عملوا صرافين ولاسيما في القرن التاسع عشر الى جانب النصارى[87] اذ ان عمليات الصرافة وعقد الديون بفوائد كبيرة احتكرها اليهود من أهالي دمشق[88] ، فضلاً عن دورهم في التجارة الخارجية من خلال كون اكثر القناصل منهم ولاسيما من عائلة مركوبولي وهم قناصل اسبانيا وبعض الدويلات الايطالية وعائلة بيجوتو(قناصل النمسا) ، فاستثاروا المسلمين والنصارى وسيطروا على امور القوافل التجارية ومما يدلل على ذلك النفوذ ، انهم

حملوا هذه القوافل على الاستراحة يوم السبت ، مما جعلهم اكثر قدرة على فرض الاسعار [89] .

كان للسيطرة المصرية على بلاد الشام[90] عام 1831م انعكاساً كبيراً على اوضاع غير المسلمين ، من خلال سياسة المصريين التي انصفت هؤلاء اكثر من السابق ، فأدت الى الانتعاش الاقتصادي في جميع المجالات[91] .

شهد القرن التاسع عشر تطورات جديدة في الدولة العثمانية منها حركة التنظيمات ، كخط شريف كولخانه 1839م وخط همايون 1856م واعلان الدستور العثماني 1876م ، اكدت جميعها على ضرورة المساواة بين رعايا الدولة العثمانية بغض النظر عن الدين او المعتقد[92] كما شهدت هذه المدة ضعف واضح في مؤسسات الدولة العثمانية[93]، وقد ترافق ذلك مع الامتيازات الاجنبية ، فحدث نوع من التعارض بينهما ، اذ ان قادة الاصلاح لم يفلحوا في اقناع الاوربيين بالتنازل عن حماية الامتيازات او منع رعاياهم من غير المسلمين من الحصول على حماية القناصل الاوربيين والاعفاء من قوانين الدولة العثمانية[94]، مما جعل غير المسلمين لايستغنون عن اللجوء الى الحماية الاجنبية[95] الامر الذي ادى الى ابقاء اثر الامتيازات طاغياً على غير المسلمين ، ويجب ان يفهم ان المتغيرات السياسية التي تحدث في الدولة العثمانية لم تكن تنعكس بنحو ايجابي على الاقليات بنحو دائم كما حدث بعد الانسحاب المصري من بلاد الشام ، اذ ان النظام الضريبي الجديد انعكس بنحو سلبي على اليهود وذلك عام 1840م ، مما جعل الاعتقاد القائل بان مصلحة الاقليات مرتبطة بالوجود الاجنبي في الدولة العثمانية سائداً[96] ولاسيما ان التطورات الجديدة لاوضاع اليهود في الدولة العثمانية اكدت ذلك ، اذ ان الضعف المستمر في الدولة العثمانية ادى الى حدوث هجرة واسعة النطاق لليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى فلسطين ، حيث ان هذه الهجرة ارتبطت بنظام الحماية

الاجنبية التي وفرتها القنصليات الاوربية بموجب نظام الامتيازات الاجنبية فكان من المزايا التي استفادوا منها انهم يحملون الجنسية الاوربية ، لذا لم تدقق الدولة في دخول هؤلاء اليهود واستقرارهم في فلسطين ، بمساعدة قناصل دولهم التي سهلت لهم ذلك فضلاً عن تنظيم احوالهم ورعاية مصالحهم[97] ولاسيما الانكليز الذين سهلوا وصول هؤلاء الى فلسطين من اوربا حيث استقروا في القدس وصفد وطبريا ، مما ادى الى ارتفاع عدد المهاجرين خلال سنوات قليلة ، فاعتمد هؤلاء على انفسهم من خلال العمل بدلاً من الاعتماد على التبرعات والصدقات من اوربا[98] .

وبالرغم من ان زيادة عدد اليهود لها دلالات اجتماعية واضحة بالنسبة لهم ، الا انها تنطوي كذلك على دلالات اقتصادية في الوقت نفسه ، ففي الوقت الذي استمر فيه ثراء اليهود في دمشق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من خلال امتلاكهم فيها اربعة وعشرين بيتاً تجارياً ، بلغ مجموع راسمالها ما بين (18–26) مليون قرش ، بحيث بلغ متوسط راسمال كل تاجر مابين(600–700) ليرة ذهبية استرلينية ، بينما كان تسعة تجار منهم يبلغ راسمال كلاً منهم مابين مليون ومليون ونصف من القروش[99] ، مما جعلهم اصحاب نفوذ كبير في تجارة دمشق مع بريطانيا ، الامر الذي جعلهم اثرياء قياساً بالسكان المحليين من المسلمين الذين طلبوا منهم القرض لتسديد الغرامة التي فرضت عليهم في احداث 1860م في دمشق ففعلوا لكن بفوائد عالية[100].

استغل الصرافين اليهود بالدرجة الاساس الفلاحين في سوريا عندما استدان هؤلاء الاموال منهم بفوائد عالية تراوحت ما بين 24–40% ، ولما لم يكن للفلاح القدرة على تسديد هذه الاموال فأنه اضطر الى فقدان ارضه من خلال الحجز عليها مقابل الدين فتصبح ملكا لليهود ولاسيما ان اليهود كانوا محميين او تابعين لقنصلية اجنبية ، مما جعل موقفهم اكثر قوة من غيرهم ، ولم يقتصر تعامل اليهود مع

المزارعين فقط بل تعاملوا مع التجار والكتبة واصحاب الاملاك ، فضلاً عن موظفوا الادارة العثمانية بحيث انهم حجزوا على بعض املاكهم كي يكونوا ملزمين بتسديد الديون، على ان ذلك لم يختص بالرجال فقط بل كان للمراة اليهودية دورا عندما مارست عمليات عقد الديون في دمشق ولاهل الريف من خلال ذكر ذلك في بعض الوثائق ، فعلى سبيل المثال هناك وثيقة تقول:"مدعية استير بنت شمعون من اهالي الشام/ مدعى عليه (محمد بن عبده يحى) من اهالي قرية دوما دين مبلغ (1725قرش) بموجب سند للامر". وهذه المراة نفسها هي التي وضعت اموال لها عند الصراف يوسف فارحي بغية استثمارها مدة ستة اشهر متتابعة بالفائدة ، ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الصرافون احتمى جميعهم بالدول الاجنبية وقناصلها من خلال الامتيازات اذ كان معظمهم من تبعات دول اجنبية[101].

اما يهود لبنان ، فقد كان معظم يهود بيروت ، ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يعملون بالتجارة او بالمعاملات المالية ، وبذلك اندمجوا في الحياة الاقتصادية للبلاد ، في حين كان يهود شمال سوريا يعملون في تجارة النسيج المستورد من حلب ، وعملوا كذلك في الصناعات الصغيرة مثل صناعة الصابون ، وكان بعض يهود هذه المنطقة من الاثرياء يعملون بالوساطة بين الفلاحين اصحاب الاراضي والمواشي وبين تجار المدينة ، وكان هؤلاء الفلاحون يعملون في بعض الاحيان اجراء لدى هؤلاء الوسطاء[102].

اما في فلسطين ، فقد كانت اوضاع اليهود هناك افضل من اوضاع يهود سوريا ، اذ جلبت فلسطين العديد من الاوربيين واليهود من انحاء العالم فساهمت انشطتهم الاقتصادية ، ولاسيما في ثلاثينات القرن التاسع عشر في تطور الاوضاع الاقتصادية ، كما ساهمت اموال الشخصيات اليهودية الثرية في اوربا مثل موشيه مونتيفوري وعائلة روتشيلد ودي بيجوتو وغيرهم في الارتقاء بالاوضاع الاقتصادية في

فلسطين ، كما ساهم يهود اوربا والدولة العثمانية والمغرب العربي الذين كانوا قد هاجروا الى فلسطين بذلك التطور من خلال اشتغال العديد منهم في الزراعة والصناعة[103] ، وقد انعكست الهجرة اليهودية على الاوضاع في فلسطين ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي صفد ارتفع عدد اليهود الى اكثر من ستة آلاف بحيث شكلوا قرابة ثلث عدد السكان هناك ، بحيث استطاعوا الاستحواذ على نسبة عالية من تجارتها ، وكذلك الحال في طبريا اذ زاد عددهم ليصل الى اربعة آلاف في مختلف نواحيها ، والذي دل على نفوذهم الاقتصادي انهم اصبحوا يملكون(110) آلاف دونما على الرغم من كونهم لايمثلون الا ربع سكان المدينة[104].

ان هذه الزيادة الكبيرة في اعداد اليهود والمهاجرين الى فلسطين خاصة ، والذي نتج عنه زيادة نفوذهم الاقتصادي ماكان ليحدث لولا دعم الدول الاوربية ، فكان شراء الاراضي وانشاء المستوطنات وامتلاكها ، تم بموجب تشريع عثماني عام 1867م الذي اعطى الحق لهؤلاء بالتملك في جميع ارجاء الدولة العثمانية عدا الحجاز والذي صدر نتيجة الضغوط الاوربية[105] .

اما متصرفية القدس (يافا– غزة – بئر السبع – الجليل)، فقد كان عدد اليهود قليلاً في بداية القرن التاسع عشر ، الا ان عدد هؤلاء اصبح كبيراً في نهاية القرن بحيث شكلوا اكثر من نصف عدد السكان هناك[106] وقد ملكوا الكثير من الاراضي الزراعية ، فعلى سبيل المثال في يافا وفي نهاية القرن التاسع عشر كان نحو ثلث الاراضي الزراعية بايديهم[107] ، مما ادى الى ارتفاع الاسعار نتيجة كثرة عدد المهاجرين الى فلسطين[108] .

يمكن القول ان هناك عوامل عديدة ادت الى تمركز تجارة الاوربيين بيد النصارى واليهود العثمانيين في بلاد الشام ، منذ القرن الثامن عشر منها ان الجاليات الاوربية[109] في الولايات العثمانية بدات تتكفئ لعدم وجود الامان المطلوب ، فضلاً

عن قدرتها على تحقيق ارباح اوفر في اماكن اخرى ، فضلا عن حصول غير المسلمين على حماية القنصليات الاوربية ، وكذلك معرفتهم باللغات الاوربية واساليب التجارة ، فنشأت بذلك فئة جديدة على تماس ومعرفة بالحياة الاوربية[110] .

ان انشاء المصارف الحديثة كان له اثر سلبي على اوضاع اليهود الاقتصادية فحاولوا مسايرة التطورات الجديدة من خلال العمل في مجال الصيرفة ، ففي حلب اصبح لهم بنك صنعرا ، وفي دمشق كان لهم بنك زلخة القريب من سوق الحميدية[111] .

ومجمل القول ان التاريخ الاقتصادي للدولة العثمانية ابان القرن التاسع عشر اتسم بظاهرتين رئيسيتين ، تمثلت الاولى في ركود الوضع الاقتصادي داخل الدولة العثمانية وتدهور حجم التجارة الخارجية مع الدول الاوربية، اما الثانية فتمثلت في تحسن مكانة النصارى الاقتصادية في الدولة بعد ان عملوا تحت الحماية الاوربية ، فانعكست هاتان الظاهرتان على اليهود بنحو سلبي فالحقت اضرارا جسيمة بأوضاعهم الاقتصادية ، مما جعل انشطتهم التجارية محدودة للغاية باستثناء فلسطين التي حدثت فيها تحولات اقتصادية كبيرة كان لها اثر في تحسن اوضاعهم الاقتصادية[112].

ان هذه الاوضاع الاقتصادية المزدهرة لتجار اليهود في بلاد الشام لا تعني ان جميع اليهود كانوا ميسوري الحال بالرغم من عمل نسبة عالية منهم بالتجارة ، كانت نسبة كبيرة منهم يعملون كباعة متجولين ، لذا فان نسبة العاملين في قطاع التجارة بلغ 75% بينما كانت نسبة 10% منهم يعملون كفنانين ومعلمين ، في حين كان 15% منهم يعيشون على التبرعات[113] .

انعكاس الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود من الناحية الاجتماعية

ترتب على الامتيازات الاجنبية انعكاسات من الناحية الاقتصادية ، فكان لابد ان ينعكس الوضع الاقتصادي لليهود على الاوضاع الاجتماعية ، فكانت الهجرة اليهودية المستمرة الى اراضي الدولة العثمانية بشكل عام وبلاد الشام وفلسطين بشكل خاص تمثل احد مظاهر هذا الانعكاس الاجتماعي ، على اعتبار ان اعداد هؤلاء ستزيد ، ومن ثم سيعزز ذلك موقفهم باستمرار ، على ان هذه الهجرة بدات منذ وقت مبكر من القرن السادس عشر، حتى وصلت اعداد هؤلاء المهاجرين الى فلسطين (130) عائلة[114] .

يرجع تاريخ الوجود اليهودي في سوريا ولبنان الى مرحلة قديمة ، وكان معظم يهود هذين البلدين من فلسطين او اليهود الذين جاءوا من اسبانيا (الأندلس) ، ولا توجد ارقام دقيقة عن اعدادهم في بلاد الشام كونها تعتمد على التقدير ، وفي كل الاحوال فأن اعدادهم قليلة قياسا بما موجود منهم في فلسطين، إذ استقر معظم يهود سوريا في دمشق وحلب وبلغ عددهم خلال القرون السادس عشر حتى القرن الثامن عشر بضعة الاف ، اما اليهود في حماه وحمص فكانت اعدادهم قليلة ، اما في لبنان فكانت هناك اعداد قليلة منهم في طرابلس وبيروت وصيدا وبعلبك ، فضلا عن وجودهم باعداد محدودة في بعض المناطق الدرزية في جبل لبنان ولا سيما في دير القمر ، وظهرت بعد ذلك العديد من الارقام كتلك التي ذكرها الرحالة اليهود، فضلا عن الاعداد المذكورة من قبل القناصل الاوربيين ، وفي كل الاحوال فان اعداد هؤلاء في منتصف القرن التاسع عشر لا يتجاوز اربعة عشر الفا ، مع العلم ان هناك هجرة واسعة النطاق حدثت خلال المدة المذكورة من قبل اليهود والنصارى من سوريا تجاه الولايات المتحدة الامريكية ودول امريكا الجنوبية[115]. اما في فلسطين فالتقديرات تشير الى ان اعداد اليهود فيها حوالي اربعة الاف كان معظمهم يقيمون في القدس، اذ

وصل عددهم حوالي ثلاثة الاف، في حين سكن الباقين في الخليل وطبرية وصفد ، كما اقام قلة منهم في عكا وغزة وذلك في القرن الثامن عشر، في حين قدر عددهم في ثلاثينيات القرن التاسع عشر بعشرة الاف ، كان معظمهم في القدس ، بينما وصل عددهم عام 1880م زهاء ستة وعشرين الف اقام غالبيتهم في القدس ، ووصل عددهم قبيل الحرب العالمية الاولى الى ثمانية وثمانين الفا كان نصفهم يقيم في القدس[116] ، علما ان سكان الولايات الشامية في القرن التاسع عشر موضحة في الجدول الاتي على شكل تقديري :

السكان في سوريا مقدرة بالف نسمة في بعض الولايات[117]

الولاية	عام 1878 م	عام 1896/95م
دمشق	670	840
بيروت	30	760
القدس	240	290
حلب	800	970

وبالرغم من اهمية وجود اعداد كبيرة من جماعة معينة في مكان ما ، وهذا ما حدث لليهود في بلاد الشام ، الا ان هذه الاهمية تكتمل اذا كان لهؤلاء دور في الحياة العامة ، وهو مافعله اليهود كذلك عندما أدوا دوراً كبيراً في الادارة المالية لبلاد الشام بنحو عام ، ولاسيما دمشق وحلب وصيدا ، وبرزت في دمشق وصيدا عائلتا فارحي والسكروج[118] .

وصل حد تسلط اليهود على الادارة المالية في الشام انهم نظموا الحسابات بطريقة لا يفهمها غيرهم كي يحافظوا على استمرار احتكارهم لهذه المهنة[119] .

اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع المحيط بهم طيلة الحقبة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر بقدر كبير من الاستقرار ، وكانت اماكن العمل طيلة هذه المدة تجمعهم بالنصارى والمسلمين ، وكان ابناء هذه الطوائف يلتقون معا انذاك خارج العمل ايضا ، وتجدر الاشارة هنا الى ان نتائج الابحاث الحديثة اثبتت ان يهود الدولة العثمانية تأثروا الى حد كبير بكافة فنون المجتمع الاسلامي ، كما تسللت بعض مظاهر هذا التأثير الى الممارسات الدينية اليهودية ، وكان للاستقرار الذي كانت عليه السلطة دورا في تلك العلاقات ، فقد حدث تغيرا فيها في القرن التاسع عشر عندما اهتزت علاقة هؤلاء مع المجتمع المحيط بهم[120].

ان نفوذ اليهود ودورهم في المجتمع يتجلى كذلك في حصولهم على مكاسب لم يكونوا ليحصلوا عليها في السابق ، لولا تصاعد هذا النفوذ ، وذلك عندما قاموا في طرابلس بتحويل ارض كانت تابعة لاوقاف المسلمين الى ملك لهم تابع لكنيسهم وذلك في القرن الثامن عشر[121].

وبالرغم من كون علاقة اليهود الاجتماعية مع بقية الطوائف الاخرى في دمشق محدودة جداً ، اذ كانوا مغلقين على انفسهم[122] ، الا ان ذلك لايمنع من وجود تواصل اجتماعي بينهم والسكان الاخرين ولاسيما المسلمين ، ففي حلب على سبيل المثال كان هناك حي باسم اليهود في القرن الثامن عشر كانوا يسكنونه ، الا ان عدداً من المسلمين كانوا يسكنونه الى جانبهم كما وجدت منازل للمسلمين بالقرب من الكنيس اليهودي ، في حين امتلك اليهود منازل في حلب على مقربة من احد مساجد المسلمين[123] ، فضلا عن الى ان بعض الطقوس الاجتماعية لليهود كالاعراس كان قسماً منها ماخوذا من المسلمين[124]، مما يؤكد وجود التواصل بين اليهود والمسلمين.

ويلاحظ نفوذ اليهود واضحاً عندما رفع اهالي دمشق شكوى ضد هؤلاء عند السلطان العثماني محمود الثاني(1808–1839م) الذي استجاب لهم عندما اصدر

اوامره بطرد اليهود من عملهم ، الا ان والي دمشق لم يستطع تنفيذ الامر لعدم استطاعة الاخرين ان يحلوا محلهم لعدم معرفتهم باللغة واسرار العمل[125] الامر الذي جعلهم في مركز اجتماعي يتناسب مع اهمية دورهم في الحياة العامة ، والذي دل على ذلك ان نفوذهم كان في تصاعد مستمر الى الحد الذي جعل الدولة العثمانية تتعامل مع اليهود المهاجرين الجدد على انهم جزء من المجتمع وان كان ذلك بموجب نظام الامتيازات الاجنبية[126] .

وبالرغم من اهمية الحرية في ممارسة النشاط الاقتصادي ، الا ان هذه الاهمية تتجلى بشكل اكثر وضوحاً عندما يحدث تغيير في بنية المجتمع ، وبقدر تعلق الامر باليهود ، فان هذه التطورات قادت الى ان تبرز فئة جديدة نافست فئة رجال الدين(الحاخامات) في قيادة المجتمع اليهودي في الدولة العثمانية ، وهي فئة العلمانيين الذين كانوا متنفذين في الشؤون السياسية والاقتصادية كالاطباء والتجار والسياسيين البارزين[127] اذ تفوق هؤلاء في القرن التاسع عشر من خلال تأديتهم دوراً كبيراً في المجتمع ، حتى ان المدارس المدنية تفوقت على المدارس الدينية التي كانت خاضعة للمؤسسات الدينية[128] .

كان اليهود اصحاب طموح غير محدود في المجالات كافة ، اذ كانوا في العهد العثماني ملزمين بارتداء زي معين رجالاً ونساءاً ، لذا حاولوا استغلال التحولات الجديدة في اوضاعهم من خلال عدم تقييدهم بارتداء ملابس معينة الى ان تمكنوا من خلال وضع انفسهم تحت حماية القناصل الاجانب الذين استطاعوا بدورهم استصدار فرمان سلطاني تم بموجبه السماح لهم بارتداء الازياء الاوربية[129] ، كما فعل الصراف اليهودي روفائيل الفارحي[130] .

ان اعمق اثر للامتيازات على الاوضاع الاجتماعية ، ظهور طبقة وسطى غنية ، نتيجة الاتصال المتنامي بين بلاد الشام واوربا ، عندما تفاعلت عوامل التطور

الاقتصادي والاجتماعي ، فاصبحت هذه الفئة تنشط في الحياة الاقتصادية ماسكة بنحو تدريجي باسباب القوة ، وما يميز هذه الفئة عن بقية الفئات التقليدية الغنية الاخرى ، انها كانت اكثر استجابة لمتطلبات المرحلة الجديدة ، من خلال (البرغماتية) التي اتصفت بها ، فاتقنوا التعامل مع الاوربيين في بلاد الشام وتعلموا لغة هؤلاء ، وكانوا اكثر تكيفاً مع الاوضاع الاقتصادية الجديدة واحسنوا التعامل مع الرساميل الاجنبية ، مما جعل هؤلاء قادة التغيير في مجتمع بلاد الشام ، اجتماعياً وثقافياً ، لذا فان غير المسلمين سيكونون في طليعة هذه الفئة ، كونها كانت اقدر من المسلمين في التكيف مع افكار الغرب وقيمه ، وبالرغم من كون النصارى كانوا في طليعة هؤلاء ، الا ان اليهود كان لهم حظاً وافراً من هذا التغيير الاجتماعي[131] على ان هذا التكيف مع الافكار الجديدة من خلال التعليم ووسائل الاتصال الاخرى ، كان لها انعكاس سلبي على فئة الشباب اليهودي في بلاد الشام من خلال ظهور فئة جديدة من هؤلاء ابتعدت عن التقاليد اليهودية ، اذ ان اعداداً من هؤلاء الذين درسوا في المدارس النصرانية والمدارس اليهودية الحديثة ، لم تعرف شيئاً عن التعاليم اليهودية ، فكانوا منفصلين بالكامل عن عالم الفكر اليهودي[132] .

ان عدم الاستقرار الاقتصادي، ولاسيما لدى بعض الفئات في المجتمع اليهودي، كان من اهم العوامل التي ادت الى انهيار الاطر الطائفية القديمة ، والى التخلي عن اسلوب الحياة الديني التقليدي الذي كان يشكل حتى ذلك الحين عاملا موحدا لابناء كل الطوائف اليهودية ، وكان من بين مظاهر التخلي عن التقاليد اليهودية ان اعدادا كبيرة من التجار والعمال اليهود كانت تعمل يوم السبت[133].

انعكاس الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود الثقافية والتعليمية

كانت اوضاع اليهود الاجتماعية والقانونية بالدولة العثمانية طيلة المرحلة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر مستقرة ولم تطراء عليها تغييرات تذكر ، وقد عاش اليهود طيلة هذه المدة بما يتماشى مع الشريعة الاسلامية ، ومع المصالح العملية للحكام الذين لم يطبقوا دائما تعاليم الشريعة الاسلامية على اليهود ، ولذلك فقد نعم اليهود من الناحية الاجتماعية طيلة هذه المدة بحرية التنقل من مدينة الى اخرى، وباستقرار علاقاتهم مع المجتمع المحيط، ومع هذا كانت هناك بعض الاستثناءات لهذه القاعدة فلم يسمح لليهود في بعض الاحيان بحق التنقل بين المدن ، وفيما يتعلق باوضاعهم ابان القرن التاسع عشر ، فقد طرات عليها تغييرات كثيرة للدرجة التي يصعب معها رسم صورة واضحة المعالم لاوضاعهم خلال هذه الحقبة ، ويكمن وجه الصعوبة في ان هذه المدة شهدت تغيرات سياسية بالغة الاهمية في تاريخ الدولة العثمانية [134] .

وفيما يتعلق بتعليم اليهود ، فلم يكن متيسرا لهم كون التعليم بنحو عام كان إسلامياً موقوفا على المسلمين في الدولة العثمانية حتى سيطرة إبراهيم باشا على بلاد الشام ، الذي أعطى حرية أكثر للقناصل الأوربيين للدخول الى بلاد الشام ، فكانوا غطاء للارساليات المختلفة من الدول الغربية الذين اخذوا يشيدون المدارس اليهودية خدمة لاغراضهم ، فدخل مدارسهم نصارى ومسلمين كذلك ، وتعلموا فيها لغات اجنبية ، وبالرغم من ان الهدف المعلن لهذه المدارس صهر ابناء مدينة دمشق في بوتقة واحدة ، الا انها اسهمت في ادخال المؤثرات الغربية الى بلاد الشام من اجل اعداد اجيال تخدم مصالح الدول التي تقيم تلك المدارس[135].

وقد تكللت جهود هؤلاء ولاسيما في المدة قبل صدور قانون التعليم في العام 1869م وكذلك بعده[136]. فقامت البعثات التنصيرية بنشاط بناء المدارس العديدة

التابعة لمعظم الاقليات ومنها اليهود ، ففي دمشق شيدت مدرسة للبنات عام 1840م والتي احتضنت اربعين طالبة ، ومدرسة الاليانس الفرنسية 1865م ، ومدرسة للبنين عام 1880م وللبنات عام 1883م ، ومدرسة اخرى في دمشق عام 1910م ، اذ التحق بها المئات من التلاميذ اليهود ، وقد وصلت نسبة الطلاب اليهود الدارسين في سوريا في بداية القرن العشرين الى21% من مجموع الطلاب السوريين[137] ، اما لبنان فقد اصبح عدد المدارس اليهودية فيها ما بين الاعوام 1860–1869 ثلاث مدارس للبنين[138].

تكمن اهمية هذه المدارس ليس في اعدادها ، بل من حيث قدرتها على تخريج طلبة مؤهلين لتولي المناصب الحكومية المختلفة ، ويظهر ذلك جلياً من خلال اعداد غير المسلمين في وزارة الخارجية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اذ كان هناك اعداداً من اليهود وان وجود عدد اكبر من غير المسلمين في وزارة الخارجية دون غيرها من الوزارات والمؤسسات الاخرى ، يعود الى ان ثقافة غير المسلمين كانت اعلى من ثقافة المسلمين ولاسيما ان هذه الوزارة تحتاج الى معرفة باللغات الاوربية التي كان يجيدها هؤلاء ، ويعود اثر ذلك الى ان الامتيازات الاجنبية وفرت لهؤلاء فرص التعليم من خلال انشاء المدارس الغربية لغير المسلمين حصراً ولاسيما النصارى ، حيث يظهر تخلف المجتمعات اليهودية عندما نقارنها بالمجتمعات النصرانية[139] ، الا ان ذلك لا يعني عدم وجود امكانية علمية عند اليهود انذاك ودليل ذلك وجود مجموعة من الاطباء اليهود الذين وردت اسمائهم في سجلات محاكم دمشق في أثناء القرن التاسع عشر ومنهم الطبيب يوسف اليهودي والطبيب سعد بن يوسف والمعلم هدايا الطبيب والمعلم عبد الحكيم[140].

لم يقتصر نشاط اليهود الثقافي على المدارس بل تعداه الى انشاء المطابع التي اسسوا عدداً منها لطبع التقارير والكتب والمجلات والنشرات العبرية ، فضلاً عن تاسيس صحيفة حياسيليت في القدس عام 1870م[141] .

ان هذه المدارس التي كان لها اهمية من الناحيتين العلمية والثقافية لدى اليهود ، كانت لها ايضا اثار اجتماعية من خلال دفع المجتمع اليهودي نحو التغريب والالتصاق اكثر بأوربا[142] .

انعكاس الامتيازات على اوضاع اليهود من الناحية السياسية.

اخذت العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين يشوبها التوجس والحذر والسوء ، وان كان ذلك مع النصارى اكثر من اليهود ولاسيما في القرن التاسع عشر ، ويرجع ذلك الى النفوذ الاوربي الواضح في الدولة العثمانية بحيث تدخلت في الشؤون الداخلية لها ، وبالرغم من سياسة الدولة العثمانية التي اصبحت اكثر استجابة لمطالب غير المسلمين ، كما كان يسود في السابق الا ان هؤلاء لم يكن يسمح لهم بشغل المناصب العسكرية والسياسية[143] .

وقد ترافق ذلك مع التنافس على المصالح بين الدول الغربية ، فانعكس على الاقليات المختلفة من خلال محاولة كل دولة استقطاب اقلية معينة في الدولة العثمانية ، من اجل توظيف الخلافات بين المسلمين وغير المسلمين لتحقيق اهداف هذه الدول من خلال التدخل المباشر[144].

وبالرغم من كون الخلاف لم يكن عميقاً بين المسلمين واليهود ، مثلما هو بين المسلمين والنصارى من خلال احداث الاقتتال بينهما في جبل لبنان عام 1841م وعام 1845م وعام 1860م وفي دمشق عام 1860م[145] .

ان عدم وجود احتكاك بين المسلمين واليهود في بلاد الشام مثلما هو الحال مع النصارى فضلاً عن معاملة الدولة لليهود معاملة افضل ، يعود الى كونهم لا يرتبطون بروابط دينية مع الدول الاوربية المعادية للدولة العثمانية[146] .

ان دخول اليهود في الحماية الاجنبية في الدولة العثمانية ، كان لها اثراً كبيراً على نفوذ اليهود السياسي ، الى الحد الذي جعل البعض لايجوز الكلام عن الحماية الدينية الا في اطار الامتيازات الناتجة عن المعاهدات مع الدولة العثمانية[147] .

ان النفوذ الكبير لليهود تجلى من خلال بعض الحوادث التاريخية ، ففي عام 1840م قام احد اليهود بقتل توما النصراني ، فما كان من السلطة المصرية في دمشق الا ان قبضت على الجاني وارادت تنفيذ حكم الاعدام به ، الا ان نفوذ اليهود لدى بريطانيا جعلت من الاخيرة تتدخل لدى محمد علي باشا الذي قام باطلاق سراحه[148] ، فضلا عن كون الجاني نمساوي الجنسية وموظفا في قنصلية النمسا بدمشق واستفاد من وقوعه تحت هذه الحماية بموجب الامتيازات[149] الامر الذي يؤكد مدى النفوذ الذي بلغه هؤلاء .

ان التحول الكبير لوضع اليهود وقدرتهم في الضغط على الدولة العثمانية وفي مسائل سياسية مهمة ، ماكان ليحدث لولا مساندة الدول الاوربية لهم بموجب الامتيازات الاجنبية ، وكان للاوضاع السياسية في الدولة العثمانية اثراً كبيراً في ذلك ، وبقدر تعلق الامر ببلاد الشام ، فان الحرية التي حصل عليها غير المسلمين ومنهم اليهود في سنوات السيطرة المصرية[150] جعلت هؤلاء اكثر جرأة من السابق مستفيدين من نظام الامتيازات ، فطلبت الحماية من القنصليات الاوربية هناك ، ولاسيما الروسية منها ، ففي عام 1841م وبعد الحاح المفوضية الروسية في الاستانة ، صدرت (فرمانات) عثمانية لحماية غير المسلمين ، والدفاع عنهم مع تاكيد جديد لتلك الامتيازات التي حصلوا عليها ابان الحكم المصري ، مما جعل القناصل الاوربيين يتمسكون بالمعنى المباشر (للفرمانات) ويقفون بحزم اكثر ضد سلطة الباب العالي ، فانعكس ذلك على اوضاع غير المسلمين بشكل عام في بلاد الشام[151] .

ان الاضطراب الحاصل في قرارات الدولة العثمانية بسبب ضعفها ، استغلته الدول الاوربية ، من خلال تمرير مصالحها في الدولة ، فكان غير المسلمين من الادوات التي استخدمتها الدول الاوربية ، ومن الامثلة التي انعكست بنحو ايجابي على اوضاع اليهود والتي تؤكد ماذهبنا اليه ، ان الدولة اصدرت قرارات لمنع اقامة اليهود والوافدين ولاسيما في القدس منذ عام 1882م حتى عام 1896م ، اذ تم ابطالها بعد اعتراض اليهود عليها وضغطهم على الحكومة العثمانية من خلال الدول الاوربية التي عدت المنع مخالف لبنود الامتيازات الاجنبية ، التي اعطت الحرية لرعايا هذه الدول في حرية التنقل والاقامة في ولايات الدولة العثمانية ، فما كان من الاخيرة الا ان اجرت تعديلات وتوضيحات قادت الى اضعاف القوة المطلقة للمنع[152].

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلنا الى النتائج الاتية:

1- ان نظام الملة وبالرغم من انه حاول تنظيم حياة اهل الذمة ودورهم في المجتمع الا انه ساهم في ترسيخ الفوارق بين المسلمين واهل الذمة ، فتم استغلال ذلك من قبل الدول الأوربية فحولت نظام الملة الى نظام الحماية الأجنبية لهؤلاء .

2- ان السياسة التي اتبعتها الدول الأوربية من خلال الشركات العاملة في الدولة العثمانية في اختيار موظفيها ، يعكس الاختراق الأوربي الغربي للمجتمع العثماني على جميع الاصعدة ، مما ادى الى تحولات جذرية في بنية هذا المجتمع.

3- ادى نظام الامتيازات الأجنبية فيما ادى اليه من نتائج على الصعيد الاقتصادي ، تم بموجبه ربط الاقتصاد العثماني بالرأسمال الأوربي ، وأحكام قبضته عليه من خلال الشركات الاستثمارية ، اذ لم يكن بإمكان العثمانيين النهوض الاقتصادي ، من دون المصانع والقوة البشرية ذات التدريب والخبرة العاليين ، فضلاً عن الانظمة التجارية الاوربية ، فكان اثره ايجابياً على غير المسلمين ومنهم اليهود .

4- اما على الصعيد الثقافي والتعليمي ، فلم يكن هذا الأمر واضحاً على اليهود مثلما كان النشاط الاقتصادي ، ويعود ذلك الى ان الدولة العثمانية لم تهتم بالتعليم والثقافة كما ان التعليم في الفترة المبكرة كان مقتصراً على النصارى في الوزارات العثمانية بسبب البعثات التنصيرية ، ولم يكن هذا الامر حاضراً عند اليهود ، ولم يظهر النشاط التعليمي والثقافي الا في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر ، ولكن آثاره لم تكن واضحة على المجتمع ، لان الناحية الثقافية تحتاج الى فترة زمنية طويلة حتى يظهر تاثيرها بنحو واضح على المجتمع .

5- اما من الناحية السياسية ، فان نظام الامتيازات الأجنبية أعطى فرصة لهجرة أعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك بموجب نظام الحماية الاجنبية ، الى الدرجة التي أصبحوا بموجبها أكثر من السكان الاصليين في بعض المناطق ، مما يدعونا الى القول بان نظام الامتيازات الأجنبية كان احد العوامل التي ادت فيما بعد الى قيام الدولة اليهودية في فلسطين.

الهوامش :

(1) سورة العنكبوت ، الآية(46) .

(2) الذمة في اللغة العهد والامان والضمان ، واهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يقيمون في بلاد المسلمين ، واطلق عليهم ذلك كونهم دفعوا الجزية واصبحوا في ذمة المسلمين ، وبذلك امنوا على ارواحهم واعراضهم واديانهم .توفيق سلطان اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق(12–247هـ) ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب (جامعة عين شمس ، 1972م) ص

(3) ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، رقم الحديث (2995)، ط3، ج3، (بيروت، 1987). ص1155.

(4) للتفاصيل عن هذه الطقوس والاعياد انظر: يوسف جميل نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ط2،ج2(دمشق ، 1994) ص ص 681–684.

(5) نايف عبد نايف نجم الجبوري ، موقف نصارى بلاد الشام من الاصلاحات في الدولة العثمانية (1839–1914م) ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب (الموصل ، 2007م) ص3.

(6) هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية واثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة اليهود الدونمة 1648م الى نهاية القرن العشرين ،ط1، ج1(دمشق ،2002م) ص161.

(7) وهو النظام الذي نظمت بموجبه الدولة العثمانية شؤون غير المسلمين ، وذلك في عهد السلطان محمد الثاني ، الذي يقضي بان ينتخب الرؤساء الدينيين من قبل افراد الملة على ان يقترن تعيينهم بصدور براءه سلطانية ومنح رؤساء الطوائف

حق رعاياهم في الشؤون العامة والشخصية ، ومما هو جدير بالذكر ان هذا التنظيم شمل اليهود في الدولة العثمانية . عبد العزيز محمد عوض ، الادارة العثمانية في ولاية سوريا 1864–1914، (القاهرة ، 1969) ، ص 308.

(8) ليلى الصباغ ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني (دمشق ، 1973م) ص129.

(9) وهو كبير الحاخامات واعلى سلطة موجودة عند اليهود ، استخدمه السلطان محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية وأعطي صلاحيات كبيرة على الطائفة اليهودية ، اصبح مسؤولاً امام الدولة عنها ، واصبح ذوي صلاحيات اوسع من البطريرك كونه كان يتقدم عليه في الاحتفالات الرسمية في الدولة العثمانية . كمال السعيد حبيب ، الاقليات والسياسة في الاسلامية من بداية العهد النبوي وحتى نهاية الدولة العثمانية 622–1908م (القاهرة ، 2002م) ص328. ويشكك البعض في كون الحاخام باشي الموجود في استانبول كان يجمع اليهود في كافة اراضي الدولة العثمانية تحت ادارته ، حيث ضعفت هذه الادارة واقتصر حكمه على استانبول واطرافها . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، اشراف وتقديم، اكمل الدين احسان اوغلى ، ترجمة صالح سعداوي ، ج1(استانبول ، 1999م) ص502.

(10) البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة 1798–1939م ، ترجمة كريم عزقول (بيروت ، 1968م) ص46.

(11) ضياء محمد جميل عباس علي ، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح 1451–1481م ، دراسة في التاريخ السياسي ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب (الموصل ، 2002م) ص ص 223–224.

(12) احمد نوري النعيمي ، الدور السياسي ليهود الدونمة في تركيا ،ط1(ليبيا ، 2001م) ص ص12–13.

(13) Mark .A Epstein ((The leader ship of the ottoman jews in the fifteenth and sixteenth centuries))in. Benjamin Brande and Bernard Lewis,Christians and jews in ottoman Empire,rol19(New York,1982)p.104.

(14) ت.و.ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ،ط3(القاهرة ، 1947) ص138.

(15) Robert mantran ((Foreign merchants and the Minorities in Istanbul during the sixteenth and seventeenth centuries)) in Benjamin Braude and Bernard Lewis,Christians and jews in the ottoman Empire, vol,1(New York, 1982)p.129.

(16) علي ابراهيم عبدة وخيرية قاسمية ، يهود البلاد العربية(بيروت ، 1971) ص19.

(17) للتفاصيل عن السيطرة العثمانية على بلاد الشام انظر: جاسم محمد حسن العدول ، الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الاول 1512–1520م ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية(جامعة الموصل ، 2004م) ص ص 166–224.

(18) هدى علي بلال الحميد ، متصرفية القدس في العهد العثماني 1874–1917م ، دراسة في اوضاعها السياسية والادارية ، رسالة ماجستير، كلية الآداب(جامعة الموصل ، 2005م) ص29.

(19) برنارد لويس ، استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ، ترجمة سيد رضوان علي (بنغازي ، 1973)ص 107.

(20) خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908–1918م ،(بيروت ، 1973) ص11.

(21) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية (القاهرة ، 1976م) ص73.

(22) خليل اينالجك، (تحرير)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة، قاسم عبدة قاسم، ط1، ج1، (بيروت، 2007)، ص321.

(23) قاسمية ، المصدر السابق ، ص11.

(24) هي المعاهدات المتضمنة المباديء القانونية لاقامة المستامنين من رعايا الدول الاجنبية في الدولة العثمانية ، وممارسة نشاطهم التجاري المشروع فيها ، وتقرير حق رعايا الدولة العثمانية المقيمين في اراضي تلك الدول من خلال سريان هذه المباديء عليهم . عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،ج2(القاهرة ،لا.ت) ص40.

(25) مسعود ضاهر ، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية 1697–1861م (بيروت ، 1981) ص ص 329–330 .

(26) ماري سركو السكيف ، الامتيازات الاجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سوريا (بلاد الشام) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، (دمشق ، 2010) ، ص 58؛ وينفي احد المؤرخين ان تكون اتفاقية 1535م الاساس الذي استندت اليه الدول الاخرى في معاهداتها ، وليست نظاماً جديداً يحدد اوضاع الاجانب في الدولة العثمانية ، ويبرهن على ذلك ان الكثير من بنودها وردت في اتفاقية عام 1521م مع البندقية، بالاضافة الى تشابه العديد من بنودها مع اتفاقية 1528م مع الفرنسيين انفسهم والكتالانيين ، لذا عدت اتفاقية تجارية عادية ، واضعف من وثيقة 1528م . ليلى الصباغ ،

الجاليات الاوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ط1، ج1(بيروت ، 1989)ص209،211.

(27) زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ،ط3(بيروت ، 1979) ص33.

(28) ضاهر، المصدر السابق ، ص331.

(29) محمد السماك ، موقع الاسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد ، ط1(بيروت ، 1995م)ص ص 205–206 .

(30) كانت الاوضاع في اوربا في بداية القرن السادس عشر عدائية ، حيث شهدت حروب طاحنة سميت بالحروب الايطالية ، كانت فرنسا احد اقطاب هذه الحرب ، ولما كانت علاقة الدولة العثمانية عدائية مع اوربا بشكل عام ، فانها ارادت استمالة فرنسا الى جانبها ، حيث يعتقد ان معاهدة 1535م كانت احدى حلقات السياسة العثمانية لتفتيت قوة اوربا ضدها ، لذا فسرت المعاهدة بانها ذات دوافع سياسية . وللتفاصيل عن الاوضاع السياسية في اوربا في تلك الفترة انظر: عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار ، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا (بيروت ، 1974م) ص ص 67–84.

(31) الصباغ ، الجاليات...، ج1، ص 198.

(32) اميل خوري وعادل اسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي 1789–1958م ، ج1(بيروت ، 1961م) ص 19.

(33) الصباغ ، الجاليات ...، ج1 ، ص 98.

(34) ضاهر ، الجذور...، ص ص 331–332.

(35) السكيف ، المصدر السابق ، ص 61.

(36) وليد العريض،((الامتيازات الاجنبية في الدولة العثمانية وآثارها)) مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، مجلد(24) ، العدد(1) ، 1997م ، ص 150.

(37) احسان اوغلى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 226.

(38) الصباغ ، الجاليات...، ج1، ص 175.

(39) ز.ي هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني (بيروت ، 1973م) ص 61.

(40) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، صورة وثيقة بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة ، رقم البحث 3876، دفتر نامه همايون 11، ص 104–105، 14ذي القعدة 1245هـ ، وثيقة مصورة برسم التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص ص 2104–2105.

(41) للتفاصيل انظر: العريض ، المصدر السابق ، ص ص 150–151.

(42) الشناوي ، المصدر السابق ، ج2، ص 31ومابعدها .

(43) زين ، المصدر السابق ، ص 33.

(44) درويش ، المصدر السابق ، ج1، ص 178.

(45) الصباغ ، الجاليات ...، ج1، ص 196.

(46) رفيق شاكر النتشة ، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين ، ط1، (عمان ، 1984) ص 27.

(47) خوري واسماعيل ، المصدر السابق ، ج1، ص 19.

(48) احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني (بيروت ، 1982) ص 133.

(49) درويش ، المصدر السابق ، ج1، ص 177.

(50) السكيف ، المصدر السابق ، ص 160.

(51) روبير مانتران (اشراف) تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط1، ج2(القاهرة ، 1993م) ص 114.

(52) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث 27، دفتر مهمة 261، ص ص 118–119، اوائل رمضان 1278هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 31.

(53) السكيف ، المصدر السابق ، ص 164.

(54) مانتران ، المصدر السابق ، ج2، ص 114.

(55) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث 140، دفتر مهمة ص 162، اوائل ربيع الآخر 1263هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 79 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى عدد من الولاة العثمانيين ، رقم البحث 613، دفتر مهمة 186، ص ص 190–191، اوائل ذي القعدة 1206هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص ص 259–260.

(56) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث 173، دفتر مهمة 254، ص 66–68، اوائل جمادي الآخرة 1256هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 93 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث 178، دفتر مهمة 254، ص 99–101، اواسط شوال 1256هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 95 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث

179، دفتر مهمة 254، ص 105–107، اواسط محرم 1257هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً(العراق) ص 95.

(57) السكيف ، المصدر السابق ، ص 164.

(58) عبد الكريم غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر 1840– 1876م (القاهرة ، 1961م) ص 32.

(59) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 282.

(60) اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني . حياته واحداث عصره ، ط1(الرمادي ، 1987) ص 205.

(61) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 283.

(62) مانتران ، المصدر السابق ، ج2، ص 181.

(63) السكيف ، المصدر السابق ، ص 164.

(64) هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص 64.

(65) من الصعوبة تحديد تعريف محدد لـ (سورية الطبيعية) من حيث ان هذا التعبير يحمل مضامين جغرافية وادارية تتباين في المراحل التاريخية المختلفة ، فمن زاوية التقسيم الاداري العثماني ، فان سورية لم تشكل وحدة ادارية واحدة ، فضلاً عن خضوع جزء من اراضيها فيما بعد لتركيا ، لذا فثمة استخدامات شتى لتعبير(سورية) وفق اعتبارات تتعلق بمصالح الدول الغربية من جهة واتجاهات القوى السياسية المحلية من جهة اخرى ، فالمصطلح انذاك عني صيغاً جغرافية وسياسية ، لذا فمن المناسب استخدام مصطلح ((بلاد الشام)) تجنباً للاشكالات التي قد يثيرها الاختلاف في استخدام تعبير((سورية)) لذا فان هذا المصطلح يشير الآن الى الدول الاربع(سورية ، لبنان ، فلسطين ، الاردن)

. وجيه كوثراني ، بلاد الشام ، السكان . الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، قراءة في الوثائق ، ط1(بيروت ، 1980) ص ص 17–21.

(66) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث (دمشق ، 1985م) ص115.

(67) الجبوري ، المصدر السابق ، ص33.

(68) وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي . من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ط1(بيروت ، 1988) ص70.

(69) وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860–1920م (بيروت ، 1976م) ص39،44.

(70) حبيب ، المصدر السابق ، ص370.

(71) كوثراني ، السلطة والمجتمع ...، ص71.

(72) محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514–1914م (القاهرة ، 1985م) ص216.

(73) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين في الولايات ، رقم البحث 513، دفتر مهمة 224، ص 42–43، اوائل جمادي الأولى 1221هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص216 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين في الولايات، رقم البحث 515، دفتر مهمة 224، ص71–72، اواخر جمادي الاولى 1221هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص ص216–217 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين في الولايات ، رقم البحث 517، دفتر مهمة 224،

ص180–181، اواسط رجب 1221هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً(العراق) ص217.

(74) قاسمية ، المصدر السابق ، ص11.

(75) Charles Issawi ,((The transformation of the Economic position of the millets in the Nineteenth century)) in Benjamin Brude and Bernard Lewis, Christians and jewis in the Ottoman Empire,vol1(New York,1982)p.273.

(76) السكيف ، المصدر السابق ، ص 283.

(77) المصدر نفسه ، ص 78.

(78) سمير عبدة ، اليهود السوريون ، ط2(دمشق ، 2004م) ص66.

(79) Mantran, op.cit, p.130,134.

(80) Issawi, op.cit, p.263.

(81) Mantran, op.cit, p.131.

(82) هاملتون جب وهارولد بون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ،ج2(القاهرة ، 1971م) ص ص159–160.

(83) عبدة ، المصدر السابق ، ص66.

(84) عارف العبد ، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل (بيروت ، 2000م) ص47.

(85) Mantran, op.cit, p .132.

(86) Issawi, op.cit, p.269.

(87) Roderic H. Davison ((The millets as agents of change in the Nineteenth century Ottoman Empire)) in Benjamin Brude and Bernard Lewis, Christians and jewis in the Ottoman Empire,vol1(New York,1982)p.326.

(88) السكيف ، المصدر السابق ، ص 190.

(89) غرايبة ، المصدر السابق ، ص ص 81–82.

(90) للتفاصيل عن السيطرة المصرية على بلاد الشام انظر: مجموعة باحثين، ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا، (القاهرة، 1990م)

(91) عبدة ، المصدر السابق ، ص53.

(92) للتفاصيل عن التنظيمات العثمانية انظر: عبد العزيز محمد عوض ، الادارة العثمانية في ولاية سورية 1864–1914م (القاهرة ، 1969م) ص ص11–60.

(93) للتفاصيل عن اوضاع الدولة العثمانية السياسية خلال هذه الفترة انظر: محسن حمزة حسن حسين ، الازمة البلقانية 1875–1878م . دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الاوربية ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2001م ،ص؟

(94) مالكولم ياب ، نشوء الشرق الادنى الحديث 1792–1923م ، ترجمة خالد الجبيلي ، ط1(دمشق ، 1998م) ص 132

(95) توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908–1914م(القاهرة ، 1960م)ص ص6–7 .

(96) عبدة ، المصدر السابق ، ص67.

(97) محمود الشناق ، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين 1293–1333هـ /1876–1914م ، ط1،الكتاب الاول(فلسطين ، 2005م) ص111.

(98) (Moshe Maoze, Ottoman Reforms in Syria and Palestine1840-1867(Oxford,1968)p.257.

(99) عبدة ، المصدر السابق ، ص66.

(100) غرايبة ، المصدر السابق ، ص129.

(101) السكيف ، المصدر السابق ، ص ص 94–95، ص ص 289–291.

(102) صموئيل اتنجر (تحرير)، اليهود في البلدان الاسلامية، 1850–1950، ترجمة، جمال احمد الرفاعي (الكويت، 1995م) ص190.

(103) المصدر نفسه ، ص 191.

(104) غرايبة ، المصدر السابق ، ص ص93–94.

(105) الشناق ، المصدر السابق ، ج1، ص111.

(106) عبدالله ابو رضوان ((التسلل اليهودي والصهيوني الى القدس من بداية الفتح العربي حتى قيام اسرائيل)) في ندوات القدس((5000)) عام من الحقوق العربية ، الندوة الثالثة ، جامعة اليرموك (اربد ، 1997م) ص11.

(107) شارل عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800–1914 ترجمة رؤوف عباس حامد ، ط1 ، (بيروت ، 1990)، ص417.

(108) عبد العزيز محمد عوض ، ((فلسطين في اواخر العهد العثماني .ملامح اجتماعية واقتصادية) مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الرابع ، السنة الرابعة ،1975–1976م ، ص33.

(109) للتفاصيل عن الجاليات الاوربية ، انظر: الصباغ ، الجاليات ...، ج2

(110) حوراني ، المصدر السابق ، ص79.

(111) عبدة ، المصدر السابق ، ص68.

(112) اتنجر ، المصدر السابق ، ص 191.

(113) المصدر نفسه ، ص69.

(114) حبيب غانم ، القدس تاريخياً وقضية ، ط1(بيروت ، 2002م)ص39.

(115) اتنجر ، المصدر السابق ، ص ص 171–173.

(116) المصدر نفسه ، ص ص 174–175.

(117) السكيف ، المصدر السابق ، ص 247.

اليهود والامتيازات الأجنبية في بلاد الشام
مجلة آداب الفراهيدي
د. نايف عبد نايف النجم
العدد (9) كانون الأول 2011

(118) ضاهر ، المصدر السابق ، ص339.

(119) عبد الكريم غرايبة ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ،ج1(دمشق ، 1960م) ص65.

(120) اتنجر ، المصدر السابق ، ص ص 208–209.

(121) فاروق حلبص ((العلاقة بين النصارى واليهود والمسلمين في طرابلس في القرنين 17–18م)) في مجموعة باحثين ، الاقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516م (لبنان ، 2001م) ص415.

(122) نعيسة ، المصدر السابق ، ج1،ص346.

(123) دونالد كواترت ، الدولة العثمانية 1700–1922م ، تعريب انجي الارمنازي ، ط1(الرياض ، 2004م) ص316.

(124) نعيسة ، المصدر السابق ، ج2، ص706.

(125) المصدر نفسه، ج1، ص349.

(126) الشناق ، المصدر السابق ، ج1، ص52.

(127) Mark .A Epstein ((The leader ship of the ottoman jews in the fifteenth and sixteenth centuries))in. Benjamin Brande and Bernard Lewis,Christians and jews in ottoman Empire,vol1(New York,1982)p.101

(128) Kemal H. Karpat ((Millets and Nationality : the roots of the incongruity of nation and state in the post ottoman Era)) inBenjamin Braude and Bernard Lewis Christians and jews in ottoman Empire, vol1(New York,1982)p.157.

(129) سهام محمد هنداوي ، تاريخ دمشق في عهد السلطان العثماني عبد الحميد ، ط1(دمشق ، 2009م) ص ص156–157.

(130) نعيسة ، المصدر السابق ، ج2، ص631.

(131) احمد طربين ، ملامح التغيير الاجتماعي في بلاد الشام في القرن التاسع عشر ،ط1(بيروت ، 1983م) ص13.

(132) عبدة ، المصدر السابق ، ص72.

(133) انتجر ، المصدر السابق ، ص ص 182–183.

(134) المصدر نفسه ، ص 193.

(135) يوسف نعيسه ، يهود دمشق ، ط2 ، (دمشق ، 1994) ، ص 33.

(136) المصدر نفسه ، ص 193.

(137) هنداوي ، المصدر السابق ، ص ص158–159.

(138) عيساوي ، المصدر السابق ، ص 108.

(139) Carter v. Findly((The Acid test of Ottomanism : The Acceptance of Non- Muslims in the late Ottoman Bureaucracy))in Benjamin Braude and Bernard Lewis Christians and jews in ottoman Empire, vol1(New York,1982)pp.343-348.

(140) نعيسه ، المصدر السابق ، ص 35.

(141) غرايبة ، سورية في ...، ص180، 245.

(142) مهنا يوسف حداد ، الرؤية العربية لليهودية ، ط1(الكويت ، 1989) ص82.

(143) كواترت ، المصدر السابق ، الصفحات 306– 307، 310، 314.

(144) السماك ، المصدر السابق ، ص208.

(145) للتفاصيل عن هذه الاحداث انظر: محمد كرد علي ، خطط الشام، ط2، ج3 (بيروت،1970)، ص ص73–93.

(146) نعيسة ، المصدر السابق ، ج1، ص349.

(147) انطوان حكيم ((الحماية الفرنسية للاقليات غير المسلمة في السلطنة العثمانية)) في مجموعة باحثين ، الاقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد1516م ، ط1(لبنان ، 2001م) ص33.

(148) نعيسة ، المصدر السابق ، ج1، ص349.

(149) السكيف ، المصدر السابق ، ص 123.

(150) للتفاصيل عن اوضاع غير المسلمين ابان السيطرة المصرية انظر : خالد بن هاني ، تاريخ دمشق وعلماءها خلال الحكم المصري 1831–1840م (دمشق ، 2007م) ص ص116–120.

(151) عبدة ، المصدر السابق ، ص ص61–62.

(152) الشناق ، المصدر السابق ، ج1، ص119.

ABSTRACT

This paper deals with the effects of foreign privilege on the Jews ‘ conditions in Syria in the 19 th century . within the Ottoman Empire , the Jews’ conditions are discussed here especially the way in which they were treated and the treaties .that the Ottoman Empire held with European states. These treaties in clouded description of the non_ Muslim Ottoman subjects’ rights and the reflections of these privileges on the Jews’ conditions economically , culturally , socially and politically .This was manifested through changes that inflicted their conditions in all the above respects whether negatively or positively .

العلم والعلماء
في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي

م. سعدون عبد المنعم جميل الحديثي
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

اعتمد الخلفاء الامويون في إدارة دولتهم على ولاة أكفاء تميزوا بعقلية إدارية رائعة مكنتهم من ضبط الدولة والارتقاء بمؤسساتها المتعددة السياسية، والعسكرية، والثقافية، والخدمية، وكان من بينهم الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تولى العراق عشرين عاماً منذ سنة 75هـ وحتى وفاته سنة 95هـ، ولكن توخيت هنا ان اعالج الجانب العلمي في حياة هذا الوالي بعيداً عن السياسة والادارة، وقد تبيّن ان للحجاج بن يوسف الثقفي نصيب وافر من العلم، وكان يُجِلُّ العلماء ويحفظ لهم مكانتهم، كما وينقاد لقول الحق ولكلمة الصدق، فضلاً عن انه قدّم خدمة جليلة للمسلمين وهي تنقيط المصحف نقط اعجام لتمييز الحروف المتشابهة في القرآن مما سهل على الناس قراءة المصحف بالشكل الصحيح وتوحيد الامة على قراءة موحدة.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي به تتم النعم والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد اعتمد الخلفاء الامويون في ادارة دولتهم على ولاة أكفاء تميزوا بعقلية ادارية رائعة مكنتهم من ضبط الدولة والارتقاء بمؤسساتها المتعددة السياسية، والعسكرية، والثقافية، والخدمية، وكان من بينهم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تولى العراق عشرين عاماً، منذ سنة 75هـ وحتى وفاته سنة 95هـ، ولم يختلف المؤرخون في ذكر شخصيته كما اختلفوا في ذكر سيرة الحجاج بن يوسف ما بين مادح لها وقادح لما تميز به من عقلية ادارية نيّرة وارادة صلبة في مواجهة الأزمات، ولكن توخيت في بحثي هذا ان أعالج الجانب العلمي في حياة هذا الوالي بعيداً عن الإدارة والسياسة، وقد تمحور بحثي في خمسة مطالب؛ تناول المطلب الأول سيرته، وتحدثت في المطلب الثاني عن منزلة العلماء عند الحجاج، وبينت في المطلب الثالث صوراً عن اذعانه لكلمة الحق، بينما كرّس المطلب الرابع شغفه بالقرآن الكريم ودوره في تنقيطه، ثم ذكر وفاته في المطلب الخامس.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل . . .

المطلب الأول

سيرته

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن سعود بن عامر بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف[1]، واليه تنسب القبيلة[2].

لم يكن الحجاج بن يوسف من اسرة غير معروفة أو ذات شأنٍ قليلٍ، ففي عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان جدّه معتّب بن مالك بن كعب صحابي اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام وبعثه الى قومه داعيةً للإسلام[3]، وأبوه كان رجلاً فاضلاً[4]، وكان من أشراف القريتين (مكة والطائف) ذو شأن في أهليهم[5]، وقد امتهن تعليم الغلمان في مدينته الطائف[6]، أما بالنسبة للحجاج فكان مولده "في سنة تسع وثلاثين، وقيل: في سنة أربعين، وقيل: في سنة إحدى وأربعين، ثم نشأ شاباً لبيباً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن"[7]، "... وكان ذا شجاعة وإقدام ومكرٍ ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن"[8]، بل كان يتصف بشهامة عظيمة[9]، وقد اشتهر الحجاج بفصاحته وحسن بيانه حتى شهد له بذلك علماء اللغة في عصره، يقول أبو عمرو بن العلاء[*]: "ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن[**]، وكان الحسن أفصح منه"[10]، وقال مالك بن دينار[***]: "... سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوقع في نفسي انهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجج"[11]، وذكر ابن كثير[12] أن "عقول الناس قريباً بعضها من البعض، إلا الحجاج وإياس بن معاوية[****]، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس".

يتبين من ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفي اتسم بصفات علمية رصينة كالفصاحة وحسن البيان وسعة الافق وسمو العقل، فضلاً عن ذكاء خارق تراكمت فيه التجارب بعضها وراء بعض، فأنتجت فكراً وذهناً يتفتق عنه حلول وأنظمة

عملية مبنية على تجارب[13]، أهلته لإدارة ولايته الكبيرة، وامتــدت عقــدين مــن الزمن.

ومما يذكر في هذا المقام عن سيرة الوالي الحجاج بن يوسف هو تدينه، فقد كان للحجاج بن يوسف جانباً كبيراً من التمسك بالــدين وتعاليمــه الخالــصة[14]، فيروى"... انه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثرُ تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيءٌ من التلطخ بالفروج"[15]، بل كان متشدداً بهذا الجانب يحــذر الناس في قوله من التعرض للأعرض والأنساب أو التغرير بالنــساء، أو دخــول رجل بيت مرأة متوعداً من يفعل ذلك بالقتل، وواصفاً نفسه بالغيور[16].

المطلب الثاني

منزلة العلماء عند الحجاج

حظي العلماء بإجلال وتقدير الحجاج حيث لم تمنعه مسؤولياته مــن حفــظ حق العلم وأهله فكان يحترمهم ويقربهم ويستجيب لهم، فيروى في هذا الصدد: "... أن الحجاج بن يوسف صلى مرةً بجنب سعيد بن المسيب[*] وذلك قبل أن يلي شــيئاً فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود، فلما سلّم أخذ سعيدٌ بطرف ردائه وكان له ذكرٌ يقوله بعد الصلاة فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيدٌ ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه الــصلاة! لقــد هممــت أن أضرب بهذا النعل وجهك فلم يرد عليه، ثم مضى الحجاج الى الحج، ثم رجع فعــاد الى الشام، ثم جاء نائباً على الحجاز، فلما قتل ابن الزبير كرّ راجعاً الى المدينة نائباً عليها، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب فقصده الحجاج فخشي النــاس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه، فقال له: انت صاحب الكلمات، فضرب سعيدٌ صدره بيده وقال: نعم، قال: فجزاك الله من معلمٍ ومؤدبٍ خيراً، مــا صــليت بعدك صلاةً إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى"[17].

وبالاتجاه نفسه يروي ابن كثير[18]: "...أن الحجاج أطال الخطبة، فجعل ابن عمر يقول: الصلاة الصلاة مراراً، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس، فصلى الحجــاج بالناس فلما انصرف قال لابن عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنما نجيء للــصلاة فصلِّ الصلاة لوقتها"، وحتى العلماء الذين خرجوا عليه كان موقفه مــنهم يختلــف عن موقفه من عامة الناس وكان يتمنّى أن يعتذر له هؤلاء العلماء بالعذر المناســب فيتخلص من أمرهم ولا يقتص منهم، فعندما جيء له"... بسعيد بن جبير[*]، قــال: لعن الله ابن النصرانية – قال: يعني خالداً القسري، وهو الذي أرسل به من مكة أما كنت أعرف مكانه! بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة، ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ما أخرجك عليّ؟[19]، فقال: أصلح الله الأمير إنما أنا مرؤٌ من المــسلمين يُخطــئ مرة ويُصيبُ مرة، فطابت نفس الحجاج، وتطلّق وجهُه، ورجــا ان يــتخلص مــن أمره، فعاوده في شيء ، فقال له: إنما كانت له بيعة في عنقي، فغضب [الحجــاج] ... فقال: يا سعيد ألم أقدم مكة... ثم أخذت بيعة أهلهــا وأخــذت بيعتــك لأميــر المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة والياً على العــراق فجــددت لأمير المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانيةً؟ قال: بلى، قال: فتنكث بيعتين لأميــر المؤمنين، وتفي بواحدة"[20].

ونستشف من هذه الرواية أن الحجاج قد جاهد مستبشراً بانتزاع العذر الذي يمكن معه أن يعفو عن سعيد بن جبير، ولكن الأخير قد أسمع الحجاج ما حال دون ذلك.

ولم يأتي احترام الحجاج بن يوسف للعلماء وحفظ مكانتهم من فراغ، ذلــك أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليه بنصيب وافر من العلم حتى أن العلماء أنفــسهم كانوا يسمعون كلام الحجاج بن يوسف ويتأثرون بموعظته، فقــد روي عــن "... الحسن البصري يقول: وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول علــى هــذه

الأعواد: إنّ امرأً ذهبت ساعةٌ من عمره في غير ما خلق له لحريٌّ أن تطول عليها حسرته الى يوم القيامة"[21]، و "... قال الشعبي[**]: سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحدٌ، يقول: أما بعد، فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الاخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل"[22]، وقد ذكر انه "... كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم يزعمون أنك لا تفعل"[23]، وقال سفيان الثوري [***] رحمه الله: "يأتي على الناس زمانٌ يصلون فيه على الحجاج"[24].

توضح هذه النصوص الجانب الآخر من شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي وهو العلم الذي أصابه، حتى شهد له بذلك كبار علماء عصره، ولم يستطع الطاعنون بشخصه أن يحجبوا هذه الميزة لديه، وذلك لأن الحجاج كان إذا تكلم أخذ بلب العقول بياناً وفصاحة وبالقلوب والأنفس موعظةً وارشاداً.

المطلب الثالث

اذعانه لكلمة الحق وسماعه لقول الصدق

لم يكن الحجاج بن يوسف الثقفي بضخامة ما اشتهر عنه من العنف والشدة والتسرع في سفك الدماء، وأنه لا يرعوي مكانة لعالم أو متحدث وان نطق بالحق وبكلمة الصدق، بل كان يسمع كلام الناس في أحلك الظروف حتى عندما يكون الذي يسمعه ممن خرج عليه وحمل السلاح بوجهه، فيذعن له لا سيما عندما يحتج المتكلم بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية المطهرة، "... جاء رجل الى الحجاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الأشعث، فضرب على اسمي في الديوان، ومنعت العطاء، وقد هدمت داري، فقال الحجاج: أما سمعت قول الشاعر:

جانيكَ من يجني عليك وقد تُعدي الصِّحاحَ مباركُ الجُربِ

ولرُبَّ مأخوذٍ بذنب قريبه ونجا المقارفُ صاحبُ الذنبِ

فقال الرجل: أيها الأمير، إني سمعتُ الله يقول غير هذا، وقول الله أصدق من هذا، قال: وما قال؟ قال: چ □ □ □ ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ چ[25]، قال: يا غلام، أعد اسمه في الديوان، وابن داره، واعطه عطاءه، ومر منادياً ينادي: صدق الله وكذب الشاعر"[26]، ويروى عنه أيضاً انه "..لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، جلس لضرب اعناقهم عامة النهار، فأُتي آخرهم برجل من بني تميم قال له: واللهِ يا حجاج لئن كُنا اسأنا في الذنب لما أحسنت في العقوبة، فقال الحجاج: أُفٍّ لهذه الجيف، أما فيها رجل يحسن مثل هذا؟ وعفا عنه"[27].

وفضلاً عن ذلك كان الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي يسمع لمن يقول الصدق ويقدّر له صدق قوله فعندما "... انهزم اصحاب عبد الرحمن بالجماجم، نادى منادي الحجاج: من لحق بقتيبة بن مسلم [فهو آمن] وكان ولاه الري وسار إليه، فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبي، فذكره الحجاج يوماً فسأل عنه، فقال له يزيد بن أبي مسلم: إنه لحق بقتيبة بالري، فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بإرسال الشعبي فأرسله، قال الشعبي: فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن ابي مسلم وكان صديقاً لي فاستشرته، فقال: اعتذر مهما استطعت واشار بمثل ذلك اخواني ونصحائي، فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا لي، فسلمت عليه بالإمرة وقلت: أيها المير إن الناس قد أمروني أن اعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، قد و الله مرَدْنا عليك وحرّضنا وجهدنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه ايدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا، فقال الحجاج: أنت والله احبَّ اليَّ قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت... قال: انصرف يا شعبي، فانصرفت"[28]،

وزيادة على ذلك فقد "أتي الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهمـــا، فقال أحدهما: إن لي عندك يداً، قال: وما هي؟ قال: ذكر ابن الأشعث يومـــاً أمـــك فرددت عليه، فقال: ومن يشهد بذلك؟ قال: صاحبي هذا فسأله، فقال: نعم، فقال: ما منعك أن تفعك كما فعل؟ قال: بغضك، قال: أطلقوا هـــذا لـــصدقه، وهـــذا لفعلـــه، فأطلقوهما"[29].

يتضح لنا مما ورد أن الحجاج بن يوسف ليس يصغي لقول الصدق فحسب بل يجازي القائل بالحسنى حتى إذا كان هذا القول في ذمه أو في غير ما يريده كما في مقولة هذا الأسير له.

المطلب الرابع

شغفه بالقرآن الكريم ودورهُ في تنقيطه

لا يخفى على الباحث الحصيف أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان من قلائل الرجال الذين منَّ الله عليهم بعلمٍ ومعرفة رصينةٍ بالقرآن وكيفية قراءتـــه، ومحبتـــه والإحسان الى أهله، وهو ما أوردته المصادر جلياً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، "... قال ابن عوف[*]: كنت اذا سمعت الحجاج يقـــرأ عرفـــت أنـــه طالمـــا درس القرآن"[30]، و "... قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن في كـــل ليلـــة"[31]، وروي عن عمر بن عبد العزيز انه ما حسد الحجاج بن يوسف على شـــيء مثلمـــا حسده "... على حبه القرآن واعطائه أهله، وقوله حين احتضر: اللهم اغفر لي، فإن الناس يزعمون انك لا تفعل"[32]، فضلاً عن أنه "... كان فيه سماحة بإعطاء المـــال لأهل القرآن كثيراً"[33].

ونتيجة لذلك تميز الحجاج بن يوسف بهذه السمة السامية حيث وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة في فضل القرآن الكريم وتعلّمه، واخلاق أهله، وأجـــر من يقرأه بمهارة وتدبر[34].

وأما دور الحجاج بن يوسف في تنقيط المصحف فيذكر القرطبي[35] رحمه الله "... أن الحجاج تجرد لذلك وجدّ فيه"، وذلك بعد أن كثر التصحيف وانتشر فـــي العراق بعد مرور أكثر من أربعين سنة على الناس وهم يقرؤون بمصحف الخليفـــة عثمان بن عفان (ﷺ)[36]، "... ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتّابه وســـألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامـــات"[37]، فيقـــال ان "... أول مـــن نقـــط المصحف نصر بن عاصم الليثي[**]"[38]، والمقصود "... أن نصر بن عاصم الليثي البصري هو الذي نقط المـــصحف نقـــط اعجـــام وازال التـــشابه الحاصـــل بـــين الحروف"[39]، وذلك بعدما انيط بهذه المهمة الرائدة بتكليف من والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، فميّز العالم نصر بن عاصم بين الحـــروف المتـــشابهة كالـــدال، والذال، والراء ، والزاي[40]، وكذلك بين الباء، والتاء، والثاء، والخـــاء، والجـــيم، والحاء، وزيادة على ذلك كان للحجاج بن يوسف الثقفي دور ملحوظ في احتـــساب عدد حروف القرآن، فيروى"... ان الحجاج بن يوســـف جمـــع القـــرّاء والحفـــاظ والكتّاب، فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟"[41]، فحسبوا حروفـــه بحبات الشعير وقد استغرقت هذه المهمة أربعة أشهر[42].

لقد كان الحجاج بن يوسف متضلعاً في قراءات القرآن عارفاً بأصولها حتى روي "... ان الحجاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً"[43]، وقد وضح الدكتور غانم قدوري مضمون هذه الرواية بقوله: "واذا نظرنـــا فـــي نـــص الرواية نجد انها تذكر لفظ (غيّر) أي بدّل، ولا يـــشترط ان يكـــون التغييـــر مـــن الصواب الى الخطأ بل قد يكون من الخطأ الى الصواب، ويكون الخطأ دافعاً للتغيير الى الصواب، والخطأ المتوقع في هذه الحالة هو أن بعض المصاحف كتبـــت فيهـــا حروف على نحو ما يوجد في قراءة ابن مسعود (ﷺ) ممـــا يخـــالف المـــصحف العثماني، ويكون الصواب هنا تغييرها الى مثل مـــا هـــي عليـــه فـــي مـــصاحف

الأمة"[44]، ويرى الدكتور صبحي الصالح: انه بعد تغيير الحجاج اصبحت هذه المواضع أوضح قراءة وايسر على الفهم[45].

وزبدة القول ان الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي كان يهدف الى ايجاد قراءة ميسرة وموحدة للقرآن الكريم، فاهتم بتنقيطه واعجامه واحتساب حروفه ووضع اقسامه ليسهل على الناس قراءة القرآن الكريم بالشكل الصحيح، وهو بهذا قدّم خدمة جليلة عظيمة لا سبيل الى انكارها او التغاضي عنها ما عاقب الليل النهار.

المطلب الخامس

وفـــاته

"... كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فانهم يزعمون انك لا تفعل"[46]، "... لما حضرت الحجاج الوفاة انشأ يقول:

يا ربّ قد حلف الأعداءُ واجتهدوا   بأنني رجلٌ من ساكني النَّارِ

أيحلفونَ على عمياءَ ويحهُمُ   ما علمُهُم بعظيم العفوِ غفّارِ[47]

توفي الحجاج بن يوسف في شهر رمضان سنة خمس وتسعين للهجرة وكان عمره ثلاث وخمسون سنة وقيل أربع وخمسون سنة وهو الأصح[48]، ولم يترك الا ثلاثمائة درهم، ومصحفا، وسيفاً، وسرجاً، ورحلاً، ومائة درع موقوفة"[49].

الخاتمة:

تبين من خلال دراستي ان للحجاج بن يوسف الثقفي نصيب وافر من العلم وكان يجلُّ العلماء ويحفظ لهم مكانتهم، وينقاد لقول الحق ولكلمة الصدق، ولا يرغب في مواجهة العلماء الذين خرجوا على الدولة هرباً من معاقبتهم، كما ورد عند مجيئه بالعالم سعيد بن جبير.

وفضلاً عن ذلك قد تبين من خلال البحث ان الحجاج بن يوسف قدّم خدمة جليلة للمسلمين وهي تنقيط المصحف نقط اعجام لتمييز الحروف المتشابهة في القرآن مما سهل على الناس قراءة المصحف بالشكل الصحيح وتوحيد الأمة على قراءة موحدة.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين...

قائمة الهوامش:

(1) ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط4، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2007)، ص 267.

(2) محمود ، ابو عبد الرحمن جمال بن محمد: سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ما لهُ وما عليه، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2004)، ص13.

(3) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص267.

(4) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 2005)، 3/ 125.

(5) محمود: سيرة الحجاج بن يوسف، ص13.

(6) ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل و مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية (بيروت: 1998)، 2/ 21، ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرون، دار البيان العربي، (مصر :2006)، 5/ 241.

(7) ابن كثير: المصدر نفسه، 5/ 242.

(8) الذهبي، شمس الذين محمد بن احمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، (د. ت)، 5/ 294.

(9) ابن كثير، البداية والنهاية، 5/ 242.

(*) واسمه زبّان بن العلاء بن عمار وكان من أهل الفضل ممن عني بالأدب والقراءة حتى صار إماماً يرجع إليه فيها ويقتدى باختياره منها توفي سنة ست واربعين ومائة بالبصرة (ابن حبان، ابو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي: مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت: 1995)، ص183).

(**) هو ألحسن بن أبي الحسن واسم ابيه يسار مولى زيد ابن ثابت الأنصاري من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم، مات سنة عشر ومائة (البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص113).

(10) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط2، دار المعرفة (بيروت: 2007)، 4/ 233.

(***) من زهاد التابعين وعبادهم ممن يصبر على الفقر الشديد والورع الجهيد، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة (البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص115).

(11) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 2/ 30.

(12) البداية والنهاية، 5/ 242.

(****) اياس بن معاوية بن قرة المزني أبو وائلة، كان على القضاء بالبصرة وكان من دهاة الناس، مات سنة اثنين وعشرين ومائة (البستي: مشاهير علماء الامصار، ص182).

(13) العش، يوسف: الدولة الاموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ط2، دار الفكر، (دمشق: 1985)، ص220.

(14) محمود: سيرة الحجاج بن يوسف، ص35.

(15) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 252.

(16) محمود: سيرة الحجاج بن يوسف، ص34.

(*) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، من سادات التابعين فقهاً وورعاً وعبادة وفضلاً وزهادة وعلماً، مات سنة ثلاث وتسعين (البستي: مشاهير علماء الامصار، ص81).

(17) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3/ 125؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 243.

(18) البداية النهاية، 5/ 244.

(*) هو سعيد بن جبير بن هشام، من عباد المكيين وفقهاء التابعين قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين صبراً وله تسع واربعون سنة (البستي: مشاهير علماء الامصار، ص106).

(19) كان سعيد بن جبير قد اشترك بحركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وهي تمرد كبير استمر عدة سنوات منذ عام 80هـ حتى عام 83هـ، بعدما كان عبدالرحمن بن الاشعث قائداً لجيش كبير أرسله الحجاج بن يوسف لمقاتلة ملك الترك (رتبيل) في سجستان، فاختلف الحجاج مع قائده عبد الرحمن بن الاشعث فاعلن الاخير تمرده على الحجاج بن يوسف وكان بينهما معارك عدة انتهت بانتصار الحجاج بن يوسف سنة 83هـ ومن ثم مقتل عبد الرحمن بن الاشعث سنة 85هـ (الدينوري، ابو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق: الدكتور عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية (بيروت: 2001)، ص462 -472، ابن الاثير؛ الكامل، 4/ 123 - 124، 129 - 132، 134 - 138، 143 - 154).

(20) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط4، دار المعارف (مصر: د. ت)، 6/ 490؛ ابن الاثير: الكامل، 4/ 229، ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 224.

(21) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 247.

(**) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، من الفقهاء في الدين وجلة التابعين، مات سنة خمس ومائة، وقد ادرك خمسين ومائة من الصحابة (البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص127).

(22) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 246.

(23) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3/ 130.

(***) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب الثوري، من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين ممن لزم الحديث والفقه وواظب على الورع والعبادة ولم يبال بما فاته من حطام هذه الفانية الزائلة مع سلامة دينه له حتى صار علماً يرجع إليه في الامصار ويقتدى به في الأقطار مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة (البستي: مشاهير علماء الامصار، ص201).

(24) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 256.

(25) سورة يوسف، الآية: 78 - 79.

(26) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 247.

(27) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/ 28.

(28) الطبري: تاريخ، 6/ 374 - 375؛ ابن الاثير: الكامل، 4/ 155.

(29) ابن الاثير: الكامل، 4/ 154، ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 248، شعوط، ابراهيم علي: اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ، ط5، المكتب الاسلامي (بيروت: 1983)، ص 271.

(*) لم أحصل على ترجمة له على قدر اطلاعي وذلك لذكره بكنيته، والظاهر من قوله انه ذو علم في قراءة القرآن.

(30) ابن الاثير: الكامل، 4/ 233.

(31) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 242.

(32) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3، ص130.

(33) شعوط: اباطيل، ص271.

(34) البغدادي، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري: اخلاق حملة القرآن، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، دار الأنبار (بغداد: 1998)، ص 47 - 52.

(35) أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، (بيروت: 2002)، 1/ 54.

(36) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 2/ 23.

(37) ابن خلكان: المصدر نفسه، 2/ 23.

(**) هو نصر بن عاصم الليثي النحوي، كان فقيهاً، عالماً بالعربية من فقاء التابعين، مات سنة تسع وثمانين (ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم الادباء،ط2، دار احياء التراث العربي (بيروت: 2009)، 10/ 83.

(38) الداني، ابو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، ط2، دار الفكر (دمشق: 1407هـ)، 1/ 7.

(39) المبارك، عبد الحسين و الياسري، عبد الجبار ناجي: من مشاهير أعلام البصرة (البصرة: 1983)، ص52، طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة بسام ، (الموصل: 1985)، ص147.

(40) الحمد، غانم قدوري: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، (الأردن: 2001)، ص84.

(41) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 1/ 55.

(42) طه: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص148.

(43) السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الاشعث: كتاب المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، ط2، الفاروق الحديثة (القاهرة: 2003)، ص 157 - 158، 272 - 273.

(44) الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف (العراق: 1982)، ص714.

(45) طه: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، هامش ص148.

(46) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3/ 130؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 258

(47) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 2/ 41؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 258؛ الصلابي، علي محمد: الدولة الاموية، دار المعرفة (بيروت: 2005)، 1/ 682.

(48) خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1995)، ص 197؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/ 41.

(49) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 259.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر الأولية:

❖ القرآن الكريم

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ):

1- الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط2، دار المعرفة(بيروت: 2007).

- البغدادي، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت360هـ):

2- أخلاق حملة القرآن، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، دار الانبار (بغداد: 1989).

- ابن حبان، ابو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي (354هـ):

3- مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت: 1995).

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ):

4- جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط4، دار الكتب العلمية (بيروت: 2007).

- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (ت 681هـ):

5- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية (بيروت: 1998).

- خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي (ت240هـ):

6- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز و حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية (بيروت: 1995).

- الداني، ابو عمرو عثمان بن سعيد:

7- المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، ط2، دار الفكر (دمشق: 1407هـ).

- الدينوري، ابو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ):

8- الأخبار الطوال، تحقيق: الدكتور عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية (بيروت: 2001).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ):

9- سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية (القاهرة: د. ت).

10- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 2005).

- السجستاني، ابو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت316هـ):

11- كتاب المصاحف، تحقيق: محمد عبده، ط2، الفاروق الحديثة (القاهرة: 2003).

- الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ):

12- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،ط4، دار المعارف (مصر: د. ت).

- القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت671هـ):

13- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي (بيروت: 2002).

- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ):

14- البداية والنهاية، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرون، دار البيان العربي (مصر: 2006).

- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (626هـ):

15- معجم الأدباء، ط2، دار احياء التراث العربي (بيروت: 2009).

ثانياً: المراجع الثانوية:

- الحمد، غانم قدوري:

1 - رسم المصحف (العراق: 1982).

2 - محاضرات في علوم القرآن، دار عمار (الأردن: 2001).

- شعوط، ابراهيم علي:

3 - اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ، ط5، المكتب الاسلامي (بيروت: 1983).

- الصلابي، علي محمد:

4 - الدولة الاموية، دار المعرفة (بيروت: 2005).

- طه، عبد الواحد ذنون:

5 - العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة بسام (الموصل: 1985).

- العش، يوسف:

6 - الدولة الاموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمــان، ط2، دار الفكر (دمشق: 1985).

- المبارك، عبد الحسين والياسري، عبد الجبار ناجي:

7 - من مشاهير اعلام البصرة (البصرة: 1983).

- محمود، ابو عبد الرحمن جمال بن محمد:

8 - سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ما له وما عليه، دار الكتب العلمية (بيــروت: 2004).

Abstract

Amawian caliphs has depended on competent rulers in the admini stration of their state who have been distinguished with abrilliant administrative men talality that has enabled them to control the state and rise its vanous institutions like politics, militansm, culturalistic, and the social service.

The ruler Al- Hajaj bin Yousif Al- Thaqafi Who has mled Iraq for twenty years 8 ince 75 A-H- till his death in the year of 95 A-H- is one of them. Here the researcher aims at dealing with the scientific side in Al- Hajaj,s life far of politics and administration. It has been discovered that Al- Hajaj bin yousif Al- thaqafi has abundant share of education and science؛ he has con sidered the scientists, preserved their status, and been with the right utterance and truth word. Besides, he has in traduced a solemn service for muslims that is the punctuafion of the Holly Qura,an with Ijam pun ctuation marks to differentiate the similar letters in Qura,an which facilitates its reading for people in the right way and unifies the nation with a unified reading.

أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء

أ.م.د.رائـــد ادريـــس محمـــود
جامعـــة تكريـــت/ كليـــة التربيـــة

ملخص البحث

هدف البحث تعرف أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء.

ولتحقيق هذا الهدف تم تقسيم عينة البحث إلى مجموعتين إحداهما ضابطة درست بالطريقة السائدة، وعدد طلابها (30) طالبا من طلاب الصف الثاني المتوسط ، ومجموعة تجريبية درست المادة التعليمية باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة، وكان عدد طلابها (30) طالبا. وقد تم تطبيق البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (2010-2011).

اعد الباحث دليلا للمعلم يوضح كيفية تدريس موضوعات الكيمياء باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة. و دليلا للطالب وهو عبارة عن توجيه للطالب لكيفية تنفيذ الإستراتيجية من خلال أوراق العمل التي تم تقديمها في كل درس من الدروس.

أما بالنسبة إلى أداتي البحث فتمثلت في اختبارين : اختبارا تحصيلياً تكون بصورته النهائية من (40) فقرة بعد التأكد من صدقه وثباته وحساب مستوى صعوبة فقراته وقوى تمييزها , و اختبارا للتفكير العلمي تكون من (5) مجالات ويضم كل مجال (8) فقرات .

وقد أشارت نتائج البحث إلى تفوق أداء المجموعة التجريبية التي درست باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في التحصيل الدراسي والتفكير العلمي .

وخلص البحث إلى عدد من التوصيات والمقترحات في ضوء ما أسفر عنه من نتائج من ضمنها تشجيع المدرسين على استخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تدريسهم، وتدريبهم عليها، والقيام بمزيد من الدراسات والبحوث في هذا المجال على مناهج مواد العلوم الطبيعية الأخرى ، ومتغيرات تعليمية – تعلمية أخرى.

مشكلة البحث

يتميز عصرنا الحالي بكونه عصر التفجر المعلوماتي والتقني , وهذا يتطلب من الفرد في مجتمعاتنا مواكبة هذا التسارع العلمي من اجل اللحاق بركب المجتمعات المتقدمة , وهذه العملية بدورها تتطلب من الفرد استخدام مهارات عقلية عالية المستوى تمكنه من حل المشكلات التي يواجهها والتي أصبحت معقدة اكثر بسبب المتغيرات الحياتية المعاصرة .

وهنا ياتي دور مؤسسات التربية والتعليم , والتي تعد مراكز لإكساب الفرد لهذه المهارات من خلال ما تتضمنه من برامج وأنشطة تعليمية وتربوية . ولهذا فان النظام التربوي بحاجة ماسة الى استخدام طرائق وإستراتيجيات تدريس معينة تؤدي دورا فاعلا في تنمية المجالات المعرفية والانفعالية و المهارية في إنسان اليوم , ولعل إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة احدى هذه الاستراتيجيات .

أن المشكلة التي يعاني منها التعليم المدرسي بشكل عام ، في الجانب المتعلق بالتدريس وأساليبه واستراتيجياته ، فهي ما يلاحظ عليه من الابتعاد عن عالم المتعلمين ، فالمواد التعليمية تُقدم في أغلب الأحيان بطرائق جافة ومملة دون مراعاة بيئة المتعلمين وحاجاتهم فضلاً عن أنها لا تعير اهتماماً لمداركهم وقدراتهم العقلية

والمعرفية المختلفة وما تقتضيه من تنوع أساليب التدريس لمخاطبة كل فئة بما يناسب طريقتها او اسلوبها في التعلم، الشئ الذي جعل أغلب المتعلمين يحصلون على نتائج متدنية في اختبارات التحصيل وجعل المعلومات والحقائق التي يدرسونها محصورة في المؤسسة التعليمية وعدم توظيفها في الحياة العامة ، وهذا الأمر ولد لدّى بعضهم النفور والملل وجعلهم يكونون اتجاهات سلبية نحو المدرسين والمدرسة والمواد الدراسية بشكل عام .

ومن خلال خبرة الباحث ميدانيا في التدريس ومجال الإشراف على تطبيق طلبة المرحلة الرابعة في كليات التربية , لمس الباحث عدم إعطاء الاهتمام الكافي في إعداد الفرد القادر على حل المشكلة والاهتمام بمتغير التفكير العلمي مما يؤدي إلى تخريج أجيال تنقصها القدرة على مواجهة المشكلة بالطريقة العلمية .

كما وجد الباحث ان طرائق واستراتيجيات تدريس العلوم (ومن ضمنها مادة الكيمياء) المستخدمة حاليا في مدارسنا تتم بطريقة مشابهة لتدريس المواد الادبية او الانسانية كالتاريخ واللغات , اذ تعد الطريقة الالقائية الوسيلة الوحيدة لتدريس هذه المادة في المدارس المتوسطة والاعدادية .

وفي هذا البحث سيحاول الباحث تجربة استخدام إستراتيجية تدريسية حديثة نسبيا هي إستراتيجية العلم المبني على المشكلة للكشف عن أثرها في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء .

وفي ضوء ما سبق فإن البحث الحالي يسعى للإجابة عن السؤالين التاليين:

1- ما أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في التحصيل الدراسي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء ؟
2- ما أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في التفكير العلمي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء ؟

أهمية البحث والحاجة اليه

ان الانفجار المعلوماتي والتقني في الوقت الراهن ادى الى تقليص دور المدرسة في تزويد المتعلمين بالمعلومات والخبرات والحقائق العلمية , واصبح دور المدرسة يتركز في تدريب المتعلمين على كيفية التعلم الفردي واستثارة تفكيرهم وجعلهم مستقلين في التعلم والتفكير . (ابو جادو و محمد , 2010 : 290).

إن الاهتمام بالطالب كمحور لعملية التعليم والتعلم ، جعل القائمين على التعليم يقومون بالحث عن استخدام استراتيجيات وأساليب مختلفة لتحسين عملية التعليم وتسخير الميول الطبيعية النشطة لدى الطالب بالكامل في عمله ، وقد تنوعت الأساليب ومن أهمها إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة (النادي , انترنت).

وتعد هذه الإستراتيجية من ضمن التحولات الحديثة في النظرة إلى تدريس العلوم والكيفية التي تقدم للمتعلمين (إبراهيم، 2004 : 4). ويرى بينتلي وواتس (Bently and Watts, 1991) أن هذا النوع من التعلم يزداد انتشارا مع الزمن؛ وذلك لأنه يقدم للطالب مواقف للتعلم المفتوح تخلو من القيود التي تفرضها المناهج وأساليب التدريس التقليدية (Bently and Watts, 1991: 34).

ويرى الباحث إن التعلم الحديث يتضمن مهارات عدة يجب إكسابها للطلبة مثل مهارات حل المشكلات ومهارات الاتصال ومهارات التعلم ذي المعنى، ومهارات عمليات العلم ، والتفكير العلمي , وهذا ما نجده متوافرا عند تطبيق إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة، لأن هذا النوع من التعلم يعمل على تقديم المادة العلمية لدى الطلبة في صورة مشكلات علمية تؤدي إلى بعث الحيوية والنشاط لدى الطلبة داخل الصف .

تعود جذور إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة الى المربي جون ديوي (John Dewey) والذي يرى ان دور المعلمين يتمثل في استثارة دافعية البحث

والاكتشاف لدى المتعلمين , اضافة الى دور الخبرات التي يتعرض لها المتعلمون في حياتهم خارج المدرسة لما لها من دور في مواءمة وتصحيح وتعديل المعلومات والمفاهيم التي تعلموها في المدرسة . (ابو جادو و محمد , 2010 : 290).

إن الاهتمام بإستراتيجية التعلم المبني على المشكلة لم يأت من فراغ ، إنما نتيجة ما تقدمه هذه الإستراتيجية من مساعدة الطلبة على تنمية تفكيرهم وقدرتهم على حل المشكلة في الحياة الواقعية ، كما أنها تتميز بمجموعة من المميزات في تنمية تفكير الطلبة وقدرتهم على حل المشكلة وتنمية المهارات الفكرية. (ديسيل , 2001 : 56) .

ويرى كل من (Awest ,1992) و(Yaman, 2003) ان استراتيجية التعلم المبني على المشكلة تقوم بالوظائف الاتية :-

1- تزيد من قدرة المتعلمين على تطبيق المعلومات وتوظيفها في مواقف حياتية جديدة خارج المدرسة وحل المشكلة العرضية التي تواجههم في حياتهم العملية.
2- تثير دافعية الطلبة واستمتاعهم بالعمل.
3- تزيد من قدرة الطلبة على الاستفادة من مصادر التعلم المتنوعة .
4- تنمي الاتجاهات العلمية وحب الاستطلاع والمواظبة على العمل.
5- تزيد من فهم الطلبة للمعلومات وبقاء أثرها لأطول فترة ممكنة.
6- تنمي المهارات الضرورية لحل المشكلة كجمع البيانات وتحليلها والوصول للنتائج.
7- تنمي تفكير ما وراء المعرفة لدى المتعلم.
8- لها دور في تنمية مهارات عمليات العلم الأساسية والتكاملية. (Awest ,1992,54) (Yaman, 2003 , Internet).

هدف البحث

يهدف البحث الحالي تعرف اثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء .

فرضيتا البحث

في ضوء هدف البحث صاغ الباحث الفرضيتين الصفريتين الاتيتين :-

1- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة ومتوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة الاعتيادية .
2- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير العلمي .

حدود البحث

اقتصر البحث الحالي على ما ياتي :-

1- طلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية التابعة لمديرية تربية محافظة نينوى (الموصل المركز) .
2- الفصول الاربعة (الثاني والثالث والرابع والخامس) من كتاب الكيمياء المقرر تدريسه لطلاب الصف الثاني المتوسط .
3- العام الدراسي 2010 – 2011 م .

تحديد مصطلحات البحث

إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة (Problem -Based Learning Strategy) عرفها كل من :

1- (عبد الحميد ,1999) بأنها" إستراتيجية يتم فيها عرض مواقف مشكلة على الطلبة تكون ذات معنى وحقيقية بحيث يمكن أن تكون نقطة انطلاق للبحث والاستقصاء" (عبد الحميد , 1999 : 135).

2- سكوارتزل وآخرون (Schwartzl et al., 2000) بأنها "طريقة للتعلم يواجه فيه المتعلمون بمشكلات يتبعه استقصاء الطلبة ذاتيا لحل هذه المشكلة بأسلوب منظم" (Schwartzl et al., 2000 ,55).

3- مفوضية التربية في كوينزلاند (Education Queensland, 2003) بأنها "إستراتيجية تتطلب من المتعلم التعامل مع مشكلة حقيقية وواقعية لتوليد حلول معتمدة على المعرفة المتوفرة في المنهج" (Education , Internet) (Queensland, 2003 .

4- آيدا وآخرون (Uyeda et al., 2003) أنها "تصميم مناهج قائمة على مشكلات حقيقية بحيث يحدث استقصاء للمعرفة لدى المتعلم لحل هذه المشكلة . (Uyeda et al., 2002:5)

ويعرف الباحث استراتيجية التعلم المبني على المشكلة اجرائيا بأنها استراتيجية تدريسية يتعلم فيها طالب الصف الثاني المتوسط موضوعات مادة الكيمياء المقررة من خلال عرض مواقف مشكلة واقعية ومحاولته مع مجموعة من زملاءه لحل هذه المواقف المشكلة وفق خطوات منظمة بإشراف وتوجيه من قبل مدرس المادة .

التحصيل (Achievement) **عرّفه كل من** :

1- (أبو جادو، 2003) بأنه: محصلة ما يتعلمه الطالب بعد مرور مدة زمنية معينة ويمكن قياسه بالدرجة التي يحصل عليها باختبار تحصيلي وذلك لمعرفة مدى نجاح الإستراتيجية التي يضعها المدرس ويخطط لها ليحقق أهدافه وما يصل إليه. (أبو جادو، 2003، 469).

2- (ناصر، 2003) بأنه: المعلومات التي يكتسبها الطالب خلال المهارات التي تعلمها من البرنامج في الفصل الدراسي ويقاس عن طريق الاختبارات المدرسية. (ناصر، 2003، 34).

3- (بركات، 2005) بأنه: قدرة معرفية للمتعلم على موضوع معين بأدائه على اختبار يتضمن مجموعة من الأسئلة لقياس هذا الموضوع . (بركات، 2005، 108).

4- (جاسم، 2006) بأنه: ما تجمع وتثبت عند الطُلاب من معلوماتٍ في مادة دراسية معينة، نتيجة اطلاعهم وإدراكهم بوساطة مدرس تلك المادة. (جاسم، 2006: 33).

5- (الكبيسي ,2010) بانه : فلسفة ومنهج واسلوب في التفكير يقوم على امتزاج وتداخل المعرفة العلمية من اجل تقديم رؤية كلية شاملة تاخذ في الاعتبار جميع العوامل . (الكبيسي , 2010 : 13) .

أما التعريف الإجرائي للتحصيل: فهو (الدرجة التي يحصل عليها طالب الصف الثاني المتوسط من خلال إجابته على فقرات الاختبار التحصيلي البعدي في مادة الكيمياء الذي أعده الباحث لأغراض البحث والذي طبقه في نهاية التجربة).

التفكير العلمي:- (Scientific Thinking)**عرفه كل من** :

1- باير (Beyer , 2001)بانه عملية عقلية يستطيع المتعلم عن طريقها عمل شئ ذي معنى من خلال الخبرة التي يمر بها " (Beyer , 2001 : 13) .

2- (عبيدات ,2003) بانه طريقة في النظر الى الامر وتعتمد اساسا على العقل والبرهان وبالتجربة وبالدليل " (عبيدات ,2003 :248).

3 - (القرشي ,2008) بانه "نشاط عقلي منظم يعتمد على الدليل والتجربة والبرهان المفضيين الى اليقين يمارسه الانسان في حياته العامة ويستطيع من خلال ذلك التفكير معالجة المشكلات والوقائع والسيطرة عليها" (القرشي , 2008 : 22).

التعريف الاجرائي " هو مقدار ما يحصل عليه طالب الصف الثاني المتوسط في اختبار التفكير العلمي المعتمد من قبل الباحث " .

خلفية نظرية

اولا : إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة

ويطلق على هذه الإستراتيجية عند بعض الباحثين ايضا بإستراتيجية التعلم المستند الى المشكلة (Problem based learning Strategy) , و يعد العالم "باروز" من جامعة ماك ماستر (McMaster) هو من ابتدع هذا النوع من التعلم في منتصف الستينيات من القرن الماضي، ثم بدأ في الانتشار بعد ذلك إلى مجالات عديدة ومنها مجال تدريس العلوم. وقد استخدمه باروز كأحد الطرق البديلة لإعداد طلبة كلية الطب عن طريق تعريضهم لمواقف ومشكلات حقيقية وواقعية يبحث الطلبة عن حلها(Rankin , 1992 : Internet).

وفي نظر رواد النظرية البنائية تتكون هذه الإستراتيجية من ثلاثة عناصر رئيسة هي المهام المقدمة للطالب في المشكلة، والمجموعات المتعاونة، أي قيام الطلبة

بحل المشكلات بشكل تعاوني، وأخيرا المشاركة وهي ضرورية لحل المشكلات المقدمة للطلبة (زيتون ،2007 : 462).

ولكي يحقق التعلم المبني على المشكلة الهدف منه، فلابد أن تكون هناك مواصفات للمشكلات المقدمة للطلبة، والتي يجب على المدرس مراعاتها عند صياغة المشكلات، وهذه المواصفات هي:

1- تكون متلائمة مع المرحلة العمرية وغير بالغة التعقيد.

2- ذات صلة بتجربة الطالب وخبراته.

3- مستندة إلى المنهج المدرسي.

4- متناسبة مع إمكانات وظروف المدرسة .

5- تكون قابلة للتوسع والامتداد , وتفتح المجال امام الطلبة لتوليد الافكار والاسئلة.

6- تشجع الطلبة على اتخاذ القرارات . (زيتون , 2007 : 463)

ويتم تنفيذ إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في الغرفة الصفية وفق مراحل يقوم المدرس بإعدادها والتخطيط لها مسبقا ومن ثم يتبع خطوات منظمة لتنفيذها داخل الغرفة الصفية، وذلك حتى يمكنه تحقيق الأهداف المنشودة ، و يمكن تحديد مراحل تنفيذ إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في أربع خطوات رئيسة وهي:

أولا : الإعداد لإجراء التعلم المبني على المشكلة , وهي تتضمن:-

1- اختيار و تحديد مشكلة واقعية أو موقف قد حدث في ميدان معين.

2- صياغة المشكلة، وتوجد مصادر مختلفة لصياغتها ومنها : مقالات من الجرائد والمجلات – الإذاعة والتلفاز – تجارب الآخرين – مواقف صحية – مواقف من الأدبيات – المنهج المدرسي – دليل المنهج – المواقع العالمية – التجارب الشخصية.

3- تحديد الأهداف والمخرجات.

4- اختيار مصادر ملائمة تساعد الطلبة على جمع المعلومات.

5- إعداد خطة لسير عمل الطلبة.

ثانيا: توجيه المتعلمين للتعلم المبني على المشكلة .وهي تتضمن :-

1- تقديم المشكلة وتوجيه الطلبة نحو الموقف المشكل.

2- تحديد وتعريف المخرجات والأهداف التعليمية للطلبة.

ثالثا: تنفيذ التعلم المبني على المشكلة , وهي تتضمن :-

1- تحديد خطة العمل وتنظيم الطلبة للدرس.

2- تنظيم الطلبة بصورة مجموعات .

3- توزيع الأدوار.

4- عمل الطلبة ومساعدتهم على البحث المستقل والبحث الجماعي.

5- التوصل إلى النتائج وعرضها.

رابعا: تقويم التعلم المبني على المشكلة

وفيها يتم تحليل عملية حل المشكلة وتقويمها من خلال تلخيص ما تعلمه الطلبة وتحديد ما تحقق من الأهداف وتقويم إنجاز الطالب والمدرس. ويشترط في تقويم التعلم المبني على المشكلة أن:

1- يقوم الأهداف الموضوعة.

2- يتصف بالموضوعية (الصدق والثبات).

3- يقوم نواتج عمل الطلبة وانجازاتهم.

4- يقوم إنجاز المدرس. (Awest , 1992 : 50-53).

كما يرى (زيتون , 2007) ان التدريس وفق هذه الإستراتيجية يبدأ بعرض موقف مشكل يجعل الطلبة يشعرون بوجود مشكلة او تناقض تتطلب البحث والتقصي من خلال تكوين مجموعات صغيرة , بحيث تتم عملية مشاركة فاعلة لكل اعضاء المجموعة في البحث لحل هذه المشكلة وبتوجيه وارشاد من قبل المدرس (زيتون , 2007 :460) .

الفرق بين استراتيجية او طريقة حل المشكلة واستراتيجية التعلم المبني على المشكلة

تختلف إستراتجية التعلم المبني على المشكلة عن إستراتيجية حل المشكلة المعروفة في عدد من الأمور. فإستراتيجية حل المشكلة يمكن استخدامها دون أن يتطلب ذلك تصميم المناهج (والوحدات التدريسية) كما يتطلبه التعلم المبني على المشكلة. وأن في إستراتيجية حل المشكلة يتم في الأغلب تعلم المفاهيم والمبادئ باستراتجيات وطرائق مغايرة ، ويأتي دور استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في استخدام المفاهيم والمبادئ المتعلمة وتوظيفها في حل مشكلات تطبيقية: أكاديمية وحياتية (إبراهيم، 2004: 22). ويمكن تلخيص هذه الفروق بالمخطط الاتي :-

	حل المشكلات	التعلم المبني على المشكلة
طبيعة المشكلة	سؤال استفهامي	مشكلة واقعية
المعرفة	تقدم للطالب	يبحث عنها الطالب
عمل الطالب	فردي	جماعي
مصادر المعلومات	الكتاب المدرسي	الكتاب المدرسي ،كتب خارجية ،مقالات من الصحف والمجلات ، الإنترنت
التعلم	موجه من قبل المعلم	موجه ذاتيا من قبل المتعلم
المعلم	مقدم للمشكلة والمعرفة	موجه ومرشد للطالب

(البلوشي , 2008 : 139)

ثانيا : التفكير العلمي

مُقَدِّمَة

لقد استمرت محاولات الإنسان تفسير الأحداث والظواهر من حوله بقصد تفسيرها والتنبؤ بها والسيطرة عليها او ضبطها وتأمين حياته وتحسين مستوى معيشته ، مستخدماً أنماطاً مختلفة من التفكير مثل التفكير الخرافي ، الاعتماد على الخبرة الشخصية ، الخضوع للتقاليد والأفكار السائدة ، كذلك التفكير المنطقي المكون من التفكير الاستقرائي والتفكير الاستنباطي كلاً على حدة وخلال هذه العصور عُرف العلم على أنه مجموعة من المعارف التي توصلت إليها البشرية في مجالات مختلفة وعندما عجزت تلك الطرائق عن تفسير ما حوله من الظواهر ، تغيرت النظرة إلى العلم واكُتشف التفكير العلمي الذي من خلاله استطاع تفسير ما يجرى من حوله من ظواهر بل وإمكانية التحقق من تلك التفسيرات ، وأصبح العلم لا يتضمن المعرفة العلمية فحسب بل يشتمل أيضاً على طريق للحصول على المعرفة او طريق للتفكير.

ويرى (Beyer , 2001) ان التفكير هو عملية عقلية يستطيع الفرد من خلالها عمل شيء ذي معنى من خلال الخبرة التي يمر بها , وهو (التفكير) يتكون من ثلاثة مكونات هي :-

1- العمليات : وهي تقسم الى ثلاثة انواع : عمليات معقدة مثل حل المشكلات , عمليات اقل تعقيدا مثل الاستيعاب او التطبيق او الاستدلال , عمليات توجيه وتحكم فوق معرفية كالتخطيط والمراقبة والتقويم .

2- المحتوى :- ويقصد به المعرفة العلمية المتعلقة بالمشكلة او الموضوع او الظاهرة .

3- الاستعدادات الوراثية والمتغيرات النفسية :- مثل الاتجاهات والميول والقيم والقدرات العقلية المعرفية . (Beyer , 2001: 33)

مهارات التفكير العلمي :-

ان التفجر ألمعلوماتي المستمر يجعل من المستحيل على المعلمين او المدرسين تقديم كل المعرفة الى الطلبة في كل المراحل الدراسية, وبهذا ينبغي على المعلم او المدرس تزويد طلبته بمهارات التعلم والتفكير لكي يكونوا مستقلين في تعلمهم وتفكيرهم, والتفكير عملية عقلية معقدة تتكون من العديد من المهارات, ومن اهم هذه المهارات:-

1- تحديد المشكلة :- وتتمثل بالقدرة على ادراك النقاط والجوانب المهمة في المشكلة.

2- اختيار الفروض :- وتتمثل بالقدرة على التمييز بين عدد من الفروض المتاحة لحل تلك المشكلة .

3- جمع المعلومات :- وتتمثل بالقدرة على اختيار المعلومات المناسبة للوصول الى حل المشكلة .

4- اختبار صحة الفروض :- وتتمثل بالقدرة على التمييز بين عدد من الطرق التي يمكن استخدامها لاختبار صحة فرض ما .

5- استخلاص النتائج :- وتتمثل بالقدرة على اختيار انسب النتائج التي يتم التوصل اليها (كلنتن وعبد الناصر , 2000 : انترنت) .

دراسات سابقة

1- **دراسة (البلوشي** ، 2008)

هدفت الدراسة الحالية الكشف عن أثر استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل مادة الأحياء واكتساب مهارات حل المشكلة لدى طالبات الصف العاشر بمدارس التعليم العام التابعة للمديرية العامة للتربية والتعليم بمسقط .

اقتصر الدراسة الحالية على الفصلين الرابع والخامس من وحدة تصنيف الكائنات الحية في كتاب الأحياء للصف العاشر من التعليم العام.و تم تطبيقها خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي2005/2004م .

شمل مجتمع البحث كافة طالبات الصف العاشر بمدارس التعليم العام التابعة للمديرية العامة للتربية والتعليم بمسقط .

قسمت عينة الدراسة الى مجموعتين , تجريبية درست باستخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة ومجموعة ضابطة درست باستخدام الطريقة التقليدية . كما تم اعداد اداتين :اختبار تحصيلي واختبار لمهارات حل المشكلة , تم التاكد من صدقهما وتمييز فقراتهما وثباتهما باستخدام معمل كرونباخ الفا . وبينت نتائج الدراسة عما ياتي :

1- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الإختبار التحصيلي لصالح المجموعة التجريبية.
2- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في إختبار مهارات حل المشكلة لصالح المجموعة التجريبية.
3- نمو مهارات حل المشكلة للمجموعتين الضابطة والتجريبية ، إلا أن هذا النمو في المهارات لدى المجموعة التجريبية كانت بنسبة أكبر عن المجموعة الضابطة.

أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط
مجلة آداب الفراهيدي
أ.م.د.رائد ادريس محمود
العدد (9) كانون الأول 2011

ووصت الباحثة بتشجيع معلمي العلوم والأحياء على إستخدام التعلم المبني على المشكلة في التدريس. فضلا عن تدريب الطلبة من خلال استراتيجية التعلم المبني على المشكلة على حل مشكلاتهم بالطريقة العلمية ، وعدم التخبط والتسرع في الحل، والبحث عن المعلومات بطرق علمية صحيحة في المشكلات التي تواجههم للتوصل إلى الحل الأفضل. (البلوشي , 2008) .

2- **دراسة (امبو و خديجة** ،2009)

هدفت الدراسة إلى تقصي أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف العاشر (الأول الثانوي) في مادة الأحياء.

ولتحقيق هذا الهدف تم تقسيم عينة الدراسة إلى مجموعتين إحداهما ضابطة درست بالطريقة السائدة، وعدد طالباتها (62) طالبة من طالبات الصف العاشر (الأول الثانوي)، ومجموعة تجريبية درست المادة التعليمية باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة، وكان عدد طالباتها (62) طالبة. وقد تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (2006/2005).

أما مواد الدراسة، فقد شملت دليلا للمعلم ودليلا للطالب، يوضح دليل المدرس كيفية تدريس الوحدة المختارة من كتاب الصف العاشر في مادة الأحياء باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة. أما دليل الطالب فعبارة عن توجيه للطالبة لكيفية تنفيذ الإستراتيجية من خلال أوراق العمل التي تم تقديمها لكل درس من الدروس.

أما بالنسبة إلى أداة الدراسة فعبارة عن اختبار عمليات علم مكون من (31) فقرة وموزع على (9) عمليات هي: الملاحظة، والتصنيف، والتنبؤ، والاستدلال، والاستنتاج، واستخدام الأرقام، والتفسير، وفرض الفروض، وضبط المتغيرات. وقد تم

تطبيق الاختبار قبل الدراسة وبعدها على مجموعتين؛ التجريبية والضابطة. ولقد بلغ معامل ثبات الاختبار باستخدام ثبات الاتساق الداخلي (0.80) .

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى تفوق أداء المجموعة التجريبية التي درست باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة السائدة في معظم عمليات العلم، وفي الاختبار ككل. كما أشارت نتائج الدراسة إلى نمو في بعض عمليات العلم لدى طالبات المجموعة التجريبية مقارنة بالمجموعة الضابطة، وإلى نمو لدى المجموعتين في عمليات العلم بين التطبيقين القبلي والبعدي، وكان أكبر لدى طالبات المجموعة التجريبية التي درست باستخدام التعلم المبني على المشكلة.

وخلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات والمقترحات في ضوء ما أسفرت عنه من نتائج من ضمنها تشجيع المدرسين على استخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تدريسهم، وتدريبهم عليها، والقيام بمزيد من الدراسات والبحوث في هذا المجال على مناهج مواد العلوم الأخرى، ومتغيرات تعليمية – تعلمية أخرى. (امبو و خديجة ,2006) .

3- **دراسة (الباوي وهدى** ، 2009)

هدف هذا البحث إلى معرفة اثر أنموذج التدريب على التساؤل في التحصيل وتنمية التفكير العلمي لطالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء.ولتحقيق هدفي البحث، وضعت الباحثتان فرضيتين صفريتين، ثم عملتا على التحقق من صحتها بإجراء تجربة استغرقت فصلاً دراسياً كاملاً. أعدت الباحثتان بنفسيهما مستلزمات وأدوات التجربة والمتمثلة بالخطط التدريسية للمجموعتين التجريبية والضابطة، واختبار التفكير العلمي والاختبار التحصيلي اللذين تم حساب الصدق والثبات ومعامل التمييز والصعوبة وفعالية البدائل لكل منهما.وقد اختيرت مجموعتي

البحث اختياراً عشوائياً وبلغ عددها (55) طالبة من طالبات الصف الثاني المتوسط في إحدى المدارس التابعة لمديرية تربية بغداد/ الرصافة الأولى، وقد اختيرت شعبة (و) اختياراً عشوائياً لتدرس على وفق أنموذج التدريب على التساؤل. وشعبة (ه) لتدرس على وفق الطريقة الاعتيادية. وتم التأكد من التكافؤ بين المجموعتين من خلال المتغيرات: (العمر بالأشهر، درجة العلوم والرياضيات للصف الأول المتوسط، التحصيل الدراسي للوالدين، المعلومات السابقة، التفكير العلمي والذكاء). وبعد انتهاء الطالبات من دراسة جميع مفردات الفصول الخمسة الأخيرة من كتاب الفيزياء المقرر للصف الثاني المتوسط، اختبرت المجموعتان بالاختبار التحصيلي واختبار التفكير العلمي. وعند تحليل البيانات باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين للباحثتين تفوق طالبات المجموعة التجريبية على طالبات المجموعة الضابطة في متوسط درجات التحصيل وتنمية التفكير العلمي وبذلك رفضت الفرضيتين الصفريتين. إن أهم ما توصلت إليه الباحثتان في هذه الدراسة هو إن استخدام أنموذج التدريب على التساؤل كان فعالاً في تنمية التفكير العلمي، إضافة إلى فعالية الأنموذج في رفع مستوى التحصيل الدراسي لطالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء.وتم في ضوء البحث صياغة عدد من التوصيات والمقترحات. (الباوي وهدى , 2009).

إجراءات البحث

مجتمع البحث وعينته:

تكون مجتمع البحث من جميع طلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية الصباحية التابعة لمديرية تربية محافظة نينوى (الموصل المركز) للعام الدراسي 2010 – 2011م ، اختار الباحث ثانوية البراء بن مالك وثانوية النعمانية بطريقة عشوائية بسيطة كميدان لتطبيق التجربة , اذ اختار بطريقة عشوائية شعبة (ب) في ثانوية البراء بن مالك كمجموعة تجريبية ضمت (30) طالبا والتي

درست باستخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة , كما اختار شعبة (أ) في ثانوية النعمانية كمجموعة ضابطة ضمت (30) طالبا والتي درست باستخدام الطريقة الاعتيادية .

تكافؤ المجموعتين

تم التأكد من تكافؤ مجموعتي البحث في متغيرات (التحصيل الدراسي السابق في مادة الكيمياء و العمر الزمني بالشهور و التفكير العلمي) , والجدول (1) يوضح نتائج تكافو المجموعتين .

جدول (1)

نتائج تكافؤ مجموعتي البحث

المتغير	المجموعة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	قيمة ت الجدولية	الدلالة عند مستوى 0,05
التحصيل الدراسي السابق في مادة الكيمياء	التجريبية	66,70	11,10	0,30	2,00	غير دالة
	الضابطة	67,63	12,62			
العمر الزمني بالشهور	التجريبية	201,25	4.6	0,19		غير دالة
	الضابطة	201,01	4,7			
التفكير العلمي	التجريبية	20,97	4,77	0,12		غير دالة
	الضابطة	21,13	5,76			

يتضح من الجدول أعلاه أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات كل من المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية، وبالتالي فإن المجموعتين

متكافئتان في متغيرات التحصيل الدراسي السابق في الكيمياء والعمر الزمني بالشهور والتفكير العلمي .

مستلزمات البحث

أ. دليل المدرس: والذي اشتمل على:

1) مقدمة نظرية عن إستراتيجية التعلم المستند إلى المشكلة، من حيث ماهيتها، وفوائدها، والفلسفة التدريسية المرتبطة بها، وكيفية تنفيذها داخل الغرفة الصفية.
2) دروس قائمة على إستراتيجية التعلم المستند إلى المشكلة . وقد اشتملت الدروس على أهداف، وأنشطة ومقالات علمية، وأساليب تقييم ومعينات تدريس.
3) مراجع وعناوين لمواقع في الإنترنت يمكن للمعلم الاستفادة منها.

ب. دليل الطالب:

والذي تم إعداده ليساعد الطالب على دراسة الموضوعات باستخدام إستراتيجية التعلم المستند إلى المشكلة، إذ اشتمل الدليل على خلفية نظرية مبسطة جدا، وعلى أوراق عمل لكل درس من دروس المادة باستخدام الإستراتيجية. وقد اشتملت أوراق العمل على مخطط لسير عمل الطلبة في التعلم المستند إلى المشكلة. تم عرض الدليلين (دليل المدرس ودليل الطالب) بعد الانتهاء منها على عدد من المحكمين في مجال الكيمياء وطرائق تدريس العلوم) ، وقد هدف التحكيم بالأساس إلى مراجعة الدليل من الجوانب العلمية والتربوية والفنية . وقد أعطى المحكمون آراء واقتراحات ساعدت الباحث في تقديم الدليلين بصورة علمية وتربوية وجمالية جيدة.

أداتا البحث

قام الباحث باعداد اداتين من اجل قياس التحصيل والتفكير العلمي للطلاب , هما :-

1- الاختبار التحصيلي :

تمت عملية اعداد الاختبار التحصيلي على وفق الخطوات الاتية :

أ – صياغة الاغراض السلوكية :

تمت صياغة الأغراض السلوكية اعتماداً على محتوى المادة العلمية إذ بلغ عددها (76) غرضاً على وفق ثلاث مستويات من مستويات (بلوم Bloom) المعرفية وهي: (التذكر، والفهم، والتطبيق)وقد عرضت الأغراض السلوكية بصورتها الاولية مع المحتوى المادة على مجموعة من الخبراء (المحكمين) لبيان آرائهم في سلامتها ومدى استيفائها لشروط صياغة الأهداف السلوكية وملائمة مستوياتها المعرفية لمستويات طلاب العينة . وقد تم إجراء بعض التغييرات المقترحة لبعض الفقرات على وفق ما اقره الخبراء وتم الإبقاء على جميع الأغراض السلوكية . والجدول (2) يوضح توزيع الاغراض السلوكية على فصول الكتاب ومستويات الاغراض :

جدول (2)

الأغراض السلوكية للفصول الاربعة موزعة على مستويات (التذكر، والفهم، والتطبيق)

الفصل	الموضوع	عدد الأغراض في كل مستوى			المجموع
		التذكر	الفهم	التطبيق	
الثاني	المادة	10	8	8	26
الثالث	بناء المادة	9	8	8	25
الرابع	التفاعل الكيميائي والمعادلة الكيميائية	6	5	4	15
الخامس	الأوكسجين	6	2	2	10
المجموع		31	23	22	76

ب– إعداد الخارطة الاختبارية :

فقد تم إعداد الخارطة الاختبارية لمحتوى الفصول الاربعة من كتاب الكيمياء، وحسب المستويات الثلاثة للأغراض السلوكية(التذكر، والفهم، والتطبيق)، وقد حددت أوزان المحتوى الدراسي في ضوء عدد الصفحات لكل فصل، كما حددت أوزان الأغراض السلوكية حسب مستوياتها الثلاثة ، أما عدد الأسئلة فقد حددت بـ (40) فقرة موضوعية ، والجدول(3) يوضح الخارطة الاختبارية للاختبار التحصيلي :

جدول (3)

الخارطة الاختبارية الخاصة بالاختبار التحصيلي

المحتوى التعليمي	عدد الاغراض السلوكية	وزن المحتوى	مستويات الأغراض وأوزانها			المجموع
			المعرفة	الفهم	التطبيق	
			%40	%30	%30	%100
الفصل الثاني	26	%34	6	4	4	14
الفصل الثالث	25	%33	6	4	4	14
الفصل الرابع	15	%20	3	2	2	7
الفصل الخامس	10	%13	2	2	1	5
المجموع	76	%100	17	12	11	40

ب . إعداد فقرات الاختبار التحصيلي:

بعد اعداد الخارطة الاختبارية قام الباحث بصياغة الفقرات الاختبارية من الاغراض السلوكية , وقد قرر ان تكون فقرات الاختبار موضوعية من نوع (اختيار من متعدد وملئ الفراغات واسئلة ذات اجابات قصيرة) , وقد راعى الباحث مواصفات

الفقرات الموضوعية الجيدة في فقرات هذا الاختبار من حيث طول الفقرة وصياغتها اللغوية وعدد البدائل وطريقة الاجابة .

تكون الاختبار من (20) فقرات من نوع ملئ الفراغات و (20) من نوع الاختيار من متعدد .

ج . صدق الاختبار Test Validity:

ومن أجل التحقق من صدق الاختبار عمد الباحث إلى التحقق من صدق المحتوى وكما يلي :-

صدق المحتوى Content Validity:

إنَّ الاختبار الذي يتصف بصدق المحتوى هو ذلك الاختبار الذي تُعدُّ فقراته عينة ممثلة لنطاق السلوك المراد قياسه ، وبالتالي اختيار عدد من الأسئلة يفترض بها أن تمثل هذا النطاق تمثيلاً صحيحاً .

تم التاكد من ذلك من خلال إعداد الخارطة الاختبارية والالتزام بأوزان أعداد الفقرات كما قام الباحث بعرض الاختبار والأغراض السلوكية والخارطة الاختبارية فضلا عن المحتوى على عدد من الخبراء (المحكمين) لتقرير مدى تحقيق فقرات الاختبار للصفة المراد قياسها، وبعد الأخذ بآرائهم تم تعديل بعض الفقرات ولم تحذف أية فقرة وبذلك بلغ عدد فقرات الاختبار(40) فقرة وكان نسبة الاتفاق بين الخبراء والمختصين(80%) فأكثر وبذلك تحقق الصدق الظاهري وصدق المحتوى.

د . تطبيق الاختبار وتحليل فقراته:

1. التجربة الاستطلاعية للاختبار التحصيلي:

من أجل التأكد من وضوح فقرات الاختبار وحساب الزمن المستغرق للإجابة عليه، طبّقَ الباحث الاختبار التحصيلي على عينة من (50) طالبا من طلاب الصف الثاني المتوسط في ثانوية اليمن للبنين اختيروا بصورة عشوائية، وقد طبق الاختبار

تحت أشراف الباحث وبمساعدة مدرس الكيمياء في تلك المدرسة , وقد وجد أن فقرات الاختبار كانت واضحة وتعليمات الإجابة مفهومة وان متوسط الوقت الذي استغرقه الطلاب في الإجابة (40) دقيقة.

2. تحليل فقرات الاختبار التحصيلي:

إنّ تحليل فقرات الاختبار من العمليات المهمة في بناء الاختبارات الجيدة، إذ تعمل على تحديد العلاقة بين ما تقيسه المفردات وبين استجابات الأفراد لها، وذلك للتعرف على المفردات الغامضة أو التي توحي بالاجابة، والمفردات بالغة السهولة أو الصعوبة، التي لا تميّز بين الأفراد، وهي بذلك تفيد في مراجعة المفردات وتحسينها بحيث تسهم كل مفردة إسهاماً ايجابيا فيما يقيسه الاختبار.

ولأجل تحليل مفردات الاختبار صُحِّحَت إجابات العينة الاستطلاعية ثم رتبت الدرجات تنازلياً. وقسمت العينة إلى قسمين مجموعة عليا عدد أفرادها (25) طالبا ومجموعة دنيا عدد أفرادها (25) طالبا، ثم حسب مستوى الصعوبة وقوة التمييز لكل فقرة من فقرات الاختبار على النحو الآتي:

أ – القوة التمييزية للفقرات (Item Discrimination Power):

وهي حساب مدى قدرة الفقرة على تمييز الفروق الفردية بين أفراد العينة الاستطلاعية وبعد أن حسب الباحث القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (0.33) و(0.53) والأدبيات تشير إلى أن الفقرة التي يقل معامل قوتها التمييزية عن (20%) ينبغي حذفها أو تعديلها (عبيدات ,1988 , 223). لذا أبقى الباحث على جميع الفقرات من دون حذف أو تعديل.

ب– معامل صعوبة الفقرات (Item Difficulty):

يعرف معامل الصعوبة بأنه نسبة الطلبة الذين أجابوا عن الفقرة إجابة صحيحة. ويفيد حساب معامل صعوبة الفقرة في إعطاء مستوى معين من الصعوبة

والسهولة لفقرات أي اختبار , إذ يمكن أن تستبعد الفقرات التي تتطرف في السهولة أو الصعوبة أو تستبدل بغيرها، وبعد أن حسبت معاملات صعوبة فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين(0.32) و (0,64)، وتعد الفقرات الاختبارية مقبولة إذا كان معدل صعوبتها بين (0,20) و(0,80). وهذا يعني ان فقرات الاختبار جميعاً تُعّد مقبولة.

ثبات الاختبار (Test Reliability):

اختار الباحث طريقة التجزئة النصفية لحساب ثبات الاختبار التحصيلي، إذ تم تقسيم فقرات الاختبار الى قسمين فقرات فردية وفقرات زوجية باستخدام معامل ارتباط (بيرسون Pearson) بين درجات الفقرات الفردية والفقرات الزوجية، اذ بلغت قيمته (0,80) وبعد تصحيحه باستخدام معادلة سبيرمان براون وجد ان قيمته تساوي (0,89) وتدل هذه القيمة على ان الاختبار يتميز بثبات جيد .

تصحيح الاختبار التحصيلي:

تم إعداد أنموذج خاص بالاجابات النموذجية لفقرات الاختبار التحصيلي , كما تم إعطاء مثال يوضح طريقة الإجابة عنه في تعليمات الاختبار , اذ أعطيت درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة الخاطئة.

الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية:

اشتمل الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية على (40) فقرة موضوعية من نوع اختيار من متعدد وملئ الفراغات ، وقد خصص لكل فقرة درجة واحدة، أي أعلى درجة هي (40) وأدنى درجة هي (صفر) .

2- اختبار التفكير العلمي

لقياس التفكير العلمي اعتمد الباحث مقياس التفكير العلمي الذي اعده بنفسه في بحث سابق عام 2009 – 2010 (محمود , 2010) , تكون هذا الاختبار بصورته النهائية من (5) مجالات او مهارات هي (تحديد المشكلة , صياغة او

اختيار الفرضيات , اختبار صحة الفرضيات , القدرة على التفسير , القدرة على التعميم) , ويضم كل مجال (8) فقرات , وان الوقت اللازم للإجابة تراوح ما بين (30–40) دقيقة.

تصميم الدراسة

قامت هذه الدراسة على التصميم التجريبي الذي يتكون من المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة.

خطوات تدريس المجموعة التجريبية (إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة)

تم تدريس طلاب المجموعة التجريبية كالآتي:

1- تقسيم الطلاب إلى مجموعات تعاونية (كل مجموعة تتكون من 4–6 طلاب)؛ وذلك لضبط أثر التعلم التعاوني ,علما ان طلاب كل مجموعة غير متجانسين في التحصيل الدراسي والذكاء .
2- بعد تمهيد الدرس، تعطى مقدمة بسيطة من قبل المدرس عن المشكلة المطروحة التي لها علاقة بالدرس.
3- يتم توزيع ورقة العمل للطلاب بها خطوات حل المشكلة ، والمصادر المتنوعة من مجلات أو كتب أو مراجع أو من شبكة المعلومات الدولية.
4- يحدد المدرس الوقت اللازم لانجاز المهمة، ويكون دوره في هذه المرحلة تيسير عملية التعلم وأحيانا طرح مداخلات للمجموعات لإثارة تفكير الطلاب ودافعيتهم للتعلم.
5- يقوم الطلاب بمناقشة المشكلة المطروحة والتوصل إلى حل لها, اذ يقوم المدرس بمناقشة المجموعات في الحلول التي توصل الطلاب إليها، ويؤكد على أفضل الحلول ثم يقدم المعلومات التي لم تتم مناقشتها.
6- يوضح المدرس النقاط التي لم تتعرض لها المجموعات، فيمكنه مثلا عرض لوحة أو مجسم، أو عرض مقطع من فلم تعليمي.

يمكن للمدرس أن يقوم عمل الطلاب أثناء قيامهم بالبحث في المصادر المختلفة ، وأثناء مروره بين المجموعات ، كما يمكنه مناقشة الأسئلة للتأكد من مدى استيعاب الطلاب لموضوع الدرس.

وقد واجهت الباحث عدة عقبات اثناء تطبيقه للتجربة منها قلة الوقت المخصص لكل درس (45 دقيقة) , وصعوبة اشتقاق مشكلات حقيقية من بعض موضوعات الكيمياء المقرر تدريسها لطلاب الصف الثاني المتوسط .

الوسائل الإحصائية

استخدم الباحث الوسائل الإحصائية الآتية في معالجة بيانات بحثه , والحصول على النتائج :-

1- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين .
2- معامل ارتباط بيرسون
3- معامل صعوبة الفقرة
4- معامل تصحيح سبيرمان براون
5- معامل تمييز الفقرات .

نتائج الدراسة ومناقشتها

عرض النتائج

بعد معالجة البيانات إحصائيا اظهر البحث النتائج الاتية :-

1. الفرضية الأولى:

" لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة الضابطة " .

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة استخدم الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين , اذ وجد أن القيمة التائية المحسوبة (2,14) وهي أعلى من القيمة الجدولية البالغة (2,00) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (58) مما يدل على أن استخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة له أثر واضح في زيادة تحصيل طلاب المجموعة التجريبية مقارنة بتحصيل طلاب المجموعة الضابطة وبذلك ترفض الفرضية الصفرية الأولى.وكما في الجدول (4).

جدول (4)

القيمة التائية المحسوبة لدرجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	30	74,33	11,64	2,14	2,00	دال
الضابطة	30	67,63	12,62			

2. الفرضية الثانية

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة على اختبار التفكير العلمي .

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي الدرجات على اختبار التفكير العلمي للمجموعتين التجريبية والضابطة ,استخدم الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين ،وقد تبين ان القيمة التائية المحسوبة (2,09) عند درجة حرية (58) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (2,00) عند مستوى دلالة (0.05).وبذلك ترفض الفرضية الصفرية الثانية وكما في الجدول (5).

جدول (5)

القيمة التائية لدرجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار التفكير العلمي

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	30	24,67	4,45	2,09	2,00	دال
الضابطة	30	21,13	5,76			

تفسير النتائج

ويمكن أن تعزى النتيجتين السابقتين إلى أن طلاب المجموعة التجريبية (الذين درسوا عن طريق إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة) اكتسبوا مهارات التفكير العلمي أثناء ممارستهم لهذا النوع من التعلم ، إذ إن المشكلات التي اتصلت بمواضيع الكيمياء التي درستها الطلاب لم يكتسبوا فيها المحتوى فقط، وإنما اكتسبوا مجموعة من المهارات العقلية والعلمية كالتحليل، والتفسير، والاستنتاج وفرض الفروض. ويرى تشان يان وباروفدي (Chun-Yen and Barufaldi, 1999) كما جاء في إبراهيم

(2004) إلى أن التعلم المبني على المشكلة تعلم لا يرتكز فقط على المعارف والمعلومات "معرفة ماذا" ولكن يتعدى ذلك بالتركيز أيضا على الإجراءات المعرفية أي "معرفة كيف" حيث إن "معرفة ماذا" تمكن المتعلمين من اكتساب المعرفة النظرية فقط، بينما "معرفة كيف" تمكن المتعلمين من تطبيق المعرفة والمفاهيم في مواقف جديدة، وأن هذا التطبيق يتطلب استخدام مجموعة من المهارات العقلية . كما أكد ديش (Duch, 1996) أن الطلبة في إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة يمرون بخبرة ما يعرف بـ"ممارسة العلم" الذي يعني استخدام مهارات التفكير العلمي المختلفة المشار إليها سابقا في الحصول على المعلومة.

كما أنه في هذا النوع من التعلم لا يتم تقديم المعلومة جاهزة للطلبة، بل يقوم المتعلم بنفسه بالبحث عنها والوصول إليها من خلال المصادر المتعددة كالكتب العلمية، والموسوعات، والمصادر الإلكترونية كالإنترنت. ولكي يتم ذلك فإن المتعلم يستخدم مجموعة من المهارات كالملاحظة، والتنبؤ، والاستنتاج، والاستدلال، والتحليل، وبالتالي يكتسبها الطالب وتنمو عنده، وهذا مالم يتوافر لدى طلاب المجموعة الضابطة. وقد أشار سونمز (Sonmez, 2003) إلى أن المشكلات التي تقدم للطلبة في التعلم المبني على المشكلة تؤكد وتعمل على إكساب وتنمية مهارات التفكير المختلفة ومهارة التحليل.

فضلا عما سبق فان الباحث يرى ان استراتيجية التعلم المبني على المشكلة تتضمن العديد من الاستراتيجيات التدريسية مثل التعلم التعاوني وحل المشكلات والاكتشاف والتي اثبتت فاعليتها في تنمية مهارات التفكير العلمي في كثير من الدراسات والبحوث التربوية .

وبشكل عام يمكن القول إن نتائج هذه الدراسة تتفق في كليتها أو بعض من أجزائها مع الدراسات التي أشارت إلى أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في إكساب المهارات العقلية والعلمية ومهارات البحث وحل المشكلات مثل دراسة إبراهيم (2004)، وبانج وآخرين (Pang et al, 2002) ، و نادي وآخرين (2000, Nadi et al.).

الاستنتاجات :

في ضوء النتائج التي توصل اليها الباحث , يمكن استنتاج ما يلي :

1- ان لاستراتيجية التعلم المبني على المشكلة اثر دال احصائيا في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء .

2- ان لاستراتيجية التعلم المبني على المشكلة اثر في تنمية التفكير العلمي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط .

التوصيات :

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فإن الباحث يوصي بما يلي:

1- حث مدرسي مادة الكيمياء ومدرساتها على استخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تدريسهم .

2- تدريب مدرسي ومدرسات مادة الكيمياء قبل الخدمة وأثناءها على كيفية استخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة .

3- قيام واضعي منهج الكيمياء بجعل منهج الكيمياء مبني على شكل مشكلات واقعية قريبة من الطالب حتى يمكنه استيعابها بشكل جيد .

المقترحات :

1- إجراء دراسات على إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة على مناهج العلوم الطبيعية الاخرى (الفيزياء وعلوم الحياة) وفي مراحل دراسية اخرى ، وعلى متغيرات أخرى مثل الاتجاهات العلمية، والتفكير الناقد والتفكير الابتكاري.

2- اجراء دراسات لمقارنة هذه الاستراتيجية مع استراتيجيات تدريسية اخرى من حيث اثرها في متغيرات تربوية معينة كالتحصيل او الاتجاهات او التفكير بانواعه .

المصادر

1- إبراهيم، بسام (2004). أثر استخدام التعلم القائم على المشكلات في تدريس الفيزياء في تنمية القدرة على التفكير الإبداعي والاتجاهات لدى طلاب الصف التاسع، مجلة المدرس/الطالب، العددان الأول والثاني: 4-22.

2- ابو جادو , صالح محمد علي (2003) , علم النفس التربوي , ط1 , دار المسيرة للنشر والتوزيع , عمان .

3- ابو جادو صالح محمد ومحمد بكر نوفل (2010) تعليم التفكير (النظرية والتطبيق) , ط3 , دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة , عمان , الاردن .

4- امبو , عبد الله خميس و خديجة بنت احمد البلوشي (2009) , اثر استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف العاشر (الاول الثانوي) في مادة الاحياء , سلطنة عمان , بحث منشور في شبكة الانترنت .

5- الباوي , ماجدة ابراهيم و هدى كريم الخفاجي (2009) , اثر انموذج التدريب على التساؤل في التحصيل وتنمية التفكير العلمي لطالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء , مركز المنشاوي للدراسات والبحوث , http://www.minshawi.com/node/686

6- بركات، زياد حسين (2005)، العلاقة بين التفكير التأملي والتحصيل لدى عينة من طلبة الجامعة، مجلة العلوم التربوية والنفسية , كلية التربية, جامعة البحرين، المجلد (6)، العدد (4)، ديسمبر.

7- البلوشي , خديجة بنت احمد (2008) , اثر استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل مادة الاحياء واكتساب مهارات حل المشكلة لدى طالبات

الصف العاشر من التعليم العام , كلية التربية , جامعة السلطان قابوس , رسالة ماجستير غير منشورة .

8- جاسم، صفاء محمد (2006)، أثر أسلوب قصص السُّنة النبوية في تحصيل طلاب الإعدادية الإسلامية في مادة الحديث الشريف، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية (أبن رشد).

9- ديسيل، روبرت (2001). كيف تستخدم التعلم المستند إلى مشكلة في غرفة الصف، ترجمة مدارس الظهران الأهلية، الدمام، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع .

10- زيتون , عايش محمود (2007) , النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم , دار الشروق , القاهرة .

11- عبد الحميد، جابر (1999). استراتيجيات التدريس والتعلم ، ط1 ، القاهرة ، دار الفكر العربي.

12- عبيدات , سليمان احمد , القياس والتقويم التربوي (1988) , ط11 , عمان , المطابع التعاونية .

13- عبيدات ,ذوقان واخرون (2003) ,البحث العلمي مفهومه وادواته واساليبه ,دار مجدلاوي , عمان .

14- القرشي , هدى بنت عبد ربه بن حميد (2008) ,اساليب تنمية التفكير العلمي لطفل المرحلة الابتدائية وتطبيقاتها في ضوء التربية الاسلامية ,(رسالة ماجستير غير منشورة) , كلية التربية , جامعة ام القرى , المملكة العربية السعودية .

15- الكبيسي , عبد الواحد حميد (2010) , التفكير المنظومي , توظيفه في التعلم والتعليم واستنباطه من القران الكريم , ط1, دار ديبونو للنشر والتوزيع , عمان , الاردن .

16- كلنتن , عبد الرحمن و عبد الناصر فخرو (2000) ,تنمية مهارات التفكير المنهجي لدى طلاب المرحلة المتوسطة , مكتب التربية لدول الخليج: http://www.dahsha.com/old/viewarticle.php?id=10694

17- محمود , رائد ادريس (2010) , اثر استخدام المدخل المنظومي في تحصيل طلاب الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء وتفكيرهم العلمي , بحث مقبول للنشر في المؤتمر العالمي للتعليم في عمان , الاردن .

18- النادي ,محمد رجا عباس (انترنت), استخدام التعلم المستند الى مشكلة في الصفوف , مجلس ابو ظبي للتعليم , المنطقة الغربية التعليمية .

19- ناصر، كريمة كوكز خضر (2003)، أثر برنامج مهارات الإدراك والإبداع في تنمية التفكير الإبداعي بحسب مستويات الذكاء والتحصيل لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد (أبن رشد).

20- Awest .S (1992). Problem – based learning viable addition for secondary school science School Science Review (SSR) 73 (265) ,47-55.

21- Bentley, D. and Watts, M. (1991). Learning and Teaching in School Science, Buckingham, Open University Press.

22- Beyer ,Barry K (2001) , What Research Suggests About Teaching Thing Skills " In Costa ,Arthur L . (Editor) .Developing Minds : A resource Book For Teaching , Alexandria : ASCD.

23- Duch, B. (1996). Problem based learning in physics: the power of students teaching students, Journal of College Science Teaching, March/April issue: 326-329.

24- Education Queensland (2003) Integrating curriculum planning through problem based learning Retrieved April, 5, 2006, From World Wide Web. .www.education.qld.gov.au/curriculum/area/technology/pbl.pdf

25- Nadi, P. , Chan, J. , Chan, C., Chan, P.& Chan, L. (2000). Comparison of problem – based learning and conventional teaching, HKMJ, 6(3) : 301-306 .
26- Northern Territory University NTU, (2002), Problem – based learning, Retrieved July, 30, 2006, From World Wide Web: http://www.ntu.au/education/oll/pbl/step2.htm
27- Pang, S., Wong, T. Dorcas, A., Lai, C. , Lee, R. , Lee, W. , Mock . E & Wong . F (2002). Evaluating the use of developmental action inquiry in constructing a problem based learning curriculum for pre – registration nursing education in Hong Kong: A Student Perspective, Blackwell Science Ltd , 40 (2) , 230 – 241.
28- Rankin, J. (1992). Problem-based medical education: effect on library use, Retrieved June 8 .2006 from World Wide Web http://www.pubmedcentral.nih.gov/pagerender.fcgi?artid=225613&pageindex=1
29- Schwartz. P; Mennin, S. and Webb.G (2000). Problem Based Learning: Case Studies Experience and Practice , London , Kogan Page.
30- Sonmez, D. (2003). Problem based learning in science, ERIC Digest, Retrieve July, 8, 2006 from World Wide Web: http/edweb.sdsu.edu/clrit/learnintree/PBL/PBLadvantages.html.
31- Uyeda . S; Washburne, J Madden .J; Brigham .L and Luft .J (2002). Solving authentic science problems. The Science Teacher. 69 (1): 24 – 29
32- Yaman .S (2003). Effectiveness on learning outcomes of problem based learning in science education , Retrieved June ,29 , 2006, From World Wide Web : http://darkwing.uoreogon.edu/~moursund/SPSB.

الضغوط النفسية وعلاقتها بالثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة

م. م. حسام محمود صبار
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم العلوم التربوية والنفسية

المستخلص

يعد مصطلح الضغوط النفسية الذي شاع استخدامه في علم النفس والطب النفسي من المصطلحات التي اهتم بها الكثير من علماء النفس كونها تسبب للإنسان اضطرابات فسيولوجية ونفسية تؤثر فيه وتؤرقه وتفقده الثقة بنفسه إذا ما ازدادت هذه الضغوط عن المستويات الطبيعية .

وهدف البحث الحالي التعرف على مستوى الضغوط النفسية ومستوى الثقة بالنفس ، وكذلك الكشف عن العلاقة بين هذين المتغيرين لدى عينة من طلبة كلية التربية .

بلغت عينة البحث (75) طالب وطالبة .

قام الباحث ببناء مقياس للضغوط النفسية وهو جزء من المتطلبات الأساسية للبحث الحالي اذ تكون المقياس بصورته الأولية من (64) فقرة ، تم التحقق من الصدق الظاهري للمقياس من خلال عرض فقراته على مجموعة من المحكمين ، وكذلك استخراج معامل الارتباط بين درجة كل فقره مع الدرجة الكلية للمقياس ، وبذلك أصبح المقياس مكون من (60) فقرة بعد ان تم حذف أربع فقرات كان ارتباطها ضعيفا ، وقد تم حساب ثبات المقياس بطريقة إعادة الاختبار فبلغ (0,88) ويعد هذا معامل ثبات جيد ، هذا بالنسبة لمتغير البحث الأول ، أما المتغير الثاني فلقد تبنى

الباحث مقياس الثقة بالنفس الذي أعده (البياتي : 2006) وقام الباحث بعرضه على مجموعة من المحكمين لاستخراج الصدق الظاهري ، وبلغ معامل الثبات عن طريق إعادة الاختبار (0,81) وهو معامل جيد للمتغير الثاني.

وبعد استخراج الصدق والثبات للمتغيرين (الضغوط النفسية والثقة بالنفس) قام الباحث بتطبيق المقياسين على عينة البحث الأساسية ، وبعد جمع استمارات المعلومات تم معالجة البيانات إحصائيا باستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة ومعامل ارتباط ، وقد توصل الباحث الى النتائج التالية :

1- مستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة مرتفع .
2- مستوى الثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة ايجابي .
3- وجود علاقة دالة إحصائيا بين متغيري البحث .

ومن خلال هذه النتائج توصل الباحث الى عدد من التوصيات والمقترحات .

الفصل الأول

أولا: مشكلة البحث :

تهتم معظم دول العالم المتقدمة منها والنامية في العصر الحالي بالعملية التربوية والتعليمية اهتماما متزايدا ، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في تقدم المجتمع وتحقيق أهداف التنمية القومية ، فهي أداة فعالة في بناء الإنسان وتطوير شخصيته وتفجير طاقاته وقدراته العلمية .(**الحبيب : 1981 :21**)

إذ كان الإنسان في كل الثقافات وعلى مر العصور هو نقطة البدء وهو الهدف فقد أصبح طلبة الجامعة أمل الأمم والمجتمعات الإنسانية في البناء والتطور ، وإنجاح الخطط التنموية الشاملة لنهضتها ورقيها ، وغدت التربية إلى جانب التعليم من وسائل الأمم الحية الصاعدة في السعي إلى صقل مواهب أبنائها ورعايتهم ، وتنمية استعداداتهم ، وميولهم ، وقدراتهم والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وخير مجتمعاتهم ، وإحداث التغيرات المرغوبة اجتماعيا وروحيا في سلوكهم ، وإعدادهم للحياة الاجتماعية الناجحة والانتفاع من طاقاتهم وإمكاناتهم والعمل على استثمارها على أفضل وجه ، فهم ثروة الأمة وعامل من عوامل تطورها وان الاهتمام بهم والكشف المبكر عن حاجاتهم ومشكلاتهم مسألة تربوية في غاية الأهمية ، وهي هدف أسمى من أهداف التربية والتعليم فطلبة الجامعة هم ركائز أساسية وضرورية لكل مجتمع ينظر لمستقبل زاهر متقدم .(**الشيباني: 1985 :71**)

وللضغوط النفسية تأثيرات على النشاط الإنساني لما يستنزفه من طاقات نفسية تنعكس على شخصية الطالب وانجازاته لذلك تتجسد مشكلة البحث الحالي بالإجابة عن السؤال الآتي :

ما أهم الأحداث والمشكلات والصعوبات التي تواجه طلبة الجامعة التي تشكل ضغوطا نفسية لديهم والتي من المحتمل أن تؤثر في نشاطاتهم المختلفة ومنها ثقتهم

بأنفسهم ، فالتعرف على الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة وعلاقتها بالثقة بالنفس تعد مشكلة أساسية تستحق الدراسة العلمية إذ استدل الباحث من خلال معايشته لهذه الفئة من إن الطلبة يعانون من ضغوط نفسية مختلفة وسببها خصوصية هذه المرحلة من الدراسة وطبيعة الظروف الاستثنائية التي يعيشها مجتمعنا العراقي ، خاصة الأحداث الأليمة التي عصفت بالبلد من احتلال بغيض وظروف معاشية وأمنية مرهقة .

ثانياً : أهمية البحث :

لقد أدركت المجتمعات المتقدمة حاجتها لطلبة الجامعة لاستثمار إمكاناتهم والإفادة منهم في مختلف المجالات (جلجل : 2000 : 254) . وعالمنا المعاصر باتجاهاته المادية وصراعاته يدفع الإنسان ليعيش تحت وطأة ضغوط كثيرة ، حيث التعب والإرهاق وسرعة التغيرات التي تنعكس على بيئته النفسية .(**الإمارة : 1992:25**) . وتؤكد الكثير من الدراسات إن الضغوط النفسية لها تأثير سلبي ومباشر على الجهاز العصبي المركزي أو الهرمونات التي يفرزها الجسم عندما يكون الفرد تحت وطأة الضغوط النفسية المختلفة ، الأمر الذي يجعله أكثر عرضة للإصابة بالأمراض .(**المحارب: 1993 :373**) . ويمكن للعديد من الاحباطات ومصادر الضغوط التي تواجهنا في حياتنا الاجتماعية والشخصية والعملية إن تسبب لنا الضغط ، وسبب التقدم العلمي السريع والبيئة سريعة التغير فقد أصبح الضغط جزءا من مؤثرات نشعر بآثارها ، وقد درس الضغط باحثون في مجالات علم النفس وعلم الاجتماع والطب وأصبح الناس مهتمين بشكل كبير بموضوع الضغوط وآثاره والسيطرة عليه.(**Adams:1999:3**).

إن الضغوط الخارجية منها والداخلية قد اكتسبت أهميتها من طبيعة كونها حالة نفسية مستمرة يصعب تحاشيها ، لأنها تحدث تفاعلا عند الكائن الحي استجابة

لحاجاته ، لاسيما إن الحياة تستلزم ولا سيما إن الحياة تسلتزم ثقة بالنفس تدفع الإنسان للإحساس بمستويات منخفضة من الضغط (**السلطاني : 1994 :4**)

وإذا كانت الضغوط النفسية تترك آثارها في مجالات الحياة جميعها في المراحل العمرية المختلفة ، فإنها تكون بدرجة أكبر على طلبة الجامعة لذلك يتطلب منهم أن يمتلكوا ثقة عالية بالنفس لمواجهة تلك الضغوط .

يهدف التعليم العالي إلى أعداد جيل قوي في بنيته وشخصيته وأخلاقه ، يعي تراثه الحضاري ويتسلح بمنجزات العصر العلمي الواسعة ، كما يهدف إلى إعداد مفكرين وأساتذة جامعيين وخبراء في مجال اختصاصهم وذلك لتحقيق التربوية والثقافية والاقتصادية والعلمية وما تحتاجه من كفاءات وخبرات في جميع مرافق القطر وقطاعاته المتنوعة .(**العناد: 1999 :864**)

لذا فان دراسة الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة له ما يبرره للأسباب التالية :-

1- الوقوف على الضغوط النفسية ومعرفتها يسهم في التخفيف منها .
2- هذه الشريحة المهمة لم تنل من الباحثين الاهتمام الكافي .
3- إن التعرف على الضغوط التي يواجهها طلبة الجامعة وعلاقتها بالثقة بالنفس يساعد على بناء مجتمع حضاري ومتماسك .
4- إن التغيرات المتسارعة في عصرنا الحاضر وما يعيشه مجتمعنا في العراق تجعل موضوع الضغوط متغيرا يستحق الدراسة بشكل متتابع ومستمر وخاصة في الظروف الراهنة .
5- أهمية هذه المرحلة في إعداد كوادر علمية واجتماعية فعالة .

تؤدي سمات الشخصية والمفاهيم الخاصة عن الآخرين دورا كبيرا في ازدياد القدرة على الإيضاح وانخفاضها ، فالأشخاص الذين يفتقرون إلى الثقة بالنفس وعدم

الإحساس بالأمان غالبا ما يتعرضون للضغوط أكثر من غيرهم ممن يتميزون بقدر من ارتفاع الثقة بالنفس والمركز الاجتماعي .(**إبراهيم : 1987 : 177**)

ثالثاً : أهداف البحث :

1- التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة .

2- التعرف على مستوى الثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة .

3- الكشف عن العلاقة بين الضغوط النفسية والثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة .

رابعا : حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على طلبة الدراسات الأولية في كلية التربية جامعة تكريت للعام الدراسي 2010 -2011 .

تحديد المصطلحات :

اولا: الضغوط النفسية Psychological Stresses

1- تعريف شوبر 19995 :

هي تلك العوامل الخارجية والداخلية الضاغطة على الفرد ككل ، أو على أي عضو فيه ، الامر الذي يؤدي الى الشعور بالتوتر والاختلال في تكامل شخصيته ، وعندما تزداد شدة هذه الضغوط فان ذلك يفقد الفرد قدرته على التوازن ويغير نمط سلوكه .(**شوبر : 1995: 3**)

2- تعريف العجيلي والحلو 1997 :

هي الأحداث النفسية التي يحس معها الفرد بالتحدي والتهديد .(**العجيلي والحلو : 1997 : 48**)

3- تعريف المدرس 2000 :

الاحداث المؤلمة المزعجة التي يتعرض لها الافراد وتسبب شعورا بالضيق والتوتر وتبعدهم من حالة التوازن النفسي ، تنشأ عن مصادر اما داخلية (داخل الفرد

نفسه) أو خارجية (بيئة الفرد) والتي يشعر بها الافراد بأنها تشكل عبئا عليهم. (المدرس : 2000 : 14)

4- تعريف الربيعي 2001 :

الاحداث والمشكلات والصعوبات التي يدركها الطلبة وتشعرهم بالخوف والقلق وعدم الاتزان ، مما يتطلب منهم جهدا اضافيا لاعادة التوازن . (الربيعي : 2001:9)

ويعرفها الباحث نظريا بأنها :

مجموعة من المواقف والاحداث الاجتماعية والاكاديمية التي ينجم عنها اعراض سلبية كالغضب والاكتئاب والقلق ، والتي تحدث نتيجة عوامل قد تكون خارجية او داخلية ، تهدد دوافع الفرد وترهق قدراته وقابليته على التعايش والتكيف .

اما التعريف الاجرائي :

فهو الدرجة التي يحصل عليها الطلبة من خلال استجابتهم على فقرات مقياس الضغوط النفسية والمعد لاغراض البحث الحالي .

ثانيا: الثقة بالنفس :

1- تعريف النعيمي 1999 :

سمة من سمات تكامل الشخصية بواسطتها يستطيع الفرد مواجهة الآخرين والاعتماد على نفسه وعدم التواني بالبدء بممارسة أعماله دون خوف أو تردد وعدم الشعور بالنقص أو الخجل من الآخرين .(**النعيمي : 1999 : 22**)

2- تعريف البيرقدار 2004 :

سمة شخصية ايجابية تظهر من خلال تعرف الفرد على قدراته وامكاناته وتساعده في استثمارها في مختلف مجالات الحياة .(البيرقدار : 2004 : 18)

3- تعريف البياتي 2006 :

وهو ما تعكسه إمكانيات الفرد وقدراته في الاعتماد على نفسه من اجل تدبر اموره وتحقيق احتياجاته ، وتقبله لذاته كما هي ، وعدم الشعور بالدونية أمام الآخرين .(البياتي : 2006 : 21)

اما التعريف النظري للباحث :

الشعور بتحقيق الذات وتقبل الاخرين والقدرة على مواجهة المواقف الصحعبة والظروف المختلفة دون خوف او تردد وعدم بالدونية مع الآخرين .

اما التعريف الاجرائي :

هي الدرجه الكلية التي يحصل عليها المستجيب جراء استجابته لفقرات مقياس الثقة بالنفس الذي تبناه الباحث .

الفصل الثاني

الإطار النظري

أولا: الضغوط النفسية : Psychological Stresses

أ- مفهوم الضغط :

يعتبر مصطلح الضغط الذي يشاع استخدامه في علم النفس والطب النفسي ، مستعار من الدراسات الفيزاوية والهندسية ، حيث كان يشير الى الاجهاد والضغط والعبأ ، وقد تناوله الافراد والجماعات بتسميات مختلفه تبعا لاختصاصاتهم وموضوعاتهم فتحدث عنه الاطباء في اطار الفسيولوجيا ، والمهندسون للاشارة الى مدى التحمل الخرساني ، أما علماء النفس فتناولوا المصطلح احيانا في ضوء تغير سلوكي . **(الزبيدي : 2000 : 22)**

ويشير الخولي (1976) الى كلمة (Stress) بانها تعني الضغط أو الشدة أو المحنة ، وتشير الى كل ما يسبب اجهادا للفرد مثل القوة التي تضغط شيئا او تجذبه ، وفي علم وظائف الاعضاء تفيد الكلمة احداث توتر لدرجة الاجهاد او الاحساس بهذا التوتر ز ومن الناحية المرضية تستخدم الكلمة (Stress) لكل ما يسبب اجهاد او توترا نفسيا شديدا . **(الخولي : 1976 : 426-428)**

ويمكن توضيح المواقف الاساسية ازاء استعمال الكلمة (Stress) :

الاول:تعبر عن عوامل الموقف الضاغط (المتطلبات والقيود والصعوبات والمشكلات الموقفية).

الثاني : تستخدم Stress للدلالة على ردود الافعال المتمثلة في التغيرات النفسية والانفعالية والتغيرات الفسيولوجية والسلوكية ، وهو يتناقض والموقف الاول .

الثالث : يطالب باستبدال لفظة Stress واحلال ألفاظا اخى أكثر وضوح .

الرابع : يفضل استعمال لفظة Stress لكونه مفهوما جامعاً للعوامل الموقفية الضاغطة والانعكاسات النفسية والسلوكية . (**الزبيدي : 2000 : 23–25**)

ب– أنواع وأصناف الضغوط النفسية :

وكذلك تصنف الضغوط النفسية الى تصنيفات عديدة منها :

الصنف الاول : الضغوط الفيزياوية : ومسبباتها خارجية كالتلوث الكيمياوي والاشعاعات والضوضاء التي تسبب ضررا للفرد اذا تعرض لها بقوة كافية ربما يؤدي الى الموت .

الصنف الثاني : الضغوط الاجتماعية : وتحدث نتيجة التفاعل بين الفرد والبيئة .

الصنف الثالث : الضغوط النفسية :وهي أكثر انواع الضغوط اضرارا بسبب طبيعتها التوترية .

(**السلطاني : 1994 : 20**)

وصنف سكواب وريتكارد (Schwab & Pritchard) الضغوط تبعا لشدتها:

الضغوط الخفيفة : ويستمر تأثيرها من ثواني الى ساعات ، كما يحدث في الظهور أمام جمهور كبير من الناس .

الضغوط المتوسطة : ويستمر تأثيرها من ساعات الى ايام كتغيب احد افراد الاسرة عن البيت لمدة طويلة او الاستمرار في العمل الإضافي .

الضغوط الشديدة : ويستمر تاثيرها لاسابيع او اشهر أو حتى سنوات مثل موت شخص عزيز او التعرض لخسارة فادحة . (**الربيعي : 2001 : 14**)

ج– مصادر الضغوط النفسية :

تؤكد الدراسات النفسية ان مصادر الضغوط النفسية متباينة ومتداخلة في آن واحد ، ويمكن ان تتمثل في اضطرابات العلاقات الانسانية وتهديد الانسان لاخيه

الانسان كما بينت دراسات عديدة ودراسات اخرى تحدثت عن ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة ، وتفشي المكروبات من الاعراض الفسيولوجية للضغوط المهددة للجسم التي تنشط على اثرها الاليات الدفاعية المقاومة للفيروسات والمحافظة على الحياة . (**الموسوي : 1998 :103**)

وتمثلت مصادر الضغوط في دراسة جاريس (Charies 1987) في الاصدقاء والوالدين والخوف من الفشل وابلاغ الآباء بسلوك ابنائهم والتأنيب المنفرد وخصم الدرجات وتكليف الطالب باعمال اضافية وطرده من الفصل وحرمانه من الانشطة الاجتماعية والعقاب أمام زملائه والعقاب البدني وعدم معرفة اساليب المذاكرة وعدم المام المعلم بالسبل التربوية وعدم احترام مشاعر الطالب وعدم مساعدته في حل مشكلاته والمعاملة السيئة ، كما ان المتغيرات الاجتماعية والشخصية تعد عوامل اساسية في الضغط الأكاديمي .(**Schwab & Pritchard :1987 : 20**)

ثانياً : الثقة بالنفس :

طبيعة الثقة بالنفس :

يعرف (جيلفورد) الثقة بالنفس بأنها عامل يمثل أتجاه الفرد نحو ذاته ونحو بيئته الاجتماعية ويرتبط بميل الفرد الى الاقدام على البيئة أو التراجع عنها ، كما لخص مظاهر مشاعر نقص الثقة بالنفس بالتمركز حول الذات والشعور بعدم الرضا عن الاحوال والخصائص الشخصية ويؤدي الاحساس بالكفاية النفسية والاجتماعية الى الشعور بالامن أثناء مواجهة التحديات في مواقف الحياة الاعتيادية .(**أسعد : 1987 : 43–54**)

ان الاشخاص الذين يتمتعون بثقة في النفس يميلون الى استكشاف الخبرات المهددة والتعرض لها ، أما الافراد الذين لا يتمتعون بهذه الثقة فانهم يميلون الى الابتعاد عن مثل هذه الخبرات .

والافراد يتوصلون الى فهم ذاتهم من خلال الطرائق التي يعاملهم بها غيرهم اثناء فترات نموهم وتطورهم.

ان عملية بناء الثقة بالنفس وتكوين الشخصية هي عملية متطورة تنمو باستمرار تبعا لعوامل فسيولوجية وللظروف والمواقف والخبرات الشخصية التي يمر بها الفرد ، وان حصيلة كل موقف من المواقف يضيف الى ادراك الفرد ادراكا جديدا وصورة عن نفسه .(**أبو عطية : 1988 :164-165**)

ونستنتج من ذلك ان الثقة بالنفس مفهوم نفسي يتكون من مجموعة خبرات الفرد وادراكه لنفسه ومن تفاعله المستمر مع بيئته وخصوصا والديه والافراد المحيطين به ، ولها دور مهم في تكوين شخصيته فهي :

1- توفر الإحساس بالقوة نحو انجاز الاعمال .
2- تقود الى الاقدام والمبادرة ومواجهة التحديات .
3- تقود الى الشعور بالامان .
4- ترتبط الثقة بالنفس بالصحة العقلية والتحصيل اذ تعد شرطا اساسيا في نجاح الفرد .
5- لديه مفهوم ذات ايجابي ويستطيع التعبير عن مشاعره الايجابية والسلبية .

النظريات التي فسرت الضغوط النفسية :

1- نظرية أعراض التوافق العام :

يعتبر (هانز سيلي) من أشهر الباحثين الذين ارتبطت أسمائهم بموضوع الضغوط ونجاحه في المجال الطبي بتأثير الضغوط على الانسان وقد جاء اكتشافه للضغط بالصدفة خلال بحوثه على الهرمونات الجنسية في العشرينات ، فقد لاحظ بعد حقن فئران تجارية بأنسجة غددية غير معقمة لاحظ ردود فعل غير واضحة منها

تضخم في الغدة الادرنالية ، تضاءل وضمور في بعض الحالات للغدة التيموسية وظهور قرحة في الجهاز الهضمي .

وقسم سيلي مجموعة الاعراض التكيفية للضغط او ردود الفعل تجاه المصدر الضاغط الى ثلاث مراحل :-

أولا : مرحلة الانذار او التنبيه Hanns Selye :

تمثل مرحلة الانذار ورد الفعل الاول للموقف الضاغط عندما يدرك الفرد التهديد الذي يواجه عن طريق الحواس التي تنتقل منها اشارات عصبية ، أي الدماغ وبالتحديد الى الغدة النخامية . وهذا بدوره يرسل رسائل عصبية وكيميائية للاجهزة المعنية في الجسم حيث يفرز هرمون الادرنالين ، مما يؤدي الى زيادة التنفس وزيادة السكر والدهون في الدورة الدموية ، وتشتد العضلات ليتهيأ الجسم لعملية المواجهة وتعرف هذه التغيرات بالاستثارة العامة . (جان : 1997 : 76)

2- مرحلة المقاومة :

اذ تنتقل مقاومة الجسم من المقاومة العامة الى مقاومة الاعضاء الحيوية المعينة ، حيث تكون قادرة على الصد لمصدر التهديد ، كما ان الكائن الحي يتكيف مع مصدر الضغط ، ومع ذلك هناك حدود لعملية المقاومة من جانب الجسم .(علي : 2000 : 35)

3- مرحلة الاستنزاف :

تبرز هذه المرحلة اذا استمر التهديد واستنزفت الاعضاء الحيوية قواها اللازمة للصمود ، كما ان هناك ادلة علمية تبين ان استمرار الضغط يمكن ان يؤدي الى ضعف جهاز المناعة في الجسم وفي الحالات القصوى يؤدي الى الموت .(الزيود : 1998 : 248)

ثانيا: نظرية موس وشيفر Moos & Shafer :

تقدم هذه النظرية نموذجا توضح فيه استجابات الفرد للضغوط تمر بثلاث مراحل بحسب قوة الحدث الضاغط .

المرحلة الأولى :

العوامل الديمغرافية والشخصية للفرد ، وعوامل تتعلق بالخبرات الضاغطة ، كنوع الحدث ومدى وقوع الحدث وامكانية مواجهة الحدث ، وعوامل تتعلق بالبيئة الاجتماعية حيث تتفاعل هذه العوامل وتؤثر على ادراك الفرد للحدث الضاغط وأساليب مواجهته وقدرة الفرد على التحمل .

المرحلة الثانية :

1- ادراك الفرد لمعنى الحدث الضاغط ، وهذا الادراك يبدأ بعد صدمة الحدث الضاغط بصورة غامضة .
2- الاعمال التي تهيأ الفرد للتوافق مع الحدث الضاغط لمحاولة الفرد الاحتفاظ بتوازنه ، والتحكم بمشاعره السلبية التي خلفها هذا الحدث ان يشعر بقدرته وكفاءته على التحكم والسيطرة على الموقف .
3- محاولة الفرد اتخاذ اسلوب لمواجهة الموقف بهدف استعادة توازنه النفسي ، وهي بشكل عام عمليات مختلفة هدفها حشد طاقات الفرد المعرفية والوجدانية لمواجهة الموقف .

المرحلة الثالثة :

تعد محصلة نمائية لتفاعل جميع العناصر السابقة بهدف مواجهة الموقف ، وقد تكون المواجهة في صورة توافق ناجح وبالتالي يستطيع الفرد مواصلة حياته، وقد يخفف الفرد تحقيق التوافق فتظهر عليه الاضطرابات النفسية.(السلطاني:1994: 25)

الاتجاهات والنظريات التي فسرت الثقة بالنفس Self-Confidence

1- نظرية اريكسون Erik Erikson :

يرى اريكسون ان النمو الانساني يمر عبر مراحل متسلسلة ولكل مرحلة اهدافها وخصائصها ، وان هذه المراحل متكاملة اذ ان النجاح في اجتياز المهام النهائية المرتبطة بالمراحل النمائية التي سبقتها ، أذ يواجه الطفل في كل مرحلة من هذه المراحل مشكلة واطلق عليها اركسون ازمة (Crisis) ، وعليه ايجاد الحل المناسب ليجتاز هذه المشكلة بطريقة ايجابية حتى يستمر بالنمو السوي .(ابو جادوا : 1998 : 2000 : 246)

2- وجهة نظر كل من دولارد Dollard 1900 وميللر Miller 1909 :

يشيران الى أهمية تعديل العادات والسلوكيات غير المرغوبة في الشخصية من خلال تقديم مثيرات او خلق مواقف جديدة تساعد الفرد على ترك العادات السيئة والتي من ضمنها (ضعف الثقة بالنفس) ، وبالتالي سوف يتكون السلوك السوي المتكيف مع البيئة.(جابر : 2004: 232)

3- رأي ماسلو Maslow 1908-1970 :

يعد مازلو من المنظرين الذين اعطوا أهمية كبيرة للحاجات من خلال وصفها على شكل هرمين ، وتبدأ من أكثر الحاجات أهمية والحاحا على الفرد في درجة اشباعها وهي الحاجات الفسيولوجية الى اقل الحاجات الحاحا على الفرد وهي الحاجات الجمالية والتذوقية ، والتي يسعى الانسان لتحقيقها بعد اشباع الحاجات الفسيولوجية او التي اطلق عليها (بالحرمانية) في الوقت الذي اطلق على الحاجات الثلاثة الاخيرة بالنمائية .(الازيرجاوي : 1991 : 57)

ثالثا : الدراسات السابقة :

اولا: الدراسات التي تناولت الضغوط النفسية :

1- دراسة الأميري (1998) :

((الضغوط النفسية لدى طلبة جامعة تعز وعلاقتها بتحصيلهم الدراسي))

هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى الضغوط لدى طلبة جامعة تعز ، وهدفت الى ايجاد العلاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي لدى افراد العينة .

تكونت عينة الدراسة من (308) طالب وطالبة وتبنى الباحث مقياس العبادي الذي بلغ عدد فقراته (113) فقرة بعد تكييف المقياس على البيئة اليمنية ، استخدم الباحث معمل ارتباط بيرسون والاختبار التائي لعينتين مستقلتين ومعادلة الفا كرونباخ كوسائل احصائية .

وتوصلت نتائج الدراسة الى ان الطلبة يعانون من ضغوط نفسية مختلفة منها اسرية ومنها اجتماعية وصحية ، اقتصادية ، عاطفية ، ولا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات الذكزر والاناث في مقياس الضغوط النفسية أي ان الاناث يعانين من هذه الضغوط بدرجة اعلى من الذكور ، كما لا توجد علاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل تبعا لمتغيرات البحث .(الأميري : 1998 : 5-67)

2- دراسة الربيعي (2001) :

((الضغوط النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد))

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد ، وهل هناك فروق فردية في الضغوط لدى طلبة الدراسات العليا ، وهل توجد فروق في الضغوط بين افراد العينة تبعا لمتغيرات

(المرحلة / ماجستير ، دكتوراه ، والتخصص / علمي ، انساني والجنس) وهل توجد هناك علاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي تبعا للمتغيرات المذكورة آنفا .

تكونت عينة الدراسة من (167) طالب وطالبة يمثلون نسبة (10%) من مجتمع البحث تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية .

قام الباحث ببناء مقياس للكشف عن الضغوط التي يواجهها طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد .

استخدم الباحث مجموعة من الوسائل الاحصائية لمعالجة ا لبيانات بغية التحقق من اهداف البحث مثل (ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان براون ، الاختبار التائي لعينة واحدة ولعينتين مستقلتين ، تحليل التباين الثلاثي ، الاختبار الزائي) .

وتوصلت الدراسة الى ان طلبة الدراسات العليا يعانون من ضغوط نفسية مختلفة (أسرية ، اجتماعية ، اقتصادية ، دراسية ، صحية ، نفسية وعاطفية) وبدرجة فوق المتوسط المعياري .

- وجود فروق ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط النفسية تبعا لمتغيري المرحلة .
-توجد فروق ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط تبعا لمتغيري التخصص .
-لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط النفسية في تفاعلات المرحلة والتخصص والجنس .
-لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي .
-لا توجد علاقة ذذات دلالة احصائية بين الضغوط الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي تبعا لمتغيرات المحلة والتخصص والجنس .**(الربيعي : 2001 : 6-57)**

ثانيا : الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس :

1- دراسة الركابي (2000) :

((مستوى الطموح وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلبة كلية التربية في الجامعة المستنصرية))

هدفت الدراسة التعرف على مستوى الطموح والثقة بالنفس ومعرفة الفروق في مستوى الطموح والثقة بالنفس وفق متغيرات البحث (الجنس ، التخصص ، السنة الدراسية) إذ طبقت الباحثة المقاييس على عينة مكونه من (277) طالب وطالبة من طلبة كلية التربية في الاقسام العلمية والانسانية ، لقد استخدمت الباحثة لقياس مستوى الطموح مقياس رسول المعد سنة (1984) ، ومقياس الثقة بالنفس الذي اعدته الباحثة ، واستخذمت كذلك الوسائل الاحصائية التالية (الاختبار التائي ، تحليل التباين ، معامل ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان التصحيحية ، مربع كاي) واظهرت النتائج ان الطلبة يتمتعون بدرجة عالية من مستوى الطموح والثقة بالنفس كذلك وجود علاقة ايجابية دالة احصائيا بين مستوى الطموح والثقة بالنفس ، وان هناك تأثيرا لمتغير الجنس على كل من مستوى الطموح والثقة إذ ان الذكور يتمتعون بدرجة عالية من الثقة بالنفس ، واما الاناث فيتمتعن بدرجة عالية من مستوى الطموح ، وانه ليس هناك تاثيراً لكل من التخصص الدراسي والسنة الدراسية على كل من مستوى الطموح والثقة بالنفس .(الركابي : 2000: 1-31)

2- دراسة فتوحي (2006) :

((الثقة بالنفس وعلاقتها بتعلق المراهقين بوالديهم))

هدفت الدراسة التعرف على مستوى الثقة بالنفس لدى المراهقين ومستوى تعلق المراهقين بوالديهم والعلاقة بين الثقة بالنفس وتعلق المراهقين بوالديهم وفقا لمتغير الجنس (ذكور ، إناث) ، وقد بلغت عينة البحث (600) طالب وطالبة من

المدارس الثانوية والمتوسطة في مركز محافظة نينوى (مدينة الموصل) ، قام الباحث ببناء مقياس الثقة بالنفس وتبنى مقياس تعلق المراهقين بوالديهم الذي أعده (الحديثي 2002) في رسالته الموسومة ((تعلق المراهقين بوالديهم وعلاقته بتعلقهم باصدقائهم)) ، استخدم الباحث الوسائل الاحصائية الآتية لقياس متغيري البحث (الاختبار التائي لعينة واحدة ولعينتين مستقلتين ، الاختبار التائي ، معامل ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان براون ، وأظهرت النتائج ان هناك فروق دالة احصائيا بين المتوسط المتحقق للثقة بالنفس وهو مؤشر سليم على نمو الشخصية السوية لدى المراهقين ، وهناك فروق دالة احصائيا بين المتوسط الفرضي للمقياس ولصالح المتوسط المتحقق ، وهذا يدل على ان المراهقين والمراهقات ابدوا تعلقا عاليا بوالديهم كما تبين عدم وجود علاقة احصائية بين الثقة بالنفس وتعلق المراهقين بوالديهم ، وعدم وجود علاقة احصائية دالة بين الثقة بالنفس وتعلق المراهقين بوالديهم وفقا لمتغير الجنس .(البياتي : 2006 : 19-88)

رابعا: مناقشة الدراسات السابقة :

بعد أن تم عرض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث الحالي يمكننا مناقشة ما ورد في تلك الدراسات ، وعيناتها وادوات القياس المستخدمة فيها ، الوسائل الاحصائية والنتائج التي توصلت اليها .

1- الاهداف :

تباينت اهداف الدراسات السابقة التي تناولت الضغوط النفسية تبعا للمتغيرات التي تناولتها كل دراسة وقد ركزت دراسة (الاميري :1998) الى التعرف على مستوى الضغوط لدى طلبة جامعة تعز ، وايجاد العلاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي لدى أفراد عينة البحث ، أما دراسة (الربيعي : 2001) فقد هدفت التعرف على مستوى الضغوط لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد وهل هناك فروق

في الضغوط تبعا لمتغيرات(المرحلة ، التخصص والجنس) وهل توجد علاقة بين الضغوط والتحصيل .

اما الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس فقد هدفت دراسة (الركابي : 2000) ودراسة (فتوحي :2006) الى التعرف على مستوى الثقة بالنفس لدى أفراد عينة البحث وعلاقة الثقة بالنفس ببعض المتغيرات .

2- العينات :

تراوحت عينات الدراسات السابقة بين (600) الى (167) لأقل عينة في الدراسات التي تناولت الضغوط والثقة بالنفس .

3- الوسائل الإحصائية :

اختلفت الوسائل الاحصائية التي استخدمت في الدراسات السابقة تبعا لاهداف كل دراسة فمنها ما استخدم الانحدار المتعدد او معادلات الارتباط او مربع كاي او الاختبار التائي والانحراف المعياري وتحليل لباتباين ومعادلة سبيرمان براون التصحيحية .

4- النتائج :

اما اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسات السابقة ، ان الطلبة يعانون من ضغوط نفسية مختلفة (اسرية ، اجتماعية ، اقتصادية ، دراسية ، صحية ، عاطفية) كما في دراسة (الاميري 1998) و (الربيعي 2001) ، كما توصلت دراسة (الاميري) الى ان الاناث يعانين من الضغوط أكثر من الذكور وان العلاقة غير دالة احصائيا بين الضغوط والتحصيل العلمي تبعا لمتغيرات البحث .

اما في الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس فقد اظهرت النتائج ان الطلبة يتمتعون بدرجة عالية من مستوى الطموح والثقة بالنفس ووجود علاقة دالة احصائيا بين متغيري البحث كما في دراسة (الركابي 2000) وعدم وجود علاقة احصائية دالة بين الثقة بالنفس وبعض المتغرات كما في دراسة (فتوحي 2006) .

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

لغرض تحقيق أهداف هذه الدراسة لابد من تحديد مجتمع البحث واختيار عينة مناسبة له وإعداد مقياس يتسم بالصدق والثبات ومن ثم استعمال الوسائل الإحصائية المناسبة لتحليل البيانات ومعالجتها ، وسوف نستعرض هذه الإجراءات وكما يأتي :-

1- مجتمع البحث :

يتحدد مجتمع البحث الحالي بطلبة كلية التربية جامعة تكريت والذي تضمن أقسام (علوم القرآن ، اللغة الانكليزية والكيمياء) والبالغ عددهم (288) طالب وطالبة والجدول رقم (1) يوضح ذلك .

جدول (1) اعداد الطلاب والطالبات في الأقسام المختارة من كلية التربية

الكلية	القسم	عدد الطلاب	عدد الطالبات
التربية	علوم القرآن	35	43
	اللغة الانكليزية	87	82
	الكيمياء	22	42
المجموع		293	

2- عينة البحث

تألفت عينة البحث من (75) تم اختيارهم بطريقة عشوائية .

3- أداتا البحث :

لتحقيق أهداف البحث تطلب توافر أداتين واحدة لقياس الضغوط النفسية والأخرى لقياس الثقة بالنفس وقد تبنى الباحث مقياس (البياتي :2006) أداة لقياس الثقة بالنفس بعد ان استخرج صدقه وثباته ، ووجد انه من الأفضل بناء مقياس للضغوط النفسية يتلاءم وطلبة الجامعة .

أولا: مقياس الضغوط النفسية :

لبناء مقياس الضغوط النفسية توجب على الباحث الاطلاع على مقاييس الضغوط النفسية ، وقد أطلع الباحث على عدد من هذه المقاييس منها :

1- مقياس (السلطاني : 1992) للضغوط النفسية التي تعرض لها المراهق العراقي . (السلطاني : 1994: 87-94)

2- مقياس (علي :2000) لضغوط الحياة ومواجهتها . (علي :2000: 79-84)

3- مقياس(الربيعي: 2001) للضغوط النفسية لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد .(الربيعي : 2001 : 75-81)

وبعد الاطلاع على هذه المقاييس ودراسات أخرى مماثلة لم يجد الباحث مقياس حديث يلاءم البحث الحالي ، وعليه قام الباحث ببناء مقياس للضغوط النفسية وفقا للخطوات الآتية .

- إعداد الصيغة الأولية للمقياس :

بعد الاطلاع على الدراسات والبحوث ذات العلاقة توصل الباحث إلى ان هناك سبعة مجالات للضغوط النفسية هي :

مجال الضغوط الأسرية مجال الضغوط الصحية مجال الضغوط الاجتماعية
مجال الضغوط العاطفية مجال الضغوط النفسية مجال الضغوط الدراسية
مجال الضغوط الاقتصادية

وللتعرف على مدى تمثيل المقياس للمجالات المطلوب قياسها وأهميتها النسبية تم عرض مجالات المقياس على مجموعة من الخبراء والمختصين في التربية وعلم النفس (*) وذلك لتحديد الأهمية النسبية . وتكون مقياس الضغوط النفسية في صيغته النهائية من (60) فقرة ملحق رقم (1) .

1-أ.د.واثق عمر موسى 2-أ.د. حسام طه محمد 3- أ.م.د. صباح مرشود منوخ 4- أ.م.د. حميد سالم خلف 5- أ.م.د. أديب محمد نادر 6-أ.م. طارق عبد الوهاب القيسي .

- تصحيح الاختبار :

بما ان كل فقرة من فقرات المقياس تظم ثلاث بدائل (تنطبق علي دائما ، تنطبق إلى حد ما ، لا تنطبق) لذا اعطيت الأوزان (3)للبديل تنطبق علي دائما و(2) للبديل تنطبق الى حد ما و(1) للبديل لا تنطبق ، وبذلك حسبت الدرجة الكلية على أساس مجموع أوزان الإجابة على الفقرات ن أي ان أعلى درجة هي (150) واقل درجة هي (50) درجة .

- وضوح التعليمات :

من اجل التحقق من وضوح التعليمات وفقرات الاختبار من حيث صغتها أو لغتها وكذلك بغية تحديد الوقت الكافي للاجابة ، قام الباحث باختيار عينة عشوائية بلغت (30) طالب وطالبة من طلبة أقسام (علوم القرآن ، اللغة الانكليزية والكيمياء) وتم تطبيق المقياس عليهم وطلب منهم تحديد كل ما يجدونه غامضا وغير مفهوم سواء كانت تعليمات الاختبار أو مواقفه ، فكانت نتيجة التجربة وضوح التعليمات والفقرات وطريقة الإجابة ، وتراوح وقت الإجابة بين (15-25) دقيقة وبمتوسط مقداره (20) دقيقة .

- التحليل الإحصائي للفقرات :

استخدم الباحث في حساب القوة التمييزية للفقرات المكونة للمقياس أسلوب علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس ، وفيما يلي توضيح للإجراءات المتبعة في هذا الأسلوب .

- أسلوب علاقة الفقرة بالدرجة الكلية :

من مؤشرات صدق بناء ارتباط كل فقرة في المقياس بمحك داخلي وهو درجة المقياس الكلي ، إذ يستخدم معامل الاتساق الداخلي لتحديد مدى تجانس الفقرات في قياسها للظاهرة السلوكية ، وتمتاز هذه الطريقة بعدة ميزات فهي تقدم لنا مقياسا

متجانسا في فقراته لتقيس كل فقره البعد السلوكي نفسه الذي يقيسه المقياس ككل ، وقدرته في إظهار الترابط بين الفقرات ، واعتمد الباحث في التحليل الإحصائي للفقرات على إيجاد معامل الارتباط بين الفقره والدرجة الكلية للمقياس فبعد ان تم تصحيح استجابات أفراد العينة البالغة (75) طالب وطالبة الذين طبق عليهم مقياس الضغوط النفسية لأغراض حساب تمييز الفقرات ، واستخدم الباحث معامل ارتباط بيرسون لحساب العلاقة ، فتبين ان جميع فقرات المقياس دالة إحصائيا باستثناء أربع فقرات غير دالة وهي الفقرات (4 ،18 ،44 ، 57) بعد معالجتها بالاختبار التائي لمعاملات الارتباط وان القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (298) تساوي (0,195) والجدول رقم (2) يوضح ذلك .

جدول (2) نتائج تمييز الفقرات باستخدام أسلوب المجموعات المتطرفة

رقم الفقرة	معامل الارتباط	القيمة التائية	رقم الفقرة	معامل الارتباط	القيمة التائية	رقم الفقرة	معامل الارتباط	القيمة التائية
1	0,388	4,351	**22**	0,285	4,007	**44**	**0,96**	**1,327**
2	0,652	5,16	**23**	0,625	5,765	**45**	0,520	5,762
3	0,461	5,187	**24**	0,4765	5,12	**46**	0,395	6,812
4	**0,127**	**1,713**	**25**	0,421	4,349	**47**	0,543	5,832
5	0,533	4,173	**26**	0,304	4,410	**48**	0,441	4,763
6	0,652	5,332	**27**	0.332	6,51	**49**	0,876	3,328
6	0,375	4,638	**28**	0,654	5,654	**50**	0,654	4,423
7	0,432	5,122	**29**	0,439	3,765	**51**	0,391	5,735
8	0,508	3,840	**30**	0,521	4,65	**52**	0,328	4,487
9	0,680	5,147	**31**	0,540	4,754	**53**	0,537	5,431
10	0,198	3,682	**32**	0,650	5,76	**54**	0,333	3,874
11	0,578	4,661	**33**	0,328	4,543	**55**	0,871	4,723
12	0,322	3,12	**34**	0,743	5,765	**56**	0,432	6,361
13	0,336	4,123	**35**	0,754	6,812	**57**	**0,112**	**1,37**
14	0,299	4,148	**36**	0,285	3,765	**58**	0,487	4,321
15	0,782	6,15	**37**	0,543	4,65	**59**	0,336	4,725
16	0,612	5,294	**38**	0,793	4,654	**60**	0,564	6,723
17	0,218	4,126	**39**	0,734	5,721			

18	**0,73**	**1,152**	**40**	0,328	4,871	
19	0,590		**41**	0,652	4,921	
20	0,733		**42**	0,853	6,729	
21	0,545		**43**	0,376	5,485	

– صدق الاختبار :

الصدق من العوامل الأساسية التي ينبغي على واضع المقياس او مستخدمه التأكد منه وصدق المقياس هو قدرته على قياس ما وضع من أجله .

– الصدق الظاهري :

يرى المختصون انه من الضروري التحقق من صدق المقياس مهما كان الغرض من قياسه ، وقد تحقق هذا النوع من الصدق بعرضه على مجموعة من الخبراء (*) .

– الثبات :

ثبات الاختبار يعني ان يشير الى مدى الارتباط بين أداء المفحوص في الاختبار وأدائهم للاختبار نفسه في مناسبة أخرى أو في اختبار مشابه له . والثبات يعني ان يعطي نفس النتائج إذا ما أعيد على نفس الأفراد في نفس الظروف .

– إعادة الاختبار :

لتحقيق ذلك قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة بلغت (40) طالب وطالبه تم اختيارهم بطريقة عشوائية وذلك بإعادة تطبيق الاختبار بفارق أسبوعين على العينة نفسها بعد الحصول على الاستمارات واستخراج الدرجات في كلا التطبيقين واستخدام الباحث معامل ارتباط بيرسون بين درجات الاختبار وكان معامل الارتباط (0,83) .

- **الصيغة النهائية للمقياس :**

تكون المقياس بصورته النهائية من (60) فقرة ملحق (1) .

- **التطبيق النهائي :**

بعد ان استكمل الباحث الإجراءات الضرورية لبناء مقياس الضغوط النفسية ، والتحقق من صدق وثبات مقياس الثقة بالنفس ، قام الباحث بتطبيق المقياسين خلال شهري آذار ونيسان على عينة بلغت (75) طالب وطالبة ، وقد قام الباحث بتوزيع الاختبارين بالتناوب على أفراد العينة لتجنب الملل الذي يحصل عند الطالب .

- **الوسائل الإحصائية :**

استخدم الباحث الوسائل الإحصائية بما يتلاءم مع طبيعة وأهداف البحث بعد ان استشار بعض المختصين في مجال الإحصاء وشملت الوسائل الإحصائية الآتية : 1-معامل ارتباط بيرسون . 2- الاختبار التائي لعينة واحدة .

1-أ.د.واثق عمر موسى 2-أ.د. حسام طه محمد 3- أ.م.د. صباح مرشود منوخ 4- أ.م.د. حميد سالم خلف 5- أ.م.د. أديب محمد نادر 6- أ.م.د. كاظم علي أحمد 7-أ.م. طارق عبد الوهاب القيسي .

الفصل الرابع

عرض النتائج ومقارنتها

سيتضمن الفصل الحالي عرضا للنتائج وتفسيرها في ضوء أهداف البحث وكما ياتي :

أولا : بناء مقياس للضغوط النفسية :

لقد تحقق الهدف الأول من خلال الإجراءات التي اتبعها الباحث في بناء المقياس والتي تم الإشارة أليها في الفصل الثالث .

ثانيا: قياس الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة :

بعد ان تم معالجة البيانات إحصائيا يوضح الجدول (3) ان المتوسط الحسابي لأفراد العينة على الاختبار كان (132,76) والمتوسط النظري (128) ودرجة الانحراف المعياري تساوي (18,4) والقيمة التائية المحسوبة (2,94) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,96) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0,05) .

جدول (3)

المتوسط الحسابي والمتوسط النظري والقيمة التائية لأفراد العينة على مقياس الذكاء العاطفي

المتوسط الحسابي	المتوسط النظري	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية
132,76	128	18,4	2,94	1,96

ويتبين من النتائج الموضحة في جدول (3) ان أفراد عينة البحث يعانون من ضغوط نفسية فوق المتوسط المعياري للمقياس ، ويمكن ان يعزى ذلك إلى الأوضاع الاقتصادية والأمنية المتدهورة ، وقلة المصادر والمواد العلمية ، واتفقت هذه الدراسة مع دراسة (الأميري : 1998) ودراسة 0(الربيعي : 2001).

ثالثا: قياس الثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة :

يوضح جدول (4) ان المتوسط الحسابي لأفراد العينة (127,6) والمتوسط النظري (102) ودرجة الانحراف المعياري (11,2675) والقيمة التائية المحسوبة (13,260) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0,05) والتي تبين ان مستوى الثقة بالنفس ايجابيا لدى طلبة الجامعة واتفقت هذه الدراسة مع دراسة (الركابي :2000) .

جدول (4)

المتوسط الحسابي والمتوسط النظري والقيمة التائية لأفراد العينة على مقياس الثقة بالنفس

المتوسط الحسابي	المتوسط النظري	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	مستوى دلالة
127,6	102	11,2675	13,260	0,05

رابعا: قياس العلاقة بين الضغوط النفسية والثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة .

ولمعرفة فيما اذا كانت هناك علاقة بين متغيري الدراسة ، قام الباحث باستخدام معامل ارتباط بيرسون لكشف العلاقة وقد بلغ (0,42) والقيمة التائية المحسوبة (3,95) وقد أظهرت هذه النتيجة وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين المتغيرين عند مستوى دلالة (0,05) وجدول (5) يوضح ذلك .

جدول (5)

معامل الارتباط والقيمة التائية والقيمة الجدولية ومستوى الدلالة بين الضغوط النفسية والثقة بالنفس

معامل الارتباط	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
0,42	3,95	2,00	0,05

ويعزى ذلك الى ان طلبة الجامعة هم في مرحلة المراهقة المتأخرة وهذه المرحلة تكون عادتا قبل مرحلة الرشد وتحمل المسؤولية ومواجهة الضغوط المختلفة، وهذه النتيجة تؤكد على ضرورة وضع علاجات آنية لمواجهة المشاكل التي تشكل ضغوطا نفسية ترهق المنظومة النفسية لطلبة الجامعة وسبباً لفقدانهم ثقتهم بأنفسهم وعدم القدرة على مواجهة المشاكل والتحديات التي تواجههم .

الاستنتاجات :

1- يعاني الطلبة من ضغوط نفسية مختلفة (أسرية ، اجتماعية ، اقتصادية ، أمنية ، عاطفية).

2- يتمتع الطلبة بمستوى مقبول من الثقة بالنفس .

3- وجود علاقة ذات دلالة إحصائية في درجة الضغوط النفسية والثقة بالنفس .

التوصيات

1- فتح مراكز إرشادية لتقديم الخدمات التربوية والنفسية للطلبة .

2- عقد ندوات ولقاءات إرشادية جماعية داخل الجامعة ، تطرح فيها مشاكل وضغوطات الطلبة أمام هيئة إرشاد مختصة .

3- تزويد المكتبات بالمصادر والمجلات العلمية الحديثة .

4- زيادة الاهتمام بالأقسام الداخلية لطلبة الجامعة .

المقترحات

1- إجراء دراسات أخرى مشابهة حول الضغوط النفسية وربطها بمتغيرات اجتماعية ونفسية مثل مفهوم الذات ، التكيف الاجتماعي ، سمات الشخصية والصحة النفسية .

2- بناء برامج إرشادية وعلاجية لخفض حدة الضغوط النفسية التي يتعرض لها الطلبة .

المصادر :

1- إبراهيم ، عبد الستار (1987) : **أسس علم النفس** ، دار المريخ للنشر ، الرياض .

2- أبو جادو ، صالح محمد علي (1998) : **علم النفس التربوي** ، ط1 ،ط2 ، دار الميسرة للنشر والطباعة والتوزيع والطباعة ، عمان الأردن .

3- أبو عطية ، سهام درويش (1988) : **نظريات الإرشاد والتوجيه التربوي** ، ط2 ، مطبعة القادسية .

4- أسعد ، يوسف ميخائيل (1978) : الثقة بالنفس ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة .

5- البياتي ، محاسن أحمد حسين (2006) : الثقة **بالنفس وعلاقتها بتعلق المراهقين بوالديهم** ، كلية التربية ، جامعة الموصل (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .

6- البيرقدار ، تنهيد عادل فاضل (2004) : **اثر برنامج تعليمي لرفع الروح المعنوية لدى طلاب كلية التربية الرياضية في جامعة الموصل** ، كلية التربية (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .

7- جابر ، جودت (2004) : **علم النفس الاجتماعي** ، ط1 ، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

8- جان ، بنجامان ستورة (1997) : **الإجهاد أسبابه وعلاجه** ، تعريب أنطوان الهاشم عويدات ، بيروت ، لبنان .

9- جلجل ، نصرة عبد المجيد (2000) : **الموهوبين** ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، مكتبة النهضة ، العراق.

10- الحبيب ن مصدق جميل (1981) : **التعليم والتنمية الاقتصادية** ، دار الرشيد ، بغداد .

11- الخولي ، وليم (1994) : **الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي** ، ط1، القاهرة ، دار المعارف ، مصر .

12- الربيعي ، فاضل جبار (2001) : **الضغوط النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلبة الدراسات العليا** ، كلية التربية ابن الهيثم ، جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .

13- الركابي ، نضال عبد الحسن (2000) : **مستوى الطموح وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلبة كلية التربية في جامعة المستنصرية** ، (رسالة ماجستير غير منشورة) . العراق .

14- الازيرجاوي ، فاضل محسن (1991) : **علم النفس التربوي** ، ط1 ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق .

15- الزبيدي ، كامل علوان (2000) : **الضغوط النفسية وعلاقتها بالرضا المهني والصحة النفسية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة** ، كلية الآداب جامعة بغداد (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .

16- الزيود ، نادر فهمي (1998) : **نظريات الإرشاد والعلاج النفسي** ، دار الفكر ، عمان .

17- السلطاني ، ناجح كريم (1994) : **الضغوط النفسية التي يتعرض لها المراهق العراقي ، ومفهوم الذات ومركز السيطرة** ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .

18- شوير ،عبدالله طاهر(1995) : **الأفكار اللاعقلانية لدى طلبة الجامعات وعلاقتها بالضغوط النفسية وأساليب التعامل معها** ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .

19- الشيباني ، عمر محمد (1988) : **فلسفة التربية الاسلامية** ، المكتبة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس .

20- العجيلي ، صباح حسين وحكمت الحلو (1997) : **قياس الضغوط النفسية التي يتعرض لها التلاميذ بطيئوا التعلم** ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .

21- عدس ، محمد عبد الرحمن (2000) : **تربية المراهقين** ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة.

22- علي ، عسكر (2000) : **ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها ، الصحة النفسية والبدنية في عصر التوتر والقلق** ، دار الكتب الحديث ، القاهرة .

23- العناد ، مجذاب بدر (1999) : **الدراسات العليا وأثرها في تطوير التعليم العالي في الوطن العربي** ، بحث منشور ، مجلة الأستاذ ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، العدد(15) الجزء(2) ، العراق.

24- الإمارة ، اسعد شريف (1995) : **علاقة الضغوط والتعامل معها بالخصائص العصابية لدى طلبة الجامعة** ، كلية **بناء برنامج أرشادي لمعالجة الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة** التربية ، الجامعة المستنصرية (أطروحة دكتوراه غير منشورة) العراق .

25- المحارب ، ناصر إبراهيم (1993) : **الضغوط النفس اجتماعية والاكتئاب وبعض جوانب المناعة عند الإنسان ، تحليل جمعي** ، مجلة دراسات نفسية ، عدد يونيو ، رابطة الأخصائيين النفسيين ، القاهرة .

26- المدرس ، رنا موفق محمود (2000) : **بناء برنامج أرشادي لمعالجة الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة** ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .

27- الموسوي ، حسن (1998) : **الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية** ، المجلة التربوية ، العدد(47) ، مجلد(12) ، جامعة الكويت .

28- الاميري ، احمد علي محمد (1998) : **الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة جامعة تعز وعلاقتها بتحصيلهم الدراسي** ، كلية التربية ن الجامعة المستنصرية ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .

29- النعيمي ، ليلي احمد عزت (1999) :**الثقة بالنفس والتكيف الاجتماعي المدرسي والتحصيل الدراسي للأطفال المساء اليهم وغير المساء اليهم** ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .

30- Adams , E. (1999) : Vocational Teacher stress and Internal characteristics, Journal of vocational and technical Education . vol . 16, no.1. pp 1-14 .

31- Charles , w . k . et all (1987) : Academic stress among Early and maid a dissents in England and united states , psychological . Abst .

ملحق (1)

مقياس الضغوط النفسية بصورته النهائية

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي أحيانا	لا تنطبق علي
1	تعلقي الشديد بأفراد أسرتي			
2	البعد عن الأهل لغرض الدراسة			
3	كثرة المشاكل في عائلتي			
4	تحملي لمسؤولية وإعالة العائلة			
5	تعصب أفراد عائلتي للزواج من الأقارب			
6	الالتزام بوقت محدد في العودة إلى البيت			
7	عدم مشاركتي أفراد العائلة في السفرات والمناسبات			
8	إصابة احد أخوتي بمرض مزمن أو عاهة جسمية			
9	تحملي مسؤولية عائلتي			
10	مقابلة الغرباء			
11	وفاة قريب عزيز			
12	اضطراري للسكن عند الأقارب بدلا من القسم الداخلي			
13	تسبب لي صراحتي إحراجا مع الآخرين			
14	الظهور بمظهر حسن أمام الآخرين			
15	الابتعاد عن الأصدقاء			
16	تدخل الآخرين في تحديد مظهري وسلوكي			
17	توتر العلاقة مع بعض الزملاء – الزميلات بسبب المنافسة الدراسية			
18	أشعر بالارتياح عند محادثتي الجنس الآخر			
19	قلة المصادر المتوفرة لتلبية حاجات البحث العلمي			
20	عدم عدالة بعض المدرسين في التعامل مع الطلبة			
21	مستلزمات الكلية لا تشجع على الدراسة			

الضغوط النفسية وعلاقتها بالثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة
مجلة آداب الفراهيدي
م. م. حسام محمود صبار
العدد (9) كانون الأول 2011

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي أحيانا	لا تنطبق علي
22	عدم الاستفادة من الشهادة بعد التخرج			
23	قلة التدريسيين المؤهلين للتدريس والإشراف			
24	قلة المواد الدراسية العلمية مقارنة بالمواد النظرية			
25	صعوبة الحصول على موضوعات البحوث			
26	سفر بعض التدريسيين وترك الطالب في منتصف الطريق			
27	عدم إعطاء الطالب حرية في اختيار البحوث			
28	أخشى من عدم تمكني من إكمال دراستي لضعف حالتي الاقتصادية			
29	عدم الحصول على دعم مادي من الكلية			
30	تحمل أسرتي مصروف دراستي			
31	محدودية الدخل الشهري للأسرة			
32	صعوبة توفير المتطلبات المالية لإكمال الدراسة			
33	ارتفاع أسعار الملابس			

34	ارتفاع أسعار الكتب يحول دون اطلاعي على المعرفة العلمية			
35	تكاليف الزواج			
36	شعوري بالملل والخمول			
37	كثرة الإصابة بالزكام			
38	الأرق المستمر واضطرابات النوم			
39	عندما تواجهني مشكلة أعاني من الصداع			
40	إصابتي بمرض مزمن			
41	تنتابني حالات نسيان كثيرة			
42	التأتأة في النطق			
43	سوء الحالة الصحية العامة			
44	تأخر الزواج عن بقية الإخوة والأخوات			
45	التردد في التعبير عن المشاعر تجاه الجنس الآخر			
46	كبت الأمور العاطفية			
47	شعوري بانتهاء العنصر الطيب بين الناس			
48	التحرج من طرح المشكلات العاطفية أمام الآخرين			
49	شروط الزواج تضعف فرص الحصول على الزوج المناسب			
50	تدخل الأسرة في اختيار شريك – شريكة			

ت	الفقرات			
	الحياة			
51	ضعف القدرة على جذب أو انتباه أفراد الجنس الآخر			
52	ضعف الثقة بأفراد الجنس الآخر			
53	الخوف والقلق من المستقبل			
54	أشعر بالضيق بسبب بعدي عن الأهل			
55	ضعف القدرة على اتخاذ القرار			
56	شعوري بعدم الاستقرار والراحة لعدم وضوح مستقبلي			
57	الحاجة إلى العطف والحنان			
58	الغضب لأتفه الأسباب			
59	امتلاك الثقة العالية بالنفس			
60	أتضايق بالجو المزدحم			

مقياس الثقة بالنفس بصورته النهائية

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي أحيانا	لا تنطبق علي
1	أتقبل النصائح من الآخرين			
2	أشعر بأن قدرتي في التأثير على الآخرين ضعيفة			
3	أتضايق عندما يلاحظني أحد الناس			
4	لي القدرة على التأثير في الآخرين			
5	أهرب من طرح أفكاري على ألآخرين			
6	تضعف قوتي إذا اختلف رأيي مع رأي الآخرين			
8	أشعر بأني أفضل من الآخرين			
9	أنافس الآخرين بقوة			
10	أحاول ان أستفيد من خبرات الآخرين			
11	أواجه المواقف الاجتماعية أيا كان نوعها دون تردد			
12	أغير رأيي بسرعة عندما يعارضه الآخرون			
13	لي القدرة على طرح أفكاري أمام الآخرين			

14	أخاف ان اعترف لأهلي عندما ارتكب خطأ ما			
15	أحس بالخجل عندما أزور أقربائي وحدي			
16	لي القدرة في إقناع الآخرين			
17	استطيع توصيل أفكاري للآخرين			
18	أفضل ان اجلس وحدي عندما أجد أناسا غرباء في بيتنا			
19	أنا متأكد من قدرتي على كسب ثقة الآخرين			
20	ارتبك عند مواجهة الغرباء			
21	اغضب حين أواجه بالرفض من الآخرين			
22	أجد صعوبة في التفاعل مع الآخرين			
23	يلجأ إلي زملائي في حل مشكلاتهم			
24	أصدقائي يثقون بي كثيرا			
25	استطيع تحقيق أهدافي رغم صعوبتها			

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي أحيانا	لا تنطبق علي
26	أشعر إني اقل قدرة من زملائي			
27	أتوقع النجاح في معظم الأعمال التي أقوم بها			
28	اشعر بان أصدقائي يتهامسون علي			
29	أتمنى ان القي كلمة في حفل مدرسي			
30	أفضل ان لا ارفع يدي في الصف حتى عندما اعرف الجواب			
31	كثيرا ما يطلب مني أصدقائي مساعدتهم			
32	لا اخجل من أصدقائي مهما كانت ملابسي بسيطة			
33	أتضايق عندما يعرف أصدقائي بأخطائي			
34	أتردد في أخبار الأستاذ بعدم فهمي للدرس			
35	استطيع التغلب على المشاكل التي تعترضني			
36	أشعر بالضعف عندما تواجهني مشكلة دراسية			
37	أناقش الآخرين بجرأة			

38	استطيع تحقيق أهدافي رغم صعوبتها			
39	أملي في المستقبل ضعيف			
40	أتوقع الفشل في ابسط الأشياء			
41	امتلك القدرة الكافية للدفاع عن حقوقي			
42	أفضل اختيار احتياجاتي بنفسي			
43	اشعر بالرضا عن أفعالي وسلوكي			
44	اشعر بأن أهلي لا يقتنعون بآرائي			
45	أعبر عن آرائي بحرية تامة			
46	أصمت حين يستهزئ الآخرون من حديثي			
47	أشعر بالأمن من الآخرين			
48	اعتمد على نفسي			
49	أتردد في تجربة المواقف بمفردي			
50	يضطرب صوتي عند التحدث أمام الآخرين			

Abstract

the term ((psychology stress)) which used widely in psychology and psychology medicine has interested by psychologists, because this stress make many physiologic and psycho logic troubles that affect , worry the human and make him loosing self – confidence if they be more than natural levels. this research aims to discover the levels of psycho logic stress and self – confidence levels and to discover the relationship between these two variable . among a Sample of education College pupils . the Sample of the research was (75) pupils .

the researchers Constructed a measure for psychologic stress as a main part of the basic requiremints of the research , this measure was built from (64) items . it had been verified for the face validity of the measure by reviewing it to some referee , then to Calculate the correlation coefficient between every item with the main measure then the measure be built of (60) item after eliminating (4) items that of weak correlation then we calculate the stabilization of the measure by retesting method that it was (0,88) which was a good result. this was for the first variable . the second variable the researchers adopted the measure of self – confidence that was prepared by ((al bayaty :2006)) and the researchers showed it to some referees to extract the external Sincere and face validity. then the stabilization Coefficient was (0,81) which was a good result .

then the researcher applied the two variables to the basic sample , and after managing the questionnaire form , they treated the information by t.test and Correlation Coefficient , then the researcher Concluded the following results :

1- the psychologic stress among the university pupils is very high.
2- the Self – confidence is positive .
3- there is statistic relationship between the two research variables .

then the research Contained some Conclusion and recommendations .

دور السينوغرافيا في مسرح الطفل
مسرحية (لنبتسم) أنموذجاً

م. م. زيد سالم سليمان
جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا تخطيطا واضحا وجليا فوضعنا منذ البداية مدخلا منهجيا حاولنا من خلاله تعريف مفهوم السينوغرافيا لحصر هذا المصطلح من مفهومه الحقيقي ضمن مفاهيمه المتعارضة أحيانا والمتقاربة أحيانا أخرى. كما تطرقنا في البحث عن أهمية السينوغرافيا ووظائفها في مسرح الطفل بوصفها مادة تتعامل مع مجال بصري ومشاهد تتقاطع فيه عناصر عدة من إضاءة وديكور وموسيقى ومؤثرات صوتية وأزياء... من اجل تقديم عرض أمام المشاهدين وتهيئة الجو المناسب للعرض لتبلغ المسرحية المستوى الفني المطلوب.

الفصل الأول

الإطار المنهجي

مشكلة البحث والحاجة اليه:-

إن الفن المسرحي فن قائم بذاته ينطوي على جملة من الفنون والمعارف وهو مع ذلك خلاصة جهود الفنانين والفنيين كل من موقعه وحسب اختصاصه وهم باتصال مباشر فيما بينهم ،تربطهم علاقة تكامل وتناغم مستمرة مع المخرج و هو المحورالاساس الذي تعمل حوله هذه المجموعة المختصة بانسجام لإنتاج عرض مسرحي يتسم بالشمولية والابداع،ومن هذا المنطلق يتضح لنا ان الفن المسرحي هو فن خاضع لاختصاصات عدة جاءت نتيجة التقدم الالي والتكنلوجي ،ومن بين هذه الاختصاصات التي تؤلف الفن المسرحي ما تضيف للمسرح قيماً جمالية وفنية وتقنية تعمل على شد انتباه المتلقي الصغير لمتابعة سياق العرض ألا و هي عنصر السينوغرافيا.وعلى هذا الأساس نرى إن أهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل تكمن في تاثيرها الكبير على الجمهور الصغار ،ولعل الاطفال هم الفئة الاكثر حرصا على مشاهدة هذه التقانة لتتمتع أنظارهم ويشبعوا حاجاتهم النفسية والذوقية والجمالية.

وللوقوف على الوظيفة التي تضطلع بها السينوغرافيا في مسرح الطفل شعر الباحث باهمية هذا الموضوع الذي يتطلب اجراء دراسة،ومن اجل ذلك حدد الباحث عنوان بحثه كالاتي:

"دور السينوغرافيا في مسرح الطفل"

أهمية البحث:-

تتجلى أهمية البحث في:-

1- إفادة المؤسسات التعليمية والفنية التي يمارس منتسبوها وأعضاؤها العمل المسرحي.

2- اهتمامه بمرحلة الطفولة التي تضع لبنة بناء إنسان المستقبل.

3- تطوير الجوانب الفنية والتقنية في مسرح الطفل.

هدف البحث:-

التعرف على وظيفة ومفهوم السينوغرافيا ودلالاتها في مسرح الطفل.

حدود البحث:-

تختصر حدود البحث على مادة البحث،اي على دور السينوغرافيا في مسرح الطفل واختيار مسرحية(لنبتسم) كأنموذج لهذه الدراسة مع مراعاة الخصائص العمرية للمتلقين من الأطفال بعمر(6-12) وهو سن مرحلة الدراسة الابتدائية في المدارس العراقية.

تحديد المصطلحات:-

السينوغرافيا

أ-عرفها (كمال عيد) "فلسفة علم المنظرية الذي يبحث في ماهية كل ماعلى خشبة المسرح"[1].

ب- ويعرفها اصطلاحا (مارسيل فريد فون) " صياغة تصوير وتنفيذ تصميم المكان ، العرض"[2]. أو " فن تنسيق الفضاء المسرحي"[3].

ج- ويصفها (الجبوري) "الإطار التشكيلي الذي يعيش فيه النص الدرامي"[4].

التعريف الإجرائي:

السينوغرافيا مادة فنية – تقنية تتطلب الإعداد والتكوين في المجالات الفنية والجمالية والتقنية والفنون الدرامية وأصولها وفنون العرض وعناصره دون إهمال الجانب الأدبي للنصوص القابلة للتجسيد والتشخيص.

الفصل الثاني

الإطار النظري

مفهوم السينوغرافيا وأهميتها

يعد الارتباط بين السينوغرافيا وبقية العناصر الاخرى المؤسسة المحدد الوحيد عبر العصور لمفهومها ،وبالرغم من أن وجهات النظر أليه من طرف النقاد والمؤرخين،ذلك ان الاخراج كان ولايزال يحاكي ويؤثث الفراغات والاماكن،مما كان عاملا مهما في ميلاد المفهوم الاول للسينوغرافيا القائم على (فن الزخرفة) وهذا مايؤكده مارسيل فريد فون[*]"إن كلمة سينوغرافيا كلمة قديمة نجدها لدى الاغريق والرومان كما استعملها معماريو عصر النهضة"[5].واذا عدنا الى اصل الكلمة نجد جذورها في تاريخ الفن المسرحي اليوناني ،اذ اشتقت كلمة سينوغرافيا من (LA SKENOGRAPHIA) وتعني باللغة اليونانية الزخرفة اي تجميل واجهة المسرح(SKENE) بالوان مرسومة،حيث كان المسرح خيمة او كوخا من الخشب[6] ولعل كل هذه التطورات التي عاشها هذا المفهوم وما رافقها من تغيرات تجعل المعنى الجديد للسينوغرافيا ومفهومها ياخذ تشعبات متعددة،لكن ذلك يبقى مترابطاً بالاختلاف في وحدة الوظائف وشموليتها في بعض الأحيان، إذ أن الحديث أصبح يركز ويهتم بالفضاء السينوغرافي عند البعض الذي وقع تعريفه على اساس انه فضاء يتضمن الفضاءالمسرحي و الجمهور ،بحيث يتجدد من خلال العلاقة الموجودة بين هذين

الفضائين وبالطريقة التي تنظر بها القاعة الى الخشبة وبالطريقة التي تعدها الخشبة للقاعة.وبذلك تسعى السينوغرافيا الى تاسيس علاقة مكانية وبصرية بين الدراما والمسرح وبين المشاهد،ولذلك أصبح اتصال السينوغرافيا كفن جامع للفنون والحرف الاخرى امرا اكيدا بما انها تستمد وجودها من اختلاف هذه التقنيات والمهن من اجل خلق تصورات لما هية العرض المسرحي او لفضاءات الفرجة عموما، بل ويذهب عدد من الباحثين في هذا المجال الى توسيع مفهوم السينوغرافيا نحو مجالات اخرى تتصل بما يمكن ان يحدث على اي فضاء لاعادة استغلاله وتوظيفه توظيفا فنيا جديدا،واعتماد اخر وصياغة تصورات عمرانية مختلفة وبذلك يمكن اثارة مسالة السينوغرافيا في فضاءات قد تعاد صياغتها وتوظيفها كالمعارض او المخازن اذ يكفي مثلا ان تتغير وظيفة مخزن او بضائع الى فضاء عرض كتب او ابتكارات حتى تطرح فكرة التصور السينوغرافي وما يمكن ان تشمله من اختصاصات كثيرة ومتفرعة،ولعل اول من نبه لهذا المفهوم الجديد وحاول تبسيط مفهوم السينوغرافيا "مارسيل فريد فون"وأراد أن يجدد مجالات نشاطها التي تجاوزت عنده وعند مؤيديه تصور مكان العرض والتعامل مع الفضاء المسرحي عن طريق استثمار كل العناصر التشكيلية والتقنية.إن من خصوصيات السينوغرافيا وما يجعلها اكثر تميزا وتشعباً هو ماتتطلبه هذه المادة من ازدواجية نوعية في تعليم وتعلم المعارف والمهارات بحيث تشكل تنوعا وتفردا في التكوين ،لأنها مادة تتعامل مع المجال البصري والرؤيوي فالتقاطع قائم بين عدة عناصر والتي تتفاعل من اجل تقديم عرض أمام المشاهدين،لذلك لايمكن أن نعزل السينوغرافيا عن مقومات العرض سواءً مسرحياً أكان أم راقصاً أم احتفالياً أم اوبرالياً... فلا يمكن أن يحتويه ما يجعل تصنيف السينوغرافيا على أنها الفن الذي يخدم الفنون أو الفن البصري الذي يعضد فنون الرؤية عن طريق "فن إعداد المكان"[7] فهي اختصاص تعتمد على تقاطع المعارف

والعلوم إذ يستوجب المراوحة بين المعارف الفنية والأدبية والعلمية وما يمكن أن تتضمنه.وبوصف السينوغرافيا مادة (فنية تقنية) تتطلب الاعداد والتكوين في المجالين الفني الجمالي والتقني والاطلاع على القواعد والمعارف التي يمكن ان تتفرع منهما ، علينا أن نصنف المعرفة التي تتطلبها على جانبين أساسيين هما الجانب الفني ويخص كل مايتعلق بمباديء الفن التشكيلي والفنون الدرامية واصولها وبفنون العرض دون اهمال الجانب الادبي للنصوص القابلة للتجسيد والتشخيص والعرض والجانب التقني.

الجانب التقني للسينوغرافيا:

وهو الجانب الذي يخص التعامل مع الفضاء والمكان هندسيا والمواد المستعملة والاستغلال الالاتي التقني للديكور وعناصره وتقنيات الاضاءة الموجهة على المسرح او مكان العرض.وبما أن التوافق بين هذين الجانبين يؤسس لتقنية فنية اطلق عليها دائما او في بعض المراحل من تاريخ الفنون الدرامية تسمية سينوغرافيا فان هذا التواصل هو الذي جعل مفهومها غير محدد ومختلفاً ومتطوراً حينا و متغيراً حينا اخر.

تعد السينوغرافيا رؤية واحدة متكاملة تشمل عناصر الإضاءة والمؤثرات الصوتية والموسيقى والديكور والازياء بنفس قدر تكامل جمهور مصمميها وتداخلهم مع المخرج والمؤلف لخلق فضاء خاص للعرض ينقله من مجرد تجسيد النص الى اعادة خلقه من جديد داخل رؤية تتشابك فيها الفنون التشكيلية مع الفنون المسرحية وترتكز السينوغرافيا على التقنية المسرحية،وفي خضم هذا التطور التكنلوجي انتقلت هذه التقنية من كونها مجرد مؤثر مشارك في العرض ومعاون للتمثيل الى رؤية جمالية للنص والعرض تمتلك القدرة على تحويل المسرح الى عالم سحري و نستطيع أن نصل بالمسرح الى افاق جديدة في ظل تكامل الفنون وتوحد الرؤية والتقنية مع

بعضها البعض.ولما كانت العين هي اقوى حواس الانسان فان الخطوط والالوان والاحجام تتظافر في بناء المسرحية وتبرز اهمية السينوغرافيا في العروض المسرحية في تاثيرها الكبير على الجمهور ولعل الاطفال الصغار هم الاكثر حرصا على مشاهدة هذه التقنية لتمتع انظارهم بالرؤية ويتشوقوا بمتابعة العرض ويشبعوا حاجاتهم النفسية والفكرية والذوقية والجمالية.وتتمثل مهمة المخرج والسينوغرافي في مسرح الطفل على الجانب المرئي بوصف دوره المركزي في ايصال المسالة الى ذهنية الطفل الذي لايزال في مرحلة غير قادر على التجريد، عالمه هو العالم المرئي المحيط به اذ يعتمد الطفل في استيعابه للمسرحية على العناصر المرئية اكثر منها على العناصر التجريدية "والمسرح بهذا أكثر ملائمة للأطفال من الوسائط الأخرى،لأنه يضع أمامهم الوقائع والأشخاص والأفكار بشكل مجسد ، وملموس،ومرئي،ومسموع"[8] فهو يسعى الى ماهو سهل وبسيط ويشد انتباهه،فاية مسرحية تظل ناقصة مالم يهيأ لها ماتحتاج من حركة مسرحية والوان وخطوط واضاءة وازياء واحجام الى جانب ضبط ايقاع حركتها مع مناظرها في الاطار العام لها.

وهنا تكمن اهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل في تهيئة الجو المناسب للرؤية لتبلغ المسرحية المستوى الفني المطلوب وعدم السماح لوقوع المتفرج الصغير في دائرة الملل،لذلك تستهويه هذه التقنيات الحديثة وعلى السينوغراف ان يراعي هذا الجانب الفطري لديه لان مسرح الطفل"شكلاً من أشكال الفنون الإنسانية التي تسهم في بلورة فكر الطفل واتجاهاته الاخلاقية والثقافية داخل الحياة العامة وتخلق في نفسيته درجة كبيرة وحساسة من الذوق الابداعي لتذوق وتحسس ماهو جميل ومناسب لشخصيته وكينونات حياته على وفق مراحل تطوره التي تاتي مع تطور البيئة التي يعيش ويتحرك فيها"[9].

ولعل السينوغرافيا هي واحدة من اهم هذه الوسائل في تاثيرها الكبير على عين المشاهد الصغير وماتسهم به من بواعث ودوافع ومثيرات لونية يمكن ان تعوض الصورة التي يريدها الطفل في مخيلته وماعودته عليه التلفزة لذلك يحب التفكير في اعادة تعويد الطفل على التركيز لان الادمان على الصورة يخل بملكة التركيز عند الطفل ولابد من تاهيله من جديد وربطه بعلاقة مباشرة مع المسرح لان الاطفال "يحبون التحولات السحرية والمشاهد الرائعة والواضحة والازياء الغريبة والمتنكرة والمؤثرات الخاصة والخدع الضوئية والوسائل المسرحية المؤثرة.فالاطفال معتادون على مشاهد تغيير الاماكن الفوري والكامل والسهل التحقق في السينما فضلاًعن إنهم يحبون الفزع من الاصوات الشبحية او من الظهور المفاجيء وربما انهم يعتمدون بشكل كبير على المرئيات فانهم يستطيعون احتمال المشاهد المرئية الطويلة والمعقدة والتي لاتتضمن الا القليل من المعاني مثل العروض الراقصة"[10].

وتكمن الأهمية الأخرى للسينوغرافيا في مسرح الطفل في تعويد المتفرج على النسق الاخر والنوعية الاخرى للصورة لاسيما وان عصرنا عصر التكنلوجيا والوسائل الحديثة التي تساهم في تنويع الصورة وتقريبها للطفل التي تكسر خيط الاداء فتجعل من المتفرج ينتبه للعرض بتحقيق المتعة عن طريق جذب انتباهه بجمالياتها. تعد السينوغرافيا عامل من عوامل تحقيق الجو العام المناسب في كل مسرحية لإدخال عنصر المتعة والتشويق وإبعاد الملل والقلق عن المتفرجين ،وهي عامل من العوامل المساندة في نمو الطفل أيضاً وإنضاج تفكيره واكتساب مهـــارات إبداعية وابتكارات فنية تدعم تفكيره للكون والعالم المحيط به ولذلك فمن مهام السينوغراف في مسرح الطفل أن يكون محيطاً بعالم الطفولة من ناحية والعالم من حوله من ناحية أخرى.

لايمكن عد خيال الطفل بالشيء الثابت لدى كل الاطفال فهو يتبدل ويتغير حسب البيئة التي يعيش فيها،وحتى الاطفال الذين ينتمون الى بيئة معينة والوسط

نفسه فانه يوجد اختلاف في مواهبهم وشغفهم،فالطفل عرضة دائما الى كل التاثيرات المحيطة به لذلك تختلف المواهب والمكتسبات الحاصلة عند الطفل من واحد لاخر وتتدخل في ذلك عدة ظروف وعوامل منها اجتماعية وثقافية وعقائدية....الخ.

ويعتمد السينوغراف في تصميمه للديكور والإضاءة والعناصر المكونة للعرض بالتركيز التام على تحفيز المهارات المكتسبة عند الطفل لشد انتباهه والمحافظة على اهتمامه بالمسرح لصقل مواهبه عبر استخدام مجموعة متنوعة من العناصر الفنية التي تؤدي بمجملها الى نتيجة متكاملة.وتعد"المؤثرات المسرحية والمشاهد الاستعراضية عنصرا مهما في مسرح الاطفال فالمشاهد المتقنة والازياء الفخمة والمؤثرات المسرحية الخاصة مثل الاختفاء والتحليق وتغيير الحجم والتحول والاعاجيب السحرية الرائعة الاخرى ...وفي الواقع فان هذه التقنيات تتناسب بشكل جيد مع الحاجة الى التنويع والتصوير المسرحي،واذا تم تنفيذها بشكل جيد فسيحبها الاطفال دوما"[11].

في أطار هذه الاكتشافات العلمية والتطورات التكنلوجية تأثير في خيال الطفل بكل ماينفتح عليه من عوالم اخرى تلقي به في المستقبل وتخرجه من محيطه التقليدي ليذهب بذاته الى عالم جديد اختاره لنفسه اي ان يحقق رغبته بالمتعة الفكرية والنفسية،وعالم السينوغرافيا هنا هو عالم مفتوح للمتفرج الصغير يبحر به في عالم من الخيال من خلال مشاركة فعالة في العرض المسرحي الحي.

وظائف السينوغرافيا

1- الوظيفة الفنية:-

ان الاطفال جميعا فنانون مبدعون،وان مايقومون به من تقليد للكبار ولبعض الاشياء في الحياة، ذلك لأنهم يستعينون بخبرات من الحياة لاثرائها وتذوقها،فالطفل عادة مايكون كثير الاعجاب بكل مايراه جميل او مايشد انتباهه،ومن هنا تبرز اهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل بوصفها تربية فنية تنمو بالحس الفني عند الطفل.

فالطفل عند مشاهدته للمسرحية يجذب انتباهه كل ماهو مثير من (اصوات واضواء والوان) لاسيما ان عصرنا هذا هو عصر التكنلوجيا التي تخلق لنا مجالا واسعا من الحرية لتتفاعل مع خيال الطفل لخلق عنصر الابهار الذي تحدثه السينوغرافيا في جمالية الديكور والازياء والاضاءة المتنوعة والمتعددة الالوان والخطوط،كما يسهم الايقاع في دفع الاحداث ويضفي على المسرحية عنصر التشويق ويعمل على تكريس حب الطفل للموسيقى وفهمها حتى يحسن الاختيار للموسيقي المناسبة المقدمة له مع مراعاة قدرة احتماله على الإصغاء لأنه كلما صغر سنه قل تركيزه وكلما كانت الموسيقى قصيرة وسهلة الالحان بسيطة التركيب كان ذلك اضمن لانصاته،وعليه فان "ادخال الموسيقى والغناء والمؤثرات الصوتية المختلفة تحقق هدفين في ان واحد ،الاول هو تحقيق شروط واضفاء طابع الحركة والحيوية والبهجة عليها ،والثاني تحقيق شروط الاتصال الجمالي مع الطفل الذي يسهم في تفسير الاحداث ورسم الشخصيات وتجسيد حالات الصراع في اللعبة بكل اشكاله،وفق قالب مشوق"[12].

أما عنصر الإضاءة فهو يبني علاقة مباشرة مع عين المتفرج ،فالاضاءة تعمل على تكثيف الالوان وتناسقها مع الازياء والديكور والاكسسوارات بوصفها امور متكاملة يتاثر كل منها بالاخر ويؤثر فيه.لذا لابد من توزيع الاضاءة توزيعا من شانه

ان يبرز الالوان والمناظر ويحدد التفاصيل التي يرى المخرج انها يجب ان تسترعي انتباه المتفرجين(13). والمناظر هي الأخرى تأخذ دورها في إمتاع الطفل كالمناظر الطبيعية الجميلة التي تخلق نوعا من الانسجام بين الطفل ومحيطه عبر تفاعله مع الألوان والخطوط وتحاول إدماج الطفل داخل محيطه العلمي والطبيعي والجغرافي والاجتماعي والاقتصادي وذلك بتعليمه خصائص هذا المحيط وخصوصياته وبالتالي يعمل على إيقاظ الطفل وتحسسه بالمحيط الذي يعيش فيه عبر توظيف عنصر الخيال والابتكار.

أما الأزياء فتلعب دورا مهما في إمتاع الطفل لاسيما الشخصيات التي ترتدي الأزياء الحيوانية المحببة لدى الأطفال و"الشخصيات النسائية الشجاعة التي تستطيع أن تحقق مايحققه الرجال الأبطال والتي تستطيع التغلب على العقبات"(14) وقد تشترك هذه الشخصيات بالرقص والغناء مع الأطفال حتى لايصيبهم الملل ويتشتت انتباههم وهنا تعد حاسة البصر من أهم الحواس وأسرعها ملاحظة وأدقها تسجيلا للدقائق الفنية وطبعها في الأذهان.

2- **الوظيفة الحسية**:-

تهدف التربية المسرحية الى تكوين المواطن الصالح وذلك بالاهتمام بتكامل نمو الطفل جسميا وعقليا ونفسيا وعاطفيا واجتماعيا وتعويده على التفكير المنطقي السليم المنظم،هذا فضلاً عن مواهبه وقدراته الذاتية في الابداع الفني،وتاتي وظيفة السينوغرافيا في تنمية ادراكه الحسي ورفع درجة تذوقه السليم المبني على الإدراك فتعوده على اداب التعامل والتجاوب مع الاشياء وخلقها من جديد.

اذا نظرنا الى اهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل فلابد ان نشير الى الوظيفة الحسية من خلال التعامل مع الطفل المتفرج،فكل عناصر العرض من موسيقى وديكور وازياء ومؤثرات صوتية هي ادوات تسعى الى تنمية الادراك الحسي عند

الطفل فتخلق له الجو الملائم الجديد لعديد من الحالات مع مراعاة مراحل نمو الطفل عقليا ونفسيا وعاطفيا واجتماعيا .

وتلعب السينوغرافيا دورا مهما في اثارة اليقظة لتنمية الخيال للفن والتعبير عما نبض به احساس الطفل وكيانه من توق للابتكار والتفتح على المحيط بما يتضمنه من قضايا بشرية انسانية وسياسية،فالحكمة تنتصر على القوة رغم الاختلاف في الرتب الاجتماعية والافكار وبهذا يسهم المسرح في"تنمية الاطفال عقليا وعاطفياولغويا وثقافيا.وهو احد ادوات تشكيل ثقافة الطفل .فهو ينقل للاطفال بلغة محببة ـ نثرا ام شعرا ـ وبتمثيل بارع،والقاء مفعم بالافكار والمفاهيم والقيم ضمن اطر فنية"(15).

وتظهر الوظيفة الحسية للسينوغرافيا في اثارة خيال الطفل ونقل قوة الملاحظة لديه ما يؤدي بالطفل الى التنقيب والبحث والاكتشاف من جراء اثارته وتحريك مشاعره وذهنه،فالمسرح يضع المرايا امام الاطفال ليروا من خلالها واقعهم ويدفعهم الى ان يدركوا ان لهم دورا في تغيير ذلك الواقع ويقودهم الى التفكير واحترام القيم النبيلة والالتزام بها،مع توسيع مداركهم وتهذيب وجدانهم وارهاف احساسهم وعواطفهم وايقاظ شعورهم وامتاعهم.

3- **الوظيفة الذوقية**:-

التذوق الفني هو التدريب التعليمي الذي يهدف إلى تهذيب الذوق لدى الطفل في التعامل الجيد مع مايحيط به من اشياء يتعرض لها في حياته من غناء وموسيقى وازياء والوان اذ ان الطفل يستجيب بشكل تلقائي وطبيعي مع اهوائه،فحين يعجب بشيء يريد امتلاكه او يطالب دائما بحضوره أمامه دليل على ان تعويد الطفل على حب الجمال شيء يترسخ في ذاكرته ولابد ان تكون في كل المسرحيات الموجهة للطفل تركيز تام على ابهار عين المتفرج وامتاعه من خلال الاهتمام بالعناصر المكونة للعرض من اضاءة وموسيقى وديكور ومؤثرات صوتية وازياء.

4- **الوظيفة النفسية**:-

والمقصود هنا مايمثله العرض المسرحي المعين من انفعالات وعواطف ومشاعر ،وهذا يحتم على المسرح وفنانيه تعيين الحالة النفسية لمشاهدي كل فئة عمرية من اجل ايجاد الحلول الفنية الخاصة بمعالجة كل عرض وتوفير الاساليب التجسيدية والادائية المنسجمة مع المستوى النفسي لكل فئة عمرية،اذ لابد من ضرورة هذا الانسجام بين مستوى المتلقي النفسي،وبين مايشاهده ويعاينه من انفعالات ومشاعر وذلك منعا لاي اعراض مرضية نفسية،او صدمات او ردود فعل نفسية غير مطلوبة حتما بقدر او باخر بين المتلقي اذا مااهملت مسالة تعيين المستوى المعالج في العمل المناسب وانسجامه مع المستوى النفسي لمشاهدي الفئة العمرية المناسب(16).يمر تطور الطفل خلال حياته بمجموعة من المشاكل مع ذاته ومع الازمات النفسية كالحروب والصراعات القائمة التي تركز عليها وسائل الاعلام المختلفة والاحداث التي تدور حوله كالانفجارات وأحداث العنف كالتي حصلت في العراق لها تأثير سلبي على نفسية الطفل وتؤثر على روح الصفاء والنقاء والبراءة والحب التي تتملكه،لذا يجب ان ترسم الخطوط العريضة للمسائل النفسية الاساسية التي تشغل الاشخاص الذين يعملون في مسرح الاطفال مع الالتفات الى علم النفس.فالوظيفة النفسية يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار لدى الكتاب والمنتجين والمخرجين عند إعداد النصوص والأعمال المسرحية الموجهة للأطفال وإخراجها،ولان المسرح هو حفل كبير قبل كل شيء ولعبة درامية من شانها ان تدخل الغبطة والسرور وتزيل كابوس الياس والفشل لدى جمهور الأطفال ويعمل على الوصول بالطفل الى فهم "الاحداث بشكل افضل وتوضح امامه جميع مايدور في المسرحية بحيث يستطيع لوحده ان يعطي النتائج والاسباب"(17).

الجمالية السينوغرافية في مسرح الطفل

المستوى الفني والجمالي

1- **تقنيات الاضاءة وجمالياتها**:-

يعد المسرح فنا مرئيا بالأساس ،لذا تمثل الرؤية احدى الوظائف الاساسية في الاضاءة المسرحية والضوء له المكانة الخاصة في الرؤية ،فالضوء هو الأثر الطبيعي أو الصناعي الذي يصل الى العين،على هيئة اشعاعات منعكسة عن الاجسام المضيئة ويخترق العدسة البلورية ويستكمل مسيرته نحو الشبكية التي تتولى بدورها نقل هذا الاثر الى المخ بواسطة عصب الرؤية فتتكون الصورة المرئية للجسم،بكل ماتحمله من الوان مميزة لذلك لانستطيع الرؤية في الظلام،فيتوجب إذن على مصمم الاضاءة ان يضيف التوهج على خشبة المسرح لتسهيل الرؤية لكل مايحدث من تعبيرات الممثلين وحركاتهم وملامحهم والإكسسوارات والديكور والأزياء،ومن هنا تكمن مهارة مصمم الاضاءة في حسن التحكم في كمية الضوء المتوهجة على المسرح وحسن اختياره للاجهزة الضوئية المستخدمة حسب متطلبات العرض المسرحي لاسيما راحة المشاهد في الرؤية والاستمتاع بعناصر العرض الاخرى من ممثلين وراقصين ومناظر ومؤثرات.يقول (ادولف أبيا)(*)"إن أي شكل ذو ابعاد ثلاثة يصبح تشكيليا لتأثير الضوء عليه وهو الذي يحدد خطوطه الخارجية ويجسمه،ولولا الضوء لما تاثرت اعيننا بهذا الشكل الذي قد يصبح فنا في شكله التام بفعل الضوء الواقع عليه"(18). ومن خلال هذه المقولة نستنتج أن الضوء عامل أساس في إبراز الشكل بأبعاده الثلاثة وباستخدام الإضاءة المسرحية سواءاً أكانت عامة منتشرة أو خاصة مركزة والسيطرة عليها تؤسس عالما ثلاثي الأبعاد،موحدا كامل التوحيد على المسرح وبذلك نلمح صورة مسرحية ذات اثر فعال في العين.وباستعمال إضاءة عامة نضمن رؤية شاحبة ومتلاشية وتكون الأشياء المراد إضاءتها غير واضحة المعالم فندركها بدون

عاطفة،لذلك أكد (أبيا) وغيره على استعمال اضاءات خاصة ومركزة في بعض المواقف والمشاهد لتأكيد الأبعاد وتوحيد المعالم للأشياء المضاءة وذلك بما تفرزه هذه الإضاءة من ظلال.

ومن هذا المنطلق يتخذ الضوء صفة غنية بتوهج الضوء على المسرح ويخلق توازناً بين الضوء والظل، لذا نستطيع أن ننحت موضوعا يواجه أبصارنا ويحرك إحساسنا ويدغدغ عواطفنا وبهذا تبرزللاشياء أشكالها ونعطيها قوة ومعنى جديد.

وفي إضاءة المناظر والأزياء تختلف الألوان المستخدمة وقوة التوهج حسب نوعية المكان والزمان الذي تشير اليه الاحداث،واستخدام المرشحات الضوئية اللونية التي تضفي الجمالية المؤثرة على خيال الطفل.

2- **الديكور**:-

"في يومنا هذا،تخطى مفهوم الديكور المجال الذي كان له سابقا واعتمد المعنى الحديث لكلمة (سينوغرافيا) كبديل يغطي مجالات أوسع تتخطى تصوير عالم الحدث الى تحديد نوعية التلقي من خلال شكل العلاقة بين الصالة والخشبة لذا تعد هندسة الديكور مجالا تنفيذيا بحتا في حين أن تصميمه صار من مهمات السينوغراف الذي يستند في عمله إلى رؤية متكاملة تنبع من قراءة الدراما لبنية العمل"[19].

3- **الأزياء**:-

لما كانت الأزياء بوصفها وسيلة من الوسائل التي يستعين بها المخرج،فان لها في حد ذاتها إمكانيات تعبيرية عظيمة،فهي تشكل اللغة والتعبير المسرحي ويعطيها صفات خاصة،وفي اغلب الأحيان تعينهما وتحددهما تمام التحديد،"ومن المعلوم أن الملابس المسرحية ليست نوعا من الزخارف الإضافية في المسرحيات حسب،بل إنها أيضا عنصرا أساسياً من عناصر المسرحية ذاتها،فإنها تعد جزءاً من الديكور بوصفها مناظر حية ،أو إنها بناء معماري"[20]. كما أن للأزياء قيمة عظمى تعمل على زيادة

إيضاح حركات الممثل وتعبيراته،ولهذا فان الأزياء تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الممثل الذي هو في الحقيقة المترجم الفعلي لأعمال المخرج. يرتبط عنصر الأزياء في مسرح العرائس مثلا بكل العناصر المكونة للعرض من إضاءة،ديكور ،ألوان... فالإضاءة القوية في هذا المسرح غير مستحبة لأنها تؤثر تأثيرا سلبيا على الأزياء فتغير من ألوانها وتفقدها التأثير المطلوب منها لذلك لابد من توزيع الإضاءة توزيعا من شانه أن يبرز الألوان ويحدد التفاصيل التي يجب ان يراها المتفرج.

4- **الموسيقى والمؤثرات الصوتية**:-

"تلازمت الموسيقى مع المسرح تلازماً تاريخيا في الشرق والغرب خاصة وان المسرح منذ نشاته ارتبط بالموسيقى والغناء والضربات الايقاعية.وقد اختلف الدور الذي تلعبه الموسيقى في العرض باختلاف الجماليات السائدة عبر التاريخ وبتطور الذائقة العامة فكانت تارة عنصرا عضويا يعطي العرض ايقاعه وتارة عنصرا دراميا يلعب دورا في تشكيل المعنى"[21].

وللموسيقى والمؤثرات الصوتية دور مهم في تنشئة الطفل وتعليمه وترفيهه فهي إلى جانب ذلك "تدعم جو المسرحية المرئي او تكون بديلا عنه،وفي هذه الحالة تصبح نوعا من الديكور السمعي يدعم جمالية العرض وفي المسرح المعاصر يعتبر اعداد المؤثرات الصوتية وتنفيذها اختصاصا مستقلا له بعد تقني الدراماتورج"[22]. وعلى هذا الأساس تظهر الموسيقى في بعض مشاهد المسرحية لتسهم في خلق الجو العام وتستخدم"قبل بداية اي فصل من فصول المسرحية كي تخلق بالاصوات جواً لذلك الفصل،ويتم هذا الاختيار بالاتفاق مع المخرج وحسب تعليماته حتى يستطيع ان يوظف الموسيقى والمؤثرات الصوتية مع الاداء لكل ممثل،او في بعض المواقف المهمة في المسرحية"[23].

5- **الإكسسوار**:-

"تستخدم كلمة اكسسوار في عالم المسرح للدلالة على مكونات الديكور من اغراض وقطع اثاث سواءاً أكانت مرسومة بطريقة خداع البصر على اللوحة الخلفية ام مجردة فعليا على الخشبة"[24].

6- **الممثل**:-

يسهم الممثل فضلا عن العناصر الفنية الأخرى للعرض المسرحي في توحيد المنظر الجمالي والتعبيري بما يحققه من مرونة جسدية على خشبة المسرح ، يخلق عملية توازن مع الكتل الموجـــودة على الخشبة ، مما يجعل من السينوغرافيا " جزءا مهمـاً في عملية خلق الجو العام"للمسرحية [25].

ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات

1- السينوغرافيا فن جامع للفنون الأخرى فهي تقوم بمهمة الجانب الفني والتقني.
2- تعد السينوغرافيا رؤية واحدة متكاملة تشمل عناصر الإضاءة والمؤثرات الصوتية والموسيقى والديكور والأزياء والممثلين تعمل على خلق فضاء خاص للعرض ينقله من مجرد تجسيد النص إلى إعادة خلقه من جديد .
3- للسينوغرافيا وظائف حسية وفنية وذوقية ونفسية.
4- جماليات السينوغرافيا من ديكور وأزياء وموسيقى ومؤثرات صوتية وإضاءة وإكسسوار وممثلين تعمل على بلورة المستوى الفني المطلوب في تحقيق المتعة والجذب والإبهار للمتفرج في مسرح الطفل.
5- تعمل السينوغرافيا في مسرح الطفل في تهيئة الجو المناسب للرؤية عبر تقنياتها الحديثة.

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث سوى على ثلاث دراسات عن السينوغرافيا (تحديدا) [*] ،إن تلك الدراسات تعد مقاربة للدراسة الحالية إلاّ إنها لاتدخل في صلب الاختصاص الدقيق لموضوع يستحق الدراسة وتسليط الضوء عليه بوصفه محورا من محاور البحث في مسرح الطفل.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

1- **عينة البحث** :قام الباحث باختيار مسرحية (النبتسم)[*] كعينة قصدية للأسباب الاتية:-

أ- توفر المادة الأرشيفية المسجلة صورة وصوتا لغرض إجراء التحليل عليها.
ب- ملائمة العينة لمشكلة البحث واهدافه .
ج- حداثة المسرحية وحصولها على العديد من الجوائز لعام 2010.

2- **منهج البحث:** اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

3- **أدوات البحـث:** تحقيقا لأهداف البحث،استخدم الباحث إجراءات عدة لجمع المعلومات الخاصة بالبحث وهي:

أولا: استند الباحث في ذلك إلى المراجع العربية ،للاطلاع على ماكتب في مجال بحثه.

ثانيا:إجراء المقابلات مع العاملين في المسرحية.

ثالثا الاطلاع على الصور الفوتوغرافية للعرض المسرحي فضلاً عن توثيقه على موقع(اليوتيوب) الالكتروني عبر مشاهدته مسجلاً في هذا الموقع.

فكرة المسرحية:– تؤكد فكرة المسرحية على نبذ العنف وتصحيح مسار الروايات التي شوهها الطفل دون قصد ،إذ إن مخيلة الطفل العراقي قد مر عليها الكثير من الكوابيس جعلت منه دون قصد إلى أن يشوه روايات الأطفال الجميلة،لان محيط الطفل صار معبأ بمشاهد الدم والقتل والانفجارات التي أثرت بشكل وبأخر على نفسية الطفل العراقي الذي بات يرى الشخصيات الكارتونية والقصصية مذنبة ومشوهة ،لذا تحاول المسرحية معالجة هذا التشوه عبر نبذ العنف والدم والسلاح وكل مايشوه الطفولة والحياة الجميلة.

1- **الوظيفة الفنية للمسرحية**:-

تظهر الوظيفة الفنية للمسرحية عن طريق تدريب الطفل على الحب ونبذ العنف والتعامل معه بطريقة فنية وذلك بتنمية قدراته الإبداعية والانتقال به إلى عالم متخيل للمحكمة بفعل توظيف السينوغرافيا التي استخدمت وعملت على أن تسترعي انتباه المتفرج.وبرزت وظيفتها الفنية في أقناع المشاهدين من الأطفال بالمناظر والشخصيات المتخيلة إذ خلقت نوعا من الانسجام بين الأطفال والشخصيات والمنظر المسرحي.

2- **الوظيفة الحسية للمسرحية**:-

تدور أحداث المسرحية بين غرفة النوم والمحكمة المتخيلة التي تصيب(حسن)بالذهول وهو يرى الشخصيات التي قرأها في الكتب قد خرجت لتحاكمه .فنرى إن مصمم السينوغراف قد انتبه إلى ذلك من خلال توظيف الإضاءة والديكور والموسيقى لإعطاء مجالا واسعا من التفكير،فكل طفل يتصور المكان حسب مخيلته وتحسسه بالتواجد عبر المشاركة في هذه اللعبة وبالتالي تصقل قوة الملاحظة لديه مما يؤدي إلى التفكير بحب الحياة وتعيد للأذهان القيم النبيلة (الصدق،التفاني،الحب،عمل

الخير) والالتزام بها مع توسيع مداركهم وتهذيب أذواقهم وإرهاف إحساسهم وعواطفهم وإيقاظ شعورهم وإمتاعهم.

3- **الوظيفة الذوقية للمسرحية**:-

تكمن الوظيفة الذوقية للمسرحية عن طريق تحسيس الطفل بالقيم الجمالية وتوضيح معنى الخير والشر إذ تتوسع لديه دائرة المعلومات بفضل السينوغرافيا التي استخدمت في المسرحية اذ استطاع مصمم السينوغراف أن ينقل الطفل من فضاء غرفة النوم إلى الفضاء المتخيل لغرفة المحكمة المفترضة مع تغيير بسيط في ترتيب قطع (الستولات) بالمرافقة الموسيقية والمؤثرات الصوتية والإضاءة ودخول الشخصيات عبر القطع الديكورية المتمثلة بالقصص والأزياء الحقيقية لشخصيات القصص كل تلك العوامل ساهمت في إقناعه ورفع ملكة التذوق الفني لدى الطفل.

4- **الوظيفة النفسية للمسرحية**:-

مر الصبي (حسن)في مسرحية(لنبتسم)بمجموعة من الأزمات النفسية من جراء المحيط الذي يعيش فيه والذي لايخلو من مشاهد العنف والقسوة التي عصفت بالبلاد بسبب الإرهاب الأعمى الذي قتل قيم الطفولة إلى جانب العاب السلاح المتوفرة بالأسواق المحلية مما أدت الترسبات نفسية غيرت من مفاهيمه للقصص والأحداث الحقيقية للشخصيات التي قراها ،ومن هنا اعتمد مصمم السينوغراف على الجانب الفني التقني لتغيير هذه المفاهيم الخاطئة عن طريق المناظر والموسيقى والغناء والإضاءة والأزياء والألوان والرسوم والخطوط والأشكال التي خلقت حالة من التناغم والانسجام مع الجو العام الذي خلق بدوره ذلك الجو الاحتفالي في نهاية المسرحية كما صحح الكثير من المفاهيم لدى الطفل وخرجت به النفهم الحياة الجميلة بدل الأزمة النفسية الخانقة التي عصفت به.

القيم الجمالية السينوغرافية لمسرحية (لنبتسم)

1- **الديكور**:-

اعتمد المصمم في هذه المسرحية على تقنية الديكور البسيط المتحرك حسب انتقال الحدث،فقد تم استخدام ستة (ستولات) بلاستيكية صغيرة متعددة الألوان،إذ جاءت في المشهد الأول والأخير كسرير للنوم في غرفة الصبي (حسن)،فيما استخدمت في مشهد المحكمة إلى أماكن لجلوس القاضي واعضاء المحكمة وأعضاءه مع بقاء جميع القطع الديكورية الأخرى والمتمثلة بقطعة خشبية بارتفاع ثلاثة أمتار تقريبا وبعرض نصف متر موزعة على جانبي المسرح مرسوم عليها رسوم الشخصيات القصصية الحقيقية التي يقوم بأدائها ممثلوا المسرحية والتي كما صممها سينوغراف المسرحية لتكون بمثابة المكتبة التي تحوي القصص التي قراها(حسن) ويخرج عن طريقها الممثلين بفكرة أن الشخصيات خرجت من الكتب أو القصص.والملاحظ على هذه القطع الديكورية الرئيسة أنها قد صنعت من الخشب ، فضلا عن القطع (النايلونية) الشفافة المتدلية من أعلى المسرح لغاية الخشبة وباللون الأبيض الشفاف للدلالة على جو الحلم .

2- **الأزياء**:-

كل شخصيات هذه المسرحية هي شخصيات متخيلة لقصص الأطفال المعروفة لديهم باستثناء شخصية الصبي (حسن) ،وقد اعتمد سينوغراف المسرحية على الالتزام بالمكانة الاجتماعية لكل شخصية من خلال أزياء شخصية (حسن) الذي لايتجاوز عمره العشر سنوات والذي ارتدى ملابس الطفل الاعتيادية في هذا العمر وشخصية (المهرج) الذي ارتدى زي المهرج بلون اخضر فاقع وشخصية (سندريلا) الخادمة التي تصبح فيما بعد أميرة ببدلتها الملكية التاريخية المعروفة بألوان براقة جمعت بين الأحمر والأصفر وشخصية(ليلى) في قصة (ليلى والذئب) تلك البنت

الجميلة التي لايتجاوز عمرها الاثنى عشر عاما وهي تحمل سلتها المعروفة وترتدي الرداء الأحمر،وأخيرا شخصية(روبن هود) الشخصية المحبوبة لدى الأطفال والمعروف عنها بالشخصية المحاربة لأجل الخير وهو يرتدي قبعته ويلبس زي المحاربين القدماء ذا القطع الجلدية.

3- **الموسيقى والمؤثرات الصوتية**:-

استخدمت الموسيقى والمؤثرات الصوتية المختارة من المقاطع الموسيقية العالمية والعراقية وقد ساعدت على خلق الجو العام ووفقا لمتطلبات كل فعل ومشهد وحدث كما ساعدت على خلق حالة وجدانية لدى المتفرجين من الأطفال بدءا من موسيقى بداية المسرحية التي اخذ عليها طابع التشويق للأحداث القادمة ومرورا بمشهد تمزيق القصص إذ استخدم السينوغراف موسيقى مرعبة مصحوبة بأصوات الانفجارات وسيارات الإسعاف للتعبير عن حالة الفوضى والعنف التي يعيشها (حسن) وتليها موسيقى خروج الشخصيات من الكتب حيث استخدم المصمم موسيقى مناسبة لخروج كل شخصية. بعد ذلك تتواصل أحداث المسرحية وتستخدم ضربات موسيقية كوميدية لكل موقف كوميدي لشد الأطفال وأبعاد الملل عنهم وإمتاعهم .وعند وصول الأحداث لمشهد انتخابات المحكمة يستخدم المصمم موسيقى (حلاق اشبيلية) للموسيقي العالمي الايطالي (روسيني) تليها موسيقى مناسبة للدلالة على الفوز عندما يحصل (المهرج) على منصب القاضي.

وتنتهي المسرحية بأغنية(شمس بلادي) التي يؤديها الأطفال والمأخوذة من إعلانات شركة (زين) للاتصالات والتي حازت على إعجابهم خلال مدة عرضها على شاشة القنوات الفضائية والتي خلقت مشاركة غنائية بين الأغنية والأطفال في القاعة والممثلين بالغناء الحي لتخلق جوا من المتعة والبهجة لاسيما بعد أن حلت عقد المسرحية وعاد (حسن) ليصحح مساره وحكمه على شخصيات القصص.

4- **الإكسسوار**:-

لايوجد العديد من الإكسسوارات في هذه المسرحية ،إذ نلاحظ وجود كتب الأطفال وسلة شخصية (ليلى) ودمية خاصة بالأطفال مرمية في غرفة(حسن) وقد حققت هذه الإكسسوارات هدفها في المسرحية.

5- **الممثلون**:-

ساهمت شخصيات المسرحية التي قام بأدائها الممثلين في تحقيق التواصل مع جمهور الأطفال بالمتعة والبهجة والإثارة والتشويق،إذ ساهموا في إكمال الصورة السينوغرافية للمسرحية إلى جانب العناصر الفنية والجمالية الأخرى وهذا ماسعى إليه المخرج والسينوغراف،واتسم أداء الممثلين بالمرونة الجسدية والحركة السريعة لإبعاد الملل عن الأطفال عن طريق استخدام الرقصات الاستعراضية والإشارات والإيماءات الانفعالية المحسوسة بإيقاعات متفاوتة عن طريق تقانات جسدية عالية ساعدت في بلورة سينوغرافيا العرض المسرحي.

النتائج

تبرز أهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل ،في تأثيرها الكبير على جمهور الصغار،لما تبعثه من أحاسيس وانفعالات في أثناء العرض،فهي تساهم في تهيئة الجو المناسب،إذ تعد المؤثرات المسرحية والمشاهد الاستعراضية عنصرا هاما في مسرح الأطفال.فالمشاهد المتقنة والأزياء الفخمة والمؤثرات المسرحية الخاصة مثل (التحول والأعاجيب السحرية الرائعة الأخرى) هي في الواقع جزء ضروري ومهم في المسرح الموجه للأطفال.ولذا فان هذه التقنيات تتناسب بشكل جيد مع الحاجة إلى التنويع و التصوير المسرحي،واذا ما تم تنفيذها بشكل جيد فسيحبها الأطفال دوما.ألا أن هناك حذراً من هذه المبالغة في استعمال هذه الأساليب التقنية التي تشد انتباه الطفل،فكثرة السحر المسرحي يمكن أن يسبب التعب للأطفال كونه يتطلب قدرا كبيرا من التركيز الاسترخائي ليتم التوازن في العرض فعندما تنهال عليهم سلسلة من الأعاجيب التقنية فأنهم يكفون عن متابعة مايزيد عن نطاق إدراكهم،كما يمكن أن ينفعلوا إلى درجة لايستطيعون معها إدراك موضوع المسرحية وشخصياتها.ولكي تبلغ المسرحية المستوى الفني المطلوب يجب على المصمم السينوغرافي أن يوفق بين الشكل والموضوع لتحقيق رؤية المتفرج الصغير ومتعته ،إذ لاننسى إن احد أهم الأهداف في المسرح هو إثارة أبداع المشاهد.

وفي إطار التقدم التكنولوجي والتطور العلمي أصبح للمسرح أمكانية التعامل مع الوسائل الحديثة التي تبهر عين الطفل وتستهويه.وقد خدمت هذه المعدات التقنية عنصر السينوغرافيا بوصفها تتعامل مع مجال بصري مرئي تؤثر تأثيرا مباشرا على عين الطفل وماتراه من بواعث ومؤثرات لونية وخطوط وأشكال هندسية.

ولقد كان شغفنا بمادة السينوغرافيا كدافع للغوص في هذا البحث ،وأملنا أن نكون قد وفقنا في ذلك ونحن نتناول مدى أهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل فهي ليست حكرا على مسرح الكبار .بل لابد من الاهتمام بهذا الجانب من اجل كسب اعتناء الطفل واهتماماته وتكوين جمهور مسرحي للغد.

الهوامش

(1) عيد ، كمال : سينوغرافيا المسرح عبر العصور ، القاهرة : (الدار الثقافية للنشر) ، 1997 ، ص5.

(2) فون ، مارسيل فريد وآخرون : السينوغرافيا اليوم ، دراسات لمجموعة من المتخصصين ، تر حمادة إبراهيم وآخرون ، القاهرة : (وزارة الثقافة – مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي) ، 1993 ، ص8.

(3) المصدر نفسه ، ص7.

(4) الجبوري ، محمد : الفضاء المسرحي السينوغرافي ومهمة تشكيل خشبة المسرح في العراق ، بغداد : (مجلة الأكاديمي ، العدد 46) ، بغداد : (أكاديمية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد) ، 2005 ، ص 20.

(*) مصمم سينوغرافيا فرنسي له العديد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال. الباحث.

(5) فون،مارسيل فريد،السينوغرافيا معالم على الطريق،ترجمة إبراهيم حمادة وآخرون،وزارة الثقافة،مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي،1992،ص 13.

(6) فون،مارسيل فريد،المصدر السابق،ص45.

(7) سكري ،عبد الوهاب ،المكان المسرحي،ملتقى الفكر ،دار فلور للنشر والتوزيع،ط3،الإسكندرية،2002،ص12.

(8) الهيتي،هادي نعمان،أدب الأطفال– فلسفته–فنونه–وسائطه،بغداد(وزارة الثقافة والإعلام)،دار الحرية للطباعة،1977،ص304.

(9) ألكعبي،فاضل عباس،المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الطفل، بغداد: (دار الشؤون الثقافية العامة)، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة،1990،ص33.

(10) كولدبرغ،موسى،مسرح الطفل فلسفة ومنهج،تر صفاء روماني، دمشق : (منشورات وزارة الثقافة)،الجمهورية العربية السورية،1991،ص197.

(11) كولدبرغ، موسى،مصدر سابق، ص172.

(12) السالم ، مصطفى تركي، الإلقاء في مسرح الطفل– بناء نظام مقترح،اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد–كلية الفنون الجميلة–قسم الفنون المسرحية)،1996،ص 102.

(13) كامل حسين، تحية،مسرح العرائس، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة،1960،ص125.

(14) وارد،وينفرد، مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين الجوهري ،،مصر: (الدار المصرية للتأليف والترجمة)،1964،ص 622.

(15) الهيتي، هادي نعمان، مصدر سابق، ص304.

(16) عايدابي،د.يوسف،نحو مسرح للطفل–(وقائع ملتقى علمي)،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة،ص44.

(17) الحديدي، علي، في أدب الأطفال، xxx، ص123.

(*) أدولف أبيا (1862–1928) مخرج ومصمم سينوغرافي سويسري من أصل ألماني واحد رواد المسرح الحديث. ينظر :فرانك.م،هوايتنك،المدخل إلى الفنون المسرحية،تر كامل يوسف وآخرون،القاهرة(مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر)،.ص327.

(18) علي، محمد حامد ، الإضاءة المسرحية، مطبعة بغداد، ط1، ص43.

(19) الياس، ماري، حنان القصاب،المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات،المسرح وفنون العرض، مكتبة لبنان، ص217.

(20) عبد المعطي، د.عثمان، عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي، (الهيئة المصـــرية العامة للكتاب،1996، ص165.

(21) الياس، ماري،حنان قصاب، مصدر سابق، ص490.

(22) المصدر نفسه، ص490.

(23) عبد المعطي، د.عثمان، مصدر سابق، ص188.

(24) الياس ، ماري، حنان قصاب، مصدر سابق، ص57.

(25) ينظر: علي كاظم التكمجي، حسين، وسائل المخرج في صياغة العرض المسـرحي لتعزيـز الاسـتجابة لـدى المتفـرج، اطروحـة دكتـوراه غيـر منشورة:(جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة - قسم الفنـــون المسرحية)، 2002، ص 59.

(*) اصفر، فصيح جرجيس:عناصر السينوغرافيا في العرض المسرحي، أطروحة دكتوراه ،غير منشورة،بغداد: (جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة-قسم الفنون المسرحية)،1997.

جبار، جبار جودي ، جماليات السينوغرافيا في العرض المسرحي، رسالة ماجستير ، غير منشورة ،بغداد: (جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة- قسم الفنون المسرحية)،2008.

حسين ، فلاح كاظم ، عناصر سينوغرافيا العرض المسرحي ، (مجلة الأكاديمي - ع56) ، بغداد : (جامعة بغداد - أكاديمية الفنون الجميلة)، 2010.

(*) مسرحية (النبتسم) تأليف مهند مختار وإخراج بكر نايف وإنتاج محترف بغداد بالتعاون مع الفرقة القومية للتمثيل، سينوغرافيا العرض علي محمود السوداني وتمثيل مهند مختار،ألاء نجم،بكر نايف،زينب فؤاد،بهاء خيون ،تم عرض المسرحة في العديد من المهرجانات المسرحية الخاصة بمسرح الطفل في العراق و عدد من البلدان العربية وحازت على العديد من الجوائز في التأليف والإخراج والسينوغرافيا.

المصادر والمراجع

أولا : الكتب والمجلات

1- الجبوري ، محمد : الفضاء المسرحي السينوغرافي ومهمة تشكيل خشبة المسرح في العراق ، بغداد : (مجلة الأكاديمي ، العدد 46) ، بغداد : (أكاديمية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد) ، 2005.

2- الحديدي،علي،في أدب الأطفال،xxx.

3- ألكعبي،فاضل عباس،المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الطفل،بغداد:(دار الشؤون الثقافية العامة)،مطابع دار الشؤون الثقافية العامة،1990.

4- الهيتي،هادي نعمان،أدب الأطفال- فلسفته-فنونه-وسائطه،بغداد(وزارة الثقافة والإعلام)،دار الحرية للطباعة،1977.

5- الياس،ماري،حنان القصاب،المعجم المسرحي،مفاهيم ومصطلحات،المسرح وفنون العرض،مكتبة لبنان.

6- سكري ،عبد الوهاب ،المكان المسرحي،ملتقى الفكر ،دار فلور للنشر والتوزيع،ط3،الإسكندرية،2002.

7- عايدابي،د.يوسف،نحو مسرح للطفل-(وقائع ملتقى علمي)،إصدارات دائرة الثقافة والإعلام،الشارقة.

8- عبد المعطي،د.عثمان،عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي،(الهيئة المصرية العامة للكتاب،1996.

9- عيد ، كمال : سينوغرافيا المسرح عبر العصور ، القاهرة : (الدار الثقافية للنشر) ، 1997.

10- علي،محمد حامد،الإضاءة المسرحية،مطبعة بغداد،ط1.

11- فون ، مارسيل فريد وآخرون : السينوغرافيا اليوم ، دراسات لمجموعة من المتخصصين ، تر حمادة إبراهيم وآخرون ، القاهرة : (وزارة الثقافة – مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي) ، 1993.

12- فون،مارسيل فريد،السينوغرافيا معالم على الطريق،ترجمة إبراهيم حمادة وآخرون،وزارة الثقافة،مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي،1992.

13- كامل حسين،تحية،مسرح العرائس،دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع،القاهرة،1960.

14- كولدبرغ،موسى،مسرح الطفل فلسفة ومنهج،تر صفاء روماني، دمشق :(منشورات وزارة الثقافة)،الجمهورية العربية السورية،1991.

15- وارد،وينفرد،مسرح الأطفال،ترجمة محمد شاهين الجوهري،مصر:(الدار المصرية للتأليف والترجمة)،1964.

ثانيا: الاطاريح

16- علي كاظم التكمجي، حسين، وسائل المخرج في صياغة العرض المسرحي لتعزيز الاستجابة لدى المتفرج، اطروحة دكتوراه غير منشورة:(جامعة بغداد– كلية الفنون الجميلة – قسم الفنون المسرحية)، 2002.

17- السالم ، مصطفى تركي، الإلقاء في مسرح الطفل– بناء نظام مقترح،اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد–كلية الفنون الجميلة–قسم الفنون المسرحية)،1996.

الملحق







THE ROLE OF SCEOGRAPY IN CHIlD THEATRE (LINABTASIM)PLAY AS AMODEL

By
ZAID SALIM SULAIMAN

Abstract

In the present research, a clear planning has been adopted. From the beginning, a methodological gateway has been put through which we try to systematically define the concept of Scenography to limit the term of this concept within the real and sometimes conflicting concepts converged at other times. As we tackle in this research the importance of Scenography at the scene of the child as a subject dealing with the field of optical sights and criss-crossed by several elements of lighting and decorations,music,sound effects and costumes in order to make a presentation in front of viewers and to create the right atmosphere for the show to reach the play at the technical level required.

Embedded and Coordinated Finite and non-finite Clauses in English as a Foreign Language

Ali Hassan Mohammed Aljumaily
College of Arts /Tikrit University.

1. Abstract

The element of the verb which changes is termed " finite" and the other elements of the verb phrase are non-finite as in the following examples :

1. she is writing now .
2 . I am writing now .

So .*is* and *am* are finite ; whereas the next element ,'writing' is non-finite The Study aims at clarifying the sentence that includes more than one clause to make a clear distinction between the two concepts and their function . The hypothesis is to enable the learner to produce very long sentences (finite if he has the ability and energy) ,and he had never heard before by giving sentences that include more than one clause. In conclusion, this study discusses sentences that contain more than one lexical verb . These are of two types , embedded and coordinated . The main clause always has to be finite ,but an embedded clause can be finite or non-finite.

2. Introduction

A verb phrase which contains a finite element is termed finite verb phrase , and a verb phrase which does not contain a finite element is termed non-finite verb phrase (Thakur,2010:73). This study gives examples of sentences that have contain more than one lexical verb , which means that they are composed of more than one clause . Sentences that are part of another; i.e. that have a function in that sentences , are often

referred to as embedded clauses, where the embedded is seen as subordinate to the other . Embedded clauses function inside another clause as subject , direct or phrasal object , subject predicate, or adverbial . On the other hand, embedded clauses do not function as indirect objects or as objects of prepositional objects . They do not function as object predicates either . Coordinated clauses have no function in another clause ,they are on equal footing, i.e. this means that you could even make them into two independent clauses inside NP or Adj P, clauses function as modifiers (e.g. relative clauses) or complement (e.g. noun complement) . Sentences that are part of another sentences , are often referred to as embedded clauses , where the embedded clause is seen as subordinate to the other.

3.Finite Sentences and Clauses

The sentences that have one lexical verb and one or more auxiliaries are simple sentences .This research paper gives examples of sentences that include more than one lexical verb , which means that they are composed of more than one clause. A simple clause contains one lexical verb . Hence , if there are two lexical verbs , there are two clauses , in(1) below the lexical verbs are *noticed* ,and *like* and hence , there are two clauses: the main clause (*I should have noticed that Linda does n't like Hilda*) and the embedded one (*Linda doesn't like Hilda)*. This can be indicated by means of brackets :

(1) [I should have **noticed**] that Linda doesn't **like** Hilda]].

In determining the clauses in a text , it will be helpful to first identify the lexical verbs and then to draw the brackets around the clauses .

The embedded clause in (1) is part of the main clause . We could split it up into two clauses , as in (2) , but that is awkward :

(2) I should have noticed it .Linda doesn't like Hilda .

Auxiliaries , such as *should* and *does* in (1) and (2) , are not relevant for determining the number of clauses or sentences ; only lexical verbs are .

In a coordinated sentence , there are also two lexical verbs (or more , if more clauses are coordinated or if one of them contains an embedded clause) but they are joined by a coordinator .Thus in (3), we have the main verbs *arrived* and drank and the coordinator *and*:

(3) [the water **arrived**] and [they **drank**] .

As we'll see , it is easier to divide (3) into two separate clauses than (1) and that is because coordinated clauses have a looser connection . Some linguists call the larger sentence in (1) the sentence or main clause and the smaller sentence the embedded sentence ,dependent or subordinate clause . In (1) both clauses have a VP containing a finite verb i.e. *should* and *does* (remember auxiliaries can be finite) , but embedded sentences can be non- finite as well. (Gelederen , 2010 :134) .

3.1 Functions of Clauses

Embedded clauses function inside another clause as subject , direct or phrasal object, subject predicate or adverbial .For instance , in (1) above , the embedded clause functions as direct object ; in (4) below, it is a subject ; in (5) ,a subject predicate ; in (6) a phrasal object; in (7) , an adverbial . The embedded clauses are indicated by means of brackets here :

(4) [That he answered] was nice . (embedded subject)

(5) The problem is [that he reads junk]. (embedded subject predicate)

(6) He figured out [that it didn't work]. (embedded phrasal object)

(7) She paid money [because it was required] (embedded adverbial)

Embedded clauses do not function as direct objects or as objects of prepositional objects . They do not function as object predicates either . Inside an NP or AdjP , clauses function as modifiers (e.g. relative clauses) or complements (e.g. noun complements) .

(8) The student [from Iraq] has black hair . (modification by pp) .

(9) The student [who is from Iraq] has black hair . (modification by RC).

Coordinated clauses have no function in another clause . They are on equal footing, most argue, with each other . In (3) ,this means that you could even make them into two independent clauses , as in (10) below , and although that sounds very 'choppy' ,it is better than (2) :

(10) The water arrived . They drank . (Gelederen ,2010:134)

3.2 Immediate Constituents

Sentences are not merely strings of words in an acceptable order and 'making sense ' ; they are structured into successive components, consisting of groups of words ,contigous or discontiguous , and of single words . These groups and single words are called **constituents** , and when they are considered as part of the successive unraveling of a sentence , they are known as its **immediate constituents .** Immediate constituent analysis is basic to syntax and it formalizes part of the means whereby native speakers form and understand longer sentences (Robins1980 :175) .

Endocentric groups are either **subordinative** or **coordinative** according to whether they are syntactically comparable to only one word or smaller component group within them, or to more than one .Thus *men and women* (noun conjunction noun) is coordinative , since it could be replaced by

either *men* or *women* ,and *men* and *women* are coordinate ; but *clever boys*(adjective noun) is subordinate , since it could be replaced by *boys* ,but not in all syntactic relations by *clever* (ibid).

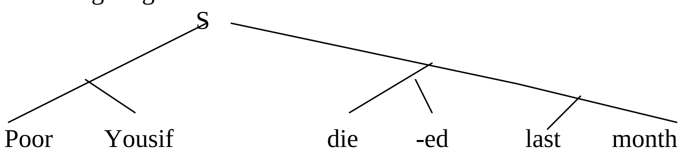
Bloomfield and the other proponents of IC analysis emphasized the fact that the grammatical structure of a sentence cannot be understood if that sentence is viewed as a mechanical togetherness of a number of words ,each of them having the same grammatical relationship with the sentence as a whole . A sentence is a hierarch organization of layered structures and the structure of each layer needs to be understood in terms of its immediate constituents . In other words , IC analysis was a reaction against " the notion , often unstated, that we need only examine words… as isolated units , longer utterances being simply mechanical combinations of the smaller units " (Hockett 1958:148). The structure of the following sentences illustrates this point .

Poor Yousif died last month .

It would be naïve to say that each of the five words in this sentence has the same relationship with the sentence as a whole and that the structure of this sentence can be grammatically represented as follows:

(Poor)+(Yousif)+(died)+(last)+(month) .

The IC analysis of this sentence will be in the form of the following diagram .

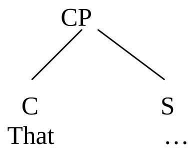


3.3 The Structure of the Embedded Clause : The Complementizer Phrase (CP)

The *structure* of phrases and sentences means the way in which words are combined together to form phrases and sentences . The simplest way of forming a phrase is by **merging** (a technical term meaning ' combining') two words together. (Radford ,1999:61)

As mentioned, embedded sentences have complementizers that connect the embedded clause to another clause . These complementizers are sisters to S and a sentence with a complementizer is a Complementizer , Phrase , abbreviated as CP . The CP, as in (11) below, expresses that there is a sentence S that can be independent , occur on its own but , when it functions in another sentence , it is glued to that sentence by the C. The C determiners the nature of the phrase above the C and S , namely the CP :

(11)

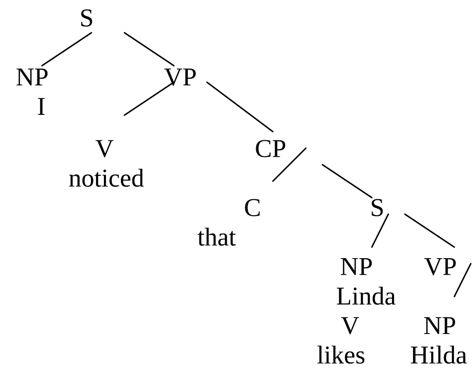


Unlike the S , CP cannot appear on its own , since a sentence as (12) is a fragment :

(12) That he went to the supermarket .

Using CP , C ,and S , a sentence such as (1) , has a structure as in (13) below , simplifying (1) by taking the auxiliaries out :

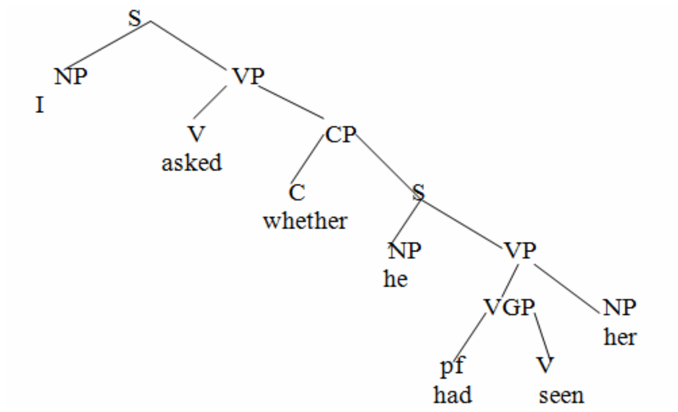
(13)



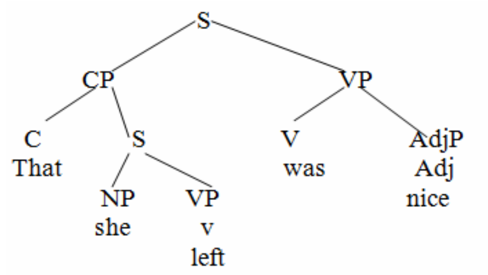
Using a CP makes it possible to include the complementizer in the sentence and link the embedded S to the main S. In (13) , the embedded CP is the sister to *noticed* , which means that it functions as the direct object to *noticed*.

There are also embedded clauses that express questions .In these ,the C position can be occupied by *if* or by *whether* as in (14) .The CP here ,as in (13) . functions as a direct object:

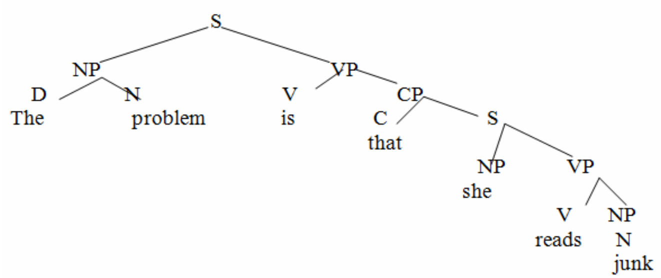
(14)



Trees for a CP as subject and a subject predicate clause are given in (15) and (16) respectively :
(15)

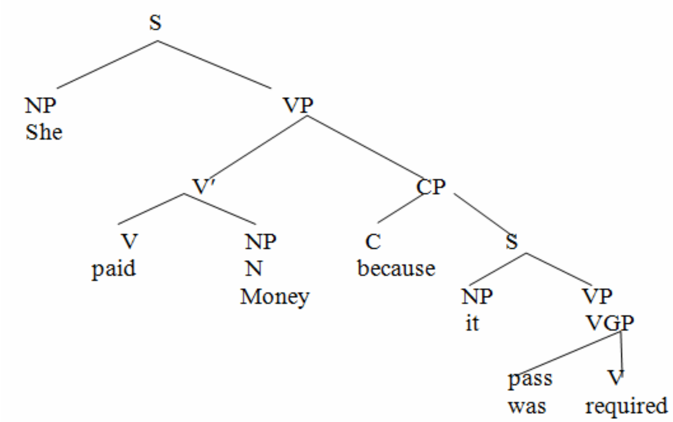


(16)



Other examples of complementizers are because, *before, after*, *unless*, and *since* .These particular complementizers are often used to introduce adverbial clauses . An example of an embedded adverbial is given in (17) :

(17)



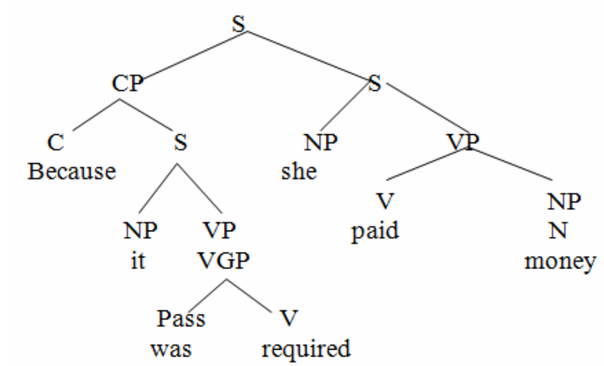
The position of clauses functioning as adverbials , like that of non-clausal adverbials ,is very flexible . For instance , in a

sentence such as (17) , the *because*- clause can also precede *she paid money* ,as in(18):

(18) Because it was required ,she paid money .

The tree structure for this is as in a sentence with an S-adverbial namely, as in (19). However , other trees are possible:

(19)



(Gelderen, 2010 : 135-138)

3.4 Coordinate Sentences : The Coordinate Phrase (CP)

Noun phrases and prepositional phrases frequently have a very complex structure and can contain several layers of embedding and phrases can be expanded by **coordination**. The grammatical roles of finite dependent clauses are many and varied. It is not always clear to what extent clauses should be regarded as independent or as part of other structure . A **finite** dependent clause contains a verb phrase which is marked for tense or modality (Quirk , 1999 :193) As in the case of coordinate phrase discussed in (3.2) ,it is similar to represent coordinate sentences . As far as sentence (3) is concerned ; it is similar to (20) in that there is a connection between the two

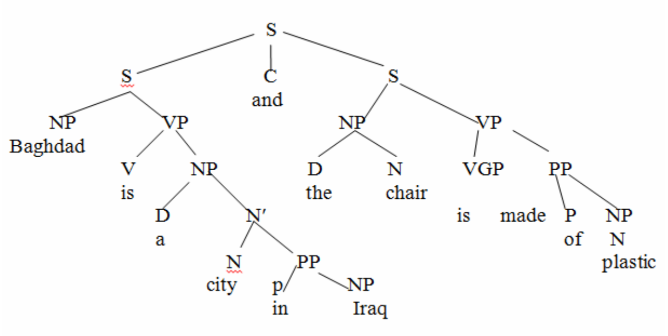
clauses .In (21), on the other hand , the two clauses have no causal relationship

(20) [The water arrived] and [they drank].

(21) [Mosul is a city in Iraq]and [the chair is made of plastic].

Sentences that are more closely connected have coordinator *and* that really means 'and then'. Then , the second clause is subordinate to the first and the structure of (20) would be similar to the adverbial clause in (17) above . In (21) , neither clause is subordinate to the other .This could be represented as follows :

(22)



(Gelderen, 2010 :138)

4. Non- Finite Clauses

Non-finite clauses are regularly dependent .They are more compact and less explicit than finite clauses: they are not marked for tense and modality ,and they frequently lack an explicit subject and subordinate(Quirk , 1999 :198). Non-finite clauses contain only non-finite verbs and they can only function as parts of another sentence ; they are considered well-formed sentences on their own in formal writing but are seen as sentence fragments

. Since they are complete sentences , they cannot be coordinated unless that coordinated structure is itself embedded . There are three kinds of non-finite clauses , namely those whose verb groups contain infinitives ,or present participles ,or past participles . In infinitives **,** there are two lexical verbs as in (1) below , *expected* and *go* . This means there are two clauses . The non-finite clause *him to go* is the object of *expected* . This non-finite clause can of course be rephrased by means of a finite clause ,as in (2) :

(1) [She expected [him **to go**]].

(2) [She expected [that he would go]].

The infinitive implies something uncertain or something that will happen in the future perhaps .The corresponding main clause therefore has a modal *would* , expressing a similar uncertainty . There are two types of infinitives one with *to* as in (1), and a bare one ,without *to* as in (3) .

The bare infinitive lacks the uncertainty :

(3) She made [him leave] .
The bare infinitive in (3) occurs only as the object after verbs such as *make* ,*see, hear* ,and *feel* . The to- infinitive is much more frequent . It occurs as object to many verbs ,as subject , subject predicate ,and adverbial . There are two other kinds of non-finite Verb groups , usually referred to as participles . They involve the present participle ending in *-ing* ,as in (4) below, and the past participle ending in –ed or –en , as in (5) :

(4) [**walking** down the street] , she was bothered by the traffic jam .

(5) [**Kidnapped** last night] , she is in Central Area right now . The word *kidnapped* is a regular past participle because it ends in *–ed* . However , past participle , like simple past tenses , can have irregular endings . The participle clause in (4) can have while as a complementizer . Another characteristics of non- finites is that the subject is not

nominative . Thus , (6) and (7) are grammatical with the subject of the infinitive as *him* , i.e. accusative . Sentences (8) with a nominative *he* as subject of the non-finite is not :

(6) She wants [him to go].

(7) She heard [him playing a song].

* (8) She wants he to go .

(ibid)

4.1 The functions of Non-Finites

The functions of non-finite clauses are similar to those of finite ones . They function as sentence level as subject in (9) , direct object in (10) , adverbial in (11) ,and subject predicate in (12):

(9) [Eating banana] is a pleasant thing .

(10) I love [eating banana].

(11) They went there [to eat fry fish and potatoes].

(12) The problem is [to decide on what to eat].

The present participle clause ,as in (9) and (10),and the *to*-infinitive clause, as in (11) and (12) ,are the most versatile in function .

4.2 The Structure : CP

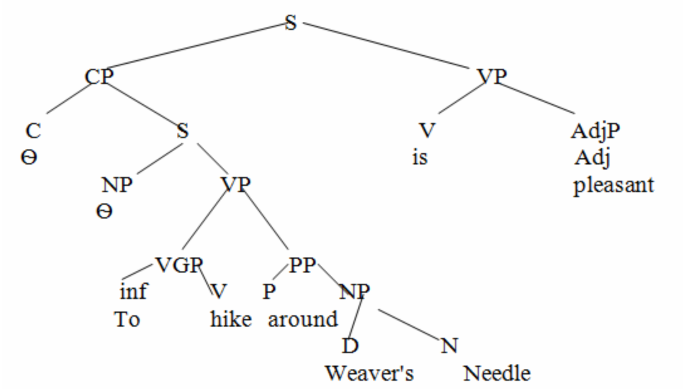
An empty complementizer can be represented by C position to be filled by *for* in a number of cases, e.g. in (13) . Using the C position , even if it is empty , because it shows that the non-finite clause is embedded :

(13) I want [**for** you to do your homework] .

Non –finite clauses need not include a subject . The subject may be understood ,as in (14). Since the subject is understood. So , a subject position will be added with an empty subject , as in (15) , as well as an empty C since there is no complementizer :

(14) To hike around Weaver's needle is pleasant .

(15)



The subject and complementizer could be added in (15) and the reason behind that it is pleasant for **someone** to walk around Weaver's Needle , the tree expresses that there is a subject even if this subject is left out. (Geldern,2010: 135-140)

4.3 Coordinating non-finites

Non-finite clauses can be coordinated as in (16) . The coordinated non-finite clauses *gossiping about Hilda* and *chewing gum* function as subject to the verb *is*. (Note that speakers differ as to whether the verb is *is* or *are*) :

(16) [[Gossiping about Hilda] and [chewing gum]] is hard to do at the same time.

(17) She could not think of [[Emma losing a single pleasure] or [suffering an hour's ennui]].

(18) But Emma, in her own mind ,determined that he did not know what he was talking about, and that he showed a very amiable inclination [[to settle early in life],and [to marry]]. (adapted from Jane Austen's *Emma*) .

(Gelederen,2010:155)

5. Contrastive study of Finite and Non-finite verbs

From another point of view , verbs can be divided into two subclasses : finite and non-finite . The difference between these two subclasses of verbs can be described as follows :

(a) Finite verbs are marked for tense but non-finite verbs are not . In accordance with this criterion , we can say that the verb in the main clause of each of the following sentences is a finite verb but the verbs in the subordinate clauses , i.e., the verbs italicized in these sentences, are all non-finite verbs .

She helps me *to learn* English every day .

She helped me *to learn* English yesterday .

He makes me *do* that every day.

He made me *do* that yesterday .

(b) Finite verbs show number and person concord with the subject but non-finite verbs show no such concord with the subject .

She *goes* home every day .

I want *her to* go home every day .

The verb italicized in the first example is a finite verb because it shows number and person concord with the subject but the verb italicized in the second sentence is a non-finite verb because it shows no such concord .

If we apply these two criteria together , we can say that *is, am, ,are, was* and *were* are the finite forms of the verb *be,* and *to be, been* and *being* are non-finite forms . It may be pointed out here that the first of these two criteria for making a distinction between finite and non-finite verbs is more important than the second in the sense that all finite verbs in English satisfy this criterion . A large number of finite verbs satisfy the second criterion as well , but this is by no means an obligatory criterion . Modal auxiliaries , for example , do not show number and person

concord with the subject but they are indisputably assigned to the class of finite verbs (Thakur, 2002 :73-74) .

6. Conclusions

The terms clause and sentence are used interchangeably. Grammar has existed for thousands of years and hence there are many terms that have come to be used . In conclusion , a main clause always has to be finite but that an embedded clause can be finite or non-finite .Sentences that contain more than one lexical verb are of two kinds ,embedded and coordinated .Embedded clauses are part of another clause and function as subject, direct object , or adverbial in that clause . Coordinate sentences are like independent sentences but are combined with a coordinator ,such as *and.* Two possible cases of structure ,one when the two clauses are dependent on each other and another when that's not the case . On the other hand, the function and structure of non-finite clauses is quite similar to that of finite clauses, they differ from it only in that the coplementizer often does not appear and the subject can be absent .

References

Aziz , A. (1989) A Contrastive Grammar of English and Arabic , Mosul : Mosul University Press.

Eckersley , C. E. and J. M. Eckersley (1960) A Comprehensive English Grammar , Hong Kong : Common Wealth Printing Press Ltd .

Farah , A. & et. al (1971) The Dictionary , Arabic- English , English- Arabic , Lebanon : Beirut- Research& Studies Center .

Gelderern ,E. (2010) An Introduction to the Grammar of English ,USA : John Benjamins Company.

Hockett, C. F. (1958)A Course in Modern Linguistics. New York : Macmillan .

Hornby ,A S (2006) Oxford Advanced Learner's Dictionary , Oxford: University Press.

Quirk R. et al. (1999) Longman Grammar of Spoken and Written English. London : University College .

Quirk, R (1989) Longman Dictionary of contemporary English ,(new Edition),Great Britain: Richard Clay Ltd.

Robins ,R. H. (1980) General Linguistics. , An Introductory Survey(3rd Edition) , Singapore: Ban Wah Press .

Radford , A. (1999) Syntax , A Minimalist Introduction , Cambridge : Cambridge University Press.

Thakur , D. (2010) Syntax , India : Bharati Bhawan.

William S. and E.B While (1999) The Elements of style (4th Ed) .USA: A Pearson Education Company .

الأحكام الخاصة باليتيم في الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي

أ . م . د . عيسى صالح خلف
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يليق بجلاله ومقامه ، لا نحصي ثناء عليه إلا كما هو أثنى على ذاته , والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد :

فهذا هو البحث الثاني من سلسلة الأحكام الخاصة باليتيم ، فقد بينا في البحث الأول :(حكم قيام الوصي على اليتيم وأثره في الزكاة وزكاة الفطر والأضحية والعقيقة في الفقه الإسلامي) معنى اليتيم في اللغة ، والاصطلاح ، والأحكام التي تتعلق بالوصي ، وكذلك فضل الإحسان إلى اليتيم ، والأحكام الخاصة به في الزكاة ، وزكاة الفطر ، والأضحية ، والعقيقة ، أما هذا البحث فقد جاء تحت عنوان موسوم (الأحكام الخاصة باليتيم في الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي) وجاء مقسماَ إلى مقدمة ، وثلاثة أقسام وخاتمة ، القسم الأول : حكم تزويج اليتيم واليتيمة ، أما القسم الثاني : حكم نفقة اليتيم والشهادة عليها ، وحكم رجوع المنفق بما انفق ، وحكم خلط نفقة اليتيم مع نفقة الوصي ، والقسم الثالث : وقت بلوغ اليتيم واليتيمة ، وحكم دفع المال لليتيم قبل البلوغ والرشد ، أما الخاتمة فلخصت فيها أهم النتائج التي توصلت

إليها من خلال البحث ، سائلاً الباري جل وعلا أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وان ينفع به المسلمين انه سميع الدعاء .

القسم الأول : **حكم تزويج اليتيم واليتيمة**

لا خلاف بين الفقهاء في حكم تزويج اليتيم واليتيمة إن كان في ذلك مصلحة لـه ، إلا إنهم اختلفوا في حكم تزويجهما من قبل الوصـي إن كانـا صـغيرين ، أو لم يكونا بحاجة إلى الزواج ، نبين هذا الخلاف وما يتعلق به بالفرعين الآتين :

1 ـ حكم تزويج اليتيم

اختلف الفقهاء في حكم تزويج اليتيم من قبل الوصـي ، فذهب بعضـهم إلى المنع مطلقاً ، وأجازه البعض الآخر بالقرابـة ، أو بالسبب العام للولايـة ، وقيد آخرون الجواز بخيفة الفساد ، وعلى تفصيل الآراء الآتية :

الـرأي الأول : لـيس للوصـي مـن حيـث هـو وصـي أن يـزوج اليتـيم ، سـواءً أوصـى إليه الأب بالزواج أو لم يوص ، إلا إذا كان قريباً أو حاكماً ، وفي ذلك خير لليتيم ، ذهب إلى هذا الحنفية [1] .

وحجتهم في ذلك:

1. قوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاَللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] ، فإن ثبت كون التزويج إصلاحاً فظاهر الآية يقتضي جوازه[3] ، لأن الوصي بالوصاية نفسها لا يستحق التزويج لليتيم [4] .
2. والدليل على صحة التزويج من قبل القريب ، والحاكم ما روي عنه (ﷺ) انه قال : (النكاح إلى العصبات)[5], وهذا ينفي ولاية السلطان عند وجود العصبات [6], أما جوازه للسلطان فمن باب الولاية العامة[7] .

الرأي الثاني : إذا كان اليتيم على حال صغره فلا يجوز لوصيه أن يزوجه ، إلا إذا كان به إلى النساء حاجة ، لما يرى من فورته عليهن وميله إليهن ، ولا يزيده على واحدة ، ولا يزوجه إلا بمن اختارها من أكفائه ، ولا يزيد على مهر مثله ، ذهب إلى هذا الشافعية [8] .

وحجتهم في ذلك :

إن في تزويجه مصلحة له وتحصين فرجه عن الوقوع في المحظور[9].

الرأي الثالث : للوصي أن يزوجه في صغره ، ذهب إلى هذا الإمام مالك [10] , والإمام احمد إلا أن الإمام احمد قال :(لـه خيار الفسخ عند البلوغ) [11]. وهو المروي عن أبي ثور[12] .

وحجتهم في ذلك:

1. ما روي عن أبي موسى (ﷺ) انه سمع النبي (ﷺ) يقول: (تستأمر اليتيمة في نفسها فإن سكتت فهو رضاها وإن كرهت فلا كره عليها)[13] .
2. أن اليتيم لما كان قادراً على رفع العقد الذي يوقعه الولي إن كرهه بعد بلوغه جاز ذلك لقدرته على الخروج منه[14].

وردَّ علـى هـذا بقـولهم : (وهـذا فاسـد ، لأن الوصـي لمـا منـع مـن تـزويج الصغيرة ، وإن كان للأب تزويجها مع ما فيه من اكتساب المهر كان أولى أن يمنع من تزويج الصغير ، وإن كان للأب تزويجه لما فيه من التزام المهر، ولأن الموصي ممنـوع أن يخـرج مـن مـال الصـغير مـا لا حاجـة بـه إليـه وهـو غيـر محتـاج إلـى النكاح)[15] .

الرأي الراجح والله تعالى اعلم هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول القائلون : إذا كان اليتيم على حال صغره فلا يجوز لوصيه أن يزوجه ، إلا أن يكون به إلى النساء حاجةً لما يرى من فورته عليهن وميله إليهن زوجه الوصي ، لان الولي إن لم

يكن أباً ولا جداً فقد يكون ناقص الشفقة لذلك القول بعدم صحة تزويجه أولى ، أما أن كان الصغير بحاجة إلى الزواج فتزويجه بكل حال من الأحوال أولى من انحرافه ، وصدور الخطأ منه ، وان لا يتجاوز مهر زوجته مهر مثلها ، لان الوصي مأمور بالاحتياط بأموال اليتامى .

2ـ تزويج اليتيمة

وكذلك حصل خلاف بين الفقهاء في حكم تزويج اليتيمة ، نبينه وما يتعلق به حسب ترتيب الآراء الآتية :

الرأي الأول : لكل ولي تزويج اليتيمة ولها الخيار عند البلوغ , ذهب إلى هذا الحنابلة في الرواية الأولى[16] , والزيدية[17] , والأباضية[18] .

وحجتهم في ذلك :

1. قوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾[19] ، وقوله ﷻ : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾[20]. ظاهر هاتين الآيتين جواز تزويج اليتيمة بشرط القسط لها ، بالعدل ، والوفاء في مهرها ، وسائر حقوقها المترتبة على الزواج منها .
2. ما روي عن أبي موسى (ﷺ) انه سمع النبي (ﷺ) يقول : (تستأمر اليتيمة في نفسها فإن سكتت فهو رضاها وإن كرهت فلا كره عليها) ، دل الحديث الشريف على إن لليتيمة إذناً صحيحةً ، إن كانت أهلاً للزواج وتحتاج إليه فأشبهت البالغة[21] .

وردَّ الحنفية على هذا بقولهم : (إن المراد من ((اليتيمة)) في الحديث الشريف البالغة ، واستعمل لفظ اليتيمة مجازاً باعتبار ما كان والتي تستأمر هي البالغة)[22] .

3. إن غير الأب يكون قاصر الشفقة ، فلا يلي نكاح الصغيرة كالأجنبي ، وغير الجد لا يلي مالها فلا يستبد بنكاحها كالأجنبي ، ولأن الجد يلي بولاية غيره فأشبه سائر العصبات ، وفارق الأب فإنه يدلي بغير واسطة ويسقط الإخوة والجد[23] .

الرأي الثاني : ليس للوصي مع اليتيمة أمر ، ويجوز ذلك للقاضي ، ذهب إلى هذا الحنفية في ظاهر الرواية وقالوا : (يثبت لها الخيار) ، وفي غير ظاهر الرواية لا يثبت لها الخيار[24] , والشافعية[25] , والإمام احمد في رواية[26] ، وهذا قريب لما ذهب إليه ابن حزم الظاهري من القول بعدم تزويج اليتيمة مطلقاً من قبل الوصي[27] .

وهو المروي عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وأبي هريرة (رضوان الله عليهم أجمعين) وأبي عبيد ، و الثوري[28] .

وحجتهم في ذلك :

1ـ ما روي عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) انه قال : (لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر ، ولا تنكح الثيب حتى تستأذن ، قيل : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : تسكت)[29] .

2. ما روي عن ابن عمر (ﷺ) أنه تزوج بنت خاله عثمان بن مظعون ، قال : فذهبت أمها إلى رسول الله (ﷺ) فقالت : إن ابنتي تكره ذلك ، فأمره النبي (ﷺ) أن يفارقها ففارقها وقال : (لا تنكحوا اليتامى حتى تستأمروهن فإذا سكتت فهو إذنها) ، فتزوجها بعده عبد الله بن المغيرة بن شعبة[30] ، فقد بين النبي (ﷺ) إن اليتيمة

لا تنكح إلا بإذنها فرد نكاحه مع كونه وصياً ، من غير أن يستبرئ حال صغرها وكبرها ، ولا هل عين الأب الزوج أم لا ، فدل على إن النكاح لا يجوز للوصي ، لأنه لا ولاية له في تزويج اليتيم[31] .

3. أن الوصي مهما كان هو قاصر الشفقة عليها ، ولقصور الشفقة لا تثبت ولايته في المال ، وحاجتها إلى التصرف في المال في الصغر أكثر من حاجتها إلى التصرف في النفس ، فإذا لم يثبت للولي ولاية التصرف في مالها مع الحاجة إلى ذلك ، فلأن لا يثبت له ولاية التصرف في نفسها كان أولى[32] .

4. (وأما القاضي إذا كان هو الذي زوج اليتيمة ففي ظاهر الرواية يثبت لها الخيار ، لأنه قال ولهما الخيار في نكاح غير الأب والجد إذا أدركا ، وروى خالد بن صبيح المروزي عن أبي حنيفة أنه لا يثبت الخيار ، وجه تلك الرواية إن للقاضي ولاية تامة تثبت في المال والنفس جميعاً ، فتكون ولايته في القوة كولاية الأب ، ووجه ظاهر الرواية إن ولاية القاضي متأخرة عن ولاية العم والأخ ، فإذا ثبت الخيار في تزويج الأخ والعم ففي تزويج القاضي أولى ، وهذا لأن شفقة القاضي إنما تكون لحق الدين)[33] .

الرأي الثالث : لا يجوز تزويج اليتيمة المميزة لمصالحها الكارهة لهذا الزواج من قبل الوصي ، ذهب إلى هذا المالكية[34] ، وهذا أيضاً مروي عن الإمام احمد في احد أقواله[35] .

وحجتهم في ذلك :

1. ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) قال : (أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها ، وإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له)[36] ، فقد اثبت(ﷺ) حق التزويج للولي دون الوصي أو غيره .

2 . و روي أن قدامة بن مظعون زوج ابنة أخيه من عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) فرفع ذلك إلى النبي (ﷺ) فقال : (هي يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها فانتزعت مني ، والله بعد أن ملكتها فزوجوها المغيرة بن شعبة)[37] .

فإن زوجت من غير حاجة فقد اختلف فقهاء المالكية في حكم عقد الزواج على النحو الآتي :

روي عن الإمام مالك : (يكره فإذا وقع لم يفسخ) .

وقال ابن حبيب : (يفسخ ولو ولدت الأولاد ورضيت لعدم الشرط).

وقال ابن القاسم : (لا يفسخ) لقوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ألا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ من النِّسَاءِ ﴾[38] , معناه ألا تعدلوا في تزويجهن وهو دليل جواز العقد عليهم قبل البلوغ ، لأن من بلغ لا يقال له يتيم .

وقال أصبغ : يفسخ بعد الدخول ، إلا أن يطول وتلد الأولاد ، بخلاف الولد الواحد ،والسنتين وهل تخير إذا بلغت ما لم يطل الأمر بعد الدخول لأنه حق لها ، وفي رواية أخرى عنه إن شارفت الحيض لا يفسخ .

الرأي الراجح والله تعالى اعلم هو ما ذهب إليه القائلون : لكل ولي تزويج اليتيمة ولها الخيار عند البلوغ لقوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ألا تُقْسِطُوا في الْيَتَامَى فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ من النِّسَاءِ ﴾[39] ، فظاهر الآية يقتضي بجواز تزويج اليتيمة إذا أعطيت حقوقها وافية ، وما قاله كثير من العلماء من أن اليتيمة لا تزوج حتى تبلغ ، محتجين بأن قوله ﷻ : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾[40] ، اسم ينطلق على الكبار دون الصغار ، فهو مخالف لقوله ﷻ : ﴿ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ ﴾[41] ، وهذا الاسم أيضاً قد يطلق على الصغار ، كما في قوله ﷻ :﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾[42] , وهن إذ ذاك رضيعات فالظاهر المتبادر من الآية جواز نكاح اليتيمة مع الإقساط في الصداق ، وغيره من الحقوق , ودلت السنة على أنها لا تجبر ، فلا تزوج إلا برضاها[43].

القسم الثاني : الأحكام المتعلقة بنفقة اليتيم

1 ـ حكم نفقة اليتيم الفقير

إن كان لليتيم مال فعلى الوصي الإنفاق عليه من ماله بالمعروف ، لا على وجه الإسراف ولا التضييق[44] ، وإن لم يكن له مال ولا أقارب فنفقته في بيت المال ، لأنه معد للصرف على ذوي الحاجات والمعدمين , ولأن ميراثه يؤول إلى بيت المال عند عدم وجود وارث له[45] ، عملا بالقاعدة الفقهية (الخراج بالضمان) ، وإن لم يكن له مال فنفقته على قرابته ،إلا أن الفقهاء اختلفوا في الذي تجب عليه النفقة من أقاربه على ثلاثة آراء :

الرأي الأول : نفقة اليتيم تكون واجبة على من كان وارثاً له , ذهب إلى هذا الحنفية (وفي رواية أخرى لا تجب على الجد المعسر)[46] , والإمام الشافعي[47] , والحنابلة[48] , وابن حزم الظاهري[49] .

وهو المروي عن عبد الله بن عباس ، و زيد بن ثابت (رضي الله عنهما)[50].

وحجتهم في ذلك:

1ـ قوله ﷻ : ﴿ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذلك ﴾[51] , فبينت الآية إن بين المتوارثين قرابة تقتضي كون الوارث أحق بمال المورث من سائر الناس ، فيجب أن يختص بوجوب صلته بالنفقة دونهم ، والنفقة بعد هذا وذاك من باب الصلة والمواساة بين الأقارب[52] .

2ـ ودليهم في عدم وجوبها على الجد المعسر قولهم : (إن الصغير لا يصير مسلماً بإسلام جده[53]) ، على عكس إسلام الأب.

الرأي الثاني : لا نفقة على أحد إلا الأب خاصة ، ولا تجب على الجد وعلى ابن الابن للجد ، وتجب على الابن للأب ذهب إلى هذا الإمام مالك [54] .

وحجته في ذلك:

1 . قوله ﷻ : ﴿ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذلك ﴾[55] ، و قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [56] ، فلما وجب على الأب الإنفاق على من ترضع ولده ، وجب عليه النفقة على ولده ، إذا خرج من الرضاع ما دام صغيراً ، ووجب أن يغذى بالطعام كما كان يغذى بالرضاع ، ولم تجب النفقة على الوارث لما في تأويل الآية من الاختلاف ، وليس مجراهم في النظر مجرى الأب ، لأن الأب وجب عليه رضاع ولده حين ولد ، ولم يجب على غيره من ورثته ، فلا يرجع ذلك عليهم بعد أن لم يكن واجباً في الأصل إلا بحجة[57] . والذي يفهم من رأي الإمام مالك ، إن نفقة اليتيم إذا لم تكن واجبة على احد من الناس ، إلا إنها تكون واجبة في بيت المال ، وعلى ولي الأمر أن يأمر بها بحسب حاجة اليتيم ، لأنه يجب إعانة المضطر ببذل الطعام والشراب إليه ، إذا كان معصوماً ، مسلماً كان أو ذمياً ، أو معاهداً ،عند الإمام مالك فكيف باليتيم ؟ .

الرأي الثالث : وهو المروي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) أن نفقة اليتيم على العصبات ، لان الله تعالى أوجب النفقة على الأب دون الأم ، لأنه عصبة فوجب أن تختص بها العصبات بمنزلة العقل[58].

الرأي الراجح والله تعالى اعلم أن نفقة اليتيم الفقير تجب على ورثته وفقاً للقاعدة الفقهية المقررة (الغُرْم بالغنم) .

2 ـ حكم الشهادة لرجوع الوصي بما انفق على اليتيم الغني

إن كان لليتيم مالٌ وأنفق عليه وليّه ، أو وصيّه من ماله ، بقصد الرّجوع عليه ، وكذلك إن أنفق عليه من لا تجب عليه نفقته ، فهل يصح الرجوع دون أن يشهد الوصي ، أو المنفق بما انفق ؟ اختلف الفقهاء في حكم هذه المسألة على ثلاثة آراء:

الرأي الأول : إن أنفق شخص على يتيم ، وكانت النفقة غير واجبة على المنفق ، بقصد الرّجوع الرجوع عليه إذا أيسر اليتيم ، أو على من تلزمه النّفقة عليه ، فعليه أن يشهد حتّى يرجع بما انفق ، وذلك إن عجز عن استئذان من تجب عليه النّفقة ، أو الحاكم ، ذهب إلى هذا الحنفية[59], والشافعية في رواية[60], والإمام احمد في رواية[61]، ومحمد بن يحيى السبائي من المالكية [62] ، والأباضية [63].

وحجتهم في ذلك:

1. إن الحقوق المادية لا تثبت إلا بشهادة رجلين ممن تتوفر فيهما شروط الشهادة ، أو رجل وامرأتان ، لقوله ﷺ : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[64] ، أو بالشاهد واليمين ، بما روى سعيد بن عمرو بن شرحبيل ، عن جده ، أنه قال : (كتاب وجدته في كتب سعيد بن منصور أن عمارة بن حزم شهد أن النبي (ﷺ) قضى باليمين والشاهد)[65] .
2. . إن الأصل معروف له فلا ينتقل لغيره إلا بوجه صحيح ، وقد أمرنا الباري جل وعلا بالأشهاد عليهم إذا دفعنا لهم أموالهم بعد بلوغهم لقوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [66] , وكذا كل من بيده شيء ببيان فلا يخرجه إلا به[67].

الرأي الثاني : للوصي أن يرجع على اليتيم فيما أنفقه عليه بالمعروف ، أشهد على ذلك أو لم يشهد ، إذا قال : (إنما كنت أنفق عليه به على أن أرجع عليه في ماله) ذهب إلى هذا الإمام مالك[68] , والشافعية في الرواية الثانية[69].

ولا يصح الرجوع عند المالكية إلا إذا توفرت الشروط الآتية :

1 . أن يكون للصبي مال حين الإنفاق .

2 . وأن يكون قد علم به المنفق .

3 . أن يكون ماله غير عين .

4 . أن ينوي المنفق الرجوع بنفقته .

5 . أن يحلف على ذلك .

6 . وأن تكون النفقة في غير سرفٍ .

ولم أقف على دليل يستند إليه رأي الإمام مالك في كتب المالكية التي توفرت لدي ، إلا انه يمكن أن يستدل للإمام مالك بهذا الخصوص ، أن الوصي لو أراد أن ينفق على اليتيم وكلما انفق كثيراً أو قليلاً اشهد على ما انفق ، لوقع في حرج وضيق ، لذا اكتفي بيمين الوصي والله تعالى اعلم .

الرأي الثالث : يقبل قول الولي في إنفاقه بالمعروف من ماله على المولى عليه ، ما لم يعلم كذب الولي بأن كذب الحس دعواه ، أو تخالفه عادة وعرف ، فلا يقبل قوله حينئذ ، ذهب إلى هذا الحنابلة في الرواية الثانية[70]

وحجتهم في ذلك :

(لأنه إن ادعى نفقة وهي تخالف العادة والعرف بطلت دعواه بمخالفته ظاهر الحال)[71] .

الرأي الراجح والله اعلم إن من اشتراط الشهادة على الأنفاق ، إنما هو لأمر تنظيمي لإثبات حقوق الناس ، ولولي الأمر أن يتخذ من الإجراءات ما يدفع الضرر عن العامة ، مراعياً في ذلك ظروف العصر وواقع حال الناس .

3 ـ خلط نفقة اليتيم مع نفقة الوصي

المخالطة :(مفاعلة من الخلط وهو الامتزاج ، والمعنى : في المأكل ، فتجعل نفقة اليتيم مع نفقة عيال الوصي بالتحري ، إذ يشق عليه إفراده وحده بطعامه ، فلا يجد بداً من خلط طعام اليتيم بطعام عياله)[72] , وهي جائزة شرعاً لقوله ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاَللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[73] , فقد روى أبو داود والنسائي أنه لما نزل قوله ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً ﴾ [74] ، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له ، حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله (ﷺ) فأنزل الله ﷻ :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ ، فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه[75] ، فكان إذناً في ذلك ، مع صحة القصد في أن يكون المقصد رفق اليتيم لا أن يقصد رفق نفسه[76] ، مع أنّ بعضهم قد يأكل أكثر من بعض ، فلا يكون ذلك إصلاحاً ، ثمّ قال ﷻ :﴿ ولو شَاءَ اللَّهُ لأعْنَتَكُمْ ﴾ ، يعني به لضيق عليكم في التكليف ، فيمنعكم من مخالطة الأيتام والتصرف لهم في أموالهم ، ولأمركم بإفراد أموالكم عن أموالهم ، أو لأمركم على جهة الإيجاب بالتصرف لهم ، وطلب الأرباح بالتجارات لهم ، ولكنه وسع ويسر وأباح لكم التصرف لهم على وجه الإصلاح ، ووعدكم الثواب عليه ، ولم يلزمكم ذلك على جهة الإيجاب فيضيق عليكم تذكيراً بنعمه وإعلاماً منه اليسر والصلاح [77] ، وهذا يتطلب ضم اليتيم إلى بيت الوصي ، وعدم

تركه بدون راعٍ ، ولا رقيب يراقب تصرفاته ، فيبين له الخطأ والصحيح منها ، فقد عدّ رسول الله (ﷺ) خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه إذ قال : (خير بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسَن إليه ، وشر بيتٍ في المسلمين بيت فيه يتيم يُسَاء إليه)[78] ، ولقد تمثل المجتمع المسلم تلك التوجيهات عملياً بدءاً في عصر الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين)، فثبت أن هناك العديد من الصحابة والصحابيات(رضي الله عنهم أجمعين) إنهم كفلوا أيتاماً ويتيمات ، وضموهم إلى بيوتهم ، والآثار الدالة على ذلك كثيرة , واليتيم له الحق بسبب الضعف الذي يعيشه ، وفي قضاء حاجة المسلم لأخيه المسلم ، روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال :(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام)[79] , ولا شك إن من أشدَّ كرب اليتيم بسبب الضعف الذي يلازمه هو ضرر الضياع ، إذا لم يحضى بالحفظ ،والرعاية ، وبيت يأويه من التشرد ، والضياع والتسكع في الطرقات .

القسم الثالث : الأحكام المتعلقة بالبلوغ

1 ـ وقت بلوغ اليتيم واليتيمة ودفع أموالهم إليهم

أجمع الفقهاء على إن المال يدفع إلى اليتيم إذا بلغ النكاح وأونس منه الرشد[80] , وسماهم الباري جل وعلا أيتاماً بعد البلوغ اتساعاً ، لقرب عهدهم بالصغر , وحثاً على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم ، إذ لا يتم بعد الحلم إجماعاً , وكما أجمعوا إن من مات ولم يوص على أولاده الذين لم يبلغوا ففرض على الحاكم أن يقدم

من ينظر لهم من أهل الصفة , وأجمعوا أيضاً إن ما أنفقه الوصي على اليتيم بالمعروف من ماله فانه نافذ ، وكذلك أجمعوا أن الوصي إن تعدى ضمن[81] , إلا إن دفع المال إلى اليتيم مقيد بشروط ، لا بد من توافرها فان تخلفت كلاً أو جزءاً منها لا يصح دفع المال إليه ، وهذه الشروط هي على النحو الآتي :

الشرط الأول : البلوغ ، لقوله ﷻ :﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [82], وقوله (ﷺ) المتقدم : (لا يتم بعد الحلم) ، وهذا مما لا خلاف فيه بين الفقهاء [83] , فيجب على الولي عند بلوغ اليتيم واليتيمة دفع أموالهم إليهم ، ويستحب له أن يشهد على ذلك دفعاً للخصومة والإنكار بين الطرفين، لقوله ﷻ : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[84]، وهذا ما عليه جمهور الفقهاء للاحتياط لكلّ واحدٍ من اليتيم وليّ ماله ، فأمّا اليتيم فلأنّه إذا قامت عليه البيّنة كان أبعد من أن يدّعي ما ليس له ، وأمّا الوصيّ فلأنّه يبطل دعوى اليتيم بأنّه لم يدفعه إليه ، خلافاً لابن حزم الظاهري ، والزيدية الذين يرون وجوب الشهادة عند دفع المال إلى الأيتام ، فان لم يشهد فهو عاص لله عز وجل [85]. وكما اتفقوا إن علامات البلوغ الطبيعية هي : الاحتلام ، و الإنزال , و الإحبال , و الحيض و الحبل[86] , لقوله ﷻ :﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[87] , فقوله تعالى: ﴿الحلم﴾ : أي الاحتلام ، وقوله ﷻ : ﴿ فليستأذنوا كما استأذن ﴾ أي الرجال البالغون [88] ، إلا إنهم اختلفوا في حكم الإنبات هل يعدّ من علامات البلوغ الطبيعية أم لا ؟ على ثلاثة آراء :

الرأي الأول : إن الإنبات لا يعدّ علامة على البلوغ مطلقاً ، ذهب إلى هذا الإمام أبو حنيفة[89] ، ورواية عن الإمام مالك[90] .

وحجتهم في ذلك :

(لأنّه قد يستعجل الإنبات بالدّواء ونحوه لتحصيل الولايات والحقوق التي للبالغين) [91].

الرأي الثاني : إن الإنبات علامة للبلوغ ، ذهب إلى هذا المالكية في رواية[92], والحنابلة [93] , ورواية عن أبي يوسف [94] ، وابن حزم الظاهري [95] ، والشيعة الإمامية[96] .

وهو المروي عن الليث ، وإسحاق ، وأبي ثور [97].

وحجتهم في ذلك :

1. ما روي عن سمرة بن جندب(ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: (اقتلوا شيوخ المشركين استحيوا شرخهم) ، والشرخ الغلمان الذين لم ينبتوا [98] .
2. وبما أخرجه الترمذي وغيره عن عطية القرضي(ﷺ) قال : (عرضنا على النبي (ﷺ) يوم قريظة ، فكان من أنبت قتل ، ومن لم ينبت خلي سبيله ، فكنت ممن لم ينبت فخلي سبيلي)[99] .
3. ما ثبت أن سعد بن معاذ (ﷺ) لما حكم في بني قريظة بقتلهم وسبي ذراريهم أمر أن يكشف عن مؤتزرهم فمن أنبت فهو من المقاتلة ، ومن لم ينبت فهو من الذرية ، وبلغ ذلك رسول الله (ﷺ) فقال له : (لقد حكمت فيهم بحكم الله) ، وقال مرة : (لقد حكمت بحكم الملك)[100], فيه دليل ظاهر أن من انبت بلغ ومن لم ينبت لم يبلغ .

الرأي الثالث : إن الإنبات بلوغ في بعض الصور دون بعض ، وهذا ما ذهب إليه الشافعية ، وبعض المالكية ، فيرى الشافعية أن الإنبات يقتضي الحكم ببلوغ غير المسلم ، دون المسلم والمسلمة [101] , ويرى بعض المالكية أن الإنبات يقبل علامة في أعم مما ذهب إليه الشافعية ، قال ابن رشد : (إن الإنبات علامة فيما بين

الشخص وبين غيره من الآدميين من قذف وقطع وقتل ، وأما فيما بين الشخص وبين الله تعالى فلا خلاف أنه ليس بعلامة) [102].

وحجتهم في ذلك :

1- حديث سعد بن معاذ (ﷺ) المتقدم وحكمه في بني قريظة فان الشافعية قصروا حكمه على مخرجه ، فإن بني قريظة كانوا كفاراً ، وابن رشد ومن معه من المالكية جعلوه فيما هو أعم من ذلك ، أي في الأحكام الظاهرة ، بنوع من القياس[103] .

2 . ووجه التفرقة بين المسلم وغير المسلم ، إن المسلم يسهل مراجعة آبائه وأقاربه من المسلمين , كما انه متهم في الإنبات ، فربما تعجله بدواء دفعا للحجر عن نفسه وتشوفاً للولايات ، بخلاف الكافر فإنه قد لا يستعجله[104] .

وهناك علامات أخرى ذكرها الفقهاء وتكلموا عنها ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

غلظ الصوت , نبات الشعر الخشن للشارب , ونتوء طرف الحلقوم .

الرأي الراجح والله تعالى اعلم هو : عدم عدّ الإنبات علامة من علامات البلوغ بكل حال ، لان الإنبات يتغير من مجتمع إلى آخر ، ومن قوم إلى قوم ، ومن عائلة إلى أخرى ، كما إن البيئة والعيش الرغيد لها دور كبير في ذلك .

فإن لم يظهر شيء مما ذكر، فان علامة البلوغ تقدر بالسن ، واختلف الفقهاء بالسن الذي يبلغه الإنسان حتى يصير بالغاً على عدة آراء :

الرأي الأول : إذا تم الغلام ثماني عشرة سنة قمرية والمرأة كذلك ، وفي رأي آخر والمرأة سبع عشرة سنة , ذهب إلى هذا الإمام أبو حنيفة في رواية [105], والحنابلة في الأولى [106] .

وحجتهم في ذلك :

قوله ﷻ : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[107], قال ابن عباس (ﷺ) في تفسير هذه الآية : (الأشد ثماني عشرة سنة)[108] ، وهي أقل ما قيل فيه ، فأخذ به احتياطاً ، وهذا أشد الصبي ، والأنثى أسرع بلوغاً فنقصت سنة[109] .

الرأي الثاني : البلوغ بالسن يكون بتمام خمس عشرة سنة قمرية للذكر والأنثى، ذهب إلى هذا الإمام أبو حنيفة في الرواية الثانية ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني [110] ، وعبد الله بن وهب وأصبغ وعبد الملك بن الماجشون من أصحاب الإمام مالك [111] , والإمام الشافعي واختلف أصحابه في ضبطها ، فالمذهب المشهور ، إن المعتبر تمام السنة الخامسة عشر، وفي وجه غريب : أن يمضي ستة أشهر منها(أي أربع عشرة سنة قمرية ونصف) [112] ، والحنابلة في رواية الثانية[113] , والشيعة الإمامية [114] .

وهو المروي عن عمر بن عبد العزيز ، والأوزاعي ، وجماعة من أهل المدينة[115].

وحجتهم في ذلك:

1 . ما ثبت عن عبد الله بن عمر (ﷺ) أن النبي (ﷺ) (عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني ، قال نافع : فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث ، فقال : إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة) [116] .

وردَّ على وجه الدلالة من الحديث بقولهم : (بأن الإجازة في القتال حكمها منوط بإطاقته والقدرة عليه ، وإنما أجازه النبي (ﷺ) لابن عمر في الخمس عشرة ,

لأنـه رآه مطيقـا للقتـال ، ولـم يكـن مطيقـا لـه قبلـه ، لا لأنـه أدار الحكـم علـى البلـوغ وعدمه).

وأجيب : (ذكر ابن عمر(ﷺ) السن في المقامين دليل على أنه فهم أن ذلك منوط بالسن ، ويعضد ذلك بفهم عمر بن عبد العزيز ومن وافقه ، والأمر فيه محتمل ، وأمر عمر بن عبد العزيز بجعل من دون خمس عشرة في الذرية غير بالغ لذا لم يفرض عليه)[117].

وهناك آراء أخرى في هذه المسألة نذكرها كما هي :

الأول : سـبع عشـرة سـنة أو ثمـاني عشـرة قالهـا بعـض أصـحاب الإمـام مالك[118] .

الثاني : البلوغ أدناه أربع عشرة وأقصاه ثمان عشرة ، روي هذا عن سفيان الثوري[119].

الثالث : حد بلوغ الغلام ثلاث عشرة سنة إلى أربع عشرة سنة ، وهذه رواية عند الإمامية ، وفي رواية أخرى إذا بلغت تسع سنين[120] .

الرأي الراجح والله تعالى اعلم إن أحوال البلوغ تختلف باختلاف البلاد في الرفاهية وعدمها، وباختلاف أمزجة أهل البلد الواحد في القوّة والضعف ، فلذلك أحاله القرآن الكريم على بلوغ أمد النكاح ، والغالب في بلوغ البنت أنّه أسبق من بلوغ الذكر.

الشرط الثاني : إيناس الرشد ، قال القرطبي[121] :(الرُّشْدُ خلاف الغيِّ ، وقد رشد يرشُدُ رُشداً ورشِدَ - بالكَسْر - يَرْشَدُ رَشَداً لغةٌ فيه وأرشدهُ اللَّهُ والمراشِد : مقاصد الطُّرق والطريقُ الأرشَدُ نحو الأقصد ، وبنو رشدان بطنٌ من العرب عن الجوهريِّ ،وقال الهرويُّ : الرُّشْدُ والرَّشد والرَّشَادُ : الهدى والاستقامة , وإيناس الرشد لا يكون إلا بعد البلوغ ولا يتصور قبله) , لقوله ﷻ :﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾[122] .

واختلف الفقهاء هل بين الرجل والمرأة فرق في الرشد ؟ فعند الإمام أبو حنيفة ، والشافعي ، وابن حزم الظاهري ، و الإمامية لا فرق بينهما في الرشد ، لأنها يتيم أما بقية الفقهاء فكانت لهم الآراء الآتية :

الرأي الأول : إن بلغت المرأة رشيدة ليس لها أن تتصرف في مالها بزيادة على الثلث بغير عوض إلا بإذن زوجها ، ذهب إلى هذا الإمام مالك في رواية[123] ,والإمام احمد في رواية [124] .

وحجتهم في ذلك:

(ما روي عن عبد الله بن يحيى (رجل من ولد كعب بن مالك) عن أبيه عن جده أن جدته خيرة امرأة كعب بن مالك أتت رسول الله (ﷺ) بحلي لها فقالت : إني تصدقت بهذا , فقال لها رسول الله (ﷺ) : لا يجوز للمرأة في مالها إلا بإذن زوجها فهل استأذنت كعبا ؟ قالت : نعم. فبعث رسول الله (ﷺ) إلى كعب بن مالك زوجها فقـال : هـل أذنـت لخيـرة أن تتصـدق بحليهـا ؟ فقـال : نعـم . فقبلـه رسـول (ﷺ) منها)[125].

ولم يدل الحديث إن الزيادة على الثلث لا تجوز. ولعلهم قاسوا ذلك على الوصية ، فان كان القياس بني على الوصية فهو قياس مع الفارق ، لان الوصية تمليك لما بعد الموت ، والصدقة تكون في حال الحياة .

الرأي الثاني : إن بلغت سن التعنيس جاز لها أن تتصرف في مالها ، واختلفت الرواية في حد التعنيس على أربعة أقوال قيل : ثلاثون وقيل : أقل وقيل : أربعون وقيل : من الخمسين إلى الستين ، أو مر لها عام إثر دخول الزوج بها ، فإن وجد هذين فإنها تخرج من الولاية وتمضي أفعالها ذهب إلى هذا الإمام مالك في رواية زياد[126] .

وحجتهم في ذلك :

ما روي عن إسماعيل وزكريا عن الشعبي عن شريح قال : (عهد إلى عمر أن لا أجيز هبة جارية حتى تحول في بيتها حولا أو تلد ولدا قال إسماعيل : قلت للشعبي أرأيت إن عنست يجوز؟ قال : نعم)[127] .

وردَّ على هذا الأثر بقولهم : (حديث عمر إن صح فلم يعلم انتشاره في الصحابة ، ولا يترك به الكتاب والقياس ، على أن حديث عمر مختص بمنع العطية ، فلا يلزم منه المنع من تسليم مالها إليها ومنعها من سائر التصرفات)[128] .

الرأي الثالث : ليس لها أن تتصرف في مالها حتى تتزوج وتلد ، أو يمضي عليها سنة في بيت الزوج ، ذهب إلى هذا الإمام احمد في رواية أخرى[129] .

وهو المروي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) وبه قال إسحاق , وعطاء , ومجاهد , وقتادة , و شريح ، والشعبي[130] .

وحجتهم في ذلك :

الأثر الذي رواه الشعبي عن شريح المتقدم : (عهد إلى عمر أن لا أجيز هبة جارية حتى تحول في بيتها حولا أو تلد ولداً قال إسماعيل : قلت للشعبي أرأيت إن عنست يجوز ؟ قال : نعم) .

الرأي الراجح والله تعالى اعلم هو : إن بلغت المرأة رشيدة خرجت من اليتم وجاز لها إن تتصرف في مالها بما تشاء من بيع أو شراء أو هبة أو غير ذلك ، لأنها يتيم وقد بلغ ، لقوله سبحانه ﷻ : ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [131] .

فان بلغ اليتيم ولم يرى منه الرشد فهل تدفع إليه أمواله ويكون له حق التصرف فيها ؟ اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين :

الرأي الأول :لا تدفع إليه أمواله مهما طال به العمر ، ذهب إلى هذا جمهور الفقهاء من المالكية[132] ، والشافعية[133], والحنابلة[134]، والإمام أبو يوسف

ومحمد بن الحسن الشيباني من الحنفية[135] ، وابن حزم الظاهري[136]، والزيدية [137] , و الإمامية [138] ، والأباضية [149].

وهو المروي عن عثمان بن عفان , وعلي بن أبي طالب ، والزبير ، وأم المؤمنين عائشة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر (رضوان الله عليهم اجمعين) ومن التابعين شريح ، وأهل المدينة ، والأوزاعي ، وأهل الشام ، وإسحاق ، وأبي ثور[140] .

وحجتهم في ذلك :

قوله ﷻ : ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾[141] ، أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم بشرط البلوغ ، و إيناس الرشد منهم .

الرأي الثاني : إذا بلغ خمساً وعشرين سنة أعطي ماله على كل حال ، لأنه يصير جداً ، ذهب إلى هذا الإمام حنيفة والإمام وزفر [142] .

وهو المروي عن إبراهيم ، وابن سيرين ، والنخعي [143] .

وحجتهم في ذلك :

1. قوله ﷻ : ﴿ وَءاتُواْ الْيَتَامَى أَمْوالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [144] ، والإيتاء يكون بعد البلوغ ، ولأن حال البلوغ قد لا يفارقه السفه باعتبار أثر الصباء فقدر بخمس وعشرين سنة ، وما روي عن ابن عمر(ﷺ) أنه قال : (ينتهي لب الرجل إذا بلغ خمساً وعشرين سنة) [145] , وقد قال أهل الطبائع إذا بلغ خمساً وعشرين سنة فقد بلغ رشده ، لأنه بلغ سنا يتصور أن يصير فيه جداً ، لأن أدنى ما يبلغ فيه الغلام اثنتي عشرة سنة فيولد له ولد لستة أشهر ثم الولد يبلغ اثنتي عشرة سنة فيولد له ولد لستة أشهر فقد صار بذلك جداً، وقوله ﷻ :﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ منهم رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [146] , فيها تعليق

الشرط والتعليق بالشرط لا يوجب العدم عند عدم الشرط[147] ، قال أبو بكر الرازي الحنفي في أحكام القرآن : (لما لم يقيد الرشد في موضع وقيد في موضع وجب استعمالهما ، فأقول : إذا بلغ خمساً وعشرين سنة وهو سفيه لم يؤنس منه الرشد ، وجب دفع المال إليه ، وإن كان دون ذلك لم يجب ، عملاً بالآيتين)[148] .

2 . ما ثبت عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) : أن رجلاً ذكر للنبي (ﷺ) أنه يخدع في البيوع فقال : (إذا بايعت فقل لا خلابة)[149] , فلم يأمر (ﷺ) بحجره.

الرأي الراجح قال ابن القصار وغيره : الصحيح الأول وكأنه إجماع[150] .

وكذلك اختلفوا في معنى : الابتلاء و الرشد الوارد في قوله ﷻ :﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾[151] ، وكما يأتي :

معنى الابتلاء : ذهب عامة السلف ، و أهل التفسير إلى أن الابتلاء هو: الاختبار لليتيم قاله : ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، ومن أهل التفسير الرازي , و القرطبي ، والطبري ، وابن جزي ، والبيضاوي ، وابن العربي ، والخازن ، والنسفي والصنعاني ، وغيرهم[152] .

وهذا أيضاً مذهب عامة الفقهاء من الحنفية[153], والمالكية [154], والشافعية[155], والحنابلة[156] , وذلك بمشاهدة حاله في العبادات بقيامه بالواجبات ، واجتنابه المحظورات ، والشبهات ، وأما في المال فيختلف بمراتب الناس ، فيختبر ولد تاجر بمشاحة في معاملة ويسلم له المال ليماكس لا ليعقد ثم إن أريد العقد عقد وليه ويختبر ، وولد زراع بزراعة ونفقة عليها بأن ينفق على القائمين بمصالح الزرع ، ويختبر ولد المحترف بما يتعلق بحرفته ، ويشترط تكرر الاختبار مرتين أو أكثر حتى يغلب على الظن رشده [157] .

معنى الرشد الوارد في الآية الكريمة :﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ على ثلاثة آراء :

الرأي الأول : الرشد إصلاح المال ، وأن لا يكون مبذراً ، ولا يراعى عدالته في دينه ولا فسقه ، ذهب إلى هذا الحنفية في رواية[158] , والإمام مالك في رواية[159] , والأباضية[160] , والإمامية [161] .

وهو المروي عن عبد الله بن عباس(ﷺ) ، والسدي ، والثوري[162] .

وحجتهم في ذلك :

قوله ﷻ :﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾[163] , واختبار رشد الإنسان إنما يكون بدفع بعض ماله إليه ليختبره به [164] .

الرأي الثاني : الرشد هو تثمير المال ، وإصلاحه مع صلاح الدين ، و إصلاح أمر البيت إن كانت امرأة ، ذهب إلى هذا الحنفية في الرواية الثانية[165] , والإمام مالك في رواية[166] , الشافعية [167] ، والحنابلة[168] .

وروي هذا عن الحسن البصري , وقتادة , والشعبي , وشريح , والقاسم بن محمد , وربيعة , وعطاء [169] .

وحجتهم في ذلك :

قوله ﷻ : ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾[170] . وذلك بدفع بعض مال لليتيم ليختبره به، وأضيف إلى هذا الدين ، لان الفاسق غير رشيد [171] .

الرأي الثالث : معنى الرشد الوارد في الآية هو : أن يميز بين الكفر والإيمان ، ذهب إلى هذا ابن حزم الظاهري[172] .

وحجته في ذلك :

قوله ﷻ :﴿لاَ إِكْرَاهَ في الدِّينِ قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاَللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (173) , وقوله ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ﴾(174) ، وقوله ﷻ : ﴿ وما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾(175) ، قال ابن حزم : (فصح أن من بلغ مميزاً للإيمان من الكفر فقد أونس منه الرشد الذي لا رشد سواه)(176) .

الرأي الراجح والله تعالى اعلم إن الرشد هو معرفة اليتيم بمصالحه، وتدبير ماله وإن لم يكن من أهل الدين ، لان الفاسق لا يحجر على ماله بمجرد فسقه .

الشرط الثالث : وروي عن عبد الله بن عباس (ﷺ) أن يكون وقوراً مع البلوغ والرشد وبه قال ابن حزم الظاهري(177) .

2 ـ حكم دفع المال لليتيم قبل البلوغ والرشد

اتفق الفقهاء على أن اليتيم لا يعطى ماله قبل البلوغ ، لقوله ﷻ :﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾(178) ، فقد بينت الآية الكريمة إن شرط دفع المال لليتيم البلوغ ، وإيناس الرشد ، والحكمة منه أن الصغير لا يحسن التصرف في ماله ، وربما صرفه في غير وجوه النفع (179) ، ولكن إن حصل ودفع الوصي المال إلى اليتيم قبل أن يبلغ ويكون راشداً ثم هلك المال أو ضاع بيد اليتيم فهل يضمن الوصي المال ؟ لم أقف على أن أحداً من الفقهاء قال بعدم ضمان الوصي للمال ، إن دفعه إلى اليتيم قبل البلوغ والرشد , وعلى هذا فان الولي أو الوصي يضمن المال إن ضاع بيد اليتيم ، لقوله ﷻ :﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾(180) , فلو لم يكن اليتيم قد بلغ تلك السن كان الوصي متعدياً بتسليم المال إليه ، فان هلك المال ضمن الوصي لوجود التعدي ، لان إعطاء المال لليتيم يعد تضييعاً له مع علمه انه كان غير رشيد والله تعالى اعلم .

الخاتمة

وفي هذه الخاتمة نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في النقاط الآتية:

1. إن المتتبع للنصوص الشرعية من الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة ، وما اثر عن الصحابة(رضي الله عنهم أجمعين) ، وللتابعين ، وللفقهاء من المتقدمين و المتأخرين ، إنهم لم يفرقوا بين كون اليتيم المكفول مسلماً أو غير مسلم ، بل الظاهر كما تطبق الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية في حق اليتيم المسلم تطبق في حق غير المسلم لذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (اليتيم الذي مات أبواه وكفله أحد المسلمين يتبع كافله وحاضنته في الدين)(181). وهذه من مميزات الشريعة السمحاء التي تميزت بها عن باقي الأديان والفرق غير المسلمة.
2. اتفق الفقهاء في صحة تزويج اليتيم واليتيمة من قبل الوصي ، إن كان في ذلك الزواج مصلحة لهما .
3. إن كان لليتيم مال فعلى الوصي الإنفاق عليه بالمعروف من ماله ، لا على وجه الإسراف ، ولا على وجه التضييق ، وإن لم يكن له مال فنفقته على قرابته ، وإن لم يكن له مال ولا أقارب فنفقته في بيت المال ، لأنه معدّ للصرف على ذوي الحاجات والمعدمين , وكما أن ميراثه يؤول إلى بيت المال عند عدم وجود وارث له ، فتجب نفقته في بيت المال عملاً بالقاعدة الفقهية (الخراج بالضمان) .
4. يجوز خلط نفقة اليتيم مع نفقة الوصي وذلك بالتحري ، إذ يشق عليه إفراده وحده بطعامه ، فلا يجد بداً من خلطه , لقوله ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاَللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (182).

5 . إن من أعظم مصالح اليتيم ضمه إلى بيت الموصي ، أو إلى بيت يحمه من الضياع وعدم تركه بدون راعٍ ، فقد ثبت أن هناك العديد من الصحابة والصحابيات(رضي الله عنهم أجمعين) كفلوا أيتاماً ويتيمات وضموهم إلى بيوتهم ، والآثار الدالة على ذلك كثيرة .

6 . يجب توفر ثلاثة شروط في اليتيم حتى تدفع إليه أمواله إن كان له مال ، الأول : البلوغ ، والثاني : إيناس الرشد منه ، والثالث : أن يكون وقوراً مع البلوغ والرشد .

هوامش البحث :

(1) رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) ، ابن عابدين الحنفي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة النشر (1421 هـ .2000 م) ، 79/3 ، أحكام القرآن , أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، الناشر : دار إحياء التراث العربي , بيروت ، سنة النشر : 1405هـ , تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ,2 / 13 .

(2) سورة البقرة آية220 .

(3) تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ،64/2 .

(4) أحكام القرآن ، أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت سنة 370 هـ (دار الكتب العلمية , بيروت ، (1415 – 1994) ضبط نصه وخرج آياته : عبد السلام محمد علي شاهين , 5 /276 .

(5) قال ابن حجر : حديث النكاح إلى العصبات لم أجده ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية , احمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل (ت 852 هـ) الناشر : دار المعرفة بيروت ، تحقيق : عبد الله هاشم اليماني المدني ، 2 /61 .

(6) الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبى حنيفة , أبو حفص عمر الغزنوى الحنفي (ت 773 هـ) دار النشر : مكتبة الإمام أبى حنيفة , 1 / 104.

(7) حاشية ابن عابدين 79/3 .

(8) الحاوي الكبير ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي (و364 هـ . ت 450 هـ)الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت سنة النشر: (419 1هـ . 1999 م) ط1 ، تحقيق :محمد علي معوض و عادل احمد عبد الموجود , 348/8 .

(9) المصدر السابق نفس الصفحة .

(10) القوانين الفقهية ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (و693 هـ ت 741 هـ) , الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي ، (ت 1126هـ) الناشر : مكتبة الثقافة الدينية المحقق : رضا فرحات ,134/1 .

(11) منار السبيل ، إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان : (و 1275 هـ ت 1353 هـ)138/2 , عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 7/ 22 , أحكام القرآن للجصاص 5 /276 .

(12) الحاوي الكبير 348/8 .

(13) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، (و 321 هـ ت 405 هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة النشر: (1411 هـ ـ 1991 م) ط1، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، 180/2 ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت , 2 ، (1414 هـ . 1993 م) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط , 392/9 ، سنن النسائي الكبرى ، احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، (و 521 هـ ت 303 هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة النشر (1411 هـ . 1991 م) ط1، تحقيق : عبد الغفار سليمان البندراي ، سيد كسروي حسن ، 282/3 ، سنن الدار قطني ، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي ، (و 209 هـ .ت 279 هـ) دار المعرفة ، بيروت ، سنة النشر (1986 م)، تحقيق السيد هاشم عبد الله يماني المدني ،3 /241 ، سنن الدارمي , عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي , الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ط 1 ، 1407 ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي ، 185/2 ، المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، 1409 هـ ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، 460/73 ، وحديث أبي موسى أخرجه ابن حبّان في صحيحه بلفظ (اليتيمة تستأمر في نفسها فإن سكتت فقد أذنت وإن أبت لم تكره) وفي رواية لأبي داود في حديث أبي هريرة (فإن بكت أو سكتت) زاد(بكت) قال : أبو داود وليست محفوظة ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت : 804هـ) الناشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، (1425هـ .2004م) ، المحقق : مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال ، 7/ 574 .

(14) شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي , دار النشر : مكتبة الرشد , الرياض (1423 هـ . 2003م) ط2 ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، 7 / 174 .

(15) الحاوي الكبير 348/8 .

(16) المغني ، 14/ 22 , منار السبيل 138/2.

(17) لسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : 1250هـ) الناشر : دار ابن حزم ، ط1 ، 273/2 , التاج المذهب 2 /229 .

(18) شرح كتاب النيل وشفاء العليل ، محمد بن يوسف اطفيش ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، السعودية ،ط3 ، سنة النشر (1405 هـ . 1985 م)، 10 /285 .

(19) سورة النساء آية 3 .

(20) سورة النساء آية 127 .

(21) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، المستدرك على الصحيحين 180/2 ، صحيح ابن حبان 392/9 ، سنن النسائي الكبرى 282/3 ، سنن الدار قطني 241/3 ، سنن الدار مي 185/2 ، مصنف ابن أبي شيبة 460/3 ، وحديث أبي موسى أخرجه ابن حبّان في صحيحه بلفظ (اليتيمة تستأمر في نفسها فإن سكتت فقد أذنت وإن أبت لم تكره) وفي رواية لأبي داود في حديث أبي هريرة (فإن بكت أو سكتت) زاد بكت قال أبو داود وليست محفوظة ، البدر المنير 7/ 574 .

(22) شرح فتح القدير, كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت 681 هـ) ، دار الفكر, بيروت ،276/3 ، بدائع الصنائع ، علاء الدين الكاساني ،(ت 587 هـ) ،الناشر :دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة النشر(1982 م) ط2 ، 2 /238 .

(23) المغني 32/7 ، شرح الزركشي على مختصر الخرقي , شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي ، (و 722هـ . ت 772هـ) الناشر: دار الكتب العلمية(سنة النشر 1423هـ – 2002م) ، بيروت ، تحقيق قدم له ووضع حواشيه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، 2/ 342 .

(24) المبسوط للسرخسي ، شمس الدين السرخسي ، دار المعرفة ، بيروت ، 214/4 ، حاشية ابن عابدين 423/5 , مجمع الضمانات ، أبي محمد بن غانم بن محمد البغدادي ، (ت 1030 هـ) تحقيق : احمد محمد فراج و علي جمعة محمد ، 854/2 .

(25) الحاوي الكبير 348/8 , المهذب ، أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآباذي الشيرازي ، طبع البابي الحلبي ، مصر ، سنة الطبع (1379 هـ . 1959 م) ط2 ، 449/1 .

(26) المغني 7/ 22 , منار السبيل 138/2.

(27) المحلى ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، (و 383 هـ ت 456 هـ) الناشر : دار الآفاق الجديدة ، بيروت 463/9 .

(28) المغني 32/7 , المبسوط للسرخسي 214/4 .

(29) المسند المستخرج على صحيح مسلم , أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني ,الناشر: دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1, (1417 هـ . 1996 م) تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي , 85/4 , سنن سعيد بن منصور ، تحقق : شيخ الدين حبيب الرحمن الاعظمي ، طبع الدار السلفية ، بومباي ، 182/1 , سنن النسائي 282/3 رقم الحديث (5378) ، مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، الناشر : دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط1 ، (1404هـ ـ 1984م)، تحقيق : حسين سليم أسد ،407/10 , رقم الحديث (6013) .

(30) ورواه الوليد بن مسلم وصدقة بن عبد الله عن بن أبي ذئب عن نافع مختصرا مرسلاً ، وابن أبي ذئب لم يسمعه من نافع وإنما رواه عن عمر بن حسين عنه , سنن الدار قطني 229/3 رقم الحديث (35) .

(31) الحاوي الكبير 51/9 .

(32) المبسوط للسرخسي 214/4 .

(33) المبسوط للسرخسي 215/4 , شرح فتح القدير 288/3 .

(34) الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبى زيد القيرواني ، صالح عبد السميع الابى الأزهري ، الناشر : المكتبة الثقافية ، بيروت ، 438/1 , الكافي في فقه أهل المدينة ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ،

232/1 , بداية المجتهد ، محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد (ت595 هـ) الناشر : دار الفكر , بيروت ، 212/2 , الذخيرة ، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، دار النشر: دار الغرب ، بيروت ، سنة النشر :(1994م) ، تحقيق: محمد حجي ، 4 / 229 .

(35) مجموع فتاوى ابن تيمية 8 / 229 .

(36) المستدرك على الصحيحين 182/2 رقم الحديث (2708) ، المنتقى من السنن المسندة , عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري (ت : 307) الناشر : مؤسسة الكتاب الثقافية , بيروت (1408 – 1988) , ط 1 ، المحقق : عبد الله عمر البارودي ، 175/11 رقم الحديث (700) ، صحيح ابن حبان 384/9 ، سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الازدي (و 202 هـ ت 275 هـ) الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محي عبد الحميد ،229/2 ، سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، 605/1 رقم الحديث(1879) ، سنن البيهقي الكبرى 105/7 رقم الحديث (13376) ، سنن الدار قطني 221/3 رقم الحديث ، سنن سعيد بن منصور 175/1 رقم الحديث (528) , مسند أبي عوانة 19/3 رقم الحديث (3265) , مصنف ابن أبي شيبة 454/3 رقم الحديث(10472) ، مصنف عبد الرزاق 195/6، قال الترمذي : حديث حسن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وقال ابن الجوزي : رجاله رجال الصحيح ، وقال ابن معين : إنه أصح حديث في الباب ، خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى : 804هـ) الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، سنة النشر: (1410هـ)المحقق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي , 187/2 ، التحقيق في أحاديث الخلاف ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، (و 508هـ . ت 597 هـ) تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، الناشر : دار الكتب العلمية ، سنة النشر 1415هـ ، بيروت ، 1/ 144 .

(37) سنن الدار قطني 230/3 , سنن البيهقي الكبرى 120/7 , مسند الإمام احمد 130/2 , روى ابن ماجه طرفا منه رواه احمد ورجاله ثقات , مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت 807 هـ) الناشر : دار الريان للتراث / دار الكتاب ، بيروت ، القاهرة ، سنة النشر (1407 هـ)4 /280.

(38) سورة النساء آية 3.

(39) سورة النساء آية 3.

(40) سورة النساء آية 127 .

(41) سورة النساء 220 .

(42) سورة الأعراف آية 141 .

(43) أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت 1393) الناشر دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ،سنة النشر(1995 م)5 / 5 .

(44) الاستذكار , أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، الناشر : دار الكتب العلمية , بيروت ,ط 1، (1421هـ ـ 2000م) تحقيق : سالم محمد عطا ، ومحمد علي , 3 / 266 , التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) ، الناشر : مؤسسة القرطبة , تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، و محمد عبد الكبير البكري ,14 / 324 .

(45) بيت مال المسلمين ويمثله في الوقت الحاضر (وزارة المالية) وهو مسؤول عن الصرف على مصالح الأمة بجميع مرافقها ، ومعاونة الفقراء وتامين حاجاتهم الضرورية ، والإنفاق لإيصال الميت المعدم الفاقد لمن ينفق عليه إلى مثواه الأخير، وعند الإمام الشافعي إذا كان بيت المال منظماً قدم على ذوي الأرحام والرد ، وان لم يكن منظماً ردَّ أولا على ذوي الفروض النسبية بنسبة فرائضهم ، ثم يصرف إلى ذوي الأرحام ، المهذب 2 / 33 .

(46) الهداية شرح بداية المبتدي , أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغياني (و 511هـ .ت 593هـ) ، الناشر: المكتبة الإسلامية , 2/ 86 , مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولى المدعو (بشيخ زادة) ، (ت 1079 هـ) الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت سنة النشر (1419 هـ . 1998 م) ، ط1 ، تحقيق: خليل عمران المنصور, 3 / 444 , شرح فتح القدير 4 / 411 , حاشية ابن عابدين 771/6 .

(47) الأم ، الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، (150 هـ . 204 هـ)، مع مختصر المزني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط1 ، 1400(هـ . 1980 م) ، 105/5 , الوسيط , أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505 هـ) الناشر: دار السلام , 6 / 232, الحاوي في فقه الشافعي ,الماوردي , الناشر : دار الكتب العلمية , ط 1 ، (1414 هـ . 1994) 3 / 355 .

(48) المغني 9 / 270 , كشاف القناع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، (ت 1051 هـ)الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، سنة النشر (1402 هـ) تحقيق :هلال مصيلحي ومصطفى هلال ، 3 / 310.

(49) المحلى 103/10 .

(50) المحلى 103/10 , إحكام القرآن للجصاص 2 /109 .

(51) سورة البقرة آية 233 .

(52) الغني 7 /585 .

(53) حاشية ابن عابدين 771/6 ، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ، الناشر دار الفكر سنة النشر (1411هـ – 1991م) ، 3 / 253 .

(54) مواهب الجليل ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي (و 902 هـ ت 954هـ) الناشر: دار الفكر ، بيروت سنة النشر (1398 هـ) ط2, 4 / 210 ، أحكام القرآن للجصاص 2 /109 .

(55) سورة البقرة آية 233 .

(56) سورة الطلاق آية 6 .

(57) شرح صحيح البخاري , أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي , دار النشر : مكتبة الرشد , الرياض ، السعودية ، (1423هـ – 2003م) ط 2 ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، 7 / 549 .

(58) أحكام القرآن للجصاص 2 /109 .

(59) المبسوط 14 / 16 , بدائع الصنائع 12 / 377 , البحر الرائق ، نجم الدين بن محمد الحنفي ، (و926 هـ .ت 970 هـ) ط2 ، 15/ 108 ، شرح فتح القدير 8 / 342 ، حاشية ابن عابدين 5 / 384 ، الفتاوى الهندية 3 / 340 , تبصرة الحكام ، برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري , دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة النشر (1422 هـ . 2001 م) 2 / 347 , تحفة الفقهاء علاء الدين السمرقندي ، (ت

537 هـ) الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة النشر (1405 هـ . 1984 م) ط1, 3 / 46 .

(60) روضة الطالبين ، أبو زكريا بن شرف النووي الدمشقي (و631 هـ ت 676 هـ) ، الناشر: المكتب الإسلامي ، سنة النشر (1405 هـ) ط2 ,9 / 321 , حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد)، سليمان بن عمر بن محمد البجيرمي ,الناشر المكتبة الإسلامية ، تركيا , 4 / 68 .

(61) والمغني 7 / 827 , الفروع وتصحيح الفروع ، محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله ، دار النشر: دار الكتب العلمية , بيروت ,(1418)، ط 1، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي ,575/4 ، الإنصاف للمرداوي ، أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ، (و541 هـ . ت 620 هـ)، الناشر: دار التراث العربي ، بيروت ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، 433/6 .

(62) البهجة في شرح التحفة، أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي ، دار النشر :دار الكتب العلمية, بيروت (1418 هـ - 1998م) ط1، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ,1 / 613 ، الشرح الكبير، سيدي احمد الدردير أبو البركات ، الناشر : دار الفكر بيروت ، تحقيق : محمد عليش ،2 / 518 , شرح ميارة الفاسي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المالكي، دار النشر: دار الكتب العلمية , بيروت(1420هـ – 2000م) ، ط 1، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ,404/1 .

(63) شرح كتاب النيل 9 / 16 .

(64) سورة البقرة آية 282 .

(65) غاية المقصد في زوائد المسند , أبي بكر بن سليمان الهيثمي, مكتبة صيد الفوائد ,1 / 276، وروى بلال بن الحارث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) (قضى باليمين مع الشاهد) ، رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات ، مجمع الزوائد 4 /235 , وروي (أن رزيق بن حكيم كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على أيلة فكتب إليه أني لم أجد الشاهد واليمين إلا بالحجاز فكتب إليه عمر أن اقض به فإنه السنة) ، السنن الكبرى 10 / 274 , عون المعبود شرح سنن أبي داود , محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، الناشر : دار الكتب العلمية , بيروت , ط 2 ، سنة النشر 1415هـ , فتح المغيث شرح ألفية الحديث , شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي , الناشر : دار الكتب العلمية , لبنان , ط 1، سنة 1403هـ , 1 / 343 .

(66) سورة النساء آية 6.

(67) شرح كتاب النيل 9 / 16 .

(68) المدونة الكبرى ، للإمام مالك بن انس الاصبحي ، دار صادر ، بيروت ، 4 / 396 ، حاشية الخرشي 7 / 217 , حاشية الدسوقي , محمد عرفة الدسوقي ، الناشر : دار الفكر بيروت , تحقيق :محمد عليش ، 4 / 124

(69) اسنى المطالب في شرح روض الطالب ، زكريا الأنصاري , دار النشر : دار الكتب العلمية , بيروت , (1422 هـ . 2000 م) ط 1 ، تحقيق : محمد محمد تامر , 3 / 445 .

(70) كشاف القناع 3 / 456 ، تصحيح الفروع 575/4 ، الإنصاف 433/6 .

(71) كشاف القناع 3 / 456 .

(72) تفسير البحر المحيط ، العلامة أبو حيان الأندلسي ، دار الفكر ، بيروت ، 2 / 171 .

(73) سورة البقرة آية 220 .

(74) سورة النساء آية10 .

(75) تفسير القرطبي3 /62 .

(76) حكام القرآن لابن العربي , محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) , الناشر : دار الكتب العلمية, 41 / 304

(77) معالم التنزيل , أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ) الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ,ط 4 , (1417 هـ ـ 1997 م) تحقيق : محمد عبد الله النمر , عثمان جمعة ضميرية , وسليمان مسلم الحرش , 1 / 255 , أحكام القران للجصاص 2 /14 .

(78) سنن ابن ماجه 1213/2رقم الحديث (3679) المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني (و260 هـ ت 360 هـ) الناشر: دار الحرمين ، القاهرة ، سنة النشر :1465 هـ ، تحقيق : طارق عوض الله ، 5/ 99 رقم الحديث (4785) .

(79) المعجم الكبير 12 / 353 ، وأخرجه ابن عساكر في التاريخ (2/1/18) عن عبد الرحمن بن قيس الضبي حدثنا سكين بن أبي سراج حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فذكره ثم قال قلت : وهذا إسناد ضعيف جدًا سكين هذا اتهمه ابن حبان فقال : يروي الموضوعات . وقال البخاري : منكر الحديث ، وعبد الرحمن بن قيس الضبي مثله أو شر منه ، قال : الحافظ في التقريب : متروك كذبه أبو زرعة وغيره ، لكن قد جاء بإسناد خير من هذا ، فرواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (8 رقم36) وأبو إسحاق المزكي في الفوائد المنتخبة (2/147/1) ، ببعضه وابن عساكر (444/11) من طرق عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبي ﷺ قلت : وهذا إسناد حسن فإن بكر بن خنيس صدوق له أغلاط كما قال الحافظ فثبت الحديث ، النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة،

أبو إسحاق الحويني الناشر : دار الصحابة للتراث 1 / 71 ، تنبيه القارئ على تقوية ما ضعفه الألباني1 / 194 .

(80) الإجماع ، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري , النشر : مؤسسة الخليج , مصر , 1987 م ، ط 2 ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم ,99/1 .

(81) مراتب الإجماع لابن حزم 111/1 .

(82) سورة النساء آية 6 .

(83) المبسوط للسرخسي 30/10 , الإنصاف للمرداوي 95/7 ، مجمع الضمانات 853/2 , كشاف القناع 567/3 , الحاوي الكبير 348/8 , الدراري المضية ، محمد بن علي الشوكاني(و 1173 هـ .ت 1250 هـ) الناشر : دار الجيل ، بيروت ، سنة النشر (1407 هـ . 1988 م)، 404/1 ، شرح كتاب النيل 9 /23 , شرائع الإسلام 5 / 393 .

(84) سورة النساء آية 6 .

(85) المحلى 251/10 , السيل الجرار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، (و 1173 هـ ت 1250 هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ،بيروت ، سنة النشر (1405 هـ) ،ط1، تحقيق : محمود إبراهيم زايد , 23/3 , الروضة الندية 68/1 .

(86) مجمع الأنهر 60/4 , المهذب 1/330, مغني المحتاج ، محمد الخطيب الشربيني ، الناشر: دار الفكر بيروت 2/166 , المغني 461/4 ، كشاف القناع 3/432 , المحلى 285/8 , شرائع الإسلام 6 / 351 .

(87) سورة النور آية 59 .

(88) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل , علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن , دار النشر : دار الفكر , بيروت (1399 هـ /1979 م) 5 / 89 .

(89) اختلاف الأئمة العلماء 1 / 427 .

(90) حاشية الدسوقي3 / 293 , اختلاف الأئمة العلماء 1 / 427 .

(91) حاشية الجمل على المنهج 3 / 338 ، كشاف القناع 6 / 454 .

(92) حاشية الدسوقي 3 / 293 .

(93) المغني 4 / 509 , الروض المربع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، (و 1000 هـ . ت 1051 هـ) الناشر: مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، سنة النشر: (1390 هـ) ،228/2 .

(94) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني الحنفي , دار الفكر ، بيروت ، 13 / 239 .

(95) المحلى 10 / 323 .

(96) شرائع الإسلام 6 / 351 ، التبيان للطوسي 2 / 117 .

(97) المغني 4 / 509 ، فتح الباري ، احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (و737 هـ ت 852 هـ) الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق: محب الدين الخطيب 5 / 277 .

(98) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ، سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، (و 150 هـ . ت 204 هـ) 4 / 86 رقم الحديث (1583) , سنن أبي داود2 / 369 رقم الحديث (2670) , مسند الإمام احمد 5 / 12رقم الحديث (20157) , مسند البزار, أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (و215 هـ . 292 هـ) الناشر : مؤسسة علوم

القرآن , بيروت ، سنة النشر : (1409 م) , ط1 ، تحقيق : محفوظ عبد الرحمن زين الله ،2 / 154 رقم الحديث (4574) , التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 16 /142 , وفي إسناده سعيد بن بشير ، والأكثرون على تضعيفه ، وفي إسناد أبي داود وأحمد حجاج بن أرطاة وقد ضعفوه ، البدر المنير9 / 84 .

(99) رواه الخمسة وصححه الترمذي , بستان الاحبار مختصر نيل الأوطار89/3.

(100) متفق عليه واللفظ لمسلم . صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، (204 – 261هـ) , دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي , 5 / 160 رقم الحديث (4696) , الأدب المفرد , محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الناشر : دار البشائر , بيروت , ط 3 ، (1409 هـ . 1989م) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي 1 / 325 .

(101) نهاية المحتاج , شمس الدين محمد بن أبي العباس احمد بن حمزة بن اشهاب الدين الرملي(ت. 1004 هـ). دار. الفكر للطباعة .، بيروت. .، سنة النشر (1404 هـ . 1984 م)4 / 347 ، حاشية الجمل على شرح المنهج ، سليمان الجمل ، الناشر : دار الفكر بيروت ، 3 /339 .

(102) بداية المجتهد3 /56 .

(103) المغني 4 / 509 .

(104) حاشية الدسوقي 3 / 293 .

(105) نهاية المحتاج4 / 347 ، حاشية الجمل على شرح المنهج 3 / 339 .

(106) مجمع الأنهر 60/4 , البحر الرائق 8 / 96 , براز الحكم من حديث رفع القلم , التقي السبكي1 / 14 .

(107) الروض المربع 228/2 .

(108) سورة الأنعام آية 152.

(109) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ،بيروت (1419 هـ . 1998 م) ط1 ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، 17 /394 . تفسير السراج المنير ، محمد بن أحمد الشربيني , شمس الدين دار النشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، 3 / 721 .

(110) مجمع الأنهر 60/4 .

(111) الهداية 2/ 34 , الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت (1426 هـ . 2005 م) ط3 ، تحقيق : عبد اللطيف محمد عبد الرحمن ، 2 / 102 , البحر الرائق 8 / 96 , بدائع الصنائع 7 / 172 .

(112) إرشاد السالك، عبد الرحمن شهاب الدين البغدادي الناشر : الشركة الإفريقية للطباعة,1 /163 ,اختلاف الأئمة العلماء, الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني , دار النشر : دار الكتب العلمية , بيروت (1423 هـ . 2002 م) ط 1 ، تحقيق : السيد يوسف أحمد1 / 426 .

(113) الحاوي الكبير 6 /346 , اختلاف الأئمة العلماء 1 / 426 .

(114) المبدع , إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق (و 223 هـ ت 311 هـ) ،المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة النشر : 1400 هـ ، 367/4 4 / 212 , اختلاف الأئمة العلماء 1 / 426 .

(115) التبيان للطوسي 2 / 117 , السرائر لأبي جعفر الحلي 2 / 199 .

(116) شرح مختصر خليل للخرشي3 / 232 .

(117) صحيح البخاري ,محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، (و194 هـ . ت 256 هـ) ، الناشر دار ابن كثير ، بيروت (سنة النشر 1987 م) تحقيق : مصطفى ديب البغا ,2 / 942 رقم الحديث (2521) .

(118) إبراز الحكم من حديث رفع القلم 1 /14 .

(119) اختلاف الائمة العلماء 1 /426 .

(120) مصنف عبد الرزاق 7 /337 , الأوسط لابن المنذر7 / 198 , حلية الأولياء وطبقات الأصفياء, أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ,الناشر : دار الكتاب العربي , بيروت , ط 4 , سنة النشر:(1405 هـ) , 7 / 72 .

(121) الخصال لأبي جعفر القمي 2 / 415 .

(122) كشاف القناع 567/3 , اختلاف الفقهاء 255/1 , مواهب الجليل 445/3 , مجمع الضمانات 853/2 , المحلى 285/8 , شرائع الإسلام 5 / 393 , شرح كتاب النيل 9 /23 .

(123) سورة النساء آية 6 .

(124) شرح ميارة 349/2 .

(125) المغني 300/4 .

(126) سنن ابن ماجة 2 /798 رقم الحديث (2389) ، وفي الزوائد في إسناده يحيى وهو غير معروف في أولاد كعب فالإسناد ضعيف , وأخرجه الطبراني في الكبير 24/ 256 ، رقم الحديث (654) ، والأوسط 8 /293 ، رقم الحديث (8676) .

(127) شرح ميارة 349/2 .

(128) مصنف ابن أبي شيبة رقم الأثر(21503) ، 402/4 .

(129) المغني 299/4 .

(130) المصدر السابق نفس الصفحة .

(131) المغني 299/4 , المحلى 310/8 .

(132) سورة النساء آية 6 .

(133) بداية المجتهد3 /56 ، شرح ميارة 3 / 393 .

(134) اسنى المطالب في شرح روض الطالب 206/2 , إعانة الطالبين 3 /84 .

(135) الروض المربع 2 / 27 ، المبدع 4 / 8 , شرح الزركشي على مختصر الخرقي , شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (و 722هـ .ت 772هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة النشر(1423هـ .2002م) , تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم ، 2 / 130 .

(136) بدائع الصنائع 7 / 170 , حاشية ابن عابدين 1 / 237 .

(137) المحلى 8 /284 .

(138) الروضةالندية2 /237 .

(139) التبيان للطوسي3 /113 .

(140) تفسير اطفيش 2 / 53 .

(141) بداية المجتهد3 /56 .

(142) سورة النساء آية 6.

(143) أضواء البيان 545/1 , شرح النووي على صحيح مسلم ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، (و. 631 هـ ت. 676 هـ). الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة النشر (1393 هـ) ط2, 191/12 .

(144) بداية المجتهد3 /56 .

(145) سورة النساء آية 2 .

(146) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني , محمود الألوسي أبو الفضل ,الناشر : دار إحياء التراث العربي , بيروت ,4 /206 ,

(147) سورة النساء آية 6.

(148) البحر الرائق 8 / 91 .

(149) إحكام القران للجصاص 184/1 .

(150) متفق عليه واللفظ للبخاري , صحيح البخاري 2 /745 رقم الحديث (2011) , صحيح مسلم 1 /313 رقم الحديث (949) .

(151) شرح النووي على صحيح مسلم 191/12 .

(152) سورة النساء آية 6.

(153) تفسير الفخر الرازي , محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، 9 /492 , تفسير القرطبي 5 / 37 ، جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، (و224 . ت310 هـ) المحقق : أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة ط 1 ، (1420 هـ .2000 م) 2 / 7 , التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى 1 / 233 ، تفسير البيضاوي ، البيضاوي , دار الفكر , بيروت ، 2 /148 ، تفسير الخازن 1 / 487 , تفسير القرآن, عبد الرزاق بن همام الصنعاني , مكتبة الرشد , الرياض , ط1 , سنة1410 هـ ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد , 1 /146 . تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي , دار الكتب العلمية , بيروت (1424 هـ .2003 م) ط1 ، تحقيق : أحمد فريد1 / 215 , تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ) الناشر : دار الفكر, الطبعة

الجديدة (1414هـ.1994م) المحقق : محمود حسن ,1 / 559 ، شرح صحيح البخاري 8 /184 تفسير ابن أبي حاتم 4 / 22 .

(154) بدائع الصنائع 193/7, أضواء البيان 8 /565 .

(155) شرح ميارة 2 / 391 .

(156) إعانة الطالبين 3 / 70 , الحاوي الكبير 6 / 339 ، المجموع شرح المهذب، أبو زكريا بن شرف النووي الدمشقي (و 631 هـ. ت 676 هـ)،الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت سنة النشر: (1997 م) 13 / 366 .

(157) اللباب في علوم الكتاب 6 /188 .

(158) تفسير السراج المنير , محمد بن أحمد الشربيني , شمس الدين , دار الكتب العلمية , بيروت ,1 /221.

(159) البحر الرائق 5 /250 ، الجوهرة النيرة 2 / 420 ، النتف في الفتاوى ، أبو الحسن علي بن الحسين السغدي ، مؤسسة الرسالة , بيروت (1404هـ . 1984م) المحقق : صلاح الدين الناهي ،2 /748 .

(160) التاج والإكليل ، محمد بن يوسف أبي القاسم العبدري أبو عبد الله (897 هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت ، سنة النشر 1398 هـ ، ط2 ، 6 / 396 , حاشية الدسوقي ـ محمد عرفة الدسوقي ـ المناشر :ـ دارـ المفكر بيروتـ , تحقيق: محمد عليش ،8 / 74 , الفواكه لدوراني5 / 362 ,حاشية الصاوي 7 / 344 , بداية المجتهد 212/2 .

(161) تفسير اطفيش 2/ 54 .

(162) التبيان للطوسي 3 / 117 .

(163) تفسير القرطبي 5 / 36 .

(164) سورة النساء آية 6 .

(165) شرح ميارة 353/2 .

(166) الفتاوى الهندية 5 /61

(167) البهجة في شرح التحفة 2 / 72 .

(168) الحاوي الكبير6 /339 ، المهذب 1 /331 .

(169) المغني 4 / 515 , كشاف القناع 3 / 445 .

(170) المحلى 285/8 .

(171) سورة النساء آية 6 .

(172) المغني 4 / 515 , شرح ميارة 353/2 .

(173) المحلى 286/8 .

(174) سورة البقرة آية 256 .

(175) سورة الحجرات آية 7 .

(176) سورة هود آية 97 .

(177) المحلى 286/8 .

(178) المحلى 8/ 285 ، أضواء البيان 545/1 .

(179) سورة النساء آية 6 .

(180) تفسير آيات الأحكام 1 /191 .

(181) سورة النساء آية 6 .

(182) المغني 8 / 140 .

(183) سورة البقرة آية220 .

The Effect of Storytelling on Vocabulary Acquisition

Elaf S. Abdulla
University of Tikrit
College of Education for Women /English Department

ABSTRACT

The present study deals with the importance of using storytelling as a new technique in language teaching . English language learners faced many problems in learning vocabulary since they have to memorize a large number of vocabulary day by day . So , this study aims at helping students to improve their vocabulary learning and retention skills .Besides ,it has an important role in increasing the student's level of motivation , interest , enjoyment and pleasure towards vocabulary learning by offering meaningful and rich input . Thus, a test has been given to thirty Iraqi EFL students and their responses have been analyzed .Test validity and test reliability are the main procedures of the test .Their responses have shown that the using of the storytelling has an important role in developing and retrieving the vocabulary .However,it is hoped that this new technique can reduce the problems of the EFL in learning vocabulary.

Section One

1.1 ***The problem of the study :***

Vocabulary is central to language and very important in language learning. It is unacceptable to understand a written text without knowing the vocabularies it consists. Therefore , Schmitt (1997:203) says that "vocabulary learning strategies are the processes by which information is obtained, stored, retrieved and used ".

The problem of this study is that many learners of English as a foreign language (EFL) have difficulties in retrieving the vocabulary and the vocabulary learning through rote memorization results in poor performance in the communicative use of previously learned vocabulary.

1.2 ***Aims of the study :***

It aims at :

1. discovering young learners' attitudes towards vocabulary learning through storytelling activities.
2. showing the role of storytelling activity as a way for students to learn and develop an understanding of themselves and others through their life stories. So, stories are the most valuable resources that teachers have and they propose students a world of supported meaning that they can relate to.

1.3 ***Hypotheses:***

It is hypothesized that:

1- Using storytelling technique as a means for acquiring vocabulary can help students to enhance their vocabulary knowledge and help to memorize it when needed.

2- Using storytelling by teachers in classroom brings out significant difference in language learning (i.e. vocabulary learning) as compared to a situation where no storytelling is used. So ,there is significant difference between the control

group and the experimental group in acquiring vocabulary correctly by using storytelling as a means of learning .

1.4 ***Limits of the study:***

1- The study is limited to the first year students of English department, at College of Education for Women –University of Tikrit for the academic year (2009 – 2010) .
2- It is concerned specifically with the effect of using storytelling on the acquisition of vocabulary by Students of English .

1.5 ***Value of the study :***

For a teacher , storytelling is important because of its effectiveness in fostering a relaxed and intimate atmosphere in the classroom. So, teachers can hold the attention of their classroom and teach not only the art of storytelling, but also the information of core subjects using stories. This teaching method brings fun into learning for today's video generation.

For students , they can increase their skills in both speaking and listening, as well as writing , and they can more easily retain the information found in the contents of a story especially vocabulary.

Section Two
Theoretical Background

2.1 ***The Technique of Storytelling***

It is very difficult to determine the exact time of starting the storytelling , since , there is no specific time of its beginning . It is used primarily as paintings , pictures for tales which describe the events and things of that time and gradually these stories will be used to create tales and to make sense of the world . However , stories are an inherent part of communication which are used as a way of sharing and explaining ourselves to other people as well as educate others who have less experience . Hence , It is a skill that can be developed and used in improving the language teaching .

Records of storytelling have been found in many ancient cultures and languages. For example , the Celtic bards of old used storytelling as a way of making sense of their origins , a way to build a common history . They would chronicle events through poetic narration , epic tales that are presented in folklore and legend till this day . (Davies , 2007 :3)

In addition , Pellowski (1991:15) illustrates the major points of the importance of storytelling as follows :

1. It grows from the playful elements of human nature and satisfies a need for self - entertainment .
2. It can be used to clarify the environments around us since , we are humans, we need to make sense of things in order to find the reason behind evolution .
3. It is used as a means to explain the supernatural forces which are believed to be found in the world at that time in order to satisfy religious beliefs .
4. It can achieve an aesthetic need for beauty , form and regularity through expressive music and language .

Furthermore , the following reasons can stand for regarding storytelling as an important strategy for any curriculum :

1. It helps in the development of students' ability to interpret and understand actions beyond their immediate experience .
2. It is a medium of shared experiences , social and interpersonal development .
3. It is the natural way to introduce students to the wonderful world of books and reading . This reading will enable them to create his/her own stories and learn how to communicate his /her thoughts individually and groups .

(Davies , 2007 : 5-7)

2.2 ***The Concept of Storytelling***

Storytelling is as old as the history of human being and has been used since the early ages of education starting by mothers and by all kinds of educators . Delette (1997: 10) defines it as " the oral interpretation of a story , during which the storyteller invites the listeners to create meaning through conversation and imagination " .In addition ,Mcdrury and Alterio (2002 : 31) define storytelling as " a uniquely human experience that enable us to convey , through the language of words , aspects of ourselves and others , and the world real or imagined , that we inhabit ".

In this regard , parkin (1998 : 1) emphasizes that there are some characteristics can be used as methods for communication and teaching . For example , as stories , metaphors , myths , legends , similes and analogies …. etc . Thus , storytelling can be used as a teaching process and practiced in the class . One can summarize all these definitions in the following words :storytelling is the sharing of ideas and experiences through words and actions to communicate and make meaning about our lives and the lives of others .

2.3 ***why are Stories told ?***

The reason behind telling a story is to give information about characters experiencing a particular series of facts and working towards an agreeable end.In this respect ,Pagano (1991 :197) states that when we teach we tell stories about the world . Some stories are scientific , historical , philosophical and so on so , from this opinion , teachers should encourage their students to tell stories about events they have experienced and to make interaction between stories of the world and their own stories . Storytelling is an ideal learning tool for expressing cultural realities .

In general , many educators make storytelling as a narrative approach to curriculum development . This approach depends on a set of guiding principles . These are context , construction , collaboration and conversation . Context relates to the physical , Cultural , social and Political aspects involved in stories . The construction of knowledge is the result of their active participation in a storytelling process . While collaboration includes the relationships that are developed between tellers and listeners . Conversation is the means by which tellers engage in reflective dialogue **.** (Mcdrury and Alterio ,2002:35)

Besides , stories play a significant roles in teaching and learning . Teachers tell stories to students for many reasons : to present new material in interesting ways , to share practice experiences and to reveal aspects of themselves . They should also encourage students to tell stories about their special events . (Ibid . :37)

2.4 ***How are Stories told ?***

Educators help students to tell practice- related stories and they discover how students tell and process their stories . So , there are three characteristics contribute to the storytelling process as follows :-

2.4.1 ***Setting***

There are two settings . Happening settings where events take place, and telling setting where stories are told about these events . Telling settings may be informal or formal . Informal storytelling happens when there is a story to tell , a willing listener (s) and a suitable physical place . In this setting , responses want to be variable and frequently result in listeners sharing their own stories . While formal storytelling is a conducive one to promoting dialogue , valuing affective responses and providing opportunities to practice . Listeners play a key role in these processes . Hence , in order to increase learning from stories , it is necessary to emphasize particularly on the learning process by placing storytelling in formal setting . (Mcdrury and Alterio ,2002:50-51)

2.4.2 ***Listeners :***

Listeners can form the storytelling process and influence outcomes by listening to stories and engaging tellers in reflective dialogue . They play a notable role during dialogue by influencing , through reflective questioning and other aspects are taken place .

Dialogue includes two ways : response discourse and response story . Listeners engage in response discourse , which helps the tellers discovers there experience in depth .This case happens when listeners stay focused on the original story ; dialogue deals with elements of the practice experience being related . While , the response story discovers a theme from the original story by exploring a similar event . (Ibid . : 52)

2.4.3 ***Story***

Stories occur primarily because tellers want to share particular events or situations that lend themselves to such telling . For instance , spontaneous storytelling , closely link in time to practice settings , usually has a strong affective motivating force .

Another example is predetermined storytelling , where the teller has considered the event in a pre story reflective form and tends to discover it further .

In contrast , there are stories depend on curiosity that leads to a telling , may be un answered questions relating to knowledge and skills , or involving interpersonal dynamics . Some stories are re-told many times to different listeners for a variety of reasons - with each re-telling , new learning can occur . This is particularly likely when tellers make conscious choices about how they tell their stories . (Ibid . : 55)

2.5 ***Vocabulary***

There are some definition of vocabulary . According to Webster Dictionary (1935 :1073) ,vocabulary is : " A list or collection of words usually alphabetically arranged and explained or lexicon , stock of words use in language or by class , individual , etc " . Also , Hatch and Brown (1995 : 1) define vocabulary as a list or set of words for a particular language which can be used by individual speakers of language .

Gradullay, Vocabulary plays an important role because it appears in every language skills . Vocabulary building is really important in any language learning . Pyles and Algeo (1997 :159) state that "vocabulary is the focus of language . It is in words that sound and meaning interlock to allow us to communicate with one another , and it is a word that we arrange together to make sentence ,conversations , and discourse of all kinds" .

The mastery of vocabulary is particularly important for people who study English as a foreign language . Thus ,the students should master the fundamental grammatical patterns of a language, then they should master the vocabulary that they need . Nobody ever learns all the words in any language . We know and use the words that fit our particular purposes and learn new words as long as we live .

So, everybody who learns a language as a foreign language is liked to know and master the Vocabulary to improve the language skills .

2.5.1 ***Types of Vocabulary***

Vocabulary can be classified into the following types :-

a) Receptive vocabulary : it means that a learner can know and recognize the word when it is heard , and of what grammatical pattern the word will occur . In this type , they can distinguish the word from another word with a similar form .
b) Productive vocabulary : it means that how the learner can pronounce the word , how to write and spell it , and how to use it in grammatical pattern a long with the word which usually collocates with it . (Nation , 1990 :29)

Also, Aeborsold and Field (1977:139) divide vocabulary into two terms as follows:

1. Active vocabulary : in this type , the learner can use the words in speaking or writing and it is also called productive vocabulary . In fact , it is more difficult to put into practice . It means that the students should know how to pronounce the words well, they should use the grammar of the target language, they should also understand the connotation meaning of the words .
2. Passive vocabulary : in this type , the students are able to recognize the word but they are not able to produce it . It can be understood in the context of reading or listening and also called receptive vocabulary . At beginner and elementary levels most words are active . while , at more advance levels some words are active and some words will belong to the students' passive vocabulary .

From above explanation, every expert in every book is different in classifying the types of vocabulary , because every

person has different ideas and opinions . One can say that vocabulary is of two kinds function and content words.

2.5.2 ***Storytelling and Vocabulary Learning :***

Learning and recalling vocabulary items have always been problematic especially for learners in teaching and learning process . For that reason the teacher can use storytelling activities in classroom settings in order to foster the success of vocabulary learning and retrieving .

Cameron (2001 : 84) classifies vocabulary learning into five steps as below :

- Having sources for encountering new words ,
- Getting a clear image where visual or auditory or both , for the forms of new words ,
- Learning the meaning of the words,
- Making a strong memory connection between the forms and meaning of the words ,
- Using the words. By this way new word is learnt or remembered .So storytelling activities have a regular repetition style while presentation of the story , retelling the story , and in all kinds of storytelling activities .

Storytelling gives an opportunity for students to expand their vocabulary as they decode the meaning of words , focused on the context of the story they hear or read . Also listening to stories improves students' understanding of grammar and literary devices as they see them within a story .(wojciechowicz ,2003 :6)

Nation (1990:51) has listed basic techniques by which teachers can explain the meanings of new words , all of which can be used in classrooms by demonstration or pictures

- Using an object
- Using a cut of figure
- Using gesture
- Performing an action

- Photographs
- Drawing or diagrams on the board
- Pictures from books

The list above seems to tell storyteller actions during a presentation . New word is put in a meaningful context by the storytelling activities . According to that , storytelling activities is useful for learning and retrieving the vocabulary items , and it is definitely an enjoyable teaching tool . In this case the students will have a sense of achievement which will develop motivation for further learning . So, this study implements storytelling activities and expect valuable contributions to vocabulary learning process and retention of young learners in EFL classes .

2.6 ***Introducing the storytellers to the Class***

2.6.1 ***The Path of the Storyteller :***

We can see the benefits of using storytelling in the classroom , we can know what it's about and how it can be used . There are many ways that the storyteller can follow in order to make this process easy and enjoyable :

1) ***Choosing a tale :***

The storyteller may prefer the option of finding a tale . Some storytellers prefer to adapt other people's stories . The same story can be told by ten storytellers and it will be different at each time . Storytellers should choose the right tale , it can take time to find what they are looking for . It must connect with the storyteller . The best advice for any storyteller is to enjoy the tale .

Moreover , storytellers should know their audience , their interests , attention span , likes , dislikes , previous experience with stories , level of literacy etc . They also should interest in the kind of story such as , fairy tales . These tales embrace light and darkness , they touch universal fears , hopes and aspirations . people enjoy the tradition and romance of fairy tales ; they

(especially children) enjoy hearing kings and queens , dragons and witches . Storytellers should also pick stories that make sense and have a satisfying ending . They should search for interesting characters that students can identify with and plots that are exciting . Every storyteller has a different voice . Their audience sometimes need to listen to audio tapes of stories . (Davies, 2007:9-12)

2) ***Creating a tale :***

There are many characteristics in creating storyteller's own tale to tell . At the beginning , that tale is original , it may have elements of other stories , and it has never been heard or read before . Storyteller is the master of the tale who provides confidence and control . He / She can be flexible with the plot and characters . When he /she writes his / her own tale , he /she can tailor it to suit his /her requirements ; rather than spending time searching for the perfect tale to do what he/she wants to fulfill his /her needs . Storyteller uses three types of language description , action and emotion . Description sets the scene action gets the story moving and emotion adds color and depth. Storyteller also works in pictures , so putting a story together based on pictures , paintings or photographs is a good way of thinking visually . (Ibid . :13-15)

2.6.2 ***The Teacher as A Storyteller in the Classroom***

Storytelling is considered as a means of communication between the teller and the listener . Also , it has the potential to become a valuable educational tool for students when taught in an effective manner . A storyteller need not be a "performer" ,but rather a person who has good memory and listening skills , who likes the story chosen for telling , and who knows the story so well(Scott ,1985 : 3).

For a teacher who wants to become a storyteller , it is best to being by choosing a simple story with only a few characters and an un complicated plot . The story should have action , the

plot must understandable to the listeners and the events of the story should have a climax that leads to a conclusion . Beside, in a classroom environment the teacher as a storyteller relies on students' background knowledge to practice and comprehend . They can ask students to imagine the setting , events , or the meanings of the words used in the story . They will create their personal images in their mind related to their experiences and relied to their background information .

(Roney,1996:4)

The first thing that the teller does in the class is to ask his / her students what they think storytelling is . Most students believe that storytelling has something to do with reading or writing stories . Some others think it's all about acting , but it's a combination of using the right words and movements to create the desired effect . From my point of view , I prefer to think of storytelling as a form of engagement . It's how to use words to deliver a message and connect with your audience . Making it real for them is the most important thing . (Ibid.)

In addition ,telling stories requires great skills for the storytellers . So , there are advantages and disadvantages of both reading a story a loud and telling a story . In reading a story , everything is provider . There is no trouble with the plot or the sentences . The storyteller uses the written form as a guide . While telling story will bring better relation with the listeners . It will provide a good interaction between the teacher and students and let the process to be in a natural way . According to Wright (1995 : 32) , it is often easier to understand the story when it is told instead of read . The teacher can respond to students' lack of comprehension , their enjoyment . While telling the story the teacher can use the body language more effectively to foster the meaning .

Brewster , Ellis and Girard (2002: 22) describe the techniques which could be used by the teachers when using storytelling in classroom as follows:

- Start with short stories which do not challenge the students' concentration.
- Make sure that everyone in the class can see you and hear your voice easily.
- Read or tell slowly and clearly . Give enough time to understand , ask questions and make comments .
- Encourage the students to participate , by repeating the key vocabulary items and phrases .
- Using the gestures , mine ,and facial Expressions to help convey the meaning .
- Vary the tone and volume of your voice in order to give the meaning you intended to tell .

According to the information above , using storytelling activities with learners offers many opportunities for teaching and learning in ELT classes.

Also , the teller begins by clarifying that in storytelling we make up stories in our heads . We see these stories and watch them develop like we would watch a film at the cinema . Then , the teller asks the class what kind of stories they like to make up . For example , he/she starts to tell a story about a queen by asking them questions , what does a queen do ? where does she live ? what does she wear ?these are prompts to his/her story which encourage the class to build up a picture of the main character . (Pellowksi , 1991:48)

Besides , the best introduction to storytelling is the story . Thus , being by setting the scene , asking questions to get the class thinking visually and then present the tale . Watch the audience . Make a mental note of any areas where expressions and eye contact vary . As a storyteller you have to learn to release

the control on your story , and the outcomes you expect to achieve . Storytelling is about personal experience , it's about making it real for the individual and each person young or old bring different things to the tale . (Ibid.)

Accordingly , storyteller can use stories to engage , educate and entertain . Most of stories should be used to open the doors of creativity and add colour and texture to the life .

Section Three
Procedures of the Study

3.1 ***Introduction :***

This section attempts to test the hypotheses which concerned with how the teacher (as a storyteller) can use the storytelling technique in helping the students to acquire and enhance their vocabulary knowledge and retrieve when needed. For this reason, the researcher uses different stories which are related to real life situations in order to achieve the aim of a acquiring new vocabulary by the learners.

However, this section deals with the practical procedure of the current study which includes: the sample selection procedure,the scoring scheme, test validity, test reliability, test administration and statistical methods.

3.2 ***The sample selection procedure:***

To achieve the aims of this study, the sample is the first year students of English department at College of Education for Women in the academic year 2009-2010.

The sample consists of (30) students. The class is an already existing group of students so no random selection is occurred. All of the students have participated in the study, they are 20-21 years old.

So, an experiment has been designed to achieve the aims of the study and to verify its hypotheses . The researcher has used two groups of 15 students and divided them into a control group and an experimental group. Both groups are in the same age and their mother tongue language is Arabic language. Thus, they are considered as foreigners because they learn English as a foreign . The control group has given a lecture in brief about the storytelling, its uses and how the teacher can use it in the class as a new technique to communicate with the students. And then the researcher has applied the test on them directly. But the experimental group has given a lecture about this subject in

detail and become aware of it. After that ,the same test is applied on the students and followed the same procedures in writing the short story.

3.3 ***Procedures***

In order to achieve the aims of the study, the researcher emphasizes on how the teacher (as a storyteller) can use the storytelling activity to make the students acquire new vocabulary from stories related to real life situation and they are familiar for them. The test has been applied on the control and experimental groups of the first year College students for two hours in the second week and the period of applying storytelling lasts two weeks. In the first week , two lectures are given to the students (control group) to teach them briefly the subject of storytelling . While, four lectures are given to the students (experimental group) to teach them in detail the importance of storytelling, what is meant by storytelling and how they can use stories in class as a device for their learning.

Firstly, the selected material of the study has taken from a book which is entitled "storytelling in the classroom" in which one of the narrative stories has chosen which is called "The king's cloak". It is chosen because of its simplicity and familiarity for the students at the first time of reading, but when the story reaches to its end ,it becomes difficult since it contains many difficult and new vocabulary which are not heard previously in their studying . So, they feel very pleasure and get benefit from this story. When the story is told and acted to the students by the researcher , the words and phrases are selected and specified according to their simplicity and difficulty as well as they are chosen from different paragraphs of the story: its beginning, plot, the end . The participants (as foreigners) are still influenced by their native language. Thus, this problem affects their understanding and analyzing the main features of the story. For this reason, the target vocabulary items are reinforced

by conducting the students such activities like: retelling the story, asking comprehension question, total physical response activities, role playing and picture reading.

It is important to mention that before reading the story, the teller (the researcher herself) shows some pictures of the story to the class and asks them to guess what may be the story is about, who are the main characters. Using the pictures in the book, the story is read and told to the students by using mimes, gestures and facial expression . The students are asked to participate to the actions during the presentation of the story by making some movements which related to the subject of the story. Moreover, the story is retold by the teller (researcher) with the students together. She shows pictures of some scenes of the story and the students are asked to retell it. They have asked some questions about the story such as "Who is the king ? ” " What is the character of the king ?” . After telling the action of the story ,phrases and expressions which are used in the studying of the story are written on the blackboard in order to measure how the students can learn and acquire these vocabularies. Sometimes, the students are asked about their meanings and some strange vocabulary are given their meanings.

Then, each group of the students in the class are divided into two groups and asks them to retell the story from their own style and explain their ideas about the characters of the story. After that, they have discussed their opinions together.Here ,the repetition process is very important in telling the story to help the students who miss some different parts of the story. Also, there is a variety of the tone and the volume of teller's voice for each character in order to give the intended meaning and make the story interesting and enjoyable for the students. At the end of the lesson, the students are asked to role play and act some scenes from the story using the masks of the characters, their clothes, their styles, ...etc .

Throughout this application ,the participants are given a test at the end of second week to assess their learning and recall the vocabulary items presented. This test consists of the same vocabulary items that the students have been taken during the learning period. The test consists of one question which included 45 vocabulary items (words and phrases) which are chosen from the same story "The king's cloak". The researcher asks the student as storyteller to write a short story having the same title "The king's cloak " by using the same vocabulary items which are taken in the period of learning . The time which is given to the students of each group to answer this question is about two hours. The students are asked to write their answers on paper sheets . After that , the students' papers are collected and checked according to their style and understanding of the actions of the story . So, the purpose of this test is to measure and assess the student's ability as tellers to retell the story in another time and to measure their mastery of acquiring and learning variety of vocabularies in the target language by using storytelling as a new technique in the class .

3.4 ***The Scoring Scheme :***

The students' responses are corrected by the researcher herself , they are either correct or incorrect . When the testee has used the word or phrase in its right order according to the actions of the story , this word or phrase has scored one mark (i.e. correct response) . But , when the response is incorrect , the word has scored zero (i.e. wrong use of the word) . There are no biased scores . When a word or phrase is left (i.e. the testee has not used it in the test or in her writing the story) , it is counted incorrect and it is scored zero . So , the total marks of the test are (45) .

3.5 ***Test Validity***

There are three important characteristics of a good test which are : validity , reliability and practicality .The present study is concerned with validity and reliability for her importance

in this study.Content validity of the test has been submitted to the note and correction of the jury members .

Harrison (1983 : 11) defines the validity of the test as " the extent to which the test measures what it is intended to measure ". There are different types of validity , the most prominent of them are face validity and content validity . Face validity is emphasized on what teachers and students think of the test . The best way to discover face validity is to expose the test to a jury of specialists . While content validity is based on the objective of the course taught .

Also , Heaton (1975:154) says that content validity deals with " an important analysis of the language being test and of the particular course objectives ". The test should include samples of the course , the relationship between the test items and the course objectives always being apparent .

In order to achieve the test validity , it is given to the jury of experts in English department . They are asked to study the test to add , modify , or change anything they consider necessary . However, certain suggestions and modifications have been made by the jury on the test , which are taken into consideration . All the members have agreed that the test is suitable for assessing the storytelling as a technique and it can be used in the class by the teacher to acquire different vocabulary .

The jury of experts are as follows :

1.Dr. Madeha S. Salah Assist . prof .College of Education /University of Tikrit
2.M.A Shrooq A. Ali Instructor College of Arts /University of Baghdad
3.M.A Zaineb A. Ali Instructor College of Arts /University of Tikrit
4. M.A Hadeel K. Ali Assist. Instr . College of Education /University of Tikrit

5.M.A Abdalmonaam K. Ali Assist. Instr . College of Education for Women /
University of Tikrit
6.M.A Hanan K. Omer Assist. Instr . College of Education for Women /
University of Tikrit
7.M.A Yasser M. Salah Assist. Instr . College of Education for Women /
University of Tikrit
8. M.A Hadeel K. Ali Assist. Instr . College of Education / University of Tikrit

3.6 ***Test Reliability***

Harrison (1983 : 11) defines reliability as " the consistency with which a test measures the same thing all the time " . Therefore , reliability consists of three aspects : the place in which the test is produced , the way in which it is marked and the unity of the assessment it makes .

Lado (1961 : 31) admits that reliability is general rather specific . When the scores of a test are stable or steady , that is, reliable, they remain the same scores regardless of what we test .

The researcher has used split- half method to compute the reliability of the test. So, Anastasi (1976: 114) says that split - half reliability provides a measure of consistency with regard to content sampling . This type of reliability required a single administration of a single form . The test was divided into two halves by putting the odd - numbered items in one half , and the even -numbered ones in the other .

The Pearson correction coefficient formula has been used to compute the correlation coefficient of the two " half - length tests " (Glass and Stanley , 1970 :114) . It is then corrected by Spearman formula in order to get the reliability coefficient of the test item .

Spearman Brown formula has been used to correct the reliability coefficient .

$$Rxx = \frac{2rhh}{1+rhh}$$

(Ferguson , 1966 : 378)

The results of applying the split- half method are presented in Table (3) .

Table(3)

Reliability Coefficient of Split - half method and its correction by Spearman Brown Formula

N. of Sample of students	Split - half Correlation Coefficient	Spearman Brown Coefficient
30	65.22	79.53

The results above indicate that the test is highly reliable .

3.7 ***Test Administration :***

The objectives of the test are explained initially to the students by the researcher herself . The sheets of the test are distributed to the testees , and they are given some instructions to help the students to know how they can use these words and phrases in a short story .

Besides , the test has been administrated on (30) students in English department , college of Education for Women , at University of Tikrit . The test is given to two groups (control and experimental) at the end of the second course of the academic year 2009-2010 .

After that , the researcher has collected the test papers by herself . The answer sheets of (30)students on (45) words and

phrases have been checked . And the students' responses have been corrected and analyzed by the researcher .

3.8 ***Statistical Methods :***

The researcher has used different statistical methods in order to achieve the purposes of the test :

1. The mean score is used . Heaton (1975: 169) defines the mean score " is the arithmetical average : i.e. the sum of the separate scores divided by the total number of testees …. The mean is the most efficient measure of central tendency ".
2. Standard Deviation (SD) is used . Heaton (1975: 170) indicates that standard deviation " is another way of showing the spread of scores . It measures the degree to which the group of scores deviates from the mean" . One method is used to calculate SD is shown in the formula below :

$$SD= \frac{\sqrt{\sum d^2}}{N}$$

N is the number of scores and d the deviation of each score from the mean .

3. Variance : It is one of the statistical methods which is widely used to measure the variability of scores It can be expressed statistically as follows :

$$Variance = \frac{\sum[x-\bar{x}]^2}{N}$$

(Butler , 1985:37)

4. T. test is a method used to measure and count the important difference between the results of the two groups of students (Glass and Stanly , 1970: 295). So, T. test method for independent samples is used in this study . It can be estimated by the following formula :

$$T = \frac{X_1 - X_2}{\sqrt{\frac{[(n_1 - 1)\, S_1^2 + (n_2 - n_1)\, S_2^2]}{n_1 + n_2 - 2}\left(\frac{1}{n_1} + \frac{1}{n_2}\right)}}$$

3.9 ***Summary about the Story of "The King's Cloak ".***

The story is used by the researcher in the classroom in order to achieve the aim of this study . It is suitable with different ages in every time . This is because not only it is an excellent tale that allows the class to get involved in the telling , it is the perfect introduction to explain what storytelling is .

The king's Tailor is the central character . The story follows events as the Tailor continues to make items of clothing for the king from the same piece of material (a smelly old kitchen rag) . The king is very precious about his clothes and in credibly vain (this is what makes the tale amusing) . Each time the Tailor makes something he convinces the king that it is something special , So the king wears it over and over , until he wears it out . The Tailor then has to make something new.

As the story goes on the items of clothing get smaller and smaller until eventually the tailor is left with a couple of ragged threads .He takes the threads and weaves them into his hair , and from spends his life wandering from kingdom to kingdom . He makes a living not by weaving clothes , but by weaving tale , wonderful , colourful yarns that people remember , and his favourite tale is that of the king's cloak . This illustrates the concept of handing down tales , of using them to pass on information and to record history .

Section four
Analysis of Results

4.1 ***Introduction***

This section aims at analyzing the results of the test which have been carried out by college students in using storytelling . So , in order to clarify whether there is a significant difference between the experimental and the control groups in the test scores , the researcher has used difference statistical tools such as: means , standard deviation , variance and " t" test for independent samples which was mentioned in section three .

4.2 ***Comparison of the Experimental and Control Groups in the Test Scores :***

Determining whether there is significant difference between the mean scores of the experimental and the control groups in the total scores of the test , the researcher compared the mean scores of the two groups : the mean of the control group is (6) , and the mean of the experimental group is (7.2) . The 't' test is calculated in order to discover if there is significant difference between the mean scores of the two groups . The formula used was that of independent samples . The 't' value is (1.1) , it is compared with the 't' critical value which is (2.000) . This comparison indicated that there is no significant difference at . 05 level between the two groups . So, the second hypothesis which is adopted initially is rejected . See Table (1) .

Table (1)

Mean ,Standard Deviation and "t" Value of the Test Scores

Group	N.of students	Mean $\overline{x}$	Standard Deviation S .D	Degree of freedom	't' value
Experimental	15	7,2	4,263	28	1,1
Control	15	6	3,13		

4.3 Discussion of Results :

By using the statistical analysis of results , the researcher explains that there is no obvious significant difference between the experimental group and the control group of students in using storytelling technique as a means of learning. But the mean of the experimental group is (7,2) which is more than the mean of the control group is (6). This indicates that , though there is no more variance in grades between the means of the two groups , but the students of the experimental group have got more benefit in acquiring more vocabulary and in using storytelling as a new technique in learning like how to tell stories , how to communicate between each others in using their thoughts , styles , language experiences …. etc. While the students of the control group have got less benefit in learning storytelling and in acquiring different vocabularies . This is because that this group of students have not been taught more about storytelling as a mean of learning . They are just given some lessons about how to tell stories and how to use them in classroom as a new technique . The researcher has applied the test on them directly and asked them to write a story which is untitled " The king's cloak " from their own style, thoughts, experiences and how they can arrange their thoughts according to the events of the story . So , they face more difficulty in writing and in arranging the events of the story chronologically. In spite of facing this problem , they can acquire some new vocabularies from this story. They have written the story by using their own words which they have studied previously . So , they memorize more vocabulary .

Finally , from the result of the present study , it has been shown that though there is no great variance in the grades of the two groups, in other words , there is no great difference between the two groups in acquiring new vocabulary from using storytelling in the class . But , the researcher thinks that storytelling is very important for the students to learn English

vocabulary easily . She believes that the situation in which the students are taught by using this technique , has a significant role in developing the student's skills in acquiring vocabulary more than the situation in which the students are taught briefly about storytelling as a means of learning and they just have written a story from their own words . But the results of the test indicate the opposite of this thinking. Moreover , storytelling is considered as a new technique for the teachers of English , which is not used previously in the classroom . They usually use the traditional technique in teaching English vocabulary . So, the teacher as a (storyteller) likes this method in teaching and the teachers believe it's very important for the students to learn and use it widely in class situation because it enables them to write perfectly and to acquire more vocabulary from telling, reading and writing stories as well as learning them how to write perfectly.

4.4 ***Demonstration and Analysis***

Table (2) the Results of the Test in percentage %

N	The items	Incorrect responses	Correct responses
1.	Cloak	23,3	86,6
2.	Valleys	30	56,6
3.	Strut up	43,3	33,3
4.	Word robes	6,6	45,3
5.	Outfit	26,6	56,6
6.	Incredibly vain	26,6	46,6
7.	Arrogance	23,3	26,6
8.	Tailor	10	23,3
9.	His collar with pride	26,6	3,33
10.	Bowed	46,6	20
11.	Sticking out	20	13,3
12.	Gruesome	6,6	13,3

13.	Smelly old kitchen	30	26.6
14.	It was magical	10	6,6
15.	The story to be real	93,3	6,6
16.	ridiculous	43,3	20
17.	Royal dustbin	46,6	10
18.	Grab the stinky	10	3,3
19.	Tears of fairies	6.6	10
20.	Hung	90,3	10
21.	Get ride of reams	95,6	6,6
22.	Convince	25,5	10
23.	Waistcoat	10	3,3
24.	Put on	3,3	6,6
25.	Admired his reflection	85,9	30
26.	Paraded up	95,6	10
27.	Sewing and weaving	13,3	10
28.	Take it off	6,6	6,6
29.	Strands of cotton	23,3	6,6
30.	Picked up	80,5	10
31.	Hold on	90,5	6,6
32.	Wonderful magical	10	10
33.	Enchanting tales	3,3	23,3
34.	Threads in the tailor hair	75,6	3,3
35.	Lad	3,3	40
36.	A travelling storyteller	6,6	3,3
37.	A tiny fabric button	87,6	6,6
38.	Medal	74,3	6,6
39.	Throwing that a way	75,4	6,6
40.	Pinching	3,3	3,3

41.	Packed his bags	/	3,3
42.	Whisked	3,3	/
43.	Veil	/	3,3
44.	Wove tales	/	/
45.	Captivated	/	/

After looking at the percentages of the correct and incorrect responses ,the results can be summarized as follows:

1)It is noticed that the student's correct responses in the following items are higher than the incorrect responses .This means that the students can easily use these items in their place in the story.Sometimes, this due to hat some words are repeated many times and the students can retrieve them easily like the word (cloak) that can be found in the title of the story"The King's Cloak" and the word (Tailor) in which all the events of the story built upon this character.The following items are given their percentages of the correct and incorrect answers .

The items	Incorrect responses	Correct responses
1.cloak	23,3	86,6
2.valleys	30	56,6
3.word robes	6,6	45,3
4.outfit	26,6	56,6
5.Incredible	26,6	46,6
6.Arrogance	23,3	26,6
7.Tailor	10	23,3
8.Gruesome	6,6	13,3
9.Tears of fears	6,6	10
10.put on	3,3	6,6
11.Enchanting tales	3,3	23,3
12.Lad	3,3	40

2)It is recognized that the student's correct responses of the following items are lower than the incorrect responses .This shows that the students have a difficulties in retrieving or using these items in their right place and this may belong to the a fact that some of the words are new and they heard them for the first time .Besides, some of these words are not used or repeated many times in telling the story.Sometimes, the students can not know how to use or put the word in the story in its right place like the words (storytellers ,the story to be real).Furthermore, some of the words are used by the teller as a metaphor for something in his mind and this results that some of the students could not understand their meanings clearly like the phrases (grab the stinky ,tears of fairies).The following items are given with their percentages of the correct and incorrect responses.

The items	Incorrect Responses	Correct responses
1.strut up	43,3	33,3
2.His collar with pride	26,6	3,33
3.Bowed	46,6	20
4.sticking out	20	13
5.smelly old kitchen	30	26,6
6.It was magical	10	6,6
7.The story to be real	93,3	6,6
8.ridiculous	43,3	20
9.royal dustbin	46,6	10
10.Grab the stinky	10	3,3
11.Hung	90,3	10
12.get rid of reams	95,6	6,6
13.convince	25,5	10
14.waistcoat	10	3,3
15.Admired his reflection	85,9	30
16.paraded up	95,6	30
17.sewing and weaving	13,3	10
18.strands of cotton	23,3	6,6
19.picked up	80,5	10
20.Hold on	90,5	6,6
21.Threads in the tailor hair	75,6	3,3
22.Atravelling storyteller	6,6	3,3
23.Atiny fabric button	87,6	6,6
24.Medal	74,3	6,6
25.Throwing that a day	75,4	6,6

3)Some of the items have the same percentages of the correct and incorrect responses.This indicates that the students have equal difficulty in using these words and make the same errors in using them in their writing the story.The following items are mentioned with their percentages of the correct and incorrect responses.

The items	Incorrect responses	Correct responses
1.take it off	6,6	6,6
2.wonderful magical	10	10
3.pinching	3,3	3,3

4)The students have also the same difficulty in using the two words (packed his bags) and (veil) in which only the percentages of the correct responses are mentioned and there is no mistaken responses .This means that there are no students can write this phrase correctly in the story just only few of them and it seems that they have a difficulty in memorizing them . While the word (whisked) has the reverse percentages of the previous two words because the perce . of incorrect responses is 3,3 and there is no perce . of correct responses mentioned in table (2) . This indicates that there are no students could write or use this word in its right position in the story.The following three items are mentioned with their percentages of the correct and incorrect responses.

The items	Incorrect responses	Correct responses
1.packed his bags	/	3,3
2.veil	/	3,3
3.wisked	3,3	/

5)Only two items have zero percentages of the correct and incorrect responses because these two words are not used by the students in their writing the story . This may belong to that students could not understand how or where they should be used them in the story . Besides, they may not know their accurate meaning .Two items are mentioned with their percentages of the correct and incorrect responses.

The items	Incorrect responses	Correct responses
1.wove tales	/	/
2.captivated	/	/

5 . ***Conclusions :***

In the light of the previous discussion of the results , the researcher has concluded the following :

Stories are everywhere . As we have said previously we hear , read ,write and tell them . By telling stories , we can convey different ideas and share many experiences of other people .Throughout our study,we can see that the students have difficulties in memorizing or retrieving the vocabulary especially the new ones that are not heard previously or those which have metaphorical meanings . Thus , storytelling can be considered as a powerful learning tool , at different levels , in different ways for different purpose ; and especially in teaching field .

Educators use storytelling to stimulate students' thinking skills , and convey practice realities . Therefore , teachers of English use storytelling as a technique or an activity in the class to help their students learn different vocabulary , rules of grammar , oral discussion with variety of questions which has been raised from the audience (students) to the teller (teacher) . The teller also must have interested in the type of stories being told especially those which are taken from real life situations of the students .As a result , they can make them engage in the story with their feelings and emotions . The more we use storytelling with students , the more we realized its application to lifelong learning .

Therefore , teachers should encourage students to articulate and process experience through storytelling ; they provide them with opportunities to clarify and question their assumptions . Educators and students should work and learn together in this way , the results learning experiences that are more challenging , interesting and stimulating to students . Thus , storytelling can also be viewed as a theory of learning .

Practically , from the researcher point of view that the English teachers and learners should engage in course of training

about using storytelling as a new technique in language teaching . The results of the test indicate the importance of storytelling in classroom which helps the students to acquire and learn different and strange vocabularies . And helps them to write perfect story from their own words, style , thoughts , emotions , and experiences . Although , this technique is new for students , but they found pleasure in using it in the classroom . But sometimes, they have failed in using some words and phrases in their right position , in their writing the story .

Finally, vocabulary is one of the important factors in all language teaching learning . And the students must continually learn new words as they learn structure and as they practice sound system , but most of the students are not interested and motivated at all . Therefore , the researcher uses storytelling as one of the strategies in teaching that benefits the students in many ways .

References

Aeborsold , Jo Ann and Lee Mary Field . (1977). ***From Reader to Reading_ Teacher***. New York : Cambridge University press .

Anastasi, A . (1976) ***. psychological Testing*** . 4th ed .New York :Macmillan Publishing Co. Inc .

Brewster ,J. ,Ellis ,G. and D.,Girard .(2002) . ***The primary English teacher's guide .London***:Penguin

Butler , Christopher .(1985) . ***Statistics in Linguistics .*** _ Oxford : Basil Black well .

Cameron , L .(2001) . ***Teaching Language to Young Learners*** **.**Cambridge : Cambridge University press .

Davies , Alison. (2007) . ***Storytelling in the classroom : Enhancing Oral and Traditional skills for Teachers*** . London : paul Chapman Publishing .

Delette , J. (1997) . Using storytelling to teach Strategies , The Language resource 1 ,4-25 .Retrieved April 25 ,2005 , from http://www.nclrc.org/think-aloud.html

Ferguson , A . (1966) ***. Statistical Analysis in Psychology and Education*** . (2nd ed .) New York : Mc Grow-Hill.

Glass , G. and J. Stanley . (1970) . ***Statistical Methods in Education and psychology***. Englewood : prentice. Hall, Inc .

Hatch , Evelyn and Chary 1 Brown . (1995) .***Vocabulary , Semantic and Language Education*** . Cambridge : Cambridge University press .

Harrison , Andrew . (1983) . ***A language Testing Hand Book*** **.**London : Macmillan Publishers .

Heaton , J.B. (1975) . ***Writing English Language Tests : A practical Guide for***
Teachers of English as a second or foreign Language . *London* :Longman .

Lado , Robert .(1961) . ***Language Testing : The Construction and Use of Foreign_ language Tests*** . London : Longmans .

Mcdrury , J. and Maxine Alterio. (2002) . ***Learning through Storytelling in Higher_ Education : Using Reflection and***

Experience to Improve Learning . London : Kogan page.

Nation ISP .(1990) **.** ***Teaching and Learning Language*** . New York : New Burry House .

Pagano , J.(1991) . Moral Fictions : The dilemma of theory and practice . In C . Witherell and N-Noddings (Eds) , Stories lives tell : Narrative and dialogue in education . New York : Teachers College press .

Parkin , M .(1998) . ***Tales for Trainers : Using Stories and metaphor to Facilitate Learning*** . London : Kogan page Limited .

Pellowski , A.(1991) **.** ***The World of Storytelling , revised and expanded edition***. Bronx , NY: H.W. Wilson .

Pyles , Thomas and John Algeo . (1997) . ***English an Introduction to Language*** . Harcourt Brave Javanovich, Inc .

Roney , R.C. (1996) . Storytelling in the classroom : Some theoretical thoughts . ERIC Database . Retrieved April , 2006, from Cukurova University System : http://:library .cu.edu.tr/

Schmitt, N.(1997) . vocabulary Learning Strategies . In Schmitt, N –and Mc Carthy (Eds.) . Vocabulary : describtion ,acquisition and pedagogy . Cambridge : Cambridge University press .

Scott , Patricia . " Storytelling :A guide to the art , " P.E.N.(primary English Notes)49, New South Wales , Australia : Primary English Teaching Association , 1985 . 9pp . [ED 263 552]

Webster's . (1935). ***The Largest Abridgement of Webster's New International Dictionary of English Language , Webster's college Dictionary .*** USA : G and G. Merriam co .

Wright , A . (1995) . ***Storytelling with Children*** . Oxford : Oxford University press .

The Test

Q /As a storyteller ,use the following vocabulary items in writing a short story entitled "The King's Cloak"?

1.valleys 2.wardrobes 3.incredibly vain 4.outfit 5.strut up 6.sticking out

7.gruesome 8.arrogance 9.lad 10.tailor 11.ridiculous 12.smelly old kitchen rags

13.royal dustbin 14.pinching 15. Grab the stinky 16.whisked 17.cloak 18.the tears of fairies 19.bowed 20.hung 21.veil 22.get rid of reams 23.convince

24.it was magical 25.waistcoat 26.put on 27.admired his reflection

28.paraded up 29.take it off 30.sewing and weaving 31.a tiny fabric button

32.medal 33.his collar with pride 34.a couple of strands of cotton 35.throwing that a way 36.picked up 37.hold on 38.packed his bags 39.wove tales 40.wonderful magical tales 41.a travelling storyteller 42.captivated 43.enchanting tales 44.the story to be real 45.threads in the tailor's hair

(best wishes)

أثر السياق في المتقابلات القرآنية عند الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي

أ. م. د. سناء طاهر محمد

جامعة الموصل / كلية التربية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

لفت نظري وأنا أقرأ عدداً من كتب الدكتور فاضل السامرائي عنايته بالمفردة القرآنية وتعني أن ترد في القرآن الكريم أنماطاً على نمط صوتي معين في بعض السياقات، وترد على نمط صوتي آخر في سياق آخر، أو سياقات أخرى كأن ترد بالإدغام في موضع وبفك الإدغام في موضع آخر، أو تستعمل مبدلة حيناً أو غير مبدلة حيناً آخر، أو يجري استعمالها على أحوال من الاثبات والحذف، لذا اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى ثلاثة محاور، تحدث المحور الأول عن الإدغام وفك الإدغام، والثاني عن الإبدال وترك الإبدال، أما الثالث فتناول الإثبات والحذف. وحاولت أن أحلل نماذج لكل محور من هذه المحاور، ثم ختم البحث بخاتمة بينت نتائج البحث.

مقدمة

الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب معجزة قائمة ما تعاقب الليل والنهار، وأشهد أنّ محمداً الخاتم خير من بشر وأنذر، وأصلي وأسلم عليه صلاة من يقر انه خير من ابان معاني القرآن بتفسير وبيان فلاح منهما جلاله وجماله.

أما بعد: فالله أنزل القرآن ليكون معجزة خالدة يقف منها المؤمنين معجبين ومؤيدين، والكافرون مشدوهين ومعاندين في تمام اعجاز هذا الكتاب الكريم، ان يعنى به المسلمون عبر القرون دراسة وتفقهاً واستنباطاً واستكناهاً لاسراره ومقاصده، واتعاظاً بقصصه واخباره، وعملاً باحكامه وشرائعه، واستلهاماً لاشاراته ودقائقه، فتلاحقت العناية به قرناً بعد قرن أثمرت تفاسير جمة وأعلام عنوا بخدمة القرآن الكريم، ومنهم الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي العالم الجليل الذي خدم الأمة الإسلامية، بما ابدعته عبقريته الفذة في رفد المكتبة العربية بكتب وابحاث اغنت الدرس القرآني والدرس اللغوي.

أولى السامرائي العناية بالتعبير القرآني، وبالمعنى والسياق، وهذه العناية جاءت من معرفته الدقيقة للغة العربية، وبأسرار هذه اللغة في التعبير عن المعاني، وسعة مساحتها التعبيرية، وقدرتها على توسيع المعنى حتى وصلت إلى درجة الإعجاز.

لفت نظري وأنا أقرأ كتب السامرائي عنايته بالمفردة القرآنية وبلا شك: "ان كل مفردة وضعت وضعاً فنياً مقصوداً في مكانها المناسب، وان الحذف من المفردة مقصود كما أن الذكر مقصود وان الإبدال مقصود كما ان الأصل مقصود له غرضه"[1]، فضلاً عن عنايته بالمتقابلات القرآنية. واقصد بالمتقابلات القرآنية[2] أن في القرآن الفاظاً ترد على نمط صوتي معين في بعض السياقات، وترد على نمط صوتي آخر في سياق آخر أو في سياقات أخرى، كأن ترد بالإدغام في موضع

وبفك الإدغام في موضع آخر، أو تستعمل مبدلة حيناً وغير مبدلة حيناً آخر، أو يجري استعمالها على أحوال من الاثبات والحذف، وبين السامرائي دور هذه المتقابلات في اتساع مساحة المعنى، لذا اقتضت طبيعة البحث ان يقسم إلى ثلاثة محاور، تحدث المبحث الأول عن الإدغام وفك الإدغام، وأما الثاني فكان عن الإبدال وترك الإبدال، في حين تناول المحور الثالث الاثبات والحذف، وحاولت أن أحلل نماذج لكل محور من هذه المحاور، ثم ختم البحث بخاتمة بينت نتائج البحث.

أما مصادر البحث فكانت متنوعة تشمل التفاسير والدراسات القرآنية، وكان لكتب السامرائي النصيب الأوفر من أمثال: التعبير القرآني، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني، والجملة العربية والمعنى.

في الختام نسأل الله أن يلهمنا الرشد ويهدينا إلى الصراط المستقيم.

المحور الأول

الإدغام وفك الإدغام

ثمة الفاظ في القرآن الكريم وردت بالإدغام حيناً، وبفك الإدغام حيناً آخر، وهذا ما أشار إليه الدكتور السامرائي من ان الإدغام وفك الإدغام من وسائل توليد المعنى فقد تكون كلمة مدغمة وأخرى من نفس المادة اللغوية مفكوكة الإدغام وكل منهما لاداء معنى خاص[3]. ومن أمثلة ذلك:

يشاقّ – يشاقق

ورد لفظ يشاق في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: چپپپپ ﭙﭚﭛچ الحشر: ٤، ورد لفظ يشاقق مرتين: الأولى في قوله تعالى: چﭬﭭﭮﭯﭰﭱ ﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾچ النساء: ١١٥، والثانية في قوله تعالى: چﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩ ﮪﮫﮬﮭﮮﮯچ الأنفال: ١٣.

وقف السامرائي عند هاتين المفردتين اللتين وردتا مدغمة وغير مدغمة وقال: ((هما لغتان. الفك لغة الحجاز، والإدغام لغة تميم، ولكن القرآن استعملها استعمالاً خاصاً فحيث ورد ذكر الرسول (ﷺ) فك الإدغام، وحيث لم يرد ذكر الرسول بل ورد ذكر الله وحده أدغم. ولعله وحد الحرفين وأدغمهما في حرف واحد، لأنه ذكر الله وحده وفكهما وأظهرهما لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين))[4].

وربما يسأل السائل من موجب الإدغام في آية الحشر وعن موجب فك الإدغام في آيتي النساء والأنفال.

ويبدو أن الإدغام في آية الحشر يوحي بالخفاء، وأن فك الإدغام في آيتي (النساء) و (الأنفال) يوحي بالظهور والمجاهرة في فعل المشاققة، وبناءً على هذا يقال أن سياق الحال في الحشر ناسبه الإدغام. وسياق الحال في كل من (النساء) و (الأنفال) ناسبه فك الإدغام.

وبالرجوع إلى التفاسير نجد أن آراء العلماء والمفسرين قد تباينت في تأويل موجب الإدغام في آية الحشر وموجب فك الإدغام في آيتي (النساء) و(الأنفال).

فالخطيب الاسكافي (ت 420 هـ) عزا الإدغام في آية (الحشر) إلى قوة الحركة في القاف في قوله: چېچ من حيث انه لا يصح ان تلاقي الاسم الذي بعدها إلا ساكناً مقامه متحرك في حال، أما الموضعان الآخران فليسا على هذا الوصف، إذ القاف في قوله: چۀہہچ قد تلاقي ما يتعلق بها متحركاً وهو (رسوله)، لأن التقدير: (ومن يشاقق رسول الله) فلم تخلص القاف في ما يتعلق بها للحركة كما خلصت له في الأول. وأما قوله: ومن يشاقق الرسول فليس الساكن من (الرسول) الذي تلاقيه القاف كالساكن من لفظة (الله) في قوله: ومن يشاق الله، لأنه قد يحذف فيصح لملاقاة القاف متحركاً معه نحو: (ومن يشاقق رسول الله)[5].

والحق أن هذا الرأي ظريف، ولكن يؤخذ عليه انه ساوى بين الإدغام في قوله تعالى: چپپچ في الحشر، والفك في قوله: چۀہہچ في الأنفال، بدعوى أن القاف في الثانية قد تلاقي ما يتعلق بها متحركاً، إذ التقدير: (ومن يشاقق رسول الله)، على حين أن القاف في الأولى لا يصح أن تلاقي الاسم الذي بعدها إلا ساكناً لا يقوم مقامه متحرك في حال.

ورد الدكتور خالد قاسم هذا الرأي من وجهين[6]:

الأول: على الرغم من ان يشاققه الرسول (ﷺ) في حقيقتها مشاققة لله تعالى، إلا أن الآية الثانية جاءت في مقام العطف، وقوله ان التقدير: (ومن يشاقق رسول الله) فيه تغيير لنسق الكلام وعدول عن مقتضى الظاهر لأن الآية صريحة في عطف رسوله على الله في مقام مشاققة الكفار لهما.

والثاني: قوله: إن القاف في قوله: (ومن يشاق الله) لا يصح ان تلاقي الاسم الذي بعدها وهو الله إلا ساكناً لا يقوم مقامه متحرك في حال قول مرجوح، لأنه

يمكن لنا في حال ان نقدر اسماً يقوم مقامه متحركاً، كأن نقول: (ومن يشاقق الرب) أو (ومن يشاقق رب العالمين) وحينئذ يكون الساكن من (الرب) الذي تلاقيه القاف كالساكن في لفظة (الرسول) في قوله تعالى في سورة النساء: چڦ ڦ ڦچ.

أما الغرناطي (ت 708 هـ) فذهب إلى أن الإدغام في (يشاق الله) جيء به لمناسبة الإدغام قبله في الماضي من قوله: چٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀچ الحشر: ٤، وأشار إلى عطف (رسوله على الله) بالواو الجامعة. وان هذا العطف يناسب الفك فاستدعى الموضع داعيان احدهما ما قبله من الإدغام، والثاني ما بعده من العطف المشبه للفك فروعي البعدي لأنه أقوي في الرعيّ[7].

ويبدو أن ما ذهب إليه البقاعي (ت 885 هـ) هو أظهر الآراء في بيان موجب الإدغام وفك الإدغام في الآيات السابقة لأنه استطاع ان يلتمس الدلالة الصوتية الدقيقة للادغام وفك الإدغام. وقد لخص الدكتور خالد خلاصة رأيه في الآيات الثلاث فقال:

أولاً: ترك الإدغام حالة في آية الحشر لأن اليهود ما أظهروا ما معاداة وإنما كان ما فعلوا مكراً ومساترة، ولم يعد ذكر الرسول (ﷺ) تفخيماً له بإفهام ان مشاقته مشاققه لله وإشارة إلى أنهم بالغوا في إخفاء مشاققتهم، فلم يظهر عليها غير الله فلم يحصل منهم في ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول (ﷺ) فانه لم يمكر بهم، وإنما جاهرهم حين اعلمه الله بمكرهم بخلاف ما هو في الأنفال[8].

ثانياً: ان المقام في (الأنفال) اقتضى ذكر الرسول (ﷺ) لأنهم مكروا به كما قال تعالى: چک ک گ گ گچ الأنفال: ٣٠، وهو (ﷺ) أخفى أمر هجرته وأعمل الحيلة في الخلاص من مكرهم على حسب ما أمره الله به فحصلت المفاعلة[9]، وأظهر الإدغام في المضارع لأن القصة للعرب، وأمرهم في عداوتهم كان

بعد الهجرة شديداً ومجاهرة، واختاروا أن يكونوا بمخالفة الأوامر والنـواهي في شق غير الشق الذي فيه حزب الهدى في مكر منهم وخداع وشاقوا رسول الله (ﷺ) باشهار السيف جهراً فتناسب ذلك فك الإدغام[10].

ثالثاً: أظهر في القاف آية النساء – أي فك الإدغام - إشارة إلى تعليقـه بالمجـاهرة ولأن السياق لأهل الأوثان وهم مجاهرون، وقد جاهر سارق الدّرعين الـذي كان سبباً لنزول الآية في آخر قصته.

وهكذا يتبدّى لنا موجب الإدغام في آية (الحشر) وموجب الفك فـي آيتـي (النساء) و(الأنفال) واتضح لنا أن في دلالة الإدغام على الخفاء والمساترة ودلالـة الفك مع الظهور والمجاهرة وهو أمر يؤكده الذوق اللغوي، فالإدغام فـي حقيقتـه اخفاء صوت عن طريق دمجه في صوت آخر من جنسه وهذا يتناسب مـع مقـام الخفاء والمساترة ، وفك الإدغام في حقيقته اظهار صوت بعد أن كان مـدغماً فـي صوت آخر من جنسه. وهذا بدوره يتناسب مع مقام الظهـور والمجـاهرة وبهـذه الطريقة ربطنا الدلالة الصوتية بالسياق وبهذا وقفنا على سر مـن اسـرار البيـان القرآني واثر هذه المتقابلة القرآنية في المعنى.

يرتدّ - يرتَدِدْ

ورد لفظ يرتد بالإدغام مرة واحدة في قوله تعالى: ﭽﮕﮕﮟﮠﮡﮢﮣﭼ المائدة: ٥٤، وورد لفظ يرتدد بالفك مرة واحدة أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﭼ البقرة: ٢١٧.

تدبر السامرائي هاتين الآيتين ووقف عند الإدغام وفك الإدغام ((فقال في آية البقرة (ومن يرتددْ) بالفك، وقال في آية المائدة (من يرتدّ) بالإدغام ومن المعلوم أن الفك أثقل من الإدغام واستشهد السامرائي بقول الرضي في شـرحه لـشافية ابـن الحاجب قائلاً: اعلم انهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال اذ على اللـسان كلفـة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه))[11]. فجاء بالفعـل الثقيـل وهـو

(يرتدد) في الطرف الثقيل وهو الحرب والفتنة، ثم أن لفـظ يرتـدد يـوحي بلفـظ الهزيمة والنكوص والرجوع إلى الوراء ؛ لأن فك الإدغام معنـاه الرجـوع إلـى المخرج بعد انتقاله عنه كما قرره علماء اللغة فهو أشبه بـالتراجع فـي الحـرب، والمرتد عن دينه بسبب الحرب والفتنة منهزم ناكص إلى الوراء فناسب بين اللفـظ والمقام. في حين ان الموقف في المائدة ليس كذلك فهو في موقف العافية والاختيار، قال تعالى: ﭽﮕﮕﮟﮠﮡﭼ فالموقف هنا غير الموقف الأول. فجاء باللفظ الخفيـف للظرف الخفيف فناسب بين اللفظ والمعنى))[12].

ومن هنا وجد السامرائي ان الإدغام والفك وسيلة من وسائل اتساع مـساحة المعنى[13]. فالارتداد عن الدين يتخذ طـريقين: الأول: طريـق الـسرية والخفـاء ويناسبها الإدغام لأنه في حقيقته اخفاء للصوت. والثاني: طريق المجاهرة والاظهار ويناسبها الفك لأنه في حقيقته اظهار للصوت. فاذا ربطنا الدلالة الـصوتية بـسياق الحال الذي وردت فيه كل من الصيغتين وجدنا اتساقاً عجيباً اذ جاءت يرتـد فـي سياق الحديث عن المنافقين ولاشك ان هذا السياق يناسبه الإدغام في (يرتدّ) للاشارة إلى ان الارتداد يتخذ لدى المنافقين جانباً سرياً. على حين ان صيغة (يرتدد) جاءت في سياق الحديث عن الكفار وهذا السياق بدوره يتناسب مع فك الإدغام في (يرتدد) ؛ لأنه يعبر عن ارتداد الكفار وهو يتخذ لديهم جانب المجاهرة وهذا ما تؤكده صيغة المطاوعة التي عليها الفعل (يرتدد) فهي توحي بمحاولتهم وتكلفهم الرجـوع عـن الإسلام في حال قدر حصوله.

وهذا ما أكده ابن عاشور في قوله: ((وجيء بصيغة (يرتدد) وهـي صـيغة مطاوعة اشارة إلى ان رجوعهم عن الإسلام ان قدر حـصوله لا يكـون إلا عـن محاولة من المشركين، فإن من ذاق حلاوة الايمان لا يسهل عليه رجوعه عنه، ومن عرف الحق لا يرجع عنه الا بعناء))[14].

إن دلالة الإدغام على معاني الخفاء والمساترة ودلالة الفك على الجلاء والمجاهرة والاظهار تكاد تكون مطردة في جميع الامثلة التي تمثل هذا الباب.

أثر السياق في المتقابلات القرآنية عند الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي
مجلة آداب الفراهيدي
أ. م. د. سناء طاهر محمد
العـدد (10) آذار 2012

المحور الثاني

الإبدال وترك الإبدال

استعمل القرآن الكريم بعض الألفاظ بالابدال حيناً وترك الإبدال حيناً آخر، وبلا شك ان الإبدال وترك الإبدال تتمخض عنه معان ودلالات تتناسب مع السياق اللغوي من ناحية ومع سياق الحال من ناحية ثانية وهذا ما أكده السامرائي وأشار إلى الاستعمال القرآني للمفردة مبدلة وأحياناً غير مبدلة لسبب من الاسباب فقال: ((كل تغيير في التعبير القرآني مهما كان فله سببه ولا يكون تغيير من دون سبب))[15].

ويعد الإبدال وسيلة من وسائل توليد واتساع المعنى وهذا ما ذكره السامرائي قائلاً: ((فالعرب قد تبدل الحرف إلى حرف آخر كابدال السين صاداً أو زاياً وكابدال في (تفعل) في نحو ازيّن ويضرّع ويصدّق، والقرآن يستعمل مثل هذا الإبدال في توسيع مساحة المعنى))[16]. وبعد تتبعنا لهذه الظاهرة عند السامرائي وجدنا أنه استطاع ان يقف اولاً على مجموعة من المتقابلات التي ترد مرة مبدلة مدغمة، وغير مبدلة مرة اخرى ومن هذه المتقابلات: يذكرون – يتذكرون، يضّرّعون – يتضرّعون، المصدّقين – المتصدّقين، يدّبروا – يتدبرون، اطيّر – تطيرنا، المطّهّرين – المتطهرين، يزّكى – يتزّكى، يخّصّمون – يختصمون. وثانياً: وقف عند متقابلات وردت على نحو معين في موضع، ثم وردت في موضع آخر مبدلاً فيها حرف ومن هذه المتقابلات: مكة – بكة، بسطة – بصطة، يبسط – يبصط.

ولايمكننا ان نقف عند جميع هذه المتقابلات وانما نكتفي بذكر أمثلة لتكون نموذجاً لما نريد ان نتحدث عنه ومن الملاحظ ان المتقابلات الاولى نحو: يذّكرون

– يتذّكرون، جاءت على صيغة: يفعّل – يتفَعّل. وأوضح السامرائي حقيقتين مهمتين هما:

الأولى: ان بناء (يتَفَعّل) أطول من (يفّعّل) في النطق.

والثانية: ان بناء (يفّعّل) فيه تضعيف زائد على (يَتَفعّل)، ففي (يفّعّل) تضعيفان وفي (يتفعّل) تضعيف واحد... فما كان على وزن يتفعل قد يؤتى به في اللغة للدلالة على التدرج أي الحدوث شيئاً فشيئاً نحو تمشّى، فهناك فرق بين (مشى) و (تمشّى)... في تمشى وتخطى من التدرج ما ليس في مشى وخطا... وقد يؤتى بهذا الوزن للدلالة على التكلف وبذل الجهد نحو تصبّر وتحلّم.. وفي كلا المعنيين دلالة على الطول في الوقت والتمهل في الحديث، وكذلك الأمر في القرآن الكريم فإذا اجتمعت صيغتان من هذا البناء في اللغة يتفعل ويفّعّل استعمل (يتفعل) لما هو أطول زمناً من (يفعل) وذلك لأن الفك أطول زمناً في النطق فهو ملائم للطول في الحديث))[17].

ومن الواضح أن التاء في صيغة تفعّل معرضة للابدال والإدغام والحذف، إذ تحذف التاء اذا كان حرف المضارع فيها تاء نحو تذّكّرون، إذ الأصل تتذكرون فكرهوا اجتماع المثلين زائدين فحذفوا الثاني منها طلباً للخفة[18] أو الإفادة معنى[19] كالعموم والتكثير أو إطالة الزمن[20].

يضّرّعون - يتضرّعون

ورد لفظ يضرّعون في قوله تعالى: چ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ چ الأعراف: ٩٤، وورد لفظ يتضرعون في قوله تعالى: چۈۈۇۇۆۆۋۋېېۉ□ چ الأنعام: ٤٢.

حيث جاءت يضرّعون مبدلة مدغمة وجاءت (يتضرّعون) غير مبدلة ومما ينبغي أن يقال أن لفظ يضرّعون في الأصل من الفعل (ضرّع) المزيد بالتاء مع

التضعيف في عين الفعل (تضرَّع) وقد طغى الضاد وهو حرف نطعي باستعلائه على التاء المهموسة فانقلبت ضاداً لتباين الصفة بين التاء المهموسة والضاد المجهورة. وأدغمت من بعد بالضاد فأتى اللفظ يضرّعون عوضاً من يتضرّعون تسهيلاً على النطق[21].

يكن ما الحكمة في اختصاص آية الأعراف بقوله: (يضرّعون) وآية الأنعام بقوله: (يتضرّعون)، وهل كان يجوز استبدال هذه بتلك في السياق الذي وردت فيه كل منهما مع المحافظة على الدلالة المقصودة؟

هذا ما أجاب عنه السامرائي بعد إشارته إلى أمرين مهمين هما:

((الأول: ان بناء يتفعّل أطول في النطق من بناء تفّعّل إذ يزيد عليه بمقطع واحد، وهذا الطول في البناء يستدعي بالضرورة نظيراً له في الدلالة وآية ذلك ان ما كان على بناء يتفعّل يؤتى به في الغالب للدلالة على التدرّج، وهذا التدرّج بدوره يقتضي الاستمرار في الحدث، إذ قال: ((الأصل أطول مقاطع من الفعل المبدل، فـ(يتضرّع) أطول من (يضرّع) بمقطع واحد.

يـَ + تـَ + ضـَرْ + رَ + ع = 5 مقاطع

تـَ + ضـْر + رَ + ع = 4 مقاطع.

وإن الفعل المبدل فيه تضعيفان تضعيف في فاء الفعل وتضعيف في العين، وان الاصل فيه تضعيفان، تضعيف في فاء الفعل وتضعيف في العين وان الاصل فيه تضعيف واحد هو تضعيف في العين والتضعيف يفيد المبالغة والتكثير فلما كان الأصل أطول مقاطع استعمل لما هو أطول في الزمن مشاكلة للبناء مع الزمن))[22].

علق السامرائي على هاتين الآيتين ((فقال في الاية الأولى (لعلهم يتضرّعون)، وفي آية الأعراف (لعلهم يضرّعون) وذلك انه قال في الآية الأولى

(ولقد أرسلنا إلى أمم)، وقال في الآية الأخرى (وما أرسلنا في قرية)، وان إلى تفيد الانتهاء وفي تفيد الظرفية فقولنا: (أرسلنا إليه) لا يقتضي المكث وانما يقتضي التبليغ، فمن المحتمل ان ترسل إلى أحد رسولاً فيبلغه ويعود. وأما (في) فتقتضي الدخول والمكث فأنت تقول: أرسلت إليه رسالة، ولا تقول: ارسلت فيه رسالة. فـ(ارسل إليه) مراعي فيها جانب التبليغ و(ارسل فيهم) مراعي فيه الدخول فيهم مع التبليغ: وأما (يتضرّعون) و(يضرّعون)، فإن بناء يتضرعون اللغوي أطول من يضرّعون كما بينا وإن يضرّعون فيها تشديدان أحدهما في الضاد والآخر في الراء وفي (يتضرّعون) تشديد واحد في الراء، والتشديد يقتضي التكثير والمبالغة، فجاء (يتضرّعون) مع قوله (إلى أمم) ؛ لأن عددهم كثير، وأنهم أكثر من القرية فزاد في البناء لما زادت الأمم. وجاء (يضرّعون) لأنها أقل من ناحية ومن ناحية أخرى فيه مبالغة في التضرّع ؛ لأن بقاء الرسول بينهم يقتضي زيادة التضرع))[23].

ولابد من القول ان السامرائي وقف عند كثير من الامثلة القرآنية التي جاءت على (يفعّل) و(يتفعّل) نحو: المصدّقين والمتصدّقين[24]، ويدّبّرون ويتدبّرون[25]، ويزّكّى ويتزكّى[26]، والمطّهّرين والمتطهّرين[27]، ويذّكّر ويتذكّر[28]، واطّيّر وتطيّر ويخصّمون ويختصمون[29].

ثانياً: المتقابلات التي وردت في موضع على نحو معين ثم وردت في موضع آخر مبدلاً فيها حرف ومن أمثلة ذلك:

مكة – بكة

ورد لفظ مكة في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ الفتح: ٢٤، وورد لفظ بكة مرة واحدة أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦.

وقد جاء التعبير في الآية الأولى بلفظ مكة بالميم ثم جرى إبدال الميم باء في الآية الثانية فعبر فيها بلفظ بكة فيسأل عن موجب هذا وعن سبب اختصاص كل آية بما جاء فيها.

أجاب السامرائي عن هذا وذكر موضع كل لفظ من السياق الذي يقتضيه فقال: ((فقال في آية آل عمران (بكة)، وقال في الفتح (مكة) وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فجاء بالاسم (بكة) من لفظ البك الدال على الزحام ؛ لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أي يزدحم بعضهم بعضاً وسميت (بكة) لأنهم يزدحمون))[30].

أما المفسرون فقد اختلفوا في دلالة بكة، قال ابن عاشور: ((بكة اسم مكة وهو لغة بإبدال الميم باء في كلمات كثيرة عدت من المترادفات مثل لازب في لازم.. عن مالك: ان بكة بالباء اسم موضع البيت وان مكة بالميم اسم بقية الموضع، فتكون باء الجر هنا لظرفية مكان البيت خاصة، لا لسائر هذا البلد الذي فيه البيت))[31]. ثم بين ان الظاهر في تسميتها بكة ان بكة اسم بمعنى البلدة، وضعه ابراهيم – عليه السلام - علماً على المكان الذي عينه لسكنى ولده بنية ان يكون بلداً، فيكون اصله من اللغة الكلدانية[32]، لغة ابراهيم عليه السلام.

وجاء في تفسير الجلالين ان (بكة) بالباء لغة في مكة سميت بذلك لأنها تبك اعناق الجبابرة، أي تدقّها[33].

وذكر الراغب انها سميت بذلك من التباك أي الازدحام لأن الناس يزدحمون فيها للطواف[34].

ونلمس الدلالتين الأخيرتين في تفسير البقاعي للآية حيث يقول: ((للذي ببكة أي البلدة التي تدق اعناق الجبابرة ويزدحم الناس فيها ازدحاماً لا يكون في غيرها

مثله ولا قريب منه فلا بد ان يدق هذا النبي الذي اظهرته منها الاعناق من كل من ناواه ويزدحم الناس على الدخول في دينه ازدحاماً لم يعهد مثله))(35).

أما قوله مكة في آية القلم فلا خلاف في أن المراد به البلد الحرام. قال ابن عاشور: ((وقوله: ببطن مكة، ظاهر كلام الاساس: ان حقيقة البطن جوف الانسان والحيوان وان استعماله في معاني المنخفض من الشيء أو المتوسط مجاز. قال الراغب: ويقال للجهة السفلى بطن، وللعليا ظهر. ويقال: بطن الوادي لوسطه، والمعروف من اطلاق لفظ البطن اذا اضيف إلى المكان ان يراد به وسط المكان))(36).

ومهما يكن من أمر فإن النظر في التشكيل الصوتي للتركيب الذي ورد فيه لفظ بكة فربما كان لمجيئها بالباء اعتبار صوتي، وذلك من حيث ان لفظ (بمكة) اصعب في النطق من قوله (ببكة) نظراً لصعوبة الانتقال نسبياً من الباء – وهو صوت شديد مجهور – إلى الميم – وهو صوت متوسط مجهور. وهذه الصعوبة متأتية من قرب مخرج الصوتين اذ هما صوتان شفويان. وربما عزز هذا الأمر مجيء الكاف المشددة بعد الميم في لفظ (بمكة) وهو صوت شديد مهموس. وليس كذلك قوله: بما انزل اليك، وقوله: فبما رحمة من الله، وقوله: بمفازة، لانتفاء شرط التشديد في الصوت الذي يتبع الميم ونتيجة لذلك جرت المماثلة بين الباء والميم بابدال الميم باء لتحقيق التوافق الصوتي(37).

يبسط – يبصط

ورد لفظ يبسط بالسين في تسعة مواضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى: چوۋۆ ۈ ې ې ې ې □□□□□□□□□□□□ چ الرعد: ٢٦، وقوله: چۇۆۆۈۈۋۋې ې ې □□□□□ چ العنكبوت: ٦٢. أما لفظ يبصط فورد مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: چ□□□□□ چ البقرة: ٢٤٥.

والسائل يسأل موجب اختصاص الآيات التسع بالسين واختصاص آية البقرة بالصاد.

نقل ابن عاشور(38) ما ذكره ((ابن عطيه عن الحلواني عن قالون عن نافع: أنه لا يبالي كيف قرأ يبسط وبسطة بالسين أو بالصاد)) أي لأنهما لغتان مثل الصراط والسراط، والأصل هو السين، ولكنها قلبت صاداً في بصطة ويبصط لوجود الطاء بعدها ومخرجها بعيد عن مخرج السين، لأن الانتقال من السين إلى الطاء ثقيل بخلاف الصاد)).

وفي هذا قال ابن خالويه: ((قوله تعالى: چ□□□ چ وقوله: چھھچ ههنا – أي في البقرة – وفي الاعراف يقرأ ذلك بالسين والصاد، وقد ذكرت عله في أم القرآن))(39).

أي في حديثه عن السراط والصراط حيث قال ثمة: قوله تعالى (الصراط) تقرأ بالصاد والسين واشمام الزاي، فالحجة لمن قرأ بالسين: انه جاء به على اصل الكلمة، والحجة لمن قرأ بالصاد: أنه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس والصفير، وتؤاخي الطاء في الاطباق، لأن السين مهموسة والطاء مجهورة والحجة لمن أشم الزاي: أنها تؤاخي السين في الصفير وتؤاخي الطاء في الجهر))(40).

والتفت الزركشي التفاتة ذكية في موجب التعبير عن الصاد في يبصط وبالسين في يبسط وغيرهما فقال في: (فصل من حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى): مثل: چھھےےۓۓچ چۋۋۅۅچ چگگڳڳچ چ□□□ چ فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييد، وبالصاد السعة الكلية، بدليل علو معنى الاطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة والاطباق))(41).

وبين السامرائي سبب اختصاص آية (البقرة) بقوله: (يبصط) بالصاد هو أن البسط فيها مطلق عام لا يخص شيئاً دون شيء. أما في غيرها فهو مقيد، ولاشك

أن البسط المطلق أقوى من المقيد فهو يحتمل البسط في الرزق وفي الأنفس وفي الملك وغيرها. فجاء في الأقوى بالصاد، وفي المقيد بالسين[42].

وأشار الدكتور تمام حسان أي قيمة التفخيم وأثرها في المعنى فقال: ((فالأصول الاشتقاقية الثلاثة لكلمة هي (ب س ط) وقد جاء اشتقاق الكلمة مطابقاً لهذا الأصل في أماكنها الأخرى من النص القرآني ومن هذه الأماكن آية الرعد / 26 ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ الرعد: ٢٦.

فلما كان المقام مقام تشجيع على الاقراض الحسن بواسطة العمل الصالح والإنفاق في سبيل الله ومقام وعد بمضاعفة القرض عند الجزاء جاء فعل البسط بتفخيم السين وانقلابها صاداً فكان معنى ذلك ان تفخيم السين دليل على جدية الوعد بالمضاعفة لأن من شأن الله سبحانه وتعالى ان يبصط الرزق وهو من ثم أهل لأن يبصط الجزاء بالمضاعفة ومثل ذلك يأتي الفرق بين كلمة بسطة في قوله تعالى: ﭽ ﮩﮪﮫﮬﮭﮮﭼ البقرة: ٢٤٧ ، فالآية جاءت لتفضل طالوت على المخاطبين))[43].

فالبسطة هنا الفضيلة على غيره في العلم والجسم وذلك اعزاز من الله تعالى لطالوت إذ كانت هاتان الصفتان سبباً في عزه وسيادته[44].

المحور الثالث

الإثبات والحذف

لاشك ان حذف حرف من كلمة قرآنية واثباته ليس اعتباطاً بل كان لغرض معين لأن ((التعبير القرآني تعبير فني مقصود كل كلمة، بل كل حرف انما وضع لقصد))[45].

فالحذف في التعبير القرآني بحسب ما يقتضيه السياق الذي يرد فيه والمعنى الذي يقرره ومن الملاحظ ان من بين مظاهر الاثبات والحذف متقابلات وردت على احوال الاثبات والحذف في بعض حروفها كان يرد لفظ في موضع باثبات حرف معين، ثم يرد هذا اللفظ في موضع آخر بحذف هذا الحرف ويمكن ان تقسم المتقابلات إلى:

1. متقابلات وردت على أحوال من الاثبات والحذف في أول اللفظ والأمثلة هي: تتنزل – تنزّل، تتوفاهم – توفاهم، تتبدلوا – تبدل، تتفرقوا – تفرق، تتولوا – تولوا، تتذكرون – تذكرون.
2. متقابلات وردت على أحوال من الاثبات والحذف في وسط اللفظ ومن امثلة ذلك: تستطع – تسطع، استطاعوا – اسطاعوا.
3. متقابلات وردت على احوال من الاثبات والحذف في آخر اللفظ السبيلا – السبيل.

1. متقابلات وردت على أحوال من الاثبات والحذف في أول اللفظ

تتنزّل – تنزّل

ورد لفظ تتنزل في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭼ فصلت: ٣٠.

وورد لفظ تنزّل مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﭽﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﭼ الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٢، وقوله: ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭼ القدر: ٤.

يلاحظ أن لفظ (تتنزل) في آية فصلت ورد باثبات التاء وإن لفظ (تنزل) في الشعراء والقدر ورد بحذف التاء فيسأل اذن عن موجب الاثبات والحذف.

ونلاحظ ان لفظ (تتنزل) يزيد في النطق على لفظ تنــزل بمقطــع واحــد، ولاشك ان لهذه الزيادة في المبنى قيمة دلالية، بالنظر إلى القاعدة المشهورة: كــل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى[46].

ولابد ان نشير إلى تباين آراء المفسرين فيما يتعلق بتحديد الزمــان الــذي تتنزل فيه الملائكة على المؤمنين الوارد ذكرهم في آية فصلت.

ففي الكشاف تتنزل عليهم الملائكة عند الموت البشري، وقيل: البشري فــي ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم. وفي البحر المحيط: قال مجاهد والسدي: عند الموت، وقال مقاتل: عند البعث، وقيل: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث[47].

وفي نظم الدرر: تتنزل على سبيل التدريج المتصل عليهم من حــين نفــخ الروح فيهم إلى أن يموتوا، ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطناً فظاهراً[48].

ومهما يكن من أمر فإن صيغة تتنزل باثبات التاء توحي بدلالات متعددة لعل أهمها كثرة التنزل واستمراره وتواصله والتدرج فيــه، وهــذه الــدلالات تناســب المواطن الثلاثة التي ذكرها بعض المفسرين. أي: عند الموت، وفي القبر، وعنــد البعث. كما تناسب ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي من ان المقصود: تنــزل الملائكة على المؤمنين عند الموت على مدار السنة، وفي كل لحظة يمــوت فيهــا مؤمن مستقيم. فهذان الامران يقتضيان مدداً زمنية غير محدودة يتخللها لها تنــزل مستمر للملائكة لبث السكينة والطمأنينة في نفوس المــؤمنين وتبــشيرهم بالجنــة،

فجرى استخدام الصيغة التي تناسب المقام وهي (تتنزل) باثبات التاء، تناسب كثــرة الملائكة.

أما في الشعراء فوردت (تنزل) بحذف التاء وهذه الصيغة تقتــضي تنــزلاً للشياطين سريعاً وخفياً، وأقل من سابقه في (فصلت) على تباين الحالين، بالنظر إلى القاعدة التي اشرت اليها، وهذا مناسب لسياق الحال اذ التنزل هنا واقع على صنف من الكافرين وصفوا بقوله: ﭽﮯﮰﮱﭼ أي: كذاب فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة، ولاشك ان هؤلاء في ميزان الكثرة والقلة ليسوا كثراً، فجرى استخدام صيغة تنزل بحذف التاء لتناسب قلة هؤلاء الكهنة[49].

وعلق السامرائي على ما جاء التعبير في آية القدر بقوله: تنــزل الملائكــة بحذف التاء، وهي صيغة توحي بالسرعة والخفة في عملية التنزل، وبأن هذا التنزل ليس في امتداد نظيره في آية فصلت في قوله: تتنزل عليهم الملائكة لأنــه خــاص بليلة القدر، وهي ليلة واحدة في العام فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت فاقتطع من الحدث[50].

2. متقابلات وردت على أحوال من الاثبات والحذف في وسط اللفظ

استطاعوا – اسطاعوا

ورد اللفظان: استطاعوا، باثبات تاء الاستفعال، واسطاعوا بحذفها في آيــة واحدة وهي قوله تعالى: ﭽ□□□□□□□□□□ﭼالكهف: ٩٧، فيــسأل عــن موجب حذف التاء في الأولى واثباتها في الثانية علماً بــأن ضــمير الغيبــة فــي (يظهروه) و(له) عائد إلى السد الذي اقامه ذو القرنين ليحجز عــن القــوم افــساد يأجوج ومأجوج.

تباينت آراء المفسرين في تعليل دلالة اثبات التاء في استطاعوا وحذفها فــي اسطاعوا.

فالبقاعي يرى أن اثبات التاء في (استطاعوا) تدل على ان العلو على السد أصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس[51].

أما ابن عاشور فيرى أن ((من خصائص مخالفة الظاهر ايثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى ؛ لأن استطاعة نقب السد اقوى من استطاعه تسلقه فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى))[52].

وقد ذهب إلى رأي ابن عاشور كثير من المهتمين باسرار التعبير القرآني ومنهم استاذنا الفاضل السامرائي إذ يرى أن الصعود على السد أيسر من احداث نقب فيه فحذف من الحدث لخفيف فقال: فما اسطاعوا ان يظهروه بخلاف الفعل الشاق الطويل، فانه لم يحذف، بل اعطاه أطول صيغة له فقال: (وما استطاعوا له نقبا) فخفف بالحذف من الفعل الخفيف بخلاف الفعل الشاق الطويل[53].

3. متقابلات وردت على أحوال من الاثبات والحذف في آخر اللفظ

ياعبادي – ياعباد

كل ما ورد في القرآن الكريم من هذا الباب جاء باثبات الباء في عبادي، نحو قوله تعالى: چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ چ العنكبوت: ٥٦، وقوله: چ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ چ الزمر: ٥٣.

واستثني من ذلك آيات منها قوله تعالى: چ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ چ الزمر: ١٠. فقد وردت فيها (يا عباد) بحذف الياء. وللمفسرين لفتات ذكية كشفت عن حسهم اللغوي الأصيل وذوقهم الرفيع وبصيرتهم النافذة وقدرتهم على تلمس جوانب الإعجاز في النص القرآني من خلال نظرتهم العميقة والشاملة في المواقف المتشابهة ومن هؤلاء المفسرين البقاعي ويمكن ان نوجز آراء البقاعي في النقاط الاتية:

1. ان في اثبات الياء في قوله (يا عبادي) في آية العنكبوت تشريفاً لهؤلاء باضافتهم إلى الله عز وجل[54].
2. ان في حذف الياء في قوله: (يا عبادي) في آية الزمر/ 10 تذكيراً للذين آمنوا وتسكيناً لقلوبهم وتشريفاً لهم بالاضافة إلى الله بالضمير الدال على اللطف وشدة الخصوصية واعلاماً لهم بأنه حاضر لا يغيب عنهم بوجه[55].
3. ان في اثبات الياء في قوله: قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم تلذيذا لهؤلاء بحلاوة الاضافة إلى جانب الله تقريباً من بابه عز وجل[56].

أما السامرائي فقد فصل القول في هذه المسألة وذكر أن ما فيه الياء اوسع واشمل مما حذفت منه الياء فكان طول البناء اشارة إلى سعة المجموعة وذلك نحو قوله تعالى: چ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ چ الزمر: ٥٣. فالعباد هنا قاعدة عريضة واسعة فالذين اسرفوا على انفسهم هم الأكثرون. وقال: چ□□□□ چ سبأ: ١٣ فذكر الياء ونحوه قوله تعالى: چ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ى چ البقرة: ١٨٦، فالعباد هنا كثر وهم عموم العباد فهم إذا سألوه فهو قريب منهم يجيب داعيهم فذكر الياء.

ووقف السامرائي عند قوله تعالى: چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ چ العنكبوت: ٥٦ -٥٧ والمؤمنون أيضاً طبقة واسعة، إذ هم لم يقيدوا بغير الإيمان وقد تقول ولكنه قال في مكان آخر چ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ چ الزمر: ١٠ والحق أن الفرق بينهما واضح.

1. انه قال في آية الزمر چ□□□□□□ چ الزمر: ١٠ فخصص الذين أمنوا بطلب النفوس فضيق دائرة المؤمنين وذلك ان عموم المؤمنين أكثر من المتقين في حين انه لم يقيدهم بغير الايمان في العنكبوت فهم طبقة أوسع.

2. طلب في آية الزمر من المؤمنين التقوى وطلب في آيـة العنكبـوت العبـادة، والعبادة أوسع من دائرة التقوى، وبهذا اتسعت الصفة في آية العنكبوت وشملت جماعة أكبر، فالمتقون أقل من يقومون بالعبادات على العموم فليس كـل مـن يقوم بالعبادة متقياً.
3. ومما حسن اظهار الياء في (عبادي) في العنكبـوت، قولـه تعـالى: چچ چ فأضاف الأرض إلى الياء (أرضي) فالأرض ارضه والعبـاد عبـاده فـأظهر ضمير المتكلم في الموطنين في السكن والساكن (عبادي) في حين لم يـصنفها إلى الياء في آية الزمر، وإنما قال: چ□□□چ وههنا أمر آخر وهو انـه لا يحسن اضافة الارض إلى ياء المتكلم في الزمر لأنه قال: (قل يا عبادي) فلـو قال: (وأرضي واسعة) لأوهم ذلك ان الارض أرض المبلغ، أي ارض الرسول (ﷺ) فيكون المعنى: قل لهم أن أرضي واسعة، فهذا يحتمل أن تكون الأرض لله وأن تكون للرسول. فلما قال: چ□□□چ رفع هذا الاحتمال بخلاف ما فـي آية العنكبوت فانه قال فيها (يا عبادي)، ولم يقل (قـل يـا عبـادي) فإضـافة الارض إلى ياء المتكلم في العنكبوت انسب واضافتها إلى الله في آية الزمـر أنسب والأرض مما يصح ان تضاف إلى الله والى غيره فتقول: ارض فـلان وارض الله، قال تعالى: چگگںچ الأحزاب: ٢٧.
4. ثم أن سعة الأرض مؤكدة في آية العنكبوت دون آية الزمر فقد قال چچچچ في حين قال في آية الزمر چ□□□چ من دون توكيد.
5. قال في آية الزمر: چ□□□□□□چوقال في آية العنكبوت: چچچچچ ڍڍڌڌچ والصابرون قليل ليسوا كثراً فهم جزء ممن يـذوقون المـوت الـذين ذكرهم في قوله تعالى: چچچچچچفهذه تشكل عباد الله بخلاف آية الزمـر.

فلما توسعت دائرة العباد في العنكبوت قال (يا عبادي) بالياء، فاظهر الضمير، ولما قلل العباد في الزمر حذف الضمير.

6. ذكر ضمير المتكلم مع العبادة مرتين في العنكبوت، فقال: چچچچفالـضمير الأول هو (اياي)، والثاني هو (الياء) المحذوفة من (اعبدون)، في حين قال في الزمر (اتقوا ربكم) من دون ذكر الضمير المتكلم، فلم يقل (فاتقون) ولا (واياي فاتقون) فناسب ذلك ابراز الضمير مع العباد في آية العنكبوت دون الزمر.
7. قال في العنكبوت (الينا ترجعون) فذكر مرجع الخلـق إليـه بـذكر ضـمير المتكلمين في (الينا) فناسب ابراز ضمير المتكلم مع العباد، فان عباده يرجعون إليه.
8. ثم ان ضمائر المتكلم في آية العنكبوت اكثر مما في آية الزمر فليس في آيـة الزمر غير ضمير محذوف دلت عليه الكسرة في قوله (ياعباد) فـي حـين ان العنبوت خمسة ضمائر للمتكلم والمتكلم المعظم نفسه وهي ضمير المتكلم فـي (عبادي) والضمير في (ارضي) والضمير (اياي) والضمير الذي دلـت عليـه الكسرة في (فاعبدون) والضمير المعظم نفسه في الينا. فحسن ابراز الـضمير في آية العنكبوت دون آية الزمر.
9. ثم ان لفظ العموم (كل) في العنكبوت مما حسن ابراز الضمير لانه يدل علـى العموم والشمول، اذ اتسعت به دائرة العباد اتساعاً شاملاً بحيث لم يستثن احداً منهم بخلاف ما في العنكبوت.
10. سياق الايات في الزمر مبني على الغيبة وسياق الايات في سياق العنكبـوت مبني على المتكلم، فناسب ذكر ضمير المتكلم وابرازه فـي العنكبـوت دون الزمر. وقد تقول: ولمَ قال في الزمر: چ□□□□چبذكر (قل) ولم يقـل مثل ذلك في العنكبوت. والجواب ان سياق الآيات في الزمـر مبنـي علـى

التبليغ بخلاف ما في العنكبوت فإنه مبني على ذكر النفس. فقد أمر بـــالتبليغ بقوله (قل) في الزمر اربع عشرة مرة في حين لم يأمره بالتبليغ بقوله (قُـــل) في العنكبوت إلا ثلاث مـــرات، فناســب ذكــر القــول فـــي الزمـــر دون العنكبوت(57).

الخاتمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فقد تناولت اثر السياق في المتقابلات القرآنية وقفت على أثر هذه المتقابلات في اتساع مساحة المعنى مبينة قيمها التعبيرية، وما يشع في ذلك من البيان الخالـــد من قيم واسرار.

خلصت الدراسة إلى نتائج منها:

1. يعد السامرائي من ألمع الشخصيات العلمية تمثل الصدق فيه من كل الجوانب، صدق اللسان وصدق القلب وصدق العمل، صدق الانسان مع ربه وصدقه مع نفسه ومع أخيه الانسان، فهو رجل علم ودين اثرى المكتبة العربية بكتب أغنت الدرس القرآني والدرس اللغوي بفضل ما أوتي من علم وتفقه في الدين وحبـــة للقرآن الكريم.
2. في القرآن الكريم متقابلات وردت على أحوال ثلاثة الإدغام وفـــك الإدغـــام، الإبدال وترك الإبدال، والاثبات والحذف ولكل من هذه الاحوال اصناف وقفت عليها في ثنايا البحث وهي تمثل شواهد حية على فكرة زيادة المعنـــى لزيـــادة المبنى، وفي الوقت نفسه تعكس سمو النص القرآنـــي واختـــصاص الـــسياق بالفاظه التي لا يمكن بحال ان تبدل بمقابلاتها الصوتية مـــع المحافظـــة علـــى الدلالة المقصودة ومناسبتها لمقتضى الحال.

وأختم القول بهذا الدعاء:

ﭽﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الإسراء/80

صدق الله العظيم

هوامش البحث

(1) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، 6.

(2) أفدت من دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم: د. خالـد قاسـم بنـي دومي.

(3) ينظر: الجملة العربية والمعنى، ص 196.

(4) التعبير القرآني، ص 19 ؛ وينظر: الجملة العربية والمعنى، ص 228 -229.

(5) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، 273.

(6) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، 171 -172.

(7) ملاك التأويل، 214/1 -215.

(8) ينظر: نظم الدرر، 515/7.

(9) ينظر: نظم الدرر، 515/7.

(10) م.ن، 194/3.

(11) شرح الرضي على الشافية، 239/3.

(12) الحملة العربية والمعنى، ص 229.

(13) م.ن، 228.

(14) التحرير والتنوير، 134/5.

(15) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 23.

(16) الجملة العربية والمعنى، 226 -227.

(17) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 34.

(18) التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني – عمر محمد عوني (رسالة ماجستير) جامعة الموصل – كلية التربية – قـسم اللغة العربية، 170 -171.

(19) كتاب في التصريف – عبدالقاهر الجرجاني، 73.

(20) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 34 ؛ وينظر: مجموعة الشافية – حاشـية الأنصاري، 71/2.

(21) ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، 183.

(22) الجملة العربية والمعنى، 227.

(23) الجملة العربية والمعنى، 227 -228.

(24) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير، 37.

(25) م.ن، 38 -39.

(26) م.ن، 40.

(27) م.ن.

(28) م.ن، 42.

(29) م.ن، 44.

(30) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 45 -46 ؛ وينظر: معجم مفـردات الفـاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، 55.

(31) التحرير والتنوير، 159/3.

(32) م.ن.

(33) تفسير الجلالين، 79.

(34) معجم مفردات الفاظ القرآن، 55.

(35) نظم الدرر، 127/2.

(36) التحرير والتنوير، 185/26. وينظر: معجم مفردات الفاظ القرآن، 49.
(37) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، 194 -195.
(38) التحرير والتنوير، 483/2.
(39) الحجة في القراءات السبع، 45.
(40) الحجة في القراءات السبع،، 20.
(41) البرهان في علوم القرآن، 429/1.
(42) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 47
(43) البيان في روائع القرآن، 431.
(44) ينظر: القاموس المحيط، مادة بسط، 350/2.
(45) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 10.
(46) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، 199 -200.
(47) ينظر: الزمخشري، 453/3.
(48) ينظر: البقاعي، 571/6.
(49) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 11.
(50) م.ن.
(51) نظم الدرر، 505/4.
(52) التحرير والتنوير، 38/16.
(53) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، 10.
(54) نظم الدرر، 572/5.
(55) م.ن، 428/6.
(56) نظم الدرر، 454/6.
(57) من بلاغة الكلمة، 26 -30.

المصادر والمراجع

1. البرهان في علوم القرآن: بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت 794 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية – بيروت – 1998م.
2. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، ط1، دار الشؤون الثقافي العامة – آفاق عربية – بغداد – 2000.
3. البيان في روائع القرآن: د. تمام حسان، ط2، عالم الكتب – 1420 هـ - 2000م.
4. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى اختصاراً [التحرير والتنوير]: محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م)، دار سحنون للنشر – تونس.
5. التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي – جامعة بغداد – بيت الحكمة، 1986 – 1987.
6. تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن احمد المحلي (ت 664 هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، قدم له وراجعه: مروان سوار – دار المعرفة – بيروت.
7. التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) [رسالة ماجستير]، عمر محمد عوني – جامعة الموصل – كلية التربية – 1999م.

8. الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السامرائي –ط2 – دار الفكر – عمان – 2009.
9. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه (الحسين بـن أحمـد ت 370 هــ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1 ، دار الكتب العلمية – بيروت 1995.
10. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، د. خالد قاسم بني دومي، جدارا – اربد – الاردن ، ط1 ، 2006.
11. شرح شافية ابن الحاجب: رضيي الدين الاستراباذي (ت 686 هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، 2007.
12. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ)، ط5، شركة فن الطباعة – مصر.
13. كتاب في التصريف: عبدالقاهر الجرجاني (ت 471 هـ)، تحقيق د. محسن سالم العميري، مط المتنبي – المؤسسة السعودية بمصر – القـاهرة 1408 هـ / 1988م.
14. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جـار الله ابـو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538 هـ) مط مصطفى البابي الحلبي – مصر – 1966.
15. معجم مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني (ت 503 هــ)، تحقيـق: نديم مرعشلي – دار الفكر – بيروت – لبنان.
16. ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل: ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفـي الغرنـاطي (ت 807 هـ)، تحقيق: سعيد الفلاح، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، 1983.

17. نظم الدرر في تناسب الايات والسور، برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بـن عمر البقاعي (ت 885 هـ) خـرج اياتـه وأحاديثـه ووضـع حواشـيه: عبدالرزاق المهدي، ط2، دار الكتب العلمية – بيروت – 2003.

The impact of context on the Quranic opposites

For Dr. Fadhil AlSamar'raee

Assist. Lecturer

Dr. Sanaa Taher Mohammed

Dept. of Arabic Language/ College of Education / University of Mosul

While I was reading some books of Dr. Fadhil AlSamar'raee, he drew my attention by his care to the Quranic vocabulary, which means that many words come as a certain phonetic pattern in some contexts and the same word could come to be as another pattern in another context or other contexts such as the case of diphthong in some context and without diphthong in another context, or used changed in a certain case and unchanged in another or can be used in affirmation and omission. So, the research was divided into three axes. The first tackled the sound integration and disintegration, while the second dealt with the exchange and omitting the exchange but the third tackled affirmation and omission. The researcher also attempted to analyze models of each type in these axes and concluded the study with a conclusion which showed the findings of the research.

المَقْطَعُ الصَّوتيُّ المَدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِت
دِراسَةٌ إحصائيّةٌ صَوتِيَّةٌ فِي القُرآنِ الكَرِيم

د. عـــزّة عـــدنان أحمـــد عـــزّت
جامعـــة زاخـــو / هيـــأة العلـــوم الانـــسانية

المُلَخَّص

المقاطعُ الصوتيَّة في اللغة العربيَّة خمسة , اثنان مفتوحان , وثلاثة مغلقة , ترد في الكلام لكنها تختلف من حيث موقعها فيه ,**فالأول** : المقطع الصوتي المفتوح القصير المنتهي بصائت قصير يسبقه صامت ويرمز له (ص ح) وهو يـــرد فـــي بداية الكلام ووسطه , لكنه لا يرد في آخره نظرا لعدم وقوف العرب على المتحرك , و**الثاني**: المقطع الصوتي المفتوح المنتهي بصائت طويل المسبوق بصامت ويرمز له (ص ح ح) , وهو يرد في أول الكلام ووسطه وآخـــره , و**الثالـــث** : المقطـــع الصوتي المغلق الذي يبدأ بصامت يليه صائت قصير فصامت ويرمز لـــه (ص ح ص) وهو أيضا يرد في أول الكلام ووسطه وآخره , و**الرابع** : المقطع الـــصوتيٌّ المنتهي بصامتين مسبوقين بصامت يليه صائت قصير ويرمز له (ص ح ص ص) , وهو لا يردُ في أوّل الكلام أو وسطه , بلْ في آخره فقط , و**الخـــامس** : هـــو المقطع الصوتيُّ المديد الذي يبدأ بصامت وينتهي بصامت وبين الصامتين صـــائت طويل ويرمز له (ص ح ح ص) الذي يردُ قليلا جدّا في وســـط الكـــلام علـــى الرّغم من وروده كثيرا في آخرِه , والأخير هو ما تناولناه بالدراسة من حيث عدده , أو نوع الصائت فيه , أو الصامت المنتهي به , و لاسيَّما فـــي وســـط الكـــلام , معتمدين النصَّ القرآنيَّ لأنَّه الأبلغ , وليس أيَّ نصٍّ آخر قد يتحكَّم فيه وزنٌ أو قافيةٌ أو سجع.

المَقْطَعُ الصَّوتيُّ
المَدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِتِ
مجلة آداب الفراهيدي
د. عزّة عدنان أحمد عزّت
العـدد (10) آذار 2012

المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت

دراسة إحصائية صوتية في آيات القرآن الكريم وفواصلها

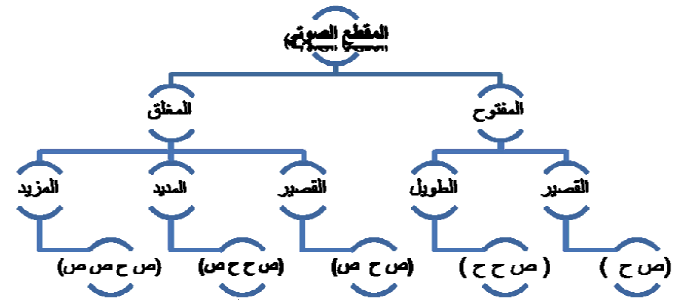
تمهيد

تُبْنى اللغةُ في تواصلها على أساس التخالف بين السواكن والحركــات فــي الحروف والكلمات[1]، وتعرف الحركة بأنَّها الصوت الذي يصاحب الصامت ليساعد على نطقه[2]، وهي تؤدّي وظيفتين: وظيفة صوتيَّة , ووظيفة نحويَّة، فأمّا الوظيفــة الصوتيَّة فتبدو في وصل الكلام , إذ الأصل في الأصوات العربيَّة الــصامتة أنَّهــا أصوات ساكنة، ولمّا كان الإنسان لا يستطيع نطق هذه الأصوات أو وصلها ساكنة، فقد استعان بالحركات عند وصل الكلام[3]لغرض الخفة وسهولة النطــق[4]، وأمّــا الوظيفة النحويَّة فتظهر في تحديد موقع الإعراب فضلا عن أثرهــا "فــي التــأليف الصرفي، فهي وإن لم تكن من مادة تأليف الأصول الصرفيَّة إلاَّ أنَّها تمثِّل عنصرا أساسيًّا في تأليف الصيغ المتفرِّعة عن هذه الأصول"[5].

☒ الحركة والسكون والمقطع

ومن اجتماع الحركة والسكون يتكوَّن المقطع الصوتيُّ الذي يحتوي على : صامت وهو الحرف , ويرمز له بـــ (ص) , و من متحرِّك (حركة الحــرف)أي (الفتحة , والضمَّة , والكسرة) , ويرمز له بـــ (ح) إن كان قصيرا , و (ح ح) إن كان طويلا , أي حروف العلَّة (آ , و , ي) , فهو وحدة صوتيَّة مكوَّنة من صوتين على الأقل ، ومن ثلاثة على الأكثر في درج الكلام , ومن أربعة في حالة الوقف , وقليل في حالة الوصل, ومقاطع العربية خمسة[6], يمكن أن نقسِّمها قسمين أساسيين : مفتوحة ومغلقة , أو قصيرة وطويلة , نوضحها بالشكل الآتي الــذي نــرى مــن

خلاله أنَّ المقطع الصوتيَّ الواحد لا يمكن أن يحتوي على صامتين متبوع كلٌ منهما بصائت باعتبار أنَّ المقطع الصوتيَّ , لا يبدأ بحركة[7]، بلْ "بصامت يتبعه صائت , وينتهي قبل أوّلِ صامت يردُ متبوعا بصائت"(8):



و"الحركة في كلام العرب أكثر من السكون لأنَّك لا تبتدئ إلا بمتحرِّك، وقد يتَّصل به حرف آخر متحرِّك وآخر بعد ذلك متحرِّك، ولا يجوز أن يبدأ بالــساكن، ولا أن يتَّصل ساكن بساكن أبدا إلاَّ أن يكون الأوّل حرف مدٍّ ولين، أو يكون الثاني سُكِّنَ للوقف"[9]، وقد خلط النحاة "بين أمرين مختلفين تمام الاختلاف، إذ لم يفرِّقــوا بين الحرف المشكل بالسكون، وبين حرف المدّ، بل اعتبروا كلًّا منهما ساكناً، وبنوا قواعدهم على هذا الاعتبار، ولكنَّ الدراسة الصوتيَّة الحديثة تأبى هذا , وتفرِّق بــين المقاطع المشتملة على حرف مدٍّ, وبين التي تتضمَّن حرفا مــشكلاً بالــسكون"[10] , وكذا الحال لدى علماء العروض , حيث يمثِّل السبب الخفيف (متحرِّك فــساكن) , إمّا بحرف متحرِّك يتبعه حرف ساكن مثل : قَدْ , لَنْ , أو بحرف صــحيح يتبعــه حرف علّة, معتبرين أنَّ الأوّل متحرِّك , والثاني ساكن , مثل : لَاْ , مَاْ , بِيْ , قُوْ , وتختلف الحركات من حيث كثرة عدد ورودها ، وبصورة عامة نــرى أنَّ حركــة الفتحة تحصل دوما على أعلى نسبة بين الحركات , تليها الكسرة , فالضمة[11] .

☒ الفرق بين المقطع الصوتي والمقطع العروضي

والمقطع الصوتي أدق من المقطع العروضي، لأن الأخير تقوم دراسته على أساس المتحرك والساكن - الذي تتكون من خلال تـضامهما الأسـباب والأوتـاد والفواصل - لا على أساس مقطعي[12]، كما تتساوى في نظر العروضيين وحـدات غير متساوية كـ (قم) و (نا)، فكل منهما سبب خفيف يتكون من متحرك وسـاكن عروضيا، أما صوتيا فالأولى مقطع مغلق (ص ح ص) والثانيـة مقطـع صـوتي مفتوح (ص ح ح) فضلاً عن التفاوت الكبير بين طبيعة كل من القاف والنون، وكل من الميم الساكنة وحركة المد الطويلة، بكل ما يترتب على هذا التفاوت مـن آثـار فنية، وهذه الفروق هي موطن اهتمام اللغوي في جانبها الصوتي البحـث، والناقـد الأدبي باعتبار ما تضفيه على الأسلوب من إيقاع داخلي منشؤه تنـوع الأصـوات وانسجامها ونسبة ترددها ومدى ارتفاعها وانخفاضها وطولهـا وقـصرها وغيـر ذلك[13].

☒ الفاصلة

المتتبع لمادة فصل في المعجمات العربية يجد أنها تدل على عدة معان تكاد تتفق في مدلولها العام , فقد جاء في معجم مقاييس اللغة : الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز من الشيء وإبانته عنه , يقال : فـصلت الـشيء فـصلا والفيصل : الحكم , والفصيل : ولد الناقة إذا افتصل عن أمه , والمفصل : اللسان , لأنه به تفصل الأمور , وتميز , والمفصل : ما بين الجبلـين ,والجمـع مفاصـل , والفصيل : حائط دون سور المدينة , والفصل : بون ما بين الشيئين , والفـصل : القضاء بين الحق والباطل , وعقد مفصل : أي جعل بين كـل لؤلـؤتين خـرزة , والفصل : واحد الفصول , والفاصلة التي في الحديث " من أنفق نفقة فاصلة فله من

الاجر كذا " أنها التي فصلت بين ايمانه وكفره , ومنها التفصيل : التبيين [14] , وقد استخدمت الفاصلة اصطلاحا في عدد من علوم اللغة العربية

فالفاصلة في النحو:

الفصل عند البصريين بمنزلة العماد عند الكوفيين كقوله تعالى : {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ الـسَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَـا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }الأنفال32 , فقوله : (هو) فصل أو عماد .

والفاصلة في العروض:

الفصل : كل عروض بنيت على ما لا يكون في الحشو إما صـحة وإمـا إعلال كمفاعلن في البحر الطويل [15] , والفاصلة في العروض من أجزاء البيـت , وهي نوعان : صغرى وكبرى[16] , فالصغرى ثلاثة أحرف متحركة يليها سـاكن , وهي تتألف من سببين الأول ثقيل والثاني خفيف , والكبرى أربعة أحرف متحركـة يليها ساكن , هي تتألف من سبب ثقيل ووتد مجموع .

والفاصلة في علامات الترقيم " ، "

علامة للوقف الذي يكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتا جدا , لا يحـسن معه التنفس , وتسمى " الشولة " وتصلح في العربية لسبعة مواضع , ويعرف الوقف عليها بالوقف الناقص [17].

أما الفاصل فهو "نوع من السكون يفصل بين مجموعة صوتية أو أخـرى , ويدعوه البعض وقفا أو انتقالا أو مفصلا , وقد يفصل بين صوت وآخر , أو بـين كلمة وأخرى , أو بين عبارة وأخرى في الجملة الواحدة أو بين جملـة وأخـرى , والفاصل فونيم فوقطعي له تأثير في المعنى "[18] , ويوجد من الفواصل خمسة كـل منها يشكل فونيما مستقلا وهي تكاد تكون مشتركة بين جميع اللغات والخمسة هي : الفاصل الصاعد والفاصل الهابط والفاصل المؤقت والفاصل الموجـب والفاصـل

السالب , وهكذا فالفواصل نوعان : الداخلية وتشمل الموجب أو المفتوح والفاصل السالب أو المغلق , وفواصل خارجية أو ختامية وتشمل الفاصل الصاعد والفاصل الهابط والفاصل المؤقت[19] .

والفاصلة في علوم القرآن

عرفها العلماء والدارسون – على مر العصور –بتعريفات مختلفة , بعضها يكاد يتفق مع بعضها الآخر , في حين نجد تعريفات أخرى تختلف عن بعضها الآخر في المفهوم , فقد عرفها الرماني بأنها حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني , وعرفها الباقلاني أنها حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني , وقال صاحب اللسان أن أواخر الآيات في كتاب الله فواصل , وهي بمنزلة قوافي الشعر – جل كتاب الله عزَّ وجل – واحدتها فاصلة أو قرينة السجع في النثر[20] , وقال أبو عمرو الداني إنها كلمة آخر الجملة [21] , وفي هذا نظر إذ قد تشتمل الآية الواحدة على عدّة جمل , بل قد تكون الآية كلمة واحدة كما في (والضحى) , (والعصر) , (مدهامتان) , وعرفها أحمد أحمد بدوي بأنها الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن[22] .

والفواصل موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز , موقوفا عليها , لأن الغرض أن يزاوج بينها , ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون كقولهم : ما أبعد ما فاتْ , وما أقرب ما هو آتْ, فلو اعتبرت الحركة لفات السجع , لأن تاء (من فاتَ) مفتوحة , وتاء (آتٍ) مكسورة منونة , وهذا غير جائز في عرف القوافي , ولا يتحقق فيه التزاوج بين الفواصل[23] , ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور, وبالعكس , وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون[24] .

المبحث الأول

الآيات القرآنية الكريمة التي ورد المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت في وسطها

على الرغم من ندرة وقوع المقطع الصوتيّ المديد المنتهي بصامت (ص ح ح ص) في وسط الكلام , فقد وجدناه في ألفاظ متعددة في آيات القرآن الكريم , منها ما ورد مرة واحدة , ومنها ما تكرر أكثر من مرة سواء أكان ذلك باللفظ نفسه أم كان بغيره , بل منها ما احتوى على أكثر من مقطع من هذا النوع , والجدول الآتي يوضح ذلك , ففيه كل الألفاظ أو التراكيب المشتملة على هذا المقطع في القرآن الكريم .

ت	السورة	رقم السورة	الاية	رقم الاية
1.	الفاتحة	1	{ الضَّالِّينَ }	7
2.	البقرة	2	{الم}[25]	1
3.	البقرة	2	{ لِيُحَآجُّوكُم }	76
4.	البقرة	2	{أَتُحَآجُّونَنَا }	133
5.	البقرة	2	{ دَآبَّةٍ }	164
6.	البقرة	2	{ الضَّآلِّينَ}	198
7.	البقرة	2	{ كافَّةً }	208
8.	البقرة	2	{ تُضَآرَّ}	233
9.	البقرة	2	{ حَآجَّ}	258

.10	البقرة	2	{ يُضَآرَّ }	282
.11	آل عمران	3	{الم}	1
.12	آل عمران	3	{ حَآجُّوكَ }	20
.13	آل عمران	3	{حَآجَّكَ }	61
.14	آل عمران	3	{تُحَآجُّونَ }	65
.15	آل عمران	3	{تُحَآجُّونَ }	66
.16	آل عمران	3	{ يُحَآجُّوكُمْ }	73
.17	آل عمران	3	{ الضَّآلُّون}	90
.18	النسآء	4	{ مُضَآرٍّ }	12
.19	المائدة	5	{ آمِّينَ }	2
.20	الأنعام	6	{ دابة }	38
.21	الأنعام	6	{الضَّآلِّينَ }	77
.22	الانعام	6	{وَحَآجَّهُ }	80
.23	الانعام	6	{أَتُحَاجُّونِّي }	80
.24	الانعام	6	{أَتُحَاجُّونِّي }	80
.25	الانعام	6	{آلذَّكَرَيْنِ }	143
.26	الانعام	6	{آلذَّكَرَيْنِ}	144
.27	الأعراف	7	{المص}(26)	1
.28	الأعراف	7	{المص}	1
.29	الانفال	8	{شَآقُّواْ }	13
.30	الانفال	8	{خَآصَّةً }	25

.31	التوبة	9	{الْحَاجِّ }	19
.32	التوبة	9	{كافة }	36
.33	التوبة	9	{كافة}	36
.34	التوبة	9	{كَآفَّةً }	122
.35	يونس	10	{الر}	1
.36	يونس	10	{آلآن }	51
.37	يونس	10	{ آللهُ}	59
.38	يونس	10	{ تتبعانِّ }	89
.39	يونس	10	{آلآن }	91
.40	يونس	10	{ رَآدَّ }	107
.41	هود	11	{الر}	1
.42	هود	11	{ دَآبَّةٍ }	6
.43	هود	11	{ دَآبَّةٍ }	56
.44	يوسف	12	{الر }	1
.45	الرعد	13	{المر}	1
.46	الرعد	13	المر}	1
.47	ابراهيم	14	{الر }	1
.48	الحجر	15	{الر }	1
.49	النحل	16	{ تُشَاقُّونَ }	27
.50	النحل	16	{دَآبَّةٍ }	49
.51	النحل	16	{دَآبَّة}	61

.52	النحل	16	{ برادّي }	71
.53	مريم	19	{كهيعص}(27)	1
.54	مريم	19	{كهيعص}	1
.55	الحج	22	{ صَوَافَّ}	36
.56	المؤمنون	23	{ ضالين}	106
.57	المؤمنون	23	{ العادّين}	113
.58	النور	24	{ صافات }	41
.59	النور	24	{دَابَّة}	45
.60	الشعراء	26	{طسم}	1
.61	الشعراء	26	{الضَّالِّين}	20
.62	الشعراء	26	{ الضَّالِّينَ }	86
.63	النمل	27	{طس }	1
.64	النمل	27	{ جانّ }	10
.65	النمل	27	{ آللهُ }	59
.66	النمل	27	{دَابَّةً }	82
.67	القصص	28	{طسم}	1
.68	القصص	28	{ رادّوه }	7
.69	الفصص	28	{ جانّ }	31
.70	القصص	28	{ لرادّك }	85
.71	العنكبوت	29	{الم}	1
.72	العنكبوت	29	{دَابَّة }	60
.73	الروم	30	{الم}	1
.74	لقمان	31	{الم}	1

.75	لقمان	31	{دَابَّة }	10
.76	السجدة	32	{الم}	1
.77	سبأ	34	{ دَابَّةُ }	14
.78	سبأ	34	{كَافَّةً }	28
.79	فاطر	35	{ دَابَّة }	45
.80	الصافات	37	{الصافات }	1
.81	الصافات	37	{ ضالّين}	69
.82	الصافات	37	{ الصَّافُّون}	165
.83	ص	38	{ص }	1
.84	الزمر	39	{ تامرونّي}	64
.85	الزمر	39	{ حَافِّينَ }	75
.86	المؤمن	40	{يَتَحَاجُّونَ }	47
.87	الشورى	42	{ يُحَاجُّونَ }	16
.88	الشورى	42	{دَابَّة }	29
.89	الجاثية	45	{دَابَّة }	4
.90	محمد	47	{شَاقُّوا }	32
.91	ق	50	{ق}	1
.92	الرحمن	55	{ جان}	39
.93	الرحمن	55	{ جان}	56
.94	الرحمن	55	{مُدْهَامَّتَانِ }	64
.95	الرحمن	55	{ جان}	74
.96	الواقعة	56	{ الضَّالُّونَ }	51
.97	الواقعة	56	{ الضَّالِّينَ }	92

.98	المجادلة	58	{ يَتَمَاسَّا }	3
.99	المجادلة	58	{يتماسا }	4
.100	المجادلة	58	{يُحَادُّونَ}	5
.101	المجادلة	58	{ بِضَارِّهِمْ }	10
.102	المجادلة	58	{يُحَادُّونَ }	20
.103	المجادلة	58	{ يُوَادُّونَ }	22
.104	المجادلة	58	{ حَادَّ }	22
.105	الحشر	59	{ شَاقُّوا }	4
.106	الحشر	59	{يُشَاقِّ }	4
.107	الطلاق	65	{ تُضَارُّوهُنَّ }	6
.108	الملك	67	{ صافات }	19
.109	القلم	68	{ن}	1
.110	القلم	68	{ لَضَالُّونَ }	26
.111	الحاقة	69	{الْحَاقَّةُ}	1
.112	الحاقة	69	{ الْحَاقَّةُ}	2
.113	الحاقة	69	{ الْحَاقَّةُ }	3
.114	النازعات	79	{ الطَّامَّةُ }	34
.115	عبس	80	{الصَّاخَّةُ }	33
.116	المطففين	83	{لَضَالُّونَ }	32
.117	الفجر	89	{تَحَاضُّونَ }	18
.118	الضحى	93	{ضَالّاً }	7

المَقْطَعُ الصَّوتِيُّ
المَدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِتِ
مجلة آداب الفراهيدي
د. عزّة عدنان أحمد عزّت
العـدد (10) آذار 2012

المبحث الثاني

الآيات القرآنية الكريمة التي ورد المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت في فواصلها

ورد المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت في فواصل الآيات القرآنية الكريمة بكثرة فاق فيها نسبة وروده في وسطها فضلا عن نسبة ورود المقاطع الصوتية الأخرى المتبقية , والجدول الآتي يوضح ذلك :

ت	السورة	عدد آياتها	عدد المقطع الصوتي (ص ح ص)	عدد المقطع الصوتي (ص ح ح)	عدد المقطع الصوتي (ص ح ح ص)	عدد المقطع الصوتي (ص ح ص ص)
.1	الفاتحة	7	1		6	
.2	البقرة	286			286	
.3	آل عمران	200			200	
.4	النساء	176		169	7	
.5	المائدة	120			120	
.6	الانعام	165			165	
.7	الاعراف	206			206	
.8	الانفال	75			75	
.9	التوبة	129			129	
.10	يونس	109			109	
.11	هود	123			123	
.12	يوسف	111			111	
.13	الرعد	43			43	
.14	ابراهيم	52			52	

.15	الحجر	99			99	
.16	النحل	128			128	
.17	الاسراء	111		110	1	
.18	الكهف	110		110		
.19	مريم	98		97	1	
.20	طه	135	1	134		
.21	الانبياء	112	1		111	
.22	الحج	78			78	
.23	المؤمنون	118			118	
.24	النور	64			64	
.25	الفرقان	77		77		
.26	الشعراء	227			227	
.27	النمل	93			93	
.28	القصص	88			88	
.29	العنكبوت	69			69	
.30	الروم	60			60	
.31	لقمان	34			34	
.32	السجدة	30			30	
.33	الاحزاب	73		73		
.34	سبأ	54			54	
.35	فاطر	45		7	38	
.36	يس	83			83	
.37	الصافات	182	8	3	171	
.38	ص	88		1	87	
.39	الزمر	75		14	61	
.40	غافر / المؤمن	85			85	

.41	فصلت	54			54	
.42	الشورى	53			53	
.43	الزخرف	89			89	
.44	الدخان	59			59	
.45	الجاثية	37			37	
.46	الاحقاف	35			35	
.47	محمد	38	36	2		
.48	الفتح	29		29		
.49	الحجرات	18			18	
.50	ق	45			45	
.51	الذاريات	60	5	4	51	
.52	الطور	49	2	3	44	
.53	النجم	62	2	57	3	
.54	القمر	55	55			
.55	الرحمن	78			78	
.56	الواقعة	96	10	8	78	
.57	الحديد	29			29	
.58	المجادلة	22			22	
.59	الحشر	24			24	
.60	الممتحنة	13			13	
.61	الصف	14			14	
.62	الجمعة	11			11	
.63	المنافقون	11			11	
.64	التغابن	18			18	
.65	الطلاق	12		12		
.66	التحريم	12		1	11	
.67	الملك	30			30	

68.	القلم	52			52	
69.	الحاقة	52	29		23	
70.	المعارج	44	4	11	27	2
71.	نوح	28		24	4	
72.	الجن	28		28		
73.	المزمل	20	1	18	1	
74.	المدثر	56	36	6	14	
75.	القيامة	40	25	11	4	
76.	الدهر	31		31		
77.	المرسلات	50	10	9	29	2
78.	النبأ	40		35	5	
79.	النازعات	46	10	36		
80.	عبس	42	21	17	4	
81.	التكوير	29	18		11	
82.	الانفطار	19	7		12	
83.	المطففين	36			36	
84.	الانشقاق	25	11	7	7	
85.	البروج	22			22	
86.	الطارق	17	14	3		
87.	الاعلى	19		19		
88.	الغاشية	26	24		2	
89.	الفجر	30	6	5	14	5
90.	البلد	20	16	1		3
91.	الشمس	15		15		
92.	الليل	21		21		
93.	الضحى	11	3	8		
94.	الانشراح	8	6	2		

95.	التين	8			8	
96.	العلق	19	10	9		
97.	القدر	5				5
98.	البينة	8	8			
99.	الزلزلة	8	3	5		
100.	العاديات	11	5		6	
101.	القارعة	11	9		2	
102.	التكاثر	8	2		6	
103.	العصر	3				3
104.	الهمزة	9	9			
105.	الفيل	5			5	
106.	قريش	4				4
107.	الماعون	7			7	
108.	الكوثر	3	3			
109.	الكافرون	6	3		3	
110.	النصر	3		2		1
111.	اللهب	5	5			
112.	الاخلاص	4	4			
113.	الفلق	5	5			
114.	الناس	6			6	

- وعلى صعيد السورة القرآنية بدا تنوع المقاطع الصوتية التي انتهت بها فواصل السور القرآنية الكريمة , فكان من السور ما لم ينته إلا بمقطع واحد , ومنها ما انتهى بمقطعين , ومنها بأكثر من ذلك :

في مقطع واحد	عدد السور	في مقطعين	عدد السور	في ثلاثة مقاطع	عدد السور	في أربعة مقاطع	عدد السور
ص ح ص	7	ص ح ح ص ح ص	8	ص ح ص ص ح ح ص ح ح ص	10	ص ح ص ص ح ح ص ح ح ص ص ح ص ص	3
ص ح ح	10	ص ح ح ص ح ح ص	9	ص ح ص ص ح ح ص ح ص ص	1		
ص ح ح ص	52	ص ح ح ص ح ص ص	1				
ص ح ص ص	3	ص ح ص ص ح ح ص	10				
114	72		28		11		3

- وبالنظر لنوع المقطع في الفاصلة فقد حصد المقطع الـصوتي المديـد المقفـل بالصامت في فواصل الآيات القرآنية على أعلى النسب , وكانت نسبته تقـارب 73% .

نتائج الاحصاء

إنَّ إنعام النظر في الجدولين اللذين يوضحان كثيرا من الفروقـات نظـرا لموقع المقطع في الآية (في وسطها أو في فاصلتها) , أو لنوعه (مفتوح أو مغلق , طويل أم قصير) أو لعدده فضلا عن نوعية الصائت فيه , ولا نستثني ذلك علـى صعيد السورة القرآنية , يبدي لنانتائج عديدة منها :

- إنَّ نسبة ورود المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت في آخر الكـلام (فـي الفاصلة) كبيرة جدا , لا تقارن بنسبة وروده في وسط الكلام , وما ورد من ألفاظ في الجدول الأول يمكن أن تنقسم على أقسام ثلاثة :
  - o **الحروف المقطعة**: وانعام النظر فيها يرينا أنها وردت بـصائت الألـف 16 / 109 أي بنسبة 14.5% للأحرف المقطعـة , والبـاقي للألفـاظ المتبقيـة , وبصائت الواو 1/2 = 50% , فيما احتل صائت الياء 6/6 أي 100% , إذ لم يرد في وسط الآيات إلا مع الأحرف المقطعة .
  - o **كلمة واحدة**: وقد بدا لنا من خلال النظر في الكلمـات أن أغلبهامـشتق مـن الأفعال الثلاثية المضعفة , مثل : ضالّين/ ضلل , حاجّ / حجج , دابة / دبب , كافة / كفف , ضارّ/ ضرر , آمين / امم , يشاقّون / شقق , خاصّة / خصص, رادّ / ردد , عادّ / دد , صافّات / صفف , جانّ / جـنن , حـافّين / حفـف, يتماسّا/ مسس, يحادّون/ حدد, يوادّون / ودد , حاقّـة / حقـق , يحاضّـون/ حضض), لانستثني من ذلك إلا: (صوافّ) من (صوف), و(مدهامّتان) مـن (دهم), فضلا عن لفظ (تتبعانِّ) المؤكد بنون التوكيد فهو من (تبع).
  - o **أكثر من كلمة**: واللافت للنظر فيها أنها كلّها جاءت باسلوب نحوي واحد , هو اسلوب الاستفهام , بأداة استفهام واحدة هي الهمزة تلتها لفظة مبـدوءة بـألف ولام نحو : (آلله), (آلذكرين) , (آلآن).

المقطع الصوتي في الفاصلة	عدده	نسبته
ص ح ح	428	%6.864
ص ح ص	1234	%19.788
ص ح ح ص	4549	%72.948
ص ح ص ص	25	%0.400
المجموع	**6236**	**%100**

- والنظر في صوائت المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت يرينا أنها تختلف نظرا لموقعه , لذا كانت نسبتها في وسط الكلام مغايرة تماما لنسبتها في الفواصل , وقد يبدو لنا أن هذه النتيجة هي نتيجة تستوجب دراسة تالية تبين السبب أو تقترب منه , والجدول الآتي يوضح ذلك :

المقطع الصوتي	عدده الكلي	نسبة صائت الألف	عدده	نسبة صائت الواو	عدده	نسبة صائت الياء	عدده
ص ح ح ص في الفاصلة	4549	%7.5	345	%42.5	193 5	%50	2269
ص ح ح ص في الآية	118	%92.5	109	%2.5	3	%5	6

- على الرغم من حصول صائت الياء على أعلى النسب في الفاصلة إلا أننا نجد أن نسبته كانت صفر % إذا ما استثنينا الحروف المقطعة والجدول الآتي يوضح ذلك:

المقطع الصوتي	نسبة صائت الألف	عدده	نسبة صائت الواو	عدده	نسبة صائت الياء	عدده
ص ح ح ص في الآية (95)	%97.9	93	%2.1	2	%0	0

- لم يقترن مع صائت الواو إلا صائت واحد هو النون , ومع الياء إلا الميم , أما الصوامت المقترنة بصائت الالف في هذا المقطع فكانت متعددة وبلغت 14 صامتا , وهي الأخرى وردت بأعداد متفاوتة , والجدول الآتي يوضح ذلك :

الصامت	ب	ج	خ	د	ذ	ر	س	ص	ض	ف	ق	ل	م	ن
صائت الألف	14	13	1	10	2	5	2	1	1	13	8	17	16	6
صائت الواو														3
صائت الياء													6	

وقد يبدو لنا في السور التي اشتركت فواصلها بانواع معينة من المقاطع الصوتية , ما يربط بينها فيما لو درست دراسة دلالية , فالاعجاز في القرآن لا ينتهي , فضلا عن اختلاف نسبة الصوائت نظرا لموقع المقطع الصوتي قلة أو كثرة , كما في عدم ورود صائت الياء في المقطع الصوتي المديد المقفل بالصامت (ص ح ح ص) في وسط الآيات القرآنية إلا مع الأحرف المقطعة .

الهوامش:

(1) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية/240.
(2) مباحث في علم اللغة /9 .
(3) الحركات الإعرابية بين الدلالة الصوتية والدلالة النحوية، عبد القادر مرعـــي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 1، 1992.
(4) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية/238.
(5) علم اللغة العام/76.
(6) فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب/170.
(7) التصريف العربي/77.
(8) أبحاث في أصوات العربية/8 -11.
(9) الرعاية/76.
(10) من أسرار اللغة/251.
(11) ينظر بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء عم يتساءلون برواية حفص عـــن عاصم دراسة صوتية 12 .
(12) الخطاب النقدي عند المعتزلة، كريم الوائلي/205.
(13) ينظر: الرمز والرمزية/364 ومسألة الإيقاع في الـــشعر الحـــديث مفـــاهيم وأسئلة، محمد العمري/56 مجلة فكر ونقد، العدد 18، سنة 1999م، والبديع تأصيل وتجديد، منير سلطان/76.
(14) معجم مقاييس اللغة وينظر مادة (فصل) في الصحاح واللسان .
(15) ميزان الذهب ص6

(16) ينظر العروض والقافية دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والـــشعر الحـــر, ص 15 : د . علي عبد الرضا علي
(17) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص 14 – 17 .
(18) الأصوات اللغوية ص 167 د. محمد علي الخولي
(19) ينظر الأصوات اللغوية ص 168 – 169
(20) مفهوم الفاصلة في القرآن الكريم : محمد حسين الصغير , ص 43
(21) أبحاث في القرآن الكريم ص 109 .
(22) من بلاغة القرآن ص 75 .
(23) البديع في ضوء أساليب القرآن ص 142 .
(24) ينظر الفاصلة القرآنية ص 17 وما بعدها , د. عبد الفتاح لاشين .
(25) المقطع الصوتي في اللام
(26) تكررت الآية لوجود مقطعين صوتيين طويلين مديـــدين مقفلـــين بـــصامت , الأول في اللام , والثاني في الميم
(27) تكررت الآية لوجود مقطعين صوتيين الاول في الكاف , والثاني في العين .

المصادر:

1- أبحاث في أصوات العربية, د. حسام سعيد النعيمي، ط1، بغداد، 1419 هـ - 1998 م، دار الشؤون الثقافية العامة.
2- أبحاث في القرآن الكريم : د . خليل ابراهيم حمودي السامرائي , العراق , ديوان الوقف السني , مركز البحوث والدراسات الاسلامية , سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة (16) 1428 هـ - 2007 م .
3- أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية , د. علي جابرالمنصوري، ط1، بغداد، 1408 هـ - 1987 م، مطبعة جامعة بغداد.
4- الأداءالتصويريوإيقاعالفواصلفيالقرآنالكريم , بقلم : محمدقطبعبدالعال
5- الأصوات اللغوية, د. محمد علي الخولي , دار الفلاح للنشر والتوزيع عمان
6- البديع تأصيل وتجديد:د. منير سلطان، الاسكندرية، 1407 هـ - 1986م، نشر منشأة المعارف بالاسكندرية، جلال خرى وشركاؤه.
7- بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء عمّ يتساءلون دراسة صوتية , عزّة عدنان أحمد عزّت ، أطروحة دكتوراه , إشراف د. رافع العبيدي , كلية الآداب , جامعة الموصل , 2005 م .
8- الترقيم وعلاماته في اللغة العربية www.el-hadad.net مكتبة موقع الدكتورعبدالوارث الحداد
9- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث , الطيب البكوش، تونس، 1393 هـ - 1973م، الشركة التونسية لفنون الرسم.
10- الحركات الإعرابية بين الدلالة الصوتية والدلالة النحوية , د. عبد القادر مرعي الخليل، مجلة مؤتة، ع1، مج7، سنة 1992م، الأردن.
11- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة , أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحان، (د.ت)، توزيع دار الكتب العربية.

12- العروض والقافية دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر , د . علي عبد الرضا علي , الموصل 1989 م
13- علم اللغة العام، الأصوات , د. كمال بشر، ط4، مصر، 1395 هـ - 1975م، دار المعارف.
14- الفاصلة القرآنية , عبد الفتاح لاشين , دار المريخ , الرياض , 1402 هـ - 1982 م
15- الفاصلة في القرآن : محمد الحسناوي , المكتب الاسلامي – بيروت , 1406 هـ - 1986 م .
16- فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب، ط1، القاهرة، 1393 هـ - 1973م، دار الحمامي للطباعة، توزيع مكتبة التراث.
17- مباحث في علم اللغة واللسانيات , د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط1، بغداد، 1423 هـ - 2002م، دار الشؤون الثقافية العامة.
18- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم , محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، القاهرة، 1417 هـ - 1996م، دار الحديث.
19- المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية، بيروت - لبنان، (د.ت)، المكتبة العلمية.
20- معجم مقاييس اللغة:أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط1، بيروت - لبنان، 1422 هـ - 2001م، دار احياء التراث العربي.
21- من أسرار اللغة , د. ابراهيم أنيس، ط6، مصر، 1399 هـ - 1978م، مكتبة الأنجلو المصرية.
22- من بلاغة القرآن:أحمد أحمد بدوي، القاهرة، 1370 هـ - 1950م، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
23- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب :السيد أحمد الهاشمي ' العراق -بغداد ' 1399هـ -1979م، مكتبة النقاء .

Abstract
The Prolonged Vowel Ended with a Voiceless Consonants

Vowels in Arabic are five, amongst a vowel that does not occur in the middle of speech but only in the end, it is that vowel is ends with two voiceless consonants (as in sad ha'a sad sad), and the other rarely occure in the middle of the speech though it often occurs in the end, it is that prolonged vowel which ends with voiceless consonant (sad ha'aha'a sad); this what we dealt with in the current study from it number aspect, or the type of the voiced consonant in it, or the voiceless consonant that ends with it, choosing the Koranic texts to achieve this study because it is the most expressive one, but not any other text that may be controlled by rhythm and rhyme.

التعقيد في شعر أبي تمّام والمتنبيّ والمعريّ

د. حسين خلف صالح
المعهد التقني الحويجة

إضاءة

لاشك أنَّ كلَّ نصٍ أدبي –شعراً كان أم نثراً- صورة وانعكاس لتطلعات صاحبه، وهو ثمار غرسه التي يفاجأ القارئ بما فرشه في صفحاته من منعطفات رافقته أثناء حياته، ولا عجب في ذلك، إذ أنَّ النص يمثل انتماءً مبكراً ووعياً يمكن من خلاله قراءة حياة مؤلفه ونوازعه النفسية وتوجهاته الفكرية، وكأنَّ النص يمثل الشهادة والإعلان عن شخصية مؤلفه الذي يتجلى في استعماله (المخصوص) للغة بوصفها المفهوم الواسع الذي تتدرج فيه تجربة الشاعر أو الأديب.

إنَّ تجربة هؤلاء الشعراء الواسعة والعميقة توغل في أساليب وأشكال واستعمالات متنوعة سعياً لإخضاع اللغة لخدمتهم. (والتعقيد) أحد هذه الركائز التي وقفوا عليها بوصفه معانقاً لحياتهم في عطائها الثر والمتميز، فضلاً عن دلالات أخرى أرادوها، لذا فإنَّ معرفة حياتهم وما آلت إلية تمثل مستلزماً ضرورياً لفهم (التعقيد) في شعرهم.

- مدخل إلى التعقيد في المدونة النقدية:

من النصوص القديمة التي تواجهنا في ذم التعقيد في الكلام والتحذير من استعماله، ما أوصى به بشر بن المعتمر في صحيفته المشهورة، بقوله: ((.......وإياك والتوعُّرَ، فإنَّ التوعُّر يُسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلكُ معانيكَ، ويشين ألفاظك.........))[1] .

ويرتبط هذا الموقف من التعقيد بأمرين ذكرهما الدكتور بدوي طبانة، بقوله: ((أولهما: ما يؤدي إليه استغلاق المعاني حتى لا يستطاع إدراكها، ومن ثم لا يؤدي غايتها من الإثارة أو الإمتاع ...حتى ولو كان من الممكن إدراك تلك المعاني فإنَّ ذلك الإدراك لا يتأتى إلا بعد مشقة وإعنات، لا توازيها الفائدة التي قد يحصل عليها القارئ أو السامع بعد هذا العناء الشاق الذي يبذله كلٌّ منهما في سبيل الفهم والإدراك. والأمر الأخر: ما يدلُّ عليه من التكلّف واستكراه الطبع والتحمّل في طلب المجهول الذي ينفر من الذوق السليم، ويأباه الحس الفني المطبوع..........))[2]

ويعزو أبو هلال العسكري إغلاق المعنى وتعقيده إلى عجز الشاعر عن الإبانة والوضوح في معناه، وقصوره عن الإفصاح عنه.[3] كما أنّه يجعل الإغلاق والتقعير والتعقيد سواء؛ لأنّه أنطلق أساساً من هاجس استعمال الوحشي مع شدَّة تعلُّق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم معناه، يقول: ((...... والتعقيدُ والإغلاقُ والتقعيرُ سواء. وهو استعمال الوحشيّ، وشدَّة تعليق الكلام بعضه ببعض؛ حتى يَستَبهمَ المعنى)).[4] فهذه كلّها ركائز وثوابت تقوم على تعقيد المعنى وإخراجه إلى التعمية والغموض. فالغَلِقُ من الكلام ما أشكل معناه ولم يبين[5] وتقعَّرَ في كلامه أي تشدقَ فيه.[6]

وجعل العسكري (المعاظلة) من سوء النظم الذي يؤدي إلى التعقيد في المعنى ((لانَّ؛ المعاظلة في أصل الكلام إنّما هي ركوبُ الشيء بعضه بعضاً؛ وسمي الكلامُ به إذا لم ينضد نَضَداً مستوياً، وأركب بعضُ ألفاظه رقاب بعض، وتداخلت أجزاؤه،....)).[7]

ولا شك أنَّ سوء النظم هو أبرز الأسباب التي تؤدي إلى تعقيد المعنى، وهذا ما التفت إليه عبد القاهر الجرجاني –أيضاً- ببيان علاقة التعقيد بفساد النظم وسوء التأليف، إذ استدعى انتباهه إلى أنّه أحد الأسباب التي تقود إلى تعقيد المعنى. يقول: ((وأما التعقيد فإنّما كان مذموماً لأجل أنَّ اللفظ لم يرتب الترتيب الذي يمثّله تحصل الدلالة على الغرض، حتى احتاج السامع أنْ يطلب المعنى بالحيلة ويسع إليه من غير الطريق....)).[8]

وإنَّما ردَّ التعقيد وذمّه؛ لأن المعنى فيه مخلطاً غير متناسب فلا يستحق أنْ يسمى نظماً، وهذا بالمقابل يتطلب جهداً كبيراً قائماً على استخلاص المعنى يوضع الكلام في مكانه المناسب لشدَّة تعسّف قائله. يقول: ((وإنَّما ذم هذا الجنس؛ لأنّه أحوجك إلى فكرٍ زائد على المقدار الذي يجب في مثله، وكدك بسوء الدلالة، وأودع المعنى لك في قالب غير مستوٍ ولا مملس، بل خشن مضرس، حتى إذا رمت إخراجه منك عسر عليك، وإذا خرج خرج مشوّه الصورة ناقص الحسن)).[9]

وكان إدراك الجرجاني الدقيق لما يحتاجه التعقيد من أنعام فكر زائد وكثرة تأمّل كفيلة بالكشف عن خصائص التعقيد المرفوض الذي وجد بأنّه ((أحق أصناف التعقيد بالذم ما يتعبك ثم لا يجدي عليك، ويؤرقك ثم لا يروق لك، وما سبيله إلا سبيل البخيل الذي يدعوه لؤم نفسه، وفساد في حسّه، إلى أنْ لا يرضى بضعته في بخله، وحرمان فضله، حتى يأبى التواضع ولين القول فيتيه ويشمخ بأنفه، ويسوم المتعرض له باباً ثانياً من الاحتمال تناهياً في مستحقه،....))[10]

ويبدو أنَّ عبد القاهر يقسّم التعقيد إلى مرفوض نتيجة لسوء التأليف وغرابة الألفاظ، ومقبول لا يعتريه غموض يصعب كشف المعنى منه؛ لأنّه ((أنطوى على معنى شريف يكافئ التعب في استخراجه، والوصول إليه)).(11)

ويبدو أنَّ هذا التقسيم كان يمّثل حقيقة واقعة في الوقوف على ذمّ التعقيد أو استحسانه فالقاضي الجرجاني يعزو فساد اللفظ والمعنى عند المتنبي إلى أنّها جاءت في غير ما يُحتمل له فخرجت عن المعنى البديع الذي يُجنى من التعب الفكري في استخراجه، فلا يوجد هناك نفع بإزاء هذا التعب. يقول: ((.... كيف يُحتمل له اللفظُ المعقَّد، والترتيب المتعسَّف لغير معنى بديع يفي شرفهُ وغرابتهُ بالتعب في استخراجه، وتقوم فائدة انتفاع بإزاء التأذي باستماعه)).(12) وكأنّه يضع الحدّ المقبول في التعقيد، وهو المعاني المتحققة من هذا التعقيد الذي يكون مبرراً إذا جلب نفعاً وفائدةً، وما دمنا لا نجد هذه الفائدة بعد التعب في تحصيل المعنى، ولا يقبل فيه قانون قبول التعقيد ولا الذوق العام الذي يعتمد الوضوح والبيان، فإنَّ هذا يُمهد السبيل –في إطار النظرة النقدية- إلى ذم التعقيد ورفضه. ((وليس هؤلاء النقاد على صواب في هذا الرأي؛ لأنَّ عمق الفكرة، أو جلال المعنى، لا يغفر للمنشئ أنْ يعقّد التأليف، ويعوّض الأسلوب. والأسلوب المعقّد معيب، ولا يقلل من عيبه ما وراءه من فكرٍ مشرق، أو رأي عميق؛ ذلك لأنَّ الغاية من الأدب التأثير، ولا يتم التأثير إلا بعد الفهم، فإذا أشاك الأديب الطريق إلى معناه، وأحال الكلام متناً يحوج قارئه إلى من يشرحه له ويقضه على معناه، هبطت قيمة العمل الأدبي، وقصد به غموضه عن الإثارة والتأثير، وعدّ في جملة الردىء النازل، ولم ينظر عندئذ إلى ما حوى من فكر، أو ضمه من معنى)).(13)

وقد أضطر هذا التفكّك بين اللفظ والمعنى الذي نشأ عن التعقيد إلى تفكك آخر بين الشاعر (المعقِّد) والمتلقي الذي ضاق ذرعاً في محاولة اكتشاف المعنى

وتبيينه. لذلك قسَّم السكاكي الفصاحة في الكلام على قسمين: الأول يرجع إلى المعنى. وبيانه عنده خلوصه عن التعقيد. والتعقيد عنده ((هو أنْ يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويُشيكُ طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، حتى يقسّم فكرك، ويشعّب ظنك إلى أنْ لا تدري من أين تتوصل، وبأي طريق معناه يتحصّل)).(14)

وأرجع السكاكي القسم الثاني إلى اللفظ الذي أستمد الفصاحة فيه من السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم، وأنْ تكون هذه الألفاظ سليمة مما يجعلها خارجة عن قوانين اللغة، وغير خاضعة للتعقيد الذي ينجم عن التنافر في حروفها.(15)

ومثل هذه النظرة إلى التعقيد تجددت عند الخطيب القز ويني الذي عرَّف التعقيد بقوله: ((أنْ لا يكون الكلام ظاهرَ الدَّلالةِ على المراد به)).(16) وجعل له سببان: أحدهما ينتسب إلى الألفاظ وما تعانيه من اختلال في النظم، إذ لا يدري ((السامع كيف يتوصَّلُ منه إلى معناه))؛(17) وذلك لأنَّه يتقاطع مع الأصل الذي بُنيتْ عليه اللغة، إذ تبدو الإشكالية فيه عن طريق الفصل ((بين الكلمات التي يجب أنْ تتجاوز ويتصل بعضها ببعض، بفصل الصفة عن الموصوف، أو بسبب تأخير الكلمات وتقديمها عن مواطنها الأصلية، أو سوى ذلك من ضروب عدم ترتيب الألفاظ، على نسق يوضّح المعاني)) (18) وهذا بالتالي يُولِّد إشكالية يصعب ضبطها في المعنى.

أمّا السبب الآخر الذي يرجع إلى التعقيد، فهو يعود إلى المعنى، إذ تبدو المعاني فيه كأنَّها معلقة ببعضها مما يصعب فيه ((انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني -الذي هو لازمُه والمرادُ به -...)).(19) هذا الانتقال هو الذي أفسد المعنى وعقَّده؛ لأنّه غير ظاهرٍ نجمَ عن ((استعمال الكلمات عند التعبير عن معنى

خاص، في غير معانيها الحقيقية، بذلك يضطرب التعبير، ويلتبس المعنى في الذهن)).[20]

وينبغي القول إنَّ عدم الظهور لا يعني أنّه ضربٌ من التعقيد.[21] وأنَّ الشاعر تعمَّد ذلك فيه إمعاناً في التعقيد، بل إنّه قد يكون وجهاً من وجوه الاستحسان على نحو ما نجده في التشبيه مثلاً.

وعلى نحو ما تقدمّ من حديث النقاد والبلاغيين عن التعقيد هل يمكن القول: إنَّ الشاعر يتعّمد التعقيد في ألفاظه ومعانيه، محاولة منه للإدلال على قوة طبعه على حدِّ قول ابن جني.[22] أو ليدلّ على معرفته وثقافته على حدِّ قول ابن رشيق.[23] لاسيما إذا علمنا أنَّ الشاعر كان يُنَّبه– أحياناً - إلى أثر التعقيد في شعره؟ ويبدو هذا واضحاً في وقفات النقاد عند تعقيد أبي تمام، فما أنْ نتذكر تعقيد شعره حتى نتذكّر ما دار بينه وبين أبي سعيد الضرير وأبي العَمَيْثَل الأعرابي حين أعترضا على شعره بقولهما: ((لِمَ لا تقول ما يفهم؟ فقال لهما. لم لا تفهمان ما يقال؟)).[24] فهل يعني هذا أنّ أبا تمام كان يتعمّد التعقيد في شعره؟ وأنّه كان واعياً ومدركاً لخطأه، وأنه يمارس التعقيد عن فعلٍ أرادي؟.

أقول على الرغم مما في قول أبي تمام من تحامل واستخفاف في الذوق، ألا أنّه يدرك إدراكاً تامّاً ما آل إليه شعره من تعقيد في معانيه –أحياناً - هذا ما جعل ابن الأعرابي يتحامل على شعره بقوله: ((إنْ كان هذا شعراً فكلام العرب باطل)).[25] كما ذُكر عن أبي حاتم السجستاني أنَّه لا يعرف بعض معاني أبي تمام.[26] ووجد الآمدي مُبَرراً لتفضيل شعر البحتري؛ لأنّه كان ((يتجنَّب التعقيد ومُستكره الألفاظ، ووحشي الكلام....))،[27] فهو على هذا وجد أنَّ شعر أبي تمام كان على نقيض منه، فهو إلى الصنعة والتعقيد أقرب، فإنْ ((كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني التي تُستخرج بالغَوْص والفكرة، ولا تلوْى على ما سوى ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة)).[28] وذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أنَّ أبا تمام

تعسَّف في الفاظه وذهب بها على ((نحو من التركيب لا يهتدي النحو إلى إصلاحه، وإغراب في الترتيب يعمي الإعراب في طريقه ويضل في تعريفه.......))[29]

- التعقيد في شعر أبي تمّام والمتنبيّ والمعريّ:

سنكتفي هنا ببعض الأمثلة التي تظهر وظيفة التعقيد في شعر أبـي تمـام والمتنبي والمعري على نحو يظهر فيه إفساده لتركيب اللغة وخضوعها لسلطته لديهم. يقول أبو تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله:[30]

يَدي لن شاءَ هنّ لـم يـذق جُرَعـاً   من راحيتـك درى مـا الـصَّابُ

وهذا البيت خطّأ فيه الآمدي أبا تمام؛ لأنه يُبني على صياغة فاسدة لكثرة ما فيه من حذف اسهم في إفساد المعنى وتعقيده. يقول: (لفظ هذا البيت مبنـيُّ علـى فساد؛ لكثرة ما فيه من الحذف؛ لأنّه أراد بقوله: ((يـدي لمـن شـاءَ رهـن)) أي أصافحه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إنْ كان لم يذق جُرعاً مـن راحتيـك درى مـا الصّابُ والعسلُ. ومثل هذا لا يسوغ؛ لأنَّه حذف ((إنْ)) التي تـدخل للـشرط،ولا يجوز حذفها؛ لأنَّها إذا حذفت سقط معنى الشرط، وحذف ((مَنْ)) وهي الاسم الـذي صلته ((لم يذق)) فاختلّ البيت، وأشكل معناه.....فإنْ تأوّل متأوّل هذا البيتَ علـى ألفاظ أُخَر محذوفة غير اللفظ الذي ذكرته، فالاختلال بعدُ قائم فيه؛ لكثرة ما حـذف منه، وسقوط الدليل عليه))[31]

ويأخذ القاضي الجرجاني على أبي تمام رداءة النسج في هذا البيت وجعلـه من ردىء شعره؛ لأنَّه ((حذف عمارة الكلام، وأخلَّ بالنظم؛ وإنّما أراد يـدي لمـن شاء رهن (إن كان) لم يذق. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترييـب، وأحـال الكلام عن وجهه)).[32]

ويضع عبد القاهر الجرجاني هذا البيت ضمن أصناف التعقيد المذموم الذي ((يتعبك ثم لا يجدي عليك، ويؤرقك ثم لا يروق لك...))[33] لسوء التأليف وفـساد النظم فيه، فإنَّ ((الفسادَ والخلل كانا من أن تعاطى الشاعرُ ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب...))[34] وكأنّه يلجأ إلى وضع الاحتمالات الكثيرة للخروج بـه

إلى طريق الوضوح والصواب على نحو ما وقف عنـده المرزوقـي مـن كثـرة التأويلات في هذا البيت.[35]

ولا شك أنَّ روح الالتباس والتجاذب بين ألفاظ هذا البيت جعلته بجمل أكثر من تأويل وقراءة، مما يدلُّ على تعقيده وسوء النظم فيه لحاجته إلى تقدير محذوف أو زيادة أو تقديم وتأخير.

وقال يمدح المأمون:[36]

يـا يَـوم شـردَّ يـومَ لهـوي لَهْـوُهُ   بـصَبَابتي وأذلَّ عـزَّ تجلُّـدي

....

يـومُ أفـاضَ جـوىً أفـاضَ تعزِّيـاً   خاض الهوى بحريْ صباهُ المزبْـدِ

هذه الصلة بين الألفاظ القائمة في هذين البيتين هي التي تتحرك في أطـار تعقيد الصورة، ورداءة النسج الذي جاءتْ فيه، إذ أنتجت تعقيداً يصعب معـه فهـم المعنى المراد. وقد لاحظ الآمدي هذا التعالق بين الألفاظ فقال معلّقاً علـى البيـت الأول: ((فهذه الألفاظ...كأنّها ....سلسلة في شدَّة تعلّق بعضها ببعض. وقـد كـان أيضاً يستغني عن ذكر اليوم في قوله: ((يوم لهوي))؛ لأنَّ التشريد إنما هـو واقـع بلهوه. فلو قال: ((يا يوم شرد لهوى)) لكان أصحَّ في المعنى من قوله: ((يـا يـوم شرد يوم لهوي)) وأقرب في اللفظ، فجاءَ باليوم الثاني من أجل اليوم الأول، وباللهو الثاني من أجل اللهو الذي قبله، ولهو اليوم أيضاً بصبابته هو من وساوسه وخطائه ولا لفظ هو أول بالمعاظلة من هذه الألفاظ))[37]

ولا تنشأ المشكلة هنا من مظهر تعلّق الألفاظ بعضها ببعض فحسب، بل من تداخل المعاني الناتج عن تداخل الألفاظ والتراكيب التعبيريـة، بـسبب اسـتعمال الشاعر لألفاظ متقاربة المخارج مع بعضها، وذلك إمعاناً منه في الغموض وتعقيـد المعنى، إذ تصبح كلّ من هذه المعاني صدىً للمعنى الذي قبله، على نحو ما قالـه

في البيت الثاني: ((فجعل اليوم أفاض جوىً، والجـوى أغـاض تعزّيـاً، التعـزّي موصولاً به ((خاض الهوى)) إلى آخر البيت؛ وهذه غاية ما يكـون مـن التعقيـد والاستكراه)).[38] وكذلك بمجيئه بهذه الألفاظ في غير مواقعهـا، وأنهـا لا تليـق بالفاعل الذي جيئت له، إذ تعمّق الالتباس الذي سببه هذا الركون غير اللائق. يقول الآمدي بهذا الصدد: ((.....مع أنه قال ((أفاض)) و ((أغاض)) و ((خاض)) وهي ألفاظ أوقعها في غير مواقعها، وأفعال غير لائقة بفاعلهـا....)).[39] لـذلك يـشير القاضي الجرجاني إلى تكلّف أبا تمام وتفاوت شعره حين لجأ إلى هـذا الاسـتعمال المعقَّد، ويجعل هذه الألفاظ أحوج ما تكون إلى تفسير مفسِّرٍ وتأويل مؤولٍ يوضـح معناها.[40]

ونلمح أبا العلاء المعري يشير إشارة ذات مغزى نلمح في ثناياهـا معنـى التعقيد في بيت أبي تمام، ويؤكد ما ذهب إليه الآمدي بعدم ملائمة هذه الأفعال لِمـا جيئت له، يقول: ((أغاض)): قليلة الاستعمال، وإنَّما يقال: غاض المـاء، وغاضـه غيره.....)).[41]

ولعب التناغم الصوتي في (أفاض وأغاض وخاض) على تأسيس سلسلة من التلاحمات بناءً على (الفونيم)[42] الذي تركه حرف (الضاد)، مما منع فيـه التعقيـد لطافة صوتية وعمقاً أو ما يسميه كمال أبو ديب بالسفسطة المبدعة.[43] إذ من شأن هذه السفسطة أنْ تقود إلى تعقيد في المعنى؛ وذلك لأنَّها لا تقتـصر علـى مفـردة واحدة بل إنَّها تجاوزت إلى تركيب البيت الشعري عموماً، مما أتاح فرصة التشابك في المعنى، وتعقيد الصورة.

ومثله في تداخل الألفاظ واتصال بعضها ببعض إتصالاً يُعقّد المعنى قولـه في رثاء بعض بني حُميد:[44]

خانَ الـصَّفاءَ أخٌ كـان الزمـان لـه   أخـاً فَلـمْ يتخـوَّنْ جـسْمَه الكَمَـدُ

....

وإنْ بجريَّـةً نابـتْ جـأرتُ لهـا   إلى ذُرى جلـدي فاسـتوهلَ الجَلَـدُ

في إطار هذا التعقيد هناك أربعة مظاهر متداخلة في البيت الأول تكونـت منها صورة متضادة (المودة والصفاء). بمقابل (الخيانة) هذه المظاهر هي: (خان - أخ - أخاً - يتخوَّن) وكلّها في جملة القول تقع بين هذين المتضادين بالتجاذب بينهما. فالمعنى: أنَّ من مات له أخٌ فلم يهلك لموته حزناً عليه وكمداً على فراقه فقد خـان المودة والصفاء.

هذا التجاذب بين ألفاظ هذا البيت هو الذي مهّد السبيل إلى التعقيد وأسهم في تشبث الألفاظ بعضها ببعض، يقول الآمدي: ((فانظُر إلى أكثر ألفاظ هذا البيـت.... ما أشد تشبث بعضها ببعض، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظ في البيـت مـن أجل ما يشبهها، وهي قوله: ((خان)) و ((خان)) و ((يتخـوّن)) وقولـه: ((أخ)) و ((أخاً). وإذا تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة، ولا فيه كبير فائدة....)).[45]

وينجم التعقيد –أيضاً - في حال استعمال كلام حوشـي ومـستكره يعمـي المعنى ويحول دون فهمه، وعلى هذا الكلام تكمنُ إشكالية المعنـى بوصـفه ممـا أستقبح وثقلَ. وعلى هذا ذهب الآمدي في نقد بيت أبي تمـام الثـاني؛ لأنـه جـاء بالألفاظ حوشية مستكرهه فإنَّ ((بجيرية)) و ((جأرت لها)) وهذه الألفاظ وإنْ كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت استقبحت وثقلتْ))،[46] وكـأنَّ الآمـدي يُبـيح استعمالها منفردة. وأنَّ ثقلها جاء لاشتراكها بنفس الحروف؛ لذلك رفض وأسـتقبح قول أبي تمام: ((هُنَّ البجاريُّ يا بُجَيْرُ)).[47]

وعلى هذا الأساس فنحن –إزاء تعقيد أبي تمام - أمام حقيقة واقعـة تمثـل وجه الدلالة في بيان ثقافته الواسعة، لذلك كان يلجأ إلى التعقيد في استحضار كـلّ

غريب لم تألفه العرب. وهذا ما يجعل النقاد يحكمون على شعره بالتعقيد والتواء معانيه، وهذا كلّه يشير إلى درجة استعماله لثقافته.

من هنا أثرنا القول إنَّ التعقيد عند أبي تمام إنَّما يمثّل عمق موهبته وقدرته على استعمال اللغة، وأنه كان يتعمَّد ذلك في شعره؛ لأنه كان– كما يقول ابن رشيق - (كالقاضي العدل: يضع اللفظة موضعها، ويعطي المعنى حقّه، بعد طول النظر والبحث عن البينة، و كالفقيه الورع: يتحَّرى في كلامه ويتحرَّج خوفاً على دينه)).[48] وأنه كان ((يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره)).[49]وحكايته مع أبي سعيد الضرير وأبي العميثل تمثل نقطة رصد لهذا التعّمد الذي لجأ إليه أبو تمام.[50]

واعتمد المتنبي في تعقيده على تركيب الجملة، وبدأ أكثر تصعيداً لإشكالية العلاقة بين مفرداتها من أبي تمام، فيذهب الثعالبي إلى أنَّ تعقيد المتنبي ((أحد مراكبه الخشنة التي يتسنَّمها، ويأخذ عليها في الطُّرق الوعْرَة فَيَضل ويُضِل، ويتعب ويُتعب، ولا ينجح)).[51] نظراً لتعامله مع التعقيد بصورة أوسع إذ أخضع التركيب اللغوي إلى تعقيد يصعب معه إخراج المعنى إلا بعد جهد ومعاناة كبيرة. ومن الأمثلة الدالّة على هذا التعقيد الذي يظهر تعسّفاً كبيراً في تركيب الجمل قوله يمدح شجاع بن محمد الطائي:[52]

أنَّى يكونُ أبا البريّةِ آدمٌ وأبوك والثَّقلانِ أنتَ محمدُ

فالصيغة السليمة والمستقيمة بعيداً عن هذا التركيب الملتوي: أنّى يكون ادم أبا البرية، وأبوك محمد، وأنت الثقلان؟ فغيَّب الواقع وتعسَّف في المعنى عبَر هذا التحويل القائم على فصل المبتدأ والخبر (أبوك محمد)؛ بجملة ابتدائية أجنبية (الثقلان أنت) التي قدَّم فيها الخبر على المبتدأ، فبنيتْ الاشكالية على هذا التركيب المتعسِّف.[53] والذي جسَّد اساساً مظهر التعقيد في البيت، الأمر الذي جعل ابن جني

يقول فيه أنه ((ردىء النظم مظلم، ناقص البيان، ومعناه ليس بشريف، فقد جمع العيوب))،[54]وأنّه يُفصح عن ((ضعف في الإعراب)).[55] ولا أجد هذا الضعف إلا هذه الجملة الاعتراضية التي فصلتْ بين المبتدأ وخبره (الثقلان أنت)، جاء في (الفروق والفصول) في الخصائص: ((فمن قبحها الفرق بين المضاف والمضاف إليه، والفصل بين الفعل والفاعل بالاجنبي، وهو دون الأول،........ ويلحق بالفعل والفاعل في ذلك المبتدأ والخبر في قبح الفصل بينهما. وعلى الجملة فكلما أزداد الجزءان اتصالاً قوي قبُح الفصل بينهما)).[56]

وفي إطار هذه الإشكالية المكونة من الفصل بين المبتدأ والخبر، والتقديم والتأخير، على السواء نظر إلى البيت على أنَّ فيه تعسُّفاً شديداً، ((ومذهب عن الفصاحة بعيد)).[57] وأنَّ المتنبي فيه لم يُحسن التأليف، ولم يوفَّق لإقامة إعرابه، وأنّه مَحلٌ من القول وسَفَهٌ.[58] وقبيحٌ داخل في الشَّنع.[59] بل إنَّ منهم من جعل المتنبي نسى نفسه في هذا البيت نسياناً تامّاً؛ لأنّه لم يحفل بترتيب جمله وتراكيبه فصل ما أتَّصل من أجزاء بيته بجملٍ اعتراضية وهي محل تنكّرٍ عند النحويين والبلاغيين.[60]

ولا شك أنَّ لذلك التعسُّف في التعقيد بناءً على الإخلال في التراكيب التي تعترض السياق بنقل المعنى من مستواه الخارجي المباشر المتمثّل في وضوحه إلى مستوى داخلي معقَّد أنبثق من هذا الاخلال في التراكيب فاعتراه الغموض.

وقال يمدح علي بن أحمد الخراساني:[61]

فتىً ألفُ جُزءٍ رأيُهُ في زمانِهِ أقلُّ جزىءٍ بعضُهُ الرأيُ أجمعُ

ويلاحظ في هذا البيت أنَّ بنيته قائمة على كثرة الابتداءات فيه التي لعبتْ بتركيب البيت واعتمدت على تحقيق بنيته المغلقة. ف (ألف): مبتدأ، و(أقل): مبتدأ ثان، و(بعضه): مبتدأ ثالث. أو أنْ يكون (رأيه): مبتدأ مؤخر، و(ألف): خبر مقدّم.

وهذه كلّها تفاعلت في الأخذ بالمعنى شدّاً وجذباً مما أدى به إلى الانحدار إلى مستوى التعقيد وتغليب الغموض والالتباس؛ لأنَّ هذه التراكيب قامتْ على منطق من العلاقات المتفككة، فإنَّ ترتيب الكلام: فتىً رأيه في زمانه ألف جُزء. أقل جُزىء من هذه الالف بعضه، أي أنَّ الرأي الذي في أيدي الناس بعض هذا الأقل. وهذا نتج عنه تركيب تعبيري معقَّد وهو ما عدَّه الحاتمي ((من غمث الكلام ومستكرهه))(62) وإلى مثله ذهب أبو هلالٍ العسكري في التدليل على غلو المتنبي الغث.(63)

ومارس التصغير في (جُزىء) الذي هو تصغير (جزء) سلطته، من خلال ضغطه على المعنى لينسجم مع واقع التعقيد؛ لأنه أرتبط به لتحقير (ذلك القليل، وتصغير شأنه))،(64) فضلاً عن إقامة الوزن، كما أنَّ (الجزء) و (الجزىء) ((من ألفاظ المتكلمين والفلاسفة وقلّما يأتي أحدهما في الشعر مستحسناً))(65)

ولم تكن العملية الحسابية في هذا البيت إلا الإطار الشكلي الذي قام عليه التعقيد، إذ حاول المتنبي الربط بين أطراف هذا التعقيد (ألف جزء) دلالة على الكثرة (أقل جزىء) دلالة على القلة وأبرازها عن طريق احتساب الفارق الذي ينماز به هذا الممدوح وهو ما شكّل غلوّاً وتعقيداً في المعنى؛ لأنه كشف عن رؤية وجدت السبيل إلى تجزيء المجزَّء.

وقريبٌ منه قوله مادحاً علي بن إبراهيم التنوخي:(66)

أحادُ أمْ سُداسٌ في أحادِ   لُيَيْلَتُنَا المنُوطَةُ بالتنادي

فقد شكل مسار هذه الأرقام تعقيداً أقترن بكثرة الشرح والتفسير عمَّا أراده المتنبي، مما يمثّل غموضاً في المعنى كان من شأنه دفع الشراح إلى كثرة التفسير والتوضيح، فقد لعبت هذه الأرقام دورها في استتار المعنى وتخفيه، مما جعل المعنى يطغى عليه حيِّز التعقيد والإشكالية. فالصاحب بن عباد وجده من الأبيات

((التي تحيِّر الأفهام، وتفوت الأوهام وتجمع من الحساب ما لا يُدرَك بالارتماطيقي وبالأعداد الموضوعة للموسيقى))(67) وهذا كلّه مرتبط بتعقيد المعنى، وبما أنتجته هذه الأرقام، يقول: ((وهذا كلام الحكل ورطانة الزطّ، وما ظنُّكَ بممدوحٍ قد شمَّر للسماع من مادحه فصكَّ سمعه. بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة، أيُّ هزةٍ تبقى هناك، وأيُّ أريحيةٍ تثبت إذ ذاك))،(68) لذلك نجد القاضي الجرجاني يلحُّ على عدم احتمال الألفاظ المعقَّدة التي نيطتْ بترتيبٍ متعسّفٍ قطعت الفائدة من المعنى وذلك بما حملته من إشارة مبهمة تعب الفكر في استخراجها دون فائدة يذكرها المعنى، فيجسّد التعقيد عنده بقوله: ((كيف يُحتمل له اللفظُ المعقَّد، والترتيب المتعسَّف لغير معنى بديع يفي شرفُه وغرابتهُ بالتعب في استخراجه، وتقوم فائدةُ الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه))(69)

ويتمثل عنصر التضاد بين اللغة ولغة الأرقام على زيادة مستوى التعقيد في البيت، فإنَّه يُشير إلى علاقة توحي بصعوبة تحقيق هذا التجانس بين (التصغير) في (لُيَيْلتنا) والذي يظهر أثره على الصعيد اللغوي. و(الطول) الذي بدا بلغة الأرقام مشفوعة بقوله: (المنوطةُ بالتنادي) فخلق ذلك وحدة متمازجة في تعقيد المعنى وإبهامه؛ لأنه قام على أداء التضاد الذي واجه المعنى بإشكالية.(70) فكيف أراد (الطول) ولجأ إلى (التصغير)؟.

ويبدو أنَّ التصغير في ذلك أخذ دوراً وظيفياً يتصل بتوظيف هذا المعنى المتمثّل بالطول، ويتضح في أنَّ التصغير إنّما انطوى على التعظيم لتلك الليلة لا التحقير، مصوراً بذلك (الطول) والامتداد الزماني مع تكثير المعنى وتعظيمه (بالتصغير) حسب تعبير المتنبي في طار التعليل للتصغير.(71)

ومن هنا اضطرَّ هذا التعقيد إلى تدخل الشاعر من حيث هو الصوت الباني للنص، وذلك لبيان معناه، وهو الأمر الذي أكَّد مظهر التعقيد في البيت ودلَّ على

موضع الإبهام فيه، إذ روى الحاتمي أنّه سأل المتنبي عن معنى هذا البيت فأجـاب: ((أردتُ أليلةَ واحدةٌ أم ست ليالٍ في ليلة استطالة لها واستبعاداً لمداها...)).[72] ثـم يُفصح الحاتمي عن أنَّ هذا المعنى في استطالة الليل انّما أخذه المتنبي من شـعراء قبله غير أنهم لم يناقضوا هذه الاستطالة في عجز أبياتهم على نحو فعـل المتنبـي الذي وصل صدر البيت بعجز أفسده وبعد كل البعد عنـه، فيُعلـل ذلـك بقولـه: ((........ أنك قلت أليلة واحدة أم ست ليال في ليلة. ثم صـغّرت علـى مـذهب العرب في تصغير المعظّم .....ثم قلت: (المنوطة بالتنادي)، فأحلت. قـال: كيـف ذلك؟ قلت: كيف تناط بالتناد ما تخيّلته ليلة واحدة أو ستاً في واحدة؟....))[73]

ويبدو أنَّ من المظاهر التي ساهمت في تعقيد المعنى، وقـوع (أم) ضـمن معيار الاتصال والانقطاع، فإنْ قُدِّرتْ ((فيه متصلة فالمعنى أنه أسـتطال الليلـه فشكَّ: أواحدةٌ هي أم ستٌ اجتمعت في واحدة، فطلب التعيين، وهـذا مـن تجاهـل العارف... وإنْ قدَّرتها منقطعةً فالمعنى أنَّه أخبر عن ليلتهِ بأنها ليلة واحدة، ثم نظر إلى طولها فشكَّ، فجزمَ بأنَّها ستُ في ليلة فأضرب، أو شكَّ هل هي ست في ليلة أم لا فأضربَ واستفهم....))،[74] فحين يكون تُقديرها بالاتصال يقدَّر حذف الهمـزة قبل (آحاد) ويكون (آحاد) خبراً مقدماً وجوباً على المبتدأ الذي هو (لُييْلتنا) وحـين تقدَّر (أم) على الانقطاع فلا همزة مُقدَّرة.[75]

ورغم ما في البيت من احتمالات وتقديرات مختلفة، فإنَّها تصبُّ في محور واحد هو المساهمة في تعقيد المعنى وذلك لعمق التشابك بين المفردات التي تمثّـل سبباً من أسباب تحقق هذا المظهر من الغموض والإبهام.

وعلى ذلك تبدو الوشيجة قوية وواضحة متصلة بين التعقيد وذات الـشاعر الذي أفرغ المعنى في هذا الإطار ليجعله ملائماً لتطلعاته، فالتعقيد على ذلك يبـدو مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بتطلعات المتنبي إذ أنه ((كان يغالى بنفسه، ويعتز بمواهبـه،

حتى ما يكاد يفكر في جمهوره، أو يحفل بنقاده)).[76] إذ كان حظّ شعر المتنبي من التعقيد كبيراً؛ لأنّه كان يمثّل صورة لحرصه على طلب المعاني العميقة التي لا تنال بغير إتعاب الفكر، لذلك يقول عنه ابن جني بأنَّه ((كان يحب الإغراب، ليعْلَمَ الناسَ أنَّه لغويٌ))،[77] من أجل هذا نجد من الطبيعي أن يقول العسكري –رغـم قـساوة قوله_ بأنَّه لا يعرفُ ((أحداً كان يتبَّع العيوب فيأتها غيرَ مكترث إلا المتنبي، فإنـه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام...)).[78] ونجد ابن فورّجَة يجعل هذا القـسم مـن شعر أبي الطيب الذي تضمّن الكلام المهجور واللفظ المستشنع الذي أدى إلى هـذا التعقيد مما تعمَّده المتنبي وذلك تصديقاً لقوله:

أنامُ مِلءَ جُفُـوني عـن شـوارِدها ويَسهرُ الخَلَقُ جرَّاهـا ويختـصمُ

وإلى مثل ذلك ذهب (إبراهيم السامرائي) من قصد المتنبي لهذا التعقيد[80].

وتبدو درجة التعقيد عند أبي العلاء نابعة من قانون حياتـه، حتـى ليبـدو التعقيد عنده مشدوداً بأقوى الأسباب التي تجعل بنيته مغلقـة متَّـسمة بـالغموض والإبهام، فقد ((كان لضيقه بالحياة وبرمه بها أثر في هذا التعقيد، فقد أنقلـب هـذا الضيق من حياته إلى فنه، فإذا هو يعقد على الناس حتى ينفس بتعقيده عن ضـيقه، وأيضاً فإنّ فقده لبصره وإحساسه العميق بهذا الجانب جعله يطلـب التفـوق علـى معاصريه، وقد ذهب يحاول هذا التفوق عن طريق تعقيد فنّه تعقيداً لم يكن يستطيعه إلا صانع ماهر......))،[81] غير أنّه لا ينبغي أنْ نغفل حقيقـة مهمـة وهـي ((أنَّ صنعته المعقَّدة تلك لم تكن تعبيراً صادقاً عن دفعات نفسه إلى التحدي والتجاوز... فحسب، بل كانت في الوقت نفسه تجسيداً لنموذج الفن على عصره.....))[82] وإلى جانب هذه الأسباب التي وجّهت تلك النزعة إلى التعقيد لبيان تفوقه وإظهار براعته. فهو يوظف حروف اللغة توظيفاً عجيباً يكسب صورته إغراباً وتعقيداً يتعسَّر فهمـه إلا بعد جهد وتأمّل، على نحو قوله:[83]

وَحرْف كنونٍ تحت راءٍ ولـم يكُـنْ بدالٍ يَؤُمُ الرَّسـمَ غيَّـرهُ الـنَّقْطُ

فما أشد ما تحتاجه هذه الألفاظ أو قل (الحروف) إلى معجم يستبين القصد منها، وهو ما يشير إلى تعقيدها وغموضها، فالدلالات التي جاءت بها هذه الألفاظ ابتعدت عن حقيقتها الأصلية، وهذا مما أضفى اللبس والتعقيد على مواضع تجليتها ووضوحها. (فالحرف) الناقة الضامر الهزيلة، (والنون) هو الحرف وشبّه به الناقة لدقّتها وضمُرها، (وراء) أسم فاعل رأيته، إذا ضربت رئته (ودال) أسم فاعل من دلا يدلو إذا سار برفقٍ (والرَّسم) الآثار. (والنقطُ) ما تقاطر من المطر على هذه الرسوم.(84)

فالمشكلة نشأت من مظهر الإخفاء القائم في هذه المفردات، وتداخل المعاني بينها؛ بسبب تعمّد الشاعر لهذا الإخفاء والإيهام، إمعاناً منه في الغموض؛ نتيجة فتح المعاني بعضها على بعض بالاشتراك اللغوي الذي أسهم إلى حدٍّ كبير في هذا الإخفاء والتعقيد. وهذا ما المح إليه البطليوسي. وهو أحد شرّاح السقط - في مقدمته بقوله متحدّثاً عن السقط وما فيه من غريب أسهم في تعقّد ألفاظه وغموض معانيه، يقول: ((......فأكثر فيه من الغريب والبديع، ومزج المطبوع بالمصنوع، فتعقّدت ألفاظه، وبعدتْ أغراضه)).(85)

ومع حرص المعري على تغميض المعنى وتعقيده - وهي خاصية تتجلى في الكثير من شعره - فإنّه كثيراً ما كان يلجأ إلى تعدد المعنى بالنسبة للألفاظ –على نحو ما مرّ - وأنّ هذا التعدد كثيراً ما كان يُمثل استحساناً لدى شرّاحه، على الرغم من أنَّه يُمثل أحد الأسباب التي تؤدي إلى تعقيد شعره.(86) على نحو قوله:(87)

فهـل حُـدِّثتَ بالحربـاء يَلقـى بِرأس العيرِ مُوضـحةَ الـشّجاجِ

وقوله:(88)

رمتنـي بحيَّهـا وآخـرَ صـامتٍ مَن النَّضر لا أعني به ابن كنانَـهْ

فالبيت الأول خلقَ تعقيداً؛ نظراً لما منحه تعدد المعنى من إشكالية في الوقوف على ما هو أبعد من حَيِّز التعبير المباشر (فالحرباء) تُمثّل صورة متّسعة تتمازج مع دلالة البيت الذي يتحرك إلى وصف الدرع، لا المعنى القريب الذي يعنيها وهو هذه الدويبة التي تستقبل الشمس، فالحرباء ما هي إلا مسمار الدرع التي تكسر عير السيف الذي كان هو الآخر أسير هذا الاشتراك في المعنى، فأنَّ (العير) لم تقصد هنا حمار الوحش، إنّما قصد به الناتىء في وسط السيف. وهذا ما دفع البطليوسي إلى وضع هذا الاشتراك في المعنى من أسباب تعقيد شعر أبي العلاء ولغز من ألغازه، يقول: ((وأبو العلاء يُلغز كثيراً بالأسماء المشتركة، ويوهم أنه يريد معنىً وهو يريد معنىً آخر، ويصف أحد الاسمين المشتركين بصفة الآخر))(89).

لقد اختار أبو العلاء وضع الألغاز في شعره قصد الغموض والتعقيد، فجاءت ألفاظه مليئة بالدلالات مكتنزة بما لا حدود له من المعاني، حتى بدأ التعقيد والغموض في شعره يحقق وظيفة فنية على الرغم من رفض تلميذه ابن سنان الخفاجي لهذا اللون القائم على الألغاز قصد إغماض المعنى وإخفائه، وعدَّه لا يمثل قانون الفصاحة، يقول: ((....إنَّ الموضوع على وجه الألغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه وجعل ذلك فنّاً من الفنون التي يستخرج بها إفهام الناس، وتمتحن أذهانهم، فلما كان وضعه على خلاف وضع الكلام في الأصل كان القول فيه مخالفاً لقولنا في فصيح الكلام.......))،(90) ثم يُشير في معرض حديثه عن هذه الظاهرة إلى أنَّ أبا العلاء كان يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً، ويعرض نماذج من شعره ليثبت بعد ذلك أنَّ الألغاز ليستْ من الفصاحة في شيء.(91)

ولا شك أنَّ هذه الظاهرة التي ((تفاجئ القارئ بما لا ينتظره حرفياً، أي تستبعد المتوقع وتحلّ محلّه غير المتوقع، إذ ذاك ينشأ الغموض ويقترب التعبير من

اللغز مما يتطلب من القارئ بذل جهد إضافي للامساك بما يقصد التعبير إيصاله))[92] هي ظاهرة غنية وعميقة بما تحمله من دلالات تمثّل مقدرة الشاعر في توجيهها، والأمر عند أبي العلاء في غاية المقدرة في هذا التوجيه والإتقان، فالقول بأنَّ أبا العلاء تعلّق باللغة وأخرجها عن مفاهيمها إلى الحدِّ الذي سمّاه عبد الله العلايلي بـ ((الرعونة اللغوية))[93] لا يتطابق مع هذه المقدرة التي وقف عندها شرّاح شعره مستحسنين -في الغالب - هذا التوجيه.[94]

وما يميز مظهر التعقيد عند أبي العلاء نهوضه على عامل الفصل بين الفعل وفاعله على نحو يتطلب معه بذل جهد لضبط هذه المكونات لشدّة الفصل بينها، على نحو قوله:[95]

يلوذُ بأقطار الزجاجة بعدما أريقتْ لما أهديت في الكُثر أمثالُ

ففي هذا السياق نجد أنَّ (يلوذُ) الذي يقع في بداية البيت يحتاج إلى ربطه بفاعله الذي هو (أمثالُ) الذي يقع في نهاية البيت، ولا شك أنَّ في هذا تعسفٌ في هذا الفصل الذي أدى إلى تعقيد المعنى؛ لانَّ فحوى ((البيت ينطوي على تشبيه فمها بالكأس))[96]

وعلى نحو قوله:[97]

بكتْ فكأنَّ العقِد نادى فريدَه هَلُمَّ العَقْدُ قَلْبٌ وخُلْخَالُ

فـ (نادى) فعل فُصل عن فاعله (قُلْبُ). بجملةٍ أبعدته عن الوضوح والبيان وأحوجته إلى جهد كبير لفهمه؛[98] لانّ هذا الفصل أضفى على البيت تعقيداً في المعنى تعسَّر معه فهمه. فالمعنى ((أنَّ دمعها سال حتى وصل إلى الخلخال والسوار، وكأنَّ الخلخال والقُلْب دَعَوا العقد الذي في عنقها؛ لأنَّ دمعها يُشبهه ليحالفه، وهذا من دعاوي الشعراء))[99] وما أراد إلا ((تشبيه تناثر عقدها)).[100]

ويتضح من كلّ ذلك أنَّ التعقيد عند أبي العلاء ظلَّ يُعبِّر عن قدرته اللغوية التي تستتر من ورائها حالته النفسية وبذلك يصبح التعقيد عنده بمثابة تغييب لصورة الواقع، نظراً لما للتعقيد من جذور واضحة ينعكس عليها الشاعر في السياق الخارجي (المعقّد) ودرجة وعي الشاعر، لذلك فهو يؤلف واقعاً ثانياً يستمد صورته من حياة الشاعر (الواقع الأول)، وهو ما جعل البعض يقول بأن المعري ((استحيا اللغة وتلبسها لا لتعبّر وفق دلالاتها بل وفق دلالاته نفسه، ولا لتشير إلى ما أجتمع منها من وحي العصور وروحها الجاثمة بل إلى ما اجتمع فيها من وحيه لفتات روحه))[101]

من أجل هذا علل البعض تعقيد أبي العلاء بأنَّه مظهر من مظاهر التنفيس والتعويض عن الآمة وضيقه وغربته في عصره، إذ أصبح جزءاً من طبيعة، ورغبته في التفوق.[102]

وربط هذا التعقيد في شعر أبي العلاء وميله إلى التشديد في كلّ شيءٍ بعد رجوعه من بغداد، فقد كان استعماله للألفاظ وتعقيدها وغريب اللغة ونادرها واضح في شعره، حتى بدت هذه المرحلة من شعره تُمثّل شخصه تمثيلاً صحيحاً على حدِّ قول طه حسين.[103] وانمازت خصائص شعره بالغموض والتعقيد في هذا الطور من حياته الشعرية.[104] فلم يظهر غموضه وتعقيده إلا بعد عودته إلى المعرة؛ نتيجة تشربه للكثير من الآراء والتأملات الجريئة في بغداد، على حدِّ قول نكلسن.[105]

ومهما تكن الأسباب التي أدتْ إلى التعقيد في شعر أبي العلاء فإنَّ ذلك كان شكلاً من أشكال إثبات تفوقه ونبوغه في شعره ونثره عن طريق الاختلاط أو التشابك بين مكونات الجملة مثلما أتضح من الأمثلة السابقة.

ويمكن لنا بعد هذا القول إنَّ التعقيد عند هؤلاء الشعراء تولَّد أساساً من الرغبة فيه؛ لأنَّ الشاعر يجد فيه ضرورة ملحَّة على إضمار المعنى وتعقيده، فهو ينظر إليه على أنَّه متنفسٌ يبين قدرته على استعمال اللغة، فهو على ذلك لا يجد فيه عيباً أو جهلاً لجأ إليه، بل إنَّ الشاعر واعٍ ومدركٍ لهذا (الخطأ) الذي يمارسه عن فعل إرادي تعمَّده في شعره.

وينبغي القول إنَّ التعقيد عند أبي تمام والمتنبي جاء يمثّل –في الغالب- عدولاً عن التركيب اللغوي السليم، إذ جاء هذا التركيب في مجرى يصعب معه فهم المعنى ليضعه تحت عنوان (التعقيد اللفظي) الذي يعتمد على الفصل بين الكلمات أو تقديم وتأخير وما سوى ذلك من عدم ترتيب الألفاظ على نسق يوضح المعاني، وهو عن أبي الطيب أكثر، إذ كان ((شديد الحرية في اللغة، ولا يحفل بالقياس، ولا يأبه للقواعد، ولا يعنيه أنْ يخالف القواعدَ إلى النظم، حتى كثُر قولُ الناس فيه وطعنهم عليه))،[106] وهذا مما يجعل القارئ لا يفهم ما قصد إليه إلا إذا لجأ إلى الشرح والتفسير الطويل. ولعلَّ السرَّ في هذا التعقيد هو محاولة المتنبي إثبات جدارته اللغوية وتفوقه على الشعراء. كما أنَّ لحياته الخالية من الاستقرار وخفوت نسبه أثر في تعقيد ألفاظه ومعانيه.[107] وهذا منطبق تماماً على أبي العلاء المعري فالمتتبع لشعره يلمس مدى تعقيد ألفاظه ومعانيه، حتى ليكاد شعره يمثّل لغزاً محيّراً نتيجة هذا التعقيد.

وقد بدأ (التعقيد اللفظي) عند أبي العلاء أقل تنوعاً، ألا أنَّ التعقيد عنده أخذ شكلاً آخر أسهم في تعقيد معانيه وغموضها وهو ما عُرف (بالتعقيد المعنوي) الذي جاء نتيجة لاستعمال الكلمات في غير معانيها الحقيقية، وبذلك يضطرب التعبير ويُشكل المعنى حتى يلتبس فهمه على القارئ، وقد أكثر أبو العلاء من هذا النوع كثرة لفتت نظر شرّاحه.

الهوامش والمصادر

(1) البيان والتبيين/1: 136، سر الفصاحة/ 220.
(2) قضايا النقد الأدبي/ 131.
(3) ينظر: الصناعتين/ 29.
(4) م . ن/ 45.
(5) ينظر: الصحاح/ مادة (غلق).
(6) م.ن/ مادة (قعر).
(7) الصناعتين/ 163. وينظر: العمدة/ 2: 264-265. سر الفصاحة/ 149.
(8) أسرار البلاغة/ 120.
(9) م . ن/ ص . ن
(10) م. ن/ 120-121.
(11) النقد اللغوي عند العرب/ 302.
(12) الوساطة/ 98.
(13) النقد اللغوي عند العرب/ 303.
(14) مفتاح العلوم/ 527.
(15) ينظر: م . ن/ 526.
(16) الايضاح في علوم البلاغة/ 501.
(17) م . ن/ ص . ن، 2: ص260.
(18) علم أساليب البيان/ 37.
(19) الإيضاح في علوم البلاغة/1: 6. وينظر: 2: 260.
(20) علم أساليب البيان/ 38-39.
(21) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة/ 2: 260.

(22) ينظر: الخصائص/ 2: 392

(23) ينظر: العمدة/ 2: 266.

(24) الموازنة/ 1: 21، الموشح/ 366، العمدة/2: 133، سر الفصاحة/218.

(25) الموازنة/ 1: 20، أخبار أبي تمام/ 244.

(26) ينظر: أخبار أبي تمام/ 244.

(27) الموازنة/ 1: 4.

(28) م . ن/ 1: 5.

(29) أسرار البلاغة/ 121.

(30) ديوانه/ بشرح الصولي/ 2: 180.

(31) الموازنة/1: 190 -192.

(32) الوساطة/ 79.

(33) أسرار البلاغة/ 120.

(34) دلائل الإعجاز/ 84.

(35) للاستزادة في كثرة التأويلات لهذا البيت ينظر: آراء الشراح في شرح الصولي/2: 180 وما بعدها.

(36) ديوانه/1: 450. في شرح التبريزي أغاض تعزيا".

(37) الموازنة/1: 295، ينظر: سر الفصاحة/105.

(38) الموازنة/1: 296.

(39) م .ن/ ص . ن.

(40) ينظر: الوساطة/ 19 -20.

(41) النظام/6: 60 -61.

(42) الفونيم: هو أصغر وحدة صوتية (الخطيئة والتكفير/33، ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ 114).

(43) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي/ 249.

(44) ديوانه/3: 286 -287.

(45) الموازنة/1: 294 -295، وينظر: سر الفصاحة/ 149.

(46) الموازنة/1: 301.

(47) م . ن/ ص . ن.

(48) العمدة/ 1: 133.

(49) م . ن/1: 209.

(50) للاستزادة من أمثلة التعقيد عند أبي تمام راجع ديوانه/1: 184، 289، 546، 2: 177 وصفحات أخرى متفرقة.

(51) يتيمة الدهر/1: 169.

(52) ديوانه/ شرح الو احدي/1: 145.

(53) ينظر: الفسر/2: 339، شرح أبيات المتنبي/65، الموضح/2: 175، النظام/ 7: 49.

(54) الفسر/2: 339.

(55) الفتح الوهبي/53.

(56) الخصائص/2: 390.

(57) الرسالة الموضحة/ 47.

(58) ينظر: شرح مشكل أبيات المتنبي/ 65.

(59) م . ن/108.

(60) ينظر: من أسرار اللغة/ 350 -351.

(61) ديوانه/1: 103.

(62) الرسالة الموضحة/ 37.

(63) ينظر: الصناعتين/ 364.

(64) الفتح على أبي الفتح/ 173.

(65) المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا/ 189.

(66) ديوانه/ 1: 221.

(67) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/ 62.

(68) م.ن/63، يتيمة الدهر/1: 163، الصُبح المتنبي عن حيثية المتنبـي/ 305 - 306.

(69) الوساطة/ 98.

(70) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب/1: 103.

(71) ينظر الوساطة/ 458 -459.

(72) الرسالة الموضحة/ 98.

(73) م.ن/ 99 -100.

(74) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب/1: 101 -102.

(75) ينظر: م.ن/1: 102.

(76) التعقيد في شعر المتنبي/ 509.

(77) الفسر/2: 142.

(78) الصناعتين/ 160.

(79) ينظر: الفتح على أبي الفتح/38، والبيت في ديوانه/2: 696.

(80) ينظر: من معجم المتنبي/ 73، 157.

(81) الفن ومذاهبه في النثر العربي/ 269.

(82) الفكر والفن في شعر أبي العلاء/ 385.

(83) شروح سقط الزند/4: 1611.

(84) ينظر: م. ن/4: 1611 -1612.

(85) م.ن/ 1: 15.

(86) ينظر: لغة الشعر عن المعري 31.

(87) شروح سقط الزند/ 4: 1723.

(88) م .ن/4: 1872.

(89) م . ن/4: 1723، ينظر: لغة الشعر عند المعري/ 31.

(90) سر الفصاحة/ 217.

(91) ينظر: م.ن/ 217 -218.

(92) لسانيات النص/ 259.

(93) المعري ذلك المجهول/ 32.

(94) ينظر: شروح سقط الزند/1: 160، 431.

(95) م . ن/3: 1216.

(96) م . ن/3: 1218.

(97) م . ن/3: 1232.

(98) ينظر: لغة الشعر عند المعري/ 48.

(99) شروح سقط الزند/3: 1233.

(100) م . ن/ ص . ن.

(101) المعري ذلك المجهول/ 36.

(102) ينظر: شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى/ 181. لغة الشعر عند المعري/ 34 -35.

(103) ينظر: من تاريخ الأدب العربي/3: 538. لغة الشعر عند المعري/ 34.

(104) ينظر: من تاريخ الأدب العربي/ 3: 555.

(105) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية/ مادة (أبو العلاء)/ 1: 380.

(106) من تاريخ الأدب العربي/3: 558.

(107) ينظر: موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العــلاء المعري/ 514-515.

المصادر

1- أخبار أبي تمام/ تأليف: أبي بكر الصولي/ تحقيق: خليل محمــود عــساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي/ قدّم له: د. أحمــد أمــين/ المكتــب التجاري للطباعة والنشر - بيروت/ د.ت.

2- أسرار البلاغة في علم البيان/ عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق: محمــد رشــيد رضا/ دار المعرفة - بيروت/ 1398هـ -1978م.

3- الإيضاح في علوم البلاغة/ جلال الدين محمد بن عبد الــرحمن المعــروف بالخطيب القزويني/ تحقيق وتعليق: لجنة من أســاتذة كليــة اللغــة العربيــة بالجامع الأزهر/ مكتبة المثنى - بغداد/ مطبعة الــسنة المحمديــة –القــاهرة/ د.ت.

4- البيان والتبيين/ لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/ تحقيق وشــرح، عبــد السلام محمد هارون/ مكتبــة الخــانجي بالقــاهرة/ مطبعــة المــدني/ ط5/ 1405هـ -1985م.

5- التعقيد في شعر المتنبي/ علي النجدي ناصف/ مجلــة الكاتــب المــصري/ القاهرة/ مج1، ع4: يناير 1946.

6- جدلية الخفاء والتجلي/ د. كمال أبو ديب/ دار العلم للملايين - بيــروت/ ط1، 1979م.

7- الخطيئة والتكفير/ د. عبد الله الخذامي/ النــادي الثقــافي - الــسعودية/ ط1، 1405هـ - 1985م.

8- الخصائص/ لأبي الفتح عثمان بن جني/ تحقيق: محمد علــي النجــار/ دار الفكر العربي - بيروت/ مطبعة دار الكتب المصرية/ د.ت.

9 - دلائل الإعجاز/ لأبي بكر عبد القاهر بن عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن الجرجاني/قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر/ مكتبة الخـانجي - القاهرة/ ط5، 1422هـ - 2004م.

10 - ديوان أبي تمام - شرح الصولي/ دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان/ ج1، الجمهورية العراقية - وزارة الإعلام - بغداد/ ط1، د.ت.

ج2:الجمهورية العراقية وزارة الإعلام والفنون/ بغداد، دار الطليعـة –بيـروت/ 1978.

ج3: - الجمهورية العراقية –وزارة الثقافة والإعلام/ مؤسـسة الخلـيج للطباعـة والنشر - الكويت - توزيع الدار الوطنية - دار الرشيد - 1982.

11 - ديوان أبي الطيب المتنبي –شرح الواحدي/ حقّقه وضبط نصوصه وقدم لـه: د.عمر فاروق الطباع/ دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت/ توزيع دار القلم - بيروت (د.ت).

12 - الرسالة الموضحة في سرقات أبي الطيب وساقط شعره / لأبي علي محمـد الحاتمي/ تحقيق: د.محمد يوسف نجم/ دار صادر/ دار بيروت/ 1385هـ - 1965م.

13 - سر الفصاحة/ لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي/ شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده/ 1389هـ - 1969م.

14 - شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى/ تأليف: محمد مصطفى بالحاج/ الـدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس/ 1396ه -1976م.

15 - شرح مشكل أبيات المتنبي/ تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سـيده/ تحقيق: محمد حسن آل ياسين الجمهورية العراقيـة - وزارة الإعـلام/ دار الطليعة - باريس/ ط1 - 1977م.

16 - شروح سقط الزند/ لأبي العلاء المعري/ تحقيق: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الابياري حامد عبد المجيد إشـراف: د. طه حسين. الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر - القـاهرة/ 1383هـ - 1964م.

17 - الصبح المنبي عن حيثية المتنبي/ تأليف: يوسف البديعي - تحقيـق وتعليـق، مصطفى السقا، محمد شتا، عبده زيادة عبده/ دار المعارف لمصر/ 1963.

18 - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية/ تأليف: إسماعيل بن حماد الجـوهري/ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطـار/ دار العلـم للملايـين - بيـروت/ ط2 - 1399هـ -1979م.

19 - علم أساليب البيـان/ د. غـازي يمـوت/ دار الأصـالة –بيـروت/ ط1 - 1403هـ - 1983م.

20 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ تأليف: أبي علي الحسن ابن رشـيق القيراني/ حققه وفصله وعلّق حواشيه: محمد محي الدين عبـد الحميـد/ دار الجيل - بيروت/ ط4/ 1972.

21 - الفتح على أبي الفتح/ تأليف: محمد بن أحمد بن فورجّه/ تحقيق: عبد الكـريم الدجيلي - دار الشؤون الثقافية - بغداد/ ط2 - 987م.

22 - الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي/ تأليف: أبي الفتح عثمـان بـن جنـي/ تحقيق: د. محسن غياض/ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد/ 1990م.

23 - الفسر - شرح ديوان أبي الطيب المتنبي/ لابن جني/ حققه وعلّق عليه/ د. صفاء خلوصي/ الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والفنون/ مطبعة الشعب/ 1398هـ -1978م.
24 - الفكر والفن في شعر أبي العلاء المعري/ د. صالح حسن اليظي/ دار المعارف بمصر/ د.ت.
25 - الفن ومذاهبه في الشعر العربي/ د. شوقي خيف/ دار المعارف بمصر/ ط1 - 1978.
26 - قضايا النقد الأدبي /د. بدوي طبانه/ دار المريخ - بيروت/ 1404هـ - 1984م.
27 - كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)/ تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي/ المكتبة العصرية - بيروت/ 1406هـ -1986م.
28 - الكشف عن مساوئ شعر المتنبي/ الصاحب بن عباد/ تحقيق: د. محمد حسن آل ياسين/ مكتبة النهضة - بغداد/ مطبعة المعارف/ ط1 - 1385هـ - 1965م.
29 - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)/ محمد خطابي/ المركز الثقافي العربي - بيروت/ ط1 - 1999.
30 - لغة الشعر عند المعري - دراسة لغوية فنية في سقط الزند/ د. زهير غازي زاهد/ دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد/ 1989م.
31 - المتنبي رسالة في الطريق الى ثقافتنا/ أبو فهر محمود محمد شاكر/ دار المدني بجدة/ مكتبة الخانجي بمصر/ 1407هـ -98م.

32 - المعري ذلك المجهول - رحلة في فكره وعالمه النفسي/ عبد الله العلايلي/ الاهليه للنشر والتوزيع - بيروت/ 1981م.
33 - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب/ ابن هشام الأنصاري/ قّدم له ووضّح حواشيه وفهارسه: حسن حمد/ أشرف عليه وراجعه: د. إميل بديع يعقوب/ منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط1/ 1418هـ -1998م.
34 - مفتاح العلوم/ تأليف: أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي/ حققه وقدّم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي/ منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط1 /1420هـ -2000م.
35 - من أسرار اللغة/ د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الانجلو المصرية/ ط7 -1985م.
36 - من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني/ د.طه حسين/ دار العلم للملايين - بيروت/ ط3/ 1980م.
37 - من معجم المتنبي (دراسة لغوية تاريخية)/ د. إبراهيم السامرائي/ وزارة الإعلام - الجمهورية العراقية/ بغداد - 1977م.
38 - موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري/ د. زهدي صبري الخوجا/ منشورات دار الاصالة - الرياض/ ط1/ 1402هـ -1982م.
39 - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري/ لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي - تحقيق: السيد أحمد صقر/ دار المعارف - بمصر/ ج1: ط2/ 1392هـ - 1972م. ج2: (1965م).

40 - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء/ تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمران المزرباني/ تحقيق وتقديم. محمد حسين شمس الدين/ دار الكتب العلمية - بيروت/ط1 /1415هـ -1995م.
41 - الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي/ تصنيف: أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي/ دراسة وتحقيق: د.خلف رشيد نعمان/ دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد/ ط1/ ج2 - 2002م.
42 - النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام/ لأبي البركات شرف الدين المبارك ابن احمد الاربلي المعروف بـ (ابن المستوفي) دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان/ دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد/ ط1/ ج6: 1995/ ج7: 1998.
43 - الوساطة بين المتنبي وخصومه/ للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني/ تحقيق: وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار حياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه/ د.ت.
44 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر/ لأبي منصور الثعالبي/ حققه وفصّله وضبطه وشرحه: محمد محي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعادة - القاهرة/ ط2/ 1375 - 1995م.

المستشرقون والسياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)

أ. د. طلب صبار محل
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

م. م. هبة صفاء حسن
ثانوية عقبة بن نافع للبنين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبعد:

أن الشؤون المالية والاقتصادية من ادق الامور وأخطرها ،ومن أصعب ما يواجه الحاكم،وذلك لارتباطها بأرزاق ومصالح عامة الناس ، لما آل اليهم مفتوحات ان أموال بما أفاء الله عليهم اي المسلمين من جراء الإسلامية ،مما كان له الأثر الكبير في تحسين الأوضاع الاقتصادية في الدولة الإسلامية.

فلقد عاش الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يراقب ما دار ويدور من أحداث تتعلق بالإدارة الأموية ولا سيما ما يخص منها السياسة المالية ،فعمل عند توليه الخلافة وفق لما كان يراه صحيحاً في أطار رد المظالم واسقاط الجزية وتقليص النفقات وإصلاح الخراج والعشور ،وقد عرجنا ف البحث على بعتناولنا في هذا البحث كل تلك الأمور لكن في اطار ما جاء على بعض ما جاء عند المستشرقين بخصوص سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) المالية وكان الدافع وراء كتابة هذا البحث للرد على ما تناقلوه من افتراءات على هذا الرجل ، وقد تكون البحث من مبحثين:-

المبحث الأول:- اراء المؤرخين العرب والمستشرقين المؤيدين والمحايدين للسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه).

اما المبحث الثاني:-فقد تناولنا فيه التحول في شخصية عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بعد الخلافة وتعامله مع الأموال والإصلاحات المالية لعمر ورد المظالم.

المبحث الاول

اراء المؤرخين العرب والمستشرقين المؤيدين والمحايدين لسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)

لقد كانت سياسة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بعامة واجراءاته المالية بخاصة موضع اهتمام المؤرخين القدامى منهم والمحدثين, كما ان هذه السياسة قد اثارت جدلا واسعا بين الدارسين من المستشرقين وغير المستشرقين بما انطوت عليه هذه السياسة من خطوات اصلاحية صارمة تجاه السياسة الخارجية والداخلية للدولة الاموية خلال مدة حكم عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه), الذي لم يطل به المقام في سدة الحكم سوى سنتين وبضعة اشهر،فهناك الكثير من الروايات[1]التي دلت على الرفاهية والعدل في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ،وشهد بذلك مؤرخون وباحثون قدماء ،منهم ابن كثير الذي قال: (كان مناديه في كل يوم ينادي :أين الغارمون؟ اين الناكحون؟ أين المساكين؟ اين اليتامى؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء)[2]،اما المراجع الحديثة فقد تناولت سيرته وسياسته المالية منهم،عبد العزيز الدوري الذي قال عنه, نجح عمر بن عبد العزيز في إجراءاته لأنه وضعها في أطار المفاهيم الإسلامية حين رفع الجزية عن المسلمين،وحين اعتبر الخراج ايجاراً لأرض موقوفة على الأمة لايجوز التجاوز عليه،هذا وقد ثبتت الخطوط التي رسمها أسس تحديد الضرائب،ووضحت مفاهيمها[3].

اما توفيق برو فقد ذكرعنه,(كان من نتيجة سياسة عمر ان ميزانية الدولة لم تتأثر بهذا الاجراء اذ ميز الخليفة بين الجزية والخراج، وإعفاء الداخلين في الاسلام لم يسبب خسارة للدولة اذ حلت الزكاة محل الجزية واما الخراج فقد حفظ تدبيره المتعلق به حق بيت المال منه)[4]

وعبد الشافي محمد عبد اللطيف,(نقول على وجه الاجمال إن سياسته المالية قضت على الفقر وحققت التوازن بين الناس،حتى لم يعد هناك فقير يحتاج إلى

الصدقة)[5].وقيل فيه ايضاً: (لقد كان عمر بطبيعة الحال امويأ عربياً ولكنه كان يعتبر نفسه قائداً مسلماً قبل هذا وذاك ،ولم يكن يقصد بطبيعة الحال إلى هدم الدولة العربية او القضاء على حكم بني أمية ولكنه كان يريد تغيير الوضع القائم إلى إمبراطورية أسلامية) [6]ويضيف ايضاً ,أن تجربة عمر الإصلاحية المبشرة بالنجاح بلغت نهايتها قبل الأوان بانتهاء حياة عمر بصورة مفجعة ،وكان حكمه الذي دام سنتين فقط في منتهى القصر فلم يتوفر له الوقت الكافي في ترسيخ إصلاحاته[7].

أما محمد ضياء الريس فيقول :(اذا صرفنا النظر عن الأوصاف غير العلمية،والتي تشبه السباب ،التي استعملوها بالنسبة إلى الخليفة مثل وصفه (بالرجعية) او (التعصب)او (الخيالية) او نحو ذلك؛وهم لايقصدون بذلك ألا تقواه،وحرصه على التزام أحكام الشريعة الإسلامية ،ونظره إلى عمر الأول كقدوة–اذا اغضينا عن ذلك– ،وبحثنا عن أي أساس علمي استندوا أليه ،فأننا لانجد ألا دعواهم بان سياسة عمر بن عبد العزيز أدت إلى اضطراب الأحوال المالية للدولة،والى نقص مواردها نقصاً خطيراً،وقد استنتجوا ذلك من قرار عمر وضع الجزية عمن اسلم،ومن منعه (بيع ارض الخراج) وغير هذا الاستنتاج بالحدس،لم يقدموا أي دليل تاريخي :كأن يوردوا إحصائيات مقارنة بالأرقام،أو رواية لمؤرخ،او نحو ذلك ،ولكن الحدس لايمكن ان يقف أمام دليل الحقائق التأريخية الثابتة)[8],وقال ايضاً: (قبل ايراد هذه الحقائق ،نقول–اولاً– ان ولهاوزن –قد قادته بحوثه إلى اثبات خطأ هؤلاء المدعين؛ ففند اراءهم وردها في ثقة وحزم مقرراً ان العكس هو الذي وقع)[9],وقال ايضاً:(ولما كانت الدولة هنا قد قامت على الإسلام ،فان مخالفة أسلاف عمر من الأمويين بعض مبادئه (أي الإسلام) زعزت دعائم الدولة ،على حين ان التزام عمر لمباديء الإسلام وطدت تلك الدعائم)[10].

اما عماد الدين خليل فقد قال: (كان يجب وفق منطق فان فلوتن ودوزي وموللر أن تفيض خزائن الحجاج ذهباً،وان تخلو خزائن العمرين،وتكنس،ويرش عليها الماء ،فما هو السر في حدوث هذه النتيجة المعاكسة سواء في عهد بن الخطاب ام في عهد حفيده ان لم يكن العدل والتنظيم والايجابية،ثم اليس من الكذب الذي يخجل منه الأميون، فضلاً عن العلماء المؤرخين،ان يأتي مستشرق كفان فلوتن فيلقي نظرة جانبية مبتورة ومتعمدة على بعض وقائع التاريخ ويصدر حكمه بان سياسة عمر بن عبدالعزيز لم تكن سوى غلطة أرتكبها بدافع من رجعيته ومحافظته الدينية وتمسكه الشديد بالنظام الذي سنه عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)،وان الحال كانت تتطلب علاجاً اخر غير تلك السياسة التي سار عليها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)،ليس وراء هذا الكذب وهذا الالتواء في فحص النصوص التاريخية الا الدافع الذي عودنا عليه المستشرقون في جل اعمالهم التعصب ضد الاسلام متمثلاً بمادئه وقادته ،ودوله وحضارته)[11].

ويضيف ايضاً:(اما موللر انه يفسر اكثر الاجراءات الملتصقة بمفهوم العدل الاجتماعي يفسرها انها فرصة مؤاتية للعمال الخونة في انتهاب الخزانة دون ان ينالهم عقاب فهل سبق ان شهدنا ولو دليلاً واحداً على هذا الانتهاب من قبل العمال)[12].

أما محمد عمارة فيقول:(هل حقاً أضعفت إصلاحات عمر مالية الدولية فجعلت بانهيارها كما يزعم كريمر وموللر وفلوتن ،لننظر وسنجد ان هؤلاء المستشرقين قد جانبهم الصواب كما جانبهم التحليل)[13]،وقال: (فالدولة الاموية عاشت بعد حكم عمر بن عبد العزيز ثلاثين عاماً وعندما انهارت امام الثورة العباسية لم يكن انهيارها من قلة في المال او أخواء في بيته ،فكل العروش التي انهارت والدول التي احتضرت قد خلفت ورائها من الكنوز والبذخ والثراء، ما افقرت لعشر معشاره الدول الشابة التي قامت على أنقاضها، لقد انهارت الدولة الأموية تحت مطارق الثورات هاشمية –خوارج

– معتزلة، والتي انتشرت على امتداد أقاليمها وامصارها وهذه لم تكن وليدة الامال التي فجرتها إصلاحات عمر بن عبد العزيز)[14] .

وقيل عنه: (ان التعديلات التي عمل عمر بن عبد العزيز على ادخالها كانت ذات فائدة في تعزيز مكانة الخلافة وفي الحد من المشاكل التي تعرقل مسيرتها في توطيد الحكم وكانت تزيد من رضى العامة واستقرارهم)[15].

ومن هذا نستنتج انه على الرغم من ان شهادات مؤرخينا العرب في سياسة عمر بن عبد العزيز المالية كانت كلها ايجابية وفي صدد تعزيز مكانته الدينية والاصلاحية الا انه كان هناك من المؤرخين العرب من ردد اقوال المستشرقين دون ان يتنبه إلى انه مجرد الة رددت وكتبت ما قراءته من اسطر هؤلاء من المستشرقين من تحامل على هذا الخليفة الذي يعد بحق رمزاً مهماً للإصلاح المالي والاقتصادي والاجتماعي لا بل والسياسي ايضاً،ومن هؤلاء المؤرخين العرب والمحدثين هو حسن ابراهيم حسن،اذ ردد أراء فان فلوتن وبالنص في كتابه (النظم الإسلامية)قوله: (حتى أبقى على وصف عمر بن عبد العزيز بالرجعية والمحافظة الدينية)[16].

كما ردد بالنص ايضاً في كتابه تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،:(ولم تكن غلطة عمر بن عبد العزيز سوى رجعيته ومحافظته الدينية،وتمسكه الشديد بالنظام الذي سنة عمر بن الخطاب)[17]، ألا انه لعل ترديده كلام فلوتن بالنص كان وراء انجراره إلى ذلك من خلال دراسته هناك أو ترجمته لكتاب فلوتن جعله يردد ذلك دون تفكير ووعي ،الا انه في الوقت نفسه قد غالط نفسه في قوله انه تمسك بشدة في سن النظام الذي أوجده من قبل عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)،فتأسيه بجده دلالة على سنه للعدل اولأ ومن ثم عمله على أتباع سياسة الإصلاح حاله حال ما فعله جده من قبل ،الإ أذا كان حسن إبراهيم ممن لا يعترفون بالإصلاحات التي قام بها عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) في هذا الإطار.

كما ردد عمر ابو النصر اراء فان فلوتن في كتابه الحضارة الاموية في دمشق وقال بالنص:(عمر بن عبد العزيز كان شخصية محافظة لم يفطن إلى سياسة عمر بن الخطاب وفائدتها في عهده،وضررها بعد عشرات السنين بعده،فراح يحاول العودة إلى هذه السياسة التي كان يجب تعديلها ،وراح يحاول التوسع في مسألة العطاء توسعاً قضى على بيت المال)[18] وقال ايضاً: (وكذلك حالت سياسة عمر بن عبد العزيز التي انضبت بيت المال دون نجاح سياسته المالية العامة التي كانت ترمي في ذاتها إلى إعفاء المسلمين الجدد من الجزية)[19].

كما ردد قول فلوتن:(كانت الحالة المالية في هذا العهد تتطلب اصلاحاً عاجلاً،بعد ان انضبت الأعطيات السنوية في العراق بيت المال،وبعد أن قل الوارد أليه من جراء الغاء الجزية في خراسان بإقبال الناس على الإسلام،وارتفاع الجزية عنهم بأسلامهم)[20].

ولعل ابا النصر اكتفى بالاطلاع على مصادر المستشرقين ولم يطلع على مصادر عربية ليفند رأي فلوتن ورأيه وليقتنع ان عمر (رضي الله عنه) لم تكن شهرته في العدل والتقوى اقل من شهرته في سياسته المالية والمحافظة عليها والعكس صحيح ايضاً.

اما بالنسبة للمستشرقين فقد كان منهم من هو محايد للمسلمين ومنصف لهم خاصة فيما يتعلق بسياسة عمربن عبد العزيز (رضي الله عنه) المالية منهم فلهاوزن الذي رد على مازعمه مولر(من ان أموال الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)،تلاشت ،كما يزول الشيء بأشارة سحرية،وان مايتحصل من الخراج قد انحط دفعة واحدة),فرد عليه بقوله (ان ذلك الزعم كان نتيجة خطأ،وذلك أن الاحوال المالية كانت سيئة في الايام المضطربة لعهد عبد الملك والحجاج،اما في عهد عمر فقد عادت إلى حالة الصحة)[21]،كما ذكر عنه:(كان رجلاً له من الرقة والحلم ما استحق له التقدير والثناء حتى من الاباعد،وقد نال من ذلك مالم ينله حي يطمح إلى الملك)[22].

وردود فلهاوزن على اسلافه كثيرة منها ايضاً قوله:(كان إصلاح الناحية المالية أول ما اتجهت اليه همة عمر)[23]. كما اضاف ايضاً قوله: (ان المؤرخ يجلب على نفسه السخرية اذا نظر إلى عمر نظرة استهزاء مقصود وهذا هو ما بداءه دوزي فأعطى بذلك الاشارة لغيره، وليس من الضروري بطبيعة الحال ان يكون عمر قادراً على تحقيق كل ما اتجهت اليه نيته الطيبة فمثلاً يذكر بعض من لم ينصف ان الدليل الاكبر على عدم كفاءته السياسية انه ضيع الأموال،ولكننا عرفنا غير ذلك وانه اسقط الجزية عمن دخل في الإسلام ،وتفادى شن الحروب ولم يفرط في شيء يدخل في مال الدولة،وكذلك عمل عمر بالحيلولة بين الولاة وبين ان يكون همهم الأول من مناصبهم جمع الأموال لأنفسهم والأغلب ان ذلك عوض النفقات التي اقتضتها اصلاحاته ضعيفن ومهما كان الأمر فإن الاهتمام بالشؤون المالية ليس هو كل مايعني الدولة ومن ذا الذي يكون عنده من الجرأة ما يجعله يذكر عن عمر انه اسقط عن الجزية ،جزية الابناء ،فقد كانوا يقدمون ابناءهم على سبيل الجزية،وانه خفف العبىء على نصارى نجران،وانه عمل على حماية الرعية من العمال ،وانه حرص الا تكون ادارة الامصار مجرد وسيلة لاستغلالها استغلالاً مالياً)[24] ،ويتابع فلهاوزن رده فيقول: (اما فون كريمر واوجست موللر فرأيهما أن عمر انما تدخل في الأمور المالية دون اية ضرورة عملية،جرياً وراء ما صوره له ورعه من مثل عليا خيالية، فأفسد المجرى الطبيعي للمالية واخرجها عن الطريق الذي ادى اليه التطور السابق وهما يزعمان ايضاً أنه لم تكن عنده اية فكرة عن الاحوال الواقعية،اما الحقيقة أن المؤرخون الذين ينتقدون اعمال عمرهم الذي يتصورون الاحوال الواقعة لذلك العصر تصوراً خاطئاً ،فلقد كانت هذه الاحوال مضطربة ومحتاجة إلى تنظيم جديد،ولم يكن عمر نفسه هو الذي أحدث الاضطراب في نظام الخراج،بل كان الاضطراب موجوداً من قبل،وما كان يمكن ان يستمر ،ولم يكن الواجب الذي اراد عمر الاضطلاع به واجباً

خيالياً موهوماً،بل كان واجباً حقيقياً وملحاً، فأما القاعدة التي تمخضت عنها الحكمة الرومانيـة،وهي ان لا دولـة يمكـن ان تعـيش الا بالوسـائل التـي اعتمـد عليهـا فـي قيامها،هذه القاعدة التي يسوقها موللر في اخذه على عمر انحرافه عن سنة سلفه من خلفاء بني امية ،فهي قاعدة يمكن ايضاً ان تذكر في معرض النقد لخلفاء بني امية انفسهم ،وذلك لأن حكومتهم لم تكن باي حال من الاحوال سائرة على سنة حكومة النبي (ﷺ) واصحابه وهي ان كانت قد ارادت ان تتمسك بالاسلام ،وما كان يمكنها ان تتنكر لـه،فإن الاسلام لم يكن من شانه ان يؤيدها ،بل ان يقوض الاساس الذي قامت عليـه)[25]،فمن تلك الردود نستنتج ان سياسـة عمر المالية لم تكن وحدها قد أعجبت مؤرخينا العرب المسلمين فحسب ،بل انه علاوة على ذلك ان المستشرقين وهم غيـر مسلمين بالطبع،قد اعجبوا بسياسته المالية واصـلاحاته فـي هذا الجانب فرد فلهاوزن هذا خير دليل على ان السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) قد ادت إلى زيادة واردات بيت المال عن طريق تعامله مع الخراج والذي سنذكره لاحقاً وكذلك بترشيده النفقات الحربية ونفقات الخلافة ونفقاته الخاصة وتقليص عطاء بني لحمته من الامويين وغير ذلك الذي سنبينه لاحقاً.

أما بروكلمان فيقول: (أن أعظم ما عني به عمر بن عبد العزيز،الإصلاح المالي،ذلك بأن سياسة الخراج التي أحدثها عمر الأول قد أخفقت في تحقيق غاياتها بعد ان تملك كثير من المسلمين الأراضي في البلدان المفتوحة وطالبوا بإعفائها من الخراج، ومهما يكن من امر فان مقاصد عمر صـالحة ،وهي لم تصدر كما زعم بعضهم،عن عقل لاهوتي يسعى وراء الأخرة، ولكنه لم يعطى الفرصة الكافية لإنفاذها في همة ونشاط خلال حكمه القصير)[26].

فبروكلمان يشير في ذلك إلى ان عمر بن عبد العزيز كانت اصلاحاته المالية اعظم ما أهتم به خلال فترة حكمه القصيرة ،حتى أعظم من إصلاحات عمر بن

الخطاب(رضي الله عنه)،على اعتبار ان عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) كانت فترة حكمه قليلة نسبة إلى فترة حكم عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)،فضلاً على ان الأوضاع السائدة زمن عمر بن الخطـاب(رضي الله عنه) وقربهـا مـن فتـرة الرسـول محمـد (ﷺ) ،كـان علـى خـلاف الأوضـاع السـائدة فترة عمـر بـن عبد العزيـز(رضي الله عنه) ومـا جابهها مـن تطورات فـي الأفكـار وفـي انسلاخ البعض ممن كان فترة حكم الدولة الأموية عن الأسس الأولى للإسلام التي وضعها الرسول(ﷺ) والخلفاء الراشدين(رضي الله عنهم).

اما بارتولد فيقول: (ان الحوادث تخبرنا على الإقرار بان سياسة عمر المالية كانت اصح فخلال حكمه رفع منزلة الخليفة إلى مصاف لاسابق لها ونادراً ما رأينا في الأدب هذا المديح لحاكم مسلم مثل عمر من قبل المؤلفين الشرقيين من مسلمين ونصارى،ومن جانب أخر، الحاكم الذي يضع مصالح الخزينة في المقام الأول لايكون محبوباً أي كانت طريقته في الحياة), وقال ايضاً: (لقد كان عمر اكثر بني أمية ورعاً وتقوى لما قدمه من أعمال ذات فائدة عامة)[27].فقد ذكر بارتولد وشهد انه لا خليفة قد سبق عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) في هذا الجانب من أبناء عمومته من الأمويين طبعاً، فقد اعتبر ان الحاكم اذا اعتنى بمال الدولة وخزينتها،وفضلها على سائر الأعمال الأخرى ،حتى وان كان ذلك قد اضر بعلاقته مع أقرباءه ،فإن كرهه من قبلهم امر محتوم،كما شهد بتقواه وورعه الذي ساعد على تحقيق إصلاحاته المالية.

اما هاملتون كب،فيقول عن عمربن عبد العزيز (رضي الله عنه):(المكان المميز الذي أحتله عمر الثاني شدد عليه كل مؤرخ عربي وشرقي وغربي،وقد ازداد الاهتمام به على يد الكتاب المتأخرين، وقد ظهر عربياً حقاً،وامويـاً حقاً،وان اختياره للحكم كان يتطلب منه اجراءات عاجلة للاصلاح،وانه استجاب لهذا المطلب ،وجعل اهتمامه الاول المظاهر الدينية للاصلاح، وهذا الامر ارتبط بجهده السياسي لمنع حدوث انهيار مباشر قريب للدولة من خلال:

اولاً:– الحفاظ على وحدة العرب.

ثانياً:– ازالة شكاوى ومظالم الموالي.

ثالثـاً:–أجـراء المصـالحة(المؤامة) بـين الحيـاة السياسـية ومطالـب الـدين الاسلامي[28].

أما نيكلسون فقد ذكر :(ان إصلاحات عمر الثاني هي التي أزالت الفوضى التي كانت موجودة في عهد من سبقه من بني أمية)[29].

وستشيجفسكا ذكر (انه لم يحدث في عهد عمر بن عبد العزيز من الاحوال الداخليـة شـيء مهـم ،لأن الرفاهيـة والأمـن والعـدل قـد عـم الرعيـة جميعهـا بحسـن سيرته)[30].

اما المستشرق دوزي فقد ذكر عنه، بخصوص معاملته اهل الذمة وعدم قبوله بهدم كنيسة أو بيت نار :(والحقيقة أن أهل الذمة تمتعوا بالكثير من عدل عمر ورحمته فقد امر عماله بأن لايهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت نار صولح أهل الذمة عليه،فهو قد طبق العدل بالحفاظ على مقدسات أهل الذمة وفي الوقت نفسه راعى مصالح الاسلام بان منع أهل الذمة من بناء البيع والكنائس تطبيقاً للعهود السابقة بينهم وبين المسلمين ،وفي الوقت الذي لم يعمل أي خليفة على تطبيقها قبلاً)[31].

اما بخصوص آثار سياسته المالية على الإسلام،فقد تناولها ايضاً المستشرق تومـاس ارنولـد[32] ،وامتدحـه قائلاً:(لقد امتـاز عهـد عمـر الثـاني بحركـة تحـول إلـى الإسلام واسعة النطاق فقام بتنظيم حركة ملؤها الحماسة في نشر الدعوة،وقدم للشعوب هذه كل نوع من انواع الاغراء لقبول الإسلام حتى منحهم هبات من المال،كما امر عمالـه علـى الولايـات بـدعوة الـذميين إلـى الإسـلام)[33]،كمـا قـال عنـه :(ولقد صـادفت دعوته نجاحاً تاماً في هذا الاتجاه الذي كان يريد ان يحققه الخليفة صاحب العقلية التي اشربت الورع والتدين فبادرت جموع هائلة إلى الدخول في الاسلام)[34]،فمن تلك

النصوص يتضح لنا ان سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ)في اسقاط الجزية عمن اسلم ادت إلى تدافق النصارى إلى الإسلام ،وكان ذلك من خلال عقليته وورعه وتقواه في تطبيق الشريعة الاسلامية في تحقيق الإصلاح ،فعم بذلك الإصلاح المالي على كافة مرافق الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية .

كمـا ذكـره ديورانـت بقولـه:(أن سياسـة عمـر كانـت ترمـي إلـى تشـجيع غيـر المسـلمين والزردشـتين إلـى اعتنـاق الإسـلام)[35]،وممـا سـبق الإشـارة اليـه،من تأييد إصلاحات عمر بن عبد العزيز (ﷺ) من بعض المستشرقين ،وردود المسلمين عليها وتأييدهم لسياسته واصـلاحاته الماليـة ،ألا القلـة القليلـة من المحدثين التي تمثلت كما ذكرنا بحسن ابراهيم حسن،فإن هناك طائفة من المستشرقين الذين تحاملوا علـى هذا الخليفة وانتقدوا سياسته الإصـلاحية والدينية ووصفوها بالرجعية والخيالية ،كما حملوه تبعة سقوط الدولة الأموية ومن هؤلاء:–

فـون كريمـر[36] واوجسـت مـوللر[37] فقد ذكـروا:–(ان الإصـلاحات فـي نظـام الخراج التي قام بها عمر كان الغرض منها العودة إلى تطبيق القانون القديم الذي يحرم امتلاك الأرض على المسلمين ،وان ذهن عمر بن عبد العزيز (ﷺ) كان بحكم سلطان الدين عليه بعيداً عن كل أدراك لما تقضيه الحكمة السياسية ،وان كل ما فعله يكاد يكون قد ساعد بصورة كلية على أفساد نظام الدولة من أساسه،بعد أن كانت قد أصبحت دولة دينوية، (والرومان)،وهم اكفأ الشعوب التي عرفها التاريخ في المسائل السياسية الكبيرة ،أنما قروا المبدأ الذي قروه عن علم وهو ان لا دولة يمكن ان تعيش الا بالوسائل التي أدت إلى قيامها،أما عمر بن عبد العزيز ،فقد انصرف عن الأحوال المتمشـية مـع الواقـع،والتي وضـعها خلفـاء الأمويـون بعـد عصـر معاويـة ،وأراد أن يستعيض عنها بتحقيق مباديء مثالية استمدها من القرآن والحديث،حتى ولو كان هذا العمل الخليق بالثناء لايمكن تنفيذه الا علـى أسـاس علم غير كامل متـأثراً بمبادئ

حاشيته الدينية إلى حد انه لم يقم حتى بمحاولة اصطناع شيء من العقل عند تطبيق ما في القرآن من مبادئ كبرى على أحوال هذه الدنيا الناقصة ،وكان تفكيره الساذج يقول له أن الله يريد كذا وكذا وانه أذا كان الله يريد ذلك فمن الممكن تنفيذه)[38].الا ان عمر بن عبد العزيز قد طبق الحكمة الرومانية بحذافيرهافي اقامة الدولة الأموية لكن ليس على الدولة الاموية نفسها بل على اساس الدولة الأسلامية في عهودها الأولى والتي اقيمت وفق اسس صحيحة بناءاً على ماجاء في القرآن الكريم واقوال وافعال الرسول(ﷺ).

كما نقل موللر عن كريمر بعض الإجراءات التي قام بها عمر بن عبد العزيز (ﷺ) بصدد الجزية والخراج والأعطيات،والتي ظن بها خطأ انه الحق بيت المال خسائر فادحة لاتعوض ،فقد ذكر:(والى جانب هذه الإجراءات التي أضرت ببيت المال اكبر الضرر ،جاء أمر أخر أصدره عمر ،وقد أوحى به أليه أحساس أنساني بالعدالة،لكن لم يكن موفقاً من ناحية عملية ،وهو يقض برد جميع الأموال التي ابتزت من الرعايا ظلماً إلى أصحابها، ولا نعرف ان كان هذا قد وقع مقصوراً على أحوال فردية،ولكن أكثر العمال خيانة ما كان يستطيع أن يتمنى فرصة أكثر مواتاة من هذه الفرصة لأنتهاب الخزانة من غير أن يناله عقاب)[39]،الا أن هذا الإدعاء من قبل موللر وكريمرعلى مثل هذا العمل المهم الذي قام به عمر بن عبد العزيز(ﷺ) برد جميع الأموال التي اخذت دون أي حق إلى بيت المال واصحابها، بادئاً بنفسه واهل بيته ،ومن ثم ابناء لحمته من الامويين وتبعهم بالعمال ،فكان الاجدر لموللر قبل ان يوقع نفسه في هذه المغالطة ان يذكر لنا ولو دليل واحد على اعطاء ذلك العمل فرصة للعمال الخونة في ابتزاز ونهب الاموال،الا انه يبدو من خلال ذلك النص ان هؤلاء الباحثين المستشرقين كانوا ينظرون إلى عمر بن عبد العزيز من منظار عين واحدة وهي تتمثل في صب حقدهم على الاسلام وراعي

الاسلام فيه المتمثل بشخصية عمر(ﷺ) وإجراءاته،وقد سبق وان ذكرنا ان فلهاوزن رد على هذا الادعاء وهو منهم بقوله:(وكذلك عني عمر بالحيلولة بين الولاة وبين ان يكون همهم الأول من مناصبهم جمع الاموال لأنفسهم ،والأغلب أن ذلك عوض النفقات التي اقتضتها إصلاحاته ضعفين ..وانه عمل على حماية الرعية من العمال،وانه حرص على الا تكون ادارة الأمصار مجرد وسيلة لاستغلالها استغلالاً مالياً)[40].

كما تمكن الدكتور عماد الدين خليل من ان يعقد حلقة نقاش بين فلهاوزن من جهة وكريمر وموللر وفلوتن ودوزي من جهة اخرى حول سياسة عمر بن عبد العزيز المالية[41].

أما المستشرق الفرنسي رينهارت دوزي(Dozy)[42] ،فقد ذكر :-(تدهور دخل الخزينة اكثر زمن الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز الذي لم يبال بالامر ،حتى لقد بعث احد جباته برسالة يقول له فيها لوا استمر الامر على هذا المنوال طويلاً في مصر لجب الذميون ديانتهم ولأسلموا وقل الخراج في بيت المال فأجابه وددت لو أسلموا فما بعث الله نبيه جابياً ولكن هادياً)[43]،فالمستشرق دوزي اورد هذا النص من عمر (ﷺ) بانه ولو اسلموا جميعاً فما بعث الله نبيه جابياً ولكن هادياً،لكنه اغفل ان عملية اسقاط الجزية عن الذميين،قد تحولت من جهة اخرى إلى عملية ايرادية اخرى تتمثل بالزكاة ،فضلاً عن العشور التي تفرض عليها اذا ما عملوا بالتجارة وعن الاراضي التي في ايديهم كل ذلك يجلب إلى بيت المال ما يعادل الجزية التي اسقطها او لعلها زيادة عليه.

اما فان فلوتن يقول والتي سبق وان ذكرنا ذلك عن طريق ترديد حسن ابراهيم حسن لذلك :(ان سياسة عمر بن عبد العزيز المالية،لم تكن سوى غلطة ارتكبها بدافع من رجعيته ،ومحافظته الدينية ،وتمسكه الشديد بالنظام الذي سنه عمر بن

الخطاب(رضي الله عنه)،وان الحال كانت تتطلب علاجاً أخر غير تلك السياسة التي سار عليها عمر بن الخطاب(رضي الله عنه))[44]،وقد ذكر ايضاً:(أما محاولة عمر بن عبد العزيز الإصلاحية فأنها لم تزد الأمور ألا حرجاً لما كانت تتأثر به من تحفظ ورجعية ولاتقف مع حالة الدولة الاقتصادية ،وأنها قد أنضبت بيت المال)[45] لقد اتهم فان فلوتن عمر (رضي الله عنه) بالرجعية والمحافظة الدينية لسببين[46]:-

أولاً :- لانه سار على سياسة تحول دون ملكية الجند للأرض ،فقد ذكر فلوتن(ورغم ما كانت تتطلبه الحالة من العدول عن ذلك النظام عدولاً تاماً-أي نظام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) -لاغرو فقد كانت السياسة التي سار عليها عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تحول دون ملكية الجند للأرض،بينما كانت الحالة تقضي بمنحهم إياها لاستغلالها واستثمارها)[47]،وبهذا يكون فلوتن قد اخطأ في تعليله حيث ان هذا الأجراء بالمفهوم العلمي للاقتصاد ،اجراء له أهمية كبرى من حيث انتزاع الأرض من الملكية الفردية وانتقالها ليد الدولة لتصبح الدولة هي المالك الشرعي للأرض ،وبهذا تنقذ الدولة الفلاحين من الاستغلال الذي كان يسلطه عليهم الملاكون[48].

فلقد فهم فلوتن مفهوم الرجعية بشكل لايتفق والنظرة الصحيحة نحو مشكلة الارض،اذ كان يرى توزيع الارض على الجند لاستغلالها،وهو يريد بهذا تطبيق ما كان يجري في اوربا من العلاقات الاقطاعية ،وهذا خطأ اذ نسي فلوتن ان الفارق في الظروف الذاتية والموضوعية كان كبيراً[49]،كما فات فلوتن ان مساوئ توزيع الأرض على الجند لاستغلالها في العهد العباسي المتأخر ،جاءت بنتائج سلبية من الناحية الاقتصادية،اذ بدلاً من عناية الجند بالأرض وإصلاحها لازدياد أنتاجها،تركوها فأصبحت الأرض تعاني من الإهمال الشديد والخراب ،مما كان يؤدي بهم إلى مطالبة الخليفة بتبدلها بغيرها[50]، وقد تبين ذلك بشكل واضح في منتصف القرن الثالث والرابع الهجري،يوم ان كانت تقطع الأرض على كبار الجند لسد نفقاتهم،او على شكل

مكافأة للقادة العسكريين ونتيجة لانتصارهم ضد الاعداء،وكان هؤلاء يتمسكون بالأرض اذا دّرت عليهم ارباحاً كثيرة ،أما اذا كانت اراضيهم ذات ربح قليل ردوا تلك الاراضي وعوضوا عنها بغيرها[51].

فكانت نتيجة ذلك أن عم الخراب الأراضي الزراعية وقل إنتاجها ،في حين ان عمر(رضي الله عنه) كان يرى انه بدلاً من منح أولئك الجنود الأراضي ،يفرض لهم ما يضمن معيشتهم ،وبالفعل فقد كتب إلى يزيد بن حصين:(ان مر للجند بالفريضة)[52]،ولم يكتف بهذا بل اتبع ما كان سائراً في عهد عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) ،اذ ان عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) فرض لعيال المقاتلة وذريتهم العشرات ،فأمض عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ومن بعده من الولاة ذلك ،وجعلوها موروثه يرثها ورثة الميت ممن ليس في العطاء، حتى كان عمر بن عبد العزيز على ما قد اتبع)[53].

ثانياً: تمسك عمر بن عبد العزيز بالنظام الذي سنه عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، فقد عاب فان فلوتن هذه العودة كما عابها مستشرقون آخرون وردد أراهما مؤرخون عرباً[54].

في حين ان عمر بن عبد العزيز عندما اراد العودة إلى النظام القديم الذي كان في عهد جده عمر بن الخطاب(رضي الله عنه),كان يتوخى من ذلك انجح السبل وافيدها[55]، وفي ذلك الحق لعمر بن عبد العزيز لأن النظام الذي سنه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يُريد أن يعود إلى الماضي ليلتمس من هذا الماضي تجاربه الناجحة،على عكس مايريده المستشرقون بان يترك الماضي لأنه مجرد رجوع لأعمال ليس له صلة فيها وانما مجرد رجوعه إلى الماضي لتقليد الآخرين ،او لعلهم يريدون من الخلفاء او عمر(رضي الله عنه) أن يهمل ذلك الماضي بكل نجاحاته وخبراته لأنه ماضي،بل على العكس أنهم قد اغفلوا ان النظرة التقدمية هي بحد ذاتها ،احياء الصالح من القديم،وان اهمال الماضي هي الرجعية بحد ذاتها،خاصة اذا كان القديم

قد اثبت نجاحه في كافة الميادين الإدارية والعملية والاقتصادية والسياسية وعم ذلك القديم على الإصلاحات التي حدثت من قبل الخلفاء فيما بعد .

اما توماس ارنولد فعلى الرغم من امتداحه لعمر (رضي الله عنه) في مواضع معينة بخصوص تدينه وورعه وحركته التي ادت إلى دخول الكثير إلى الاسلام الا انه أعاب عليه سياسته المالية بقوله:(ان الأساليب التي قام بها عمر الثاني،وان انطوت على خسارة فادحة من الناحية المالية ،قد صادفت نجاحاً تاماً في الاتجاه الذي كان يريد ان يحققه الخليفة صاحب العقلية التي أشربت الورع والتدين)[56].

وكانت هذه هي اراء المستشرقين المتحاملين الذين كانوا يعتبرون اجراءات عمر بن العزيز (رضي الله عنه) المالية قد سببت خسارة فادحة في ميزانية الدولة .

المبحث الثاني

التحول في شخصية عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بعد الخلافة وتعامله مع الأموال والإصلاحات المالية لعمر ورد المظالم

اولاً:- شخصيته بعد الخلافة

لقد كان هناك تحول كبير في شخصية عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)،وما كان لاستقراء احوال الدولة قبل عهد عمر(رضي الله عنه) وتحسسها شخصياً من خلال ملازمته للخلفاء ونصحه لهم والعمل في بلاطهم،وما كان للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة ،والتي استوجبت منه الالتفاتة الجدية للاصلاح ولاسيما ما يخص الاصلاح المالي منه، وعلى كل حال فأن التحول الحاصل في شخصيته لم يكن في مضمونها الداخلي،بل اقتصر التحول فقط على مظهره الخارجي في ملبسه واسرافه في التعطر والخيلا في مشيته العمرية وزهده بعض الشيء ،لكن فيما يخص ورعه وتقواه ونبذه للاستغلال كان موجوداً عنده منذ نعومة اظفاره ،وقد ذكرنا ايضاً رأي المؤرخين الاوائل فيه .

اما فيما يخص تقويم المستشرقين لشخصيته بعد الخلافة فكانت كالاتي:لقد اكتفى فلهاوزن بقوله: (ان عمر هو شخص واحد لم يحدث أي انقلاب في شخصيته أي ان شخصيته كخليفة امتداد لشخصيته قبل ذلك)[57] ولعل فلهاوزن كان يريد من ذلك الابتعاد عن المظهر الخارجي باعتباره امر زائل،واكتفى بالقول في مضمونه الداخلي المتمثل بالورع والتقوى والصلاح.

اما بارتولد فقد كان اكثر تفصيلاً له في هذا المضمار اذ افرد له صفحة واحدة من بحثه عن الخلافة الأموية[58]، فقد اثنى على عمر (رضي الله عنه) بقوله: (الناس الذين رأو عمر في المدينة أو في بلاطه نادراً ما بإمكانه تمييزه من شحوبه وضعفه

بعد الخلافة ،فقد كان يمشي مشية الرهبان وهو يمتلك مداخيل إمبراطورية عالمية تحت تصرفه لكنه تخلى عن كل المتع الأرضية بهدف النجاة من النار،وهو الان يحاول أن يصل إلى الهدف الوحيد المتبقي أمامه وهو نعمة الجنة).

ثانياً: عمر ورد المظالم

أن الإشارات على رد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) للمظالم كثيرة الا أن مايهمنا هو ماعني به المستشرقون وما ركزوا عليه في صدد رد المظالم من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) ومن هذه المظالم: -

1- **أرض فـدك:-** لقد ذكر ابن سعد أن ارض فدك كانت صفيا لرسول الله(ﷺ)،سألته فاطمة ان يعطيها اياها فأبى ،ثم توفي رسول الله(ﷺ) فبقيت على حالها في خلافة ابي بكر(رضي الله عنه) واستمر الحال إلى خلافة معاوية فوهبها لمروان بن الحكم ثم وهبها مروان لولديه عبد العزيز وعبد الملك فألت ملكيتها إلى اولادهم من بعدهم فأشتراها عمربن عبد العزيز من الوليد وسليمان ولما تولى الخلافة ردها إلى ما كانت عليه وقال للناس اشهدوا عليّ أني قد رددتها إلى ما كانت عليه زمن الرسول(ﷺ) [59],لقد اورد فلهاوزن جميع الروايات التي وردت في ارض فدك عن البلاذري[60]،وايدها.

اما بارتولد فأنه ركز على ارض فدك واجمع في الروايات سواء من البلاذري او عن ابن سعد فقد ذكر: (ان عمر بن عبد العزيز بحكم كونه الوارث الشرعي لهذه الارض عن والده فإنه قد كرس دخلها إلى غرضها الاصلي إلى ابناء السبيل كما كانت في عهد الرسول(ﷺ) سابقاً[61]، وعزز صورة عمر الايجابية ايضاً برواية أخرى انفرد بها الأصفهاني وهي :(لما ولي عمر بن عبد العزيز بدأ بلحمته وأهل بيته فأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم ،ففزعت بنو امية إلى فاطمة بنت مروان عمته فأرسلت أليه أني قد تمناني امر لابد من لقائك فيه فأتته ليلاً فأنزلها عن دابتها

فلما أخذت مجلسها قال:ياعمة أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فتكلمي قالت: تكلم يا أمير المؤمنين فقال: ان الله تبارك وتعالى بعث محمد (ﷺ) رحمة، لم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء،ثم قام ابو بكر،فترك النهر على حاله ،ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه،فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً ،ثم ولي معاوية فشق منه الانهار،ثم لم يزل ذلك النهر ليشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان ،حتى أفضى الأمر الي وقد يبس النهر الأعظم ولن يروي أصحاب النهر حتى يعود اليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه فقال له قد أردت كلامك ومذاكرتك فأما اذا كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئاً ورجعت اليهم فأبلغتهم كلامه)[62]،فقد شدد بارتولد من خلال هذه الرواية على تصوير عمر للاسلام بنهر كان في زمن النبي(ﷺ) والخليفتين الأولين يتخذ له مجرى واحداً ومنذ زمن عثمان(رضي الله عنه) بدأت القنوات تتفرع عن النهر وتتزايد اعدادها حتى اصبح النهر جافاً وفي الوقت نفسه لم يعد يروي عطش اولئك الذين على حافته ولابد من عودة المياه لتملأ النهر من جديد[63] ويعلق على هذه الرواية بالقول:(عرف الخليفة كيف يعطي تعبيراً تخطيطياً إلى الرعية في اعادة حياة المجتمع الاسلامي البدائية إلى كل نقاوتها)[64].

2- **مطلب اهل سمرقند:-**ذكر البلاذري والطبري: (لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من اهل سمرقند فرفعوا اليه ان قتيبة دخل مدينتهم واسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره ان ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا فأن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا ،فنصب لهم القاضي جميع بن حاضر الناجي فحكم بينهم بإخراج المسلمين على ان ينابذوهم على سواء،فكره اهل مدينة سمرقند واقروا المسلمين)[65]،وقد علق فان فلوتن على هذه الرواية بقوله:(ان مندوب عمر قضى بينهم بحكم مايخف على احد بما انطوى عليه من

الخبث حتى على اشد الناس نزاهة)[66]،الا ان ادعاء فلوتن باطل لأن الواضح من الرواية ان اهل سمرقند قد قنعوا بالحكم العربي ورفضوا ان يعودوا إلى الحرب[67]، الا اننا نرى ان فلوتن لم يتمعن جيداً بالرواية فضلاً عن انه تجاهل رد اهل الصغد[68] بقولهم للقاضي:بل نرضى بما كان ولا نجدد حرباً،وقال اهل الرأي منهم :–قد خالطنا هؤلاء القوم واقمنا معهم، وامنونا وأمناهم،فأن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر،وان لم يكن لنا اجتلبنا عداوة في المنازعة ،فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا)[69] فكان الاجدر بفلوتن ان يحلل عدم قبول سكان ما وراء النهر الأصلين العودة إلى الحرب والاقتتال فيما بينهم بما لايعود بالفائدة في كلتا الحالتين الظفرأوالهزيمة ،فعدم قبولهم هذا دليل على التسامح الذي كان عليه السكان الجدد من المسلمين والذين أسكنهم قتيبة دون مشورتهم أول الأمر الا أنهم تعايشوا بالسلم فيما بينهم مما جعلهم يرضون لحكم القاضي ،علاوة على ان القاضي هو من المسلمين،وكذلك أمير المؤمنين ،فلو كان مثل ما يقول من الخبث عليه لما لجاؤا أليه لرد مظالمهم من الذي ظلمهم ،اما فلهاوزن ،فانه عزز الرواية المتعلقة بأهل سمرقند بروايتي الطبري والبلاذري معاً ولم يجري أي تغير على هذه الروايات او يذكر مناقشة لها[70]

ثالثاً: عمر وأهل الذمة

لقد تكفل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) المسلمين وضمن لهم معيشة كريمة، ولاسيما العاجزين عن العمل منهم والفقراء والمساكين الذين يصرف لهم عطاءاً من بيت المال ليسد حاجاتهم الا ان كفالة عمر(رضي الله عنه) لم تقتصر على المسلمين فحسب بل شملت اهل الذمة،وذلك تطبيقاً لسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)وخلفائه الراشدين، وعد ان رعاية الذمي عند الضرورة امر يعتبر من الرحمة والإحسان،والاسلام هو دين الرحمة

والإحسان ،فقد شمل عمر برعايته الاجتماعية كافة الذميين فرفع الجزية عن الرهبان في مصر ،والغى الضريبة عن املاك الكنيسة والأساقفة هناك[71] وقام بتسليف مزارعهم لكي يتمكنوا من تنشيط أعمالهم الزراعية [72] والتي تعود فائدتها لبيت مال المسلمين.

اما بالنسبة للمستشرقين ففلهاوزن افرد لمعاملة عمر لاهل الذمة نحو عشر بحثه المخصص لهذا الخليفة مستنداً إلى ما جاء في روايات البلاذري واقتبسها جميعا[73] وخاصة فيما يخص اهل نجران فقد امتدح فلهاوزن عمر بقوله:(لقد كان عمر واسع الصدرفي معاملة اهل قبرص وايلة ونجران وحط عنهم كل ما زاد عليهم الولاة ،ويضيف ان عمر بن عبد العزيز اراد ان يصلح ظلم عمر بن الخطاب لأنه اجلى اهل نجران)[74]،وسبب اجلاء الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان بسبب اتخاذهم الخيل والسلاح في بلادهم فخاف منهم عمر (رضي الله عنه) على المسلمين[75] وهذا يعني انه لم يكن اجلاءهم ظلما من هذا الخليفة العادل ,بل كان من اجل الحفاظ على دولة الاسلام وسلامتها،كما رفض فلهاوزن نص المؤرخ البيزنطي ثيوفانيوس بعد ان يقتبسه والذي مفاده: (اما فيما يتعلق بمعاملة عمر بن عبد العزيز لأهل الاديان فإن ثيوفانيوس في حوادث (6210) من تاريخ الخليقة لما حدث في تلك السنة زلزال كبير في الشام ،حرم عمر فيه النبيذ في المدن واكره النصارى على الدخول في الاسلام وكان من فعل ذلك رفع عنه الجزية ،واما من لم يفعل فأنه قتلهم ،وقد استشهد كثيرون)[76]،وعلق فلهاوزن على ذلك اذ قال:(لقد خلط ثيوفانيوس بين باطل وحق،اما الحق فهو ان عمر بن عبد العزيز كان مسلماً متحمساً وان النصارى احسوا ذلك ،ولكن عمر لم يكره النصارى على الدخول في الإسلام مهدداً إياهم بالقتل ،لأنه لو كان فعل ذلك لكان فيه اعتداء على الحق القائم الذي ضمنه الإسلام لهم، وهذا ما لم يكن من عمر لأنه مسلم حق)[77]، لو كان ادعاء ثيوفانيوس صحيح ،لما كان عمر

(رضي الله عنه) ،قد امر عماله بأن يشهدوا على الصلح مع اهل الذمة شهوداً من الحصن على قادتهم،لكي يكون كل شيء أمامهم وبدرايتهم ،وأمر بتخييرهم بين الاسلام ورفع الجزية،لااكراههم على اعتناق الاسلام.

كما اورد فلهاوزن رواية البلاذري بخصوص اعادة عمر الكنيسة للنصارى بعد ان يكتفي بأقتباس الجزء الأخير منها[78]،ويشيد بعدل عمر بقوله:(أن عمر بن عبد العزيز التزم بحدود الشرع التزاماً تاماً معهم وقد حمى عمر لهم كنائسهم القديمة التي ضمنها لهم الصلح ،ولم يمنع الإ بناء الكنائس الجديدة ،وكان القانون الذي طبقه هو القانون الشرعي الذي لاشك فيه، وكان لايمكن أن يفعل غير ذلك الا أذا تنكر للإسلام)[79]،وخير دليل على ذلك هو ردنا عليه برد ما زاده الوليد بن عبد الملك على المسجد في دمشق لرفض وشكوى النصارى لعمر(رضي الله عنه) في ذلك،(فأمر أن يهدم ما زاد من المسجد والعائد ملكيته إلى كنيسة يوحنا، الا ان عدد من الفقهاء اقبلوا على النصارى فسألوهم ان يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة مقابل إعفاءهم عن كنيسة يوحنا فسرهم ذلك وأمضاه عمر)[80]0

اما بارتولد فأنه يقتبس الروايات ذاتها التي اقتبسها فلهاوزن لاسيما تلك المتعلقة بأهل قبرص وايلة حرفياً[81] أما فيما يتعلق بأهل نجران فيكتفي بالقول ان النجرانيين نفوا تحت حكم عمر الاول لكن عمر الثاني رفع الظلم عنهم[82] وقد امتدح بارتولد عمر(رضي الله عنه) بقوله: (أن عمر قد بذل جهداً كبيراً من اجل الغاء جميع الضرائب التي تخالف الشرع،وانه ألغى الضرائب الإضافية التي فرضها أسلافه منتهكين الاتفاقيات بينهم وبين رعاياهم وبضمنهم أهل قبرص وآيلة ونجران)[83]،ويضيف عليها بارتولد قوله: (أن عمر قام بإعفاء الكنيسة ورجال الدين من النظام الضريبي وانه أعطى الحق للمسيحيين واليهود لتأسيس الوقف وبمعنى أخر أن يورثوا أملاكهم إلى

المؤسسات الدينية)[84]،كما ذكر:(ان لتعاطفه مع اهل الذمة،قاد الصلوات الإسلامية في كنيسة نصرانية)[85] .

أما المستشرق دوزي،فيقول:(الحقيقة أن أهل الذمة تمتعوا بالكثير من عدل عمر ورحمته،فقد أمر عماله بأن لايهدموا كنيسة او بيعة او بيت نار صولحوا عليه فهو بذلك قد طبق العدل بالحفاظ على مقدسات أهل الذمة وفي الوقت نفسه راعى مصالح الإسلام بأن منع أهل الذمة من بناء البيع والكنائس تطبيقاً للعهود السابقة بينهم وبين المسلمين)[86] .

اما توماس ارنولد فقد قال:(نلاحظ ان العديد من الكتاب النساطرة في القرن الثاني عشر يضيف كلمات التقديس إلى اسم النبي(صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الاوليين كلما عرض لذكرهم ويستنزل رحمة الله على عمر بن عبد العزيز)[87].

اما ترتون فقد ذكر عنه:(انه امر بتوزيع الاموال الفائضة في بيوت الاموال على الذميين بعد قضاء حاجات المسلمين)[88], وكانت هذه الطائفة من المستشرقين بعضها المتعاطف وبعضها المتحامل , الا انه هناك منهم المزيد استغلوا من الشروط التي وضعها الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) على اهل الذمة , في امور اشار اليها المؤرخون[89]: (إلى ان عمر بن عبد العزيز , قد منعهم من الظهور في الاماكن العامة الا مفروقي الناحية , والا يلبسوا قباء , ولا يمشون بزنار من جلد [90], ولايلبسون طيلسانا [91] , او سراويل ذات حزمة[92], ولا يلبسوا نعلا ذا عذبة, وحرم عليهم ركوب السروج , وذكرت المصادر[93], ان قوما من بني ثعلبة جاءته ذات مرة وأفضوا أليه بأنهم نصارى وسألوه ان يدلهم على ما يفعلونه فدعى اليه حجاماً جز نواصيهم وشق من ارديتهم حزما يحتزمون بها , ونهاهم عن الركوب بالسروج وامرهم ان يركبوا بالأكف من شق واحد [94].

ومن المستشرقين الذين استغلوا تلك الشروط للإساءة للخليفة عمر (ﷺ) , جولد تسيهر [95] الذي وصفه: (بالخليفة المتعصب) , ووليم ميور [96]الذي قال: (ان عمر بن عبد العزيز قد اضطهد اهل الذمة مدفوعا بالغيرة على الاسلام) , اما فيليب حتي [97] فقد قال:(ولم تقم شهرة عمر بن عبد العزيز على زهده وتعبده او الغائه الضرائب المترقبة على الداخليين في الاسلام فحسب , بل قامت ايضا على كونه الخليفة الاموي الاول والوحيد الذي وضع قيودا صعبة على رعاياه النصارى, وقيودا اخطأ من نسبها إلى عمر بن الخطاب).

الا ان عمر (ﷺ) لم يكن يبحث عن الشهرة لتكون من وراءالغاء الضرائب على الذميين ممن اعتنق الاسلام , بل ان حسن نيته وسعيه إلى اقامة العدل وتطبيق سنة الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم , هو اساس نيته وعمله الصالح,الاان الشهرة هي التي بحثت عنه لتلصق به تلك الاعمال والاجراءات التي قام بها ولم يبحث هو عنها ،اما بخصوص تعصبه للاسلام وغيرته عليه فتعد من الايجابيات في خلقه التي عمت على المسلمين واهل الذمة كافة ,والتي كانت من اساسيات سياسته المالية والاصلاحية فضلا عن سياسته الداخلية والخارجية مع معارضيه .

في حين ان المستشرق ترتون ناقش تلك الشروط التي وضعها عمر بن عبد العزيز (ﷺ) على اهل الذمة فقال: (من الشروط التي اشترطها عهد عمر على الذميين لبس الزنار والنهي عن التشبه بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم التي يستعملونها)[98], في حين ان ابو يوسف ينسب هذه الشروط والاوامر إلى عمر بن الخطاب(ﷺ).

وقد ذكر ابن عبد الحكم : (ان الخليفة عمر بن عبد العزيز , امر النصارى بلبس (المنطقة) وجز مقادم شعورهم)[99], اما الطبري والبلاذري , فقد خلت رواياتهم من الاشارة إلى الملابس.

وقد ايد ترتون ماذكره ابو يوسف:(من ان قيود الملابس تهدف إلى التمييز بين الذميين والمسلمين)[100], وقد ذكر ترتون:(كان الغرض من القواعد المتعلقة بالملابس سهولة التمييز بين النصارى والعرب , وهذا امر لايرقى اليه الشك , بل نراه مقررا تقريرا اكيدا عند كل من ابي يوسف وابن عبد الحكم , وهما من اقدم الكتاب الذين وصلت كتبهم الينا , على انه يجب ان نلاحظ انه لم تكن ثمة ضرورة وقت الفتح لالزام النصارى بلبس نوع معين من الثياب يخالف ما يلبسه المسلمون , اذ كان لكل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة , وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم دون جبر او الزام , على ان الحاجة استلزمت هذه الفروض فيما بعد حين اخذ العرب بحظ من التمدن, اذ حمل الاغراء الشعوب الخاضعة لهم على الاقتداء بهم في ملابسهم والتشبه في ثيابهم)[101] .

فعلى الرغم من هذه النصوص تشير بالدرجة الاساس إلى ملابس وثياب اهل الذمة, ولاتشير ولو بالقليل منها إلى سياسة عمر (ﷺ) المالية , الاااننا نرى ان لها علاقة بذلك من خلال الرد على هؤلاء المستشرقين المتحاملين عليه , فكان الرد متمثل في ان عمر بن عبد العزيز (ﷺ) ,اراد تمييز النصارى والعرب المسلمين بالملبس والمظهر الخارجي فقط ,لافي تعامله معهم او الفرض لهم والاهتمام بهم, بل على العكس فالروايات العربية منها والغربية اكدت اسس تعامله تلك وهذه ايضاً من الأثار الأجتماعية التي ادت اليها سياسة عمر بن عبد العزيز المالية.

رابعا :- منع عمر بيع الارض الخراجية

لقد كان بعض الخلفاء الأمويين ممن سبق عمر بن عبد العزيز (ﷺ) إلى الخلافة , كان قد استأذنهم الناس في شراء الأرض الخراجية , فأذنوا لهم شريطة ان يضعوا اثمانها في بيت المال , ولكن بمجئ عمر (ﷺ) وتسلمه زمام امر الخلافة رفض ذلك الامر وكرهه, لكنه ابقى الأرض التي بيعت سابقا على حالها بيد أصحابها الجدد , لما في ذلك من أمور تتعلق بالمواريث ومهور النساء وقضاء للديون, لكنه امر في سنة مائة بقوله: (ان من اشترى شيئا بعد سنة مائة فأن بيعه مردود وسميت هذه السنة سنة المدة , فتناهى الناس بعدها عن الشراء)[102] .

وكانت حجة عمر(ﷺ) في ذلك قوله: (اني لاعلم شيئا اثبت لمادة الاسلام من هذه الارض التي جعلها الله لهم فيئا)[103], ورفض علاوة على ذلك تحويل الارض التي دخل اهلها الاسلام من ارض خراج إلى ارض عشرية0 فأبقى الخراج على الارض والعشر على الثمر او الحب [104]، لانه اراد الحفاظ على المورد الرئيسي للانتاج وجعله ملكا عاما للامة بدلا من تحويله إلى ملكيات صغيرة[105].

اما بخصوص المستشرقين فقد اعتنوا بها عناية كبيرة , منهم فلهاوزن الذي نقل عن فون كريمر دون الرجوع إلى النص الاصلي [106]عند ابن عساكر[107].

وقد علق فلهاوزن على النص بقوله : (ان هبة ارض الصوافي , وبيع ارض الخراج عمل فاسد يخالف الحق , وانه لم يحدث الا مع عصر الفساد لبني امية , ولكن ليس هناك مايبرر ان شك الانسان في ان ابن عساكر استقى مادته من مراجع قديمة , ما دام ما يذكره غير متأثر بالرأي السائد والاشياء التي يذكرها هي اشياء ايجابية لايمكن ان تكون مخترعة وتستطيع ان تصدق ان عمر بن عبد العزيز بدأ بمقاومة ما قد وقع في عهد من تقدمه من الخلفاء من تمزيق صوافي الدولة وانقاص الممتلكات الشائعة للمسلمين , وذلك بأن بيع ارض الخراج , اما ان عمر قد حافظ

على جملة ارض الصوافي ولم يهب شيئا منها لاحد فأن ابن عساكر لايذكر ذلك , ولكن يمكن ان نفترضه مطمئنين)[108].

وقد ذكر فلهاوزن اسباب منع بيع ارض الخراج بقوله: (ان الاسباب التي دعت عمر إلى تحريم بيع ارض الخراج ترجع إلى نقص اموال بيت المال , فهو قد اراد ان يتفادى نقص الخراج الناشئ من انتقال ارض الخراج إلى ايدي المسلمين وسقوط الخراج عنها لهذا السبب, ولكنه وضع في نفس الوقت سدا امام الرغبة في اقتناء الضياع , محاولا ان يحمي دافعي الخراج من الملاك من ان تطغى على ارضهم شهوة التملك من جانب السادة العرب , الذين كان امتلاك الارض اكثر فائدة لهم بحكم انهم لم يكونوا يؤدون عنها خراجا)[109], وقد استنتج فلهاوزن ان عمر لم ينجح في مشروعية هذا القرار بسبب قلة الفلاحين وتحكم الدهاقين من غير العرب في الضياع والقرى [110].

الا انه على الرغم من ان فلهاوزن , اثنى على الخليفة عمر بن عبد العزيز(ﷺ) في عدم قبوله بيع ارض الخراج , واثنى على محافظته على ارض الصوافي, الا انه اغفل الاسباب الحقيقية وراء رفضه بيع ارض الخراج هذه , او ربما عللها خطأ منه حيث فرض الاسباب , انها كانت ترجع بالدرجة الاساس إلى نقص اموال بيت المال , وهو بهذا ينجر وراء تصورات المستشرقين المتحاملين على عمر (ﷺ), بأنه كان في عهده نقص في خزينة الدولة من الخراج, فأن عمر (ﷺ) لم يكن ليتعامل مع المال على هذا الاساس من الخراج , بل انه اراد ان يرجع عهد الاولين من ايام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) , والذي ارتأى بعد الفتوحات التي حصلت في العراق ان تبقى هذه الارض الخراجية ولايتم توزيعها على المسلمين , وتكون فيئا للمسلمين الذين بعدهم , كان هذا هو السبب الحقيقي الذي جعل فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ) يمنع بيع الارض الخراجية , فضلا عن حصول الدولة على ايراد

الخراج من جهة , وكذلك العشر الذي يتأتى للخزينة من اثمان ثمارها وحبها من جهة اخرى, كما انه بذلك اراد عدم اقتناء اناس من المسلمين للاراضي واحتكارها على حساب المسلمين الاخرين ممن لايستطيعون شراء هذه الاراضي , كما انه طمح إلى زيادة الانتاج الزراعي للامة .

اما بارتولد فأنه اقتبس نص ابن عساكر الا انه نقله نقلا عن فلهاوزن والذي كان مضمونه:(من الواضح ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) منع العرب من اكتساب الملكية الثابتة في الاراضي المفتوحة اذا ما اعتنق مالك الارض الاسلام , فلا بد له ان يبيع ارضه ومزرعته إلى إخوته السابقين في الدين وينتقل إلى مدينة إسلامية)[111], ويضيف عليها قوله: (تحت حكم الامويين كسر قانون عمر وانتقلت أراضي كثيرة إلى ايدي المسلمين من أصحابها الاصليين , وان عمر الثاني لم يبطل عمليات الشراء التي تمت قبل خلافته لكنه اصر على مواصلة منع البيع)[112] .

وهذا يعني ان فلهاوزن على الرغم من نجاحه في الرد على اولئك المستشرقين المتحاملين على عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) والذي أعجب فيه الباحثين العرب , الا انه في الوقت نفسه لم يعطي تحليلا مقنعا للأسباب التي أدت بعمر بن عبد العزيز إلى منع بيع الارض الخراجية,اي انه لم يحلل واقع المشكلة بشكل واقعي , فعلاوة على ما طرحنا فأن عمر (رضي الله عنه) اقدم على تحريم بيع الارض الخراجية لتكون[113] :-

1) وقفا على جميع المسلمين , وان تبقى الدولة هي المالك الوحيد والشرعي للارض الخراجية.
2) ابعاد الفلاحين عن تعسف المالك وفرض ضرائب اكثر مما يتحملوه.
3) لتوطيد علاقة الفلاحين بالارض وجعلهم اكثر تمسكا بها.
4) ان انتقال الارض من مالك إلى اخر يؤدي إلى الاضرار بإنتاجيتها لان ذلك سوف يجعلها عرضة للتداول من اكثر من شخص.

5) ان عدم بيعها سوف يسهل عملية الاشراف عليها من قبل الدولة [114].
6) هذا الاجراء يدعم النظام السياسي واستقراره من حيث التنظيم المالي , فتكون هناك موازنة بين النفقات وبين ايرادات الدولة المهمة .

وعليه فأن بيع الارض الخراجية لم يكن بحد ذاته اجراء مالي فقط , وانما اجراء سياسي ومالي في آن واحد .

اما تعليق بارتولد فأنه صحيح بخصوص عدم ابطال الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه),عمليات الشراء التي تمت قبل خلافته , لكنه لم يذكر الاسباب التي دعت عمر (رضي الله عنه) إلى ابطال بيع السابق منها هو دخول تلك البيوع في عمليات المواريث ومهور النساء وقضاء الديون[115],لذلك اعتبر سنة المائة والتي سميت سنة المدة هي الفاصل بينها.

الا ان بارتولد شكك في صحة رواية ابن عساكر بخصوص منع عمر بيع الارض الخراجية بعد سنة (100هـ) وقد ذكر عدد من الشواهد لتعزيز رايه ودحض رواية ابن عساكر منها:-

أ- ان رواية ابن عساكر تقف وحدها لمؤرخ عاش في القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري.[116]

ب- ماذكر في المصادر الاسبانية حول توزيع اراضي الفتح فيها على المسلمين في عهد عمر [117]

ج- ما ذكره ابن سعد بأن عمر سمح للمسلمين ببيع الاراضي الخراجية [118].

د -ان البلاذري يذكر ان عمر اقطع سعيد بن عبد الملك قناة ماء قرب الرقة على الفرات [119].

هـ- ماذكره اليعقوبي من ان عمر قد اقر اسلافة على منح الاراضي ويستنتج بارتولد ان عمر لم يرفض ملكية الاراضي للاستخدام الشخصي وانه كان يمتلك اقطاعا في شمال الشام ورثه عن امه حفيدة جده عمر الاول [120].

فبالنسبة للفقرة (أ) من دحض الرواية فأننا نرى ان بارتولد اقتصر في ذكر رواية ابن عساكر ولم يشر إلى مؤرخين ذكروا ذلك دونه , حيث ذكر : لقد ارسل عمر إلى عامله على الجزيرة ميمون بن مهران قال فيها :(اما بعد فخل بين اهل الارض وبين بيع مافي ايديهم, فأنهم يبيعون فئ المسلمين) [121].

كذلك قول ابن منظور وابن قدامة في منع المسلمين من قبل عمر بيع الارض الخراجية وتملكها اعتبارا من سنة مائة للهجرة , اذ كتب قائلا :(من اشترى شيئا بعد سنة مائة فأن بيعه مردود , وسمى سنة مائة سنة المدة , فسماها المسلمون بعده بذلك وامضى بذلك في بقية ولايته) [122], واما بخصوص الفقرة (ج) فأن ابن سعد اورد روايات ذكرناها سالفا بعدم قبول عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) بيع الاراضي الخراجية, لايسمح ببيعها مثلما ذكربارتولد, او لعل بارتولد خلط بين الروايات فلعل ابن سعد ذكر ما ابقى عليها اصحابها ممن قبل السنة المائة وهي سنة المدة , اما بخصوص الفقرة(د)، والتي ذكر فيها بارتولد ان البلاذري اورد رواية بأن عمر (رضي الله عنه) اقطع سعيد بن عبد الملك قناة ماء قرب الرقة على الفرات , فقد فند يوسف فندي هذا القول:(للبلاذري بأن الوليد بن عبد الملك هو من اقطع سعيد بن عبد الملك وليس عمر[123]الا انه خلط بين الفقرات بين فقرة (د) وفقرة (هـ) الا اننا نقول لعل امر القطائع هذا صحيح لان على الرغم من تشدد عمر (رضي الله عنه) من الحد القطائع الا انه في بعض الحالات الاضطرارية ،اقطع بعض الاراضي وكان الدافع من ذلك لاستصلاحها وزراعتها منها الارض الموات لقوله : (ان من احيى ارضا ميتا ببنيان او حرث مالم تكن من اموال قوم ابتاعوها من اموالهم او احيوا بعضها وتركوا بعضا

فأجز للقوم احياءهم الذي احيوا بنيانا او حرثا)[124], كما ورد عنه ايضا:(انه من غلب الماء على شئ فهو له)[125],كما اباح الجزائر للناس وقال فيه : (انما هو شيء انبته الله فليس احد احق به من احد)[126].

كذلك اراضي الصوافي المعطلة : (انظر ما قبلكم من ارض الصافية , فأعطوها بالمزارعة بالنصف, وما لم تزرع فأعطوها بالثلث , فأن لم تزرع فأعطوها حتى تبلغ العشر,فأن لم يزرعها احد فأمنحها,فأن لم يزرع فأنفق عليها من بيت المال,ولاتبتزن قبلك ارضا) [127],الا انه في كل الاحوال يبقى عليها الخراج,وعلى ان تدفع العشرعما تنتج ايضا, فقد ذكر عن ميمون بن مهران انه قال :(سألت عمر بن عبد العزيز: العربي،او قال المسلم ،يكون في يده ارض خراج,فيسأل الزكاة , فيقول : انما على الخراج ؟ فقال الخراج على الارض والزكاة على الحب)[128].

اما بخصوص الفقرة (هـ) فأن عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه), كانت له اقطاعات في المكيدس وجبل الورس باليمن وقطائع باليمامة إلى جانب فدك وخيبر, فخرج منها جميعا الا العين التي بالسويداء[129]وهي التي بقيت من القطائع التي بيده والتي عملها من صلب عطاءه[130].

ام باقي القطائع فقد تنازل عنها لبيت المال, وبخصوص ماذكره اليعقوبي في امر فدك فهو بعيد عن اشارة بارتولد فأنه اشار إلى قطيعة في شمال الشام , وفدك هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان او ثلاث , فقد توهم الباحث يوسف في تفسير الفقرة (هـ) .

اما هاملتون كب فانه يرفض رأي بارتولد من خلال اقتباسه روايتين لابن عبد الحكم وردت في المرسوم المالي الذي اصدره عمر إلى ولاته والذي درسه كب والروايتين تدل على منع عمر بيع ارض الخراج [131] وهي :(نرى ان لايباع عمارة الارض فانما يشتري المشتري لنفسه ويقطع لنفسه , فأنما يصيب من ذلك خراب

الارض وظلم اهلها واما من كان من عرب اهل الارض في غير ارضه وجزيته جاريه عليه في ارضه فليس عليه الا ذلك وعامل ارضه اولى بتبعته)[132]ويذكر ايضا:(نرى ان ترد المزارع لما جعلت له فأنما جعلت لارزاق المسلمين عامة فأن امر العامة هو افضل النفع واعظم للبركة)[133]ومما يلاحظ من رفض كب لرواية بارتولد فأنه بذلك يصد عن عمر (رضي الله عنه) التشكيك الموجه له من بارتولد في منعه بيع الارض الخراجية , فبعد ان ترجم كب الروايتين إلى اللغة الانكليزية [134]علق عليها بقوله في الرواية الاولى:(ان هذه الرواية تدل على منع مشروع بيع الاراضي الخراجية بهدف استبدالها لمصلحة الملاك المسلمين ومن الجدير بالملاحظة ان عمر يحاول من هذه الرواية ان يسند المنع ليس إلى النقص الحاصل في الدخل وانما بسبب الظلم الذي يمارسه ملاكها الجدد)[135]وهو بهذه الرواية لم يعلق فقط على بارتولد ويرفض رأيه بل انه علق في الوقت نفسه على رواية فلهاوزن في قوله ان عمر (رضي الله عنه) كان قد منع بيع الارض الخراجية لتفادي النقص الحاصل في اموال بيت المال،وقد ذكر كب في تعليقه على الرواية الثانية (يتبين من هذه الرواية ان ارض الخراج يجب ان تبقى خراجية وان الارض الخراجية السابقة يجب ان لاتباع لاحد)[136].

وقد ايد كب بذلك عمر (رضي الله عنه) في ذلك وقد ذكرنا السبب انفا فيما يتعلق به من مواريث ومهور نساء وقضاء الديون .

كما وادحض كب رأي بارتولد في ادعائه على عمر (رضي الله عنه) , بأنه منح الامويين اقطاعات[137]، اذ ذكر كب قائلا : (ان عمر منع اي تحويل جديد لاراضي الدولة إلى الافراد وانه قد اخذ القطائع من الامويين وردها إلى ما كانت عليه ارض خراجية)[138] .

وقد سبق وان اشرنا إلى ان بعض الخلفاء كان قد حولها عشرية بأقطاعها الامراء او بعض الناس الا انه بمجيء عمر (رضي الله عنه) تحولت من عشرية وارجعها خراجية , لكي لايضر بيت مال المسلمين بأعتبارها فئ للناس اجمع .

ولقد عزز كب استنتاجه هذا برواية ابن عبد الحكم , والتي يذكر فيها :-

(ان عمر رفض منح الاقطاعات للأمويين وانه قد اخذ اقطاعا من الوليد بن هشام بعد ان استولى عليه فرده عمر إلى أصحابه انباط قنسرين) [139]وهو يؤيد عملية رد المظالم التي بأيدي الامويين إلى أصحابها .

خامسا :- عمر(رضي الله عنه) والخراج :-

ان اولى المشكلات التي رافقت دراسة المستشرقين لضريبة الخراج , هو ما جرى الحديث عنه من عدم التمييز بين الجزية والخراج في المراحل المبكرة [130], فلهاوزن وبعد دراسة مفصلة استعرض فيها فرض هذه الضريبة منذ زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مرورا بالحجاج وحتى عهد عمر بن عبد العزيز[131], مركزا على الاحكام المتعلقة بالارض الخراجية والتي كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه), قد وضعها ثم بدء بتغيرها الحجاج في العصر الاموي[132],وانه قد اخذ الخراج من المسلمين مع انها لم تؤخذ سابقا في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) [133], ثم يتوقف عند عمر بن عبد العزيز ويقول: (ان عمر بحكم ورعه كان عليه ان يسلك طريقا اخر, وانه لم يكن يقصد ان يختلف عن الحجاج ولكنه حاول ان يصل اليه من طريق لايتعارض مع الشعور الاسلامي)[134], ويضيف ايضا ان الجزية والخراج تم التمييز بينها في عهد عمر,فعدت الجزية متعلقة بالشخص والخراج متعلقا بالارض المزروعة [135] .

فقد وقع فلهاوزن بخطأ عدم تمييزه بين ضريبة الجزية والخراج وعدهما ضريبة واحدة [136] ،ومما يلاحظ ان فلهاوزن لم يخطأ في التمييز بين الجزية والخراج فحسب , بل ان ما ذكره من ان عمر (رضي الله عنه) لم يكن يقصد الاختلاف عن الحجاج بل

حاول ايجاد طريق اخر مختلف , الا انه لايتعارض مع الشعور الاسلامي,كلام غير دقيق,لان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) كان شديد المعارضة والرفض للاجراءات التي كان يتخذها الحجاج في ادارة الدولة الاسلامية خلال توليه العراق , وقد سبق وان ذكرنا الخلاف الحاصل بينهما, والاسباب التي ادت إلى تخلي الوليد بن عبد الملك عن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) عن ولاية المدينة , وما للحجاج من دور في ذلك , فضلا عن تعسفه في جباية الضرائب ومنها ما يتعلق بالخراج .

اما فيما يخص التمييز بين الجزية والخراج كان قد حصل في عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فأنه ايضا غير صحيح ,لان الجزية قد فرضت منذ زمن الرسول(صلى الله عليه وسلم)عندما فرضها على النصارى واليهود الذين صالحهم[137].

والخراج فرض منذ عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه), بعد توسع الفتوحات الاسلامية فمن مدلول الصلح بين المسلمين والنصارى واليهود تفهم الجزية, ومن مدلول الفتوحات الاسلامية في الاراضي الجديدة يفهم مدلول الخراج ، وان كانت كلتاهما تفرض على الذمي .

ولقد ذكر الجبوري مناقشة مترجم كتاب فلهاوزن الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة والذي قال:(تعبير المؤلف عن حقيقة الجزية او الخراج غير دقيق فيما يتعلق بالاسلام فالجزية فدية او ضريبة يدفعها غير المسلم في مقابل تمتعه بحقوق المواطنة في الدولة الاسلامية وفي مقابل حمايتها له , وهي لذلك لاتؤخذ الا من القادر على الحرب فمن شأنه ان يقوم بواجب الدفاع الوطني, لذلك ايضا كان يعفى من دفعها القسس والنساء والأطفال والشيوخ الضعفاء, أما الخراج فهو ضريبة قضى بفرضها كيان الدولة)[138] .

ولقد اشاد الدكتور عماد الدين خليل بمناقشة مترجم الكتاب بقوله :(لم يشأ مترجم الكتاب ان يدع اقوالا كهذه تطلق على عواهنها ولكنه حاول أعادتها إلى

صورتها الصحيحة)[139]،وهناك رواية لأبن ادم يذكر فيها ان عمر بن عبد العزيز أخذ الخراج من المسلمين ورفض تحويل ارضهم إلى عشرية[140], فيقتبس فلهاوزن هذه الرواية ولكنه يعلق عليها بقوله : (ان عمر بن عبد العزيز منع جباية الخراج عن المسلمين,ولكن يختفي التناقض اذا ما فرضنا ان هذا الخراج يعتد بمثالة قبالة للارض)[141].

اما بالنسبة لبارتولد فإنه يقتبس نص أبن ادم نقلاعن فلهاوزن دون الرجوع إلى النص الاصلي ويعلق على الرواية بقوله :(يعترف فلهاوزن بأن كلمات يحي بن ادم تناقض تماما شهادة المؤرخين فيما يخص اصرار عمر الثاني على استيفاء الخراج ممن أسلم حديثا , وفي رأيه يختفي التناقض إذا اعتبرنا الاموال التي تجمع ايجار للارض)[142]،ان هذا التناقض لابد وأن يختفي لأن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) كان بالفعل قد أشار إلى أن(الخراج على الارض والزكاة على الحب)[143].

وقد ذكر بارتولد بأنه ليس من الضروري اللجوء إلى مثل هذه الافتراضات التي يدعيها فلهاوزن[144], لان استيفاء الخراج من ملاك الاراضي الذين قبلوا الاسلام عد أمرغير شرعي, وان الخراج يذكر ضمن الضرائب التي الغاها عمر الثاني[145].

اما كب, فأنه عندما تحدث عن الخراج قد استند إلى روايتين:لأبن ادم والبلاذري فالاولى: (تذكر ان المسلم الذي يشتري ارض الخراج عليه ان يؤدي عنها خراجها) [146].

اما الرواية الثانية:(بالفرات ارضون اسلم اهلها عليها حين دخلها المسلمون , فلما كان الحجاج ردها إلى الخراج وردها عمر بن عبد العزيز لما ولي إلى الصدقة)[147], فيستخلص كب من الرواية الاولى,ان المسلم يجب ان يدفع الخراج على الارض[148] .

اما الثانية فقد ذكر كب ان عمر يحاول ان يعاكس الحجاج لاعادة فرض الخراج على أراض محددة ويرجع الصدقة عليها لانها كانت بالاصل عشرية[149].

ان تعليق كب على هذه الرواية ايضا فيه تلابس فأن البلاذري ذكر:(ان بالفرات ارضين اسلم اهلها عليها حين دخلها المسلمون , وارضين خرجت من ايدي اهلها إلى قوم المسلمين بهبات,وغير ذلك من اسباب الملك فصيرت عشرية , وكانت خراجية,فردها الحجاج إلى الخراج) [150].

من الواضح من خلال رواية البلاذري, ان هذه الارض هي خراجية بالاصل وليست عشرية وانما صيرت عشرية عن طريق الهبة او شراءها من قبل المسلمون وبمجئ الحجاج واكتشافه انكسار الخراج بتحويل هذه الاراضي الخراجية إلى عشرية ,اعادها خراجية, ودفع العشر وحده على الحاصل سوف يؤدي إلى نقص وارد خزينة الدولة .

وقد اضاف كب ايضا :(ان عمر قد اسقط الخراج على من اسلم, ولكن شرط ان يترك ارضه ويهاجر إلى الامصار وربما هذا الشئ كنوع من الاحياء الرومانتيكي للتقليد الاسلامي المبكر)[151], الااننا نفند وندحض هذا القول لكب لان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) لم يشترط ترك الارض وهجرتها إلى الامصار, بل العكس هو الصحيح, فقد عمل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) على ترك الارض لاصحابها لعمارتها لقوله :(ونرى الا تباع عمارة الارض , فأنما يشتري المشتري لنفسه ويقطع لنفسه , فأنما يصيب من ذلك خراب الارض وظلم اهلها, واما من كان من عرب اهل الارض في غير ارضه وجزيته جارية عليه في ارضه فليس عليه الا ذلك , وعامل ارضه اولى بتبعته)[152], هذا من جانب عدم اشتراطه لذلك,ومن جانب اخر ان الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد سمح للمسلمين الجدد بالهجرة إلى الامصار[153], على ان ارضهم تؤول إلى جماعة القرية او إلى بيت المال عند الضرورة[154].

ومن هذا يتضح لنا انه لم يجبرهم على الهجرة, بل انه سمح للذي يريد منهم الهجرة بالهجرة إلى الامصار, لكنه اشترط ان تراعى ارضه او تؤول إلى جماعة القرية الذين قد يكونون ليسوا مسلمين بل ذميين, واذا لم تكن لهم فالبيت المال لكن للضرورة, كما عزز كب رأيه ايضا بقوله : (ان اصلاحات عمر قد عالجت جميع الشكاوي التي اثارتها او خلفتها اجراءات الحجاج)[155],ومن الملاحظ على الروايات السابقة ان عمر رفض تحويل ارض الخراج حتى لو اسلم اصحابها ووضع له الحق في تركها وان لم يتركها وضع عليها الخراج [156].

سادسا :- عمر(رضي الله عنه) والجزية

فالجزية هي ما تؤخذ من غير المسلم مقابل امانه, وقد جرت العادة في ايام الحجاج على اخذ الجزية حتى وان اسلم الذمي, وكان هذا الاجراء من الحجاج خوفا من ان يقل وارد خزينة الدولة من الجزية بأسقاطها عن الذمي, الا انه عندما تولى عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الخلافة,عمد إلى الغاء الجزية عمن اسلم, وكان صاحب المقولة المشهورة (ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا) والروايات على ذلك كثيرة .

اما بالنسبة للمستشرقين فقد اقتبسوا روايات كل من الطبري وابن سعد,في موضوع اسقاط الجزية عن الذمي, فعلى سبيل المثال فأن فلهاوزن اقتبس رواية الطبري:(ان عمر كتب إلى الجراح بن عبد الله الحكمي, ان ضع عن الناس الجزية, فسارع الناس في الدخول إلى الاسلام فقيل للجراح ان الناس قد سارعوا إلى الاسلام نفورا من الجزية فأمتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك إلى عمر فرد عليه ان الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا وفي رواية اخرى خاتنا)[157] الا ان فلهاوزن لم يعلق عليها[158], ولربما عدم تعليقه كان لاقتناعه بالامر فلم يرَ بدا من ان يترك الامر فأن تعليقات المؤرخين المسلمين كانت وافية , الا ان فلهاوزن قد أثنى على عمر (رضي الله عنه)

في موضع اخر بقوله :(ان عمر اسقط الجزية عمن دخل الاسلام من الشعوب والممالك ولم يفرط في شيءيدخل في بيت مال الدولة)[159], وهذا بحد ذاته تعليقا على رواية الطبري اما عدم تفريطه في شيء يدخل بيت مال الدولة فهو راجع إلى عدله وتطبيقه لسياسة الاصلاح للرعية فكيف به هو.

امـا بارتولد,فأنـه يكتفـي بـالقول ان الجزيـة فقـط يمكـن ان تجمـع مـن غيـر المسلمين [160] ويقصد بذلك انه من اسلم من اهل الذمة فأن جزيته ساقطة عنه ماعدا من لم يدخل في الاسلام .

اما هاملتون كب فقد علق بالقول :(ليس هناك حكم واضح يؤكد ان الذمي الذي يعتنق الاسلام يجب ان يعفى من الجزية دون ان يسند قوله بمصدر)[161],ان قول كب في هذا الصدد يشير إلى الحكم و المقصود بالحكم هو الاجراء الواجب تنفيذه من قبل الاخرين ويسلم به,ولعل المقصود من كب ان هذا الحكم لم يشمل عموم الدولة الاموية ,فأنه لم يخصص زمن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بهذا الحكم بل عممه دون ذكر مصدر او زمان،وقد اضاف كب على ذلك قائلا:(ان الجزية ضريبة منفصلة على المزارع ,فأنه عندما يعتنق الاسلام تستبدل بدفع العشر اوالصدقة)[162], الا ان الجزية لم تكن تخص المزارع وحده فحسب بل شملت حسب قول عمر (رضي الله عنه): (صاحب ارض يعطي جزيته,وصانع يخرج جزيته من كسبه,وتاجر يتصرف بماله يعطي جزيته من ذلك)[163]،فعلى الرغم من انه ذكر تلك الاصناف الا انها ايضا لاتقتصرعليهم فقط وانما تشمل المزارع وكل ذمي ما عدا النساء والاطفال والشيوخ,كما امتدح كب عمر (رضي الله عنه) بقوله:(ان عمر اعاد تأكيد المبدأ القائل بأن من يدخل الاسلام يصبح فقط معرضا لدفع الضريبة المفروضة على المسلم وهي الصدقة ويعفى من الجزية)[164], وفي هذا النص تأكيدا على اعفاء عمر (رضي الله عنه) الجزية عن من اسلم من الذميين .

اما بخصوص نص ابن عبد الحكم المذكور اعلاه من الطبقات فقد علق عليها بقوله :(ان الطبقات الثلاث الواردة في المرسوم هم من غير المسلمين)[165].

وهذا مؤكد لانه ذكر في نصوص له سابقة ان عمر (رضي الله عنه) اعفى الذمي من الجزية وتحولت إلى صدقة وقد استخلص من هذه الرواية ثلاث فقرات :-

(أ) ان الجزية تفرض على الارض وتؤخذ من مالكيها[166], ومعناه ان على من ابق جزية[176]0

(ب) الجزية تفرض على الحرفيين بوصفها جزية على اهل الكتاب [177] .

(ج) ان الجزية المفروضة على التجار في الرواية بضمنها الجزية على البضائع التي عالجتها كتب الفقه تحت مصطلح العشور [178].

فبخصوص الفقرة (أ) فأن الجزية لم تفرض على الارض بل على الرؤوس, مقابل الصلح الذي بين المسلمين وبينهم .

اما الفقرة (ب) فأن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) لم يحدد الحرفيين بل اعطى تصورا عنهم بأعتبارهم يملكون الاموال,فمن الطبيعي ان الناس تعمل في اطار تلك الاعمال وليس الذميون فقط .

اما الفقرة (ج) فأن جزية التاجر لاتؤخذ عن تجارته بل عنه هو كشخص, اما ضريبة التجارة فهي العشر على البضائع .

وقد أثنى دانيل دنيت على عمر (رضي الله عنه) بقوله:(ان الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز قد اصدر قرارا يعفي كل من دخل الاسلام من الجزية)[179] .

اما فلوتن فعلى الرغم من تحامله على عمر (رضي الله عنه) وسياسته المالية التي رأى بأنها انضبت بيت المال الا انه كان اعترافا منه بأسقاط الجزية عمن اسلم من الذميين اذ قال:(ان الحالة المالية في عهد عمر الثاني تتطلب اصلاحا عاجلا ...بعد ان قل الوارد إلى بيت مال المسلمين من جراء الغاء الجزية في خراسان) [180].

سابعا : عمر (رضي الله عنه) والعشور

ان العشور قد فرضت على اهل الحرب والذميين بعد ان فرضوها هم اول الامر عند مرور القوافل التجارية للمسلمين وسموا ذلك عشورا,ومن المستشرقين الذين عنوا بالعشور المستشرق هاملتون كب الذي تضمنت دراسته المرسوم الذي جاء في رواية ابن عبد الحكم بخصوص العشور وهي :(اما العشور فنرى ان توضع عن اهل الحرث وان اهل الحرث يؤخذون بذلك)[181], وقد استنتج عدة استنتاجات من تلك الرواية هي:

أ – ان عمر يحاول ان يحصر المصطلح بدقة عن ضريبة الارض التي يدفعها عدد معين من الملاك على الارض المزروعة[182].

ب– يحاول عمر تمييزها عن الجزية من جانب والصدقة من جانب اخر [183].

ج– ان عمر يحاول تمييز العشور الضريبية عن الصدقات التي هي الزكاة[184] .

د – يمكن ان نستنتج من هذه الرواية ان هناك اشارة لعمر بن عبد العزيز لمنع العشورعلى الخمر [185]ويدعم كب رأيه هذا برواية ابن سعد والتي يذكر فيها:(ان عمر كتب الى واليه عدي بن ارطأة بلغني انك تأخذ من الخمر العشور فتبقيه في بيت مال الله فأياك ان تدخل بيت مال الله الا طيبا)[186].

هـ – اما بشأن شرعية هذه الضريبة على المسلمين فأنها لاتجوز , وان كب يستند في بذلك على رواية لآبن سلام ,(ليس على المسلمين عشوروانما العشور على اليهود والنصارى) [187]ويؤكد ذلك برواية اخرى لابن سلام اوردها عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يذكر فيها (ان صاحب المكس في النار) قال يعني العشور[188] فمن خلال تلك الاستنتاجات التي استنتجها كب نلاحظ انه خلط بين العشر المفروض على الارض او مايسمى زكاة وصدقة الثمار والحب,وبين العشور التي تفرض على البضائع التجارية ,كما اتضح ذلك من الفقرة (أ) ,اما الفقرة (ب) فأن كب تصور

من خلال ذلك انه اراد ان يميز بين الجزية والصدقة , مع العلم ان كل واحد منها مدلولاً يختلف عن الاخر،اما الفقرة(ج) فلعله قارب الصحة بشيء ما من خلال ذلك هذا اذا ما فرضنا انه تفهم ان العشور فرضت فيما بعد ايضا على المسلمين ربع العشر واعتبرت صدقة (زكاة) عن ماله في التجارة لانها تؤخذ مرة واحدة في السنة ,ومن الذمي نصف العشر ومن اهل الحرب من التجار العشر,وتجبى في السنة لمرة واحدة ايضا ،اما الفقرة (د) فأن كب اصاب في ذلك لانه منع تجارة الخمور والخنازير [189] ،وبخصوص الفقرة (هـ) فأن ذلك كان اول الامر زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يسمى بالمكس اما فيما بعد وتحديدا في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما بلغه فرض الرسوم على التجار من المسلمين عند مرورهم في حدود ارض الحرب,فعاملهم بالمثل , واصبح بذلك مفروضا على المسلمين ليكون زكاة لتجارتهم,لان لاعطاء لهم كي لا يشغلهم عن التجارة[190].

ثامنا :عمر (رضي الله عنه) والصدقات (الزكاة)

لقد اهتم الخليفة عمر (رضي الله عنه) بالزكاة باعتبارها احد أركان الاسلام , فهي ما فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده من الذين يملكون الاموال , ليتصدقوا بها على من هو بحاجة لها, لتكون فدية عن رؤوسهم وتزكية لاموالهم , فمثلما تحتاج النفس الى التزكية , فالاموال هي الاخرى بحاجة لذلك التزكي , فالمسلم المقتدر يزكي ماله سنويا ليساعد به المحتاجين من الفقراء والمساكين .

لذلك اهتم بها عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بالزكاة واولاها اهتماما خاصا بأعتبارها حق فرضه الله على عباده لاعانة الفقراء والمساكين, فقد ورد عن ابن عبد الحكم في الصدقات قوله : (فأن الله تبارك وتعالى فرضها وسمى اهلها حين طعن فيها اناس وبلغوا فيها تهمة نبيهم فقال :﴿ **مِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** ﴾[191] وقال تعالى ايضا :﴿ **إِنَّمَا**

الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (192).

فبين رسول الله (ﷺ) , صدقة الاموال الحرث والمواشي والذهب والورق فتؤخذ كما بين رسول الله (ﷺ) وفرض , لايظلمون ولايتعدى عليهم ولايحابى بها قريب ولايمنعها اهلها ثم تجعل الى مرضيين من اهل الاسلام فيجعلونها حيث امرهم الله, يحملهم الامام من ذلك ما حمل وينزه نفسه من ذلك من امر قد اكثر فيه على الائمة)(193), وفي رواية ثانية يذكرايضا : (فأما المسلمون فأنما عليهم صدقات اموالهم اذا ادوها في بيت المال كتبت لهم البراءة فليس عليهم في عامهم ذلك في اموالهم تباعة)(194) ولقد علق المستشرق هاملتون كب على روايات ابن عبد الحكم وحاول المقارنة بينهما , فقد علق على رواية ابن عبد الحكم الاولى بقوله : (الصدقة اي الزكاة يجب ان تؤخذ من المسلمين جميعا على اموالهم من الاراضي والمواشي ورؤوس الاموال (النقود), ولكن يمنع استيفائها بطريقة غير لائقة)(195), في تعليق كب هذا تحديد منه على فرض الزكاة على المسلمين جميعا دون اي استثناء , فعلى الرغم من انه لم يذكر الخواص منهم من الذين يملكون الاموال, الا انه حددهم حينما ذكر بأنها تؤخذ من المسلمين جميعا من اموالهم من الاراضي والماشية ورؤوس الاموال, الا انه اغفل ذكر مقدار الزكاة عنها , كما اغفل ذكر موعد استيفاء الزكاة من المسلمين المعنين بذلك , وفي الوقت نفسه قد ذكر بشئ غير واضح تماما سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) في استيفاء الزكاة , واقتصر على غير لائق في المعاملة , تاركا منه ماهو وسط في الاستيفاء, اي ان لايأخذ الردئ منه ولا الجيد بل الذي بينهما , كما انه لم يذكر الطريقة التي يجب ان تجبى فيها الزكاة من حيث الحد فيه او النصاب , وذهاب الجابي بنفسه الى اصحاب الاموال للتأكد من احقيتها في النصاب وما زاد عنه وما نقص.

كما اضاف المستشرق كب في تعليقه على الرواية الثانية في ان عمر (رضي الله عنه) اكد على الطابع الالزامي لجباية الزكاة وقد دعم هذا الاستنتاج وعززه برواية ابن سلام من خلال الرسالة التي وجهها عمر (رضي الله عنه) الى واليه على الكوفة : (في ان يكتب البراءة لمن اخذ من ربحه زكاة سنة واحدة ويأخذ من غير ذلك المال ان مر به)(196), فأخذ البراءة من الزكاة , ويعني ذلك اعطاء صك بذلك للمتزكي بأعتباره قد وفى ما عليه من زكاة الربح في المال والماشية او الحرث في هذه السنة , اما بأخذ المال من غير ذلك فلعله المقصود به زكاة الذهب والفضة ورؤوس الاموال والله اعلم , كما اثنى كب على عمر (رضي الله عنه) بقوله :(ان عمر حاول توزيع اموال الزكاة الى اصنافها المذكورة في القرآن وانه لايحابي احد من ذوي قربته سواء من الامراء الامويين او غيرهم من النبلاء) (197), معززا رايه هذا برواية ثالثة لابن عبد الحكم بخصوص رفض عمر ان يعطي الامويون من مال الصدقة (198).

تاسعا :- عمر(رضي الله عنه) وموقفه من الفئ والغنائم (الخمس)

ان سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه), في تعامله المالي مع ما يخص الفئ والغنيمة يمكن الرجوع اليه في فصلنا الثالث من رسالتنا السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ,وقد ذكرنا فيها ايضا ما المقصود بالغنيمة في كونها ما استولي عليه بالحرب او عنوة من اموال الكفار عند القتال , كما ذكرنا ان الفئ هو ما وصل الى المسلمين من اموال ايضا من غير المسلمين من المشركين لكن صلحا دون قتال .

الا انه في عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) لم تكن هناك فتوحات او اغارات اسلامية على العدو , لاسباب منها محاولته توجيه اصلاحه نحو السياسة الداخلية والمالية للدولة , فضلا على خوفه على المسلمين من الهلاك ,علاوة على حرصه على عدم تسيير حملات تكلف الدولة مبالغ طائلة , الا انه كان هناك في بيت المال

بعض الاموال التي لاشك انها كانت من خمس الغنائم من فتوحات سابقة لعهد عمر (رضي الله عنه), فعلى اساس ذلك حاول اصلاح خمس الغنائم , فجعل للخمس بيت مال مستقل عن الاموال الاخرى[199] .

وفي صدد حديثنا عن الخمس فقد ذكر ابن سلام بأنه : (الخمس حصة بيت المال من الغنائم والفئ)[200] , وقد ذكر ايضا ابن عبد الحكم مرسوم مالي عن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الى ولاته بخصوص الخمس بقوله : (واما الخمس فأن من مضى من الائمة اختلفوا في موضعه , فطعن في ذلك طاعن من الناس , واكثر فيه , ووضع مواضع شتى فنظرنا فاذا هو على سهام الفيء في كتاب الله لم تخالف واحدة من الايتين الاخرى فاذا عمر بن الخطاب رحمة الله قد قضى في الفيء قضاء قد رضى به المسلمين,فرض للناس اعطية وارزاقا جارية لهم ورأى ان لن يبلغ بتلك الابواب ما جمع من ذلك ورای فيه لليتيم والمسكين وابن السبيل , فرأى ان يلحق الخمس بالفيء وان يوضع مواضعه التي سمى الله وفرض , ولم يغفل ذلك الا ليتنزه منه وخيفة التوهم فيه فاقتدوا بامام عادل فأن الايتين متفقتان اية الفيء واية الخمس فان الله قال:﴿ **مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[201], وكذلك فرض الله الخمس فنرى ان يجمعها جميعا فيجعلا فيئا للمسلمين ولا يستأثر عليهم ولا يكون دولة بين الاغنياء منكم)[202] وهذا ما كان من قول (رضي الله عنه), اما تعليق المستشرقين عليه, فقد اكتفى بارتولد بالقول ان في عهد عمر خصم الخمس لصالح الخزانة [203] ان تعليق بارتولد على الرغم من عدم وضوحه الا ان في ثناياه حق لبيت المال فرأى عمر (رضي الله عنه) وجوب تحويله الى خزانة الدولة , فقد تمسك عمر (رضي الله عنه) في حق الخمس , فلما فتحت الاندلس قبل خلافة عمر لم يخمسوها فأمرعامله عليها ان يبين العنوة من ارضها ويأخذ منها الخمس[204] وهذه دلالة على حرصه على المال العام , وان لم يكن قد اجريت

مستحقاته و فتحت في عصره فقد ارتأى ان يتفحص حقوق المسلمين وخزانة الدولة في اي مكان كان وفي اي زمن حصل فأن كان قول بارتولد في خصم الخمس لصالح الخزانة , فهذا الامر يعد من الامور المهمة التي استحصل فيها عمر (رضي الله عنه) واردات جديدة لخزانة الدولة .

اما بخصوص ما علق عليه المستشرق كب , فأنه اقتبس رواية ابن عبد الحكم السابق ذكرها اعلاه حرفيا [205] وعلق عليها بقوله: (هذه الرواية من اكثر الروايات ثورية في هذا المرسوم فيما اذا كان الخمس يحصر للدولة بوصفها حصة الامام من الغنيمة في الاراضي التي تفتح بالقوة فهل يصبح تحت تصرف الامام ليوزعه كما يشتهي او يجب ان يضاف الفئ وان يعامل كوقف لعامة المسلمين)[206]0 ويضيف قائلا : ان عمر الثاني راى ان توزيع هذه الاموال الى الاصناف الثمانية في القرآن﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[207] , وانه نسب هذا الامر الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[208] , معززا استنتاجه هذا برواية لابن سلام ذكرها الامام الاوزاعي,(انما الخمس للاصناف الذين سمى الله تبارك وتعالى في كتابه:﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[209]وفي هذه الاية اكد الاوزاعي التزام عمر بها) [210].

ويقول كب:(ان عمر عد عملية تحويل اموال الدولة الى ملكية خاصة للافراد مبدأ معارض للقرآن)[211] ,ان في نسبة هذه ة بتوزيع هذه الاموال على الاصناف الثمانية مما جاء في القرآن , الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه), وان كان صحيحا فأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) , كان قد تعامل معه في نفس الاطار القرآني ايضا وبمجئ عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ومحاولته اعادة سنة الاوليين والى القرآن الكريم ماهو الا تنفيذا

لااوامر الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واحكام الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) من بعده .

وبخصوص ان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) عد عملية تحويل اموال الدولة الى ملكية خاصة للافراد مبدأ معارض للقرآن فهذا صحيح لان في ذلك تكتل للاموال في ايادي اشخاص دون الاخرين .

عاشرا :- الغاء عمر (رضي الله عنه) الضرائب الاضافية

ان عملية فرض الضرائب الاستثنائية من قبل الامويين على المسلمين, كان سببه تضخم حاجات الامويين وكثرة مطالبهم , وتوسع نفقاتهم , فعمل بعض عمال الخراج في العصر الاموي , على اضافة بعض الضرائب الاضافية على من يدفع تلك الضرائب, ولاسيما من اهل الكوفة , ومن هذه الضرائب التي اسقطها الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بمجيئه الخلافة هي: (ضرائب هدايا النيروز والمهرجان, وثمن الصحف , واجر الفيوج , واجور البيوت ودراهم النكاح)[212] .

فقد اورد كلا من ابي يوسف [213] وابن سلام[214], والطبري[215]، نص هذا الكتاب وان كان فيه بعض الاختلافات,الا انه جاء فيه قوله :(اما بعد , فأن اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور في الاحكام , وسنن سنها عليهم عمال السوء[216], وان قوام الدين[217], وصلاح الرعية , العدل والاحسان , فلا يكونن[218], شئ اهم اليك من نفسك حتى [219]توطنها بطاعة الله [220] , فأنه لاقليل من الاثم , وامرك ان توظف عليهم خراجهم[221], ولاتحمل خرابا على عامرا ولا عامرا على خراب, وخذ من الخراب ما اطاق واصلحه حتى يعمر[222], ولاتأخذ من العامر الا وظيفة الخراج في رفقة وتسهيل , من غير عنف او ارهاق لاهل الارض[223],ولاتأخذ في الخراج الا وزن سبعة ليس فيها ايين[224], ولا اجور الصرافين[225], ولاهدايا النيروز [226], ولا دراهم النكاح , ولاثمن الصحف [227] , ولا اجور البيوت[228],

ولاخراج[229], من اسلم من اهل الذمة[230], ولا يعجل دوني بقتل ولا قطع والسلام)[231]

اما بالنسبة لتقويم المستشرقين لهذا النص فقد تبنى فلهاوزن ما جاء في رواية الطبري دون ان يجد مبرراً لايراد الرواية كاملة ,او حتى للتشكيك في مضمونها[232], وكان ذلك في سياق ثنائه على سياسة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) [233].

اما بارتولد فقد فصل الامر اكثر من فلهاوزن ,الا انه استند اول الامر الى رواية الطبري[234] .واشار الى فلهاوزن فيما يتعلق بالضرائب الاضافية [235] وناقش الرواية بقوله : (عارضت الشريعة والرأي الشعبي بالتاكيد اي ضرائب غير مباشرة , لكن حكومة الخلفاء استمرت في استحصال هذه الضرائب وعلى الرغم انها كانت ضرائب غير شرعية لكن عمر الثاني كان قد التزم بالشرع وحاول تطبيقه بصرامة ولذلك الغيت هذه الضرائب تحت حكمه) [236] اما كب فأنه يحاول الجمع بين روايتي الطبري وابن سلام الخاصة بهذه الفقرة لكنه يقتطع جزء من الرواية بقوله: (لاخراج على من اسلم من اهل الارض)[237] ويعلق على الرواية بقوله:(على الرغم من الوثيقة التي بين ايدينا وهي من اقوال ابن سلام والطبري فأنه حتى زمن عمر كانت هناك انظمة مختلفة من الضرائب على الارض في الولايات العديدة للدولة الاسلامية)[238], ولعل كب غير مقتنع بالوثيقة الا ان قوله في الانظمة المختلفة في عهد عمر(رضي الله عنه) غير واضح , فأن الضرائب التي فرضت على الارض في عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) والتي ذكرناها سابقا تتعلق بالخراج على الارض والصدقة على الحب . لايوجد غير تلك الضرائب فعن اي ضرائب يتحدث لا نعلم .

كما الغى عمر (رضي الله عنه) بخصوص الضرائب الاضافية : (تقدير الضرائب على المحاصيل الزراعية قبل نضجها وحصادها وهو يعرف بالخرص , وفي هذه الحالة

يعمد جباة الخراج على اجبار المزارعين على التنازل لهم عن محاصيلهم بسعر دون السعر الذي يتبايع به الناس) [239] .

لقد ذكر فلوتن تلك الرواية مقتبسا اياها من ابن سعد [240]والبلاذري[241], الا انه لم يعلق عليها .الا انه من تفصيل نصه نستطيع ان نستوضح انه تفهم فكرة عمر (رضي الله عنه) في هذا الالغاء , وماله من تبعات خسارة المزارعين لانهم سوف يبيعون محاصيلهم بالسعر الذي يحدده الجباة وليس كما هو معمول به من قبل السوق في العرض والطلب وتحديد السعر .

احدى عشر : عمر (رضي الله عنه) والعطاء .

يعد العطاء من الاصلاحات المالية التي عني بها عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) لما اصابه من زيادة ونقصان تبعا لظروف الدولة الاسلامية لاسيما السياسية والداخلية منها في عهد من سبقوه من الخلفاء الامويين .

وكان اهتمامه به لما له من صلة وثيقة بحياة المسلمين واحوالهم ,لا عتمادهم عليه في معاشاتهم ,فضلا عن اثره في الادارة وفي الحياة الاقتصادية[242],ويعد من اكبر اوجه النفقات في موارد الدولة لانه يضم جميع المسلمين تقريبا , فضلا عن تمتع اكثرية الخواص منهم بعطاء عالي او ما يسمى بشرف العطاء 0 فقد اولى عمر (رضي الله عنه) هذه المسألة اهتماما اكبر[243] .

ومن الروايات التي اعتمدها المشتشرقون والتي تشيرالى اهتمام عمر(رضي الله عنه) بالعطاء هي :

أ – رواية ابن عبد الحكم يذكر فيها : (ان عمر امر لكل شخص يدخل الاسلام ويقاتل عدوه تكون له حصة من الفيء اسوة بالذين فعلوا من قبله)[244] .

ب– يورد ابن سعد : خمس عشرة رواية عن العطاء في زمن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) وجميعها تذكر ان عمر اطلق للناس العطاء ولم يسقطه عن احد

بأستثناء التجار, ويذكر فرض عمرللطفل الصغير وفرضة العطاء لاهل السجون ومساواته بين العرب والموالي , وعطاءه لبني هاشم [245].

ج– رواية البلاذري والتي ذكر فيها ان عمر امر واليه على خراسان الجراح ان يفرض العطاء لمن اسلم ولا يحرم منه احدا [246]

د– رواية اليعقوبي ويذكر فيها ان عمر رد الخراج لمن اسقط عنه وزاد اهل الشام في عطائهم[247] .

هـ – يورد الطبري روايتين الاولى : مشابهة لما جاء عند البلاذري بارجاع العطاء الى موالي خراسان بعد ان حرموا منه [248]والثانية : يذكر فيها ان عمر الحق ذراري الرجال الذين في العطاء واقرع بينهم , وفرض لكل مولود[249]

و– رواية الكندي يذكر فيها ان عمر امر واليه على مصر بزيادة الاعطيات للناس[250]

اما بالنسبة لتعليق المستشرقين عليها فكان فلهاوزن يجمع بين روايات البلاذري والطبري من دون اجراء اي تغيير عليها , ممتدحا عمر (رضي الله عنه) بقوله :(ان عمر اعان الفقراء واعطاهم اعطيات ثابتة ولم يفعل ما فعله الوليد حيث انه قصر اعمال البر على الشام , بل شمل ببره العراق وخراسان ولم يميز بين الولايات)[251] الا انه انتقد بشدة السياسة المالية التي سارت عليها الدولة قبل عمر (رضي الله عنه) بقوله : (ان الحكومة كانت تسيرعلى مشيئتها , وكانت تسقط من العطاء وتفرض لمن تشاء , وتزيد الاعطيات وتنقصها وان ذلك كان سببا للشكوى و التذمر) [252], وهذا ما اطلقنا عليه بالزيادة والنقصان في خلال عهد الدولة الاموية ممن سبق عمر (رضي الله عنه) من الخلفاء تبعا للظروف السياسية والداخلية .

اما بارتولد فقد استخدم اسلوبي المدح والنقد لعمر (رضي الله عنه) في هذه الروايات فهو يحاول ان يجمع بين رواية اليعقوبي والكندي , ويقتبس بعض روايات ابن سعد لاسيما

تلك المتعلقة بالهاشميين والموالي ومساواتهم مع العرب دون اجراء اي تغييرات على الروايات [253].

وعلق على ذلك بقوله : (ان عمر قدم اعطيات كثيرة للجيش وساعد المحتاجين)[254] , وفي هذا مدح , لكنه لم يقدم اعطيات لهؤلاء فقط بل للذين ذكروا في الروايات السابقة اجمع . ولقد انتقده في مارأه من انحياز عمر (ﷺ) للامويين , مدعيا انه خلال حكم عمر الثاني ابسط الامويين يتلقى عطاء من الخزينة اكثر من الفي درهم بينما كان شيخ الهاشميين يستلم فقط ستين درهما" فقط,وحجته في ذلك رواية الطبري[255].

وبالرجوع لرواية الطبري نلاحظ انه لم يذكر عطاء الامويين وقدره مثلما ادعى بارتولد , ولم يذكر مقدار عطاء الهاشميين وقدره ايضا .

وعلق يوسف على ذلك: لكن بارتولد يظهر مجافيا هنا للعلمية اذ ان السياق التي وردت فيه هذه الرواية لايدعم البتة حجته في مقابل ذلك القدر الضخم من الروايات , ولايعقل ان يعطى اي شخص عطاء سنويا قدره (500 درهم) , ولكن هناك ما يناقض هذا الشئ [256].

فأبن سعد يذكر: (ان محمد بن عقيل بن ابي طالب قال ان اول مال قسمه عمر بن عبد العزيز لمال بعث به الينا اهل البيت فأعطى المرأة مثلما اعطى الرجل واعطى الصبي مثلما تعطى المرأة ,قال فأصبنا اهل البيت ثلاثة الاف دينار, وقال ان بقيت لكم اعطيتكم جميع حقوقكم)[257] , وفي ذلك ايضا ما ذكره ابن سعد : (قد امر بعشرة الاف دينار من سهم ذوي القربى فقسمها في بني هاشم وساوى بين الذكر والانثى , والكبير والصغير,فكتبت اليه فاطمة بنت الحسين تشكر له ما صنع وتقول : ياامير المؤمنين قد اخدمت من كان لاخادم له واكتسى منهم من كان عاريا , واستنفق

من كان لايجد ما يستنفق)[258] وهذا جانب انفاق يصنف ضمن الأثار الأجتماعية التي سعى لأقامتها الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ).

اما كب فأنه يقتبس رواية ابن عبد الحكم حرفيا [259],ثم يعلق عليها مستندا لما جاء في رواية الطبري الثانية[260] ,ويقول: (ان لكل شخص يقبل الخدمة العسكرية فله حصة مساوية في الفئ , وان عمر جعل للبدو حصة في العطاء في حالة الهجوم عليهم من قبل الكفار والمجاعة التي تحل بهم)[261] .

الثاني عشر :-اصلاحات عمر (ﷺ) العامة

لقد حاول عمر بن عبد العزيز (ﷺ), ان تعم اصلاحاته كافة اجزاء الدولة العربية الاسلامية واركانها , وقد عمل بالفعل على ان تشمل اصلاحاته كافة الدولة الروايات على ذلك كثيرة , والتي اكدت شمولها كافة مناحي الحياة .

وكان كب من السباقين لاستعراض ذلك من خلال دراسته المستفيضة لذلك ومن هذه الاصلاحات (الحمى , الخمر , والنبيذ , وطريق البر والبحر , المكس , تجارة الامام والعمال , وترك السخرة) وقد كانت تلك الاصلاحات التي ذكرت في المصادر الاولية والمراجع الحديثة وفقا لمرسوم ورسائل مالية وجهت من عمر بن عبد العزيز (ﷺ) الى عماله منها :-

(أ) **الحمى** :- نقل الارض من الاباحة الى الملكية العامة لتبقى موقوفة على جماعة المسلمين ،فبالحمى تصبح الارض لجماعة المسلمين ونفعها مصروف لهم ويقصد بها ايضاً حمى الاراضي لنعم الفيء وخيل المجاهدين (ان الحمى يباح للمسلمين عامة , وقد كانت تحمى فتجعل فيها نعم الصدقات , فيكون في ذلك قوة ونفع لاهل فرائض الصدقات وادخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس فنرى في ترك حماها والتنزه عنها خيرا اذا كان ذلك من امرها , وانما الامام فيها كرجل من المسلمين , وانما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء)[262].

(ب) **الخمر والنبيذ** : (ان الطلاء لاخير فيه للمسلمين , انما هو الخمر يكنى باسم الطلاء , قد جعل الله عنه مندوحة كثيرة طيبة , وقد علمت ان اناسا يقولون, قد احله عمر (رضي الله عنه) , وشربه الناس ممن مضى من خيارنا , وان عمر انما اتى منه بشراب طبخ حتى خثر فقال حين اتى به , اطلاء هذا , يعني به طلاء الابل فلما ذاقه قال لا بأس بهذا فأدخل الناس فيه بعد عمر اما من شربه من صالحيتكم , فأنهم شربوه قبل ان تتخذ مسكرا , وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حرام كل مسكر على مؤمن , فلا أرى ان يتخذ الفاجر البار خلسة ونرى ان يتنزه المسلمون عنه عامة, وان يحرموه , فأنه من اجمع الابواب للخطايا واخوفها عندي ان تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم)[263].

(ج) **طريق البر والبحر** :– (واما البحر فأنا نرى سبيله سبيل البر قال تعالى : ﴿**اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[264] , فأذن فيه ان يتجرفيه من شاء , وارى ان لانحول بين احد من الناس وبينه ,فأن البر والبحر لله جميعا سخرهما لعباده يبتغون فيها من فضله,فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم)[265].

(د) **توحيد المكيال والميزان** :– (ثم ان المكيال والميزان نرى فيهما امور اعلم من يأتيها انها ظلم.انه ليس في المكيال زيغ الا من تطفيف , ولافي الميزان فضل لا من بخس , فنرى ان تمام مكيال الارض وميزانها ان يكون واحدا في جميع الارض كلها)[266].

(هـ) **المكس:** (واما المكس فانه البخس الذي نهى الله عنه فقال تعالى: :﴿ **وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[267].

(و) **تجارة الامام والعمال:**(ونرى ان لايتجر امام، ولايحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه فان الامير متى يتجر يستأثر ويصيب اموراً فيها عنت وان حرص على ان لايفعل)[268].

(ي) **ترك السخرة**:ويقصد بها العمل دون اجر(ونرى ان توضع السخر عن اهل الارض ،فإن غايتها امور يدخل فيها الظلم)[269]،ان كل تلك الفقرات السابقة الذكر كان لها تأثير اقتصادي واجتماعي في آن واحد من خلال عدم سماحه للعمال بالتجارة وكذلك توحيد المكاييل وفتح طرق البر والبحر والتجارة فيها وترك المكس وترك المحرمات والتجارة فيه مثل النبيذ والخمر ,وما يهمنا من تفحص تلك الروايات تعامل المستشرقين معها،فكان تعامل فلهاوزن معها مهملاً حيث انه على الرغم من ردوده الجريئة على المستشرقين المتحاملين، الا انه لم يوفق في معالجة كل الروايات التي تتعلق بأصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ولعل ذلك يرجع الى اهماله روايات ابن عبد الحكم او عدم رجوعه الى االكتاب اساسا وبذلك فأنه قد فاته معلومات مهمة وزاخرة فيما يخص الجانب المالي في عهد عمر (رضي الله عنه).

اما بارتولد فانه ركز على فقرة دون الاخرى فلعله ايضا ممن لم يتفحصوا جيدا الروايات التي تتعلق بالاصلاحات المالية , او لكونه لم يتنبه لتلك الروايات لعدم فهمه لما تحويه من معاني مثل الحمى , فقد ركز على الفقرة (ب) فيما يخص النبيذ والخمر وتحريمها مستندا في ذلك الى رواية الكندي الخاصة بتحريم الخمر والتي ذكر فيها : (حرمت الخمور وكسرت وعطلت حاناتها) [270],وقد اقتبس بارتولد هذه الرواية ولم يجري عليها اي تغيير[271],الا انه علق عليها بقوله : (اضافة الى مسوئليات عمر في اقامة العدالة وحماية الناس من الظلم , لكنه امر عماله بمراعاة نقاوة الاخلاق وفقا لما جاء في روح الاسلام وقوانينه)[272] , هذا مما لاشك فيه , الا

ان عمر (رضي الله عنه) لم يمنع او يحرم على اهل الذمة بيع الخمر او تداوله , الا انه حرمه على المسلمين وفقا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من تحريم الخمر لما له من تبعات تؤدي بحياة الناس الى التهلكة , الا ان عمر (رضي الله عنه), قد فرض عليهم اسعار مضاعفة من ضريبة العشر على تجارة الخمر والخنازير فقد ذكر ابن ادم :(ان في اموال اهل الذمة نصف العشر وفي الخمر العشر) وذكر ايضا : (قال الحسن بن صالح يقوم عليهم العاشر الخمر والخنازير اذا اتجروا فيها ويأخذ عشورها من القيمة) [273] اي يضاعف اسعار الضريبة على الخمر والخنازير.

اما بالنسبة لكب فأنه قد اختلف عن فلهاوزن وبارتولد فقد كان اكثر اعتناءا منهم بالروايات التي تتعلق بالاصلاحات المالية في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه),فضلا عن انه قدم ترجمة لجميع الفقرات التي تم ذكرها سالفا والتي تخص بنود المرسوم المالي[274].وبعد تعليقه على تلك الفقرات, ثم ناقشها مستعينا بالمصادر العربية وعلى رأسها (ابن سلام , وابن سعد) , الا انه عزز تعليقاته ببعض المراجع الاستشراقية الحديثة [275], ولم يبد اي اعتراض او نقد لاي فقرة من الفقرات السابقة .

فالبنسة لموضوع الحمى ينبه كب الى ان المقصود بها هو حمى الحيوانات المقاتلة التي اعتدي عليها واغتصبت من قبل الافراد لاسيما الحجاز لكن كب يؤكد على عدم وجود ما يشير الى استرداد الارض التي سبق اغتصابها [276] , وحجة كب في ذلك كتاب الاموال لابن سلام منبها على وجود مادة غزيرة لديه بشأن الحمى[277].وعلى الرغم من اهتمام كب بالاصلاحات هذه الا انه لم يفسرها صحيحا فالحمى لايقصد به الحيوانات المقاتلة من الابل والخيل بل المقصود به حمى الارض التي فيها نعم الفئ وخيل المجاهدين , فقد اباح عمر (رضي الله عنه) الاحماء كلها الا انه استثنى النقيع[278] .

اما بالنسبة للخمر وشرعية تناول الطلاء والنبيذ من عدمها فيضع عمر ضوابط دقيقة لذلك[279] , ويدعم كب قوله بنص لعمر اورده ابن سعد يثبت فيه بأن النبيذ (عصير التمر) [280]حلال فلعل كب خلط بين الروايات فأن عمر (رضي الله عنه) ذهب

في قوله : (الى ان كل مسكر حرام قليله وكثيره , وهو خمر حكمه حكم عصير العنب في تحريمه ووجوب الحد على شاربه)[281] .

ولقد توقف كب امام موضوع التجارة البحرية وفقا لما جاء في الفقرة (ج) فيتساءل , ليس هناك لدينا من منع سابق لعمر على تجارة البحر ويخلص الى ان الامر قد يكون متعلقا بالتجارة البحرية مع البيزنطيين ويفسر في هذا الشأن ضريبة العشر التي تفرض على التجار[282],ويشير كب الى روايتيين اوردها ابن سلام تخص هذه الفقرة ويذكر منها : (ان عمر فرض فيها العشور على اهل الذمة)[283] ،هذا مؤكد الا انه لم يخصص القدر الصحيح فقد فرض العشور على التجارة عامة وحدد لاهل الذمة نصف العشر لأمانهم , والعشر على تجارة الخمر والخنازير فقط وليس على تجارة البحر .

وفي الرواية الثانية لابن سلام يقول : (ان اول من وضع العشر في الاسلام هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه))[284], ونحن لا نجد ماهو مناقض بين الروايتين فأن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان بالفعل هو اول من وضع العشور على اهل الحرب للمعاملة بالمثل [285] وان عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) قد طبق سنة الاولين ومنهجهم المالي مع اجراء بعض التعديلات عليها والتي لاتنافي روح الاسلام وقوانينه .

اما بالنسبة لتوحيد المكاييل فقد رأى كب(ان عمر انطلق من القرآن حول تحريم التطفيف في المكاييل ولكنه لم ينجح بتوحيدها)[286],اما المكوس فأن عمر شدد على منعها وقد استند هاملتون كب في ذلك على روايتيين لابن سلام[287], الاولى:(في كتاب وجهه عمر لواليه عدي بن ارطأة وتنص على وضع المكس عن الناس)[288], وذلك لانه يدل على ما كان يطلق عليه ايام الجاهلية , هو يعد ذما للعشور المفروضة من قبل الاسلام وهذه التسمية تعني ارجاع عهد الظلم والجور, ولقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[289]**.

وفي رواية اخرى : (انه امر بهدم بيت المكس في رفح)[290], ولان ذلك ينافي ما جاء في القرآن الكريم من احكام تخص المكس , وقد كان هذا البيت الذي برفح من فلسطين لاتزال تجبى فيه اموال المكس فبعث عمر(رضي الله عنه) الى واليه هناك

بهدمه وحمله الى البحر ونسفه في اليم نسفا [291]ولقد عزز هاملتون كب ذلك بأشارة الى رواية ابن سعد حول الغاء عمر (ﷺ) لضريبة الجسور بقوله : (خلو سبل الناس في المكوس والمعابر)[292],لكي يزيل كل العوائق التي تحول بين التجار وبين تصريف بضائعهم .

اما فيما يخص الفقرة (و) فأن كب لم يبد اي تعليق عليه سوى اشارته الى كتاب طالبه الدكتور صالح العلي (التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري), لان فيه فصلا تحت عنوان (الموظفون)[293], في حين ان الدكتور عماد الدين خليل عد الغاء تجارة الامام والعمال فراسة منه مستندا في ذلك على نص لابن خلدون الذي جاء بعد عمر بثمانية قرون وبعد تجارب طويلة ودراسة واسعة اثبت بأن(التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية)[294], ونحن نرى ان اجراء عمر (ﷺ) بالغاء تجارة الامام والعمال كان راجعا الى خوفه من محاباتهم في السوق على حساب الاخرين والتلاعب بالاسعار لصالحهم مما يضر بأقتصاد الدولة وخزينتها ويحل الظلم على الناس.

اما فيما يخص ترك السخرة فأن كب يكتفي بالتعليق عليها بقوله : (ان هذا المنع موجه مباشرة الى مصر ولكن يبدو ان هذه الممارسة كانت منتشرة في مناطق عديدة [295],دون ان يسند قوله بأي مصدر, ويعلق على الرواية بقوله (ان عمر قد حررهم من القسوة التي تفرض عليهم كالخدمة بالارض)[296] الا ان عمر (ﷺ) قد الغى السخرة وذلك للحد من سطوة العمال ونفوذهم على الناس واستعبادهم لتحقيق منفعة شخصية لهم .

وقد علق الدكتور عماد الدين خليل على ذلك بقوله:(ان السخرة ظلم اجتماعي سافر وطريق للموظفين لاستغلال كدح ابناء الامة لحسابهم الخاص وان عمر قد الغاها)[297].

الخاتمة

بسم الله بدأنا ،وبحمد الله نختتم هذا البحث، عن شخصية تعد من الشخصيات المهمة والشامخة في تاريخ الأمة الإسلامية ، فهو مجدد المائة الأولى ، وسادس الخلفاء الراشدين (ﷺ)،بعد الخليفة الحسن بن علي (ﷺ)، وهو احد أئمة العدل الذين قيل فيهم الكثير من عبارات الثناء والمديح ، ومن ذلك جاءت دراسة هذا البحث فيما يخص عدله في توزيع العطاء وفي توجيه السياسة المالية نحو خطاها الصحيح ،فكانت أعماله هذه أعمالاً أضاءت وجه التاريخ، ليس على صعيد واحد بل على مختلف الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها.

فقد تناولنا في هذا البحث اراء المستشرقين في السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز (ﷺ)،ليتسنى لنا من خلاله الاقتداء ولتأسي بسيرة هذا الخليفة العادل ولتكون سيرته عبرة لنا وللأجيال على مر الأيام، وليتسنى لنا من خلاله ايضاً الرد على المستشرقين المغرضين الذين يريدون النيل من الاسلام ورموزه العظيمة المتمثلة بشخص الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ).

فنسأل الله جل شأنه ان يحقق لنا وللأمة الإسلامية لما تصبو أليه ، وان يمنحها الله العزة والمنعة للرد على افتراءات المفترون على الإسلام.

وأخيراً نحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

الهوامش

(1) انظر،الفسوي،المعرفة،(587/1)،بحشل ،تاريخ واسط،ص205-225،ابو نعيم،الحلية،(293/5)،ابن الجوزي،سيرة،ص94،ابن حجر, التهذيب،(420/7).
(2) ابن كثير ،البداية والنهاية،(208/9).
(3) مقدمة في التاريخ الاقتصادي ،ص340 .
(4) الدولة العربية الكبرى،صدر الإسلام والخلافة الأموية ،دار القلم العربي للنشر والتوزيع،حلب،1973م، ص354-355 .
(5) عبد اللطيف ،عبد الشافي محمد ،العالم الإسلامي في العصر الأموي، (بيروت-لبنان)،(1413هـ/1992م)،ص179 .
(6) شعبان، محمد عبد الحي ،الثورة العباسية،ترجمة:عبد الحميد حسيب القيسي، بلام، دار الدراسات الخليجية،1977، ص154، ينظر, الجبوري،يوسف فندي احمد -عمر بن عبد العزيز في دراسات المستشرقين (فلهاوزن، بارتولد، هاملتون كب)، رسالة ماجستير (غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب، (1431هـ/2010)، ص84 .
(7) شعبان، محمد عبد الحي،صدر الإسلام والدولة الأموية ،بيروت،الجمعية الأهلية، 1983م، ص152.
(8) الخراج،ص236 .
(9) Wellhausen;((the Arab king dom))pp, 270-236
نقلاً عن الريس،الخراج،ص236 .
(10) الخراج،236 .
(11) ملامح الانقلاب،ص144-145.
(12) ملامح الانقلاب،ص146-147.

(13) عمر بن عبد العزيز ،ط2،(بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1979م)، ص113.
(14) عمر بن عبد العزيز، ص113-114.
(15) العلي ،صالح احمد،عمر بن عبد العزيز ،بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع،2000م)،ص16.
(16) الريس ،الخراج،ص235هامش رقم 5،ينظر: حسن ،حسن إبراهيم،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،دار الأندلس،بيروت،ط7، 1964م،(477/1)
(17) حسن ، تاريخ الإسلام ،(477/1), ينظر ، الريس ، الخراج، ص235هامش رقم 5.
(18) الحضارة الأموية في دمشق،ط1،بيروت،1948م،ص250-253 .
(19) أبو النصر،عمر،الحضارة الأموية،ص250.
(20) أبو النصر،عمر،الحضارة الأموية،ص250-251.
(21) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية،ص296 .
(22) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية،ص300.
(23) فلهاوزن،تاريخ الدولة العربية، 263.
(24) فلهاوزن،تاريخ الدولة العربية، 294-296.
(25) فلهاوزن،تاريخ الدولة العربية، 296-297.
(26) تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص150-151.
(27) بارتولد ،فاسيليف، تركستان حتى الغزو المغولي، نقله عن الروسية ، صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت،المجلس الوطني للثقافة والفنون،1981)، ص307.

(28) H.A.R.,((the Fiscal Rescripts of Uma rII)), (Arabica, 1955),vol I,P.1.

(29) R.A. Nicholson: Aliterary History of the Arabs, Loudon, Laoz.P. 205

(30) ستشيجفسكا، يوجينا غيانة،تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، منشورات المكتب التجاري، بيروت،ط1، 1966م، ص123.

(31) دوزي: ر.ب.أ: نظرات في تاريخ الإسلام ،ترجمة كامل كيلاني،مطبعة الحلبي،1352هـ/1933م،ص402، ينظر, اليوزبكي،توفيق سلطان،دراسات في النظم العربية الإسلامية ،مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل،1399هـ/1979م،ص234.

(32) توماس ارنولد(1864-1930)،مستشرق بريطاني ولد في ديفونيورت قرب لندن ودرس في جامعة كمبردج وسافر إلى الهند وشغل منصب أستاذ الفلسفة في جامعة عليكرة.

(33) ارنولد ،توماس،الدعوة إلى الإسلام،ترجمة إلى العربية وعلق عليه،حسن إبراهيم حسن وآخرون،ط3،(القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والنشر،19700،ص102.

(34) ارنولد الدعوة إلى الإسلام،ص103.

(35) قصة الحضارة،ترجمة محمد بدران،بيروت،دار الجيل، 1988، (84/13).

(36) فون كريمر(Alfredvoh Krewer)(1828م/1889):- مستشرق نمساوي، ولد في فينا وتخرج من جامعتها،وأصبح قنصلاً في مصر، ثم في بيروت،آثاره (تاريخ الحضارة في المشرق تحت حكم الخلفاء)؛ العقيقي نجيب،المستشرقون، ط3، (القاهرة ، دار المعارف،1965)، (631/2)، وانظر كريمر،تاريخ حضارة المشرق،(174/1).

(37) أوجست موللر(A0Muller):(1848-1892)،وهو مستشرق الماني وابن الشاعر الألماني الكبير موللر،ولد في ديساو،تخرج من ليبزج،درس العربية في

جامعة فينا وتسمى،امرئ ألقيس بن الطحان،أثاره(امرؤ ألقيس)و(الإسلام في الشرق والغرب)؛العقيقي المستشرقون،(712/2)،وانظر موللر ،تاريخ الإسلام في الشرق والغرب،(439/1).

(38) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية،هامش رقم 1،ص263-264.

(39) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية،ص264.

(40) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية،ص296.

(41) ينظر ،خليل ملامح الانقلاب الإسلامي ،ص140-150.

(42) رنيهارت دوزي(1820-1883)،مستشرق فرنسي ولد في مدينة ليدن،تعلم مبادئ العربية في المنزل لأن أسرته كانت مولعة بالاستشراق ،ودرس في جامعة ليدن،وآثاره،(تاريخ بني زيان ملوك تلمسان)و(معجم أسماء ملابس العرب)،العقيقي،المستشرقون،(568/2).

(43) رينهارت دوزي،تاريخ مسلمي اسبانيا ،ترجمة ،حسن حبشي،القاهرة ،دار المعارف،1963م)(138/1).

(44) السيادة العربية،ص58-59.

(45) فلوتن ،السيادة العربية،ص72.

(46) شاهين،السياسة الداخلية،ص189.

(47) فلوتن ،السيادة العربية،ص59-60.

(48) شاهين،السياسة الداخلية،ص189.

(49) شاهين،السياسة الداخلية،ص189.

(50) شاهين،السياسة الداخلية،ص189.

(51) مسكويه ،احمد بن محمد ,تجارب الأمم،مصر،1333هـ/1915م،(97/2).

(52) ابـن سـلام،الأموال،ص290،ابـن زنجويـه،الأموال،(511/2)، البلاذري،فتـوح ، ص444.

(53) البلاذري،فتوح ،ص445.

(54) ردد ذلـك عمـر أبـو النصـر فـي كتابـه (الحضـارة الأمويـة فـي دمشـق)،ط1، بيروت،1948م،ص250-253.

(55) شاهين،السياسة الداخلية،ص190.

(56) توماس ،ارنولد،الدعوة إلى الإسلام،ص103.

(57) الدولة العربية ،ص260.

(58) Barthold, V0V0, (Caliph Umar II the conflicting Reportshis0 Personality), IQ,1971), VoI0 15 p.p 74,80, 93, .

(59) الطبقات،(302/5-303).

(60) الدولة العربية ،ص260.

(61) Caliph Umar II, P,89.

(62) الأغاني،(294/9).

(63) Caliph Umar II, P94.

(64) Caliph Umar II, P,93.

(65) فتوح،ص519 ،تاريخ ،(567/6-568).

(66) فلوتن،السيادة العربية ،ص23-240 .

(67) يوسف فندي،عمر بن عبد العزيز في دراسات المستشرقين ،ص95 .

(68) أهـل الصـغد: هـم قـوم يسـكنون بعـض بـلاد مـاوراء النهروالصـغد تضـم اكبـر مـدينتين اسـتوطنهما العـرب وهمـا بخـارى وسـمرقند,ياقوت الحمـوي,معجم البلدان,(307/5).

(69) الطبري،تاريخ ،(472/7).

(70) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص282.

(71) الدوري،مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص33- 34 .

(72) ابـن عبـد الحكم،سيرة،ص67،ابـن سـلام،الأموال،ص320،ابـن زنجويـه،الأموال (565/2-566).

(73) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص291-292.

(74) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص292.

(75) انظر ،الريس،الخراج،ص222 .

(76) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص289.

(77) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص289.

(78) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص291، نقلاً عن يوسف ،ص93.

(79) فلهاوزن،الدولة العربية ،ص291.

(80) البلاذري،فتوح ،ص149.

(81) Caliph UmarII, P, 91.وآيلة:هي مدينـة بين الفسطاط ومكة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام, وأهلها كانوا يهودا حرم الله تعالى عليهم يوم السبت صيد السمك,ياقوت الحموي, معجم البلدان,(292/1).

(82) Caliph UmarII, P, 91.

(83) Caliph UmarII, P, 91.

(84) Caliph UmarII, P, 83.

(85) Caliph UmarII, P 83 .

(86) نظرات في تاريخ الإسلام،ص402-403،ينظر اليوزبكي توفيق سلطان،تاريخ أهـل الذمــة فــي العــراق (12-247هــ)،ط1،الريــاض دار العلــوم،1989م، ص139-144.

(87) الدعوة إلى الإسلام ،ص446 .

(88) أهل الذمة في الإسلام ،ترجمة وتعليق حسن حبشي،مط،دار المعارف،مصر ، ط2، (1387هـ/1967م)،ص276.

(89) ابن عبد الحكم ،سيرة ،ص166،ابن عبد ربه،العقد الفريد،(183/5)،ابن الجوزي سيرة،ص119،ابن كثير،البداية والنهاية ،(216/9).

(90) الزنار :هو ما يلبسه الذمي ،ويشده على وسطه، ابن منظور ،لسان العرب،(330/4).

(91) الطيلسان:-هو نوع من الأكسية ،ابن منظور،لسان العرب ،(125/6).

(92) الحزمة :هو ما حزم به أي شد وسطه بحبل، ابن منظور،لسان العرب ،(131/12).

(93) الابشيهي:شهاب الدين محمد بن احمد،المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، دار إحياء التراث العربي،د.ت(248/1).

(94) شاهين , السياسة الداخلية , ص216.

(95) العقيدة والشريعة في الإسلام , ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ,القاهرة , 1946م, ص38

(96) انظر , مرعي النظم المالية والاقتصادي في الدولة الإسلامية،دار الثقافة،الدوحة،ط1،1481هـ/1987م،ص201.

(97) تاريخ العرب، (302/1)،(423/2).

(98) ترتون, أهل الذمة والإسلام, ص127.

(99) سيرة, ص166.

(100) الخراج , ص127.

(101) أهل الذمة في الإسلام,ص127.

(102) ابن قدامة , المغني,(46/3), ابن عبد الحكم, سيرة, ص 53,الريس , الخراج , ص390.

(103) ابن سلام , الأموال , ص121 .

(104) ابن سلام , الأموال , ص 114.

(105) الريس , الخراج , ص239.

(106) فلهاوزن,الدولة العربية, ص 276 -280.

(107) ابن عساكر, تاريخ دمشق , (139/2-142).

(108) الدولة العربية, ص281.

(109) الدولة العربية, ص294.

(110) الدولة العربية,ص294.

(111) Caliph Umar II , p 87.

(112) Caliph Umar II , p 87.

(113) شاهين , السياسة الداخلية , ص188.

(114) الريس , الخراج , ص 245.

(115) ابن منظور , مختصر تاريخ دمشق , (242/1) , ابن قدامة , المغني , (587/2) , فلهاوزن , الدولة العربية , ص 279.

(116) Caliph Umar II , p 88.

(117) Caliph Umar II , p 87.

(118) ابن سعد ،الطبقات،(292/5) Caliph Umar II , p 88.

(119) البلاذري،فتوح البلدان،ص452 Caliph Umar II , p 88 .

(120) Caliph Umar II , p 88

(122) ابن سعد , الطبقات,(376/5),ابن سلام , الأموال,ص 121,122,ابن زنجويه,الأموال(1 / 268), ابن منظور , مختصر تاريخ دمشق , (1/ 235)

(123) ابن منظور , مختصر تاريخ دمشق,(241/1),ابن قدامة , المغني,(587/2),فلهاوزن , الدولة العربية , ص 271 .

(124) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص 102.

(125) ابن سلام ,الأموال, ص369,ابن ادم ,الخراج ,ص92,أبو نعيم ,حلية الأولياء ,(274/5).

(126) ابـن ادم ,الخــراج , ص92 ,ابـن سـلام , الأمــوال,ص361,362,ابـن زنجويه,الأموال,(634/2).

(127) ابن سعد ,الطبقات ,(5/ 376).

(128) ابن ادم , الخراج ,ص62-63 ,ابن زنجويه , الأموال , (2/ 634).

(129) ابــن ادم,الخــراج,ص165,ينظــر ابــن ســلام,الأموال,ص114,ابــن زنجويه,(260/1), قدامة, الخراج, ص207 – 208.

(130) الفسوي , المعرفة والتاريخ , (570/1) , ابـن الجـوزي , سـيرة , ص131 , 132.

(131) ابـن عبـد الحكـم , سـيرة , ص45, 46 , الفسـوي , المعرفـة والتـاريخ , (1/ 570) , ابن الجوزي , سيرة , ص132 , الأصفهاني , الأغاني , (3/ 33)

(132) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص102.

(133) ابن عبد الحكم, سيرة, ص 99 .

(134) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99 .

(135) Cibb, H.A.R , (The fiscal Rescripts of Umar II) , (Arabica, 1955),VoI. p7.

(136) The Fiscal , p014 ,.

(137) The Fiscal , p015 ,.

(138) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص103.

(139) The Fiscal , p. 10 -11 .

(140) ابن عبد الحكم ,سيرة,ص152 , The Fiscal , p10 , 11 .

(141) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص104.

(142) فلهاوزن,الدولة العربية, ص266-270.

(143) فلهاوزن,الدولة العربية , ص274– 275.

(144) فلهاوزن,الدولة العربية,ص266–270.

(145) الدولة العربية ,ص 271.

(146) فلهاوزن, الدولة العربية ,ص 271.

(147) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص 105.

(148) البلاذري , فتوح البلدان , ص71 , ابن قدامة , المغني , (575/10)

(149) انظر مناقشة المترجم للكتاب في الهامش,فلهاوزن,الدولة العربية,ص267 ,268, الجبوري,عمر بن عبد العزيز,ص90.

(150) ملامح الانقلاب , ص 147.

(151) الخراج , ص 62.

(152) فلهاوزن, الدولة العربية,ص 282.

(153) Caliph Umar II , p0 88

(154) ابـن ادم , الخـراج ,ص 165, وابـن زنجويـه ,الأمـوال,(260/1) , قدامـة ,الخراج ,ص 207, 208.

(155) Caliph Umar II , p. 88.

(156) Caliph Umar II , p. 87.

(157) الخراج , ص 24 , The Fiscal ,p 0 15 0.

(158) البلاذري , فتوح البلدان , 452 , The Fiscal ,p 15 .

(159) The Fiscal ,p 15.

(160) The Fiscal ,p 15.

(161) البلاذري , فتوح البلدان , ص 361.

(162) The Fiscal ,p 15.

(163) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99 -100.

(164) ابن عبد ربه , العقد الفريد , (263/2)

(165) الراوي , العراق في العصر الأموي , ص 129

(166) The Fiscal , p. 16 .

(167) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص 106.

(168) الطبري,تاريخ,(559/6).

(169) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص 107.

(170) الدولة العربية,ص295.

(171) Caliph Umar II,p.87.
(172) The Fiscal , p ,15 .
(173) The Fiscal , p ,15 .

(174) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99.

(175) The Fiscal , p.14
(176) The Fiscal , p.14
(177) The Fiscal , p.14
(178) The Fiscal , p.14
(179) The Fiscal , p.14
(180) The Fiscal , p.14

(181) الجزية و الإسلام , ص30 –31 وما بعدها.

(182) السيادة العربية , ص59 .

(183) ابن عبد الحكم, سيرة, ص71, The Fiscal,P.11.

(184) The Fiscal,P.11.
(185) The Fiscal,P.11.
(186) The Fiscal,P.11.
(187) The Fiscal,P.11.

(188) الطبقات , (5/ 296).

(189) الأموال , ص634.

(190) الأموال , ص 631.

(191) راجع الفصل الثالث من رسالتنا السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز وأثارها الاقتصادية والاجتماعية فقرة العشور.

(192) أبو يوسف , الخراج , ص 145 , راجع الفصل الثالث من رسالتنا فقرة العشور

(193) سورة التوبة , الآية 58.

(194) سورة التوبة , الآية 61 .

(195) سيرة , ص95 –96.

(196) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 98 .

(197) The Fiscal ,p0p 6- 70

(198) الأموال , ص 644.

(199) The Fiscal, p, 1.

(200) ابن عبد الحكم , سيرة ,ص25.

(201) الصلابي ،عمر بن عبد العزيز، ص237.

(202) ابن سلام ،الأموال،ص344.

(203) سورة الحشر , الآية 7.

(204) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 96 – 97.

(205) Caliph Umar II , p 88

(206) حسن إبراهيم ،تاريخ الإسلام،(320/1).

(207) The Fiscal, p.4-5
(208) The Fiscal, p 10.

(209) سورة التوبة , الآية , 60.

(210)The Fiscal, p . 10.

(211) سورة الأنفال , الآية 41.

(212) ابن سلام,الأموال,ص415.

(213) The Fiscal, p , 10.

(214) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , (569/6).

(215) الخراج , ص 93 .

(216) الأموال , ص 122.

(217) تاريخ الرسل والملوك , (569/6).

(218) ابن سلام , ذكر(سنن خبيثة) ؛الطبري (سنة خبيثة سنها).

(219) ابن سلام , (وان أقوم الدين).

(220) ابن سلام , (يكون).

(221) ابن سلام , (أن).

(222) ابن سلام , (طاعة).

(223) ابن سلام , (وإمرتك إن تطرز عليهم أرضا وهي ليست في الطبري, إما أبو يوسف فلم يشر إلى تلك المقدمة نهائيا وابتدأ الكتاب بعبارة (إن انظر الأرض).

(224) أبو يوسف:(وانظر الخراب فأن أطاق شيئاً شيئا فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر), ابن سلام :(ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق).

(225) أبو يوسف:(ولا تأخذ من عامر لايحتمل شيئا , وما أخذت من العامر من الخراج فخذه في رفق وتسكن لأهل الأرض), ابن سلام:(ولا من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض).

(226) أبو يوسف:(وأمرك إن لاتأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها بتر),ابن سلام :(ولا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أس) , والطبري (ولا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس بها ايين).

(227) أبو يوسف ،والطبري:(ولا أجور الضرابين ولا إذابة الفضة)،وابن سلام: (ولا أجور الضرابين).

(228) أبو يوسف , ابن سلام , الطبري :(لا هدية النيروز والمهرجان) .

المستشرقون والسياسية المالية
للخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)
مجلة آداب الفراهيدي
أ. د. طلب صبار محل
م. م. هبة صفاء حسن
العـدد (10) آذار 2012

(229) ابن سلام : (ولا ثمن الصحف).

(230) أبو يوسف ,ابن سلام , الطبري: (لا أجور البيوت).

(231) أبو يوسف: (على).

(232) أبو يوسف, ابن سلام, الطبري: (ولا خراج على من اسلم من أهل الأرض).

(233) ابن سلام ,الطبري:(ولا تعمل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه), وللمزيد عن الضرائب الإضافية عن إلغاء عمر الضرائب الإضافية انظر, غيداء ألكاتبي , الخراج , ص 168 –180.

(234) فلهاوزن,الدولة العربية , ص 292–293.

(235) Caliph Umar II , p. 86.
(236) Caliph Umar II , p. 86.
(237) Caliph Umar II , p. 86.
(238) The Fiscal , p15.
(239) The Fiscal , p 15.
(240) The Fiscal , p15.

(241) السيادة العربية , ص 28.

(242) الطبقات , (392/5).

(243) انساب الإشراف , (527/8).

(244) يوسف , عمر بن عبد العزيز , ص114.

(245) صالح العلي , عمر بن عبد العزيز , ص 142–144.

(246) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 95.

(247) انظر ابن سعد , الطبقات , (266/5–269) ,(282/5–294) وما بعدها.

(248) البلاذري , فتوح البلدان , ص 524.

(249) تاريخ , (214/2).

(250) تاريخ, (559/6).

(251) تاريخ, (469/6) .

(252) أبي عمر محمد بن يوسف,الولاة والقضاة , تحقيق :رفن كست, بيروت, مطبعة الإباء اليسوعيين , 1908م, ص 68.

(253) فلهاوزن , الدولة العربية , ص 284، 305.

(254) فلهاوزن , الدولة العربية , ص 288، 289.

(255) Caliph Umar II , .p83-90.

(256) Caliph Umar II , p.p 840.

(257) تاريخ, (178/8).

(258) عمر بن عبد العزيز, ص116.

(259) الطبقات , (306/5).

(260) الطبقات , (390/5).

(261) Caliph Umar II ,p . 86.

(262) Caliph Umar II ,p . 86.

(263) Caliph Umar II ,p . 86.

(264) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 97.

(265) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 97.

(266) سورة الجاثية, الآية 12..

(267) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99.

(268) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99.

(269) سورة هود , الآية 85.

(270) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99.

(271) ابن عبد الحكم , سيرة , ص 99.

(272) الولاة والقضاة ،ص68.

(273) Caliph Umar II ,p p 92.

(274) Caliph Umar II ,p p 92.

(275) الخراج ،ص49.

(276) The Fiscal , p. p1-7.

(277) The Fiscal , p. p 11,12,14,15,.

(278) The Fiscal , p. p 1-10

(279) ابن سلام , الأموال , ص 386، 393 , The Fiscal , p. p 1-10.

(280) النقيع :وهو من أودية الحجاز .وحمى النقيع على عشرين فرسخا من المدينة.والنقيع موضع قرب المدينة كان لرسول صلى الله عليه وسلم حماه لخيله وله هناك مسجد يقال له مقمل وهو من ديار مزينة, وهو غير نقيع الخضمات,ياقوت الحموي,معجم البلدان,(301/5).

(281) The Fiscal , p. p 1-10

(282) الطبقات,(292/5) , The Fiscal , p 11

(283) ابن قدامة , المغني,(323/10)

(284) The Fiscal , p. p 11

(285) الأموال, ص 639 , The Fiscal, p 11.,

(286) الأموال , ص 640 , The Fiscal, p 11.

(287) انظر الفصل الثالث من رسالتنا , الفقرة الخاصة بالعشور

(288) The Fiscal, p 11.

(289) The Fiscal, p. 14

(290) ابن سلام ،الأموال ،ص632، The Fiscal, p 14 .

(291) سورة الشعراء , الآية،183.

(292) ابن سلام , الأموال, ص 632 , وابن الجوزي , سيرة , ص113 , The Fiscal, p 14

(293) ابن الجوزي , سيرة , ص 113 .

(294) الطبقات , (294/5).

(295) العلي, التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية, ص 191 – 205 , The Fiscal, p 14.,

(296) ملامح الانقلاب , ص 121 .

(297) The Fiscal , p. 140 ,.

(298) The Fiscal , p. 160,.

(299) ملامح الانقلاب , ص 122.

ثبت المصادر والمراجع:

- ❖ القرآن الكريم.

الابشيهي:شهاب الدين محمد بن احمد

1. المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت ،دار أحياء التراث العربي،د.ت.

الأصفهاني ـ ابو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ /967م)

2. الاغاني: شرح عبد علي مهنا, دار الكتب العلمية , بيروت, ط1, د.ت

الاصفهاني ـ ابو نعيم احمد بن عبد الله (430هـ /1038م)

3. حلية الاولياء وطبقات الاصفياء،مطبعة السعادة , مصر , ط1, 1354هـ -1935م

بحشل ـ اسلم بن سهل الواسطي المعروف بأبن بحشل (ت292هـ)

4. تاريخ واسط،تحقيق: كوركيس عواد, مطبعة المعارف , بغداد,1967م

البلاذري ـ احمد بن يحي بن جابر(ت279هـ/892م)

5. انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي, دار الفكر , بيروت,لبنان, ط1 ,1417هـ /1996م
6. فتوح البلدان:تحقيق: صلاح الدين المنجد, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة 1956م

ابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن القرشي البغدادي (ت597هـ/1200م)

7. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، تحقيق: محب الدين الخطيب, مط. المؤيد, مصر,1331هـ/1912م

ابن حجرــ شهاب الدين ابو الفضل محمد بن علي العسقلاني(ت852هـ/1448م)

8. تقريب التهذيب: طبع في مطبعة العز والمنشئ ولكشور في الكنوء, الهند, د.ت

ابن زنجويه : ابو احمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبدالله الخراساني ،الازدي،(ت251هـ)

9. الأموال، تحقيق: شاكر ديب فياض, منشورات مركز الملك فيصل(1406هـ/1986م).

ابن سعد ـ محمد ابن منيع كاتب الواقدي (ت230هـ/844م)

10. الطبقات الكبرى، مطبعة بريل, ليدن, 1322هـ/1904م

ابن سلام:الامام العظيم الحافظ الحجة ابي عبيدة القاسم بن سلام.

11. الاموال ،شرح عبد الامير علي مهنا ،دار الحداثة ،بيروت،لبنان،ط1،(1408هـ/1988م)

الطبري ـ ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)

12. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم, مطبعة دار المعارف, مصر,ط2,(1391هـ/1971م)

ابن عبد الحكم ـ ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت214هـ/829م)

13. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن انس واصحابه نسخها وصححها وعلق عليها احمد عبيد, مط. دار العلم للملايين, بيروت, ط5,(1387هـ/1967م)

ابن عبد ربه ـ ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت328هـ/939م)

14. العقد الفريد، مط. دار صادر , بيروت,د.ت

ابن عساكر ـ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت571هـ/1175م)

15. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها تحقيق صلاح الين المنجد, مطبوعات المجمع العلمي العربي, دمشق, د.ت

الفسوي ـ ابو يوسف يعقوب بن سفيان (ت227هـ/841م)

16. المعرفة والتاريخ:تحقيق: اكرم ضياء العمري ,مطبعة الارشاد , بغداد, 1396هـ/1976م

قدامة بن جعفر- ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت320هـ/932م)

17. الخراج وصناعة الكتابة شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي, مط. دار الحرية, بغداد, (1402هـ/1981م)

ابن قدامة:الشيخ الامام موفق الدين ابي محمد عبد الله بن احمد بن قدامة (ت620هـ) على مختصر الامام ابي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن احمد الخرقي (ت334هـ)

18. المغني: دار الفكر, بيروت, لبنان, ط1,(1404هـ/1984م)

ابن كثير: الحافظ الامام المؤرخ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ/1372م)

19. البداية والنهاية: تحقيق:احمد ابو ملحم ,علي نجيب عطيوي, فؤاد السيد,علي عبد الساتر, مهدي ناصر الدين, مط. دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, (1407هـ/1987م)

الكندي:ابو عمر محمد بن يوسف (350هـ/961م)

20. كتاب الولاة وكتاب القضاة، صححه رفن كست،مط ،الاباء اليسوعيين، بيروت(1326هـ/1908م)

مسكويه:احمد بن محمد (ت421هـ/1030م)

21. تجارب الامم :مصر 1332هـ/1915م).

ابن منظور - ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م)

22. لسان العرب مط. دار بيروت للطباعة والنشر, بيروت,(1375هـ/ 1956م)

23. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق: روحية النحاس, ورياض عبد الحميد مراد, ومحمد مطيع الحافظ, دار الفكر, دمشق, ط1,(1404هـ/1984م)

ياقوت الحموي - شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت626هـ/1228م)

24. معجم البلدان: مط. دار بيروت للطباعة والنشر, بيروت,(1376هـ/1957م)

ابو يوسف - القاضي يعقوب بن ابراهيم (ت182هـ/798م)

25. الخراج: مط. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع, تونس, ط1, (1405هـ/ 1984م)

المراجع العربية

برو، توفيق

26. الدولة العربية الكبرى(صدر الاسلام والخلافة الاموية) دار القلم العربي للنشر والتوزيع, حلب,(1384هـ/1973م)

حسن ابراهيم حسن

27. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مط. مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ط7,(1384هـ/1964م)

خليل,عماد الدين

28. ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز مط.الدار العلمية, بيروت, ط2, (1391هـ/1971م)

الدوري, عبد العزيز عبد الكريم

29. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مط. دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, ط1,(1389هـ/1969م)

الراوي, ثابت اسماعيل

30. العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، مط. الارشاد, بغداد, ط1,(1385هـ/1965م)

الريس, محمد ضياء الدين

31. الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، مط. نهضة مصر, القاهرة, ط1,(1377هـ/1957م)
32. شعبان, محمد عبد الحي
الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي, دار الدراسات الخليجية (1398هـ/1977م).
33. صدر الاسلام والدولة الاموية ،بيروت ،الجمعية الاهلية،1983م.
العقيقي, نجيب
34. المستشرقون، دار المعارف, القاهرة, ط3, 1965م
العلي, صالح احمد
35. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري،ط. دار الطليعة, بيروت, ط2,(1389هـ/1969م)
الكاتبي, غيداء خزنة
36. الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري, (الممارسات والنظرية) مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ط1,(1414هـ/1994م)
محمد عمارة
37. عمر بن عبد العزيز،المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ط2,(1399هـ/1979م)
محمد , مرعي محمد
38. النظم المالية والاقتصادية في الدولة الاسلامية، دار الثقافة, الدوحة, ط1, (1408هـ/1987م)
39. ابو النصر ،عمر
40. الحضارة الاموية في دمشق،بيروت ،ط1، 1948م
41. اليوزبكي, توفيق سلطان
42. دراسات في النظم الاسلامية،مط. وزارة التعليم العالي

والبحث العلمي, جامعة الموصل (1399هـ/1979م)
43. تاريخ اهل الذمة: دار العلوم للطباعة والنشر, الرياض, ط1, 1983م

المراجع المعربة

ارنولد ، توماس

44. الدعوة الى الاسلام مط. لجنة البيان العربي, ترجمة حسن ابراهيم حسن, وعبد المجيد عابدين, واسماعيل الفخراوي, ط2,(1377هـ/1957م).
بارتولد،فاسيبليف
45. تركستان حتى الغزو المغولي ،نقله عن الروسية ،صلاح الدين عثمان هاشم ،ط1، الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون ،1981.

بروكلمان،كارل

46. تاريخ الشعوب الاسلامية،ترجمة نبيه امين فارس, منير بعلبكي, مط. دار العلم للملايين, بيروت, 1380هـ/1960م

ترتون، ا.س

47. اهل الذمة في الاسلام، ترجمة وتعليق, حسن حبشي, مط.دار المعارف, مصر,ط2 ,(1387هـ/1967م)

جولد تسيهر، اجناس

48. العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة محمد يوسف, وعلي حسين عبد القادر, وعبد العزيز عبد الحق, القاهرة, 1964م

دوزي، رينهارت

49. نظرات في تاريخ الاسلام، ترجمة كامل الكيلاني,

مط.الحلبي,(1352هـ/1933م)

50. تاريخ مسلمي اسبانيا،ترجمة حسن حبشي, القاهرة, دار المعارف, 1964م

ديورانت، ول

51. قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران, دار الجيل, بيروت, 1988م

دينيت، دانيال

52. الجزية والاسلام، ترجمة فوزي فهيم جاد الله، مط. فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر, بيروت,(1380هـ/1960م)

ستيجيفسكا، يوجينا غيانة

53. تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، منشورات المكتب التجاري, بيروت, ط1, 1966م

فالترهنتس

54. المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري،ترجمه من الالمانية ،كامل العسلي ،منشورات الجامعة الاردنية ،عمان ،1970

فلوتن، فان

55. السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني امية: ترجمة حسن ابراهيم حسن, ومحمد زكي ابراهيم, مط. السنة المحمدية, القاهرة, ط2,(1385هـ/ 1965م)

فيليب حتي، واخرون

56. تاريخ العرب ، دار الكشافة, 1949م،الجزء الاول، والجزء الثاني طبع سنة 1951م

ولهاوزن، يوليوس

57. تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة

الاموية ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة, مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة,(1378هـ/1958م)

الرسائل الجامعية

الجبوري، يوسف فندي احمد

58. عمر بن عبد العزيز في دراسات المستشرقين ,(فلهاوزن, بارتولد, هاملتون كب)رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الموصل, كلية الاداب,(1431هـ/2010م)

شاهين, رياض مصطفى احمد

59. السياسة الداخلية لعمر بن عبد العزيز،رسالة ماجستير غير منشورة,عمان, الاردن, (1410هـ/1990م)

المراجع الأجنبية

Barthold ,V.V.

60. "Caliph Umar II the Conflicting Reports his personality" , (IQ1971), Vol.15.

Gibb, H.A.R

61. The fiscal Rescripts of UmarII" ,(Arabica, 1955), Vol. I"

Niclson, R.A.

62. Literary history of the Arabs, (Cambridge, Cambridge University press,1930).

Wellhausen ,J.

63. The Arab Kingdom and its fall, translated by M.G. weir, (Calcutta, 1927)

دور اللحظة المناسبة
في التقاط الصورة الناجحة

أ. م. د. ضـــــياء أنـــــور حـــــبش
جــامعـــة تكــريت/ كلية الآداب/ قسم الأعلام

ملخص البحث

التصوير الضوئي فن من الفنون الجميلة تضاف إليه الخبرة الشخصية والرغبة والموهبة في ممارسة هذا الفن ، جميع ما تقدم تتساعد على أنتاج صورة جميلة باختلاف أنواع آلات التصوير القديمة والجديدة وحسب تسلسل تطورها ، وهناك الكثير من الصور التي لا تُثير الانتباه وما يثير المتلقي للمشاهدة هي اللحظة المناسبة لالتقاط الصورة .

وأن هدف البحث هو الوصول إلى الكشف عن هذه اللحظة المناسبة في التقاط الصورة . وبني البحث على ثلاث فصول : الأول الإطار المنهجي , والثاني : الإطار النظري أو الدراسات المجاورة , والثالث: إجراءات البحث ثم النتائج والاستنتاجات والتوصية والمقترح وختم البحث بالمصادر .

الفصل الأول
الإطار المنهجي

مشكله البحث والحاجة إليه :

التصوير الضوئي أو الفوتوغرافي فن من الفنون الجميلة تضاف إليه الخبرة الشخصية والرغبة والموهبة في ممارسة هذا الفن ,فالجميع تتساعد على أنتاج صورة جميلة باختلاف أنواع آلات التصوير القديمة والحديثة وحسب تسلسل تطورها . وهناك الكثير من الصور ولكن ليس الجميع تثير الانتباه وما يثير منها الانتباه هي التي تتميز بلحظة مناسبة لالتقاطها. ومشكلة البحث في السؤال التالي : ما هو دور اللحظة المناسبة لالتقاط الصورة الناجحة ؟ والحاجة قائمة لهذا البحث من خلال الكشف عن دور اللحظة المناسبة في التقاط الصورة الناجحة .

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في الكشف عن دور اللحظة المناسبة لالتقاط الصورة الناجحة , ويهم العاملين في مجال التصوير .

هدف البحث

الكشف عن دور اللحظة المناسبة في التقاط الصورة الناجحة .

حدود البحث

الزمانية : الصورة الفائزة لعام 2009 .

المكانية : المشاركين من جميع أنحاء العالم .

الموضوعية : البحث عن اللحظة المناسبة لالتقاط الصورة.

الفصل الثاني

الإطار النظري

م1 : تاريخ التصوير الضوئي :

لم يكن التصوير الضوئي في يوما من الأيام ومنذ اختراعه هواية جذابة للملايين مثلما ما هو الآن ، وذلك بعد نجاح العلماء في تخطي الحاجز الأسود والأبيض وتقديم معجزاتهم ، الفلم والورق الحساس الملون , هؤلاء العلماء سطرهم التاريخ كرواد في تطوير التصوير وإثراء العالم بالكاميرات مختلفة الاستخدام . والكامرة أو آلة التصوير في نظر عشاقها القيثارة التي يعزف أوتارها نغمات متباينة في الضوء والظل واللون.

عرف التصوير الضوئي للمرة الأولى في القرن الرابع قبل الميلاد وتحديدا في عهد أرسطو ، وقد عرف باسم الغرف المظلمة ، وقد ابتدأت المرحلة الأول الكبرى لتاريخ التصوير مع استعمال الغرف المظلمة من قبل الفنانين الإيطاليين في القرن السادس عشر ، فقد لاحظ (ليونارد دافنشي) في عام 1490 إمكانيات الغرف المظلمة أثناء مراقبته المشاهد المضيئة للأشياء الخارجية التي ترسم داخل الغرف المظلمة والتي تتكون بفعل أشعة الشمس التي تمر عبر ثقب في جدار الغرفة (أنظر : 1 – ص12) .

والتصوير الضوئي ليس وليد حدث واحد ، بل إنه نتيجة لمجموعة من الخطوات الصغيرة التي شجع عليها الفضول والحاجة والرغبة عند الإنسان لتثبيت الحدث وتوقيف عجلة الزمن عند حدث ما . فقد لاحظ البشر إن للأجسام أشكالا مقلوبة غريبة عندما تمر عبر ثقب من مكان مظلم ، فقد ذكر المؤرخون أن ابن الهيثم كان مسجوناً ولحظ إن باستطاعته رؤية ما يجري من أحداث خارج السجن بوضع عظمة أو سطح ابيض خلف ثقب في باب السجن .

ويمكن تعريف التصوير الضوئي الفوتوغرافي بأنه عملية وحركة وخلق الصور الثابتة أو المتحركة من خلال تسجيل الإشعاع على وسط حساس ، مثل الأفلام الفوتوغرافية وأجهزة الاستشعار الإلكتروني ، وتنبعث أنماط الضوء أو تنعكس من الأجسام فتنشط مادة كيمياوية حساسة أو من خلال استشعار إلكتروني للحظة التعرض من خلال عدسة التصوير في آلة التصوير كما يقوم بتخزين المعلومات الناتجة كيميائياً أو الكترونياً (أنظر : 2 – ص 37) . وفي القرن السادس عشر لاحظ (روبرت بويل) إن لون كلوريد الفضة يتغير عندما تتعرض تلك المادة للهواء ، وقد اعتبر ذلك بمثابة إعلان ولادة التصوير الضوئي ، وثم تلاه (أنجلو سالسا) عندما لاحظ أن بعض السوائل تتغير ألوانها عندما تتعرض للأشعة الشمس ، وتلاهم في الاهتمام بهذا الشأن (توماس ويد) الذي كون صورة ولكنها اختفت بعد فترة وجيزة لعدم توفر أي وسيلة علمية لتثبيتها ، وقد استطاع الفرنسي (بينيك) في الحصول على صورة ثابتة من خلال استخدام معاجين تجف أثناء تعرضها للضوء ، ولكن واجهته مشكلة الوقت لتجفيف الصورة والذي يصل إلى ثمان ساعات (أنظر : 4 – ص 24) . هذه البدايات المتواضعة ساعدت على بزوغ شمس الصورة الضوئية معتمدة على تاريخ طويل وحافل بالمناورات العلمية والفلسفية والتجارية ، وان جميع أحداث ذلك التاريخ تدور حول ثلاث مفردات : أ –الصورة : وهي جزء مقتطع من الواقع بشروط بصرية وفراغية مستقاة من عالم الرسم . ب – التعريض : وتعني تسليط الضوء المؤقت على كمية معلومة من مواد عرفت بحساسيتها للضوء . ج – التثبيت : ويعني التمكن من إبقاء الصورة التي يرسمها الضوء على المواد الفوتوغرافية لأطول فترة ممكنة . وتعد آلة التصوير الركن الأساس في عملية التصوير : وهي التي تسجل صور سواء ثابتة أو متحركة وتعني باللغة العربية القمرة والتي تعني الغرفة المظلمة . ولا يوجد فارق جوهري بين آلة التصوير العادية والرقمية في طريقة

الاستقبال والاحتفاظ بالصورة ، ففي الآلة العادية تطبع الصور من خلال ومضة ضوئية مارة بالعدسة على شريط مطلي بمواد كيماوية أهمها نترات الفضة الحساسة للضوء يتم تظهيرها بمواد كيماوية خاصة ثم طبعها على ورق التصوير الحساس ، أما آلة التصوير الرقمي التي تعمل بالطاقة الكهربائية ، فتستقبل الصورة من خلال مكشاف ضوئي يستقبل ملاين الفوتونات الضوئية والتي يتم معالجتها الكترونيا ، تمهيداً لخزنها في ذاكرة آلة التصوير ، وقد ساعد وجود المعالج الإلكتروني داخلها على أمكانية القيام بالكثير من العمليات على الصورة الملتقطة ، ولآلة التصوير الرقمية مزايا كثيرة مثل السرعة وقلة التكلفة (أنظر : 6 – ص 77) .

التصوير الضوئي شهد تطورات كبيرة يمكن أن نميز بينها إلى أن وصل إلى مرحلة التصوير الصحفي والذي يعتبر قمة التصوير الضوئي وأحد غاياته ، إذ بدأ بالمرحلة الجمالية كفن جميل لا يهتم فيه الفنان ألا بالشكل والتكوين الذي تتمثل فيه قواعد التكوين الفني في اللوحة التشكيلية , وأنتقل إلى المرحلة التسجيلية حيث ظهر لأول مرة فريق من المصورين اللذين وجهوا عنايتهم إلى الموضوعات التسجيلية أكثر من الموضوعات الجمالية وكانت هذه المدرسة التسجيلية نواة فن التصوير الصحفي الحقيقي ، حتى أنتقل التصوير الضوئي إلى المرحلة الإعلامية كفن تطبيقي وظيفي يهتم بالقيم الإخبارية والصحفية في الفترة (1930–1925) عندها بدأت مرحلة جديدة تحول فيها الاهتمام من النواحي الجمالية والتسجيلية الخالصة إلى النواحي الإعلامية ، وأصبحت مشكلات التكوين والإضاءة والنسب وغيرها تأتي بالمرحلة الثانية من الاهتمام بعد القيم الإخبارية للصورة ، ومضى التطور بالتعاون بين الأسس الثلاثة التي توصل لها العلماء نتيجة للدراسات الخاصة بتطوير هذا الفن الجميل وهي : ضوء لا يخبو و عدسات تكشف الأغوار و كيمياء لا تبخل , فضلاً عن ابتكارات جديدة لآلات التصوير ذات الكفاءة العالية والسرعة الكبيرة والعدسات ذات الدقة

العالية والأكثر تنوعاً ، حيث يستطيع بعضها التقاط مئات الصور في الدقيقة الواحدة بل في الثانية الواحدة ، لذلك أصبح العمل الصحفي الحديث فناً بصرياً يعتمد كثيراً على الصورة الفوتوغرافية (أنظر : 9 – ص 35) .

م2 : جماليات التكوين في الصورة :

العمل الفني رسالة مرئية إلى المتلقي ، تحمل الكثير من الدلالات المعبرة عن مضمون وفكرة ومعنى ، لهذا العمل الفني بنية زمانية ومكانية ، ولكل فن مادته الخام التي يعتمدها الفنان للتعبير عن أفكاره فيغير هذه الخامة إلى تكوين فني ينتمي إلى أسلوب واتجاه خاص . وهناك مجموعة من العناصر المهمة التي تشكل التكوين الجمالي للصورة الفوتوغرافية بمختلف أشكالها ومواضيعها وبأي آلة تم التقاطها , وهذه القواعد هي :

الخط : وهو أقدم وسيلة للتعبير الفني وقد تكون غير واضحة في الصورة أو الطبيعة كما في الرسم كون " الخط المكون الأساسي لكل شكل يرسم في التكوين الشكلي " (8 – ص 20) فالخطوط هي الهيكل الباني للصورة والتي تفصل الكتل عن بعضها والألوان فهو " يعطي معاني وإيماءات مختلفة نتيجة شكله أو علاقاته " (3 – ص 20) والخطوط في الصورة هي التي تقود العين إلى مركز الانتباه ، وهي على أنواع منها الأفقية والعمودية والمتوازية والمستقيمة أو المائلة أو الحادة والمتكسرة وكل منها يعبر عن دلالة خاصة عن الصورة ومضمونها إضافة إلى الجمال الذي يضاف لها .

اللون : إن الصورة التي تشمل عدد من الألوان تكون فيها قيمة جمالية عالية ولكن عدم توازنها وأخذها مساحات كبيرة غير معبرة تكون أداة بأبعاد المتلقي عن متابعة مشاهدته الصورة وعدم ضمان استمتاعه بها (أنظر : 7 – ص 257 – 258) . واللون يملك تعبيرا رمزيا وجماليا مرتبط بعقولنا ومخيلتنا نتيجة للخبرات المكتسبة

والموروثة في حياتنا اليومية ، وهو يتملك دلالات قد ارتبطت بأحداث وظروف خاصة بالمتلقي مما يجعل البعض يميلون إلى لون دون الأخر . والألوان منها الحارة والباردة والحيادية وكلٌ يعبر عن حالة خاصة مرتبطةٌ بالمتلقي وتأخذ تفسير خاص بها .

الخامـة : وهي المظهر الخارجي للأجسام الطبيعية والصناعية , وتعني بها الصفات الواضحة الخارجية التي تقع تحت عيوننا التي يمكن رؤيتها أو لمسها باليد . وهي مختلفة منها الملساء أو الخشنة (أنظر : 8 – ص 553 – 554) .

الفـراغ : وهو المكان الخالي في الصورة ولكنه لا يخلو من معنى في أكثر الأحيان ، وإذا كان بدون معنى فيكون سبب في عدم نجاح الصورة . وأن أطار الصورة هو الذي يحدد الفراغ مع الخطوط فيها بأنواعها ومن خلال توزيع الكتل في الفراغ نحصل على العمق في الصورة بمساعدة الألوان (أنظر : 10 – ص 29) .

السيادة : المصور يسعى دائماً لوجود سيادة في التكوين أو المعنى للصورة . ووجود مركز واحد وليس أكثر حتى لا يتشتت التركيز والرؤية للصورة.

التـوازن : وهي الحالة التي تتعادل فيها القوى المضادة , وهو الذي يخلق الإحساس بالراحة النقية حين النظر للصورة من خلال توازن اليمين باليسار والأسفل بالأعلى (أنظر : 7 – ص 115 – 117) .

التدرج والتبـاين : التدرج هو الحالة التي يرتبط فيها طرفان متباينان بدرجات متوسطة مثل لونين الأبيض والأسود . والتباين هو الجمع بين طرفي نقيض , وهو الانتقال المفاجئ والسريع من حالة إلى عكسها مثل من الرتابة إلى الإثارة (أنظر : 7 – ص 99 – 101) .

النسب : إن الإحساس البشري هو الذي يعتمد للحكم على مدى قبول النسب جمالياً داخل الصورة ، فقد دخلت النسب بين كل عناصر تكوين الصورة مثل الكتلة والفراغ واللون والخط وغيرها.

التنـوع : هو مضاد للتماثل بل هو الأكثر مشاهدة من أصناف العناصر المرئية واختلاف صفاتها ، ويجب أن يكون بقدر يكفل لنا أن نتخلص من الملل الناشئ عن تكرار أو تماثل الوحدات البصرية ودون أن يؤثر ذلك في وحدة الشكل (أنظر : 7 – ص 137 – 138 و 180) .

كيف نلتقط صورة ناجحة ؟ :

دائماً يسعى المصور المحترف والهاوي إلى التقاط صورة ناجحة وهو هدفه من خلال حملهُ لآلة التصوير بمختلف أنواعها واختلاف تقنياتها التي يمكن أن تساعد على التقاط الصورة الناجحة . ولكن مع ذلك هناك بعض القواعد التي أتفق عليها الكثير من المهتمين بالتصوير وأولها هي تفضيل اللقطات القريبة للحصول على الوضوح في الصورة , مع اختيار زوايا التصوير المعبرة عن مضمون الصورة وخلق انسجام في ميدانها , وبالتأكيد على التوازن بين اليمين واليسار والأعلى والأسفل ، والابتعاد عن المسافات الكبيرة في الصورة مثل السماء أو الماء , وكذلك الابتعاد عن المتناقضات داخل أطار الصورة ، مع مراعات أن تكون آلة التصوير بشكل أفقي حسب ميزان الماء , والابتعاد عن قطع الصورة إلى جزئيين أو أكثر بواسطة بعض أجزاء الشكل للصورة , مع الاهتمام بمصادر الضوء والظل في الصورة , والتأكيد على مركز الصورة والأهم اختيار اللحظة المناسبة لالتقاط الصورة (أنظر : 5 – ص 78 – 79) .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

مجتمع البحث : يتكون مجتمع البحث من (50) صورة قد فازت عام 2009 في مسابقة الصور المتميزة .

عينة البحث : تم اختيار (12) صورة من مجتمع البحث وبصورة قصدية لتوفر الشروط الواجبة لدراستها وتحليلها وهي :

- شكل رقم : (1) السكان بعد مداهمتهم الفيضانات .
- شكل رقم : (2) احتفالات الذكرى العشرين لسقوط جدار برلين .
- شكل رقم : (3) امرأة في بنغلادش تبيع الورد .
- شكل رقم : (4) سائق الراليات لحظة اصطدامه.
- شكل رقم : (5) انفجار بركان تحت الماء .
- شكل رقم : (6) باكستاني في انتظار المنح الغذائية .
- شكل رقم : (7) سقوط طائرة أمريكية بأمان في نهر هندسون .
- شكل رقم : (8) احتفالات تأسيس الجيش الصيني .
- شكل رقم : (9) رجل يمشي في سدني .
- شكل رقم : (10) فرقة استعراضية من المكسيك .
- شكل رقم : (11) شجرة عيد الميلاد في مكسيكو سيتي .
- شكل رقم : (12) مصارعة الثيران في أسبانيا .

طريقة البحث : الوصف والتحليل .

أدوات البحث : الكتب والأقراص المدمجة .

تحليل العينات :

- **السكان بعد مداهمتهم الفيضانات** : **شكل** : (1)

هذه اللقطة لم تتكرر أبداً لفعل الفيضان النادر الوقوع وما خلفه من كوارث وردود أفعال عند الناس . نجد في الصورة توازن كبير بين كتلها على اليمين واليسار ، وقوف الناس على أسلاك الكهرباء حالة نادرةُ أن تشاهد لخطورة العلاقة بين الاثنين . إن زاوية التقاط الصورة قد أظهرت مجموعة الأعمدة الكهربائية المنتشرة على كل شكل الصورة وهو الخطوط العمودية مما زاد في قوة الصورة وأعطى دلالة على قوة الناس وهم يحاربون من أجل الحياة أمام خطر الفيضان . أما جماليات التكوين في الصورة فنرى الخامة الجميلة التي تركها الماء وقد أستغل مساحة لابأس بها في التكوين وهي خامة تشبه الزجاج اللماع ، دلالة الجمال الذي فيه هو الخطر القاتل ، عنصر جمالي أخر هو اللون البارد السائد على كل الصورة وهو لا يعبر عن الخطر الذي تعبر عنه الصورة .

- **احتفالات الذكرى العشرين لسقوط جدار برلين** : **شكل** : (2)

حقاً اختار المصور لحظة مناسبة لالتقاط هذه الصورة مع زاوية محكمة جداً حاول من خلال أظهار التوازن وهو أحد عناصر الجمال في الصورة الصحفية . وكان التوازن على درجةً من الكمال بين اليمين واليسار حيث يتوسط الصورة النصب التذكاري الذي هو بوابة برلين بلونها الواضح المميز تحيط بالبوابة من كل جوانبها كتل متساوية وحتى في مصادر الضوء وشاشات العرض ، والبنايتين على جانبي البوابة إضافة إلى كتلة الضوء التي تساوي ضوء البوابة بلونها الحار والناتج عن تحدد مكان الاحتفال مع الخطوط العمودية للباب الذي يدل على الارتكاز والثبات للصورة . ساعد اختيار اللقطة المناسبة انتشار الضوء للتفجيرات النارية ملأ الفراغ في أعلى الصورة مما جعله مشارك فعال في جمالتها ولم يكن الفراغ سلبي في الصورة بل على

العكس انتشار كتل الشرار فيه زاد من جمالية الصورة . إضافةً إلى تحدثنا عن الضوء واللون ففيها ألوان متجانسة لم تترك خلل في الرؤيا بقدر ما تنظر لها بإعجاب.

- **امرأة في بنغلادش تبيع الورد** : **شكل** : (3)

مما يؤكد تميز اللحظة في التقاط الصورة هو حركة الطيور والوضع الذي هم فيه , وتوزيعهم على شكل الصورة وتبدل حركاتهم بين النازل على الأرض والطائر الذي يحاول النزول مع مجموعته ، وهي في هذا التوزيع قد ملئت الجانب الأيمن من الصورة ويعادل هذا الوضع هو جلوس البائعة مع بضاعتها ، التي تميز وجهها برد فعل خاص لم يتكرر أبداً والقارئ له يجد فيه الكثير من المعاني . وما يكمل شكل الوجه وضع الجلوس للبائعة والتشكيل الذي ظهر من هذا الجلوس والذي يملك الكثير من الدلالات التي تدل على البؤس والفقر والانتظار للشيء المجهول وهي تفكر بلقمة العيش . هذه اللحظة لالتقاط الصورة خلفت تكوين جميل فيه من العناصر الجمالية التي تؤكد جمالية الصورة منها المساحة الكبيرة في التكوين وهي الأرض التي تجلس عليها البائعة مع سلعتها أضافةً إلى مكان الطيور الهابطة عليه وفيه دلالات القذارة التي تنتمي للبؤس الذي تعيشه البائعة ، ولونها المعبر عن ذلك تماماً . عنصر أخر هو الكتلة الواضحة في أعلى اليسار للبائعة توازنها كتلة الطيور المتحركة على اليمين وهذه الكتلة للبائعة جاذبةُ للنظر ومسيطرة على كل الصورة لما تملكه من خطوط ملتوية معبرة عن الانكسار للبائعة للفقر والحاجة , مع الألوان المتضادة بين الحارة والباردة والحيادية.

- **سائق الراليات لحظة اصطدامه** : **شكل** : (4)

لحظة لا تتكرر أبداً باصطدام السيارة بقطيع من الخيول فنلاحظ طيران أحداها بالهواء تتبعه خيول أخرى قريبة من السيارة ، وشكلت كتلة وسطيةُ توسطت الصورة وهي مركزها , فضلاً عن ما خلفته السيارة من كتلة بيضاء هي التراب المتطاير من

جراء السرعة وهي تسير على الطريق الترابي . اللون في الصورة لون حيادي وهو من الألوان البارة ولا يثير المشاهد بقدر ما أثاره الموقف الذي مر به السائق مع سيارته ، فضلاً عن الفراغ أسفل الصورة وهو يعبر عن الطريق الذي تسلكه السيارة .

- **انفجار بركان تحت الماء** : **شكل** : (5)

لحظة مناسبة لالتقاط الصورة لهذا الانفجار تحت الماء وما خلفه من تكوين جميل فيه مواصفات الصورة الناجحة ، فالكتلة الكبيرة التي أتسعت على كل الشكل للصورة وما تشظى من أشكال غريبة في تكويناتها وبيان خامتها الخشنة المعبرة عن الانفجار وما يتركه من ترويع في نفوس مشاهديه . لقد اختفت عناصر كثيرة من الصورة بسبب سيادة الكتلة على شكل الصورة . والصورة تملك لون محايد قريب للأبيض وهو يتقاطع مع مضمون الصورة وهو الانفجار وما خلفه من رعب في نفوس مشاهديه .

- **باكستاني في انتظار المنح الغذائية** : **شكل** : (6)

لحظة من بين الساعات الطويلة التي يقضيها هذا المسن للحصول على المساعدات ، فالوجه الذي شققته التجاعيد كالأرض البور التي لم ترى الماء من وقت بعيد , وهو دال على الفقر والعوز والجوع , العيون الثابتة فهي تنظر إلى عدسة آلة التصوير لتقول الكثير وهي تشتكي هم الدنيا وما هو فيه من موقف لا يحسد عليه أبداً . ساعدت اللحية البيضاء على وقار الشخص ولكن الفقر ظاهرٌ , بل كان اللون الأبيض المحايد ذو قيمة جمالية بإحاطة الوجه المعبر ليزيد من قوة التعبير عن واقع الحال الذي يعيشه هذا العجوز . نلاحظ هروب عين المتلقي من الصورة إلى الكتل الخلفية وهي صور أدمية لوجود خلل في الوضوح للصورة مما جعل التركيز على الكتل الوسط وهو الرجل الفقير .

- **سقوط طائرة أمريكية بأمان في نهر هندسون** : **شكل** : (7)

لقد أختار المصور لحظة لم تتكرر أبداً وهي سقوط طائرة ركاب بالماء وهي سليمة وبدون ضحايا ، وعندما نلقي نظرةً على هذه الصورة نرى أن الطائرة هي الكتلة التي تتوسط الفراغ من كل الجوانب ، ولا تخلو الصورة من الخطأ في تكوينها لوجود هذا الفراغ المحيط بكل الجوانب . الصورة فيها خط متحقق من الكتلة وهو خط أفقي يدل على الثبات والتوازن . أما اللون فهو من الألوان الباردة والمشتقة من اللون الأزرق والقريب إلى الألوان الحيادية . المتمعن في النظر للفراغ وهو سطح الماء فهي خامة هادئة تشوبها بعض التكسر الهادئ الذي يدل على الهدوء للجو العام للصورة مع انتهاء أزمة سقوط الطائرة وهي سالمة.

- **احتفالات تأسيس الجيش في الصين** : **شكل** : (8)

أدت اللحظة لالتقاط الصورة إلى خلق حالة جمالية من خلال عناصر جمال الصورة وهي التكرار الجميل بنسق واحد لا اختلاف فيه من خلال حركة الجنود وحركة الأيادي والأرجل وكأنها تنتمي إلى شخص واحد , تكرار في الوجوه المتعددة وكأنها وجه واحد ناطق بنفس التعبير . إن غلبة اللون الواحد وهو الأبيض على الصورة أعطاها الهدوء الذي يتقاطع مع الحركة العنيفة للجنود في مسيرتهم , والوجوه التي تعبر عن خطوط أفقية زاد من تركيز الصورة وثباتها كذلك القبعات التي جاءت في مستوى واحد وكأن الأشخاص كلهم بقياس واحد مما يدفع المتلقي إلى التركيز في المشاهدة لاكتشاف الجميل في الصورة .

- **رجل يمشي في سدني** : **شكل** : (9)

لقد أختار المصور تكوين جميل للصورة باختيار لحظة مناسبة بجمع الشجرتين اللتين ملئتا كل فراغ الصورة بلونها الغامق , الذي ظهر واضحاً بسبب اللون الحار الذي هو خلفية للصورة . على صغر كتلة الشخص الذي يتحرك في الوسط فقد

جذب الانتباه بلونه الغامق ، وقد اضافت الخطوط للشجرة وخط الأرض نوع من الانسيابية في رؤيتها كونها خطوط منحنية زادت في جمال الصورة . اللون الواحد في الصورة قد خلق سيادة له , وهو من الألوان الحارة النارية مع تدرجاته اللونية , وهو عنصر فعال في جمالية الصورة ولفت أنتباه المتلقي له.

- **فرقة استعراضية في المكسيك** : **شكل** : (10)

أثناء حركة الراقصين وهي كثيرة ومتنوعة لكن المصور قد أختار هذا التكوين الجميل الذي تحقق من خلال حركة الراقصين مع المشاعل فكان التكوين للصورة , فضلاً عن ضوء المشاعل ذات اللون الحار المتناسب مع ضوء خشبة المسرح الذي قدم عليه الاستعراض , وتتكامل الصورة مع أزياء الراقصين التي تنتمي إلى نفس اللون الحار . إن حركة المشاعل بهذا الشكل قد شكلت تكوين هندسي داخل شكل الصورة مستغلةً الفراغ المعتم وأصبحت كتلة وسطية مع الراقصين فخلق توازن جميل شجع العين على متابعة المشاهدة لأجزاء الصورة , والإيقاع الواضح لحركة الأيادي الذي يخلو من أي خلل في الرؤية . الدخان المتصاعد من المشاعل شكل مع الخلفية خامة هلامية الشكل ذات ألوان مشتقة من الألوان الحارة.

- **شجرة عيد الميلاد في مكسيكوستي** : **شكل** : (11)

تم التقاط الصورة أثناء إطلاق الألعاب النارية التي شكل انفجارها علاقة ضوئية مع شجرة عيد الميلاد ، وهي تتوسط الصورة وأصبحت هي المركز ونستطيع أن نقول أن امتداد الشجرة في الفراغ الخلفي للصورة هو الانفجارات الكثيرة التي شكلت مع الشجرة كتلة كبيرة من الضوء بلون حار بارز مع محيطه الذي تغلف بلون غامق . العمارتان عن اليمين واليسار خلقتا توازن جيد في الصورة . إن ابتعاد المصور عن ميدان التصوير لم يكن خطأ في فشل الصورة بل عنصر نجاح لها في إظهار كل الكتل التي تكون شكلها , فنرى أرضية الصورة تمتد على مساحة كبيرة

ضاعت مع حجم الشجرة وما تبعها من الألعاب النارية والخطوط المتدلية من الأعلى إلى الأسفل .

- **مصارعة الثيران في إسبانيا** : **شكل** : (12)

صورة لم تتكرر أبداً بهذه الوضعية التي نرى بها الإنسان المصارع وهو أسير الحيوان (الثور) الهائج في وضع لا يحسد عليه أبداً . فالقوة العمياء التي يمتلكها الثور أتت أكلها مع مصارعه الشجاع بكل تقنيات فنه بالمصارعة وأسلحته القاتلة ، فقلبه الثور رأسٌ على عقب وجعله كتلة متواصلة مع كتلته ليشكل كتلة كبيرة معبرة عن موضوع الصورة (مصارعة الثيران), وقد كوَنَ جسمه خطوط مائلة ومتكسرة وهي دليل على هشاشة موقفه تجاه خصمه الذي يعاني نفس المشكلة من خلال الخطوط المنحنية لحركته المترنحة . في الصورة اجتمعت الأنواع الثلاثة للألوان هي: الحار وهو الأحمر المتمثل في سياج الحلبة , واللون الحيادي وهو الأسود للثور، واللون الأخضر البارد وهو زي المصارع. لا يوجد في الصورة فراغ واسع يشوش شكلها و جمالها أنما هو مشارك مع الفعل العام وسيطرة الكتلة الكبيرة في وسط الصورة مع الكتل الأصغر والتابعة لها وهي المصارع وقطعة القماش التي يصارع بها.

النتائج ومناقشتها :

1- توازن الكتل المنتشرة على كل تكوين الصورة وتميز الخامة الناتجة من الماء جعل من اللحظة التي تم التقاط الصورة مساعدة في نجاحها، كما في شكل(1).

2- الإيقاع الناتج من حركة الألعاب النارية واختلاف الألوان وسيطرة الكتلة وسط الصورة مع اللحظة المناسبة لألتقطها جعلها ناجحة , كما في شكل (2) .

3- التوازن والكتلة التي تشكل البائعة ، ورد الفعل لها جعل من اللحظة التي تم التقاط الصورة مساعدة في نجاحها , كما في شكل (3) .

4- الكتلة في وسط الصورة وما خلفيته حركة السيارة جعل من اللحظة المناسبة عامل مساعد في نجاح الصورة , كما في شكل (4) .

5- تشظي انفجار البركان الذي يشكل الكتلة المسيطرة على الصورة وانتشارها على كل التكوين ولونها البارد مع اختيار موفق للحظة المناسبة لألتقطها جعلها ناجحة , كما في شكل (5) .

6- ردود الفعل لدى الشخص وما نتج عنه من كتلة في وسط الصورة مع اختيار اللحظة المناسبة لألتقطها قد ساعد على نجاح الصورة , كما في شكل (6) .

7- سيطرة الكتلة داخل فراغ واسع مع خط أفقي دليل الثبات , فضلاً عن لحظة مناسبة لالتقاطها جعلها ناجحة , كما في شكل (7) .

8- التكرار في الصورة مع اختيار اللحظة المناسبة للتصوير جعل منها صورة ناجحة , كما في شكل (8) .

9- الشكل المميز للصورة من سيطرة اللون الحار مع اختيار موفق للحظة التصوير جعلها ناجحة ، كما في شكل (9) .

10- التكوين الذي شكله الراقصين داخل الشكل مع اللون الحار ، فضلاً عن اختيار اللحظة المناسبة للتصوير جعل من هذه الصورة ناجحة , كما في شكل (10).

11- ما شكله انفجار الألعاب النارية مع شجرة عيد الميلاد ومليء الفراغ والألوان الزاهية ولحظة مناسبة للتصوير جعل الصورة ناجحة , كما في شكل (11) .

12- الخطوط المختلفة التي خلقتها الكتلة للرجل مع الحيوان واختلاف ألوانها مع لحظة مناسبة للتصوير جعلها صورة ناجحة , كما في شكل (12) .

الاستنتاج:

إذن : إن للحظة المناسبة دور فعال في نجاح الصورة المتميزة .

المصادر :

1- باربر ، جوزيف و أندرسون ، أسطورة الثبات لإعادة النظر في الرؤية ، مجلة السينما والفيديو ، نيسان 1993 .
2- روتليدج ، ليفنسون ، التاريخ الطبيعي والمستقبلي للمعلومات ، لندن ، 1997.
3- ريد ، هربرت ، حاضر الفن ، ت : سمير علي ، دائرة الشؤون الثقافية : سلسلة الكتب المترجمة (العدد 125) ، العراق .
4- سونتاج ، التصوير الفوتوغرافي ، لندن ، 1997 .
5- سويل ، محمد نبهان ، التصوير والحياة ، عالم المعرفة (العدد75) ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1984 .
6- عبد الرحمن ، علي ، فنون ومهارات العمل في الإذاعة والتلفزيون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2010 .
7- عبد الحميد ، شاكر ، العملية الإبداعية في فن التصوير ، عالم المعرفة ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1987 .
8- عبد الفتاح ، رياض ، التكوين في الفنون التشكيلية ، ط1 ، القاهرة ، 1975 .
9- النجار ، سعيد غريب ، التصوير الصحفي ، الدار اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 2008 .
10- اليوسف ، أكرم ، الفضاء المسرحي ، دار المشرق , ط1 ، دمشق ، 2000.

الملاحق

مجموعة الصور التي تم اختيارها وعددها (12) صورة .



شكل (1) السكان بعد مداهمتهم الفيضانات



شكل (2) احتفالات الذكرى العشرين لسقوط جدار برلين



شكل (3) امرأة فى بنغلادش تبيع الورد



شكل (4) سائق الراليات لحظة اصطدامه



شكل (5) انفجار بركان تحت الماء



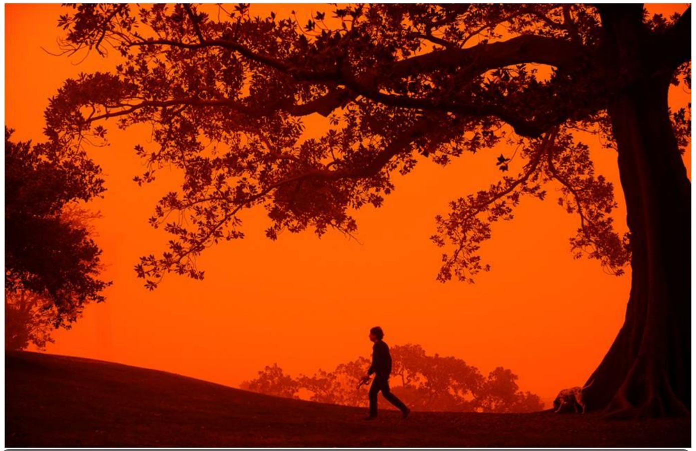
شكل (6) باكستانى فى انتظار المنح الغذائية



شكل (7) سقوط طائرة امريكية بأمان فى نهر هندسون



شكل (8) احتفالات تأسيس الجيش فى الصين



شكل (9) رجل يمشى فى سيدنى



شكل (10) شجرة عيد الميلاد فى مكسكو سيتى



شكل (11) فرقة استعراضية فى المكسيك



شكل (12) مصارعة الثيران فى اسبانيا

THE ROLE OF THE APPROPRIATE MOMENT IN TAKING SUCCESSFUL PHOTO

Abstract

Photography is one of the fine arts mixed with a personal expenence desire and talent to practice the kind of art .

All the above meutioner faetors help m procauaing a beautiful image with all kinds of cameras whether old or new according to their gradual develop men but .

There are a lot of wnithenesting imager what reallg altracts the viewers is the appropriate moment of taking a photo .

The paper aims ok tindning out mwi appropriate moment .

The paper is dlivdel iwlo three parts .

Methodological approach , thepretical approach or the nearby studies and procedmes , nesults , aomclusions, recommendations , suggestions , ramd laitly the bibliography .

الديمقراطية وإشكالية التداول السلمي للسلطة

د. جاسم محمد احمد

مُقَدِّمَة

شكل مفهوم السلطة السياسية بصفة عامة منعطفا هاما في حياة البشرية, واستقر بالشكل الذي هو عليه الآن في الغرب بعدما شهد حروبا طاحنة، حيث أصبحت تمارس من خلال أنظمة سياسية نقلت السلطة من مفهومها الكلاسيكي إلى مفهومها الجديد الذي تنادي به الديمقراطية باعتبار إن السلطة ملكا للشعب وتتوزع بين أفراده, وعرف العالم مفاهيم عصرية حديثة النشأة جعلت الجميع يشارك في تدبير الشؤون العامة ليتحمل جزء من المسؤولية في إدارة السلطة, وأصبحت المشاركة السياسية مفهوماً يهتم بصفة عامة برغبات الأفراد بالمسائل السياسية داخل نطاق مجتمعهم، وتطورت قنوات المشاركة السياسية بتطور الفكر السياسي الغربي وتطور مؤسساته السياسية والمدنية،وتعد المشاركة احد أهم مقومات الديمقراطية بل هي درجة متقدمة في التعبير عن الحرية السياسية داخل نطاق المجتمع.

إن تطور مفهوم المشاركة السياسية أوجد مبدأ التعاقب على السلطة، من خلال آليات يتم الاتفاق عليها مجتمعيا، وتفضي إلى تداول سلمي وسلس للسلطة وبشكل دوري وفق إرادة الحركات السياسية الفاعلة في المجتمع.

إن السلطة السياسية ركن أساسي من أركان الدولة وحجر الزاوية لكل تنظيم سياسي, وتتميز السلطة في الدولة الحديثة بأنها سلطة غير مطلقة وهي ملك للدولة و الحاكمون يمارسونها باسم الدولة ولا يملكونها، لذلك يجب أن تكون قادرة

أولا _ مفهوم تداول السلطة

يقصد بالتداول أو التعاقب على السلطة هو انتقال المنصب السياسي إلى شخص آخر سواء كان شاغل المنصب رئيسا للجمهورية أو للوزراء، وقد شاع هذا التعبير في الفقه الليبرالي الغربي ، ويتم الانتقال عن طريق آليتين رئيسيتين هما: آلية الانتخابات أي الانتقال السلمي وفقا لإرادة الناخبين, وآلية العنف أي إجبار شاغل أو شاغلي المنصب السياسي على ترك الموقع الرسمي بالقوة، باستخدام صورة من صور الإجبار أو الإكراه[1].

ويشكل التداول السلمي السلطة احد معايير وجود النظام الديمقراطي على النمط الغربي ، لكونه احد مبادئ الديمقراطية فلا يمكن وفقه أن تبقى جهة سياسية في السلطة إلى ما لا نهاية, لتحل محلها جهة سياسية أخرى جاء بها الاقتراع العام إلى السلطة, وان تتخلى القوى السابقة عن السلطة طوعا وفقا لإرادة الأغلبية لكي تدخل في المعارضة وهكذا تجري عملية تداول السلطة.

وفي الجانب الوظيفي للتداول, أي طريقة دخول وخروج الجهة السياسية من والى السلطة فأن ذلك يتطلب آليات وأدوات محدده, كما إن التداول لايعني تغيير مؤسسات الإدارة بالكامل بل الاكتفاء بتغيير قياداتها، لان ثبات المؤسسات وخاصة المهمة منها مثل الجيش والأمن والمؤسسات الاقتصادية وكبار موظفيها والمؤسسات القضائية وغيرهم هو ضمان استمرارية استقرار الدولة وتراكم الخبرة.

إن المفهوم العام للمشاركة السياسية هو حق المواطن في أن يؤدي دوراً معيناً في عملية صنع القرارات السياسية ومراقبتها بالتقويم والضبط عقب صدورها من الحاكم[2], أي قدرة المواطن على التعبير العلني والتأثير في اتخاذ القرارات سواء بشكل مباشر أو عن طريق ممثلين يقومون بذلك[3], فالعملية السياسية تتم من

على إدارة مجمل النشاط الاجتماعي وإحداث التوازن بين قوى المجتمع كافة بما تمتلكه من شرعية, وبالتالي فأن أهداف الدولة تقوم على أسس ديمقراطية, تمنع احتكار السلطة من قبل قوى اجتماعية سياسية محددة, ومن ثم وجوب تداولها قانونيا بين هذه القوى استنادا إلى إرادة أغلبية المجتمع وحق هذه الأغلبية في تولية من ينوب عنها في السلطة.

تنطلق فرضية البحث من وجود ذلك الترابط بين الديمقراطية و عملية تداول السلطة سلميا، وان الترابط بينهما يسهم في الاستقرار السياسي والمجتمعي .

خلال مشاركة أفراد المجتمع كافة وبلا استثناء وتمكينهم من أن يؤدوا دورا واضحا في العملية السياسية بغض النظر عن انتماءاتهم الاثنية والطائفية[4].

تعتبر المشاركة السياسية بعداً أساسيا من أبعاد التنمية البشرية التي هي عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية, هدفها تحقيق رفاهية كل أفراد المجتمع , والتي يمكن عن طريقها إعمال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

وتعد المشاركة السياسية المظهر الرئيس للديمقراطية وهي نتاج إسهام الجميع في العملية السياسية من خلال الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني ، وفق آلية الانتخاب المكفولة بدستور ديمقراطي يقر التعددية الحزبية ومبدأ تداول السلطة، من خلال مبادئ أساسيه تكفل الفصل بين السلطات وسيادة حكم القانون ومبدأ ضمان حقوق الأفراد، وهكذا يصبح مفهوم الديمقراطية إنها تعني المشاركة السياسية وحقوق الإنسان وهو جوهر التعددية الحزبية[5].

إن وجود انتخابات دورية حرة ونزيهة يعد أمراً جوهريا لتحقيق التداول السلمي للسلطة، فالانتخابات هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التداول الدوري للسلطة وفق مدة محدده سلفا, الأمر الذي يسمح للناخبين بمحاسبة الرئيس أو رئيس الوزراء أو الحزب أو الائتلاف الحزبي الذي وصل إلى السلطة في الانتخابات السابقة[6].

وتقتضي عملية التداول وجود رأي مستنير قوي قادر على التأثير وحرية صحافة قادرة على القيام بدور رقابي فاعل. ووفق ذلك سيمارس الحكام المنتخبون اختصاصاتهم الدستورية للفترات المحددة وهكذا تتداول القوى السياسية مواقع الحكم في الدولة من دون أن تكون هذه المواقع حكرا على فرد أو فئة دون أخرى[7], كما إن التداول يعني الاعتراف بشرعية النظام السياسي من قبل مكونات المجتمع كافة

مما يجعلهم يشاركون بفعالية في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ بسبب الشعور العالي بالانتماء إلى هذا المجتمع[8].

لا يمكن ان يكون هناك تداول سلمي للسلطة ما لم تكن هناك ضمانات، ومن أهم الضمانات القانونية المتمثلة بإرساء القواعد الدستورية وضرورة احترام تطبيقها، وتحريم الهيمنة والاستيلاء على السلطة بالعنف.

وتتمثل الضمانة الثانية بإقرار الأحزاب السياسية وإيمانها بالتداول السلمي للسلطة وتعهدها بالمشاركة بالسلطة سلميا وعدم احتكارها وحرمان الآخرين من المشاركة فيها[9].

كذلك الضمانات السياسية المتمثلة باعتماد مبادئ الانتخابات واحترام حقوق الإنسان ومؤسسات المجتمع المدني وحرية الصحافة والإعلام، يضاف إليها الضمانة الفكرية، وهي نشر وترويج الثقافة والقبول بالرأي الأخر، دون تمييز على أساس العرق واللون والجنس والدين والمعتقد المذهبي، حيث ان الدولة التسلطية أثبتت إنها لم تحظ بالإجماع، مما غيب قواعد التراضي فأفقدها شرعيتها، وكما أن الاستيلاء على السلطة واستعمال البطش والتنكيل جعل من الجماعات المعارضة (دينية أو قبلية أو طائفية أو أحزاب سياسية)[10]. تلجأ كرد فعل إلى استخدام أساليب العنف والانقلاب لانتزاع السلطة فتستمر دورة الأنظمة الشمولية والاستبدادية[11]. وهذا يتعارض مع واحداً من أهم مبادئ الديمقراطية وأهدافها في خلق ثقافة التسامح والانفتاح على الأخر واحترام حقوق كل الشركاء في الوطن الواحد، بعيدا عن التهميش والإقصاء واحتكار السلطة.

ثانيا _آليات التداول السلمي للسلطة

تمثل المبادئ العامة للديمقراطية أهمية معيارية في الحكم على ديمقراطية أي نظام سياسي من عدمه ،لأنها مبادئ تتسم بالتكامل وعدم التجزئة, فيما تمثل الآليات الوسائل الملائمة لنقل المبدأ الديمقراطي إلى واقع تطبيقي فاعل, وتختلف الوسائل من مجتمع إلى أخر باختلافات الثقافات والخبرة التاريخية والنضج المجتمعي, و المطابقة بين الآليات والمبادئ العامة للديمقراطية توضح مدى التزام النظام السياسي بالديمقراطية ومدى كون المجتمع ديمقراطياً, والمطابقة بين المسالك والمبادئ العامة هي الإطار المرجعي للديمقراطية, ويمكن بلورة الآليات المعتمدة في الممارسات الديمقراطية بما يأتي:[12]

أ. إعمال قاعدة الانتخابات الحرة المباشرة والسليمة لمعرفة رأي الشعب بالأداء السياسي للحكومة والسلطة في النظام السياسي الحاكم، وهذه الآلية تجسد أهم وأول المبادئ الديمقراطية أو عناصرها "سيادة الشعب" فآلية الانتخاب تتم إعمالاً لسيادته.

ب. تعدد الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني، وتعميق ثقافة المواطنة القائمة على الحقوق والواجبات التي يقرها المجتمع, وضمان المشاركة الجماهيرية الواسعة لكل عناصر المجتمع وفئاته، وإتاحة فرص التعليم والنقد والإعلام الحر المتعدد، وتحديد فترات الرجوع إلى الناخبين لاختيار وتقويم اداء النخب الحاكمة.

ويكفي أن تتحقق الديمقراطية برأي (د.حامد ربيع) بمجرد التسليم للمواطن بالحقوق الآتية[13] :

(1) حق المواطن في اختيار ممثلين عنه على قدم المساواة.

(2) أن يتم ذلك بطريقة دورية بحيث لا يصير الانتخاب لمدى الحياة.

(3) أن يكون لهؤلاء الممثلين حق الرقابة على السلطة.

ومن هنا فأن الانتخابات هي الآلية التي يعول عليها في تحقيق مبدأ المشاركة الجماهيرية, التي لن تحصل بدون تعدد الأحزاب السياسية ووجود منظمات المجتمع المدني, وتتفق هذه الأحزاب ضمن اطر دستورية وقانونية يتعاقد عليها الجميع, ويتحدد بموجبها الانتخاب ضمن فترات زمنية محددة ويكون مجمل الأداء للسلطة خاضعاً لرقابة ممثلي الشعب كي لا تسمح بطغيان النخب السياسية الحاكمة[14].

ولكي تكون الانتخابات آلية يعّول عليها، لتحقيق ممارسة ديمقراطية على ارض الواقع, يجب أن تكون انتخابات ديمقراطية تحقق مقاصد الحكم الديمقراطي هذا من جهة ومن جهة اخرى يجب ان تمكن المواطنين من انتخاب المكلفين بتحمل إحدى السلطات الدستورية لمدة محددة, وفق إرادتهم الحرة من دون الوصاية من احد مهما كانت صفته. كما يجب أن تحظى الانتخابات بشرطين مهمين هما: حرية الاختيار والنزاهة, ولهذا فقد احتل مفهوم "الانتخابات الديمقراطية" موقع الصدارة عند الباحثين في مجال النظم الديمقراطية، فقد عرّف (جوزيف شومير) الديمقراطية بأنها مجموعة من الإجراءات والمؤسسات التي يستطيع الأفراد من خلالها المشاركة في عملية صنع القرارات السياسية عن طريق التنافس في انتخابات حرة[15]. ورغم اهتمام وتعدد الباحثين إلا أنه لا يوجد تعريف متفق عليه بين المهتمين بشؤون الانتخابات فـ(روبرت دال) يرى أن الانتخابات الحرة والنزيهة ضمن الشروط والمبادئ السبعة للشكل الديمقراطي مشترطاً أن تسبقها مجموعة من الحريات والحقوق الديمقراطية[16]. والمهم وبشكل عام تدور مضامين الانتخابات الديمقراطية حول معيار (حريتها), أي احترام حريات الأفراد وحقوقهم الأساسية و(نزاهة) عملية الانتخابات, حيث لا تجري العمليات الانتخابية المتنافسة إلا في

نظام الحكم الديمقراطية, فمجـرد عمليـة الانتخابـات لاتعنـي أن نظـام الحكـم الديمقراطي, لان الانتخابات أصبحت تمارسها كل النظم السياسية لكن وفق مفهـوم تلك الأنظمة, أما الانتخابات الديمقراطية فلها معايير أهمها وجود أطـار دسـتوري يكفل سير الانتخابات، وان تكون هذه الانتخابات دورية ومنظمة وفعالة أي يترتـب عليها نتائج فعلية يأخذ بها نظام الحكم, وهناك مسائل مهمة تخص الانتخابات لابـد من الأخذ بها وهي:

أ-المتطلبات الدستورية:

وتتمثل بالإطار الدستوري الذي يحدد المتطلبات الواجب توافرها لتحقيـق إنتخابات الديمقراطية فجوهر نظام الحكم الديمقراطي هـو تنظـيم عمليـة اتخـاذ القرارات السياسية وتنظيم علاقـات مؤسـسات الحكـم بـالمواطنين, والدسـتور الديمقراطي ينظم عملية اتخاذ القرارات وعمل مؤسسات الحكم, استناداً إلـى مبـدأ حكم القانون, أي تقييد سلطة الحكومة بدستور يخضع له الحاكم والمحكوم على حد سواء ويوفر آلية محدده لصنع قرارات تقابلها آلية للمسائلة السياسية, أو قيام نظـام قضائي مستقل لحماية مبدأ حكم القانون وصيانة حريات الأفراد وحقوقهم[17]، كمـا أن الدستور الديمقراطي يمكن المواطنين من المشاركة في عملية صنع القـرارات السياسية وحق كل القوى السياسية في التنافس على مقاعد الحكم, كما ينظم الدستور علاقات. مؤسسات الحكم بالجماهير على أسـاس المواطنـة وتمـتعهم بـالحقوق والواجبات على السواء من دون التفريق بينهم على أساس طائفي, فهـم مواطنـون ضمن البلد الواحد وليسوا رعايا.

ب-مقاصد الانتخابات الديمقراطية:

أنها آلية لتحقيق عدد من المقاصد, فهي تشكل آلية للتمثيل السياسي المعبـر عن المبدأ الديمقراطي الذي يعتبر أن الشعب هو مصدر السلطات, أي هـي آليـة

التمثيل النيابي من خلال إتاحة الفرصة أمام الناخبين لممارسة صـور المـشاركة السياسية في عملية صنع القرارات, وتوفر طريقة يتم من خلالها اختيـار الحكـام بتفويض شعبي وانتقال السلطة إلى المرشحين الفـائزين بالانتخابـات, فالمجـالس التشريعية النيابية التي تأتي في الانتخابات الديمقراطية تمثل التعددية السياسية مـن خلال وجود جميع التيارات الرئيسية في المجتمع, كما أنها توفر آلية لتداول السلطة وتسوية الصراعات السياسية بطرق سلمية للحكومة المنتخبة آو ربما تجدد شـرعية الحكومة القائمة[18].

ومن مقاصد الانتخابات الديمقراطية محاسـبة الحكـام ومـسائلتهم حـين الانتخابات من خلال تقييم برامج المتنافسين فيتم اختيار من تتناسب برامجـه مـع توجهات الناخبين ويخسر من لم يحضَ برضاهم, وتفرز الانتخابات نخب سياسـية جديدة تحضى برضا الناخبين فيتاح أمامهم دخول الحياة السياسية وتكون الانتخابات محوراً لإعداد السياسيين والقادة وتأهيلهم لمناصب أعلى, كما أنها تزيد مـن ثقافـة المواطنين في المسائل المتصلة بالشأن العام وشؤون السياسة.

ج-معيار حرية الانتخابات:

إن احترام الحقوق والحريات الرئيسية كحرية التعبير والاجتماع والمشاركة في التصويت وغيرها, وحرية مبدأ سيادة حكم القانون هي من ابرز معايير حريـة الانتخابات الديمقراطية, أي ممارسة السلطة بشكل شـرعي وان يخـضع الحـاكم والمحكوم لسلطة القانون على قدم المساواة, فحكم القـانون ومؤسـسات المجتمـع المدني واستقلال القضاء المقيد بدستور ديمقراطي تحول دون الاسـتبداد وانتهـاك الحريات, وتشجع على التنافس الحقيقي بين المرشحين, فاحترام مبدأ التنافس يضمن عدم اقتصار الانتخابات على فئة محدودة كما هو الحال في نظم الحزب الواحد, كما أنها توفر أمام الناخب اختيارات وبرامج متعددة ومختلفة مستظلين بمظلـة مبـدآ ضمان حريات المعرفة والتعبير والاجتمـاع والإعـلام ليعـرف النـاخبين أراء المرشحين وأفكارهم وبرامجهم ومناقشتهم عليها, بـشكل مباشـر او مـن خـلال

منظمات المجتمع المدني, وان تتمتع الانتخابات بحيادية تامة بدون تدخل من قبـل القائمين عليها في الإدارات المشرفة, ومن ثم فأن القانون الانتخابي العادل والنزيـه لابد وان ينسجم مع التركيبة الاجتماعية للمجتمع, وان تطبق القواعد والإجـراءات الانتخابية ذاتها وعلى الجميع بشكل دوري لضمان التداول السلمي للسلطة[19].

ثالثا_ معوقات التداول السلمي للسلطة

إن معظم عمليات الانتقال إلى التعددية السياسية في بلدان الجنـوب تمـت بمبادرات من النخب الحاكمة ولم تأت كنتيجة لقناعة هذه النخب بالديمقراطية كخيار استراتيجي, بل كانت خياراً تكتيكياً بهدف استمرارها بالحكم لـذلك عمـدت، بعـد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق مع مطلع العـام 1991، إلـى إحاطـة موضـوع التعددية السياسية في بلدانها بمجموعة من القيود والضوابط القانونيـة والـسياسية والإدارية فأفرغتها من مضامينها الحقيقية, فكانت عملية الأخذ بالتعدديـة الحزبيـة مجرد آلية لتحديث نظمها السياسية من خلال تأسيس نظام حزبـي تعـددي شـبة تنافسي في أفضل الحالات, ولم تحدث تغييراً جوهرياً في شكل النظام الـسياسي أو في طبيعة السلطة وأنماط ممارسة الحكم أو في العلاقة بين السلطات والعلاقة بـين ألدولة والمجتمع, لهذا ظلت التجارب التعددية فيها تمثل انفتاحاً سياسياً مقيداً مع نوع محدود من الديمقراطية مسيطر عليها من قبل الحاكم طبقاً لإرادتـه, دون تـأطير الحالة بدستور وقوانين راسخة, ولا وجود لقوى سياسية واجتماعيـة فاعلـة فـي المجتمع مؤمنه بالمشروع الديمقراطي وتناضل من اجل تطبيقـه, فكانـت عمليـة التحول لا تزيد عن كونها إقرار النظام السياسي لبعض الحقوق المدنية والـسياسية للمواطنين والتخفيف من القيود والأعباء المفروضة على ممارسة بعض هذه الحقوق كحرية التعبير عن الرأي والإفراج عن بعض المعتقلين السياسيين مـن أصـحاب الرأي[20].

إن إقرار التعددية السياسية لا يعني بالضرورة تطبيق الديمقراطيـة, علـى الرغم من إن التعددية الحزبية تشكل عنصرا أساسياً للديمقراطية, لان الأخيرة لهـا أبعادها وعناصرها ومتطلباتهـا الـسياسية والاجتماعيـة والاقتـصادية والثقافيـة والقانونية, كما إن التعددية يمكن أن تكون مجرد واجهة شكلية لنظام تسلطي تكـون

فيه الهيمنة السياسية لحزب كبير يستمد قوته من وجود رئيس الدولة علـى قمتـه، وتداخله مع أجهزة الدولة مع وجود أحزاب هامشية مقيدة بضوابط قانونية وأمنيـة مفروضة عليها من السلطة[21], ويبقى الحال نفسه بتكريس هيمنته للحزب الحـاكم (حزب الرئيس) ولمدة طويلة جدا. وتعد مصر مثال على ذلك، فقد عرفت التعددية منذ عام (1976) واستمرت السلطة السياسية حكراً على الحـزب الحـاكم وهـو الحزب الذي ولد من "الاتحاد الاشتراكي" في عهد (جمال عبد الناصر) واستمر في الحكم مع تغيير جميع عقائده وسياساته, وعلى الرغم من مرور أكثر مـن ثلاثـين عاما على الانفتاح السياسي في مصر ولم يتطور شكل المشاركة السياسية ولا تزال التعددية السياسية تراوح مكانها، مع هامش لا يتغير من حرية التعبير والتنظيم[22], لذلك فأن هذه العملية لا تعدو أن تكون عملية استيعاب أراء أو احتواء جزئي لقوى المعارضة. والتي لايمكن وصفها بالنظم الديمقراطية الحقيقية لأنها لازالت تحمـل سمات النظام السلطوي ولا يمكن وصفها بالسلطوية لأنها بالأساس أخذت ما يؤمن حاجتها من النظم الديمقراطية عن طريق التحولات الديمقراطية الشكلية والتعدديـة السياسية المظهرية.

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن هناك العديد من العقبات التي تعيق عملية التحول الديمقراطي وبالتالي عملية التعاقب على السلطة منها:

1_ضعف أداء البرلمان من جهة، ومن جهة أخرى وجود أغلبيـة آليـة للحـزب الحاكم, بما يعني تحكم الحزب الحاكم في آلية تركيب العضوية في البرلمـان مما يجعل استخدام الأعضاء لوسـائل الرقابـة البرلمانيـة (الـسؤال, طلـب الاستجواب, لجان تقصي الحقائق) لا تمثل تهديداً للحكومة, كمـا أن ممارسـة الأعضاء لوسائل الرقابة البرلمانية تخضع لقيود عديدة وفقاً لدسـتور أو وفقـآ لنظام البرلمان ذاته[23], فعلى سبيل المثال أن طلب المناقشة العامـة وطلـب

تشكيل لجنة تقصي الحقائق في لائحة مجلس الشعب المصري يتم بناءً علـى طلب عشرين عضوا على الأقل من أعضاء مجلس الشعب أما طلـب سـحب الثقة من احد نواب رئيس الوزراء أو الوزراء أو نوابهم أو إقـرار مـسؤولية رئيس الوزراء فيتم بناءً على طلب مقدم من عُشر أعضاء المجلس, أما مقترح اتهام الوزراء فيتم بناءً على طلب خُمس أعضاء المجلس وموافقة الثلثين على الاقتراح, أن مثل هذه الآلية بضوء الأغلبية للحزب الحاكم والقيود المفروضة، تجعل من البرلمان شكل ديمقراطي مجرد من المضمون والمعنى على الـرغم من إسهامه في تطوير الحياة السياسية وحفظ الحقوق العامـة والرقابـة علـى الحكومات، لكنها لم تكن مرجعية لتداول السلطة كما يفترض أن تكون[24].

2- القيود على حرية التعبير والصحافة, أن النصوص القانونية في النظم السلطوية المستترة بغطاء التعددية السياسية لا تتيح بل تحرّم ترويج الأفكار الرامية إلى تغيير مبادئ الدستور الأساسية أو تعطيل أحكام في الدستور أو القوانين أو منع احد مؤسسات الدولة أو احد السلطات العامة من ممارسة أعمالها, وينبغـي إن تتوافر لحرية الصحافة ضمانات منها حرية تملّك الصحف وإصدارها.

3- عقبات أمام تفعيل دور المجتمع المدني , بسبب تحكم الهاجس الأمنـي علـى النظم السلطوية , التي تعتمد أساليب الحصار والتضييق الـسياسي والملاحقـة الأمنية والحذر من قيام الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع المـدني بـدور سياسي في أطار مراقبة السلطات وكشف أخطاءها, أن استمرار التوجس مـن الجمعيات يعيق نشاطات المجتمع المدني من ان يأخذ دوره الريادي , أن القيود المفروضة على الجمعيات وتدخلات السلطة في أنظمتها جعلهـا تحجـم عـن الخوض في قضايا الديمقراطية والتغيير الـسياسي , والأزمـات الاقتـصادية وأسبابها وقضايا التنمية[25].

4- غياب أو تغييب القوى الاجتماعية والسياسية المنظمة القادرة على معالجة أزمة النظم التسلطية والشمولية، فهذه القوى تفتقر إلى قوة دفع حقيقية لها القدرة على الحركة والانجاز لان وجود هذه القوى شرط لتحويل أزمة النظام التسلطي نحو عملية التحول الديمقراطي بدءاً من تحقيق التعددية السياسية والفكرية[26].

5- أن خريطة السلطة القائمة في الدول او الأنظمة التسلطية تشير إلى استمرار الوضع فيها كما هو دون تغيير, وفي الدول التي استبدلت النظام الجمهوري بدل النظام الملكي لم يتغير الوضع فيها كثيرا. وبالرغم من أن مفهوم تداول السلطة أدخل في بعض التشريعات وحددت مدد قانونية تنتهي فترة الحكم بانقضائها , إلا أن التطبيقات استمرت تنقص من قيمة تلك التشريعات.

إن اغلب الدول عدّلت المواد المتعلقة بتداول السلطة في دساتيرها بما يخدم توجهات النخب الحاكمة, هذا في نظم الحكم الجمهورية, أما الملكية فان آلية التعاقب على السلطة محصورة ضمن الأسر الحاكمة ويتم تعيين ولي العهد ضمن حدود الأسرة, أن وجود نقص في مشروعية التعاقب على السلطة في النظم الملكية , تكون نتيجة الانقسام داخل الأسرة الحاكمة أو وجود تنافس بين أكثر من شخص على المنصب وعادة تحرص الأسرة على عدم إظهار الانقسام أمام الرأي العام لتبدو الأسرة الحاكمة متماسكة رغم الخلافات بين أفرادها.

6- أن من أهم المعوقات لتداول السلطة هو أن بعض النظم السلطوية لم تحدد بعد آلية لانتقال السلطة في حالة وفاة الحاكم، وبقيت الأنظمة السلطوية متمسكة بشعارات من قبيل ضرورات المرحلة التاريخية والحفاظ على وحدة الأمة وغيرها، وهكذا بقيت الآليات الدستورية غير واضحة في موضوع الانتقال السلمي السلس للسلطة سواء في النظم الجمهورية أم الملكية على حد سواء.

7. عدم وجود معارضة قوية تتمتع بمصداقية كافية لدى تيارات واسعة من المواطنين, يكون من أهم أولوياتها إبدال النظام, وتختفي أمامها كافة التناقضات البينية والابتعاد عن المهاترات الجانبية, فقوى المعارضة مشتته وعادة تفتح جبهات صراع مع أطراف المعارضة الأخرى, فتعارض بعضها البعض, أكثر من معارضتها للنظام الحاكم[27], وهذا ما تشجع علية أحزاب السلطة وتغذية وتعمل على كسب فريق معارض دون أخر بهدف إضعاف المعارضة وتمزيقها, كما أن الفجوات الواسعة بين السياسي والمدني والديني كلها فجوات أدت إلى حدوث منازعات انقسامية بين التيارات السياسية أسهمت في تعطيل مسيرة الإصلاح والتحول الديمقراطي.[28]

الخاتمة

لم تعد الديمقراطية عقيدة يؤمن بها مجموعة من المفكرين بــل أصــبحت منهاجاً وممارسة دستورية ضرورية لانها تمثل حجر الزاوية لمقتضيات التعــايش السلمي بين افراد المجتمع وجماعاته السياسية.

لذلك إن اعتماد الخيار الديمقراطي يعد مرتكزاً أساســياً لعمليــة التــداول السلمي للسلطة، لانه يعتمد الوسائل القانونية المتفق على الياتها مجتمعياً في عمليــة التغيير السلمي عن طريق اعتماد آلية الانتخابات الحرة في التوقيتات المتفق عليهــا دستوريا، وبالتالي لن يكون هناك مبرراً لأية جهة لاستخدام وسيلة غيــر قانونيــة لاخذ استحقاقها، الامر الذي يؤدي بالنتيجة إلى الاســتقرار الــسياسي والمجتمعــي باعتبار ان الديمقراطية تسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية.

الهوامش

(1) صفي الدين خربوش،"تداول السلطة في الــوطن العربــي بــين التــشريعات والتطبيقات، مقاله على موقع الجزيرة نت. http://www.aljazeera.net

(2) جلال عبد معوض، أزمة المشاركة السياسية في العالم الثالث , في علي الــدين هلال وآخرون، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الــوطن العربــي، مركــز دراسات الوحدة العربية، (بيروت،1983)،ص94 -ص95.

(3) ثامر كامل محمد "إشكالية الشرعية والمشاركة وحقوق الإنــسان فــي الــوطن العربي"مجلة المستقبل العربي ,العدد251(كانون الثاني، 2000)، ص117.

(4) سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي مــشروع استــشراف مستقبل الوطن العربي، مركز دراســات الوحــدة العربيــة،بيروت، 1985، ص86.

(5) محمد فائق: حقوق الإنسان والتنمية, مجلة المستقبل العربي مركــز دراســات الوحدة العربية، بيروت العدد 251, كانون الثاني 2000 ،ص102.

(6) علي عباس مراد، التنمية السياسية وأزمة المشاركة مشكلات وتجارب التنميــة في العالم الثالث" دار الحكمة، بغداد، 1990.

(7) علي خليفة الكواري، الدستور الديمقراطي، مجلة المستقبل العربي ، بيــروت العدد/ 195 أيار/ مايو 1995ص60.

(8) حسين علوان البيج، التعاقب على السلطة في الوطن العربــي" بغــداد" مجلــة دراسات إستراتيجية العدد 4 مركز الدراسات الدولية جامعة بغــداد. (1998) ص173.

(9) علي خليفة الكواري، مصدر سابق، ص62.

(10) حسين علوان البيج، مصدر سابق، ص174.

(11) هالة مصطفى، الدولة والحركات الإسلامية المعارضة بين المهادنة والمواجهة في عهدي السادات ومبارك، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية,القاهرة، 1996.

(12) جمال علي زهران، الأصول الديمقراطية والإصلاح السياسي، مكتبة الشروق الدولية ,القاهرة، 2005، ص48.

(13) حامد ربيع، نظرية القيم الأساسية, مجموعة محاضرات لطلبة البكلريوس والماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية, جامعة القاهرة،1977ص39.

(14) السيد يسين، الديمقراطية بين الإجراءات والقيم، جريدة الأهرام المصرية، القاهرة، العدد (2003/1/32) .

(15) Joseph A. Schumpeter, capitalism, socialism, and democracy, 3rd ed .(New York; Harper) (1950) p259.

(16) Robert A. Dahl< palyarch; participation(new have, ct; university press1971).

(17) علي خليفة الكواري، مصدر سابق، ص 61.

(18) محمد طه بدوي، النظرية السياسية، النظرية العامة للمعرفة السياسية، المكتب المصري الحديث, الإسكندرية, 1986، ص12.

(19) علي خليفة الكواري (محرر)، الانتخابات الديمقراطية وواقع الانتخابات في الأقطار العربية) مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت، 2009.

(20) حسنين توفيق إبراهيم، الأنظمة السياسية العربية الاتجاهات الحديثة في دراستها، مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت، 2005, ص89.

(21) المصدر نفسه، ص92.

(22) المصدر نفسه، ص94.

(23) ثناء فؤاد عبدا لله، مستقبل الديمقراطية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص294.

(24) عمرو هاشم ربيع، الرقابة البرلمانية في النظم السياسية دراسة في تجربة مجلس الشعب المصري، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2002، ص155.

(25) نبيل عبد الفتاح، المجتمع المدني في عالم مضطرب"الإعاقة البنائية والأسئلة والاحتمالات"، مجلة الديمقراطية,القاهرة, العدد 6،(2002)، ص 18 .

(26) برهان غليون " معوقات الديمقراطية في الوطن العربي مقالة على موقع قناة الجزيرة . http://www.aljazeera.net

(27) معتز بالله عبد الفتاح، التحول الديمقراطي في موريتانيا، مقال في صحيفة الوفد المصرية، القاهرة 24/ نيسان/ابريل 2007.

التسامح عند الرسول الكريم محمد (ﷺ)

م.د. بســــمان نــــوري الكــــوان

جامعــة تكريــت / كليــة الآداب / قــسم التــاريخ

ملخص البحث

يعد التسامح عند الرسول محمد (ﷺ) من المفردات المهمة في الإسلام التي تجلب المحبة والمودة بين الناس ، والتي هي أساس البناء الاجتماعي في الإسلام ، وأكد البحث قيمة التسامح في الإسلام وتسامح الرسول محمد (ﷺ) مــع الأســرة وكيفية التعامل معهم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمــد الهــادي إلــى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه وسلم حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد.........

أن العناية بالسيرة النبوية والاهتمام بها قد تناوله الكتاب من نواحي مختلفة ، وفي كثير من اللغات الغربية ومن بينها الانكليزية التي هي أكثر لغــات اغــرب اهتماماً بسيرة الرسول محمد (ﷺ) ، لأن كثيراً من مؤلفي الغــرب بــذلوا غايــة جهودهم فألفوا كتباً في سيرة النبي الأمين (ﷺ) وأقاموا حججاً بالغة على عظمــة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، واعترفوا بما للنبي من الفضل في تحريــر المجتمع من مظاهر العبودية والتقليد ومن سيطرة الذل والهوان ، ورفع الأمة مــن حضيض الشقاء إلى أوج السعادة في سنين معدودة وأن كانت دراساتهم وكتــبهم لا تخلو من دس وطعن وتشهير ، ومهما كتب الكتاب من كتب ومؤلفات بفضائله لهــم عاجزون ومقصرون في حصر جميع ما لحضرة الرسول الكريم محمد (ﷺ) مــن الأوصاف الحميدة والخصال الطيبة الطاهرة فهو قد بلغ أوج الكمال حيث اصــطفاه ربه لتبليغ رسالته الآلهية فكان لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى ، وكلما تقدم الإنسان في الحضارة وخطا خطوة في حلبة الرقي وصعد درجــة فــي ســلم الارتقاء أدرك بقدر أتساع آفاقه الفكرية ما للرسول الكريم محمد (ﷺ) من الفــضل الكبير على الإنسانية جمعاء ، وقسمت بحثي هذا إلى **أربعة مباحث هي :**

المبحث الأول : تسامحه الإنساني ويذكره المــسلمون بفخــر واعتــزاز ، فالإنسانية التي يحملها الرسول محمد (ﷺ) نــادرة ولا يحمــل هــذا التــسامح إلا الرسول الكريم (ﷺ) والبر الرحيم والمعلم الوحيد.

المبحث الثاني : يدعونا الإسلام للتسامح الاجتماعي الـذي حمـل لـواءه الرسول الكريم محمد (ﷺ) والذي على أساسه تآلفت القلـوب ونـشرت المحبـة والمودة بين الناس.

المبحث الثالث : والمتأمل في سيرة الرسول الكريم محمـد (ﷺ) ، وفـي غزواته وحروبه يرى مواقف كثيرة تدل نضج عقله العسكري وعظم عفوه ، وكمال تسامحه ، ويتجلى هذا التسامح في كيفية تعامله مع أعدائه ، وخير مثال على ذلـك تعامله مع أسرى بدر ، فقد جسد العفو والتسامح خير تجسيد.

المبحث الرابع : وفي مجال تسامحه الديني يظهر عفوه وتـسامحه بـشكل بارز وواضح ليشكل مظهراً بارزاً من مظاهر رحمته وعفوه ، حيث أنـه تعامـل وتعاطف مع الأديان الأخرى ، كما تبين ذلك في دستور المدينة الذي جمع فيه مـن الأحكام والآداب والتعاليم ما يضمن له أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان.

- تعريف التسامح :

التسامح في اللغة : السماحة : الجود والكرم والـسهولة ، وسـمح سـمحاً وسماحاً: لأن مسهل ، والسماح والمتسامح والمتساهل ، ورجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء [1] ، وسماحه مصدر سُمح (بضم المـيم وفتحهـا أيضاً) الجود والكرم واللينة والسهولة وورود (اللين) هنا يفيد نقيض الـشدة التـي تزهق وتكلف المرء بما لا يستطيع تحمله من إعياء وتكاليف في حياتـه[2] ، وفـي الحديث يقول الله سبحانه وتعالى " أسمحوا لعبدي كأسماحه لعبيدي "[3] ، والمسامحة : المساهلة ، وتسامحوا تساهلوا [4].

والتسامح في الاصطلاح : بمعنى " أن لا يعلم الغرض في الكلام " ويحتاج في فهمه إلى تقدير لفظ آخر ، أو هو استعمال اللفظ في غير الحقيقة ، لا لأقـصد علاقة معنوية ، ولا تصب قرينة دالة عليها اعتماداً على ظهور المعنى في المقال ، فوجود العلاقة بمعنى التسامح [5] ، وعليه فأن التسامح هو من الصفات المحمودة ، وميزة من مميزات المسلم التي تؤدي للمحبة والمودة والتآخي.

لما أختص الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بخصائص كثيرة ، فمن جملة خصائصها أن حفظ الله عز وجل دستورها وكتابها القرآن الكريم ، وحفظ لها سـنة نبيها الكريم محمد (ﷺ) لأن حكمة الله اقتضت أن تكون شريعة الإسـلام خاتمـة للشرائع ونبيها الكريم محمد(ﷺ) خاتماً للأنبياء (عليهم صلوات الله جميعـاً) ومـن أهم صفاته التسامح والعفو والصفح الجميل لما لهذه الصفة من تـأثير كبيـر فـي النفوس ، ووجدت أن هناك صفحات عديدة للتسامح ومنها تسامح إنساني واجتماعي وعسكري وديني ، وسأتناول في بحثي هذا كل صفحة من هـذه الـصفحات التـي تجسد المعنى الحقيقي للتسامح قولاً وفعلاً.

1- **التسامح الإنساني** :

جاء الإسلام والناس متفرقون يتعادون في الأنساب والألوان واللغات والأوطان والأديان والشعوب والقبائل ، فجاء الإسلام بدينه القيم يدعوهم به إلى الوحدة الإنسانية العامة الجامعة ، لينهاهم عن التفرق والتعادي والتباغض ، فجاء الرسول الكريم محمد (ﷺ) ليترجم ما جاء به الإسلام ويدعوا الناس إلى التسامح والعفو والصفح الجميل ، والتي جسدها على أرض الواقع خير تجسيد.

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله محمد (ﷺ) قال :

يا عائشة أن الله رفيق يحب الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه [6]، وفي موضع آخر (أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) [7] ، وعن خالد بن معدان (رضي الله تعالى عنه) أن النبي محمد (ﷺ) قال : (أن الله تبارك وتعالى رفيقاً يحب الرفق ويرضى به ويعين عليه ما لا يعين على العنف) [8].

ومعنى يعطي الرفق أي يثيب عليه ما لا يثيب على غيره [9] ، والرفق فضيلة من الفضائل المحمودة ، وهو منزل من منازل الشريعة السمحاء ، وصفة من صفا المؤمن ، والرفق يجلب الخير ، لقول النبي محمد (ﷺ) : (من يحرم الرفق يحرم الخير)[10] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : " دخل رهط اليهود على رسول الله (ﷺ) فقالوا : السام[11] عليكم قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : فعليكم السام واللعنة : فقال رسول الله (ﷺ) : مهلاً يا عائشة ، أن الله يحب الرفق في الأمر كله ، فقلت : يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا ؟ فقال رسول الله (ﷺ) ، قد قلت : وعليكم[12] ، وهذه صورة حية للتسامح الإنساني الذي يتحلى به الرسول الكريم محمد (ﷺ).

أما تسامحه مع المستفتي معن سلمة بن صخر البياضي قال : كنت أمراً أستكثر من النساء لا أرى رجلاً كان يصيب من ذلك ما أصيب فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان ، فبينما هي تحدثني ذات ليلة أنكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها فواقعتها ، فلما أصبحت غدوت على قومي تأخيرهم خبري ، فقلت لهم : سلوا لي رسول الله (ﷺ) فقالوا : ما كنا نفعل إذا ينزل الله عز وجل فينا كتاباً من رسول الله (ﷺ)[13]، فيبقى علينا عاره ، ولكن سوف نسلمك لجريرتك ، أذهب أنت فأذكر شأنك لرسول الله (ﷺ) ، فقال : فخرجت حتى جئته فأخبرته الخبر ، فقال : رسول الله (ﷺ) : أنت بذاك ؟ فقلت أنا بذاك وما أنا يا رسول الله صابر لحكم الله علي ، فقال : فأعتق رقبة ، فقلت : الذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك إلا رقبتي هذه [14] ، قال : فصم شهرين متتابعين ، فقلت يا رسول الله وهل دخل علي ما دخل من البلاء إلا بالصوم ، قال : فتصدق أو أطعم ستين مسكيناً ،قلت : والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه مالنا عشاء ، قال : فأذهب إلى صاحب صدقة بني زريق ، فقل له فليدفعها إليك ، وأطعم ستين مسكيناً وأنتفع ببقيتها ، فرجعت إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي (ﷺ) السعة وحسن الرأي ، وقد أمر لي بصدقتكم ، قال فادفعوها لي [15].

2- **التسامح الاجتماعي** :

يدعونا الدين الإسلامي إلى الالتزام بالقيم الخلقية السامية ، ومنها العفو والتسامح الاجتماعي ، والذي على أساسه تتآلف القلوب وتنتشر المحبة والمودة بين الناس ، لتتوج على هذا الأساس علاقات اجتماعية سامية ، وقد جسدها الرسول الكريم محمد (ﷺ) بأجمل صورة وأسمى واقع.

فالتسامح جمع المؤمنين على التعاون والتحابب والتوادد ، كما دعا إلى التحرر والمساواة والعفو والمسامحة ونصرة المظلوم ، ونادى بالمحافظة على

النفس وحمايتها ، كما تؤدى بالمحافظة على الأسرة وترابطها وحث على كل نواحي الخير للإنسان [16] ، ومن الأخلاق الإسلامية التسامح ، فلقد كان للتسامح الفضل الأول في انتشار الإسلام ، ومن الأخلاق الإسلامية الرحمة التي تعم ولا تخص ، ومن قول رسول الله (ﷺ) : (من لا يرحم لا يرحم) [17] ، ومن نعم الله علينا وعلى الإنسانية أرسل نبينا محمد (ﷺ) بالحنفية السمحاء ، ورحمة للعالمين وهذه الرحمة ذات صور من المودة والتسامح ، وتجسدت مرحلتها الأولى في المدينة من خلال تعامله (ﷺ) مع المسلمين وغيرهم [18]، وبعث رسول الله (ﷺ) الزبير والمقداد رض الله عنهم فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فأن ظعينة [19] ، معها كتاب فخذوه منها : فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجي الكتاب، قال: ما معي، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب؟ قال فأخرجته من عقاصها[20]، فأتينا به رسول الله (ﷺ) فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة (ت30هـ) إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ﷺ) فقال يا حاطب ما هذا؟ فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت أمراً ملصقاً في قريش يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ):

أما أنه قد صدقكم ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله (ﷺ) أنه : قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد أطلع على من شهد بدراً ، فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، [21] وجيء برجل إلى رسول الله (ﷺ) قد سرق جملاً ، فقال ما أراك سرقت ؟ فقال : بلى ، قال : فلعله شبه لك ؟ قال : بلى قد سرقت ، قال : فأذهب به يا قنبر ، فشد أسبعه ، وأوقد النار

وأدع الجزار ليقطع ، ثم انتظر حتى أجيء ، فلما جاء قال له : أسرقت ، قال : لا فتركه ، قالوا : أتى يا رسول الله (ﷺ) برجل قد سرق فأمر فقطع يده ثم بكى ، فقلت لم تبكي؟ قال : وكيف لا أبكي ؟ وأمتي تقطع بين أظهركم ، قالوا يا رسول الله أفلا غفرت ؟ قال : ذاك سلطان سوء الذي يعفو عن الحدود ، ولكن تعافوا الحدود بينكم[22] ، ومع أنها حدود الله عز وجل ، فأن الرسول الكريم محمد (ﷺ) كان ينشد العفو والتسامح والصفح الجميل.

ولقي الرسول الكريم محمد (ﷺ) من العنت والأذى ما لقي من مشركي قريش وأبنائهم من الضرب والاعتداء والتعرض له في الطرقات ووضعوا على ظهره سلا الجذور وكان يقول (بل أرجو ان يخرج من أصلابهم من يعبد الله) ، ثم ذكر لهم قصة أسرى بدر (2هـ) وكيف استشار الرسول الكريم محمد (ﷺ) أبو بكر (رضي الله عنه) في أمرهم وهو يميل إلى الرحمة فطلب أن تؤخذ منهم الجزية ويطلق قيدهم فعارضه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بشدة لكن النبي محمد (ﷺ) وافق أبو بكر (رضي الله عنه) فأطلق سراحهم بدون شروط [23]، ومع ذلك نرى الرسول الكريم محمد (ﷺ) يصبر ويعفو ويسمح.

وذات مرة جذبه بدوي طارحاً دثاره حول عنقه الشريف ، وحين سأل الرسول الكريم محمد (ﷺ) لم يعامله بالمثل قائلاً : أنه لا يرد على الشر بالشر أبداً [24] ، وعفا النبي محمد (ﷺ) عن مشركين مكة الذين أخضعوه وأصحابه دائماً لأشد التعذيب وكيف أنهم أخرجوه هو ومن يقف معه من بيوتهم إلى منطقة صحراوية معلنين عليهم المقاطعة ومعلقين بنود هذه المقاطعة على جدار الكعبة ، وكانت تقتضي بعدم التعامل معهم أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم وألا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله (ﷺ) [25] ، وحرموا المسلمين من أبسط حقوقهم كزيارتهم الكعبة حتى أنعم الله سبحانه وتعالى على رسول الله وأصحابه

(ﷺ) ففتحوا مكة سنة (8هـ) فكيف كانت معاملته لأهل مكة بعد كل هذا التـاريخ لمليء عداوة وبغضاء ؟ لقد قال لهم:أذهبوا فأنتم الطلقاء [26] ،وهذه صورة سـامية ورقيقة من صور العفو والتسامح والصفح الجميل.

وهذا صفوان بن أمية(ت30هـ) يفر إلى جدة ليبحر إلى اليمن فيأتي عمير بن وهب (ت22هـ) لرسول الله (ﷺ) : يا نبي الله أن صفوان بن أمية سيد قومـه قد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه قال : آمن قـال يـا رسـول الله فأعطني آية يعرف بها أمنك ، فأعطاه الرسول عمامته التي دخل فيها مكة فخـرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر وقال يا صفوان فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها [27] ، فهذا أمان رسول الله قد جئتك به ، قـال : أنـي أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه حتى قدم به رسول الله (ﷺ) ، فقال : صفوان أن هذا يرغم أنك قد أمنتني ؟ قال صدق ، قال فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار أربعة أشهر [28] ، وعفا عنه.

وهذا رجل آخر جاءه قبيل الفتح ، وكان عاقاً مسرفاً في هجـره وإيذائـه للرسول (ﷺ) وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وطلب الأذن عليه فقـال : لا حاجة لي به وقد هتك عرضي : وكان مع أبو سفيان بني لـه ، فقـال : والله ليأذنن لي لأخذن بيد بني هذا لتذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ، فلمـا بلغ ذلك رسول الله(ﷺ) رق له ودخل عليه وعفا عنه [29].

ومن كمال عفوه ما رواه أنس (رضي الله عنه) (ت90هـ) قال : كنت مـع النبـي (ﷺ) وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه بشدة شديدة حتى أثرت علـى حاشية البرد في صفحة عاتقه الشريف ، ثم قال الأعرابي : يا محمد أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فأنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك : فسكت النبي (ﷺ) ثم قال : المال مال الله وأنا عبده ، ثم قال : ويقاد [30] منك يـا

أعرابي ما فعلت بي قال : لا ، فسأله النبي (ﷺ) : ولم ؟ قال : لأنـك لا تكـافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي (ﷺ) ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر [31] ، ويمكن القول أن العفو عند المقدرة مرآة تتجلى فيها أحسن صور النفس وسمو المقصد وقد أدب القرآن الكريم نبيه الكريم محمد (ﷺ) بهذا الخلق الكـريم الذي ترجمه بأقواله وأفعاله فشمل عفوه البلاد والسادة والزعماء وعامة الناس الذي أسرفوا في إيذائه.

وما ظنك من الكلام المؤذي والفعل السيئ ؟ عن أنس (رضي الله عنه) قـال : قـال رسول الله (ﷺ) لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال[32] ، ومع ذلك كان يتقبل ذلك بصدر رحب وقلب سليم.

3- التسامح العسكري :

الناظر في سيرة الرسول الكريم محمد (ﷺ) في غزواته وحروبـه يـرى مواقف كثيرة تول على عظيم عفوه وكمال تسامحه ، وتتجلـى صـفحات العفـو والتسامح في المعارك الحربية التي خاضها وكيفية تعامله مع أعدائه رغم ما قاموا به من مؤامرات ومكائد ، فلم تكن سياسته سياسة اعتداء وقهر وظلم وإنمـا كانـت سياسة عفو وتسامح وصفح جميل.

أمر رسول الله (ﷺ) جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمـسنين والأطفـال والنساء ، وحذروا أن يهدموا البيـوت ويـسلبوا التجـار وأن يقطعـوا الأشـجار المثمرة[33]، ما صح عن رسول الله (ﷺ) كان إذا أمر أميراً على جيش أو سـرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال (أغزوا باسـم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تقلوا ولا تعـذروا ولا تمثلـوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم إلى ثـلاث خـصال فـأيتهن

أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين فأن أبو أن يتخلوا منها فأخبرهم أن يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكـم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيئاً إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فأن هم أبو فسلهم الجزية فأن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فـأن هم أبو فأستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمـة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن أجعل لهـم ذمتـك وذمـة أصحابك أن تحفروا ذمتكم وذمم أصحابكم أهون من أن تحفروا ذمة الله ورسـول وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزل لهم على حكم الله فلا تنزل لهم علـى حكم الله ولكن أنزل لهم على حكمك فأنك لا تدري أتصيب حكم الله أم لا)[34].

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال : لما كان يوم حنين (8هـ) ويوم توزيع الغنائم على الجيش أثر الرسول (ﷺ) ناساً في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حـابس (ت8هـ) مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن (ت30هـ) مثل ذلك وأعطـى ناساً من أشراف العرب وأثرهم يومئذ على القسمة وقال : رجل مـن الأعـراب : والله أن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فرفع الصحابي عبـد الله بن مسعود (ت32هـ) (رضي الله عنه) إلى حفرة النبي (ﷺ)حتى كان كالصدق ، ثم قـال : فمن يعدل أن لم يعدل الله ورسوله؟ ثم قال(ﷺ) : رحم الله موسى (عليه السلام) قد أوذي بأكثر من هذا قصير [35] ، وفي معركة بدر كيف أنه (ﷺ) أستشار أبو بكر في أمرهم وهو يميل إلى الرحمة فطلب أن تؤخذ مـنهم الجزيـة ويطلـق قيـدهم فعارضه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بشدة لأنه أراد قتلهم لأنهم رؤوس الكفر وأئمـة الضلالة ، لكن الرسول الكريم (ﷺ) بوما عرف عنه ميل العفو والـسماحة فعفـا عنهم وأطلق سراحهم [36] ، وفي معركة أحد سنة (3هـ) عندما جرح وسقط على

الأرض ، سأله أحد الصحابة أن يستنزل اللعنة على العدو فأجاب : أنا لـم أبعـث لعاناً للعالمين ولكن بعثت هادياً ورحمة .... اللهم أهد قومي فأنهم لا يعلمون [37].

وبلغ رسول الله (ﷺ) أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن ضرار ، فلما سمع رسول الله (ﷺ) خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال لـه : المريسيع [38] من ناحية قدير إلى الساحل ، فتزاحف الناس وأقتتلوا فهزم الله بنـي المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، وعفا رسول الله (ﷺ) من بقى منهم [39].

وفي غزوة بدر (ت2هـ) أيضاً فقد صفوان بن أمية أباه وأخاه وأسر وهب ولد عمير بن وهب ، فأتفق صفوان مع أبن عمه في الحجر من البيت الحرام علـى اغتيال رسول الله (ﷺ) بشرط أن يقضي صفوان ديون عمير وأن يتولى نشأ أولاده من بعده ، وطلب عمير من صفوان أن يكتم ما دار بينهما لئلا يفشوا الخبر ويصل إلى المدينة ، فوصل عمير المدينة فنزل بباب المسجد وأخذ السيف فعمد إلى رسول الله (ﷺ) فدخل فقال رسول الله له : ما أقدمك ؟ قال : قدمت على أسيري عنـدكم [40] ، قال (ﷺ) قال : أصدقني ما أقدمك ؟ قال: ما قدمت إلا في أسيري ، قـال : (ﷺ) فماذا اشترطت لصفوان بن أمية في الحجر ؟ ففزع عميـر وقـال : مـاذا شرطت له ؟ قال : (ﷺ) : تحملت له بقتلي على أن يعول بيتك ، والله حائل بينـك وبين ذلك ، قال عمير: أشهد أنك رسول الله أن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه أحد غيري وغيره ، فأخبرك الله به أمنت بالله ورسـوله ، وعفا عنه رسول الله (ﷺ) وأطلق سراحه [41].

4- **التسامح الديني** :

أن العفو والتسامح مظهراً بارزاً في شخصية الرسول الكريم (ﷺ) ومظهراً واضحاً من مظاهر رحمته (ﷺ).

ومن سياسته الرشيدة في حياته الأولى في المدينة أنه لما رأى عدم تجانس أفراد المجتمع لاختلاف عقائدهم ، شرع في وضع نظام يـضمن حقـوق الجميـع ويكفل حرية العقيدة وحرمة الدماء والأموال والأعراض وتجعلهم جميعـاً مكلفـين بالدفاع عن البلاد أمام الاعتداءات متكافلين في الحرب والسلم وسـطر ذلـك فـي صحيفة[42] جاء فيها :

أن يهود بني عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمـسلمين ديـنهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وإثم فأنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته [43].

ثم تقرر أن من تبعنا من يهود فأن له النصر والأسوة غير مظلـومين ولا متناصر عليهم ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمـسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم ، ثم تقرر لبقية اليهود المعاهدين ما ليهود بني عوف ، ثـم تذكر الصحيفة أن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم[44] ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم [45] ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار وإثـم وأنه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها ، وأن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حـدث أو أشتجار يخاف فساده فأن مده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله (ﷺ) [46] ، وبهذه الصحيفة انقادت إلى النبي محمد (صلى اله عليه وسـلم) سـلطة يثـرب الزمنية دون قصر ، فقد اقتضت العهود أن تنص على الحكم في حالة الخلاف ولم يكن إلا هو ليحكم ومنذ تلك الساعة وضع الحجر الأسـاس لدولـة الإسـلام [47] ، وتجلت مظاهر التسامح الديني في عهد النبي محمـد (ﷺ) حـين اسـتقبل وفـداً نصرانياً وبعث برسالة إلى أسقف نجران [48] ، يقول في الرسالة :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي إلى الأسـقف أبـي الحـارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم ، إن لهم ما تحت أيديهم من قليـل أو

كثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ، ولا يغير حـق مـن حقـوقهم ولا سلطانهم فلا شيء مما كانوا عليه ، على ذلك جوار الله ورسوله أبداً ، ما نـصحوا واصطلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين " [49] ، وحرص النبـي (ﷺ) على تلقين المسلمين التعاون مع أهل الكتاب اليهود والنصارى ، ولا شك أن حروباً نشبت بين المسلمين وغيرهم في بعض الأحيان والسبب أن أهـل هـذه الـديانات الأخرى أصروا على القتال ، وقد قطع الرهبان بأن أهل الكتاب كـانوا يعـاملون معاملة طيبة وكانوا أحرار في عبادتهم [50] ، أن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو اتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم تركوهم أحرار في إقامـة شعائرهم الدينية[51] ، فالرسول الكريم محمد (ﷺ) كان يحب أصـحاب الـديانات الأخرى وهذه المحبة والمودة ما هي إلا وجهاً آخراً من وجوه التسامح الديني.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من كتابة البحث أفرزت هذه الكتابة عدة نتائج يمكن إجمالها بالشكل التالي :

1- أن السيرة النبوية الشريفة وتاريخها هي المصدر الكبير لقوة الرسول محمد (ﷺ) الإيمانية التي تنشر العفو والتسامح على جميع الناس.

2- أظهر البحث المعاني القيمة للتسامح ودور هذه المفردة بين الناس التي جسدها رسولنا الكريم محمد (ﷺ) خير تجسيد.

3- أبرز الدور الكبير الذي قام به الرسول محمد (ﷺ) في تطبيق مبدأ التسامح مع المسلمين وغير المسلمين.

4- في سيرته (ﷺ) صورة واضحة تدل على كمال خلقه يتوضح ذلك من خلال ما لاقاه من أذى واعتداء من قريش وأخيراً يقول لهم أذهبوا فأنتم الطلقاء ، وهذا العفو والتسامح إنما هو خلق الرسول الكريم (ﷺ).

5- في المعارك العسكرية ورغم ما يتعرض له من أذى وتجاوز واعتداء ، نراه يتعامل مع الأسرى برحمة نادرة وعفو كريم وهذه أعلى درجات الخلق الإسلامي.

6- العقل الراجح والتفكير الحكيم يتوضح ذلك من خلال الصحيفة أو دستور المدينة التي تخص المسلمين وغير المسلمين ، والتي حدد بها الرسول الكريم (ﷺ) الحقوق والواجبات لجميع من كان في المدينة والذي أبرز في هذه الصحيفة التسامح الديني لكل من يسكن المدينة.

الهوامش:

(1) أبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت 711هـ) ، لسان العرب ، (بيروت ، 1995م) ، ج2 ، ص489.

(2) د. قلعة جي ، محمد داوس ، معجم لغة الفقهاء ، (بيروت ، 1996م) ، ص223.

(3) الشيباني ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، (ت241هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل (مصر ، 1966) ، ج2 ، ص749.

(4) أبن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص489.

(5) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، (ت471هـ) ، التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، (بيروت ، 1405هـ) ، ج1 ، ص18.

(6) الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين ، (ت261هـ) صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، 1387هـ) ، ج12 ، ص486.

(7) الإمام ، مالك بن أنس ، (ت179هـ) ، الموطأ ، تحقيق ، يحيى بن يحيى بن كثير ، (بيروت ، 1979م) ، ج6 ، ص87.

(8) مسلم ، صحيح مسلم ، ج12 ، ص487.

(9) المصدر نفسه ، ج12 ، ص487.

(10) المصدر نفسه ، ج12 ، ص487.

(11) السام : يعني الموت ، والسام عليكم ، يعني الموت لكم ، المبارك فوزي ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، (ت1353هـ) ، تحفة الأحوذي ، شرح جامع الترمذي ، (بيروت ، لات) ، ج8 ، ص164.

(12) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (ت256هـ) ، صحيح البخاري ، (بيروت ، 1973م) ، ج8 ، ص88.

(13) مسلم ، صحيح مسلم ، ج12 ، ص488.
(14) البخاري ، صحيح البخاري ، ج18 ، ص479.
(15) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج33 ، ص179.
(16) مسلم ، صحيح مسلم ، ج4 ، ص1808.
(17) المصدر نفسه ، ج4 ، ص1808.
(18) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج18 ، ص288.
(19) الظعينة : المرأة في الهودج.
(20) عقاصها : جمع عقيصة ، وهي الظفيرة من الشعر.
(21) الكاند هلوي ، محمد يوسف ، حياة الصحابة ، تحقيق ، محمد ثامر ، (مصر ، 2001م) ، ج2 ، ص321.
(22) الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، (ت807هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (القاهرة ، 1407هـ) ، ج9 ، ص61.
(23) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج33 ، ص180.
(24) محمد ، علي ، حياة محمد وسيرته ، ترجمة ، منير البعلبكي ، (بيروت ، 1977) ، ص273.
(25) الزرعي ، أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر ، (ت751هـ) زاد العباد في هدي خير العباد ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ، (المنار الإسلامية ، 1986م) ، ج3 ، ص20.
(26) أبن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، (ت218هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ، (بيروت ، 1411هـ) ، ص411.
(27) البخاري ، صحيح البخاري ، ج13 ، ص228.
(28) مسلم ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص150.

(29) الزرعي ، زاد العباد في هدي خير العباد ، ج3 ، ص34.
(30) يقاد : يقتص.
(31) مسلم ، صحيح مسلم ، ج12 ، ص49.
(32) المصدر نفسه ، ج12 ، ص496.
(33) المصدر نفسه ، ج9 ، ص150.
(34) البخاري ، صحيح البخاري ، ج13 ، ص222.
(35) مسلم ، صحيح مسلم ، ج5 ، ص292.
(36) الواقدي ، أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد ، (ت207هـ) ، المغازي ، تحقيق ، محمد عبد القادر ، أحمد عطا ، (بيروت ، 2004م) ، ج1 ، ص199.
(37) أحمد بن حنبل ، مسند أبن حنبل ، ج18 ، ص388.
(38) المريسيع : هو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسقت عين الرجل : إذا دمعت من فساد.
(39) أبن هشام ، السير النبوية ، ج3 ، ص182.
(40) أي : قدمت لافتداء أسيري وهب.
(41) مسلم ، صحيح مسلم ، ج9 ، ص154.
(42) أبن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ، ص503.
(43) المصدر نفسه ، ج2 ، ص503.
(44) المصدر نفسه ، ج2 ، ص322.
(45) أبن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ، (ت774هـ) ، البداية والنهاية ، (بيروت ، 1980م) ، ج5 ، ص66.
(46) المصدر نفسه ، ج5 ، ص69.

(47) أبن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ، ص323.

(48) أسقف نجران : هو أبو حارثة بن علقمة بن بكر بن وائل ، أبن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد الشيباني ، (ت630هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (بيروت ، 1415هـ) ، ج1 ، ص46.

(49) أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج5 ، ص66.

(50) حسن ، محمد أمين ، خصائص الدولة الإسلامية ، (الأردن ، 1983م) ، ص66.

(51) المرجع نفسه ، ص67.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر الأولية :-

1 - أبن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد الشيباني ، (ت630هـ).

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (بيروت ، 1415هـ)

2 - الشيباني ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، (ت241هـ).

مسند الإمام أحمد بن حنبل (مصر ، 1966)

3 - البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (ت256هـ).

صحيح البخاري ، (بيروت ، 1973م)

4 - الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، (ت471هـ).

التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، (بيروت ، 1405هـ)

5 - أبن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي ، (ت354هـ).

صحيح أبن حيان ، تحقيق ، شعيب الأنؤوط ، (بيروت ، 19732م)

6 - الزرعي ، أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر ، (ت751هـ).

زاد العباد في هدي خير العباد ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ، (المنار الإسلامية ، 1986م)

7 - أبن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، (ت774هـ).

البداية والنهاية ، (بيروت ، 1980م)

8 - أبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت 711هـ).

لسان العرب ، (بيروت ، 1995م)

9 - مالك بن أنس ، (ت179هـ).

الموطأ ، تحقيق ، يحيى بن يحيى بن كثير ، (بيروت ، 1979م)

10 - المبارك فوزي ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، (ت1353هـ).
تحفة الأحوذي ، شرح جامع الترمذي ، (بيروت ، لات)
11 - الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين ، (ت261هـ).
صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،(بيروت ، 1387هـ)
12 - الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، (ت807هـ).
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (القاهرة ، 1407هـ)
13 - أبن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، (ت213هـ).
السيرة النبوية ، تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ، (بيروت ، 1411هـ).
14 - الواقدي ، أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد ، (ت207هـ).
المغازي ، تحقيق ، محمد عبد القادر ، أحمد عطا ، (بيروت ، 2004م)

ثانياً : المراجع الحديثة :-

1 - حسن ، محمد أمين.
خصائص الدولة الإسلامية ، (الأردن ، 1983م)
2 - قلعة جي ، محمد داوس.
معجم لغة الفقهاء ، (بيروت ، 1996م)
3 - الكاند هلوي ، محمد يوسف.
حياة الصحابة ، تحقيق ، محمد ثامر ، (مصر ، 2001م)
4 - محمد ، علي.
حياة محمد وسيرته ، ترجمة ، منير البعلبكي ، (بيروت ، 1977)

Summary

The tolerance of the messenger of Allah is one of the important vocabularies in Islam that fetches passion and congeniality among people , which is regarded as the base of social structure in Islam.
The research emphasized the value of tolerance in Islam and of messenger of Allah (Mohammed) with captors and how to deal with them.

العلاقة بين تيارات الهجرة الداخلية والمسافة في العراق عام 1997

أ. د. عباس فاضل السعدي

جامعة بغداد/ مركز احياء التراث العلمي العربي

الملخص

يهدف هذا البحث الى دراسة العلاقة بين تيارت واحجام الهجرة الداخلية والمسافة اعتماداً على بيانات تعداد عام 1997 , وتمخض عن البحث وجود أنماط متعددة لحركة الهجرة الداخلية المتبادلة, مثل وجود تيارات متبادلة بين المحافظات المتجاورة وتزداد العلاقة فيما بينها إذا ما أُخذ عامل المسافة بنظر الإعتبار بإستثناء محافظة بغداد. وظهر وجود ارتباط عكسي بين الهجرة والمسافة.

استحوذت بغداد على اكثر من نصف حجم ما كسبته من صافي تيارات الهجرة المتبادلة بين المحافظات, ومحافظات الفرات الأوسط كسبت ما يزيد على خُمس صافي تلك التيارات, والخمس المتبقي لبقية المحافظات.

وفي السنوات الأخيرة(بعد تعداد عام 1997) بدأ المهاجرون يتجهون نحو الأقطاب الثانوية المجاورة للإستفادة من عامل المسافة بعد ان حددت الدولة الهجرة نحو بغداد. تمخض عن الدراسة ظهور نطاق متصل بين المحافظات ذات التيارات الكاسبة في غربي القطر وظهور نطاق آخر متصل من المحافظات الخاسرة في شرقي القطر وجنوبه.

بحث مدعم وممول من منحة المعهد الامريكي للبحوث الاكاديمية في العراق لعام 2011 لفوزه بمسابقة (تاري) .

مُقَدِّمَة

الهجرة هي حركة انتقال الاشخاص عبر الحدود الادارية او السياسية من مكان الى اخر لغرض الاقامة والسكن لمدة طويلة او دائمة(1). والهجرة ظاهرة اختيارية تتميز بتركيب عمري ونوعي معين وبدوافع محددة(2). اما ما يسمى بالهجرة القسرية فهي التي يطلق عليها اسم (النزوح). كما انها ظاهرة تنتقي افرادا ذوي مزايا خاصة، كأن تستقطب افرادا من مجموعات عمرية مختارة. ويختلف نوع الانتقاء ، فقد يكون ايجابيا في بعض تيارات الهجرة وسلبيا في بعضها الاخر.

وتعد الهجرة الداخلية احد العناصر الاساسية للنمو السكاني، حيث تؤثر في حجم وهيكلية السكان وفي القدرة على نموهم العام. وبالرغم من ان حركة التنقل هذه لا تؤدي دورا قائما بذاته، كما هو الحال بالنسبة لحركة الزيادة الطبيعية اذ لا تشارك مباشرة في تجديد خصوبة السكان او توالدهم، فان لها اهمية جوهرية في اعادة توزيع السكان وتباين نموهم وفي تكوين تراكيبهم المختلفة، مما له اثار اجتماعية وديموغرافية كبيرة داخل المجتمع.

ويعَرف الشخص المهاجر بأنه الشخص الذي يغير محل اقامته المعتاد أي الذي كان يقيم فيه المهاجر عند بداية الهجرة او عند اخر انتقال او حركة وهو المكان الذي حدثت فيه الحركة (منطقة الاصل)Area of Origin الى مكان اخر – في الاقل مرة خلال مدة الهجرة– بقصد الاقامة الدائمية فيه ويعرف بمنطقة الوصول او منطقة الهدفArea of Destinaiton وتختلف تلك الحركة من حيث المسافة المقطوعة والزمن الذي تستغرقه(3).

اما تيارات الهجرة Migration Streams فهي مجموع التحركات التي تحدث خلال مدة هجرة معينة بين منطقتي الاصل والوصول. فالمهاجرون الذين يغادرون منطقة اصل كانوا يقيمون فيها ويصلون الى منطقة هدف كانوا يقطعونها خلال مدة هجرة معروفة يكونون" تيار هجرة"[4] وتيارات الهجرة على هذا الاساس هي مجموعة من المهاجرين لهم مكان الاصل نفسه الذي هاجروا منه، ولهم مكان الوصول نفسه الذي انتهت اليه هجرتهم.

ويمكن تكوين مصفوفة من التيارات[*] يمثل كل زوج منها التحركات في الاتجاهات المعاكسة، ويعرف الاكبر بالتيار السائد والاصغر بالتيار المعاكس Reverse Stream، اما مجموع التيارين فيعرف بالتيار المتبادل الاجمالي Gross interchange[5].

والبحث الذي نحن بصدده يهدف الى توضيح العلاقة بين المسافة بوصفها عاملا جغرافيا مؤثرا وتيارات الهجرة الداخلة والخارجة من مكان لاخر في العراق من خلال حساب معدلات وتيارات الهجرة وحجم صافي التيارات المتبادلة بين محافظات القطر من واقع تعداد السكان لعام 1997 الذي غطى 15 محافظة , اي جميع محافظات العراق بإستثناء ثلاث محافظات شمالية وذلك باستخدام المنهج الكمي الديموغرافي والتحليل الجغرافي.

دور المسافة في حركة الهجرة الداخلية

تؤثر المسافة كثيراً في حركة الهجرة الداخلية واتجاهاتها، فبالإضافة الى ما تحدده عوامل الطرد والجذب من تأثير في حجم اتجاه تيارات الهجرة فان عامل المسافة يؤدي دورا بارزا في تحديد هذا الاتجاه.

ويلاحظ في مصر ان معظم المهاجرين القاطنين في المنوفية يقصدون القاهرة بينما يتجه معظم المهاجرين الساكنين في البحيرة الى الاسكندرية وذلك لقصر المسافة[6].

وكان " رافنستين" E.G. Ravenstein[*](1834-1913) اول من حاول تفسير ظاهرة الهجرة على اساس المسافة، حيث نشر في عام 1885 تعميمات اطلق عليها اسم" قوانين الهجرة" في ضوء بيانات تخص انكلترا واقطار اخرى. وفيما يأتي بعض تلك التعميمات[7]:

1. وجود ارتباط عكسي بين حجم الهجرة والمسافة، فيقل حجم الهجرة في المسافات الطويلة.
2. يتجه اغلب المهاجرين لمسافة قصيرة، لاسيما من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية.
3. غالبا ما يقصد المهاجرون الذين يقطعون مسافات طويلة المراكز التجارية والصناعية الكبرى.
4. ينشأ لكل تيار هجرة رئيس تيار معاكس.
5. تميل النساء للهجرة القصيرة، لهذا فهم اكثر حركة من الذكور داخل نطاق منطقة الرأس، واجتيازهم لحدود تلك المنطقة نادر، على عكس الرجال الذين غالبا ما يهاجرون لمسافات اطول، مما يعني ارتفاع نسبة النوع بزيادة المسافة.

وفي ضوء ظروف البيئة الانكليزية في اواخر القرن التاسع عشر والتي ركز "رافنستين" اهتمامه عليها، يلاحظ ان المدن الكبيرة جذبت ليس فقط المهاجرين من الريف ولكن ايضا سكان المدن الصغرى الذين حل محلهم افراد من المناطق الريفية المحيطة. وهذا ما ركز عليه"رافنستين" عن الهجرة المتدرجة وعن التبادل المنتظم بين المناطق الصغرى والمناطق الكبرى. ولقد ذكر" بيرجل" Bergel في الولايات المتحدة ما يؤيد اراء" رافنتسين" مع بعض التعديلات ، وفيما ياتي ملخص لوجهة نظره[8]:

أ. ان تيار الهجرة الداخلية يتجه دائما الى المدن، وعلى ذلك فالزيادة في الهجرة تكون لمسافة محدودة، ويتناقص حجمها بتزايد المسافة الى المدينة.

ب. هناك عملية امتصاص تسبق الهجرة النهائية الى المدينة وذلك في المنطقة المحيطة بالمدينة مباشرة مما يحدث خلخلة في سكان الريف المجاور، وتكون عملية الامتصاص هذه ناشئة عن تيار اساسي يستطيع النفاذ الى المدينة فيعوض التيار الاخر، أي ان كل تيار اساسي للهجرة ينشأ منه تيار اخر فرعي ملازم.

ت. يتحدد تيار الهجرة دائما لمسافات بعيدة عن مناطق الطرد الى المراكز التجارية والصناعية الكبرى.

وهكذا لا تاتي وجهة النظر هذه في شكل قانون وانما في شكل تعميمات، وحتى هذه التعميمات لو انها صدقت في الاوقات العادية فانها تنتفي تماما في الاوقات الاخرى. اذ لا تكون المدن صالحة لمدة طويلة لاستقبال سكان جدد، بل بالعكس فقد تقذف بعض سكانها الى الريف اثناء الازمات الاقتصادية الشديدة والحروب.

العلاقة بين الهجرة والمسافة في العراق:

بهدف توضيح العلاقة بين الهجرة والمسافة في العراق، تم اختيار خمس محافظات هي : بغداد وميسان اللتان تمثلان اكبر قطبين للجذب والطرد في القطر عام 1997 استمراراً للماضي، بالاضافة الى محافظات التاميم وكربلاء وذي قار لتمثل كل منها واحدة من مناطق القطر الثلاث(الشمالية والوسطى والجنوبية). وقد تم ترتيب هذه المحافظات بحسب بعد كل منها عن مراكز المحافظات الاخرى[9] ومقارنتها بمعدلات الهجرة الداخلة والخارجة على اساس منطقة الاصل عام 1997.

وقد اوضحت دراسة الاشكال البيانية للمحافظات المذكورة(شكل2,1) وجود علاقة بين المسافة ومعدلات الهجرة الداخلة في محافظتي التاميم وذي قار. ويتضح ذلك من خلال تدرج الخط البياني كلما ابتعدنا عن مركز هاتين المحافظتين، اذ ليست لهما قوة جذب عالية بينما تضعف العلاقة بين المسافة ومعدلات الهجرة الداخلة الى محافظتي بغداد وكربلاء . ويظهر ذلك من تباين ارتفاعات الخط البياني، ويبدو انها تتاثر بقوى الطرد الموجودة في محافظتي ميسان وواسط بالنسبة لمحافظة بغداد، والنجف والقادسية بالنسبة لمحافظة كربلاء.

واتضح ايضا وجود علاقة ضعيفة بين معدلات الهجرة الخارجة والمسافة في محافظة ذي قار بسبب تاثير قوة الجذب في محافظتي بغداد والبصرة، بحيث يتجه اليهما الخارجون من ذي قار. في حين تاكدت العلاقة بين المسافة ومعدلات الهجرة الخارجة من محافظتي ميسان وكربلاء اذا ما تم استثناء الهجرة الخارجة منهما الى بغداد. وتظهر هذه العلاقة ايضا بين المسافة ومعدل تيارات الهجرة(بالنسبة لسكان الاصل) في ميسان وسبع محافظات مجاورة لها في الوسط والجنوب، حيث تقل تلك المعدلات بالابتعاد عن مركز محافظة ميسان، فاكبر المعدلات(38 مهاجرا لكل الف نسمة) تتجه الى البصرة، وهي اقرب المحافظات اليها، بينما لم تسجل القادسية وهي

ابعد المحافظات عنها سوى مهاجر واحد لكل الف من السكان كما يتضح من الجدول ادناه:

جدول رقم(1)

العلاقة بين المسافة ومعدل تيارات الهجرة (بالنسبة لسكان الاصل) عام 1997 في ميسان والمحافظات المجاورة لها

المحافظة	معدل تيارات الهجرة(بالالف)	المسافة(كم)
ميسان	-	-
البصرة	38	187
واسط	8	197
ذي قار	2	384
بابل	2	466
كربلاء	3	488
النجف	1	529
القادسية	1	546

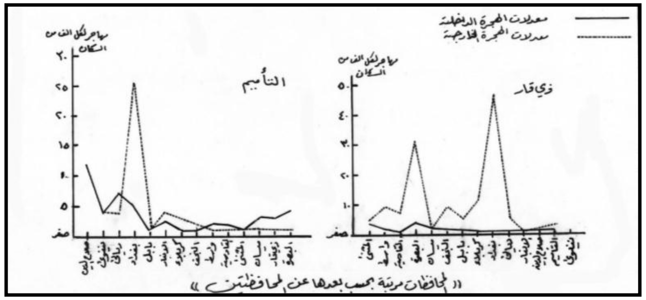
المصدر : جدول رقم(2) وبالنسبة للمسافة: خارطة العراق السياحية بغداد،1980.

والجدول رقم(1) يؤكد ما ذهب اليه"شريوك" من حيث وجود تيارات واسعة للهجرة المتبادلة بين الولايات المتجاورة اكبر مما هي بين الولايات غير المتجاورة[10] كما يوضح الجدول الارتباط العكسي بين الهجرة والمسافة، وتؤكدها ايضا قوة معامل ارتباط (بيرسون) السلبي البالغ(−0.74) بين المتغيرين.

واوضحت دراسة العلاقة بين الهجرة والمسافة ان عددا من حقائق هذه العلاقة التي تم استنتاجها في تعداد عام 1957[11] استمر وجود كثير منها الى الوقت

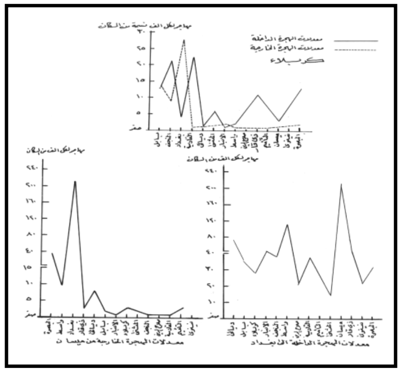
الحاضر كما يتضح من تحليل تعداد عام 1997 ومقارنة الاشكال البيانية حول الموضوع (شكل 2،1).

شكل(1) العلاقة بين المسافة ومعدلات الهجرة الداخلة والخارجة (بحسب مكان الأصل) عام 1997 لمحافظتي ذي قار والتاميم



شكل (2) العلاقة بين المسافة ومعدلات الهجرة الداخلة والخارجة في محافظات كربلاء وبغداد وميسان(بحسب مكان الاصل)عام 1997

(المحافظات مرتبة بحسب بعدها عن مركز المحافظة المدروسة).



انماط حركة تيارات الهجرة الداخلية المتبادلة وعلاقتها بالمسافة في العراق عام 1997

تتسم حركة الهجرة المتبادلة بين محافظات القطر بوجود انماط عامة، ومن هذه الانماط تظهر علاقة في تبادل التيارات بين المحافظات المتجاورة.

وتزداد هذه العلاقة اذا اخذ عامل المسافة بنظر الاعتبار باستثناء محافظة بغداد، فتيارات الهجرة الكبيرة فيما بين هذه المحافظات تميل ان يقابلها تيارات هجرة معاكسة كبيرة ايضا، وان تيارات الهجرة الصغيرة يقابلها تيارات هجرة معاكسة صغيرة. وان هذا التوافق الايجابي يعكس تقديرات المسافة وسكان منطقتي الاصل والوصول مجتمعتين على الحركة في كلا اتجاهيهما[12].ويمكن ابراز انماط حركة تيارات الهجرة الداخلية بشكل عناوين ثانوية كما هو مبين ادناه:

نمط حركة الهجرة المتبادلة بين المنطقة الشمالية والوسطى:

عند دراسة محافظة التاميم يلاحظ ان اكثر معدلات تيارات الهجرة الداخلة اليها تاتي من اقرب المحافظات تجاورا ومسافة. فمن نينوى بلغ معدل التيارات 11 بالالف ومن صلاح الدين وديالى 14 بالالف لكل منهما[*] ومن بغداد 31 بالالف بالنسبة لمنطقة الوصول، وبقيت المعدلات مرتفعة من تلك المحافظات بالنسبة لمنطقة الاصل. وقلت المعدلات كلما طالت المسافة عن التاميم. وتراوحت المسافات ما بين كركوك(مركز محافظة التاميم) ومراكز تلك المحافظات بين 112 و255 كم . في حين صغرت تلك المعدلات كلما طالت المسافة حيث قلت المعدلات الداخلة الى التاميم من الانبار وبابل الى ما بين 1-2 مهاجر لكل الف من السكان عندما طالت المسافة الى ما يتراوح بين355 و365كم ما بين كركوك ومركز هاتين المحافظتين.

كما ارتفعت معدلات التيار المعاكس أي المتجه من التاميم الى تلك المحافظات وحسب تسلسلها:26.4.12.4 مهاجر لكل الف من السكان بالنسبة لمنطقة الاصل واقل منها بالنسبة لمنطقة الوصول(انظر الجدول3,2).

نمط حركة الهجرة المتبادلة بين محافظات المنطقة الوسطى

يظهر نمط الهجرة المتبادلة بين محافظات المنطقة الوسطى بوضوح بالاضافة الى ما يشكله عامل الجذب القوي المتمركز في بغداد من استقطاب لتيارات الهجرة في هذه المنطقة، فان موقع بغداد الجغرافي قد اظهر عامل المسافة كمتغير مؤثر في تحديد اتجاه تيارات الهجرة اليها من المحافظات المجاورة.

فقد سجلت الهجرة الداخلة الى بغداد من المحافظات المجاورة لها المعدلات 110.21.28.35.45.73، مهاجر لكل الف من سكان الاصل من محافظات ديالى، الانبار، بابل، كربلاء، صلاح الدين، واسط بالتتابع، وتتراوح المسافات ما بين 66 و175 كم حيث يلاحظ ان المعدلات قلت كلما طالت المسافة باستثناء محافظة واسط حيث كبر المعدل الى 110 بالالف بالرغم من طول المسافة ما بين بغداد والكوت الى 172كم حيث تلعب هنا قوى الطرد في واسط دورها المؤثر في رفع المعدل.

وتوضح دراسة الجدولين (3,2) وجود تبادل في تيارات الهجرة ما بين بعض محافظات المنطقة الوسطى والمحافظات المجاورة من المنطقة الجنوبية كما يظهر في ديالى والانبار وصلاح الدين من حيث قوة علاقتها التبادلية مع بغداد، او كما يظهر في محافظة واسط من جهة وما يجاورها من محافظات جنوبية من جهة اخرى. فمعدل تيارات الهجرة الداخلة الى بغداد(من ديالى والانبار وصلاح الدين) بلغت فيها وبالتتابع21.45.73 بالالف.

اما معدل تيارات الهجرة الداخلة الى واسط من محافظتي ذي قار وميسان فبلغت9، 8 بالالف بالنسبة لمنطقة الاصل واكثر منها بالنسبة لمنطقة الوصول.

وتلعب المسافة والتجاور دورها في قوة العلاقة التبادلية ما بين واسط وهاتين المحافظتين اذ بلغت المسافة ما بينهما وواسط على التوالي 197.187كم.

نمط حركة الهجرة المتبادلة في منطقة الفرات الاوسط:

تضم هذه المنطقة محافظات بابل، كربلاء، النجف، القادسية، المثنى والعلاقة التبادلية متينة جدا وواضحة فيما بين هذه المحافظات ولاسيما المتجاورة منها، حيث ترتفع معدلات تيارات الهجرة الداخلة والخارجة فيما بينها باستثناء المثنى التي تزداد علاقاتها مع القادسية اكثر من المحافظات الاخرى ضمن هذه المجموعة، ومما ساعد على متانة الحركة التبادلية هو قصر المسافة ما بين مراكز هذه المحافظات، حيث تراوحت المسافات بين تلك المراكز ما بين42 و123كم. اما محافظة المثنى فان طول المسافة بينها وبين مراكز بقية المحافظات جعل حركة تبادل التيارات اضعف باستثناء متانة علاقاتها مع القادسية حيث تقصر المسافة ما بينهما الى 89كم(انظر جدول رقم4).

العلاقة بين تيارات الهجرة الداخلية والمسافة في العراق عام 1997 مجلة آداب الفراهيدي أ.د. عباس فاضل السعدي العدد (10) آذار 2012

جدول رقم(2)

معدلات تيارات الهجرة بين المحافظات (لكل الف من سكان الاصل) سنة 1997

الوصول / الاصل	نينوى	التاميم	ديالى	الانبار	بغداد	بابل	كربلاء	واسط	صلاح الدين	النجف	القادسية	المثنى	ذي قار	ميسان	البصرة
نينوى	–	4	×	1	22	×	×	×	3	×	×	×	×	×	×
التاميم	4	–	4	4	26	1	×	1	12	×	×	×	1	×	1
ديالى	1	7	–	4	73	1	1	2	8	×	1	×	×	×	×
الانبار	2	2	1	–	45	1	1	×	3	×	×	×	×	×	1
بغداد	2	5	10	4	–	6	4	5	5	2	1	×	1	2	2
بابل	×	1	1	1	35	–	13	3	1	7	3	×	×	×	1
كربلاء	×	1	1	2	28	14	–	1	1	8	2	×	×	×	2
واسط	×	2	7	1	110	6	2	–	1	1	3	1	2	2	2
صلاح الدين	2	12	3	2	21	×	×	×	–	×	×	×	×	×	×
النجف	1	1	1	1	38	11	21	1	1	–	8	1	×	×	2
القادسية	1	2	2	3	39	13	22	4	1	35	–	4	1	×	1
المثنى	3	1	1	4	14	2	6	4	1	6	13	–	4	×	3
ذي قار	×	3	5	1	46	5	11	9	2	9	7	5	–	2	31
ميسان	×	3	8	1	211	2	3	8	1	1	1	×	2	–	38
البصرة	1	4	1	3	32	8	13	3	4	11	1	3	4	7	–

المصدر: ملحق(1)

×= اقل من(1)

جدول رقم(3)

معدلات تيارات الهجرة بين المحافظات(لكل الف من سكان الوصول)سنة 1997.

الوصول / الأصل	نينوى	التاميم	ديالى	الأنبار	بغداد	بابل	كربلاء	واسط	صلاح الدين	النجف	القادسية	المثنى	ذي قار	ميسان	البصرة
نينوى	–	11	1	1	8	×	×	×	6	×	×	×	×	×	1
التاميم	2	–	2	3	3	×	1	1	10	×	×	×	×	×	×
ديالى	×	14	–	5	16	1	1	3	11	1	1	1	×	×	×
الانبار	1	2	1	–	7	1	1	×	4	×	×	×	×	×	×
بغداد	5	31	45	22	–	23	35	29	27	16	8	4	4	13	6
بابل	×	1	1	1	8	–	26	4	1	10	5	1	×	×	1
كربلاء	×	1	×	1	3	6	–	×	×	5	2	1	×	×	1
واسط	×	2	5	1	17	4	2	–	1	1	4	1	2	2	1
صلاح الدين	1	14	2	2	3	×	×	×	–	×	×	×	×	×	×
النجف	×	1	×	1	5	7	27	1	1	–	8	×	×	×	1
القادسية	×	2	1	2	6	9	30	4	1	37	–	8	1	×	1
المثنى	1	×	×	2	1	1	4	2	1	3	8	–	2	×	1
ذي قار	×	6	6	2	11	6	24	16	3	16	3	14	–	3	27
ميسان	×	4	6	1	34	1	4	9	1	2	1	1	1	–	21
البصرة	1	8	2	4	9	10	36	6	7	23	4	10	7	19	–

المصدر : ملحق(1)

×= اقل من(1)

جدول رقم(4)

معدل تيارات الهجرة الداخلة والخارجة بالنسبة لسكان منطقة الاصل بين محافظات الفرات الاوسط عام 1997(بالالف)

الداخلة / الخارجة	بابل	كربلاء	النجف	القادسية	المثنى	مجموع التيارات الخارجة
بابل	–	13	7	3	×	23
كربلاء	14	–	8	2	×	24
النجف	11	21	–	8	1	41
القادسية	13	22	35	–	4	74
المثنى	2	6	6	13	–	27
مجموع التيارات الداخلة	40	62	56	26	5	189

المصدر: جدول رقم(2)

نمط حركة الهجرة المتبادلة في المنطقة الجنوبية

وبالنسبة للمحافظات الجنوبية الثلاث(البصرة ، ميسان، ذي قار) فتبرز بينها حركة تبادل الهجرة بشكل واضح ايضا ساعد في ذلك عامل المسافة بالرغم من ان المسافة بين هذه المحافظات هي اطول من المسافات الموجودة فيما بين المحافظات المتجاورة الاخرى(بين 132–216 كم)، فضلا عن تكامل الظروف البيئية والبشرية فيما بين تلك المحافظات. كما ان البصرة تعد مركز جذب قوي ينافس قوة جذب محافظة بغداد، فيما يحدد اتجاه حركة المهاجرين نحوها في المحافظات الجنوبية

المجـاورة، فقـد بلـغ معـدل الهجـرة الداخلـة الـى البصـرة مـن ذي قـار 31 بـالالف ومـن ميسان38 بالالف بالنسبة لمنطقة الاصل واقل منها بالنسبة لمنطقة الوصول.

ان هذه الحقائق تتمشى مع ما توصل اليه "شريوك"Shryock في ان اكبر التيـارات واكبـر المعـدلات النسـبية للهجـرة تكـون بـين المنـاطق المتجـاورة، وان عـدد المهاجرين من اية منطقة تميل الى التناقص مع زيادة المسافة بينها وبين المنطقة الاخرى[13].

نمط الهجرة السائدة في بغداد وعلاقته بالمحافظات الطاردة:

قـد لاتنطبـق الحالـة الاخيـرة مـع حجـم ومعـدل تيـارات الهجـرة المتجهـة الـى محافظـة بغـداد والتـي تتميـز بـان لهـا تيـارات سـائدة كمـا ان حجـم ومعـدلات التيـارات المعاكسـة لا بـاس بهـا. فقـد بلغـت نسـبة المهـاجرين الخـارجين مـن بغـداد15.6% مـن مجمـوع المهـاجرين الخـارجين الـى المحافظـات الاخـرى فـي القطـر عـام 1997، وهـذه النسبة تعادل نحو ثلث عدد الداخلين الى بغداد في السنة ذاتها.

فقد بلـغ معدل تيارات الهجرة الداخلـة الى بغداد بالنسبة لمنطقة الاصـل نحـو 211 بـالالف مـن ميسـان و110 بـالالف مـن واسـط و73 بـالالف مـن ديـالى و46 بالالف من ذي قار و 45 بالالف من الانبار و39 بالالف من القادسية و 38 بالالف من النجف و35 بالالف من بابل و32 بالالف من البصرة. ويلاحظ ان هذه المعدلات لا ترتبط بالمسافة خصوصا من المحافظات البعيدة عنها.

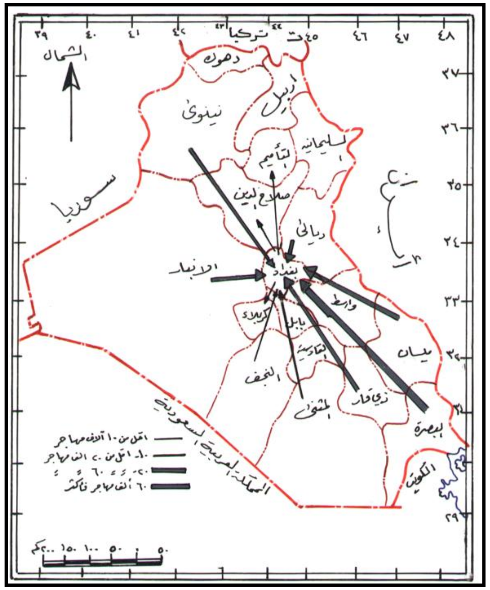
ان اتجـاه التيـار السـائد نحـو محافظـة بغـداد نـاجم عـن تـوافر الفـرص المتجهـة للمهاجرين Opportunities والتي يقل وجودها في المحافظات الاخرى وتوفر بعض تلـك الفـرص فـي محافظـات التـاميم والبصـرة وكـربلاء جعـل منهـا مراكـز جـذب ثانويـة تسـتقطب اليهـا المهـاجرين مـن المحافظـات المجـاورة. الا ان تطـور طـرق وسـائل النقل، ولاسيما النقل السريع، قد سهل الوصول الى بغداد من مسافات بعيدة مما جعلها

تؤثر على مناطق الاستقطاب الثانوية المذكورة. وعلى سبيل المثال فقد كانت نسبة المهاجرين الخارجين من ميسان الى بغداد تشكل حوالي 53% من جملة المهاجرين الخارجين من تلك المحافظة في تعداد 1947، الا ان هذه النسبة بدأت في الارتفاع مع تحسن طرق ووسائل النقل نحو بغداد فبلغت63% في تعداد عام 1957 ثم الى 78% في تعداد عام 1965[14]، و79% في تعداد 1987 الا ان النسبة انخفضت قليلا في تعداد عام 1997 وبلغت75%(انظر شكل 3).

ومقابل ذلك اخذت نسبة المهاجرين الخـارجين مـن ميسـان الـى البصـرة فـي الانخفـاض، فبينمـا كانـت تشـكل28% مـن جملـة المهـاجرين الخـارجين منهـا فـي تعداد1947، انخفضت الى 24% في تعداد1957 ثم الى 10% في تعداد1965[15]، وبمثل هذه النسبة في تعداد عام 1987 الا انها ارتفعت قليلا الى 13.4% في تعداد1997. وسبب هذا الارتفاع هو سياسة الدولة القاضية بالحد من الهجرة الى بغداد، مما جعل المهاجرين يتجهون الى الاقطاب الثانوية المجاورة لهم للاستفادة من عامل المسافة الذي يبلغ 182كم بين ميسان والبصرة.

ومـا قيـل عـن محافظـة ميسـان يمكـن ان يقـال عـن محافظـة ذي قـار، فبينمـا بلغت نسبة المهاجرين الخارجين من تلك المحافظة الى بغداد 49.8% سنة 1987، انخفضت الى 33.5% سنة 1997 يقابلها تزايد نسبة المهاجرين المغادرين من ذي قـار الـى البصـرة مـن 18% الـى 22.7% بـين عـامي 1987 و1997 للسـبب نفسـه المذكور انفا، بالاضافة الى عامل المسافة البالغ 208كم.

شكل رقم(3) تيارات الهجرة الصافية الى محافظة بغداد عام 1997



ويظهر ازدياد حجم تيارات الهجرة الخارجة في المحافظات الطاردة التي تتميز بكونها متزايدة الخسارة من تعداد لاخر حيث يزداد حجم الهجرة الخارجة منها الى مناطق الجذب الرئيسة مثل بغداد، مما يؤدي بالتالي الى زيادة حجم اجمالي الهجرة المتبادلة لهذه المحافظات. وينطبق ذلك على التعدادات من عام 1947 الى عام 1965 وحصل تغير لهذه الظاهرة في التعدادات الثلاثة الاخيرة (1977، 1987، 1997) حيث بدأت الخسارة تتناقص من تعداد لاخر كما يظهر في محافظات ميسان، ديالى، نينوى، واسط ، القادسية، ذي قار، والمحافظة الاخيرة تزايدت خسارتها في اخر تعداد قياسا بالتعداد الذي سبقها، وتتضح الظاهرة المذكورة من تناقص معدلات الهجرة الخارجة من تلك المحافظات وكما ياتي:

جدول رقم(5)

معدل الهجرة الخارجة للمحافظات الطاردة في التعدادات الثلاثة الاخيرة(%)

المحافظة	1977	1987	1997
ميسان	77.3	53.9	37.5
ديالى	28.3	17.3	10.4
نينوى	12.9	7.4	5.6
واسط	33.7	22.6	14.9
القادسية	29.4	19.0	13.9
ذي قار	24.6	12.5	15.3

المصدر: حسبت من تعدادات السكان للاعوام1977،1987،1997، جدول 24 والجداول الخاصة بسكان المحافظات والمجموعة الاحصائية السنوية لعام1997، جدول 2/2،4/6.

نمط صافي الهجرة الناجم عن تباين احجام تيارات الهجرة الداخلة والخارجة:

وينجم عن تباين احجام تيارات الهجرة الداخلة والخارجة من محافظة لاخرى انماط من تيارات صافي الهجرة وعلاقات فيما بينها، فهناك علاقة بين حجم صافي الهجرة الداخلة او الخارجة وبين عدد التيارات التي تكسبها او تخسرها هذه المحافظات. فالمحافظات التي يرتفع فيها حجم صافي الهجرة الموجب ويرافقها عدد اقل من حجم صافي الهجرة الخارجة يعني وجود عدد اكبر من تيارات صافي الهجرة

الداخلة اليها من المحافظات الاخرى كما في بغداد وكربلاء والتاميم وصلاح الدين وبابل.

وعلى نقيض ذلك فان المحافظات التي يزيد فيها حجم صافي الهجرة الخارجة بالسالب يعني هنالك عدد اكبر من تيارات صافي الهجرة الخاسرة منها الى المحافظات الاخرى مثل محافظات: ميسان، ذي قار، القادسية، البصرة، واسط، ديالى(راجع جدول رقم6).

جدول رقم(6)

صافي تيارات الهجرة المتبادلة بين المحافظات عام 1997

القامة / ميلاد	نينوى	التاميم	ديالى	الانبار	بغداد	بابل	كربلاء	واسط	صلاح الدين	النجف	القادسية	المثنى	ذي قار	ميسان	البصرة
نينوى	–	5020	–	–	34620	–	–	–	3402	–	–	–	–	–	–
التاميم	–	–	–	1131	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
ديالى	92	7553	–	3984	34412	376	394	–	6806	48	–	109	–	–	–
الانبار	412	–	–	–	24594	–	–	–	1952	–	–	–	–	–	–
بغداد	–	4090	–	–	–	–	6608	–	6247	–	–	–	–	–	–
بابل	27	447	–	562	14345	–	7865	–	1059	–	–	–	–	–	–
كربلاء	49	80	–	117	–	–	–	–	103	–	–	–	–	–	–
واسط	73	1013	3496	492	69667	2120	876	–	677	45	–	–	–	–	–
صلاح الدين	–	1931	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
النجف	629	379	–	853	16742	826	11934	–	411	–	–	–	–	–	–
القادسية	318	1343	191	2159	25969	6975	16421	766	950	23051	–	–	–	–	–
المثنى	1055	188	–	1798	4552	677	2332	1329	482	2268	2149	–	–	–	–
ذي قار	244	3793	6770	1389	55689	6636	13910	10120	2529	11995	8408	4242	–	444	34410
ميسان	160	2856	6471	997	171499	1228	2518	5603	1138	1165	561	292	–	–	20121
البصرة	535	5373	1324	3253	41096	10501	20342	3053	5978	16364	1965	2975	–	–	–

المصدر : **ملحق(1)**

نمط اخر لصافي الهجرة:

ويوجد نمط اخر لصافي التبادل بين المحافظات ، يبدو، وكأنه مناقض للنمط السابق وهو عدم وجود علاقة بين حجم صافي الهجرة الداخلة او الخارجة وبين عدد التيارات التي تكسبها في صافي الهجرة عن عدد التيارات التي تخسرها، الا انها تعد محافظات خاسرة(طاردة) في مجموع صافي الهجرة كما في محافظة نينوى والانبار، فقد كسبت كل منهما 11 تيارا وخسرت(3) بالرغم من كونهما محافظتين طاردتين في عام 1997(انظر جدول رقم7) . واثبت معامل ارتباط بيرسون لقياس العلاقة بين الظاهرتين المذكورتين في محافظة نينوى ضعف تلك العلاقة وسلبيتها، اذ بلغ المعامل(−0.16).

جدول رقم(7)

عدد تيارات صافي الهجرة الكاسبة والخاسرة في العراق بحسب المحافظات عام 1997

المحافظة	عدد تيارات صافي الهجرة	عدد تيارات صافي الهجرة
نينوى	11	3
التاميم	13	1
ديالى	5	9
الانبار	11	3
بغداد	11	3
بابل	8	6
كربلاء	10	4
واسط	5	9
صلاح الدين	13	1
النجف	7	7

القادسية	4	10
المثنى	4	10
ذي قار	–	14
ميسان	1	13
البصرة	2	12
المجموع	105	105

المصدر : **حسبت من جدول رقم(6)**

ويعود سبب وجود النمط السابق في العلاقة الى قوة الجذب الموجودة في محافظة بغداد والتي تعمل على رفع حجم الخسارة من هذه المحافظات والتي تكسب مثلا. فقد جذبت بغداد نحو72% من عدد الخارجين من محافظة نينوى واكثر من 80% من عدد الخارجين من محافظة الانبار ، ويظهر الشكل العكسي لهذا النمط في محافظة النجف حيث يتساوى فيها عدد التيارات الكاسبة و الخاسرة بالرغم من كونها محافظة جاذبة.

تيارات صافي الهجرة في المحافظات الطاردة والجاذبة:

يظهر جدول رقم(7) تساوى عدد المحافظات التي يزيد فيها عدد تيارات صافي الهجرة الكاسبة عن عدد تيارات صافي الهجرة الخاسرة مع عدد المحافظات التي يقل فيها عدد تيارات صافي الهجرة التي تكسبها عن عدد تلك التي تفقدها حيث بلغ لكل منها سبع محافظات، ومع وجود محافظة واحدة تتساوى فيها عدد التيارات الكاسبة والخاسرة. ويظهر الجدول ايضا وجود(105) زوج من التيارات، تركزت التيارات الكاسبة بشكل نطاق متصل من المحافظات يقع في غربي القطر، والتيارات الخاسرة في نطاق اخر متصل يمتد في شرقي القطر وجنوبه (انظر شكل4).

ومن بين العدد المذكور من التيارات لا يوجد الا ثلث هذا العدد(35 تيارا) حجم كل منه يزيد عن (5000) مهاجر وان عشرة تيارات منها تتجه الى بغداد من جميع المحافظات التي تضم هذه التيارات بغض النظر عن عامل المسافة سواء من البصرة او نينوى وهما ابعد المحافظات عن بغداد حيث تضم هذه المحافظة مدينة بغداد العاصمة، وهي اكبر المدن وتعد المركز السياسي والثقافي والصناعي والتجاري والديني. كما تتركز فيها الخدمات الصحية والاجتماعية والترفيهية، مما جعلها مركز الجذب الاول في القطر من المحافظات الاخرى.

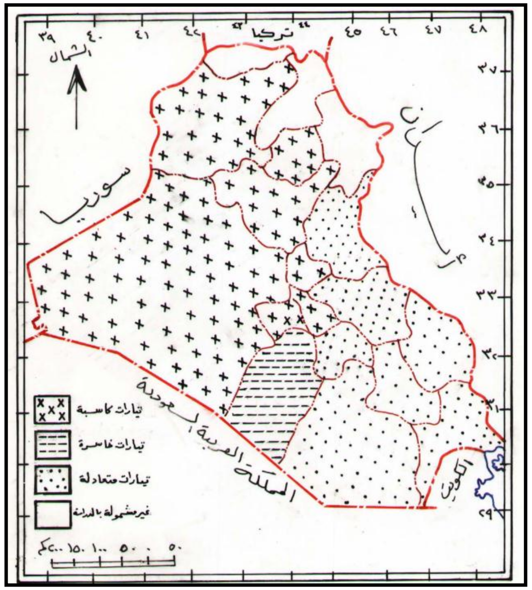
وتتجه ايضا 6 تيارات الى كربلاء من بغداد وبابل والنجف والقادسية وذي قار والبصرة. ويلعب هنا العامل الديني دوره في جذب المهاجرين ، بالاضافة الى عامل المسافة بينها وبين المحافظات المجاورة والتي تتراوح ما بين 42 و123كم.

كما تتجه 3 تيارات الى النجف ومثلها الى بابل(من القادسية وذي قار والبصرة)، وما قيل عن كربلاء يمكن ان يقال عن النجف من حيث وجود الدافع الديني لتلك التيارات. كما يلعب عامل المسافة بين النجف والقادسية دوره في ذلك اذ لا تزيد المسافة بينهما عن 65 كم، كما ان المسافة بين بابل والقادسية لا تزيد عن 81كم.

وتتمثل قوة الجذب في بابل بثقلها الزراعي واهميتها السياحية والصناعية حيث يوجد فيها 14% من عدد المنشات الصناعية المتوسطة و10% من عدد المنشات الصناعية الصغيرة عام 1996 [16].

ان حركة الهجرة فيما بين محافظات الفرات الاوسط راجع الى تكامل الظروف البيئية والبشرية لهذه المنطقة ووجود المشاريع الزراعية والاروائية والمراكز الدينية مما سهل عملية الانتقال فيما بين محافظات هذه المنطقة.

شكل (4) صافي تيارات الهجرة الكاسبة والخاسرة في العراق عام 1997



وبالاضافة الى ما تقدم تتجه 3 تيارات الى محافظة التاميم (من نينوى وديالى والبصرة) حيث تتمتع هذه المحافظة بقوة جذب متمثلة بالصناعات النفطية وعامل المسافة بينها وبين المحافظات المجاورة لها والتي تتراوح بين 177 و215كم. بالاضافة الى تشجيع الدولة للهجرة الى هذه المحافظة وتوفير التسهيلات للمهاجرين اليها.

واتجهت ايضا 3 تيارات الى محافظة صلاح الدين(من بغداد وديالى والبصرة) لاهميتها الزراعية ووجود بعض المشاريع الصناعية وعامل المسافة للمحافظات المجاورة لها.

وفضلا عما تقدم يتجه تياران الى البصرة واخران الى ديالى ومثلهما واسط(من ذي قار وميسان) وتيار اخر يتجه الى القادسية من ذي قار.

وهنا يلعب الجوار دورا مهما في توجه هذه التيارات بالإضافة الى ان البصرة تمثل قوة جذب مهمة. فهي مدينة تجارية، بل ميناء العراق الوحيد على الخليج العربي، بالاضافة الى اهميتها الصناعية، فهي تضم17% من عدد المشاريع الصناعية المتوسطة و13% من عدد المنشات الصناعية الصغيرة كما ان محافظة ديالى تضم9% من عدد المنشات الصناعية المتوسطة و7% من عدد المنشات الصناعية الصغيرة الموجودة في القطر [17].

ان التناقض في عوامل الجذب والطرد بين بغداد وبقية المحافظات وتقدم طرق ووسائل النقل ادى الى ارتفاع حجم صافي الهجرة الداخلة الى قطب الجذب الاول(عاصمة القطر) من المحافظات الاخرى. وفي الوقت الذي تزداد حركة تيارات صافي الهجرة المتجهة الى بغداد، تقل حركة تيارات صافي الهجرة فيما بين المحافظات الوسطى والجنوبية والمحافظتين الشماليتين.

فقد استحوذت محافظة بغداد في تعداد عام1997 اكثر من 57% من حجم ما كسبته من صافي تيارات الهجرة المتبادلة بين المحافظات.

واحتلت محافظات الفرات الاوسط نحو 22% والمحافظات الوسطى والشمالية[*] 14.6 % و6.4% لثلاث محافظات جنوبية(انظر جدول رقم6).

الخاتمة

في ختام ما تقدم اوضحت الدراسة وجود انماط متعددة لحركة الهجرة الداخلية المتبادلة، ومن هذه الانماط وجود تيارات متبادلة بين المحافظات المتجاورة(أي باتجاهات متضادة). وتزداد العلاقة فيما بينها اذا ما اخذ عامل المسافة بنظر الاعتبار باستثناء محافظة بغداد مثلما الحال بين محافظات الفرات الاوسط او فيما بين المحافظات الجنوبية وظهر وجود ارتباط عكسي بين الهجرة والمسافة ، وتم تاكيد ذلك احصائيا.

وظهر نمط تمثل بوجود تبادل في تيارات الهجرة ما بين بعض محافظات المنطقة الوسطى والمحافظات المجاورة من المنطقتين الشمالية والجنوبية.

كما اتضح تزايد حركة تيارات صافي الهجرة المتجهة الى محافظة بغداد على حساب بقية محافظات المناطق الاخرى(الشمالية والوسطى والجنوبية)، حيث ان هذه المحافظة لها تيارات سائدة. فبينما استحوذت بغداد، وهي القطب الاول الجاذب في القطر، على اكثر من نصف حجم ما كسبته من صافي تيارات الهجرة المتبادلة بين المحافظات، يلاحظ ان محافظات الفرات الاوسط لم تكسب سوى ما يزيد على خمس صافي تلك التيارات، والخمس المتبقي لمحافظات بقية المناطق.

وبعد ان طبقت الدولة سياسة الحد من الهجرة الداخلة الى بغداد في السنوات الاخيرة، بدأ المهاجرون يتجهون الى الاقطاب الثانوية المجاورة للاستفادة من عامل المسافة مثل تناقص نسبة الهجرةالمتجهة من ميسان الى بغداد مقابل تزايدها الى البصرة وتناقص نسبة الهجرة المتجهة من ذي قار الى بغداد وتزايدها الى البصرة في تعداد عام 1997.

كما اوضحت الدراسة انخفاض حجم تيارات الهجرة الخارجة في المحافظات الطاردة التي بدأت خسارتها تتناقص من تعداد لاخر بعد تعداد عام 1977 قياسا بما سبقه من تعدادات حيث كانت الحالة على النقيض قبل ذلك.

وظهر ايضا وجود علاقة بين حجم صافي الهجرة الداخلة او الخارجة وبين عدد التيارات التي تكسبها او تخسرها هذه المحافظات . وعلى النقيض ظهر نمط اخر لصافي التبادل بين المحافظات تمثل بعدم وجود علاقة بين حجم صافي الهجرة الداخلة او الخارجة وبين عدد التيارات التي تكسبها في صافي الهجرة عن عدد التيارات التي تخسرها كما في بعض المحافظات الطاردة مثل نينوى والانبار بسبب وجود قوة جذب عالية في محافظات اخرى مثل بغداد. وظهر نمط اخر مختلف تماما تمثل في النجف حيث تساوى فيها عدد التيارات الكاسبة و الخاسرة بالرغم من كونها محافظة جاذبة.

وانتهت الدراسة بظهور نطاق متصل من المحافظات ذات التيارات الكاسبة في غربي القطر، في حين امتد نطاق اخر متصل من المحافظات تمثلت فيه التيارات الخاسرة في شرقي القطر وجنوبه.

الهوامش والمصادر:

(1) J.O.M. Broek and J.W. Webb, A Geography of mankind, McGraw-Hill book Co. NewYork, 2nd.Ed., 1973, P. 489.

(2) مصطفى العلواني "الحج والهجرة السكانية في المنظور الديموغرافي" مصدر سابق، ص89.

(3) حول تفاصيل ذلك راجع:

U.N., Methods of Measuring Internal Migration, Manual VI., No,47, OP.Cit., P.I.

الامم المتحدة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا، المعجم الديموغرافي متعدد اللغات،ط2، بدون تاريخ،ص144.

(4) Donald J.Bogue, Principles Demography,OP.Cit.,1969. p.757.

(*) تتكون المصفوفة من ن(ن–1) من التيارات زوجا من التيارات حيث تمثل (ن) عدد المناطق (المحافظات) او مجموعة من $\frac{ن(ن-1)}{2}$ زوجا من التيارات. وهذا يعني وجود 210 تيار في تعداد عام 1997 داخلة و خارجة، او 105 ازواج من التيارات في الاتجاهات المتعاكسة. ويمكن حساب معدل تيار الهجرة الداخلة او الخارجة بين منطقتي الاصل والوصول من خلال قسمة حجم الهجرة بين المنطقتين على سكان منطقة الاصل او الوصول مضروب في عدد ثابت هو(مئة او الف)، كما يظهر من خلال المعادلة ادناه:

$$م ت هـ = \frac{ح هـ}{س} . ك$$

(5) Manual VI, OP. Cit. p.2.

(6) عباس فاضل السعدي، دراسات في جغرافية السكان، مصدر سابق، ص178.

(*) نشر"رافنستين" قوانينه عن الهجرة في مجلة"

Journal of the Royal Statistical Society, June 1885, NO.48, Part 2, 177-277.

(7) Robert Woods. Population Analysis in Geography, Longman Group Limited, London, 1982, Donald J.Bogue, OP,Cit., P

P.755, 756 Everett S.Lee, “A Theory of Migration “ in Population Geography by George J.Demko et al, Mc Graw-Hill Book Co., New York, 1970, P P.288-289.

(8) E.E Bergel, Urban Sociology, Mc Graw – hill book Co., INC., New york, 1955, p.221.

(9) تم اعتماد المسافات بين مراكز المحافظات المنشورة في : خارطة العراق السياحية (اصدار المؤسسة العامة للسياحة)، مقياس1:2.000.000 بغداد،1980.

(10) H.S. Shryock, Population Mobility Within the United States, Chicago, 1964, p. 265.

(11) رياض ابراهيم السعدي، الهجرة الداخلية للسكان في العراق:1947-1965، ط1، مطبعة دار السلام، بغداد، 1976، ص211-212.

(12) Shryock, O P. Cit., P. 282, ايضا رياض ابراهيم السعدي، مصدر سابق، ص109.

(*) وبالنسبة لمنطقة الاصل بلغ معدل تيارات الهجرة الداخلة الى التاميم من محافظتي ديالى وصلاح الدين 12.7 بالالف بالتتابع. وتتراوح المسافة في الحالة الاولى ما بين 66و110 كم، وفي الحالة الثانية ما بين 112 و215كم.

(13) Shryock, O P. Cit., p. 232.

(14) رياض ابراهيم السعدي، مصدر سابق، ص111.

(15) المصدر نفسه، ص111.

(16) الجهاز المركزي للاحصاء، المجموعة الاحصائية السنوية لعام 1997 ، ص171-176.

(17) المصدر نفسه، ص171-176.

(*) عدا محافظات الحكم الذاتي التي لم تغط بتعداد 1997.

ملحق (١)
مصفوفة الهجرة الداخلية في العراق عام ١٩٩٧

محل الولادة / محل الاقامة	البصرة	ميسان	ذي قار	المثنى	القادسية	النجف	صلاح الدين	واسط	كربلاء	بابل	بغداد	الانبار	ديالى	التاميم	نينوى
البصرة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ميسان	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ذي قار	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
المثنى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
القادسية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
النجف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
صلاح الدين	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
واسط	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
كربلاء	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
بابل	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
بغداد	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الانبار	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ديالى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
التاميم	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
نينوى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

المصدر: هيئة التخطيط، ج ع م ح إ، نتائج التعداد العام للسكان لعام ١٩٩٧ لكل محافظة من محافظات القطر، بغداد، ٢٠٠٠، جدول ٢٤، ص٨٣.

The Relationship between the Streams of Internal Migration and Distance in Iraq during 1997

Dr. Abbas Fadhil Al-Saadi

Baghdad University

Abstract

The aim of the paper is to study the relationship between the internal migration and distance in Iraq ,using the 1997 population census data.

The research shows that there are many interchange streams between the nearby governorates. The relationship between the streams will increase if we consider the distance as an effective factor except for Baghdad governorate. The paper shows that the correlation between migration and distance appeared to the negative.

Baghdad Governorate occupied more than half of the total interchange net migration streams between the profitable governorates, the Middle Euphrates governorates more than one fifth than streams, and the other governorates more one fifth also.

Later, the migrants started to migrate to the nearby places because the government limited the migration to Baghdad , after the 1987 population census.

Finally, the research shows also that there are patterns of the profitable governorates in the west of Iraq, and another pattern of the loser governorates extending to the eastern and southern and parts of Iraq.

الأفق الجغرافي ودوره في تطور الفكر الجغرافي الفكر الجغرافي العربي الإسلامي

(حالة دراسية)

أ. م. د. محمـــد عبـــاس حـــسن العبيـــدي
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الجغرافية التطبيقية

مستخلص

للأفق الجغرافي دور فعال ومؤثر على المفاهيم والمعرفة الجغرافية في كل زمان ومكان وهو يوجه هذه المعلومة ويصيغها حسب مفرداته وكينونتة سواء كانت هذه الكينونة برية أو بحرية أو فضائية ولإيضاح هذا الدور فقد تمت الإشارة إلى دور الأفق في توجيه المعلومة الجغرافية في الحضارات القديمة خاصة الشرقية (العراقية والمصرية والفينيقية والهندية) للوقوف على دور التباين المكاني للأفق الجغرافي وعدم الاعتماد أو الاكتفاء على بيئة واحدة سواء كانت برية جافة أو نهرية أو بحرية أو جبلية .واعتمد الفكر الجغرافي العربي الإسلامي كحالة دراسية لإثبات العلاقة الوثيقة بين الأفق الجغرافي والمعرفة الجغرافية من خلال تناول المصادر التي اخذ منها العلماء العرب الجغرافية ،ومراحل تطور الفكر الجغرافي العربي لإعطاء فكرة عن دور سعة الأفق على المعلومة الجغرافية ،فضلا عن الدوافع التي ساعدت على اتساع الأفق الجغرافي العربي التي قاد بدورة إلى التراكم المعرفي الجغرافي عند العلماء والمسلمين العرب .

مُقَدِّمَة

الأفق بالضم وبضمتين : الناحية والجمع آفاق او ماظهر من نواحي الفلك ، او مهب الجنوب والشمال والدبور والصبا .[1] كما يقصد به أحياناً الحد الاقصى في السماء ، صدق بالافق ،او كما ورد في القران الكريم ((وهو بالافق الاعلى)) [2] . ويقال كشف افاق جديدة ويقصد بها جوانب او معالم او جهات او اماكن . ويقال كذلك هو واسع الافق ((ولقد رآه بالافق المبين)) [3] كما ورد في الذكر الحكيم كذلك .

كثيرا ما يقال عن الجغرافية انها مادة حديثة وحقيقة الامر انها ترجع لدى الكثيرين من علمائها ومؤ لفيها الى اقدم عهود المعرفة لان الناس ميالون بحكم نزعاتهم الفطرية الى حب الاستطلاع والتعرف على اماكن غير اماكنهم واساليب للحياة غير اساليبهم فقد كان الرحالة والمستكشفون والغزاة يسجلون مشاهداتهم لخدمة الحكومات وخدمة القراء بصفه عامة . وان التفكير في طبيعة العالم وشكلة وحجمه وقوامه يرجع الى قدماء العراقيين والمصريين الذين تخيلو ان السماء عبارة عن سقف مرفوع فوق اربعة اعمدة تتفق مع الجهات الاربعة الاصلية وفي القرن الثالث قبل الميلاد وافق العالم الاسكندري ايراتوستين على مارآة من ان الارض كروية وان طول قطرها حوالي 125 الف ميل [4].

ان اسم جغرافية ظهر اول مرة اذ سمي به كتاب بطليموس الاقلودي وكان معناه انذاك يدل على رسم خريطة العالم وشكل الارض وابعادها أي ان كلمة جغرافية كانت مرادفة لكلمة هندسة او مساحة [5].

ان ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الافق الجغرافي والاراء والمفاهيم الجغرافية سواء كان في الحضارات القديمة او الفكر الجغرافي العربي الاسلامي وحتى الجغرافية بصورة عامه . هو الراي القائل بأن الجغرافية علم العلاقة بين الانسان

والبيئة الطبيعية وليس المقصود من هذا هو الانجاز لاصحاب المدرسة الحتمية أو البيئية ولكن لاثبات العلاقة بين الافق الجغرافي والفكر الجغرافي أو التراث العربي الاسلامي ومن المعلوم ان كم ونوع الاراء عن المكان أو الاقليم أو البيئة تزداد مع اتساع مساحة الافق المدروس او الذي يكون بالامكان التنقل والحركة فيه بحرية كاملة .

والجغرافية هي العلم الامثل الذي يتولى تعريف البشر بمحيطهم الطبيعي والبشري مما يكشف لهم عن حقيقة صلتهم بالموطن الذي يكنونه وطبيعة الروابط التي تربط بعضهم ببعض . كما تيسر لهم احسن الطرق التي يمكن ان يستثمروا بها ارضهم افضل استثمار ليحققوا الهدف الاخير من وجودهم على هذا الكوكب (6) .

الأفق الجغرافي ودوره في تطور الفكر الجغرافي
مجلة آداب الفراهيدي
أ. م. د. محمد عباس حسن
العدد (10) آذار 2012

مشكلة البحث :.

تدور مشكلة البحث حول اثر او دور الافق الجغرافي في المعرفة الجغرافية وهل له دور في ذلك وهل ان اتساع الافق ارضاً وسماء يقود الى التراكم المعرفي نوعاً وكماً .

فرضية البحث :.

ان للافق الجغرافي دورا فعالا وكبيرا في اغناء المعرفة الجغرافية واتساعه يؤدي الى التراكم المعرفي نوعاً ما .

هيكلة البحث:

لايضاح دور الافق الجغراقي في المعرفه الجغرافيه بشكل عام ثم في الفكر الجغراقي العربي الاسلامي خاصة، تم تقسيم الموضوع الى عدة محاور فضلا عن المقدمة فقد تناول المحور الاول دور الافق الجغرافي في المعرفة الجغرافية موضحا هذا الدور في الحضارات القديمة .ثم الافق الجغرافي ودوره في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي.واهم المصادر التي نهل منها علماء العرب والمسلمين علم الجغرافية .مراحل تطور الفكر الجغرافي العربي الاسلامي .منتهيا الى دوافع اتساع الافق الجغرافي العربي من خلال ايضاح دور الجانب الفلكي والرحلات والكشوف الجغرافية وتعاليم الدين الاسلامي والملاحة والفتوحات الاسلامية ودور البريد في هذا الاتساع لخدمة المعرفة الجغرافية.

اولا: دور الافق الجغرافي في المعرفة الجغرافية.

اذا عرفنا الجغرافية في ابسط مفاهيمها بكونها (معرفة الارض) فلا ريب ان الانسان قد مارس المعرفة الجغرافية منذ انشأ نواة مجتمعاته البدائية الاولى فسعي الانسان الاول الدائب للحصول على غذائه كان يتطلب منه بالضرورة استكشافات بيئته الصغيرة والتعرف عليها . كما ان مطاردة الحيوانات كانت تكشف له دوما بقاعاً جديده وسواء ظهر الانسان في مكان واحد من الارض وانتشر منه الى الاماكن الاخرى ام انه تطور حضاريا في خطوط متماثله في بقاع عديده فالذي لاريب فيه ان مجموعاته تحركت على نطاق واسع وعمت جميع القارات وكان يصحب هذا الانتشار اتساع في الافق الجغرافي ومعرفة مواطن جديدة من الارض كالمظاهر الطبيعية المختلفة من تضاريس ومناخ ونبات وحيوان . وقد استمر الانسان في الكشف عن الارض عن طريق مغامراته وبحثه عن الغذاء وفضوله الدائب منذ اقدم العصور لغاية مطلع القرن العشرين حتى افرغ من هذه المهمة تقريباً فاتجه للكشف عن الفضاء وعاده كما يقال عن الجغرافية هي علم المكان spatial أي انها العلم الذي يهتم بأستعمال المكان الارضي – والجغرافية هي ايضاً دراسة كيفية تطور الانماط المكانية التي نراها مع الزمن (7) .

وتعرف الجغرافيةعلى انها دراسة الاختلاف المكاني و كيفية ولماذا تختلف الاشياء من مكان الى اخر على سطح الارض والجغرافية. ولو كانت جمع الاشياء هي نفسها في كل مكان . واذا لم يكن تفاوت مكاني فلن يكون هناك ما نسميه ((جغرافية)) واذا لم يكن هناك تفاوت في طبيعة الارض ((اللاند سكيب)) وشعوبها والطرق المختلفة من مكان لاخر فلن يكون هناك علم للجغرافية . اننا نفكر ونستجيب للاماكن ليس في باب موقعها فقط ولاكننا نفكر فيما تحتوي وماذا نتوقع انها تحتوي ؟ ان التفكير في المكان يقدم لنا صور حول طبيعة المكان

الطبيعية او ماذا يفعل الناس هناك وكيف ان الاشياء الطبيعية لها العلاقة بالنشاط البشري (8) .

دون البابليون قوائم البيانات الجغرافية التي عرضوها عن الاقاليم المختلفة مثل قوائم الملك سرجون الاكدي وتعد بعض هذه البيانات ارشادات لسفر ومعلومات عن الطريق ويبدو انها كانت خاصه بالاعمال الادارية ولعل اتساع الافق الجغرافي للدولة براً وجواً من خلال النجاح في ضم الاقاليم كان سبباً للاهتمام بالمعلومات الجغرافية الكبيرة التي توفرت عن هذه الاقاليم لتسييرامور ادارتها, ولقد اهتم البابليون بمعرفة موقع بلادهم بالنسبة لما يجاورها واعتقدو بأن الارض مقسمة الى اربعة مناطق او اقاليم (عيلام) في جنوب بابل و(اكاد) في الشمال و(سوبارتو) في الشرق و(امور) في الغرب (9).

كما ان الافق الجغرافي للحضارات القديمة الشرقية هو الذي وجه معارفها الجغرافية كماً ونوعاً بل اثر ذلك حتى في معتقداتهم الدينية من خلال تعلق سكان الحضارتين العراقية والمصرية بالسماء ومراقبتهم للفلك وما دفعهم الى ذلك هو الموقع الجغرافي والفلكي لهاتين الحضارتين فقد توجهت انظار السكان الى السماء لمراقبة الفلك وحركة الغيوم والتقلبات الجوية والمؤدية الى سقوط اللامطار لاعتماد الزراعة عليها بأعتبارها عصب الحياة ان ذاك . وكذلك الحالة بالنسبة لحضارتين الهندية والصينية فقد ادى توفر مياه الانهار وغزارة الامطار الى عدم الاكتراث بالفلك والتقلبات الجوية بل توجهت انظارهم الى الارض واعتمادهم المياه السطحية في الزراعة . كما وصل عندهم الامر الى حد تأليه الحجارة كما هو الحال في الديانة البوذية على عكس الحال في الحضارتين العراقية والمصرية الذين عبدوا النجوم . اما الحضارة الفينيقية فقد ضربت اوضح الامثله في تأثير الافق الجغرافي على المعرفة الجغرافية فقد كان نتاجها المعرفي بحري سواء كان

مايخص المفاهيم الجغرافية او الخرائط انعكاساً واضحاً لموقعها البحـري عنـدما كانت على سواحل الخليج العربي في دلمون ((البحرين حالياً)) او بعد انتقالها الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط . بل ان موقعها البحري انعكس كذلك على الحياة والانشطة المختلفة لسكان الحضارة . فقد كان معظم نشاطهم يعتمـد علـى النقـل البحري من خلال التجول بين المسطحات المائية وخاصةً البحر المتوسـط متمـثلا بجانبيه الشمالي والجنوبي .

ان تراكم المعلومات ووفرتها كماً ونوعاً فـي الحـضارات الـشرقية ثـم وصولها الى الحضارات الغربية اليونانية والرومانية فضلاً عن تتلمذ الكثيـر مـن علماء ورجالات الحضارة الغربية في الحضارة المصرية بحكم القرب الموقعي بين الحضارتين . فقد قام الجغرافيون اليونانيون وبعد ذلـك الرومـان بقيـاس الارض ووضعوا خطوط الطول والعرض ورسموا الخرائط المتطورة وكتبوا في التفـاوت المكاني المتعلق بهذه الخطوط فيما يتعلق بالمناخ وفي حـوض البحـر المتوسـط والمناطق النائية في شمال اوربا وآسيا وافريقيا وباستخدام الافكار الحديثـة تقريبـاً قاموا بوصف الانظمة النهرية ودورات انجراف التربة وترسباتها ولاحظوا اخطار قطع الغابات وغير ذلك[10] .

ثانيا:الافق الجغرافي ودوره في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي:

االتعرف على المكان ضرورة هامة للمحافظة على الحياة ليس فقط بالنسبة للانسان ولكن للحشرات والطيور والحيوانات ، ان الحياة لتدافع عن نفسها في كيان الكائن الحي وإذا لم يلبي مقومات بقائها من غذاء وشراب وترحل عنـه وتهجـره ليفنى وتذروه الرياح فالحركة أية كان دوافعها سمة من سمات الكائن الحي ومظهر ينفرد به عن سائر الموجودات .

وبدأ الأفق الجغرافي يتسع أمام الإنسان من اتساع حركته لتلبية متطلبـات العيش فقد أختلف هذا الأفق مع اختلاف طريقة الإنسان في التعامـل مـع المكـان وموجوداته مع تطور علاقة الإنسان مع بيئته . وعندما نقارن بين حركـة وتنقـل الإنسان يوم مارس حرفة الجمع والالتقاط وتنقله حينما أحترف الصيد نجـد فرقـا شاسعاً وتبايناً كبيراً ولما تحول الإنسان إلى رعي الحيوانات زاد تنقله لأنه عنـدما تستهلك الحشائش ويجدب المرعى يسعى في سبيل مرعي سواه . ورب قائل يقـول عرفنا أن الحيوان متنقل فهل يتنقل النبات ؟ الإجابة نعم الحيـوان يتنقـل مكانيـاً والنبات يتنقل زمانياً بين فصول السنة وفي التنقل زيادة لمعرفة الأماكن[11].

علم الجغرافية هو علم تركيبي وتحليلي وبيني يقف في المكان المناسب بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ويعرف كيف يمد يده لكي يلتقط ويجنـي ثمـرات ونتائج هذه العلوم ولكي يحسن ويتقن توظيفها لخدمة الهـدف الجغرافـي . وفـي تصنيع أو صياغة النتائج التي تجاوب هذا الهدف كان من أكثـر العلـوم التزامـاً بالتطور من عصر إلى آخر . ويبنى هذا الالتزام على اساس ان العلم فـي هـذا الوضع البيني وهو يدخل نتائج العلوم واضافاتها المتطورة في صنع توليفة نتائجـه العلمية ، ينبغي ان يتحلى بالقدرة على استيعاب هذا التطـور وعلـى الاسـتجابة لدواعي هذا التطور والتجديد والاضافة . بل قد ينبغي ان يحتوي علم الجغرافيـة في صلب تركيبه الهيكلي العلمي الاستعداد الصريح لتطـوير الهـدف الجغرافـي وتطوير الوسيلة والمنهج وصولا إلى هذا الهدف وهو يتطور وتتجدد ابعـاده مـن عصر إلى آخر .

هذا ويتحمل الفكر الجغرافي وهو من وراء علم الجغرافيـة علـى كافـة مستويات أدائه النظريةو الأكاديمية والعلميـةو الميدانيـة والتجريبيـةو التطبيقيـة مستويات هذا التطور ولا يكون هذا التطور ولا يبدأ أبداً مـن فـراغ ولا ينتهـي

بالضرورة الى غاية أو هدف جغرافي ويلبي حاجة العصر ويخدم حركة الحياة في المكان والزمان وتمتلك الخبرة الجغرافية دائماً المهارات لتطوير البحث الجغرافي نظرياً وميدانياً وتطبيقياً في أطار اهتماماتها وهي تدرس الارض لحساب الإنسان أو هي تدرس الانسان وحركة حياته المستجيبة لدواعي التغير في ربوع الأرض بل ان هذه الخبرة الجغرافية في وسعها ان تبين و تفسر العلاقة ميل الأرض وكل السنن الحاكمة للطبيعة في ربوعها المتنوعة والإنسان وكل القدرات الحضارية الذي يتأهل بها ان يحسب حساب القدرة الحضارية في كل جولة صراع من اجل تطويع أو من أجل ابطال مفعول التحديات التي تبديها السنين الحاكمة وتواجه بها حركة الحياة في ربوع الأرض[12] .

ثالثا: المصادر التي نهل منها علماء العرب والمسلمون علم الجغرافية هي :

1- الشعر العربي القديم ، اذ ان الشعر العربي القديم غني باعلام واماكن جغرافية كانت معروفة عند البدو الرحل .
2- علماء اللغة العربية اذ بقيت الصلة متينة بين اللغويين والجغرافيين ويظهر ذلك واضحاً من المعاجم العربية .
3- القرآن الكريم والأحاديث النبوية تناولت كثيراً من المعلومات الجغرافية الفلكية والوصفية .
4- قصص تناولها اليهود والنصارى تحتوي على معلومات جغرافية ثمينة .
5- المصادر الفارسية والمصرية والفينيقية والهندية واليونانية والرومانية وغيرها .
6- الرحلات التي قام بها علماء العرب والمسلمين محاولين معرفة المسالك والممالك[13] .

7- الفتوحات الاسلامية التي أوجبت عليهم معرفة المسالك والمناطق الزراعية لتموين الجيوش الفاتحة .
8- فريضة الحج التي ألزمت كل مسلم ومسلمة للقيام بزيارة مكة المكرمة مما اضطرهم إلى دراسة الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عن كثب .
9- الحرص على الخبرة الشخصية التي قادت علماء العرب والمسلمين في علم الجغرافية لأن يتنقلوا في البادية ليسمعوا أخبار القبائل وأشعارهم لكي يستخلصوا بعض المعلومات الجغرافية والفلكية في أقوالهم .
10 – كان ولاة الأمور يقربون رجال العلم ويجزلون لهم العطاء عندما يكتشف احدهم طريقاً سهلاً يخدم الأمة لمعرفة أجزاء الدولة الاسلامية والدول المجاورة .
11- حياة البداوة التي تفرض على العرب المسلمين معرفة الاتجاهات والمناطق وموعد هطول الأمطار ومكامن الآبار فهم جغرافيون بحكم بيئتهم .
12- انتماء علماء الجغرافية إلى بلدان عديدة ولكنهم دونوا معلوماتهم الجغرافية بلغة القرآن لذا امتاز علم الجغرافية بالتجربة والمشاهدةالشخصية[14]

رابعا: مراحل تطور الفكر الجغرافي العربي الاسلامي.

وعند الدراسة والاطلاع على الفكر الجغرافي العربي الاسلامي والوقوف على مراحل تطوره عبر القرون الستة بعد الهجرة يتضح وبشكل جلي دور الافق الجغرافي واتساعه على المفاهيم والمعارف الجغرافية التي سادت آنذاك فقد اعتمد العرب قبل الاسلام على الاشعار والقصائد في تصوير الطبيعة ووصف المنطقة وما أطلق عليه ((المدرسة اللغوية)) فالشعر العربي كان التاريخ الحقيقي لتسجيل أحداثهم وافكارهم اليومية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهو غني بافكار تلك

المرحلة خاصة انه وصل الى قمته في صياغة الكلام وقوة التعبير وهذا ما نجده في اشعار العرب قبل الاسلام .

وأما الدين الاسلامي فقد دعم النزعة العلمية عند العرب وقواها فأقسم بالقلم وذكر العلم بآيات عديدة في القرآن الكريم ، كما ذكرته الكثير من الأحاديث النبوية .

فقد ركزت المرحلة الأولى من مراحل تطور الفكـر الجغرافـي العربـي الإسلامي والتي بدأت من صدر الإسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري علـى جانبين هما :

1- الاهتمام بجغرافية شبه جزيرة العرب .
2- التهيئة للفتوحات الإسلامية .

ونرى هنا أن الافق الجغرافي الذي تدور فيه الأحداث العلمية أو العسكرية هو شبه جزيرة العرب أنطلاقاً منها إلى المناطق المجاورة .

فضلاً عن جمع وتنظيم تصورات الفكر العربي قبل الاسـلام فـي مجـال الانواء وتدوين المادة الضخمة المتعلقة بالأماكن وادخال نمط الفضائل في المؤلفات الجغرافية وظهور المصورات وبروز الجغرافية الوصـفية وبـروز المخططـات الخاصة بالطرق وتحديد مسافاتها[15] .

أما المرحلة الثانية والتي امتدت من منتصف القرن الثالث الى بداية القـرن الرابع الهجري . فبعد ان توطدت قوة الدولة في مساحات مترامية الأطـراف مـن العالم القديم وبروز ظروف جديدة كان لابد للفكر الجغرافي العربـي ان يواكبهـا ويستفيد منها لذا فقد برزت بعض الخصائص منها هي:

1- الاهتمام بالفكر الجغرافي الأجنبي وترجمته .
2- الاهتمام بعلم الفلك ودراسة الكون .

وفيما يخص المرحلة الثالثة الذي امتدت منذ بداية القرن الرابع حتى اوائل القرن السادس الهجري . فقد شهدت تطوراً علمياً بارزاً سواء كـان فـي مجـال الجغرافية أو بقية العلوم المختلفة فقد تمثلت فيها وبصورة جلية دور سـعة الافـق الجغرافي على المعرفة الجغرافية في هذه المدة من الزمن كما يظهر ذلك من خلال الاطلاع على مميزاتها التي تمثلت بعدة خصائص اهمها :

1- اخذ البحث العلمي الجغرافي يتجه أتجاهاً عملياً وعلمياً .
2- استخدمت المعرفة الجغرافية لتحقيق أهداف الدولة ومتطلبات حكامها عـسكرياً واقتصادياً .
3- الاعتماد على الخبرة الشخصية مبتعـدا عـن الألتـزام بـالفكر اليونـاني أو الروماني .
4- الأهتمام بالجغرافية الوصفية لكثرة الرحالة .
5- استخدام الخرائط في البحث الجغرافي .
6- بروز فواصل بين المعرفة الجغرافية والمعرفة الفلكية[16] .

وان هذه السمات ما هي إلا استجابة واضحة لعدة أمور فضلاً عـن سـعة الافق الجغرافي مثل الاستقرار السياسي والعسكري والاجتماعي الذي يتيح للباحث العمل والابداع كلاً حسب تخصصه وكذلك دعم الدولة والحكام وتكريمهم للعلمـاء في هذه المرحلة .

وجائت المرحلة الرابعة التي امتدت من بداية القرن السادس الهجري الـى منتصف القرن السابع التي شهدت سقوط بغداد 656هـ وتفكـك الدولـه العربيـة الإسلامية وانحلالها سياسياً وترك الحكام تشجيع العلم والعلماء وتوجيههم وانحسار الافق الجغرافي بعد تقلص رقعة الدولة الإسلامية وانقسامها إلى امارات شبه مستقلة

. ومع ذلك فقد برزت اتجاهات عديدة في هذه المرحلة املتها الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية وهذه الأتجاهات :

1 - استمرار الانماط الاساسية ممثلة بالجغرافية الفلكية والوصفية .

2 - بروز نمط جديد ممثل في كتابة المعاجم والرحلات وكتابة المعاجم نمط جديد يجمع بين الأدب العربي والمعرفة الجغرافية [17].

وبعد ان تقلص الافق الجغرافي للحضارة العربية الاسلامية وسيطر المغول بعد احتلال بغداد 656هـ ، 1258م وانتقال مركز الحضارة بعد ان التهمت النيران المغولية معظم مكتباتها وقتل وشرد معظم علمائها ظهرت مراكز جديدة وتولت قيادة الفكر الجغرافي . وكان من نتيجة ذلك ان انشئت في مصر انماط جديدة في مجال الفكر الجغرافي فقد انشئت (الدواوين) وهي عبارة عن مراجع ادارية واقتصادية عملت من أجل كتابة الدواوين وخير مثال لهذا كتاب ابن مماتي (قوانين الدواوين) كما ظهر نمط جديد يدعى (بالخطط) وهي أوصاف تاريخية أدارية للنواحي والاحياء المتخلفة من المدن الكبرى . وخير من مثل هذا النمط عثمان بن إبراهيم النابلسي الصفدي . كما برزت الجغرافية الاقليمية ولم يكن مؤلفوها دائماً من أهل المنطقة الموصوفة نفسها ومن افضل من اهتم في هذا المجال يوسف بن يعقوب الدمشقي المشهور بابن المجاور . و برزت في هذه الفترة الخرائط البحرية بعد ان حدث تحول كبير في اتقان الفنون البحرية وكذلك ظهور خاصية نقل المعلومات وفقدان اللغة العربية لسيطرتها وظهور لغات أخرى مثل الفارسية والتركية في تأليف الكثير من الكتب الجغرافية والتاريخية[18] .

خامسا: دوافع اتساع الافق الجغرافي العربي .

1- الجانب الفلكي :.

نظر الإنسان منذ القديم إلى السماء المرصعة بالنجوم وراح يتساءل عما تعنيه هذه الملايين من نقط الضوء اللامعة وعن السر الذي يكمن وراء وجودها واعتقد ان النجوم مجرد مصابيح سماوية موضوعة في قبة السماء من أجل ان تنير الأرض وتزينها وتبهر من فيها بجمالها ودقة صنعها . ولاحظ ان بعض هذه النجوم يتحرك فأطلق عليها اسم النجوم المتحولة . وبعضها ثابت سماها النجوم الثوابت . ثم بدأ باستخدامها في رحلاته البرية والبحرية وسخرها لأعماله الحياتية . وما زال العلم يكتشف قدرة الخالق وعظمته ودقة صنعه ولم يتوصل علماء الفلك بعلومهم ومخترعاتهم إلا إلى جزء بسيط من مجاهل هذا الكون الفسيح فأصابوااحيانا وأخطأوا أحيانا في تفسير ظواهر الكون[19].

كانت بداية هذا العلم على يد العرب بحكم البيئة الصحراوية التي يعيش فيها المسلمون حيث كانت النجوم مرشدا لتحركاتهم في الصحراء العربية الواسعة لذا برع الجغرافيون المسلمون في الجغرافية الفلكية التي كانت خليطاً من علم الفلك والجغرافية الطبيعية فكان من بين جنبات هذا الفرع دراسة مواضيع عدبدة منها شكل الأرض وحركاتها وقياس محيط الأرض الأزياج الفلكية ، تعيين خطوط الطول والعرض ، تعيين المواقع الجغرافية فضلاً عن المعلومات المناخية وعن البحار والمحيطات وعن اشكال الأرض وسطحها وأسباب تكوينها[20] . وهناك اجماع عند مؤرخي العلوم أن اسباب تفوق علماء العرب والمسلمين في علم الفلك صفاء السماء وصحوها خلال معظم شهور السنة وكان لهم أهتمامات كثيرة في دراسة النجوم وحركتها لهذا عرفوا عدداً كبيراً منها ولا تزال تحمل الأسم العربي[21] .

لذا فقد كان للفلكيين العرب والفلاسفة مآثركثيرة في هذا المجال بفضل ملاحظاتهم ومناقشتهم النظرية . ذلك انه منذ دخول الفلسفة والفلك الاغريقيين الى

العلماء العرب منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (الثـامن المـيلادي) حتى النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر المـيلادي) أخـذت كوكبة من الفلاسفة والفلكيين تدرس مسائل مختلفة من الجغرافية الرياضية والفلكية والطبيعية وكانت كتب العلماء اليونانيين قد زودت العرب بأساس كافة ومادة تفـي بذلك[22]

2- الرحلات الجغرافية والكشوف :

ان للحضارات القديمة الشرقية والغربية دورا كبيرا ومساهمة غعالـة فـي الكشف عن مناطق واسعة من العالم القديم الذي اصبح مغروفا في بدايـة عـصر النهضة الاوربية ،هذا كله يضاف الى دور الرواد العرب واسهاماتهم الكثيرة فـي علم الجغرافية.

فالرحلة العلمية ظاهرة مألوفة عند المسلمين في جميـع الأقطـار شـرقها وغربها وقد أورد المقري (المتوفي سنة1041ه) اسماء ما يزيـد علـى مـائتين وثمانين شخصا رحلوا إلى الشرق في طلب العلم وحده[23] .

صحيح أن الرحلة كانت قد تخصصت قبل ولادة ونـشأة علـم الجغرافيـة وترسيخ منهجية البحث والانجاز الجغرافي في خدمة وتوسيع الرؤية الجغرافية على أوسع مدى في ربوع العالم الفسيح وصحيح أيـضاً أن هـذه الرحلـة الجغرافيـة المتخصصة في أداء هذه المهمة لحساب المعرفة الجغرافية قد تولى أمرها الرجـل المغامر أو الجسور الذي كانت قد استهوته حتى اصبحت شـغلة الـشاغل وبـدون حاجة ملحة للتخصص والاهتمام بالمحصلة الجغرافية ولكن الصحيح بعد ذلك كلـه هو أقدام علم الجغرافية على تبني الرحلة الجغرافية لكن يتولى أمرها المتخـصص الجغرافي وقل عندئذ أن هذا هو التحول الجذري أو التحول الحقيقي البناء في شأن توظيف الرحلة لحساب التخصص العلمي الجغرافي ذلك أنها أصبحت رحلة خاصة

ومتخصصة في القيادة الجغرافية وأكثر تخصـصاً وتفرغـاً فـي خدمـة الهـدف الجغرافي العلمي المتجدد وكان هذا التجرد مطلوباً ولكي تنضج الرحلـة ثمـرات البحث الجغرافي . وهكذا طاوعت الرحلة الجغرافية القيادة الجغرافية المتخصـصة في انجاز الهدف الجغرافي على صعيد المساحة المعنيـة فـي المكـان والزمـان وتوجهت الرحلة الجغرافية العلمية المتخصصة في الاتجاه الصحيح كمـا وجهـت معها البحث الجغرافي العلمي على الدرب إلى كل ميادين علم الجغرافيـة الحديثـة واصبح شغل هذه الرحلة الجغرافية هو ان يتحقق الهدف الجغرافي ولا شيء غيره على صعيد المساحة المعنية في المكان والزمان[24] .

لقد اعتمد علماء العرب والمسلمين في حقل الجغرافيـة علـى الـرحلات الميدانية لكي يتوصلوا الى الخبرة الشخصية التي لا تقدر بـثمن وذلـك لاهتمـام المسلمين بالتجارة والفتوحات لذا نرى علماء المسلمين تميزوا عـن غيـرهم فـي الاسفار للمعاينة الميدانية ويظهر ذلك في مؤلفاتهم العديدة ، ونتيجة لرحلاتهم الكثرة عرفوا عن كثب الجزء المعمور من الأرض (الجزء الشمالي) وغير المعمـور (الجزء الجنوبي) وخط الاستواء والمنطقتين الاستوائية والقطبية وغير ذلك . حـث الاسلام على الاسفار في طلب الرزق ونشر تعاليم الدين الحنيف فقـال الله تبـارك وتعالى : ((وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقـه وإليه النشور))[25], ولم يكتف علماء العرب والمسلمين في علـم الجغرافيـة علـى مجرد السماع والتنقل بل استندوا على التجربة والمشاهدة الميدانية وذلك باسـتخدام الخرائط الجغرافية كوسائل للإيضاح وقد استفادوا من الاتصال التجاري الذي صار بينهم وبين البلدان التي يتبادلون معها لذا اصبح عندهم أفق واسعاً وابداع كبير فـي حقل الجغرافية بوجه عام . وان تقارير الرحلات التي دونوها لهـا أهميـة كبيـرة

لاحتواءها على معلومات اقتصادية وسياسية وفـي العمـران والـسكان والحيـاة الاجتماعية والعلمية للبلدان التي زاروها[25] .

3- تعاليم الدين الإسلامي وفروضه :

يرجع الفضل الكبير في نشأة الحركة العلميـة وازدهارهـا عنـد العـرب والمسلمين إلى تعاليم الدين الإسلامي ومناهجه السامية متمثلة في القـرآن الكـريم الذي يحث على النظر والتأمل في ملكوت الـسماوات والأرض وفـي الأحاديـث النبوية الشريفة التي تدعو المسلمين إلى السعي في طلب العلم من المهد إلى اللحد . كما إن الإسلام الحنيف قد رفع من قدر العلماء واكد على تحرير الانسان وانطلاق تفكيره والاستفادة من مواهبه وملكاته والاهتداء بمداركـه البـشرية إلـى دراسـة الظواهر الطبيعية وكشف اسرارها وقوانينها[27] ، هذا وقد ساهمت الفرو ض الدينية الاسلامية بنصيب كبير في تشجيع المعرفة الفلكية والجغرافية . فالصلاة والـصوم يتطلبان معرفة جغرافية فلكية وضبط أوقاتها في انحاء الدولة الإسلامية المتراميـة الأطراف والحج كذلك فهو يحث المسلمين في شتى اقطار الدولة الاسلامية على شد الرحال إلى مكة المكرمة فضلاً عن الرغبة في أكتساب العلوم الدينية من منبعيهـا الرئيسين في مكة المكرمة والمدينة المنورة وقد أتحف الحـج الجغرافيـة العربيـة بالعديد من الرحالة الذين أضافوا برحلاتهم ثروة نفيسة إلـى جغرافيـة العـصور الوسطى على رأسهم ابن جبير وابن بطوطة[28] .

4- الملاحة البحرية :

كان للعرب دور كبير في الملاحة البحرية والتجارة بواسطة السفن سـواء قبل الإسلام أو بعده فيقول المسيو جويلاين Guillain بهذا الشأن : وقبض العرب منذ أقدم العصور على زمام التجارة البحرية وخاصة في الـشرق فكانـت سـفنهم تجري في المحيط الهندي لاسيما بين بلادهم والهند ، التي كان لهم على سـواحلها

جالية كبيرة (قرب مصب نهر الـسند) وهـي التـي كـان الهنـود يـسمونها ARABITA و ارسل الاسكندر المقدوني قائد اسطول (ينارك) في الخليج العربي لاستكشاف بحر الهندو و وجد في السواحل القريبة من مصب نهر السند آثار تـدل على نفوذ العرب من مدن وأساطيل ، وفي القرن الرابع الميلادي كـان الخلـيج العربي يعج بالسفن العربية التي كانت رحلتها فيه تنتهي عند (تريدون) - وهو موقع عند البصرة – وكان العرب يسيطرون على ثروات البر والبحر ولهم مراس منيعة ، وبعد ظهور الاسلام اصبحت الملاحة في البحر الأحمر بيـد العـرب وحـدهم فأزدهرت عدن ، كما أزدهرت البصرة في العهد العباسي وتطورت الملاحة فـي الخليج العربي وازداد حجم التجارة البحرية ونبغ في فن الملاحة للكثير من الربابنة العرب فكانوا يسافرون إلى سواحل شرق افريقيا والهند وجزر الهنـد الـشرقية ، والصين ، ولهذا ساهمت الملاحة بشكل فعال في سعة الافق الـذي يتحـرك فيـه العلماء العرب و المسلمين مما زاد في إسهامهم في رصد الجغرافية بـالوفير مـن المعلومات ويأتي على رأس هؤلاء احمد بن ماجد و كتابه (كتـاب الفوائـد فـي أصول علم البحر والقواعد) . ومما اهتم به شيوخ الملاحة أصل فنون علم البحـر وأسباب ركوبه والمنازل الثماني والعشرون والأخنان وما يتعلق بها وما يحتاج إليه أهل الصفة والإشارات السياسات وتركيب المركب والعسكر (البحـارة) والجـزر الكبار والمشهورات المعمورات ومواسم السفر والرياح والتيارات البحريـة والمـد والجزر وغيرها[30] . فقد عرف كيفية الاستفادة مما يعـرف بالريـاح الموسـمية المونسون (Monsoons) والرياح التجارية في تحديد أوقات رحلاتهـم التجاريـة بين موانئ جنوب شبه الجزيرة ومنطقة شرقي أفريقيا والاتجار مع منطقة جنـوب شرقي آسيا[31] .

5-الفتوحات الإسلامية :

بعد وفاة الرسول محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة بويع أبو بكرالصيق(رضي الله عنه) بالخلافة وحارب قبائل العرب في حروب الردة وبعدها فتح المسلمون بلاد الروم البيزنطيين والفرس الساسانيين وفتحوا الشام ومصر والعراق وفارس . بعدها ازدهرت الحضارة الإسلامية في الدول التي دانت بالاسلام ودانت له طواعيه تحت ظل الخلافة الراشدة وحكم الدولتين الأموية والعباسية وقد ظلت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً (632-661م) وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أول من مصر الامصار مثل الكوفة والفسطاط ومدن اسلامية عديدة . ومن الشواهد التاريخية المعروفة على أهمية الفتوحات الإسلامية في سعة الافق الجغرافي والذي يدل على وفرة المعلومات الجغرافية فصة بعث الحجاج بن يوسف إلى وفد الديلم ودعوته اياهم إلى ان الاسلام أو يدفعوا الجزية فأبوا فأمر ان تصور لهم الديلم سهولها وجبالها وعقابها وغياضها فصورت له فدعا من قبله في الديلم فقال ان بلادكم قد صورت لي فرأيت مطمعاً فأقروا لي مما دعوتكم إليه قبل ان اغزوكم بالجنود فأخرب البلاد واقتل المقاتلة واسبي الذرية فقالوا أرنا الصورة التي أطمعتك فينا وفي بلادنا فدعا بالصورة فنظروا فيها فقالوا قد صدقوك عن بلادنا هذه صورتها غير انهم لم يصوروا فرسانها الذين يمنعون هذا العقاب والحبال وستعلم ذلك لوقد تكلفته فغزاهم بالجنود فلم يصنعوا شيئاً وانصرفوا إلى قزوين[32] .

6- **البريد** :

يعد البريد من أهم الوسائل التي قادت علماء العرب والمسلمين إلى تطوير معلوماتهم الجغرافية وكلمة بريد كلمة عربية فصيحة وليست مثل كلمة جغرافية التي تعد دخيلة على اللغة العربية والتي كان علماء العرب والمسلمين يستخدمون مكانها (علم تقويم البلدان) وفي الاسلام أول من فكر في البريد معاوية بن أبي

سفيان ثم عممه على البلاد الاسلامية عبدالملك بن مروان نجد أن معرفة الطرق بين الاقطار الاسلامية ضرورية لكي يصل البريد إلى الخليفة في الوقت المناسب[33] .

وقد وضعت المراحل وحددت المسافات وجعل فيها السعاة والركاضين او العدائين والخيول واستحدثت المحطات البريدية وشحنت المحطات البريدية بالمؤن والعلف، وغالباً ما كانت المحطات البريدية تتخذ على الطرق الرسمية المعروفة آنذاك والتي كانت تسمى بالطرق السلطانية واقتصرت مهمة هذا الديوان بنقل الرسائل بين الولايات والخليفة ثم تطور البريد بعد ذلك لنقل رسائل عامة الناس . وقد كانت للطبيعة الجغرافية دور مهم في تحديد وسائل الاتصال والانتقال ولاسيما في فترات الفتح العربي الاسلامي او في فترات مقاومة الحركات المناهضة للدولة . ولقد اهتم الخلفاء الراشدين في اثناء عملية الفتوحات بطرق جيوشهم ووضعوا لها العلامات والاشارات الواضحة في الطرق الصحراوية والجبلية حتى لا يتيه عمال البريد فضلاً عن تحديد المسافات وسكك البريد[34].

الخاتمة:

يتضح مما تقدم من شروحات حول الافق الجغرافي ودور اتساعه على المعرفه او المعلومه الجغرافيه خاصة او المعرفه بصوره عامه,وان هنالك علاقه طرديه وثيقه بين الاثنين فان اتساع الافق افقيا او عموديا برا او جوا يصب في خدمة المعلومه كما ونوعا, وغالبا ما يضرب المثل الاتي للطلبه او المعنيين لايضاح تلك العلاقه , فان الطالب الجامعي قي السنة الاولى لايعرف او يجهل الشيء الكثير عن الجامعة بل لا يعرف الا طلبة مرحلته او البعض منهم وبحكم حركته واتصاله مع بقيه الطلبه تنمو وتتطور المعلومات لديه حول الكليه أي خارج نطاق بيئته الصغيرة ثم يتسع به الافق نحو البيئه الاوسع أي نحو الجامعة كلها حتى ترسم قي ذهنه صوره شبه متكاملة عن بيئته الجامعية وهكذا بالنسبة للجغرافي سابقا وحاضرا ومستقبلا وكما تم ايضاح ذلك فيما يخص الفكر الجغرافي العربي الاسلامي حالة دراسية لهذا الموضوع وكيف سيطر الافق الجغرافي اتساعا وانحسارا على المعلومة الجغرافية وفرة وانكماشا حسب الحالة السياسية والعسكرية والاقتصادية والادارية والامنية التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية.

المصادر:

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، معجم القاموس المحيط ، ط2 ، رتبة ووثقة خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2007 ،ص53
(2) القرآن الكريم ,سورة النجم,الايه(7)
(3) القرآن الكريم ,سورة,التكوير,الايه(23)
(4) فريمان ، الجغرافية في مائة عام ، ترجمة عبد العزيز طريح شرف ، مشروع النشر المشترك ، بدون سنة طبع ، ص3 .
(5) ج . ر. كرون ، أعلام الجغرافية الحديثة ، ط1 ، تعريب ، د. شاكر خصباك, دار المعارف ، بغداد ، 1964 ، ص3 .
(6) شاكر خصباك ، تطور الفكر الجغرافي ، ط2 ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت ، 2001 ، ص7 .
(7) فريمان ، مصدر سابق ، ص7 .
(8) فوزي سهاونة ، موسى سمحه ، حسن أبو سمور ، حسن سلامة, علي غانم ، عبد الفتاح لطفي ، مراجعة واشراف أ.د . فوزي سهاونة مدخل إلى الجغرافية ،ط2 ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، 2000 ص13 -14 .
(9) محمد محمود محمدين ، الجغرافية والجغرافيون بين الزمان والمكان ، ط2 ، مكتبة الاسكندرية ,1996 ، ص70 .
(10) فوزي سهاونة وآخرون ، مصدر سابق ، ص15 .
(11) محمد محمود محمدين ، مصدر سابق ، ص18 -21 .
(12) صلاح الدين الشامي ، الجغرافية المعاصرة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1987 ، ص607 .

(13) علي بن عبدالله الدفاع ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، ط2 ، مكتبة التوبة ، الرياض ، 1993 ، ص47 -48 .

(14) المصدر نفسه ، ص58 .

(15) عبد خليل فضيل ، إبراهيم عبد الجبار المشهداني ، الفكر الجغرافي ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، 1990 ، ص128 .

(16) شاكر خصباك ,في الجغرافية العربية ، ط1 ، جامعة بغداد ، 1975 ، ص9 -11 .

(17) عبد خليل فضيل ، إبراهيم عبدالجبار المشهداني ، مصدرسابق, ص135 .

(18) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ق1 ، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان ، ترجمة يغور بليايف ، الإدارة الثقافية ، جامعة الدول العربية ،1957 ، ص348 -351 .

(19) فوزي محمد حميد ، الجغرافية القرآنية ، ط1 ، دار الصفدي للطباعة ، والنشر ، دمشق 1993 ، ص69 .

(20) سعد أحمد حسن ، مساعد بم عبد الرحمن الجخيدب ، المكانة العلمية للتراث الجغرافي العربي الإسلامي ، رسائل جامعية ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، 2004 ، ص8 -9 .

(21) علي بن عبدالله الدفاع ، مصدر سابق ، ص49 .

(22) جمال الفندي ، الجغرافية عند المسلمين ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة, بيروت ، لبنان ، 1982 ، ص106 .

(23) محمد محمود محمدين ، مصدر سابق ، ص177 .

(24) صلاح الدين الشامي, الجغرافية المعاصرة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ,1987 ، ص26 -27 .

(25) سورة الملك ، آية (15) .

(26) علي بن عبدالله الدفاع ، مصدر سابق ، ص53 -54 .

(27) احمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ط1 ، مطابع دار المعارف ، مصر ، 1983 ، ص27 .

(28) شاكر خصباك ، الجغرافية عند العرب ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1986 ، ص8 .

(29) حسن صالح شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، مركز الدراسات والبحوث اليمني,صنعاء ، 1982 ، ص8 .

(30) صبري فارس الهيتي ، الفكر الجغرافي نشأته ومنهجه ، دار صفا للنشر والتوزيع, عمان ، الأردن ، 2005 ، ص84 -85 .

(31) الهادي مصطفى أبو لقمة ، محمد علي الأعور ، الجغرافية البحرية ، ط2 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الجماهيرية العربية الليبية,1999 ، ص31 .

(32) كراتشكوفسكي ، مصدر سابق ، ص59 .

(33) علي بن عبدالله الدفاع ، مصدر سابق ، ص50 -51 .

(34) طارق فتحي سلطان ، التاريخ الإسلامي في العصر الأموي ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، الموصل 2010 ، ص85 -86 .

Summary

of the horizon geographical role of an effective and influential concepts and geographical knowledge in every time and place is brought to this information and formulated by his vocabulary and his being, whether this land, sea or space and to clarify this role has been referred to horizon role in directing the last geographical ancient civilizations, especially Eastern (Iraqi, Egyptian The Phoenician, Indian) to determine the role of the spatial variation of the horizon geographical and not to rely or sufficiency of the one Environment , whether ground dry river , sea or mountains. adopted the geographical thinking the Arab-Muslim Case study to prove the close relationship between the horizon geographical and geographical knowledge by addressing the sources from which he took scientists Arab geography, and the evolution stages of the Arab geographical method to give an idea of the expand horizon going on geographic information, as well as the motives which have helped to expand the horizon, the Arab geographer, which in turn led to the accumulation of geographical knowledge among the scholars and Muslim Arabs .

علم البيان في كتاب طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي المتوفى سنة(806هـ) وابنه أبي زُرعة المتوفى سنة(826هـ)(*)

أ.م.د. محمد خليل إبراهيم
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

غسان علوان خلف رجب
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي خير البشر ما هطلت الغمائم بتهتان المطر، وهدلت الحمائم بأفنان الشجر، وعلى آله وأصحابه الميامين الغرر ، وبعد:

فلم ينل الحديث النبوي الشريف قسطه الكافي من الدرس البلاغي ، إذ انصبت جل الدراسات البلاغية على القرآن الكريم ، فـ قد كانت تراودنا فكرة تناول موضوع في الحديث النبوي الشريف منذ زمن ، فوقع الاختيار على كتاب (طرح

(*) البحث مستل من رسالة ماجستير بعنوان (المباحث البلاغية في كتاب طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي (ت806 هـ) وابنه أبي زرعة (ت 826 هـ)) للطالب غسان علوان خلف بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور محمد خليل إبراهيم / كلية التربية – جامعة تكريت .

التثريب في شرح التقريب) ، وذلك لما لهذا الشرح من قيمة علمية أصيلة ، فهو موسوعة لغوية ونحوية وفقهية فضلاً عما يحتويه من الموضوعات البلاغية القيمة المبثوثة في ثناياه ، فقد أحاط مؤلفه بعلوم عصره وآراء شيوخه وسالفيه ، ولما كان هذا الكتاب لم ينهض لدراسته أحد من الباحثين فيما يخص الجانب البلاغي توكلنا على الله تعالى لنبدأ مشوارا مع هذا الكتاب وشارحيه بعلم من أهم علوم البلاغة ألا وهو علم البيان .

فكان عنوان البحث : (علم البيان في كتاب طرح التثريب في شرح التقريب)0

وقد قسم نا البحث إلى ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد وتختمها خاتمة ، أمَّا التمهيد فقد جاء على قسمين : الأول : عن الشارحّين وحياتهما (الحافظ العراقي و ابنه أبي زرعة) ، فالشرح مشترك لهما ، وجاء القسم الثاني في تعريف علم البيان من حيث اللغة والاصطلاح .

أما المبحث الأول فلختص بالتشبيه وأقسامه . وتناول المبحث الثاني المجاز وأقسامه . أما المبحث الثالث فكان على قسمين : الأول : في الكناية وأقسامها ، والثاني : في التعريض .

وختاما نقول : هذا ما وفقنا إليه الله سبحانه وتعالى أن نقدمه للقارئ ، فإن أصبنا فمن الله وحده ، وإن كانت الأخرى فحسبنا أننا اجتهدنا ما استطعنا ولله الحمد أولا وآخرا ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

١ - التعريف بالشارحَين

أولا: الحافظ العراقي (الأب):

١ - اسمه وكنيته ولقبه وحياته:

هو عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن إبراهيم المهراني المولد ، العراقي الأصل،الكردي ، الرازياني[١] .

ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة [٢] ، كان أبوه من بلدة يقال لها رازيان من قرى أربل شمال العراق[٣]،وعرفت أسرة الحافظ بالصلاح والتقوى والزهد، وكان لأسلافه مآثر ومناقب ، فقد كان والده مختصا بخدمة الصالحين [٤]0 وكانت أمه صالحة عابدة صابرة قانعة مجتهدة في أنواع القربات [٥] .

رزقه الله بأولاد هم ثمرة هذه الأسرة المباركة ، منهم أحمد أبو زرعة ، – وسيأتي الكلام عليه لاحقا –[٦]0

٢ - شيوخه :

تلقى الحافظ العراقي العلوم الشرعية منذ نشأته الأولى من أفواه المشايخ والعلماء الأجلاء ، فاجتمع له عدد كبير من الشيوخ من أهمهم:

١ -الإمام الحافظ قاضي القضاة علي بن عثمان بن إبراهيم الماريديني ، المشهور ب(ابن التركماني) (ت749هـ) [٧] 0

٢ -شهاب الدين أحمد بن أبي الفرج، المشهور بـ(ابن البابا) ،(749هـ) [٨]0

٣ -الشيخ المسند المعمر صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي المصري ،(754هـ) [٩] 0

٣ - تلاميذه :

اجتمع للحافظ العراقي عدد كبير من التلاميذ ، وذلك لكثرة علمه فقد درس وأخذ عنه الفضلاء من كل مذهب من أهمهم :

1- الإمام برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي (ت802هـ)[١٠] .

2- الإمام الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي [١١] .

3- ولده أبو زرعة [١٢] 0

٤ - مؤلفاته :

مؤلفات الحافظ العراقي كثيرة جدا ، ولكن الأمر المؤسف أن أكثر مصنفاته ضاعت ولم تصل إلينا إلا أسماؤها ، أهمها:

1- أجوبة ابن العربي [١٣] 0

2- إحياء القلب الميت بدخول البيت [١٤]0

3- الألفية في غريب القرآن [١٥] 0

4- الألفية المسماة بـ(التبصرة والتذكرة)في علم الحديث[١٦] 0

5- ترجمة الأسنائي [١٧]0

6- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، وشرحه في (طرح التثريب ولم يكمله ، فأكمله ولده أبو زرعة) [١٨] 0

7-شرح تقريب النووي[١٩] 0

8- العدد المعتبر في الأوجه التي بين السور [٢٠]

9- القرب في محبة العرب[٢١] 0

10- نظم الاقتراح [٢٢] 0

٥ - وفاته :

توفي – رحمه الله– يوم الأربعاء الثامن من شعبان سنة ست وثمانمائة(806) وله من العمر إحدى وثمانون سنة 0 وكانت جنازته مشهورة ، وصلى عليه الشيخ شهاب الدين الذهبي 0 ودفن خارج القاهرة [٢٣] 0

ثانيا :أبو زرعة العراقي (ابن الحافظ)

1- اسمه وكنيته ولقبه :

هو ((أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازياني ثم المصري الشافعي)) [٢٤] ،كنيته أبو زرعة ، ولقبه ولي الدين ، وقد اشتهر بهما وبـ(ابن العراقي) [٢٥] .

2- حياته ونشأته العلمية :

ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، في مدينة القاهرة [٢٦] ، حفظ القرآن وعددا من المختصرات في الفنون وقرأ بنفسه وفهم الفن ، واشتغل بالفقه والعربية والمعاني والبيان ، فضلا عن الحديث وعلومه ، وألف المؤلفات مختصرا وشارحا [٢٧] ، واشتهر بالتدريس ، ثم ولي القضاء الأكبر في الديار المصرية وعزل عنه آخر حياته[٢٨]0

3-شيوخه :

تلقى أبو زرعة العلم من أفواه العلماء الأفاضل في عصره ، أشهرهم والده ، وممن أخذ عنهم :

١ –شهاب الدين أحمد بن لؤ لؤ بن النقيب ، (ت769هـ) [٢٩]0

٢ –بهاء الدين محمد بن عبد البر السبكي ، (ت777هـ) [٣٠] 0

4-تلاميذه : ومن أشهرهم :

١ –شرف الدين يعقوب المغربي ، (ت783هـ) [٣١]0

٢ –تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ، (ت832هـ) [٣٢] 0

٣ –شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ،(ت840هـ) [٣٣]0

٥ - مؤلفاته :

تجاوزت مصنفات أبي زرعة الخمسين مصنفا ، وكانت في علوم متعددة ، منها :

١ –الأجوبة المكية على الأسئلة المكية [٣٤]0

٢ –الأطراف بأوهام الأطراف [٣٥]0

3– تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل [٣٦]0

4– الدليل القويم على صحة جمع التقديم [٣٧]0

5– الذيل على الكاشف للذهبي [٣٨] 0

6– شرح البهجة في الفقه [٣٩] .

7– شرح الصدر بذكر ليلة القدر [٤٠]0

8– شرح نظم الاقتراح لوالده [٤١] .

9– فضل الخيل وما فيها من الخير والنيل [٤٢].

10– نكت الأطراف [٤٣]0

٦ - وفاته :

مرض أبو زرعة بالطحال ، فتداوى بشرب الخل ، فعوفي ، ثم مرض مرة أخرى فظنه الطحال ، فتداوى بالخل، فإذا به وجع الكبد، فحمي كبده، وعالجه الأطباء مدة من الزمن تزيد عن شهرين ، ثم عرض له وعك وحمى عظيمة ، فمات– رحمه الله– مبطونا شهيدا آخر يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة(826) وعمره ثلاث وستون سنة [٤٤] 0 وصُلِّيَ عليه صبيحة يوم الجمعة بالأزهر في مشهد حافل شهده خلق من الأمراء والقضاة والعلماء وطلبة العلم ،ودفن إلى جانب والده [٤٥] ، رحمهما الله تعالى 0

٢ - علم البيان

البيان لغة:

قال الخليل:((بان الشيء وأبان وتبين واستبان 000 والبين من الرجال الفصيح))[٤٦] 0

وقال ابن فارس:((الباء والياء والنون أصل واحد وهو بعد الشيء وانكشافه))[٤٧]0

أما ابن منظور فقال:((البيان ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها 000 والبيان الفصاحة واللسن وكلام بين فصيح 000 والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو الفهم وذكاء القلب))[٤٨] 0

البيان اصطلاحا:

تحدث العلماء المتقدمون في مصنفاتهم عن هذا المصطلح البلاغي وكان في مقدمتهم الجاحظ،والرماني(ت386هـ) وعبد القاهر الجرجاني [٤٩] ، لكن تعاريفهم كانت تدور في المعنى اللغوي في الغالب ، إلى أن جاء السكاكي فعرفه بقوله:((هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة ، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المرد منه)) [٥٠] 0وتبع القزويني السكاكي فيما ذهب إليه في تعريف البيان [٥١] ، ولم يخرج الدارسون المتأخرون والمعاصرون عمن سبقهم من العلماء فيما وقفت عليه[٥٢] .

المبحث الأول

التشبيه

أقسام التشبيه في طرح التثريب:

تطرق الشارح إلى التشبيهات الموجودة في الأحاديث النبوية وخصها بالعناية والشرح والتوضيح ولكنه لم يكن متأثرا بالعلماء الذين فصلوا في التشبيه وحددوا أنواعه وإنما كان يكتفي بشرح التشبيهات دون تسمية أنواعها إلا في مواضع قليلة وسنقف على ما وقف عليه إن شاء الله تعالى 0

أولا :التشبيه المفرد:

هو ما كان وجه الشبه فيه صفة مفردة [٥٣] 0وينقسم إلى :

١ - التشبيه المرسل المفصل أو(التام)

عرفه ابن الأثير فقال:((التشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به)) [٥٤] ، وسمي مرسلا مفصلا لوجود الأداة ووجه الشبه معا ،ومن أمثلة هذا النوع قوله (ﷺ):((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ))[٥٥] 0

قال الشارح:((المُعَقَّلة بضم الميم وفتح العين المهملة والقاف وتشديدها هي المشدودة بالعُقُل بضم العين والقاف وهو جمع عِقال بكسر العين والمراد به الحبل الذي تشد به ركبة البعير 0 شبه درس القران واستمرار تلاوته بالعقال الذي يمنع البعير من الشراد ، فما دام الدرس موجوداً فالحفظ مستمر، وما دام العقال موثوقاً فالبعير محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوانات الانسية شراداً ونفورا وتحصيلها بعد نفورها أشق وأصعب من تحصيل غيرها بعد نفوره)) [٥٦] 0

وإلى هذا المعنى ذهب ابن حجر والعيني والمناوي والزرقاني في توجيه الحديث الشريف [٥٧] ،وقال محمد علي بن محمد الشافعي (ت 1057هـ):((الإبل المعقلة 000 أي المربوطة بالعقال وبين وجه شبهه بقوله (إن عاهد عليها) أي بالربط (أمسكها،وإن أطلقها)أي بفك العقال عنها ذهبت))[٥٨] 0

نلاحظ في هذا الحديث النبوي أن الصورة كاملة الإيضاح تؤدي المعنى كاملاً دون غموض فلا يلتبس على السامع المقصود من التشبيه ،فذكر الأداة وهي(الكاف) يميز بين المشبه وهو قوله(صاحب القرآن) والمشبه به وهو(الإبل المعقلة) من جهة وذكر وجه الشبه وهو (السيطرة والقدرة على الشيء) من جهة أخرى يدل على أن المشبه قائم في الصفة المذكورة فحسب 0

٢ - التشبيه البليغ:

هو ما حُذف منه الأداة ووجه الشبه وسبب هذه التسمية أن ذكر الطرفين فقط يوهم اتحادهما وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به [٥٩] 0

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى :((اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ ، وَالْأَرْضِ)) [النور:35] [٦٠]0

بين الشارح المراد من التشبيه في هذه الآية الكريمة إذ قال:((شبه هداه بالنور ولم يشبهه بالضياء فأجيب عنه بأنه لو شبهه بالضياء لزم أن لا يضل أحد بخلاف النور كضوء القمر فانه يقع معه الضلال لمن أراد الله تعالى ذلك منه)) [٦١]0

ففي هذه الآية الكريمة يحتمل أن يكون الكلام على الكناية بمعنى أن ما يحصل من هداية للبشر فهي من الله لأن تعالى هو الهادي أصلاً وبما أن الحقيقة والمجاز كلاهما مراد في الكناية فالتعبير هنا أقرب إلى الكناية والله أعلم 0

وقد حمل الكثير من العلماء هذه الآية على التشبيه فقال ابن عطية (ت542هـ):((وجدنا الله تعالى شبه هداه ولطفه بخلقه بالنور فقال :(اللَّهُ نُورُ

السَّمَوَاتِ ، وَالْأَرْضِ) وهذا يقتضي أن النور أعظم هذه الأشياء وأبلغها في الشروق وإلا فلم ترك التشبيه إلا على الذي هو(الضياء) وعدل إلى الأقل الذي هو النور فالجواب عن هذا والانفصال: أن تقول إن لفظة النور أحكم وأبلغ في قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ ، وَالْأَرْضِ) وذلك أنه تعالى شبه هداه ولطفه الذي نصبه لقوم يهتدون ، وآخرين يضلون مع النور الذي هو أبداً موجود في الليل وأثناء الظلام ولو شبهه بالضياء لوجب أن لا يضل أحد)) [٦٢] ، وعلى نفس هذا المعنى حملها أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)[٦٣] 0

وقال شهاب الدين الآلوسي (ت1270هـ) :((جاء في رواية أخرجها ابن جرير (ﷺ) أنه فسر النور بالمدبر فقال: الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما، وروي ذلك عن مجاهد أيضا، وجعل ذلك بعضهم من التشبيه البليغ))[٦٤] 0

ومنه أيضا قوله(ﷺ) :((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْت الْحَمْوَ ؟ قَالَ : الْحَمْوُ الْمَوْتُ))[٦٥] 0

ذكر الشارح قول القرطبي:((أي دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة، أي فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الحذر عن ذلك وشبهه بالموت لتسامح الناس في ذلك من جهة الزوج والزوجة لا لفهم ذلك حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة عادة، وخرج هذا مخرج قول العرب الأسد الموت والحرب الموت أي لقاؤه يفضي إلى الموت وكذلك دخول الحمو على المرأة يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو برجمها إن زنت معه))[٦٦]0

وقال ابن دقيق العيد :((يجوز أن يكون شبه الحمو بالموت باعتبار كراهته لدخوله، وشبه ذلك بكراهة دخول الموت))[٦٧] 0

ثانيا:التشبيه التمثيلي:

عرفه السكاكي بقوله:((وأعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي ، وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل))[٧٣] 0

التشبيه التمثيلي في طرح التثريب:

ورد هذا النوع من التشبيه عند الشارح في (طرح التثريب) في قوله (ﷺ) :((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا وَجَعَلَ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ يَتَقَحَّمْنَ ، قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ أَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ هَلُمَّ عَنْ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تُقْحِمُونَ فِيهَا)) [٧٤] 0

ذكر الشارح قول النووي فقال:((مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك بجهله))[٧٥] 0

نلاحظ في هذا الحديث أن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد فالتشبيه وقع بين حال الناس والرسول (ﷺ) يدعوهم إلى الهداية وبين الرجل الذي استوقد النار لتضيء له الطريق فآخذ الفراش بالتهافت فيها والجامع بين الطرفين أن الناس وما تزين لهم أنفسهم من التمادي في الطغيان والظلم واتباع الملذات كالفراش الذي يطير حول النار ليلعب فهو لكثرة اللعب يسقط في النار ومن المعلوم أن الفراش يضرب به المثل للحماقة فيقولون :((أطيش من فراشة)) [٧٦] 0

فالرسول (ﷺ) شبه الإنسان الجاهل والعاصي بالفراش لأن الفراش كلما رأى ناراً أسرع إليها لطيشه، والإنسان الطائش كذلك إذا وجد طريقا للشهوة سارع إليه حتى يهلك فيكون مصيره إلى نار جهنم فيحترق فيها كما يحترق الفراش في نار جهنم والله تعالى أعلم 0

٣ - التشبيه الضمني :

هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن [٦٨] .

لم يصرح الشارح بهذا النوع من التشبيه من خلال عرضه للأحاديث وإنما ذكر عبارات توحي بأنه قصد هذا النوع كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة (ﷺ) إذ قال: ((جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا أَلْوَانُهَا ؟ قَالَ حُمْرٌ قَالَ هَلْ فِيهَا أَوْرَقُ ؟ قَالَ إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا .قَالَ : أَنَّى أَتَاهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ قَالَ : وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ))[٦٩]0

قال الشارح : ((فيه ضرب الأمثال وتشبيه المجهول بالمعلوم)) [٧٠] ، وهذا القول يوحي بأن التشبيه ضمني ،لأن من سماته أن المشبه يثير فكرة فيها غرابة وادِّعاء فلا يسلّم بها القارئ تسليماً مبادراً وإنما يحتاج في القبول بها إلى إعمال الفكر ووجود دليل يقنعه ويرسخ اعترافه بها [٧١] .

ففي هذا الحديث لم يُصرّح بالمشبه والمشبه به وإنما يلمح ضمناً ففي قوله نزعه عرق دلالة على التشبيه بين أصل النسب وعرق الشجرة وأنه شبه الشيء المجهول بالشيء المعلوم وهو عرق الشجرة وقد وضح الشارح العلاقة بينهما بقوله : ((المراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيهاً بعرق الشجرة ومنه قولهم فلان معرق في النسب)) [٧٢] .

المبحث الثاني

المجاز

أقسام المجاز عند البلاغيين :

قسم علماء البلاغة المتقدمون المجاز على قسمين ، قال عبد القاهر الجرجاني :((واعلم أن المجاز على ضربين : مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول)) [٧٧]، فالمجاز العقلي يعتمد على الإسناد ، والمجاز اللغوي نوعان: الأول: ما كانت العلاقة بين معنييه المشابهة فهو الاستعارة ، والثاني: ما يقوم على صلة أو ملابسة من الملابسات وهو المجاز المرسل ،وعلى هذا سار علماء البلاغة في تقسيم المجاز [٧٨] 0

أولاً: الاستعارة:

الاستعارة هي: ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))[٧٩] 0

أقسام الاستعارة في طرح التثريب:

وقف الشارح على هذا اللون البلاغي في الأحاديث النبوية الشريفة وأورد له أمثلة كثيرة وقام بشرحها وتوضيحها فضلا عما ذكره من الأمثلة التي ذكرها العلماء وقام بالتعليق عليها ، إلا أنه لم يكن يحدد نوع الاستعارة الواردة في الحديث إنما يكتفي بشرحها وذكر المستعار أو المستعار منه ، عليه سنضع لكل نوع منها عنواناً خاصاً 0

١ الاستعارة التصريحية الأصلية:

عرفها السكاكي بقوله :((اعلم أن الاستعارة تنقسم إلى: مصرح بها ومكنى عنها،والمراد بالأول: هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به))[٨٠] 0

فمن أمثلة هذا النوع قوله– صلى الله عليه وسلم –في الحديث الذي روته عائشة (رضي الله عنها) قالت : ((كُنْت أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فَيَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَإِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَرْنَ مِنْهُ فَيَأْخُذُهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرُدُّهُنَّ إلَيَّ)) [٨١] 0

ذكر الشارح قول القرطبي فقال:((البنات جمع بنت وهن الجواري وأضيفت إلى اللعب وهي جمع لعبة وهو ما تلعب به البنات لأنهن اللواتي يصنعنها ويلعبن بها قلت المراد بالبنات هنا نفس اللعب وتسميتهن بذلك من محاسن التشبيه الصوري كتسميته المنقوش في الحائط أسدا))[٨٢] 0

وقال القاضي عياض :((البنات :هي اللعب والصور تشبه الجواري التي يلعب بها الصبايا)) [٨٣] 0

وهذا الكلام ليس من التشبيه المعروف وإنما هو استعارة تصريحية أصلية ومعناها كنت ألعب باللعب (جمع لعبة) المشبهة بالبنات 0

ومن أمثلة هذا النوع ما روته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ صَوْتَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ يَقْرَأُ فَقَالَ لَقَدْ أُوتِيَ أَبُو مُوسَى مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُد))[٨٤] 0

قال الشارح:((والمراد بالمزمار هنا الصوت الحسن وأصله الآلة التي يزمر بها، شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار))[٨٥] 0

وقال ابن حجر:(({من مزامير آل داود} الشارحون أردوا منه حسن الصوت فقط قلت:بل مراده فوق ذلك ،وهو أن المزامير في الزبور حلت محل السور من القرآن، فترى فيه في مبدأ كل حمد مزمورة مزمورة ، كما يكتب في القرآن السورة السورة فالمزمورة في الزبور كالسورة من القرآن ، وإذن ليس التشبيه على معنى حسن الصوت فقط))[٨٦] 0

فالاستعارة تصريحية أصلية لأن المشبه محذوف وهو (الصوت) والمشبه به مذكور وهو (المزمار) .

٢ الاستعارة التصريحية التبعية :

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية التبعية ما رواه جابر(ﷺ) عن رسول الله(ﷺ):((لَمَّا نَزَلَتْ { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ } [٨٧] ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعُوذُ بِوَجْهِك ، فَلَمَّا نَزَلَتْ { أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعُوذُ بِوَجْهِك ؛ فَلَمَّا نَزَلَتْ { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } قَالَ هَذِهِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ))[٨٨] 0

قال الشارح:((قُرِىء شاذاً يُلبسكم بضم أوله من اللبس فهي على هذا استعارة من اللباس والمعنى أن يلبسكم الفتنة)) [٨٩] ،وعلى هذا المعنى حملها ابن عطية وأبو حيان الأندلسي[٩٠] 0

وفي إجراء هذه الاستعارة على طريق أهل البلاغة نقول : شبهت إحاطة الفتنة للإنسان من كل جانب بالإلباس واشتق من الإلباس (يلبسكم) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية سميت تصريحية لان المشبه به (الإلباس–يلبسكم) موجود في الكلام ومصرح به وسميت تبعية لأنها جرت في الفعل بالتبع للمصدر 0

وفي الحديث نفسه هناك استعارة أخرى قال الشارح: ((البأس القتل وما أشبهه من المكاره واستعار له لفظ (الإذاقة) لأن الذوق من أعظم الحواس وهي استعارة مستعملة في كلام العرب)) [٩١] 0

ففي هذا الحديث الشريف شبه إحاطة الناس بالفتن بإحاطة الثوب بالبدن فالاستعارة تصريحية تبعية أيضا والله تعالى أعلم 0

٣ الاستعارة المكنية :

ومنه قوله (ﷺ):((اشْتَكَتْ النَّارُ إلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَتْ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنْ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ))[٩٢] 0

قال الشارح:((النفَس بفتح الفاء أصله للإنسان وذوات الروح وهو خارج من الجوف وداخل إليه من الهواء ، فشبّه الخارج من حرارة جهنم وبردها إلى الدنيا بالنفس الذي يخرج من جوف الإنسان))[٩٣]0

فالاستعارة هنا مكنية أصلية لأنه شبه الهواء الخارج منها (مشبه) موجود بالنفس الذي يخرج من جوف الإنسان(مشبه به) محذوف فالاستعارة مكنية أصلية0

٤ الاستعارة التمثيلية :

هي لفظ مركب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد ، وذلك بأن تشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور بأخرى ، ثم تدخل المشبه في الصورة المشبهة بها ، مبالغة في التشبيه[٩٤]0

ومن الأمثلة على هذا النوع قوله(ﷺ):((لَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا وَلْتَنْكِحْ فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا))[٩٥] 0

قال الشارح:((استفراغ صحفتها استعارة لنيل الحظ الذي كان يحصل لها من الزوج من نفقة ومعروف ومعاشرة)) [٩٦] 0

شبه حال المرأة التي تطلب طلاق الزوجة الأخرى بحال المرأة التي تستفرغ الإناء لتنفرد به والجامع بين الطرفين تمني تملك الشيء وعدم إشراك الآخرين 0

وقال ابن حجر:((هذه استعارة مستملحة تمثيلية شبه النصيب والبخت بالصحفة وحظوظها وتمتعاتها بما يوضع في الصحفة من الأطعمة اللذيذة ، وشبه الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة ،ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به واستعمل في المشبه ما كان مستعملاً في المشبه به)) [٩٧]0

ثانيا:المجاز المرسل:

المجاز المرسل عند البلاغيين:

تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن هذا النوع من المجاز، ولعله أول من فصل بين المجاز المرسل والاستعارة بقوله:((كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة)) [٩٨] ،ثم فرّق بين نوعيه (المرسل والاستعارة)بقوله:((لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك إما تشبيها وإما لصلة أو ملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه)) [٩٩] ،وعلى الرغم من هذا الجهد المبذول منه إلا أنه لم يسمِّه مرسلاً [١٠٠]0

ثم جاء السكاكي وأطلق اسم (المرسل) على هذا النوع من المجاز وبهذا يعد أول من أطلق هذه التسمية [١٠١] إذ قال :((وغير معناها [١٠٢] في المجاز :إما أن يقدر قائما مقام معناها بواسطة المبالغة في التشبيه، أولا يقدر ،والأول:هو الاستعارة،والثاني:هو المجاز المرسل))[١٠٣] 0

ثم عرفه القزويني فقال:((هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه)) [١٠٤] ، وعلى هذا سار شراح التلخيص [١٠٥]، ومعظم علماء

البلاغة المتأخرين [١٠٦] ، ولم يخرج الدارسون المحدثون عن حدود من سبقهم من العلماء في تعريفهم للمجاز المرسل [١٠٧]0

علاقات المجاز المرسل في طرح التثريب:

ذكر علماء البلاغة للمجاز المرسل علاقات كثيرة وفصَّلوا القول فيها وسنذكر ما ذكره الشارح من هذه العلاقات إن شاء الله تعالى 0

١ - الجزئية(إطلاق لفظ الجزء وإرادة الكل)

ومن أمثلة هذا النوع الحديث الذي روته عائشة (رضي الله عنها) قالت:((مَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ)) [١٠٨]0

قال الشارح :((التسبيح في الأصل التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص ومنه قولنا(سبحان الله) ويطلق على غيره من أنواع الذكر مجازاً كـ(التحميد والتمجيد وغيرها) والمراد به هنا صلاة التطوع يقال لها تسبيح 000 وتسمية صلاة التطوع بذلك من تسمية الشيء باسم بعضه)) [١٠٩] ، وبهذا قال ابن الأثير [١١٠] ، وقال العيني :((وقد يطلق على صلاة التطوع فيقال سبحة وهو من أنواع المجاز من قبيل إطلاق الجزء على الكل))[١١١] 0

ومنه أيضا الحديث الذي رواه جابر قال :((بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَمِائَةِ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَقَمْنَا عَلَى السَّاحِلِ حَتَّى فَنِيَ زَادُنَا حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبَطَ ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ أَلْقَى دَابَّةً يُقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ حَتَّى صَلُحَتْ أَجْسَامُنَا فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنَصَبَهُ وَنَظَرَ إِلَى أَطْوَلِ بَعِيرٍ فَجَازَ تَحْتَهُ ، وَكَانَ رَجُلٌ نَحَرَ ثَلَاثَةَ جُزُرٍ ثُمَّ ثَلَاثَةَ جُزُرٍ فَنَهَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ))[١١٢]0

بين الشارح علاقة المجاز المرسل في هذا الحديث بقوله ((سماهم ركباناً باعتبار تهيئتهم للركوب وان لم يتصفوا به أو أن بعضهم كان راكباً وبعضهم كان

ماشيا يحمل زاده على رقبته فغلب في كلا الروايتين بإطلاق صفة البعض على الكل))[113] 0

ومنه أيضا الحديث الذي رواه أبو هريرة(ﷺ) إذ قال:قال رسول الله (ﷺ) : ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ))[114] 0

ذكر الشارح وجهين في ذلك أحدهما:انه أريد به الصلاة أو القيام للصلاة إذ قال :((أن القيام هنا على بابه والمراد القيام للصلاة،ثم يحتمل على هذا أن يكون القيام على ظاهره وإن لم يشرع في الصلاة،ويحتمل أن يراد به القيام للصلاة مع الدخول فيها))[115] 0

فمن الملاحظ أن القيام هنا يراد به الصلاة أطلق الجزء وأراد به الكل فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية 0

٢ - السببية(ذكر السبب وإرادة المسبب)

ومنه الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود(ﷺ) قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَبَلَغَك أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالسَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ))[116] 0

ذكر الشارح قول النووي إذ قال : ((فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار ، والناس يذكر من الأصابع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار، فيقول أحدهم بإصبعي أقتل زيداً أي لا كلفة عليّ في قتله)) [117] ،وإلى هذا المعنى ذهب السيوطي[118].

٣ - المسببية :(ذكر المسبب وإرادة السبب)

ومنه قوله(ﷺ):((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبٌ مِنْ الزِّنَى أَدْرَكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنُ زِنْيَتُهَا النَّظَرُ وَيُصَدِّقُهَا الْأَعْرَاضُ وَاللِّسَانُ زِنْيَتُهُ الْمَنْطِقُ ، وَالْقَلْبُ التَّمَنِّي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا ثَمَّ وَيُكَذِّبُ)) [119] 0

بين الشارح نوع هذه العلاقة فقال:((قدر عليه نصيب من الزنى فهو مدرك ذلك النصيب ومرتكب له بلا شك لأن الأمور المقدرة لا بد من وقوعها فمنهم من يكون زناه حقيقيا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ومنهم من يكون زناه مجازياً إما بالنظر إلى ما يحرم عليه النظر إليه وإما بمحادثة الأجنبية في ذلك المعنى وإما بالسماع إلى حديثها بشهوة وإما بلمسها وإما بالمشي إلى الفاحشة وإما بالتقبيل المحرم وإما بالتمني بالقلب والتصميم على فعل الفاحشة فكل هذه الأمور مقدمات للزنا ويطلق عليها اسم الزنا مجازاً وعلاقة المجاز فيها لزوم التقييد فانه لا يصح أن يقال في صاحب النظر المحرم إنه زانٍ مطلقاً بلا قيد))[120] 0

وقال ابن حجر:((إنما أطلق عليها زنا لأنها من دواعيه فهو من إطلاق اسم المسبب على السبب مجازاً))[121] 0

٤ - اللازمية(ذكر اللازم وإرادة الملزوم)

ومن أمثلة هذا النوع قوله(ﷺ):((إِذَا اسْتَلْجَجَ أَحَدُكُمْ بِالْيَمِينِ فِي أَهْلِهِ فَإِنَّهُ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْكَفَّارَةِ الَّتِي أُمِرَ بِهَا))[122] 0

قال الشارح:((إن قلت كيف قابل في الحديث بين البقاء على مقتضى اليمين وإعطاء الكفارة وإنما المقابلة بين البقاء على اليمين والحنث فيها؟ قلت لما كان وجوب الكفارة لازما للحنث عبر به عن الحنث من إطلاق اللازم على الملزوم))[123] 0

٥ - العموم(**إطلاق العام وإرادة الخاص**)

((إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ))[١٢٤]

ذكر الشارح قول ابن بطال فقال:((قوله(يسمعها كل شيء إلا الإنسان) لفظه العموم والمراد به الخصوص وإنما معناه يسمعها كل شيء مميز وهم الملائكة والجن دون الحيوان الصامت))[١٢٥] 0

٦ - تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه:

ومنه قوله (ﷺ):((لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ فَإِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ))[١٢٦]0

نقل الشارح قول القرطبي في هذا الحديث فقال:((محل النهي إنما هو تسمية العنب بالكرم وليست العنبة محرمة وإنما المحرمة الخمر ولم تسمَ الخمر عنباً حتى ينهى عنها وإنما العنب هو الذي يسمى خمراً باسم ما يؤول إليه من الخمرية كما قال تعالى(إني أراني أعصر خمراً)[يوسف:36]))[١٢٧] 0

نلاحظ أن القرطبي قد بين نوع المجاز في الحديث النبوي ولكي يؤكد نوع المجاز وعلاقته جاء بمثال واضح من القرآن الكريم وهو قوله تعالى:[إني أراني أعصر خمرا] واعتماد الشارح على قول القرطبي يعني تأييده له وموافقته إياه 0

٧ - الماضوية:(**إطلاق لفظ الماضي وإرادة المستقبل**)

فمنه قوله(ﷺ):((إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرُ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[١٢٨].

قال الشارح:((الظاهر أن قوله في تلك الرواية قد مات كسرى من الإخبار عن الشيء قبل وقوعه لتحقق وقوعه كما في قوله تعالى (أتى أمر الله)[النحل: 1]فعبر عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه وتتفق الروايتان والله أعلم))[١٢٩] 0

وقال العيني :((لفظ الترمذي يدل على أن هلاكه سيقع لأن (إذا) للمستقبل ولفظ مسلم (قد مات كسرى) بلفظ الماضي المؤكد بكلمة (قد) ولا يصح أن يقال في (قد مات) إذا مات قلت الجواب من وجهين أحدهما: أن يقال إن أبا هريرة سمع الحديث مرتين فسمع أولاً إذا هلك كسرى ثم سمع بعده قد مات في رواية مسلم وهلك في رواية البخاري ومعناهما واحد وكان أخبر أولاً قبل موت كسرى بموته لأنه علم أنه يموت ثم لما مات قال قد مات كسرى والآخر:أن يفرق بين الموت والهلاك فموته قد وقع في حياته فأخبر بذلك وأما هلاك ملكه فلم يقع إلا بعد موته))[١٣٠] 0

فقد بين الشارح علاقة المجاز المرسل في هذا الحديث ولكي يؤكد ذلك جاء بشاهد من القرآن الكريم 0

٨ - التغليب:

اتسمت نظرة الشارح إلى المصطلحات البلاغية بالدقة ونلحظ ذلك من خلال تعريفه للتغليب إذ قال :((التغليب اجتماع الاسمين أو الأسماء ويغلب أحدهما على الآخر نحو القمرين والعمرين ونحوهما)) [١٣١] ، وهو بكلامه هذا قد سار على نهج من سبقه من علماء البلاغة [١٣٢] 0

وذكر علماء البلاغة أنواع كثيرة من التغليب وسنقتصر على ما ورد عند الشارح في طرح التثريب :

أ-تغليب الذكور على الإناث:

ومنه قوله (ﷺ):((إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ))[١٣٣]0

قال الشارح:((إذا جاء أحدكم هذا خطاب للذكور فإن قيل يطلق على الإناث تغليباً قيل هو مجاز والأصل خلافه)) [١٣٤] 0

ب- تغليب الأكثر:

ومنه الحديث الذي روته عائشة (رضي الله عنها) قالت:((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ))[١٣٥].

قال الشارح:((المراد المعوذتان مع(قل هو الله أحد)[الإخلاص: 1] وأطلقها عليها اسمهما على طريق التغليب)) [١٣٦]، وإلى مثل هذا المعنى ذهب العيني والقسطلاني [١٣٧]0

ثالثا:المجاز العقلي:

المجاز العقلي في طرح التثريب:

أشار العلماء الأوائل إلى هذا المصطلح البلاغي في مصنفاتهم إلا أنهم لم يسموه بهذه التسمية [١٣٨] ، إلى أن جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني فدرسه دراسة دقيقة وفرق بينه وبين المجاز اللغوي وأطلق عليه تسمية (المجاز الحكمي) أو (المجاز العقلي) [١٣٩] ،وقد وضعه السكاكي ضمن علم البيان ثم أنكر ذلك وجعله استعارة مكنية [١٤٠] ، ثم عرفه القزويني بقوله:((إسناد الفعل ، أو معناه إلى ملابس له ،غير ما هو له ،بتأوُّل)) [١٤١]، وعلى هذا سار من جاء بعده من العلماء المتأخرين في تعريفهم للمجاز العقلي ،وعلى خطاهم سار المحدثون[١٤٢] 0

علاقات المجاز العقلي في طرح التثريب:

١ - المصدرية(ما بني للفاعل وأسند إلى المصدر مجازاً)

فمن أمثلة هذا النوع الحديث الذي رواه سالم عن أبيه قال:((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ إِذَا جَدَّ بِهِ السَّيْرُ)) [١٤٣] 0

بين الشارح علاقة المجاز العقلي بقوله:((اللفظ الواقع في الحديث إما أن يراد به الاشتداد كما نقلته عن صاحب المحكم [١٤٤] ،وإما أن ينسب الجد إلى السير على سبيل التوسع والإسراع في الحقيقة إنما هو من النبي صلى الله عليه وسلم ويكون هذا على حد قولهم (نهاره صائم وليله قائم)فينسب الصيام إلى النهار والقيام إلى الليل لوقوعه فيهما وفي الحقيقة إنما هو من الفاعل، فمعنى قوله (جد به السير) جد في السير)) [١٤٥] 0

٢ - السببية (ما بني للفاعل وأسند إلى السبب)

ومنه قوله(ﷺ): ((مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَأَجْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهَا وَيُعْجِبُهُمْ الْبُنْيَانُ فَيَقُولُونَ أَلَّا وَضَعْت هَهُنَا لَبِنَةً فَيَتِمَّ بُنْيَانُك ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْت أَنَا اللَّبِنَةُ))[١٤٦] 0

قال الشارح: ((قوله:وضعتَ بفتح التاء على إسناد الفعل للمخاطب بدليل قوله فيتم بنيانك)) [١٤٧] 0

المبحث الثالث

الكناية والتعريض

أولا : الكناية

عرفها السكاكي بقوله : ((هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك))[148] 0

وعلى هذا سار العلماء المتأخرون، ولم يخرج المحدثون عما قاله من سبقهم من العلماء [149]0

أقسام الكناية عند البلاغيين:

قسم علماء البلاغة الكناية إلى ثلاثة أقسام [150] :

1-المطلوب بها غير صفة ولا نسبة مثل(المضياف)كناية عن زيد 0

2-المطلوب بها صفة مثل(طويل النجاد)كناية عن طول القامة 0

3-المطلوب بها نسبة مثل(المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه) 0

أنواع الكناية في طرح التثريب:

أولا: الكناية عن موصوف:

١ -الكناية عن الجماع بالرفث:

ومنه قوله (ﷺ): ((الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَجْهَلْ وَلَا يَرْفُثْ فَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ)) [151]0

قال الشارح: ((والرفث يستعمل بمعنى آخر وهو الجماع))[152] 0

٢ -الكناية عن الجماع بالعسيلة :

ومنه ما جاء في حديث امرأة رفاعة القرظي عندما((جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَهَا آخِرَ ثَلَاثِ تَطْلِيقَاتٍ فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَإِنَّهُ وَاَللَّهِ مَا مَعَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إلَّا مِثْلُ هَذِهِ الْهُدْبَةِ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إلَى رِفَاعَةَ لَا حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ)) [153] 0

قال الشارح: ((ويذوق عُسيلتك هو بضم العين وفتح السين تصغير عسلة وهي كناية عن الجماع شبه لذته بلذة العسل وحلاوته))[154] 0

وكلامه هذا مشابه لكلام أهل البلاغة قال الثعالبي(ت 429هـ): ((فانظر إلى لطافة هذا الكلام ، وكثرة رونقه وحسن كنايته عن العورة والنكاح،بالعسيلة ، التي هي تصغير العسل وهو يذكر ويؤنث)) [155] 0

٣ -الكناية عن الحجاب بالضرب:

ومنه قوله(ﷺ): ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ وَيَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْك لَيْلًا طَوِيلًا فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ))[156] 0

قال الشارح : ((الضرب هنا كناية عن حجاب يصنعه في ذلك الموضع يمنع وصول الحس إلى ذلك النائم حتى لا يستيقظ)) [157] 0

ومعناه حجب الصوت والحس أن لا يصلا إلى آذانهم فينتبهوا فكأنها قد ضرب عليها حجاب 0

٤ -الكناية عما يستحيا منه إذا حصل الإفهام:

ومنه قوله(ﷺ): ((إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ)) [١٥٨]0

وضح الشارح الكناية الواردة في الحديث بأسلوب جميل فقال : ((استحباب الكناية عما يستحيا منه إذا حصل الإفهام بالكناية فإنه لم يقل فإنه لا يدري لعل يده تمر على فرجه أو دبره أو نحو ذلك بل كنى عن ذلك بما يحصل به الإفهام)) [١٥٩]0

وقال النووي : ((استعمال ألفاظ الكنايات فيما يتحاشى من التصريح به))[١٦٠]، وبهذا قال العيني[١٦١]0

٥ -الكناية عن نقض الوضوء بالحدث:

ومن أمثلة هذا النوع قوله(ﷺ): ((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)) [١٦٢] 0

قال الشارح : ((المراد بالحدث هنا جميع نواقض الوضوء وقال:صاحب المفهم قوله أحدث كناية مما يخرج من السبيلين)) [١٦٣] 0

٦ -الكناية عن الفرج بالبضع:

ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة (ﷺ) قال: ((قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا000))[١٦٤] 0

ذكر الشارح قول القاضي عياض: ((البُضع بضم الباء وإسكان الضاد المعجمة كناية عن الفرج ويطلق على معان أخر أحدها:الجماع،والثاني:ملك الولي للمرأة ، والثالث: مهر المرأة ،والرابع:الطلاق ،والخامس:النكاح)) [١٦٥] ،وإلى هذا المعنى ذهب القرطبي[١٦٦] 0

٧ -الكناية بكذا وكذا عن الإفك:

ومنه حديث عائشة (رضي الله عنها) ((000 ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ : يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْك كَذَا وَكَذَا000))[١٦٧] 0

قال الشارح: ((قوله كذا وكذا هو كناية عما رميت به من الإفك وهذا يدل على أن كذا وكذا يكنى به عن الأحوال كما يكنى به عن الأعداد)) [١٦٨] ، وبهذا المعنى قال ابن حجر [١٦٩] 0

٨ -الكناية بالمئزر عن الفرج:

ومنه حديث أبي أمامة: ((كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمُعَيَّنُ } .

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ { مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ ، فَقَالَ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا قَالَ مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ قَالُوا عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ عَلَيَّ مَاذَا يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ إذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ))[١٧٠] 0

ذكر الشارح قول القاضي عياض: ((الإزار هنا المئزر وداخلته ما يلي جسده وقيل كناية عن موضعه من الجسد فقيل أراد مذاكيره كما يقال فلان عفيف الإزار ، يراد به الفرج))[١٧١] ، وذهب القرطبي والنووي إلى هذا القول[١٧٢] 0

٩ -الكناية بالفراش عن الموطوءة:

ومنه قوله(ﷺ) : ((الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ))[١٧٣]0

ذكر الشارح قول القرطبي: ((الفراش هنا كناية عن الموطوءة لأن الواطىء يستفرشها أي يصيرها كالفراش)) [١٧٤] 0

فالمراد بالفراش هنا النساء وورد في قوله تعالى :(وفرش مرفوعة)[الواقعة: 35] والمعنى ونساء مترفعات والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً (١٧٥) 0

١٠ - الكناية بالفرح عن الرضا :

ومنه قوله–صلى الله عليه وسلم –: ((أَيَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إِذَا ضَلَّتْ مِنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَهَا ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إِذَا وَجَدَهَا)) (١٧٦) 0

ذكر الشارح قول القرطبي في شرح الحديث إذ قال:((عبر عن ثمرة الفرح بالفرح على طريقة العرب في تسميتها الشيء باسم ما جاوره أو كان منه بسبب))(١٧٧)0

وقال ابن الأثير : ((الفرح هاهنا كناية عن الرضا وسرعة القبول وحسن الجزاء، ولتعذر إطلاق ظاهر الفرح على الله تعالى)) (١٧٨) 0

١١ - الكناية بالضحك عن الرضا:

ومنه قوله(ﷺ): ((يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُقَاتِلُ فَيُسْتَشْهَدُ))(١٧٩)0

ذكر الشارح قول القاضي عياض : ((الضحك هنا استعارة في حق الله سبحانه وتعالى لأنه لا يجوز عليه سبحانه وتعالى الضحك المعروف في صفاتنا ،لأنه إنما يصح من الأجسام وممن يجوز عليه تغيير الحالات والله تعالى منزه عن ذلك والمراد به الرضا بفعلها والثواب عليه وحمد فعلهما ومحبته وتلقي رسل الله لهما بذلك لأن الضحك من أحدهما إنما يكون عند موافقة ما يرضاه))(١٨٠) 0

١٢ - الكناية بالضراط عن الخوف والنفار والذعر:

كما في قوله(ﷺ): ((إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ000))(١٨١) 0

ذكر الشارح قول القاضي عياض إذ قال : ((وله ضراط يحتمل أنها عبارة واستعارة عن شدة الخوف والنفار كما يعتري الحمار)) (١٨٢) 0

نلاحظ أن عبارة (أدبر وله ضراط) كناية عن شدة الخوف والنفار والذعر، وعبارة الشارح (استعارة) إنما هي استعارة لغوية وليست المصطلح المعروف 0

ثانيا: الكناية عن صفة:

ومما ورد من هذا النوع الكناية عن العطاء باليمين في قوله (ﷺ): ((إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ ؛ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ))(١٨٣) 0

ذكر الشارح قول ابن الأثير: ((اليمين هنا كناية عن محل عطائه ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها الاستقاء ولا ينقصها الامتياح)) (١٨٤) 0

ثانيا: التعريض

التعريض من الأساليب العربية التي استعملها العرب في كلامهم وعدوه من محاسن الكلام ،وقد أورد له ابن قتيبة بابا وقال: ((والعرب تستعمله في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ،ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء)) (١٨٥) ،وعده ابن المعتز من محاسن الكلام (١٨٦) ،واختلط مصطلح التعريض بالكناية عند أبي هلال العسكري (١٨٧) ،ووضعه ابن رشيق في باب الاستعارة(١٨٨)، وذكره السكاكي في أنواع الكناية فقال : ((متى كانت الكناية عرضية ،

كما عرفت ،كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً))[189] ،وسار على هذا ابن مالك والقزويني والتفتازاني(ت793هـ)[190] 0

وفرق ابن الأثير بين الكناية والتعريض فقال: ((وأما التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب))[191] 0

وقال ابن حجة الحموي(ت837هـ): ((التعريض نوع لطيف في بابه وهو عبارة عن أن يكني المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم أنك أردت أن تقول له أنت بخيل))[192] ، وسار الدارسون المعاصرون على نهج من تقدمهم من العلماء[193]0

التعريض في طرح التثريب:

وقف الشارح على أمثلة التعريض وفصل القول فيها ومن هذه الأمثلة حديث عِشرة النساء الذي روته عائشة(رضي الله عنها)قالت: ((اجْتَمَعْنَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلْنَ فَاطِمَةَ إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ لَهَا قُولِي لَهُ : إنَّ نِسَاءَك يَنْشُدْنَك الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ قَالَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ لَهُ إنَّ نِسَاءَك أَرْسَلْنَنِي إلَيْك وَهُنَّ يَنْشُدْنَك الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُحِبِّينَنِي ؟ قَالَتْ نَعَمْ ، قَالَ : فَأَحِبِّيهَا000)) [194]0

قال الشارح : ((مقتضى القصة التي سقناها من عند البخاري أن الذي طلبنه منه مساواتهن لعائشة في الإهداء للنبي (ﷺ) في بيوتهن وقد صرحت له أم سلمة بذلك مراراً قبل حضور فاطمة وزينب ولم يصدر ذلك منهن عن اعتدال وهذا الكلام

فيه تعريض بطلب الهدية واستدعائها وذلك ينافي كماله –عليه الصلاة والسلام–أي أن يقوله على سبيل العموم))[195] 0

ومنه أيضا حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: ((جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ .قَالَ هَلْ لَك مِنْ إبِلٍ ؟ قَالَ نَعَمْ .قَالَ فَمَا أَلْوَانُهَا ؟ قَالَ حُمْرٌ ، قَالَ فِيهَا أَوْرَقُ ؟ قَالَ إنَّ فِيهَا لَوُرْقًا ، قَالَ أَنَّى أَتَاهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ ، قَالَ : وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ))[196]0

وضح الشارح التعريض الوارد في الحديث بأسلوب جميل مما يدل على فهمه الدقيق للمصطلحات البلاغية فقال: ((إن امرأتي ولدت غلاماً أسود تعريض بنفيه لمخالفة لونه للونه إذ هو كان أبيض)) [197] ، وإلى هذا المعنى ذهب ابن حجر [198]0

وقال العيني : ((قوله غلاماً أسود ومعناه أنا أبيض وهو أسود فهو ليس مني وأمه زانية))[199] 0

الخاتمة والنتائج

بعد أن من الله تعالى علينا بإكمال هذا العمل من البحث والدراسة في هذا الموضوع نود أن ندون أهم ما توصلنا إليه من نتائج على النحو الآتي:

١ –إن كثيرا من الفنون البلاغية اجتمعت في الحديث الواحد والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولهذا تكررت بعض الأحاديث في مواضع مختلفة من البحث.

٢ –اتضحت الأمانة العلمية للشارح من خلال عزو الآراء إلى أصحابها0

٣ –اعتمد الشارح على النقل ممن سبقوه في مواطن كثيرة، وأكثر من نقل عنهم (القاضي عياض وأبو العباس القرطبي والنووي) وغيرهم، وهذا لا يعني أنه كان مجرد ناقل بل تبين لنا أن له آراء خاصة كان يدلي بها في أثناء كتاباته ونقولاته، كما تبين في التمهيد0

٤ –نجد الموضوعات البلاغية غير مبوبة بل متناثرة في أثناء شرحه الكبير وهذا نمط شائع في كتابه وهذا دأب العلماء القدامى0

٥ –لقد ذكر الشارح أغلب المصطلحات والفنون البلاغية من دون إشارة إلى تعريفها أو حدها 0

٦ –نال علم البيان مكانة كبيرة عند الشارح في (طرح التثريب)، واكتفى بالإشارة إلى فنونه (التشبيه،المجاز ، الاستعارة، الكناية، التعريض).

٧ –أشار الشارح إلى مواضع التشبيه التي وردت في الأحاديث ، ولكنه في اغلب الأحيان لم يذكر نوع التشبيه، فيترك ذلك للمتلقي بعد أن يوضح معنى الحديث، ويأخذ بعرض الصورة من جميع الجوانب.

٨ –أشار إلى مصطلح المجاز ، ولكنه لم يشر إلى نوعيه (العقلي والمرسل) وإنما اكتفى بالإشارة إلى علاقاتهما.

٩ –ذكر من علاقات المجاز المرسل ثماني علاقات ،أما المجاز العقلي فذكر منه علاقتين فقط هي(المصدرية ،والسببية) 0

١٠ –لم يحدد نوع الكناية باعتبارها كناية عن صفة أو موصوف أو نسبة وإنما اكتفى بشرحها ،وكذلك لم يشر إلى أنواع الكناية من حيث الوسائط .

١١ –تبين لنا أن الشارح يسمي المصطلحات البلاغية بما تعارف عليه أهل البلاغة ، كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وهذا يدل على سعة علمه ومعرفته بهذه الفنون0

١٢ –توصل البحث من خلال مقارنة الأمثلة عند الحافظ العراقي مع أقوال علماء البلاغة والتفسير ،إلى أنه قد استوعب المصطلحات البلاغية بشكل لا يتعارض مع أقوال البلاغيين والمفسرين0

١٣ –تبين لنا من خلال البحث أن الحافظ العراقي قدم خدمة علمية (لبلاغة الحديث النبوي الشريف)، تلك البلاغة التي يجب العناية بها بعد (بلاغة القرآن الكريم)0

١٤ –لم تكن الملاحظات البلاغية التي ذكرها الشارح على شكل قواعد أو قوانين يربط بينها وبين الشاهد بقدر ما كانت وسيلة استخدمها في توضيح معنى الحديث.

هوامش البحث

(١) ينظر: إنباء الغمر 117/5، ولحظ الألحاظ 220، وطبقات الحفاظ 530 0

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال 6/8، والضوء اللامع 171/4 0

(٣) ينظر: طبقات المفسرين 309، وطبقات الحفاظ 543 0

(٤) ينظر: لحظ الألحاظ 22 0

(٥) ينظر: الضوء اللامع 171/4 0

(٦) ينظر: إنباء الغمر 5/ 176 0

(٧) ينظر: إنباء الغمر 170/5 ، وطبقات الشافعية 30/4 0

(٨) ينظر: إنباء الغمر 170/5 ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب 55/7 0

(٩) ينظر : الدرر الكامنة 419/5 ، والنجوم الزاهرة 291/10 0

(١٠) ينظر: طبقات الشافعية 31/4 0

(١١) ينظر: إنباء الغمر 172/5 0

(١٢) ينظر: لحظ الألحاظ 284 0

(١٣) ينظر: لحظ الألحاظ 231/1 0

(١٤) ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ 231 0

(١٥) ينظر: الأعلام 344/3 0

(١٦) ينظر:لحظ الألحاظ 230،وأسماء الكتب 80 0

(١٧) ينظر: لحظ الألحاظ 230/1 0

(١٨) ينظر: الضوء اللامع 173/4 ،وطبقات الحفاظ 548 0

(١٩) ينظر:كشف الظنون 465/1 0

(٢٠) ينظر: إيضاح المكنون 96/4 0

(٢١) ينظر:طبقات النسابين 52 0

(٢٢) ينظر: طبقات الحفاظ 544 0

(٢٣) ينظر: الضوء اللامع 177/4 ،والبدر الطالع 365/1 0

(٢٤) لحظ الألحاظ 284 0

(٢٥) ينظر: طبقات الشافعية 80/4،والضوء اللامع 336/1،وطبقات الحفاظ 548.

(٢٦) ينظر: إنباء الغمر 21/8 ، والضوء اللامع 336/1 0

(٢٧) ينظر: إنباء الغمر 22/8 0

(٢٨) ينظر: طبقات الحفاظ 548 0

(٢٩) ينظر: لحظ الألحاظ 258 0

(٣٠) ينظر: شذرات الذهب 173/7 ،والشهادة الزكية 57 0

(٣١) ينظر: المصدر نفسه 342/1 0

(٣٢) ينظر: لحظ الألحاظ 292 0

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه 379 0

(٣٤) ينظر: كشف الظنون 12/1 0

(٣٥) ينظر: الضوء اللامع 343/1 0

(٣٦) ينظر: لحظ الألحاظ 287 ، وذيل تذكرة الحفاظ 287 0

(٣٧) ينظر: كشف الظنون 761/1 0

(٣٨) ينظر: لحظ الألحاظ 287 0

(٣٩) ينظر: طبقات الشافعية 82/4

(٤٠) ينظر: كشف الظنون 1042/2 0

(٤١) ينظر: طبقات الحفاظ 548 0

(٤٢) ينظر: كشف الظنون 1279/2 0

(٤٣) ينظر: طبقات الحفاظ 548 0

(٤٤) ينظر: إنباء الغمر 22/8 ، ولحظ الالحاظ289 ، وطبقات الحفاظ 548 0

(٤٥) ينظر: الضوء اللامع 340/1 ، والبدر الطالع 74/1 0

(٤٦) العين381/8 0

(٤٧) مقاييس اللغة327/1 0

(٤٨) لسان العرب67/13-68-69 مادة (بين) 0

(٤٩) ينظر:البيان والتبيين 54/1،والنكت في إعجاز القرآن 98،وأسرار البلاغة16 0

(٥٠) مفتاح العلوم249 0

(٥١) ينظر:التلخيص235-236 ،والايضاح215 0

(٥٢) ينظر:الطراز 10/1 ، وعروس الأفراح 5/3،والمطول 506، والتعريفات 2/1، والأطول 103/2 ، ومواهب الفتاح 6/2 ،وجواهر البلاغة 154 ، وعلوم البلاغة213 ، وعلم أساليب البيان 83 ،ودراسات بلاغية ونقدية 98 ، والبلاغة والتطبيق251،وعلم البيان(د0بسيوني)10 ،والبيان في ضوء أساليب القرآن7 0

(٥٣) ينظر:المصباح105 ،والإيضاح229 ،والمطول553 ،ومواهب الفتاح73/2 0

(٥٤) المثل السائر343/1 ،وينظر:جواهر البلاغة173 0

(٥٥) طرح التثريب91/3 0

(٥٦) المصدر نفسه92/3 0

(٥٧) ينظر:فتح الباري 79/9 ،وعمدة القاري 47/20 ،وفيض القدير 3/3 ،وشرح الزرقاني17/2 0

(٥٨) دليل الفالحين319/6 0

(٥٩) ينظر: تحرير التحبير 19/1 ، والتلخيص 285 ، وشرح المختصر 326/2، والمطول 555، والأطول 217/2 ، ومعجم المصطلحات البلاغية 180/2، وجواهر البلاغة 169 ، والبلاغة الواضحة 25 0

(٦٠) طرح التثريب266/8 0

(٦١) المصدر نفسه266/8 0

(٦٢) المحرر الوجيز341/3 0

(٦٣) ينظر:البحر المحيط 130/5 0

(٦٤) روح المعاني 18 /164 0

(٦٥) طرح التثريب 38/7 0

(٦٦) المصدر نفسه 41/7،وينظر:المفهم 8/18 0

(67) إحكام الأحكام 398/1 0

(٦٨) ينظر:جواهر البلاغة 171 ،والبلاغة الواضحة 45 ،والبلاغة والتطبيق 309 .

(٦٩) طرح التثريب 112/7 0

(٧٠) المصدر نفسه 313/7 .

(٧١) ينظر :البلاغة والتطبيق 309 .

(٧٢) طرح التثريب 113/7 .

(٧٣) مفتاح العلوم 455 0

(٧٤) طرح التثريب 212/8 0

(٧٥) المصدر نفسه 212/8 ،وينظر:المنهاج 50/15 0

(٧٦) مجمع الأمثال 438/1 0

(٧٧) أسرار البلاغة 355/1 0

(٧٨) ينظر: مفتاح العلوم 471 ، والتلخيص 294-295 ، وشرح المختصر 337/2 ، والمطول 575 ، وعروس الأفراح 129/2 ، والأطول 236/2 ، وأساليب المجاز 47 0

(٧٩) مفتاح العلوم 477 0

(٨٠) مفتاح العلوم480-481 0

(٨١) طرح التثريب 56/7 0

(٨٢) المصدر نفسه 56/7 ،وينظر:المفهم 66/20 0

(٨٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار 91/1 0

(٨٤) طرح التثريب95/3 0

(٨٥) المصدر نفسه95/3 0

(٨٦) فيض الباري408/6 0

(٨٧) الأنعام آية 65 وتكملة الآية (أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) 0

(٨٨) طرح التثريب 102/3 0

(٨٩) طرح التثريب 105/3 0

(٩٠) ينظر:المحرر الوجيز 203/2 ،والبحر المحيط 155/4 0

(٩١) طرح التثريب 105/3 0

(٩٢) المصدر نفسه 147/2 0

(٩٣) المصدر نفسه 148/2 0

(٩٤) ينظر:التلخيص 324 ،والإيضاح 312 0

(٩٥) طرح التثريب 34/7 0

(٩٦) المصدر نفسه 36/7 0

(٩٧) فتح الباري 220/9 0

(٩٨) أسرار البلاغة 346/1 0

(٩٩) المصدر نفسه 355/1 0

(١٠٠) ينظر:معجم المصطلحات البلاغية 207/3 0

(١٠١) ينظر:المصدر نفسه 207/3 0

(١٠٢) معنى الكلمة 0

(١٠٣) مفتاح العلوم 525 0

(١٠٤) الإيضاح 277 0

(١٠٥) ينظر:عروس الأفراح 130/2 ،وشرح المختصر 338/2 ،والمطول 574 ، والأطول 236/2 ،ومواهب الفتاح 220/2 0

(١٠٦) ينظر:الطراز 36/1 ،والفوائد المشوق 10 ،والبرهان في علوم القرآن 256/2 ،والتعريفات 259/1 ،والإتقان في علوم القرآن 98/2 ،وأنوار الربيع 105 0

(١٠٧) ينظر:علم البيان (د 0عبد العزيز عتيق) 143،وجواهر البلاغة 195 ،والبلاغة الواضحة 102 ،وعلم أساليب البيان 217 ،وعلم البيان (د0بسيوني) 245 ،والبلاغة والتطبيق 332 ،وفنون بلاغية 109 ،والبيان في ضوء أساليب القرآن 141 ،والبلاغة العربية 271/2 0

(١٠٨) طرح التثريب 53/3 0

(١٠٩) المصدر نفسه 54/3 0

(١١٠) ينظر:النهاية في غريب الحديث والأثر 331/2 0

(١١١) عمدة القاري 141/7 0

(١١٢) طرح التثريب 7/6 0

(١١٣) طرح التثريب 9/6 0

(١١٤) المصدر نفسه 80/3 0

(١١٥) المصدر نفسه 80/3 0

(١١٦) المصدر نفسه 248/8 0

(١١٧) طرح التثريب 250/8 ،وينظر:المنهاج 129/17 0

(١١٨) ينظر:الديباج على مسلم 148/6 0

(١١٩) طرح التثريب 18/8 0

(١٢٠) المصدر نفسه 18/8−19 0

(١٢١) فتح الباري 504/11 0

(١٢٢) طرح التثريب 152/7 0

(١٢٣) طرح التثريب 155/7 0

(١٢٤) المصدر نفسه 267/3 0

(١٢٥) المصدر نفسه 271/3 ،وينظر:شرح صحيح البخاري−ابن بطال 297/3 0

(١٢٦) طرح التثريب 151/8 0

(١٢٧) المصدر نفسه 152/8 ،وينظر:المفهم 44/18 0

(١٢٨) طرح التثريب 242/7 0

(١٢٩) المصدر نفسه 243/7 0

(١٣٠) عمدة القاري 275/14 0

(١٣١) طرح التثريب 248/2 0

(١٣٢) ينظر:التلخيص 112 ،والإيضاح 91 ،والمطول 323 ،والبرهان في علوم القرآن 302/3 0

(١٣٣) طرح التثريب 151/3 0

(١٣٤) المصدر نفسه 153/3 0

(١٣٥) المصدر نفسه 185/8 0

(١٣٦) المصدر نفسه 186/8 0

(١٣٧) ينظر:عمدة القاري 262/21 ،وإرشاد الساري 186/9 0

(138) ينظر:الكتاب 160/1 ،ومجاز القرآن 339/1 ،ومعاني القرآن للفراء 146/3.

(١٣٩) ينظر:دلائل الإعجاز 228/1 ،وأسرار البلاغة 316/1 0

(١٤٠) ينظر:مفتاح العلوم 509−511 0

(١٤١) الإيضاح 28 0

(١٤٢) ينظر:عروس الأفراح 147/1 ،والمطول 197 ،والبرهان في علوم القرآن 256/2،والتعريفات 259/1 ،والإتقان في علوم القرآن 97/2 ،والأطول 263/1 ،ومواهب الفتاح 126/1 ،وجواهر البلاغة 156 ،والبلاغة الواضحة 108 ،وعلوم البلاغة 291 ،وعلم البيان (د 0عبد العزيز عتيق) 142 ،والصور البيانية بين النظرية والتطبيق 227 ،والبلاغة والتطبيق 337 ،وعلم البيان (د0بسيوني) 149 ،والبلاغة العربية 295/2 0

(١٤٣) طرح التثريب 112/3 0

(١٤٤) ينظر:المحكم والمحيط الأعظم 187/7 0

(١٤٥) طرح التثريب 113/3 0

(١٤٦) المصدر نفسه 210/8 0

(١٤٧) المصدر نفسه 211/8 0

(١٤٨) مفتاح العلوم 512 0

(١٤٩) ينظر: المثل السائر 180/2 ،والمصباح 146 ،والتلخيص 337 ، والإيضاح 330،والطراز 185/1 ،والفوائد المشوق 126 ،وعروس الأفراح 206/2 ،وشرح المختصر 396/2 ،والمطول 630 ،والبرهان في علوم القرآن

300/2 ،والتعريفات 240/1 وخزانة الأدب وغاية الأرب 263/2 ،والإتقان في علوم القرآن 128/2 ،والأطول 342/2 ، ومواهب الفتاح 417/2 ،وجواهر البلاغة 206 ،والبلاغة الواضحة 115 ،وعلوم البلاغة 301 ،وعلم البيان (د0عبد العزيز عتيق) 201 ،وعلم أساليب البيان 283 ،ومباحث في علوم القرآن 329 ،والبلاغة والتطبيق 369 ،والصور البيانية بين النظرية والتطبيق 389 ،وعلم البيان (د 0بسيوني) 243 ،والبيان في ضوء أساليب القرآن 247 0

(١٥٠) ينظر: الإيضاح 331 وما بعدها 0

(١٥١) طرح التثريب 89/4 0

(١٥٢) المصدر نفسه 91/4 0

(١٥٣) المصدر نفسه 91/7 0

(١٥٤) المصدر نفسه 7 /94 0

(١٥٥) الكناية والتعريض 23 ،وينظر:مشارق الأنوار على صحاح الآثار 101/2 ، والنهاية في غريب الحديث والأثر237/3 ،والبرهان في علوم القرآن300/2 0

(١٥٦) طرح التثريب 73/3 0

(١٥٧) المصدر نفسه 74/3-75 0

(١٥٨) المصدر نفسه 38/2 0

(١٥٩) المصدر نفسه 46/2 0

(١٦٠) المنهاج 180/3 0

(١٦١) ينظر:شرح سنن أبي داود للعيني 278/1 0

(١٦٢) طرح التثريب 188/2 0

(١٦٣) المصدر نفسه 193/2 ،وينظر:المفهم 105/3 0

(١٦٤) طرح التثريب 235/7 0

(١٦٥) المصدر نفسه 236/7 ،وينظر:إكمال المعلم 25/6 0

(١٦٦) ينظر:المفهم 61/11 0

(١٦٧) طرح التثريب 59/8 0

(١٦٨) المصدر نفسه 59/8 0

(١٦٩) ينظر:فتح الباري 475/8 0

(١٧٠) طرح التثريب 192/8 0

(١٧١) المصدر نفسه 192/8 ،وينظر:إكمال المعلم 40/7 0

(١٧٢) ينظر:المفهم 54/18 ،والمنهاج 173/14 0

(١٧٣) طرح التثريب 116/7 0

(١٧٤) المصدر نسفه 119/7 ،وينظر:المفهم 47/13 0

(١٧٥) ينظر:الجامع لأحكام القرآن 210/17 0

(١٧٦) طرح التثريب 224/8 0

(١٧٧) طرح التثريب 225/8 ،وينظر:المفهم 116/22 0

(١٧٨) النهاية في غريب الحديث والأثر 424/3 0

(١٧٩) طرح التثريب 193/7 0

(١٨٠) المصدر نفسه 193/7 ،وينظر:إكمال المعلم 160/6 0

(١٨١) طرح التثريب 2 /173 0

(١٨٢) طرح التثريب 177/2 ،وينظر: إكمال المعلم 140/2

(١٨٣) طرح التثريب 63/4 0

(١٨٤) المصدر نفسه 64/4 ،وينظر:النهاية في غريب الحديث والأثر 345/2 0

(١٨٥) تأويل مشكل القرآن 163/1 0

(١٨٦) ينظر:البديع1/15 0

(١٨٧) ينظر:كتاب الصناعتين 368/1 0

(١٨٨) ينظر:العمدة 99/1 0

(١٨٩) مفتاح العلوم 521 0

(١٩٠) ينظر:المصباح 153 ،والتلخيص 344 ،والإيضاح 339 ،وشرح المختصر 43/2 ،والمطول 636 0

(١٩١) المثل السائر 186/2 0

(١٩٢) خزانة الأدب وغاية الأرب 407/2 0

(١٩٣) ينظر:علوم البلاغة 305 ،وجواهر البلاغة 208 ،وعلم أساليب البيان 192، وعلم البيان (د 0عبد العزيز عتيق) 217 ،والبيان في ضوء أساليب القرآن 272 ،وعلم البيان (د0بسيوني)260 ،والبلاغة والتطبيق 375 0

(١٩٤) طرح التثريب 47/7 0

(١٩٥) طرح التثريب 50/7 0

(١٩٦) المصدر نفسه 112/7 0

(١٩٧) المصدر نفسه 113/7 0

(١٩٨) ينظر:فتح الباري 443/9 0

(١٩٩) عمدة القاري 22/24 0

ثبت المصادر والمراجع

أولا:المطبوعات :

١ –الإتقان في علوم القرآن :جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت 911هـ) ، تحقيق:سعد المندوب ،دار الفكر– لبنان –ط/1 ،1416هـ – 1996م 0

٢ –إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام:تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن وهب،المعروف بـ(ابن دقيق العيد)(ت 702هـ)،دار الكتب العلمية– بيروت (د0ط،د0ت) 0

٣ –إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني(ت923هـ)،المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ،ط/7، 1323هـ 0

٤ –أسرار البلاغة :الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (474هـ) ، دار المدني بجدة ،(د0ط،د0ت)0

٥ –أسماء الكتب: عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، تحقيق: د. محمد التونجي ، دار الفكر – دمشق/ سورية،ط/3 – 1403هـ .1983م 0

٦ –الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم:العلامة إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحلبي المتوفى(934هـ) ،حققه وعلق عليه الدكتور عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية بيروت– لبنان ،ط/1 1422هـ – 2001م 0

٧ –الأعلام : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ،بيروت،ط/5، 1980م.

٨ –إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت544 هـ)،المكتبة الشاملة،الإصدار الثالث.

٩ –إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: الإمام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت 852هـ)، تحقيق : د. محمد عبد المعيد،دار الكتب العلمية–بيروت،ط/2، 1406هـ، 1986م.

١٠ –أنوار الرَّبيعُ في أنواع البَديع: صدر الدِّين علي بن معصوم المدني(ت 1120هـ)، تَحقِيقُ: شَاكِر هادي شكر، مطبعة العرفان، النجف–العراق، ط/1، 1388هـ/1968م.

١١ –الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع) ، جلال الدِّين مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن المَعْرُوف بالخطيب القزويني(ت 739هـ)،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان،(د0ط،د0ت)0

١٢ –إيضاحُ المكنون في الذَّيلِ على كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون: إسماعيل باشا بن مُحَمَّد أمين البَغْدَاديّ(ت 1920م)،دار إحياء التراث العربي ،بيروت – لبنان،(د0ط،د0ت) 0

١٣ –البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: العلامة محمد بن علي الشوكاني(1255هـ) دار المعرفة – بيروت ،(د0ط،د0ت)0

١٤ –البديع : عبد الله بن المعتز(296هـ) ، منشورات دار الحكمة ، دمشق،(د0ط،د0ت).

١٥ –البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله(ت794هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة – بيروت 1391 ، (د0ط)0

١٦ –البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها):الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،دار القلم – دمشق ،الدار الشامية – بيروت،ط/ 1 ، 1416هـ – 1996م 0

١٧ –البلاغة الواضحة: (البيان والمعاني والبديع) ،علي الجارم ومصطفى أمين ، المكتبة العلمية ،بيروت – لبنان،(د0ط،د0ت) 0

١٨ –البلاغة والتطبيق :الدكتور أحمد مطلوب ،والدكتور حسن البصير ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،ط/2 ،1420هـ – 1999م 0

١٩ –البيان في ضوء أساليب القرآن :الدكتور عبد الفتاح لاشين،دار المعارف ،ط/ 2، 1985م 0

٢٠ –البيان والتبيين:أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت 255هـ)، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب – بيروت،(د0ط،د0ت)0

٢١ –تأويلُ مُشْكِل القُرآن: ابن قتيبة(276هـ)، شرح وتَحقِيقُ: السيد أحمد صقر، دار الكُتُبِ العِلميَّة، بيروت–لُبنان، ط/3، 1401هـ/1981م.

٢٢ –تحريرُ التَّحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القُرآن: ابن أبي الإصْبَع العَدواني المِصْريّ، تَحقِيقُ: د. حفني مُحَمَّد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القَاهِرَة–مِصْر، 1383هـ/1963م0

٢٣ –التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني(816هـ)، ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي،ط/1 – بيروت – 1405 هـ .

٢٤ –تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير (أبي حيان الأندلسي)(ت745هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ،ط/ 1– 1422 هـ – 2001 م 0

٢٥ –التلخيص في علوم البلاغة :الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني(739هـ) ،دار الفكر العربي ط/1 ،1904م 0

٢٦ –الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671 هـ) تحقيق:هشام

سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1423 هـ/ 2003 م ،(د0ط)0

٢٧ –جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:السيد أحمد الهاشمي ،شرح وتحقيق حسن حمد ،دار الجيل ،(د0ط،د0ت)0

٢٨ –خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي(837هـ)، تحقيق: عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال،ط/ 1 – بيروت – 1987م0

٢٩ –خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي(ت 1093هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي/أميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية – بيروت –ط/1، 1998م0

٣٠ –دراسات بلاغية ونقدية: الدكتور أحمد مطلوب ،دار الحرية للطباعة بغداد 1400هـ – 1980م ،(د0ط)0

٣١ –الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت 852هـ)، تحقيق ومراقبة ،محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، الهند،ط/ 2 – 1392هـ –1972م 0

٣٢ –دلائل الإعجاز: الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الدكتور. التنجي ، دار الكتاب العربي – بيروت – ط/1415،1هـ 1995م 0

٣٣ –دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد بن علان الصديقي الشافعي المكي (ت1057هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان،(د0ط،د0ت)0

٣٤ –الديباج على مسلم: عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، دار ابن عفان – الخبر –السعودية – 1416 – 1996 ،(د0ط)0

٣٥ –ذيل (تذكرة الحفاظ للذهبي) : أبو المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية – بيروت،(د0ط،د0ت) 0

٣٦ –روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت 1270هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،(د0ط،د0ت)0

٣٧ –شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت 1089هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير – دمشق ،ط/1، 1406هـ.

٣٨ –شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1 – 1411 .

٣٩ –شرح سنن أبي داود: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)،تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، مكتبة الرشد – الرياض – ط/1 ، 1420 هـ –1999 م 0

٤٠ –شرح صحيح البخاري:أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي(ت 449هـ)، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية ، الرياض،ط/2 – 1423هـ – 2003م 0

٤١ –شرح المختصر: سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح،للخطيب القزويني في المعاني والبيان والبديع الناشر – إسماعيليان –ط/1، 1425هـ 0

٤٢ –الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي(ت 1033هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف،دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط/1، 1404هـ.

٤٣ –الصُورُ البيانيَّة بين النَّظرية والتَّطبيق، الدُكتور حفني مُحَمَّد شرف، دار نهضة مِصْر للطِّبَاعَةِ والنَّشْر، مطبعة الرسالة، الفجالة–مِصْر،ط/ 1، 1385هـ. 1965م 0

٤٤ –الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت،(د.ط،د0ت).

٤٥ –طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل(ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط/1، 1403هـ.

٤٦ –طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة(ت 851هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان ،عالم الكتب – بيروت ،ط/1، 1407هـ.

٤٧ –طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الداودي(ت 954هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،مكتبة العلوم والحكم – السعودية –ط/ا،1417هـ– 1997م0

٤٨ –الطراز:الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت 749هـ) ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ،المكتبة العصرية –صيدا – بيروت ،ط/ 1 ،1423هـ – 2002م 0

٤٩ –طرح التثريب في شرح التقريب : زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي(806هـ) ، تحقيق: عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط/1، 2000م .

٥٠ –عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:الشيخ بهاء الدين السبكي(ت 773هـ) ،تحقيق :الدكتور عبد الحميد هنداوي ،الدار النموذجية ،المطبعة العصرية ،صيدا – بيروت ،ط/1 ،1423هـ – 2003م 0

٥١ –علم أساليب البيان :الدكتور غازي يموت ،دار الأصالة ، للطباعة والنشر والتوزيع ،ط/1 ،1403هـ – 1983م 0

٥٢ –عِلْمُ البيان: الدُكتور عبد العزيز عتيق، دار النَّهْضَة العَرَبِيّة للطِّبَاعَةِ والنَّشْر، بيروت–لُبنان، 1974م،(د0ط).

٥٣ –عِلْمُ البيان(دراسة تحليلية لمسائل البيان): الدُكتور بَسْيُونِي عَبْد الفَتَّاح فَيُّود، مُؤَسَّسَة المختار للنشر والتوزيع، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، دار الأمين للطِّبَاعَةِ، القَاهِرَة–مِصْر، ط/2، 1418هـ/1998م.

٥٤ –عُلُومُ البلاغة(البيان والمَعَاني والبَديع): أحمد مُصْطَفَى المراغيّ، دار الكُتُبِ العِلميَّة، بيروت–لُبنان، ط/4، 1428هـ/2007م.

٥٥ –العُمْدَةُ في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ(ت456هـ)، تَحقِيقُ: مُحَمَّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكُتُبِ العِلميَّة، بيروت–لُبنان، ط/1، 1422هـ/2001م.

٥٦ –عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،(د0ط،د0ت) 0

٥٧ –العين :الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي/د إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال ،(د0ط،د0ت)0

٥٨ –فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة – بيروت ،(د0ط،د0ت) 0

٥٩ –فنون بلاغية(البيان والبَديع): الدُّكتور أحمد مَطْلُوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ط/1، 1395هـ/1975م.

٦٠ –الفوائد المشوق إلى عُلُوم القُرآن وعلم البيان:ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة(ت 751هـ) ،عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ،ط/ 1 ،1327هـ ،على نفقة محمد أمين الخانجي وشركاءه بمصر والاستانة 0

٦١ –في البلاغة العربية(علم البيان) :الدكتور عبد العزيز عتيق ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1405هـ – 1985م،(د0ط)0

٦٢ –فيض الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،المكتبة الشاملة،الإصدار الثالث 0

٦٣ –فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر –ط/1، 1356هـ0

٦٤ –كتاب سيبويه:أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل – بيروت،ط/1،(د0ت) 0

٦٥ –كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل العسكري(395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت – 1406هـ– 1986م،(د0ط) 0

٦٦ –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية – بيروت – 1413هـ – 1992م،(د0ط)0

٦٧ –الكناية والتعريض:أبو منصور الثعالبي(ت 429هـ) ،تحقيق ودراسة :أسامة البحيري ،المكتبة الخانجي بالقاهرة ،ط/1 ،1418هـ – 1997م 0

٦٨ –لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ: الحافظ أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي(ت 871هـ)، دار الكتب العلمية بيروت،(د.ط)،(د0ت).

٦٩ –لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط/1 ،(د0ت) 0

٧٠ –مباحث في عُلُوم القُرآن: الدُّكتور صُبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت–لُبنان، ط/8، 1974م.

٧١ –المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – 1995م ،(د0ط) 0

٧٢ –مجاز القرآن:أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي(ت210هـ) ،علق عليه ،الدكتور محمد فؤاد سركين ،مطبعة الخانجي بالقاهرة ،(د0ت) 0

٧٣ –مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة – بيروت ،(د0ط،د0ت) 0

٧٤ –المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي(ت546هـ)،تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – لبنان –ط/1، 1413هـ– 1993م 0

٧٥ –المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي،تحقيق :عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ 1، 2000م0

٧٦ –مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي أبو الفضل عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي(ت 544هـ)،المكتبة العتيقة ودار التراث ،(د0ط،د0ت)0

٧٧ –المصباح في المعاني والبيان والبديع :بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم(ت 686هـ) ،تحقيق :الدكتور حسني عبد الجليل يوسف ،مكتبة الآداب بالجماميز ،(د0ط،د0ت)0

٧٨ –المطول شرح تلخيص المفتاح :العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت792هـ) ،تحقيق :عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،ط/2 ،2007م 0

٧٩ –معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت 207هـ)،تحقيق: محمد علي النجار وآخرين ، دار السرور ، نسخة مصورة عن عالم الكتب – بيروت ،(د0ط،د0ت)0

٨٠ –مُعْجَمُ المصطلحات البلاغية وتطورها: الدُّكتور أحمد مَطْلُوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بَغْدَاد–العراق، 1983–1987م،(د0ط) 0

٨١ –مفتاح العلوم : ، أبو يعقوب السَّكَّاكِيّ(ت 626هـ)، تَحقِيقُ: د.عبد الحميد هِنداوي، دار الكُتُبِ العِلميَّة، بيروت–لُبنان، ط/1، 1420هـ/2000م.

٨٢ –المفهم لما كل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ(ت 656هـ)،المكتبة الشاملة،الإصدار الثالث 0

٨٣ –مقاييس اللغة:أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت 395هـ)،تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار النشر: دار الجيل – بيروت – لبنان – ط/ 2، 1420هـ – 1999م 0

٨٤ –المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:أبو زكريا يحي بن شرف ابن مري النووي،دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/2 ،1392هـ 0

٨٥ –مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح للقزويني :ابن يعقوب المغربي (ت1128هـ) ،تحقيق :عبد الحميد هنداوي ،الدار النموذجية:المطبعة العصرية –صيدا – بيروت ،ط/1 ،1426هـ – 2006م 0

٨٦ –ميزان الاعتدال في نقد الرجال :شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت 748هـ) تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط/1، 1995م.

٨٧ –النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر ،(د0ط،د0ت)0

٨٨ –النُّكتُ في إعجازِ القُرآن: أبو الحسن الرُّمَّانيّ(ت 386هـ)، –ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القُرآن–، تَحقِيقُ وتعليق: مُحَمَّد خلف الله، ومُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مِصْر، ط/2، 1387هـ/1968م.

٨٩ –النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت – 1399هـ – 1979م ،(د0ط) 0

ثانيا:الرسائل الجامعية:

٩٠ –أساليب المجاز في القرآن الكريم : احمد حمد محسن الجبوري ، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1410هـ /1989م 0

ENGLISH AND ARABIC ASPIRATION: A CONTRASTIVE STUDY

By
Hasan Shaban Ali
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم اللغة الانكليزية

Abstract

Not all languages have voiceless plosives of this type, but English does and the initial [p] [t] [k] sounds of words such as ***pound***, ***time***, ***keen***, are aspirated. The symbol for aspiration a superscript [^{h}] following the sound affected - so [p^h t^h k^h] and so on. Aspiration is generally thought to be the product of straightforward and allophonic rule which strengthens voiceless stops.

Some phonologists argue that sounds, which are aspirated, are produced with spreading of the vocal cords, others suggest that aspiration is produced by a delay in the onset of voicing after a stop closure has been released, as in the pronunciation [p^hɪt], in which it is claimed that there is a delay between the release of the bilabial stop closure and the onset of voicing for the following vowel [ɪ]. Aspirated stops are also referred to as fortis stop.

The study falls into three sections with an introduction and conclusions. The fist section deals with aspiration in English. It clarifiers voice onset time, the closure release and aspiration rules. Section two is devoted to the concept of aspiration in Arabic and the different phases in the production of Arabic plosives. Finally, the are the major findings that the researcher reached throughout the study.

Phonemic Transcription :

Consonants in Arabic

	Arabic symbol	English symbol	Example in Arabic	Meaning in English
1	أ	/ ؟ /	/ʕard/ (أرض)	Land
2	ب	/b/	/baab/ (باب)	Door
3	ت	/t/	/tartiib/ (ترتيب)	Ordering
4	ث	/θ /	/θaʕlab/ (ثعلب)	Fox
5	ج	/d /	/d abal/ (جبل)	Mountain
6	ح	/h/	/himaar/(حمار)	Donkey
7	خ	/x/	/xamra/(خمرة)	Wine
8	د	/d/	/dub/(دب)	Bear
9	ذ	/ð/	/ðubaaba/(ذبابة)	Fly
10	ر	/r/	/ra?s / (راس)	Head
11	ز	/z/	/mawz/(موز)	Banana
12	س	/s/	/salaam/(سلام)	Peace
13	ش	/ /	/ aʕr/(شعر)	Hair
14	ص	/s/	/sunduuq/(صندوق)	Box

15	ض	/d/	/dabaab/(ضباب)	Fog
16	ط	/t/	/tabl/(طبل)	Drum
17	ظ	/ z /	/zill/(ظل)	Shadow
18	ع	/ ؟ /	/؟alam/(علم)	Flag
19	غ	/g/	/guraab/(غراب)	Crow
20	ف	/f/	/funduq/(فندق)	Hotel
21	ق	/q/	/qalam/(قلم)	Pen
22	ك	/k/	/ka?s/(كأس)	Cup
23	ل	/l/	/lawn/(لون)	Colour
24	م	/m/	/manzil/(منزل)	Home
25	ن	/n/	/naar/(نار)	Fire
26	هـ	/h/	/hud uum/ (هجوم)	Attack
27	و	/w/	/walad/(ولد)	Boy
28	ي	/y/	/yad/(يد)	Hand

Vowels in Arabic

	Arabic Short Vowel	English Symbol	Example in Arabic	Meaning in English
1	/ /	/a /	/balad/ بَلَد	Country
2	/ /	/i /	/min/ مِن	From
3	/ /	/u /	/ urbu / شُرِبُ	Drinking
	Arabic Long Vowel	English Symbol	Example in Arabic	Meaning in English
1	/ آ /	/aa /	/baab/ باب	Door
2	/ و /	/uu /	/ uruuq /شروق	Shining
3	/ ي /	/ii/	/fiil/ فيل	Elephant

1. Introduction

Iverson and Salmans (1995: 369-72) suggest that phonetic aspiration is present before a vowel in initial position but is suppressed after [s] in a cluster in English because [spr] feature is shared between the fricative and the stop. Aspiration in English does not directly depend on stress. They identify the location of aspiration in English as the beginning of a stress foot. For instance, time [t^h]ime, typhoon [t^h]yphoon, potato [p^h]otato. In addition, foot as a prosodic unit consisting of one or more syllables of which one is stressed, there are also cases where aspiration appears at the beginning of word, internal unstressed syllables. For example, 'oppor[t^h]unistic, medi[t^h]erranean. The degree of aspiration in English correlates with the degree of stress (ibid: 378).

Kim (1970: 109) assumes that aspiration is nothing but a function of the glottal opening at the time of release. He proposes the voicing delay after voiceless stops is due to the narrowing of the glottis before voicing starts, as in:

> … the length of aspiration or voicing appears to be equal to the time it takes for the open glottis to close for the vibration of the following vowel.

Thus, English /p, t, k/ are aspirated when initial in a full-vowelled syllable. Elsewhere they have less aspiration or none. Hence, the aspiration of the /p/ after /m/ in ***plump pie*** but its absence in ***plumb eye***. The /t/ of a ***tease*** is aspirated as is that of ***attack*** /ətæk/ but not that of ***at ease*** (Jones, 1931: 60).

2. Voice Onset Time

Lisker and Abramson (1964: 387) propose voice onset time as an acoustic measure that correlates with aspiration. They justify this by pointing out that the noise heard as aspiration occurs during the period of voicelessness between the release of the stop and the start of voicing of the following vowel, as in:

"Aspiration …is regarded simply as a large delay in voice onset."

Moreover, when one produce a stop consonant in which the vocal cords are not vibrating and then follows this with a vowel sound, there may be a delay in the onset of voicing in the vowel. When this happens, we say that the stop in question is aspirated, as in the English word ***pad*** [pʰæd]. If there is no such delay in voice onset time, we say that the stop is unaspirated as in the word ***pain*** [peɪn] (Carr, 2008: 188).

To conclude voiceless plosive consonants, the vocal fold vibration is stopped for a period that is a little longer than the hold phase (the time when the mouth is blocked) so that the there is still vocal fold vibration around the moment of release (when the articulators part and the plosion is heard. This delay, measured from the start of the explosion to the point where vocal fold vibration begins, is called the voice onset time.

3. Aspiration in Languages

The commonest pattern in languages around the world is for voiceless plosives to have a short voice onset time, they are therefore voiceless unaspirtated plosives. The voiced plosives with which they contrast tend to be fully voiced, that is to have vocal fold vibration started well before the explosion. Among languages which do use are French, Spanish, Italian, Greek, Dutch, Russian, Arabic. English does it in a different way. The voiceless plosives have a longer voice onset time and are thus aspirated. The voiced plosives do not need to be fully voiced depending on the context in which they appear. They may lack vocal fold vibration for some or all the hold (Michael and Maidment, 2005: 1).

The remarks so far apply to plosive consonants in initial position directly before a vowel. If a language distinguishes voiced and voiceless plosives at all it will do so in that position.

In other positions, the sounds may be modified. For instance, voiced plosives may become fricatives or approximant when flanked by voiced sounds (ibid: 2).

4. Devoicing

English [p t k] are aspirated when at the beginning of a stressed syllable, if an approximant rather than a vowel follows. For example:

price, ***play***, ***twin***, ***cute***

The aspiration takes the form of devoicing the approximant so:

[pr̥aɪs], [pl̥eɪ], [tw̥ɪn], [kj̊u:t]

If [s] precedes, there is no aspiration and, correspondingly, little or no devoicing of any approximant, so for example:

Sprain [spreɪn]

Splash [splæʃ]

Squeak [skwi:k]

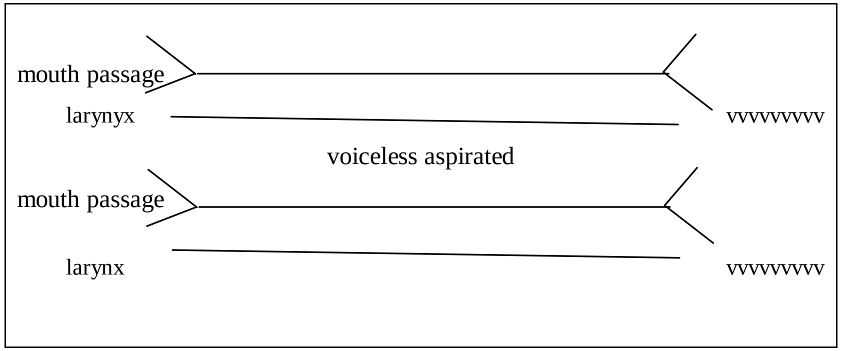
Studio [stju:diəu]

English consonants are sometimes called lenis (weak, i.e. short, quiet, unaspirated, sometimes, voiced) and fortis (strong, i.e. long, loud, aspirated, always voiceless (ibid: 4).

5. Voicing and Aspiration

Generally speaking, the English /p/ which is distinguished from /b/ by a small burst of noise when the lips open followed by a slightly noisy interval of about 30 ms before the vowel starts. The difference between the sounds can be shown by a small raised /ʰ/ (Ladafoged, 2005: 135).

Abercrombie (1967: 148-9) defines aspiration as a period of voicelessness that follows the voiceless closure phase of a stop. The diagram will make these relationships of stops with glottal states clearer. The lower line represents the states of the glottis. It is wavy if the glottis is in vibration, straight if it is not.



In addition, the English /b, d, g/ are fully voiced. In English the vocal folds are apart and not vibrating while the lips are closed for /p/, and while the tongue is touching the roof of the mouth for /t/ or /k/. They do not come together and start vibrating immediately after the closure is released. There is as a small delay before the following vowel in which the air rushes out. forming what is known as aspiration. The English stops /p, t, k/ are said to be aspirated. The interval between the release of a stop and the start of a following vowel is called the voice onset time. (Ladafoged, 2005: 136)

5.1 The Closure Release

Robins (1980: 78) clarifies that the release of a closure may be followed by a small puff of air (aspiration). This is the case with the standard English voiceless plosives in initial position (narrow) symbolized [p^h] [t^h] [k^h] and distinguishes them from the French voiceless plosives and from these in some northern English dialects, which do not have this aspiration. They are called unaspirated voiceless plosives. Voiced plosives can be aspirated with voiced aspiration intervening though these are less common. Some languages like India have all four types [t] [t^h] [d] [d^h], etc.

In English whispered speech, the aspiration of the voiceless plosives of the features maintaining the distinction between normally voiced and voiceless consonants.

5.2 The English Aspiration Rule

Bloch (1948: 7) states that English aspiration rule /p/ →[p^h]/. Meaning a /p/ phoneme corresponds to a [p^h] phone in syllable-initial position." The alphabet of each level is autonomous, and thus the latter [p] at the phonetic representation. Accordingly, the phoneme /t/ in English word-initial position always maps to an aspirated [t^h] and the phone [t^h] always maps to the phoneme /t/. thus, [p] and [p^h] are not distinct phonemes in English, the contexts where [p] appears, are the complement of those where [p^h] appears; therefore, the phones [p] and [p^h] are members of the phoneme [p], and [p], and [p^h] are the allophones of /p/. The pair /p/ and /b/ are separate phonemes.

6. Plosive Stops in Arabic

The air which rushes out from the lungs is fully blocked resulting in holding of the air. The air is compressed then the airway suddenly released, causing a plosive sounds. These sounds are called stops. But because of the plosion, they are called plosives. They are divided into eight sounds:(,b t, d, ţ, ض, ك, ق, ء). Western scientists divided them into eight too, but they replaced the phoneme (ض) by Arab (ج) and called them strong consonants. The Arabs interpreted intensity as stops.
Bishr (2000: 247-250) classifies Arabic stops as follows:

6.1 (ب) /albaa?/

In the production of albaa? the air that comes from the lungs is fully obstructed at the lips, as they are pressed together and compressed the air for a short period of time. The lips are suddenly separated resulting in a plosive sound from the mouth. The vocal cords vibrate during the pronunciation this sound.

(ب), is then a voiced bilabial plosive stop. It is noticed that many Arabs make an error in the pronunciation of the voiceless [p] in the English . For instance, they pronounce it like a voiced consonant corresponding to the Arab [b] that is made voiceless in some of its positions, like كتاب /kitæb/. In this case, the voicelessness is accompanied by a lack of full plosion. This is perhaps one of the reasons for Arabs emphasis on the necessity of pronouncing 'albaa' with 'alfatha' instead of alsukoon to achieve the complete plosion..

6.2 التاء /altaa?/

The air that comes from the lungs is fully obstructed at the ponit where the tip of the tongue is against the palate and the front part of the alveolar. The air is compressed for a while and then the tongue is moved suddenly, leaving that point which leads to a plosive sound. The vocal cords do not vibrate in the production of altaa?. It is then, voiceless dento-alveolar stop.

6.3 الدال /addal/

It is the counterpart of the voiced consonant "ت". The is no difference between them except that the vocal cords vibrate with addal.so, addal is voiced dento-alveolar stop.

6.4 الطاء /altaa?/

الطاء: is the velarized counterpart of altaa?. In the articulation of altaa?, the back of the tongue is raised backwards, moves backwards slightly towards the back wall of the throat. Some phoneticians state that in the articulation of altaa? the tongue is curved . الطاء is voiceless velarised dento-alveolar stop.

7. The Different Phases in the Production of Arabic Plosives

(Mukhtar(2006: 117-119) mentions the following phases:

7.1 Complete Closure

The result of this phase are the so-called the stop consonants , also called plosives as well as being called occlusive. Plosives are described as aspirated, accompanied by aspiration. The aspirated symbol is either an apostrophe (p') or a small (^{h}). Some distinguish between two types of plosive sounds. If the explosion is out, as in (pa), they are called explosives. If it is internal, they are called implosives.

Sometimes the explosion happens by removing the closure class causing a sudden release of the compressed air in the mouth , exploding through the nose. This occurs when the nasal sound is located immediately after a stop consonant as in ***cabman***, ***enda***. This kind of explosion is called nasal plosion.

7.2. **Narrowing**:

The result of this is the continuant sounds. They are divided into:

1. **sibilants**: such as the (س) and (ز). They are called sibilants because of the force friction with them. The reason for the force friction is that the same amount of air (with ث) must pass with (س) through narrower passage. Some others divided sibilants into hissing (s) and hushing. (ʃ)
2. **Fricatives**: they are also called constrictives and spirants,like (ف) and (ذ)
3. **Closure and narrowing**: The sound in this case is called an affricate, or an affricated release or semi-stop.

8. Consonant Systems in Languages:

1. **Stops**: All languages have plosives in two places, at least in the places of articulation. Either /p/ or /t/ and as well as /k/. More common than this are three different places for (p, t, k) as in English, French and Portuguese. There are languages with four stops (p, t, k, q). It is rare to find five different places, and that are found in Arabic in the form of (p, t, k, q,?)
2. **Fricatives**: these are common in languages. The places of fricatives are more than the places of the stops. There are five fricative places while stops have only three places in English, German and Polish. Arabic has six places for fricatives in the pronunciation of ف و س , ش ,ح ,ه، خ as compared with five stops. The Spanish and Russian have for fricatives as compared with three stops.
3. **nasals**: English and German have three nasals like French , Italian and German.
4. **Laterals**: Most languages have one lateral sound that is /l/, as in English, German, French and Arabic.

(ibid: 42)

9. Aspirated sounds:

These are the sounds that are followed or preceded by a buff of air. As for how to produce this type of sounds, it is clarified as follows:

The organs of speech are separated so as the air stream pass quickly and strongly betweenthe vocal cords resulting in a sound like a (الهاء), which is described as a buff of air. Consequently, the Arab(تاء) at the standard level is aspirated.

It is noted that the separation of the organs of speech when the voiceless aspirated sounds are articulated, are stronger than the voiced aspirated sounds. Therefore, the buff of air which follows the following voiceless aspirated sounds [p^h, t^h, k^h] is

stronger than what follows the following voiced sounds: [b^h, d^h, g^h]. This is phonetically speaking regardless of the use of these sounds in a specific language. Some believe that the buff of air that follows voiced stop sounds is weak and like a part of that sound . (Istata, 2003: 134-135).

10. Intensity and laxity

The opinion of scientists in the fortis and lenis sounds is that fortis articulated by the sudden confluence of the organ of speech with another. They separate suddenly producing the sound. Whereas the lax means that convergence between them is not strong, allowing the passage of friction sound. Sibawayhi defined the fortis as that ((which prevents the sound from taking place, which are ه, ك ,ط، ، ج , ت, د and ي)). He pointed out that the lax sounds as خ ،غ , ش, ح , س, ض،ص ز, ه , ز, ث, ذ, and ف.

The adoption of the Arabs to the flow of the breath and whether or not in the fortis and lax caused mixing and overlaping between them and the voiced and voiceless and made the distinction between them, depending on this, difficult at the beginning. However, the Arabs noted to the flow or not of air an issue that was fully agreed by a group of Western scientists such as (Kantinmo p 35) which proved their view that counting the fortis sounds as occlusive that can not be articulated for ending the obstruction caused by the two organs. On the contrary, lax sounds has as continuous repetition (Al-Atiya, 1983: 45-46).

There are three types of these sounds:

1. Full intensity: the sounds are eight (ه, ق, ك, ج, ت, ط, د, ب).
2. Medium between fortis and lenis. The sounds of the five (ل, ن, ع, م, ر).

3. Full lax: أ, ح, هـ, خ, ع, (د), (س), غ, (ش), ض, (ز), ص, (ت), (ز), (ف), (و)

(Al-Hamad: 2008: 292-3)

12. The Production of the sounds and the factors of their variety

Exhaled air is a substance that does not stop as long as human lives in this life and if he wants to speak, his mind gives a stimulus to the organs of speech to obstruct the exhaled air narrowing its course, or blocked for a moment that leads to the articulation of the sound.

13.The most important factors affecting the production of sounds

1. The state of the vocal cords:

The vocal cords take several positions during the process of producing the sounds of language:

i. The vocal cords to be apart , the air passing through them without a change in the nature of the breath until it reaches to the upper speech cavities where It exposes to holding and narrowing producing the sound. The sounds that occur in this case are called voiceless.

ii. The vocal cords came close each other to obstruct the breath and lead to its vibration producing a laryngeal tone sounds that accompany the articulation of voiced consonants.

2.The position of breath obstruction

Breath obstruction is happening in the throat cavity. If it exceeded throat cavity it may take its way through the oral cavity and often can take the way to the nasal cavity at (م) and an (ن).

3. How to intercept breath

The breath-holding in the place of articulation or narrowing its way, and how that narrowing occurs, are factors that lead to the diversity of sounds resulting from these positions:

i. A complete lock of breath in a position of obstruction leads to holding of breath and pressing back into the position behind the place of obstruction, then it releases producing a sound very like (د, ت, ق) and the like, these are called plosive.

ii. The obstruction of the organ of speech lead to narrowing the oral cavity in the position of the obstruction and allows air to pass in a narrow port that leads to the pronunciation of a lax sound, such as (ث, ف, ش, خ, غ) which are called fricatives.

iii. The sound may be between the average sound intensity and laxity in somewhere such as a sound (ل) , (ر) , (m) and (ن).

iv. If there is an obstruction to the breath in the mouth and took its way through the nasal cavity, the soft palate is lowered , the result is a nasal sound which is called nasalization such as (م) and (ن).

(Al-Hamad ,2009:30-32).

Conclusions

Throughout the study, the researcher has come up with the following findings:

1- Aspiration is longer for stops that begin a stressed syllable and shorter for stops that begin an unstressed syllable.
2- Velar stops have longer aspiration than bilabial and alveolar stops.
3- There is more variation in the duration of aspiration for the word initial than for the word medial position.
4- Aspiration depends to a great extent, on the place of articulation of a stop.
5- English plosives are aspirated at the beginning of a stressed syllable if an approximant rather than a vowel follows.
6- The length of aspiration is equal to the time it takes for the open glottis to close for the vibration of the following vowel.
7- The air modifications take different shapes which happens in the air passage.
8- There are two types of plosive stops, the first is explosives and the second is explosives.
9- Most languages have plosive consonants in two different places of articulation, others have three places as in English, French and Portuguese. Arabic has five plosive stops (p, t, k, g, ?).
10- Arabic is significant in that it does not have an aspirated stop series, and also lacks the /p-b/ contrast.

References

David, Abercrombie, (1967) Elements of General Phonetics. Edinburgh: Edinburgh University Press.
Iverson, Gregory, K. and Joseph, C. Salmons (1995) "Aspiration and Laryngeal" Phonology Representation in Germanic.
Lisker, Leigh and Arthur, S. Abramson (1964) A Cross-Language Study of Voicing in Initial Stops: Acoustical Measurements.
Jones, D. (1931) The Word as A Phonetic Entity. Le Maitre of a Phonetique.
Harris, John (1994) English Sound Structure. Oxford: Blackwell.
Ladefoged, Peter (1982) A Course in Linguistic Phonetics. Massachusetts Institute of Technology, Cambridge
Ladefoged, Peter (2005) Vowels and Consonants. An Introduction to the Sounds of Languages. (2nd ed). New York: Blackwell.
Ashby, M. and Maidement, J. (2005) Introducing Phonetic Science. New York: Cambridge University Press.
Robins, R. H. (1980) General Linguistics: an Introductory Survey. (3rd ed). London: Longman Group Ltd.
Bloch, (1948) "A Set of Postulates for Phonemic Analysis", Language 24.
Car, Philip (2008) A Glossary of Phonology. Edinburgh: Edinburgh University Press

معجم ألفاظ فَعَالِ

أ. م. د. محمد ياس خضر الدوري

جامعة تكريت / كلية التربية / قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العربية من الثراء ما أنك تطوّف بين مفرداتها وأبنيتها مكتشفا الدلالات والمعاني الدقيقة ، والصلاة والسلام على النبي الخاتم الذي علَّمه الحق وأدبه فلقَّنه لغات العرب تلقيناً ، وعلى آله وأصحابه نجوم العرفان ، وبعد :

كنت قد كتبت بحثاً في صيغة فعالِ واختصاصها بالمؤن ث ، فوقفت على أحكامها وأقسامها ، وانتهيت إلى أن كل صور فعال تدل على التأنيث عند العرب ، ولكثرة ما عالجت معانيها في كلام العرب تخرَّجتْ لي ألفاظ كثيرة على هذا البناء ، فأحببت أن أجعلها في متناول الباحثين ، وفضلاً عن ذلك أني وجدت الإمام السيوطي(ت 911هـ) يذكر أن الصاغاني(ت650هـ) صاحب (العباب) قد ألَّف رسالة في ألفاظ فعال سمّاها (ما بَنَتْه العرب على فَعالِ) ، وقد جمع فيها (130) مفردةً[1] ، ونقل عنها صاحب خزانة الأدب [2] ، وقد ذكر محقق كتاب العباب أن هذه الرسالة قد طبعت في دمشق سنة 1383 هـ[3] ، ولم نقف عليها .

وعوداً إلى الألفاظ التي جمعتها ؛ إذ لما راجعتها وجدتها فاقت ما جمعه الصاغاني ، فقد بلغت (155) مفردةً ؛ لذا طفقت أجمع مفرداتها مع تفسيراتها ، لعل هذا البحث يسدّ ما فقدته المكتبة العربية من تأليف أحد أفذاذها ، أما منهجي في العرض فيقوم على الأمور الآتية :

المصادر العربية:

- المصطلح الصوتي في الدراسات اللغوية. عبد العزيز الصيغ. دمشق: دار الفكر، 1998-(58-71).
- نهاية القول المفيد في علم التجويد. محمد مكي نصر. تحقيق.أ. محمود حسين الزهيري. ط1. 2009. الجنات للنشر والتوزيع. عمان (129-137).
- الميسر في علم التجويد. د. غانم قدوري الحمد . ط 1 (2009).مركز الدراسات المعلومات القرانية.
- شرح المقدمة الجزرية. د. غانم قدوري الحمد . ط 1. 2008. مركز الدراسات والمعلومات القرانية. بمهد الإمام الشاطبي: جدة.

1- تبيين التصحيف ؛ إذ ظهر التصحيف في كتب المتقدمين ، كجنادِ : اسم من أسماء الشمس ، فإنه تصحيف لـ((حناذ)) ، وسيجده القارئ للمعجم .

2- حاولت جاهداً ، إرجاع الألفاظ إلى أصل وضعها اللغوي الذي اشتُقت منه ، وتبيين المجاز إن وُجِدَ ، كصَمَامِ معدولة عن صامّة ، قد استُعملت في الداهية مجازاً.

3- الإشارة إلى دلالات فعال التي كنتُ قد درستها في بحث (صيغة فعال واختصاصها بالمؤنث) [4] ، كاختصاص فعال بالشتم وملازمتها للنداء ، وفعال الأمرية ، وغير ذلك.

4- إذا علَّمْتُ بعلامة هكذا(۞) فيعني أنني قد أتيتُ بمعنًى آخر للفظة .

5- سوق الشواهد التي تثبت نطق العرب بها ، وقد غلب على فعال شواهدها الشعرية والأمثال ؛ إذ قد تصل إلى المئة .

6- ترتيب الألفاظ بحسب حروف المعجم ، على الوجه الآتي:

المعجم

١. أبابِ

((الأبابِ : الماء والسراب ، عن ابن الأعرابي (ت231 هـ) وأنشد[5]:

قَوَّمْنَ سَاجًا مُسْتَخفَّ الحَمْلِ   تَشُقُّ أَعْرَافَ الأَبَابِ الحَفْلِ

أخبر أنها سفن البر))[6] .

ومن الأمثال ما قالوا ((للظباء : إن أصابت الماء فلا عَبَابِ ، وإن لم تصبِ الماءَ فلا أَبابِ ؛ أي: لم تأتبَّ له ، ولا تتهيأ لطلبه)) [7] ، وذلك ((من قولك: أبَّ للأمر وائتبَّ له : تهيأ))[8] .

٢. أَزَامِ

أزام السنة المجدبة الشديدة ؛ إذ يقال : قد أَزَمَتْ أزامِ ، وأزمتْهم السنةُ أزْماً استأصلتْهم[9] ، قال الشاعر[10] :

أهانَ لها الطعامَ فلم تُضعْهُ   غداةَ الروعِ إذ أزمتْ أَزامِ

وقال جميل[11] :

جُذامُ سيوفُ اللهِ في كلّ موطنٍ   إذا أزمَتْ يومَ اللقاء أزامِ

وقول ابن الرومي[12] :

أنتَ الذي قطعَ الحبائلَ بعدما   أَزَمَتْ أزام وعضَّلت تعضيلا

٣. بَجَالِ

((في نوادر أبي عمرٍو الشيباني بجال اسم امرأةٍ ، قال الخيري من البسيط[13] :

توحي بجالِ أباها وهو متكئٌ   على سنانٍ كأنف النسر مفتوقِ)) [14]

بعضهم عدَّ (بجالٍ) منوناً كسحابٍ ،وهو صفةٌ لرجل بمعنى مُبَجَّل ،أو هوالشيخ الكبير السيد العظيم مع جمالٍ ونبل[15] .

٤. بَدَادِ

- قولهم في الحرب : ((يا قوم بَدَادِ بدادِ ؛ أي ليأخذ كلُّ رجلٍ قرنه)) [16] ، بمعنى أن يأخذ كلُّ رجلٍ رجلاً يكون قرينه أو من أقرانه ، وهو ماً خوذ من قولهم لقي قومٌ أبدادهم ؛ أي أعدادهم لكل رجلٍ رجلٌ ، وبدادِ هنا اسم فعل أمر[17].
- ((وقولهم : جاءت الخيلُ بدادِ ؛ أي : متبِّددة [متفرقة] ؛ وبني أيضا على الكسر؛ لأنه معدولٌ عن المصدر ، وهو البَدَد))[18] ، قال الشاعر عوف بن الخرع[19] :

وذكرتَ من لبن المحلَّق شُربَةً والخيلُ تعدو في الصعيد بَدَادِ

ومثله : تفرَّق القومُ بدادِ ؛ أي : متبدِّدين[20] ، قال حسان بن ثابت (ﷺ)[21]:

كنا ثمانيةً وكانوا جحفلاً لجباً فشكَّوْا بالرماحِ بدادِ

٥. بَرَاحِ

يقال للشمس : ((دلكت براحِ يا هذا ، على فَعَال ، المعنى : أنها زالت وبرحت حين غربت ، فبراحِ بمعنى بارحة)) [22] ، وهو اسم للشمس معرفة [23] ، وقيل: ((سميت به لأنها تستقر من قولهم : ما برح ؛أي: ما زال)) [24] ، وقيل سميت بذلك ؛ لانكشافها وظهورها ، وبارحة كاشفة[25] ، وأنشد قطرب[26] :

هذا مقام قدمي رباح ذبب حتى دلكت بَرَاحِ

٦. براكِ

((يقال في الحرب : بَرَاكِ براكِ ؛ أي : ابركوا)) [27] ، فهو من فَعَالِ الأمرية.

٧. بَطَارِ :-

يقال في شتم المرأة : ((اذهبي لَكَاعِ وذَفارِ وبَطَارِ)) [28] ، ولعلها من البَطَر، وذكرها صاحب اللسان هكذا : ((اذهبي لكاعِ وذفار وبَظَارِ)) [29] ، ولعل الأولى تصحيف منه ؛ لأنه قويٌّ في شتم المرأة ، مأخوذ من البظر ، ومعروفٌ في صيغة فَعالِ دلالتها على شتم الأنثى[30] .

٨. بظار

سبق ذكرها في – بَطَارِ .

٩. بَقَاعِ

((يقال : عليه خرء بَقَاعِ ، وهو العَرَق يصيب الإنسان فيبيضُّ على جلده ، شبه لمع)) [31] وقالوا أيضاً : بَقَاعِ بَقَاعِ يا فتى [32] ، وهو قريبٌ من الأول ؛ أي : ((أن يصيبه غبارٌ وعرقٌ ، فيبقى لمعٌ من ذلك على جسده ... وأرادوا ببقاع أرضاً))[33]، فكأن(بقاع بقاع) هي الأمرية ، وكأنهم يريدون أدرك تلك الأرض يا فتى.

١٠. بَلاَدِ

ذكرها صاحب معجم ما استعجم بوجهين ، فقال : ((بلاذ ، بفتح أوله ، وكسر آخره ، وهي ذالٌ مهملة[34] ، على مثالِ حذام وقطام ، وقد قالوا : بلاذُ فأجروه مجرى مالا ينصر ف ، وهي أرضٌ دون اليمامة ، تقضب منها السهام الجياد، قال الأعشى[35] :

منعت قِسِي الماسخية رأسه بسهام يثرب أو سهام بلاد))[36]

١١. بَلاَذِ

– سبق ذكرها في بلاد – ولعلها تصحيف عنها أو خطأ مطبعي.

١٢. **بَلاَلِ**

ويقال : لا تبلُّك عندي بالَّة و بَلاَلِ ؛ أي : لا يصيبه عندي ندى ولا خير ، ولا يصله مني صلة [37] ، وهو اسم لصلة الرحم ، وهو معدولٌ عن بالَّة [38] ، قالت ليلى الأخيلية[39] :

فإنك لو ركضت خلاك ذمٌّ وفارقك ابنُ عمك غير قالِ

فلا وأبيك يا ابن أبي عقيل تبلُّك بعدها عندي بَلاَلِ

١٣. **بَلاَءِ**

((يقال : نزلت بلاءِ على الكفار ، مثل قَطَامِ)) [40] أي : البلاء [41] ، كأنها اسم من أسماء الداهية .

١٤. **بَهَاءِ**

وبَهَاءِ كقطامِ علم امرأة ، من بَهَأ به إذا أنس [42] ، كأنها يؤنس بها ، كما قالوا: ناقةٌ

بَهَاءٌ ، إذا أنست بالحالب[43] ، لكنها مع الناقةِ مصروفة .

١٥. **بَهَانِ**

بهانِ علم امرأة كحذام وقطام ، يراد بها بهنانة ، والبهنانة المرأة الطيبة النفسِ والأَرَجِ[44] ، قال الشاعر[45] :

ألاَ قالت بهانِ ولم تأبق كبرتَ ولا يليق بك النعيمُ

١٦. **بَوَارِ**

يقال : نَزَلَتْ بوارِ على الكفار مثل قَطَامِ ، اسم للهلاك [46] ، قال أبو مكعت الأسدي[47] :

قتلت فكان تباغياً و تظالما إن التظالم في الصديق بَوَارِ

١٧. **تَرَاكِ**

وتراكِ تراكِ بمعنى اترك ، وهو اسم فعل أمرٍ [48] ، وأُنشِدَ لطفيل بن الحارثي[49] :

تراكها من إبلٍ تراكها أما ترى الموتَ لدى أوراكها

١٨. **جَبَاذِ**

جباذِ المنية الجابذة كجذاب [50] – وستأتي – أي من الجذب ، قال عمر بن حُميل[51]:

فاجتبذت أقرانهم جَبَاذِ أيدي سبا أبرح ما اجتباذ

١٩. **جَدَاعِ**

يقال : أجحفت بهم جَدَاعِ [52] ، وهي السنة الشديدة سُمِّيَتَ كذلك ؛ لأنها تجَدَع النبات وتذلُّ الناس ، بل قالوا : تذهب بكلِّ شيءٍ[53] ، قال أخو بني ثُعَلٍ[54]

لقد آليتُ أغدر في جداعِ وإن مُنِّيتُ أُمَّاتِ الرِّباعِ

٢٠. **جَذَابِ**

جذابِ كقطامِ هي المنية ؛ لأنها تجذب النفوس [55] .

٢١. **جَعَارِ**

ويقال : تيسي جَعَارِ ، وهو من أسماء الضَّبع معدولة عن جاعرة ؛ لكثرة جعرها [56] ، وهذا المثل : تشتم به المرأة ، فيقال : قومي جعارِ [57] ، وهو مثل – أيضاً – يقال في إبطال الشيء والتكذيب به [58] ، وفي حديث أبي أيوب (﵁): **((أنه ذُكر الغول، فقال: قل لها : تيسي جعارِ))**[59] .

وهو مثل – أيضاً – يضرب فيمن ((أتى بكلمة حمق ؛ أي : كوني كالتيس في حمقه ، والمعنى : لأتمثلنَّ لهم بهذا المثل))[60] .

٢٢. جَمَادِ

يقال للبخيل في الذمِّ : جمادِ له ، دعاءً عليه ، ضدُّ الكريم ؛ إذ يقال له : حمادِ[61] ، قال المتلمِّس[62] :

جَمَادِ لها جمادِ ولا تقولي لها أبداً إذا ذكرت حماد

وهو اسم مصدر معدول من الجمود ، يراد به جمودُ الكفِّ[63] عن العطاء ،((وإذا دُعي على الرجل بأن يُمْنَعَ ويُؤنَس مما عنده قيل : جَمَادِ جَمَادِ)) [64] ، فهو اسم فعل أمر بمعنى اجمد .

٢٣. جَنَاد

جنادِ : اسم من أسماء الشمس [65] ، وأكبر الظنِّ أنه تصحيف ((حناذ)) – ستأتي قريباً–.

٢٤. حَبَاقِ

يقال في سبِّ الأَمَةِ : يا حَبَاقِ؛ أي: الضرّاطة [66]، والحُبَاق هو الضراط[67].

٢٥. حَدَابِ

- حداب السنة المجدبة الشديدة القحط[68] .
- وحَدَابِ : موضع ، ويستعمل معرباً[69] أيضاً ؛ أي: حدابٌ .

٢٦. حَدَادِ

ويقول العرب للرجل إذا طلع عليهم فكرهوا طلعته : حَدَادِ حُدِّيه [70] ؛ أي: يا مناعِ امنعيه[71] ، قال الشاعر[72] :

حدادِ دون شرها حدادِ

وقال معقل بن خويلد الهذلي[73] :

عصيم وعبد الله والمرء جابر وحُدِّي حدادِ شر أجنحة الرخم

٢٧. حذارِ

- يقال : ((حذارِ يا فلان ؛ أي : احذر ...[و] يقال : سُمِعَتْ حذارِ في عسكرهم ، ودُعِيتْ نزالِ بينهم))[74] ،وأُنشد لأبي النجم[75] :

حذارِ من أرماحنا حذار أو تجعلوا دونكم وبارِ

وأنشد اللحياني[76] :

حذارِ حذارِ من فوارس دارم أبا خالدٍ من قبل أن تتندما

- ((وحذارِ : اسم أبي ربيعة ، قاضي العرب في الجاهلية ، وكان من بني أسد بن خزيمة))[77].

٢٨. حذامِ

حذامِ اسم امرأة ، معدولة عن حاذمة [78] ، قال الشاعر[79] :

إذا قالت حذامِ فصدِّقوها فإنَّ القول ما قالت حذامِ

((و الحَذْمَة : المرأة القصيرة))[80] .

٢٩. حَسَاسِ

وتقول إذا طلبتَ شيئاً فلم تجده : حَسَاسِ ، وَجلَسَ فلانٌ ، فلا حساسِ منه ؛ أي: لا يُحَسُّ به ، أو لا يُحسُّ مكانُه ، وتُروى بالفتح ؛أي : حساسَ [81] ، ويقولون – أيضاً– لا حساسِ ولا مساسِ [82] ؛ أي: لا حسٌّ ولا مسٌّ ، وكذلك قولهم: ((جمهرة الأمثال ج1/ص467

قولهم ذكر ولا حساس ، يضرب مثلا للذي يَعِدُ ولا يُنجز)) .

٣٠. حَضَارِ

- حَضَارِ نجمٌ خفيٌّ في بُعْدٍ[83] ، وأُنشد[84]:

أرى نار ليلى بالعقيق كأنها حضارِ إذا ما أعرضتْ وفُرودُها

وقالوا : ((حضارِ والوزنُ مُحْلِفَانِ ، وهما نجمان يطلعان قبل سُهَيل ، فيُحْلَف

أنهما سهيل للشَّبَهِ))[85].

- ((وتقول : حَضَارِ ؛ أي : احضرْ))[86] ، فهي الأمرية .
- ((وناقة حضارِ : إذا جمعتْ قوةً ورُحْلَةً))[87] .

٣١. **حَلاَقِ**

- وحلقتهم حَلاَقِ ؛ أي: السنة المجدبة ، كأنها تحلقُ النبات أو المال[88]
- وسُقُوا بكأسٍ حَلاَقِ ؛ أي : المنيةُ الحالقة ، كأنها تقشرهم[89] ، وأنشد سيبويه[90]:

لِحَقَتْ حَلاقِ بهمْ على أكْسائهمْ ضَرْبَ الرِّقَابِ ولا يُهِمُّ المغْنَمُ

وأُنشد للمهلهل أيضاً[91] :

ما أُرَجِّي بالعيشِ بعدَ نَدَامى قد أُراهمُ سُقُوا بكأسٍ حَلاَقِ

٣٢. **حَمَادِ**

ويقال : حَمَادِ له ؛ أي : حمداً له وشكراً ، معدول عن المحمدة ، وهو نقيض قولهم : جَمَادِ له[92] – وقد تقدم – ، قال المتلمِّس[93] :

جَمَادِ لها جَمَادِ ولا تقولي طوال الدهرِ ما ذُكِرَتْ حَمَادِ

٣٣. **حَنَاذِ**

وحناذِ اسم للشمس لحرارتها [94] ، ((والشمس تحنذ ؛ أي : تحرق)) [95] ، قال عمرو ابنُ حُمَيل[96] :

تستركدُ العِلجَ به حَنَاذِ كالأرْمَدِ استغضى على استئخاذِ

٣٤. **حَيَادِ**

وقولهم : حِيدي حَيَادِ ، أمرٌ بالحيدودة والروغان ، كلمة تقال للهارب ، وللمتشبث برأيه[97] ، وفي خطبة سيدنا علي (كرم الله وجهه) : **فإذا جاء القتال قلتم حِيدي حيادِ** ، حيدي ؛ أي : ميلي[98] .

٣٥. **خَبَاثِ**

((يقال للمرأة في الشتم يا خباثِ)) [99] ؛ أي : الخبيثة معدولة عنها ، وتستعمل في النداء خاصة [100] ، ((وفي حديث الحسن يخاطب الدنيا : **خَباثِ كل عيدانكِ مضضنا ، فوجدنا عاقبته مُرًّا خباث**))[101] .

٣٦. **خَبَاشِ**

خباشِ كقطام ، نخلٌ لبني يشكر باليمامة [102] .

٣٧. **خَذَاقِ**

((الخَذْقُ للبازي خاصة كالذرق لسائر الطير ... ويقال للأمةِ ياخَذَاقِ يكنون به عن ذلك))[103] سبّاً لها ، وابن فارس(ت395هـ) يرى أنها خزاق بالزاي – وستأتي – لأن الخذق لا أصل له[104] ، لكن غيره قد أثبته كما تقدم .

٣٨. **خَرَاجِ**

خَرَاج اسم لعبة لصبيان العرب ، وهو أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ، ويقول لسائرهم أخرجوا ما في يدي [105] ، وقد تسمى خريجاً وتخريجاً وخراجاً معربةً [106] ، قال أبو ذؤيب[107] :

أرِقتُ له ذاتَ العشاء كأنه مخاريق يدعى وسطهنّ خريجُ

وَقيل المعروف عند العرب : خَرَاجِ ، لكن القافية اضطرته إلى ذلك[108] .

٣٩. **خَزَازِ**

- خزازِ اسم جبل بين البصرة ومكة في بلاد أَسَدٍ ، وقيل هو جبل لبني غاضرة خاصة ، تحت جبل مَنْعَج[109] .
- ويوم خزازِ إشارة إلى الجبل أيضاً ؛ إذ كانت الوقْعَة عنده فعُرفت به ، بين ربيعة الفرس –وهو ربيعة نزار– وبين قبائل اليمن ، وكانت الغلبة لبني ربيعة ، فقتلوا من قبائل اليمن خلقاً كثيراً[110] ، وقد ذكره الشعراء في شعرهم ، يقول قائلهم[111]:

وَمُصعَدُهُم كَي يَقطَعوا بَطنَ مَنعِجٍ فَضاقَت بِهِم ذَرعاً خَزازِ وَعاقِلُ

وقال أيضاً[112] :

أنشد الدار بعطْفَيْ منعج وخزازِ نشدَةَ الباغي المضل

قد مضى حولان مذ عهدي بها واستهلت نصف حولٍ مقتبل

٤٠. خَزَاقِ

❁ ويقال للأمة يا خَزَاقِ أقبلي شتماً لها ، معدول من الخزق ؛ أي: الذرق ، يقال: خزق الطائر : إذا ذرق[113] .

❁ وخزاق ((اسم قرية من قرى رَاوَنْد ، قال الشاعر[114] :

ألم تعلما مالي براوندَ كلها ولا بخزاقٍ من صديق سواكما))[115]

٤١. خَصافِ

خَصَاف : اسم فرسٍ أنثى كانت لمالك بن عمرو الغساني [116] ، والإخصاف سرعة العدْوِ ، وقيل بالخاء المعجمة تصحيف ؛ وإنما هو بالحاء أي : الإحصاف ، وفي المثل: أجرأ من فارس خصاف [117] ، لأنه كان قد أبلى بلاءً يوم حليمة [118] ، وأنشد ابن بري[119] :

تاللهِ لو ألقى خصاف عشيةً لكنتُ على الأملاكِ فارس أسأما

وقيل المثل : أجرأ من خاصي خَصَافِ ؛ وذلك أن بعض الملوك طلبه من صاحبه ليستفحله فمنعه إياه فخصاه[120] .

ورواه ابن دريد(ت 321هـ) – أي اسم الفرس – بالضاد المعجمة ؛ أي : خَضَافِ[121] –وسيأتي–.

٤٢. خَضَافِ

❁ خضاف اسم فرس ، انفرد بذكره بالضاد ابن دريد فقط – وقد سبق–

❁ ويا خضافِ للأمة شتم لها ، وللمسبوب يقولون : يا ابن خضافِ لا تفعَل [122] ، وخضاف معدولة من خاضفة ، بمعنى : ضارطة ، والخَيْضَفُ : الضَّرُوط من النساء والرجال[123] ، وقال الشاعر[124]:

بَذَرَتْ خضافِ لهم بماء مُجاشِع خَبُثَ الحصادُ حصادَهم والمزرعُ

٤٣. خَطَافِ

❁ خطاف : هَضْبَةٌ ، وقيل جبلٌ[125] .

❁ وخَطَافِ : اسم كلبةٍ من كلاب الصيد[126] ، كأنه من الخُطْفِ أو الخُطُف ، وهو الضمر ، وخفة لحم الجنب[127] .

٤٤. خَنَاثِ

يقال للمرأة في الشتم : يا خَنَاثِ ؛ أي : المتكسرة المتثنّية [128] .

٤٥. خَنَازِ

وخَنَازِ المرأة المنتنة ، مأخوذ من خَنِزَ اللحمُ إذا أنتنَ [129] ، قال الأعلمُ الهذلي[130] :

زعمتْ خنازِ بأنَّ بُرْمَتَنا تجري بلحمٍ غيرِ ذي شحم

٤٦. خَنَاسِ

وخناسِ بمعنى اخنس ، فهي للأمر [131] .

٤٧. دَبابِ

ويقال للضبع دَبابِ دعاءً لها ، يريدون دِبِّي [132] ، الأمرية .

٤٨. دَرَاكِ

دراكِ بمعنى: أَدرِكْ ؛ أي : الأمرية [133] .

٤٩. دَفَارِ

❁ ويقال للجارية إذا شُتِمَتْ يا دفارِ ؛ أي : يا منتنة الريح ؛ إذ الدفر : النتن خاصة[134]

❁ ويقال للدنيا : دَفَارِ وأمّ دَفَارِ وأم دَفَر [135] ؛ لأنها كما وصفها النبي ﷺ بقوله : **((من سره أن ينظر إلى الدنيا بحذافيرها فلينظر إلى هذه المزبلة))**[136].

٥٠. دَمَارِ

دَمَارِ على حكاية بعضهم بالدال المهملة ، بلدة باليمن على مرحلتين من صنعاء[137]، والمشهور بالذال المعجمة – وستأتي – ولعلَّ هذه تصحيف عن ذمار.

٥١. دَهَاعِ

ويقال للغنم دَهَاعِ زجراً لها، ودَهَعَ الراعي بالعَنُوقِ ، ودهدع زجرها بذلك [138].

٥٢. ذَفَارِ

ويقال للأمة يا ذَفَارِ [139] ، تُشتم به ، ولعله من الذَّفَر ، وهو صنان الإبط[140] ، وإن كان الظنُّ يساورني في أن ذَفار تصحيف لدفار السالفة .

٥٣. ذَمَارِ

❁ ذَمَارِ اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، وقيل : هو اسم صنعاء نفسها[141].

❁ وذكر صاحب معجم البلدان أن ذَمَارِ مثل نزالِ وبمعناه ؛ أي : في الدلالة على الأمرية ، بمعنى : احفظ ذمارك ، وهو ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه[142] ، ولا ندري أراد الوزن فقط ، أم هو مما تكلمت به العرب من الدلالة على الأمرية .

٥٤. رَحَالِ

ولا تحلّ رَحَالِ [143] ، ذكرها صاحب المزهر ، ولم يكشف المعنى ، وكأنه إشارة إلى رحل البعير ، أو لعلها الناقة نفسها .

٥٥. رَصَادِ

ورَصَادِ رَصَادِ ؛ أي : ارصُد بمعنى الأمر [144] .

٥٦. رَطَابِ

ويقال: يا رَطَابِ شتمٌ للمرأة ، ويا ابن الرطبة ، يريدون الفاجرة [145] .

٥٧. رَغَالِ

❁ رَغَالِ الأمة تُرضع ولدها ، مأخوذة من رَغَلَ أمَّه رَغْلاً إذا اختلس منها رضعةً[146]، قالت دَخْتَنُوس بنت لقيط[147] :

فَخْرَ الْبَغِيِّ بحدْجِ رَبَّـ ـتِهَا إذا النّاسُ اسْتَغَلُّوا
لا رِجْلَها حَمَلَتْ ولا لِرغالِ فيها مُسْتَظَلُّ

❁ ورغالِ البَهْمَةُ ؛ لأنه يرغل أمَّه ؛ أي : يرضعها[148] .

❁ وابنا رغالِ : جبلان قرب ضَرِيَّة ، مأخوذة من أرغَلت الأرضُ إذا أنبتت الرُّغل وهو جنسٌ من النبت[149] .

٥٨. رَقَاشِ

❁ رقاشِ اسم امرأة معدولة عن رَقِشَة ، مأخوذة من الرقش ، وهو الخطّ الحسن [150] هذا قولهم ، لكنَّ الوجهَ أنه مأخوذ من ترقَّشت المرأة إذا تنمَّصَتْ وتزيَّنَت [151] ، ((وفي المثل :اسقِ رقاشِ إنها سقاية))[152].

❁ ورقاشِ حيٌّ من ربيعة نُسبوا إلى أمِّهم ، وفي كلبٍ رقاش ، ويُظنُّ أن في كندة بطناً يقال لهم بنو رقاش[153] .

٥٩. رَقَاع

وقولهم: ما ترتقعُ مني برَقاع ؛ أي: لا تكترث لي ، ولا تبالي بي ، أو لا تقبل مما أنصحك شيئاً ؛ إذ يقال : ما ارتقعتُ له وما ارتقعتُ به ؛ أي: ما اكترثت له ، وما باليتُ به[154] ، ولا يرد هذا التعبير إلاَّ في الجحد[155] .

٦٠. سَبَاطِ

يقال : أخذتْ فلانٌ سباطِ ، وهو اسم من أسماء الحمَّى [156] ، سمّيت بذلك لأنها إذا أخذت الإنسان امتدَّ واسترخى [157] ، كأنه مأخوذٌ من أسبط بالأرضِ إذا لصق وامتدَّ من ضَرْبٍ أو مرضٍ[158](، قال المتنخِّل الهُذلي[159] :

أجزتُ بفتيةٍ بيضٍ خفافٍ　　كأنَّهُمُ تَمُلُّهُمُ سَبَاطِ

٦١. سَجَاح

سَجَاح اسم امرأة تميميَّة قد تنبأت ، وتزوَّجت من مسيلمة الكذّاب [160] ، وأصل الاسم مأخوذ من قولهم: رجل أسجح وامرأة سجحاء وهي السهلة الخدَّينِ[161] .

٦٢. سَرَابِ

سرابِ اسم ناقةِ البسوس ، والناقة هذه هي السبب في إقامة حرب البسوس بين بكر وتغلب[162] ؛ لذا قالوا في المثل : أشأم من سَرَابِ[163] .

٦٣. سَرَاحِ

سراحِ اسم فرس معروف [164] .

٦٤. سَفَار

❁ سفارِ اسم بئرٍ أو ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، يقع بين البصرة والمدينة ، قبل ذي قار[165] ، قال الفرزدق[166] :

متى ما تردُ يوماً سفار تجدُ بها　　أُديهمَ يرمي المستجيزَ المعوَّرا

❁ ويومُ سفارِ : يوم مشهور من أيام العرب ، كانت فيه –أي في ذلك الماء– وقعة بين بكر بن وائل و تميم ، فرَّ فيه فارس بكر جبر بن رافع [167] ، قال الشاعر[168] :

ألم تك من أسلابكم قبل هذه　　على الوقبى يوماً ويوم سفارِ

وقال المنخل بن سبيع في يوم سفار[169] :

لقد نعبت طير الهديل وشحشحت　　غداة سفار بالنحوس الأشائم

ولاقى بها مرعى الغنيمة مجدبا　　وخيما على المرتاد مرعى الغنائم

أتاها فلاقى بين أرجا حفرها　　سهام المنايا الضاريات الحوائم

٦٥. سَفَالِ

ذو سَفَالِ قرية من قرى اليمن ، مشتقة من السُّفل ، وقد نُسب إليها بعض أهل العلم ، منهم أبو إسحق إبراهيم بن عبد الوهاب السَّفَالي[170] .

٦٦. سَكَابِ

سكاب اسم فَرَسٍ أنثى لعبيدة بن ربيعة ولغيره [171] ، مشتقة من سكبتُ إذا صببت ، ويقال في صفة الفرس بحر وسكْب [172] ، وكانت سكاب لرجل من تميم ، فطلبها منه بعض الملوك فمنعه إياها وقال[173]:

أبيتَ اللعنَ إن سكاب　　عِلْقٌ نفيسٌ لا تُعارُ ولا تُباعُ

مُفدّاةٌ مكرَّمةٌ علينا　　تُجاعُ لها العيالُ ولا تُجاعُ

٦٧. سَلاَحِ

❁ سَلاَحِ : موضع أسفل من خيبر [174] ، وفي الحديث ((**حتى يكونَ أبعدَ مسالحِهم سلاحِ**))[175] .

❁ وسلاحِ : اسم ماءةٍ بتهامة لبني كلاب ، سميت بذلك لأنها تسلح شاربَها [176] ؛ أي: تجعله يخرج ما في بطنه[177] .

٦٨. **سَمَاعِ**

سَمَاعِ اسم فعل أمرٍ بمعنى اسمَعْ [178] ، وشاهده[179] :

وموَيلك زمع الكلاب تسبُّني فسماعِ أستاه الكلاب سماعِ

٦٩. **شجاذِ**

شجاذِ هي المطرة الضعيفة ، مأخوذة من أشجذت السماء إذا أقلع مطرُها وضَعُفَ[180] ، قال الشاعر[181]:

تدرُّ بعدَ الوَبَلَى شَجَاذِ مِنها هماذيٌّ إلى هَمَاذِي

٧٠. **شَرَاءِ**

۞ هناك أكثر من شراء ، وفيها المصروفة ، أما المبنية على الكسر فاسم أرضٍ [182] وعليها شاهد النمر بن تولب ؛ إذ يقول[183]:

تأبَّد من أطلالِ جمرةَ مأسِلُ وقد أقفرت منها شراءِ فيذبلُ

وتروى بالتنوين .

۞ وقيل: هو ((جبل [184] ، مرتفع شامخ يلي هرشى لبني ليث وبني ظفر من سليم ، وهو دون عسفان من عن يسارها))[185].

٧١. **شراسِ**

أرض شراسِ : خَشِنة غليظة [186] ، وهي من الصفات اللازمة لها[187] .

٧٢. **شَرَافِ**

۞ شرافِ اسم موضع بين واقصة و القرعاء ، على ثمانية أميال من الأحساء [188] ، قال الشاعر[189]:

لقد غظتني بالجو جوِّ كُتَيْفةٍ ويوم التقينا من وراء شَرَافِ

وقيل سمِّيت بذلك نسبةً لشرافِ وواقصة ابنتي عمرو بن معتق ، من ولد إرم بن سام بن نوح (عليه السلام)[190] .

۞ وقيل شرافِ اسم ماء لبني أسد [191] ، ولعلَّ ذلك الماء يقع في الموضع نفسه ؛ لأن صاحب معجم البلدان ذكر أن فيها آباراً وقُلُباً كثيرة [192] ، ومنه حديث ابن مسعود (ﷺ) ((**يوشك أن لا يكون بين شراف وأرضِ كذا وكذا جمَّاءُ ولا ذاتُ قرنٍ**))[193] وقال المثقَّب العبدي[194] :

مَرَرْنَ على شرافِ فذات رَحْلٍ وَنكَّبْنَ الذرانح باليمين

۞ وقيل شرافِ اسم جبل عالٍ [195] ، كأنه مأخوذ من الشرف ، وهو العلو ، ذكره الشمَّاخ مصروفاً بقوله[196] :

حلَّت بَنَعْفَي شرافٍ وهي عاصفة تخدي على يَسَراتٍ غيرِ أعصالِ

٧٣. **شَغَارِ**

شغار لقب بني فزارة بن ذبيان [197] ، وتوهَّم السيوطي فذكره بالفاء تحريفا منه؛ أي: شفار [198] ؛ وإنما شفار اسم موضع وسيأتي ، بل توهَّم ثانيةً وعَدَّ شغار اسم موضعٍ[199] فعكس بينهما.

٧٤. **شَفَارِ**

اسم موضعٍ لبني تميم [200] ، قال الفرزدق يهجو أديهم بن مرداس[201] :

متى ما ترِد يوماً شفار تجد بها أديهم يرمي المستجيز المعوَّرا

٧٥. **شَلالِ**

ويقولون في الدعاء : لا شلالِ ؛ أي : لا تَشْلَلُ يَدُك ولا تكلَّلُ [202] .

٧٦. **شَمَامِ**

۞ شمامِ اسم جبل في بلاد بني قشير ، قيل لباهلة [203] ، مشتق من الشمم ، وهو العلوّ، قال جرير يعيِّر الفرزدق[204] :

ويوم الشِّعْبِ قد تركوا لَقيطاً كأنَّ عليه حُلَّة أرجوانِ
وكُبِّل حاتمٌ بشمام حولاً فحكم ذا الرقيبة وهو عانِ

والدليل على علوّه وتمنُّعه قول امرئ القيس[205] :

كأني إذا نزلتُ على المعلّى نزلتُ على البواذخ من شَمَامِ

❁ وابنا شمام : هما رأسان في جبل شمامٍ ، تسميهما العرب بذلك [206] ، قال الطرمّاح[207] :

لها كلما ريعت صداة وركدة بمصدانَ أعلى ابني شمامِ البوائن

وقال لبيد[208]:

فهل نُبِّئتَ عن أخوينِ داما على الأحداثِ إلاَّ ابنَيْ شمامِ

وقول آخر[209] :

وكلُّ أخٍ مفارقة أخوه لعمر أبيك إلاَّ ابنَي شمامِ

٧٧. **صَرافِ**

❁ ويقولون للرجل يكرهون طلعته ، يا صرافِ اصرفيه [210] ، كأنها معدولة عن صارفةٍ تصرفه ، يرجونها لخبث طلعته .

❁ ((وصرافِ اسم فعل أمر بمعنى اصرف)) [211] .

❁ وصرافِ اسم موضع [212] ، وأُنشد له شعرٌ مصروفٌ فيه ، قال الشاعر[213] :

يا ربِّ شاءً من وعول طالما رعى صرافاً ح ِلَّه والحرَما

٧٨. **صَرَامِ**

❁ صرامِ اسم من أسماء الحرب [214] ، قال الكمَيْت[215] :

جرِّد السيف تارتَينِ من الدهـ ـر على حين درَّةٍ من صرامِ

وقال الجعدي[216] :

إلا أبلغْ بني شيبانَ عنِّي فقد حلبتْ صرامِ لكم صراها

❁ وصرام اسم من أسماء الداهية [217] ، وأُنشد لها بيت الكميت السابق ، وكذلك قول الشاعر[218] :

ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً ومولاهم فقد حلبت صرامِ

والداهية والحرب متقاربان ؛ لذا جاز إطلاق صرام عليهما جميعاً.

٧٩. **صَلاَحِ**

وصلاح اسم عَلَم لمكَّة المشرَّفة ، مأخوذة من الصُّلح ، لقوله تعالى : ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼالقصص: ٥٧ ، أو أنها من الصلاح[219] ، ومنهم من يصرفها ، كقول حرب بن أمية[220] :

أبا مطرٍ هلمَّ إلى صلاحٍ فتكفيك الندامى من قريش

والأصل فيها البناء على الكسر كقطام[221] ، ومنه قول الشاعر[222]:

منا الذي بصلاحِ قام مؤذناً ولم يستكنْ لتهدُّد وتنمُّرِ

٨٠. **صَمَامِ**

❁ ومن أمثالهم : صمِّي صَمَامِ ، وهي الداهية الشديدة ، والمعنى زيدي يا داهية ، وصَمَامِ معدولة عن صامّة [223] ؛ لذا فسرها بعضهم بأنِ اخرسي يا داهية ، وقد استُعملت في الداهية مجازاً ؛ وإنما أصل صَمَام هي الحية الصمّاء التي لا تجيب الرقى ، ومن أمثالهم صَمِّي ابنة الجبل [224] ، وهو خطابٌ للحية –أيضاً– لأنها تسكن الجبل ، وهم كذلك يوقعونه مثلا على الداهية الشديدة ، ومما جاء شاهداً على الداهية قول الأسود بن يعفر[225]:

فرَّت يهود وأسلمت جيرانها صَمِّي لما لقيت يهود صمامِ

وقال دريد بن الصمّة[226] :

متى كان الملوكُ لكم قطيناً علي ولايةٌ صَمِّي صمام

❁ وصَمَامِ صَمَام ، اسم فعل أمرٍ ، معناه : تصامُّوا في السكوت ، أو احملوا على العدوّ[227].

٨١. **صَرَابِ**

وضراب بمعنى اضربْ ، اسم فعلِ أمرٍ [228] .

٨٢. **ضَراحِ**

ضراحِ بمعنى اضرَحْ ؛ أي: الأمر ، ومعناه : أبعدْه أو ارمِ به في ناحيةٍ أو ادفعه[229] .

٨٣. **ضَرامِ**

ضرامِ اسم من أسماء الحرب [230] ، مأخوذة من الضِّرام ، وهو اشتعال النار .

٨٤. **ضَعَاطِ**

ضعاط بالعين اسم موضع ذكره السيوطي [231] ، وأكبر الظن هي مصحَّفة عن ((ضغاط)) الآتية بعدها .

٨٥. **ضَغَاطِ**

ضغاط اسم موضعٍ ، مأخوذ من الضغْط ، وهو الحصر الشديد ، وفيه نظر؛ إذ ضبطه بعضهم بضم الضاد ؛ أي : ضُغَاط[232] .

٨٦. **ضَمَارِ**

ضمارِ اسم موضع ، كانت فيه وقعة لبني هلال [233] ، ولعلَّه قبل العلمية كان اسم فعل أمرٍ بمعنى اضمُر [234] .

٨٧. **ضَمَامِ**

ضمامِ اسم للداهية [235] ، وأكبر الظن أنه تصحيف لـ ((صَمَامِ)) السابقة ، قال صاحب التهذيب : ((العرب تقول للداهية صَمِّي صَمَامِ بالصاد ، وأحسب الليث أو غيره صحَّفوه ، فجعلوا الصاد ضاداً ، ولم أسمع الضم والضمام في أسماء الدواهي))[236].

٨٨. **طَبارِ**

((ويقال : وقع في بنت طبارِ ؛ أي : في دواهٍ)) [237] ، فطبار اسم من أسماء الداهية.

٨٩. **طَمارِ**

- طمارِ لغة في طبارِ؛ أي : هي الداهية [238]، يقولون ((رماه الله ببنت طمارِ))[239]

ولعلها من الإبدال اللغوي ؛ إذ بين الباء والميم علاقة صوتية ، فهما من مخرج واحدٍ، وهو الشفتان .

- وطمارِ : اسم للمكان المرتفع ، يقولون انصبَّ عليه من طمارِ ،مأخوذ من طمر إذا وثبت عالياً [240] أو هو من علو إلى سفل . وأُنشد في مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة[241] :

فإن كنتِ ما تدرين ما الموت فانظري   إلى هانئٍ في السوق وابن عقيل
إلى بطلٍ قد عقَّد السيفُ وجهَهُ   وآخر يهوي من طمار قتيل

- وابنا طمار : جبلان معروفان بين ذات عرق وبين الستار [242] .
- وابنتا طمار : ثنِيَّتان في الموضع السابق [243] ، قال وردٌ العنبري[244] :

حتى بدا الطودُ لهن الهاري   ابنا طُمُر وابنتا طمار

وقيل بنتا طمار هضبتان عاليتان في جبلٍ بدمشق[245].

٩٠. **طَمامِ**

((طمام مدينة قرب حضرموت ، وبها جبل منيفٌ شامخ)) [246] .

٩١. **ظفارِ**

❁ ظفار مدينة باليمن يُنسب إليها الخَزْع [247] الظفاري ومنهم من يمنعها من الصرف للعلمية والتأنيث[248] ، وفي المثل ((من دخل ظفار حمَّر)) [249] ؛ أي تعلَّم لغتهم الحميرية[250] .

❁ وقيل كلُّ أرضٍ ذات مغرة [251] ظفار [252] .

٩٢. **عَبَاب**

وقولهم لا عباب؛ أي : لا تعُبَّ في الماء ، وعباب الماء أولهُ ومعظمه [253].

ومنه قولهم أيضاً :إذا أصابت الظِّباء الماء فلا عباب ، وإن لم تصبه فلا أباب ؛ أي: إن وجدته لم تعُبَّ ، وإن لم تجده لم تأتبَّ ؛ أي لم تتهيأ لطلبه ولا لشربه [254]– وقد سبق ذكر أباب في أول المعجم .

٩٣. **عثام**

عَثَامِ من أسماء الضبع [255] ، وفيه دليل على اختصاص فعال بالأنثى ؛ إذ ذكر الضبع يسمَّى عيثوم[256] .

٩٤. **عَرَاد**

عَراد اسم فعل أمر [257] ، لعلَّه مأخوذ من العَرْدِ ، وهو ((الصُّلْب الشديدُ المنتصب من كلِّ شيء)) [258] ، فيكون عراد بمعنى اعردْ ؛ أي انتصب بشدَّة وصلابة .

٩٥. **عَرارِ**

❁ عَرار اسم بَقَرة ، وفي المثل باءَت عرار بكَحْلٍ ، وعرار بقرة وكحل ثور كانا كسبطين لبني إسرائيل ، فعُقر كحل وعُقِرت به عرار ، فوقعت الحرب بينهما حتى تفانوا ، وهو مثل يضرب في التساوي بين شيئين[259] ، وأُنشد[260]:

باءت عرار بكحلٍ والرفاق معاً فلا تمنَّوا أمانيَّ الأضاليل

❁ وقيل: عرار وكحل علمان مؤنثان على السنة الشديدة التي تعرُّ الناس بالشرّ [261].

٩٦. **عَطامِ**

عطام اسم موضع [262] ، لعلها مأخوذة من العُطْم ، وهو الصوف المنفوش[263] .

٩٧. **عَفالِ**

يقال للأمة ياعفال شتمٌ لها [264] ، مأخوذٌ من العَفَلة وهي بظارة ، وقيل لحم ينبُت في قُبُل المرأة ، وهو الذي يسمَّى القَرْن[265] .

٩٨. **عقاق**

عقاقٍ اسمٌ من العقوق [266] ، فيكون اسم مصدرٍ معدول عن مصدر ، والأَوْلى أن يكون ذلك المصدر مؤنثاً معرفةً ، كفجار معدول عن الفجرة ، ويسار عن الميسرة[267] ، ودليل تأنيث عقاق قول عَمْرة بنت دريد ترثيه[268]:

لعمرك ما خشيتُ على دريدٍ ببطن سميرةٍ جيشَ العناق
جزى عنّا الإلهُ بني سُلَيمٍ وعقَّتهم بما فعلوا عقاقِ

فأنثت عقاق بقولها عقَّتْهم .

٩٩. **عَلاَقِ**

علاق اسم فعلِ أمرٍ بمعنى تعلَّقْ به [269].

١٠٠. **عَوَاد**

عواد اسم فعل أمرٍ بمعنى عُدْ [270] .

١٠١. **غَثَارِ**

غثار: الضبعة وكذلك غثراء ؛ وذلك للونها ، مأخوذة من الغُثْرة ، وهو لون يخالطه سواد وصفرة ، قريب الى الغُبْرة[271] .

١٠٢. **غَدَارِ**

يقال : يا غدارِ للمرأة ؛ أي يا غدَّارة [272] ، مختصَّة بالنداء[273] .

١٠٣. **غَرازِ**

غرازِ اسم موضع ، وقد يُصرف كسحابٍ [274] .

١٠٤. **غلابِ**

غلابِ اسم امرأة ، وهي جدَّة لبني الحارث بن أوس ، ويُسمَّون ببني غلابِ معدولة عن غالبة ، ومنهم من يمنعها من الصرف[275] .

١٠٥. **غَلاَقِ**

عينُ غلاقِ موضعٌ [276] .

١٠٦. **فَجَارِ**

۞ فجارِ اسم مصدر للفجرة معدولٌ عنها [277] ، قال النابغة[278] :

إنا اقتسمنا خطَّتَينا بيننا فحملتُ برّةَ واحتملتَ فجارِ

۞ ويا فجارِ شتمٌ للمرأة معدولٌ عن فاجرة [279] .

١٠٧. **فَسَاقِ**

ويقال : يا فساقِ للمرأة ؛ أي : يا فاسقة [280] ، شتمٌ لها .

١٠٨. **فشاحِ**

فشاح من أسماء الضبع [281] ، كأنها من التفشُّح وهو التفريج بين الرجلين [282]، ووردت قشاح – وستأتي – ولا يُدرى أيهما تصحيف عن الأخرى ، أو أن كلتيهما من أسماء الضبع ؛ لأن صاحب القاموس ذكرهما الاثنتين[283] .

١٠٩. **فشاشِ**

وفشاشِ المرأة الفاشَّة ؛ أي الضَّرُوط عند الجماع [284] وفي المثل : فشاش فُشِّيه من استه إلى فيه ، يضرب للرجل إذا غضب ، ولم يقدر على شيء ، وفشيه

من استه إلى فيه ؛ أي : افعلي به ما شئت فما به انتصار مأخوذ من الفشِّ ؛ أي أخرجي ريحه مجازاً في إخراج الغضب[285] .

١١٠. **فَعَالِ**

۞ فَعَالِ : للمرأة معدول عن فاعلة [286] .

۞ وفعالِ : بمعنى افعلْ ؛ أي الأمر [287].

١١١. **فَغَارِ**

يقال طعنة فَغَار؛ أي نافذة [288] ، كأنها مأخوذة من فغر المرء فاه ، للذي واسع الفم[289] ، فشبِّهت الطعنة النافذة بالفم الواسع .

١١٢. **فَيَاحِ**

فياحِ اسم للغارة مأخوذة من فاحت الطعنة بالدم ، إذا انفجرت ، وقيل: مأخوذة من الانتشار ، فهو اسم تُنادى به الغارة المشُعَّة المنتشرة [290] ، وفي المثل : يقال للغارة فيحي فياحِ ؛ أي : اتسعي وتفرَّقي أيتها الخيل لتحيطي بالحي [291] ، قال الشاعر[292]:

دفعْنا الخيلَ شائلةً عليهم وقلنا بالضحى فيحي فياحِ

هذا على تفسير الانتشار، أما على فاحت الطعنة فالنداء في المثل للحرب ؛ أي: سيلي بالدماء أيتها الحرب السيَّالة[293] .

١١٣. **قثامِ**

۞ تسمَّى الضبع الأنثى قثام على أقوالٍ مختلفة :

الأول : من القثم ؛ أي : البطء في المشي ، فلبطئها في مشيها ، وكذلك الذكر يقال له يا قُثَمِ ، وهو يقثم في مشيه[294] .

الثاني : أنها سميت قثام لكسبها ، وهو يقثم أي يكسب ، وسمِّي الضبع أبا كاسب ، وهو الصحيح عند صاحب اللسان[295] .

الثالث : وقيل سميت قثامِ لأنها تقثم ؛ أي : تقطع [296] ، وسيأتي بهذا المعنى اسم فعل الأمر قثام بمعنى اقثم .

الرابع : أنها قثام لتلطُّخها بجعرها مأخوذة من القثم وهو لطخ الجعر [297] ، وأنا أرجِّحه لأنهم قالوا للأمة يا قثام كما يقال يا دفار [298] شتماً لها لنتن ريحها ، ونتن الريح لا يتفق إلاَّ مع القول الرابع .

- وقثام بمعنى اقثم ، مأخوذ من قثم الشيء يقثمه قثماً واقتثمه ؛ أي : جمعه واجترفه[299] .
- ويا قثامِ للأمة كما يقال لها يا دفار [300] شتم لها .
- ويقال للغنيمة الكثيرة قثامِ اسمٌ لها [301] ، كأنها من القثم الذي هو الجمع والاجتراف.

١١٤. قَدَامِ

- قدامِ منهلٌ بالبحرين [302]
- وقدامِ اسمُ فرس عروة بن سنان العبديّ ، و أيضا فرسُ عبد الله بن العجلان النهدي[303] .
- وقدام اسم كلبةٍ [304]، قال الشاعر[305] :

وترمَّلَتْ بدمٍ قدامِ وقد أوفى اللحاقَ وحانَ مصرعُهُ

١١٥. قَسَامِ

قسامِ فرسُ سويد بن شدّاد العبشميّ [306] .

١١٦. قشاحِ

من أسماء الضبع قَشَاحِ [307] ، كأنها مأخوذة من القُشاح ، وهو الشيء اليابس[308] .

١١٧. قطاطِ

((ويقولون قطاطِ بمعنى حسبي)) [309] ، قال الشاعر[310] :

أطلتُ فِراطهم حتى إذا ما قتلتُ سراتَهم كانتْ قطاطِ

((أي كانت تلك الفعلة كافية وقاطَّة لثأري : أي : قاطعة له)) [311] ؛ إذ قطاطِ معدولة عن قاطَّة ، وهي مأخوذة من القطّ الذي بمعنى القطع[312] .

١١٨. قَطَافِ

وقطافِ من أسماء الأمَة [313] .

١١٩. قَقَاسِ

قفاسِ الأمة اللئيمة الرديئة ، ومثلها قفساء نعتٌ للأمةِ خاصة ، ولا تُنعت به الحُرّة[314] .

١٢٠. قَلَابِ

قلاب من القلب مثل نزالِ [315] ؛ أي: اقلبْ ، ((وفي المثل : اقلبي قلابِ ، يُضرب للرجل يقلب لسانه ، فيضعه حيثُ شاء)) [316] لفصاحته[317] ، وقيل : هو ((مثل يضرب للرجل تكون منه السقطة ، فيتداركها بأن يقلبها عن جهتها ، ويصرفها إلى غير معناها))[318].

١٢١. قَمَارِ

قَمَارِ جزيرة من جزائر الهند ، ينسب إليها العود القماريّ [319] .

١٢٢. قوالِ

قوالِ للأمر ، بمعنى قُلْ [320] .

١٢٣. كرارِ

كرارِ خرَزَة تأخذ النساءُ أزواجَهن بها ، تقول الساحرة: يا كرارِ كُرِّيه ويا همرة اهمريه[321] ، إن أقبل فَسُرِّيه ، وإن أدبر فضُرِّيه [322] ، كأنها مأخوذة من الكرِّ ؛ أي: إنْ أقبل زوجُها إليها فَسُرِّيه .

١٢٤. كزازِ

❁ كزاز فرسٌ للحصين بن علقمة السُّلَمي [323].

❁ ((وكزاز الشيءَ بمعنى كُزَّهُ ؛ أي : ضَيِّقْهُ)) [324] ، فهو من فعالِ الأمرية .

١٢٥. كسابِ

كساب اسم كلبةٍ ، معدولة عن كاسبة ، تفاؤلا بالكسب والاكتساب [325] ، وقيل: هي اسم للذئبة[326] .

١٢٦. كفافِ

يقولون : دعني كفافِ ؛ أي : كُفَّ عنِّي وأكفَّ عنك [327] ، ومنه قول رؤبة لأبيه العجاج[328] :

فليتَ حظِّي من نداك الضافي　　والفضلِ أن تتركني كفافِ

وقد يأتي معرباً[329] ، ومنه قول الأُبَيْرِد اليربوعي[330] :

ألا ليت حَظِّي من غُدانةَ أنَّه　　يكون كفافاً لا عليَّ ولا لِيا

١٢٧. كَلاَحِ

وكلاح اسم علمٍ للسنة الشديدة المجدبة ، معدولة عن كالحة [331] ، وقد يُقالُ بضمّ الكاف ، ومنه قول لبيد[332] :

كان غياثَ المرمِلِ المُمْتَاحِ　　وعصمةً في السَّنَةِ الكُلاَحِ

١٢٨. لَبابِ

ويقولون للرجل : لبابِ لبابِ ؛ أي : لا بأسَ عليك ، تعطُّفاً عليه ، قيل : ذلك بلغة حمير[333] ، مأخوذ من اللبلبة ، هي الشفقة على الإنسان[334] .

١٢٩. لَحاصِ

❁ لحاصِ معدولةٌ عن ملتحِصة ، مأخوذة من قولك : قد لَحَص في هذا الأمر ، إذا نشب فيه ، ولم يكد ينحلَّ عنه[335] ؛ قال أمية بن أبي عائذ الهذلي[336]

قد كنتُ خرَّاجاً وَلُوجاً صَيْرِفاً　　لم تلتحصْني حيصُ بيصٍ لحاصِ

لذلك قالوا هي اسم للشدَّة والداهية[337] .

❁ ((ولحاصِ أيضاً السنة الشديدة)) [338]، ولا شكَّ أن مرجعها إلى المعنى الأول؛ لأن السنة الشديدة تلجئك إلى أمرٍ لا تكاد تنفكُّ عنه .

١٣٠. لزامِ

وقالوا : سببتُه سُبَّةً تكون لزامِ ؛ أي : تكون لازمةً له [339] ، فهي معدولة عن لازمة ، وكذلك قولهم : ((صار الأمر عليه لزامِ . . . أي : صار هذا الأمر لازماً له)) [340] ، وكذلك قالوا: ((لأضربنَّك ضربةً تكون لزامِ يا هذا)) [341] ؛ أي : ((ضربةً يُذكَرُ بها فتكون له لزاماً))[342] .

١٣١. لَصَافِ

لصافِ ((اسم ماء في موضع بين مكة والبصرة ، لبني يربوع من قبيلة تميم)) [343] ، وأصل اشتقاقها أنها معدولة عن لاصفة ، وهي ((الأرضُ أو البقعة يكثر فيها اللصف ، قال أبو عبيد (ت 244 هـ) اللصف شيء ينبتُ في أصل الكُبَر [344] كأنه خيار ...)) [345] وقيل غير ذلك ، وذُكرت في الشعر ، قال عبد ناجرٍ الإيادي[346]:

إن لصافاً لا لصافِ فاصبري　　إذ حقَّق الركبان موت المندر

فصرَفها ، قال النابغة[347] :

بمصطحباتٍ من لصافِ وثبرة　　يزرن ألالاً سيرُهنَّ تدافع

وثبرةِ ماء أيضاً[348] ، وقال أبو المهوس الأسدي[349] :

قد كنت أحسبكم أسودَ خفيّةٍ فإذا لصاف تبيضُ فيها الحُمَّرُ

١٣٢. لَطَاطِ

لطَاط ((السنةُ الساترة عن العطاء الحاجبةُ ، مأخوذٌ من التطَّت المرأةُ ؛ أي : استترت))[350] ، قال المتنخَّل[351]:

وأُعطي غيرَ منزورٍ تِلادي إذا التطَّتْ لدى بَخَلٍ لطاطِ

١٣٣. لكاعِ

۞ لكاع الأمةُ اللئيمة والحمقاء [352] ، تقال في النداء سبّاً لها ، قال الشاعر[353]:

عليكِ بأمرِ نفسكِ يالكاعِ فما من كان مرعيًّا كراعي

وقال الشاعر أيضاً[354] :

أطّوف ما أطوّف ثم آوي إلى بيتٍ قعيدتُهلكاعِ

وأسقط حرف النداء ضرورةً[355] .

۞ وقيل لكاع الأمة السفلة الدنيئة [356] وهي قريبة من المعنى الأول ، ((وفي حديث ابن عمر [رضي الله عنهما] أنه قال لمولاةٍ له أرادت الخروج من المدينة **اقعدي لكاع**))[357] ((ويروى [أيضاً] عن عمر (ﷺ) أنه كان إذا رأى أمةً متقنِّعة ضربها بالدرَّة ، وقال : **يالكاع أتتشبَّهين بالحرائر ، يقول : اكشفي رأسكِ**))[358]

١٣٤. لَماسِ

وفي المثل : كَوَاهُ لماسِ ؛ أي : أصاب موضع دائه ، مأخوذة من التلَمُّس ؛ أي وقع على داء الرجل أو على ما كان يكتمُ[359] .

١٣٥. مَسَاسِ

والعرب تقول : لا مَسَاسِ يا فتى ؛ أي : لا مماسَّة ومخالطة ، فهو معدولٌ عن مصدر [360] ، ومنه قراءة ((لا مَساسِ)) [361] في قوله تعالى: **چ ۋ ۅ ۉ ې ې ى ى ئا ئە چ** [طه / 97] ، وكذلك قول العرب : لا حساس ولا مساسِ ، في النفي[362] عن المحاسّة والمماسَّة .

١٣٦. مَسَاكِ

۞ مَسَاكِ اسم فعل أمرٍ بمعنى امسك كنزالِ وغيرها [363] .

۞ وقولهم لاَمَسَاكِ عن كذا وكذا ؛ أي : لا تماسُكَ عنه [364] .

١٣٧. مَطَارِ

مَطَارِ مُؤنثة : موضع في ديار بني تميم ، وقيل : بين ديار بني بكرٍ وديار بني تميم[365] ، قال أوس بن حجر [366] :

فبطن السَّليِّ فالسِّخال تعذَّرت فمعقُلة إلى مطار فواحفُ

وكذلك قول ذي الرمة[367]:

إذا لعبت بُهمى مطار فواحفٍ كلِعْب الجواري واضمحلَّت ثمائلُه

((مطار وواحفٌ متقابلان يقطع بينهما نهر دجلة ، والعامة تقول مطاري)) [368] ، وقال الشاعر[369] :

حتى إذا كان على مطارِ يُسراه واليُمنى على الثرثار

فهذا يدلُّ عن أنها تقع قرب الثرثار ، وهو معروف في العراق إلى هذا الحين .

١٣٨. مَلاَعِ

مَلاَعِ من أسماء الصحراء ؛ إذ يقال للأرض الواسعة مَيلع [370] ، أو هي المفازة التي لا نبات فيها ، وفي المثل : أبصر من عُقاب ملاع ، أو أخفُّ من عُقيب ملاع ؛ لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عُقاب الجبال [371] ، قال امرؤ القيس[372] :

كأنَّ دثاراً حلَّقت بلَبونِهِ عقابُ ملاعِ لا عقاب القواعلِ

والقواعل الجبال الصغار[373]

١٣٩. مَنَاعِ

❁ مناعِ اسم فعل أمرٍ بمعنى امنع [374] ، أنشد سيبويه لرجل من بكر بن وائل[375] :

مناعِها من إبلٍ مناعها … أما ترى الموتَ لدى أرباعها

❁ ومناعِ : اسم هضبة في جبل طيِّء ، ، وقيل هما مناعان [376] ، ومنه حديث النبي (ﷺ) لزيد الخيل ؛ إذ جاء مسلماً ((**أنا خيرٌ لكم من مناعِ ومن الحجر الأسود الذي تعبدونه من دون الله**))[377] .

١٤٠. نَزَافِ

نزافِ اسم فعلِ أمر بمعنى انزف [378] ، ومنه قول ابنة الجُلَنْدِيّ ملك عمان ((نزافِ نزافِ ، ولم يبق في البحر غير قُذافٍ ، أرادت انزِفْنَ الماء فلم يبق غيرُ غَرفة))[379] ، وذلك أنها ألبست السلحفاة حُلِيَّها ، فلما عامت في البحر قالت لجواريها انزفْنَ الماء لم يبق غير قذافٍ ؛ أي قليل[380]

١٤١. نَزالِ

❁ ((يقال نزالِ نزالِ – بالكسر – أي : انزلوا للحرب))[381] فهو اسم فعلِ أمر .

❁ وقد يكون اسم علمٍ للنزول [382] ، ((وقد اتفق اللغويون على أن هذا النوع من فعالِ هو مصدر معرفة مؤنث ، فيسار بمعنى الميسرة ، وحمادِ بمعنى المحمدة ، وفجار بمعنى الفجرة)) [383] ، ولعلَّ قول زهير بن أبي سلمى على هذا النوع – وإن قالوا بأمريته– إذ قال[384] :

ولنعمَ حشوُ الدرع أنت إذا … دُعيَتْ نزالِ ولجَّ في الذعر

١٤٢. نَضادِ

نضاد جبل بالعالية ، وقيل بالحجاز ، يُذكَّر ويؤنَّث [385] ، وأنا أُرجِّح التأنيث لأن فعالِ عند العرب خاصة بالمؤنث .

وبعضهم يقول نضادِ النِّير ، والنِّير جبلٌ ، ونضادِ أطول موضعٍ فيه وأعظمه، وللعرب في ذكره أشعار غير قليلة[386] ، ومنه قول ابن دارة[387]:

وأنت جنيبٌ للهوى يوم عاقلٍ … ويوم نضادِ النِّير أنت جنيبُ

والحجاز تبنيه على الكسر ، وتميم تمنعه من الصرف[388] ، قال الشاعر[389]:

لو كان من حضنٍ تضاءل متنُهُ … أو من نضادِ بكى عليه نضادُ

فبنى في الأولى ومنع في الثانية ، وصرفَه كثيِّر عزَّة فقال[390] :

كأن المطايا تتَّقي من زُبانةٍ … مناكبَ ركنٍ من نضادٍ مُلَمْلَمِ

ومن أمثالهم : أثقل من نضادِ[391] ، قال الشاعر[392] :

كأني إذا أتيتهم بفَرَقي … أتيتهم بأثقل من نضاد

١٤٣. نطاعِ

ونطاعِ ((ماء في بلاد بني تميم قد وردتُها [393] ، يقال شربَتْ إبلُنا من ماء نطاعِ ، وهي ركيَّة عذبة الماء غزيرته))[394] ، ((وكانت به وقعة بين بني سعد بن تميم ، وهوذة ابن علي الحنفي))[395] وقد أعربها ربيعة بن مقروم في قوله[396] :

وأقربُ موردٍ حيثُ راحا … أثالٌ أو غمازةُ أو نطاعُ

ولعلَّ القافية دعته إلى ذلك ؛ لأن حرف الرويّ مضموم فيها .

١٤٤. نظارِ

نظارِ اسم فعل أمرٍ بمعنى انتظر [397] .

١٤٥. نعاءِ

يقال : نعاءِ فلاناً ؛ أي : انعَ فلاناً على أنه اسم فعل أمرٍ [398] ، وكذلك قولهم: نعاء العرب ؛ أي انعَ العرب ، وبعضهم يقول : يا نعايا العرب ، وفي الحديث يا نعاءَ العرب ؛ أي : انعهم[399] ، قال الكميت[400] :

نعاءِ جذاماً غير موتٍ ولا قتلِ … ولكن فراقاً للدعائم والأصلِ

١٤٦. نقاثِ

نقاثِ الضبعُ [401] ، كأنها مأخوذة من التنقيث ، وهو الإسراع في السير .

١٤٧. نوارِ

❁ امرأة نوارِ : هي العفيفة النافرة عن الشرِّ والقبح ، من قولهم نرتُه وأنرتُه ، إذا نفرته[402] ، وهي عند تميم ممنوعة من الصرف ، قال الشاعر[403] :

حنَّت نوارِ ولات هنّا حنَّتِ   وبدا الذي كانت نوارُ أجنَّت

❁ ويقال للبقرة أيضاً نوارِ ، للتي تنفر من الفحل [404] .

١٤٨. هجاجِ

في المثل : ركب فلان هجاجِ ؛ أي : ركب رأسه ، أو ركب الباطل [405] ، قال الشاعر [406] :

قد ركبوا على لومي هجاجِ   وهجاجَيْك هاهنا وهاهنا

أي: كفّ

وقال الشاعر أيضاً[407]:

فلا يَدَعُ اللئامُ سبيلَ غيٍّ   وقد ركبوا على لومي هَجاجِ

١٤٩. هَجَاعِ

هَجَاعِ تصحيفٌ عن هجاجِ ، وهي بمعناها ؛ إذ يقولون : ركب الرجل هجاعِ[408] .

١٥٠. هَمَامِ

❁ ((يقال : لا همام ؛ أي : لا أَهُمُّ بذلك ، وجاء زيدٌ هَمَامِ ؛ أي : يَهُمُّهم)) [409] ، قال الكميت مادحاً آل البيت[410] :

عادلاً غيرَهم من الناس طُرًّا   بهم لا همامِ لي لا همامِ

❁ وهَمَامِ بكذا ؛ أي : هُمَّ به ، على الأمرِ [411] .

١٥١. وَبارِ

وبارِ أرضٌ باليمن كانت لعادٍ ، ثم غلب عليها الجنُّ ، فلا يتقارب بها أحدٌ من الناس [412] ، ((وهي فيما بين نجران وحضرموت ، وما بين بلاد مَهْرَةَ والشِّحْر ... وهي الأرضُ المذكورة في القرآن ، في قوله تعالى : **ﭽ ﯾ ﯿ ئج ئح ئم ئى ئي ﭼ** الشعراء: ١٣٣- ١٣٤))[413] ؛ لأنها كانت كثيرة الخير ، وافرة الخصب ، ومن الشعر قولهم[414]:

حذارِ من أرماحنا حذارِ   أو تجعلوا من دونكم وبارِ

وبعضهم يمنعها من الصرف ، أنشد سيبويه[415] :

ومَرَّ دهرٌ على وبارِ   فهلكت جهرةً وبارُ

لكن قال سيبويه القوافي مرفوعة[416] ، فيحتمل أن تكون ضرورة .

١٥٢. وَقَاعِ

وقاعِ كيَّةٌ تكون في أمِّ الرأس أو بين قرنَي الرأس [417] ، والكسائي لا يرى لها موضعاً معلوماً ، لكن لا تكون إلاَّ دارةً [418] ، ويقولون : كواهُ وقاعِ ، إذا كوى رأسه ، من وقعْتُه أقَعُهُ ، إذا كويته تلك الكيَّة[419] ، قال عوف بن الأحوص[420]:

وكنتُ إذا مُنِيتُ بخصم سُوءٍ   دَلَفْتُ له فأكويه وقاعِ

١٥٣. يَبَاسِ

❁ يباسِ هي السوءَةُ والعورة [421] .

❁ ((ويباسِ السافلة)) [422] .

١٥٤. يَسارِ

اسم للميسرة [423] ، أو علَمٌ لها على المعنى ، كما تقول : سبحان علم للتسبيح، وبرَّة علم للمبرَّة ، وفجار علم للفجْرة الواحدة [424] ، ويقال ((أنظرني حتى يسارِ))[425] ؛ أي: حتى حصول الميسرة ، قال الشاعر[426] :-

فقلتُ امكُثي حتى يسارِ لعلَّنا   نحجُّ معاً قالت أعاماً وقابِلُهْ

١٥٥. يَعاطِ

❁ يعاطِ زجرك الذئب ، إذا رأيته قلت : يعاطِ يعاطِ ، ويقال : يعطتُ به وأيعطت به وياعطته ، قال[427] :

صُبَّ على شاء أبي رباط   ذؤالةٌ كالأَقْدُح الأمراطِ

يدنو إذا قيل له يعاطِ))[428]

وكأنه من فعالِ الأمرية.

❁ وقيل هي زجرة في الحرب ، قال الأعشى [429] :-

لقد مُنُوا بتيِّحانٍ ساطِ   ثبْتٍ إذا قيل له : يعاطِ

❁ وكذلك قيل : هي ((كلمةٌ يُنذِرْ بها الرقيبُ أهلَه إذا رأى جيشاً ، قال المتنخل الهذلي[430] :

فهذا ثَمَّ قد علموا مكاني   إذا قال الرقيبُ : ألاَ يعاطِ))[431] .

وخصَّها بعضهم بلغة هذيل[432] .

هوامش المعجم

(١) المزهر 129/2.

(٢) خزانة الأدب 341/6 .

(٣) حققها عز الدين التنوخي ، وطبعت في مجمع اللغة العربية-بدمشق سنة 1968م، ولم نحصل عليها.

(٤) ينظر البحث في مجلة سرَّ من رأى ، المجلد/ 5 العدد/15 ، لسنة 1430هـ - 2009م

(٥) البيت ملفَّقٌ من بيتين لرؤبة بن العجاج يقول فيهما:

كَأَنَّ أَعْناق البُرَى فِي الجُدْلِ   قَوَّمْنَ ساجاً مُسْتَخَفَّ الحَمْلِ

تَنْشَقُّ أَعرافُ الأَبابِ الجَفْلِ   عَنْ صُدُعٍ يَقْمُصْنَ بَعْدَ الزَجْلِ

لكن البيتين لا أثر لهما في الديوان ينظر: المحكم والمحيط الأعظم 554/10.

(٦) لسان العرب 205/1، وينظر : تاج العروس 1/ 143 .

(٧) مجمع الأمثال 2/ 243، وينظر : لسان العرب 205/1، والقاموس المحيط/100.

(٨) لسان العرب 1/ 573 ، وينظر : القاموس المحيط/ 100 .

(٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 84/9 ، وتاج العروس 214/31- 215 ، واللطائف في اللغة /33 .

(١٠) الشاعر هو: النابغة الجعدي، ينظر: ديوانه/ 154.

(١١) شرح ديوان جميل/99.

(١٢) ديوانه1970/5.

(١٣) البيت لم أقف على قائله، ينظر: المزهر131/2.

(١٤) المزهر 131/2 .

(١٥) ينظر : القاموس المحيط /1246 .

(١٦) الصحاح 444/2 .

(١٧) ينظر : الصحاح 2/ 444 ، ولسان العرب 79/3.

(١٨) الصحاح 444/2 ، وينظر : تاج العروس 295/2.

(١٩) ينظر: لسان العرب78/3.

(٢٠) ينظر : العين 14/8، والصحاح 444/2.

(٢١) شرح ديوان حسان/164، وينظر : الصحاح 444/2.

(٢٢) لسان العرب 409/2 ، وينظر : تاج العروس 124/2 .

(٢٣) ينظر : الصحاح 355/1 ، ولسان العرب 409/2

(٢٤) غريب الحديث لابن سلام 372/4.

(٢٥) ينظر : غريب الحديث لابن سلام 372/4 ، ولسان العرب 409/2.

(٢٦) الرجز لم أقف على قائله، ينظر : غريب الحديث لابن سلام 370/4، والصحاح 356/1، ولسان العرب 2/ 409.

(٢٧) الصحاح 1575/4 ، وينظر : لسان العرب 398/10.

(٢٨) تهذيب اللغة 33/13 ، وتاج العروس 488/15.

(٢٩) لسان العرب 34/6.

(٣٠) ينظر : صيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث/3-4.

(٣١) لسان العرب 18/8 ، وينظر : القاموس المحيط / 910 ، وتاج العروس 280/5.

(٣٢) لسان العرب 18/8.

(٣٣) المصدر نفسه ، وينظر : تاج العروس 280/9.

(٣٤) المعروف أن الذال معجمة ، والدال هي المهملة ، فهذا يثبت أن بلاذِ خطأٌ مطبعي ؛ لأنه أراد ((وهي دالٌ مهملة)) وليس ((ذال)) ليصحَّ الكلام .

(٣٥) ديوانه /131وفيه قياس بدل قسي.

(٣٦) معجم ما استُعجم 271/1.

(٣٧) ينظر : الصحاح 1639/4، والنهاية في غريب الحديث 152/1، وشرح الرضي على الكافية 113/3.

(٣٨) ينظر : شرح الرضي على الكافية 113/3،وتاج العروس 233/7.

(٣٩) ديوانها/106 ، وينظر : الصحاح 1639/4 ، ولسان العرب 67/11.

(٤٠) الصحاح 2285/6.

(٤١) ينظر : لسان العرب 84/14 ، والقاموس المحيط/1632.

(٤٢) ينظر : القاموس المحيط 9/1 ، وتاج العروس 47/1.

(٤٣) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري /106 ، والصحاح 38/1.

(٤٤) ينظر : الصحاح 2082/5، ولسان العرب 61/13.

(٤٥) البيت لعاهان بن كعب ، ينظر : المصدران السابقان أنفسهما.

(٤٦) ينظر : الصحاح 598/2 ، وتاج العروس 60/3.

(٤٧) واسمه منقذ بن خنيس ، وقيل : الحرث بن عمرو ، ينظر : لسان العرب 86/4 ، وتاج العروس 3/ 60.

(٤٨) ينظر : شرح الرضي على الكافية 366/2 ، وتاج العروس 115/7.

(٤٩) ينظر : المصدران أنفسهما.

(٥٠) ينظر : شرح الرضي على الكافية 112/3 ، والقاموس المحيط 351/1.

(٥١) تاج العروس 555/2.

(٥٢) ينظر : أساس البلاغة /85 ، وتاج العروس 417/20.

(٥٣) ينظر : جمهرة الأمثال 356/2 ، والمحكم والمحيط الأعظم 306/1 ، وتاج العروس20/416-417.

(٥٤) وهو أبو حنبل الطائي ، واسمه جارية بن مُرٍّ ، ينظر : جمهرة الأمثال 356/2 ، وتاج العروس 417/20.

(٥٥) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 364/7 ، والقاموس المحيط/ 84 ، وتاج العروس 178/1 .

(٥٦) الجعر : ما يبس في الدبر من العذرة أو خرج يابساً، العين 224/1 . وينظر : لسان العرب 34/6 ، تاج العروس 102/3 .

(٥٧) لسان العرب 34/6 .

(٥٨) النهاية في غريب الحديث 197/1 .

(٥٩) النهاية في غريب الحديث 197/1 ، وينظر : غريب الحديث للخطابي 175/2 .

(٦٠) الفائق في غريب الحديث 423/3 .

(٦١) ينظر : أساس البلاغة /99 ولسان العرب 130/3، والمعجم الوسيط 133/1.

(٦٢) ديوانه/ 167 ، وينظر : الصحاح 459/2 ، وشرح الرضي على الكافية 111/3.

(٦٣) ينظر : الصحاح 459/2 ، والقاموس المحيط 284/1 .

(٦٤) المحيط في اللغة 18/2.

(٦٥) ينظر : همع الهوامع 110/1 .

(٦٦) ينظر : شرح الرضي على الكافية 111/3 ، والمزهر 130/2 ، وصيغة فَعَالِ /3-4 .

(٦٧) ينظر : جمهرة اللغة 281/1 ، والمحكم والمحيط الأعظم 22/3 .

(٦٨) ينظر : القاموس المحيط /93 ، وتاج العروس 204/1 .

(٦٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 265/3 ، والقاموس المحيط /93 .

(٧٠) ينظر : أساس البلاغة /116 ، والمزهر 131/2 .

(٧١) ينظر : المستقصى في أمثال العرب 60/2 .

(٧٢) المحكم والمحيط الأعظم 507/2 .

(٧٣) المصدر نفسه .

(٧٤) العين 199/3-200 ، وينظر : لسان العرب 176/4 .

(٧٥) ينظر : الكتاب 271/3 ، والعين 199/3-200 ، وينظر : لسان العرب 176/4 .

(٧٦) البيت لا يعرف قائله ، ونوَّنَ الأخيرة لإصلاح البيت ، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم 286/3-287 ، ولسان العرب 176/4 .

(٧٧) العين 200/3 .

(٧٨) ينظر : العين 204/3 ، ولسان العرب 409/2 .

(٧٩) البيت للنابغة الذبياني ينظر : ديوانه ، والعين 204/3 .

(٨٠) لسان العرب 118/12 .

(٨١) ينظر : المحيط في اللغة334/3 ، والمحكم والمحيط الأعظم495/2 و66/4 ، والقاموس المحيط/693 ، وتاج العروس540/15 .

(٨٢) الإتباع والمزاوجة 48/1 .

(٨٣) ينظر : المحكم123/3 ، وتاج العروس45/11

(٨٤) البيت لا يعرف قائله ، والفرود نجوم تخفى حول حضارٍ ، يريد أن النار تخفى لبعدها ، ينظر : المحكم والمحيط الأعظم308/9 .

(٨٥) غريب الحديث لابن قتيبة 285/1 ، والصحاح 196/2 ، والمحكم والمحيط الأعظم345/3 ، وتاج العروس44/11 .

(٨٦) العين102/3.

(٨٧) المحيط في اللغة407/3 ، والقاموس المحيط/482.

(٨٨) ينظر : جمهرة اللغة 558/1 ، والمحكم والمحيط الأعظم 10/3 ، وأساس البلاغة/139.

(٨٩) ينظر : المصادر أنفسها ، وتاج العروس423/16.

(٩٠) كتاب سيبويه 273/3 .

(٩١) ديوانه/58 ، وينظر :كتاب سيبويه 274/3 ، والمحكم والمحيط الأعظم10/3.

(٩٢) ينظر : الصحاح 22/2 ، وأوضح المسالك 200/3-201 ، وتاج العروس40/8 ، وخزانة الأدب 316/6 .

(٩٣) سبق تخريج البيت في جَمَادِ .

(٩٤) ينظر : لسان العرب 485/3 ، وتاج العروس 398/9 ، والمعجم الوسيط 202/1 .

(٩٥) المحكم والمحيط الأعظم 290/3 .

(٩٦) تاج العروس 398/9 .

(٩٧) ينظر : أساس البلاغة / 149 ، لسان العرب 159/3 ، والمعجم الوسيط 211/1 .

(٩٨) ينظر : البيان والتبيين 240/1 ، ولسان العرب 159/3 ، وتاج العروس 50/8 .

(٩٩) المعجم الوسيط 214/1 ، وينظر :العين 249/4 ، وصيغة فَعَالِ واختصاصها بالمؤنث م 5 ع 15ص3-4

(١٠٠) ينظر : الفائق 353/1 ، والنهاية في غريب الحديث 6/2 ،وصيغة فَعَالِ م 5/ ع15 / ص3-4 .

(١٠١) النهاية في غريب الحديث 6/2 ، والمضّ كالمصّ ، ينظر: 338/4 من المصدر نفسه.

(١٠٢) ينظر : معجم البلدان 343/2 ، وتاج العروس 170/17 .

(١٠٣) المحكم المحيط الأعظم 532/4 ، وينظر : لسان العرب 10/ 73 ، والأمالي في لغة العرب 128/1 .

(١٠٤) مقاييس اللغة165/2 .

(١٠٥) ينظر : تهذيب اللغة 7/ 28 ، والمحكم والمحيط الأعظم 5/ 5 ، ولسان العرب 254/2 ، وكأن هذه اللعبة هي التي يتداولها إلى الآن فتيان العرب بعد العشاء – كما ورد في بيت أبي ذؤيب الآتي – إذ يخفون خاتماً في يد أحدهم ، ويطلب من الفرقة الثانية إخراجه ، لذا تدعى بلعبة ((المحيبس)) في العراق ، إشارة إلى المحبس ؛ أي : الخاتم .

(١٠٦) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 5/5 ، ولسان العرب 2 / 253 .

(١٠٧) ديوانه53/1 ، ينظر : المحكم 5 / 6 ، وتهذيب اللغة 28/7 .

(١٠٨) ينظر : المحكم 6/5 ، ولسان العرب 2 / 253 .

(١٠٩) ينظر : معجم البلدان 2 / 364 ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا 1/ 445 ، وتاج العروس 15 / 138 .

(١١٠) ينظر : معجم البلدان 2 / 365 ، وصبح الأعشى 1 / 445 .

(١١١) البيت للبيد بن ربيعة، ينظر: ديوانه/88 ، ومعجم البلدان 2/ 365 .

(١١٢) لم أقف على قائله ، ينظر: معجم البلدان 2/ 365 .

(١١٣) ينظر : جمهرة اللغة 1/ 595 ، وتاج العروس 25 /238 .

(١١٤) لم أقف على قائله ، ينظر: لسان العرب 10 / 79 .

(١١٥) لسان العرب 10 / 79 .

(١١٦) ينظر : الحلبة في أسماء الخيل 1 /35 ، لسان العرب 9 / 74 ، والقاموس المحيط / 1040 ، وتاج العروس 23 / 216 .

(١١٧) ينظر : القاموس المحيط / 1040 .

(١١٨) ينظر : تاج العروس 23 / 216 .

(١١٩) البيت لم أقف على قائله ، وينظر : لسان العرب 9 / 74 .

(١٢٠) ينظر :مجمع الأمثال 182/1 ،والحلبة في أسماء الخيل 35/1 ، ولسان العرب 47/9.

(١٢١) ينظر : جمهرة اللغة 1 /607 ، ومجمع الأمثال 1 / 182 ، والحلبة في أسماء الخيل 1 / 35 ، وتاج العروس 23 / 220 – 221.

(١٢٢) المحكم والمحيط الأعظم 5 / 43 ، وتاج العروس 23 / 222 .

(١٢٣) المحكم والمحيط الأعظم 5/ 43 ، وجمهرة اللغة 1 / 607 ، والمفصل / 199 ، وإكمال الأعلام بتثليث الكلام 1 /187 .

(١٢٤) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : الفرق / 43 .

(١٢٥) ينظر :القاموس المحيط / 1041 .

(١٢٦) ينظر : تهذيب اللغة 7/ 111 ، وتاج العروس 23 / 229 .

(١٢٧) ينظر : لسان العرب 9 / 77 .

(١٢٨) ينظر : العين 4/ 248 ، وأساس البلاغة / 175 ، والقاموس المحيط / 216 ، والمعجم الوسيط 1 / 258 .

(١٢٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 5 /100 ، وتاج العروس 15 / 142 .

(١٣٠) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : المحكم 5 / 100 .

(١٣١) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 129 .

(١٣٢) ينظر : كتاب سيبويه 3 / 272 ، ولسان العرب 1 / 373 ، وتاج العروس 2 / 399 .

(١٣٣) ينظر : أساس البلاغة / 186 ، ولسان العرب 10 / 420 ، وتاج العروس27 / 143.

(١٣٤) ينظر : إصلاح المنطق/ 337 ، وأدب الكاتب / 171 ، والمصباح المنير / 196 .

(١٣٥) ينظر : إصلاح المنطق / 337 ، وتاج العروس 11 / 304 .

(١٣٦) كنز العمال87/3 .

(١٣٧) ينظر : تاج العروس 11 / 390 .

(١٣٨) ينظر المحكم والمحيط الأعظم 1 /122 ، والقاموس المحيط / 925 ، وتاج العروس 20 / 570 .

(١٣٩) ينظر المحكم والمحيط الأعظم 6 / 360 ، ولسان العرب 6 / 34 ، وتاج العروس 33 / 227 ، وبعبارتهم نفسها ذكرها ابن دريد لكن بالدال المهملة ينظر : جمهرة اللغة 1/ 430 .

(١٤٠) ينظر : أساس البلاغة / 205 .

(١٤١) ينظر : معجم البلدان 3 / 7 ، والنهاية في غريب الحديث 2 / 168 ، وتاج العروس 11 / 390 .

(١٤٢) ينظر : العين 8 / 185 ، ومعجم البلدان 3 / 7 .

(١٤٣) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 130 .

(١٤٤) ينظر : المحيط في اللغة146/5 ، والمزهر في علوم اللغة 2 / 129 .

(١٤٥) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 9 /159 ، وأساس البلاغة / 236 ، وتاج العروس 2 / 503 .

(١٤٦) ينظر : معجم البلدان 3 / 53 ، ولسان العرب 11 /291 ، والقاموس المحيط / 1301 ، والمعجم الوسيط 1 /357 .

(١٤٧) ينظر البيت في : لسان العرب 11/ 291 ، وتاج العروس 29 / 89 .

(١٤٨) ينظر : تهذيب اللغة 8 / 108 .

(١٤٩) ينظر : معجم البلدان 3 / 53،وضريَّة قرية قديمة في طريق مكة من البصرة من نجد .

(١٥٠) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 730 ، ولسان العرب 6 / 305 .

(١٥١) ينظر : أساس البلاغة / 245 .

(١٥٢) المحكم والمحيط الأعظم 6 /161 .

(١٥٣) ينظر : جمهرة اللغة730/2 ، والمحكم والمحيط الأعظم 6 / 161 .

(١٥٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 1 / 204 ، والقاموس المحيط / 934 ، وتاج العروس 21 / 118 .

(١٥٥) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 1 / 204 .

(١٥٦) ينظر :جمهرة اللغة 1 /336 ، وتهذيب اللغة 12 / 241، وتاج العروس 19 / 333 .

(١٥٧) ينظر : تاج العروس 19 / 333 .

(١٥٨) ينظر : المعجم الوسيط 1 / 413 .

(١٥٩) ديوان الهذليين 29/2 ، وينظر : جمهرة اللغة 1 / 336 ، وتاج العروس 19 / 333 .

(١٦٠) ينظر : جمهرة اللغة 1 / 438 ، والقاموس المحيط /285 ، وتاج العروس 6 / 456 .

(١٦١) ينظر :جمهرة اللغة 1 / 438 ، وجمهرة الأمثال 1 / 460 .

(١٦٢) ينظر : المستقصى في الأمثال العرب 1 / 177 ، والقاموس المحيط / 124 ، وتاج العروس 3 / 53 .

(١٦٣) ينظر : القاموس المحيط / 124 ،وتاج العروس 3 / 53 .

(١٦٤) ينظر : الحلبة في أسماء الخيل / 49 ، والقاموس المحيط / 286 ،وتاج العروس 6 / 467 .

(١٦٥) الأمالي في لغة العرب 3 / 83 ، ومعجم البلدان 3 /223 ، ولسان العرب 4 /371 .

(١٦٦) ديوانه ، وينظر : مجمع الأمثال 2 /435 .

(١٦٧) ينظر: مجمع الأمثال 2 / 435 ، ومعجم البلدان 3 / 223 .

(١٦٨) البيت لحريث بن سلمة ، ينظر : الأمالي في لغة العرب 3 / 83 .

(١٦٩) ينظر : معجم البلدان 3 / 223 .

(١٧٠) ينظر : معجم البلدان 3 / 224 ، والمزهر في علوم اللغة 2 / 129 .

(١٧١) ينظر : الحلبة في أسماء الخيل / 48 ، والمحكم والمحيط الأعظم 6 / 731 ، ولسان العرب 1 / 471 .

(١٧٢) ينظر : خزانة الأدب 5 / 293 .

(١٧٣) البيت للقحيف العجلي كما في الحماسة البصرية 78/1 ، وينظر: الحلبة في أسماء الخيل / 48 ، والمحكم والمحيط الأعظم 6 / 731 .

(١٧٤) ينظر : معجم البلدان 3 / 233 ، ولسان العرب 488/2، والقاموس المحيط /287 .

(١٧٥) ينظر: المستدرك على الصحيحين 556/4 ، وصحيح ابن حبان 174/15، ولسان العرب488/2.

(١٧٦) ينظر : معجم البلدان 3 / 233 ، والقاموس المحيط /287 .

(١٧٧) ينظر: المعجم الوسيط441/1.

(١٧٨) ينظر: الصحاح 376/3، ولسان العرب163/8، وتاج العروس233/21.

(١٧٩) البيت لا يعرف قائله ، ينظر: الجمل في النحو / 203 ، ولسان العرب163/8.

(١٨٠) ينظر: العين 30/6 ، ومقاييس اللغة 3/ 245 ، والقاموس المحيط / 426 ، تاج العروس 9/ 421 .

(١٨١) البيت لِعَمْرو بن حُمَيْل ، ينظر: تاج العروس 65/31.

(١٨٢) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 8 / 102 ، ومعجم ما استعجم 3 / 786 ، ومعجم البلدان 3 / 329 ، وتاج العروس 38 / 370 .

(١٨٣) شعر النمر بن تولب/ 363 ، وينظر : معجم ما استعجم 3 / 786 ، وتاج العروس 38 / 370 .

(١٨٤) وهو الذي أرجحه لمجيئه مع يذبل في بيت النمر بن تولب ، ويذبل اسم جبل في طريق اليمامة ، ينظر : معجم البلدان 1 / 128 .

(١٨٥) معجم ما استعجم 3 / 786 .

(١٨٦) ينظر : تهذيب اللغة 11 / 205 ، والمحكم والمحيط الأعظم 8 / 4 .

(١٨٧) ينظر : تهذيب اللغة 11 / 205 ، وصيغة فعالِ / 4 .

(١٨٨) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 8 / 46 ، والفائق 2 / 238 ، ومعجم ما استعجم 3 / 788، ومعجم البلدان 3 / 331 .

(١٨٩) البيت لزميل بن زامل الفزاري ، ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 8 / 46 ، ومعجم البلدان 3 / 331 .

(١٩٠) ينظر : معجم ما استعجم 3 / 788 ، ومعجم البلدان 3 / 331.

(١٩١) ينظر : العين 253/6 ، وإكمال الأعلام 2 /333 ، وتاج العروس 23 / 500 .

(١٩٢) ينظر : معجم البلدان 3 /331 .

(١٩٣) تاج العروس 23 / 500 ، ينظر : معجم البلدان 3 / 331 .

(١٩٤) شرح ديوان المثقب العبدي/ 56 ، وينظر : الفائق 2 /238 ، تاج العروس 23 / 500.

(١٩٥) ينظر : إكمال الأعلام 2 /333 ، وتاج العروس 23 /500 .

(١٩٦) ديوانه/ 460 ، وينظر : معجم البلدان 35 / 331 ، ومعجم ما استعجم 3 /788 .

(١٩٧) ينظر : تاج العروس 12 / 205 .

(١٩٨) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 /129 .

(١٩٩) ينظر : المصدر نفسه .

(٢٠٠) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 729 ، ومعجم البلدان 3 / 352 ، وتاج العروس 12 /215.

(٢٠١) ذُكر البيت في سَفَار بالسين – وقد سبق – والصحيح ما في الديوان وهو.........

(٢٠٢) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 7 /616 ، ولسان العرب 11 / 361 ، والقاموس المحيط / 1318 .

(٢٠٣) ينظر : معجم ما استعجم 3 / 807 ، ومعجم البلدان 3 / 361 ، وتاج العروس 32 / 477 .

(٢٠٤) ديوانه/467، وينظر : معجم ما استعجم 3 / 807 .

(٢٠٥) ديوانه/ 140وفيه المغلى بدل المعلى وهو تصحيف ،وينظر : معجم ما استعجم 3 / 808 .

(٢٠٦) ينظر : العين 6 /224 ، ومعجم ما استعجم 3 / 808 ، والمستقصى من أمثال العرب 1 / 227 .

(٢٠٧) ديوانه/267 ، وينظر : معجم ما استعجم 3 / 808 .

(٢٠٨) ديوانه/130 ، وينظر : تاج العروس 32 / 477 .

(٢٠٩) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : تاج العروس 32 / 477 ، والمستقصى من أمثال العرب 227/1 .

(٢١٠) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 131 .

(٢١١) خزانة الأدب 2 / 43 .

(٢١٢) ينظر : معجم البلدان 3 / 398 ، والمزهر في علوم اللغة 2 / 129 .

(٢١٣) البيت لأبي الهيثم ، ينظر : معجم البلدان 3 / 398 – 399 .

(٢١٤) ينظر : العين 7 / 121 ، وتهذيب اللغة 12 / 131 .

(٢١٥) ديوانه/32 ، وينظر : العين 7 / 121 .

(٢١٦) ديوانه/183، وينظر : مجمع الأمثال 1 / 216 ، ولسان العرب 12/ 337.

(٢١٧) ينظر : لسان العرب 12 / 337 ، وتاج العروس 32 / 504 .

(٢١٨) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : مجمع الأمثال 1 / 216 .

(٢١٩) ينظر : ومعجم ما استعجم 1 / 269، لسان العرب 2 / 517 .

(٢٢٠) ينظر البيت في : لسان العرب 2 / 517 .

(٢٢١) ينظر : لسان العرب 2 / 517 .

(٢٢٢) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : لسان العرب 2 /517 .

(٢٢٣) ينظر : جمهرة اللغة 1 /144 ، وتهذيب اللغة 12 / 89 ، وأساس البلاغة /362 ، والمفصل / 200 ، والقاموس المحيط / 1459.

(٢٢٤) ينظر : تهذيب اللغة 12 / 89 ، وأساس البلاغة / 362 ، والمستقصى في أمثال العرب 2 / 143، وفصل المقال/474 .

(٢٢٥) ديوانه/61 ،وينظر : جمهرة اللغة 1 / 144 ، وتاج العروس 32 / 514 .

(٢٢٦) ديوانه/157 ، وينظر : المستقصى في أمثال العرب 2 / 143 .

(٢٢٧) ينظر : العين 7 / 92 ، والصحاح 5 /1967 ، وتاج العروس 32 / 515.

(٢٢٨) ينظر : شرح ابن عقيل 3 / 305 ، والمزهر في علوم اللغة 2 / 129 .

(٢٢٩) ينظر : إكمال الأعلام 2 / 375 ، وتاج العروس 6 / 567 ، والمعجم الوسيط 1 / 537 .

(٢٣٠) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 129 .

(٢٣١) المصدر نفسه .

(٢٣٢) ينظر : معجم البلدان 3 / 459 ،ومعجم ما استعجم 3 / 878، ولسان العرب 7 / 343، وتاج العروس 19 / 451 .

(٢٣٣) ينظر : معجم البلدان 3 / 462 ، وتاج العروس 12 / 407 .

(٢٣٤) ينظر : معجم البلدان 3 /462 .

(٢٣٥) ينظر : همع الهوامع 1 / 110 .

(٢٣٦) تهذيب اللغة 11 / 331 ، وينظر : العين 7 / 17 ، وهمع الهوامع 1 /110 – هامش المحقق .

(٢٣٧) المزهر في علوم اللغة 2 /129 ، وينظر : المفصل / 199 ، والقاموس المحيط / 552 .
(٢٣٨) ينظر : جمهرة الأمثال 1 / 42 ، والمفصل /199 ، والمزهر في علوم اللغة 1 / 406 ، وتاج العروس 12 / 433 .
(٢٣٩) المفصل /199 .
(٢٤٠) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 759 والصحاح289/2 ، والمحكم والمحيط الأعظم 9 / 136 ، ومعجم البلدان 4 / 40 .
(٢٤١) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : المصدران السابقان أنفسهما .
(٢٤٢) ينظر : معجم ما استعجم 3 / 894 ، ومعجم البلدان 4 /41 .
(٢٤٣) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 759 ، ومعجم ما استعجم 3 / 894 .
(٢٤٤) ينظر : معجم ما استعجم 3 /894 ، وتاج العروس 12 / 433 .
(٢٤٥) ينظر القاموس المحيط /553 ، ومعجم ما استعجم 3 / 894 .
(٢٤٦) معجم ما استعجم 3 / 894 ، معجم البلدان 4 / 41 ، المزهر في علوم اللغة 2 /129.
(٢٤٧) الجزع :- جمع واحدهُ جَزْعة من الخرز . قال امرؤ ألقيس :

كأنَّ عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقَّب

(٢٤٨) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب 2 / 34 ، وجمهرة اللغة 2 / 762 ، ومعجم البلدان 4 / 60 ، ولسان العرب 4 / 519 .
(٢٤٩) ينظر : مجمع الأمثال 6 / 306 ، وإصلاح المنطق / 162 ، والمستقصى في أمثال العرب 2 /355 ، والنهاية في غريب الحديث 3 / 158 .
(٢٥٠) ينظر : إصلاح المنطق /162 ، والخصائص 2 /28 .

(٢٥١) المَغْرَة : الطين الأحمر ، ينظر : مقاييس اللغة 5 / 339 ، والمحكم والمحيط الأعظم 5 / 525 .
(٢٥٢) ينظر : النهاية في غريب الحديث 3 /158 ، ولسان العرب 4 / 519 .
(٢٥٣) ينظر : لسان العرب 1 / 573 ، وتاج العروس 3 / 306 .
(٢٥٤) ينظر : تهذيب اللغة 15 / 429 ، ومجمع الأمثال 2 / 243 ، وتاج العروس 3 / 306 .
(٢٥٥) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 129 .
(٢٥٦) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 2 / 99 ، والقاموس المحيط / 1465 .
(٢٥٧) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 129 .
(٢٥٨) تاج العروس 8 / 368 .
(٢٥٩) ينظر : تهذيب اللغة 1 / 76 ، والمستقصى في أمثال العرب 2 / 2 ، و القاموس المحيط / 563 .
(٢٦٠) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : تهذيب اللغة 1 /76 .
(٢٦١) ينظر : المستقصى في أمثال العرب 2 / 2 .
(٢٦٢) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 129 .
(٢٦٣) ينظر : تهذيب اللغة 2 / 112 ، وتاج العروس 33 / 109 .
(٢٦٤) ينظر : المزهر في علوم اللغة 2 / 129 ، وتاج العروس 30 / 16 .
(٢٦٥) ينظر : تهذيب اللغة 2 / 243 – 244 ، ولسان العرب 11 / 457 .
(٢٦٦) ينظر : لسان العرب 10 / 257 ، تاج العروس 26 / 173 .
(٢٦٧) ينظر : صيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث /8 .
(٢٦٨) ينظر : لسان العرب 10 / 257 ، وتاج العروس 26 / 173 .

(٢٦٩) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 940 ، وتاج العروس 26 / 187 ، والمعجم الوسيط 2 / 622 .

(٢٧٠) ينظر : لسان العرب 3 / 316 ، تاج العروس 8 / 448 .

(٢٧١) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 5 / 482 ، وتاج العروس 13 / 200 .

(٢٧٢) ينظر :العين 4 / 390 ، والأصول في النحو 2 / 89 .

(٢٧٣) ينظر : النهاية في غريب الحديث 3 / 345 ، ومشارق الأنوار 2 / 129 ، وصيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث / 3– 4 .

(٢٧٤) ينظر : معجم البلدان 4 / 190 ، وتاج العروس 15 / 255 .

(٢٧٥) ينظر : جمهرة اللغة 1 /369 ، والمزهر 2 / 129 ، وتاج العروس 3 / 493 .

(٢٧٦) ينظر : معجم البلدان 4 / 208 ، وتاج العروس 26 / 262 .

(٢٧٧) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 7 / 396 ،والقاموس المحيط / 584 ، وتاج العروس 13 / 301 ، وصيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث /4 – 5 .

(٢٧٨) ديوانه /98

(٢٧٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 7 / 396 ، والقاموس المحيط / 584 ، وتاج العروس 13 / 300 .

(٢٨٠) ينظر : القاموس المحيط / 1185 ، وخزانة الأدب 6 / 304 ، والمعجم الوسيط 2 / 689 .

(٢٨١) ينظر : المفصل / 201 ، القاموس المحيط / 299 ، والمزهر 2 / 129 .

(٢٨٢) ينظر : القاموس المحيط /299 .

(٢٨٣) ينظر : المصدر نفسه/299 و303 .

(٢٨٤) ينظر : القاموس المحيط / 776 ، والمزهر 2 / 130 ، وتاج العروس 17 / 315 .

(٢٨٥) ينظر : مجمع الأمثال 2 /78 ، والمستقصى في أمثال العرب 2 /180 ، وتاج العروس 17 / 315 .

(٢٨٦) ينظر : لسان العرب 11 / 529 .

(٢٨٧) ينظر : لسان العرب 11 / 529 ، وتاج العروس 30 / 185 .

(٢٨٨) ينظر : القاموس المحيط /588 ، والمعجم الوسيط 2 / 696 .

(٢٨٩) ينظر : العين 4 / 406 .

(٢٩٠) ينظر :مجمع الأمثال 2 /78 ،والمستقصى 2 / 184 ، والقاموس المحيط /300.

(٢٩١) ينظر : تهذيب اللغة 5 /170و8 / 162 ، ومجمع الأمثال 2 / 77 .

(٢٩٢) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : المحكم 3/ 452 .

(٢٩٣) ينظر : المستقصى 2 / 184 .

(٢٩٤) ينظر لسان العرب 12 / 462 ، والمعجم الوسيط 2 / 716 .

(٢٩٥) ينظر : لسان العرب 12 / 462 .

(٢٩٦) ينظر : الكتاب 3 / 273 .

(٢٩٧) ينظر : العين 5 / 140 ، وجمهرة اللغة 1 / 430 ، والأفعال 3 / 39 .

(٢٩٨) ينظر :جمهرة اللغة 1 / 430 ، والمحكم والمحيط الأعظم 6 / 360 ، وتاج العروس 33 / 227 .

(٢٩٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 6 / 359 .

(٣٠٠) ينظر : جمهرة اللغة 1 / 430 ، والمحكم والمحيط الأعظم 6 / 360 ، وتاج العروس 33 / 227 .

(٣٠١) ينظر : تاج العروس 33 / 227 .
(٣٠٢) ينظر : معجم البلدان 4 / 311 .
(٣٠٣) ينظر : الحلبة في أسماء الخيل / 107 ، والقاموس المحيط / 1481 ، وتاج العروس 33 /245 .
(٣٠٤) ينظر : القاموس المحيط /1481 ، وتاج العروس 33 / 245 .
(٣٠٥) البيت لم أقف على قائله، ينظر : تاج العروس 33 /245 .
(٣٠٦) ينظر : الحلبة في أسماء الخيل / 109 ، والمزهر 2 / 129 ، وتاج العروس 33 / 273 .
(٣٠٧) ينظر : المحيط في اللغة 349/3 ، والقاموس المحيط /303 ، وتاج العروس 7 / 60 .
(٣٠٨) ينظر : القاموس المحيط / 303 ، وتاج العروس 7 / 60 .
(٣٠٩) مقاييس اللغة 5 /14 ، ينظر : تهذيب اللغة 8 / 218 ، والقاموس المحيط / 882 .
(٣١٠) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : تهذيب اللغة 8 /218 ، وخزانة الأدب 6 / 325 .
(٣١١) المفصل / 200 .
(٣١٢) ينظر : خزانة الأدب 6 / 325 .
(٣١٣) ينظر : القاموس /1093 ، والمزهر 2 /129 ، تاج العروس 24 / 271 .
(٣١٤) ينظر : العين 5 / 83 ، وتهذيب اللغة 8 / 314 ، والقاموس / 731 .
(٣١٥) ينظر : جمهرة الأمثال 1 /151 .
(٣١٦) تاج العروس 4 / 78 .
(٣١٧) المستقصى في أمثال العرب 1 / 286 .

(٣١٨) غريب الحديث – للخطابي 2 / 88 ، وينظر : جمهرة الأمثال / 151 ، والمستقصى في أمثال العرب 1 / 286 ، تاج العروس 4 / 78 .
(٣١٩) ينظر : كفاية المتحفظ / 234 ، ومعجم البلدان 4 / 396 ، ولسان العرب 5 / 115 ، والمزهر 2 / 129 .
(٣٢٠) ينظر : المزهر 2 / 129 .
(٣٢١) الهمرة : أيضاً خرزة يستعطف بها الرجال أو يؤخذوا بها ، ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 4 / 315 ، والقاموس / 642 .
(٣٢٢) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 6 / 654 ، والعشرات في غريب اللغة / 141 ، والمفصل /199 ، ولسان العرب 5 / 137 ، والقاموس /603 .
(٣٢٣) ينظر: الحلبة في أسماء الخيل/ 110 ، والمخصص 2 / 116 ،وتاج العروس 15 / 300 .
(٣٢٤) إكمال الإعلام بتثليث الكلام2 / 544 .
(٣٢٥) ينظر: تهذيب اللغة 5 / 21 ، والمفصل/ 201 ، ولسان العرب 1 / 717.
(٣٢٦) ينظر : العين 5 / 315 ، والمزهر 2 / 129 .
(٣٢٧) ينظر : أساس البلاغة / 547 ، والقاموس / 1098،وتاج العروس 24 / 323 .
(٣٢٨) ديوانه ، وينظر : أساس البلاغة / 547 ، وتاج العروس 24 / 323 .
(٣٢٩) ينظر : تاج العروس 24 /323 .
(٣٣٠) ينظر : المصدر نفسه .
(٣٣١) ينظر تهذيب اللغة 4 / 63 ، أساس البلاغة / 549 ، وشرح الرضيّ على الكافية 3 / 112 ، ولسان العرب 2 / 574 .
(٣٣٢) ديوانه/30 ، وينظر : تهذيب اللغة 4 / 63 ، وتاج العروس 7 / 81 .

(٣٣٣) ينظر : تهذيب اللغة 15 / 244 ، والمحكم والمحيط الأعظم 10 / 369 ، والقاموس / 171 ، والمزهر 2 / 129 .

(٣٣٤) ينظر : لسان العرب 1 / 734 .

(٣٣٥) ينظر : إصلاح المنطق / 31 ، والمحكم والمحيط الأعظم 3 / 151 ، والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب 1 / 49 ، وتاج العروس 18 / 143 .

(٣٣٦) ينظر : إ صلاح المنطق ، وشرح ديوان الهذليين .

(٣٣٧) ينظر : لسان العرب 7 /86 ، والمعجم الوسيط 2 / 818 .

(٣٣٨) المحكم والمحيط الأعظم 3 / 151 ، وينظر : لسان العرب 7 / 86 ، والمعجم الوسيط 2 / 818 .

(٣٣٩) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 9 / 58 ، والمفصل / 199 ، والقاموس /1494 ، والمزهر 2 / 130 ،

(٣٤٠) مجمع الأمثال 1 / 402 .

(٣٤١) تهذيب اللغة 13 / 151 ، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم 9 / 58 ، وتاج العروس 33 / 419 .

(٣٤٢) المحكم والمحيط الأعظم 9 / 59 ، وينظر : تاج العروس 33 / 419 .

(٣٤٣) خزانة الأدب 6 / 341 ، وينظر : العين 7 / 125 ، وجمهرة اللغة 2 / 892 .

(٣٤٤) الكبر

(٣٤٥) معجم البلدان 5 / 16 – 17 .

(٣٤٦) ينظر : معجم البلدان 5/ 17 ، وخزانة الأدب 6 / 341 .

(٣٤٧) ديوانه/51 ، وينظر : العين 7 / 125 ، ولسان العرب 9 /316 .

(٣٤٨) ينظر : معجم البلدان 5 / 17 ، ولسان العرب 9 /316 .

(٣٤٩) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 892 ، ولسان العرب 9 / 316 .

(٣٥٠) تاج العروس 20 / 70 ، وينظر : القاموس /885 .

(٣٥١) ينظر: تاج العروس 20 /70 .

(٣٥٢) ينظر : العين 1 / 202 ، وغريب الحديث – لابن سلام 3 / 154 ، والمحكم والمحيط الأعظم 1 / 278 ، والمعجم الوسيط 2 / 837 .

(٣٥٣) البيت لم أقف على قائله ، ينظر العين 1 /202 .

(٣٥٤) البيت للحطيأة ، ديوانه /330 وقد نسبه ابن منظور إلى أبي الغريب النصري ، ينظر : لسان العرب 8 / 323 .

(٣٥٥) ينظر : شر ح شذور الذهب /121 ، وهمع الهوامع 2 /62 .

(٣٥٦) ينظر : غريب الحديث لابن سلام 3 / 145 ، ومشارق الأنوار 1 / 357 .

(٣٥٧) تاج العروس 22 /163 .

(٣٥٨) غريب الحديث لابن سلام 3 / 154 .

(٣٥٩) ينظر : لسان العرب 6 / 209 ، والقاموس /740 ، والمزهر 2 / 130 .

(٣٦٠) ينظر العين 7 /208 ، والمقتضب 3 / 368 ، والتبيان في تفسير غريب القران 1/ 290 ، وشرح شذور الذهب / 122 ، ولسان العرب 6 /219 .

(٣٦١) قرأ بها أبو حيوة والحسن وأخرون ، ينظر : المحرر الوجيز 4 / 61 ، والبحر المحيط 6 / 256 .

(٣٦٢) ينظر : الإتباع والمزاوجة 1 /48 .

(٣٦٣) ينظر : المزهر 2 /129 .

(٣٦٤) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 855 .

(٣٦٥) ينظر : معجم ما استعجم 4 / 1237 ، ومعجم البلدان 5 / 147 ، والقاموس /613 .

(٣٦٦) ديوانه/63، وينظر : معجم ما استعجم 4 / 1238 .

(٣٦٧) ديوانه /436 ، وينظر : معجم ما استعجم 4 / 1238 ، وتاج العروس 14 / 136 .

(٣٦٨) تاج العروس 14 / 136 .

(٣٦٩) البيت لم أقف على قائله، ينظر : تاج العروس 14 / 136 .

(٣٧٠) الصحاح 422/3، وجمهرة الأمثال 1 / 239 ، والمستقصى 1 /21 ، والقاموس /987 .

(٣٧١) جمهرة الأمثال 1 / 239 ، مجمع الأمثال 1 / 115 ،وفصل المقال 1 / 468 .

(٣٧٢) ديوانه/ 94 ، وينظر : جمهرة اللغة 2 / 949 ، والمستقصى 1 / 21 ، وخزانة الأدب 11 / 185 .

(٣٧٣) ينظر : مقاييس اللغة 1 /356 ، ومغني اللبيب 1 /319 ، ولسان العرب 11 / 559 ، وخزانة الأدب 11 / 192 ، وقال الزبيدي (ت 205 هـ) عكس ذلك ؛ أي : الجبال الطوال . ينظر تاج العروس 30 / 260 .

(٣٧٤) ينظر : العين 2 / 163 ، الكتاب 3 / 270 ، والإنصاف 2 / 537 – 538 ، ولسان العرب 8 / 344 .

(٣٧٥) ينظر : الكتاب 3 / 270 ، وخزانة الأدب 5 / 159 .

(٣٧٦) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 952 ، ومعجم ما استعجم 4 / 1264 ، ومعجم البلدان 5 / 203 ، والقاموس /988 .

(٣٧٧) لم أقف عليه في كتب الحديث الشريف ، ينظر : جمهرة اللغة 2 / 952 ، وتاج العروس 22 / 219 – 220 ، ويعني بالحجر الأسود صنماً من حجرٍ أسود

(٣٧٨) ينظر : العين 7 / 373 ، ولسان العرب 9 / 327 ، والمعجم الوسيط 2 / 914.

(٣٧٩) العين 7 / 373 .

(٣٨٠) ينظر : لسان العرب 9 / 279 ، وتاج العروس 24 / 399 .

(٣٨١) العين 7 / 367 ، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم 9 / 46 .

(٣٨٢) ينظر :لسان العرب 2 /471 .

(٣٨٣) صيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث / 5 ، وينظر : كتاب سيبويه 3 / 274 – 276 ، والمقتضب 3 / 368 ،والأصول في النحو 2 / 89 ، وخزانة الأدب 6 /303 – 305.

(٣٨٤) شعر زهير / 116 ، وينظر شواهد أخرى في صيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث / 3.

(٣٨٥) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 8 / 177 ، ومعجم ما استعجم 3 / 872 ، ومعجم البلدان 5 /290 ، ، وتاج العروس 9 /227 .

(٣٨٦) ينظر : معجم البلدان 5 / 290 ، وتاج العروس 9 /227 .

(٣٨٧) معجم البلدان 5 / 290 ،وتاج العروس 9 / 227.

(٣٨٨) ينظر : مجمع الأمثال 1 /56، ومعجم البلدان 5 /290 ، والقاموس/412 .

(٣٨٩) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : معجم البلدان 5 / 290 ، وتاج العروس 9 / 227 .

(٣٩٠) ديوانه/300، وينظر : معجم البلدان 5 / 290 ، وتاج العروس 9 / 227 .

(٣٩١) ينظر : مجمع الأمثال 1 /155 ، وجمهرة الأمثال 1 /292 ، والمستقصى 1 /43 .

(٣٩٢) البيت لم أقف على قائله ، ينظر معجم ما استعجم 4 / 1311 ، وغريب الحديث للخطابي 2 / 275 .

(٣٩٣) أي: الأزهري ؛ لأنه يتكلم على نفسه

(٣٩٤) تهذيب اللغة 2 / 105 .

(٣٩٥) معجم البلدان 5 / 291 .

(٣٩٦) شعر ربيعة بن مقروم/ 264وينظر :المفضليات / 189 ، ومعجم البلدان 5 / 291.

(٣٩٧) ينظر : الكتاب 3 / 274 ، ولسان العرب 5 / 219 ، والقاموس / 623 .

(٣٩٨) ينظر : إصلاح المنطق / 179 ، وجمهرة اللغة 2 / 956 ، وديوان المتنبي 3 / 11 .

(٣٩٩) ينظر : العين 2 / 256 ، وغريب الحديث لابن الجوزي 2 / 421 ، ومشارق الأنوار 2 / 19 ، وتاج العروس 40 / 111 .

(٤٠٠) شرح هاشميات الكميت/ 319 ، وينظر : العين 2 / 256 ، والكتاب ، والإنصاف في مسائل الخلاف 2 / 539 .

(٤٠١) ينظر : العين 5 / 138 ، المزهر 2 / 129 ، وتاج العروس 5 / 375 ، والمعجم الوسيط 2 / 944 .

(٤٠٢) ينظر :العين 8 /276 ، والنهاية في غريب الحديث 5 / 126 ، وخزانة الأدب 5 / 443 .

(٤٠٣) البيت لحجل بن نضلة الباهلي ، قاله في نوار بنت كلثوم ، ينظر : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال 1 / 39 ، وخزانة الأدب 4 / 182 .

(٤٠٤) ينظر : العين 8 /276 .

(٤٠٥) ينظر : مقاييس اللغة 6 / 6 ، ومجمع الأمثال 1 /303 ، والمحكم والمحيط الأعظم 4 /85 ، والمفصل /198.

(٤٠٦) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : المحكم والمحيط الأعظم 4 /85 .

(٤٠٧) البيت للمتمرِّس بن عبد الرحمن الصُّحاري ، ينظر : تاج العروس 6 / 268 و 22 / 386 .

(٤٠٨) ينظر : القاموس / 1000 ، وتاج العروس 22 / 386 .

(٤٠٩) المزهر 2 / 130 ، وينظر : تهذيب اللغة 5 / 249 ، والمحكم والمحيط الأعظم 4 / 110 ، ولسان العرب 12 / 619 – 620 .

(٤١٠) شرح هاشميات الكميت/ 37، وينظر : تهذيب اللغة 5 /249 ، والمحكم المحيط الأعظم 4 / 110 .

(٤١١) ينظر : تهذيب اللغة 5 / 249 .

(٤١٢) ينظر : جمهرة اللغة 1 / 330 ، وديوان المتنبي 4 /17 ، ومعجم البلدان 5 /356 ، ولسان العرب 5 / 273 .

(٤١٣) تاج العروس 14 / 332 ، وينظر : معجم البلدان 5 /356 .

(٤١٤) البيت ، وينظر : جمهرة اللغة 1 / 330 .

(٤١٥) البيت للأعشى، ديوانه/ 281وفيه ومر حدٌّ بدل دهر ، وينظر: الكتاب 297/3 ، وخزانة الأدب 2 /241

(٤١٦) ينظر : المصدران أنفسهما .

(٤١٧) ينظر : جمهرة اللغة 2 / 945 ، تهذيب اللغة 3 / 26 ، وتاج العروس 22 / 356 ، والمعجم الوسيط 2 / 1051 .

(٤١٨) ينظر : تاج العروس 22 / 356 .

(٤١٩) ينظر : تهذيب اللغة 3 / 26 ، وتاج العروس 22 / 356 .

(٤٢٠) ينظر : تاج العروس 22 / 356 ، والمعجم الوسيط 2 /1051 .

(٤٢١) ينظر : تهذيب اللغة 13 / 71 ، وتاج العروس 17 / 55 ، والمعجم الوسيط 2 / 1062 .

(٤٢٢) المزهر 2 /130 .

(٤٢٣) أي : اسم مصدر معدول عن المصدر ، وهو الميسرة ، ينظر : الصحاح ، وصيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث/5-6 .

(٤٢٤) همع الهوامع 2 /102 .

(٤٢٥) الصحاح2/424 .

(٤٢٦) البيت لحميد بن ثور الهلالي : ينظر ديوانه / 117 ، والكتاب 3 / 274 ، والصحاح 2 /859 .

(٤٢٧) البيت لم أقف على قائله ، ينظر : العين 2 / 212 .

(٤٢٨) العين 2 / 212 ، وينظر :تهذيب اللغة 3 / 69 ، لسان العرب 7 / 434 .

(٤٢٩) ديوانه/267، وينظر : لسان العرب 7 / 435، وتاج العروس 20 / 200.

(٤٣٠) ديوان الهذليين2/23 ، وينظر : جمهرة أشعار العرب /183 .

(٤٣١) المحكم والمحيط الأعظم 2 / 226 ، ولسان العرب 7 /435 .

(٤٣٢) ينظر : المزهر 2 / 106 .

ثبت المصادر

١ -الإتباع والمزاوجة: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين الرازي (ت395هـ) ، تحقيق: كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر.

٢ -أدب الكاتب : ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ) تحقيق: محمد مح يي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة – مصر – الطبعة: الرابعة 1963.

٣ -أساس البلاغة: الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت538هـ) ، دار الفكر – 1399هـ 1979م.

٤ -إصلاح المنطق: ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحق (ت244هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر / وعبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الرابعة .

٥ -الأصول في النحو : ا بن السراج النحوي البغدادي أبو بكر محمد بن سهل (ت316هـ) ، تحقيق: د . عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثالثة، 1408هـ 1988م.

٦ -الأفعال: ابن القطاع أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت515هـ)، عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الأولى 1403هـ 1983م.

٧ -إكمال الأعلام بتثليث الكلام : ابن مالك محمد بن عبد الله الطائي الجياني (ت672هـ) ، تحقيق: سعد ابن حمدان الغامدي ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة – الطبعة: الأولى 1404هـ 1984م.

٨ -الأمالي في لغة العرب : أبو علي القالي البغدادي إسماعيل بن القاسم (ت356هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – 1398هـ 1978م .

٩ -الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب : علي بن عدلان الموصلي النحوي (ت668هـ) ، تحقيق: د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية 1405هـ 1985م.

١٠ -الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد النحوي (ت577هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – دمشق.

١١ -أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري عبد الله جمال الدين (ت 761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت – الطبعة: الخامسة 1399هـ 1979م.

١٢ -البحر المحيط : أبو حيان النحوي الأندلسي محمد بن يوسف (ت745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى 1422هـ –2001م.

١٣ -البيان والتبيين : الجاحظ عمرو بن بحر (ت 255هـ)، تحقيق: فوزي عطوي ، دار صعب – بيروت.

١٤ -تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.

١٥ -التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت815هـ) ، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر – الطبعة: الأولى 1412هـ- 1992م .

١٦ -التكملة

١٧ -تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ) ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى 2001م.

١٨ -الجمل في النحو : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) ، تحقيق: د . فخر الدين قباوة– الطبعة: الخامسة 1416هـ 1995م.

١٩ -جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي محمد بن أبي الخطاب(ت 170هـ) ، تحقيق: عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم – بيروت .

٢٠ -جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت395هـ) ، دار الفكر – بيروت – 1408هـ – 1988م.

٢١ -جمهرة اللغة : ابن دريد محمد بن الحسن (ت 321هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة: الأولى 1987م.

٢٢ -الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام: الصاحبي التاجي محمد بن كامل (ت بعد 677هـ) تحقيق:د.حاتم صالح الضامن ، بيروت1985م.

٢٣ -الحماسة البصرية : صدر الدين علي بن الحسن البصري، ، تحقيق: مختار الدين أحمد ، عالم الكتب – بيروت – 1403هـ- 1983م

٢٤ -خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي/ إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى 1998م.

٢٥ -الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) تحقيق: محمد علي النجار ، عالم الكتب – بيروت.

٢٦ -ديوان ابن الرومي(أبو الحسن علي بن العباس): تحقيق حسين نصار ، الهيأة المصرية للكتاب 1979م.
٢٧ -ديوان الأسود بن يعفر: صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي ، مطبعة الجمهورية-بغداد1970م.
٢٨ -ديوان الأعشى الكبير(ميمون بن قيس): شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ، المطبعة النموذجية – الحلمية الجديدة .
٢٩ -ديوان امرئ القيس:تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف – مصر ، ط/ 4 .
٣٠ -ديوان أوس بن حجر : تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم ، دار صادر – بيروت 1960م.
٣١ -ديوان جرير : دار بيروت – بيروت ، 1406هـ – 1986م.
٣٢ -ديوان الحطيأة (برواية وشرح ابن السكيت(ت 244هـ)): تحقيق نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي- القاهرة ، ط/1 ، 1987م.
٣٣ -ديوان حميد بن ثور الهلالي: تحقيق عبد العزيز الميمني ، الدار القومية – القاهرة 1965م.
٣٤ -ديوان دريد بن الصمة:تحقيق د.عمر عبد الرسول ، دار المعارف – مصر .
٣٥ -ديوان ذي الرمة: شرح الخطيب التبريزي ، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط/2 ، 1416هـ – 1996م.
٣٦ -ديوان شعر المتلمس الضبعي (رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي) : عني بتحقيقه وشرحه حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية-القاهرة 1970م.

٣٧ -ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: حققه وشرحه صلاح الدين الهادي ، دار المعارف – مصر 1968م.
٣٨ -ديوان الطرماح: عني بتحقيقه د. عزة حسن ، دار الشرق العربي – بيروت ،ط/2 ، 1414هـ – 1994م.
٣٩ -ديوان كثير عزة : جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت 1971م.
٤٠ -ديوان لبيد بن ربيعة: اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة – بيروت ، ط/1 ، 1425هـ – 2004م.
٤١ -ديوان ليلى الأخيلية: جمع وتحقيق وشرح خليل إبراهيم العطية ، دار الجمهورية – بغداد ، ط/2 ،1977م.
٤٢ -ديوان مهلهل بن ربيعة : شرح وتقديم طلال حرب ، الدار العالمية .
٤٣ -ديوان النابغة الجعدي: جمعه وحققه وشرحه د. واضح الصمد ، دار صادر – بيروت ،ط/1 ، 1998م.
٤٤ -ديوان النابغة الذبياني: صنعة ابن السكيت(ت 244هـ) تحقيق د. شكري فيصل ، دار الفكر – بيروت .
٤٥ -ديوان الهذليين: الدار القومية للطباعة-القاهرة 1965م نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب- الجمهورية العربية .
٤٦ -شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري الهمداني(ت 769هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – سوريۃ – 1405هـ – 1985م.
٤٧ -شرح ديوان جميل بثينة: إبراهيم جزيني ، المكتبة الثقافية – بيروت .

٤٨ -شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس – بيروت 1980م.
٤٩ -شرح ديوان المثقب العبدي : شرح وتحقيق د. حسن حمد ، دار صادر – بيروت ،ط/1 ، 1996م.
٥٠ -شرح الرضي على الكافية : رضي الدين الأستراباذي محمد بن الحسن ((ت 686هـ)) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس 1398 هـ – 1978 م .
٥١ -شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريۃ – 1404هـ 1984م.
٥٢ -شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي : بتفسير أبي رياش أحمد ب ن إبراهيم القيسي ، تحقيق داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية – بيروت ، ط/1 ، 1984م.
٥٣ -شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة الأعلم الشنتمري أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي (ت446هـ) تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة الأولى 1992م.
٥٤ -شعر النمر بن تولب (ضمن شعراء إسلاميون) :د. نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية– بيروت، ط/2 ،1984م.
٥٥ -شعر ربيعة بن مقروم (ضمن شعراء إسلاميون) :د. نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية– بيروت، ط/2 ،1984م.
٥٦ -صبح الأعشى في كتابة الإنشا: القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت821هـ) ، تحقيق: عبد القادر زكار ، وزارة الثقافة – دمشق – 1981،

٥٧ -الصحاح ((تاج اللغة وصحاح العربية)) : الجوهري إسماعيل بن حماد ((ت 393 هـ)) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة ، 1407 هـ – 1987 م.
٥٨ -صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، : ابن حبان محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية 1414 – 1993.
٥٩ -صيغة فعالِ واختصاصها بالمؤنث :د.محمد ياس خضر ود.خولة محمود فيصل ، بحث منشور في مجلة سرَّ من رأى ، المجلد/ 5 العدد/ 15 ، لسنة 1430هـ – 2009م.
٦٠ -العشرات في غريب اللغة : أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد (ت346هـ) ، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر ، المطبعة الوطنية – عمان – 1984
٦١ -العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.
٦٢ -غريب الحديث لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (ت597هـ) ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1405 – 1985، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي.
٦٣ -غريب الحديث لابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ) ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الأولى 1396.

٦٤ -غريب الحديث لابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت276هـ) ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد – الطبعة: الأولى 1397.

٦٥ -غريب الحديث للخطابي : حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان (ت388هـ) ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة – 1402.

٦٦ -الفائق في غريب الحديث: الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبـي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.

٦٧ -الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت بعد 395هـ) ، علق عليه: محمد عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الرابعة 1427هـ – 2006م .

٦٨ -فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : أبو عبيد البكري عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)، تـحقيق :د.إحسان عباس و د.عبد المجيد عابدين ، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة : الثالثةم.1983

٦٩ -القاموس المحيط: الفيروزآبادي محمد بن يعقوب (ت817هـ) ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٧٠ -كتاب سيبويه: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى،

٧١ -كفاية المتحفظ في اللغة: ابن الأجدابي أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي (ت470هـ) تحقيق: السائح علي حسين ، دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة – طرابلس – الجماهيرية الليبية.

٧٢ -كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى 1419هـ–1998م.

٧٣ -لسان العرب : ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري ((ت 711 هـ)) ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1968م .

٧٤ -اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء) : أحمد بن مصطفى الدمشقي ، دار الفضيلة – القاهرة

٧٥ -مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري((ت 518 هـ)) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة – بيروت،

٧٦ -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة: الأولى 1413هـ– 1993م.

٧٧ -المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي((ت 458 هـ)) تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى 2000م.

٧٨ -المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد(ت385هـ) تحقيق:محمد حسين آل ياسين ،عالم الكتب – بيروت ،ط/1414،1هـ– 1994م.

٧٩ -المخصص: ابن سيده ((ت 458 هـ)) ، تقديم د. خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، ط/1 ، 1417هـ – 1996م .

٨٠ -المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي ، تحقيق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى 1418هـ 1998م .

٨١ –المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى 1411هـ – 1990م.

٨٢ –المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الثانية 1987م.

٨٣ – مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي أب و الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي(ت544هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث

٨٤ –المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت

٨٥ –معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت626هـ)، دار الفكر – بيروت

٨٦ –معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد (ت487هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ،عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الثالثة 1403هـ .

٨٧ –المعجم الوسيط (1+2): إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة–استانبول.

٨٨ –المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز (ت 610 هـ) تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد– حلب ، الطبعة :: الأولى 1979م.

٨٩ –مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق – الطبعة: السادسة 1985.

٩٠ –المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري، تحقيق: د . علي بو ملحم ، مكتبة الهلال – بيروت – الطبعة: الأولى 1993.

٩١ –المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون– بيروت

٩٢ –مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت 395 هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999م.

٩٣ –المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب. – بيروت.

٩٤ –النهاية في غريب الحديث النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية – بيروت – 1399هـ – 1979م.

٩٥ –همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية – مصر.

المستدرك على شعر أبي نخيلة

د.خليل رشيد أحمد
المديرية العامة للتربية في كركوك

م.م. مهند مجيد برع
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

المستدرك على شعر

((أبو نخيلة – ت 145 هـ))

جمع وتحقيق : عباس توفيق

مُقَدِّمَة

(أبو نخيلة) [1] جمع شعره وحققه الأستاذ عباس توفيق ، ونشره في مجلة المورد الغراء في عددها الثالث ، لسنة 1398هـ / 1978 م ، أغلب شعره رجز فقد حوى شعره على (367) مقطوعة شعرية من الرجز ، و(20) بيتاً ، وهو جهد كبير بذله الأستاذ (عباس توفيق) في التنقيب عنه في بطون الكتب والمصادر المختلفة : الأدبية واللغوية والتأريخية ، وقد نجح في تقديم هذا الإرث العلمي الأصيل النقي إلى قرائه على طبقٍ من الذهب .

أمّا فكرةُ استدراكنا هذا فقد جاءت أثناء دراستنا للدكتوراه ، عندما عارضنا شاهد شعري خلال البحث ، وبينما كننا نحاول تخريج البيت من مظانه ، ولما كنا نعرف أنّ الأستاذ (عباس توفيق) نشر شعر أبي نخيلة في مجلة المورد ، فقد رجعنا

(1) هو يعمر بن حزن بن زائد بن لقيط التميمي ، وقيل : اسمه أبو نخيلة ، وقد سمّي بذلك ؛ لأنّ أمه ولدته تحت نخلة ، وكنيته أبو جنيد . شاعر متقدم في القصيد والرجز . ينظر : الشعر والشعراء : 434 ، والمقاصد النحوية : 2 /449 .

اليه ولم نظفر بالشاهد ،ثم اطلعنا على مظان أخرى ترجمت لأبي نخيلة السعدي ، وأوردت شعراً له لم يرد في عمل الأستاذ ، وهنا بدا لنا أنْ نكتب هذا المستدرك ، لإتمام ما بدأه الأستاذ عباس توفيق ، فقد مضت مدة طويلة على صدور شعر ابي نخيلة ، والإصدارات الحديثة تضفي كثيراً على عمل السابقين ، ما لم يتابعوا عملهم، ويحاولوا الظفر بأشياء جديدة تطور أعمالهم السابقة ،وتضيف إليها أشياء جديدة في سبيل الارتقاء بالبحث العلمي إلى سبل النجاح ، وإيصاله إلى المستوى المطلوب ، وفق مناهج البحث الرصينة .

واستدراكنا يتمثل في محورين ، المحور الأول المستدرك على مصادر التخريج مما لم يقف عليه الأستاذ المحقق، والمحور الثاني هو مستدرك شعري للشعر الذي لم يقف عليه .

وعملنا هذا غيرُ مسبوقٍ إليه – حسب علمنا – وهو في الوقت نفسه اجتهاد منا فإن أصبنا فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإن جانبنا الصواب فمن تلقاء نفسينا ، وعذرنا أنا أردنا الفائدة والمنفعة ، وآخر دعونا أنِ الحمدُ لله رَبّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

المستدرك الأول في المصادر :

قام الأستاذ عباس توفيق بتخريج الشعر ، إلا أنّ بعض المصادر لم يقف عليها وفي أدناه ثبت بتلك المصادر :

١ -**قافية الدال : ص 252 – 254 .**

أ -الرجز ذو المطلع : ص 253 .

١ -وقد علتني ذُرأةُ بادي بَدِي　　2- ورثية تنهض بالتشدُّدِ

3- كيف التصابي فعل من لم يهتدِ　　4- بعد انتهاضي في الشباب الأملد

5- وبعد ما أذكر من تأوّدي　　6- وبعد تمشائي وتطويحي يدي

-1 ، 2 منسوبان لابي نخيلة في المصادر الآتية :

-الكتاب : 3 / 304 – 305

-والتاج – ذرأ – 1 / 234 ، و– نهض – 19 / 99 ، و – ردن – 35 / 84 ، و – بدو – 37 / 154 وبلا نسبة في :

-(1) مجاز القرآن : 113

-وإصلاح المنطق : باب ما يفتح أوله وثانيه ومن العرب من يخفف ثانيه – 172.

-والصحاح – ذرأ – 370 ، وفيه : (في تَشَدُّدِي) .

والأراجيز: 1 ، 2 ،3 ،4 ، 5 منسوبة لابي نخيلة في :

-سمط اللآلي : 1 / 138 ،

ب -الرجز ذو المطلع : ص 253

١ -وليس وَلِيُّ عَهْدِنا بالأسعد

٢ -عيسى فَزَحْلِفَها إلى مُحَمَّدِ

٣ -حتى تُؤَدَّى من يدٍ إلى يدٍ

المصادر التي نسبت هذه الأراجيز إلى أبي نخيلة هي :

-لسان العرب – زحلف – 9 / 131 .

-تاج العروس – زحلف – 23 / 378 .

ج -الرجز ذو المطلع : ص 254

١ -لَمَّا أَتَتْنِي بَغْيَةٌ كالشُّهْدِ

٢ -كالعَسَلِ الممزوج بعد الرَّقْدِ

٣ -رَفَعْتُ من أطْمارِ مُسْتَعِدِّ

٤ -وقلتُ للعِيْسِ وَجِدِّي

والمصادر التي نسبت هذه الأراجيز إلى أبي نخيلة ؛ هي :

-(1) في إصلاح المنطق : 431

-والمحكم والمحيط الأعظم – غني – 2 / 444 وفيه : (نغية)

-في أساس البلاغة – نغي – 766 ، وفيه : نَغْيَةٌ

-واللسان – نغي – 15 / 335 ، وفيه (نَغْيَةٌ) .

-تاج العروس – رفع – 21 / 104 ، وفيه (نغيةٌ) ، وأضاف : (يا بَرْدها لِلْمُشْتَفِي بالَبرْدِ)

وبلا عزو في :

(1) مقاييس اللغة – نغي –1000 وفيه : (أتاني نغية) .

-المخصص : 1 / 222 .

ء – القطعة (12) الرجزذو المطلع :

١ -ويعتدي ويعتدي ويعتدي

-الرجز منسوب لابي نخيلة في المقاييس – عدو – 719 .

٢ -قافية الضاد :

أ- البيت [من الطويل] ص 257

واحييتَ لي ذكري وما كان خاملاً   ولكنّ بعضَ الذكْرِ أنبه من بعض

-منسوب لابي نخيلة في اللسان – نوه – 13 / 550 ، وتاج العروس – نيه – 36 / 533 وفيهما (نَوْهْتَ) بدلاً من (واحييتَ) .

ب- البيت [من الطويل] . ص257

– شكرتُكَ إن الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى   وما كُلُّ مَنْ أوليتَهُ نِعْمَةً يقضي

التخريج : لأبي نخيلة في دلائل الإعجاز : 484 والصدرفيه :(دياجيل الدنيا دار واحد الأرض)، والمحكم والمحيط الأعظم – شكر – 3/ 133وفيه (أوليه) ، واللسان – شكر – 4 / 424 ، وتاج العروس – شكر – 12 / 224 .

٣ -قافية العين :

أ –الرجز ذو المطلع : ص 257

١ -مازال عَنَّا قَصَعَاتٌ أربعُ .   2- شَهْرَينِ دَأباً فبوادٍ رُجَّعُ .

3–عبداي وابناي وشَيْخٌ يُرْقَعُ .   4- كما يقومُ الجَمَلُ المُطَبَّعُ .

هذه الأراجيز منسوبة لابي نخيلة في تاج العروس – قصع – 22 / 17 .

٤ -قافية القاف :

أ –القطعة (27) الرجز ذو المطلع : ص 257

١ -بَريَّة لم تأْكُلِ المُرَقَّقَا .

٢ -ولم تَذُقْ من البُقُول فُسْتُقَا .

-1 ، 2 منسوبان لابي نخيلة في :

-الصحاح – سَلَف – 502 ، والمقاصد النحوية : 2 / 449 وفيه : (جارية) بدل (برية)، اللسان – سَلَف – 9 / 156 ، و – بقل – 11 / 60 وفيه (الفُسْتُقا) ، و(2) في مغني اللبيب : 1/ 430 وفيه : (جارية) .

وبلا عزو في :

-جمهرة اللغة : 3/ 1329، وشرح ابن عقيل : 3 / 18وفيه : (جارية) ، والمزهر: 2 / 380 .

٥ -قافية اللام :

-القطعة (33) الرجز ذو المطلع : ص 259 .

١ -لولا أبو الفَضْلِ ولولا فَضْلُهُ .

٢ -ما اسطيع بابٌ لا يُسَنَّى قُفْلُهُ .

٣ –ومن صلاح راشدٍ إسطبله .

هذه الأراجيز منسوبة لابي نخيلة في :

-1 ، 2 ، 3 اللسان – صطبل – 11 / 378 وفيه :(لَسُدَّ) بدلاً من (ما اسطيع)، وتاج العروس – صطبل – 27 / 453 .

٦ -قافية الميم :

أ – القطعة (38) البيت من الطويل : ص 260

١ –**أقام بها العَصْرَيْنِ حِيْنَاً ولم يكنْ   كمن ضَنَّ عن عَمْرانها بالدّراهمِ**

البيت منسوب لابي نخيلة في :

-المحكم والمحيط الأعظم – عمر– 253/1 ، و اللسان – عمر – 4 / 601 ، و – غلصم – 12 / 441 ، وتاج العروس – عمر – 13 / 129 وفيهما : (أدام لها العَصْرَيْنِ رَيَّاً ولم يكن) .

ب – الأشطار (47) ص : 262 .

-قال في وصف الإبل :

-فَاظَتْ من الخُرْمِ بقَيظْ خُرَّمِ

التخريج : – 4 : منسوب لأبي نخيلة في تهذيب اللغة – حزم – 2 / 485 ، واللسان – خرم – 12 / 170 ، وتاج العروس – حزم – 32 / 67 ، 69 .

- المستدرك الثاني في الشعر :

أخلّ شعر ابي نخيلة ب (88) رجزاً و (9) أبيات، ونحن نُثْبتها هنا في هذا المستدرك ليكون تتمة له :

[1]

مما يستدرك على قافية الباء القطعة (2) ص 250 ، الأبيات الآتية :

-قال أبو نخيلة السعدي : [من الطويل]

١ -أرى المال عوناً مُبْلِغاً كُلَّ غايةٍ ومُلْبِسَ عِزّ حيثُ خَيَّمَ صاحبُهْ

٢ -يزيد القويَّ البطش في الناس قوة وذا البأس بأساً حيث تُبْكَى ضرائبُهْ

٣ -وما الأهلُ والإخوانُ إلاَّ مع الغني وما الرأيُ والتدبيرُ إلا مذاهبُهْ

٤ -وبالمالِ ما تبدو المروءةُ للفتى وتظهرُ حتى تستبين مناقبُهْ

٥ -وإنْ أخا العُدْمِ المُطَالِبِ يزلُّ به الإقدار عَمَّا يُطالِبُهْ

-التخريج : مضاهاة أمثال كليلة ودمنة : 1 / 13 .

[2]

ومما يستدرك على قافية التاء القطعة (11) – ص 252، الأراجيز الآتية:

قوله :

٦ -قُلْ لفراتٍ وأبي الفراتِ

٧ -ولسعيدٍ صاحب السّوآتِ

٨ -هاتوا كما كُنَّا لكم نهاتي

التخريج: لسان العرب– هتا – 15 / 352، وتاج العروس – هتا – 40 / 278 .

[3]

ومما يستدرك على قافية الجيم .

-قول أبي نخيلة يصف ناقة تعدو في خرقٍ واسعٍ :

٩ -تُغْرِقُهُ طوراً بِشَدٍّ تُدْرِجُهْ

١٠ -وتارةً يُغْرِقُها غَمَلَّجُهْ

التخريج: لسان العرب – غملج – 2 / 336 ، وتاج العروس – غملج – 6/ 133.

[4]

ومما يستدرك على قافية الدال : ص 252 – 254 .

أ– قال أبو نخيلة السعدي :

١ -مِنْ كُلِّ ذات طائفٍ وزُوْدِ

٢ -بَدّاءَ تمشي مَشيةَ الأَبَدِّ

التخريج:(2) في الصحاح–بدد – 78. وفيه: (أَلَدّ) بدلاً من (بَدّاءَ)، ولسان العرب– بدد – 3 / 78 ، وتاج العروس – بخند – 7 / 409 فيه (أَلَدُّ يمشي)

ب– وأشد الأصمعي لأبي نخيلة :

١ -حتى اتلأَبُّوا بعدما تَبَدُّدِ

٢ -واستَيْدهوا للقَرَبِ العَطَوَّدِ

التخريج : تهذيب اللغة : 6 / 358 ، ولسان العرب – وده – 13 / 560 ، وتاج العروس – وده – 36 / 546 .

ج– وقال :

١ -لما احْتَسَى مُنْحَدِرٌ من مُصْعِدِ

٢ -أَنّ الحَيا مُغْلَوْلِبٍ لم يَجْحَدِ

التخريج : تهذيب اللغة – حسأ – 2 / 160 ، ولسان العرب – حسا – 14 / 176

ء – وقال :

١ لما سَمِعْتُ نُغْيَةً كالشَّهْدِ

٢ أنّ تميماً وقعتْ بالأزدِ

التخريج :(1) في اصلاح المنطق : 431 ، و 1،2 بلا عزو في ديوان الأدب: 4 / 10 .

هـ – وقال :

١ ضرباً لكُلِّ جاحِدٍ ومُلْحِدِ

٢ سَفْقَاً كتلقيف البعير الأَخْرَدِ

٣ بَلَغْتُها واجتمعتْ أَشُدِّي

التخريج : 1 ، 2 في جمهرة اللغة : 1 / 501 وفيه : (جَلْداً كتلقيف البعير الأحْرادِ) ،و(2) في تهذيب اللغة – حرد –:4 / 413 وفيه (الأحرد) .

و – وقال :

١ جاؤوا بِورْدٍ فوق كُلِّ وِرْدِ

٢ بعددٍ عاتٍ على المُعْتَدِّ

٣ بَخٍ وبَخْبَاخِ الهديرِ الزَّغدِ

التخريج : – لسان العرب – زغد – 3 / 194 .

ح – وقال :

١ وقمتُ بالرحلِ إلى مِسَدٍّ

٢ عالٍ بعلكْدٍ إلى عِلكْدِ

التخريج : كتاب الجيم : 1/ 264 .

ط – وقال :

١ يارَبِّ مَنْ عابَ المَضَاءَ أبدا

٢ فاحْرِمْهُ أمثالَ المَضَاءِ ولدا

التخريج : لسان العرب – مضى – 15 / 283 ، وتاج العروس : – مضى – 39 / 540 .

ك – وقال :

١ لَمّا جلدتَ العنبري جَلْداً

٢ في الدّار ألقى عَطَوِيًّا نَهْداً

التخريج : أساس البلاغة – عطو – 509 .

[5]

ومما يستدرك على قافية الذال :

قال :

١ قلتُ لإبليس وهامان خذا

٢ سوقاً بني الجعراءِ سَوْقاً مِشْحَذَا

٣ واكْتَنِفَاهم من كذا ومِنْ كذا

٤ تكنُّفَ الرّيحِ الجَهَامَ الرُّذذا

التخريج : تهذيب اللغة – شحذ – 1 / 494 ، ولسان العرب – شخذ – 3 / 493 ، وتاج العروس – شحذ – 9 / 422 وفيه : (إبليس) بدلاً من (لإبليسَ)

[6]

ومما يستدرك على قافية الراء : ص 255 – 256

أ – قوله :

١ من كان لا يدري فإني أدري .

٢ ما زال مجنوناً على أست الدّهر .

٣ ذا جسدٍ ينمي وعَقْلٍ يحري .

٤ هبه لإخوانك يوم النحر .

التخريج :أساس البلاغة – سته – 338 ، و(2) في إصلاح المنطق : 85 .

ب – وقال :

١ إذا ذَكَرْنا فالأمور تُذْكَرُ

٢ واستوعب النكائث التّفَكُّرُ

٣ قلنا أميرُ المؤمنين مُعْذِرُ

التخريج : تهذيب اللغة – ثكن – 3 / 360 ، ولسان العرب – نكث – 2 / 196 ، وتاج العروس – نكث – 5 / 377.

ج – وقال :

١ ومُقْفِرٌ قد جُبْتُهُ لا يُسْبِرُ

٢ والقورُ في بحر السراب تَمْهَرُ

التخريج : اساس البلاغة – سبر – 335 .

هـ – وقال :

-دُمْشِقَ ذاك الصَّخَرُ المُصَخَّرُ

التخريج : المحكم والمحيط الاعظم – دمشق – 3 / 113 ، ولسان العرب – دمشق – 10 / 104 ، وتاج العروس – دمشق – 5 / 306 .

و – قال : البيت [من الطويل]

١ ولكنَّ هذا القلبَ قَلْبٌ مُضَلَّلٌ هفا هفوةً فأستوجَفَتْهُ المقادِرُ

التخريج : تاج العروس – وجف – 24 / 447 ، وبلا عزو في تهذيب اللغة – وجف – 11 / 214 ، ولسان العرب – وجف – 9 / 352 .

ز – وقال : البيت [من الكامل]

١ أصبحتْ تنهضُ في ضلالك سادراً إنّ الضلال ابن الألال فَأَقْصِرِ

التخريج : المخصص : 4 / 135 ، وبلا عزو في تهذيب اللغة – ألّ – : 15 / 437 ، ولسان العرب – ألل –23/11 ، وتاج العروس – ألل – 28 / 21 : فيه : (أنت الضّلال بنُ .....)

ح – وقال :

١ هذاك اسحاقُ وَقِبْضٌ مُهْجِرُ .

التخريج : تاج العروس – هتمر – 14 / 408 .

[7]

ومما يستدرك على قافية العين القطعة (25) : ص 257 .

١١ قال أبو نخيلة يرثي ضرار بن الحارث العنبري [من الطويل]

١ نعيتُ امرأً زَيْنَاً إذا تُعْقَدُ الحُبى وإنْ أُطْلِقَتْ لم تَعْتَنِفْهُ الوقائعُ

التخريج : تهذيب اللغة – – عنف – 3 / 4 ، ولسان العرب – عنف – 9 / 257، وتاج العروس – عنف – 24 / 188 ، فيه : (صدرالبيت فقط) .

[8]

ومما يستدرك على قافية القاف القطعة (27) : ص 257 .

قال :

١ واستغرد الروضُ الذبابَ الأَزْرَقَا

التخريج : المحكم والمحيط الاعظم – غرد – 2 / 413 ، ولسان العرب – غرد – 3 / 324 ، وتاج العروس – غرد– 8 / 465 .

[9]

ومما يستدرك على قافية الكاف : ص 258

– قال أبو نخيلة لشبيب بن شَبَّة :

١ شبيبُ عادى الله من يَجْفُوكا

٢ وسَبَّبَ اللهُ له تُهْلُوكا

٣ وأهلْكه غيرُه واسْتَهْلَكه

التخريج : لسان العرب – هلك – 10 / 503 ، و(1) بلا عزو في الصحاح – هلك – 1103 ، و (1 ، 2) في تاج العروس – هلك – 27 / 400 .

[10]

ومما يستدرك على قافية اللام : ص 259 .

قال :

١ للجِنِّ بين قارتَيْها أَفْكلُ .

٢ أقبلَ بالخيرِ عليها مُقْبِلُ .

٣ عازِلةٌ عن كُلِّ خَيرٍ تَعْزِلُ .

٤ يابسةً بطحاؤها تُفَلْفِلُ .

التخريج : 1 ، 2 ، 3 ، 4 في تهذيب اللغة – زلعَ – 2 / 136 ، ولسان العرب – عِزل – 11 / 443 ، وتاج العروس – عزل – 29 / 470 .

[11]

ومما يستدرك على قافية الميم : ص 259 – 261 .

أ – قال أبو نخيلة :

١ كأَنَّ رَمْلاً غيرَ ذي تَهَيُّمِ 2– مِنْ عالجٍ وَرَمْلِها العلنجَمِ

3– بمتلقى عثاعِثٍ وَمَأَكِمِ 4– بين التَّقَا والأكَمِ المَسْتَأْكِمِ

5– ولم يَقِظْ في النَّعَمِ المُسَّهَمِ 7– لِبَلْخٍ مَخْشيّ الشذا مُصْلَخْمِمِ

8– بَلْ لَفَظَتْ كُلَّ غِراءٍ معظمِ 9– إذا اعْوَجَجْنَ قلتُ صاحِبْ قَوِّمِ

10– بالدّوِّ امثال السفينِ العُوَّمِ 11– يَتْبَعْنَ نظاريّةَ لم تُهْجَمِ

التخريج :

– 1 ، 2 ، 3 منسوب لأبي نخيلة في لسان العرب – علجم – 12 / 422 ، وتاج العروس – علجم – 33 / 140 – 141 .

– 4 : منسوب لأبي نخيلة في المحكم والمحيط الأعظم – أكم – 3 / 199 ، واللسان – أكم – 12 / 20 ، وتاج العروس – زوع – 21 / 162 ، و – أكم – 31 / 224 .

– 5 : لأبي نخيلة في الصحاح – سهم – 520 ، واللسان – سهم – 12 / 314 ، وتاج العروس – سهم – 144/32.

– 6 : لأبي نخيلة في تهذيب اللغة – خنصر – 2 / 39 ، واللسان – صلخم – 12 / 341، وتاج العروس – صلخدم – 32 /510 .

– 7 : لأبي نخيلة في المحكم والمحيط الأعظم – غور – 2 / 452 ، واللسان – غرو – 15 / 121 ، وتاج العروس – غرو – 39 / 154 .

– 8 ، 9 منسوب لأبي نخيلة في شرح أبيات سيبويه : 2 / 398 ،وبلا عزو في الكتاب : 4 / 203 ، ومعاني القرآن / الفراء : 1 / 331 ، 256/2 ، و الخصائص : 1 / 76 ، 2 / 317 ، وتحصيل عين الذهب : 565 ، واللسان – عوم – 12 / 431 .

– 10 : منسوب لأبي نخيلة في تهذيب اللغة – نظر – 5 / 40 ، واللسان – نظر – 5 / 215 ، وبلا عزو في تاج العروس – نظر – 14 / 251 .

ب – وقال أبو نخيلة يذكر السّمك :

١ تَغُمُّهُ النَّشرة والنَّسِيمُ 2 – ولا يزالُ مُغْرَقاً يعومُ

3 – في البحرِ والبحرُ له تَخَمِيْمُ 4 – وأُمُّهُ الواحِدة الرَّؤُومُ

5 – تَلْهَمُه جَهْلاً وما يَرِيْمُ

التخريج : منسوب لأبي نخيلة في كتاب الحيوان – حمام النساء و حمام الفراخ – م3 – 2 / 86 ، واللسان – نشر – 5 / 206 .

ج– وقال :

١ لَمّا رَماني الناسُ بابْنَيْ عَمِّي

٢ بالقِرْدِ عِنْقَاشٍ وبالأصَمِّ

٣ قلتُ لها يا نفسي لا تَهْتَمِّي

٤ كَنَهْوَرٌ كان من اعقاب السُّمِيّ

التخريج :

– 1 ، 2 ، 3 : منسوب لأبي نخيلة في تهذيب اللغة – عنقش – 3 / 278 ، واللسان – عنقش – 321/6.

– 4 : لأبي نخيلة في الكتاب : 3 / 606 ، واللسان – كنهر – 5 / 153 ، والمخصص : 2 / 361، وتاج العروس – كنهر – 14 / 73 .

ء – واستعار أبو نخيلة الغلاصم للنخل فقال [من الطويل]

– صفا بَسْرُها واخضرَّتِ العُشْبُ بَعْدَما عَلاَها اغبرارٌ لانضمام الغلاصم

التخريج : البيت لأبي نخيلة في اللسان – غلصم – 12 / 441 .

[12]

ومما يستدرك على قافية النون : ص 261 – 262 .

– قال أبو نخيلة السعدي :

١ هل باللّوى من عَكَرٍ عَكْنان .

٢ أَمْ هل ترى بالنَّحلِ من أظْعانِ

التخريج : في المحكم والمحيط الأعظم – عكن – 1 / 96 ، واللسان – عكن – 13 / 288 ، وتاج العروس – عكن – 35 / 407 ، و(2) بلا عزو في تهذيب

اللغة – كن – 1 / 93 ، و(1) في الصحاح – عكن – 731 وفنه : (وصَبَّحَ الماءَ بوِرْدِ عَكْنَان) .

[13]

ومما يستدرك على قافية الياء القطعة (46) : ص 262 .

أ – قال أبو نخيلة :

1 – هَزَّتْ قواماً يجهدُ العَرضيّا . 2 – هَزَّ الجنوبِ النخلةَ الصَّفِيّا .

3 – إذا لقيتَ ابن قُشَيْرٍ هانِيَا . 4 – لقيتَ من بهراءَ شيخاً وانِيَا .

5 – شيخاً يظلُّ الحِجَجَ الثمانيَا . 6 – ضيفاً ولا تَلْقَاهُ إلا تانِيَا .

7 – إنّا وكنّا حَنَكاً نَجْدِيّا . 8 – لما انتجعنا الوَرَقَ المَرْعِيّا .

9 – ولم نجد رُطَبَاً ولا لَوِيّا . 10 – اصبح وجه الأرضِ إرمينيّا .

11 – بحيث كُنّا نعمد الشَرِيّا . 12 – أو كاختياتِ الأسد الشّوِيّا .

13 – مِثْلُ القذى يتبع القُذِيّا . 14– لَمّا نَبَا بي صاحبي نُبِيّا .

15 – واسْتَرْدَفَتْ مِنْ عالجٍ نُقَيّا .

التخريج :

– 1 ، 2 : منسوب لأبي نخيلة في مقاييس اللغة – عرض – 4 / 730 ،وتاج العروس – عرض – 18 / 404 .

– 3، 4 ، 5 ، 6 : منسوب لأبي نخيلة في أساس البلاغة – تنأ – 72 .

– 7 ، 8 ، 9 : في تهذيب اللغة – حنك – 4 / 104 ،وأساس البلاغة – حنك – 166 ، واللسان – حنك – 10 / 416 ،وفيها (فلم نجد) ، وتاج العروس – حنك – 27 / 125 .

– 10 : في أساس البلاغة – حنك – 166 .

– 11 : وتاج العروس – حنك – 27 / 125 ، وفيه (الثُّرَيّا) .

– 12 : في تهذيب اللغة – خات – 3 / 13 ، واللسان – خيت – 2 / 32 .

– 13 : في المحكم والمحيط الأعظم – قذي – 3 / 80 ، واللسان – قذي 15 / 172 ، وتاج العروس – قذي – 39 / 279 .

– 14 في اللسان – نبو – 15 / 301 ، وتاج العروس – نبو– 8/40 ، 16

– 15 : في المحكم والمحيط الأعظم – نقو – 3 / 102 ، واللسان – نقا – 15 / 338 .

ب – وانشد أبو عمرو لأبي نخيلة :

١ – مازال يعدو وطورَهْ العبدُ الرَّدِي

٢ – وهُنَّ بَعْد القَرَب القسِيِّ

٣ – مُسْتَرْعِفاتٌ بِشَمَرْذِليِّ

التخريج :

– 1 : في مقاييس اللغة – عدو – 719 .

– 2 ، 3 : في اللسان – رعف – 9 / 123 ،و– قسا – 15/ 180 ، وتاج العروس – رعف – 23 / 352 ،و–قزو– 39 / 299 ، وبلا عزو في المحكم والمحيط الأعظم – قسو – 3 / 88 ، والمخصص : 2 / 180

تم بعون الله تعالى وبحمده

ثبت المصادر والمراجع:

١ – أساس البلاغة – الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر– ت 538 هـ)، ط1 ، دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان ، 1422هـ / 2001 م .

٢ – إصلاح المنطق – ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق – ت 244 هـ)، تحقيق : احمد محمد شاكر ،وعبد السلام محمد هارون ، ط 4 ، دار المعارف – القاهرة ، 1949 م

٣ – تاج العروس من جواهر القاموس – الزّبيدي(محمد بن محمد عبد الرزاق – ت 1205هـ)، دار الهداية ، (د. ت) .

٤ – تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الادب في علم مجازات العرب – الأعلم الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان – ت 476 هـ) ، تحقيق : د. زهير عبد المحسن سلطان ، ط2 ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1415هـ / 1994م .

٥ – جمهرة اللغة – ابن دريد الأزدي (أبو بكر محمد بن الحسن – ت 324 هـ) حققه وقدّم له : رمزي بعلبكي ، دار الملايين – بيروت ، ط1، 1987م .

٦ – الجيم – أبوعمرو الشيباني (إسحاق بن مرّار الشيباني – ت 206 هـ) ، تحقيق: ابراهيم الابياري وآخرين ، القاهر ، 1974– 1975م .

٧ – الخصائص – ابن جني (ابو الفتح عثمان بن جني – ت 392هـ) تحقيق : محمد علي النجار، ط4 ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، 1990 م .

٨ – دلائل الإعجاز– عبد القاهر الجرجاني (عبد الرحمن بن محمد – ت 474 هـ) ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، ط 3 ، دار المدني – جدة ، 1413هـ / 1992 م .

٩ – ديوان الأدب – الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد الفارابي – ت 339 هـ) ، تحقيق : د. احمد مختار عمر ، القاهرة ، ط1، 1974 – 1978م .

١٠ -سمط اللآلي في شرح آمالي القالي – أبو عبيد البكري (عبدالله بن عبد العزيز – ت 487 هـ) ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، ط 2 ، دار الحديث – بيروت، 1984م .

١١ -**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – ابن عقيل (بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله – ت 769هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مكتبة دار التراث – القاهرة ، 1419 هـ / 1998 م .**

١٢ -شرح أبيات سيبويه – السيرافي (أبو محمد يوسف بن أبي سعيد – ت 385هـ)، تحقيق : د. محمد علي سلطاني ، ط 1 ، دار العصماء – دمشق ، 1422هـ /2001 م .

١٠ -الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن مسلم – 276 هـ) ، تحقيق : د. عمر الطبّاع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، ط 1، 1418هـ / 1997م .

١١ -الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)– الجوهري(إسماعيل بن حماد – ت نحو400 هـ) ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، ط 1، دار المعرفة – بيروت ، 1426هـ / 2005 م .

١٢ -العين – الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (د. ت) .

١٣ -الكتاب – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان – ت 180هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، 1412 هـ / 1992م .

١٤ -كتاب الحيوان – الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر– 255 هـ) ، تحقيق : د.عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – لبنان / بيروت ، 1416هـ / 1996م .

١٥ -لسان العرب – ابن منظور (محمد بن مكرم – ت 711 هـ) ، ط 1، دار صادر – بيروت .

١٦ -مجاز القرآن – أبو عبيدة (معمر بن المثنى التميمي – ت 211 هـ) ، تحقيق: احمد فريد المزيدي ، ط1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1427 هـ / 2006 م .

١٧ -مجلة المورد ، المجلد السابع ، العدد الثالث ، لسنة 1398هـ/ 1978م .

١٨ -المحكم والمحيط الأعظم – ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل – ت 458 هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، ط 1، دار الكتب العلمية – بيروت ، 2000 م .

١٩ -المخصص – ابن سيده (ت 458 هـ) ،تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1، 1417 هـ / 1996م .

٢٠ -المزهر– السيوطي (عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين – ت 911 هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،ومحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي،المكتبة العصرية – صيدا/بيروت ، 1428هـ / 2007 م .

٢١ -مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب – اليمني (أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر – ت **400 هـ**) ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة – بيروت / لبنان ، (د. ت) .

٢٢ -معاني القرآن – الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد – ت 207 هـ) ، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه : إبراهيم شمس الدين ، ط 1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1423هـ /2002م .

٢٣ -مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – ت 761هـ . تحقيق : أ .د.صلاح عبد العزيز علي السّيد ، دار السلام – القاهرة ، ط 2 ، 1429 هـ / 2008 م .

٢٤ -المقاصد النحوية – بدرالدين العيني (محمود بن أحمد بن موسى – ت 855 هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1، 1426هـ / 2005 م .

٢٥ -مقاييس اللغة – ابن فارس (أبو الحسين احمد بن فارس – ت 395 هـ) ، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1422هـ /2001 م .

صورة الممدوح في شعر الرصافي البلنسي

.دراسة تحليلية.

م. د. جمعة حسين يوسف الجبوري

جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

الملخص

يعد الرصافي البلنسي من الشعراء المتعففين الذين لم يتخذوا من الشعر وسيلة للتكسب، حتى انه عُرف بالرفاء؛ لأنه كان يرفو الثياب ترفعا عن التكسب بالشعر ولهذا كان يُظن انه لا يقول شعرا في المدح ،لبعدهِ عن غاية المدح عند اغلب الشعراء . وهي التكسب . وبعد الاطلاع على ديوانه وجدنا قصائد كثيرة في المدح، مما جعلنا نعتقد انه كان صادقا في مدحه وفي المقابل فان الممدوح الذي نال من الشاعر هذه المدائح كان جديراً بهذا المدح، لذلك حاولنا تقصي صورة الممدوح في شعر الرصافي البلنسي على وفق المنهج التحليلي ، وثبت عنوان البحث الموسوم بـ(**صورة الممدوح في شعر الرصافي البلنسي . دراسة تحليلية)**

اهتم الشاعر بوصف خصال الممدوح وبلورتها في رسم صورة مثالية له بأسلوب فني يمتزج فيه الحسي بالروحي ، مما شكّل ظاهرة واضحة تستحق الوقوف عليها ودراستها . وبهذا جاء البحث على التقسيم الآتي:

قُسم البحث على مقدمة وتمهيد ومجموعة صور للممدوح مقسمة على الخصال التي اتصف بها،ومن ثم الخاتمة ومكتبة البحث.

مُقَدِّمَة

يعد الرصافي البلنسي [١] من الشعراء المتعففين الذين لم يتخذوا من الشعر وسيلة للتكسب، حتى انه عُرف بالرفاء؛ لأنه كان يرفو الثياب ترفعا عن التكسب بالشعر ولهذا كان يُظن انه لا يقول شعرا في المدح ،لبعدهِ عن غاية المدح عند اغلب الشعراء . وهي التكسب . وبعد الاطلاع على ديوانه وجدنا قصائد كثيرة في المدح، مما جعلنا نعتقد انه كان صادقا في مدحه وفي المقابل فان الممدوح الذي نال من الشاعر هذه المدائح كان جديراً بهذا المدح، لذلك حاولنا تقصي صورة الممدوح في شعر الرصافي البلنسي على وفق المنهج التحليلي ، وثبت عنوان البحث الموسوم بـ**(صورة الممدوح في شعر الرصافي البلنسي . دراسة تحليلية)**

اهتم الشاعر بوصف خصال الممدوح وبلورتها في رسم صورة مثالية له بأسلوب فني يمتزج فيه الحسي بالروحي ، مما شكّل ظاهرة واضحة تستحق الوقوف عليها ودراستها . وبهذا جاء البحث على التقسيم الآتي:

قُسم البحث على مقدمة وتمهيد ومجموعة صور للممدوح مقسمة على الخصال التي اتصف بها،ومن ثم الخاتمة ومكتبة البحث.

اختصّ التمهيد: بتحديد دوافع المديح لدى الشاعر ومفهوم الصورة الشعرية ، أما محاور البحث فقد اهتمت بتحديد صورة الممدوح في خمس صور ، معتمدين على معيار الكم في ترتيب تسلسل الصور فتقدمت صورة الممدوح الشجاع على باقي الصور وتلاها صورة الممدوح الكريم، وبعدها الممدوح المؤمن ، فالممدوح الحليم ، فالفصيح البليغ ، وختم البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها ، وذيل بهوامش ، ثم مكتبة البحث.

اختصّ التمهيد: بتحديد دوافع المديح لدى الشاعر ومفهوم الصورة الشعرية ، أما محاور البحث فقد اهتمت بتحديد صورة الممدوح في خمس صور ، معتمدين على معيار الكم في ترتيب تسلسل الصور فتقدمت صورة الممدوح الشجاع على باقي الصور وتلاها صورة الممدوح الكريم، وبعدها الممدوح المؤمن ، فالممدوح الحليم ، فالفصيح البليغ ، وختم البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها ، وذيل بهوامش ، ثم مكتبة البحث.

والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير.

دارت حول الشاعر بعض الدراسات، ولكن الذي كان أكثرها قرباً إلى بحثنا رسالة ماجستير بعنوان (شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية . فنية)[٢]،إذ تطرق الباحث فيها إلى موضوع المديح ،وربما يظنّ ظانٌّ ،إن هذا هو صلب موضوع بحثنا ،ولكننا نود ان نبين أن هناك فرقاً بين غرض المديح وصورة الممدوح ،فصورة الممدوح عبارة عن مزيج من المدح والوصف في سياق خاص يصيغه الشاعر ، فضلا عن التنويه بفضل هذه الدراسة التي سبقتنا الى هذا الشاعر ومدى إفادتنا منها ، ونعد هذا التنويه من الأمانة العلمية نتوخاها في عملنا دائما محاولين بذلك إتمام دراسة شعر الشاعر والإحاطة بجوانبه الفنية .

والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

١ - **دوافع المدح** :

قبل البدء في الحديث عن تحديد معنى الصورة الشعرية ، نحاول أن نسلط الضوء على دافع المديح عند الشاعر، فقد اشرنا في المقدمة انه لم يكن شاعرا متكسباً بل كان عفيفاً ومداحاً وهو يصرح في شعر بأن لا يتخذ الشعر سبيلا للت كسب، إذ يقول[٣]:

على أنني لا ارتضي الشعر خطة ولو صيرت خضرا مسارحي الغبرا
كفى ضعة بالشعر أن لست جالبا إليّ به نفعا ولا رافعا ضرا
يقولُ أناسٌ : لو رفعتَ قصيدةً لأدركتَ حَتْماً في الزمانِ بها أمْرا

فالشاعر يصرح بابتعاده عن التكسب عِفَّة وترفعاً بل انه ، يحط من قدر الشعر في ميزانه المادي عنده فهو لايجلب له نفعاً ولايدفع عنه ضرا، لذا نرى ان الشاعر البلنسي كان بعيداً عن غاية الناس الذين ينصحونه بالتكسب بالشعر في مدح الأمراء .

ومن هذا يتبين صدقه لصدق الدافع ، وتأتي صور الممدوح واقعية معبرة عن صفات ممزوجة بالروح الأدبية التي تعينه على تشكيل الصورة الشكلية والروحية له ، معبراً عن واقع الحياة التي يعيشها ويرسم صور شخصياتها كما يراهم بعين الإبداع لان((شعر كل امة من الأمم صورة منتزعة من واقعها وأحداثها، تستلهمه من تجاربها وصراعها مع ذلك الواقع وتلك الأحداث، تعبيراً عن مأساتها وتمثيلاً لكينونتها في عالم يعج بالحركة ويغتبط بجوهر الحياة))[٤] ، لذلك رسم الشاعر صورا لممدوحه . أيّا كانت صفته أميرا كان أم وزيراً أم صديقا.. وقد استمد الشاعر البلنسي تلك الصور من محيطه الأدبي والاجتماعي والثقافي والسياسي التي تكوّن منها موروثه الثقافي فاستعمل الصور وأداة رسمها من الأفكار والمعاني والألفاظ ، التي تليق بوصف

الممدوح، فقلدهم درراً لامعةً ظلت محتذى لكثير من الشعراء بعده. وهذا المديح ليس للكسب الرخيص المادي وإنما لغاية خلقية . كما أسلفنا[٥] .

٢ - مفهوم الصورة الشعرية:

الصورة في اللغة تفيد معنى الشكل فالصورة هي الشكل و الهيئة والحقيقة والصنعة وكذلك النوع [٦]وتكاد لاتخلو دراسة عن الصورة إلا ووقفت على قول الجاحظ: "فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " [٧] فالشعر عبارة عن صورة يرسمها الشاعر بواسطة الألفاظ التي تكون بمثابة الفرشاة والألوان للرسام لكونها الوعاء الفني للغة الشعرية شكلاً ومضموناً [٨] ؛لأن الصورة " تشكيل لغوي ، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ، يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس . إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وان كانت لا تأتي بقدر كثرة الصور الحسية ، او يقدمها الشاعر أحياناً كثيرة في صور حسية " [٩] فلذلك يمكن أن نصف الصورة بأنها " نقل تجربه حسية ، أو حالة عاطفية من الشاعر إلى المتلقي في شكل فني تتخذه الألفاظ والعبارات بعد ان ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة "[١٠] .فالتصوير يعتمد على الحواس بشكل كبير لتحديد معالم الصورة ؛لان" التصوير الشعري هو جزء من النمو الحسي " [١١]

وتتداخل الصورة الحسية مع الصورة الذهنية لان الثانية بالضرورة تعتمد على الأولى في نقل مدركات الصورة الذهنية فهناك من يرى أن أساس الفن هو القدرة على تكوين الصور الذهنية ، أما إبراز الصور الحسية فعملية صناعية ومهارة [١٢] وهناك من النقاد من حدد الصورة بأنها " ذلك الشيء الذي يقدم تشابكاً عقلياً وشعورياً في لحظة من الزمن " [١٣] وبهذا نجد تلاحم الصور بمختلف إشكالها لاعتمادها على المادة الخام التي هي الألفاظ والأفكار التي يرتبها الشاعر في خياله وشعوره، إذ " إن

الشعور ليس شيئاً جديداً يضاف إلى الصور الحسية ، بل هو الصورة نفسها " [١٤] وبذلك" يوحد بين (المادي والحسي) و (الفكري والمعنوي) ويذيب الحدود المصطنعة بينهما فيتناغم الحسي مع الفكر من دون أن يفصله أو يتميز عنه" [١٥].وهنا يلعب خيال الشاعر دور كبير في رسم الصورة لأنه " القوة التي تخلق الصورة وتثبتها داخل العمل الإبداعي"[١٦].

يحاول الشاعر دائما " خلق العلاقات التي تشير إلى الحالة أو الموقف أو التصور، واغلب هذه الحالات إنما هي تنبيه من الشاعر إلى الجو العام، العاطفي او النفسي او الفكري الذي يريد نقله إلى القارئ"[١٧]، وتختلف الصورة من قارئ لآخر فقد يحصل تداخل بين الصور إذ " تبدو شديدة اللمسية لقارئ يمكن أن تكون صورة بصرية تماماً لدى قارئ آخر "[١٨].

وتُعد الصورة الشعرية المرآة التي تعكس أبداع الفنان ، ومعرفة مكنون الشاعر ، وبهذا يكون "الاتجاه إلى دراسة الصورة يعني الاتجاه إلى روح الشعر"[١٩].

وقبل الانتقال إلى عرض صور الممدوح عند البلنسي علينا أن نوضح شيئاً للقارئ وهو الممدوح :فحينما نقول الممدوح لانقصد به ممدوحا واحدا اختص به الشاعر وقصر عليه شعره وإنما نقصد به أي ممدوح مدحه الشاعر سواء أكان أميراً أم وزيراً أم غيره ، وبما ان الشاعر قصر مدحه على شخصيات معدودة يمكن حصرها لكننا نشير هنا إلى أشهرهم إتمام للفائدة وهم :

1. الأمير عبد المؤمن بن علي الموحدي [٢٠].
2. أبو عبدالله محمد بن عبد الملك بن سعيد[٢١].
3. الوزير أبو جعفر الوقشي[٢٢]
4. أبو سعيد عثمان [٢٣]

وبعد تتبع صورة الممدوح في ديوان الشاعر وجدناها تمثلت في خمس صور أساسية وهي كالآتي:

أولاً: صورة الممدوح الشجاع

شكل مضمون الشجاعة الحيز الأكبر في رسم صور الممدوح عند البلنسي ، وذلك يعود لاعتزاز العرب بهذه الخصلة التي يعتز ويفتخر بها الممدوح ويفرح حينما يصفونه بها بشكل عام واختص بها البلنسي بشكل خاص ، ولايكاد يخلو ديوان أي شاعر في غرض المدح من هذه القيمة في وصف الممدوح إلى جانب الكرم والحلم وأصالة النسب وغيرها من القيم والمُثل العليا التي تُعد من أساسيات المدح ،لذلك اتكأ عليها الشاعر في رسم صورة ممدوحه بذلك الشجاع الذي يذود عن حمى الإسلام ويهابه الشرك وأهله ،وهو لا يهدف إلى تقريب دلالة الصورة من فهمنا ، ولكن إلى ايجاد إدراك خاص للموضوع ، وإلى خلق رؤيا له وليس إلى التعرف عليه وبهذا تكون الصورة "الجزء الأكثر فنية في القصيدة" [٢٤] ومن جميل صور الشجاعة التي رسمها الشاعر للممدوحة قوله في مدح الأمير عبد المؤمن بن علي راسما له صورة الهيبة والتي تغض له العيون ومنها عيون الشاعر[٢٥]:

رَفَعنا نَحوَ مَرآكُم عُيُوناً ... لهنَّ دُوَينَكُم نَظَرٌ كسيرُ

فكاد يصدنا عن مجتلاه ... رقيب من مهابتكم غيور

استخدم الشاعر تقنية الحواس في رسم الصورة المتمثلة بلوازم الصورة البصرية (مرآكم ، عيوناً ، نظر ،رقيب)، وبؤرة الصورة هي الهيبة التي تُعد من دلالات الشجاعة والشخصية ففي هذا النص مزج الشاعر الحسي بالمعنوي، وذلك ؛ لأن الحواس هي أهم الوسائل في تشكيل الصورة ؛لأنها تمد الخيال بمعطيات تساعد على تركيب صورة جديدة لها علاقة في الواقع ولكن فيها لمسات فنية ترتقى بها عن الواقع

المادي "فالجانب الحسي أساسي في الصور" [٢٦]وبهذا نلاحظ صورة محسوسة يمكن تخيلها فالشاعر يحاول رفع بصره إلى الممدوح الذي يجعله في مكان التعالي والهيبة لان رفع البصر يكون إلى ما هو أعلى وليس إلى ما هو دون فلذلك استخدم الشاعر جملة (رفعنا) للدلالة على علو الممدوح ، فضلا عن استخدامه أسلوب التقليل (دوينكم)ولم يقل (دونكم) إقراراً من الشاعر بان النزر القليل من الممدوح يكفي للهيبة منه ، وهذا مدح آخر يزيد من فنية الصورة التي توحي بأجزائها كافة على رسم الممدوح بالشجاعة والعلو.

ونجد أيضاً الشاعر في نص آخر يحاول أن يرسم صورة للممدوحة يكون فيها أكثر مبالغة ،إذ يجعل البحر مذعوراً من الممدوح ، وفي الغالب كنا نجد من صفات البحر العظمة والخوف منه ، ولكن صورة الشاعر هنا أكثر بلاغة إذ عكس التصور السائد للرفع من شأن ممدوحه وتعظيم هيبته وشجاعته ، قائلاً [٢٧]:

لما تسابَقْنَ في بحر الزُّقاقِ [٢٨]به ... تركنَ شطَّيْهِ في شكٍّ وتحييرِ

أهزَّ من موجه أثناء مسرور ... أم خاض من لُجِّه أحشاء مذعور

كأنه سالك منه على وشلٍ ... في الأرض من مُهَجِ الأسياف مقطور

تتضح هنا صورة الممدوح الشجاع وهو في أوج عظمته وشجاعته ، إذ يجعل الشاعرُ من البحر قرائن ودلائل تشير إلى هيبة الممدوح ، فحركة الأمواج واضطرابها تنسجم مع ثنائية صورة(الفرح/الخوف) ولذلك يعلل الشاعر هذه الحركة بالفرح والسرور بالممدوح تارة وبالخوف والاضطراب ومحاولة الغور في أعماقه خوفا منه تارة أخرى ، مستخدما الشاعر تقنية الاستفهام الذي خرج لمعنى التعجب بين الفرح والخوف ، والصورة في مجملها تحمل دلالة هيبة الممدوح وشجاعته .

ينتقل الشاعر إلى رسم صورة أكثر مبالغة لهيبة ممدوحه وشجاعته ، فهو ذلك الشجاع الذي لايمكن الوقوف أمامه او تحديه ، فقد ذابت السيوف لسطوته وشدة بطشه ، ونيران غضبه ، في قول الشاعر من القصيدة نفسها(٢٩):

من السيوف التي ذابت لسطوتِهِ   وقد رمى نار هيجاها بتسعيرِ

يحمل هذا البيت دلالات عميقة ، فدلالة ذوبان السيوف لسطوته ، تحمل كل معاني الشجاعة والإقدام والهيبة وشدة البطش وما يدور في ذهن المتلقي من هذه الأمور.

ولا يقف الشاعر عند هذا الحد في رسم صور ممدوحه الشجاع اذ وجدنا في ديوانه انه يخضع للممدوح الأعداء قسراً لسطوته بعدما كانوا يأبون الخضوع له ، ولكن ما يملكه من عزم وحزم أذلت هؤلاء ، ممزوجة بصورة الجيش الذي يحيط به دلالة على ما يمتلكه من قوة وتأييد، قائلاً(٣٠):

مُمَيَّز الجَيشِ ملتفّا مَواكِبُهُ   من كل مثلول عرش المُلك مقهور

من الأُولى خضعوا قَسراً له وعنوا   لأمرِهِ بين منهيٍّ ومأمورِ

من بعد ما عاندوا أمراً فما تركوا   إذ أمكن العفو ميسوراً لمعسورِ

بَقِيَّةَ الحربِ فاتوها وما بِهِمُ   في الضَّربِ والطَّعنِ سيماءٌ لِتقصيرِ

امتزج الحسي بالذهني في رسم الصور ، وذلك لان الحس يُعد من أساسيات الصورة إذ " لا شيء أثبت من الصور الحسية في الذهن " (٣١)، فصورة الخضوع قسرا للممدوح دلالة على قوته وشجاعته وحزمه ، والخضوع القسري يدل على قوة العدو ولكن قوة الممدوح تقهر كل قوة وفي ذلك تكشّف ووضوح في صورة الممدوح ؛لان خضوع الضعيف له لايدل على قوته بل التفت الشاعر إلى هذه الصورة فمنح للعدو جبروت ولكن للممدوح قوة لاتقهر وفي ذلك رفع من شأن ممدوحه.

يحاول الشاعر مزج صور الشجاعة بالصور الدينية ، لتوجيه تلك القوة والهيبة في مرضاة الله تعالى والذود عن محارمه ونشر الرسالة الإسلامية ، وبهذا يحيط الممدوح بهالة قدسية ، وكأن هذه القوة هبة ربانية من الله تعالى، فلا يقوى عليها احد ، ولو انفرد الممدوح لوحدة في قتال الأعداء لانتصر ؛ لأنه يسير بأمر الله تعالى ونصره، كما في قول الشاعر (٣٢):

إذا صدعت بأمر الله مُجتهداً   ضربت وحدك أعناق الجماهيرِ

......

وإنما هو سيف الله قلده   أقوى الهداة يداً في دفع محذورِ

واتجه الشاعر في غرض المدح عنده إلى انتزاع صورة الشجاعة لممحدوحه من الصور الإيمانية، لذا ترى الممدوح – من خلال قصيدة المدح– يصدع بأمر الله تعالى ، وهو سيف الله . عز وجل . وإضافة سيف الممدوح إلى لفظ الجلالة فيه توجيه للمدح باتجاه الدين فالممدوح مؤمن مدافع عن العقيدة وناصر لدين الله فهو يحمل سيف الله للذود عن محارمه، فتمتزج صور الشجاعة بالإيمان لأجل رفع شأن الممدوح وإحاطته بنور الإيمان لتتجلى الصورة بوضوح وفيها عنصر الشجاعة بعيداً عن التكبر والطغيان وإنما صفة الشجاعة متأتية من الإيمان والتضحية في سبيل الله تعالى، وفي صدر البيت الأول اقتباس أشاري من قوله تعالى : ﭽ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ﭼ (الحجر: ٩٤).

لم يقتصر شعر الرصافي على تصوير شخصية ممدوح فقط ، وإنما تعددت الشخصيات التي مدحها وصورها ، وقد تتشابه الصور في إطارها العام مع اختلاف جزئياتها ، فمن الممدوحين ابن عبد المؤمن عثمان فهذا الشبل من ذلك الأسد ، إذ يقول فيه راسما أجمل صور الشجاعة قائلاً (٣٣):

مَنْ لم يُصِخْ نحوها والسيف ملتحفٌ   فسوف يَقْرَؤُهَا والسيفُ عُرْيانُ

مَوتُ العِدَا بالظُّبا دينٌ وإن مَطَلت	**به سيوفُكَ فالأيَّامُ ضُمَّانُ**
فَكُنْ من الظَّفَرِ الأعلى على ثقةٍ	**منك الظُّبا ومن الأعناقِ إذعانُ**
لا زالَ كلُّ عدوٍّ في مَقَاتِلِهِ	**دمٌ إلى سَيفِكَ الريَّانِ ظَمآنُ**

تسيطر الصورة السمعية على البيت الأول باستحضار لوازمها(يصيخ) ممزوجة بالصورة البصرية للسيف الذي، يُعد من لوازم صور الشجاعة ، فضلا عن استخدامه أسلوب التضاد (ملتحف/عريان) والتضاد يمنح الصورة أكثر وضوحاً وإشراقا لأن الشيء وضده يكون أوضح من المتشابه في الصورة ؛لأنه يكون مميزا عن الآخر ، وثنائية (ملتحف/عريان) تحمل دلالة الاتعاظ والحذر والإصغاء إلى الممدوح قبل أن يغضب ويشهر سيفه فحينها الموت الزؤام ، فضلا عن تكرار كلمة (السيف) فيها دلالة على شجاعة الممدوح وموت الأعداء الذي لازال يحصدهم هذا السيف ، وتذل له الأعناق ، فتتجمع الصورة بإطارها العام في دلالة الشجاعة والحزم، فضلا عن استخدام الشاعر النون المضمومة مسبوقة بالألف فيما تسمى بالقافية المؤسسة بحرف واحد ، مما توحي بالفخامة إذ المد الصوتي لحرف الروي يتبعه امتداد لسلطة الممدوح ، وفي النون كأننا نسمع أنين الأعداء وبخاصة في الألفاظ التي تنتهي بالصوت (آن) في قوافي(عريان، ضُمّان ،إذعان، ظمآن) ،فضلا عن التشديد الذي يسبق (الألف)او المد الطويل في اغلب القوافي ، يوحي بشدة الممدوح وسطوته على أعدائه ، وبذلك استطاع الشاعر بحسه الشعري تصوير ممدوحيه بأجمل صور الشجاعة والسيطرة والقوة والمنعة ،ممزوجة بالدافع الإيماني ، ولم نستطع التطرق إلى جميع صور الشجاعة فهناك صور أخرى للشجاعة[٣٤]، فضلا عن الخصال الأخرى ولاسيما الكرم.

ثانياً: صورة الممدوح الكريم :

الكرم أحدى الخصال التي تلازم المدح دائما، فهي سمة عربية قديمة ثم اقرها الإسلام واعتز بها العرب على مر العصور ورسخها الإسلام في النفس وحث عليها ودخلت في الموروث الثقافي ضمن مخيلة الشاعر وامتزجت في شعره وهناك صور أصبحت متوارثة في الدلالة على الكرم فمنها وصف الممدوح بالبحر والمطر دلالةً على كثرة العطاء كما خلد التاريخ شخصيات أصبحت رموزاً للكرم كحاتم الطائي، إذ تحولت هذه الشخصية إلى رمز ودلاله على الكرم كالبحر والغيث وسواها لذلك عمد الشاعر البلنسي إلى رسم صورة لممدوحيه مطبوعة بطابع الكرم ،ويجسد الشاعر صورة الممدوح الكريم من خلال استدعاء صورة الكرم المتمثلة باليد المعطاء قائلا في مدح أبي عبد الله بن عبد الملك[٣٥] :

ايداً تفيض وخاطراً متوقدا	**دعها تبت قبسا على علم الندى**
نعم اليدٌ البيضاء انس طارق	**نار الذكاء على مكارمها هدى**
نعماء أعياني التماس مكانها	**لو قد وجدت لها ولياً مُرشدا**

عبر الشاعر عن صورة الممدوح الكريم باستدعاء لوازم الكرم (اليد،الفيض، الندى ، اليد البيضاء ،نار الذكاء ، نعماء) فهذه كلها دلالات الكرم ، فضلاً عن استخدام (اليد البيضاء ،ونار الذكاء) فاليد البيضاء تحمل دلاله العطاء من جهة والإشراق للدلالة على استدعاء الضيف لأنها مشرقة كنار القرى التي كانت من عادات العرب أن الكريم على عهد حاتم الطائي ان يقوم بإشعال النار في المرتفعات ليراها الراكب من بعيد ويهتدي إليها الطارق ويأنسها ، فأصبحت من دلائل الكرم والجود ،فضلا عن استخدامه الجناس غير التام في بداية البيت الثاني والثالث(نعم، نعماء) مما شكلت إيقاعاً دلالياً يرفد معنى الكرم بقيم العطاء واستخدامه لأسلوب

القران في نهاية البيت الثالث إشارة إلى قوله تعالى: (**وهيئ لنا من أمرنا رشدا**) الكهف:10.

يبالغ الشاعر في رسم صورة الممدوح الكريم حتى انه وجد متفرد بالكرم فهو الكريم الأوحد اذ يقول(٣٦):

ياواحِدَ الدُنيا وسَوفَ أعيدُها … مَثنى وان أغنى نداؤك موحدا

أمّا وقد طُفنا البلاد فلم نجد … لك ثانياً فكن الكريم الاوحدا

فالممدوح متفرد في هذه الدنيا لكرمه وتتجلى لوازم الكرم ب(نداؤك موحدا/الكريم الأوحد) فضلا عن التكرار الإيقاعي والتجانس في القافيتين لجملة دلالة التفرد بالكرم وفي هذا رفع من شأن الممدوح على الآخرين في هذه الصفة وفي النهاية يجعله المنفرد الأوحد ولا ند له بهذه الخصيله الحميدة .

وإذ انتقلنا إلى صورة الكرم التي رسمها لعبد المؤمن بن علي نجدها ابلغ وأعمق من الصورة الأولى ؛لأنه يرسم صورة الممدوح بطريقة التشبيه وفي هذا بلاغة وإظهار الشيء بأفضل مايكون فيرتفع بالممدوح حتى يجعل البحار تغرق في كرمه قائلاً (٣٧):

فتى من قيس عيلان تلاقى … على سيمائهِ كَرَمٌ ونورُ

تضئ به البلاد إذا تجلى … وتغرق في مكارمه البحورُ

حاول الشاعر تعميق صورة الكرم من جعله علامة من علامته أو لازمه من لوازم الممدوح (الكرم والنور) فضلا عن البيت الثاني الذي نقع فيه على صورة جديدة وهو غرق البحر في كرم الممدوح بعد أن كان يشبه كرم الممدوح بالبحر ، والغرق لايكون بالشئ القليل وإنما يجب أن يكون الكرم أضعافاً مضاعفةً على البحر حتى يغرق به وفي هذا دلالة جديدة في رسم صورة الكرم ولو قال اقتصر الشاعر في وصف كرم الممدوح بانه غطى البحار لكان اكبر من حجم البحر بقليل ولكن حينما

يغرق فيه يكون هناك فارق كبير بينهما فلذلك استخدم الشاعر الفعل (تغرق) في مكارمه البحور ولم يستخدم غيره كالفعل(غطى) في تمييز كرم الممدوح على البحر.

ونرى صورة الممدوح الكريم عند ممدوح أخر وهو الوزير الوقشي قائلاً (٣٨):

يامنعماً تطوي البلاد هباتهُ … ومن الهبات مسافر ومقيم

قد زارني فسقيت من وسميِّه … فوق الذي أروى به وأشيم

انتزع الشاعر في هذا النص صورة الكرم من الغيث بغزارة عطائه وشموله في العطاء ،فطوت نعمته وهباته البلاد، ومن لوازم هذه الصورة (منعم ،هباته ،فسقيت من وسميِّه..)والتي تحمل دلالة العطاء المنقطع النظير حتى أن الشاعر استزاد من هذا العطاء مايفوق على حاجته ويسترسل الشاعر برسم صورة الممدوح الكريم في الأبيات القادمة حتى يجعله حديث الركبان وغناءهم، وهناك صور أخرى للممدوح الكريم (٣٩) ولكن نكتفي بهذا القدر لننتقل إلى صورة الممدوح المؤمن.

ثالثاً: صورة الممدوح المؤمن:

يتجه الشاعر في كثير من صوره إلى إضفاء الصفات الإيمانية على ممدوحه اذ كان ينتزع كثيراً منها من الصور من صور النبوة ولاسيما صورة النبي موسى(عليه السلام)إذ تجتمع القرائن لدى الشاعر في قصيدته المشهورة في مدح عبد المؤمن بن علي حين نزل على جبل الفتح وكان الشاعر في حينها لم يبلغ عشرين سنةً .كما أشار محقق الديوان .فالشاعر منتبه إلى القرائن ،فنزوله على الجبل كنزول النبي موسى (عليه السلام) على الطور فلذلك استعار الشاعر الطور دلالةً على جبل الفتح كونها ابلغ من التشبيه ؛لان في الاستعارة يلغي التشبيه ويصبح الشيئان كشيء واحد ،ونجد في هذه القصيدة من روائع الصور الإيمانية إذ يقول فيها (٤٠):

لو جئت نار الهدى من جانب الطور … قبست ماشئت من علم ومن نور

فيضية القدح من نور النبوة أو … نور الهداية تجلو ظلمة الزور

يصور الشاعر ممدوحه بالتقي المؤمن فهو ((الذي يغذي نار الهدى بالتوهج من اجل هداية البشرية إلى دين التوحيد)) [٤١] وهذا الإيمان لا يأتي اعتباطاً وإنما نتيجة عمل إيماني وبهذا يحاول الشاعر نقل صورة الممدوح إلى صورة النبي موسى (ﷺ)جامع لوازم تلك الصورة (نار الهدى،الجبل ،القبس، نور النبوة ، نور الهداية ، تجلو ظلمة الزور)فكل هذي المعاني القرآنية التي رددت في آيات كثيرة منها قوله تعالى على لسان موسى(ﷺ) : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ(القصص: ٢٩) ويستمر الممدوح في تغذية نار الهداية التي رفعت لهداية البشر ورافع ظلمة الزور وتأتي هذه التغذية بالإيمان والصيام والقيام فهو صوّام هاجرة –شدة الحر – وقيّام ديجور. الليل المظلم . بالصلاة والعبادة فيستطرق ،قائلاً [٤٢]:

مازال يقضمها التقوى بموقدها	**صوام هاجرة قوام ديجور**
حتى أضاءت من الإيمان عن قبس	**قد كان تحت رماد الكفر ،مكفور**

يسترسل الشاعر في رسم الصفات الدينية والإيمانية للممدوح إذ بنى داره على سفح الجبل ونزوله على مجمع البحرين ،البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي الذي يفصلهما مضيق جبل طارق ، وسيره على تلك البقاع ويحاول الشاعر تقصي قصة النبي موسى (ﷺ) بكل تفاصيلها ليضفيها على ممدوحه، فترى في اغلب جزيئيات هذه الصور صور النبوة والتقوى فضلا عن استخدامه صيغة المبالغة (فعال)في(صوام،قوام) لدلاله على الكثرة والاستمرار ،وتشمل فضائل الممدوح الإيمانية وكرامته حتى الجبال ،فكأن لجبل الفتح نصيب من هذا الإيمان؛ لان الشاعر يبلغه مأمنه فلا يخاف إذ(دكت الجبال دكا)أو(سيرت الجبال) وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ(الفجر: ٢١) ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ(التكوير: ٣)

فجبل الفتح مطمئن لنزول هذا التقي علية مستمداً الشفاعة من ثرى المهدي فيستجدي الشفاعة منها يوم تأخذ الجبال الرجفة ، فيقول[٤٣]:

أخلقْ به وجبالُ الأرض راجفةٌ	**أنْ يطمئنَّ غداً من كلِّ محذورِ**
كفاهُ فضلا أن انتابت مواطئهُ	**نعلا مليكٍ كريمِ السَّعيِ مشكور**
مستنشئاً بهما ريحَ الشفاعةِ من	**ثرى إمامٍ بأقصى الغربِ مقبور**

ترتقي الصورة الإيمانية وفضلها إلى الجبال مع اقتباسات أشارية من القرآن الكريم ، في عجز البيت الثاني اقتباس من قوله تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ(الإنسان: ٢٢) .

من الصور القرآنية التي اقتبسها من صور النبوة تلك التي رسمها في مدح ابن الأمير عبد المؤمن بن علي وهو أبا سعيد عثمان ، إذ استلهم الشاعر قصة عصا النبي موسى (ﷺ) حين تنقلب ثعبان لتلقف أفك السحرة ، فيصور سيف او رمح الممدوح بعصا النبي وهي ثعبان ليتلقف أعناق الأعداء الذي تقابل أفك السحرة ، وغالبا ما يميل الشعراء الى توخي هذه الفكرة في رسم صور ممدوحيهم وهم ينقضّون على أعدائهم لما فيها من النصر المؤزر المؤيد بنصر الله تعالى وفي ذلك يقول الرصافي[٤٤]:

سارٍ من النقع في ظلماءَ فاحمةٍ	**والشهبُ في أُفُقِ المرانِ خرصانُ**
ومغتدٍ ومن الخطيِّ في يده	**عصا تلقَّفَ منها الجيشَ ثعبانُ**

حاول الشاعر البلنسي توظيف القصة القرآنية في رسم صورة الممدوح الإيمانية ممزوجة بالشجاعة والإقدام ، المؤيد بنصر الله تعالى ، وطالما استلهم الشعراء صورة عصا النبي في رسم سطوة ممدوحيهم على الأعداء ، ولعل القرينة الجامعة بينهما هي ثنائية (الإيمان/الشرك)والذي يقابله (النصر المؤيد من الله

تعالى/أفك السحرة . الأعداء) ، مما يفتح الباب أمام خيال الشعراء في تشكيل صورهم على وفق هذه الثنائيات، فضلا عن صور أخرى من هذا النمط(٤٥).

رابعاً : صورة الممدوح الحليم الفطن :

يمثل الحَلم ورجاحة العقل أحدى القيم الأساسية في المدح منذ الجاهلية والى يومنا هذا ، ولم يغفل الشاعر هذه القيمة الجمالية والمثالية في رسم صورة الممدوح ، فإلى جانب شجاعته وكرمه وورعه ، فهو راجح العقل حليم ، ولايمكن الفصل بين هذه القيم فهي مرتبطة الواحدة بالأخرى ، حتى في الشعر نجدها تأتي متلازمة الواحدة إلى جانب الأخرى ، وتقسيمنا لها في هذا البحث لايعني الفصل بينهم او تمييز أحداهم على الأخرى، ولكن هي محاولة لتقصي أجزاء صورة الممدوح والإحاطة بجوانبها كافة ، ولكن هي في النهاية قيم مترابطة لايمكن فصلها.

وتتصف صورة الممدوح بامتلاكه لقدرة العفو عند المقدرة ، وله من الحلم ما يستطيع به ان يملك نفسه عند الغضب ، وجاءت هذه الصفات في صورة الممدوح عثمان بن عبد المؤمن ، قائلاً (٤٦):

يُغضي عن الذنبِ عفواً وهو مقتدرُ ويتركُ البطشَ حِلْماً وهو غضبانُ
بفطنةٍ من وراءِ الغيبِ صادقةٍ منها على فضلها في الحكم عنوانُ
مزيةٌ ما أَراها قَبْلَهُ حَصَلَتْ لواحدٍ من ملوكِ الأرضِ مُذْ كانوا
أستغفرُ اللهَ إلا قصةً سَلَفَتْ قد كان فُهِّمها يوماً سليمانُ

فنلاحظ هنا انه قد اجتمع العديد من القيم في الممدوح مما ساعد على تشكيل صورة واضحة عنه، والتي اعتمد فيها الشاعر على تقنية الصورة الذهنية من خلال استدعاء مستلزماتها وبخاصة في الألفاظ (العفو ، الاقتدار ، الحلم ، الغضب ، الفطنة ، الغيب ، الصدق ، الفضل ، الحكم ، ..)ولعل ما ورد فيها هو إشارة إلى صفات المسلم من العفو عند المقدرة ، والحلم عند الغضب ، مما يوحي بالإشارة الى

الحديث النبوي الشريف : ((ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب)) (٤٧).

ثم بالغ الشاعر في وصف ممدوحه ، حتى وصل إلى مرتبة العلم بالغيب وإدراك غيبيات الأمور بفطنته وحدسه ، إذ جعله الوحيد في العالم بامتلاكه لتلك الصفة ، ولكن الشاعر استدرك الأمر فاستثني النبي سليمان (عليه السلام) بإشارته إلى قوله تعالى بطريقة الاقتباس الاشاري من قوله تعالى : چ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ(الأنبياء: ٧٩) ولعل هذا الاستثناء هو استثناء لكل الأنبياء لأنهم يعلمون ويعملون بأمر الله تعالى، وفي هذا انتباهه من الشاعر للوقوف أمام حدود الدين ولا يتجاوز خطوطه الحمراء بوصف ممدوحه ، ويتجلى هذا الانتباه والاحترام لحدود الدين بلفظة(استغفر الله). وكما اشرنا . فان صورة الممدوح هنا جاءت صورة ذهنية بالدرجة الأساس لاعتمادها على الذهني بالوصف ، وهذه الصورة لا تدرك بالحس وإنما تدرك بالذهن والعقل .

وفي صور أخرى يمتزج الحسي بالذهني في رسم صورة الممدوح الحليم الفطن الذي يستطيع تدبير أمور البلاد بالرأي السديد والعزم والحزم ، ومن ذلك قول الشاعر (٤٨) :

يستهدف المستقبلات بظنّه فيكاد يصمي اليوم ما يرمي غدا
ويسابق الرأي المصيبَ بعزمه كالسهمِ لا كسلا ولا مُتَبلّدا

استخدم الشاعر تقنية التشبيه في رسم صورة الممدوح فلديه حدس ورجاحة عقل ، وكأنه يعرف ما سيحدث غدا ورأي كالسهم ، فهنا تشبيه الذهني بالحسي إذ يشبه (الرأي) وهو ذهني ب(السهم) وهو حسي مما يزيد من بريق الصورة وتألقها ، والمبالغة في وصف الممدوح ، وكأنه يعرف الغيب بحسن تدبيره وفطنته وحلمه، والى

جانب هذه الصفات نجد الممدوح يتصف بالبلاغة والفصاحة والحكمة أيضا كما سيأتي ذكره .

خامساً: صورة الممدوح البليغ الحكيم :

بلاغة الكلام وفصاحته هي إحدى الأمور التي يتفاخر بها العرب ؛ لأنها لا تأتي من فراغ بل تدل على العلم وحسن الفطنة والذكاء وقوة البديهة وفصاحة اللسان التي هي من أصول العربية ومتقنها دلالة على أصوله العربية العريقة، ولذلك يعمد الشاعر إلى رسم صورة ممدوحة بالبليغ الفصيح ذو البيان ، ومن صور الممدوح في هذا المضمار ، صورة بيان الممدوح واستخدامه لأسلوب السهل الممتنع دلالة على إتقانه لأساليب الكلام ، وذلك مما جاء في قول الشاعر(٤٩):

وَصَلَ البيانُ به المدى فكلامه ... سهلٌ يشقُ وغامضٌ مفهومُ

من معشرٍ والاهم في سلكه ... نسبٌ صريحٌ في العلاءِ صميمُ

صورة البيان هنا بلغت أقصى غاياتها ، وهو (المدى)، وذلك لكون الممدوح تملك زمام اللغة والأسلوب ، حتى انه أتقن وتفنن في الكلام وأتى بالسهل الممتنع ، فيأتي بالسهل الذي يعسر فهمه وبالغامض الذي يوضحه ، وذلك لان الممدوح من أصول عربية وهو من قيس عيلان . كما ذكرنا في أبيات سابقة . وفي ذلك إشارة إلى أصالته وذكائه وفنه.

نلحظ الشاعر في نص آخر يستلهم شخصيات تاريخية تحولت في التاريخ الى رمز للدلالة على الفصاحة والبلاغة والحكمة ألا وهم (لقمان الحكيم(٥٠) وسحبان(٥١)) فارتبطت هذه الأسماء بالبلاغة والفصاحة والحكمة كما ارتبط اسم حاتم بالكرم، لذلك نجد اغلب الشعراء حينما يحاولون رسم صورة الحكيم البليغ لممدوحيهم ، يعودون إلى تشبيههم بهؤلاء ، كما في قول الشاعر(٥٢):

كأنما يتعاطى فضل منطقه ... عند التكلم لقمان وسحبانُ

استخدم الشاعر أسلوب التشبيه في رسم صورة الحكيم البليغ ويستدعي شخصيتين من ذاكرة التاريخ في آن واحد ليزيد من نصاعة الصورة واثبات قدرة الممدوح عند التكلم ، وهناك صور عديدة للممدوح لايسعنا المقام للتطرق إليها كافة ، لذلك سنشير الى بعض منها في الهامش إتمام لفائدة القارئ (٥٣).

الخاتمة:

هذا البحث هو عمل متواضع يدرس صورة الممدوح في شعر الرصافي، وتوصلنا فيه إلى مجموعة من الأمور يمكن ان نذكرها أهمها في النقاط الآتية:

١ -احتل مضمون الشجاعة المرتبة الأولى في رسم صورة الممدوح ولعل ذلك ناتج عن امتلاكه قيمة اجتماعية عليا فضلا عن حب السلاطين والأمراء على أن يوصفوا بمثل هذه الصفات للدلالة على عظمة سلطانهم وقوتهم ، وفيه جانب إعلامي في اظهار قوتهم أمام العدو ، لذلك نجد الشاعر اهتم بهذا المضمون أكثر من غيره.

٢ -جاءت صورة الكرم في المرتبة الثانية وذلك لما تحمله من قيم اجتماعية ، ولكن تكاد تنحصر صور الكرم في التشبيهات العادية من تشبيه الممدوح بالبحر والمطر وان كانا يحملان دلالة الكثرة والشمول ولكن كنا نبحث عن الجدة في الوصف وهذا ما عهدناه في خيال الأندلسي إلا أن مثل هذه الصور المبتكرة كانت نادرة.

٣ -حاول الشاعر المزج بين مجموعة من القيم في وصف ممدوحه ،وإحاطتها جميعا بالدين والتقوى لإضفاء هالة دينية على الممدوح وكأنما كل تلك الصفات كانت في خدمة الدين .

٤ -اعتمدت صوره في كثير من الأحيان على الصورة الذهنية أكثر من الحسية في حين الحسية أوضح في الوصف وذلك لكون الحسية تصف شكل الممدوح وهذا ما لا يهتم به الممدوح والشاعر على حد السواء ، في حين وجدناه في صور أخرى مزج فيها الحسي بالذهني واظهر صورا جميلة للممدوح تحمل قيم عليا.

هوامش البحث:

(١) هو أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي، الرّفاء البلنسي ، الأندلسي (ت572هـ)، الوزير الكاتب ،والشاعر المشهور.ينظر ترجمته في: التكملة : لأبن الأبار ، ترجمة رقم (772)، الإحاطة لسان الدين الخطيب، المجلد الثاني : 286، أدباء مالقه. لأبن خميس المالقي: 68 ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:4 /242،المقتضب لابن الابار: 56 ،رايات المبرزين لابن سعيد : 84، الوافي بالوفيات للصفدي : 4 /309، وفيات الأعيان لابن خلكان: 4 /432، تاريخ الأندلس لابن الكرديوس : 86 .

(٢) شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية . فنية ، خالد شكر محمود صالح الفراجي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية التربية(ابن رشد)2003م.

(٣) الديوان الرصافي البلنسي ، جمع وتقديم: د. احسان عباس، دار الشرق . بيروت، ط2، 1983 : 77.

(٤) الشعر والفكر المعاصر- الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر، د. عناد غزوان إسماعيل وآخرون منشورات وزارة الأعلام- الجمهورية العراقية- سلسلة كتاب الجماهير (17) 1974: 5.

(٥) ولمعرفة أسباب ابتعاده عن التكسب بالشعر،ينظر: شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية:35،34

(٦) تاج العروس : مادة (صور)

(٧) الحيوان : 132/3 .

(٨) ينظر:مستقبل الشعر وقضايا نقدية،د 0عناد غزوان،دار الشؤون الثقافية العامة،آفاق عربية،1994م:116.

(٩) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري . دراسة في أصولها وتطورها .،علي البطل : 30 .

(١٠) الصورة في شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق ، محمد علي هدية : 47 .

(١١) الصورة الشعرية، سي. دي لويس: 44 .

(١٢) ينظر: الصورة الفنية معياراً نقدياً ، د. عبد الإله الصائغ : 406 .

(١٣) الأرض اليباب ، ت .س . اليوت الشاعر الناقد ، مقالة في طبيعة الشعر ، دراسة وترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ، : 28 .

(١٤) النقد التطبيقي والموازنات ، د. محمد صادق عفيفي : 145 .

(١٥) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ط 2،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، 1983م:343.

(١٦) مجال الصورة الشعرية ومصادرها في شعر عبيد بن الأبرص (بحث)، فايز عارف القرعان، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، 1997م، ص370.

(١٧) دير الملاك . دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر . ، د.محسن أطيمش: 243.

(١٨) الصورة الفنية ، نورمان فريدمان ، ترجمة : جابر عصفور . مجلة الأديب المعاصر ، ع16 ، سنة 4 ، 1976 : 380 .

(١٩) فن الشعر، د 0 احسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ،1955م،ص90 0

(٢٠) هو عبد المؤمن بن علي الكومي ،الذي تزعم دولة الموحدين من(524ه الى ت 558ه)بعد ابن تومرت الملقب بالمهدي (ت 524ه) والذي عده بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين.ينظر: المغرب: حسن محمد جوهر وصلاح العرب، دار المعارف – مصر 1964 : 103 . وينظر عصر

المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، د. عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964 : 309

(٢١) إن أبا عبدالله محمد بن عبدالملك بنن سعيد ولد بغرناطة سنة (514هـ)وكان مقدما عند يحيى بن غانية في عهد الملثمين ثم ولاه بنو عبد المؤمن أعمال اشبيلية وغرناطة وسلا ، توفي بغرناطة سنة(589هـ)ينظر ترجمته في : المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد، تحقيق : شوقي ضيف: 162/2 ، والإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب، تحقيق : محمد عبدالله عنان:215-213/3 0

(٢٢) هو الوزير احمد بن عبد الرحمن بن احمد الوقشي ، نسبه إلى وقّش وهي قرية بنواحي طلبيرة ، وكان وزير ابن همشك الذي دخل في طاعة الموحدين ، وكان شاعرا توفي بمالقة سنة (574ه) ينظر ترجمته في : الحلة السيراء ، لابن الابار،تحقيق :د. حسين مؤنس: 2/ 257-267 0

(٢٣) أبا سعيد هو عثمان بن عبد المؤمن بن علي ،وكان محباً في الآداب مقرباً للشعراء ،ولي ابوه غرناطة وظل واليا عليها في زمن أخيه ابي يعقوب وهو الذي هزم ابن مرديتش في معركة الجلاب والتي دخل بعدها بنو مرديتش في طاعة الموحدين . ينظر الأعلام في أصل مراكش: 150/3.

(٢٤) عضوية الأداة الشعرية :فنية الوسائل ودلالية الوظائف في القصيدة الجديدة ، د.محمد صابر عبيد :99 .

(٢٥) ديوانه: 81.

(٢٦) الصورة في النقد الأوربي (محاولة لتطبيقها على شعرنا القديم) ، د. عبد القادر الرباعي ، مجلة المعرفة ، العدد 204 ، السنة السابعة عشرة ، دمشق ، شباط 1979 : 44 .

(٢٧) ديوانه: 90 0

(٢٨) بحر الزقاق : هو الداخل من البحر المحيط والذي عليه سبتة.

(٢٩) ديوانه: 90 0

(٣٠) ديوانه: 95 0

(31) الكشاف ، الزمخشري : 1 / 509 .

(٣٢) ديوانه: 96 0

(٣٣) ديوانه: 130. 131 0

(٣٤) ينظر :ديوانه على سبيل المثال: ق21/ب5، 6 ، 9 ،ق72/ب16 .17

(٣٥) ديوانه:54 .

(٣٦) ديوانه:56 .

(٣٧) ديوانه:83 0

(٣٨) ديوانه:121 .

(٣٩) ينظر: ديوانه:ق22/ب43 ، ق68/ب6. 15 .

(٤٠) ديوانه:87 .

(٤١) شعر الرصافي البلنسي دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير: 38 .

(٤٢) ديوانه:88 .

(٤٣) ديوانه:93. 94 .

(٤٤) ديوانه : 129 .

(٤٥) ينظر :ديوانه : ق72/ ب14. 15 .

(٤٦) ديوانه :128. 129 .

(٤٧) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للإمام أبي زكريا بن شرف النووي:26 0

(٤٨) ديوانه : 55 .

(٤٩) ديوانه : 122 . 123.

(٥٠) لقمان الحكيم:هو لقمان بن عاد الأخرى ابن شداد باني إرم ذات العماد أخي شديد بن عاد الأولى بن عوص بن إرم بن سام، خصه الله بالحكمة في عهد النبي دأود (عليه السلام) وخيره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة. ينظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي: 154/1 ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي العليمي، ، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة: 1/ 105، والمنجد في الأعلام، مجموعة من المؤلفين : 493، والمعارف، بن قتيبة ، تحقيق: د. ثروت عكاشة :55/1.

(٥١) هو سحبان بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ويقال ابن عيلان بن مضر بن نزار ،وهو الذي يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة ، ينظر: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأمثال، أبي القاسم الشافعي: 143/20،. الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني: 250/3، المعارف: 611/1، مجمع الأمثال : 249/1.

(٥٢) ديوانه : 128 .

(٥٣) ينظر على سبيل المثال ديوانه: ق 21/ب28 ، 29 ، ق34/ب 24 . 28 ، ق68/ب6 ، ق72/ب 12 ،29 .

مكتبة البحث:

ـ الكتب:

١ –الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1974م.

٢ –أدباء مالقة المسمى (مطلع الانوار ونزهة البصائر والابصار) لابي بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (ت 638هـ)، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، مؤسسة الرسالة ، عمان – الأردن 1999م.

٣ –الأرض اليباب ، الشاعر والقصيدة ، ت . س . أليوت ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1980م .

٤ –الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت 852هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط 1 ، 1412هـ- 1992م .

٥ –الأعلام ، خير الدين الزركلي ، بيروت ، ط3 ، 1969م.

٦ –الأعلام عن أصل مراكش واغمات في الأعلام ، تأليف عباس بن إبراهيم المراكشي ، المطبعة الجديدة ، بطالعة فاس ، 1960 .

٧ –الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي العليمي(ت 927هـ)، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، مكتبة دنديس ، عمان – الأردن ، د.ط ، 1420هـ- 1999م .

٨ –تاج العروس في جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الرتضى الزبيدي (1205هـ) ، المطبعة الخيرية ، . القاهرة ، 1306هـ .

٩ –تاريخ الأندلس، لأبن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان)، تحقيق د. احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1971م.

١٠ –تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت 571هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، 1995.

١١ –التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الابار القضاعي (ت658هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة . لبنان، د.ط ، 1415هـ . 1995م

١٢ –الحيوان ، لأبي عثمان الجاحظ (ت 255هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، المجمع العلمي العربي الإسلامي . بيروت، ط3 ، 1969م.

١٣ –دير الملاك . دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر . ، د.محسن أطيمش ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، ط2 ، 1986م .

١٤ –ديوان الرصافي البلنسي ،أبي عبدالله محمد بن غالب(572هـ) ،جمع وتقديم : احسان عباس، دار الشروق . بيروت ، ط2 ، 1983م .

١٥ –رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد الأندلسي(ت 685هـ) ، تحقيق: اميلو غرسية غومس ، مدريد ،د.ط ، 1942م .

١٦ –رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار الفكر – بيروت ، ط3 ، 1421هـ -2000م .

١٧ –سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي(ت1111هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ،دار الكتب العلمية ، بيروت،د.ط ، 1419هـ– 1998م.

١٨ –شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت1089هـ) ، دار المسيرة . بيروت ، ط2 ، 1979م .

١٩ –الشعر والفكر المعاصر – الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر، د. عناد غزوان إسماعيل وآخرون منشورات وزارة الأعلام– الجمهورية العراقية– سلسلة كتاب الجماهير (17) 1974.

٢٠ –الصورة الشعرية ، سي . دي لويس ، ترجمة : احمد نصيف الجنابي وآخرون ، مراجعة : د. عنان غزوان ، دار الرشيد للنشر . بغداد ، 1982م .

٢١ –الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر احمد عصفور ، دار المعارف . القاهرة ، د.ت .

٢٢ –الصورة الفنية معياراً نقدياً ، عبد الإله الصائغ ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، 1987م .

٢٣ –الصورة في شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق ، د. محمد علي هدية ، المطبعة الفنية ، ط1 ، 1984م .

٢٤ –الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني الهجري . دراسة في أصولها وتطورها ، د. علي البطل ، دار الأندلس . بغداد ، ط2 ، 1981م .

٢٥ –عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، د. عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964 .

٢٦ –عضوية الأداة الشّعرية ، أ.د. محمد صابر عبيد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2007 .

٢٧ –فن الشعر، د0 احسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ،1955م.

٢٨ –الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . وهو تفسير القرآن الكريم . ، محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، رتبه وصححه: مصطفى حسين احمد ، وبذيله اربعة كتب ، مطبعة الاستقامة . القاهرة ، ط2، 1953م.

٢٩ –مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري(ت 518هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت،(د.ط ، د.ت) .

٣٠ –مستقبل الشعر وقضايا نقدية،د0 عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة،آفاق عربية، 1994م .

٣١ –المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت 276هـ)، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف ،القاهرة (د.ط ، د.ت) .

٣٢ –المغرب، حسن محمد جوهر، صلاح العرب، دار المعارف – مصر 1964م.

٣٣ –المغرب في حلي المغرب ، علي بن موسى بن سعيد(ت 685هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف . القاهرة ، د.ط ، 1964م .

٣٤ –المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ابن الابار عبدالله محمد بن عبد القضاعي الأندلسي (ت658هـ) ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، المطبعة الأميرية . القاهرة ، د.ط ، 1957م .

٣٥ –المنجد في الأعلام ، مجموعة من المؤلفين ، دار المشرق . بيروت ، ط 19 ، 1992م .

٣٦ –النقد التطبيقي والموازنات ، د. محمد صادق عفيفي ، مكتبة الخانجي . القاهرة، 1978م.

٣٧ –الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث . بيروت ، د.ط ، 1420هـ– 2000م

٣٨ –وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان (ت681هـ) ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر . بيروت ، د.ت .

ـ الرسائل:

١ –شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية ـ فنية ، خالد شكر محمود صالح الفراجي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية التربية(ابن رشد)2003م.

ـ الدوريات:

١ –الصورة الفنية ، نورمان فريدمان ، ترجمة : جابر عصفور ، مجلة الأديب المعاصر ، ع16 ، السنة الرابعة ، 1976م .

٢ –الصورة في النقد الأوربي (محاولة لتطبيقها على شعرنا القديم) ، د. عبد القادر الرباعي ، مجلة المعرفة ، العدد 204 ، السنة السابعة عشرة ، دمشق ، شباط 1979.

٣ –مجال الصورة الشعرية ومصادرها في شعر عبيد بن الأبرص (بحث)، فايز عارف القرعان، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، 1997م

دلالةُ جموعِ القِلَّةِ في الدَّرسِ اللغويِّ العربيِّ

دراسة نقدية في ضوء قواعد التفكير العلمي

د. عمر رشيد شاكر

جامعة تكريت / كلية العلوم الإسلامية – سامراء

🖎♊🕒◆🖋🖄❑▪❷🕮🙰🙵 ★🖋🙰🙵 🖎🏱⬄○🙭🗀
🖎🏱⑩🙭❍▪❷🕮🙰🙵

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حين أنشأ الباحثون في فلسفة العلم ومناهج البحث العلمي يتحدثون عن التفكير العلمي نصُّوا على أنَّ هذا التفكير يتَّسم بجملة من الخصائص المنهجية التي تجعل من توافرها في أيِّ نشاط فكري عملاً منظَّماً وأسلوباً راجحاً في التفكير ومعالجة المشكلات ومنها المشكلات المعرفية .

وقد كان من هذه السمات أو الخصائص سمة ((الشمولية واليقين)) التي تعني أن العلم أو التفكير العلمي يتصف بالشمول أي أن دراسته للظاهرة التي يبحث فيها تسري على جميع أمثالها فهو يشملها ويدرسها في صورة مفاهيم أو قوانين ذات طابعٍ أعمّ (*) .

ويتصف التفكير العلمي باليقين فهو يستند إلى سلسلةٍ من الأَدِلّة والبراهين التي لا يملك المُطَّلِع عليها سوى الاقتناعِ بصحتها والتصديق بمضمونها لِما تملكها من القدرةِ على إقناعِ أيِّ عقل .

وأرى أنه يُسْتحسَنُ الوقوف عند خصيصة (اليقين) هنا لما تملكه من تأثيرٍ في مجرياتِ هذه الدراسة التي تُعْنى ببحث (دلالة جموع القلة) في التراث اللغوي العربي ونقدها .

فالحقيقة العلمية قابلة لأن تنقل إلى كل الناس ولها القدرة على الإقناع لما تملكه من أدلةٍ منطقية مقنعةٍ لكل عقلٍ قادر على استيعابها ، وهذا الذي يجعل الحقيقة العلمية يقينية .

ويرى الباحثونَ أنَّ (اليقين) الملازم للتفكير أيِّ تفكير نوعان :

1- يقين نفسي ، أو ذاتي ، وهو الشعور الداخلي لفردٍ من أنه متأكد من أمرٍ ما ، ويكون هذا اليقين أو الشعور مبنياً على ميولنا و اتجاهاتنا الذاتية ، ومثل هذا اليقين لا يُسْتَنَدُ إليه في التفكير العلمي أو الدراسةِ العلمية لأي ظاهرةٍ من الظواهر .

2- يقين موضوعيٌّ ، وفيه يرتكز التفكير إلى أدِلَّةٍ منطقية مقنعةٍ لأي عقل ، وفي هذا النوع من اليقين لا يكون هناك ثَمَّة فُرْصَةٌ لميولنا الذاتيةِ أو تجاربنا الشخصيةِ لأن تتدخل في تشكيلِ أي فكرةٍ علمية أو تكوينها ، بل إنَّ هذه الأَفكار العلمية أو تلك تستمد وجودَها من منطقيةِ الأَدِلَّةِ العلميةِ التي تستند إليها ، وقدرتها على الإقناع (**) .

والفرَضيةُ التي وضعتُها نُصْبَ عَيْنَيَّ وأنا أ كتبُ هذا البحث هي أنَّ ثَمَّةَ مواضعَ في الدرسِ ال لغوي العربي لم يُلتزمْ فيها بروح التفكير العلمي وفارق فيها اللغويون خصيصة (اليقين الموضوعي) في هذا التفكير حين استندوا إلى أدِلَّةٍ لا

يمكن التسليم بالاستدلال بها ، ولم يكن ذلك الاستدلال منطقياً أو مقنعاً للعقل المنهجي المنظم .

والأنموذج الذي اخترته لبيان مدى صدق هذه الفرضية هو فكرة (جموع القلةِ) زاعماً أنَّ هذه الفكرة لا تملك من مقومات البقاء ما يكفي ، لا لشيءٍ إلا لأن بواعث نشأتها في الدرسِ اللغوي لم تكن مستندةً إلى أصول علمية مقنعةٍ .

ومجمل هذه الفكرةِ يقوم على أساس أنَّ اللغويين العربَ نصُّوا على أنَّ من جموع التكسير في العربية ما يدلُّ – في أصل اللغة – على معدود قليل ، عبَّر عنه اللغويون بأنَّه أدنى العدد وهو ما كان من الثلاثة إلى العشرة ، وأنَّ جمعاً آخرَ يدلُّ – في أصل اللغة كذلك – على الجمع الكثير وهو ما كان يزيد على العشرة ، وأنَّ الأول سُمِّيَ بـ((جمع القِلَّة)) ، أمّا الثاني فقد اتُّفِقَ على تسميته بـ((جمع الكَثْرة)) نظراً لدلالته المشار إليها آنفاً .

ولابُدَّ من الإشارةِ هنا إلى مسألةٍ مهمة هنا وهي أنَّ النقد الذي وُجِّهَ في هذه الدراسة قد كان إلى طريقةِ اللغويين في الاستدلال ، أي : إلى طريقتهم في توظيف تلك الأدلةِ والشواهد اللغوية من أجل بناء فكرةِ (جموع القلةِ) في الدرس اللغوي ، وهذا يعني أنَّ الدليل سيكون بمعزل عن هذا النقد ، بعبارةٍ أخرى أن اللغويين استندوا في بناء مباحث (جموع القلة) إلى سلسةٍ من الأدلةِ التي لا يملك الباحث إلا التسليمَ بصحتها مثل نصوص القرآن الكريم ، وما صَحَّ من الشواهد الشعرية وهذه أدلة وشواهدُ بمعزلٍ عن النقد ، ولكنَّ الذي يقع تحت النقد والتمحيص هو طريقة اللغويين في الاستدلالِ بهذه الأدلةِ واستنباط منها ما كان دِالاً على الجمع القليل .

وهذا الذي نقوله لا ين فـي أن فـي الدرس اللغوي العربي الشيء الكثير مما تحقق فيه هذا (اليقين الموضوعي) ولكن كما قلنا إنَّ هناك مواضِعَ في هذا الدرس فارقت هذه القاعدة من قواعد التفكير العلمي . ونسأل الله تعالى أن يُيسِّرَ لنا تبيُّنَ هذه المواضع وكشفها في هذهالدراسة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تُقَسَّمَ أفكارُهُ ومسائله على المباحث الآتية :

- **المبحث الأول : فكرة (جموع القلة) في الدرس اللغوي .**

المطلب الأول : أوزان (جموع القلة) في الدرس اللغوي .

المطلب الثاني : دلالة (جموع القلة) في الدرس اللغوي .

- **المبحث الثاني : الاستدلال على دلالة (جموع القلة) عند اللغويين العرب .**

المطلب الثاني : الاستدلال بالشواهد النثرية (القرآن الكريم) .

المطلب الثاني : الاستدلال بالشواهد الشعرية .

المطلب الثالث : العلاقة بين (العدد) وأوزان (جموع القلة) في الكلام العربي .

- **المبحث الثالث : العلاقة بين (جمع القلة) و (دلالته) – دراسة نقدية في ضوء النصِّ القرآني .**

المطلب الأول : (جموع القلة) في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : أثر فكرة (جموع القلة) في فهم النصِّ القرآني وتأويله .

- **المبحث الرابع : الدعوة إلى إلغاء فكرة (جموع القلة) .**

المطلب الأول : مسوِّغات الدعوة إلى إلغاء فكرة (جموع القلة) .

المطلب الثاني :نفي فكرة (جموع القلة) في الدرس اللغوي الحديث .

المبحث الأوَّلُ

فكرة (جموع القلة) في الدرسِ اللغويِّ

نستطيع أن نتعرف فكرةَ جموع القلَّةِ في الدرس اللغوي ببيان قضيتين رئيستين يكوِّنانِ مطلبي هذا المبحث هما :

١. أوزان جموع القلة .

٢. دلالة جموع القلة .

المطلب الأول

أوزانِ (جموعِ القلَّةِ) في الدرس اللغويّ

لا شَكَّ أنَّ أوْسَعَ دراسَةٍ فصَّلتِ القول في أوزان جموع القلة هي تلك التي قدمها لنا سيبويه في كتابه ، وليس من المبالغةِ القولُ إنَّ كثيراً من الدراسات التي جاءت بعده قد نهلت من هذا الكتاب ومنه استقت معظم أحكام جموع القلة ، ولهذا لا أرى أنَّ من الخلل المنهجي في شيء الاستنادَ إلى كتاب سيبويه في عرض أوزان جموع القلة في الدرس الصرفيِّ ، لاسيما إذا علمنا أن المؤلفات اللغوية ما زالت حتى يومنا هذا تعرض مباحث هذه الجموع بحسب عرض سيبويه لها .

ولقد بحث سيبويه هذه الجموع بحثاً منظماً بَدَأها بإثبات وجود فكرة جمع دالٍّ على القليلِ ثم أثبت أوزانَ هذا الجمعِ مُجْمِلاً ، وبعد ذلك فصل القولَ في هذه الأوزان.

أما عن أثبات هذه الفكرةِ فيقول سيبويه : ((واعلم أَنَّ لأدنى العدد أبنيةً هي مختصة به وهي له في الأصل))[1] .

وأجمل القول في أوزانها قائلاً : ((فأبنية أدنى العدد (أَفْعُل) نحو : أَكْلُبٌ وأَكْعُب . و(أفعَال) نحو : أَجْمَال وأَعْدَال ، وأحمالٍ ، و (أَفْعِلَةٌ) نحو : أَجْوِبة وأنصبة وأغربة ، (فِعْلَة) نحو : غِلمْة وصِبْيَة وفِتيَة وإخوة وولِدة))[٢]

ثم أعقب ذلك بيانُهُ أنَّ هناك أبنيةً تختصُّ بالدلالة على الجمع الكثير فقال : ((فكلُّ شيءٍ خالف هذا الأبنية في الجمع فهو لأكثر العدد))[٣] .

١ - جَمْعُ القلّة (أَفْعُل) :

الناظر في كتاب سيبويه يكتشف أَنَّ الألفاظ المفردة التي تجمع (جمع القلة) على زن (أَفْعُل) تأتي على الأوزان الآتية :

أ- الأسماء الثلاثية التي تكون على وزن (فَعْل) نحو : كَلْب وأَكْلُب وكَعْب وأَكْعُب ونَسْر وأَنْسُر[٤] .

وكذلك ما كان من هذا الوزن معتلَّ العين ، نحو : عَيْن و أَعْيُن[٥] .

وبين سيبويه أَنَّ الأوصاف التي تكون على وزن (فَعْل) تجمع على (فُعْل) ، نحو : رَجُلٌ كَثٌّ وقومٌ كُثٌّ ، ولكنه عاد فبيَّن أنَّ ما استعمل من هذه الأوصاف استعمالَ الأسماء فإنه يُكَسَّر على : أَفْعُل نحو : عَبْدٌ وأَعبُد ، وبيَّن أن ذلك قد سمعه عن بعض العرب[٦] .

ب- وبيَّن سيبويهِ أَنَّهم رُبَّما يجمعون الأسماء التي على وزن (فَعَل) جمع قِلَّةٍ على (أَفْعُل) وذلك نحو زَمَن و أَزْمُن (بلغنا أن بعضهم يقول : جَبَل وأَجْبُل)[٧] .

وما كان مؤنثاً على زنة (فَعَل) فإنه يجمع جمع تكسير على (أَفْعُل) أيضاً، نحو : دار وأَدْوُر . وساق وأَسْوُق ، قال سيبويه :((هذا قولُ يونس ، ونظنه إنما جاء على نظائره في الكلام ، نحو : جَمَل وأَجْمُل وزَمَن وأزمُن))[٨] .

ج- نَصَّ سيبويه على أَنه ربما جُمِعَ الاسم المفرد الذي على وزنِ (فِعْلٌ)جَمْعَ قلَّةٍ على (أَفْعُل) نحو : ذِئْبٌ وأَذْؤب ، وقِطْعٌ وأَقْطُع ، و رِجْلٌ وأَرْجُل ((إلا أنهم لا يجاوزونَ الأَفْعُل كما أنَّهم لم يجاوزوا الأَكُفّ))[٩] .

د- وقد تُجمعُ الألفاظ التي على زِنة (فِعْلَة) جَمْعَ قلَّة على (أَفْعُل) وذلك نحو : نِعْمة وأَنْعُم . وشِدَّة و وأَشُدّ ، قال سيبويه : ((وقد كُسِّرت فِعْلَة على (أَفْعُل) وذلك قليل عزيز))[١٠] .

هـ - وقد تجمع الألفاظ على وزن (فَعَلَة) جمع قِلّة على (أَفْعُل) وذلك مثل : ناقَة وأَيْنُق و أكَمَة وآكُم .

ومثله : أَمَة وآم ، قال : ((فهي بمنزلة أَكَمَة وآكُم وإكام . وإنما جعلناها فَعَلَة لأنا قد رأيناهم كسَّروا فَعَلَة على أَفْعُل مما لم يُحذَف منه شيءٍ))[١١] .

و- ويطَّرد جمع الأسماء المؤنثة الرباعية التي قبل آخرها حرف مدّ كالألف سواءٌ أكانتِ على وزن (فَعال) أو (فُعال) أو (فِعَال) جمع قلة على (أَفْعُل) وذلك نحو : عَناق وأَعنُق ، وعُقاب وأعقُب ، وكُراع ، وأَكْرُع ، ولِسان (عند من أنث اللسان) ، وأَلْسُن ، وكذلك لو كان حرف المَدَّ الذي قبل الآخر ياءً وذلك نحو : يمين وأَيْمُن[١٢] .

٢ - جمع القلة (أَفْعَال)

تُجمَعُ جَمْعَ قِلَّةٍ على (أَفْعَال) طائفةٌ كبيرةٌ من الألفاظ ذاتِ الأَوزانِ المتنوعة، وقد قدم لنا كتابُ سيبويه وثيقة دقيقة لأوزانِ الألفاظ التي تجمع هذا الجمع ، ويمكن عرضها على النحو الآتي :

أ - ما كان ثلاثياً على وزن (فَعَل) ، نحو : جَبَلٌ وأَجْبَال ، وأَسَدٌ وآساد [١٣] ، وقفاً وأَقْفَاء وصفا وأَصْفَاء[١٤] ، وقَاع وأَقْوَاع[١٥] .

ب - ما كان ثلاثياً على وزن (فَعِل) نحو : كَتِف وأَكْتاف وكَبِد وأَكْباد[١٦] .

ج- ما كان ثلاثياً على وزن (فِعَل) نحو : قِمَع وأقْماع ، وعِنَب وأعْنَاب ، وضِلَع وأضْلاع[١٧] .

د- ما كان على ثلاثة أحرف على وزن (فَعُل) نحو : عَجُز وأعْجاز ، وعَضُد وأَعَضاد[١٨] .

وكذلك ما كان صفةً على وزن (فَعُل) نحو : نَجُد وأنْجاد ، ويَقِظ وأيقَاظ[١٩].

هـ- ما كان ثلاثياً وكان على (فُعُل) وذلك نحو : عُنُق وأَعْناق ، وأُذُن وآذان ، وطُنبِ وأطْناب[٢٠] .

وكذا يُجْمَع على (أَفْعَال) من هذا الوزن (فُعُل) ما كان صفةً نحو : جُنُبٌ وأجْناب[٢١] .

و- ويُجْمَع هذا الجمعَ ما كان مفرداً على وزن (فِعْل) نحو : حِمْل وأحْمال ، وعِدْل وأعْدَال ، وعِرْق وأعْراق[٢٢] .

وكذلك ما كان معتل العين نحو : فِيْل وأفيال ، وجِيْد وأجْيَاد [٢٣] ، أو معتل اللام نحو : نِضْوٌ وأنضاء[٢٤] .

ز- وذكر سيبويه أَنَّ العربَ جمعت أسماً واحداً على وزن (فِعِل) جمع قلةٍ على أَفْعَال . نحو : إبِل آبال[٢٥] .

ح- وكذلك ما كان على ثلاثةِ أحرف وكان وزنُهُ (فُعْلاً) وذلك نحو : جُنْد وأجْنَاد ، وبُرْج وأبْرَاج ، وجُرح وأجْراح[٢٦] .

وكذا ما كان منه مضاعفاً نحو : حُبّ وأحْبَاب [٢٧] ، أو معتل العين نحو : عُود وأعْوَاد ، وغُوْل وأغوال[٢٨] .

ويجمع جمع قلة على (أَفْعَال) ما كان مفردُهُ على (فُعْل) وكان صفة نحو : مُرٌّ وأمْرَار[٢٩] .

ط- ويجمع هذا الجمع ما كان مفردُهُ على (فُعَل) ، نحو : رُطَب وأرْطاب ، ورُبَع وأرباع[٣٠] .

ي- ويجع على (أَفْعَال) ما كان معتل اللام نحو : فلُوٌّ وأفلاء وعَدوٌّ وأعْداء[٣١] .

ك- وجُمعَت على (أفْعَال) أسماءٌ رباعية على وزن (فَاعِل) نحو : شاهد وأشْهَاد، وصاحب وأصحاب[٣٢] .

ل- ويجمع هذا الجمع من الأسماء الرباعيةِ ما كان على (فَيْعِل) نحو : مَيِّت وأمْوَات ، قال سيبويهِ : ((شبهوا فيعلاً بفاعلٍ حين قالوا : شاهد وأشْهَاد))[٣٣] .

م- الأصلُ في (فَعْل) صحيح اللام والعين أن يجمع جمع قلَّة على (أَفْعُل) كما رأينا سابقاً ، ولكنَّ سيبويهِ ذكر أنه قد يجيء منه في العربية على (أَفْعَال) نحو : زَنْد وأَزْناد ، وفَرْخ وأَفْراخ ، وجَدَّ وأجْدَاد وفَرْد وأفْراد ، ثم قال : ((وليس ذلك بالباب في كلام العرب))[٣٤] .

أما ما كان غير ذلك فإنه يجمع في الأصلِ على (أفْعَال) نحو : ما كان معتل العين من (فَعْل) مثل : سَوْط وأسْواط ، وثَوْب وأثْواب ، و قَوْس وأقْوَاس[٣٥] ، وبَيْت وأبْيَات ، وقيْد وأقْياد ، وخَيْط وأَخْياط[٣٦] .

٣ - جَمْعُ القِلَّة (أَفْعِلَة)

يُجْمَعُ جمع قلة على وزنِ (أَفْعِلَة) الألفاظ التي يكون مفردُها على الأوزانِ الآتية :

أ- وزن (فِعَال) وذلك نحو : مِثَال وأَمْثِلَة ، وفِراشِ وأَفرِشة[٣٧] . وكذلك ما كان منه معتلَّ اللام وذلك نحو : رِداء وأرْدية ، وإناء وآنِيَة [٣٨] ، ومَنْ ذكَّرَ لفظ (اللسان) فإنه يجمعه جمع قلة على (أَلْسِنَة) ، أو معتل العين نحو : رِواق وأرْوِقة ، وبوان وأبْونة[٣٩] . وما كان منه مضعفاً نحو : عِنان وأَعِنَّة ، وكِنَّان وأكِنَّةِ[٤٠] .

ب- وزن (فَعَال) وذلك نحو : زَمان وأَزمِنة ، ومكان وأَمْكنِة ، وقَذَال وأَقْذِلَة[٤١] .

وكذا ما كان منه معتلَّ اللام نحو : سَمَاء وأَسْمِيَة ، وعَطاء وأُعطيَة[٤٢] .

ج- وزن (فُعَال) وذلك مثل : غُراب وأَغْرِبَة ، وخُراج وأَخْرِجة ، وبُغاث وأَبْغِثة [٤٣] وفؤاد وأفئِدَة[٤٤]

وكذلك ما كان منه مضعفاً نحو : ذُبَاب وأَذِبَّة[٤٥] .

ويجمع هذا الجمع ما كان من (فُعَل) معتل العين نحو : حُوار وأَحْوِرَة[٤٦] .

د- ما كان على وزنِ (فَعِيل) وذلك نحو : جَريب وأَجْرِبَة ، وكثيب وأَكْثِبَة ، ورَغيف وأَرغِفَة[٤٧] .

وكذا ما كان منه معتلاً نحو: قَرِيّ وأَقْرِية وسَرِيٌّ وأَسْرِيَة [٤٨] ، وشحيح وأشِحَّة[٤٩].

هـ- ما كان على وزن (فَعُول) وذلك نحو : قَعُود وأَقْعِدَة ، وعَمُود وأعْمِدَة[٥٠] .

٤ - جَمْعُ القلَّة (فِعْلَة) :

يرى اللغويون أن ليس لهذا الوزن قاعدةٌ يطَّرِد فيها ، ويتّضح ذلك من عرض سيبويه للأمثلة أو الأوزان المتعددة التي تجمع على (فِعْلة) إذ ذَكَرَ جمع القلَّةِ (فِعْلَة) حين حَدَّ الأوزان الدالة على أدنى العدد – كما سماها – فقال : ((فأبنية أدنى العدد (أَفْعُل) ... و(أَفْعَال) ... و (أَفْعِلَة) ... و(فِعْلَة) نحو : غِلْمَة وصِبْيَة وفِتيَة وإخوَة وولِدَة))[٥١] .

وعلى الرغم من أنَّ الكوفيين قد ذهبوا إلى أنَّ الأسماء المجموعة على وزني (فُعَل) و (فِعَل) هي من جموع القلة أيضاً [*] ، إلا أنَّ الجمهور نصَّ على أنَّ ما دلَّ على أدنى العدد هو الأوزان الأربعة المذكورة آنفاً التي فصّلنا القول فيها من خلال كتاب سيبويه[**] .

المطلب الثاني

دلالة (جموع القلة) في الدرس اللغويّ

ليس هناك شَكٌّ في أنَّ ثنائية القلة والكثرة فكرة تضرب جذورها في أعماق التراث اللغوي العربي ، إذ دُرِسَت جموع التكسير في كتاب سيبويه على وفق هذه الثنائية[٥٢] ، إذ جاء فيه ما يوضّح أنَّ ثمَّ أبنيةً في كلام العرب مختصة بأدنى العدد ، وأخرى لأكثره ، قال : ((وأعلم أنَّ لأدنى العدد أبنية هي مختصة به ، وهي له في الأصل شركه في الأكثر . كما أنَّ الأدنى ربما شَرِك الأكثر ، فأبنية أدنى العدد (أَفْعُل) ... و (أفْعَال) ... و (أَفْعِلَة) ... و (فِعْلة) ... فتلك أربعة أبنية ، فما خلا هذا فهو في الأصل للأكَثر وإنْ شرِكه الأقل))[٥٣] .

وقال أيضاً : ((فكلُّ شيءٍ خالف هذا الأَبنية في الجمع فهو لأكثر العدد وإن عني به الأقلُّ فهو داخل على بناء الأكثر وفيما ليس له ، كما يدخل الأكثر على بنائِهِ وفي حيِّزِهِ))[٥٤] .

ولم تقف نصوص سيبويه عند حَدِّ إثبات ثنائية القلَّة والكثرة بل تعدت ذلك إلى تحديد تلك القلة بما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة ، قال سيبويه : ((أما ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلاً) فإنك إذا ثلثته إلى أن تُعَشِرَه فإنَّ تكسيره أَفْعُل وذلك قولك : كَلْبٌ وأَكْلُب))[٥٥] .

وقد سيطرت طريقة سيبويه هذه في دراسة جموع التكسير بحسب ثنائية (القلة والكثرة) وفي القولِ بدلالةِ (الجمع القليل) على ما كان من ثلاثة إلى عشرة على معظم مناهج العلماء في دارسَةِ هذه الجموع ممن جاؤوا بعد سيبويه ، يقول المبرد (ت 285هـ) في (هذا ما كان على فَعْل من ذوات الياء الواو اللتين هما عينان) [٥٦] :

((فأما ما كان من الواو فنحو قولك : صوْت وأصْوات ، وحَوْض وأحْواض ، وثَوْب وأثْواب ، وما كان من الياء فَشَيْخ وأشْياخ ، وبَ يْت وأَبْيَات ، وقَيْد وأقْياد فإذا جاوزت الثلاثة إلى العشرة فقد خرجت من أدنى العدد))[٥٧] .

وأكّد ثنائية (القلة والكثرة) هذه ابن السراج (ت 316 هـ) في (أصوله) حين قال : ((فَعَال : يجيء على (أَفْعِلَة) في القليل نحو : زَمان وأزمِنة ، وقَذَال وأقْذِلة ، والكثير (فُعُل) نحو : قُذُل وقد يقتصرون على أدنى العدد به))[٥٨] .

وينصُّ الزجاجي (ت 337هـ) على أنَّ أوزَان جموع القلة قد تقع في كلام العرب دالةً على ما هو لأكثر العدد ، لكنه عاد فأكد أن الأصل هو أن تَدُلَّ هذه الأوزان على أدنى العدد ، يقول : ((لأنَّ الجمع لما كان كما ذكرتُ لك مختلفاً في القلةِ والكثرة جعل هذا اللفظ لما بعد الاثنين فأشترك فيه القليل والكثير وربما اقتصر به على ما دون العشرة ، وربما جاوز ذلك ، وجُعل له لفظ آخر يختص بقليل الجمع، وذلك في المُكَسَّر من الجموع ، فجعلت له أمثلة مختصة بالقليل وهي أربعة : أَفْعُل ، وأفْعَال ، وأَفْعِلة ، وفِعْلَة ... فهذه الأمثلة واقعة على أقل العدد ، وهو مادون العشرة وربما وقعت لأكثر العدد . إلا أن هذا هو الأصلُ وذلك يقع خروجاً عن القياس المطرد ، كما أنَّ بناءَ الكثير ربما شَرِكَه في القليل))[٥٩] .

ويقول أبو علي الفارسي (377هـ) : ((والعَدَدُ القليلُ ويُحدُّ بأنَّه العَشَرةُ فما دونها وأبنية الجمع القليل أفْعُل وأَفْعال وأَفْعِلَة وفِعْلَة))[٦٠] .

وقال ابن جني (ت 392هـ) : ((ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجَمع : إنَّ ما كان من الكلام على فَعْل فتكسيره على أَفْعُل ككلب وأَكْلُب ، وكَعْب وأكْعب ،

وفَرْخ وأَفْرُخ ، وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسيره في القلَّةِ على أفْعال ، نحو : جَبَل وأَجْبَال))[٦١] .

ورأى ابن يعيش (ت 643 هـ) أنَّ القياس كان يقتضي أن يجعل لكل مقدار من الجمع مثالٌ أو وزن يمتاز به من غيره ، ولكن لما كان ذلك متعذراً إذ الأعدادُ غيرُ متناهية اقتصر العرب على التفرقة بين القليل والكثير ، ((فجعلوا للقليل أبنية تغاير أبنية الكثير ، ليتميز أحدُهما من الآخر))[٦٢] .

وقال أيضاً : ((والمراد بالقليل الثلاثة فما فوقَها إلى العَشْرة وما فوق العشرة فكثير ، أبنية القلة أربعة أمثِلة من التكسير وهي : أفْعُل ... وأَفْعَال ... وأَفْعِلَة ... وفِعْلَة))[٦٣] .

أما رضي الدين الاستراباذي (ت 686هـ) فلم يبعد عن هذه الطريقة في دراسَة جموع التكسير وعن تصنيفها إلى (قِلَّةٍ) و (كَثْرَة) [٦٤] ، ولكنه زاد على تلك الدراساتِ حين ذهب إلى أن (جموع القلةِ) ليس بأصل في الجمع قال : ((وأعلم أن جمع القلةِ ليس بأصلٍ في الجموع ، لأنه لا يذكر إلا حيث يراد به بيان القلةِ ، ولا يستعمل لمجرد الجمعية والجنسية كما يستعمل له جمع الكثرة ، يقال : فلانٌ حَسَنُ الثياب في معنى : حَسَن الثوب ، ولا يَحْسُنُ : حَسَن الأثواب وتقول : هو أنبل الفتيان ولا تقل أنبل الفتية مع قصد بيان الجنس))[٦٥] .

ونصَّ الإمام بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) على أنَّ دلالة الجموع الأربعة المذكورة سابقاً – أَفْعُل ، وأفْعال ، وأَفْعِلة ، وفِعْلة – على الجمع القليل قد كان وضعاً ، قال : ((واعلم أنَّ جموع التكسير [*1] الأربعة وجمعي التصحيح – أعني جمع التأنيث وجمع التذكير – كلُّ ذلك للقلة ، أمّا جموع التكسير فبالوضع))[*2].

و(الوَضْع) مصطلح علميٌّ يَرِدُ في مباحث اللغويين والأصوليين للدلالة على معنى مخصوص وهو تخصيص الشيء بالشيء ، فإذا أُطلق الأوّل فُهِم منه الثاني[3*] .

وهذا يعني أنَّ الجموع الأربعة المذكورة آنفاً تدلُّ – بحسب تصوُّر المتقدمين الذي عبَّر عنه الزركشي هنا – على أدنى العدد في حقيقة اللغة وأصلها ، بحيث إذا استعمل أيُّ لفظٍ مجموعاً على وزنٍ من الأوزان هذه فُهِم منه الدلالة على القليل ، بغضِّ النظر عن دلالة السياق أو إرادة المتكلم ، وهو ما نعبِّر عنه بالدّلالة في أصل اللغة وحقيقتها .

أمّا المحدثونَ فإنَّ إثبات فكرة جموع القلةِ ودِلالتها عندهم أَوْسَعُ من أن يستدلَّ لها ،ذلك بأنَّ كثيراً منهم لا يتردَّدُ في إثباتِ هذه الفكرة متابعاً في ذلك مقولة القدماء ، يقول الأستاذ أحمد قَبَش معرفاً (جمع القلةِ) : ((هو ما دَلَّ على ما دون العشرة وجمع الكثرة ما تجاوز الثلاثة إلى ما لانهاية له))[٦٦] .

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أنَّ من أهمِّ أسباب اختلاف أوزان الجموع هو دلالتها على القلة والكثرة ، قال : ((القلة والكثرة : وهو سبب آخر من أسباب اختلاف الجموع))[*] .

ثم تابع القدماء في بيان أنَّ المراد بالقلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة، قال: ((والمراد بالقلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة فإن زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة، فيقال: أربعة أحرف، أو عشرة أحرف فإن زادت على العشرة قيل: حروف))[**].

ورأى الدكتور فاضل السامرائي أنَّ الأصل هو أن تدلَّ أوزان (أفعُل ، وأفعال، وأفْعِلة ، وفِعْلة) على القليل ، ويدلَّ غيرها من جموع التكسير على الكثير ، وما يُعدلُ عن ذلك إنَّما يكون لضرب من البلاغة ، قال : ((هذا هو الأصل في استعمال القلة والكثرة وقد يُعدلُ عن ذلك لضرب من البلاغة ، فقد تُعطى القلة وزنَ الكثرة ، والكثرةُ وزن القلة لغرضٍ ما أو قد يُخَصُّ كلٌّ من الوزنين بمعنى))[***] .

ولقد دخلت هذه الفكرةُ إلى كتب الصرف التعليمية التي ينهل منها الطلبة الجامعيون وغيرهم قواعد الصرف العربي ، فهم يتلقون منها أنَّ جموع التكسير قسمان: قلة وكَثْرَة ، وأَنَّ القلة ما كان دالاً على معدودٍ من ثلاثةٍ إلى عشرة ، يقول الدكتور عبده الراجحي : ((يقول الصرفيون إن العربية تستعمل صيغاً معينة للدلالةِ – في الأغلبِ – على عددٍ لا يقِلُّ عن ثلاثة ولا يزيد عن عشرةٍ ، وهي الصيغ التي سميت جموع القلة))[٦٧] .

ويقول الأستاذ عبد الجبار علوان النايلة : ((ومدلول جمع القلةِ بطريق الحقيقةِ ثلاثة فما فوقها إلى العشرة ، وهناك أوزان أخرى لجموع الكثرة ... ومدلولها ما فوق العشرة إلى ما لا نهاية))[٦٨] .

إنَّ هذا الذي نقلناه عن اللغويين العرب قدمائهم ومحدثيهم يثبت على نحو واضح وأكيد أنَّ جموع التكسير عندهم صنفان :

١. جموع قلة : وهو ما كان دالاً – في أصل اللغة – على أدنى العدد وهو ما كان من الثلاثة إلى العشرة .
٢. جموع كَثْرَة : وهو ما كان دالاً على أكثر من ذلك .

وهذا هو الأصل في استعمال هذه الجموع كما نصوا في دراساتهم وهو ما سيكون عرضةً للبحث والمناقشةِ عندنا في هذه الدراسة .

المبحث الثاني

الاستدلال على دِلالةِ (جموع القلة) عند اللغويين العرب

لقد انتهينا في المبحث السابق من بيان أَنَّ اللغويين العرب قد صنفوا جموع التكسير صنفين : قلَّةً وكَثْرَةً ، وأن جمهورهم ذهب إلى أنَّ للقلة أوزاناً أربعةً هي : (أَفْعُل) و (أَفْعَال) و (أَفْعِلَة) و (فِعْلَة) ، هذا من جانب ، ومن جانبٍ آخر بينوا أَنَّ هذه الجموعَ تدلُّ – وَضْعاً – على ما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة .

إنَّ محاكمة أيٍّ من جانبي الفكرة لابد أن يستند باديءَ ذي بَدْءٍ إلى الأدلةِ التي ارتُكِنَ إليها في إقرارهما ، وهذا ما سنحاول إنجازه في هذا المبحث ممّا له صلة بموضوع دلالةِ (جموع قلة) على أدنى العدد على وجه التحديد .

المطلب الأَوَّل

الاستدلال بالشواهدِ النثريَّة (القرآن الكريم)

تستقي القواعدُ روحها وعنصر بقائِها من النصوصِ التي تستند إليها وك لمَّا كانت تلك النصوصُ صحيحةً ثابتةً كانت تلك القواعد مستندةً إلى أرضٍ صُلْبةٍ ويمكن التسليم بها والاطمئنان إلى سلامتها ولا يسلم هذا الاطمئنان إلى تلك القواعِدِ حتى تكون طريقة الاستدلال أو أسلوب توظيف الأدلة في استنباط القاعدةِ سليماً ومتكئاً إلى منهجٍ علميٍّ سليم .

ولاشَكَّ في أنَّ أبلغَ النصوصِ التي استند إليها اللغويون العرب في استخراج قواعدهم وتقرير معاييرهم هي نصوص القرآن الكريم ، التي لا يرقى شكٌّ إلى سلامتها، وفصاحتها ، ولا تحوم أية ريبة حول بلاغةِ هذا النصِّ الكريم .

وإنَّ البحث عن أوزانِ جموعِ القلةِ في القرآن الكريم أوسع من أن تستوعبه دراسة موجزة ولقد تكفلت دراساتٌ مستقلة بيان تلك الأَوزانِ في الكتاب الكريم من ذلك تلك القائمة الطويلة المهمة التي أعدها الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في كتابه ((دراسات لأسلوب القرآن الكريم)) (٦٩) ، فبين فيها بالتفصيل ما جاء في القرآن الكريم مجموعاً جمع قلَّة ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١. أَفْعُل : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ✁✎⌨✉☜☐♦❑&❺ ... ﴾ ، البقرة : 197 ، وقوله تعالى ﴿ ... ﴾ ، النحل : 112 .

٢. أَفْعَال : ومنه قوله تعالى ﴿ ... ﴾ ، الكهف: 6 ، وقوله تعالى ﴿ ... ﴾، محمد:24.

٣. أَفْعِلَة : مثل قوله تعالى ﴿ ... ﴾ ، التوبة: 12، وقوله ﴿ ... ﴾ ، الرعد : 17 .

٤. فِعْلَة : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ ، النساء : 11 ، وقولهُ ﴿ [illegible] ﴾ ، يوسف : 30 .

وهذه الإشارةُ الموجزةُ تعطي دليلاً على أن ليس ثمة شَكٌّ في وجود هذه الأوزانِ الأربعة في القرآن الكريم ، بل إنَّ النظر في هذا النص الكريم يثبت أنَّ ما جاء على وزن (جموع القلة) فيه أوسَعُ من أن يُحْصَرَ في عُجَالةٍ ولكن الذي نريدُ أن نحتكم إليه وأن نناقشه هنا هو مدى الاستعانة بالقرآن الكريم عند اللغويون العرب في إثبات دلالة (جموع القلة) على ما هو منحصر بين الثلاثة والعشرة لأنَّ إثبات هذه الدلالة أو نفيها سيترك أثره في توجيه معاني عددٍ من النصوص القرآنية الكريمة .

والقارئ للتراثِ اللغوي العربي يفاجأ حين يكتشف أنَّ مباحث النحويين التي أرست هذه القاعدة (دلالة جموع القلة) ، وأثبتتها لم تكن تستند إلى نصوص القرآن الكريم ، بل إنَّ ما ورد في تلك المباحث من الشواهد القرآنية كان نزراً يسيراً وكان في مجمله يناقش أوزان (جموع القلة أو الكثرة) لا دلالتها ، أي أنه يناقش جمع مفردة معينة على هذا الوزن أو ذاك دون الدخول في مناقشة دلالتها على معدودٍ منحصرٍ بين الثلاثة والعشرة – إن كان الجمع (جمع قلة) – ، وقد يناقش النحوي في أثناء ذلك مسائل لها مساسٌ بالجانب النحوي أكثر من الجانب الصرفي .

من ذلك مثلاً ما جاء في قول ابن يعيش : ((واعلم أنَّ أبنية القلة أقرب إلى الواحد من أبنية الكثرة ، ولذلك يجري عليه كثير من أحكام المفرد ، ومن ذلك جواز تصغيره على لفظه خلافا للجمع الكثير ، ومنها جواز وصف المفرد بها ، نحو (ثوبٌ أسمال) ، و (بُرمة أعشار) ، ومنها جواز عود الضمير عليها بلفظ الإفراد ، نحو قوله

تعالى ﴿ [illegible] ﴾ .النحل : 66))[٧٠] .

ونلاحظ هنا أنَّ ابن يعيش تحدث عن عود الضمير المفرد على (أنعام) – وهو من أبنية جموع القلة – دون أن يناقش كيف أن هذه اللفظة تدلُّ على جمع قلة في حين أنَّ النص يقتضي أن تكون دلالتها دلالة كثرة .

وقال ابن هشام (ت 761هـ): ((الأوَّل من أبنية القلَّة : أَفْعُلٌ – بضم العين ... الثاني : أَفْعَالٌ ، وهو لاسم ثلاثي لا يستحق أَفْعُل : إما لأنه على فَعْل ولكنه معتل العين ... أو لأنه على غير فَعْل ... وشذَّ نحو أرْطاب ، كما شذَّ في فَعْل المفتوح الفاء الصحيح العين الساكنها نحو : أحْمال ، وأفراخ ، وأزناد ، قال تعالى ﴿ وأولاتُ الأحمالِ﴾ الطلاق : 4))[٧١] .

ولعل الذي ألجأهم إلى الحديث عن أبنية (جموع القلة) في نصوص تقتضي أن تكون للكثرة هو إيمانهم بأن أبنية جموع التكسير (قلة وكثرة) ، قد ينوب بعضها مكان بعضٍ فيأتي بناء القليل في موضوع الكثير (أو خلافُ ذلك أيضاً) ، وهي فكرة قديمة عند اللغويين العرب تعود إلى عصر سيبويه ، الذي يقول : ((واعلم أنَّ لأدنى العدد أبنية هي مختصة به ، وهي له في الأصل ، وربما شَرِكه فيه الأكثرُ . كما أن الأدنى ربما شَرِكَ الأكثرَ))[٧٢] .

ورأى سيبويه أن ذلك من باب التوسع ، قال : ((واعلم أنهم يُدخلون بعضها على بعضٍ للتوسع إذا كان ذلك جمعاً))[٧٣] .

وقال الزجاجي – متحدثاً عن جموع التكسير – : ((فجعلت له أمثلة مختصة بالقليل ، وهي أربعة ، أَفْعُل ، وأَفْعَال ، وأَفْعِلَة ، وفِعْلَة ... فهذه الأمثلة واقعة على أقل العدد ، وهو ما دون العشرة ، وربما وقعت لأكثر العدد ، إلا أن هذا هو الأصل ، وذلك يقع خروجاً عن القياس المطرد ، كما أن بناء الكثير ربما شَرِكَه في القليل)) (٧٤) ، وسبق أنَّ تحدثنا عن ذلك وأوردنا نصوصاً أخرى في المبحث السابق .

ويلاحظ المتتبع لتراث اللغويينَ الذي قُعِّدَ فيه أحكام جموع القلة أن هؤلاء الدارسين لا يضطرون للدخول في تفاصيل مناقشة دلالة هذه الجموع على (العشرة فما دونها) إلا في مواطن تتقاطع بصورة واضحة مع نظريتهم هذه التي قرروا فيها دلالة جموع القلة على نحو ما نرى في حديثهم عن قوله تعالى ﴿ ◻◆⊁✍☜✂⊛☺←⊃♦◘❋◑♦◔●→ ③♦☟♦❸◆◚✸◔⇔⇗☙ ◚♉☈◻☼▦→○⇪♑☈Ⅱ● ⚐◻◘■◔⚕♦◻♦ ⚠➔❷⇖◻▦↗◫ ﴾ . البقرة : 228 . فالعدد هنا هو (ثلاثة) يقتضي أن يكون الجمعُ الذي يَرِدُ في إثْرِهِ جمعَ قلة ، لكنه جاء على وزنٍ من أوزان جموع الكثرة وهو (فُعُول) : قُروء .

وقد اتَّجَهَ العلماءُ في معالجة هذه القضية اتجاهين ، فمنهم من كان يرى أنَّ في العربية ألفاظاً يردُ لها نوعٌ واحد من الجموع (القليل أو الكثير) دون النوع الآخر ، وهو من أجل ذلك يرى أنَّ لفظة (قرء) لم يرد له في العربية جمع قلة ، بل الذي وردَ هو جمع الكثرة وَحْدَهُ : (قروء) ، وعلى هذا يفسر استعمال القرآن الكريم لهذا الجمع (وهو للكثرة) في موضع يقتضي القلة ، قال سيبويه : ((فأما القِرَدة فاستُغني بها عن أقراد كما قالوا : ثلاثة شسوع فاستغنوا بها عن اشساع ، وقالوا ثلاثة قروء فاستغنوا بها عن ثلاثة أَقْرُؤ))(٧٥) .

وقال ابن ولاد (ت 324هـ) : ((وإذا قلت ثلاثة أَكْلُب فالثلاثة هي الأكلب ، وإذا لم تستعمل العرب الجمع القليل في مثل هذا استغنت عنه بالكثير فجعلته للقليل

والكثير ، فمن ذلك قولهم : ثلاثة شسوع استغنوا عن أشساع ، وثلاثة قرود استغنوا عن أقراد وثلاثة قروء استغنوا بها عن أقرؤ))(٧٦) .

وقال الزمخشري : ((فإن قلت : لِمَ جاء المُميَّزُ على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء ؟ قلت : يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر ، لاشتراكهما في الجمعية ، ألا ترى إلى قولهم بأنفسهن وما هي إلا نفوسٌ كثيرة ، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قُرء من الأقراء ، فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم : ثلاثة شسوع))(٧٧) .

ومنهم من يستند إلى ما سبق أنْ بيناه وهو أنَّ جموع التكسير قد ينوب بعضها مكان بعض فتأتي جموع الكثرة للدلالة على القلة وكذلك العكس ، قال الزجاجي : ((وكذلك ما جُمِعَ بالألف والتاء ، نحو : الهندات ، والطلحات ، والجفنات، المقصود به أن يكون لأقلِّ العدد ، وربما وقع لأكثره فيكون ذلك جائزاً غير مردود ... لاشتراك الجموع ، ودخول بعضها على بعض ، ألا ترى أنَّ فُعُولاً من أبنية أكثر العدد،وقد تقع للقليل ، كما قال ﷻ ﴿ ثلاثة قروء﴾ ، البقرة : 228))(٧٨) .

وقال أبو البقاء العكبري (ت 616هـ): ((و (قروء) جمع كثرة ، والموضع موضع قلة ، فكان الوجه ثلاثة أقراء ، واختلف في تأويله ، فقيل وُضِعَ جمع الكثرة في موضع جمع القلة ، وقيل : لما جمع في المطلقات أتى بلفظ جمع الكثرة ، لأن كل مطلقة تتربص ثلاثة ، وقيل التقدير : ثلاثة أقراء من قروء))(٧٩) .

وقال رضي الدين الاستراباذي عن جموع القلة والكثرة : ((وقد يستعار أحدهما للآخر مع وجود ذلك الآخر ، كقوله تعالى ﴿ ثلاثة قروء ﴾ مع وجود : أقراء))(٨٠) .

لقد اتَّضح عندنا أنَّ اللغويين العربَ قد نصُّوا على أنَّ من الجموع ما هو دالٌّ – في أصل اللغة – على أدنى العدد من الثلاثة إلى العشرة ، وكنا ننتظر منهم أن

يقدموا لنا النصوص الثابتة التي استندوا إليها في سبيل الحكم على دلالة هذه الجموع ، وكان الدارس يحسب أنَّ نصوص القرآن الكريم هي في مقدمة الأدلة التي توضح علامَ استند اللغويون العرب في القول بوجودِ جمعٍ دالٍّ – في أصل اللغة – على أدنى العدد ؟ ولكن تبين لنا أنهم لم يستندوا – حين قرروا ذلك – على هذه النصوص الكريمة ، بل إنَّ ما ورد من نصوص كريمة في أثناء البحث في (جموع القلة) كانت – في أغلبها – تعالج أحكام تلك الجموع لا دلالتها .

والتأمل في كثير من النصوص التي حلَّلها أولئك اللغويون تبيِّن أنَّهم ما كانوا يناقشون دلالة الجمع فيها إلا حينما يرون تقاطعاً مع نظريتهم القائلة بدلالة تلك الجموع على أقلِّ العدد ، فنراهم حينذاك يؤكدون :

1- أنَّ الأصلَ في العربيةِ هو أنْ تدلَّ تلك الجموع على العشرة فما دونها إلى الثلاثة.

2- وأنَّ في نصوص العربية خروجاً على هذا الأصل إذ يأتي فيها الجمع القليل وارداً مقام الكثير ، أو تستعمل تلك النصوص الجمع الدالَّ على الكثير في مقامِ الدالِّ على القليل .

وقد يقرر العلماء المتقدمون أنَّ في العربية ألفاظاً لم يُستعملْ لها إلا جمعٌ واحدٌ (قِلَّة أو كثرة) ، فهو يُستعمَل في موضع لدلالة محددة ثم يَرِدُ في نصٍّ آخر لدلالة أخرى غير التي كانت في موضعٍ غيرِهِ .

المطلب الثاني

الاستدلال بالشواهد الشعرية

لقد انتهينا في المطلب السابق إلى نتيجة واضحة وهي أنَّ اللغويين العرب – حين قرروا أنَّ ما اصطلحوا على تسميته بـ(جموع القلة) دالَّةٌ على الثلاثة إلى العشرة – لم يكونوا يستندون إلى استقراء دقيق لدلالة الألفاظ القرآنية ، بل تبين لنا أن الشواهد

القرآنية في مباحث (جموع القلة) لم تظهر كثيراً ، وأن ما ظهر منها كان – في مجمله – يعالج طريقة بناء هذه الجموع دون أن يكون هناك بحث دقيق لدلالتها ، إلا إذا ظهر في النصوص القرآنية ما يخالفها مخالفة صريحة على نحو ما رأينا في توجيههم قوله تعالى ﴿ ثلاثة قروء ﴾ ، البقرة : 228 .

ولأن البحث العلمي أياً كان تخصصه لابد أن يستند إلى أدلة يقينية ، لذا كان لابد من البحث عما يُظن أنه مستند اللغويين العرب في تحديد دلالة (جموع القلة) ، وسنحاول في هذا المطلب تتبع طريقة اللغويين في الاستدلال بالشواهد الشعرية في مباحث (جموع القلة) لعلنا نجد فيها ما سوَّغ لهم القول بتحديد دلالة جمعٍ ما على أدنى العددِ في هذه الشواهد .

والبحث في طريقة اللغويين في الاستدلال بالشواهد الشعرية هنا له ما يُسوِّغه ، ذلك بأنَّ الشعر العربي كان واحداً من أبرز الروافد المؤسسة لطائفةٍ ضخمة من القواعد اللغوية في التراث اللغوي العربي ، وسنحاول أن نُكثر هنا من الاستناد إلى الشواهد الشعرية في كتاب سيبويه ، والسبب في ذلك هو أن الكثرة الغالبة من اللغويين العرب لم يأتوا بإضافةٍ ذات بالٍ على ما أورده سيبويه من شواهد في كتابه ، فضلاً عما تحمله دراسة هذا الموضوع في كتاب سيبويه من قيمة علميّةٍ في ذاتها ، إذ إنَّ نصَّ سيبويه يُعد أوَّلَ نصٍّ لغوي (نحوي) مدوَّنٍ وصل إلينا وأقْدمَه .

والطريقة العلمية في نقد الاستدلال لابدَّ أن تقوم – أولاً – على استقراءٍ دقيقٍ للأدلة نفسها التي استند إليها اللغويون ، حتى يتبيَّن لنا مدى ما تحتمله تلك الشواهد من معانٍ قد تؤيد فكرة دلالة جمعٍ ما على القليل (أو الكثير) أو تعارضها ، وحتى

نستطيع استخلاص النتائج كان لا بدَّ من عرض شواهد سيبويه الشعرية مما له صلة بموضوعنا ، وهذه الشواهد هي :

1- قال سيبويه : ((أما ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف ، وكان (فَعْلاً) فإنك إذا ثلثته إلى أن تعشره فإن تكسيره (أَفْعُل) وذلك قولك : كَلْب وأَكْلُب ... واعلم أنه قد يجيءُ في فَعْلٍ (أَفْعالٌ) مكان أَفْعُل . قال الشاعر الأعشى :

وُجِدْتَ إذا اصطلحوا خيرَهم وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنادِها

... والقياس في فَعْل ما ذكرنا وأما ما سوى ذلك فلا يُعلم إلا بالسمع ثم تطلب النظائر ، كما أنَّك تطلب نظائر الأفعال هاهنا فتجعل نظير الأزناد قول الشاعر وهو الأعشى :

إذا رَوَّحَ الراعي اللِّقاح مُعزِّباً وأَمْسَت على آنافِها غَبَرَاتُها))[٨١] .

2- وقال سيبويه : ((وربما كسروا فَعَلاً على (أَفْعُل) كما كسروا فَعْلاً على أَفْعال ، وذلك قولك : زَمَن وأَزْمُن ، وبلغنا أن بعضهم يقول : جَبَلٌ وأَجْبُلٌ . قال الشاعر وهو ذو الرمة :

أَمَنْزِلتي مَيٍّ سلامٌ عليكما هل الأَزمُنُ اللائي مَضَيْنَ رَواجِعُ))[٨٢] .

3- وقال أيضاً : ((وأما ما كان على ثلاثة أحرف وكان (فُعْلاً) فإنه يُكسَّر من أبنية أدنى العدد على (أَفْعال) ... وقد يجيء إذا جاوز بناء أدنى العدد على (فِعَلةٍ) نحو : جُحْر وأَجْحَار وجِحَرَة ، قال الشاعر :

كرامٌ حين تنكفت الأفاعي إلى أَجحارِهِنَّ من الصقيعِ))[٨٣] .

4- وقال سيبويه : ((وما كان على ثلاثة أحرف وكان (فُعْلاً) فإنه يُكسَّر من أبنية أدنى العدد على (أَفْعال) ... وربما استغني بأفْعال في هذا الباب فلم يُجاوز ،

كما كان ذلك في فعْلٍ وفعل ، وذلك نحو : رُكْن وأرْكان ... وقالوا رُكْن وأَرْكُنْ ، وقال الراجز وهو رؤبة :

وَزْحمُ رُكنيك شِدَادَ الأرْكُنْ))[٨٤] .

5- وقال سيبويه : ((أما ما كان (فَعْلاً) من بنات الياء والواو فإنك إذا كسَّرته على بناء أدنى العدد كَسَّرته على (أَفْعال) وذلك : سَوْط وأَسْواط ، وثَوْب وأَثْواب ، وقَوْس وأَقْواس ... وقد قال بعضهم في هذا الباب حين أراد بناء أدنى العدد (أَفْعُلٌ) فجاء به على الأصل ، وذلك قليل . وقالوا : قوس وأَقْوُس ، وقال الراجز :

لكلِّ عيشٍ قد لبستُ أثْوُبا))[٨٥] .

6- وقال سيبويه : ((وأما ما كان من بنات الياء والواو وكان (فَعْلاً) فإنك إذا بنيته بناء أدنى العدد بنيته على (أَفْعال) ، وذلك قولك : بَيْت وأَبْيات ... وقد بنوه على (أَفْعُل) على الأصل ، وقالوا أَعْيُن ... وقالوا أَعْيان ، قال الشاعر :

ولكنّني أغدو عليَّ مُفَاضَةٌ دِلاصٌ كأَعيانِ الجرادِ المُنَظَّمِ))[٨٦] .

7- وعن جمع (يمين) جمع قلة على (أَفْعُل) قال سيبويه : ((وقالوا : يمين وأَيْمُن لأنَّها مؤنثة ، وقال أبو النجم :

يأتي لها من أَيْمُنٍ وأَشْمُلِ))[٨٧] .

ومن الشواهد التي وردت في غير كتاب سيبويه :

- ما جاء في الخصائص من قول ابن جني في (باب في احتمال القلب لظاهر الحكم): ((هذا موضعٌ يحتاج إليه مع السعة ، ليكون مُعدّاً عند الضرورة ، فمن ذلك قولهم : أسْطُر ، فهذا وجهه أن يكون جَمعُ سَطْر ، ككلب وأَكْلُب ،

وكَعْب وأكْعُب ، وقد يجوز أيضاً أن يكون جمع سَطَر ، فيكون حينئذ كزَمَنٍ وأزْمُن ، وجَبَل وأَجْبُل ، وقال :

إني لأكنى بأَجْبَالٍ عن أَجْبُلها وباسم أَوْدِيَةٍ عن اسم واديها

ومثله أسطار فهذا وجهه أن يكون جمع سَطَر (كجَبَل وأَجْبَال) ، وقد يجوز أيضاً أن يكون جمع سَطْرَ كثَلْج وأثْلج وفَرْخ وأفْرخ ، قال الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ)) [٨٨] .

– وقال ابن هشام في (أوضح المسالك) : ((كما شذّ في فَعْل المفتوح الفاء الصحيح العين الساكنها ، نحو أحْمال ، وأَفْراخ ... وقال الحطيئة :

* **ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ** *))[٨٩] .

لا شك أنَّ النصوص الشعرية المتضمنة لجموع القلة هي أكثر من ذلك بكثير ، وهي كذلك متعددة في كتاب سيبويه وفي غيره ، ولكننا استعرضنا من تلك الشواهد ما وَرَدَ في مباحث جموع القلة ، وهي تنشئ في ذهن المتتبع جملة من الحقائق البارزة، هي :

1– إنَّ ما ورد من الشواهد الشعرية في النصوص السابقة لم نلمس فيه ما يؤكد حقيقة أنَّ من الجموع في العربية ما هو دالٌّ – وضعاً أو في أصل اللغة وحقيقتها – على أدنى العددِ من الثلاثة إلى العشرة .

ويتبين من استعراضنا أنَّ منها ما لا يمكن القول فيه أنه يدلُّ على أدنى العدد، ومن ذلك قول ذي الرمة :

أَمَنْزِلتي مَيٍّ سلامٌ عليكما هل الأَزمُنُ اللائي مَضَيْنَ رَواجِعُ

أو كقول الشاعر :

كرامٌ حين تنكفت الأفاعي إلى أَجحارِهِنَّ من الصقيعِ

فهذان النصان – مثلاً – لا يمكن أن يكون جمعا (الأزمن) و(أجحارهنَّ) ، فيهما يدلان على العشرة فما دونها ، لأن معناهما يقتضي الدلالة على الكثرة كما هو بَيِّن .

ولعل الذي سوغ لهم ذلك – أي الحكم بأنَّ هذه الجموع جموع قلة مع أنها وردت في نصوص تقتضي الكثرة – هو ما سبق أن قررناه وهو أنهم يؤمنون بنظرية تناوب جمعي الكثرة والقلة في الدلالة ، إذ قد تدل جموع الكثرة على ما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة ، وقد تدلُّ جموع القلة على ما هو كثير ، وهذا خلاف الأصل – عندهم – الذي ينص على دلالة جموع القلة على العشرة فما دونها ، ودلالة جموع الكثرة على ما هو أكثر من ذلك .

2– وتأمُّلُ هذه النصوص يبين أنَّ ما ورد فيها من شواهد تتضمن أوزاناً على (جموع القلة) لم يكن غرض اللغويين من دراستها بحثَ دلالة تلك الجموع ، وإنما كان الغرض هو مناقشة طريقة جمع بعض الألفاظ اللغوية على هذا الوزن أو ذاك من أوزان جموع القلة ، وكذلك بيان مدى موافقةِ جمعِ هذه الألفاظِ على الأوزان تلك مع المقاييس والقواعد الثابتة عند علماء العربية أو عدم حصول تلك الموافقة.

إن النتيجة التي ننتهي إليها هنا تسلمنا إلى ما خلصنا إليه في المطلب السابق ، وهو أن اللغويين العرب لم يكونوا يستندون إلى أدلة يقينية واضحة تبين بصورة جلية كيف أن طائفة محددة من جموع التكسير تدل على الجمع القليل ، وأنَّ ما عداها يدلُّ على الجمع الكثير ، فالنظر إلى طريقة اللغويين في تمثُّل الشواهد القرآنية والشعرية في أثناء دراسةِ جموع القِلَّة تبيِّن أنَّهم لم يكونوا يستندونَ إليها في سبيل التثبُّت من دلالة الجمع فيها بل كان الغرض من بحثها وتحليلها عند اللغويين هو معرفة طريقة جمع بعض الألفاظ جمع تكسير ، وعلى أيِّ وزن يجمع هذا اللفظ أو

ذاك ، فالنصوص القرآنية لم يكن يُستند إليها في ذلك – كما رأينا سابقاً – ، والشواهد الشعرية كذلك لم يتضح أن اللغويين العرب كانوا يلتجئون إليها في سبيل إقرار دلالة جموع القلة ، وأنَّ ما ورد من النصوص القرآنية والشعرية كانت – مع قلتها – شواهد على طريقة جمع قسم من الألفاظ اللغوية جمع قلة اطراداً أو شذوذاً .

إنَّ غياب الأدلة السماعية (القرآنية والشعرية) المؤيدة لمقولة اللغويين يفتح المجال واسعاً للتشكيك في صحة نظريتهم ، القائلة بأنَّ ثمَّة جمعاً للقلة يدل – في أصل اللغة – على أدنى العدد ، وأن ما عدا هذه الجموع يدل على العدد الكثير . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن إثبات هذا التشكيك ، وإقرار ضعف هذه النظرية يعني أنَّ في آراء اللغويين ونظرياتهم ما لا يستند إلى أدلة يقينية واضحة ، وهذه مخالفة صريحة لقواعد التفكير العلمي ، ومنهج البحث المنظم القائم على أساس أن العلم يتسم باعتماده على سلسلة من البراهين والأدلة الواضحة التي لا يملك الباحث أو المطلع عليها إلا الاقتناع بها والتصديق بصحتها لِما تملكه من قدرة لإقناع أي عقلٍ .

المطلب الثالث

العلاقة بين (العدد) وأوزان (جموع القلة) في الكلام العربي

لقد اتضح في المطلبين السابقين أن اللغويين العرب لم يكونوا يصدرون – حين ذهبوا إلى أنَّ (جموع القلة) تدل في الوضْع على ما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة – عن أدلة يقينية واضحة ، بل اتضح أيضاً أنهم لم يعطوا جانب الدلالة أهمية كبيرة حين عقدوا في كتبهم مباحث لدراسة جموع القلة .

ولقد ورد في نصوصهم الكثير من الشواهد النثرية والشعرية التي تتضمن جموع قلة وهي دالّةٌ على الكثير ، وكان توجيههم لذلك هو أنَّ جموع التكسير ينوب

بعضها عن بعض في الدلالة ، وأن الأصل هو أن تدل (جموع القلة) على القليل ، في حين أن (جموع الكثرة) تدل على ما هو فوق العشرة .

وأمام غياب الأدلة اليقينية المقنعة التي تشهد لنظرية اللغويين في دلالة (جموع القلة) بالصحة ، لم يبق أمامنا سوى تقديم الفرضيات واستنطاق مجموعة من النصوص التي نفترض ارتكان هؤلاء الدارسين إليها في صياغة نظريتهم هذه ، ومناقشة هذه الفرضيات ، ثمَّ الحكم بسلامة هذه النظرية أو ضعفها ، وهذا ما سنحاول تقديمه في هذا المطلب .

أولاً : **ظاهرة التلازم بين (العدد) وأوزان (جموع القلة) في الكلام العربي**

لو استعرضنا جملة من النصوص النثرية والشعرية لوجدنا فيها ما يشهد لنظرية اللغويين العرب بالدقة والسلامة ، إذ يظهر فيها تلازم واضح بين ألفاظ الأعداد المنحصرة من ثلاثة إلى عشرة وأوزان جموع القلة ، وقد جاء هذا التلازم في نصوص قرآنية وأخرى شعرية برزت فيها ظاهرة التلازم هذه على نحوٍ جليٍّ .

أما النصوص القرآنية فإن منها :

١. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . البقرة : 226 .

٢. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . البقرة : 234 .

٣. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . آل عمران : 124 .

٤. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ .آل عمران:125.

٥. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . التوبة : 2 .

٦. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ .
لقمان : 27 .

٧. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الطلاق : 4 .

– ومن شواهد سيبويه :

وإنَّ كلاباً هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ وأَنتَ بريءٌ من قبائِلِها العَشْرِ [٩٠]

وقول الحطيئة :

ثلاثةُ أَنفُسٍ وثلاثُ ذودٍ لقد جار الزمانُ على عيالي [٩١]

وجاء في كتاب سيبويه أيضاً :

أَرمي عليها وهي فَرْعٌ أَجْمَعُ وهي ثلاثُ أَذْرُعٍ وإصبَعُ [٩٢]

ويمكن إيضاح ظاهرة التلازم في هذه النصوص من خلال الجدول التالي :

ت	العدد (كتابة)	جمع القلة	الوزن
1	ثلاثة	آلاف	أَفْعَال
2	ثلاثة	أَشهُر	أَفْعُل
3	أربعة	أَشهُر	أَفْعُل
4	خمسة	آلاف	أَفْعَال
5	سبعة	أَبْحُر	أَفْعُل
6	عَشْر	أَبْطُن	أَفْعُل
7	ثلاثة	أَنْفُس	أَفْعُل
8	ثلاث	أَذرُع	أَفْعُل

إن هذه النصوص التي بين أيدينا تُعطينا تصوراً واضحاً بأنها يمكن أن تكون شاهداً على صحة نظرية علماء اللغة في أنَّ للعربية أوزانَ جمعٍ تدلُّ على أدنى العدد ، ذلك بأنَّ الأعداد الواردة في هذه النصوص اللغوية منحصرة بين الثلاثة والعشرة ، وأن أوزان الجموع التي لازمتها كانت على ما سمِّيَ عند اللغويين بجمعَ قِلَّة .

وإذا أخذنا بالحسبان غياب النصوص القاطعة التي تبين لنا عَلامَ استند اللغويون في تحديد جموع القلة ، فإن وجود ظاهرة التلازم بين الأعداد من ثلاثة إلى عشرة وأوزان جموع القلة (كما هو واضح في النصوص التي نقلناها سابقاً) يمكن أن تكون هي المؤسسة لنظرية (دلالة جموع القلة) في الدرس اللغوي العربي ، ولقد توفر بين يديَّ ما يشهد لفرضي هذا بالصحة ، ويدل دلالةً واضحة على أنَّ علماءنا المتقدمينَ استندوا إلى (ظاهرة التلازم) هذه في القول بوجود جموعٍ في العربية تدل من ثلاثة إلى عشرة ، وذلك ما جاء في قول رضي الدين الاستراباذي – عن النحويين – : ((واستدلوا على اختصاص أمثلة التكسير الأربعة بالقلة بغلبة استعمالها في تمييز الثلاثة إلى العشرة ، واختيارها فيه على سائر المجموع إن وجدت)) [٩٣] .

وتبقى هذه النظرية قائمة ويمكن الاستناد إليها في تفسير نشأة فكرة (جموع القلة) حتى

ترد نصوص تخالف هذه الطريقة في الاستعمال ، ويتضح فيها (عدم التلازم) بين العدد والجمع المصاحب له . وهذا ما سنحاول مناقشته في الصفحات القادمة إن شاء الله .

ثانياً: ظاهرة عدم التلازم بين (العدد) وأوزان (جموع القلة) في الكلام العربي:

لقد عرضنا في الصفحات السابقة طائفة جيدة من النصوص التي تتضمن تلازماً بين العدد (كتابة) وأوزان جموع القلة على نحوٍ كادت – بسببه – النظرية اللغوية السائدة في القول بدلالة جمعٍ ما على أدنى العدد تسلمُ وتثبتُ أركانها لما تشهد لها تلك النصوص من حجة .

ولكن المتتبع للنصوص العربية يكتشف أنَّ كثيراً من فصيحها تضمن شواهد على عدم التلازم بين (العدد) ووزن (جمع القلة) ، وهذا تقاطع ظاهرٌ مع النظرية المذكورة آنفاً التي نحن بصدد الحديث عنها الآن .

فقد كانت تلك الشواهد المتضمنة خروجاً على مقاييس اللغويين بالغة درجة من الصحة لا يمكن الشك بها أبداً ، إذ إنَّ منها الآياتِ الكريمةَ والأحاديثَ الشريفةَ الصحيحةَ ، والشواهدَ الشعريةَ المتقدمةَ ، ويَحْسُن عرضها على النحو الآتي :

١. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . البقرة : 228 .
٢. قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . البقرة : 261 .
٣. قوله تعالى ﴿ [illegible]

✂❼■✍♦⇖ ⇯✗⇙✓♦☝🕔⌂♎ ❍♐♦☹◆☪⇗📫👓✂
⌘♐♐♉🕔⌂☺❒🏳 ❼♑❄♦❷⇖♉▫🕯⬩✍ ♌❒📖
❍♑♂⌂&🖰 ﴿ . القصص : 27 .

٤. ومنه قول النبي ﷺ : ((ثلاث خصال من سعادة المرء المسلم في الدنيا : الجار الصالح ، والمسكن الواسع ، والمركب الهنيءُ))[٩٤] .

٥. وقوله ﷺ : ((خمسُ فواسق تُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحرم : الحيَّة ، والغرابُ الأبقع ، والفأرة ، والكلبُ العقور ، والحديا))[٩٥] .

– ومن شواهد سيبويه ، قول عمر بن أبي ربيعة[٩٦] :

فكان نصيري دون من كنت أتَّقي

ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ

وجاء في كتابه أيضاً[٩٧] :

قد جَعَلَتَ مني على الظِّرارِ خَمْسَ بَنانٍ قانئِ الأَظفارِ

ويمكن عرض الظواهر اللغوية التي تتضمنها النصوص السابقة مما نحن بصدد الحديث عنه على النحو الآتي :

ت	موضع الشاهد	العدد	جمع الكثرة	وزنه	الوزن على وفق قواعد النحاة
1	ثلاثة قروء	ثلاثة	قروء	فُعُول	أَقرؤ : أفْعُل أو أقراء : أفْعَال
2	سبع سنابل	سبع	سنابل	مَفَاعِلَ	سنبلات ، لأن هذا الجمع يدل على قليل .
3	ثماني حجج	ثماني	حجج	فِعَل	حجات
4	ثلاث خصال	ثلاث	خصال	فِعال	خِصْلات
5	خمس فواسق	خمس	فواسق	فَوَاعِلَ	فاسقات
6	ثلاث شخوص	ثلاث	شخوص	فُعُول	أَشْخُص : أفْعُل
7	خمس بَنان	خمس	بَنان	فَعال	بنانات

ولا شك في أن مثل هذه الشواهد قد وقعت في أيدي علماء العربية ودرسوها وعلموا ما فيها من المخالفة الصريحة لقواعدهم ومعاييرهم الثابتة ، وهم من أجل ذلك أوَّلُوها أو أوَّلُوا ما درسُوا منها بأن المراد من الأسماء المجموعة في مثل هذه الشواهد هو استغراق الجنس لا الجمع ، قال سيبويه : ((وقد يجيء خمسة كلاب ، يراد به

خمسة من الكلاب ، كما تقول : هذا صوتُ كلابٍ . أي هذا من هذا الجنس ، وكما تقول : هذا حَبُّ رُمّان ... وقال الآخر :

قد جَعَلَتَ مَيٌّ على الظِّرارِ خمسَ بَنانٍ قانئِ الأَظفارِ))[98] .

ويمكن أن نَعْرِض التقابل أو التباين في استعمال الأعداد المحصورة من ثلاثة إلى عشرة في الكلام العربي إذ يظهر فيها أنها تارةً تلازم جموع القلةِ وتارةً أُخرى تفارقها ، وذلك بصياغة الجدول الآتي :

ت	العدد	معدوده على وزن (جمع القلة)	معدوده على وزن جمع الكثرة
1	ثلاثة	(ثلاثة آلاف) آلاف : أفْعال (ثلاثة اشهر) أشْهُر : أفْعُل	(ثلاث قروء) قروء : فُعُول (ثلاث شهور) شُهُور : فُعُول
2	خمسة	(خمسة آلاف) آلاف : أفْعال	(خمس فواسق) ، فواسق : فَوَاعل و(خمس بَنان) ، بَنان : فَعال
3	سبعة	(سبعة أبْحُر) أبْحُر : أفْعُل	(سبع سنابل) سنابل : مَفاعِل
4	عَشرة	(عَشْرُ أبْطُن) أبْطُن : أفْعُل	(عشر نِعَم) نِعَم : فِعَل

إنَّ ما سبق أن افترضناه من إمكانية استناد النظرية السائدة في تحديد جموع للقلة تدلُّ على ما هو منحصر بين الثلاثة والعشرة بناءً على ما ورد في النصوص

الفصيحة من (تلازم) بين العدد و(جموع القلة) صار ينقضه الآن ما تتضمنه نصوص هذا المطلب من (عدم تلازم) بين أدنى العدد و(جموع القلة) ، بل رأينا أن الأعداد السابق ذكرها قد لازمها الجموع التي سميت عندهم بجموع الكثرة .

إنَّ المنطق العلمي الذي كان يفرض الاستناد إلى نصٍّ ما في سبيل إثبات أنَّ في العربية جمعاً يدلُّ على أدنى العددِ لما يتضمَّنه من (تلازمٍ) ظاهرٍ بين العدد (من ثلاثة إلى عشرة) ووزن الجمع هو نفسُهُ يفرض الاستناد إلى نصٍّ آخر يتضمَّن خلاف هذا (التلازم) ، إذ يردُ فيه تلازمٌ جديدٌ بين العدد نفسه والأوزان التي تسمَّى عند اللغويين بأوزان جموع الكثرة .

إنَّ وجود النصِّ وما يخالفه يضعفُ النظرية التي تحاول أن تثبت دلالة أوزان (أفعُل ، وأفعال ، وأفعِلة ، وفِعْلة) على أدنى العدد ، ويدعونا إلى القول : إنَّ فكرة دلالة (جموع القلة) في الدرس اللغوي لا تؤيدها قواعد التفكير العلمي الرصينة التي تنصُّ على أنَّ العلمَ لا بدَّ أن يستندَ إلى أدلةٍ وحججٍ وبراهينَ منطقيةٍ مقنعةٍ .

المبحث الثالث

العلاقة بين (جمع القلة) و (دلالته)

دراسة نقدية في ضوء النص القرآني

لا يمكن دراسة حقيقة العلاقة بين (جمع القلة) و (دلالتِهِ) دراسة علمية مفصلة ما لم نستند إلى تحليل استعمال هذا الجمع في نصٍّ متكامل موثق يضمُّ (جموع القلة) كلها ، ويُفَصِّلُ في استعمالها ، وليس بين أيدينا نصٌّ تتوافر فيه كل ضوابط الدقة والإتقان مثل النص القرآني الكريم ، الذي سنجعل منه ومن استعماله لجموع القلة المدوَّنةَ المعياريةَ التي تناقشُ نظرية اللغويين العرب في تحديد دلالة جموع القلة .

المطلب الأول

(جموع القلة) في القرآن الكريم

لاشك في أنَّ أوسع دراسة لغوية عُنيت بإحصاء الألفاظ المجموعة جمع قلة في القرآن الكريم هي تلك التي قدمها الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة في كتابه (دراسات لأسلوب القرآن الكريم)[99] ، إذ أحصى في هذه الدراسة تلك الألفاظ ، مقدماً معها دراسة لغوية مفصلة لأحكام (جموع القلة) كما هي عند اللغويين العرب .

وسنحاول في هذا المطلب إيراد طائفة مختصرة من تلك الألفاظ المجموعة جمع قلة في القرآن الكريم ، حتى نتمكن من بعدها من مناقشة دلالتها وأثرها في فهم النص القرآني الكريم .

وأحسب أنَّ في إيراد هذه الألفاظ والنصوص القرآنية التي تضمَّنتها ما يسوِّغُ لي فعل ذلك إذ إنني أعنى في جانب كبير من هذه الدراسة بنقد الاستدلال عند اللغويين العرب في ما له صلة بدلالة (جمع القلة) ، ونقد الاستدلال لابدَّ أن يسبقه عرضٌ مفصَّلٌ للدليل ، حتى يكون التحليل قائماً على أساس علميٍّ دقيق .

أولاً : **ما جاء من الألفاظ مجموعاً على وزن (أَفْعَال)**

بيَّنَ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة أن أكثر جموع التكسير وقوعاً في القرآن الكريم ، هو صيغة (أَفْعَال) ، ((فليس هناك صيغة أخرى يشاركها في هذه الكثرة أو تقارب منها)) [100] ، وتزيد الألفاظ القرآنية المجموعة جمع قلة على هذه الصيغة (أَفْعَال) على مائة لفظ ، نجتزئ منها الالفاظ الآتية :

١. (أنهار) ، قال تعالى [illegible] . البقرة : 25 .

٢. (آباء) ، قال تعالى [illegible] . البقرة : 200 .

٣. (الأرحام)، قال تعالى [illegible] . النساء:1 .

٤. (آذان) و(أنعام) ، قال تعالى [illegible]

[illegible] ﴾. الأعراف : 179.

٥. (الأذقان) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الإسراء : 107 .

٦. (أقلام) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . لقمان : 27 .

٧. (أفنان) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الرحمن : 46-48 .

٨. (الأيام) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الحاقة : 24 .

٩. (أمشاج) ، قال تعالى ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ . الإنسان : 2 .

ثانياً : ما جاء في الألفاظ على وزن (أَفْعِلَة) :

١. (أذِلة) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾. آل عمران: 123 .

٢. (أَسْلِحة) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . النساء : 102 .

٣. (أَعِزَّة)، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . المائدة : 54 .

٤. (أئِمَّة) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . التوبة : 12 .

٥. (أودية) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الرعد : 17 .

٦. (أفئدة) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . إبراهيم : 37 .

٧. (أشحة) ، قال تعالى ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ . الأحزاب : 18–19 .

٨. (أجنة) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . النجم : 32 .

ثالثًا : ما جاء من الألفاظ على وزن (أَفْعُل) :

١. (أبْحُر) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾.

لقمان:27 .

٢. (أشْهُر) ، قال تعالى ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ . البقرة : 197 ،

وقال تعالى ﴿ [illegible] ﴾. البقرة: 226، وقال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . التوبة : 5 .

٣. (أنْفُس) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . النساء : 128 ، وقال تعالى ﴿

[illegible] ﴾ . البقرة : 54 ، وقال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الشورى : 11 .

٤. (أعْيُن) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . غافر : 19 ، وقال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . الكهف : 101 ، وقال تعالى ﴿ [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ . يس : 66 .

٥. (أنْعُم) ، قال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ . النحل : 112 ، وقال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ . النحل : 120- 121 .

رابعا : ما جاء على وزن (فِعْلَة)

١. (إخوة) ، قال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible] ﴾ . النساء : 11، وقال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible]

[illegible] ﴾ .

يوسف: 7، وقال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾. الحجرات: 10 .

ولقد اختلفت مذاهب النحويين في (إخوة) ، فمنهم من كان يرى أنَّ هذا اللفظ (اسم جمع) وليس جمعاً ، ومن هؤلاء سيبويه الذي عقد فصلاً أسماه (هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ، ولكنه بمنزلة قومٍ ونَفَر وذَود . إلا أن لفظه من لفظ واحده))[١٠١] ، قال فيه : ((ومثل ذلك في كلامهم : أخ وإخْوَة))[١٠٢] .

ولكن لغويين آخرين ذهبوا إلى أن (إخوةً) هو جمع قلةٍ ، ومن هؤلاء : رضي الدين الاستراباذي [١٠٣] ، وأبو حيان الأندلسي [١٠٤] ، ويبدو أنه قد تابعهم على ذلك الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة[١٠٥] .

٢. (نِسوة) ، قال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ . يوسف : 30 .

وقال تعالى ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ . يوسف : 50.

٣. (جِنَّة) ، قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . هود : 119 ، وقال تعالى ﴿ [illegible] ﴾. الصافات : 158.

ولا شك في أن الألفاظ القرآنية المجموعة (جمع قلة) هي أكثر من ذلك بكثير، ولكنا اقتطفنا طائفة منها لتكون توطئة لمناقشة دلالتها في تلك النصوص .

إن قراءة النصوص الكريمة السابقة تُعطي جملة من الحقائق لعل ما يعنينا منها هنا هو دلالتها الصريحة على (الجمع الكثير) لا (القليل) في الكثير الغالب منها ، وهذا مفارق لقواعد اللغويين التي تنص على أن (جموع القلة) تدل على ما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة .

ولقد قامت في تلك النصوص التي يدل فيها جمع التكسير على الكثير قرائنُ معنويةٌ وأُخرى يمكن أن نُعدَّها لفظية تمنع أن يكون المراد فيها أدنى العدد من الثلاثة إلى العشرة ، ومن ذلك مثلاً :

قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾. الأعراف: 179.

فقد ورد في هذا النص لفظتا (أعْيُن) و(آذان) ، وكلٌّ منهما على وزن جموع القلة (أفْعُل) و(أفْعَال) ، والأصل عند اللغويين أن تدلا على قليل العدد ، وهذا ما لا يمكن أن يكون مراداً في هذا النص بسبب دلالته الواضحة وحديثه عن أهل النار وعددهم أكثر من عشرة بلا ريبٍ ، بل يدلُّ على ذلك ما ورد في النص من لفظة (كثيراً) .

وممَّن تساءَلَ عن كيفية مجيء لفظ (الكثير) بعد أحد أوزان جموع القلة الإمام بدر الدين الزركشي في أثناء توجيهه بعض النصوص القرآنية فعدَّ ذلك مُشْكلاً ، حين قال : ((ومن المشكل قوله تعالى : ((فيُضاعفه لَهُ أضعافاً كثيرة))(البقرة 245) فإنَّ (أضْعافاً) جمعُ قلّة فكيف جاء بعده كثرة))(*) ، وحاولَ أنْ يوجد له تخريجاً.

ومثله قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . آل عمران : 123 ، فلفظة (أَذِلَّةٌ) ، (جمع قلة) على وزن (أَفْعِلة) وهو يدلُّ على ما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة بحسب قواعد اللغويين ، وهذا لا يمكن أن يكون مراداً في نصٍّ يتحدث عن المسلمين ببدرٍ ، الذين يُقدر عددهم آنذاك ببضع مئات .

وقال تعالى ﴿ [illegible]

✍□✍□☪♑✍✂◆❒ ♉■□✡☞↗⬂♑✍✂
📖❒♎⬂✋◆➔♉✓×◆ ﴾ . هود : 119 .

ولا يمكن أن يكون عدد الجِنَّة المتحدث عنهم في هذه الآية الكريمة العشرة أو ما دونها ، بل أنَّ معنى النص هنا لابد أن يكون عدد الجِنَّة المتحدث عنهم أكثر من ذلك بكثير .

وليس من شك في أنَّ ثمة ألفاظاً في النصوص السابقة جاءت دالة على الجمع القليل ، سواء رافق الجمعَ عددٌ دال على العشرة فما دونها ، أم لم يرافقه ، ومن ذلك :

– قوله تعالى ﴿ سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام ﴾ .

– وقوله ﴿ ❒◆✂✍♑⬂⌨◆⬧⬄❷↖ ③◆☺←⑨❻■←➀
✌♉♊✍ ✍➔◆➔⬀⑨♉■✍⌚ ♌◻⌨⬀➔◻➔
📖❒📄⬂◆←❷♑ ﴾ . لقمان : 27 .

– وقوله ﴿ ✂✍💻⬂◆□&❺ 📖❒⅄⇧♑←❷⌧
✌□➔⬀🖬➔❑✌◆⏲✹◆≺ ﴾ . البقرة : 197 .

إن طريقة القرآن الكريم في استعمال هذه الجموع تدعونا إلى أن نؤصل قاعدة جديدة غير تلك السائدة في التراث ، وتنص هذه القاعدة الجديدة على أن الأصل في الجموع الأربعة (أَفْعُل ، وأَفْعَال ، وأَفْعِلَة ، وفِعْلَة) هو الدلالة على مُطلق الجمع القليل والكثير ، والذي يحدد إحدى هاتين الدلالتين دون الأخرى هو النص وما يضمه من قرائن محددة .

إنَّ الانطلاق في التعامل مع النصوص السابقة على وفق هذا الأصل الجديد لا يخلق أي تناقض أو تقاطع بين القاعدة اللغوية ومعنى النص ، بل ستكون القاعدة

حينذاك وسيلة جيدة لفهم النص وإدراكه ومسايرته ، وهذا يعني أن كُلاً من القاعدة والمعنى سوف يتكاملان ولا يتناقضان أو يتقاطعان .

ولكن ماذا يحدث حين ننطلق من القواعد اللغوية الثابتة في مصنفات النحويين لقراءة النصوص الكريمة السابقة وما يشابهها ؟ أحسب أن الذي يحدث هو تقاطع وتعارض صريح بين دلالة القاعدة اللغوية من جهة ، والنص القرآني من جهة أخرى ، بسبب اتفاق اللغويين العرب على أن تلك الجموع الأربعة تدل على أقل العدد.

ولا شك في أن اللغويين العرب قد اطلعوا على تلك النصوص ، ولا يرد في خاطري أنهم كانوا يجهلونها ، بل كانوا على علمٍ بها ، ولكن الذي شجعهم على الإيمان بعدم التعارض بين القاعدة والنص هو ذهابهم إلى أن جمع القلة قد يرد ويراد به الكثرة . وكذلك جمع الكثرة قد يرد ويراد به القلة . قال سيبويه : ((فأبنية أدنى العدد (أَفْعُل) ... و(أَفْعَال) ... و(أَفْعِلَة) ... و(فِعْلَة) ... فتلك أربعة أبنية ، فما خلا هذا فهو في الأصل للأكثر وإنْ شَرِكه الأقل ... فكلُّ شيء خالف هذه الأبنية في الجمع فهو لأكثر العدد ، وإن عنى به الأَقلُّ فهو داخل على بناء الأكثر وفيما ليس له . كما يدخل الأكثر على بنائه وفي حيزه))[١٠٦] .

– ولكنهم يعودون في كل مرة ويؤكدون أن ذلك خلاف الأصل وأن الأصل في الكلام العربي – دلالة تلك الجموع على أقل العدد ، ودلالة غيرها على أكثره ، قال سيبويه : ((واعلم أن لأدنى العدد أبنية هي مختصة به ، وهي له في الأصل ، وربما شَرِكه فيه الأكثر ، كما أن الأدنى ربما شَرِك الأكثرَ))[١٠٧] .

وقال الزجاجي – متحدثاً عن أوزان (جموع القلة) الأربعة – : ((فهذه الأمثلة واقعة على أقل العدد ، وهو ما دون العشرةِ ، وربما وقعت لأكثر العدد ، إلا أنَّ هذا هو الأصل ، وذلك يقع خروجاً عن القياس المطرد ، كما أن بناء الكثير ربما شَرِكه في القليل))[١٠٨] .

فهذا يعني أن اللغويين العرب أدركوا إمكانية دلالة تلك الجموع على الكثير ، ولكنهم يؤكدون أن ذلك ليس هو الأصل إنّما الأصل هو أن تَدُلَّ على القليل ، بل إنَّ دلالتها على الكثير يقع – كما ذهب الزجاجي – خروجاً عن القياس المطرد ، فضلاً عمّا في نصوصهم من إشارة لابدَّ من التنبيه عليها وهو استعمالهم لعبارة (ربَّما) ، كما قال سيبويه : ((واعلم أن لأدنى العدد أبنية هي مختصة به ، وهي له في الأصل ، وربما شَرِكه فيه الأكثر ، كما أن الأدنى ربما شَرِك الأكبرَ)) .

وقال الزجاجي – عن أبنية جموع القلة – : ((ربما وقعت لأكثر العدد)) ، وهذا يدل عندهم على أن خروج هذه الجموع عن تلك الأبنية كان قليلاً ، وهذا تقاطع واضح عما نخرج به حين نقرأ تلك النصوص القرآنية الكريمة من أن تلك الجموع تدلُّ على مطلق الجمع قليله وكثيره وإن الذي يحدد إحدى الدلالتين هو معنى النص ، وما به من قرائن ترافقه .

بل إننا لو أخذنا ما في القرآن الكريم من استعمالٍ لتلك الجموع على أنه يمثل ما في الكلام العربي من استعمال لكان ذلك كافياً لأن نقولَ إنَّ الأصل في تلك الجموع هو أن تدلَّ على كثير ، وقد ترد ويراد بها القليل ، ولاسيما إذا كان هناك (تلازم) بين العدد و(جمع القلة) ، ولكن لمّا كان الاستقراء الدقيق غير متوفر الآن ،

فإن ذلك يدعونا إلى الاكتفاء بالقول إن تلك الأوزان الأربعة تدلُّ على مُطلق العدد قليلِهِ وكثيرِهِ .

ولمّا كان (الجمع) مستعملاً في اللغة للدلالة على (الكثير) فلا غرابة – في نظري – في أن نجدَ من المتأخرين من ذهب إلى أنَّ (جمع القلة) ليس بأصلٍ في الجمع ، بسبب تلك القاعدة التي قالها سابقوه التي تنصُّ على أنَّ جمع القلةِ يدلُّ على القليل ، قال رضي الدين الاستراباذي إلى القول : ((واعلم أنَّ جمع القلة ليس بأصل في الجمع ، لأنه لا يذكر إلا حيث يراد بيان القلة ، ولا يُستعمل لمجرد الجمعية والجنسية كما يستعمل له جمع الكثرة))[١٠٩] .

فقد وجد تناقضاً واضحاً بين الدلالة الأصلية للجمع والدلالة الأصلية لجمع القلة ، وهذا ما دعاه إلى إطلاق فكرة أنَّ (جمع القلة) ليس بأصلٍ في الجمع .

ولا أظنُ أنَّ مثل هذا الكلام قادرٌ على أن يصمد أمام وفرة تلك النصوص القرآنية التي جاءت مستعملة ما سمي بجموع القلة ، وهي دالة على القليل والكثير ، وإنَّ الذي يميز استعمال النص لإحدى الدلالتين دون الأخرى هو القرائن الموجودة فيه.

إنَّ هذا الذي خلصنا إليه في هذا المطلب يسوغ لنا القول بافتراض أن اللغويين العرب لم يكونوا يستندون إلى أدلة يقينية مقنعة حين ذهبوا إلى أن (جموع القلة) تدل على ما هو منحصر من ثلاثة إلى عشرة ، وحين قرروا أن ذلك هو الأصل والقياس المطرد فيها وأن ما جاء خلاف ذلك هو ليس أصلاً ، وهو خارجٌ على القياس المطرد ، وأحسبُ أنَّ عدم الاستناد إلى أدلة يقينية مقنعة لهو صورة من صور مفارقة قواعد التفكير العلمي في الدرس اللغوي العربي كما رأينا هنا .

بل إنَّ ما أوردناه هنا يثبت أنه لم يكن بين أيدي اللغويين من أدلة تثبت أن تلك الأوزان تدل على الجمع القليل سوى ما أشار إليه رضي الدين الاستراباذي قبلُ حين قال : ((واستدلوا على اختصاص أمثلة التكسير الأربعة بالقلة بغلبة استعمالها في تمييز الثلاثة إلى العشرة ، واختيارها فيه على سائر الجموع إن وجدت)) (١١٠) ، أي : ليس إلى أدلة يقينية مُقْنِعَة كما أسلفنا .

المطلب الثاني

أثر فكرة (جموع القلة) في فهم النص القرآني وتأويله

إنَّ المتتبع للدراسات القرآنية وكتب التفسير يكتشف أن لفكرة (جموع القلة) أثراً واضحاً في توجيه قسم من الآيات الكريمة التي ضمت ألفاظاً جُمعت على وزنٍ من أوزان جموع القلة السابق ذكرها .

ونستطيع أن نتلمس أثر هذه الجموع في توجيه آيات كريمة من خلال عرض النصوص الآتية :

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . البقرة : 243 ، يستند الإمام محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) إلى ثنائية (القلة والكثرة) وإلى أحكام أوزانهما في تحديد عدد الذين خرجوا من ديارهم ، قال : ((وأَوْلى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب ، قول من حَدَّ عددهم بزيادةٍ عن عشرة آلاف دون من حَدَّه بأربعة آلاف وثلاثة آلاف وثمانية آلاف ، وذلك أن الله – تعالى ذكره – أخبر عنهم أنَّهم كانوا أُلوفاً ، وما دون العشرة آلاف ، لا يقال لهم : ألوف ، وإنما يقال : هم آلاف إذا كانوا ثلاثة آلاف ، وغير جائز أن يقال : هم خمسة ألوف أو عشرة ألوف))(١١١) .

وجاء في (روح المعاني) ما يبين أنَّ من الفقهاء من ذهب إلى أنَّ أَشْهُرَ الحج ثلاثة : شوال وذو القعدة وذو الحجة كلُّه ، مستدلاً على ذلك بلفظ (أشهُر) في قوله

تعالى ﴿ ... ﴾ البقرة : 197 ، قال أبو الثناء الآلوسي (ت1270هـ) : ((معلومات : معروفات عند الناس ، وهي : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة عندنا ... وعند مالك الشهران الأولان وذو الحجة كله عملاً بظاهر لفظ الأشهُر))[112] .

والنصان السابقان يمكن أن يُعدَّا مثالاً واضحاً على استعمال الأوزان الأربعة السالف ذكرها للدلالة على الجمع القليل ، وهذا أمرٌ لا إشكال فيه – كما رأينا – ، ولكن الإشكال يقع حين نحاول قصر دلالتهما على الجمع القليل وهو ما تذهب إليه معظم الدراسات اللغوية العربية .

إنَّ الانطلاق من القاعدة إلى النصِّ لابدَّ أن يصنعَ إشكالاً أو معضلة في توجيه النصوص التي لا تتفق مع القواعد الثابتة المستقرة ، فحين ذهب اللغويون العرب إلى أن الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تميز بجمع القلة أو بوزنٍ من أوزان جموع القلة نشأت معضلة في توجيه مثل قوله تعالى ﴿ ... ﴾ . البقرة : 228 ، إذ ظهر فيه تمييز العدد (ثلاثة) بجمع كثرة وهو : قروء ، على وزن : فُعُول .

وسبق أن بينا كيف أن كلمة اللغويين قد اختلفت في توجيه الآية الكريمة هذه وما أشبهها ، إذ رأينا أنَّ منهم من ذهب إلى أن ذلك حَدَثَ بسبب ما أسماه بالاستغناء ، إذ استغنى بـ (ثلاثة قروء) عن (ثلاثة اقراء) ، أي أنَّ العرب اكتفوا بجمع (القَرْء) على (قروء) مستغنين بذلك عن جمعها جمع قلة على : أقراء .

أما الدراسات القائمة على النص القرآني إعراباً وتفسيراً فقد ظهر فيها صور الاختلاف في توجيه (ثلاثة قروء) حين ظهرت مخالفتها الواضحة للقاعدة اللغوية .
فمن المعربين الذين تناولوا هذا النص بالتحليل أبو البقاء العكبري القائل : ((و (قروء) جمع كثرة والموضعُ موضعُ قِلَّة ، فكان الوجه ثلاثة أقراء ، واختُلف في تأويله، فقيل : وضع جمع الكثرة في موضع جمع القلة ، وقيل : لمّا جمع المطلقات أتى بلفظ الكثرة ؛ لأن كل مطلقة تتربص ثلاثة ، وقيل التقدير : ثلاثة أقراء من قروء))[113].

أما المفسرون فإن منهم الزمخشري الذي تناول هذه الآية الكريمة قائلاً : ((فإن قلت : لِم جاء المُميِّز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء ؟ قلت : يتسعون في ذلك ، فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر ، لاشتراكهما في الجمعية))[114] .

وقال الآلوسي : ((هذا وكان القياس ذكر القرء بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كلَّ واحد من البناءين مكان الآخر ، ولعل النكتة المرجحة لاختياره هاهنا أن المراد بالمطلقات هاهنا جمع المطلقات ذوات الأقراء الحرائر وجمعها متجاوز فوق العشرة فهي مستعملة مقام جمع الكثرة ، ولكل واحدة منها ثلاثة أقراء فيحصل في الأقراء الكثرةُ ، فَحَسُنَ أن يستعمل جمع الكثرة في تمييز الثلاثة تنبيهاً على ذلك وهذا كما استعمل أنفسهن مكان نفوسهن للإشارة إلى أنَّ الطلاق ينبغي أن يقع على القلة))[115] .

إنَّ هذا الرأي الذي أوردناه ليس سوى صورة موجزة عما في كُتب إعراب القرآن وتفسيره من تأويل وتخريج للنصوص التي لا تستجيب للقواعد اللغوية الثابتة ، ولما يحدث حين ننطلق من القاعدة اللغوية إلى قراءة النصوص الفصيحة ، وليس من

شك في أن المنهج العلمي يفرض علينا الانطلاق من النص إلى قراءة القواعد ومراجعتها وتقويمها بحسب ما تتوفر بين أيدينا من شواهد تدعو إلى هذا التقويم .

وثمة ألفاظ قرآنية أخرى ترد في القرآن الكريم مجموعة (جمع قلة) بحسب ما تقتضيه القواعد اللغوية العربية ، ولا ترد فيها أيَّةُ مخالفة لنظم القواعد اللغوية على نحو ما رأينا في قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ ، إذ تأتي هذه الألفاظ التي نعنيها هنا غير مقرونة بعدد ، أو هي مقرونة ولكن بحسب القواعد الثابتة ، ولكننا إذا تأملنا دلالتها أو دلالة النص فيها فلا يمكن حملها على أن المراد بها هو القليل أو ما هو منحصر بين الثلاثة والعشرة .

ومن ذلك العشرات من لفظ (الأنْفُس) في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . البقرة : 228 ، إذ لا يمكن أن يكون المراد هنا (أنفساً) قليلة لا يزيد عددهن على عشرة ، ولذا وجدنا من المفسرين من يوجهها بمثل ما وجه (ثلاثة قروء) بأن ذلك كان من باب التوسع وإنزال كل من الجمعين (القلة) و(الكثرة) مكان الآخر ، قال الزمخشري – متحدثاً عن قوله تعالى ﴿ ثلاثة قروء ﴾– : ((فإن قلت لِمَ جاء التمييز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء ؟ قلت : يتسعون في ذلك ، فيستعملون كلَّ واحد من الجمعين مكان الجمع الآخر ، لاشتراكهما في الجمعية ، ألا ترى قوله بأنفسهنَّ ، ما هي إلا نفوس كثيرة))[116] .

وفي قوله تعالى ﴿ إنكم ظلمتم أنفسكم ﴾ . قال القرطبي (ت 671هـ) : ((استغنى بالجمع القليل عن الكثير ، والكثير نفوس ، وقد يوضع الجمع الكثير موضع جمع القلة والقليل موضع الكثرة ، قال الله تعالى ﴿ ثلاثة قروء ﴾ ، وقال ﴿ وفيها ما تشتيه الأنفس﴾))[117] .

ولا شك في أنَّ ثمة إشكالاً في قراءة النص القرآني سيحصل لو قرأنا قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . النحل : 112 ، في ضوء القاعدة اللغوية التي تنص على أن (أنعماً) جمع قلة يدلُّ على أدنى العدد . فهل كفرت هذه القرية بأنعم قليلة معدودة ؟ أم أنَّ أنعم الله كانت عليها قليلة ؟ لذا نجد هذه القاعدة اللغوية قد ألجأت قسماً من المفسرين إلى التأويل من أجل أن يستقيم النص مع القاعدة ، جاء في (تفسير أبي السعود) : ((وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجبت هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة))[118] .

وكذلك كان لفكرة اللغويينَ في تحديد دلالة جموع القلة أثرٌ في تأويل قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ . النحل : 120-121 ، فهل كان إبراهيم عليه السلام شاكراً لأنعم قليلة ؟ أم إنَّ أنعم الله عليه كانت قليلة ؟ فهذا ما تؤديه النظرية السائدة في تحديد دلالة جموع القلة ، ولكن هذا غير مراد كما هو واضح من ظاهر النص ، ولذا نجد الشوكاني (ت 1255هـ) يقول : ((﴿شاكراً لأنعمه﴾ التي أنعم الله بها عليه وإن كانت قليلة كما يدل عليه جمع القلة فهو شاكر لما كثر منها بالأولى))[119] .

وقال تعالى ﴿ [illegible]

❒◆♑•☪⇖②⬀❷⌧♉◻❁☐&⇙☠✌♓♋❁⬀&❒✍
📖❒❶♋✍⅄🕯🕉 ❒◆⚟➔☠⬀ ⌚❁⌚⬄⇜❷⬉❒♌◆ ﴾ . النمل : 37 ، فلفظ (أذِلَّة) هنا جمع قلة على وزن (أفْعِلَة) ، وهو يقتضي أن يكون المراد دون العشرة بحسب ما تنص عليه القاعدة اللغوية ، وهذا ما لا يمكن أن يكون مقصوداً في هذه الآية الكريمة ؛ لأن الحديث هو عن قوم سبأ وهم أكثر من عشرة بلا شكٍّ، وبسبب فكرة اللغويين هذه خرَّج بعض المفسرين هذه الآية بما يتوافق مع القاعدة ، جاء في (تفسير أبي السعود) : ((أَذِلّة ، أي حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين ، وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم))(١٢٠) .

وإذا كان ذلك كذلك فماذا نقول عما ورد في القرآن الكريم من جمع (عزيز) على (أعزَّة) ، وهي (جمع قلة) على (أفْعِلَة) أيضاً ، في نحو قوله تعالى ﴿
③◆⌚❃🕯❒⑨⇜&❒✍ ✂✍✍⅄🔔♋⇦×◆
⬈◆✂✌◆☪⬉❒✂☎ ✌◆♊ ③◆❷⬀✍•⑨❍ ✌♋✡▤⬈☠⬀
⬉◆♊ ⑩♋③☪♋❍♋⌚ ▫•❍❁❒⬀✍◆ ③◆🕯▫✌♋❼
✂✍✍✦ ⌨♋⦿⬀❒⬀✈▯ ⑥⬈◆♋💻♌&⬋☠⬀
❒◆⑥⬈◆♋⌛♌❒☼◆❍⬅⌚▦ 📖❒❶♋✍⅄🕯✌ ⬉◆✍■❼
✂✍♑⬂•⬀✌♋☪♋✓×◆ 📖❒⬉♋❽❒❒⚇ ⬉◆✍■❼
✂✍♑⬂▤•⌚▦♋❷⊘⇦×◆ ﴾ . المائدة : 54 ، ولعلَّ الذي يخرج النص من ضرورة التأويل هو عدُّ هذا الجمع للكثرة لا للقلة بحسب ما ترشد إليه دلالة النص وظاهر معناه .

إن خلاصة ما نريد قوله الآن : إنَّ النظرية التي تنصُّ على أنَّ الأصلَ والقياسَ المطَّرد في لغة العرب هو أنَّ مميِّزَ الأعداد من ثلاثة إلى عشرة يكون على وزنٍ من تلك الأوزان التي سمَّوها (جموع القلة) ، وأنَّ هذه الجموع تدلُّ على أدنى العدد ، نقول : إنَّ هذه النظريَّة قد تؤيِّدها نصوصٌ فصيحةٌ كثيرةٌ على نحو ما رأينا في طائفة من نصوصِ الكتاب الكريم ، مثل ﴿ الحَجُّ أشهُرٌ معلومات ﴾ ، و ﴿ فإذا انسلخ الأشهُرُ الحُرُم ﴾ ،أو قوله تعالى ﴿ والبحرُ يَمُدُّه من بَعْدِهِ سَبْعَة أبحر ﴾ ،

ولكننا نجد في الوقت نفسه مجموعة أخرى كبيرة من النصوص القرآنية لا تستجيب لهذه القاعدة الثابتة في كتب التراث اللغوي ، فظهر بسبب من ذلك اتجاه تأويل النص القرآني أو تخريجه أو قراءته على وفق هذه القاعدة ، وإنَّ الذي أنتج هذا التأويل والتخريج هو الانطلاق من القاعدة إلى النص ، وليس الانطلاق من النص إلى القاعدة التي قد تتغير أو تتبدل تبعاً لدلالة النصِّ ومضمونه .

المبحث الرابع

الدعوةُ إلى إلغاء فكرة (جموع القلة)

لقد اتَّضَحَ مما تقدم أنَّ الدراساتِ اللغويَّة العربية قديمها وحديثها تَدُلُّ على أنّ أوزاناً محددة تستعمل للدلالةِ على الجمع القليل وهَو ما كان م نحصراً بين الثلاثةِ والعشرة .

ومن خلالِ نص رضي الدين الاستر اباذي الذي نقلناه آنفاً [١٢١] اتَّضَح لنا أن مجيء تمييز الأعداد الم نحصرة بين الثلاثةِ والعشرةِ مجموعاً على وزن من الأوزانِ الأربعة : أَفْعُل ، أَفْعال ، وأَفْعِلة ، وفِعْلَة هو الذي أ نشأ فكرةَ دلالةِ هذه الأوزان على الجمع القليل في الدرس اللغوي العربي .

ولكن بعد هذا الذي عرضناه نستطيع أن نقولَ إنه قد تجمعت بين أيدينا عددٌ من الشواهد والأَدِلة التي تسوغ لنا الدعوة إلى إلغاء فكرة جموع القلة من الدرس اللغوي العربي . وهذا ما سنناقشه في هذا المبحث إن شاء الله .

المطلب الأوَّل

مُسَوِّغات الدعوةِ إلى إلغاء فكرةِ (جموعِ القلة)

تتخذ الدعوة إلى إلغاء فكرةِ (جموع القلة) من الدراسات اللغويّة طائفة من الأفكار والرؤى تطرحها على أنها مُسوِّغات منهجية تبيح القولَ بضرورةِ إلغاء هذه الفكرةِ من الدرس اللغوي ، والمسوّغات هي :

أولاً : مميز الأعداد من (ثلاثة) إلى (عشرة)

يقول رضي الدين الاسترباذي – متحدثاً عمَّا استدل به النحويون على دِلالة (جموع القلة) – : ((واستدلوا على اختصاص أمثلة التكسير الأربعة : بال قلة بغلبة

استعمالها في تمييز الثلاثة إلى العشرة واختيارها فيه على سائر الجموع إن وجدت))[١٢٢] .

وإنَّ هذا الذي نص عليه رضي الدين صحيح ومستند إلى طائفة كبيرة من النصوص الفصيحة ولاسيما القرآنية منها ، من مثل قوله تعالى : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ ، وقوله : ﴿ ⌧ ⌧ ⌧ ﴾ . التوبة : 2 ، وقوله : ﴿ ⌧ ⌧ ⌧ ﴾ . لقمان :27 .

وكقول الشاعر[١٢٣] :

وإنَّ كلاباً هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ وأنت بريءٌ من قبائلها العَشْرِ

ولكن هذا الاستدلال تواجهه أسئلة دقيقةٌ واعتراضات منهجية تدور حول ما وَرَدَ من نَصوص فصيحة أخرى – تقابل التي سبقت – لا يرقى شك إلى سلامتها استعملت أوزان (جموع الكَثْرة) في تمييز الأعداد من ثلاثة إلى عشرة وذلك نحو :

١. قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ .
٢. قوله تعالى : ﴿ ⌧ ⌧ ⌧ ﴾ ، البقرة : 261 .
٣. قوله تعالى : ﴿ ⌧ ⌧ ⌧ ﴾ ، القصص : 27 .
٤. وكقوله ﷺ : ((ثلاث خصال من سعادةِ المرء المسلم)) .
٥. أو قوله ﷺ: ((خمس فواسق تقتلن في الحل والحرم)) .

٦. وقول عمر بن أبي ربيعة :

فكان نصيري دون من كنت أتقي

ثلاثُ شخوصٍ كاعبانُ ومُعْصرُ

وهذه النصوص – ومثلها كثير – يمكن أن تشكل اعتراضاتٍ أساسية في طريق نظرية النحاة . وتشكك في طريقة استدلالهم على القولِ بوجود جموع دالةٍ على القليل إذا لم نأخذ بأسلوبهم في التأويل والتقدير لجعل النصوص المخالفة مساوقة للقواعد .

ثانياً : طريقة اللغويون في الاستدلال :

لو تأملنا طريقة اللغويون في الاستدلال بالشواهد المختلفة بغية إثبات فكرة جموع القلة فإننا سنخلص إلى جملة من الحقائق البارزة :

1- إنَّ النسبة العظمى من تلك الشواهد كانت شواهد شعرية ولاسيما إذا أخذنا كتاب سيبويه مثالاً يحتذ ى به هنا ، والذي اكتشفناه سابقاً أن هذه الشواهدَ الشعرية لم ترد في معرض الحديث عن دِلالةِ (جموع القلة) بل جاءت في مباحث اللغويون في أثناء الحديث عن أحكام جموع القلةِ وما يجمع مثالاً على هذا الوزنِ دون غيره .

بل إننا لو استعرضنا تلك الشواهد الواردةَ في كتب اللغويين لما وجدنا فيها ما يؤيد دِلالة تلك الجموع على ما هو منحصر بين الثلاثة والعشرة ، ومن ذلك مثلاً :

أمنزلتي مَيٍّ سلامٌ عليكما هل الأزمُنُ اللا ئي مَضَيْنَ رَواجعُ

وقول آخر :

لِكرامٌ حين تنكفت الأفاعي إلى أجحارهِنَّ من الصقيعِ

وقول الراجز :

*** لكل عيش قد لَبِستُ أَثْؤُباً ***

وغيرُها كثير ، فليس في هذه الأبيات ما يشير إلى أنَّ (الأزمن) و(أجحارهن) و (أَثْؤُباً) قد جاءت للدلالةِ على جمع القليل ، بل إنَّ دلالتها على الكثير واضحة لا لبس فيها .

بل إننا لو اتجهنا نحو القرآن الكريم وطالعنا نصوصه والعشرات من الألفاظ التي جمعت على واحد من الأوزانِ الأربعة : أَفْعَال ، أَفْعِلَة ، وأَفْعُل ، وفِعْلَة ، لما وجدناها دَالة على ما قلّ عَدَدُه ، فالعشرات من لفظة (الأنفس) وقوله تعالى مثلاً ﴿ ... ﴾ . لقمان : 27 ، أو قوله ﴿ ... ﴾ . النجم : 32 ، أو قوله ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾، لا يمكن حملها على أنها دالة على القليل إذ إنَّ معنى النص يأبى ذلك كما هو واضح .

ثالثاً : اللجوء إلى القول بـ (الاستغناء) ، و(الاستعارة) و(التأويل)

رأينا في ما سَبَقَ أنَّ هناك طائفة غير قليلة من النصوص الفصيحة لا تستجيب لقاعدة أن (جموع القلة) تدَلُّ على أدنى العدد ، والحقيقة أن مثلَ هذه النصوص – وغيرَها – كثيرة لم تكن غائبة عن أنظار اللغويين ولم يكونوا بعيدين عنها ، ولكن كانت لهم طريقة في التعامل معها على النحو الذي حافظ لهم روح القاعدةِ السابقة وكيانها .

فقوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ فيها مخالفة صريحة لقاعدة أن العدد ثلاثة يأتي تم ييزه على وزن من أوزانِ جموع القلة الأربعة ، ومن أجل ذلك لجأ اللغويون وغيرُهم إلى تخريج ذلك بأوجهٍ شتَّى ، فالزمخشري يبين أن ذلك كان من باب التوسع وإحلال أحد الجمعين مكان الآخر إذ يقول : (فأن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرةِ دون القلة التي هي الأقراء قلت : يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر . لاشتراكهما في الجمعية) [١٢٤] ، ولكنه عاد فأشار إلى أنَّ القروء ربما كانت أكثر استعمالاً من الأقراء ومن أجل ذلك جاءت لفظة (القروء) لتحل محل (الأقراء) تنزيلاً لهذه اللفظة الأخيرة منزلة المهمل[١٢٥] .

وذهب رضي الدين الاستراباذي إلى أن كلاً من (القروء) و (الأقراء) مستعمل في اللغة ولكن جاء (القروء) في هذه الآية من باب (استعارة اللفظ) قال – متحدثاً عن جمع القلة والكثرة – : ((وقد يستعار أحدهما للآخر مع وجود ذلك الآخر كقوله تعالى : (ثلاث قروء) مع وجود أقراء))[١٢٦] .

وقد يُلجَأُ إلى التأويل على نحو ما رأينا عند المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ ، النحل : 112 ، إذ الأخذ بالقاعدة اللغوية يحتم أنَّ المراد هو الكفر بأنعُمٍ قليلة ، وهذا ليس مراداً هنا لذا كان لابد من التأويل جاء في (تفسير أبي السعود) : ((وإيثار جمع القلة للإيذان بأنَّ كفران نعمةٍ قليلة حيث أوجبت هذا العذاب فما ظنك بكفرانِ نِعَم كثيرةٍ))[١٢٧] .

ولو نظرنا إلى طرق التخريج هذه من زاوية أخرى فإنها تعني أَنَّ ثمة نصوصاً متعددة لا يرقى شك إلى فصاحتها وسلامتها تخالف القواعد اللغوية الثابتة في كتب اللغويين ، ولذا لم يجد عدد من العلماء من سبيل أمام ثبات القاعدة وامتدادها في التراث النحوي من جهة وسلامة النص الخارج عليها من جهة أخرى سوى اللجوء إلى القول بمجيء جمعٍ نائباً عن جمع آخر أو التأويل أو غير ذلك من سبل معالجةِ النص المخالف للقاعدةِ الثابتة .

إنَّ الأَخذَ بهذه النصوص النثرية الفصيحة التي لا يرقى شك إلى سلامتها ووثاقتها والتي لا تستجيب لقاعدة دِلالة (جموع القلة) في الدرس اللغوي تسوغ عندنا الدعوة إلى إلغاء فكرةِ جموع القلة ، وإلى عَدِّ تلك الأوزان الأربعة صوراً من جموع التكسير الكثيرة التي تدلُّ شأنها شأن أي جمعٍ آخر على القليل والكثير وإن الذي يميز دلالتها في هذا السياق أو ذاك ويُحَدِّدُ أنَّ المرادَ قليلٌ أو كثيرٌ هو ما يرافقه من قرائن تُخَصِّص الدلالة على أحد الجمعين دون الأخر ، ولا تحمل تلك الأوزان الأربعة أيَّةَ دلالة أصلية خاصة بها ، تحملنا على الأخذ بها ، وتأويل النصوص المخالفة لتلك الدلالة حتى نجعلها منسجمة متناغمة مع القاعدة بل يبدو أن الأصل هو أن تَدُلَّ تلك الأوزان على القليل والكثير كما أسلفنا وكما تشير إلى ذلك كثير من النصوص .

المطلب الثاني

نفي فكرة (جموع القلة) في الدرس اللغوي الحديث

لا تقف هذه الدعوةُ منفردة في الساحةِ الفكريَّة بل نجد ثَمَّ دراساتٍ حديثةً وأخرى معاصرةً أَوْلت هذا الموضوع عنايتها ودققت في أسس فكرة (جموع القلة) فسجلت دعوة لإلغائها بعد أن تبين أنها لا تستند إلى أسس علمية رصينةٍ .

أولاً : نفي فكرة (جموع القلة) في المجامع اللغويَّة

المجمع اللغويُّ الذي أولى هذا الموضوع رعايته هو مجمع اللغة العربية في القاهرةِ الذي ذَهَبَ في أحد قراراته إلى القول : (الجمع أيا كان نوعه (جمع التكسير أو جمع تصحيح) يدلُّ على القليل والكثير وإنما يتعين أحَدُهما بقرينة)[١٢٨] .

ولقد استند هذا القرار إلى طائفة من الأبحاث والدراسات التي قدمها أعضاء المجمع ومنها البحث الذي قدمه عضو المجمع محمد شوقي أمين وعنوانه (التعاقب بين جمع القلةِ وجمع الكثرة) .

وعلى الرغم من أنَّ صاحبَ هذا البحث يدعو إلى جواز التعاقب (أو التبادل) بين (جمع القلة) و (جمع الكثرة) وهذا يعني أنه آخذٌ بفكرةِ وجود جموعٍ للقلة إلا أنه نَصَّ على أفكار تؤيد ما ن حن بصدده حين وجد أن النصوص الفصحى لا تؤيد التفرقة في استعمال جمعي (القلة) و (الكثرة) يقول الأستاذ أمين : ((وحين تستعين الذاكرة في تصفح ما مَر بنا من فصيح النصوص التي ترد فيها الجموع تكاد تنتهي إلى أنَّ التفرقة بين جموع القلةِ والكثرة لم يكن التقيد بها محكماً في مسموع الفصحى ... على أنَّ للنحاة وفقهاء اللغة في بعض الأمثلة ونظائرها ألواناً من التأويل والتعليل بين متكلف ومقبول))[١٢٩] .

ثانياً : رفض فكرة (جموع القلة) عند الأفراد

لم يقف القولُ : إنَّ جمع التكسير يدلُّ على القليل والكثير ، و إنَّ فكرة وجود جموع خاصة دالةٍ على (القليل) لا تستند إلى أسس علمية رصينة على ال مجامع اللغوية وحدها ، بل تَعَدَّ ى هذا القولُ المجامعَ اللغويَّةَ إلى العلماء والباحثين ، إذ نجد عدداً منهم سَجَّل اعتراضه على فكرة (جموع القلةِ) هذه في جلسات مجامع لغوية أو

في أبحاث وكتب مستقلة ، والذين سجلوا اعتراضهم على هذه الفكرة من الدارسين المحدثين ممن اطلعت على أرائهم :

١. الأستاذ محمد فريد أبو حديد (عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة) ذهب في إحدى جلسات المجمع إلى أنَّ علماء اللغةِ لم يتمكنوا من أن يجدوا في الاستعمال ما يدل على صحةِ التفرقةِ بين جمع القلة وجمع الكثرة[١٣٠] .
٢. الدكتور أحمد أمين الذي قال في جلسةٍ من جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة : (وأعتقد أنَّ مسألة القلةِ والكثرة لا أساس لها من اللغة)[١٣١] .
٣. الدكتور محمد خير الحلواني ، الذي بحث موضوعَ دِلالةِ (جموع القلة) في كتابه (الواضح في النحو والصرف / قسم الصرف) وبين فيه رأيه بتقسيم جموع التكسير إلى قلَّةٍ وكثرةٍ قائلاً : ((إلا أنَّ هذا التقسيم ليس مستقيماً في كلامِ العرب كله))[١٣٢] .

وقدم جملة من الاعتراضات على هذا التقسيم ، هي[١٣٣] :

أ – وجود أسماء في العربية ليس لها إلا نوعٌ واحدٌ من جموع التكسير فتكون حينئذ جمع قلةٍ وكثرةٍ في آن واحد ، مثل : رِجْل وتجمع على : أرْجُل ، وعُنق التي تجمع على : أعناق وغير ذلك مما لا يرد له إلا جمع واحد فيستعمل للق ليل والكثير .

ب – عدم مراعاةِ العرب الفصحاء للتفرقة بين القلة والكثرة في كلامهم .

ج – الاستدلال بلغة القرآنِ التي تستعمل ألفاظاً مجموعة على وزنٍ من أوزانِ (جموع القلة) والمراد باستعمالها الدلالة على القليل والكثير ومن ذلك لفظة (

عين) التي إن دلت على العين الباصرة جمعت على (أعين) في القليل والكثير .

د- التناوب الذي يحدث بين (جموع القِلَّة) و (جموع الكثرة) ، إذ تأتي نصوص فصيحة يَرِدُ (جموع القلة) في موضع الكثرة ، أو (جمع الكثرة) في موضع القلَّةِ ، مثل : ﴿ ❐◆❍♦❑⬀ 🕮❐☼❄☺⌧⌧ ❼ﬦ× ✁☜❻⬀▼⬁ ♈✍ ◭⌧✗⌧❷◆❑☹ 🕮❐🔔⬂▣■🕒🏱✍ ﴾ ، لقمان : 27 ، فـ (أقلام) جمع (قلة) جاء في موضع كثرة ، أو قوله تعالى : ﴿ يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ ، البقرة:، إذ إنَّ قروءاً (جمع كثرة) ورد في موضع يقتضي أن يكون للقلة .

٤. الدكتور حسن خميس الملخ الذي يقول : ((تقسيم الاسم إلى مفرد ومثنى ومجموع من خواص الأسماء في العربية ، فالاسم الذي يعادل الرقم واحداً ويقابله يسمى مفرداً ، والذي يعادل الرقم اثنين ويعادله يسمى مثنى ، والذي يتجاوز في دلالته العددية الاثنين يسمى جمعاً مهما كانت قيمته العددية ... فكلمة (طلاب) تدل على أكثر من اثنين من الطلبة لكنها غير محددة تحديداً مطرداً بمعادل رقمي ، مثل ثلاثة أو أربعة ، أو خمسة ، أو ... ألخ ، ولهذا أميل إلى أنَّ فرز الجمع وفق ثنائية القلة والكثرة أمر غير متجذر في العربية في أوزان القلة الأربعة))[١٣٤] .

٥. الدكتور علي أبو المكارم الذي ذهب – في دراسة ظهرت حديثاً له – إلى أنَّ ما نصَّ عليه العلماء المتقدمون من أن مجيء كلٍّ من جمعَيْ (القلة) و (الكثرة) وقد نابَ أحدُهما مكان الآخر سببه إدراكهم أنَّ إطلاق هذا الحكم (تقسيم جموع التكسير على هذين القسمين) ليس دقيقاً ، قال – متحدِّثاً عن تقسيم العلماء

لجموع التكسير على القسمين المذكورين – : ((ولكنّهم أدركوا أنّ إطلاق هذا الحكمِ غير دقيق ، ولذلك قالوا بجواز استخدام جمع القلة مكان جموع الكثرة ، وإمكان استعمال جموع الكثرة مكان جموع القلة ، وإن حدَّ بعضهم ذلك بإرادة المجاز البلاغي))[*] .

ويبدو أنَّ توجيه آراء العلماء على هذا النحو فيه ملمحٌ واضحٌ على اتجاه صاحبه نحو القول بعدم استناد فكرة تقسيم جموع التكسير قلةً وكثرةً بادئ ذي بدءٍ إلى حكمٍ دقيقٍ .

****

إن الذي كنا ننتظرُه من القواعد اللغوية أنْ تسهم في فهم النص القرآني أو تكون سبيلاً مهماً إلى ذلك ولكننا وجدنا من هذه القواعد ولاسيما هنا (جموع القلة) غيرَ ذلك ، إذ حدث تعارض واضح بين القاعدة اللغوية (دلالة الأوزان الأربعة : أفعُل ، وأفعال ، و أفْعِلَة ، وفِعْلَة ، على أدنى العدد) ، والنص القرآني ، ولذا وجدنا محاولات متباينة جرت لمحاولة التوفيق بين القاعدة والنص الخارج عليها .

ولَعَلَّ الذي أنشأ هذا الاختلاف والتباين بين القاعدة والنص هو أن التقعيد لم يقم على أساس الاستدلال الدقيق ، ولم يكن هذا الاستدلال يقينياً مقنعاً ، وهذا اتجاه مفارق لقواعد التفكير العلمي – كما أسلفنا – الذي ينُصُّ على وجوب أن يستند العلم إلى أدلة يقينية ثابتة ، وأن يكون استدلاله دقيقاً محكماً .

ولا بأسَ من تكرار ما سبق أن نبهنا عليه وهو أن الشك ليس في الدليل الذي التجأ اللغويون إليه لصوغ قواعدهم ومعاييرهم بل إنَّ الشك وقع في طريقة الاستدلال ، أو طريقة قراءة النص للخروج بقاعدة ثابتة .

فإذا كان القول بدلالة تلك الأوزان الأربعة على الجمع القليل يصدقه ما ورد في مجموعة من النصوص من مجيء مُمَيِّز الأعداد المنحصرة بين الثلاثة والعشرة على تلك الأوزان ، فإنَّ ثمة نصوصاً أخرى فصيحة ثابتة جاء مميز هذه الأعداد مجموعاً على وزن من أوزان ما يسمى بجموع الكثرة .

فضلاً عن طائفة كبيرة من النصوص التي وردت فيها جموع (قِلَّةٍ) لا يمكن أن يكون المراد منها الدلالة على الجمع القليل بسبب دلالة النص التي تأبى ذلك .

إنَّ هذه الاعتراضات الموجهة لفكرة (جموع القلة) تدعونا إلى القول بضعفها ، وبأنها لا تستند إلى أسس علمية واضحة ، وإنَّ قواعد التفكير العلمي لا تسوغ طريقة البحث التي أثبتتها ومكَّنت لها في التراث اللغوي العربي ، ولذا لم يبق أمامنا سوى القول إنَّ جموع التكسير لا تصنف إلى قلة وكثرة ، بل إنَّها تدلُّ على القليل والكثير ، والذي يميِّز دلالتها على هذا أو ذاك هو السياق أو ما ي تضمَّنه من قرائن تُعيِّن إحدى الدلالتين دون الأخرى .

خاتمة البحث ونتائجه:

لا شكَّ في أنَّ الدراسة اللغوية تُعَدُّ من أبرز الدراسات العلميَّة التي تستند إلى أدلَّة يقينية مقنعة ، ذلك بأنّ الحقيقة اللغوية والبرهنة عليها يستندان إلى أدلة مقنعة لأيِّ عقلٍ قادرٍ على استيعابها .

والدراسة اللغوية العربية هي مثل غيرها في ذلك ، ولكنَّ ذلك لم يمنع أن يجد المُطَّلع على بعض مباحث الدراسة اللغوية العربية أنَّ فيها مواضع فارقت سمة من سمات التفكير العلمي المنظَّم ، وهي اليقين الموضوعي .

وإذا كانت هذه المقولة فرضية فقد اختبرنا صدقها من خلال تحليل طريقة الاستدلال عند اللغويين في مبحث دلالة (جموع القلة) في الدرس اللغوي العربي ، وقد كانت أبرز نتائج الدراسة :

1- ثبت أنَّ القول بفكرة وجود جمعٍ دالٍّ – في أصل اللغة – على أدنى العدد ، وهو ما كان من الثلاثة إلى العشرة قولٌ يعود إلى الدراسات المبكرة في الدرس اللغوي العربي ، وهي نظرية أجمع عليها العلماء المتقدمون ، وأغلب الدارسين المحدثين.

2-حين نظرنا في طريقة اللغويين في الاستدلال على ((جموع القلة)) ودلالتها تبيِّن أنَّها تستند مثل كثير غيرها إلى شواهد نثرية وأخرى شعرية ، ولكنَّ أغلب الأدلة هذه كانت تعنى بدراسة أحكام هذا الجمع ولا تنظر في دلالته .

3-حين نظرنا في طريقة استدلال النحويين في أثناء دراسة (جموع القلة) وجدنا أنَّ تحديد دلالتها لم يكن يستند إلى دليل علميٍّ مقنع ، فإذا كانت ظاهرةُ التلازم بين العدد (من ثلاثة إلى عشرة) ومميزِهِ المجموع على وزنٍ واحدٍ من أوزان جموع

القلة الأربعة بيِّنةً وشاخصةً في طائفة من الشواهد اللغوية ، فإنَّ متابعة النصوص العربية كشفت نصوصاً أخرى أظهرت عدم التلازم بين الأعداد المذكورة آنفاً وتمييزها ، إذ أظهرت مثل تلك الأعداد (المنحصرة بين الثلاثة والعشرة) وقد ميِّزت بمعدود مجموع على وزن عدّه اللغويون من أوزان جموع الكثرة .

4- وحين اتخذنا النصَّ القرآنيَّ الكريم منطلقاً لتقويم فكرة جمع التكسير الدالِّ على القليل ، وجدنا الكثير من تلك النصوص الكريمة – التي تضمنت أمثلة لتلك الجموع – يأبى مضمونها أن يكون دالاً على معدودٍ قليل من الثلاثة إلى العشرة ، من أجل ذلك وجدنا كثيراً من العلماء – من اللغويين والمفسرين والمعربين – ممَّن انطلقوا من القاعدة إلى النصِّ قد لجؤوا إلى ضروبٍ من التأويل والتخريج في سبيل إنشاء نوعٍ من الانسجام بين القاعدة اللغوية والنصِّ الخارج عليها .

أمّا دراستنا هذه التي تتبنى فكرة الانطلاق من النصِّ إلى القاعدة اللغوية ، فإنّها لم تجد بدّاً من عدِّ هذا التأويل أو التخريج أو محاولة المساوقة بين النصِّ والقاعدة اللغوية مسوِّغاً للقولِ بأنَّ فكرة ((جمع القلة)) لا تستند إلى أدلَّة مقنعة ويقينية ، كما تتطلب ذلك قواعد التفكير العلمي ، لا سيّما حين نجد نصوصاً فصيحة تأبى دلالتُها إباءً قاطعاً أن يكون الجمعُ فيها دالاً على أدنى العدد .

5- ولذلك لم نجد بُدّاً من تسجيل الدعوة – في هذه الدراسة – إلى إلغاء فكرة أن يكون ثمة جمع دالٌّ – في أصل اللغة – على معدودٍ قليل ، وأن تكون القاعدة العلمية الجديدة هي أنَّ الجمع (سواءٌ أكان للقلة أم للكثرة كما كان يسمى عند اللغويين) يدلُّ على مطلق الجمع قليله وكثيره وأنَّ الذي يقيِّد دلالته على عددٍ معيَّنٍ إنّما هو النصُّ وسياقُهُ وما يتضمّنه من قرائن تحدِّدُ معناه .

الهوامش :

(*) ينظر : التفكير العلمي ، للدكتور فؤاد زكريا 36-40 .

(**) ينظر : المصدر نفسه .

(١) الكتاب : 490/3 .

(٢) المصدر نفسه :

(٣) المصدر نفسه :

(٤) ينظر المصدر نفسه : 567/3 .

(٥) ينظر المصدر نفسه : 588/3 .

(٦) ينظر المصدر نفسه : 627/3 – 628 .

(٧) المصدر نفسه : 571/3 .

(٨) المصدر نفسه : 591/3 .

(٩) المصدر نفسه : 575/3 .

(١٠) ينظر : المصدر نفسه : 581/3 .

(١١) المصدر نفسه 599/3 .

(١٢) ينظر : المصدر نفسه : 605/3 ، 606 ، 607 .

(١٣) ينظر : المصدر نفسه : 570/3 ، 628/3 .

(١٤) ينظر : المصدر نفسه : 572/3 .

(١٥) ينظر : المصدر نفسه : 590/3 .

(١٦) ينظر : المصدر نفسه : 573/3 .

(١٧) ينظر : المصدر نفسه

(١٨) ينظر : المصدر نفسه

(١٩) ينظر : المصدر نفسه : 631/3 .
(٢٠) ينظر المصدر نفسه : 574/3 .
(٢١) ينظر : المصدر نفسه : 629/3 .
(٢٢) ينظر : المصدر نفسه : 574/3 – 575 .
(٢٣) ينظر : الكتاب : 592/3 .
(٢٤) ينظر : المصدر نفسه : 629/3 .
(٢٥) ينظر : المصدر نفسه : 574/3 .
(٢٦) ينظر : المصدر نفسه : 576/3 .
(٢٧) ينظر : المصدر نفسه : 577/3 .
(٢٨) ينظر : المصدر نفسه : 63/3 .
(٢٩) ينظر : المصدر نفسه : 63/3 .
(٣٠) ينظر : المصدر نفسه : 585/3 .
(٣١) ينظر : المصدر نفسه : 608/3 .
(٣٢) ينظر : المصدر نفسه : 635/3 – 636 .
(٣٣) ينظر : المصدر نفسه : 642/3 .
(٣٤) ينظر : المصدر نفسه : 568/3 .
(٣٥) ينظر : المصدر نفسه : 586/3 .
(٣٦) ينظر : المصدر نفسه : 588/3 و 642/3 .
(٣٧) ينظر : المصدر نفسه : 601/3 .
(٣٨) ينظر : المصدر نفسه : 601/3 – 602 .
(٣٩) ينظر : المصدر نفسه : 606/3 .
(٤٠) ينظر : المصدر نفسه : 601/3 .

(٤١) ينظر : المصدر نفسه : 602/3 .
(٤٢) ينظر : المصدر نفسه : 603/3 .
(٤٣) ينظر : المصدر نفسه : 603/3 .
(٤٤) ينظر : المصدر نفسه : 604/3 .
(٤٥) ينظر : المصدر نفسه : 603/3 .
(٤٦) ينظر : المصدر نفسه : 603/3 .
(٤٧) ينظر : المصدر نفسه : 604/3 .
(٤٨) ينظر : المصدر نفسه : 605/3 .
(٤٩) ينظر : المصدر نفسه : 634/3 .
(٥٠) ينظر : الكتاب : 607/3 – 608 .
(٥١) ينظر : المصدر نفسه : 490/3 .
(*) ينظر : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لجمال الدين بن مالك الأندلسي (ت 672هـ) 150 .
(**) ينظر : معاني الأبنية في العربية ، للدكتور فاضل السامرائي 135
(٥٢) ينظر : الكتاب : 490/3 .
(٥٣) المصدر نفسه
(٥٤) المصدر نفسه .
(٥٥) المصدر نقسه : 567/3 .
(٥٦) ينظر : المقتضب : 131/1 .
(٥٧) المصدر نفسه
(٥٨) الأصول في النحو : 5/3 – 6 .
(٥٩) الإيضاح في علل النحو : 122 .

(٦٠) التكملة : 399 .

(٦١) الخصائص : 422/1 .

(٦٢) شرح المفصل : 244/3 .

(٦٣) المصدر نفسه : 244/3 .

(٦٤) ينظر : شرح الشافية : 90/2 .

(٦٥) المصدر نفسه : 92/2 .

(*1) في الأصل المطبوع : (جموع التكثير) لكنِّي أحسب أنَّ ما أثبتُّهُ يناسب السياق .

(*2) البرهان في علوم القرآن 355/3 .

(*3) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لجلال الدين السيوطي 38/1 .

(٦٦) الكامل في النحو والصرف والأعراب : 272 .

(*) معاني الأبنية في العربية 135 .

(**) المصدر نفسه 136 .

(***) معاني الأبنية في العربية 138 .

(٦٧) التطبيق الصرفي 113 .

(٦٨) الصرف الواضح : 251 ؛ ينظر : المدخل إلى علم الصرف : محمد منال عبد اللطيف : 124

(٦٩) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : 267/7 .

(٧٠) شرح المفصل : 226/3 .

(٧١) أوضح المسالك : 256/3 .

(٧٢) الكتاب : 490/3 .

(٧٣) المصدر نفسه : 492/3 .

(٧٤) الإيضاح في علل النحو : 122 .

(٧٥) الكتاب : 575/3 .

(٧٦) المقتضب : 159/2 .

(٧٧) الكشاف : 246/1 .

(٧٨) الإيضاح في علل النحو : 123 .

(٧٩) التبيان في إعراب القرآن : 152/1 .

(٨٠) شرح الكافية : 467/3 .

(٨١) الكتاب : 567/3-568 .

(٨٢) المصدر نفسه : 571/3 .

(٨٣) المصدر نفسه : 576/3-577 .

(٨٤) المصدر نفسه : 576/3 ، 577-578 .

(٨٥) المصدر نفسه : 586/3 ، 587-588 .

(٨٦) المصدر نفسه : 588/3-589 .

(٨٧) المصدر نفسه : 607/3 .

(٨٨) الخصائص : 296/2 .

(٨٩) أوضح المسالك : 256/3 .

(٩٠) ينظر : الكتاب : 565/3 .

(٩١) ينظر : المصدر نفسه : 565/3 .

(٩٢) ينظر : المصدر نفسه : 226/4 .

(٩٣) شرح الكافية : 467/3 .

(٩٤) ينظر : الجامع الصغير وزيادته : محمد ناصر الألباني : 582/1 .

(٩٥) ينظر : المصدر نفسه : 617/1 .

(٩٦) ينظر : الكتاب : 566/3 .

(٩٧) ينظر : المصدر نفسه : 569/3-750 .

(٩٨) ينظر : المصدر نفسه : 569/3- 570 .

(٩٩) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم 262/7

(١٠٠) ينظر : المصدر نفسه : 262/7 .

(١٠١) الكتاب : 624/3 .

(١٠٢) المصدر نفسه : 625/3 .

(١٠٣) شرح الشافية : 92/2 .

(١٠٤) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : 268/7 .

(١٠٥) ينظر : المصدر نفسه

(*) البرهان في علوم القرآن 357/3 .

(١٠٦) الكتاب : 490/3 .

(١٠٧) المصدر نفسه : 490/3 .

(١٠٨) الايضاح في علل النحو : 122 .

(١٠٩) شرح الكافية : 92/2 .

(١١٠) المصدر نفسه : 467/3 .

(١١١) جامع البيان عن تأويل آي القران (تفسير الطبري) : 1431/2 .

(١١٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : 84/2-85 .

(١١٣) التبيان في إعراب القرآن : 152/1 .

(١١٤) الكشاف : 246/1 .

(١١٥) روح المعاني : 133/2 .

(١١٦) الكشاف : 246/1 .

(١١٧) الجامع لأحكام القرآن : 401/1 .

(١١٨) تفسير ابي السعود : 145/5 .

(١١٩) فتح القدير : 202/3 .

(١٢٠) تفسير أبي السعود : 286/6 .

(١٢١) شرح الكافية : 467/3 .

(١٢٢) ينظر : المصدر نفسه

(١٢٣) ينظر الكتاب : 3/ 565

(١٢٤) الكشاف : 246/1 .

(١٢٥) ينظر : المصدر نفسه .

(١٢٦) شرح الكافية 468/3 .

(١٢٧) تفسير أبي السعود 145/5 .

(١٢٨) في أصول اللغة : 78/3

(١٢٩) المصدر نفسه : 78/3 .

(١٣٠) المصدر نفسه : 81/3 .

(١٣١) المصدر نفسه .

(١٣٢) الواضح في النحو والصرف / قسم الصرف 114 ،

(١٣٣) ينظر : المصدر نفسه

(١٣٤) التفكير العلمي في النحو العربي : 130 .

(*) التعريف بالتصريف 298 .

مصادر البحث ومراجعه:

١ - الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السرّاج (ت 316هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط(1)، مؤسسة الرسالة . بيروت، 1405هـ . 1985م.

٢ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام (ت 761هـ) ،تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط(6) دار الندوة الجديدة – بيروت 1980م .

٣ - الإيضاح في علل النحو ، لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت 337هـ) ، تحقيق : الدكتور مازن المبارك ، د.ت .

٤ - البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط(2) دار التراث – القاهرة ، د.ت .

٥ - التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت 616هـ) ، وضع حواشيه : محمد حسين شمس الدين ، ط(2) دار الكتب العلمية – بيروت 2010م .

٦ - التطبيق الصرفي ، للدكتور عبد الراجحي ، دار النهضة – مصر 1974م .

7- التفكير العلمي ، للدكتور فؤاد زكريا ،ط(3) المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب – الكويت 1988 م .

8- التعريف بالتصريف ، للدكتور علي أبو المكارم ، ط(1) ، مؤسسة المختار – القاهرة 1428هـ – 2007 م .

9- التفكير العلمي في النحو العربي ، للدكتور حسن خميس الملخ ، ط(1) دار الشروق – عمان / الأردن 2002م .

10- التكملة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت377هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور كاظم بحر المرجان، ط(2)، عالم الكتب . بيروت، 1419هـ . 1999م.

١١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، للإمام محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) تحقيق : أحمد عبدالرزاق البكري وجماعة ، ط(1) دار السلام – مصر 1425هـ – 2005م .

١٢ - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ) ، ط(2) دار الكتب المصرية – القاهرة 1952م .

١٣ - الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط(2)، دار الكتب العلمية . بيروت، 1424هـ . 2003م.

١٤ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، للشيخ محمد عبدالخالق عضيمة ، دار الحديث – القاهرة .

١٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام أبي الثناء الآلوسي (ت 1270هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت .

١٦ - شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت686هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية، انتشارات مرتضوي . إيران.

١٧ - شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية . القاهرة، د. ت.

١٨ شرح المفصل ، ليعيش بن علي بن يعيش (ت 643هـ) ، قدم له ووضع هوامشه : الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط(1) دار الكتب العلمية – بيروت 1422هـ – 2001م .
١٩ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لجمال الدين بن مالك الأندلسي (ت 672هـ) ، تحقيق : الدكتور طه محسن ، دار آفاق عربية – بغداد 1405هـ – 1985م .
٢٠ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط(3) المكتب الإسلامي – دمشق 1408هـ – 1988 م .
٢١ الصرف الواضح ، للأستاذ عبدالجبار علوان النايلة ، ط(1) مطبعة الزهراء – الموصل 1988 م .
٢٢ في أصول اللغة (القرارات التي أصدرها مجمع اللغة العربية في القاهرة)، أخرجها وضبطها وعلق عليها: مصطفى حجازي، وضاحي عبدالباقي، د.ت.
٢٣ الكامل في النحو والصرف والإعراب ، لأحمد قبَّش ، ط(2) دار الجيل – بيروت ، كتبت مقدمته في عام 1974م .
٢٤ الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط 3، مكتبة الخانجي . القاهرة، 1408هـ . 1988م.
٢٥ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، ضبط ومراجعة: يوسف الحمادي، مكتبة مصر/ القاهرة، د. ت.
٢٦ المدخل إلى علم الصرف ، محمد منال عبداللطيف ، دار المسيرة – عمان / الأردن 1420هـ – 2000م .

٢٧ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل – بيروت .
٢٨ معاني الأبنية في العربية ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، ط(1) بيروت 1401هـ – 1981م .
٢٩ المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت 285هـ) ، تحقيق: الشيخ الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة ، عالم الكتب – بيروت ، د.ت .
٣٠ الواضح في النحو والصرف – قسم الصرف ، للدكتور محمد خير الحلواني ، ط(2) سوريا 1978م .

وسائط أدب الأطفال

(مستل)

م . م . هدى نـعمة حمد

جامعة تكريت / كلية التربية للبنـات / قسم اللغة العربية

المستخلص

استعرض البحث وسائط أدب الأطفال بنوعيها الورقي الذي شمل الكتب والدوريات ، وغير الورقي الذي شمل الإذاعة والتلفزيون والسينما وغيرها وصولاً إلى الكتاب الالكتروني .

يهدف البحث إلى بيان الدور الذي يؤديه كل وسيط في تلبية حاجات الأطفال إذا ما أردنا معرفة واختيار بعضها أو كلها وتأثير ذلك عليهم لاحقاً .

اعتمد البحث على المصادر الأدبية في جمع المادة وكانت نتيجته أن لكل وسيط أو مادة ثقافية دورا وأهمية في حياة أي طفل وكلما ازداد التنوع ازدادت ثقافة الطفل وثراؤه من الخبرة والمتعة في آن واحد .

مُقدّمَة

عندما يُعد أي كاتب عملاً ادبياً فانه يفكر بالوسيلة التي سوف توصل هذا العمل إلى المتلقي وهم– الأطفال – ولكل وسيلة طريقة خاصة بها لتقديم أي عمل أدبي ، ولهذا فإن للوسيط دوراً فعالاً وحيويا في إيصال الأدب إلى جمهوره .

والإنسان هو الوسيط الأول عندما يحكي لطفل أو مجموعة أطفال حكاية بسيطة كأن تكون الأم أو الجدة أو الأب أو المعلم أو أمين المكتبة ولكن هذا الوسيط ليس له التأثير نفسه كما في الوسائط الأخرى التي يكون أثرها كبيرا وواضحا على عدد كبير من الأطفال وبدون أي حدود.

ونتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي الكبير في عالم الحاسوب فقد أمكن من إدخال المواد المطبوعة إلى الحاسوب بشكل الكتروني ومنها كتب الأطفال وأصبح بالإمكان استرجاعها عن طريق الحاسوب وأصبح للأطفال وسيطا أخر لكنه الكترونياً.

ولكل وسيط إمكانياته الخاصة وطاقته المحدودة وعلى الكاتب إدراك هذا الأمر لان كل وسيط يكون موصلاً جيداً لنوع أدبي معين ولهذا فان معرفة أسرار كل وسيط وخصائصه وإمكانياته جانب مهم جدا يعين الكاتب على استغلال هذه الإمكانيات لإبراز عمله في أبهى صورة والابتعاد عن كل ما يؤثر سلبا على العمل .

يتناول البحث وسائط أدب الأطفال المختلفة بأنواعها في مبحثين ، تضمن المبحث الأول الوسائط الورقية أو المطبوعة ، ويشمل الكتب بأنواعها وأغراضها والمجلات والصحف بأنواعها وأغراضها أيضاً .

أما المبحث الثاني فتضمن الوسائط السمعية والبصرية ، والسمع بصرية ، وقد أضفت إليها الوسيط الالكتروني مع انه يعتبر نوع جديد مختلف عن السابقة أو شكل جديد إلا إنني لم أتناوله بتفصيل كبير حيث يحتاج وحده إلى بحث مستقل .

أهداف البحث :

١ –استعراض وسائط أدب الاطفال الورقية وغير الورقية.
٢ –بيان دور كل وسيط عن طريق توضيح مزاياه وعيوبه.
٣ –وسيلة للاختيار والتفضيل لتوفيرها في مكتبات الاطفال.

المبحث الأول

الوسائل المطبوعة

١ -: كتب الأطفال Children s Book

يمتاز الكتاب بميزات تجعله يتفوق على وسائط الأدب الأخرى فالمعلومات التي يقدمها الكتاب يمكن الرجوع إليها في أي وقت لإعادة قراءتها على العكس من بقية الوسائط كالتلفزيون والمسرح، وكذلك فان الكتاب سهل الحمل والتداول كما انه رخيص الثمن ويتيح للقاريء فرصة كبيرة للتخيل والتأمل، ولا تحتاج الكتب إلى أجهزة لتشغيلها كما انه قريب في متناول اليد وليس له مواعيد كما هو الحال في الوسائط المسموعة والمرئية .

إن أول لقاء بين الطفل والكتاب هو الذي يحدد خطواته على طريق حب القراءة والمعرفة ، وهذا يعني أن الكتاب المدرسي لا يثير عند الأطفال عادة حب القراءة لأسلوبه الجاف وقلة رسوماته .

ولا يزال الكتاب من أهم الوسائل كونه مصدراً جيدا للمعرفة على الرغم من منافسة الوسائل الأخرى له ، ويرى بعض الخبراء أن الكتاب يقدم الحقائق والمعلومات والمفاهيم والأفكار إلى الطفل مثبته على الورق الأمر الذي يجعل الطفل يتعامل معها وقتا طويلا وبأناة تامة ويمكن العودة على هذه الحقائق وقت ما يشاء [١].

تنقسم كتب الأطفال من حيث المضمون إلى الأنواع الآتية:

1/1 – الكتب القصصية .

2/1 – الكتب المصورة .

3/1 – كتب الشعر والأغاني والأناشيد .

4/1 – الكتب المرجعية .

5/1 – الكتب الدينية .

6/1 – الكتب التاريخية .

7/1– كتب الرحلات والجغرافيا .

8/1 – كتب الهوايات والتسلية .

9/1 – كتب النوادر والفكاهة .

1/1 – الكتب القصصية Fiction :

القصة فن من فنون الأدب وشكل من اشكاله وأكثر ما يتعلق به الأطفال وتستعين القصة بالكلمة في التجسيد الفني وتتشكل من عناصر رئيسة هي الفكرة والحدث والحبكة والأسلوب والشخصيات والبيئة هدفها إثارة العواطف والانفعالات والتفكير والتخيل لدى الأطفال [٢]،وتكون على أنواع وهي :

1/1/1 – الحكايات الشعبية Folktales

الحكاية الشعبية هي قصة مجهولة المؤلف على الأغلب يتناقلها الناس من جيل إلى جيل مع إضافة سمات جديدة لها في كل مرة ، تتسم ببساطة الأسلوب واللغة وهدفها الإمتاع مع تأكيد قيم وعادات وأفكار اجتماعية ايجابية فهي نوعاً ملتزماً من الأدب، وتعد الحكايات الشعبية الأساس في نشأة أدب الأطفال الحديث ، ومن الحكايات الشعبية في العراق حكاية (حميد البلام) وحكاية (توبة الثعلب) .

2/1/1 - قصص الخرافات والأساطير Myths & Legends

قصة يتضح فيها دور البطل الذي يجاهد بقيامه بسلسلة من المخاطرات من اجل تحقيق هدف أسمى ، وتدخل في الخرافة قوى خارقة كالجان والعفاريت . وللخرافة هدف اخلاقيً عادل فهي تكافئ الخير وتقتص من الأشرار وتنتهي عادة نهاية سعيدة، ومن سمات الخرافة إنها لا تتقيد بزمان ومكان معينين [٣]. مثال ذلك قصة (علاء الدين والمصباح السحري) و (الشاطر حسن) .

3/1/1 - قصص الحيوان Animal Fair

هي القصص التي تقوم فيها الحيوانات المختلفة بأداء الادوار وهي أكثر الأنواع المفضلة لدى الأطفال لاسيما في مدة الطفولة المبكرة من 3–5 سنوات لان هذا النوع من القصص تكون بسيطة وسهلة التذكر فهي عادة تضم قليلا من الشخصيات لا تتجاوز الثلاثة حادثاً واحداً ، ولأنها حقيقة للإنسانية فهي تتكلم وتفكر وتعمل وتصور حالات مختلفة للإنسان . ومثال ذلك (قصة ذكاء قرد) و (الثعلب الطيب) .

4/1/1 - قصص الخيال العلمي Science Fiction

وهي قصص تتعامل مع التطورات العلمية والتغيرات التي تحدث في المجتمع على أساس فروض واقعية وتصورات عن مستقبل البشر على سطح الأرض . وتقوم على التنبؤ إلى حدّ بعيد وتسمى أحيانا بقصص التنبؤ أو قصص المستقبل وهدف هذا النوع من القصص هو ليس فقط إيصال المعلومات إلى الأطفال وإنما أيضا إشباع مخيلاتهم ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثرسعة (٤).

ومثال ذلك قصة (فتاة الأخطار) التي كتبها فاروق سلوم وقصة (الذرة في العائلة) التي تروي اكتشاف القنبلة الذرية .

5/1/1 - قصص البطولة والمغامرة

تدخل القصص البوليسية والملاحم وقصص الخوارق والمغامرات ضمن قصص البطولة والمغامرة وسبب اهتمام الأطفال بهذا النوع من قصص يعزى إلى إن بعضهم يخلع البطولة على نفسه أو يعوض جزءاً من الحرمان أو القصور الذي يشعر به في حياته الواقعية ولأن أبطال هذه القصة يؤدون نوعاً من الأعمال التي تمتاز بالحركة القوية والسريعة تخرج الأطفال من ركود الحياة ، إذ يندمجون مع أبطال القصة ويتقمصون بعض أدوارها ولهذا وجب رسم شخصيات القصة بطريقة تحبب

الأطفال بالصفات الطيبة والعادات والتقاليد الحميدة والابتعاد عن الشخصيات الطائشة المنحرفة وبذلك نحقق هدف أدب الأطفال من بناء شخصية سليمة للطفل (٥).مثل قصة (مغامرات احمد وطلال) .

6/1/1 - القصص التاريخية Historical Fiction

وتسمى أحياناً بقصص الخيال التاريخي وهو تسجيل لحياة الإنسان وعواطفه في مجال تاريخي معين بقصد فهم الشخصية الإنسانية إذ تدور القصة حول حدث تاريخي معين مع الالتزام بمقومات العمل القصصي ، وعلى هذا فانه لا يستهدف نقل الحقائق إلى الأطفال بل يهدف إلى مساعدتهم على تخيل الماضي والإحساس بأفراح الأجيال السابقة وأحزانهم مع إعطاء فرصة للطفل بأن يعيش أجواء الماضي بوصفه امتدادا لذلك المجتمع . مثال ذلك قصة (زرقاء اليمامة) وقصة (زنوبيا ملكة تدمر).

7/1/1 - القصص الدينية Religious tales

تتناول موضوعات دينية تشمل العبادات والعقائد وسير الأنبياء والرسل وقصص القرآن الكريم ، وما أعده الله تعالى لعباده من ثواب أو عقاب وغزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأمهات المؤمنين ونساء خالدات وكل ذلك يدعو إلى الفضائل وينفر من الرذائل ، وتجمع المتعة والتشويق والمغزى الخلقي والمواقف النبيلة، وفيها من المواقف للعظة والاعتبار (٦) . مثال ذلك قصة (الإسراء والمعراج) وقصص الأنبياء المختلفة .

8/1/1 - القصص الواقعية : Realisties Fictions

في بداية المرحلة العمرية الثانية يتجه الأطفال إلى التحرر من الخيال ويزداد اتصالهم بالمجتمع وتقوى رغبتهم لاستطلاع الحياة الحقيقية المحيطة بهم ، وهذا النوع من القصص يتناول الموضوعات المختلفة التي تصور واقع الأطفال كالطبيعة والحيوانات والرحلات والطائرات وحقائق العلوم المختلفة ونظم الحياة المختلفة بآدابها

وتقاليدها ومؤسساتها . وهذا لا يعني أنها تخلو من الخيال لتصبح جافة ومملة وإنما هي مزيج من الواقع والخيال بصورة ذكية ولبقة . مثال ذلك قصة (تائه في الصحراء) و قصة (بائعة الكبريت) .

9/1/1 - القصص الفكاهية : Humor Fictions

يسعد الأطفال بسماع قصص الفكاهة بما تشيعه من فرح وبهجة وسرور بالإضافة إلى أنها تحقق أهداف في تحبيب القراءة إلى الأطفال وتنمية ميولهم الأدبية وتحقق راحة نفسية لهم ، وتنشط عقولهم وفيها مجال لنقد العادات السيئة والتقاليد الضارة ومحاولة التخلص منها . ومنها القصص والطرائف التي ترويها الشخصية المشهورة (جحا) .

2/1 - الكتب المصورة Picture Books

يميل الطفل إلى الكتب المصورة سيما في سني عمره الأولى (ما قبل المدرسة) لأن الصورة تغني عن الكثير من الكلمات خاصة إذا كانت الصورة معبرة وفيها الكثير من التفاصيل إذ إن الطفل يربط بين الأشياء التي في الصورة وبين الواقع ، ومن أجل هذا كانت الصورة وسيلة مفيدة لتنمية ميول الطفل للقراءة ولإثارة خياله على الإدراك والتفكير وتمييز الأشياء وأسمائها[٧] .

3/1 – كتب الشعر والأناشيد والأغاني Poetry & Songs

الشعر ذلك الكلام الموزون ذو الإيقاع الجميل والموسيقى المؤثرة يبهج النفس ويؤثر فيها سواء كانت لشخص بالغ أو لطفل ، وفي كل المجتمعات يسمع الأطفال الشعر منذ ولادتهم حيث تهدهدهم أمهاتهم ببضع أبيات منغومة على الأغلب ويستجيب الطفل لتلك الكلمات الموزونة ذات الإيقاع الهادئ فيهدأ وينعس ثم ينام أو ينصت مركزا على هذا الكلام الجميل الذي يحمل إليه صوت الأم الدافئ .

ولكي تضمن استمرار الأطفال بحبهم للشعر وتذوقهم إياه يجب تقديم النماذج الشعرية الجيدة لتنمي لديهم ملكتهم الفنية والأدبية كما أن إتاحة الفرصة لهم ليختاروا كتب الشعر بأنفسهم تساعدهم في الاستمرار بحب الشعر وأيضا ترك المجال لهم ليحاولوا كتابة الشعر كالأغاني وتوجيههم في هذا المجال [٨].

ومن شروط شعر الأطفال[٩] :

1– أن يتوافق اللفظ مع المعنى فلا يزيد عليه ولا ينقص منه .
2 – التمتع بصدق العاطفة وعمق الإحساس .
3 – أن يتسع قاموس الطفل اللغوي للكلمات المستخدمة.
4 – أن يكون غنيا بالوزن والإيقاع ومن البحور الخفيفة والسريعة في إيقاعها .
5 – أن ينقل الأطفال إلى عوالم رحبة عن طريق إشاعة الخيال .
6 – أن يكون متسماً بالخفة والبهجة والمرح وخالياً من الحزن واليأس والقلق .
7 – أن يتلائم مع مراحل الطفولة كل حسب مرحلته .

أما أنواع شعر الأطفال فهي[١٠]:

1 – الشعر الملحمي
2 – الشعر الدرامي
3 – الشعر الغنائي
4 – الشعر التعليمي
5 – الشعر الوصفي
6 – الشعر القصصي
7 – الشعر الحماسي
8 – شعر الألعاب والألغاز[١١]

ومن مميزات شعر الأطفال أنه يستخدم تكرار الكلمات أو العبارات بطريقة لطيفة لكي ترسخ في ذهن الطفل تلك الكلمات .

كذلك هناك ميزة أخرى هي اقترانه بالحركة والإيقاع وهذا الشيء محبب إلى نفوس الأطفال ويعد جزءاً من لعبهم .

أهمية شعر الأطفال

1 – يعد من أنجح أساليب التربية اللغوية خاصة في مراحل التعليم الأولى إذ يتعود الطفل نطق الكلمات وإخراجها ويألف اللغة الفصحى وألفاظها .

2 – يبعث في الأطفال حب الصفات الطيبة والقيم النبيلة ويهذب ذوقهم الحسي ويهذب عواطفهم ويبعدهم عن الأناشيد والأغاني المبتذلة والكلمات السوقية .

3 – يبعث السرور والمرح كنوع من أنواع اللعب خصوصاً إذا كان الشعر مصحوباً ببعض الكلمات الدالة على الحركة أو الصوت إذ يتجدد نشاط الأطفال وتبعث فيهم روح البهجة [١٢] .

4 – الشعر والأناشيد وسيلة مهمة لتشجيع الطفل وإزالة أي تردد أو خجل ينتابه وتشجيعه على الاندماج مع المجموعة وتكوين الصداقات .

5 – تكوين التصورات العقائدية والمبادئ الإيمانية للطفل عن طريق تنمية المدارك وتكوين العقائد الدينية الراسخة مثال ذلك قول الشاعر علي العقيلي [١٣]:

رب إياك عبدنا وسمعنا واطعنا

وبنجواك هتفنا واستعذنا واستعنا

6 – تصحيح المفاهيم الخاطئة وتكوين الآراء السليمة حول أمور عديدة مثل العلاقات الاجتماعية ومشكلات العرف واللون وبعض العادات والتقاليد .

7– نجد إن الطفل الموهوب بإمكانه أن ينظم شعراً وقد يتمكن هذا الطفل من تكوين نظرة نافذة من خلال قراءته المتعددة للشعر .

4/1 – الكتب المرجعية : References books

تشمل دوائر المعارف والمعاجم والأدلة والاطالس ومن صفات هذه الكتب أنها لا تقرأ من الأول إلى الأخير وإنما يرجع إليها عند الحاجة لمعرفة معلومة معينة وينجذب إليها الأطفال خاصة لتلك التي تحمل في طياتها صورا ورسومات عن الموضوعات التي تتكلم عنها ، وتكتب من قبل متخصصين ومنها ما يختص بموضوع معين ومنها ماهو شامل .

وهناك كتب مرجعية مبسطة للغاية إذ يستخدمها تلميذ الابتدائية ومنها ما هو أكثر تعقيداً إذ تتجه لمخاطبت الناشئة والفتيان [١٤] .

5/1 - الكتب العلمية : Scientific books

يتخذ أغلبها شكلا أدبياً اقرب إلى الأعمال القصصية تهدف الى تقديم الانجازات العلمية بصورة مبسطة للأطفال بالإضافة إلى المعلومات العلمية المختلفة في مجالات الحياة المختلفة : فيزياء – كيمياء – فلك – طب – رياضيات – وغيرها[١٥].

كما أن هذه الكتب تقدم كثيرا من التوضيحات والإجابات على أسئلة الأطفال العلمية.

ونظراً لطبيعة المعلومات العلمية تحتم على مؤلفي الكتب العلمية للأطفا ل اختيار طريقة تقديم سهلة وشيقة مصحوبة بالصور والرسوم والمخططات التوضيحية ما أمكن ذلك لتحبيبها إلى نفوس الأطفال وتشجيعهم على قراءتها .

6/1 – الكتب الدينية: Religions books

وتعنى بتقديم المعلومات الدينية كالأحكام والفرائض وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وسير من سبقه من الأنبياء وما رافق هذه السيرة من حوادث

وردت عن الأوائل بطريقة مبسطة ولطيفة ككتب تعليم الصلاة للأطفال والناشئة وكتب الأخلاق الحميدة وكتب عبارة عن أسئلة مع أجوبتها .

وتحتل الكتب الدينية مكان الصدارة من ناحية كمية الإنتاج في وطننا العربي ، ويلاحظ أنه من الأفضل تقديم الكتب الدينية للأطفال في مراحل عمرية متوسطة .

7/1 - الكتب التاريخية: Historical books

تقدم المعلومات التاريخية بأسلوب قصصي أو بإطار المعلومات وتتناول معلومات عن الحوادث التاريخية وحياة الأبطال والمشاهير والقادة والزعماء على مستوى محلي وعالمي.

8/1 - كتب الرحلات والجغرافيا: Geographic & travels

يحتاج الطفل إلى استكشاف الأرض التي يعيش عليها ومعرفة الحقائق عنها وما تحتويه وما يعيش عليها من إنسان وحيوان ونبات ونجد الأطفال دائمي السؤال عن الظواهر الأرضية.

أما كتب الرحلات فإنها للأطفال الأكبر سنا" إذ يشدهم أسلوب الرحلات والاستكشاف.

9/1 - كتب الهوايات والتسلية: Enterlainment & hobby books

ومنها التكوين والحيلة هدفها تعليم الأطفال بعض الهوايات المفيدة والبسيطة لإشغال وقت فراغهم بشئ مفيد [١٦] .

10/1 - كتب النوادر والفكاهة: Rarity & humor books

تحتوي على الطرائف والأحاجي والحزورات وبالطبع الأطفال يحبون الضحك بهذه الطريقة مع بعضهم بعضا" .

ويلاحظ أن كل مرحلة عمرية تفرض على الأطفال محبة وتفضيل نوع معين من الكتب حسب ما يمكنهم فيه نموهم اللغوي والعقلي وهذه مسألة مختلفة بين الأطفال كما أن هنالك عوامل أخرى تتدخل في اختيارهم للكتب منها توفر هذه الكتب وإمكانية الحصول عليها وعوامل إجتماعية وعائلية أحيانا" .

٢ - : دوريات الأطفال: Children periodicals

إن أول صحيفة للأطفال كانت بعنوان (صديق الأطفال) التي صدرت في فرنسا بين عامي 1747 – 1791 أصدرها أديب لم يفصح عن أسمه وإنما إتخذ إسما" مستعارا" هو عنوان الصحيفة نفسه . وقد كانت هذه الصحيفة تتميز بسهولة الأسلوب ورشاقته مبتعدة عن أسلوب جان جاك في إعطاء التعاليم والنصائح والإرشادات ، أما في عالمنا العربي فإن أول مجلة عربية للأطفال كانت مجلة (سندباد) عام 1952 صدرت عن دار المعارف وقد اتسمت بالجدية والإتقان والمادة المكتوبة كانت على مستوى من الجودة . وقد سبق هذا النوع من الصحف صدور الصحف والمجلات الخاصة بتلاميذ المدارس تصدرها الهيئات التربوية والمدارس هدفها غرس المعلومات العلمية والأدبية والقيم الأخلاقية في أذهان التلاميذ ، كما تستهدف تطوير الحياة المدرسية ونقل الأخبار التي تهم الطلاب والمعلمين 1 .

وللصحافة أهمية كبيرة في تنمية قابليات الأطفال العقلية والعاطفية والإجتماعية لأنها أداة توجيه وإعلام وثقافة وتربية وتنمية للذوق الرفيع والعادات السليمة كما أنها تجيب عن أسئلة الأطفال وتشبع خيالهم وميولهم .

وتعد صحف الأطفال فنا" بصريا" لأنها تعتمد الكلمة المطبوعة والصورة واللون وهذه العناصر تجعل الطفل يثبت في قراءة الصحف ومتابعتها ويستمتع في قراءتها بأي وقت يشاء وحسب ذوقه هو .

وتنقسم دوريات الأطفال على :

1/2 – من حيث الشكل :

- ❖ دوريات : يومية أو أسبوعية .

❖ دوريات : أسبوعية أو نصف شهرية .

2/2 – من حيث المضمون :

❖ جامعة أو منوعة .

❖ متخصصة : رياضية ، هزلية ، للمعرفة ، للبنات .

أما أنواعها فهي :

❖ صحف ومجلات المسلسلات المصورة Comics .

❖ صحف ومجلات الأطفال الإخبارية .

❖ الصحف والمجلات الصادرة عن الأحزاب والمنظمات .

❖ الصحف والمجلات التجارية .

❖ الصحف والمجلات الصادرة وفق أطوار الطفولة .

ويذكر هنا بعض المشاكل التي تواجهها دوريات الأطفال في الوطن العربي منها ارتفاع أسعارها في كثير من البلدان العربية قياسا" على قدرة الطفل الشرائية ، وضعف التوزيع ، والمستوى الفني المتدني وقلة المحررين الأكفاء 1 .

وملاحظة الباحثة على هذا الرأي أن هناك مجلة (مجلتي) العراقية فهي أنموذج للمجلة الرائدة والتي وفرتها دار ثُقافة الأطفال بسعر يناسب جميع الأطفال وهي متوافرة وجيدة التوزيع في كل أنحاء العراق كما أنها تضم مجموعة كفوءة من المحررين وهي بمستوى فني جيد .

وفي مسح أجراه المجلس العربي للطفولة والتنمية 2 .

عن المجلات الإسبوعية والشهرية الصادرة في الوطن العربي للمدة من عام 1989 – 1999 وجد أن هناك (35) مجلة إسبوعية تصدر بانتظام ، (10) منها تصدر في لبنان وحده (6) في السودان والبقية موزعة على بقية الأقطار بواقع 1 – 3 مجلة .

أما المجلات الشهرية فكانت 52 مجلة منها (19) مجلة تصدر في الأردن وحده (7) منها في السودان والبقية موزعة على بقية الأقطار بواقع (1 –3) مجلة.[١٧]

المبحث الثاني

الوسائط السمعية والبصرية

١ - **الإذاعة**: Broad casting

تؤلف برامج الاذاعة جزءا من أدب الأطفال لكنه يختلف لكونه وسيطاً مسموعاً وليس مقروءاً فاعتماده أولا وأخيرا على حاسة السمع ولذا فهو يتيح للأطفال مجالاً واسعاً للتخيل ورسم الصور الذهنية وهذه الميزة تعطي للسامع مزيداً من الاستمتاع والتذوق .

وبما أن البرنامج الإذاعي يفتخر إلى الأضواء والديكور وحركات الممثلين فلهذا فان الصوت الإذاعي يتحمل أعباء كثيرة في نقل النص المكتوب إلى الطفل بصورة جذابة لكي يشد بإذن الطفل إلى المذياع بمساعدة الأصوات البشرية والحيوانية والمؤثرات الصوتية .

وتظل القدرة الأدبية هي المحدد لصيغ مخاطبة الطفل من خلال الإذاعة ويمكن القول إن القصة هي أكثر الأشكال الأدبية المرغوبة استماعا سواء كانت ممثلة أم مروية أم مقروءة ومعها يأتي الشعر والمسرحية [١٨].

وبرامج الأطفال شانها شأن ألوان الأدب المقدم للأطفال تكون محددة وفقا لمراحل العمر شكلاً ومضمونا ، وتهدف إلى الترفيه عن الطفل وتسليته وتغذية ميوله الفنية وإشباع رغباته في الاستماع إلى الموسيقى والكلمة الحلوة والمعلومة المفيدة .

كما أنها تشغل تفكيره من خلال المسابقات والأسئلة التي يطرحها البرنامج على الأطفال ويطلب منهم الإجابة عليها وهو أيضا يساعد المؤسسة التعليمية في غرس الثقافة والقيم وتنمية محصوله من العلم والمعرفة.

ومن شروط البرامج الإذاعية أن تكون سريعة وسهلة وموجزة وواضحة الأطفال والمعاني لكي تحقق أهدافها المذكورة أنفاً.

٢ - **التلفزيون**: Television

التلفزيون هذا الصندوق يتيح للأطفال فرصة مشاهدة العالم بأسره من خلال الصور التي ينقلها عبر برامجه المختلفة فهو بالنسبة للطفل العصا السحرية التي تعطيه كل ما يرغب مشاهدته لكنه يختلف عن الإذاعة في أمور كثيرة أهمها أنه لا يعطي للطفل فرصة التخيل لأنه يعتمد الصوت والصورة معا" لكن يمكن له أن يؤثر على الطفل كثيرا" من خلال المشاهد التي يجسدها الممثلون وتعبيرات وجوهم وحركات أيديهم وأصواتهم والديكور والإنارة والألوان كل ذلك يجعل التلفزيون وسيلة أكثر تعبيرا" من المذياع .

ويحرص كاتب التلفزيون على ما يقدمه لأنه يعرف أنه يستخدم حاستي السمع والبصر معا" لذلك فعليه أن يكون ملما" بالإمكانيات التي يتيحها التلفزيون ويكون ملتزما" بالقيود التي تفرضها عليه طبيعة العمل في هذا المجال .

وبرامج التلفزيون وأفلامه ومواده الأخرى تشبع رغبات الأطفال وتزودهم بالخبرة الواقعية وتساهم في تشكيل معلومات وأفكار وقيم الأطفال ويصل حد التأثير إلى أن يغير التلفزيون من طبيعة علاقاتهم بأسرهم ومجتمعهم ويغير من سلوكهم الإجتماعي سلباً أو إيجاباً [١٩] ، وبسبب كل ذلك وجب الحذر فيما يقدم للأطفال عبر شاشة التلفزيون عن طريق موازنة الأفكار واختيار أحسنها وتقدير مدى جاذبيتها تقديمها بطريقة ذكية ومشوقة .

ورأي الباحثة أن التلفزيون أصبح خطره أكبر على الأطفال بعد دخول القنوات الفضائية المختلفة إلى المنازل وخاصة الأطفال في مراحل الطفولة المتأخرة ، وهنا يأتي دور الأهل والمسؤولين على حد سواء في تحديد الأفضل لما يشاهده الطفل .

٣ - **مسرح الأطفال**: Children theater

1/3 - **المسرح البشري**

مسرحية الطفل هي تلك القصة الممسرحة التي كتبت لتخاطب عقول الأطفال مع مراعاة قدرات الطفل النفسية والعقلية والثقافية والإجتماعية من خلال مشاهد الحركة والصوت وما يضفي الممثلون إليها من إنفعالات ولمسات فنية مع الأضواء والديكورات كل ذلك يجعل هذه القصة المكتوبة تنبض بالحيوية والقوة وسط أجواء من الفن الجميل ، إذا" فالمسرح يجمع بين الأدب والفن [٢٠] .

وهناك جملة أهداف يرمي إليها مسرح الأطفال هي [٢١]:

أ – تنمية حب العمل لدى الأطفال .
ب –وسيلة لإطلاق طاقات الأطفال الإبداعية .
ت –تحسين أذواق الأطفال الفنية والأدبية .
ث – خلق جمهور مسرحي ناضج من الأطفال يتذوق الفن الرفيع ويرفض الرديء .
ج – استثمار وقت الأطفال فيما يمتعهم ويفيدهم .
ح – غرس الأفكار والعادات الجيدة والقيم النبيلة وتحريك ضمائر الأطفال نحو الخير .
خ –تزويد الأطفال بالخبرات الجديدة والتجارب الواقعية .

ويمكن القول إن أقوى تأثير للمسرح على الأطفال يأتي من خلال جعلهم يكونون آراء وتصورات صحيحة عن قضايا تهم مستقبلهم ومستقبل بلادهم الإجتماعي والسياسي ولهذا يجب أن ينظر للمسرح على أنه وسيلة مهمة في تعبئة آراء تجاه قضايا الأمة العربية آنيا" ومستقبلا" .

2/3 - مسرح العرائس أو الدمى

يبدأ مسرح العرائس من حيث إنتهى المسرح البشري حيث ممثليه من المخلوقات الخيالية المحببة للأطفال التي تجعلهم يندمجون في عالم الخيال والمغامرات وتدخلهم إلى عالم الأساطير والجان والحيوانات الناطقة إذ لا يمكن أن يقوم المسرح البشري بتوفير هذه الأشياء .

ومن المهم أن يقوم الأطفال بتصنيع الدمى بأنفسهم لكي يتعايشوا مع طبيعة تلك الدمى هذا إذا كان الأطفال هم من سيقوم بتحريكها وبالتأكيد فإن مثل هذا الأمر سيتطلب تدريبا" تحت إشراف متخصصين (٢٢) .

وينقسم مسرح العرائس الى قسمين :

عرائس جوانتي (تحرك بواسطة الكف) .

عرائس ماريونيت (تحك بواسطة الخيوط).

ومسرح العرائس مؤثر جدا" للأطفال في مدة الطفولة المبكرة (الأولى والثانية).

وفي كلا المسرحين البشري والدمى على كاتب المسرح أن يحيط علما" أولا" بإمكانيات كل مسرح وثانيا" بمستوى جمهور الأطفال ومراحل أعمارهم وثالثا" بإمكانيات الممثلين الذين سيقومون بالأدوار هل هم من الكبار المحترفين أو الهاوين أو من الصغار أنفسهم .

٤ - الأشرطة السينمائية: Cinema tapes

إن الأشرطة هي وسيط مهم ذو إمكانيات أوسع من المسرح والتلفزيون وهي تعتمد أيضا" على الصوت والصورة والحركة فيقدم لكل من الكبار والصغار عالما" واسعا" رحيبا" من الترفيه والثقافة والعلم ويحتاج متخصصين في مجال التمثيل والإخراج والتصوير والطبع والتحميض ولهذا فهو يعد وسيطا" باهض الثمن والتكاليف

إذا ما قورن ببقية الوسائط . وقد بدأت الدول المتقدمة توجيه سينما الأطفال منذ زمن ليس بالقصير حتى وصلت إلى مستوى عال من الإبداع .

وتتنوع أشرطة السينما بين الترفيهي والتسجيلي والروائي وفي كل ذلك يمكن استخدام البشر الكبار أو الصغار أو الرسوم المتحركة أو الدمى في التمثيل .

واهم الشروط (٢٣) الواجب توفيرها في الشريط السينمائي هو أن يعكس صورة الحياة بجوانبها كلها على أن يكون عنصر التفاؤل هو السائد لكي يتعلم الطفل مواجهة الواقع بروح واعية قوية ، وينصح الخبراء بإبعاد الطفل عن أفلام الرعب والجريمة والمغامرات العنيفة ، ومن المهم أن يكون شريط الأطفال يعتمد على الحركة السريعة أكثر من اعتماده على الحوار الطويل لئلا يصاب الأطفال بالملل. وكذلك رسم الشخصيات بصورة واضحة بسيطة وغير متكلفة.

وكبقية الوسائط يجب أن يراعى أعمار الأطفال ومراحل نموهم ودرجة تعليمهم ومستوياتهم الاجتماعية .

٥ - الاسطوانات والأشرطة الصوتية: Audio tape & Discs

يعتمد الطفل في التعليم أحيانا على وسائط سمعية وبصرية أخرى كالاسطوانات والأشرطة الصوتية ، إذ تسهم في تقديم الأناشيد والأغاني والقصص والموسيقى بطريقة مشوقة باستغلال المؤثرات الصوتية .

وتستعمل مع الأطفال في سن ما قبل المدرسة ، وقد يرافق الاسطوانة أو الشريط كتاباً مصوراً ليتمكن الطفل من متابعته أثناء سماعه للاسطوانة ، وتحتاج الأشرطة والاسطوانات إلى أجهزة وأشخاص لتشغيلها وهي باهضة الثمن نوعاً ما ولهذا فهي محدودة الاستعمال واكثر استعمالها يتوافر في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية .

الكتاب الالكتروني : Electronic book

الكتاب الالكتروني " مصطلح يستخدم لوصف نص متناظر أو مشابه لكتاب ولكنه شكل رقمي Digital ليعرض على شاشة الكومبيوتر " (٢٤) .

إذ يمكن للحاسوب استخدام الاقراص الليزرية وقواعد البيانات واختزان معلومات نصية هائلة مع صور رقمية ورسوم متحركة وصوت وموسيقى بما يعرف الان (D.V.D) ، والمصادر الالكترونية هي في الأصل نصوص ورقية خزنت على وسائط ممغنطة بشكل مضغوط ومكثف .

مزايا الوسيط الالكتروني

1 – قابلية خزن كبيرة جدا ، إذ يمكن أن يخزن أعمال كبيرة مثل الموسوعات والأعمال الشاملة تصل إلى مئات الالاف من الصفحات النصية على قرص واحد وبكلفة بسيطة واسترجاع سريع ، وهناك نماذج من الموسوعات الخاصة بالأطفال مخزنة على الاقراص وباللغة العربية من امثلتها موسوعة التاريخ الاسلامي وموسوعة الرياضيات للمرحلة الابتدائية وقاموس ابجد هوز وكتب مثل كتاب صورة الإسلام وكتاب قواعد اللغة العربية وغيرها مصحوبة بالصوت والرسوم المتحركة (٢٥).

2 – إمكانية نقل تلك الكميات الهائلة من المعلومات إلى أماكن بعيدة وفي اللحظة التي تطلب فيها (حسب نوع الشبكة التي يرتبط فيها الحاسوب) .

3 – تساعد الأطفال المعوقين في الحصول على المعلومات التي يحتاجونها كوسيلة بديلة عن الذهاب إلى المكتبة .

4 – إمكانات كبيرة في البحث ومعلومات أكثر حداثة مما تقدمه المطبوعات الورقية وبقية الوسائط .

5 – إمكانية توافر هذه المعلومات بصورة مجانية في بعض الأحيان إذ يستطيع الوصول إليها والحصول عليها من دون أن يتكلف عناء الخروج من المنزل وعناء اقتناء هذه المجموعة الكبيرة من المعلومات(٢٦) .

ويختلف الكتاب الالكتروني عن نظيره الورقي بكونه معداً في الأصل ليقرأ بوساطة الحاسوب إذ يتكون من ملف أو عدة ملفات نصية يمكن قراءتها بمساعده برامج معالجة النصوص ومن المهم أن نذكر إن شبكة الانترنت تحتوي على العديد من المواقع المخصصة للأطفال منها مواقع عالمية :

1- http/www.dig.talforg.com/products/forg.html .
2- http/www.softseek.com /games just for kids.

الموقع الأول هو برنامج علمي والموقع الثاني هي برنامج ترفيهي يحتوي على الرسوم المتحركة والألعاب .

ومن المواقع العربية على الانترنيت :

WWW.Hiurs./CS.Org.eg

(حورس الصغير) والموقع الثاني هو (ينابيع المعرفة)وهي مجلة عربية للأطفال على الانترنت تضم أبواب عدة منها قصة العدد ولكل مشكلة حل ومعارف وعلوم واختبر معلوماتك.....الخ(٢٧).

النتائج والخاتمة:

1- إن الوسيط الالكتروني بأي شكل من أشكاله هو الآن من الوسائل التي لا يمكن توفيرها لكل الأطفال وأن العدد الأكبر منهم سيمضي وقتاً طويلا قبل أن يتمكن من الحصول على جهاز الحاسوب أو حتى على جهاز العاب الكتروني .

2- إن التفاوت كبير بين الدول النامية من حيث استخدام التقنيات إذ أن الكتب المتاحة على الوسائط الالكترونية تحتاج إلى مؤسسات تتبنى إنتاجها وإتاحتها على الحاسوب سواء كان عن طريق الأقراص أم قواعد البيانات أم الانترنت .

3- كما أن الوسيط هذا بحاجة إلى أجهزة تساعد على استخدامه مع وسائل اتصال مما يجعله وسيطا مكلفا، وبالإضافة إلى كل ذلك فهو يحتاج إلى التدريب على الاستخدام إلى الصيانة ويستلزم وجود الفرد في مكان وجود الجهاز ساعة تشغيله.

وبعد هذا الاستعراض لوسائط أدب الأطفال من الممكن القول انه من المستحسن مزج أكبر قدر من الوسائط وتقديمها إلى الأطفال لكي لا يصابوا بالملل أولا ولكي يستفيدوا من إمكانيات كل وسيط ، إن الملاحظ من هذا العرض أن الوسائط المطبوعة الورقية هي أنسب وأسهل وأرخص ثمناً من بقية الوسائط و لمراحل الأطفال كافة وللطبقات الاجتماعية المختلفة.

الهوامش:

(1) Barbara Seuling . How to write a children s book ._ New York : Charles Scribner s sons , 1984 , p.10.

(٢) هيفاء عبدالكريم ، تأثير القصة على الطفل ._ بغداد : اللجنة الوطنية للسنة الأولى للطفل ، 1979 ، ص10 .

(٣) ماجد الحيدر. بين الأدب القصصي الشعبي وأدب الأطفال، 2000 (بحث غير منشور) ص14،11،9

(٤) طالب عمران . مبررات الاهتمام بأدب الخيال العلمي للأطفال عربيا ، في مؤتمر أدب الطفل العربي (الثامن عشر: 1992 : عمان) ، ص 56-57 .

(٥) فاضل عباس الكعبي . المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال ._ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1999 ، ص200-2005 .

(٦) المصدر السابق ، ص 200 .

(٧) حسن شحاته . قراءات الأطفال._القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، 2000، ص125 .

(٨) امنه ايوب خليل . أدب الأطفال : الشعر ._ رسالة المكتبة ، مج 26 ع3 ، (1991) ، ص28 .

(٩) هادي نعمان الهيتي . أدب الأطفال للصف الخامس .... ، مصدر سابق ، ص62 .

(١٠) احمد نجيب . فن الكتابة للأطفال._القاهرة:دار الكتاب العربي ، 1998، ص81 .

(١١) كاظم سعد الدين. الشعر في أدب الأطفال ._ آفاق عربية ، ع أيار/ حزيران (2000) ، ص 52 .

(١٢) كاظم سعد الدين ، المصدر السابق ، ص 48 .

(١٣) احمد عثمان التويجري . الوظائف التربوية والعلمية لشعر الأطفال في ندوة أدب الطفل (1989 ، الدوحة) ، ص155-156 .

(١٤) نبيلة راشد . وسائط أدب الأطفال في ندوة أدب الطفل (1989 ن الدوحة) ، ص 82 .

(١٥) مفتاح محمد دياب. مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال._القاهرة: الدار الدولية،1995،ص71.

(١٦) احمد نجيب . خصائص وسمات كتب الأطفال في الدول المتقدمة ._ مجلة المكتبات والمعلومات العربية ، ع1(1984) ، ص 120 .

(17) 1- ليلى عبدالمجيد . مجلات الاطفال في مص والعالم العربي . الحلقة الدراسية حول مجلات الاطفال (1990:القاهرة).

2- المجلس العربي للطفولة والتنمية .واقع الطفل العربي :التقرير الاحصائي السنوي ._القاهرة :(المجلس)، 2001 ص219.

(١٨) هادي نعمان الهيتي. أدب الأطفال فلسفته ،فنونه،وسائطه._بغداد: وزارة الإعلام ،1977 ص238 .

(١٩) انشراح الشال . علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والالكترونية ._ القاهرة: دار الفكر العربي 1987 ص 35 – 36 .

(٢٠) عصام البهي . القيم الفكرية والفنية في مسرح الطفل في ندوة أدب الطفل لدول الخليج العربية (1989 : الدوحة) ص 25 .

(٢١) فاضل عباس الكعبي ، مصدر سابق ، ص 33-34 .

(٢٢) محمد بن السيد فراج . الأطفال وقراءاتهم._ الكويت: شركة الربيعان ، 1979، ص 88

(٢٣) مفتاح محمد ذياب ، مقدمة في ثقافة وادب الاطفال ، مصدر سابق ، ص88.

(٢٤) محمد فتحي عبدالهادي . المكتبة والطفل ._ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2001 ، ص 61.

(٢٥) المصدر السابق ، ص 60 .

(٢٦) احمد فضل شبلول . مستقبل كتب الاطفال وكتباتهم الالكترونية ._ المعرفة ، ع 34 (1419هـ) ص 139 .

(٢٧) سهير أحمد محفوظ . البرامج الالكترونية في مكتبات الأطفال ._(د.م)، (د.ن) (د.ت)، ص 499 ، 506 .

المصادر:

1-أحمد الشويجري.الوظائف التربوية والعلمية لشعر الأطفال في ندوة أدب الطفل(1989:الدوحة).
2-أحمد فضل شبلول.مستقبل كتب الأطفال ومكتباتهم الإلكترونية._المعرفة،ع34،(1419هـ).
3- أحمد نجيب.خصائص وسمات كتب الأطفال في الدول المتقدمة._مجلة المكتبات والمعلومات العربية، ع.1984،1
4- أحمد نجيب. فن الكتابة للأطفال._القاهرة: دار الكاتب العربي،.1998
5-أمنة أيوب خليل.أدب الأطفال ،الشعر._رسالة المكتبة مج 26،ع3(1991).
6-انشراح الشال.علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية._القاهرة:دار الفكر العربي،.1987
7-حسن شحاتة.قراءات الأطفال._القاهرة:الدار المصرية اللبنانية،.2000
8-سهير أحمد محفوظ.البرامج الإلكترونية في مكتبات الأطفال._(د.م):(د.ن)، (د.ت) .
9-طالب عمران،مبررات الاهتمام بأدب الخيال العلمي للأطفال عربياً،في مؤتمر أدب الطفل العربي(الثامن عشر،1992،عمان).
10-عصام البهي.القيم الفكرية والفنية في مسرح الطفل،في ندوة أدب الطفل لدول الخليج العربية (1989:الدوحة).
11-فاضل عباس الكعبي.المداخل التربوي ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال._بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،.1999
12-كاظم سعد الدين.الشعر في أدب الأطفال._آفاق عربية،ع أيار/حزيران،.2000

13-ليلى عبد المجيد.مجلات الأطفال في مصر والعالم العربي_الحلقة الدراسية حول مجلات الأطفال(1999:القاهرة).
14- ماجد الحيدر. بين ألأدب القصصي الشعبي وأدب الأطفال، 2001(بحث غير منشور).
15-مالك إبراهيم الأحمد. نحو مشروع مجلة رائدة للأطفال._كتاب الأمة،ع 59 (1997) .
16- المجلس العربي للطفولة والتنمية،واقع الطفل العربي.التقرير الإحصائي السنوي._القاهرة:(المجلس)، 2001 .
17-محمد بن السيد فراج.الأطفال وقراءاتهم._الكويت:شركة الربيعان،.1979
18-محمد فتحي عبد الهادي. المكتبة والطفل._القاهرة:الدار المصرية اللبنانية،.2001
19-مفتاح محمد دياب.مقدمة في ثقافة وأدب الأطفالز-القاهرة:الدار الدولية،.1995
20-نبيلة راشد.وسائط أدب الأطفال، في ندوة أدب الطفل(1989:الدوحة).
21-هادي نعمان الهيتي.أدب الأطفال ،فلسفته،فنونه،وسائطه._بغداد:وزارة الإعلام،1977.
22- هيفاء عبد الكريم.تأثير القصة على الطفل._بغداد:اللجنة الوطنية للسنة الدولية للطفل،.1979
23-Barbara,Seuling .How to write children's book-Newyork;Charles Scribner's sons .1984

العلاقات السياسية للقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية مع البيزنطيين في القرنيين الرابع والخامس الهجريين

بني حمدان– بني مرداس

أ.د. طلب صبار محل **م.م. انتصار نصيف شاكر**

جامعة تكريت/ كلية الآداب/

قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

شهدت بلاد الشام والجزيرة الفراتية في بدايات النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تنافساً حاداً بين الدولتين العباسية والفاطمية وكانت بلاد الشام هي المجال الحيوي لهذا الصراع،هذا فضلاً عن أطماع بعض أمراء المسلمين في تأسيس أمارات مستقلة لهم في المنطقة، فأمراء القبائل العربية وأتباعهم أخذوا يستولون على المدن والقرى ويضمونها لأمارتهم في الشام والجزيرة ، كما أخذ نفوذ القرامطة يظهر، فراحوا يستولون على المدن.

ولم تكن الخلافة العباسية نفسها في بغداد بحالة يسمح لها ان تضع حداً لمثل هذه التجاوزات بسبب انشغالها بمشكلاتها الاقتصادية والسياسية الأمر الذي انعكس سلباً على سكان المنطقة، فقد انتشر قطاع الطرق وعم الفساد والفوضى وغلت الأسعار في البلاد.

ومما زاد الأمر سوءا تنامي طمع أباطرة بيزنطة وقادتهم في المنطقة، حيث أصبح همهم الوحيد هو تولي قيادة جيوش بيزنطة، وقصد مناطق الثغور الجزرية

والشامية، والتوغل في حملاتهم إلى أعماق منطقة بلاد الشام والجزيرة الفراتية، مستغلين فرصة غياب القوات الإسلامية عن المنطقة، وأنشغال أمراء المسلمين وقادتهم بعضهم ببعض.

وكانت حملات الإمبراطور نقفور (352-358هـ / 963-969م)، من أشد تلك الحملات ضرورة على أراضي المسلمين إذ كان همه، قصد بلاد الشام والجزيرة الفراتية والاستيلاء عليها، ((وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض))، فكان ((يقصد سواد البلاد فينهبه ويخربه فيضعف البلاد فيملكها))، فاستولى على الثغور الجزرية والشامية، وسبى وأسر ما لا يحصر من سكانها حتى خشيه المسلمون، ولم يشكوا في أنه سائر إلى ملك الشام والجزيرة ومصر وديار بكر.

ويبدو أن النتائج التي حققتها حملات نقفور في الشرق، دفعت أباطرة بيزنطة وقادتها كي ينهجوا سياسة الفتوحات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية بهدف استعادة أمجاد الإمبراطورية البيزنطية في الشرق، مستغلين ((تقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان ...، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من البلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلة ألا في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة)) .

- موقف بني حمدان من البيزنطيين :

منذ ان حكم الحمدانيون الموصل والجزيرة سنة (293هـ/ 905م)، وقع على عاتقهم عبء الدفاع عن الثغور [١] الإسلامية ومقاومة الخطر البيزنطي، ففي سنة (301هـ/ 913م)، أستغل الحمدانيون النزاع بين الإمبراطور البيزنطي وملك البلغار، فهاجموا الأراضي البيزنطية بقيادة الحسين بن حمدان، الذي غزا حصوناً كثيرة من ملطية حتى طرطوس[٢] .

وفي المدة المحصورة بين (314-319هـ / 927-931م) نقض الروم الاتفاقية التي كانت بينهم وبين العباسيين، مستغلين المشكلات التي كانت تواجه الدولة العباسية، فاخذوا ملطية وسمياط وأشباههما، ومع ذلك استمرت مقاومة المسلمين في ملطية [٣] ، واستنجدوا بسعيد بن حمدان ، الذي كان الخليفة المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة ، فسارع الى نجدتهم سنة(319هـ/931م)، ولما احس الروم باقتراب سعيد بن حمدان ، هربوا منها، فدخلها سعيد وعين أميراً عليها[٤] .

ضعف دور الحمدانيين في الموصل لصد هجمات الروم البيزنطيين على الثغور الإسلامية، ليبدأ دورهم من حلب تحت أمرة سيف الدولة وقد أدت هذه الحروب بين المسلمين والروم إلى توسيع رقعة الإمبراطورية البيزنطية على حساب الدولة العباسية، التي أنهمكت في صراعاتها الداخلية وتسلط النفوذ البويهي على السلطة في بغداد [٥] .

وفي سنة(326هـ/ 937م) قام سيف الدولة الحمداني بأولى عملياته الحربية ضد حصن زياد [٦]، إذ حاصرها سبعة أيام وكاد يفتحها، ألا ان كوركواس – القائد البيزنطي الارمني الأصل–[٧] منع سيف الدولة من فتح الحصن، فاضطر الأخير إلى الانسحاب فتبعه البيزنطيون واشتبك الطرفان في موضع بين حصن زياد وسلام، فدارت الدائرة على كوركواس، وانتصر فيها سيف الدولة انتصاراً ساحقاً[٨] .

وعلى الرغم من عدم انتهاء الحرب بين سيف الدولة وكوركراس، كانت تقوم عمليات تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين في الثغور الشامية، وقد وافق الروم على الهدنة في الثغور الشامية لكي يتفرغوا للثغور الجزرية [٩]، وكان القائم بدور الوسيط بين الطرفين أبن ورقاء الشيباني، ويذكر أن عدد من تم فداؤهم من اسارى المسلمين ((ستة آلاف وثلاثمائة من ذكر وأنثى))[١٠] .

وفي سبيل أن يستمر الروم بهجماتهم على الثغور الجزرية، قاموا ببناء حصن هفجيج، وكان الهدف من بنائه لمنع وصول الإمدادات الإسلامية إلى ثغر قاليقيلا، ولتسهيل مهمة الاستيلاء عليه، وعندما سمع سيف الدولة بخطة الروم، سار من نصيبين إلى ثغر قاليقيلا في نهاية عام(327هـ/939م)، فدمر الروم حصن هفجيج، وانسحب سيف الدولة إلى أرزن [*] بسبب سقوط الثلج ، ثم دخل أرمينية وتحالف مع أمرائها، وقاموا بتسليمه بعض الحصون التي كانت تشكل خطراً على الثغور الإسلامية، وتمكن من الوصول الى كولونيا ، فانذر الإمبراطور البيزنطي سيف الدولة، وجمع جيشاً كبيراً، ألا انه هزم أمام جيش سيف الدولة[١١].

بعد هذا الانتصار جهز سيف الدولة حملة كبيرة لمهاجمة الأراضي البيزنطية بعد أن أذن له الخليفة(المطيع) بذلك [١٢]، وتكمن أهمية تلك الحملة في أنها أول عمل هجومي قام به سيف الدولة منذ أستيلائه على حلب، وبدأ سيف الدولة مسيره سنة 339هـ /950م، وأشترك معه حوالي أربعة آلاف رجل من قوات طرسوس [١٣]، كما رافقه كبار الشعراء في بلاطه وعلى رأسهم (المتنبي)(وأبو فراس) (وأبو زهير مهلهل بن نصر)، ودخل سيف الدولة الأراضي البيزنطية عن طريق شمال أو شرق مرعش اذ استولى في طريقه على حصن العيون وحصن الصفصاف وهما يقعان على طريق ملطية– قيسارية عن طريق سمندو [١٤]، وعند ((بطن اللقان)) أوقع سيف الدولة

هزيمة منكرة بالدمستق، برداس فوقاس، وقتل عدداً كبيراً من قواته وأسر عدداً آخر من بطارقته[15] .

أدرك البيزنطيون عقب هذه الخسارة صعوبة مواجهة سيف الدولة في الساحات المكشوفة فلجأوا الى الكمائن وأختبأوا في أحد الدروب التي كان على سيف الدولة أن يعبرها في طريق العودة [16]، وبعد أن سمحوا لمقدمته بالمرور قطعوا عليه الطريق، فسدوا الدرب بالأشجار والصخور ، في نفس الوقت هاجمت القوات البيزنطية من الخلف، وإزاء هذا الموقف قتل سيف الدولة الاسرى البيزنطيين الذين معه وعددهم أربعمائة أسير واستمات في القتال حتى نجا مع عدد يسير من قواته بعد ان قتل البيزنطيون اكثر جيشه، وتعد هذه الهزيمة من اكبر الكوارث التي حلت بالأمارة الحمدانية وبسيف الدولة خاصة حتى سميت بغزوة المصيبة[17] .

وبالرغم من خسارة سيف الدولة، فان البيزنطيين طلبوا عقد هدنة ولكن سيف الدولة رفض ذلك، وأسرع بتجهيز جيش لمهاجمة الأراضي البيزنطية من ناحية حران، وغزا أهل طرطوس أيضا من ناحيتهم في البر والبحر، أما سيف الدولة نفسه قد تصدى للبيزنطيين الذين هاجموا آمد[18] .

وقد توقف سيف الدولة عن مهاجمة البيزنطيين سنة(339هـ / 950م)، نتيجة حلول فصل الشتاء ونزول الثلج، كما قام بإعادة بناء وترميم ما تبقى من الحصون والثغور الإسلامية لكي تتمكن من صد الهجمات البيزنطية، ومن تلك الحصون رعبان[*] التي خربتها الزلازل عام(340هـ / 951م)، فأنفذ سيف الدولة اليها ابن عمه (أبا فراس) الحمداني سنة(341هـ/951م) في فرقة من الجيش فتمكن أبو فراس من عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً على الرغم من تدخل البيزنطيين بقيادة قنسطنطين لمنع أعادة بناء الحصن [19]، وفي العام نفسه أعاد سيف الدولة بناء ثغر مرعش بعد أن أنزل الهزيمة بالدمستق برداس فوقاس الذي حاول أعاقة عملية البناء[20].

واصل سيف الدولة تعمير وتحصين الثغور الإسلامية، وبعد بناء حصن رعبان وثغر مرعش أراد سيف الدولة بناء ثغر الحدث [*] الذي سبق ان استولى عليه البيزنطيون سنة(337هـ/ 948م)، فوضع سيف الدولة بنفسه حجر الأساس، وحاول البيزنطيون منعه من اعادة بنائه ، فهاجمه الدمستق على رأس جيش كبير من خمسين ألف رجل من الأرمن والروس والبلغار والسلاف والخزر، ونشبت المعركة بين الجانبين على جبل يشرف على الحدث يعرف باسم الاحيدب [21]، وبالرغم من قلة جيش سيف الدولة ألا انه تمكن من قتل عدد كبير من رجال الدمستق وأسر عدد آخر كان من بينهم صهر الدمستق وحفيده، أما نقفور بن برداس فقد اختفى في قناة الحدث في أثناء المعركة فتسلل ليلاً ولحق بأبيه، وأتم سيف الدولة بناء ثغر الحدث ووضع بنفسه آخر لبنة فيه في رجب سنة(343هـ / نوفمبر 954م)[22] .

وقد حاول البيزنطيون عدة محاولات لهدم حصن الحدث، لكن سيف الدولة منعهم من ذلك والحق بالبيزنطيين هزائم فادحة [23]، وكان نتيجة تلك الهزائم تغيير القيادة العسكرية البيزنطية، فعزل برداس فوقاس سنة(344هـ/955م)، وحل محله ابنه نقفور في منصب الدمستق[24]، فبدأت بذلك مرحلة جديدة من العلاقات والحروب بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي، خاصة بعد ان ظهر الى جانب نقفور قادة جدد من طراز كوركواس، ويوحنا بن الشمشقيق وليو فوقاس وباسيل ليكابينوس، وكان من نتيجة التغيير في القيادة العسكرية ان عادت الهجمات البيزنطية على قيليقيا والعراق بعد أن كانت محصورة منذ فترة في قطاع الحدث– مرعش[25] .

وتمكن البيزنطيون من هزيمة أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان حاكم دلوك وأسروه ونقلوه إلى القسطنطينية[26]، فاستعد سيف الدولة للقيام بغزوة انتقامية في الأراضي البيزنطية، وسار سنة(345هـ/956م) قاصداً خرشنه وصارخه فخربهما وأسر عدداً من البطارقة [27]، ثم سار الى حصن زياد وحاصره ألا انه اضطر إلى رفع

الحصار والعودة بعد أن وصلته الأخبار بأن الدمستق نقفور اتجه إلى مهاجمة الشام [٢٨]، ثم أغار البيزنطيون على ثغر طرسوس واحرقوا قراها [٢٩]، فاسرع حاكم الثغر وقابل سيف الدولة في أثناء عودته عند أذنة، فخلع عليه سيف الدولة وزوده بالأموال والعتاد[٣٠].

ومنذ سنة(346هـ/957م) تمكن البيزنطيون من استعادة نفوذهم على المناطق التي خسروها، فتمكنوا من الاستيلاء على حصن الحدث سنة (346هـ/957م) دون قتال وقام نقفور فوقاس بتدميره وطرد حاميته الى حلب[٣١].

أستغل البيزنطيون انتصارهم في الحدث، وواصلوا غاراتهم على منطقة الجزيرة، فهاجم ابن الشمشقيق سنة(347هـ/958م) آمد وأرزن وميافارقين، ثم حاصر حصن اليماني بالقرب من آمد، فأرسل سيف الدولة غلامه نجا في عشرة آلاف رجل الا أن ابن الشمشقيق الحق به الهزيمة [٣٢]، ثم تمكن البيزنطيون من احتلال سميساط ثم اتجهوا نحو سوريا، ووصلوا حتى رعبان على الطريق بين حلب وسميساط، فجهز سيف الدولة جيشاً وكان هو في المقدمة، والتقى الطرفان في معركة عند رعبان، فهزم سيف الدولة في شهر شعبان سنة(347هـ / نوفمبر 958م)[٣٣] .

تولى الإمبراطور رومانوس الثاني العرش خلفاً لوالده قنسطنطين السابع، وأجرى عدة تغييرات في القيادة العسكرية البيزنطية ، فنقل نقفور فوقاس من القيادة الشرقية للعمل ضد كريت لاستردادها من المسلمين، كما تم تعيين ليوفوقاس دمستقاً على الشرق لمواجهة الحمدانيين خلفاً لاخيه نقفور [٣٤]، وقد عاون ليو فوقاس في مهمته ابن الشمشقيق قائد أعالي العراق .

في سنة(348هـ/ 959م) هاجم ابن الشمشقيق منطقة الجزيرة وحاصر آمد وميافارقين، كما أغار على نصيبين والرها وحران، أما الدمستق ليو فوقاس فقد هاجم

طرسوس والهارونية ثم اتجه الى ديار بكر، وتمكن من اسر محمد بن ناصر الدولة نائب سيف الدولة في حلب اثناء مغادرة سيف الدولة لها[٣٥] .

وفي سنة(349هـ / 960م) استعد البيزنطيون لغزو جزيرة كريت، فسحبت معظم قواتها من حلب ونقلتها إلى كريت ، ولما شعر سيف الدولة بنقص القوات البيزنطية المواجهة له عد الفرصة سانحة لتحقيق نصر عسكري كبير، فقام بغزوته المشهورة داخل الأراضي البيزنطية سنة(349هـ / 960م)، تلك الغزوة التي انتهت بخسارة كبيرة لسيف الدولة وجيشه[٣٦] .

كانت هزيمة سيف الدولة ذات أثر بالغ على إمكاناته العسكرية، فالخسائر كانت كبيرة أثرت على سيف الدولة وجيشه، ولكن سيف الدولة أراد الانتقام لهذه الخسارة فأرسل غلامه نجا في سنة(350هـ/961م)، للقيام بغزو الاراضي البيزنطية، ونجح نجا في هزيمة القوات البيزنطية وقوات ملطية المشتركة معها بقيادة عبد الله الملطي عند هنزيط [*] وكان البيزنطيون يسيطرون على الدرب الذي سيعبره، فحدثت اشتباكات بين الطرفين، تمكن نجا من الانتصار على البيزنطيين وسيطر على الدرب وخرج منه سالماً ، ثم سار الى قلقيلا فقام بغارة اخرى حصل فيها على غنائم وفيرة وعاد الى حلب [٣٧]، وكانت هذه الاشتباكات عبارة عن غارات انتقامية لم تثمر عن استرداد أي حصن من الحصون .

حصل نقفور فوقاس على لقب الدمستق على الشرق خلفاً لاخيه ليو فوقاس نتيجة الهزائم التي لحقها بالقوات الحمدانية وخاصة في مغارة الكحل سنة (349هـ/960م)، فسعى الى احتلال حلب، وقسم القوات البيزنطية الى مجموعتين: عمليات في قيلقيا والعواصم حتى حدود الفرات، والهدف منها تمهيد الطرق للزحف على حلب نفسها، ثم العمليات التي تمت منذ أواخر سنة (351هـ/ 963م) وانتهت بالاستيلاء على حلب[٣٨] .

واتخذ البيزنطيون من مدينة قيصرية في كبادوكيا قاعدة لعملياتهم العسكرية، ففيها كانت القوات القادمة من القسطنطينية تجتمع مع القوات التابعة لقادة آسيا الصغرى [٣٩]، واتجه نقفور في بداية عملياته العسكرية سنة(350هـ/ 961م) إلى الاستيلاء على مدينة عين زربى لأنها تقع على أقصر طريق بين قيصرية وحلب [٤٠]، وتمكن من السيطرة عليها، وبالرغم من ان نقفور قد منح أهلها الأمان ألا انه لم يف بعهده، فبالغ في الانتقام فجمع السكان في المسجد وقتل كل من تأخر في بيته، ثم قطع نخيل البلدة ويقدر بأربعين ألف نخلة، وأمر بطرد السكان خارج المدينة وألا قتلوا، ثم استولى على الأسلحة والأمتعة وأمر بهدم الجامع وكسر المنبر ودمر أسوار المدينة ومنازلها، وظل نقفور ينشر الخراب واحداً وعشرين يوماً فتح خلالها أربعة وخمسين حصناً حول عين زربى، بعضها بالأمان وبعضها بالسيف [٤١]، ثم عاد نقفور إلى قيصرية لاقتراب موعد الصيام وعيد الفصح، اما بقية الجيش البيزنطي فقد واصل الهجمات على حصن دلوك ورعبان ومرعش سنة(351هـ/962م)[٤٢].

وبعد رحيل نقفور فوقاس تمكن سيف الدولة من أعادة بناء حصن زربى المنهدم وأعاد اليه سكانه[٤٣]، وكان رد الدمستق نقفور على ذلك بان جهز جيشاً كبيراً لاحتلال حلب والقضاء على الأمارة الحمدانية، فألحق بسيف الدولة خسائر كبيرة نتيجة ضعف الجيش الحمداني وازدياد الطامعين من غلمانه فيه، فلم يستطع الوقوف في وجه نقفور الذي جاء بجيش يؤكد انه ينوي ان يفعل بحلب ما فعله من قبل بكريت وعين زربى[٤٤] .

وتمكن سيف الدولة بعد هذه الهزيمة من أعادة تنظيم قواته أواخر عام (352هـ/963م)، وبدأ الحمدانيون غاراتهم على الأراضي البيزنطية عن طريق ثلاثة دروب مختلفة فهاجم الطرسوسيون من ناحيتهم وتوغلوا حتى قونية [٤٥]، وفي عودتهم فوجئوا بالقوات البيزنطية قد احتلت الدرب ، ولكن الطرسوسيين استطاعوا هزيمة

القوات البيزنطية والخروج من الدرب بسلام، ودخل نجا غلام سيف الدولة الأراضي البيزنطية من درب آخر ووصل حتى ملطية واستمرت هجماته ثمانية عشر يوماً، بينما اكتفى سيف الدولة بأن أقام على رأس أحد الدروب انتظاراً لهجوم بيزنطي مضاد لأنه كان مريضاً في ذلك الوقت، ولم يعد إلى حلب الا بعد أن عاد نجا والطرسوسيون[٤٦] .

اخترق ابن الشمشقيق قيليقيا بعد ان عينه الإمبراطور نقفور فوقاس دمستقاً على الشرق، ونزل على أذنة ، وقد أسرعت قوات طرسوس لمساعدة أذنة ألا أن الدمستق ابن الشمشقيق أنزل بالطرسوسيين الهزيمة وقتل منهم عدداً كبيراً، ولجأ الباقي الى تل بالقرب من أذنة فأحاط بهم البيزنطيون وقضوا على الطرسوسيين [٤٧]، وقد أطلق على ذلك التل بعد هذه المعركة أسم تل الدم لكثرة ما جرى عليه من دماء المسلمين[٤٨]، ثم أتجه ابن الشمشقيق الى المصيصة عام(353هـ/964م)، وحاصرها ألا انه لم يستطع الاستيلاء عليها، بسبب نقص المؤن لديه [٤٩]، ووقوع الوباء في قواته، كما ان سيف الدولة برغم مرضه اتجه على رأس قواته [٥٠] بعد ان انضمت اليه القوات الوافدة من خراسان لمواجهة ابن الشمشقيق [٥١]، فاضطر البيزنطيون إلى رفع الحصار قبل وصول سيف الدولة، ولم يستطع سيف الدولة ملاحقة القوات البيزنطية وغزو بلادهم بسبب مرض سيف الدولة من ناحية، والغلاء الناشب في الثغور وبلاد الشام من ناحية أخرى، فعاد الخراسانيون الى بغداد ومنها إلى خراسان[٥٢] .

وفي سنة(353هـ/ 964م) شن نقفور هجوماً على قيليقيا وحاصر أذنة ثم المصيصة مدة تزيد على خمسين يوماً، كما هاجمت فرقة العسكرية مناطق واسعة حتى أنطاكية، ونظراً لاشتداد الغلاء والمجاعة في تلك الفترة فان نقفور لم يستطع أمداد جيشه بالمؤن، فأضطر الى رفع الحصار عن المصيصة والانسحاب الى قيصريه في كبادوكيا، وبعد قضاء فصل الشتاء عاد نقفور مرة أخرى الى مهاجمة

المصيصة، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة(354هـ/ 965م)، وأسر من نجا من سكانها وأخذهم الى الاراضي البيزنطية(٥٣) .

سار نقفور فوقاس من المصيصة الى طرسوس حصن الدفاع عن الشام، وبعد مقاومة ضعيفة من جانب الطرسوسين الذين فقدوا الامل في مساعدة سيف الدولة لهم بسبب انشغاله في إخماد ثورة غلامه نجا الذي ثار عليه في الجزيرة وأرمينيا(٥٤)، كما فشلوا في الحصول على مساعدة الاخشيديين في مصر والبويهيين في بغداد (٥٥)، فان الطرسوسيين طلبوا الامان من نقفور وسلموا اليه المدينة سنة (354هـ/965م)(٥٦) .

بعد استيلاء نقفور فوقاس على طرسوس جردها من طابعها الإسلامي، فقد عين عليها حاكماً بيزنطياً من قبله ومعه خمسة آلاف جندي بيزنطي (٥٧)، ثم طرد سكانها المسلمين الى أنطاكية، واستوطن فيها مواطنون أرمن بدلاً من المسلمين، وهكذا أصبحت قيليقيا ارضاً بيزنطية، بعدما كانت قاعدة أسلامية للعمليات ضد البيزنطيين لمدة ثلاثة قرون، وتحولت الى ثغر بيزنطي جديد عاصمته طرسوس(٥٨) .

بعد احتلال طرسوس تمرد سكان أنطاكية على سيف الدولة فطردوا نائبه وأصبح رشيق النسيمي (*) حاكماً عليهم، ونظراً لغياب سيف الدولة عرض رشيق الدخول في طاعة الإمبراطور نقفور فوقاس، فوافق الإمبراطور مقابل ان يحمل له الخراج من أنطاكية(٥٩) .

رأى سيف الدولة بعد سقوط معظم الثغور الإسلامية في يد البيزنطيين، وعدم قدرته على مواصلة القتال، ضرورة مهادنة الإمبراطور نقفور لامحاربته، فعقد معه هدنة وتبادل الأسرى(٦٠)، وتقررت الهدنة لمدة أربع سنوات، لكن البيزنطيين لم يحترموا الهدنة مع سيف الدولة بعدما سيطروا على معظم المناطق، فهاجموا مدن آمد ودارا

العلاقات السياسية للقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية مع البيزنطيين
مجلة آداب الفراهيدي
أ.د. طلب صبار محل
م.م. انتصار نصيف شاكر
العدد (11) حزيران 2012

واقتربوا من نصيبين التي هرب أهلها خوفاً من القضاء عليهم (٦١)، أما الإمبراطور فقد هاجم في نفس الوقت منبج واستولى منها على أثر مقدس(٦٢) .

ثم سار نقفور بعد ذلك إلى حلب عن طريق وادي بطنان (٦٣)، فقام سيف الدولة بشن الهجمات على قوافل تموين القوات البيزنطية بمساعدة قبائل الأعراب، لكنه عجز عن مقاومة البيزنطيين، فعرض على نقفور سداد مبلغ من المال اليه، لكن الإمبراطور رفض وطلب نصف الشام، وبدأ بشن غارات على ضواحي حلب، غير ان نقفور أدرك صعوبة الاستيلاء على حلب بعد أن قلت المؤن لدى قواته، فآثر العودة الى بلاده عن طريق أنطاكية التي تمردت على الإمبراطور ورفض سكانها الاستسلام برغم حصار نقفور لها ثمانية أيام(٦٤) .

وبعد تلك الأحداث توفي سيف الدولة سنة(357هـ/ 967م)، بعد حياة حافلة بالجهاد ضد البيزنطيين حتى بلغت غزواته أربعين غزوة (٦٥)، وكان البيزنطيون قد تمكنوا من القضاء على مقاومة سيف الدولة في سنواته الأخيرة، فنجحوا في فصل الثغور وقيليقيا عن الأمارة الحمدانية(٦٦).

أما في الجزيرة فقد استغل الروم الفرص للقيام بهجمات عليها، ففي سنة (361هـ/971م)، كادت الجزيرة تكون خالية من قوة تذب عنها فأغاروا على ديار بكر والرها ونصيبين، فأبو تغلب كان عاجزاً عن صدهم لانشغاله في صراعه مع أخوته، والخليفة المطيع لاحول له ولا قوة من جراء التسلط البويهي حين وصول الخطر البيزنطي إلى ذروته ، فسارت جماعة من أهل الجزيرة إلى بغداد وتظاهرت أمام دار الخلافة ، فأعلن الكثير من العامة التطوع ، وكتب الى أبي تغلب بإعداد العدة لتحقيق الغارة(٦٧)، الا أن البويهيين نجحوا في اثارة النزعات الطائفية في سكان بغداد لانشغال الخلافة العباسية واشتداد خطر العيارين (٦٨)، وطلب بختيار البويهي الأموال من الخليفة المطيع للأنفاق على الحرب، ورد عليه الخليفة: ((لو كان الخراج يجبى إلي

لدفعته ما يحتاج المسلمون اليه، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين اليها ضرورة وأما أنا فليس عندي شيء فأرسله اليك))[٦٩] وسبب الحاح بختيار وتهديده له أضطر أن يبيع بعضاً من ثيابه وأثاثه فجمع له أربعمائة ألف درهم ((فصرفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة فانقسم الناس))[٧٠].

ان الانتصارات التي حققها الدمستق [٧١]، جعلته يطمع في غزو البلاد الإسلامية فتقدم سنة(323هـ/ 934م)، لاحتلال الثغور الاسلامية كالمصيصة وأدنة وطرطوس، وقد تجرأ الدمستق على أن يبعث بقصيدة يهدد فيها باحتلال الحرمين وسبي أهلها [٧٢]، وأعاد غزوة لآمد [٧٣]، فارضاً الحصار عليها في شهر رمضان سنة (362هـ/ حزيران 973م)[٧٤]، وقد قدرت القوات البيزنطية بخمسين ألف رجل منهم عشرون ألفاً من المدججين بالسلاح وذوي الرتب العالية ومن مقدميهم، ولعل تحصيناتها حالت دون استيلاء القوات البيزنطية عليها[٧٥].

ويذهب المؤرخ الارمني متى الرهاوي [٧٦] إلى أن المدينة كانت تعود ملكيتها إلى شقيقه سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله أبو الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، أمير قبيلة تغلب صاحب حلب، بينما تقف المصادر الإسلامية صامتة حول ملكية المدينة، وتكتفي بالإشارة إلى أن الذين تولوا حركة التصدي لقوات الدمستق ، أمير الموصل أبو تغلب، وشقيقه هبة الله أبناء ناصر الدولة بن الحسن ابن عبيد الله بن حمدان بن حمدون [٧٧]، بدعوة من صاحبها هزار مرد مولى أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، كما تشير المصادر السريانية[٧٨]، ويؤيدهم بالرأي الهمذاني ، وأبن الأثير، وسبط أبن الجوزي، وابن كثير[٧٩] .

ويبدو أنه لايوجد تناقض فيما تشير اليه المصادر الأرمينية والسريانية والإسلامية، وأنما ما ورد فيها من معلومات جاءت مكملة لبعضها بعض، ولعل الأمر يتضح ان كانت شقيقة سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله أبي الهيجاء حفيد

حمدان بن حمدون متزوجة من هزار مرد مولى أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، وأن مدينة آمد تحت حكمهما، وبدورهما بعثا يستنجدان بأبي تغلب وشقيقه هبة الله أحفاد حمدان ابن حمدون[٨٠] .

لقد حشد أبو تغلب أمير الموصل قواته بقيادة شقيقه أبي القاسم هبة الله بن ناصر [٨١] الدولة بن حمدان، وأنضم اليه العامة، وأهل الثغور الإسلامية [٨٢]، وتقدم إلى آمد حيث القوات البيزنطية المحاصرة للمدينة، التي كانت تنتشر في نواحي هنزيط، ومعابر الفرات، وما يليها من ديار بكر[٨٣] .

ويذكر الصابئ أن القوات التي تولى قيادتها هبة الله، كان معظمها من الرجال الذين أمدهم به الملك عز الدولة بختيار، ويصفهم بأنهم ((كانوا أقوى تلك الطوائف المجتمعة لديه وأولاها بعائدة النصر والظفر عليه، وفيمن انضوى اليهم من قبائل الأعراب وصناديدها، وفتاك الاكراد وصعاليكها، وساروا بصدور منشرحة، وأمال منفسحة))[٨٤]، ويؤكد الصابي أن هبة الله وصل بقواته ظاهر آمد (يوم الثلاثاء 27 رمضان 362هـ / 1 تموز 973م)، وتأكد له أن الدمستق قد استولى على ضواحي هنزيط ودروب (طرق) الفرات، والمناطق التي تليها، فأقامت القوات الإسلامية ليلتها في ظاهر أمد والقوات البيزنطية تقيم عنهم مسافة يوم[٨٥] .

واستطاعت القوات الإسلامية فتح ثغرة في صفوف القوات البيزنطية أمام أبواب المدينة، مما أدى إلى فرار مجموعات كبيرة من قوات الدمستق مليح، ويصف متى الرهاوي هذه المجموعات بأنهم غير مخلصين، وقد ألحقت القوات الإسلامية بهم خسارة جسيمة بعد معركة فاصلة، انسحب على أثرها الدمستق مع قواته جنوب شرق مدينة أمد إلى مكان يدعى أوكال ويعرف الآن باسم ديكال على ضفاف نهر دجلة بعيداً عن منال سهام قوات مدينة أمد، وعسكر فيه[٨٦]، ويبلغ أقصى مدى للوادي بين الأبواب الشرقية للمدينة ونهر دجلة 3150م ، ولعل هذا المكان أحد الشعاب والوديان

التي تشتهر بها مدينة أمد، بحكم موقعها [٨٧]، ويصف مسكويه المكان بأنه ضيق تصعب الحركة فيه مع القوات والعدة والخيل التي كانت برفقة الدمستق[٨٨] .

ويبدو أن المكان شل حركة القوات البيزنطية برغم عددها وعدتها، ومع أنه يجب أن تكون بهذا العدد والعدة قوة ضاربة، ألا أنها أصبحت عبئاً على حركتها، ولم تعد تجدي نفعاً في مثل هذه الأماكن الضيقة، حيث حد المكان من حركة القوات، وبخاصة بعد أن انشغلت القوات بتضميد جراحها أثر الهزيمة التي ألحقت بها أمام أبواب مدينة آمد [٨٩]، ولذلك لم تعد متأهبة للخوض في معركة جديدة مع القوات الإسلامية التي تطاردها[٩٠] .

وبتتبع الإحداث يتضح أن القوات الإسلامية كانت تطارد الدمستق مليحا، وقواته، حتى المكان المشار اليه، وأدركت الوضع السيئ الذي آلت اليه قوات الدمستق بعد هزيمتهم على أبواب أمد، وازدياد وضعهم سوءاً، بوجودهم في الشعب الضيق الذي قيد حركتهم، وجعل هزيمتهم أمراً محتوماً أمام القوات الإسلامية، مع أن المصادر الإسلامية لم تذكر ألا اليسير من المعلومات عن تفاصيل هزيمة الدمستق، غير ان المؤرخ الارمني متى الرهاوي، قدم معلومات دقيقة غطت جوانب مهمة من أحداثها.

وبينما كانت قوات الدمستق مليح تضمد جراحها في المضيق على نهر دجلة، حلت بهم كارثة ثانية، فقد هبت ريح عاتية أثارت الغبار عليهم ورمت بأمتعتهم في دجلة، وانغمست قواتهم وحيواناتهم بظلام دامس، ولم يعد بأمكانهم الرؤية أو أيجاد مخرج لهم من الوضع المريع[٩١] .

وأدركت القوات الإسلامية الوضع الذي آلت اليه القوات البيزنطية [٩٢]، فانقضوا عليهم ، ولم يجد الفرار نفعاً مع القوات البيزنطية، وتمكنت القوات الإسلامية

من تحقيق النصر عليهم، وأسروا قائدهم الدمستق [٩٣]، وأربعين من قادتهم [٩٤]، وتحدد المصادر (يوم الجمعة 30 رمضان 362هـ / 4 تموز 973م)، تاريخاً للمعركة[٩٥].

ويصف الصابئ المعركة قائلاً: ((فثبت الطغاة اغترارا بوفور أعدادهم ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم، وأخذ الاولياء الملحمة، وعلت الغمغمة، ودارت رحى الحرب، واستحر الطعن والضرب، وتصافحت بيض الصفاح، وتداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور، وتنادى الكفار بالويل والبثور، فنكصوا على أقدامهم مجدين في الهزيمة، واعتدوا الحشاشات (بقية الروح) لو سلمت لهم من أعظم الغنيمة، واستلحمهم السيوف واحتكمت فيهم الحتوف، وأخذ المسلمون الثأر، وعجل الله بأرواحهم الى النار وأسر بعد قتل ألوف منهم في المعركة، الدمستق رئيس عساكرهم وقائدهم ومدبر حروبهم ومرتباً وما أخذ المسلمون قبله دمستقاً))[٩٦]، وتم أسر ابن البلنطس [*] ورسوله في المواثيق ورسم السياسات والمعاهدات، كما تم أسر ((جماعة من البطارقة[٩٧] والزواورة[٩٨] والاراخنة[٩٩] والطراخنة[١٠٠])) [١٠١] .

وبالعودة إلى صحة إرسال الملك عز الدولة بختيار للقوات، فأن تاريخ المعركة يؤكد بأنه لم يرسل أي قوات تذكر إلى الجزيرة الفراتية، ويبطل ما أشارت اليه المصادر الإسلامية من أن الملك أرسل قوات حققت انتصارات على القوات البيزنطية، وأسرت قائدها وألحقت هزيمة فادحة بها، لان تاريخ الهزيمة جاء بعد يوم من تاريخ الفوضى والفتن واشتعال النار في بغداد، والذي يصادف يوم الخميس (29 رمضان 362هـ / 3 تموز 973م)، فكيف والحال ان يرسل قوات لنجدة سكان الجزيرة الفراتية، وهو الذي أمر قواته بإخماد الثورة والفتن بإشعال النيران في بغداد[١٠٢].

أما ما أشار اليه الصابئ في الرسالة حول القوات التي التحقت بالقائد هبة الله، فلعلها القوات المتطوعة من الإعراب والأكراد وأهل الطوائف، لان الرسالة لم تشر

إلى الديلم والأتراك أطلاقا ، كون القوات النظامية كانت تتألف آنذاك منهم، وهذه القوات كانت مشغولة في إخماد الثورة في بغداد.

لقد أعز الله الإسلام بهذا النصر، فكثر القتل والأسر في صفوف القوات البيزنطية[١٠٣]، فغنم المسلمون غنائم جليلة من السلاح والعدد [١٠٤]، عادوا بها إلى مدينة أمد وبرفقتهم الأسرى وعلى رأسهم الدمستق مليح[١٠٥] .

وقد استولى المسلمون على العديد من الخيول والأسلحة وغنموا من عدة القوات البيزنطية ما زاد من قوتهم واشتدت به شوكتهم[١٠٦]، وقد انعكس هذا الانتصار على سكان الثغور والجزيرة الفراتية، فقد انتشروا في البلاد وسلكوا في الطرقات يبحثون عن معايشهم آمنين مطمئنين، ويجمعون غلات أرضهم من دون خوف أو رهبة[١٠٧].

ويتضح من تاريخ المعركة أن القوات الإسلامية عبرت عن فرحتها ونشوة انتصارها في مدينة آمد باستقبالهم عيد الفطر بانتصارهم العظيم، وقد سير الدمستق يوم الأحد (2 شوال 362هـ / 6 تموز 973م)، ثاني أيام عيد الفطر الى مدينة الموصل[١٠٨]، وأرسل أبو تغلب الكتب والرسائل إلى الخليفة المطيع يبلغه ويبشره بنشوة النصر[١٠٩] الذي رزقهم الله به آخر أيام رمضان .

وكاتب أمير المؤمنين والملك عز الدولة بختيار أبا تغلب بان ((يتناهوا في التوثيق من عدو الله الدمستق، ومن قرينه ابن البلنطيس، والوجوه المأخوذين معهما، المأسورين بأسرهما، وإنفاذ رؤوس من قتل من الاكابر، دون من يفوت الإحصاء من الاصاغر))[١١٠] .

وأرسل إلى بغداد رؤوس وأيدي بعض قتلى القوات البيزنطية [١١١]، وبرفقتهم أربعون أسيراً من ضباط القوات البيزنطية إلى الخليفة [١١٢] تعبيراً عن نشوة النصر، ويؤكد متى الرهاوي أن الأربعين أسيراً ماتوا جميعا [١١٣]ولم يحدد كيف ؟

وقد عزا متى الرهاوي هزيمة القوات البيزنطية كعادته الى عقاب سماوي بسبب الغضب الالهي عليهم لانغماسهم بملذات الدنيا وانشغالهم عن التصالح مع الرب والسعي إلى النصر[١١٤]، ولعله أراد أن يبرر هزيمتهم، لان قائدهم من أصول أرمنية، وبخاصة أنه يمتاز بروحه الوطنية ومشاعره القومية ونزعته الدينية في كتاباته [١١٥]، في حين أكد أن نصر المسلمين كان بسبب وقوف الله الى جانبهم بسبب مصالحتهم معه[١١٦].

وتشير المصادر إلى أن أبا تغلب أخذ الدمستق مليحاً أسيراً عنده في الموصل، لعله يستفيد من وجوده عنده ببناء جسر الصداقة مع الإمبراطور البيزنطي، أو الاستفادة منه في الحد من غزو القوات البيزنطية أراضي بلاده ثانية [١١٧]، ولذلك أحسن ضيافته وأكرمه [١١٨]، وكان الدمستق قد ثار عليه جرح في جسده في أثناء وجوده في الأسر، وقدم أبو تغلب في علاجه، فأحضر له الأطباء، ألا ان جميع محاولات علاجه باءت بالفشل، فمات [١١٩] في شهر (جمادي الآخرة 363هـ / آذار 974م)[١٢٠] .

وقد زعم المؤرخ الارمني متى الرهاوي أن سبب التسامح الذي يمليه الدين الإسلامي على المسلمين في تعاملهم مع الأسرى البيزنطيين، هو خوف قادة المسلمين من غضب الأمة البيزنطية، إذا ما علمت ما حل بقواتها، اذ أشار إلى أن قادة المسلمين، عندما شاهدوا ما حل بالدمستق وقواته، خشوا الامر، فقالوا: ((ان الدم الروماني الذي أرقناه لا يجدينا نفعاً، فهذه الامة ستنقض علينا، ولذلك علينا ان نتصافح، ونبني جسور صداقة ونتحالف مع القائد الروماني والضباط الذين وقعوا في قبضتنا، فبعد أن يؤدوا اليمين نتركهم يرجعون بسلام الى ديارهم))[١٢١].

ومهما تكن تعليقات متى الرهاوي، فأن العلاقة التي بنيت بين أبي تغلب والدمستق مليح، فسحت المجال أمام الدمستق أن يحصل على قدر كاف من الحرية

في الأسر، لدرجة أنه أستطاع أن يرسل رسالة للامبراطور زيميسكس في القسطنطينية، يوضح له الأمر الذي آلت اليه القوات البيزنطية واللعنة التي حلت بهم، فكتب قائلاً: ((أننا لا نستحق هذا الحكم وأن ندفن موتانا بموجب العادات المسيحيين في أرض مقدسة، ولم ننل مثوى آخر لعظام موتانا سوى أرض ملعونة يدفن فيها الاشرار، كلا، نحن لا نعترف بسيد شرعي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، ان الموت التعيس للجم الغفير من المسيحيين ودمهم المراق تحت أسوار آمد، وموتانا على أرض غريبة، أحملكم مسؤوليته وأشكوكم إلى الرب السيد المسيح يوم الحساب اذا لم تنتقموا من هذه المدينة انتقاماً مبيناً))[١٢٢].

ويبدو التحريض واضحاً من رسالة الدمستق للإمبراطور، وحثه على حرب المسلمين، ويحمله مسؤولية هزيمة القوات البيزنطية، وهذا ما يؤكد ان الإمبراطور هو الذي خلف الدمستق في أراضي المسلمين عندما جعله يتخذ من هنزيط قاعدة للقوات البيزنطية، للانطلاق على الأراضي الإسلامية[١٢٣].

ويؤكد في الرسالة عدم الاعتراف بشرعية الإمبراطور، أذا لم تستمر سياسة الفتوحات البيزنطية في الأراضي الإسلامية من خلال حشد القوات البيزنطية، واجتياح أراضي المسلمين، للانتقام منهم، ويقترن مطلبه هذا بشكواه إلى الرب السيد المسيح ان لم يستمر بسياسة الفتوحات، ولعل هذا الربط يؤكد الاعتقاد السائد بينهم بفكرة الحرب الصليبية من خلال رفع راية الصليب في الحملات التي يجب أن يقودوها ضد المسلمين .

وقد أثارت رسالة الدمستق شجون الامبراظور زيميسكس عندما تسلمها، فاستشاط غضباً [١٢٤]، فدعا قادته وحشد الجيوش من جميع المناطق التابعة له في الغرب والشرق، وضم الجيش العديد من الجنسيات التي تستظل في حمى الإمبراطورية البيزنطية، وقصد في العام نفسه الديار الإسلامية، فاجتاح الثغور الشامية والجزرية

وعرج على الجزيرة الفراتية، وقصد الساحل الشامي حتى حدود بيت المقدس، وحقق انتصارات عظيمة فرض فيها الإتاوات والجزية والخراج على العديد من الأمراء المحليين من المسلمين، وعقد معهم معاهدات سياسية واقتصادية، وأناب عنه في بعض المناطق أمراء منهم، وقد جسدت هذه الحملة البدايات الأولى للحروب الصليبية، أذ أعلن خلالها رفع راية الصليب ضد المسلمين[١٢٥] .

لم يكن للأمراء الحمدانيين بعد سيف الدولة قوة عسكرية، ولم يشكلوا أي خطر على البيزنطيين، بل أنحصر اهتمامهم في محاولة الاتفاق مع الأباطرة، لان الحمدانيين كانوا مهددين من البويهيين في الشمال والفاطميين في الجنوب[١٢٦] .

وبعد وفاة سيف الدولة خلفه في حكم أمارة الحمدانيين في حلب، ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف في سنة(356هـ/967م)، وفي السنة الأولى من حكمه دخل في نزاع مع خاله أبي فراس الحمداني، وانتهى ذلك النزاع بقتل أبي فراس في ربيع الأول سنة(357هـ/ 967م)[١٢٧]، ولم يستطع الإمبراطور نقفور فوقاس استغلال المصاعب التي نشأت في الإمارة الحمدانية عقب وفاة سيف الدولة بسبب الموقف على الجبهة البلغارية [١٢٨]، ولم يكن قبل أواخر عام (357هـ/ 968م) عندما ظهر نقفور مرة أخرى في الأراضي الإسلامية، اولاً في منطقة الجزيرة ثم زحف منها على بلاد الشام، ففي ذي القعدة عام (357هـ/ 968م) هاجم الإمبراطور ديار مضر، ثم وصل حتى أرزن وميا فارقين وكفرتوثا فقتل وسبى من سكان تلك المناطق عدداً كبيراً ثم اتجه إلى بلاد الشام[١٢٩].

وظن سعد الدولة ان الإمبراطور ينوي مهاجمة حلب فخرج منها إلى باليس واستخلف عليها قرعوية حاجبه، لكن نقفور زحف على أنطاكية وحاصرها يومين فقط ثم رحل عنها[١٣٠]، بعد ان أدرك استحالة الاستيلاء عليها في ذلك الوقت .

أراد نقفور قطع كافة طرق الإمدادات التي يمكن ان تأتي منها النجدات إلى أنطاكية تمهيداً للاستيلاء عليها، فهاجم معرة مصريين وأسر سكانها ومعرة النعمان وحماة وحمص وطرابلس وحصن عرقا، ثم اتجه إلى الساحل ففتح أنطرطوس ومرقية وجبلة، وصالح سكان اللاذقية وخرب عدداً من القرى ثم عاد مرة أخرى الى أنطاكية[131]، لكن نقص المؤن لدية، وأدراكه أن حصونها منيعة جعله لا يفكر في أقتحامها فبنى في مواجهتها حصن بغراس وعين له قائداً هو ميخائيل البورجي [132]، وكلف نقفور القائد ميخائيل بمراقبة المدينة ومنع سكانها من جلب المؤن والإمدادات العسكرية، كما ترك نقفور بقية الجيش في قليقيا بقيادة قائد آخر يسمى بطرس وأمر نقفور قادته بعدم مهاجمة أنطاكية انتظاراً لعودته في السنة التالية[133].

سيطر قرعويه وغلامه بكجور على الأمور في حلب بعد خروج سعد الدولة منها، ومنعا الدعاء له في الخطبة، فأقام سعد الدولة متنقلاً بين حران وميافارقين ومنبج، ولما اجتمع معه غلمان أبيه طمع في استعادة حلب، فسار اليها في شهر رمضان سنة(358هـ/ 969م) وحاصرها، فاستنجد قرعويه بالبيزنطيين ضد سعد الدولة، واسرع بطرس قائد الجيش في قيليقيا لنجدته [134]، وعلم بطرس في أثناء سيره الى حلب بالفوضى الناشبة في أنطاكية فتمكن مع ميخائيل البورجي من الاستيلاء عليها في ذي الحجة سنة(358هـ/ اكتوبر 969م)[135]، بمعاونة من المسيحيين في المدينة الذين انتقلوا اليها من بوقا[136] .

دخل البيزنطيون أنطاكية، فقاموا بأعمال التخريب، وقتلوا الكثير من السكان وطردوا الشيوخ والعجائز والأطفال، وأسروا ما يزيد على عشرين ألف من السكان [137]، وقاموا بإتلاف المسجد وحولوه إلى حظيرة للخنازير، ونقلوا إلى المدينة المسيحيين الارمن، وهكذا عادت أنطاكية مرة أخرى مدينة بيزنطية بعد حكم أسلامي دام أكثر من ثلاثة قرون[138] .

ولما علم أبو المعالي سعد الدولة باحتلال البيزنطيين رفع الحصار عن حلب واتجه إلى حمص، فازداد طمع البيزنطيين في الاستيلاء على حلب، وسار اليها بطرس وحاصرها سبعة وعشرين يوماً، ثم ترددت المراسلات بين الجانبين إلى أن تقرر الأمر على صلح وهدنة جعلت حلب محمية بيزنطية تكاد تكون خاضعة تماماً للنفوذ البيزنطي [139]، ومن أهم شروط تلك الهدنة التي عقدت سنة(359هـ/ 970م)، ان يتولى حكم حلب قرعويه ثم بكجور ومن بعدهما ينصب الإمبراطور أميراً يختاره من سكان حلب، وليس للمسلمين ان ينصبوا أحداً، أي أنها استبعدت سعد الدولة الحمداني أمير حلب الشرعي، ويدفع قرعويه الجزية للإمبراطور عن البلاد الداخلة في الهدنة بواقع سبعمائة ألف درهم سنوياً[140]، كما يدفع عن كل صغير وكبير من سكان تلك البلاد ديناراً قيمته ستة عشر درهماً أسلامياً، في حين يعفى المسيحي في هذه الأعمال من الجزية الا اذا كان له بها مسكن او ضيعة، وكانت أخطر الشروط تلك التي تنص على أن لا يسمح قرعويه للمسلمين بالغزو عن طريق بلاده ولو قاتلهم على ذلك ، وأن يستعين بالقوات البيزنطية في حالة عجزه عن دفعهم ، وإذا خرج الإمبراطور أو قائد جيشه إلى غزو بلد أسلامي يستقبله بكجور في الموضع الذي يعينه له الإمبراطور، ويسير معه في البلاد الداخلة في الهدنة، ويسمح له بشراء ما يلزمه من مؤن لتموين جنوده، أما أذا كان الجيش البيزنطي يغزو بلاداً غير أسلامية فعلى أمير حلب الاشتراك معه بقواته حسبما يأمره الإمبراطور، كما يحق للبيزنطيين تعمير الكنائس الخربة في بلاد الهدنة وسفر البطارقة والأساقفة اليها، أما في ميدان العلاقات الاقتصادية فان الاتفاقية قررت حضور عشار الملك مع عشار قرعويه وبكجور عند فرض الجمارك على البضائع الواردة من الأراضي البيزنطية، وأن يحمي أمير حلب القوافل الواردة من الأراضي البيزنطية إلى بلده [141]، وهكذا أصبح أمير حلب بجرد فصيل تابع للإمبراطورية البيزنطية ومرتبطاً معها بالتزامات سياسية

وعسكرية وتجارية شديدة ، وأصبح البيزنطيون مسيطرين على شمال سوريا ويمتد نفوذهم إلى وسطها[١٤٢].

ولم تنفذ جميع شروط هذه المعاهدة ، وخاصة فيما يتعلق بخراج البلاد الداخلة في الهدنة ، فسعد الدولة الذي كان مقيماً في معرة النعمان ، لم يعترف بها ولم يؤد المال عن البلاد التي تقع في حوزته، ثم أن نقفور فوقاس قتل في أواخر المحرم سنة(359هـ / 11 ديسمبر 969م)، قبل توقيع المعاهدة بأيام قليلة في مؤامرة دبرتها زوجته ثيوفانو مع يوحنا ابن الشمشقيق[١٤٣] .

ولم يكن الإمبراطور الجديد – ابن الشمشقيق– في بداية حكمه متفرغاً للقتال ضد المسلمين ، ولم يستطع الاشتراك بنفسه في العمليات العسكرية في بلاد الشام، بسبب الحرب الروسية البلغارية وثورة برداس فوقاس ضده [١٤٤]، مما سبب في عدم تنفيذ شروط المعاهدة بشكل كامل .

ولم يكن حال المسلمين أفضل من البيزنطين ، فقد استجدت ظروف جديدة باستيلاء الفاطميين على مصر وسعيهم للسيطرة على بلاد الشام ، ويبدو ان قرعويه وبكجور قد شعرا بالمهانة والإذلال نتيجة المعاهدة التي عقدت مع البيزنطيين فقبلا التحالف والدخول في حماية قوة أسلامية جديدة، وعلى ذلك أقاما الدعوة للفاطميين أواخر سنة(359هـ / 970م)[١٤٥] .

وظل سعد الدولة يترقب الفرصة للعودة إلى عرشه في حلب مرة أخرى، وكان بكجور قد تآمر على سيده قرعويه وحبسه في القلعة بعد عقد المعاهدة مع البيزنطيين، وظل منفرداً بالحكم قرابة ست سنوات [١٤٦]، وبرغم أن المعاهدة كانت تنص على أن الحكم لقرعويه ومن بعده بكجور فلم يتدخل البيزنطيون في الأمر، لان دعوة قرعويه وبكجور الخطبة للفاطميين جاءت في وقت لم يكن البيزنطيون فيه على استعداد للصدام المباشر بالفاطميين، لذلك قنع البيزنطيون بقبول المال المتفق عليه طبقاً

للمعاهدة سواء دفعه بكجور أو قرعويه، وبالنسبة لبكجور فقد ظل مواظباً على سداد المال حتى السنة التي خرج فيها من حلب سنة (367هـ / 977م) عندما تمكن سعد الدولة من أسترداد عرشه بمساعدة أعوان قرعويه الذين كاتبوه وهو في حمص سنة(366هـ/ 976م) ووعدوه بالمساعدة في دخول حلب ، فجمع سعد الدولة بني كلاب وحاصر حلب مدة أربعة أشهر حتى تمكن من دخولها في حين تحصن بكجور في القلعة، ثم استقر الأمر بين الطرفين على أن يتولى بكجور حمص وان يكون سعد الدولة في حلب[١٤٧].

لم يلتزم سعد الدولة بسداد مال الهدنة للبيزنطيين، وعد هذا الأمر موجهاً ضده [١٤٨]، ولم يقبل البيزنطيون امتناع سعد الدولة عن سداد مال الهدنة، فهاجم الدمستق برداس فوقاس حلب في جمادى الأولى سنة(371هـ/نوفمبر 981م)، ودارت المعركة على باب اليهود[*] في اليوم الثالث لوصوله، ولم يستطع سعد الدولة الصمود طويلاً في وجه البيزنطيين فقد وافق بعد يومين من القتال على سداد مبلغ أربعمائة ألف درهم سنوياً، فغادر الدمستق حلب على ذلك الاتفاق [١٤٩]، وهكذا أصبحت تبعية سعد الدولة مزدوجة لعضد الدولة من ناحية وللبيزنطيين من ناحية أخرى .

في سنة(372هـ /982م) نشب الخلاف بين بكجور وسعد الدولة، مما ساعد على ازدياد طمع الفاطميين في الاستيلاء على حلب، فاستجابوا لنداء بكجور بالمساعدة وأرسلوا له جيشاً من دمشق سار على رأسه بكجور في سنة (372هـ/983م) من أجل تحقيق هذا الغرض[١٥٠].

ولم يقف البيزنطيون مكتوفي الأيدي أمام خطر الحمدانيين في حلب، فسار برداس فوقاس على رأسه جيشه للدفاع عنها، ولا يمكن الجزم بأن وصول برداس فوقاس في هذه المرة كان بناء على طلب سعد الدولة، فقد رحل بكجور قبل وصول

القوات البيزنطية، ومع ذلك استمر برداس فوقاس في حصار حلب، ولم يغادرها ألا بعد أن ضمن له سعد الدولة سداد مال سنتين أي حوالي اربعين الف دينار[(١٥١)] .

بعد هذا الاتفاق سار برداس فوقاس الى حمص في أواخر شهر ربيع الأول سنة(373هـ / سبتمبر 983م) بايعاز من سعد الدولة[(١٥٢)]، وارتكب برداس فوقاس في حمص إعمالا وحشية، فنهب المدينة وأحرق الجامع ولما لجأ بعض السكان إلى الكهوف أوقد عليهم حتى أهلكهم بالدخان [(١٥٣)]، أما بكجور فقد سار إلى دمشق حيث تولى حكمها من قبل الخليفة الفاطمي العزيز بالله ومترقباً الأحداث في حلب للتآمر من جديد ضد سعد الدولة[(١٥٤)].

كان سعد الدولة حاقداً على البيزنطيين ولم ينس موقفهم منه، وما ان علم بهزيمة الإمبراطور باسيل الثاني على الجبهة البلغارية في سنة(376هـ / 986م) حتى أسرع بالاعتراف بالسيادة الفاطمية، وتأكدت تلك السيادة برسالة التأييد والخلع التي أرسلها الخليفة الفاطمي العزيز بالله إلى الأمير سعد الدولة في شعبان سنة(376هـ / ديسمبر 986م) من دون ان يستطيع البيزنطيون اتخاذ إجراءات انتقامية ضده في هذه المرة، بل على العكس فان الإمبراطور باسيل الثاني أرسل السفراء إلى القاهرة لعقد هدنة مع الخليفة الفاطمي[(١٥٥)].

وبرغم اعتراف سعد الدولة بسيادة الفاطميين ألا انه لم يسلم من محاولاتهم الاستيلاء على حلب بمساعدة بكسور المقيم في الرقة منذ طرده من دمشق في سنة (378هـ / 988م)، وهنا أدرك سعد الدولة حاجته للبيزنطيين، فأرسل إلى الإمبراطور باسيل الثاني في هذا المعنى، وتمكن سعد الدولة بفضل القوات البيزنطية في أنطاكية من احباط هجوم بكجور على حلب في سنة (381هـ / 991م)[(١٥٦)].

وبعد وفاة سعد الدولة في شهر رمضان سنة(381هـ / 991م)، تعرضت حلب لمحاولات عديدة من جانب الفاطميين للاستيلاء عليها، فا ستنجد أميرها أبو

الفضائل سعيد الدولة وحاجبه لؤلؤ بالإمبراطور باسيل الثاني أكثر من مرة حتى قطع الإمبراطور حروبه على الجبهة البلغارية، وعاد إلى بلاد الشام وأكد من جديد إخضاع حلب للتبعية البيزنطية سنة(385هـ / 995م)[(١٥٧)].

بعد وفاة سعيد الدولة سنة(392هـ / 1002م)، سادت الإمارة الحمدانية حقبة من الاضطرابات، فسيطر الحاجب لؤلؤ على الحكم وطرد ابني سعيد الدولة إلى مصر كما هرب أبو الهيجاء بن سعد الدولة إلى القسطنطينية ثم حاول العودة إلى حلب لكنه فشل [(١٥٨)]، ثم ثار خلاف بين منصور بن لؤلؤ وصالح بن مرداس زعيم الكلابيين منذ سنة(402هـ / 1011م)، وحاصر صالح حلب، فقام الإمبراطور باسيل بضرب القوى الاسلامية المتنافسة بعضها ببعض، فأخذ يقدم المساعدات تارة لصالح بن مرداس وتارة أخرى لمنصور ابن لؤلؤ حتى نجح صالح بن مرداس في الاستيلاء على حلب سنة(415هـ / 1025م) وأسس الأسرة المرداسية بها[(١٥٩)] .

– **موقف بني مرداس من البيزنطيين** :

كانت علاقة بني كلاب بالدولة البيزنطية علاقة تتراوح بين السلم والحرب في بعض الأوقات، ففي سنة(420هـ/1029م) بعد معركة الاقحوانة [(*)] علم البيزنطيون بمقتل صالح بن مرداس أمير حلب وأحد أعضاء التحالف العربي وانكسار العرب أرادوا أغتنام الوقت واستغلال ظروف المرداسيين والاستيلاء على حلب بصورة سريعة وخاطفة[(١٦٠)] .

سار عن أنطاكية ميخائيل الخادم بجيشه لتنفيذ خطته بدون أمر إمبراطور الروم حتى وصل قيبار[(١٦١)] .

ولما علم صالح شبل الدولة وأخوه ثمال بن صالح بزحف قطبان أنطاكية [(١٦٢)] ميخائيل الخادم نحو حلب أسرعا اليه بجيشهما والتقيا به في قيبار، وطلبا منه رفع الحصار عنها ويعود بجيشه مراعياً الجوار فلم يوافق [(١٦٣)] على طلبهما فحاصراه في

قيبار (*) وهو يقاتل حصنها فانكسر جيشه (١٦٤) بعد أن سقط الكثير من القتلى من الطرفين وغنم المرداسيون الكثير من معداتهم (١٦٥) وكان ذلك لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة(420هـ/ 1029م)(١٦٦) وهذا يعني ان البيزنطيين أرادوا الاستيلاء على حلب بعد خمسين يوماً من معركة الاقحوانة وقتل صالح بن مرداس، فجرت بين المرداسيين وميخائيل الخادم مراسلات ومفاوضات حتى استقامت الامور بينهم وتصالحوا على عدم الاعتداء (١٦٧)، وعاد شبل الدولة نصر وأخوه الى حلب وبقيا متعاونيين في أدارة البلاد حتى جرى خلاف بين شبل الدولة نصر وأخوه ثمال (١٦٨) دفع شبل الدولة أن يقتحم باب قلعة حلب (١٦٩) في جماعة من حرسه فلم يمانعه أحد من حرس باب القلعة لهيبته (١٧٠) وجلس في مركز أخيه وقال: ((ان من قدم أخي على فقد أساء لأنني أولى بمداراة الرجال وهو أولى بمداراة النساء))(١٧١)، ومن ذلك اليوم جعل نصر لأبواب قلعة حلب سلاسل حديدية تمنع الراكب دخول أبواب القلعة فجأة(١٧٢)، كما أصدر مرسوماً أميرياً يقضي ألا يدخل القلعة أحد متقلداً سيفه، ولو أنه أقرب الناس مودة إلى مالكها، أنفرد شبل الدولة بأمارة حلب (١٧٣) بعد أن استولى على القلعة والبلد أنفرد بالسلطة وذلك سنة(421هـ/1030م)(١٧٤)، وكان يساعده في أدارة البلاد وزيره أبو الفرج المؤمل بن يوسف الشماس (١٧٥) الذي ينسب اليه حمام الشماس بحلب بحي الجلوم (١٧٦)، وكان نصرانياً حسن التدبير محباً لفعل الخير وكان أخو الوزير ناظراً في مدينة حلب فعمرها وعمر المساجد فيها(١٧٧) .

أما ثمال بن صالح فقد جمع الأعراب وعزم على محاربة أخيه شبل الدولة نصر، وبالغ في مضايقته مما أضطر شبل الدولة نصر أن يكتب إلى أرمانوس (١٧٨) أمبراطور بيزنطة يستدعيه إلى حلب(١٧٩) فخرج الإمبراطور بـ ستمائة ألف مقاتل حتى وصل الى أنطاكية، ولما شعر العرب بالخطر الذي سيلحق بهم حال وصول أمبراطور بيزنطة بجيشه الى حلب، توسط زعماء العرب بين الاخوين شبل الدولة

نصر وأبي علوان ثمال (١٨٠) بن صالح على أن تكون حلب لنصر، وبالس والرحبة لثمال، وتم الصلح بينهما عندئذ رجع شبل الدولة عما كان راسل به امبراطور بيزنطة(١٨١) .

وبعد ان تم التراضي والصلح بين الاخوين نصر بن صالح بن مرداس وبين أخيه ثمال بن صالح بن مرداس أرسل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس بن ادريس الكلابي رسولاً الى امبراطور بيزنطة ارمانوس(١٨٢) يشكره على تلبية النجدة ويطلب اليه العودة بجيشه عن قصد حلب وأن مخاوف شبل الدولة قد زالت وأنه سيرسل الى الامبراطور البيزنطي الاموال ما كان يحمله اولاد سيف الدولة الى باسيل امبراطور بيزنطة السابق (١٨٣)، فرفض أرمانوس هذا الطلب وأعتقل مقلد بن كامل المرداسي عنده،ولما تأكد امبراطور الروم ارمانوس عدم قدرته على محاربة العرب في حلب (١٨٤)، سار من انطاكية الى قيبار (١٨٥) يريد العودة الى بلاده، فكان معه ملك البلغار، وملك الروس، الابخاز (١٨٦) والخزر (١٨٧) والارمن والبجناك(١٨٨) والافرنج .

تمكن نصر بن صالح بن مرداس واصحابه وعشيرته من التغلب على سرية من سرايا البيزنطيين وطاردوهم، مما أضطر الامبراطور ان ينزل بجيوشه قريباً (١٨٩) من جبل برصايا (*)، وضرب الامبراطور حول عسكره خندقاً عظيماً ووزع المسلحين بجميع الخندق لحماية المعسكر، وكانت امواله تقدر بسبعين حملاً(١٩٠) .

تمكن أبو علوان دفاع بن نبهان الكلابي من القضاء على سرايا البيزنطيين (١٩١)، فلما علم الامبراطور ارسل سرية فيها صناديد عسكره الى حصن عزاز لمشاهدته ومعرفة قوته وجمع المعلومات الكافية عنه ليتسنى للامبراطور أرسال العدد الكافي من المقاتلة والالات الخاصة بفتح الحصن (١٩٢)، ولكن السرية لم تنجح لانها وقعت في يد بني كلاب قبل ان تؤدي مهمتها فقتلوا بطارقتها (١٩٣)، وأسروا

جماعة من اولاد الملوك، ولما علم الامبراطور بفشل السرية التي أرسلها الى غزاز، قرر العودة الى بلاده واعتذر لمن معه قائلاً: ((لولا عطش عسكري لبلغت مرادي))[١٩٤]، فاستغل نصر بن صالح بن مرداس هذا الوضع وهجم بجيشه الذي يقدر بأقل من ألف فارس [١٩٥]، على معسكر البيزنطيين وكان ذلك سنة (421هـ/1030م) فانهزم الجيش البيزنطي [١٩٦]، وأسر وغنم الجيش المرداسي سوق الإمبراطور وأمواله مما اضطره إلى تأخير رحيله ثلاثة أيام [١٩٧]، كما أضطر الإمبراطور ارمانوس أن ينزع خفه الاحمر[١٩٨]، وهو لباس خاص بالامبراطور لايرتديه غيره، ولبس خفاً أسود في أثناء هروبه مع جماعة من الارمن حموه بالسهام[١٩٩] .

تمكن شبل الدولة نصر بن صالح قائد المعركة من الحصول على تاج الامبراطور وبلاطه ولباده [٢٠٠]، وتمكن البيزنطيون من الهرب الى بلادهم منهزمين بسبب انشغال الجيش المرداسي بالغنائم التي بقيت في المعسكر من الدواب والثياب والأمتعة والآلات والأموال والمنجنيقات والتراس[٢٠١].

هكذا انتهت هذه المعركة بين المرداسيين والبيزنطيين برغم التفاوت الكبير بين القوتين، حيث كانت القوات البيزنطية تقدر بـ ستين الف مقاتل في حين أن القوات المرداسية تقدر بأقل من الف مقاتل[٢٠٢] .

ويقول ابن العديم: ((ولقد أخبر بعض من شاهدهم ان مقثأة [٢٠٣] كانت قريبة من المعسكر بمقدار رمية سهم وأن الروم لم يقطنوا منها قثأءة واحدة خوفاً من العرب تتخطفهم))[٢٠٤] .

كما يقال: ان أمبراطور الروم لما رحل هارباً أشعل النار في المنجنيقات [٢٠٥] والعردات[٢٠٦] والتراس[٢٠٧] وغنم الناس ما أبقته النار [٢٠٨] حتى يقال ان معظم البيوت التي بنيت في أطراف حلب سقفت بهذه التراس بدلاً من الدفوف أي بدلاً من ألواح الخشب .

بعد هذا الانتصار كاتب إمبراطور بيزنطة شبل الدولة وأخاه ثمال حول أسترداد حلب، فأرسل لهما رسولاً يساومهما على تسليم حلب، ويعرض عليهما عوضاً عنها ما يختاران، فا عتقل الاخوان رسول الامبراطور (أرمانوس) [٢٠٩] أنتظاراً لما من جواب الامبراطور عن المراسلات لانهما كانا قد أرسلا وفداً برئاسة ابن عمهما مقلد بن كامل بن مرداس مع جماعة من آل الجراح [٢١٠] يؤكد تلبية ما يطلبه الامبراطور من مال وان يقدما الرهائن اثباتاً بصحة وفائهما، ولذا فان امبراطور البيزنطيين أرمانوس احتجز مقلد بن كامل بن مرداس رئيس وفد شبل الدولة .

ولم تخل المفاوضات السلمية من بعض المناوشات العسكرية على حدود الدولة المرداسية، حيث خرج قطبان الخادم المعروف بنقيطا البطريق بعد خسارة البيزنطيين في معركة قيبار [٢١١] غازياً في جيش كثير لتخريب الحصون والقلاع العربية على الحدود فقصد مدينة رفنيه [٢١٢] واستولى عليها وهدم أسوارها وأبراجها الستة لأهميتها الحربية، كما فتح حصن المنيقه[٢١٣] وسبى عشرة ألاف من أهلها، كما فتح حصون عربية اخرى وهدمها [٢١٤]، وتمت بعد ذلك وساطات ومفاوضات بين الطرفين لعقد هدنة، ونجحت وساطته في عقد هدنة بين أمبراطور البيزنطيين [٢١٥] وشبل الدولة على أن يقدم شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس في كل سنة الى امبراطور الروم خمسمائة ألف درهم في قسطين من السنة قيمتها ثمانية الاف مثقال ذهب[٢١٦] .

وبعد ان تم الاتفاق على شروط الهدنة اطلق امبراطور بيزنطة أرمانوس رسول شبل الدولة مقلد بن كامل بن مرداس وأعطاه صليبياً من الذهب أماناً لنصر ووفاء بالشرط، كما أطلق شبل الدولة نصر المرداسي رسول أمبراطور بيزنطة[٢١٧].

وبالرغم من الانتصارات التي حققها شبل الدولة على البيزنطيين [٢١٨] فانه استمر في دفع الأموال سنوياً[٢١٩] وهي الاموال التي فرضها البيزنطيون عن حلب كما كانت منذ زمن الحمدانيين[٢٢٠]، وحاول الطرفان المحافظة على تلك الاوضاع.

وبهذا التصرف المعقول أصبح نصر بن صالح متمتعاً بامارته بحلب بضمان أستقرار جانب البيزنطيين .

ولم تستمر علاقة المرداسيين والدولة البيزنطية بشكل جيد ، فقد ساءت العلاقة فيما بينهم زمن محمود وذلك لأن محمود استعان با الأتراك في حروبه مع البيزنطيين[٢٢١]، فخربوا أنطاكية وفرضوا عليها غرامة سنوية مما دفع الروم أن يطلبوا المصالحة مع الأتراك أصحاب محمود المرداسي ولم يتوصلوا الى شيء، مما دفع البيزنطيين ان يقوموا بهجوم على منبج وامتلكوها[٢٢٢]، سنة (461هـ/1068م)، وبقيت منبج تحت حكم البيزنطيين ست سنوات الى ان أستعادها نصر بن محمود سنة(468هـ/ 1075م)[٢٢٣] كما هجم البيزنطيون على أعمال حلب وخربوها فلما علم محمود خرج اليهم ومعه العرب والترك وأستعاد أراضيه بعد أن قتل الكثير منهم ، وبعد ذلك وقعت الهدنة بين الطرفين [٢٢٤]ومن شروطها ان يقدم البيزنطيون قرضاً مالياً لمحمود مقداره أربعة ألف دينار ويجعل ولده نصراً رهناً عليها [٢٢٥]، ومن شروطها ان يهدم حصن أسفونا وتم له ما أراد وبقى إمبراطور البيزنطيين حاقداً على محمود المرداسي فجهز جيشاً كبيراً لاحتلال حلب والشام [٢٢٦] فتقابل هذا الجيش مع ألب أرسلان الذي غلبهم ووقع الإمبراطور أسيراً بين يديه [٢٢٧] ولما سأله عن سبب هذه الحروب وتعويض بلاده وجيشه لهذه الخسارة فذكر انه لم يقصد ألا حلب ، وكلما جرى له كان محمود السبب فيه والبعث اليه[٢٢٨].

أما بقية الأمراء المرداسيين فلم تكن بينهم وبين البيزنطيين صلات ، وذلك لانهيار الدولة وأنشغالهم بالفتن الداخلية .

الخاتمة

1- كان للقبائل العربية دور كبير في مواجهة الخطر البيزنطي والتصدي له لاسيما بعد ضعف الخلافة العباسية فامتلك الحمدانيون المبادرة في مجابهة البيزنطيين ونجحوا في حماية منطقة الجزيرة الفراتية وشمال الشام وشمال العراق من الخطر البيزنطي، وقاموا بدور جهادي في هذا الاتجاه وتبعهم في هذا الجهاد القبائل العربية الاخرى ومنهم المرداسيون والطائيون وبنو منقذ وبنو نمير .

٢ –يمكن أن نستنتج من العلاقات بين القبائل العربية والبيزنطيين، ان الغزوات كانت مستمرة الا انها لم تتمخض عن نتائج ذات قيمة كبيرة سواء كان للعرب أم للبيزنطيين، فقد ظل خط الحدود بينهما في أخذ ورد من دون ان يستطيع أحد الفريقين السيطرة التامة على معاقله ودروبه .

٣ –أن نجاح احدى الغارات أو غيرها كان متوقفاً على الأحوال الداخلية عند الفريقيين المتنازعين، ولقد ترددت أصداء هذه الحروب في النشاط البحري والبري، ومن المهم أن نلاحظ أن المنطقة التي كانت تجري فيها الحروب بين الطرفين في هذه الفترات محصورة في الثغور الإسلامية والأراضي البيزنطية، ولم يحدث أن هاجم البيزنطيون الأراضي الإسلامية الداخلية أو اجتازوا منطقة الثغور، وبالتالي فقد كانت خسائر البيزنطيين المادية أكثر من خسائر القبائل العربية.

4- أن العلاقات بين القبائل العربية والبيزنطيين، لم تكن علاقات عدائية دائماً، بل تخلل ذلك فترات سلمية تبادل فيها الطرفان الأسرى، وساهم البيزنطيون أحياناً في الحركة العمرانية الإسلامية، كما كانت التجارة نشطة بينهما.

الهوامش

(١) الثغر: كل موضع قريب من أرض العدو ، وهي تقع على تقاطع أو في مدخل الممرات الجبلية بالقرب من أرض المسلمين ، وتميز منها قسمان هما الثغور الجزرية والثغور الشامية. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت380هـ/ 990م)، صورة الأرض ، ط 2، مطبعة بريل، ليدن، 1928م، ص190-191 ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، بيروت، 1956م ، ج2 ، ص80.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت 310هـ/ 922م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة، 1966م ، ج10 ، ص147 ؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت 774هـ /1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، بيروت، ١٩٨٧م، ج11، ص120 ؛ سليمان ، احمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنيين الثالث والسادس الهجري / التاسع والثاني عشر الميلادي ، القاهرة ، 1987م ، ج1 ، ص70.

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٩٩٨م، ج8، ص169 .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج8 ، ص235 .

(٥) السامر، فيصل، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، بغداد، 1970م، ج2، ص156.

(٦) حصن زياد: يقع في أرمينية ويعرف اليوم بفرتبرت بين آمد وملطية .البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت 793هـ/ 1390م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط 1، دار أحياء الكتب العربية، 1954م، ج1، ص407.

(٧) سليمان ، المسلمون، ج1 ، ص75 .

(٨) سليمان ، المسلمون، ج 1 ، ص81 ؛ السامر، الدولة الحمدانية ، ج 2 ، ص154-155.

(٩) سليمان ، المسلمون، ج1 ، ص81.

(١٠) ابن الأثير، الكامل ، ج 8، ص357 ؛ الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت458هـ /1066م)، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، حققه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م ، ج7 ، ص 2 .

(*) أرزن: مدينة مشهورة من مدن أرمينية قديمة البناء، بينها وبين خلاط موضع يسمى جمن، به عين يفور الماء منها فوراناً شديداً، يسمع صوته من بعيد، فاذا دنا الحيوان منها يموت في الحال، وبها عين الفرات وهي عين مباركة مشهورة، زعموا ان من اغتسل بمائها في الربيع يأمن من أمراض السنة. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 555هـ/ 1160م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص202.

(١١) السامر، الدولة الحمدانية، ج 2، ص155-156؛ سليمان، المسلمون،ج 1، ص81-87.

(١٢) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت 521 هـ/1127م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان ،ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1959م ، ص372 .

(١٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مج 16، ص102 .

(١٤) أبو فراس ، ديوان أبي فراس ، تحقيق: سامي الدهان ، ج1، ص142 .

(١٥) سليمان، المسلمون، ج1، ص85.

(١٦) أختلف المؤرخون العرب في اسم ذلك الدرب، فذكر ابن العديم انه درب الجزرات، وذكر ابن ظافر انه يعرف بمقطعة الايفار، وذكر الإنطاكي انه يعرف بمقطع الايفار او الاظفار والمسمى بدرب الكيكرون بناحية الحدث، أما المتنبي وكان مرافقاً للحملة فذكر انه عقيه تعرف بمقطعة الاثفار. ابن العديم ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت 660هـ/1261م)، زبدة حلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، 1951م ، ج1، ص121 ؛ ابن ظافر، جمال الدين علي الاسدي، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، القاهرة، 1972م ، ص221 ؛ الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ج1، ص112.

(١٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج1 ، ص121 .

(١٨) الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايمار (ت 748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر ، تحقيق: صلاح الدين منجد ، الكويت ، 1963م، مج 16 ، ص114.

(*) رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسمياط قرب الفرات معدودة ضمن العواصم، وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزالة فأعاد سيف الدولة ابا فراس بن حمدان أعمارها في سبعة وثلاثين يوماً . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص51.

(١٩) أبو فراس ، ديوان، ج1 ، ص139 .

(٢٠) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص122 .

(*) ثغر الحدث: وهو من الثغور المعروفة بالجزرية يقع على حدود الشام، بناه سيف الدولة بعد ان اسلموه اهلها الامان عن الروم ومنازلة ابن الفقاس اياه وهزمه لابن الفقاس. ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص59 .

(٢١) ابو فراس ، ديوان، ج1 ، ص145 .

(٢٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص113 .

(٢٣) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص113-114 .

(٢٤) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص114 .

(٢٥) سليمان ، المسلمون ، ج1 ، ص145 .

(٢٦) الإنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٢٧) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص126-127 .

(٢٨) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٢٩) الذهبي ، العبر ، ج2 ، ص266 .

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج6 ، ص351 .

(٣١) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٣٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٣٣) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114-115 .

(٣٤) الأنطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج 1، ص116 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب، ج 1، ص129

(٣٥) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص116 .

(٣٦) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص129-130 .

(*) هنزيط: من الثغور الرومية. البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص1355 .

(٣٧) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة ، ص315 .

(٣٨) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص153 .

(٣٩) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص153 .

(٤٠) مسكويه، ابو علي احمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: كسرويه حسن، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2002م ، ج6، ص190.

(٤١) ابن الجوزي، المنتظم ، ج7، ص7 .

(٤٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص118 .

(٤٣) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص118 .

(٤٤) قدر بعض المؤرخين المسلمين عدد جيش نقفور بمائتي ألف رجل . مسكويه ، تجارب الأمم ، ج 6، ص193 ؛ ابن الاثير ، الكامل، ج 7، ص3,2 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب، ج1، ص133 .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج7، ص7 .

(٤٦) ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص7 ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج 6، ص198 ، 199 .

(٤٧) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج 1، ص121، 122 ؛ ابن العديم، زبدة ، ج 1، ص141.

(٤٨) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص141 .

(٤٩) الانطاكي ، تاريخ ، ج1، ص122.

(٥٠) الهمداني ، تكملة ، ص402 .

(٥١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج 6، ص202 ؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج 1، ص122.

(٥٢) مسكويه، تجارب الامم ، ج 6، ص202 ؛ الأنطاكي، تاريخ الانطاكي، ج 1، ص122.

(٥٣) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج 1، ص122–123 . وقدر بعض المؤرخين عدد الاسرى الذين سباهم نقفور من المصيصة بمائتي ألف. الهمداني ، تكملة، ص403 ؛ مسكويه، تجارب الامم، ج6، ص211 .

(٥٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مج 16 ، ص132 .

(٥٥) ذكر ابن العديم أن وفداً خرجت من طرسوس الى مصر والعراق لطلب النجدة غير انهم لم يحصوا على المساعدة . ابن العديم ، بغية الطلب ، ج 2، ورقة 278–280.

(٥٦) (68) سليمان ، المسلمون ، ج 1، ص161. الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج 1، ص123 .

(٥٧) مسكويه ، تجارب الامم ، ج6، ص211 .

(٥٨) رستم ، أسد، الروم ، بيروت، 1955م، ج2، ص41 .

(*) رشيق النسيمي: هو والي انطاكية ملك حلب دون القلعة وكسر عسكر قرعويه الحاجب وحاصر القلعة فقتل وهو يحاصر القلعة، وعاد قرعويه ملك حلب وملك انطاكية دزبر فكسر قرعويه وانهزم الى حلب وتبعه دزبر فملك البلد وحصره بالقلعة وملكها وتسلمها منه، وسار اليه سيف الدولة وخرج اليه دزبر فلتقيا على نهر السبعين فانهزم دزبر واسره سيف الدولة ووزيره ابا علي الاهوازي. ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص24 .

(٥٩) الذهبي ، تاريخ، مج 16، ص125 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص148 .

(٦٠) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص126 .

(٦١) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص126، 127 .

(٦٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص127 .

(٦٣) وأدى بطنان: من ضواحي حلب على الطريق الى منبج . كنار، ماريوس ، نخب تاريخة وأدبية ، ص196، هامش رقم 3 .

(٦٤) كانت أنطاكية قد عادت إلى ولائها لسيف الدولة بعد مقتل رشيق النسيمي وخليفته ابن الاهوازى في الحرب ضد قرعويه حاجب سيف الدولة وقد عين سيف الدولة وغلامه تقي الدين والياً على أنطاكية. الأنطاكي، تاريخ، ج 1، ص123، 124-126 .

(٦٥) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص164 ؛ الهمداني ، تكملة ، ص412 .

(٦٦) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص164 .

(٦٧) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/1405م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تعليق: تركي فرحان مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان ١٩٩٩م ، ج4، ص527 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص271.

(٦٨) العيارين: تكتل ظهر من الطبقة العامة بزيادة الفوارق الطبقية، وسوء وضعهم المعاشي وانتشار الفوضى السياسية، وكان ظهورهم في أواخر القرن الثاني للهجرة، وكانوا في بداية أمرهم عصابات تقوم بنهب وسرقة بيوت الأغنياء ، وبعد زيادة عددهم أصبح لهم تنظيم خاص، فكانت لهم ألقاب منها المتقدم والامير ، وأصبحت لهم مراسيم خاصة عند قبول الاعضاء الجدد، وكان الفتي لايكذب ولايزني ويحافظ على النساء ويرفق بالضعفاء والفقراء. اليوزبكي، توفيق سلطان، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية من (132-447هـ)، طبع جامعة الموصل، 1976م ، ص227-228 .

(٦٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 271-272 .

(٧٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 271-272 .

(٧١) الدمستق : منصب عسكري كبير عند البيزنطيين، وخاصة في القرن العاشر الميلادي، حيث كان الدمستق ينوب عن الامبراطور في القيادة العامة للجيوش ضد المسلمين . السامر، الدولة الحمدانية ، ج2 ، ص123 .

(٧٢) اليوزبكي ، الوزارة ، ص210-220 .

(٧٣) آمد: مدينة قديمة كانت تعرف باسم نيكرانوسيرت، وهي قصبة ديار بكر وتعرف اليوم باسم (ديار بكر) من الاراضي التركية، بنيت من الحجارة السوداء، تقع على نهر دجلة وتشكل في بنائها هلالاً حول دجلة، تكثر فيها العيون والينابيع والابار والبساتين، وتكثر فيعا الشعاب والوديان، ويشير أبن حوقل الى أهمية تحصيناتها في الدفاع عن المدينة بشكل عام. ابن حوقل ، صورة الأرض، ص201 ؛ ياقوت، معجم البلدان ، ج1، ص56-57 .

(٧٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص 211 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص326 ؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص273 ؛ ابن خلدون، العبر، م4، ص528 .

(٧٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص312 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص13 .

(٧٦) الرهاوي، تاريخ ، ج2، ص133 .

(٧٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص312.

(٧٨) الدويهي، أسطفان، تاريخ الازمنة، تحقيق: الأباتي بطرس فهد، بيروت، 1976م، ص68.

(٧٩) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص 211 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي التركي (ت654هـ / 1256م)،مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، عنى ببشره وراجعه وقابل أصوله

وعلق عليه:علي سويم، الجمعية التاريخية، أنقرة، ١٩٦٨م، ص177 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص273 .

(٨٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص273.

(٨١) مسكويه، تجارب الأمم ، ج 2، ص312 ؛ ابن العبري، ابو الفرج غريغوديوس بن هارون الملطي (ت 685هـ/ 1286م)، تاريخ الدول السرياني ، تحقيق: إسحاق ارملة ، بحث منشور في مجلة المشرق سنة 1952م، ص67 ؛ الهمذاني، تكملة، ص 211 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 177 ؛ أبو الفداء، تكملة، ج 1، ص453 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 169 ؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت740هـ/ 1348م)، تاريخ ابن الوردي، النجف، 1960م، ج1، ص413 ؛ ابن خلدون، العبر، م4، ص528 .

(٨٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص211 .

(٨٣) سبط أبن الجوزي، مرآة ، ص177 .

(٨٤) الصابئ، المختار، ص72 .

(٨٥) سبط أبن الجوزي، مرآة، ص177 .

(86) Matthieu, d , Eessa in R.H.C. D. Arm, ,Vol.1, pp. 7-8 .

(٨٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص56 .

(٨٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص312 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص177 .

(٨٩) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 169 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص273 ؛ ابن خلدون، العبر، مج4، ص528 .

العلاقات السياسية للقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية مع البيزنطيين
مجلة آداب الفراهيدي
أ.د. طلب صبار محل
م.م. انتصار نصيف شاكر
العــدد (11) حزيران 2012

(٩٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص312 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ ابن خلدون، العبر، م4، ص528 ؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص68 .

(91) Matthieu d, Edessa in R.H.C-D. Arm, Vol.1, p.8.

(92) Matthieu d, Edessa in R.H.C-D. Arm, Vol.1, p.8.

(٩٣) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ الانطاكي، تاريخ، ص 149 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص273 ؛ ابن خلدون، العبر، م 4، ص528 ؛ الدويهي، تاريخ الازمنة، ص68 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص177 .

(94) Matthieu d, Edessa in R.H.C-D. Arm, Vol.1, p.8.

(٩٥) مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص312 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص336 .

(٩٦) الصابئ، المختار، ص72-73 .

(*) ابن البلنطس: نائب الدمستق في قيادة الجيش. الصابئ، المختار، ص73.

(٩٧) البطريق: قائد عسكري روماني يتولى قيادة عشرة آلاف رجل، وعددهم في الامبراطورية البيزنطية اثنا عشر بطريقاً، ستة منهم تحت امرة الامبراطور، وستة يتم توزيعهم مع جندهم في كور الامبراطورية، ويعرف كبير البطارقة باسم الدمستق. الخوارزمي، ابو عبدالله محمد سبن احمد بن يوسف ، مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993م، ص158 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص320.

(٩٨) الزواورة: يقال هذا زوير القوم أي رئيسهم، والزوير زعيم القوم وآمرهم وبأيديه رجال لا هوادة بينهم يسوقون للموت. ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص333-338 ، ولعل الزواورة هم وجهاء الدولة البيزنطية وأسيادهم وأصحاب الرأي والمشورة الذين كانوا برفقة الدمستق .

(٩٩) الاراخنة: مفردها ارخن، وهو الشخص المسؤول في مجتمعه، وله مكانة ومركز سياسي واجتماعي وعلمي، ومع أنه لم يحصل على أي رتبة كنسية الا أن له دراية في الامور الكنسية واللاهوت والكتاب المقدس، لدرجة أن أهميته يمكن ان توصله الى مرتبة بطريرك ولكن من غير تتويج، ولذلك كان يعتمد عليه في تقديم المشورة والنصح لاصحاب الرتب العسكرية والدنية. مقالة في نادي الفكر العربي.

(١٠٠) الطراخنة: مفردها طرخان، الرجل الشريف ذو مكانة اجتماعية رفيعة بلغة أهل خرسان، ويأتي تحت أمرة البطريق ويتولى قيادة خمسة الاف رجل. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711هـ / 1311م)، لسان العرب، تح : عبدالله علي الكبير واخرون ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت، ج3، ص38 ؛ الخوارزمي ابو عبدالله محمد سبن احمد بن يوسف (ت 387هـ / 997م)، مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993م ، ص152-153 .

(١٠١) الصابئ، المختار، ص73 .

(١٠٢) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي، ص151؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص330 .

(١٠٣) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص149 .

(١٠٤) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص149 ؛ الصابئ، المختار، ص74 .

(١٠٥) الصابئ ، المختار، ص74 .

(١٠٦) الصابئ، المختار، ص74 .

(١٠٧) الصابئ، المختار، ص74 .

(١٠٨) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص67 ؛ الهمذاني، تكملة، ص211 .

(١٠٩) الهمذاني، تكملة، ص211 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص177 .

(١١٠) الصابئ، المختار، ص74 .

(١١١) مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص314 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة ، ص177.

(112) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.p.1

(113) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(114) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(115) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(116) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(١١٧) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312-313 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص67 .

(١١٨) مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص312 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص 177 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص67 .

(١١٩) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ الهمذاني، تكملة، ص 211 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 67 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 169 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص177 .

(١٢٠) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي، ص 149 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 169 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ ابن خلدون، العبر، م 4، ص528 ؛ الدويهي، تاريخ، ص68.

(121) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(122) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(١٢٣) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي، ص148-149 .

(124) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(125) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(١٢٦) سليمان ، المسلمون، ج1، ص165 .

(١٢٧) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص156–157 .

(١٢٨) كان الإمبراطور نقفور قد رفض سداد الجزية للملك البلغاري وفقاً لاتفاقية سنة 927م، اذ أن نقفور اعتبر الإمبراطورية في مرتبة أعلى بعد الانتصارات التي أحرزها على المسلمين في كريت وقبرص وقيليقيا، وقد أغرى نقفور الروس لمهاجمة البلغار من الخلف حتى تم القضاء على التهديد البلغاري.سليمان ، المسلمون، ج1، ص156.

(١٢٩) الأنطاكي ، تاريخ ، ج1، ص130–131 .

(١٣٠) الأنطاكي ، تاريخ، ج1، ص131 .

(١٣١) الأنطاكي ، تاريخ ، ج1 ، ص130–131 .

(١٣٢) الأنطاكي ، تاريخ، ج1، ص131 .

(١٣٣) سليمان ، المسلمون ، ج1 ، ص 166 .

(١٣٤) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص160–161 .

(١٣٥) الإنطاكي ، تاريخ ، ج1، ص133–134 .

(١٣٦) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص162 .

(١٣٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص36–37 .

(١٣٨) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص163 .

(١٣٩) الانطاكي ، تاريخ ، ج1 ، ص134 .

(١٤٠) البلاد الداخلة في هذه الهدنة بالإضافة الى حلب هي: حمص، جوسيه، سلمية، حماه، شيزر، كفر طاب، أفامية، معرة النعمان، جبل السماق، معرة مصرين، قنسرين، الاثارب، ارحاب، باسوفان، كيمار، برصايا، المرج الذي

هو قريب من اعزار، ويميل حد البلاد إلى الشرق حتى تل حامد والى يمين الساجور الى أن يختلط بالفرات. ابن العديم، زبدة، ج1 ، ص163–165 .

(١٤١) ابن العديم ، زبدة، ج1 ، ص163–169 .

(١٤٢) سليمان ، المسلمون ، ج1 ، ص168 .

(١٤٣) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص169 .

(١٤٤) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص87–90 .

(١٤٥) الهمداني ، تكملة ، ص420 .

(١٤٦) ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد القيم (ت555هـ /1160م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق:سهيل زكار، ط ١، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣م ،ذيل، ص27.

(١٤٧) ابن ألقلانسي ، ذيل، ص27–28 .

(١٤٨) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي ، ج1، ص157 .

(*) باب اليهود: سمي بذلك لان محال اليهود من داخله، ومقابرهم من خارجه، وهذا الباب غيره السلطان الملك الظاهر رحمه الله، وكان عليه بابان، ويخرج منهما الى باشورة يخرج منها إلى ظاهر المدينة، فهدمه وجعل عليه أربعة ابواب كل بابين بدركاة على حدة، يسلك من احدى الدركاتين الى الاخرى في قبو عظيم محكم البناء، وجعل عليه ابراجاً عالية محكمة البناء، وسمي الباب بباب النصر. ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص6 .

(١٤٩) الأنطاكي، تاريخ الإنطاكي، ج 1، ص163؛ ابن العديم، زبدة، ج 1، ص173–174.

(١٥٠) الإنطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص163 ؛ ابن ألقلانسي ، ذيل، ص 28–29 .

(١٥١) الإنطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص164 .

(١٥٢) ابن ألقلانسي، ذيل، ص29.

(١٥٣) ابن القلانسي، ذيل، ص29 .

(١٥٤) ابن القلانسي، ذيل، ص29 ؛ ابن ظافر، أخبار، ورقة 18.

(١٥٥) الروذراوي ، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت 488هـ/1095م)، ذيل كتاب تجارب الأمم ، تصحيح: آمدروز ، القاهرة ، 1916م، ص210

(١٥٦) ابن القلانسي ، ذيل، ص 33-34 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج 1، ص185-186 .

(١٥٧) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص175 .

(١٥٨) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص209-210 .

(١٥٩) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص211-215 ، ج2، ص245-248 .

(*) الاقحوانة: وهي معركة حدثت على نهر الاردن بين التحالف العربي المكون من الكلبيين والطائيين والكلابيين وبين الفاطميين سنة 420هـ/1029مك بقيادة انوشتكين الدزيرى، انتصر فيها انوشتكين على صالح وحلفائه فقتل صالح وابنه الاصغر ونجا ولده الاكبر شبل الدولة، فدخل الدزيرى الى دمشق واحتل فلسطين وهرب حسان بن المكفرج الطائي الى البيزنطيين. ابن الاثير، الكامل، ج 09، ص231 ؛ أمينة البيطار، موقف امراء العرب في الشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دمشق، 1980م، ص258 .

(١٦٠) ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص231 .

(١٦١) ابن العديم، زبدة، ج 1، ص237 ، قيبار : حصن بين أنطاكية والثغور وهو حصن منيع ومشهور. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص211 .

(١٦٢) قطبان : حاكم مقاطعة . ابن العديم ، زبدة، ج1، ص237 .

(١٦٣) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص237 .

(*) قيبار: حصن تابع لحلب بين أنطاكية والثغور وهو حصن منيع ومشهور. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص211 .

(١٦٤) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص237 .

(١٦٥) ابن القلانسي، ذيل، ص75.

(١٦٦) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص237 .

(١٦٧) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص237 .

(١٦٨) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٦٩) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٠) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص238 .

(١٧١) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٢) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٣) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٤) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص278 .

(١٧٥) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٦) حي الجلوم: حي مشهور ما يزال يعرف بهذا الاسم في حلب، وهو يقع في القسم الغربي من حلب في جنوب باب أنطاكية. ابن العديم، زبدة ، ج 1، ص238.

(١٧٧) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص238 .

(١٧٨) وكان قبله باسيل الذي هلك في سنة 415هـ/1024م ، وتولى بعده أرمانوس . ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238-239 .

(١٧٩) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨٠) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨١) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨٢) تزوج البطريق (أرمانوس) أو (رومانوس) من احدى بنات قسطنطين، والغالب هي ((تدورا)) التي كانت لها صلاتها مع ثمال بن صالح بن مرداس ثالث أمراء الدولة المرداسية. ابن العديم، زبدة، ج1، ص239 .

(١٨٣) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨٤) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص239 ؛ ابن القلانسي، ذيل، ص75 حاشية ؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص231 .

(١٨٥) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص240 .

(١٨٦) الابخاز: قوم من أرمينية ولهم مدينة بأسمهم . ابن العديم زبدة، ج 1، ص240؛ الاصطخري، أبو اسحق ابراهيم بن محمد (ت 346هـ/ 957م)، المسالك والممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العان، القاهرة، 1061م، ص191 .

(١٨٧) الخزر: اسم لهذا الجنس من الناس، وأما المدينة تسمى اتل سميت بأسم النهر الذي يجري اليها الى بحر الخزر. الاصطخري،المسالك ، ص191 .

(١٨٨) واهم طائفة من الاتراك انقطعوا عن بلادهم فصاروا فيما بين الخوز والروم، يقال لهم البجناكية . الاصطخري، المسالك، ص10 ؛ ابن العديم، زبدة، ج 1، ص240 .

(١٨٩) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص240 .

(*) جبل برصايا: هو هضبة في الشمال الغربي تشرف على عزاز تابعة لها في موضع بعيد عن الماء. ابن العديم، زبدة ، ج1، ص240 .

(١٩٠) ابن العديم، زبدة، ج1، ص240 .

(١٩١) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٢) يحيى بن سعيد ، تاريخ، ص250 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص241.

(١٩٣) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٤) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٥) ابن العديم، زبدة، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير، الكامل ، ج9، ص404 .

(١٩٦) ابن الاثير، الكامل، ج 9، ص404 ؛ ابن العديم، زبدة، ج 1، ص241 ؛ ابن القلانسي، ذيل، ص75 حاشية .

(١٩٧) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٨) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص405.

(١٩٩) ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص404 .

(٢٠٠) ابن العديم، زبدة، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص405 .

(٢٠١) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص243 .

(٢٠٢) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص404 .

(٢٠٣) المقثأة : موضع القثاء وهو نوع من الفاكهة يشبه الخيار، حاشية ابن العديم، زبدة، ج1، ص241 .

(٢٠٤) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(٢٠٥) المنجنيق: آلة حربية تستعمل لرمي الحجر والنيران على الأعداء وهي يونانية.

(٢٠٦) العردات: الة حربية تستعمل لرمي الحجارة .

(٢٠٧) التراس: جمع ترس وهي صفيحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف .

(٢٠٨) ابن العديم، زبدة، ج1، ص243 .

(٢٠٩) احتجز شبل الدولة نصر رسول امبراطور بيزنطة لضمان عودة رسول شبل الدولة أرمانوس ومعرفة رأيه في الهدنة وحسن الجوار. يحيى بن سعيد ، تاريخ، ص254 .

(٢١٠) ابن العديم، زبدة، ج1، ص245 .

(٢١١) قيبار: حصن تابع لحلب بين أنطاكية والثغور وهو حصن منيع مشهور . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4، ص211 .

(٢١٢) رفنيه: مدينة أسلامية كثيرة الخيرات يتمون منها أهل الحصون الاسلامية الحبوب ليتقون بها على قتال الروم، فقصدها قطبان أنطاكية ليمنع الجيوش الاسلامية من التمون من هذه المدينة، فهجم على المدينة وفتح أبراجها ثم هدمها وعددها ستة أبراج وسكانها يزيد عن عشرة الآف إنسان من المسلمين . يحيى بن سعيد، تاريخ ، ص257 .

(٢١٣) المنيقة: حصن قوي يحتمي به المسلمون عند هجوم الروم. ابن العديم، زبدة، ج1، ص246 .

(٢١٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ، ص260 .

(٢١٥) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص247 .

(٢١٦) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص247 .

(٢١٧) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص247 .

(٢١٨) ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص404 .

(٢١٩) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص247 .

(٢٢٠) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص164 .

(٢٢١) ابن القلانسي ، ذيل، ص106 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج 10 ، ص60 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص14 .

(٢٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص60 .

(٢٢٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص100 .

(٢٢٤) ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص15 .

(٢٢٥) ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص15.

(٢٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج10، ص65 .

(٢٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص66 .

(٢٢٨) ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص29 .

التأثيرات الاقتصادية والطائفية والحزبية في الأوضاع الداخلية اللبنانية 1970-1975

أ. م. د. معد صابر رجب

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

تميز لبنان منذ تأسيسه عام 1920 بخصائص عديدة ميزته عن بقية البلدان العربية ، فموقعه الجغرافي جعل منه طريقاً مفضلاً من قبل الغرب للمرور نحو الداخل العربي ، كما أسهم هذا الموقع بتميزه عن جيرانه من الناحية التجارية والاقتصادية، إذ شهد لبنان مؤشرات التحول الصناعي في المنطقة .

اختلف لبنان عن بقية البلدان العربية ولا سيما على مستوى التركيب الاجتماعي – الطائفي – وبالتالي السياسي فمن خلال تشكيله كان ملجأ لعدد من الطوائف الدينية ، مما اضطره دوماً إلى ممارسته تجربة العيش المشترك .وشكل التنوع الديني في المجتمع اللبناني مصدراً للتمايز والخصوصيات فاثر هذا على طبيعة نظامه السياسي فيما بعد .

تواصل هذا التأثير ليس فقط خلال مدة الانتداب الفرنسي (1920 – 1943) بل حتى بعد الاستقلال ، إذ نظمت الحياة السياسية فيه على أساس ميثاق عام 1943 والذي وضع كاتفاق ضمني بين الوجهاء السياسيين للتوازن السياسي – الطائفي– للرئاسات الثلاث (رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء ، رئيس مجلس النواب) .

شهدت انتخاب الرئيس اللبناني سليمان فرنجية(1970–1976) والذي عد انتخابه انتصاراً للحرية والديمقراطية في لبنان من خلال التغييرات التي أجراها في الإدارة الحكومية وفي المؤسسات العسكرية . في الوقت ذاته انعكست تلك التغييرات على الأوضاع الداخلية التي لم يعرفها لبنان من قبل ، ومن أهمها بروز التبعية السياسية لمؤسسات المجتمع المدني لا سيما الأحزاب السياسية والاتحادات العمالية وطلاب الجامعات كما انعكس هذا التغيير على المؤسسات العسكرية إذ ترك أثرا سلبياً على معنويات الجيش وعلى فاعلية أجهزتها الاستخبارية في الوقت ذاته اتساع قاعدة الوجود الفلسطيني في لبنان مما جعل الصراع واضحاً بين طوائف المجتمع اللبناني حول هذا الوجود .

أوضاع لبنان الاقتصادية وانعكاساتها على الأوضاع الداخلية:

أكد الرئيس سليمان فرنجية إثناء أدائه القسم في الثالث والعشرين من أيلول 1970، احترامه للمواثيق الدولية، ووفيا لالتزامات لبنان تجاه جامعة الدول العربية. ((الذي تجعله قويا بتعاونه مع الدول الصديقة ولاسيما البلاد العربية على أساس الاحترام المتبادل))[1].

اتجه تفكير الرئيس سليمان فرنجية بان يبدأ عهده بمحاولات اصلاحيه من خلال التغيير نحو الأفضل بالطرق المنهجية والعلمية والتخطيط في كافة المجالات[2]، من هذا المبدأ انطلق عهده بتكليف صائب سلام [3] بتشكيل الوزارة [4]. التي ضمت مجموعة من الشباب ذوي الاختصاصات والكفاءات حتى أطلق عليها تسمية(حكومة الشباب)[5].

أكد البيان الوزاري أمام مجلس النواب على التخطيط المتكامل للمستقبل اللبناني وتحسين المستوى ألمعاشي للمواطنين وتوسيع القاعدة الاقتصادية وتوفير الخدمات الاجتماعية والصحية ومراجعة برامج التربية والتعليم[6].

أقدم الرئيس سليمان فرنجية يوم الثامن من كانون الأول 1970 إلى إجراء عملية إقصاء واسعة في صفوف ضباط الجيش المحسوبين على عهدي الرئيسين فؤاد شهاب(1958–1964) وشارل حلو(1964–1970) وفي مقدمتهم رئيس المكتب الثاني غابي لحود [7]، الذي اتهمه رئيس الوزراء صائب سلام بوضع أجهزة تنصت على خطوط الهاتف[8].

وتم اعتقال بعض ضباط المكتب الثاني ومن ثم حوكموا بتهم مختلفة، شملت المس بالحريات العامة وانتهاك القوانين العسكرية وتبذير الأموال العائدة إلى المؤسسات العسكرية [9]. فانعكس هذا الأمر سلبا على أوضاع الجيش بصورة عامة،وعلى فاعلية الأجهزة الأمنية والمخابرات بصورة خاصة.

مهما تكن إجراءات رئيس الجمهورية، إذ بدا عجز أعضاء الحكومة واضحا ولكن بدرجات متفاوتة عن وضع السياسة الإصلاحية موضع التنفيذ، فجاءت استقالة[10] وزير التربية والتعليم غسان تويني اثر خلاف بينه من جهة وبين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء من جهة ثانية حول إطلاقه سياسة تربوية جديدة من خلال تعديل المناهج وإلغاء الامتحان المركزي(البكالوريا) فضلاً عن إلغاء معادلة الشهادات السورية والمصرية بالشهادة اللبنانية الذي جوبه ذلك بالاحتجاجات والاضطرابات من لدن الطلبة [11]. ثم تبعه بالاستقالة وزير الصحة إميل بيطار الذي اصطدم مع محتكري استيراد الأدوية ولم يستطع وضع حدٍ لهذا الاحتكار [12].بعدما رفضت الحكومة تبني مشروع قرار كان قد قدمه يقضي بسحب تراخيص استيراد الأدوية من أصحاب المستودعات التي تحجب الأدوية عن السوق [13]. إما وزير المالية الياس سابا، قد عانى من خيبة أمل كبيرة عندما اصطدمت محاولته هو أيضا إصلاح النظام الضريبي بمعارضه قوية، قادها رجال الإعمال وأصحاب المصالح التجارية[14].

أمام كل هذا دعا الرئيس سليمان فرنجية إلى الصمود إمام التحولات والصراعات الداخلية والخارجية العربية والدولية من إن تلقى بثقلها وانعكاساتها السلبية على الوضع الداخلي اللبناني[15].

كانت الآراء والتحليلات التي تناولت أوضاع لبنان الاقتصادية خلال حقبة السبعينات متباينة ومختلفة. فهناك من يؤكد تمتع لبنان بنمو اقتصادي جيد، وبوضع مالي سليم في النظام المالي العالمي وبنسبة تضخم منخفضة شملت معظم مدة النصف الأول من السبعينات وبنسبة بطالة منخفضة وخدمات جيدة وبنظام خدمات تعليمية متطورة لذا انعكس هذا الأمر ايجابياً على استقرار الأوضاع السياسية في البلاد خلال هذه المدة [16].في الوقت ذاته هناك اتفاق على ان التنمية الاقتصادية كانت غير كافية وغير متوازنة وكان لها انعكاسات وتأثيرات سلبية على المجتمع[17].

اعتمد الاقتصاد اللبناني على خمسة أعمدة رئيسة تؤلف بمجموعها التكامل الاقتصادي اللبناني بحيث إذا أصيب احدها بصدع أو خلل اثر على الآخر وهددهُ بالتوقف والتعطيل[18]. وهذهِ الأعمدة هي التجارة والزراعة والصناعة والسياحة وقطاع المصارف.

أولا : التجارة

عُرفَ لبنان منذ القدم بنشاطه التجاري الممتد إلى أكثر بلدان البحر المتوسط، كحلقة وصل تجارية بين المشرق والمغرب بغية المتاجرة والكسب إذ جعل العامل الجغرافي من لبنان ممراً بين القارات وبين الدول المنتجة للنفط والدول المستهلكة لهُ. فالتجارة بجميع فروعها الأساس الاقتصادي للبنان والتي تؤدي دوراً رئيساً في دعم الدخل القومي بنسبة (30–35%) [19].

الدور المؤثر الذي أدته التجارة في الحياة الاقتصادية للبنان كانت له انعكاسات مهمة، نلاحظ من بينها الانفتاح الكبير على السوق العالمية والتوجه

الاقتصادي نحو الخارج مما انعكس بالتالي إلى التبعية المتزايدة أكثر فأكثر للبلد حيال السوق العالمي وهذا أدى إلى تطور اقتصادي مختلف، أي تطور أكثر توازن على الذات وعلى الدخل، فضلا عن ذلك فان أكثر من (70%) من الواردات اللبنانية تأتي من البلاد الأوربية في النصف الأول من السبعينات [20] .كما هو موضح في الجدول رقم(1).

جدول رقم (1)

قيمة الواردات من الدول الكبرى للأعوام 1973–1975

الدول	قيمة الواردات بملايين الدولارات			
	1973	1974	1975	المجموع
الولايات المتحدة	13	24	38	75
فرنسا	13	18	18	49
ألمانيا الغربية	11	17	16	44
ايطاليا	11	19	22	52
بريطانيا	9	12	15	36
المجموع	57	90	109	256

كان المنهج السياسي الذي اتبعه لبنان بموجب منهج الانفتاح على جميع البلدان من خلال عقد الاتفاقات التجارية مع الدول الغربية على السواء، كما كان للعامل التشريعي الذي كرس الحرية التجارية مزيلاً القيود على التصدير والاستيراد إلا فيما ندر، وبقدَر ما تقتضيه المحافظة على الصناعة الوطنية وحمايتها، كما شجع تشكيل الشركات وذلك بإعفائها من الضرائب في المراحل الأولى من تأسيسها، كما إن التسهيلات الكثيرة التي تقدمها المصارف التجارية من تسليفات تكون حافزاً لنمو

القطاع التجاري زد على ذلك قدوم الأموال الأجنبية وسرية المصارف السارية المفعول، ساعد على الحركة التجارية في التوظيفات والاستثمارات[21]

ونتيجة لكل هذا اختير لبنان من قبل مواطني البلاد العربية بلداً للإقامة وأصبح بفضل الحرية التي يؤمنها تشريعياً حلقة وصل ضرورية في شبكة التجارة العالمية، وبهذا احتل القطاع التجاري فيه المرتبة الأولى بين مختلف القطاعات منتجاً للدخل وتمكن اللبنانيون سنة بعد أخرى من جني أرباح من العمليات التجارية التي ازدادت نسبتها في الدخل الوطني . إذ تشكل تجارة (الترانزيت) [22] التي تَمُر في لبنان خاصة، مورداً من موارد الدخل الوطني، وقد ساعدت على نمو تجارة (الترانزيت) وإعادة التصدير التسهيلات المتوافرة في مرافئ بيروت بما في ذلك وجود منطقة كمركية حرة، إذ بلغت مجموع تجارة(الترانزيت) وتجارة إعادة التصدير للأعوام 1970–1973 (6,4 07,584) [23] مليون ليرة لبنانية.كماهو موضح في الجدول رقم(2).

جدول رقم (2)

تجارة الترانزيت بملايين الليرات اللبنانية

السنة	تجارة الترانزيت	تجارة أعادة التصدير	المجموع
1970	1,272,105	2,731	1,274,836
1971	2,429,687	3,350	2,433,037
1972	1,350,430	3,145	1,353,575
1973	1,345,294	0,842	1,346,136
المجموع	6,397,516	10068	6,407,584

يمكن القول إن السمة البارزة في بنية النظام الاقتصادي اللبناني هو ميله نحو قطاع التجارة والنجاح الذي حققهُ بسبب مبدأ حرية المبادلات مع الخارج وتسهيلها،والغاء قيود الرقابة على الاستيراد والتصدير الا فيما ندر حماية للصناعة الوطنية.

ثانياً: الزراعة

تعد الزراعة المرفق الثاني في لبنان بعد التجارة، إذ تشكل احد أهم أعمدة القطاعات الأساسية في الاقتصاد اللبناني [24]، إذ يرتبط إنماء البلاد الاقتصادي والاجتماعي ارتباطاً وثيقاً بإنماء القطاع الزراعي الذي يعدّ المورد الوحيد للمواد الأولية المصنعة غير المستوردة، على الرغم من السياسة الإنمائية التي انتهجتها الحكومة اللبنانية في بداية السبعينات والتي تهدف إلى إنماء وتطوير القطاع الزراعي وزيادة حجمه وقيمته الإنتاجية انخفضت حصتها من إجمالي الناتج المحلي حتى وصلت إلى اقل من (9%) عام 1974[25].وذلك لأسباب عديدة من بينها عدم الاهتمام بمشاريع الري والتي تعد الحجر الأساس لزيادة الإنتاج الزراعي ، ومن بين هذه المشاريع مشروع ري سهل البقاع واستغلال نهر الليطاني [26]،إذ واجهت الحكومة صعوبات وعقبات فنية ومالية وإدارية حالت دون تنفيذ هذا المشروع،ومن أهم الإخفاقات هي إنفاق ملايين الليرات لوضع دراسات للمشروع[27]،واستخدام العديد من الخبراء الأجانب ومنحهم الرواتب مع العلم إن هناك من الفنيين والمهندسين اللبنانيين الذين بإمكانهم عمل هذه الدراسات[28].

إن صعوبة التسليف لدى غالبية المزارعين لتحويل أعمالهم الزراعية عقدت الأمور وأدت بالتالي إلى انعكاسات سلبية على الزراعة لاسيما إن أصحاب الحيازات الصغيرة لم يلقوا الاهتمام الكافي لتمكينهم من الاستمرار في استثمار الأرض[29].

مطلع السبعينات كان لبنان يستورد أكثر من ثلثي حاجاته الغذائية الأساسية ووجد مضطراً لإخضاع أسعار البيع الداخلية لمستويات الأسعار للمنتوجات الغذائية والتي تفرضها سياسة الشركات المتعددة الجنسيات دون مراعاة مستوى تطور القوى المنتجة المحلية لمستوى دخل المواطنين اللبنانيين في مقابل انحسار الزراعة الغذائية التي كانت تشغل آلاف المزارعين اللبنانيين، انطلقت عملية التوجيه نحو الأرباح فقط من خلال التركيز على النشاطات الزراعية التي تستهدف التصدير ولا يستفيد منها سوى القلة، ومن هذه النشاطات هي زراعة الفواكه وتربية الدواجن إذ شكلت نسبة (65–70%) من مجمل الصادرات اللبنانية خلال المدة بين عامي 1970–1974[30].

إن غياب البنى التحتية الكافية لخدمة الزراعة وضعف الطاقة المحلية قد أديا في النهاية لانهيارها، وهكذا بدت الزراعة اللبنانية مطلع عام 1975 متميزة بغلبة الاستثمارات العائلية الصغيرة والتفتت وقصور السياسة الزراعية وطغيان الطابع الاحتكاري لإمدادات التجهيزات والمواد[31].

استغل التجار والمصارف وأصحاب الآلات وموزعي الأسمدة ، والتي تضافرت جميعاً على إجبار المزارعين على مغادرة الأرياف إلى المدن أو المغادرة خارج البلاد، ففي الوقت الذي كان في نهاية الخمسينات نصف سكان لبنان يعيشون على الزراعة[32].وبحلول عام 1970 شكل الريف نسبة (41%)[33]،حتى وصلت عام 1975إلى(20%) ممن يعمل في هذا القطاع [34].لاسيما في جنوب لبنان نتيجة غارات الطيران (الإسرائيلي) المتواصلة والتي جعلت شروط الحياة والعمل غير محتملة عملياً، إذ نزح منها حوالي (60–65 %) من السكان واجبروا على الهجرة للداخل بنسبة (75%) أو الهجرة إلى الخارج بنسبة (25%)[35].

ثالثاً: الصناعة

تعد الصناعة من الأعمدة المهمة للاقتصاد اللبناني لكن الصناعة اللبنانية تفتقر إلى أكثرية الصناعات الاستخراجية بسبب ندرة الموارد الطبيعية [36]. فأكثرية مؤسسات الإنتاج في لبنان هي صناعات تحويلية تبنى أما على خطة تصديرية ترتكز على تلبية حاجات ثابتة لأسواق خارجية معينة، وتعمل في الغالب داخل مناطق حرة صناعية وإما على إستراتيجية تلبية حاجات الأسواق الداخلية أولا ومن ثم تصدير الفائض وهذا الذي يميز الصناعات اللبنانية[37].

تبعية الاقتصاد اللبناني للرأسمال الغربي جعل الإنتاج الصناعي يشكو المنافسة الأجنبية على الدوام، إذ عجز القطاع الصناعي عن مزاحمة السلع الأجنبية بسبب زيادة الرسوم الجمركية على المواد الأولية التي تستثمر في الصناعة اللبنانية، وهذا ما دفع وزير المالية الياس سابا، في وزارة صائب سلام، إلى القيام بمحاولة لحماية الصناعات الوطنية، فأعد مشروعاً صادق عليه مجلس الوزراء بتاريخ الخامس عشر من أيلول 1971[38]، وهو المرسوم رقم (1943) القاضي بزيادة الرسوم الجمركية على السلع الكمالية والمستوردة من الخارج [39]. لاستعمال هذا التوفير للمشاريع الإنمائية[40] .

أثار هذا الموضوع ردود فعل سياسية واقتصادية وزيادة نقمة التجار، وامتنع كبار المستوردين عن تسليم التجار كميات من السلع التي شملها المرسوم وباشروا برفع الأسعار [41].

في المقابل رحبت جمعية الصناعيين بالمرسوم، إذ عدته انه يهدف إلى دعم الاقتصاد اللبناني [42]. وتجدر الإشارة هنا إلى إن حدة التناقضات قد اشتدت في ظل الإضراب المفتوح الذي دعت إليه جمعية تجار بيروت في العشرين من أيلول 1971[43]. بعد ان تفاعلت هذه القضية بين الأوساط السياسية ومحاولة رئيس الوزراء

للوصول إلى حل لمعالجة الاقتصاد اللبناني وتعددت الاقتراحات من قبل نواب البرلمان بين الدعوة إلى إلغائه أو الدعوة إلى تعديلهِ كلياً[44].

في ظل هذا الصراع القائم بين مختلف الفئات السياسية والاقتصادية الداعمة والرافضة للمرسوم كان من السهل على التجار أن يفرضوا هيمنتهم وسيطرتهم في ظل النظام الاقتصادي الحر وان يسعوا إلى صيانة مصلحتهم واحتكاراتهم عن طريق ممثلين في مجلس النواب ونتيجة لهذا الضغط رضخت الحكومة بعقد جلسة استثنائية لمجلس الوزراء في الثلاثين من أيلول 1971 برئاسة رئيس الجمهورية سليمان فرنجية واتخذ قراراً بإلغاء المرسوم[45].

واجهت الصناعة اللبنانية خلال تطورها بعض العقبات التي أعاقت تقدمها وارتفاعها إلى مستوى الدول المتقدمة صناعياً ، ان هذه العوائق هي عدم وجود سوق محلي لتصريف الإنتاج إذ ان السوق المحلي اللبناني يعد صغيراً بالنسبة إلى الصناعات العديدة الموجودة في لبنان[46].

هذا من جانب ومن جانب آخر عدم توفر المواد الخام التي تحتاجها الصناعات التحويلية لذلك كان اعتماد الصناعة اللبنانية على استيراد المواد الخام والمواد نصف المصنعة وبهذا يتحمل الصناعي اللبناني عبء شحن المواد الخام من الخارج مما يحملهُ أعباء مالية ضخمة وهذا يؤدي بالتالي زيادة كلفة الإنتاج [47]، في الوقت ذاتهِ ان الإنتاج الوطني لم يكن قادراً على إرضاء رغبات المواطنين إلا إذا تساوى من حيث الجودة مع السلع الأجنبية لاسيماً ان تدني جودة بعض السلع اللبنانية وعدم اهتمام بعض الصناعيين في تحسينها وعدم وجود فرق شاسع في الأسعار تجبر المستهلك على شراء السلع الوطنية[48].

يمكن القول إن ارتباط النظام الاقتصادي اللبناني الحر بشكل وثيق بالرأسمالية الغربية التي عززت التحالف بين البنى الاقتصادية والبنى السياسية جعل لبنان

يتعرض لمشكلات صعبة داخلية أثرت في قطاعه الصناعي،ثم ان عملية التصنيع في لبنان وقضية تطورِهِ مرتبطان إلى حد ما بدعم الدولة اللبنانية من خلال برجوازيته المسيطرة على الإنتاج الوطني(49) .

النمو المحقق لم يتح فعلياً في دفع البلاد على طريق التطور الاقتصادي الحقيقي، فالتطور لا يقاس فقط بمعدلات النمو أو بالاحتياطات المالية بل أيضا يشمل معايير اقتصادية واجتماعية نوعية تتعلق لاسيما بالتغيير الاجتماعي وباندماج مختلف مكونات المجتمع اللبناني المتعدد بالمشاركة الفعلية بفوائدهِ(50).

رابعاً: السياحة:

تعد السياحة من أعمدة الاقتصاد اللبناني المهمة، إذ إن طبيعة لبنان الجغرافية وما يتمتع به من ميزات ومقومات سياحية تقوم على المناظر الطبيعية والآثار التاريخية المهمة والمناخ المعتدل مما دفع الدولة اللبنانية إلى تنمية القطاع السياحي (51)، فواكب لبنان التطور السياحي العالمي قدر الإمكان حرصاً منهُ على ازدهارها ونموها غير أن هذا النشاط السياحي تعرض أحيانا لخلل فتراجع بين حين وآخر بفعل تغيير وتبدل الخطط الإنمائية السياحية تبعاً لتغيير الوزارات والمسؤولين(52).

سجل القطاع السياحي توسعاً خلال مطلع السبعينات حتى غدا يشكل إحدى المكونات الأساسية للنمو الاقتصادي، إذ شددت السلطات المختصة على جميع موظفي الأمن العام والجمارك بوجوب تسهيل دخول الوافدين وانجاز معاملاتهم بأسرع وقت ممكن واستقبالهم استقبالاً لائقاً (53).إذ ساعدت هذه التدابير من تحسين الوضع السياحي فاخذ يرتفع سنة بعد أخرى كونه عنصراً مهماً يعتمد عليه السكان والحكومة(54).

تشير الإحصاءات انه في الأعوام(1970–1972)كان عدد القادمين إلى لبنان للسياحة بتزايد مستمر لاسيما من البلاد العربية وفي مقدمتها سوريا(55).

شهدت عائدات الدولة اللبنانية من السياحة ارتفاعاً ملحوظاً عام بعد عام، فبين عامي 1970–1975 بلغت عائدات لبنان من السياحة (610) مليون ليرة لبنانية، ويدل هذا بوضوح على مدى أهمية القطاع السياحي في لبنان وتأثيره في تنمية الدخل الوطني وزيادة واردات الدولة (56) وكما هو موضح في الجدولين رقم (3) ورقم (4) .

جدول رقم (3)

عدد القادمين إلى لبنان للسياحة للسنوات 1970–1972

السنة	سوريا	الدول العربية	الدول الأجنبية
1970	863,8	534,3	288,1
1971	1,241,6	619,2	396,6
1972	1,232,9	577,2	471,0
المجموع	3,338,3	1,830,7	1,155,7

جدول رقم (4)

عائدات الدولة من القطاع السياحي بملايين الليرات اللبنانية للسنوات 1970–1974

السنة	عائدات الدولة من السياحة بملايين الليرات	النسبة المئوية لمساهمة السياحة في الناتج المحلي
1970	81	%13,9
1971	109	%16,8
1972	120	%15,7
1973	111	%13,1

1974	189	%19,4
المجموع	610	%78,9

كما يساهم في إدخال العملات الأجنبية إلى البلاد في الوقت ذاته ان هذا القطاع أسهم في تأمين العمل لقسم من اليد العاملة وفي تنشيط الحركة التجارية المحلية.

خامساً: المصارف اللبنانية

من القطاعات المهمة الأخرى التي أثرت في اقتصاد لبنان هو قطاع المصارف، إذ ان مجموعة التدابير الاقتصادية التي أقدمت عليها الدولة اللبنانية من حرية التجارة إلى تعزيز القطاع المصرفي وزيادة الثقة في مؤسساته المصرفية، وهذا الأثر الفاعل جعل لبنان سوقاً مالياً وإقليميا ودولياً، فضلا عن المستوى الضرائبي المتدني وغياب التشريع المالي الذي يلغي الرقابة على القطاع الأجنبي والسرية المصرفية التي أدت إلى تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية والعربية لاستثمارها في مجال الخدمات[57]، والودائع المصرفية[58] وكما هو موضح في جدول رقم (5).

جدول رقم (5)

الودائع بملايين الليرات للأعوام 1970 – 1973

نوع الودائع	الأعوام			
	1970	1971	1972	1973
حساب الادخار	2,385,000	3,118,000	3,909,000	4,532,000
حساب الشيكات	515,000	570,000	680,000	789,000
الحسابات الجارية	570,000	671,000	811,000	859,000
الودائع لأجل محدد	146,000	177,000	231,000	207,000
المجموع	3,616,000	4,536,000	5,630,001	6,387,000

الجدير بالملاحظة إن التبعية الخارجية للمصارف اللبنانية تركت آثاراً سلبية على تطور البلد الاقتصادي[59]، بحيث أصبح هناك عام 1972 (74) مصرفاً عاملاً في لبنان [60]، موزعة ما بين لبنانية وعربية ومختلطة وأجنبية،غير أن المصارف المختلطة والأجنبية كانت تتقاسم (54,1%) من مجموع الودائع المصرفية والمقدرة بحوالي(2,5) مليار دولار أمريكي، وفي نهاية عام 1973 بلغت موجودات المصارف اللبنانية من العملات الأجنبية ما قيمته (4,2) مليار ليرة لبنانية لترتفع عام 1974 إلى(5,7) مليار ليرة لبنانية [61]. وهذا ما انعكس في الوقت ذاته على صعود دور لبنان كمركز مالي للشرق الأوسط[62]،وكما هو موضح في الجدول رقم (6).

جدول رقم (6)

عدد المصارف اللبنانية عام 1972

نوع المصارف	عدد المصارف العاملة في لبنان	النسبة المئوية
المصارف اللبنانية	28	%37,8
المصارف العربية	6	%8,1
المصارف المختلطة	28	%37,8
المصارف الأجنبية	12	%16,3
المجموع	74	%100

في الوقت ذاته كان الارتفاع الذي شهدته الودائع المصرفية من شأنه مضاعفة مجموع القروض المحلية المعطاة من المصارف بين سنتي 1970-1974[63].

يمكن القول لكل ما تقدم أن الوضع الاقتصادي اللبناني في النصف الأول من السبعينات اتسم بغياب السياسة الإستراتيجية الحكومية لتنمية النشاطات الإنتاجية نحو السوق الداخلية، كما ان التطور الاقتصادي للعاصمة بيروت وضواحيها اخذ له الحصة الكبرى على حساب باقي المناطق الريفية النائية التي عانت الحرمان ولم تولِ الاهتمام الكافي وعدم بذل الجهود المطلوبة لتجعل المساواة معياراً في توزيع موارد الدولة[64]. لكن هذه المشكلات لم تكن عاصية على المعالجة ولم تكن لتصنف في خانة المشكلات غير العادية.

استطاع لبنان ذو الإمكانات والموارد المحدودة أن يحقق نمواً اقتصادياً وان يوسع حركة التصدير ويطور الخدمات الصناعية [65]. هذا لا يعني إن العوامل الاقتصادية لم يكن لها تأثيرا في العملية السياسية، إن هذا التأثير كان موجوداً وفاعلاً لكنهُ لم يكن ليبلغ مستواهُ من بحيث يؤدي إلى أزمة سياسية يستحيل حلها أو إلى النزاع المسلح [66]، تلك العوامل زادت من حدة المشكلات الاقتصادية التي كانت قائمة. وهذه المشكلات انعكست بالتالي على الوضع الاجتماعي اللبناني.

التوترات الطائفية في المجتمع اللبناني وأثرها على الأوضاع الداخلية

لبنان أي وطن أو مجتمع يعيش صراعاً اجتماعيا، لكن ذلك كان بأبعاد وأشكال خاصة به[67]. إذ اختلف عن بقية بلدان المنطقة لاسيما على مستوى التركيب الاجتماعي، فكان ملجأً لعدد من الطوائف الدينية، مما اضطر لبنان دوماً إلى ممارسة تجربة العيش المشترك، إذ كان عليه باستمرار أن يدير هذا التنوع الديني وان يثبت إرادة هذا العيش المشترك وسط ظروف داخلية وخارجية [68].

يمكن تمييز لبنان عن غيره من البلدان العربية من ناحيتين على الأقل،هما غياب هوية دينية مسيطرة ونظام في الأساس ديمقراطي [69].وشكل التنوع الديني في المجتمع اللبناني مصدراً للتمايز والخصوصيات للعلاقات الاجتماعية الموسومة بشدة بطابع الارتباطات الموروثة والخصوصيات الطائفية والقبلية والعشائرية والمناطقية [70]. إذ شكل هذا التفاوت مصدراً أساسياً من مصادر التوترات والمصادمات الاجتماعية التي سرعان ما كانت تبرز بوضوح في مجالات العلاقات فيما بين الطوائف[71].

التنظيم الاجتماعي اللبناني مكوناً من عدة مستويات اجتماعية (الطوائف) فالعلاقات بينها قائمة على أساس التعايش المشترك والقبول بالرضوخ لنظام معين يحدد طبيعته علاقات الوحدات البنائية فيما بينها[72].

بعد إعلان الاستقلال عام 1943بدأ النظام اللبناني في تعزيز الانطباع لبعض أشكال التضامن الاجتماعي من خلال التوازن الطائفي، لكن في الحقيقة كانت الأمور أكثر تعقيداً مما يوحى به الأداء الجيد ظاهراً للنظام إذ رافقت تكون التشكيلة الاجتماعية تحولات بنيوية عميقة ألقت بثقلها على البنى السياسية مما جعلها غير قادرة على التكيف مع طبيعة هذهِ التحولات ونتائجها[73].

هذا التعارض بين البنى السياسية والمتغيرات الجارية على صعيد البنى الاقتصادية والاجتماعية في البلاد أدى في النهاية إلى زرع بذور صراع داخلي، وهذا الصراع لم يلبث ان أصبح معلناً نتيجة الضغوط والتدخلات الخارجية[74].

الطابع الاحتكاري المتفاوت لبنى التجارة الخارجية والقطاع المصرفي والسيطرة الواضحة للمصالح الأجنبية من خلال رأس المال المرتبط مع رأس المال اللبناني في الميدان المصرفي والمالي والهيمنة من لدن مجموعة محددة من الشركات وانهيار الزراعة التقليدية والهجرة الريفية وتزايد أعداد الطبقة العاملة كلها ظاهرات لم تتوقف عن التفاعل وانعكست بالتالي على شكل توزيع الدخل في البلاد[75].

وعلى الرغم من تفاقم الفوارق الاجتماعية فان محاولات تقديرها نوعاً وكماً بقيت محدودة [76]، لكن تم التوصل في النهاية إلى وجود علاقة بين الفجوات الاجتماعية من جهة والانقسامات الطائفية من جهة أخرى[77].

وضِعت دراسة في النصف الأول من السبعينات حول تمركز رأس المال في لبنان[78]، واعتمدت الدراسة على أسماء مؤسسي وأعضاء مجالس إدارة كل الشركات العاملة في لبنان عام 1973، إذ كان عددها (207) شركة، وهي التي تسيطر على رأس المال الموظف في مختلف قطاعات النشاطات الاقتصادية، كما جرى فرز الأسماء للوصول إلى عدد التجمعات العائلية الموجودة في هذه الشركات فتبين ان هناك ثلاث عشرة عائلة[79]. كانوا يشرفون كلياً أو جزئياً على خمسين شركة صناعية يبلغ رأسمالها (47%) ويشرفون أيضا على (30%) من رأسمال البنوك والشركات و(24%) من رأسمال الشركات التجارية و(29%) من الشركات العاملة في ميدان النقل و(14%) من الشركات العقارية. ومن بين هذهِ التجمعات أربعة مسلمة وخامسة مختلطة (مسلمة–مسيحية) إما الثمانية الباقية فكانت كلها مسيحية[80]. أما ما توصلت

إليه الدراسة هي وجود صلة بين الانقسامات الاقتصادية–الاجتماعية من جهة والانقسامات الطائفية من جهة أخرى[81].

كما ان السيطرة المسيحية على تجارة الجملة كانت واضحة ، إذ كان هناك (66%) من المؤسسات الناشطة بتجارة الجملة تعود ملكيتها لمسيحيين تقابل (34%) للمسلمين [82].يمكن القول ان النمو الاقتصادي الذي عرفهُ لبنان زاد من الفوارق الاجتماعية التي عبرت عن نفسها باختلالات بين القطاعات المختلفة وداخل كل قطاع على حدة بين المناطق المختلفة.

رغم من استفادة المسيحيين والمناطق المسيحية بصورة عامة أكثر من استفادة المسلمين والمناطق الإسلامية من النظام الاقتصادي فالتناقضات الاجتماعية بين الطوائف قد جرى تغذيتها من لدن النظام الاقتصادي، ((فلبنان بخدماتهِ قد حول المال إلى العنصر المتحكم في الحياة... كما إن هناك مفهوم لدى أكثرية الشعب بان قيمة الإنسان في جيبهِ وفي التنفيعات التي يقدمها لأنصاره دون الإشارة إلى إن قيمة الإنسان هو ما يملكهُ في رأسهُ)) [83].

تميزت لبنان دائماً وإلى حد كبير بالروابط والصلات والو لاءات الموروثة بدءاً من الصلات العائلية، إذ تبدو العائلة وليس الفرد من يشكل الوحدة الاجتماعية وهي من يحدد المركز الاجتماعي وأسلوب انخراط الفرد اقتصادياً وسياسياً في المجتمع، فالانتماء للعائلة في لبنان يؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد إذ أن هذا الانتماء يمنح الفرد الأمان والدعم كما يتطلب منهُ الخضوع غير المشروط للعائلة بهذا القرار أو ذاك[84].

تمكن لبنان في النصف الأول من السبعينات من تحقيق التجهيز للبنى التحتية الأساسية في مختلف المناطق مثل شبكات الكهرباء والطرق وبناء المدارس، أدى هذا بالتالي إلى عملية اتصال المناطق الريفية بالمدن وتحديداً بمدينة بيروت فاستقطبت

الأيدي العاملة وتعززت الهجرة الريفية، إذ ان الهجرة في لبنان هي العملية التي بها يخفي المجتمع اللبناني معدلات البطالة المرتفعة فيه ويتخلص من الفائض الاجتماعي، إذ بلغت الهجرة خلال الأعوام(1970-1974) إلى عشرة آلاف مهاجر مما انعكس هذا على الأوضاع الداخلية [85]. ولاسيما قطاع التجارة والخدمات الذي شهد ازدهاراً في ظل النظام الاقتصادي الحر من خلال تقديم فرص العمل لأكثرية القادمين الجدد من الأيدي العاملة الريفية الرخيصة مما أدى إلى نشوء تجمعات سكنية واسعة في المناطق القريبة من العاصمة بيروت [86]. إذ أحاطت بيروت تجمعات سكنية يسكنها الفقراء والعمال الذين وفدوا بسبب انهيار الزراعة التقليدية وكذلك بسبب النزوح الجنوبي الكثيف هرباً من الاعتداءات (الإسرائيلية) المستمرة وقصفها للقرى الجنوبية[87] .ترافق ذلك مع تزايد حركة تأسيس المدارس الرسمية والخاصة وتوفرت بذلك فرص التعليم[88].

كل هذه التغيرات انعكست على العائلة اللبنانية وعبرت عن نفسها بمظاهر متنوعة من بينها فقدان العائلة الريفية العاملة في القطاع الزراعي وحدتها بسبب الهجرة إلى المدينة فصغر حجمها وتوقفت عن تحقيق انتمائها الذاتي اقتصادياً فتفككت إلى أسر صغيرة الحجم واستقلت الأسرة اقتصادياً لكنها استمرت من الناحية الاجتماعية تحافظ على روابطها مع الأسر الأخرى ضمن صِلات القربى[89].

إن توفر الشروط الخاصة بالتوظيف والعمل للشباب نتيجة التحصيل الدراسي أتاح له الاستقلال عن الأهل بعد ان كان ذا طابع عائلي مشترك، وقد نجم عن هذا الوضع ان هذه الفئات الشابة أصبحت تمتلك دخلاً مستقلاً يسمح لها الحصول على مسكن مستقل عن العائلة قد يكون خارج مناطق سكن الأقرباء أو العمل بعيداً عن مناطق الانتماء الجغرافي الأساس [90]. فتكون من ذلك نسيج اجتماعي متداخل ومتنوع،

فاستقلال الأسرة اقتصادياً زاد من علاقاتها بالغير من اجل المصلحة وليس من اجل الواجبات التي تميز علاقات القربى.

حققت الأسرة اللبنانية تغييرات رئيسة عدلت من بنيتها [91]، وأصبحت تتمتع بتحرر اجتماعي طغى على تبعيتها لمنطق الانتماء العشائري وتبعيتها لحساب الشعور بالانتماء للوطن والدولة والولاء للقانون والنظام العام [92]. لكن العائلات الريفية لم تكن قد دخلت بعد ضمن السوق الرأسمالية، مما أبقى قسماً منها متمسكاً بعاداته وتقاليده وأساليب حياته المبنية على القربى وهذا أمر طبيعي. إذ واجهت الثقافة الاجتماعية في الريف اللبناني أزمة صراع أدت إلى ظاهرة ضآلة التفاعل والانسجام بين الثقافات المختلفة التي عرفها لبنان في مطلع السبعينات[93].

إن ابرز تجليات هذه الظاهرة تمثل بالعدد المتزايد للجمعيات والتي هي شكل من أشكال التنظيم في المجتمع المدني الذي يعمل به الفرد طوعاً وباستقلال عن الدولة [94]، وتسهم هذه الجمعيات بالرعاية الاجتماعية التي تقوم على مبدأ مساعدة الأقوى للأضعف والغني للفقير ،و تسهم بمعالجة الآثار الاجتماعية للبناء الاجتماعي السائد، ومعالجة الاختلالات في المجتمع من خلال معاونة القادرين على العمل برعاية العاجزين عنه[95].

كانت الجمعيات الموجودة في لبنان في النصف الأول من السبعينات تقوم بتأدية خدمات بدائية وسطحية [96]، ولكي تتمكن الدولة اللبنانية من تقديم الخدمات الاجتماعية إلى المواطنين اتجه التفكير إلى إنشاء مؤسسات اجتماعية يوكل أمر القيام بهذه المهمة فكانت المؤسسات العامة، ولعجز الدولة عن تقديم الخدمات دفعة واحدة اقبل المواطنون إلى إنشاء بعض المؤسسات الاجتماعية لمعاونة المؤسسات العامة من جهة ومراقبتها من جهة ثانية فكانت المؤسسات الخاصة. واهم المؤسسات الاجتماعية في لبنان هي:

١ -مؤسسات اجتماعية عامة مثل مصلحة الإنعاش الاجتماعي – مديرية الإحصاء المركزي– مجلس الإسكان.

٢ - مؤسسات اجتماعية خاصة كالجمعيات والنقابات.

٣ - مؤسسات اجتماعية مختلطة مثل الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ومصرف الإسكان والمركز التعاوني(97).

في إطار الخدمات الاجتماعية تقوم الدولة اللبنانية بالرعاية الاجتماعية عن طريق مصلحة الإنعاش الاجتماعي والتي تعاقدت مع ثمانين مؤسسة اجتماعية خلال عام 1972 والمؤسسات الثمانون موزعة بين المحافظات اللبنانية(98)، نتج عنها رعاية (7919) شخصاً على نفقة الدولة فضلاً عن عدد آخر رعتهم المؤسسات الاجتماعية على نفقتها الخاصة، كما تولت الحكومة اللبنانية عن طريق وزارة العمل والشؤون الاجتماعية–مصلحة الإنعاش الاجتماعي رعاية الأيتام والعجزة، كما نفذت المصلحة مشاريع عدة في عام 1972 شملت (11228) عائلة موزعة على سبعة وسبعين قرية في المحافظات الأربع(99).

الاهتمام بالنواحي الصحية والطبية وإنشاء المراكز الصحية يتم عن طريق التعاون مع المجلس الاقتصادي الاجتماعي، أما المؤسسات المختلطة مثل الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي فيعد من أهم المرتكزات الاجتماعية في لبنان الذي يقدم العون للمواطن الذي يتعرض للمخاطر من ناتج العمل أو وفاة معيل العائلة فضلاً عن بعض المناسبات الاجتماعية مثل الزواج والولادة(100).

اعتمدت الحكومة اللبنانية السياسة المرحلية في تطبيق الضمانات الاجتماعية لعدم قدرتها المادية والفنية على التنفيذ مرة واحدة إذ دفعها لاعتماد سياسة المراحل ومن بينها إصدار القانون رقم (8) في الخامس والعشرين من آذار 1974 وهو شمول العمال الزراعيين في أحكام قانون الضمان الاجتماعي(101).

لكن على رغم من كل ذلك توالت الأحداث على خلفية أزمة اجتماعية وسعت من الاحتجاجات الشعبية وشملت فئات اجتماعية متنوعة سواء في المدن أو في المناطق الريفية فالتضخم الذي كان يبلغ معدلهُ السنوي (2%) خلال الستينات أصبح معدلهُ (18%) عام 1974 مهدداً القدرة الشرائية (102). فالفقر والبطالة وتدهور الشروط الصحية وظروف السكن وانخفاض مستوى الخدمات الاجتماعية وامتداد حزام البؤس حول العاصمة هذه كلها أصبحت ظاهرات شبه عادية (103). في الوقت الذي أصبح المال والسلطة وأنماط الاستهلاك حكراً على فئات قليلة. ورداً على الفوارق الاجتماعية المتزايدة نهضت حركة مطلبيه شملت فئات واسعة من الطبقة الشعبية ،إذ جرت عدة اضطرابات في مختلف المناطق اللبنانية (104)، إذ هدد الاتحاد العمالي بإضراب عام يطالبون فيه بزيادة الأجور بنسبة (22%) وخفض الإيجارات بنسبة (25%) واستيراد الدولة المباشر للأدوية والمواد الغذائية الرئيسة (105). في الوقت ذاتهِ اضرب موزعو الهاتف عن العمل مطالبين بتحسين أوضاعهم المالية والاجتماعية(106).

جاءت هذه الإضرابات نتيجة غياب الرقابة على الأسعار للحد من الاحتكار ففي سنة واحدة (1972–1973) ارتفع سعر السلع المستوردة بنسبة (10–15%) كما أدت المضاربات العقارية الشكل الأبرز للاستثمار إذ استحوذت الإيجارات في بيروت على (40%) من دخل الأسرة نتيجة الاستثمار الذي يمارسهُ أثرياء الخليج والمغتربون(107). وهناك من يؤكد بان العوامل التي أدت إلى ارتفاع الأسعار متعددة لكن اثنين منها كانا أساس المشكلة أولها التضخم المالي الذي أدى إلى التأثير على اقتصاد لبنان المفتوح والقائم على الاستيراد والثاني هو اتساع الاقتراض الداخلي الذي وسع بدوره عملية الإنفاق في السوق الداخلية(108).

ففي أواخر عام 1972 بدأ لبنان يشهد مشكلات اجتماعية-اقتصادية متعلقة بعمال المصانع ومزارعي التبغ ومعلمي المدارس من أبرزها إضراب معمل غندور للحلويات، إذ أعلن العمال إضرابهم في الحادي عشر من تشرين الثاني 1972 مطالبين بزيادة الأجور وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، وأثناء التظاهرة أطلقت الشرطة النار عليهم فسقط اثنان من أعضاء اللجنة العمالية، فنظم الاتحاد العمالي إضرابا عاماً لاستنكار العنف [109]. وبعد شهرين في كانون الثاني 1973 واجه مزارعو التبغ المصير نفسه عند اقتحام ألشرطه نفسها مباني شركة (الريجي) [110] الذي كانت قد احتلتها فئات من صغار المزارعين احتجاجاً على سياسة الأسعار المعتمدة من لدن الشركة[111].

كما شهدت لبنان في التاسع عشر من كانون الثاني إضرابا على المستوى الوطني شمل ستة عشر ألف أستاذ من التعليم الرسمي مطالبين بزيادة أجورهم [112]، فتضامنت معهم الحركة الطلابية بسب قيام الحكومة اللبنانية ان قامت برفع الأقساط الدراسية، ولاسيما على طلبة الجامعة الأمريكية في بيروت[113].

يمكن أن نستشف من كل مما تقدم بان اعتناق الشعب اللبناني لأديان ومذاهب عدة لا يعد ميزة خاصة عن باقي الشعوب، فغالبية الأديان والمذاهب الدينية المنتشرة في لبنان هي منتشرة أيضا في بقية الأقطار العربية ولاسيما المجاورة لها، فتعدد الأديان والطوائف في الدولة الواحدة هي ظاهرة عالمية اذ يصعب ان تجد دولة في العالم سكانها من دين ومذهب واحد[114]، لكن الذي يميز لبنان عن غيره هو ليس تعدد طوائفه وأديانه وإنما النظام الذي جعل من هذه الطوائف والأديان دويلات ضمن الدولة اللبنانية [115]. كما ان تأثير الدولة في المجتمع اللبناني ينبئ بمدى تأثير المجتمع في الدولة في الوقت ذاته تختلف الدولة اللبنانية عن باقي الدول العربية بثنائية السلطة فيها إذ شكل هذا الأمر مصدر ضعف وعلى الأخص في زمن

الأزمات وهذه الثنائية كانت نتيجة خصوصية الميثاق الوطني عام 1943 الذي بُني على قاعدة التسوية بين المسلمين والمسيحيين[116].

هذه النقطة التي يتجنب بعض المؤرخين دراستها دراسة علمية يشكل طرحها احد الجوانب الرئيسة في إشكالية الدراسة التاريخية للصراعات السياسية القائمة في لبنان[117]، على رغم من احترام اللبنانيين للمؤسسات الدينية تلك التي تخص الطائفة التي ينتمي إليها أو تلك التي تخص الطوائف الأخرى وهذه الحقائق كانت ملموسة في النصف الأول من السبعينات[118].

يمكن للمسيحي إن يمارس مسيحيته بشكل تام، كما يمكن للمسلم ان يمارس إسلاميته بشكل تام أيضا وهي حريات مطلقة وغير مشروطة لكلا الطرفين [119] . هذا من جانب ومن جانب آخر فان التطور والازدهار الاقتصادي الذي حققهُ لبنان في النصف الأول من السبعينات لم يستفد من هذا التطور جميع أللبنانين بالتساوي فلم تكن أكثرية اللبنانيين تحصل على أكثر من (12-15%) من الدخل [120]، مما انعكس على التفاوت الاجتماعي ووسع هوته التضخم والمضاربة العقارية لذا اثر هذا التفاوت على بعض الطوائف أكثر من سواها نظراً إلى التركيبة الخاصة للمجتمع اللبناني فالهيمنة الاقتصادية بقيت على كافة القطاعات وإلى حد كبير لرجال أعمال مسيحيين، كما أن هذا التطور لم يكن مدروساً في تلك المدة لان إجراء تقويم جيد للحركة المجتمعية كان أمرا بالغ الصعوبة بسبب فقدان المجتمع اللبناني تنظيمه التقليدي في الوقت الذي لم يُبدِ المسؤولون في الدولة اهتماماً بهذا التطور الذي أسهمت فيه عوامل أخرى مثل الهجرة على سبيل المثال[121].

يمكن وصف بنية لبنان الاجتماعية بأنها بنية من الامتيازات والفرو قات الصغيرة المتولدة عن المحسوبية والنظام الطائفي تعمل داخل بنية من الامتيازات والفرو قات الطبقية الكبرى[122].

كما وصف بان: ((أبشع ما في المجتمع اللبناني هو انقسامه على ذاته دينياً وطبقياً)) (123). كل هذا موجودٌ في المجتمع اللبناني لكن لم يبلغ مستوى لخلق أزمة سياسية يتعذر حلها. لكن تبقى مسألة مهمة وهي التدخلات الخارجية التي ربما أسهمت باتساع الهوة بين طوائف المجتمع اللبناني،وكذلك التكتلات الحزبية الضيقة.

الأحـــــزاب اللبنانيـــــة:

أخذت الأحزاب السياسية في التاريخ المعاصر موقعاً متميزاً في الحياة السياسية انطلاقاً من الدور الذي تقوم به في تكوين اتجاهات الرأي العام وبلورة الآراء والأفكار. فالأحزاب أصبحت إطارا يمارس الشعب فيه دوره السياسي في التأثير على السلطة وصنع القرار، كما أنها تنمي الوعي السياسي وتعمقهُ لدى المواطنين (124).

التجربة الحزبية في لبنان غنية، متنوعة وقديمة العهد، عمرها من عمر الدولة التي نشأت في مطلع عشرينات القرن الماضي. إذ شهد لبنان مثل غيره من الدول العربية ظهور العديد من الأحزاب السياسية والذي كان للبعض منها أهمية كبيرة في الأحداث التي شهدها لبنان(125).

خلال مدة البحث بين الأعوام (1970–1975) كان هناك عدد من الأحزاب في الساحة اللبنانية التي ظهرت في فترات مختلفة منها ما كان امتداداً لأحزاب قومية ومنها أحزاب أممية. لاسيما وان ذروة العمل الحزبي الذي شهدهُ لبنان كان خلال تلك السنوات (126). بعد أن شكل النشاط الحزبي توسعاً وتنوعاً من النواحي السياسية والفكرية والعقائدية، إذ شمل جميع الطوائف والفئات الاجتماعية، فما من خط سياسي أو توجه عقائدي إلا وكان ممثلاً بحزب أو بحركة أو مجموعة صغيرة أو كبيرة (127). إذ كان تشكيل الأحزاب السياسية في لبنان اقرب إلى الصيغة العائلية والطائفية (128).

كانت شريحة الشباب هي الشريحة الاجتماعية الأكثر انخراطاً في أحزاب وتيارات تلك المرحلة وتمثلت بطلاب المدارس والجامعات اللبنانية، أما الطروحات الحزبية داخل الحركة الطلابية فكانت متعددة الأهداف ومتضاربة الانتماءات والو لاءات، فما من مسألة خلافية داخلية أو خارجية إلا وطرحتها الأحزاب وبشكل لا يخلو من الاستفزاز ونزلت بها إلى الشارع (129). إذ وصل لبنان إلى أعلى نسبة في العمل السياسي من التفاعل اليومي والاختلاط على مستوى الفئات الاجتماعية المختلفة في العمل السياسي وفي أماكن العمل والسكن وفي المدرسة والجامعة (130). كما إن البعد الآخر للعمل الحزبي في النصف الأول من السبعينات تمثل في إن المطالبة الحزبية لم تقتصر على الشأن الداخلي فقط، فالتبعية السياسية كانت مكثفة على المستوى الشعبي تقابلها تعبئة إعلامية وسياسية وايدولوجية وصلت إلى درجة عالية من الطروحات التصادمية(131). وبسبب سعة وتنوع الأحزاب السياسية في لبنان سوف يتم التركيز على أهم الأحزاب التي كان لها الدور الفاعل في مدة البحث دون التعرض بتحليل أو نقد واقع هذه الأحزاب ومستقبلها، وكل ما نتوخاهُ هو عرض نشأتها وتطورها وواقعها ومن أهم الأحزاب :

أولاً: الحزب الشيوعي اللبناني:

وصلت الدعوة للحزب الشيوعي إلى لبنان عن طريق فلسطين أواخر عام 1923، وتم العمل على تأسيس الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، على ان يكون تابعاً للحزب الشيوعي في فلسطين(132).

في خريف عام 1924 التقى (جوزيف بيرجر) (133) يوسف إبراهيم يزبك (134) اثر مقالة نشرها الأخير واصفاً احد الأدباء بأنه كان نصيراً للعمال والفلاحين، وراح (بيرجر) يحدثهُ عن المبادئ الاشتراكية وعن وحدة الطبقة العاملة وصارحهُ بأنه

مندوب الحزب الشيوعي في فلسطين وعهد إليه بتشكيل فرع للحزب في لبنان فوافق يوسف إبراهيم يزبك وبادر بالتبشير للدعوة[135].

عقد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول 1924 في بلدة الحدث اللبنانية، وتقرر في الاجتماع انتخاب يوسف إبراهيم يزبك أول أمين عام للحزب[136].

بقي الحزب الشيوعي سرياً واتخذ اسماً رسمياً (حزب الشعب اللبناني) [137] الذي أجازته السلطات الفرنسية المنتدبة على لبنان في الثالث من نيسان 1925[138]. إلا انه في عام 1926 ونتيجة لقيام الحزب بتوزيع منشورات ضد السلطات الفرنسية وتأييد الثوار في جبل العرب [139] مؤيداً الثورة وداعياً لمؤازرة الثوار والانضمام إليهم[140].

عمدت السلطات الفرنسية إلى إيقاف نشاط الحزب واعتقال بعض أعضائه[141].

في منتصف عام 1930 جاء إلى لبنان احد أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي (دينر وسكلاد) واجتمع بقيادة الحزب وتم الاتفاق على تبعية الحزب في سوريا ولبنان للحزب الشيوعي الفرنسي ووعد بتقديم المساعدة المادية والمعنوية كون ان سوريا ولبنان خاضعتين للانتداب الفرنسي [142]. وسمح للحزب بالعمل العلني بين عامي 1936–1939 لسماح السلطات المنتدبة الفرنسية لهُ بالعمل[143].

نهاية عام 1943 وبداية عام 1944 اجتمعت اللجنة المركزية للحزب وتقرر استقلال كل حزب بشخصيتهُ وموارده، فتكونت لجنتين مركزيتين الأولى خاصة بسوريا والثانية خاصة بلبنان برئاسة الأمين العام فرج الله الحلو [144]. تعملان منفصلتين أو متحدتين حسب مقتضيات الأحوال السياسية، على إن يبقَ التوجيه من حق الرئاسة في سوريا[145].

انعكست مواقف الاتحاد السوفيتي على الأحزاب الشيوعية سلباً وايجاباً فازدادت شعبية الحزب عندما أيد الاتحاد السوفيتي استقلال لبنان عام 1943، لكن ما لبث ان تراجعت شعبيته حين صوت الاتحاد السوفيتي إلى جانب قرار تقسيم فلسطين في التاسع والعشرين من تشرين الثاني 1947 كما تعرض الحزب إلى نكسة اكبر في مسيرتهِ عندما اعترف الاتحاد السوفيتي (بدولة إسرائيل) فتعرض إلى الاضطهاد ولجأ إلى العمل السري[146].

واجه الحزب نوعاً من المراقبة وتحديد عملهم في عهد الرئيسين بشارة ألخوري وكميل شمعون دون ان يتم حظر الحزب [147]. ففي مطلع عام 1964 ونتيجة لمشكلات تنظيمية نتج عنها خلافات بين أعضاء المكتب السياسي، فَجرت انتخابات جديدة أدت إلى فوز نقولا الشاوي[148] أمينا عاماً للحزب[149].

كانت نقطة التحول في مسيرة الحزب أواخر الستينات ففي تلك المرحلة ارتبط الحزب بالقضايا العربية ولاسيما القضية الفلسطينية، إذ أقام علاقة وثيقة مع حركة فتح[150] الفلسطينية التي أمنت لإفراده التدريب العسكري حتى إذا حل العام 1969 كان الحزب قد انشأ وحدة مسلحة أطلق عليها اسم (الحرس الشعبي) [151] وكانت من بين وحدات الدعم للفدائيين الفلسطينيين[152].

في أيار عام 1970 انبثق عن الحزب الشيوعي تيار جديد أطلق عليه (منظمة العمل الشيوعي) [153] إذ استمالت عدداً من الطلبة والمثقفين الآتين من مختلف الطوائف والخلفيات الاجتماعية [154]. ويمكن القول بان الحزب الشيوعي اللبناني هو الحزب الوحيد الذي لم يكن طائفياً لان أعضاءه ينتمون إلى جميع الطوائف على عكس الأحزاب اللبنانية الأخرى التي تمثل طوائفهم[155].

ثانياً: الحزب السوري القومي الاجتماعي:

أقدم أنطوان سعادة [156] يوم السادس عشر من تشرين الثاني 1932 على تأسيس هيئة سرية ضمت خمسة أعضاء ملتزمة بقَسم الإخلاص له ودعاه بالحزب السوري القومي[157]. كما استطاعت هذه الهيئة عن طريق الاتصال ببعض الطلبة من كسبهم للحزب بعد تأثرهم بالعقيدة التي أسس عليها الحزب[158].

انكشف أمر الحزب في حزيران عام 1935 بعد أن أصبح انتشاره ملموساً في الأوساط الشبابية [159]. تزامن هذا الأمر مع قيام أنطوان سعادة بتوجيه مذكرة إلى السلطات المنتدبة الفرنسية طلب فيها إعادة وحدة سوريا ولبنان[160]. فأودع السجن مع بعض القادة الآخرين واستمرت الحملة حتى عام 1938[161]. فبعد ان أطلق سراح أنطوان سعادة اجبر على مغادرة لبنان، وفي خريف عام 1939 سيطرت الشرطة على مقرات الحزب واعتقلت قيادته بتهمة الولاء للألمان، كما وجهت لهم تهم بتلقي معونات من الخارج[162].

بعد مغادرة أنطوان سعادة لبنان تولى نعمة ثابت رئيس المجلس الأعلى للحزب، ((لكن نعمة ثابت انحرف عن مسار الحزب حين دعا إلى الكيان اللبناني، الذي يتعارض مع مبادئ الحزب وأفكاره)) [163].

بعد عودة أنطوان سعادة إلى لبنان في الثاني من آذار 1947 اصدر قراراً بفصل نعمة ثابت من الحزب وضم جميع الصلاحيات بشخصهِ كما أضاف كلمة الاجتماعي إلى اسم الحزب ليصبح الحزب السوري القومي الاجتماعي ، ولقب نفسه بلقب الزعيم[164].

عند قيام الحرب العربية (الإسرائيلية) عام 1948 شاركت فصائل مسلحة من الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى جانب الفلسطينيين [165]. اثر نجاح الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم [166] وتسلمه الحكم في سوريا يوم الثلاثين من آذار 1949

حاول الحزب السوري القومي الاجتماعي وبتشجيع من حسني الزعيم القيام بانقلاب مماثل في لبنان لكن الحظ لم يحالفهُ اذ فشل الانقلاب وضبطت الحكومة اللبنانية مع بعض عناصر الحزب مناشير تتضمن البيان الأول للثورة، الأمر الذي دعا الحكومة اللبنانية إلى مطاردة عناصر الحزب وفي مقدمتهم أنطوان سعادة[167].

بذلت الحكومة اللبنانية جهوداً كبيرة لإقناع حسني الزعيم بتسليم أنطوان سعادة لها، وقد سلم فعلاً إلى الحكومة اللبنانية ليلة السادس على السابع من تموز 1949 وبعد محاكمة صورية سريعة اعدم صباح يوم الثامن من تموز عام 1949[168].

أدى إعدام أنطوان سعادة من لدن الحكومة اللبنانية إلى اتخاذ عناصر الحزب طابعاً انتقامياً بعد تولي جورج عبد المسيح قيادة الحزب واتسم بالانتقام له [169]. وكان ضحيتهم الأولى رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح الذين استطاعوا اغتياله في السادس عشر من تموز 1951 أثناء زيارته إلى الأردن، الذي عدّوه المسؤول الأول عن إعدام أنطوان سعادة [170]. كما أقدموا على اغتيال نائب رئيس أركان الجيش السوري عدنان المالكي[171] في الثاني والعشرين من نيسان 1955[172] .

مطلع الستينات وتحديداً ليلة رأس السنة (1961-1962) قام الحزب بمحاولة انقلاب فاشلة ضد حكومة فؤاد شهاب لتعتقل قياداته وأعضاءه حتى أواخر الستينات[173]. وبعد أطلاق سراح أعضاء الحزب انتخب عبد الله سعادة [174] رئيساً له عام 1969 إذ تبنى الحزب سياسة جديدة وهو تبني القضايا القومية العربية وهذا ما شكل خروجاً عن خط الحزب الأساس [175]. الذي كان مناهضاً للقومية العربية[176].

تم تبني هذا النهج في مؤتمر الحزب الذي عقد في كانون الأول عام 1969 ، إذ شدد المؤتمرون على دعم الكفاح المسلح وطالبوا بالتنسيق الوثيق مع المنظمات الفدائية الفلسطينية[177].

اتصل عبد الله سعادة مع بعض قادة فتح وتم الاتفاق على ان يلحق أفراد الحزب بالمقاومة تحت قيادة فتح(178).

واستمر الحزب يدعم المقاومة الفلسطينية وحركة فتح، وفي الحادي عشر من آذار 1975 تم انتخاب إنعام رعد (179) رئيساً للحزب ليبدأ مشواراً جديداً من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي(180).

ثالثاً: حزب الكتائب

تأسست منظمة الكتائب من قبل بيار الجميل (181) عام 1936 انطلاقاً من تشكيل رياضي كشفي بعد زيارته لألمانيا ((إذ كان بيار الجميل معجباً بالانضباط الألماني وبالسلوك الحسن للألمان إذ أعدهما مقبولين لشعب كشعب لبنان)) (182). ومن بين الأهداف التي كان يرمي إليها بيار الجميل إقحام الشبيبة المسيحية في تشكيل حزبي حديث لا يدخل إلى السياسة بصورة مباشرة (183). وفي يوم الخامس من تشرين الثاني 1936 حصلت المنظمة على ترخيص التأسيس باسم اللجنة التأسيسية(184). وفي اليوم الثاني صدر البيان الأول الذي أعلن تأسيس الكتائب ودعا إلى الانضواء إليها(185).

استقطبت المنظمة عدداً من أبناء لبنان ولاسيما المناطق المسيحية واتسع لقطاع من المهنيين وأصحاب الكفاءات من محامين وأساتذة بصورة خاصة دون أن يؤشر ذلك على سعة امتداده في الأوساط الشعبية والعمالية (186). وكانت غالبية المنظمة من أبناء الطائفة المارونية (187)، على رغم من إن دستور المنظمة لايمنع انضمام أبناء الطوائف الأخرى لعضويته (188)، لكن طبيعة تكوين المنظمة والانضمام إليها ونزعاتها وتطرفها وتعصبها الطائفي يجعل من المستحيل انضمام أي مسلم إليها(189).

حُلت منظمة الكتائب نتيجة القرار الذي أصدرته الحكومة اللبنانية في الثامن من تموز 1943 الذي يقضي بحل التنظيمات شبه العسكرية إذ كانت منظمة الكتائب من ضمن ما شملها قرار الحل (190)، وفي عام 1949 جرت عدة محاولات لتحويل المنظمة إلى حزب انتمى له عدة أعضاء من مختلف الطوائف ومن المؤيدين لخصوصية لبنان، ووصلت هذه المحاولات إلى حد تغيير اسم الكتائب ليصبح (الحزب الديمقراطي الاجتماعي) لكن هذه المحاولات فشلت(191).

بعدها تواصل العمل لتحويل المنظمة إلى حزب حتى يوم العشرين من أيار 1952 حين تم تحويل المنظمة إلى حزب سياسي باسم حزب الكتائب (192). فطلب مساعدة مالية من (إسرائيل) لتمويل حملته الانتخابية، فقدمت لهم (إسرائيل) مبلغ ثلاثة آلاف دولاراً أمريكي لكن الحزب لم يحصل على أي مقعد نيابي في تلك الانتخابات التي جرت عام 1952(193).

رابعاً: حزب النجادة:

تأسس حزب النجادة عام 1937 إذ كان في الأصل حركة انشقت عن جمعية الكشاف المسلم والتي كانت منظمة شبه عسكرية منتشرة في سوريا ولبنان (194).وكان الهدف من تأسيس الحزب هو ((عدم ترك الساحة خالية أمام منظمة الكتائب الذي كان في واقع الأمر تنظيماً مسيحياً... والسعي في سبيل تحرير لبنان واستقلاله من كل تبعية)) (195).

حل حزب النجادة في الثامن من تموز 1949 بأمر الحكومة كما شمل قرار الحل منظمة الكتائب وتنظيمات الحزب السوري القومي الاجتماعي، فبقى أعضاء حزب النجادة يعملون سراً حتى عام 1950 عندما أجيز الحزب باسم جديد هو (الحزب اللبناني اليعربي) (196)، وفي عام 1954 تقدم أعضاء الحزب بطلب إجازة

جديدة لإعادة التسمية (حزب النجادة) فوافقت الحكومة اللبنانية وأجيز الحزب رسمياً في الرابع عشر من نيسان 1954[197].

رفع الحزب شعار (بلاد العرب للعرب) وقد ورد في نظامه ما يشير إلى إن حزب النجادة ((حزب ديمقراطي عربي تحرري ينادي بإلغاء الطائفية ويطالب بالمساواة وتكافؤ الفرص ويعمل لتحرير المجتمع اللبناني من الرواسب التي خلفها الاستعمار)) [198] كما دعا الحزب إلى التضامن العربي والتعاون ضمن الجامعة العربية والعمل على تحرير فلسطين[199].

خامساً: الحزب التقدمي الاشتراكي:

أعلن عن تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي في الأول من أيار 1949[200] بعد محاولتين تأسيسيتين هما (الحركة الاجتماعية اللبنانية) و (حزب التقدم الاشتراكي) إذ كانت الفكرة الأولية تقوم على تأسيس جمعية تحت اسم الحركة اللبنانية غايتها حشد القوى المعنوية والكفاءات لخدمة لبنان سياسياً واجتماعياً وعلمياً[201].

ترأس الحزب كمال جنبلاط [202] . كما تميز الحزب عن باقي الأحزاب اللبنانية بأنه الحزب الوحيد في لبنان الذي يتبنى السياسة الاشتراكية [203] ويهدف من خلال برنامجه ((إلى بناء مجتمع ديمقراطي يسودهُ الطمأنينة الاجتماعية والرخاء والعدل ويؤمن بحقوق الإنسان، وفصل السلطات وضرورة المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية والسياسية وينادي بعلمانية الدولة وإلغاء نظام الطائفية السياسية))[204] ويرفع الحزب شعار (موطن حر وشعب سعيد) [205]

في الأول من نيسان 1950 افتتح مركز للحزب في بيروت [206]. واتسعت قاعدته لتشمل كافة الطوائف اللبنانية من خلال مطالبه الإصلاحية، كما ان الحزب كان من اشد المعارضين لحكومة كميل شمعون (1952-1958)[207]. وفي منتصف الستينات كان للحزب دور في تأييد العمليات الفدائية الفلسطينية[208].

سادساً: حزب الوطنيين الأحرار:

تأسس حزب الوطنيين الأحرار عام 1958 من لدن كميل شمعون [209] ، تحت تأثير الاقتناع بأن من الضروري قيام حزب وطني يعمل بالتعاون مع الأحزاب التي تلتقي مع مبادئه بالمحافظة على لبنان وتطوره[210].

يؤكد الحزب على عضوية لبنان في الأسرة العربية والدولية والتمسك بالتقاليد التراثية والاعتزاز بالآداب الدينية والحياة العائلية وتقديس الحرية والتحرر، كما يؤيد الحزب على تشجيع توظيف رؤوس الأموال العربية والأجنبية والمغتربة في لبنان وحرية التعامل المالي والتجاري مع جميع دول العالم على أساس المبادلة، كما أكد حرصه على استمرار نظام الحكم الديمقراطي ومناهضة الدعوات الطائفية والعنصرية[211].

يوصف الحزب أحيانا بأنه ليس حزباً سياسياً بالمعنى الحقيقي لفقدانه التنظيم الواضح وعدم وجود برنامج مستقبلي له ومن دون إصدار أي منشور سياسي له [212]، ويصفه البعض الآخر بأنه لم يكن أكثر من تجمع لمؤيدي سياسة كميل شمعون وتحت قيادته الشخصية[213]

الخاتمة:

إن التطور الاقتصادي الذي حققه لبنان في النصف الأول من السبعينات لم يستفد من هذا التطور جميع اللبنانيين بالتساوي مما انعكس على التفاوت الاجتماعي ووسع هوته التضخم والمضاربة العقارية ، لذا اثر هذا التفاوت على بعض الطوائف أكثر من سواها نظراً إلى التركيبة الخاصة للمجتمع اللبناني ، إذ إن بنية لبنان الاجتماعية عبارة عن بنية من الامتيازات والفرو قات الصغيرة المتولدة من المحسوبية والنظام الطائفي والتي تعمل داخل بنية من الامتيازات والفرو قات الطبقية الكبرى.

إن انقسام المجتمع اللبناني على ذاته دينياً وطبقياً ، فتعدد الأديان والطوائف في لبنان لا يعد ميزة خاصة عن باقي الشعوب لان تعدد الأديان والطوائف في الدولة الواحدة هي ظاهرة عالمية ، لكن الذي ميز لبنان عن غيره هو ليس تعدد أديانه وطوائفه وإنما النظام الذي جعل من هذه الأديان والطوائف دويلات داخل الدولة اللبنانية.

إن التجربة الحزبية في لبنان قديمة العهد عمرها من عمر الدولة والتي ظهرت في حقب مختلفة فمنها ما كان امتداداً لأحزاب قديمة ومنها أحزاب أممية وأحزاب قومية وذروة عملها خلال السنوات 1970- 1975 بسبب التوسع الفكري والعقائدي الذي شمل جميع الطوائف والفئات الاجتماعية ولا سيما شريحة الشباب . إذ كانت جميع الأحزاب السياسية اللبنانية قائمة على أساس الولاء للطائفة التي ينتمي إليها الحزب أو الولاء لشخص مؤسس الحزب . باستثناء الحزب الشيوعي اللبناني فهو الحزب الوحيد الذي لم يكن طائفياً لان أعضاءه ينتمون إلى جميع الأديان والطوائف اللبنانية على العكس من الأحزاب اللبنانية الأخرى التي تمثل طوائفهم.

الهوامش:

(١) قزما خوري مشاريع الإصلاح والتسوية في لبنان، بيروت ، دار الحمراء ، ج 1، 1989، ص201-202.

(2) سليمان تقي الدين، التطور التاريخي،للمشكلة اللبنانية 1920-1970، بيروت ، دار ابن خلدون، 1977، ص132.

(3) صائب سلام سياسي لبناني مواليد 1905، انتخب نائبا عدة مرات في بيروت بين عامي 1947 – 1992، ورئيسا للوزراء ست مرات بين عامي 1952- 1973، كان من اشد المعارضين لرئاسة كميل شمعون. شكري نصرا لله مذكرات قبل أوانها،بيروت ، شركة المطبوعات، 2001 ، ص13.

(4) شكلت الوزارة بموجب المرسوم رقم(4) في 13 تشرين الأول 1970 وهي الوزارة الأولى في عهد الرئيس سليمان فرنجية. شبكة الإعلام الدولية الجمهورية اللبنانية ، موقع رئاسة مجلس الوزراء اللبناني الرسمي . www.pcm.gov.17-9-2009

(5) فواز طرابلسي ، تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف،د.م، 2008، ص305.

(6)البيان الوزاري لحكومة صائب سلام. شبكة الإعلام الدولية، موقع رئاسة مجلس الوزراء اللبناني. www.pcm.gov.17-9-2009

(7) غابي لحود : ولد عام 1931 في بيت الدين بجبل لبنان وهو مسيحي ماروني ،أكمل دراسته الابتدائية في دير القمر دخل المدرسة الحربية عام 1950 وتخرج فيها ضابطاً في سلاح المدفعية ثم دخل في دورات عدة منها في فرنسا عام 1953 وفي الولايات المتحدة الأمريكية عام 1957 . درس أركان الحرب في فرنسا عام 1961 كما دخل عام 1963 دورة استخبارات لدى الجيش الأمريكي

وفي عام 1964 أصبح مديرا للشعبة الثانية، نقولا ناصيف ، المصدر السابق ، ص196.

(8) جريدة النهار ، بيروت، 11كانون الأول ، 1970؛ أكد غابي لحود فيما بعد ان المكتب الثاني كان يراقب فعلا خطوط هاتف بعض الشخصيات لمعرفة مضمون الاتصالات التي يتلقونها. غسان شربل ذاكرة الاستخبارات ، بيروت،رياض الريس ، 2007، ص251.

(9) نقولا ناصيف، المكتب الثاني حاكم في الظل، بيروت، مختارات، ط 3، 2006، ص382.

(10) استقال يوم العشرين من كانون الثاني 1971. شبكة الإعلام الدولية، موقع رئاسة مجلس الوزراء اللبناني.
www.pcm.gov.17-9-2009

(١١) جريدة النهار، بيروت، 20 تشرين الثاني 1970؛جريدة النهار ، لبنان، 21 كانون الثاني 1971.

(12) فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة في لبنان 1967–1976،ترجمة شكري رحيم، بيروت، دار النهار،ط3، 2005، ص260.

(13) الياس ألبواري،تاريخ الحركة العمالية والنقابية في لبنان 1971–1980،بيروت، مطبعة الفارابي،ج3 ، ص33.

(14) فريد الخازن، المصدر السابق، ص260.

(15) ليلى رعد، تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي 1958–1975،طرابلس، مكتبة السائح، 2005، ص207.

(16) فريد الخازن، المصدر السابق، ص 335؛ غالب أبو مصلح، أزمة الاقتصاد اللبناني الواقع والحلول، بيروت، الحمراء، 2007، ص98.

(17) سمير المقدسي، الاقتصاد اللبناني في ظل الصراع السياسي والعسكري، بيروت، دار الرازي ، 1989، ص453؛ فريد الخازن، المصدر السابق، ص334.

(18) يوسف خطار الحلو، في الاقتصاد اللبناني، بيروت، دار الفارابي ، 1957، ص9.

(19) موسوعة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، الرياض ، 1996، ص76؛ يوسف خطار الحلو، المصدر السابق، ص12.

(20) كمال حمدان، الأزمة اللبنانية الطوائف الدينية–الطبقات الاجتماعية والهوية الوطنية، ترجمة رياض صوما، بيروت، دار الفارابي ، 1998، ص106؛ فائز محمد علي، الشركات الرأسمالية والسيطرة على اقتصاديات البلدان النامية، بغداد، دار الرشيد ، 1979، ص142–143.

(21) محمد خير دوغان، تقرير القطاع التجاري، الجمهورية اللبنانية–وزارة التصميم، بيروت، 1999، ص8.

(22) الترانزيت: هي نقل السلع من مراكز الإرسال إلى مراكز وموانيء الاستقبال بقصد إيداعها مؤقتاً أو إجراء بعض عمليات التصنيع عليها أو تغليفها أو تعبئتها ثم إعادة تصديرها. شبكة المعلومات الدولية، موقع بنك معلومات النقل البحري المصري.
www.emdb.gov.13-11-2010

(23) الجمهورية اللبنانية، المجموعة الإحصائية لعام 1973، وزارة التصميم اللبنانية،ص381.

(24) يوسف خطار الحلو، المصدر السابق، ص23.

(25) ليلى رعد، المصدر السابق، ص270.

(26) نهر الليطاني:وهو أطول الأنهر اللبنانية ينبع من غرب سهل البقاع ويصب في البحر الأبيض المتوسط ويبلغ طولهُ (170 كم) وتبلغ مساحة حوضهُ (1260 كم 2)وينقل النهر ما يزيد على(700 مليون متر مكعب) من الماء ومن روافده التي تصب في الحوض الأعلى للنهر هي نهر يحوفا ونهر الغزيل وهما يصبان في النهر من الجهة اليسرى أما الأنهار التي تصب به من الجهة اليمنى نهر البردوني ونهر قب الياس فضلاً عن الينابيع كنبع صيد نايل وشتورا.الأرقم الزعبي،الغزو اليهودي للمياه العربية،د.م ، 1991 ، ص19.

(27) جريدة النهار، بيروت، 21 كانون الثاني 1971.

(28) جريدة النداء، بيروت، 31 كانون الثاني 1971؛جريدة النهار،بيروت، 31كانون الثاني 1971.

(29) نبيه غانم، الزراعة اللبنانية وتحديات المستقبل، بيروت ، 1973، ص174.

(30) كمال حمدان، المصدر السابق، ص100.

(31) المصدر نفسه ، ص101.

(32) فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص284–285.

(33) محمد صالح ربيع، ظاهرة الفقر في الوطن العربي الواقع والأسباب والنتائج، بغداد، دار الشؤون الثقافية ، 2007، ص103.

(34) فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص285.

(35) وقع ما بين عامي 1970–1975 من اعتداءات (إسرائيلية) على الجنوب اللبناني بأكثر من خمس مائة اعتداء. فيصل سليمان وآخرون، لبنان 1949–1985 الاعتداءات الإسرائيلية(يوميات–وثائق–مواقف)، بيروت، المركز العربي للمعلومات ، 1986، ص48–117.

(36) موسوعة أعمال الموسوعة، المصدر السابق، ص76.

(37) أيلي يشوعي، القطاع الصناعي في لبنان الواقع السياسات المستقبلية، بيروت، المركز اللبناني للدراسات ، 1996، ص39.

(38) الجريدة الرسمية اللبنانية، العدد 79، 4 تشرين الأول 1971.

(39) زاد بموجبه الرسوم الجمركية على ثلاث مائة وستة وأربعين سلعة مستوردة بنسب تتراوح بين عشرة ومائة في المائة وكان الهدف زيادة موارد الخزينة من ستمائة مليون ليرة إلى مليار ليرة لبنانية خلال بضع سنوات. فريد الخازن،المصدر السابق، ص339.

(40) Roger owen,the political economy of the Grand Liban, 1920–1970 in pojer owenced Essays on the crisis in Lebanon (1978) P.31

(41) كمال حمدان، المصدر السابق، ص 104؛ جريدة النداء، بيروت، 18 أيلول 1971.

(42) جريدة النهار، بيروت، 18 أيلول 1971.

(43) كمال حمدان، المصدر السابق،ص 104؛ جريدة النهار، بيروت، 21 أيلول 1971.

(44) جريدة النهار، بيروت، 23 أيلول 1971.

(45) جريدة النداء، بيروت، 1تشرين الاول 1971؛جريدة النهار،لبنان، 1 تشرين الأول، 1971.

(46) من أهم الصناعات اللبنانية هي المصنوعات النسيجية (الملابس) ومواد التجميل والصناعات المطاطية والبلاستيك والحلويات ومنتجات الكترونية بسيطة. غالب أبو مصلح، المصدر السابق، ص94–95.

(47) عصام عطا الله وسمير خلاط، القطاع الصناعي اللبناني نموهُ ومشاكلهُ، بيروت، وزارة الاقتصاد الوطني ، 1970، ص78–79.

(48) المصدر نفسه، ص79.

(49) ليلى رعد، المصدر السابق، ص379.

(50) كمال حمدان، المصدر السابق، ص97–98.

(51) أنشأت الحكومة اللبنانية عام 1948 المفوضية العامة للسياحة والاصطياف وهي ترتبط مباشرةً بوزير الاقتصاد وتتمتع بالاستقلال الذاتي واقتضت التطورات ان ينشأ لبنان وزارة السياحة بموجب قانون صدر في 29 آذار 1966 تتولى إنماء السياحة وتنظيمها. ليلى رعد، المصدر السابق، ص386–389.

(52) المصدر نفسه، ص392.

(53) ليلى رعد، المصدر السابق ، ص394.

(54) حمدي الطاهر، سياسة الحكم في لبنان، القاهرة، المطبعة العالمية، د.ت، ص16.

(55) محمد ماضي، انعكاسات الحرب اللبنانية على قطاع السياحة ونظرة مستقبلية، بيروت، دار النهار ، 1981، ص17.

(56) المصدر نفسه ، ص18.

(57) Owen Roger, The Economic History of Lebanon 1943–1974, It s Salient features, London, crom Helm, 1988,P36.

(58) محمد خير الدين دوغان، لبنان الاقتصادي والاجتماعي مجالات الاستثمار، الجمهورية اللبنانية– وزارة التصميم، د.ت، ص14.

(59) فواز طرابلسي ، المصدر السابق ، ص280 .

(60) علي شامي، تطور الطبقة العاملة في الرأسمالية المعاصرة، بيروت، دار الفارابي، 1981، ص460.

(61) المصدر نفسه ، ص67 .

(62) الشرق الأوسط: تعبير سياسي جغرافي غربي كثر استخدامه إبان الحرب العالمية الثانية وتشمل منطقة جغرافية آسيوية تظم سوريا وفلسطين ولبنان والعراق والخليج العربي وتركيا وإيران وتتوسع احياناً لتشمل أفغانستان كما تشمل أحيانا بلدان غير آسيوية (مصر وليبيا)، ان المقصود من المصطلح إدخال دول غير عربية هو تجنيب استخدام مصطلح مثل المنطقة العربية أو الوطن العربي. مسعود خونده، الموسوعة الجغرافية –التاريخية، بيروت، دار رواد النهضة ، ج2، 1994، ص26.

(63) owen Roger, op.cit .. , p 36.

(64) محمد عبد الحي دباغ،نظرة تحليلية في المصادر المالية اللبنانية ودور المصرف المركزي، بيروت، مؤسسة الرسالة،1978، ص42–44.

(65) فريد الخازن، المصدر السابق، ص350–351.

(66) باسم الجسر، الصراعات اللبنانية والوفاق 1920–1975، بيروت، دار النهار ، 1981، ص21.

(67) المصدر نفسه، ص70.

(68) كمال حمدان، المصدر السابق، ص21.

(69) هاني فارس، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، بيروت، الأهلية ، ص11.

(70) مجموعة من الباحثين، المصدر السابق، ص 181–182؛ جريدة السفير، بيروت،25 أيار1992.

(71) ماجد عبد الله التميمي،الطوائف في لبنان والدور السياسي في مرحلة الاستقلال، مجلة علوم إنسانية الالكترونية، www.ulum.nl.16-14.2010، العدد 23، تموز 2005، ص22.

(72) جان يوسف مراد وآخرون، الأزمة اللبنانية الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، عمان، منتدى الفكر العربي ، 1988، ص87.

(73) عدنان فحص، طبقات المجتمع اللبناني قبل الحرب–أثناء الحرب، بيروت، 2003، ص11.

(74) سناء أبو شقرا وشفيق شعيب، المجتمع والدولة في الوطن العربي–لبنان، القاهرة، مدبولي ، 1996، ص61–62.

(75) باسم الجسر، المصدر السابق، ص20.

(76) محمد حسين دكروب، المصدر السابق، ص61.

(77) عدنان فحص، علامات من العقلية اللبنانية والعربية، بيروت، دار الزهراء ، 1987، ص41.

(78) كمال حمدان وروجيه حاج، الطغمة المالية في لبنان، مجلة الطريق، بيروت، العدد4، 1979، ص61–65.

(79) إذ كان مجموع التجمعات العائلية (438) تجمع عائلي، أما العوائل الثلاث عشر فهي (بطرس ألخوري، عريضة، غندور، صحناوي، الشيخ فؤاد ألخوري، العصامي، صالحه، دوميت، جلاد، جبر، كيتانا، غبرور، عساف). سناء أبو شقرا وشفيق شعيب، المصدر السابق، ص63.

(80) كمال حمدان وروجيه حاج، المصدر السابق، ص67.

(81) المصدر نفسهُ، ص67.

(82) كمال حمدان، المصدر السابق، ص118.

(83) عدنان فحص، علامات من العقلية اللبنانية والعربية ، ص34–35.

(84) كمال حمدان، المصدر السابق، ص192.

(85) فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص286.

(86) سليم نصر، الحرب الشبكات المدنية وحركة السكان في بيروت الكبرى، مجلة الواقع، لبنان، العدد 5–6، تشرين الأول 1983، ص317.

(87) فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص 289؛ احمد بهاء الدين وآخرون، انعكاسات الأزمة اللبنانية على المصير الفلسطيني، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 46، 1976، ص245.

(88) وزارة التربية والفنون الجميلة اللبنانية، الدراسات الإحصائية–إحصاءات المركز التربوي للبحوث والإنماء عن 1977–1978، بيروت، مديرية التعليم الابتدائي، 1983، ص134.

(89) جان يوسف مراد وآخرون، المصدر السابق، ص73.

(90) سليم نصر، المصدر السابق، ص328.

(91) زهير حطب، تطور بنى الأسر العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي ، 1974، ص244 .

(92) سناء الخولي، الأسرة في عالم متغير، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ، 1979، ص81.

(93) رياض الريس، أزمة بناء الوطن–التفاعل العربي لبنان، مجموعة التخطيط والإنماء، بيروت ، 1974، ص96–97.

(94) إبراهيم مشورب، المؤسسة السياسية والاجتماعية في الدولة المعاصرة، بيروت، دار المنهل ، 1988، ص9.

(95) عبد الله محي الدين، الجمعيات الأهلية في لبنان النشأة والتحولات، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 2000، ص9.

(96) رياض الصمد، مؤسسات الدولة الحديثة الاجتماعية والسياسية–النموذج اللبناني، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات ، 1995، ص45.

(97) رياض الصمد ، المصدر السابق، ص5–6.

(98) وهي على الشكل الأتي: بيروت (13)مؤسسة، جبل لبنان(39) مؤسسة، الشمال (13) مؤسسة، البقاع (6) مؤسسات، الجنوب (9) مؤسسات. المصدر نفسه، ص114–115.

(99) المصدر نفسه، ص113.

(100) إبراهيم مشورب، المصدر السابق، ص 10؛ باسم الجسر، الصراعات اللبنانية والوفاق 1920–1975، ص279.

(101) الياس البواري، المصدر السابق، ج 3، ص66؛ الجريدة الرسمية اللبنانية، العدد 27، 4 نيسان 1974.

(102) كمال حمدان، المصدر السابق، ص162.

(103) فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص288.

(104) كمال حمدان، المصدر السابق، ص162.

(105) أقرت الحكومة اللبنانية بزيادة جديدة على الأجور لكن بنسبة 5% فقط في حين لم يجرِ تلبية أي من المطالب الأخرى. فواز طرابلسي ، المصدر السابق، ص296–297.

(106) جريدة النهار، بيروت، 8 حزيران 1971.

(107) فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص286.

(108) كمال حمدان، المصدر السابق، ص163.

(109) وهما يوسف العطار وفاطمة الخواجة فتجمع المضربون في ساحة البرلمان وهتف فيها المضربون: (تسع وتسعون لصاً وسبعة عشر حرامياً على عدد نواب المجلس النيابي وأعضاء الحكومة). فواز طرابلسي، المصدر السابق، ص298–299.

(110) شركة الريجي: وهي إحدى الشركات الفرنسية التي كانت تقوم بالإشراف على زراعة وتجارة التبغ في لبنان. كمال حمدان، المصدر السابق، ص 164؛ فريد الخازن، المصدر السابق، ص268.

(111) المصدر نفسه، ص268

(112) فواز طرابلسي ، المصدر السابق، ص298.

(113) الجامعة الأمريكية: وهي إحدى الجامعات اللبنانية تقع في منطقة رأس بيروت في العاصمة اللبنانية، أسسها التبشيري الأمريكي الدكتور (دانيال بليس) أطلق عليها عند التأسيس اسم الكلية السورية البروتستانتية. بدأت الكلية العمل بموجب ميثاق منحها اعترافاً من ولاية نيويورك في الولايات المتحدة. كان منهاجها يشمل تدريس اللغات العربية والانجليزية والفرنسية والتركية واللاتينية ثم الرياضيات وتاريخ العرب القديم وتاريخ الديانات، وفي سنتها الأولى ضمت (13) تدريسياً و(16) تلميذاً وبين عامي (1867–1887) كان تدريس الطب والصيدلة باللغة العربية ثم أصبح بعدها باللغة الانجليزية. وفي عام 1920 تم تغيير اسمها حتى أصبحت الجامعة الأمريكية في بيروت. نقولا زيادة، لبنانيات(تاريخ وصور)، لندن–قبرص، رياض الريس، ط1، 1992، ص248؛ شبكة المعلومات الدولية، الموقع الرسمي للجامعة الأمريكية.

www.aub.edu.Lb/12-4-200

(114) باستثناء دولة الفاتكان، احمد راتب عرموش وآخرون، موسوعة الأديان الميسرة، بيروت، دار النفائس، ط3، 2005، ص384.

(115) رياض الصمد،المصدر السابق ، ص47.

(116) فريد الخازن، المصدر السابق، ص154-155.

(117) وكالة الإنماء الوطنية–مكتب الأبحاث والدراسات، النزاعات السياسية في لبنان جذورها التاريخية وتغييراتها الايدولوجية الطائفية، بيروت،دار الغد،1979، ص5.

(118) باسم الجسر، المصدر السابق، ص275.

(119) كمال صليبي، بيت بمنازل كثيرة–الكيان اللبناني بين التطور والواقع، ترجمة عفيف الرزاز، بيروت، مؤسسة نوفل، ط2، 1991، ص239.

(120) فواز الطرابلسي ، المصدر السابق ، ص 287 .

(121) سمير قصير، حرب لبنان من الشقاق إلى النزاع الاقليمي 1975-1982، ترجمة سليم عنتوري، بيروت، دار النهار ، 2007، ص44.

(122) David Gordon, Lebanon: the fragmented Nation , London , Croom and Helm, 1980,pp 136-137

(123) دافيد غيلمور،دروب الانهيار تاريخ سياسي للازمة اللبنانية 1975-1985،بيروت،دار المروج،1985، ص79.

(124) حسين حمد عبد الله، التطورات السياسية في لبنان 1941-1958، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد–كلية ابن رشد، 1990، ص97.

(125) إبراهيم مشورب، المصدر السابق، ص137.

(126) فضل شرور، الأحزاب والقوى السياسية في لبنان 1930-1980، بيروت، دار المسيرة ، 1981، ص88.

(127) المصدر نفسه، ص88.

(128) محمود صالح الكروي ،لبنان بين تداعيات الانسحاب السوري والانتخابات التشريعية، مجلة المستقبل العربي، بيروت،العدد 316،حزيران 2005 ، ص37.

(129) فواز طرابلسي، صورة الفتى الأحمر_أيام في السلم والحرب، بيروت، رياض الريس، 1997، ص49.

(130) المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، الأحزاب والقوى السياسية في لبنان تجدد والتزام، بيروت ، 1998، ص92.

(131) فريد الخازن، الأحزاب السياسية في لبنان حدود الديمقراطية في التجربة الحزبية، بيروت المركز اللبناني للدراسات ، 2002، ص37-38.

(132) أوفد احد الصحفيين إلى لبنان وهو (جوزيف بيرجر) من أصل بولوني ثم تلاه (الياهو تيير) من أصل ليتواني ثم تبعهم روسي من اوديسا يدعى (نخمان ليتفنسكي) وهؤلاء وصلوا إلى بيروت عن طريق حيفا وعملوا على تأسيس الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان.قدري قلعجي،تجربة عربي في الحزب الشيوعي،بيروت، دار الكتاب العربي، ص21.

(133) اسمه الحركي (بارزيلي) وهو من المختصين بالشرق الأوسط عامة، المصدر نفسه،ص 22.

(134) يوسف إبراهيم يزبك: ولد في بيروت عام 1901 وهو من عائلة غنية، سافر مع أمه إلى المكسيك عام 1909 ودرس مبادئ اللغة العربية على يد سعيد فاضل عقل الذي كان يصدر جريدة (صدى المكسيك) بعدها عاد إلى لبنان عام 1911 ودخل مدرسة بعبدا. وفي صباه بدأ ينشر مقالاته في جريدة (الصحفي التائه) بتوقيع الشيخ الباكي، اعتقل عام 1926 من قبل سلطات

الاحتلال الفرنسي وأطلق سراحهُ عام 1928 . أواخر عام 1925 رفض يوسف إبراهيم يزبك حضور اجتماع اللجنة المركزية وقرر السفر إلى باريس لكن اللجنة لم توافق على سفره فتقرر فصله من الحزب وأنتخب فؤاد شمالي بدلاً عنه، له عدد من المقالات والمؤلفات أشهرها كتاب (النفط مستعبد الشعوب) توفي في الخامس والعشرين من حزيران عام 1982.جريدة النور ، دمشق . الحزب الشيوعي السوري ، 18 حزيران 2004 .

(135) قدري قلعجي، تجربة عربي في الحزب الشيوعي،بيروت،دار الكتاب العربي،د.ت، ص48-49.

(136) شبكة الإعلام الدولية الموقع الرسمي للحزب الشيوعي اللبناني www.ICparty.org.12-12-2009

(137) في عام 1927 تم تغيير اسمه من (حزب الشعب) إلى (الحزب الشيوعي) كشرط من شروط انتسابه إلى (الكومنترن)، المصدر نفسه.

(138) إبراهيم سعيد البيضاني، سوريا 1954-1958 ،بغداد، مطبعة الشرق، ص53.

(139) ثورة جبل العرب: وأطلق عليها الثورة السورية الكبرى، وليد المعلم، المصدر السابق، ص88.

(140) محمد دكروب، جذور السنديانة الحمراء، بيروت، دار الفارابي ، 1974، ص375.

(141) مجلة الثقافة الجديدة، الحزب الشيوعي اللبناني، بغداد، العدد 866، تشرين الأول 1976، ص10.

(142) قدري قلعجي، المصدر السابق، ص 53؛ محمد رشيد عبود، التطورات السياسية في سوريا 1949-1954، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة بغداد-كلية الآداب، 1985، ص250.

(143) بسبب ان فرنسا كانت تحكمها الجبهة الوطنية ومن ضمنها الحزب الشيوعي لكن نتيجة اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وانسحاب الحزب من الحكم منع الحزب الشيوعي السوري اللبناني من العمل. باترك سيل، الصراع على سوريا، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، دمشق، دار طلاس، ط6، 1996، ص215

(144) فرج الله الحلو: ولد في لبنان عام 1906 في قرية (حصر ايل) في عائلة فلاحيه فقيرة. أكمل دراسته في مدرسة (عمشيت)، ثم أكمل دراسته في الكلية الوطنية الإنجيلية، وفي عام 1929 تعاقد مع مدرسة في حمص لتدريس اللغة العربية. زار الاتحاد السوفيتي للمرة الأولى عام 1934 واصدر بعد عودته كتاباً بعنوان (إنسانية جديدة تبني عالماً جديداً) واسهم في تأسيس جريدة (نضال الشعب) وفي عام 1935 أصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني ثم أمينا عاماً عام 1944. توفي في السادس والعشرين من حزيران 1959. جريدة النور، الحزب الشيوعي السوري،دمشق، 27 حزيران 2007.

(145) نهاد حشيشو، الأحزاب في لبنان، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1998، ص88.

(146) باترك سيل، المصدر السابق، ص215.

(147) إبراهيم سلامة، الأحزاب اللبنانية، مجلة الأحد، بيروت، العدد 86، تشرين الأول 1966، ص25.

(148) نقولا الشاوي: ولد في طرابلس عام 1912، تلقى دراستهُ الثانوية في معهد (الغرير)، ارتبط بالحزب عام 1933 وفي عام 1934 انتخب سكرتيراً للجنة المحلية، بيروت، وفي عام 1936 انتخب عضواً في اللجنة المركزية شارك في عدة مؤتمرات دولية. شبكة الإعلام الدولية؛ موقع جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية

www.Jammoul.com.15-5-2010

(149) نهاد حشيشو، المصدر السابق، ص88.

(150) فتح: هي حركة التحرير الفلسطينية أطلقت على نفسها لقب فتح، لما كان أول حرف من هذه الكلمات الثلاث يختصرها بكلمة (حتف) أي موت رأى زعماؤها ان يقلبوا الحروف فأصبحت فتح لان الهدف هو التحرير وليس الموت. إذ تأسست في الكويت في تشرين الأول عام 1957 من قبل مجموعة من الشباب الفلسطينيين الذين عاشوا نكبة عام 1948 وفي مقدمتهم ياسر عرفات، لكن الفكرة الأولى لها كانت من قبل اتحاد طلبة فلسطين في القاهرة، من أهم أهدافها هو عدم الالتزام بتنظيم حزبي فضلاً عن الاستقلالية التنظيمية عن أي نظام عربي أو دولي، ويكون هدفها الأساس هو السلاح والعمل الفدائي سبيلاً أساسيا لتحرير فلسطين و لها جناح عسكري خاص قام بأول عملية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة في الأول من كانون الثاني 1965، وفتحِ أول مقر لها في سوريا . كما ان الجزائر زودتها بأول شحنة أسلحة عبر مطار المزه في دمشق في العام نفسه. محمد شهيل يوسف احمد ، حركة التحرير الوطني فتح وأثرها على التنمية السياسية في فلسطين ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة النجاح الوطني ، فلسطين ، نابلس ، كلية الدراسات العليا ، 2007 ، ص11 .

(151) الحرس الشعبي: هي لجنة عسكرية عليا أقرت من قبل المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي اللبناني في تموز 1968، تقوم بإعداد الحزب عسكرياً مهامها الأساسية التصدي للاعتداءات(الإسرائيلية) على القرى اللبنانية الحدودية ومساعدة القضية الفلسطينية والإسهام في عملها والدفاع عنها. شبكة الإعلام الدولية، موقع جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، المصدر السابق، 12 آذار 2009.

(152) وضاح شرارة، حروب الاستتباع-لبنان الحرب الأهلية الدائمة، بيروت، دار الطليعة ، 1979، ص18-19.

(153) منظمة العمل الشيوعي: نشأة هذه المنظمة عام 1970 نتيجة اندماج بين تجمعين يساريين هما (منظمة الاشتراكيين اللبنانيين وحركة لبنان الاشتراكي) اللذان يرجع انتماء اغلب قادتهما إلى التيار القومي اليساري وحركة القوميين العرب. بعد اندماج هاذين التجمعين انتخب محسن إبراهيم أمينا عاماً للمنظمة. شبكة الإعلام الدولية، موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) -12-12-2009 www.wikipedia.

(154) وضاح شرارة، المصدر السابق، ص91-92.

(155) دافيد غيلمور، المصدر السابق، ص42.

(156) أنطوان سعادة: ولد في الأول من آذار عام 1904 في بلدة الشوير-جبل لبنان والده الدكتور خليل سعادة (طبيب وصحفي وله قاموس شهير انجليزي-عربي)، تلقى علومهُ الأولى في مدرسة (الغرير) في القاهرة. وفي عام 1919 انتقل إلى البرازيل حيث المقر الجديد لعمل والدهُ. وما لبث ان شارك والده في إصدار جريدة (الجريدة) كما ظهرت كتاباته الأولى عندما كان في الثامنة عشرة من عمره. حاول بين عامي 1925-1927 تأليف حزب التوحيد أبناء

الجالية السورية في البرازيل لكنهُ لم يلاقِ نجاحاً. وفي تموز 1930 عاد إلى لبنان ليبدأ عملهُ السياسي في بلدهِ، اعتقل ثلاث مرات وفي المرة الرابعة اعدم في الثامن من تموز 1949. شبكة الإعلام الدولية ، موقع المكتبة السورية القومية الاجتماعية 2010-5-15 www.ssnp.com

(157) باترك سيل، المصدر السابق، ص94-95؛ ضمت الهيئة فضلاً عن أنطوان سعادة كلاً من (رفيق مروش، سامي قربان، نعمة ثابت، إياس مأمون). إبراهيم سلامة، المصدر السابق، ص16.

(158) عقيدة الحزب ((إن السوريين امة تامة وان القضية السورية قضية قومية قائمة بنفسها ومستقلة عن أي قضية أخرى)). جورج جبور، الفكر السياسي المعاصر في سوريا، بيروت، المنارة، ط 2، 1993، ص140؛ شبكة الإعلام الدولية، الموقع الرسمي للحزب السوري القومي www.ssnp.net-15-5-2010.

(159) بسبب معلومة نقلها رئيس الجامعة الأمريكية (بأيار دودج) إلى السلطات الفرنسية. شبكة الإعلام الدولية، موقع المكتبة السورية القومية الاجتماعية، المصدر السابق.

(160) لبيب زويا، الحزب القومي الاجتماعي، ترجمة: جوزيف شوبري، بيروت، دار ابن خلدون ، 1973، ص72؛ ستيفن همسلي لونكريك،سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي،ترجمة بيار عقل، بيروت،دار الحقيقة،1978، ص284.

(161) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص284.

(162) لبيب زويا، المصدر السابق، ص72.

(163) إنعام رعد، الكلمات الأخيرة مذكرات ووثائق، د.م.ط، مؤسسة إنعام رعد الفكرية، 2002، ص27.

(164) إبراهيم يموت،الحصاد المر قصة تفتت قيادة حزب وتماسك عقيدة،د.م.ط، دار الركن ، 1993، ص145.

(165) أرسلت مجموعة أطلق عليها اسم (فرقة الزوبعة) قاتلت بين اللد والرملة. إنعام رعد، المصدر السابق، ص37.

(166) حسني الزعيم: ولد في حلب عام 1897 وتلقى دراستهُ الابتدائية فيها، ثم التحق بالجيش العثماني لتلقي علومه العسكرية في مدارس حلب ودمشق واستانبول وأدرنه فأصبح ملازماً أول في عام 1917، شارك في الحرب العالمية الأولى، ثم التحق بالجيش ألفيصلي في سوريا ثم أصبح معلماً في الكلية العسكرية بعد دخول الفرنسيين إلى سوريا، وفي عام 1941 اعتقل من قبل قوات الانتداب الفرنسي على سوريا ثم أعيد إلى الخدمة عام 1946 عهد إليه بالقيادة العامة للجيش السوري إبان الحرب العربية (الإسرائيلية) وفي الثلاثين من آذار 1949 قام بأول انقلاب عسكري في سوريا وفي الرابع عشر من آب 1949 أطاح به فريق من العسكريين بقيادة العقيد سامي الحناوي وتم تنفيذ حكم الإعدام به في يوم الانقلاب. سعد سعدي،معجم الشرق الأوسط،بيروت،دار الجيل،1998، ص204.

(167) باترك سيل، المصدر السابق، ص 101؛ مصطفى بلاوني، التحولات السياسية في سوريا بين تحقيق الاستقلال الوطني 1946 وقيام الوحدة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة دمشق-كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994، ص117.

(168) لا تزال حقيقة الصفقة التي على أساسها سلم أنطوان سعادة غير معروفة إذ يذكر إبراهيم يموت الأمين المالي للحزب ((انه بفعل المغريات التي وضعت أمام حسني الزعيم من قبل حكام لبنان ومصر تم تسليمه)) فضلاً عن دور

الكونت دي كايلا (Dechayla) وزير فرنسا المفوض في لبنان. إبراهيم يموت، المصدر السابق، ص193. في حين يذكر إنعام رعد أمين عام الحزب فيما بعد في مذكراته ((انه بما أن حسني الزعيم قد أتى للحكم بمساعدة المخابرات المركزية الأميركية ولكون أنطوان سعادة ضد المطامع الأمريكية في المنطقة ورفض الهدنة مع اليهود ودعوته لاستمرار الكفاح هو الذي أدى إلى تسلمه))، إنعام رعد، المصدر السابق، ص 59؛ الهام احمد عبد الحميد النائب، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه سوريا 1949-1954، رسالة ماجستير (غير منشورة)، اتحاد المؤرخين العرب،معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، 2002، ص46.

(169) باترك سيل: المصدر السابق، ص 103؛ إبراهيم البيضاني، سوريا 1954-1958، ص62.

(170) الذين نفذوا المهمة هم (ميشال الديك وأديب الصلاح واسبيرو وديع) وهم من أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي. إبراهيم يموت، المصدر السابق، ص219؛ حسان حلاق، التيارات السياسية في لبنان 1943-1952، بيروت، معهد الإنماء العربي ، 1981، ص556.

(171) عدنان المالكي: ولد في دمشق عام 1919، أكمل دراستهُ الابتدائية والثانوية فيها ثم دخل الكلية العسكرية، وبعد تخرجه فيها عمل ضابطاً تحت إمرة القوات الفرنسية، شارك في حرب فلسطين عام 1948، شارك في انقلاب حسني الزعيم عام 1949،اعتقل بعدها ثم أطلق سراحهُ، بعد انتهاء حكم الشيشكلي عاد إلى الجيش وتسلم منصب نائب رئيس أركان الجيش وحتى اغتياله.عبد الوهاب ألكيالي وآخرون،الموسوعة السياسية، بيروت، المؤسسة العربية للنشر،ج4،34.

(172) باترك سيل، المصدر السابق، ص 312، أذيع في وقتها ان قاتله هو احد أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي ويدعى يونس عبد الرحيم الرقيب الأول في السرية الأولى في الشرطة العسكرية السورية لكن الحزب لم يؤكد هذا وعلل سبب الاغتيال لصراعات سياسية داخل سوريا. إبراهيم يموت، المصدر السابق، ص282.

(173) شبكة المعلومات الدولية، موقع الحزب السوري القومي الاجتماعي. www.ssnp.net-15-5-2010

(174) عبد الله سعادة: ولد عام 1918 في قرية أميون اللبنانية أكمل دراستهُ الابتدائية في اميون والثانوية في مدينة طرابلس عام 1934. انتمى إلى الحزب عام 1936 وفي نفس العام دخل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الطب، وعند تخرجهِ أسس مع زملائهِ مشفى الميناء في طرابلس عام 1944، اعتقل عدة مرات في أيار عام 1969 انتخب رئيساً للحزب ثم أعيد انتخابه عام 1974 وعام 1977، شبكة المعلومات الدولية، موقع الحزب السوري القومي الاجتماعي، المصدر السابق

(175) مانع بن حماد الجهني،الموسوعة الميسرة،الرياض،الندوة العالمية، ط5، ج1، 2003، ص462.

(176) فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة في لبنان 1967-1976 ، ص107.

(177) إنعام رعد، المصدر السابق، ص162-163.

(178) عبد الله سعادة، أوراق قومية، بيروت ، 1987، ص223.

(179) إنعام رعد: ولد عام 1928 في بيروت-عين زحلتا، حصل على البكالوريوس في العلوم السياسية والاقتصاد من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1949، انتمى إلى الحزب السوري القومي عام 1944 وانتخب عضواً في المجلس

الأعلى عام 1954 بعدها انتخب رئيساً للحزب (1975–1980–1995)، سجن مرتين عام 1949 وعام 1961 لهُ مؤلفات عديدة. إنعام رعد، المصدر السابق، ص11.

(180) المصدر نفسه، ص176.

(181) بيار الجميل: ولد في بكفيا أللبنانيه عام 1905 وأكمل دراسته الأولية في مصر بمدرسة الإرساليات برفقة والده بعدها عاد إلى بيروت ليكمل دراسته لدى الآباء اليسوعيين عام 1926، بعدها انتسب إلى كلية الصيدلة في جامعة القديس يوسف ليتخرج فيها حائزاً على شهادة في علم الصيدلة. تعزز اهتمامه بالرياضة بعد تعينه رئيساً للاتحاد اللبناني لكرة القدم وهكذا شارك في الألعاب الاولمبية في برلين عام 1936، انتخب لأول مرة نائباً عن بيروت عام 1960 وأعيد انتخابه عام 1964. لحد خطار، الانتخابات النيابية في تاريخ لبنان، بيروت، دار لحد خطار ، 1996، ص206.

(182) دافيد غيلمور، المصدر السابق، ص81.

(183) رأى البعض ان تشكيل المنظمة جاء رداً على الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان قد أسسه أنطوان سعادة. المركز العربي للمعلومات، الزعامة المارونية من حبيب السعد إلى سمير جعجع، بيروت، المركز العربي للمعلومات ، 1985، ص28.

(184) اللجنة التأسيسية ضمت كلاً من (بيار الجميل، جورج نقاش، حميد فرنجية، شارل حلو شفيق ناصيف). سعيد اللحام، موسوعة حزب الكتائب من بيار المؤسس إلى بيار الشهيد، بيروت، دار الإنماء الثقافي العربي ، 2007، ص9–10.

(185) المصدر نفسه،ص 10.

(186) المركز العربي للمعلومات، المصدر السابق، ص29.

(187) مجلة صباح الخير – البناء، لبنان، العدد 269، تشرين الأول 1980، ص22.

(188) عبد السلام محمد مهدي السعدي، التطورات السياسية في لبنان في ضوء أزمتي عام 1958–1975، رسالة ماجستير (غير منشورة)، اتحاد المؤرخين العرب–معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 2003، ص56.

(189) حمدي الطاهر، سياسة الحكم في لبنان، القاهرة، المطبعة الأهلية، د.ت، ص252.

(190) جاء قرار الحل هذا نتيجة قيام الحزب السوري القومي الاجتماعي بمحاولة انقلاب فاشلة.

(191) كمال صليبي، بيت بمنازل كثيرة، ص 233–234؛ سعيد لحام، المصدر السابق، ج1، ص93.

(192) منشورات مصلحة الدعاية في الكتائب اللبنانية، المصدر السابق، ص10.

(193) ادعى حزب الكتائب بأنه يضم مابين عشرين ألف إلى ثلاثين ألف عضو وعندما سأل (موشيه شاريت) وزير الخارجية (الإسرائيلية) جهاز الموساد الإسرائيلي حول الموضوع جاء الرد بان الحزب بضم خمسة آلاف عضو فقط وليس له أي حظ في الفوز وعلى رغم من ذلك وافق (شاريت) على منح المبلغ المتواضع ((اعترافاً لهم بجميل المساعدة الذي كان بعض المسيحيين قد قدموها ليهود سوريا الذين أرادوا الرحيل إلى إسرائيل بعد تأسيس الدولة العبرية)) ألان مينارغ،اسرار حرب لبنان، ترجمة مجموعة من المترجمين،بيروت، دار الفنون،ط3، 2009، ص67.

(194) مؤسس المنظمة أنيس الصغير كما ضمت الهيئة المؤسسة لها (محي الدين النصولي، حسين سجعان، جميل مكاوي، عبد الله دبوس، محي الدين برغوث، عدنان الحكيم) نهاد حشيشو، المصدر السابق، ص59.

(195) شبكة الإعلام الدولية، موقع حزب النجادة الرسمي 2009 -6 -15 www.Najjadoh.org

(196) حسين حمد عبد الله، المصدر السابق، ص117.

(197) أصبح رئيس الحزب عدنان الحكيم. نهاد حشيشو، المصدر السابق، ص 59-60.

(198) شبكة الإعلام الدولية، الموقع الرسمي لحزب النجادة، www.Najjadoh.org

(199) النادي الثقافي العربي، القوى السياسية في لبنان، بيروت، دار الطليعة ، 1970، ص146-147.

(200) يوم السابع عشر من آذار 1949 طلب الموافقة على ترخيص الحزب وقد اعلم المؤسسون بالموافقة يوم التاسع عشر آذار 1949. فتحي عباس خلف، الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني-دراسة في دوره السياسي بين عامي 1949-1975، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة الموصل-كلية التربية، 2007، ص45؛ برناديت شينك، كمال جنبلاط، التراث العربي الإسلامي ودور الدروز في مفهومه بتاريخ لبنان، ترجمة: كامل إسماعيل، بيروت، دار النهار، ط2، 2000، ص85-86.

(201) نهاد حشيشو، المصدر السابق، ص97.

(202) كمال جنبلاط: ولد عام 1917 في لبنان في بلدة المختارة وهو من عائلة درزية، أكمل دراسته الابتدائية في بلدته عام 1928 والثانوية عام 1936

وفي عام 1937 درس علم النفس وعلم الاجتماع والحقوق في جامعة السوربون في باريس وفي عام 1946 أصبح وزيراً للاقتصاد والزراعة والشؤون الاجتماعية ثم تولى بعدها عدة مناصب وزارية. فتحي عباس خلف، المصدر السابق، ص35.

(203) كمال أبو مصلح، كمال جنبلاط 1917-1977، بيروت، المكتبة الحديثة، ط2، 1984، ص157.

(204) فارس أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية 1949-1975، بيروت، دار التقدمية ، ج1، 1989، ص105.

(205) حسين حمد عبد الله،التطورات السياسية في لبنان 1941-1985،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة بغداد-كلية ابن رشد،1990، ص132.

(206) فتحي عباس خلف، المصدر السابق، ص53.

(207) برناديت شينك، المصدر السابق، ص86-87.

(208) المصدر نفسه، ص92-93.

(209) فضل شرور، المصدر السابق، ص219.

(210) نهاد حشيشو، المصدر السابق، ص66.

(211) المصدر نفسه، ص66.

(212) دافيد غيلمور، المصدر السابق، ص43.

(213) كمال صليبي، بيت بمنازل كثيرة ، ص 233-234؛ ينظر محمود صالح الكروي، المصدر السابق ، ص37 .

أعداد التكرار والأعداد التوزيعية في اللغة الأكدية

دراسة مقارنة

م.م. عبدالله علي محمد التميم

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

ملخص البحث الموسوم

(أعداد التكرار والأعداد التوزيعية في اللغة الأكدية)

دراسة مقارنة

في هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على جانب مهم من جوانب العدد بوصفه مادة لغوية ، فعلى الرغم من أن هذا النوع من الأعداد ممثلا بـ(أعداد التكرار والأعداد التوزيعية)يشغل حيزاً مهماً ومبهماً في الوقت ذاته إلا انه وفي غالب الأحيان نجد ان هذه الجوانب قد أُهمِلَت تماماً عند دراسة موضوع العدد من الناحية القواعدية ،ونظراً للأهمية التي يشكلها هذا النوع من الأعداد على الصعيدين الصرفي والنحوي فقد آثرت دراستها في اللغة الأكدية ،ومقارنتها مع اللغة العربية وبعض من اللغات العاربة الأخرى إنطلاقاً من أهمية اللغة الاكدية ،وأهمية دراسة قواعدها بما تتضمنهُ من أقسام الكلام المهمة ،وما تحققه من فائدة؛ ولاسيما لدى المهتمين باللغة العربية ونحوها وصرفها؛ فهي تظهر لنا أصالة الظواهر اللغوية الموجودة في اللغة العربية وفهم الكثير منها مما عجز عن فهمه اللغويون العرب القدماء؛ لعدم إحاطتهم باللغة الأكدية.

اقتضت مادة البحث الدخول باتجاهين:

١. : أعداد التكرار وآلية صياغتها من الأعداد الأصلية والأعداد التوزيعية والمعنى الذي تؤديه في كل حالة.

٢. : الأعداد التوزيعية وصيغ بنائها او اشتقاقها من جذور الأعداد ومدى مطابقتها للعدد المعدول في اللغة العربية.

ثبت مختصرات المصادر المستخدمة في البحث

مختصره	المصدر
AbB	Altbabylonische Brife in Umschrift und ubersetzung , (Leiden)
Abz	Borger, R., Assyrich-Babylonische Zeichenist, (Vluyn), 1978
AG	Ungnad, A.,Akkadian Grammar, 5th , ed., Translated by Harry. A. Hoffner. JR., (Chicago), 1992
AHw	Von Soden, W., Akkadiseches Handworterbuch, (Wiesbaden), 1965-1981
ARM	Archive Royales de Mari, (Paris)
CAD	The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, (Chicago)
CDA	A Concise Dictionary of Akkadian , (Wiesbaden),2000
GAG	Von Soden,W., Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma, 1995
OBTR	The Old Babylonian Tablets from Tel AL-Rimah, (London), 1976
SAA	State Archive of Assyrian , (Finland)
SGB	Buccellati, G., A Stractural Grammar of Babylonian , (Wiesbaden), 1996
ZA	Zeitschrift Fur Assyriologie und Vorderasiatische Archaologie, (Berlin)

مُقَدِّمَة

غالبا ما تركز الدراسات النحوية على المواضيع ذات العناوين الواضحة متجنبة الدخول في حيثياتها ،واذا كان البحث في موضوع العدد في الدراسات النحوية يرتكز بالدرجة الأساس على مدى علاقة العدد بمعدوده من حيث المطابقة والمخالفة فانه وفي كثير من الأحيان يهمل ما يتعلق او يرتبط ارتباطاً مباشراً بالعدد من حيث الاشتقاق أو القواعد النحوية على اعتبار ان دراسة العدد قواعدياً لا تتعدى مبحثاً او مبحثين، مهملةً بذلك ما يتفرع عنها من حيثيات أجدها في غاية الأهمية وبات من الضروري البحث في أعداد التكرار والية صياغتها من الأعداد الأصلية والأعداد الترتيبية والمعنى الذي تؤديه في كل حالة، فضلا عن الأعداد التوزيعية وصيغ بنائها او اشتقاقها من جذور الأعداد ومدى مطابقتها للعدد المعدول في اللغة العربية نظرا للأهمية التي يشكلها هذان النوعان من الأعداد على الصعيدين النحوي والصرفي وبما يخدم الهدف المتوخى من هذه الدراسة متمثلا بتوضيح أوجه الشبه والاختلاف بين الاكدية والعربية وعدد من اللغات العاربة فضلا عن تأصيل طائفة من الظواهر في اللغة العربية بورودها واستعمالها في اللغة الاكدية واللغات العاربة التي سبقت اللغة العربية من حيث تاريخ التدوين.

الأمل يحدوني أن أوفق ولو بجزءٍ يسير في عرض المادة باسلوب ميسر ،يمكن من خلاله تسليط الضوء على جانب من الدراسات المرتبطة بالعدد يتصف بأهميته وإبهامه في الوقت ذاته ،ليتبين من خلال ذلك ماهية أعداد التكرار والأعداد التوزيعية .

والله ولي التوفيق

اولا: اعداد التكرار (المضاعفة)

يستعمل هذا النوع من الاعداد للدلالة على عدد المرات ، يقال في اللغة العربية : كرر الشيء تكريرا أو تكررا ، أي : ضاعفه فالكرة تعني المرة والجمع كرات او مرات(١).

واعداد التكرار في اللغة الاكدية على نوعين:

1.ما يصاغ من الاعداد الاصلية.

2.ما يصاغ من الاعداد الترتيبية.

١ . مايصاغ من الاعداد الاصلية:

تصاغ هذه الاعداد في اللغة الاكدية بالحاق النهاية الظرفية أي (*ī*−) ولاحقة الكينونة (ضمير الملكية للشخص الثالث) شُ(*šu*-) بالاعداد الاصلية وهي في حالة الاضافة على وفق الطريقة الاتية:

اسم العدد الاصلي في حالة الاضافة + *ī* + *šu*(٢)

وعادة ما تدخل هذه اللواحق بشكل مباشر فقط مع العدد واحد *ištēn* (اشتين) حيث نجدها في العصر البابلي القديم بصيغة *ištiššu* (اشتِشُ) (٣)او *išteššu* (اشتشُ) (٤).للدلالة على معنى (مرة) في حين كان القياس ان ترد بصيغة *ištēnīšu* (اشتينيشُ) (٥) إن دخول اللواحق المشار اليها في العدد واحد *ištēn* (اشتين) بصورة مباشرة بحيث يؤلف اسم العدد مع هذه اللواحق كلمة واحدة لايمكن تجزءتها ربما يمثل ميزة اختص بها العدد واحد في اللغة الاكدية (في عصور معينة) (٦).دون بقية الاعداد الاخرى المستعملة في صياغة اعداد التكرار

ولتوضيح ذلك نورد المثالين الاتيين:

اِشـ–تِـ–شُ شِـ–نِـ–شُ طُـ–بِ اَ2–شَـ–بِـ–لَـ–كُـ–اُم.......	*iš-ti-šu ši-ni-šu ṭup-pi ú-ša-bi-la-ku-um*(7)
ارسلت لك رسالة مرة (و) مرتين	

اِشـ–تِـ–شُ شَـ–لَـ–شِـ–شُ دوب–بِ2 اُ2–شَـ–بِـ–لَـ–كُمُـ–مَ.......	*iš-ti-šu ša-la-ši–šu* DUB-*pí* *ú-ša-bi-la-kum-ma*(8)
ارسلت لك رسالة مرة (و) ثلاث مرات	

مما تقدم نجد ان ضمير الكينونة شُ(*šu*−)يدخل مباشرة على العدد واحد *ištēn* (اشتـ بن) بحيث يكون جزءا لايتجزا من المفردة *ištišu* (اِشتِشُ) التي تعني (مرة) وربما كان ذلك بسبب الادغام الحاصل بين صوت النون (*n*) الخفيف وصوت الشين (*š*)بحيث اصبحا شيئًامضعّفة (*šš*) ثم خفف الصوت المشدد الى صوت واحد مماثل وهو الشين (*š*) ، وذلك على وفق قوانين التيسير والتخفيف اللفظي التي تحكم لغات الجنس البشري .

وعلى مايبدو انه نتيجة لمثل هذه التغيرات الصوتية فقد اختص العدد واحد في اللغة الاكدية من العصر البابلي القديم باتصاله باللواحق المستعملة في صياغة اعداد التكرار بشكل مباشر بحيث نشأت كلمة ذات بنية خاصة مشتقة من العدد واحد في اللغة الاكدية للدلالة على معنى (مَرَة) واصبح من غير الممكن بعد حذف هذه اللواحق ان نحصل على كلمة ذات معنى ، بخلاف ماهي عليه الحال مع الاعداد الاخرى ، اذ يلاحظ من خلال المثالين السابقين امكانية حذف اللاحقتين أي (*ī*−) وشُ (*šu*−) من المفردة *šinīšu* (شِنِيشُ) بمعنى : مرتين في المثال الاول ليبقى اسم العدد اثنان *šin* (شِن) (٩) وهو في حالة الاضافة وكذلك

الحال مع المفردة *šalāšīšu* (شَلاَشيشُ) أي ثلاث مرات في المثال الثاني اذ يبقى العدد ثلاثة *šalāš* (شَلاش) في حالة الاضافة بعد حذف اللواحق المذكورة انفا.وقد استعملت اللغة الاكدية في العصرين الاشوريين القديم والحديث مفردة مستقلة للدلالة على معنى: (مَرَّة) وهي الكلمة *mala* (مَلَ) . مثال ذلك:

مَلَ (او) شِـنِيشُ	*mala (ū) šinīšu*[10]
مَرة ومرتان	

وربما تطابقت هذه الصيغة (أي *mala*) (مَلَ) من حيث المعنى مع اللغة العربية التي تستعمل لفظة مستقلة وهي كلمة (مَرّة) وهي كما نرى غير مشتقة من اصل العدد واحد وليست مضافة اليه ، وكذلك الحال مع مرتين اذ تستعمل اللغة العربية هذا اللفظ (مَرَّة) بصيغة المفرد والمثنى ليعني (مرة ومرتين) وما عدا ذلك فان العربية تستعمل العدد الاصلي مضافا الى كلمة (مَرَّة) او (مرات) [١١]. وذلك بحسب ما يقتضيه المعدود من افراد او جمع ومن امثلة ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [١٢].وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ [١٣]. وقوله : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [١٤].وفيما ياتي امثلة لصيغ ورود اعداد التكرار في اللغة الاكدية:

خَـاَمـشِـشُـاُ$_2$ـمَـان يِخـتِـطَـاَنـنِ	*ha-am-ši-šu-ú-ma-an* *ih-ti-ṭa-an-ni*
خمس مرات تخطئين معي (تهمليني)	

اشِـرِـشَ اَشـبُـرَـكُـاُمـم	*eš-ri-šu aš-pu-ra-ku-um-ma*[15]
عشر مرات ابعث لك	

اشتين سبيشُ **اِيكي** شَنوم اشتشِّريشو شَلشُم شالشِريشو ر بوم اربشريشو اِشَّـيَم	*ištēn sebîšu* IGI *šanûm* *ištišširīšû šalšum* *šālširīšû rebûm* *erbeširīšû iššiam*[16]
الاول جلب لي (الالواح) سبع مرات ، الثاني احدى عشرة مرة ، الثالث ثلاث عشرة مرة ، الرابع اربع عشرة مرة ،....	

وـدِـمَ 1شُـشِـ[ ]ـشُ اَقـبِـاِكـكمُ	*we-di-ma 1šu-š[i]-šu aq-bi-ik-kum*[17]
حسنا، ستين مرة قلت لك	

وترد ايضا صيغ اعداد التكرار في اللغة الاكدية مسبوقة بحرف الجر adi(اَدِ) الذي يعني حتى او لِـ(أي اللام) [١٨] ومن امثلة ذلك:

اَـدِـشَـلَـشِـشُ دُبـبَـتِـيَ اُ$_2$ـشَـبِـلَـاكـكمُـمَ	*a-di ša-la-ši-šu dub-pa-ti-ia* *u-ša-bi-la-ak-kum-ma*[19]
لثلاث مرات ارسلت لك رسالتي (لوحي)	

ا–دِ خَ–امـ–شِ–شُ أُ$_2$–شـ[َ]–بِ –لـ[َ –اَ]–اكـ–[كُ]مـ–مَ	*a-di ha-am-ši-šu* *ú-š[a]-bi-l[a-a]k-[k]um-ma*[20]
لخمس مرات ارسلت لك	

ا–نَ **لوكَال** بـ–لِ$_2$–يَ يِكـ–رِ–بِ ان–نُ–اَ$_2$–تِ ا–د لِـ–امِـ–مِـ–شُ لِـ–اصـ–صِـ–بُ ا–نَ **لوكال اين**–يَ لِـ–اِد–دِ–نُ	*a-na* LUGAL *be-lí-ia ik-ri-bi* *an-nu-ú-ti a-du li-im-mi-šu li-iş-şi-pu a-na* LUGAL EN-*ia* *li-id-di-nu*[21]
لاجل سيدي الملك صليت تلك (الصلاة) لالف مرة ليزداد العطاء لسيدي الملك	

ومن الامثلة التي اوردناها نجد ان صياغة اعداد التكرار في اللغة الاكدية تسير على وفق قاعدة مطردة في جميع الاعداد وصياغتها من العدد الاصلي تستند الى استعمال صيغة المذكر لهذه الاعداد.وهي مطابقة لما في اللغة العربية اذ يأتي العدد مذكرا مع كلمة (مَرَّة) للدلالة على التكرار. وهو يقع ضمن قواعد المخالفة والمطابقة بين العدد ومعدوده.

لان (مَرَّة) هي من الكلمات المؤنثة في اللغة العربية لهذا ياتي العدد معها بصيغة المذكر وربما استندت اللغة الاكدية في استعمال صيغة المذكر للعدد الاصلي لصياغة اعداد التكرار الى مثل هذا الاساس ضمنيا (أي في دلالة مثل هذا السياق) اذ ان معنى كلمة (مَرَّة) في اللغة الاكدية –كما في الامثلة السابقة – جاء مدركا وليس ملموسا ولعله كان مستترا غير ظاهر عَبّرَت عنه النهاية الظرفية أي (*ī*–) والضمير شُ(*šu*–).

2- مايصاغ من الاعداد الترتيبية:

يصاغ هذا النوع من الاعداد في اللغة الاكدية بوساطة اللاحقة اوت (*ūt*) او أُتُّ(*utt*) بالاشورية والنهاية الظرفية أي (*ī*–)او أي (*ē*–)بالاشورية مع لاحقة اسم الذات (وهي في البابلي والاشوري الوسيط) يَ(*ia*) اذ تلحق هذه الاضافات اسم العدد الترتيبي كالآتي:

اسم العدد الترتيبي + *ūt/utt* + *ī/ē* + *ia*

مثال ذلك:

شَنو تـ –يَ اَلِلك	*šanûtē-ia allik*[22]
أذهب للمرة الثانية	

ولابد ان تكون لاحقة اسم الذات (وهي في المثال السابق) يَ(*ia*) متعلقة بشخص الفاعل في العصرين البابلي والاشوري الوسيط . اذ نجدها تتغير طبقا لضمير الشخص القائم بالفعل (أي الفاعل) فتكون يَ(*ia*) وهو ضمير التملك للشخص المتكلم (٢٣). اذ كان الفاعل شخص اول (متكلم) كما في المثال السابق . وتكون كَ(*ka*) وهو ضمير التملك للشخص الثاني (المخاطب) (٢٤).اذا كان ضمير الفاعل في الفعل مسندا الى الشخص الثاني (المخاطب) (٢٥). كما في المثال الاتي:

شَ–نُـ–تِ –اِكـ–كَ تَ–شَبـ–بِـ–رَ	*ša-nu-ti-ik-ka ta-šap-pa-ra*[26]
انت تكتب (لي) للمرة الثانية	

ويبدو ان اللغة الاكدية في العصر الاشوري الوسيط وما بعده لم تعد تلتزم بمطابقة لاحقة اسم الذات لضمير الفاعل في الفعل اذ نجدها اصبحت شُ(*šu*) (وهي تمثل ضمير التملك للشخص الثالث الغائب) (٢٧).بغض النظر عن ضمير الفاعل في الفعل(٢٨)، ويتضح ذلك في المثال الاتي:

šа-aš-šu-te-šu ana (GN)allik[29]	شَـ-اَشـ-شُـ-تـ-شُ$_2$ اَنَ(GN) اَلِّك
اذهب الى (مكان ما) للمرة السادسة	

ومن خلال المثال السابق نجد ان اللاحقة شُ(*šu*)في العبارة *šaššutešu* (شَشُّتِشُ) أي للمرة السادسة لم تطابق ضمير الفاعل في الفعل *allik*(اَللك)وهو كما نرى فعل مسند الى ضمير الشخص الاول (المتكلم) . في حين تمثل اللاحقة شُ (*šu*) ضمير الشخص الثالث الغائب [٣٠].وفي مواضع اخرى نجد ان اللاحقة شُ(*šu*) وردت مطابقة لضمير الفاعل في الفعل كما في المثال الاتي:

ša-nu-te-šú is-se-qe[31]	شَـ-نُـ-تِـ-شُ$_2$ بِسـ-سـ-ق
يأخذه للمرة الثانية	

اذ نجد ان الفعل *isseqe*(اِسِّق) في المثال السابق قد ورد مسندا الى ضمير الشخص الثالث المفرد الغائب متمثلا بالكسرة (*i*) [٣٢].وهو بطبيعة الحال يطابق اللاحقة شُ(*šu*) التي تمثل ضمير التملك للشخص الثالث (الغائب) كما ذكرنا سابقاً ، وتصاغ اعداد التكرار في اللغة الاكدية بالحاق النهاية الظرفية اَنُ (*ānu*) بالاعداد الترتيبية في العصرين الاشوريين الوسيط والحديث مثال ذلك صيغة *šaniānu* (شَنيان) بمعنى: للمرة الثانية ، وصيغة *rabiānu* (رَبيان) بمعنى: للمرة الرابعة ، وهي صيغ غير مبرهن على وجودها في العصرين البابلي القديم والاشوري القديم.كما تصاغ اعداد التكرار في اللغة الاكدية بادخال النهاية الظرفية اش(*iš*) على العدد الترتيبي في العصرين البابليين الحديث والمتاخر . كما في الصيغ الاتية : *šanîš* (شَنيش) للمرة الثانية ،*šalšiš* (شَلشِش) للمرة الثالثة ، *rebîš* (ربيش) للمرة الرابعة ، *hamšiš* (خَمشِش) للمرة الخامسة .....وهكذا[٣٣].

كما استعملت اللغة الاكدية النهاية آ.آ (*a.a*) [٣٤].في نصوص ماري ونصوص العصرين البابلي والاشوري الحديث بعد اسم العدد للدلالة على اسم منسوب

أعداد التكرار والأعداد التوزيعية في اللغة الأكدية | مجلة آداب الفراهيدي | م.م. عبدالله علي محمد التميم
العـدد (11) حزيران 2012

الى العدد على غير قياس ، فضلا عن الدلالة على معنى المضاعفة والتكرار في نحو: *šu-na-a-a* (شُـ-نَـ-اَ-اَ) بمعنى: ثنائي، و *me-a-a* (مـ-اَ-اَ)بمعنى: مئة مرة[٣٥].

ومما تقدم يمكننا عقد مقارنة بين اعداد التكرار المبنية من العدد الاصلي وتلك المستندة الى العدد الترتيبي على وفق الاتي:

١. تستعمل اعداد التكرار المستندة الى العدد الاصلي اللاحقة شُ(*šu*) بغض النظر عن ضمير الفاعل المسندة اليه صيغة الفعل في الجملة، في حين تركز اعداد التكرار المستندة الى العدد الترتيبي في بعض الاحيان على ان تكون اللاحقة التي تلي العدد مطابقة لضمير الفاعل.
٢. تأخذ اعداد التكرار المصاغة من العدد الاصلي صيغة المذكر للعدد الذي اشتقت منه في حين تأخذ اعداد التكرار المصوغة من العدد الترتيبي في الغالب صيغة المؤنث للعدد الذي اشتقت منه.
٣. غالبا ماتدل العبارات التي تحوي اعداد التكرار المبنية من العدد الاصلي على معنى الزمن الماضي في حين تدل العبارات ذات الاعداد التكرارية المبنية من العدد الترتيبي على زمن الحاضر والمستقبل.

ويمكن ان تقارن صيغ الاعداد التكرارية في اللغة الاكدية مع دلالة النائب عن المفعول المطلق في اللغة العربية [٣٦]. مع الاخذ بالحسبان ان كلمة (مَرَّة) في اللغة العربية هي لفظة معربة بحسب سياقها من الجملة اذ تأتي في بعض الاحيان نائبة عن المفعول المطلق وتاتي غير ذلك في احيان اخرى ، وفيما عدا ذلك وبما لايقبل الشك لابد من ان تكون اللغة الاكدية قد عرفت صيغة النائب عن المفعول المطلق لتكون بذلك قد تطابقت مع اللغة العربية في كيفية الاشتقاق واللفظ والمعنى والحالة الاعرابية.ولتوضيح ذلك نستشهد بالمثال الاتي من النصوص المسمارية:

i-na KÙ.BABBAR DAM.GAR-*im* *na-ba-al-ka-ti-im ša-la-aš*	اِـ-نَ **كو**$_3$.**بابّار دام**.**كار**-ام

نَ-بَ-الـ-كَ-تِ-اِم شَـ-لَـ-اش ا-بَ-الـ-كِـ-اِت	a-ba-al-ki-it[37]
مع الفضة (العائدة) للتاجر عبرت ثلاث عبورات (مرات)	

من خلال ما تقدم نلحظ ان صيغة النائب عن المفعول المطلق واضحة جدا فالمفردة *nabalkatim* (نبلكتِم)هي مصدر بمعنى: (عبور ، اجتياز) [٣٨]وان الصيغة الفعلية *a-ba-al-ki-it* (ا-بَ-الـ-كِـ-اتِ) فعل ماضٍ من الصيغة الأولى رباعي الجذر من المصدر *nabalkutu* (نَبَلكُتُ).وهو في الاصل من الجذر(*blkt*) (ب ل ك ت) وهو مسند الى ضمير الشخص الاول المتكلم[٣٩].وبهذا تكون الاكدية قد طابقت العربية في امكانية التعبير عن صيغة النائب عن المفعول المطلق في مثل هذه التراكيب حيث مثلت العبارة *nabālktim šalāš* (نَبالكَتِم شَلاش) صيغة النائب عن المفعول المطلق اذ ورد العدد مع لفظ من اصل الفعل.

ثانيا: الاعداد التوزيعية:

التوزيع في اللغة العربية معناه القسمة والتفريق يقال: توزّعوه فيما بينهم أي تقسّموه او اقتسموه فيما بينهم واختص كل واحد بجزء معين[٤٠].

وعلى هذا الاساس فإن الاعداد التوزيعية هي تلك الصيغ التي تبنى من لفظ العدد بطريقة معينة وتستعمل في اللغة للدلالة على معنى التوزيع او التقسيم او التخصيص. وفي اللغة الاكدية هناك صيغ خاصة للواحد والاثنين اذ ترد صيغة *ištēnâ* (اشتينا)او *ištēnû* (اشتنو)لتعني (كل واحد) للمذكر والمؤنث في العصرين الاكدي والاشوري القديم ، ووردت الصيغة *šinnû*(شنّو) بمعنى: كل اثنين في العصرين البابليين الوسيط والمتاخر ، ووردت في العصر الاشوري الحديث الصيغة *šinašan* (شِنَشَن) لتعني: (كل اثنين) [٤١]. واما صيغ الاعداد التوزيعية في الاعداد (من ثلاثة الى عشرة) فانها تبنى على وزن *puruss-ā*

(بُرسس-آ) [٤٢].كما في *šulušša* (شُلُشَّا) أي: كلّ ثلاثة، *rubûâ* (رُبوآ) كل اربعة ، *tušûâ* (تُشوآ) كل تسعة ، *ušurrā* (اُشُرَّا) كل عشرة [٤٣].ولتوضيح ذلك نورد الامثلة الاتية:

شَ شِـ-اِنـ-نُـ-ا$_2$ البي أ اشتنّوُ **اينسِي$_2$. مبش**	*ša ši-in-nu-ú alpī u ištennû* ENSÍ . MEŠ[44]
كل ثورين وحراث لكل واحد من الامراء (ثوران وحراث لكل واحد)	

1 **نِيندا** شِـ-اِنـ-نِ قَلَن مِتخَرتَم	1NINDA[45] *ši-in-ni qâne*[46] *mithartam*[47]
كل قصبتين مساحة (تعادل) واحد ننّدا	

وكذلك:

شُمَّ اُبان خَشي قَبليتُم اِمتَّ اُ شُميلَم شُـ-لُـ-شَ پُطُّرَ [ت]	*šumma ubān haši qablītum imittam u šumēlam šu-lu-ša puṭṭura[t]*[48]
اذا كان الجزء (الإصبع) الأوسط للرئة مجزء كل ثلاثة الى اليمين واليسار . (اذا كان الجزء الاوسط للرئة مجزء الى ثلاثة اجزاء الى اليمين وثلاثة اجزاء الى اليسار)	

رُ-بُـ-ا-ام **انشِي** اقليتُشُنُ PN PN$_2$ اقليتُشُنُ اشتيبلُ	ru-bu-a-am ANŠE *eqlētušunu* PN PN2 *eqlētušunu uštepēlu*[49]

س ، ص تبادلا حقولهما (بمساحة) كل اربعة (حمار) (٥٠) للحقل . (أي كل حقل بمساحة اربعة (حمار)

وعلى هذا الاساس نلحظ ان الاعداد التوزيعية في اللغة الاكدية تُكَوّن من الواحد والاثنين بصيغ محددة وفي الاعداد (ثلاثة –عشرة) فإنها تبنى من لفظ العدد على وزن *purrus*(بُرُّس) مضافا اليه اللاحقة الظرفية ($\bar{a}$) طويلة (٥١).وأما الاعداد التوزيعية من الاعداد فوق (العشرة) فإنها (بحسب Von soden) غير واضحة تماما(٥٢).وفي اللغة العربية فقد استعملت المفردة (كل) (٥٣) مع العدد الاصلي للدلالة على هذا النوع من التراكيب (أي الاعداد التوزيعية) وهذا واضح في قول الله عزل وجل : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ...﴾ (٥٤). واما الصيغة الاساسية المعتمدة في اللغة العربية للتعبير عن الاعداد التوزيعية فهي مابني من اسماء الاعداد على وزن (فُعَال) او (مَفْعَل) وهو ما اصطلح عليه في العربية بـ(العدد المعدول) كاحاد وموحد ، وثناء ومثنى ، ثلاث ومثلث ، .....الخ ، وتكون هذه الالفاظ للمذكر والمؤنث بلفظ واحد وهي صيغ مأخوذة من لفظ العدد الاصلي ومعدولة عنه ببناء صيغة (فعال او مفعل) تخفيفا للفظة اذ يعطي كل واحد من هذين البناءين معنى العدد التوزيعي فاحاد تعني واحدا واحدا ، وموحد تعني ايضا واحدا واحدا وثناء تعني اثنين اثنين وكذلك مثنى وثلاث ورباع ....وهكذا(٥٥). وترد هذه الالفاظ في العربية صفات ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾(٥٦).فمثنى ومابعده هنا هي صفات لاجنحة مجرورة بالفتحة بدلا من الكسرة لانها ممنوعة من الصرف للوصفية والعدل كما يمكن ان تكون دالة على الحال ايضا(٥٧).

او ان هذه الالفاظ (أي الاعداد المعدولة) ترد لتدل على الحال او البدلية كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (٥٨). اذ ان (مثنى وما بعده يدل على احوال من النساء او انه بدل من –ما طاب لكم– وهو لاينصرف ، لانه اجتمعت فيه علتان الاولى انه معدول عن عدد والثانية انه معدول عن تأنيث) (٥٩).وترد ايضا صيغ هذه الاعداد لغاية اخبارية كما في قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): (صلاة الليل مثنى مثنى)فمثنى الاولى خبر والثانية توكيد(٦٠).

ويبدو ان اللغة العربية استعملت صيغة تكرار العدد الاصلي والعدد الترتيبي للدلالة على الاعداد التوزيعية (٦١).نحو: ادخلوا الغرفة واحدا واحدا او اثنين اثنين او ثلاثا ثلاثا وفي الترتيبي ادخلوا الغرفة الاول فالاول او الثاني فالثاني أو الثالث فالثالث وجميع هذه الصيغ في اللغة العربية حال مؤولة دالة على الترتيب (٦٢).الا انها تحمل ضمنا معنى التوزيع(٦٣).

الخلاصة والاستنتاجات

من خلال دراسة اعداد التكرار والاعداد التوزيعية في اللغة الأكدية – دراسة مقارنة تبين التالي :

١- تختلف العبارات المتضمنة اعداد التكرار في الدلالة الزمنية للفعل ، وغالبا ما تدل العبارات المتضمنة اعداد التكرار المسندة الى العدد الاصلي على صيغة الزمن الماضي ، في حين تشير العبارات ذات الاعداد التكرارية المسندة الى العدد الترتيبي الى الزمن الحاضر والمستقبل.

٢- يمكن ان تقارن صيغ اعداد التكرار في اللغة الأكدية مع دلالة النائب عن المفعول المطلق في اللغة العربية.

٣- تشترك صيغ الاعداد التوزيعية في اللغة الأكدية والعدد المعدول في اللغة العربية بان لكل من هذه الصيغ غاية اخبارية .

٤- استعملت اللغات العاربة صيغاً مختلفة للدلالة على اعداد التكرار الا ان تلك الاختلافات كانت على الصعيد البنيوي للجمل ،على حين انها تطابقت مع بعضها من حيث المعنى.

٥- خُصَّ العدد واحد في اللغة الأكدية في عصورٍ معينة بميزة دون بقية الاعداد الاخرى المستعملة في صياغة اعداد التكرار.وهي اكتسابه معنى مستقل تنحصر دلالته بمعنى التكرار.

الهوامش والمصادر

(1) ينظر الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ،مختار الصحاح،بيروت،1981، مادة كرر ، ص567.

(2) AG,p.59.

(3) CDA,p.135:b

(4) GAG,p.117.

(5) وهي صيغة مفترضة لم يتم التاكد من ورودها في النصوص المسمارية ،ينظر: CDA,p.135:b

(6) يبدو ان اللغة الاكدية بدات في العصر البابلي الحديث والمتأخر بتطبيق القاعدة المتبعة في صياغة اعداد التكرار على العدد واحد ، ولم تعد اللواحق المذكورة تتصل بهذا العدد بشكل مباشر بل تم الفصل بين العدد واحد وما يتصل به من لواحق حيث وردت صيغة *iltēnīšu* (التينيشُ) من العصر البابلي المتأخر لتعني (مرة) وهي كما نرى يمكن تجريدها من اللواحق والابقاء على العدد الاصلي واحد ،عن هذه الصيغة، ينظر:. CDA,p.135

(7) OBTR,No.162,p.133.

(8) AbB,Vol.9,No.103,p.66.

(9) نلاحظ هنا ان العدد اثنين عاد الى مادة (ثن) وهي الاصل الذي اشتق منه هذا العدد في اللغات العاربة . وذلك بعد ابدال صوت الشين (*š*) بالثاء (*ṯ*)

(10) GAG,p.117.

(11) في الاوغاريتية يعبر عن عدد المرات بالحاق كلمة يد (*yd*) بالعدد الاصلي نحو: ((ف ع ن–ا د ت ي–ش ب ع د–و–ش ب ع ا د–م ر–ح ق ت م–ق

ل ت)) ((أي امام اقدام (بين يدي) سيدتي سبع مرات وسبعا عن بعد انحنيت))، ينظر: اسماعيل ، خالد ، مقدمة في قواعد الاوغاريتية، الاردن،1998، ص49. وفي الارامية تستعمل كلمة ز م ن (*zmn*) قبل العدد الاصلي مباشرة وبصيغتي المذكر والمؤنث للدلالة على عدد المرات . ينظر:
Stevenson,B.,Grammar of Palestinian Jewish Aramic, Oxford,1981,p.106.

(12) سورة التوبة ، الاية :126.

(13) سورة النور ، الاية :58.

(14) سورة التوبة، الاية :80.

(15) AbB,Vol.9,No.240,p.148.

(16) CAD,Š,I,p.262:b.

(17) ARM,Vol.18,p.26.

(18) رشيد، فوزي ، قواعد اللغة الاكدية ،نسخة خطية غير منشورة،بغداد، 1988، ص33.وكذلك ينظر:.AG,p.59;GAKK,p.242

وفي الآشورية القديمة استعمل حرف الجر *ana* (انَ) بمعنى إلى بدلا من حرف الجر *adi* (ادِ). ينظر:.GAG,p.117

(19) AbB, Vol.9,No.162,p.104.

(20 AbB, Vol.9,No.155,p.100.

(21) SAA,Vol.10,No.198,p.161.

(22) GAG,p.118.

(23) عن الضمير يَ (*ia*) . ينظر:
CDA,p.440:a

(24) عن الضمير كَ (*ka*). ينظر:
CDA,p.139:a

(25) GAG,p.118.

(26) CAD,Š,I,p.410:b.

(27) CDA,p.343:a.

(28) GAG,p.118.

(29) CAD,Š,II,p.177:b.

(30) للمزيد عن الضمائر في اللغة الاكدية ينظر:المزوري ، رونق جندي ، الضمائر في اللغة الاكدية دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الموصل ، 2007.

(31) CAD,Š,I,p.410,:b.

(32) للمزيد عن اسناد الضمائر الى الافعال ينظر:حنون ، نائل ، المعجم ، المسماري ، معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية،ج 1،بغداد، 2001، ص148ومابعدها.

(33) GAG,p.118.

(34) تجدر الإشارة إلى ان النهاية آ.آ (*a.a*) هي ذاتها ياء النسبة يَ(*ya*) او (*ia*). ينظر:
AbZ,p.202,No.579:a.

(35) للمزيد عن إمكانية اشتقاق صيغ أخرى ذات معان مختلفة مبنية من أسماء الأعداد ينظر:
GAG,p.118-119

(36) المفعول المطلق هو مصدر يذكر بعد فعل من لفظه تاكيدا لمعناه او بيانا لعدده او نوعه او بدلا من التلفظ بفعله ، مثال الاول قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ سورة النساء : 164،والثاني وقفت وقفتين، والثالث سرت سير العقلاء، والرابع صبرا على الشدائد، وينوب عنه عدة اشياء .
مايهمنا منه هو "مادل على عدده" للمزيد عن المفعول المطلق وماينوب عنه ينظر: الغلاييني،مصطفى، جامع الدروس العربية ،ط 22،ج3،بيروت ،1989، ومن خلال الاطلاع على كتب النحو العربي يبدو ان المفعول المطلق الذي يرد بعد فعل من لفظه لبيان عدده يقتصر على مايدل على الواحد والاثنين ؛لان التلفظ بصيغة المفرد والمثنى لكلمة معينة سيدل بالتأكيد على النوع والعدد في ان واحد فقولنا مثلا ((ضربت الولد ضربة))و((ركعت ركعتين))دلت كل من (ضربة) و (ركعتين) على المفعول المطلق ؛ لانهما لفظتان مشتقتان من اصل الفعل ودلت كل واحدة على عدده بحسب صيغتها في الافراد او التثنية وهذا غير ممكن مع بقية الاعداد الاخرى ، لانها تدل على عدد مرات وقوع الفعل لكنها غير مشتقة من لفظه في نحو ((انذر تك ثلاثا)) اذ التقدير انذرتك انذارا ثلاث مرات ، ومثله قول الله عزوجل : ﴿ **فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ سورة النور ، الاية :4،اذ التقدير اجلدوا كل واحد منهما جلدا ثمانين جلدة وعلى هذا فان المفعول المطلق (لبيان العدد) لايكون الا مع مادل على واحد او اثنين من لفظه وماعدا ذلك فهو نائب عن المفعول المطلق (مادل على عدده) سواء أكان لفظا مستقلا في نحو((ضربتك ثلاثا)) ام لفظ عدد مع كلمة مرة كما في قول الله تعالى : ﴿ **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ سورة الاسراء ،الاية: 7.او كان عددا مع لفظ من اصل الفعل نحو ((ركعت اربع ركعات)).

للمزيد ، ينظر:رضا ، علي ، المرجع في قواعد اللغة العربية ،ط 4،ج2، بيروت ، 2003،ص54 ومابعدها.

(37) AbB,Vol.9,No.232,p.144.

(38) CDA,p.227:b.

(39) للمزيد عن الافعال ذات الجذر الرباعي في اللغة الاكدية ،ينظر:سليمان ، عامر ، اللغة الأكدية (البابلية – الاشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها،الموصل، 1991، ص229–230، وكذلك ، ينظر:حنون ، نائل ، المعجم المسماري، مصدر سابق ، ص162.

(40) الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ، مصدر سابق ، مادة وزع،ص719.

(41) GAG,p.118;AHw,p.400:b.
وكذلك ينظر: موسكاتي، سباتينو، المدخل الى فقه اللغات السامية المقارن ، ترجمة : محمد المطلبي ومهدي المخزومي ، بيروت ،1985،ص 203.

(42) ينظر: المصدر نفسه . وكذلك ينظر: SGB,p.64;GAG,p.118

(43) SGB,p.64;GAG,p.118;AHw,p.1443:b.

(44) CAD,Š,III,p.53:b.

(45) NINDA لفظة سومرية يقابلها بالاكدي *nindanum* (نِندَنم) بمعنى: (عصا) وهي وحدة قياس للطول تعادل 6م (ستة امتار على وفق مقاييسنا المعاصرة) وتستعمل وحدة قياس للمساحة لتعادل 6م2(ستة امتار مربعة).
ينظر :CDA,p.254:a،وكذلك ينظر:لابات،رينيه، قاموس العلامات المسمارية

، ترجمة البيرا بونا ، وليد الجادر وخالد سالم اسماعيل ، اشراف عامر سليمان ، بغداد،2004،ص245،رقم العلامة،597.

(46) *qanûm* (قَنوم): مفردة اكدية يقابلها بالسومرية GI (كِي)بمعنى قصبة وتستعمل وحدة قياس للطول وتعادل 3م (ثلاثة امتار) على وفق المقاييس المعاصرة ، كما تستعمل لقياس المساحة وتعادل 3م2(ثلاثة امتار مربعة)، ينظر: CDA,p.284:a ، وكذلك ينظر: سليمان ، عامر ، اللغة الاكدية ، مصدر سابق ، ص302.

(47) CAD,Š,III,p.54:b.

(48) CAD,Š,III,p.262:b.

(49) CAD,R.P.401:a.

(50) حمار بالسومرية ANŠE (انشي) وبالاكدية *imeru*(امـِرُ) وقد استعملت هذه المفردة كوحدة قياس للحجوم (أي وحدة كيل) حيث تعادل 100لتر (مئة لتر) وفق المكاييل المعاصرة، ينظر: لابات ، رينيه ، مصدر سابق ص 119. رقم العلامة 208 ، وعلى ما يبدو فانها وردت هنا بوصفها مقياساً للمساحة اذ تقاس المساحة في بعض الاحيان بمقدار ماتحويه من بذور للزراعة ، وكانه اراد ان يقول في المثال المشار اليه (ان مساحة الحقل الواحد تسع لزراعة اربعة اضعاف حمل الحمار من البذور) أي انها تسع لزراعة اربع مئة كغم من البذور.

(51) لابد من الاشارة الى ان الوظيفة الاساسية للاحقة الظرفية (*ā* طويلة) في اللغة الاكدية هي توزيعية او تقسيمية الا ان ذلك لاينفي ان تكون لهذه اللاحقة وظائف اخرى ذات معاني منفصلة لغويا عن الوظيفة الاساسية من ذلك مثلا ورودها مع صيغ اعداد الاحاد لتكوين الصيغ الدالة على الفاظ العقود مثل

šalāšā (شَلاشَا) (ثلاثون) ، *erbā*(اربا) (اربعون) .... *tišā*(تا) (تسعون) .
للمزيد ينظر: Powell,M.A.," The Adverbial Suffix –ā and the Morphology of the Multiples of Ten in Akkadian " , ZA , Vol. 72 , Berlin , 1982 .,p.98ff

اما في معظم اللغات العاربة فان الاعداد التوزيعية تبنى بتكرار العدد الاصلي ، ومن ذلك مثلا في العبرية *šanayim šanayim*(شَنَيم شَنَيم) أي اثنين اثنين ، وفي العربية الجنوبية *ahadū ahadū* (احَدو احَدو) أي واحدا واحدا وهكذا مع بقية للغات العاربة . ينظر:موسكاتي ، سباتينو ، مصدر سابق ، ص203

(52) GAG,p.118

(53) ان لفظة (كل) في اللغة العربية تدل على العموم وهي من الكلمات الملازمة للاضافة اذ انها تؤدي معنى التخصيص بعد الاضافة وهي بهذا تجعل من اسم العدد بعدها دالا على معنى التوزيع والتخصيص وقد تجرد من الاضافة ويلحقها التنوين الذي يعوض عن الاضافة المحذوفة كقولنا (كلٌ يموت) اذ التقدير (كلُ انسانٍ يموت) للمزيد ينظر:رضا ، علي ،المرجع في قواعد......، مصدر سابق ، ص188ومابعدها.

(54) سورة النساء ، الاية:11.

(55) للمزيد عن العدد المعدول ينظر:ابن سيده ، علي بن اسماعيل ، كتاب العدد في اللغة ، تحقيق عبد الله بن الحسين الناصر وعدنان بن محمد الظاهر ، ط1،مكتبة المشكاة الاسلامية ، 1993،ص21.وكذلك ابن منظورابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ،ج 3 بيروت ، 1994،مادة وحد،ص449.

(56) سورة فاطر ، الاية:1

(57) الزجاج ، ابو اسحاق ابراهيم بن السري، معاني القران واعرابه ، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، ط1،ج2،بيروت ،1988،ص9.

(58) سورة النساء ، الاية : 3.

(59) الزجاج ، ابو اسحاق ابراهيم بن السري،المصدر السابق،ص9.

(60) البقري ، ، احمد ماهر ، دراسات نحوية في القران الكريم ،(العدد–المجرورات)، مصر ،1986،ص18.

(61) تصاغ الاعداد التوزيعية في معظم اللغات العاربة بتكرار العدد الاصلي : ينظر :موسكاتي ، سباتينو ، مصدر سابق ، ص203.

(62) حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ط 3، ج2، مصر ، د.ت،ص 370–371. وكذلك الغلاييني ، مصطفى ، مصدر سابق ، ج3،ص78–84.

(63) يرى بعض النحاة ان العرب عدلوا عن التكرار العددي بالعدد المعدول اذ لايجوز في رايهم ((جاءوا واحدا واحدا او اثنين اثنين ..)) لانه عدل عن ذلك بـ((احاد ومثنى وثلاث...)) ينظر: حسن ، عباس ، المصدر السابق ،ص 370 ، ويبدو لنا انه لافرق بين التكرار العددي والعدد المعدول اذ يدل كلاهما على معنى الترتيب والتوزيع في الوقت نفسه.

(دور العلاقات العامة والاعلام في تفعيل أداء الحكومة الالكترونية)

مشروع افتراضي للحكومة الالكترونية العراقية تطبيقاً على وزارة المالية (الهيئة العامة للضرائب)

أ. م. د. ايسر خليل ابـراهيم

الجامعة العراقية / كلية الاعلام/ قسم الصحافة

المستخلص

اثرت التطورات التكنولوجية في المجتمعات المعاصرة وظهرت آثارها في العمليات الادارية والتنظيمية والفنية في المؤسسات المختلفة خاصة بعد اتجاه العديد من الدول العربية لتطبيق مفهوم الحكومة الالكترونية الامر الذي دفع باتجاه تكوين انماط ثقافية وسلوكية معينة حيال تعاملات المؤسسات الحكومية مع جمهورها.

وقد فرض التحدي التقني الممثل بشبكة الانترنيت نوعاً من التوسع في استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في المؤسسات الحكومية في العراق لتحسين الكفاءة والفعالية لتقديم الخدمة للجمهور.

ولما كانت هذه المؤسسات تحوي اقساماً او مديريات للعلاقات العامة مهمته بناء العلاقات المتبادلة مع الجمهور المتعامل معها. فان هذا يلقي عبئاً متزايداً على جهاز العلاقات العامة بوصفه المسؤول عن التواصل مع الجمهور في ظل التحولات الجوهرية في عملية الاتصال وفي مقدمتها شبكة الانترنيت وضرورة توظيفها بشكل جيد فيها.

مُقَدِّمَة

يمر العالم بمرحلة انتقالية عميقة وشاملة في جميع المجالات وهي مرحلة يتفاقم فيها دور التكنولوجيا الحديثة في التحول من الاساليب التقليدية في الادارة الى الاساليب الالكترونية وبات مفهوم الحكومة الالكتروني عنصر تميز للمؤسسات الحكومية والدول.

والهيئة العامة للضرائب احد تشكيلات وزارة المالية التي لها موقع الكتروني على شبكة الانترنيت، قد حاولنا من خلال البحث دراسة امكانية تطبيق مشروع الحكومة الالكترونية على هذه الهيئة من خلال موقعها الالكتروني ومعرفة دور العلاقات العامة في تحويل النشاط الاتصالي التقليدي لمسؤولي الهيئة الى نشاطات اتصال الكتروني ودور قسم العلاقات العامة في تحديد صورة ايجابية عن الهيئة ومدى تحقيق التغذية العكسية بعد القيام بعملية الاتصال.

وتكمن اهمية البحث في كونه يستقصي مدى تأثير وظيفة الاتصال لتطبيق الادارة الالكترونية ان تم تطبيق مشروع الحكومة الالكترونية في الهيئة العامة للضرائب ودورها في احداث تغييرات جذرية في ملامح الادارة الحكومية(هيكلها وسلوكها واشكال اتصالها بالجمهور واساليبه).

قسم البحث الى أربعة مباحث تطرق المبحث الاول إلى الإطار المنهجي الذي تضمن مشكلة البحث وأهميته والأسس المنهجية الأخرى المستخدمة في أطار البحث، اما المبحث الثاني العلاقات العامة في المؤسسة الحكومية وأهدافها ودورها في مساهمة تشكيل الصورة الذهنية للمؤسسة، اما المبحث الثالث تناول الحكومة الالكترونية(مفهومها– نطاقها– عناصرها– بيئتها)، اما المبحث الرابع فتناول نتائج البحث الميدانية.

المبحث الأول

الخطوات المنهجية

فرض التحدي التقني الممثل بشبكة الانترنيت توسعاً في استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص من اجل تحسين الكفاءة والفعالية لتقديم الخدمة للجمهور ولان أقسام العلاقات العامة هي مكون اساسي في المؤسسات الحكومية من حيث دوره في بناء العلاقات المتبادلة مع كل جمهور المتعامل مع المؤسسة سواء كان الجمهور داخلي ام خارجي فان ذلك الامر يلقي عبئاً متزايداً على قسم العلاقات العامة كونه المسؤول عن التواصل مع الجمهور في ظل التحولات الجوهرية في عملية الاتصالات وفي مقدمتها شبكة الانترنيت وضرورة توظيفها بشكل جيد فيها.

1- مشكلة البحث

حملت التغييرات المتنوعة في عالم الوسائط الالكترونية تأثيرات متعددة في الركائز الأساسية للعلاقات العامة الامر الذي لابد ان يسهم في طبيعة الاتجاه لاستخدام هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة لتوطيد علاقة المؤسسة الحكومية بالجمهور المتعامل معها خاصة في ظل الميزات التي وفرتها هذه الوسائل كسهولة الحصول على الخدمة وسرعتها الى جانب قلة التكلفة وتوفير الوقت والجهد.

في هذا البحث نحاول الوصول الى طبيعة الخدمة الالكترونية التي من الممكن ان توفرها وزارة المالية من خلال تحقيق اتصال متناسق بين المؤسسة وجمهورها.

الى جانب محاولة اقتراح مدى الصلاحيات التي من الممكن ان تمنح لقسم العلاقات العامة في هذه الوزارة لممارسة مهماته ووظائفه عبر موقع الوزارة الالكتروني. لذا يمكن صياغة المشكلة البحثية بتحديد ماهية الدور المقترح للخدمة

الالكترونية على موقع وزارة المالية في تشكيل الصورة الذهنية من الوزارة لدى الجمهور المتعامل معها ومدى القدرة في تحقيق الموقع اتصالاً فعالاً بين الطرفين.

2- أهمية البحث

تأتي اهمية البحث كونه يركز على مدى التأثر المتوقع لعمل العلاقات العامة من خلال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات عند تطبيق مشروع الحكومة الالكترونية في الوزارة وطبيعة الاتصال بالجمهور عبر الموقع الالكتروني وقياس الصورة الذهنية المتوقعة عن تلك المؤسسة لدى جمهورها الخارجي لمعرفة الأهمية التقديرية للصورة الايجابية للوزارة لدى جمهورها ومدى تحقق التغذية العكسية بعد القيام بعملية الاتصال.

3- أهداف البحث

يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية:-

أ - معرفة أداء المختصين في الوزارة واتجاهاتهم حول الموقع الالكتروني للوزارة وكيفية مزاولة الافراد المعنيون لمهامهم الاتصالية بالجمهور الخارجي عبر الانترنيت.

ب - التعرف الى الميزات التي يحققها الاتصال الالكتروني لجمهور الوزارة المتعامل مع الموقع الالكتروني على الانترنيت.

ت -معرفة مدى تحقيق الخدمات الاتصالية التي يمكن ان تقدمها الوزارة عبر موقعها للتغذية العكسية لجمهورها.

4- تس اؤلات البحث

حددت تساؤلات البحث بالشكل التالي :

أ - ما الصلاحيات المقترحة التي تمنحها الجهة المشرفة على موقع المؤسسات الحكومية على الانترنيت للادارات الاخرى بشكل عام ولاقسام العلاقات العامة بشكل خاص للاشراف على الموقع وتزويده بالبيانات والمعلومات التي تتلاءم مع احتياجات الجمهور ومتطلباته؟

ب -ما مدى اسهام موقع الوزارة على الانترنيت من وجهة نظر القائمين عليه في بناء صورة ذهنية ايجابية للوزارة لدى جمهورها ؟

ت -كيف يمكن لمسؤولي العلاقات العامة ان يتواصلوا بفعالية مع جمهور الوزارة عبر موقعها الالكتروني؟

ث -ما الميزات المقدمة التي يوفرها موقع الوزارة لجمهورها ؟

ج -ما الدرجة المتوقعة لاستفادة الجمهور من الخدمات المتوفرة على موقع الوزارة الالكتروني .

5- منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج المسحي الملائم للدراسة الوصفية التي تهدف الى دراسة الافراد وللكشف عن مدى استخدام الاتصال الالكتروني وفائدته واهميته واسهامه في تحقيق توازن اتصالي بين الوزارة والجمهور.

6- مجتمع الدراسة

تم اختيار وزارة المالية(الهيئة العامة للضرائب) وتحديد المدة الزمنية لعملية جمع البيانات من عينة البحث خلال اشهر اذار – نيسان – ايار – لعام 2011.

7- عينة البحث

تم اعتماد عينة عمدية بما يخدم اهداف البحث عن طريق اختيار غير عشوائي طبقاً للمعرفة التامة لمجتمع البحث وتم تطبيق البحث على عينة من جمهور الهيئة العامة للضرائب من خلال اختيار عينة عمدية قوامها(204) شخصاً من المتعاملين مع الهيئة من اصحاب الشركات واصحاب المهن الحرة والقطاع الحكومي والمكاتب الاستشارية والخدمات التجارية والسياحية والاعلامية والفنية وغيرها وحسب ما تم التوصل اليه خلال فترة البحث من مقابلات معه

8- أدوات البحث

تم اعتماد الادوات الاحصائية التالية في عملية جمع البيانات:-

أ - الاستمارة الاستبيانية

تم اعداد استمارة استبيانية خاصة بالجمهور المتعامل مع الهيئة العامة للضرائب للتعرف على آرائهم في الاستخدام الرقمي والالكتروني لعملية تعاملهم مع الهيئة ومدى امكانية ان تحقق هذه الوسيلة الاتصالية اتصالاً فعالاً وتوازناً بين الطرفين.

ب -المقابلة

تم استخدام اسلوب المقابلة مع رؤساء الاقسام في الهيئة ومنها قسم العلاقات والاعلام عبر توجيه مجموعة من الاسئلة التي لها علاقة بطبيعة عملهم وارتباطه بالمواطن واهم المعوقات والمشاكل التي تواجهه انسيابية العمل وتأثير استخدام التكنالوجيا الرقمية على تطوير العمل من حيث السرعة والكفاءة ودور قسم العلاقات والاعلام في تفعيل التوضيح للاتصال الالكتروني بين الهيئة والمواطن والتعرف على طبيعة عمل قسم العلاقات والاعلام ودوره الحالي والتصور المفترض لدوره في حالة استخدام التقنية الرقمية وقدرة قسم العلاقات والاعلام في الاسهام لتحسين صورة الهيئة باتجاه ايجابي عبر موقع الهيئة على الانترنيت.

المبحث الثاني

العلاقات العامة في المؤسسة الحكومية

(الاهداف – تشكيل الصورة الذهنية - التاثير)

نتيجة لتطور دور الدولة الذي شمل كل اوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية وغيرها من المجالات، ولان من الاهداف الاساسية للمؤسسة الحكومية هو تقديم الخدمات لتحقيق المصلحة العامة وللاهتمام بالعلاقات الجيدة مع الجمهور لذا استوجب الامر ايجاد ادارة متخصصة بالعلاقات العامة يكون هدفها الاساسي بناء جسور من الثقة والتواصل بينها وبين الجمهور.

اولاً:- اهداف العلاقات العامة

استقرت الاهداف التقليدية للادارة الحكومية على تحقيق الكفاءة الادارية للوصول الى الاهداف المرسومة باقل تكاليف وباقل وقت وافضل جودة وتعريف الجمهور بها من خلال قسم العلاقات العامة الذي يهدف الى((السعي الفعال نحو تحقيق اداء على مستوى عالٍ من الجودة وبخاصة في اعداد البرامج والنشاطات)) [1] ، والتوعية بأهداف المؤسسة وسياساتها والعمل على ايضاح برامجها وارشاد الجمهور الى الخدمات التي تؤديها وكيفية الحصول عليها والاهم الوصول الى هدف تأسيس هوية المؤسسة وصورة قيادية للمؤسسة في المجتمع وتدعيم العلاقة بالجمهور بوسائل الاتصال المتعددة.

من هنا فان العلاقات العامة تعد نشاطاً مهنياً متخصصاً تسعى من خلاله لتقوية العلاقة بين المؤسسة وجمهورها بهدف تحقيق اتصال فعال بين الطرفين....

وللعلاقات العامة في المؤسسة الحكومية وظائف متعدد وهي:-

- البحوث والدراسات:- ((ويعني بها جميع البيانات وتحليلها وتفسيرها سواء كانت البحوث تتعلق بالجمهور الداخلي او الخارجي وسواء كانت عن سلعة او خدمة او فكرة، وهذه البحوث مهمة جداً للادارة لانها تساعد في رسم السياسات والخطط العامة والبرامج الرامية الى تحقيق اهداف المؤسسة بفاعلية))[2].
- الاعلام والمعلوماتية:- ((وتهدف هذه الوظيفة الى اعلام الجمهور بالتشريعات والقوانين والتعليمات الحكومية، اضافة الى اعلام صانعي القرار بردود الافعال السريعة للرأي العام))[3].
- تصحيح المعلومة والاخبار:- وهي وظيفة يدافع بها عن نشاط المؤسسة وحمايتها من اية حملات اعلامية تشن عليها او في حالة نشر اخبار غير صحيحة حولها باستخدام وسائل الاعلام المناسبة.

ثانياً:- مساهمة العلاقات العامة في تشكيل الصورة الذهنية للمؤسسة

يقع على عاتق قسم العلاقات العامة مسؤولية تكوين الصورة الايجابية عن المؤسسة على اساس من الحقائق والمعلومات الصحيحة، لذا فأن برامج العلاقات العامة في المؤسسة الحكومية تعد محاولات مخططة باتقان تخلق نوع من الصلات التي تسهم في دعم جوانب الفهم والاحترام بين المؤسسة والجمهور، ومن اهم البرامج التي تعدها العلاقات العامة لبناء صورة جيدة للمؤسسة:

اعداد الحملات الاعلامية بأنواعها المختلفة(حملات التعليم وتدعيم الاتجاه والسلوك، حملات الاقناع واكتساب سلوكيات معينة، تعديل سلوكيات وعادات قديمة).

اضافة الى الاستخدام الفعال لبرامج العلاقات العامة لتصحيح الافكار الخاطئة واثارة اهتمام الجمهور بنشاط المؤسسة واهميته.

((ولتحقيق الصورة الذهنية السليمة للمؤسسة والذي تعده برامج العلاقات العامة وضوح الهدف الذي يجب ان يضعه المسؤولون في الادارة والدراية بالجمهور المستهدف وتحديد ميزانية البرنامج وتحديد الجدول الزمني الخاص بالبرنامج وابراز جوانب التميز والتفوق في المنتجات والقدرات والخدمات))[4].

وتقوم الصورة المثالية للعلاقات العامة على الانطباع الحقيقي المستند الى التجربة والمعرفة والفهم للحقائق، لذا من الصعب تحسين الصورة بل من الممكن اكتساب صورة جيدة عند تقديم الاسباب التي نجمت عن تشويه الصورة سواء كانت عن سلوك غير قويم او عن تلقي معلومات خاطئة، من هنا فلابد من اعداد والعلاقات العامة لبرنامج فعال يشتمل على استراتيجيات محددة لتغير اتجاهات الجمهور وصورة المؤسسة لدى افرادها من اجل تحقيق نتائج ملموسة يستطيع من خلالها المؤسسة تحقيق اهدافها وتكوين اتصال قوي بينها وبين وجمهورها والوصول الى صورة ذهنية ايجابية لها.

ثالثاً:- تأثير تكنولوجيا المعلومات في العلاقات العامة

شملت تكنولوجيا المعلومات نشاطات العلاقات العامة وكان لها انعكاساتها الايجابية على وسائل الاتصال التي تستخدمها، فزادت اعدادها وتغيرت اولوياتها وطورت قدرتها بحيث اصبحت من العوامل الاساسية والمساعدة على تطوير قدرات العلاقات العامة((بدرجة يمكن ان تؤدي الى تلعب دوراً اكثر فاعلية في المؤسسات الحالية والمستقبلية))[5].

ويتضح تأثير تكنولوجيا المعلومات في العلاقات العامة جلياً عندما تتم ممارستها عبر الوسائط المتعددة والمختلفة في الحضور.. التفاعلية والكثافة العالية للمعلومات ((فان تأثير هذه السمات انعكس في تغيير توجهات ممارسي العلاقات العامة في سعيهم نحو ايجاد الطرق المثلى لخدمة الجماهير بواسطة قنواتهم

الاتصالية)) [6]، حيث ان الوسائط المتعددة بالنسبة لهم هي اداة انتاجية واداة لجمع المعلومات وتخزينها واستخدامها وهي ايضاً اداة تعليمية تساعد على اكتساب مهارات ومعارف جديدة.

وهنا لابد ان نذكر ان عملية التحول من النمط التقليدي الى النمط الالكتروني المتمثل بتطبيقات تكنالوجيا المعلومات لا ينبغي ان ينظر اليها بوصفها مشروعاً تكنلوجيا فحسب بل بقدر ما هو تغيير ثقافي ومؤسسي تعليقات بكيان المجتمع وهيكل عمل الدولة وطرائقها.

((لذا فان هذه التكنالوجيا هي احد عناصر التحول والتغيير اللذان يتكاملان مع العنصر البشري الموجود من حيث طريقة تفكيره وثقافته لاستخدام التكنالوجيا)) [7].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن ان يكون تقبل الجمهور للمؤسسة التي تستخدم التقنيات التكنلوجية في عملها ؟ هنا يكون دور العلاقات العامة في ان تقدم المشورة للمؤسسة بشأن الممارسات المناسبة التي تحقق الفهم الجماهيري لهذا التحول وكذلك مساعدة الجمهور على فهم تأثير التغير التكنولوجي والتوصل الى تفاهم مشترك واياهم يوضح من خلاله اهمية التغيير والتحول في تقديم الخدمة وما ينجم عنه من سهولة ومرونة في انجاز العمل.

رابعاً:- اهم استخدامات العلاقات العامة لشبكة الانترنيت

اتاحت شبكة الانترنيت الكثير من قنوات الاتصال والتي اسهمت في ايجاد فرص من التواصل مع الجمهور بشكل متناسق ومتوازن واقل كلفة وذلك من خلال شبكة الويب التي تعرض لنشاطات المؤسسة بشكل دعائي حديث، وهناك البريد الالكتروني والبريد الصوتي حيث يمكن لممارسي العلاقات العامة لارسال توصيات اعلامية وتصريحات اخبارية للاعلام ونقل النشرات الصحفية للمحررين وللاخبار العاجلة عن المؤسسة لمختلف الصحف، كما تلك استطلاعات الرأي بالبريد

الالكتروني خياراً مهماً لممارسي العلاقات العامة لجمع البيانات والمعلومات لتطوير العمل المؤسسي ومع وجود مواقع للمؤسسة على الانترنيت فان تقديم الشكاوي التقليدية قد تتغير فاصبح الكترونيا واضافات دور العلاقات العامة اصبح استشارياً لتحسين مستوى الاداء من خلال فحص وتقويم اسلوب الشكاوى واتجاهها وايجاد الحلول لها.

خامسا : اهداف العلاقات العامة ...

ويساعد استخدام شبكة الانترنيت في العلاقات العامة على تحقيق اهداف كثيرة في مقدمتها الاهداف الاعلامية: ارسال النشرات والمواد الاخبارية الى وسائل الاعلام ومراقبة مؤشرات شبكة الانترنيت عن المؤسسة وتكفي التساؤلات والتفسيرات المختلفة من المحررين وامكانية الرد عليها ومن ثم تستفيد العلاقات العامة من شبكة الانترنيت بالحصول على اكبر كم من المعلومات تمكنها من الاعتماد على الوسائل التقليدية الى عالم اوسع ووسائل اكثر مرونة كذلك تتوافر فرص اكبر لممارسي العلاقات العامة للتعرف على الجمهور او زوار الموقع ووقت الزيارة وتاريخها وغيرها من المعلومات.

ان هذه التكنلوجيا المتطورة لها اهمية بالغة في مجال العلاقات العامة لان تحولات وتغييرات سريعة سوف تلحق بطبيعة الجماهير التي تتعامل المؤسسة واياها بمبادئ الاتصال والاقناع التي تعتمد عليها المؤسسة في مواجهتها والعلاقات بالجمهور ومفاصل الدولة الاخرى ووسائل الاتصال الجماهيرية. ومع انشاء المؤسسات الحكومية مواقع لها على شبكة الانترنيت اصبحت اكثر قرباً من الجمهور وكون هذا لدى مستخدمي الشبكة من الجمهور انطباعات معينة عن تلك المؤسسة اضافت اليها نوعاً من المكانة كما واكسبت خدمة الانترنيت للمؤسسة خبرة في مجال استخدام التكنلوجيا وخاصة لدى ممارسي العلاقات العامة حيث يهتم ممارسي العلاقات العامة عند تنفيذ استراتيجيات الاتصال عبر الانترنيت لتحقيق النقدية

العكسية سماع رأي الطرف الاخر فالاتصال يكون اقل فاعلية اذا لم يشارك الجمهور مرسل الرسالة وتفقد الوسيلة الاتصالية فاعليتها.

((ويرى باحثون ان اشكال الاتصال التي تتداخل مع الحاسوب بوصفها وسيطاً بطبيعتها متفاعلة وهي التي تعمل على تسهيل الاتصال الثنائي الاتجاه))[8].

ومن هنا يتضح لنا ان ممارس العلاقات العامة يستطيع دمج التطورات التكنلوجية ذات الاهمية في ممارسة وظيفته بما يحقق له فاعلية مثلى في اتصال بالجمهور وادراك قدرات تكنلوجيا المعلومات المتاحة ايضاً والاعتراف بان هذه القدرات لابد ان يتم استغلالها بشكل مناسب ومتابعة اخر المستجدات التقنية في خدمة الجمهور وتأكيد عدم اهمال اهمية الاتصال القائم على الحوار والمحادثة مع الجمهور

المبحث الثالث

الحكومة الالكترونية

(مفهومها – نطاقها – ركائزها – بيئتها)

اولاً:- المفهوم

"" يقصد بالحكومة الالكترونية هي ان تؤدي المصالح الحكومية وظائفها ومهماتها ازاء ما يتعلق بخدمة الجمهور او فيما نيتها بطريقة الكترونية عن طريق تسخير تقنية المعلومات ووسائل الاتصال الحديثة [1]، فيما عرفها البنك الدولي بانها"" مصطلح حديث يشير الى استخدام تكنلوجيا الاتصالات والمعلومات من اجل زيادة كفاءة وفعالية وشفافية ومساءلة الحكومة في ما تقدمه من خدمات للمواطن ومجتمع الاعمال من خلال تمكينهم من المعلومات بما يدعم النظم الاجرائية الحكومية كافة على الفساد "" [2]. ولكي تحقق مشروعات الحكومة الالكترونية الاهداف المرجوة منها وهي تقديم خدمات ومنتجات حكومية ذات جودة عالية فان ذلك يتطلب منها:- "" توفير بيئة تحتية مناسبة وايجاد النظم والتشريعات الملائمة واعادة النظر في طريقة سير المعاملات الحكومية وتوفير القدرات والطاقات البشرية المؤهلة ""[3].

ثانياً:- نطاق الحكومة الالكترونية

وللحكومة الالكترونية من خلال تحديد نطاقها فوائد كثيرة للافراد والمؤسسات والادارات الحكومية وللقطاع الخاص من حيث قدرتها على تحقيق الشفافية من خلال الاتاحة المتساوية لكل المعلومات المرتبطة بالوزارات والاجراءات والخدمات الحكومية للجميع من افراد ومؤسسات حكومية او خاصة وتخفيض دورة الوقت المرتبطة بانتاج الخدمات بطبيعتها الفورية وايصالها وسرعة الاستجابة لطلبات الجمهور وتطبيق اللامركزية المؤسسية "" [4]، كذلك تبسيط الاجراءات وتوفير النفقات وتقليل الاخطاء

اثناء اجراء المعاملات. ومن خلال الحكومة الالكترونية يمكن توفير البيانات والمعلومات للمستفيدين بصورة فورية وتوظيف تكنلوجيا المعلومات لدعم وبناء ثقافة ايجابية لدى كافة العاملين وترشيد التكاليف المالية عن طريق تقليل اوجه الصرف في انجاز ومتابعة العمليات الادارية المختلفة مما يؤدي الى تعزيز الكفاءة الاقتصادية اضافة الى التعليم المستمر وبناء المعرفة بسبب اعتماد آلية العمل الالكتروني الذي يخضع لتطورات ومستجدات دائمة.

ثالثاً:- الركائز الاساسية للحكومة الالكترونية

تقوم فكرة الحكومة الالكترونية على ركائز اربعة اساسية وهي:-

أ – تجميع كافة الانشطة والخدمات المعلوماتية والتفاعلية والتبادلية في موضع واحد هو موقع الحكومة الرسمي على شبكة الانترنيت في نشاط اشبه ما يكون بفكرة جهات الدوائر الحكومية.

ب -تحقيق حالة اتصال دائم بالجمهور مع القدرة على تأمين كافة الاحتياجات الاستعلامية والخدمية للمواطن.

ت -تحقيق سرعة وفعالية الربط والتنسيق والاداء والانجاز بين دوائر الحكومة ذاتها ولكل منها على حدة.

ث -تحقيق وفرة في الانفاق في كافة العناصر بما فيها تحقيق فوائد افضل من الانشطة الحكومية ذات المحتوى التجاري.

ان الحكومة الالكترونية في اية دولة يجب ان لا تكون استنساخاً لتطبيق لتجارب دول اخرى اذا اريد لها النجاح والفاعلية لان متطلباتها تعتمد بشكل جوهري على البناء الخاص للحكومة الواقعية وعلى الاداء الخاص بالموظف الحكومي وعلى الثقافة الخاصة لمجتمع المواطنين.

واذا كانت بعض المفاهيم للحكومة الالكترونية تقوم على اساس تجميع الخدمات في وضع واحد فان مفاهيم اخرى تناقض هذه الفكرة "" اذ لا يرى البعض حاجة لانتهاج مسالك التجميع بل يمكن ان يتحقق الانجاز افضل ان تم انشاء اكثر من مركز للعمل الحكومي الالكتروني وهذا من جديد يعيد التساؤل حول النظامين المركزي واللامركزي وايهما افضل في الواقع التطبيقي ""(5).

حيث ان الحكومة الالكترونية تعيد امتحان كافة النظريات الادارية والدستورية للحكم وهي من حيث المفهوم للدائرة المعنية من دوائر الحكومة بذاتها او فيما بين الدوائر المختلفة باستخدام شبكات المعلومات والاتصال عن بعد.

رابعاً:- بيئة الحكومة الالكترونية من خلال تحديد الدور والمزايا :

وفقاً لتصور شامل لمحتوى الحكومة الالكترونية الذي لابد ان يتضمن محتوى معلوماتي يغطي كافة حاجات الجمهور ومع مؤسسات الدولة او فيما بينها او بين تلك المؤسسات والقطاع الخاص... وهناك ايضاً محتوى خدمي ينتج تقديم مع اجهزة الدولة معاً في كل وقت بوسيلة تفاعل يسيرة من هنا "" فان الحكومة الالكترونية يمكن ان تكون وسيلة بناء اقتصاد قوي تساهم في حل مشكلات اقتصادية وان تكون وسيلة اجتماعية تساهم في بناء مجتمع قوي ووسيلة تفاعل بأداء اعلى وكلف اقل وهي ايضاً وسيلة اداء باجتياز كل مظاهر التأخير والتباطؤ في اداء الجهاز الحكومي وهي ايضاً ادارة رقابية لما تتمتع به النظم والتقنية من امكانيات التحليل والمراجعة آلياً للأنشطة التي تتم على الموقع ""(6).

ولذا فان من اهم الاغراض المناطة بالحكومة الالكترونية:-

أ – تحقيق فعالية الاداء الحكومي.

ب -تقديم موقع واحد للمعلومات الحكومية

ت -نقل الاجراءات الحكومية على الموقع.

ث -تطبيق النماذج الرقمية واتاحة تعبئتها على الموقع.

ج -تطوير بنى تحتية عامة في حقل التقنية والتشفير في بيئتي الاتصال والحاسبات.

ح -تقديم الخدمة الحكومية على الموقع.

"" ولتحقيق هذه الاغراض وما يتفرع عنها لا يمكن ان ينجز دون اعتماد استراتيجية واضحة في بناء الحكومة الالكترونية استراتيجية تنطلق من دراسة الواقع القائم ومشكلاته قبل المباشرة في نقل العمل الرقمي اذ سيؤدي ذلك الى انتقال عيوب الواقع الى البيئة الالكترونية""(7).

خامساً:- اساسيات بناء الحكومة الالكترونية

من اجل تأسيس حكومة الكترونية لابد من توفير مجموعة من المتطلبات الاساسية تقنية وتنظيمية وادارية وقانونية وبشرية وبالشكل التالي:-

١ -حل المشكلات القائمة في الواقع قبل الانتقال الى البيئة الالكترونية اذ يجب ان تقوم الحكومة بتوفير المعلومات اللازمة بمواطنيها عبر الانترنيت حيث يجب ان تتواجد سياسة يتم بموجبها تحديد جميع الوثائق والمعلومات والنماذج الحكومية مباشرة عبر الانترنيت وفي هذا الاطار فان اكبر مشكلة يمكن مواجهتها عند الشروع بتطبيق مشروع الحكومة الالكترونية هي مشاكل التوثيق القائمة في الواقع اذ ليس ثمة نظام توثيق فاعل يضع كافة وثائق العمل الحكومي في موضعها الصحيح وبالوقت المطلوب فإذا ما كان هذا واقع العمل الحقيقي فان من الخطورة الاتجاه لبناء الحكومة الالكترونية قبل انهاء المشكلة القائمة في الواقع غير الالكتروني.

٢ -"" حل مشكلات قانونية التبادلات التجارية وتوفير وسائلها التقنية والتنظيمية ذلك ان جميع المبادلات التي تتعامل بالعقود يجب وضعها على الانترنيت مثل

امكانية دفع الفواتير والرسوم الحكومية المختلفة مباشرة عبر الانترنيت وجعل هذه العملية بينية بمعنى انها تردد لتشمل كل من يقوم لاداء التعاملات التجارية مع المؤسسات الحكومية ""(8).

٣ -توفير البنى والاستراتيجيات المناسبة الكفيلة ببناء المجتمعات، فبناء المجتمعات يتطلب وسيط تفاعلي على الانترنيت يقوم بتفعيل التواصل بين المؤسسات الحكومية وبين المواطنين وبين مزوديها ... بحيث يتم توفير المعلومات بشكل مباشر عن حالة اية عملية تجارية ثم تأديتها في وقت سابق اضافة الى مؤتمرات الفيديو لتسهيل الاتصال بين المواطن الحكومي.

ان مفهوم الحكومة الالكترونية يعكس سعي الحكومات الى اعادة ابتكار نفسها لكن تؤدي مهاماً بشكل فعال في الاقتصاد العالمي المتصل ببعضه البعض عبر الشبكة والحكومات الالكترونية ليست سوى تحول جذري في الطرق التي تتبعها الحكومات لمباشرة اعمالها وذلك على نطاق لم تشهده منذ بداية العصر الصناعي.

ومن الممكن ان تحقق الحكومة الالكترونية فوائد مادية مهمة وتوفر معلومات وخدمات افضل في مجالات التعاملات بين الحكومات والمواطنين وبين الحكومات وقطاع الاعمال وبين الدوائر الحكومية مع بعضها البعض ومن ((وجهة نظر المختصين في مجال تطبيقات الحكومة الالكترونية فان احد اهم الاجزاء في هذه المعادلة هو ذلك المتعلق بعملية الشراء والتزويد وهو الجزء الذي تظهر فيه الفائدة الحقيقية للاستخدام الانترنيت في عمليات الشراء من حيث زيادة كفاءة وفعالية عمل الحكومات اضافة الى تحسين علاقة العمل بين المؤسسات الحكومية المختلفة والافراد الذين يعملون ضمن هذا المجتمع ويستفيدون من الخدمة الحكومية))(9).

سادساً:- مراحل تطبيق مشروع الحكومة الالكترونية

من الواجب ان تتم الاستفادة من جميع الامكانات التكنلوجية المتوافرة منذ بداية وضع مشروع الحكومة الالكترونية قيد التنفيذ وان توضع في الاعتبار اثناء التخطيط لكي لا يصبح استيعابها عبئاً جديداً اثناء التنفيذ او بعده لانها ودون ادنى شك ستفرض استعمالها او ستفرضها الحاجة القائمة في حينه، وتسعى الحكومات المعاصرة الى تحقيق طموحاتها من خلال التخطيط الاستراتيجي والتعاون الدولي وتوفير المناخ الملائم حيث اصبحت الحكومات الالكترونية عنواناً للتقدم ويمكن تطبيق الحكومة الالكترونية على اربع مراحل بالشكل التالي:-

المرحلة الاولى:- (التحول) وهي جعل البيانات والمعلومات الحكومية متاحة فوراً على الشبكة وخصوصاً المعلومات القانونية والادارية والثقافية والبيئية ومعلومات النقل عموماً وتقوم الوزارات والمؤسسات الحكومية بوضع كافة المعلومات المتعلقة بتقديم خدماتها على مواقع محددة باسمها.

المرحلة الثانية:- (التفاعل) في هذه المرحلة تقوم مواقع الوزارات باستقبال الاتصالات والاستفسارات من خلال البريد الالكتروني بين المواطن وقطاع الاعمال من جهة ومواقع الاجهزة الحكومية على شبكة الانترنيت من جهة اخرى.

المرحلة الثالثة:- التعامل او تبادل المعلومات والخدمات حيث يتم التبادل من خلال الشبكة بين المستفيدين واجهزة الدولة مع توافر وسائل الدفع وتحقيق التكامل في العلاقات القائمة على مستوى كل وزارة من خلال الحصول على جميع خدمات الجهاز الحكومي التي يقدمها في البيئة التقليدية.

المرحلة الرابعة:- (التكامل او مرحلة التحول الكامل)وفيها تتكامل الخدمات الحكومية الالكترونية وتنظيم الوزارات في موقع ذي مواصفات قياسية معينة يطلق عليه او البوابة ليجمع كل الوزارات الدولة الواحدة متمثلة في ايقونات متعددة باسك كل وزارة وتنطوي تحتل وزارة هياكلها الادارية الطبيعية وخدماتها ويتم الدخول وتنفيذ الاعمال عن طريق كلمة المرور والتي حددت مسبقاً صلاحيات وحقوق مستخدمها لتعطيه حق الوصول الى اي دائرة حكومية يريدها(10).

المبحث الرابع

نتائج البحث الميدانية

- **نتائج المقابلة على عينة البحث(مسؤولي الهيئة العامة للضرائب)**(*)

بعد اجراء المقابلة الميدانية مع مديرو اقسام الهيئة العامة للضرائب تم الوصول الى النتائج التالية:-

أ - اختلفت رؤية كل قسم من اقسام الهيئة حوال طبيعة النشاط والخدمة التي يمكن ان تؤدي عبر الانترنيت فمنهم من رأى ان المهم هو انجاز المعاملات عبر موقع الهيئة على الانترنيت هو اهم هدف يمكن ان يتحقق الكترونياً.

ب -كان هناك اتفاق على اهمية موقع الهيئة وامكانية تطوير الخدمات الموجودة فيها واضافة خدمات الكتروني جديدة حسب احتياجات الجمهور وتكليف قسم العلاقات والاعلام بادارة الخدمات الالكترونية لمراجعة تفاصيل الموقع من الاخطاء اللغوية والرسومات غير الواضحة والروابط غير المتكاملة من اجل ابراز صورة الهيئة بشكل جيد من حقول موقعها الالكتروني ومن الممكن اضافة خدمات مجانية للجمهور مثل تحميل بعض البرامج المساعدة للاستفادة الالكترونية المتوافرة على الموقع.

ت -القصور في عملية التعاون بين اقسام الهيئة مع قسم العلاقات والاعلام والذي انصب على عملية تزويدهم بالمعلومات والبيانات الخاصة بكل قسم دون الاسهام في تشكيل شكل الموقع او اعداد برامج وخدمات الكترونية، وهذا يعني ان طبيعة عمل الاقسام جميعها هو مزود بالمعلومات وهذا الامر يقود الى ان

(*) الهيئة العامة للضرائب احد مديريات وزارة المالية انشئت بتاريخ 1982 بعد عملية دمج بين مديرية الدخل ومديرية الواردات العامة يتضمن هيكلها الاداري من(14) قسماً ضمن مركز الهيئة اضافة الى(18) فرعاً ضريبي ف بغداد (28) فرعاً ضريبي في المحافظات.

كون رغبتهم في تحويل العمل التقليدي الى طبيعة الكترونياً ضعيفة وقاصرة على من يمتلك القدرة على استخدام الانترنيت فقط.

ث -اعداد الزائرين لموقع الهيئة قليل جداً ويرى العاملين على الاقسام الادارية في الهيئة ان السبب هو ضعف التوجيه للجمهور بخصوص تشجيعهم على استخدام الموقع وهذا هو دور قسم العلاقات والاعلام الذي يشكو من قصور في علاقته بالجمهور الخارجي.

ج -احتوى موقع الهيئة على روابط تفاعلية منها(اتصل بنا – اسئلة متكررة – مواقع ذات صلة – قوانين وانظمة) ولكن الروابط التفاعلية الاكثر اهمية والتي رأى مسؤولي قسم العلاقات والاعلام ضرورة وجودها مثل رابط الشكاوى – رابط استطلاعات الرأي.

(علماً بان موقع وزارة المالية لديه رابط الاستطلاعات ولكن عدد الزائرين قليل جداً).

خ -وجود خلط كبير لدى مسؤولي الاقسام في الهيئة بين ميزات شبكة الانترنيت الاتصالية والتسويقية والخدمية وبين الممارسة الفعلية لها في مجال العلاقات العامة بالهيئة وتداخل العمل بين الاقسام من حيث علاقتهم بالجمهور الخارجي مما اثر على طبيعة عمل قسم العلاقات والاعلام بالشكل المطلوب وبالتالي قصور عمل هذا القسم على الوسائل التقليدية التي هي مرتبكة اصلاً وتتسم بنوع من الفوضى اضافة الى عدم وجود رؤية للأنترنيت لا تتصف بالتخصص والممارسة والاستخدام والتطبيق الميداني لدى كل الاقسام وبالتحديد قسم العلاقات والاعلام.

د – اقتصار عمل قسم العلاقات والاعلام بشكل كبير على كفاية الاخبار المتعلقة بنشاط الهيئة وجمعها وارسالها الى الصحف او الوزارة وتغطية نشاطات

وفعاليات الهيئة وعمل ارشيف الاعلامي(صحف) للهيئة حول ما ينشر في وسائل الاعلام... اما تطبيق هذا العمل على موقع الهيئة فهو ضعيف وعملية التحديث لا تتم بشكل دوري ويومي.

ذ – هناك قناعة لدى مسؤولي الاقسام في الهيئة بضرورة واهمية ان تتحول خدمات الهيئة الى طبيعة الكترونية متطورة ومتوافرة على الموقع الامر الذي يسهم في التقليل من نسبة المراجعين والازدحام وتوفير الوقت والجهد وضرورة توفير الخدمة المعلوماتية الاخرى مثل:- مواقيت الصلاة- حالة الطقس- اضافة الى روابط حكومية داخل الدولة وخدمة البحث عن اي معلومة اضافة الى استجابة الهيئة لرغبات الجمهور واحتياجاتهم والاهتمام بشكل اوسع بآلية استطلاعات الرأي للجمهور لمعرفة نقاط الخلل في نوعية الخدمات التي تقدمها الهيئة وتوفير رابط لمقترحات الجمهور المتعامل مع الهيئة.

ثانيا:- نتائج البحث على عينة الجمهور المتعامل مع الهيئة العامة للضرائب

نستعرض فيما يلي بعض نتائج جداول استمارة الاستبيان الخاصة بالبحث الميداني:-

جدول رقم (1)

يوضح اعداد العينة التي تم اختيارها بناءاً على ما توافر خلال فترة البحث:-

العينة	العدد
المقاولات	61
العقارات	34
القطاع الحكومي	25
الصناعية	15

قطاع الصحة(الخاص)	18
تجارة المواد الغذائية	16
تجارة المفرد والجملة	14
المكاتب الاستشارية	13
الاتصالات	8
المجموع	204

جدول رقم(2)

يوضح الاسباب التي قد تدفع المتعاملين مع الهيئة لاستخدام خدمة الاتصال الالكتروني

اسباب الاستخدام	العدد	النسب المئوية
توفير الجهد	58	28,04
سرعة الحصول على المعلومات	46	22,05
توفير التكلفة المادية	37	18,02
تحديث البيانات باستمرار	29	14,21
توافر الخدمة باستمرار	21	10,02
تجنب الازدحام المروري	13	6,04
المجموع	204	%100

يتضح من الجدول رقم(2) ان نسبة 28,04% من عينة الدراسة ترى ان استخدام الاتصال الالكتروني قد يؤدي الى توفير الجهد اذا تم استخدامه بشكل فعال ومتطور وثبت ان لدى افراد العينة مقتنعون ان تقنيات الاتصالات الالكترونية لها ميزات منها تحسين مستوى الاداء وتقليص التكاليف المادية وتوفير الوقت وتوضح لدينا ان هناك رغبة شديدة لدى العينة في الحصول على الخدمات الالكترونية عبر

تعاملها مع المؤسسات الحكومية... وهنا يأتي دور العلاقات العامة في ان تقدم المشورة والايضاح للهيئة بشأن الممارسات المثلى للتعامل مع جمهور الهيئة لتحقيق الفهم الجماهيري الضروري لتلك التغيرات التقنية وتحفز استخدامها من قبل الطرفين.

جدول رقم(3)

يوضح الشكل الاتصالي المفضل والمقترح في تعامل العينة مع الهيئة

الشكل الاتصالي	العدد	النسبة المئوية
الحضور الشخصي	102	%50
الهاتف	54	%26,04
البريد الالكتروني	19	%9,31
المعقب(شخص متابع المعاملة)	29	%14,2
المجموع	204	%100

يتضح من الجدول رقم(3) ان نسبة 50% من العينة تفضل الحضور الشخصي الى مقر الهيئة العامة للضرائب لمتابعة عملها، ونرى ان السبب يعود الى ان العديد من خدمات الهيئة الحالية غير متوافرة على الموقع الالكتروني لها مما يجعل عملية الافتراض بوجود هذه الخدمات غير مكتمل بشكل صحيح اضافة الى قناعة افراد الهيئة ان عملية الاستفسار عن موضوعات معينة يتطلب المواجهة الشخصية للحصول على المعلومات المطلوبة، رغم ان نسبة بسيطة من العينة رأت ان الاتصال عبر البريد الإلكتروني قد يكون فعال ايضاً لتقديم المعلومات وللاستفسار بشكل سريع ومتطور ولكن ذلك مرتبط بتفعيل هذه الخدمة الاتصالية وحسن ادارتها ومتابعتها من قبل المعنيين من الهيئة.

جدول رقم(4)

مستوى الرضا عن الخدمة الاتصالية التقليدية

مستوى الرضا	العدد	النسبة المئوية
مرتفع	100	%49,01
متوسط	50	%24,0
منخفض	54	%26,4
المجموع	204	%100

يوضح الجدول رقم(4) ان درجة الرضا عن مستوى الخدمة الاتصالية التقليدية في الهيئة كان مرتفعاً بنسبة 49,01% وهذه تشير الى ان العاملين في خدمة مراجعي الهيئة يمتلكون مهارة الاتصال والاهتمام بالمواطنين إذ يعد الاتصال التقليدي بكل اشكاله من الوسائل التي لا غنى عنها في تحقيق التواصل الفعال.

جدول رقم(5)

يوضح المدة التي حصلت فيها العينة على ردود الشكاوى او الاستفسارات او المتابعة (خلال فترة البحث)

المدة الزمنية / الخدمة	في اليوم نفسه		خلال اسبوع		اسبوعين		شهر		لم يتم الرد	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	نسبة مئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الاتصال الشخصي	٦٥	٤٢,٥	٦٦	٤٣,١	١٣	٨,٥	٥	٣,٣	٤	٢,٦
الهاتف	١١	١٥,٩	٣٦	٥٢,٢	١٠	١٤,٥	٧	١٠,١	٥	٧,٢
اتصل بنا الموقع (الالكتروني)	٢	٣,٤	٢٣	٣٩,٠	١٥	٢٥,٤	١١	١٨,٦	٨	١٣,٦

يتضح من الجدول رقم(5) ان معدل الفترة التي يحصل فيها المواطن على الرد على اي استفسار او اقتراح او شكوى تقدم الى الهيئة العامة للضرائب هو اسبوع عبر استخدام الاتصال الشخصي او الحضور الشخصي للهيئة حيث ان معظم معاملات الهيئة يتطلب المرور بالعديد من الاقسام والادارات للبت بشأنها من يلتزم اسبوعاً لذلك اما بالنسبة لاستخدام الهاتف كوسيلة للحصول على المعلومة او الرد على الاستفسار فأن نصف حالات الرد يكون خلال اسبوع فيما يتعلق بوسيلة(اتصل بنا) والتي توجد في موقع الهيئة الالكتروني فان فترة الاسبوع ايضاً هي فترة الرد المتبعة للتعامل مع المعاملات والشكاوى والاستفسارات.

جدول رقم(6)

يوضح مستوى الصورة الذهنية لعينة البحث حول خدمة الموقع الالكتروني للهيئة

مستوى الصورة الذهنية	العدد	النسبة المئوية
سلبي	132	%64,7
ايجابي	10	%4,9
محايد	62	%30,4
المجموع	204	%100

يتضح من الجدول رقم(6) ان مستوى الصورة الذهنية لمكون لدى العينة عن موقع الهيئة كان سلبياً بنسبة 64,7% وايجابياً بنسبة ضئيلة بلغت 4,9% ونرى ان موقع الهيئة يسهم الى حد كبير في تكوين صورة ايجابية لدى الجمهور اذا تم اعتماد الخدمة الاتصالية الالكترونية الصحيحة وجرة متابعة الموقع من قبل مختصين بشكل دائمي وتطويره وتبسيط التعامل معه من قبل اقسام الهيئة وجمهورها من خلال ادراك الهيئة ان خدمة الانترنيت لها اثر فعال في تحقيق اهداف الهيئة حيث ان التطورات الذهنية الايجابية تدفع الجمهور الى التعامل بإيجابية مع خدمات الهيئة ونشاطاتها، ومن هنا يتم تحقيق الاهداف التنظيمية والمصالح المشتركة بين الهيئة والجمهور، ان توفير اتصال الكتروني وتدعيمه بالاستجابة الفورية لكل احتياجات الجمهور واستفساراته وحصوله على التغذية العكسية هي امور تشكل من خلالها الصورة الجيدة لدى الجمهور عن الهيئة.

الاستنتاجات:-

١ -أسهمت تقنية الانترنيت في تغيير أساليب تفاعل المؤسسات الحكومية والجمهور وطرق ايصال الخدمات فقد أضافت بعداً جديداً يتصف بالثنائية والتفاعلية اللتين كان يفتقر اليهما بعض الوسائل الاتصالية التقليدية.

٢ -كما استطاعت في ظل ضخامة الجماهير التي تتعامل معها المؤسسات الحكومية من كسر الحواجز التي كانت تعيق عملية التفاعل والاتصال وجعلته ثنائي الاتصال.

٣ -وقد أوضح البحث ان هناك اهتماماً بسيطاً من قبل الهيئة العامة للضرائب بموقعها الالكتروني رغم ادراك المسؤولين في الهيئة بأهمية تطوير خاصية التفاعل بينها وبين الجمهور.

4- وعلى ضوء مفهوم الحكومة الالكترونية عن طريق اضافة نمط الاتصال الالكتروني ليعزز وسائل الاتصال التقليدية التي تتيحها للجمهور ومن ثم تغيير اسلوب تفاعل الجمهور مع الهيئة.

التوصيات

١ -من الضروري ان يمثل مشروع الحكومة الالكترونية بمفهومه وادارته ثورة ادارية تنموية للأعمال والنشاطات الحكومية إذ تم الربط بين تكنولوجيا المعلومات ومهمات الجهاز الحكومي ومسؤولياته من خلال سياسات واضحة والاهتمام بفعالية المواقع الالكترونية وتوفير الروابط الاتصالية المتفاعلة والكفوءة.

٢ -تشجيع الجمهور على تغير سلوكهم من خلال وسائل الاعلام على تغير سلوكهم نحو استخدام تكنولوجيا الانترنيت بضرورة تحقيق نوع من التكامل بين الخدمة الالكترونية وعملية التغير في سلوك الجمهور من خلال تبسيط الاجراءات قبل وضعها على الموقع الالكتروني.

٣ -ضرورة تطور مفهوم العلاقات العامة لدى المؤسسات الحكومية وفقاً للتطور الحاصل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات من حيث تطوير وظائفها وممارساتها وتحديثها وان يكون لها دور فعال على الموقع الالكتروني وهذا يؤكد ضرورة تعلم المعنيين في العلاقات العامة وسائل التكنولوجيا الحديثة وتطبيقها في ممارسة وظائفهم.

٤ -ضرورة تعاون ادارة الموقع الالكتروني مع قسم العلاقات العامة في الهيئة بتحديد مضمون الموقع ومحتوياته وتحديد الجماهير التي تستهدف وان يكون لمسؤول العلاقات العامة ودور واضح وحقيقي على الموقع حتى يستفيد من شبكة الانترنيت في تدعيم علاقة الهيئة بالجمهور وتطويرها.

الهوامش:

(١) محمد البادي، ثورة تكنولوجيا الاتصالات ومشكلة الجماهير في العلاقات العامة، مجلة الدراسات الاعلامية، القاهرة، العدد66، 2002، ص62.

(2) R.L. Heath, Hand book of public Relations, London, uk, sage publication , 2001, p . 582.

(٣) عبد الحميد عمراني، نمو متطور جديد لتدعيم العلاقات العامة في ظل العولمة، مؤتمر العلاقات العامة في ظل العولمة في الوطن العربي، كلية الاصال، جامعة الشارقة، 2994، ص907.

(٤) محمود سلمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، 2004، ص273.

(٥) محمد البادي، ثورة تكنولوجيا الاتصالات ومشكلة الجماهير في العلاقات العامة / مصدر سبق ذكره، ص77.

(٦) علي محمد شمو، الاتصال الدولي والتكنلوجيا الحديثة، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، 2002، ص49.

(٧) عبد الملك رومان، الوظيفة الاعلامية لشبكة الانترنيت، دار الراية الجامعية، بيروت، 2006، ص87.

(٨) محمود الامين موسى، مستقبل العلاقات العامة في عصر المعلوماتية، مؤتمر كلية الاتصال/ جامعة الشارقة، 2006، ص15.

(٩) هالة منصور، الاتصال الفعال، مفاهيمه واساليبه ومهاراته، الاسكندرية، المكتبة الجامعية، 2000، ص10.

(١٠) رأفت رضوان، عالم التجارة الالكترونية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الادارية، 2000، ص4.

(١١) هالة منصور، الاتصال الفعال، مصدر سبق كره، ص27.

(١٢) نبيل فؤاد، الثورة التكنلوجية وحروب القرن 21 بين الواقع والخيال، ابو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2003 ، ص11.

(١٣) يحيى الريوي، تكنلوجيا الاتصالات والمعلومات ودورها في تحسين الاداء الحكومي، ورشة عمل حول استخدام تكنلوجيا المعلومات في تعزيز الاداء الحكومي، المنظمة العربية للتنمية الادارية، الاسكندرية، 2004، ص4.

(١٤) المصدر السابق، ص6 – ص7.

(١٥) محفوظ احمد جودة، العلاقات العامة – مفاهيم وممارسات، دار زهران للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص302.

(١٦) محمود بن ناصر، متطلبات الحكومة الالكترونية الفاعلة والعقبات التي تواجهها، ندوة الحكومة الالكترونية: الواقع والتحديات، عمان، 2003، ص2.

(١٧) عبد العزيز الرقابي، الحكومة الالكترونية ودورها في تقديم الخدمات العامة في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2002، ص5.

(١٨) مي الخاجة، تقويم اداء العالمين في مجال العلاقات العامة، مجلة بحوث الاعلام، العدد الرابع، 1998، ص77.

مصادر البحث

١ –محمد البادي، ثورة تكنلوجيا الاتصالات مشكلة الجماهير في العلاقات العامة، مجلة الدراسات الاعلامية، القاهرة، العدد66، 2002، ص62.

2- R. L Heath, Hand book of public Relations, London, uk, sage publication, 2001, p.582.

٣ –عبد الحميد العمراني، نحو منظور جديد لتدعيم العلاقات العامة في ظل العولمة في الوطن العربي، كلية الاتصال، جامعة الشارقة، 2004، ص907.

٤ –محمود سلمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، 2004، ص237.

٥ –علي محمد شمو، الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، 2002، ص49.

٦ –عبد الملك رومان، الوظيفة الاعلامية لشبكة الانترنيت، دار الرابت الجامعية، بيروت، 2006، ص87.

٧ –محمد الامين موسى، مستقبل العلاقات العامة في عصر المعلوماتية، مؤتمر كلية الاتصال، جامعة الشارقة، 2006، ص15.

٨ –هالة منصور، الاتصال الفعال– مفاهيمه واساليبه ومهاراته، الاسكندرية، المكتبة الجامعية، 2000، ص10.

٩ –رأفت رضوان، عالم التجارة الالكترونية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الادارية، 2000، ص4.

١٠ –نبيل فؤاد، الثورة التكنولوجية وحروب القرن 21 بين الواقع والخيال، ابو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2003، ص11.

١١ -يحيى الريوي، تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ودورها في تحسين الاداء الحكومي، ورشة عمل حول استخدام تكنولوجيا المعلومات في تعزيز الاداء الحكومي، المنظمة العربية للتنمية الادارية، الإسكندرية، 2004، ص4.

١٢ -محفوظ احمد جودة، العلاقات العامة – مفاهيم وممارسات، دار زهران للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص302.

١٣ -محمود بن ناصر، متطلبات الحكومة الالكترونية الفاعلة والعقبات التي تواجهها، ندوة الحكومة الالكترونية: الواقع والخدمات، عمان،2003، ص2.

١٤ -عبد العزيز الرقابي، الحكومة الالكترونية ودورها في تقديم الخدمات العامة في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2002، ص5.

١٥ -مي الخاجة، تقويم فاعلية اداء العاملين في مجالات العلاقات العامة، مجلة بحوث الاعلام، العدد الرابع، 1998، ص77.

الإعلام التركي من العثمنة إلى العلمنة

أ. م. د. عبدالكريم علي الدبيسي

جامعة البترا/ قسم الإعلام

عمان الأردن

مُقَدِّمَة

يعتمد صانعو السياسة في تركيا ، على وسائل الإعلام كأداة أساسية للتعبير عن مواقفهم ، وسياساتهم لكسب الدعم والتأييد لبرامجهم ، فضلا عما تمثله من قنوات مهمة يستخدمونها في تعبئة الرأي العام ، إزاء القضايا المتعلقة بالشؤون الخارجية أو الداخلية، وفي بناء البيئة السياسية وإعادة تشكيلها في ظل تواصل النزاع بين العلمانيين والإسلاميين ، إذ تستمد وسائل الإعلام التركية قوتها وأهميتها من الدور الذي تمارسه، كأحد العناصر المشكلة لبيئة صنع القرار السياسي، فهي أدوات للتعبير عن الرأي العام ومواقفه من المشكلات المختلفة التي تهمه، وبما يتوافق مع مرجعياتها الفكرية والسياسية ، لاسيما تلك المشكلات المتعلقة بالنزاع المتواصل منذ مطلع القرن العشرين بين دعاة العثمنة من جهة، ودعاة العلمنة من جهة أخرى، النزاع الذي كان يطغى عليه التجاذب بين اليمين واليسار، غير أن اختفاء ذلك التجاذب بعد سقوط الإيديولوجية الشيوعية بانهيار الاتحاد السوفيتي، دفع إلى الواجهة مجددا بالتجاذب بين الإسلاميين والعلمانيين الذي تحول الآن إلى محور الصراع السياسي والفكري داخل تركيا، حيث تشكل وسائل الإعلام التركية أدوات المواجهة الرئيسة بين التيارين.

أولا: المفاهيم العامة

١. الإعلام التركي

غالبا ما يرتبط منشأ وسائل الإعلام في دولة ما، بتاريخ تأسيس الطباعة التي هي أداة انتشار الصحافة التي تُعد أقدم وسيلة إعلامية، ويعود تاريخ إنشاء أول مطبعة في الدولة العثمانية إلى عام 1494م، أي بعد ثمانية وخمسين عاما على اختراع (غوتنبرغ) للطباعة، حيث جلب اليهود الفارون من إسبانيا أول مطبعة إلى الدولة العثمانية تم نصبها في إسطنبول، أما أول مطبعة باللغة التركية فقد أنشئت عام 1727م، من قبل إبراهيم متفرقه وسعيد محمد جلبي، وهما من أوائ ل الماسونيين في تركيا.

وبسبب التعصب المفرط في الدولة العثمانية تجاه تقبل الاتجاهات الحديثة واقتباس الأساليب العصرية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد تأخر ظهور الصحف التركية مائة عام بعد تاريخ دخول أول مطبعة باللغة التركية، (١) إذ إن أول صحيفة صدرت باللغة التركية كانت في عام 1831، وفي عام 1860م، ظهرت الصحافة المستقلة.

وبعد إلغاء السلطنة العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية عام 1923م، تم تعزيز سيطرة الدولة على الإعلام الذي ظل إعلاما رسميا خاضعا لتوجهات الدولة خلال مدة نظام حكم الحزب الواحد، حزب الشعب الجمهوري، وبعد انتقال تركيا من نظام حكم الحزب الواحد إلى نظام تعدد الأحزاب في عام 1950، ما لبثت أن تحولت الصحافة التركية ووسائل الإعلام الأخرى إلى مؤسسات إعلامية غير رسمية يمتلكها القطاع الخاص.

وتطور الإعلام التركي اليوم وحقق طفرات كبيرة وواضحة، من مظاهرها الازدياد المطرد في عدد المؤسسات الإعلامية المختلفة، وانتشارها الواسع، وتميز

أدائها من حيث الشكل والمضمون، ما جعلها تحتل مكانة متميزة في سوق الاستثمارات الإعلامية.

٢. العثمنة

العثمنة ظاهرة تاريخية، كان الدين الإسلامي يمثل فيها الهوية التي تربط الشعوب ضمن إطار السلطنة العثمانية، ودولة الخلافة الإسلامية التي حكمت المسلمين لعدة قرون. والعثمنة نسبة إلى الدولة العثمانية 1299-1923م التي أسسها عثمان بك، وامتدت رقعتها إلى ثلاث قارات، حيث أقام العثمانيون إمبراطورية عالمية، خلفت تراثا عريقا وعظيما من الحضارة والثقافة، إذ تميز المجتمع العثماني خلالها بوحدة الهوية على الرغم من اختلاف مكوناتها، لا سيما بين الشعوب المسلمة التي كانت منضوية تحت الراية العثمانية، ولم يكن للهوية التركية ظهور بارز حتى بدأت ملامح انهيار الإمبراطورية العثمانية، لتتنازع المجتمع التركي ثقافتان لم تبتعدا عن مضمون الصراع بين الدين والعلمانية في تركيا ، وقد مهدت الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الدولة العثمانية التي فقدت تفوقها الاقتصادي والعسكري.(٢)

٣. العلمنة

العلمنة Secularization اصطلاحا، تعني وفق ما جاء بالموسوعة البريطانية "ه ي: العلاقة المميزة للمجتمع الحديث الذي يجب أن يعمل دون اهتمام كبير بالدين والأخلاق أو الجماليات، أو اعتبارات المكانة فتوجهه الأساسي يجب أن يكون نحو تعظيم الكفاءة". (٣) ويقترب من مفهوم هذا المصطلح، تعريف الدكتور عبدالوهاب المسيري الذي يعرف العلمنة بأنها؛ اعادة صياغة الواقع المادي والإنساني في إطار نموذج الطبيعة / المادة بالشكل الذي يحقق التقدم المادي حسب، مع استبعاد كل الاعتبارات الدينية والاخلاقية والإنسانية، (٤) ويعرّف محمد أركون العلمنة

بأنها؛ توتر مستمر من أجل الاندماج في العالم الواقعي والتي تساعد على نشر ما نعتقده أنه الحقيقة في الفضاء الاجتماعي (المجتمع).[٥]

وقد تسربت الأفكار العلمانية إلى تركيا منذ القرن الثامن عشر أيام الدولة العثمانية عن طريق الطلاب الأتراك الذين كانوا يدرسون في الغرب خاصة أولئك الذين كانوا يدرسون في فرنسا، [٦] فكري شعبان وبعد تأسيس الجمهورية عام 1923م تكرست العلمانية على شكل إجراءات منهجية وقوانين صارمة ، شملت إلغاء الخلافة الإسلامية وعلمنة التشريع والقضاء والسياسة والاقتصاد والإعلام والتربية والتعليم والثقافة والفكر،[٧] وأصبح للتيار العلماني التركي مؤسسات تدافع عنه ، أبرزها؛ الجيش والأحزاب اليمينية واليسارية والقومية ووسائل الإعلام العلمانية، بشكل بلغ حد العنف في بعض الأحيان.

إن مفهوم العلمانية في تركيا لا يقتصر على تحييد دور الدين وفصله عن الدولة كما هو في الغرب مثلا، لكنه يمضي أبعد من ذلك بإجبار الناس على المفهوم الذي يراه لممارسات الدين في الحياة العامة بل وفي أداء العبادات . فللعلمانية التركية ، تختلف عن العلمانية المعتدلة التي تفصل السياسة عن الدين ولكنها لا تعاديه ولا تحاربه، فهي علمانية شاملة متطرفة معادية للدين.

ثانيا: نشأة وسائل الإعلام التركية وتطورها

١. الصحف والمجلات

يرجع تاريخ نشوء الصحافة التركية إلى عهد السلطان محمود الثاني، الذي سعى حينها إلى توجيه الدولة اتجاهاً حديثاً مواكباً للغرب، لذلك أمر بتأسيس أول صحيفة تركية رسمية، صدرت في الحادي عشر من تشرين الثاني 1831م، تحت اسم (تقويم الوقائع)، لتعبر عن شؤون الحكومة الداخلية والخارجية وتتولى نشر وجهات نظر الحكومة على أفراد الشعب. [٨] وصدرت بعض الأعداد من (تقويم

الوقائع)، باللغات العربية، الأرمنية، الفارسية واليونانية. وتواصل هذه الصحيفة صدورها حالياً صحيفة رسمية تنشر القوانين والقرارات الصادرة عن الدولة، وفي عام 1836م، صدرت صحيفة (حوادث) وكان اللافت فيها نشرها الإعلانات التجارية الخاصة.[٩]

ويمكن القول إن الصحافة التركية النابضة بأحداث المجتمع، بدأت مع صحيفة (ترجمان أحوال) التي شرعت بالصدور عام 1860م، ومثلت انعطافة مهمة في تاريخ الصحافة التركية، لأنها كانت صحيفة رأي وليست صحيفة كيل المديح للدولة، بل وجهت انتقاداته ا للسياسة الخارجية والنظام الإداري والتربوي والمشكلات المالية للدولة العثمانية، أدى ذلك إلى منع صدور الصحيفة لمدة أسبوعين في شهر أيار عام 1861، وكان هذا أول تعطيل صحفي في تاريخ الصحافة التركية.[١٠]

وبعد (ترجمان أحوال)، صدرت صحيفة تصوير الأفكار في عام 1862م، وفي الأعوام ما بين 1867 – 1878م، كان عدد الصحف الصادرة في إسطنبول وحدها (113) صحيفة، واستمر الحال على هذا المنوال حتى العهد الجمهوري، وكانت أبرز الصحف هي: (بصيرة)، و(العبرة) و(ترجمان حقيقات) و(إقدام) و(صباح) و(سعادت) و(طارق). أما الصحف الصادرة أثناء حرب التحرير الوطنية التي جرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فقد اضطلع ت بدور وطني مهم، وفي طليعتها صحيفة (إرادتي مليه) التي تعني الإرادة الوطنية، وصحيفة (حاكميه تي مليه) التي تعني السيادة الوطنية التي واصلت صدورها في العهد الجمهوري باسم (أولوص) أي الشعب، وكان لمصطفى كمال أتاتورك دور مؤثر في صدورهما، لتكونا معبرتين عن أهدافه وتطلعاته، وموجهتين لتعبئة أبناء الأناضول لخوض حرب الاستقلال. [١١]
وصدرت صحف كثيرة بعد حرب التحرير ، ما يزال بعضها مستمراً في الصدور حتى يومنا، مثل صحيفة (جمهوريت)، وصحيفة (ملليت)، وصحيفة (أقشام)، وكان عدد

الصحف الصادرة في تركيا من أيار 1919 وأواخر عام 1938م، 582 صحيفة ومجلة ،[12] وفي عام 1941 بلغ عدد الصحف 113 صحيفة و 227 مجلة.[13]

وتشهد الصحافة التركية اليوم، مرحلة تتسم بمواكبة أحدث التطورات التكنولوجية في العالم، فقد ارتفع عدد الصحف والمجلات الصادرة في عموم تركيا عام 2010 إلى 6459 صحيفة ومجلة بين يومية وأسبوعية ونصف شهرية وشهرية وبنسبة زيادة بلغت 6.4% مقارنة بعام 2009، وتتوزع الصحف والمجلات بين ثلاث فئات، هي الصحف والمجلات الوطنية التي يبلغ عددها 2285 وتشكل نسبة 35.4% وتتخذ من ولاية إسطنبول مقراً لصدورها ، وتمتاز بكونها ذات معدلات توزيع واسعة في مختلف أنحاء تركيا، والفئة الثانية: وهي الصحف والمجلات الإقليمية التي يبلغ عددها 357 وتشكل نسبة 5.5% وتوزع في الأقاليم، والفئة الثالثة: وهي الصحف والمجلات المحلية التي يبلغ عددها 3817 وتشكل نسبة 59.1% وتصدر في الولايات (المحافظات) التركية، وغالباً ما تكون هذه الصحف المحلية ذات معدلات توزيع محدودة نسبياً في مناطق صدورها.

وحسب معلومات معهد إحصاء الدولة التركي، ارتفع معدل التوزيع السنوي للصحف والمجلات التركية في عام 2010 إلى 2.571 مليار نسخة، مقارنة في عام 2009 حيث كان معدل التوزيع 2.266 مليار نسخة.[14] وازداد بشكل ملحوظ، عدد المجلات الصادرة في تركيا، في السنوات الأخيرة، كما ازداد التخصص في مجالات متنوعة؛ فبينما كان عدد المجلات لا يتعدى 20 في عام 1990، أصبح عددها 3679 في عام 2010، منها 2098 مجلة توزع على نطاق وطني وتشكل نسبة 57% من إجمالي عدد المجلات الصادرة في تركيا، ، وبلغ إجمالي عدد التوزيع للمجلات التي تصدر عادة إما أسبوعية أو شهرية أو دورية بحدود 139.5 مليون نسخة سنوياً.[15]

وأخذت المجلات المتخصصة في سرد تفاصيل أخبار الساعة، تطور نفسها من حيث الشكل والمضمون في الأعوام الأخيرة، وهناك أيضاً مجلات اقتصادية متخصصة ومجلات للإذاعة والتلفزيون ومجلات متخصصة في مجال الأدب، والفنون والمرأة، والرجل والشباب والسيارات والموسيقى والرحلات والطبخ والديكورات والصحة، والإلكترونيات، والفكاهة وغيرها. وكل من ها له ا قُراؤها وخاصة المجلات الفكاهية لماضيها العريق في هذا المضمار، مما جعلها في مقدمة المجلات الشهرية. وتفيد الدراسات والأبحاث بشأن عائدات الإعلانات ومصادر المدخولات المعتمدة على مبيعات الصحف والمجلات في تركيا، إن المعدل السنوي لجميع المبيعات للصحف والمجلات المقروءة فقط هو ما بين 350–400 مليون دولار. أما عائدات الإعلانات فهي حوالي 280–300 مليون دولار أمريكي ، ووفقاً لذلك فان إجمالي حجم التعاملات التجارية للصحافة المقروءة في تركيا، بلغ ما يقارب 700 مليون دولار، ما أعطى لقطاع الصحافة في تركيا مكانةً بارزة في إجمالي حجم التعاملات التجارية إضافة للدور المؤثر في تكوين الرأي العام.[16]

٢. الإذاعة والتلفزيون

بدأت الإذاعة التركية التابعة لهيئة البريد والاتصالات الحكومية ، بثها الأول في السادس من أيار عام 1927، بعد أن تم نصب مرسلتين ذات قدرة 5KW في كل من مدينتي إسطنبول وأنقرة، وفي عام 1937، تم نقل ارتباط دائرة الإذاعة من هيئة البريد والاتصالات اللاسلكية التركية إلى الإدارة العامة لشؤون الإعلام المرتبطة بمكتب رئيس الوزراء، وفي 22 تموز 1938، تم استخدام مرسلات ذات قدرة 20KW في أنقرة للاستفادة منها في خدمات البث الإذاعي على الموجة القصيرة. وفي مطلع عام 1961 تم إنشاء محطة أرضروم وشهد عام 1961، توسعاً كبيراً في مجال البث الإذاعي إذ تم نصب سبع محطات إذاعية إقليمية في كل من أنقرة، إسطنبول، أزمير،

أدنه، أنطاليا ، غازي عينتاب وقارص. وزيدت في عام 1963، قدرة الإرسال إلى 240KW. (١٧)

ويُعد الأول من أيار 1964، نقطة تحول بالنسبة للبث الإذاعي والتلفزيوني في تركيا، إذ تم تأسيس المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية، بموجب قانون خاص سمي بقانون المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية رقم 2954 الذي حدد مقوماتها القانونية ومهماتها الإعلامية كمؤسسة عامة تتمتع باستقلالية خاصة.

أ. المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية TRT

تقدم المؤسسة العامة للإذاعة والتلفـزيون التركية المعروفة باختصار TRT ، خدمة البث الأرضي لـ99% من الأناضول، ولـ 70% من القارات الخمسة عن طريق الفضائيات، وتتواصل مع جماهير واسعة عن طريق 13 قناة تلفزيونية، و 15 محطة إذاعية ، 6 منها وطنية و 6 إقليمية و 1 محلية و 2 عالمية، وتبث بـ 32 لغة . وتتبع للمؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية 13 قناة هي قناة TRT-1 العامة وقناة TRT-2 للأخبار والمعلومات والثقافة والفن ، وقناة TRT-3 التي تركز على البرامج الرياضية، وتتناوب في البث مع تلفزيون البرلمان و TRT-GAP و TRT-4 التي تتناوب في بثها مع TRT-GAP والأطفال- TRT و TRT-6 وقناة TRT-TÜRK الموجهة للأتراك في الخارج وقناة TRT-AVAZ و TRT BELGESEL القناة الوثائقية و MÜZİK TRT القناة الموسيقية و ARAPÇA TRT القناة العربية و TRT-5 الأناضول. (١٨)

ب. الإذاعات وقنوات التلفزيون الخاصة

أحدث تغيير المادة 133 من الدستور التركي في العاشر من تموز 1993، تحولاً كبيراً في قطاع الإذاعة والتلفـزيون ، إذ أتاح ذلك التغيير الدستوري المجال أمام تنافس واسع لمؤسسات القطاع الخاص في إنشاء محطات الإذاعة والتلفزيون

الخاصة، وقد شهدت تركيا ما بين 1990-1998 اندفاعا فريداً من نوعه للقطاع الخاص في مجال العمل الإذاعي والتلفزيوني. (١٩)

بدأت الإذاعات و قنوات التلفزيون الخاصة في تركيا بثها في التسعينات من القرن الماضي ، ويوجد حالياً في تركيا 251 قناة تلفزيونية، 23 منها وطنية و 16 إقليمية و 212 محلية، كذلك توجد 1082 محطة إذاعية خاصة ، 35 منها وطنية و 99 إقليمية و 948 محلية. تم بدء البث التلفزيوني الأرضي بالتقنية الرقمية التجريبي في أنقرة وإسطنبول وأزمير في عام 2006. ويتم التخطيط حاليا لغرض التحول إلى البث الأرضي الرقمي في وقت متزامن مع الدول الأوروبية خلال عام، وإنهاء البث الأرضي التناظري. (٢٠)

٣. وكالات الأنباء

عرف المجتمع التركي وكالات الأنباء، قبل قيام النظام الجمهوري في تركيا، عن طريق مكاتب الوكالات الأجنبية المتمركزة في إسطنبول ، وأثناء حرب التحرير الوطني، أبدى مصطفى كمال أتاتورك إلى جانب اهتماماته بالصحافة القومية، حرصاً على إنشاء وكالة للأنباء على الغرار الدولي، وبمبادرة منه أنشئت وكالة أنباء الأناضول في أنقرة بتمويل من ميزانية الدولة ، وهي وكالة شبه رسمية، وتعد الوكالة الأولى في تركيا، وتوجد أيضاً وكالات أنباء خاصة عديدة تعمل على نطاق قومي أبرزها: وكالة أنباء أنقرة، ووكالة الأنباء التركية، ووكالة أنباء دوغان، ووكالة إخلاص للأنباء، ووكالة الأنباء الاقتصادية ، ووكالة أنباء جيهان ، ووكالة الأخبار التركية ، إضافة إلى وكالات أخرى. (٢١)

أ. **وكالة أنباء الأناضول** (AA): أُنشئت هذه الوكالة في السادس من نيسان 1920 في أنقرة إدراكاً من مصطفى كمال أتاتورك، لأهمية إنشاء وكالة أنباء تتولى نشر أخبار انتصارات الجيش التركي في حرب التحرير الوطني في خارج وداخل

تركيا، التي ما لبثت أن توسعت بعد خمس سنوات وافتتحت مكاتب خارجية لها، لتصبح الناطق الرسمي باسم الحكومة. [٢٢] وتمتلك الوكالة 28 مكتباً إقليمياً داخل تركيا و 22 مكتباً في أهم مراكز العالم، وقد وظفت الوكالة أفضل التقنيات التكنولوجية الحديثة، لتطوير أساليب ووسائل عملها بما يسهم في مواكبة التنافس المتسارع بين وكالات الأنباء في سرعة نقل الأخبار بشكل آني ولحظة وقوع الحدث، وتعد هذه الوكالة مصدراً أساسياً لوسائل الإعلام التركية في حصولها على الأخبار المحلية والدولية، ويبلغ معدل بث الوكالة اليومي ما بين 700-800 خبر و 200 صورة صحفية وتصدر الوكالة نشرة أخبار وتقارير توزع على مشتركيها في عموم الولايات التركية البالغ عددها 81 ولاية. [٢٣]

ب. **وكالة أنباء أنقره** ANKA: تأسست هذه الوكالة في السابع والعشرين من شهر ايار/ مايو 1972 في أنقرة، من قبل الصحفي التركي آلتان أويمن (Altan öymen)، حيث تزود مختلف الصحف التركية الصادرة في إسطنبول وانقره وأزمير بالأخبار السياسية والاقتصادية والعامة، ويبلغ معدل التغطية الإخبارية اليومية للوكالة بحدود 60-70 الف كلمة. [٢٤]

ج. **وكالة أنباء إخلاص** Ihlas Haber Ajansi: أسس رجل الأعمال التركي الدكتور أنور أرون رئيس مجموعة إخلاص هولدنك، ومالك صحيفة تركيا، هذه الوكالة عام 1993 في إسطنبول، وهي من كبرى الوكالات الإعلامية في تركيا، التي تقدم خدماتها ذات التقنية العالية إلى محطات التلفزيون المحلية والأجنبية وفي الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويضم كادر وكالة أنباء إخلاص 510 صحفيين من المحترفين موزعين على 148 مركزاً في تركيا وخارجها وأكثر من 42 مكتباً صحفياً في أهم المراكز العالمية إضافة إلى وسائل النقل المباشر

الحديثة والمتطورة. منها طائرتان خاصة للنقل الحي المباشر، وللوكالة موقع على الإنترنت وبثلاث لغات: التركية، الإنكليزية والعربية. [٢٥]

د. **وكالة أنباء جيهان** Cihan Haber Ajansi: بدأت وكالة أنباء (جيهان) عملها في الأول من كانون الثاني عام 1992، بلعتماد مبادئ الموضوعية والموثوقية والسرعة في بث الأخبار المكتوبة والصور والأخبار المصورة على مد ار اليوم والأسبوع، إذ تجهز وكالة أنباء (جيهان) 73% من الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون التركية إضافة إلى منظمات إعلامية وطنية ودولية وسفارات وشركات ومنظمات اقتصادية وجامعات ومؤسسات وشركات خاصة، بالأخبار المكتوبة والأخبار المصورة. يبلغ معدل البث اليومي لوكالة أنباء (جيهان) ما يقارب 420 خبراً مكتوباً و 250 صورة و 100 خبر مصور فيدويا. ويعمل في الوكالة 520 مراسلاً في 81 محافظة و 284 مقاطعة تركية، ولها 15 مكتباً خارجياً و 59 مراسلاً في العديد من دول العالم[٢٦].

هـ. **وكالة أنباء دوغان** Doğan Haber Ajansi: تأسست هذه الوكالة في نهاية عام 1999، باندماج وكالة أنباء (حريت) مع وكالة أنباء (ملليت) التي يمتلكها رجل الأعمال التركي آيدن دوغان مالك مجموعة دوغان ميديا الإعلامية، وللوكالة 34 مكتباً رئيسياً داخل تركيا إضافة إلى مراسلين في عموم الولايات التركية ومراسلين في العراق، أذربيجان، جورجيا، ايران، سوريا، اليونان وبلغاريا. وقد نقلت الوكالة أخبار الحرب الأمريكية البريطانية على العراق من ميادين القتال إلى مختلف وسائل الإعلام التركية، ولتميزها بهذا المجال نالت جائزة جمعية الصحفيين الأتراك، يبلغ متوسط معدل التغطية الإخبارية الشهري للوكالة ما يقارب 6000 خبر مكتوب و 3000 خبر مصور و 11000 صورة فوتوغرافية. [٢٧]

و. **وكالة أنباء مركز المعلومات الإلكترونية** EBM Haber Ajansi: أسست هذه الوكالة في عام 1993، وتختص هذه الوكالة في توزيع الأخبار الاقتصادية المتعلقة بأسعار العملات الأجنبية والذهب في البورصات العالمية إلى مراكز المعلومات الإلكترونية والبورصات التركية ، إضافة إلى ذلك، تقوم الوكالة بتزويد مشتركيها بالأخبار السياسية والاقتصادية وأخبار العالم اليومية. [٢٨]

ز. **وكالة الأنباء الإذاعية** : أسست بمبادرة من كلية الإعلام في جامعة اسطنبول ، في عام 1997، وتزويد الوكالة الإذاعات في اسطنبول وفي الأناضول بما تحتاجه من أنباء. [٢٩]

ثالثا: الاتجاهات الفكرية لوسائل الإعلام التركية

أتاح النظام السياسي الليبرالي في تركيا لوسائل الإعلام، أن تعبر كل حسب اتجاهاتها وميولها السياسية والفكرية عن وجهة نظرها وتقويمها لمجريات الأحداث في المجتمع، وذلك ضمن إطار محددات قانونية. وهي بذلك تصبح جزءاً لا يتجزأ من واقع الحياة السياسية، وعنصراً أساسياً من عناصر صنع القرار السياسي، إضافة إلى مساهمتها في توجيه الرأي العام نحو القضايا المهمة. إن نشأة الصحافة التركية كانت نشأة رسمية ، فقد ولدت الصحافة في كنف الدولة العثمانية. لتكون أداة معبرة عن سياسة الدولة وتوجهاتها. ولم تول الصحافة منذ نشأتها و في مرحلة عهد التنظيمات (الإصلاحات) الممتدة من عام 1831-1876، اهتماما بالأحداث والشؤون السياسية اليومية وتحليل الأوضاع القائمة، بل اقتصر نشاطها – آنذاك – على نشر الأخبار المتعلقة بشؤون القصر و (الفرمانات) الأوامر السلطانية وتمجيد السلطان، وكان جل اهتمام الصحافة إرضاء الحاكمين والتزلف اليهم.

وبعد اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش، وإعلان الدستور في عام 1876م، حدثت تغييرات جوهرية على واقع العمل الصحفي في تلك المرحلة التي أراد

فيها السلطان عبد الحميد الثاني المحافظة على الدولة العثمانية التي أخذت بالتداعي، عن طريق نشر فكرة الاتحاد الإسلامي، "وقد جعل السلطان صحافة تلك المرحلة وسيلته الأساسية للترويج ولترسيخ هذه الفكرة. وقد عارض بعض الأتراك من الدونمه والماسونيين المنتمين إلى جمعية تركيا الفتاة، الذين درسوا في أوربا، فكرة الاتحاد الإسلامي هذه، مما دفع السلطان عبد الحميد الثاني إلى زج بعضهم في السجن، وهرب البعض الآخر منهم إلى أوربا حيث أصدروا هناك عدة صحف تعارض أفكار عبد الحميد وتعمل ضده". [٣٠]

ومثلت هذه الصحف البدايات الأولى لظهور اتجاه سياسي جديد في الصحافة التركية، يتبنى أفكار المعارضة السياسية للسلطان وحكومته، وبعد إلغاء نظام السلطنة وتأسيس الجمهورية التركية من قبل مصطفى كمال أتاتورك، تم تعزيز سيطرة الدولة على الإعلام الذي ظل إعلاماً رسمياً خاضعاً لتوجهات الدولة أثناء مدة حكم نظام الحزب الواحد حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه أتاتورك واستمر بالحكم منذ عام 1923 لغاية 1950.

ولم تتبلور اتجاهات فكرية وسياسية عقائدية واضحة الأهداف والميول في الصحافة ووسائل الإعلام التركية، في تلك المدة التي "سعى فيها الحزب الحاكم إلى المحافظة على الأفكار والتحولات والمبادئ العلمانية التي أرسى دعائمها أتاتورك، فكانت معظم المقالات الافتتاحية للصحف تدور في إطار الإشادة والثناء على تلك الأفكار والتحولات العلمانية التي غدت مقدسة، ويُعد انتقادها جريمة يحاسب عليها القانون التركي حتى وقتنا الحالي". [٣١]

الصحافة ذات الطابع الرسمي، ما لبثت أن تحولت إلى صحافة غير رسمية تأخذ بنظرية المسؤولية الاجتماعية، يمتلكها القطاع الخاص شأنها شأن معظم وسائل الإعلام في تركيا حالياً وذلك بعد انتقال تركيا إلى نظام التعددية الحزبية في عام

1946. (٣٢) وقد تمخض عن تطبيق ذلك النظام، ظهور اتجاه جديد في الصحافة التركية، برزت ملامحه بعد فوز الحزب الديمقراطي في انتخابات عام 1950 وتسلمه الحكم، حيث بدأت الصحف بتوجيه انتقاداتها إلى حزب الشعب الجمهوري بشكل مباشر وإلى آراء وأفكار أتاتورك العلمانية بشكل غير مباشر. وكانت هذه المرحلة بداية لانعطافه جديدة في تاريخ الصحافة التركية، أسهمت فيما بعد بتحديد ملامح الاتجاهات الفكرية والسياسية السائدة حالياً في وسائل الإعلام التركية.

وتتباين الاتجاهات الفكرية والسياسية لوسائل الإعلام التركية، وفقاً لانتماءاتها الحزبية وميولها الفكرية وانتماءات مالكيها من رجال الأعمال الذين يتحكمون بتحديد توجهاتها، ما جعلها تعبر بقوة عن مصالحهم وأفكارهم. وتنقسم وسائل الإعلام التركية إلى ثلاثة اتجاهات فكرية رئيسة: الاتجاه الأول اليميني؛ و الاتجاه الثاني؛ صحف اليساري، والاتجاه الثالث الإسلامي، ولكل اتجاه من الاتجاهات الثلاثة سمات أساسية تميزه عن الاتجاه الآخر؛ فالصحافة كما هو معروف تتأثر وتؤثر في مواقف الأحزاب السياسية واتجاهاتها، وقد برز الاتجاهان اليميني واليساري في الصحافة التركية بشكل واضح في الستينات أثناء فترة التناحر السياسي بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار، الذي عم الحياة السياسية آنذاك واشتد في السبعينات، وكانت معظم الصحف التركية قبل عام 1980 لها خطها السياسي الخاص بها، أي يمكن تحديد نوعية خطابها، إن كان موجهاً للقارئ اليميني أو القارئ اليساري أو الإسلامي، أما بعد عام 1991 فأخذت الصحافة تخاطب الاتجاهات المتعددة حرصاً منها أن لا تكون صحيفة لاتجاه سياسي محدد، تميل له وتتبنى أفكاره وتدافع عنها بقوة أو تعصبية فتخسر قراء الاتجاه الآخر سواء كان يسارياً أو يمينياً أو إسلامياً، حتى أن صحيفة (حريت) اليمينية وصحيفة (ملليت) اليسارية، أخذتا توزعان نسخاً من إمساكية شهر رمضان، وإهداء القراء سجادة للصلاة ذات البوصلة على الرغم من تمسكها بالعلمانية.

إذ وضعت مثل هذه الصحف نصب أعينها احتمال خسارتها للقارئ في الطرف المقابل لذلك اتخذت هذا المسلك المناقض لتوجهاتها وخطها السياسي. وذهبت بعض الصحف إلى أبعد من ذلك، فاعتنت بالقارئ البسيط المعتدل التفكير عند رسم سياستها وخطابها الإعلامي الموجه إلى القراء، لذلك شعرت صحيفة (صباح) مثلاً بضرورة اختيار خط أكثر جدية " فغيَّرت الأسلوب الذي تتخذه منهجاً لنفسها في بداية انطلاقته ا، عن طريق إظهار الاهتمام المتزايد بالشؤون السياسية ونشر المقالات لكتاب الأعمدة من الأسماء البارزة في الصحافة. لكنها مع ذلك ما تزال لم تتخلص من عادة نشر الصور الجنسية لسبب معقول أو غير معقول واستخدام أسلوب الإثارة في تناول الأخبار". (٣٣)

وتجدر الإشارة إلى الدور الذي تمارسه الأحزاب السياسية التركية في التوجيه والتأثير في الرأي العام في تركيا عن طريق وسائل الإعلام لاسيما الصحافة، غير أن الأحزاب السياسية في تركيا، لا تملك صحفاً ناطقة باسمها تعود ملكيتها إلى تلك الأحزاب، وإنما ثمة مجموعات من الصحف تعبر عن هذه الأحزاب واتجاهاتها السياسية دون أن تكون ناطقة رسمية باسمها ولعلها – الصحافة التركية – قد خبرت الواقع السياسي التركي، وأرادت التخلص من التبعات القانونية التي قد تتعرض لها فيما لو اتخذت الحكومة قراراً بإغلاق الحزب ومصادرة ممتلكاته، فعندئذ ستتعرض الصحيفة للإغلاق والمصادرة، لذا أدركت الأحزاب والصحف هذا الأمر وفصلت بينه.(٣٤)

وفيما يأتي أهم الاتجاهات الفكرية والسياسية لوسائل الإعلام التركية:

١. الاتجاه اليميني الليبرالي

ترجع بدايات ظهور الاتجاه اليميني الليبرالي في الصحافة التركية، إلى عهد السلطان عبد العزيز 1861-1876 م، "حيث بدأت الأفكار الغربية العلمانية أثناء

هذه الفترة تتسرب إلى الدولة العثمانية، كما بدأت تتسرب معها مصطلحات مثل الوطن والدستور والبرلمان، وذلك عن طريق جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تعمل بسرية آنذاك". وقد أصدرت الجمعية عدة صحف في الخارج تروج لأفكارها، منها صحيفة (مخبر) الصادرة في لندن عام 1867، وصحيفة (حريت) الصادرة في لندن أيضاً عام 1868 وصحيفة (علوم) الصادرة عام 1869 في جنيف وصحيفة (انقلاب) الصادرة في جنيف أيضاً عام 1870، هذه الصحف لم تكن تهاجم وزراء السلطان فحسب، بل كانت تهاجم السلطان عبد العزيز أيضاً، " وازداد تأثير جمعية الاتحاد والترقي في فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وتضاعف نشاط صحفها الصادرة في الخارج التي مهدت السبيل لإعلان المشروطية (الدستورية) الثانية في الدولة العثمانية، بضغط من الجيش وجمعية الاتحاد والترقي التي تغلغلت في صفوف ضباط الجيش، ما اضطر عبد الحميد لإصدار أمر بإعادة العمل بالدستور بتاريخ 14 تموز 1908". [٣٥]

وبعد تأسيس أتاتورك الجمهورية، وتطبيق سياسة الدولة العلمانية، أخذت الصحف التركية الصادرة آنذاك تثير اهتمام الرأي العام، نتيجة لمحاولاتها تقليد الصحافة الغربية في تحليل الأوضاع القائمة. "ولم تكن الصحافة التركية تميل إلى الأخذ بالديمقراطية الغربية فحسب، بل كانت تناقش الأساليب الديمقراطية السائدة في بريطانيا وألمانيا وفرنسا حتى رجحت الأخذ بتطبيق النظام الفرنسي في تركيا. إذ كانت النزعة الليبرالية الغربية فلسفة مصطفى كمال أتاتورك في إقامة النظام السياسي الجديد"، بعد سلخ تركيا عن ارتباطاتها الشرقية وعن تراثها الثقافي والاجتماعي الوثيق الصلة بالدين الإسلامي. [٣٦]

ولم تتبلور حتى عام 1945 اتجاهات سياسية واضحة في الصحافة التركية، لأن حزب الشعب الجمهوري الحاكم الذي أسسه أتاتورك، لم يتح المجال لظهور

تيارات سياسية أخرى منافسة له، وبعد تطبيق نظام التعددية الحزبية عام 1945، ظهرت أحزاب جديدة وتنامت التيارات العقائدية والفكرية ومنها التيار اليميني الذي أصبح فيما بعد متوافقاً مع التيار الليبرالي العلماني وبرز بشكل مؤثر في مطلع الستينات.

ومن أبرز مؤسسات الاتجاه اليميني الليبرالي العلماني مجموعة دوغان الإعلامية ومجموعة جنار الإعلامية ومجموعة بيلغين الإعلامية ومجموعة اقتصاد الإعلامية ومجموعة دوغوش. (انظر ملحق رقم 1 جدول معدلات التوزيع اليومي لأبرز الصحف التركية). ويسيطر على هذا الاتجاه كبار رجال الأعمال الأتراك ويهود الدونمه والماسونيون، – لا تزال عائلة سماوي – وهم من يهود الدونمه – تمتلك نسبة 30% من أسهم صحيفة (حريت) وهي من الصحف القومية الكبرى، إضافة إلى مجلة (تمبو) ومجلة (كابتال)، كما تمتلك عائلة (دينيج بيلغين) صحيفة (صباح) التي صدرت عام 1985، بمساهمة عدة مؤسسات تجارية يهودية، كما تمتلك صحف (يني عصر، صون آتش، كون، بوكون، يني يوزيل).

٢. الاتجاه اليساري

كانت البداية الأولى لنشأة الصحافة اليسارية في تركيا، في مرحلة المشروطية الثانية، حيث جاءت ولادة هذا الاتجاه بتأثير تصاعد نشاط الحركات اليسارية في الدول الأجنبية ، وكان قبل ذلك نامق كمال [٣٧] قد أعطى اهتماماً واسعاً خلال فترة التنظيمات للأخبار ذات العلاقة بالحركة الاشتراكية المتنامية في أوربا، في كتاباته في صحيفة (تصوير أفكار). وتعتبر صحيفة Gave أول صحيفة ذات أفكار اشتراكية، صدرت في الدولة العثمانية في شهر تشرين الأول 1908، وفي عام 1909 صدرت صحيفة Amele التي كانت تتبنى الترويج للفكر الاشتراكي، كما أصدر حسين حلمي بتاريخ 26 شباط 1910 صحيفة باسم Iştirak (الاشتراك) الناطقة بلسان الحزب

الاشتراكي العثماني ، الذي تأسس في تلك الفترة، وكانت هذه الصحف تهتم بنشر الأخبار والموضوعات ذات العلاقة بالعمال ومشاكلهم إلى أن أغلقت في تشرين الأول عام 1912، وبعد شهرين من إغلاق هذه الصحيفة "أصدر حسين حلمي وعدد آخر من كتاب الصحيفة صحيفة جديدة باسم (إنسانيت) الإنسانية التي أغلقت من محكمة الأحكام العرفية بعد صدور عددين منها، بعدها أصدر حسين حلمي بصفته عضو الهيئة الإدارية للحزب الاشتراكي العثماني صحيفة (مدنيت) وذلك بتاريخ 14 كانون الأول 1910، ثم أعاد حسين حلمي إصدار صحيفة (الاشتراك) في العشرين من حزيران 1912، وبعد إغلاقها في نهاية عام 1912، لم تصدر أي صحيفة يسارية بسبب إبعاد العديد من الصحفيين اليساريين". [٣٨]

وفي عام 1924 سمح أتاتورك بتأسيس حزب شيوعي علني لكسب الحركات اليسارية وكسب تأييد الاتحاد السوفيتي له في تلك الفترة ، " وأصدر شوكت آي دمير في 21 من شباط 1925، صحيفة المنجل والمطرقة الأسبوعية ، إلا أن عصيان الشيخ سعيد الكردي عام 1932، أدى إلى إصدار قانون الطوارئ الذي ألغى الحركات كافة سواء كانت يسارية أم يمينية وبذلك تفرد حزب الشعب الجمهوري بالسلطة وتخلص من الحركات المعارضة له كافة ". [٣٩] وفي أعقاب انقلاب أيار 1960، ساعد صدور الدستور المؤقت الذي شرعته لجنة الاتحاد الوطني، على ظهور حركات يسارية واشتراكية في تركيا. "وقد صدرت بعد عام من الانقلاب بعض الصحف اليسارية مثل (دف ريم الثورة) ، و(أقشام)، و(آيدنليك)، وشهدت تركيا خلال الفترة 1960 – 1970، تزايد تأثير صحف اليسار، إذ بدأ الكتاب اليساريون وباتجاهاتهم المختلفة يؤلفون تياراً يسارياً مؤثراً في الصحافة، عن طريق كتاباتهم المعبرة عن نظرتهم الجديدة إلى الأحداث وتحليلهم الواقعي للقضايا والأخبار ومنهم: علي سيرمن، الهامي سويسال، دوغو برنجك، سعدون أرن، جتين ألتان، دوغان أوجي

أوغلو وممتاز سويسال ". [٤٠] وبعد انقلاب أيلول 1980، حجم الجيش التركي الصراع السياسي بين اليمين واليسار ، ما انعكس ذلك على صحافة التيارين أيضاً ، ومع بداية عقد التسعينات وفي ظل اختفاء التجاذب بين اليمين واليسار، ظهر تجاذب آخر بين الإسلاميين والعلمانيين بمختلف أحزابهم اليمينية والديمقراطية والاشتراكية، هذا التجاذب الذي كان موجوداً في الأساس لكنه تحول الآن إلى محور الصراع السياسي والفكري داخل تركيا، هذا الصراع الذي كانت الصحافة ووسائل الإعلام أحد ميادينه، فما تزال الصحافة اليسارية تناصب العداء لصحف الاتجاه الإسلامي بدعوى الحفاظ على النظام الديمقراطي التقدمي العلماني.

وتتميز السياسة الإعلامية للنسبة الأكثر من صحف الاتجاه اليساري؛ بأنها تميل نحو اعتماد الأسلوب الجاد والمتزن في تناولها للكثير من القضايا والأخبار بعيداً عن استخدام أسلوب الإثارة والفضائح والجنس الذي تعتمده صحف الاتجاه الليبرالي اليميني ، باستثناء صحيفة (ملليت) التي سعت إلى جعل خطابها السياسي غير مقتصر على الاتجاه اليساري فحسب، بل تخاطب كل الاتجاهات المتعددة حرصاً منها على ديمومة تفوقها في معدلات التوزيع ، على العكس من ذلك أدى تمسك صحيفة (جمهوريت) بخطها السياسي اليساري الواضح إلى مواجهتها لصعوبات مالية وتناقص معدلات توزيعها . [٤١] ومن أبرز صحف الاتجاه اليساري، صحيفة (ملليت) ، وصحيفة (جمهوريت)، وكلاهما من الصحف القومية الرئيسة ، وصحيفة (ديمكراسي)، وصحيفة (أفرنسل) ، وصحيفة (أمك) ، وصحيفة (أورتا دوغو) ، ومجلة (إكي بينه دوغرو) ومجلة (آيدنليك).

٣. الاتجاه الإسلامي

ولدت الصحافة التركية في كنف الدولة العثمانية، وهي دولة الخلافة الإسلامية التي كانت تسعى دوماً إلى إضفاء صفة الشرعية على أعمالها من خلال

استخدام العامل الديني، وكان من الطبيعي أن يكون الاتجاه السائد في الدولة العثمانية عموما هو التيار الإسلامي بحكم أنها دولة الخلافة، وكانت الصحافة في بداية نشأتها تُعد الناطقة بلسان الدولة والمدافعة عن الإسلام. [٤٢] ومع تزايد نشاط الصحف الصادرة عن جمعية الاتحاد والترقي أو الموالية لها في الخارج أثناء حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ورداً على سياسة الجمعية المذكورة المناهضة للإسلام، أوجد بعض الأتراك وبرئاسة الشيخ درويش وحدتي حزباً سموه الاتحاد المحمدي وذلك في الخامس من نيسان عام 1909. "وقامت عقيدة هذا الحزب ضد فكرة جمعية الاتحاد والترقي، وبهدف تأكيد أحكام الشريعة الإسلامية ومعارضة فكرة الإصلاحات الغربية التي كانت جمعية الاتحاد والترقي تدعو لها، وقد قام درويش وحدتي بتأسيس صحيفة (ولقان) الدينية التي تعد البداية الأولى لظهور صحافة ذات طابع إسلامي".[٤٣]

وفي ظل الصراع الذي نشأ في أواخر عهد الدولة العثمانية، بين التيار المقلد للغرب الذي قادته ودعت إليه جمعية الاتحاد والترقي، والتيار الإسلامي الذي أخذ في ذلك الوقت موقف المدافع عن الإسلام، إذ لم يكن في عهد الدولة العثمانية شيء اسمه الحركة الإسلامية، كما هي عملية الآن في تركيا. واستغل اليهود قيام درويش وحدتي بتنظيم مظاهرة دينية تأييداً للسلطان عبد الحميد الثاني وتنديداً بالأعمال التي ارتكبتها جمعية الاتحاد والترقي، وللمطالبة بوضع دستور حسب أحكام الشريعة الإسلامية، " فدفع اليهود بعض جماعاتهم في مجلس (المبعوثان) للمطالبة بخلع السلطان عبد الحميد بتهمة التواطؤ مع درويش وحدتي في قتل كثير من الاتحاديين فيما سمي بحادث (31 مارت 1325 رومي) 13 نيسان 1909 م، ما دفع جيش الاتحاديين إلى اتخاذ ذلك الحادث ذريعة لخلع السلطان عبد الحميد الثاني ومحاربة مؤيديه في إسطنبول وإعدام درويش وحدتي، وإغلاق صحيفته والصحف المعارضة للاتحاديين،

وتعيين محمد رشاد سلطاناً بدلاً عن عبد الحميد الثاني، حيث كانت صحيفة (ولقان) ومجلة (بيان الحق) تقودان المعارضة الدينية".[٤٤]

وقد ظهرت عدة صحف دورية دينية بعد ذلك، ففي عام 1913م أنشأ علي كمال صحيفة (بيام) اليومية التي اندمجت بعد الحرب العالمية الأولى مع صحيفة (صباح) لمهران أفندي لتصبح باسم (بيام صباح) التي كانت في مقدمة الصحف المعارضة لأتاتورك في إسطنبول أثناء حرب الاستقلال. [٤٥]

وأجرت الحركة الكمالية التي كانت متأثرة بالغرب بعد تأسيس الجمهورية التركية عام 1923 وإعلان العلمانية إصلاحات، كان هدفها إلحاق تركيا بالمدنية الغربية وسلخها عن ارتباطاتها الشرقية، وعن عقيدتها الإسلامية وتراثها الثقافي والاجتماعي، لذلك واجهت الحركة الكمالية في بدايتها معارضة من بعض الصحف مثل (طنين، توحيد الأفكار، سبيل الرشاد، ألوص) التي كانت تدعم كتلة الارتقاء بالجمهورية ذات الاتجاه الإسلامي، ما دفع الحكومة إلى إحالة رؤساء تحرير هذه الصحف إلى محكمة المطبوعات. وفي عام 1924، ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة ونفى أفراد العائلة العثمانية خارج البلاد، كما ألغى المدارس الدينية ومحاكم الشريعة، ومنع رجال الدين وقوى المعارضة من استخدام الدين أداةً ضد الكماليين.

واستمر الحال حتى عام 1946، عندما دخلت تركيا عتبة نظام التعدد الحزبي، "حيث ظهرت في السنوات 1946-1948، مجموعة من المنظمات والجمعيات الإسلامية، مثل جمعية الاسلام وجمعية التطهير. كما عادت إلى الظهور صحف ومجلات دينية كان الكماليون قد منعوها عند وصولهم السلطة مثل: (سبيل الرشاد، سلامت، حر آدم) وقد طالبت هذه التنظيمات حزب الشعب الجمهوري بالتخلي عن سياسته العلمانية وتدخله في شؤون الناس الدينية ومعتقداتهم، كما طالبت

هذه المنظمات والجمعيات عن طريق صحفها بإلغاء القوانين العلمانية وتربية النشء الجديد تربية دينية". [٤٦]

وأظهرت انتخابات عام 1946، تنامي دور الحركة الإسلامية في الحياة السياسية والاجتماعية في تركيا. وعندما وصل الحزب الديمقراطي إلى السلطة في عام 1950، كان أكثر مرونة بشأن المسألة الدينية،" إذ منح رجال الدين دوراً في تربية الجيل الجديد، وكانت الصحافة التركية ميداناً مهماً للحملة على العلمانية". [٤٧] ويمكن القول إن بدايات ظهور صحافة التيار الإسلامي كانت في فترة المشروطية الثانية (أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني) ثم تطورت بشكل ملحوظ في فترة الخمسينات، فترة حكم الحزب الديمقراطي الذي استثمر تعرضه للعلمانية كوسيلة لكسب التيار الإسلامي وضمان تأييده له في الانتخابات طوال مدة حكمه الممتدة من عام 1950-1960. [٤٨]

وانتكست صحافة التيار الإسلامي نتيجة لانقلاب عام 1960، الذي قام به الجيش، " ثم عادت صحافة هذا التيار تبرز من جديد وتحتل مكانتها في الصحافة التركية بعد تأليف حزب العدالة عام 1961 بزعامة سليمان ديميريل الذي كان يحظى بدعم من الطرق الدينية ومنها النورسية". [٤٩] وأخذت وسائل إعلام التيار الإسلامي تتطور وتتقدم في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، لتصبح في التسعينيات مؤسسات إعلامية كبرى تحتل مكانة جيدة بين المؤسسات الإعلامية الأخرى، مثل مجموعة إخلاص الإعلامية، التي كانت صحيفة تركيا وهي من الصحف القومية الكبرى النواة لتأسيسها، ومجموعة فضاء الإعلامية التي كانت صحيفة زمان النواة لانبثاقها.

وتصدر في تركيا عدة صحف يومية ذات توجهات إسلامية؛ أبرزها (صحيفة زمان، صحيفة مللي غازيته وصحيفة يني نسل) وهي من الصحف القومية، إضافة

إلى ما يقارب من 50 صحيفة شهرية مرتبطة في معظمها بطرق دينية وتعبر عن حركة فكرية نشطة للإحياء الإسلامي. كما يقدر عدد المجلات الإسلامية الأسبوعية والشهرية بنحو 150 مجلة من أهمها وأكثرها توزيعاً مجلة Vahdet الوحدة ومجلة Cuma الجمعة ومجلة objektif الموضوعي، التي تنشر أحياناً مقالات تثير استياء الحكومة والمؤسسة العسكرية ما يؤدي إلى مصادرة بعض أعدادها أو تعطيل صدورها. [٥٠] ويتضمن الملحق رقم 2 جدولا بأبرز وسائل الإعلام التابعة للتيار الإسلامي في تركيا، والطرق والجماعات الدينية التي تمثل رأيها.

رابعا: الاحتكار في قطاع الإعلام التركي

ازداد في بداية عقد التسعينات وبعد نشوء المحطات التلفزيونية الخاصة في تركيا، التنافس القائم بين المؤسسات الإعلامية التركية الساعية لمواكبة التحولات السريعة في التقنيات المتطورة، وشجع إجمالي حجم التعاملات التجارية لقطاع الإعلام وإيرادات الإعلانات، الشركات التجارية الكبرى للاستثمار في قطاع الإعلام الخاص، "كما ازداد اهتمام جماعات رجال الأعمال الأتراك بامتلاك المؤسسات الإعلامية، بعد أن واجهت بعض المؤسسات الإعلامية التركية، صعوبات في إيجاد التمويل اللازم لتحديث وسائلها التقنية لمواكبة التطور الذي أحدثه التقدم العلمي في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات". [٥١]

لقد حصلت تغييرات كبيرة في قطاع الإعلام التركي، بحيث أصبح من الصعب جداً على مالكي الصحف إدارة وتشغيل مؤسسات إعلامية متنوعة وكبيرة، دون تأمين زيادة مستمرة في رأسمال المؤسسة الإعلامية. ومن هنا برزت الحاجة الملحة إلى تشكيل مجاميع إعلامية لتحقيق هدفين: الأول؛ الربح الذي هو أساس كل عمل تجاري. والثاني: القيام بواجبها كمؤسسات إعلامية وجدت لتقديم الخدمة إلى الرأي العام. ووفقاً لذلك أصبح الإعلام التركي مثار اهتمام كبار رجال الأعمال من

مالكي الشركات الإعلامية المشهورة عالمياً، مثل برلسكوني ومردوخ وماكسويل، الذين أبدوا رغبة بالاستثمار في السوق الإعلامي التركي، بعد أن أصبحت هذه المجاميع الإعلامية تضم عدداً من الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والقنوات التلفزيونية ووكالات الأنباء ودور النشر والطبع. (٥٢)

إن تأثيرات احتكار الوسائل الإعلامية المختلفة في تركيا لا تقتصر على تكريس العمل الإعلامي الذي يؤدي إلى الأحادية في مصدر التلقي، كما هو معروف عن هذه الأحادية من سلبية فحسب، بل تؤثر في الفرد لأنها تلغي التنوع في الآراء والأفكار ووجهات النظر، وتروج لتكريس أفكارها وتوجهاتها التي يرسمها الرأسمال المسيطر، وتوجد في تركيا ثماني مجموعات إعلامية كبرى تتوزع اتجاهاتها السياسية والفكرية بين تيارين متضادين هما: التيار العلماني، والتيار الإسلامي، وتتحكم الاحتكارات بنسبة أكثر من 80% من القطاع الإعلامي التركي، وأبرز هذه المجموعات الإعلامية التركية هي:

١. **مجموعة دوغان ميديا** Doğan Medya Grubu وتضم عدداً كبيراً من الصحف والمجلات ووكالات الأنباء ومحطات الإذاعة والقنوات التلفزيونية، وسميت بمجموعة دوغان نسبة إلى مالكها رجل الأعمال التركي المشهور آيدن دوغان Aydin Doğan وتتكون المجموعة من وسائل الإعلام الآتية: صحيفة ملليت Milliyet، وصحيفة حريت Hürriyet، وصحيفة راديكال Radikal، وصحيفة بوستا Posta، وصحيفة ميدان Meydan، ومجلة إيكونيميست Ekonomist الاقتصادية، وصحيفة سبور Spor الرياضية، وصحيفة فايننشال Finanşal Forum، وصحيفة كوزلم Gözlem، وصحيفة كوزجو Gözcü، ومجلة كابتال Capital، ومجلة ملليت الفنية Milliyet Sanat، ووكالة أنباء دوغان DHA، وراديو الحر Hür Radyo، وقناة D، وقناة X وقناة CNN_türk بالمشاركة مع قناة CNN الأمريكية، ودار AD للنشر ومؤسسة دوغان للكتب، ودار ملليت للنشر Milliyet Yayinlar. (٥٣)

٢. **مجموعة بيلغين ميديا** Bilgin Medya Grubu: تعود ملكية هذه المجموعة الإعلامية إلى عائلة دنيج بيلغين Dinç Bilgin مالك صحيفة صباح التي وسعت استثماراتها في الميدان الإعلامي لتشمل صحيفة صباح Sabah، وصحيفة تقويم Takuim، وصحيفة اليوم Bügün، وصحيفة العصر الجديد Yeni Asir، وصحيفة فوتوماج Fotomaç، ومجلة أكتول Aktül، ومجلة برافو Pravo، ومجلة Irillufal وقناة Iprulusal.tv، وقناة ميديا Medya.tv، وقناة Kiss.tv والقناة السادسة Kanal 6، وقناة A.tv. (٥٤)

٣. **مجموعة روملي هولدنك** Rumeli Holding: تمتلك هذه المجموعة الإعلامية عائلة جيم أوزان Cem Uzan التي تضم؛ قناة انترستار Interstar، وقناة كرال Kral.tv، وإذاعة كرال Karal FM، ومحطات إذاعية أخرى. (٥٥)

٤. **مجموعة إخلاص ميديا** Ihlas Medya Grub: وتضم عدداً من المؤسسات الإعلامية التي تعود ملكيتها إلى مؤسس صحيفة تركيا رجل الأعمال التركي الدكتور أنور أورن Enver ören أحد أقطاب طريقة النقشبندية الصوفية وهي: صحيفة تركيا Türkiye، وقناة تركيا الإخبارية Tgrt.tv، وقناة تركيا الإعلانية، وراديو تركيا Tgrt FM، ووكالة أنباء إخلاص Ihlas Haber Ajansi، إضافة إلى 12 مجلة متخصصة. (٥٦)

٥. **مجموعة اقتصاد ميديا** Iktisat Medya Grubu: وتضم هذه المجموعة التي يمتلكها رجل الأعمال التركي أيرول اكصوي Erol Aksoy؛ صحيفة أقشام Akşam، وصحيفة كونيش Güneş، ومجلة بلاتين Platin، ومجلة عالم

الإعلام التركي
من العثمنة إلى العلمنة
مجلة آداب الفراهيدي
أ. م. د. عبد الكريم علي
العدد (11) حزيران 2012

Alem، وقناة شو Show.tv، وقناة سينه بيش Cine-5، وراديو شو Show Radyo، وقناة Maxi.tv، وراديو Alem FM. (٥٧)

٦. **مجموعة جنار ميديا Ciner Medya Grubu**: تأسست هذه المجموعة بتاريخ 12أيلول 2007، وتضم عدداً كبيراً من الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والقنوات التلفزيونية، وسميت بمجموعة جنار نسبة إلى مالكها رجل الأعمال التركي تورجاي جينار Turgay Ciner، وتتكون المجموعة من وسائل الإعلام الآتية: صحيفة خبر تورك HeberTurk، وهي من الصحف الوطنية العشر الأول في نسبة التوزيع، ومجلة Marie Claire، ومجلة Süper Dergi، ومجلة Marie Claire Maison المتخصصة بالأزياء والموضة، وعددا من الصحف المتخصصة بالاقتصاد والرياضة، وراديو Habertürk Radyo، وقناة Habertürk TV، وقناة الكابل Bloomberg TV باللغة التركية المتخصصة بالشؤون الاقتصادية، وأخبار البورصة والمال التي تبث في 68 دولة، ويشاهدها أكثر من 200 مليون مشترك، و مؤسسة جنار للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وشركة جنار للاستثمار الإعلامي.(٥٨)

٧. **مجموعة دوغوش ميديا Doğuş Media**: وتضم هذه المجموعة التي يمتلكها رجل الأعمال أيهان شاهانك Ayhan şahnek: قناة N.tv الإخبارية ، وقناة CNBC_e الاقتصادية بالمشاركة مع القناة الأمريكية الأم، وقناة ديسكفري Discovery channel التعليمية، وراديو أن تي في (NTV) ، وراديو اكسن Radyo Eksen، ومجلة ناشونال جغرافيك National Geographic، ومجلة في رايجنك Fi Racing الرياضية، ومجلة Vision Plus في مجال الإلكترونيات ، وصحيفة الحدث Olay الصادرة في ولاية بورصه ، وقناة الحدث Olay ، وقناة Kanal ، وراديو بوب POP ، وراديو 2019 .(٥٩)

٨. **مؤسسة فضاء الإعلامية**: وهي المجموعة الإعلامية التابعة لجماعة النورسية، إحدى الطرق الدينية الإسلامية، جناح فتح الله غول ين الذي يضم عدداً كبيراً من رجال الأعمال والممولين والصحفيين والمفكرين الذين يديرون عن طريق شركات ومؤسسات مخ تلفة شبكة هائلة من دور النشر والمدارس والجامعات والمراكز الثقافية، والاستثمارات داخل تركيا وخارجها . (٦٠)وتضم هذه المجم وعة: صحيفة زمان Zaman ، ومجلة اكسيون الأسبوعية Aksiyon ، ومجلة سيزينتي العلمية الشهرية Sizinti ، وقناة صمانيولو تي في Samanyolu Tv ، وصحيفة الجيل Nesil، ومجلة يني أوميت Yeniümit ، ومجلة Ekoloji Dergisi المتخصصة بالبيئة، ومؤسسة وقف الصحفيين والكتاب ، وإذاعة بورتش Bortiş ، ومؤسسة آسيا فاينانس Asia Finans. (٦١)

خامسا: الإعلام التركي والمواجهة بين العلمانيين والإسلاميين

شهدت تركيا المواكبة لحركة العولمة تطورا سريعا في وسائل الإعلام خلال العقد الماضي وبصورة موازية لحركة التنمية التي شهدتها البلاد، وكان أبرز سمات هذا التطور التعددية والتنوع، وزيادة عدد الصحف والمجلات الصادرة في عموم تركيا ، فقد ارتفع عدد الصحف والمجلات القومية والإقليمية والمحلية من 2357 صحيفة ومجلة في عام 2000،(٦٢) إلى 6459 صحيفة ومجلة خلال عام 2010 و251 قناة تلفزيونية و 1082 محطة إذاعية قومية وإقليمية ومحلية.

ساعدت العوامل تلك أيضا على تكريس حالة المنافسة وزيادة المواجهة بين المجموعات الإعلامية الكبرى، ذات التوجهات العلمانية وهي: مجموعة دوغان ميديا ، ومجموعة جنار ، ومجموعة بيلغن ميديا، ومجموعة روملي هولدنك ، ومجموعة اقتصاد ميديا، من جهة، ومجموعة فضاء الإعلامية التابعة للجماعة النورسية – جناح فتح

الله غولين – ومجموعة إخلاص التابعة لأنور آرن التي تمثل الجماعة النقشبندية ، ذواتي التوجهات الإسلامية من جهة اخرى.

وشهدت هذه المدة صعودا واضحا لوسائل إعلام التيار الإسلامي، فقد أصبحت تمتلك عددا من القنوات التلف زيونية الفضائية ومحطات الإذاعة الخاصة ، إضافة إلى عدد من الصحف والمجلات، ولأول مرة ارتفع معدل التوزيع اليومي لصحيفة زمان التي تمثل الطريقة النورسية وهي من أبرز الصحف القومية للتيار الإسلامي من 61 ألف نسخة يوميا في كانون الأول 1990 إلى 790 ألف نسخة يوميا في شهر آب 2011،[63] وأصبحت بذلك الصحيفة الأولى في تركيا من حيث نسبة التوزيع بعد أن احتلت صحف التيار العلماني صدارة التوزيع لعدة عقود مضت ، ويشكل هذا التطور مؤشرا إيجابيا ع لى ارتفاع مستوى مقروئية صحف التيار الإسلامي ومنافستها بقوة للصحف العلمانية، إضافة إلى صدور ما يقارب من 50 صحيفة و150 مجلة مرتبطة في معظمها بطرق دينية ، تعبر عن حركة فكرية نشطة للتيار الإسلامي وتنشر أحيانا مقالات تثير استياء الحكومة والمؤسسة العسكرية ما يؤدي إلى مصادرة بعض أعدادها أو تعطيل صدورها ، ورغم هذا التطور الإيجابي الملحوظ، تبقى وسائل إعلام التيار الإسلامي تحتل المرتبة الثا نية بعد وسائل إعلام الاتجاه اليميني الليبرالي بعد تراجع وسائل إعلام الاتجاه اليساري ، التي تمثل هي ووسائل إعلام الاتجاه اليميني الليبرالي، الاتجاه المؤثر والأقوى المدافع عن العلمانية في تركيا.

الصراع بين خطابين إعلاميين

تسعى وسائل إعلام التيار الإسلامي إلى منح الجمهور انطباعات تؤكد توازنها الفكري ، وسعيها للحفاظ على الصدق والموضوعية في تناول الأخبار التي تنشرها ، وفي معالجة قضايا تركيا الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، برؤية تبتعد عن

التطرف والعنصرية. ويرتكز الخطاب الإعلامي لهذه الوسائل على الدعوة إلى عودة تركيا إلى هويتها الإسلامية وتوثيق علاقاتها مع الدول العربية والإسلامية، لذلك تتهمها الصحف العلمانية بأنها تسعى إلى إقامة نظام إسلامي، وإحلال الشريعة الإسلامية بدلا عن العلمانية. [64] وتؤكد وسائل إعلام التيار الإسلامي على أهمية الانتباه للمخططات الصهيونية التي تحيق بتركيا، وتشير إلى أن الجمهور التركي بأغلبيته المسلمة ، وباتجاهاته الإسلامية والقومية ، يقف بالضد من الصهيونية وأطماعها ، وتتباين السياسة الإعلامية لمؤسسات التيار الإسلامي تبعاً للطرق أو الجماعات الدينية التي تصدر عنها، مثل الطريقة النورسية، والطريقة النقشبندية والطريقة القادرية، "حيث يشكل الإعلام الإسلامي أهمية كبيرة للطرق الدينية في تركيا، سواء كمسلك للتأثير أو قناة للتعبير عن الرؤى التي تطرحها بشأن تصوراتها لمستقبل المجتمع التركي في ظل سعيها لتقويض محددات النظام العلماني تجاهها".[65]

أما وسائل الإعلام العلمانية فتنتهج سياسة إعلامية تركز على دعم النظام العلماني في تركيا الذي أرسى دعائمه أتاتورك، ومواجهة التيار الإسلامي ومحاربة أفكاره ودعواته المستمرة لإعادة الهوية الإسلامية لتركيا، كما يركز هذا الاتجاه في وسائل الإعلام على نشر مواضيع الإثارة والفضائح وغيرها من المواضيع التي تتنافى مع القيم الأخلاقية للدين الإسلامي . [66] ويُعد الاتجاه اليميني؛ الاتجاه السائد والمسيطر على الصحف ووسائل الإعلام التركية الأخرى، لأن مؤسساته هي الأكثر عددا، وصحفه إجمالا هي: الأكثر توزيعاً وتأثيراً من الاتجاهات الأخرى، ويبلغ حجم احتكاراته نحو 60% من اجمالي قطاع الإعلام التركي.[67]

ويشتد اعتماد القوى العلمانية على وسائل إعلامها كلما انتعش الإسلام السياسي في تركيا وحقق نتائج انتخابية تؤهله لتشكيل الحكومة ، أو المساهمة فيها ، أو

حاز على نتائج جيدة في الانتخابات البلدية، حيث تنبري له هذه الوسائل بحملات واسعة تكاد تتركز على قضيتين مهمتين : الأولى مسألة التعليم الديني والثانية مسألة الحجاب ؛ فالتعليم العلماني جزء من عملية تعبوية كبرى ، أرسى دعائمها النظام العلماني منذ تأسيس الجمهورية، وقد أنتجت هذه العملية السياسية التعليمية ضباطا ومدرسين وقضاة ومثقفين وأطباء وصحافيين ومهندسين ، يشكلون الآن أبرز الدعائم الرئيسة للنظام العلماني في تركيا. ولذلك سعى النظام الجمهوري منذ البداية إلى نزع الشرعية عن التعليم الديني لمنع ظهور نخب منافسة للنخب العلمانية المؤثرة في البلاد.

وغالبا ما تكون وسائل الإعلام التركية ميدانا للصراع بين التيارين بصدد هذا الموضوع، فوسائل الإعلام العلمانية تولي اهتماما وتركيزا بالغ الحساسية إزاء سعي التيار الإسلامي لتخفيف أو رفع بعض القيود والمحددات على إنشاء المدارس الدينية لإعداد الأئمة والخطباء وتصور هذه القضية على أنها تهديد خطير للنظام العلماني ومحاولة لتقويضه.

والقضية الثانية التي تهتم بها وسائل الإعلام التركية العلمانية هي مسألة الحجاب، فقد تم تشديد الحظر عليه بعد العام 1997، واضطرت أكثر من 10 آلاف طالبة تركية للذهاب الى الدراسة الجامعية في أذربيجان بعد منعهن من دخول الجامعات في إسطنبول بسبب ارتدائهن الحجاب، ما اضطر قادة حزب العدالة والتنمية الحاكم إلى إرسال بناتهم للدراسة في الولايات المتحدة للسبب نفسه. (٦٨)

وفي عام 2008 أدخل البرلمان التركي الذي يحتل حزب العدالة والتنمية الأغلبية فيه، تعديلا على بعض بنود الدستور لرفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب داخل الحرم الجامعي ، إلا أن قرار المحكمة الدستورية نقض التعديل ، وعدّ القرار من وسائل الإعلام العلمانية بأنه ضروري للحفاظ على طابع النظام العلماني

للدولة التركية، بينما أشارت وسائل إعلام التيار الإسلامي ، إلى أن المحكمة قد تجاوزت حدود صلاحياتها. (٦٩)

واستمرت بعض وسائل الإعلام العلمانية مثل صحيفتي حريت وملليت، حملتها الإعلامية على الحجاب الإسلامي بانتقادات وجهت لزوجات عدد كبير من الوزراء في حكومة حزب العدالة والتنمية بسبب ارتدائهن الحجاب خلال المناسبات الرسمية، ويدافع العلمانيون في وسائل إعلامهم عن الحظر على الحجاب في تركيا بأنه أمر مشروع لمواجهة الأصولية الإسلامية التي تريد فرض رموز دينية صارمة على المجتمع، وإقامة دولة تقوم على الأفكار الدينية.

القوى العلمانية المؤثرة على حرية الإعلام التركي

تشغل حرية وسائل الإعلام في النظم الديمقراطية موقعا متميزا ضمن الحريات السياسية والمدنية، وهناك ثلاثة معايير لقياس تلك الحرية، الأول معيار القوانين والتشريعات التي تنظم وتوفر الحماية لوسائل الإعلام، والثاني معيار عمق نفوذ وسيطرة الحكومة على مضمون ومحتوى الصحف ووسائل الإعلام، والمعيار الثالث تمويل الصحافة ووسائل الإعلام.(٧٠)

ووفقا لتلك المعايير هناك عدة عوامل مؤثرة على حرية وسائل إعلام التيار الإسلامي في تركيا، تتحكم في رسم مسار سياستها الإعلامية وتوجهاتها ومواقفها خاصة في صراعها مع العلمانيين. ويأتي في مقدمة هذه العوامل الدولة بشقي مؤسستيها السياسية (الحكومة) والعسكرية(قيادة الجيش) إضافةً إلى رجال الأعمال الأتراك من مالكي المؤسسات الإعلامية والدونمة واليهود والماسونية، لما يشكله هذا الثلاثي من أهمية وسيطرة على وسائل الإعلام والمؤسسات التجارية الكبرى في تركيا.

١. الجيش

إن العلمانية في تركيا فرضت بالقوة، وكان الجيش منذ البداية الحارس لها وفقا لنص الدستور التركي ، حيث تدخل أكثر من مرة لمنع حدوث أي اختراق مثلما حدث في انقلاب عام 1960، وقام الجيش بانقلاب على رئيس الوزراء عدنان مندريس، وبعدها تم إعدامه بتهمة بالخيانة العظمى لانتهاك القوانين العلمانية والسماح ببعض المظاهر الدينية . وكذلك انقلاب عام 1971 وانقلاب عام 1980، كما أن الجيش كان سببا في انهيار الحكومة الائتلافية التي شكلها نجم الدين أربكان مع زعيمة حزب الطريق القويم تانسو تشيلر عام 1996، بحجة انتشار الرجعية في البلاد، وازدياد عدد المدارس الدينية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم التي يرى فيها الجيش تهديدا للنظام العلماني، فوجه إنذارا إلى حزب الرفاه عام 1997، وقام بنشر الدبابات في شوارع العاصمة أنقرة، ليجبر رئيس الوزراء نجم الدين أربكان على تقديم استقالته.

ويلقى قادة الجيش دوما الدعم من رجال الأعمال الكبار و كبرى وسائل الإعلام العلمانية التابعة لهم، التي تلعب دورا أساسيا في إعداد وتهيئة الشارع التركي للانقلابات العسكرية وبأساليب ذكية، إذ لرجال الأعمال الكبار مصالح اقتصادية وتجارية كبيرة في العلاقة مع الجيش ، وكذلك الدعم المطلق الذي يلقاه من القضاء. وقد منعت رئاسة الأركان العامة التركية على مدى العقود السابقة ، انتشار أي نفوذ إسلامي حقيقي داخل مؤسسات الدولة، من خلال محاربة التعليم والإعلام الدينيين ، والتضييق على النشاطات والفعاليات الصوفية ، وشن حملات شرسة باستخدام وسائل الإعلام التركية المملوكة أصلا لقوى اقتصادية يهودية وعلمانية ، تُعد حليفا استراتيجيا له في هذه المواجهة العنيفة التي مكنته من إحكام القبضة على مقاليد الحكم وزمام السلطة.

واستخدمت رئاسة الأركان العامة، المؤسسة القضائية لإثارة الملاحقات القانونية، وفرض الغرامات المالية ضد عدد من الصحف ووسائل الإعلام الإسلامي ، والصحافيين في حال تناولهم بعض الموضوعات السياسية المختلف عليها ، مثل الإسلام السياسي وغيرها من القضايا، كما أصدرت رئاسة الأركان التركية ، قائمة ضمت 100 مؤسسة اقتصادية فرض عليها حظر التعامل ، على أن تخضع للتحري باعتبارها تدعم الحركات الإسلامية ماليا، وتابعت المؤسسة العسكرية حملتها ضد وسائل الإعلام الإسلامي، فوضعت قائمة تضم 119 صحيفة ومجلة و20 محطة تلفزيونية و51 محطة إذاعية ، باعتبار أن تلك المؤسسات تمارس أنشطة إسلامية تخريبية معادية للعلمانية ، غير أن هذه المحاولات لتقييد أنشطة وسائل الإعلام الإسلامية، ما تزال متواصلة وإن خفت حدتها، إذ استطاعت وسائل الإعلام الإسلامية التكيف مع هذا الصراع الطويل ، بحيث نجحت في تحويل الأفكار الأيديولوجية الكبرى، من منطلقات للصدام إلى منطلقات للحوار القائم على عدم إقصاء أي طرف من المعادلة السياسية، والاعتراف بحق التيارات المختلفة في التعبير ، أي إعادة النظر في أيديولوجية الخطاب السياسي للتيار الإسلامي بما يتوافق مع أطر النظام العلماني بهدف تجنب مرحلة الصدام تلك.

٢. يهود الدونمة والماسونية

تمتد جذور التغلغل اليهودي والماسوني للسيطرة على وسائل الإعلام في تركيا إلى عام 1494م عندما أدخل اليهود أول مطبعة إلى الدولة العثمانية، وكذلك إلى عام 1727م عندما أسس الماسوني التركي سعيد جلبي زاده، أول مطبعة باللغة التركية. [٧١] وقد تعاظم الدور اليهودي في الصحافة التركية، بعد رفض السلطان عبد الحميد الثاني فكرة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين على الرغم مما عرضه هرتزل بتقديم 150 مليون ليرة انكليزية ذهباً للسلطان . [٧٢] وعندها قرر زعماء الحركة

الصهيونية أن يدفعوا الملايين المعروضة على السلطان لشراء الذمم وتدبير المؤامرة لخلعه، وكان للدعاية التي شنها اليهود عن طريق الصحف التي كانوا يسيطرون عليها في أوربا وفي تركيا نفسها، دور مؤثر في تنفيذ مخطط خلع السلطان عبد الحميد الثاني، [٧٣] وقد أسهم اليهود في تكريس العلمانية وتقاليدها منذ البداية . وشارك يهود الدونمة والمحافل الماسونية في تأسيس الدولة العلمانية التركية، وساندوا إجراءات أتاتورك العلمانية ، وتغلغلوا في صفوف المجتمع التركي وفرضوا سيطرتهم على المراكز التجارية والاقتصادية والإعلامية المهمة.

وفي فترتي حكم جمعية الاتحاد والترقي والعهد الجمهوري ازداد النفوذ اليهودي والماسوني في وسائل الإعلام في تركيا ، وما يزال هذا النفوذ مسيطراً على المؤسسات الإعلامية الكبرى في تركيا إلى يومنا. ويعتبر العام 1989، محطة بارزة في مسيرة اليهود الأتراك حين خرجوا بصورة كاملة إلى العلن عن طريق تأسيس ما سمي بـ " مركز الـ 500" بمناسبة مرور خمسمئة عام على خروجهم من اسبانيا إلى تركيا. وقد شجعهم على ذلك السياسة التي انتهجها الرئيس توركوت أوزال، لكسب ود اللوبي اليهودي في أمريكا عن طريق دعم اليهود الاتراك، ما ساعد على ازدياد الحضور اليهودي في تركيا، ولاسيما في حقلي الاقتصاد والإعلام المقروء والمرئي، إذ تعود ملكية بعض الوسائل الإعلامية المؤثرة لأوساط يهودية. [٧٤]

وللماسونية تاريخ عريق في تركيا، فقد ارتبط اسمها بأحداث تاريخية مهمة، وعرفت تركيا الماسونية أول مرة أيام السلطان أحمد الثالث 1703-1730م عندما أسس ماسونيو البندقية وهم من التجار الايطاليين، جمعية لهم في إسطنبول عام 1717م ارتبطت بالجمعية الماسونية الفرنسية ، المسماة المشرق الأعظم الفرنسي ، وكان أول ماسوني تركي ينتمي إلى تلك الجمعية هو سعيد جلبي زاده، الذي كان والده سفيراً للدولة العثمانية في فرنسا. [٧٥]

وللمرة الأولى منذ نشأته في تركيا، عقد المحفل الماسوني التركي في العاصمة أنقرة، أول مؤتمر علني للماسونيين في تركيا، يوم الثاني والعشرين من كانون الثاني عام 2000، بعدما كانت هذه المؤتمرات تحظى في الأعوام الماضية بالسرية المطلقة، تحدث فيه ساهر طلعت اقو باعتباره الأستاذ الأعظم للمحفل التركي مطالبا قادة المؤتمر من أعضاء المحفل الماسوني في تركيا بالظهور العلني والدعوة للفكر الماسوني في أركان الحكم والدولة وفي الجامعات.

وتتلخص أساليب سيطرة الدونمه واليهود والماسونية على وسائل الإعلام في تركيا، من خلال امتلاك كبريات المؤسسات الإعلامية المؤثرة في الرأي العام التركي، ضمن إطار مساع هادفة إلى دعم التيار العلماني في مواجهته للتيار الإسلامي، إذ تمتلك عائلة سماوي حالياً 30% من جريدة حريت بعد أن باعت نسبتها الأخرى إلى رجل الأعمال الماسوني آيدن دوغان، مالك مجموعة دوغان الإعلامية وهي المجموعة الإعلامية الأولى في تركيا . وما تزال عائلة الماسوني يونس نادي تمتلك جريدة (جمهوريت) اليسارية ، وكذلك صحيفة (ملليت) التي أسسها الماسوني علي ناجي قره جان عام 1950، وآلت ملكيتها إلى آيدن دوغان، [٧٦] وتمتلك عائلة الماسوني دنييج بليكين مجموعة بيلكين ميديا الإعلامية، التي تضم عدداً من الصحف القومية الكبرى وبعض محطات الاذاعة والتلفزيون، كما يمتلك رجل الأعمال التركي أيرول أكصوي المقرب من أوساط المال اليهودية العالمية مجموعة اقتصاد ميديا الإعلامية التي تضم القناة الفضائية التركية الخاصة Show.Tv التي ساهم ت في تمويلها عائلة قمحي اليهودية التركية، ويمتلك اليهود أيضاً صحفاً خاصة بهم مثل شالوم، جورنال أوريان ولاغازيت.[٧٧]

كما يحتكر اليهود في تركيا شركات إنتاج وتوزيع الإعلانات التي تشكل مورداً مهماً من موارد الصحف المالية، ويفرض اليهود سيطرتهم على معظم شركات

الإعلان في تركيا، إذ امتلك اليهودي إيزيدور باروخ أول شركة اعلان كان قد أسسها فرنسي في تركيا عام 1908، وبقيت شركة باروخ شركة الإعلان الوحيدة في تركيا لسنوات طويلة وما يزال تأثيرها واضحاً إلى الآن ، ويعتبر اليهودي إيلي أجيمان صاحب شركة (ماناجانس) التي تُعد من كبرى الشركات الإعلانية ، أول من أدخل الأساليب الحديثة في الاعلان .[٧٨] كما أنشات مؤسسة صحيفة حريت التي يمتلكها اليهود عند صدورها ، شركة إعلانات كبرى ب أسم (إعلانجليك) التي ترأس إدارتها اليهودي ألبرت ليفي.[٧٩]

ويتضح مما تقدم ان اليهود يتحكمون في صناعة وتوزيع الإعلانات ويستغلونها سلاحاً وورقة ضغط ضد الصحف التي لا تتوافق توجهاتها مع مراميهم وغاياتهم عن طريق حرمانها من الإعلانات وعائداتها المالية.

الخلاصة:

شهد الإعلام التركي منذ نشأته في كنف الامبراطورية العثمانية، وبعد إلغاء الخلافة والسلطنة وتأسيس الجمهورية العلمانية مراحل متعددة من الصراع بين تيارين متضادين التيار الإسلامي؛ المناوئ للعلمنة من جهة، والتيار العلماني الذي سعى إلى فرض هيمنته بالقوة على كل مناحي الحياة من جهة أخرى، كانت وسائل الإعلام لكلا التيارين، أدوات صراع الهوية البارزة بين العثمنة والعلمنة، وقد ساعد تراجع سيطرة قيادة الجيش على منصب رئاسة الجمهورية في العقد الأخير من القرن العشرين، وتولي رؤساء مدنيين من احزاب سياسية طامحة لزيادة رصيدها الانتخابي، ساعد على زيادة انتشار وسائل الإعلام الإسلامي، وتنامي تأثيرها على الرأي العام التركي، قياسا بالمرحلة الماضية التي كانت تفرض فيها وسائل الإعلام العلمانية هيمنتها على الرأي العام التركي دون منافس، ورغم تنامي وسائل الإعلام الإسلامي بشكل غير مسبوق، إلا أنها ما تزال تواجه منافسا قويا يمتلك من عناصر القوة الكثير، ما ينبئ بأن صراع الهوية في تركيا بين العثمنة والعلمنة الذي تشكل وسائل الإعلام سلاحه الفاعل، سيستمر طويلا.

ملحق رقم 1

جدول معدلات التوزيع اليومي لأبرز الصحف التركية[٨٠]

ت	أسم الصحيفة	عدد التوزيع اليومي
1	ZAMAN زمان	790.201
2	POSTA بوستا	478.821
3	HÜRRİYET حريت	437.076
4	SABAH صباح	334.355
5	SÖZCÜ كوزجو	245.558
6	HABERTÜRK خبر تورك	227.055
7	P.FOTOMAÇ فوتوماج	208.621
8	FANATİK فاناتيك	198.195
9	MİLLİYET ملليت	146.345
10	TÜRKİYE تركيا	137.003
11	STAR ستار	123.937
12	VATAN وطن	119.895
13	TAKVİM تقويم	110.634
14	YENİ ŞAFAK يني شفق	103.117
15	AKŞAM أقشام	102.705
16	GÜNEŞ كونش	99.019
17	BUGUN بوكون	70.687
18	YENİ ASYA يني آسيا	53.958
19	YENİ ÇAĞ يني جاغ	51.219
20	YENİ RADİKAL يني راديكال	50.098
21	CUMHURİYET جمهوريت	50.817
22	TARAF طرف	50.292
23	A.ŞOK آ شوك	50.137
24	MİLLİ GAZETE مللي غازيته	48.874
25	AYDINLIK آيدنلك	43.155
26	FOTOGOL فوتو كول	38.241
27	YENİ AKİT يني عقد	36.901
28	YENİ ASIR يني عصر	28.698
29	EFSANE FOTOSPOR افسانه فوتو سبور	18.113
30	ORTADOĞU اورتا دوغو	8.469
31	BİRGÜN بيركون	6.258
32	YENİ MESAJ يني مساج	5.594
33	G.EVRENSEL ج افرنسال	5.505
34	H.DAILY NEWS ديلي نيوز	5.393
35	TODAYS ZAMAN تودي زمان	4.355
36	HÜRSES حر سس	2.094
	المجموع	4.492.745

ملحق رقم 2

أبرز وسائل الإعلام التابعة للتيار الإسلامي في تركيا

ت	نوع الوسيلة	اسمها	الجهة التي تصدرها
1	صحيفة	زمان zaman	الطريقة النورسية – فتح الله غولين
2	صحيفة	يني شفق yenışefek	مؤيدة لحزب السعادة
3	صحيفة	عقد akıt	مؤيدة لحزب السعادة
4	مجلة	ألتون أولوق Altun ouluk	الطريقة النقشبندية
5	مجلة	سبيل sebıl	تدافع عن الدولة العثمانية وحضارتها
6	مجلة	مساج Mesac	الطريقة القادرية
7	صحيفة	إسلام Islam	النقشبندية – جامع إسكندر باشا
8	صحيفة	إجمال Icmal	الطريقة القادرية
9	صحيفة	النصح ogut	الطريقة القادرية
10	صحيفة	العقيدة Mıllı	الطريقة النورسية – فتح الله غولين
11	صحيفة	الجيل الجديد Yenı Nesıl	الطريقة النورسية فتح الله غولين
12	صحيفة	العم والفن Ilım ve sanat	الطريقة النقشبندية
13	صحيفة	المرأة والعائلة kadıne ve sanat	الطريقة النقشبندية
14	صحيفة	ملي غازيته Mıllıgazıta	حزب السعادة/إمتداد لحزب الرفاه
15	صحيفة	تركيا Turkıye	الطريقة النقشبندية د.انور آرن
16	صحيفة	الظفر zafer	الطريقة النورسية
17	صحيفة	الجسر kopru	الطريقة النورسية
18	صحيفة	عائلتنا Bızım aıle	الطريقة النورسية
19	مجلة	الوحدة vahdet	الطريقة النورسية
20	مجلة	الجمعة Cuma	الطريقة النورسية
21	مجلة	الموضوعي objektıf	الطريقة النورسية
22	مجلة	حيزنطي Hazantı	الطريقة النورسية– فتح الله غولين
23	مجلة	يني أميد yenı omyd	الطريقة النورسية– فتح الله غولين
24	مجلة	أكسيون Aksyon	الطريقة لنورسية– فتح الله غولين
25	مجلة	كوبرو kopru	النورسية/جماعة محمد كوتلور
26	مجلة	كنج kıng akadımı	جماعة الإمام سليمان طوناخان
27	قناة تلفازية	تركيا Tgrt.tv	الجماعة النقشبندية – أنور آرن
28	وكالة أنباء	إخلاص Ihlas	الجماعة النقشبندية – أنور آرن
29	قناة تلفازية	تركيا الإعلانية Tgrt.tv	الجماعة النقشبندية – أنور آرن
30	إذاعة	إذاعة تركيا Tgrt FM	الجماعة النقشبندية – أنور آرن
31	قناة تلفازية	Samanyolu Tv	الطريقة لنورسية– فتح الله غولين
32	إذاعة	بورتش Bortiş	الطريقة لنورسية– فتح الله غولين

المراجع:

(1) M. Nuri Inuğur, Basin ve yayin Tarihi, Qağlayan Kitab Evi, Istanbul, 1982, P. 151.

(٢) هاشم الشبيب، المجتمع التركي بين ثقافتين، مقال منشور على قناة الجزيزرة، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8AEE820B-ECBD-4EA3-94D8-2F3201CDBD53.htm

(٣) د. عبدالوهاب المسيري ود. عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق، 2000، ص 76

(٤) نفس المصدر، ص 122

(٥) محمد أركون، العلمنة والدين ، دار الساقي ، بيروت، 1996، ص11

(٦) فكري شعبان، العلمانية وقواها في تركيا ، أنظر http://www.aljazeera.net/NR/exeres/EAD35B4D-FB52-45A1-B329-4E66D8E4AD2E.htm#4

(٧) د. يوسف القرضاوي، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام نموذج تركيا وتونس، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص 111.

(8) M. Nuri Inuğur, Basin ve yayin Tarihi, Qağlayan Kitab Evi, Istanbul, 1982, P. 172

(9) Orhan Koloğlu, Osmanldan Günümüze Turkiyede Basin, Iletişim Yayinlari, Ankara, 1994, P.16.

(10) Hifzi Topuz, 100 Soruda, Türk Basin Tarihi, Gerqek Yayin Evi, Istanbul, 1973, P.11

(11) Orhan Koloğlu, opcıt, P. 63

(12) Uygur Kocabaşoğlu, Basin 80-84, QGD Yayinlari Ankara, 1984, P.76.

(13) Orhan Koloğlu,2003, Ibid, P. 70.

(14) YAZLI MEDYA ISTSTISTIKLERI,TÜİK,2010,SAYI: 158 10/8/2011, Türkiye İstatistik KURUMU,Ankara,

(15) Kutlay Doğan (Hazirlayan) Türkiye 2004, Başbakanlik, Basin-yayin ve Enformasyon Genel Müdürlüğü,
Ankara, 2005, P. 434 .
http://www.tuik.gov.tr/PreHaberBultenleri.do?id=8594

(16) Kutlay Doğan (Hazirlayan) Türkiye 2010, Başbakanlik, Basin-yayin ve Enformasyon Genel Müdürlüğü,
Ankara, 2011, P. 398 .

(١٧) رائد احمد حسين البياتي، أخبار العراق في الفضائيات التركية، أطروحة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة بغداد، 2002. ص33

(18) Kutlay Doğan,2010 , P. 402.

(19) Kutlay Douğan,2004, P. 419.

(20) Kutlay Doğan,2010 , P. 405.

(21) Press Guide, Directorate General of Press & Information, Ankara, 2009, P. 8.

(22) Orhan Koloğlu, Havas-Reuter'den Anadolu Ajansina, ÇGD Yayinlari, Ankara, 1994, P. 49.

(23) http://www.aa.com.tr/tr/aa-il-bulteni.

(٢٤) رائد أحمد حسين البياتي، مرجع سابق، ص 61.

(25) www.iha.com.tr.

(26) www.cihan.com.tr. , 05/02/2006

(27) www.dha.com.tr

(28) www.ebmhaber.com.tr.

(29) Kutlay Doğan,2010 , P397.

(٣٠) د. إبراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية، بغداد، 1988. ص 135.246 .

(٣١) المرجع السابق، ص 140.

(٣٢) يرى خبير الإعلام فنست فراس (Vincent Farace) ان تعدد الأحزاب يعد من العوامل التي تؤدي إلى مزيد من حرية الصحافة، أنظر:-
د. جيهان مكاوي، حرية الفرد وحرية الصحافة، الهيئة العامة للكتاب، مصر 1981، ص 29.

(33) Ali Tartanoğlu, Baskin, Basin, in mi? ÇGD Yayinlari, Ankara, 1994, P. 52

(٣٤) عبد الكريم علي جبر الدبيسي، الصحافة التركية ومواقفها تجاه العراق، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة بغداد، 1999، ص 51

(٣٥) د. أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990، ص 168 و73.

(٣٦) د. ابراهيم الداقوقي، مرجع سابق، 1988، ص 137.

(٣٧) نامق كمال (1840-1888) كاتب وشاعر تركي، ماسوني كان يدعو إلى الانفتاح على الغرب. انظر:

Yahya Harun – Yahudilik ve Masonluk Cihan Neşriyat, 1992-ist, P. 281

(38) M.Nuri Inğur, Basin ve Yayin Tarihi, Çağlayan Kitab Evi Istanbul, 1982, P. 327.

(٣٩) د. ابراهيم الداقوقي، مرجع سابق، 1988، ص 137.

(٤٠) د. ابراهيم الداقوقي، صورة العرب لدى الأتراك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص 83.

(٤١) عبد الكريم علي جبر الدبيسي، مرجع سابق، ص 60.

(٤٢) د. أحسان عسكر، نشأة الصحافة السورية، دار النهضة، القاهرة، 1972، ص 34.

(43) Orhan Koloğlu, Türkiye'de Basin Osmanli'dan Günümüze, , P. 50

(٤٤) د. أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 229.

(٤٥) هارتمان وآخرون، الجريدة أو الصحافة عند المسلمين، دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984، ط1، ص 144.

(٤٦) د. عبد الجبار قادر غفور وآخرون، تركيا المعاصرة، مركز الدراسات التركية جامعة الموصل، 1990،ص 93.

(٤٧) المرجع نفسه ، 94.

(٤٨) عبد الكريم علي جبر الدبيسي، مرجع سابق، ص 56.

(٤٩) د. ابراهيم الداقوقي، مرجع سابق 1996، ص 183.

(٥٠) المصدر نفسه، ص 125.

(51) Kutlay Douğan,2004, P. 419.

(52) Dr. Mehemet Sağnak, Medya Poltik (1983-1993) Yillar Arasinda, medya Ilişkileri, Istanbul, 1996, P. 224.

(53) www. 40ikindi.com/birincidonem/2/medya.htm.

(54) http://www.dmg.com.tr/tr/.

(55) Dr. Mehemet Sağnak, Ibid, P.232.

(56) http://www.ihlas.com.tr/view_section.aspx?sectionGuid=95b540e3-f06a-4ff4-b5a1-1592e87ba2d6

(57) Mehemet Sağnak, Ibid, P.239.

(58) http://www.cinergroup.com.tr/companies.php?CID=24

(59) www.dogusgroup.com.tr.
www.40ikindi.com/bivincidonem/2/medya.htm

(٦٠) محمد نورالدين – تركيا الجمهورية الحائرة مقاربة في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1998، ص 180. محمد نورالدين، حجاب وحراب،الكمالية أزمات الهوية،رياض الريس للكتب والنشر،بيروت،2001، ص 246

(٦١) محمد نورالدين، حجاب وحراب،الكمالية أزمات الهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت،2001، ص 246

(62) İSTATİSTİK GÖSTERGELER 1923-2009,TÜRKİYE İSTATİSTİK KURUMU Ankara 2010,p87

(63) http://www.jurnal.net/medya/2011/08/23/gazete-tirajlari-8-14-agustos-2011.htm

(٦٤) د. ابراهيم الداقوقي، صورة العرب لدى الاتراك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1996، ص 183.

(٦٥) د. جلال عبد الله معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية-التركية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ، ص 124.

(٦٦) يشكل المسلمون نسبة 99% من مجموع سكان تركيا البلغ عددهم 73 مليون.

(٦٧) فكري شعبان، العلمانية وقواها في تركيا ،مرجع سابق

(68)http://aljazeera.net/portal/templates/Postings/PocketPcDetailedPage .aspx?GUID=%7BD5E396FB-950F-4803-BCE7-1CDA74389DF9%7D&No=1

(69) http://www.egyppl.com/vb/archive/index.php/t-5302.html

(٧٠) د. جيهان مكاوي، حرية الفرد وحرية الصحافة، الهيئة العامة للكتاب، مصر 1981، ص 23.

(71) Ilhami Soysal, Dünyada ve Türkiye'de Masonluk ve Masonlar, Der Yayinlari, 4. Basim, 1988, Istanbul, P. 226

(٧٢) حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، جامعة بيروت العربية، بيروت،1978،ص 310.

(٧٣) زياد أبو غنيمه، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، دار عمار، عمان، 1984، ص 178.

(٧٤) د. محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة، مرجع سابق، ص 65.

(75) Ilhami Soysal, Ibid, P. 219.

(76) Yayha Harun, Yahudilik ve Masonluk, Cihan Neşriyat, 1992, Istanbul, P. 277.

(٧٧) د. محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، قلق الهوية وصراع الخيارات، دار رياض الريس، لندن، 1997 ص 183.

(٧٨) المرجع نفسه، ص 183.

(٧٩) د. ابراهيم الداقوقي وآخرون، العلاقات العربية – التركية، حوار مستقبلي، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، ط1، 1995 ، ص 550.

(80) http://www.jurnal.net/medya/2011/08/23/gazete-tirajlari-8-14-agustos-2011.htm

برنامج علاقات عامة لتنمية قيم التسامح وثقافة الحوار مع الآخر

د. محمد جياد زين الدين المشهداني
الجامعة العراقية / كلية الإعلام

مُقَدِّمَة

أضحت برامج العلاقات العامة عاملاً مهماً وفاعلاً في نجاح أي مشروع سواء كان سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو ثقافياً، وقد أمتد الأهتمام بالعلاقات العامة الى أبعد من هذا بكثير، فبدأت برامج العلاقات العامة تُستخدم من قبل العديد من دول العالم لتحسين صورتها الذهنية وكسب رضا جمهورها بطرق وأساليب علمية مخططة ومدروسة بغية تحقيق أفضل الأهداف .

وقد تعرض المجتمع العراقي كغيره من المجتمعات المتأزمة وعبر عقود من الزمن لتغيرات أمتدت الى عمق البنى والمؤسسات المجتمعية، وبالتالي أنعكست على مجمل أوضاع الأمن الأنساني للمواطنين، وليس ثمة شك أن الفترة التي أعقبت احتلال العراق عام 2003م، أتسمت بالاقصاء والتهميش والتجاوز على حقوق الانسان ومصادرة حرية التعبير والراي الآخر وردود فعل عنيف على الأصعدة كافة .

ويركز موضوع بحثنا على جانب مهم في حياة واستقرار الشعوب وهو التسامح، الذي غاب عن الجميع تفعيله والخوض في تفاصيله لما له من خصوصية وتأثير ايجابي على المجتمعات، ويقضي مبدأ التسامح الأعتراف بالآخر واحترام رأيه والتعايش معه على أساس حرية العقيدة والفكر والتعبير لاتكرماً أو منة، وأنما حق

باعتباره من أفضل الأساليب والطرق للوصول الى الحقيقة وتحقيق المكاسب الشخصية والعامة لجميع الأطراف على حدٍ سواء .

ولذلك ينبغي على جميع الحكومات والمؤسسات والهيئات والجهات المعنية بهذا الشأن، ان تتبنى وتنفذ مشروعاً وبرنامجاً للعلاقات العامة يقوم على أساس مبدأ التسامح مع الآخرين واحترام الراي الاخر كنوع من الممارسة الديمقراطية وكأسلوب من أساليب التقدم الحضاري . وتجدر بنا الاشارة الى ماقاله الفيلسوف الفرنسي (فولتير) في عبارته الشهيرة ملخصاً مفهوم التسامح بمعانيه ومضامينه وأشكالياته ((إنني لا أوافق على ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله)) .

المبحث الاول

الاطار المنهجي

١ **مشكلة البحث:** تتحدد مشكلة البحث في عدم وجود رؤية علمية واضحة وملموسة لبرنامج العلاقات العامة وإدارته بالشكل العلمي السليم، مع غياب الوعي العلمي، لأهمية العلاقات العامة ودورها في صياغة برنامج علاقات عامة بشكل واضح ودقيق يمكن الاعتماد عليه، من اجل بناء منظومة قيمية تُعنى بالتنمية لقيم التسامح واشاعة ثقافة الحوار مع الآخر، لذا فإن البحث معني بدراسة هذه المشكلة عن طريق الاجابة عنها من خلال التساؤلات الآتية:ـ

١. ما هي أهم المراحل والخطوات التي يتبناها برنامج العلاقات العامة لتوعية الجماهير بأهيمة قيم التسامح كبديل للعنف وسياسة التهميش وعدم الإصغاء للاخر؟
٢. ما أهمية وسائل الاتصال التي يستخدمها برنامج العلاقات العامة في تحقيق الاهداف الموضوعة .
٣. ما مؤهلات القائمين على أدارة برنامج علاقات عامة وقدرتهم على الاتصال مع الجمهور .

٢ **أهمية البحث:** من المعلوم أن العراق أصبح إحدى الساحات الرئيسة في الصراع، ولاسيما بعد أن انهارت مؤسساته البنيوية بعد الاحتلال عام 2003م، والتي عن أثرها أنعكست بشكل سلبي على مجريات الأمور، وسادت الفوضى الى حدٍ شكل تحدياً لكل إجراء تنموي. و يكتسب البحث أهمية من أهمية الموضوع الذي يتناوله، فالعلاقات العامة لم تعد نمطاً اتصالياً مهماً فحسب، بل أصبحت برامجها ضرورة حتمية رئيسية وفاعلة تُسهم في تكوين الحياة العامة

للجماهير ومقياساً للتطور الحضاري، وعاملاً مهماً في البناء والتنمية والتوعية في المجالات كافة سواء كانت السياسية والاجتماعية والاقتصادية..الخ ، فضلاً عن مجتمعاتنا بحاجة الى التسامح والتعايش مع الآخر من أجل تجاوز العقبات والأنطلاق الى الامام نحو مستقبل مشرق، مبني على مبدأ الاحترام المتبادل وتقبل وجهات النظر مهما كان اختلافها .

٣ **أهداف البحث:** يهدف هذا البحث الى ابراز برنامج العلاقات العامة، واعطاءه دوراً مهماً ومؤثراً في حياة المجتمع في ترسيخ وأرساء مباديء وقيم التسامح وأسلوب الحوار المدني الحديث والنقد البناء، وتتلخص أهداف البحث في ما يلي:

١. معرفة أهمية برنامج العلاقات العامة في نشر قيم التسامح وإشاعة ثقافة الحوار والتعايش السلمي .
٢. وضع برنامج مقترح لتنمية قيم التسامح والتعايش السلمي .
٣. أهمية أستخدام وسائل الاتصال المناسبة لمخاطبة الجمهور المستهدف .
٤. الكشف عن الاساليب التي تستخدم في تنفيذ البرنامج .
٥. وضع ضوابط ثابتة للعلاقة بين الأطراف تُنهي فجوة البغضاء والإقصاء، وإعادة التوازن الى المجتمع من خلال فتح الحوار العقلاني والتسامح مع الاخر.

٤ **منهج البحث:** يقصد بالمنهج مجموعة القواعد المستخدمة للوصول الى الحقيقة في العلوم، وهو أداة اختبار الفروض والتساؤلات ويقع عليه مسؤولية تطويرها وتحقيقها[1]. وأقتضت مشكلة الدراسة أعتماد(المنهج الوصفي)، وهو نوع من المناهج العلمية المتبعة في الدراسات الوصفية، من أجل جمع البيانات وتنظيمها وتحليلها وفق أسلوب علمي سليم .

المبحث الثاني

برامج العلاقات العامة

أولاً: مفهوم برامج العلاقات العامة

أصبحت العلاقات العامة علم وفن متطور من فنون التأثير والاقناع وكسب الاخرين بهدف التأثير بالجمهور وكسبهم نحو هدف أو قضية ما وتحريكهم في اتجاه مخطط ومرسوم . وتشكل العلاقات العامة حلقة الوصل بين المؤسسة والجمهور، عن طريق نقل الآراء والأفكار والسلع والخدمات لتلك الجماهير عبر أستخدام وسائل الاتصال المختلفة .

والعلاقات العامة كما يراها الأستاذ الدكتور إبراهيم إمام هي ((فن معاملة الناس والفوز بثقتهم ومحبتهم وتأييدهم، ومعنى ذلك ببساطة هو كسب رضى الناس بحسن المعاملة الصادرة عن صدق وإيمان بقيمة الإنسان في المجتمع))[٢] .

ويعرفها أيضاً الدكتور إبراهيم صابات ((أسلوب اعلامي يهدف التأثير المعنوي في الجماعات داخل وخارج المنظمة لتحقيق القبول والرضى لسياساتها، والقوى التي تتعامل مع العلاقات العامة متعددة منها: المساهمون، أعضاء مجلس الادارة، العاملون في السلطات العامة سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم عملية أم نقابة))[٣] .

وتُعد برامج العلاقات العامة من الأنشطة المخططة والمهمة لنجاح المؤسسات كافة، فضلاً عن ذلك بانها جهود مخططة ومدروسة تُبذل من أجل بناء سمعة المؤسسة، عن طريق مجموعة من الفعاليات وتصميم رسائل اتصالية مؤثرة في الجمهور عن طريق إعداد وتصميم أفضل ال برامج للعلاقات العامة . وهذا يتطلب بحث ودراسة مستفيضة ، بمعنى آخر كلما كانت الرسالة الاتصالية مدروسة ومعّدة بشكل وأسلوب علمي ومهني مدروس، كلما كان البرنامج يسير بالاتجاه الصحيح[٤] .

وأن برنامج العلاقات العامة يعني ((جميع الانشطة أو الجهود المبذولة نحو اقامة وتدعيم وكسب تأييد وثقة الجماهير ورأيهم في المؤسسة، الذي يقوم بإعلام وأستهداف وتحسين طرق الأداء بما يعكس ازدهاراً ونمواً في نشاط المؤسسة وتعميقاً في فهم الجماهير لدور المؤسسة في النشاط الاجتماعي والاقتصادي العام))[٥] .

كما يُعرف برنامج العلاقات العامة على أنه ((مجموعة من الانشطة التي تعتمد على بعضها البعض، وموجهة لتحقيق غرض أو مجموعة من الاغراض، وهو يرشح كيف تعتزم المؤسسة تحقيق أهدافها))[٦] .

ويوصف برنامج العلاقات العامة بأنه ((مجموعة من الانشطة والحملات الموجهة لتحقيق هدف ما يستهدف جمهور معين أو جماهير محددة أو جمهور عام، وهو جزء من الخطة العامة، ويعتبر العمود الفقري لها))[٧] .

ويلاحظ مما تقدم ان برامج العلاقات العامة تشترك بمجموعة من العناصر، والتي تتضمن مايأتي:

١ -يجب ان يكون للبرنامج هدف محدد وواضح .
٢ -دقة اختيار الادوات والاساليب المستخدمة في البرنامج .
٣ -يعتمد البرنامج الناجح على البحث والتخطيط العلمي السليم في استقصاء واستطلاعات الراي العام .
٤ -ان يحدد نوع الجمهور في العلاقات العامة، كأن يكون جمهوراً داخلياً أو خارجياً، جمهوراً عام او مستهدف.... الخ .

ثانياً: أهمية برامج العلاقات العامة

في الآونة الاخيرة أزدادت أهمية أنشطة العلاقات العامة وبرامجها على الأصعدة كافة، وجاءت هذه الأهمية من التطور التكنلوجي والمعلوماتي وتوسع نطاق شبكات الاتصالات وتداول نقل المعلومات وعرضها بحرية وإنسيابية عالية، فضلاً

عن ان النظرة الى الجماهير في المجتمعات الحديثة قد تغيرت، وأصبح فيها الانسان مركز احترام وأهتمام والسعي لتنفيذ رغباته وحاجاته، وغدت حياته مصدراً للسلطة الموجهة للسياسة العامة في المجتمع، ولذلك كان التركيز والعناية الى برامج العلاقات العامة .

وتُساعد برامج العلاقات العامة على زيادة فرص النجاح وتحسين العلاقات وزرع روح المحبة والتفاني، كما تعمل البرامج على زيادة الوعي بالخدمات والمشاركة في المسؤوليات الاجتماعية لها عن طريق تبصيرهم بإمكاناتها وبجهودها والعقبات التي تواجهها وما تنتظره منهم من تأييد يساعدها على تحمل مسؤولية سياستها العامة[٨]، ويتحقق عنصر التضامن والتماسك وتبادل الاحترام بين الطرفين. ويمكن توضيح أهمية برامج العلاقات العامة في بيان بعض ما يمكن أن تحققه للإنسان والمجتمع والمؤسسات وفق ما يأتي[٩]:ـ

١ -تهيئة الرأي العام بغية تقبله لافكار وآراء جديدة وإيجاد جمهور يؤيد ويساند الجهات والمؤسسات بما يهدف الى تقوية الروابط، مما يُسهل تعاوناً مثمراً بين الأطراف كافة .

٢ -يُسهم برنامج العلاقات العامة في تفسيرمواقف الجمهور ومعرفة أنماط سلوكية في الحياة الاجتماعية وتفسر أساساً فلسفته في الحياة وذلك لارتباطها بقيمه ومعتقداته وثقافته .

٣ -تقوم برامج العلاقات العامة على توضيح الاتجاهات الحقيقية للجماهير ومعرفة رغباتهم واحتياجاتهم، مما يساعد القائمين على إدارة البرنامج من إحداث تعديلات مناسبة وفق السياسة العامة التي تتماشى مع رغبات وحاجات الجماهير ويحقق المنفعة المتبادلة للجميع .

٤ -تعمل برامج العلاقات العامة على تحقيق التكيف الانساني اللازم، وهذا التكيف والانسجام الانساني، أصبح من ضروريات أهداف العلاقات العامة، ومجتمعاتنا الحديثة المعقدة وبدونه لايمكنها أن تحقق أو تصل الى الأهداف المرسومة[١٠] .

٥ -أما على مستوى الجمهور الداخلي للعلاقات العامة، فبرنامج العلاقات العامة يحقق خدمات إنسانية متنوعة تعود بالنفع وبما يكفل لهم حياة رغيدة ومستقرة، كما يحقق البرنامج الرعاية الاجتماعية ويهيء لهم حياة كريمة مبنية على أساس الاحترام ونشر روح الاخاء والاحترام .

ثالثاً: أهداف برامج العلاقات العامة

تهدف برامج العلاقات العامة الى توطيد سمعة المؤسسة أو الهيئة وتحسين صورتها الذهنية لدى جمهورها، على اعتبار ان السمعة الحسنة هي إحدى الدعائم والركيزة الاساسية التي يقوم عليها كيان المؤسسة، فالصورة المشرقة للمؤسسة هي التي تخلق المناخ المناسب لاقبال الجمهور على التعامل معها، وبذلك يزداد نجاحها وتنمو أنشطتها وتصبح قادرة على مواجهة أية منافسة حالية كانت أو مقبلة[١١] .

وتعتمد سمعة أية مؤسسة على الأمور المادية الملموسة، التي يمكن تحقيقها بالعمل الفعلي الجاد والتواصل المستمر والهادف مع الجماهير، فأنشطة العلاقات العامة وبرامجها لايمكن أن تنجح الا إذا رضيت جماهيرها عنها، وعلى هذا يجب على المؤسسة وبرامجها أن تضطلع بواجبها الاجتماعي تجاه جماهيرها على أكمل وجه لكسب ثقتهم واحترامهم وتعاونهم معها .

وتختلف أهداف برامج العلاقات العامة من جهة لأخرى، باختلاف ذلك المجتمع وتركيبه ومستواه الثقافي والاقتصادي، لكن في الغالب تشترك أغلب المؤسسات بأهداف أساسية منها[١٢]:ـ

١ -بناء علاقة قوية وثقة متبادلة بين الطرفين(المؤسسة والجمهور)، عن طريق الاهتمام بتلك الجماهير وتلبية متطلباته وتوفير حاجاته من أجل الهدف الاسمى، وهو خلق إنطباع جيد وصورة ذهنية محببة للمؤسسة لدى جمهورها .

٢ -التعرف على اتجاهات الراي العام والعمل على تنميته حتى يصبح واعياً ومستنيراً ودعامة أساسية يعتمد عليها المجتمع المحلي ومؤسساته .

٣ -المشاركة في الخدمات العامة، والعناية بالهيئات العلمية والثقافية والأهتمام بشريحة الشباب وتشجيع المشروعات الثقافية والعلمية .

٤ -الترويج لأنشطة وبرامج المؤسسة من خلال اللقاءات وعقد الندوات والمؤتمرات والأندية من أجل التواصل مع جمهورها لنقل رؤية وسياسة أهداف المؤسسة[١٣] .

٥ -معالجة الازمات التي قد تطرأ على المؤسسة(داخلياً وخارجياً) .

٦ -الإقامة والاشراف الكامل على سياسة وأنشطة المؤسسة، والأشراف على تزويد وسائل الاعلام بانشطة المؤسسة والاهتمام بالمطبوعات والنشرات التي تصدرها وبشكل مستمر.

٧ -التعاون مع المؤسسات المختلفة المحلية أو العالمية، عن طريق تعزيز التفاهم والتبادل المشترك فيما بينهما .

٨ -العناية بإبراز المؤسسة وأجهزتها والرد على الانتقادات والحملات الموجهة، والاجابة عن الشكاوى وتصحيح المعلومات الكاذبة والمغرضة التي قد تتعلق بأذهان الجمهور[١٤].

رابعاً: مراحل تخطيط برنامج علاقات عامة

تختلف برامج العلاقات العامة من مؤسسة لاخرى، وذلك تبعاً لحجم وأهداف وطبيعة الخدمات التي تقوم بها، ويحتاج برنامج العلاقات العامة الى مجموعة فعاليات لتخطيط ونجاح أي برنامج، ويمكن استعراض الخطوات الأساسية لأية برنامج وكما يلي[١٥]:.

١ -**تحليل وادراك الموقف:** قبل وضع برنامج العلاقات العامة، يمكن تحديد مجموعة من التساؤلات، مثلاً ..ماهي صورة المؤسسة لدى الجمهور، هل هي ايجابية ام سلبية، او تحديد الاتجاهات نحو الخصومة والعدوان، والتعصب والاهتمام...الخ. ويتم تقدير الموقف عن طريق استخدام اساليب عدة منها طريقة الملاحظة ودراسة المعلومات والبيانات والمعالجات الاحصائية. وعند تحليل خصائص المؤسسة التي يمكن ان تؤثر على استراتيجية العلاقات العامة، من ناحية حجم المؤسسة وثقافتها وطرق تفكيرها واستجابتها للمشكلات، كما ان الثقافة تعكس الاتجاهات والقيم التي تشكل نحو سلوك المؤسسة .

٢ -**مرحلة تحديد الاهداف:** يمثل تحديد الاهداف النقطة الرئيسة التي توجه جهود برنامج العلاقات العامة لتحقيقها، ويمكن تحديد الاهداف الاساسية والمهمة لتحقيقها من خلال البرنامج ما يلي[١٦]:.

أ. تقوية ثقة الجمهور بالمؤسسة، عن طريق زيادة فهم وتقدير الجمهور لرسالة المؤسسة الاتصالية وأهدافها وانجازاتها ودورها في تفعيل العمل الصالح لخدمة المجتمع وبروح المسؤولية الاجتماعية والاخلاقية .

ب. توفير علاقات طيبة بين الطرفين المؤسسة والجمهور .

ت. استعادة ثقة الجمهور عقب أزمة تعرضت لها المؤسسة، أظهرت عدم فاعليتها بطريقة أو بأخرى، ومطلوب أحتواء هذه الازمة وتحقيق الفاعلية مرةً أخرى .

ث. تصحيح الاتجاه السلبي لدى الجمهور تجاه المؤسسة، كأعتقاد الجمهور بان المؤسسة لاتلقي أهتماماً له ولمصالحه .

ج. إعلام واخبار الجمهور بمساهمة أعضاء الهيئة الادارية بالحياة العامة اليومية .

ح. الاعلام بنشاط المؤسسة في مجال البحوث لخدمة المجتمع .

خ. التأثير في الراي العام للجمهور او الراي العام للجماهير الخاصة .

د. اعلام واخبار الجمهور بتحقيق المؤسسة لانجازات جيدة بهدف تحسين صورة المؤسسة

ومهما كانت نوعية الاهداف لبرنامج العلاقات العامة، فهي تهدف الى تحقيق الاهداف بشكل واقعي وحسب امكانيات المؤسسة من الناحية البشرية والمادية المتاحة لتحقيق ذلك الغرض .

١ – **تحديد الجمهور المستهدف:** يسعى برنامج العلاقات العامة الى تحديد نوعية الجمهور المستهدف، من أجل تحديد فهمه واتجاهاته لاعداد شكل الرسالة الاعلامية التي تخاطب الجمهور، وان تحديد شكل الرسالة يتحدد وفق آلية أختيار الجمهور، كأن يكون جمهوراً عاماً (جميع أطياف الشعب)، أو جمهوراً خاصاً داخلياً أو خارجياً، ويمكن أن نركز على جذب أفراد الجمهور عن طريق نوع الرسالة التي تُنشر في وسائل الاعلام . ويتحدد اختيار الجمهور بعوامل عدة، كالمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للجمهور المستهدف، او حسب التقسيمات الديموغرافية كالجنس والعمر والتحصيل العلمي والحالة الاجتماعية، وهذه الاجراءات تُفيد في اختيار شكل الرسائل ونوع الوسيلة المناسبة لمخاطبة الجمهور .

٢ – **وضع الخطة:** يتم وضع الخطة المناسبة وذلك في ضوء الاهداف التي يتم تحديدها والاتفاق عليها، كما يتم النظر في ضوء البيانات والمعلومات التي تم

الحصول عليها من مصادر مختلفة، وينبغي ان تتضمن الخطة مراحل التنفيذ والاجراءات والوسائل المتاحة ضمن جدول زمني محدد، ومن الضروري ان تكون الخطة مرنة وقابلة للتعديل عند الضرورة[١٧] .

٣ – **اختيار وسيلة الاتصال:** تأتي هذه الخطوة المهمة في تحديد واختيار اي الوسائل فاعلية وتأثيراً للاتصال بالجمهور لنقل الرسالة بما يناسب طبيعة البرنامج والاهداف، ويرتبط اختيار الوسيلة بعدة مستويات منها المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي لفئات الجمهور، فحينما ينخفض المستوى الثقافي للجمهور فأنه لايناسبه استخدام وسائل اتصال تعتمد على القراءة كالصحف والمجلات أو النشرات أو التقارير الاخبارية او المطبوعات وغيرها، في حين يمكن استخدام وسائل اتصال سمعية وبصرية. وهناك عوامل أخرى تعتمد عليها كحجم الجمهور المستهدف وتجانسه وتشعبه، فالجمهور ذات الحجم الكبير وغير المتجانس يحتاج الى أكثر من وسيلة لإيصال الرسائل الاتصالية الى الجمهور .

٤ – **تحديد الميزانية المناسبة:** يتم تحديد واعداد ميزانية مناسبة لبرنامج علاقات عامة ويتحدد ذلك في ضوء المتطلبات البشرية والمادية لتنفيذ البرنامج، ويدخل في تقدير الميزانية مكافآة الخبراء المتخصصين في مجال العلاقات العامة، الذين يُستعان بهم في اعداد وتخطيط البرنامج، وكذلك تكلفة التجهيزات والوسائل المادية التي يتم اختيارها وكافة المستلزمات المطلوبة والتي يجب توفيرها .

٥ – **تنفيذ البرنامج:** تتم هذه العملية بالتحقق من سير عملية التنفيذ، وفقاً للخطة الموضوعة، وتصحيح ما قد يكون هنالك من انحرافات عنها، أو النظر في تعديل بعض جوانب البرنامج او تعديل البرنامج كله اذا اقتضت الحاجة، ومن الضروري ان يتحقق التنسيق والتكامل في عملية التنفيذ، لأن تصميم وتنفيذ البرنامج يبقى حبراً على ورق، إذا لم يتم تنفيذه . كذلك مباشرة التنفيذ بدون خطة

تسير عليها قد تؤدي الى نتائج أسوأ بكثير مما يتوقع، ولذلك لابد من برمجة عملية التنفيذ بعناية ودقة عالية(١٨) .

٦ - **تقويم البرنامج:** يعد التقويم من الاساليب المهمة التي يتم من خلالها التأكد من مراقبة سير البرنامج بالمسار الصحيح وفق الخطة المرسومة لتحقيق الاهداف، ومن خلال عملية التقويم يمكن تحديد مجموعة من الفوائد وهي(١٩):.

١ - يسهم التقويم في متابعة أي خلل ممكن يصيب البرنامج، ومعالجته مبكراً بطرق وأساليب مناسبة

٢ - يساعد التقويم بمقارنة نتائج البرنامج مع الاهداف الموضوعة .

٣ - يساعد التقويم بأعطاء البرنامج أكثر فاعلية وتأثيراً .

٤ - يساعد التقويم في جمع مزيد من المعلومات والخبرات التي تساهم في تطوير وتحسين البرامج .

خامساً: مرتكزات برنامج العلاقات العامة

تستند برامج العلاقات العامة للقيام بوظيفتها الاتصالية على مجموعة من الركائز الاساسية والمهمة، وتتضمن هذه الركائز ما يلي(٢٠):.

١ - ترتكز العلاقات العامة على مباديء أخلاقية، تقوم على أساس من الثقة والأحترام المتبادل بين الطرفين(المؤسسة . الجمهور) .

٢ - ترتكز العلاقات على حقيقة علمية مفادها، أن الانسان كائن اجتماعي بطبيعته، لايمكن أن يعيش بمعزل عن الآخرين، فالاحتياجات الاجتماعية لاتقوم أساساً بدون وجود الانسان مع آخرين من البشر .

٣ - ترتكز العلاقات العامة على الجانب الانساني، فالانسان هو الذي يرتكز عليه برنامج العلاقات العامة وخطط الاعلام، سواء كان عضواً في جماعة أو مواطناً في المجتمع ككل .

٤ - الديناميكية والحيوية وقوة التفاعل بين القائمين(القوة المؤثرة) وبين الجماهير (القوة المتأثرة) .

٥ - ترتكز العلاقات العامة على مبدأ مهم هو توافق برامجها مع ظروف المجتمع، من أجل مقابلة حاجات الجمهور وإشباعها، ولذا فإن برامج العلاقات العامة يجب أن تتميز بالتجديد المستمر من أجل خلق عنصر التشويق وجذب الأنتباه وأكتساب التأييد القائم على التأثير والإقناع(٢١) .

٦ - ترتكز العلاقات العامة على فلسفة واضحة وهي أحترام رأي الجماهير، ويتحقق ذلك عن طريق إعداد وتصميم برامج العلاقات العامة في ضوء تيارات الرأي العام مع المحافظة على عادات المجتمع وتقاليده من أجل ضمان التأييد والمساندة من قبل أبناء المجتمع .

٧ - يرتكز نشاط وبرامج العلاقات العامة بشكل رئيسي على الرأي العام، حيث بدون وجود الجمهور لايكون هناك نشاط للعلاقات العامة، فهي تعمل على تبادل التفاهم مع الرأي العام على أساس من الحقيقة والصدق لكسب تعاطفه وثقته(٢٢).

المبحث الثالث

- **مفهوم التسامح**

يُعد مفهوم (التسامح) Toleration، مفهوماً أخلاقياً- سلوكياً- فكرياً- تنظيرياً- عقائدياً- دينياً، تم تفعيله والاهتمام به لمواجهة مفاهيم أخرى كالتشدد والتطرف والتزمت والتعصب والانحياز وغيرها، ولاسيما في الأفكار والآراء والقيم والمعتقدات، الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

فالتسامح لغةً، مشتق من السماحة، أي الجود . ويقال: سَمَحَ وسامح، أي وافقني على المطلوب وأسمحت الدابة: انقادت. والمسامحة المساهلة. وسمح: جاد وأعطى على كرم وسخاء، أما المعنى الحديث للتسامح Toleration ، فقد ظهر في القرن 17 ـ 18م، لتفادي تداعيات الحروب والصراعات بين المذاهب والأديان والاتجاهات الفكرية والفلسفية المختلفة التي شهدتها أوربا آبان القرون الوسطى، من أجل الوصول الى صيغ مناسبة تضمن حقوق الانسان وحرية الرأي والتعبير بشكل متساوٍ لجميع أفراد الشعب، والتسامح إصطلاحاً يعني((موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن التهميش والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته))[٢٣].

فالتسامح لايعني أن نتخلى عن معتقداتنا وأفكارنا، وإنما التسامح أن نمتنع عن غصب وإكراه الآخرين لأعتناق آرائنا، أو قهرهم للتخلي عن آرائهم، أو الأستهزاء بوجهة نظرهم أو النيل منهم، وفي التسامح إقرار بأن الحقيقة ليست حكراً لطرف من دون سائر الأطراف الأخرى[٢٤].

ويتجلى مفهوم التسامح كونه منظومة أخلاقية قيمية وإنسانية تحكم السلوك الأخلاقي للانسان وآلية لضبط هذا السلوك، ونهجاً لثبات المفهوم وتمكنه في العقل

والقلب والسلوك، والتي تطرح إنموذجاً للقيم الأخلاقية والسلوك الصحيح والمنهج القويم للحياة، وبعبارة أخرى فـ(التسامح) أخلاقياً واجتماعياً يعني قبول الآخر بحقوقه في الوجود والحرية والحياة وصيغ التعبير عن مشاعره ومعتقداته مهما كان دينه وعرقه ومذهبه، عبر إخضاع الفرد لقناعاته الخاصة لمقتضيات الحياة المشتركة مع الآخرين[٢٥].

ويقصد بـالتسامح إتخاذ موقف إيجابي بحق الآخرين في التمتع بحقوق الانسان وحرياته الأساسية، والتسامح يعني الاحترام المتبادل والقبول والتقدير والايثار للآخر، ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد .

والتسامح يعني ان المرء حر في التمسك بمبادئه ومعتقداته وآراءه، وأنه يقبل ان يتمسك الآخرون بمعتقداتهم وآرائهم أيضاً، كما ان الاختلاف من طبيعة الأشياء، فلابد من الاقرار باختلاف البشر بطبعهم ومظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم ومعتقداتهم أمراً طبيعياً، وهذا يقودنا الى الاقرار بحقهم بالعيش بسلام ودون عنف أو تمييز لأي سبب كان[٢٦] .

ويعد مفهوم قيم التسامح من المفاهيم ذات الأهمية الاساسية في المجالات كافة، وتعتبر القيم عناصر بنائية مشتقة من التفاعل الاجتماعي معبرة عن مكونات أساسية للمجتمع الأنساني، وتشير القيم بأنها تمثل إنعكاسات فعلية لدى الأنسان أو تخلق لديه الرغبات والحاجات، من خلال سلوك الفرد، وتعرف القيم بأنها مجموعة من المباديء الأخلاقية والعقائدية الأساسية التي ينبغي أن يلتزم بها الأفراد في حياتهم اليومية ويستخدمونها في توجيه سلوكياتهم وأعمالهم .

وتكمن أهمية قيم التسامح ودورها في التأثير على حياة المجتمع، من خلال ممارستها وتأثيراتها الايجابية، في إعادة الثقة والتوازن للمجتمع، كما يشكل احترام آراء

الآخرين والاستماع إليهم قيمة سلوكية وأجتماعية تعتمد على العمل الجيد مع الأشخاص الآخرين، وأحترام آرائهم والتفاعل معهم بشكل إيجابي، ويبرز هذا من خلال الثقة المتبادلة ولغة التسامح مع الآخرين عن طريق الوعي بالذات، والقدرة على الإنصات الجيد، والقدرة على التعاطف مع شعور وأحاسيس المقابل، وفهمها والتجاوب معها بقدر الامكان وصياغة الاهداف الجماعية ليسعى جميع الأطراف الى تحقيقها[٢٧] .

أما أهداف التسامح والحوار مع الآخر فتتجلى لنا من الوصول الى الحقائق أو القبول بالآخر لمصلحة الطرفين، فقد يشعر أطراف الصراع بأن تحدياً يواجه الجميع سوف تضعف مشاعر الكراهية والبغضاء وتتجه باتجاه آخر بدل توجهها نحو الداخل، ويمكن إبراز بعض الأهداف التي تسعى اليها قيم التسامح منها[٢٨]:ـ

١ - زيادة الوعي والمعرفة بأصول اللعبة ومن يقف وراء إثارة هذه المشاعر وكشف مخططاتهم، هذا الأمر من شأنه ان يبعد التفكير بالقضايا الخلافية الداخلية ومن ثم يضعف عوامل البغضاء والتعصب، والتثقيف نحو الايثار بكل شيء يسعى الى لم الشمل والوحدة .
٢ - تهيئة وتفعيل أفكار وآراء النخب الثقافية للاعتراف بالواقع لكي تتعامل مع القضايا الخلافية بأسلوب يتسم بالمرونة، والترويج لتنمية الشعور باحترام الاخر والاعتراف به وبحقه في ممارسة أفكاره وعقائده بالطريقة التي يؤمنون بها .
٣ - التأكيد على ان ثقافة الأقصاء والتهميش وأستخدام العنف ضد الآخر لن تصل أي الأطراف الى بر الأمان، وهذا لن يكون الا من خلال الحوار العقلاني الحر.
٤ - السعي بتفعيل دور قيم التسامح والحوار مع الآخر، عن طريق وسائل الاعلام بتجسيد الحوار والتسامح بتعزيز اللقاءات الصادقة والنية الحسنة للجميع لخروج الجميع سعداء دون خسارة أي طرف .

وبشكل عام فإن العلاقات العامة يجب أن توظف برامجها ، عن طريق وسائلها الاتصالية بشكل موضوعي ومستقل في طرحها للمواضيع التي يراد مناقشتها ومعالجتها، بنقل الوقائع والاحداث بصدق ومهنية . وهذا مانلمسه في برامج العلاقات العامة في لعب دوراً بارزاً ومهماً في التأثير على الجماهير بشكل عام، لكن معظم الناس تحكمهم عواطفهم وليس عقولهم .

ان برامج العلاقات العامة الناجحة تسعى الى تحقيق المنافع لدى جميع الأطراف ، عن طريق صياغة مناسبة وملائمة للرسائل الاتصالية، في حالتي السلم والحرب، على عكس استغلاله وتوظيفه للتضليل الاعلامي والكذب وتشويه الحقائق واخفاء المعلومات عن الجمهور .

ويتبين من ذلك ان برامج العلاقات العامة وأنشطتها لها دور أساسي في المجالات كافة، وهنا يتجسد دورها في ظاهرة تنمية واشاعة ثقافة الحوار وتعزيز قيم التسامح، وتُشكل أنشطة وبرامج العلاقات العامة، كمدخل لبناء المجتمعات ونبذ الخلافات، الذي يشكل محوراً وشرطاً أساسياً للسلام والتقدم الاجتماعي، والقضاء على التعصب ونبذ الكراهية . ويتخذ التسامح عدة أشكال، منها التي تتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والعلاقات بين الدولة نفسها، ويمكن تناول أبرز المحاور الرئيسية في أنواع التسامح هي[٢٩]:

١ - **التسامح الديني:** تتجسد قيمة التسامح الديني في كونه يقتضي المساواة في الحقوق فالجميع يمتلكون الحقوق والوجود والدين والثقافة، فالغاية في الاختلاف هو التعارف لا التناكر، والتعايش لا الإقتتال، والتعاون لا التطاحن، والتكامل لا التعارض فأهمية التسامح تتمثل في كونه ضرورياً ضرورة الوجود نفسه . ويعد هذا النوع من أبرز المعوقات والعقبات التي من الممكن تجاوزها وتخطيها بالشكل الصحيح من اجل التقدم، وهذا مسؤولية الجميع منها الحكومة أو الاحزاب كون

أغلبها ذات فكر وعقيدة أسلامية، فضلاً عن توجيه الخطاب الديني الموحد الذي يقوم على أساس الوحدة الوطنية ونبذ العنف والتطرف والتعايش السلمي وقبول الآخر، ولذلك لم تتطرق الكثير من الجهات المسؤولة وبصدق النية، ولاسيما عبر الفضائيات، من التركيز على هذا النوع المهم في دعم وأستقرار البلاد، ولأهمية الجانب الديني والروحي في حياة مجتمعنا في تقوية أواصر الاخوة، وجمع شمل الاخوة ونبذ الخلافات، وتتجسد أهمية الموضوع أنطلاقاً من قوله تعالى ((إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)) (٣٠). وقال تعالى أيضاً((إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون))(٣١) .

٢ -**التسامح الفكري:** ويتطلب احترام آراء الآخرين وطرحها وفق آداب الحوار، وعدم التعصب للأفكار فالاجتهاد والأبداع حق لكل إنسان بغض النظر عن دينه وما يعتقده،فقال تعالى((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربكَ هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين))(٣٢).

٣ -**التسامح السياسي:** وهذا يقتضي ضمان الحريات السياسية فردية كانت أو جماعية مع نهج مبدأ المساواة والديمقراطية في تقرير المصير وطرح الرؤى، فالانسانية بحاجة الى من يقودها من يمتلك الرحمة والرأفة والشفقة على العباد.

٤ -**التسامح في المعاملات:** يجب هنا التركيز والانطلاق من مبدأ فهم الآخر وتجاوز الاخطاء وترك الضغينة، بغية العمل على تقوية أواصر الأخوة، كما في قوله تعالى((إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم))(٣٣) .

٥ -**التسامح العرقي:** وهذا يقتضي عملاً بمنهج رسولنا الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)، في خطبة حجة الوداع ((أيها الناس إن ربكم واحد وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي، ولا أعجمي على عربي إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم فأشهد))(٣٤) .

٦ -**التسامح الاجتماعي:** يتم تحديد التسامح الاجتماعي بالتجاوز عن الخلافات ومقابلة السيئة بالحسنة والعمل الصالح وتقديم يد العون والمساعدة، ونبذ روح التعصب والقسوة والعنف، ويتم ذلك عن طريق اقامة المناسبات ومشاركة ابناء المجتمع مع بعضهم البعض، وهذه مبادرات يمكن من خلالها تقوية الاواصر والعلاقات الاجتماعية بين الافراد بعضهم مع البعض الاخر .

كما تتجسد في نشاط العلاقات العامة العديد من الاساليب التي من شأنها التأثير والإقناع، لجمع الشمل ونبذ الخلافات والتفرقة، والتي تتخذ أساليب عدة، منها ما يلي(٣٥):

أ. الحوار العقلاني الهادف .

ب.التهدئة بكل الوسائل والطرق كافة .

ت.إحترام رأي الفرد، وضمان حرية الآخرين .

ث.رحابة وسعة الصدر في تقبل الآخر .

ج. إعطاء الأولوية للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

ح. التعليم والتثقيف للقضاء على الجهل والفساد .

المبحث الرابع

برنامج علاقات عامة مقترح لتعزيز ثقافة التسامح والحوارمع الآخر

تُعد أنشطة وبرامج العلاقات العامة من الوظائف الحيوية والمهمة لفنون الاتصال والاقناع لتدعيم العلاقات الايجابية بين القائمين على إدارتها وبين الجمهور، والعلاقات العامة كنشاط إجتماعي يخدم المصلحة العامة للطرفين، يتضمن مشاركة المجتمع المحلي والبيئة الاجتماعية المحيطة بهمومها وأفراحها، والعمل على النهوض بالمجتمع ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً...وغيرها .

كما ينظر للعلاقات العامة من زاوية، أنها فلسفة إنسانية أساسها الأعتراف بقيمة الأنسان وبأهمية صوت الجماهير في تقرير الاتجاهات الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها .

وهذا يعني ان العلاقات العامة وظيفة اتصالية مخططة، تقع ضمن برامج القائمين على إعدادها وتنفيذها، وعلى مُدد زمنية مستمرة قد تكون طويلة أو قصيرة أو متوسطة المدى، وهي بذلك تُعد وظيفة مخططة ومستمرة تعتمد على الأسس العلمية وليست عشوائية(٣٦) .

ويسعى برنامج العلاقات العامة الى تحقيق أغراض عدة، منها بناء قاعدة قوية وسمعة طيبة لدى الجماهير، ويعتمد برنامج علاقات عامة لتنمية قيم التسامح وثقافة الحوارمع الاخر، بالاعتماد على التخطيط العلمي، التي من شأنها الوصول الى الهدف المطلوب بأقل الجهود والتكاليف وبأقرب وقت ممكن، بمعنى ان أي برنامج لايمكن ان يتحقق بفاعلية الا باعتماده على التخطيط العلمي .

ويبدأ التخطيط لبرنامج العلاقات العامة بتنمية قيم التسامح وثقافة الحوار مع الاخر، عن طريق تحديد **الاهداف**، ولايمكن تحديد أو وضع أهداف الا من من خلال التخطيط، فالبرامج بحاجة الى أهداف تسير عليها، والا فقدت أهميتها وقيمتها، وهنا

يجب أن تكون الاهداف واضحة وواقعية ومتلائمة مع إمكانات القائمين على تنفيذ البرنامج، لأن الاهداف غير الواقعية يصعب تحقيقها(٣٧).

ولكل برنامج من برامج العلاقات العامة أهدافاً معينة ومحددة، فلا يتحقق أي نشاط أو برنامج دون تحديد الأهداف، ويتحدد أهداف برنامج العلاقات العامة لتنمية قيم التسامح وإشاعة ثقافة الحوار مع الآخر، عن طريق وضع الأولويات لتلك الأهداف، وهي(٣٨):

١ -ضرورة الاحترام المتبادل بين الأديان والطوائف والمذاهب كافة .
٢ -السعي لثبات وإستقرار المجتمع، من أجل البناء والتقدم والأزدهار .
٣ -زرع روح التعاون، وترسيخ قيم التعايش والحوار الحر والعقلاني .
٤ -التغلب على المواقف التعصبية والانحيازية والتزام موقف الحياد .
٥ -إيجاد التوافق الاجتماعي في المجتمعات المتعددة الثقافات .
٦ -الانفتاح بين الثقافات وتحقيق المكاسب المشتركة والهادفة .
٧ -إحترام جميع الحريات، وضمان حقوق الانسان التي كفلها الدستور والقانون .

وبعد تحديد الأهداف ينبغي تحديد **الجمهور المستهدف**، الذي يسعى البرنامج الى التأثير فيه، عن طريق تزويده بمعلومات جديدة لتوليد تصورات إيجابية لديه، وبما ان الجمهور هو الهدف الاساسي والنهائي في عملية الاتصال، فلابد ان تكون لدى القائم بالاتصال فكرة كاملة عن قدراته العقلية وخصائصه النفسية والعاطفية، ليتسنى له سهولة التأثير عليه وإقناعه .

ان شرائح الجمهور تختلف بعضها عن بعض، فمنهم الأمي والمتعلم، والرجل والمرأة، والصبي والطفل...الخ، من شرائح المجتمع، كل حسب طبيعته وخصائصه، أو تبعاً لمعطيات الأحداث والوقائع، وهذه مسؤولية أنشطة وبرامج العلاقات العامة في كيفية مخاطبة الجمهور المستهدف، وفق معايير وأساليب ترتقي الى توظيف برامجها

ووسائلها ومضمون الرسائل الاتصالية في بث ونشر قيم وروح التسامح والمباديء، التي من شأنها تقوية العلاقات الاجتماعية والقيم الانسانية والاخلاقية .

ثم يأتي شكل ومضمون **الرسالة الاتصالية،** التي تعد من الامور الاساسية في صياغة الاسلوب المناسب والخطاب البناء والهادف، ولاسيما الخطاب الديني المعتدل وغير المتشنج، الذي يدعوا الى التهدئة وعدم الترويج والتمسك بلغة أستخدام العنف والتطرف . ان الانسان بطبيعته كائن بشري له الرغبة في معرفة كل ماهو جديد ومتطور، وقد تطورت شكل وأساليب الاتصال في العلاقات العامة بشكل متزايد وسريع، مما شكل إنموذجاً جديداً في تداول المواضيع ونقل المعلومة، أي من الخطاب التقليدي البسيط والمباشر، والمعقد في بعض الاحيان للافراد الى أوسع وأحدث أسلوب للتأثير على المتلقي، ويتم ذلك من خلال توظيف أفضل الاساليب والطرق الحديثة في طرح المواضيع التي من شأنها معالجة القضايا والموضوعات التي تهتم بمسائل الرأي العام . وبعدها تأتي الخطوة التالية وهي تحديد وأختيار **الوسيلة الاتصالية،** التي عن طريقها يتم نقل وإيصال الرسائل، فوسائل الاتصال هي التي تمكن برنامج العلاقات العامة من إيصال الرسائل والافكار الى الجهة المستهدفة، وفي حالة الاخفاق في التخطيط لاختيار للوسيلة المناسبة، فإن البرنامج سيكون في وضع لايُحسد عليه . ويُمكن للوسيلة الاتصالية أن تلعب دوراً مهماً في التأثير والترويج لزرع روح المحبة وإشاعة ثقافة الحوار وعدم التعصب وقبول الاخر كبديل لمبدأ الاقصاء والتهميش، واحترام حقوق الانسان التي نصت عليها جميع الشرائع السماوية والمنظمات الانسانية، باحترام الانسان كفرد وعدم أضطهاده وسلب ارادته وضمان حقوقه، وعدم إنتهاكها بأي شكل من الأشكال، كما جاء في قوله تعالى ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم))(٣٩) . أما المرحلة الأخيرة من التخطيط لبرنامج علاقات عامة لتنمية قيم التسامح وثقافة الحوار، هي عملية **التقويم،** وتتمثل بمراجعة شاملة للخطوات

السابقة في قياس النتائج والاثار المترتبة عليها، وتأخذ في هذا المجال بالقواعد التجريبية والميدانية، مستخدمة طرق وأساليب الاختبار النفسي والقياس الاجتماعي والمراجعة المتطورة لتحديد فاعلية هذا البرنامج . وتتجسد أهمية التقويم في برنامج العلاقات العامة لتنمية قيم التسامح وإشاعة ثقافة الحوار مع الآخر، من أهمية ودور الموضوع الذي يتناوله، إذ يُشكل مفهوم نشاط وبرنامج العلاقات العامة في الترويج ومعالجة القضايا التي تهتم بقيم التسامح والتعايش السلمي وتنظيم المساواة للجميع وفق ما كفله الدستور، بغية التغلب على التعصب والتمييز ونبذ المحاصصة والكراهية، وإبراز الآثار الايجابية التي يمكن تحقيقها .

ويقوم برنامج العلاقات العامة بتقوية العلاقة بين جميع الأطراف، والترويج لقيم التسامح وإشاعة ثقافة الحوار والتعايش السلمي، عن طريق أساليب عدة أهمها(٤٠):ـ

١ -استخدام برنامج العلاقات العامة خطاباً دينياً موحداً، يتضمن عدم التحريض على العنف والتطرف واقصاء الاخر، فضلاً عن استخدام لغة التسامح والحوار لتجاوز أي عقبة تواجههم مستقبلاً .

٢ -إقامة الاحتفالات والمهرجانات وتنظيم الزيارات وحُسن الأستقبال لابناء المجتمع، وإقامة المعارض والندوات التي يتم عرض ومناقشة المواضيع التي تمس الوحدة الوطنية .

٣ -تكريس الاهتمام بقيم التسامح وتفعيلها من قبل كافة مؤسسات وشرائح المجتمع، ولاسيما من قبل النخب الثقافية والفكرية والسياسية الحاكمة وغير الحاكمة، لترويج فكرة التسامح والتعاطي معها إيجابياً، سيما على الصعيد الاجتماعي والاخلاقي والثقافي...الخ .

٤ -الأحترام المتبادل بين الاديان والطوائف والقوميات والاقليات والمذاهب كافة .

٥ -أحترام رأي الأفراد وضمان حرية الآخرين، عن طريق التهدئة، وزرع روح التعاون وترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي والحوار العقلاني الحر مع الآخرين .

٦ -إصدار نشرات ودوريات خاصة، تتمثل في إعداد أخبار ومواضيع تهتم بتنمية قيم التسامح وإشاعة ثقافة الحوار والتعايش السلمي مع الاخر، والاهتمام بمشاعر العائلات والأفراد والعمل على تلبية حاجاتهم وأحترام مشاعرهم المتبادلة .

٧ -توظيف تكنلوجيا المعلومات والتقنيات الحديثة في تفعيل والترويج لقيم التسامح وثقافة الحوار، من خلال ربط تجارب دول العالم المتقدمة، والاستفادة منها في بناء مجتمعاتنا وبأسلوب ديمقراطي متطور معتمداً على أفضل التجارب الحديثة للدول في حل نزاعاتها .

٨ -تعزيز العلاقات والصلات مع المنظمات والهيئات الأقليمية والدولية، ولاسيما منظمات المجتمع المدني، لاسيما تلك التي تهتم بشؤون المجتمعات الأنسانية والثقافية .

ثانياً: مؤهلات القائمين على برنامج علاقات عامة لتنمية قيم التسامح

تبرز أهمية وتنمية قدرات وكفاءة القائمين على برامج العلاقات العامة ، وشيوع فكرة الإدارة الجماعية، بمعنى إبراز القدر الكافي من الروح الانسانية في المجالات كافة، وتقديم الحلول المناسبة لها ، عن طريق مؤهلات وأساليب مؤثرة لادارة تلك البرامج والرسائل الاتصالية المؤثرة، وإنطلاقاً من تلك الأهمية وتوظيفها بالشكل الصحيح، ويمكن تحديد أبرز المؤهلات الشخصية للقائمين على إدارة نشاط برنامج العلاقات العامة، هي(٤١):.

١ -**المصداقية والموضوعية:** يجب ان يتصف رجل العلاقات العامة بالشخصية الصادقة والمستقرة والهادئة، بغية تحقيق التفاهم مع الأفراد والجماعات وخلق إنطباع طيب وصورة ذهنية محببة لدى الجمهور، أن القدرة على معالجة الامور بعقلانية ومناقشتها بشكل موضوعي وعدم التهويل والمبالغة، يجعل من الانسان رجلاً متميزاً وصادقاً لدى الجمهور، لانه اذا لم يكن موضوعياً فسوف يكون من الصعوبة أن يكون موضوعياً تجاه الآخرين .

٢ -**الذكاء وأسلوب الاقناع:** لابد أن يتمتع القائم بنشاط العلاقات العامة بمؤهلات عديدة منها ان يكون ذكياً وواعياً للامور وقدرته على معالجتها بشكل عام، فالذكاء عامل مهم في تكوين الشخصية، وتنبع فيها قدرته على الإقناع والتأثير في الآخرين واقناعهم بأسلوب راقي وحكمة مستنيرة، وهذه تعتمد على أسلوب في التوجيه والإرشاد، وبالكلمة الصادقة، والعبارات المؤثرة في المتلقي (٤٢) .

٣ -**الشجاعة وقوة الشخصية:** ان امتلاك الشجاعة والشخصية القوية المستقرة، تجعله مدافعاً عن آراءه ومقترحاته بقوة وحكمة عن وجهة نظره أمام الآراء المضادة، لان القائم لنشاط العلاقات العامة، يجب أن يتمتع بأفق واسع وتقديم الحلول المناسبة عند حدوث الازمات التي تواجه مجتمعاتها، وهناك مؤهلات

وصفات أخرى كثيرة منها، تلك التي تعتمد على الابداع والقدرة على التخيل والتأثير في آراء الآخرين واتجاهاتهم، من خلال الرغبة المستمرة واليقظة التامة في تتبع مايجري حوله من الاحداث والسعي بشكل مستمر لمعرفة الحقائق وعرضها على الجمهور، بهدف تبصيرهم واعلام الراي العام . لأنه كلما زاد أهتمامنا بالناس وتقديرنا لهم زاد ميلنا الى احترامهم والى وضع آرائهم ومشاعرهم موضع الأعتبار والاهتمام .

الأستنتاجات:

توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن عرضها وفق مايأتي:.

١ -تبين لنا ان المجتمع العراقي بحاجة الى برامج علاقات عامة مخططة لتعزيز التعايش السلمي ونشر قيم التسامح، وأن يراعي الجمهور وتنوعاته، فضلاً عن تجاهل واختيار الأساليب والأدوات المناسبة لتنفيذ البرنامج بالشكل السليم .

٢ -ان التسامح فضيلة أخلاقية وإجتماعية ونفسية حثت عليها جميع الأديان، وقد مارسها الأنبياء في نشر رسالاتهم من أجل السمو بالانسان الى معالي الرفعة والمجد والبناء .

٣ -ان المؤسسات المختلفة لم تأخذ دورها في تعزيز لثقافة الحوار وقيم التسامح، والترويج لحقوق الانسان التي نصت عليها دساتير حقوق الانسان في العالم .

٤ -ان لوسائل الاعلام المختلفة أهمية كبيرة في نشر المواضيع والمقترحات المهمة التي من شأنها وضع الحلول المناسبة والمقترحات الايجابية، من أجل إعادة الثقة والتنمية لقيم التسامح وثقافة الحوار مع الآخر .

التوصيات:

١ - دعم برامج العلاقات العامة التي من شأنها معالجة قضايا المجتمع، سيما في تنمية قيم التسامح وإشاعة ثقافة الحوار مع الآخر، كبديل عكسي لثقافة اللاتسامح والنتائج السلبية المترتبة عليه .

٢ - ضرورة الاعتماد على نتائج البحث العلمي، وتوظيفها في مجال التخطيط لبرامج علاقات عامة ناجحة، بغية تحقيق أفضل الاهداف . وأن يتم التقييم الدائم لتنفيذ هذه البرامج لمعرفة الأنحرافات التي قد تحدث أثناء التنفيذ ومعالجتها بشكل يتناسب مع أهداف البرنامج .

٣ - مراجعة المناهج الدراسية في الثانويات والجامعات، بالتركيز على مفردات المناهج التي تُسهم في ترسيخ الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب الواحد، والابتعاد عن كل ما يخدش أو يصعد من حالة الاستقرار، والتركيز على جوانب الوحدة ونبذ العنف والتطرف وقبول الاخر واحترام راي الافراد مهما كان مستواهم في المجتمع .

٤ - مد جسور التعاون بين القضايا المتفق عليها كافة، والتواصل لمزيد من اللقاءات والحوارات والمنتديات لبحث القضايا المتنازع عليها، ووضع ضوابط ومعايير ثابتة تتعهد بها جميع الأطراف، لأنهاء حالة العداء عبر الحوارات المستمرة للخروج بنتيجة مرضية لجميع الأطراف .

٥ - تفعيل دور القائمين على تنفيذ برنامج علاقات عامة، وتزويدهم بمختصين في مجال العلاقات العامة وعلوم الاتصال الاخرى .

٦ - تحديد وأختيار الوسائل الاتصالية المناسبة، التي تسهم في بناء برنامج علاقات عامة يهدف الى تنمية ثقافة التسامح والحوار مع الاخر .

٧ - قيام وسائل الاعلام المختلفة عموماً والفضائيات خصوصاً، بالترويج لقيم التسامح وثقافة الحوار وقبول الاخر، كبديل عن التهميش والاقصاء وعدم الإصغاء الى الآخر .

٨ - إلتزام العاملين والقائمين على برامج العلاقات العامة بالمعايير الاخلاقية والمهنية، والابتعاد عن تخديشها بكل ما هو مُنافي لمواثيق ومباديء الشرف المهنية .

٩ - فسح المجال أمام الجميع للتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم بكل حرية ودون تردد أو خوف، وهذا شأن القائمين على المجالات التي تعنى بالشؤون الانسانية والأنشطة الديمقراطية .

١٠ - عدم إقصاء وتهميش أي فرد من أفراد المجتمع، ومهما كان مستواه، وإعطاءه فرصة للمشاركة في البناء وأحترام رأيه والتعبير عنه مهما كان شكل ولون هذا الراي، لان على الجميع المشاركة في بناء أوطانهم، وهذا الدور يقع على برامج العلاقات العامة في التنمية والتوعية لثقافة التسامح مع الاخر كفلسفة إجتماعية.

الهوامش

(١) د. علي عسكر (وآخرون)، مقدمة في البحث العلمي، ((الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1998))، ص131 .

(٢) د. عبد الناصر أحمد جرادات ود. لبنان هاتف الشامي، أسس العلاقات العامة(بين النظرية والتطبيق)، ((عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،2000))،ص23 .

(٣) عبدالعزيز بن صالح الخضيري، إدارة الحملات الانتخابية وحملات العلاقات العامة، ((الرياض: الدار الصولية للنشر والتوزيع، 1428هـ))، ص14 .

(٤) حمدي عبدالحارس البخشوانجي، العلاقات العامة من منظور الخدمة الاجتماعية، ((الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001))، ص141 .

(٥) د. هناء حافظ بدوي: العلاقات العامة والخدمة الاجتماعية، أسس نظرية ومجالات تطبيقية((الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001))، ص202 .

(٦) منال طلعت، العلاقات العامة بين النظرية والتطبيق، ((الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002))، ص243 ،

(٧) محمد ناجي الجوهر، العلاقات العامة المباديء والتطبيقات، رؤية معاصرة، ((دبي: دار القلم، 2004))، ص400 .

(٨) د. عبدالرزاق محمد الدليمي، المدخل الى العلاقات العامة،((عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011))، ص111 .

(٩) د. زكي محمود هاشم، العلاقات العامة(المفاهيم والأسس العلمية)، ((الكويت: شركة ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع،1990، ص148.147 ..

(10) Chandan ja S: Organization behavior ((New Delhi Vlkas Publishing House، 1995)), p61-62 .

(١١) د. علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة، ط 2، (القاهرة: عالم الكتب، 1983)، ص99 .

(١٢) د. زكي محمود هاشم، العلاقات العامة، م. س. ذ ، ص151.150.

(١٣) د. عبد الرزاق محمد الدليمي، المدخل الى العلاقات العامة، م. س. ذ ، ص94 .

(١٤) المصدر نفسه، ص219.218 .

(١٥) د. زكي محمود هاشم، م. س. ذ، ص149.148 .

(١٦) د. بشير العلاق: تخطيط وتنظيم برامج وحملات العلاقات العامة،((عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،2009))، ص29.28

(١٧) بشير العلاق ، م. س. ذ، ص29 .

(١٨) د. محمد عبده حافظ، العلاقات العامة، ((القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2009))، ص87 .

(١٩) لوري ج . ويلسون، التخطيط الاستراتيجي للبرامج الخاصة بالحملات الفعالة للعلاقات العامة، ترجمة حسين صلاح،((دمشق: دار الرضا للنشر، 2006))، ص31.30 .

(٢٠) د. هاشم حمدي رضا، إدارة العلاقات العامة والبروتوكولات، ((عمان، دار للنشر والتوزيع، 2010))، ص22

(٢١) د. حنان فاروق محمد جنيد: العلاقات العامة والتنظيم . مدخل إداري، ((القاهرة، مكتبة عين شمس، 1997))، ص98 .

(٢٢) د. عبدالرزاق محمد الدليمي: الهندسة البشرية والعلاقات العامة(هندسة القبول والرضا)، ((عمان، دار وائل للنش والتوزيع، 2011))، ص23.22 .

(٢٣) د. عامر عبد زيد، من أجل أخلاقيات التسامح في ظل ثقافة اللاعنف، ((بغداد:بيت الحكمة، 2010))، ص57-58 .

(٢٤) المصدر نفسه، ص73 .

(٢٥) د. نظلة أحمد الجبوري، التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية عقائدية، مؤتمر الأديان السنوي الأول،((بغداد: بيت الحكمة،2010))، ص26-27 .

(٢٦) د. وليد الشهيب الحلي ود. سلمان عاشور الزبيدي، التربية على حقوق الانسان، ((بغداد، مطبعة الاحمد للطباعة والتصميم، 2007))، ص375-376 .

(٢٧) المصدر نفسه، ص376 .

(٢٨) د. رعد الكيلاني، الحوار ثقافة التسامح، مؤتمر الأديان السنوي الأول،((بغداد: بيت الحكمة، 2010))، ص243-244 .

(٢٩) د. أماني صالح ود. عبدالخبير عطا محروس، العلاقات الدولية(البعد الديني والحضاري)،((دمشق: دار الفكر، 2008))، ص75-76 .

(٣٠) سورة الحجرات/ الآية 10 .

(٣١) سورة المائدة/ الآية 69 .

(٣٢) سورة النحل/ الآية 125 .

(٣٣) سورة فصلت/ الآية34 .

(٣٤) صحيح البخاري، ج4، ص1599، حديث رقم4144 .

(٣٥) د. نواف كنعان: حقوق الانسان(في الاسلام والمواثيق الدولية والدساتير العربية)، عمان، إثراء للنشر والتوزيع، 2008، ص250-251 .

(٣٦) د. حمدي شعبان، وظيفة العلاقات العامة(الأسس والمهارات)، ((القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات،2008))، ص22-23 .

(٣٧) د. بشير العلاق، تخطيط وتنظيم برامج وحملات العلاقات العامة، م. س. ذ، ص101 .

(٣٨) د. مجد الهاشمي: الاعلام الدبلوماسي والسياسي، ((عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011))، ص117-118 .

(٣٩) سورة الحجرات، الآية13 .

(٤٠) د. بشير العلاق، العلاقات العامة في الأزمات، (عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2009)، ص25-26 .

(٤١) د. محمد إبراهيم عبيدات، التسويق المباشر والعلاقات العامة،((عمان: دار للنشر والتوزيع))، ص266-267 .

(٤٢) د. بشير العلاق: إدارة التفاوض، ((عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2010))، ص106-107 .

A SEMANTIC STUDY OF ASSERTIVE AND NON-ASSERTIVE INTERROGATIONS IN THE GLORIOUS QUR'AN WITH REFERENCE TO ENGLISH

By :-

Marwa Kareem Ali

Tikrit University / College of Arts /

Translation Dept.

ABSTRACT

Many expressions whether in Arabic or English can be used in order to show other meanings than their real ones and can change the form of the sentence from one form into another one ; thus this study is concerned with the semantic aspect of studying assertive and non-assertive interrogations in Glorious Qur'an with reference to their parallels in English . Firstly , there should be a general definition for interrogation in Arabic and English , its articles , its purposes and meanings . Then , the semantic explanation of this linguistic phenomenon in both languages .

1.1. Interrogation in Arabic and English :-

Interrogation means to ask about something in order to get more information and understand it ; so it reflects the meaning of inquiry . It is said that inquiry means to ask about ambiguous information ; but if one asks about this information again , in this case it is considered to be a question (As-Sayotti , 1988 : 327) .

Some scholars differentiate between interrogation and inquiry in that they say interrogation is made before inquiry , i.e. interrogation happens when one doesn't understand an

information thus s/he ought to ask about it ; but to ask about the same information again this reflects inquiry (Matlŭb and Baseer , 1990 : 131) .

Interrogation is used to make a proposition for something in one's mind , so whether this proposition realizes the actual meaning of informing or not its realization will state assertion otherwise it will reflect imagination (At-Taftazani , 2001 : 409) . Also , it can be defined in such a way that it means to ask about unknown information , i.e. a question which is made to indicate understanding (Al-Jarim and Ameen , 2005 : 229) .

In English , the definition of interrogation is the same . There is another term which is known as speaker – presupposition , i.e. it is said to show a contrast with assertion and the meaning of a sentence is divided into two parts one of them states speaker's assertion and the other shows speaker's presupposition of being true (Kempson , 1977 : 53) .

One can identify the descriptive meaning of an utterance with the proposition that is asserted in statements and may be presented though is not asserted notably in questions , for example the following utterances are understood as a statement and a question respectively :-

1- John gets up late .
2- Does John get up late ?

The previous examples (1) and (2) have the same proposition , but the statement (1) asserts the action and describes a particular situation . It is the defining property of propositions that they have a definite truth-value , i.e. they are either true or false (Lyons , 1981 : 141 – 2) .

1.2. Interrogative Articles and Question Types in Arabic and English :-

In Arabic , interrogation has many articles that help in making a question , they are :- " الهمزة ، هل (is , are , was and

were) , what , who , when , where , which , how , how many , how much , how often , … etc. " According to the request , these articles can make different types of question , they are :-
a. requesting as a means of proposition and realization (this is limited to " الهمزة ")
b. requesting as a means of realization (this is limited to " هل ")
c. requesting as a means of proposition only (this is limited to the rest interrogative articles) (Al-Hashimi , 2001 : 55) .

It is the same in English that there are three main types of questions according to the reply that they involve , these are as follows :-
a. those that expect assertion or negation which are known as " yes – no questions " , e.g. : (Have you finished the book ?) .
b. those that typically expect a reply from an open range of replies ; these questions are called " wh-questions " , as in : (What is your name ? , How old are you ?) .
c. those that expect an optional reply of two or more options within a question ; they are " alternative questions " , for example : (Would you like to eat orange or apple ?) .

Logically well-formed replies that are based on certain expectations can be appropriate answers and many irrelevant answers can be relevant ones , e.g. :-
3- Have you seen my book ? Well , the children were in your room this evening . (i.e. perhaps the children take it) .
So it is possible to answer a question by another question , look at these examples :-
4. a- Are you going to watch TV again ? (What else is there to do ? i.e. I do want to watch TV) .
b- Is that your baby ? (What do you think ? " sarcastic " , of course it is my baby) (Quirk et al , 1985 : 806) .

1.3. The Purposes and Meanings of Interrogation :-

Some Imams say that what is said to be a question in the Glorious Qur'an is said by Allah , i.e. the addressee knows whether the mentioned information in a verse reflects assertion or negation (As-Sayotti , 1988 : 328) . Therefore , interrogation has various purposes and meanings other than its real meaning , i.e. to indicate a question . This is due to the context and how the interrogative article is stated in the sentence . These purposes and meanings are as follows (since the aim of the study is related to assertive and non-assertive interrogation in Glorious Qur'an , thus the meanings that a question aims for will be mentioned without illustrative examples just to know them) :-
a. Assertive and non-assertive interrogation (these are the main concern of this research so they will be discussed in detail later).
b. As-Sayotti (1988 : 330) mentions two different meanings of interrogation , they are : amazement and blame .
c. Equalization (Al-Ansary , 1998 : 44) .
d. Also Al-Hashimi (2001 : 60 – 1) mentions other purposes of using interrogative expressions ,they are: warning and advising .
e. For As-Samurai (2003 : 201 – 2) interrogation can be used in order to indicate either command , sarcasm , alienation , suspense or inhibition .
f. Magnification (Audhima , 2004 : 82) .

1.4. Assertive and Non-Assertive (Denial) Interrogation in Arabic :-

As-Sayotti (op cit : 328) states that assertive interrogation , on one hand , means making the addressee confessing and recognizing an information that is known by somebody , e.g. see the following verse :-

5- (⍓⌨⬧⬩ ⬀⍓◆❸⇳⌑■⬧ ⇔⬚⬧⬩❒📖)
(⬅⬂⬃ ☒☝◆❻⇳⑨✿⌚) (الشرح : ١)

- (Have We not opened your breast for you (O Muhammad)?) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 841) , i.e. We have opened your breast for you .

Al-Baquli (2007 : 375) explains that the Prophet (PBUH) knows that Allah expands his breast but he inquired about it in order to assert it , so if " الهمزة " is used to ask about known information , it will reflect assertion ; but if it is used to ask about unknown information , in this case it will reflect blame (see also Al-Ansari , 2001 : 15) .

On the other hand , non-assertive interrogation its meaning is based on negation , i.e. the scope of negation conveys all the sentence , as in the following verses :-

6- ([illegible]) (الروم : ٢٩)

- (Nay, but those who do wrong follow their own lusts without knowledge . Then who will guide him whom Allah has sent astray ? And for such there will be no helpers) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 544) , i.e. doesn't be guided .

7- ([illegible]) (الزخرف : ١٩)

- (And They make the angels who themselves are slaves of the Most Gracious (Allah) females . Did they witness their creation ? Their testimony will be recorded, and they will be

questioned !) (ibid : 662) , i.e. they didn't witness that (As-Sayotti , 1988 : 329) .

1.4.1. Assertive Interrogation :-

Al-Ansari (2001 : 16) shows that this kind of interrogation is used to make the addressee confessing and acknowledging an information s/he knows it and this information needs to be followed by another information that needs to be asserted , as in the following verse :-

8- ([illegible]) (الانبياء : ٦٢)

- (They said :"Are you the one who has done this with our gods , O Ibrahim (Abraham)?") (ibid : 435) .

This verse can be used either to indicate the real meaning of interrogation as when they haven't known that Ibrahim is the doer of this action , or assertive interrogation as when they know he (Ibrahim) is its doer ; by this using this verse is not a question about the action or its assertion because the Prophet answers them about its doer when he says :-

9- ([illegible]) (الانبياء : ٦٣)

- ([Ibrahim (Abraham) said : " Nay , this one , the biggest of them (idols) did it . Ask them , if they can speak!) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 436) (see also At-Taftazani , 2001 : 419 ; and Al-Jurjani , n.d. : 88 – 9) .

Assertive interrogation is called as an assertive statement as in this verse :-

10- ([illegible]

[illegible]) (الاعراف : ١٧٢)

- (And (remember) when your Lord brought forth from the Children of Adam , from their loins , their seed (or from Adam's loin his offspring) and made them testify as to themselves (Saying) : " Am I not your Lord ? " They said : " Yes ! we testify," lest you should say on the Day of Resurrection : " Verily , we have been unaware of this .") (ibid : 226) , i.e. I am your Lord .

Assertive interrogation has various aspects many of them state pure assertion and assertion with proud , blame , reprove , equalization , magnification , intimidation , facilitating , diminishing , suffering , ample and guidance (Matlŭb and Baseer , 1990 : 137 – 8) .

Also it reflects the assertion of what has been questioned about previously so it should be came after negation (whether it is by not or not yet) , e.g. these verses :-

11- ([illegible]) (الكهف : ٧٥)

- ((Khidr) said : "Did I not tell you that you can have no patience with me ?) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 397)

12- ([illegible]) (الزمر : ٣٦)

- (Is not Allah Sufficient for His slave ? Yet they try to frighten you with those (whom they worship) besides Him ! And whom Allah sends stray , for him there will be no guide) (ibid : 623)

Moreover , it is said that it can be came with assertion and negation , basing this thing on the definition of assertive interrogation (As-Samurai , 2003 : 201) (see also Al-Ansari , 2001 : 15) .

Also this can be applied to these verses :-

-13 [illegible] (العنكبوت : ١٠)

- (Of mankind are some who say : " We believe in Allah ." But if They are made to suffer for the sake of Allah , They consider the trial of mankind as Allah's punishment ; and if victory comes from your Lord , (the hypocrites) will say, " Verily we were with you (helping you) . " Is not Allah best aware of what is in the breasts of 'Alamin (mankind and jinn) ?) (ibid : 530)

-14 [illegible] (الانعام : ٥٣)

- (Thus We have tried some of them with others, that they might say: " Is it these (poor believers) whom Allah has favored from amongst us?" Does not Allah know best those who are grateful?) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 177) (Al-Jawary , 1974 : 87) .

-15 [illegible] (الملك : ١٤)

- (Should not He Who has created know ? And He is the Most Kind and Courteous (to His slaves), All-Aware (of everything) (ibid : 772) (As-Samurai , 2003 : 207) .

The replying word (بلى , yes) comes with negation and declares the negation of answer whether it is a real meaning of interrogation or an assertive one , as in this verse :-

-16 [illegible] (الملك : ٨ – ٩)

- (It almost bursts up with fury . Every time a group is cast therein, its keeper will ask : "Did no warner come to you ? " , They will say : " Yes , indeed a Warner did come to us, but we belied Him and said : Allah never sent down anything (of revelation) ; you are only in great error) (ibid : 771) (Al-Ansari , 1998 : 223) .

In this verse :-

-17 [illegible]

(المائدة : ١١٦)

- (And (remember) when Allah will say (on the Day of Resurrection : "O 'Isa (Jesus) , son of Maryam (Mary) ! Did you say unto men : " Worship me and My mother as two gods besides Allah ?" He will say: "Glory be to You! It was not for me to say what I had no right (to say). Had I said such a thing , You would surely have known it . You Know what is in my inner-self though I do not know what is in Yours ; truly , You , only You , are the All-Knower of all that is hidden (and unseen) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 168) . Here " الهمزة " shows assertion (At-Taftazani , 2001 : 422 – 3) (see also Al-Jarjani , n.d. : 90 ; and As-Sirafee , 2008 : 409) .

The following verses have assertive interrogation ,look at them:-

-18 (طه : ١٧)

- ("And what is that in your right hand , O Mfisa (Moses) ? ") (ibid : 415)

This verse reflects assertive interrogation that Allah knows what is in his hand but He wants him to confess that it is a stick (Audhima , 2004 : 84) .

If the use of assertive interrogation is required to assert the rule so it will inform that what follows the article is true or should be confessed by the addressee in the time of its knowing by the addressor . So it is a question confesses the addressee , i.e. s/he asks him/her to acknowledge it(As-Sayotti ,1988 :334) .

1.4.2. Non-Assertive Interrogation :-

This kind of interrogation involves the negation of the phrase or clause that follows the interrogative article ; see this verse for example :-

-19 (الاسراء : ٤٠)

- (Has then your Lord (O pagans of Makkah !) preferred for you sons, and taken for Himself from among the angels daughters ? Verily you indeed utter an awful saying) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 373 – 4)

This verse is a response for the unbelievers and denying their saying that leads to this great ignorance .

-20 (يونس : ٥٩)

- (Say (O Muhammad) to these polytheists : " tell me, what provision Allah has sent down to you ! And you have made of it lawful and unlawful ." Say (O Muhammad) : " Has Allah permitted you (to do so) , or do ye invent a lie against Allah?") (ibid : 278)

By this verse , it is not meant that the denying of permission is limited to Allah only but the name of " Allah " is topicalized in order to strengthen the rule of negation (Al-Jurjani , n.d. : 89 – 90) (see also As-Samurai , 2003 : 200) .

In the following verse the scope of negation is limited to the verb of (take) another god than Allah , but not to the phrase of (taking a patron) :-

-21

(الانعام : ١٤)

- (Say (O Muhammad) : "Shall I take as a Walt (God) any other than Allah, the Creator of the heavens and the earth? and it is He Who feeds but is not fed ." Say: "Verily , I am commanded to be the first of those who submit themselves to Allah (as Muslims) . " And be not you (O Muhammad) of the Mushrikun [polytheists]) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 171)

In this verse :-

-22

(الانعام : ٧٤)

- (And (remember) when Ibrahim (Abraham) said to his father Azar : " Do you take idols as dlihah (gods) ? Verily , I see you and your people in manifest error ") (ibid : 181).

The scope of negation is related to the verb phrase (take idols) thus the verb follows " الهمزة " . The following verse is said to strengthen the rule of negation considering that the addressee , who is the Prophet (PBUH) , doesn't participate in this or even be characterized with it (At-Taftazani ,2001: 420-1).

In addition to the above explanation As-Sayotti (n.d. : 95) declares that when " الهمزة " precedes negation , it will state two meanings : one of them is remembering and cautioning , as in :-

-23

(الفرقان : ٤٥)

- (Have you not seen how your Lord spread the shadow ? If He willed , He could have made it still – But We have made the sun its guide (i.e. after the sunrise , the shadow shrinks and vanishes at midnoon and then again appears in the afternoon with the decline of the sun , and had there been no sunlight , there would have been no shadow) (ibid : 483 - 4)

And the other one is wondering at a glorious matter , as in :-

-24

(البقرة : ٢٤٣)

- (Did you (O Muhammad) not think of those who went forth from their homes in thousands , fearing death? Allah said to them : " Die ": And then He restored them to life . Truly , Allah is full of bounty to mankind, but most men thank not) (Hilali and Khan , 1417 A.H.: 53 – 4)

In both cases it is a caution , as in :-

-25

(المرسلات : ١٦)

- (Did We not destroy the ancients ?) (ibid : 806)

Since the non-assertive interrogation refers to the negation of what follows the article , thus it is accompanied with " إِلَّا " (except) , as in the following verse :-

-26

(الاحقاف : ٣٥)

- (Therefore be patient (O Muhammad) as did the Messengers of strong will and be in no haste about them (disbelievers) . On the Day when they see that (torment) with which they are promised (i.e threatened , it will be) as if they had not stayed more than an hour in a single day. (O mankind ! this Qur'iin is sufficient as) a clear message (or proclamation to save yourself from destruction) . But shall any be destroyed except the people who are Al-Fasiqiin (the rebellious against Allah's Command , the disobedient to Allah) ?) (ibid : 686) (Matlŭb and Baseer , 1990 : 137) .

The negation that follows " الهمزة " can be divided into two parts , they are :-

a- abolished negation , i.e. to deny a matter which doesn't happen actually , as in :-

-27

(الصافات : ١٤٩)

- (Now ask them (O Muhammad) : " Are there (only) daughters for your Lord and sons for them ? ") (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 606) (As-Samurai , 2003 : 201) .

b- reproving negation which involves asserting of the sentence that follows " الهمزة " and blaming the doer of the action , i.e. the addressee does something deserves to be reproved , as in this verse :-

-28

(الانعام : ٤٠)

- (Say (O Muhammad : " Tell me if Allah's Torment comes upon you , or the Hour comes upon you , would you then call upon anyone other than Allah ? (Reply) if you are truthful ! ") (ibid : 175) (Al-Ansari , 2001 : 16 , see also Al-Jarim and Ameen , 2005 : 237 – 8) .

Non-assertive interrogation can be found in several verses , look at the following ones :-

-29

(ق : ١٥)

- (Were We then tired with the first creation ? Nay , they are in confused doubt about a new creation (i.e. Resurrection)) (ibid : 703)

-30

(الانبياء : ٣٤)

- (And We granted not to any human being immortality before you (O Muhammad) : then if you die , would they live forever ?) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 432) (As-Samurai , 2003 : 202) .

1.5. The Distinction between Assertive and Non-Assertive Interrogations :-

As we have seen in the previous sections that assertive and non-assertive interrogation are the basic and most important purposes of interrogation . Firstly one should know that assertive interrogation involves realization of an information but non-assertive one involves denying an information and reproving what has happened or what can be happened .

Al-Hashimi (2001 : 60) says if the assertive sentence has a denial implied meaning , it will declare negation , as in :-

-31 (ابراهيم : ١٠)

- (Their Messengers said : " What ! Can there be a doubt about Allah , the Creator of the heavens and the earth ? He calls you (to Monotheism and to be obedient to Allah) that He may forgive you of your sins and give you respite for a term appointed ." They said : " you are no more than human beings

Marwa Kareem Ali
العـدد (١٢) أيلول ٢٠١٢
مجلة آداب الفراهيدي
بحوث المؤتمر العلمي السادس
المجلد الثاني
A Semantic Study of Assertive and Non-Assertive Interrogations in The Glorious Qur 'an With Reference to

like us ! You wish to turn us away from what our fathers used to worship . Then bring us a clear authority (i.e. a clear proof of what you say) ") (ibid : 329) i.e. there is no doubt in Him .
and if the negative sentence has an assertive implied meaning , it will declare assertion , as in :-

-32 (الضحى : ٦)

- (Did He not find you (O Muhammad) an orphan and gave you a refuge ?) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 840) i.e. We have found you so .

As-Sayotti (1988 : 329) gives other examples to show the distinction between assertive and non-assertive interrogation by using interrogative article like " هل " as in this verse :-

-33 (الشعراء : ٧٢ – ٣)

- (He said : " Do they hear you when you call on (them) ? ; " Or do they benefit you or do they harm (you)?") (ibid : 493)

Many scholars say that " هل " can indicate assertion and blame like " الهمزة " , but others refuse this because it relates to negation . Abo Hayyan quotes from Sibawih that assertive interrogation does not be realized by using " هل " , but it is realized by " الهمزة " ; then he (Abo Hayyan) quotes from others that " هل " is used to show assertion , as in :-

-34 (الفجر : ٥)

- (There is indeed in them (the above oaths) sufficient proofs for men of understanding (and that , they should avoid all kinds of sins and disbeliefs) !) (ibid : 833 – 4)

Assertive speech reflects assertion so that it shows assertion . It can be said that " الهمزة " is used to show either negation or assertion .

Negation with " هل " is considered as interrogation consists of negation . In this verse :-

-35 [illegible] (الاسراء : ٩٣)

- (" Or you have a house of Zukhruf (like silver and pure gold) , or you ascend up into the sky , and even then we will put no faith in your ascension until you bring down for us a Book that we should read ." Say (O Muhammad) : " Glorified (and Exalted) be my Lord [(Allah above all that evil they (polytheists) associate with Him] ! Am I anything but a man , sent as a Messenger ? ") (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 382)

The meaning is different from the meaning of this one :-

– (قل سبحان ربي ما كنت الا بشرا رسولا)

That it will not perform the negation of their saying and wondering beyond their asking as its shown by the interrogative article because he asks them :-

– (هل كنت الا بشرا رسولا)

Thus the answer will be " no I am not a human being " . Pure negation reflects addressee's assertion , so if this verse is said as:-

-36 [illegible] (الرحمن : ٦٠)

- (Is there any reward for good other than good ?) (ibid : 731)

-37 [illegible] (المائدة : ٩٩)

- (The duty of Messenger [i.e. Our Messenger Muhammad ; whom We have sent to you , (O mankind)] is nothing but to convey (the Message) . And Allah knows all that you reveal and all that you conceal) (ibid : 164)

This will be a statement , but if they are said with interrogative articles they reflect addressee's sharing in this matter because s/he wants an answer. If this verse is said as :-

– (هل على الرسول الا البلاغ)

The addressee has to give an answer and this answer will be as:-

– (لا ليس على الرسول الا البلاغ) .

(As-Samurai , 2003 : 209) .

In brief , negation has three aspects :-

a- denying of whom claims doing the action (requires negation).
b- denying of whom does the action .
c- denying of the action .

" هل " may show the meaning of " قد " when it is related to the verb , as in :-

-38 [illegible] (الإنسان : ١)

- (Has there not been over man a period of time, when He was not a thing worth mentioning ?) (Hilali and Khan , 1417 A.H. : 802)

Az-Zamakhshari says in his book " Kashaf " this verse reflects the meaning of " it has happened " , i.e. assertion , the

scholars has different interpretations for the meaning of " هل " that some of them say the interrogation in this verse declares assertion not interrogation (Al-Ansari , 1998 : 660 – 1) .

The difference between below examples is that in the former the addressee asserts this matter when it is topicalized and being informed ; but the later one makes the addressee confessing it in order to share in doing it .

- (قد أتى على الإنسان حين من الدهر)

- (هل أتى على الإنسان حين من الدهر)

(As-Samurai , 2003 : 211) .

2.1. Types and Purposes of Interrogation in English:-

As with Arabic interrogation , English has many purposes that can effect on the meaning of the sentence and its structural form .Questions mainly have the illocutionary force of inquiries, but they are frequently used as directives conveying requests , offers , invitations and advice (Quirk et al , 1985 : 820) .

2.1.1. Rhetorical Questions :-

Rhetorical question can be defined as a question that functions as a more assertive statement . In brief , a positive rhetorical question reflects a strong negative assertion , whereas negative one reflects a strong positive assertion . Check the following examples :-

- For the positive case :-

39- Is that a reason for despair ?(i.e. surely that is not a reason)

- For the negative one :-

40- Is no one going to defend me ?(i.e. surely someone is going to defend me)

This kind of question has the normal rising intonation of a yes-no question and there is a rhetorical wh-question which is

considered as a statement in which the Q-element is replaced by a negative element , as in :-

41- Who knows ? (i.e. nobody knows)

42- What differences does it make ?(i.e. it makes no difference) (Quirk and Greenbaum , 1973 : 200) .

Although the answer is not expected with rhetorical questions , their use depends on the proper use of questions . It seems that at least with one type of negative questions , alternative question variants are not possible . Look at these examples :-

43- a. Don't you have to ask your parents first ?

b. Don't you have to ask your parents first or do you ?

c. Do you have to ask your parents first or don't you ?

The question in (b) is not a paraphrase of (a) ; it is actually difficult to think of a context in which it could be used (though (c) is acceptable , so this may simply be due to a convention on the order of alternatives in the question) (Van Rooy and Šafářová , 2003) .

2.1.2. Positive Orientation Questions :-

A positive question may have negative orientation , for example :-

44- Do you really want to leave now ? { i.e. surely you don't }

A question that has no bias to conclude a positive or negative response is a neutral polarity (i.e. the answer may be negative or positive) (Quirk et al , 1985 : 808) .

A question has positive orientation if it uses forms rather than the usual non-assertive forms , for instance see the following examples :-

45- Would you like some cake ?

46- Did someone call last night ? (i.e. is it true that someone called last night ?)

The speaker thinks that the answer of these questions is " yes " ; s/he merely asks for confirmation of that assumption (Quirk and Greenbaum , 1973 : 193) .

Positive questions have positive orientation and only assertive forms can be used with them , for example :-

47- She wants something to eat ?

48- Somebody is with you ?

These two questions are declarative questions which are considered as exceptional types of yes-no question identical in form to a statement . these questions show their assertive character in the refusal of non-assertive forms , e.g. :-

49- The guests have had { nothing / something } to eat ?

50- * The guests have had anything to eat ? (ibid : 195) .

The positive question is used to express disagreement , often ironically , e.g. :-

51- a**.** Isn't it a nice day ? b**.** Ís it ? (Quirk et al , 1985 : 810) .

2.1.3. Negative Orientation Questions :-

Negative questions have negative orientation and non-assertive forms may be used following the negative expression , for example :-

52- He doesn't get anything to eat ? (Quirk and Greenbaum , 1973 : 195) .

The negative question affirms the addressee's agreement with what has been said by speaker , e.g. :-

53- a**.** Her behavior was outstanding .

b**.** Yes , wasn't it ? (Quirk et al , 1985 : 810) .

Questions proceeded by { why do you } have a positive presupposition but a negative orientation when they have the illocutionary force of directives , e.g. :-

54- Why do you bother to reply ? { i.e. you are replying but shouldn't bother to reply } (ibid : 820) .

Negative orientation is found in questions which contain a negative form of an expression . It is complicated by an element of surprise or disbelief which adds implications of positive meaning , as in :-

55- Isn't your car working ? { it means that : is it really true that your car is not working ? I had assumed that it was }

There is a combining of a positive and negative attitude , which is distinguished as the old assumption (positive) and new assumption (negative) . Negative-oriented questions express disappointment or annoyance because the old assumption tends to be identified with the speaker's hopes or wishes , e.g. :-

56- Can't you drive straight ? (I 'd have thought you 'd be able to but apparently you can't)

Another kind of negative question combines " not " with the assertive items which are the formal signals of positive orientation . For example :-

57- Didn't someone call last night ? { i.e. surely someone called last night !} (Quirk and Greenbaum , 1973 : 193 - 4) .

2.1.4. The Distinction between Positive and Negative Questions :-

The propositional content of a statement in a given situation determines whether it is true or false . In contrast to propositional content , questions do not have truth values . A given question-statement pair has an answer value , i.e. the statement may or may not be the answer of the question . Being the answer of a question , the statement may either be true or false (this is related to the propositional content of the question and statement) (Cruse , 2000 : 27) .

Verschueren (1999 : 130) indicates that there are different ways to handle negation in discourse (sometimes are called language-specific) . Consider the following example :-

58- Did he not married a couple of years ago ?

Depending on the negation system , if the answer is (Yes) , it will either express predication agreement within the scope of negation (i.e. he did indeed married a couple of years ago) , or accept the negation thus contradicting any suggestion that " he married a couple of years ago " .

For Dixon (2005 : 439 – 40) it is possible to put " any " in a positive sentence . For example :-

59- Can you distinguish any colours ?

The answer of this question can be a negative one , as " No , I can't distinguish any colors (i.e. I can distinguish the great majority of them only) " . In addition , questions that include " some " can be answered with negative sentence , as follows :-

60- Can you distinguish some colours ? No , I can't distinguish any colours (i.e. all of them can't be distinguished by me) .

The quantifying determiner " any " is generally restricted to be used after a negative or interrogative expression , as in :-

61- Nobody has any money .

62- How can any progress be made?(Radford et al ,2009 :303) .

Regarding the use of tag questions that have a rising or falling tone which affect on the answer case (i.e. either positive or negative) , Quirk and Greenbaum (1973 : 194 – 5) clarify this case by this example :-

63- a**.** He likes his Jòb , dóesn't he ?

b**.** He likes his jòb , dòesn't he ?

these are two contrasted sentences , they have different meanings ; in (a) the question can be clarified in such a way (I assume he likes his job , am I right ?) and (b) as (I assume he doesn't like his job , am I right ?) . Thus these sentences have a positive and negative orientation frequently .Quirk et al (1985 : 812) add that a negative tag question with falling tone shows statement confirmation .

Reese (2006 : 331 – 2) states that negative questions differ from positive ones in two important aspects . Firstly , negative questions convey a speaker's unconfirmed thought toward the proposition expressed by a positive answer . Secondly , negative questions show an ambiguity that positive ones do not . Semantically positive and negative questions do not ask the same question , i.e. they have distinct denotations . Then , he (ibid : 350) adds that positive questions prefers a positive answer in contexts where there is evidence for a proposition and a negative answer in contexts where there is evidence against the proposition .

CONCLUSION

This main concerns of this research can be concluded in the following points :-

1- interrogation means to ask about something unknown in order to get information about it .

2- interrogation can reflect other meanings than its real one which is to have information . This can happen by using interrogative articles within a context .

3- in fact assertive and non-assertive questions are rhetorical questions that are questions in form but statements in meaning .

4- assertive question means to make the addressee confessing and recognizing an information that is known by somebody .

5- non-assertive question involves the negation of the phrase or clause that follows the interrogative article .

مصادر اللغة العربية :-

– الانصاري ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد ابن هشام ، تحقيق : حسن حمد ود. اميل يعقوب (١٩٩٨)، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب _ الجزء الاول _ ، بيروت : دار الكتب العلمية .

_ الانصاري ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد ابن هشام، تحقيق : ابو عبد الله علي عاشور الجنوبي (٢٠٠١) ، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب _ الجزء الاول _ ، بيروت : دار احياء التراث العربي .

– الباقولي ، ابي الحسن علي بن الحسين ، تحقيق : د. محمد خليل مراد الحربي (٢٠٠٧) ، كتاب شرح اللمع في النحو لأبي الفتح عثمان بن جني ، بيروت : دار الكتب العلمية .

– التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي (٢٠٠١) ، المطول " شرح تلخيص مفتاح العلوم "، بيروت : دار الكتب العلمية .

– الجارم ، علي و امين ، مصطفى (٢٠٠٥) ، البلاغة الواضحة " البيان والمعاني والبديع " ، دمشق : مكتبة العلم الحديث .

– الجرجاني ، عبد القاهر (ب ت) ، دلائل الاعجاز في علم المعاني ، بيروت : دار الكتب العلمية .

– الجواري ، احمد عبد الستار (١٩٧٤) ، نحو القرآن ، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي .

– السامرائي ، فاضل صالح (٢٠٠٣)، معاني النحو _ المجلد الرابع _، القاهرة : شركة العاتك .

– السيرافي ، ابي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، تحقيق : احمد حسن مهدي و علي سيد علي (٢٠٠٨)، شرح كتاب سيبوية _ الجزء الاول _، بيروت : دار الكتب العلمية .

– السيوطي ، ابي الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد (ب ت) ، الاتقان في علوم القرآن _ المجلد الاول _ ، القاهرة : المكتبة التوفيقية .

_ ـــــــ ، تحقيق : احمد شمس الدين (١٩٨٨) ، معترك الاقران في اعجاز القرآن _ المجلد الاول _ ، بيروت : دار الكتب العلمية .

– عضيمة ، محمد عبد الخالق (٢٠٠٤) ، دراسات لإسلوب القرآن الكريم _ المجلد الثالث (القسم الاول – الجزء الثالث) _ القاهرة : دار الحديث .

– مطلوب ، احمد و البصير ، كامل حسن (١٩٩٠)، البلاغة والتطبيق ، بغداد : مطابع دار الحكمة .

– الهاشمي ، السيد احمد ، تحقيق : حسن حمد (٢٠٠١) ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، بيروت : دار الكتب العلمية .

English references :-

_ Cruse , D. Alan (2000) , Meaning in Language : an introduction to semantics and pragmatics , Oxford : Oxford University Press .

_ Dixon , R. M. W. (2005) , A Semantic Approach to English Grammer , second edition , Oxford : Oxford University Press .

_ Kempson , Ruth M. (1977) , Semantic Theory , Cambridge : Cambridge University Press .

_ Lyons , John (1981) , Language and linguistics : an introduction , Cambridge : Cambridge University Press .

_ Quirk , R. and Greenbaum , S. (1973) , A University Grammer of English , England : Longman .

_ Quirk , R. ; Greenbaum , S. ; Leech , G. and Svartvik , J. (1985) , A Comprehensive Grammer of the English Language , London : Longman .
_ Radford , A. (2004) , Minimalst Syntax : exploring the structure of English , Cambridge : Cambridge University Press .
_ Radford , A. ; Atkinson , M. ; Britain , D. ; Clahsen , H. and Spencer , A. (2009) , Linguistics : an introduction ,Cambridge : Cambridge University Press .
_ Reese , Brian J. (2006) , Negative polar interrogatives and Bias , Berlin : Springer-Verlag .
_ Van Rooy , Robert and Šafářová , Marie (2003) , On Polar Questions , New York : CIC Publications .
_ Verschueren , Jef (1999) , Understanding Pragmatics , London : Arnold .

دراسة دلالية للاستفهام التقريري والإنكاري في القرآن الكريم بالإشارة إلى اللغة الانكليزية

م.م. مروة كريم علي
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الترجمة

الملخص

في بعض الأحيان نستخدم مفردات وتعابير عديدة في اللغة العربية والانكليزية لكي نشير إلى معانٍ أخرى تختلف عن معانيها الحقيقية وتساهم في تغيير تركيب الجملة من شكل إلى أخر لهذا يتناول هذا البحث موضوع دراسة دلالية للاستفهام التقريري والإنكاري في القرآن الكريم بالإشارة إلى ما يوازيها في اللغة الانكليزية . في البداية سيكون هناك تعريف عام للاستفهام في اللغتين ، أدواته ، أغراضه ومعانيه ، ثم نتناول التوضيح الدلالي لهذه الظاهرة اللغوية في كِلا اللغتين .

اللّون دالاً جمالياً

قراءة في شعر الهذليين الغزلي

أ.م. د. محمد سعيد حسين مرعي		كتائب حسن عبود
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

اللون: مدخل مفهومي ودلالي

يتغير مفهوم اللون بحسب طبيعة الاستخدام، فيُعرَّف فيزيائياً:(بأنَّه ظاهرة اهتزازية كالصوت، حيث إنَّ لكلّ من الألوان ذبذبة خاصة، أي: مجموعة من الاهتزازات في الثانية)[1]، وبهذا يتحدد مفهوم اللون بتأثيره الفسيولوجي الخاص بأعضاء الجسم الناتج على شبكة العين سواء، أكان ناتجاً من المادة الصباغية الملونة أم من الضوء الملون[2]، وكذلك يعرّف بصفته عملاً سايكولوجياً، إذ يتركز على شكل متمايز من تسلم الأطوار الموجية المتعددة للطيف المرئي، ويتحدد بكمية النور الساقط على الأجسام، إذ يرتبط النور والضوء بعلاقة وثيقة، فلولا الضوء لمات اللون، ولولا اللون لانعدمت حيوية النور، فالنور هو اللون، واللون هو النور[3]، ويعرف من الناحية التشكيلية بأنَّه المواد الصباغية التي تستعمل لإنتاج ألوان، أمَّا علماء الطبيعة فيكتشفونه من خلال الأشعة الملونة الناتجة من تحليل الضوء[4].

والتعريف الأكثر شهرة واستخداماً هو الذي يشير إلى أنَّه هيأة مرئية مخصوصة بعينها، ويمكن تقسيمها إلى ألوان أساسية، وألوان ثانوية، والغرض من هذا التقسيم إيجاد إطار نظري تنضوي تحته هذه الألفاظ، وهذا الأمر يؤدي إلى تناول اللون من جانبه الفني عن طريق مرتكزات دلالية، إذ إنَّ الألوان هي العلامات التي يمكن دراستها بوساطة هذا الإطار[5]، وهكذا تتأكد متانة الصلة بين اللون وعلم

الدلالة إذ (إنَّ لألفاظ اللون أهمية في علم الدلالة. فهي إحدى المجالات القليلة التي يمكن فيها مقارنة نظام لغوي بنظام يمكن تحديده وتحليله بأسلوب موضوعي)[6].

واللون موضوع معقّد، فهو جزء مهم من خبراتنا الإدراكية الطبيعية للعالم المرئي، ويكون أحياناً المسؤول عن تعبيرات مزاجنا وأحاسيسنا، ويؤثر في تفاصيل حياتنا وخبراتنا الجمالية بشكل يفوق تأثير أي بعد آخر، ويعتمد على حاسة البصر بنحو رئيس . والحواس الأخرى[7]. ولو أردنا أن نضع للون أنظمة قياسية ثابتة، لوجدناه لا يخضع لها، لأنَّ أنظمة اللون تحولية لا تخضع لمعايير ثابتة في القياس التأثيري والحركي، وإنَّما تعتمد على حساسية اللون في الارتباط بدرجة حساسية الحال الشعرية،إذ إنَّ للحواس البشرية قابلية فذة على تمييز ما لا يقل عن سبعة ملايين من الألوان المختلفة وهي مستوحاة من محيطنا المتحرك والساكن، ونستقبلها على شكل خبرات جاهزة قابلة للتفاعل، والدخول في كينونات جديدة تحيل على مدلولات تتناسب مع جدل التشكيل الفني وسايكلوجيته. فالهزة السايكولوجية تتولد من تمثيل الأشياء بألوان عرفت بها من قديم الزمان، فبعض درجات اللون الأخضر قد تكون ذات تأثير سيِّءٍ أو ضارٍّ لدى بعض الأشخاص، إذ يؤدِّي عندهم إلى الوهم والقلق والاضطراب، في حين يذكر البعض الآخر بالطبيعة النباتية والحياة والخصوبة، فيوحي لهم سايكلوجياً بالارتياح والأمل[8]،وحفلت لغتنا العربية بتعبيرات ملونة منها ما يتعلق برد فعل فسيولوجي، أو نفسي على الإنسان مع الإدراك أنَّ لكل لون مهمته الخاصة، ففي الوقت الذي تعمل الألوان القاتمة مثلاً بتضييق مساحة تأثير فعلها اللوني، فإنَّ الألوان الفاتحة بطبيعتها تزيد من مساحة تأثير فعلها اللوني[9].

وفي تراثنا النقدي العربي القديم يعدّ الجاحظ أوّل من أشار إلى جعل اللونين (الأسود والأبيض) أصل الألوان، بقوله: (وقد جعل بعض من يقول بالأجسام هذا

المذهب دليلاً على أنَّ الألوان كلهَّا إنَّما هي: السواد والبياض، وإنَّما يختلفان على قدر المزاج، وزعموا أنَّ اللون في الحقيقة، إنما هو: البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد على البياض، إذ كانت الألوان كلّها كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت عن البياض فلا تزال كذلك إلى أن تصير سواداً)[١٠]،وعلى الرغم من أنّ الجاحظ لا يتفق مع القائلين بهذا، إلا أنَّه يشير (إلى أنَّ للبياض والسواد خصائص تميزها عن سائر الألوان)[١١] وسواء أأطلق العلماء القدماء اللون على أجناس المخلوقات أم على اللون ذاته، فهي لا تخرج عن اللون الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق[١٢].

وعدّت بعض الدراسات العربية الحديثة الألوان الأساسية سبعة ألوان، وبنت عليها دراساتها، وهي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، والأصفر والأزرق، والأسمر، وهذا يتوافق مع النظريات العالمية للألوان باختلاف طفيف، ولاسيّما مع ترتيب ((برلين وكي)) للألوان اللذين وضعا معايير لتحديد الألوان الأساسية، ويضم الترتيب العربي الاختلاف في اللون الأسمر، ووجود هذا اللون يتفق مع طروحات (بالمر) التي يرى فيها أن أهمية اللفظ اللوني تخضع للبيئة والحضارة السائدة[١٣].

وثمة ألوان يمكن أن تلمح من دون أن يصرح باسم اللون، إذ إنَّ وجودها ليس مرتبطاً بشرط وضوحها اللفظي (ذكر اسم اللون) ما دام استخدام العناصر اللونية يخضع أساساً لوظيفة اللغة الشعرية ذات الطبيعة المجازية التي تقدم قيمة غير مباشرة لتشكيلات لا متناهية ترفد شعرية النص بآفاق فنية غير محدودة[١٤]،ويمكن الاهتداء إليها بوساطة الألفاظ والتراكيب الشعرية التي تومئ إليها، إليها، حيث يتم الإحساس باللون من خلال السياق العام للنص الشعري، فيرد ذكر اللون باسمه أو بلفظ تتعاوره طائفة من الدلالات التي يمكن أن تصل بالنص إلى

دلالات لونية يريدها الشاعر، وقد أشار أبو هلال العسكري إلى هذا الأمر عندما حلل العديد من الصور التشبيهية مبيناً أنه يراد

بالتشبيه اللون أو الشكل، ففي تعليقه على قوله تعالى:چڭ ۈ ۇچ[١٥] ذكر أنَّ المراد (تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحسناً)[١٦]، وتلك الألوان تنضوي تحت ألفاظ تتجاوز المئات بل تصل إلى الآلاف، تكشفها تربية بصرية مرهفة عند من يستعملها، أو عند من يستمع إليها[١٧].

ومن أبرز الألوان التي شاعت في الغزل الهذلي وكانت لها علاقة وطيدة بالمرأة وزينتها اللون الابيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، أو ما يدل عليها، فاللون الابيض ارتبط بالصفات الحسية والمعنوية،فيقال ((اجتمع للمرأة الأبيضان الشحم والشباب))[١٨]. وعززت الدراسات اللونية الحديثة أهميته لكونه (رمز الطهارة والنور والغبطة والفرح والنصر والسلام)[١٩].أما اللون الأسود فقد اتسعت دلالاته وانتشرت انتشاراً فائقاً بين الشعوب بحكم طبيعته الثرة الخصبة، فاكتسب معاني تتصل بعاداتهم وتقاليدهم، وتتبدى جمالية هذا اللون عند اقترانه باللون الأبيض.

ونال اللون الأحمر اهتمام العرب قديماً وحديثاً فهو مصدر حديثهم عن الحبيبة وجمالها، ويضرب به المثل في الحسن، بقولهم:((الحسن أحمر))[٢٠]،وتتنوعدلالاتهبحسب استخداماته فيدلّ على الغضب والقوة والخطر تارة، ويدل على الحب والفرح والسرور تارة أخرى.أما اللون الأصفر فيعدُّ أخف الألوان الأساسية، وأقربها إلى الأبيض ويدل الى معاني النقاء، والعتق، والشرف والسرور كما فيقوله تعالى: چ ى ى ي ي چ[٢١]وقد يرمز عند المحدثين الى الخطر والدهاء والجبن والخيانة وعدم الأمان والمرض[٢٢].

جماليات التعبير اللوني في الغزل الهذلي:

عاش العربي في بيئة صحراوية واسعة مهيأة لاستقبال أشعة الشمس بلا حدود، فاكتسبت بشرته طبقة سمراء لتقاوم حرارة الجو، فأصبحت سمة يتميز بها، ولوناً يعرف به، ونـدر وجـود البشرة البيضاء في بلاد العرب[٢٣]. لذا أصبح هذا اللون مرغوباً محبباً إلى النفـس فضلاً عما ينطوي عليه من دلالات جمالية حسيّة ومعنوية لكونه رمزاً للصفاء ونقاء السريرة والهدوء والأمل والسلام[٢٤]

وقد هام العربي بسحر وجه حبيبته، لأهميته في الدلالة على جمالها، وطبيعتها النفسية، فوسمه باللون الأبيض، لسببين: أولهما: لدلالته على العفة ونقاء الأعراق. وثانيهما: حقيقي دال على نقاء بشرة حبيبته وصفائها وخلوصها من أيِّ عيب. وغلبت صفة البياض في وصف جمال المرأة عند الهذليين الأمويين ممن تنعّموا بترف الحياة ويسر العيش[٢٥].

فهذا أبو الحنان يشير إلى بشرة حبيبته البيضاء فضلاً عن صفاتها الجمالية الحسية الأخرى فيقول[٢٦]:

كظيمُ الحجلِ واضحَةُ المُحَيَّا عديلَةُ حُسْنِ خَلْقٍ في تمامِ

لها عينا مهاةٍ أمُّ طِفلٍ وجيدُ أحمَّ مُختلسِ البُغامِ

من البيضِ اللُّباخياتِ خودٌ يجولُ وشاحُها جُمُّ العظامِ

يخصص الشاعر ـ هنا ـ البياض بفئة من النساء، تنتمي إليها محبوبته من خلال تقديم (من البيض) الجار والمجرور تأكيداً على سمة العفة والنقاء وصفاء الأنساب، فضلاً عن الصفات الجمالية الحسية التي تمتعت بها، فعززت روح الإجلال والإكبار في نفس الشاعر، ومما زاد تعلقه بها أنها ممتلئة الجسم، بيضاء الأسنان، عيناها كعيني مهاة في شدة حورها واتساعها، مضطربة النظرات، لأنها في حالة ترقب وذعر خشية على طفلِها، فتبدو بذلك ألوان عينيها معبرة عن أسمى تضاد لوني متجانس يجمع بين شدة اللونين الأبيض والأسود. وعندئذ يبرز لون

البياض الحقيقي والمجازي معاً. وقد عبر الشاعر عن ذلك بوساطة الكناية ((من البيض)) ذلك لأنها الفن البلاغي الذي يجمع بين الدلالتين المتناقضتين في آن واحد، فضلاً عما تنطوي عليه لفظة البيض من تورية لطيفة إشارة إلى السيوف التي تعزز من مكانة تلك النسوة المحميات بسيوف رجال القوم الشجعان.

على الرغم من أنّ الشاعر قد ذكر صفات جمالية حسية للحبيبة إلا أنّ صفة البياض كانت هي الطاغية بعد أن كرر البياض بصيغة مباشرة ((من البيض)) أو غير مباشرة ((واضحة المحيا)) و((عينا مهاة)) الموسومتين بالحَوَر الذي يظهر فيهما اللون الأبيض أشد نصاعة.

إنَّ حضور البياض بهذه المساحة يعبر عن لهفة الشاعر تجاه هذه الصفة الجاذبة المؤثرة وإن لم تكن لذاتها بل للمرأة التي كان يحلم بها.

وهذا ما يؤكِّده أبو ذؤيب أيضا في افتتاحية لوحة المرأة، بعد أن وقف على ديارها فوجد ضالته[٢٧]:

رآهـا الفـؤادُ فاستُضِـلَّ ضَلالَهُ نيافاً من البيْضِ الحسانِ العطابلِ

فإنْ وصَلتْ حبلَ الصَفاءِ فدمْ لَهاَ وإنْ صَرَمتْهُ فانصَرم عن تَجاملِ

قرن الشاعر ـ هنا ـ البياض مع صفة أخرى ((الحسان)) ليدلل على أنّ البياض لوحده لم يكن سمة جمالية حسية في المرأة دائماً، على عكس ما يشير إليه الترميز الكنائي عن جمال المرأة المعنوي، ذلك لأنَّ العرب تكني المرأة بذلك إذا كانت عفيفة بعيدة عن الدنس.

ولعلَّ من أبرز مقومات الجمال عند المرأة أن تتعدد صفاتها الجمالية الحسية ،وهذا ما فعله الشاعرفهي ((من البيض الحسان العطابل))، وأجاد الشاعر حين وصف لون حبيبته بالبياض، ووضعه في إطار صورة كنائية ،فضلاً عن وصفه لحالته النفسية وما أصابه من لهفة وشوق تجاه حبيبته في قوله: (استضل

ضلاله) أي: وجد ضالته بعد التيه، ومع كلِّ هذا يعلن عن موقف الإباء والترفع في البيت الثاني متحدثاً إلى نفسه عن طريق الحوار الداخلي أو بما يسمى (المونولوج) (فيحذر قلبه من غدرها، مؤكداً أنَّه باق على العهد ما دامت هي باقية عليه، وأنَّه سيبتر أواصر المحبة إذا ما وجد منها هجرانا وفتورا)[٢٨]،ويضفي سهم بن أسامة بن الحارث اللون الأبيض على محبوبته ليبين علو شأنها ومكانتها في قوله[٢٩]:

كريمةُ موضوعِ الحديثِ ضنيـــــــــنةٌ	**بأسرارِها إنْ تَنْتحِ البُخلَ تُجملِ**
مِن البيضِ إنْ يَسمَع سُهيلُ كَلامَها	**يدَع قصدَ مَجرَاه سهيلٌ وَينزلِ**

يدل اللون الأبيض . هنا . على عفاف حبيبته وسُمو شرفها وعلو مكانتها، ومما يؤكد ذلك الصفات المعنوية التي سبقت قوله: (من البيض)، إنهّا صفات حميدة توحي بهيام الشاعر بها فهي كريمة متمنعة كاتمة للسر يزيدها بخلها في نفسها جمالاً، لتكون مطلوبة حتى من نجوم السماء موظفا الكناية ليعني بذلك؛ ((أكابر القوم وأشرافهم))، يقول ابن رشيق: (إنما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة في الشعر)[٣٠]، وهذه الصفات جعلتها في مصاف النساء الحرائر عاليات الشأن اللواتي خصصن بهذا اللون، فحذف الموصوف (النساء) واكتفى بالصفة، لدلالة الحال عليه.

وبعد، فإنَّ الشاعر قد فُتن بحديث محبوبته الحسن، فراح يتوسل إلى السماء، لتشاركه إعجابه، فيتحدى سهيلاً إن كان بمقدوره الصبر في عدم النزول عند سماعه لحديثها موظفاً التصوير الاستعاري والكنائي ليشير إلى جمالها الخارق ومكانتها الرفيعة.

وجاء تكراره لمفردة (سهيل)، لطول مقام الفصل وهو أحد أسباب جمال الإطناب في العربية[٣١]. فإذا أراد الشاعر الهذلي تحديد اللون الحقيقي لوجه المرأة

فيلجأ . عادة . إلى أجمل ألوان البياض رقة بتدرجاته التي تصف جمال الوجه ونعومته[٣٢]، ونجد هذا في قول أبي صخر[٣٣]:

هجانٌ فلا فياللّونِ شـامٌ يشينُهُ	**ولا مهقٌ يغشَى الغسيقاتِ مُغربُ**
سراجُ الدُّجى تغتَلُّ بالمسكِ طفلَةٌ	**فَلا هِي متفالٌ ولا اللَّونُ أكهبُ**

يقف الشاعر في هذا المشهد اللوني الحافل بألوان البياض وتوابعه، ليصف لنا لون بشرة حبيبته إذ ينبؤنا بقوله: (هجان) عن بياض وجهها الخالي من عيوب البياض كـ (الأمهق والمغرب والأكهب) مؤكداً صفاءه، فلا خال يعكر صفوه ولا غبرة ولا سواد، وبذا قد أفصح عن اللون الحقيقي لبشرتها المطابقة لواقع حالها، ويظهر ذلك جليا في قوله: (سراج الدجى) دلالة على سمو مكانتها وإشراق لونها. ولتكتمل الصورة اللونية وضوحا، وضع لها إطارا يناسبها من خلال بث الرائحة التي تعطرت بها، فاختار لها عطر المسك، بما يحمل من لون يساعد على بعث الإثارة في المشهد، فأعطى تضاداً لونيًا يجمع بين لونها الأبيض المشرق، والعطر الأسود، الذي اغتسلت به وهكذا تكتمل عناصر الصورة الشعرية اللونية من خلال اشتراك أكثر الحواس في إدراكها ورسمها.

وأسهم التضاد بين النفي والإثبات المقترن بالتدرجات اللونية في توكيد الصورة المشرقة لوجه الحبيبة، وبإمكاننا أن نمثل هذا التضاد من خلال المخطط الآتي:

فلا في اللون شام يشينه	⟷	**هجـــــان**
ولا مهق يغشى الغسيقات	⟷	**هجـــان**
فلا هـي متفال	⟷	**تغتـــل بالمســـك**
ولا اللـون أكهب	⟷	**ســـــراج الدجـــى**

وهكذا تخرج الصيغ الخبرية إلى دلالات مجازية توحي بالجمال والفتنة، فضلاً عما بعثه التقسيم من إيقاع ساحر مؤثر في النفس.

ويصف مليح بن الحكم وجه محبوبته وصاحباتها مشيراً إلى بياضهن[٣٤]:

فلما رأينَ القومَ قـد ألحقتهـم ... بهنَّ نواجٍ في الأزمةِ نعّجُ

صَرَون بأعناقِ الظِّباءِ وأتلعتْ ... لـهنَّ وجوهٌ ليطُها متبلـــجُ

يثبت الشاعر صفة لونية جمالية لوجه الحبيبة وصاحباتها اللائي بَدَوْن له من خلال الظعن بقوله: (ليطها متبلج) ، فالبلجة: نقاء البشرة وصفائها وإشراقها، ولابد أن يستدعي هذا الصفاء لون البياض حتى تستكمل مقوماته اللونية، لقولهم (لكل ضياء بياض ونور، وليس لكل بياض نور وضياء)[٣٥].

إنَّ صورة المرأة بألوانها المختلفة الجذّابة تقترن عند الهذليين . غالباً . بصورة الحيوانات التي اشتهرت بصفة جمالية مميزة، وهذا ما دعا الشاعر أن يجعل الوجوه تزدان بأعناق طوال كأعناق الظباء في جمالها، لأنّ طول العنق مما يحمد في المرأة ويزيدها جمالاً.

ويلجأ الشاعر الهذلي إلى تشبيه محبوبته بالدرة، مشيراً إلى بياضها المشوب بالصفرة، يقول أبو ذؤيب في ابنة السهمي[٣٦]:

كأنَّ ابنةَ السهمي دُرَّةُ قامسٍ ... لَها بَعدَ تقطيعِ النُّبوحِ وَهيجُ

....

كأنَّ ابنةَ السهمِيِّ يومَ لَقِيتُها ... مُوَشَّـــحَةٌبالطَّرتَينِ هَمِيــجُ

ينطوي النصّ على صورة لونية تشبيهية مركبة كان اللون الأبيض عمادها، ففي لفظتي (دُرَّة، و وهيج) يتجلى إشراقه ونصاعته وتزداد شدة الإشراق والنصاعة من خلال لون الليل الأسود الذي شكل خلفية المشهد بقول الشاعر: (بعد تقطيع النبوح)، أي: في سكن الليل وما يتخلله من هدوء، فابنة السهمي درة في بياضها المشوب بالصفرة، وأضفت مفردة (وهيج) الإشراق عليها، تلك الصفة التي لا يبدو أثرها بوضوح إلا من خلال اقترانها بلون مضاد، وهو فضاء الليل الأسود، وهو ما

أعان الشاعر في العثور على خباء حبيبته ليلاً، وحين لقيها وجدها متشحة بملابس تمزج بين لونين مختلفين وهذا ما قربها من الشبه بالظبية.

جسَّد الشاعر ثنائي النور، الظلمة لإظهار جمال (ابنة السهمي) وإشراقها، عندما قابل بينها وبين الدرة التي تكمن في أعماق البحر المظلم، كما وظّف الصورة الكنائية وذلك عندما جعل المشبه به ((درة...)) لتدلل على أنَّ ابنة السهمي فتاة عفيفة مصونة عزيزة، ولأنها امتلكت هذا القدر من الصفات الجمالية، لذا كرر اسم محبوبته (ابنة السهمي)، ليؤكد شغفه بها وحبّه إياها.

ويمتلك أمية بن أبي عائذ، قدرة متميزة لتقريب الوصف بين حبيبته والدرة البيضاء عندما جمع بين اللون المباشر وغير المباشر ضمن علاقة المشاكلة اللونية المشتركة بينهما، وبما تنطوي عليه من دلالات مادية ومعنوية إذ يقول[٣٧]:

ليلَى وَما ليلَى ولمْ أرَ مِثلَـــــها ... بينَ السَّما والأرضِ ذاتِ عِقاصِ

بيضاءَ صافيةَ المدامِعِ هُولـــةً ... للناظريـــن كـــــدُرَّةِ الغـَــوَّاصِ

فُتِنَ الشاعربجمال (ليلى)، فألحَّ في وصفها وأبدع وإن بالغ كثيراً، فهي جميلة ليس لها مثيل بين السماء والأرض، ويكمن جمالها في طول شعرها، فهي (ذات عقاص)، وفي لون بَشَرتها البيضاء الصافية (الدُرَّة) البيضاء المكنونة التي استخرجها الغواص من باطن البحر، والجامع في ذلك التشبيه هو إشراق اللون الأبيض المشوب بالصفرة مع اللمعان، ثم تميزها عن بنات جنسها.

وهذا ما يؤكده الشاعر من خلال تكراره لاسمها متلذذاً ومتعجباً بجمالها وكأنَّها . بدلالة صورة البياض اللونية. جمعت بين كمال الأخلاق والخلقة في آن واحد، ويؤكد الشاعر هذا الكمال بوساطة فن الطباق بين (السموات والأرض) المجتمعين على نقيض العلوّ والانخفاض وبين (عقاص وبيضاء)، المجتمعين على نقيض السواد

والبياض، وهذا النقيض المتجانس الجذاب هو الذي استكمل معالم الجمال، وجعل المحبوبة مهولة للناظرين.

ولما كانت العيون هي الرمز الناطق في وجه المرأة الذي يمثل قيمة جمالية عالية عرفته البيئة العربية، ولاسيَّما العيون الحوراء التي شاعت في البوادي بأنسها وحيوانها، فقد نالت اهتمام الشعراء فوصفوها، منطلقين من طبيعة بيئتهم الصحراوية وما فيها من حيوانات، فشبّهوا عيون حبيباتهم بعيون بقر الوحش تارة، وبعيون الغزلان تارة أخرى، بجامع اجتماع اللونين الأبيض والأسود فيها وبأعلى درجاتهما، فضلاً عن اتساعها، ولهذا أطلق عليها (العيون الحور) وتعني: أن تكون الدائرة السوداء من المقلة واسعة جداً، حتى تكاد تشمل العين كلَّها، وأن يكون سوادها وبياضها شديدين لا يشوبهما لون آخر، ثم إنَّ شدة سواد العين يدل على عروبتها الخالصة من الاختلاط[٣٨].

وقد تغزل الشاعر الهذلي بتلك العيون، ذلك ما نجده في قول عمرو بن الداخل في قوله[٣٩]:

تـذكَّر أمَّ عبـــدِ اللهِ لـــمـــــــّا　　　نـأتْهُوالنَوى منها لَجـــــــوجُ

وما إن أحَورُ العينينِ رَخصُ الـ　　　عظامِ ترودُه أمٌّ هَـــــــــدُوجُ

بأحســنَ مُقلةً منــها وَجيــــــــداً　　　غَداةَ الحجرِ مَضحكُها بَليجُ

لا يسع الشاعر في وقت النوى و الفراق غير تذكر محاسن حبيبته، وما ألف منها، مستحثا الطبيعة التي حوله على تذكرها، فتأخذ العيون ولونها المساحة الأكبر في التذكر، فما أن رأى عيون الظبي حتى ذكَّرته بعيني حبيبته (أحور العينين)، ولعلّ هذا ناشئ من قلبه لصورة التشبيه عندما جعل شدَّة جمال عيني المحبوبة أشد وأقوى من جمال عيني الظبي ((بأحسن مقلة منها وجيدا)) على غير المألوف، مؤكداً ذلك من خلال الفن البديعي التفريع[٤٠] في قوله ((بأحسن مقلة منها)).

ويبدو أنَّ الشاعر قد آثر جمال العينين بحورهما، على الصفات الأخرى التي تتمتع بها صاحبته، وذلك لشدة سحرهما وتأثيرهما فيه إذ أجَّجتا عواطفه الكامنة.

وتتأرجح تلك المفاضلة بامتلاك حبيبته صفة إنسانية خاصة ببني البشر، وهي الضحك، ((مضحكها بليج))، ليضفي عليها الرقة ورهافة الحس والبشاشة،فيصف مضحكها باللون الأبيض المشرق الذي لا يمكن أن يمتلكه أي حيوان مهما امتلك من مقومات الجمال الأخرى.

وهكذا نرى أنّ غزل الهذليين عبارة عن خلط بين (أوصاف المرأة وبين عاطفتهم، فهم لا يفهمون الغزل إلا في لذة حسيّة لدى المرأة في ثغرها الجميل، وفي جسدها المتسق)[٤١]، فضلاً عمّا تزيده الألوان الزاهية من متعة بصرية.

ويمرُّ المنتخل بموقف من مواقف هجر الحبيبة (أميم) بعد كبره، فيسرد لها ماضيه ولهوه مع نساء حور، محاولاً استرداد كرامته، حين قال[٤٢]:

فأمِا تُعرِضينَ أُميْم عَنِّي　　　وَيَنزِعْكِ الوُشـاةُ أُولو النِّبـــــاطِ

فَحورٍ قد لهوتُ بهنَّ وحدي　　　نواعمَ فِي المرُوطِ وفِي الرِّياطِ

....　　　..............................

لَهَوتُ بهنَّ إذْ مَلقى مَليحٌ　　　وإذْ أنا في المَخيلـةِ والشَّطـــاطِ

تصدرت المفردة اللونية (حور) قمة جمال الوصف عند المنتخل لنسائه اللواتي قضى معهن ساعات من اللهو والمرح، فهنَّ نساء حور نواعم، يرفلن بثياب طويلة، وينمن على فرش فاخرات مطيبة، فدّل هذا الوصف على صورة مادية تصف لذة حسية عاشها الشاعر في عنفوان شبابه.

ولكي يعزز الشاعر من مكانته وعلو ذاته،ويضخم من كبريائه، أشار بوساطة الترميز الكنائيإلى أن تلك النسوة لم يكن مبتذلات رخيصات بل متمنعات ومترفات ومع ذلك نال مبتغاه منهن؛ ((قد لهوت بهن، لهوت بهن)).

وقد تأخذ مفردة (حور) وصفا معنوياً تعزز من دلالتها الحسية في الوقت نفسه عندما تقترن بأمارات الحياء والحشمة التي تميزت به المرأة العربية.

يتضح ذلك عند ساعدة بن جؤية في قوله[٤٣]:

وكأنَّــمـــا وافـاكَ يــومَ لَقِيتَـهـا   مِنْ وَحْشِ وَجرَةَ عاقِـدٌ مُتَرَبِّبُ

خَرِقٌ غضيضُ الطَّرفِ أحورُ شادِنٌ   ذو حُوَّةٍ أَنُفُ المَساربِ أخطَبُ

كانت أسعد أيام الشاعر يوم لقائه بمحوبته في مدينة (وجرة)، فاختار لها ما يناسبها من ألوان تنسجم مع وقع نغمات الاشتياق التي تعصف في قلبه، لاسيّما حين غضت طرفها الأحور منه حياء. فشبهها بغزال شادن لحسن تناسق ألوان عينيه الواسعتين لحورهما، ويزيد أن هذا الشادن قد رعى في مكان خصب وأكل العشب حتى تلونت شفتاه بلون السواد، فبرز اللون الأخضر(حوة، أخطب) في المشهد، ليدلل على خصب الحياة فضلًا عن سعتها لتحتوي الحدث الشعري[٤٤]، و هكذا يتعزز الشبه بين الشادن والحبيبة في أعلى درجاته.

وتبعث زينة الكحل الإثارة في نفس الشاعر لما لها من إسهام لوني فعال في إبراز جمال عيون المرأة، وهذا ما نجده في قول المنتخل[٤٥]:

ذلك ما دِينُــــــك إذ جُنبــــتْ   أحمالُها كالـبُكُــرِ المُبتــلِ

عِيـرٌ عليـهـــــــــنَّ كِنانيّـــــةٌ   جاريةٌ كالرَّشـــأ الأكحــلِ

كالأيمِ ذي الطُّرَّةِ أو ناشِىءِ الـ   بَرديِّ تحتَ الحفأِالمُغيـلِ

حرّكت المفردة اللونية (الأكحل) المشهد وسحبته إلى إعطاء مسوغات لونية جمالية لحبيبة الشاعر الراحلة التي أضنته بفراقها، فرسم صورة تشبيهية جمعت بينها وظبي صغير أكحل (الرشأ الاكحل) بجامع جمال العيون، ومما زاد من سطوة اللّون وسعة تأثيره اردف ذلك بتشبيهها (بحية) اتشحت بلون السواد بعد أن سكنت في

مروج خضراء فبرزت ألوانها، والجامع . هنا . شدة سواد لونها الذي شبهه بكحل حبيبته، فضلاً عن خلقها الماكر، وهكذا دلّ اللون الأسود . هنا . على دلالتين متناقضتين، الأولى: حقيقية، تتمثل بجمال الحبيبة حينما شبهها بالرشا الأكحل، والأخرى: معنوية، تتمثل بمكر الحبيبة وخداعها.

ويزداد اعجاب ((مليح)) بعيني حبيبته، فيشبهما بعيني غزال ذي طفل في قوله[٤٦]:

كأنّهـــــا يــوم تثنينـا تحيّتُهــا   غَمامةٌ من سِمـاك صوبُهُ قَـــرِدُ

تثنى لنا جيد مكحول مدامعُها   لـها بنعمانَأوفيضِ الشَّرى وَلـدُ

طِفلُ القيـــــامِ جُماديٌّ ترشّحـهُ   حيث ارتعنَّ الأراكُ الدَّوحُ والعقَدُ

يظهر اللون الأسود بصفة غير مباشرة مرة أخرى من خلال الكحل ((مكحول مدامعها)) ليرسم لنا الشاعر صورة تشبيهية لونية يخيم عليها السواد ولكن بدلالة مغايرة لما هو مألوف فاللون الاسود ((الكحل)) هنا زاد من جمال عيني محبوبة الشاعر، ولا سيما بعد أن ألقت عليه التحية متولهة، خائفة.

يلاحظ ذلك بصورة أوضح في تشبيه عينيها بعيني ((ظبية غزال ذي طفل في وادي خصب)) وهي في أعلى درجات الخوف والحذر خشية على وليدها، فبدت نظرات عينيها مضطربة وجلة كشفت عندئذ عن سحر ألوانها التي جمعت بين السواد والبياض فضلاً عن ذلك يظهر السواد بنحو طاغ وبصيغة غير مباشرة من خلال المفردة ((غمامة))، عندما شبه محبوبته بها، لشدة شوقه لتحيتها مثلما تشتاق الأرض المجدبة لماء المزن، وهكذا تجتمع الغمامة مع المرأة بجامع الخصب والعطاء مما زاد من جمال المحبوبة المادي والمعنوي.

ولا تكتمل عناصر الجمال والحسن عند المرأة إلا بشعرها الكثيف الذي يضفي عليها إثارة تتميز بـه، ففتن الشعراء العرب بلون شعر المرأة الأسود الفاحم الكثيف والطويل، ويتضح ذلك من خلال ما سجلوه في أشعارهم[٤٧].

ولم يبهر بجمال المرأة، ولون شعرها من شعراء هذيل مثلما انبهر أبو صخر، الذي عرف بقصائده الغزلية التي (وصف بها وبعناية أجزاء جسم المرأة من عين وشعر وخد وجيد وخصر الخ ...)[٤٨].

ويوظف أبو صخر اللون الأسود أيضا ولكن بصورة غير مباشرة من خلال لفظة ((غربيب)) الدالة على السواد فيقول[٤٩]:

وَصَارَها كَـــورُ ميَّالٍ له حُبــكٌ ... مُعَكَف مِثْلِ غَربيبِ العَنـاقيــدِ
مثلانِ إن حذرتْ أوعند غِرتِها ... صفراءُ طيبةُ الأعطافِ والجيـدِ

حددت مفردة (غربيب) السمة اللونية السوداء لشعر حبيبته إذ يندرج هذا اللون ضمن سلسلة مشتقات الألوان الثانوية للّون الأسود[٥٠]، ويحدد بمرتبة متأخرة عن السواد الغامق، ولعل وصفه بخفة اللون الأسود ناشئة من تجانس اللون الأسود مع الأصفر ((صفراء طيبة الأعطاف))ليمتع بذلك حاسة الشم مثلما متع حاسة البصر، وتكتمل بذلك اللذة الحسية. ولا يفوت الشاعر أن يصف كثافة شعرها وطوله بقوله: (كور) ليبالغ في وصف ميلان جسدها بسبب ثقل شعرها، التي تفننت في ترتيب شكله وتسريحه على شكل خصلات مجعدة يشبهها الشاعر بعناقيد سوداء اللون، وبهذا يحمل المشهد تمازجاً لونياً وشكلياً مثيراً يضفي على اللوحة مسحة جمالية جذابة تمتع عين المتلقي وتزيد من رغبته لقطف تلك العناقيد ليذوقها ويحقق رغبته في النيل، من المحبوبة ليعبر بذلك ومن خلال المشبه به ((غربيب العناقيد)) بدلالة – ثمارها– عن معنى الخصوبة والعطاء الجزيل.

ويوظف أبو صخر اللون الأسود الصريح في وصف شعر محبوبته ، منطلقاً من خلاله الى وصف أجزاء جسدها فيقول[٥١]:

سودٌ ذوائبُها بيــضٌ تَرائبُهـــا ... مَحضٌ ضَرائبُها صِيغت على الكَرمِ
شُنُبٌ مَثاغرُها يَرضى مَعاشِرُها ... لَذٌّ مُباشِرُها تَشـــفِي مِن السَّـــقم
عَبلٌ مقيَّدُها حـــال مقلّدُهــا ... بضٌّ مـجرَّدُها لفَّـاءُ فــــي عَمَـمِ
درمٌ مرافقُها ســـهلٌ خلائقُهـا ... يــروى معانـقُها مــن بــارِدِ النسـمِ
طفلٌ أناملُها سمـــحٌ شمائلُهـا ... ذو العلم جاهلُها ليست من القـَـزم

حدد الشاعر لون شعر حبيبته بالسواد من خلال مشهد ملتقى التضاد اللوني بين أطراف الذوائب السود، وبياض جيدها، فبدت ألوان التضاد المتجانس على أتم وأجمل صورة حسية، لأنَّهما على الضد ((فالضد لا يظهر حسنه إلا الضد))، ولاسيِّما بين اللونين الأبيض والأسود[٥٢] ولإبراز جمالية اللون الأسود في شعرها عمد إلى تعداد أوصاف جمالية لونية مضادة حملت لون البياض منها (بيض ترائبها، وشنب مثاغرها، وبض مجردها)ليظهر في الوقت نفسه جمال جسدها ذي اللون الأبيض مما أكسبها فتنة ورقَّة فأثرت على حالته النفسية إيجاباً وبالتالي على شعرية النص فبث عبارات وصفية في أبياته ولّدت إيقاعات داخلية متنوعة ساندت الإيقاع الخارجي وعززت من وقعه من خلال التقسيم والتوازي وتناسب الفواصل[٥٣]وهكذا أظهرالتقابل اللوني ذروة الجمال في الذوائب والترائب على حد سواء مما زاد من جمال صاحبته.

ويجعل مليح بن الحكم من شعر حبيبته معادلاً موضوعياً لجمالها فيقول[٥٤]:

بذي حُبُكٍ مثلِ القُنــــــِّي تزينُــهُ ... جُذاميَّةٌ من نَخلِ خَيبـرَ دُلـحُ
إذا عقلتهُ بالعِـــــقاصِ تمايلـــتْ ... عثاكيلُ من أثنائِه الدُّهمُ جُلَّحُ
عَلى صَنعِ الأَطباقِ رخصٍ كأنَّما ... تُنيفُ بِه مجدولةُ الجيدِ مُرشحُ

نال لون شعر الحبيبة إعجاب الشاعر، فضلا عن شكله الذي أضفى عليها جمالاً أنثوياً رائعاً، فشبهه بحمل النخيل، وهو تشبيه دقيق لما فيه من تقارب وصفي بين الشكل واللون فضلاً عن انطوائه على بعد ميثولوجي فكلّ من المرأة والنخلة تحمل دلالة الخصب والعطاء والحسن(٥٥)، والدهمة(٥٦) جامع لوني مشترك بينهما، وكذلك شكل تسريحة شعرها الذي يشبّه بهيأة السعف، لأنها سحبت شعرها من أعلى رأسها(جلح)، وأمالت (عثاكيله) على جوانبه على شكل أطباق منتشرة على جيدها ومما زاد من جمال ذلك كله قامة منتصبة معتدلة كأنها نخل خيبر.

وتأخذ ألوان أسنان المرأة وشفتيها عنواناً غزلياً حسياً يطرقه الشعراء الهذليون، لإبرازه في صورهم مستمدين تشبيهاتهم من البيئة الطبيعية التي حولهم،من ذلك تشبيه أبي صخر لأسنان حبيبته بزهر الأقحوان البري بجامع اللون الأبيض قائلا(٥٧):

وَمفلَـــجٍ جُـــمٍ ّمَثـاغــــرُهُ   مثلِالأَقاحـــــي وافِـر الظّلمِ
ولو أننّي أُسقى عَلى سَقمي   بِلمى عَوارِضِها شَفَى سُقمي

تعمل أداة التشبيه (مثل) في الصورة التشبيهية اللونية التي رسمها الشاعر على ديمومة التشاكل، لتمزج بين لون أسنان المحبوبة ولون الأقاحي البيضاء لاسميتها وأسمية الجمل التي رسم الشاعر بوساطتها الصورة البصرية الذوقية المثيرة– ذلك بأنّ الأسماء تدلّ على الثبوت والديمومة على عكس الأفعال – لما في هذه الأسنان من بياض وإشراق دائمين ((وافر الظلم))، زاد من نصاعتهما وجودهما بين شفتين سمراوين، بفعل التضاد بين اللونين.

ويبدو أنّ مشاعر الشاعر ورغبته الحسية جعلته يضفي هذا الوصف الجذاب عليها من خلال الترميز الكنائي، وإيراده للكنى والأوصاف في قوله: (مفلج، جم مثاغره، وافر الظلم)وعدم تصريحه بالموصوف ((الفم)) ذلك الفضاء المغلق الذي ينفتح لتفوح منه رائحة زكية وليفصح عن جماله الآسر، مما أرغم الشاعر للانجذاب

نحوه ومباغتته – بدون وعي منه – برشفة كانت سبباً في ارتوائه؛((ولو أنني أسقى على سقمي   بلمى عوارضها شفى سقمي)).

ويصف المنتخل –أيضاً– شدة بياض أسنان حبيبته من خلال معارضته بلون، لثتها السوداء، بعد أن استاكت بالأثمد قائلا(٥٨):

تَنَكَلّ عن متّسِقٍ ظلمُـــه   فـي ثغرهِ الأثمدُ لَـــــم يُفلَلِ
غُرّ الثَّنايا كالأَقاحي إذا   نوَّر صُبحَ المطرِ المُنجلِي

يبرز بياض أسنان الحبيبة المتسقة التي لم يصبها التلف من خلال سواد اللثة التي دهنت بمادة الأثمد السوداء اللون للإثارة، و لإظهار نصاعة لون البياض في الأسنان، فبدأ بياض ثناياها ناصعاً يشبه زهر الأقاحي البيضاء المنجلية بماء المطر دلالة على أعلى درجات اللون الأبيض إشراقا ونصاعة.

وعلى الرغم مما يبدو من فخامة الألفاظ وشدة جرسها وقسوة دلالتها كما في (تنكل، لم يفلل) التي تعطي إيحاءً بأنَّ الشاعر في معرض وصف ممدوح، أو وصف سيف بتَّار، إلا أنَّنا لا نحس بغرابة إزاءها بفضل الصورة اللونية التي خففت من وطأة خشونتها وشدة جرسها وحدة دلالتها.

ويشبه الشعراء الهذليون أسنان المرأة بالثلج، بجامع اللون الابيض والبرودة، لأنّ العربي يفضّل طعم فم حبيبته بارداً ليطفئ ظمأه، ويتجلى هذا التشبيه، في قول مليح بن الحكم(٥٩):

وخـــدٍ أسيلٍ زانَـهُ متبسَّـــمٌ   نَقيٌّ تُغادي ظلمَهُ حِينَ تُصبِحُ
بلدنٍ بِهِ تَمتـاحُ عذباً كأنَّما   يُعَلُّ إذا ما سَاقطُ الثلجِ ينضِحُ

يستمتع الشاعر بجمال مبسم حبيبته الأبيض اللامع النقي في ظلمة الليل، إلى أن جاءه الصبح فانطفأ لمعانه، وتلك إشارة بأنَّ اللقاء كان ليلاً، ثم يصور لنا كيف نال من فيها العذب الذي طاب مشربه، ويشبهه بماء يتساقط من ثلج.

إنّ رهافة حس الشاعر وصدق مشاعره هما ماحرّكا المشهد على هذا النحو للوصول إلى قمة الوصف الحسي من خلال استخدامه للمفردات اللونية والحسية المثيرة، فأعطى من خلالها لنفسه مسوغا للهيام والكلف بها.

ويبدع مليح –أيضا– في رسم صورة لونية تشبيهية نادرة قلّما ينتبه إليها الشعراء، وذلك عندما يخيل له أن يجعل السواك الذي يلامس أسنانها مزنة ينزل منها البرد[٦٠]،فيقول[٦١]:

شمــــــاءُ فيهِم وَشَمّاءُ الّتي تَبلتْ	عَقلِي أوانصدَعَت مِن حبِّها الكَبدُ
....	....
غَرّاءُ فَرعــــاءُ مبهاجُلمِضحَكِها	رَيَّا كرّيا الخُزامى بَلَّهـــــا الثّــأدُ
تُجري السِّواكَ على عَذبٍ علالتُهُ	كما تَهلَّلَ تحتَ المُزنةِ البَــــــرَدُ

فالشاعر يشرك معظم الحواس البصرية (غراء، فرعاء) والشمية (ريا كريا الخزامى) والذوقية (تجري السواك (السواد) على عذب علالته (بياض)في تلوينها وبأبيات مكثفة وكأنّه رسام لوحة تشكيلية، يختار من الألوان مايثير ويغوي، لتكتمل عندهُ اللذة الحسية وبأعلى درجاتها.

ويوظف أبو صخر اللون غير المباشر (اللمى) في وصف شفتي محبوبته، في قوله[٦٢]:

فباتَ شَرابِي فِي المنامِ مع المُنَى	غَرِيضُ اللَّمى يَشفِي جَوَى الحُزن أشنَبُ

مثل لون الشفتين (اللمى) ذلك السواد الخفيف المائل الى السمرة ليلة الشاعر الممتعة ((فبات شرابي)) بدلالة اللون المحبب إلى النفس بصرياً وذوقياً وبجامع المشابهة اللونية بين اللمى والخمرة لإزالة الهم والحزن عنه ليجمع في الصورة بين السواد (اللمى) وبياض الأسنان (أشنب)في ثنائية متناقضة ومتوافقة في الوقت نفسه لتتآزر كل هذهِ المكونات وتخلق شعرية تتوق لها النفس بصرياً.

اللّون دالاً جمالياً
قراءة في شعر الهذليين الغزلي
مجلة آداب الفراهيدي
أ.م. د. محمد سعيد حسين مرعي
كتائب حسن عبود
العـدد (١٢) أيلول ٢٠١٢

ويتناول الشاعر الهذلي في غزله أنواعاً من الزينة، تلك التي تستخدمها المرأة، والمتمثلة بالثياب والعطور وغيرها.. مطرزاً إياها بألوان جذابة متنوعة تجمع بين المباشرة وغير المباشرة، فشكلت حيزاً غير قليل في أشعاره، وهذا بلا شك يدل على ترف المرأة الهذلية وأناقتها أسوة بغيرها من النساء العربيات، فيصف الشاعر ملابسها وألوانها وأنواعها التي هي من متممات جمالها.

يقول عمرو ذو الكلب موظفاً اللون الأبيض غير المباشر (غر السبال) في وصف ثياب محبوبته[٦٣]:

غَزِّيةٌ آذنتْ قبلَ الزِّيــالِ	وَأمسَى حَبلُها رَثَّ الوصَالِ
وَأمست عَنكَ نائيةً نَوَاها	بشُقَّةِ شُنًا غُــــرِّ السِّــبالِ

شبه الشاعر حبيبته الراحلة بثيابها البيضاء ضمناً بغيمة بيضاء ذات برق، والجامع للشبه دلالة الخصب وديمومة الحياة فضلاً عن دلالات كثيرة تتمثل بالعفة والنقاء والطهارة والخصب، لقولهم: (إن الأحسن بأهل النبل والشرف اللباس الأبيض وأشبهه)[٦٤].

يحمل المشهد سمة الحزن الذي نشأ بسبب بعد الحبيبة وارتحالها، وما تكراره للفظة (أمسى) المسندة إلى الحبل مرة،وإلى الحبيبة مرة أخرى، إلا توكيداً له، ثم تأتي المطابقة بين (الزيال والوصال)، لتظهر حالة الصراع التي يمر بها الشاعر؛ الصراع الذي يميل إلى كفة التشاؤم والحزن والألم.

ويصف ابن ترنا[٦٥] لون ثياب حبيبته بـ((الصهب))، مشيراًإلى حسية العلاقة التي تربط بينهما في قوله[٦٦]:

قَريبةٌ قد نَأتْ غيرَ السُّؤالِ	وَأمستْ منكَ نائيةَ الوِصالِ
وأمستْ مِنك نائيةً وحلَّتْ	ببلدةِ شُنًا صُهبِ السِّـــبالِ

يصف الشاعر ملابس حبيبته الراحلة إلى بلدة أخرى بألوانها الصهباء، أي اللون الأحمر المائل إلى الأبيض[٦٧]، لأنّ الشعراء العرب يؤثرون الحمرة في ألوان ملابس النساء[٦٨]، لشدة إثارته.

ويختار الشاعر في هذا المشهد اللون الأحمر المخفف، أو ما يطلق عليه باللون الوردي ذلك اللون الرومانسي الهادئ الشفاف الذي يعبر عن المواقف الهادئة المتأملة، لأنَّ الشاعر عبر بهذا اللون عما كان بينهما من حبّ حميم، وهو الآن يحيا عذاباته بفراقها الذي يصرح عنه بالمطابقة التي انطوى عليها البيت (قريبة، قد نأت)، وصولا إلى استسلامه لما حل به من ألم لنأي الحبيبة، ويتضح ذلك من خلال إقراره مكررا القول: (أمست منك نائية).

وقد يقصد الشاعر الهذلي . أحيانا . من تعدد ألوان ثياب المحبوبة الإشارة إلى تغير سلوكها وتقلبها من حال إلى حال بين وصل وهجر أو بغض وود.

نجد ذلك في قول مليح بن الحكم[٦٩]:

أَحَبُّ إليَّ من سُعدَى وسُعدَى ... صَدُودٌ بالنوَّالِ لنا هَجُورُ

تخالِفُنا وتلبسُ كـــــلَّ لـــونٍ ... لنا شكلاءُ خالبةٌ خـــتورُ

استعان الشاعر –هنا – بالكناية،للإفصاح عن مشاعره تجاه (سعدى)، وذلك لأنَّ عبارة (تلبس كل لون) تدل–حقيقة– على تعدد الألوان التي تلبسها (سعدى) فتبدو فاتنة ساحرة الجمال بقوله: (شكلاء)، كما تدل–مجازاً– علىتصرف (سعدى) وسلوكها المتأرجح بين الصدود والوصل، لقوله:(صدود بالنوال هجور).

ويحمل المشهد مسحة من التفاؤل، دلّ عليه اسم (سعدى) المكرر الذي يحمل معاني السعادة والبهجة، على الرغم من تصرفاتها المتناقضة.

ووصف الشعراء الهذليون الحلي التي تلبسها المرأة بألوانهاالجذابة، والحلي هي كلّ ((ما تتزين به المرأة من مصوغات معدنية وحجارة عرفته المرأة على مر

العصور))[٧٠]،فاكتسبت به جمالاً فاتناً يجلب انتباه الرجل، ويعكس مدى تأنُّقِها وترفها.

فيصف لنا مليح بن الحكم حبيبته وهي مزدانة بحليها ذات الألوان البيضاء قائلاً[٧١]:

عليهِ مع الحلي التَّميمُ مُظاهَراً ... عَلى النَّحرِ مِنهُ والسِّخَابُ المُسَوَّفُ

شَبيهٌ بأطلَاءِ المها غيــرَ أنّــهُ ... يَصِلُّ بعطفَيـــهِ جُمـــــانٌ وَرَفــرَفُ

يعقد الشاعر علاقة مشابهة بين حلي المحبوبة وألوان المها، من خلال الصورة اللونية التشبيهية فيشبه قلادة اللؤلؤ البيضاء في نحر حبيبته بلون البياض الطبيعي الذي يحيط برقبة الغزال، والجامع للمشابهة لون البياض في نحر كل منهما، فضلاً عن طول رقبتيهما، ليبدو البياض واضحاً وجذاباً. ويستثني الشاعر بـ (غير)، ليظهر اختلاف حبيبته عن المها في أنّها تتمتع بجمال زائد، نتيجة للبسها أقراط من الجمان الأبيض الذي زادها حسناً وجمالاً، فضلاً عن أصوات حركة الحلي، وهكذا تناسقت الألوان مع الحركة، لتزيد من تعلق الشاعر بها، لجمالها الفاتن.

وتمتلك الألوان قيمة دلالية فاعلة عندما تقترن بالحلي، فتدل عندئذ على مكانة المرأة في انتمائها للطبقات الراقية، ويمكن أن نعدّ لون الذهب لوناً ملوكياً لأنه ليس متاحاً لنساء العامة، يقول مليح[٧٢]:

تُنيـــفُ بَواضِحِ اللّيتَين تكسُو ... تَلاعَتَهُ الزَّبرجَـــدُ والشُّـــذُورُ

ثَقيلةُ مَوْضِعِ الأَرداف تَخطُو ... على بَيضَاءَ ليسَ بِها وُقورُ

تُدافِـــعُ طُــرَّةَ الخَلخَــالِ حتّى ... يَظَلَّ فُضاضُهُ عَنها يَطِــيرُ

يحبُّ الشاعر العربي أن يمزج الألوان ويعددها عندما يصف ملابس المرأة وحليها، وهذا المشهد ينطق بذلك، لاسيّما جمعه بين الزبرجد والشذور، فالزبرجد هو :الزمرد الأحمر، أما الشذور فهي: قطع من ذهب صغيرة، توضع لتفصل بينها[٧٣]. فيكتسي عنق حبيبته الأبيض بهذهِ الألوان فيزدان، وتزداد الحبيبة جمالاً به،وبما تمتلك من جسم ممتلئ وساقين بيضاويين زانهما خلخال استطاع أن يبث الحركة في المشهد من خلال تدافع طرته وتطاير أجزائه، تلك الحركة المتمثلة بالأفعال (تخطو، تدافع، يطير) كان لها نصيب وافر في إثارة الشاعر وهيامه فضلاً عن ألوان ملابسها وحليها.

وتتضاعف المتعة البصرية عند الشاعر والمتلقي على حد سواء، عند تفعيل حاستي الشم والبصر معاً من خلال الألوان الزاهية والروائح العطرة التي تنطوي عليهما معظم العطور والروائح، لذا يبرز عطر المرأة بشذاه وألوانه موضوعاً أثيراً في كثير من القصائد الهذلية، فهذا مليح بن الحكم يذكر لون عطر حبيبته المتمثل بالأرجوان وديباج العراق، فيقول[٧٤]:

وشمَّرتِ الجِمالُ بكلِّ خَودٍ	**يَفيضُ على مَحاجِرِهَا العَبيرُ**
كَأنّ الأُرجوانَ علــى ذُراهَا	**وَديِباجَ العِــــرَاق دَمٌ نَحِيــــرُ**

لقد هام الشاعر العربي باللون الأحمربكل تدرجاته،ولاسيّما عندما يكون ملازماً للمرأة، فوسم عطرها بلون الأرجوان وهو الأحمر حمرة حسنة، والذي يتميز بارتفاع تكاليف تحضيره منذ أقدم العصور، فقد اختير لوناً رامزاً ومعبراً عن الأبهة الملكية، فهو يوحي بالفخامة والعظمة في حين يكون في مواضع أخرى، وضمن ظروف معينة، غامضاً مخادعاً[٧٥]. وقد استخدمه الشاعر– على العمومهنا . ليدل به على ألوان ملابس الحبيبة وعطورها الثمينة، مستمتعاً بإثارته الحسية، ومثل ذلك يقال عن ديباج العراق الذي شبهه بدم النحير ((الأحمر القاني)) إنَّ هذه الألوان التي

أسبغها على حبيبته جعلت من صورتها أكثر جمالاً وفتنة فكان من نتيجة ذلك أن يتعلق بها ويهيم بنحو أشد.

ويبدو أنّ قلة هذا اللون في الصحراء القاحلة والمترامية الأطراف، دفع الشاعر الهذلي إلى التعلق والاهتمام به، فأظهره من خلال الاشياء الجميلة المحببة الى نفسه من خلال المرأة التي أحب وجمالها الأنثوي الفاتن لذا يقول أبو ذؤيب[٧٦]:

وسْربٍ يُطَلّى بالعَبير كأنَّهُ	**دِماءُ ظِباءٍ بالنُّحـــورِ ذَبيـــــحُ**
بَذَلْتَ لهنَّ القَولَ إنّكَ واجِدٌ	**لِما شِئتَ مِنْ حلوِ الكلامِ مَليــحُ**
فأمكنّــه ممّا يريدُ وَبعضُهُم	**شَقيٌ لَدى خيراتِهِـــنّ نَطيــــحُ**

شبه أبو ذؤيب عطر النساء بدماء الظباء الحديثة النحر، ليبرّز اللون الأحمر القاني من خلال الإشارة إلى فقده لـ(نشيبة)، مستفيداً من هذا اللون ليعزز به مصابه الجلل بفقده إياه من جهة، وليشير إشارة حسية إلى حب النساء له من جهة أخرى، فأبو ذؤيب يخلع على (نشيبة)صفات ما اعتاد الشعراء أن يخلعوها على من فقدوا، حين زاد في وصف حب النساء للمرثي وإصغائهن لكلامه[٧٧].

وعلى الرغم من ذكر الشاعر للعبير إلّا أنّنا لا نجد متعة فاعلة لحاسة الشم كما هو متوقع، على عكس مانجدهُ من فاعلية طاغية لحاستي البصر ((كأنه دماء ظباء)) والسمع ((بذلت لهن القول... حلو الكلام مليح)) وهذا يدل على أهمية اللون وسطوته في رسم صورة المرأة الشعرية ليظهر على نحو مهيمن في الصورة اللونية التشبيهية التي أجاد الشاعر في رسمها للمرأة.

ويظهر اللون في عطر المرأة ويطغى، عندما توصف المرأة بالصفراء دلالة على تعطرها بالزعفران، يقول أبو صخر[٧٨]:

وَتِلك هَيكَلةٌ خَودٌ مُبتّلــــــةٌ	**صَفراءُ رَعبَلةٌ فِي مَنصبٍ سَنِــمِ**
عَذبٌ مُقبّلُها خَدلٌ مُخَلخَلُها	**كالدِّعص أسفَلُها مَخصُورَةُ القَدَمِ**

كأن الشاعر أراد أن يجهد المتلقي للبحث عن صورة المحبوبة عندما مزجها بالعطر، لتنشأ بعدئذ الإيحاءات والدلالات المتعددة التي تخضع لطبيعة قراءته، وبما يمتلك من أحاسيس ومشاعر تجاه هذه الصورة، والشاعر حينما قال:(صفراء) عنى بها المحبوبة التي تعطرت بالزعفران، فأخذت لونه وشذاه[٧٩]، وما قوله: (مبتلة)، أي: معطرة إلا دليل على ذلك. ثم إن التعطير بالزعفران يتم عن طريق رش الوجه واليدين به، حتى تكون صفراء اللون، بقصد الإثارة التي ترضي الذوق العربي الذي كان سائداً آنذاك.

بعد هذا كله تتبدى لنا قيمة اللون وأهمية في شعر الهذليين الغزلي إذ غدا جزءاً لاينفصل عن صفات المرأة الجمالية، فبدا – طاغياً – مثيراً في كل جزء من أجزاء المظهر الخارجي لها. مما زاد من جمالها وفتنتها اللذين شدّا الشاعر العربي بنحو عام والهذلي بنحو خاص إليها ليس بعدّها مصدر لهو ومتعة بل لأنها الجزء المتمم لكيانه والسبب الرئيس في ديمومة حياته.

المعجم اللوني الأنثوي

إتماماً للفائدة وإغناءً للبحث ارتأينا أن نلحق بالبحث الألفاظ التي دلت على الألوان بصيغتها المباشرة أو غير المباشرة التي وظفها شعراء هذيل في غزلهم، معتمدين على لسان العرب وديوان الهذليين وشرح أشعار الهذليين، وقد رتبناها حسب الحروف الهجائية:

.أدم: الأدمة في الإبل والظباء، بياض يشوبه حمرة، وقد استحسنها المنتخل في ألوان النساء، كما في قوله:

يقال لَهن من كَرَمٍ وحُسنٍ ظُباءُ تَبالةَ الأُدمالعَواطِي[٨٠]

. الأرجوان: وهو الأحمر حمرة حسنة، وقد وظفه مليح بن الحكم في وصف الحلي إذ يقول:

كأَنَّ الأَرجوان على ذَراها وَديباجَ العراقِ دَمٌ نَحيرُ[٨١]

ـ الأقحوان: وهو نبت زهره أبيض، كنى أبو صخر بلون بياضه عن مبسم الحبيبة بقوله:

ومفلَّج حُمِّمَتاغرُهُمثل الأَقَاحِي وافِر الظَّلمِ[٨٢]

. بض: وهو بياض المرأة من شدة رقة جلدها، وصف ذلك أبو صخر قائلاً:

عَبلٌ مُقيَّدُها حالٍ مُقلَّدُها بَضٌّ مجرَّدُهَا لفَّاءُ في عَمَمِ[٨٣]

. بلج: وهو الأبيض بياضا حسنا، مع سعة الوجه المشرق، أو هو المضيء، وصف ذلك مليح بن الحكم بقوله:

صَرَونَ بأعناقِ الظِّباءِ لهنَّ وُجوهٌ ليطُها متبلِّجُ[٨٤]

ـ بيض من أهم الألوان وأكثرها ورودا في الوصف، وصف أبو الحنان به النساء لجمالهن:

مِن البيضِ اللُّباخيَّاتِ خَودٌ يَجُولُ وِشاحُها جُمُّ العِظامِ[٨٥]

. جسد: الجساد لون خفيف بين الحمرة والصفرة في الثياب، وظفه مليح بن الحكم في وصف أستارظعن الحبيبة:

كأَنَّ ما فوقَها مَما عُلينَ بِهِ دِماءُ أَجواف بدنٍ لَونُها جَسِدُ[٨٦]

. جمان: خرز يبيض بماء الفضة، وظفه مليح بن الحكم في وصف حلي النساء:

شبيه بأَطلاءِ المَها غيرَ أَنَّهُ يَصِلُّ بعطفِيه جُمانٌ ورَفرفُ[٨٧]

. حبر: مأخوذ من الأحبار، والمحبر الذي يتخذ له لون مثل اللون الأسود وقد لون مليح بن الحكم أستار الظعن به بقوله:

فَلَمّا إن أَنخن وباشرتها هَوادجٌ فَوقَّها رَقمٌ حَبيرُ[٨٨]

. حوا: الحوة هي سواد إلى الخضرة، أو حمرة إلى السواد وقد عني ساعدة بن جؤية لون شفاه الظبي بوصفه:

خَرِقٌ غَضيضُ الطَّرفِ أَحوَرُ شادنٌ ذو حُوَّةٍ أُنُفُ المَسَارِبِ أخطَبُ(٨٩)

. حور: الحور شدَّة بياض العين في شدة سوادهما، وقد فتن بهذا اللون الشعراء في عيون حبيباتهم من ذلك وصف عمرو بن الداخل إذ يقول:

وما إن أَحوَرُ العينينِ رَخصُ الـ عظامِ تَرُودُهُ أمٌّ هَدوجُ(٩٠)

. خضب: الخضاب لون الحناء، وصف أبو عمارة زينة المرأة به مفتونا بهذا اللون قائلاً:

الكاعِبَ الحسناءَ في الشُّفوفِ بَنَانُها مخضَّبُ التَّطريفِ(٩١)

. خطب: الخطبة لون الخضرة، وصف ساعدة بن جؤية الشفاه به في قوله:

خَرِقٌ غَضِيضُ الطَّرفِ أحورُ شادنٌ ذو حَوَّةٍ أُنُفُ المسارِبِ أَخطَبُ(٩٢)

. ذهب: هو لون بين الأصفر والأحمر، وصف مليح بن الحكم لون بشرة حبيبته به فقال:

يُجلِّلُهَا الأَحَمَال غِيدٌ كأنَّما جُلِين بماءِ الذَّهبِ المترَقرقِ(٩٣)

ـ ربرب: هو البياض في المرأة، أو الغزلان أو بقر الوحش، وظفه أبو ذؤيب في وصف البقر قائلاً:

فِي رَبرَبٍ يَلَقٍ حُورٍ مَدامعُها كأنَّهنَّ بجَنْبَي حَرْبَةَ البَرَدُ(٩٤)

ـ رقم: ضرب من الوشي المخطط يضع على الظعن يوظفه مليح بن الحكم في وصفه قائلاً:

فَلَمَّا أن أنخن وباشرتها هوادجُ فوقَها رَقْمٌ حَبِيرُ(٩٥)

ـ زبرجد: الزبرجد زينة من وشي وجوهر، وهو الذهب أيضا وصف مليح بن الحكم تلك الزينة قائلا:

تُنيفُ بواضحِ اللَّيتينِ تكسو تلاعتَه الزبَّرجدُ والشَّذُورُ(٩٦)

. سود: اللون الأسود من أهم الألوان الأساسية،وهو مكروه في الهجاء وألوان الحرب والمعركة، ومستملح في وصف لون الشعر والعيون، من ذلك وصف أبي صخر لشعر محبوبته قائلا:

سُودٌ ذَوَائِبُها بِيضٌ تَرَائبُها مَحضٌ ضَرَائبُها صِيغتْ عَلى الكَرَمِ(٩٧)

ـ شذور: قطع صغيرة من ذهب توضع بين اللؤلؤ في القلادة، وصف مليح بن الحكم هذا اللون في زينة حبيبته إذ يقول:

تُنيفُ بواضحِ اللَّيتين تكسُو تَلاعتَهُ الزّبَرجَدُ والشَّذورُ(٩٨)

. شكل: الأشكل بياض يخالطه حمرة، وظفه مليح بن الحكم في ألوان أستار الظعن قائلاً:

مُغطًّى بدِيباجٍ يُقارِبنَ بَينَهُ وَبَينَ عِتَاقِ الرَّقمِ غيرِ المُشَاكِلِ(٩٩)

. شنب: نقط بيض في الأسنان استحبه الشاعر فتغنى به من ذلك قول أبي صخر:

شُنُبٌ مَثاغِرُها يَرضَى مُعاشِرُها لَذٌّ مَبَاشِرُها تَشفِي مِن السَّقَمِ(١٠٠)

. صفر: الأصفر من الألوان الاساسية، وظفه الشاعر في مشاهد مختلفة منها عطر المرأة، من ذلك قول أبي صخر:

وَتِلْكَ هَيكَلَةٌ خَودٌ مُبتلَّةٌ صَفَراءُ رَعَبلَةٌ في مَنصَبٍ سَنِمِ(١٠١)

. غرب: المغرب الأبيض أو الأسود، وصف أبو صخر لون حبيبته الأبيض الصافي البعيد عن عيوب هذا اللون في قوله:

هَجانٌ فلا في اللَّونِ شَامٌ يَشُينه ولاَ مَهقٌ يَغشَى الغَسِيقَاتِ مُغرَبُ(١٠٢)

أما الغربيب فهو اللون الأسود، وظفه أبو صخر في وصف لون شعر حبيبته قائلا:

وَصَارَها كوَرُ مَيَّالٍ لهُ حُبكٌ مُعكَّفٍ مِثْل غَربِيبِ العَناقِيدِ(١٠٣)

ـ كحل: وهو سواد بواطن الجفون، وهو زينة اتخذتها المرأة العربية في عيونها وبه سلبت لبّالشعراء، من ذلك قول المنتخل:

عِيرٌ عليهنّ كنانيّةٌ   جَاريةٌ كالرَّشأ الأَكحَلِ(١٠٤)

ـ لمى: سواد خفيف في الشفاه يميل إلى السمرة، وصف مليح بن الحكم لون شفاه حبيبته به بقوله:

فَصدَّتْ بسَهلِ المَدمَعَينِ تزْينـهعِذاب اللَّمَى كالأَقحُوانِ مُفلَّج(١٠٥)

. مسك: عطر أسود اللون، إلا أنّه ليس بلون عربي محض وقد وصف أبو صخر به عطر محبوبته قائلا:

سراجُ الدَّجى تَغتَل بالمسكِ طِفلة   فلا هي مَتفَالُ ولا اللَّون أكهبُ(١٠٦)

. مهق: بياض في زرقه، وقيل :شدة البياض، وقيل: بياض قبيح سمج في الإنسان لأنه لا يخالطه حمرة أو صفرة فهو كلون الجص، ويجرد أبو صخر حبيبته من هذا اللون القبيح في وصفه إياها إذ يقول:

هَجانٌ فَلا فِي اللَّونِ شَامٌ يشينُهُ   وَلامَهقٌ يَغشَى الغَسيقِات مُغرَبُ(١٠٧)

ـ نور: الزهر الأبيض كنى أبو ذؤيب به عن إشراق لون العطر ورائحته في ثغور النساء إذ يقول:

وَسوَّدَ مَاءُ المَردِ فَاهَا فَلونُه   كَلونِ النَّوُورِ فَهيَ أدماءُ سارُها(١٠٨)

. وشي: الوشي نقط بيض وسود وظفه مليح في ألوان أستار الظعن:

وَمؤتَلق مِن جيدِ الوشي أخلصت   طَرائقُهُ ممَا يُحَاكُ وَينسجُ(١٠٩)

الهوامش:

(١)التخطيط والألوان: ١٨٠.
(٢)ينظر: نظرية اللون: ٧.
(٣)ينظر: الضوء واللون: ٨، التخطيط والألوان:١٨٠.
(٤)ينظر: نظرية اللون: ٧.
(٥)مبادئ النقد الأدبي: ٢٠٨.
(٦)علم الدلالة: ٨٦.
(٧)ينظر: سايكولوجية إدراك اللون والشكل:٥٥، التشكيل اللوني في الشعر العراقي مجلة أقلام، ع(١١-١٢)، ١٩٨٩، ١٩٦.
(٨)ينظر نظرية اللون: ١٣٥.
(٩)سايكولوجية إدراك اللون والشكل: ١١٦.
(١٠)الحيوان: ٩٥/٥.
(١١)المصدر نفسه: ٥٨/٥.
(١٢)ينظر: فقه اللغة وسر العربية:٣٤٢، ورسالة الألوان لأبي حزم الأندلسي، مجلة المجمع العلمي مج (١) جـ (٣) دمشق ١٩٢١، ٣٣.
(١٣)ينظر: علم الدلالة: ٨٢، ٨٦،وسايكولوجية إدراك اللون: ١٠٠-١٠١ ،واللغة واللون: ٣٥
(١٤)ينظر: إيقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة د. علوي الهاشمي مجلة الآداب – بيروت ع ((١١-١٢) السنة ١٩٨٨، ١٤٦، والتشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، د. محمد صابر عبيد، مجلة أقلامع((١١-١٢)) ١٩٨٩، ١٧٧.

(١٥)سورة الرحمن: ٥٨.

(١٦) كتاب الصناعتين: ٢٦٨.

(١٧)ينظر: الفن الأدب: ١٢.

(١٨)ينظر: لسان العرب (مادة بيض).

(١٩)الرسم واللون: ١٧١.

(٢٠)مجمع الأمثال: ١٩٩/١.

(٢١)سورة البقرة: ٦٩.

(٢٢) ينظر:الرسم واللون: ١٧٢، وعلم عناصر الفن: ١٣٦/١، والألوان وتأثيرها في النفس وعلاقتها بالفن: ٣١.

(٢٣)ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي: ٩٥.

(٢٤) ينظر: الرسم واللون: ١٧١.

(٢٥)ينظر: البناء الفني في شعر الهذليين: ١٠٤.

(٢٦)شرح أشعار الهذليين: ٨٩٥/٢. واضحة المحيا: الأسنان البيضاء التي تبدو عند الضحك، اللباخيات: الضخام، خود: شابة مدللة ومنعمة.

(٢٧)ديوان الهذليين: ١/ ١٤١، نيافاً: تامة الطول والحسن، العطابل: الطوال.

(٢٨)أبو ذؤيب حياته وشعره: ٨٤.

(٢٩)شرح أشعار الهذليين: ٥٢٣/٢، تنتح: تريده وتقصده.

(٣٠)العمدة: ٢/ ١٢٤.

(٣١)ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٤٨٨.

(٣٢)ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي: ٩٧.

(٣٣)شرح أشعار الهذليين: ٩٣٦/٢ هجان: و هو أحسن ألوان البياض، وقد يدل على كرم الحسب وأعتقه في ألوان الإبل. مهق: الأبيض بياض سمج. المغرب: أقبح ألوان البياض. شام: الخال. أكهب: غبرة مشربة بالسواد. متفال: رائحتها نتنة.

(٣٤)شرح أشعار الهذليين: ٣/ ١٠٣. ليطها: لونها. متبلج: مشرق.ينظر:المعنى نفسه في ديوان الهذليين:٢٣/٢.

(٣٥)الحيوان: ٥/ ٥٦.

(٣٦)ديوان الهذليين: ٥٩/١،٥٦. الدر: اللؤلؤ. طرتين: اختلاف لون البطن عن الظهر، وهي صفة للظبية. هميج: يموج بعضه ببعض.

(٣٧)ديوان الهذليين: ٢ / ١٩٢. عقاص: ضفيرة الشعر. هولة: هولت المرأة تزينت بزينة اللباس والحلي.

(٣٨)ينظر: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه:١/ ١٧٨.

(٣٩)ديوان الهذليين: ٣/ ٩٨-٩٩. رخص العظام: لين العظام. أم هدوج: غزال له هدجة وصوت. المقلة: شحمة العين، وهي السواد والبياض منها. بليج: واضح مشرق.

(٤٠) التفريع: أن يبدأ الشاعر بالوصف فيقول ما كذا ... ويصفه بأكثر الأوصاف الملائمة في الحسن أو القبح، ثم يجعل ذلك الوصف أصلا يتفرع منه معنى فيقول: بأفعل من كذا. ينظر: أنوار الربيع: ٦/ ١١١.

(٤١)شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي: ١٦٠.

(٤٢)ديوان الهذليين: ٢/ ١٩-٢٠. المروط: كساء من صوف يظهر إن ذيله كان طويلا. مليح: حسن القوام.

(٤٣)ديوان الهذليين: ١/ ١٦٨. غضيض الطرف: فاتر مسترخي الأجفان. حوة: سواد إلى خضرة. أخطب: خطوط خضر.

(٤٤)ينظر: شعرية القصيدة العربية الحديثة: ١٧٠.

(٤٥)ديوان الهذليين: ٢/٣-٤. البكر: النخل. المبتل: الفسيلة المنقطعة عن أمها. الرشا: الضبي الصغير.

(٤٦)شرح أشعار الهذليين: ١٠١٦/٢. الدوح: المتدلي من الأشجار. العقد: الزهر انضمت أجزاؤه فصار تمراً. سماك: مرتفع.

(٤٧)ينظر: فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث: ١٩٤.

(٤٨)شعر الهذليين في العصريين الجاهلي والإسلامي: ١٦٣.

(٤٩)شرح أشعار الهذليين: ٩٢٦/٢. صارها: أمالها. كور: كثرة الشعر. غربيب: لون من ألوان السواد. صفراء: فيها طيب الزعفران.

(٥٠)وللسواد ألوان ثانوية كثيرة حاضرة في اللغة بتدرجات مختلفة منها(حلبوب، وحلكوك، ومسحنكك، وغربيب، ودجوجي، وخداري، ودامج، وديجور، وأسفع، وأدلم، وأدعج، والقشمة، والفحومة، والدعجة) ينظر: التلخيص في معرفة الأشياء: ١/ ٢٥١، والمخصص: ٢/ ١٠٦، والإفصاح: ٢/ ١٣٢٦ . ١٣٢٧.

(٥١)ينظر: شرح أشعار الهذليين: ٩٦٩/٢، شنب: أبيض، بض: رقيق أبيض.

(٥٢)ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: ١٨٧.

(٥٣) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي: ٢٢٢.

(٥٤)شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٤٠. الدهم: السواد. دلح: مشى بحمل ثقيل.

(٥٥)ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ٧٠ .٧٦، والزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي: ٤٩.

(٥٦)تذهب بعض المعجمات العربية إلى أن الدهمة هي اللون الأسود، ولكن لهذه اللفظة دلالات لونية، فهي تطلق على النبت إذا اشتدت خضرته من الري وفي القرآن الكريم وردت((مدهامتان)) أي خضراوان، ينظر: لسان العرب: مادة (دهم).

(٥٧)شرح أشعار الهذليين: ٢/ ٩٧٤. الأقاحي: وهو زهر أطرافه العليا بيضاء. وافر الظلم: كثير اللمعان. عوارض: ما يبدو من الفم عند الضحك.

(٥٨)ديوان الهذليين: ٥/٢. ظلمه: لمعانه. الأثمد: الحجر الأسود تستاك به المرأة. غر: بيض. ثنايا: أسنان مقدم الفم.

(٥٩)شرح أشعار الهذليين: ٣/ ١٠٤٠. ظلمة: لمعانه. يعل: شربة تتبعها شربة.

(٦٠) البرد: وهو حب الغمام، (ولبياضه شبهت به أسنان الإنسان الناصعة البياض) صبح الأعشى ١٨٣/٣.

(٦١)شرح أشعار الهذليين: ٣/ ١٠١٥. الخزامي: نبت له زهر من أطيب الأزهار رائحة. ريا: الريح الطيبة. تهلل: تساقط.

(٦٢)المصدر نفسه: ٩٣٦/٢. أشنب: أبيض.

(٦٣)شرح أشعار الهذليين: ٥٦٥/٢. سنا: أضاء البرق. غر: أبيض. السبال: الثياب طالت وأرسلت إلى الأرض.

(٦٤)البيان والتبيين: ٩٦/٣.

(٦٥)ابن ترنا شاعر وردت أشعاره في شرح أشعار الهذليين في: ٥٧٣/٢ وما بعدها، ولم ترد له ترجمة فيه.

(٦٦)شرح اشعار الهذليين: ٥٧٣/٢.

(٦٧)اختلف في تحديد اللون الأصهب بين اللون الأحمر المائل إلى البياض أو إلى السواد، ينظر: المخصص ١٠٨/٣.

(٦٨)ينظر: الغزل في العصر الجاهلي: ٣٢٨.

(٦٩)شرح أشعار الهذليين: ١٠١٢/٣. شكلاء: المرأة كانت ذات دلال وغنج. خالبة: خادعة بلطيف الكلام. ختور: غادرة.

(٧٠)التزويق والحلي عند المرأة: ٩٣. (إن كثيرا من أنواع الحلي كان أصله نوعا من الرقي والتعاويذ والتمائم، وكان يحمل لدفع مكروه أو كسب مرغوب أو استجلاب خير، ولما أطالوا في لبسه وألفوه، وأحسوا بشيء من الجمال فيه صار حليا). ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي:٨٣.

(٧١)شرح أشعار الهذليين: ١٠٤٣/٣. جمان: اللؤلؤ الأبيض. رفرف: ما تدلى منه.

(٧٢)المصدر نفسه: ١٠٠٩/٣. الشذور: الذهب الذي يفصل بين اللؤلؤ والجوهر. فضاضة: أجزاء الخلخال.

(٧٣) ينظر: شرح أشعار الهذليين:١٠٠٩/٣.

(٧٤)المصدر نفسه: ١٠١٠/٣ ذراها: أعلاها. نحير: ذبح حديثا.

(٧٥)ينظر: نظرية اللون: ١٣٦،١٣٧.

(٧٦)ديوان الهذليين: ١١٧/١ .١١٨. العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران.

(٧٧)ينظر: أبو ذؤيب حياته وشعره: ٦٤.

(٧٨)شرح أشعار الهذليين: ٩٦٨/٢. سنم: مرتفع. مبتلة: معطرة.

(٧٩)ينظر: إحساس الشعراء بالألوان والأصوات، جميل سعيد، مجلة كلية الآداب والعلوم، بغداد، ع (١)، ١٩٦٥: ٨٠.

(٨٠)ديوان الهذليين ٢٠/٢.

(٨١)شرح أشعار الهذليين ١٠١٠/٣.

(٨٢)م.ن ٩٧٤/٢.

(٨٣)م.ن: ٩٦٩/٢.

(٨٤)م.ن:٩٩٩/٣.

(٨٥)م.ن ٨٩٧/٢.

(٨٦)شرح أشعار الهذليين١٠١٤/٣.

(٨٧)م.ن ١٠٤٣/٣.

(٨٨)م.ن ١٠٠٨/٣.

(٨٩)ديوان الهذليين ١٦٨/١.

(٩٠)م.ن ٩٨/٣.

(٩١)شرح أشعار الهذليين ٨٧٨/٢.

(٩٢)ديوان الهذليين ١٦٨/١.

(٩٣)شرح أشعار الهذليين: ٩٩٩/٣.

(٩٤)ديوان الهذليين ١٢٧/١.

(٩٥)شرح أشعار الهذليين ١٠٠٨/٣.

(٩٦)م.ن ١٠٠٩/٣.

(٩٧)م.ن ٩٦٩/٢.

(٩٨)م. ن ١٠٠٩/٣.

(٩٩)م.ن: ١٠٢٢/٣.

(١٠٠)م.ن٩٦٩/٢.

(١٠١)م.ن٩٦٨/٢.

(١٠٢)شرح أشعار الهذليين ٢/٩٣٦.

(١٠٣)م.ن ٣/٩٢٦.

(١٠٤)م.ن ٢/٤.

(١٠٥)م.ن ٣/١٠٣٥.

(١٠٦)م.ن ٢/٩٣٦.

(١٠٧)م.ن ٢/٩٣٦.

(١٠٨)م.ن ١/٢٤.

(١٠٩)شرح أشعار الهذليين ٣/٩٩٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، نورة الشملان، شركة الطباعة العربية بالرياض،١٤٠٠هـ. ١٩٨٠ م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض، وتفسير، ومقارنة) ، عز الدين إسماعيل، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ م.
- . الإفصاح في فقه اللغة، عبد الفتاح الصعيدي، حسين يوسف موسى، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط١، ١٩٥٢م.
- . الألوان تأثيرها في النفس وعلاقتها بالفن، محمود شكر محمود الجبوري، مطبعة افيست بغداد، ط١، ١٩٧٨م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر،مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٩م.
- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر، ط٢،عمان، ١٩٨٩م.
- . البناء الفني في شعر الهذليين (دراسة تحليلية) ، إياد عبد المجيد ابراهيم، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م
- البيان والتبيين، للجاحظ أبو عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- . التخطيط والألوان، كاظم حيدر، بغداد، ١٩٨٤م.
- . التزويق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، زكية عمر العلي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٦م.

ـ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال العسكري، (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٩م.
ـ الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت٢٥٥هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البأبي الحلبي وأولاده، مصر،١٩٦٩.
. ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٥هـ. ١٩٦٥م.
. الرسم واللون، محي الدين طالو،مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦١م.
. سايكولوجية إدراك اللون والشكل، قاسم حسين صالح، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
ـ شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥ هـ)، حققه:عبد الستار احمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر،مكتبة دار العروبة القاهرة،د.ت.
ـ الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه)، د. محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،د.ت.
. شعر الهذليين في العصريين الجاهلي والإسلامي، د. احمد كمال زكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٩هـ. ١٩٦٩م.
ـ شعرية القصيدة العربية الحديثة (نماذج في التطبيق)دراسات، د. محمد صابر عبيد، دار الفن،ط١بغداد، ٢٠٠٠م.
ــ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى،عمان،١٩٨٢م.
ـ الضوء واللون، بحث علمي جمالي، فارس متري ظاهر، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

ـ علم الدلالة، اف. أر بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة العمال المركزية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٥م.
. علم عناصر الفن، فرج عبو، دار دلفين، ايطاليا، ١٩٨٢م.
. العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦هـ)، حققه وعلق على حواشه: محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة ،ط٢،مصر، ١٩٥٥م.
ـ الغزل في الشعر الجاهلي، د. احمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، ط٣، ١٩٧٢م.
ـ فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث، محمد حسن علي مجيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
ـ الفنوالأدب، لويس هورتيك، ترجمة د. بدر الدين قاسم الرفاعي، مراجعة د. عمر شيخا شيرو، مديرية التأليف والترجمة، دمشق، ١٩٦٥م.
ـ كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧١م.
. لسان العرب،ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر بيروت، ١٩٥٥م.
. اللغة واللون، د. احمد مختار عمر، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.
ـ مبادئ النقد الأدبي، أ أ ريتشارد، د. مصطفى بدوي، مراجعة د. لويس عوض، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٣م.
. مجمع الأمثال، الميداني أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد (ت ٥١٨هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٧٢.

ـ المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت،د.ت.
. المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠م.
. نظرية اللون، يحيى حمودة، دار المعارف، مصر،١٩٧٩م.

الدوريات

ـ إحساس الشعراء بالألوان والأصوات، جميل سعيد، مجلة كلية الآداب والعلوم، بغداد، العدد(١)، حزيران، ١٩٦٥.
ـ إيقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة، د. علوي الهاشمي، مجلة الآداب البحرين، البحرين، العددان (١١ . ١٢) كانون الأول، سبتمبر، السنة (٣٦)، ١٩٨٨.
. التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، محمد صابر عبيد، مجلة أقلام العددان (١٢.١١)،بغداد ١٩٨٩.
. رسالة الألوان، لأبي حزم الأندلسي، مجلة المجمع العلمي العربي، مج(١)، ج(٣) دمشق، ١٩٢١.

أثر استعمال طريقة المناقشة في تحصيل طلبة الصف السادس الادبي في مادة الأدب والنصوص

أ.م.د. رياض حسين علي
جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية

المبحث الأول

أ- مشكلة البحث

ان التربية هي كل عملية تهتم بتنشئة وتربية الانسان الفرد ، من خلال الجهود الكبيرة المبذولة من قبل القائمين عليها ، لتوجيه او تشكيل الحياة الانسانية عن طريق اعداد الطلبة الى الحياة ، فلا بد من الاهتمام بالمواد الدراسية ودورها في تنشئة الطلبة وترسيخ القيم والعادات والتقاليد والسلوك القويم في نفوسهم .

ان مادة اللغة العربية من المواد الدراسية المهمة في العملية التعليمية ، واللغة العربية بفروعها المتعددة لها الدور الريادي في قيادة التعلم والمعرفة في مؤسسات الدولة التربوية والعلمية والادبية والثقافية والاجتماعية ، وان اللغة العربية هي رمز للعرب وعنوان لشخصية الامة ومستودع لتراثها الحضاري ، فضلاً عن انها وسيلة الفرد وثقافة ابائه . واجداده الى الاجيال اللاحقة ولذلك فان الامم تهتم بلغاتها ، وتبذل ما في وسعها لتيسير تعليمها وتعلمها وتسعى الى نشرها بالوسائل والسبل المختلفة .

لقد كرم الله تعالى اللغة العربية وشرفها بنزول القران الكريم بها " فقد اراد الله ان تكون لغة كتابه ، وترجمان وحيه ، في كلمات وايات ، وجوزيت على هذا خلوداً ما خلد للانسان عقل وقلب ، وما استقام له ادراك واحساس ، وقد تقلب الزمن وتوالت المحن ، وثارت الفتن ، والعربية ثابتة ناظرة . وقد محيت لغات ، وخلقت

لغات ، وبدأت لغات ، وحرفت لغات والعربية هي هي ... العربية لم تمح ولم تتغير ، ولم تتبدل " (سمك:٩٧٥: ٣٤) .

تمثل اللغة – مسموعة او مكتوبة – اداة يستطيع الانسان بواسطتها ان يتفاهم مع غيره من افراد المجتمع في المواقف الحياتية المختلفة ، فبواسطتها يستطيع نقل افكاره وأحاسيسه وحاجاته الى غيره ممن يتعامل معهم (جابر :١٩٨٥ : ٢٤) .

لقد وضع العرب عصارات افكارهم وصاغوا معطياتهم الحضارية للحياة الانسانية وذلك في رحم لغتهم . هذه اللغة التي كانت لها منزلة خاصة ومتميزة مثل الاسلام ، وبعد ذلك فتحت صدرها لتراث الانسانية الخالدة ، ومعارف البشرية الرائعة ، وانها مثلت معوقات الامة العربية التي شرقت وغربت حضارتها ، وانصهرت في بودقتها حضارات اليونان والفرس " وهذه اللغة التي انطلقت من جزيرة العرب ، وتوجهت في الرحلة الافريقية نحو مغرب الشمس حتى القت عصا التيار على سواحل المحيط الاطلسي فغدت لغة الشعوب من اواسط اسيا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ، ولا تزال وستبقى لغة الشرق الاسلامي من الخليج العربي حتى المحيط الاطلسي ، لغة اكثر من (٢٠٠) مليون عربي ، ولغة الدين والكتابة والثقافة والحضارات لما يقرب من المليار من البشر . (الريداوي : ١٩٧٨: ٢١) .

" ان البيئة المحيطة بالانسان كانت هي المعلم الاول فمنها اشتقت اولى ادوات الاتصال بينه وبين ابناء جنسه ، الا وهي اللغة ، ولو نظرنا الى تاريخ الانسانية لرأينا كيف استعان الانسان منذ بدء الخليقة بأساليب متنوعة ، ووسائل كثيرة للتفاعل مع الحياة والتفاهم مع الناس " (العريني : ١٩٨٩ : ١٠٠) .

علينا ان نتمسك باللغة العربية ونحافظ عليها ، فمن فارقته هذه اللغة ، فقد السبيل الواضح الى كتاب الله ، فهي لغة العروبة والاسلام ، ومن اعظم مقومات القومية العربية ، وهي لغة حية ، اذ كانت أداة التفكير ، ونشر الثقافة في بلاد

الاندلس ، التي أشرقت فيها الحضارة على اوربا ، فبددت ظلماتها ، وقشعت عنها سحب الجهالة ودفعتها الى التطور والنهوض ، فمن حق اللغة علينا ان نخلص لها ونبذل الجهود لرفع شأنها وسيادتها في المجتمع العربي ، ومن حقها في الميدان التعلمي ان نوليها اكبر قسط من العناية. (ابراهيم : ١٩٧٣: ٤٨) .

انشغل القائمون على التربية والتعليم في المشاكل المتعددة في ضعف الطلبة في اللغة العربية ، فقد كانت وما زالت تعاني من العشوائية والارتجال في تعليمها حتى بدا لبعض الطلبة ان اللغة العربية صعبة التعلم ، لذلك بحثت هذه المشكلة في المؤتمرات وكتبت فيها الدراسات وعقدت من اجلها الندوات ، ويؤكد ذوو الاختصاص في ادبياتهم وبحوثهم ودراستهم ضعف الطلبة في اللغة العربية عامة ومن بينها مشكلة ضعف الطلبة في الادب والنصوص (يونس واخرون : ١٩٨٧: ٢٥٦) .

ان تدريس الادب والنصوص كغيره من المواد الدراسية يحتاج الى العديد من الطرائق التدريسية عند تقديمه للمتعلمين ، ويمكن الجزم بان ليس هناك طريقة واحدة لجميع المواقف التعليمية . ان المدرس الجيد المتابع لكل جديد في ميدان تخصصه يستغل كل ما يمكنه من طرائق لتقديم المادة باسلوب سهل وشيق ، بل اننا يمكن ان نذهب الى ابعد من ذلك عندما نوجه المدرس انه بامكانه ان يستخدم طرائق متعددة لموقف تعليمي واحد والشواهد على ذلك كثيرة .

تظل مشكلة تدريس اللغة العربية وما يرافقها من ضعف في مستوى الطلبة في فروعها المختلفة ماثلة امام المتخصصين والباحثين فيها ، تتطلب حلاً يوازي أهميتها بالنسبة للعرب والمسلمين ، وتظل مشكلة الادب وتدريسه فرعاً رئيسياً يسهم في توسيع مشكلات اللغة العربية وزيادة حدتها بل يضاعف من تأثيرها وينمي الاسباب والعوامل المكونة للمشكلة ، فالادب ما زال تدريسه قاصراً عن تحقيق اهدافه فيتطلب هو الاخر حلاً .(فريحة : ١٩٥٥:١٤٦) .

تشـير الادبيـات والدراسـات ان هنـاك ضـعفاً ظـاهراً فـي تعلـيم مـادة الادب والنصوص ، وان هناك مشكلات وصعوبات تكتنف عملية تعلمه وتعليمه مشيرة الى ان درس الادب ما زال بعيداً عن ان يحقق الاغراض التي يراد تحقيقها من دراسته وما زال هذا الدرس يشكو مظاهر ضعف كثيرة (ابراهيم : ١٩٧٣: ١٩٦) .

ان الناشئة اليوم لا يلمون بشيء ذي بال من تراثهم الادبي وهم في الغالب غير قادرين على تمييز المقروء منه وما يرمي اليه ، فضلاً عن ضعفهم في ضبط انفعالاتهم واصدار الاحكام الموضوعية وافتقارهم الى النظرة الفنية والتذوق الجمالي (السيد : ١٩٨٠ : ١٨٨) .

وهناك استفتاء وجهته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى وزارات التربية والتعليم في الدول العربية ، وظهرت نتائج الاستفتاء عن مشكلات تدريس اللغة العربية في التعليم العام ان هناك قصور في دراسة الادب والنصوص ، فدراسته لا تصل الطالب بنتاج حاضرة وتراث ماضيه وصلاً يظهر اثره في حياته .(يونس والناقة : ٩٧٧ : ٢٣٠) .

لقد عزت بعض الادبيات هذا الضعف الى عدة اسباب منها ان الطريقة والاساليب التي اتبعت في تدريس الادب والنصوص عقيمة لا تكسب الطالب ذوقاً ولا تغذي فيه شعوراً بالجمال ولا تزيده فهما بالحياة وتجاربها . (خفاجي : ١٩٨٦ : ٨٤).

يشير احد الباحثين ان اسباب ذلك يعود الى عدم عرض النص الادبي بالمستوى المطلوب فيقول : (أن النص الادبي يعرض على الطلاب عرضاً جافاً ، والطالب لا يطالب باكثر من حفظ النص ويردده على مسامع المدرس ، وان هذه الطريقة لا تجدي في تكوين الذوق الادبي ، ولا في قدرة الطالب على دقة الفهم ، وجودة التحليل ، وصحة الاستنباط " . (العزاوي : ١٩٨٨ : ١٠-١١) .

وتشير بنت الشاطىء الى ان عملية تعليم النصوص الادبية قد اجهدت المعلم تلقيناً والمتعلم حفظاً من غير ان يكتسب المتعلم الذوق الادبي ولا منطق العربية وبيانها . (عبد الرحمن : ١٩٧١ : ١٩٩) .

" ان درس الادب لم يحقق الغاية في تدريسه في تكوين الذوق الادبي او تربية القدرة الفنية لدى الدارسين وتمكينهم من المفاضلة بين النصوص الادبية والتمييز واحتذاء الاسلوب الادبي والتعبير الشفهي والتحريري " .(احمد : ١٩٨٨ : ٩٠) .

ان طريقة التدريس التي يدرس بها الادب مملة للطالب وأنها تجافي فعاليته وعدم أظهار ذاتيته في ادراك ما يعرض عليه ، وانها لا تمرنه على الاستقلال في العمل ولا تترك له مجالاً يعبر فيه عما يفهم بلغته ولا بلغة مدرسة ويتسبب ذلك في اضعاف التفوق الادبي لديه . (شحاته : ٢٠٠٠ : ١٨٣) .

لقد نادى التربويون والباحثون الى الابتعاد عن الاساليب التقليدية في التدريس ، والتي غايتها ايصال المعرفة الى اذهان الطلبة بغض النظر عن حاجاتهم النفسية ودوافعهم وميولهم ورغباتهم ، وضرورة الاعتماد على الطرائق والاساليب التربوية الحديثة التي تركز على الطالب بوصفه محوراً للعملية التعليمية .

لم تحقق الطرائق التقليدية واساليبها الاهداف المرسومة لتدريس الادب والنصوص ، على الرغم من سيطرتها مدة غير قصيرة من الزمن على الميدان التعليمي في مدارسنا ، ولم ترق بمستوى الطلبة الدراسي ، ولم تخلصهم الضعف الواضح في تعلمهم لهذا الدرس في حين أننا نعيش عصر التقدم والتربية الحديثة التي تعد الطالب محور العملية التربوية ، وتعد المدرس موجهاً ومسيراً للطلبة للحصول على المعلومة الصحيحة من خلال ربط المعلومات بعضها مع البعض الاخر . (الطراونة : ١٩٩٨: ٥) .

وأصبح المفهوم الحديث للتربية الذي يؤكد ان (التربية هي الحياة) مفهوماً يصعب تحقيقه باستخدامنا الطرق التعليمية التقليدية ، ولذلك تم اعادة النظر في بنية التربية وأطارها العام وأتساع طرق البحث والتقنيات السمعية والبصرية . (عبد العزيز : ١٩٦٩ :٨) .

" وان المنهج المدرسي يشكل الاطار الكلي للعملية التربوية ، وهو اداة التربية في تحقيق اهدافها والوصول بالفرد المتعلم الى أقصى ما يمكن ابراز طاقاته ، والكشف عن قدراته " (مجلة التوثيق التربوي : ١٩٧٤ : ٧) .

ترتبط المناهج الدراسية بطرائق التدريس ، حيث يعتبر المنهج وطرائق التدريس " جزءان متداخلان مترابطان غير قابلين الانفصال " . (ريان : ١٩٧٢ : ١٨) .

لم تعد عملية التدريس القاء المعلومات والمعارف من قبل المدرس على الطلبة كمستمعين ، بل هو عملية مناقشة وتحليل واستنتاج وهذا ما تؤكده الاساليب الحديثة في التعليم ، وقاد هذا الى تحديث طرائق التدريس من طرائق تقليدية يكون دور الطالب فيها سلبياً ضعيف المشاركة الى طرائق جديدة يشترك الطلبة فيها في شتى المواقف والانشطة التعليمية في الدرس .

ولذلك فان (الطريقة التدريسية هي الاسلوب الذي يستخدمه المعلم لتوجيه نشاط الطلاب والاشراف عليه من أجل احداث التعلم المنشود لديهم) . (الامين ، ١٩٧٩ : ١٠٣) .

ويمكن القول ان طرائق التدريس الحديثة التي يدعو اليها المربون تؤكد على نشاط وفعالية المتعلم ودوره الايجابي بأعتباره احد العناصر الاساسية في العملية التعليمية ، وان مثل هذه الطرائق في التدريس كفيلة بان تجعل الفرد يفكر وينتج . (عبد الدايم ، ١٩٧٨: ٥٤ – ٦٤) .

تعطي الطرائق التدريسية الحديثة للطلبة ، حرية الكلام والنقاش والحوار وطرح الاسئلة والاستفسار عن الاشياء الغامضة ، مما جعلت الغالبية من المدرسين يؤمنون " بضرورة استعمال الاساليب والطرق التي تتماشى مع النظم الديمقراطية وتستند الى علم النفس التربوي الحديث " (ريان ، ١٩٧٧ : ٢١٠) .

يعتبر كثير من المربين المعاصرين ان التدريس عملية ذاتية هادفة يكتسب فيها الطالب بأقصى طاقاته من المعارف والمبادىء والمهارات والاتجاهات ما يؤدي به الى النمو الشامل (بالماد ، ١٩٧٠ : ٣٥) .

ويستنتج الباحث ان غالبية المدرسين يستعملون الطرق التقليدية (الكلاسيكية) في التدريس ، والتي تجعل الطلبة ان يتعلموا ويحفظوا اكبركمية من المعلومات بأقصر وقت ممكن ولا يربط الطلبة في مثل هذه الطرق معلوماتهم بواقعهم الاجتماعي وحياتهم العملية ، ولذلك فان الدروس في مثل هذه الطرائق تكون كثيرة الملل وخالية من التشويق .

وان قيام المدرسين وفق هذه الطرائق بسرد المادة العلمية في الكتاب المقرر لا تجعل الطلبة يعتمدون على التفكير العلمي ، بالفهم والادراك والاستيعاب والاستنتاج والتحليل والتركيب وحرية الكلام ، ولا تعطيهم فرصة التعبير عن ارائهم وملاحظاتهم حول المادة بروح علمية وديمقراطية .

وهذا يتطلب منا استعال الطرائق التدريسية الحديثة التي تعطي للطلبة الدور الفاعل والايجابي في المناقشات الصفية التي تدور بين المدرس والطلبة ، وذلك من خلال توجيه الاسئلة بالتعاقب والحصول على الاجابات التي تعتمد على التفكير العلمي السليم وحرية ابداء الرأي والحوار والثقة بالنفس ، والشجاعة والقضاء على التخوف والتردد وعدم المشاركة ، وهذه الطريقة هي طريقة المناقشة ودورها الفاعل في العملية التعليمية .

" ان المناقشة التعليمية تعتمد على الحوار ويأخذ المدرس بالحسبان معارف الطلبة وخبراتهم السابقة وتوجيه نشاطهم لفهم القضية الجديدة باستعمال الاسئلة المتنوعة واجابات الطلبة لتحقيق أهداف درسه ، فهنالك اشارة للمعارف السابقة وتثبيت المعارف الجديدة وتفعيل النشاط العقلي للطلبة وتنمية انتباههم وتعزيز تفكيرهم المستقل ، والمناقشة هي اجتماع عدد من العقول حول مشكلة من المشكلات او قضية من القضايا ، وتمتاز بالدور الايجابي للمناقش والتدريب على طرق التفكير العلمي السليمة وثبات الاثار التعليمية واكتساب روح التعاون وحرية الرأي واساليب العمل الجماعي والتفاعل بين المدرس وطلبته والطلبة بعضهم مع البعض الاخر ، وتصلح في جميع المراحل التعليمية ، وتأخذ في الصفوف العليا من المرحلة الثانوية صورة الجدل وتبادل القضايا والاتفاق حول رأي موحد في احد الموضوعات المطروحة للجدل " . (شحاتة ، ٢٠٠٠: ٣١) .

ويذكر (Webster) اننا عندما نناقش موضوعاً او مشكلة فأننا نتفحص الجوانب المختلفة في ذلك الموضوع وهذا ما يتمثل بصورة خاصة في الدراسات الاجتماعية والادبية .

تؤكد طريقة المناقشة على التعاون بين المدرس والطلبة في توضيح وتفسير النقاط الغامضة في الدرس موضوع المناقشة وهي جزء مهم من العملية الديمقراطية في التعلم ، ولذلك لانها تحتوي على اسلوب تبادل الرأي بين المدرس وطلبته .
(Atherton&Lecture , 1972 : p.p. 170 – 171).

ان الاستعمال السليم لطريقة المناقشة ينمي في الطلبة التفكير الناقد ، وينمي الاهتمام بالقضايا والمشكلات وبث روح الاهتمام والتشويق للدرس ، وينمي لديهم بعض الاتجاهات كالمشاركة وتحمل المسؤولية ويساعدهم على التحرر مما يتصفون به من تردد وخجل لكونه يتيح لهم الفرصة للمشاركة الصفية في استيضاح ارائهم .(الامين ، ١٩٩٢ : ٥).

واتفق الباحث مع اكثر الادبيات التي عزت اسباب تدني الطلبة في الادب والنصوص الى طريقة التدريس التقليدية التي تدرس بها هذه المادة ، والتي يغيب فيها اسلوب النقاش القائم على السؤال والجواب في شرح المادة . ان اسلوب المناقشة يجعل درس الادب والنصوص مشاركة يتوزعها المدرس والطالب في التخطيط والطريقة والتنفيذ .

ان غياب اسلوب النقاش الذي يقوم على طرح الاسئلة والحصول على الاجوبة في شرح النصوص الشعرية والنثرية ، جعل درس الادب النصوص يشوبه الكثير من الغموض في الفهم والنشاط والمتابعة وتحسين الذوق الادبي والفني من خلال الادوار السلبية للطلبة فلا بد من جعل دور الطلبة في درس الادب والنصوص من الادوار المشاركة في التخطيط والطريقة والتنفيذ ، ليصبح الاهتمام غير منصب على المادة الدراسية فقط ، وانما الى عناصر التدريس الاخرى لذا ارتأى الباحث تجريب استعمال اسلوب المناقشة الذي يكون فيها الطلبة مركز النشاط والفعالية في العملية التعليمية لتعرف اثرها في تحصيل طلبة الصف السادس الادبي .

ب – اهمية البحث والحاجة اليه :

ان أي أمة من الامم ومن بينها الامة العربية ، عليها حينما تريد ان تندرج في مضمار التراث والحضارة والثقافة ، الا وتعتني بلغتها ، وما دامت اللغة العربية لغة القرأن الكريم هي لغة امة العرب والمسلمين فيجب الاعتناء بهذه اللغة وبفروعها المختلفة ، لانها ستعين الناس على التعبير من خلالها في مجالات الحياة كافة .

ان اللغة هي " عالم حي له حركته ، ورائحته ، وألوانه ، وموسيقاه ومذاقه ، واذا كانت الاحياء البحرية والبرية اضافة لا تخضع لحصر ، فان الكائنات اللغوية ارواح ودلالات وحركات ومعان . (الوائلي ، ٢٠٠٤ : ٥) .

اللغة هي مظهر من مظاهر الانسانية المميز الذي خص الله به الانسان من بين فصائل مخلوقاته فعلمه البيان وعلمه بالقلم ما لم يعلم ، وهي القوة الدافعة التي وجهت الانسانية وفتحت امامها افاقاً للحضارة والمعرفة ولا تزال متجددة متطورة ، وهي عامل قوي في تزاوج الحضارات والثقافات عن طريق النقل والترجمة والصلة التي تربط الحاضر بالماضي . (سمك ، ١٥:١٩٦١) .

ان اللغة هي " مجموعة من الاصوات والالفاظ والتراكيب التي تعبر بها الامة (أي أمة) عن اغراضها ، وتستعملها اداة للفهم والتراكيب والتفكير ونشر الثقافة " أما اللغة عند ابن جني (ت : ٣٩٢ هـ) " هي اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (أبن جني ، د.ت : ٣٩) .

أما اللغة عند ابن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ) " عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تعبر ملكة متقررة في العضو الفاعل لها هو اللسان ، وهو في كل امة بحسب اصطلاحها . (الساموك والشمري ، ٢٠٠٥ : ٢٣) .

ويرى المحدثون ان اللغة " هي نظام رمزي صوتي ذو مضامين محددة تتفق عليه جماعة معينة ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما بينهم . (الساموك والشمري ، ٢٠٠٥ : ٢٤) .

من المعجزات التي منحها الله تعالى للانسان هي اللغة اذ قال تعالى : " ومن أياته خلق السماوات والارض وأختلاف السنتكم وألوانكم ان ذلك لايات للعالمين " . (الروم :٢٢) .

ان اللغة لها دور مهم في تكوين التفكير الانساني ، فمن غيرها لا يمكن ان تتكون المفاهيم ، ولا يستطيع الانسان استيعاب المعارف وتكوين القدرات والمهارات . فاللغة بلا منازع أوضح خصائص الجنس البشري تميزاً له ، ودلالة على طبيعته

الفريدة . واللغة ليست مجرد نظام لتوليد الاصوات الناقلة للمعنى ، بل هي مرأة لصقل الفكر ، ووعاء للمعرفة . (المركز القومي للحاسبات الالكترونية ، ١٩٨٩ : ٣) .

ان اهمية اللغة العربية تأتي من كونها لغة القران الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، فهي لغة الصلاة ، فكل مسلم يريد أن يؤدي الصلاة عليه ان يؤديها بالعربية ، ولذلك فان العربية مرتبطة بركن اساس من أركان الاسلام ، وعليه يصبح تعلم العربية واجباً على كل مسلم ، واللغة العربية تواكب الاهمية الاقتصادية والسياسية للامة ، فللعرب مكانة أقتصادية عظيمة في هذا العالم ، والعربية هي لغة عدد كبير من الدول فهي لغة لاثنتين وعشرين دولة عربية ولغة ثانية في معظم الدول الاسلامية . (الدليمي والدليمي ، ٢٠٠٤ : ١٨- ١٩) .

ان اللغة هي وسيلة من وسائل تصويرالمشاعر الانسانية ، والعواطف البشرية التي لا تتغير بتغير الازمان ، فالحب والسرور ، ونشوة النصر ، والشعور بالظلم عواطف تلازم الانسان منذ بدء الخليقة ، وهي مستمرة ما أستمرت حياته على الارض فعن طريق اللغة استطاعت الاثار الادبية الانسانية أن تنتقل من جيل الى اخر ، وأن تنمو نمواً مستمراً بما يضيفه الادباء اليها في العصور اللاحقة من لوحات أنسانية خالدة . (الطويجي ، ١٩٧٨: ٢٦) .

ان الصلة بين اللغة واالفكر صلة وثيقة محكمة ، لان الفكرة منذ أشرافها في الذهن تظل عامة شائعة ، يعوزها الضبط والتجديد ، حتى نجد الوسيلة التي تعبر عنها ، من لغة ، أو رسم ، أو نموذج ، ودور اللغة في هذا التعبير له المقام الاول ولذا يقال : " التفكير كلام نفسي ، والكلام تعبير جهري " . (ابراهيم ، ١٩٧٣ : ٣٣ – ٣٤) .

ان اللغة هي وسيلة الانسان العربي في التفكير ، فنحن عندما نفكر نستعمل الالفاظ والجمل والتراكيب العربية في كلامنا وكتابتنا ، بمعنى اخر ان تفكيرنا حديث عربي صامت ، وحديثنا تفكير عربي صائت ، كما ان اللغة مقوم من مقومات الامة العربية الواحدة ، فهي توثق شخصية الامة ، وتؤكد هويتها ، وتشكل اداة الاتصال بين ابناء هذه الامة ، والعربية لا تدرس ولا تعلم لذاتها لانها وسيلة المتعلمين جميعهم لتعلم سائر المواد الاخرى ، وتعد الوسيلة المثلى لحفظ التراث الثقافي العربي ، ويشهد على ذلك ما وصلنا من تراث وحضارة وثقافة ، وما سيصل الى الاجيال التي ستأتي من بعدنا من ملامح الثقافة العربية والادب العربي شعره ونثره . (الدليمي والوائلي ، ٢٠٠٥ : ١٦) .

ان للعربية قدسيتها الخاصة بها لانها لغة القرأن الكريم ، قال تعالى : " انا انزلناه قرأناً عربياً لعلكم تعقلون " (يوسف : ٢) وهي لغة العرب وهم خير أمة أخرجت للناس ، وقد وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ، فهي الاداة الرئيسة عند الانسان العربي في الحصول على معارفه ومهاراته واتجاهاته ، انها الرباط المقدس الذي يربط المواطن العربي منذ النشأة الاولى بغيره من الناس في المجتمع والوطن والامة التي يعيش فيها . (محمد ، ١٩٨٠ :١٣)

ويصف الامام علي (عليه السلام) قدسية العربية وعذوبتها بقوله " كلام العرب كالميزان الذي يعرف به الزيادة والنقصان ، وهو اعذب من الماء وأرق من الهواء ان فسرته بذاته استصعب ، وان فسرته بغير معناه استحال ، فالعرب أشجار وكلامهم ثمار ، يثمرون والناس يحتفون بقولهم يقولون ، والى علمهم يصيرون . (العكيلي ، ٢٠٠٤ : ٣٢) .

ان الادب فرع من فروع اللغة العربية المهمة ، به تنهض الثقافة العامة وتصل الى طبقات الشعب عن طريق الكتب المؤلفة والصحافة السائدة والقصص

الجميلة والدواوين العظيمة وكل وسيلة قلمية أو انسانية . (الشايب ، ١٩٦٤ : ٧٨).

بعد انتقال التلامذة الى المرحلة الثانوية سيواجهون كتباً في قواعد اللغة والنصوص الادبية ، تحتوي موضوعات لغوية ونحوية حية يتذوقونها ، ويقرأون فيها نصوصاً أدبية مختارة تلذ لهم قراءتها ، ويمتزج ذلك كله في انفسهم حتى تنمو فيهم ملكة التعبير عما في نفوسهم على وفق الاساليب العربية الاصلية . (وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨ : ٩١) .

ان اهمية مادة الادب والنصوص تأتي من وصفها الوسيلة التي عن طريقها يتزود الفرد بثقافة تساعده على تطوير مجتمعه وتجعله يسهم في اشاعة الحياة الديمقراطية والتفاعل مع الاخرين وتكوين الشخصية وتوجيه السلوك الانساني توجيهاً عاماً ، بما يتضمنه النص الادبي من مثل عليا وتجارب نبيلة تقوي في نفس الطالب نوازع الخير وتقوي في قلبه المشاعر الوطنية والقومية . (الجومرد ، ١٩٩٦ : ٦) .

ان الادب من الفنون الرفيعة تصاغ فيه المعاني في قوالب من اللغة وفيه جمال وفيه متعة ، فيما يتضمن من بيان وبلاغة وروعة وله سحر قوي الاثر في النفوس ، وهو من الفنون الجميلة يتخذ اللغة وسيلة للتعبير عنه وفهمه . (عبد المجيد ، ١٩٦١ : ١٩) .

ان الهدف من تعليم الطلبة النصوص الادبية هو تمكين المتعلم من فهم التعبير الادبي والتفاعل معه والاستجابة لما فيه من فكر وشعور ، وتزويد المتعلم أنظمة اللغة وقواعدها بصورة غير مباشرة بوساطة ما يقرأ أو يحفظ من شعر ونثر . (الدليمي ، ١٩٩٩: ١٤٠) .

يهتم الكثير من المربين بالادب واهميته وأصبحت النظرة الى تدريسه نظرة شاملة ، يحيطون فيها بكل ما يتعلمه التلاميذ والطلبة من فنون في مراحل التعليم

المختلفة ، فدرس الادب والنصوص هو الفرصة المحببة التي تستروح عقول الطلبة نسمات الحرية والرأي والانطلاق في التفكير ، والاعراب عما يجدون من انطباعات نفسية ازاء ما يقرأون من قصائد رائعة أو قطع نثرية مؤثرة . وتبرز أهمية مادة الادب والنصوص في كونها من المواد التي ترمي الى تكوين الميل الى مكامن الجمال وتقديرها والتمتع بها ، كالفنون الجميلة والموسيقى والغناء ، وقد تعددت مداخل دراسة الادب فهناك مداخل العصور التي تعتمد على التسلسل التاريخي ابتداءً من عصر ما قبل الاسلام أولاً ، فالاسلامي ، فالاموي ، فالعباسي الى أن يصل الى العصر الحديث أو بالعكس . (يونس وأخرون ، ١٩٨١ : ٢١-٢١٠) .

حافظ الادب على بقاء الحواظر العربية عربية ، حيث يقول احد الادباء " ان لفظة الادب من الالفاظ القليلة التي كتب الله لها البقاء والعظمة والشهرة والخلود ! فهي من أنبه الكلمات ذكراً وأطولها عمراً وأحفلها تاريخاً واشرفها معنى وأوسعها دلالة ، اختلفت عليها التغيرات وكثرت لها التعريفات وقامت حولها المجادلات والمناظرات ، ولا تزال في حاجة الى الدرس والبحث والتجديد لتطور مدلولها بتطور العلم والحضارة ، فلولا الادب العربي لصارت مصر فرعونية ولولا الادب العربي لاصبحت بغداد تركية . ولولا الادب العربي لما استطاع أحد منا ان يملا ماضيه فخراً بأن له قديماً كان جديد العالم ، وثقافة كانت عقيدة الشعوب ، وعقلية كانت معلمة الامم ، ولولا الادب العربي وحرصنا عليه واعتدادنا به واستمدادنا منه لوقعنا في العبودية العقلية وهي أشد خطراً وأسوأ أثراً من العبودية الجسمية . (الزيات ، ١٩٥٣: ٧٠٦).

ويرى أحد التربويين ، على المدرس أن يشجع طلبته على قراءة النصوص الادبية الراقية التي تنمي تذوق الجمال الفني في المعنى والمبنى ، وتقوي فيهم الميل

الى قراءة الادب الرفيع ومحاكاته فكلما أتسعت وحسنت مطالعات الطلبة حسن استعدادهم لدرس النحو . (الرحيم ، ١٩٧١ : ٨٧) .

ويرى الباحث ان القيم والتقاليد العربية والثقافة الادبية الراقية ، لا بد ان تتجسد في نفوس الطلبة من خلال درس الادب بنصوصه الشعرية والنثرية . ومن خلال اللغة يتعلم الطلبة القراءة والكتابة ، والتعبير والقواعد والادب والتذوق الادبي ، وهذه كلها وسائل للحصول على المعارف والافكار والمفاهيم التي تجعل الطلبة يتمرسون بها بقوة الملاحظة والذاكرة والتفكير والتخيل الذي يقودهم الى الابداع الادبي وزيادة التحصيل في مادة الادب والنصوص والمواد الدراسية الاخرى .

ان المناهج من العناصر الاساسية في التربية وهي تؤكد على التفاعل بين المتعلم والمعلم أو بين المتعلم والاشياء المحيطة به ، وتحدد معالم الطريقة التدريسية التي يسلكها للوصول الى الهدف . (أبوسل ، ١٩٩٠ : ٤٣٣) .

ان المنهج الحديث هو (مجموع الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية ، والتي تهيؤها المدرسة لتلاميذها ، في المدرسة وخارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع النواحي ، وتعديل سلوكهم طبقاً لاهدافها التربوية) . (سرحان ، ١٩٧٢ : ٧).

ان منهج المواد الدراسية لا بد له ان يلبي حاجات ورغبات وميول واتجاهات الطلبة في الجوانب الفسيولوجية الفطرية والجوانب الحياتية المختلفة لاحداث النمو الشامل للطلبة .

ان عملية التدريس لا تقتصر على معرفة الطرائق ، انما تتعداه الى معرفة المدرس للنظريات النفسية ، واللغوية ، واساليب التدريس ، فطريقة التدريس ينبغي أن ينظر اليها لا على أساس أنها شيء منفصل عن المادة العلمية ، أو عن المتعلم ،

بل على انها جزء متكامل من موقف تعليمي يشمل المتعلم وقدراته وحاجاته والاساليب التي تتبع في تنظيم المجال للتعلم (شحاتة ، ١٩٩٨: ٩٥-٩٦) .

يرى هربارت " ان تحقيق الاهداف التربوية بجانب اعتماده على المنهج الواسع المتنوع في خبراته والمترابط في اجزائه ، فانه يتوقف على الطريقة الصالحة التي تستمد أسسها ومبادئها من علم النفس ومن الفهم الصحيح لعملية التعلم " (الشيباني ، ١٩٨٣ : ٢٥٢) .

ان الطريقة التدريسية هي ركن من اركان المنهج المهمة فهي في رأي كلباترك " ساق من سيقان التربية والتعليم ، والساق الاخرى هي المنهج فلا يستطيع التعليم السير على ساق واحدة " . (آل ياسين ، ١٩٧٤ : ٤٩) .

ويرى الباحث ان طبيعة المادة الدراسية هي التي تملي على مدرس الصف اختيار الطريقة التدريسية الملائمة لتلك المادة ، ويأخذ بالحسبان مستويات الطلبة وقدراتهم العقلية والفروق الفردية فيما بينهم ، وملائمة للمرحلة الدراسية التي هم فيها.

تقع عملية التخطيط للدرس على المدرس ومن بعدها تأتي عملية التنفيذ ، أي القيام بالعملية التعليمية بتوجيه المدرس لطلبته باتجاه المادة الدراسية وموضوعاتها ، ولا بد للمدرس الاخذ بمجموعة كبيرة من الامور لدفع العملية التعليمية الى النجاح ، وطريقة التدريس هي من الاولويات المهمة ، ولذلك فان " طريقة التدريس وسيلة لوضع الخطط وتنفيذها لتنمية الطلبة بتوجيه المدرس وأرشاده " (سمعان ، د.ت : ٤٧) .

ويشير أحد المربين الى " أن القيمة العظمى للمدرس لا تكمن في الطريقة العادية لتأدية واجباته ولكنها كافية في قدرته على القيادة ، وقدرته على الايحاء لابنائه عن طريق تأثير شخصيته وعن طريق القدوة الحسنة . (عبد الموجود ، ١٩٨١ : ٤٣٠) .

أن الطريقة التدريسية هي " الاسلوب الذي يستخدمه المعلم لتوجيه نشاط الطلاب والاشراف عليه من أجل احداث التعلم المنشود لديهم " (الامين ، ١٩٧٩ : ١٠٣) ، وأكد اخر على انها " سلسلة فعاليات منتظمة يديرها في الصف معلم يوجه انتباه طلابه اليه بكل وسيلة ، ويشاركهم في هذه الفعاليات ليؤدي بهم الى التعلم " . (آل ياسين ، ١٩٧٤ : ٧٥) .

وتعد طريقة التدريس الاداة والوسيلة الناقلة للعلم والمعرفة والمهارة ، وكلما كانت ملائمة للموقف التعليمي ومنسجمة مع عمر المتعلم وذكائه وقابلياته وميوله ، كانت الاهداف التعليمية المتحققة غيرها اوسع عمقاً واكثر فائدة . (ريان ، ١٩٩٢: ٨٧٣) .

نستطيع الاستنتاج ان طريقة التدريس هي مجموعة من الفعاليات والنشاطات والاساليب التعليمية المتعددة التي تقوم بين المدرس والطلبة داخل الصف، لتحقيق العملية التعليمية الجيدة والفعالة في ضوء الاهداف التربوية المرسومة ، ولهذا فان طريقة التدريس المتبعة هي عنصر من العناصر المهمة في المادة الدراسية .

اصبح نجاح التعليم مرتبطاً ارتباطاً كبيراً بنجاح الطريقة السديدة التي تستطيع ان تعالج كثيراً من فساد المنهج او ضعف الطلبة وصعوبة الكتاب المدرسي ، فاذا كان المدرسون يتفاوتون بمادتهم وشخصياتهم ، فأن التفاوت من حيث الطريقة أبعد أثراً وأجل خطراً ، فضلاً عن ان الطريقة الناجحة هي الجيدة في مشاركة الطلبة مشاركة جماعية مع وجود المسؤولية الفردية لكل طالب منهم . (الدليمي ، ١٩٩٥: ٣١) .

ان التدريس بنظر (ستوليرو وبيل Stolurow&Pobel) هو " عملية اجتماعية بالاساس تتضمن الاتصال والتفاعل بين فردين على الاقل هما المدرس

والطالب ، انه نوع من المناقشة عن طريق الحوار حيث يتبادل الاثنان ادوارهما كمعلم ومتعلم "

(Sund & Trowbridge , 1972 : p. 384) .

ان الوجه الحقيقي للتطور الطبيعي للمجتمع الحديث هي طريقة المناقشة التي تعتمد على مهارة المدرس في التعامل مع طلبته ليكونوا اكثر مشاركة واستعداداً للعمل ، موازنة لهم فيما لو كانوا في حصة تقليدية يستأثر المدرس اكثر أنشطتها وفعاليتها . (الركابي ، ١٩٧٣ : ١٣٩) .

ان هناك مجموعة من التسميات المتعددة لطريقة المناقشة ، هو توجيه الاسئلة والحصول على الاجوبة ، والنقاش الدائر بين المدرس والطلبة حول الموضوع الدراسي والتي تؤكد على قياس مهارة المدرس وجودة فهم الطالب وموقف مشاركة الاثنين في بناء الدرس وكشف حقائقه ، ويرى الباحث ان طريقة المناقشة تساهم في تنمية قدرات الطلبة وتوسيع افاقهم وتوفير فرص الحديث والاستمتاع الهادف وتقبل الاخرين ، وتشَجع الطلبة على النقاش والجدال والحوار وابداء الاراء ، وتعزز الثقة بالنفس والتعلم الذاتي ، واعتمادها الفعلي في تدريس مادة الادب والنصوص ، ضرورة ومحاولة النهوض بتدريس هذه المادة .

وترتبط اهمية البحث الحالي بالاتي :

١- أهمية اللغة العربية لانها لغة القرأن الكريم .

٢- أهمية الادب والنصوص لانهما من فروع اللغة العربية المهمين اللذين يزودان الطلبة بالذوق الادبي الرفيع ويوظفانه في حياتهم اليومية .

٣- أهمية المرحلة الاعدادية من بين المراحل الدراسية ، لانها تحدث نقلة نوعية للطلبة والانتقال بهم من مرحلة الاتكال والاعتماد على الاخرين الى مرحلة الاستقلال والانفراد بالافكار والاراء .

٤- أهمية المناقشة لانها تعود الطلبة على الاصغاء الجيد وتركيز الانتباه على الاسئلة المطروحة ، وتنمي عقول الطلبة على التفكير وتنظيم الافكار ، وتساعد المدرس على كشف معارف الطلبة ومهاراتهم واهتماماتهم وحاجاتهم ، وتساعد الطلبة على حب الاستطلاع والبحث عن المعارف لكي يتوصلوا الى حالة الابداع .

ج – هدف البحث :

يهدف البحث الحالي الى معرفة أثر استعمال طريقة المناقشة في تحصيل طلبة الصف السادس الادبي في مادة الادب والنصوص .

د – حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على :

١- طريقة المناقشة والطريقة الاعتيادية (التقليدية) في تدريس الادب والنصوص .

٢- طلبة الصف السادس الادبي في مدرستين من المدارس الواقعة في مدينة المقدادية (المركز) ، التابعة الى محافظة ديالى للعام الدراسي ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ أحدهما للبنات والاخرى للبنين ، وسيذكرهما الباحث في اجراءات بحثه .

٣- تدريس موضوعات الادب والنصوص من الكتاب المدرسي المقرر من وزارة التربية للصف السادس الادبي للعام الدراسي ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ (موضوعات الفصل الدراسي الثاني) الذي تم تأليفه وتنقيحه (لجنة في وزارة التربية) ، الطبعة الاولى (٢٠٠٩ م / ١٤٣٠ هـ) والموضوعات هي :

١- مدرسة الشعر الحر (بدر شاكر السياب – نازك الملائكة – رشدي العامل – صلاح عبد الصبور – أمل دنقل) .

٢- الشعر الوجداني (مصطفى جمال الدين) .

٣- الشعر المسرحي (التمثيلي) [محمد علي الخفاجي] .

٤- الشعر التعليمي – الشعر الملحمي – شعر القضية الفلسطينية (عبد الرحيم محمود – فدوى طوقان – محمود درويش) .

٥- النثر وفنونه – القصة القصيرة وتطورها (القاص محمد خضير) .

٦- الروايــة – المقالــة الادبيــة (علــي جــواد الطــاهر ١٩١٩ – ١٩٩٦) – الخطابة (عبد الله النديم) .

هـ – فرضيات البحث

١- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسط درجات الطالبات اللواتي يدرسن الادب والنصوص باستعمال طريقة المناقشة ومتوسط درجــات الطالبــات اللــواتي يدرســن الادب والنصــوص باســتعمال الطريقــة الاعتيادية (التقليدية) .

٢- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسط درجات الطلاب الذين يدرسون الادب والنصوص باستعمال طريقة المناقشة ومتوسط درجات الطلاب الذين يدرسون الادب والنصوص باستعمال الطريقة الاعتيادية (التقليدية) .

٣- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسط درجات الطالبات اللواتي يدرسن الادب والنصوص باستعمال طريقة المناقشة ومتوسط درجات الطلاب الذين يدرسون الادب والنصوص باستعمال الطريقة نفسها .

و– تحديد المصطلحات :

أولاً : المناقشة :

١- يعرفها (كود Good) بأنها : " فعالية تتميز بالتزام موضوع أو قضية أو مشكلة يرغب المساهمون بمناقشتها رغبة جدية في حلها بالوصول الى قرار فيها "

(Good , 1973, p.76)

٢- يذكر (طنطاوي واحمد) اسلوب المناقشة هو " المحادثة التي تدور بين المدرس والتلاميذ " (طنطاوي واحمد ، ١٩٧٦ : ١٤٥) .

٣- وتعرفها موسوعة علم النفس بأنها " أسلوب المداولة وتبادل الرأي بالنسبة لموضوع أو مسألة معينة " (رزوق ، ١٩٧٧: ١٩٣) .

٤- ويعرفها (نادر وأخرون) هي " نوع من الحوار اللفظي بين المدرس والتلاميذ وبين التلاميذ بعضهم ببعض " (نادر وأخرون ، ١٩٨٦ : ٦٣) .

٥- ويعرفها عبد الموجود وأخرون بأنها " الطريقة التي يشترك فيها المدرس مع طلابه أو المعلم مع تلاميذه في فهم وتحليل وتفسير وتقديم موضوع أو فكرة أو مشكلة ما وبيان مواطن الاختلاف والاتفاق " (عبد الموجود وأخرون ، ١٩٨١ : ١٤٥) .

٦- ويذكر (لبيب) أن المناقشة " هي وسيلة الاتصال الفكري بين المدرس وطلبته ويعتمد أسلوب الحوار والمناقشة على الاسئلة التي يطرحها المدرس لطلابه ، وكذلك الاسئلة التي يوجهها الطلبة له والاجوبة المتبادلة بينهم " (لبيب ، ١٩٧٦ : ١٢٣) .

التعريف الاجرائي لطريقة المناقشة :

هو الحوار والنقاش الذي يدور بين المدرس وطلبته عن طريق اثارة الاسئلة والحصول على الاجوبة حول موضوع الدرس ، ويشترك الطلبة في المادة اشتراكاً

ايجابياً وذلك من خلال توجيه الاسئلة والاستفسارات والتوضيحات وتبادل الاراء حول المعلومات .

ثانياً : الطريقة الاعتيادية (التقليدية) :

يشير سمعان ان الطريقة (التقليدية) في التعلم بأنها :

" تعمد الى تلقين التلاميذ المعلومات والمعارف ويقف المتعلم منها موقفاً سلبياً" (سمعان، د.ت: ٢٥) .

ويشير (الهاشمي) ان الطريقة الاعتيادية (التقليدية) في تدريس الادب والنصوص تمر بمراحل وهي :

١- التمهيد والمقدمة :

نبذة عن كاتب النص وحياته وأنتاجه وبيئته . ثم خلاصة موجزة عن فكرة النص ، وعرض بعض وسائل الايضاح كصورته أو مؤلفاته . ثم تحديد موضوع الدرس والصفحة

٢- قراءة المدرس النموذجية للنص :

التمهيد لها :- طبيعة القراءة الجيدة بالموازين النحوية المضبوطة ، والقراءة الجهرية النموذجية خطوة مهمة لانها تذلل صعوبة قراءة الشعر وفهمه للطلبة وهي ذات فائدة في ضبط القراءة التعبيرية المصورة للمعنى وتشعر الطلبة وجدانياً بالجمال الادبي وفهمه فهماً دقيقاً .

٣- قراءة الطلبة الصامتة :

التمهيد لها :- طبيعة القراءة الصامتة – ورقابة المدرس وهيمنته على سير الدرس ومتابعة الطلبة في هذه القراءة .

٤- قراءة الطلبة الجهرية :

مقدار المقروء لكل طالب – قواعد تصحيح الاخطاء وأدابها ويتم ترشيح بعض الطلبة لقراءة النص الادبي قراءة جهرية وبخاصة الطلبة ذوي القدرة القرائية مثل أتقان الاداء والضبط والتعبير والتركيز ، على ان تكون القراءة بصوت واضح ومسموع .

٥- الشرح (العرض والمناقشة) :

شرح الالفاظ الصعبة والتراكيب المعقدة والمعاني البعيدة والمحسنات اللفظية – معنى كل بيت ، وسائل الشرح – الافادة من دفاتر المعاني والمعاجم واستخدام السبورة . ويتم عرض الموضوع بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) عرضاً وافياً مع توضيح المحاور الرئيسة في النص .

٦- قراءة الطلبة الجهرية بالتتابع :

يقرأون الطلبة النص قراءة جهرية بالتتابع من غير شرح أو تعليق .

٧- الخاتمة وتشمل :

أ- المعنى العام وخلاصة فكرة النص .

ب-الاسئلة الاختبارية والتذوقية .

ج- تحديد الفوائد العملية من الموضوع .

د- تحديد الجزء المحفوظ للدرس القادم .

اعطاء التوصيات في الالقاء والمعنى . وان تيسر الوقت للتحفيظ داخل الصف فلا بأس بذلك .(الهاشمي ، ١٩٧٢ : ١٥٤ – ١٥٥) .

التعريف الاجرائي للطريقة الاعتيادية (التقليدية) :

هي الطريقة التي يتبعها أغلب المدرسين والمدرسات في تدريس مواضيع الادب والنصوص ، والتي يكون فيها المدرس هو محور العملية التعليمية ، ويعتمد

على نفسه في ايصال المعلومات والافكار العلمية ، وذلك بشرح وتوضيح فقرات الموضوع الى طلبته .

ثالثاً: التحصيل :

١- يعرفه (كود Good)في قاموس التربية بأنه (المعرفة المكتسبة او المهارات المتطورة في الموضوعات الدراسية وهذا الانجاز يحدد بدرجات الاختبار او بالدرجات الموضوعية) (Good, 1959,p.46) .

٢- ويعرفه الحفني هو " انجاز أو تحصيل علمي في المادة ويعني بلوغ مستوى معين من الكفاية في الدراسة ، سواء في المدرسة أم في الجامعة ، وتحدد ذلك اختبارات التحصيل المقننة أو تقديرات المدرسين او الاثنان معاً " (الحفني،١٩٧٨: ١١) .

٣- ويعرفه قاموس التربية وعلم النفس بأنه " أنجاز عمل ما او احراز التفوق في مهارة أو مجموعة من المعلومات "(نجار ، ١٩٦٠ : ١٥) .

٤- ويعرفه معجم علم النفس هو " معرفة او مهارة مقتبسة ، وهو خلاف القدرة ، وذلك على اعتبار ان الانجاز امر فعلي حاضر وليس امكانية " (عاقل ، ١٩٧١: ١٣) .

٥- ويعرفه (جابلن Chaplin) هو :(مستوى محدد من الانجاز او الكفاية في العمل المدرسي يقومه المدرسون بواسطة الاختبارات " (Chaplin,1971,p.9) .

٦- ويعرفه الخليلي بأنه (النتيجة النهائية التي تبين مستوى الطالب ودرجة تقدمه في تعلم ما يتوقع منه ان يتعلمه)(الخليلي ، ١٩٩٧ : ٦) .

التعريف الاجرائي للتحصيل :

هو ما يحصل عليه الطلبة من درجات في الاختبار التحصيلي البعدي المعد لغرض هذه الدراسة ، عند دراستهم الادب والنصوص بطريقتي المناقشة والاعتيادية (التقليدية) .

رابعاً: الادب والنصوص :

أ- **الادب :**

١- يعرفه (سمك ، ١٩٧٥) بأنه : " التعبير البليغ الذي يحقق المتعة واللذة الفنية بما فيه من جمال التصوير ، وروعة الخيال وسحر البيان ، ودقة المعنى ، واصابة الغرض " (سمك ، ١٩٧٥: ٥٣٤) .

٢- يعرفه (أحمد ، ١٩٨٣) بأنه " الكلام الانساني البليغ الذي يقصد به الى التأثير في عواطف القراء والسامعين او في عقولهم بالاقناع سواء أكان منظوماً او منثوراً " (احمد ، ١٩٨٣: ٩٠) .

٣- يعرفه (الزيات) بأنه : " ادب اللغة ما اثر عن شعرائها وكتابها من بدائع القول المشتمل على تصوير الاخيلة الدقيقة وتصوير المعاني مما يهذب النفس ويرفق الاحساس ويثقف اللسان ، وقد يطلق الادب على جميع ما صنف في كل لغة من البحوث العلمية وقرائح الكتاب والشعراء "(الزيات ، د.ت : ٣) .

٤- يعرفه (الدليمي ، ١٩٩٩) بأنه (الاعمال الادبية التي يقصد بها التأثير في عواطف القراء او السامعين سواء كانت تلك الاعمال شعراً أم نثراً " (الدليمي،١٩٩٩: ١٥١)

التعريف الإجرائي للأدب :

تعرف الطلبة على حياة الاديب وأثاره الادبية وكلامه الجميل والذي يعبر عن أفكاره ومشاعره وأحاسيسه والموجودة في كتاب الادب والنصوص للصف السادس الادبي للعام الدراسي ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ .

ب- النصوص :

١- يعرفها (الطاهر ، ١٩٦٩) بانها : " مختارات من الشعر او النثر تقرأ أنشاداً أو ألقاء وتفهم وتتذوق او تحفظ عادة " (الطاهر ، ١٩٦٩ : ٦٠) .

٢- يعرفها (الرحيم ، ١٩٧١) : بانها : " قطع من الانتاج الادبي الجيد ذات فكرة تامة او ذات عدة افكار يكمل بعضها بعضاً فيتكون منها أطار فكري تام لفكرة موحدة " (الرحيم ، ١٩٧١ : ٦٩) .

٣- يعرفها (ابراهيم ، ١٩٧٣) هي " قطع تختار من التراث الادبي يتوافر لها حظ من الجمال الفني وتعرض على الطلبة فكرة متكاملة ، بالمحفوظات " (ابراهيم ، ١٩٧٣ : ٢٥١) .

٤- يعرفها (خاطر ، ١٩٨٩) بانها " وعاء التراث الادبي الجيد قديمه وحديثه ومادته التي يمكن من خلالها تنمية مهارات الطلبة اللغوية ، فكرية ، وتعبيرية ، وتذوقية " (خاطر ، ١٩٨٩: ١٧٩) .

التعريف الاجرائي للنصوص :

القصائد الشعرية والقطع النثرية الموجودة في كتاب الادب والنصوص للصف السادس الادبي المقرر تدريسها للطلبة وحفظها وفهم افكارها ومضامينها والتدريب على تذوقها تذوقاً أدبياً .

خامساً : تعريف المرحلة الثانوية :

يعرف نظام المدارس الثانوية (المرحلة الثانوية) في العراق بالاتي : –

يكون التعليم الثانوي على مرحلتين متتابعتين (متوسط وأعدادي) مدة كل منها ثلاث سنوات ، يقبل في المدرسة المتوسطة من أكمل الدراسة الابتدائية او ما يعادلها ممن لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر للبنين والثامنة عشرة للبنات ، ويقبل في المدرسة الاعدادية حامل شهادة الدراسة المتوسطة او ما يعادلها ممن لم يكمل الحادية والعشرين من العمر للبنين والثالثة والعشرين للبنات . (وزارة التربية ، ١٩٧٧ : ٨) .

سادساً : تعريف الصف السادس الاعدادي (الادبي) :

هم من طلبة المرحلة الاعدادية التي يتم قبول الطلبة فيها من حملة شهادة الدراسة المتوسطة او ما يعادلها وهي جزء من المرحلة الثانوية ، وتشمل ثلاثة صفوف هي (الرابع العلمي او الادبي والخامس العلمي او الادبي والسادس العلمي او الادبي) ويتخرج الطالب فيها بالمشاركة في الامتحانات الوزارية ، لكي يتم قبوله في احدى الكليات او المعاهد في الجامعات ، حسب المعدل الذي يحصل عليه .

المبحث الثاني

الدراسات السابقة :

بعد اطلاع الباحث على الكتب والسجلات والفهارس المتوفرة ، للعثور على دراسات لها علاقة مباشرة بموضوع البحث . فوجد مجموعة من الدراسات السابقة التي استعملت طريقة المناقشة في مادة الادب والنصوص والتي تم أجراؤها في العراق في صفوف دراسية اخرى هي (الرابع والخامس الاعدادي) وفي محافظات اخرى غير المحافظة التي تجري فيها الدراسة الحالية وهي (بغداد – الموصل – بابل) . وان دراسة (المسعودي ٢٠٠٠ م) والتي استعملت فيها طريقة المناقشة والمحاضرة في تدريس مادة المنتخب من الادب والتي طبقت على طلبة كلية المعلمين – قسم اللغة العربية – المرحلة الثانية في محافظة ديالى (بعقوبة) . وسوف يستعرض الباحث هذه الدراسات للافادة منها في بحثه .

وقد عثر الباحث على عدد من الدراسات العربية والاجنبية والتي استعملت طريقة المناقشة كطريقة تدريسية مع الطرائق التدريسية الاخرى في مواد دراسية اخرى ، ولا بد للباحث ان يستعرض هذه الدراسات للافادة منها في بحثه .

والان يستعرض الباحث هذه الدراسات ويقسمها على الاتي :

أ- دراسات لها علاقة مباشرة بالدراسة الحالية وهي :

١- دراسة (الجبوري ١٩٨٦م)
٢- دراسة (الوائلي ١٩٩٨ م)
٣- دراسة (المسعودي ٢٠٠٠ م)
٤- دراسة (العجاج ٢٠٠٣ م)
٥- دراسة (الذهبي ٢٠٠٧ م)

ب- دراسات لها علاقة غير مباشرة بالدراسة الحالية والتي استعملت طريقة المناقشة مع طرائق اخرى في مواد دراسية اخرى وهي :

***- دراسات عربية وهي :**

١- دراسة (عيسى ١٩٧١ م)
٢- دراسة (الخزرجي ١٩٨٥ م)
٣- دراسة (يعقوب ١٩٩٦ م)

*** دراسات اجنبية وهي :**

١- دراسة (اثرتون Atherton, 1971)
٢- دراسة (فيتزجيرالد Fitzgerald,1977)
٣- دراسة (زيمان Zeman , 1979)
٤- دراسة (فرانكلن Franklin , 1982)
٥- دراسة (ولكر Walker , 1986)

أ- الدراسات التي لها علاقة مباشرة بالدراسة الحالية وهي :

١- دراسة الجبوري (١٩٨٦) :

أجريت هذه الدراسة في مركز محافظة بابل / العراق ، وهدفت الى اجراء مقارنة بين طريقتي المناقشة والمحاضرة في تدريس مادة الادب والنصوص في الصف الخامس الادبي ، لمعرفة اثر كل منهما في تحصيل الطلاب على وفق الطريقتين السابقتين .

اختار الباحث ثانوية (١٧) تموز في محافظة بابل ليجري الدراسة عليها ، وكانت العينة تتكون من (٦١) طالباً من طلاب الصف الخامس الادبي ، وزعهم الباحث بطريقة عشوائية الى (٣٠) طالباً يمثلون المجموعة التجريبية يدرسون بطريقة

المناقشة الجماعية ، و (٣١) طالباً يمثلون المجموعة الضابطة يدرسون بطريقة المحاضرة .

كافأ الباحث بين افراد المجموعتين بالمتغيرات (العمر الزمني ، والتحصيل في الامتحان النهائي للعام الماضي ، ودرجات اللغة العربية ، ودرجات الثقافة الادبية) ، قام الباحث بتدريس المجموعتين واستغرقت التجربة (١٠) أسابيع .

اعد الباحث اختباراً تحصيلياً بعدياً يحتوي على (٣٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ، والمزاوجة ، والتكملة ، يتسم بالصدق والثبات والشمول .

استعمل الباحث الاختيار التائي (T.test) في معالجة نتائج البحث احصائياً .

أظهرت النتائج تفوق طريقة المناقشة على طريقة المحاضرة ، وكانت اكثر فاعلية في تدريس مادة الادب والنصوص للصف الخامس الادبي (الجبوري ، ١٦- ١٠٧) .

٢- دراسة الوائلي (١٩٩٨) :

اجريت هذه الدراسة في بغداد ، وتم أختيار ثانوية ذات الصواري للبنات بطريقة عشوائية لا جراء التجربة ، وهدفت هذه الدراسة الى :

١- معرفة اثر طريقة المناقشة في تحصيل طالبات الصف الخامس الادبي في مادة الادب والنصوص .
٢- معرفة اثر طريقة المناقشة في تحصيل طالبات الصف الخامس الادبي في مادة البلاغة .
٣- معرفة اثر طريقة المناقشة عند تدريس الادب والبلاغة في الاداء التعبيري لدى طالبات الصف الخامس الادبي .

استخدمت الباحثة تصميم المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ذات الاختبار التحصيلي البعدي ، وبلغ عدد افراد العينة (٧٥) طالبة تم توزيعهن الى مجموعتين ، طالبات المجموعة التجريبية وعددهن (٣٦) طالبة درسن بطريقة المناقشة ، وطالبات المجموعة الضابطة وعددهن (٣٩) طالبة درسن بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) .

أجرت الباحثة التكافؤ بين مجموعتي البحث بالمتغيرات (العمر الزمني ، وتحصيل الوالدين ، ودرجات اللغة العربية للعام السابق ، ودرجات الاختبار القبلي في مادة التعبير ، ودرجات القدرة اللغوية) .

أعدت الباحثة أختبار تحصيلي بعدي للادب مكون من (٤٠) فقرة ، واختبار تحصيلي بعدي للبلاغة مكون من (٣٠) فقرة ، واختبارات متسلسلة للتعبير واتصفت هذه الادوات بالصدق والثبات والشمول ، واستمرت الدراسة سنة دراسية كاملة .

توصلت الباحثة الى النتائج الاتية :-

١- تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللائي درسن الادب والنصوص بطريقة المناقشة على طالبات المجموعة الضابطة اللائي درسن الادب والنصوص بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) .
٢- تفوق طالبات المجموعة التجريبية في الاداء التعبيري واللائي درسن الادب والبلاغة بطريقة المناقشة على طالبات المجموعة الضابطة في الاداء التعبيري ايضاً واللائي درسن الادب والبلاغة بالطريقة الاعتيادية (التقليدية).

وفي ضوء نتائج البحث توصلت الباحثة الى صياغة بعض التوصيات والمقترحات (الوائلي ، ١٩٩٨ : ٤- ١١٥) .

٣- دراسة المسعودي (٢٠٠٠) :

اجريت هذه الدراسة في محافظة ديالى (بعقوبة) على طلبة كلية المعلمين ، وهدفت الى معرفة اثر تدريس مادة المنتخب من الادب بطريقتي المناقشة والمحاضرة في التحصيل والاداء التعبيري .

كانت عينة الدراسة (٤٤) طالباً وطالبة من المرحلة الثانية ، تم اختيارهم بصورة قصدية ، وتم توزيعهم عشوائياً الى مجموعتين تجريبيتين ، (٢٢) طالباً وطالبة يمثلون المجموعة الاولى التي درست المنتخب من الادب بطريقة المناقشة ، و (٢٢) طالباً وطالبة يمثلون المجموعة الثانية التي درست المنتخب من الادب بطريقة المحاضرة .

كافأت الباحثة بين مجموعتي البحث في المتغيرات (العمر الزمني ، والتحصيل الدراسي للابوين ، ودرجات اللغة العربية للعام السا بق (المرحلة الاولى) ، ودرجات الاختبار القبلي في الاداء التعبيري ، ودرجات القدرة اللغوية) .

استمرت مدة التجربة فصلاً دراسياً ، قامت الباحثة بتدريس المجموعتين التجريبيتين .

اعدت الباحثة اختباراً تحصيلياً بعدياً في مادة المنتخب من الادب يحتوي على (٣٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ، أتسم بالصدق والثبات والشمول ، كما اعدت اختباراً بعدياً في الاداء التعبيري ، لتتعرف على اثر تدريس مادة المنتخب من الادب بطريقتي المناقشة والمحاضرة في الاداء التعبيري .

استعملت الباحثة الاختبار التائي (T.test) في تحليل نتائج البحث وظهر ما يلي

١- تفوق طلبة المجموعة التجريبية الاولى التي درست مادة المنتخب من الادب بطريقة المناقشة على طلبة المجموعة التجريبية الثانية التي درست مادة المنتخب من الادب بطريقة المحاضرة .

٢- ليس هناك فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الاداء التعبيري للطلبة الذين درسوا مادة المنتخب من الادب بطريقة المناقشة ومتوسط درجات الاداء التعبيري للطلبة الذين درسوا مادة المنتخب من الادب بطريقة المحاضرة (المسعودي ، ٢٠٠٠: ١٢- ١١٨) .

٤- دراسة العجاج (٢٠٠٣) :

تهدف الدراسة التعرف على على اثر استعمال طريقة المناقشة في تحصيل طالبات الصف الخامس الادبي في مادة الادب والنصوص واتجاهاتهن نحوها .

وفرضت الباحثة للدراسة فرضيتين صفريتين ، وكانت عينة البحث تتكون من (٤٤) طالبة من طالبات الصف الخامس الادبي ، تم أختيارهن بصورة قصدية من اعداديتين للبنات في مدينة الموصل ، للعام الدراسي (٢٠٠٢/ ٢٠٠٣) .

قسمت الباحثة افراد العينة بصورة عشوائية على مجموعتين ، احداهما تجريبية ضمت (٢٤) طالبة درست الموضوعات بطريقة المناقشة وكانت من نصيب اعدادية الاندلس للبنات ، في حين تكونت المجموعة الضابطة من (٢٠) طالبة درست الموضوعات بالطريقة الاعتيادية وكانت من نصيب اعدادية الموصل للبنات.

كافأت الباحثة للمجموعتين في المتغيرات (المعدل العام للصف الرابع العام ودرجة اللغة العربية وتحصيل الذكاء) .

أعدت الباحثة اختباراً تحصيلياً تكون من (٢٤) فقرة موضوعية ومقالة تقيس المستويات الثلاثة لتصنيف بلوم للمجال المعرفي وهي (تذكر استيعاب ، تحليل) وبنت الباحثة مقياساً للاتجاه نحو مادة الادب والنصوص يتكون من (٣٢) فقرة بالصيغة النهائية .

وتوصلت الباحثة الى النتائج المهمة وهي لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط تحصيل المجموعتين التجريبية والضابطة في الاتجاه نحو مادة الادب

والنصوص ، وهناك فرق في تحصيل المجموعتين ولصالح المجموعة التجريبية التي درست بطريقة المناقشة في الاختبار التحصيلي البعدي . (العجاج ، ٢٠٠٣ : ٥٩- ٨١) .

٥- دراسة الذهبي (٢٠٠٧) :

أجريت هذه الدراسة في بغداد (الكرخ) ، وهدفت الى معرفة أثر استعمال أسلوب المناقشة الثنائية في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة الادب والنصوص .

تكونت عينة الدراسة من (٦١) طالبة تم توزيعهن الى مجموعتين ، المجموعة التجريبية ودرست باستعمال اسلوب المناقشة الثنائية ، والمجموعة الضابطة ودرست باستعمال الطريقة الاعتيادية (التقليدية) ، وتم اختيار (٨) مواضيع من كتاب الادب والنصوص المقرر من وزارة التربية للصف الرابع العام .

كافأت الباحثة بين مجموعتي البحث في المتغيرات (العمر الزمني ، والتحصيل الدراسي للاب والام ، ودرجات اختبار التذوق الادبي للصف الرابع العام ، ودرجات اللغة العربية للعام الدراسي السابق (الثالث متوسط) .

استمرت مدة الدراسة (٣) أشهر ،درست الباحثة مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)

اعدت الباحثة اختباراً تحصيلياً بعدياً في مادة الادب والنصوص يحتوي على (٤٠) فقرة ، اتسم بالصدق والثبات والشمول .

استعملت الباحثة الاختبار التائي (T.test) لعينتين مستقلتين في تحليل نتائج البحث ، وظهر تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللواتي درسن مادة الادب والنصوص باستعمال المناقشة الثنائية على طالبات المجموعة الضابطة اللواتي

درسن مادة الادب والنصوص باستعمال الطريقة الاعتيادية (التقليدية) (الذهبي ، ٢٠٠٧ : ٢- ٧٨) .

ب- دراسات لها علاقة غير مباشرة بالدراسة الحالية وتنقسم الى قسمين

*** دراسات عربية وهي :**

١- دراسة عيسى (١٩٧١) :

هدفت هذه الدراسة الى تحديد المستويات الادراكية عند طلبة المرحلة الثانوية ، وتم استعمال (٣) طرائق تدريسية في مادة الفيزياء وهي : الطريقة التقليدية وتعتمد على المدرس في تقديم بعض النقاط الموجودة في الكتاب المدرسي واستعمال السبورة وبعض تجارب العرض ، وطريقة المناقشة : التي تعتمد على طرح المدرس في بداية كل حصة مشكلة من مشكلات الموضوع وتشجيع الطلبة على المشاركة في مناقشتها والوصول الى قرار وطريقة التعليم المبرمج : وتعتمد على تقديم مادة مبرمجة خطية ، يعمل الطالب من خلالها فردياً حسب سرعته الذاتية .

كان افراد هذه العينة (٧٨٨) طالباً وطالبة تم اختيارهم عشوائياً من (٤) مدارس ثانوية (٢) للبنين و(٢) للبنات في الكويت ، وقد وزعت العينة على الطرائق التدريسية وهي :

أ- الطريقة التقليدية وعدد افرادها (٢٢٤) طالباً وطالبة .

ب-طريقة المناقشة وعدد افرادها (٢٧٠) طالباً وطالبة .

ت-طريقة التعليم المبرمج وعدد افرادها (٢٧٤) طالباً وطالبة .

وقد تم تكافؤ افراد المجموعات الثلاث من حيث العمر الزمني ونسبة الذكاء عند مستوى دلالة (٠,٠١) .

وبعد انتهاء فترة التدريب على المستويات الادراكية للطلبة ، جرى تقديم اختبار تحصيلي للطلبة (عينة البحث) بالاضافة الى تقديم (٤) استبيانات (٢) منها للطلبة حول طريقة المناقشة وطريقة التعليم المبرمج ، و (٢) تم تقديمها الى المدرسين والمشرفين .

وظهرت نتائج الدراسة الى ان كلاً من طريقتي المناقشة والتعليم المبرمج لهما الاثر في المستويات الادراكية عند الطلبة وهناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠١) باستعمال طريقة المناقشة وبمستوى دلالة احصائية (٠،٠٥) باستعمال طريقة التعليم المبرمج

ومن نتائج الدراسة ايضاً ، ان طريقة المناقشة كانت مؤثرة وفعالة ساعدت المدرسين في استخدام افكار واراء الطلبة والتعليق والتوضيح عليها ، واصبح المدرس قليل الكلام قياساً لكثرة كلام الطلبة ومشاركتهم (عيسى ، ١٩٧١ : ١٠٣– ١١٨) .

٢- دراسة الخزرجي (١٩٨٥) :

اجريت هذه الدراسة في العراق في مدينة بغداد / الرصافة للعام الدراسي ١٩٨٣/ ١٩٨٤ ، وهدفت الى معرفة اثر استعمال طريقة المناقشة الجماعية في تحصيل طلاب الصف الرابع العام بمادة الجغرافية .

كانت عينة البحث مؤلفة من (١١٣) طالباً ، (٥٦) طالباً للمجموعة التجريبية وتدرس باستعمال طريقة المناقشة ، و (٥٧) طالباً للمجموعة الضابطة والتي تدرس باستعمال الطريقة الاعتيادية (التقليدية) وقام الباحث بتدريس المجموعتين .

كافأ الباحث بين المجموعتين في المتغيرات (درجات الفصل الاول في مادة الجغرافية ، ودرجات الامتحان الوزاري في الاجتماعيات في الصف الثالث متوسط ، ودرجات الاختبار القبلي الذي أعده الباحث) .

استمرت التجربة (٦) أسابيع ، وأعد الباحث أختباراً تحصيلياً بعدياً يحتوي على (٣٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد .

الوسيلة الاحصائية المستخدمة هي الاختبار التائي (Ttest) وأظهرت النتائج بأن هناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠١) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية التي درست بطريقة المناقشة ومتوسط درجات المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية ولمصلحة المجموعة التجريبية (الخزرجي، ١٩٨٥: ١–٨٠) .

٣- دراسة يعقوب (١٩٩٦) :

تم اجراء هذه الدراسة في دمشق – سوريا ، وهدفت الى تعرف اثر استعمال الطرائق التفاعلية (المناقشة والعصف الفكري وتمثيل الادوار) في تحصيل طلبة الصف الثاني الاعدادي في مادة التربية الاسلامية ، وقياس استبقاء المعلومات في هذه المادة ، وهدفت هذه هذه الدراسة ايضاً الى التعرف على اراء الطلبة في الطرائق التقليدية والطرائق التفاعلية .

اختار الباحث مدرستين بطريقة عشوائية هما اعدادية الفارابي للبنين واعدادية عمر بن الخطاب للبنات ، وايضاً تم اختيار عينة الطلبة بطريقة عشوائية ، وتكونت من (١٥٠) طالباً وطالبة ، بواقع (٧٢) طالباً وطالبة للمجموعة التجريبية و (٧٨) طالباً وطالبة للمجموعة الضابطة .

كافأ الباحث المجموعتين في المتغيرات (المعلومات السابقة في المادة درجات الطلبة في الفصل الدراسي الاول) ودرجات الطلبة في الاختبار القبلي المعد من قبل الباحث) .

أعد الباحث اختباراً تحصيلياً بعدياً ، ووجه استبياناً للطلبة ليتعرف على اراءهم واتجاهاتهم حول الطرائق التقليدية والتفاعلية .

اظهرت نتائج الاستبيان ان الطلبة يرغبون التعلم بنشاطهم من خلال المشاركة في الدرس ، وانهم يحملون اتجاهات ايجابية نحو الطرائق التقليدية وذلك لتعودهم عليها .

تم تدريس المجموعة التجريبية من قبل الباحث ، وأوكلت مهمة تدريس المجموعة الضابطة الى مدرس اخر .

طبقت التجربة في النصف الثاني من السنة الدراسية ، لمدة شهرين ، وبعد انهاء تدريس المادة تم اجراء الاختبار التحصيلي البعدي وبعد مرور (٤٤) يوماً من تطبيق الاختبار ،أعاد الباحث تطبيق الاختبار على عينة البحث لقياس الاستبقاء .

أظهرت النتائج تفوق طلبة المجموعة التجريبية (البنين والبنات) على طلبة المجموعة الضابطة (البنين والبنات) في التحصيل والاستبقاء .

لم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين تحصيل الطلبة (البنين والبنات) في المجموعة التجريبية في الاختبار البعدي واختبار الاستبقاء وايضاً لم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين تحصيل الطلبة (البنين والبنات) في المجموعة الضابطة في الاختبار البعدي واختبار الاستبقاء .(يعقوب ، ١٩٩٦ : ملخص رسالة ماجستير) .

*** دراسات اجنبية وهي :**

١- دراسة اثرتون (Atherton) :

هدفت دراسة اثرتون الى معرفة اثر (٣) طرائق تدريسية في التحصيل الدراسي للطلبة في تدريس مادة الخدمة الاجتماعية ، وهذه الطرائق هي المحاضرة ، والمناقشة ، وطريقة التعليم الفردي (المستقل) .

صاغ الباحث بعض الفرضيات منها ، ان طريقة المناقشة في التدريس افضل من طريقة المحاضرة في التدريس ، وان طريقة المناقشة افضل من طريقة التدريس الفردي في تعليم الطلبة لتطبيقات محتوى المادة الدراسية .

تكونت عينة البحث من (٥٣) طالباً ، تم اختيارهم من (٣) صفوف بشكل عشوائي ، قسمهم الباحث بطريقة عشوائية الى (٣) مجموعات ، وكان عدد افراد المجموعة الاولى التي درست بطريقة المحاضرة (٢٧) طالباً ، وعدد افراد المجموعة الثانية التي درست بطريقة المناقشة (١١) طالباً ، اما المجموعة التي استخدمت طريقة التعليم الفردي (المستقل) فكان عدد افرادها (١٥) طالباً . وقام الباحث بتدريس المجموعات الثلاث ، وبعد انتهاء الفترة الزمنية للتدريس التي استمرت فصلاً دراسياً واحداً ، اعطي اختبار تحصيلي تكون من (٥٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد للمجموعات الثلاث . وباستعمال تحليل التباين والاختبار التائي (T.test) كانت نتائج الدراسة : ليس هناك فروق ذات دلالة احصائية بين تحصيل المجموعات الثلاث ، وفقا للطرائق التدريسية الثلاث .

(Atherton,1972,p.p.24-27)

٣- دراسة فيتزجيرالد (Fitzgerald,1977) :

هدفت الدراسة الى معرفة (٣) طرائق تدريسية هي طريقة المناقشة وطريقة التدريس بالمحاضرة الخصوصية (لمجموعات صغيرة) وطريقة المحاضرة الاعتيادية في تحصيل طلاب الصفوف الاولى من كلية المدرسين في تدريس المواد الاجتماعية والمواد التربوية .

اختار الباحث (١٢٠) طالباً من طلاب المرحلة بطريقة عشوائية ، ثم اختار (٣) مجموعات بطريقة عشوائية ايضاً لتكون عينة الدراسة مع مجموعة ضابطة ، فكان عدد افراد كل مجموعة (٣٠) طالباً .

استعملت (٤) اختبارات منها اختبار (هارفي Harvey) الذي استعمله لتصنيف الطلاب الى عدة مستويات من حيث فهم المادة الدراسية ، وقام ببناء اختبار تحصيلي لقياس الجانب المعرفي عند الطلبة ، وقد أشرك الباحث (٣) من المحاضرين لتدريس المجموعات الثلاث (عينة البحث) ، واستغرقت الفترة الزمنية لاجراء التجربة (٦ أسابيع) وبعد تطبيق الاختبار التحصيلي استعمل الباحث تحليل التباين في العمليات الاحصائية في تحليل درجات الاختبار .

وقد أظهرت نتائج البحث ان الطلبة الذين تم تدريسهم بطريقة المناقشة وطريقة المحاضرة الخاصة لمجموعات صغيرة كان تحصيلهم افضل وذا دلالة احصائية اعلى من اولئك الذين تم تدريسهم بطريقة المحاضرة الاعتيادية (التقليدية) كما اظهرت النتائج بأن ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية بين طريقة التدريس بالمحاضرة الخاصة لمجموعات صغيرة وطريقة التدريس بالمناقشة .

وقد اشار الباحث الى نتائج الدراسة تشجع على استخدام طريقة المناقشة لوحدها او المزج بين اسلوبي المناقشة والمحاضرة الاعتيادية معاً .

(Fitzgeraldm1977,p.p.7262)

٣- دراسة زيمان (Zeman) :

هدفت دراسة زيمان الى المقارنة فيما اذا كان استعمال ومعرفة الطلبة للاهداف السلوكية مسبقاً للمادة الدراسية قد يزيد من استيعابهم لها مقارنة مع اسلوب استعمال طريقتـــــي (المحاضرة – والمناقشة معاً) في فهم المواد الاقتصادية .

تكونت عينة البحث من (١٢٥) طالباً ، تم توزيعهم الى مجموعتين بصورة عشوائية وقد بلغ عدد افراد المجموعة الاولى (٦٣) طالباً وعدد افراد المجموعة الثانية (٦٢) طالباً ، وتم تدريسهم اربع وحدات تعليمية من قبل الباحث نفسه ، (٢) درستا باسلوب معرفة الاهداف السلوكية والتي كانت تعطي للطلبة في بداية الوحدة

الدراسية قبل تدريسها مع تعليمهم الغرض منها ، والوحدتان الاخريان درستا للمجموعة الثانية التي تدرس بطريقة (المحاضرة – المناقشة) ، وكلتا المجموعتين درست بفترة زمنية واحدة .

وبعد تطبيق الباحث الاختبارات التحصيلية من نوع (الاختيار متعدد) وتحليل النتائج باستعمال الاختبار التائي لمعرفة متوسطات الفروق بين تحصيل الطلبة ، أظهرت الدراسة النتيجة الاتية :

لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات ، درجات الطلبة الذين يستعملون الاهداف السلوكية للمادة الدراسية في دراستهم بالمقارنة مع الطلبة الذين يستعملون طريقتي (المحاضرة – والمناقشة معاً) . (Zeman , 1979, p.p.477)

٤- دراسة فرانكلن (Franklin ، ١٩٨٢) :

تم اجراء هذه الدراسة في جامعة نيوجرسي وهدفت الى التعرف مدى التفاعل مع الادب باستعمال (٣) طرائق صفية وهي : طريقة المحاضرة – المناقشة الموجهة من المدرس ، وطريقة المجموعة الصغيرة ذات التوجيه الذاتي ، وطريقة التدريب الابداعي المسرحـــي (التمثيلي) .

كانت فرضية الدراسة ان هناك فروقاً مهمة في تكرار ونوعية الردود المؤثرة المنتجة في مواضيع ادبية مختلفة بعد تطبيق (٣) طرائق صفية : طريقة المحاضرة – المناقشة الموجهة من المدرس ، وطريقة المجموعة الصغيرة ذات التوجيه الذاتي وطريقة التدريب الابداعي المسرحي .

كانت عينة البحث تتكون من (٦٠) طالباً من طلاب المرحلة الثانية في الكلية وممن يمثلون متوسطاً مقداره (٨٠%) من القدرة والتحصيل في الصف .

تم تعيين الموضوعات بواسطة (الكومبيوتر) لثلاثة صفوف مختلفة في دروس اللغة الانكليزية ، وعرضت على كل مجموعة (٣) قطع ادبية (قصة قصيرة ، مسرحية ، رواية) وبالترتيب نفسه .

ومن اجل قياس التفاعل مع الادب استعملت الاسئلة ذات النهايات المفتوحة (Open - ended) للمواضيع بعد العرض لكل قطعة ادبية .

استعمل الباحث (٧) مقاييس لتحديد عدد الردود الفعالة الصادرة عن كل طالب ، وطبق الاجراء الاحصائي على المعلومات ، وكانت الفروق مهمة بدلالة (٠,٠٥) ، وبعد تحليل النتائج ظهر الاتي :

١- لا توجد فروق ذات اهمية بين الاساليب الثلاثة في قدرتها على التأثير في الرد الفعال ، ولذلك تم رفض الفرضية .

٢- لا توجد مجموعة مهمة او نتيجة ادبية لها علاقة بالرد الفعال .

٣- لا توجد نتيجة للتفاعل بين المعالجات والادب (Franklin,1982,p.411)

٥- دراسة ولكر (Waker,1986) :

هدفت الدراسة الى التعرف على اثر طريقتي المحاضرة والمناقشة في النجاح القرائي واتجاهات المراهقين من ضعيفي القدرة على التعلم .

تكونت عينة البحث من (١٥) فرداً ، أستعملت طريقة المحاضرة لتطوير المهارات عندهم ، وأستعملت طريقة المناقشة في المشاركة الفعالة للطالب في المناقشات الصفية مع المدرس ومع زملائه .

وبعد دراسة اثار كل من الطريقتين فيما يتعلق بالتغيير الذي حصل في مجال القراءة ونشاطات الطالب ، وتم قياس نجاح الطالب في القراءة باجراء اختبار (المحتوى الادبي) في نهاية كل مدة (٥) أسابيع من التعلم .

أستعمل في البحث استبيانين ، طبق الاول بعد (٥) أسابيع ، وطبق الثاني بعد (١٠) أسابيع من التعليم .

تم تحليل النتائج بالطريقة الاحصائية ظهرت النتائج وهي :

هناك فوائد متفاوتة من كل من الطريقتين ، كان لطريقة المحاضرة الاثر الايجابي في التذكر الحرفي والاستيعاب للطلبة العاجزين عن التعلم ، وأثرت هذه الطريقة بصورة سلبية في فهم الطلبة لذاتهم .

ولكن طريقة المناقشة لها تأثير ايجابي في مفردات الطلبة وتعبيراتهم المكتوبة ، ولها تأثير ايجابي في فهم الطلبة للذات ، بالرغم من مميزات هاتين الطريقتين ، فان الطلاب أظهروا أنهم يفضلون طريقة المناقشة (Walkerm1986,p:12-89) .

موازنة الدراسات السابقة :

١- استعمل منهج البحث التجريبي في جميع الدراسات السابقة .

٢- تباينت الدراسات السابقة في حجم العينة ، اذ تراوح حجم العينة من (٧٨٨) الى (١٥) .

٣- تم تطبيق الدراسات السابقة على تلامذة المرحلة الابتدائية وطلبة المرحلة المتوسطة والاعدادية وطلبة المرحلة الجامعية .

٤- استعملت أغلب الدراسات السابقة متغير الجنس ، أي أن هناك دراسات عينتها من (البنين والبنات) وهناك دراسات استعملت البنين فقط ، ودراسات أخرى استعملت البنات فقط .

٥- تباينت الدراسات السابقة في من اسندت اليه مهمة التدريس ، فبعض الدراسات درس الباحث وبعضها اوكلت المهمة الى شخص اخر .

٦- اتفقت معظم الدراسات السابقة في اجراء عمليات التكافؤ بين المجموعات التجريبية والضابطة في بعض المتغيرات .

٧- تباينت الدراسات السابقة في الفترة المحددة لتطبيق الدراسة ، وتتراوح المدة بين (٦) اسابيع الى فصل دراسي كامل والى سنة دراسية بالكامل .

٨- أعد الباحثون أداة البحث وهي الاختبارات التحصيلية البعدية .

٩- تباينت الدراسات السابقة في اعتمادها الوسائل الاحصائية في تحليل النتائج ، وأغلبها تم استعمال الاختبار التائي (T.test) لعينتين مستقلتين ، وفي بعضها تم استعمال تحليل التباين وفي بعضها تم استعمال مربع كاي .

فائدة الدراسات السابقة :

استفاد الباحث من خلال اطلاعه على الدراسات السابقة في امور عديدة ، ويمكن تحديدها بالاتي :-

١- تعزيز اهمية البحث الحالي في ميدان التربية .

٢- تحديد مشكلة البحث الحالي للوصول الى الحلول المناسبة .

٣- الاطلاع على المصادر ذات العلاقة بموضوع الدراسة .

٤- التعرف على اهمية استعمال الوسائل الاحصائية في نتائج الدراسات السابقة .

المبحث الثالث

الاطار النظري

طريقة المناقشة :

في هذه الطريقة تكون هناك مشكلة او قضية يطرحها المدرس او احد الطلاب على طلاب الفصل ويدور النقاش للتوصل الى الحل . وقد يكون المرسل هو المدرس او قد يكون الطالب ، ويكون المستقبل هنا المدرس او الطالب حسب المرسل ، وقد يكون المرسل طالب والمستقبل طالب اخر او مجموعة من الطلبة ، ويمكننا القول ان هذا الاسلوب في التدريس ينقل الطلاب من الموقف السلبي الى الموقف الايجابي ، حيث يسهمون مع المدرس في التفكير وابداء الرأي (الخطيب ، ١٩٩٧ : ٤٥) .

وتستعمل المناقشة عادة لتنمية المهارات المعرفية والاتجاهات والمشاعر ، أن الاسلوب الوحيد لتعلم استراتيجية المناقشة هو ممارستها حيث يتعلم الطالب والمشاركون معاً عن طريق العمل والاستكشاف الجماعي ويختلف نوع المناقشة ويتحدد نوع المشتركين فيها تبعاً للهدف منها ، ومهما كان نوع المناقشة فيجب ان يتجه نظر المشرف " القائد " الى جانبين رئيسين وفي ان واحد .

الجانب الاول : هو ان يضع من الضمانات ما يكفل أرتباط كل ما يقال بمحتوى الموضوع محور المناقشة .

والجانب الثاني : هو تقديم عملية التفكير او المهارات او الاتجاهات التي يستعملها المشاركون في مناقشة الموضوع .

وهناك ثلاثة انماط رئيسية للمناقشة هي :

١- **المناقشة الحرة :** وتحتاج الى قليل من التوجيه فيها عدا التوجيه الاولى ، وهي تستعمل للانفتاح على موضوعات او مجالات جديدة ، مثل الاستماع الى

مشكلات او أفكار أو التركيز عما سبق من تلمس ردود الافعال بعد قراءة موضوع أو وصف حادثة ، وهنا يجب ان يسمح المشرف بالاستجابات العفوية ، كما يجب ان يمتنع عن التقويم الفوري للاستجابات ودور المشرف (القائد) هنا هو ممارسة الاستماع الى الاخرين اكثر من التحدث اليهم .

٢- **المناقشة المضبوطة جزئياً :** وتستعمل لتبادل المعلومات والافكار بعد فترة من تقديم معلومات للمتدربين " عن طريق محاضرة او ندوة او رحلة ... الخ " والهدف الرئيس منها هو أحداث نوع من التكامل بين ما سبق تعلمه . وتقوم المناقشة على اساس اعداد خطة تتضمن امداد الافراد بالمعلومات الرئيسية والمشكلات والتساؤلات التي ترتبط بالموضوع .

٣- **المناقشة المضبوطة :** وتستعمل حينما توجه العمليات المعرفية باستعمال سلسلة مخططة ومتعاقبة من الاسئلة . والغرض من الضبط هنا هو التقيد بالخطوات المتتالية لتقديم المعلومات او الافكار . هنا يقدم الافراد معلومات وأفكار كما تقدم لهم . ومن ثم فأن هذا النوع يساعد على تكوين المهارات المعرفية ، كما يساعد على التدريب على اسلوب حل المشكلات وأتخاذ القرارات (الخطيب،١٩٩٦: ١٤١- ١٤٣) .

اهمية أسلوب المناقشة :

١- يعود الطلبة على اسلوب حل المشكلات .

٢- يشعر الطالب بأهميته كفرد في المجتمع بوجه عام ، وفي المجتمع المدرسي بوجه خاص .

٣- يمنح الطلبة ثقة بانفسهم ومجتمعهم .

٤- تنمي في الطالب روح الديمقراطية ، وأعتمادها كأسلوب لابداء الرأي والحوار .

٥- تزيد الدافعية لدى الطلبة نحو التعلم والمشاركة الايجابية (الخطيب ،١٩٩٧: ٤٦)

الاهداف التي يمكن ان يحققها اسلوب المناقشة :

يمكن ان يحقق اسلوب المناقشة اهداف عدة نورد منها الاتي :

١- التعرف على المعلومات السابقة للمتعلمين .

٢- اثارة انتباه المتعلمين .

٣- توجيه المتعلمين الى كيفية وضع الخطط لحل المشكلات .

٤- معرفة مدى تتبع المتعلمين للدرس .

٥- اكتشاف الطلاب والتعرف على سماتهم ومميزاتهم (الخطيب ، ١٩٩٧ : ٤٦ – ٤٨)

نقاط القوة في أسلوب المناقشة :

١- يزيد في ايجابية المتعلمين .

٢- تعويد الطلبة على تقبل الاخرين .

٣- تساعد المناقشة على نمو التفكير الابتكاري .

٤- تساعد المناقشة على نمو التفكير الناقد .

٥- تساعد المناقشة على تثبيت المعلومات .

٦- عدم الملل او الانصراف عن الدرس . (الخطيب ، ١٩٩٧ : ٤٩ – ٥٠)

نقاط الضعف في أسلوب المناقشة :

١- يعتمد هذا الاسلوب على التجريد ، والطالب لا يفهم الحقائق والمعلومات المجردة ، ولا بد أن يقوم المدرس باستعمال الكثير من وسائل الايضاح .

٢- قد يساعد هذا الاسلوب على اضعاف فاعلية عملية التعليم والتعلم ، وذلك من خلال كثرة الاسئلة المطروحة للنقاش التي تقود الى تشتيت افكار الطلبة وخروجهم عن الموضوع .
٣- المبالغة من بعض المدرسين في استعمال هذا الاسلوب في طرح الاسئلة التي تؤدي تشتت افكار الطلبة وعدم الاهتمام بالموضوع المراد تدريسه .
٤- قد يكون للصدفة دور في الاجابات الصحيحة وهذا يقود الطلبة الى عدم استيعاب وفهم الموضوع ، ويدركون بانهم بحاجة الى مراجعة قراءة الموضوع .
٥- يحتاج أسلوب المناقشة الى وقت طويل ، وخاصة في الصفوف المزدحمة بالطلبة ، وستقودهم الى الفوضى والاضطراب الذي يعكر من جو المناقشة .
٦- يتعذر على المدرس عملية تقويم الطلبة ومتابعتهم بصورة جيدة وذلك لان المناقشة تحتاج الى توجيه الاسئلة والحصول على اجابات ، وتكون هذه الاسئلة متباينة ومختلفة في مستوياتها . (الخطيب ، ١٩٩٧ : ٥٠- ٥١) .

ومن التدابير اللازمة لتوجيه المناقشة وجهة سليمة ، اتباع النقاط والتوجيهات الاتية :-

١- اختيار الموضوعات الصالحة للمناقشة ، وذات القيمة الثقافية والاجتماعية للبحث ، والابتعاد عن الموضوعات المثيرة للنزاع .
٢- ارشاد الطلبة الى المصادر العلمية لاكتساب المعلومات والاراء منها وبلورة افكارهم عن موضوع المناقشة .
٣- استعمال الاسلوب العلمي بما فيه من موضوعية ، في بحث الموضوعات واستعمال اللغة المهذبة في تصوير الوقائع وطرح المسائل من دون تعصب وانفعال قدر الامكان .

٤- يتدخل المدرس عند حدوث ما يعكر نظام الصف ، او عندما تحيد المناقشة عن خطها التربوي البناء . كما ان المدرس والمتناقشين جميعاً يراعون الوقت المخصص لمناقشة الموضوع ، فلا ينفق فيه أكثر مما سبق ، والا فان مواد المنهج الاخرى تبقى من دون انجاز .
٥- يمكن تحويل موضوع المناقشة الى سلسلة من الاسئلة المترابطة تغطي الموضوع كله ، وتكون موضوعية بلغة سهلة ذات معان واضحة وتحتاج الى شيء من التفكيرلا ان يجاب عنها بنعم او لا .
٦- يلتزم النظام في الكلام وتراعى حصة معقولة من الوقت لكل متكلم ، دون ان يستأثر بالكلام افراد دون اخرين ويشجع الطلبة الذين يلتزمون السكوت على الاسهام في المناقشة .
٧- تعد المناقشة تدريباً للطلبة على حل المشكلات ، وعلى التفكير السليم والتعبير الملائم اذا نالت ما يستحقه من التخطيط السليم والتقيد بأسس النظام والروح الديمقراطية في البحث ، والاخذ بالحسبان اهداف الدرس والمنهج ، ويمكن للمدرس ان يقيم مردود استعمال هذه الطريقة في صفه من عدد الطلبة الذين يشتركون في المناقشة ومن عدد من يجيبون اجابات سليمة ، ومن غزارة المادة المقدمة ومن سلامة التفكير ومعالجة الامور بموضوعية وعلمية ومن استعمال ما تحتاج اليه المناقشة من ادلة واقعية وملموسة كلما استدعى الموقف ذلك (الشلبي واخرون ، ١٩٩٣: ٤٧- ٤٨)

المبحث الرابع

اجراءات البحث

يتناول هذا البحث اجراءات البحث التي يتبعها الباحث في تحقيق اهداف البحث ، فلا بد له من ان يقوم بالاتي :

١- يحدد التصميم التجريبي المناسب .

٢- يختار عينة البحث بصورة عشوائية من طلبة الصف السادس الادبي من (البنات والبنين) من مدارس قضاء المقدادية الاعداديات (الصباحية) للعام الدراسي ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩

٣- يجري التكافؤ بين مجاميع المبحث .

٤- يحدد المادة العلمية .

٥- يحدد ادوات البحث .

٦- طريقة اجراء الدراسة .

٧- تحديد الوسائل الاحصائية التي تتبع في تحليل البيانات للحصول على النتائج .

اولاً: التصميم التجريبي

ان التصميم التجريبي هو (عبارة عن مخطط وبرنامج عمل لكيفية تنفيذ التجربة) (داود وأنور ١٩٩٠: ٢٥٦) ، وأن البحوث التجريبية في العلوم التربوية لم تصل الى حد الكمال في الدقة وضبط نتائجها ، ولا بد من تهيئة الظروف المناسبة للدراسة ، وأن ضبط المتغيرات امر بالغ الصعوبة وذلك لتنوع الظواهر التربوية (رؤوف ،٢٠٠١ : ١٥٢) .

ان اختيار التصميم التجريبي من الباحث له اهمية كبيرة ، واذا تم اختياره بصورة جيدة ، لا بد للباحث ان يضمن الهيكل السليم للبحث .

بما ان التصاميم ذات الضبط المحكم غير ممكنة في كل الظروف ، لذا لم يكن بمقدور الباحث في بعض الاحيان ان يضبط كل العوامل المطلوبة (الزوبعي والغنام ، ١٩٧٤ : ١٢٨) .

ويعتمد الباحث احد التصاميم ذات الضبط الجزئي ، والذي يلبي متطلبات البحث الحالي وللتحقق من صحة فرضيات البحث ، لذلك تم اختيار التصميم الاتي:

جدول (١)

التصميم التجريبي

متغير الجنس	المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع
مدرسة البنات	التجريبية	طريقة المناقشة	اختبار تحصيلي بعدي
	الضابطة	الطريقة الاعتيادية (التقليدية)	
مدرسة البنين	التجريبية	طريقة المناقشة	اختبار تحصيلي بعدي
	الضابطة	الطريقة الاعتيادية (التقليدية)	

تتعرض المجموعة التجريبية في هذا التصميم للمتغير المستقل وهو طريقة المناقشة عند التدريس بينما تتعرض المجموعة الضابطة التدريس بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) في مدرستي البنات والبنين وبعد نهاية اجراء تدريس موضوعات التجربة يطبق اختبار تحصيلي بعدي ، تم اعداده لهذا الغرض على افراد مجاميع البحث لقياس اثر المتغير المستقل(طريقة المناقشة)والطريقة الاعتيادية (التقليدية)في المتغيرالتابع(التحصيل)في مدرستي البنات والبنين

ثانياً : عينة البحث

لغـرض اختيـار عينــة البحـث فـي المـدارس الاعداديــة والثانويــة للبنــات والبنين،فقد تم اتباع الخطوات الاتية :

١- عينة المدارس :

أ – تم تحديد المدارس الاعداديـة والثانويـة للبنـات والبنين (الصـباحية) ، الواقعة في مركز قضـاء المقدادية ، والتي تحتوي على الصفوف السادسة الادبية والتابعة الـى المديريـة العامـة لتربيـة ديـالى للعـام الدراسـي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ وهذه المـدارس هي:

١- أعدادية المقدادية للبنات .

٢- اعدادية رسالة الاسلام للبنات .

٣- أعدادية علي بن ابي طالب للبنين .

٤- أعدادية ابي حنيفة النعمان (أعدادية المقدادية للبنين سابقاً)

ب – تم اختيار اعدادية رسالة الاسلام للبنات واعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين بطريقة السحب العشوائي لتطبيق الدراسة فيهما .

٢- عينة الطلبة :

أحصـى الباحـث وبالتعـاون مـع ادارة المدرسـتين ،عدد شـعب الصـف السـادس الادبـي ، وكانـت مدرسـة أعداديـة رسـالة الاسـلام للبنـات تحتـوي علـى شـعبتين(أ،ب) للصـف السـادس الادبـي ، ومدرسـة أعداديـة ابـي حنيفـة النعمـان تحتـوي ايضـأعلى شعبتين(أ ، ب) للصف السادس الادبي

جعل الباحث شعبة (أ) في المدرستين تمثل المجموعتين التجريبيتين ، والتي تـدرس المـادة العلميـة بطريقـة المناقشـة ، أمـا شـعبة (ب) فـي المدرسـتين تمثـل

المجموعتين الضابطتين ، والتي تدرس المادة العلمية بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) . (الجدول ، ٢)

بلـغ عدد افراد عينـة البحث (١٥٦) طالبـة وطالبـاً ، بواقـع (٧٨) طالبـة في اعدادية رسالة

الاسلام للبنات ، و(٧٨) طالباً في اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، وتم استبعاد الطالبات والطلاب الراسبات والراسبين في كل من المدرستين (والجدول ٢) يوضح عدد أفراد العينة قبل الاستبعاد وبعد الاستبعاد ، وأن سبب استبعاد الطالبات والطـلاب الراسبات والراسبين ، وذلك لانهم يمتلكون معرفة مسبقة في الموضوعات التي ستدرس اثناء التجربة ، وهذه الخبرة قد تؤثر في دقة النتائج .

جدول (٢)

عدد أفراد عينة البحث من (الطالبات والطلاب) في مجاميع البحث قبل الاستبعاد وبعده في المدرستين

المدرسة	المجموعة	الشعبة	عدد الطالبات والطلاب قبل الاستبعاد	عدد الطلالبات والطلاب الراسبات والراسبين	عدد الطالبات والطلاب بعد الاستبعاد
أعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية	أ	٤٢	٣	٣٩
	الضابطة	ب	٤٣	٤	٣٩

أعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	التجريبية	أ	٤٤	٥	٣٩
	الضابطة	ب	٤٣	٤	٣٩
المجموع			١٧٢	١٦	١٥٦

وزع الباحث بالتوزيع المتساوي للحصص الدراسية بين مجاميع البحث ، وكان يدرس حصتين اسبوعياً لكل مجموعة . بحسب منهج توزيع الحصص في المدارس الاعدادية لفروع اللغة العربية . وقد أتفق الباحث مع ادارة المدرستين على تنظيم جدول توزيع الحصص الدراسية لمادة الادب والنصوص للصف السادس الادبي .

استعمل الباحث طريقة المناقشة في تدريس المجموعتين التجريبيتين ، وأستعمل الطريقة الاعتيادية (التقليدية) في تدريس المجموعتين الضابطتين .

ثالثاً : تكافؤ المجاميع :

تقع المدرستان في منطقتين متقابلتين مع بعضهما ، حيث تقع اعدادية رسالة الاسلام للبنات في منطقة (حي الحرية) ، أما اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنات فأنها تقع في منطقة (حي سلامة) . وبما ان المنطقتين متجاورتان ، لذلك فأن جميع أفراد عينة البحث هم من وسط اجتماعي وأقتصادي متقارب لحد ما ، فقد يكون التكافؤ بينهم قائماً ، ومع ذلك قام الباحث قبل اجراء الدراسة بضبط بعض المتغيرات ، وذلك بتوزيع استمارة تحتوي على بعض المعلومات ، وحصل على معلومات أخرى من البطاقة المدرسية بالتعاون مع أدارة المدرستين وقد تم تكافؤ المجاميع في المتغيرات الاتية :

١- العمر الزمني للطالبات والطلاب محسوبة بالاشهر .

٢- التحصيل الدراسي للطالبات والطلاب للسنة السابقة (الصف الخامس الادبي) في مادة اللغة العربية في (الامتحان النهائي) للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨

٣- التحصيل الدراسي لاباء (أولياء الامور) وأمهات أفراد مجاميع البحث .

١- العمر الزمني للطالبات والطلاب محسوبة بالاشهر :

حصل الباحث بمساعدة ادارة المدرستين على تاريخ ولادة كل طالبة وطالب من سجلات ادارة المدرسة وتم حساب العمر الزمني بالاشهر لغاية البدء بتطبيق الدراسة في بداية الفصل الدراسي الثاني في يوم ١٥ / ٢ /٢٠٠٩ .(ملحق ٦)

في مدرسة اعدادية رسالة الاسلام للبنات ، بلغ متوسط أعمار طالبات المجموعة التجريبية (٢١٥,٠٨) شهراً ، ومتوسط اعمار طالبات المجموعة الضابطة (٢١٥,٨٧) شهراً وعند أستعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين اعمار طالبات المجموعتين ، أتضح ان الفرق ليس بذي دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، اذ كانت القيمة التائية المحسوبة ٠,٤٠) وهي اقل من القيمة التائية الجدولية (٢) بدرجة حرية (٧٦) ، وهذا يعني انه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية في متوسط الاعمار بين طالبات المجموعة التجريبية وطالبات المجموعة الضابطة ، ومن ثم فأن المجموعتين متكافئتان في هذه الاعمار الجدول (٣) .

وفي مدرسة اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، بلغ متوسط أعمار طلاب المجموعة التجريبية (٢١٦,٠٥) شهراً ، ومتوسط أعمار طلاب المجموعة الضابطة (٢١٤،٠٥) شهراً ، وعند استعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين اعمار طلاب المجموعتين ، اتضح ان الفرق ليس بذي دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، اذ كانت القيمة التأئية المحسوبة (٠،٥٩٣) وهي أقل من القيمة التائية الجدولية (٢) بدرجة حرية (٧٦) ، وهذا يعني انه لا يوجد

فرق ذو دلالة احصائية في متوسط الاعمار بين طلاب المجموعة التجريبية وطلاب المجموعة الضابطة ، ومن ثم فأن المجموعتين متكافئتان في هذه الاعمار. الجدول(٣)

جدول (٣)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين والقيمة التائية المحسوبة والجدولية للعمر الزمني بالاشهر لطلبة المجموعتين التجريبية والضابطة حسب المدرسة

المدرسة	المجموعة	عدد أفراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	الدلالة الاحصائية ٠،٠٥
اعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية الضابطة	٣٩ ٣٩	٢١٥,٠٨ ٢١٥,٨٧	٨,٥٦٧ ٨,٧٠٣	٧٣,٣٩ ٧٥,٧٤	٧٦	٠،٤٠٦	٢	غير دالة
اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	التجريبية الضابطة	٣٩ ٣٩	٢١٦,٠٥ ٢١٤,٠٥	٨,٣٥١ ٨,٨١٩	٦٩,٧٣ ٧٧,٧٧	٧٦	٠,٥٩٣	٢	غير دالة

٢- التحصيل الدراسي للطالبات والطلاب للسنة السابقة (الصف الخامس الادبي) في مادة اللغة العربية (الامتحان النهائي) للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨:-

حصل الباحث بمساعدة ادارة المدرستين ومن السجلات على درجات الطالبات والطلاب لمادة اللغة العربية (الامتحان النهائي) للصف (الخامس الادبي) للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ لكل مجموعة من مجاميع البحث ، ملحق رقم (٧) .

في مدرسة اعدادية رسالة الاسلام للبنات ، بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طالبات المجموعة التجريبية (٦٩,٨٥) درجة ، والمتوسط الحسابي لدرجات طالبات

المجموعة الضابطة (٧٠،٧٦) درجة ، وباستعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين ، ظهر انه ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، أذ كانت القيمة التائية المحسوبة (٠،١٩٠) وهي أقل من القيمة التائية الجدولية (٢) وبدرجة حرية (٧٦) ، مما يدل على ان المجموعتين متكافئتان احصائياً في هذا المتغير جدول (٤) .

وفي مدرسة اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعة التجريبية (٧١،١٥) درجة ، والمتوسط الحسابي لدرجات طلاب المجموعة الضابطة (٧٠،٥٤) درجة ، وباستعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين ، ظهر أنه ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، اذ كانت القيمة التائية المحسوبة (٠،٣٢٤) وهي اقل من القيمة التائية الجدولية (٢) بدرجة حرية (٧٦) ، مما يدل على ان المجموعتين متكافئتان احصائياً في هذا المتغير . جدول (٤)

جدول (٤)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات الطلبة في مادة اللغة العربية (الامتحان النهائي) للصف الخامس الادبي للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨

المدرسة	المجموعة	عدد افراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	الدلالة الاحصائية ٠,٠٥
اعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية الضابطة	٣٩ ٣٩	٦٩,٨٥ ٧٠,٧٦	٩,٧٤٣ ٩,٣٦٠	٩٤،٩٣ ٨٧,٦١	٧٦	٠,١٩٠	٢	غير دالة
اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	التجريبية الضابطة	٣٩ ٣٩	٧١,١٥ ٧٠،٥٤	٨،٥٦٤ ٨,٢٢	٧٣,٢٧ ٦٧،٥٧	٧٦	٠,٣٢٤	٢	غير دالة

لا بد الحصول على التحصيل الدراسي للمجموعتين التجريبيتين ، الطالبات في اعدادية رسالة الاسلام للبنات ، والطلاب في اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، للسنة السابقة (الصف الخامس الادبي) في مادة اللغة العربية (الامتحان النهائي) للعام الدراسي ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨ .

وعند استعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين ، بلغ المتوسط الحسابي لدرجات الطالبات في المجموعة التجريبية في اعدادية رسالة الاسلام للبنات (٦٩،٨٥) درجة ، والمتوسط الحسابي لدرجات الطلاب في المجموعة التجريبية في اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين (٧١,١٥) درجة ، ظهر انه ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠٥) ، اذ كانت القيمة التائية المحسوبة (٠،٧١٨) ، وهي اقل من القيمة التائية الجدولية (٢) وبدرجة حرية (٧٦) ، مما يدل على ان المجموعتين التجريبيتين متكافئتان احصائياً في هذا المتغير ، جدول (٥) .

جدول (٥)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات الطلبة للمجموعتين التجريبيتين في مادة اللغة العربية (الامتحان النهائي) للصف الخامس الادبي للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨ تبعا لمتغير الجنس

المدرسة	المجموعة	عدد افراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	الدلالة الاحصائية ٠،٠٥
اعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية	٣٩	٦٩،٨٥	٩,٧٤٣	٩٤,٨٧	٧٦	٠،٧١٨	٢	غير دالة
اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	التجريبية	٣٩	٧١،١٥	٨،٥٦٤	٧٣،٢٧				

٣- التحصيل الدراسي لاباء (اولياء الامور) وأمهات افراد مجاميع البحث

أ- المستوى التعليمي للاباء (اولياء الامور) لافراد مجاميع البحث :

لمعرفة دلالة الفرق بين التحصيل الدراسي لاباء (اولياء الامور) لطالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في اعدادية رسالة الاسلام ، ودلالة الفرق بين التحصيل الدراسي لابـاء (اولياء الامور) لطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، تم استخدام مربع كاي (k^2) .

ففي اعدادية رسالة الاسلام للبنات ، كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (١,٢٣٤) وهي اقل من قيمة مربع كاي الجدولية (٥،٩٩) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ، وهذا يعني ان الفرق ليست دالة احصائياً . جدول (٦) .

وفي اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (٢,٤١٥) وهي اقل من قيمة مربع كاي الجدولية (٥,٩٩) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ، وهذا يعني ان الفروق ليست دالة احصائياً . جدول (٦)

ب- المستوى التعليمي لامهات افراد مجاميع البحث:

لمعرفة دلالة الفرق بين التحصيل الدراسي لامهات طالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في اعدادية رسالة الاسلام للبنات ، ودلالة الفرق بين التحصيل الدراسي لامهات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة ، تم استعمال مربع كاي (k^2) .

ففي اعدادية رسالة الاسلام للبنات ، كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (٣,٥٨٣) وهي اقل من قيمة مربع كاي الجدولية (٥،٩٩) وهذا يعني ان الفروق ليست دالة احصائياً . جدول (٦)

وفي اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، كانت قيمة مربع كاي المحسوبة (٢،٥١٦) وهي اقل من قيمة مربع كاي الجدولية (٥,٩٩) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ، وهذا يعني ان الفروق ليست دالة احصائياً . جدول (٦)

جدول(٦)

مربع كاي للمستوى التعليمي للابويين (الاب والام) في المجموعتين التجريبية والضابطة وحسب المدرسة .

المدرسة	المجموعة	عدد افراد العينة	المستوى التعليمي للاب			مربع كاي المحسوبة	مربع كاي الجدولية	المستوى التعليمي للام			مربع كاي المحسوبة	مربع كاي الجدولية	الدلالة الاحصائية (٠,٠٥)
			الابتدائية	المتوسطةاو الاعدادية	المعهد اوما بعدها			الابتدائية	المتوسطة او الاعدادية	المعهد او ما بعدها			
اعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية	٣٩	١٤	١٣	١٢	١,٣٣٤	٥,٩٩	١٣	١٥	١١	٣،٥٨٣	٥،٩٩	غيردالة
	الضابطة	٣٩	١٣	١٦	١٠			١٤	١٦	٩			
اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	التجريبية	٣٩	١٥	١٣	١١	٢,٤١٥	٥,٩٩	١٧	١٢	١٠	٢,٥١٦	٥,٩٩	غير دالة
	الضابطة	٣٩	١٢	١٤	١٣			١٥	١٠	١٤			

رابعاً : تحديد المادة العلمية :

حدد الباحث المادة العلمية التي سيقوم بتدريسها لمجاميع البحث اثناء مدة الدراسة ، وبما ان تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الثاني وقد تم الاتفاق على الموضوعات التي يبدأ تدريسها في بداية الفصل الثاني لعام (٢٠٠٨/ ٢٠٠٩) من كتاب مادة الادب والنصوص المقرر تدريسه للصف السادس الادبي من المرحلة الاعدادية والمواضيع هبي :

١- مدرسة الشعر الحر (بدر شاكر السياب – نازك الملائكة – رشدي العامل – صلاح عبد الصبور – امل دنقل) .

٢- الشعر الوجداني (مصطفى جمال الدين) .

٣- الشعر المسرحي (التمثيلي) [محمد علي الخفاجي] .

٤- الشعر التعليمي – الشعر الملحمي – شعر القضية الفلسطينية (عبد الرحيم محمود – فدوى طوقان – محمود درويش) .

٥- النثر وفنونه – القصة القصيرة وتطورها (القاص محمد خضير) .

٦- الرواية – المقالة الادبية (علي جواد الطاهر ١٩١٩- ٩٩٦) – الخطابة (عبد الله النديم) .

خامساً: أدوات البحث :

أ- اعداد الاختبار التحصيلي البعدي .

قام الباحث بقياس تحصيل مجاميع البحث من خلال اختبار تحصيلي بعد الانتهاء من تدريس موضوعات الدراسة وكان الاختبار التحصيلي البعدي يتصف بالموضوعية والشمول والصدق والثبات في ضوء محتوى المادة المحددة للدراسة .

وقد فضل الباحث الاختبار المقالي ذات الاجابات القصيرة (Short Items) وهذا النوع يفرض على الطالب ان لا يسترسل في اجابته ، بل يتحدد له سلفاً عدد الاسطر المطلوبة ، وعدد النقاط التي يجيب عليها . وذلك عن طريق تقيد الطالب بذكر سبب ، او ثلاثة اسباب . وهذا النوع من الاختبارات يساعد الطالب على تنظيم افكاره ، ومعلوماته بأقصر الطرق فيتولد عنده المهارة في التعبير عن نفسه ، وبأفضل الاساليب والطرق ، فلا يسترسل في الاجابة في المواضيع التي لا تستوجب ذلك ، ولا يدور حول الموضوع دون ان يتناول صلب هذا الموضوع . (الدليمي والمهداوي ،٢٠٠٥: ٤٤)

وأحياناً يطلق على هذا النوع من الاختبارات (شبه الموضوعي) لانه يقع موقعاً وسطاً بين اسئلة المقال بنوعيها والاسئلة الموضوعية التي يختار منها الطالب اجابة واحدة من اجابتين او اكثر ، ويتصف هذا النوع بأن الطالب يسترجع الاجابة ولا توجد اجابة امامه ، لذلك يتطلب الجواب عن طريق التفكير ، ويتطلب هذا النوع بشكل عام كتابة عبارة قصيرة للاجابة على سؤال ما .(الدليمي والمهداوي ، ٢٠٠٥ : ٤٥) .

ان الاختبارات من اكثر ادوات التقويم التي تستعمل في نواتج التعلم (الحيلة ، ١٩٩٩: ٤٠٧) وأن للاختبارات الدور المهم في البحوث التربوية لانها واحدة من الوسائل التقويمية المهمة التي تستخدم في قياس تحصيل الطلبة ، وأنها شائعة الاستعمال في الكثير من البحوث لسهولة أعدادها وتصحيحها (طه، ١٩٩٢ : ٥١-٥٢) . وكان الاختبار التحصيلي يتكون من (٢٥) فقرة من الاختبار المقالي ذات الاجابات القصيرة . (ملحق ٣) .

ب-صدق الاختبار :

ان صدق الاختبار من الشروط المهمة المتوافرة في اداة البحث ويكون الاختبار صادقاً حينما يقيس ما وضع لقياسه (الظاهر وأخرون ، ١٩٩٩: ١٣٢) .

ان التحقق من صدق الاختبار وجعله يحقق الاهداف التي وضع من اجلها ، ولذا اعتمد الباحث الصدق الظاهري وهو ان يكون الاختبار صادقاً في صورته الظاهرية (علاوي ، ٢٠٠٠: ٢٧٤) ومن اجل التحقق من الصدق الظاهري للاختبار يجب ان يعتمد على مجموعة من الخبراء والمحكمين .

اذن لابد ان يعرض الاختبار على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والتخصص في التربية وعلم النفس ، واللغة العربية ، وطرائق تدريسها ، ومدرسي ومدرسات مادة اللغة العربية في المدارس الاعدادية ، ممن يدرسون اللغة العربية في

الصف السادس الادبي ، لابداء ارائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم في مدى قياس الفقرات وصلاحيتها من حيث سلامة البناء والصياغة وتغطيتها للمادة .

اذن عندما يريد الباحث ان يتأكد من مدى تحقيق الفقرات للصفة المراد قياسها لا بد القيام بالصدق الظاهري بوصفه وسيلة من وسائل القياس ، ليقيس مدى ملائمة الاختبار للمتعلمين

(ابو لبدة ، ١٩٧٩ : ٢٣٩) . وبهذا تم عرض الاختبار على مجموعة من المحكمين ملحق (٥) .

ج- أعداد تعليمات الاختبار :

أعد الباحث التعليمات الخاصة للاجابة عن فقرات الاختبار ، اذ طلب من الطلبة قراءة كل فقرة قراءة متأنية ، والتفكير بشكل جيد للوصول الى الاجابة الصحيحة والمناسبة وتكون الاختبار من (٢٥) فقرة من نوع الاختبار المقالي ذات الاجابات القصيرة .

اما عملية تصحيح فقرات الاختبار فقد جعل الباحث (٤) درجات لكل فقرة من فقرات الاختبار ، ويتم وضع الدرجة حسب اجابات الطلبة على كل فقرة من فقرات الاختبار اما الفقرات المتروكة فقد تم التعامل معها معاملة الاجابات غير الصحيحة وتكون الدرجة العليا للاختبار (١٠٠%) والدرجة الدنيا للاختبار (صفر %) .

د- التجربة الاستطلاعية للاختبار :

طبق الباحث الاختبار على عينة استطلاعية ، وتكونت هذه العينة من (٥٠) طالبة وطالباً ، (٢٥) طالبة من طالبات اعدادية المقدادية للبنات ، و(٢٥) طالباً من طلاب اعدادية علي بن ابي طالب للبنين ، وذلك لمعرفة زمن الاختبار ووضوح فقراته وتشخيص الغامض منها والصعبة لكي يتم معالجتها . وظهر ان فقرات الاختبار جميعها واضحة ، وتراوح وقت الاجابة عليها بين (٤٠-٤٥) دقيقة .

هـ - ثبات الاختبار :

ان ثبات الاختبار من الشروط المهمة التي تتوافر فيه ، وهذا يعني عدم تغير النتائج عندما يتغير الفاحص او المصحح (سامي ، ٢٠٠٠ : ٨٩) .

ويقصد بثبات الاختبار (دقة الاختبار في المقياس او الملاحظة ، وعدم تناقضه مع نفسه ، وأتساقه واطراده فيما يزودنا من معلومات عن اسلوب المقصوص) (ابو حطب ، ١٩٨٧: ١٠١) أي ان نتائج الاختبار لا تتغير اذا اعيد تطبيقه مرة اخرى (العمر ، ١٩٩٠ : ٣٣٦) .

ولبيان ثبات الاختبار ، طبق الباحث على عينة استطلاعية ، وتم اختيار (٢٥) طالبة من طالبات اعدادية المقدادية للبنات ، و (٢٥) طالباً من طلاب اعدادية علي بن ابي طالب للبنين وتم استخدام طريقة اعادة الاختبار بعد اسبوعين من تطبيق الاختبار الاول . وتم تصحيح اجابات الطلبة وتثبيت درجاتهم . (ملحق ٨) . وتم استعمال معادلة معامل ارتباط بيرسون لدرجات التطبيق الاول والثاني لاستخراج معامل الثبات ، وهو اكثر معاملات الارتباط استعمالا" ، وقد بلغ (٠,٨٠) ومن ثم صحح معامل الثبات هذا بمعادلة سبيرمان براون (Spearman-Brown) فأصبح (٠،٩٢) وهو معامل ثبات جيد ، اذ ذكر ليكرت ان معامل الثبات الذي يمكن اعتماده يكون ما بين (٠،٦٢-٠،٩٣) (عودة ، ١٩٩٨ : ٣) لذا اصبح الاختبار جاهزاً للتطبيق على عينة الدراسة (ملحق ٣) .

و- اعداد الخطط التدريسية :

ان الخطط التدريسية هي تصورات مسبقة للمواقف والاجراءات التدريسية التي يقوم بها المدرس وطلبته لتحقيق اهداف تعليمية معينة وتتضمن هذه العملية تحديد الاهداف واختيار الطرائق التي تساعده على تحقيقها وأختيار الاساليب المناسبة لها ،

واجراء عملية التقويم للتعرف على مدى تحصيل الطلبة لتلك الاهداف (الامين ، ١٩٩٢ : ١٣٣) .

ان عملية التخطيط والاعداد للدروس من الكفايات المهنية للمدرس ومن عوامل نجاح تدريسه ، لذلك أعد الباحث الخطط التدريسية لتدريس مادة الادب والنصوص في الصف السادس الادبي على وفق طريقة المناقشة والطريقة الاعتيادية (التقليدية) .

تم اعداد هذه الخطط التدريسية على وفق الموضوعات المقرر تدريسها خلال مدة الدراسة ، وفي ضوء محتوى الكتاب المدرسي لتدريس مادة الادب والنصوص للصف السادس الادبي ، وتم عرض نموذج من الخطط التدريسية على مجموعة من المحكمين المتخصصين في اللغة العربية وطرائق تدريسها والعلوم التربوية والنفسية ، ومدرسي اللغة العربية ومدرساتها في المدارس الاعدادية ، والذين يدرسون في الصف السادس الادبي ، لاستطلاع ارائهم وملاحظاتهم (ملحق ٥) ولذلك اصبحت الخطط التدريسية جاهزة للتطبيق والسير عليها . (ملحق ١، ٢) .

سادساً : طريقة اجراء الدراسة :

قام الباحث باجراء الدراسة بالتعاون مع ادارة المدرستين ، اتفق الباحث حول تنظيم جدول الدروس الاسبوعي لمجاميع الدراسة في المدرستين بواقع حصتين لكل مجموعة اسبوعياً .

وبدات المباشرة في تدريس موضوعات الدراسة في بداية الفصل الدراسي الثاني للعام ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ وذلك في يوم الاحد الموافق ٢٠٠٩/٢/١٥ ، درس الباحث بنفسه بتدريس افراد مجاميع البحث ، فدرس الباحث المجموعتين التجريبيتين بطريقة المناقشة ، بينما درس الباحث المجموعتين الضابطتين بالطريقة الاعتيادية (

التقليدية) وانتهت مهمة التدريس لموضوعات الدراسة في يوم الاثنين الموافق ٢٠/٤/٢٠٠٩ .

حدد الباحث موعد الاختبار التحصيلي البعدي قبل اكثر من اسبوع من اجرائه ، وتم الاختبار في موعده المحدد ، وذلك في الحصة الثالثة أي في الساعة (٩,٤٠) من يوم الخميس الموافق ٣٠/٤/٢٠٠٩ بالتنسيق مع ادارة المدرستين ، وأشرف الباحث بنفسه على عملية الاختبار بمساعدة المدرسين والمدرسات ، وسارت الاختبارات بشكل طبيعي .

سابعاً : الوسائل الاحصائية :

استعمل الباحث في بحثه الوسائل الاحصائية الاتية :

١- الاختبار التائي (T-test)

استعمل الاختبار لاجراء التكافؤ بين افراد مجاميع البحث في بعض المتغيرات [العمر الزمني بالشهور ، والتحصيل الدراسي السابق لافراد مجاميع البحث للسنة السابقة (الصف الخامس الادبي)] والاختبار التحصيلي البعدي .

$$\text{ت} = \frac{\bar{\text{س}}_1 - \bar{\text{س}}_2}{\sqrt{\dfrac{(\text{ن}_1 - 1)\,\text{ع}_1^2 + (\text{ن}_2 - 1)\,\text{ع}_2^2}{\text{ن}_1 + \text{ن}_2 - 2}\left[\dfrac{1}{\text{ن}_1} + \dfrac{1}{\text{ن}_2}\right]}}$$

س_1 = الوسط الحسابي للعينة الاولى

س_2 = الوسط الحسابي للعينة الثانية

ن_1 = عدد افراد العينة الاولى

أثر استعمال طريقة المناقشة في تحصيل طلبة الصف السادس الادبي
مجلة آداب الفراهيدي
أ.م.د. رياض حسين علي
العـدد (١٢) أيلول ٢٠١٢

ن_2= عدد افراد العينة الثانية

ع_1 = التباين للعينة الاولى

ع_2 = التباين للعينة الثانية

(البياتي ، ١٩٧٧ : ٢٦٠)

٢- مربع كاي (k) ٢ (chi- Square)

استعمل في تكافؤ افراد مجاميع البحث في متغير التحصيل الدراسي للاباء والامهات.

$$\text{كا}^2 = \frac{\text{مج}\,(\text{ل} - \text{ك})^2}{\text{ك}}$$

ل = التكرار الملاحظ

ك = التكرار المتوقع

(البياتي ، ١٩٧٧ : ٢٩٣)

٣- معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation – Coeffci ent)

استعمل معامل بيرسون لحساب ثبات الاختبار بطريقة اعادة الاختبار .

$$\text{ر} = \frac{\text{ن مج س ص} - (\text{مج س})(\text{مج ص})}{\sqrt{[\text{ن مج س}^2 - (\text{مج س})^2][\text{ن مج ص}^2 - (\text{مج ص})^2]}}$$

ر = معامل الارتباط

ن = عدد الافراد

س = قيم المتغير الاول

ص= قيم المتغير الثاني

٤ – معامل سبيرمان براون Spearman – Brown Formula

استعملت لحساب ثبات الاختبار الكلي

٢ × ر

معامل سبيرمان براون = ــــ

١ + ر

(الدليمي والمهداوي ، ٢٠٠٥ : ١٣٦)

المبحث الخامس

عرض النتائج وتفسيرها

والتوصيات والمقترحات

<u>اولاً : عرض النتائج :</u>

يعرض هذا المبحث نتيجة الدراسة التي توصل اليها الباحث وفي ضوء فرضيات البحث وعلى النحو الاتي :

١- الفرضية الاولى :

لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين متوسط درجات الطالبات اللواتي يدرسن الادب والنصوص باستعمال طريقة المناقشة ومتوسط درجات الطالبات اللواتي يدرسن الادب والنصوص باستعمال الطريقة الاعتيادية التقليدية .

وللتحقق من صدق هذه الفرضية استعمل الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين لطالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات يتضح من الجدول (٧) ان المتوسط الحسابي لدرجات أفراد المجموعة التجريبية (٧٩،٣٨) درجة والتباين (٤٥،٠٢) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات افراد المجموعة الضابطة (٦٨,٩٥) درجة والتباين (٥٢,١٣) ، وبلغت القيمة التائية المحسوبة (٦,٠٦٧) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية (٢) ودرجة حرية (٧٦) عند مستوى الدلالة (٠،٠٥) وهذا يعني تفوق افراد المجموعة التجريبية التي درست بطريقة المناقشة على افراد المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) ولذلك ترفض الفرضية الاولى

جدول (٧)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي (البعدي) لطالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات

المدرسة	المجموعة	عدد افراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	الدلالة الاحصائية ٠,٠٥
اعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية الضابطة	٣٩ ٣٩	٧٩،٣٨ ٦٨,٩٥	٦,٧١٨ ٧,٢٢٢	٤٥,٠٢ ٥٢,١٣	٧٦	٦,٠٦٧	٢	دالة

٢- الفرضية الثانية :

لايوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الطلاب الذين يدرسون الادب والنصوص باستعمال طريقة المناقشة ومتوسط درجات الطلاب الذين يدرسون الادب والنصوص باستعمال الطريقة الاعتيادية (التقليدية).

وللتحقق من صدق هذه الفرضية ، أستعمل الاختبار التأئي (T- test) لعينتين مستقلتين لطلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين ، يتضح من الجدول (٨) ان المتوسط الحسابي لدرجات افراد المجموعة التجريبية (٧٦،٣٨) درجة والتباين (٥٩,٩١) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات افراد المجموعة الضابطة (٠٠، ٧٠) درجة والتباين (٣٦،١٢) وبلغت القيمة التائية المحسوبة (٤,٠٦٦) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية (٢) ودرجة حرية (٧٦) عند مستوى الدلالة (٠،٠٥) وهذا يعني تفوق افراد المجموعة التجريبية التي درست بطريقة المناقشة على افراد المجموعة الضابطة النى درست بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) ولذلك ترفض الفرضية الثانية .

جدول(٨)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي (البعدي) لطلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين .

المدرسة	المجموعة	عدد افراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	الدلالة الاحصائية ٠,٠٥
اعدادية ابي حنيفة النعمان	التجريبية الضابطة	٣٩ ٣٩	٧٦,٣٨ ٧٠,٠٠	٧,٧٤١ ٦,٠١٨	٥٩,٩١ ٣٦،١٢	٧٦	٤,٠٦٦	٢	دالة

٣- الفرضية الثالثة :

لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات الطالبات اللواتي يدرسن الادب والنصوص باستعمال طريقة المناقشة ومتوسط درجات الطلاب الذين يدرسون الادب والنصوص باستعمال الطريقة نفسها .

وللتحقق من صدق هذه الفرضية استعمل الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين لطالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات (المجموعة التجريبية) وطلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين (المجموعة التجريبية) يتضح من الجدول (٩) ان المتوسط الحسابي لدرجات افراد المجموعة التجريبية (طالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات)(٧٦,٣٨) درجة والتباين (٥٩,٧١) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات افراد المجموعة التجريبية (طلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين) (٧٩,٣٨) درجة والتباين (٤٥,٠٢) وبلغت القيمة التائية (١,٧٦٢) وهي اقل من القيمة التائية الجدولية (٢) ودرجة حرية (٧٦) عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) وهذا يعني لا يوجد فرق بين افراد المجموعة التجريبية (لطالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات) التي

درست بطريقة المناقشة وافراد المجموعة التجريبية (لطلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين) التي درست بالطريقة نفسها ، ولذلك تقبل الفرضية الثالثة :

جدول (٩)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة لدرجات المجموعتين التجريبيتين (الطلاب والطالبات) في الاختبار ألتحصيلي (ألبعدي) للمدرستين .

المدرسة	المجموعة	عدد افراد العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	الدلالة الاحصائية ٠,٠٥
اعدادية رسالة الاسلام للبنات	التجريبية	٣٩	٧٦,٣٨	٧,٧٤١	٥٩,٩١	٧٦	١,٧٦٢	٢	غير دالة
اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	التجريبية	٣٩	٧٩,٣٨	٦,٧١٨	٤٥,٠٢				

ثانياً: تفسير النتائج :

من خلال عرض النتائج السابقة يتضح الاتي :

١- تشير النتائج الى تفوق افراد المجموعة التجريبية التي درست (الادب والنصوص) بطريقة المناقشة على افراد المجموعة الضابطة التي درست الادب والنصوص بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) (طالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات) .

٢- تشير النتائج الى تفوق افراد المجموعة التجريبية التي درست الادب والنصوص بطريقة المناقشة على افراد المجموعة الضابطة التي درست الادب والنصوص بالطريقة الاعتيادية (التقليدية) (طلاب ابي حنيفة النعمان للبنين) .

أثر استعمال طريقة المناقشة في تحصيل طلبة الصف السادس الادبي
مجلة آداب الفراهيدي
أ.م.د. رياض حسين علي
العـدد (١٢) أيلول ٢٠١٢

٣- تشير النتائج الى عدم وجود فرق بين افراد المجموعة التجريبية التي درست الادب والنصوص بطريقة المناقشة (طالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات) وافراد المجموعة التجريبية التي درست الادب والنصوص بالطريقة نفسها (طلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين) .

يعزى هذا التفوق الى فاعلية طريقة المناقشة ، وجعل الطلبة يتابعون الدرس على وفق قدراتهم العقلية المتطورة باستعمال هذه الطريقة . ان طريقة المناقشة تلبي حاجات ورغبات وميول واتجاهات الطلبة داخل حجرة الدراسة ، وتنمي طرق التفكير العلمي السليم في اذهان الطلبة ، وتجعلهم يفكرون عن طريق قدراتهم العقلية للوصول الى الاجابات حول اسئلة المناقشة المطروحة .

ان طريقة المناقشة تجعل الطلبة يعتمدون على انفسهم وتزيد الثقة بنفوسهم ، وهي تساعد على التعلم الذاتي من خلال النقاش والحوار وطرح الاراء .

ويعزى تفوق طريقة المناقشة ، لانها تعطي للطلبة جواً من الحرية يؤمن لهم القدرة على التفكير وابداء الرأي والمناقشة الهادفة دون خشية او خوف يقود الى تقييد نشاطهم .

تعتمد طريقة المناقشة على نشاط المتعلم والخبرة والمعلومات التي يمتلكها ، وان هذا النشاط الذاتي والخبرة التي يقوم بها المتعلم بنفسه هي التي تبقى معه في النهاية .

ان طريقة المناقشة تثير وتحفز الطلبة على المتابعة العلمية ، وذلك عن طريق الاستقصاء والبحث والاستكشاف والاجابة على الاسئلة التي تواجههم الرئيسة منها والفرعية ، وبعد تزويدهم بتغذية مرتدة من قبل المدرس ، لمواجهة كل الصعوبات في المواقف التعليمية المختلفة

يعزى تفوق طريقة المناقشة الى طبيعة مادة الادب والنصوص التي يقوم اصلاً على الجدل والمناظرة للوصول الى الحقائق العلمية عن طريق النقاش والحوار والاسئلة المطروحة ، تلك المادة التي لها الدور الكبير في تهذيب نفوس الطلبة بالذوق الادبي والجمال الفني الرفيع ، وتوجههم الى السلوك القويم في حياتهم ، لتكوين اتجاهات ايجابية مع ما يدرسونه في هذه المادة .

ويعزى عدم وجود فرق بين طالبات المجموعة التجريبية (طالبات اعدادية رسالة الاسلام للبنات) التي درست الادب والنصوص بطريقة المناقشة وطلاب المجموعة التجريبية (طلاب اعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين) التي درست الادب والنصوص بالطريقة نفسها ، وهذا يعود الى ان الطلبة من (البنات والبنين) بدراستهم على وفق طريقة المناقشة زادت من جدهم واجتهادهم ومثابرتهم واندفاعهم للعملية التعليمية ، وكذلك يعود الى حرص الطلبة من (البنات والبنين) بالالتزام بالتحضير والمتابعة واداء الواجبات البيتية برغبة عالية .

واخيراً فأن طريقة المناقشة هي من الطرائق الحديثة في التدريس التي تعتمد على الطلبة وخبراتهم وممارسة نشاطاتهم داخل الصف لزيادة تحصيلهم الدراسي ولذلك كلما تحرر المدرس من قيود الطرائق التقليدية واستعمال طرائق فاعلة ازدادت قابلية الطلبة في التعلم بشكل افضل ، وهذا يقود الى زيادة تحصيلهم الدراسي .

<u>ثالثاً: التوصيات :</u>

في ضوء النتائج التي ظهرت في الدراسة الحالية يوصي الباحث بالاتي :

١- ضرورة استعمال طريقة المناقشة في تدريس الادب والنصوص في مراحل التعليم المختلفة .

٢- ضرورة تدريب المدرسين والمدرسات على الاستعمال الصحيح لطريقة المناقشة.

٣- توجيه المديرية العامة لتربية ديالى / وحدة الاعداد والتدريب بأقامة دورات متخصصة لمدرسي اللغة العربية ومدرساتها حول الاستراتيجيات الحديثة في التدريس .

٤- التأكيد على مدرسي اللغة العربية ومدرساتها بدقة اعداد الخطة اليومية وتشمل هذه الخطة الاستراتيجيات الحديثة في التدريس .

٥- قيام الجهات المسؤولة باعداد مدرسي ومدرسات اللغة العربية اعداداً جيداً لكي يحسنوا تدريس هذه المادة المهمة .

٦- اهتمام الجامعات والكليات باللغة العربية وطرائق تدريسها .

٧- التأكيد على استعمال اساليب المناقشات الصفية في تدريس مادة الادب والنصوص وذلك لفوائدها المتعددة .

٨- وضع اسئلة فكرية هادفة للمناقشة في نهاية كل موضوع من مواضيع الأدب والنصوص .

<u>رابعاً : المقترحات :</u>

١- اجراء دراسة تستعمل فيها طريقة المناقشة في صفوف اخرى .

٢- اجراء دراسة تستعمل فيها طريقة المناقشة لتشمل محافظات اخرى .

٣- اجراء دراسة مقارنة بين اسلوب المناقشة واسلوب المواقف التعليمية في مراحل التعلم المختلفة .

٤- اجراء دراسة تستعمل فيها طريقة المناقشة في المرحلة الجامعية في اللغة العربية بفروعها المختلفة لاهمية هذه اللغة كلغة قومية للامة العربية .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

١- ابراهيم ، عبد العليم (١٩٧٣) الموجة الفني لمدرسي اللغة العربية ، ط٢،ط٧، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

٢- ابن جني ، أبي الفتح عثمان (د. ت) ، الخصائص ، جـ ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

٣- احمد ، محمد عبد القادر (١٩٨٨) طرائق تعليم الادب والنصوص ، مكتبة النهضة المصرية .

٤- احمد ، محمد عبد القادر (١٩٨٣) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر .

٥- أل ياسين ، محمد حسين (١٩٧٤) ، المبادىء الاساسية في طرق التدريس العامة ، دار القلم ، بيروت .

٦- ابو سل ، محمد عبد الكريم (١٩٩٠) ، التربية والثقافة المهنية وموقعها في المنهاج التربوي الاسلامي ، بحوث المؤتمر التربوي ، ط١ ، عمان الاردن .

٧- ابو حطب ، فؤاد وأخرون (١٩٨٧) التقويم النفسي ، ظ٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

٨- ابو لبدة ، سبع محمد (١٩٧٩) مبادىء القياس النفسي والتقويم التربوي للطالب الجامعي ، ط١، مطبعة عمان ، عمان .

٩- الامين ، شاكر محمود وأخرون (١٩٩٢) ، اصول تدريس المواد الاجتماعية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد .

١٠- بالماد ، غي (١٩٧٠) ، مناهج في التربية ، ترجمة : جوزيف عبود كبة ، منشورات عويدات ، بيروت .

١١- البياتي ، عبد الجبار توفيق ، وزكريا اثناسيوس (١٩٧٧) ، الاحصاء الوصفي والاستدلالي في التربية وعلم النفس ، مطبعة مؤسسة الثقافة ، بغداد.

١٢- جابر ، وليد (١٩٨٥) اللغة ووظيفتها في حياة الفرد والجماعة ، محاضرات في اساليب تدريس اللغة العربية ، عمان – الاردن ، ط٢ .

١٣- الجومرد ، محمود (١٩٩٦) الطريقة العلمية لتدريس اللغة العربية ، مطبعة الهدف ، الموصل ، العراق .

١٤- داود ، عزيز حنا ، وأنور حسين عبد الرحمن (١٩٩٠) ، مناهج البحث التربوي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، مطابع دار الحكمة ، بغداد .

١٥- الدليمي ، كامل محمود نجم (١٩٨٩) ، اسلوب المواقف التعليمية وأثره في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة قواعد اللغة العربية ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد (أطروحة دكتوراه غير منشورة) .

١٦- الدليمي ، طه علي حسين (١٩٩٥) ، تدريس اللغة العربية ، مجلة الاستاذ ، العدد السادس ، جامعة بغداد ، كلية التربية .

١٧- الدليمي ، طه علي حسين ، والوائلي ، سعاد عبد الكريم عباس (٢٠٠٥) ، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها ، ط١ ، مطبعة الشروق عمان ، الاردن .

١٨- الدليمي ، طه علي حسين ، والدليمي ، كامل محمود نجم (٢٠٠٤) ، اساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية ، ط١، دار الشروق مطبعة الشروق ، عمان الاردن

١٩- الدليمي ، كامل محمود نجم وطه علي حسين (١٩٩٩) ، طرائق تدريس اللغة العربية ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ط١،بغداد العراق .

٢٠- الدليمي ، أحسان عليوي والمهداوي ، عدنان محمود (٢٠٠٥) ، القياس والتقويم في العملية التعليمية ، ط٢، مكتب الشروق ، بعقوبة ، ديالى .
٢١- الهاشمي ، عابد توفيق (١٩٧٢) الموجه العملي لمدرس اللغة العربية مطبعة الارشاد ، بغداد ، العراق .
٢٢- وزارة التربية ، الجمهورية العراقية (١٩٧٧) ، نظام المدارس الثانوية ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد .
٢٣- وزارة الثقافة والفنون (١٩٧٨) نحو لغة عربية سليمة ، سلسلة داراسات (١٤٠) ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، العراق .
٢٤- الوائلي ، سعاد عبد الكريم (١٩٩٨) ، طريقة المناقشة في تدريس الادب والبلاغة وأثرها في التحصيل الادبي التعبيري لدى طالبات الصف الخامس الادبي جامعة بغداد ، كلية التربية (ابن رشد) ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة).
٢٥- الوائلي ، سعاد عبد الكريم (٢٠٠٤)، طرق تدريس الادب والبلاغة والتعبير النظرية والتطبيق ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الاردن .
٢٦- الزوبعي ، عبد الجليل ومحمد الغنام (١٩٧٤) ، مناهج البحث في التربية ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد .
٢٧- الزيات احمد حسن (د.ت) تاريخ الادب العربي للمدارس الثانوية والعليا ، ط٢٦، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
٢٨- العجاج ، شذى مظفر مال الله (٢٠٠٣) أثر استخدام طريقة المناقشة في تحصيل طالبات الصف الخامس الادبي في مادة الادب والنصوص واتجاهاتهن نحوها ، كلية التربية ، جامعة الموصل – العراق (رسالة ماجستير غير منشورة) .

٢٩- العريني ، عبد الرحمن بن سلمان (١٩٨٩) اتجاهات حديثة في تقنية التعليم ، مجلة رسالة الخليج العربي ، الرياض ، السنة (٩) العدد (٢٨) .
٣٠- العزاوي ، نعمة رحيم (١٩٨٨) اصول تدريس النصوص الادبية ، وزارة التربية ، المديرية العامة للاعداد والتدريب ، معهد التدريب والتطوير التربوي ، بغداد ، العراق .
٣١- العكيلي ، حسن منديل (٢٠٠٤) الجانب الروحي في اللغة العربية ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، مطبعة المغرب للطباعة والنشر، بغداد، العراق.
٣٢- العمر ، بدر عمر (١٩٩٠) المتعلم في علم النفس التربوي ، ط١، كويت تايمز ، الكويت .
٣٣- الظاهر ، زكريا محمد واخرون (١٩٩٩) ، مبادىء القياس والتقويم في التربية ، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر ، عمان الاردن .
٣٤- رزوق ، أسعد (١٩٧٧) ، موسوعة علم النفس ، مراجعة عبد اللة عبد الدايم ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
٣٥- رؤوف ، ابراهيم عبد الخالق (٢٠٠١) ، التصاميم التجريبية في الدراسات التقنية والتربوية ، دار عمان للنشر والتوزيع ، عمان .
٣٦- ريان ، فكري حسن ، ومنير كامل (١٩٧٢) ، المناهج الدراسية ، عالم الكتب ، القاهرة .
٣٧- ريان ، فكري حسن (١٩٩٣) ، التدريس ، اهدافه ، اسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه وتطبيقاته ، ط٣ ، دار الكتب ، القاهرة .
٣٨- الربداوي ، محمود (١٩٧٨) دراسات في اللغة العربية والادب والحضارة (القسم الاول) .

٣٩- الرحيم ، أحمد حسن (١٩٧١) أصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، مطبعة الادب ، النجف الاشرف ، العراق .

٤٠- لبيب ، رشدي (١٩٧٦) ، معلم العلوم ، مسؤولياته ، اساليب عمله ، اعداده ، نموه العلمي والمهني ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة .

٤١- محمد علي اسماعيل (١٩٨٠) نحو تيسير القراءة والكتابة في اللغة العربية ، ط١، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت .

٤٢- مدكور ، علي احمد (١٩٩٣) ، منهج التربية – اساسياته ومكوناته – الاردن.

٤٣- مجلة التوثيق التربوي (١٩٧٤) ، توصيات المؤتمر الثامن لاتحاد معلمي العرب ، العدد (١١) السنة الثالثة .

٤٤- المركز القومي للحاسبات الالكترونية (١٩٨٩) لجنة تحليل الاصوات العربية ، بحث رقم (١٠٩) ، بغداد في شهر اب .

٤٥- المسعودي ، اسماء كاظم فندي (٢٠٠٠) اثر تدريس المنتخب من الادب بطريقتي المناقشة والمحاضرة في التحصيل والاداء التعبيري لدى طلبة كلية المعلمين ، جامعة بغداد ، كلية التربية (ابن رشد) (أطروحة دكتوراه غير منشورة) .

٤٦- نجار ، فريد جبرائيل (١٩٦٠) ، قاموس التربية وعلم النفس ، الجامعة الامريكية ، بيروت .

٤٧- نادر ، سعد عبد الوهاب وأخرون (١٩٨٦) ، طرائق تدريس العلوم لمعاهد المعلمين ، ط٧ ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد .

٤٨- النجار ، زغلول راغب (١٩٨٠) ، ازمة التعليم المعاصر ، نظرة اسلامية ، ط١ ، مكتبة الفلاح .

٤٩- النقيب ، عبد الرحمن (١٩٧٨) ، بحوث في التربية الاسلامية ، الكتاب الثالث ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٥٠- سامي ، محمد ملحم (٢٠٠٠) ، القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، الاردن .

٥١- سمعان ، وهيب واخرون (د.ت) ، الاسس العامة للتدريس ، مطبعة لجان البيان العربي ، مصر .

٥٢- سرحان ، الدمرداش ومنير كامل (١٩٧٢) ، المناهج ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة

٥٣- سمك ، محمد صالح (١٩٧٥) فن تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، كلية التربية ، جامعة الازهر ، مكتبة الانجلو المصرية .

٥٤- سمك ، محمد صالح (١٩٧٥) فن التدريس للغة العربية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العملية ، مكتبة الانجلو المصرية ، جامعة الازهر ، القاهرة ، مصر .

٥٥- الساموك ، سعدون محمود ، والشمري ، هدى على جواد (٢٠٠٥) ، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها ، ط١، دار وائل للنشر .

٥٦- السيد ، محمود أحمد (١٩٨٠) الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وأدابها ، ج٢،ط١،دار العودة ، بيروت ، لبنان .

٥٧- عاقل ، فاخر (١٩٧١) ، معجم علم النفس ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٥٨- عبد الله ، عبد الرحمن صالح وأخرون (١٩٩١) ، مدخل الى التربية الاسلامية وطرق تدريسها ، ط١ ، دار الفرقان ، عمان .

٥٩- عبد الدايم ، عبد الله (١٩٧٨) الثورة التكنلوجية في التربية العربية ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، بيروت .

٦٠- عبد المجيد، عبد العزيز (١٩٦١) اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها من ناحية التحصيل ، حـ ١ ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .
٦١- عبد الموجود ، محمد عزت واخرون (١٩٨١) ، اساسيات المنهج وتنظيماته ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة .
٦٢- عودة ، احمد سليمان (١٩٩٨) ، القياس والتقويم في العملية التعليمية ، ط٢ ، دار الامل ، عمان ، الاردن .
٦٣- عيسى ، مصباح الحاج وجون جلبرت (١٩٨١) ، ارتقاء المستويات الادراكية وعلاقة ذلك بثلاث طرق مختلفة في تدريس الفيزياء في الكويت ، المجلة العربية للبحوث التربوية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، يونيو .
٦٤- علي ، سعيد اسماعيل (١٩٨٧) ، اصول التربية الاسلامية ، دار المعارف ، مصر
٦٥- علاوي ، محمد حسين ومحمد نصر الدين رضوان (٢٠٠٠) ، القياس في التربية الرياضية وعلم النفس الرياضي ، ط٢، دار العلم العربي ، القاهرة .
٦٦- عفيفي ، محمد الهادي (١٩٧٤) ، في اصول التربية ، الاصول الثقافية للتربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
٦٧- الزيات، احمد حسن (١٩٣٥) في اصول الادب ، محاضرات ومقالات تاريخ الادب العربي ، حـ ١، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر.
٦٨- الحفني ، عبد المنعم (١٩٧٨) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ط٢، دار العودة ، بيروت .
٦٩- الحيلة ، محمد محمود (١٩٩٩) ، التصميم التعليمي نظرية وممارسة ، عمان ، الاردن .

٧٠- طنطاوي ، محمود واحمد بستان (١٩٧٦) ، تدريس المواد الاجتماعية ، ط١ ، دار البحوث العلمية ، الكويت .
٧١- الطاهر ، علي جواد (١٩٦٩) تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، العراق .
٧٢- الطراونة ، محمد عبد الكريم (١٩٩٨) " أثر استعمال الاسئلة المتشعبة الاجابة والاسئلة السابرة في تحصيل طلبة الصف الاول الثانوي في مادة تاريخ الادب والنصوص " جامعة بغداد ، كلية التربية (أبن رشد) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة .
٧٣- الطوبجي ، حسين حمدي (١٩٧٨) التعلم الذاتي (مفهومه ، مميزاته ، خصائصه) ، مجلة تكنلوجيا التعليم ، العدد(١) ، حزيران ، الكويت .
٧٤- يعقوب ، ينال فاروق (١٩٩٦) ، فاعلية الطرائق التفاعلية في تدريس التربية الاسلامية دراسة تجريبية في الصف الثاني الاعدادي في مدينة دمشق ، كلية التربية ، جامعة دمشق (ملخص رسالة ماجستير) .
٧٥- يونس فتحي علي ، ومحمود كامل الناقة (١٩٧٧) اساسيات تعلم اللغة العربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة .
٧٦- يونس فتحي علي ، ومحمود كامل الناقة وأخرون (١٩٨٧) تعليم اللغة العربية ، اسسه واجراءاته ، حـ ٢، مطابع الطوبجي التجارية .
٧٧- الركابي ، جودت (١٩٧٣) ، طرائق تدريس اللغة العربية ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق .
٧٨- شحاته ، حسن (١٩٩٨) ، المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق ، ط١، مكتبة الدار العربي للكتاب ، القاهرة .

٧٩- شحاته ، حسن (٢٠٠٠) ، طرق تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ، ط٤ ، الدار اللبنانية المصرية ، القاهرة .
٨٠- الشبلي ، ابراهيم مهدي وأخرون (١٩٩٣) ، مقدمة في المناهج الصف الثالث معاهد اعداد المعلمين والمعلمات ، ط٧، مديرية مطبعة وزارة التربية ، بغداد.
٨١- الشايب ، أحمد (١٩٦٤) أصول النقد الادبي ، مكتبة النهضة المصرية ، شارع عدلي باشابالقاهرة ، ط٧ ، مصر .
٨٢- الشيباني ، عمر محمود (١٩٨٣) ، تطور النظريات والافكار التربوية ، ط٣، الدار العربية للكتاب ، بيروت .
٨٣- الذهبي ، رجاء سعدون زبون (٢٠٠٧) ، اثر استعمال اسلوب المناقشة الثنائية في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة الادب والنصوص ، الجامعة المستنصرية كلية التربية الاساسية (رسالة ماجستير غير منشورة) .
٨٤- خاطر ، محمود رشدي وأخرون (١٩٨٩) طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة ، ط٤.
٨٥- الخزرجي ، صباح ظاهر نصيف (١٩٨٥) ، اثر استخدام طريقة المناقشة الاجتماعية في تحصيل طلاب الصف الرابع الاعدادي العام في مادة الجغرافية ، جامعة بغداد / كلية التربية (رسالة ماجستير غير منشورة) .
٨٦- الخطيب ، علم الدين عبد الرحمن (١٩٩٧) ، اساسيات طرق التدريس ، ط٢ ، الجامعة المفتوحة ، ليبيا.
٨٧- الخطيب ، احمد ورداح الخطيب (١٩٩٦) ، اتجاهات حديثة في التدريس ، ط١ ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض .
٨٨- الخليلي ، خليل يوسف (١٩٩٧) ، التحصيل الدراسي لدى طلبة التعليم الاعدادي ، وزارة التربية والتعليم ، البحرين .

٨٩- فريحة ، انيس (١٩٥٥) نحو عربية ميسرة ، جـ ٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان
90-Atherton . charles R.Lecture(1972) " Discussion and independent study instructional Methods Revisited" Journal of Experimental Education , Vol , 40,No.4.
91Chaplin , J.p. (1971) Dictionary of psychology New York : Dell
92-Fitzgerald , John Dantel (1977) " A comparison of Three Methods of Teaching prospective Teachers about Inquiry Teaching " Dissertation Abstract Intenational , Vol . 38 , No . 12 , june .
93-Frank Lin , H. Lee (1982) " Adecryption of the Extent to which Effective Engagement with Literature takes place using three Different Classroom Stratgies : Teacher Directed Lecture .
94-Good , C,N(1959) Dictionary of Education 2 ed Mc Graw Hill Book Company , INC , New York , London .
95-Good , carter v.(1973) Dictionary of Education , 3ed Mc – Graw . New York .
96-Zeman , Allan Harris (1979) " The pelative Effectiveness of Detailed Behavioral objectives and Microeconomic principles " Dissirtotion Abstracts international , Vol . 39 , No o8 , February.
97-Walker , C.A,(1986) " Effect of Lecture Teaching Method and Discussion Teaching Method on the Reading Success and Attitudes of Bright Learning Disabled Adolessents " (Secondary) Dissertation ; Vol(47) .

الملاحق

ملحق رقم (١)

خطة أنموذجية لتدريس الادب والنصوص على وفق طريقة المناقشة

الصف / السادس الادبي **المادة / الادب والنصوص**

الشعبة / المجموعة التجريبية **الموضوع / الشاعر بدر شاكر السياب**

اليوم /

التاريخ /

الاهداف العامة

١- زيادة ذخيرة الطلبة اللغوية من الالفاظ والتراكيب التي تساعد على فهم المقروء والقدرة على استعمالها .

٢- تنمية الثروة اللغوية للطلبة عن طريق أمدادهم بالالفاظ والاساليب اللغوية الجيدة ومحاولة الانتفاع منها في التعبير (شفهياً وتحريرياً)

٣- تنمية ميول الطلبة نحو الادب الرفيع ، وتوسيع خيالهم وتقوية ملكة الحفظ والتذكر لديهم .

٤- تنمية الذوق الادبي لادراك الجمال اللغوي في النص .

٥- تدريب الطلبة على جودة الالقاء وحسن الاداء لتؤثر النصوص في النفوس عند التمتع بالاستماع اليها .

٦- تعريف الطلبة بالادباء والشعراء المشهورين .

٧- اطلاع الطلبة على نماذج مختارة من تراث امتهم العربية الخالدة ، تمثل روعة تفكيرهم ، وسمو مشاعرهم ، وعلو همتهم .

٨- التمتع بما في الادب من جمال الفكرة ، وجمال الاسلوب ، وموسيقى الغناء .

٩- تزويد الطلبة بأنظمة اللغة وقواعدها بصورة غير مباشرة ، بواسطة ما يقرأ ويحفظ من شعر ونثر .

١٠- تنمية قدرات الطلبة على التعبير الفصيح ، وتزويدهم بالثروة اللغوية المتمثلة في المفردات والتراكيب .

١١- تمكين الطلبة من تذوق ما في النصوص من صور فنية ، ومعان سامية ، وأساليب رصينة .

١٢- تنمية قدرة الطلبة على التحليل والنقد .

١٣- تنمية قدرة الطلبة على التعبير عن المعاني والافكار .

١٤- تنمية قدرة الطلبة على اختيار الافكار وترابطها منطقياً .

١٥- تمكين الطلبة من التعبير عن افكارهم وعواطفهم عن طريق التعبير الفني والمجازي

الاهداف الخاصة :

جعل الطالب قادراً على ان :

١- يتعرف على حياة الشاعر بدر شاكر السياب .

٢- يذكر مولد الشاعر بدر شاكر السياب .

٣- يتعرف على قصيدة (غريب عن الخليج) للشاعر بدر شاكر السياب .

٤- يتعرف مناسبة قصيدة (غريب عن الخليج) للشاعر بدر شاكر السياب .

٥- يحدد الصفات الشخصية للشاعر بدر شاكر السياب .

٦- يستخلص الافكار الرئيسة والفرعية من القصيدة .

٧- يتعرف معاني المفردات والالفاظ الصعبة في القصيدة باستخدام المعجم .

٨- يذكر الابيات المشهورة في القصيدة .

٩- يحلل أبيات القصيدة تحليلاً أدبياً بأسلوبه الخاص .

١٠- يوازن بين الابيات الشعرية للقصيدة من حيث المعاني .
١١- يعطي رأيه في بعض أبيات القصيدة الشعرية .
١٢- يختار أجمل أبيات القصيدة للشاعر .
١٣- يتمكن من تطبيق بعض القواعد النحوية على بعض الكلمات الواردة في القصيدة .
١٤- يحفظ عدداً مناسباً من أبيات القصيدة .
١٥- يلقي عدداً مناسباً من ابيات القصيدة .

الوسائل التعليمية

١- الملخص السبوري وحسن تنظيم السبورة .
٢- استخدام الطباشير الابيض والملون .
٣- الكتاب المدرسي المقرر تدريسه .
٤- أسماء بعض المصادر ، وخاصة من كتب الشاعر اذا تطلبت الحاجة اليها .

التمهيد للموضوع

يثير المدرس (الباحث) اهتمام الطلبة وانتباههم للدرس وذلك عن طريق ربط الموضوع الجديد بالموضوع السابق .

درستم وتعرفتم في الدرس السابق مدرسة الشعر الحر وأن هذه المدرسة طمحت اليها محاولات سابقة في تجديد الشعر ، وكانت الجهود المبذولة من قبل السابقين تتضافر نحو التجديد لمجموعة من العوامل الحضارية والثقافية والاجتماعية.

أن التجديد يحتاج الى الكثير من الجهود المتواصلة ، وهو نقلة او تغيير في النوع الادبي ، وخروج على المثال الشعري السائد وأبداع شيء مغاير للقديم ، والتطوير هو محاولات محددة في التجديد لم تكتمل عند حد مثل جماعة الديوان

وأبولو ومدرسة المهجر ... أنها حركات تطوير بشرت بالقادم الجديد ، وهيأت سبل جديدة ، وأكتشفت مدرسة شعرية واعية متجددة (مدرسة الشعر الحر) . واصطلاحها (شعر التفعيلة) لانها أسست للشعر الجديد وانتشاره بعد الحرب العالمية الثانية .

ظهر الشعر الحر عام (١٩٤٧) استجابة لمجموعة العوامل التي ذكرناها ، وكانت الاسباب متوفرة نحو التجديد للشاعر العراقي بدر شاكر السياب والشاعرة العراقية نازك الملائكة وتبعها في ذلك الشاعر عبد الوهاب البياتي والشاعربلند الحيدري وغيرهما .

يطلقون الدارسين هؤلاء الشعراء (رواد الشعر الحر) ، وأول قصيدة نشرها الشاعر بدر شاكر السياب من الشعر الحر (هل كان حباً) عام (١٩٤٧) ، وأول قصيدة للشاعرة نازك الملائكة (الكوليرا) نشرتها في العام نفسه .

لكن هاتين القصيدتين لم تمثلا الشعر الحر بكل سماته ، لانها تقتربان من غنائية الشعر العمودي وأغراضه مع التجديد في مجال الايقاع . وبفضل هاتين القصيدتين أنتشرت ظاهرة (الشعر الحر) ، وتوسعت وتعمقت وتطورت حيث كتب على غرارها الكثير من شعراء العراق والوطن العربي ، وكانت هناك محاولات فردية سابقة من مصر والسودان واليمن ولبنان والمهجر لا تقلل من شأنها ، وظلت فردية لم تصل الى قناعة جماعية ولم تشكل ظاهرة فنية ، ولكن الفخر يعود الى ابداع الشعر الحر وعمقه ونظر له وأجاد فيه شعراء العراق .

أن (الشعر الحر) يختلف عن(الشعر العمودي) وهو ترتيب جديد للتفعيلات الوزنية بعدم الالتزام بوزن القصيدة ، وعدم الاخذ بالقوافي ، بعد أن أصبح تغييراً في المضامين الشعرية في العصر الحديث ، فأصبح الشعر يعبر عن بؤس هذا العالم وتغيراته ومن صفات الشعر الحر الاتي :

١- غياب الاغراض المعروفة (المديح والهجاء والفخر وغيرها) واحلال مضامين جديدة لا تنتمي لتلك الاغراض بوضوح .
٢- الغموض الشفاف مع شيء من الرمز واللغة الموجيه .
٣- الابتعاد عن التفعيلات ، خلافاً للبيت الشعري ذي الشطرين .
٤- عدم الالتزام بايقاع واحد ، وتنوع ايقاعات القصيدة الواحدة ، وكل مقطع له ايقاع من تفعيلات من وزن ما ، وتنوع القوافي أو الغائها .
٥- التقليل من شأن الغنائية والروح الرومانسية والغاء الخطابية وأختفاء الشاعر وراء ابداعه في اطار لغة مهموسة .
٦- احلال السطر الشعري بدلا من البيت الشعري ذي الشطرين .
٧- توظيف الاساطير والحكايات الخرافية والشعبية لتعميق الدلالة المعنوية .

ويسترسل المدرس (الباحث) بالحديث :

ان التحديد الحقيقي لا يقف عند حد ، فقد التحقوا بالشعراء الرواد (شعراء الشعر الحر) شعراء اخرون عمقوا الشعر الحر وتوسعوا فيه وأضافوا اليه وأجادوا فيه ، وكان مكتمل السمات واضح التأثير .

س / ماذا اطلق عليهم هؤلاء الشعراء ومن هم ؟

طالب / أطلق عليهم (شعراء ما بعد الرواد) .

طالب اخر / منهم الشاعر كاظم جواد والشاعرة لميعة عباس عمارة من العراق .

طالب اخر / ومنهم الشاعر سعدي يوسف والشاعر يوسف الصائغ من العراق .

طالب اخر / ومنهم الشاعر حسب الشيخ جعفر والشاعر زكي الجابر والشاعر رشدي العامل وغيرهم من العراق .

المدرس الباحث / أحسنتم . وهل هناك من شعراء الشعر الحر من الوطن العربي ؟

طالب / نعم من مصر الشاعر صلاح عبد الصبور والشاعر عبد المعطي حجازي والشاعر أمل دنقل .

طالب اخر / ومن السودان الشاعر محمد مفتاح الفيتوري .

طالب اخر / ومن ليبيا الشاعر علي الغزاي والشاعر محمد الشلطامي .

طالب اخر / ومن فلسطين الشاعر توفيق صايغ والشاعر محمود درويش والشاعر توفيق زياد .

طالب اخر / ومن لبنان الشاعر خليل حاوي والشاعر يوسف الخال .

طالب اخر / ومن سوريا الشاعر ادونيس .

المدرس (الباحث) احسنتم بارك الله فيكم .

ويسترسل المرس (الباحث) بالحديث :

نلفت انتباهكم اعزائي الطلبة الى نوع ابداعي جديد في ادبنا المعاصر هي (قصيدة النثر) ، قال فيه الكثير من الشعراء منذ الثمانينات من القرن الماضي ومـا زال ، وتعود جذور هذا النوع من الشعر الى نهاية الستينات وبداية السبعينات ، وظهرت في اعمال (سركون بولص) و (فاضل العزاوي) و (جان دمو) .

س / بماذا يتميز هذا النوع الجديد ؟

طالب / يتميز هذا النوع الجديد باللغة الشعرية المكثفة والصور الشعرية الطريفة.

طالب اخر / ويتميز بالاسلوب المركز مع احلال قيمة ايقاعية جديدة لا علاقة لها بالتفعيلات التراثية .

المدرس (الباحث) / أحسنتما ، هذا النوع الادبي اصبح مشروعاً في الحداثة من الغاء الحدود الفاصلة بين الاجناس الادبية ، وقصيدة النثر تأخذ من الشعر الايقاع الداخلي ومن النثر بعض تقنياته مثل السرد واسترسال الكتابة والحوار

والمشـهد ، ويشـعر الملتقـي ان تشكيلاً جديداً للجملـة يبنـى علـى اقامـة علاقـات جديدة في تركيب اللغة ، ويبتعد عن شعر العمود نهائياً وعن شعر (الرواد الحر – الطليق) ، ومثال ذلك كتب فاضل العزاوي في ديوانه (سلاماً ايتها الموجة ... سلاماً ايها البحر) قوله :

في الريح وقفت أرى وطني ينهض من أعماق الايام

ينهض من صحراء الموتى

اذ لا يوجد الا جسدي

نقف من هذا المقطع على صيغة نثرية أليفة وقريبة من القلب ، ويوصل نفسه ودلالته للملتقى بموسيقاه المنبعثة من الداخل .

والان نأخذ من رواد (الشعر الحر) الشاعر بدر شاكر السياب

خطوات الدرس

قبل البدء بخطوات الدرس ، يجري المدرس (الباحث) اختباراً يومياً لحث الطلبة على التحضير اليومي ، ولمعرفة مدى استيعابهم للموضوع ، ويكون الاختبار في مادة الدرس السابق والدرس الجديد .

اولاً / المقدمة

يحاول المدرس الباحث اثارة اهتمام الطلبة وانتباههم للدرس بالحديث الاتي :

الشاعر العراقي بدر شاكر السياب المولود في البصرة عام (١٩٢٦) في قرية (جيكور) التابعة لقضاء ابي الخصيب ، أشتغل بالزراعة وجني التمر ، ماتت والدته وهو في السادسة من عمره فنشأ يتيماً .

س / أريد ان اسأل احدكم أين اكمل بدر شاكر السياب دراسته ؟

طالب / أكمل دراسته الثانوية في مدينة البصرة .

طالب أخر / والتحق بدار المعلمين العالية في بغداد (كلية التربية) .

طالب أخر / درس سنة واحدة في اللغة العربية ، وانتقل الى اللغة الانكليزية لاتقانه اللغة العربية .

المدرس (الباحث) / احسنتم ، بارك الله فيكم .....

طالب / ما هي المهنة التي عمل بها الشاعر بدر شاكر السياب ؟

المدرس (الباحث) / عمل مدرساً في مهنة التدريس ، وكان تعينه في الرمادي (الانبار) ، ثم فصل من هذا العمل لاسباب سياسية ، وأشتغل في الصحافة ، وقام بأكثر من عمل وأخيراً عمل في الموانيء .

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث :

أصيب الشاعر بدر شاكر السياب بمرض مزمن أقعده عن العمل ، وتوفي في الكويت عـام (١٩٦٤ م) بعيداً عن وطنه الذي أحبه ، ودفن في مقبرة (الحسن البصري) في الزبير .

س / أصدر الشاعر عدة دواوين من يذكر لنا منها ؟

طالب / منها (أزهار ذابلة) و(أساطير) و(أنشودة المطر) .

طالب أخر / ومنها (المعبد الغريق) وأخرها (أقبال) ، وتم جمع دواوينه في مجلدين بعنوان (ديوان بدر شاكر السياب) المجموعة الكاملة .

المدرس (الباحث) / أحسنتم على هذه المعلومات القيمة .

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث :

أن قصيدته (غريب عن الخليج) من أهم القصائد التي تعبر عن حب الوطن والحنين له والشوق لمن فيه .

ثانياً / الجو العام للقصيدة :

المدرس (الباحث) / قصيدة الشاعر بدر شاكر السياب (غريب عن الخليج) من عيون قصائد السياب مفعمة بمشاعر الغربة جياشة بعنفوان الشوق الى العراق (الى موطنه) الذي أستنشق أزاهير عطره وترعرع تحت أفياء نخله .

طالب / لماذا سمى السياب قصيدته (غريب الخليج) ؟

المدرس (الباحث) / يجيب : سماها (غريب عن الخليج) سكب فيها مشاعر الام غربته ، ويتضح ذلك من أول كلمات قالها الشاعر فالروح ممتزجة بتربة العراق ، والعراق بكل ما فيه ممتزج بروح الشاعر الهائمة المشتاقة ، وكأن الشاعر يريد أن يقول : أن روحي في العراق لم تغترب ، بل أن الغربة جسدية مادية فقط . ويتضح الامتزاج الروحي في عبارة (يأأنتما مصباح روحي) وفيه كسر للقاعدة النحوية التي تحضر مناداة الضمير ، الا أن الشاعر أراد أن يكسر قاعدة الغربة ويرى نفسه على خلجات الحب والاحساس بالانتماء الروحي الى بلد عانى فيه غربة الجوع ومرارة السياسة .

طالب / ماذا يقصد الشاعر في مقطوعته الشعرية ؟

وأتى المساء .....

لو جئت في البلد الغريب الي ما كحل اللقاء

الملتقى بك والعراق على يدي هو اللقاء

شوق يخض دمي اليه

كأن كل دمي اشتهاء ...

المدرس (الباحث) / يجيب :

من هذه المقطوعة تكون المحبوبة هي الدافع الاكبر لدى الشاعر في الحنين والشوق ، وخيم المساء عليه ، وتخرج من تلك الصورة المعتمة صورة مفعمة

بالانسانية وروح المحبة والتفاؤل ، جن الليل وأختلطت كآبة الظلام بحسرات الشوق الى الحبيبة ، وهو يقول أنك لو كنت معي في هذه اللحظات ما أنجلت كآبتي ، فهو لا يشعر بلوائج الهوى الا اذا كان اللقاء في بلد الهوى .

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث : ويوجه السؤال الاتي الى الطلبة .

س/ ماذا يقصد الشاعر في مقطوعته الشعرية الاتية : ؟

جوع اليه كجوع كل دم الغريق الى الهواء

شوق الجنين اذا أشرأب من الظلام الى الولادة ....

طالب / يجيب : هنا يمتزج الشوق بدم الشاعر وكأن كل ما في الشاعر يقطر شوقاً وأنيناً الى العراق .

طالب أخر / يضيف ، أنه تشبيه تمثيلي رائع صورة من الشوق الى العراق يعبر عنها الشاعر بالجوع ، لتقترن بصورة غريق جائع الى قطرة هواء ترد حياته اليه ، وكأن الشاعر يعيش في الرمق الاخير من حياته لا يحييه الا عبق ريح العراق .

المدرس (الباحث) / أحسنتما على هذا الشرح الجميل ....

طالب / يسأل ، أشرح المقطوعة الاتية ؟

الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام

– حتى الظلام – هناك اجمل ، فهو يحتضن العراق

واحسرتاه ، متى أنام ..

فأحس أن على الوسادة ..

المدرس (الباحث) / يجيب بالحديث :

تعني هذه المقطوعة أن الصور الحسية تترى لدى الشاعر ، ويريد من خلالها أن يصور الالم النفسي الذي يعيشه ، فهو في ظلمة رغم أنه في خليج مشع ، وهو في

ضيق رغم سعة المقام ، وشبه نفسه كجنين صغير في ظلمات ثلاثة ، يشتاق الى رؤية النور .

فالشمس والكون ليس كالصورة التي كان يراها في العراق ، بل الظلام في العراق شمس مشرقة ، وربما تكون الشمس كناية عن أمله المنتظر ، أن صورة الالم والامل مقترنة طيلة أبيات القصيدة ، فالحسرة بدأت تكبر كلما طالت فترة الغربة فالنوم يبتعد عن جفونه لان أهدابه متعلقة بنخيل العراق الشامخ .

طالب / يضيف بتوجيه سؤال

ما معنى المقطوعة الاتية :؟

من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك ياعراق ؟

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة

غنيت قربتك الحبيبة .....

المدرس (الباحث) / يجيب بالحديث :

تؤكد هذه المقطوعة على الغربة ومصاعب الحياة ، لا تمنع الشاعر من أن تلهج كل حواسه بالشوق والطرب الى العراق ، وهنا يذكر القرى التي داعبت حياتها أنفاس الشاعر .

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث عن معنى المقطوعة الاتية :

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه

ان مت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبة

أقصى مناي ....

هنا يشبه الشاعر غربته بغربة المسيح ، والصليب أشارة الى ان كل من النبي والشاعر يحمل رسالة أو قضية ، من أجلها ينفى وفي سبيل اعلائها يقتل .

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث عن معنى المقطوعة الاخيرة :

ياريح ، يا أبراً تخيط لي الشراع : متى أعود

الى العراق ؟ متى أعود ؟

ان الشاعر هنا لا زالت تطارده مخاوف عدم الرجوع الى العراق ، وكلما توغل في القصيدة بدأ الامل ينتزع منه ، فأضعف الامل أن يتمنى الانسان أن يدفن في بلده ، وأقوى اليأس أن يتمنى الانسان أن يعود الى بلده جسداً هامداً ....

ثالثاً / قراءة المدرس (الباحث) للقصيدة قراءة نموذجية :

يقرأ المدرس (الباحث) القصيدة قراءة جيدة وواضحة وبصوت مناسب ، لاظهار ما تتضمنه القصيدة من أفكار ، وما تثيره من مشاعر (يعيد الباحث قراءة القصيدة أكثر من مرة اذا كانت ضرورة لذلك) .

نص القصيدة

(غريب عن الخليج)

للشاعر بدر شاكر السياب

أحببت فيك عراق روحي أو حببتك أنت فيه

يا انتما مصباح روحي أنتما

وأتى المساء ....

لو جئت في البلد الغريب الى ما كمل اللقاء

الملتقى بك والعراق على يدي هو اللقاء

شوق يخض دمي اليه .

كأن كل دمي اشتهاء ....

جوع اليه كجوع كل دم الغريق الى الهواء

شوق الجنين اذا أشراب من الظلام الى الولادة ...

الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام

– حتى الظلام – هناك أجمل ، فهو يحتضن العراق

واحسرتاه ، متى أنام

فأحس أن على الوسادة

من ليلك الصيفي طلاً فيه عطرك يا عراق ؟

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة

غنيت تربتك الحبيبة ...

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه

ان مت ياوطني فقبر في مقابرك الكئيبة

أقصى مناي ...

يا ريح ، يا أبراً تخيط لي الشراع : متى أعود

الى العراق ؟ متى أعود ؟

رابعاً / قراءة الطلبة الجهرية للقصيدة :

يطلب المدرس (الباحث) من بعض الطلبة قراءة القصيدة قراءة جهرية ، والبداية تكون للطلبة الذين يمتازون بالجرأة الادبية وحسن الاداء .

خامساً / تحليل القصيدة :

المدرس (الباحث) / أعزائي الطلبة بعد أن أطلعتم على القصيدة وقرأتموها ، لابد لنا من تحليلها وبيان جملة الافكار الرئيسة والفرعية فيها .

س / من يذكر هذه الافكار الموجودة في القصيدة ؟

طالب / يجيب : أن قصيدة السياب فيها وحدة الاحساس ، ويعبر فيها الشاعر عن معاناته بعيداً عن وطنه (العراق) .

طالب اخر / يضيف : يتميز الشعر الحر بتنوع القوافي ، ومنحت فكرة ايقاع (البحر الكامل – متفاعلن) جمالاً اضافياً لما فيه من حركة وأنفعال تتناسبان وجو القصيدة النفسي .

طالب اخر / يعقب : ان فكرة الشاعر في قصيدته يخاطب أمرأة غير واضحة الملامح ولم تعرف من هي ؟ فقد تكون الحبيبة او الزوجة لكونها رمزاً للوطن ، وربما الاهل ، والتأكيد على العلاقة الجدلية بين الوطن والمرأة وكلاهما مصباح للروح .

طالب اخر / يسأل : هل أن وجود المرأة بعيداً عن الوطن تعني عاطفة ناقصة ؟

المدرس (الباحث) من يجيب ؟

طالب / يجيب : أن الوطن بلا أمرأة تعني وطناً خالياً من علاقات التواصل والحب والدفء

طالب اخر / يعقب : ان القصيدة تعرض معاناة الشاعر بغربته بعيداً عن وطنه وأهله وحبيبته ، ولهذا نرى بعد اللقاء بالمرأة بعيداً عن الوطن لقاء ناقصاً ، واللقاء الحقيقي يكون في أحضان الوطن .

المدرس (الباحث) / أحسنتما ، أي أن الشاعر يريد أن يكون العراق هو اللقاء الحقيقي ، ويزدحم الشوق في نفسه فيخض دمه خضاً ، ويسفر عن رغبة عارمة لرؤية الوطن ، والعيش فيه حتى تحولت دماؤه جميعاً الى اشتهاء لكل ما في الوطن.

طالب / يسأل : هل أستعمال السياب الصور البلاغية في قصيدته ؟

المدرس (الباحث) / يجيب بالحديث :

نعم أنه استعمل صوراً بلاغية متعددة ، التشبيه مرة والاستعارة والكناية مرة أخرى ، وأنه وظف كل المظاهر الاسلوبية من أجل أيصال ذلك الشوق .

طالب / يضيف الحديث : وظهرت في روح السياب الوطنية وايثاره لها .

طالب أخر / يعقب بالحديث : أن شعوره القوي بأن الشمس في وطنه أجمل وأروع من كل الشموس .

المدرس (الباحث) / احسنتما ، نعم يؤكد السياب على الظلام في العراق بأنه أجمل لانه يحتضن العراق ، عراق الاحبة ، عراق الشوق ، وهذه استعارة مكنية جميلة ، حينما جعل الظلام كائناً يحتضن العراق بالمحبة والحنان .

ويسأل المدرس (الباحث) :

س/ بماذا كان يتحسر السياب على أمنيات متواضعة جداً ، ولكنها كبيرة في نفسه؟

طالب / يجيب بالحديث : كان يتحسر على رغبته في النوم تحت ليالي العراق الصيفية ، حيث يتساقط الندى معطراً بالعراق وحده ، دون غيره ، لانه جرب أقطاراً كثيرة ، فلم يجد أجمل من العراق ولا أمن أحن عليه .

المدرس (الباحث) / أحسنت ، ويضيف الحديث :

يختتم السياب قصيدته بألتفاته رقيقة مؤثرة ، حينما يتمنى أن يجد قبراً صغيراً في مقابر العراق يضم رفاته ، وتلك أمنية مؤلمة لا يتمناها الا من عرف قيمة الوطن وعظمته .

خامساً / الخاتمة (الخلاصة) :

تدعو قصيدة السياب (غريب عن الخليج) عن معاناته في حب وطنه العراق ، بألم وحرارة وحرقة نفس ، والحنين الى الحبيبة والزوجة والاهل .

أن القصيدة فيها عاطفة ناقصة ، لان وطن بلا أمرأة تكون العاطفة خالية من الحب والحنان .

وتدعو القصيدة أن يحتضن العراق جسد الشاعر بعد موته ، بعد أن يضم رفاته في احدى مقابره الكئيبة ، وهي أمنية مؤلمة جداً .

الاسئلة التلخيصية :

١- بم أستهل السياب قصيدته .

٢- المرأة التي خاطبها السياب غير واضحة الملامح ؟ لماذا ؟

٣- ما الاستعارة التي عبر عنها السياب عن جمال وطنه ؟

٤- وازن بين الشعر الحر والشعر العمودي من حيث الشكل والمضمون ؟

٥- اين يضع النقاد قصيدة (غريب عن الخليج) للسياب ؟ أكتب ما تحفظ منها ؟

٦- أذكر أشهر دواوين السياب الشعرية ؟

* تحديد الواجب البيتي وذلك باعطاء تحضير للدرس القادم .

ملحق رقم (٢)

خطة أنموذجية لتدريس الادب والنصوص على وفق الطريقة الاعتيادية (التقليدية)

الصف / السادس الادبي　　المادة / الادب والنصوص

الشعبة / المجموعة الضابطة　　الموضوع / الشاعر بدر شاكر السياب

اليوم /

التاريخ /

الاهداف

الاهداف العامة

الاهداف نفسها التي وردت في طريقة المناقشة .

الاهداف الخاصة

الاهداف نفسها التي وردت في طريقة المناقشة

الوسائل التعليمية

الوسائل التعليمية نفسها التي أعتمدت في طريقة المناقشة .

خطوات الدرس

قبل البدء بخطوات الدرس ، يجري المدرس (الباحث) اختباراً يومياً لحث الطلبة على التحضير اليومي ، ولمعرفة مدى استيعابهم للموضوع ، ويكون الاختبار في مادة الدرس السابق والدرس الجديد .

اولاً / التمهيد والمقدمة :

أ- التمهيد للموضوع :

يثير المدرس (الباحث) اهتمام الطلبة وانتباههم للدرس وذلك عن طريق ربط الموضوع الجديد بالموضوع السابق

درستم وتعرفتم في الدرس السابق مدرسة الشعر الحر وأن هذه المدرسة طمحت اليها محاولات سابقة في تجديد الشعر ، وكانت الجهود المبذولة من قبل السابقتين تتضافر نحو التجديد لمجموعة من العوامل الحضارية والثقافية والاجتماعية .

أن التجديد يحتاج الى الكثير من الجهود المتواصلة ، وهو نقله أو تغيير في النوع الادبي ، وخروج على المثل الشعري السائد وابداع شيء مغاير للقديم ، والتطوير هو محاولات محدودة في التجديد لم تكتمل عند حد مثل جماعة الديوان وأبو لو ومدرسة المهجر ... أنها حركات تطوير بشرت بالقادم الجديد ، وهيأت سبل جديدة ، وأكتشفت مدرسة شعرية واعية متجددة (مدرسة الشعر الحر) .

واصطلاحها (شعر التفعيلة) لانها أسست للشعر الجديد وانتشاره بعد الحرب العالمية الثانية .

ظهر الشعر الحر عام (١٩٤٧) استجابة لمجموعة العوامل التي ذكرناها ، وكانت الاسباب متوفرة نحو التجديد للشاعر العراقي بدر شاكر السياب والشاعرة

العراقية نازك الملائكة وتبعهما في ذلك الشاعر عبد الوهاب البياتي والشاعر بلند الحيدري وغيرهما .

يطلق الدارسون على هؤلاء الشعراء (رواد الشعر الحر) ، وأول قصيدة نشرها الشاعر بدر شاكر السياب من الشعر الحر (هل كان حباً) عام (١٩٤٧) ، وأول قصيدة للشاعر نازك الملائكة (الكوليرا) نشرتها في العام نفسه لكن هاتين القصيدتين لم تمثلا الشعر الحر بكل سماته ، لانهما تقتربان من غنائية الشعر العمودي وأغراضه مع التجديد في مجال الايقاع .

وبفضل هاتين القصيدتين أنتشرت ظاهرة (الشعر الحر) ، وتوسعت وتعمقت وتطورت حيث كتب على غرارها الكثير من شعراء العراق والوطن العربي ، وكانت هناك محاولات فردية سابقة من مصر والسودان واليمن ولبنان والمهجر لا نقلل من شأنها ، وظلت فردية لم تصل الى قناعة جماعية ولم تشكل ظاهرة فنية ، ولكن الفخر يعود الى ابداع الشعر الحر وعمقه ونظر له وأجاد فيه شعراء العراق .

أن الشعر الحر يختلف عن (الشعر العمودي) وهو ترتيب جديد للتفعيلات الوزنية بعدم الالتزام بوزن القصيدة ، وعدم الاخذ بالقوافي ، بعد أن أصبح تغييراً في المضامين الشعرية في العصر الحديث ، فأصبح الشعر يعبر عن بؤس هذا العالم وتغيراته ومن صفات الشعر الحر الاتي :

١- غياب الاغراض المعروفة (المديح والهجاء والفخر وغيرها) وأحلال مضامين جديدة لا تنتمي لتلك الاغراض بوضوح .
٢- الغموض الشفاف مع شيء من الرمز واللغة الموحية .
٣- الابتعاد عن التفعيلات ، خلافاً للبيت الشعري ذي الشطرين .

٤- عدم الالتزام بايقاع واحد ، وتنوع ايقاعات القصيدة الواحدة ، وكل مقطع له ايقاع في تفعيلات من وزن ما ، وتنوع القوافي أو الغائها .
٥- التقليل من شأن الغنائية والروح الرومانسية والغاء الخطابية وأختفاء الشاعر وراء ابداعه في اطار لغة مهموسة .
٦- احلال السطر الشعري بدلاً من البيت الشعري ذي الشطرين .
٧- توظيف الاساطير والحكايات الخرافية والشعبية لتعميق الدلالة المعنوية .

ويسترسل المدرس (الباحث) بالحديث :

أن التجديد الحقيقي لا يقف عند حد ، فقد التحقوا بالشعراء الرواد (شعراء الشعر الحر) شعراء اخرون عمقوا الشعر الحر وتوسعوا فيه وأضافوا اليه وأجادوا فيه ، وكان مكتمل السمات واضح التأثير .

س/ ماذا أطلق عليهم هؤلاء الشعراء ومن هم ؟

طالب / أطلق عليهم (شعراء ما بعد الرواد) .

طالب اخر / منهم الشاعر كاظم جواد والشاعرة لميعة عباس عمارة من العراق .

طالب اخر / ومنهم الشاعر سعدي يوسف والشاعر يوسف الصائغ من العراق .

طالب اخر / ومنهم الشاعر حسب الشيخ جعفر والشاعر زكي الجابر والشاعر رشدي العامل وغيرهم من العراق .

المدرس الباحث / أحسنتم . وهل هناك من شعراء الشعر الحر من الوطن العربي ؟

طالب / نعم من مصر الشاعر صلاح عبد الصبور والشاعر عبد المعطي حجازي والشاعر أمل دنقل .

طالب اخر / ومن السودان الشاعر محمد مفتاح الفيتوري .

طالب اخر / ومن ليبيا الشاعر على القراني والشاعر محمد الشلطامي .

طالب اخر / ومن فلسطين الشاعر توفيق صايغ والشاعر محمود درويش والشاعر توفيق زياد .

طالب اخر / ومن لبنان الشاعر خليل حاوي والشاعر يوسف الخال .

طالب اخر/ ومن سوريا الشاعر أدونيس .

المدرس (الباحث) / احسنتم بارك الله فيكم .

ويسترسل المدرس (الباحث) بالحديث :

نلفت انتباهكم اعزائي الطلبة الى نوع ابداعي جديد في أدبنا المعاصر هي (قصيدة النثر) ، قال فيه الكثير من الشعراء منذ الثمانينات من القرن الماضي وما زال ، وتعود جذور هذا النوع من الشعر الى نهاية الستينيات وبداية السبعينات ، وظهرت في اعمال (سركون بولص) و(فاضل العزاوي) و(جان دمو)

س / بماذا يتميز هذا النوع الجديد ؟

طالب / يتميز هذا النوع الجديد باللغة الشعرية المكثفة والصور الشعرية الطريفة.

طالب أخر / ويتميز بالاسلوب المركز مع احلال قيمة أيقاعية جديدة لا علاقة لها بالتغيرات التراثية .

المدرس (الباحث) / أحسنتما ، هذا النوع الادبي أصبح مشروعاً في الحداثة من الغاء الحدود الفاصلة بين الاجناس الادبية ، وقصيدة النثر تأخذ من الشعر الايقاع الداخلي ومن النثر بعض تقنياته مثل السرد واسترسال الكتابة والحوار والمشهد ، ويشعر المتلقي أن تشكيلاً جديداً للجملة يبنى على أقامة علاقات جديدة في تركيب اللغة ، ويبتعد عن شعر العمود نهائياً وعن شعر (الرواد الحر – الطليق) ، ومثال ذلك كتب فاضل العزاوي في ديوانه (سلاماً ايتها الموجة .. سلاماً أيها البحر) قوله :

في الريح وقفت أرى وطني ينهض من أعماق الايام

ينهض من صحراء الموتى

أذ لا يوجد الا جسدي

نقف من هذا المقطع على صيغة نثرية أليفة وقريبة من القلب ، ويوصل نفسه ودلالته للملتقى بموسيقاه المنبعثة من الداخل .

والان نأخذ من رواد (الشعر الحر) الشاعر بدر شاكر السياب

ب – المقدمة للموضوع :

يحاول المدرس (الباحث) اثارة اهتمام الطلبة وانتباههم للدرس بالحديث الاتي :

الشاعر العراقي بدر شاكر السياب المولود في البصرة عام (١٩٢٦ م) في قريـــة (جيكور) التابعة لقضاء ابي الخصيب ، أشتغل بالزراعة وجني التمر ، ماتت والدته وهو في السادسة من عمره فنشأ يتيماً .

س / أريد ان أسأل احدكم اين اكمل بدر شاكر السياب دراسته ؟

طالب / أكمل دراسته الثانوية في مدينة البصرة .

طالب أخر / والتحق بدار المعلمين العالية في بغداد (كلية التربية) .

طالب أخر / درس سنة واحدة في اللغة العربية ، وأنتقل الى اللغة الانكليزية لاتقانه اللغة العربية .

المدرس (الباحث) / احسنتم ، بارك الله فيكم ...

طالب / ما هي المهنة التي عمل بها الشاعر بدر شاكر السياب ؟

المدرس (الباحث) / عمل مدرساً في مهنة التدريس ، وكان تعينه في الرمـــــادي (الانبار) ، ثم فصل من هذا العمل لاسباب سياسية ، وأشتغل في الصحافة ، وقام بأكثر من عمل وأخيراً عمل في الموانىء

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث :

أصيب الشاعر بدر شاكر السياب بمرض مزمن أقعده عن العمل ، توفي في الكويت عام (١٩٦٤ م) بعيداً عن وطنه الذي أحبه ، ودفن في مقبرة (الحسن البصري) في الزبير

س / أصدر الشاعر عدة دواوين من يذكر لنا منها ؟

طالب / منها (أزهار ذابلة) و(أساطير) و(أنشودة المطر) .

طالب أخر / ومنها (المعبد الغريق) وأخرها (أقبال) ، وتم جمع دواوينه . في مجلدين بعنوان (ديوان بدر شاكر السياب) المجموعة الكاملة .

المدرس (الباحث) / أحسنتم على هذه المعلومات القيمة .

ويسترسل المدرس (الباحث) الحديث :

ان قصيدته (غريب عن الخليج) من أهم القصائد التي تعبر عن حب الوطن والحنين له والشوق لمن فيه .

ثانياً / قراءة المدرس (الباحث) للقصيدة قراءة نموذجية :

يقرأ المدرس (الباحث) القصيدة قراءة جيدة وواضحة وبصوت مناسب ، لاظهار ما تتضمنه القصيدة من أفكار ، وما تثيره من مشاعر (يعيد الباحث قراءة القصيدة أكثر من مرة اذا كانت ضرورة لذلك) .

نص القصيدة

(غريب عن الخليج)

للشاعر بدر شاكر السياب

أحببت فيك عراق روحي أو حببتك أنت فيه

يا أنتما مصباح روحي أنتما

وأتى المساء ....

لو جئت في البلد الغريب الى ما كمل اللقاء

الملتقى بك والعراق على يدي هو اللقاء

شوق يخض دمي اليه .

كأن كل دمي اشتهاء ....

جوع اليه كجوع كل دم الغريق الى الهواء

شوق الجنين اذا اشرأب من الظلام الى الولادة .....

الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام

– حتى الظلام – هناك أجمل ، فهو يحتضن العراق

واحسرتاه ، متى أنام

فأحس أن على الوسادة

من ليلك الصيفي طلاً فيه عطرك يا عراق ؟

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة

غنيت تربتك الحبيبة ....

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبة

أن مت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبة

أقصى مناي ....

يا ريح ، يا أبراً تخيط لي الشراع : متى أعود

الى العراق ؟ متى أعود ؟

ثالثاً / قراءة الطلبة الصامتة للقصيدة :

بعد قراءة المدرس (الباحث) القصيدة قراءة جهرية نموذجية ، يدعو الطلبة الى قراءة القصيدة قراءة صامتة ، يضعون خطوطاً تحت الكلمات صعبة المعنى ،

وغامضة التحريك ، وعدم السماح للطلبة بمقاطعة هذا الصمت في القراءة ، والانشغال بأمور تبعدهم عن الاستمرارية في القراءة الصامتة .

رابعاً / قراءة الطلبة الجهرية للقصيدة :

يطلب المدرس (الباحث) من بعض الطلبة قراءة القصيدة قراءة جهرية ، والبداية تكون للطلبة الذين يمتازون بالجراءة الادبية وحسن الاداء ، ومشاركة اكبر عدد ممكن من الطلبة في القراءة الجهرية ، على أن تكون القراءة بصوت واضح ومسموع.

خامساً / الشرح (العرض والمناقشة) :

المدرس (الباحث) / اعزائي الطلبة بعد ان أطلعتم على القصيدة وقرأتموها ، لا بد لنا من أن نقف ونبين جملة الافكار الرئيسة والفرعية فيها ، أن قصيدة السياب فيها وحدة الاحساس ، ويعبر فيها الشاعر عن معاناته بعيداً عن وطنه (العراق) .

ويتميز الشعر الحر بتنوع القوافي ، ومنحت فكرة ايقاع (البحر الكامل – متفاعلن) جمالاً أضافياً لما فيه من حركة وأنفعال تتناسبان وجو القصيدة النفسي .

ويسترسل المدرس (الباحث) بالحديث :

أن فكرة الشاعر في قصيدته يخاطب أمراة غير واضحة الملامح ولم تعرف من هي ؟ فقد تكون الحبيبة أو الزوجة لكونها رمزاً للوطن ، وربما الاهل ، والتأكيد على العلاقة الجدلية بين الوطن والمرأة وكلاهما مصباح للروح .

أن الوطن بلا أمرأة تعنى وطناً خالياً من علاقات التواصل والحب والدفء .

ويضيف المدرس (الباحث) بالحديث :

أن القصيدة تعرض معاناة الشاعر بغربته بعيداً عن وطنه وأهله وحبيبته ، ولهذا نرى بعد اللقاء بالمرأة بعيداً عن الوطن لقاءً ناقصاً ، واللقاء الحقيقي يكون في أحضان الوطن أي أن الشاعر يريد أن يكون العراق هو اللقاء الحقيقي ، ويزدحم

الشوق في نفسه فيخض دمه خضاً ، ويسفر عن رغبة عارمة لرؤية الوطن ، والعيش فيه ، حتى تحولت دماؤه جميعاً الى اشتهاء لكل ما في الوطن .

ويضيف المدرس (الباحث) بالحديث :

استعمل السياب في قصيدته صوراً بلاغية متعددة ، مثل التشبيه مرة والاستعارة والكناية مرة أخرى ، وأنه وظف كل المظاهر الاسلوبية من أجل أيصال ذلك الشوق.

ظهرت في روح السياب الوطنية وايثاره لها ، وأن شعوره القوي بأن الشمس في وطنه أجمل وأروع من كل الشموس .

ويضيف المدرس (الباحث) بالحديث :

يؤكد السياب على الظلام في العراق بأنه أجمل لانه يحتضن العراق ، عراق الاحبة ، عراق الشوق ، وهذه استعارة مكنية جميلة ، حينما جعل الظلام كائناً يحتضن العراق بالمحبة والحنان .

يتحسر السياب على أمنيات متواضعة جداً ، ولكنها كبيرة في نفسه ، كان يتحسر على رغبته في النوم تحت ليالي العراق الصيفية ، حيث يتساقط الندى معطراً بالعراق وحده ، دون غيره ، لانه جرب أقطاراً كثيرة ، فلم يجد أجمل من العراق ولا أحن عليه .

ويضبف المدرس (الباحث) بالحديث :

يختتم السياب قصيدته بألتفاته رقيقة مؤثرة ، حينما يتمنى ان يجد قبراً صغيراً في مقابر العراق يضم رفاته ، وتلك أمنية مؤلمة لا يتمناها الا من عرف قيمة الوطن وعظمته .

سادساً / قراءة الطلبة الجهرية للقصيدة بالتتابع :

يطلب المدرس (الباحث) من الطلبة بقراءة القصيدة الجهرية بالتتابع من غير شرح أو تعليق ، ويحاول مشاركة الغالبية من الطلبة في هذه القراءة .

سابعاً / الخاتمة (الخلاصة) :

تدعو قصيدة السياب (غريب عن الخليج) عن معاناته في حب وطنه العراق ، بألم وحرارة وحرقة نفس ، والحنين الى الحبيبة والزوجة والاهل .

ان القصيدة فيها عاطفة ناقصة ، لان وطن بلا أمرأة تكون العاطفة خالية من الحب والحنان .

وتدعو القصيدة أن يحتضن العراق جسد الشاعر بعد موته ، بعد أن يضم رفاته في أحدى مقابره (الكئينة) ، وهي أمنية مؤلمة جداً .

الاسئلة التلخيصية :

١- بم أستهل السياب قصيدته .

٢- المرأة التي خاطبها السياب غير واضحة الملامح ؟ لماذا ؟

٣- ما الاستعارة التي عبر عنها السياب عن جمال وطنه ؟

٤- وازن بين الشعر الحر والشعر العمودي من حيث الشكل والمضمون ؟

٥- اين يضع النقاد قصيدة (غريب عن الخليج) للسياب ؟ اكتب ما تحفظ منها ؟

٦- أذكر أشهر دواوين السياب الشعرية ؟

* تحديد الواجب البيتي وذلك باعطاء تحضير للدرس القادم .

ملحق رقم (٣)

فقرات الاختبار التحصيلي البعدي

اسم الطالب أو الطالبة   المدرسة

الصف/ السادس الادبي   المادة / الادب والنصوص

الشعبة والمجموعة /

ملاحظة / لكل فقرة (٤) درجات

عزيزتي الطالبة ، عزيزي الطالب : الاجابة على جميع الفقرات الاتية :

١- وازن بين الشعر الحر والعمودي من حيث الشكل والمضمون ؟

٢- ما المقصود (بقصيدة النثر) ، وبم تميزت ؟

٣- ما أشهر قصيدة للشاعر بدر شاكر السياب ؟ وماذا تعد قصيدته (غريب عن الخليج) ؟

٤- لمن يعود الفضل في انتشار ظاهرة (الشعر الحر) ؟

٥- ما يعد الشاعر صلاح عبد الصبور ؟ وبم تميز شعره ؟

٦- ما القصيدة التي كتبها الشاعر المصري أمل دنقل ؟ وماذا تعد ؟ ولماذا ؟

٧- كيف كانت موضوعات الشعر الوجداني ؟

٨- كيف بدأ الشعر في عصر النهضة ، وبم أقترنت النهضة ؟

٩- من الشعراء الذين اشتهروا في الشعر المسرحي ؟ ومن أين ؟

١٠- ما أنواع المسرحية ؟

١١- اين ولد الشاعر محمد على الخفاجي ؟ وماذاحازت مؤلفاته ؟

١٢- علل – أنحسار الشعر التعليمي ؟

١٣- ما تحكي الملاحم ؟ وما السبب ؟

١٤- ماذا شكل شعر المقاومة الفلسطينية ؟

١٥- ما أهم سمة نضالية عربية عاشها الشاعر عبد الرحيم محمود ؟

١٦- ماذا يعد شعر الشاعر محمود درويش ؟

١٧- مم عانت الشاعرة فدوى طوقان ؟

١٨- بم تميز شعر الشاعر محمود درويش ؟

١٩- ما النثر الفني ؟ وبم تميز ؟

٢٠- ما القصة القصيرة ؟

٢١- ما الرواية ؟

٢٢- علام تقوم المقالة ؟ ومم تتكون مادتها ؟

٢٣- مرت المقالة في العراق بثلاث مراحل ؟ ما هي ؟

٢٤- علل متى عرف المجتمع البشري الخطابة ؟

٢٥- ما أنواع الشخصيات في الرواية ؟

ملحق رقم (٤)

الاجوبة النموذجية على فقرات الاختبار

١- الشعر الحر هو ترتيب مغاير للشكل المألوف (الشعر العمودي) ، فيه تفعيلات وزنية تراثية ، بعيدة عن وزن القصيدة والقوافي ، وأصبح التغيير في العصر الحديث لبؤس هذا العالم وتغيراته .

٢- هي قصيدة تبناها عدد من الشعراء الشباب فترة الثمانينات ، تتميز باللغة الشعرية المكثفة ، والصور الشعرية الطريفة الاسلوب المركز ، مع أحلال قيمة ايقاعية جديدة لا علاقة لها بالتفعيلات التراثية .

٣- أشهر قصيدة له (أنشودة المطر) وتعد قصيدته (غريب عن الخليج) من أهم القصائد التي تعبر عن حب الوطن والحنين اليه والشوق لمن فيه .

٤- للشاعر بدر شاكر السياب من خلال قصيدته (هل كان حباً) وللشاعرة نازك الملائكة (الكوليرا) .

٥- يعد الشاعر صلاح عبد الصبور من رواد الشعر الحر في مصر ، تميز شعره ببساطة العبارة وطابع الحزن ، مع روح قصصية تعبر عن مأساة المواطن العربي .

٦- كتب الشاعر المصري أمل دنقل في ديوانه (العهد الاتي) قصيدة (من أوراق ابي نؤاس) ، وتعد من أهم القصائد في مجال تطوير الشعر الحر ، لما فيها من توظيف للتراث بأسلوب قصصي رائع .

٧- كانت فردية ذاتية ، تعبر عن ذات الشاعر ووجدانه ، وتعبر عن الاحساس الشخصي للشاعر .

٨- استعاد الشعر العربي قوته وغنائيته الحقيقية في عصر النهضة ، وأقترنت النهضة باتجاهين بارزين : السياسية والاجتماع ، وأمتزجت فردية وذاتية الشاعر بمحبته وقوميته .

٩- الشاعر عزيز أباظة وصلاح عبد الصبور من مصر ، والشاعر خالد الشواف وعاتكة الخزرجي وحمد على الخفاجي من العراق .

١٠- المأساة : وهي المسرحية التي تكون نهايتها حزينة .

الملهاة : وهي المسرحية التي تكون نهايتها سعيدة

١١- محمد على الخفاجي أديب معروف ، ولد في كربلاء وتخرج في مدارسها وحصل على البكلوريوس في اللغة العربية وأدابها ، مؤلفاته في الشعر والنثر ، ولا سيما الشعر المسرحي ، حصل على جوائز تقديرية من العراق والوطن العربي .

١٢- لانتشار الطباعة ، وتيسر لطلاب العلم الاطلاع على ما يقدم باستمرار من دور النشر في مختلف العلوم ، فضلاً عن أزدياد الوعي الثقافي وتطوره ، وانتشار دور العلم من مدارس وجامعات .

١٣- الملاحم قصائد طوال تقع في الاف الابيات ، تحكي حروب حقيقية أمتدت لسنوات ، وتشترك منها الالهة الى جنب البشر مناصرة او محاربة وذلك بسبب تعدد واجباتها وميولها فتجاوزت طبيعة احداثها المعقول .

١٤- لقد شكل شعر المقاومة الفلسطينية ظاهرة مؤثرة في الشعر الفلسطيني الحديث ، ومن ثم الشعر العربي ، وكان غالبية شعرائه من الارض المحتلة .

١٥- جاء الشاعر الى العراق ، واشتغل في تدريس اللغة العربية في البصرة ، وشارك في انتفاضة مايس (١٩٤١) في العراق .

١٦- كان شعره وثيقة فنية تدين الانحرافات الصهيونية في تعاملها مع الشعب الفلسطيني ، وجل شعره في المقاومة الفلسطينية وقضيته العادلة .

١٧- ظلت الشاعرة فدوى طوقان تعاني وتناجي وطنها السليب (فلسطين) ، وهي تحن اليه بحزن شديد .

١٨- ١- الجمال الشعري ٢- روعة الصياغة
٣- الحماس ٤- الموضوعات النضالية والسياسية .

١٩- النثر الفني هو الكلام الفني الجميل المنثور باسلوب جيد ، لا يحكمه النظم الايقاعي كما هو حال الشعر ، ويتميز باللغة المنتقاة ، والفكرة الجلية ، والمنطق السليم المقنع في المتلقي .

٢٠ – حكاية ادبية في اصولها القديمة ذات فكرة بسيطة تعالج موضوعاً واحداً ، يتكون من بداية ووسط ونهاية ، وتدور احداثها في جانب معين من الحياة ، وفق رأي كاتبها .

٢١- الرواية هي قصة طويلة يميزها تعدد شخصياتها ، وتنوع احداثها ، فيعتمد كاتبها الى التفصيل عبر السرد ، اذ يتجاوز ذلك عشرات الصفحات ؟

٢٢- تقوم المقالة في الاساس على الذاتية او التجربة الشخصية ، وتتكون مادتها بما يلم بالكاتب من عوامل الفرح والحزن .

٢٣- ١- مرحلة العهد العثماني ٢- مرحلة الاحتلال البريطاني
٣- عهد الحكم الوطني ومن كتابها (طه الراوي وابراهيم صالح شكر وعلي جواد الطاهر) .

٢٤- الخطابة فن من الفنون النثرية ، عرفه المجتمع البشري قديماً ، لانه يلبي حاجة الانسان التي يقع فيها .

٢٥- ١- الشخصيات البسيطة : وهي الشخصيات التي لا تثير اهتمام القارىء .
٢- الشخصيات المركبة : وهي الشخصيات التي يعتني بها القارىء ، ويتابع حركتها في الرواية ، لانها متفاعلة في النمو والتكامل والاحداث والظروف .

ملحق رقم (٥)

أسماء المحكمين

١- أ.د.أسماء كاظم فندي المسعودي / جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية .
٢- أ.م.د. عادل عبد الرحمن نصيف / جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية .
٣- أ.م.د. محمد علي غناوي / جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية .
٤- أ.م.د. يونس هاشم / جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية .
٥- أ.م.د. رعد طالب كريم / جامعة ديالى كلية التربية الاساسية .
٦- أ.م.د. احمد خضير رميض / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
٧- م.د. رعد غالب غائب / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
٨- م.د. فخري حميد رشيد / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .

٩- م.د. حسن هادي محمد / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
١٠- م.د. حسين ابراهيم مبارك / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
١١- م.م. جاسم حسين عايش / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
١٢- م.م. ناطق سعيد غائب / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
١٣- م.م. مصعب نوري محمود / معهد المعلمين المركزي في المقدادية .
١٤- السيد سعدون احمد عيسى / مدرس اللغة العربية في اعدادية ابي حنيفة النعمان .
١٥- السيد فاروق عبد القادر ابراهيم / مدرس اللغة العربية في اعدادية ابي حنيفة النعمان .
١٦- ابتسام علي / مدرسة اللغة العربية في اعدادية رسالة الاسلام للبنات .
١٧- اسماء مجيد / مدرسة اللغة العربية في اعدادية رسالة الاسلام للبنات .
١٨- الاء خضير / مدرسة اللغة العربية في اعدادية رسالة الاسلام للبنات .
١٩- عذراء كاظم / مدرسة اللغة العربية في اعدادية رسالة الاسلام للبنات .

ملحق رقم (٦)

أعمار الطلبة محسوباً بالاشهر لمجاميع البحث

ت	أعدادية رسالة الاسلام للبنات		ت	أعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	
	م. التجريبية	م. الضابطة		م. التجريبية	م. الضابطة
١	٢٢٤	٢١٦	١	٢١١	٢٠٩
٢	٢٠٩	٢٠٧	٢	٢١٦	٢١٣
٣	٢٢٩	٢١٢	٣	٢٢١	٢٠٦
٤	٢١١	٢٠٩	٤	٢٠٨	٢٢٦
٥	٢٣٢	٢٠٨	٥	٢١٧	٢٠٦

٦	٢٠٨	٢٢٥	٦	٢٣٢	٢٠٩
٧	٢١٣	٢٠٧	٧	٢١٣	٢١٦
٨	٢١٥	٢٣٢	٨	٢٠٩	٢٣٠
٩	٢١١	٢٢١	٩	٢٠٥	٢٠٨
١٠	٢٠٥	٢١١	١٠	٢٢٦	٢٣٢
١١	٢١٢	٢٠٥	١١	٢١٣	٢٢١
١٢	٢١٣	٢١٦	١٢	٢٢٤	٢٠٥
١٣	٢٠٧	٢٢٥	١٣	٢٠٨	٢١٨
١٤	٢٠٩	٢١٣	١٤	٢١١	٢٠٩
١٥	٢٠٦	٢٣٢	١٥	٢٢٧	٢٢٣
١٦	٢٢١	٢٠٦	١٦	٢٠٩	٢١١
١٧	٢٣٠	٢٢٨	١٧	٢٢٤	٢١٧
١٨	٢٠٥	٢٠٩	١٨	٢٠٨	٢٠٥
١٩	٢١٣	٢١١	١٩	٢٣٢	٢١١
٢٠	٢٠٦	٢٢٨	٢٠	٢١٣	٢٢٩
٢١	٢١٢	٢٣٢	٢١	٢٠٩	٢١١
٢٢	٢٢٩	٢٢٤	٢٢	٢٢١	٢٣٢
٢٣	٢٢١	٢١٣	٢٣	٢٠٦	٢١٨
٢٤	٢٠٩	٢١١	٢٤	٢٠٥	٢١١
٢٥	٢١٥	٢٠٦	٢٥	٢٠٧	٢٠٩
٢٦	٢٢٨	٢٠٩	٢٦	٢١٦	٢٢٤
٢٧	٢١١	٢٢١	٢٧	٢٠٨	٢١٣
٢٨	٢٠٧	٢١٣	٢٨	٢٢٧	٢٠٥
٢٩	٢١٣	٢٠٨	٢٩	٢٣١	٢٠٩

٣٠	٢٠٩	٢١٦	٣٠	٢٠٩	٢١٣
٣١	٢٣٢	٢٠٥	٣١	٢١٩	٢٣٢
٣٢	٢٠٦	٢٢٣	٣٢	٢١٣	٢١١
٣٣	٢١٧	٢٠٨	٣٣	٢٢١	٢٠٩
٣٤	٢٢٤	٢١١	٣٤	٢٣٢	٢١٦
٣٥	٢٠٥	٢٣١	٣٥	٢٠٩	٢١٣
٣٦	٢٠٩	٢٢٣	٣٦	٢١١	٢٠٨
٣٧	٢١٨	٢١١	٣٧	٢١٩	٢٠٥
٣٨	٢٢٩	٢٢٤	٣٨	٢١٣	٢٣٢
٣٩	٢١٥	٢٠٩	٣٩	٢٢٣	٢٠٦

ملحق رقم (٧)

درجات الطلبة في مادة اللغة العربية للصف الخامس الادبي للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨

ت	أعدادية رسالة الاسلام للبنات		ت	أعدادية ابي حنيفة النعمان للبنين	
	م. التجريبية	م. الضابطة		م. التجريبية	م. الضابطة
١	٦٧	٦٢	١	٧١	٧٦
٢	٥٨	٧١	٢	٦٤	٦٩
٣	٧١	٥٦	٣	٥٥	٦١
٤	٥٥	٦٨	٤	٦٦	٧٣
٥	٦٥	٩٠	٥	٧٢	٦٧
٦	٦٢	٧٣	٦	٥٩	٥٥
٧	٨٢	٥٤	٧	٦٣	٩٠

٨	٧٥	٦٨	٨	٧٢	٧٤
٩	٧٧	٦٣	٩	٧٨	٦٢
١٠	٥٦	٧١	١٠	٦٩	٥٧
١١	٦٢	٦٥	١١	٩٠	٧٨
١٢	٧٢	٨٠	١٢	٨١	٦٩
١٣	٩٠	٧٢	١٣	٧٤	٦٣
١٤	٧٧	٦٥	١٤	٨٦	٧٤
١٥	٨٢	٧٨	١٥	٧٨	٧٢
١٦	٥١	٦٣	١٦	٧٢	٦٥
١٧	٦٢	٧٥	١٧	٥٣	٦٨
١٨	٥٤	٦١	١٨	٦٤	٧٥
١٩	٨٣	٥٥	١٩	٧٢	٨٢
٢٠	٦٩	٨٥	٢٠	٧٨	٥٦
٢١	٧٥	٦٣	٢١	٦٥	٨٥
٢٢	٦١	٧٥	٢٢	٧١	٧٦
٢٣	٥٥	٦٢	٢٣	٧٨	٦٣
٢٤	٨٥	٨٦	٢٤	٧٣	٧٨
٢٥	٦٨	٧١	٢٥	٨٥	٧٤
٢٦	٦٥	٦٩	٢٦	٥٥	٦٣
٢٧	٨٢	٧٨	٢٧	٦٧	٧١
٢٨	٦٧	٦٣	٢٨	٧١	٥٨
٢٩	٧٤	٩٠	٢٩	٨٢	٧٣
٣٠	٦٨	٧٢	٣٠	٧٤	٦٩
٣١	٦٥	٧١	٣١	٦٨	٨٥

٣٢	٨٠	٦٨	٣٢	٧٣	٧٦
٣٣	٧٨	٧٣	٣٣	٦٥	٧٩
٣٤	٧٦	٨٢	٣٤	٧٨	٧٥
٣٥	٨٠	٧٦	٣٥	٨٠	٧١
٣٦	٦٦	٧١	٣٦	٧٣	٦٥
٣٧	٦١	٥٦	٣٧	٥٩	٦٣
٣٨	٧٥	٨٠	٣٨	٧٣	٦٩
٣٩	٧٣	٥٩	٣٩	٦٨	٧٢

ملحق رقم (٨)

درجات الطلبة بأعادة الاختبار لاستخراج الثبات

ت	الدرجات في التطبيق الاول	الدرجات في التطبيق الثاني
١	٧٥	٦٨
٢	٨١	٧٢
٣	٦٤	٦١
٤	٦٨	٨٢
٥	٨٧	٧٩
٦	٨٥	٧٧
٧	٧٤	٧٨
٨	٨٢	٨٥
٩	٧٣	٧٦
١٠	٧٨	٨٣
١١	٨٨	٧٩
١٢	٥٨	٦٣

١٣	٧٢	٧٥
١٤	٨٣	٨١
١٥	٥٥	٧٢
١٦	٧٦	٨٤
١٧	٨٥	٨١
١٨	٧٦	٧٣
١٩	٦٥	٨٧
٢١	٧٣	٨٢
٢٢	٨٤	٨٦
٢٣	٧٢	٦٨
٢٤	٨٧	٨١
٢٥	٧٥	٧١
٢٦	٨٢	٨٦
٢٧	٦٨	٧٢
٢٨	٨٢	٨٤
٢٩	٦٥	٧٣
٣٠	٨١	٨٥
٣١	٧٢	٧٨
٣٢	٧٢	٦٣
٣٣	٨٦	٨٨
٣٤	٧٤	٧١
٣٥	٨١	٨٣
٣٦	٦٢	٦٧
٣٧	٧١	٦٩

٣٨	٨١	٧٩
٣٩	٦٥	٦٧
٤٠	٥٩	٥٧
٤١	٧٨	٧٣
٤٢	٦٤	٦١
٤٣	٨١	٧٩
٤٤	٧٨	٨٣
٤٥	٧٢	٧٥
٤٦	٦٤	٦٧
٤٧	٨٢	٧٨
٤٨	٧٨	٨٣
٤٩	٥٩	٦٨
٥٠	٨٢	٧٧

ملحق رقم (٩)

درجات الطلبة في الاختبار التحصيلي البعدي للمدرستين

ت	أعدادية رسالة الاسلام للبنات		ت	أعدادية ابي حنيفة النعمان	
	م. التجريبية	م. الضابطة		م. التجريبية	م. الضابطة
١	٧٢	٧٩	١	٨٥	٧٢
٢	٨٢	٧٥	٢	٧٠	٨١
٣	٧٣	٦٢	٣	٧٣	٧٩
٤	٦٥	٥٨	٤	٨٥	٧٨
٥	٨٥	٦٣	٥	٦٦	٧٥

٦	٦٨	٥٩	٦	٦٤	٧٣
٧	٨٨	٧٣	٧	٧٤	٨٢
٨	٨٣	٦٩	٨	٨٤	٧٥
٩	٧٧	٧٢	٩	٨٨	٧٢
١٠	٨٢	٧٦	١٠	٨٢	٧٣
١١	٨٤	٨١	١١	٧٩	٦٨
١٢	٨٧	٦٣	١٢	٧٣	٦٥
١٣	٨٥	٦٧	١٣	٩٢	٧٧
١٤	٧٨	٦٥	١٤	٧١	٦٣
١٥	٧٥	٦٢	١٥	٦٣	٦١
١٦	٨٦	٧٨	١٦	٦٨	٦٨
١٧	٨٢	٧٩	١٧	٦١	٦٣
١٨	٩٠	٦٦	١٨	٨٣	٧٤
١٩	٨١	٦٣	١٩	٦٦	٥٩
٢٠	٧٨	٧٣	٢٠	٧٧	٦٧
٢١	٨٨	٧٨	٢١	٦٨	٦٦
٢٢	٧١	٦٥	٢٢	٧٢	٧١
٢٣	٦٥	٧٧	٢٣	٧٧	٦٩
٢٤	٨٥	٨١	٢٤	٨٤	٧٣
٢٥	٨٤	٥٩	٢٥	٨١	٧١
٢٦	٨٦	٧٨	٢٦	٨٣	٧٣
٢٧	٧٨	٦٥	٢٧	٨٠	٧١
٢٨	٧١	٦٣	٢٨	٨٧	٧٩
٢٩	٧٥	٦١	٢٩	٧٩	٦٨

٣٠	٨٥	٦٧	٣٠	٧٠	٦١
٣١	٧٦	٦٥	٣١	٧٧	٦٩
٣٢	٦٨	٥٨	٣٢	٨١	٧٣
٣٣	٨٢	٦٦	٣٣	٦٨	٦١
٣٤	٧٩	٨٢	٣٤	٧٢	٦٥
٣٥	٨٣	٦٧	٣٥	٧٦	٦٣
٣٦	٨٦	٧١	٣٦	٧٨	٦٨
٣٧	٧٨	٦٣	٣٧	٧٣	٦١
٣٨	٧٢	٦٨	٣٨	٨٢	٧٥
٣٩	٨٣	٧٢	٣٩	٨٧	٧٨

دلالات (مِنْ) الجارة في البيان القرآنـي

د . ياسين عبد الله نـصيف
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ ،وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فمن **المعلوم أن سياقات التعبير القرآني تختلف باختلاف المقام، فتختلف الألفاظ والعبارات تبعاً لذلك، وما يصلح من لفظ في سياق لا يصلح في غيره، ولا يؤدي المعنى نفسه، ولا الدلالة نفسها ،ويتضح ذلك في**(الآيات المتشابهة)، إذ تظهر دقائق البيان القرآني المعجز بصورة جلية في هذه الآيات.

إنّ الوقوف على فهم هذه(الآيات المتشابهة) وتوجيهها ،هو ضرب من أضرب إعجاز القرآن في ثوبه البياني،لذا كان بحثي **هذا** ((دلالات من في البيان القرآني)) **لمعرفة مواطن هذا البيان،وقد قسمت بحثي على مبحثين: المبحث**

الأول(دلالات من عند النحاة) تناولت فيه دلالات من التي حددها النحاة،والتي لها دور بارز في إبراز المعنى .

أما المبحث الثاني: فخصصته لـ(من في الآيات المتشابهة)إذ وردت (مِنْ) في آيات ، متماثلة فيما بينها ، ولكنها تختلف في ذكر(من) في آية ،وبدون(من) في أية أخرى مماثلة لها ، وقد كان علماؤنا الأفذاذ أصحاب ذوق رفيع وحس مرهف ودقة غير متناهية في إدراك أسرار هذا التغييرفي التعبير، واستخراج درره وكنوزه ؛ فاستنبطوا منه مفاهيم دلالية كثيرة،وضحتها في هذا المبحث.

ففي كتابات أولئك العظماء ندرك القصد الواضح من البيان القرآني مما يزيد من إيماننا أنّ هذا القرآن إنما هو كلام رب البشر- ﷻ - وليس من صنع البشر. **وسيبقى هذا القرآن معجزا بلفظه ومعناه إلى إن يرث الله الأرض من وعليها.**

والله ولي التوفيق.

المبحث الأول

دلالات (مِنْ) عند النحاة

١_ (مِنْ) لابتداء الغاية

اتفق البصريون والكوفيون على أنَّ (مِنْ) تأتي لابتداء الغاية[1]،ويُقصد بابتداء الغاية ((أنها موضوعة بوضع عام لابتداء مخصوص متعلّق بشيء معيّن يتوقف تعلقها على تعلق ذلك الشيء المعين، ولا يكون مشتركاً مع تعدد معانيه ؛لكون الوضع واحداً، والمراد بالغاية هنا جميع المسافة، إذ لا معنى لابتداء النهَّاية ، يعني أن الفعل المتعدّي يبتدئ من مجرورها سواء كان للفعل امتداد ،نحو : (سِرْتُ من البصرةِ) ونحو : (خَرَجْتُ من الدّارِ) ولو انفصل مِنْها بأقل خطوة))[2] .

واتفق البصريون والكوفيون على أنَّ (مِنْ) تأتي مكانية [3]، وذكر سيبويه أنَّ (مِنْ) تكون((لابتداء الغاية في الأماكن وذلك قولك : (مِنْ مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا) . وتقول : إذا كتبتَ كتاباً : (مِن فلان إلى فلان) فهذهِ الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها))[4] . ومثال مجيئها لابتداء الغاية المكانية قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[الإسراء/١] . فكانت بداية المسير المسجد الحرام وهو المكان[5] . وفيما نُزّل منزلة المكان، قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل/٣٠] [6] . وقد ادعى جماعة من النحاة أنَّ سائر معاني (مِنْ) راجعة إلى الابتداء وتقع لهذا المعنى في غير الزمان [7]. أما مجيء (مِنْ) لابتداء الغاية في الزمان فحصل فيه خلاف بين النحويين . إذْ ذهب الكوفيون إلى أن (مِنْ) يجوز استعمالها في الزمان والمكان[8] ،وذهبَ

البصريون إلى أنه لا يجوز استعمالها في الزمان وقد استدلَ الكوفيون بآيةِ الإسراء المذكورة آنفاً . وأما البصريون فاحتجوا بأنهم أجمعوا على أنّ (مِنْ) في المكان نظير مُذ في الزمان ؛ لأن (مِنْ) وضعت لتدل على ابتداء الغاية في المكان كما أن مُذ وضعت لتدل على ابتداء الغاية في الزمان ألا ترى أنّك تقول : (مَا رأَيْتُهُ مذ يَوْمِ الجمعَةَ) فيكون المعنى أنَّ ابتداء الوقوف الذي انقطعت فيه الرؤية يوم الجمعة. كما تقول : (ما سِرْتُ مِنْ بغداد) فيكون المعنى ما ابتدأتُ بالسير من هذا المكان ، فكما لا يجوز أن يقال : (ما سِرْتُ مُذ بغداد) فكذلك لا يجوز القول: (ما رأيتُهُ من يوم الجمعةِ)[9] . وقد رد أبو البركات الأنباري رأي الكوفيين قائلاً: ((أما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[التوبة/١٠٨] . فلا حجة لهم فيه؛لأنَّ التقدير فيه : من تأسيس أول يَوْمٍ ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه . كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف/٨٢] . والتقدير فيه : أهل القرية و أهل العير، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه))[10] .وقد رد السهيلي على ما ذهب اليه أبو البركات الأنباري بقوله:((وليس يحتاج في قوله ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ِ} إلى إضمار كما قرره بعض النحاة من تأسيس أول يوم فرارا من دخول من على الزمان ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئا، ومن تدخل على الزمان وغيره ففي التنزيل {مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم: ٤] والقبل والبعد زمان وفي الحديث ((مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ تَغْرب))[11]،وفي شعر النابغة :

تُوُرِّثْنَ من أَزْمانِ يَوْمِ حَلِيمةٍ إلى اليَوْمِ قد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجاربِ[12]..))[13].

وتبعه ابن مالك قائلاً:((وأما استعمال(منْ)فمنعه غير صحيح،بل الصحيح جوازه لثبوت ذلك في القرآن والأحاديث الصحيحة والأشعار الفصيحة،فالذي في القرآن قوله تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾،وقال الأخفش في معانيه [١٤]:قال بعض العرب:من الآن الى غد.و أمَّا الأحاديث فمنها قول رسول الله (صلى اللهُ عليه وسلَّم) : ((**مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ أَلَا فَأَنْتُمْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ أَلَا لَكُمْ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ**)) [١٥].فقد استعملت(مِنْ)في هذا الحديث لابتداء غاية الزمان أربع مرات.)) [١٦].والملاحظ أنَّ الكوفيين لا يُقدِّرون مصدراً ،وأنَّ مذهب البصريَّين فيه تَعسُّف ولاسيما أنَّ (مِنْ) تأتي لابتداء الزمان إذ لا يصحّ دخول (مُذْ) أو(مُنْذُ) مكانها [١٧] .

والذي يبدو لنا أن (مِنْ) تأتي لابتداء الغاية عامة [١٨]بدليل قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [النمل/٣٠] .إذ إن (سليمان) ليس مكاناً ولا زماناً، ومثال مجيئها زمانية قولنا : (سَهَرْتُ من البارحةِ حتى اليوم) و(سَهَرْتُ مِنَ الواحِدَة مساءً حتى الخامِسَةِ صباحاً) .

٢- (مِنْ) لانتهاء الغاية

وهي من المعاني التي أثبتها النحويون لـ(مِنْ) منهم :سيبويه(ت ١٨٠هـ)[١٩]، وابن مالك(ت٦٧٢هـ) [٢٠]،والمالقي(ت٧٠١هـ) [٢١]، والمُرادي (ت ٧٤٩ هـ)[٢٢]، وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) [٢٣]وأبو عبد الله السليسي (ت٧٧٠هـ) [٢٤]،والزركشي(ت٧٩٤هـ) [٢٥] .

قال سيبويه:((وتقول : رأيتهُ منْ ذلك الموضع ، فجعلته غاية رؤيتك كما جعلتهُ غاية حيث أردت الابتداء والمنتهى))[٢٦] .

إنَّ (منْ) تكون لانتهاء الغاية،في قولك : (رأيتُ الهلالَ مِنْ دَارِي مِنْ خلالِ السّحاب) ، فَمِن الأولى لابتداء الغاية، والثانية لانتهاء الغاية [٢٧] .

قال ابن السرَّاج (ت٣١٦)تعليقاً على هذه المسألة :((وحقيقة هذه المسألة أنك إذا قلت (رأيتُ الهلالَ من موضعي)، فمِنْ لك، وإذا قلت : (رأيتُ الهلالَ من خلال السحاب) فَمِنْ الهلال، والهلال غاية لرؤيتك فكذلك جَعَلَ سيبويه من غاية في قولك رأيته من ذلك الموضع))[٢٨] .

ولم أَعْثَر على مثال لـ(مِنْ) التي بمعنى انتهاء الغاية بحسب ما توصلتُ إليهِ في القرآن الكريم .

٣- (مِنْ) بمعنى البدل

ويقصد بالبدلية : ((هي التي تدلُ على اختيار أحد الشيئين على الآخر بلا عِوَضٍ ولا مقابلة))[٢٩] ،أي معناها_(مِنْ) _((البدل من حيث العوض عنه فهو كالسبب في حصولِ العِوَض ؛ فكأنَّهُ منه أتى))[٣٠] ،ويُعرف هذا المعنى بصحة وقوع(بدل)في موضع (مِنْ) [٣١]. ومثال مجيئها للبدل قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [التوبة/٣٨]،أي: بدل الآخرة [٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ** ﴾ [الزخرف/٦٠] أي:بدلكم لأنَّ الملائكة لاتكون من جنس البشر [٣٣]. وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** ﴾ [آل عمران/١٠] .

والمعنى بدل طاعة الله،أو بدل رحمة اللهِ[٣٤] ،أي :لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من رحمة الله أو من طاعة الله [٣٥] . وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء/٤٢] أبي بدل الرحمن .

وأنكرَ قومٌ مجيء (مِنْ) للبدل وقالوا في آية التوبة المذكورة آنفاً تقديرها أرَضِيتُم بالحياةِ الدنيا بدلاً مِنْ الآخرةِ فالمُفيد للبدلية مُتَعَلِّقها المحذوف[٣٦] .

٤- (مِنْ) لبيان الجنس

لقد تعامل النحويون مع هذا المعنى كلٌّ بطريقتِهِ الخاصّة فسموها ما شاؤوا من التسميات: بـ (مِنْ) المبينة للجنس عِندَ الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) [٣٧] ولتبيين الجنس عِندَ الهروي(ت٤١٥هـ) [٣٨] ، وأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) [٣٩] و لبيان الجنس عند علي بن سليمان الحيدرة اليمني(ت ٥٩٩ هـ) [٤٠] ،و ابن مالك (ت٦٧٢ هـ) [٤١] وابن هشام الأنصاري(ت٧٦١) [٤٢] ، والزركشي (ت ٧٩٤)[٤٣] ،وابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) [٤٤] ،وشرطُ (مِنْ) المبينة للجنس أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها ويحسن موضعها (الذي) [٤٥] ، ((وكثيراً ما تقع بعد(ما) و(مهما)وهما بها أولى ؛ لإفراط إبهامهما))[٤٦] .وإنَّ (من) البيانية ومجرورها في موضع الحال مما قبلها ، إن كان معرفةً وفي موضع النعت له إن كان نكرة[٤٧] .

وقيل: بيان الجنس هي أن تَذْكُرَ شيئاً تحته أجناس والمراد إحداها فإذا أردت واحداً منها بيّنته[٤٨] .وهي بعكس التي للتبعيض ، فإن تلك يكون ما قبلها بعضاً ممّا بعدها فإذا قُلْتَ : (أخذتُ درهماً من الدراهِمِ) كان الدرهمُ بعضَ الدراهمِ ، وهذهِ ما بعدها بعض ممّا قبلها[٤٩] . ومثال مجيئها قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾ [الحج/٣٠] .

فمن ((دخلت لتبيين المقصود بالاجتناب ولا يجوز أن تكون للتبعيض؛ لأنَّه ليس المأمور به اجتناب بعض الأوثان دون بعض وإنما المقصود اجتناب جنس الأوثان))[٥٠] . وقوله تعالى ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[فاطر/٢] .وقوله تعالى :﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴾ [الرحمن /١٤-١٥] . وقوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** ﴾ [النور/٤٣] . (فَمِن) الأولى لابتداء الغاية أي ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية للتبعيض ؛ أي بعض الجبال منها ، والثالثة لبيان الجنس لأنَّ الجبال تكون برداً وغير برد[٥١] .

٥- (مِنْ) التبعيضيّة

وهي من المعاني التي أثبتها النحويون لـ (مِنْ) ((وتُعْرَفْ المبعضة بصحة وضع البعض في موضعيها))[٥٢] ومن مجيئها للتبعيض قول تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ**

مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة/٨] . فـ (مِنْ) للتبعيض لأنَّه لم يقصد العموم(٥٣) . أي بعض الناس من آمن بالله(٥٤) .والمراد بهذهِ الآية وما بعدها المنافقون الذين أظهروا الأيمان وأسروا الكفر واعتقدوا أنّهم يخدعون الله تعالى وهو منزَّه عن ذلك وهذا دليل على أنّهم لم يعرفوه ولو عرفوه لعرفوا أنّه لا يُخْدَعُ(٥٥) . وقوله تعالى :﴿ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة/٢٧١] . (مِنْ) في هذه الآية للتبعيض؛ لأنّه من الذنوب مالا يُكَفَّرُ بإبداء الصدقات أو إخفائها للفقراءِ(٥٦) . وإن الله عَزَّ وجل وعدَ تكفير بعض السيئات على عملٍ ليس فيه التوبة ولا اجتناب الكبائر(٥٧) .

وقوله تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة/٢٥٣] .

فـ (مِنْ) في هذه الآية للتبعيض لأنّه يجوز الاستغناء عَنْها بـ (بعض) فنقول : (بَعْضُهمْ مَن كَلَمَ اللهُ) أو أن يَعُمَّ ما قبلها ما بعدها إذا حُذِفَتْ(٥٨) . ومما يؤكد أنّه سبحانه وتعالى كلَّمْ من الرسل موسى(عليه السلام) وَلَمْ يُكلّمْ غيرهُ من الأنبياء والرُسل إلا ما يُذْكر من مناجاة النبي محمد (ﷺ) . ليلة المعراج على ما ذكروه فلا فرق بين موسى وغيره من الأنبياء(٥٩) . وقوله تعالى:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور/٣٠] . فـ (مِنْ) للتبعيض

لأنّهم إنّما أُمروا أن يَغِضّوا أبصارهم عمّا حُرِّم عليهم لا عمَّا أُحِلَّ لهم(٦٠) . خَصَّ الله تعالى المؤمنين؛ لأَنَّ غيرهم لا يلزمه غَضُّ البصر عما لا يحل له قوله ﴿ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ وفيه مسائل : الأولى : قالَ بعضُهم :(مِنْ) هنا للتبعيض والمراد غضُّ البصر عمّا يُحَرَّم والاقتصار بهِ عمّا يحَلّ،وذكر الزمخشري في كشافه أَنَّ الأخفش (ت ٣١٥ هـ) جَوَّز أن تكون (مِنْ) مزيدة وأباه سيبويه (٦١). وقال بعضُهم (يغضّوا من أبصارهم) أي: ((ينقصوا من نظرهم فالبصر إذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض ممنوع عنه،وعلى هذا (من) ليست بزائدة ،ولا هي للتبعيض، بل هي من صلة الغض يقال: غضضتُ من فلان إذا نقصْت من قدرهِ)) (٦٢) فربمّا قَصَدَ الأخفش زيادتها للتوكيد ، أو يغضّوا أبصارِهم عن المحارم ولا غضَّ عن الحلائِلِ أو جواز النظرة الأولى وهي بعض النظر وحرمة النظرة الثانية وهي بعض النظر الآخَر.

لما كان النظر داعية إلى فساد القلب كما قال بعض السلف النظر سهم سُمٍ إلى القلب أمر الله بحفظ الفروج كما أَمَرَ بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك(٦٣) . وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[النور/٤٥]، فـ(مِنْ) في هذهِ الآية تبعيضية صَحَّ دخول بعض محلها (٦٤)، والله خَلَقَ كل دابةٍ أي كل حيوان يدبُ على الأرض وَقُرِئ خالق كل دابة فمنهم من يمشي على بطنِهِ كالحية ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير ومنهم من يمشي على أربعٍ كالنعم والوحش وعدم التعريض لما يمشي على أكثر من أربعٍ كالعناكب وغيرها من الحشرات والتعبير عن الأصناف بكلمة (من) ليوافق التفصيل

الإجمال والترتيب لما هو اعرف في القدرة[٦٥] . وقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [المائدة/٤] ،فـ(من) هنا للتبعيض والمعنى((كلوا من الصيدِ الذي أمْسَكْنَ عليكم ، وَمَنْ ذَهَبَ إلى ان (مِنْ) زائدة فقوله ضعيف وظاهره أنه إذا أمسك على مرسله جازَ الأ كل سواء أكل الجارح منه أولم يأكُل)) [٦٦] .

٦ - (مِنْ) للتعليل

وهي من المعاني التي أثبتها أكثر النحويين لـ (مِنْ) . ومثالُ مجيئها للتعليل قوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً ﴾ [نوح/٢٥] ،فقوم نوحٍ ((أُغْرِقُوا لأَجلِ خطاياهم فقدمت العلة على المعلول للاختصاص))[٦٧] . وقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة/٣٢] . وقولهِ تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام/١٥١] . وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش/٤] – أي من أجلِ الجوع[٦٨] .

٧-(مِنْ) للتناوب والتضمين

(مِنْ) تأتي بمعنى (الباء) كقوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى/٤٥] . وقوله تعالى :﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد/١١] [٦٩] . أي بطرف خفي في الآية الأولى ((فهناك إشارة بمؤخر العين الواحدة نهي عن أمر ، وتفتيرها إعلام بالقبول ، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف ، وكسر نظرها آية الفرح ، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مُشارِ إليه والإشارة الخفية بمؤخرِ العينين كلتاهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين إلى المؤق بسرعة شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من وسط العينيين نهي عام))[٧٠] . وبأمر الله في الآية الثانية وربما على الحذف من أمرِ اللهِ العظيم وغيرها ... فلو كان هناك كلمة وراء(الله) لما صحَّ الباء محل (مِنْ)[٧١] .

٨-(مِنْ) النائبة عن الحرف (على)-الفوقية

ذهب النحاة الى نيابة (من) عن الحرف (على) وإعطائها معناه وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء/٧٧] أي:على القوم[٧٢].وقد ذَهَبَ إلى هذا الرأي الكوفيون والأخفش وذَهَبَ إليهِ ابن قتيبة [٧٣] (ت ٢٧٦ هـ) وأبو علي الهروي (ت ٨٣٣ هـ) وغيرهم وكُلهم قد استدل بالآية السابقة وقد ذَهَبَ قوم إلى إنكاره فذهبوا إلى تأويله على التضمين أي تضمين الفعل (نَصَرَ) أي منعنا منهم بالنصر[٧٤] . وذهب بعض

المفسرين إلى أنها على التأويل وليست استعلائية كأنه قال :(ونجيناه من القوم الذين كذبوا) (٧٥). أو ربّما هناك عدة أقوام منهم الكاذبون فنصرهم على الكاذبين .

٩-(مِنْ) النائبة عن الحروف (عَنْ)

استعمل العرب (من) في أماكن قد تكون شبيهة إلى حدٍ ما ببعض الأماكن التي يستعمل فيها (عن) مما دعا أكثر النحويين إلى جعلها للمجاوزة أو نيابتها عن حرف الجر (عن) (٧٦)ومن ذلك قولهِ تعالى: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش/٤] وقولهِ تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء/٩٧] . وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الزمر/٢٢](٧٧) ،ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨) أنَّه قُرِيء((عن ذكر الله))فالفرق بين (من) و (عن) في هذا إذا قلت : (قسا قلبه من ذكر الله) فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه ، وإذا قلت : (عن ذكر الله) فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه(٧٨) .

١٠-(مِنْ) النائبة عن (عِنْدَ)

تأتي (مِنْ) بمعنى (عنْدَ) وتختص (عِنْدَ) بأن لا يدخله شيء من حروف الجر إلا (مِنْ) وحدها(٧٩)، ومن مجيء (مِنْ) بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران/١٠] يعني:عند الله (٨٠)، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ﴾ [مريم/٥] .

١١-(مِنْ) النائبة عن الحرف (في)

أقرَّ بعض النحويين الظرفية في معاني (مِنْ) وذلك على أصل أنَّ (مِنْ) تنوب عن (في) في عملها، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الجمعة/٩] ، أي في يوم الجمعة . أو ربّما يكون بعض الجمعة ؟ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً ﴾ [فاطر/٤٠](٨١) . فربّما يكون أي شيء من الأرض خلقوا نهرا أم جبلاً أم شجراً ؟ وجَعَلَ بعض الكوفيين (من) الظرفية على قسمين الأول الظرفية الزمانية كما جاء في الآية الأولى والثانية الظرفية المكانية كما جاء في الآية الثانية .جاءفي همع الهوامع ((علم مما حكي عن البصريين في هذه الأحرف من الاقتصار على معنى واحد لكل حرف أن مذهبهم أن أحرف الجّرّ لا ينوب بْعضُها عن بعض بقياس كما أنَّ أحرف الجَزْم كذلك . وما أوْهَم ذلك فإمّا مؤول تأويلاً يقبله اللّفظ أو على تضمين الفِعْل معنى يتعدّى بذلك الحرف ، أو على النّيابة شذوذاً ، والأخير محمل الباب كله عند غيرهم بلا شذوذ وهو أَقَلُّ تَعَسفاً))(٨٢) .

١٢-(مِنْ) بمعنى الفصل

وهي من المعاني التي أثبتها كثير من النحاة منهم : ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)(٨٣) ،وأبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) (٨٤) ،والمُرادي (ت ٧٤٩) (٨٥) ،و ابن هشام الأنصاري(ت ٧٦١ هـ) (٨٦) ،والزركشي (ت ٧٩٤ هـ) (٨٧) ،والأزهري (ت ٩٠٥)(٨٨).

وتعرف (مِنْ) الفاصلة بدخولها على ثاني المتضادَّين وقد تدخل على ثاني المتباينين من غير تضادٍّ(٨٩) . فمثال دخولها على ثاني المتضادّين قوله تعالى :﴿ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة/٢٢٠] وقوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران/١٧٩]

أما الداخلة على ثاني المتباينين قولنا : (لا نعرف زيداً من عمرو)(٩٠) .

١٣-(مِنْ) بمعنى القسم

وهي من المعاني التي لم يثبتها أكثرُ النحويين لـ (مِنْ) وتأوّلوا كثيراً من ذلك على التضمين أو غيره.وقد ذَهَبَ المبرد (ت ٢٨٥ هـ) (٩١) ،وابن السراج (ت ٣١٦ هـ)(٩٢)إلى أنها لا تكون إلا لابتداء الغاية وأنَّ سائر معاني (مِنْ) التي ذكروها راجعة إلى هذا المعنى . ومثال مجيئها للقسم نحو : (مِنْ رَبي لأفْعَلَنَّ) بكسر الميم وفتحها ولا تدخل إلاّ على الرَّبِّ(٩٣) . ولم يَرِدْ لهذا المعنى بَحسْبِ ما توصلت إليه مثال في القرآن الكريم .

١٤-(مِنْ) بمعنى المبالغة

وهي من المعاني التي لن يُثْبِتْها أكثر النحويين لـ (مِنْ) ((وهي للتجريد بقصد المبالغة نحو : (لقيتُ مِنْ زيدٍ أسداً) أي لقيتُ زيداً أسداً كأنَّه جرّد عن الصفات كلّها غير الأسدية للمبالغة في الشجاعة))(٩٤) . ولم اكتشف لهذا المعنى بحسْبِ ما توصلت إليه مثالاً في القرآن الكريم .

١٥-(مِنْ) بمعنى (ربَّما)

تأتي (مِنْ) بمعنى (ربّما) إذا اتصلت بما وأثبت هذا المعنى لِـ (مِنْ) ابن هشام الأنصاري ، كما في قول الشاعر :

وَإنّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً
على رَأسِه تُلْقى اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ(٩٥)

الظاهر أن (مِنْ) فيهِ ابتدائية وما مصدرية ، وأنهم جُعِلُوا كأنهم خلقوا من الضّربِ والحذف مثل قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] (٩٦).

١٦-(مِنْ) بمعنى المفاضلة

وهي من المعاني التي أثبتها بعض النحويين لـ (مِنْ) نحو : (هو أفضلُ مِنْ زيدٍ)(٩٧) . ولم أجد بحسب ما توصلت إليه مثال لهذا المعنى في القرآن الكريم .

١٧-(مِنْ) بمعنى الملابسة

تأتي (مِنْ) بمعنى الملابسة ولكن مجيئها بهذا المعنى قليل ومثاله قولهِ تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[التوبة/٦٧] . أي يُلابس بعضهم بعضاً ويواليه ، وليس المعنى على النسل والولادة ؛لأنَّه قد يكون مِنْ نَسَلِ المنافق مؤمن وعكسه وقوله تعالى:﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/٣٤] كما يتبرأ الكفار في قوله تعالى:﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة/١٦٦]، وقوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾[

النساء/٢٥] ، إذ إن الإيمان درجات فبعض المؤمنين إيمانهم عالٍ وبعضهم دون ذلك(٩٨) .

١٨- (مِنْ) الزائدة

قال شيخ النحاة سيبويه: ((قد تَدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً ولكنها توكيد بمنزلة ما ، إلاَّ أنها تجر لأنها حرفُ إضافة))(٩٩) . ومن معاني (مِنْ) أنها تكون زائدة وقد تزاد في نفي الجنس ، مؤكدة معنى العموم ، أو استغراق نَفْي الجنس ، توكيد العموم ، والفرق بين نَفْي الجنس واستغراق النفي أنَّه قبل دخول (مِنْ) في (ما جاء في مِن رَجُلٍ) يحتمل نَفْي الجنس ، (أي جنس الرجال) ، أو الواحدة (أي الرجل الواحد) ، لذلك يصحُّ القول (ما جاءَني رَجُلٌ بَلْ رَجُلان أو جماعة) . أمّا (مِنْ) التي لاستغراق الجنس فلا تَنْفي إلاّ الجنس بكلِّيَتِهِ ولا تُبْقِي مِنهُ شيئاً(١٠٠) . (ما جاءني من احد) (ما جاءني أحدٌ) لا فرق بين الجملتين لأن (أحداً) يكون للعموم . اما قولُنا (ما جاءني من رجلٍ) فقال الأكثر : لا تكون زائدة على حدّ زيادتها مع (أحد) ؛ لأنها قد أفادت استغراق الجنس إذ قد يُقال (ما جاءني رجلٌ) ويُراد به نفيُ رجل واحد من هذا النوع ، وإذ قال (من رجل) استغرق الجميع(١٠١) . فمثال (مِنْ) الزائدة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر/٣] . جاءت (مِنْ) لتوكيد عظمة الخالق عزَّ وجل . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم/٤] . جاءت (من) توكيداً لِعَظمة الرسالة . وقوله تعالى :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف/٥٩] . جاءت (من) لتوكيد عَظَمة الله . وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الانعام/٣٤] . وقوله تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر/٣٣] .

المبحث الثاني

(مِنْ) في المتشابه اللفظي

وردت (مِنْ) في آيات كثيرة ، متماثلة فيما بينها ، وإنما تختلف في ذكر(من) في آية وعدم الإتيان بها في آية أخرى مماثلة لها ، وهذا التغيير في التعبير لدواع يقتضيها السياق،ولحكمة يطلبها ربنا ﷻ،قال الخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ):((إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة ،ثم أعادها في موضع آخر من القرآن،وقد غيَّر فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى،فلا بُدَّ من حكمة هناك تُطلب،فإذا أدركتموها فقد ظفرتم،وإنْ لم تدركوها فليس لأنّه لا حكمةَ هناك بل جهلتم)) (١٠٢).

ومنها:

١- **في قوله تعالى:**﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ **[البقرة/٣٥]** .

وقوله تعالى :﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[الأعراف / ١٩]** .

فقد قال ﷻ في البقرة (حيث شئتما)، وفي الأعراف ذكر ﷻ(من): (من حيث شئتما) ، والقصة واحدة، والحقيقة أن السياق في الموضعين مختلف؛ لأن

موضع (حيث شئتما) هو ليس موضع (من حيث شئتما) ؛ لأن ((من حيث شئتما يحرز ويعطي إباحة الأكل من كل موضع فيها)) (١٠٣) .

فالظرف (حيثُ) تتحد دلالته بالقرينة (من) لان هذه القرينة تظهر إباحة الأكل من كل موضع من مواضع الجنة، وقولنا للمخاطب : (كل من حيث شئت) من مواضع هذا البستان أو الجنة فإنما نعني إباحة الأكل له من جميع مواضعه على إرادة التوسع في الأكل والتنعم به وهذا لا يراد في حالة سقوط القرينة.

والظرف حيث إذا لم يكن معه (من)فانه يعطي إباحة الأكل من كل موضع لا من ثمار كل موضع من مواضع الجنة.

ويتحّمل أن يكون الظرف (حيث شئتما) ؛ للسكن والأكل جميعاً والمعنى (اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما) فالسكن حيث يشاءان أي في أي مكان يشاءان والأكل حيث يشاءان أيضاً(١٠٤) .

أما قرينة السكن في سورة الأعراف فلا تتعلق بالأكل والاباحة؛ لان الاباحة للأكل ولم يقل بإباحة السكن؛ لأنه لم يقرنها بـ(من حيث) . اما في سورة البقرة فالمشيئة والتخيير أكثر إباحة؛ لأنها شملت الحالتين السكن والأكل.

٢-ومن الآيات المتماثلة قوله تعالى في سورة النحل :﴿ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[النحل : ٧٠] ، وقوله في سورة الحج : ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج : ٥] .

فقد قال سبحانه في النحل:﴿ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ وذكر جَلَّ جَلَالُهُ في الحج (من) : ﴿ مِن بَعْدِ عِلْمٍ ﴾. وذلك لأنه أجمل الكلام في سورة النحل ؛ وفصل في الحج فقال تبارك اسمه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥] . فاقتضى الإجمال الاستغناء عن (مِن) والتفصيل الإتيان بها .والى هذا ذهب الخطيب الإسكافي قائلاً : ((ذكر في سورة النحل الجملة التي فصلت في سورة الحج وكانت لفظة[بعد]لجملة الزمان المتأخر عن الشيء،قال: ﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ﴾ فأجمل مافصل في السورة الأخرى وبعده﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ **أي:يعزب عنه في حال الهرم ما كان يعلمه من الحكم ويستدركه من الآراء المصيبة،ويرتكبه من المذاهب القويمة،كان هذا موضع جمل لا تفصيل معها ولاتحديد،ولم يكن كذلك الأمر في سورة الحج؛لأنَّه قال:**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: أصلكم وهو آدم عليه السلام ،﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ **أولاده،** ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾**فذكر تفصيل الأحوال ومباديها** فقال من كذا ومن كذا،كل حال ينتقل فيها من العلم فقدها على الأحوال التي تقدم ذكرها،فكما حدد أوائلهابـ[من]كذلك حدد الحال الأخيرة المنتقلة بـ[من]فقال:﴿ مِن بَعْدِ عِلْمٍ﴾ أي فقد العلم من بعد أن كان عالماً فباين الموضع الأول لذلك)) (١٠٥).وتبعه الكرماني في هذا الرأي(١٠٦).وذهب ابن الزبير إلى أنَّ السبب هو التناسب وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ في آية الحج(١٠٧) ؛ قال ابن الزبير: ((فقد تكررت لفظة [من] هذه في هذه الآية في ستة مواضع ، الخمسة منها قبل قوله : (مِنْ بعَدِ عِلْمٍ شَيْئًا) والواحدة بعدها ، وكلها محرزة معناها الذي جيء بها من أجله إلا التي في قوله : (من بعد) إذ النظم مع سقوطها ملتئم ، والمعنى تام ، فاستوى وجودها وعدمها ، فاستدعاها سياق آية الحج للتشاكل والتناسب في النظم ، ولم يكن في آية النحل ما يستدعيها إذ لم يردمايقتضيها ، فورد كل على ما يجب ويناسب ، ولا يمكن العكس والأولى في قوله : (من البعث) لابتداء الغاية وما بعدها للتبعيض

إلا التي في قوله : (مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ) فإنها زائدة رعياً للفظ لا النافية ، وإن كانت هنا مزيدة)) [١٠٨] .ويتضح لنا أنَّ الرأي الراجح هو ما ذكره الخطيب الإسكافي من أنَّ (من) لابتداء الغاية،أما ابن الزبير فأراد(مِنْ)الزائدة وانها جاءت لغرض التشاكل اللفظي وهو رأي ضعيف، .

٣–ومنه قوله تعالى في سورة الحديد :﴿ إعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[الحديد : ١٧] ،وقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ [العنكبوت : ٦٣].

وهناك آيات وردت من غير (من) في مواطن عدة من القرآن و بـ (من) في موطن واحد وهو ما تقدم في العنكبوت ، ويتضح من السياق سبب ذلك، قال تعالى:
چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ [البقرة : ١٦٤]
، وقال تعالى : ﴿ وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ الْسَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[النحل : ٦٥] وقال سبحانه :﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم : ١٩]. وقال جل شأنه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم : ٢٤]. **وقال تبارك اسمه :** ﴿ انظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم : ٥٠]**وقال جل ثناؤه:**﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩] **وقال تعالى** :﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٣ . ٥]. وقال تعالى :﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد : ١٧]

في حين قال:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٣]

فنلاحظ أنَّ الباري عز وجل لم يذكر (من) في ثمانية مواضع وذكرها في موضع واحد والسبب في هذا الاختلاف هو أنَّ الآية في سورة العنكبوت تدور حول المشركين الذين يشركون بالله ويعبدون معه آلهةً من الحجر أو من غيره في حين لو سألتهم ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١]..

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]..[١٠٩].

في هذه السياقات يلفت نظرنا إدخال الحرف (من) في دلالة مقدار قوة الله المذكور في النص بصفته الفاعل وإن دلالة الحرف تعطي الترتيب لان الإحياء كان بعد الموت أما دلالة البعد والقرب الزمني في الآية فذلك موقوف على التأويل فهناك من يقدر المهلة بعد الإنزال مباشرة أو أكثر من هذا أما في حذف القرينة (من) فمعناه يكون الإحياء بعد الموت بلا مهلة ولا فاصل . ومعنى ذلك إن الله قادر على أن يحيي الميت من فوره بلا مهلة، لا يحتاج إلى زمن لإحيائه . وهو أدل على قدرة الله وإن كان كلاهما من قدرة الله وحده ، وقد جاء بمن في هذا المقام للدلالة على أنهم يشاهدون ذلك ويقرون أن الله يحيي الأرض من الموت بلا مهلة ومع ذلك يعبدون غيره.

٤-**ومن الآيات المتماثلة** قوله تبارك اسمه في سورة يوسف : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾[يوسف : ١٠٩] وقوله تعالى في سورة النحل:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣]وقوله في سورة الأنبياء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء : ٧]، وقوله في سورة الفرقان : ﴿ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠].

فقال في الآيتين الأخيرتين (قبلك) وفي الآيتين الأوليين (من قبلك) بـ(من)، والسبب في ذلك والله تعالى أعلم : ((إن آية يوسف قد تقدمها قوله تعالى :﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦]، وقوله : ﴿ وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٨]، وقوة السياق في هذه الآي يدل على معنى القسم ويعطيه ، فناسب ذلك زيادة (من) المقتضية للاستغراق ، وكذلك قوله في سورة النحل : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤١] ، يؤكد ذلك المعنى ، فناسبه زيادة (من) لاستغراق ما تقدم من الزمان))(١١٠) .

أما قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء : ٧]،من دون(من)من التركيب بناءً على قول متقدم هو ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ [الأنبياء : ٦] لان الزمان الذي تقدم الأنبياء هو الزمان نفسه الذي تقدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المذكور في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء : ٧]، و(قبل) إذا عرّيت من (مِنْ) وضعت للزمان المتقدم كله استغراقا وصار بناء(قبل) على قول متقدم كالتوكيد الواقع بـ(من) في سائر المواضع (١١١) .

وكذلك الوارد في سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان : ٢٠].

والآية إنما وردت جواباً عن قولهم﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان : ٧ .] فلا يحتاج إلى (من) سابقة للظرف (قبل)؛ لأنه جواب لقول سابق ليس في مفهوم التوكيد أو القسم ؛ لانه أراد من ذلك تناسب نظام سياق الآية، والفاحص المدقق لتعلق الآية اللاحقة بالسابقة يجد أنّه لايمكن بل يستحيل تغيير موضعي كل منهما للمناسبة بينهما من دقة التآلف في الترتيب، فكل آية متعلقة بسابقتها نظماً ودلالةً.(١١٢)

٥-**و لقد جاءت من في الآيات المتماثلة في قوله تعالى** : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام : ١٥١]، وقوله سبحانه في موضع آخر: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾ [الإسراء : ٣١]، فقال في الأنعام (من إملاق)، وفي الإسراء (خشية إملاق)، والسبب في ذلك : ((أن المخاطبين بآية الإنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حين فعلهم ذلك ، فالحاصل لهم على قتلهم قد كان حاصلاً حال قتلهم فقيل (من إملاق) أي من أجل الإملاق الحاصل ، ثم قيل لهم: (نحن نرزقكم وإياهم) [الأنعام : ١٥١]، فقدم رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم ، .. وأما الآية الأخرى فقصد بها كفار العرب ، وكان وأدهم البنات خشية الفقر المتوقع والعجز عن مؤونتهن فيما يتوقعونه مستقبلاً، فقيل : (خشية إملاق) ، فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم ، فانتصبت على ذلك والمعلول الذي هو الإملاق لم يقع بعد وضمن تعالى لهم رزقهم ورزق أولادهم ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك ، خشيتهم ، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء..))(١١٣).

فاتضح مما تقدم أنّ آية (الأنعام) في الفقراء لأنهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم؛ لأنهم لا يجدون هم ما يأكلون فضلاً عن أولادهم ، وأما آية (الإسراء) ففي الأغنياء والموسرين لأنهم يقتلون أبناءهم خشية الفقر في المستقبل لا إنهم مفتقرون في الحال ، إذ يخشون أن يأتي يوم يصابون فيه بفقر ويخشون إن كثر عدد أولادهم ألا يرثوا المال الكثير ، فتقل سعادتهم ، ويتضاءل فرحهم ونعيمهم ولذلك فهم يلجأون إلى قتل أولادهم[١١٤] . ووضع الباري عز وجل كل آية في سياقها المناسب((فقد وضع قوله : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ [الإسراء : ٣١]، في آيات الموسرين في آيات الإسراء فقد قال قبلها : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء : ٢٦]، ، والمأمور بإعطاء حقوق هؤلاء هم الأغنياء الموسرون لا الفقراء . ثم قال : ﴿ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ [الإسراء : ٢٦]والمأمور بعدم التبذير هو الموسر في الأكثر لأن الفقير ليس عنده شيء في الغالب فيبذره)) [١١٥] . وبعد ذلك قال سبحانه وتعالى :﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

و هذا القول إنما ذكره سبحانه لمن امتلك المال أو مادته، ولا تقال للمعدم أو من لم يمتلك المال؛ لان من كان فقيراً لم يستطع بسط يده مُنفقاً، فناسب ذلك ان يكون الخطاب موجها للغني أو الموسر، فواجهه بقوله تعالى:﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾ **[الإسراء : ٣١]**، من هنا تناسب المقام الخطابي للآية بما هو أليق بها.أما في سورة الأنعام فقد تقدمها قوله تعالى:﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ **[الأنعام : ١٤٠]** لان السبب الداعي لقتل الأبناء عند الفقراء أقوى من السبب الداعي للمسالة نفسها عند الموسرين ؛ لان الفقر واقع بهم لا أنهم يخشونه[١١٦] ، فوضعها في سياقها المناسب فالخسارة واقعة أصلاً، ولم يربحوا على ما كانوا يظنون.

٦- ومنه قوله تعالى: چ □ □ □□ □ □ □ □ □

چ [النساء ٤٣]وقوله تعالى: چ چ چ چ چچ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڏ ڏ ڐ ڐ ڑ ڑ ک ک گ چ [المائدة: ٦]،فقد قال الباري ﷻ في آية المائدة(منه)ولم يذكره في آية النساء،وذلك؛لأن المذكور في آية النساء بعض أحكام الوضوء والتيمم فحسن حذف(منه) والمذكور في المائدة جميع أحكام الوضوء والتيمم فحسن الإثبات والبيان، فذكر(منه) في آية المائدة ذكر بيان ؛لأَنَّ قوله تعالى : (□ □ □□) يحصل منه ما يحصل من ذكر (منه) فذكرت بياناً واختصت بذلك آية المائدة لتأخرها عن آية النساء في ترتيب المصحف ،والبيان يتأخر عما هو بيان له فجاء على ما يجب [١١٧] .

٧- قولُه تعالى : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[البقرة: ٢٥]،وقوله تعالى: چ ې ې ى ى □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ چ[المائدة: ١١٩]

وقوله تعالى: چ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ[التوبة: ٨٨ - ٨٩]، **وقال بعده:** چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[التوبة: ١٠٠]لِمَ لم يذكر الباري ﷻ لفظة(من) في سورة التوبة في **(الآية١٠٠)**في قوله: (ٿ ٿ)في قراءة أكثر القراء[١١٨]،وقد ذكر الباري ﷻ **(من)**:(ڃ ڃ ڃ)في الآي الأخر،إذ وردت لفظة(تحتها)مسبوقةً بـ(مِنْ)في أربعة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم؟ [١١٩] .

والسبب في ذلك_والله أعلم– أن ربنا تبارك اسمه استُعمل (مِنْ)الجارَّة في قولُه : چ پ پ پ ڀ ڀ چ دالة على (ابتداءِ الغاية) [١٢٠]، والجناتُ هي: ((جمعُ جنةٍ ، والجنةُ: البستانُ. وإنَّما عنَى

جلَّ ذكرُه بذِكر الجنةِ ما في الجنةِ من أشجارِها وثِمارِها وغروسِها دون أرضِها. فلذلكَ قال عزَّ ذكرُه: چ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ چ..))(١٢١) .

إنَّ الملاحظ من دلالةِ هذا التعبير أنَّ بدايةَ جريانِ أنهار هذه الجناتِ إنَّما هو أصولُ أشجارِها وغروسِها ، فكأنَّ هذه الأصولَ منابعُ لهذه الأنهارِ ، ومصادرُ لمياهِها ، ومدافعُ لتدفُّقِها وانسيابِها. فهذه الجناتُ التي وعدَها الله تعالى عبادَه الصالحين والمؤمنين والمتقين هي أصلُ السَّقْي ، وهذا ما لم يألفه الناس في جناتِ الدنيا التي يأتيها سَقيُها من منابعِ ماءٍ خاصَّةٍ لها. فتلك هي التي تَسقِي وتُعطِي ، وهذه هي التي تُسقَى وتُعطَى .

أما قولُه تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[التوبة: ١٠٠] فيدل على أنّ بداية الجريان ليس من تحت هذه الجنات فلا يُرادُ بأشجارها ، ولا بغروسِها أنَّها أصلُ السَّقْي ، بل تكونُ أصولُ هذه الأشجار والغروسِ من مسالكِ هذه الأنهار ، وهي أنهارٌ تنبعُ مياهُها من موضعٍ آخرَ ، أو هي جاريةٌ من غير منبعٍ محدَّدٍ في غير أخاديد(١٢٢) تحت أُصول هذه الأشجار. فصورةُ جريانِ الأنهار - هنا - أكثرُ اتِّساعًا ، وأبعدُ أطرافًا.

وكان قولُه تعالى: چ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ** چ لقومٍ غير مخصوصين ،بينما قولُه تعالى: چ **جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهارُ** چ **لقومٍ مخصوصين،** قال الإسكافيُّ: ((فكلُّ موضعٍ ذُكِر فيه (من تحتها) إنَّما هو لقومٍ عامٍّ فيهمُ الأنبياءُ ، والموضعُ الذي لم يُذكر فيه (مِن) إنَّما هو لقومٍ مخصوصين ليس فيهمُ الأنبياءُ)) (١٢٣)

،وهؤلاء هم الصحابة ﷺ،قال الإمام الطبري:((يقول تعالى ذكره:والذين سبقوا الناسَ أوَّلاً إلى الإيمانِ باللهِ ورسولِه **چ ٻ ٻ** چ الذين هاجرُوا قومَهم وعشيرتَهم ، وفارقُوا منازلَهم وأوطانَهم ، **چ ٻ** چ الذين نصروا رسولَ الله ﷺ على أعدائِه من أهل الكفر بالله ورسوله ، **چ پ پ پ چ** ، يقولُ: والذين سلكوا سبيلَهم في الإيمانِ باللهِ ورسولِه ، والهجرةِ من دار الحربِ إلى دارِ الإسلام.،طلبَ رضا الله **چ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ چ..**))(١٢٤). فهذه منازلُ خاصةٌ ، وخصالٌ لهم وليست لغيرهم ، قدِ استحقُّوا بسببِها كرامةً خاصَّةً انمازوا بها عمَّن سواهم من المؤمنين ، فكانت جناتُهم التي رزقُوا بها أوسعَ جريانًا لأنهارِها ، وأبعدَ أطرافًا لهذا الجريانِ ،((إذ لا موضعَ في القرآنِ ذُكرت فيه الجناتُ وجَرْيُ الأنهارِ تحتها إلاَّ وقد دخلتها (مِن) سوى الموضعِ الذي لم ينطبق ذُكْرُ الموعودين فيه على الأنبياء عليهم السلام)) (١٢٥).

٨-ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة : ٢٣]، وفي سورة يونس قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة يونس : ٣٨] و في سورة هود قال تبارك اسمه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود : ١٣] .

فلم قال في يونس وهود : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) وجاء بـ(من) في البقرة : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ)؟.

والجواب : أنَّ (من)، في سورة البقرة تدل على التبعيض ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول من فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره بخلاف غيرها من السور فإنه لو

دخلها من لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ولم يكن ذلك بالسهل[١٢٦].

فـ**المـراد فـي** سورة يـونس يجـرى مـع قولـه تعـالى: (أم يقولـون افتـراه)؛لأنَّ المشـركين زعمـوا أنَّ القرآن مفتـرى ،فكأنمـا قيـل لهـم : إذا كـان القـرآن مفتـرى كمـا تزعمون فما المانع لكم عن معارضته فائتوا بسورة مماثلة للقرآن ، فالمراد هنا نفى كلام مماثل للقرآن وإقامة الحجة على المشركين بعجزهم عن ذلك.

والمراد فى البقرة إراءة المشركين ما يرفع شكهم فى نبوة نبينا ﷺ فكأن قد قيل : إن شككتم فـى نبوتـه وتخصيصـنا إيـاه بـالنبوة فلتـأتوا برجـل مـنكم غيـر النبـي ﷺ يصدر عنه، أو يأتى بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم وائتوا بشهداء يشهدون أن غيره قد سمع منه ما طلبتم به فإذا عجزتم عن ذلك ولابد من عجزكم فاتقوا النـار التى يخبركم البار يﷻ أنها معدة لمن يكذبه فكان المراد من(من) التبعيض،كذلك المراد فى البقرة نفى شخص يماثل نبينا ﷺ فى أن يسمع منه ما يماثل سورة واحدة من مثل القرآن فى فصاحته وعجائبه ، فاختلف المقصدان فى السورتين مع الائتلاف فى تعجيزهم عن هذا وهذا فلما اختلفا لم يكن بد من (من) فـى البقرة لإحراز معناها ولـم يـأت فـى يـونس لحصـول المعنـى المقصـود فيهـا دون من[١٢٧].

٩- **فـي قولـه تعـالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ى ى ې ې ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ چ [سورة الصـف: ١٢]،وقوله تعالى: چ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے چ [سـورة** نوح: ٤].

للسائل أنْ يسأل عن اختصـاص آيـة نـوح بـ (مِنْ) : **چ گ گ ں ں چ** دون آية الصف: **چ ۇ ۆ ۆ چ**؟

والجـواب والله أعلـم:أنَّ (مـن) فـي آيـة نـــوح هـي متعلقـة بمعنـــى الإنقـاذ والإخراج مـن (ذنـوب الكفـر أوالشـرك)فدخلت منـه لتـؤذن بهـذا المعنـى ، ولكـن لا يكـون ذلـك فـي القـرآن العظـيم إلا حيـث يـذكر الفاعـل والمفعـول الـذي هـو الـذنب نحـو قولـه : (لكـم) لأنـه المنقـذ المخـرج مـن الـذنوب بالإيمان . ولو قيل : يغفر من ذنوبكم دون أن يذكر الاسم المجرور . لم يحسن إلا على معنى التبعيض ، لأن الفعل الذي كان في ضمن الكلام وهو الإنقاذ قد ذهب بذهاب الاسم الذي هو واقع عليه.

أمـا قولـه ﷻ فـي آيـة الصـف: **چ ۇ ۆ ۆ چ** فهوإخبـار عـن المـؤمنين الـذين قـد سـبق لهـم الإنقـاذ مـن (ذنـوب الكفـر أوالشـرك) بأيمـانهم بـالله ﷻ وبرسوله ﷺ ، ثم وعدوا على الجهاد في سبيل الله بغفران ما اكتسبوا في الإسلام من الذنوب، وهـي غير محبطـة كإحباط الكفـر المهلك للكافر، فلم يتضمن الغفران معنى الاستنقاذ إذ ليس ، ثم إحاطـة مـن الـذنب بالمـذنب ، وإنمـا يتضـمن معنـى الإذهـاب والإبطـال للـذنوب ، لأن الحسـنات يـذهبن السيئات بخلاف آية نوح فإنها خطاب للمشركين (قوم نوح)،وأمر لهم بما ينقذهم ويخلصهم مما أحاط بهم من الذنوب وهو الكفر . ففي ضمن ذلك الإعلام والإشارة بأنهم واقعون في مهلكة قد أحاطت بهم . وأن لا ينقذهم منهـا إلا المغفـرة المتضـمنة للإنقـاذ الـذي هـو أخـص مـن الإبطـال والإذهاب.أما المؤمنون فقد أنقذوا ؛لأنهم موحدون،[١٢٨] **ٹ ٹ چ ڤ ڤ ڤ ڤ**

ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[
النساء: ٤٨].

الخاتمة:

وهكذا وصل بحثي هذا إلى نهايته بعد التوكل على الله وحمده وتوفيق منه.

فبعد عرض هذا الجهد المتواضع من العمل والاستقصاء أودُّ أن أقدم أهم النتائج التي توصلتُ إليها ،والتوصيات:

- أن الدراسات القرآنية بحاجة إلى أن تأخذ مكانها اللائق بها في ميدان العلم والمعرفة فلا يكفي ان نعرض الشواهد التي تتكرر كثيراً ونترك الشاهد القرآني فالقرآن هو المصدر الرئيس لتحليل النصوص واستنباط القواعد النحوية وشواهده خير معين لتطبيق هذهِ القواعد .
- أنَّ الوقوف على فهم الآيات ،ولاسيما التي وردت فيها (من) وتوجيهها ،هو ضرب من أضرب إعجاز القرآن في حلته البيانية القشيبة،فهو متفرع من روح البيان القرآني.
- عند عرضنا لـ(من)في(المتشابه اللفظي)،تبيَّن لنا أنَّه لا جود لـ(من الزائدة)التي تكون (حشواً) بل لها دلالة عظيمة في البيان القرآني المعجز.
- هناك موضوعات في البيان القرآني بحاجة إلى بحث ولاسيما في الكتب التي اختصت بالبيان القرآني،مثل(درة التنزيل،ومِلاك التأويل،وأسرار التكرار)ومن هذه الموضعات التقابلات النحوية الثنائية:(التقديم والتأخير،والحذف والذكر،والتعريف والتنكير ،والإفرادوالجمع،) في وأحد من هذه الكتب،أوفي مجموعها دراسة موازنة.أوفي أحد التفاسير،أو عند واحد من العلماء،وأخص بالذكر ابن القيم ،ولا سما في كتابه القيم (بدائع الفوائد).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الهوامش:

(١)ينظر :أوضح المسالك:١٨/٣،وعدة السالك:١٨/٣

(٢)أسرار النحو : ٢٧٠ – ٢٧١ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ١٣٠ ،و رصف المباني:٣٢٢ ،و الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٠٨ والبرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٥ ، وكاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة : ١٦٢.

(٤)الكتاب : ٤ / ٢٢٤ ،و ينظر :الأصول في النحو:٤٠٩/١،والإيضاح في شرح المفصل : ٥٠٥ ،وارتشاف الضرب : ٢ / ٥٩٣ .

(٥) ينظر :شرح المفصل :٤٥٩/٤ وشرح التسهيل :٣/ ١٣٠ وشرح ابن الناظم: ٢٥٩ والجنى الداني : ٣٠٨ وكاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة : ١٦٢ .

(٦)ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٥

(٧)ينظر :مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١ / ٣٠٧،والقاموس المحيط:١٣٨-١٣٩ .

(٨)ينظر : شرح كافية ابن الحاجب للرضي:٢٦٧/٤،وشرح المكودي:١٣٨.

(٩) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٧١ ،وحاشية الصبان على شرح الأشموني : ٢ / ٣١٣ .

(١٠) الإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٧٢ وينظر : شرح ابن الناظم على ألفية أبن مَالِك : ٢٦٠ .

(١١)الحديث نصه:((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا

الجن والانس وفيه ساعة لايصادفها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه))في موطأ مالك (١٥٠/٢)رقم(٣٦٤)،ومسند الإمام الشافعي :٧٢،وصحيح ابن حبان (٧ / ٢)رقم الحديث[٢٧٧٢]

(١٢)ديوان النابغة الذبياني: ٤٥،وفي مغني اللبيب: ٣٠٧،وشرح ابن عقيل:٨/٣.

(١٣)الروض الأنف للسهيلي : ٤ / ١٥٦)،وينظر :مغني اللبيب: ٣٠٧:، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم:القسم الأول،٣٢١/٣

(١٤)ينظر :معاني القرآن للأخفش:٢١٣

(١٥)صحيح البخاري : ٤ / ١٧٠،رقم الحديث(٣٤٥٩)

(١٦)شرح التسهيل:١٣١/٣.

(١٧)ينظر : الجنى الداني: ٣٠٩ . و موسوعة الحروف في اللغة العربية : ٤٦٦

(١٨)ينظر :شرح المفصل لابن يعيش:٤٥٩/٤،و شرح التسهيل:١٣٣/٣،شرح المكوّدي:١٣٧

(١٩)ينظر: الكتاب : ٤ / ٢٢٥،

(٢٠)ينظر: شرح التسهيل:١٣٦/٣

(٢١)ينظر: رصف المباني:٣٢٣ .

(٢٢)ينظر: الجنى الداني: ، ٣١٣.

(٢٣)ينظر:مغني اللبيب: ٣١٠

(٢٤)ينظر: شفاء العليل: ٢ / ٦٥٦ .

(٢٥)ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٥

(٢٦) الكتاب : ٤ / ٢٢٥، وينظر : الجنى الداني: ٣١٢ .

(٢٧) ينظر : شرح المفصل :٤٥٩/٤ ،و الجنى الداني : ٣١٢، وشفاء العليل: ٢ / ٦٥٦ ،والبرهان:٤١٦/٤.

(٢٨)الأصول في النحو : ١ / ٤١١،وينظر: شرح التسهيل : ٣ / ١٣٦ .
(٢٩) جامع الدروس العربية : ٣ / ١٦٨ .
(٣٠)البرهان:٤/ ٤١٨،ومعجم الأدوات في القرآن الكريم: ٢٨٣ – ٢٨٤ .
(٣١)ينظر : شرح كافية ابن الحاجب للرضي:٤/٢٧١،وإرشاد السالك:٦٥٠/١ .
(٣٢) ينظر : شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : ٢٦١ ، و الجنى الداني: ٣١٠ ،وشفاء العليل: ٢ / ٦٥٦ .
(٣٣) ينظر : مغني اللبيب : ٣٠٨ ، والبرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٩ ،والإتقان في علوم القرآن:١٧٦/١
(٣٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٩ .
(٣٥) ينظر : الكشاف : ١ / ٣٦٧ .
(٣٦)ينظر : شرح التصريح على التوضيح : ٣ / ٢٨ .
(٣٧)ينظر :المفصل:٣٦٧،و شرح المفصل لابن يعيش:٤/٤٥٩-٤٦٠.
(٣٨)ينظر:الأزهية:٢٣٣.
(٣٩)ينظر : أسرار العربية : ٢٣٤ .
(٤٠)ينظر : كشف المشكل : ١٦١.
(٤١)ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ١٣٤ .
(٤٢)ينظر : مغني اللبيب : ٣٠٨.
(٤٣)ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٨
(٤٤) ينظر : أسرار النحو : ٢١٧.
(٤٥)ينظر : كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة : ١٩٢ .
(٤٦) مغني اللبيب : ٣٠٧ .
(٤٧) ينظر : أسرار النحو : ٢١٧ وجامع الدروس العربية : ٣ / ١٧٠ .

(٤٨) ينظر : البرهان في علوم القرآن: ٤ / ٤١٧ ومعجم الأدوات في القرآن الكريم :٢٨٠ .
(٤٩) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤/ ٤١٧ .
(٥٠) أسرار العربية :٢٣٤ .
(٥١) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش:٤/٤٦٢،و البرهان في علوم القرآن : ٤/ ٤١٧ ،ومعجم الأدوات في القرآن الكريم:٢٨٢.
(٥٢) أسرار النحو : ٢١٧ وينظر : الجنى الداني: ٣١٩ وشفاء العليل : ٦٥٥ .
(٥٣) ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ٧ .
(٥٤) ينظر :شرح الكافية الشافية : ٢/ ٧٩٦ .
(٥٥) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي المالكي : ١ / ٢٨ .
(٥٦) ينظر : أسرار العربية : ٢٣٥، وروح المعاني : ١٢٧/٣ .
(٥٧)ينظر : دراسة في حروف المعاني الزائدة : ٢٧١ .
(٥٨) ينظر : معجم الأدوات في القرآن الكريم : ٢٨١ .
(٥٩) ينظر : بغية المرتاد : ١ / ٣٨١ .
(٦٠) ينظر : أسرار العربية : ٢٣٥ .
(٦١) ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٣٤ ،ولكنني لما رجعت الى معاني القران للأخفش وجدته لم يتعرض لهذه الآية،وكذلك سيبويه في كتابه.
(٦٢)مفاتيح الغيب،للرازي : ٢٣ / ١٧٥-١٧٦ .
(٦٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٢٨٢ .
(٦٤)ينظر : شفاء العليل : ٢ / ٦٥٥ .
(٦٥) ينظر : كتاب الحيوان : ٤ / ٢٧١ .
(٦٦) البحر المحيط : ٣ / ٤٤٥ .

(٦٧) شرح التصريح على التوضيح : ٣ / ٢٨ .

(٦٨) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤١٩ .

(٦٩)ينظر: حروف المعاني : ٧٦، وتأويل مشكل القرآن:٣٠١.،وكشف المشكل : ١٦١، وارتشاف الضرب : ٢ / ٥٩٤ والجنى الداني : ٣١٤ ومغني اللبيب: ١ / ٣٢١ وشفاء العليل: ٢ / ٦٥٧ والبرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤٢٠، وموسوعة الحروف في اللغة العربية : ٤٦٨ ودراسة في حروف المعاني الزائدة : ٢٠٥ ومعجم الأدوات في القرآن الكريم : ٢٨٤ – ٢٨٥ .

(٧٠) طوق الحمامة : ١٠٥ – ١٠٦ .

(٧١) ينظر : حروف المعاني : ٧٦ وكشف المشكل : ١٦١، وارتشاف الضرب : ٢ /٥٩٤، ومغني اللبيب : ١ / ٣٢١ ،وشفاء العليل : ٢ / ٦٥٧ ،والبرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤٢٠ .

(٧٢)ينظر :شرح التسهيل:٣/١٣٦-١٣٧.

(٧٣)ينظر :تأويل مشكل القرآن:٣٠١.

(٧٤) ينظر : حروف المعاني : ٥٠ وارتشاف الضرب : ٢ / ٥٩٣ ومغني اللبيب : ١ / ٣٢٢ والبرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤٢٠ .

(٧٥)ينظر :الكشاف: ١٢٨/٣، والدر المصون في علم الكتاب المكنون :(٣١٩/١٠)،وشرح مقدمة التفسير لابن تيمية:٦٠.

(٧٦) ينظر:تأويل مشكل القرآن:٣٠٢،ورصف المباني:٣٢٣،و الجنى الداني:٣١١.

(٧٧) ينظر : الجنى الداني: ٣١١، ومغني اللبيب : ١ / ٣٢١ وشفاء العليل: ٢ / ٦٥٦ .

(٧٨) ينظر : الكشاف : ٤ / ١٢٥ .

(٧٩) ينظر : مغني اللبيب: ١ / ٣٢١،والبرهان في علوم القرآن: ٤ / ٤٢١،و شرح ابن عقيل : ٣ / ٣٥ .

(٨٠)ينظر:مجاز القرآن: ٤٦،والبرهان في علوم القرآن: ٤ / ٤٢١.

(٨١) ينظر: مغني اللبيب: ١ / ٣٢١، والجنى الداني: ٣١٤،والبرهان في علوم القرآن: ٤٢٠/٤ .

(٨٢) همع الهوامع في شرح الجوامع : ٢ / ٤٦٣ .

(٨٣)ينظر : شرح التسهيل : ٣ / ١٣٧

(٨٤)ينظر : وارتشاف الضرب : ٢ / ٥٩٤

(٨٥) ينظر : الجنى الداني: ٣١٣ – ٣١٤ .

(٨٦) ينظر :مغني اللبيب : ١ / ٣٢٢

(٨٧)ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ /٤٢١.

(٨٨)ينظر :شرح التصريح:٢٩/٣.

(٨٩) ينظر: شرح التسهيل : ٣ / ١٣٧، وارتشاف الضرب : ٢ / ٥٩٤، والجنى الداني: ٣١٣ – ٣١٤، ومغني اللبيب:١ / ٣٢٢ ،وشفاء العليل: ٢ / ٦٥٦ ،والبرهان في علوم القرآن: ٤ / ٤٢١.

(٩٠)ينظر:شرح التصريح على التوضيح : ٣ / ٢٩،وموسوعة الحروف في اللغة العربية: ٤٦٩ .

(٩١)ينظر :المقتضب: ٤٤/١، ٥٢/٤

(٩٢)ينظر :الأصول في النحو:٤٠٩/١

(٩٣) ينظر : الجنى الداني: ٣١٥، وموسوعة الحروف في اللغة العربية : ٤٦٩ .

(٩٤) أسرار النحو : ٢١٧ .

(٩٥)البيت لأبي حيَّة النميري في الكتاب:١٥٦/٣، والجنى الداني:٣١٥،وشرح شواهد لإيضاح:٢١٩،و همع الهوامع:٢١٥/٤،والدرر اللوامع:٨٩/٢

(٩٦) ينظر : الجنى الداني:٣١٥،ومغني اللبيب: ١ / ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٩٧) ينظر :الكتاب:٢٢٥/٤،وارتشاف الضرب: / ٥٩٢-٥٩٣،ودراسة في حروف المعاني الزائدة : ٢٠٤ .

(٩٨) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ٤٢٦ .

(٩٩) الكتاب : ٤ / ٢٢٥،وينظر : شرح ملحة الاعراب : ٤٠ .

(١٠٠) ينظر : البرهان:٤٢٢/٤،و موسوعة الحروف في اللغة العربية : ٤٦٩ .

(١٠١) ينظر : شرح المفصل : ٤ / ٤٦٠ .

(١٠٢) ينظر: درة التنزيل:١٠.

(١٠٣)ملاك التأويل : ١ / ١٨٩ .

(١٠٤)ينظر :التعبير القرآني :٢٥٧

(١٠٥)درةالتنزيل: ١٥٠

(١٠٦)ينظر : أسرار التكرار : ١٢٤ . ١٢٥،والتقييد بالمفعولات في القرآن الكريم:١٧٠

(١٠٧)ينظر : ملاك التأويل: ٧٤٩/٢ .

(١٠٨)ملاك التأويل: ٧٤٩/٢.

(١٠٩)ينظر: معاني النحو:٦٢٣/٢

(١١٠)ملاك التأويل: ٦٧٨/٢ .

(١١١)ينظر: درة التنزيل: ١٣٢ .

(١١٢)ينظر :ملاك التأويل : ٦٨٠/٢ .

(١١٣)ملاك التأويل : ١ / ٤٧٨- ٤٧٩ ،وينظر: درة التنزيل : ٧٤ ،وأسرارالتكرار:٧٥.

(١١٤)ينظر:البحر المحيط : ٤ / ٢٥١ ، وروح المعاني : ٨ / ٥٤ ،والتعبير الفني في القرآن الكريم : ١٩٦ ،والتعبير القرآني : ٦٠ .

(١١٥)التعبير القرآني : ٢٤٦ .

(١١٦)التعبير القرآني:٦٠-٦١.

(١١٧)ينظر:أسرار التكرار في القرآن: ١ / ٥٥،و ملاك التأويل :٣٤٤/١.

(١١٨)قال ابن مجاهد في كتابه السبعة في القراءات: ٣١٧ : ((كلهم قرأ عند رأس المائة ﴿ﭷ ﭸ ﭹ﴾غير ابن كثير وأهل مكة فإنهم قرأوا تجرى من تحتها بزيادة من وكذلك هى فى مصاحف أهل مكة خاصة))

(١١٩)المواضع الثلاثون الأخرى ،هي:[البقرة:٢٦٦]، و[آل عمران : ١٥-١٣٦-١٩٥-١٩٨] ، و[النساء:١٣-٥٧-١٢٢] ، و[المائدة:١٢-٨٥] و[التوبة:٧٢-٨٩]، و[الرعد: ٣٥] ، و[ابراهيم/٢٣] ، و[النحل:٣١] ، و[طه:٧٦] ، و[الحج/١٤-٢٣] و[الفرقان:١٠] ، و[العنكبوت: ٥٨] ، و[الزمر:٢٠] ، و[محمد:١٢] ، و[الفتح:٥- ١٧] ، و[الحديد:١٢] و[المجادلة:٢٢] ، و[الصف:١٢] [التغابن: ٩] ، و[الطلاق:١١] ، و[التحريم: ٨] ، و[البروج:١١] ، و[البينة:٨].

(١٢٠)ينظر: البحر المحيط١:١١٢.

(١٢١) جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن، للطبري: ٣٨٤/١.

(١٢٢)ينظر: جامع البيان: ٣٨٤/١.، وزاد المسير في علم التفسير ،لابن الجوزي١:٥٢.

(١٢٣)درة التنزيل: ٥٣.

(١٢٤)جامع البيان: ١٤ / ٤٣٤.

(١٢٥)درة التنزيل:٥٥.

(١٢٦)ينظر: أسرار التكرار في القرآن : ٢٤،والبرهان: ١١٥/١

(١٢٧)ينظر :ملاك التأويل:١٨٣/١ -١٨٤،وأسئلة بيانية في القرآن الكريم للدكتورفاضل السامرائي:٩-١٠،ولكنني وجدت د.فاضل نقل من ملاك التأويل ولم يشر اليه.

(١٢٨) ينظر:بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية :٥٨/٢-٥٩،و البرهان في علوم القرآن :٤٢٥/٤-٤٢٦ ،وعلى طريق التفسير البياني:١٢/١،٢٢٩.

المصادر والمراجع :

١- أحكام القرآن لابن العربي : **الْقَاضِي أَبِي بَكْرِمحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري المالكي،** (ت ٥٤٣ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب : محمد بن يوسف بن علي المعروف بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : محمد عثمان. ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ،٢٠١١ م .

٣- إرشاد السالك الى حل ألفية ابن مالك:برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية(ت٧٦٧هـ)، تحقيق : محمود نصار. ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م .

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (د . ت) .

٥-الأزهية في علم الحروف:علي بن محمد الهروي(ت٤١٥هـ)،تحقيق:عبد المعين الملوحي،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٦- **أسئلة بيانية في القرآن الكريم :الدكتورفاضل صالح السامرائي** ،مكتبة الصحابة الطبعة الأولى،الإمارات- الشارقة،مكتبة التابعين-القاهرة،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٧- أسرار التكرار في القرآن الكريم : تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت بعد٥٠٠ هـ) ، تحقيق : عبد القادر احمد عطا ، ط ١ ، دار السلامة للطباعة – تونس ، ١٩٨٣ م .

٨- أسرار العربية :لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق :د.فخر **صالح قدارة، دار الجيل – بيروت ،١لطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.**

٩- أسرار النحو : شمس الدين أَحمد بن سليمان المعروف بـ(ابن كمال باشا) (ت ٩٤٠ هـ) ، تحقيـق : د . احمـد حسـن حامـد ، منشـورات دار الفكـر – عمان ، د . ت .

١٠- الإنصـاف فـي مسـائل الخـلاف بـين النحـويين البصـريين والكـوفيين أَو البركـات عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن أبـي سـعيد الأنبـاري (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيـق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط ٤ ، ١٩٦١ م .

١١- أوضـح المسـالك إلـى ألفيـة ابن مالك : لأبـي محمد عبد الله جمـال الـدين أبـن هشـام الأنصـاري(ت٧٦١هـ) ، ومعـه كتـاب عـدة السـالك إلـى تحقيـق أوضـح المســالك ،للشــيخ محمــد محيــي الــدين عبــد الحميــد ،دار الطلائــع ،القاهرة،٢٠٠٤م.

١٢- الإيضــاح فــي شـرح المفصـل:لأبي عمـرو عثمـان بـن عمـر المعـروف بـابن الحاجب المـالكي(ت٦٤٦هـ) ، تحقيـق : محمـد عثمـان، دار الكتب العلميـة ، بيروت – لبنان،ط١ ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

١٣- البحـر المحـيط : محمـد بـن يوسـف بـن علـي بـن يوسـف بـن حيـان الأندلسـي (ت ٧٤٥ هـ) ، ط ٢ ، دار إحيــاء التــراث العربــي ، بيــروت – لبنــان ، ١٩٩٠ م .

١٤-بـدائع الفوائـد لابـن القـيم: شـمس الـدين محمـد بـن أبـي بكـر ابـن قـيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، مكتبة الرياض الحديثة–الرياض، د.ت.

١٥- البرهان في علوم القرآن : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيـق : محمـد أبـي الفضـل إبـراهيم ، ط ٣ ، دار الفكـر ، ١٩٨٠م .

١٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية : لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الرحيم بن تيمية الحراني(ت٧٢٨هـ) ، تحقيق : د . موسى سليمان الدويش ، ط ١ ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٨ هـ .

١٧-تأويل مشكل القرآن:لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) ،تحقيق إبراهيم شمس الدين، **دار الكتب العلمية، الطبعة : الثانية – بيروت – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م.**

١٨- التعبير الفني في القرآن الكريم: د. بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين – بيروت.

١٩- التعبيـر القرآنـي : د . فاضـل صـالح السـامرائي ، مطبعـة جامعـة الموصـل ، ١٩٨٩ م .

٢٠- تفسير القرآن العظيم : لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية – القاهرة – مصر ، (د . ت) .

٢١- التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم : أطروحة دكتوراه، ياسين عبد الله نصيف ، الجامعة المستنصرية ،كلية الآداب، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٢٢-جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري، (ت ٣١٠ هـ)،تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٣- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني ، ط ٩ ، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا – بيروت ، ١٩٦٦ م .
٢٤- الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) تحقيق : د . فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
٢٥- حاشية الصبَّان على شرح الأشموني : محمد بن علي الصبّانِ (ت ١٢٠٦هـ) ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، (د . ت) .
٢٦- حروف المعاني : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) ، تحقيق : د . علي توفيق الحمد ، ط٢،مؤسسة الرسالة _ دار الأمل،١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.) .
٢٧-دراسات لأسلوب القرآن:الأستاذ محمد عبدالخالق عضيمة،دار الحديث القاهرة،د.ت.
٢٨- دراسة في حروف المعاني الزائدة : عباس محمد السامرائي ،ساعدت جامعة بغداد على طبعه ،الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
٢٩- **الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون:للإمام شهاب الدين أبي العباس المعروف بالسمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ)، تحقيق:الشيخ علي محمدمعوّض،وآخرين** ، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى– بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
٣٠- درَّة التنزيل وَغرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز :لأبي عبد الله محمد عبد الله بن المعروف بالخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠ هـ) ، دار الكتب العلمية –الطبعة الأولى، بيروت – لبنان ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

٣١–الدرر اللوامع على همع الهوامع:أحمد الأمين الشنقيطي(ت١٣٢١هـ)،تحقيق:أحمد السيد سيد أحمد علي،المكتبة التوفيقية–القاهرة،د.ت.
٣٢- ديوان النابغة الذبياني(زياد بن معاوية)،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم –دار المعارف بمصر،١٩٧٧م.
٣٣-رصف المباني في شرح حروف المعاني،أحمد بن عبد النور المالقي(ت٧٠٢هـ)،تحقيق:أحمد محمد الخراط،،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألولسي (ت ١٢٧ هـ) ، دار الفكر ، ١٤٠٨ – ١٩٨٧ م ، (د . ط) .
٣٥- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)تحقيق : عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.**
٣٦- زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي **(ت٥٨١هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.**
٣٧- **السبعة في القراءات :لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي(ت٣٢٤ هـ)، تحقيق : د. شوقي ضيف،دار المعارف – الطبعة الثانية، القاهرة،١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م .**

٣٨- شرح ابن الناظم على ألفية أبن مالك : لأبي عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك،المعروف بـ(ابن الناظم) (ت ٦٨٦ هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٩- شرح ابن عقيل على ألفية أبن مالك : قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري (ت ٧٦٩ هـ) ،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير–القاهرة، ٢٠٠٤م .

٤٠- شرح التسهيل : جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : د.عبد الرحمن السيد ، د.محمد بدوي المختون، ط ١ ،هجر للطبعة والنشر،القاهرة، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٤١- شرح التصريح على التوضيح : خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) تحقيق: أحمد السيد سيد احمد، المكتبة التوفيقي – القاهرة – مصر، (د. ت).

٤٢- شرح شواهد لإيضاح لأبي علي الفارسي:لعبد الله بن بري (ت ٥٨٢ هـ) ،تحقيق:د.عيد مصطفى درويش،مراجعة:د.محمدمهدي علّام،المطابع المنيرية–القاهرة،١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

٤٣- شرح الكافية الشافية : لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق :عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث– مكة المكرمة ،(د . ت) .

٤٤- **شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي**(ت ٦٨٦ هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه، د . إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط الثانية ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٤٥- شرح المفصل ، لموفق الدين أبي البقاء علي بن يعيش بن علي الموصلي(ت٦٤٣هـ) ، تحقيق د . إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ط١، بيروت، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

٤٦-شرح مقدمة التفسير لشيخ اللأسلام ابن تيمية:للشيخ محمد بن صالح العثيمين،علق عليه إسلام منصور عبد الحميد،دار البصيرة،الإسكندرية–مصر،٢٠٠٣م.

٤٧-شرح المكودي على ألفية ابن مالك:لأبي زيد عبدالرحمن بن علي المكودي(٨٠٧هـ)،تحقيق:إبراهيم شمس الدين،دارالكتب العلمية،ط٣،بيروت ،١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٤٨-شفاء العليل في الإيضاح والتسهيل : أبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي (ت ٧٧٠ هـ) ، تحقيق : د . شريف عبد الله علي الحسيني البركاتي ، ط ١ ، المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة ، ١٩٨٦ م .

٤٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٥٠- طوق الحمامة **في الألفة والأُلاَّف:** ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق المحامي فاروق سعد، دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان ، ١٩٨٦م.

٥١- على طريق التفسير البياني:د.فاضل صالح السامرائي،النشر العلمي،جامعة الشارقة–الإمارات العربية،١٣٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٥٢- القاموس المحيط:مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)،إعداد وتقديم:محمد عبد الرحمن المرعشلي،دارإحياء التراث العربي،الطبعة الثانية،بيروت،١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

٥٣- كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة : شمس الدين أبي الخير محمد بن الخطيب المعروف بأبن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، تحقيق : د . مصطفى أحمد النحاس ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، (د . م) .

٥٤- الكتاب :لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارزن ، ط ٣ ، مكتبة الخايخي – القاهرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٥٥- كتاب الحيوان : أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق : د . يحيى الشامي ، ط ١ ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٦ م .

٥٦-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨ه)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، ط٢، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان،١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٥٧- كشف المشكل في النحو : علي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت ٥٩٩ هـ) ، تحقيق : د .يحيى مراد، **دار الكتب العلمية، الطبعة : الأولى – بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م**

٥٨- معجم الأدوات في القرآن الكريم : راجي الأسمر ، ط ١ ، دار الجيل،بيروت ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

٥٩-مسند الامام الشافعي :الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه،هذه النسخة مصححة على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الاميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٦٠- معاني القرآن :**للأخفش**،سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط(ت٢١٥ه)،تحقيق إبراهيم شمس الدين، **دار الكتب العلمية، الطبعة : الأولى – بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.**

٦١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) تحقيف:د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله،مراجعة سعيد الأفغاني،دار الفكر–بيروت،١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م.

٦٢- **مفاتيح الغيب : الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي،: دار الكتب العلمية، الطبعة : الأولى – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م**

٦٣- المقتضب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب – بيروت ، ١٣٨٦ م .

٦٤- مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : لأبي جعفراحمد بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاح ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ م .

٦٥- ملحة الإعراب : أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري(ت ٥١٦ هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٦٦- موسوعة الحروف في اللغة العربية : إميل بديع يعقوب ، ط ١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٦٧-الموطأ : مالك بن أنس،تحقتق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان،الطبعة : الاولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٦٨- همع الهوامع في شرح الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ ه) ، تحقيق : د .عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية – الكويت ،١٣٧٩هـ– ١٩٧٩م.

الفروق الأصولية بين الاجماع ونفي الخلاف

د. عمر عدنان منشود العبيدي
الجامعة العراقية/ بغداد/كلية الشريعة/ قسم الفقة

المقدمة

نظراً للاهمية البالغة للاجماع المنعقد على مسألة ما واعطائها الحكم القطعي الذي لا تجوز مخالفته بعد ذلك. كون الاجماع من المصادر التشريعية بعد الكتاب والسنة دون خلاف.

وكثيراً ما ترد عبارة الفقهاء في كتبهم مصطلح (نفي الخلاف) كقولهم (لا نعلم خلافاً) ولرفع اللبس ما بين مصطلح (نفي الخلاف) والاجماع ودلالة كل منهما على معناه. أرتئينا ان نبين حقيقة كل منهما وآراء العلماء في اعتبار وعدم اعتبار نفي الخلاف اجماعاً وكذلك أوجه الشبه والخلاف بينهما .. وذلك لان في تسمية نفي الخلاف اجماعاً عدة محاذير. منها وقوع الخطأ في كثير من الاجماعات المبنية على نفي الخلاف عند ظهور المخالف. وكذلك تصادم الاجماعات المبنية على نفي النزاع مما يوقع التناقض في الشريعة الاسلامية المصونة عن الخطأ. وكثير من الاجماعات الفقهية المتناقضة نتيجة لاطلاق كلمة الاجماع عند عدم العلم بالمخالف.

وكذلك تطبيق احكام الاجماع الشرعي الذي يعد المصدر الثالث من مصادر التشريع من حيث تكفير المخالفأو تفسيقه ونحوه على نافي الخلاف وهذا

مشكل لكون هذه الاجماعات في واقع الامر مسائل مختلفاً فيها. وغير ذلك من امور كثيرة.

لذا أقتضت خطة بحثي هذا ان تتناول في المطلب الاول ماهية الاجماع ونفي الخلاف وفي المطلب الثاني خلاف العلماء في اعتبار نفي الخلاف اجماعاً.

وفي المطلب الثالث اوجه الشبه والفرق بين الاجماع ونفي الخلاف. معززاً بالادلة والمناقشات والترجيح للرأي حسب قوة الادلة المتناولة.

ومن ثم الخاتمة وتظم ابرز نتائج البحث التي توصلنا اليها.

المطلب الاول

ماهية الاجماع ونفي الخلاف

اولاً: تعريف الاجماع لغة واصطلاحاً

- الاجماع في اللغة:اصل الاجماع مأخوذ من الجمع ، قال أبن فارس " الجيم والميم والعين اصل واحد يدل على تضامّ الشيء "[1] والاجماع مصدر للفعل أجمع ، يقال: أجمع يجمع إجماعاً.

ويطلق في اللغة بإطلاقين:

الاول:العزم التام ، قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ چ[2]، وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ : ((من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له))[3] .

ويقال: اجمع فلان على كذا أي عزم عليه[4].

الثاني:الاتفاق ، قال تعالى: چ ٻ ٻ پ پ پ پچ[5]

وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: ((ان امتي لا تجتمع على الضلالة.....))[6]ويقال: اجمع القوم على كذا ، أي: اتفقوا عليه[7] .

والناظر في كتب اللغة يجد بعضها ذكرالمعنى الاول وهو العزم التام فقط. كاللسان[8] ، والصحاح[9].

وبعضها قد ذكر المعنين وهما: العزم التام والاتفاق . كالقاموس[10].

والمفردات في غريب القرآن[11]. والمصباح المنير[12] ، وعلى الثاني سار اغلب علماء الاصول[13].

الاجماع في الاصطلاح:

فقد تفاوتت عبارات الاصولين في معناه ، واختلفوا في ذلك اختلافاً تابعاً للاختلاف في انواعه وشروطه.

فعرفه النظام : ((بأنه كل قول قامت حجته وان كان قول واحد))[14]

وعرفه الغزلي: ((بأنه اتفاق امة محمدﷺخاصة على امر من الامور الدينية))[15].

وعرفه جمهور العلماء: " بأنه اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺبعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي اجتهادي في واقعة من الوقائع "[16].

أما تعريف الغزالي: فاته يتمشى مع مذهبه في تصور دخول العوام في الاجماع ويرى ضرورة دخولهم فيما علم من الدين بالضرورة وهو كل ما يشترك في ادراكه العوام والخواص ، كالصلوات الخمس ووجوب الصوم والزكاة والحج ، لأنهم داخلون تحت مضمون كلمة "الأمة" في قوله ﷺ : " لا تجتمع أمتي على ضلالة " او على " خطأ " [17]

أما ما يختص بادراكه خواص الأمة وهم العلماء ، فانه لا يرى ادخالهم في المجمعين ، لانه العامّي ليس اهلاً لطلب الصواب في حكم مسألة من المسائل فهو كالصبي والمجنون في نقصان الاهلية ، ثم ان الصحابة في صدر الاسلام.

اجمعوا على انه لا عبرة بالعوام في مسائل الاجماع في القضايا الفقهية .... هذا مع تسليم الامام الغزالي بانه يتصور دخول العوام في الاجماع في هذه المسائل بمعنى أنهم يفوضون الرأي الى أهله ثم يوافقونهم فيما أرتاؤه. وذلك كالجند اذا حكموا جماعة من أهل الرأي والتدبير في مصالحة أهل قلعة فصالحوهم على شيء ، يقال: هذا باتفاق جميع الجند.

ويظهر من تعريف الغزالي ايضاً انه لا يشترط ان يكون الاجماع بعد وفاة الرسول ﷺ إذا لم يقيد بهذا الشرط.

لذلك لم يحظ تعريف الغزالي بتأييد الكثير من العلماء لانه لا قيمة لكلام العوام فيما هو من شأن اختصاص أهل النظر والمعرفة والفقه.

وكذلك يرون لا حاجة للاجماع في حياة الرسول ﷺ لانه ﷺمصدر التشريع المباشر والحجة في قوله هو ولا عبرة بكلام غيره. سواء وافق او خالف.

اما جمهور العلماء فقد قيدوا تعريف الاجماع بعدّة قيود لتحقق معنى الاجماع وفقد ورد:

الاتفاق: هو الاشتراك فيما يوصل اليه الرأي ، سواء دلّوا عليه بقولهم او فعلهم ، او بقول البعض او فعله ، مع سكوت البعض الاخر على رأي من يعتبر الاجماع السكوتي حجة.

والمعتبر: اتفاق المجتهدين. اما اتفاق العوام وحدهم ، او اتفاق بعض المجتهدين ، وموافقة العوام لهم ، مع مخالفة بعض المجتهدين ، فان هذا لا يسمى اجماعاً.

ويشترط لانعقاد الاجماع عند الجمهور: ان يتفق جميع المجتهدين على الحكم ، اما اذا اتفق اكثر المجتهدين على حكم من الاحكام ، وخالف بعضهم ، فانه لا يكون اجاعاً مهما قلَّ عدد المخالفين ، لانه الحق يحتمل ان يكون في جانب المخالف ، ولو كان واحداً[١٨].

على ان هناك من يرى ان اتفاق الاكثر مع مخالفة الاقل يعتبر إجماعاً وهناك من يرى ان المعتبر اجماع اهل المدينة وحدهم ، اذا خالفهم غيرهم الى غير ذلك من اقوال ذكرها الامدي وتناول ادلتها ومناقشتها[١٩].

واقل عدد يتحقق به الاجماع ثلاثة من المجتهدين. على الرأي الراجح[٢٠]، أما اذا لم يوجد غير واحدٍ في عصر من العصور فان رأيه في حكم مسألة لا يكون إجماعاً ، لعدم تحقق مفهوم الاتفاق[٢١].

وقيد الاجتماع بان يكون بعد وفاة رسول الله ﷺ ليخرج الاتفاق في حياته: لان الرسول ﷺ ان وافق اصحابه على الحكم الذي اتفقوا عليه كان الحكم ثابتاً بالسنة لا بالاجماع. وان خالفهم سقط اتفاقهم ولا اعتبار لقولهم.

وورد: " في عصر من العصور " في التعريف ، لبيان انه اذا اجمع المجتهدون في عصر ما على حكم ، صار اجماعهم حجة ولا يختص ذلك بعصر الاصحاب وهذا ما ذهب اليه الجمهور ، لكن مذهب داود الظاهري ، والامام احمد – في رواية عنه – ان الاجماع قاصر على الصحابة ، فاجماع غيرهم لا يعتد به[٢٢].

والمختار ما ذهب اليه الجمهور ، لان الادلة التي تدل على حجية الاجماع لا تفرق بين اهل عصر وعصر ، فيكون إجماع اهل كل عصر حجة متى أمكن هذا الاجماع و على ما تبين وجهه وادلته الامدي[٢٣].

وعليه نص الخطيب البغدادي فقال: " اجتماع اهل الاجتهاد في كل عصر حجة من حجج الشرع ، ودليل من ادلة الاحكام "[٢٤].

وينبغي ان يكون الحكم الذي اتفق عليه المجتهدون حكماً شرعياً. اما الاتفاق على الاحكام اللغوية او العقلية فلا يكون ، إجماعاً شرعياً وليس هو مصدراً من مصادر الشريعة.

وكما ينبغي ان يكون الحكم الشرعي إجتهادياً ليخرج به ما لا مجال للاجتهاد فيه كالاحكام الشرعية الثابتة بنص قطعي الثبوت والدلالة حيث لا يكون محّلاً للتشاور والاجتهاد.

ثانياً: تعريف نفي الخلاف لغة واصطلاحاً:

الخلاف في اللغة: قال ابن فارس: " الخاء واللام والفاء اصول ثلاثة: احدها ان يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه ، والثاني خلاف قدام ، والثالث التغيير "[٢٥].

فمن الاول: قوله تبارك وتعالى: چڈ ۀ ۀ ہ ہ ۂ چ[٢٦]، فالليل يجيء بعد النهار ويقوم مقامه ، والنهار يجيء بعد الليل ويقوم مقامه[٢٧]، ومنه قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ چ[٢٨] أي: امة تجيء بعد امة وتقوم مقامها[٢٩]، ومنه قوله تعالى چڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ۂ چ[٣٠].

ومن الثاني: قوله تبارك وتعالى: چۋ ۋ ې ې ې بچ[٣١]، ومنه التأخر لقصور المنزلة[٣٢]، كما في قوله تعالى: چھ ے ے ۓ چ[٣٣].

ومن الثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: " لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك " [٣٤]أي لتغير رائحة فم الصائم بسبب جوعه وعطشه عند الله أطيب من ريح المسك[٣٥].

والاصل الاول هو المقصود هنا في قولهم: اختلف الناس في كذا ، والناس خلفه ؛ أي: فمختلفون ، لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحاه[٣٦].

وهو معنى قولهم: الخلاف: ضد الموافقة.

ومن هنا يقال: خالف الرجل صاحبه: لم يوافقه وهو مأخوذ من خالف يخالف مخالفة وخلافا. والخلاف اعم من الضد ، لأن كل ضدين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدين[٣٧] ؛ لأن الضدين هام اللذان بينهما غاية الخلاف.

وتأتي ايضاً كلمة الاختلاف بمعنى الخلاف ، فيقال: اختلف يختلف اختلافاً القوم: ضد اتفقوا[٣٨]، ومن ثم يستعمل كل من الكلمتين مكان الاخر[٣٩].

وفرق الكفوي بين الخلاف والاختلاف بقوله: " والاختلاف ": هو ان يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً ، والخلاف: هو ان يكون كلاهما مختلفاً.

والاختلاف: ما يستند الى دليل ؛ والخلاف: مالا يستند الى دليل ، والاختلاف من آثار الرحمة ... والخلاف من آثار البدعة"[٤٠]

والخلاف في الاصطلاح: لم يخرج عن المعنى اللغوي السابق ، إلا انه خصص في معنى التضاد والتعارض[٤١]، ومن تعريفاتهم الآتي:

قال ابن عقيل: " فحد الخلاف: الذهاب الى احد النقيضين من كل واحد من الخصمين " [٤٢]. وقال الجرجاني: " منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق او لإبطال باطل" [٤٣] . وهي متقاربة في المعنى " ولعل تعريف الجرجاني اوضح في عباراته من ابن عقيل.

ولم يفرق ابن عقيل والجرجاني بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح عند تعريفهم ، وفرق بعضهم بأن الخلاف: ما يحمل في مضمونه النزاع والشقاق والتباين الحقيقي ، والاختلاف: ما يحمل التغاير اللفظي لا الحقيقي ، ولهذا يجري على لسان اهل العلم اثناء تقرير المسائل الخلافية: هذا اختلاف لا خلاف ، إذا كان الاختلاف لفظياً والجمع بين القولين ممكناً[٤٤].

المراد بنفي الخلاف اصطلاحاً:

تقدم تعريف الاجماع: بانه اتفاق المجتهدين من امة محمد ﷺبعد وفاته ، في عصر من العصور ، على حكم شرعي. اجتهادي في واقعة من الوقائع.

واما المراد بنفي الخلاف ، فلم يعتن به الاصوليون ، ولم اقف على تعريفه الا عند ابن تيمية ، إذ انه عرفه بقوله: " استقراء اقوال العلماء ، فلا يجد في ذلك خلافاً او اشتهار القول في القرأن ، ولا يعلم احدا أنكره[٤٥].

ويمكن ان يعترض على ابن تيمية بالاتي:

١. انه حصر نفي الخلاف بأمرين:

أ. استقراء اقوال العلماء وعدم ظهور الخلاف

ب. اشتهار القول في القرآن ولا يعلم احداً خالفه.

وإن كان جامع الامرين عدم العلم بالمنازع ، إلا ان نفي الخلاف المقصود هنا الاول وهو نفي الخلاف الذي مستنده الاستقراء ، اما الثاني فهو خارج عن نفي الخلاف المقصود هنا ، لأن القرائن دلت على عدم المنازع ، ولكون اشتهار القول مع عدم العلم بالمخالف يعد إجماعاً سكوتياً.

٢. إن الاستقراء نفسه ليس نفياً للخلاف ، بل هو وسيلة للجزم بالنفي من قبل المجتهد.

وعلى هذا يمكن ان يقال في تعريف (نفي الخلاف): انه قول العالم بعد استقراء اقوال العلماء: لا خلاف في المسألة او لا اعلم خلافاً في المسألة.

المطلب الثاني

خلاف العلماء في إعتبار نفي الخلاف إجماعاً

اختلف العلماء في انه (هل يعد نفي الخلاف إجماعاً) على عدة اقوال ، وسأذكر اولاً تحرير محل النزاع في المسألة ، ثم اقوال العلماء.

اولاً: تحرير محل النزاع

١. إن نافي الخلاف إذا كان غير عالم فلا يعُتد به.

قال ابن حزم: " زعم قوم ان العالم اذا قال: لا اعلم خلافاً فهو اجماع[٤٦]

وهذا يدل بطريق الاولى ان غير العالمخارج عن محل النزاع ، ومن دلائل خروجه عن محل النزاع ما يأتي:

أ- إن غير العالم لا يعتد بقوله في باب الاجماع فمن باب اولى ألا يعتد به في نفي الخلاف.

ب- إن غير العالم جاهل باحكام الشرع ، لا اهلية عنده ، فلا يعتد بقوله في نفي الخلاف ، ولهذا بين الله – عز وجل – ان حقهم السؤال: چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ چ[٤٧]

٢. إن العالم الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد لا يعتد بقوله ايضاً. نقل الزركشي والشوكاني عن الماوردي انه قال: " إذا قال: لا اعرف بينهم خلافاً ، فإن لم يكن من اهل الاجتهاد لم يثبت الاجماع بقوله ... وإن كان من اهل الاجتهاد فاختلف اصحابنا فاثبت الاجماع به قوم ، ونفاه آخرون"[٤٨]

ووجه ذلك: إنه ناقص الاهلية ؛ فلا يعتد بقوله.

٣. العالم الذي بلغ رتبة الاجتهاد ، وهذا هو محل النزاع ، فاذا نفي الخلاف عالم بالغ رتبة الاجتهاد فهل يعد إجماعاً؟ وهل له او لغيره ممن رأى كلامه ان يعبر عنه بلفظ الاجماع؟

اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة اقوال هي على النحو الاتي:

القول الاول:إن نفي الخلاف لا يعد إجماعاً.

وهذا ما ذهب اليه ابن حزم في قوله: " واعلموا ان الذي يدعي ويقطع بدعوى الاجماع في مثل هذا أي في المسائل المنفي فيها الخلاف ، فإنه من اجهل الناس بأقوال الناس واختلافهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل فظهر كذب من ادعى ان ما لا يعرف فيه خلاف فهو إجماع[٤٩].

وقال ايضاً: " وقد ادخل قوم في الاجماع ما ليس فيه ... وقوم عدوا مالا يعرفون فيه خلافاً إجماعاً"[٥٠].

وانكر تسميته اجماعاً ابن القيم عند كلامه عن اصول مذهب الامام احمد في قوله: " ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ... ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس إجماعاً"[٥١].

وإنكار التسمية من ابن القيم إنكار ايضاً للتسوية بينهما.

وعزاه الى الامام الشافعي ابن حزم[٥٢]، وابن القيم في قوله: " وكذلك الشافعي ايضاً نص في رسالته الجديدة على ان ما لا يعلم فيه خلاف فليس اجماعاً"[٥٣]

وفسر به ابن القيم كلام الامام احمد بن حنبل " ما يدعي فيه الرجل الاجماع فهو كذب، من ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس اختلفوا ، ما يدريه ، ولم ينتبه إليه؟ فليقل: لا نعلم الناس اختلفوا" [٥٤].

قال ابن القيم: " فهذا هو الذي انكره الامام احمد من دعوى الاجماع ، أي اعتبار عدم العلم بالمخالف إجماعاً ، لا ما يظن الناس انه استبعاد لوجوده"[٥٥]

واستدلوا بادلة نقلية وعقلية كما يأتي:

الادلة النقلية:

اولاً:قول الله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[٥٦].

قال ابن كثير: " أي ولا يزال الخلف بين الناس في اديانهم ... ومذاهبهم وآرائهم.[٥٧]

ووجه الاستدلال بالآية: أن الاصل في البشر جميعاً الاختلاف الذي اخبر الله تعالى اننا لا نزال عليه [٥٨]، فلا يجوز الانتقال عنه إلا بدليل.

نوقش:بانكم حملتم الآية على الاختلاف في الاديان ، والآراء ، مع جواز حمله على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمال[٥٩].

اجيب عنه:أن حمله على الاختلاف في الاديان والاراء لقرينة مرجحة في نفس الاية في قول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[٦٠] وهي وجوب حمل الاية على الاختلاف الذي يخرجهم من ان يكونوا امة واحدة ، وليس ذلك إلا ما قلنا[٦١].

ثانياً: استدلوا أيضاً بعمومات الادلة الدالة عن النهي عن القطع بالظن [٦٢] ومنها ما يأتي :

١. قول الله تعالى :ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[٦٣]

٢. قول الرسول " إياكم والظنّ فإن الظنّ اكذب الحديث "[٦٤]

ووجه الاستدلال :انه صح بنص كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺان الظن غير الحق واذ هو غير الحق فهو باطل وكذب بلا شك ، وثبوت الإجماع عند عدم العلم بالخلاف إنما هو ظن وليس بيقين[٦٥] يُمكن ان يناقش : أن الظن المنهي عن اتباعه هو الظن الذي لا دليل عليه ، والظن هنا ليس مجرداً عن الدليل فإن عدم وجود المخالف بعد البحث ممن هو اهله يدل على عدم وجوده .

لكن يمكن ان يُقال في وجه الاستدلال : ان اعتبار نفي الخلاف إجماعاً قطع بالظن من غير دليل قاطع ، وقد نهي عنه ، فلا يصح .

الأدلة العقلية :

١. إن اعتبار نفي الخلاف إجماعاً دعوى بلا برهان ، وما كان دعوى بلا برهان فهو باطل[٦٦]

٢. إن عدم العلم بالخلاف ليس علماً بالعدم لاسيما في أقوال علماء أمة محمدﷺ التي لايحصيها إلا رب العالمين[٦٧]

٣. وقوع الخلاف[٦٨] ، وخفاء المخالف في كثير من المسائل التي نفي الخلاف فيها دليل على عدم صحة اعتبارها إجماعاً ، لمخالفتها حقيقة الإجماع ومن ذلك ما يأتي :

أ. قال الشافعي في زكاة البقر : " في الثلاثين تبيع ، وفي الأربعين مسنة لا أعلم خلافاً "[٦٩] وذكره عنه ابن حزم في " الإحكام " ثم قال : " وإن الخلاف في ذلك عن جابر بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة ، وعمال ابن الزبير في المدينة ، ثم عن إبراهيم النخعي ، وعن أبي حنيفة ، لأشهر من ان يجهله من يتعاطى العلم"[٧٠]

ب. قال مالك في موطنه – وقد ذكر الحكم برد اليمين – " فهذا مما لا اختلاف فيه احد من الناس ، ولابلد من البلدان "[٧١]

والخلاف في ذلك شهير[٧٢]وكان عثمان رضي الله عنه لايرى رد اليمين ، ويقضي بالنكول ، وكذلك ابن عباس ، ومن التابعين الحكم وغيره ، وابن ابي ليلى ، وأبو حنيفة واصحابه ، وكانوا هم القضاة في ذلك الوقت ، فإذا كان مثل من ذكرنا يخفى عليه الخلاف فما ظنك بغيره ؟[٧٣] ونظائر هذه المسائل التي يُنقل فيها نفي الخلاف مع انَّ واقع الأمر وجود الخلاف في كتب الفقه كثير .

القول الثاني: إنَّ نفي الخلاف يُعد إجماعاً ، وعلى هذا فهما من باب المترادفات.

وهذا الرأي عزاه ابن حزم الى قوم في قوله : " وزعم قوم أنَّ العالم إذا قال : لا اعلم خلافاً ، فهو إجماع "[٧٤]

وعزاه الزركشي الى الماوردي انه قال : " إذا قال : لا اعرف بينهم خلافاً إن كان من اهل الاجتهاد ، فأختلف اصحابنا فأثبت الإجماع به قوم ، ونفاه آخرون[٧٥]

وقال ابن تيمية : " إنَّ الإجماع المدعى في الغلب هو عدم العلم بالمخالف[٧٦]

ولم اقف على من صرح بأنهما سواء ، لكن وجد ذلك من بعضهم من جهة التطبيق يعبرون عن نفي الخلاف بلفظ الإجماع كما يأتي :

١. نقل النووي عن الترمذي نفي الخلاف بلفظ الإجماع في قوله : " وأجمعت الأمة ...على وجوب قضاء صوم رمضان عليها –أي الحائض – نقل الإجماع فيه الترمذي[٧٧] وعبارة الترمذي هي : " لانعلم بينهم اختلافاً أنَّ الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة[٧٨]

٢. وعبر عبد الرحمن بن قدامة عن المسألة ذاتها في موضع بنفي الخلاف في قوله : " لانعلم خلافاً بين العلماء في وجوب غسل الوجه واليدين لما ذكرنا من النص[٧٩] وقال في موضع آخر " وغسل اليدين واجب بالإجماع "[٨٠]

٣. نقل المرداوي ، عن الترمذي نفي الخلاف بلفظ الإجماع في قوله : " لايُقبل في سائر الشهور إلا عدلان حكاه الترمذي إجماعاً[٨١] وعبارة الترمذي هي : " ولم يختلف اهل العلم في الإفطار أنه لا يُقبل فيه إلآشهادة رجلين "[٨٢]

٤. وفسر ابن نجيم عبارة نفي الخلاف عن الشافعي التي قال فيها : " فلم اعلم مخالفاً في أنَّ المرافق مما يغسل "[٨٣] بقوله : " وهذا منه حكاية للإجماع "[٨٤]

فيكون هذا الصنيع منهم تفسيراً لرأيهم في المسألة ، وانهم يرون انهما من باب المترادفات وإلا لما جاز التعبير عن احدهما بالآخر.

واحتج القائل بذلك بالآتي :

١. إن الخلاف لم يظهر ، ولهذا يقال للإنسان عدل قبل الخبرة ، فإذا علمناه بما يُعلم به مسلم حكمنا بعدالته ، وإن جاز خلاف ما علمناه [٨٥]

نوقش من وجهين :

أ. إن عدم ظهور الخلاف لا يعني عدم وقوعه فقد يكون الخلاف حاصلاً لكنه خفي عليه وظهر عند غيره ، وهذا كثير في مسائل الفقه.

اعترض عليه : أنه يجوز في ناقل النزاع أن يكون قد غلط فيما اثبته من الخلاف إما بضعف الإسناد او لعدم الدلالة[٨٦]

أجيب عنه :بأن نافي النزاع غلطه اكثر وقوعاً ، فإنه قد يكون في المسألة اقوال لم تبلغه ، او بلغته وظن ضعف إسنادها وكانت صحيحة عند غيره ،او ظن عدم الدلالة فكانت دالة ، فكل ما يجوز على المثبت من الغلط يجوز على النافي مع زيادة عدم العلم بالخلاف[٨٧]

ب. ظهور الاتفاق صراحة كالإجماع النطقي او من خلال القرائن الدالة عليه كالإجماع السكوتي.

ت. يمكن ان يناقش قياسهم على عدالة المسلم : بالفرق ؛ لأن الأصل في البشر الاختلاف في مذاهبهم وآرائهم ، أما المسلم فالأصل فيه العدالة حتى يثبت خلافها فافترقا لهذا المعنى .

٢. يُمكن أنَّ يحتج لهم أيضاً : بأن الإجماع في حقيقته نفي للخلاف فكذلك نفي الخلاف يعد إجماعاً ؛ لاشتراكهما في عدم العلم بالمنازع .

يمكن ان يناقش : بأن الإجماع يعد نفياً للخلاف بدليل ، وهو اتفاق مجتهد الأمة في عصر من العصور إما صراحة كالإجماع النطقي او ضمناً كالإجماع السكوتي ، اما نفي الخلاف فهو مجرد استقراء العالم لأقوال العلماء ، وهو استقراء ناقص فلا يصح اعتباره إجماعاً .

القول الثالث :إن العالم إذا كان محيطاً بالإجماع والخلاف فيكون نفي الخلاف منه إجماعاً ، وإلا فلا .

وهذا ما أشار إليه الصيرفي في قوله : " وإنما يسوغ هذا القول ، أي اعتبار نفي الخلاف إجماعاً ن لمن بحث البحث الشديد وعلم اصول العلم ، وحمله ، فإذا علم على هذا الوجه لم يجز الخروج منه "[٨٨]

وعبارته تفيد ان نفي الخلاف يعد إجماعاً اذا توفر فيه أمران :

١. أن يكون بحث البحث الشديد في مسألة ، وهذا منه إشارة الى ضرورة الإحاطة بالإجماع والخلاف ، لان من ثمرات البحث الشديد الإحاطة .

٢. أن يكون له معرفة بأصول العلم ، وهذا القيد يغني عنه محل النزاع في المسألة ، إذ لايتصور في العالم الذي بلغ رتبة الاجتهاد ان لا يكون له معرفة بأصول العلم.

ونقل الزركشي عن الماوردي قوله : " إذا قال : لاعرف بينهم خلافاً فإن لم يكن من اهل الاجتهاد ، وممن احاط علماً بالإجماع والاختلاف ، لم يثبت الإجماع بقوله "[٨٩]

وكلامه يدل بمفهومه أنه أن كان محيطاً بالإجماع والاختلاف ثبت الإجماع بقوله وإلا فلا .

ويمكن ان يقال في هذا القول انه يقصد به نفي الخلاف إذا صدر من علماء متخصصين في معرفة اقاويل اهل العلم ومواضع الإجماع والخلاف كان إجماعاً ، وإلا فلا ، ومن كان هذا حاله كان نفيه قريباً من اليقين .

وبناء على هذا فإن الفرق بين القول الثاني وهذا القول : ان الثاني مطلق في العالم الذي بلغ رتبة الاجتهاد سواء أكان متخصصاً في جمع اقوال اهل العلم ومعرفة مواطن الإجماع والخلاف ام لا . اما هذا القول فالمقصود به ان نفي الخلاف يكون إجماعاً إذا كان صادراً من عالم متخصص في جمع اقوال اهل العلم ومعرفة مواطن الإجماع والخلاف ، وهو من كانت عنده خبرة زائدة على العالم الذي

بلغ رتبة الاجتهاد إذا ليست من شروط الاجتهاد الإحاطة باقاويل العلماء السابقين ، فيكون في هذا زيادة احتياط .

وجه هذا القول :

يمكن ان يستدل لهم : بأن الخلاف لم يظهر ، ونافي الخلاف عالم محيط بأقوال العلماء السابقين ، فإذا نفى وجود المخالف كان إجماعاً .

يمكن ان يناقش من وجهين :

١. نمنع قولكم عدم ظهور الخلاف؛ لان عدم ظهور الخلاف لا يعني عدم وجوده، لكن خفي عليه وظهر عند غيره ولا احد يدعي الإحاطة بأقوال السابقين يقيناً.

قال ابن حزم : " وزعم قوم ان العالم إذا قال لا اعلم خلافاً فهو إجماع ، وهو قول فاسد ، ولو قال ذلك محمد بن نصر المروزي ، فإنا لا نعلم احداً اجمع منه لأقاويل اهل العلم ، ولكن فوق كل ذي علم عليم "[٩٠]

٢. سلمنا لكم عدم ظهور الخلاف ، لكن عدم ظهور الخلف لا يعد إجماعاً ، وإنما الذي يعد إجماعاً ظهور الاتفاق صراحة او من خلال القرائن الدالة عليه كالإجماع السكوتي .

الترجيح :

والذي يظهر لي ان نفي الخلاف لا يعد إجماعاً ، وهذا ما ذهب إليه اصحاب القول الأول ، وذلك لما يأتي :

١. قوة ادلتهم بالنسبة للأقوال الأخرى ، وسلامتها من المناقشة .
٢. إن اعتبار نفي الخلاف إجماعاً يوقع إجماعات هذه الامة بالخطأ عند ظهور الخلاف ، والاجماع من اعظم الحجج الشرعية المصونة عن الخطأ ، فلذلك لا يعد نفي الخلاف إجماعاً .

٣. إن اثبات الإجماع دعوى تحتاج الى دليل ، ونافي النزاع لا دليل معه سوى عدم علمه بالمنازع ، فلا يصح اعتباره إجماعاً .

اثر الخلاف :

إنَّ خلاف العلماء السابق إنما هو في انه (هل يعد نفي الخلاف إجماعاً ؟) وهل يجوز لمن لم يعلم خلافاً ، ان يقول : اجمعوا على كذا . اما نقل نفي الخلاف بلفظ يشعر به ، فلم يختلفوا فيه ، ومن عباراتهم الدالة على ذلك :

قال الإمام احمد : " من ادعى الإجماع فهو كاذب ، لعل الناس اختلفوا ، ما يدريه ولم ينتبه إليه ؟ فليقل لا نعلم لعل الناس اختلفوا[٩١] ، وقد سبق تفسير ابن القيم لكلام الإمام احمد انه إنكار منه إعتبار نفي الخلاف إجماعاً[٩٢]

وقال ابن حزم : " إلا من قال لا اعلم خلافاً ، فقد صدق على نفسه ، ولا ملامة عليه ، وإنما البلبلة والعار والنار على من اقدم على الكذب جهاراً فادعى الإجماع إذا لم يعلم خلافاً "[٩٣]

وقال ابن القيم عند كلامه عن اصول مذهب احمد : " ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ... ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس إجماعاً " [٩٤]، فالإنكار واقع على تسمية عدم العلم بالمخالف إجماعاً .

ومما سبق يتضح أن خلافهم في تسمية نفي الخلاف إجماعاً ، فمن نفي كونه إجماعاً لم يجز إطلاق لفظ الإجماع عليه ومن أعتبر نفي الخلاف اجماعاً سواء أكان القائل مطلعاً على مواضع الاجماع والخلاف أم لا أجاز اطلاق لفظ الاجماع عليه ، أما من قال : إنَّ نفي الخلاف يعد إجماعاً إذا كان القائل مطلعاً على مواضع الإجماع والخلاف فإنه يجيز إطلاق لفظ الإجماع عليه .

المطلب الثالث

أوجه الشبه والفرق بين الإجماع ونفي الخلاف

أولاً : **أوجه الشبه والاتفاق بين الإجماع ونفي الخلاف** :-

بعد ذكر التعاريف اللغوية والاصطلاحية للاجماع ونفي الخلاف وما يتعلق بهما من مدلولات. تبين لنا عدة اوجه للشبه والاختلاف بينهما ومن اهم اوجه الشبه والاتفاق بين الاجماع ونفي الخلاف هي:

١. ان في كل منهما عدم العلم بالمنازع.

وهذا الوجه في نظري من اقوى اوجه الشبه ، وهو سر اشتتاههما ، لان الاجماع في حقيقته نفي للخلاف في المسألة المجمع عليها.

٢. ان المسائل المطروقة في كل منهما من امور الدين.

٣. ان العبرة في كل منهما بأقوال المجتهدين.

٤. ان كلاً منهما حجة عند من اعتد بـ(نفي الخلاف).

ثانياً: **أوجه الفرق بين الاجماع ونفي الخلاف**:

يتضح من اقوال العلماء –السالفة الذكر– ان القائلين: بأن نفي الخلاف لا يعد اجماعاً يفرقون بينهما ، اما القائلون: بأن نفي الخلاف يعد اجماعاً مطلقاً فهم لا يرون فرقاً بينهما ، وهما باب المترادفات ، واما القائلون: بأنه يعد اجماعاً اذا كان عالماً متخصصاً والا فلا ، فهم يفرقون في حاله كون نافي النزاع عالماً غير متخصص ، اما ان كان متخصصاً فلا فرق بينهما عند القائلين بذلك.

وقد ظهر لي صواب القول الاول: القائل بأن نفي الخلاف لا يعد اجماعاً ، وعلى هذا يمكن ابراز الفرق بينهما من عدة جهات هي على النحو الاتي:

وفي تسمية نفي الخلاف إجماعاً عدة محاذير هي على النحو الآتي :

١. وقوع الخطأ في كثير من الإجماعات المبنية على نفي الخلاف عند ظهور المخالف

٢. تصادم الإجماعات المبنية على نفي النزاع ، مما يوقع التناقض في الشريعة الإسلامية المصونة عن الخطأ ، وكثير من الإجماعات الفقهيه المتناقضة نتيجة لإطلاق كلمة الإجماع عند عدم العلم بالمخالف .

٣. تطبيق احكام الإجماع الشرعي الذي يعد المصدر الثالث من مصادر التشريع من حيث تفكير المخالف او تفسيقه ونحوه على نافي الخلاف وهذا مشكل ، لكون هذه الإجماعات المبنيه على نفي المخالف قد تكون في واقع الأمر مسائل مختلفاً فيها .

ويمكن ان يقال انه من اثر الخلاف ايضاً ان من عد نفي الخلاف إجماعاً يمتنع من ابداء الرأي فيما قيل فيه لا نعلم خلافاً ومن لا فلا .

كما ان من عده إجماعاً يجيز لمن لم يجد مخالفاً من العلماء ان ينقل الإجماع فيقول : اجمعوا ومن لا فلا . كذلك من عدة إجماعاً يجيز لنا إذا رأينا مجتهداً يقول : لا اعلم خلافاً ان تقول حكى الإجماع فلان ، أما من نفي كونه إجماعاً فلا يصح ذلك عنده .

وعلى هذا يكون الخلاف في هذا الفرق خلافاً معنوياً– والله اعلم –.

الاول:انهما يفترقان من جهة حقيقتهما ، وهذا ظاهر من تعريفهما ، اذ ان الاجماع اتفاق بين المجتهدين اما صراحة كالاجماع النطقي ، او من خلال القرائن الداله عليه كما في الاجماع السكوتي ، وهذا بخلاف نفي الخلاف ، فهو نفي للعلم بوقوع الخلاف ، ونفي العلم بوقوع الشيء ليس علماً بعدم وقوعه.

والاجماع النطقي بعيد الشبه بنفي الخلاف. واما الاجماع السكوتي فمع وجود الشبه بينه وبين نفي الخلاف ، الا ان نفي الخلاف في الاجماع السكوتي ، اقوى دلالة على الموافقة ، لعلم العالم بفتوى غيره ، وسكوته عن ابداء رأي مخالف ، بينما في نفي الخلاف لم نجزم بأن المسألة اشتهرت وعلم بها جميع العلماء ، اذ ان نفي الخلاف عبارة عن استقراء وتتبع العالم اقوال العلماء في المسألة ، مع عدم ظهور الخلاف ، وعلى هذا تكون المسألة التي نفي الخلاف فيها ، مظنة اتفاق العلماء ، اما وقوع الاتفاق في واقع الامر ، فيحتاج الى دليل ، وقول العالم لا اعلم خلافاً نفي للعلم ، ونفي العلم بوقوع الخلاف ليس نفياً للوقوع.

نوقش:

بأن تضاف عدد على نفي الخلاف في المسألة قرينة على وقوع الاتفاق فيكون إجماعاً.

اجيب عنه:

بأن تضافر عدد على نفي الخلاف ، لم تستفد بذلك الا عدم علمهم بالنزاع، اما وقوع الاتفاق فيفتقر الى دليل لاثباته.(٩٥)

الثاني:انهما يفترقان من حيث الاحتجاج بهما ، اذ ان الاجماع عند الجميع(٩٦)، وعده العلماء احد الادلة الاربعة المتفق عليها(٩٧) ، وهذا بخلاف نفي الخلاف فقد وقع النزاع في الاحتجاج به كما تقرر ، على معنى هل انه إجماع فيكون حجة مثله ، وله احكامه ام لا؟ ولا يخفى انه لا يعتد بنفي الخلاف وانه حجة

متبعة الا على قول من قال: ان نفي الخلاف يعد اجماعاً ، واما نفي كونه اجماعاً – وهذا هو االصواب– فلا يعُد حجة ودليلاً في الشرع ، اذ الا يخفى ان الاجماع دلت الدلائل الشرعية على حجيته وثبوت الاحكام الشرعية به ، وهذا بخلاف نفي الخلاف فلم يثبت دلائل الاحتجاج به لكن قد يستأنس به مع اعتضاده بأدلة اخرى اذ ان العلماء لم يمنعوا نقل نفي الخلاف بلفظ يشعر به للتفرقة بينه وبين الاجماع.

وفائدة الفرق المذكور تظهر في الحكم الشرعي الذي انفرد في ثبوته الاجماع او نفي الخلاف ، اذ الاجماع في هذا الحالة يكفي في ثبوت الحكم الشرعي ، لكونه حجة متبعة في الشرع عند الجميع ، والمجمعين ما اجمعوا الا لثبوت دلائل الحكم الشرعي عندهم ، والامة لا تجمع على خطأ ، وهذا بخلاف نفي الخلاف فإن الحكم الشرعي لا يثبت به وحده ، بل لا بد من الادلة الجزيئة التي دلت على الحكم الشرعي ، ولا يكفي في ثبوته نفي الخلاف.

الثالث:ان الاجماع ونفي الخلاف يفترقان من حيث الاطلاق اذ إنّ نفي الخلاف قد يراد به نفي خلاف محصور ببلد معين ، او مذهب معين ، بحسب مصطلح قائلها ، اما الاجماع اذا اطلق فالمراد به اجماع العلماء كلهم.

قال ابن تيمية: "وذلك ان غاية كثير من العلماء ان يعلم قول اهل العلم الذين ادركهم في بلاده واقوال جماعات غيرهم ، كما نجد كثيراً من المتقدمين لا يعلم الا قول اثنين او ثلاثة من الائمة المتبوعين ، وما خرج عن ذلك فأنه عنده يخالف الاجماع ، لانه لا يعلم به قائلاً" (٩٨)

الرابع:ان الاجماع ونفي الخلاف يفترقان من جهة النسبة بينهما ، فأن الاجماع يعد نفياً للخلاف في المسألة المجموع عليها لوقوع اتفاق مجتهدي الامة.

وبناء على هذا فأن النسبة بينهما تكون عموماً وخصوصاً مطلقاً ، فكل اجماع نفي للخلاف وليس كل نفي للخلاف اجماعاً.

الخامس: ان الاجماع ونفي الخلاف يفترقان من حيث القوة ، اذ يعد الاجماع اقوى دلالة من نفي الخلاف وذلك للامور الاتية:

١. انَّ الاجماع اذل تحقق فهو معصوم عن الخطأ ، اما نفي الخلاف فغير معصوم عن الخطأ ، لان المسائل التي نفي فيها الخلاف ؛ قد يكون الحق في غيرها ، وهذا ينافي العصمة.

قال ابن تيمية: "وقد وجدنا من اعيان العلماء من صار الى القول بتمسكهم فيها عدم العلم بالمخالف ، مع ان ظاهر الادلة عندهم يقتضي خلاف ذلك"(٩٩)

٢. ان الاجماع اذا تحقق فأنه يحسم باب الاجتهاد في المسألة المجمع عليها ، اما نفي الخلاف فأنه الا يقوى على سد باب الاجتهاد؛ لكونه مجرد اخبار عالم من عدم علمه بالخلاف ، فلا يصح ان يسد به باب الاجتهاد .

٣. ان باب الاجماع يدخله التقديم على الكتاب والسنة في بعض انواعه ، اما نفي الخلاف فلا يصح تقديمه على الكتاب والسنة البتة.

ووجه ذلك:

ان عدم العلم بالمخالف حجة ظنية لا يجزم الانسان بصحتها ، لاحتمال ظهور المخالف(١٠٠) ، فلا يصح تقديمه على الكتاب والسنة.

قال ابن تيمية: "فهذا الاجماع ، أي: عدم العلم بالمخالف – الذي يسميه ابن تيمية بالاجماع الاستقرائي– وان جاز الاحتجاج به فلا يجوز ان تدفع النصوص المعلومة به(١٠١)

وقال ابن القيم عن الامام احمد: "وقد كذب احمد من ادعى هذا الاجماع – أي عدم العلم بالمخالف – ولم يسغ تقديمه على الحديث الثابت"(١٠٢)

وقال بن القيم: "ونصوص رسول الله ﷺ اجل عند الامام احمد وسائر ائمة الحديث من ان يقدموا عليها توهم اجماع مضمونة عدم العلم بالمخالف ، ولو ساغ

لتعطلت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفاً– في حكم مسالة ان يقدم جهلة بالمخالف على النصوص(١٠٣)

٤. انَّ الاجماع مذموم مخالفه ، وقد يكفر او يفسق حسب نوع الاجماع ، اما نفي الخلاف فيسوغ فيه ظهور المخالف ، لان مبناه عدم العلم بالنزاع ، وقد يظهر النزاع في المسألة.

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم نذكر اهم نتائج البحث التي توصلنا اليها ومن ابرزها:

١. تفاوت عبارات الاصولين في معنى الاجماع وذلك وفق اختلافهم في انواعه وشروطه والذي عليه جمهور العلماء من الاصولين "بأنه اتفاق المجتهدين من امة محمدﷺ بعد وفاته في عصر على حكم شرعي اجتهادي في واقعة من الوقائع".

والخلاف لم يخرج عن معناه اللغوي وهو ان يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه. الا انه خصص في معنى التضاد والتعارض.

وقد عرف بتعريفات منها " منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق او لابطال باطل".

اما نفي الخلاف ، فلم يعتني به الاصوليون ، ولم يذكر له تعريفاً سوى عند الامام ابن تيمية (رحمه الله) اذ عرفه "بأنه استقراء اقوال العلماء فلا يجد في ذلك خلافاً او اشتهار القول في القرآن ، ولا يعلم احداً انكره".

٢. اختلف العلماء الاصوليون في اعتبار نفي الخلاف اجماعاً على عدة اقوال:

أ- ان نافي الخلاف اذا كان غير عالم فلا يعتد به.

ب-ان العالم اذا لم يبلغ رتبة الاجتهاد لا يعتد بقوله ايضاً.

ت-اما اذا نفى الخلاف عالم بلغ رتبة الجهاد فهل يُعُد اجماعاً وهل له أو لغيره ممن رأى كلامه ان يعبر عنه بلفظ الاجماع ؟ فقد اختلف العلماء في ذلك الى **ثلاثة اقوال:**

اولاً:ان نفي الخلاف لا يعدُ اجماعاً وهو رأي ابن حزم (رحمه الله)

ثانياً:ومنهم من قال ان نفي الخلاف هنا يعد اجماعاً وهما من باب المترادفات .

ثالثاً:ومن العلماء من قال ان العالم اذا كان محيطاً بالاجماع والخلاف فيكون نفي الخلاف منه اجماعاً والا فلا . ولكل منهم ادلته ومدلوله .

والراجح هو القول الاول والذي يعتبر ان نفي الخلاف لا يعد اجماعاً وذلك لقوة ادلتهم وسلامتها من المناقشة وكذلك ان اعتبار نفي الخلاف اجماعاً يوقع هذه الامه بالخطأ عند ظهور الخلاف. والاجماع من اعظم الحجج الشرعية المصونة عن الخطأ.

٣. ان من اهم اوجه الشبه بين الاجماع ونفي الخلاف هي :

أ. ان في كل منهما عدم العلم بالمنازع .

ب. ان المسألة المطروقة في كل منهما من امور الدين .

ت. ان العبرة في كل منهما بأقوال المجتهدين .

ث. ان كلاً منهما حجة عند من اعتد بنفي الخلاف .

٤. ومما سبق يتبين لنا الفرق بين الاجماع ونفي الخلاف كما يأتي :

أ- انهما يفترقان من جهة حقيقتها وهذا ظاهر من تعريفها .

ب- انهما يفترقان من حيث الاحتجاج بهما إذ ان الاجماع حجة عند الجميع وهو مصدر ثالث للتشريع اما نفي الخلاف فقد اختلف العلماء في الاحتجاج به .

ت- ان نفي الخلاف والاجماع يفترقان من حيث الاطلاق اذ ان نفي الخلاف قد يراد به نفي خلاف محصور ببلد معين او مذهب معين بحسب مصطلح قائلها . اما الاجماع اذا أطلق فالمراد به أجماع العلماء كلهم .

ث- انهما يفترقان من حيث القوة . اذ يعد الاجماع اقوى الادلة من نفي الخلاف . ولمن اراد الاطلاع على اقوال وردود العلماء ومناقشتهم وترجيح الراجح منها الرجوع الى طيات البحث ومحتواه .

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤٧٦/١.

(٢) سورة يونس: الاية(٧١).

(٣) رواه ابو داود: ٣٢٩/٢ ، كتاب الصيام ، باب النية في الصيام ، حديث ٢٤٥٤.ورواه النسائي في السنن الكبرى: ١٩٦/٤ ، كتاب الصيام ، باب ذكر اختلاف الناقلين لخير حفصة في ذلك ، حديث ٢٣٣٣. والترمذي ١٠٨/٣ ، كتاب الصيام ، باب ما جاء لاصيام امن لم يعزم من الليل ، حديث (٧٣٠).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٢٠١) ، الصحاح (٩٩٨/٣) ، لسان العرب(٥٧/٨) ، المصباح الميز(٦١) ، الكليات(٤٢).

(٥) سورة يوسف: الاية(١٥).

(٦) رواه احمد: ٣٩٦/٦ ، حديث: ٢٧٢٦٧ ، والطبراني:٢٨٠/٢ ، حديث (٢١٧١) ، والحاكم: ٢٠١/١ ، حديث ٣٩٦ ، وللحديث طرق وشواهد كثيرة والفاظ متعددة مرفوعة وموقوفة موقد عدة بعض العلماء من المتواتر المعنوي ، كما ذكره الكتاني في (نظم المتناثر) ١٦١/١ ، وقال العجلوني في (كشف الخفاء) ٤٧٠/٢ "الحديث مشهور المتن وله اسانيد وشواهد عديدة في المرفوع وغيره".

(٧) ينظرك مادة ((جمع)) مفردات الفاظ القرآن (ص٢٠١) ، المصباح المنير (ص٦١) ، القماوس المحيط(ص٩١٧) ،الكليات (ص٤٢).

(٨) ينظر: لسان العرب: مادة ((جمع)) (٥٧/٨).

(٩) ينظر: الصحاح: ٩٩٨/٣.

(١٠) ينظر: القموس المحيط(ص٩١٧).

(١١) ينظر: مفردات الفاظ القرآن(ص٢٠١).

(١٢) ينظر: المصباح المنير(ص٦١).

(١٣) ينظر: العدة (١٠٥٧/٤-١٠٥٨). الاحكام للباحي (٤٤١/١) ، شرح اللمع ٦٦٥/٢ ، التلخيص ٥/٣ ، المصطفى ٣٢٥/١ ، المحصول (٢٠/٤) ، روضة الناظر ٤٣٩/٢ ، الاحكام للاموي ١٩٥/١ ، نهاية السول ٣٨٠/٣ ، البحر المحيط ٤٣٥/٤ ، التقرير والتحبير (٨٠/٣).

(١٤) ينظر: التقرير والتحبير ٨٠/٣ ، فواتح الرصموت ٢١١/٢.

(١٥) ينظر: المستصفى :١١٠/١.

(١٦) ينظر: المستصفى: ١١٠/١ ، المصدر السابق ٨٠/٣ ، شرح المحلي على جمع الجوامع ١٥٦/٢ ، الاحكام للاموي ١٠١/١ ، مرأة الاصول ٢٥٢/٢ ، المنهاج مع الاسنوي ٣٣٣/٢ ، ارشاد القمول ٦٣ ، غاية الوصول ص١٠٧.

(١٧) رواه الامام احمد ٣٩٦/٦ ، حديث: ٢٧٢٦٧ ، الطبراني ٢٨٠/٢ ، حديث ٢١٧١ ، حديث رقم ٣٩٦ ، للحديث طرق وشواهد كثيرة والفاظ متعددة مرفوعة وموقوفة وقد عده بعض العلماء من المتواتد المعنوي كما ذكره الكنافي في (نظم المتناهر) ٦١/١.

(١٨) الاستوي على المنهاج: ٣٠٩/٢ ، المعتمد: ٤٨٩.

(١٩) الاحكام: ٣٣٧/١ ، الاحكام لابن حزم ص٥٤٤ ، روضة الناظر ، ص٧١- ٧٢.

(٢٠) شرح المنار ، ص٧٤٢ ، وفهم من يرى ان الاقل اثنان ، انظر: شرح جمع الجوامع: ١٨١/٢.

(٢١) خالف في هذا القرافي ، فأعتبر قوله إجماعاً ، لانه يصدق عليه انه امة ، كما صدق على ابراهيم عليه السلام ؛ انظر: تنقيح الفصول ، ص١١١ /

وذهب المحلي الى انه يحتج به وان لم يكن اجماعاً. شرح جمع الجوامع: ١٨١/٢.

(٢٢) الاحكام: لابن حزم ، ص٥٠٩ ، روضة الناظر ص٧٤ ، المستصفى: ١٨٩/١.

(٢٣) الاحكام للاموي ٣٢٨/١-٣٣٦.

(٢٤) الفقيه والمتفقة: ص(٩٣٩).

(٢٥) معجم مقاييس اللغة مادة "خلف" (٢١٠/٢- ٢١٣).

(٢٦) الاية (٦٢) من سورة الفرقان.

(٢٧) تفسير الفخر الرازي (١٠٦/٢٤) ، تفسير البحر المحيط (٤٦٨/٦).

(٢٨) الاية (١٦٥) من سورة الانعام.

(٢٩) الاية ينظر: زاد المسير (١٦٦/٣) ، تفسير البحر المحيط (٢٦٣/٦).

(٣٠) الاية (١٤٢) من سورة الاعراف.

(٣١) الاية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(٣٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز(٥٦١/٢-٥٦٢).

(٣٣) الاية(١٦٩) من سورة الاعراف ، الاية(٥٩) من سورة مريم.

(٣٤) رواه البخاري: ٦٧٠/٢) ، كتاب الصيام ، باب فضل الصوم ، حديث: ١٧٩٥ ، ومسلم: ٨٠٧/٢ ، كتاب الصيام ، باب فضل الصوم ، حديث: (١١٥١).

(٣٥) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢١٩/٨).

(٣٦) قال ابن فارس: " واما قولهم اختلف الناس في كذا والناس خلفه أي فمختلفون ، فمن الباب الاول ، لأن كل واحد منهم ينجي قول صاحبه ، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه " معجم مقاييس اللغة (٢١٣/٢).

(٣٧) ينظر: مفردات الفاظ القرآن (٢٩٤).

(٣٨) ينظر: اللسان (٩٠/٩) ، مادة "خلف".

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه.

(٤٠) الكليات (٦١، ٦٢) ، والكفوي هو: ابو البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ، فقيه حنفي توفي سنة ١٠٩٤هـ وقيل: ١٠٩٣هـ وقيل: ١٠٩٥هـ بأستنبول وقيل بالقدس . من مؤلفاته : " الكليات " و" تحفة الشاهان " ينظر : (إيضاح المكنون ٢٥١/١، ٣٨٠/٢ ، هدية العارفين ٢٢٩/١ ، الاعلام ٣٨/٢ ، معجم المؤلفين ٣١/٣ .

(٤١) قال ابن تيمية : ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض ، لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار " الفتاوي " (١٩/١٣).

(٤٢) الجدل (٢٤١).

(٤٣) التعريفات (ص ١٣٥)

(٤٤) ينظر : صفحات في ادب الراي محمد عوامه (ص١٠).

(٤٥) ينظر : الفتاوي (٢٦٧/١٩) .

(٤٦) عزاة الى ابن حزم الشوكاني في إرشاد الفحول (٣٤٤/١) ولم اجده بنصه في الإحكام ، وإنما وجدت الإنكار على من سماه إجماع ينظر : الإحكام لابن حزم ٥٩٠/٤).

(٤٧) الآية (٤٣) ، سورة النحل ، الآية (٧) ، سورة الأنبياء .

(٤٨) البحر المحيط (٥١٨/٤) ، إرشاد الفحول (٣٤٤/١).

(٤٩) الإحكام لابن حزم (٥٩٠/٤).

(٥٠) مراتب الإجماع لابن حزم (٢٦).

(٥١) إعلام الموقعين (٣٠/١) شذرات الذهب ١٦٨/٦).

(٥٢) ينظر : الإحكام لابن حزم (٥٨٩/٤) ، ونقل الزركشي عنه ايضاً انه عزاه الى الشافعي في كتابه الإعراب ينظر : البحر المحيط (٥١٧/٤)

(٥٣) ينظر : إعلام الموقعين (٣٠/١) ، ولم اقف على النص المذكور في الرسالة ، ولعل ذلك في بعض الرسالة الجديدة ، او لعل ذلك فُهم من عبارته التي قال فيها عندما سئل عن وجود الإجماع : " نعم بحمد الله ، كثير في جملة الفرائض التي لا يسع احداً جهلها ، فذلك الإجماع هو الذي لو قلت : اجمع الناس ، لم تجد حولك احداً يعرف شيئاً يقول لك ليس هذا بإجماع ، فهذا الطريق التي يصدق بها من ادعى الإجماع فيها ، فأما ما ادعيت من الإجماع حيث ادركت التفرق في دهرك ... فينظر: أيجوز ان يكون هذا إجماعاً ؟" الأم (٧/ ٢٨١) ، وينظر : جماع العلم (٤٩/١) .

(٥٤) إعلام الموقعين (٣٠/١).

(٥٥) المصدر السابق .

(٥٦) الآية (١١٨) من سورة هود .

(٥٧) تفسير القرآن العظيم (٤٨١/٢) ، وقال ابن حبان ايضاً : في بيان معنى اختلاف المراد بالآية : وهو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق ينظر : تفسير البحر المحيط (٢٧٢/٥) ينظر : الدرر الكامنة ٣٧٣/١، ٣٧٤ ، طبقات المفسرين ١١٣/١ ، شذرات الذهب ٦/ ٢٣١ ، ١٥٣/١).

(٥٨) ينظر :الإحكام لابن حزم (٥٨٥/٤).

(٥٩) ينظر :تفسير الفخر الرازي (٧٩/١٨).

(٦٠) الآية (١١٨) ، سورة هود .

(٦١) تفسير الفخر الرازي (٧٦/١٨).

(٦٢) استدل هذه العمومات الدالة على النهي عن القطع بالظن ابن حزم في الإحكام (٥٧٧/٤)

(٦٣) الآية (٢٨) ، من سورة النجم .

(٦٤) رواه البخاري :٢٢٥٣/٥ ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، حديث : ٥٧١٧ ، ومسلم : ١٩٨٥/٤ ، كتاب البر والصلة والآدب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ، حديث : ٢٥٦٣ .

(٦٥) ينظر : الإحكام لابن حزم (٥٧٧/٤).

(٦٦) ينظر : المصدر نفسه (٥٤٥/٤).

(٦٧) ينظر : الإحكام لابن حزم (٥٨٠/٤) ، مجموع فتاوي ابن تيمية (٢٧١/١٩) ، إعلام الموقعين (٣٠/١).

(٦٨) ينظر :البحر المحيط (٥١٧/٤)، إرشاد الفحول (٣٤٤/١).

(٦٩) ينظر : الأم (٤٠/١) .

(٧٠) الإحكام (٥٨١/٤) .

(٧١) الموطأ مع المنتقى (٢٢١/١).

(٧٢) ينظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣٩٤/٣).

(٧٣) ينظر : إرشاد الفحول (٣٤٤/١).

(٧٤) عزاه الى ابن حزم الشوكاني في إرشاد الفحول (٣٤٤/١) ،ولم اجده بنصه في الإحكام ، وإنما وجدت الإنكار على من سماه إجماعاً .ينظر :الإحكام لابن حزم (٥٩٠/٤).

(٧٥) البحر المحيط (٥١٨/٤) وينظر : ايضاً إرشاد الفحول (٣٤٤/١) .ينظر : سير اعلام النبلاء ١٦٢/١١- ١٦٣ ، طبقات الشافعية ٣٠٣/٣-٣١٤ ، شذرات الذهب ٢٨٥/٣ .

(٧٦) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢٠ /٢٤٧) ، وعبارة ابن تيمية تحتمل امرين : الاول : ان يكون المقصود بعدم العلم بالمخالف الإجماع السكوتي ؛ لان غايته عدم العلم بالمخالف مع اشتهار القول المصرح به ، وهذا خارج عن مقصود البحث هنا . والثاني : ان يكون مقصوده عدم العلم بالمخالف المجرد عن القرائن ، الذي مبناه على الاستقراء . ولا يستقيم الاستدلال بالعبارة المذكورة إلا بهذا المعنى .

(٧٧) المجموع شرح المهذب (٣٥٥/٢).ينظر : (تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤) ، طبقات الشافعية للإسنوي ٤٧٦/٣ ، البداية والنهاية ٢٧٨/١٣ ، شذرات الذهب ٣٥٤/٥) .

(٧٨) الجامع سنن الترمذي (١٩٧).

(٧٩) الشرح الكبير (١٤٦/١).

(٨٠) المرجع السابق (١٦٣/١).

(٨١) الانصاف (٣٤٣/٧).

(٨٢) الجامع لسنن الترمذي (١٧٦).

(٨٣) الأم (٤١/١).

(٨٤) البحر الرائق (١٣/١). وذكر بعضهم ان مصطلح الشافعي في نفي الخلاف ان ينص البعض من العلماء ويسكت البعض . ينظر : منحة الخالق على البحر الرائق (١٢/١). وعلى هذا يكون تفسير ابن نجيم لعبارة الشافعي بناء على اصطلاحه. شذرات الذهب ٣٥٨/٨ ، التعليقات السنية على الفوائد البهية ص٢٢١ ، هدية العارفين ٣٧٨/٥ ، معجم الأصولين ١١١/٢).

(٨٥) ينظر : البحر المحيط (٥١٧/٤) ، واصل عبارته : ولهذا لا يقال للأنسان عدل قبل الخبرة ... ولعل الصواب بدون (لا) ليستقيم المعنى وهو ما اثبته بناء على الأصل في المسلم العدالة والسلامة.

(٨٦) ينظر : مجموع فتاوي ابن تيمية (٢٧١/١٩).

(٨٧) مجموع الفتاوي (٢٧١/١٩) ،

(٨٨) البحر المحيط (٥١٧/٤).

(٨٩) البحر المحيط (٥١٨/٤)، إرشاد الفحول عن ابن حزم (٣٤٤/١).

(٩٠) نقل الشوكاني ذلك في إرشاد الفحول عن ابن حزم (٣٤٤/١) ولم اجده بنصه ، لكن بمعناه ، إذ إنه انكر كون نفي الخلاف إجماعاً ، ينظر : الإحكام (٥٩٠/٤) . والمروزي هو : ابو عبد الله بن نصر المروزي ، فقيه شافعي ، اصولي محدث ، حافظ ولد ببغداد ٢٠٢هـ وتوفي سنة ٢٩٤هـ من مؤلفاتة: " الصلاة " ، " الوتر " ، " الورع " ، " والقسامة في الفقه" ينظر : (طبقات الشافعية ص١٤٨ ، البداية والنهاية ١٠٢/١١ ، تذكرة الحفاظ ٢٠١/٢ – ٢٠٣).

(٩١) إعلام الموقعين (٣٠/١).

(٩٢) المصدر نفسه .

(٩٣) الاحكام لابن حزم (٥٩٠/٤).

(٩٤) اعلام الموقعين (٣٠/١).

(٩٥) ينظر :مجموع الفتاوي (٢٧٢/١٩).

(٩٦) ينظر : مختصر المنتهى (٣٠/٢)، شرح تنقيح الفصول (٣٢٤) ، التقرير والتحبير (٨٣/٣) ، مسلم الثبوت مع شرحه (٢٦٩/٢) ، نشر البنود (٨١/٢) ، ولم يخالف فيه الا من لم يعتد بخلافهم ، كالنظام ، ولهذا قال العلماء: انه حجة عند الجميع ، اذ ان خلاف النظام من وافقه في حكم المعدوم ، لمصادمتهم النصوص الصريحة ، شرح مختصر الروضة (٢٨/٣) ، بيانه المختصر (٥٣٠/١) ، التقرير والتحبير (٨٣/٣) ، شرح العضد (٣٠/٢) ، فواتح الرحموت (٢٦٩/٢) .

(٩٧) ينظر: المستصفى (٣٢٥/١) ، روضة الناظر (٢٤٦/١) ، شرح مختصر الروضة (٥/٢) ، شرح الكوكب المنير (٥/٢).

(٩٨) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٤٨).

(٩٩) مجموع الفتاوى (٢٤٧/٢٠).

(١٠٠) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٦٨/١٩).

(١٠١) ينظر: المصدر نفسه (٢٦٨/١٩).

(١٠٢) اعلام الموقعين (٣٠/١).

(١٠٣) اعلام الموقعين (٣٠/١).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١. احكام الفصول في احكام الاصول: ابو الوليد الباجي ، ت(١٠٨ هـ) ، تحقيق عبد المجيد تركي ، ط١ ، دار القرب الاسلامي ، دمشق.
٢. الاحكام في اصول الاحكام: ابو الحسن علي بن احمد الاموي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٧م.
٣. الاحكام في اصول الاحكام: ابن حزم الظاهري ، ت(٤٥٦)هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار الافاق الجديد ، بيروت ، ١٩٨٣م.
٤. اعلام الموقعين عن رب العالمين: شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بأبن قيم الجوزية ، ت(٧٥١هـ) ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٥م.
٥. الام: محمد بن ادريس الشافعي ، ت(٢٠٤هـ) ، مطبعة دار الشعب ، مصر ، ١٩٦٨م.
٦. الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام احمد بن حنبل: للمرداوي ، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٩٥٦.
٧. ارشاد الفحول: للشوكاني ، (ت١٢٥٥هـ) ، مطبعة السعادة مصر ، ١٣٢٧هـ).
٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق: للامام زين الدين الشهير بأبن نجيم الحنفي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع.
٩. البحر المحيط في اصول الفقه: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت(٧٩٤هـ) ، تحرير الشيخ عبد القادر العاني ، مراجعة د.عمر سليمان الاشقر ، ط١ ، وزارة الاوقاف الكويتية.

١٠. البداية والنهاية: لابن كثير ، تحقيق عبد القادر الارنؤوطي ومأمون الصاغرجي ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ٢٠٠٧م.
١١. البدر الطالع: للامام الشوكاني ، تحقيق محمد حسن حلاق ، ط٢ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ٢٠٠٨م.
١٢. بصائر ذوي التمييز لطائق الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشيروزي ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٤م.
١٣. تذكرة الحفاظ: للذهبي ، تحقيق عبد الرحمن اليماني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع.
١٤. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق ابراهيم الابياري ، ط١ ، دار الكتب العربي ، بيروت ، ١٤٠هـ.
١٥. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م.
١٦. تفسير القرآن العظيم: لابن كثير القريشي ، ط١ ، مطبعة البابي ، مصر.
١٧. التفسير الكبير: للامام الرازي ، ط١ ، المطبعة العامرة ، ١٣٠٨هـ.
١٨. التقرير والتحبير: شرح العلامة ابن امير الحاج ، ت(٨٧٩هـ) ، طبعة بولاق ، مصر ، ١٣١٦هـ.
١٩. تلخيص الحبير في احاديث الرافعي الكبير ، احمد بن حجر االعسقلاني ، تحقيق عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة ، ١٩٦٤م.
٢٠. تنقيح الفصول في اختيار المحصول في الاصول: شهاب الدين ابو العباس احمد بن ادريس القرافي ، ت(٦٨٤هـ) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣م.

٢١. جمع الجوامع : تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، تحقيق عبد المنعم خليل ابراهيم ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠١م .
٢٢. الجدل : العلامة اللغوي ابن عقيل الحنبلي ، ط٢ ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٩٠م .
٢٣. حاشية العطار على شرح الجلال على جمع الجوامع : حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي ، ت(١٨٣٥) م ، ط١ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٤. الدرر الكامنة : لابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، مطبعة المدني ، مصر .
٢٥. روضة الناظر وخية المناظر : عبد الله احمد بن قدامة المقدسي ، ط٢ ، تحقيق د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد ، نشر جامعة الملك محمد بن سعود ، الرياض ، ١٣٩٩هـ
٢٦. زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط٣ ، دار المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .
٢٧. سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الفكر ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .
٢٨. سنن ابي داود : سليمان بن الاشعث ابو داود السجستاني الازدي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت . دون ذكر سنة الطبع .
٢٩. سنن الترمذي (الجامع الصحيح سنن الترمذي) : محمد بن ابو عيسى الترمذي السلمي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون . دون ذكر سنة الطبع .

٣٠. سنن النسائي (المجتبى من السنن) : احمد بن شعيب ابو عبد الرحمن النسائي ، الطبعة الثانية ، الناشر ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ، تحقيق : عبد الفتاح ابو غدة ، ١٩٨٦ .
٣١. سير اعلام النبلاء : للذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوطي وزملاؤه ، طبعة ١١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٨م .
٣٢. شذرات الذهب : للامام زين الدين الشهير ابن الحنفي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .
٣٣. شرح تنقيح الفصول في الاصول : للقرافي ، ت(٦٨٤هـ) ، المطبعة الخيرية ، ط١، مصر ، ١٣٠٦هـ .
٣٤. شرح الزرقاني على موطأ مالك : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، ت(١١٢٢هـ) ، المطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .
٣٥. شرح العضد : القاضي عضد الملة والدين ، ت(٧٥٦هـ) ، على مختصر المنتهى الاصولي لابن الحاجب ، ت(٦٤٦هـ) ، تحقيق شعبان محمد اسماعيل ، طبعة عام ١٩٧٣م ، مطبعة الكليات الازهرية .
٣٦. الشرح الكبير للدردير مطبوع على حاشية الدسوقي : والشرح هو شرح مختصر خليل للامام ابي الضياء سيدي خليل ، ت(٧٧٦هـ) ، ط١ ، بولاق ، مصر .
٣٧. شرح الكوكب المنير: تقي الدين ابو البقاء الفتوحي المعروف بأبن النجار ، ت(١٥٦٤هـ) ، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر .
٣٨. شرح المنار وحواشيه في علم الاصول: عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز ابن الملك ، على متن المنار في اصول الفقه للشيخ ابي البركات النسقي ، ت(٧١٠هـ) ، المطبعة العثمانية ، ١٣١٥هـ.

٣٩. صحيح البخاري (الجامع لصحيح المختصر): محمد بن اسماعيل عبد الله البخاري الجعفي ، ط٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، تحقيق د.مصطفى ديب البغا.
٤٠. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت.
٤١. صفحات في ادب الرأي: محمد عوامة ، دار الرسالة للطباعة ، الكويت ، ١٩٩٦م.
٤٢. طبقات الشافعية: للاسنوي ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م.
٤٣. طبقات المفسرين: للسيوطي الشافعي ، تحقيق علي محمد عمر ، ط١ ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٦م.
٤٤. العدّة شرح العمدة: للامام ابي محمد عبد الله ابن احمد المقدسي الحنبلي ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى اللبابي الحلبي ، مصر.
٤٥. الفتاوى الكبرى: للامام ابن تيمية ، ط١ ، مطبعة الرياض ، ١٣٨٦هـ.
٤٦. الفقيه والمتفقة: للخطيب البغدادي ، ط١ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٠هـ.
٤٧. فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت: عبد العلي محمد نظام الدين الانصاري ، طبعة عام ١٣٢٤هـ ، المطبعة الاميمية ، بولاق ، مصرز
٤٨. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، دار صادر ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع.
٤٩. كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة العباد: لاسماعيل العجلوني ، ت(١١٦٢هـ) ، مكتبة المقدسي ، ١٣٥١هـ.

٥٠. الكليات : لابي البقاء الكفوي الحسيني الحنفي ، ط٢ ، طبعة بولاق ، مصر ، ١٢٨١هـ .
٥١. لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، ط١، نشر دار صادر ، بيروت ، دون ذدر سنة الطبع .
٥٢. اللمع في اصول الفقه : ابو اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي ، ط١ ،نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .
٥٣. المجموع شرح المهذب : للامام النووي ، (ت٦٧٦هـ) ، ط١ ، مطبعة التضامن ، مصر ، ١٣٤٨هـ .
٥٤. المحصول في علم الاصول : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ،ط١ ، تحقيق طه جابر العلواني ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٠هـ
٥٥. مختار الصحاح : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق محمود فاطر ، نشر مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥ .
٥٦. مراتب الاجماع : لابن حزم الاندلسي ، تحقيق حسن احمد اسير ، ط٢ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٨هـ .
٥٧. مرأة الأصول في شرح مرقاة الوصول: لملا خسرو، دار الطباعة العثمانية، مصر ، ١٣٢١هـ .
٥٨. مرقاة الوصول : لملاخسرو ، دار الطباعة العثمانية ، مصر ، ١٣٢١هـ .
المستصفى من علم الاصول : للامام محمد بن محمد بن ابي حامد الغزالي ، تحقيق محمد عبد السلام ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ .
٥٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .

القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة

أ. د. محمود كاظم محمود   م.م. هاشم جميل إبراهيم
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي

مستخلص البحث

يعد القلق من الحضور سمة نفسية اجتماعية غير مرغوبة، فهو من المشكلات التي تعيق عملية التواصل بين الفرد والآخرين، حيث يتميز الأفراد ذوي القلق من الحضور بعدم قدرتهم على التحدث أوالاداء أمام الآخرين وتجنب المشاركة بالأنشطة الاجتماعية والميل للانطواء، مما يؤدي إلى خفض طاقاتهم الإنتاجية والإبداعية، وقد استهدف هذا البحث الكشف عن القلق من الحضورلدى طلاب المرحلة المتوسطة، وللتحقق من هدف البحث فقد تم بناء مقياس للقلق من الحضور تألف بصيغته النهائية من (٢٥) فقرة بعد استكمال شروط الصدق والثبات والقدرة على التمييز ،وتم تطبيق المقياس على عينة من ١٥٠ طالب سحبت عشوائياً من مجتمع البحث المتمثل بطلاب المرحلة المتوسطة في محافظة كركوك وقد أظهرت النتائج وجود سمة القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المذكورة وتم استعمال عدد من الوسائل الإحصائية وهي " مربع كاي ، الاختبار التائي ، معامل ارتباط بيرسون " وختم البحث بتقديم عدد من التوصيات منها :قيام المرشدين التربويين باستعمال مقياس القلق من الحضور الذي تم بناءه في البحث الحالي للكشف عن الطلاب الذين يعانون من القلق من الحضور، وقيام المرشدين التربويين بتوجيه الأسرالى

٦٠. المعتمد في اصول الفقه : لابي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي ، ط١ ، تحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .
٦١. معجم مقاييس اللغة : موسوعة لغوية حديثة ، للعلامة احمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠م .
٦٢. مفردات الفاظ القرآن : حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني ، ت(٥٠٢هـ) ، نشر دار القلم ، دمشق ، دون ذكر سنة الطبع .
٦٣. المفردات في غريب القرآن ، للمؤلف الراغب الاصفهاني ، (٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦١م .
٦٤. نهاية السول في شرح منهاج الوصول الى علم الاصول : للامام جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي ، (ت٧٧٢هـ) ، مطبعة السعادة مصر ، دون ذكر سنة الطبع .
٦٥. همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق احمد شمس الدين ، ط٢ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

ضرورة تعليم الأطفال التحدث والأداء أمام الآخرين، وتقديم التعزيز لهم للقيام بذلك، وتجنب معاقبتهم أو السخرية منهم بحضور الآخرين، ، كما قدم عدد من المقترحات منها : إجراء دراسة لمعالجة هذه المشكلة باستعمال الأساليب الإرشادية ، وإجراء دراسة للكشف عن القلق من الحضور لدى شرائح أخرى من المجتمع.

القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة
مجلة آداب الفراهيدي
أ. د. محمود كاظم محمود
م.م. هاشم جميل إبراهيم
العـدد (١٢) أيلول ٢٠١٢

الفصل الأول

التعريف بالبحث

مشكلة البحث The Problem of Research :

يوصف القلق من الحضور Audience Anxiety ، بأنه سمة نفسية اجتماعية غير مرغوبة تؤدي إلى سوء التوافق الشخصي والاجتماعي لدى الأفراد،) (Jamison,1998,p,479 وعندما يستلزم الأمر من الأشخاص أن يلقوا كلاماً أو محاضرة فإن العديد منهم يقلق ويختلق الأعذار لعدم الأداء أو قد يصبحوا شاحبين ومشمئزين، وقد ذكر بعض التدريسيين بأن العديد من الطلبة يصابون بالدوار أو الشحوب أثناء التحدث أمام الآخرين،(Hilliard, 2005, p. 79) ، فضلاً عن أنهم يتجنبون المواجهة والاختلاط مع الآخرين ، ويكون تحصيلهم الدراسي منخفضاً،(Fejfar, 2000. p.138).ويرى (Buss,1980)أن القلق من الحضور هو الخوف الظاهر لدى الأفراد وميلهم لعدم إبداء سلوكيات اجتماعية مناسبة في المواقف الاجتماعية أمام جمع من الناس(Buss,1980,p,165-171) وتظهر لدى هؤلاء الأفراد مشاعر انفعالية واضحة أثناء الحديث مع الناس أو مواجهتهم أو التعامل معهم وما يتعلق بذلك من خشية أو ارتباك نتيجة الخوف من الفشل، وترتبط هذه المشاعر الانفعالية بأعراض جسمية كجفاف الحلق والصوت والارتجاف وسرعة خفقان القلب وارتعاش اليدين،إذ يفترض ارتباط هذا النوع من القلق كما وبالنسبة للأنواع الأخرى بالقلق العام أو الشامل،(Velijca&Rapee,1998,p.311) وعليه فإن القلق من الحضور يعد حالة من عدم الارتياح أو هاجساً مصاحباً لأوضاع مواجهة الحضور الحقيقية والمتوقعة،(Burns, 2006, p.10-19). وفي دراسة تناولت الصعوبات التي يعاني منها الطلبة الجدد حول رضاهم عن حياتهم الجديدة، وجدت أن الطلبة الذين لديهم سمة القلق من الحضور يتمتعون باستعدادات قبلية

لتطوير سلوكيات انطوائية قائمة على أساس الخوف والارتباك من التحدث أمام الآخرين،(Westa,1998, p.336). وعليه يمكن القول أن القلق من الحضور مشكلة نفسية اجتماعية تعيق تواصل الفرد مع الآخرين، تتسم بالانشغال الزائد بالذات، وزيادة الاهتمام بتقويم الآخرين مما يؤدي إلى تشتت الانتباه، وكثرة التوقعات غير الواقعية عن الذات مما يؤدي إلى هذا الهاجس من تواجد الآخرين. ومن خلال هذا البحث يحاول الباحث الكشف عن هذه المشكلة لدى طلاب المرحلة المتوسطة من خلال الإجابة عن السؤال بالآتي:

مامدى انتشار سمة القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة؟

أهمية البحث The Important of Research:

تتأثر ظاهرة القلق بعوامل بيئية اجتماعية وراثية وكذلك بالظروف والأحداث التي يمر بها الفرد في حياته العامة، إذ يوجد القلق في حياة الأفراد بدرجات مختلفة تمتد ما بين القلق البسيط الذي يظهر على شكل الخشية وانشغال البال، والقلق الشديد الذي يظهر على شكل الرعب، والفزع كما يوجد بدرجات متفاوتة من الوعي بأسباب عدم الراحة التي يستشعرها الفرد،(عدس وتوق، ١٩٩٣،ص ٣٦٨).ويعد القلق من الحضور من أنواع القلق التي يعاني منها الأفراد ، إذ يرهب معظمهم التكلم العام ويتجنبه مهما كلف الأمر، وبعضهم يخاف حتى من فكرة التحدث أمام مجموعة من الناس، وإذا ما أجبروا على التكلم فإنهم يصابون بالذعر، وأقلية محظوظة تكون مستريحة لتتمتع بالتكلم العام، وتؤدي بشكل جيد(Buss,1980,p,165-171).وقد ورد في القرآن الكريم أن نبي الله موسى عليه السلام كان يعاني من صعوبة في الكلام {وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ} [الشعراء : ١٣] ،{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨)} [طه : ٢٥ – ٢٨].

ويذكر معظم الناس بأنهم يفضلون القيام بأي عمل على التحدث أو الأداء أمام الحضور، خاصة في المناسبات، على الرغم من أن مثل هذه المناسبات لا تتكرر دائماً إلا أنها من بين أكثر أنواع القلق التي أقر بها الراشدون،(Burns, 2006, p.64).والقلق من الحضور هو أحد الأطراف الممتدة على بعد الأداء العلني أو العام إذ أنه وسط هذا البعد يبرز التصرف باسترخاء وهدوء وجرأة مما يؤدي إلى أن يكون الاتصال أو الأداء منظم ومتماسك فالمتحدث يؤدي مهمته بأدنى درجة من التوتر، أما على الطرف الآخر فتقع الاستعراضية والتي يتعمد المتكلم فيها استدعاء وجذب انتباه الحضور فبدلاً من التركيز على الأداء أو على الاتصال فأنه يقول بالفعل (أنظر إلي) ،(Garland, 2004, p.491)، كما انه استجابة الفرد في المواقف التي تتطلب مواجهة الآخرين وتكون كنتيجة لتوقعات الفرد أو ردود فعل الآخرين المشاركين في تلك العملية،(Alden, 1990, p. 511). وينشأ هذا النوع من القلق ويستمر نتيجة لبعض الأفكار والمعتقدات التي تخلو أساسا من العقلانية والمنطق السليم وأن الناس يبنون أهدافاً غير منطقية وغير واقعية وغالباً ما ينشدون الكمال، وخاصة تلك الأهداف التي ترتبط بالعلاقات مع الآخرين وكذلك بمستوى الإنجاز الذي يتحقق، وعلى الرغم من أن الواقع المعاش يدل على استحالة تحقيق هذه الأهداف إلا أن الكثير من الأفراد لايستطيعون التخلي عنها، وتوصلت دراسة (Smhth&Ingram,1995) إلى أن الأفراد القلقين من الحضور أظهروا اهتماما كبيراً بتخمينات الآخرين وضعف وانتقاص للذات والخوف من تقويم الآخرين لهم وفقدان احترام الذات وان الأفراد الذين حصلوا على درجات عالية في هذا النوع من القلق هم اقل تذكراً بصفة عامة من الحاصلين على درجات واطئة،(Smith &Ingram،1995,p.197-198). وعن علاقة القلق من الحضور ببعض المتغيرات فقد أشارت دراسة(عسكر،٢٠١٠) إلى وجود علاقة

موجبة دالة بين الشعور بالخزي والذات العامة وبين القلق من الحضور إذ تشترك هذه المتغيرات في أنها موضع تركيز ونقد الآخرين وأنها تتأثر بأساليب التنشئة الاجتماعية مما يجعل منها سمة في الذات،(عسكر، ٢٠١٠ ،ص١٤٧).وتمثل مرحلة المراهقة مرحلة عمرية لها أهميتها وخطورتها في حياة الإنسان لما تحتويه من مظاهر إنمائية تشمل جوانب شخصيته، لذا اهتم علماء النفس والاجتماع والطب النفسي بدراسة المراهقين والخروج بنظريات واستنتاجات كثيرة في تفسير شخصياتهم وأساليب توافقهم،(فايد، ٢٠٠١،ص١).

وتأسيساً على كل ما تقدم، تظهر أهمية هذا البحث من خلال أهمية المتغير الذي يتناوله، وأهمية المرحلة المتوسطة والتي تمثل بداية مرحلة المراهقة وهو ما يتطلب الاهتمام والعناية مبكراً في الكشف عن المشكلات التي تعترضهم، وضرورة توعية الأسرة والمدرسة إلى هذه المشكلة وأسباب حدوثها للحد من المسببات، فضلاً عن إفادة الباحثين والمرشدين في مجال الارشاد النفسي بما سيقدمه هذا البحث من أداة لقياس القلق من الحضور.

هدف البحث The aim of research:

يستهدف البحث الحالي الكشف عن القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

حدود البحث The limits of research:

يتحدد البحث الحالي بطلاب المرحلة المتوسطة في محافظة كركوك للعام الدراسي ٢٠١٠-٢٠١١.

تحديد المصطلحات:

القلق من الحضور Audience Anxiety:

عرفه كل من:

Buss (1980): " هاجس مصحوب بالضيق والتوتر عند التواجد بين مجموعة من الأشخاص أو الأداء أمامهم" (Buss, 1980, p.165).

Capps (2001):" شعور بالتوتر والقلق عند تواجد الفرد مع الآخرين أو التحدث بحضورهم، يكون مصحوباً بأحاسيس جسمية" (Hilliard, 2005, p.88).

Mendels (2002): " حالة نفسية شعورية تتمثل بالارتباك وعدم الارتياح وبعض التغيرات الفسيولوجية نتيجة أداء الفرد أمام الآخرين" (Mendels, 2002, p.1809).

Hilliard (2005):" هاجس يظهر عند تواجد الفرد بين الآخرين ينجم عنه نزعة أو ميل إلى عدم المبادرة، وفي حالة الأداء أمامهم يظهر الارتباك والخوف من الانتقاد"(Hilliard, 2005, P.81).

التعريف النظري: اعتمد الباحث تعريف (Buss,1980) للقلق من الحضور وذلك لاعتماد نظريته في البحث

الفصل الثاني

الإطار النظري

القلق Anxiety :

تعد ظاهرة القلق من الظواهر النفسية الشائعة التي أهتم بها علماء النفس في العصر الحديث، إذ أصبحت ظاهرة ملحوظة بشكل كبير لدى الأفراد نتيجة لظروف الحياة الصعبة والمعقدة،(الوقفي،١٩٩٨،ص٢٦٠).فهو بصفة عامة حالة سوية حين يكون استجابة لخطر قائم وحين يزول بزوال هذا الخطر، ويعد قلقاً مرضياً إذا تجاوز كثيراً حجم الخطر الحقيقي أو إذا لم يكن هناك خطر خارجي فعلي،(بيك،٢٠٠٠ ،ص١٥٦)، إضافة إلى انه ظاهرة طبيعية وإحساس، وشعور، وتفاعل مقبول ومتوقع تحت ظروف معينة وأحياناً يكون للقلق وظائف حيوية تساعد على النشاط، وكذلك على حفظ الحياة،(عزت، ١٩٨٦،ص ١٣٨). والقلق من العوامل الأساسية للصحة النفسية، إذ يعد من الانفعالات الأساسية التي تصيب الإنسان، ويشكل المفهوم الأساسي في علم الأمراض النفسية والعقلية، والعرض الجوهري في الاضطرابات النفسية، وفي أمراض عضوية كثيرة، كما يعد القلق أيضا محور العصاب والاضطراب النفسي،(حبيب، ١٩٩١، ص ١٦٢)علماً بأن علم النفس أقام الدليل على أن القلق له قيمته الايجابية فضلاً عن آثاره السلبية، فالقلق الطفيف له وظيفة حقيقية ، إذ أنه يعمل كمنشط وبمعنى آخر إن القلق الطفيف يعمل على دفع السلوك نحو العمل البناء ، أما في حالات القلق الشديد فيصبح السلوك متغير غير منظم،(سيموندز ، ١٩٧١، ص ١٢٥-١٢٦). وتشتد الحاجة لدى الفرد تدريجياً إلى إنشاء علاقات اجتماعية فعالة مع أقرانه، فهو يكتسب الأساليب السلوكية المناسبة، ويتعلم الكثير عن نفسه وعن زملائه ليقوم بالدور الذي يتطلبه التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، وبالنظر للأهمية الكبيرة التي تمثلها جماعة

الأقران في حياة المراهق فان القبول من أقرانه يصبح مهماً لديه، لذا يعد القبول عاملاً مهماً للتكيف الاجتماعي العام ، وعن طريقه يجد الراحة النفسية التي تقيه وتخفف عنه عوامل الكبت والإحباط، ويعتقد (Sullivan) إن تقويم الآخرين للشخص بأنه صديق، ومقبول من قبلهم سيساعده في تعظيم مشاعره بالأمن والطمأنينة واحترام الذات، وان تمتعه بهذا المركز حقاً، يقدم له فرصاً متعددة للتنفيس الانفعالي ويحرره من القلق، (Sullivan,1969,P.533).

القلق من الحضور Audience Anxiety:

يميل الإنسان كونه مخلوقاً اجتماعياً إلى العيش وسط جماعة معينة يشعر بينها بالأمن والاستقرار والطمأنينة، وتشبع حاجته إلى الانتماء وتظهر شخصيته من خلالها وتتشكل إلى حد كبير، ويكتسب منها المعايير الاجتماعية والخلقية والاتجاهات النفسية المهمة، ويقيم معهم علاقات متبادلة، وحينما لا يتمكن من ذلك فان علاقته بأعضاء الجماعة تتأثر سلباً فينسحب بعيداً عنهم ،(الغامدي،٢٠٠٧،ص١)، وهذا يمثل مظهراً من مظاهر السلوك السلبي الذي يؤثر على شخصية الفرد وعلاقته بالآخرين وضعف قدرته على الانخراط في العلاقات الاجتماعية وتمركزه حول ذاته، إذ تنفصل ذاته في هذه الحالة عن ذوات الآخرين مما يدل على ضعف كفاية جاذبية شبكة العلاقات الاجتماعية للفرد وقلة الارتباط بين أعضائها والاغتراب فيما بينهم مع غياب العلاقات المتكاملة اجتماعياً فيتحرك بعيداً عنهم،(الإبراهيم،١٩٩٥،ص٥٠). ويوصف القلق من الحضور بأنه مشكلة اجتماعية وهو شكوى عامة عند الناس الذين يبدون صعوبات عند التواجد بين الآخرين، أما (Buss, 1980) فقال أن مفهوم القلق من الحضور يمتلك معنى محدد أكثر، إذ يكون الشخص منزعجاً من إطالة نظر الآخرين عليه،(Buss, 1980, p.204). ويرى (Andrew 1978) أن الأفراد ذوي القلق من الحضور يميلون إلى

أن يكون لديهم تقدير ذات منخفض وأنهم يعتقدون بأنهم عديمي الجدوى وفاشلين في الظهور بشكل جيد في المناسبات فضلاً عن كونهم خجولين جداً ووحيدين دوماً ويرون بأن إنجازاتهم صغيرة جداً أو عديمة القيمة، وحسب (Andrew) هم يميلون إلى مشاهدة التلفاز ويغرقون في أحلام اليقظة وتظهر عليهم سمات الجبن وسلوك الانعزال، وأشار (Andrew) إلى أن سخرية الوالدين من كلام الطفل في حضور الآخرين يهيئ للقلق من الحضور كما يرى أن بعض الأفراد لديهم الاستعداد المسبق لتجنب المواقف الضاغطة كالكلام أمام الحضور،(Andrew, 2007, p.76). ويعبر الشخص عن القلق أثناء وجوده مع الآخرين في المواقف الاجتماعية بسلوكيات تتمثل بتجنب المواقف الاجتماعية ، والخوف من التحدث أمام الآخرين أو عدم الكلام بحضورهم ، والابتعاد عن استئناف حديث في مجلس اجتماعي ، والإحراج والتوتر في الحديث مع الآخرين لاسيما الجنس الآخر وتجنب التعارف مع ناس جدد وعدم التعرف بجرأة وثقة والصعوبة في البدء بالمحادثات والاستمرار بها، وتجنب حضور المناسبات الاجتماعية بسبب التوتر والقلق عند الشروع بمثل هذه النشاطات،(Mattick & Clarke,1990, P.46)).

النظريات التي فسرت القلق من الحضور:

منظورالتحليل النفسي Psychoanalysis: يتمثل المنظور النفسي بأفكار وأراء مجموعة من العلماء ممن ينتمون إلى هذا الاتجاه ومنهم "**Freud**" "**Adler**"، إذ يرى " **Freud** " (**1859–1939**) أن الشخصية تتكون من بناء ثلاثي وان كل جانب فيها يتمتع بمميزات وصفات خاصة ، وهذه الجوانب هي " الهو Id"، و"الأنا Ego " و" الأنا الأعلى Super-Ego"، وتمتد جذور القلق إلى الطفولة وينشأ القلق من الحضور بسبب الصراع بين "الهو والانا الأعلى" عندما يحاول الطفل إشباع غرائزه فيتعرض للعقوبة من قبل الكبار مما يشعره بالتهديد

وفقدان الأمن فيصبح ضعيف الثقة بنفسه وغير قادر على الاندماج والتواصل مع الآخرين ،(شلتز،١٩٨٣،ص٣٣-٤١). بينما يرى "**Adler**", (**1870–1937**) أن سبب القلق من الحضور يعود إلى التنشئة الاجتماعية، فقد يقصر الوالدان في تعزيز محاولات الطفل الناجحة الأمر الذي يقود إلى الفشل ويقلل من ميله الاجتماعي ويمنعه من التفاعل مع الآخرين ولايحقق ذاته فيصبح متمركزاً حول نفسه،(Rotter,1970,p.144)، كما أن الشعور بالنقص والفشل والمبالغة في إظهار مشاعر الدونية من الأمور التي تشعر الطفل بعجزه وضعفه وهي التي تنمي مشاعر النقص والقلق وضعف الثقة بالنفس عنده ومن ثم الفشل في الأداء والتفاعل مع الآخرين،(Andrew, 2007, p.68).

المنظور السلوكي Behavioral Perspective: يرى أصحاب النظريات السلوكية بأن السلوك الإنساني عبارة عن مجموعة من العادات التي يتعلمها الفرد ويكتسبها من البيئة في مراحل نموه المختلفة، وأن القلق ينشأ بسبب تعرض الفرد للتجارب والخبرات الفاشلة، وأن البيئة هي التي تتحكم بسلوك الإنسان وهي الحل الوحيد لمشكلاته الفردية والاجتماعية،(محمد،٢٠٠٤،ص٨٤).ويرى"**Skinner**" (**1904–1990**) أن السلوك يتم تعلمه من خلال الاشتراط الإجرائي، لذلك فأن دفع الآباء لأبنائهم على تجنب العلاقات مع الغرباء وتجنب الأخطاء أمام الزائرين أوالغرباء والتهديد بالعقاب يؤشر لظهور القلق من الحضور لاحقاً،(Ayres, 1988, p.294)، واهتمت النظرية السلوكية في تفسير القلق من الحضور بدراسة التجارب المؤلمة التي يتعرض لها الفرد خلال حياته وقد استعملت مفاهيم بسيطة تعتمد على التعلم الشرطي (Conditional Learning) والمكافآت (Rewards) والنتائج المترتبة على سلوك معين، وإذا تعرض الإنسان لموقف اجتماعي مؤلم ومزعج، وتفترض النظرية أن الإنسان قد مر بتجارب ولكن تراكمات التجارب المؤلمة تؤدي

إلى نشوء سلوك تجنبي وما يرافقه من خوف وقلق من الموقف المثير للألم،(المالح،١٩٩٥،ص ١٢٨).

المنظور الإنساني Ahumanistic Perspective: تفترض وجهة النظر الإنسانية أن مايحرك الفرد قوة دافعة رئيسية هي تحقيق الذات، وأن دوافع الإنسان ماهي إلا تعبيرات مختلفة لهذه القوى الدافعة باتجاه تحقيق الذات،(Wright,1990,p.96). ويشير"**Rogers**" **(1902−1987)**إلى أن الذات نابعة من التقدير والاحترام الإيجابي منذ فترة الرضاعة، وهو يعتقد أن الفرد يقابل في حياته خبرات كثيرة وجديدة وهو يحاول أن يضمها إلى ذاته دائماً في علاقة ثابتة ومنسقة وكلما كانت الخبرات متلائمة ومنسجمة مع فكرة الذات لديه كان الفرد متوافقاً، أما في حالة الإنكار والتشويه لبعض الخبرات المهمة فأنه يؤدي إلى التوتر والخوف وعدم القدرة على التصرف في المواقف التي فيها يواجه الآخرين فيحدث القلق من الحضور،(Rogers, 1959, p.200).

المنظور السلوكي المعرفي Cognitive-Behavioral: يرى علماء النظرية السلوكية المعرفية أن القلق من الحضور هو استجابة سلوكية− فكرية والتي قد تكون مرتبطة مباشرة بالمعتقدات غير المنطقية والخاطئة،(Beck, 1985, p.6). ويرى (**Beck**) أن التفكير السلبي، والتفسير غير الواقعي للفرد هما المسؤولان عن درجة الاضطراب النفسي وظهور الأعراض المتباينة لديه، ومنها القلق من الحضور، وإن النظرة السلبية نحو الذات والآخرين والأفكار التلقائية السلبية هي المسؤولة عن حدوث القلق من الحضور،(باظة، ٢٠٠٣، ص١٠٧− ١١٧). بينما يرى (**Meichenboum**) أن الأشياء التي يقولها الناس لأنفسهم هي التي تحدّد الأفعال التي يقومون بها، وإن مستوى القلق من الحضور مرتبط بمثل هذا الحديث الذاتي، وترتبط الدرجة العالية منه بالأفكار المحقرة للذات، أو التي تنقص من قيمتها

وأهميتها،(باترسون،١٩٩٠، ص، ١٢٠ − ١٢١). ويفترض(**Ellis**) أن الفرد يشعر بالاضطراب والتوتر نتيجة طريقته في التفكير والإدراك، لا بسبب المثيرات الخارجية، كما أن الفرد قد يحمل أفكاراً لاعقلانية هي السبب في انفعالاتهِ وقلقهِ من الحضور،(الداهري، ٢٠٠٥، ص ٥٠٥).

نظرية Buss: يشير (Buss 1980) أن من أنواع القلق المؤثرة في حياة الناس هو قلق التواجد بين عدد من الأفراد، وأن هذا يولد إحساساً لدى الفرد بأنه محط انتقادهم مما يجعله يبتعد عن المواقف التي فيها مواجهة للآخرين وهذا يمثل مشكلة يكون فيها الشخص غير راض عن نفسه ويمثل إعاقة لنموه الفكري في شتى مجالات الحياة، لذلك فأن العزلة هي أحدى نتائج القلق من الحضور والتقليل من شأن الذات هو أحد أسبابها، كما وجدت الدراسات أن هناك علاقة عكسية بين القلق من الحضور والرغبة في البدء بالمحادثة والاستمرار فيها وكمية الكلام المتحدث به، (Friedland, 1988, p.143-144)، وحسب (Buss) تتعرض العلاقة بين الطرفين (الفرد والحضور) للانهيار عندما تؤدي المواجهة بينهما إلى ازدياد مستوى القلق،(Luk, 1985, p. 149).

الأسباب المباشرة للقلق من الحضور:حدد (Buss, 1980) الأسباب المباشرة للقلق من الحضور بعدة أسباب هي:

١− **الظهور**:يتطلب التحدث على العلن والأداء على المنصة الانتباه الدقيق إلى المهمة المطلوب أدائها، لذلك فأن هذا الظهور يمكن أن يسبب القلق من الحضور.

٢− **الحداثة**:يشعر معظمنا بالاسترخاء في البيئات المألوفة والأماكن غير المألوفة تميل إلى التسبب بالحذر وعدم الارتياح الذي يؤدي للقلق من الحضور،كما أن المدرس الجديد يعاني من القلق من الحضور أكثر من المدرس القديم.

٣- **خصائص الحضور:** إن حجم الحضور له أهميته فتدريس صف صغير من قبل المدرس أكثر راحة من الصف الكبير، وكذلك مكانة الحضور تؤثر على شدة القلق، فالمتحدثون البالغون يسترخون عندما يتألف الحضور من الصغار، أما إذا تضمن الحضور أفراد من مكانة أعلى من المتحدث يميل المتحدث إلى الارتباك وعدم الراحة.

٤- **التغذية الراجعة:** يوثر سلوك الحضور في الفرد، فإذا كان الحاضرين في غرفة صغيرة أشاحوا النظر عن المتحدث ولم يظهروا علامات الاستحسان أو يبتسموا فـأن المتحـدث سيشـعر بعـدم الارتيـاح والقلـق والعكـس صـحيح إذا حصـل الانجذاب،(Buss, 1980, p.169-171).

وحسب (Buss) ينشأ القلق من الحضور أيضاً عند الأطفال نتيجة صورة الذات المشوهة التي سببها العلاقة المضطربة التي تجمع بين الطفل ووالديه.، كما يرى أنه يمكن تقسيم الخصائص الملحوظة للقلق من الحضور إلى مظاهر تعبيرية وفسلجية وأدائية:

١- **المكـون التعبيـري**:سـهولة رؤيتـه لأن الشـخص يتواجـد بـين أو أمـام الحضـور، مظـاهره هـي: النظـرة الخائفـة، الانتقـال السريع للعينـين، الارتجـاف، والصـوت المتهدج.

٢- **المكون الفسلجي:** يتضمن التعرق، التنفس السريع، ارتفاع ضغط الدم، تسارع ضربات القلب، وتعود ردود الفعل هذه إلى نشاط القسم السمبثاوي في الجهاز العصبي المستقل.

٣- **المكون الأدائي**:يظهر على شكل سلوك غير منتظم فقد يحدث نسيان أو تلعثم أو التعثر أو يضـحك ضـحكاً مصـطنعاً وهذه الأمور تكشف عن مدى تدهور الحالة، وقد ينتهي عند بعض المتحدثين بالإغماء،(Buss, 1980, p.166).

ويسهل نسبياً ملاحظة المكونين التعبيري والأدائي لذلك تم إدراج هذه الجوانب للقلق من الحضور وصنفت إلى خمس مجموعات هي:

١- **الطلاقة اللفظية**:اللعثمة، الوقفات الصوتية (آه، أم)، انغلاق الكلام واصطياد الكلمات.

٢- **الصوت**:التهدج، التوتر، التحدث بسرعة كبيرة جداً أو بطيئة جداً.

٣- **تعبيرات الوجه:** الافتقار إلى التواصل بالعينين، تجهم، جمود الوجه.

٤- **الذراعان:** التوتر، عدم الحركة، الافتقار إلى الإشارات المناسبة.

٥- **الجسم:** الترنح، الأقدام غير مستقرة.

مناقشة النظريات:امن خلال عرض النظريات التي تحدثت عن القلق من الحضور نجد أن لكل منظور اتجاه معين في رؤيته وتفسيره لهذا الموضوع ، إذ يرى أصحاب التحليل النفسي أن القلق من الحضور يرتبط بخبرات الطفولة ، وأن تعرض الطفل للعقوبة من قبل الكبار أثناء محاولاته لإشباع غرائزه سيشعره بالتهديد وفقدان الأمن فيصبح ضعيف الثقة بنفسه وغير قادر على الاندماج والتواصل مع الآخرين، كما أن الشعور بالنقص والفشل، والمبالغة في إظهار مشاعر الدونية من الأمور التي تشعر الطفل بعجزه وضعفه وهي التي تنمي مشاعر النقص والقلق عنده ومن ثم الفشل في الأداء والتفاعل مع الآخرين ، في حين يركز أصحاب المنظور السلوكي على العادات التي يتعلمها الفرد من البيئة المحيطة، إذ يتعرض الفرد أثناء عملية التعلم إلى الخبرات الفاشلة والمؤلمة ، وأن المواقف السلبية والأخطاء أمام الآخرين والتعرض للسخرية يتعلم الفرد منها أن الحالات المشابهة والقريبة ستكون غير مريحة ومحبطة مما يتسبب في حدوث القلق من الحضور.

بينما يعتقد أصحاب الاتجاه الإنساني أن تحقيق الذات هو أهم مايحاول الفرد الوصول إليه، وعندما يخفق في تحقيق ذلك فانه سيتعرض لحالات من التوتر

والإحباط والابتعاد عن الآخرين وتجنب المواقف الاجتماعية فيحدث القلق من الحضور.

ويرى علماء النظرية السلوكية المعرفية أن العوامل المعرفية المتمثلة بالتفكير السلبي، والتفسير غير الواقعي والنظرة السلبية نحو الذات والآخرين والأفكار التلقائية السلبية هي المسؤولة عن حدوث القلق من الحضور وأنّ الأشياء التي يقولها الناس لأنفسهم هي التي تحدّد الأفعال التي يقومون بها، وإنّ مستوى القلق من الحضور مرتبط بمثل هذا الحديث الذاتي وأنّ الفرد يشعر بالاضطراب والتوتر نتيجة طريقته في التفكير والإدراك، لا بسبب المثيرات الخارجية، كما أنّ الفرد قد يحمل أفكاراً لاعقلانية هي السبب في انفعالاتهِ وقلقهِ من الحضور بينما يرى"**باص**" أن القلق من الحضور ينشأ بسبب خبرات الطفولة وأساليب التنشئة الاجتماعية وعدم منح الطفل فرص التعبير عن الذات أمام الآخرين وتسلطية المعلم وإذلال الطفل أمام زملائه عندما يخطئ فضلاً عن سخرية الزملاء وتعليقاتهم وأساليب التحذير المبالغ فيها وخصوصاً من الغرباء.

وقد تبنى الباحثان هذه النظرية وذلك للمبررات الآتية:

١- إنها نظرية معرفية حديثة.

٢- أعطت النظرية لمتغير القلق من الحضور أهمية أكثر من النظريات الأخرى، وقد أفرد (Buss) في كتابه((Self consciousness and social anxiety ، فصلاً يتحدث فيه عن نظرية القلق من الحضور كونه سمة وليست حالة والتي هي موضوع هذا البحث.

٣- أعطت النظرية تعريفاً واضحاً وصورة تفصيلية للقلق من الحضور ساعدت الباحث على اشتقاق فقرات مقياسه.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

مجتمع البحث :

يتألف مجتمع البحث من طلاب المدارس المتوسطة والثانوية النهارية في محافظة كركوك للعام الدراسي (٢٠١٠-٢٠١١) والبالغ عددهم (٧١٣٦)* طالباً موزعين على(٦٢) مدرسة ثانوية ومتوسطة للبنين وكما مبين في الجدول (١)

الجدول (١)

مجتمع البحث في محافظة كركوك

ت	اسم المدرسة	عدد الطلاب	ت	اسم المدرسة	عدد الطلاب	ت	اسم المدرسة	عدد الطلاب
١	ث.عبدالله عبد الرحمن	٨٥	٢٢	ث. التون كوبري	١٣٣	٤٣	م.عرفة	٧٥
٢	ث.جمال عبد الناصر	٩٨	٢٣	ث. الجواهري	٩٦	٤٤	م.روناكي	١١٠
٣	ث.بارش	٧١	٢٤	ث. اشبيلية	١١٩	٤٥	م.قتيبة بن مسلم	١٦٠
٤	ث.راستي	٦٥	٢٥	ث. تبوك	١٢٢	٤٦	م.ابن الاثير	١٤٥
٥	ث.هاوشين	١١٥	٢٦	ث. بدر الكبرى	١٢٨	٤٧	م.مندلي	٩٧
٦	ث. الزرارية	٧٤	٢٧	ث. المأمون	١٣٢	٤٨	م.البويب	١٢٢
٧	ث. المصلى	٩٦	٢٨	ث.المصطفى	٩٧	٤٩	م.النداء	١٣٠
٨	ث. الفارس	٨٠	٢٩	ث. اصبيح	٨٨	٥٠	م.آشتي	١٣٣
٩	ث. الرياض	١١٨	٣٠	ث.قره قويتلو	٦٩	٥١	م.الخضراء	٩٠
١٠	ث. المستقبل	٨٠	٣١	ث.زيوه ر	١٩٠	٥٢	م.تسعين شهيدلر	١١٢
١١	ث. شرق دجلة	٨٧	٣٢	ث.الاوس	١٣٢	٥٣	م.بوتان	١٣١

(*) حسب إحصائية شعبة التخطيط في المديرية العامة لتربية كركوك للعام الدراسي ٢٠١٠-٢٠١١ .

١٢	ث. اتا بكلر	٨١	٣٣	ث.نوزي	٨٢	٥٤	م.اجنادين	١١٥
١٣	ث. أم القرى	١٢٤	٣٤	م.الصلاح	٢٠٠	٥٥	م.الغربية	١٠٠
١٤	ث.الشهيدهاشم صادق	١١٥	٣٥	م.ابي تمام	١٧٠	٥٦	م.بان روز	١٣٠
١٥	ث. الحمزة	١٢٠	٣٦	م.امام قاسم	١١٠	٥٧	م.العرفان	١٧٠
١٦	ث. حاجي قادر	١١٣	٣٧	م.الزاب	١٣٨	٥٨	م.الوند	٩٢
١٧	ث.احمد الخال	١٧٥	٣٨	م.عبدالرحمن الغافقي	١٠٠	٥٩	م.بريتكة	١٠٥
١٨	ث. عمر بن الخطاب	١٤٠	٣٩	م.الماس	١١٠	٦٠	م.النضال	٩٠
١٩	ث.العراق	١٣٩	٤٠	م.عمربن عبدالعزيز	٢١٠	٦١	م.كركوك الجديدة	٧٨
٢٠	ث. روشيزي	٨٩	٤١	م.باباكركر	١٦٢	٦٢	م.القباء	١٠٠
٢١	ث. تازة	١١٨	٤٢	م.كاوه	٨٠			
المجمـوع ٧١٣٦								

عينـة البحـث:من أجل اختيار عينة ممثلة للمجتمع الأصلي كي تعطينا نتائج دقيقة وموثوق بها ويمكن تعميمها، فمن الضروري إتباع خطوات علمية في انتقائها لإجراء البحث،(عدس،١٩٩٨، ص٢٥٩). وقد اتبع الباحث الشروط العلمية في اختيارالعينة وعلى النحو الآتي:

أ- **عينـة بنـاء المقيـاس:**تم اختيار عينة عشوائية من (٤٠٠) طالباً من طلاب الصف الثاني المتوسط موزعين على (٨) مدارس اختيرت أيضا بالطريقة العشوائية، والجدول (٢) يوضح ذلك.

الجدول (٢)

توزيع عينة التمييز على المدارس

ت	اسم المدرسة	عدد أفراد العينة	ت	اسم المدرسة	عدد أفراد العينة
١	ث.الحمزة	٥٠	٥	ث. المصلى	٥٠
٢	م.مندلي	٥٠	٦	م.الغربية	٥٠
٣	م.عمر بن عبد العزيز	٥٠	٧	ث.حاجي قادر	٥٠
٤	ث.جمال عبد الناصر	٥٠	٨	ث.المستقبل	٥٠
المجموع		٢٠٠			٢٠٠

ب- عينة تطبيق المقياس: تم اختيار عينة عشوائية من ١٥٠ طالبا من المرحلة المتوسطةً طبق عليهم المقياس ملحق(١) لغرض تشخيص مدى انتشار مشكلة القلق من الحضور لدى طلاب هذه المرحلةً.

أداة البحث: للتحقق من هدف هذا البحث تم بناء مقياس القلق من الحضورلتحديد الطلاب الذين يعانون من هذه المشكلة وتشخيصهم وقد اتبع الباحث الخطوات العلمية في بناء الأداة.

بناء مقياس القلق من الحضور: اعتمد الباحث على نظرية القلق من الحضور للعالم (Buss) في عملية بناء المقياس استناداً إلى تعريف المتغير والأسباب المسببة له، التي أكدت عليها النظرية وقد مر بناء المقياس بالمراحل الآتية:

تحديد المفهوم: تم تحديد مفهوم القلق من الحضور استناداً إلى تعريف (Buss)، إذ عرفه بأنه " هاجس مصحوب بالضيق والتوتر عند التواجد بين مجموعة من الأشخاص أو الأداء أمامهم"،(Buss, 1980, p.165).

صـياغة فقـرات المقيـاس: بعد الاطـلاع علـى نظريـة القلـق مـن الحضـور للعـالم (Buss) اسـتطاع الباحـث وضـع (٢٧) فقـرة علـى شـكل عبـارات تتطلـب مـن الطالـب الإجابـة عليهـا بأحـد البـدائل الثلاثـة التـي اختيـرت لتناسـب المرحلـة المتوسطة.

تصحيح المقيـاس : تم تصحيـح المقياس علـى أساس إعطـاء الدرجات (٣ ، ٢ ، ١) للبدائل (تنطبق علي دائماً ،تنطبق علي أحياناً ،لاتنطبق علي أبداً)، إذ أن جميع فقرات المقياس سلبية ، والجدول(٣) يوضح ذلك.

جدول (٣)

تحديد درجات تصحيح المقياس

بدائل الإجابة / الفقرة	تنطبق عليّ دائماً	تنطبق عليّ أحياناً	لاتنطبق عليّ أبداً
الدرجة	٣	٢	١

صلاحية الفقرات:

عرض مقياس القلـق من الحضـور بصيغته الأوليـة علـى (٢٢) خبيراً من المختصـين فـي علـم الـنفس والإرشـاد النفسـي ملحـق(٢) وطلـب مـنهم إبـداء آرائهـم وملاحظـاتهم بمـا يخـص صـلاحية الفقرات لقيـاس ماوضـعت لأجلـه وتعديل مايتطلب ذلـك ، وبعـد جمـع أراء الخبـراء وتحليلهـا إحصـائيا باسـتعمال مربـع كـاي ، أظهـرت النتـائج أن (٢) فقرتـان لـم تكـن دالـة إحصـائياً عنـد مسـتوى دلالـة (٠.٠٥) وقـد تـم استبعادها واستبقيت (٢٥) فقرة والجدول(٤)يوضح ذلك.

القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة
مجلة آداب الفراهيدي
أ. د. محمود كاظم محمود
م.م. هاشم جميل إبراهيم
العـدد (١٢) أيلول ٢٠١٢

الجدول(٤)

قيم مربع كاي لأراء الخبراء في صلاحية مقياس القلق من الحضور

ت	أرقام الفقرات	الموافقون		غير الموافقون		قيمة مربع كاي المحسوبة	قيمة مربع كاي الجدولية	مستوى الدلالة	الدلالة
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة				
١	١ ، ٢، ٣ ، ٤ ، ٥ ،٦، ٧ ٨، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ،١٥، ١٦، ١٧، ١٩ ،٢٥، ٢٦ ، ٢٧	٢٠	%٩٢.٨٥	٢	%٧.١٥	١٠.٢٨	٣.٨٤	٠.٠٥	دالة إحصائيا
٢	١١، ١٣، ١٨، ٢١،٢٠ ،٢٢، ٢٤	١٨	%٨٥.٧١	٤	%١٤.٢٩	٧.١٤	٣.٨٤	٠.٠٥	دالة إحصائيا
٣	١٤،٢٣	٨	%٣٥.٧١	١٤	%٦٤.٢٩	١.١٤	٣.٨٤	٠.٠٥	غير دالة

وتـم الأخـذ بـآراء الخبـراء ومقترحـاتهم فيمـا يخـص تعـديل صـياغة بعـض الفقرات.

التجربة الاستطلاعية للمقياس : لغرض معرفة مدى وضوح تعليمات المقياس وفقراته وبدائله لمجتمع البحث فقد تم تطبيق المقياس على عينة مكونة من (٥٠) طالباً من طلاب الصف الثاني المتوسط، وبينت نتـائج التطبيق أن تعليمات المقياس وفقراته وبدائله كانت واضحة ومفهومه إذ لم يبـدِ الطلاب أي استفسـار بشأنها ، وتراوح زمن الإجابة بين (٢٠-٣٠) دقيقة وبمتوسط قدره (٢٤,٧) دقيقة.

التحليل الإحصائي للفقرات: تعد عملية التحليل الإحصائي للفقرات عملية مهمة جدا للخروج بأدوات قياس فعالة لقيـــاس الخصائص والصفات الإنسانية بصورة جيدة ،(النبهان ، ٢٠٠٤ ،ص ١٨٨).وجرت عملية التحليل الإحصائي للفقرات من خلال استخراج القوة التمييزية لها، وعلاقة درجة كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس وكالاتي:

القوة التمييزية للفقرات :تشير القوة التمييزية إلى مدى قدرة الفقرة على التمييز بين الطلبة الممتازين والطلبة الضعاف في الصفة المراد قياسها،(الزوبعي وآخرون ، ١٩٨١ ،ص ٧٩)

ولغرض استخراج القوة التمييزية للفقرات تم تطبيق مقياس القلق من الحضور على عينة مؤلفة من (٤٠٠) طالب، واستخرجت الدرجة الكلية لكل فرد من أفراد عينة التمييز ومن ثم رتبت الدرجات تنازليا من أعلى درجة إلى أدنى درجة ، وتم اختيار ٢٧% من الاستمارات الحاصلة على أعلى الدرجات لتمثل المجموعة العليا،(ملحم ، ٢٠٠٠ ،ص ٢٣٧)، وقد تراوحت درجاتهم بين(٧١-٦٣)، و٢٧% من الاستمارات الحاصلة على أدنى الدرجات لتمثل المجموعة الدنيا، إذ تراوحت درجاتهم بين(٣٤-٢٨)، علماً أن أعلى درجة للمقياس هي(٧٥) وأدنى درجة(٢٥)، إذ أن اعتماد نسبة ٢٧% للمجموعة العليا والدنيا تحقق للباحث مجموعتان حاصلتان على أفضل ما يمكن من حجم وتمايز ،(Mehrens&Lehman,1969,388).

وبذلك بلغ عدد الاستمارات في كل مجموعة (١٠٨) استمارة ، وتم استعمال (الاختبار التائي T-Test) لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة من المقياس، وعدت القيمة التائية المحسوبة مؤشراً لتمييز كل فقرة من خلال مقارنتها بالقيمة التائية الجدولية والتي تساوي (١.٩٦) عند مستوى

دلالة (٠.٠٥) ودرجة حرية (٢١٤) ، وقد أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن جميع فقرات المقياس البالغ عددها(٢٥) مميزة كما مبين في الجدول (٥).

الجدول (٥)

القوة التمييزية لفقرات مقياس القلق من الحضور

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
١	٢,١٥٧	٠,٦٧٢	١,٣٥١	٠,٤٧٩	١٠,١٣٩
٢	١,٩٠٧	٠,٦٤٩	١,٣٧٠	٠,٤٨٥	٦,٨٦٦
٣	١,٨٦١	٠,٧٤٢	١,٣٢٤	٠,٤٧٠	٦,٣٥٣
٤	١,٨٧٠	٠,٧٢٤	١,٢٨٧	٠,٤٥٤	٧,٠٨٧
٥	١,٨٤٢	٠,٦٨٥	١,٣٠٥	٠,٤٦٢	٦,٧٤٦
٦	١,٩٠٧	٠,٦٠٤	١,٣٧٠	٠,٤٨٥	٧,٢٠٢
٧	١,٦٩٤	٠,٦٨٩	١,٣٥١	٠,٤٧٩	٤,٢٣٧
٨	٢,٠٥٥	٠,٦٨١	١,٣١٤	٠,٤٦٦	٩,٣٢٢
٩	١,٨١٤	٠,٦٩٩	١,٣٦١	٠,٤٨٢	٥,٥٥٠
١٠	٢,٠٢٧	٠,٧١٦	١,٣٢٤	٠,٤٧٠	٨,٥٣٤
١١	١,٨٥١	٠,٧٣٣	١,٢١٣	٠,٤١١	٧,٨٩٢
١٢	١,٨٨٩	٠,٨١٢	١,٢٧٧	٠,٤٤٩	٦,٨٣٧
١٣	١,٩٦٣	٠,٧٣٥	١,٢٠٣	٠,٤٠٤	٩,٤٠١
١٤	٢,٦٥٧	٠,٧٣٨	١,٢٤٠	٠,٤٢٩	٥,٣١٢
١٥	١,٨٨٨	٠,٧٥٢	١,٢١٣	٠,٤١١	٨,١٨٧
١٦	١,٩٨١	٠,٧٤٨	١,٢٦٨	٠,٤٤٥	٨,٥٠٧
١٧	١,٧٥٩	٠,٧٤٧	١,٢٤٠	٠,٤٢٩	٦,٢٥٢
١٨	١,٩٥٣	٠,٦٨٨	١,٢٥٠	٠,٤٣٥	٨,٩٧٧
١٩	١,٨٩٨	٠,٧٠٩	١,٢٢٢	٠,٤١٧	٨,٥٣١
٢٠	١,٩٣٥	٠,٨١١	١,٢٦٨	٠,٤٤٥	٧,٤٨١
٢١	١,٩٣٥	٠,٧٣٩	١,٢٥٠	٠,٤٣٥	٨,٢٩٨
٢٢	١,٨٧٩	٠,٧٤٥	١,٢٣١	٠,٤٢٣	٧,٨٧٦

٢٣	١,٩٢٥	٠,٦٩٣	١,٢٣١	٠,٤٢٣	٨,٨٨٣
٢٤	٢,٠٣٧	٠,٧٦٠	١,٢٣١	٠,٤٢٣	٩,٦١٨
٢٥	١,٨٠٥	٠,٧٢٩	١,٢٨٧	٠,٤٥٤	٦,٢٧١

علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس: يعد معامل الاتساق الداخلي مؤشراً من مؤشرات صدق البناء ، (Anastaisi,1976,p.154)، ولحساب معامل الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات مقياس القلق من الحضور والدرجة الكلية استعمل الباحث معامل ارتباط بيرسون،(person correlation) وقد أظهرت النتائج أن جميع فقرات المقياس دالة عند مستوى دلالة(٠.٠٠٥) ودرجة حرية(٣٩٨) إذ تراوحت معاملات الارتباط بين (٠,٢٠٣-٠,٣٥٥) كما هو مبين في الجدول (٦).

الجدول (٦)

معاملات ارتباط درجة كل فقرة من فقرات المقياس مع الدرجة الكلية

رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط
١	٠,٣٤٥	١٤	٠,٢٦٧
٢	٠,٢٨٩	١٥	٠,٢١٠
٣	٠,٣٠٥	١٦	٠,٣١٥
٤	٠,٢٤١	١٧	٠,٢٠٣
٥	٠,٣١١	١٨	٠,٣٢٠
٦	٠,٢٦٨	١٩	٠,٣٣٩
٧	٠,٢٩٤	٢٠	٠,٢٣٢
٨	٠,٣٥٥	٢١	٠,٣٥٣
٩	٠,٢١٧	٢٢	٠,٢٨١
١٠	٠,٢٤٢	٢٣	٠,٢٦٣
١١	٠,٢٨٥	٢٤	٠,٢٩١

١٢	٠,٣٠٨	٢٥	٠,٢٧٨
١٣	٠,٣٠٩		

مؤشرات صدق وثبات المقياس:

الصدق Validity : يعد الصدق من العوامل الأساسية التي يجب على مصمم المقياس أو مستعمله التأكد منه،(داود وعبدالرحمن ، ١٩٩٠ ،ص ١١٨)،بل إنه الخاصية الأولى التي يجب أن تتوافر في وسيلةالقياس بصفة عامة،(محمد ، ٢٠٠٤، ص ٨٤). وللتأكد من صدق المقياس فقد اعتمد الباحث على الصدق الظاهري وصدق البناء من خلال الإجراءات الآتية :

الصدق الظاهري Face Validity : وقد تحقق هذا النوع من الصدق من خلال عرض المقياس على مجموعة من الخبراء وكما هو موضح في (ص١٣).

٢- **صدق البناء Costruct validity** :يوصف صدق البناء بأنه أكثر أنواع الصدق تمثيلا لمفهوم الصدق، ويقصد به مدى قياس المقياس النفسي لتكوين فرضي أو مفهوم نفسي معين،(ربيع، ١٩٩٤، ص٩٠).

لذلك فإن قدرة الفقرات على التمييز بين الأفراد الذين يمتلكون الخاصية أو السمة والذين لايمتلكونها، تعد مؤشرا على صدق البناء،(ملحم،٢٠٠٠،ص١٩).

وعلى وفق هذا المؤشر تم التحقق من صدق البناء من خلال استخراج القوة التمييزية للفقرات وعلاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس كما مر ذكره.

الثبات Reliability : يعني الثبات ،الاستقرار، أي أنه لو كررت عمليات القياس على المفحوص لأظهرت درجته شيئاً من الاستقرار ، ومعامل الثبات هو معامل ارتباط بين درجات الخاضعين للقياس خلال مرات القياس المختلفة،(باهي والنمر ، ٢٠٠٤ ،ص ٩٥).

ومن اجل تحقيق الثبات فقد جرى استخراجه بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار وكالآتي:

طريقة الاختبار وإعادة الاختبار Test- Retest:

لحساب معامل الثبات بهذه الطريقة، طبق المقياس على عينة مؤلفة من (٥٠) طالب من طلاب المتوسطة في ثانوية (العراق) تم اختيارهم عشوائياً من مجتمع البحث، ثم أعيد تطبيق المقياس على العينة نفسها بعد مدة أسبوعين من التطبيق الأول وتم حساب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجات العينة لكل من التطبيق الأول والثاني إذ بلغ معامل الارتباط (٠.٨٦) وتعد مثل هذه القيمة لمعامل الثبات جيدة وفقا للميزان العام لتقويم دلالات معاملات الارتباط ،(Gronlund,1981,p.102) ، (جابر وكاظم ، ١٩٧٣ ،ص٣١٢).

تطبيق المقياس بصيغته النهائية:بعد الانتهاء من بناء مقياس القلق من الحضور والتحقق من مؤشرات صدقه وثباته تم تطبيقه على عينة البحث التطبيقية والبالغة (١٥٠) طالباً من طلاب الصف الثاني المتوسط.

الوسائل الإحصائية:

لمعالجة بيانات البحث ، تم استعمال الوسائل الإحصائية الآتية :

١- **مربع كاي (chi – square)** : لاستخراج الصدق الظاهري لمقياس القلق من الحضور،(الشرنوبي،٢٠٠١،ص ١٧٦).

٢- **الاختبار التائي (T - Test) لعينتين مستقلتين**:تم استعماله لحساب القوة التمييزية لفقرات مقياس القلق من الحضور،(البياتي واثناسيوس ، ١٩٧٧، ص٢٦٠).

٣- **الاختبار التائي(T - Test) لعينة واحدة:** تم استعماله للتعرف على وجود سمة القلق من الحضور لدى عينة التطبيق النهائي، (فيركسون، ١٩٩١، ص٢١٤).

٤- **معامل ارتباط بيرسون** : استعمل لاستخراج علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس، ولاستخراج الثبات بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار، (البياتي،٢٠٠٨، ص١٣٩).

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

عرض النتائج وتفسيرها :

سيتم في هذا الفصل عرض النتائج وتفسيرها حسب هدف البحث وكالآتي:

استهدف البحث الكشف عن القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة ، وللتحقق من الهدف المذكور فقد تم تطبيق مقياس القلق من الحضور على عينة مكونة من ١٥٠ طالب موزعة على ثلاث مدارس سحبت بالطريقة العشوائية من مجتمع البحث ، واستخرج الوسط الحسابي لأفراد العينة إذ بلغ (٥٢,٧٦) وبانحراف معياري قدره (١,٤١) وعند مقارنة الوسط الحسابي للعينة مع الوسط الفرضي البالغ(٥٠) باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة بينت النتائج وجود سمة القلق من الحضور لدى أفراد العينة المذكورة، إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (٢,٨٥) وهي دالة إحصائيا ، إذ أنها أعلى من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٤٩) وكما موضح في الجدول(٧)

الجدول (٧)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لعينة البحث

ت	المدرسة	عدد الطلاب الكلي	عدد الطلاب الذين طبق عليهم المقياس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	الدلالة
١	ث. أم القرى	١٢٤	٥٠	٥٢,٧٦	١,٤١	٢,٨٥	١,٩٦	دالة
٢	ث.بدر الكبرى	١٢٨	٥٠					
٣	ث.اشبيلية	١١٩	٥٠					
	المجموع	٣٧١	١٥٠					

وقد تكون هذه النتيجة بسبب عدم تشجيع الأطفال على التحدث أمام الآخرين والسخرية منهم عند الأخطاء الكلامية وكذلك استعمال العقاب من قبل الأسرة

والمدرسة وقلة استعمال الأساليب التعزيزية مما يؤدي إلى شعور الطفل بالخوف وضعف الشعور بالأمن الأمر الذي يتسبب بحدوث القلق من الحضور ، وهذا مايشير إليه (Buss) إذ يرى بأن لأساليب التنشئة الأسرية الخاطئة دوراً مهما في هذا الموضوع فضلاً عن دور المدرسة التي تلجأ إلى استعمال العقاب وقلة استعمال التعزيز الايجابي المناسب لتشجيع الطلاب للتحدث وتعزيز ثقتهم بأنفسهم.

التوصيات:

في ضوء نتائج البحث الحالي يوصي الباحثان بالآتي:

١- قيام المرشدين التربويين باستعمال مقياس القلق من الحضور الذي تم بناءه في البحث الحالي لتشخيص الطلاب الذين يعانون من هذه المشكلة.

٢- قيام المرشدين التربويين بتوعية اسر الطلاب من خلال مجالس الآباء إلى ضرورة تشجيعهم للتحدث أمام الآخرين وتجنب معاقبتهم والسخرية منهم عند التحدث مع الآخرين.

٣- قيام المدرسين بتشجيع الطلاب على التحدث أمام زملائهم في الصف من خلال شرح موضوع الدرس وتقديم التعزيز لهم والابتعاد عن الأساليب العقابية.

المقترحات:

استكمالاً لجوانب البحث الحالي يقترح الباحثان الآتي:

١- إجراء دراسة تستهدف استعمال الأساليب الإرشادية لمعالجة القلق من الحضور لدى طلاب المرحلة المتوسطة.

٢-إجراء دراسة للكشف عن القلق من الحضور لدى عينات أخرى من المجتمع مثل طلبة المرحلة الإعدادية والجامعية.

٣- إجراء دراسة للكشف عن القلق من الحضور لدى الإناث وموازنة نتائجها مع نتائج الدراسة الحالية.

المصادر العربية:

- القرآن الكريم.
- باترسون، س.هـ.، (١٩٩٠): **نظريات الإرشاد والعلاج النفسي**، ترجمة حامد عبد العزيز الفقي، جـ٢، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
- باظة، آمال عبد السميع(٢٠٠٣): **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، دار عسكر للطباعة، القاهرة، مصر.
- باهي ، مصطفى والنمر، فاتن (٢٠٠٤) : **التقويم في مجال العلوم التربوية والنفسية** ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- البياتي ، عبد الجبار توفيق واثناسيوس ، زكريا (١٩٧٧) : **الإحصاء الوصفي والاستدلالي في التربية وعلم النفس** ، مؤسسة الثقافة العمالية ، بغداد.
- البياتي،عبد الجبار توفيق(٢٠٠٨): **الإحصاء وتطبيقاته في العلوم التربوية والنفسية**، ط١، إثراء للنشر والتوزيع ، عمان،الأردن.
- بيك، آرون (٢٠٠٠): **العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية**، ترجمة عادل مصطفى، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.
- جابر ، عبد الحميد وكاظم ، احمد خيري (١٩٧٣) : **مناهج البحث في التربية وعلم النفس** ، دار النهضة العربية ، القاهرة.
- حبيب، مجدي (١٩٩١): **القلق العام والخاص، دراسة عاملية لاختبارات القلق**، بحوث المؤتمر السابع لعلم النفس في مصر، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، الانجلو المصرية، القاهرة.
- الداهري، صالح حسن احمد (٢٠٠٥) :**مبادئ الصحة النفسية**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن .

- داود ،عزيز حنا وعبد الرحمن ، أنور حسين (١٩٩٠) : **مناهج البحث التربوي** ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، جامعة بغداد ، العراق.
- ربيـع ، محمد شحاتة (١٩٩٤) : **قيـاس الشخصـية** ، دار المعرفة الجامعيـة ، الإسكندرية.
- الزوبعي، عبد الجليل، وآخرون (١٩٨٨): **الاختبارات والمقاييس النفسية**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل.
- سيموندز، برسيفال مالون (١٩٧١): **الدروس التـي تتعلمهـا التربيـة مـن علـم النفس**، ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله، بيروت، دار الفكر.
- الشرنوبي ، سعد الدين أبو الفتوح (٢٠٠١) : **المفاهيم والمعالجات الأساسية في الإحصاء** ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية .
- شلتز، دوان (١٩٨٣): **نظريات الشخصية**، ترجمة احمد دلي الكربولي، مطبعة جامعة بغداد.
- عدس، عبد الرحمن وتوق محي الدين (١٩٩٣): **المدخل إلى علم النفس**، ط٣، مركز الكتب الأردني، عمان.
- عدس، عبد الرحمن (١٩٩٨): **أساسيات البحث التربـوي**، ط ٢، دار الفرقان، عمان.
- عزت، درى حسن (١٩٨٦): **الطب النفسي**، ط٣، دار القلم، الكويت.
- عسكر، قاسم حسين محمد(٢٠١٠): **الشعور بالخزي وعلاقته بالشعور بالذات العامة وقلق الحضور**،أطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية الآداب، جامعة بغداد.
- الغامدي ،عبدالله بن مسفر(٢٠٠٧): **الجلسات الإرشادية تخفض القلق وتعالج التلعثم**،الانترنت،http://www.alshref.com/vb/t260564.html

- فايد حسين علـي (٢٠٠١) : **دراسـات فـي الصـحة النفسـية** ، الطبعـة الأولـى ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية.
- فيركسون ، جورج آي (١٩٩١) : **التحليل الإحصائي في التربية وعلم النفس**، ترجمة هناء العكيلي ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد.
- الإبراهيم، فائقة(١٩٩٥): **المشكلات السلوكية والاغتراب بين الشباب الكويتي**، دراسة مقدمة لمؤتمر الخدمة الاجتماعية وقضايا الشباب، رابطة الاجتماعيين، ٢١–٢٣ يناير، دولة الكويت.
- المالح، حسان (١٩٩٥): **الخوف الاجتماعي، دراسة علمية للاضطراب النفسي، مظاهره، أسبابه، وطرق العلاج**، ط٢، دار الإشراقات للنشر والتوزيع، دمشق.
- محمد ، جاسم محمد (٢٠٠٤): **علـم الـنفس التربـوي وتطبيقاتـه** ،ط١، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
- ملحم ، سامي سعيد (٢٠٠٠): **القياس والتقويم في التربية وعلم النفس** ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن.
- النبهان ، موسى (٢٠٠٤): **أساسيات القياس في العلوم السلوكية** ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
- الـوقفي، راضـي(١٩٩٨): **مقدمـة فـي علـم الـنفس**، ط٣، دار الشـروق للنشـر والتوزيع، عمان.

المصادر الأجنبية:

-Alden, L. (1990): **An interpersonal analysis of social anxiety and depression**, cognitive therapy and research, 14, 499-513.

-Andrew, Kevin. (2007): **Perspective on social anxiety**, McGraw- Hill books.

-Anastasia, A.(1976): **Psychological testing** , New York : Mc-millan publishing company , INC.

-Ayres, Joe. (1988): **Coping with speech anxiety**, The power of positive thinking, communication education, Vol. (37), P. 290-296.

-Beck, Et Al (1985): **Anxiety Disorders And Phobias**, A Cognitive Perspective "New York, Basic Book.

-Burns, Paved. (2006): **When panic attack**, The new, drug- free Anxiety therapy that can change your life, Broad way book, New York.

-Buss, (1980): **Self consciousness and social anxiety**, San Francisco, Freeman

-Fejfar, Michele. (2000): **Effect of public self- consciousness on negative effect and self – referent attribution**: A quantitative review, Journal of personality and social psychology, 4 (2), P. 132-142.

-Fried land, M. (1988): **Speaking state anxiety as function of selected situational and predisposition variables**, communication education, 38, 142-147.

-Garland, J. (2004): **Facing the evidence: anxiety treatment in children and adolescent**, Canadian medical Association Journal, 170, 489-491.

-Ghiselli, E; E (1981): **Measurement theory for Behavioral Sciences,** W. H, Freeman Company, Sanfrancisco.

-Hilliard, Erika. (2005): **Living fully with shyness and social anxiety: A comprehensive guide to gaining social confidence**, Marlow & company, New York.

-Jamison, M. (1998): **Measuring Learning in anxiety treatment**: a cognitive Bible therapy test, Journal of cognitive therapy and research, 22, 475-482.

-Luck, E. (1985): **Reaction to objective and subjective interpersonal evaluation: The influence of social anxiety**, Journal of social and clinical psychology, 3, 143-160.

-Mattick, R. et al. (1987): **Exposure & cognitive restricting fear social phobia,** controlled study. Behavior therapy.

-Mehrens , W . & Lehman , L (1984): **Measure ment and Evaluation in Education and Psychology** , holt rime hart & Winston – new York .

-Mendels, L. (2002**): Anxiety Arndomized,** controlled trial ,
Journal of American medical Association, 287, 1807-1814.

-Rogers (1959): **A Theory of Therapy, Personality and Interpersonal Relationship**, as developed in the Client-Central Framework Ins. Kock (Ed) Psychology: A Study of Science Val. Z . New York: McGrow – Hill, P. 200.

-Rutter M.(1970): **Some implication of asocial learning theory for the practice of pycholotherapy**, in.D.C.Zuroff,1980, Learned helplessness in human :An analysis of learning process and the roles of individual and situations differnces,Journal of personality and Social psychology ,39 (1),44.

-Smith, T. W., Ingram, R. E., & Brehm, S. S. (1995): **Social anxiety, anxious self preoccupation, and recall of self-relevant information**., Journal of Personality and Social Psychology, 44, 1276-1283.

-Sullivan, H.S. (1969): **the Interpersonal theory of psychology** , in Gale, Raymond F. Developmental Behavior, A Humanistic Approach. New York, Macmillan,.

-Veliyaca , A, Rapee , R.M(1998): **<u>Detection of Negation positive audience behaviors by Social anxious Subject</u>** ,Behavior Research the raphy , N.6 V7.

-Westa, H. (1998): **<u>Cognitive Behavioral and pharmaco therapy: Complementary or contradictory Approaches to the treatment of Audience Anxiety</u>**, Journal of clinical psychology review, 18, 307-340.

-Wright, P,(1990): **<u>Motivation and Job satisfaction</u>**, In :Molander (ed) Human Resource Management. Cha t well – Bratt,pp:96-118.

ملحق (١)

مقياس القلق من الحضور

عزيزي الطالب...

تحية طيبة..

يروم الباحثان القيام ببحث علمي ومن متطلبات إنجاز هذا البحث هو تعاونكم معنا بالإجابة على الفقرات الآتية بعد قراءة كل فقرة بشكل جيد... والمثال الآتي يوضح كيفية الإجابة. مع التقدير.

طريقة الإجابة:

١. إذا كانت الفقرة تنطبق عليك دائماً فضع إشارة (√) تحت البديل (تنطبق علي دائماً) كما هو موضح أدناه ، وهكذا بالنسبة إلى بقية الفقرات.

ت	الفقـرات	تنطبق علي دائماً	تنطبق علي أحيانا	لاتنطبق علي أبدا
١	أشعر بالخوف عندما يُطلب مني التحدث أمام الآخرين	√		

٢. تكون الإجابة على جميع فقرات المقياس.

٣. أختر بديلاً واحداً لكل فقرة.

ت	الفقـرات	تنطبق علي دائماً	تنطبق علي أحيانا	لاتنطبق علي أبدا
١	أشعر بالخوف عندما يُطلب مني التحدث أمام الآخرين			
٢	أخشى التعبير عن أفكاري بحضور الآخرين			
٣	أتجنب الجلوس في مقدمة الصف			
٤	أشعر بالحرج عندما أتواجد بين مجموعة من الناس			
٥	أتوتر عندما يسألني المدرس أمام الطلاب			
٦	أرتبك عندما أحاول شرح موضوع الدرس			
٧	أتلعثم بالكلام عندما أتحدث مع الآخرين			
٨	تزداد ضربات قلبي عندما يُطلب إلي التحدث أمام حشد من الناس			
٩	أحرج من الوقوف أمام الطلاب			
١٠	أخشى أن يسخر الآخرين مني عندما أتحدث أمامهم			
١١	أفضل الجلوس وحدي بعيداً عن الآخرين			
١٢	يحمر وجهي عندما يطلب مني المدرس التحدث أمام الطلاب			
١٣	أكره أن ينظر الآخرين إلي			
١٤	أفضل القيام بأي عمل على التحدث بحضور الآخرين			
١٥	أجد صعوبة في نطق جملة كاملة أمام مجموعة من الناس			
١٦	أتوتر عندما يطلب مني المدرس الكتابة على السبورة أمام أنظار الطلاب			
١٧	عندما يسألني المدرس أنسى الإجابة بالرغم من معرفتي بها			
١٨	أشعر بالارتباك عندما أتحدث مع مجموعة من الجنس الأخر			
١٩	عندما يُطلب مني التهيؤ لقراءة موضوع الدرس القادم أتضايق مع اقتراب الموعد			
٢٠	يقلقني مجرد التفكير بأني سأتحدث أمام الآخرين			
٢١	أخاف من أن يكلفني المدرس بأن أكون مسئولا عن مجموعة من الزملاء في القيام بنشاط معين			
٢٢	أتحدث بطلاقة عندما أكون وحدي إلا أنني أشعر بالقلق عندما أتخيل فعل ذلك أمام الآخرين			
٢٣	أتجنب القيام بأي عمل بحضور الآخرين			
٢٤	أحاول الإجابة عن الأسئلة الموجهة إلي بسرعة وباختصار قبل أن ينتبه الآخرين إلى كلامي			
٢٥	أبتعد عن المواقف التي تحدث فيها مناقشات ،خوفاً من أن يطلب مني التحدث			

ملحق (٢)

أسماء الأساتذة الخبراء المحكمين على صلاحية مقياس القلق من الحضور

ت	اسم الخبير ولقبه العلمي	الاختصاص	الكلية – الجامعة
١.	أ.د.أحمد عبد اللطيف السامرائي	علم النفس الاجتماعي	كلية الآداب / جامعة بغداد
٢.	أ.د.الهام عبدالله الخطاب	اختصاص أمراض نفسية	كلية الطب / جامعة الموصل
٣.	أ.د. باسل محمد الجلبي	اختصاص أمراض نفسية	كلية الطب / جامعة الموصل
٤.	أ.د. بثينة منصورالحلو	علم النفس الاجتماعي	كلية الآداب / جامعة بغداد
٥.	أ.د. خليل إبراهيم رسول	قياس وتقويم	كلية الآداب / جامعة بغداد
٦.	أ.د.سمير يونس محمود	صحة نفسية	كلية التربية/جامعة الموصل
٧.	أ.د. صالح مهدي صالح العبيدي	إرشاد نفسي وتوجيه تربوي	كلية التربية –الجامعة المستنصرية
٨.	أ.د.عبدالاميرعبودالشمسي	علم النفس التربوي	كلية التربية–ابن رشد/ جامعة بغداد
٩.	أ.د.كامل علوان الزبيدي	صحة نفسية	كلية الآداب / جامعة بغداد
١٠.	أ.د.محمد أنور السامرائي	قياس وتقويم	كلية التربية–ابن رشد /جامعة بغداد
١١.	أ.د. نادية شعبان مصطفى	علم نفس الخواص	كلية التربية /الجامعة المستنصرية
١٢.	أ.د. يحيى داود الجنابي	إرشاد نفسي وتوجيه تربوي	كلية التربية /الجامعة المستنصرية

ألفاظ القرآن الكريم
في شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي

د. اسراء وجيه خطاب
معهد اعداد المعلمات/ تكريت

المقدمة

الحمد لله بجميع المحامد على جميع النّعم ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث الى خير الأمم٠ وآله وصحبه مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم ٠

وبعد:

فلا يختلف اثنان في ان للعرب تراثا ضخما، وحضارة عريقة، ويعد هذا التراث جزءا أصيلا من كيانهم ووجودهم، والمفضليات جزء من هذا التراث الضخم الأصيل، وهي أقدم ما وصل إلينا من مختارات الشعر العربي . اختارها راوية الكوفة أبو العباس المفضل بن محمد بن أبي يعلى الضبي (ت١٦٨هـ)، وهو أوثق من روى الشعر القديم، ولولاه لضاع الكثير من أشعار الجاهلية وصدر الإسلام.

وكان ابن النديم (ت٣٨٥هـ) أول من تكلم على المفضليات مبينا سبب تأليفها وعدد قصائدها، فقال: ((وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة المفضليات وهي مئة وثمان وعشرون قصيدة،وقد تزيد وتنقص، وتتقدم القصائد وتتأخر، بحسب الرواية عنه والصحيحة التي رواها عنه ابن الاعرابي))[١] .

حظيت المفضليات بعناية كثير من العلماء والباحثين على مر العصور فتصدى لشرحها كثير من العلماء مثل ابن الانباري (ت٣٠٥هـ) وابن النحاس (ت٣٣٨هـ) والمرزوقي (ت٤٢١هـ) والتبريزي (ت٥٠٢هـ) والميداني (ت٥١٨هـ). كذلك لقيت المفضليات بعناية العلماء في عصرنا هذا، فتوافر على نشرها وضبط نصوصها وتحقيق اصولها نخبة من المستشرقين ومن العرب، وكانت قد صدرت في طبعات جيدة مفهرسة في أوربا وفي مصر[٢] .

١٣.	أ.م.د.أسامة حامد	علم النفس التربوي	كلية التربية / جامعة الموصل
١٤.	أ.م. د.إنعام لفتة موسى	علم النفس العام	كلية الآداب / جامعة بغداد
١٥.	أ.م.د.بتول بناي زبيري	إرشاد نفسي وتوجيه تربوي	كلية التربية / جامعة البصرة
١٦.	أ.م.د. سناء مجول فيصل	قياس وتقويم	كلية الآداب /جامعة بغداد
١٧.	أ.م.د.علاء الدين كاظم عبدالله	إرشاد نفسي وتوجيه تربوي	كلية التربية /جامعة كركوك
١٨.	أ.م.د.علي عودة	علم النفس العام	كلية الآداب /الجامعة المستنصرية
١٩.	أ.م.د.قيس محمد علي	علم نفس تربوي	كلية التربية / جامعة الموصل
٢٠.	أ.م.د. نبيل عبد الغفور	قياس وتقويم	كلية التربية /الجامعة المستنصرية
٢١.	د.عامر عماش	طبيب أمراض نفسية	مستشفى ابن رشد للأمراض النفسية
٢٢.	د.محمد عبد الرضا القريشي	طبيب أمراض نفسية	مستشفى ابن رشد للأمراض النفسية

ألفاظ القرآن الكريم في شرح اختيارات المفضل:

نزل القرآن الكريم فكان معجزة تحدى به الله _ سبحانه وتعالى_ العرب، بل الناس كافة ووقف إزاءه المشركون عاجزين عن الإتيان بمثله، فقد أنزل بلغة عربية فصحى بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[٣]

ولما كان الشعر ديوان العرب وعنوان مفاخرهم، فهو المرآة الصادقة لحياتهم والصورة الحية لأفكارهم، وآلامهم ومطامحهم فهو الذي حفظ للعرب مجدهم الأدبي، وتجلت فيه قدرتهم على البيان وبراعتهم في فن القول. فلا نعرف امة توغل الشعر في حياتها توغله في العرب ونظرة واحدة إلى تراثنا الأدبي الأصيل تجعلنا نفهم ان جميع العرب شعراء فمن لم يمتلك من العرب موهبة نظم الشعر لابد أن يتذوقه ويحفظ منه ويستشهد به.

من هنا نعلم ان هناك رابطة قوية وعلاقة متينة بين القرآن الكريم والشعر العربي، بدليل قول ابن عباس (رضي الله عنهما): ((الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه)) [٤] ، وقال أيضا: ((إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب))[٥]

ومن خلال ما ذكر ندرك الصلة الوثيقة بين القرآن الكريم والشعر العربي وتبين لنا بأن القرآن الكريم نزل بلغة عربية فصحى، وهي لغة قريش.

حاولت في بحثي هذا أن اعمل استقصاء ما ورد من نصوص قرآنية في شرح التبريزي لاختيارات المفضل الضبي واتي بلغ عدد أبيات قصائدها (٢٦٦٤) بيتا[٦] فسعيت إلى تقسيمها على وفق ما وجدته مناسبا لذلك وهو كالأتي:

١. تفسير معنى الكلمة بآيات الذكر الحكيم.

٢. تفسير الغرض النحوي بآيات الذكر الحكيم.

٣. تفسير معنى البيت بآيات الذكر الحكيم.

وعمدت الى الابتداء بشعر الشعراء الجاهليين فالمخضرمين فالإسلاميين ليكون منهج البحث تأريخيا مرتبا بحسب قدم الشعراء. كما كان ترتيب أبيات كل شاعر بحسب الحروف الهجائية لقوافي بيت الشعر والجدير بالذكر انني استقصيت معاني الكلمات من شرح اختيارات المفضل ، ومن معجم مختار الصحاح ،والمعجم الوسيط.

اولا: تفسير معنى الكلمة بآيات الذكر الحكيم:

شعراء ما قبل الإسلام :

نهج التبريزي في شرحه الكلمات نهجا جديدا فتراه يذكر معنى الكلمة ثم يأتي بما جاء مثلها في القرآن الكريم بدلالة شرحه لكلمة(شيء) التي وردت في شعر الشاعر الجاهلي – افنون التغلبي ذاكرا ماجاء مثلها في القرآن الكريم، قال افنون التغلبي :

الا لستُ في شيءٍ، فَروحَاً مُعاوِيا ولا المُشفِقاتُ، يَتّبِعن الجوارِيا [٧]

قال التبريزي:

((الشيء: اسم لكل مايجوز ان يعلم أو يخبر عنه ، فكأن المراد: ليس إليك من الأمر شيء . وفي القرآن﴿ **لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّـه**﴾[٨] . أي لا تطيق صرفهم، ولا بعثهم انما عليك الإنذار))[٩] .

فسرالتبريزي كلمة (مفكهة)التي وردت في شعر الشاعر الجاهلي بشر بن عمرو بن مرثد ذاكرا مثلها في القرآن الكريم.

قال بشر بن عمرو :

أدماءَ مُفكِهَةً، وفَحْلاً بازِلاً أو قارِحاً، مثل الهراوةِ شَرْجبا [١٠]

قال التبريزي :

((مفكهة : مُعجبة، يقال تفكهنا من كذا أي تعجبنا [١١]وفي التنزيل: ﴿ **فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ** ﴾[١٢] أي ناعمين)).

وضح التبريزي معنى(الم تر) التي وردت في بيت آخر لبشر بن عمرو، ثم ذكر ما جاء منها في القرآن الكريم.

قال بشر بن عمرو :

الم ترَ أن طُولَ الدَّهرِ يُسلي ... ويُنْسِي، مِثْلَما نُسِيَتْ جُذامُ

قال التبريزي

((الم ترَ معناه: اعلم [١٣]،على ذلك قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ**﴾[١٤] و﴿**بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ [١٥])

وفي موضع آخر من شعر بشر بن عمرو وردت كلمة (نصيب) ففسرها التبريزي وذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم:

قال بشر :

وغَيْرَها ماغَيَّرَ الناس، قبلها ... فبانتْ وحاجات النفوس تُصيبُها

قال التبريزي:((تُصيبها: تُريدها [١٦]. من قوله عز وجل ﴿**رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾[١٧] أي أراد)).

شرح التبريزي كلمة (ضنت) التي وردت في بيت الشاعر الجاهلي ــ تأبط شراً ــ فبعد أن شرحها، ذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم.

قال تأبط شراً:

اني، إذا خلةٌ ضَنت بِنائِلها ... وأمسَكَتْ بضَعِيفِ الوَصْلِ احْذاق

قال التبريزي:((ضنت: بخلت، ومصدره الضن والضنانة.ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[١٨])).

وسار التبريزي على المنهج نفسه وهو يفسر بيت آخر للشاعر تأبط شراً وردت فيه كلمة (ساق) فشرحها وذكر مثيلها في القرآن الكريم.

قال تأبط شرا:

يسري على الأَينِ والحياتِ، مُحتَفِياً ... نفسي فِداؤك من سارٍ على ساق

قال التبريزي :

((قوله:(من سار على ساق)يحتمل ان يكون المراد بـ (الساق) الشدة.ومنه: قامت الحرب على ساق [١٩])). ﴿وَيَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [٢٠]

وقف التبريزي عند كلمة عرفانها التي وردت في بيت الشاعر الجاهلي جابر بن حني ففسرها ثم جاء بمثيلها من القرآن الكريم.

قال جابر بن حني:

ظَلِلتُ على عِرفانِها، ضَيْفَ قَفْرةٍ ... لأقضي منها حاجةَ المُتلَوِمِ

قال التبريزي :

((يجوز أن يكون العرفان من قوله تعالى:﴿ **وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾[٢١] . قيل معناه حدها لهم، والعُرَف: الحدود واحدها عُرفة)) [٢٢].

وفسر التبريزي كلمة(تختفضي)التي وردت في بيت الشاعر الجاهلي – الجميح – ذاكرا ماجاء مثلها في القرآن الكريم:

قال الجميح :

فان تقري بناعينا، وتختفِضي ... فينا وتَنْتَظِرِي كَرّي وتَغَريبي

قال التبريزي:

((تختفضي: يجوز ان يكون من الخفض والدعة، ويكون المراد أنها ترضاها غنى وسعة عيش فينا، ويجوز ان يكون من الخفض ضد الرفع [٢٣])). كقوله تعالى : ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [٢٤].

فسر التبريزي كلمة (يعيث) التي وردت في شعر الشاعر الجاهلي الحارث بن حلزة ثم ذكر مثلها في القرآن الكريم:

قال الحارث بن حلزة :

يَتْرُكُ ما رَقَّح [٢٥]، مِن عَيشِهِ يَعِيثُ فيه هَمَجُ [٢٦]،هامِجُ

قالالتبريزي:

((ويقال: عاث في المال وعثا يعثو عثوّاً اذا أفسد. فمن قال عاث قال يعَيث عيثاً. ويقال عَثي وبهذا جاء القرآن[٢٧]))، قال الله عز وجل ﴿ **وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[٢٨].

ثم وردت كلمة (يرتجي) في موضع آخر من شعر الحارث بن حلزة ففسرها التبريزي واستند في تفسيرها الى القرآن الكريم.

قال الحارث:

لا يرتجي للمال، يُنفِقُهُ سَعدُ النجوم، اليه كالنَّحْسِ

قال التبريزي:

((قوله (لايرتجي):أي لايخاف الفقر فيندم على ما يبذله. من قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كانوا لا يرجون حسابا﴾[٢٩] أي لايخافون [٣٠])).

فسر التبريزي كلمة (العفو) التي وردت في موضع آخر للشاعر حارث بن حلّزة ثم ذكر مثيلها في القرآن الكريم.

قال الحارث:

لِمَنِ الدِّيارُ، عَفَونَ بالحَبْسِ [٣١] آياتُها [٣٢] كَمهارِقِ [٣٣] الفُرْسِ

قال التبريزي:

((وذكر بعضهم ان العَفْوَ والعَفا من وادٍ واحد،قال: لأن معنى قول الله تعالى﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ** ﴾[٣٤]

معناه: محا الله عنك ذُنوبَك، والدُّروس كالانمحاء [٣٥])) .

فسر التبريزي كلمة(السبوح) الواردة في بيت الشاعر الجاهلي سلمة بن الخرشب ، ذاكرا ماورد مثلها في القرآن الكريم.

قال سلمة بن الخرشب:

غَدَوتُ بهِ، تُدافِعُني سَبُوحُ فَراش[٣٦]نُسورِها [٣٧] عَجَمُ [٣٨] جَرِيمُ [٣٩]

قال التبريزي: ((

(تدافعني سبوح) يعني: ان فرسَه نشيط وبينهما مدافعة، اذ كانت لاتستمر، من فرط نشاطها على حالة واحدة في الجري. والسبوح: التي كأنها تسبح في سيرها لسرعتها،وأصل السبح: التصرف[٤٠])). وفي القرآن ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾[٤١].

فسر التبريزي كلمة (أجمعت) التي وردت في بيت الشاعر الجاهلي الشنفرى، ثم ذكر مثيلها في القرآن الكريم:

قال الشنفرى :

ألا، أُمّ عَمرو أجمَعَتْ فاستَقَلَّتِ وما وَدَّعت جِيرانها، إذ تَوَلَّتِ

قال التبريزي:

((يقال أجمعت كذا، إذا عزمت عليه)) [٤٢] . وفي القرآن ﴿**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ**﴾ [٤٣]

فسر التبريزي كلمة(طحا) التي وردت في بيت الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة ، وذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم.

قال علقمة بن عبدة :

طحا بِك قَلبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيدَ الشَّباب، عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

قال التبريزي:

((طحا: اتسعَ وامتدَّ. ومصدرُهُ الطُّحُوُ والطَّحْيُ))[٤٤] . وفي التنزيل ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [٤٥] .

وانبرى التبريزي يفسر كلمة الطعام التي وردت في بيت آخر للشاعر علقمة بن عبدة ثم يذكر دليلا يوضح مافسره من القرآن الكريم.

قال علقمة بن عبدة :

وقد أُصاحِبُ أقواماً، طَعامُهُمُ ... خُضْرُ المزادِ، ولَحمٌ، فيه تَنْشِيمُ

قال التبريزي:

((ويمكن ان يقال في (الطعام) انه يشمل الماء وغيره من الغذاء، بدلالة قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [٤٦]. يعني الماء[٤٧])) .

فسر التبريزي كلمة (القواء) التي وردت في شعر الشاعر الجاهلي عوف بن الأحوص و ذكر بأنها مشتقة من قول الله تعالى.

قال عوف بن الاحوص:

ومُستَنْبِح يخشى القَواءَ، ودُونَهُ ... من الليل، بابا ظُلْمَةٍ وُستُورُها

قال التبريزي:

((القواء: الخالي من الارض أي يخشى الهلاك في القواء. والقواء: ذهاب الزاد، وهو مشتق من هذه الارض وهو القي وهو من قوله عز وجل ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [٤٨]. وهم الذين ذهب زَادُهُم[٤٩])) .

فسر التبريزي كلمة(الوضين) التي وردت في شعر الشاعر الجاهلي المثقب العبدي وذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم :

قال المثقب العبدي:

بِصادقِةِ الوَجِيفِ، كأن هِرّاً ... يُبارِيها ويأخذ بالوَضِينِ

قال التبريزي:

((يأخذ بوضينها: أي حزام رحلها، ويجوز ان يكون الوضين هنا ماوَضِن من رحلها وآلاتها بعضها على بعض ومنه قوله عز وجل﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [٥٠].

وكما تُوضَن حَلَق الدّرِعِ مضاعفة. وقال بعضهم: اذا نَضدتَ السرير بعضه الى بعض فهو موضون)) [٥١].

فسر التبريزي كلمة(يَعْبد) التي وردت في بيت شعر الشاعر الجاهلي المرقش الأصغر، وذكر مثيلها في القرآن الكريم:

قال المرقش الاصغر:

متى مايشأ ذو الوُدَّ يَصْرِمِ خَليلَهُ ... ويَعْبَدُ عليه، لامَحالةَ، ظالما

قال التبريزي : (((يَعْبَد): يغضب، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٥٢] أي الغاضبين[٥٣])) .

ب ـ الشعراء المخضرمين :

وضع التبريزي فرقا بين كلمة (انكرت) وكلمة (نكرته) التي وردت في بيت شعر للشاعر أبي قيس بن الاسلت و ذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم.

قال ابو قيس:

انكرته حين تَوَسمْتُهُ ... والحرْبُ غُولٌ، ذاتُ أوجاع

قال التبريزي :

((أنكرتُ الرجلَ: إذا كنت من معرفته في شك ونكَّرنه إذا لم تعرفه[٥٤])) .

قال الله عز وجل﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [٥٥].

ووردت كلمة(تجزي) في موضع آخر من شعر ابي قيس ففسرها التبريزي ثم بين معناها إذا كانت مهموزة أو غير مهموزة ثم جاء مثلها في القرآن الكريم.

قال أبو قيس:

لاتألمُ القتل، ونجزي به الـ ... أعداء ، كيل الصاع بالصاع

قال التبريزي:

((نجزي: بلا همز: نقضي يقال جزى هذا عن هذا ومنه قول الله عز وجل﴿ **يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شيئا**﴾ [٥٦]. فإذا كانت بمعنى كفى(همز)،قد أجزأني هذا بمعنى كفاني))[٥٧]

فسر التبريزي كلمة (متقسم)التي وردت في شعر المخضرم الحصين بن الحمام ثم ذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم.

قال الحصين بن الحمام:

موالينا. مَولى الوِلادة[٥٨] منهُمُ ومَولى اليَمينِ[٥٩]، حابِساً مُتقسَّما

قال التبريزي :

((يكون (متقسم) من القسَم: اليمين[٦٠]، قاسمتُ فلاناً ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[٦١]))٠

فسر التبريزي كلمة (دوسرة) التي وردت في شعر المخضرم عبدة بن الطيب و ذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم.

قال عبدة بن الطيب:

بجَسْرَةٍ [٦٢]، كعَلاةِ القَيْنِ، دَوسَرَةٍ فيها، على الأينِ[٦٣]، ارقالٌ وتَبغيلُ[٦٤]

قال التبريزي:

((دَوْسَرة: قوية، وهو فوعلة من الدسر وهو إحكام الشيء. وفي القرآن﴿ **وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾ [٦٥] جمع دِسار وهي المسامير[٦٦]))٠

كما وردت كلمة(قنوان) في بيت آخر لعبدة بن الطيب، ففسرها التبريزي ثم ذكر ماجاء مثلها في القرآن الكريم.

قال عبدة:

عَنْسٍ [٦٧] تشِيرُ بقنوانٍ، اذا زُجِرَتْ مِن خصْبَةٍ[٦٨]، بَقِيَتْ فيها شَعاليلُ

قال التبريزي: ((قنوان: جمع القنو. وهو العذق بما عليه قبل أن ينضج. وفي التنزيل﴿**قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ**﴾ [٦٩] فهذا جمع. ولو ثني القنو لقيل: قنوان. وهذا غريب ومثله صنو وصنواناً وصنوان ويقال: قنو وقنا))[٧٠].

وردت كلمة (قعيد) في بيت الشاعر المخضرم متمم بن نويرة،ففسرها التبريزي ثم جاء بمثلها في القرآن الكريم.

قال متمم :

قعيدكِ، الاتسمعيني مَلامَةً ولاتنكئي قرحَ الفؤاد فييجعا

قال التبريزي :

((قعيدك في معنى نشدتك [٧١]، وفي التنزيل ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾[٧٢]))٠

و فسر التبريزي كلمة(يُنزع) التي وردت في بيت آخر لمتمم بن نويرة ثم جاء بما ذكر مثلها في القرآن الكريم.

قال متمم بن نويرة:

تئِقٌ [٧٣]، اذا أرسَلتَهُ ، مُتقاذِفٌ طُماح [٧٤] أشرافٍ، اذا مايُنزَعُ

قال التبريزي:

((قوله: (إذا ما ينزعُ) أي يُرد عن قصده ويستأنف به غيره ويقال: نزعت الخيل سَنناً، إذا جرت طلقا ونزع بحجته: حضر بها[٧٥].وفي القرآن ﴿**وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾ [٧٦])).

نجد التبريزي يقارب بين معنى القتر والقدر التي وردت في شعر المخضرم مزرد بن ضرار ويجد له دليلاً من القرآن الكريم.

قال مزرد:

ومَسفوحة(٧٧)**، فضفاضة، تُبَّعِيَّة**(٧٨)   **وآتها القَتير تَحتويِها المَعابِل**(٧٩)

قال التبريزي:

((القتير: رؤوس المسامير. وهو فعيل في معنى مفعول، والقتر والقدر يتقاربان. وفي التنزيل ﴿**وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**﴾ (٨٠) وهو أن يكون الثقب والمسمار من القصد على حد واحد لايقلق))(٨١).

جـ_ الـشـعـراء الإسـلاميـين :

فسر التبريزي كلمة(بلاء) التي وردت في بيت الشاعر الإسلامي المرار بن منقذ ، ذكر ما جاء مثلها في القرآن الكريم.

قال المرار بن منقذ:

إن تَرَيْ شَيَباً فاني ماجدٌ   **ذو بلاء حَسَنٍ، غيرُ غُمُر**

قال التبريزي:

((البلاء: الاختبار، والبلاء أيضا من البلوى(٨٢) . ﴿**وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ (٨٣).

قال:والبلاء قد يكون نِعَماً وعذاباً، آلا ترى انك تقول: إن فلانا لحسن البلاء عندي تريد: الإنعام عليك))(٨٤).

ثانيا: تفسير الغرض النحوي بآي الذكر الحكيم:

ا _ شـعـراء مـا قـبـل الإسلام :

اتبع التبريزي منهجاً آخرَ في شرحه لاختيارات المفضل، فنجده يلتمس شاهداً نحوياً فيشرحه شرحاً وافياً، ثم يأتي بشاهدٍ من القرآن الكريم مشابهاً أو مقارباً لما ذكره، فمثلاً نجده يذكر ان التأكيد سبب لإعادة كلمة(منها) التي وردت في شعر تأبط شرا واستدل على ذلك بشاهد من القرآن الكريم.

قال تأبط شرا:

لاشيءَ في رِيْدِها(٨٥)**، إلا نَعامتُها**(٨٦)   **مِنها هَزِيمٌ** (٨٧)**، ومنها قائمٌ باقي**

قال التبريزي:

((يقول لاشيء في أعالي هذه القلة إلا خشبات الطلائع، فهي من بين قائم وساقط، فأعاد قوله(منها) عند التبيين على طريق التأكيد، ولو لم يأت به لجاز(٨٨) . وفي القرآن ﴿ **مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ**﴾ (٨٩) وفي موضع آخر ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾(٩٠))).

استنبط التبريزي مثالا من القرآن الكريم يوضح أن(من) التي وردت في بيت تأبط شراً تفيد التبيين.

قال تأبط شراً :

ياعيدُ مالكَ من شوقٍ، وإيراق   **ومَرَّ طيف على الأهوالِ، طَرَّاق؟**

قال التبريزي:

((موضع (من) من قوله(من شوق) تبيين(٩١) مثل قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ** ﴾(٩٢))).

حدد التبريزي المصدر المضاف إلى مفعول في شعر ثعلبة بن صعير، ثم استشهد له بشاهد من القرآن الكريم.

قال ثعلبة بن صعير:

وإذا خليلك لم يَدم لك وصلُه   **فاقطع لُبانَتَهُ، بِحَرفٍ، ضامِرِ**

قال التبريزي:

((فاقطع لبانته، أضاف المصدر إلى المفعول، والمعنى حاجتك اليه، فهو كقولك:أعجبني ضرب زيدٍ عمرو(٩٣)وفي التنزيل﴿ **لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ**﴾ (٩٤))).

فسر التبريزي كلمة(خرّ) التي وردت في شعر جابر بن حني، وأعدها مما يقدم المسبب على السبب ، ثم جاء بشاهد من القرآن الكريم.

قال جابر بن حني:

تناوله بالرمحِ، ثم أثنى له فخر صَريعاً، لليدينِ وللفمِ

قال التبريزي:

((خرَّ أي سقط ، وصريعاً انتصب على الحال، وهذا مما قدم فيه المسبب على السبب،لأنه صرع فسقط، ومثله ﴿**خَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾ (٩٥) لأنه صعق ثم خرَّ(٩٦)))٠

أعطى التبريزي معنىً وافياً لحرف الاختصاص(أما) التي وردت في شعر الجميح ثم جاء بشاهد من القرآن الكريم ، مماثل لما فسر.

قال الجميح:

أَمَّا إذا حَرَدت حَرْدِي، فَمُجْرِيةٌ ضبطاء، تمنع غِيلاً غَيرَ مَقروبِ

قال التبريزي:

((أما حرف اختصاص، وأكثر مايجيء مكرراً في تفصيل مهمة تقول جاءني بنو تميم، أما فلان فلكذا وأما فلان فلكذا، وقد يجيء غير مكرر في الشعر، وفي القرآن قد جاء مكرر وغير مكرراً(٩٧)... وأما الذي جاء في القرآن من (أما) ولم يكرر فقوله: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ (٩٨)))٠

يبين التبريزي من خلال شرحه لبيت آخر للجميح أن العامل في باب البدل من جملة التوابع يعاد، واستدل على ذلك بشاهد من القرآن الكريم.

قال الجميح:

حتى أجازي، بالذي اجترَمَتْ عَبس، بأسوأَ ذلك الجُرْمِ

قال التبريزي (((بأسوأ ذلك الجرم) بدل من قوله(بالذي اجترمت عبس) والعامل في باب البدل من جملة التوابع يعاد، يشهد له ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ**﴾ (٩٩) فأعاد اللام، كما أعاد هذا الشاعر الباء(١٠٠)))٠

نقل التبريزي رأي النحويين في معنى(هل) التي وردت في شعر الحادرة ثم استشهد عليها بشاهد من القرآن الكريم.

قال الحادرة:

أسُمَي ويحكِ، هل سمِعتِ بغَدرَةٍ رُفِعَ اللواءُ لنا بها، في مَجمَعِ

قال التبريزي:

((ذكر النحويون ان(هل) لاستئناف الاستفهام يراد أنه لايقرر به كما يقرر بألف وفسر قوله تعالى ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ**﴾ (١٠١) على ان معناه قد أتى على الإنسان(١٠٢)))٠

أوضح التبريزي المعنى الأصلي لـ (لا) التي وردت في بيت ذي الإصبع العدواني وضرب مثالا لها من القرآن الكريم.

قال ذو الإصبع:

لسنا بعالين دارَ عادِيَةٍ الا تبدرْنَ نهبَها مُزَعَا

قال التبريزي:

((قوله: الا تبدرن. وضع(لا) موضع(لم) كقوله تعالى: ﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى**﴾(١٠٣) كأنه قال: ان لم تبدرن نهبها مزعا فلسنا بعالين(١٠٤)))٠

أوضح التبريزي المعنى النحوي لـ (ماذا) التي وردت في بيت آخر لذي الأصبع العدواني وفسره على وجهين مستشهداً عليها بشاهد من القرآن الكريم.

قال ذو الأصبع:

ماذا علي، وان كنتم ذَوي كَرَمٍ ألاّ أحبكم، إذ لم تُحِبوني

قال التبريزي: ((يجعل (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد، ويكون في موضع الابتداء و (علي) في موضع الخبر كأنه قال: أي شيء علي. وقد يجعل (ما) منفصلا عن (ذا) ويكون (ذا) بمنزلة (الذي) كأنه قال: ما الذي علي وعلى هذين الوجهين يحمل[١٠٥] قوله تعالى ﴿ **مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا** ﴾[١٠٦]. وفي موضع آخر:﴿ **مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[١٠٧]))٠

أوضح التبريزي المعنى النحوي لـ (ما) التي وردت في شعر سلامة بن جندل، ثم جاء بمثال عليها من القرآن الكريم.

قال سلامة :

مما يُقَدّم في الهيجا، إذا كُرِهَتْ الى الطعان، وينجي كل مَكروبِ

قال التبريزي: ((

(ما) تكون غير موصوفة ولا موصولة. وفي التنزيل ﴿**فَنِعِمَّا هِيَ**﴾[١٠٨] أي نعم الشيء هي[١٠٩]))٠

أوضح التبريزي أنّ (الباء) تكون في بعض المواضع بمعنى (عن) وجاء بمثال من القرآن الكريم، وبين ذلك من خلال شرحه لبيت علقمة بن عبدة٠

قال علقمة:

فان تسألوني بالنساء فإنني بَصيرٌ بأدواء النساءِ، طبيبُ

قال التبريزي:

((بالنساء يريد . عن النساء[١١٠] . وفي القرآن ﴿**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾[١١١]))٠

أوضح التبريزي من خلال شرحه لبيت المثقب العبدي على ماذا يجاب بـ(نعم) وبـ(بلى) وجاء بشاهد من القرآن الكريم يثبت مابينه.

قال المثقب :

لاتقولن إذا ما لم تُرِدِ ان تُتِم الوعد في شيء نعم

قال التبريزي: ((قوله نعم: في موضع المفعول لقوله(لا تقولن) وهو حرف يجاب به الاستفهام المحض، كما ان (بلى) يجاب به الاستفهام المقرون بالنفي[١١٢]وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ**﴾ [١١٣].وفي موضع آخر﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [١١٤]))٠

حدد التبريزي المعنى النحوي والموضع الإعرابي لجملة((تسل حاجتها)) التي وردت في شعر المسيب بن علس ثم جاء بما يماثلها من اي الذكر الحكيم.

قال المسيب :

فَتَسلَّ حاجتها، إذ هي أَعْرَضَتْ بخميصَةٍ، سُرحُ اليدين وَسَاعِ

قال التبريزي : ((وقوله: (فتسل حاجتها) أجري مجرى المصدر وأضافه إلى المفعول، فكأنه قال تكلف السلو عن حاجتك إليها فهو كقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ**﴾ [١١٥].أي تكلف السلو بركوب ناقة هذه صفتها[١١٦]))٠

ب. الــشــعــراء الــمــخــضــرمــيــن:

بيّن التبريزي ان الاثنين من الاثنين تجمع بخلاف الاثنين من الواحد، قال ذلك وهو يفسر شعر أبي ذؤيب الهذلي، ويستند بذلك على القرآن الكريم.

قال ابو ذؤيب:

فَالعَينُ بعدهم كأن حِداقها سُمِلَت بشوك فهي عورٌ تدمع

قال التبريزي: (((كأن حداقها) فجمع الحداق ،لأنه اثنان من اثنين أي حدقتان من عينين وهم يجعلون الاثنين من الاثنين جمعا، فرقاً بين الاثنين من واحد ، وفي القرآن ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [١١٧] . لما كان لكل واحد منهما يمين واحدة)) [١١٨].

استشهد التبريزي على حذف الضمير بعد(نعم وبئس) الذي ورد في بيت شعر لعامر بن الطفيل بشاهد من القرآن الكريم.

قال عامر بن الطفيل:

فبئس الفتى، إن كُنتَ اعورَ عَاقِراً   جباناً، فما عُذري لدى كل مُحْضَرِ

قال التبريزي : ((المذموم بقوله (بئس الفتى) نفسه، وقد حذف ضميره كأنه قال: (أنا) ومثله قوله تعالى: ﴿**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[١١٩] يعني أيوب))[١٢٠].

عد التبريزي اللام الداخلة على الأمانة التي وردت في شعر متمم بن نويرة لام التأكيد، وجاء بمثال من القرآن الكريم.

قال متمم :

صَرَمت زنيبة حَبل من لا يقطعُ   حَبلَ الخليل، وللأمانةَ تَفْجَعُ

قال التبريزي: ((

ويروى (وللأمانةِ يفجع) ويكون كقوله تعالى :﴿**لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ [١٢١]. والمعنى للذين هم يرهبون ربهم ودخول اللام للتأكيد)) [١٢٢].

أوضح التبريزي من خلال شرحه لبيت آخر لمتمم بن نويرة أن الكلام إذا تضمن معنى الشرط دخلت عليه الفاء ، واستدل على ذلك بشاهد من القرآن الكريم.

قال متمم :

فله ضريبُ الشَولِ، الاسُؤره   والجلُّ، فهو مريب لايخلع

قال التبريزي : ((وقوله: (فهو مريب) يجري مجرى لزوم الجل له، ولولا تضمن الكلام معنى الشرط ، لكان لا تدخل الفاء في قوله(فهو)[١٢٣] ومثل هذا قوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾)) [١٢٤].

أوضح التبريزي وهو يفسر بيت الشاعر مزرد بن ضرار أن معنى (أو) يرجع إلى معنى (الواو)

واستدل لذلك بشاهد من القرآن الكريم.

قال مزرد :

أولئك، أو تلك المناصي رباعها   مع الريد، أولاد الهجان، الأوابد

قال التبريزي : ((قوله(أو تلك المناصي) هي (أو) التي تكون للإباحة كالتي في قوله: ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ﴾ [١٢٥] . فمعناه يرجع إلى معنى الواو. ولهذا قيل معناه: ويزيدون))[١٢٦].

ثالثا: تـفـسـيـر معنى البـيـت بـآي الـذكر الـحـكيم:

أ. شـعـراء مـا قـبـل الإســـلام :

ينحو التبريزي في شرحه منحىً آخر فنجده يشرح البيت ويفسر معناه ثم يأتي بشاهد من القرآن الكريم.

فقد فسر بيت للشاعر سلمة بن الخرشب ، ثم استدل على تفسيره بشاهد من القرآن الكريم.

قال سلمة :

تُعَوَّذُ بالرُّقى من غير خَبلٍ   وَتٌعقَدُ في قلائِدِها التَّميمُ

قال التبريزي: ((تعوذ من صفة الفرس أي تعوذ من العين لا تصيبها. والخبل: الداء. والتميم: جمع تميمة وهو التعويذ ويقال: ان الجن تعبث بالخيل. وقوله عز وجل :﴿**وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ** ﴾ [١٢٧]. يعني الجن. ويقال إن الجن لا تقرب داراً فيها فرس إلا انه ربما عبث بها المريد من الجن فتعلق عليها العوذ لذلك))[١٢٨].

وفي موضع آخر نجد التبريزي يفسر بيتاً لعبد قيس بن خفاف ثم يأتي بشاهد من القرآن الكريم يثبت فيه مافسره.

قال عبد قيس:

وَإذا لَـقيتَ القَومَ فَأضرِب، فيهِمُ حتى يَروكَ طِلاءَ أَجرَبَ مُهمَلِ

قال التبريزي: ((أضرب فيهم: ليس يريد المضاربة بالسيوف إنما يريد ايقاع التحريش بينهم، والتضريب وموافقتهم على

مايبدر منهم حتى يتحاماه الاشرار كما يجانب طلاء الجربى[١٢٩]وفي التنزيل ﴿**مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾)) [١٣٠].

ب. الشعراء المخضرمين :

فسر التبريزي بيت الحصين بن الحمام ثم جاء بشاهد من القرآن الكريم يعزز فيه ما فسره به٠

قال الحصين:

نُطَارِدُهُم نَستنقِذُ الجُردَ كالقَنا ويستنقِذون الّسمهَري المُقَومَّا

قال التبريزي : ((أي نقتل الفرسان ونكبهم فنحتوي دوابهم إذا سقطوا، ونجرهم الرماح أو نكسرها فيهم. فنقائذنا منهم

الخيل، ونقائذهم منا الرماح... وفي هذا الكلام ضرب من الهزء لما فيه من مطابقة الكلام[١٣١] فهو من باب ((**سخر الله منهم**))[١٣٢]. و﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا**﴾ [١٣٣] وماأشبهه)).

فسر التبريزي بيت عبدة بن الطيب ثم جاء بمثال من القرآن الكريم بما يؤكد مافسره.

قال عبدة :

اذا أشرَف الديكُ يَدعو بَعضَ أَسرته لدى الصَباح وهم قوم معَازيل

قال التبريزي: ((كأنه تصور أن الصبح مغلوب بسلطان الليل فاستصرخ له واستنصر لمغوثته، فخذَله المستنصرون منهم لانهم معازيل لا يحملون السلاح، ولما توسع سمى الديوك (أسرة) يدعون سماهم (قوما معازيل) وجعل ضميرها في

الإخبار عنها ضمير العقلاء[١٣٤] كقوله تعالى:﴿**رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾)) [١٣٥]

ومن خلال ما بحثناه في أشعار الشعراء الذين اختارهم المفضل الضبي اتضح لنا :–

أن اشتمال المفضليات على شعر شعراء ما قبل الإسلام أكثر من اشتمالها على شعر الشعراء الإسلاميين، إذ بلغ عدد الشعراء سبعة وستون شاعرا، سبعة وأربعون منهم جاهليون وأربعة عشر مخضرمون. أما الشعراء الإسلاميون فقد كانوا أقل حظا في الاختيار فقد اختار لستة شعراء إسلاميين فقط. وعدد أبيات قصائدهم (٢٦٦٤) بيتا.

وهكذا اتضح لنا أن جل اهتمام المفضل انصب على الشعراء الجاهليين الذين لم يدركوا الإسلام، ولم يعرفوا القرآن الكريم ولم يتطلعوا إلى ألفاظه وعبره وحكمه، ومع هذا نجد التبريزي من خلال تفسيره لأشعار شعراء المفضليات، انه انتقى الكثير من الألفاظ والعبارات التي وجدت في أشعار الشعراء وهي مما ذكرت في القرآن الكريم.وهذا برهان واضح على ان القرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصحى وهي لغة العلوم والأداب والفلسفة والاجتماع والتي هزمت أمامها معظم اللغات ٠

وهكذا انبرى التبريزي يتفنن في شرحه للاشعار، فألفيناه تارة يفسر بالقرآن الكريم معنى كلمة وردت في الشعر، وتارة يجعل جسرا يربط بين الغرض النحوي وبين ما ورد في القرآن الكريم من مثله، وتارة اخرى نجده يفسر معنى البيت بأسره، ويرد ماذكر في القرآن الكريم من مثله وهكذا.

الهوامش:

(١) الفهرست: ١٠٨.
(٢) ينظر مصادر التراث العربي.:٣٦.
(٣) سورة الشعراء: الاية ١٩٥.
(٤) الاتقان في علوم القرآن : ٢/٢٠٦.
(٥) نفسه : ٢/٢٠٦.
(٦) ينظر كتاب المكتبة : ٢٢٥.
(٧) شـرح اختيـارات المفضـل :١١٥٦/٣، والبيـت فـي المفضـليات: ٢٦١/١، الحوازي: الكواهن الوحدة حازيه.ينظر: المعجم الوسيط : حوز ٠
(٨) سورة الانعام :١٥٩.
(٩) شرح اختيارات المفضل: ٣/١١٥٠.
(١٠) نفسـه :١١٥٥/٣ ، ينظـر: المفضـليات: ٢٧٧/١، شـرجب: الطويـل. ينظـر :شرح اختيارات المفضل ٠
(١١) نفسه: ١٢١٤/٣.
(١٢) سورة الطور: ١٨.
(١٣) شـرح اختيـارات المفضـل: ١٤١٠/٣–١٤١١، وينظـر: ديـوان بشـر بـن ابـي خازم:٢١.
(١٤) سورة الفجر:٦ .
(١٥) سورة الفيل: ١ .
(١٦) شرح اختيارات المفضل: ١٣٨٠/٣،
(١٧) سورة (ص) : ٣٦٠.
(١٨) سورة التكوير:٢٤ .

(١٩) شرح اختيارات المفضل: ٩٨/١ ـ١٠٠ ، وينظر : المفضليات: ٢٧/١.
(٢٠) سورة القلم: ٤٢.
(٢١) سورة محمد: ٦ .
(٢٢) شرح اختيارات المفضل: ٩٤٣/٢ ، وينظر : المفضليات: ٢٠٩/١.
(٢٣) نفسه:١٦١/١ – ١٦٢ ، وينظر : المفضليات:٣٥/١.
(٢٤) سورة الحجر: ٨٨ .
(٢٥) شرح اختيارات المفضل: ٣/ ١٧٣١، الترقيح: تكسب وطلب الرزق واحتال. ينظر :المعجم الوسيط :رقح ٠
(٢٦) نفسـه : ٣/ ١٧٣١، همـج : اصـله البعـوض وسـميت همجـا لضـعفها.ينظر :مختار الصحاح :همج ٠
(٢٧) نفسه : ٣/ ١٧٣١، وينظر : المفضليات: ٤٣٠/١.
(٢٨) سورة البقرة : ٦٠ .
(٢٩) سورة النبأ: ٢٧.
(٣٠) شرح اختيارات المفضل: ٦٤٠/٢–٦٤١ ، وينظر: المفضليات: ١٣٤/١.
(٣١) نفسـه : ٦٣٢/٢، الحـبس : موضـع وقيـل جبل،أومكـان يحـبس فيـه ٠ينظـر :المعجم الوسيط :حبس ٠
(٣٢) نفسه : ٦٣٣/٢، اياتها: علاماتها٠ ينظر : نفسه :آية ٠
(٣٣) نفسـه : ٦٣٣/٢، المهـارق: صـحف تكتـب عليهـا العهـود ٠ينظـر :نفسـه :مهارق ٠
(٣٤) سورة التوبة: ٤٣.
(٣٥) شرح اختيارات المفضل: ٢/ ٦٣٣، وينظر : المفضليات: ١٣٢/١.

(٣٦) نفسه : ١٨٦/١، الفراش: مارق من العظام، وماتطاير من الحديد وغيره لرقته وخفته.ينظر :نفسه : فرش •

(٣٧) نفسه : ١٨٦/١، النسور: جمع النسر وهو مافي بطن الحوافر كأنه نواة.ينظر :شرح اختيارات المفضل•

(٣٨) نفسه : ١٨٦/١، العجم: النوى وأصله من العجم وهو الغصن.ينظر :مختار الصحاح :عجم •

(٣٩) نفسه : ١٨٦/١، الجريم : المجروم الذي بقي في نخله حتى أتمر فهو أصلب لنواه. ينظر:المعجم الوسيط :جرم •

(٤٠) نفسه : ١٨٥، وينظر : المفضليات: ٣٩/١.

(٤١) سورة المزمل: ٧.

(٤٢) شرح اختيارات المفضل: ٥١٣/١، وينظر : المفضليات: ١٠٨/١.

(٤٣) سورة يونس: ٧١.

(٤٤) شرح اختيارات المفضل: ١٥٧٧/٣، وينظر : ديوان علقمة: ١/١.

(٤٥) سورة الشمس:٦.

(٤٦) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٤٧) شرح اختيارات المفضل: ١٦٢٥/٣– ١٦٢٦، وينظر : ديوان علقمة: ١٠/١.

(٤٨) سورة الواقعة: ٧٣.

(٤٩) شرح اختيارات المفضل: ٨١٣/٢، وينظر : المفضليات: ١٧٦/١.

(٥٠) سورة الواقعة: ١٥.

(٥١) شرح اختيارات المفضل: ١٢٥٥/٣، وينظر : المفضليات: ٢٩٠/١.

(٥٢) سورة الزخرف :٨١.

(٥٣) شرح اختيارات المفضل: ١١٠٣/٢، وينظر : المفضليات: ٢٤٦/١.

(٥٤) نفسه : ١٢٣٥/٣، وينظر : المفضليات: ٢٨٤/١.

(٥٥) سورة هود: ٧٠.

(٥٦) سورة البقرة: ٤٨.

(٥٧) شرح اختيارات المفضل: ١٢٣٩/٣، وينظر :المفضليات: ٢٨٥/١.

(٥٨) نفسه: ٣٢٣/١، مولى الولادة: يعني ابن العم وهو النسيب.ينظر :شرح اختيارات المفضل •

(٥٩) نفسه:٣٢٣/١، مولى اليمين: يعني الحليف لان الذي يحالف يضرب بيمينه على يمين من يحالف.ينظر :نفسه

(٦٠) نفسه : ٣٢٣/١– ٣٢٤، وينظر : المفضليات: ٦٥/١.

(٦١) سورة الاعراف: ٢١.

(٦٢) شرح اختيارات المفضل:٦٤٨/٢، جسرة: هي الناقة الماضية القوية.ينظر :المعجم الوسيط :جسر •

(٦٣) نفسه : ٦٤٨/٢، الاين: الاعياء،والتعب •ينظر : المعجم الوسيط :آن •

(٦٤) نفسه : ٦٤٨/٢، الارقال والتبغيل: ضربات من السير.ينظر :نفسه : أرقل •

(٦٥) سورة القمر: ١٣.

(٦٦) شرح اختيارات المفضل: ٦٤٨/٢، وينظر : ديوان عبدة: ٤٢.

(٦٧) نفسه : ٦٤٨/٢، عنس: العنس: الناقة الصلبة ولنشاطها تشول بذنب لها.ينظر:المعجم الوسيط :عنس•

(٦٨) نفسه : ٦٤٨/٢، الخصبة: الدقلة، وهي اطول النخل سعفا واعرضها خوصا.ينظر : نفسه :خصب•

(٦٩) سورة الانعام: ٩٩.

(٧٠) شرح اختيارات المفضل: ٦٤٨/٢، وينظر: ديوان عبدة: ٢٦.

(٨٨) نفسه : ١/١٢٧، وينظر : المفضليات: ١/٣٠.
(٨٩) سورة هود: ١٠٠.
(٩٠) نفسه : ١٠٥.
(٩١) شرح اختيارات المفضل: ١/٩٥- ٩٧، وينظر : المفضليات: ١/٢٧.
(٩٢) سورة الحج: ٣٠.
(٩٣) شرح اختيارات المفضل: ٢/٦١٦- ٦١٧، وينظر : المفضليات: ١/١٢٩.
(٩٤) سورة فصلت: ٤٩.
(٩٥) سورة الاعراف: ١٤٣.
(٩٦) شرح اختيارات المفضل: ٢/٩٥٥، وينظر : المفضليات: ١/٢١٢.
(٩٧) نفسه : ١/ ١٥٥، وينظر : المفضليات: ١/٣٨.
(٩٨) سورة ال عمران: ٧
(٩٩) سورة الاعراف: ٧٥.
(١٠٠) شرح اختيارات المفضل: ٣/١٥١٠، وينظر : المفضليات: ١/٣٠.
(١٠١) سورة الانسان: ١.
(١٠٢) شرح اختيارات المفضل: ١/٢١٩، وينظر : ديوان الحادرة: ٣.
(١٠٣) سورة القيامة: ٣١.
(١٠٤) شرح اختيارات المفضل:٢/٧٤٤، وينظر : المفضليات: ١/١٦٠.
(١٠٥) نفسه : ٢/٧٦٠، وينظر : المفضليات: ١/١٦٢.
(١٠٦) سورة النحل: ٣٠.
(١٠٧) نفسه : ٢٤.
(١٠٨) سورة البقرة: ٢٧١.
(١٠٩) شرح اختيارات المفضل: ٢/ ٥٧٩، وينظر : المفضليات: ١/١٢٢.
(١١٠) نفسه : ٣/١٥٨٢، وينظر : المفضليات: ١/ ٣٩٢.
(١١١) سورة الفرقان: ٥٩.
(١١٢) شرح اختيارات المفضل: ٣/ ١٢٧٠، وينظر : المفضليات: ١/ ٢٩٣.

(٧١) نفسه: ٢/٦٤٨، وينظر : المفضليات: ١/٢٦٩.
(٧٢) سورة ق :١٧.
(٧٣) شرح اختيارات المفضل: ١/٢٦٠، التئق: الممتلىء نشاطا.ينظر :المعجم الوسيط : تئق ،
(٧٤) نفسه : ١/٢٦٠، الطماح: السامي البصر.ينظر : مختار الصحاح : طمح ،
(٧٥) نفسه : ١/٢٦٠، وينظر : ديوان متمم:١٩.
(٧٦) سورة القصص: ٧٥.
(٧٧) شرح اختيارات المفضل: ١/٤٦٩، المسفوحة: الدروع المصبوبة ينظر : المعجم الوسيط :سفح .
(٧٨) نفسه : ١/٤٦٩، تبعية :أي التابع ،أوالتي تبعت ملك عاد ،ينظر: نفسه : تبع ،
(٧٩) نفسه : ١/٤٦٩، المعابل: اصل العبل: القطع والحبس.ينظر :نفسه :عبل ،
(٨٠) سورة سبأ: ١١.
(٨١) شرح اختيارات المفضل: ١/٤٦٩، وينظر : ديوان مزرد: ٣١.
(٨٢) نفسه :١/٤٠١، وينظر : المفضليات: ١/٨٢.
(٨٣) سورة ابراهيم: ٦.
(٨٤) شرح اختيارات المفضل: ١/٤٠٢.
(٨٥) نفسه : ١/١٢٨، الريد: حرف الجبل المشرف على الهواء.ينظر :المعجم الوسيط : ريد ،
(٨٦) شرح اختيارات المفضل : ١/١٢٨، النعامة: ظله أو علم يتخد من خشب، فربما استظل به وربما اهتدى به. ينظر المعجم الوسيط :نعم ،
(٨٧) نفسه : ١/١٢٨، الهزيم: المتكسر المتقطع.ينظر :نفسه :هزم ،

(١١٣) سورة الاعراف:٤٤.
(١١٤) نفسه : ١٧٢.
(١١٥) سورة ص :٢٤.
(١١٦) شرح اختيارات المفضل: ١/٣٠٨- ٣٠٩، وينظر : المفضليات: ٦١/١.
(١١٧) سورة المائدة: ٣٨
(١١٨) شرح اختيارات المفضل:١٦٩٠/٣، وينظر : المفضليات: ٤٢٢.
(١١٩) سورة ص : ٤٤.
(١٢٠) شرح اختيارات المفضل: ١٤٩٣/٣، وينظر : المفضليات: ٣٦٢/١.
(١٢١) سورة الاعراف: ١٥٤.
(١٢٢) شرح اختيارات المفضل:٢٤٢/١-٢٤٤، وينظر : المفضليات: ٥٠/١.
(١٢٣) نفسه : ٢٦٤/١، وينظر : المفضليات: ٥٢/١.
(١٢٤) سورة الجمعة: ٨.
(١٢٥) سورة الصافات: ١٤٧.
(١٢٦) شرح اختيارات المفضل: ٣٨٤/١، وينظر : المفضليات: ٧٨/١.
(١٢٧) سورة الانفال: ٦٠.
(١٢٨) شرح اختيارات المفضل: ٣٢٨/١، وينظر : المفضليات: ٤٠/١.
(١٢٩) نفسه : ١٥٥٩/٣-١٥٦٠، وينظر : المفضليات: ٣٨٥/١.
(١٣٠) سورة القلم: ١١.
(١٣١) شرح اختيارات المفضل: ٣٢٨/١، وينظر : المفضليات: ٦٥/١.
(١٣٢) سورة التوبة: ٧٩.
(١٣٣) سورة البقرة: ١٩٤.
(١٣٤) شرح اختيارات المفضل: ٦٨٠/٢، وينظر : ديوان عبدة: ٢١.
(١٣٥) سورة يوسف: ٤.

المصادر والمراجع:

١. الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم . المكتبة العصرية . بيروت . ١٩٨٧ .
٢. ديوان بشر بن أبي خازم ،الموسوعة الشعرية،
٣. ديوان الحادرة ، لندن ، ١٨٥٨ م ،
٤. ديوان علقمة الفحل :شرح الأعلم الشنتمري ،تحقيق :لطفي الصقال ، مطبعة الأصيل ، حلب ١٣٨٩ هـ _١٩٦٩ م
٥. شرح اختيارات المفضل: يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني الملقب بالخطيب التبريزي ،المتوفي سنة(٥٠٢) هجرية . تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة . دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ط١ ١٩٧١م، ط٢ ١٩٨٧م، اجزاء ١- ٣.
٦. شعر عبدة بن الطيب ،د.يحيى الجبوري ،دار التربية ، ١٣٩١هـ _١٩٧١ م ،
٧. الفهرست: ابن النديم : أبو الفرج ، محمد بن اسحاق(ت٣٨٥هـ)ـ الناشرة مكتبة الخياط . بيروت، لبنان.
٨. مختار الصحاح ،تأليف محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ،دار الرسالة _ كويت ،١٤٠٣ هـ _١٩٨٢ م
٩. مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم : تأليف الدكتور عمر الزقاق . نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب . ١٩٦٨م.
١٠ ،المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ، قام باخراجه :ابراهيم مصطفى واحمدحسن الزيات وآخرون ،المكتبة العلمية _بيروت ،
١١ ،المفضليات ،تحقيق وشرح الإستادين :احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، مصر ،١٩٦٤م ،
١٢ ،المكتبة: تعريف بالمصادر الرئيسة والمساعدة في دراسة اللغة والأدب: تأليف الدكتور سامي مكي العاني وعبد الوهاب محمد علي العدوان . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . ١٩٧٩م.

اثر اللغة العربية في إثراء المفردات العبرية

م. م. كفاح صابر رشيد
جامعة تكريت / كلية الشريعة/ قسم اصول الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ ، وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ بِاللَّهِ ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ، وَمَلائِكَةِ اللَّهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَعَنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

تحتل دراسة التأثيرات اللغوية والأدبية بين الحضارات مكانة مهمة لدى الباحثين المعنيين بعلم اللغة أو الأدب المقارن ، فمن المعروف أنه لا يكاد يخلو تاريخ أية حضارة من تأثيرات متبادلة بين الحضارات أو بين الثقافات الأخرى ، وأن هذه التأثيرات نتيجة طبيعية وحتمية لتواصل الحضارات فما بينها ، ولاسيما أن الحضارة لا تنشأ بمعزل عن سائر الأمم والحضارات الأخرى .

ونظراً لذلك ، آثرت دراسة أثر اللغة العربية في إثراء المفردات العبرية ، ولاسيما مع كثرة الاحتكاك بين اللغتين ولا يما يف العصر الحديث ، وأن اللغة العربية كان لها موقع التاثير في العبرية طوال قرون في التاريخ الإنساني ، فكان هذا البحث الذي أسميته (**أثر اللغة العربية في إثراء المفردات العبرية**).

لقد تأثر اليهود كثيراً بالثقافة العربية أبان الحكم العربي الإسلامي في الأندلس حيث كان لليهود وجودٌ قوي هناك ، وقد شمل هذا التأثير أغلب المجالات

الثقافية آنذاك ، فظهر أثره واضحاً في اللغة ، والنحو ، والتأليف ، والفلسفة ، والعلوم المختلفة، فكان تأثر اليهود بالعرب بعد حقب زمنية طويلة من الانغلاق أمر محتوم.

يهدف هذا البحث لما يأتي :

١. كشف ثراء اللغة العربية وقدرتها على تولي الصدارة بين اللغات الحية المعاصرة .
٢ـ إن لقدرة الغة العربية على التأثير دلالة على حيويتها وتجددها ، زيادة على الأهمية المترتبة على دراسة اللغات الأخرى .

وينقسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشوء علم اللغة العبري .

المبحث الثاني : أبرز خصائص اللغة العبرية .

المبحث الثالث : عبرنة المصطلحات والألفاظ العربية .

المبحث الرابع : المفردات العربية في اللغة العبرية .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج ، والتوصيات .

المبحث الأول

نشوء علم اللغة العبري

إن أبرز ما أنجزه اليهود على الصعيد الفكري كان في العصر الوسيط في الأندلس أبان الحكم العربي الإسلامي لها ، والذي كان اليهود يطلقون عليه (العصر الذهبي גיל הזהב) ، فظهرت إسهاماتهم وفعالياتهم الفكرية متأثرة بالإبداع العربي الإسلامي في ميادين اللغة والأدب والفلسفة والدين، زيادة على محاكاتهم المجتمع العربي في تقاليده وعاداته ، فظهر التأثير العربي الإسلامي الكبير حين استحدث اليهود علم المعاجم العبرية لأول مرة في تاريخهم بعد أن كان علم المعاجم العربية قد قطع أشواطاً كبيرة(١) .

وكان أول معجم عبري هو معجم (الجامع) لسعديا(٢) ، الذي أثار حوله الكثير من الجدل في مجال المعاجم وعلى الخصوص من ناحية التأثر والتأثير المتعلقة بالجزء الثاني من معجمه الذي تربه على حسب الحرف الأخير(٣) .

وقد ظهر تأثير العربية في اللغة العبرية قوياً وكبيراً في الشعر العبري في العصر الأندلسي ، فهو لم يتوقف على اقتباس الأوزان والموضوعات والأفكار والمعاني ، بل شمل اقتباس المفردات اللغوية العربية(٤) .

لقد كانت اللغة العبرية قبل القرن العاشر الميلادي تعاني من الضعف والتدهور والاضمحلال جراء التأثير الآرامي فيها طوال قرون من جهة ، ولأن استعمال اللغة العبرية ظل قاصرًا على معابدهم في نطاق ضيق ، حيث كانوا يرددون بعض النصوص والتراتيل الدينية في صلواتهم وأدعيتهم وابتهالاتهم من جهة أخرى(٥) .

ولم تشهد هذه اللغة أي تجديد يذكر ، باستثناء بعض محاولات تجديد الشعر العبري الديني (البيوطيم) تمثل في زيادة بعض الاشتقاقات اللغوية القليلة التي لم

تحقق الفائدة المرجوة في تطوير اللغة العبرية جراء انغلاق اليهود على أنفسهم(٦) .

كما أن نطق اليهود بالعبرية كان مشوبًا بالاضطراب واللحن في التعبير ، وقد صّور سعيد بن يوسف الفيومي المعروف بالجاؤون سعديا هذا الوضع بقوله :" رأيت كثيراً من بني إسرائيل لا يبصرون مرسل فصيح لغتنا ، فكيف عويصه ؟ وإذا هم تكلموا كان كثير مما يلفظون به ملحوناً ، وإذا هم شعروا كان المستفيض فيما بينهم من الأركان الأوائل هو القليل ، والمتروك هو الأكثر ، وكذلك في القوافي ، حتى صار الكتاب نفسه عندهم كالغامض من الكلام والغيبيّ من القول "(٧) .

فكانت جهود الجاؤون سعديا ومعاصريه هي أول الجهود الجدية من أجل تطوير اللغة العبرية ، ولكنها كانت دراسات ناشئة تحاول حذو دراسات اللغة العربية التي بلغت منزلة عظمية(٨) .

لقد وجد اليهود لغتهم عاجزة عن مواكبة التطورات العامة في العصر العربي الإسلامي في الأندلس ، وأن الضرورة تحتم عليهم السعي لتطويرها لذلك استعمل علماء اليهود اللغة العربية في تدوين مؤلفاتهم وبحوثهم ، واستعملوا رموز الحروف العبرية في كتاباتهم العربية بعد أن ادخلوا عليها بعض التعديلات الرمزية الضرورية لتكون ملائمة لأداء هذه المهمة(٩) .

وقد عمل علماء اللغة اليهود على تطوير معاني الكلمات والإكثار من المشتقات ، واستحداث عدد من الألفاظ والمصطلحات التي استعاروها من العربية لإثراء لغتهم ، وتطوير طريقة التعبير بها ، وقد أرجع يهودا الحزيري(١٠) ضعف العبرية إلى كراهة اليهود لها ، وعزفهم عنها وتفضليهم العربية عليها(١١) .

وقد كانت العربية المصدر الثاني لتطوير اللغة العبرية بعد أسفار العهد القديم والمشنا وما كتبه اليهود من شروحات وتعليقات ، فقد أقبل اليهود على الكتب العربية في مختلف العلوم والفنون ، وتتلمذوا على علماء اللغة والأدب العرب ،

ووقفوا على أسرار علوم البلاغة ، والنحو والصرف ، والنقد الأدبي ، والعروض والقوافي ، كما صرح بذلك موسى بن عزرا[١٢] ، ويهودا الحزيري[١٣] .

ولم تكن مهمة إثراء المعجم العبري سهلة ميسورة ، فقد كانت العبرية بحاجة إلى كم كبير من المفردات والمصطلحات والمعاني لكي تواكب المتطلبات الأدبية والفكرية .

ودعت الضرورة إلى إدخال معانٍ جديدة إلى العبرية لما دعت الحاجة إلى ذلك ، ومتى وجدوا تقارباً بين المفردة العبرية وبين المفردة العربية من حيث التشابه اللفظي ، أو الصوتي ، أو المعنوي ، فاكتسبت العبرية دلالات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كما يظهر ذلك جلياً في المعجم الذي صنفه الدكتور دوف يردين[١٤] .

وبين العربية والعبرية خصائص مشتركة كثيرة ، فهما ينتميان إلى معجم لغوي مشترك ، وهذا ما دفع إبراهام بن يوسف إلى وصف لغة المترجمين اليهود بالعبرية المعربة[١٥] .

ووضع العلماء اليهود قواعد لتجديد اللغة العبرية لكي تستطيع مواكبة الحياة المعاصرة آنذاك ، وهذه القواعد لخصها إبراهام بن يوسف بما يأتي[١٦] :

١. الامتناع من استعمال الكلمات المستعارة من اللغات الأجنبية حتى لو أن هذه الكلمات دخلت في أدب حاخامات التلمود ، مثل الكلمات اليونانية واللاتينية ، فيما عدا كلمة (المحيط אוקינוס) ، وأسماء الزهور مثل كلمة (ياسمين יסמין) و (ورد ורד) لعدم وجودها في العهد القديم .
٢. الامتناع من تصريف الأفعال المعتلة اللام بالألف مثل تصريف الأفعال المعتلة اللام بالهاء .

٣. استعمالهم للأسماء العبرية في حالة الإفراد إذا كانت قد استعملت في العهد القديم بصيغة الجمع فقط وبالعكس ، أي استعمالهم للأسماء في حالة الجمع إذا كانت قد استعملت في العهد القديم بصيغة المفرد فقط ، مثل : שכנע مقتنع .
٤. استعمالهم لأسماء الذات بصيغ جديدة لم ترد في العهد القديم ، وكذلك استعمالهم للأفعال بأوزان غير موجودة في العهد القديم ، كتكملة اضطرارية للصيغ الشائعة في المقرا . مثل גורל بمعنى حوب ، فصارت تعني السجن أيضاً .
٥. استعمال الكلمات بمعانٍ جديدة عن طريق استعارة المعاني الجديدة للكلمات العبرية من اللغة العربية مثل : דת عقيدة او دين ، גורל قدر أو مصير[١٧].

وفي العصر الحديث قام اليعيزر بن يهودا (١٨٥٨ . ١٩٢٢) بدوره في إحياء اللغة العبرية في العصر الحديث مع قيام الحركة الصهيونية وبدء الهجرات الصهيونية إلى فلسطين منذ عام ١٨٨١ ، وكان حريصاً إلى حد كبير على تخليص اللغة العبرية في ثوبها الجديد من التأثيرات الأجنبية ، وعمد إلى وضع أسس جديدة يتم في ضوئها تعويض النقص الذي تعاني منه اللغة العبرية ليجري تحويلها من لغة مقرائية إلى لغة عصرية تستوعب مفردات الحياة اليومية ، وقد كانت المصادر التي اعتمدها اليعيزر بن يهودا لتحقيق هدفه :

١. لغة المقرا (العهد القديم) ، ومجمل الكلمات الواردة فيه ثمانية آلاف كلمة.
٢. لغة المشنا والتلمود .
٣. لغة التراث الثقافي العبري في العصر الوسيط (العصر الأندلسي).
٤. أدب عصر الهسكالا (عصر التنوير اليهودي) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .
٥. الأدب العبري الصهيوني ولاسيما لغة أدب مندلي موخير سفاريم ، والشاعر

حاييم نحمان بياليك[١٨] ، وشاؤول شرنحوفسكي[١٩] ، واحدها عام[٢٠] وغيرهم ممن أدخلوا وفرة من مفردات الحياة اليومية إلى اللغة العبرية.

٦. الاستعانة باللغة العربية مصدراً أساسياً لسد النقص الذي واجهته اللغة العبرية الحديثة للتعبير عن كثير من متطلبات الحياة العصرية لأن اللغة العربية أقرب اللغات إلى اللغة العبرية[٢١].

وفي محاولتهم لإحياء مفردات العهد القديم استحدثوا كلمات لا تمت إلى الأصل بصلة ، فحصل تطور دلالي ، مثل مسدس (אקדח) ، و مدفع الهاون (תותח) وغيرها ، فكلمة (אקדח) وردت في سفر إشعيا الإصحاح ٣٤ فقرة ١٢ بمعنى نوع من الأحجار الكريمة ، وكلمة (תותח) وردت في سفر أيوب الإصحاح ٤١ فقرة ٢١ بمعنى مقمعة ، أي : عمود من الحديد أو الخشب يضرب به رأس الإنسان أو الفيل[٢٢] .

المبحث الثاني

أبرز خصائص اللغة العبرية

إن اللغة العبرية على امتداد عصورها لم تكن أبداً لغة عبرية خالصة ، فهي منذ عصر (المقرا) استوعبت كلمات أشورية وآكدية وآرامية وفارسية ويونانية ورومانية ، وما زالت اللغة العبرية تحتفظ بكلمات يونانية ورومانية تستخدم حتى اليوم ، مثل :

محفظة (ארנק) ، حقيبة (תיק) ، مقعد (מושב) ، هواء (אוויר) السكان (האוכלוסיה) ، سلوك (התנהגות) وغيرها من مئات الكلمات ، وفي الفترة اللاحقة لتأثيرات اللغتين اليونانية والرومانية تأثرت باللغات الأوربية ، وكان هذا التأثير يتراوح بين التأثير المباشر للمحصول اللغوي عن طريق ترجمة الكلمات للعبرية، وبين التأثير بالمفهوم المتصل بالمضمون ، حين ترجمت التعبيرات من

اللغات الأجنبية إلى اللغة العبرية ومن ذلك على سبيل المثال التعبير الوارد في التلمود (ככסי צאו כרזל) " الممتلكات المنقولة للمرأة عند زواجها وتسترجعها عند الطلاق أو وفاة الزوج " ، والتي ترجمت حرفياً من اللاتينية ، وقد استمرت هذه الظاهرة في العصر الوسيط ، إذ كانت حركة الإحياء العبري واقعة تماماً تحت تأثير الثقافة العربية الإسلامية ولاسيما اللغة العربية[٢٣] .

وفي العصر الحديث تعرضت اللغة العبرية في محاولة لإحيائها إلى تأثيرات عدد من اللغات الأجنبية ولاسيما الييديشية والروسية والإنكليزية على وجه الخصوص ودخلها كم هائل من الكلمات والتعبيرات والتي ظلت تحتفظ بطابعها الأجنبي ،إذ يختلف بناؤها اللغوي عن البناء اللغوي العبري الذي يقم على الوزن(משעל)[٢٤] .

وقد رافق هذه ظاهرة العبرنة ، وهي الظاهرة التي تلجأ إلى صبغ الكلمات الأجنبية بالطابع المرتبط بالأوزان مثل (טלפון) تلفن ، بستر . عقم ، (וובסטר) ، تأمرك (הפכו ארה"ב) ، (מברק) بعث برقية، أو إضافة مقطع للصفة النسبية إلى الكلمات الأجنبية مثل (פרוגרסיבי) تقدمية ، (תגובה) رجعية وهكذا[٢٥] .

لقد تحكمت طبيعة الجمهور المتحدث في اللغة العبرية ، فقد كان هذا الجمهور يتكون في غالبيته من مهاجرين يأتون عادة من بيئات لغوية غير عبرية ويشرعون في تعلم العبرية ، مما يجعل عبريتهم المُتعلمة متأثرة بلغاتهم الأصلية ، أي : لغتهم الأم ، مما جعل اللغة العبرية أكثر اللغات اختراقاً في العالم من الناحية الثقافية ومن الناحية اللغوية ، وهذا يفسر الكم الهائل من المعاجم اللغوية لمعظم لغات العالم المعاصر في شرق وغرب أوربا زيادة إلى اللغة العربية[٢٦] .

لقد أدت هذه الخصائص إلى ظهور أكثر من طريقة شائعة لنطق اللغة العبرية ، ليس فقط على معيار التقسيم الشائع : نطق اشكنازي ، ونطق سفاردي ؛ بل على معيار أن كل جماعة مهاجرة أضفت على نطاقها العبري سمات لغتها الأم

، فصار هناك عدد كبير من هذه الأنماط، فهناك نطق عبري يمني ، ونطق عبري عراقي ، ونطق عبري ألماني ، ونطق عبري بولوني ، ونطق عبري روسي ، ونطق عبري إنكليزي، ونطق عبري مجري ، وهكذا ، مما جعل معرفة أي نطق عبري هو الصحيح من أكثر القضايا الشائكة في مجال اللغة العبرية المعاصرة[٢٧] .

وتتصف لغة المحادثة العبرية بأنها قريبة جداً من لغة الأدب النثري ، وأن الفواصل بينهما تكاد تكون معدومة ، وخير من يمثل هذا لغة الصحافة التي يمكن عدّها اللغة الوسطى بين لغة الأدب ولغة المحادثة وتتصف لغة الصحافة بتأثرها بلغة الشارع من جهة وبلغة الأدب من جهة أخرى ، وتمتلك القدرة على التكامل في التعبير والاستقرار النسبي للمصطلح[٢٨] .

المبحث الثالث

عبرنة المصطلحات والألفاظ العربية

العبرنة(עִבְרוּת) عِبروت بالعبرية ؛ ويجوز أن يقال لها التعبير من عَبَّرَ *الشيءَ* ، أي : صيره عبرياً ، قياسًا على التعريب ، وهو إعطاء صورة عبرية لكلمة أو لفظة أو مصطلح ، وعلى وجه الخصوص تغيير أسماء الأعلام من اسم غير عبري إلى اسم عبري .

والكيان الصهويني سعى ويسعى إلى عبرنة المصطلحات والألفاظ العربية ، في محاولة منه لطمس التراث العربي ، ومن ذلك محاولاته عبرنة اسماء محلات القدس العربية إلى اسماء عبرية .

والعبرنة تتخذ أربعة معانٍ رئيسة ، هي :

أولاً . العبرنة : هو نقل الكلمة العربية ومعناها إلى اللغة العبرية سواء تمَّ هذا النقل دون تغيير في الكلمة، أو تمَّ بعد إجراء تغيير وتعديل عليها ، وهو ما يسمى في علم المصطلح (الاقتراض اللغوي أو الاستعارة اللغوية)، إذ تقترض اللغة ألفاظاً

معينة من لغات أخرى للتعبير عن مفاهيم جديدة لم يعهدها الناطقون بتلك اللغة من قبل.

ثانياً . العبرنة بمعنى الترجمة ، أي : نقل فكرة أو مفهوم من اللغة العربية إلى اللغة العبرية .

ثالثاً . العبرنة هو استخدام اللغة العبرية لغة للإدارة، في مختلف فروع المعرفة، كلاماً وكتابة ودراسة وتدريساً وترجمةً وتأليفًا؛ أي تكون اللغة العبرية هي اللغة الرسمية .

رابعاً . العبرنة هو اتخاذ اللغة العبرية لغة حضارية للكيان الصهوني ومن ضمن ذلك عرب عام (١٩٤٨)[٢٩] .

ويسعى الإسرائيليون إلى ما يعرف بالعبرنة الشاملة، ويرفضون العبرنة الجزئية ؛ لأن أساس الأيديولوجية الصهيونية، هو إحياء اللغة العبرية وتراثها وتطويرها، وإن أي توطين للعلوم والتكنولوجيا المعاصرة لا يمكن إنجازه بدون العبرنة الشاملة، فأساس توطين العلوم أن تدرَّس سائر المواد العلمية والتقنية في كل الجامعات والمعاهد باللغة العبرية، وأن تستعمل اللغة العبرية في مراكز البحث العلمي أيضاً. وهكذا نجمت عن العبرنة الشاملة، "فلسفة العبرنة"، التي جعلت العلماء اليهود في إسرائيل ينظرون بافتخار كبير لنجاحهم في تلك التجربة حيث أنهم يرون أن المصطلح العبري أكثر دقة ووضوحاً من المصطلح الإنجليزي أو الفرنسي، بحيث أن المصطلحات العبرية تستطيع تفادي الثغرات الموجودة في اللغات الأوروبية الحديثة[٣٠].

وفي عملية العبرنة هذه تنقل الكلمة من أصلها الأجنبي بالكامل إلى العبرية، مع تطويع اللفظة الأجنبية المُستعارة لقالب اللغة العبرية، وتأخذ الكلمة الجديدة نهاية عبرية معينة تقابل إحدى النهايات التي تتميز بها الكلمات في بعض اللغات

الأوربية. وقد نشطت عملية العبرنة مع ظهور حركة إحياء اللغة التي بدأها إليعيزر بن يهودا وأتباعه(٣١) .

وهناك كلمات أجنبية كثيرة دخلت اللغة العبرية، واستخدمها كُتَّاب عبريون بارزون، في أوروبا، حتى فترة الحرب العالمية الأولى تقريباً. وقد حَلَّت محل هذه الكلمات تدريجياً كلمات عبرية، أكثرها كلمات مستحدثة ومبتكرة، وقد أُقِرَت جميعها من "لجنة اللغة العبرية"، ثم من "مجمع اللغة العبرية" الذي حلَّ محل هذه اللجنة فيما بعد :

ومن هذه الكلمات ما يلي: אַדְמִינִיסְטְרַצְיָה (administration) ويقابلها في العبرية اليوم: מִנְהָל، מינהל وتعني "إدارة"؛ و אדריסה (address) ويقابلها في العبرية اليوم: כְּתֹבֶת، כתובת، מַעַן وتعني "عُنْوان، مَحَلّ إقامة"؛ و אורגניזציה (organization) ويقابلها في العبرية اليوم: אִרְגּוּן، אירגון، הִסְתַּדְּרוּת وتعني "مُنَظَّمَة، تنظيم، نقابة، جمعية"؛ و אוריגינלי (original) ويقابلها في العبرية اليوم: מְקוֹרִי وتعني "أصليّ، أصيل"؛ و אֶמִיגְרַצְיָה (emigration) ويقابلها في العبرية اليوم: הֲגִירָה وتعني "هجرة إلى الخارج، نزوح، رحيل"؛ و אֶמִיגְרַנְטִים (emigrants) ويقابلها في العبرية اليوم: מְהַגְּרִים وتعني "مُهاجِرون، نازِحون"؛ و מוֹדָה (fashion) ويقابلها في العبرية اليوم: אָפְנָה، אופנה وتعني "مُودَة، مُوضَة، زِيّ، تقليعة"؛ و פּוֹסְטָה (post office) ويقابلها في العبرية اليوم: דֹּאַר، דואר وتعني "بوسْتَة، بريد"؛ و צֶרֶמוֹנְיָה (ceremony) ويقابلها في العبرية اليوم: טֶקֶס وتعني "طَقْس، مَرَاسِم، حفلة (رسمية)، احتفال"؛ و קוּלְטוּרָה (culture) ويقابلها في العبرية اليوم: תַּרְבּוּת وتعني "حضارة"؛ و קוֹנְטְרַקְט، קונטראקט (contract) ويقابلها في العبرية اليوم: חוֹזֶה وتعني "عَقْد، تَعَاقُد، مقاولة، اتفاقية"؛ و קוֹנְפֶרֶנְצְיָה (conference) ويقابلها في العبرية اليوم: אֲסֵפָה، אסיפה، וְעִידָה وتعني "مؤتمر، اجتماع، مَجْلِس، مَجْمَع"(٣٢).

واستوعبت العبرية عدداً هائلاً من الكلمات العربية، واستخدمها الناس في حديثهم، كما استخدمها الكُتَّاب والأدباء. ومن هذه الكلمات: אִמָאם (إمام، شيخ المُصَلِّين عند المسلمين)، בַּמְיָה (بامية)، בַּחַר (بَحْر، شَقٌّ الأرض)، וַקְף (وَقْفٌ)، מוּחַרָם (مُحَرَّم وهو الشهر الأول في السنة الهجرية)، נַבּוּט (نَبُّوت، هِراوَة، العصا الغليظة)، סוּרָה (سورة من سور القرآن الكريم)، סָמוּם (سَمُوم، الريح الشرقية، رياح خماسينيَّة)، פִינְגָ'אן (فِنْجان، شُرْب القهوة على الطريقة العربية)، פֶּלֶךְ (قديماً: فَلَك، جُرْم سَمَاوِيّ)، קָאדִי (قاضٍ، قاضي شَرْع). ومن هذه الكلمات أو الاصطلاحات التي دخلت العبرية، نذكر على سبيل المثال: אָדִיב (أديب، مؤدب)، זִיפְת (زِفْت، قَطْران)، חַשִׁישׁ (حشيش)، מַעְלְהַשׁ (مَعْلِهْش)، יָא-חַבִּיבִּי (يا حبيبي)، יִנְעַל ... (ينعل ...)، פִּי-אִלְמִשְׁמִשׁ (في المشمش) (٣٣) .

المبحث الرابع

المفردات العربية في اللغة العبرية

إن اللغة العبرية لغة سامية ، ومازالت هناك صلة بينها وبين اللغة العربية، وقد وجد علماء اللغات المستشرقون أن حوالي ١٥% بالمئة من مفردات اللغة العبرية، يتطابق مع اللغة العربية في اللفظ والمعنى(٣٤).

وهناك عدد من العوامل ساعدت في زيادة تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية ، هي :

١. القرابة اللغوية بين العربية والعبرية .
٢. تأثير الأدب العربي في الأدب العبري في العصر الأندلسي .

٣. لجوء اليعيزر بن يهودا إلى اللغة العربية لسد نقص اللغة العبرية عند تأليفه لقاموسه المعروف بـ(القاموس الكبير במילון הגדול)[٣٥] .

ومن أجل توضيح حقيقة تأثير العربية في العبرية وفي غيرها ، ولبيان منزلة العربية بين غيرها من اللغات أنقل قول الأديب العبري موسى بن عزرا الذي قال : (لسان العرب بين الألسنة كزمن الربيع بين الأزمنة)[٣٦] .

وسأتناول تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية عبر عصرين مهمين:

العصر الأول . التأثير العربي في العصر الأندلسي :

اتخذ التأثير العربي في اللغة العبرية على صعيد المفردات صوراً مختلفة ، ومجمل هذه الصور يتمثل بما يأتي :

أولاً . استعارة التراكيب :

لقد ذكرت أن علماء اليهود صرحوا بوجوب الاستعارة من اللغة العربية ، وقد ظهر هذا جلياً في العصر العربي في الأندلس ، إذ ظهرت تراكيب عربية في اللغة العبرية ، مثل (ذو الحكمة אבו החכמה) و(رب الشعر אבו שיער) و(أبو العلم אבו מדע) وشاعت تراكيب (أبو) و (ذو) و (صاحب) و(ابن) ، مثل (ابن الأمثال) و(ابن المزامير) و(ابن الجامعة)[٣٧] .

ثانياً . استعارة المعاني :

استعار اليهود المعاني من العربية أيضاً في إكساب حروف المعاني دلالات جديدة نحو : (على الرغم من למרות) و (من أجل الحب על אהבה) و (أحضر להביא) و (أنزلني תן לי את) و (كذلك כמו גם) و (لكن אבל)[٣٨] .

ثالثاً . استعارة الألفاظ :

استعمل اليهود ألفاظاً عبرية بمعانٍ جديدة مستوحاة من العربية لم تكن معروفة من قبل ، مثل :

١ . كلمة (תשובה) جواب أو رد :

وهي من الكلمات العبرية المقرائية[٣٩] التي وجد تادرس أبو العافية[٤٠] بينها وبين كلمة (معنى) العربية تشابهاً لفظياً ، فاستعملها بالمعنى العربي في شعره :

واكتملت فيه قوة معانيها *** فوردت قاصرة عن المدح[٤١]

٢ . كلمة (נולד) ولد :

وهي كلمة عربية بإبدال الواو ياء[٤٢]، وردت في قول إسحاق بن خلفون[٤٣]:

وهو يوسف ولد يعقوب ، الذي *** مثل يوسف بن يعقوب نذيره

٣ . كلمة (פרת) الفرات :

وردت كلمة الفرات في العهد القديم لتعني أحد أنهار الجنة[٤٤] ، واستعملها العرب أيضاً لتعني عذوبة الماء ، فاستعملها العبرانيون بهذا المعنى أيضاً ، كما في قول موسى بن عزرا :

في كأسٍ به مياهٍ عذبة متجمدة *** وخمر كأنها كأس نار[٤٥]

٤ . كلمة (אטום) منيع :

استعار العبرانيون هذه الكلمة من العربية بالمعنى نفسه ، وصاغوها صياغة عبرانية ، كما في قول إسحاق بن خلفون :

واعتمد عليك كإنسان يستند ويتكئ

على قلعة قوية وحصن مدجج منيع[٤٦]

٥ . كلمة (מפר) اشتهى :

وهي كلمة مقرائية[٤٧] استعملها موسى بن عزرا بمعنى حسد في قوله :

وكيف يحسد البحر رجلاً

تفيض كلتا يديه كالبحر الأحمر والبحر الأبيض[٤٨]

٦ . كملة (אשכיב) نوم ، ارقد ،اضطجع :

كلمة مقرائية استعملت في العهد القديم بالمعاني المذكورة[٤٩] ، وهي تتشابه لفظاً مع كلمة (أسكب) العربية واستعملها يهودا اللاوي[٥٠] بمعنى الكلمة العربية في قوله :

الحاكم ولا رادُ لأحكامه *** يسكب طلَّ أنواره على قبره[٥١]

وقد استعمل الشبه اللفظي بين الكلمتين في إضافة معنى جديدة للكلمة العبرية[٥٢] .

٧ . كلمة (ביקר) زار ، امتحن ، اختبر ، دقَّق ، راقب ، استعرض :

كلمة مقرائية استعملت بهذه المعاني المتنوعة في موضاع شتى من العهد القديم[٥٣] ، وهي تتشابه لفظاً مع كلمة (بَكَّرَ) العربية ، فاستعملها الشاعر إسحاق بن خلفون بالمعنى العربي :

في فراشي تهيم إليك أحشائي *** ومن أجل ذلك أبكِّرُ لأراكِ[٥٤]

واستعمل يهودا الحريزي الكلمة العبرية ذاتها بالمعنى العربي نفسه في وصفه لنشاط النملة[٥٥] .

٨ . كلمة (להתפאר) تباهى ، تفاخر ، تبجّح ، تظاهر :

يوجد تشابه لفظي بين الكلمة وبين كلمة (تآمر) العربية ، واستعملا سليمان بن جبيرول الفعل العبري بالمعنى العربي[٥٦] في قوله :

من يصدَّ عني جماعة المتمردين

الذين يمكرون بي ويتآمرون ضدي

٩ . كلمة (דין) قانون ، حكم ، عقوبة ، نزاع ، قرار :

كلمة مقرائية استعملت بكثرة في العهد القديم وغيره من النصوص العبرية الدينية القديمة ، ويوجد تشابه لفظي بينها وبين كلمة (دين) العربية ، وعلى الرغم من وجود كلمة (דת) في العبرية للدلالة على معنى الدين والعقيدة ، إلا أن شموئل هناجيد[٥٧] استعمل كلمة (דין) بالمعنى العربي نفسه في قوله :

احفر له مثلما حَفَرَ *** استحلفك بدينك وبإلاهك[٥٨]

١٠ . كلمة (הדיב) أحزن ، غمّ ، أكدّر ، ألم :

كلمة مقرائية[٥٩] ، يوجد بينها وبين الكلمة العربية (أذاب) تشابه لفظي ، فاستعملت الكلمة العبرية بالمعنى العربي ، مثل قول موسى بن عزرا يصف شمعة :

والنار تذيب جسمك فتضحك *** ودمعها يسيل على خديها[٦٠]

العصر الثاني . العصر الحديث :

ويبدأ مع الاحتلال الصهيوني في فلسطين، وقد مر هذا التأثير بعدد من المراحل هي :

١ . المرحلة الأولى للاحتلال الصهيوني في فلسطين (١٨٨١) ، وقد أثرت فيه اللغة العربية في لغة الأدب العبري النثري الفلسطيني ، وامتدت هذه المرحلة منذ القرن العشرين إلى نهاية سنة ١٩٤٠م . ويظهر هذا التأثير في أعمال عدد كبير من الأدباء منهم : إسحاق شامي (١٨٨٨ .١٩٤٩)، وموشيه سميلانسكي (الخواجه موسى) (١٨٧٤ . ١٩٥٣) ، ويهودا بورلا (١٨٨٦ . ١٩٦٩) ، وغيرهم إذ حفلت كتاباتهم بكم هائل جداً من الكلمات والتعبيارت والاصطلاحات العربية، عند تعرضهم لوصف حياة البدو الفلسطينين[٦١] .

وظهر تأثير اللغة العربية الكبير في انتشارها بين الطبقة الارستقراطية ، وصاروا يحاكون الفلسطينين في ملابسهم وعاداتهم ، فيرتدون الكوفية الفلسطينية ، ويتمنطقون بالفدارة ، ويمتطون الخيول ، ويفترشون الأرض في الخيام لاحتساء

القهوة ، وكان للعمال العرب الذين يعملون في المستوطنات أيضاً أثرهم الملموس في نقل أثر العربية بينهم[٦٢] .

٢ . المرحلة الثانية : منذ قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، وتمثل هذا التأثير ببقاء قسم كبير من العرب تحت سيطرة الدولة الصهيونية ، وهم الذين عرفوا بعرب عام ١٩٤٨ ، وما زالوا تحت يطرتهم إلى اليوم ، وقد كان التأثير العربي آنذاك يتمثل باتجاهين :

أ . الاحتكاك المباشر بين العرب واليهود بوصفهم جميعاً من مواطنين إسرائيليين بموجب القانون ، وكان لهذا الاحتكاك أثر مباشر في دخول كثير من الكلمات والاصطلاحات العربية إلى اللغة العبرية ولاسيما في المجالات الآتية[٦٣] :

ألفاظ الدعاء والنداء والمجاملة والشتائم والمداعبات والعادات الاجتماعية والأمثال ، بشكل يفوق تأثير أية لغة أخرى ، منها على سبيل المثال لا الحصر بعض ما تضمنته الصحف العبرية المعاصرة :

رزين (רזיני) ، أديب (אדיב) ، موز (מוז) ، بطيخ (בטיח) ، مخزن (מאגר) ، دكان (דוכאנ) ، مبسوط (מבסוט) ، معلهش (מעלהר) يا حبيبي (יא חביבי) ، يفعل (יפעל) ، يابا (יאבא) ، زفت (זיפת) ، كيف (כיף) ، حشيش (חשיש) ، أبو (אבו) ، امشي (אמשי) ، خلص (חלס) ، خالص (חאלס) ، في المشمش (פי אלמשמש) ، ده (דה) ، كردي (כורדי) ، فلافل (פלאפל) .

وهي في معظمها كلمات له مدلولات خفية مثل كلمة (بطيخ) التي تعني الشيء التافه ، و(كردي) التي تدل على العناد أو عدم فهم الأمور ببساطة ، وهذا واضح عند مراجعة قاموس اللغة العامية العبرية الذي ألفه دان بن أموص (طبعة عام ١٩٧٧) وطبعة عام (١٩٨٣)[٦٤] .

ب . استمرار أدباء العبرية بتناول الشخصية العربية والعلاقة بين العرب وبين

اليهود في فلسطين ، ودراسة الواقع والبيئة الفلسطينية ، مما دفع الأدباء العبرانيون إلى استعمال عدد كبير من الكلمات والتعبيرات العربية في أعمالهم الأدبية ، ومن أشهر هؤلاء : يزهار سميلانسكي (١٩١٦ . ٢٠٠٦) ، ومردخاي طبيب (١٩١٠ .١٩٧٩) ، وموشيه شامير (١٩٢١ . ٢٠٠٤) ، وأشير باراش (١٨٨٩ . ١٩٥٢) ، وحييم هزاز (١٨٩٨ . ١٩٧٣) ، وبنيامين تموز (١٩١٩ . ١٩٨٩)، ويجال موسينسون (١٩١٧ . ١٩٧٢) ودافيد شحر (١٩٥٦ . ؟)[٦٥] .

ومن الألفاظ العربية التي شاع استعمالها في أعمال هؤلاء الأدبية ثم انتقل استعمالها إلى لغة الحديث العبرية ، ولاسيما عند التخاطب بين العبري والعربي في المجالات التي يتطلبها التعامل اليومي ، ومنها على سبيل المثال :

أداة النداء العربية (يا) في قولهم : يا ولدي (יא ולדי) ، يا روحي (יא רוחי) ، يا حرمة (יא חורמא) ، يا سيد (יא סיד) ، يا فلاح (יא פלח) ، يا شيخ (יא שיח) ، يا زلمة (יא זלמת) ، إبريق (אבריק) ، مجنون (מגנונ) ، طحين (טחינ) ، مسكين (מסכינ) ، أهبل (אהבל) ، العكروت (אלכרות) ، اتبشر (תבשר) ، اسكت (אסכות) ، روحوا (רוחו) ، شوفوا (שופו) ، شو بدكم (שו בדכמ) ، أيوه (איוה) ، كويس (כיוויס).

ج . هجرة يهود الشرق العربي (السفارديم) الذين ظلوا يحافظون على ارتباطهم بتراثهم وثقافتهم ولغتهم التي تكونت في مواطنهم العربية الأصلية على امتداد قرون طويلة ، وقد ظهر هذا جلياً لدى العاملين منهم في الصحافة ، إذ تأثروا باللغة العربية وبأساليبها ، من ذلك ابتداء الجملة بالفعل على غرار العربية وبخلاف العبرية التي تقوم على استعمال الفاعل قبل الفعل[٦٦] .

ومن تأثيرات يهود العراق شيوع المفردات الآتية : أهلاً (אהלנ) يا بوي (יא בוי) ، مسطول (מסטול) ، يا ويلي (יא ווילי) ، دخيلك (דחילך) ، مبروك (ברוך) ، خير (חיר) ، تفضل (אתפדל)[٦٧] .

٣ . مرحلة ما بعد احتلال الضفة الغربية وغزة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ : وفي هذه المرحلة خضع أكثر من مليون ونصف مليون عربي لسلطة الاحتلال الصهيوني ، مما أدى إلى احتكاك كبير بين سلطات الاحتلال ، وبين المواطنين العرب في الأراضي المحتلة ، ودخول أعداد كبير من العمالة العربية إلى المنطقة الواقعة وراء الخط الأخضر للعمل داخل إسرائيل وفي شتى المجالات ، مما أدى إلى زيادة تأثير العربية على العموم واللهجة الفلسطينية على وجه الخصوص في اللغة العبرية ، وفي لغة الصحافة العبرية ، مع تقلص مساحة المسألة العربية والفلسطينية في النثر الأدبي العبري ، مع تزايد الاحتكاك الفعلي بين الطرفين[٦٨] .

ومن مظاهر هذا التأثير :

أ . استعمال كلمة (חרא) براز أو غائط في الصحافة العبرية بتأثير اللهجة الفلسطينية ، ولم يقف الأمر عند استعمال هذه المفردة بل اشتقوا منها فعلاً من هذه الكلمة (החריא) تبرز[٦٩] .

ب . استعمال كلمة (סיף) في الكتابة وفي الحديث للتعبير عن المزاج الشخصي[٧٠] .

ج . استعمال تعبير (לא חמעי) ومعناه في العامية العربية (ما جمّعش) ، أي : لم يستوعب الأمر[٧١] .

د. استعمال كلمة (בוכיה) على وزن الكلمة العربية (باكية)[٧٢]

هـ . شيوع استعمال كلمة (רסמי) بدلاً من (רשמי) : رسمي ، بتأثير اللغة العربية[٧٣] .

و . شيوع مفردات عربية كثيرة في اللغة العبرية مثل : دبكة (דבכה) ، غفير (חפיר) ، دبيش (דביש) ، البوص (אלבוצ) ، البوستر (אלבוסתר) ، جرة (גרה)[٧٤] .

أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم فكرة واضحة عن تأثير بعض العلوم العربية في اللغة العبرية .والله ولي التوفيق .

الخاتمة

بعد هذا العرض أوجز أهم ما جاء فيه بما يأتي :

١. انتشار عدد كبير من الألفاظ العربية في اللغة العبرية التي استعملت بمعانٍ جديدة جراء التشابه اللفظي أو الصوتي بين اللغتين .
٢. إن أبرز ما أنجزه اليهود على الصعيد الفكري كان في العصر الوسيط في الأندلس أبان الحكم العربي لها ، والذي كان اليهود يطلقون عليه (العصر الذهبي) .
٣. لقد كانت اللغة العبرية قبل القرن العاشر الميلادي تعاني من الضعف والتدهور والاضمحلال ، ولم تشهد هذه اللغة أي تجديد يذكر قبل هذا الزمن ، وكان نطق اليهود بالعبرية كان مشوباً بالاضطراب واللحن في التعبير .
٤. عمل علماء اللغة اليهود على تطوير معاني الكلمات والإكثار من المشتقات ، واستحداث عدد من الألفاظ والمصطلحات التي استعاروها من العربية لإثراء لغتهم ، وكانت العربية المصدر الثاني للتطوير بعد كتبهم المقدسة القديمة .
٥. إن اللغة العبرية على امتداد عصورها لم تكن أبداً لغة عبرية خالصة ، وتحكمت طبيعة الجمهور المتحدث في اللغة العبرية ، مما أدى إلى ظهور أكثر من طريقة شائعة لنطق اللغة العبرية .
٦. تتصف لغة المحادثة العبرية بأنها قريبة جداً من لغة الأدب النثري وأن الفواصل بينهما تكاد تكون معدومة ، وخير من يمثل هذا لغة الصحافة .
٧. هناك عدد من العوامل ساعدت في زيادة تأثير اللغة العربية في اللغة العبرية ، هي : القرابة اللغوية بين العربية والعبرية ، وتأثير الأدب العربي في الأدب العبري في العصر الأندلسي ، ولجوء علماء العبرية إلى اللغة العربية لسد نقص اللغة العبرية .

٨. اتخذ التأثير العربي في اللغة العبرية على صعيد المفردات صوراً مختلفة وعبير مراحل زمنية مختلفة أيضاً .
٩. من تأثير العربية في العبرية استعارة التراكيب العربية ، و استعارة المعاني ، واستعارة الألفاظ ، واستعمال بعض الألفاظ العبرية بمعانٍ جديدة مستوحاة من العربية لم تكن معروفة من قبل .
١٠. ظهر تأثير اللغة العربية الكبير في انتشارها بين الطبقة الارستقراطية ، بعد احتلال أرض فلسطين .
١١. بعد عام ١٩٦٧ دخل كثير من الكلمات والاصطلاحات العربية إلى اللغة العبرية ولاسيما في ألفاظ الدعاء والنداء والمجاملة والشتائم والمداعبات والعادات الاجتماعية والأمثال ، بشكل يفوق تأثير أية لغة أخرى .
١٢. أثر يهود الشرق العربي (السفارديم) المتأثرين باللغة العربية وبأساليبها في اللغة العبرية .

والله من وراء القصد

الهوامش:

(١) سلوى ناظم : المعاجم العبرية . دراسة مقارنة ، ط١ ، كلية دار العلوم ، مصر ، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م : ص ٥ .

(٢) سعديا بن يوسف الفيومي المعروف بسعديا جاؤون (٨٩٢ . ٩٤٢م تقريباً) ولد في مدينة الفيوم بمصر ، وتلقى تعليماً دينياً تقليدياً ، ثم انتقل إلى العراق حيث استكمل دراسته الدينية ، وتعمّق في دراسة التلمود وتفقه في أمور اليهودية إلى أن رأس مدرسة سورا ،وقام بترجمة التوراة إلى العربية ، وبرز في الرد على اتهامات القرائين ، وألف عدداً من الكتب الدينية واللغوية . زعيمة : مرجع سابق ، ص ٥٤ . نقلا عن :
Waxman: A history of Jewish literature, vol. 1, pp. :218-224.

(٣) الشامي : رشاد د. عبد الله. تأثرات عربية في اللغة العبرية الحديثة ، بحث مقدم إلى ندوة التأثيرات العربية في اللغة العربية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور التي عقدتها كلية الآداب في جماعة عين شمس في (٢٦ . ٢٧) ديسمبر ، ١٩٩٢م ، ص ١٢ ،والجريري : علي . أثر العربية في العبرية المعاصرة ، ورقة مقدمة في مؤتمر الواقع اللغوي الذي عقد بجامعة النجاح الوطنية يوم ٢٠٠٦/١١/٢٥ ، ص ٣٥٥.

(٤) زعيمة : د. محمد عبد الصمد . التأثيرات اللغوية العربية في الشعر العبري الأندلسي ، بحث مقدم إلى ندوة التأثيرات العربية في اللغة العربية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور التي عقدتها كلية الآداب في جماعة عين شمس في (٢٦ . ٢٧) ديسمبر ، ١٩٩٢م ، ص ١٧ .

(٥) زعيمة : مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٧ .

(٧) תרכל ، עמ ٤٥ ، نقلاً عن زعيمة : مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ١٨ .

(٩) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(١٠) يهودا بن شلومو الحريزي (١١٦٥ . ١٢٣٠م تقريباً) شاعر ومترجم يهودي ، ولد في بلدة بين طليطلة وبرشلونة ، عانى من الفقر في حياته ، وتكسّب بالشعر ، وترجم مقامات أبي محمد القاسم بن علي الحريري إلى العبرية ، وترجم عدداً من مؤلفات يهود الأندلس إلى العربية . زعيمة : مرجع سابق ، ص ٥٤ . نقلا عن :

Waxman: A history of Jewish literature, vol. 1, pp. :235–237.

(١١) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٢١ .

(١٢) أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا (١٠٧٠ـ ١١٣٩م تقريباً) شاعر وفيلسوف وناقد يهودي أندلسي ، ولد في مدنية غرناطة ، وتفقه في لغة العرب وآدابهم ، وحظي بلقب (صاحب الشرطة) طبق معايير النقد الأدبي والبلاغة العربية على الشعر العبري في أشعاره، وقنن المعايير النقدية والبلاغية في كتابه المشهور (المحاضرة والمذاكرة) ويقال أنه عانى من حب ابنة أخيه الأكبر . زعيمة : مرجع سابق ، ص ٥٥ . نقلا عن

Waxman: A history of Jewish literature, vol. 1, pp. :225–226.

(١٣) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٢١ .

(١٤) المرجع نفسه ، ص ٢١ .

(١٥) المرجع نفسه ، ص ٢١ .

(١٦) المرجع نفسه ، ص ٢٢ .

(١٧) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٢٣ . ٢٤ .

(١٨) حاييم نحمان بياليك : شاعر يهودي ولد عام ١٨٧٣ في قرية رادي بأوكرانيا ، توفي سنة ١٩٣٤ في فيينا . ينظر : مقدمة : مجموعة من قصائد الشاعر حاييم نحمان بياليك (כמה משירי המשורר ח"נ ביליק) ، مختارات من نتاجاتنا في الشعر والنثر ، تل ابيب، ١٩٦٦ ، ص ٥ .

(١٩) شاؤول شرنحوفسكي : شاعر عبرى من مواليد روسيا(١٨٧٥) هو ابن لأبوين متدينين تأثرا بأدب الهسكلاه ، ولكنهما انضما إلى حركة أحباء صهيون . توفي سنة (١٩٤٣) . الشامي : رشاد د. عبد الله ، الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ٧٠.

(٢٠) هو آشر غنزبرغ ، من يهود (اوديسا) والمشهور بعالم الكتابة اليهودية باسم (أحدها عام) أي أحد أفراد الشعب . توفي سنة (١٨٩٨) . روجيه غارودي : دراسة في الصهيونية . اليهودية ، دار التضامن للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٢٤ .

(٢١) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٢ . ٧٣ .

(٢٢) عبد الجواد : د. إبراهيم نصر الدين . التأثيرات الأجنبية في اللغة العبرية ، بحث مقدم إلى كلية اللغات والترجمة ، القاهرة ، بلا تاريخ ، ص ٢ . ٣.

(٢٣) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٢٤) المرجع نفسه ، ص ٧١ .

(٢٥) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٢٦) المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

(٢٧) المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

(٢٨) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٣ .

(٢٩) عبد العزيز : محمد حسن ، التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م ، ص٢٦٧ ؛ يوسف : إبراهيم الحاج ، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، سلسلة الرسائل الجامعية ٧، طرابلس، الجماهيرية العظمى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ٢٠٠٢م ، ص٣٥ .

Mandel, George (1984), Who Was Ben-Yehuda With In Boulevard Montmartre?, Oxford, Oxford Centre For Postgraduate Hebrew Studies, pp. 4-5

(30) Sivan, Reuven (1980), The Revival of the Hebrew Language, Jerusalem, E. Rubinstein House, p. 10

(٣١) الشامي : مرجع سابق ، ص١٤٣ .

(32) Sivan, 1980, pp.47-49 .

(٣٣) الشامي : مرجع سابق ، ص ١١٦.

(٣٤) ربحي: كمال، دروس اللغة العبرية الحديثة ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٩٠م، ص ٤ .٦ .

(٣٥) عبد الجواد : مرجع سابق ، ص ١٢.

(٣٦) المحاضرة والمذاكرة نقلاً عن زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٣٧) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٣٨) المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

(٣٩) الأمثال : ١:١٥ ، وأيوب : ٥:٣٢ .

(٤٠) إبراهي سالم إبراهيم : تادرس ابو العافية شاعراً . المركز القومي للدراسات القضائية ، ١٩٩٦ ، ص٣٥ .

(٤١) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٤٢) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٤٣) إسحاق بن خلفون ، من أوائل شعراء العبرية في الأندلس ، حياته شبه مجهولة ، تكسب بالشعر عن طريق مدح أثرياء اليهود ، ويقال أنه كان معاصراً للشاعر شموئيل هناجيد . زعيمة : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٤٤) التكوين : ١٤:٢ ، ويوجد المعنى الإقرائي في أشعار يهودا اللاوي ، الإخوانيات ، ص٢٢٥ .

(٤٥) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٤٦) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٤٧) الخروج : ٢٠ : ١٧ ، الأمثال : ٦ : ٢٥ .

(٤٨) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٤٩) الملوك الأول : ٣ : ٢٠ ، والملوك الثاني : ٤ : ٢١ .

(٥٠) أبو الحسن اللاوي ، يهوذا بن شموئيل هليفي (١٠٧٥ . ١١٤١م تقريباً) أمير شعراء العبرية في الأندلس وفيلسوف اليهود المدافع عن عقيدتهم ، ولد في طليطلة ، وهاجر قبل وفاته بعام إلى مصر حيث اشتهر بمهنة الطب ، ويقال إنه ارتحل إلى القدس ، وأن فارساً عربياً قتله تحت سنابك حصانه. مع أن القدس كانت آنذاك في قبضة الصليبيين . ينظر : سليم شعشوع : العصر الذهبي ، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس ، مطبعة دار المشرق بشفا عمرو ، ١٩٧٩م ، ص١٣ . ١٧ . و زعيمة : مرجع سابق ، ص ٥٢ . نقلا عن :

Waxman: A history of Jewish literature, vol. 1, pp. :227-231.

(٥١) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٥٢) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٥٣) اللاويين : ١٣ : ٣٦ ، ٢٧ : ٣٣ ، والملوك الثاني : ٣١ : ١٥ ، وحزقيال : ٣٤ : ١١ ، والمزامير : ٢٧ : ٤ ، والأمثال : ٢٠ : ٢٥ وغيرها .

(٥٤) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٥٥) المرجع نفسه ، ص ٤٥ .

(٥٦) المرجع نفسه ، ص ٤٦.

(٥٧) أبو إبراهيم إسماعيل بن النغريلة المعروف بشموئيل هناجيد (٩٣٣ . ١٠٥٦م تقريباً) ، أشهر شعراء العبرية الأندلسيين وأهمهم ، ولد في قرطبة ، وعاش في بحبوحة من العيش ، وعمل وزيراً لحابوس ، ثم لابنه باديس من بعده ، وكان أميراً ليهود الأندلس ، وترك أشعاراً كثيرة جمعية في ثلاثة دواوين ، هي : ابن المزامير ، وابن الأمثال ، وابن الجامعة ، زيادة على مؤلفات تربو على العشرين كتاباً في النحو العبري . زعيمة : مرجع سابق ، ص ٥٦. سليم شعشوع : العصر الذهبي ، ص ٣٣ . ٤٠ .

(٥٨) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٦.

(٥٩) صموئيل الأول : ٢ : ٢٣ .

(٦٠) زعيمة : مرجع سابق ، ص ٤٦.

(٦١) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٦٢) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٦٣) المرجع نفسه ، ص ٧٦ . ٧٧ .

(٦٤) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٧ . والكتاب هو (בן אמוץ ובן יהודה، ١٩٧٣؛ בן אמוץ ובן יהודה، ١٩٨٣) .

(٦٥) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٦٦) الشامي : مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٦٧) المرجع نفسه ، ص ٧٩ .

(٦٨) المرجع نفسه ، ص ٧٩ . ٨٠ .

(٦٩) الشامي : مرجع سابق ، ص ٨٠ .

(٧٠) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٧١) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٧٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٧٣) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٧٤) وتد : د. علي . مجلة الرسالة ، العدد التاسع ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٤٣١ .

المصادر والمراجع

١. إبراهي سالم إبراهيم : تادرس ابو العافية شاعراً . المركز القومي للدراسات القضائية ، ١٩٩٦ .
٢. الجريري : علي . أثر العربية في العبرية المعاصرة ، ورقة مقدمة في مؤتمر الواقع اللغوي الذي عقد بجامعة النجاح الوطنية يوم ٢٠٠٦/١١/٢٥ .
٣. حاييم نحمان بياليك : مجموعة من قصائد الشاعر (כמה משירי המשורר ח"נ ביליק) ، مختارات من نتاجاتنا في الشعر والنثر ، تل ابيب، ١٩٦٦ .
٤. روجيه غارودي : دراسة في الصهيونية . اليهودية ، دار التضامن للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٥. زعيمة : د. محمد عبد الصمد . التأثيرات اللغوية العربية في الشعر العبري الأندلسي ، بحث مقدم إلى ندوة التأثيرات العربية في اللغة العبرية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور التي عقدتها كلية الآداب في جماعة عين شمس في (٢٦ . ٢٧) ديسمبر ، ١٩٩٢م .
٦. سلوى ناظم : المعاجم العبرية . دراسة مقارنة ، ط١ ، كلية دار العلوم ، مصر ، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م .
٧. سليم شعشوع : العصر الذهبي ، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس ، مطبعة دار المشرق بشفا عمرو ، ١٩٧٩م .
٨. الشامي : د. رشاد عبد الله. تأثرات عربية في اللغة العبرية الحديثة بحث مقدم إلى ندوة التأثيرات العربية في اللغة العبرية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور التي عقدتها كلية الآداب في جماعة عين شمس في (٢٦ . ٢٧) ديسمبر ، ١٩٩٢م .

٩. الشامي : د. رشاد عبدالله الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ .
١٠. عبد الجواد : د. إبراهيم نصر الدين . التأثيرات الأجنبية في اللغة العبرية ، بحث مقدم إلى كلية اللغات والترجمة ، القاهرة ، بلا تاريخ .
١١. عبد العزيز : محمد حسن ، التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م.
١٢. ربحي: كمال، دروس اللغة العبرية الحديثة ، جامعة دمشق ، دمشق ١٩٩٠م.
١٣. الكتاب المقدس ، ويضم : العهد القديم ، والعهد الجديد ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، بيروت . ط١ ١٩٨٨ م .
١٤. وتد : د. علي . مجلة الرسالة ، العدد التاسع ، سنة ٢٠٠٠ .
١٥. يوسف : إبراهيم الحاج ، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، سلسلة الرسائل الجامعية ٧، طرابلس، الجماهيرية العظمى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ٢٠٠٢م

16. Waxman:Meyr. A history of Jewish literature, New York, Bloch publishing vo. 1930.
17. Mandel, George (1984), Who Was Ben-Yehuda With In Boulevard Montmartre?, Oxford, Oxford Centre For Postgraduate Hebrew Studies..
18. Sivan, Reuven (1980), The Revival of the Hebrew Language, Jerusalem, E. Rubinstein House.

أسلوب الشرط في معلقة زهير بن أبي سلمى

م. م. شيماء شاكر محمود المشهداني
جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

ملخص البحث

تناولنا في بحثنا هذا مسألة من مسائل النحو العربي المهمة ألا وهي تضمين بعض أدوات وأساليب النحو وتطبيقها على بعض المعلقات إذ تناولنا أسلوب الشرط من حيث تطبيقه على معلقة زهير بن أبي سلمى لما له من أهمية في توسيع المدارك العقلية إذ إن الشعر الجاهلي عد من أقدم ما وصلنا من الآداب العربية وارفعها فصاحة وبلاغة وبيانا وانه كان ومازال وسيبقى لا انقطاع له من حيث الدراسات النحوية التي ينهل منها القاصي والداني على مر العصور والأزمنة.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فإن دراسة المسائل النحوية وتطبيقاتها في الشعر العربي مما يوسع المدارك من جهة ، ويبين التطبيقات العملية للمسائل النحوية من جهة ثانية ، زيادة على كشفه لبعض الجوانب الإبداعية للشعراء .

وإن الشعر فن قولي أداته اللغة، واللغة ألفاظ ، والقول في حقيقته تركيب، وهي لها علاقة بقواعد النحو في الدرس الأسلوبي من حيث المبدع للأسلوب، ومن حيث الدارس له، والمحلل المستبطن لسماته.

وقد اخترت من المسائل النحوية الشرط ، ومن الشعراء زهير بن أبي سلمى في معلقته . وتكمن أهمية البحث في أن الشعر الجاهلي هو من أقدم ما وصلنا من الآداب العربية وأرفعها فصاحة وبياناً ، وأنه كان وما زال مصدرا للدراسات النحوية .

وقد اشتمل هذا البحث على تمهيد بينت فيه التعريف بالشرط وبالشاعر زهير بن أبي سلمى وبمعلقته . وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسماء الشرط (من) .

المبحث الثاني : حروف الشرط ، وفيه مطلبان .

المبحث الثالث : ظروف الشرط ، وفيه مطلبان .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج . والله ولي التوفيق .

(تمهيد)

أولاً ـ التعريف بالشاعر(١) :

هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر . حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة . ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام . كان ينظم القصيدة في شهر ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى الحوليات. وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه، والآخران هما امرؤ القيس والنّابغة الذبياني. كانت ولادة زهير في بني غطفان. وبين هؤلاء القوم نشأ وترعرع .

ومنهم تزوّج مرّتين. في الأولى تزوّج أم أوفى التي يذكرها في مطلع معلقته:

أمِن أمّ أَوفى دمنةٌ لمْ تكلّم * بحوْمانَةِ الدرّاج فالمتثلّم**(٢)

وبعد طلاقه أم أوفى بسبب موت أولاده منها، اقترن زهير بكبشة بنت عمّار الغطفانية ورزق منها بولديه الشاعرين كعب وبجير.

ورث زهير الشعر عن أبيه وخاله وزوج أمه أوس بن حجر. ولزهير أختان هما الخنساء وسلمى وكانتا أيضاً شاعرتين . وأورث زهير شاعريته لابنيه كعب وبجير، والعديد من أحفاده وأبناء حفدته. فمن أحفاده عقبة المضرّب وسعيد الشاعران، ومن أبناء الحفدة الشعراء عمرو بن سعيد والعوّام ابنا عقبة المضرّب.

كان زهير من المعمّرين، بلغ في بعض الروايات نحواً من مئة عام، واستنتج المؤرخون من شعره الذي قاله في ظروف حرب داحس والغبراء أنه ولد في نحو السنة(٥٣٠م) ، أما سنة وفاته فتراوحت بين سنة (٦١١) و (٦٢٧م) ، أي : قبل

بعثة النبيّ . صلى الله عليه وسلم . بقليل من الزمن، وذكرت الكتب أن زهيراً قصّ قبل موته على ذويه رؤيا كان رآها في منامه تنبأ بها بظهور الإسلام وأنه قال لولده: "إني لا اشكّ أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء. فإن كان فتمسّكوا به، وسارعوا إليه". وأقلّ الدلالات على عمره المديد سأمه تكاليف الحياة، كما ورد في المعلّقة حين قال:

سئمتُ تكاليفَ الحياة، ومَنْ يعِش * ثمانينَ حولاً لا أبا لكَ، يسأَمِ**(٣)

والمتعارف عليه من أمر سيرته صدق طويته، وحسن معشره، ودماثة خلقه، وترفعه عن الصغائر، وأنه كان عفيف النفس، مؤمناً بيوم الحساب، يخاف لذلك عواقب الشرّ . ولعلّ هذه الأخلاق السامية هي التي طبعت شعره بطابع الحكمة والرصانة، فهو أحد الشعراء الذين نتلمس سريرتهم في شعرهم، ونرى في شعرهم ما انطوت عليه ذواتهم وحناياهم من السجايا والطبائع.

وأكثر الباحثين يستمدّ من خبر زهير في مدح هرم بن سنان البيّنة التي تبرز بجلاء هذه الشخصية التي شرفتها السماحة والأنفة وزيّنها حبّ الحق والسّداد: فقد درج زهير على مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف لمأثرتهما في السعي إلى إصلاح ذات البين بين عبس وذبيان بعد الحرب الضروس التي استمرّت طويلاً بينهما.

وكان هذا السيّدان من أشراف بني ذبيان قد أديا من مالهما الخاص ديّات القتلى من الفريقين، وقد بلغت بتقدير بعضهم ثلاثة آلاف بعير. قيل إن هرماً حلف بعد أن مدحه زهير أن لا يكف عن عطائه، فكان إذا سأله أعطاه، وإذا سلّم عليه أعطاه. وداخل زهير الاستحياء، وأبت نفسه أن يمعن في قبول هبات ممدوحه، فبات حين يراه في جمع من القوم يقول "عموا صباحاً غير هرم ... وخيركم استثنيت.

وذكر أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لواحد من أولاد هرم: أنشدني بعض مدح زهير أباك، فأنشده، فقال الخليفة: إنه كان ليحسن فيكم القول"، فقال: "ونحن والله كنّا نحسن له العطاء"، فقال عمر بن الخطاب: "قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم".

ثانياً ـ التعريف بمعلقته :

نظمت معلقة زهير، كما ذكر التبريزي، في ظروف حرب البسوس التي احتدم أوراها بين عبس وذبيان، استهلها زهير بالغزل ووصف الديار والأطلال الدارسة، ثم تحوّل إلى مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف، وحمدهما على فضلهما في حقن الدماء وتحمل تبعات الصلح بين الفريقين المتنازعين. وأردف زهير هذا المديح بحكمه التي محض بها المتحاربين النصح ودعاهم إلى السلم وحملهم على أن يرهبوا عواقب الحرب ممثلاً لهم أهوالها التي عاشوا في أتونها.

واستتبع زهير وصف ويلات الحرب بالكلام على حصين بن ضمضم، الذي لم يلتزم بعهد الصلح بل خانه وغدر برجل من بني عبس إمعاناً في الثأر والانتقام.

ثالثاً ـ تعريف الشرط :

يُعَدُّ الشَّرط من الأساليب الرَّئيسة في العربيَّة ، وقد عُرِّف بأنَّه : "تعلُّقُ شيءٍ بشيءٍ بحيث إذا وجِدَ الأوَّل وجِدَ الثَّاني ، وقيل : الشَّرط ما يتوقَّف عليه وجود الشَّيء ، يكون خارجاً عن ماهيَّته ولا يكون مؤثِّراً في وجوده ، وقيل : الشَّرط ما يتوقَّف ثبوت الحكم عليه"(٤) .

وقال فيه الفاكهي : (هو تعليق حصول مضمون جملةٍ هي جملة جواب الشَّرط بحصول مضمون جملةٍ أخرى هي جملة الشَّرط) (٥) ، وكان سيبويه أوَّل من اصطلح على الشَّرط مصطلح الجزاء(٦) ، ولم تكن مصطلحات الشَّرط مستقرَّة بعدُ ،

لذا تعدَّدت التَّسميات في كتابه، فسمَّى جملةَ جوابِ الشَّرط بـ (جواب الجزاء) ، ومرة أخرى سمَّاها جواب الفعل الأوَّل ، وتارة ثالثة سمَّاها الإخبار(٧) .

وانبرى بعض الدَّارسين ليفرِّق بين الشَّرط بوصفه أسلوباً وبينه بوصفه تركيباً ، فجعل مصطلح (الشَّرط) دالاً على فكرةِ الشَّرط في العربيَّة ، أي : بوصف الشَّرط أسلوباً ، وجعل مصطلح (الجملة الشَّرطيَّة) دالاً على التَّركيب .

(الأداة + جملة الشَّرط + جملة جواب الشَّرط) (٨) .

وجعل (جملة الشَّرط) دالَّةً على الجملة المعلَّق عليها ، و(جملة جواب الشَّرط) دالَّةً على الجملة المعلَّقة ، في حين سمَّى الدكتور مهدي المخزومي جملة الشَّرط وجملة الجواب (عبارتين) ؛ لأنَّ كلاً منهما لا تعبِّر عن فكرةٍ تامَّة ، على الرَّغم من أنَّها تتألَّف من مسند ومسند إليه ، وأنَّ التَّعبير عن الفكرة التامَّة يتمُّ بجملة الشَّرط(٩) ، فوضع مصطلحَ جملةِ الشَّرط قبالة مصطلح الجملة الشَّرطيَّة ، وكان الجرجاني معتمَده فيما ذهب إليه .

والرَّأي الأوَّل قريب من مذهب الزَّركشي الذي رأى المجازاة تنعقد بين جملتين أولاهما فعليَّة ، والأخرى قد تكون اسميَّة ، أو فعليَّة جازمة ، أو فعليَّة غير جازمة ، أو ظرفيَّة ، أو شرطيَّة ، فإذا تمَّ الجمع بينهما وبين الشَّرط تكوَّنت جملةٌ واحدة ، فإذا انحلَّ الرَّبط بينهما عادت الجملتان(١٠) .

وقد جعل النَّحويُّون أدوات الشَّرط على قسمين :

الأوَّل : الجازمة التي هي : (إنْ ، وإذما ، ومَنْ ، وما ، ومهما ، وأيٌّ ، ومتى ، وأيَّان ، وأين ، وحيثما ، وأنَّى ، وكيفما) .

والثَّاني : غير الجازمة التي هي : (إذا ، وكلَّما ، ولو ، ولولا ، ولوما ، وأمَّا ، ولمَّا) (١١) .

(ويشكل (أسلوب الشرط) أبرز مؤشر أسلوبي تركيبياً ، وأطلق بعض منظري الأسلوبية على الملامح الأسلوبية ذات الدلالة مصطلح (المؤشرات الأسلوبية) ، وذلك لكونها عناصر لغوية تظهر في مجموعة سياقية محددة بنسب تتفاوت في معدلاتها كثرة وقلة من حالة إلى أخرى[١٢]والناظر في ديوان زهير لا يكاد يجد قصيدة ، تخلو من ذلك الملمح الأسلوبي).

المبحث الأول

(أسماء الشرط)

(مَنْ)

من أدوات الشرط التي اطرد ورودها في شعر زهير اسم الشرط (مَنْ) الموضوع لذوات العقلاء [١٣].

والناظر في سياقات توظيف (مَنْ) الشرطية لدى زهير تركيباً ودلالة ، يجده قد استخدمها في الجمل الفعلية المصدرة بفعل مضارع ، ودالة على حكم وأمثال ، ومن هنا جاءت إشادة القدماء بزهير ، ونعته بشاعر الحكمة ، فضلاً عن جوانب أخرى أعطته موقع الريادة.

وقد جاء دخول (من) على فعل شرط ماضي ، وجوابه فعل مضارع :

وَمَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَلقَها

وَلَو رامَ أَسبابَ السَماءِ بِسُلَّمِ[١٤]

وقد جاء دخول (من) على فعل شرط مضارع ، وجوابه فعل مضارع :

عَظيمَينِ في عُليا مَعَدٍّ وَغَيرِها

وَمَن يَستَبِح كَنزاً مِنَ المَجدِ يَعظُمِ[١٥]

وجاء دخول (من) على فعل مضارع وأتي (لا) قبل فعل الشرط وجوابه :

وَمَن يَغتَرِب يَحسِب عَدُوّاً صَديقَهُ

وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكَرَّمِ[١٦]

وجاء دخول (من) على فعل مضارع ، وجوابه جمل اسمية :

وَمَن يَعصِ أَطرافَ الزُجاجِ فَإِنَّهُ

يُطيعُ العَوالي رُكِّبَت كُلَّ لَهذَمِ[١٧]

واقترن جواب الشرط بالفاء ؛ لأنه جملة اسمية .

وجاء توسط فعل مضارع بين فعل الشرط وجوابه ، الجواب فعل مضارع :

وَمَن لا يَزَل يَستَحمِلُ الناسَ نَفسَهُ

وَلا يُغنِها يَوماً مِنَ الدَهرِ يُسأَمِ[١٨]

وذكر سيبويه أن الفعل المضارع المتوسط بين الشرط وجوابه يكون مرفوعاً إذا قدر باسم يقع موقع الحال ، وهذا النمط نادر[١٩] .

من ذلك قوله في التدليل على سأمه من الحياة لطول عمره :

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِش

ثَمانينَ حَولاً لا أَبا لَكَ يَسأَمِ

رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب

تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ[٢٠]

(إن الشاعر في هذين البيتين ذكر (مَن) الشرطية ثلاث مرات ، والجمل الشرطية التي صدرت بـ (مَنْ) فيها استحالت أمثالاً ، وجسد الشاعر في هذين البيتين تضجره بحياته التي طالت ، وقامت (الواو) في هذه السياق بوظيفة الوصل ، إذ إن الشاعر أراد أن يسوغ لسأمه ، فضلاً عن المناسبة المعنوية التي تجمع بين السأم وطول العمر ولهذا حسن الوصل في هذا المقام ، بوجود المناسبة بين الجملتين)[٢١] ،

وكذلك جاز الوصل في البيت الثاني للمسوغ نفسه ، فثمة جامع دلالي بين إصابة المنية للإنسان ، وخطئها ، وجو البيتين يشع بالضجر وعدم الرضا بما تأتي الحياة بدليل تكرار (سئمت ، يسأم) و (يعمر ، بهرم) وكأن السأم في حقيقته مسبب عن طول البقاء ، فهذا التكرار مقصود ، ثم إن التعبير بـ (الفعل المضارع) (يعش ، يسأم) (يعمر ، يهرم) للدلالة على تجدد الحدث وحصوله في الحياة ، فكم رأينا في حياتنا من معمرين قد ملوا الحياة.

ومن سياقات توظيف (مَنْ) الشرطية التي استحالت حكماً وأمثالاً ، قوله :

وَمَن لا يُصانِع في أُمورٍ كَثيرَةٍ

يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِمِ

وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَل بِفَضلِهِ

عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُذمَمِ

وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ

يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَتمَ يُشتَمِ

وَمَن لا يَذُد عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ

يُهَدَّم وَمَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

وَمَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَلقَها

وَلَو رامَ أَسبابَ السَماءِ بِسُلَّمِ

وَمَن يَعصِ أَطرافَ الزُجاجِ فَإِنَّهُ

يُطيعُ العَوالي رُكِّبَت كُلَّ لَهذَمِ

وَمَن يوفِ لا يُذمَم وَمَن يُفضِ قَلبُهُ

إِلى مُطمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمجَمِ

وَمَن يَغتَرِب يَحسِب عَدُوّاً صَديقَهُ

وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكَرَّمِ[٢٢]

مما يلحظ فيها من حيث التركيب ، تكرار اسم الشرط (مَنْ) في كل بيت من الأبيات الذي دخل على جمل فعلية مصدرة بفعل مضارع ، ليشير إلى تجدد هذه الأفعال مرة بعد مرة ، وتكرارها مع كل جيل وأمة ، وصدق في هذا ، فمما قاله زهير. في حقيقته . قواعد حياتية ، وحقائق كثيراً ما تكررت ، وثمة مواضع أخرى لـ (مَنْ) الشرطية ، وفي دلالتها حكمة ، ومثل أيضاً [٢٣].

المبحث الثاني

(حروف الشرط)

(المطلب الأول)

(إنْ ، إذا)

أكثر الأدوات الشرطية استعمالاً لديه (إذا) و (إن) ، فأما (إذا) فهي : ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط[٢٤] ، والأصل في (إذا) أن تستعمل في الأمر المقطوع بحصوله ، وللكثير الوقوع ، ويكون زمنها محدداً معلوماً بخلاف (إنْ)[٢٥] .

قال سيبويه : " (إذا) تجيء وقتاً معلوماً ، ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمر البسر كان حسناً ، ولو قلت : آتيك إن احمر البسر كان قبيحاً "[٢٦] .

ووضح (المبرد) الأمر بشكل واضح ، إذ قال : " وإنما منع (إذا) من أن يجازى بها ، لأنها مؤقتة ، وحروف الجزاء مبهمة ، ألا ترى أنك إذا قلت : إن تأتني آتك ، فأنت لا تدري أيقع منه إتيان أم لا ... فإذا قلت : (إذا أتيتني) ، وجب أن يكون الإتيان معلوماً ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾[٢٧] إن هذا واقع لا محالة "[٢٨] وهكذا فإن الشرط بـ (إذا) على الوصف السابق يدل على تحقق الأمر ووقوعه في زمن موقوت ، وكما عبر عنه بعضهم : المتيقن والكثير الوقوع[٢٩] ، أو المقطوع بوقوعه[٣٠] ، بخلاف (إنْ) .

ومن السياقات التي مثل أسلوب الشرط فيها :

وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعاً

بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَمِ[٣١]

هنا جاء فعل الشرط فعلاً ماضياً وجواب الشرط كذلك .

وأيضاً :

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ

وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ[٣٢]

ومن استخدام (إذا) دخوله على فعل شرط ماضي ، ويكون جواب الشرط محذوف ، إذ يحذف جواب الشرط إذا دلَّ عليه دليل ، من ذلك قوله :

لِحَيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ الناسَ أَمرُهُم

إِذا طَلَعَت إِحدى اللَيالي بِمُعظَمِ[٣٣]

ومن استخدام (إذا) دخوله على فعل شرط مضارع ، وجواب شرط مضارع ايضاً ، مثل قوله :

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً   وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ[٣٤]

(المطلب الثاني)

(مهما)

مهما اسم شرط جازم كما عد ذلك بعض النحاة ، ومنهم ابن يعيش[٣٥] ، ومن تطبيقاته عند زهير ، قوله :

فَلا تَكتُمُنَّ اللَهَ ما في نُفوسِكُم

لِيَخفى وَمَهما يُكتَمِ اللَهُ يَعلَمِ[٣٦]

فعل الشرط (يكتم) وجوب الشرط (يعلم).

يقول لا تكتموا الله ما صرتم إليه من الصلح، وتقولوا إنا لم نكن نحتاج إلى الصلح، وإنا لم نسترح من الحرب، فإن الله يعلم من ذلك ما تكتمون . ومعنى البيت لا تظهروا الصلح، وفي أنفسكم أن تغدروا كما فعل حصين بن ضمضم إذ قتل ورد بن حابس بعد الصلح أي صححوا الصلح[٣٧].

وزعم بعضهم أن (يؤخر) مجزوم على البدل من (يعلم) ؛ لأن تأخيره

ووضعه في كتاب وادخاره أو تعجيله ، والانتقام يتضمنه العلم في المعنى ، وإن كان بخلاف الظاهر ، وقيل : ليس ببدل لعدم موافقة المعنى، ويحتمل جزمه وجهين :

أحدهما : أنّه جواب النهي على مذهب الكسائي .

والثاني : أنّه سكّنه لضرورة الشعر (٣٨) .

ومن ذلك قوله :

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ

وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ (٣٩)

هنا فعل الشرط (تكن) فعل مضارع مجزوم وجواب الشرط (تعلم)

والذي يؤيد أن (مهما) حرف شرط بمنزلة (إن) أنه لا محل لها من الإعراب في هذا البيت ؛ لأنها لو كانت اسمًا لكانت إما مبتدأ وإما مفعولاً مقدمًا، وكلاهما ممتنع في هذا البيت . أما الأول فلعدم الضمير العائد عليها في (تكن) وأما الثاني فلأن الفعل (تكن) لا ينصب المفعول به، وهذا الإعراب مردود، بل هي إما خبر (تكن) و (خليقة) اسمها . وإما مبتدأ واسم تكن ضمير راجع إليها . والظرف خبر (٤٠) .

المبحث الثالث

ظروف الشرط

(المطلب الأول)

(متى)

من أدوات الشرط التي وردت في شعر زهير (متى) ، وهي اسم شرط ظرف زمان ، وتستعمل في الشرط المترجح بين أن يكون أو ألا يكون (٤١) ، والزمن بها مبهم أيضاً غير معين (٤٢) ، وقد وظفها زهيرفي شعره من ذلك قوله :

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً

وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ (٤٣)

فقد دخلت (متى) على فعل شرط مضارع ، وكذلك جواب الشرط.

وكذلك قوله :

جَريءٍ مَتى يُظلَم يُعاقِب بِظُلمِهِ

سَريعاً وَإِلّا يُبدَ بِالظُلمِ يَظلِمِ (٤٤)

الجرأة والجراءة : الشجاعة ، والفعل جرؤ يجرؤ وقد جرأته عليه من بدأت بالشيء أبدأ به مهموز فقلبت الهمزة ألفاً ثم حذفت للجازم يقول : وهو شجاع متى ظلم عاقب الظالم بظلمه سريعاً ، وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس إظهارا لغنائه وحسن بلائه ، والبيت من صفة أسد في البيت الذي قبله وعنى به حصينا ، ثم اضرب عن قصته ورجع إلى تقبيح صورة الحرب والحث على الاعتصام بالصلح . و(يظلم) مجزوم بالشرط و(يعاقب) جوابه (سريعا) حال منصوباً، ويجوز أن يكون صفة لمصدرمحذوف كأنه قال يعاقب عقاباً سريعاً(٤٥) .

(المطلب الثاني)

(لمّا)

لما أداة شرط غير الجازمة (٤٦) . ومن شواهدها في معلقة زهير قوله :

فَلَمّا عَرَفْتُ الدارَ قُلتُ لِرَبعِها　　　أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِسلَمِ(٤٧)

لما دخلت على فعلين ماضيين ، فعل الشرط (عرفت) ، وجواب الشرط جملة (قلت) .

الزرقة: شدة الصفاء، ونصل أزرق وماء أزرق إذا اشتد صفاؤهما، والجمع زرق، ومنه زرقة العين. الجمام: جمع جم الماء وجمته وهو ما اجتمع منه في البئر والحوض أو غيرهما. وضع العصى: كناية عن الإقامة؛ لأن المسافرين إذا أقاموا وضعوا عصيهم. التَّخَيُّم: ابتناء الخيمة. يقول: فلمّا وردت هؤلاء الظعائن الماء وقد اشتد صفاء ما جمع منه في الآبار والحياض، عَزَمْنَ على الإقامة كالحاضر المبتني الخيمة(٤٨).

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز أوجز أهم ما جاء فيه بما يأتي:

١. عدّ زهير بن أبي سلمى صاحب مدرسة في نظم الشعر، تعتمد على الأناة والروية، لذلك وصف بشاعر الحكمة .
٢. على صعيد المستوى التركيبي لوحظ استخدام أسلوب الشرط في شعر زهير، بشكل محدود ، وأكثر أداة استخدمها هي (من) ، و(إذا)، و (إن)، ولعل من مسوغات ذلك، كون الجملة الشرطية تحمل دلالة عدم حصول الفعل لخطة التكلم، وفي ذلك إمكانية دلالية ولغوية، وظفها الشاعر في بناء دلالته الشعرية على نمط عدم المبالغة في الأوصاف ولاسيما في سياق المديح والوصف، ولذلك فقد عرف عن زهير عدم المبالغة في الدلالة، وأنه لم يمدح أحداً إلا بما فيه، ولم يصف شيئاً يخرجه عن حدود المقبول، وفي كل ذلك وظف زهير دلالة الجملة الشرطية، مستفيداً من سماتها المعنوية.
٣. ومما يتعلق بأسلوب الشرط فقد جاء بنسبة أكثر في دخولها على الجملة الفعلية، موازنة مع دخولها على الجملة الإسمية، وهذا ينسجم مع دلالة السياق الذي جاءت به، إذ كان يحمل دلالة الحركة المستمرة، ودلالة استمرارية احدث، ثم أتت بعدها (إن) من حيث النسبة.
٤. أدوات الشرط التي وردت في المعلقة : من ، إنْ ، إذا ، مهما ، متى ، لما .
٥. لم ترد أدوات الشرط : أنى ، حيثما ، إذما ، أينما ، لوما ، أي ، لولا ، لو، ايان ، أما ، كلما .
٦. هذه هي أهم نتائج البحث، ولله الحمد والمنة من قبل ومن بعد.

الهوامش

(١) ينظر: الشعر والشعراء : لأبي محمد عبدا لله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،(ت٢٧٦هـ)، تحقيق : احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٨٦هـ _ ١٩٦٦م : ص٤٤، الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني ، (ت٣٥٦هـ) ، بإشراف محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٤م : ١١٠\١٠ ٢٨٨، شرح القصائد العشر، للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، تحقيق : د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم ، بيروت_ لبنان،(د.ت) : ص١١٣، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ، (ت١٠٩٣هـ)، الطبعة الأميرية، بولاق ، ١٢٩٩هـ : ٣٧٥\١، الإعلام ، لخير الدين الزر كلي الدمشقي ، (ت١٣٩٦هـ _ ١٩٧٦م) ، دار العلم للملايين ، بيروت _ لبنان ، ط٥، ١٩٧٩م : ٥١\٣_ ٥٢.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، (ت١٣ق.هـ)، شرح وتحقيق : د. احمد طلعت، منشورات دار القاموس الحديث ، بيروت_ لبنان ، ط١، ١٩٦٨م ، ص٤٨.

(٣) المصدر نفسه : ص٢٩.

(٤) التعريفات : لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، المعروف بالسيد الشريف ، (ت٨١٦هـ)، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ ، ص١٦٦.

(٥) شرح الحدود النحوية، لعبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي، (ت٩٧٢هـ)، دراسة وتحقيق : د. زكي فهمي الالوسي ، دار الكتب للطباعة والنشر، دامعة الموصل ، ١٩٨٨م : ص١٣٢، وينظر: الخليل، معدم مصطلحات النحو

العربي ، د. دورد متري عبد المسيح، وهاني دورد كابري، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٠هـ _ ١٩٩٠م : ص٢٤٤_٢٤٥.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو الملقب بسيبويه ،(ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر_ مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة_ مصر، ط٣، ١٩٨٨م ، ٥١\٣_ ٣٦.

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ١٣٢\١، الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي ، (٣١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت _ لبنان ،ط٣، ١٩٨٨م: ٢٠\١٢.

(٨) في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي ، ل (مالك يوسف ألمطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، العراق ، ١٩٨١م : ص١٣.

(٩) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ط١، ١٩٦٤م ، المكتبة العصرية و بيروت_ لبنان ، (د.ت) : ص٢٨٤، نحو المعاني ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م : ص١٣٩.

(١٠) البرهان في علوم القران ، لأبي عبد الله بدر الدين ابن بهادر الزركشي الشافعي،(ت٧٩٤هـ)و تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت_ لبنان ، ١٣٩١م :٣٥١\٢_ ٣٥٢.

(١١) ينظر: التراكيب اللغوية في العربية . دراسة وصفية تطبيقية ، د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المسنصرية على نشره ، مطبعة الارشاد ، بغداد _ العراق ، ١٩٨٧م : ص١٨٩.

(١٢) علم الأسلوب _ مبادئه وأجزاءه ، د. صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة _ مصر، (د.ت) : ص٢١٩.

(١٣) ينظر: الكتاب ، لسيبويه : ٣٠٩\٢، معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، دار الحكمة للطباعة والنشر و الموصل ، ط١، ١٩٩١م : ٤٦٦\٤.

(١٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ، (ت١٣ق. هـ) ، دار الشرق ، بيروت_ لبنان ، (د.ت) : ص١١٥.

(١٥) المصدر نفسه : ص١١٠.

(١٦) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص١١٠.

(١٧) المصدر نفسه : ص١١٥.

(١٨) المصدر نفسه : ص١١٦.

(١٩) ينظر: الكتاب ، لسيبويه : ٨٥\٣.

(٢٠) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٢٩.

(٢١) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، (ت٤٧١ هـ) ، تحقيق : د . محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م،ص١٠.

(٢٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٢٩_ ٣١.

(٢٣) المصدر نفسه : ص٣٢_ ٣٤، ص٢٣٤_ ٢٥٠.

(٢٤) موسوعة الحروف في العربية ، د. إميل بديع يعقوب ، دار الجيل ، بيروت_ لبنان ، ط١، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص٧٨.

(٢٥) معاني النحو : ٤٥١\٤.

(٢٦) الكتاب ، لسيبويه : ٤٣٣\١.

(٢٧) سورة الانشقاق : من الآية ١

(٢٨) المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ،(٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة_ مصر، ١٣٨٦هـ : ٥٥\٢_ ٥٦.

(٢٩) الإتقان في علوم القران ، جلال الدين السيوطي ،(ت٩١١هـ)، شركة ومكتبة ومطبعة ألبابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٠هـ ، ١٩٥١م : ١٤٩\١.

(٣٠) الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القز ويني،(٧٣٩هـ)، تحقيق : لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، أعاد طبعه بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ، بغداد، بلا تاريخ : ٨٨\١_ ٨٩.

(٣١) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص١١٠.

(٣٢) المصدر نفسه : ص١١١.

(٣٣) المصدر نفسه: ص١١٤.

(٣٤) المصدر نفسه : ١١٥.

(٣٥) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٣٢_٣٣.

(٣٦) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص١١١.

(٣٧) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٣٢.

(٣٨) شرح الكافية في النحو ، لمنصور بن فلاح اليمني ، (ت٦٨٠هـ)، تحقيقا ودراسة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، ١٤٢١هـ : ص٢٦.

(٣٩) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص١١٦.

(٤٠) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ،(ت٧٦١هـ) ، قدم له : حسن محمد ، اشرف

عليه: ايميل يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م : ١٢٤\١.

(٤١) الأشباه والنظائر، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ، ٢٣٠\٢.

(٤٢) المفصل في صنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،(ت٥٣٨هـ)، تحقيق : د. علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت_ لبنان ، ط١، ١٩٩٣م : ٦٦\٢.

(٤٣) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص١١١.

(٤٤) المصدر نفسه : ص١١١.

(٤٥) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٣٣.

(٤٦) ينظر: التراكيب اللغوية في العربية : ص١٩٨.

(٤٧) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص١٠٨.

(٤٨) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ص٣٤.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة ألبابي الحلبي . مصر ٣٧٠ هـ . ١٩٥١م .

٢. الأشباه والنظائر ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (ت٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ،١٤٠٣ هـ.

٣. الأُصُول فِي النحو ، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بن سهل بن السِّرَاجِ النحوي البَغْدَادي ، (ت٣١٦هـ) ، تحقيق : د . عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرِسَالَة ، بَيْرُوْت ، ط٣ ، ١٩٨٨م .

٤. الأَعْـلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العَرَب والمستعرِبين والمستشرِقين) ، لخَيْر الدِّين الزر كلي الدِّمَشْقي ، (ت١٣٩٦هـ . ١٩٧٦م) ، دار العلم للملايين ، بَيْرُوْت ، ط٥ ١٩٧٩م .

٥. الأغاني ، لأبي الفَرَج علي بن الحسين الأصبهاني ، (ت٣٥٦ هـ) بإشراف مُحَمَّد أَبِي الْفَضْل إبْرَاهِيم ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٤م.

٦. الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القز ويني (٧٣٩هـ) ، تحقيق : لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى . بغداد ، بلا تاريخ .

٧. البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي الشافعي ، (ت٧٩٤ هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١هـ .

٨. التَّراكيب اللغويَّة في العربيَّة ، دراسة وصفيَّة تطبيقيَّة ، د. هادي نهر ، ساعدت الجامعة المستنصريَّة على نشره ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٨٧م .

٩. التَّعْرِيفات ، لأبـي الْحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، (ت٨١٦هـ) ، تحقيق : إبْرَاهِيم الأبياري ، دار الكِتَاب العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٠. خِزَانـة الأَدَب ولُـبُّ لُبَـاب لِسَـان العَـرَب ، لعبـد القـادر بـن عُمَـر البَغْـدَادي ، (ت١٠٩٣هـ) ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٢٩٩هـ.

١١. الخليل ، معجم مصطلحات النَّحو العربي ، د. جورج متري عبد المسيح ، وهاني جورج قابري ، ط١ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠.

١٢. دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، (ت٤٧١ هـ) تحقيق : د . محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م.

١٣. دِيْوَان زهير بن أَبِي سلمى ، (ت١٣ ق. هـ) ، دار الشرق ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ.

١٤. شرح الحدود النحوية ، لعبدالله بن أحمد بن علي الفاكهي ، (ت٩٧٢هـ) ، دراسة تحقيق : د . زكي فهمي الآلوسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨م .

١٥. شرح القصائد العشر ، للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت٥٠٢هـ) المعروف بـ (الخطيب التبريزي) ، تحقيق : د .عمر فاروق الطباع، دار الأرقم ، بيروت ، بلا تاريخ .

١٦. شرح الكافية في النحو ، لمنصور بن فلاح اليمني (ت ٦٨٠هـ) تحقيقاً ودراسة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، ١٤٢١هـ .

١٧. شَرْح دِيْوَان زهير بن أَبِي سلمى ، (ت١٣ ق. هـ) ، شَرْح وتحقيق د . أَحْمَد طلعت ، منشورات دار الْقَامُوس الْحَدِيْث ، بيروت ، ط١ ١٩٦٨م.

١٨. الشِّعْر والشُّعَراء ، لأبي مُحَمَّد عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينوري ، (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق : أَحْمَد مُحَمَّد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٣٨٦هـ. ١٩٦٦م .

١٩. علم الأسلوب . مبادئه وأجزاءه ، د. صلاح فصل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، بلا تاريخ .

٢٠. في التَّركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر ، دراسة لغويَّة في شعر السَّيَّاب ونازك والبيَّاتي ، مالك يوسف المطَّلبي ، منشورات وزارة الثَّقافة والإعلام ، العراق ، دار الرَّشيد للنَّشر ، ١٩٨١م .

٢١. في النَّحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ط١ ، ١٩٦٤م ،المكتبة العصريَّة، بيروت ، بلا تاريخ .

٢٢. كتاب سيبويه ، لأَبِي بشر عمرو الملقب بسيبويه ، (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨م .

٢٣. معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل ، ط١ ، ١٩٩١ م .

٢٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن هشام الأنصاري ، (ت٧٦١هـ) ، قدّم له : حسن محمد ، أشرف عليه ، إيميل يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .

٢٥. المفصل فِي صنعة الإعْرَاب ، لأبـي القاسم محمود بن عُمَر الزمخشري ، (ت٥٣٨هـ) ، تَحْقِيق : د . علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٢٦. المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
٢٧. موسوعة الحروف في العربية ، د. إميل بديع يعقوب ، دار الجيل . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .
٢٨. نحو المعاني ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

الأحنف بن قيس دوره في الاسلام

دراسة تاريخية

د. أحمد خضير رميض

ملخص البحث

تاريخ الدولة العربية الاسلامية مليء بالشخصيات المهمة التي اخذت عهداً على نفسها مسؤولية بناء الدولة ، و تحملت اعباء هذا البناء الشامخ بجهودها المتميزة و بالتضحية الجسيمة المستمرة .

و بحثنا هذا يتناول أحد تلك الشخصيات العربية الاسلامية ألا وهو الأحنف بن قيس التميمي ، فقد ولد في زمن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) لكنه لم يره .

فقد شارك في كثير من الفتوحات الاسلامية ، و يمتاز بالشجاعة و الحلم ، فكان ورعاً ذكياً حكيماً صبورا .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف ألانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :-

فتاريخ الدولة العربية الأسلامية ملئ بشخصيات فذه كثيرة أخذت على عاتقها مسؤولية بناء الدولة وتحملت أعباء البناء الشامخ فظهر صرح تاريخي متميز بفضل جهود تلك الشخصيات الأسلامية العربية التاريخية .

وبحثنا هذا يتناول أحد تلك الشخصيات الأسلامية ألا وهو الأحنف بن قيس التميمي ولد في زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنه لم يراه، والذي يعد من أؤلئك الشخصيات الذين شهدوا حقبة تاريخية إسلامية مهمة فتأدبوا بأدب الاسلام وتقمصوا شخصيات من عاشوا معهم في الشجاعة والاقدام والحلم والفتوحات الاسلامية .

ومن خلال اطلاعنا على المصادر التأريخية المهمة تبين ان هناك شخصيات تركت بصمات أساسية مؤثرة رفدت تاريخنا الاسلامي بمأثر البطولة والشجاعة ونكران الذات لا يهمها إلا النصر للأسلام والمسلمين ، فظهرت هذه الشخصية العربية الأسلامية (الأحنف بن قيس) فكان إنموذجاً طيباً في الحلم والذكاء والدهاء والبطولة ،شخصية قل مثيلها في كل شئ ، كان يفكر بعقله لا بعاطفته ، فهو أحد الدهاة العظماء الحلماء ، الشجعان الفاتحين ، وكان ورعاً حكيماً صبوراً ، فكان ذا خلقٍ وذا منزلة إجتماعية عالية وله دور بارز في الفتوحات الأسلامية المهمة.

أسمه وحياته :

هو أبومعاوية الأحنف[١] بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباده أبن حفص بن عباده بن النزال بن مرة السعدي المنقري التميمي ، ابو بحر البصري ، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين ، أحد أشرف العرب وحلمائها بالبصرة[٢] والاحنف بأتفاق أكثر المؤرخين ، لقب له ، وانما أسمه الضحاك، وقيل صخر ، وكان اعور ، أحنف الرجلين ذميماً قصيراً كوسجاً [٣] أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وكان يسرج المصباح ، ويصلي كل الليل ويبكي حتى الصباح ، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول : حسّ يا أحنف ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا [٤] قال سلمان بن ابي شيخ : كان أحنف الرجلين جميعاً ، ولم يكن له الا بيضه واحده ، واسمه صخر بن قيس أحد بني سعد ، وأمه باهلية ، فكانت ترقصه وتقول :

والله لو لا حنفٌ برجله وقلة أخافها من نشله
ما كان من فتيانكم من مثله [٥]

أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، و جاء في حديث أن النبي دعا له ، كان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً ، عليم اللسان ، وكان يضرب بحلمهِ المثل ، وله اخبار سارت بها الركبان ، قال عنه عمر رضي الله عنه هو مؤمنٌ عليم اللسان [٦] .

كان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفة ، فتولى فيها وهو عنده أخبار الأحنف كثيرة جداً وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التأريخ والاداب والبلدان [٧] قال الاحنف : حبسني عمر (رضي الله عنه) عنده سنة ، يأتيني في كل يوم وليلة ، ثم دعاني فقال : يا أحنف هل تدري لم حبستك عندي ؟قلت : لا يا أمير المؤمنين ، قال : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) حذرَ من كل منافق عليم ، فخشيت أن تكون منهم ، أحمد الله يا أحنف [٨] . وفي رواية تأريخية أخرى ذكرها حمادعن بن جدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف قال : احبسني عمر عنده حولاً ، وقال : قد بلوتك وخبرتك فرأيت علانيتك حسنة ،وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وأنا كنا نتحدث ، أنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم [٩] .

وحدث حماد بن سلمه عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، قال : بينما أنا اطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أذ لقيني رجل من بني ليث ، فأخذ بيدي ، فقال : ألا أبشرك ؟ قلت بلى ، قال : أما تذكر أذ بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قومك بني سعد أدعوهم الى الأسلام ، فجعلت أخبرهم وأعرض عليهم ، فقلت : أنه يدعو الى خير وما أسمع الا حسناً ؟ فذكرت ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال النبي : (اللهم أغفر للأحنف ، فكان الأحنف يقول : فما شئ أرجى عندي من ذلك[١٠] .

وقد تقدمت حكاية (ذكر الواقدي انه قدم الاحنف على معاويه فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال : فبعث معاويه الى يزيد بمال جزيل وقماش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للاحنف والله سبحانه أعلم)[١١] . وقيل للاحنف : انك كبير والصوم يضعفك ، قال : أني أعده لسفر طويل[١٢] .

نبذه في بعض فضائل تميم :-

قبيله تميم قبيله عريقه لها دور بارز بين القبائل العربية فقد انجبت ابطالاً و شعراء و بكافه العلوم الاخرى و الى وقتنا الحاضر ومما يروى ان الشاعر الفرزدق دخل على سليمان بن عبد الملك و كان يَنشْؤُه لكثرةِ باوهِ و فخرهِ (أي لكثرة فخره) فتجهمه و تنكر له و اغلظ في خطابه حتى قال : من أنت لا أمّ لكَ :قال : أو ما تعرفني يا أمير المؤمنين ؟ أنا من حي هم اوفى العرب و أحلم العرب و اسود العرب

و أجود العرب و اشجع العرب و اشعر العرب ، فقال سليمان : والله لتحتجنّ لما ذكرت و لأوجعنّ ظهركَ و لأبعدنَ دارك ، قال : و أما أوفى العرب فحاجب بن زراره ، رهن قوسه عن العرب كلها و أوفى ، و اما احلم العرب فالاحنف بن قيس يضرب به المثل حلماً ، و أما اسود العرب فقيس بن عاصم : قال لهُ رسول الله صلى الله عليه و بله وسلم " هذا سيد اهل الوبر " و أما اشجع العرب فالحريش بن هلال السعدي و أما اجود العرب فخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي و اما اشعر العرب فها أنذا عندك فقال سليمان : فما جاء بك ؟ لا شيء لك عندنا ، فارجع على عقبك ، و غمه ما سمع من عزه ولم يستطع لهُ رداً فقال الفرزدق في ابيات :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا اليك ولا من قلهٍ في مجاشعِ[١٣]

فروى ابو عباس المبرد (ت٢٨٥هـ) في كتابهِ الكامل في اللغة و الادب ان معاويه قال للاحنف بن قيس و جاريه بن قدامه و رجال من بني سعد معهما كلاماً احفظهم فردوا عليه جواباً مقذعاً و أمرأتهُ فاخته بن قرظه في بيت يقرُب منهم و هي أم عبد الله بن معاوية فسمعت ذلك ، فلما خرجوا قالت : يا أمير المؤمنين ، لقد سمعتُ من هؤلاء الأجلاف كلاماً تلقوك به ، فلم تنكر ، فكدتُ أن اخرج اليهم فاسطوا بهم ، فقال معاوية : أن مضر كاهل العرب ، و تميماً كاهل مضر ، و سعداً كاهل تميم ، و هؤلاء كاهل سعد [١٤].

و عن أبي العباس المبرد : قال : لما اتى زياد بن عمروا المربد في عقب قتل مسعود بن عمر العتكي و جاء زياد بن عمر ابن الاشرف العتكي ليثأر بهِ من بني تميم صف اصحابه ، فجعل في الميمنه بكر بن وائل و في الميسره عبد القيس وهم لكيز بن افصى بن دعمي بن جديله بن اسد بن ربيعه وكان زياد بن عمر العتكي في القلب فبلغ ذلك الاحنف بن قيس فقال هذا غلامٌ حدث شأنه الشهره ، وليس يبالي أين قذف بنفسهِ ، فندب اصحابه ، فجاءه[١٥] حرثه بن بدر الغداني ،

وقد اجتمعت بنو تميم فلما اتى قال : قوموا الى سيدكم ثم اجلسه مناظره فجعلوا سعداً و الرباب في القلب و رئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف باخي كهمس وهو احد بني صريم ابن يربوع فكانوا بحذاء زياد بن عمر ومن معه من الازد ، و جعل حارثه ابن بدر الغداني في بني حنظله بحذاء بكر بن وائل ، و جعل عمرو بن تميم بحذاء عبد القيس ، فلذلك يقول حارثه بن بدر للاحنف :

سيكفيكَ عبسٌ أخو كَهمَسٍ مُقارعةَ الأزدِ بالمِرْبَـــدِ
تكفيك عمرو على رسلهـا لُكيزَ بن أفصى وما عَددوا
و تكفيك بكراً إذا أقبلــت بضربٍ يشيبُ لهُ الأمــرَدُ (١٦)

و لُكيز بن أفصى تعمّ عبد القيس قال : فلما توافقوا بعثَ اليهم الاحنف فقال: يا معشر الازد من اليمن و ربيعه من البصرة انتم والله احب الينا من تميم الكوفة ، و انتم جيراننا في الدار و يدنا على العدو و انتم بدأتمونا بالامس و وطئتم حريمنا ، و حرقتم علينا ، فدفعنا عن انفسنا ولا حاجه لنا في الشر ما طلبنا في الخير مسلكاً فتيمموا بنا بطريقة مستقيمة فوجه اليه زياد بن عمرو تخيرخله من ثلاث: أن شئت فانزل انتَ و قومكَ على حكمنا و أن شئت فخلّ لنا عن البصرة و أرحل انت و قومك الى حيث شئتم و إلا فدوا قتلانا و اهدروا دماءكم و ليودَ مسعود ديه المشعرة .

و قال ابو العباس المبرد : و تأويل قوله (ديه المشعرة) يريد أمر الملوك في الجاهليه و كان الرجل اذا قتل وهو في بيت اهل المملكه اودي اليه عشر ديات فبعث اليه الاحنف سنختار(١٧) فانصرفوا في يومكم ، فهز القوم راياتهم و انصرفوا فلما كان الغد بعث الاحنف اليهم أنكم خيرتمونا خلالاً ليس لنا فيها خيار ، أما النزول على حكمكم فكيف يكون و الكلم (أي الجرح) يقطر و اما ترك ديارنا فهو

اخو القتل ، قال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (النساء : ٦٦) .

ولكن الثالثه انما هي حملٌ على المال ، فنحن نُبطل دماءنا ، و ندي قتلاكم و أنما مسعودٌ رجل من المسلمين ، و قد اذهب الله عز و جل امر الجاهليه .

فاجتمع القوم على ان يعفوا أمر مسعود و يغمدوا السيف ، و تودي سائر القتلى من الأزد و ربيعة فضمن ذلك الاحنف و دفع اليهم اياس بن قتاده المجاشعي رهينه حتى يؤدي هذا المال فرضي به القوم (١٨).

ففخر بذلك الفرزدق فقال لجرير :

ومنا الذي اعطى يديه رهينةً لِغاري معدّ يومَ ضرب الجماجم
عشيه سالَ المِربدان كلاهما عجاجةَ موتٍ بالسيوف الصوارم
هنالك لو تبغي كُليباً وجدتها أذل من القِردان تحتَ المناســمِ (١٩)

و يُقال ان تميماً في ذلك الوقت مع باديتها و حلفائها من الاساورة و الزط و السبايجة و غيرهم كانوا زهاء سبعين الفاً وفي ذلك يقول جرير .

سائل ذوي يمنٍ و رَهطٍ محرقٍ و الأزدِ إذ نَدبوا لنا مسعودا
فأتاهمُ سبعون الف مدجـــج متسربلين يلامقاً و حديـدا (٢٠)

قال الأحنف بن قيس : فكثرت عليَ الديات فلم اجدها في حاضرة تميم فخرجت نحوا يبرين الى باديه تميم فسائلت عن المقصود هناك ، فارشدت الى قبه فاذا شيخٌ جالس بفنائها مؤتزر بشمله ، مُحتبٍ بحبل ، فسلمتُ عليه و انتسبت له ، فقال لي : ما فعل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ؟ قلت : توفي . قال : فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب و يحوطها ؟ قلت : توفي . قال : فاي خبر في حاضرتكم بعدهما ؟ قال : فذكرت له الديات التي لزمتنا للأزد و ربيعه قال: فقال لي : أقم ، فإذا راعٍ قد اراح عليه الف بعير ، فقال : خذها ، ثم اراح عليه

اخر مثلها فقال : خذها فقلت : لا احتاج اليها قال : فانصرفت بالالف عنه ، و والله ما ادري من هو الى الساعة [٢١] .

حلمه ومنزلته الاجتماعية :

كان زياد بن أبيه يقرب الأحنف به ويدنيه ، فلما مات زياد وولى ابنه عبيد الله لم يرفع به رأساً ، فتأخرت عنده منزلته ، فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية ، أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجله واعظمه وادناه واكرمه ، واجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه يحادثة دونهم ، ثم شرع الحاضرون في الثناء على أبن زياد والأحنف ساكت . فقال له معاوية : مالك لا تتكلم ؟ قال الأحنف : أن تكلمت خالفتهم ، فقال معاوية : اشهدتهم اني قد عزلته عن العراق ، ثم قال لهم : انظروا لكم نائباً ، وأجلهم ثلاثة أيام ، فأختلفوا بينهم أختلافاً كثيراً ، ولم يذكر أحداً منهم بعد ثلاثة ايام ، فتأخروا في ذلك الكلام وكثر اللغط (أي الصراخ) وأرتفعت الأصوات والأحنف ساكت فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : ان كنت تريد ان تولي فيها أحداً من أهل بيتك ، فليس فيهم من هو أعلم بقرابتك ، فرده معاوية الى الولاية ، ثم قال معاوية لعبيد الله بكلام بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ انه هو الذي عزلك وولاك وهو ساكت ، فعظمت منزلته (الأحنف) بعد ذلك عند ابن زياد جداً وهو الذي صالح أهل بلخ على اربعمائة الف دينار كل سنة ، وله وقائع مشهوده ومشهوره[٢٢] وقول الشعراء في حلم الأحنف قال أبو تمام يمدح خالك بن طوق :

قل لابن طوق مرحى سعد اذا حنبطت	**حوادث الدهر أعلاها وأسفلها**
اصبحت حاتمها جوداً وأحنفهـــــا	**حلماً وكيسها علماً ودغفلهـا** [٢٣]

حلمه ونباهته وبلاغته :

كان الأحنف ذا حلم ودهاء ، حتى ضرب به المثل في الحلم ، وقيل عنه انه هوأحد العلماء الدهاة ، العظماء الشجعان الفاتحين ، وأحد أشراف العرب وحلمائها بالبصرة ، يضرب به المثل في الحلم وسؤدده ، الأمير الكبير ، العالم النبيل ، وكان سيداً شريفاً ، مطاعاً مؤمناً ، عليم اللسان وله أخبار في حلمه سارت به الركبان[٢٤] .

وقال عنه ابن سعد ايضاً في طبقاته : كان الاحنف ثقة مأموناً ، قليل الحديث وكان صديقاً لمصعب بن الزبير[٢٥] وقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هو مؤمن، عليم اللسان ، وقال عنه الحسن البصري : ما رأيت شريف قومٍ مثله قط ، وقال أحمد بن عبدالله العجلي : الأحنف بصري ، تابعي ثقة ، وكان سيد قومه وكان أعور أحنف الرجلين ذميما قصيراً[٢٦] كوسجاً[٢٧] .

وقال رجل ليحيى البرمكي : أنت والله أحلم من الأحنف بن قيس، فقال يحيى : ما يقرب الينا من أعطانا فوق حقنا ، ولعبد العزيز بن يحيى الجلوي كتاب اسمه (أخبار الأحنف) لكنه لم يصلنا . وقيل انه خطب عند عمر فأعجبه منطقه ، وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جواداً حليماً ، وكان الناس من حلمه يقول : والله إني لاجد ما يجدون ، ولكني صبور ، وقال وجدت الحلم أنصرُ لي من الرجال ، وقد انتهى اليه الحلم والسؤدد، وقال : أحيي معروفك بأمنه ذكره ، وقال عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ ، وقال :ما أتيت باب أحد هؤلاء إلا ان أدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا ان يدخلاني بينهما ، وقيل له بمن سددت قومك يا أحنف ؟ قال: بتركي الأمر ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعنيك . وأغلظ له رجل في الكلام وقال : والله يا أحنف لئن قلت لي واحده ، لتسمعن بدلها عشراً ، فقال له الأحنف : إنك ان قلت لي عشراً لا تسمع مني واحدة . وكان يقول : في

دعائه : اللهم إنْ تعذبني فانا أهلٌ لذلك ، وإنْ تغفر لي فانت أهلٌ لذلك[٢٨] . عن معمر بن قتاده قال : قدم الاحنف فخطب فأعجبه عمر منطقه ، قال : كنت أخشى ان تكون منافقاً عالماً ، فأنحدر الى مصرك ، فأني ارجو ان تكون مؤمناً . وعن الأحنف قال : كذبت مرة واحدة ، سألني عمر عن ثوب: بكم أخذته؟ فأسقطت ثلثي الثمن[٢٩] .وعن يونس بن بكير : حدثنا السري بن اسماعيل ، عن الشعبي قال : وفد ابو موسى وفداً من البصرة الى عمر منهم الأحنف بن قيس ، فتكلم كل رجل عن خاصة نفسه ، وكان الاحنف في آخر القوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال:أما بعد يا أمير المؤمنين فأن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه ، وأن أهل الشام نزلوا منازل قيصر وأصحابه ، وان أهل الكوفه نزلوا منازل كسرى ومصانعة في الانهار والجنان وفي مثل عين البعير وكالحوار[٣٠] . وفي السلى تاتيهم ثمارهم قبل ان تبلغ ، وان اهل البصرة نزلوا في ارض سبخه ، زعقه ، نشاشه لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها ، طرفها في بحر اجاج وطرف فلاة ، لا يأتينا شئ الا في مثل وري النعامة فأرجع خسيستنا وكيستنا وزد في عيالنا ، وفي رجالنا رجالا ، وصغّر درهمنا وكبر قفيرنا ، فما زلت اسمعها بعد وفي روايه : في مثل حلقوم النعامة [٣١] .

وقيل : عاشت بنو تميم بحلم الأحنف بن قيس أربعين سنة وفيه قال الشاعر:

اذا الأبصار أبصرت ابن قيس ‏ ‏ ‏ ظللن مها بةٌ منه خشوعـا [٣٢]

وقول أبي تمام :

إقدام عمرو في سماحة حـاتمٍ ‏ ‏ ‏ في حلم أحنف في ذكاء أياسِ[٣٣]

وقد قال الأحنف بن قيس :-

وذي ضِغنٍ أمَتّ القولَ عنهُ ‏ ‏ ‏ بحلمي واستمرّ على المقالِ

ومن يَحلُم وليس لهُ سفيهٌ ‏ ‏ ‏ يُلاقِ المعضلاتِ من الرجالِ[٣٤]

ورعه وحكمته وصبره :

يمتاز الأحنف بجلده وصبره ، سؤل معاويه عن صبره ، فقال : هذا الذي إذا غضب غضب له مائة الف لا يدرون فيم غضب[٣٥] .

وعن صبره قال المغيرة : ذهبت عين الأحنف فقال : ذهبت قبل أربعين سنة ما شكوتها لأحد [٣٦] .

وقال عبد الله بن بكر المزني عن مروان الأصغر : سمع الأحنف يقول : اللهم إن تغفر لي فأنت أهلُ ذاك ، وان تعذبني ، فأنا أهل ذاك[٣٧] .

وعن الاحنف قال : ما نازعني أحد ألا اخذتُ أمري بأمور ، أن كان فوقي عرضت له وأن كان دوني رفعت قدري عنه ، وأن كان مثلي تفضلت عليه ، وعنه أيضا قال : لست بحليم ولكني أتحالم [٣٨] .

وقيل ان رجلاً قال للاحنف : بم سُدت ؟ وأراد ان يعيبه ، قال الأحنف : بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك[٣٩].

عن الأحنف : ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنئ ، وبرٌ من فاجر ، وحليم من أحمق ، وقال : من أسرع الى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون ، وعنه سؤل : ما المروءة ؟ قال : كتمان السر والبعد من الشئ ، وعنه قال: الكامل من عُدت سقطاته[٤٠] .

قال هشام : عن الحسن ، قال : رأى الأحنف في يد رجل درهماً ، فقال : لمن هذا ؟ قال : لي ، قال : ليس هو لك حتى تخرجه في أجر وأكتساب شكر وتمثل [٤١] .

فقال : **أنت للمال إذا أمسكتهُ ‏ ‏ ‏ وأذا أنفقته فالمال لك** [٤٢]

وعن الأحنف قال : رأس الآدب آله المنطق ، ولا خير في قول بلا فعل ، ولا في منظر بلا مخبر ، ولا في مال بلا جود ، ولا في صديق بلا وفاء ، ولا في

فقه بلا ورع ، ولا في صدقه الا نبّيه ، ولا في حياة إلا بصحة ، وأمن ، وعنه قال : العتاب مفتاح الثقالى ، والعتاب خيرٌ من الحقد[٤٣] . وقيل إنه كلم مصعباً في محبوسين وقال ؟ أصلح الله الأمير ، أن كانوا حبسوا في باطل فالعدل يسعهم ، وان كانوا حبسوا في حق ، فالعفو يسعهم ، وعنه قال : لا ينبغي للأمير الغضب ، لانّ الغضب في القدرة لقاح السيف والندامة ، وعن الأصمعي قال : قال : عبد الملك بن عمير ، قال : قدم علينا الأحنف في الكوفة مع مصعب ، فما رأيت صفة تذم الا رأيتها فيه ، كان ضئيلاً ، صعل الرأس ، متراكب الأسنان ، مائل الذقن ، ناتيء الوجنه ، باخق العين خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، فكان أذا تكلم جلا عن نفسه [٤٤] .

ومن حكمه وورعه أنه قال : لا يتم أمر السلطان الا بالوزراء والأعوان ، ولا ينفع الوزراء والأعوان الا بالمودة والنصيحة ، ولا تنفع المودة والنصيحة الا بالرأي والعفة [٤٥] .

وعن صبره كان الأحنف يسرج المصباح ، ويصلي ويبكي حتى الصباح ، وكان يضع إصبعه في المصباح ويقول حس يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : أذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على النار الكبرى [٤٦] .

خلقه ومنزلته الاجتماعية :

عن ابن عليه : عن أيوب عن محمد قال : نبئت أن عمر ذكر بني تميم فذمهم ، فقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين أتاذن لي قال : تكلم ، قال : أنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم ، وأنما هم من الناس ، فيهم الصالح والطالح ، فقال: صدقت ، فقام الحتات – وكان يناؤه – فقال: يا أمير المؤمنين أتأذن لي فلاتكلم : قال : أجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف[٤٧] .

وروي ان ابا جدعان ، عن الحسن ، أن عمراً كتب إلى أبي موسى الأشعري ، إئذن للأحنف بن قيس وشاروره وأسمع منه [٤٨].

عن قتاده عن الحسن قال : ما رأيت شريف قوم أفضل من الاحنف ، قال ابن المبارك : قيل للأحنف بم سودوك ؟ قال : لو عاب الناس الماء لم اشربه [٤٩] .

وعن منزلته ومكانته الأجتماعية : أنه صاحب راي وسمعة كبيرة ، يقول الجاحظ : لما خرج قطري بن الفَجاءة أحب أن يجمع الى رأيه رأي غيره ، فدس إلى الأحنف أبن قيس رجلاً ليجري ذكره في مجلسه ، ويحفظ عنه ما يقول ، فلما فعل . قال الاحنف في الخوارج (أما انهم ان جنبوا بنات الصهال وركبوا بنات النهاق وامسوا بأرضٍ واصبحوا بأرض طال امرهم [٥٠].

وعن منزلته الأجتماعية : عن الأصمعي : عن معتمر بن حيان ، عن هشام بن عقبه أخي ذي الرمة قال : (شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دم ، فتكلم فيه، وقال: أحتكموا ، قالوا نحتكم بديتين ، قال : ذاك لكم ، فلما سكتوا قال : أنا أعطيكم ما سألتم ، فاسمعوا : ان الله قضى بدية واحدة وان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قضى بديه واحدة وإنَ العرب تعاطى بينها ديه واحدة ، وأنتم اليوم تطالبون ، واخشى ان تكونوا غداً مطلوبين ، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم . فقالوا : رُدها إلى ديه) [٥١] .

وقيل : كان الأحنف إذا أتاه رجل وسَع له ، وان لم يكن له سعة ، أراه كانه يوسع له [٥٢] . وعن الأحنف قال : جنبوا مجالسكم ذكر النساء والطعام ، اني أبغضُ الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه [٥٣] .

مشاركتهِ في الفتوحات :

إنَ للأحنف دوراً بارزاً في فتوحات كثيرة من المناطق وخاصة في بلاد فارس حيث شهد فتوح خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل ، كما أنه شهد صفين مع علي

أبن ابي طالب (رضي الله عنه) [٥٤] . قال خليفة : توجه ابن عامر إلى خراسان وعلى مقدمته الأحنف ، فلقي أهل هراة فهزمهم ، فأفتتح ابن عامر أبرشهر [٥٥] صلحاً – ويقال عنوة – وبعث الأحنف في اربعة الآف فتجمعوا له مع طوقان شاه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم الله المشركين ، وكان الأحنف في قواد جيش علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) يوم صفين ، قال أبن سعد : كان الأحنف ثقة مأموناً قليل الحديث [٥٦] .

وقال أبن سيرين : كان الأحنف يحمل ويقول :

إن على كل رئيسٍ حقاً أن يخضب القناة أو تندقاً [٥٧]

وقيل ساراالأحنف الى بلخ ، فصالحوه على اربعمائة ألف ، ثم أتى خوارزم ، فلم يطقها ، فرجع الأحنف ، وجمع أهل خراسان جمعاً كبيرا ، وتجمعوا بمرو ، فالتقاهم الأحنف فهزمهم وكان ذلك الجمع لم يسمع بمثله[٥٨].

وعن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو كعب صاحب الحرير ، حدثنا أبو الأصغر ، ان الأحنف استعمل على خراسان .

أما في فتح الأحواز ، أقبل عمر على الهرمزان وقال : خدعتني لا والله الا ان تُسلم : فأسلم ، ففرض له في ألفين وانزله المدينة وأستأذنه الأحنف بن قيس في الانسياح في بلاد فارس ، وقال : لا يزالون في الأنتفاض حتى يهلك ملكهم فأذن له ، ولما جاء الأحنف بن قيس بالهرمزان إلى عمر قال له : يا أمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، فلو أذنت بالانسياح في بلادهم ، فانزلنا ملكهم إنقطع رجاؤهم ، فامر أبو موسى ان يسير من البصرة غير بعيد ويقيم حتى يأتي أمره ، ثم بعث اليه مع سهيل بن عدي بألوية الأمراء الذين يسيرون في بلاد العجم : فلواء خراسان للأحنف بن قيس [٥٩]. وعندما ظفر سعد بن أبي وقاص بالقادسية ، أراد أن يؤثر في الفرس ، فندب الناس الى فارس فأجابوه ، وعندما خرج

المسلمون نحو البصرة ، أخذوا الفرس عليهم الطرق ، فعسكروا وامتنعوا ، وبلغ ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فارسل الى عتبة بالبصرة ، يأمره بأنقاذ جيش كثيف الى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا وأمر العلاء بالانصراف عن البحرين إلى سعد بمن معه ، فارسل عتبه الجنود بأثني عشر الف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والأحنف بن قيس وأمثالهم [٦٠] .

وروي عن مسلم بن إبراهيم : حدثنا أبو كعب صاحب الحرير ، حدثنا أبو الأصغر أن الأحنف أستعمل على خراسان فأجنب في ليلة باردة ، فلم يوقظ غلمانه وكسر ثلجاً واغتسل [٦١] . وقد أثبتت الروايات التاريخية عن فتوحات هذه الشخصية الأسلامية ، فقد ذكر ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ قال : لما عقدت الألوية للأنسياح في بلاد فارس كان الأحنف بن قيس منهم بخراسان ، وقد تقدم أن يزدجر دوسا بعد جلولاء الى الري ، وكتب الضحاك بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم عليها وبعث بها إلى سعد ، فردها عليه على حكم الصلح الذي عقد له . ثم سار يزدجرد والناس معه إلى أصبهان ثم الى كرمان ثم رجع الى مرو من خراسان ، فنزلها وامن من العرب ، وكاتب الهرمزان وأهل فارس بالأهواز والفيرزان وأهل الجبال ، فنكثوا جميعا وهزمهم الله تعالى وخذلهم وأذن عمر رضي الله عنه للمسلمين بالأنسياح في بلادهم ، وأمرَ الأمراء كما أسلفنا وعقد لهم الألوية ، فسار الأحنف الى خراسان سنة ثمان عشرة وقيل اثنتين وعشرين فدخلها مع الطبسين. وافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان [٦٢] العبدي ، ثم سار إلى مرو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الأحنف ولحقه مدد أهل الكوفة هناك ، فسار إلى مرو الروذ واستخلف على الشاهجان حارثه بن النعمان الباهلي ، وجعل مدد أهل الكوفة في مقدمته ، والتقوا هم وازدجرد على بلخ فهزموه وعبر النهر فلحقهم الأحنف وقد فتح الله تعالى عليهم ، ودخل أهل خراسان في الصلح ، بين نيسابور وطخارستان ،

وولى على طخارستان ربعي بن عامر ، وعاد الى مرو الروذ ، وكان يزدجرد قد استنجد ملوك الأمم وكتب إلى ملك الصين وإلى خاقان ملك الترك ، وإلى ملك الصغد ، فلما عبر يزدجرد النهر مهزوماً أنجده خاقان الترك وأهل فرغانة والصغد ، فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان ، فنزلابلخ ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف وقاموا يقاتلون اياماً وصحبهم الاحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله ويتلوه إثنان كذلك ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم ، فقتل الأحنف الاول ثم الثاني ثم الثالث ، فلما مر بهم خاقان تشاءم وتطير ورجع أدراجه فارتحل وعاد إلى بلخ ، وبلغ الخبر إلى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصرا لحارثة بن النعمان ومن معه مجمع خزائنه واجمع اللحاق بخاقان على بلخ ، فمنعه أهل فارس وحملوا على صلح المسلمين والركون اليهم ، وانهم اوفى ذمة من الترك ، فابى من ذلك وقاتلهم فهزموه واستولوعلى الخزائن[٦٣] . ولحق بخاقان وعبروا النهر إلى فرغانه ، وقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر (رضي الله عنه) كلها الى ان كفر أهل خراسان أيام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) . ثم جاء أهل فارس إلى الأحنف ودفعوا اليه الخزائن والأموال وصالحوه واغتبطوا بملكة المسلمين وقسم الاحنف الغنائم فاصاب الفارس ما اصابه يوم القادسية . ثم بعد ذلك نزل الأحنف بلخ وانزل أهل الكوفة في كورها الاربع ورجع الى مرو الروذ فنزلها ، وكتب بالفتح الى عمر (رضي الله عنه) ، وكان يزدجر لما عبر النهر لقي رسوله الذي بعثه الى ملك الصين ، قد رده اليه يسأله أن يصف اليه المسلمين الذين فعلوا به هذه الافاعيل ، مع قلة عددهم ، ويسأل عن وفائهم ودعوتهم وطاعة أمرائهم ووقوفهم عند الحدود ومأكلهم ومشاربهم وملابسهم ، ومراكبهم ، فكتب اليه بذلك كله . وكتب اليه ملك الصين ان يسالمهم فانهم لا يقوم لهم شئ بما قام نردبل[٦٤] . فأقام يزدجرد بفرغانه بعهد من خاقان . ولما وصل الخبر الى عمر (رضي الله عنه) خطب الناس وقال : الا وان ملك

المجوسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ألا وان الله تعالى قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءَهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم ، فاني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتي إلا من قبلكم [٦٥]. وقد بعث الاحنف بن قيس الى طخارستان فصالح في طريقه رستاقا على ثلثمائة الف على ان يدخل رجل يؤذن منه ويقيم حتى ينصرف ومر الى مروالروذ ، وزحف اليه اهلها فهزمهم وحاصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذام صاحب اليمن ، فكتب الى الأحنف متوسلا بذلك في الصلح ، فصالحه على ستمائة الف . ثم اجتمع أهل الجوزجان والطالقان والقارياب في جمع عظيم ولقيهم الاحنف ، فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزموا ، فقتلوا قتلا ذريعا ، ورجع الاحنف الى مرو والروذ ثم فتح الاحنف الطالقان صلحاً والقارياب ، وقيل فتحها أمير بن أحمد ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحوه على اربعمائة الف وقيل سبعمائة واستعمل عليها اسيد بن المنشمر ثم سار الى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه ، فرجع الى بلخ [٦٦] . وفي معركة الجمل أرسلت السيدة (عائشة رضي الله عنها) كتاباً بيد عبدالله بن عامر الى رجال من البصرة إلى الأحنف بن قيس وسحرة وأمثالهم ، وأقامت بالحفين[٦٧] تنتظر الجواب ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة ، دعا عثمان بن حنيف بن حصين وكان رجلاً عامة وابا الاسود الدؤلي وكان رجلا خاصة ، وقالا انطلقا الى هذه المرأة فأعلمها علمها وعلم من معها ، فجاءها بالحفين ، وقالا : أن أميرنا بعثنا نسألك عن مسيرك . فقالت : إن الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا ، فخرجت بالمسلمين اعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا وما ينبغي من اصلاح هذا الامر[٦٨]. وكان أهل البصرة على ثلاث فرق متفرقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة إعتزلت كالأحنف بن قيس[٦٩]. ولما فرغ الامام علي رضي الله عنه من الموقعه جاءه الاحنف في بني سعد فقال له : تربصت ، فقال : ما أراني إلا قد أحسنت

ويأمرك كان ما كان ، فارق فأن طريقك بعيد وأنت إلي غداً احوج منك أمس فلا تقل لي مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحاً ثم دخل البصرة يوم الأثنين فبايعه أهلها وحتى الجرحى [٧٠].

أما في موقعة صفين طلب الأحنف بن قيس من الامام علي (رضي الله عنه) إن يجعله مع أبي موسى الأشعري فأبى الناس من ذلك وحضر عمرو بن العاص عند علي (رضي الله عنه) لتكتب القضية بحضوره ، فكتبوا بعد البسملة : هذا اما تقاضى عليه أمير المؤمنين ، فقال عمرو ليس هو بأميرنا : فقال له الأحنف: لا تمحها فأني اتطير بموحها ، فمكث ملياً[٧١].

وأما في امر الخوارج وقتالهم فرأى علي(رضي الله عنه) أن يمضي إلى الشام ويدعهم وقام في الناس يحرضهم لذلك وكتب إلى ابن عباس من معسكره بالنخيلة يأمره بالشخوص بالعساكر والمقام إلى أنْ يأتي أمره ، فأشخص أبن عباس الاحنف بن قيس في ألف وخمسمائة ثم خطب ثانية وندب الناس ، وقال : كيف ينصر هذا العدد القليل وأنتم ستون ألف مقاتل ثم تهددهم وأمرهم بالتغير مع جارية بن قدامة السعدي فخرج معه ألف وستمائة ووافوا علياً في ثلاثة الآف ويزيدون [٧٢].

وهناك مصادر تاريخية تؤيد بأن للأحنف وقائع مشهودة ومشهورة ، فهو الذي افتتح مرو الروذ . وكان الحسن وابن سيرين في جيشه وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد وقتل من أهل خراسان خلقاً كثيراً في القتال بينهما وانتصر عليهم[٧٣] .

أما في ذكر مسير مصعب بن الزبير إلى المختار وقتله ، وعندما اقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الاكبر وارسل مجموعة على قبائلهم نصرة لمصعب ، فارسل الاحنف بن قيس على تميم [٧٤].

وقد ذكرت بعض المصادر الجغرافية المهمة أن ياقوت الحموي قال : انفذه عمر سنة ١٨ هـ لغزو خراسان ، فدخلها وتملك مدنها فبدأ بالطبسين ثم هراة ومرو الشاهجان خافقان ملك الترك بما وراء النهر [٧٥] .

وعن العلاء بن الفضل المنقري : حدثنا العلاء بن جرير ، حدثني عمر بن مصعب أبن الزبير عن عمه عروة ، حدثني الأحنف أنه قدم على عمر (رضي الله عنه) بفتح (تستر) فقال فتح الله عليكم تستر وهي من أرض البصرة ، فقال رجل من المهاجرين يا أمير المؤمنين ، أن هذا يعني – الأحنف – الذي كف عنا بني مره حين بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في صدقاتهم ، وقد كانو هموا بنا[٧٦] . وهناك معلومة تأريخية اثناء ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم البصرة، حيث كان له زخوف على خراسان وكان أربعة منها للأحنف بن قيس[٧٧].

ومن اخبار يوم صفين ، تبين أن عسكر الامام علي بن أبي طالب عليه السلام بموجب ما رواه لنا عمرو بن شمر ، عن جابر عن محمد بن علي و زيد بن حسن و محمد بن عبد المطلب أنه جعل على الخيل عمار بن ياسر و على الرجّاله عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي ، و على الميمنه سليمان بن صرد الخزاعي و على رجاله الميسره الحارث بن مره و جعل القلب مضر الكوفة و البصرة[٧٨].

و عقد الويه القبائل ، و اعطاها قوماً منهم بأعيانهم ، و جعلهم رؤساءهم و أمراءهم و جعل على قريش و أسد و كنانه عبد الله بن عباس وعلى كنده حجر بن عدي الكندي و على بكر البصرة الحُصين بن المنذر الرقاشي ، وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس[٧٩] .

ومن اخباره يوم الجمل : قال ابو محنف :– و حدثني الكلبي ، عن ابي صالح عن ابن عباس ، ان الزبير و طلحه أغذّا بمعنى (اسرعا) السير بعائشة ، حتى انتهوا الى حفر ابي موسى الاشعري ، وهو قريب من البصرة و كتب الى

عثمان بن حنيف الانصاري وهو عامل علي عليه السلام على البصرة : أن أخلِ لنا دار الاماره ، فلما وصل كتابهما اليه بعث الاحنف بن قيس ، فقال له : إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و الناس اليها سراع كما ترى ، فقال الاحنف : انهم جاءوك بها الى الطلب بدم عثمان وهم الذين الّبوا على عثمان الناس ، و سفكوا دمه ، و اراهم والله لايزالون حتى يلقوا العداوه بيننا و يسفك دماءنا ، و اظنهم والله سيركبون منك خاصةً ما لا قِبلَ لك به ، إن لم تتاهب لهم بالنهوض اليهم فيمن جعل من اهل البصرة ، فانك اليوم الوالي عليهم و انت فيهم مطاع ، فسر اليهم بالناس و بادرهم قبل ان يكونوا معك في دارٍ واحدة ، فيكون الناس لهم اطوع منهم لك ، فقال عثمان بن حنيف : الرأي ما رأيت لكنني اكره الشر و أن ابدأهم بهِ و ارجوا العافيه و السلامة الى أن ياتيني أمير المؤمنين و رايه فا اعمل به ، ثم أتاه بعد الاحنف بن قيس حكيم بن جبله العبدي ومن بني عمر بن وديعه فاقرأه كتاب طلحه و الزبير ، فقال له مثل قول الاحنف و أجابه عثما بمثل جواب للاحنف (٨٠) و حدثنا الأشعث بن سوار عن محمد بن سيرين عن ابي الخليل قال : لما نزل طلحة و الزبير المربد اتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما : ناشدتكما الله و صحبة رسول الله :ما الذي اقدمكما ارضنا هذه ؟ فلم يتكلما فاعدتُ عليهما فقالا : بلغنا أن بارضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها . و روي محمد بن سيرين عن الاحنف بن قيس انه لقيهما فقالا له مثل مقالتهما الاولى : انما جئنا نطلب الدنيا (٨١) .

وفاته :

أختلفت المصادر التاريخية بوفاته ، فقد ذكر أبن الأثير ان وفاته بالكوفة عام سبع وستين مع مصعب بن الزبير ، وقيل مات سنة إحدى وسبعين بالكوفة ، لما سار مصعب الى قتال عبد الملك بن مروان (٨٢).

وقيل انه توفي سنة سبعة وستين وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة ، وقيل أكثر من ذلك وقيل توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى في جنازته (٨٣).

ويقال انه توفي سنة اثنتين وسبعين الأمير أبو بحر الاحنف بن قيس احد أشراف العرب وحلمائها بالبصرة وله سبعون أو أكثر (٨٤) .

ولطالما نحن بصدد وفاة هذه الشخصية الاسلامية التاريخية ، فقد ذكر عبد الرحمن أبن القاسم المصري الفقيه ، عن أبي جرير المعافري ، عن عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة ، قال : حضرت جنازة الأحنف بالكوفة ، فكنت فيمن نزل قبره ، فلما سويته ، رأيته قد فسح له مد بصري فأخبرت بذلك أصحابه ، فلم يروا ما رأيت ، وقال أبو عمر بن العلاء ، توفي الأحنف في دار عبيد الله بن أبي غضنفر ، فلما دُلي في حضرته ، اقبلت بنت الآوس السعدي وهي على راحلتها عجوز ، فوقفت عليه ، وقالت من الموافي به حضرته لوقت حمامه ؟ قيل لها الأحنف بن قيس قالت والله ، لئن كنتم سبقتمونا الى الاستماع به في حياته لا تسبقونا الى الثناء عليه بعد وفاته ثم قالت : لله درك من مَجن في جنن ، ومُدرج في كفن ، وانا لله وانا اليه راجعون ، نسأل من ابتلانا بموتك ، وفجعنا بفقدك ، أن يوسع لك في قبرك ، وان يغفر لك يوم حشرك ، ايها الناس ، إن اولياء الله في بلاده هم مشهوده على عباده ، وانا لقائلون حقاً ، ومثنون صدقاً ، وهو أهلُ لحسن الثناء(٨٥). وعن تاريخ حياته اخبرنا قرة أبن خالد ، حدثنا ابو الضحاك أنه أبصر مصعباً يمشي في جنازة الأحنف بغير رداء ، وقال الفسوى : مات الأحنف سنة سبع وستين . وقال غيره : توفي سنة إحدى وسبعين ، وقال جماعة : مات في أمرة مصعب بن الزبير على العراق رحمه الله (٨٦) .

الخاتمة :

الحمد الله رب العالمين وعلى اله وصحبه اجمعين، والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه آله وسلم). في نهاية بحثنا هذا فقد توصلنا الى مجموعة من النتائج المهمة التي يمكن حصرها على الشكل التالي :

١- إن ولادة الأحنف بن قيس في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه لم يرَ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
٢- تبين من خلال المصادر التاريخية أنه أدرك الجاهلية ثم أسلم .
٣- من خلال كتب التاريخ إتضح أن الأحنف بن قيس أعور ، أحنف الرجلين ، ذميماً قصيراً ، كوسجاً وكان اسمه صخر بن قيس ، وقيل اسمه الضحاك سيد تميم أحد العظماء الدهاة .
٤- تبين أن شخصية الأحنف من حيث مواقفه المتميزة لنصرة الاسلام والمسلمين قد حضيت بثقة عالية من قبل المسلمين ولا سيما بين أشراف قومه من حيث شجاعته ، وحلمه ، ودهائه وصبره وورعه ومنزلته الأجتماعية .
٥- اختلفت المصادر التاريخيةالمهمة بتاريخ وفاته ، فمنهم من قال : انه توفي سنة سبع وستين للهجرة ، ومنهم من قال انه توفي سنة أثنتين وسبعين .
٦- تبين ان للأحنف دوراً بارزاً في فتوحات كثيرة وخاصة في بلاد فارس حيث شهد فتوحات خراسان ، واعتزل الفتنة يوم الجمل ، وقد شهد صفين مع الأمام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه وارضاه)، ففتح هراة ، وبلخ ، ومرو ، والاهواز ، ونيسابو ، ومناطق أخرى . حقاً انها شخصية يستحق الوقوف عليها ، فهو رمزٌ بارزٌ من رموز التاريخ الاسلامي العربي وعقل مُدبر في صنع القرار والكلمة المعبرة الصادقة عن الذات ، فهو عنوان مبارك قل نظيره في التاريخ في كيفية صياغة الجملة المؤثرة والكلام الجميل في الأجابة عن أي سؤال يطرح .

نسأل الله تعالى ان يوفقنا لما فيه الخير والنصرة لديننا الاسلامي الحنيف وتاريخ امتنا الزاهر بالبطولات والمآثر الطيبة الصادقة .

الهوامش :

(١) الحنف في القدمين ،اقبال كل واحدة منهما على الاخرى بأبهامها ، وكذلك هو في الحافر وفي اليد والرجل وقيل هو ميل كل واحدة من الابهامين على صاحبتها ،وقيل : هو انقلاب القدم حتى يصير بطنها ظهرهاوقيل : ميل في صدر القدم ، وقيل : رجل أحنف وأمرأة حنفاء وبه سمي الأحنف بن قيس ، ينظر أبن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ت ٧١١هـ ، طبعة وراجعة وصححة بمعرفة نخبة من الاساتذة المتخصصين ، دار الحديث ، القاهرة (مادة حنف).

(٢) ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د . ت . أبو نعيم احمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ) اخبار اصبهان ، مطبعة بريل/ ليدن ١٩٣٤ م ٢٢٤/١ . وابن خلكان ، ابو العباس، شمس الدين احمد بن ابي بكر ، ت ٦٨١هـ ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، والأصبهاني ،. والذهبي ، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) سير اعلام النبلاء ، تحقيق محمود شاكر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٤٢٨/٣ ، والذهبي تاريخ الاسلام ١٢٩/٣ . والديار بكري ، الامام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن،تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس،دار صادر، بيروت د.ت ٣٠٩/٢

(٣) الكوسج ، الذي لم تنبت له لحية ولا شعر على عارضيه ، لسان العرب (مادة كسج) وابن كثير ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية ٣٣١/٨ .

(٤) ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ هـ) البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ٣٣١/٨

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٢٨/٣ و ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٦٣٠ .

(٦) ابن الاثير ، أسد الغابة ، ٣٤/١ و ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٣٣١/٨ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ٦٦/٧ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢٣٠/١ .

(٨) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ٤٢٩/٣ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٣١/٨ .

(١٠) اخرجه احمد في مسنده (٢٢٦٠٥) والحاكم في المستدرك ٧/٢/٣ (٦٥٧٣) والبخاري في التاريخ الكبير ٥٠/٢(١٤٩) ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ٤٢٨/٣ .

(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣٢/٨ .

(١٢) الذهبي ، سير الاعلام النبلاء ٤٣٠/١ .

(١٣) شرح ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١١٢ .

(١٤) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ، مجلد ٨ ، ص٩٩ .

(١٥) المصدر نفسه ج١٥، ص٨٢ .

(١٦) المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٨٢ .

(١٧) المبرد ، الكامل ،ج١ ، ص٨٢ .

(١٨) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٥ ، مجلد ٨ ، ص١٠٠ .

(١٩) المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٨٣ .

(٢٠) المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص٨٣ .

(٢١) المصدر نفسه، الكامل ، ج١ ، ص٨٣ ، ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة ، ج١٥ ، مجلد ٨ ، ص١٠١ .

(٢٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٣٢/٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ٢٢/٣

(٢٣) الجاحظ ، عمرو بن عثمان ، ت ٢٥٥ هـ ، رسائل الجاحظ ٨٤/٤ ، والبيت في ديوان ابي تمام ٢٣٦ .

(٢٤) ابن سعد ، الطبقات ، ٦٦/٧ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ٣٣١/٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢٣٠/١ ، وابو نعيم الاصبهاني ، تاريخ اصبهان ٢٢٤/١ ، والذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١٢٩/٣ .

(٢٥) الديار بكري ، تاريخ الخميس ٣٠٩/٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ٣٣١/٨ .

(٢٦) ابن سعد ،الطبقات ، ٦٦/٧ .

(٢٧) كوسج ، الذي لم تنبت له لحية ولا شعر على عارضيه ، ابن منظور ، اللسان ، مادة (كَسَجَ) .

(٢٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣٢/٨ .

(٢٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣٠/١ .

(٣٠) الحوار : ولد الناقة من حيث يوظع الى ان يفطم ويفصل ، وقيل هو حوار ساعة تضعه امه خاصة ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حور) .

(٣١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٣٠/١ .

(٣٢) البيت من بحر الواقر ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ٤٣٠/١ .

(٣٣) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ٨٤/٤ ، والبيت في ديوان أبي تميم

(٣٤) المبرد ، العلامة أبي العباس محمد بن يزيد ت(٢٨٥هـ) ، الكامل في اللغة و الأدب ، مكتبة المعارف بيروت ، مكتبة النصر الرياض ، سنة ١٣٨٦هـ ،جـ١ ،ص٨٢.

(٣٥) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ٣٠٩/٢ .

(٣٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣١/١.

(٣٧) المصدر نفسه ج١/ص٤٣٤ .

(٣٨) المصدر نفسه ج١/ص٤٣٦

(٣٩) المصدر نفسه ج٤٣٧/١ .

(٤٠) المصدر نفسه ج١/ص٤٣٨.

(٤١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣١/١.

(٤٢) المصدر نفسه ج١/ص٤٤٠.

(٤٣) المصدر نفسه ج٤٤٠/١.

(٤٤) المصدر نفسه ، الصعل : صغر الراس ، والبخق : انخساف العينين .

(٤٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣٠/١ .

(٤٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣١/٨ .

(٤٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣٠/١ .

(٤٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٦٦/٧ .

(٤٩) المصدر نفسه ج٧/ص٦٩.

(٥٠) الجاحظ ، عمرو بن عثمان ، ت ٢٥٥هـ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الجاحظ ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، دار الجيل للطبع ، مصر ، ٨٤/٤ .

(٥١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣١/١ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ٤٣٢/١ .

(٥٣) المصدر نفسه ج٤٣٣/١.

(٥٤) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ٣٠٩/٢ .

(٥٥) ابرشهد: نفتح الهمزة وسكون الباء وفتح الراء وسكون الهاء ، مدينة بفارس ، ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٦٥/١ .

(٥٦) ابن سعد ، الطبقات ٦٦/٧ ، والذهبي ، سير اعلام النبلاء ٤٢٨/٣ .

(٥٧) البيت من بحر الرجز ، وهو الاحنف ، ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صعد) ينظر الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣٠/١ .

(٥٨) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣٠/١ .

(٥٩) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٥٥٢/٢ – ٥٥٣ .

(٦٠) المصدر نفسه،ج٥٤٩/٢.

(٦١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣١/١ .

(٦٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٥٦٤/٢

(٦٣) المصدر نفسه ج٥٦٤/٢.

(٦٤) كذا في الاصل : وفي الكامل لابن الاثير ،ج٣ ص ٣٧ " وكتب ملك الصيف الى يزدجرد "" ((انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند اوله بمرو واخره بالصين الجهالة بما يحق علي . ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لم سريهم ازالوني ما داموا على ما وصف . فسالهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهيجهم بما لا يهيجوك ؟، وردت هذه المعلومة في الكامل لابن الاثير ج٣٧/٣ .

(٦٥) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ٥٦٤/٢ .

(٦٦) المصدر نفسه ج٢/ص ٥٧٨ – ٥٧٩ .

(٦٧) الحفين : وهو موضع بين مكة والمدينة وعن ابن دريد ، يقول : انه مكان بين مكة والبصرة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان .

(٦٨) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٦٠٨/٢ – ٦٠٩

(٦٩) المصدر نفسه ، ٦١٧/٢ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ٦٢٠/٢ .

(٧١) المصدر نفسه ، ٦٣٣/٢ .

(٧٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٢٨/٣ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٣٨/٢ – ١٣٩. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣١/٨ .

(٧٣) مرو: مدينة من اعظم مدن خراسان ، ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١١٢/٥ .

(٧٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٧٧٠/١ .

(٧٥) هراة : مدينة بفارس ارضها خصبه و نبتها اللقاح و النرجس و الخيرات ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣٩٧/٥ ، النووي ، ابو بكر زكريا ،تحقيق عبد الغني ، تحرير اللفاظ التنبيه ، دار القلم دمشق ، ط١ سنة ١٤٠٨هـ ، ٢٦١/١ ، الطبسين : مدينة فارسية في اواني خراسان ، البكري ، عبد الله ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، ج٢ص ١٠١ .مرو الشاهجان : بفتح الشين و كسر الهاء بعدها جيم من بلاد فارس مدينة كبيرة جميلة ، البكري ، معجم ما استعجم ، ١٤٠٣/٤.

(٧٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٢٩/٣ .

(٧٧) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨/٣ .

٤– المصدر نفسه،٣/ص١٨

(٧٨) ابن ابي الحديد،(ت٣٤٠ هـ)،شرح نهج البلاغه،تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم،(بيروت،٢٠٠٨)،ج٤/ص٢٨١.

(٧٩) ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،٣/ص١٨.

(٨٠) أبن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،جـ٩ ، مجلد٥ ، ص٢٢٨ .

(٨١) المصدر نفسه ، ص٢٣٢ .

(٨٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٧٧٥/١ .

(٨٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣١/٨ .

(٨٤) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ٣٠٩/٢ .

(٨٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤٣٣/١ .

(٨٦) المصدر نفسه،ج٤٢٨/٣

المصادر :

١- أبن الأثير ، عز الدين إبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، (ت ٦٣٠ هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة ،دار صادر ،بيروت سنة ١٩٧٠ .
٢- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٩ .
٣- البكري عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد و المواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٨هـ .
٤- أحمد بن حنبل ، (ت ٢٤١ هـ)، مسند الأمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصرسنة١٤١٩هـ .
٥- الأصبهاني ، أبونعيم ، أحمد بن عبد الله ، (ت ٤٣٠ هـ) ، ذكر أخبار أصبهان ، مطبعة بريل / ليدن سنة ١٩٣٤ م .
٦- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن أسماعيل ، (ت ٢٥٦ هـ)، التاريخ الكبير ، بيروت سنة ١٤٠٩هـ .
٧- الجاحظ ، عمرو بن عثمان ، (ت٢٥٥ هـ) ،رسائل الجاحظ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الجاحظ ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الجبل للطبع ، مصر.
٨- أبن أبي الحديد ، عز الدين ابو حامد المدائني ، (ت ٦٥٥ هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٨ م .
٩- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) مراجعة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت لبنان ٢٠٠١ م .
١٠- الحاكم ، محمد بن عبدالله النيسابوري ، (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك ، ط١ ، بيروت سنة ١٤١١هـ .

١١- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد ، (ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين حميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٤٨ .
١٢- الديار بكري ، الأمام الشيخ حسين محمد بن الحسن ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، دار صادر ، بيروت د . ت
١٣- الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد ، ت ٧٤٨هـ ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق محمود شاكر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
١٤- الذهبي ، تاريخ الأسلام ، تحقيق محمود شاكر ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
١٥- ابن سعد ، محمد بن سعد ، ت ٢٣٠ هـ ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بروت ، د . ت
١٦- النووي ، يحيى بن شرف ، تحرير اللفاظ التنبيه ، تحقيق عبد الغني الدقر ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، سنة ١٤٠٨هـ .
١٧- ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .
١٨- المبرد ، العلامة ابي العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ، الكامل في اللغة و الادب مكتبة المعارف بيروت و مكتبة النصر الرياض سنة ١٣٨٦هـ .
١٩- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ، (ت ٦٢٦ هـ) / معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٧٤هـ .
٢٠- ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب . طبعة ومراجعة مصححة / مجموعة من المتخصصين ، القاهرة٢٠٠٣م .

Alahnaf Bin Kais : A study in his Life and Role in Islam:

The history of the Islamic Arab state is full of important figures who took the responsibility of building the state and with their great sacrifice and remarkable efforts .

This study, there fore, deals with one of the major Islamic Arab figures, called al-ahnaf bin kais al-timeemy .

Al ahnaf was born in the age of the prophet Mohammed (Allah blessings and peace be upon him) , but he didn't see him.

He took part in several Islamic conquests because of his courage, intelligence, wisdom and patience.

حكم أراضي العنوة
- أرض سواد العراق -
أنموذجًا

م. عادل عباس جسام
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

– المقدمة –

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد :

تنطوي السياسات الاقتصادية للدولة العربية الإسلامية في عصرها الأول على مستوى عالٍ من الثبات والحق والمسؤولية وعدم غبن الرغبة بالتوزيع العادل لمجمل الإيرادات لأنها استلهمت تلك السياسات من وحي القرآن أولاً ومن إجراءات الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فجاءت لتعبر عن الصدقية والعدالة والنزاهة في التعامل المسؤول مع النصوص القرآنية وسنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وتطبيقاتها في مجمل ما طرأ من تطورات في المجالات الاجتماعية والاقتصادية للدولة الإسلامية.

جاء الإسلام بآراء وأفكار اقتصادية متميزة بزت ما جاء قبلها من قوانين وإجراءات وضعية أغفلت الجانب الإنساني وأثقلت كاهل الناس وأرهقتهم من شدة الضرائب المفروضة على المزارعين وأرباب الحرف والصنائع لاسيما في العصور التي سبقت الإسلام والتي كانت يتنازعها ويتقاسم ثرواتها كل من الروم البيزنطيين والفرس الساسانيين.

عني المنهج الاقتصادي الإسلامي بالمادة والروح معاً في إطار متكامل ، وجاء لينظم سلوك الإنسان وتحديد ما له وما عليه سواء كان مسلماً أم ذمياً في إطار

– تمهيد –

النظام الاقتصادي الإسلامي والملكية :

إن النظام الاقتصادي الذي اعتمدته الدولة الإسلامية في جميع مراحل تطورها استمدته من الشريعة الإسلامية أولاً والاجتهاد في ظل النص واعتماد القياس والمعالجة التي تتسق مع روح النص كان نظاماً متكاملاً ومتوازناً روعي فيه المصلحة العامة ومتطلبات كل مرحلة واستطاعت الدولة أن تحقق في ظله مجتمعاً عرف فيه الفقير حقه والغني حدوده وفقاً لتلك القواعد في توزيع الثروة وتنظيم العلاقات بين الأفراد ، ورعاية الدولة لكل مرفق اقتصادي ما أسس لذلك التوازن الاجتماعي ومن ثم تحقيق قدر عالي من المساواة سيما في صدرها الأول.

وفي هذا السياق فقد أخرج الإسلام بعض الأموال من دائرة الملكية الفردية ، والتي تتعلق بحاجات مجموع الأمة وربما ليس للجهد البشري فيها مدخل ، لذا فأن تدخل الدولة له ما يسوغه عندما يقتضي الأمر ذلك فيما يتصل بتوجيه الملكية الفردية أو تحديدها أو تقنينها ، وأن معالجة الدولة للمشكلات التي تطرأ على الملكية (ومنها بطبيعة الحال ملكية الأراضي المفتوحة) اتخذت منهاجاً وسطاً بين النظم التي تصادر حق الملكية بدعوى مصلحة الجماعة ، والنظم التي تغالي في ذلك الحق فتجعلها مطلقة بدعوى الحرية الاقتصادية ، وبهذا حقق المنهج الاقتصادي الإسلامي مصلحة الفرد ومصلحة المجموع.(١)

إذن فأن موقف الإسلام المبدئي من ملكية الأرض أستند إلى أن وظيفتها الاجتماعية ترتبط بعدة أهداف أهمها ضمان حقوق الأمة فيها كمصدر من مصادر الإنتاج في مجتمع شبه زراعي شبه رعوي تكون فيه الأرض عنصر إنتاج أساس ، فضلاً عن ضمان حقوق الأجيال اللاحقة والحيلولة دون استئثار فئة معينة بملكيتها

الدولة متوخياً التوازن التام في معايير الإنتاج والتوزيع العادل للثروات ، ولم يكن جامداً في التعامل مع المستجدات وسائر المتغيرات الاقتصادية التي تتطلب حلولاً سليمة وعاجلة.

ولعل ما طرأ من تطور على صعيد الفتوحات أن وقعت مساحات شاسعة من الأراضي بيد الفاتحين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) منها ما كان صلحاً ومنها ما كان عنوة تطلب ذلك الأمر أيلاء عناية واهتمام الخليفة وكبار الصحابة وقتئذ بضرورة التعامل الصحيح مع تلك الموارد وضمان توزيعها بالصورة العادلة لكل المقاتلة العرب المحاربين مع ضمان حقوق الأجيال اللاحقة.

وتأتي مسألة إيرادات الفيء من الأراضي المفتوحة عنوة ، والتي كان سوادها الأعظم خارج الجزيرة العربية من أثر الفتوحات فتحرر سواد العراق والشام وفلسطين ومصر وانهالت مبالغ طائلة من خراج تلك الأراضي تطلبت التعامل معها بكل دقة وسرعة لأن المسلمين انقسموا فيما بينهم في كيفية توزيعها حتى قرر الخليفة وبمشورة كبار الصحابة بجعلها فيئاً للناس كافة يرثونها جيلاً بعد جيل.

وبناءاً على ما تقدم فقد تناولت تلك المسألة وحيثياتها وعرض ملابساتها ومقارنة ذلك بالنصوص الفقهية وإجراءات الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مع ما أتخذه الخليفة من قرار جريء وخطير متوخياً العدالة والحق والله من وراء القصد.

لأنـه يـؤدي إلـى التفـاوت الطبقـي فضـلاً مـن حاجـة الدولـة لمواردهـا بهـدف بنـاء الدولة.[٢]

ولا غرو أن موقف الإسلام من الفرد والمجتمع ، وحرصه على أن يكون المجتمع سليماً قوياً متماسكاً يظهر لنا أهمية الوظيفة الاجتماعية في حماية الأهداف والمكتسبات الاجتماعية والتي تقع على كاهل الدولة وربما تأتي في مقدمة أهداف ووظائف الدولة الإسلامية تجاه الرعية.

وبناءاً على ما تقدم أنبرت الدولة الإسلامية وهي المنبثقة من إرادة الأمة والمعبرة عن ضميرها والمدافعة عن حقوقها ومصالحها بصدق وأمانة في حماية الأحكام والقرارات المتخذة بما يضمن تحقيق تلك الحقوق والمصالح لاسيما في تلك التي اتخذت في صدر الإسلام وعصره الأول.

وهكذا تتضح لنا فكرة التدخل الحكومي من خلال مفهوم الدولة في نظر الإسلام ، إذ لا يمكن للدولة أن تقوم بما أنيط بها من مسؤوليات ما لم تكن مخولة سلطة التدخل لإجبار الفرد في الامتثال لحكم النص الشرعي بشكل يصبح معه النص في موطن الاحترام من كل الرعية. [٣]

وتنطلق فكرة تدخل الدولة في حسم المشكلات العالقة والتي تحتاج إلى سند شرعي أولاً في أن ملكية المال ومنها بطبيعة الحال – الأراضي المفتوحة – أراضي العنوة – هي في الأساس لله تعالى ، وأن الإنسان المسلم مستخلف على ذلك المال ، وهناك الكثير من الشواهد الدالة على ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية ومنها ما ورد في القرآن الكريم (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) [٤] (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) [٥] (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) [٦] وكذلك (لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) [٧] ، وكذلك آيات التسخير [٨] فكلها تفيد أن ملك كل شيء هو لله وحده لأنه خلقه ولكن سخره للناس.

وهناك من يرى عدم شرعية تدخل الدولة من خلال تأميم الأرض أو تأميم ريعها ، مستدلين على ذلك ما واجهه الصحابة بعد فتوح العراق والشام ومصر واجتهادهم في عدم تقسيم الأرض بين الفاتحين (وهو مدار بحثنا هذا) ولم يكن ذلك الاجتهاد سهلاً واضحاً كما هو الحال في تقسيم الغنائم من الأموال المنقولة وجواز وشرعية ملكيتها الفردية. [٩]

المبحث الأول

أراضي العنوة

- المطلب الأول : أراضي العنوة لغة واصطلاحاً :

أرض العنوة : والعنوة : أي قهراً وغلبة ، وهو من عنا يعنو أي ذل وخضع ، والعنوة : المرة الواحدة فيه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل ، وفي حديث الفتح (أنه دخل مكة عنوةَ)[١٠].

والأرضون هي جزء من الغنيمة والفيء بشكل عام ، ذلك أن مال الفيء والغنيمة متفقان أن كل واحد من المالين واصل بالكفر ، وأن مصرف خمسهما واحد ، ووجه افتراقهما أن مال الفيء مأخوذ عفواً ومال الغنيمة مأخوذ قهراً ، وأن مصرف أربعة أخماس الفيء مخالف لأربعة أخماس الغنيمة ، [١١]ويورد لنا أبو عبيد في باب فتح الأرض عنوةَ ، وهي من الغنيمة والفيء جميعاً كيفية تعامل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء من بعده إلى اختلاف المسلمين في ذلك فقال بعضهم : سبيلها سبيل الغنيمة ، فتخمس وتقسم ، [١٢] فيكون أربعة اخماسها خططاً بين الذين افتتحوها خاصة ، ويكون الخمس الباقي لمن سمى الله تبارك وتعالى ، وقال بعضهم : بل حكمها والنظر فيها إلى الإمام : أن رأى أن يجعلها غنيمة ، فيخمسها ويقسمها ، كما فعل رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بخيبر وذلك له ، وأن رأى أن يجعلها فيئاً [١٣] ، فلا يخمسها ولا يقسمها ، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامةَ ما بقوا ، كما صنع عمر (رضي الله عنه) بالسواد[١٤].

ففيما يتعلق بأرض خيبر ، فأن رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) افتتحها عنوة بعد القتال وكانت مما أفاء الله على رسوله ، فخمسها وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله محمد

(صلى الله عليه وسلم) فقال : (أن شئتم دفعت أليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، ويكون ثمرها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا الأموال على ذلك)[١٥].

فقسمها رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) أي خيبر على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كل سهم منها مائة سهم ، وعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به ، وقسم النصف الباقي بين المسلمين[١٦] ، وأن مصرف الخمس يصب في خمسة أسهم متساوية وهي : [١٧]

السهم الأول : ما كان لرسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في حياته ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه في مصالحه ومصالح المسلمين ، وأختلف فيه بعد موته.

السهم الثاني : سهم ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وأختلف فيه فأن أبا حنيفة أسقطه في حين أن الشافعي أفتى بثباته.

السهم الثالث : سهم اليتامى من ذوي الاحتياجات.

السهم الرابع : سهم المساكين ، وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم من أهل الفيء.

السهم الخامس : سهم بنو السبيل ، وهم المسافرون من أهل الفيء لا يجدون ما ينفقون.

- المطلب الثاني : الأحكام الفقهية لأراضي العنوة :

أن أرض العنوة قد أختلف في حكمها بين المذاهب الإسلامية كالشافعية والمالكية والأحناف والظاهرية والحنابلة والأمامية ، فذهب الشافعي إلى أنها تكون غنيمة ، كالأموال تقسم بين الغانمين إلا أن يطيبوا نفساً بتركها فتوقف على مصالح المسلمين ، وقال مالك : (تصير وقفاً على المسلمين حين غنمت ولا يجوز قسمها بين الفاتحين) ، في حين ذهب أبو حنيفة إلى أن الإمام فيها بالخيار بين قسمتها

بين الغانمين أو يعيدها إلى أيدي المشركين بخراج يضرب عليها أو يقفها على كافة المسلمين.(١٨)

وقد توسع العلماء والفقهاء في التفصيل وترجيح كفة أن الأرض المفتوحة عنوة ليست غنيمة وإنما هي فيء لكل المسلمين وتعللوا بأن الله عز وجل قد خص هذه الأمة بإباحة الغنيمة من المنقولات دون الأرض لأن قتالهم لله عز وجل لا للغنيمة التي هي رخصة منه ورحمة بهم ، فخصوا بما ليس له أصل يبقى ، وأما ما له أصل يبقى فأنه يكون مشتركاً بين المسلمين كلهم من وجد منهم ومن يوجد بعد ذلك ، ويستدل بأن الله تعالى نسب الغنيمة للغانمين : (وأعلموا أن ما غنمتم من شيء) الأنفال : ٤١ ، وأما الأرض فأضافها إلى الرسول : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) الحشر : ٧ ، إشارة إلى أن كل قرية يفيئها الله على أمته إلى يوم القيامة فهي مضافة إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) غير مختصة بالغانمين ، والإمام يقوم مقام الرسول في قسمتها بالاجتهاد. (١٩)

وفي الفقه الظاهري فأن الأرض تقسم وتخمس كسائر الغنائم فأن طابت نفوس المجاهدين على تركها أو وقفها الإمام للمسلمين ، وإلا فلا (٢٠).

وذهب كل فقهاء الأمامية بلا خلاف بينهم بأن أرض العنوة هي فيء للمسلمين ، وأن الخليفة عمر (ﷺ) ومن جاء بعده من الخلفاء كانوا قد طبقوا هذا الحكم على أراضي السواد ونحوها من الأراضي التي فتحت عنوة في الصدر الأول من الإسلام.(٢١)

والفيء ما نيل من أهل الشرك بعد أن تضع الحرب أوزارها ، وتصير الدار دار الإسلام ، وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس ، والفيء أعم من الغنيمة والتي هي ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة وهي والحالة هذه تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة.(٢٢)

وبعد فتح سواد العراق كتب الخليفة عمر (ﷺ) إلى سعد بن أبي وقاص : (من تم على عهده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشيء ، فلهم الذمة ، وعليهم الجزية ، وأما من دعى أنه استكره فلا تصدقوهم إلا أن تشاءوا وإلا فأنبذوا إليهم وأبلغوهم مأمنهم ، وأما من أقام ولم يجل وليس له عهد فلهم مالأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة ...... وكذلك الفلاحون .... فمن أعان فأدعوهم إلى أن يقيموا لكم في أرضهم ولهم الذمة وعليهم الجزية(٢٣) ، وأن كرهوا فأقسموا ما أفاء الله عليكم عنهم.(٢٤)

ولما جاءهم الكتاب عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحى عن السواد أن يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية إلا أن خراجهم أثقل.(٢٥)

ويستطرد الطبري في نفس السياق ويورد بأنهم أي فاتحي العراق لم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ولا ما كان لمن لم يخرج معهم ، ولم يجبهم إلى واحدة من اثنتين ، الإسلام أوالجزية ، فصارت فيئاً لمن أفاء الله عليه ، فهي والصوافي الأولى ملك لمن أفاء الله عليه وسائر السواد ذمة وأخذوهم بخراج كسرى ، فما كان لآل كسرى ، وما كان لبيوت النيران والإجام ومستنقع المياه ، وما كان للسكك فلم يتآت قسمة ذلك لأنه كان متفرقاً في كل السواد ، وقد فتح الله السواد عنوة وكل أرض إلا الحصون. (٢٦)

- **المطلب الثالث** : **أهم الأراضي المفتوحة عنوة** :

بعد أن تمت الفتوحات الكبيرة وتحررت معظم أراضي العراق والشام ومصر وشمال أفريقيا وخراسان وبلاد ما وراء النهر ، فأن جل هذه الأراضي آلت إلى المسلمين بإيجاف الخيل والركاب وبالتالي فهي تدخل في باب أراضي العنوة.

ويجب الإشارة إلى أن كل أرض سواد العراق فتحت عنوة إلا قريات كان لهم عقد وهم بني صلوبا وأهل الحيرة وأهل كلواذى وقرى من الفرات. (٢٧)

ومن المناطق التي افتتحت عنوة : والتي تشكل القسم الأعظم من أراضي الدولة.

سواد العراق : وهي من أشهر الأراضي التي فتحت عنوة ، إلا بعض المناطق كان لها عهد مثلما أسلفنا وهي الحيرة وأليس وبانقيا.(٢٨)

وأن حدود السواد ما بين قرية العلث من تخوم في الموصل وساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة طولاً ، وبين منقطع الجبل من أرض حلوان ومنتهى طرفه القادسية المتصل بالعذيب الذي يفضي إلى صحراء الكوفة من الغرب عرضاً.(٢٩)

- أرض الجزيرة دون مدائنها ، عنوة سنة ١٧هـ.(٣٠)
- المغرب فتحت كلها عنوة.(٣١)
- مصر ، قيل عنوة وهو الأرجح ، وقيل صلحاً(٣٢)
- الأردن ، عنوة ما خلا طبرية وأفتتحها شرحبيل بن حسنة. (٣٣)
- هذا فضلاً عن أغلب بلاد فارس وما وراء النهر ومنها قم ، شاشان ، أصبهان ، نهاوند ، سرخس ، الجوزجان ، كرمان ، الأحواز ، كابل ، القوهستان ، قيسارية ، اذربيجان ، مناذر ، رامهرز ، تستر ، سجستان وكابل ، قوهستان ، وأغلب كور فارس وكرمان.(٣٤)

المبحث الثاني

مآل أراضي العنوة في سواد العراق

بالنظر إلى أرض السواد وكيف تعامل الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) مع أرضها المفتوحة عنوة وأهلها وكيف اختلف بعض المسلمين من الغانمين مع توجه الخليفة وعدد من الصحابة بضرورة إبقاء الأرض وعدم توزيعها عليهم ، فلما أفتتح المسلمون السواد قالوا لعمر بن الخطاب وهو الخليفة رضي الله عنه (أقسمه بيننا ، فأنا فتحناه عنوة) فأبى وقال (فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ، وأخاف أن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه).(٣٥)

وكذلك حول أرض الشام فأن بلال الحبشي قال لعمر (ﷺ) أقسمها بيننا في القرى التي افتتحتها عنوة ، وخذ خمسها ، فقال : لا ، هذا عين المال ولكني أحبسه فيما يجري عليهم وعلى المسلمين ، فقال بلال وأصحابه أقسمه بيننا ، فقال عمر (ﷺ) : اللهم أكفني بلالاً وذويه. (٣٦)

وفي نص آخر قال عمر (ﷺ) : تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء .(٣٧)

ونستطيع أن نستنتج أن الخليفة عمر (ﷺ) أتصف بالدراية والحنكة وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه كونه المعني في الأمر شرعاً وأن لم يؤمن مصادر الفيء لجميع المسلمين الفاتحين والذي يلونهم من الأجيال اللاحقة لربما يسأل يوم القيامة في ذلك ولعل قوله (لو لا آخر الناس ما افتتحت قرية إلا قسمتها) لما يؤكد منهجه وإصراره على عدم التقسيم.(٣٨)

إن طلب بلال الحبشي وإلحاحه على الخليفة بضرورة قسم أرض العنوة في بلاد الشام وليس في سواد العراق ، وأنسحب الوضع كذلك على أرض مصر ، عندما أشار الزبير بن العوام على عمرو بن العاص ، وقد أستند كل من بلال

والزبير (﵁) على حكم رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في خيبر ، ذلك أنه جعلها غنيمة وهي أرض عنوة فخمسها وقسمها.[٣٩]

وبالنظر إلى أن فتوح العراق سبقت فتوح الشام ومصر يمكننا أن نلتمس حيثيات القرار الذي أتخذه الخليفة بشأن أرض العنوة والذي حدد بموجبه المعايير التي أتبعتها الدولة الإسلامية بعدئذ بالاستناد ، إلى ما قرره الخليفة عمر (﵁).

كتب الخليفة عمر بن الخطاب (﵁) إلى سعد بن أبي وقاص يوم أفتتح العراق : (أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، أن الناس قد سألوا أن تقسم بينهم غنائمهم ، وما أفاء الله عليهم ، فأنظر ما أجلبوا به عليك في العسكر ، من كراع[٤٠] ومال فأقسمه بين من حضر من المسلمين ، وأترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فأنا لو قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء).[٤١]

ويبدو أن هذا القرار قد أتخذ بعد مداولات ونصح أبداه كبار الصحابة مثل علي بن أبي طالب(﵁) بعد أن شاوره الخليفة فقال : (دعهم يكونوا مادة للمسلمين)[٤٢] أي الفلاحين من أهل السواد يبقون على أرضهم ويزرعونها ويدفعون عنها الخراج الذي هو قوام الأمة وعمادها الاقتصادي سيما وأن الدولة في أول فتوحاتها وبأمس الحاجة إلى الأموال كي تؤمن كل مستلزمات الجهاد والفتوح ، وبنفس الرأي الذي أشار به علي بن أبي طالب (﵁) على الخليفة أشار الصحابي معاذ بن جبل (﵁) ولعمري فأنه نعم النصح ونعم الرأي ونعم الناصحين وهم من أوائل الصحابة الميامين.

وذهب الكثير من الفقهاء إلى أن الخيار من أرض العنوة متروك للإمام أن شاء جعلها غنيمة والتي يدخل فيها الأسرى والسبي والأرضون والأموال[٤٣] ، مما أصابه المسلمون من عساكر المشركين بالقتال وإيجاف الخيل والركاب – فخمس

وقسم كما فعل رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في خيبر ، وأن شاء جعلها فيئاً عاماً للمسلمين ، ولم يخمس ولم يقسم كما فعل عمر (﵁) بالسواد.

ويقول أبو عبيد : وكلا الحكمين فيه قدوة ومتبع ، وليس فعل النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) برادّ لفعل عمر (﵁) ، ولكنه أتبع آية من كتاب الله فعمل بها ، وأتبع عمر (﵁) آية أخرى فعمل بها وهما آيتان محكمتان فيما ينال المسلمون من أموال المشركين ، فيعتبر غنيمة أو فيئاً ، قال الله تبارك وتعالى(اعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[٤٤] فهذه آية الغنيمة وهي لأهلها دون الناس وبها عمل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقال الله عز وجل (مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ{٧} لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ{٨} وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٩} وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {١٠})[٤٥] فهذه آية الفيء وبها عمل عمر (﵁) وإياها تأول حين ذكر الأموال وأصنافها ، فاستوعبت هذه الآية الناس ، وإلى هذه الآية ذهب علي ومعاذ (رضي الله عنهما) حين أشارا عليه بما أشارا.[٤٦]

وقد قال بعض الناس أن الخليفة عمر (﵁) إنما فعل ذلك برضى الناس الذي افتتحوا الأرض واستطابة لأنفسهم ،[٤٧] ومما يؤكد ذلك أن الخليفة عمر (﵁)

جعل ربع خمس ما أفاء الله على المسلمين لقبيلة بجيلة وعلى رأسهم جرير بن عبد الله البجلي ترغيباً منه لهم في الفتوح وملاحقة العجم بعد معركة البويب وتتبع فلولهم إلى السيب بأن قال لهم : (أنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين ، فإنما تنتظرون أحدى الحسنيين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة) (٤٨) ، وقيل أن الخليفة جعل لبجيلة ربع خمس ما أفاء الله على المسلمين فضلاً عن نصيبهم من الفيء غداة تهيأهم للذهاب إلى العراق سنة ١٣ للهجرة دفعاً وترغيباً لهم.(٤٩)

وظلت بجيلة وهي ربع الناس في فتوح العراق تأخذ ربع السواد مأكله لهم على ذلك الحال سنتين أو ثلاث ، ولما وفد جرير البجلي إلى الخليفة عمر (ﷺ) ، قال عمر (ﷺ) : لو لا أني قاسم مسؤول لكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا ، فأرى أن ترده عليهم ، ففعل جرير ذلك فأجازه بثمانين دينار.(٥٠)

ويتكرر نفس المشهد عندما قدم الخليفة عمر الجابية (٥١) ، فأراد قسم الأرض بين المسلمين فقال له معاذ بن جبل (ﷺ) : (والله أذن ليكونن ما تكره ، أنك أن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ، ثم يبيدون ، فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً ، وهم لا يجدون شيئاً ، فأنظر أمراً يسع أولهم وآخرهم).(٥٢)

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الخليفة عمر (ﷺ) لم يكن ليغض الطرف أو يكون منكراً لفعل رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في خيبر حين خمسها وقسمها بين الغانمين ومما يبين ذلك أنه نفسه يحدث عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه قسم خيبر ، ثم يقول مع هذا : (لو لا آخر الناس لفعلت ذلك)،

بمعنى انه لم يتعدى سنة رسول الله محمد(صلى الله عليه وسلم)إلى غيرها ، وهو يعرفها. (٥٣)

المبحث الثالث

آراء بعض الكتاب المحدثين والمستشرقين في حكم أراضي العنوة

علق الكثير من الباحثين المحدثين وبعض المستشرقين على قرار الخليفة عمر (ﷺ) فمنهم من أورد الحجج والدوافع والمبررات التي سوغت للخليفة من اتخاذ ذلك الإجراء واجتهاده بمشورة كبار الصحابة ، ومنهم من أضفى صفة العنت والاستبداد وتسخير الموارد بيد الدولة كي يسهل تحكمها بالرعية من خلال المركزية المفرطة وسنتناول ذلك ما أتسع له مجال بحثنا ونرد عليه.

أجمل صالح العلي في كتابه الخراج في العراق مخاطر تقسيم الأراضي المفتوحة على المقاتلة الذين شاركوا في فتحها بأربعة نقاط : (٥٤)

١- أن حصول المقاتلة على الأراضي الزراعية يؤدي إلى انشغالهم عن العمل بها مما يصرفهم عن مقاتلة الأعداء الذي ما تزال لهم قوة قد يستطيعون بها استعادة ما فقدوه ، إذا توقف المسلمون عن القتال.

٢- أن توزيع الأراضي على أفراد المقاتلة سيرافقه ظهور مشاكل وخلافات تؤدي إلى خصومات وإفساد لوحدة العرب التي ثبتها ظهور الإسلام وكانت العامل الأكبر في انتصارهم.

٣- أنها تؤدي إلى أغناء المقاتلين الأولين دون بقية العرب ، وخاصة في المناطق البعيدة وبذلك تخلق (طبقة) من الأغنياء تقسم المجتمع العربي إلى طبقة من أصحاب الثروة وأخرى ليس لها موارد مما يؤدي في الغالب إلى التحاسد والتخاصم والتفكك.

٤– أن توزيع الأراضي على المقاتلين الأولين يؤمن لكل منهم الحصول على موارد عيشة مباشرة ويجعل تنظيم الإدارة والحياة قائماً على تصرفات الأفراد المتنوعة والمشتتة ، مما يضعف دور السلطة المركزية وعملها في وضع تنظيمات الدولة من مصادر مالية لصرفها على من ستحتاجهم من المقاتلة في الأزمنة التالية.

كان من نتيجة حركة الفتوح أن تدفقت الأموال ، وبعد أن كانت موارد الدولة قبل ذاك نزرة ويسيرة ولا تفي بالغرض واقتصرت على الضرائب القرآنية أو الشرعية مثل الزكاة والصدقة ، (ولم يعودوا بحاجة ماسة لها) بعد أن كانت سبباً في قيام حروب الردة قبل الفتوح وكادت أن تمزق الوحدة الإسلامية الناشئة(٥٥) ، ولم يبتعد هذا الرأي كثيراً عن الحقيقة إذا ما تتبع الباحث المستقصي في المرويات التاريخية في مصادرها الأولى من أن إيرادات الزكاة والصدقات في النصوص التاريخية لم تعد بتلك الغزارة التي وردت في عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والخليفة الأول أبو بكر الصديق(رضي الله عنه).

وأصبحت معظم مصادر الدخل من الخراج بمعنى الضريبة التي تفرض على أراضي أهل البلاد المفتوحة ، وكان يطلق عليها الجزية – كما ذكرنا من قبل – للدلالة على خضوع أهالي البلاد المفتوحة للعرب (المسلمين) ، وبقيت الأرض في ملكية أصحابها ، وهو ما يطابق عقيدة الإسلام التي تحترم الملكية الخاصة ،(٥٦) والذي ينظر إلى إيرادات سواد العراق من ضريبة الخراج في زمن عمر (رضي الله عنه) والتي بلغت مائة وعشرون ألف ألف درهم(٥٧) ، يستطيع أن يعرف الكم الهائل للأموال التي دخلت في بيت مال المسلمين ، ولعل هذا المورد الهائل يبرر ما قرره الخليفة عمر (رضي الله عنه) والفقهاء بكراهة البيع والشراء لأرض سواد العراق وعدم إجازة بيع الأراضي فيما بين الجبل إلى الجبل والعذيب من أرض السواد لأنه فيء لكل المسلمين ولأن السواد أخذ عنوة ،(٥٨) فقد أشترى جرير البجلي من أرض السواد صافية على شاطئ

الفرات ، فأتى الخليفة عمر (رضي الله عنه) فرد ذلك الشراء وكرهه ، ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله.(٥٩)

وأشترى عتبة بن فرقد أرضاً من أرض الخراج ثم أتى عمر (رضي الله عنه) فقال : ممن اشتريتها ؟ قال : من أهلها قال : فهؤلاء أهلها – يعني المسلمين – أبعتموه شيئاً ؟ قالوا : لا قال : فأذهب فأطلب مالك حيث وضعته(٦٠).

يرى فلهاوزن في سياق وصفه لنظام الضرائب الذي اعتمدته الدولة الإسلامية ، بأنه ما كان باستطاعة الدولة من اقتسام الأرض والناس (٦١) أيضاً وعلى المقاتلة فقط حسب آية الغنيمة وان يقتسموا نصف العالم إلا إذا كان يراد له أن يتحول إلى أرض خربة ، لأنهم لا يستطيعون أن ينتشروا في تلك الأرض الواسعة لكي يزرعوها ، بل كان لا بد لهم أن يتجمعوا في معسكرات أن أرادوا المحافظة على سلطانهم (٦٢) ، ولعله لم يجافي الحقيقة في هذا فأن الأمة في حالة جهاد ونشر لراية الإسلام وعددهم قليل فضلاً عن خلفياتهم التي أقرب للرعوية منها للزراعية ، وقد عرف عن العرب استهجانهم واستنكافهم من الفلاحة والزراعة في شبه جزيرة العرب فلا يستطيعون والحالة هذه من مواصلة الجهاد ، وهو هدفهم الأول والإقامة في المناطق المحررة لغرض الزراعة.

ويستطرد فلهاوزن في سوق المبررات لما فعله الخليفة عمر (رضي الله عنه) من عدم توزيع الأرض على الغانمين ويقول ، وفوق هذا كان لابد للعرب (المسلمين) أن يفكروا في المستقبل ، فلو أن كل شيء قسم على الفور بين الفاتحين الحقيقيين ، لتبددت الغنيمة التي حصلوا عليها بالسرعة التي غنموا بها (٦٣)، ولذا اعتبرت الأرض بمثابة رأس مال ثابت وأعيرت لملاكها الأصليين على أن يزرعوها ويؤتوا غلتها ، وهذه الغلة وحدها هي التي كانت نصيب العرب المحاربين ومن يرثهم من ذراريهم ، فهم لم يكن لهم رأس المال ، بل ما يخرج منه (٦٤).

وجرى في أراضي مصر كما جرى في أراضي السواد فقد قام الزبير بن العوام إلى الأمير عمرو بن العاص وقال : يا عمرو أقسمنها ، فقال : لا أقسمها ، فقال الزبير لتقسمنها ، كما قسم رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) خيبر فقال : لا أقسمها ، حتى أكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب إلى عمر (ﷺ) فكتب إليه : أن دعها حتى يغزو منها حبل الحبلة [٦٥].

يقول أبو عبيد : أراه أراد أن تكون فيئاً موقوفاً للمسلمين ماتنا سلوا ، يرثه قرن بعد قرن ، فتكون قوة لهم على عدوهم [٦٦].

وبعد أن قضي الأمر وأستقر الوضع على عدم توزيع الأرض فأن الخليفة بعث عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان لمسح أرض السواد غربي دجلة وما وراء دجلة ، وأوصاهم أن لا يحملوا أحداً فوق طاقته ، فوجدت اللجنة أن مساحة الأراضي الزراعية – المزروعة فعلاً من أرض الخراج – في السواد فقط ستة وثلاثين ألف ألف جريب [٦٧]، وجعلا على جريب الكروم عشرة دراهم ، وعلى جريب النخيل خمسة دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم،وعلى جريب البر أربعة دراهم ،وعلى جريب الشعير درهمين [٦٨] .

وبموجب القرار الذي أتخذه الخليفة عمر (ﷺ) أصبحت أراضي الأقاليم المفتوحة ملكاً للمصلحة العامة ، تقوم الدولة بإدارتها والنظر في مصالحها وجباية أموالها لتصرف على المسلمين ومصالحهم ، وللدولة الحق في وضع ما تراه من الضرائب والشروط [٦٩] .

وعطفاً على ذلك فأن أبي يوسف ذكر أن الخليفة عمر (ﷺ) قال : (فكيف بمن يأتي من المسلمين ليجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت ، فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها فما يسد به الثغور ، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ، أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من

رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام ، كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ، لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج [٧٠].

ويرى المستشرق الالماني فلهاوزن أن معظم الفتوحات تمت في عهد الخليفة عمر (ﷺ) وهو يعتبر المنظم لها ، على أنه يتضح أنه لم يكن مبدعاً لنظام جديد ولكن يرجع له الفضل في أنه نحى قانون الغنائم العربي [٧١] جانباً ، وأنه أدخل الدولة بين الجيش وبين الأمم المغلوبة ، فحمى الرعية بعض الحماية ، وأستند إلى تقوية الدولة على الجيش معتمداً على الخراج الذي كانت تدفعه هذه الرعية[٧٢].

ويسترسل فلهاوزن ويقول في موضع آخر أن جملة مال الخراج الذي يدفعه المغلوبون كل عام – من دخل أراضي العنوة – يدخل في بيت المال العام ، ولم تكن الحكومة تعطي للمحاربين العرب من ذلك سوى أعطيات فرضتها لهم ، فاستولت الحكومة على الأموال التي كانت في الحقيقة من نصيب الجيش واستطاعت بهذا الفعل إن تستقل عن الجيش وتتخلص من سلطانه وذلك لأنها لم تقسم الأرض والناس على المحاربين ، بل استولت على الخراج الذي يرتفع من الأرض والناس ، فنزل الجيش إلى مرتبة الافتقار للحكومة والاعتماد عليها عن طريق أعطيات كانت الدولة تستطيع أن تمنحها بالمقدار ، وإلى المدى الذي تشاؤه ، فبعد أن كانت الحكومة تعيش من يد الجيش أصبح الجيش يعيش من يد الحكومة[٧٣].

وينسب المشاكل والاعتراضات التي حدثت في عهد الخليفة عثمان (ﷺ) إلى ذلك الأجراء الذي أتخذه الخليفة عمر بما وصفه انتزاع الفيء من يد الجيش وجعله للدولة ويضع اللوم على الخليفة عثمان (ﷺ) من تساهله وتقريب أقرباءه[٧٤] ، حتى تعالت الصيحات والاعتراضات [٧٥] وأن مال الخراج – والذي هو

من أراضي العنوة – هو مال المسلمين وليس مال الله ، وأما أن المعارضة لذلك لم تظهر في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) ولم تشتد ويعلو صوتها إلا في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فما ذلك إلا بتغير شخصية الحاكم أولاً وبتغيير ظروف العصر ثانياً ، ويستشهد بما قاله الخليفة عثمان (رضي الله عنه) في محنته : من ان ما كان لأحد أن يجرؤ على أن يعيبه على عمر (رضي الله عنه) أصبح يعيبه عليه. (٧٦)

والحق أن التشريعات التي طبقها الخليفة عمر (رضي الله عنه) فيما يتصل بمسألة أرض العنوة ما كان لها أن تطبق على الواقع لولا توفر الأرضية المناسبة بكل وجوهها الإنسانية والشرعية والاجتماعية والاقتصادية ، فقد كان عمر (رضي الله عنه) رجل دولة على طراز عالٍ يتمتع بكل مواصفاتها من ورع وعدل وشدة في الأمر من أجل إعلاء كلمة الله ورفع شأن الإسلام وتهيئة السبل الكفيلة بإتمام نشره من خلال مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية على حد سواء ، فضلاً عن هذا وذاك وجود الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتوفرهم على أعلى درجات التفاني وإيثار النفس والمصداقية وانصياعهم لولي الأمر وبالتالي أنعكس ذلك على جل المسلمين الذين لم يكونوا بعيدين عن تلك المثل والأخلاق ، ولعل ما تكتنزه كتب التاريخ من هذه الأخلاق ما يغني ، فقد جاء رجل بحُق فدفعه إلى صاحب الأقباض بعد تحرير المدائن وهي عاصمة الفرس، فقال بعضهم : (ما رأينا مثل هذا قط) فقالوا : هل أخذت منه شيئاً ، فقال : (أما والله لولا الله لما أتيتكم به) فعرفوا أن للرجل شأناً ، فقالوا من أنت ؟ ، فقال : (لا والله لا أخبركم فتحمدوني ولا غيركم فيقرضوني ، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه : فإذا هو عامر بن عبد قيس (٧٧).

وفي هؤلاء الرجال قال الصحابي الجليل وقائد المسلمين في فتوح العراق سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) : والله أن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل

بدر لقلت ، : وأيم الله على فضل أهل بدر ، (لقد تتبعت من أقوام منهم هنات وهنات فيما أحرزوا ما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم) ، (٧٨) ولما قدم بسيف كسرى على عمر (رضي الله عنه) ومنطقته وز برجه ، قال : أن أقواماً أدوا هذا لذو أمانة ، فقال علي (رضي الله عنه) : أنك عففت فعفت الرعية. (٧٩)

نعم بهؤلاء الأوائل وبأفعالهم ثبت الإسلام وتمت كلمة الله ونشر الدين في أقاصي الأرض متخذين من النبي قدوة حسنة ومثالاً يحتذى به ، ورغم ما حصل بعدئذ من تجاوزات وخروقات فذلك مرده إلى النفس الإنسانية بما جبلت عليه من طمع وجشع وتغليب المصالح الفردية الضيقة وشره الأنانية ، إلا أن عروة الدين بقيت ماثلة وستبقى إلى أن يرث الله الأرض والعباد.

ويستطرد المستشرق الألماني في تفسير ما حدث ويقول كان يعوز عثمان (رضي الله عنه) ما كان لعمر (رضي الله عنه) من هيبة السلطان ، فأستغل الأمراء والعمال في عهده وجروا وراء مصالحهم الخاصة على نحو أكثر مما كان في عهد عمر (رضي الله عنه) لأنهم كانوا يخشون بأسه (٨٠).

سن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نظاماً صارماً في جباية الخراج ومحاسبة الولاة وذلك بعمل إحصاء دقيق لثروة الولاة قبل توليهم ، ثم إلزامهم عند توليهم بدفع نصف الأموال التي جمعوها لأنفسهم أثناء ولايتهم ، إذا تبين له أن رواتبهم لا تسمح لهم بادخار هذه الأموال كلها (٨١).

ولعل ما فعله مع سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وغيرهم في مشاطرة أموالهم أصدق دليل على ذلك ، وفي كل الأحوال كان عهد الخلفاء الراشدين وصف بأنه عهد عدل وتسامح ، ولم يشتد الولاة أو يتعسفوا في الجباية ، إلا أن بعض الجباة كانوا يسيئون استعمال سلطتهم ويرهقون الناس ، فكان حسن اختيارهم وفرص الرقابة على أعمالهم أمراً ضرورياً (٨٢).

ألقت تكاليف الحروب التي كانت على أشدها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومن تولى بعده عبئاً كبيراً ، ولم تكن الغنائم التي يذهب خمسها إلى بيت المال وأربعة أخماسها توزع على المقاتلة لتسد نفقات الجيوش وتجهيزها بالسلاح والمؤن لذا أصبح لزاماً أن تجد الدولة حلاً كفيلاً لتلك المسألة ويضمن كذلك توفير العيش لأهالي المقاتلة سواء في الأمصار المفتوحة أو في مكة والمدينة من خلال إدرار العطاء الدائم والمستمر ، وقد ارتأى بعض المقاتلة أنه ينبغي اعتبار دخل المقاطعات المفتوحة فيئاً يوزع على الفاتحين متناسبين أن هذا المبدأ يؤدي إلى مشاكل خطيرة ، إذ أنه لو تم لأدى إلى تباين في مقدار ما يعطى للمقاتلة باختلاف المقاطعات ، ومنها المقاطعات الغنية ومنها المقاطعات الفقيرة ، ولو تم ذلك لنتج عنه خلق ارستقراطية من المقاتلة الأول الذين سيستأثرون وحدهم بالواردات ولا يبقى شيء لمن يأتي بعدهم ، وبذلك سيصبح في كل مصر طبقتان أحداهما تأخذ العطاء والأخرى محرومة منه ، مما يكون سبباً للتحاسد والتصادم والانشقاق في كل مصر ، وإن خراج المقاطعات إذا قصر توزيعه على المقاتلة الأول قد يؤدي بهم إلى التراخي وعدم الاشتراك في الفتوح ويعيق الدولة من جمع جنود آخرين تمس الحاجة إليهم للاستمرار في الفتوح وتوطيد أركانها[٨٣].

وعندما واجه الخليفة تلك المشكلة العامة في جميع أنحاء الدولة ، عمل على حلها مستهدفاً مصلحة الجماعة الدائمية دون مجرد مصلحة المقاتلة الأول ، لذلك قرر توزيع الواردات للمقاطعات المفتوحة على كافة المقاتلة ، سواء ساهم في الفتوح الأولى أو كان مستعداً للمساهمة في الفتوح والحروب المنتظرة ، فصارت الدولة تقوم بدورها كالوسيط ، فهي تجبي الخراج ، وهو فيء ملك للمجتمع وتوزعه على المقاتلة وخص الخليفة عمر (رضي الله عنه) المقاتلة الأول بالأفضلية في العطاء ، دون أن يغفل بقية الناس بصرف النظر عن أصلهم وعشائرهم أو مكانتهم [٨٤].

الخاتمة:

كنا قد تناولنا في بحثنا هذا مسألة الأراضي المحررة والمفتوحة التي حازها المسلمون الفاتحون الأولون ، وكان معظمها عن طريق القتال بالسيف وإيجاف الخيل والركاب والمتعلقة بأراضي العنوة وعرضناها بمدلولاتها ، ومن ثم كيفية التعامل مع تلك الأراضي وإيراداتها العالية مع عرض الآراء الفقهية لتلك المسألة ولكل المذاهب الإسلامية.

أختلف فيها المسلمون فقال بعضهم : سبيلها سبيل الغنيمة ، فتخمس وتقسم ، فيكون أربعة أخماس خططاً بين الذين افتتحوها والخمس الباقي لمن سمى الله تبارك وتعالى في آية الغنيمة ، وقال بعضهم : بل حكمها إلى الإمام ، إن رأى أن يجعلها غنيمة كما فعل رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بخيبر ، وأن رأى أن يجعلها فيئاً فلا يخمسها ولا يقسمها ويوقفها على عامة المسلمين كما فعل عمر (رضي الله عنه) بالسواد.

ولما فتح سواد العراق والشام وفلسطين ومصر في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) أشكل على المسلمين أمرها واختلفوا في مآلها ، فتوصل الخليفة عمر بمشاورة الصحابة الأجلاء إلى جعلها وقفاً عاماً للمسلمين ولم يقسمها بين الفاتحين.

استعرضنا تلك المسألة من كافة وجوهها وكيف وفق الله خليفة المسلمين فيما يرضاه لنفسه ولهم متوخياً العدالة والحق في التوزيع العادل لتلك الموارد ، وبيّنا مساحة تلك الأراضي من سواد العراق والذي كان أساس بحثنا ، وكيف فرض الخليفة على مزارعي تلك الأراضي ضريبة الخراج ، وحجم المبالغ التي حازها المسلمون منها في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) وآليات توزيعها في سواد العراق.

بينا أثر تلك الموارد على الدولة وكيف عززت من وضعها المالي في دعم الجيوش الفاتحة وتجهيزها ، فضلاً عن إدرار العطاء لكل المسلمين ، وتهيأة السبل

الكفيلة لنشر الإسلام وعدم إشغالهم بالأراضي والزراعة وبالتالي فتور الهمم وعدم إكمال الرسالة.

وعرضنا أيضاً كيفية التعامل مع أراضي العنوة في الشام ومصر ووجدنا أن الأمر أنسحب على تلك الأراضي وتركها بيد الزراع الأصليين على خراج معلوم.

توصلنا فيما تقدم إن الإجراء الذي أتخذه الخليفة في هذا الخصوص لم يكن خارج إطار النصوص القرآنية وإجراءات الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مما كان له الفضل في تثبيت دعائم الدولة وعزتها وتقوية شوكتها ضد أعدائها وإطلاق العنان لمجمل الفتوحات التي حصلت بعدئذ والتي كان من شأنها إعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها.

ثبت الهوامش:

(١) سالم ، تقي عبد ، الملكية الفردية وحدودها في الإسلام ، ندوة الاقتصاد الإسلامي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، نشر في (الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر) ، ص١٤٤.

(٢) السامرائي ، هاشم علوان ، ملكية الأرض في الاقتصاد الإسلامي ، ندوة الاقتصاد الإسلامي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، نشر في (الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر) ، ص١١٥.

(٣) النبهان ، محمد فاروق ، شرعية تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية في نظر الإسلام ، ندوة الاقتصاد الإسلامي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، نشر في (الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر) ، ص٣٧٠.

(٤) سورة الحديد : آية ٧ .

(٥) سورة الأنعام : آية ١٦٥.

(٦) سورة الرحمن : آية ١٠.

(٧) سورة البقرة : آية ٢٨٤.

(٨) سورة إبراهيم : آية ٣٢ – ٣٣ ، سورة الجاثية : آية ١٣ ، سورة النحل : آيات ١٢ – ١٤.

(٩) هاشم علوان السامرائي ، المرجع السابق ، ص١٠٤.

(١٠) أبن الأثير ، مجد الدين بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، (القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٦٣) ، ج٣ ، ص١٩.

(١١) الماوردي ، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٦) ، ص ١٦١.

(١٢) حسب آية الغنيمة : (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) سورة الأنفال : آية ٤١.

(١٣) حسب آية الفيء : (مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ) سورة الحشر : آية ٧.

(١٤) أبو عبيد ،القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، الأموال ، شرحه عبد الأمير مهنا ، (بيروت ، دار الحداثة ، د ت) ، ص٦٤.

(١٥) المصدر نفسه ، ص٦٥.

(١٦) المصدر نفسه ، ص٦٥.

(١٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٦٢ ، أبو يعلى ، أبن الغراء محمد بن الحسن (ت٤٥٨هـ) ، الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد المفتي ، ٠ بيروت ،دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠ ، ص١٤٧.

(١٨) المصدر نفسه ، ص١٧٤.

(١٩) أبن رجب الحنبلي ، أبي الفرج عبد الرحمن ، (ت٧٩٥هـ) ، الاستخراج لأحكام الخراج ، تحقيق أياد عبد اللطيف ، (لبنان ، بيت الأفكار ، ٢٠٠٤) ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢٠) أبن حزم ، أبو محمد علي (ت٤٥٦هـ) ، المحلى ، (مختصر معجم فقه أبن حزم ، إعداد لجنة موسوعة الفقه الإسلامي ، جامعة دمشق ، ١٩٦٦) ، ص٧٨٥.

(٢١) المظفر ، محمود ، أحياء الأراضي الموات ، (القاهرة ، المطبعة العالمية ، ١٩٧٢) ، ص٦٧.

(٢٢) الرجبي ، عبد العزيز بن محمد الحنفي ، (ت١١٨٤هـ) ، الرتاج المرصد على الخزانة كتاب الخراج ، تحقيق أحمد الكبيسي ، (بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٣) ، ص١٨٩.

(٢٣) ترد هنا مفردة الجزية للدلالة على جزية الرأس وخراج الأرض.

(٢٤) الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٧٩م) ، ج٣ ، ص٥٨٥.

(٢٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ٥٨٦.

(٢٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ٥٨٧.

(٢٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ٣٣ ، وينظر ، قدامة ، أبو الفرج ، قدامة بن جعفر ، (ت٢٢٤هـ) الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، (بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨١م) ، ص٣٢٥ – ٣٥٦.

(٢٨) أليس وبانقيا : ذكر ياقوت أن أليس هي قرية بالأنبار في أول أرض العراق ، وأن بانقيا هي ناحية من نواحي الكوفة ، ياقوت ، أبو عبد الله الحموي (ت٦٤٦هـ) معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥م) ، وينظر أبو عبيدة الأموال ، ص٩٢.

(٢٩) قدامة ، الخراج ، ص١٥٩ وما ورائها.

(٣٠) الطبري ، تاريخ ، طبعة ثانية وهي نسخة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ج٢ ، ص٤٨٥ ، وينظر أبو عبيد ، الأموال ، ص٢١٦.

(٣١) أبو عبيد ، الأموال ، ص٢١٦.

(٣٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص١٠١.

(٣٣) الطبري ، ج٢ ، ٣١٢.

(٣٤) قدامة ، المصدر السابق في الصفحات ، ٣٧٣ – ٣٧٤ – ٣٨٠ – ٣٨٤ – ٣٩٠ – ٤٠٠.

(٣٥) أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٧.

(٣٦) المصدر نفسه ، ٦٧.

(٣٧) المصدر نفسه ، ٦٧.

(٣٨) ينظر أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٧.

(٣٩) ينظر ، أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٩ ، الخراج ، ٢٠٦ وما بعدها.

(٤٠) الكراع : أسم لجميع الخيل والسلاح.

(٤١) أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٨.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص٧٠.

(٤٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٦٧.

(٤٤) سورة الأنفال : آية ٤١.

(٤٥) سورة الحشر : آية ٧ – ١٠.

(٤٦) أبو عبيد ، الأموال ، ص٧٠ – ٧١.

(٤٧) المصدر نفسه ، ص٧١ ، أبن رجب الحنبلي ، المصدر السابق ، ص٦٨.

(٤٨) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٤٦٩.

(٤٩) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٦٢.

(٥٠) أبو عبيد ، الأموال ، ص٧١.

(٥١) الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرح الصفر شمالي حوران ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩١.

(٥٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٩.

(٥٣) ينظر أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٩.

(٥٤) العلي ، صالح أحمد ، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى ، (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٠) ، ص٥٦.

(٥٥) ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ١٩٧٣) ص٣٨.

(٥٦) المرجع نفسه ، ص٣٩.

(٥٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٧٥.

(٥٨) الطبري ، تاريخ ، ٣ – ٥٨٩ – ٤ – ٣١ – ٤ – ٣٣.

(٥٩) المصدر نفسه ، ٤ – ٣٣.

(٦٠) أبن آدم ، يحيى بن آدم القرشي (ت٢٠٣هـ) ، كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٩م) ، ص٥٧.

(٦١) لعله يقصد الفلاحين الذين كانوا يزرعون الأرض فقد ورد عن الطبري أن الخليفة عمر (ﷺ) أمر سعد بن أبي وقاص بإحصاء السكان فوجدهم بضعة وثلاثين مائة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ، ووجد قسمتهم ثلاثة فلاحين لكل رجل من المسلمين فكتب إليه أن أقر الفلاحين على حالهم ، للاستزادة ينظر الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ٣٠.

(٦٢) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، نقله عن الألمانية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة وراجع الترجمة حسين مونس(القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ١٩٦٨)، ص٢٨.

(٦٣) المرجع نفسه ، ص٢٨.

(٦٤) المرجع نفسه ، ص٢٩.
(٦٥) أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٧.
(٦٦) المصدر نفسه ، ص٦٨.
(٦٧) أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ) الخراج ، (بيروت ، بلا ، ١٩٧٩) ص٢٧.
(٦٨) أبو عبيد ، الأموال ، ص٧٨.
(٦٩) صالح العلي ، الخراج في العراق ، ص٥٨.
(٧٠) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٤ – ٢٦.
(٧١) يقصد اعتماد آية الغنيمة المشار لها سابقاً والتي أباحت للمسلمين من حيازة الغنيمة وبضمنها بالطبع الأرض ، وبدا لنا أنه كان متحررا أكثر من اللازم بنعته العرب المسلمين بالعرب فقط دون الإشارة إلى الإسلام الذي نعتوا به بعد نزول الوحي على رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وصار هذا ديدنه في مجمل المؤلف.
(٧٢) فلهاوزن ، المرجع السابق ، ص٣٢.
(٧٣) المرجع نفسه ، ص٤١ – ٤٢.
(٧٤) قسم الخليفة عثمان (ﷺ) ماله وأرضه في بني أمية وأعطى آل الحكم عشرة آلاف لكل واحد منهم فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بني عثمان مثل ذلك ، وقسم في بني العاص وبني العيص وبني حرب ، الطبري ، تاريخ ، ٤ ، ٣٤٨ والحقيقة أن الخليفة كان كريماً وجواداً وغنياً ويحفظ لنا التاريخ إسهامه في تجهيز جيش العسرة من ماله الخاص ولم يكن بعدئذ خليفة.
(٧٥) ما أتهم به سعيد بن العاص من قبل أهل الكوفة أنه قال : أن فيئكم بستان قريش ، ينظر الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٦٤٢.

(٧٦) ينظر فلهاوزن ، المرجع السابق ، ص٤٢ – ٤٣.
(٧٧) الطبري ، تاريخ ، ٤ – ١٩، والحُق هو كيس أو وعاء كبير يحفظ فيه الذهب والمواد الثمينة.
(٧٨) المصدر نفسه ، التاريخ ، ٤ – ١٩.
(٧٩) المصدر نفسه ، التاريخ ، ٤ – ٢٠.
(٨٠) فلهاوزن ، المرجع السابق ، ص٤٣ ، لمحاولة فهم ذلك يرجى الرجوع إلى الطبري في تاريخه وعرضه للمناقشات التي جرت بين الخليفة عثمان (ﷺ) وعلي (ﷺ) لأن مجال البحث هنا لا يتسع لذلك.
(٨١) حسن ، علي إبراهيم ، التاريخ الإسلامي العام ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٥٩) ، ص٥٣٠.
(٨٢) المرجع نفسه ، ص٥٣٠.
(٨٣) ينظر العلي ، صالح أحمد ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٩) ص١٤٧.
(٨٤) المرجع نفسه ، ص١٤٨.

ثبت المصادر والمراجع:

– **المصادر الأولية.**

– **القرآن الكريم.**

– أبن الأثير ، مجد الدين بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، (القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٦٣).

– أبن آدم ، يحيى بن آدم القرشي (ت٢٠٣هـ) ، كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٩م).

– أبن حزم ، أبو محمد علي (ت٤٥٦هـ) ، المحلى ، (مختصر معجم فقه أبن حزم ، إعداد لجنة موسوعة الفقه الإسلامي ، جامعة دمشق ، ١٩٦٦).

– أبن رجب الحنبلي ، أبي الفرج عبد الرحمن ، (ت٧٩٥هـ) ، الاستخراج لأحكام الخراج ، تحقيق أياد عبد اللطيف،(لبنان ، بيت الأفكار ، ٢٠٠٤).

– الرحبي ، عبد العزيز بن محمد الحنفي ، (ت١١٨٤هـ) ، الرتاج المرصد على الخزانة كتاب الخراج ، تحقيق أحمد الكبيسي ، (بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٣).

– الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٧٩م).

– أبو عبيد ،القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، الأموال ، شرحه عبد الأمير مهنا ، (بيروت ، دار الحداثة ، د ت).

– قدامة ، أبو الفرج ، قدامة بن جعفر ، (ت٢٢٤هـ) الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، (بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨١م).

– الماوردي ، علي بن محمد(ت٤٥٠هـ)،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٦).

– ياقوت ، أبو عبد الله الحموي (ت٦٤٦هـ) معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥م) ، وينظر أبو عبيدة الأموال.

– أبو يعلى ، أبن الغراء محمد بن الحسن (ت٤٥٨هـ) ، الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد المفتي ، ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠ .

– أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ) الخراج ، (بيروت ، بلا ، ١٩٧٩).

المراجع الحديثة :

– حسن ، علي إبراهيم ، التاريخ الإسلامي العام ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٥٩).

– فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، نقله عن الألمانية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة وراجع الترجمة حسين مونس(القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٨).

– سالم ، تقي عبد ، الملكية الفردية وحدودها في الإسلام ، ندوة الاقتصاد الإسلامي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، نشر في (الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر).

– السامرائي ، هاشم علوان ، ملكية الأرض في الاقتصاد الإسلامي ، ندوة الاقتصاد الإسلامي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، نشر في (الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر).

– العلي ، صالح أحمد ، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى ،(بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٠).

– التنظيمـات الاجتماعيـة والاقتصـادية فـي البصـرة فـي القـرن الأول الهجـري ، (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٩).
– ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ١٩٧٣).
– المظفـر ، محمـود ، أحيـاء الأراضـي المـوات ، (القـاهرة ، المطبعـة العالميـة ، ١٩٧٢).
– النبهان ، محمد فاروق ، شرعية تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية في نظر الإسلام ، ندوة الاقتصاد الإسلامي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، نشر في (الكويت ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر).

مستوى استخدام التطبيقات والبرامج الحاسوبية لدى طلبة الجامعة وارتباطه بدافعيتهم نحو التعلم الإلكتروني

أ. م. د. نـهيل محمد رجب الجابري
جامعة البترا/ كلية الآداب والعلوم/ قسم العلوم الاجتماعية

ملخّص

يُعدّ التعليم الإلكتروني وتوظيف التكنولوجيا الرقمية من الطرق والوسائل الحديثة في التعليم الجامعي، ويهدف إلى استخدام التقنية الحديثة لإيصال المعلومة للمتعلم متجاوزين حدود الزمان والمكان، ويعتمد نجاح هذا الاستخدام على الطريقة التي يتم بها تصميم البيئة التعليمية التكنولوجية ومدى مراعاة عناصرها الأساسية، وتعدّ الدافعية من أهم عناصر البيئة التعليمية التي يجب اعتبارها خلال تصميم البيئة التعليمية، وتنفيذ عملية التعلم سواء تكنولوجية أو تقليدية، ولكن هذه الدافعية تختلف باختلاف هذه البيئة، وهذه الدراسة تستقصي مستوى استخدام وتوظيف التكنولوجيا الرقمية وتطبيقاتها وبرامجها وأدواتها من قبل طلبة الجامعة، وتبحث في العلاقة بين مستوى الاستخدام والدافعية نحو التعلم من خلال هذه التكنولوجيا وعلاقتها أيضاً بالإنجاز الأكاديمي متمثلاً بالتحصيل، وقد اختارت الباحثة عينة بلغت (٥٠٠) طالب وطالبة من طلبة جامعة البترا الخاصة، وأعدت للدراسة مقياسين، الأول: لاستقصاء مستوى الاستخدام والتوظيف للتطبيقات والبرامج الحاسوبية، والثاني: لإيجاد درجة دافعية الطلبة نحو التعلم التكنولوجي من خلال هذه التطبيقات.

وقد خلصت الدراسة إلى تحديد التطبيقات الأكثر استخداماً من قبل الطلبة، حيث كانت شبكات التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني والموبايل الأكثر استخداماً، كما خلصت الدراسة إلى وجود ارتباط عالي وتام بين مستوى الاستخدام والدافعية نحو التعلم الإلكتروني، في حين لم يكن هناك ارتباط بين مستوى التطبيق أو الدافعية مع التحصيل، كما لم يكن الجنس أو المستوى الدراسي أو الكلية متغيرات فاعلة في تمييز الدافعية.

مقدمة

أدى التطور التكنولوجي الهائل خلال العقد الماضي إلى تغييرات هائلة في أساليب الحياة الإنسانية، وأصبح يسمى هذا العصر الذي تسيطر عليه تكنولوجيا الحاسوب والمعلومات والاتصالات عصر التكنولوجيا الرقمية أو عصر تكنولوجيا المعلومات، لقد شملت التغيرات التي أوجدتها التكنولوجيا الحديثة تغيرات في مجال التعليم، حيث تغيرت أهدافه ومجالاته وطرقه وأساليبه وظهرت مصطلحات ومسميات جديدة لطرق التعليم الحديث منها: التعليم الإلكتروني، والتعليم المباشر، و التعليم عن بعد، والتعليم من خلال الموبايل وغيرها، وجميعها تبحث في توظيف التكنولوجيا الرقمية في عملية التعليم والتعلم.

في عصر تكنولوجيا المعلومات أو ما يعرف بعصر التكنولوجيا الرقمية لم يعد تحصيل المعرفة الهدف الأساسي من عملية التعليم، بل اتسعت الآفاق وظهرت أهدافأكثرأهميةمن مجرد تحصيل المعرفة،كما لم تعد طرق التعليم التقليدية مناسبة لتحقيق الأهداف الجديدة ، وعليه فلقد تغيرت أدوار المعلم أيضاً وأخذت مناحي جديدة تتفق مع الأهداف الجديدة المتناغمة مع عصر تكنولوجيا المعلومات.

إن من أهم الأهداف التي تسعى التربية في عصر التكنولوجيا الرقمية تحقيقه التأكيد على مهارات أساسية مثل التفكير وحل المشكلات واتخاذ القرار، وهذه المهارات أصبحت لب عملية التعليم وأساسه، وذلك من أجل إعداد الفرد القادر على التكيف مع مجتمع سريع التغير يتسم بسرعة توالد المعرفة وكثرة المتغيرات.

إن سمات هذا العصر تتطلب أفراداً يمتلكون القدرة على التعلم الذاتي والمستمر،وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الفرد مدفوعاً بدافعية داخلية تفرضها البيئة التعليمية التكنولوجية بحيث تحثه على التعلم والاستمرار به، فلم يعد هناك زمن محدد للتعلم وارتياد المدرسة أو الجامعة، بل أصبحبإمكان الفرد التعلم في أي وقت وتحت أي ظرف ما دام يمكنه التعامل مع التكنولوجيا الرقمية ويمتلك الدافع للتعلم متجاوزا بذلك حدود الزمن والمكان.

الإطار المنهجي

مشكلة الدراسة

يطلق على العصر الذي نعيشه الآن عصر التكنولوجيا الرقمية التي غيرت الكثير من أساليب وطرق حياتنا الحالية بما فيها التربية والتعليم، وظهرت أنواع وطرق تعلم وتعليم جديدة قائمة على هذه التكنولوجيا. لقد أصبح التركيز على الأمور المتعلقة بالتعليم الإلكتروني والرقمي أمراً مهماً، فالدافعية من الأمور المتعلقة بالتعليم الإلكتروني الرقمي التي لابد من الاهتمام بها في هذا العصر ، لابد أن يكون المتعلم مقبلاً على عملية التعلم راغباً فيه، وهذه الدافعية أمر مهم سواء كان التعليم تقليدياً أو تكنولوجياً رقمياً. إن التكنولوجيا الحديثة بما تقدمه من مثيرات سمعية وبصرية وحركية وتواصل وغيرها من المثيرات التي تعتبر أساسية في عملية التعلم تجعلنا نؤمن بأن الدافعية نحو التعلم قد تكون أفضل وذاتية عند المتعلم مما يجعل عملية التعلم أكثر فاعلية.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على التطبيقات والبرامج الحاسوبية المستخدمة من قبل طلبة الجامعة في عملية التعليم والتعلم، وتحديد أيها أكثر استخدما في عملية التعلم. والتحقق من وجود ارتباط بين درجة استخدام التطبيقات والبرامج الحاسوبية مع درجة الدافعية نحو التعليم الالكتروني لدى طلبة الجامعة، بالإضافة إلى التحقق من وجود ارتباط بين التحصيل الدراسي متمثلا بالمعدل التراكمي للطالب ودرجته على اختبار الدافعية نحو التعليم الالكتروني، والبحث في اثر كل من الجنس و المستوى الأكاديمي والكلية على الدافعية نحو التعلم الالكتروني.

تساؤلات الدراسة

إن هذه الدراسة تحاول أن تبين العلاقات بين كل من الدافعية نحو التعلم الإلكتروني ومستوى استخدام الطالب الجامعي للتكنولوجيا التعليمية الرقمية، وكذلك العلاقة بين الدافعية والتحصيل الأكاديمي للطالب، وتحديداً الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هي التطبيقات التكنولوجية والبرمجياتالحاسوبيةالأكثر استخداماً من قبل طلبة الجامعة.

٢- هل هناك علاقة ارتباطية بين مستوى الاستخدام للتطبيقات التكنولوجية البرمجيات الحاسوبية والدافعية نحو التعلم الإلكتروني.

٣- هل هناك علاقة ارتباطيه بين مستوى الاستخدام للتطبيقات التكنولوجية والبرمجيات الحاسوبية والتحصل الدراسي للطالب.

٤- هل هناك علاقة ارتباطية بين درجة الدافعية نحو التعلم والتحصيل الدراسي للطالب.

٥- هل هناك فروق دالة إحصائياً في درجة الدافعية نحو التعلم الإلكتروني يُعزى للجنس.

٦- هل هناك فروق دالة إحصائياً في درجة الدافعية نحو التعلم الإلكتروني يُعزى للكليات الدراسية.

٧- هل هناك فروق دالة إحصائياً في درجة الدافعية نحو التعلم الإلكتروني يُعزى للمستوى الدراسي.

أهميةالدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في تحديد التطبيقات والبرامج التكنولوجية الأكثر استخداماًمن قبل طلبة الجامعة، وكذلك تبين هذه الدراسة العلاقة الارتباطية بين

مستوى الاستخدام لهذه التطبيقات والبرامج الحاسوبية ودافعية الطالب نحو التعلم الإلكتروني، وكذلك أثر استخدام وتوظيف التطبيقات والبرامج الحاسوبية على التحصيل الأكاديمي للطالب وتحديد أثر الجنس على الدافعية،وأيضاً تحديد أثر الكلية والتخصص على مستوى الدافعية لدى الطلبة، وهذه النتائج ستعمل كموجهات لأصحاب القرار خلال وضع البرامج التعليمية وإعداد الخطط التطويرية للتعليم الجامعي.

منهج الدراسة

تُعد هذه الدراسة من البحوث الوصفية، أما المنهج المستخدم فهو منهج المسح الميداني الذي تسعى من خلاله الباحثة إلى توفير القاعدة العريضة والواسعة من المعلومات والبيانات اللازمة للإجابة عن أسئلة هذا الدراسة.

الدراسات السابقة

يعرف (NEHME،٢٠١٠) التعليم الالكتروني على انه التعليم المدعوم بالتكنولوجيا، ويعرف (الشناق وبني دومي ،٢٠١٠) التعلم الإلكتروني إجرائياً بأنه تعلم الطلبة من خلال وسائط إلكترونية متنوعة ومن خلال الأقراص المدمجة أو المرنة أو توظيف الحاسوب والإنترنت والشبكات المحلية (LAN) باعتماد مبدأ التعلم الذاتي أو بمساعدة المعلم، وكذلك جهاز عرض البيانات (Data Show) ، ويرى (Wu and Hwang ,٢٠١٠) أن التعليم الإلكتروني لديه القوة لنقل المعرفة كما في التدريس التقليدي، ويطور عملية التعلمأيضاً، فالتعلم والتعليم لم يعودا مقيدان في الطريقة التقليدية والصفوف الاعتيادية في الوقت الذي يقدم التعليم الإلكتروني والتكنولوجيا وسائل قوية لدعم التعلم وخاصة مع سرعة التطورات التكنولوجية، فالإنترنت يلعب دوراً كبيراً في تنويع مصادر التعلم .

ويؤكد (NEHME،٢٠١٠) على أن التعليم الإلكتروني مفهوم واسع وعام وله مناحٍ عديدة في التدريس، ويتضمن منحى التعليم من خلال الشبكات وهذا يشمل

الواجبات والفروض الرسمية وغير الرسمية، والمدعوم بالتفاعل والتعاون بين المتعلمين من خلال تكنولوجيا المعلومات وكذلك استخدام شبكة الإنترنت، ويرى (Keller ،٢٠٠٨) أن توظيف التكنولوجيا المساعدة في عملية التعلم يزداد بسرعة كبيرة فهناك ليس فقط التعليم الإلكتروني، ولكن هناك التعليم المبرمج والتعليم المباشر (On_line) والتعليم من خلال الموبايل (M–learning).

ويذكر (NEHME،٢٠١٠) أن بعض الصفوف التي يتم تدريسها بالكامل من خلال التعلم المباشر تدعى الصفوف الآنية التكنولوجية، أما الصفوف التي يتم دمج التعليم بها بين التعليم التقليدي القائم على التفاعل بين المعلم والطالب والتعليم الإلكتروني تسمى الصفوف المدمجة، حيث تم تفعيل كل من التعليم التقليدي والتعليم التكنولوجي الآني مستخدمين تكنولوجيا المعلومات معاً. ويذكر (مقداد،٢٠١٠) أن من خصائص التعلم الإلكتروني مثل خصائص التعلم عن بعد، بوجود مسافة فاصلة بين المعلم والمتعلم، والعمل المتمركز حول المتعلم حيث تقع مسؤوليته على عاتقه، والتعلم الذي يتم على مدى مراحل الحياة المختلفة وما يسمى التعليم المستمر، وزيادة على ذلك فإن التعلم الإلكتروني يتسم باستخدام التكنولوجيا الرقمية، ويعتمد اعتماداً كبيراً على التكنولوجيا الحديثة وخاصة تكنولوجيا الكومبيوتر و تكنولوجيا الاتصال والإنترنت. كما يتميز بالتفاعل حيث يسعى التعلم الإلكتروني إلى تحقيق التفاعل؛ سواء بين الطالب والمعلم أو بين الطالب والطلبة الآخرين. وقد أصبح هذا التفاعل أو شيء منه على الأقل ممكناً بفعل التقدّم، وتختلف درجة استخدام التعليم الإلكتروني من استخدام قليل إلى استخدام عالٍ حسب درجة اتساع التعليم وعمق الاستخدام للوسائط التكنولوجية المعلوماتية .

إن التعليم الإلكتروني وتوظيف تكنولوجيا المعلومات هي وسيلة من وسائل التعليم التي قد تحل مجموعة من المشكلات، ويعتمد ذلك على طريقة التطبيق ،

لذلك أجريت دراسات عدة حول هذا الموضوع، واختلفت النتائج التي توصلت إليها وجميعها كانت تقدم وجهات نظر مختلفة تتعلق بطريقة توظيف وتطبيق تكنولوجيا المعلومات في عملية التدريس وكذلك المادة أو الموضوع الذي يدرس. ويرى (Keller ،٢٠٠٨) أنه بالرغم من فوائد التعليم الإلكتروني إلا أن هناك تحديات تواجه وواحدة من التحديات الكبرى هو تعريف التعليم الإلكتروني وماهيته وتوظيف هذا التعريف في الأنظمة التعليمية بشكل واضح محدد الخصائص ووصف دقيق لبيئة التعلم التكنولوجية وتحديد العناصر الفاعلة في هذه البيئة وطريقة عملها كالدافعية نحو التعلم.

إن تصميم بيئة التعلم التكنولوجي تختلف بشكل كامل عن تلك في التعليم التقليدي ومن أهم العوامل التي يجب أخذها بعين الاعتبار في هذا الموضوع الدافعية نحو التعلم فيرى (Keller ، ٢٠٠٨) أن معظم بيئات التعلم الآن توظف التكنولوجيا لمساعدة التعلم والتعليم، بعضها تتصف بأنها موجهة ذاتياً أي بدافع داخلي من المتعلم، في حين الأخرى تكون بتوجيه من المعلم. ويذكر (Hartnett, St George, & Dron, 2011)إن الدافعية هي العملية الموجهة نحو تحفيز المتعلم ورفع وزيادة نشاطه، وتؤثر الدافعية على ماذا نتعلم، وكيف نتعلم، ومتى وكيف نختار التعلم. ويذكر (Brophy,2010) أن وجهات النظر المعاصرة تربط الدافعية بقدرات المتعلم التفكيرية والعمليات الانفعالية والأفكار والمعتقدات والأهداف والتطلعات والأوضاع والعلاقة التفاعلية بين المتعلم والبيئة. و يبين (مقداد،٢٠١٠) أن زيادة الدافعية في التعلم الإلكتروني مختلف عن موقف التعليم العادي، ذلك أن هذا الموقف يضم طرفاً واحداً من طرفي العملية التربوية وهو المتعلم لوحده وهذا لا تنطبق على موقف التعلم الإلكتروني. وبالتالي؛ فإن استراتيجيات زيادة الدافعية في موقف التعلم العادي لا تكون بالضرورة فعالة في زيادة دافعية المتعلمين وتختلف عن

تلك في موقف التعلم الإلكتروني. لهذا، يكون من الضروري التفكير في استراتيجيات أخرى تكون مناسبة للتعلم الإلكتروني. ويؤكد (Hartnett, St George, & Dron, 2011) أن الأبحاث التي تناولت الدافعية في بيئات التعلم الإلكتروني اتخذت منحنيين؛ الأول القائم على نموذج في السمات والذي يرى أن الدافعية سمة أو خاصية في شخصية المتعلم، وأن المتعلم في بيئة التعلم الإلكتروني في المجمل يمتلك الدافعية بشكل جوهري أو أساسي، أما الاتجاه الآخر فإنه يرى أنه من الضروري تصميم بيئة التعلم الإلكتروني من أجل دعم وزيادة دافعية المتعلم.

بينت الأبحاث أن المتعلمين الذين يمتلكون الدافعية نحو التعلم أكثر حظاً في الربط المنطقي والاستماع واعتماد نهج عميق في التعلم وتحسين الأداء وإثارة الإبداع والمثابرة الاندماج في الأنشطة التعليمية.

ومن الدراسات التي تناولت موضوعي التعليم الإلكتروني والدافعية نحو عملية التعلم الإلكتروني ما يلي : دراسة قام بها (النقيثان،٢٠١٠) حول أثر استخدام برمجية – P.P وهي برمجية حاسوبية تفاعلية– في الشرح على الدافعية نحو التعلم ، وقد توصلت الدراسة إلى أن توظيف هذه البرمجية يزيد من الدافعية نحو التعلم.

في دراسة نظرية قام بها(مقداد، ٢٠١٠) حول الدافعية إلى التعلم لدى طلبة الذين يتعلمون بالطريقة التعلم الإلكتروني، وأوضح الباحث الفرق بين الدافعية في الموقف التقليدي والدافعية نحو التعلم في مواقف التعليم الإلكتروني، وبين الباحث أن استراتيجيات زيادة الدافعية في مواقف التعلم العادية لا تكون بالضرورة فعالة في زيادة دافعية المتعلمين في مواقف التعليم الإلكتروني، وأنه لابد من إيجاد استراتيجيات أكثر مناسبة للتعلم الإلكتروني؛ منها نموذج الانتباه والملائمة والثقة والرضى.

في دراسة قام بها (Nehme,2010) على طلبة الجامعة تناولت التحكم في البيئة التعليمية من خلال برنامج مثل Webct و B.b وغيرها، وقد خلصت الدراسة إلى الأساتذة الذين يستخدمون IT يؤكدون على نقاط مهمة يجب أخذها بعين الاعتبار خلال توظيف وتكييف البيئة التعليمية ومن أهما زيادة الدافعية والتعزيز لدى الطلبة، كما بينت الدراسة أندافعية الطالب وأداؤه التعليمي أفضل كلما كان التفاعل بين الطالب والمعلم أفضل فإن انضباط الطالب يكون أفضل ويقلل القلق والتوتر لديه .

في دراسة قام (Kim & Frick, 2011) لاستقصاء العوامل التي تثير دافعية الطلبة في التعلم المباشر الذاتي ، و استقصاء مستوى الدافعية لدى المتعلم وكيف يتغير هذا المستوى خلال المساقات وتحديد العوامل المرتبطة بتغير الدافعية لديهم. وقد خلصت الدراسة إلى أن هناك أربعة عوامل أساسية تؤثر في دافعية المتعلم هي: الاهتمام، وإدراك أهمية التعلم، والثقة بالنفس، والرضى، وارتباط هذه العوامل بشكل جيد مع التعلم الذاتي المباشر سيمكن المتعلم من تحقيق أهداف التعلم بنجاح ، كما خلصت الدراسة إلى أن دافعية الطلبة تزداد لديهم وكذلك الرضى في التعليم الذاتي المباشر عندما يكون المحتوى ذا علاقة بحياة المتعلم وكذلك سهولة تعامل الطالب مع التكنولوجيا ورغبة الطلبة في التعلم الذاتي المستمر وإيمانهم بأنه حق لهم وكذلك تقديم التعزيز والدعم في بداية وخلال المادة التعليمية في دراسة قام بها(Hartnett, St George, & Dron, 2011) لبحث الدافعية لدى معلمين ما قبل الخدمة في نيوزيلندا ممن أعطي لهم موضوعان مختلفان في بيئة التعلم المباشر (On-line)، وقد توصلت الدراسة في مرحلتها الأولى إلى طرح سؤال حول طبيعة الدافعية نحو التعلم في بيئة التعلم المباشر، الأمر الذي قاد إلى المرحلة الآتية من الدراسة بأخذ عيّنتين من المفحوصين واستخدم نمط دراسة الحالة واستخدمت طرق

قياس عدة لتحديد طبيعة الدافعية، وقد خلصت الدراسة إلى أن الدافعية نحو التعلم عملية معقدة ومتداخلة، وأن المتعلمين في بيئة التعلم المباشر لم يكونوا مدفوعين بدافعية داخلية كما تذكر الدراسات التي تمت في هذا المجال، ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار عوامل الموقف التعليمي خلال تصميم بيئة التعلم، وتحديد الأهداف، وفتح باب المناقشات والاختيارات أمام الدارس لإيجاد دافع نحو استمرار عملية التعلم.

متغيرات الدراسة:

أولا : التعليم الإلكتروني

يعرف (NEHME ،٢٠١٠) التعليم الإلكتروني على انه التعليم المدعومة بالتكنولوجيا.

وتعرف (الجابري، ٢٠١١) التعليم الإلكتروني على أنه أسلوب من أساليب التعليم يعتمد على استخدام وسائل الاتصال الحديثة من الحاسبات والشبكات و الوسائط المتعددة من صوت وصورة ورسومات ومحركات بحث ومكتبات إلكترونية، سواء كان ذلك عن بعد أو في الفصل الدراسي ؛ وبعبارة موجزة هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة. و يتخذ التعليم الإلكتروني من المصادر الإلكترونية المتنوعة أدوات له لتحسين العملية التعليمية، ويشمل ذلك استخدام الإنترنت داخل قاعات الدراسة لربط الطلاب والمدرسين ببعضهم لتشكيل ما يسمى بالصفوف الدراسية الإلكترونية أو ربطهم عن بعد لأغراض البحث العلمي والدراسات المشتركة والمتابعة، كما يمكن تكوين فصول دراسية إلكترونية افتراضية عن طريق الشبكات المحلية.

وفي هذه الدراسة فإن التعليم الإلكتروني يشمل أي تعليم يتم من خلال توظيف تقنيات وتكنولوجيا الحاسوب، سواء بشكل مباشر (ON–LINE) أو باستخدام الشبكات المحلية والعالمية وكذلك استخدام الموبايل في عملية التعلم

وأنظمة إدارة التعلم مثل B.b أو Moodel وشبكات التواصل ومحركات البحث والبرمجيات التعليمية .

ثانيا: الدافعية نحو التعليم الإلكتروني

يرى (Ghergulescu & Muntean, 2010) أن الدافعية هي الحافز (يمثل سمة نفسية) أو الطاقة لتحقيق هدف متمثل في تحقيق المعرفة والشروع والحفاظ على المشاركة في عملية التعلم. ويذكر (العيساوي ، ٢٠١١) أن الدافعية من الناحية السلوكية على أنها الحالة الداخلية أو الخارجية للمتعلم ، التي تحرك سلوكه وأداءه وتعمل على استمراره وتوجهه نهو الهدف أو الغاية.أما من الناحية المعرفية، فهي حالة داخلية تحرك أفكار ومعارف المتعلم وبناءه المعرفي ووعيه وانتباهه، حيث تلح عليه على مواصلة واستمرار الأداء للوصول إلى حالة التوازن المعرفي والنفسي. و أما من الناحية الإنسانية، فهي حالة استثارة داخلية تحرك المتعلم للاستغلال أقصى طاقته في أي موقف تعليمي يهدف إلى إشباع رغباته وتحقيق ذاته .

التعريف الإجرائي :

هو مجموع استجابات القبول أو الرفض (التأييد أو المعارضة) لدى الطلبة نحو التعلم من خلال التطبيقات التكنولوجية والبرمجيات الحاسوبية التي تعتبر نموذجاً للتعلم الإلكتروني، ويقاس بمجموع الدرجات التي يحصل عليها الطالب من الإجابة عن فقرات المقياس الذي أعدته الباحثة لهذا الغرض

حدود الدراسة ومحدداتها

يتحدد تعميم نتائج الدراسة بمايأتي:

- اقتصر هذا البحث على طلبة جامعة البترا الخاصة في مدينة عمان– الأردن، خلال الفصل الدراسي الأول ٢٠١٢/٢٠١١، الواقع بين شهر اكتوبر ٢٠١١ ولغاية يناير ٢٠١٢.
- تعتمد نتائج هذه الدراسة على صدق وثبات أداة الدراسة التي تم إعدادها لهذه الدراسة.

الطريقة والإجراءات

مجتمع الدراسة وعينتها

قامت الباحثة باختيار عينة عشوائية بلغت (٥٠٠) طالب وطالبة من طلبة جامعة البترا الخاصة في مدينة عمان والذي يبلغ عدد طلابها (٥٥٠٠) طالب وطالبة في الفصل الدراسي الأول ، حيث تم اختيار عينة من الطلبة الذين درسوا بعض مساقاتهم باستخدام برامج حاسوبية و برنامج Bb(blackboard) أو برنامج (Moodel) أو بتوظيف تطبيقات وبرامج حاسوبية أخرى من جميع التخصصات والكليات في الجامعة، وقد بلغ عدد الطلبة الذكور (٢٢٩) طالبا،وكانت نسبتهم (٤٥.٨%) وبلغ عدد الطالبات الإناث (٢٢٧) طالبة، وكانت نسبتهم (٥٤.٢%) . أما توزيع الطلبة حسب الكلية فقد بلغ عدد الطلبة من كلية الآداب والعلوم (١١٤) طالبا بنسبة بلغت (٢٢.٨%) ، وبلغ عدد طلبة كلية العلوم الإدارية (١٥٧)طالباً، وبلغ نسبتهم (٣١.٤%)،بلغ عدد طلبة كلية الصيدلة (٦١) طالباً، وكانت نسبتهم (١٢.٢%)، وبلغ عدد طلبة كلية تكنولوجيا المعلومات (٤٤) طالباً، وكانت نسبتهم (٨.٨%)، وبلغ عدد طلبة كلية الهندسة والتصميم الداخلي (١٢٤) طالباً، وكانت نسبتهم (٢٤.٨%)، أما توزيع الطلبة حسب المستوى الدراسي فقد بلغ عدد طلبة

السنة الأولى (١٣٠) طالباً، بنسبة بلغت (٢٦%) أما طلبة السنة الثانية فقد بلغ (١٠١) طالباً، بنسبة بلغت (٢٠.٢%) أما طلبة السنة الثالثة فقد بلغ (١٢٥) طالباً، بنسبة (٢٥%) أما عدد طلبة السنة الرابعة فقد بلغ (١١١) طالبا، بنسبة (٢٢.٢) ، أما طلبة السنة الخامسة فقد بلغ عددهم (٣٣)طالبا، بنسبة بلغت (٦.٦%)، أما عن توزيع الطلبة حسب نوع التعليم فقد بلغ عدد الطلبة الذين يتعلمون بالطريقة التقليدية بشكل كامل (٩٢) طالبا، بنسبة (١٨.٤%)، أما عدد الطلبة الذين يتلقون تعليمهم بشكل خليط بين التقليدي والإلكتروني فقد بلغ (٣٤٧) بنسبة (٦٩.٤%)، أما عدد الطلبة الذين يتعلمون تعليماً الكترونياً فقد بلغ (٦١) بنسبة (١٢.٢%) ، أما توزيع الطلبة حسب المعدل التراكمي فقد بلغ عدد الطلبة الذين يقل معدلهم التراكمي عن ٢ من ٤ (١٢٢) طالباً، بنسبة بلغت (٢٤.٤%)، أما عدد الطلبة الذين يقع معدلهم بين ٢ ولغاية ٢.٣٣ فقد بلغ (٢٠٢) طالبا، بنسبة بلغت (٤٠.٤%) ، وقد بلغ عدد الطلبة الذين تقع معدلاتهم ٢.٣٤ ولغاية ٣.٣٣ (١٢٤) طالباً، بنسبة بلغت (٢٤.٨%) وعدد الطلبة الذين معدلاتهم بين ٣.٣٤ ولغاية ٤ بلغ(٥٢) بنسبة بلغت (١٠.٤%).والجدول رقم (١) يوضح أعداد الطلبة وتوزيعهم حسب الجنس.

جدول (١)
أعداد الطلبة وتوزيعهم حسب الجنس

	الجنس	
	ذكور	إناث
العدد	٢٢٩	٢٧١
النسبة	٤٥.٨%	٥٤.٢%

والجدول رقم (٢) يوضح أعداد الطلبة وتوزيعهم حسب الكلية والتخصصات المختلفة.

جدول(٢)
توزيع أفراد الدراسة (الطلبة) في الكليات و التخصصات المختلفة

	الكـــلية				
	آداب وعلوم	العلوم الإدارية	الصيدلية	تكنولوجيا المعلومات	الهندسة
العدد	١١٤	١٥٧	٦١	٤٤	١٢٤
النسبة	٢٢.٨%	٣١.٤%	١٢.٢%	٨.٨%	٢٤.٨%

ويوضح جدول رقم (٣) توزيع الطلبة حسب المستوى الدراسي

الجدول (٣)
توزيع أفراد الدراسة حسب المستوى الدراسي

	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
العدد	١٣٠	١٠١	١٢٥	١١١	٣٣
النسبة	٢٦%	٢٠.٢%	٢٥%	٢٢.٢%	٦.٦%

ويوضح جدول رقم (٤) توزيع الطلبة حسب طريقة التدريس

جدول رقم(٤)
توزيع الطلبة حسب طريقة التدريس

	طريقة التدريس		
	تقليدي	خليط	الإلكتروني
العدد	٩٢	٣٤٧	٦١
النسبة	١٨.٤%	٦٩.٤%	١٢.٢%

ويوضح جدول رقم (٥) توزيع الطلبة حسب المعدل التراكمي

جدول رقم(٥)
توزيع الطلبة حسب المعدل التراكمي

	المعدل التراكمي			
	اقل من ٢	٢-٢.٣٣	٢.٣٤-٣.٣٣	٣.٣٤-٤
العدد	١٢٢	٢٠٢	١٢٤	٥٢
النسبة	٢٤.٤%	٤٠.٤%	٢٤.٨%	١٠.٤%

أدوات الدراسة وصدقها وثباتها :

شملت هذه الدراسة على الأدوات الآتية:

أولاً : مقياس مستوى استخدام التطبيقات والبرمجيات الحاسوبية في عملية التعلم :

هو مقياس من تطوير الباحثة يهدف إلى حصر وقياس التطبيقات والبرمجيات الحاسوبية المستخدمة في العملية التعليمية وقد بلغ عدد التطبيقات ١٨ تطبيق هي كما وردت في الجدول رقم (٦)

الجدول(٦) التطبيقات والبرامج الحاسوبية المستخدمة في عملية التعلم

التسلسل	التطبيقات والبرمجيات الحاسوبية المستخدمة في التعليم
١	برنامج Blackboard
٢	برنامجMoodle
٣	المساقات الموجودة على موقع الجامعةCourses Materials
٤	الإنترنت – الكتب الالكترونية ومواقع الدراسات العلمية
٥	برمجيات تعليمية على (CD)
٦	Wikipedia
٧	محركات البحثGoogle & yahoo
٨	المنتديات
٩	Google Earth
١٠	Google translator
١١	YouTube
١٢	Face book
١٣	Tweeter
١٤	Skype
١٥	Google Talk
١٦	MSN
١٧	E-mail
١٨	الموبايل

وقد تم قياس هذه التطبيقات على مقياس رباعي يبين مقدار الاستخدام بحيث تكون الاستجابة (بدرجة عالية/ درجة متوسطة/ درجة قليلة/ لا يستخدم).

ثانيا: مقياس الدافعية نحو التعليم الالكتروني

وهو مقياس من إعداد الباحثة وقد صمم لقياس الدافعية نحو التعلم الالكتروني ضمن المجالات والأبعاد الآتية:

الأول: التواصل من خلال التطبيقات التكنولوجية، وقد بلغت عدد الفقرات التي تمثل هذا الاتجاه (٨) فقرات.

الثانـي: التمكن من استخدام تكنولوجيا الحاسوب في التعلم، وقد بلغت عدد الفقرات التي تمثل هذا الاتجاه (٨) فقرات.

الثالث: فائدة تكنولوجيا الحاسوب في تعلم أفضل ، وقد بلغت عدد الفقرات التي تمثل هذا الاتجاه (٧) فقرات.

الرابع: الطموح والتوجه نحو المستقبل التكنولوجي ، وقد بلغت عدد الفقرات التي تمثل هذا الاتجاه (٧) فقرات.

وقد روعي في إعداد مقياس الدافعية نحو التعلم التكنولوجي مكونات الدافعية الآتية:

أولا : اتجاهات إيجابية نحو الحاسوب المتعلقة بأهمية الحاسوب كالأفكار والمعتقدات.

ثانيا: الجانب النزعوي ويتمثل في السلوك نحو استخدام الحاسوب في كل من مجالات المعرفة والتوصل.

ثالثا: الجانب الوجداني الذي يعبر عن الرغبة والاستمتاع والتفضيل لاستخدام التطبيقات والبرمجيات الحاسوبية وتفضيله على أي وسيلة تعليمية أخرى.

ويتسم المقياس بدلالات صدق وثبات عالية، إذ يتمتع بصدق المحتوى كما يتسم بحداثته، وشمولية فقراته البالغ عددها (٣٠) فقرة، وقد جرى التحقق من صدق الاختبار من خلال عرضه على لجنة من المحكمين من الخبراء والمختصين

في مجال التربية وعلم النفس وتكنولوجيا التعليم من أساتذة الجامعات، وقد طلب من كل محكم إبداء الرأي حول الصياغة اللغوية والدقة والوضوح في الفقرات ومناسبة الفقرة لقياس تصورات واتجاهاتالطلبة ، وقد أخذت مقترحاتهم بعين الاعتبار ، وأجريت التعديلات المناسبة طبقا لذلك.واعتبرت آراء المحكمين دليلاً على صدق محتوى الاختبار. وقامت الباحثة بتطبيق الاختبار على عينة استطلاعية من طلبة الجامعة بلغ عددهم (٤٨) طالباً، وحسبت قيمة معامل الثبات باستخدام معادلة كودر ريتشاردسون (KR-20) وقد بلغت (٠.٨٩١) .

نتائج الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء مستوى استخدام طلبة الجامعة للتطبيقات والبرامج الحاسوبية وإيجاد العلاقة الارتباطية بين مستوى الاستخدام لهذه التطبيقات والدافعية نحو التعلم الإلكتروني، وكذلك أثر كل من الجنس والمستوى الدراسي والتخصص على الدافعية، وكذلك إيجاد العلاقة الارتباطية بين مستوىتطبيقات الحاسوبية والتحصيل الدراسي. أما النتائج فكانت كالآتي :

أولاً: – نتائج الدراسة المتعلقةمستوى استخدام الطلبة للتطبيقات والبرمجيات الحاسوبية.

ثانياً:– نتائج الدراسة المتعلقةبدافعية المتعلمين نحو التعليم الإلكتروني كنتيجة لتوظيف التطبيقات والبرامج الحاسوبية في عملية التعلم. وكانت النتائج كالآتي:

أ) – النتائج الدراسة المتعلقةبدرجة استخدام الطلبة للتطبيقات والبرمجيات الحاسوبية

يبين الجدول (٧) التطبيقات والبرمجيات الحاسوبية وتكرار استخدامها والنسبة المئوية للاستخدام هذه التطبيقات.

الجدول (٧)

التطبيقات والبرمجيات الحاسوبية وتكرار استخدامها والنسبة المئوية للاستخدام استخدامها

التسلسل	التطبيق	الإحصاء	لا يستخدم	درجة قليلة	درجة متوسطة	درجة عالية
1	برنامج Blackboard	التكرار	116	128	143	113
		النسبة المئوية	23.2%	25.6%	28.6%	22.6%
2	برنامج Moodle	التكرار	131	120	120	129

		النسبة المئوية	26.2%	24%	24%	25.8%
3	المساقات الموجودة على موقع الجامعة	التكرار	112	138	147	103
		النسبة المئوية	22.4%	27.6%	29.4%	20.6%
4	الانترنت – الكتب الالكترونية والمواقع العلمية	التكرار	118	141	139	102
		النسبة المئوية	23.6%	28.2%	27.8%	20.4%
5	برمجيات تعليمية على (CD)	التكرار	124	137	120	119
		النسبة المئوية	24.8%	27.4%	24%	23.8%
6	Wikipedia	التكرار	141	119	118	122
		النسبة المئوية	28.2%	23.8%	23.6%	24.4%
7	محركات البحث Yahoo&Google	التكرار	199	89	88	124
		النسبة المئوية	39.8%	17.8%	17.6%	24.8%
8	المنتديات	التكرار	128	143	17.8	116
		النسبة المئوية	25.6%	28.6%	22.6%	23.2%
9	Google Earth	التكرار	143	130	111	116
		النسبة المئوية	28.6%	26%	22.2%	23.2%
10	Google Translator	التكرار	152	129	97	122
		النسبة المئوية	30.4%	25.8%	19.4%	24.4%
11	YouTube	التكرار	186	78	85	151

		النسبة المئوية	37.2%	15.6%	17.0%	30.2%
12	Facebook	التكرار	173	86	73	168
		النسبة المئوية	34.6%	17.2%	14.6%	33.6%
13	Tweeter	التكرار	167	62	84	187
		النسبة المئوية	33.4%	12.4%	16.8%	37.4%
14	Skype	التكرار	130	93	100	177
		النسبة المئوية	26.0%	18.6%	20.0%	20.0%
15	Google Tack	التكرار	142	87	92	179
		النسبة المئوية	28.4%	17.4%	18.4%	35.8%
16	MSN	التكرار	146	107	89	158
		النسبة المئوية	29.2%	21.4%	17.8%	31.6%
17	E-Mail	التكرار	159	109	91	141
		النسبة المئوية	31.8%	21.8%	18.2%	28.2%
18	الموبايل	التكرار	182	73	64	181
		النسبة المئوية	36.4%	14.6%	12.8%	36.2%

بالنظر إلى النسب الواردة في الجدول أعلاه نلاحظ أن أعلى نسب استخدام كانت لتطبيقات التواصل الاجتماعي الموبايل والبريد الإلكتروني .

ولتحديد أي من التطبيقات أكثر استخداما من قبل الطلبة وفق الكلية التي يدرسون بها ، فقد وجد أن الطلبة اختلفوا في درجة الاستخدام لبعض التطبيقات

منها: محركات البحث والمنتديات و Wikipedia و Google translator و YouTube و Face book و MSN و والجدول رقم (٨) يبين هذه الفروق. E-mail.

جدول رقم(٨)
الفروق في استخدام التطبيقات والبرامج الحاسوبية

		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
app1	Between Groups	13.421	4	3.355	2.916	0.021
	Within Groups	569.561	495	1.151		
	Total	582.982	499			
app2	Between Groups	6.34	4	1.585	1.229	0.298
	Within Groups	638.642	495	1.29		
	Total	644.982	499			
app3	Between Groups	8.824	4	2.206	2	0.093
	Within Groups	546.014	495	1.103		
	Total	554.838	499			
app4	Between Groups	12.15	4	3.038	2.726	0.029
	Within Groups	551.6	495	1.114		
	Total	563.75	499			
app5	Between Groups	9.717	4	2.429	2.002	0.093
	Within Groups	600.771	495	1.214		
	Total	610.488	499			
app6	Between Groups	14.328	4	3.582	2.792	0.026
	Within Groups	634.99	495	1.283		
	Total	649.318	499			
app7	Between Groups	38.632	4	9.658	6.764	0
	Within Groups	706.83	495	1.428		
	Total	745.462	499			
app8	Between Groups	21.468	4	5.367	4.508	0.001
	Within Groups	589.354	495	1.191		
	Total	610.822	499			
app9	Between Groups	4.819	4	1.205	0.942	0.439
	Within Groups	633.181	495	1.279		
	Total	638	499			

		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
app10	Between Groups	25.61	4	6.402	4.952	0.001
	Within Groups	639.948	495	1.293		
	Total	665.558	499			
app11	Between Groups	21.777	4	5.444	3.489	0.008
	Within Groups	772.421	495	1.56		
	Total	794.198	499			
app12	Between Groups	15.541	4	3.885	2.431	0.047
	Within Groups	791.067	495	1.598		
	Total	806.608	499			
app13	Between Groups	14.976	4	3.744	2.275	0.06
	Within Groups	814.662	495	1.646		
	Total	829.638	499			
app14	Between Groups	7.785	4	1.946	1.337	0.255
	Within Groups	720.263	495	1.455		
	Total	728.048	499			
app15	Between Groups	5.155	4	1.289	0.845	0.497
	Within Groups	755.117	495	1.525		
	Total	760.272	499			
app16	Between Groups	17.007	4	4.252	2.94	0.02
	Within Groups	715.831	495	1.446		
	Total	732.838	499			
app17	Between Groups	14.175	4	3.544	2.477	0.043
	Within Groups	708.233	495	1.431		
	Total	722.408	499			
app18	Between Groups	8.034	4	2.008	1.179	0.319
	Within Groups	842.894	495	1.703		
	Total	850.928	499			

ب) النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني، هل هناك علاقة ارتباطيه بين درجة الاستخدام للتطبيقات التكنولوجية البرمجيات الحاسوبية والدافعية نحو التعلم الإلكترونيللإجابة عن ذلك تم احتساب مستوى الاستخدام للتطبيقات الحاسوبية، وكذلك للدافعية نحو التعليم الإلكتروني، وبينت النتائج وجود علاقة ارتباطيه موجبة بين درجة استخدام التطبيقات والبرامج الحاسوبية ومقياس الدافعية نحو

التعليم الإلكتروني حيث بلغ معامل الارتباط بيرسون بين المغيرين (١) وهو ارتباط إيجابي تام.

معامل الارتباط بين درجة الدافعية والتحصيل الدراسي متمثل في المعدل التراكمي

		مقدار الاستخدام	درجة الدافعية
مقدار الاستخدام	Pearson Correlation	1	1.000**
	N	500	500
درجة الدافعية	Pearson Correlation	1.000**	1
	N	500	500

ج) النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث حول وجود علاقة ارتباطيه بين درجة الاستخدام للتطبيقات التكنولوجية والبرمجيات الحاسوبية والتحصل الدراسي للطالب، فقد بينت النتائج عدم وجود ارتباط بين مستوى الاستخدام للتطبيقات والبرامج الحاسوبية والتحصيل حيث كان معامل الارتباط (-٠.٠٣٦)

معامل الارتباط بين درجة التحصيل ودرجة الاستخدام للتطبيقات والبرامج الحاسوبية

		المعدل	مقدار الاستخدام
المعدل	Pearson Correlation	1	-.036-
	N	500	500
مقدار الاستخدام	Pearson Correlation	-.036-	1
	N	500	500

د) للإجابة عن السؤال الرابع حول وجود علاقة ارتباطيه بين درجة الدافعية نحو التعلم والتحصيل الدراسي للطالب، فقد بينت النتائج عدم وجود ارتباط بين الدافعية نحو التعلم والتحصيل الدراسي حيث بلغ معامل الارتباط(-٠.٠٣٦) .

معامل الارتباط بين درجة الدافعية والتحصيل الدراسي متمثل في المعدل التراكمي

		درجة الدافعية	المعدل
درجة الدافعية	Pearson Correlation	1	-.036-
	N	500	500
المعدل	Pearson Correlation	-.036-	1
	N	500	500

هـ) للإجابة عن السؤال الخامس حول وجود فروق دالة إحصائياً في درجة الدافعية نحو التعلم الإلكتروني يعزى للجنس، فقد بينت النتائج ما يلي:

كانت متوسطات درجات الطلبة الذكور على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٥٠.١٣) ومتوسطات درجات الطالبات الإناث على مقياس الدافعية نحو التعليم الالكتروني (٤٨.٢٤) ولمعرفة إذا ما كان هذا الفارق دال إحصائياً تم حساب قيمة ف، حيث بلغت (٠.٩٤٦) وهي غير دالة إحصائياًعلى مستوى الدلالة (α = ٠.٠٠٥).والشكل رقم (١) و الشكل رقم (٢) بين المتوسطات وقيمة ف المحسوبة.

شكل (١)

الجنس	Mean	N	Std. Deviation
ذكر	50.13	229	20.953
انثى	48.24	271	22.128
Total	49.11	500	21.597

شكل رقم (٢)

		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
درجة الدافعية * الجنس	Between Groups (Combined)	441.287	1	441.287	.946	.331
	Within Groups	232298.213	498	466.462		
	Total	232739.499	499			

و) للإجابة عن السؤال السادس حول وجود فروق دالة إحصائيا في درجة الدافعية نحو التعلم الإلكتروني يعزى للكليات الدراسية.

فقد بينت النتائج ما يلي:

كانت متوسطات درجات طلبة كلية الآداب والعلوم على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٥١.٣٠)، ومتوسطات درجات طلبة كلية العلوم الإدارية على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٤٩.٧٥)ومتوسطات درجات طلبة كلية الصيدلة على مقياس الدافعية نحو التعليم الالكتروني (45.93)ومتوسطات درجات طلبة كلية تكنولوجيا المعلومات على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٥١.٥٢)،ومتوسطات درجات طلبة كلية الهندسة والتصميم الداخلي على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٤٦.٩٨)ولمعرفة إذا ما كانت هذه الفروق دالة إحصائياً تم حساب قيمة ف حيث بلغت (١.٠٩٦) وهي غير دالة إحصائياًعلى مستوى الدلالة (α = ٠.٠٥).و الشكل رقم (٣) و الشكل رقم (٤) يبن المتوسطات وقيمة ف المحسوبة.

شكل (٣)

الكلية	Mean	N	Std. Deviation
أداب وعلوم	51.30	114	21.987
العلوم الادارية	49.75	157	21.341
الصيدلة	45.93	61	23.916
تكنولوجيا المعلومات	51.52	44	18.321
الهندسة والتصميم الداخلي	46.98	124	21.388
Total	49.11	500	21.597

شكل (٤)

			Sum of Squares	*df*	*Mean Square*	*F*	*Sig.*
درجة الدافعية * الكلية	Between Groups	(Combined)	2042.754	4	510.688	1.096	.358
	Within Groups		230696.746	495	466.054		
	Total		232739.499	499			

ز) للإجابة عن السؤال السادس حول وجود فروق دالة إحصائياً في درجة الدافعية نحو التعلم الإلكتروني يعزى للمستوى الدراسي.

فقد بينت النتائج ما يلي:

كانت متوسطات درجات طلبة السنة الأولى على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٥١.٣٠) ومتوسطات درجات طلبة السنة الثانية على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٤٩.٨٩)،ومتوسطات درجات طلبة السنة الثالثة على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٤٨.١٨)ومتوسطات درجات طلبة السنة الرابعة على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٥٠.٢٥)ومتوسطات درجات طلبة السنة الخامسة على مقياس الدافعية نحو التعليم الإلكتروني (٣٨.٨٣)، ولمعرفة إذا ما كان هذا الفارق دال إحصائياً تم حساب قيمة ف حيث بلغت (٢.٣١٧) وهي غير دالة إحصائياًعلى مستوى الدلالة (α = ٠.٠٥). و الشكل رقم (٥) و الشكل رقم (٦) يبن المتوسطات وقيمة ف المحسوبة.

شكل ٥

السنة	Mean	N	Std. Deviation
سنة اولى	**51.03**	**130**	**22.079**
سنة ثانية	**49.89**	**101**	**18.879**
سنة ثالثة	**48.18**	**125**	**22.051**
سنة رابعة	**50.25**	**111**	**20.915**
سنة خامسة	**38.83**	**33**	**25.932**
Total	**49.11**	**500**	**21.597**

شكل ٦

			Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
درجة الدافعية * السنة	Between Groups	(Combined)	4276.957	4	1069.239	2.317	.056
	Within Groups		228462.542	495	461.540		
	Total		232739.499	499			

مناقشة النتائج

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء مستوى استخدام وتوظيف طلبة الجامعة للتطبيقات والبرامج الحاسوبية في عملية التعلم، وعلاقة مستوى هذا الاستخدام بدافعتيهم نحو التعلم من خلال الحاسوب والتعليم الإلكتروني، وقد خلصت النتائج في الجانب الأول المتعلق بمستوى استخدام الطلبة للتطبيقات البرمجية والبرامج الحاسوبية إلى أن مستوى استخدام الطالبة للتطبيقات الحاسوبية كان متوسطا وأن الطلبة يستخدمون التطبيقات التي تم حصرها في هذه الدراسة بنسب متقاربة مع زيادة بسيطة في استخدام شبكات التواصل والموبايل، التي في الغالب لا يكون الهدف منها توظيفها في عملية التعلم بقدر أن يكون التواصل هو الغاية بحد ذاتها ، كما بينت النتائج إنأعداد الطلبة الذين يستخدمون كل من التطبيقات المختلفة المحصورة في الدراسة كان متقارب على مقياس درجة الاستخدام الذي تدرج بين استخدام عالي ومتوسط وقليل، وهذا يعكس عدم وجود نظام تعليمي إداري جامعي لتوظيف هذه التكنولوجيا، بل ترك الموضوع بشكل اختياري وفق رغبة الطالب أوالأستاذ الجامعي وهذا بالضرورة يقودنا إلى اعتبار التعلم الالكتروني تعلما اختياريا وليس ممنهجا في الجامعة ومخطط له من قبل أصحاب القرار في الجامعة.

أما فيما يتعلق بالعلاقة الارتباطية بين مستوى الاستخدام للتطبيقات والبرامج الحاسوبية، والاتجاه نحو التعلم من خلال التعليم الإلكتروني، فقد بلغ معامل الارتباط بين هذين المتغيرين (١) وهو ارتباط إيجابي تام، وهذا ينسجم مع الدراسات السابقة التي بينت أن توظيف الحاسوب و البرامج والتطبيقات الحاسوبية في عملية التعلم يولد دافعية إيجابية نحو التعلم وهذا ينسجم مع كل من دراسة (Hartnett, St George, & Dron, 2011)ودراسة (النقيثان،٢٠١٠) ودراسة (Nehme,2010) ودراسة (Kim & Frick, 2011)، حيث بحثت جميعها في الدافعية نحو التعلم في

بيئة التعلم الالكتروني. وهذه النتائج تعطي مؤشراً قوياًإلىأننا يمكن الحصول على متعلمين مدفوعين نحو التعلم من خلال إيجاد بيئات تعليمية قائمة على توظيف البرمجيات والتطبيقات الحاسوبية وبالتالي الوصول إلى تعلم فعال.

أما فيما يتعلق بعلاقة التحصيل الدراسي والدافعية فإن هذه الدراسة بينت عدم وجود علاقة ارتباطيه بين كلا المتغيرين، كما بينت الدراسة عدم وجود علاقة بين مستوى التطبيقات للبرامج والتطبيقات الحاسوبية والتحصيل، كما لا يوجد علاقة ارتباطيه بين الدافعية نحو التعلم والكليات والتخصصات وكذلك يعتبر الجنس متغير غير فاعل في تمييز الدافعية، حيث وجد أنه لا فرق بين اتجاهات الطالبات الإناث واتجاهات الطلاب الذكور ، كما أن المستوى الدراسي أيضا لم يكن فاعلاً في تمييز الدافعية ، ونستطيع القول إن جملة المتغيرات(الجنس، الكلية، المستوى الدراسي) ذات أثر غير فاعل مع متغير الدافعية نحو التعلم الإلكتروني، وربما يعزى ذلك إلى أن التعلم الإلكتروني له من الخصائص والمزايا التي ترفع دافعية المتعلم نحو عملية التعلم بغض النظر عن الجنس أو الكلية أو المستوى بالرغم من هذه المغيرات ذات أثر واضح عند دراستها مع متغير الدافعية نحو التعلم في بيئات التعلم التقليدي كما بينت ذلك الدراسات التي أُجريت في هذا المجال.

التوصيات

بناء على ما خلصت إليه هذه الدراسة فانه يمكن الخروج بالتوصيات الآتية:

١- على الجامعات أن تتوجه بشكل كبير نحو التعليم الإلكتروني لما له من أهمية في تقديم المعرفة متجاوزين حدود الزمان والمكان، وخاصة أنّ هناك تقبلاً واسعاً من قبل الطلبة لهذا النوع من التعليم.

٢- اتخاذ قرار بضرورة توظيف الحاسوب وتطبيقاته في عملية التعلم وإيجاد بيئات تعلم تكنولوجية، وجعل ذلك إجبارياًعلى الطلبة ، ليتمكن الطلبة من تجاوز الصعاب و متابعة التكنولوجيا وتطبيقاتها في عملية التعلم .

٣- إجراء المزيد من البحوث حول عملية إعداد البيئة التعليمية المناسبة وتصميم الدروس الإلكترونية آخذين بعين الاعتبار الدافعية لنتمكن من توظيف التعليم الإلكتروني بشكل صحيح وعلمي.

المراجع

- الجابري، نهيل.(٢٠١١)، اتجاهات طلبة وأساتذة الجامعة نحو التعليم الإلكتروني،مجلة الطفولة والتربية، العدد السادس، السنة الثالثة،يناير ،جامعة الإسكندرية.
- العيساوي، سيف طارق،٢٠١١، مفهوم الدافعية ، كلية التربية الأساسية، بابل، العراق
  http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/service_showarticle.aspx?fid=11&pubid=2716
- الشناق، قسيم و بني دومي،حسن،(٢٠١٠)، اتجاهات المعلمين والطلبة نحو استخدام التعليم الإلكتروني في المدارس الثانوية الاردنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٦٥- العدد ٢+١، ص ٢٣٥.
- النقيثان، إبراهيم،(٢٠٠٩)،اتجاهات الدارسين نحو استخدام التقنية في التدريس الجامعي، ندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم الجامعي، الرياض.
- مقداد، محمد،(٢٠١٠)، الدافعية الى التعليم لدى طلبة التعليم الإلكتروني، مؤتمر التعليم الإلكتروني في تعزيز مجتمعات المعرفة، البحرين.
- Barolli, L., Koyama, A., Durresi, A., & De Marco, G. (2006). A web-based e-learning system for increasing study efficiency by stimulating learner's motivation. *Information Systems Frontiers, 8*(4), 297-306.
- Brophy, J. E. (2010). *Motivating students to learn*: Taylor & Francis
- Gebara, T. (2010). *Comparing A Blended Learning Environment To A Distance Learning Environment For*

Teaching A Learning And Motivation Strategies Course. The Ohio State University.
- Ghergulescu, I., & Muntean, C. H. (2010). *MoGAME: Motivation based Game Level Adaptation Mechanism*.
- Ghergulescu, I., & Muntean, C. H. (2011). Supporting Motivation Based Educational Games Through Web 3.0. *Towards Learning and Instruction in Web 3.0: Advances in Cognitive and Educational Psychology*, 247.
- Ghergulescu, I., & Muntean, C. H. (2010). *Supporting ASSESSMENT OF MOTIVATION IN GAMING BASED E-LEARNING:* IADIS International Conference on Cognition and Exploratory Learning in Digital Age (CELDA 2010).
- Hartnett, M., St George, A., & Dron, J. (2011). Being together-factors that unintentionally undermine motivation. *Journal of Open, Flexible and Distance Learning, 15*(1), 1-16.
- Hartnett, M., St George, A., & Dron, J. (2011). Examining motivation in online distance learning environments: Complex, multifaceted and situation-dependent. *The International Review of Research in Open and Distance Learning, 12*(6), 20-38.
- Keller, J. M. (2008). First principles of motivation to learn and e3-learning. *Distance Education, 29*(2), 175-185.
- Kim, K. J., & Frick, T. W. (2011). Changes in student motivation during online learning. *Journal of Educational Computing Research, 44*(1), 1-23.
- Nehme, M. (2010). E-LEARNING AND STUDENTS'MOTIVATION. *Legal Education Review, 20*(1/2), 223.
- Tuckman, B. W., & Kennedy, G. (2009). Teaching learning and motivation strategies to enhance the success of firstterm

college students. *American Educational Research Association, San Diego, CA*.
- Wu, W., & Hwang, L. Y. (2010). The effectiveness of e-learning for blended courses in colleges: A Multi-Level Empirical Study. *International Journal of Electronic Business Management, 8*(4), 312-322.
- Wigfield, A., Eccles, J. S., Roeser, R. W., & Schiefele, U. (2008). Development of achievement motivation. *Child and adolescent development: An advanced course*, 406-434.

Abstract

The technological developments characteristic to today’s digital era have contributed to significant advances in the areaof e-learning, 'E-learning' can be defined as a method of learning that is supported by the use of information technology ('IT').It’s important to design an educational environment which increase student’s motivation regardless of whether it is traditional or technological environment,motivation influences the manner in which students learn. The more motivated a students are, the better their results will be, assessment and measurement of learners motivation is currently one of the main research areas in e-learning

This study aimed at investigating the level of using the applications and computers software, and the correlation between this use and the student motivation towards e-learning.

A sample consisting of (500) students from Petra private university was randomly chosen during the first semester of the academicyear of2011/2012, the result of the study indicated that the student use all the applications in the same way and there is more use for the programs of social networking and e-mail and mobile, also there is a strong correlation between the level of use and the student motivation towards e-learning. Gender, collages and studying level are all not significant Factors for motivation.

إبستمولوجيا السرد

دراسة تطبيقية في رواية ميرامار

م . د . عبد الله حسن جميل   م . أحلام عامل هزاع

تشتغل الفنون جميعاً ومن بينها فن الرواية على التسلح بآليات تقانية تعكس حيوية العوالم الفنية داخل النص الأدبي ، ومن هذه الروايات (ميرامار) لنجيب محفوظ التي ينطوي متنها السردي على العديد من الإشارات الإبستمولوجية التي تثري تفاصيل الحاضنة السردية للرواية وتجعلها على درجة عالية من الاستقلالية على أنّ هذه المسألة تتعدّى حدود اللعب على الكلام إلى الارتباط الروحي بالمتلقي[1] ، فالأدب هو الشكل المتحرك للمعرفة [2] على النحو الذي يمكّنها – أي الرواية – من التماسك ولفت الانتباه إلى جوهر القضايا التي تسيطر على ذهن المبدع ، مما يحقق بالتالي استدراج المتلقي إلى مساحة النص والامتزاج معه .

المقصود بـ (الإبستمولوجيا) : ((البحث في العلوم التي تم لنا اكتسابها))[3] فهي وفق ذلك نستطيع يمكن تعد نظرية العلوم والمعرفة ، أو فلسفة العلوم ، أي دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها دراسة نقدية ، تؤدي إلى إبراز أصلها المنطقي ، وقيمتها الموضوعية ، وهي في الانجليزية مرادفة لمصطلح (نظرية المعرفة) .

أما عن منهج القراءة والتلقي فنقصد به بفضائه العام جميع العلاقات التي تقوم بين المبدع (الكاتب / المرسل / المؤلف / المنتج ...) وبين المتلقي (القارئ / المستمع / المرسل إليه ...) عبر رسالة ينتجها المبدع (النص الإبداعي) بهدف إنتاج هذه النصوص مرة أخرى ، وبمقدار ما يعيد المتلقي إنتاج النص وإعادة إبداعه من جديد ، بالشكل والصورة اللذين يتناسبان ومستويات التلقي ، يتحرك ذلك

المتلقي بعلاقته التبادلية مع النص ، من خلال حركية أزمنة النص ، فما دام يمتلك القدرة على مجاراة تلك الحركية الواسعة للنص ، سيبقى قادراً على التفاعل والتعامل معه ، كل ذلك بالارتباط أيضاً مع المكونات البنائية للخطاب المعرفي (بأشكاله كلها) لدى المتلقي [4] ، على الرغم من أن العلاقة بين الكاتب (المرسل) وقارئه (المتلقّي) هي علاقة غير متوازية البتة [5] .

تهدف القراءة الإبستمولوجية في مكوناتها والتي نعني بها كل قراءة علمية إلى ((التماس الأسس التي تقوم عليها المعرفة ، فتبني صرحها في إطار من الحقائق والتصورات التي تحدد آفاقها ، من خلال مفهومات تعيد ترتيبها حتى تخدم الغاية التي قامت وتقوم من أجلها ، وكل إشباع للمفهومات إنما يتم بتلاقح المعارف وتثاقفها أثناء عمليات النقد ، والانتقاد ، فتتهذب شوائبها وتستقيم قناتها ، وتتعزز بما تفرزه من نتائج ، وما تطرحه من أسئلة)) [6] ، وهذه القراءة الإبستمولوجية للفعل القرائي النقدي العربي تأتي ((انطلاقاً من تفكيك آليات الفهم الأولية ، ورصد مرجعياتها الفكرية إلى الإجراء الفعلي ، فتعمل فيه عمل السلطة الموجهة حيناً ، وعمل الباحث الخفي حيناً آخر . فتجعل ناتج القراءة حاصلاً فكرياً ، لا يمكن تقييمه إلا من خلال رصد تقاطعات العوامل المؤثرة داخلياً على حدوده ، والتي تسربت إليه ، بفعل التقاطع الحضاري الحتمي ، فلونت نتاجه بطابع خاص ، تصب فيه مشارب عدة ، وأذواق مختلفة وانصهرت في بوتقة واحدة إلا أن ميزات تلك الروافد – ماضياً وحاضراً – ما زالت تحمل إليه خصائص كل لون وعرق وذوق ، فتزداد آفاقه سعة وشمولاً)) [7] .

ابتداءً من العنوان الرئيس للرواية : (ميرامار) ، يتخطى نجيب محفوظ مرحلة التقديم البسيط لـ (إبستمولوجيا) في روايته إلى مرحلة التقديم السيميائي الإبستمولوجي الذي يتطلّب نوعاً من التواصل الذهني المسبق بين القناة المرسلة (

المبدع) والقناة المستقبلة (المتلقي) عبر سلسلة من المعلومات التواصلية مما يمكن أن نسميها بالاتفاقية المسبقة ، فالعنوان جاء مشحوناً بدلالات عميقة تجسدت في لفظة ، مما يسهم في برمجة القراءة والتأويل عند القارئ فالإشارة الابستمولوجية التي نعنيها هنا هي المكان وهو من أهم عناصر الرواية ، فهو الموضع الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات ، وهو فضاء يحتوي على كل عناصر الرواية الأخرى ، وقد يكون أحيانا هو الهدف من العمل الروائي وتتمثل أهمية المكان في الرواية في كونه عنصرا فاعلا في تطور بنائها وفي تحديد طبيعة شخصياتها وتأكيد علاقته ميرامار من روايات المكان ، فميرامار بنسيون يقع في شقة بالدور الرابع في عمارة شاهقة ضخمة تقع في اللسان المغروس في البحر في مدينة الاسكندرية ، وتديره امراة يونانية (ماريانا) ، وهي في الخامسة والستين من عمرها [٨] ، (ميرامار) هو عنوان العمل الفني واسم الإطار الذي تدور فيه أحداث الرواية ، إنه بنسيون اختارته الشخصيات وهو أكثر استقرارية من الفندق ، عدد حجراته محدود يقطنه عدد محدود من النزلاء ويديره شخص واحد أو عدد قليل من الأشخاص والإقامة فيه أطول نسبيا ولكنها تبقى دائما مؤقتة .

ولو تفحّصنا المتن الروائي لميرامار لوجدناه مليء بهذه الإشارات التي تكتنفها النصوص ، ومن هذه النصوص قوله على لسان أحد أبطالها وهو (عامر وجدي) :

((. زمن البلاغة ولى ، هل عندك عبارة تصلح لراكب طيارة ؟
. راكب طيارة ! أيها القره جوز المفعم شحما وغباء .... إنما خلق القلم لأصحاب العقول والأذواق لا للمجانين المعربدين من ضحايا الملاهي والحانات .. ولكن قضي علينا طول العمر بالسير في

ركاب زملاء جدد في المهنة ، لقنوا علمهم في السيرك ثم اجتاحوا ليلعبوا دور البهلوانات)) [٩].

في هذا النص يعتمد الروائي في تزويده الإبستمولوجيا على المتكى الثقافي الذي يحاول من خلاله رسم المسافة الفاصلة بين عنصرين من العناصر المكوّنة للشعوب ، وهم المثقفين وأشباه المثقفين ، فقد استطاع الروائي من خلال قوله : ((إنما خلق القلم لأصحاب العقول)) أن يثير فكرة استحالة المساواة بين المثقفين والجهلة ، فأصحاب العقول (وهم المثقفون) بإمكانهم صناعة نص ثري قادر على اختراق المتلقي والتلاعب معه وبالتالي الإيقاع به وجذبه إلى المنطقة التي يُراد من المتلقي الوصول إليها ، أما المجانين المعربدون (وهم أشباه المثقفين) فليس بإمكانهم إبداع أي شيء ، بل إنهم لا يستطيعون حتى الإتيان بأنموذج نصي قادر على التجاوب مع العالم المحيط بهم ، وهنا يفضي النص إلى مفارقة تُستشف من بين ثنايا النص مفادها أن (القلم أصبح مقترناً بالفئة الثانية أي بالمجانيين المعربدين وهم الآن – أي في زمن النص – الممثلون الشرعيون له) أما (أصحاب العقول) فقد جردوا من جميع أسلحتهم وأهمها (القلم) فالزمن الآن ليس ملكهم .

في النص الاتي يعتمد نجيب محفوظ على العنصر التاريخي الذي يتكشّف عبر إقحام النص على العديد من المسارات الزمنية :

((ماريانا إنك شاهد حي على أن التاريخ ليس وهما ، من عهد الإمام إلى اليوم)) [١٠] .

فقد استطاع الروائي أن يجعل عامر وجدي يعتقد أن ماريانا تعرف تفاصيل حياته كلها حتى الخاصة منها جدا فهو يعدها الشاهد الحي على حياته بل على التاريخ بأكمله ، وفي النص ذاته أيضاً يتيح الروائي فرصة أخرى لتزويدنا بعنصر إبستمولوجي تاريخي آخر وذلك في قوله : (أن التاريخ ليس وهما ، من

عهد الإمام إلى اليوم) فالتاريخ حقيقة لا بد من الاعتراف بواقعيتها وأنّه حقيقة تتكرر ، ولكن المفارقة هنا أنّ الروائي يصرّح بأنّ حقيقة التاريخ لا تتعدّى الحقبة الزمنية الممتدة ما بين عصر الإمام علي بن أبي طالب (رض) إلى العصر الحالي أما ما يتعلّق بالزمن السابق فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون فيه الشيء الكثير من التزييف والتلفيق .

أما في النص الاتي فإنّ الإبستمولوجيا ستتطوّر بشكلٍ أكبر مما كان عليه في النص السابق ، فهي سيأتي على شكل معلومات تاريخية سياسية متمازجة مع بعضها البعض بما يشكّل معلومة تاريخية آيديولوجية ، وقد استطاع الروائي هنا أن يحوّل نصه الروائي من نص فني مستقل بذاته إلى وسيلة لخدمة مجال معرفي آخر هو السياسة :

((مسيو عامر ، قتلت الثورة الأولى زوجيَ الأول ، أما الثورة الثانية فجردتني من مالي وأهلي ، لماذا ؟)) (١١) .

فالمتلقي في هذا النّص سيجد حتماً أن الثورات التي تحرّكها الكيانات والقوى السياسية في بلد ما لا يمكن لها أن تكون حيادية مع جميع طبقات الشعب ، ولكنها سوف تكون منسجمة مع فئة معيّنة وعلى التماس مع الفئات الأخرى ، فالسياقات المعرفية التي قدمتها الرواية في هذا النص كانت تاريخية كونها قدمت حقيقة تاريخية نلمسها من خلال التجارب الثورية التي حدثت في أزمنة مختلفة وعلى مساحات واسعة من الوطن العربي ، وفي الوقت ذاته فإنّ الرواية قدّمت معلومة سياسية كونها تحدثت عن واقع سياسي معاش .

ويقدم الروائي في نص لاحق (إبستمولوجيا تاريخية) تتعلّق بالسراي الملكي والملتفين حوله :

((– لم يكن عندي في حاجة إلى تعريف ، عرفته من بعيد بحكم مهنتي على عهد النضال السياسي والحزبي ، كان من المنتمين إلى أحزاب السراي وبطبيعة الحال من أعداء الوفد)) (١٢) .

إذ نلمح في النص نوعا من الاعتراف السياسي الذي يتعلق بمرحلة مهمة من المراحل التاريخية التي تخص مصر ، وهنا نلاحظ أن النّص سيضاعف من القيمة الموضوعية التي جاءت بها الرواية ، فالذي ينتمي إلى السراي الملكي (على وفق ما يقرّه الروائي) سيكون بطبيعة الحال عدواً لحزب الوفد الذي كان يمثّل الشعب المصري على عهد الاحتلال البريطاني لمصر في عشرينات وثلاثينات القرن المنصرم ، وعمل على تخليصه من سيطرة الاستعمار البريطاني .

إن الروائي في هذا النص وضع عدداً من اللمحات التي يحاول من خلالها استمالة عاطفة المتلقي إلى رغباته وميوله السياسية من خلال رؤية الراوي ، فعامر وجدي الذي يعمل في الصحافة ، يعرف كل المنتمين إلى الأحزاب (ليس بمعرفتهم) فردا فردا وإنما بمعرفة أفكارهم لذا فهو لا يحتاج إلى التعريف بهم .

ثم يتبين في النص الاتي على لسان حال الراوي (عامر وجدي) أنّه قد ترك حزب الوفد بل ترك الأحزاب جميعاً بسبب ما حصل من أحداث في ٤ / ٢ / ..... ، وهكذا فإنّ الانتماء إلى الأحزاب يُعدّ بنظر الراوي نوعاً من العبث نظراً إلى الهوة الساحقة بين ما تدعو إليه الأحزاب آنذاك وبين ما تفعله على أرض الواقع :

((– لعلك تذكر أنني خرجت من الوفد ، بل من الأحزاب جميعا ، منذ حادث ٤ فبراير ..)) (١٣) .

إذ أتاح النص من الإمكانات الإبستمولوجية الجديدة التي عملت على منح الرواية نوعاً من التزاوج مع العلوم والفنون الأخرى ، إذ حصل التزاوج هنا مع

العنصر التاريخي ، مما يحتّم علينا القول بلا انفصالية العلوم عن بعضها البعض ، كما أنّ المشهد قد بيّن لنا رؤية سوداوية عن واقع الأحزاب ومسيرة نضالها المزعوم .

يسير السرد في النص الاتي إلى محاولة الانتقال إلى حدث عالمي معيّن في محاولة من الروائي لمعاينة حجم المأساة التي حاقت بالبشر من خلال المقارنة بين حادثين من الحوادث العظيمة التي شهدها بني البشر :

((أتحسب أن الطوفان قد اهلك من البشر أكثر ممن أهلكتهم قنبلة هيروشيما ؟)) (١٤) .

فقد انتقل المشهد إلى صرف الأنظار إلى حدثين من الأحداث الكبرى التي عرفتها البشرية ، واللذين ساهما في تقديم نوع من المعرفة التاريخية (الإبستمولوجيا) للمتلقي ، وقد انفتحا بضراوة ليكشفا عن النتيجة المؤلمة التي ألحقها كل حدث في بني البشر ، مع أنّ قنبلة (هيروشيما) قد أهلكت عددا أكبر من البشر (على حسب الروائي) ، الذي يتضح من خلال صيغة السؤال الذي يتضمنه النص : (أتحسب أن الطوفان قد اهلك من البشر أكثر ممن أهلكتهم قنبلة هيروشيما ؟) .

يشتغل النص الاتي على إيراد الواقع بصورة الخيال من خلال مزج الحلم بالواقع الحسي ، وهي أبعد ما تكون عن التقديم العلمي للحقائق والمعارف التاريخية :

((حلمت وأنا مستغرق في القيلولة – بالمظاهرة الدمية التي اقتحم الانجليز على إثرها ساحة الأزهر ، وفتحت عيني وأصوات المتظاهرين وطلقات الرصاص تدوي)) (١٥) .

فقد استطاع الروائي أن يخبرنا عن طريق عامر وجدي أن يصوّر لنا صورة الواقع المعاش في تلك المدة التي كان الشعب فيها كثيراً ما ينطلق في مظاهرات معبّرة عن رفضه لأي شكل من أشكال الهيمنة الاستعمارية مما يؤدي بالتالي إلى

إطلاق الرصاص على المتظاهرين وما يُحدث ذلك من امتعاض ورفض في نفس المواطن الذي تهمّه قضايا الوطن ومصلحته .

أما في النص الاتي فنتعرّف على الإبستمولوجيا من خلال الصور المعلّقة على حيطان الـ (البنسيون) :

((أجلت البصر في الجدران المنقوش عليها تاريخها . هاك صورة الكابتن بقبعته العالية وشاربه الغزير في البدلة العسكرية ، زوجها الأول والأخير ، الذي قتل في ثورة ١٩١٩ . في الجدار المقابل وفوق المكتبة صورة أمها العجوز ، كانت مدرسة ، على مرمى البصر في الصالة فيما وراء البارفان صورة الزوج الثاني ملك البطارخ وصاحب قصر الإبراهيمية ، أفلس ذات يوم فانتحر))(١٦).

إن عامر وجدي بتفحّصه لجدران الغرفة قد تعرّف على أفراد أسرة ماريانا زوجيها العسكريين وأمها المدرسة ، ومن خلال النظر إلى صورهم استطاع الرواي عامر وجدي من خلال راويه عامر وجدي أن يطلع المتلقي على طبيعة الحياة التي كان الناس يحيونها آنذاك ، فالزوج الأول قتل أثناء ثورة مصر الشعبية عام ١٩١٩ وهكذا هو عهد الذين يتقرّبون من الحكام فما أن تحدث ثورة حتى تقتص من جميع أولئك المقربين ، أما الزوج الثاني فقد حدد الرواي سبب وفاته بالانتحار بعد إفلاسه ، وهي نهاية مؤلمة كثيراً ما تحدث للأرستقراطيين الذين تعوّدوا حياة معيّنة وما أن يتعرّضوا للإفلاس حتى يبادروا بالانتحار هرباً من مصيرهم المؤلم .

إن نجيب محفوظ في محاولته لتزويد روايته بالنصوص الإبستمولوجية التاريخية إنما يحاول من خلال ذلك توكيد وجهة نظر معيّنة يميل إليها أو يؤيّدها الروائي لا مجرد كتابة التاريخ التي لا طائل منها سوى عرض الوقائع التي حصلت(١٧) .

في النص اللاحق يحاول الروائي أن يزود نصّه بإبستمولوجيا من نوعٍ ثانٍ وهي ما يمكن أن نطلق عليها (تاريخ – ديني) :

((السرادق مكتظ بالخلق ، وساحة المولد كيوم المحشر ، والصواريخ تنطلق في الفضاء)) (١٨) .

إذ يزاوج الروائي بين التاريخ والدين في محاولة منه الكشف عن الفرح الذي يغمر الناس أثناء احتفالاتهم بالمولد النبوي عبر التاريخ وهو مشهد أشبه ما يكون المشهد التاريخي الكبير ، إذ يجتمع الناس ليعبّروا عن فرحهم كلٌّ بطريقته الخاصة ، واجتماعهم هذا أشبه ما يكون بيوم المحشر الذي لا يتأخر عنه إنسان ، الكلُّ موجودون في المكان .

وفي أحايين أخرى يزاوج الروائي نجيب محفوظ ما بين المعرفة الآيديولوجية والتاريخية فيما يمكن أن نطلق عليه مصطلح إبستمولوجيا الـ (تاريخ – آيديولوجي) كما في النص الآتي :

((لقد كان سعد زغلول يستمع إلى نصائح الشيوخ ولكنه اتبع غالبا آراء الشباب . ليحفظك الله يا زهرة)) (١٩) .

إذ يشهد النص عن حضور ثيمة إبستمولوجية تتعلّق بالطريقة التي كان سعد زغلول يتعامل بها مع الأمور التي تتعلّق بسياسته ، فقد كان سعد يتكئ في إدارته للقضايا السياسية على مبدأ الشورى فيستمع إلى نصائح الشيوخ والشباب على أنّه كان يميل إلى رأي الشباب كونهم أكثر عنفواناً وإصراراً واندفاعاً من الشيوخ الذين يتّسمون بالحكمة .

ويستمر نجيب محفوظ في محاولته المزاوجة ما بين الإبستمولوجية التاريخية وما بين المعارف الأخر ، وفي النص الاتي نجد أن المعرفة التاريخية امتزجت بالمعرفة الاجتماعية :

((يميل إلى القصر والبدانة ، منتفخ الشدقين واللغد ، وله عينان زرقاوان رغم سمرة بشرته ، ذو طابع ارستقراطي لا تخطئه العين وينم عن صمته المتكبر إذا صمت وحركات رأسه ويديه المتزنة المرسومة بدقة إذا تكلم ، قدمته المدام باسم (طلبة بك مرزوق) في مجلس المساء ، ثم قالت تزيدني معرفة به :

- إن طلبة بك مرزوق الذي قدمته المدام بهذه الأوصاف يدل على انه ذو منصب مهم في الدولة)) (٢٠) .

إذ يكشف المشهد الذي يتبناه النص السابق عن العلاقة الحميمة ما بين الملامح الجسمانية والطبائع التي يتميّز بها بعض الأشخاص وبين الوظائف والمناصب الحكوميّة التي يتقلّدها أولئك الصنف من البشر (فالقصر والبدانة) و (وانتفاخ الشدقين واللغد) و (زرقة العينين على الرغم من سمرة البشرة) و (الصمت المتكبّر) و (حركات الرأس واليدين المتّزنة المرسومة بدقّة إذا تكلّم) كلُّ هذه علامات على أهميّة الشخص وعلوّ منصبه في الدولة ، هكذا صوّر نجيب تلك الشخصيات في روايته (ميرامار) ، ولعلّ هذا نوعٌ من أنواع النجاح في تصميم شخصيات روايته إن صحّ التعبير .

تسير هذه الإمكانات الإبستمولوجية التي تعرضها رواية ميرامار إلى تأسيس نوع آخر من أنواع الإبستمولوجيا وفي النصوص الاتية سنلتقي مع عددٍ من النصوص التي تفرز معرفة دينية ، كما في النص الآتي :

((... ((الرحمن ،علم ، القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر ، يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان ..))

– مضيت أقرأ سورة الرحمن الحبيبة إلى قلبي مذ كنت في الأزهر..

– ((كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام))

– ((يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)))) (٢١) .

فالروائي في هذا النص يقدّم لنا كثيمة رمزية تشير إلى عظمة الخالق (جل وعلا) ، كما أنها تشير إلى نوعٍ من الكشف عن سمات من الشخصيات الرئيسة في الرواية وهي السمة الدينية ، ولعل الروائي يكررها ولأكثر من مرّة في هذه الرواية لتأكيد هذه السمة على شخصيته البطلة (٢٢) ، ولعل النص اللاحق دليل على ما قلنا قبل قليل من أنّ هذه النصوص تأكيد للسمات الشخصية لبطل الرواية (عامر وجدي) ، كما أنّها دعوة إلى الإيمان الصادق بالله ، والبارز في هذا النص صيغة السؤال الذي يكمن في قوله : (كيف لا أؤمن بالله وأنا أحترق في جحيمه ؟) والتي لعبت دوراً في ترسيخ عناصر المعرفة الدينية ودلالاتها :

((– كيف لا أؤمن بالله وأنا احترق في جحيمه ؟

– لقد خلق أمثالك للجحيم ، لن يبارك الله لك في شيء ، اخرج مطرودا من هذا المكان الطاهر ، كما طرد إبليس من رحمة الله)) (٢٣) .

إنّ شبكة الدلالات التي نراها ماثلة في النص تشتغل لتكوّن أشبه ما يكون بالفضاء اللغوي الذي يحتشد فيما بين أجزائه ليقدّم لنا لوناً من ألوان التلاحم اللغوي

، إذ تؤدي صيغتي الاستفهام والنفي في الجملة السابقة (وكيف لا أؤمن ...) دوراً مهماً في تقديم الإبستمولوجيا الدينية إذ تنعطف الدلالة الواردة في النص (أؤمن بالله) من خلال صيغة النفي بينما تأتي صيغة الاستفهام لتعيدها إلى حظيرتها الأصلية واللغة على هذا الأساس تؤدي الدور الأكبر في تقديم القضايا الفكرية التي تتمخّض عنها النصوص إذ أنّ ((الفكر يأتي في علاقته مع المعرفة من باب اللغة ، فهو بها يصبح شكلاً تقول فيه ما انتهت إليه تجارب الإنسان ، وممارسته وما آلت إليه تأملاته وتخيّلاته)) (٢٤) .

النص الاتي يأتي محتشداً بالإبستمولوجيا الدينيّة من خلال كشفها عن العديد من العلامات المعرفية التي تشير إلى العديد من الأعراف التي سار عليها المسلمون الأوائل ، وهو بالطبع أمر يخفى على العديد منا لذلك جاء النص ليطلعنا عليه :

((تبادلنا نظرات صامتة . أنا محموم بائس وهي عنيدة غاضبة . ولولا قوة إرادتي ، أو لولا خوفي لأنهرت تماما . وفكرت بسرعة اشد من البرق ثم قلت :

- **زهرة ، توجد طرق وسطى ، مثل الزواج الإسلامي الأصلي!**

حل التساؤل في عينها محل الغضب فقلت وانأ لا أعرف عن الموضوع أكثر من ذكريات غامضة :

- **نتزوج كما كان يتزوج المسلمون الأوائل ..**
- **كيف كانوا يتزوجون ؟**
- **أعلن بيني وبينك إنني أقبلك زوجة على سنة الله ورسوله!**

- بلا شهود ؟
- أمام الله وحده !

فقالت محتجة في استياء :

- جميع من حولنا يتصرفون وكأنهم لا يؤمنون بأن الله موجود !

ثم هزت رأسها وقالت بإصرار :

- لا . .)) (٢٥) .

فقد أطلعنا النص السابق على العرف الذي كان يتزوج من خلاله المسلمون الأوائل (على وفق سرحان البحيري) ، إذ لم يكن هنالك سند قانوني يستندون عليه سوى الإقرار بذلك أمام الله ، والحقيقة أنّ الأمر لم يكن كذلك فمن شروط صحة الزواج الإسلامي وجود شاهدين على الأقل ، إلا أنّ سرحان البحيري كان يبيح كل شيء ، فهو يحاول بهذه الطريقة أن يقنع زهرة بزواجه منها بدون عقد زواج وأراد من خلال ذلك أن يستغل جهلها وعفويتها ، ولكن زهرة لم تستجب له في النهاية.

ولعل بعض النصوص السردية في هذه الرواية ستكشف عن معارف أخرى يمتزج فيها الدين بالتراث كما في النص الآتي :

((إعدلني على القبلة)) (٢٦) .

فمن جملة العادات المتعارف عندنا أن نعدل من يحتضر إلى القبلة ، أما في هذه الرواية وعلى لسان حال سرحان البحري الذي أصبح يائساً إلى درجة أنه يفكر بالموت في كل لحظة ولا يطمح إلى تحقيق هدف معيّن .

وتتطلّع النصوص الاتية إلى الكشف عن إبستمولوجيات آيديولوجية ولعلّ الكثير منها يعبّر عن قناعات الروائي نجيب محفوظ نفسها :

((حزب الأمة ما أعجبني فيهِ وما نفرني منه ، الحزب الوطني بحماساته وحماقاته ، الوفد بثورته العالية الخالدة ، الخلافات الحزبية التي قوقعتني في حياة باردة لا معنى له ، الأخوان الذين لم أحبّهم ، الشيوعيون الذين لم أفهمهم ، الثورة ومغزاها وامتصاصاتها للتيارات السابقة)) (٢٧) .

في هذا النص يفاجئ المتلقي بجملة من القرارات الجاهزة التي تتمُّ عن تجربة بل مجموعة من التجارب الآيديولوجية التي عاناها (عامر وجدي) ، وقد تكون إسقاطاً من الروائي على شخصيات الرواية و (عامر وجدي بالذات) فيكون مجموع هذه الآراء هي آراء الكاتب نفسه ، وفيه نلتقي مع مجموعة من الأحكام الجاهزة – كما قلنا – فحزب الأمة فيه الذي يعجب والذي لا يعجب ، والحزب الوطني فيه الحماسة العالية إلا أن الحماقات التي يتصرّف فيها قادته أدّت إلى فشله وتخلّفه عن مطالب الجماهير ، والأخوان المسلمون لم يحبّهم (عامر وجدي) ، الشيوعيون الذين لم يفهمهم ، أما عن حزب الوفد فهو الذي أثار إعجابه فثورته عالية خالدة كما أنّ قاعدته الجماهيريّة واسعة جداً كونه يمثّل عامة الشعب ، نلمح من خلال هذا الطرح الآيديولوجي أن الراوي كان من بين الناس الذين يدعون للثورة ولكن الثورة التي تكون منصفة مع أبنائها الذين دافعوا عنها وحموها من الانحراف والاستبداد والظلم ، ولهذا قال : (الثورة ومغزاها وامتصاصاتها للتيارات السابقة) .

أما في النص الاتي فيتحدّد الحوار بين منصور ناهي وعامر وجدي حول الآيديولوجية السياسية ، ومن خلالها تثار بعض القضايا الإبستمولوجية التي يراد من ورائها إغراء المتلقي وجذبه إلى هذه المنطقة المعرفية وصقل خلفياته الثقافية بها :

((على أي حال فالثورة لم تمسّك .

– ليس ذلك هو السبب ، فحتى فقراء طبقتنا قد لا يحبون الثورة ..

قبضت على الفرصة بجنون ، مضيت به إلى رحلة في رحاب تاريخ ، نوهت بمواقف لا يجوز أن تنسى ، استعرضنا الأحزاب ، حزب الأمة ما له وما عليه ، والحزب الوطني ما له وما عليه ، والوفد وحله للمتناقضات القديمة وقاعدته الشعبية من الطلبة والعمال والفلاحين ، لماذا جنحت بعد ذلك للاستقلال ، ثم لماذا أيدت الثورة ..

– ولكنك لم تهتم بالمشكلة الاجتماعية الجوهرية ؟

– فقلت ضاحكا :

– لقد نشأت عهدا بالأزهر فلم يكن غريبا أن اعمل كمأذون شرعي رسالته في الحياة أن يوفق بين الشرق والغرب في الحلال !

– أليس غريبا أن تجمل على النقيضين معا ، أعني الأخوان والشيوعيين؟

– كلا كانت فترة حيرة ، ثم جاءت الثورة لتمتص خير ما فيهما معا))[٢٨].

إذ يستفزّ منصور باهي عامر وجدي أنّ الثورة لم تمسّه فلماذا اعتزل الأحزاب ؟ ولماذا أيّد الثورة ؟ ثمّ يستمرّ عامر وجدي في الحديث مفسّراً آيديولوجيته هذه أنّ الثورات جميعها سرعان ما تنحرف عن أهدافها السامية التي تتشوّق إلى تحقيقها الجماهير ومع هذا يشير منصور إليه أنه قد أهمل الحديث عن (المشكلة الاجتماعية الجوهرية) وهي المشكلة الأهم التي كان ينبغي عليه الاشتغال بها .. لكن عامر قاطعه ضاحكاً : (لقد نشأت عهدا بالأزهر فلم يكن غريبا أن اعمل كمأذون شرعي رسالته في الحياة أن يوفق بين الشرق والغرب في الحلال) .. إنّ هذا الحوار ولعلّه ليس الوحيد الذي يحاول الكاتب من خلاله التجلّي لتقديم

إبستمولوجيا آيديولوجية في حساسيّة ووضوح مطلقين عبر كثافة الحضور الفكري للذات الراوية ، والهدف من ورائها – على ما يبدو – هو تطويع المتلقي لخدمة هذه الأفكار التي يراها الروائي سامية ومناسبة للواقع العربي المعاش .

في النص اللاحق تتّضح الإبستمولوجيا الآيديولوجية التي تمتزج مع الإبستمولوجيا الدينيّة مكوّنة نسيجاً فنيّاً واحداً من خلال إيراد بعض الأفكار الآيديولوجية متمازجة مع قصّة تتحدّث عن سيّدنا الفاروق عمر (رضي الله عنه):

((لا تصدق ما يقال عن العدالة والاشتراكية ، المسالة تتلخص في كلمة واحدة : القوة ، إن من يملك القوة يملك كل شيء ، ولا بأس بعد ذلك من أن يتغنى أمام الناس بالعدالة والاشتراكية ، وإلا فخبرني بالله هل رأيت أحدا منهم يسير في الأسواق شبه جائع مثل سيدنا عمر؟!)) [٢٩] .

ففي هذا النص يتراءى لنا العنصر الإبستمولوجي الآيديولوجي بشكل واضح من خلال قوله : (لا تصدق ما يقال عن العدالة والاشتراكية ، المسالة تتلخص في كلمة واحدة : القوة ، إن من يملك القوة يملك كل شيء ، ولا بأس بعد ذلك من أن يتغنى أمام الناس بالعدالة والاشتراكية) فالذي يعرفه حسني علام وهو إحدى شخصيات الرواية أنّ العدالة والاشتراكية ما هي إلا أكذوبة ما لم يتحقّق مطلب القوّة التي يستطيع من يحصل عليها امتلاك كل شيء ، ثم يشير من خلال قوله : (هل رأيت أحدا منهم يسير في الأسواق شبه جائع مثل سيدنا عمر؟!) إلى أنّ العدالة تحققت بالقوة ، فحسني علام يعتقد أن القوة بالمال وامتلاك كل شيء ولا يعتقد أن أحداً موجوداً مثل سيدنا عمر الذي كان يُجوّع نفسه ليشعر بفقر الآخرين ، فقد كان يتجوّل في الأسواق وهو جائع على الرغم منه أنّه كان قادراً على إشباع نفسه بل

وإغنائها فضلاً عن أهل بيته إلا أنه لم يكن ليفعل ذلك لخوفه وخشيته من الله (سبحانه وتعالى) .

ومرّة أخرى يطلعنا نجيب محفوظ على علامات إبستمولوجية من خلال الحوار الذي دار ما بين سرحان البحيري وبين صديقه المهندس علي بكير وهو صديق :

((– كنا عضوين في لجنة الطلبة الوفديين بالكلية . أتذكر ؟

– كنا وقتذاك أعداء الدولة . اجل . . أما اليوم فنحن الدولة .

....

– إذن فأنت ثوري اشتراكي ؟)) (٣٠) .

من خلال مضمون النص نفهم أنّ الدولة تمثّل السلطة ،أما الجماهير فقد يكونون من المؤيدين لها أو أنّهم أعداؤها ، وقد يكون عدوّ السلطة اليوم ، وغداً يكون هو السلطة وهذا هو الحال الذي نجده في كثير من صور الماضي والحاضر في آنٍ واحدٍ ، فقد سقطت أنظمة كثيرة وأقيم مكانها أخرى ، والذي يبقى من هذه الأنظمة هو الذي يستمد شرعيته شعبه التي تمنحها الحياة والطمأنينة .

في النص الآخر نلحظ أن الاجتماع على القرآن لم يعد للوظيفة المعروفة (وهي الاستماع للقرآن الكريم وتدارس آياته) وإنّما اختلفت المسألة هنا ، إذ أصبح الاجتماع لأجل القسم عليه :

((لم يبق إلا أن نجتمع للقسم على القرآن ..)) (٣١) .

فقد أبان النص هنا عرفا اجتماعيا وسياسيا ، يتعلق بآلية الاتفاق على القرارات بين الناس وخاصة بالنسبة للأمور التي يحيطها الخطر ، إذ يجتمع هؤلاء الناس فيتفقون على جملة من القرارات ومن ثمّ يقسمون على القرآن على عدم نكث تلك الاتفاقات .

يتمخّض النصّ الاتي عن إبستمولوجيا من نوعٍ جديد وهي الإبستمولوجيا الجغرافية ، إذ يكشف نجيب محفوظ فيه عن أهميّة وموقع بنسيون ميرامار :

((ذلك البيت الكبير الذي تحول مع الأيام إلى فندق ، يراه السائر في خان جعفر كقلعة صغيرة ، وحوشه القديم الذي شق فيه طريق إلى خان الخليلي)) (٣٢) .

إذ يتخيل عامر وجدي بنسيون ميرامار كأنه قلعة صغيرة تحمل في داخلها عدداً من الموروثات القديمة التي يعتزّ بها عامر فـ ((علاقة الإنسان بالمكان علاقة جدلية تشكل من خلال عملية التأثر والأثير)) (٣٣) ، ومن هنا أصبح من الممكن المكان الواقعي لميرامار على وفق ما يرويه نجيب ، فهو يقع في خان جعفر وكأنّه قلعة صغيرة ، أما عن حوشه القديم فقد شُقَّ فيه طريق إلى خان الخليلي .

في النصِّ الاتي استشهد الرواي بإبستمولوجيا جديدة هي أشبه ما تكون بالإبستمولوجيا الرياضية :

((لنحذر الكسل ، لا بأس من تجربة المشي في الصباح المشمس)) (٣٤)

.

إن عامر وجدي يمارس الرياضة كل صباح وفي الوقت نفسه يقضي على أوقات فراغه بالمشي لذا فهو ينصح بممارسة المشي في الصباح المشمس فهو الذي يقضي على الكسل فضلاً عن الفوائد الصحيّة التي نعرفها جميعاً .

في النص الاتي تطالعنا العناصر الإبستمولوجية من خلال الكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية التي تحياها الأسرة الشرقية :

((الأب يطالع جريدة والأم تطرز رقعة والأبناء يلعبون)) (٣٥) .

إن عامر وجدي يتمنى أن يعيش بأسرة مجموعة وتربطها أواصر المحبة فهو محروم من هذه الأسرة : الأب – والمراد به عامر وجدي نفسه – منهمك بقراءة

الصحف بحكم المهنة التي مارسها طيلة حياته ، والأم وهي زوجته مشغولة بتطريز رقعة وهي دلالة على تشبّثها بالعمل المنزلي ، والأطفال وهم أولاده غارقون في اللعب .

وفي النص اللاحق يحاول البوح بإبستمولوجيا اجتماعية أيضاً تحاول الكشف عن الواقع الاجتماعي الذي كان الناس يحيونه في السابق :

((كان يملك ألف فدان ، كان يلعب بالمال لعباً ..)) [٣٦] .

الرواي ومن خلال الكشف عن شخصية (طلبة بك مرزوق) يحاول تزويد النص بإبستمولوجيا اجتماعية ، إذ كان الإقطاع في ذلك الزمن مسيطراً على رقاب الناس وكان الواحد منهم يمتلك مساحات واسعة من الأراضي بينما لا يمتلك البسطاء من الأرض شيئاً .

يقدّم لنا النص الاتي الإبستمولوجيا من خلال عالم ما وراء الطبيعة أو (الميتافيزيقيا) ، في حديثه عن طبيعة الموت التي لا يعرّفها إلا من ذاق مرارته :

((طبيعة الموت الغامضة المقتحمة)) [٣٧] .

إذ يقرّر الرواي أن طبيعة الموت هي في حكم الغموض المقتحم الذي لابدّ أن يُبادرنا يوماً ما وبما أنّ معرفة الموت تتطلّب منا تجريب الشعور بالموت أو تذوّقه لذا أصبح من الصعب علينا معرفة طبيعته كوننا لم نجرّب هذا الإحساس المرير وحتى نجرّبه تبقى المعرفة به لا تتجاوز ما عبّر عنه الراوي بقوله : (الغامضة المقتحمة) .

أما في النصوص الاتية فتحاول الفلسفة أن تقدّم نفسها من خلال عرض جزءٍ من إبستمولوجيّتها ، وكيف لا إذا ما عرفنا أنّ أوليّات نجيب محفوظ الثقافية كانت تضمّ فيما بينها معرفة بالفلسفة بل تخصصّاً من خلال حصوله على ليسانس الآداب في الفلسفة [٣٨] :

((الإيمان . . الشك . . إنهما مثل النهار والليل .. اعني إنهما لا ينفصلان ، وأنت يا بني من أي جيل ؟)) [٣٩] .

فالإيمان والشكّ كلاهما عنصران مناقضان للآخر وحيثما وجد أحدهما ينتفي وجود الآخر ، مع أنّ الوصول إلى واحة الإيمان تتطلّب العبور من خلال منطقة الشك ، فهما مثل الليل والنهار ، فلا وجود للنهار بلا مجيء الليل ، ومجيء الليل لا بدّ من أن يسبقه النهار هذه هي العلاقة الجدليّة ما بين الإيمان والشك كما هي العلاقة ما بين الليل والنهار .

أما في النص الاتي فتتمظهر الإبستمولوجيا عبر سلسلة من الرؤيات الفلسفية الذاتية التي تأتي متداخلة مع النمط الديني :

((الجنة هي المكان الذي يتمتع فيه الإنسان بالأمن والكرامة ، أما النار فهي ما ليس كذلك)) [٤٠] .

إن سرحان البحري وهو غارق حتى أذنيه بالحماقات والسخافات وهو الذي لا يؤمن بالحرية والكرامة ، ولهذا يقول أن الجنة هي المكان الذي يتمتع فيه الإنسان بالأمن والحرية وأيَّ مكان كان إذ إنّه لم يحدد مكاناً معيّناً ، كما أنّ النار في رؤيته تقف على الضد من الرؤية السابقة التي تتعلّق بالجنة ، فهي المكان الذي يفقد فيه الإنسان أمنه وكرامته .

ويكشف النص الاتي عن العديد من العلاقات الفلسفية التي تتبنّاها رواية (ميرامار) :

((أن تؤمن وان تعمل فهو المثل الأعلى ، ألا تؤمن فذاك طريق آخر اسمه الضياع ، أن تؤمن وتعجز عن العمل فهذا هو الجحيم)) [٤١] .

إذ أنّ قمّة المثالية (التي يقررها نجيب محفوظ) تكمن في توافر عنصري الإيمان والعمل وبفقدان أحدهما تضطرب تلك المثاليّة وقد تتحطّم في خضم متاهات الحياة ، فانعدام الإيمان مع وجود العمل يحدّد نتيجته الروائي بالضياع ! وتوافر عنصر الإيمان مع العجز عن القيام بأداء الأعمال فهذا يعني السقوط في قعر الجحيم (كما تقرّره فلسفة نجيب محفوظ من خلال أبطال روايته) .

الهوامش :

(*) هو نجيب محفوظ بن عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد باشا ، ولد في القاهرة (١١ كانون الأول ١٩١١ م – ٣٠ آب ٢٠٠٦ م) سمي بهذا الاسم تقديراً من والده للطبيب العالمي الراحل نجيب محفوظ الذي أشرف على ولادته ، روائي مصري حاز على العديد من الجوائز ومن بين أهم هذه الجوائز جائزة نوبل في الآداب . ينظر : نجيب محفوظ بعيون سورية ، مجموعة من المختصين والباحثين ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٧ : ٢٧٥ .

(١) ينظر : الفن والحس ، ميشال ديرميه ، ترجمة : وجيه البعيني ، دار الحداثة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٨ : ٢٧ .

(٢) ينظر : قمصان الزمن فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي ، د. جمال الدين الخضور ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ : ١ .

(٣) المعرفة ، د. محمد فتحي الشنيطي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨١ : ٥٤ – ٥٥ .

(٤) ينظر : قمصان الزمن : ١٠٩ .

(٥) ينظر : نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، دكتور حسن مصطفى سحلول ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ : ١٩ .

(٦) القراءة و الحداثة ، مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية ، حبيب مؤنسي ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ : ١ .

(٧) المصدر نفسه : ١ .

(٨) ينظر : نجيب محفوظ بعيون سورية : ٢٥٨ .

(٩) الأعمال الكاملة (رواية ميرامار) ، نجيب محفوظ ، المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت ، (د . ت) : ٩ .
(١٠) المصدر نفسه : ١٠ .
(١١) المصدر نفسه : ١٢ .
(١٢) المصدر نفسه : ١٩ .
(١٣) المصدر نفسه : ٢١ .
(١٤) المصدر نفسه : ٢٢ .
(١٥) المصدر نفسه : ٤١ .
(١٦) المصدر نفسه : ١٢ .
(١٧) ينظر : نجيب محفوظ بعيون سورية : ٧٦ .
(١٨) الأعمال الكاملة (رواية ميرامار) : ٢٩ .
(١٩) المصدر نفسه : ٥١ .
(٢٠) المصدر نفسه : ١٩ .
(٢١) المصدر نفسه : ١٨ – ١٩ .
(٢٢) ينظر : المصدر نفسه : ٥٩ ، ١٨٦ .
(٢٣) المصدر نفسه : ٢٣ .
(٢٤) الكتابة الثانية وفاتحة المتعة ، منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، ط ١، بيروت ، ١٩٩٨ : ١٠٠ .
(٢٥) المصدر نفسه : ١٥٨ .
(٢٦) المصدر نفسه : ١٤٠ .
(٢٧) المصدر نفسه : ١٦ .
(٢٨) المصدر نفسه : ٣٧ – ٣٨ .

(٢٩) الأعمال الكاملة (رواية ميرامار) : ٨٢ .
(٣٠) المصدر نفسه : ١٤١ .
(٣١) المصدر نفسه : ١٣٩ .
(٣٢) المصدر نفسه : ١٤ .
(٣٣) سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات ، خليل شكري هيّاس ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ : ١٢٣ .
(٣٤) الأعمال الكاملة (رواية ميرامار) : ١٥ .
(٣٥) المصدر نفسه : ١٥ .
(٣٦) المصدر نفسه : ١٩ .
(٣٧) المصدر نفسه : ٩٠ .
(٣٨) نجيب محفوظ بعيون سورية : ٤٧٥ .
(٣٩) الأعمال الكاملة (رواية ميرامار) : ١٠٨ .
(٤٠) المصدر نفسه : ١٥١ .
(٤١) المصدر نفسه : ١٠٨ .

THE IMPACT OF CULTURE ON TRANSLATION

By
Asst. Prof. Dr. Ali Sulaimaan I. Addulaimi
University of Tikreet
College of Arts
Department of Translation

ABSTRACT

One of the most important approaches to translation is the socio-semiotic or cultural approach which means that translation is not restricted to the meanings of sounds, words, grammar and rhetoric but it goes beyond mere correspondences to cultural presuppositions and value systems which create a different world picture specific to every culture (Nida, 1985:121). This paper aims at pointing different problematic areas in translation that result from differences in culture to which the two languages belong.

1. The Concept of Culture:

The anthropologist Malinowiski (1962:169) defines culture as "the fullest context of all human activities. It is the vast instrumentality through which man achieves his ends both as an animal that must eat, rest, and produce; and the spiritual being who desire to extend his mental horizons, produce works of art and develop systems of faith"

Haviland (1975:12) defines culture as "a set of rules and standards which when acted upon by the members of a society produce behaviour that falls within a range of variance that readers consider proper or acceptable"(for further details, see Muhammad 1986).

The fabric of society operates and becomes visible through our use of language. This fabric includes the social context of language use which naturally presupposes the existence of a particular society. Society has implicit and explicit values, norms and laws, and with all its particular conditions of life: economic, social, political and cultural (cf Davis 1977: 21- 57).

Culture is defined as the way of life and its manifestations, which are unique to a society that uses a particular language as a means of expression (Newmark, 1988:94).

Culture may be defined as a set of beliefs, which governs the behaviour patterns of a society. These beliefs include religion, economy, politics, literature and language. Thus, language is an integral part of culture, and translation involves two cultures, the culture of the source language(source culture) and the culture of the target language(target culture)(Aziz and Muftah, 2000:85).

2. Types of Cultural Problems of Translation:

Aziz and Muftah (2000:90**)** say that cross-cultural translation may constitute many problematic areas. This is true of translation between English, which represents part of the western culture, and Arabic, which belongs to the oriental culture.

2.1 Geographical Culture:

Two cultures involved in translation may have divergent backgrounds related to such topics like animals, plants and climate. The Arabic speaking person may be said to inhabit States generally characterized by a hot and dry climate like Iraq, Syria, North Africa etc, whereas the culture of Western Europe is cold and wet. Within these two cultural frameworks, the different geographical terms will acquire different shades of meaning for the people using them.

2.2 Religious Culture:

Religion has deep roots in many different cultures and is revealed in how people speak and behave. However, some communities are more religion conscious than others. In general, the impact of religion is stronger and more obvious in the East than it is the West.

2.3 Social Culture:

Social ideologies raise a number of problems. These include the attitudes of various societies toward love, marriage and the concept of decency.

2.4 Material Love

The term material love has a broad sense and includes such things as food, means of transport and other objects that people use in their daily life. These may be different from one community to another. Developed Countries would deal with various material things like E-mail and WWW, which may not be found in Developing Countries.

2.5 Linguistic Culture:

How people view the external world and what distinctions they draw between its various parts are likely reflected in their language: some linguists draw a distinction among three basic language functions. These functions are ideational, interpersonal and textual. They are realized differently in different languages. At the ideational function, for example, English recognizes two terms as far as the number system is concerned: the singular which means(one) and the plural which means(more than one) whereas Arabic distinguishes three terms: singular which means(one), dual which means(two) and plural which means(more than two).

3. Definition of Translation:

Translation plays an important role in human communication, and the importance of it has grown dramatically in the 20th century the amount of information and ideas exchanged among different languages has increased. Yet, the emergence of translation as a profession comparatively recent that is still surrounded with controversy much of which emotionally inspired (Ciroen, 1966:12).

The fact that translation has been a subject of constant controversy and that many scholars have different views about it, has resulted in presenting several definitions concerning the process of translation.

Nida and Taber(1974:12) mention that translation is concerned with reproducing in the TL the closet natural equivalent of the SL, first in terms of meaning and secondly in terms of style, but in contrast to others, translation is approached as a search for equivalent not sameness of meaning.

The fabric of society operates and becomes visible through our use of language. This fabric includes the social context of language use which naturally presupposes the

existence of a particular society. Society has implicit and explicit values, norms and laws, and with all its particular conditions of life: economic, social, political and cultural (cf Davis 1977: 21- 57)

Culture is defined as the way of life and its manifestations which are unique to a society that uses a particular language as it means of expression (Newmark, 1988: 94)

Aziz (1989:19) mentions that translation is an operation that is performed on two or more languages in which the source text is replaced by the target language on the basis of equivalent between both texts(lexis and grammar of the target language; and the source language phonology or graphology is also subsequently replaced by target language phonology or graphology).

Suleiman (1999:145) states that "translation, is an art and skill, is an integrated process which involves the comprehension, analysis, reformulation of text by incorporating the contextual, semantic and socio-cultural aspects of source language and target language text".

Cook (2003: 52) says that the interpretation of language in context relies on the degree to which the participants share conventions and procedures including those related to paralanguage, pragmatics, and genre. Such conventions and procedures, together with values and beliefs which lie behind them, are elements of cultural knowledge, and the people who share them, can be thought of as belonging to the same culture.

Al-sulaimaan(2010: 83) mentions that the term culture can be defined as a collection of traits connected with a community of individuals which is common to the individuals in the society and not given by natural biological or physical necessity.

4. Types of Translation:

Translation has been viewed differently by different scholars. There is no unanimous agreement about its definition, models and types. However, some scholars attempt to define it and specify its types and models. With regard to its types and models, Catford (1965) classifies the types of translation according to rank, extent and level. Nida and Taber, (1974) mention two types of translation, namely formal equivalence and dynamic equivalence. The up-date methods of translation are those suggested by Newmark (1982). In what follows we will talk about each one of them very briefly.

4.1 Semantic Translation:

Newmark (1982: 7) mentions that in semantic translation, the concentration is on the message rather than on its effect or force. The basic aim of the translator is to convey the SL formal and contextual meaning of the original texts as accurately as the semantic and syntactic structures of the original SL text. This type of translation is characterised by being more complex, more concentrated, inclusive of more details and focus on the content rather than the intention of the author of the original text, or the resultant effect.

4.2 Communicative Translation:

In communicative translation, Newmark (1982: 7) confirms that the focus is on reproducing the same effect on the TL receiver as that of the original text on the SL receiver (i.e., it emphasizes the force of the message more than the content of the message). In this method of translation, the translator gives himself the right to add or remove certain lexical items in order to make the thought of the SL text clear to the reader. Communicative translation is characterized by being subjective, smoother, clearer, simpler and more direct than the semantic

one. For this reason, Newmark prefers this method to the semantic one.

5. <u>Translation and Culture:</u>

It is a commonplace fact that cultural presuppositions and value system create, by virtue of cultural specificity, a mental set characteristic of each culture and it is expected that various mental sets overlap between one language and another, but they rarely match exactly. These mental sets as reflected by language look like some invisible borderlines drawn across the world image, which does not largely differ among and between languages.

For instance, in the western world, dragons are regarded as symbols of dire danger and as such they fit in the Book of Revelation which harbours several terrible creatures besides the dragons while the dragon is normally regarded as a symbol of good luck in the Orient.

Several events recorded in a text may likewise have quite different meanings because of different cultural values. For instance, among the Muslims the story of Ibrahim and Ishmael is regarded as one of the most significant proofs of the grace of God while less significance is attached to this story in the western world. Also kings of Israel are considered prophets in the Gloriuos Qur'a:n and Solomon in particular is almost mythified while in the Old Testament they are all represented as historical figures. This impression of the Muslims, therefore, differs from that of the western man of those figures since each culture is influenced by a different prototype. A sociosemiotic approach to translation has led to some problems of meaning and ambiguities since the cognitive structure or rather the mapping of the cognitive structure as reflected in words does not match among cultures. Among these problems are the distinction between the designative and the associative

meanings (which paralleled to some extent, the distinction between denotation and connotation) and the metaphoric representation (Nida, 1985:21-3).

The above mentioned aspect becomes clear in the representation of colours in different cultures. The word (black) for instance, is a term of abuse or insult in several white cultures while the designative meaning of the same word in a white culture does not contain or suggest any pejorative shock. The term of insult is another example, "you cow" does not mean anything pejorative in an Indian culture nor does "a mouse" in China mean any passive connotation. On the other hand, designatively both "cows" and "mice" can be used neutrally in all cultures(Dulf, 1984:11-2).

Related to this problem is that of cultural relativity of peacocks, pandas, camels kangaroos, and penguins are representatives of India China, Arabia, Australia and Eskimos equally as representatives of their respective species. Snow regions as contrasted to desert regions have created different metaphors relating snow in the former and heart in the latter to boon and pleasant things. Different parts of the body are given different weights of significance in different cultures thus affecting not only the aesthetic standards but the metaphors attached to these standards.

Also, it is often broadly admitted that since language is an embodiment of an underlying human common experience which the thesis of linguistic universals implies the translator's job is to actualize this presupposition whatever the peculiarities of the language he is dealing with.

A narrow consideration of the concerned languages, however, shows that the above assumption is not quite adequate because it aims at universalization of usage while ignoring at the same time cultural variations.

Ecology, it is my impression, does not homogenize but it rather determines linguistic variance across cultures. First let's assume that an Arab native speaker receives good news and that he must formulate his psychological enjoyment into a sentence. He will literary say:

"This news freezes my chest"

A statement which, to say the least, will seem particularly bizarre to his English interlocutor. The reason for this unusual wording of the experience of the Arab can only be explained with reference to the ecological conditions of the Arabian Desert which structure and explain his repertoire of metaphoric images.

Needless to say, that the translator handles such a culturally- bound expression with the idea of giving it back into English. He certainly does not need to be weather specialist to find the appropriate corresponding expression. The Arab item is cold oriented whereas the English item is hot- oriented, each of them responding respectively to his environment conditions. Moreover, this item shows a difference in terms of the symbolic representation of affectivity which is represented by the physical organ "chest" for the Arab and by "the heart" for the English.

Culture- bound expressions explicitly spot light the cultural relativity and prove that the Linguistic Universal Theory does not comprehensively hold in time and place.

Let's take some local examples, Satan the crow, the Magi and the Jew. Different cultures harbour different systems of beliefs what is held sacred for an Indian can only be viewed with horror or disrespect for an Arab. Satan is worshipped by the Yezidiz while damned by Muslims. In reviewing the folklore of the Middle East nations two phenomena stand out. The first is the hostility between the Arabs and Persians; the second is hatred between Jews and Muslims. The first discord is

national and racial while the second one is principally religious and historio-political.

For many Muslims, the term "Jew" is a term of insult. It is a synonym of niggardly, miser, mean and lousy, while the term "magus" stands for passive association. Whether derived from the Arabian Nights or some other sources, this sterio-typical example betrays cultured bias and as such cultural relativism. A cow to a North African is an animal of boon on good omen while an owl is a bird of bad omen to most nations. It is not the bird by any characteristic ominous but rather human bias which associates this bird to deserted and directed places. Being a night bird….the associative meaning thus single out certain entities as being positives or passively. When these entities, say animals, and colours, are used in a text like Chinese, Indian, Russian, Arab or English they definitely cannot show their positivism or passivism. "Black" certainly is a benign colour for African Negroes thus affecting not only language but the aesthetic sense (cf Nida, 1985:123).

6. Conclusion:

All in all, these cultural aspects have their great relevance to translation and it seems that cultural equivalence when lacking can very likely block the process of translation. One method to solve this problem is to provide an explanation and place it in the footnote for making clear this aspect to the readers. Another method is to expand cultural awareness of both translators and readers through an over-expanding cognitive mapping and wider- world view so as to understand such differences in the TL in their SL meaning potential and connotation without affecting any change in the TL text equivalence. However, it seems that along time must pass until this aim becomes within reach and since this cannot be achieved on, by resorting to footnote.

7. References:

Al-sulaimaan, M.M(2011): **Semantics and Pragmatics**, Mosul: Dar Ibn Al-theer liltibaati Wa-Alnashr

Ilyas, A. I. (1989): **Theories of Translation**, Mosul: Mosul University Press.

Aziz, Y. and Muftah,S.(2000): **Principles of Translation**, Benghazi: Dar Al-Kutub Al-Wataniyya.

Citroen, I. (1966): "The Myth of the Two Professions: Literary and Non- Literary", In: **Babel**, vol.x11, No.4, pp181-8.

Davis, K. (1977): **Human Behavior at work**, New York: McGraw-Hill Book Company.

Dulf, A. (1984): **The Third Language**, Pergamon Institute of English, pp 11-2.

Haviland, W. (1975): **Cultural Anthropology**, New York: Rinehart and Winston.

Malinowiski, B. (1862): **Sex, Culture, and Myth**, London: Rubert Hart- Davis.

Muhammad, I.R.(1986): **Some Cultural Problems in English – Arabic Translation**(Unpublished MA Thesis) University of Mosul.

Newmark, P. (1988): **Approaches to Translation**, Cambridge: Cambridge University Press.

Nida, E. (1985): "Translating Meaning", In: **The 10th World Congress**, Wein. Pp 121-9.

Nida, E. and Taber, J. (1974): **The Theory and Practice of Translation**, Leiden: E. J. Brill.

A TAXONOMY OF STRUCTURAL AMBIGUITY IN HUMOUR WITH REFERENCE TO TRANSLATION

by
Asst.Prof.Dr.Mazin Fawzi Ahmed
University of Mosul
College of Rights

ABSTRACT

The present study investigates the taxonomy of structural ambiguity in humorous texts. It is found that there are many ambiguity devices used in creating humorous effects in jokes and other humorous texts. These devices include the use of articles in plural and non- count nouns , coordinating conjunctions , the construction ' a little ' , devices affecting verb forms such as modals and tense shifting , in addition to other devices such as verb particles , idioms ...etc .It is also found that there are two main ways for translating humorous texts .The first way is to translate them semantically preserving as much as possible the humorous effect of the SL text , whereas the second way is to recontextualize the SL text through changing the reality to which it refers if translating it semantically would result in the loss of the humorous effect.

1.Introduction

Taxonomies showing types of structural ambiguity can be valuable in helping writers to be more aware of potential ambiguities and thus more capable of avoiding them .But some attention must be given to the fact that there are some situations such as humour in which structural ambiguity is actually desirable .For such situations the value of studying ambiguity is not that such increases our ability to avoid ambiguity ,but rather that the insight into ambiguity enhances our ability to create it.

This study investigates some important ambiguity devices involved in the creation of humour that relies on the specific structural ambiguity type that Stageberg called a " class ambiguity "(1971:357).Reference will be made to the effective means for translating these devices into Arabic .

This type of ambiguity gets its name because it creates a confusion between the traditional classes or parts of speech (such as nouns ,verbs, adjectives, etc.) ., stripping the TL text of the humorous effect found in the original text .The present study attempts at solving this problematic area through illustrating the ambiguity devices and categorizing them into a number of groups. Then a section will be devoted to discussing the proposed translation strategies to deal with the translation of humorous texts based on structural ambiguity.

It is not at all easy for anyone not well-versed in English to recognize such ambiguity devices and comprehend humorous texts invested with these devices . In the same vein , translators not aware of such devices will render the text unsuccessfully

Before proceeding to discuss the ambiguity devices related to class ambiguities and their relationship to humour , it would be appropriate to demonstrate what a joke involving a class ambiguity might look like:

1- Man in Restaurant : I'll have two lamb chops , and make them lean, please .
Waiter: To which side ,sir?
(Clark ,1968:191)

This joke involves a class ambiguity because the meaning of lean is ambiguous between an adjective and a verb .The difference in the meanings of lean represents more than just a particular word having more than one meaning ; the difference helps to create a structural ambiguity. Because the two interpretations of lean represent separate constituent types (in this case , parts of speech) , the varying interpretations also represent different sentence structures.

2.Ambiguity devices

Some sentence structures seem particularly tolerant of or susceptible to structural ambiguity .For example , a passive sentence is very easily confused with an SVC (subject , verb, complement) sentence using a past participle .This can be shown in the following riddle in which the past participle spotted may serve as either a verb in a passive construction or a predicate adjective describing the subject :

2- Why is it hard for leopard to hide ?
Because they're always spotted .
(Brown,1988:9)

Another sentence structure that lends itself well to structural ambiguity is one that uses the progressive verb construction .The progressive is easily confused with an SVC (predicate adjective) construction .This construction may be found in a joke such as the following , which inverts the auxiliary for a question:

3- Hopeful Mother : Is my son really trying?
Teacher :Very !
(Kohl and Young , 1963:11)

2.1 The use of articles

2.1.1 Plural and non-count nouns

One powerful device of structural ambiguity is the set of plural and non-count nouns .Cottle (1975:47) shows that while there is a definite article for singular as well as plural nouns , there is no indefinite article for plural nouns . Put differently, while most singular nouns require an article , plural nouns do not require an article when the noun is indefinite since no such article exists.

The absence of an article makes it more likely that a noun will be confused with a different part of speech. For example , in the headline " British Left Waffles On Falkland Islands " (Lederer , 1987:92), the use of a plural waffles is functioning as a noun or some other part of speech, in this case a verb , and thus whether left is to be interpreted as a verb or noun. An article would require a noun interpretation of waffles. Moreover, the absence of an article often creates a confusion about the location of constituent boundaries where the delineation would otherwise have been clean. The lack of such a delineation makes it easier for particular nouns or parts of noun phrases to be confused with other parts of speech .For example , in the sentence " Only a few high schools have carefully developed programs " (Stageberg,1971:360) , it is unclear whether the word developed is functioning as a verb in a present perfect construction , or whether it forms part of the noun phrase constituent (an adjective modifying the following noun). An article would eliminate such an ambiguity. If for example the verb phrase in the sentence were " have a carefully developed program " or " have carefully developed a program " , no such ambiguity would be possible since what follows an article must be part of a noun phrase. This is just the sort of situation one may find in the following jokes that use a gerund phrase:

4- Girl : Are you fond of moving pictures ?
Boy: Oh, yes, very .
Girl: Then you won't mind moving some down out of the attic
for Mother.
(Kohl and Young , 1963:113)

5- Question : What's worse than raining cats and dogs?
Answer : Hailing Taxis .
(Clark , 1968:107)

Notice that in both of these examples ,the use of a plural is essential in order for the ambiguity to work. If we take a singular , there is a difference between " hailing a taxi " and " a hailing taxi".

Like plurals, non-count nouns such as rice, milk , sand ,and so forth , also constitute powerful devices. Whereas count nouns lack indefinite articles with their plurals , non- count nouns , which have no plural form, go even further by also resisting any indefinite articles with their singulars.

As in the case of plurals , non-count nouns may create a confusion regarding constituent boundaries or the nature of a particular constituent. For a useful comparison we may look back at an example mentioned earlier. We saw how the plural in " Only a few high schools have carefully developed programs " causes a problem for interpretation .In his taxonomy ,Stageberg(1971:361) pairs that sentence with the sentence , " Departmental chairmen in southern universities have limited academic freedom ." It is clear that the non-count noun freedom serves the same purpose as the plural programs as it uses no article that would otherwise make constituent boundaries clear.

But what is more significant with non- count nouns as devices is their inability to carry the –s inflectional suffix. The lack of any overt inflectional endings on the non-count nouns

provides them with an additional capacity for being confused with other lexical categories which also lack such an inflectional ending such as adjectives , adverbs , and in some cases verbs.

If one looks at a SVC construction , particularly one using a predicate nominative , one can see how easily a non- count noun lacking not only an article but an inflectional –s may be mistaken for a verb in a passive construction , provided the non-count noun shares the same morphology with a past participle form of a verb. In the following jokes the non-count noun may be interpreted as either a noun in a predicate nominative construction or a verb in a passive one:

6- Question: When is a spanking like a hat?
Answer : When it is felt.
(Clark,1968:171)

7- Diner : This coffee is like mud.
Waiter : Well, it was ground this morning!
(Ibid.: 196)

8- When is a chair like a fabric ?
When it is sat in .
(Rosenbloom , 1976:29).

The non- count noun may also contribute to an ambiguity between a noun and adjective in an SVC (subject , verb , complement) versus SVO (subject , verb ,object) construction as in the following joke :

9- What is a good way to get fat ?
Fry up some bacon.
(Ibid.:30)

The question in the joke comes from an underlying structure in which a person gets fat. Depending on whether the word get is a linking or transitive verb, the following word will be either an adjective or a noun. An adjective in a predicate position is not normally mistaken so easily for a noun since the

noun would usually require an article , but the non- count noun <u>fat</u> avoids such a constraint.

2.1.2 Coordinating conjunctions

Coordinating conjunctions can remove the necessity of an article and thus allow verbs to be confused with nouns .These conjunctions must join the same type of constituent such as noun phrases with noun phrases or verb phrases with verb phrases. One of their syntactic characteristics that makes them particularly useful as ambiguity devices is that they may optionally omit a grammatical item in a constituent following the coordinating conjunction if that item is found in a constituent preceding the coordinating conjunction. This can be seen in a sentence such as " He sang and (he) danced."

Coordinating conjunctions are very likely to create ambiguity when they follow a transitive verb. This can be illustrated with the sentence " Use indelible ink and varnish over it (Stageberg, 1971:360).In this sentence it is unclear whether <u>varnish</u> is a verb that is coordinated with <u>ink</u> .This type of ambiguity is found in the following jokes:

10-Question : What has four wheels and files ?
Answer : A garbage truck.
(Clark,1968;165)

11-Jimmy : Dad, did you ever hear a rabbit bark?
Dad : Of course not. Rabbits don't bark!
Jimmy : But my teacher told us that rabbits eat cabbage and bark.
(Ibid.:85)

12-Question : Why is a dog dressed more warmly in summer than in winter?
Answer : In winter he wears only a fur coat , but in summer he wears that same coat and pants.
(Withers and Benet , 1954 : 34)

One may conclude that the plurals and non-count nouns after the conjunction in the said jokes are the decisive factor in allowing the omission of an article. Such an assumption would be consistent with what has previously been shown about the ability of plurals and non- count nouns to remove the necessity of determiners, specifically articles . But the following joke, which involves a singular count noun without a determiner (" his hammer and [his] saw") , shows how the critical factor in the omission of the determiner is actually the coordinating conjunction.

13-How was the blind carpenter able to see ?
He picked up his hammer and saw .
(Rosenbloom , 1976 : 61)

2.1.3 The construction ' a little '

The construction ' a little ' does not work to remove an indefinite article but rather to cause a confusion about the identity of an existing indefinite article in a sentence or phrase .Part of the potential for confusion results from the fact that ' a ' may be either an indefinite article introducing a noun , or part of an adverbial expression that introduces an adjective or adverb . This potential ambiguity may be illustrated well with an SVC sentence type.

An SVC construction may involve either a predicate noun such as " It is an antique " or a predicate adjective such as " It is antique. "

The presence of an article prevents the noun interpretation from being confused with an adjective one. But the construction <u>a little</u> can undermine this distinction in a sentence such as " It is a little antique ", since the indefinite article ' a' may not be an article for a following noun at all but rather part of an adverb expression itself, modifying a subsequent adjective. A whole set

of riddles has exploited this ambiguity .While sometimes they rely on homophones , such as :

14-Question : Why couldn't the pony talk?
Answer : He was a little horse [hoarse].
(Clark, 1968: 141)

15-How can you tell if a bucket is not well ?
When it is a little pale [pail].
(Rosenbloom ,1976:61)

at other times homonyms may occur :

16-When is a baby not a baby ?
When it's a little cross.
(Wither and Benet , 1954: 68)

17- Have you heard about the butcher who backed into the meat grinder ?
He got a little behind in his work .
(Lederer , 1988:54)

The pool of words such as cross that can be nouns or adjectives and thus potentially useful to particular structural ambiguities is limited . But the set of such words grows through the addition of the suffix-er . In such words the suffix may be interpreted as either an agentive one with a noun or a comparative one with an adjective or even adverb .It would not be difficult to create jokes that hinges on ambiguities using words such as cleaner and blinder in connection with a little. One could say for example that someone is " a little cleaner ."

2.2 Devices affecting verb forms

2.2.1 Causative and perception verbs

Some ambiguity devices subvert concord requirements between subjects and verbs , requirements that might otherwise prevent a structural ambiguity from occurring .This is the case , for example , with some causative and perception verbs because of the effect they can have on the form of other verbs that

accompany them . Causative and perception verbs such as make , see , and others , not only allow the subsequent verb to appear in a non- finite form , but without the infinitival marker as well (see Quirk and Greenbaum , 1973 : 365-66).This is important in allowing a subsequent verb to be mistaken for another part of speech and is particularly useful in avoiding an inflectional –s when the subject of that verb is a third person singular . One additional feature of this set of devices is not related to concord but nonetheless important to the ability of these devices to fit into structural ambiguities and thus humour .This feature is related to the structural options that are available to some causative and perception verbs.

The capacity for structural options does not alone make causative and perception verbs unique from other verbs . But in combination with the removal of the third person singular –s , the causative and perception verbs constitute powerful devices. The verb see, for example , may take either a noun phrase object or a clausal object. This can lead to ambiguity when see is followed by a compound noun (or a noun that is preceded by a noun functioning as a premodifier).When this happens , part of the noun phrase in the object position may be mistaken for a verb . Joke (18) illustrates this type of ambiguity :

18-Why did the window pane blush ?
It saw the weather – strip ?
(Rosenbloom , 1976:23)

In a simple declarative sentence the verb strip would require an inflectional suffix –s since it follows a third person singular subject weather .But after a verb of perception , this suffix is inappropriate . Other examples with causative or perception verbs include:

19-How do you make a lemon drop ?
Hold it and then let go .

(Rosenbloom , 1976:30)

20-Al : Why did the city rate gnaw a hole in the carpet ?
Sal : Tell me .Why ?
Al : Because he wanted to see the floor show.
(Clak,1968 :101)

21-Mother moth was astonished to see baby crying . " Stop that at once ,"she commanded." This is the first time I 've ever seen a moth bawl "[ball].
(Ibid.:101)

Perception verbs also allow another type of non-finite verb form to follow them .Quirk and Greenbaum (1973:366) note that jokes (22-23) use a participial form in their verb interpretation .

22-When did the lobster blush ?
When it saw the salad dressing .
(Arrow ,1958:70)

23-" I saw a man – eating shark at the aquarium ."
" That's nothing .I saw a man eating herring in the restaurant."
(Esar,1946:145)

It could be argued that for the ambiguity in (24-26), it is not necessary to provide a causative or verb of perception that would remove the inflectional suffix –s . For example , one can achieve the ambiguity by using a verb such as know , which allows the verb in the lower clause to retain an inflectional suffix .This is true to some extent when the verb in the lower clause may be ambiguous with a count noun such as those that occur in (24-26). One can , for example, change(18) to read :

24-Why does the window pane blush ?
It knows the weather -strips .

Syntactically this works .But here the use of the inflectional suffix –s is only an option with count nouns when

the ambiguity involves whether a noun or a verb is being used. Notice jokes (25-26) below in which the punchline uses a non-count noun .In such cases , the use of a causative or perception verb is essential in order to remove the inflectional suffix :

25-Teacher : Enda, I drove by your house yesterday and I saw your family wash in the back yard .
Enda : You must have had the wrong house .We all wash in the bathroom.
(Rosenbloom , 1976: 99)

26-When are eyes not eyes ?
When the wind makes them water.
(Ibid.:119)

In these riddles , the ambiguity would not be possible with the suffix –s since the non-count nature of the words wash and water normally prevents us from accessing the interpretation unless those words occur in the singular.

In humour the causative and perception verbs become vital also for verbs when they are to be confused with adjectives. In such cases, the inflectional suffix –s must be dropped because adjectives do not carry such a suffix .This may be shown with (27-30) below :

27-Why did the man hit his hand with a hammer ?
He wanted to see something swell .
(Rosenbloom,1976:60)

28-How can you make a slow horse fast ?
Don't give him any food.
(Ibid.:195)

29-Man in Restaurant : I'll have two lamb chops , and make them lean , please.
Waiter : To which side , sir ?
(Clark , 1968: 191)

30-Patient : This ointment makes my arm smart ?

Doctor : Why not rub some on your head ?

(Ibid.:259)

It was previously noted that the suffix –er can provide an additional option that allows an adjective to be confused with another part of speech. This was seen with a little but can also be illustrated in connection with causative and perception verbs:

31-Why did the fat man praise everybody after a car ran over him ?

Because the accident made him flatter .

(Wither and Benet ,1954:95)

There are other structural options that are available to a causative verb such as make , and that are independent of concord .It might be useful to note two such uses of make .The first environment involves the ability of make to be used in an SVO or SVOC sentence , thus creating an ambiguity when it isn't clear which of the two sentence structures is intended. This can be seen in (32-33) :

32-How do you make a Venetian blind ?

Stick a finger in his eye.

(Rosenbloom , 1976 : 103)

33-How do you make [a] Maxican chili ?

Take him to the North Pole .

(Ibid.:66)

The other environment results from the ability of make to be involved in SVOO as well as SVOC constructions .This can be shown in (34).

34-Genie : I am your slave and will grant you every wish .

Man : Well, while I'm thinking of a really important wish , make me a milkshake.

Genie : Proof ! You're a milkshake !

(Hirsh-Pasek et al .,1978;114)

2.2.2 Modals

Modals such as can , could , will , should , etc. are another important set of devices for subverting subject – verb concord restrictions that might otherwise prevent structural ambiguity .As devices , modals are not only important because they do not themselves carry an inflectional ending even when used with a third person singular, but because they must also be followed by a verb in its bare infinitival form . In this way , they preclude the necessity of making a forced choice between singular and plural verb forms . In Chomsky's famous example, " Flying planes can be dangerous " (1965;21) , the nature of the subject phrase flying planes is ambiguous .The gerund interpretation (the act of flying planes) requires a singular verb form ,whereas the interpretation of flying as a modifier (planes that are flying) requires a plural verb form .Neither as a singular verb (flying planes is dangerous) nor a plural verb (flying planes are dangerous) allows ambiguity because the number as seen in the verb construction resolves the ambiguity .Chomsky has thus used a model verb to mask number.

Chomsky's sentence in particular represents an SVC pattern , more particularly a predicate adjective type .But another variation of this ambiguity that still keeps the gerund phrase in the subject position would involve an SVO sentence pattern.

2.2.3 Tense shifting

If it is important to mask the number of the subject in order for an ambiguity to work and a modal is not desired, then there is another option that can easily result in a structural ambiguity . One of the features of modern English is that contrary to its earlier history , each verb has only one past tense form. Except for the forms of be , there is no distinction between a past tense singular and a past tense plural .Thus joke

(36),which will be shown later , could be adjusted to the following form:

35-Biting insects in our yard caused diseases .What did we do wrong?
You shouldn't have bitten them.

2.2.4 Avoidance of subject position

One other very effective way to avoid the resolution of subject-verb agreement that would otherwise disambiguate a phrase in such a linguistic context is to move the ambiguous subject phrase to the end of the sentence . Such a strategy removes the need of concord with the ambiguous phrase entirely , since concord must occur with the subject and the gerund phrase is no longer the subject.

This movement may often , though does not necessarily have to, result from the use of the passive . Stageberg (1971:360) provides a humorous ambiguity resulting from the passive:" Patent medicines are sold by frightening people." This passive sentence would have been derived from one of two unambiguous active counterparts: "Frightening people sell patent medicines " or " Frightening people sells patent medicines ."It is impossible to determine what the active counterpart would have been .In humour , the strategy of avoiding the subject position through the passive or a construction derived from the passive can be illustrated with (36):

36-" What is the best way to prevent diseases caused by biting insects?"
"Don't bite the insects."
(Esar,1946: 165)

In this joke , the ambiguous gerund phrase biting insects is not found in a subject position that would otherwise require an agreement with a verb and thus remove the possibility for

ambiguity surrounding the nature of the phrase .While one can easily understand how an SVO structure could be made into a passive one , it should be pointed out that with a little imagination , even an SVC sentence such as Chomsky's could be recast as a passive : " The danger is caused by flying planes."

A few generalizations can be offered in relation to the previous three devices and their role in getting around concord problems with gerund phrases .These generalizations can be illustrated well with variations of Stageberg's sentence " Patent medicines are sold by frightening people." As far as concord is concerned , the ambiguity works well in this passive sentence because the advice avoidance of subject position removes the necessity of masking number since the concord is determined on the basis of the syntactic subject , a subject whose status has no effect on the ambiguity in the sentence . But if the subject position is used , then a modal is used (" Frightening people can sell patent medicines ") since it removes the necessity of using an inflected verb form, a verb form that might force a singular or plural interpretation .The other alternative if the gerund phrase is in the subject position is to use tense shifting (" Frightening people sold patent medicines ") since the use of the past tense does not , except in the case of the verb be , indicate number .

2.3 Other devices

The list of structural ambiguity devices is of course longer than what has been presented here. The focus here has been on devices related to class ambiguities involving the part of speech and specifically those devices that subvert the rules of concord that might otherwise clarify the identity of constituents in the sentence. There are other devices that help to confuse the part of speech in a sentence or that occur in connection with other major types of structural ambiguity .One might have

examined , for example , the role of verbs that can be used both transitively and intransitively .This can be seen with class ambiguities:

37- Why is a goose like an icicle ?
Both grow down .
(Pepicello and Green ,1984: 45-46)

or with ambiguities of grammatical relationship:

38- First Cannibal : Am I late for chow ?
Second Cannibal : Yes , everybody's eaten.
(Kohl and Young , 1963: 31)

In (37) the meaning of down as an adverb can only occur if grow is intransitive .But the meaning of down as a non-count requires grow to be transitive . Similarly , in (38) , besides the use of the ambiguous contraction , it is critical that the verb be able to be transitive or intransitive . The passive interpretation depends on the former , and the present perfect interpretation depends on the latter. It should be noted that (37) also relies on a non-count (down) for the ambiguity to occur ,since the presence of an article or other such determiner would prevent the noun from being interpreted as an adverb.

Other devices include verb particles that may be confused with prepositions :

39- Where are we eating ?
Let's eat up the street .
Let's not , I hate concrete .
(Kohl and Young , 1963 : 56)

or idioms :

40- Judge : Did you steel this women's rug ?
Prisoner : No, your honour , she gave it to me and told me to beat it .
(Kohl and Young , 1963 : 77)

Many more examples and devices could be discussed . And while not all structural ambiguities are the result of conscious planning , they do result from grammatical features that can be described . As shown , these features or ambiguity devices often remove or manipulate redundancies that exist within the language , redundancies which often prevent structural ambiguity.

Jokes (41-43) provide an idea of some of the other structural ambiguity types that can occur in humour apart from class ambiguity :

41- Postmaster : Here's your five – cent stamp .
Shopper (with arms full of bundles): Do I have to stick it on myself ?
Postmaster : Nope .On the envelope .
(Clark , 1968 : 61)

42- A lady wrote to the " Dear Abby " column in a newspaper …she said : " I have been engaged to a man for some time , but just before the wedding , I find he has a wooden leg . Do you think I should break it off ?
(Murdock , 1967 :110)

43- A lady went into a clothing store and asked , " May I try on that dress in the window ?"
" Well," replied the sales clerk doubtfully ," don't you think it would be better to use the dressing room ?
(Clark ,1968: 239)

In (41) there is an ambiguity regarding the grammatical relationship of the pronoun myself in the sentence .It is not clear whether the pronoun is functioning as an emphatic pronoun emphasizing the subject or a reflexive one that is the object of a preposition .Joke (42) deals with an ambiguity regarding the intended antecedent for the pronoun it . This pronoun could be referring to the engagement or to the leg . Finally, (43) involves

an ambiguity about the scope of modification . The prepositional phrase <u>in the window</u> could be modifying the noun <u>dress</u> or the verb phrase <u>try on</u> . Such structural ambiguities that involve grammatical relationships, pronoun- antecedent relationships , are but some ambiguity devices used in humorous discourse .

3. <u>Translation of Ambiguity – Based Humour</u>

Translation is a linguistic and cultural practice , and like every practice it is distinguished by specific kinds of materials (linguistic and cultural) and specific methods of transforming them. Translating , especially in the case of a literary text, always effects a linguistic and cultural gain that exceeds the foreign text and signifies primarily in the receiving culture, evoking domestic forms , traditions , and values . It creates effects that vary to some extent the semantic and formal dimensions of a foreign text.

Because of the irreducible differences between languages and cultural traditions , translators often resort to various strategies to compensate for the losses that result from translation . A typical compensation is the insertion of a brief explanation for terms and allusions that are unfamiliar to the readership of the translation, especially those that are deeply rooted in the foreign culture. Compensations may also include free renderings, recontextualization or substitutions designed to produce an effect that the translator could not produce in the translation at precisely the same place that it occurs in the foreign text.

The difficulty of translating humorous texts invested with ambiguity varies depending on the type of ambiguity . Humorous texts based on linguistic ambiguity such as homonymy and polysemy are considered to be the most difficult

if not impossible to translate , whereas humorous texts with structural ambiguity are sometimes less difficult to render.

Mention should be made of the fact that a successful translation of a humorous text depends on how far it maintains the humorous effect in the TL text around which all of the humour revolves . Two strategies will be primarily adopted here, namely , semantic translation and recontextualization of the SL humorous text .So, humorous texts based on structural ambiguity involving some sort of homonymy or polysemy will be translated through employing recontextualization, that is , changing the reality to which the humorous text refers , whereas humorous texts consisting in structural ambiguity only will be translated through adopting semantic translation. In what follows an attempt will be made to select the humorous texts which we think are possible to translate without having recourse to recontextualization.

1. Postmaster : Here's your five – cent stamp.
   Shopper (with arms full of bundles) : Do I have to stick it on myself ?
   Postmaster : Nope. On the envelope.

   The ambiguity in this text stems from the grammatical relationship of the pronoun <u>myself</u> (see 2.3) .Here is the translation of the text :

مدير مكتب البريد : تفضل هذا الطابع بخمسة سنتات .

المشتري (ذراعاه مملوءتان بالرزم) : هل علي ان الصقه <u>بنفسي</u> .

مدير مكتب البريد : كلا ، بالغلاف .

2. A lady wrote to the " Dear Abby " column in a newspaper …she said : " I have been engaged to a man for some time, but just before the wedding , I find he has a wooden leg . Do you think I should <u>break it off</u> ?

The ambiguity in this humorous text is based on the intended antecedent for the pronoun <u>it</u> (see 2.3) . Below is the translation of the text :

كتبت سيدة في عمود (عزيزي آبي) من صحيفة قائلةً : لقد خطبني رجلُ لفترة زمنية ولكني اكتشفت قبل الزفاف تماماً ان له ساق خشبية . فهل تظن ان علي <u>فسخها</u> .

3. A lady went into a clothing store and asked , " May I try on that dress in the window ?"
" Well," replied the sales clerk doubtfully ," don't you think it would be better to use the dressing room ?

The ambiguity in the text is about the scope of modification (see 2.3). Here is the translation of the English text:

ذهبت سيدة الى متجر ملابس وسألت البائع : هل بإمكاني قياس ذلك الثوب <u>في واجهة العرض</u>؟

فأجاب البائع " حسناً " وهو يساوره بعض الشك: ولكن الا تظنين أن من الأفضل فعل ذلك في غرفة قياس الملابس ؟

4. What is the best way to prevent diseases caused by <u>biting insects</u>?

Don't bite the insects .

The ambiguity in this joke comes from the ambiguous gerund phrase <u>biting insects</u> (see 2.2.3) . The proposed translation of the text is as follows :

ما أفضل طريقة لمنع الأمراض بسبب <u>لدغ الحشرات</u> ؟

لا تلدغ الحشرات .

5. What is a good way to <u>get fat</u> ?

Fry up some bacon .

The ambiguity in the joke emanates from the word <u>get</u> which is either interpreted as a linking verb or a transitive verb (see 2.1.1).

Here is the proposed rendition :

ما هي أفضل طريقة <u>للحصول على السمنة</u> ؟

اقلي قطعة شحم .

6. Where are we eating ?
Let's <u>eat up the street</u> .
Let's not , I hate concrete .

The ambiguity here includes a verb particle that may be confused with a preposition .The translation may go like that :

اين نتناول طعامنا ؟

<u>لنأكل نهاية الشارع</u> .

لا أحبذ هذا فأنا اكره الاسمنت .

In these translations we have tried to assimilate the SL texts to the receiving culture preserving as much as possible the semantics of the SL joke in the TL .Howevere, there are other humorous texts which are impossible to translate without changing the realities to which they refer. In other words, recontextualization is needed to produce the humorous effect of the SL text which can not be otherwise brought about .Let us take the following example to illustrate this point :

Question : What's worse than raining cats and dogs ?
Answer : <u>Hailing taxis</u> .

Unlike the previous examples the present humorous text can not be translated without resorting to recontextualization , since translating it semantically without changing the reality to which it refers will make it lose its effect .Therefore, we propose the following translation :

س: ما هو أسوأ من لصق الصور على الجدران.

ج: لصق التهم .

4. Conclusions

The present paper revolves around the taxonomy of structural ambiguity in humorous texts and the best means for translating them into Arabic . It is found that there are many ambiguity devices used in creating humorous effects in jokes and other humorous texts . The devices used for creating ambiguity include the use of articles in plural and non- count nouns , coordinating conjunctions , the construction ' a little ,' devices affecting verb forms such as causative and perception verbs , modals and tense shifting , and other devices such as verb particles , idioms , grammatical relationship of pronouns and the like.

An understanding of such ambiguity devices can allow greater awareness of how to prevent structural ambiguity .But just as significantly , such an awareness can also help to create it.

A translation that maintains a lexicographical equivalence to a humorous foreign text or closely adheres to its lexical and syntactical features will not necessarily reproduce its humorous effect . There are two main ways to translate humorous texts . The first way is to assimilate the SL text to the receiving culture keeping as much as possible the semantics of the two texts intact , and the second way is to recontextualize the SL text by way of changing the reality to which it refers if translating the semantics of the SL text would make it lose its humorous effect.

References

The Arrow Book of Jokes and Riddles.(1958) New York : Scholastic Book Services.

Brown , Mik .(1988) Silly Riddles .New York : Warwick.

Chomsky ,Noam .(1965) Aspects of the Theory of Syntax .Cambridge: MA:MIT.

Clark , David Allen.(1968) Jokes ,Pun , and Riddles .Garden City , New York :Doubleday

Cottle , Basil .(1975) The Plight of English .New Rochelle , New York: Arlington House.

Esar,Evan. (1946) The Animal Joker : A Treasury of Jokes and Gags Dealing with Different kinds of Beasts, Birds , Fish and Insects. New York : Harvest House .

Hirsh- Pasek, Kathy , Lila R.Gleitman , and Henry Gleiman .(1978)
" What did the brain say to the mind ? : A study of the detection and report of ambiguity by young children ". In Sinclair , A., R. J. Jarvella , and W.J.M.Levelt (eds.), The Child's Conception of Language.

Kohl , M. and F. Young .(1963) Jokes for Children . New York: Hill & Wang.

Lederer , Richard . (1987) Anguished English . New York : Dell.

_______________ (1988) Get Thee to a Punnery .New York: Dell.

Murdock , Clyde .(1967) A Treasury of Humour . Grand Rapids , Michigan : Zondervan Publishing House .

Pepicello , W.J., and Thomas A. Green .(1984) The Language of Riddles : New Perspectives. Columbus , Ohio; Ohio State UP.

Quirk, Randolph and Sidney Greenbaum .(1973) A Concise Grammar of Contemporary English . New York: Harcourt.

Rosenbloom , Joseph.(1976) Biggest Riddle Book in the World. New York; Sterling.

Stageberg , Norman.(1971)" Structural ambiguities in English". In Deighton , Lee C.(ed.) The Encyclopedia of Education.10V0ls.New York : Macmillan,3:356-66.

Withers , Carl and Sula Benet .(1954) The American Riddle Book. New York : Abelard- Schuman.

تصنيف الغموض البنيوي في النصوص الفكاهية مع الإشارة إلى الترجمة

المستخلص

تستقصي هذه الدراسة تصنيف الغموض البنيوي في النصوص الفكاهية . إذ تبين أن هناك أدوات غموض عدة تُستعمل في خلق التأثيرات الفكاهية في النكات والنصوص الفكاهية الأخرى . وهذه الأدوات تشمل استعمال أدوات التعريف والتنكير في الأسماء المجموعة والأسماء غير المجموعة والروابط النسقية والتركيب المنطوي على الكلمة (a little) ، والأدوات التي تؤثر في أشكال الفعل مثل الاوجهية وتغيير الصيغ الزمنية ، فضلاً عن أدوات أخرى مثل حروف المعاني والتعبيرات الاصطلاحية ....الخ. كما تبين أن هناك طريقتين لترجمة النصوص الفكاهية. أما الطريقة الأولى فهي ترجمتها دلالياً مع المحافظة على التأثير الفكاهي للنص الأصل قدر الإمكان ، أما الطريقة الثانية فهي إعادة بناء سياق جديد للنص الأصل عن طريق تغيير الحقيقة التي يشير إليها إذا ما أفضت الترجمة الدلالية للنص ألأصل إلى فقدان التأثير الفكاهي.

البناء القيمي في دالية المقنع الكندي
نص من العصر الأُموي

م. د. محمد حسين محمود
جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدمة

إن الحديث عن البناء القيمي في دالية المقنع الكندي يعني الحديث عن "الأنموذج" الأخلاقي والاجتماعي الذي يصب في باب الأخلاق الإسلامية وآدابها، بعد أن رصدت لنا مظاهر الحرص على إرساء منظومة القيم الإسلامية والإنسانية، وأنَّ شرف الانتماء لهذا الدين لا يتم إلا من خلال صون هذه القيم وحراستها، فقدمت لنا قيماً، وأفكاراً، ومعاني نبيلة، فضلاً عن قيمها العاطفية، في بيئة تمتزج فيها القيم العربية الأصيلة من مروءة، ونبل، وكرم، ووفاء، مع ما تولد من قيم سلبية كخشية الفقر، والحمية الجاهلية التي تُسعر نار الحرب ثأراً لناقة أو بعير.

فجاءت القصيدة في سبيل تثبيت القيم الإيجابية، وتخليص النفوس من درن القيم الجاهلية المنفرة من خلال الحرص على وصل البناء القيمي بالمنبع الرباني؛ لذا فالقارئ لهذه الدالية سوف يُدرك قيم الإسلام الحقة في سماحته وإقراره للفضائل التي سادت قبل البعثة النبوية، كما يُدرك فطرية هذه القيم، وتعد هذه القصيدة من أطول القصائد التي كتبها شاعرنا، واشهرها، فقد جاءت في اثنين وعشرين بيتاً، وثانية جاءت في ثمانية عشر، والبقية بين السبعة وبيت واحد، ومعظم أشعاره جاء في الموضوع نفسه للقصيدة الدالية التي سندرسها، لتكرس القيم الخلقية بروح إسلامية

رفيعة. ومجموع ما جاء من أشعاره في ديوان شعراء أمويون للدكتور نوري حمودي القيسي هو واحد وثمانون بيتاً في ثلاثة عشر نصاً، بعد أن تفرقت أشعاره، ولم تجمع في ديوان شعر.

والقصيدة التي نحن بصددها دراستها تتحدث عن قيمة اجتماعية ترتبط بالمجتمع الذي كان يعيش فيه المقنع في ظل المجتمع القبلي الذي كان سائداً في المناطق التي كانت بعيدة عن المدن والعواصم؛ لذا جاء البحث ليسلط الضوء على ما تحمله القصيدة من قيم إسلامية واجتماعية، وسنقف عند حياة الشاعر، ومناسبة القصيدة أولاً بشكل موجز ثم ننتقل إلى النص والدراسة التحليلية للقصيدة، مع بيان أبرز أفكارها ومعانيها، وقيمتها العاطفية، فضلاً عن قيمتها الفنية من لغة، واسلوب، وخصائص، لننتهي بالخاتمة التي تكون بمثابة المعيار الحكمي على القصيدة.

والحمدُ للهِ تعالى أولاً وآخِراً.

النص:

يُعاتِبُني في الدَّينِ قَوْمِي وَإِنَّما ... دُيُونيَ في أَشياءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدا[١]
أَلَم يَرَ قَومي كَيفَ أُوسِرَ مَرَّةً ... وَأُعسِرُ حَتّى تَبْلُغَ العُسْرَةُ الجَهْدا
فَما زادَني الإِقتارُ مِنهُم تَقَرُّباً ... وَلا زادَني فَضلُ الغِنى مِنهُم بُعْدا
أَسُدُّ بِهِ ما قَد أَخَلُّوا وَضَيَّعوا ... ثُغُورَ حُقوقٍ ما أَطاقوا لَها سَدَّا[٢]
وَفي جَفْنَةٍ ما يُغْلَق البابُ دونَها ... مُكلَّلَةٍ لَحماً مُدَفَّقَةٍ ثَرْدا[٣]
وَفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلتُهُ ... حِجَاباً لِبَيتي ثُمَّ أَخْدَمتُه عَبْدا[٤]
وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي ... وَبَينَ بَني عَمِّي لَمُختَلِفٌ جِدَّا
أَراهُم إِلى نَصْري بِطاءً وَإِنْ هُمُ ... دَعَوْني إِلى نَصرٍ أَتَيتُهُم شَدّا
فَإِنْ يَأكُلوا لَحمي وَفَرْتُ لحُومَهُمْ ... وَإِن يَهْدِموا مَجْدي بنيتُ لَهُم مَجْدا
وَإِنْ ضَيَّعوا غيبي حَفظْتُ غُيوبَهُمْ ... وَإِن هُمْ هَوَوا غَيِّيَ هَوَيتُ لَهُم رُشْدا
وَلَيسوا إِلى نَصري سِراعاً وَإِن هُمُ ... دَعوْني إِلى نَصيرٍ أَتَيتُهُم شَدَّا
وَإِنْ زَجَروا طَيراً بِنَحسٍ تَمرُّ بي ... زَجَرْتُ لَهُم طَيراً تَمُرُّ بِهِم سَعْدا
وَإِن هَبطوا غَوراً لأَمرٍ يَسُوئني ... طَلَعتُ لَهُم ما يَسُرُّهُمُ نَجدا
فَإِن قَدحوا لي نارَ زندٍ يَشينُني ... قَدَحْتُ لَهُم في نار مكرُمةٍ زَنْدا
وَإِنْ بادَهوني بِالعَداوَةِ لَم أَكُنْ ... أَبادُهُمْ إلاَّ بِما يَنعَت الرُّشدا
وَإِنْ قَطَعوا مِنِّي الأَواصِر ضَلَّةً ... وَصَلتُ لَهُم مُنِّي المَحَبَّةِ وَالوُدّا
وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِم ... وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا
فَذلِكَ دَأبي في الحَياةِ وَدَأْبُهُمْ ... سَجيسَ اللَيالي أَو يُزيُرونَني اللَّحدا
لَهُمْ جُلُّ مالي إِن تَتابَعَ لي غَنىً ... وَإِنْ قَلَّ مالي لَم أُكَلِّفهُمْ رِفْدا
وَإِنّي لَعَبدُ الضَيفِ ما دامَ نازِلاً ... وَما شيمَةٌ لي غَيرُها تُشبهُ العَبْدا
عَلى أَنَّ قَومي ما تَرى عَين ناظِرٍ ... كَشَيبِهِم شَيباً وَلا مُردهم مُرداً
بِفَضلٍ وَأَحلام وجودِ وَسُؤدُد ... وَقَومي رَبيع في الزَمانِ إِذا شَدّا[٥]

حياته وسيرته:

المقنع الكندي هو أحد شعراء العصر الأموي واسمه هو محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن الأسود بن فرعان بن قبس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث بن عمرو بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. [٦]

ولد بوادي (دوعن) في حضر موت، ونعلم من لقبه أنه من اليمن وأنه ينتمي إلى قبيلة أمرئ القيس الشاعر الجاهلي. كما كان جد الشاعر "عمير" سيد كندة، وورث ابنه "ظفر" الرئاسة عنه.[٧] وقد نشأ المقنع في وسط هذا وعرف بالإنفاق وحب العطاء فأنفق ما تركه له والده حتى أصبح مديوناً.

أما القبيلة فهي كندة من اشهر واعرق القبائل اليمينة، موطنها حضر موت وفيها بيت الملك ولها السيادة حقباً من الدهر، لم تعبد في الجاهلية الأصنام ولم تقسم بالأزلام، وبرز من كندة أعلام كثيرون في شتى شؤون الحياة دونتهم كتب التاريخ والتراجم. وهو من الشعراء الذين غلبت عليهم ألقابهم وكان مقنعاً طول حياته، و" حسن الصورة فكان إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله"[٨] وقال التبريزي في تفسيره لقبه: "المقنع الرجل اللابس سلاحه، وكان مغط رأسه فهو مقنع" وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه، فقيل له: المقنع.[٩] وفي القاموس والتاج: "المقنع، المغطى بالسلاح أو على رأسه مغفر خوذة"[١٠] وقال أبو فرج الأصفهاني(٣٥٦هـ): "المقنع لقب غلب عليه؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين"[١١] ونشأ محمد بن عمير المقنع، فكان متخرقاً في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم. ولم يزوجوه أختهم لفقره ودينه وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدَّين. [١٢]

فكان المقنع الكندي يعرف بمكانته ومنزلته الرفيعة داخل عشيرته، وعاصر الوليد بن يزيد وامتدحه، ويمتاز شعره برصانة الأسلوب وانتقى الألفاظ والمفردات الشعرية بعناية فائقة تعرب عن تمكنه في صناعة الشعر وسمو مكانه بين شعراء العربية، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الأدب من قصيدته المشهورة الذائعة الصيت التي يرد بها على بني قومه حينما عاتبوه على كثرة أنفاقه والاستدانة في سبيل ذلك "يعاتبني في الدَّين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمداً" وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف، ومروءة، وسؤدد في عشيرته. وكانت وفاته في نحو سبعين هجرية، وليس صحيحاً ما جاء إنها كانت في سنة ١٢٨هـ.(١٣) بعد أن عاش ثلاثين عاماً في حضر موت بعيداً عن مركز الخلافة الأموية، وتيارات أحزابها، وكان بعيداً عن الثورات والعصبيات التي جمعت حولها الشعراء في ذلك العصر.

مناسبة النص:

إنَّ مناسبة القصيدة هو الرد على أقاربه بعدما عاتبوه على كثرة إنفاقه والاستدانة منهم، فهو الكريم الذي لا يرد سائل، فدافع عن نفسه في هذه القصيدة. وفي هذه القصيدة يُشخص الشاعر حالة سلبية في قبيلته وهي صفة البخل، ويؤطرها بإطار إسلامي لا قَبلي؛ لهذا انطلق الخطاب الشعري من قيمة إنسانية رفيعة تمجد الأخلاق الإسلامية وترسخها. وتعد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة مبدأ جوهرياً من مبادئ الإسلام وتعاليمه، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الخلقية، ووضع للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها منها: القناعة، والتوكل على الله، والصبر، والتقوى، والتزام الصدق، والوفاء، والحياء، والسخاء، كما أنه ذم النقائص الخلقية التي ينزلق إليها ذوو النفوس الضعيفة مثل: الحسد، والتكالب على موارد الرزق، والإقبال على الدنيا، والكبر،

والحقد، والجبن، والكذب، وسوء الظن بالنفس، وبالغير. وتنسب قسم من أشعاره إلى الشاعر الجاهلي حاتم الطائي، ومحرز بن شريك بن ذي الكلاع الحميري، وكانت بعض أشعاره أنشدت بين يدي عبد الملك بن مروان. (١٤)

ولعل صفة الكرم التي عرف بها، وسماحة اليد واستجابته لكل سائل، وإتلافه كلّ ما خلفه له أبوه من مال، كانت سبباً من أسباب اتجاهه الشعري الذي فجَّر في نفسه أسباب الدفاع عن هذا السلوك، وعوامل المواجهة لمن يلومه عليه فكانت قصيدته تجسد كرم نفسه وعلو خلقه، وهي فلسفة سبقه إليها حاتم الطائي، وعروة بن الورد وكل الرجال الذين آمنوا بفضيلة الكرم خلقاً، والجود عطاءً، ورفع الحيف عن كل محتاج واجباً إنسانياً. على أنَّ هذه الخصال كانت تكتمل بواجهة أخرى من واجهات الفروسية وهي الحديث عن فرسه الذي أعدَّه للمهمات، وخصَّه بفيض من كرَّمه موفَّر عليه من يخدمه ويتفقده، زيادةً في الحرص عليه واستكمالاً لمستلزمات الفرسان.(١٥) وجاءت إحدى قصائده "الدالية" معبرة عن حاله بعد استدانته من أبناء عمّه.

وللبيئة أثرها الفاعل في خلق علاقات تعتمد مبدأ القوة في العدد والعدّة، فالإنسان الذي كُتب عليه أن يعيش في أعماق الصحراء بين الوحوش الضارية، وتحت لهيب شمس حارقة، هو في أمس الحاجة إلى هذا النوع من العلاقات الاجتماعية، وتكاتف الأفراد فيما بينهم لدرء الأخطار التي تحيط بهم من كل جانب.(١٦)

تحليل النص:

كما هو مألوف أنَّ الشاعر العربي يبدأ قصيدته أو موضوعه بمقدمة يستهل من خلالها وصف الأطلال، وآثار الدمن، وينتقل بعدها إلى لوحة الغزل ثمَّ موضوعه الرئيس كأن يكون مدحاً أو فخراً ...الخ، جرياً على عادة الشعراء في عصر ما قبل

الاسلام في استهلال قصائدهم بهذه المقدمة. فلم يكن مألوفاً أن يدخل الشاعر الى الغرض الرئيس دون مقدمة، لأن القصيدة ذات الموضوع الواحد يدخل إليها الشاعر بدون مقدمة، فالفكرة السائدة هو ضرورة البدء بها وعدم الحياد عنها؛ لكن المقنع الكندي سار بمنهج مغاير وخالف هذه السّنة، فبدأ قصيدته بمعالجة غرضه مباشرة الذي استهله بالحديث عن خصاله التي التزم بها، وكان "الدَّين" المحور الرئيس الذي بنيت على اساسه القصيدة، فأتت كمدخل للحديث عن خصال حسنة التزم بها الشاعر وآمن بها، وبالتالي ساقته إلى الدَّين، وكما هو معلوم أن الَّدين ليس مما يفتخر به الإنسان؛ بل هو ما قد تستدعيه ضرورات الحياة ومطالبها، والشاعر أشار في البيت الأول من القصيدة إليه قائلاً: **(يُعاتِبُني في الدَّينِ)** وكرر في عجز البيت الأول لفظة "الدَّين" في قوله: **(دُيُونيَ)** فهو مولع بتكرار الألفاظ، لتأكيد المعنى؛ فقوم الشاعر يلمونه لاستدانته، بينما يستدين ليكسبهم المدح.

ونجد الشاعر في البيت الثاني والثالث ومن خلال صيغة الاستفهام التي بدأها بـ**(أَلَم يَرَ قَومي)** فيندهش مما وجده من قومه؛ فهو ليس مبذراً كما يدعون، بل حين يتطلب منه الأمر أن يُسر فانه يسعى إلى فعل ذلك وحين يكون عكس ذلك فإنه يُعسر؛ لكن الشاعر يقر ويؤكد أن هذا الإقتار أو الفضل لم يرأب الصدع بينه وبين ابناء قومه في قوله: **(فَما زادَني)** ولم يخلق له معهم إلا البعد والجفاء، غير أن الشاعر يبين أن ما أوصله إلى هذه الحالة من العوز ليس الإسراف والتبذير على مصالحه الشخصية؛ بل هو حرص منه على ارجاع الحقوق وأدائها بعد أن بخل بها قومه؛ لذا فعمل على إبراز مكانة قومه من خلال سد الدَّين وليس العكس في قوله: **(أَسُدُّ بِهِ مَا قَد أَخَلُّوا وَضَيَّعوا)** وكيف لا وهو الكريم المستعد دوماً لاستقبال الضيوف وتجهيز أفضل وأفخم الموائد لهم: **(وَفي جَفْنَةٍ ما يُغْلَق البابُ دونها)** فهنا يصف لنا كبر حجم مائدة الطعام التي تقدم للضيوف حتى أنها تغلق الباب لكبرها؛ وهي دلالة

على الكرم ومن الأشياء التي تكسب الحمد، بعد أن صور لنا ما تحويه من لحم وثريد، أي مما لذَّ وطاب في قوله: **(مُكلَّلةٍ لَحماً مُدَفِّقةٍ ثُرْدا)** وليس فقط الكرم بإعداد القرى للضيوف فحسب؛ بل نجده في البيت الذي بعده قد أعد فرسه وربطه أمام داره، بعد أن جعله كالحجاب يخصه للمهمات، بعد أن هيأ لرعايته عبداً، واصفاً الفرس بأنه **(فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ)** أي كناية عن صمودها بوجه الأعداء.

وفي البيت السابع يعود الشاعر للحديث عن بني قومه وعمومته مُذكراً وعاقداً مقارنة بينه وبينهم ليكشف لنا الفرق الشاسع بينه وبينهم فيعقد موازنه تصب في باب المبادئ والقيم الاجتماعية التي ألفتها أُسرته، وقد ذكر تلك الفروق حين بين أنهم لا يسرعون إلى نجدته في المعارك وهو الذي لا يتوانى عن نجدتهم وخلاصهم والدفاع عنهم ضد الأعداء، وإنْ هم اغتابوه، ترفع عنهم **(فَإنْ يَأكُلوا لَحمي وَفَرْتُ لحُومَهُمْ)** هنا أورد الشاعر لفظة الأكل كناية عن الغيبة، وإن هم هدموا مجده؛ فإنه يصنع العكس يبني لهم مجداً يخلدُ ذكرهم **(وَإن يَهْدِموا مَجْدي بنيتُ لَهُم مَجْدا)** وإن لم يحفظوا سره، ولا يدافعون عنه في غيبته، فإنه يحفظ لهم سرهم **(وَإنْ ضَيَّعوا غيبي حَفظْتُ غُيوبَهُمْ)** وإن هم تمنوا له الضلال، وعدم الخير، فإنه يسدي لهم النصح والرشاد إلى الطريق المستقيم الذي يحقق لهم المنفعة والخير **(وَإن هُمْ هَوَوا غَيِّيَ هَوَيتُ لَهُم رُشْدا)** كما يقر الشاعر أنهم لا يسيرون له بنصر يعينه ويبنى له مجداً وعزاً **(وَلَيسوا إلى نَصري سِراعاً)** في حين نجده إذا ما دعوه إلى ما يحقق لهم النصر في المعارك؛ فإنه يستعد لذلك الأمر ويتهيأ له بكل اندفاع وحزم **(أَتيتُهُم شَدّا)** وإن هم تمنوا أن تحل عليه القهر والأحزان وسعوا لها **(وَإنْ زَجَروا طَيراً بِنَحسٍ تَمرُّ بي)** فإنه يتمنى لهم الخير ويسعى لذلك من خلال طير السعد، وبالتأكيد هذه تقاليد وعادات وأفكار جاهلية ترسخت لديهم **(زَجَرْتُ لَهُم طَيراً تَمُرُّ بِهِم سَعْدا)** وإن هم اردوا أن يهبطوا من مكانته في المجتمع **(وَإن هَبطوا غَوراً لأَمرٍ يَسُوْني)** فإنه يعمل

على رفع مكانتهم ولا يحقد عليهم **(طَلَعتُ لَهُم ما يَسُرُّهُمُ نَجدا)** وإن سعوا لإشعال نار الحقد وإثارة ما يعيبه **(فَإِن قَدحوا لي نارَ زَندٍ يَشينُني)** فإنه في المقابل يوقد لهم نار كرمه، وجوده، ويفخر بهم وشتان ما بين النارين **(قَدَحْتُ لَهُم في نارِ مَكرُمَةٍ زَنْدا)** وإن هم بادره بالعداء ونصبوا له المكائد والمصائب **(وَإِنْ بادَهوني بِالعَداوَةِ لَم أَكُنْ)** فلا يلقون منه إلا تقديم الرشد والنصح لهم **(أَبادُهُمْ إِلاَّ بِما يَنعَت الرُّشدا)** وإن هم قطعوا صلة الأرحام وتبادل الزيارة وخلق جو الأُلفة **(وَإِنْ قَطَعوا مِنِّي الأَواصِر ضَلَّةً)** دون وجه حق ورشد؛ فإنه يصل ذلك البعد والكره والجفاء بالمحبة والمبادرة له **(وَصَلتُ لَهُم مُنّي المَحَبَّةِ وَالوُدّا)**.

وبعد أن عدد خصال بني قومه من ابناء عمومته من خصال شنيعة في عدم تمني الخير له واغتيابهم وعدم دفاعهم عنه ...الخ، فهو لا يحقد عليهم أو ينتقم منهم بل يرى لموقعه الرفيع في قومه ما يربأ بنفسه من أن يقع فيما وقعوا فيه **(وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِم)** لأنه كريم النفس وكبير القوم، وخصاله الحميدة هي مزروعة بداخله وتربى عليها ولن يحيد عنها حتى الموت **(فَذلِكَ دَأبي في الحَياةِ)** لذا فهو يبقى متعاوناً معهم حتى أن كان موقفهم سلبياً معه. ويتبرع بماله لهم في حالة الغنى **(لَهُمْ جُلُّ مالي إِن تَتابَعَ لي غِنىً)** وإن نفد ماله أو انتهى فهو لا يطالبهم بأن يعطوه شيئاً **(وَإِنْ قَلَّ مالي لَم أُكَلِّفهُمْ رِفْدا)** فلا يكلفهم بما يقوم به، وهو وبكل تواضع يقدم نفسه على أنه عبد للضيف؛ إذا ما حل في منزله **(وَإِنّي لَعَبدُ الضَيفِ ما دامَ نازِلاً)** أي الخادم للضيف وهو يتشرف بذلك ويعتز بهذه الصفة **(وَما شيمَةٌ لي غَيرُها تُشبِهُ العَبْدا)** ويؤكد هذه الصفة إذ هو يرفض أية صفة أخرى. وبعد أن استعرض الشاعر خصال بني قومه الشنيعة في مقابل صفاته الحميدة في عشرة أبيات يعود في البيتين الأخرين من القصيدة ليفخر ببني عمومته على الرغم ما ذكره عنهم من صفات سيئة، فيذكر أنهم يتفردون ويتميزون عن غيرهم من القبائل **(عَلى أَنَّ قَومي ما تَرى**

عَين ناظِرٍ) أي لم ترا مثلهم قبائل العرب، سواء في شيوخهم أو شبابهم **(كَشَيبِهِم شَيباً وَلا مُردهم مُرداً)** شبهاً لكرمهم وخيرهم ومجدهم ورفعتهم وشرفهم بين باقي القبائل **(بِفَضلٍ وَأَحلامٍ وجودٍ وَسُؤدُدٍ)** فهم سند وعون لكل محتاج إذا ما حلَّ قحط **(وَقَومي رَبيع في الزَمانِ إِذا شَدَا)** ليقدم لنا بالنهاية صورة جميلة يختم بها القصيدة؛ وهي صورة: الإيثار، وصلة الرحم، وهما صفتان أكدهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في أحاديث كثيرة. منها: ٺ ٿ ﭽ ٹ ٺ ٺ ٿ ٹ ٺ ٿ ﭼ الإنسان: ٨.

العاطفة والشعور:

نتلمس ومن خلال قراءتنا للقصيدة نبرة الحزن والألم التي جاءت واضحة منذ البيت الأول الذي بدأ فيه الشاعر قصيدته، غير أن هذا الحزن والألم الذي يعتصر قلب الشاعر لم يثلم عزمه وكبرياءه؛ بل سارع للرد على ابناء عمّومته، وإنْ كانت المواجهة غير منطقية، فهي مواجهة فرد لمجموعة؛ لذا فهي مواجهة عسيرة، وقد ساق لنا الشاعر البراهين والأدلة التي تبرئ ساحته، وتعلل الحالة التي وصل إليها. كما أن الشاعر يتكلم بمنطق الرئيس أو السيد، كيف لا وقد ورث الرياسة كابراً عن كابر.

لذا نجد أن تيار العاطفة كان شديداً متدفقاً بعد أن كان هادئاً منساباً في البيت السادس والأبيات التي تليه؛ إذ يقدم لنا معادلة صعبة وموازنة عسيرة لا يقوم بها إلا ذو قلب كبير، ونفس رفيعة مترفعة عن الأحقاد وحب الانتقام.

وهكذا فإن مخالفة العرف الجماعي السائد ليست سهلة، وأن الانتصار على النفس والهوى ليس يسيراً، وأن روح العفة، والشمم، والإيثار، والتضحية لا تجتمع إلا لمن وفقه الله تعالى إلى ذلك، فهو مختلف عن إخوته وبني عمه؛ بل أنَّ بوناً شاسعاً يفرق بينه وبينهم، وما يدلنا عليه قوله:

وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي   وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفٌ جِدّا

فنجد أنَّ المشاعر والعواطف واضحة قوية حتى البيت الأخير الذي يمثل قمة التواضع لدى المقنع، إذ يصف نفسه بأنه عبد لضيفه. كما نجد أن هذه العواطف متوازنة عند المقنع فهو يختم قصيدته باعتزازه بقومه، وأن ما ذكره فيهم من صفات لا يجرح شخصهم ولا يكلم مروءتهم، وهم كذلك شيباً وشباناً، والبيتان الأخيران يمثلان قيمة الإنصاف.

اللغة والاسلوب:

يكشف شعر المقنع الكندي عن شخصيته، فألفاظه تتمتع بالبساطة، والرصانة، فضلاً عن أسلوبه في اختيار الألفاظ والمفردات الشعرية، وتكراره لتلك الألفاظ لأجل تأكيد الفكرة وإيصال المعنى بأقرب صورة. فلغة المقنع هي أقرب إلى السلاسة منها إلى جزالة الألفاظ، وهي جلية وواضحة في أغلب ألفاظها ولا تخفى على القارئ.

وما يميز لغة الشاعر أيضاً هو تكراره للألفاظ لتأكيد المعنى المراد بيانه كما في قوله: " بيني وبين.. وبين" و"بني أبي، بني عمّي" و "مجدي، مجداً" و "طيري، طيراً" و "تمرّ بي، تمر بهم" و" قدحوا، قدحت" و "لي نار، في نار" و " الحقد، حقداً" و "مالي.. مالي" و "لعبد، العبدا" و" كشيبهم، شيباً" و "مردهم، مرداً".

كما نتلمس صورة أخرى للتكرار ومشابهة له، هي الجناس الذي هو من فنون البديع وقد جاء من خلال "الجناس الاشتقاقي" كما في قوله: الدّين، ديوني" و "لحمي، لحومهم" و "غيب، غيوب" و "هووا، هويت" و "زجروا، زجرت".

وفضلاً عن كون التكرار يفيد التأكيد من جهة، فإنه يحقق موسيقى داخلية متميزة، ومن الظواهر البديعية التي رصدناها في القصيدة؛ هي ظاهرة الطباق في الألفاظ جاءت في قوله: "أسدّ، أخلوا" و "هدموا، بنيت" و "ضيعوا، حفظت" و "بنحس، سعدا" و "قطعوا، وصلت" و "يشينني، حمداً" و"جل، قل".

وقد استعمل الشاعر المظاهر الأسلوبية من خلال أساليب التوكيد في كثير من الأبيات، ومنها أسلوب الحصر في قوله: "وإنما ديوني" و "وأن الذي" و "وإني لعبد" و "على أن قومي".

وما يميز القصيدة أيضاً فضلاً عن التكرار والجناس، هو كثرة اعتماده على الشرط الذي جاءت بعده جملة فعلية فعلها ماض في سبعة مواضع وجاء مضارعاً في موضع واحد، وجملة إسمية في موضع واحد كذلك، ومعظم ما ورد من جمل الشرط كان لأجل تأكيد المعنى. كما نجد استعمال الشاعر للأساليب البيانية كالاستعارة في قوله: "ثغور حقوق" وكذلك أسلوب الكناية في قوله: "فرس نهد.. جعلته حجاباً" و "أخدمته عبداً" و "ما يغلق الباب دونها" و "مكللة لحما.. فإن يأكلوا لحمي" ففي المثال الأول والثاني الكناية هنا عن أهمية الفرس وهي كناية عن موصوف، وفي الثالثة كناية عن أن الطعام معد لكل قادم، وفي الرابعة كناية عن كرمه، وفي الأخيرة كناية عن الغيبة، وكلها كناية عن صفة.

فالفخر يبدو ذاتياً بحتاً حين يفخر الشاعر بنفسه وبآبائه وأجداده، ومثل هذا الفخر الذي ينطق من الذات الفردية وما يحيط بها من ذوات لها صلة بالرحم والقربى بين الشاعر وقومه، يتنامى فيها الإحساس الفردي ليصل إلى الإحساس الجماعي.

فصور في شعره صفات الفروسية بصفات النبل الأخلاقي وعلو الهامة، والشجاعة، قولاً وفعلاً بهدف الوصول إلى تحقيق وجوده الذاتي عبر الجماعة. فالشاعر هو مصدر هذا المجد الذي حظيت به قبيلته وليس العكس، وكأن القبيلة لم تكن ذات شأن من قبل، وبذلك فإن فضله عليها كبير، بصفته رافعاً من قيمتها ومكانتها من خلال كرمه وشجاعته. وحافظ الشاعر في قصيدته على ديمومة الفخر بالذات لإقناع قومه بمكانته بينهم وما يرتب عليها من تعظيم لشأن القبيلة. فالشاعر حاول إبراز القيم الإنسانية المثاليّة التي ترفع من مكانته وأبناء قبيلته.

الخاتمة:

قدمت لنا دالية المقنع الكندي بناء قيمياً مثالياً جسدت الأخلاق الإسلامية والقيم الاجتماعية العربية الأصيلة التي مثلها المقنع من إيثار، وصلة رحم، وكرم، وشجاعة، ونبذت في المقابل الصفات الرذيلة المعاكسة لها والتي مثلها في ابناء عمومته، في إشارة منه إلى ضرورة ما ينبغي أن يسود من سمات وخصال حسنة كي تكتمل فيهم الصورة النهائية التي ختم بها القصيدة وهي صورة الكرم والمروءة، في مشهد وتصوير عاطفي مؤثر لا يخلوا من نبرة الحزن المناسب في القصيدة، التي تماشت مع سلاسة الألفاظ وسهولتها، بعد أن وظف الأساليب البلاغية لتصب في اغناء القصيدة بالموسيقى الداخلية ليبين في النهاية لنا لغته الغنية والمفعمة بمختلف فنون البيان والبديع في خطابه أهله وبني عمه واعتذاره لهم في الدَّيون التي لحقت به، وأصبحت سبباً في توجيه اللوم له، وكان موقفه جريئاً في مناقشتهم وتوجيه النقد إليهم، مع أنه لم يرد انتقاصهم لأنّه لم يزل معتزاً بهم معترفاً بخصالهم وأفضالهم.

فكان الشاعر اللسان المعبر عن هموم القبيلة وعن تطلعاتها، فضلاً عن كونه الوسيلة المثلى، في التعبير عن المجتمع القبلي قاطبة، سواء أكان ذلك التمثيل بأيام الحرب أو أيام السلم.

للشاعر إذن مكانة مرموقة بين قومه، ويعبر في الغالب عن ذاته الفردية، ويتغنى بمشاعره ووجدانه، إلا أن ذلك يتجسد كما هو موجود لدى قومه إن تلميحاً أو تصريحاً، وهو يعكس من خلال تغنّيه بذاته كثيراً من المظاهر الاجتماعية السائدة، وينقل بذلك إحساس الجماعة من خلال هذه الذاتية.

هوامش البحث:

(١) تكسبهم حمداً: أي تجلب لهم الحمد.

(٢) ثغور حقوق: أي مواضع الحقوق ومعناها: ضيعوا الحقوق نفسها.

(٣) مكلَّلة: أي عليها من اللحم مثل الأكاليل. والدفق: الصبّ.

(٤) النهد: الفرس العظيم. جعلته حجاباً لبيتي: إنه نصب عينيه وأكبر همه.

(٥) شعراء أُمويون : د. نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥ : ٢٠٣/٤ – ٢٠٥.

(٦) ينظر: الأغاني: ٦٠/١٧، والشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٧٢٩. وسمط اللآلي:٦١٥/١، والوافي بالوفيات، الصفدي: ١٧٩/٣. وشرح شواهد المغني: ١٠٤/٣.

(٧) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٧٢٩. وسمط اللآلي:٦١٥/١، والوافي بالوفيات، الصفدي: ١٧٩/٣. وشرح شواهد المغني: ١٠٤/٣.

(٨) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ١٠٧/٤. وينظر: أنوار الربيع، ابن معصوم: ٣٥٧/٢.

(٩) ينظر: شرح ديوان الحماسة: ١٠٠/٣.

(١٠) تنظر: مادتي (فرع) و(قنع) في التاج.

(١١)الأغاني: ٦٠/١٧.

(١٢) ينظر: شعراء أُمويون: ٤ /١٩٦– ١٩٧.

(١٣) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤٩/١، ومعجم الشعراء: ١٩١/٥.

(١٤) ينظر: شعراء أُمويون: ٤ /٢٠٦.

(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٦/٤ – ١٩٧.

(١٦) ينظر: جدلية القيم في الشعر الجاهلي: د. جمعة بوبعيو: ٥٤.

المصادر والمراجع:

١- الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

٢- انوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان بالنجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨.

٣- تاريخ الشعراء الحضرميين: العلامة السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوي، مطبعة حجازي، القاهرة، جزء١، ١٣٥٣.

٤- جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية معاصرة: د. بوجمعة بوبعيو، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

٥- سمط اللآلي: البكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ) تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦.

٦- شرح ديوان الحماسة: التبريزي، تحقيق: الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مطبعة التوفيق بمصر، ١٣٢٢هـ.

٧- شرح شواهد المغني: جلال الدّين السيوطي، طبعه المطبعة البهيه، مصر، سنة ١٣٢٢هـ.

٨- شعراء أُمويون: د. نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٩- الشعر والشعراء: ابن قتيبة: ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢.

١٠- معجم الأدباء: ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ) مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٦.

١١- معجم الشعراء: المرزباني: ابو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠.

١٢- الوافي بالوفيات: صلاح الدّين بن خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: احمد الارناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، جزء ٣، ٢٠٠٠م.

"SYNTHETIC VERBS IN ENGLISH AND FRENCH"

Assistant Lecturer **Ekhlas Ali Mohsin**/ Department of English/ College of Arts/ Kufa University
M.A. in English Language and Linguistics / Department of English / College of Education-Ibn Rushd/ Baghdad University (1999)
B.A. in French / Department of French Language / College of Languages / Baghdad University (2003)

Contents

Abstract

It has always been difficult for language learners to relate a particular itemfrom a given language with its appropriate equivalent counterpart in another language. And, this difficulty appears more clearly and mainly when bilinguals try to translate an expression from one language to the other.

The present paper is an attempt to relate the English so-called synthetic verb and its equivalent analytic construction with their equivalent counterparts in French and vice versa.

The paper consists of two parts: the first is a set of preliminaries about these two expressions in English- their definitions, formation processes and patterns; the second is a parallelinganalyticalsurveybetween these expressions in English and their equivalent counterparts in French and vice versa.Along the second part, two main Internet resources are used to support the researcher's work- the Google Translate website and a collection of poems by the French poet Jean Nicolas Arthur Rimbaud (1854-1891). Choosing Rimbaud in particular is due to the fact that the researcher has previously achieved a study about him and his poetry; besides there is a website containing his poems in French and in English, the matter that shall facilitate the process of conducting this study.

It is also worth mentioning that the preliminaries in this paper are basically based on a previously achieved study by the researcher, namely a Master's thesis entitled "TheProduction of English Synthetic and Analytic Constructions by Iraqi College Students".

Finally, a set of conclusions arrived at by the researcher is to be stated at the end of the paper.

I. Part One

1. Preliminaries

A synthetic verb can be defined as a complex semantic unit that can be analysed into a simple analytic construction consisting of a prime verb plus a morphologically related sentence constituent.A prime verb is a verb used within an analytic construction equivalent, completely in meaning and partially in form, to a synthetic verb (Liefrink, 1973: 17, 31).

Lexicons usually give the term 'prime' the following meanings: 'most important', 'chief', and 'fundamental'(OAL's Dictionary, 1989).

There are two types of prime verbs: "general" and "particular". The former refers to the group of prime verbs whose use within analytic constructions is semi-collocationally restricted, whereas the latter refers to the group of prime verbs whose use within analytic constructions is completely collocationally restricted.

The first group contains: *be, become, cause, do, give, have, make, put* and *take*. Whereas, the second group contains as many prime verbs as there are synthetic verbs whose analysis is made on collocational bases, like *take off*and *ride*.

Anumber of synthetic verbs can be analysed into more than one analytic construction. This could be due to the fact that more than one prime verb can be substitutionally used in the analysis of a particular synthetic verb; hence, these prime verbs are somehow generally used. Whereas, the use of members of the second group is collocationally restricted to 'particular' sentence constituents.

The use of more than one prime verb from the first group in the analysis of a particular synthetic verb may cause a slight change in meaning, as in*widen* = *make wider*/*become wider*, or may not, as in,*bath* (v) = *have a bath*/*take a bath*.Whereas, the use of more than one prime verb from the second group in the analysis of a particular synthetic verb causes a change in

meaning, or even gives unacceptable constructions, unless these prime verbs are semantically equivalent, as in , *peel* (v) = *take off the peel*/*remove the peel*; *boat* (v) *go on aboat/*ride a boat*. Accordingly, each prime verb from the second group remains particular in its use no matter how many equivalents in meaning it may have.

2. Formation and Patterns

2.1. Processes of Synthetic-Verb Formation

2.1.1. Conversion

Conversion is the derivational process whereby an idea is adapted or converted into a new word-class without the addition of an affix, e.g.: *answer* (v) = *give an answer* and *bath* (v) = *have a bath*(Quirk, et al., 1985: 1558).

Although the process of conversion indicates assigning a particular function to a different word-class without changing its form, it alsoincludes cases where the word undergoes some slight phonological and/or orthographic change (Quirk, et al., 1972: 978, 1009 and Ibid.note b).

Examples:

(n)	→	(v)
advice /əd'vaɪs/	→	advise/əd'vaɪs/
relief /rɪ'li:f/	→	relieve /rɪ'li:v/
compound/'kɒmpaund/	→	/kəm'paund/
permit /'pə:mɪt/	→	/pə'mɪt/
bath/ba:θ/	→	bathe/beɪð/
misprint /'mɪsprɪnt/	→	/mɪs'prɪnt/
upset /'ʌpset/	→	/ʌp'set/
licence	→	license

2.2.1. Affixation

Affixation is defined as the process of adding an affix to a base with or without a change in the word-class (Quirk, et al., 1972:978).

Verb-forming affixes, or even verb-formatives, are derivational affixes that, when added to a given word, form a verb. Such formatives are calledverbalizers. Six verb-formatives can be distinguished in English, they are: be-, en-, -ate, -en, -ify, and –ize, e.g. becalm, enthrone, activate, blacken, purify and legalize.

2.2. Patterns of Analytic Constructions

Liefrink (1973: 82) proposes an *ad hoc* classification for synthetic verbs in terms of the patterns of their equivalent analytic constructions. They are as follows:

1. Prime verb + adjective

activate makeactive
amplify make ample
becalm make calm
black make black
blacken make/become black
brutalize make brutal
calm make/become calm
deafen make deaf
embrown make brown
embog make/become boggy

2. Primeverb + (prepositional)noun phrase (preposition)

Advise give advice

bath give/ have a bath
taste have a taste of
catalogue put in catalogue
attack make an attack against
split make a split in
alarm cause alarm
father be a father of
breathe take a breath of
embed put on bed
enflesh makeinto flesh
empower give power (to)
capacitate give capacity to
frighten give a fright
threaten make a threat against
codify put into code

glorify give glory to
symbolize be a symbol of

3. Prime verb + adverbial particle

down put down
up put up

II. Part Two:Paralleling Analytical Survey

The words 'synthetic' and 'analytic' can be translated into French as 'synthétique' and 'analytique' respectively.Accordingly,the expressions subject to study shall be then called 'le verbe synthétique'and 'la construction analytique'. Yet, these expressions do not refer to the same grammatical entities in French as they do in English. For instance, the term ' le verbe synthétique' in French refers to compound verbs that are used to express tense and aspect, e.g. the conjugated verb *partions*is a synthetic verb form that comprises the morpheme -i- which implies pastness (Internet 1).So, this is not the kind of verbs that the present paper tries to investigate. The core of the analyses that the researcher seeks is, regardless of the grammatical title, what equals synthetic verbs and their analytic constructions in French with retaining the same characterizing features that are presented in the first part.

Let's start the paralleling analysis by the fixed list of verbs, i.e., the prime verbs *be, become, cause, do, give, have, make, put* and *take*.Their equivalent verbs in French are:*être, devenir, provoquer, faire, donner, avoir, faire; mettre* and *prendre*respectively.It is clearly noticed that the verbs *do* and *make* in English have one equivalent verb in French, which is *faire*.

Below are four tables for all synthetic verbs mentioned in this paper and some more with their analytic counterparts along with their French translation and vice versa from Google Translate Website (Internet2).

Table(1.a.) (Collocationally Restricted Synthetic Verbs)

Collocationally Restricted Synthetic Verbs	French Equivalents	Retranslation into English
1. bicycle 2. boat 3. canoe 4. doubt 5. enmesh 6. fiddle 7. gut 8. hand 9. knife 10. mail 11. net 12. parrot 13. peel 14. ship 15. telegrap h	1. vélo 2. bateau 3. canoë 4. doute 5. prendredans un filet 6. violon 7. vider 8. main 9. couteau 10. courrier 11. net 12. perroquet 13. peler 14. navire 15. télégraphe (All the above are nouns except N.5)	1. bike 2. boat 3. canoe 4. doubt 5. enmesh 6. violin 7. empty 8. hand 9. knife 10. mail 11. net 12. parrot 13. peel 14. ship 15. telegraph

From the table above, the following can be noticed:

1. The synthetic verbs that are derived by the process of conversion could not be translated as verbs, particularly when their source is a noun, but rather as nouns.The Google Translate does not recognize that these are verbs by function, but rather as nouns(or adjectives) by form. But the Microsoft Word 2007 gives options for translating each word. For instance, the word *peel* is translated once as a noun, another as a transitive verb and once more as an intransitive verb. The second translation is the equivalent one for *peel* as a synthetic verb, for it gives the French verb*peler* with the same meaning.
2. Some English synthetic verbs are translated as analytic constructions in French and not as single words, e.g. *enmesh*= *prendredansunfilet*. This means that ifthe English synthetic verb does not have a singleequivalent French verb, so it can be paraphrasedwith keepingthe intended meaning.
3. In the retranslation into English, *bike* is used instead of *bicycle*; here no problem appears for the former is another version for the latter and could be used as a verb. But with *empty* for *vider* the case differs for a change in meaning here can be recognized although the former can be used as a verb.
4. In the retranslation into English, the Google Translate translates French nouns into their equivalent nouns in English and not into the source synthetic verbs, e.g. *courier*=*mail* and *navire*=*ship*, and so on.

Table (1.b) (Collocationally Restricted Analytic Constructions)

Collocationally Restricted Analytic Constructions	French Equivalents	Retranslation into English

1. ride on a bicycle	1. rouler sur un vélo	1. ride a bike
2. go on a boat	2. aller sur un bateau	2. go on a boat
3. travel in a canoe	3. voyager en canoë	3. travel by canoe
4. feel doubtful	4. sentir douteux	4. feel doubtful
5. entangle in a mesh	5. s'enchevêtrerdans un maillage	5. become entangled in a mesh
6. play the fiddle	6. jouer du violon	6. fiddle
7. take off/remove the guts	7. décoller / enlever les tripes	7. loosen / remove the guts
8. transfer something with hand	8. transférer quelque chose avec la main	8. transfer something with hand
9. cut something/stab somebody with a knife	9. couper quelque chose / poignarder quelqu 'un avec un couteau	9. cut something / stab somebody with a knife
10. send something by mail	10. envoyer quelque chose par la poste	10. send something by mail
11. cover with net	11. couvrir avec un filet	11. cover with a net
12. repeat as a parrot	12. répéter comme un perroquet	12. parrot
13. take off the peel/remove the peel	13. enlever la pelure	13. remove the peel
14. send/transport something in a ship	14. envoyer / transporter quelque chose dans un navire	14. send / carry
15. send a message by telegraph	15. envoyer un message par le télégraphe	

		something in a vessel
		15. send a message by telegraph

From the table above, the following can be noticed:

1. Translating Englishanalytic constructions word by word gives clear equivalent French constructionstoo that convey the equivalent meaning.
2. The word *with* is transliterated into *avec* in French, the matter that gives a somehowdifferent meaning for the French equivalentanalytic construction. *With* is used in the English analytic construction with the meaning of *bymeans of*rather than with the meaning of accompanying. Hence, *avec* should be replaced by *par* to give the meaning that makes the French analytic construction equivalent in meaning to the English one. So, for instance, *cover with net* should be in French *couvrir par un filet*. This procedure can be applied whenever *with* has the meaning of *bymeans of*.
3. In the retranslation, the Google Translate translates some French analytic constructions as their source in English either totally, e.g. *go on a boat=aller sur un bateau=go on a boat*, and *send a message by telegraph=envoyer un message par le télégraphe=send a message by telegraph*; or with a change in the structure but not in the meaning, e.g. *ride on a bicycle=rouler sur un vélo=ride a bike*and *travel in canoe=voyager en canoe=travel by canoe* - in the first example, the preposition *on* is not used, and in the second,

the preposition*by* replaces the preposition *in*; yetin both the meaning is still the same as the source.

4. In the retranslation, the Google Translate gives equivalentsfor some parts of a number ofFrench analytic constructions, e.g.*take off the guts=décoller les tripes=loosen the guts* and *transport something in aship=transporter quelque chosedans unnavire= carry something in a vessel*.
5. In the retranslation, the Google Translate gives equivalentsfor the whole analytic construction which themselves could be the same as the source English synthetic verb, e.g. *fiddle=jouerdu violon=fiddle* and *parrot=répétercommeunperroquet=parrot*.

Table (2.a) (Semi-Collocationally Restricted Synthetic Verbs)

Semi-Collocationally Restricted Synthetic Verbs	French Equivalents	Retranslation into English
1. abstract	1. abstrait	1. abstract
2. activate	2. activer	2. activate
3. advise	3. conseiller	3. adviser
4. alarm	4. alarme	4. alarm
5. amplify	5. amplifier	5. amplify
6. answer	6. répondre	6. answer
7. attack	7. attaquer	7. attack
8. audition	8. audition	8. hearing
9. bath	9. bain	9. bath
10. bathe	10. se baigner	10. swim
11. beautify	11. embellir	11. beautify
12. befool	12. se moquer de	12. mock
13. believe	13. croire	13. believe
14. benumb	14. engourdir	14. numb
15. black	15. noir	15. black
16. blacken	16. noircir	16. blacken

17. brutalize	17. brutaliser	17. brutalize
18. breathe	18. respirer	18. breathe
19. becalm	19. encalminer	19. becalm
20. catalog	20. catalogue	20. catalog
21. capacitate	21. *capacitation[1]	21. *capacit
22. choose	22. choisir	ation
23. codify	23. codifier	22. choose
24. calm	24. calmer	23. codify
25. compound	25. composé	24. calm
26. conflict	26. conflit	25. compou
27. deafen	27. assourdir	nd
28. down	28. vers le bas	26. conflict
29. dry	29. sécher	27. mute
30. enthrone	30. introniser	28. down
31. embed	31. intégrer	29. dry
32. enflesh	32. *enflesh	30. enthrone
33. empower	33. habiliter	31. integrate
34. embog	34. *embog	32. * enflesh
35. embrown	35. *embrown	33. empowe
36. enslave	36. asservir	r
37. father	37. père	34. * embog
38. frighten	38. effrayer	35. *
39. glorify	39. glorifier	embrow
40. grieve	40. deuil	n
41. hint	41. allusion	36. enslave
42. idle	42. ralenti	37. father
43. legalize	43. légaliser	38. scare
44. lengthen	44. allonger	39. glorify
45. license	45. licence	40. mournin
46. lighten	46. alléger	g
47. misprint	47. coquille	41. allusion
48. neutralize	48. neutraliser	42. slow
49. perfume	49. parfum	motion
50. permit	50. permettre	43. legalize
51. practise	51. pratiquer	44. lengthen

52. price	52. prix	45. license
53. purify	53. purifier	46. alleviate
54. refit	54. remonter	47. shell
55. relieve	55. soulager	48. neutralize
56. roof	56. toit	49. perfume
57. sacrifice	57. sacrifier	50. allow
58. sheathe	58. rengainer	51. practice
59. shelve	59. l'écart	52. price
60. simplify	60. simplifier	53. purify
61. split	61. divisé	54. ascend
62. sterilize	62. stériliser	55. relieve
63. symbolize	63. symboliser	56. roof
64. thieve	64. voleurs	57. sacrifice
65. thicken	65. épaissir	58. sheathe
66. threaten	66. menacer	59. gap
67. taste	67. goûte	60. simplify
68. torment	68. tourmenter	61. divided
69. up	69. jusqu'à	62. sterilize
70. upset	70. bouleverser	63. symbolize
71. use	71. utiliser	64. thieves
72. widen	72. élargir	65. thicken
		66. threaten
		67. taste
		68. torment
		69. to
		70. upset
		71. use
		72. broaden

From the table above, the following can be noticed:

1. In addition to resultnumber (1)arrived at from Table (1.a.) that can also apply here, most English synthetic verbs that are derived by the process of affixation can be translated into French as verbs too.

2. English synthetic verbs that are derived by the process of affixation are recognized by Google Translate as verbs; hence it gives them equivalent translation both in function and meaning, e.g.
3. Synthetic verbs with the suffixes (-ify) and (-ize) have their French equivalent verbs with the same meaning and almost the same form. This relies heavily on the fact that these two suffixes come from French(Jespersen, 1961: 451; and Partridge, 1966: 895), hence, both verbs in both languages could be called 'parallel pairs'[2], e.g. *codify=codifier* and *neutralize=neutralizer*.
4. English synthetic verbs that are verbs in their very linguistic nature, but not derived from another part of speech, have equivalent French verbs. These share the same meaning, but not necessarily the same form unless they ascend from the same mother language, e.g.*answer=répondre* and *attack=attaquer*.
5. Synthetic verbs with the affixes(-ate), (-en)and(en-) generallyhave equivalent French verbs ending with –ir or –er, similar in meaning but not necessarily in form, e.g., *activate=activer*,*blacken=noircir*and *enslave=asservir*.
6. The Google Translate recognizes the words with regard to the parts of speech to which they originally belong, rather than to which they are converted, e.g. *up=jusqu'a=to*(with the meaning *even*) are adverbs.
7. In the retranslation, the Google Translate translates the French verbs giving English verbs which are themselves could be synonyms for the source English synthetic verbs, e.g. *deafen=assourdir=mute*, *permit=permettre=allow* and *widen=élargir=broaden*.

Table (2.b) (Semi-Collocationally Restricted Analytic Constructions)

Semi-Collocationally Restricted Analytic Constructions	French Equivalents	Retranslation into English
1. give an abstract	1. donner un résumé	1.giveasummary
2. make active	2. rendre active	2. make it active
3. give advice	3. donner des conseils	3. advise
4. cause alarm	4. provoquer d'alarme	4. causing an alarm
5. make ample	5. faire amplement	5. be ample
6. give an answer	6. donner une réponse	6. give an answer
7. make an attack against	7. faire une attaque contre	7. makean attack against
8. give an audition	8. donner une audition	8. give a hearing
9. give a bath /have a bath	9. donner un bain / prendre un bain	9. bathe/ take a bath
10. have a sunbath	10. avoir un bain de soleil	10. having a sunbath
11. make beautiful	11. faire de belles	11. make beautiful
12. make fool	12. faire tromper	12. astrict
13. have belief	13. avoir la conviction	13. be satisfied
14. cause numb	14. provoquer engourdir	14. cause numb
15. make black	15. faire noir	15. to black
16. make black	16. faire noir	16. to black
17. make brutal	17. faire brutale	17. be brutal
18. take a breath of	18. prendre un bol d'	18. take a bowl of
19. make calm	19. faire calmer	19. hush
20. put in catalog	20. mettre dans le catalogue	20. put in the catalog
21. give capacity to/ make capable	21. donner la capacité de /faire capable	21. the ability to give / capacitate
22. make a choice	22. faire un choix	22. make a choice
23. put into code	23. mettre en code	23. to code
24. make calm /become calm	24. faire calmer / se calme	24. hush /calms
25. make a compound	25. faire un composé	25. to a compound
26. be in conflict with	26. être en conflit avec	26. be in conflict with
27. put down	27. déposer	27. file
28. make deaf	28. faire sourds	28. be deaf
29. make dry	29. faire sécher	29. dry
30. put throne	30. mis trône	30. put throne
31. put on bed	31. mettre sur le lit	31. put on the bed
32. make into flesh	32. faire dans la chair	32. do in the flesh
33. give power (to)	33. donner le pouvoir (à)	33. empower (to)
34. make brown	34. faire dorer	34. brown
35. make/become boggy	35. faire / devenir marécageux	35. be / become marshy
36. make slave	36. faire l'esclave	36. to the slave
37. be a father of	37. être un père de	37. be a father
38. give a fright	38. donner une frayeur	38. give a fright
39. give glory to	39. rendre gloire à	39. give glory to
40. cause grief/ be in grief	40. provoquer/ être dans la douleur	40. cause / be in pain
41. give a hint	41. donner un indice	41. give a clue
42. be idle	42. êtreralenti	42. be slowed
43. make legal	43. rendre légal	43. make it legal
44. make long	44. placer à long	44. make long
45. give a licence	45. donner l'autorisation	45. give permission
46. make light		46. shed light
47. make a misprint		47. make a typo
48. make neutral		48. to neutral
49. put perfume		49. applying perfume
50. give a permit		50. issue a permit
51. make practice		51. to practice
52. give a price for		52. give a prize for
53. make pure		53. to pure
54. make a refit		54. to a rehabilitation

Ekhlas Ali Mohsin
العدد (١٣) كانون الأول ٢٠١٢ مجلة آداب الفراهيدي
"Synthetic Verbs in English and French"

55. give relief 56. put roof 57. make a sacrifice 58. make sheath 59. put on shelf 60. make simple 61. make a split in 62. make sterile 63. be a symbol of 64. be a thief 65. make thick 66. make a threat against 67. have a taste of 68. cause torment 69. put up 70. cause upset 71. make use 72. make wider/ become wider	46. faire la lumière 47. faire une faute de frappe 48. faire neutre 49. mettre du parfum 50. délivrer un permis 51. faire de la pratique 52. donner un prix pour 53. faire pur 54. faire une remise en état 55. donner du relief 56. mettre un toit à 57. faire un sacrifice 58. faire gaine 59. mis sur les tablettes 60. faire simple 61. faire une scission au sein de 62. faire stérile 63. être un symbole de 64. être un voleur 65. faire d'épaisseur 66. faire une menace contre 67. avoir un avant-goût de 68. provoquer tourmenter 69. supporter	55. give relief 56. put a roof 57. make a sacrifice 58. to sheath 59. shelved 60. basically 61. to a split within 62. be sterile 63. be a symbol of 64. be a thief 65. to thick 66. make a threat against 67. have a taste of 68. cause trouble 69. support 70. disruptive 71. to use 72. wider / widen

	70. causer des troubles 71. faire usage 72. plus largement / s'élargissent	

From the table above, the following can be noticed:

1. Result number(1) arrived at from Table(1.b.)can also apply here.
2. Result number (3) arrived at from Table (1.b.) can also apply here, e.g.*give a fright=donner une frayeur=give a fright*and*give relief=donner du relief=give relief*; *cause grief=provoquer la douleur= cause pain* and*give a hint=donnerun indice=give a clue*– in this group, the retranslation still keeps the meaning intended.
3. Result number (4) arrived at from Table (1.b.) can also apply here, e.g. *give an audition=donner une audition=give a hearing*.
4. Result number(5) arrived at from Table (1.b.) can also apply here, e.g. *give advice=donner des conseils=advise*and*become wider=s'elargissent=widen*.
5. In the retranslation, the Google Translate gives equivalents that could be totallymorphologicallyand/or semantically different from the source analytic construction as well as the source English synthetic verb, e.g. *put up=supporter=support* and *cause upset=causer des troubles=disruptive*. In the first group, the verb *support* is not equal to the synthetic verb *up* and *disruptive* is an adjective that is not equal to the synthetic verb *upset*.

Above have been some general observations about the translation from English into French and vice versa of this group of English constructions. Of course, more detailed analyses for them can result in more observations particularly

for researchers who intend to create specific inventories about this type of constructions.

Now is the turn of the translations of some verses from Rimbaud's famous poems that contain the so-called synthetic verbs (Internet 3).

Table (3) Le Bateau Ivre=The Drunken Boat

French	English	Paralleling Analysis
Je ne me **sentis** plus guidé par les haleurs	I no longer **felt** myself steered by the haulers	- sentir=feel - feel= have a feeling - have a feeling=avoir un sentiment
Les ayant **cloués** nus aux poteaux de couleurs.	**Nailing** them naked to coloured stakes.	- clouer=nail - nail=use nails - use nails=utiliser des clous
La tempête a **béni** mes éveils maritimes.	The storm **made blessof** my sea-borne awakenings.	- bénir=bless - bless=makebless - make bless of=faire bénir des
Et dès lors, je **me** suis **baigné** dans le Poème	And from that time on I **bathed** in the Poem	- se baigner= bathe - bathe=have a sunbath - have a sunbath= avoir un bain de soleil
Où, **teignant** tout à coup les bleuités, délires	Where, suddenly **dyeing** the bluenesses, deliriums	- teindre=dye - dye=put dye - put dye=mettre colorant

French	English	Paralleling Analysis
Fermentent les rousseurs amères de l'amour !	**Ferment** the bitter rednesses of love!	- fermenter=ferment - ferment=cause ferment - causeferment=provoquer la fermentation
Et j'ai vu quelque fois ce que l'homme a **cru** voir !	And sometimes I have seen what men have **imagined** they saw!	- croire=imagine - imagine=have imagination - have imagination=avoir del'imagination
-J'ai heurté, **savez**-vous, d'incroyables Florides	I have struck, do you **realize**, incredible Floridas	- savoir=realize - realize=have realization - have realization=avoirrealization
Mêlant aux fleurs des yeux de panthères à peaux	Where **mingle** with flowers the eyes of panthers	- mêler=mingle - mingle=be mingled - bemingled=êtremêlé
D'hommes ! Des arcs-en-ciel **tendus** comme des brides	In human skins! Rainbows **stretched** like bridles	- tender=stretch - stretch=make stretched - make stretched=faire tendu

Où **pourrit** dans les joncs tout un Léviathan !	Where a whole leviathan **rots** in the reeds!	- pourrir=rot - rot=become rotten - become rotten=devenirpourri
La mer dont le sanglot **faisait** mon roulis **doux**	The sea whose sobs **sweetened** my rollings	- faire doux=sweeten - sweeten= make sweet - makesweet=faire doux - sweeten=adoucir

Table(4) Sensation=Sensation

French	English	Paralleling Analysis
Picoté par les blés, fouler l'herbe menue	Getting **pricked** by the corn, crushing the short grass:	- picoter=prickle - prickle=cause prickle - causeprickle=provoquerpicoter

Table (5) Roman=Romance

French	English	Paralleling Analysis
Les tilleuls **sentent bon** dans les bons soirs de juin !	The lime trees **smell good** on fine evenings in June!	- sentir bon=smell good - smell good= have good smell - have good smell=avoir une bonne odeur

Voilà qu'on aperçoit un tout petit chiffon d'azur sombre, **encadré** d'une petite branche	Then you see a very tiny rag Of dark blue, **framed** by a small branch	- encadrer=frame - frame=put into frame - putinto frame=mettre en cadre
Piqué d'une mauvaise étoile, qui **se fond**	Pierced by an unlucky star which **is melting** away	- se fondre=melt - melt=bemelted - bemelted=êtrefondu
Tout en faisant **trotter** ses petites bottines,	As she **trots** along in her little ankle boots,	- trotter=trot - trot=make a trot - make a trot=faire un trot
Elle **se tourne**, alerte et d'un mouvement vif....	She **turns**, wide awake, with a brisk movement...	- setourner=turn - turn=make a turn - make a turn=faire un tour
Puis l'adorée, un soir, a **daigné** vous écrire...!	Then your adored one, one evening, **condescends** to write to you...!	- daigner=condescend - condescend=make a condescension - makeacondescension=faire une condescendance

Table(6)Bal des Pondus= Dance of the Hanged Men

French	English	Paralleling Analysis
Ses petits pantins noirs **grimaçant**	His little black puppets who **grin** at	- grimacer=grin - grin=make a grin

sur le ciel	the sky	- make a grin=faire une grimace
Se **heurtent** longuement dans un hideux amour.	**Jostle** together protractedly in hideous love-making.	- heurter=jostle - jostle=make a jostle - make a jostle=faire unebousculade
Belzébuth **enragé** racle ses violons !	Beelzebub, **maddened**, saws on his fiddles!	- enrager=madden - madden=make mad - make made=faire fou
Le reste est peu **gênant** et se voit sans scandale.	The rest **is** not **embarrassing** and can be seen without shame.	- gêner=embarrass - embarrass=cause embarrassment - cause embarrassment=causer l'embarras
Le corbeau fait panache à ces têtes **fêlées**	The crow acts as a plume for these **cracked** brains	- fêler=crack - crack=make crack - make crack=faire une fissure
Hurrah ! la bise **siffle** au grand bal des squelettes !	Hurrah! The wind **whistles** at the skeletons' grand ball!	- siffler=whistle - whistle=give a whistle - give a whistle=donner un coup de sifflet
Holà, **secouez**-moi ces capitans	Ho there, **shake** up those funereal	- secouer=shake - shake=make a

funèbres	braggarts,	shake - make a shake=faire unesecousse
Emporté par l'élan, comme un cheval **se cabre**	Carried away by his own impetus, like a **rearing** horse	- secabrer=rear - rear=make a rear - make a rear=faire un cabré
Crispe ses petits doigts sur son fémur qui craque	**Clenches** his knuckles on his thighbone with a crack	- crisper=clench - clench=make a clench - make a clench=faire unecrispation

Conclusions

On the basis of the survey and analyses achieved along the present paper, the following conclusions can be stated:

1. If a particular synthetic verb in English is to be translated into French, it is not necessarily that the latter has the same characteristics of the former.
2. Any translator must have a solid background about the grammar of the language to which s/he is translating; so that they can make the correct choice about the item to be selected as the right equivalent in the target language. The Google Translate provides options when translating a particular item. Only the professional translator can make the most convenient choice from these options.
3. English synthetic verbs derived by the process of affixation can haveequivalent French verbs that exhibit similarity in semantics and morphology.
4. There exist French analytic constructions that have the same characteristics of the English analytic construction, i.e. consisting of the so-called prime verb and a morphologically as well as semantically related sentence constituent, though may not have equivalent synthetic verbs.
5. There exist French verbs that can be called synthetic verbs as far as their form and analyses are concerned, for they share some formal as well as semantic characteristics with their equivalent English synthetic verbs.

End Notes

[1]Words that are marked with an asterisk are supplied by the GoogleTranslate, but in fact they are not real translations, for there are no such words in French, e.g. *embog*and *embrown*.
[2]'Parallel pairs' is a term proposed by the researcher.

Bibliography

1. Jespersen, O. (1961) A Modern English Grammar on Historical Principles. Part VI, "Morphology". London: George Allen & Unwin LTD.
2. Liefrink, F. (1973) Semantico-Syntax. London: Longman.
3. Oxford Advanced Learners' Dictionary (1989).
4. Partridge, E. (1966) Origins: A Short Etymological Dictionary of Modern English. London: Routledge & Kegan Paul.
5. Quirk, R.; Greenbaum, S.; Leech, G.; and Svartvik, J. (1972) A Grammar of Contemporary English. London: Longman Group Limited.
6. ---------- (1985) A Comprehensive Grammar of the English Language. London: Longman.
7. Internet1:http://www.frenchlinguistics.co.uk/grammar/verbs_intro_2.shtml
8. Internet 2 : http://translate.google.com/#fr|ar|embrown
9. Internet3:http://www.mag4.net/Rimbaud/poesies/Poems.html

موقف الاتحاد السوفيتي من العدوان (الاسرائيلي) على مصر يوم ٥ حزيران ١٩٦٧

م.د. جودت جلال كامل عبد اللطيف
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

اولا: موقف الاتحاد السوفيتي من الاستفزازات (الاسرائيلية) على مصر وسوريا

أصبحت مصر خلال ستينيات القرن العشرين، أخطر ساحة بالنسبة للزعامة السوفيتية في مجال التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي خلال مدة ما يسمى بالحرب الباردة لاكتساب النفوذ في الشرق الأوسط، اذ أصبح القلق حقيقياً في الكيان الصهيوني في نيسان ١٩٦٣ بسبب مباحثات الوحدة التي كانت تجرى في القاهرة بين مصر وسوريا والعراق(١)، مما أضطر رئيس الوزراء الصهيوني إلى توجيه خطاب إلى الرئيس الأمريكي (جونسون)(٢) j0nson (١٩٦٣_١٩٦٩) جاء فيه((**أن الحل الفعال الوحيد لدرئ خطر مخططات الجمهورية العربية المتحدة يكمن في إعلان أمريكي- سوفيتي مشترك يضمن السلام الإقليمي والأمن لدول الشرق الأوسط، ويترتب عليه قطع كل أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية لاي طرف يرفض الاعتراف بجيرانه**))، وحاول السفير الأمريكي طمأنة رئيس الوزراء الصهيوني قائلاً له ((**أن تقديرات المخابرات الأمريكية تشير إلى أن الوحدة بين مصر وسوريا والعراق ليست وشيكه الوقوع كما يتصور، وأن الوحدة العربية لن تتحقق لسنوات طويلة...**)) (٣) في ضل تلك الظروف ازداد التنافس بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في تلك المدة لاكتساب النفوذ في مصر، ففي الوقت الذي بذل فيه الاتحاد السوفيتي جهوده السياسية لتعزيز حضوره على الساحة

المصرية وتقديم كل الإسناد الممكن للرئيس جمال عبد الناصر، كانت الولايات المتحدة الامريكيه تبذل جهدها للعمل ضد الرئيس جمال عبد الناصر من خلال تحذير السعودية وإيران منه، وهما ضالعتان مع الولايات المتحدة الأمريكية أساسا ،ويقفان معها على خط واحد في معاداة عبد الناصر وعلاقته الوثيقة مع الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف في العراق(٤).

أعلن في صحيفة الأهرام يوم ١٢أيار١٩٦٦ عن صفقة أسلحة أمريكية (لإسرائيل)، وذكرت الصحيفة أن الصفقة هي الثالثة خلال العامين الآخيرين والتي بدأ تسليم أجزاء منها بسرية تامة، وفي يوم ٢١ أيار أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية و (إسرائيل) في بيان رسمي أتمام الصفقة بينهما فكان رد الجمهورية العربية المتحدة أعلانها في القاهرة يوم ١١ تموز ١٩٦٦ عن موافقة الجانب المصري على البروتوكول الملحق بالاتفاقية التجارية طويلة الأجل الموقع مع الاتحاد السوفيتي(٥) .

أعلن الساسة السوفيت مع بداية عام ١٩٦٧ أن الاتحاد السوفيتي يقف إلى جانب الحق العربي في الصراع العربي (الإسرائيلي) ، وأخذت موسكو تحذر القاهرة من التحشدات (الاسرائيليه) على الحدود السورية ، اذ قامت وحدات من حرس الحدود (الإسرائيلي) يوم ٧ نيسان ١٩٦٧ باستفزاز القوات العسكرية السورية جنوب بحيرة طبريا، استخدمت خلاله الدبابات والطائرات والمدفعية (الإسرائيلية) ضد القوات السورية، فأعربت الحكومة السورية عن احتجاجها القاطع لتلك الإعمال(٦) وكانت الاستفزازات (الإسرائيلية) الكثيرة لسوريا والأردن وحتى مصر، تدفع في تسارع ملحوظ نحو حافة الحرب ((**أصبحت غارات التنكيل التي تقوم بها الوحدات العسكرية (الإسرائيلية) على الدول العربية المجاورة غارات ذات طابع دائم، وذلك من أجل إخافة العرب والإعداد النفسي لعدوان كبير**)) (٧)،وفي يوم ٢٧نيسان ١٩٦٧

أصدرت وزارة الخارجية السوفيتية بياناً بشأن الإعمال العدوانية التي لا تنقطع من جانب (إسرائيل) ضد الدول العربية المجاورة ،واستدعت السفير المفوض (لإسرائيل) في موسكو وأطلعته على البيان الذي أشار إلى الحكومة السوفيتية قد لفتت نظر حكومة (إسرائيل) أكثر من مرة إلى تدهور الموقف المتكرر في الشرق الأوسط والناجم عن سياسة القوى الخارجية الامبريالية والأوساط المتطرفة وذات النزعة العسكرية في (إسرائيل)، والموجه ضد سيادة واستقلال الدول العربية المجاورة، وأوضح البيان أن الحكومة السوفيتية لا تستطيع تجاهل الإحداث المسلحة التي جرت يوم ٧ نيسان ١٩٦٧، وأن ذلك اللعب الخطر بالنار من جانب (إسرائيل) في المنطقة التي تقع بالقرب من حدود الاتحاد السوفيتي قد صاحبته بيانات تؤكد أن (إسرائيل) **((تحاول حل الخلاف [الإسرائيلي] العربي من موقع القوة بالوسائل العسكرية))** ، وأضاف **((... أن الحكومة السوفيتية ترى من الضروري أن تنذر حكومة [إسرائيل] من أن السياسة المقامرة التي تتبعها [إسرائيل] على سنين عدة تجاه جيرانها، تلفها الاخطار وتقع مسؤوليتها بالكامل على عاتق الحكومة (الإسرائيلية)))** (٨).

التقى (الكسي كوسجين) (٩) يوم ٢٩نيسان ١٩٦٧بوفد مصري كان يزور موسكو، وخاطبهم قائلاً ان الموقف في المنطقة معقد **((أنتم في معركة مع أمريكا وانجلترا، ونحن نتفق معكم فيها مائه في المائة لكن هناك بؤر نخشى منها،...أما العراق نحن نفهم استعدادكم لتأييد الحكومة فيه ولكن كل يوم تحدث مفاجأة، وحركة القوى هناك كلها فاترة، واليد القوية غير موجودة، وكثير من المسؤولين هناك يقبضون من الانجليز والامريكان والمعركة على العراق حادة...))** (١٠).

ثانيا: موقف الاتحاد السوفيتي من طلب مصر سحب قوات الطوارئ من خط المواجهة

بعد الاستفزازات (الإسرائيلية) لسوريا، أجتمع الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٣ أيار ١٩٦٧مع أركان حرب القوات العسكرية المصرية، وبحث معهم الموقف وتداعياته وكان الرأي **((أن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع أن تقف ساكتة وان الحوادث تفرض عليها أن تكون مستعدة لكافة الاحتمالات...))** (١١) ، وأعلن الممثل السوري في هينه الأمم المتحدة يوم ١٤ أيار ١٩٦٧،عن نبأ تحشد القوات (الإسرائيلية) على الحدود السورية، وعن طبيعة الاستعدادات التي تقوم بها (إسرائيل) لشن حرب على سوريا، وأشار في بيانه إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم المؤامرة (الإسرائيلية) ضد سوريا(١٢).

أخذت الجمهورية العربية المتحدة إجراءات التعبئة والتحشد، وطلبت يوم ١٦أيار ١٩٦٧ من قائد قوات الطوارىء الدولية سحب قواته فوراً من المناطق المتمركزة فيها والمرابطة على امتداد حدود مصر الشرقية(١٣)، لان القوات المصرية ستكون مستعدة للتصدي (لإسرائيل) أذا ما قامت بعمل عدواني ضد أية دوله عربية(١٤) ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يرى أنه لو سقط النظام في سوريا فسوف يؤثر ذلك على العراق، وإذا حدث ذلك فأن الجبهة الشرقية في المواجهة مع (إسرائيل) سوف تنهار، وعندها فأن مصر سوف تكون في عزلة وأنها ستجد نفسها بمفردها إمام (إسرائيل)، لذلك كان تقدير الموقف المترتب على تلك الأمور كلها جعل الرئيس جمال عبد الناصر يشعر بضرورة اتخاذ موقف اتجاه الاستفزازات (الاسرائيلية) أتجاه سوريا واصبح من الواضح بأن القاهرة لا تستطيع أن تقف موقف المتفرج، وعلى ذلك الأساس أتخذ قرار تحريك القوات إلى سيناء استعدادا لكل الاحتمالات(١٥).

تطور الموقف اكثر وأعلنت مصر قرارها يوم ٢٢ أيار ١٩٦٧ بغلق مدخل خليج العقبة في وجه السفن (الإسرائيلية) فصرحت الدوائر السياسية السوفيتية بأنه **((أذا كانت مصر قد طلبت سحب قوات الطوارئ فهو من حقها لأنه لم يكن من المعقول أن تبقى هذه القوات إلى الأبد كما أن لمصر حق السيادة على المياه الإقليمية))** ،وطلب السفير السوفيتي في القاهرة موعداً عاجلاً لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر لتسليمه رسالة من موسكو، واستقبله في اليوم نفسه فقدم السفير الرسالة التي حملت تأييداً كاملاً من الحكومة السوفيتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي لطلب مصر سحب القوات الدولية من أراضيها، و قال الرئيس جمال عبد الناصر للسفير السوفيتي بعد قراءة الرسالة والمداولات التي دارت بينهما**((أنني أريدك إن تنقل لهم في موسكو رسالة مني بأنني أعتبر الاتحاد السوفيتي عاملاً رئيسياً ومؤثراً في كل ما يحدث في المنطقة الآن...، وان مصر أصبحت الآن هي الجبهة، وانا أريد أن تكون هذه الحقيقة محددة أمامهم لكي يرتبوا تصرفاتهم في الأيام القادمة))** ، واكد الرئيس جمال عبد الناصر للسفير السوفيتي **((بضرورة الانتباه لموقف الولايات المتحدة الأمريكية فهو موقف متواطئ مع [إسرائيل] بشكل سافر وان أي تحذير من جانب السوفيت يجب أن يوجه إليها وليس إلى [إسرائيل]))**[١٦].

بناءاً على ذلك فقد أصدر الاتحاد السوفيتي يوم ٢٣أيار ١٩٦٧ بياناً حول الموقف في الشرق الأوسط، الذي اكد فيه ان ما يدور هناك يبعث القلق من وجهة نظره وان مايحدث هو تهديد واضح للسلام والامن الدوليين ،واتهم البيان (اسرائيل) بانها تزيد من حدة التوتر المسلح في المنطقة منذ عدوانها على سوريا ،وأنه **((من الواضح تماماً، أن (إسرائيل) لم تكن تستطيع أن تتصرف بهذا الشكل ما لم تكن متمتعة بالتشجيع المباشر وغير المباشر على موقفها هذا من جانب دوائر امبريالية محددة تطمع في أعادة حالة القهر الاستعماري إلى الأراضي العربية))**،

وحذر الاتحاد السوفيتي في بيانه (إسرائيل) ومن يقفون ورائها بقوله **((... لقد قدم الاتحاد السوفيتي على مدى عشرات السنين المساعدة الشاملة لشعوب البلدان العربية في نضالها العادل من أجل تحررها الوطني ضد الاستعمار ومن أجل تطورها السلمي، ويجب الا يشك في أن البادئ بالعدوان في منطقة الشرق الأوسط سوف يقابل لا بالقوة الموحدة للبلدان العربية فحسب بل وسوف يواجه أيضاً بمقاومة حاسمة للعدوان من جانب الاتحاد السوفيتي ومن جانب كل دول المحبة للسلام))** [١٧].

توالت الإحداث وتواصلت اللقاءات مابين الجانب المصري والولايات المتحدة وكذلك مع الاتحاد السوفيتي، وخلال المدة الممتدة بين ٢٣ أيار – ١ حزيران ١٩٦٧ ، اذ بعث الرئيس الامريكي جونسون برسالة الى الرئيس المصري جمال عبد الناصر يوم ٢٣ ايار من العام نفسه ، اوضح فيها ان مصر تستطيع ان تتأكد بيقين وان تعلم بان الولايات المتحدة الامريكية تعارض بشدة أي عدوان في المنطقة سواء كان مكشوفاً او خفياً ومن أي جهة يصدر، ويدعوه فيها ان يجعل اولويته لشعبة وللمنطقة وللمجتمع الدولي وان يتعامل بجد اتجاه قضية السلام الدولي ، وسأل الرئيس المصري عن أمكانية مصر استقبال نائبه (هيوبرت همفري) Hubert Humphreu لاجراء مباحثات ثنائية وقد أجابت مصر بترحيبها لاستقبال نائب الرئيس الأمريكي[١٨] ، ومن جهة أخرى أرسل الرئيس الأمريكي رسالة الى رئيس الاتحاد السوفيتي (نيكولاي بودجورني) Nekolie Boodjorne ذكر فيها ان تصعيد الوضع في منطقة الشرق الأوسط لا يصب في مصلحة كلا الطرفين وان **((الحكومتين سوف تساند الطرف التابع لها . ومن ثم سوف ينشأ موقف متدهور في المنطقة وبعدها يجب اتخاذ إجراء مشترك يمكنها من حل الأزمة))** [١٩].

كما جرت عدة لقاءات ما بين الجانب المصري والسوفيتي، اذ سافر وفد عسكري مصري يوم ٢٥ أيار ١٩٦٧ إلى موسكو برئاسة وزير الحربية شمس بدران بهدف التنسيق في مجالات الامن المتبادل واستعجال تنفيذ صفقات السلاح وتقديم طلبات جديدة تتناسب مع الموقف ، واستطلاع راي الحكومة السوفيتية في الاحداث الجارية في المنطقة ، وكلف المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي رئيس الوزراء (الكسي كوسجين) Alexei Kosyjine باجراء مفاوضات مع الوفد المصري ، واجتمع الجانبان يومي ٢٦و ٢٧ ايار وفي بداية اللقاء الاول الذي جرى في الكرملن اوجز الجانب المصري الرسالة التي بعثها الرئيس جمال عبد الناصر للقادة السوفيت مشيراً الى ان (اسرائيل) حشدت قواتها على الحدود مع سوريا وتتهيأ لتوجيه ضربة اليها بالوقت الذي طلب فيه الاشقاء السوريين الدعم وان الرئيس عبد الناصر **((لا يستطيع ترك اخيه العربي (السوري) وجهاً لوجه مع اسرائيل))** ، ويطلب موافقة القيادة السوفيتية على توجيه ضربة استباقية وقائية الى (اسرائيل) ، وكان رد الجانب السوفيتي قد اوضحه كوسجين بقوله ، اذا بادرت مصر بتوجيه الضربة فستكون معتدية وموسكو لا تستطيع دعم المعتدي ، لان ذلك يتناقض مع مبادىء السياسة الخارجية السوفيتية ، بالوقت الذي اعلن فيه المجتمع الدولي بعدم امكانية حل القضية عن طريق الحرب فالولايات المتحدة الامريكية لن تسمح للعرب بألحاق الهزيمة (باسرائيل) ، واضاف كوسجين **((هل تريدون توريط الاتحاد السوفيتي مع امريكيا ؟ واننا لن نقدم على هذا))** [٢٠] .

استمرت المفاوضات في اليوم التالي واخذ شمس بدران يطمأن الجانب السوفيتي، بان الموقف العربي بغاية القوة ، وعرض مجموعة من التدابير التي اتخذتها مصر منذ نشوء الازمة حتى التحشد في سيناء وسحب قوات الطوارىء الدولية واغلاق مضيق العقبة وقال **((نحن مستعدون لاسرائيل ومن هم وراء**

اسرائيل ولا يهمنا امريكيا ولا غير امريكيا نحن لن نبدأ بالعدوان ... نحن لا نريد الحرب ولكن لا نريد ايضاً التراجع تحت الضغوط)) [٢١] ، وعرض كوسجين رداً على ذلك من جديد الموقف السوفيتي الرافض للاعمال الحربية وان العملية العسكرية لن تتمخض عن النتائج التي يتوخاها الرئيس عبد الناصر والبلدان العربية الاخرى ، وانه يتعين البحث عن طرق اخرى للتسوية[٢٢] ، وان الاتحاد السوفيتي يؤيد كل الاجراءات التي قامت بها مصر بقوله **((انه من الناحية السياسية انتصرتم ... ومن الناحية العسكرية انتصرتم ايضاً، ماذا تريدون الان ... رأي انه من الممكن الاكتفاء بما وصلتم اليه ...))** [٢٣] .

استمرت المفاوضات ثلاثة ايام وفي صباح اليوم الرابع نقل شمس بدران قول الرئيس جمال عبد الناصر بان القائد المصري لن يلجأ الى الاعمال العسكرية اذا كان الاصدقاء السوفيت يعتقدون بانه لا ضرورة لذلك[٢٤] ، ومن جهة ابلغ كوسجين شمس بدران بان الاتحاد السوفيتي يقف مع مصر ولن يسمح لاي دولة ان تتدخل الى ان تعود الامور الى ما كانت عليه عام ١٩٥٦ **((على العموم اساطيلنا تحت امرتكم))** [٢٥] .

كذلك طمئن وزير الدفاع السوفيتي جرينشكو ألوفد المصري ، اذ قال: **((اطمئنوا لكل طلباتكم سنعطيها لكم (يقصد الاسلحة) ... واريد ان اوضح لك انه اذا دخلت امريكيا الحرب فسوف ندخلها بجانبكم ... ان اسطولنا في البحر الابيض قريب من شواطئكم الان ويه من المدمرات والغواصات المسلحة بصواريخ واسلحة لا تعلموها ... هل فهمت تماماً ما اعنيه ؟ ... اريد ان أكد لكم ان اذا حدث شيء واحتجتم لنا فمجرد ارسال اشارة نحضر لكم فوراً في بور سعيد او أي مكان))** [٢٦] ، وفي يوم ٢٨ ايار ١٩٦٧ غادر الوفد المصري موسكو متوجهاً الى القاهرة .

من جانب اخر قابل عبد الحكيم عامر السفير السوفيتي في القاهرة يوم ٢٦ ايار وسأله عن امكانية الحكومة السوفيتية تزويد مصر بصورة جوية واضحة عن انتشار القوات (الاسرائيلية) على الحدود السورية عن طريق اقمارهم الصناعية ، فكان رد موسكو من انهم لم يستطيعوا ان يقررو ما اذا كانت الحشود (الاسرائيلية) استفزازاً متعمداً ام انها اجراءات وقائية لمواجهة أي محاولة من الجانب السوري للتوغل في الاراضي المحتلة ورجحت موسكو ان تلك التحشدات دفاعية[٢٧] ، وكذلك التقى السفير السوفيتي في القاهرة مع الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٧ أيار وتسليمه رسالة مستعجلة من موسكو حول الوضع في المنطقة [٢٨].

اما في مجال التعاون العربي فقد عقدت الجمهورية العربية المتحدة اتفاقية مع الأردن يوم ٣٠ايار١٩٦٧ [٢٩]،عدتها(إسرائيل) ضربه للنفوذ الغربي في المنطقة ورأت إحكاما لتطويقها ، وفي يوم ١حزيران ١٩٦٧ شكلت (إسرائيل) وزارة حرب كان وزير الدفاع فيها موشي ديان، الذي أختار يوم ٥حزيران بعد تفويض من الوزارة بتحديد الوقت والمكان والطريقة لشن الحرب، وكان التفكير الأمريكي يتركز في توجيه (إسرائيل) ضربه لمصر يترتب عليها أحراج الاتحاد السوفيتي وتدمير جزء كبير من الأسلحة السوفيتية المتوفرة في مصر، واختبار أنظمة السلاح الغربي في مقابل أنظمة السلاح السوفيتي في المعركة ،وإسقاط هيبة الرئيس جمال عبد الناصر وان أمكن نظامه ،ولتمكين (إسرائيل) من الاستيلاء على أراضي جديدة يضغطون بها للوصول إلى تسوية شاملة للصراع العربي (الإسرائيلي).

ثالثا: موقف الاتحاد السوفيتي من العدوان (الاسرائيلي) على مصر

شنت (إسرائيل) في صباح يوم ٥حزيران١٩٦٥ [٣٠] حرب ضد الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن، وجهة خلالها ضربة أستباقية للمطارات فحطمت القوة الجوية المصرية،وأصبح الجيش العربي تحت رحمة الطائرات(الإسرائيلية)

وتردت الأوضاع العسكرية، وانتهى الأمر بهزيمة عسكرية فادحة خلال ستة ايام تركت أراضي شاسعة تحت الاحتلال (الإسرائيلي) [٣١] ، اذ احتلت (إسرائيل) في الأيام الستة من الحرب ما خططت له فعلاً، فقد سيطرت على مرتفعات الجولان السورية لتصبح مطلة من هناك على دمشق، كما تمكنت من احتلال الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية واحتلال قطاع غزة، وصحراء سيناء، والمضايق الإستراتيجية ومناطق منتخبة من جنوب لبنان[٣٢].

كان أول رد فعل للاتحاد السوفيتي على ذلك العدوان، هو بيان للحكومة أذاعه راديو موسكو في اليوم نفسه، وبدأ بإعلان أن (إسرائيل) بدأت بالعدوان على الدول العربية، وإعلان العراق والجزائر ودول عربية أخرى عن مساندة مصر بقواتها العسكرية[٣٣]، وأضاف البيان مهدداً (أسرائيل) ((**أختارت طريق الحرب، ويمكننا أن نشك في أن المغامرة التي قامت بها [أسرائيل] سوف تدور دائرتها على [أسرائيل] نفسها اولاً واخيراً**)) ،وأعلن الاتحاد السوفيتي ((**عن مساندته الحاسمة لحكومات وشعوب الجمهورية العربية المتحدة، وسوريا والعراق والجزائر والأردن والدول العربية الأخرى**))، وأدان البيان العدوان وقال أن الحكومة السوفيتية ((**تطالب تلك الحكومة [إسرائيل] بأن توقف فوراً وبدون قيد أو شرط الإعمال العسكرية... وأن تسحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة وذلك كأول الإجراءات العاجلة في سبيل القضاء على الصدام العسكري**)) [٣٤]، واستقبل عبد الحكيم عامر يوم ٦ حزيران ١٩٦٧ السفير السوفيتي وذكره بمطالب الحكومة المصرية واحترامها لوجهة نظر الحكومة السوفيتية بعدم البدء بالعمليات العسكرية ضد (اسرائيل) واضاف ((**انكم انتم الذين منعتمونا من توجيه الضربة الاولى ، وقد حرمتمونا زمام المبادرة وهذا تواطؤ**))[٣٥].

أذاعت موسكو بياناً للحكومة يوم ٧حزيران ١٩٦٧ موجها لحكومة (إسرائيل) نددت فيه (بإسرائيل) واستمرارها في خرق قرار مجلس الأمن بوقف أطلاق النار [٣٦] ((بوقاحة وتعمد)) ،وأضاف البيان مهدداً ((**وإذا لم تقم حكومة (إسرائيل) فوراً بتنفيذ المطالبة العامة من جانب الدول بالإيقاف الفوري لإطلاق النار الذي عبر عنه قرار مجلس الآمن، فأن الاتحاد السوفيتي سوف يعيد النظر في موقفة تجاه (إسرائيل)، وسوف يتخذ قراراً يتعلق بمستقبل المحافظة على العلاقات الدبلوماسية مع (إسرائيل) التي تقف بأعمالها في وجه كل الدول المحبة للسلام، ومن البديهي أن تنظر حكومة الاتحاد السوفيتي في اتخاذ الإجراءات اللازمة والمترتبة على السياسة العدوانية (لإسرائيل) وان تقوم بتحقيق هذه الإجراءات**)) [٣٧].

كان موقف الاتحاد السوفيتي من المقدمات التي سبقت الاعتداء (الإسرائيلي) على مصر يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ يتعلق بموقع الحشود العسكرية (الإسرائيلية) على الحدود السورية، وكذلك موضوع مطالبة الاتحاد السوفيتي لمصر ضبط النفس ولا تكون البادئة بالحرب، ويذكر الباحث وحيد رأفت ((**أن بعض النصائح قد كلفتنا ثمناً غالياً، ويكاد يكون من المحقق انه لولا نصيحة السفير السوفيتي في القاهرة للرئيس جمال عبد الناصر في ٢٧ أيار ١٩٦٧ بضرورة ضبط النفس وألا تكون مصر هي البادئة بالعدوان لما أعار جمال عبد الناصر انتباها للنصيحة الأمريكية المماثلة...**)) [٣٨].

رابعا: موقف الاتحاد السوفيتي من قرارات مجلس الأمن لوقف أطلاق النار والانسحاب (الإسرائيلي) من الأراضي المحتلة

على الرغم من كل ذلك الشجب للعدوان (الإسرائيلي) من قبل الاتحاد السوفيتي، ألا أن العدوان رحب به من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ووقفت إلى جانب (إسرائيل) بوضوح في مجلس الأمن[٣٩] ،ورفضت الاعتراف بوجود عدوان (إسرائيلي)، ورفضت أيضاً انسحاب القوات المعتدية لمواضع يوم ٤حزيران١٩٦٧، وكان الجهد الأمريكي علني فقد بذل الرئيس الأمريكي جونسون كل ما في وسعه داخل مجلس الأمن وخارجه لمنع المجلس من مطالبة (إسرائيل) بالانسحاب، مستخدما في ذلك كل وسائل الضغط والتعويق والمناورة [٤٠].

بالوقت الذي طلبت الدول العربية وبعض دول العالم الثالث من مجلس الامن ان لا يكتفي بمجرد الدعوة الى وقف اطلاق النار ، وانما بان يفرض على (اسرائيل) الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها ، وتبنى الاتحاد السوفيتي ذلك المطلب وتقدم بمشروع قرار الى مجلس الامن بعد التشاور مع مصر وسوريا[٤١].

كذلك قدم مندوب الاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن يوم ٧حزيران١٩٦٧ خطاباً لرئيس مجلس الآمن، يطالب فيه بعقد جلسه عاجله للمجلس للاستماع لتقارير الأعضاء المهتمين بوقف إطلاق النار وجميع الإعمال الحربية، وفي يوم ٨حزيران عاد المندوب السوفيتي فقدم خطاباً لرئيس مجلس الأمن باسم حكومته طالب فيه بعقد جلسه طارئة للمجلس لاتخاذ قرار بفرض عقوبات على (إسرائيل) لاستمرارها في العمليات العسكرية رغم قراري مجلس الأمن لوقف إطلاق النار وكل العمليات العسكرية ، وطالب بسحب (إسرائيل) لقواتها خلف خطوط الهدنة، وفي اليوم نفسه قدم المندوب السوفيتي اقتراح مشروع قرار مجلس الأمن يقول ((**نظراً لان (إسرائيل)**

لم تحترم قراري مجلس الأمن ٢٣٣ في ٦حزيران و ٢٣٤في ٧حزيران١٩٦٧ بوقف أطلاق النار، وأخذا في الاعتبار ان (إسرائيل) لم توقف القتال فقط بل أنها قامت أيضا باستغلال الوقت الذي اتخذ فيه المجلس قراره واحتلت مزيداً من الأراضي في كل من مصر والأردن[٤٢]، ونظراً لان (إسرائيل) لم توقف عدوانها الذي تستنكره الأمم المتحدة وجميع الدول المحبة للسلام:-

أ- يدين المجلس بشدة إعمال (إسرائيل) العدوانية وعدم انصياعها لقرارات المجلس ولميثاق الأمم المتحدة ومبادئه.

ب- يطالب بضرورة ان توقف (إسرائيل) إعمالها العسكرية ضد الدول العربية المجاورة وسعيها خرق خطوط الهدنة)).

لكن الاقتراح لم يرى النور لأن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت مشروع قرار لا يتحدث عن سحب القوات المعتدية إلى ما وراء خطوط الهدنة[٤٣].

استمر الاتحاد السوفيتي بمطالبة المجتمع الدولي لاصدار قرار ضد(اسرائيل) فقدم مشروع جديد يوم ١٢ حزيران ١٩٦٧ وكان ذلك المشروع على اساس الدعوة لانسحاب (اسرائيل) الى خطوط الهدنة واستنكار العدوان ، لكن المشروع لم ينال سوى اربعة اصوات في مجلس الامن (الهند ومالي وبلغاريا والاتحاد السوفيتي) ، وعندئذ عمل الاتحاد السوفيتي الى تعديل مشروع القرار فحذف عبارة ((خطوط الهدنة)) واكتفى بالانسحاب فقط ، الا ان المشروع ايضاً لم ينل سوى صوتين اضافين (اثيوبيا و نيجيريا) ، وفي الاجتماع الذي تم بين رئيس الحكومة السوفيتية كوسجين والرئيس الامريكي جونسون يوم ١٧ حزيران ١٩٦٧ حاول كوسجين اقناع جونسون بضرورة انسحاب (اسرائيل) من الاراضي العربية المحتلة الا ان الرئيس الامريكي لم يرضخ لتلك الدعوات [٤٤] .

من جهة اخرى صدر في موسكو يوم ٩حزيران ١٩٦٧ [٤٥] بيان اللجان المركزية للأحزاب الشيوعية العالمية وحكومات الجمهوريات الاشتراكية، عن الموقف في الشرق الأوسط جاء فيه ((**استعرض المجتمعون الموقف الراهن في الشرق الأوسط والناجم عن عدوان [إسرائيل] على الدول العربية نتيجة لتأمر قوى امبريالية معينه وعلى رأسها الولايات المتحدة، ولقد تبادل المشتركون في الاجتماع الرأي بالنسبة للإجراءات اللازمة لوضع حد للعدوان ولتلافي عواقبه الخطيرة على قضيه السلام العالمي...، وتعرب البلدان الاشتراكية لدول المشرق العربي في هذا الوقت العصيب الذي تمر به، عن تضامنها الكامل مع نضالها العادل وتؤكد انها سوف تقدم للدول العربية المساعدة اللازمة لصد العدوان والدفاع عن استقلالها الوطني ووحدة أراضيها...، وتطالب الدول المشتركة في الاجتماع [إسرائيل] بأن تكف وعلى الفور عن الإعمال العسكرية ضد البلدان العربية المجاورة وأن تسحب كل قواتها من أراضي البلدان العربية إلى ما وراء خط الهدنة))** [٤٦].

كان يوم ١٠حزيران ١٩٦٧ يوم توقف القتال على الجبهة السورية بعد الجبهتين المصرية والأردنية، وكان واضحاً أن الاتحاد السوفيتي لم يكن في حال تسمح له أن يتصرف بقوة مثلما تصرف في العدوان على مصر عام ١٩٥٦، عندما صدر عنه ماعرف بالإنذار السوفيتي لدول العدوان الثلاثي ، اذ كان أحد أسباب قيام الحرب العربية (الإسرائيلية) يعود للإدارة السوفيتية في مواجهة تطور القوة النووية للأسطول السادس الأمريكي بالاعتماد على تواجد الأسطول الخامس السوفيتي في عين المكان، ولم يكن للأسطول السوفيتي مرفىء للرسو فيها، بعد أن اصطدمت سياسة موسكو برفض مصر وسوريا الموافقة على ذلك، بالوقت الذي دفعت فيه السياسة الأمريكية الحكومات العربية نحو حوار محصور بالاتحاد السوفيتي، استغلت بموجبها موسكو التوترات في الشرق الأوسط لزيادة تبعية مصر وسوريا لها للحصول

على المرافئ، اذ أكد فيه المسؤولين السوفيت للمصريين نهاية شهر أيار ١٩٦٧ دعمهم لهم فانهم لم يحسنوا السيطرة على التصعيد الذي أدى إلى حرب لم يكن احد يريد وقوعها، وعندما تحدث كوسجين رئيس الوزراء الاتحاد السوفيتي عن تلك الحرب إمام مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية نهاية عام ١٩٦٧ قال **((أن الاتحاد السوفيتي لم تكن لديه وسيله للتدخل))** ،وبرر ذلك بعدة مبررات منها ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت تمتلك قواعدها القريبة من مسرح العمليات ،وان الأسطول السادس الأمريكي يتحرك بحرية بشكل لم يتوفر للأسطول السوفيتي الذي لا قواعد له يستند إليها، وان حلفاء الولايات المتحدة قدموا لها التسهيلات للتدخل في حين ان العرب من أصدقاء السوفيت كانو **((شديدي الحساسية إزاء آية تسهيلات يقدموها لنا))**، وانهى كوسجين حديثة بالقول :**((إن الاتحاد السوفيتي لم يكن لديه في اللحظات الحاسمة من أزمة الشرق الأوسط إلا أن يهدد بحرب نووية لوقف العدوان، ولا احد منا ومنكم يريد أن يتحمل مسؤولية حرب نووية))** [٤٧].

أن عدوان حزيران ١٩٦٧ قلل من هيبة وسمعة الاتحاد السوفيتي في الوطن العربي، بالوقت الذي ألقت فيه بعض الأوساط العربية الرسمية بالمسؤولية على الاتحاد السوفيتي لإحجامة عن التدخل العسكري إلى جانب العرب[٤٨]، اذ كان الرئيس جمال عبد الناصر يعرف حقد الكثير من العرب على الاتحاد السوفيتي الذين عدوه المسؤول عن هزيمة حزيران ١٩٦٧، فعمل على طلب المساعدة السوفيتية بشكل كبير وزاد من الوجود السوفيتي في المنطقة العربية ومصر على وجه الخصوص بتهيئة مستشارين وتسهيلات بحرية على الأراضي المصرية لصد هجمات (إسرائيلية) محتملة، فأدى ذلك إلى إعادة بناء القوة العسكرية المصرية، وامتلاك الرئيس جمال عبد الناصر عنصر المساومة مع الأمريكان من اجل إرجاع الأراضي المحتلة، فكلفت مصر الاتحاد السوفيتي لتمثيلها في المفاوضات مع

الولايات المتحدة الأمريكية من اجل تسوية النزاع، مما دفع الساسة السوفيت الى أعادة النظر في سياستهم الخارجية وإعادة بنائها، فكانت لها دوراً مؤثراً في تجاوز تلك المحنه ،من خلال نجاحها في معالجة الصراع العربي (الإسرائيلي) [٤٩]، ومن ثم القيام بزيارات متبادلة بين القادة السوفيت وبين كل من مصر وسوريا والعراق. ففي يوم ٢١ حزيران ١٩٦٧وصل الرئيس السوفيتي نيكولاي بودجورني إلى القاهرة على رأس وفد رسمي للقاء الرئيس جمال عبد الناصر، وبعد مباحثات بين الجانبين أنهى الرئيس السوفيتي زيارته يوم ٢٤حزيران وفي تموز من العام نفسه وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى موسكو في زيارة أسفرت عن موافقة الحكومة السوفيتية على طلبات الأسلحة التي طلبها لتجهيز الجيش المصري[٥٠].

فضلاً عن دور الاتحاد السوفيتي في أروقة الأمم المتحدة وإدارة الأزمة بما يخدم مصلحة العرب ، اذ ادت الدبلوماسية السوفيتية دوراً واضحاً في نقل القضية العربية الى الجمعية العامة ، ففي ٢٣حزيران ١٩٦٧ قدم مندوب الاتحاد السوفيتي مشروع القرار العربي لحل الازمة الذي عرض على الجمعية العامة، مطالباً(اسرائيل) بالانسحاب الى خطوط الهدنة وانزال العقوبة بها اذا امتنعت عن التنفيذ ، الا ان ذلك القرار لم يحصل على اغلبية الثلثين اللازمة لاقراره ، وكان العامل الرئيسي وراء ذلك الاخفاق هو نجاح الدعاية (الاسرائيلية) والامريكية في اقناع كثير من دول العالم بضرورة الربط بين الانسحاب وبين تحقيق السلام في الشرق الاوسط ، وهي الفكرة الغائبة في المشروعين المرفوضين سابقاً[٥١].

لم يتم التوصل إلى صيغة نهائية ومحددة للمشروع كحل نهائي للازمة، بالوقت الذي واصل فيه الجيش (الإسرائيلي) اعتداءاته خلال شهر تموز على الجيش المصري، فوجه الاتحاد السوفيتي تحذيره في بيان سياسي رفعة الى رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة بين فيه الاعتداءات (الإسرائيلية) ومهمة الجمعية في

التصدي ونشر السلام في المنطقة، وبدأت الأمم المتحدة المناقشات في شهر أيلول دون التوصل إلى قرار، بالوقت الذي أستأنف القتال في قناة السويس، فدعيت الجمعية العمومية للاجتماع وبعد مناقشات ومداولات تم قبول المشروع البريطاني يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ وصدر القرار رقم ٢٤٢[٥٢]، الذي تضمن النص على ((**انها كل ادعائات او حالات الحرب ، واحترام السيادة والوحدة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في ان تعيش بسلام ضمن حدود امنة ومعترف بها متحرره من التهديد واعمال القوة**)) [٥٣] الذي قبلته مصر والاردن ولبنان ورفضته (اسرائيل) [٥٤].

ان ذلك القرار كان مؤثراً على انتقال الصراع بين العرب و(اسرائيل) الى مرحلة جديدة تماماً ، فبعد ان كان العرب قبل حرب ١٩٦٧ يتجاهلون التسوية مع(اسرائيل) ويصرون على رفض الاعتراف بها ويتشبثون بنظام الهدنة ، اذ بهم يقبلون مبادىء جديدة تنطوي على انها الصراع وتسويته مقابل انسحاب (اسرائيل) من الاراضي العربية ، وبعد صدور القرار ابتعد الاتحاد السوفيتي جزئياً عن ميدان التسوية تاركاً الفرصة لجهود الامم المتحدة الهادفة الى تنفيذ بنود ذلك القرار [٥٥] .

تلى تلك المباحثات والتصريحات التي أدلى بها بودغورني حول موقف الاتحاد السوفيتي الايجابي من القضايا العربية، فأجرى الرئيس جمال عبد الناصر مشاورات مكثفة مع الرؤساء العرب للوصول الى موقف عربي موحد يتلائم مع عظم النكسة التي حلت بالعرب، فعقد مؤتمر قمة عربي (للصمود والتحدي) في القاهرة يوم ١٣تموز ١٩٦٧ وأنهى المؤتمر إعماله يوم ١٦ تموز بإرسال ممثلين عرب إلى الاتحاد السوفيتي لعرض المطالب العربية[٥٦]، اذ طلب الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٦تموز ١٩٦٧ من الرئيسين عبد الرحمن عارف وهواري بومدين، التوجه الى الاتحاد السوفيتي لإجراء مباحثات مع القادة السوفيت نيابة عن الدول العربية، وفي

يوم ١٧تموز وصل الرئيسين إلى موسكو واجريا في اليوم نفسه واليوم التالي محادثات مع الزعماء السوفيت، أعربا خلالها عن شكر البلاد العربية للاتحاد السوفيتي على وقوفه إلى جانبهما بعد عدوان حزيران ١٩٦٧، وطلب من الاتحاد السوفيتي زيادة مساعداته العسكرية والاقتصادية للدول العربية التي تعرضت للعدوان، وصدر بيان رسمي في موسكو جاء فيه((**أن المحادثات بين الرئيسين وبين المسؤولين في الاتحاد السوفيتي أظهرت أن الاتفاق كان تاماً بينهم على أن تصفية اثار العدوان [الاسرائيلي] هو أهم شرط لاعادة السلام في الشرق الاوسط**))[٥٧].

الخاتمة:

اولا: على الرغم من تصاعد دور الاتحاد السوفيتي في المنطقة ،الا ان ذلك الدور بقي محدودا لو قورن بدور الولايات المتحدة الامريكية.

ثانيا : ان الاتحاد السوفيتي عوض موقفة السياسي الضعيف تجاة القضية العربية بالدعم العسكري الكبير للقوات المسلحة العربية.

ثالثا : كانت المبادرات والمشاريع السلمية التي طرحها الاتحاد السوفيتي في اروقة الامم التحدة افتقرت الى الافكار والحلول الجذرية واتسمت بالعمومية.

رابعا : ان ماحصل للعرب في حرب عام ١٩٦٧ لايمكن تحميل مسؤوليتة على الاتحاد السوفيتي فالمسئولية تقع على العرب بالدرجة الاولى.

خامسا : بالوقت الذي كان فيه العرب يقومون الوضع من منظور صراع عربي (اسرائيلي) ، كان الاتحاد السوفيتي ينظر الى الحرب من زاوية تقييم موقف دولي وصراع مع الولايات المتحدة الامريكية ، فالسياسة الخارجية السوفيتية لاتستطيع تقديم الدعم للعرب اكثر مما تملية عليها مصالحها في المنطقة والعالم.

سادسا : كان لتاثير حرب عام ١٩٦٧ كبيرا على الاتحاد السوفيتي ، اذ اخذ يفكر باتباع ستراتيجية شاملة في المنطقة لتسوية الصراع العربي (الاسرائيلي) تلبي احتياج علاقاتة الخاصة مع بعض الدول العربية ومتطلبات التعامل مع الولايات المتحدة الامريكية.

سابعا : تؤكد مجريات الاحداث على الساحة العربية خلال عام ١٩٦٧ من ان الاتحاد السوفيتي ، لم يكن له مخرج اخر عير تأييد القضية العربية لان (اسرائيل) لم تعطي أي اهتمام لنداءات موسكو لوقف العدوان ، وكان من

الضروري دعم مصر وامنها وعدم تخليها عنها ، وخاصة بعد ان منع الاتحاد السوفيتي الرئيس المصري من المبادرة ببدأ العمليات العسكرية .

ثامنا : في ضل تلك الظروف لايمكن ان ننسى دور الولايات المتحدة الامريكية في دعم (اسرائيل) ، وعدم اعتراضها على قيامها بالعدوان العسكري ضد الدول العربية ، بالوقت الذي حذرت فيه واشنطن الرئيس جمال عبد الناصر من مغبة بدأ العمليات العسكرية.

تاسعا : على العرب ان يتعلموا الدروس والعبر من الاحداث التاريخية سواء حرب عام ١٩٦٧ او ما سبقها ، من ان الاعتماد على الامكانيات الذاتية والتقدير الصحيح للقدرات العسكرية والمادية والاخذ بمبدأ المباغتة هو السبيل الوحيد للانتصار في أي مواجهة مع (اسرائيل).

الهوامش:

(١) بدات في نيسان ١٩٦٣ مباحثات في القاهرة بين العراق وسوريا ومصر لاعلان الوحدة بينهم الا ان تلك المباحثات لم تثمر عن ماكان العرب يحلمون به.

ينظـــر: فـــؤاد مطـــر، بصـــراحة عـــن عبـــد الناصـــر،بيروت، دار القضايا،١٩٧٥،ص١٢٩.

(٢) ليندون ب. جونسون:- ولد عام ١٩٠٨،وهو الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الامريكية (١٩٦٣-١٩٦٩)،بعد عملة لمدة طويلة بالكونكرس الامريكي اصبح نائب الرئيس الامريكي جون كندي ،ونجح بتولي الرئاسة بعد اغتيال كندي،ثم انتخب كرئيس عام ١٩٦٤ كان اهم قادة الحزب الديمقراطي ونجح في اصدار مجموعه من التشريعات الاصلاحية منها قانون الحقوق المدنية والرعاية الصحية لكبار السن والمعاونة على التعلم ومحاربة الفقر ،وفي نفس الوقت زاد مـن التـدخل الامريكـي فـي فيتنـام ،ونتيجـة للاضـطرابات السياسـية فـي حزبـه تدهورت شعبيته واضطر للانسحاب من سباق الانتخابات عام ١٩٦٨، توفي عام ١٩٧٣.

ينظر:شبكة الاتصالات الدولية (الانتر نت)،٣١ اذار ٢٠١١

www. Googel.com.

(٣) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، القاهرة، مركز الاهرام، ج١، ص٧٠٢-٧٠٤.

(٤) فـؤاد المرسـي خـاطر، العلاقـات العربيـة السـوفيتية،القاهرة ،مكتبـة الظـاهر، ص١٢٠.

(٥) أكاديميـة العلـوم فـي الاتحـاد السـوفيتي، موسـكو،دار التقدم،١٩٧٥، ص١٥٢؛ هنري لورنس، اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية،ترجمة محمد مخلوف،قبرص،دار قرطبة،١٩٩٢،ص٢٢١.

(٦) ف.ب.لادكـــين، مصـــدر الازمـــة الخطيـــرة ،ترجمـــة هاشـــم هـــادي، دمشق،١٩٧٥،ص٢٦٧.

(٧) صحيفة برافدا، موسكو،العدد(١٥٢٤٢)١١٨،في ٢٧نيسان ١٩٦٧.

(٨) الكسي كوسجين: سياسي ورجل دولة سوفيتي ،ولد عام ١٩٠٤،والتحق بالجيش الاحمر ابان الحرب الاهلية التي نشبت في نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨،انضم الى الحزب الشيوعي عام ١٩٢٧ ،وفي عام ١٩٣٩عين وزيرا للصناعة النسيجية ولم يغادر مسؤوليته الحكومية منذ ذلك التاريخ ،وفي الوقت عينـه كـان يرتقـي سلم المسؤوليات الحزبيـة،ترأس الحكومـة السوفيتية منذ عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٨٠.

شبكة الاتصالات الدولية (الانترنت)، ١٣ آذار ٢٠١١،

http://ar.viprussians.com

(٩) فؤاد المرسي خاطر، المصدر السابق ،ص١٢٩.

(١٠) المصدر نفسه،ص١٣٣.

(١١) اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، المصدر السابق،ص١٥٢.

(١٢) حســن الحكيم،الوثــائق التاريخيــة المتعلقــة بالقضــية الســورية،بيروت،دار الصياد،١٩٧٤،ص١١٠.

(١٣) محمد فوزي ،حرب الثلاث سنوات ،ط٣،القاهرة ،١٩٨٤،ص٦٩-٧٠.

(١٤) محمد حسنين هيكل ،الانفجار ١٩٦٧،القاهرة،١٩٩٠،ص٤٥٣.

(١٥) المصدر نفسه، ص٥١٩-٥٢١.

(١٦) فؤاد المرسي خاطر، المصدر السابق، ص١٣٨.

(١٧) ينظر: محمد حسنين هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص٥٨٠-٥٩٠؛ محمد فوزي، المصدر السابق، ص١٠١.

(١٨) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،
http// 4 FLYing . com

(١٩) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢، http// pan. gel.
وصل السيد (اوثانت) الامين العام للامم المتحدة الى القاهرة يوم ٢٣ ايار ١٩٦٧ واجرى اتصالات تمهيدية مع الرئيس جمال عبد الناصر ووزير الخارجية محمود رياض في مسعى لحل الازمة .

(٢٠) شبكة الاتصالات الدولية (الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،
http// 4 FLYing . com

(٢١) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،
http// defense – arab .com

(٢٢) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،
http// 4 FLYing . com

(٢٣) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢، http// pan. gel.

(٢٤) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،
http// 4 FLYing . com

(٢٥) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،
http// defense – arab .com

(٢٦) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢، http// pan. gel.

(٢٧) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// defense – arab .com

(٢٨) توجه وفد عراقي برئاسة طاهر يحيى نائب رئيس الوزراء يوم ١٨ أيار ١٩٦٧ الى القاهرة، لاجراء مباحثات في نطاق القيادة السياسية الموحدة لاتخاذ موقف موحد في مواجهة التحديات الصهيونية، وكان العراق قد أرسل قوة مشاة كقوة رمزية لاسناد الجبهة المصرية بناءً على قرار جامعة الدول العربية، وفي يوم ١حزيران ١٩٦٧ ودع الرئيس عبد الرحمن عارف أسراب من طائرات القوة الجوية العراقية وقوات برية متوجه إلى الجبهة أيضا، وفي يوم ٤حزيران أحتفل في قصر القبة في القاهرة بتوقيع بروتوكول انضمام العراق إلى اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن.

ينظر: جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات في العهد الجمهوري١٩٥٨-١٩٦٨،ط٢،بغداد،٢٠٠٥، ج١٠، ص٨-٢٣؛ سيف الدين الدوري،الفريق طاهر يحيى ضحية الصراعات السياسية والعسكرية في العراق،بيروت،دار العربية للعلوم، ص٥.

(٢٩) بثينة عبد الرحمن ياسين التكريتي،جمال عبد الناصر دراسة تاريخية في نشأة وتطور الفكر الناصري ،اطروحة دكتوراة (غير منشورة)،جامعة بغداد،كلية الاداب،١٩٩٨،ص٣٢.

(٣٠) أن أسباب اختيار (إسرائيل) توقيت يوم ٥حزيران ١٩٦٧ موعداً لبدأ العدوان فيعزى إلى ما يأتي:-

أ- نجاح (إسرائيل) في خلق شعور دولي عام في ان خط العدوان كان ينطلق من مصر لا من جانب (إسرائيل)، بسبب حشد القوات المصرية الكثيف على الحدود مما يشكل استفزاز عسكري بالنسبة لها.

ب- عدت (إسرائيل) أن الحرب آمر مفروض لا محالة ،وان كل طرف كان يريد الإفادة من توجيه الضربة الأولى ،بالرغم من تأكيد الرئيس جمال عبد الناصر بأنه لن يكون البادئ بالهجوم.

ج- أن ذلك التاريخ تم أخيارة بموجب الاتفاق الذي تم في البيت ابيض على أن تسدد (إسرائيل) الضربة الأولى المفاجئة ،وتلحق بها أمريكا دعماً وحماية وإسناد.

ينظر: المصدر نفسة،ص٣٥-٣٦.

(٣١) محمد فوزي، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٣٢) هنري لورنس، المصدر السابق،ص٢٢٩.

(٣٣) في صباح يوم ٥حزيران ١٩٦٧، وبينما كانت طائرة الوفد العراقي برئاسة طاهر يحيى متجهة نحو الجبهة مع (اسرائيل) ،وقبل حدوث العدوان لاحظ الطيار أن هناك طائرات (إسرائيلية) تحيط بطائرة طاهر يحيى والوفد المرافق له، وبعد ذلك بلحظات وفوق منطقة فايد العسكرية اطلقت الطائرات (الإسرائيلية) النار على طائرة طاهر يحيى مما أدى إلى هبوطها اضطرارياً على مدرج القاعدة بعد احتراق محركها، علماً بأن كانت هناك طائره أخرى تقل وزير الحربية المصري المشير عبد الحكيم عامر لم تتعرض لها الطائرات (الإسرائيلية) عادت إلى القاهرة دون إصابات، ويذكر الباحث سيف الدوري أن حادث الهبوط الاضطراري أدى إلى استشهاد احد مرافقي طاهر يحيى الأمر الذي نفته الباحثة علياء حسين.

ينظر: سيف الدين الدوري ، المصدر السابق،ص٧٦؛علياء محمد حسين الزبيدي، ، ص٣١٠.

(٣٤) صحيفة برافدا ،موسكو،العدد(١٤٩١٦) ١٥٧، في ٦حزيران ١٩٦٧.

(٣٥) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// 4 FLYing . com

(٣٦) انعقد مجلس الأمن يوم ٦حزيران ١٩٦٧، واتخذ قراراً بوقف إطلاق النار برقم ٢٣٣ ولم يتحدث عن انسحاب القوات إلى موقعها السابقة للعدوان، فبادرت كل من فرنسا والهند بتقديم مشروع قرار لمجلس الأمن يطالب بوقف إطلاق النار فوراً وانسحاب القوات الإسرائيلية الى مواقعها قبل يوم ٥حزيران، وكان الاتحاد السوفيتي مؤيداً لذلك المشروع، بينما بقيت الولايات المتحدة الأمريكية تصر على عدم الإشارة للانسحاب، وفي يوم ٧حزيران اصدر مجلس الأمن قراراً برقم ٢٣٤ كرر فيه ما جاء في قراره الأول ليوم ٦حزيران، وكانت الإضافة الوحيدة هي ((بضرورة توقف كافة العمليات العسكرية يوم ٧حزيران الساعة الثامنة مساءاً بتوقيت جرنيش)).

ينظر: ف . ب. لادكين، المصدر السابق، ص٢٩٠.

(٣٧) فؤاد المرسي خاطر، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣٨) وحيد رأفت ،العالم العربي والاستراتيجية السوفيتية المعاصرة، الاسكندرية،١٩٧٦،ص٣٥.

(٣٩) لقد آزر الشعب العراقي ووقف إلى جانب مصر مستنكراً العدوان (الإسرائيلي) الغادر، وطالب بحمل السلاح والقتال إلى جانب أشقائه في مصر، وقررت الحكومة العراقية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا يوم ٦حزيران١٩٦٧ لتعاونهما وإشتراكهما في العمليات العسكرية الجوية ،وإسنادها العدوان (الإسرائيلي) بنشر مضله جوية وأمنيه فوق أراضيها باستخدام حاملات الطائرات الأمريكية في البحر المتوسط وكذلك قواعدها القريبة من جبهات القتال.

علياء محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص٣١٣.

(٤٠) ف . ب . لادكين، المصدر السابق، ص١٠٧.

(٤١) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// ahram. Otg. eg

(٤٢) أن الانهيار العسكري على الجبهة العربية دفع الرئيس جمال عبد الناصر إلى القبول بوقف إطلاق النار يوم ٨حزيران ١٩٦٧ وبغير شروط وكذلك فعلت الأردن، بينما استمرت (إسرائيل) في عملياتها العسكرية حتى أتمت احتلال سيناء، وركزت (إسرائيل) جهدها العسكري على سوريا وهاجمت الاراضي السورية يوم ٩حزيران ولم تطل مهمتها هناك حتى حققت أهدافها باحتلال الجولان في ١٠حزيران١٩٦٧.

محمد حسنين هيكل ، الانفجار١٩٦٧، ص٧٥.

(٤٣) فؤاد المرسي خاطر، المصدر السابق ، ص١٥١.

(٤٤) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// ahram. Otg. eg

(٤٥) محمد حسنين هيكل ، الانفجار١٩٦٧، ص٧٥.

(٤٦) فؤاد المرسي خاطر، المصدر السابق ، ص١٥٣؛ هنري لورنس ، المصدر السابق ، ص٢٣١.

(٤٧) ينظر: هنري لورنس،المصدر السابق،ص٢٢٦؛ محمد حسنين هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص٧٦٥-٧٧٦.

(٤٨) أن أسباب نكبة العرب في عدوان حزيران ١٩٦٧ تكمن في عوامل اهمها:-

أ- عدم وجود موقف سياسي موحد بين الدول العربية.

ب- انعدام الوحدة العسكرية بين الدول العربية.

ج- ضعف القيادة العسكرية من حيث التفكير العسكري والكفائه العسكرية وانصرافه إلى قضايا الاضطرابات الداخلية.

د- فضح الإسرار العسكرية العربية عن طريق المسؤولين والصحافة والمؤتمرات وأجهزة الإعلام.

هـ- انعدام المؤسسات العلمية المنتجة والمعاهد التكنيكية وضعف الجامعات الوطنية.

ينظر: توفيق سلطان اليوزبكي وآخرون، دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية، ط٢، الموصل، ١٩٧٤، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٤٩) ينظر: هنري لورانس، المصدر السابق، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٥٠) سليمة ساطع محمد علي صالح الربيعي،العلاقات المصرية السوفيتية ١٩٦٥-١٩٦٧، رسالة ماجستير (عير منشورة) ، جامعة الانبار، كلية التربية للبنات ،٢٠٠٧، ص٢٠١-٢٠٥.

(٥١) شبكة الاتصالات الدولية (الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// ahram. Otg. eg

(٥٢) صدر يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ قرار مجلس الامن المرقم ٢٤٢ الذي انهى كل اشكال الاعمال الحربية مابين (اسرائيل) والدول العربية وكان ذلك القرار قد اعترف بحق (اسرائيل) الاحتفاض بالمناطق التي احتلتها بعد يوم ٥حزيران ١٩٦٧.

ينظر:

(٥٣) شبكة الاتصالات الدولية (الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// ahram. Otg. eg

(٥٤) هنري لورنس، المصدر السابق، ص٢٣٨-٢٤٠؛ سليمة ساطع محمد علي صالح الربيعي، المصدر السابق، ص١٩٨-٢٠١.

(٥٥) شبكة الاتصالات الدولية(الانتر نت)،٥ تموز ٢٠١٢،

http// ahram. Otg. eg

(٥٦) حضـر القمـة العربيـة خمسـة رؤسـاء عـرب فقـط وهـم الـرئيس العراقـي عبـد الرحمن محمد عارف والرئيس الجزائري هواري بو مدين والرئيس السوري نور الدين الاتاسي والرئيس السوداني اسماعيل الازهري بالاضافه الى الرئيس جمال عبد الناصر.

علياء محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق ،ص ٣١١.

(٥٧) جعفرعبـاس حميـدي،تاريخ الـوزارات العراقيـة فـي العهـد الجمهـوري،ج١٠ ، ص٤٣.

A MORPHOLOGICAL STUDY OF REDUPLICATION IN ENGLISH WITH REFERENCE TO ARABIC

Hanan Khatab Omer/Assistant Lecturer
English Department/ College of Education for women/ Tikrit University.

1. Introduction:

Language is the best means of human communication changing from time to time by language contact, interference or borrowing from other languages. The influence of such changes is reflected in the appearance of new vocabulary items represented by word formation processes. Reduplication (henceforth Red.) , one of those fertile process, is a linguistic phenomenon found in phonological, morphological, syntactic and semantic levels. Since this study is morphologically concerned, the term Reduplication indicates the recurrence of a morpheme completely like(pooh-pooh) or partially like(tiptop) (Crystal, 2003 : 391, Nadarajan, 2006 :39 and Katamba & Stomham, 2006: 180). Red. is appeared with various conventions: reinforcement, reiteration, recurrence or repetition , but it is distinguished from others in certain characteristics. What discriminates Red. from others are:

A- It is a mere morphological formation.

B- Its wider structure deals with the repetition of roots, stems and affixes or individual words.

C- Its repetitive elements are often juxtaposed(Gil, 2005: 33,37).

Red. is widely used in the grammar of some languages although its level of linguistic productivity varies. Proceeding from the concept of universality, English and Arabic languages are to be compared by examining types, features and functions

of reduplication to pinpoint the similarity and difference of both languages. This study shows how we construct word formation rules in creating inflectional and derivational morphemes exhibiting reduplication. Besides, It aims at revealing similarities and differences between both languages concerning Red. to facilitate the process of learning such topic in general.

2. Definition of reduplication:

Stageberg(1981, 127) states that a new word is formed by doubling a morpheme, while Spencer & Zwicky(2001:130) say that Red. is a morphological phenomenon in which the base , root, stem of a lexeme or a part of it is repeated completely or with a slight change. The word 'base' is an alternative to root or stem that indicates the indivisible unite attached to different affixes(Katamba, 1993: 45).

In the Arabic language , it is known with the words Al-Tikrar (التكرار) or Al- Takrer (التكرير) which indicates the recurrence of a word or an utterance more than one time in one context for the sake of emphasis , threatening, glorification or praise(Al- Sejelmasy , 1980: 476). For more specification, Ibrahim (1973: 31) asserts that it is the duplication of one letter , word, sentence for certain purposes. Since the concept of 'reduplication' presented by Spencer & Zwicky and Ibrahim is equated in content , we will cover the details of this topic relying on their definitions.

3. Types of Reduplication:

Morpheme which is defined as the smallest meaningful unit of a language, is classified into two types: free and bound morphemes.

3.1 Free morphemes:

A free morpheme that can be uttered alone as a word without additional affixes is well attested in English and Arabic languages as well. To form a new lexeme , a free morpheme

could quite commonly be attached to other morphemes with a fully or partially duplicated base.

A- Full reduplication of free morphemes:

This type of recurrence occurs when morphemes or larger linguistic units are repeated totally both in form and meaning(Ghomeshi et al. , 2004: and Nadarajan , 2006 : 41-42)

1- He has an old old view.

2- A murmur of disagreement ran round the room.

Obviously , fully reduplicated bases are rarely found in English .They are either used for emphasis or borrowed from other languages bearing no sense like 'yatter-yatter' .

The letters of Arabic roots are multiple in number(Ibrahim , 1973 : 57 and Al-Mansori & Al-Khafaji, 1990: 17). One of them is called quadrilateral containing four letters to result fully reduplicated stem or word as in:{زلزل → zalzal , وسوس → waswas , تمتم → tamtam }:

3- (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهاَ) (الزلزلة:الآية ١)

When the earth is shaken to her convulsion(Ali , 1989: 1771).

4-(كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً)(الفجر: 21)

Nay When the earth is pounded to powder.(Ali , 1989:1734).

4- جاء جاء زيد

- Jaa jaa Zeid. - Zeid came came.

B-Partial reduplication of free morphemes:

A part of word is repeated to come up with a variety of forms. Since there is no clear-cut between morphological and phonetic boundary in partial reduplication, we mention its types concerning sound change(Spencer and Zwicky,2001:132 and Nadarajan,2006:42) .Partial red. ascribes to the vowel

alteration(ablaut) , consonant alteration(onset) and consonant germination as shown below:

Language	Vowel alteration (Ablaut)	Consonant alteration (Onset)	Consonant gemination
English	criss-cross chit-chat	handy-dandy teeny-weeny	red→reddish sam→samama(poisoned)
Arabic	laflif (warp up) fatfit (break into tiny pieces)	hasin basin khalaf salaf	mar→marrtu (passed) fattit(break into small pieces)

Figure (1): Partial reduplication in both languages.

Ablaut alteration or vowel gradation as named by Crystal (2003:207) shows the relationship between word forms based on variations in the root vowel as in 'criss-cross' to result a compound word with new lexical meaning:

6- The footpaths which criss-cross the countryside.

whereas this procedure is commonly used in Arabic obtained from total reduplication as in:

7- فَتفتَ الولد الخبز

Fatfata Alwaladu Alkobza.

The boy broke the bread into tiny pieces.

8- فتِْفِت الخبز

Fatfit Alkobza.

Break bread into small pieces.

Consonant alteration refers to the replacement of one consonant by another with the repetition of the root word though the second syllable often has no explicit meaning in English :

9-You did not mention the nitty-gritty of your meeting.

Such reduplication is well known in Arabic under the term of (التوكيد) اللفظي .Al-Thaaliby (1952 : 529) claims that the word is followed by word at the same level with a slight difference in terms of focusing as (جائع نائع).In fact , Al-Samaraai has the same notion , but he attributes the partly reduplicated part to break boredom(1990: 529). Thus, the adjective (hasin) in figure(1) is frequently mentioned twice ,then the second part is changed into (basin) to get an interesting utterance.

Partial red. is also reflected from the process of Consonant Gemination. Gemination refers to the duplication of adjacent identical sounds in the same morpheme(Katamba and Stonham, 2006:351).Such case is only attested in final position for the purpose of affixation as in: {put→ putting , red→ reddish , hide→ hidden}.

Consonant gemination is a special case of Red. which is , in turn, one strategy of morphological patterns in Arabic. Arabic roots are mostly trilateral consisting of three consonants with inserted vowels to obtain the pattern CVCVCV as كَتَبَ kataba. This pattern conveys the basic verbal meaning of the root. Morphologically speaking , the second or the third letter is usually assimilated and stressed, but the stressed letter is occasionally dissimilated when attached with other relative pronouns {مرّ :as in mar→ مَررتُ marrtu }. For getting a quadrilateral pattern , the third letter is sometimes reduplicated to result this structure CVCC as sahlal صهلل (Al-Mansori & Al-Khafajy ,1990:17 and Katamba & Stonham, 2006: 165).

3.2 Bound morphemes:

They refer to the affixes which cannot be uttered alone. Their broad categories are inflectional and derivational affixes that may contribute to construct reduplication.(Hudson,2000: 62-64 and Spencer& Zwicky, 2001:63)

a-Reduplication with inflectional morphemes:

Recurrence of inflectional affixes is not attested in English. On the contrary, Arabic red. is represented by accusative masculine plural suffix { ين - } , indicative masculine plural suffix { ون – } and the feminine plural suffix { ات – } as illustrated below:

١٠– (الصَّـابِرِينَ وَالصَّـادِقِينَ وَالْقَـانِتِينَ وَالْمُنفِقِـينَ وَالْمُسْـتَغْفِرِينَ بِالأَسْـحَارِ)(آل عمران:١٧)

Those who show patience, firmness and self control; who are true; who worship devoutly; who spend and who pray for forgiveness in the early hours of morning(Ali, 1989:126).

١١-(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَـاتِ وَالصَّـادِقِينَ وَالصَّـادِقَاتِ وَالصَّـابِرِينَ وَالصَّـابِرَاتِ وَالْخَاشِـعِينَ وَالْخَاشِـعَاتِ وَالْمُتَصَـدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)(الأحزاب:٣٥)

For Muslim men and women, for believing men and women, for devout men and women, for true men and women, for men & women who are patient & constant, for men and women who humble themselves, for men & women who give in charity, for men and women who fast, for men and women who guard their chastity and for men and women who engage much in God prepared forgiveness and great reward(Ali,1989:1116).

١٢– (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(التوبة: ١١٢)

Those that turn to God in repentance; that serve Him, and praise Him; that wander in devotion to the Cause of God; that bow down and prostrate themselves in prayer; that enjoin good and forbid evil; and observe the limits set by God ; so proclaim the glad tidings to the believers(Ali,1989:475).

b-Reduplication with derivational morphemes:

Red. is used derivationally to create new lexical words or to alter word classes. This type is well demonstrated with the variation of affixes: prefixes , infixes and suffixes:

Prefixes in Arabic, unlike English, are reduplicated consequently or inconsequently as fallows:

١٣– (فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً)(النساء:٥٥)

Some of them believed and some of them averted their faces from him: and enough is Hell for a burning fire(Ali,1989:197).

١٤– (لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(آل عمران:١٨٨)

Think not that those who exult in what they have brought about and love to be praised for what they have not done think not that they can escape the penalty. For them is a penalty grievous indeed(Ali,1989:173)

The original form of the word (آمن :believed) in(13) contains Hamza (ء) followed by Alif (أ) which are assimilated to form long sound represented (آ) (Shlash, Al- Fartosi and Husein, 1989: 115)., whereas sentence (14) includes disjoint reduplication initiating with the imperfective prefix {- يـ } for the verbs underlined above.

Infixes to be repeated are often found in Arabic like: { كَرَم karam → كرّم ka<u>rr</u>ama , كسر kasar→ كسّر kassara}.

Suffixes are commonly reduplicated in trilateral and quadilateral verbs to derive new words like: { مدَ ma<u>d</u> → مدَد ma<u>dada</u> , جَلبَ jal<u>b</u> → جلبب jal<u>bab</u>}.

4. Continuous and Non- continuous reduplication:

Morphologically speaking, reduplicatives are only marked with morphemes or words. Their recurrence within a text is immediate (contiguous) or short intervals (non-contiguous). The former refers to the copying of morphemes in succession, whereas the latter indicates the interruption of reduplicants with additional materials. The figure below portraits the whole process of red. for both languages.

English	Full red.	Continuous	Do you mean she is ***sick-sick*** ?
		Non-continuous	The workers ***can*** the food into a ***can***.
	Partial red.	Continuous	We took a road that ***zigzagged*** through the mountain.
		Non-continuous	They have ***sung*** a wonderful ***song***.
Arabic	Full red.	Continuous	قوله تعالى: **{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ *دَكّاً دَكّاً*}الفجر ٢١** ***زفزفت*** الريح الحشيش .
		Non-continuous	قوله تعالى:**{** بَلِ ***السَّاعَةُ*** مَوْعِدُهُمْ ***وَالسَّاعَةُ*** أَدْهَى وَأَمَرُّ }القمر ٤٦
	Partial red.	Continuous	شاهدت غرابا ***عطشان نطشان.***
		Non-continuous	ربَ ***فرحة*** بعدها ***ترحة*** .

Figure (2): Continuous and Non-continuous Reduplicatives.

As a result , Arabic reduplication with respect to its kinds is more productive and flexible in use than English as illustrated in figure(2).

5. The functions of reduplication in English and Arabic:

The productivity of this topic is attributed to the existence of certain functions that may differ in level of Red.. Sapir, quoted in Katamba and Stonham (2006: 180), mentions that the process of reduplication is generally employed to indicate certain concepts like: distribution, plurality, intensity…etc. So the categories are examined sequently to show the range of similarity and diversity between languages understudy.

1- Intensity:

Reduplicated lexemes may show the intensity of a particular action, This is attested in both English and Arabic languages. It is achieved via full reduplication:

15-English full red.: Have you brought the <u>whole whole</u> luggage with you?

16-Arabic full red.: (المؤمنون:٣٦)(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)

Far, very far is that which ye are proised!(Ali,1989:880)

2- Plurality:

Few Arabic nouns , unlike English, are pluralized either by partial disjoint reduplication or by germination as below:

17.a − درس d<u>a</u>rs → دروس d<u>u</u>r<u>u</u>s

b − مكتب maktab → مكاتب mak<u>aa</u>tib

3- Emphasis:

This procedure is frequently appeared with full red. for both languages. Here, the reduplicant is used to discriminate 'healthy food' from 'junk food':

18.a- Would you like to eat food with me?

b- Do you mean food food ?

4- Contrast:

A word is repeated to obtain quite contrary meaning usually when the first noun is stressed to indicate a literal idea:

19-Is that ***carrot cheese cake*** or ***carrot cake-cake***? (Nadarajan,2006:48).

5- Duminuation:

Such process is marked only in Arabic due to the partial reduplication(Ibrahim,1973:211) as in:

20.a- عشية ashya → عشيشية usheishya

b- كتاب kitab → كتيب kuteib

6- Abundance:

It is used to express the exaggeration of quantity(Ibid:33). Such reduplication is explicitly representative in derivational infixes in Arabic as shown in the word (غلّق khallaq) to express an amount of closed doors:

٢١ - (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(يوسف:٢٣)

But she in whose house he was sought to seduce him from his true self : she fastened the doors and said: now come, thou, he said: God forbid! Truly is my lord! He made my sojourn agreeable! Truly to no good come those who do wrong!(Ali,1989:558).

7- Augmentation:

To derive new quadrilateral word from trilateral one , the last letter is often recurred in Arabic for the purpose of increasing as the word (شَملْ shaml → شملل shamlal) in (22)(Ibrahim,1973:57). This process is too limited in English by

adding the prefix { schm-} to the reduplicant with meaningless resultant as 'fancy-schmancy'.

٢٢ - شَملَلَ النخلة

Shamlala Alnakhla.

He picked the dates up.

8- Exaggeration:

It is observed in Arabic disjoint repetitive infixes like (اخضوضر : ekdhodhar) in:

٢٣- إخضوضرَ العُشب'

Ekhdhodhara Aloshbu.

The grass becomes green.

9-Word classes:

Reduplication is commonly used to derive word classes and tense- aspects. This reflexability is laked in English. Arabic Nouns are derived from verbs by germination as:

24.a- حمل hamal → حَمّال hammal CVCVC →CVCCVC

Complete rduplicated word is changed into partial reduplication to form command as follows:

25.a- فتفت fatfat → فَتفِت fatfit

b- لفلف laflaf → لَفلِف laflif

To express imperfectivity or continuity , a morpheme is copied partly to obtain the verbs referring females below:

26.a- لمَ lam → تلملم tulamlim

b- دحرج dahraj → تتدحرج tatadahraj. (Ibrahim, 1973:57)

6 –Data discussion:

Doubling applications are mostly found on various levels of grammar represented by phonetics, semantics, syntax and rhetorical figures. Morphological reduplicatives are found with limited number of words. Looking at English Red., the basic

structure that is to be duplicated is formed by the following patterns: the basic morpheme is the first part like 'ticktock', the second part like 'dilly- dally', both halves like 'singsong' or neither of them like 'boogie- woogie' which act like one word with no meaning. In contrast, the basic structure in Arabic lies mainly on the first part of a recursive word. In case of partial red., the most productive part in English is produced by consonant germination. The word ' reddish ' CVCC- in figure(1) is derived from the adjective 'red' CVC- with repetitive letter (d) before adding the prefix {-ish}.

Figure (1),on the other hand, reveals that free morphemes with partial red. are attributed to the process of vowel alteration, consonant alteration and consonant germination in both English and Arabic as well, while bound morphemes are existed by the recurrence of inflectional and derivational morphemes in Arabic only.

Functionally speaking, augmentation is used highly by doubling consonants or adding a fourth letter to the root as the word 'شَملَ → شَملل ' in example (22). The second function derived from an entire red. is called emphasis. It is used frequently in both languages as shown in (18). Moreover, English language lakes the factor of flexibility in deriving new word classes unlike what Arabic has. The noun 'hammal', in example(25), is partially reduplicated by deriving from the verb 'hamal' ; the past tense with full doubling of the word 'fatfat' in example (26) is changed into partial red. 'fatfit' to hold command verb.

Conclusion

Presenting a descriptive study about the handled topic in both English and Arabic, the present research comes up with the following concluding points:

1- Reduplication, a morphological device, is resulted from the process of copying a letter , root or word to obtain new grammatical functions or semantic features ; whereas, repetition is appropriately used with syntax to show the recurrence of full phrases or sentences with a text for the purpose of writer or speaker.
2- Full Red. is found in both English and Arabic with their relative use. In English, free morphemes with total reduplication are equal with Arabic in construction ,but are different in productivity(quantity) as in (15) and (16).
3- In more complicated cases, Red. is partial; the affect of Red. May appear on the root or the affix itself. Partial red. of morphemes are more fertile in both languages than fully reduplicated type as shown in figure (1).
4- Though both languages have multiple affixation, Arabic words tend to be filled with affixes – a feature that makes it more flexible to derive new words by reduplication than English.
5- In Arabic, unlike English, reduplication which resulted by derivational affixes are widely attested.
6- Both languages are similar in having continuous and discontinuous reduplicatives as represented in figure (2).
7- Emphasis, Contrast, Intensity and augmentation are the typical functions of reduplication in English while Intensity, Plurality, Emphasis, Duminuation ,Abundance , Augmentation and Exaggeration are often seen in Arabic.
8- Arabic red. is more productive than English. Thus, the former has the capability of changing one word class into another via the change of full into partial reduplicants.

Bibliography

1- Ali, A. Y.(1989). *The Holy Quraan: Text Translation and Commentary*. Kuwait . That Es-Salasil printing, Second Edition.
2- Al-Mansouri, A. J. and Alaa Aldden H. A.(1990). *Durus fi Elm Alsarf*. Baghdad . Higher study press.
3- Al-Samaraai, F. S. (1990). *Maani Alnahoo*. Baghdad . Baghdad university printing, Fourth edition.
4- Al-Sejemasy, Abo Muhammad (1980). *Al-Manzaa Albadeea fi Tajnees Asaleeb Albadeea.* Alrebat. Almaaref library.
5- Al-Thaalebi, Abi Mansour (1952). *Feqh Al-Luqa wa Sir Al-Arabia*. Beirut. Dar Al-Hayat library.
6- Crystal, D.(2003). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Oxford: Blackwell Ltd.
7- Ghomeshi, et al.(2004)."Contrastive Focus Reduplication in English" in *Natural Language and Linguistics Theory*. Kluwer Academic Publishers. Vol. 22. Netherlands printing.
8- Gil,D.(2005).*From Repetition to Reduplication in Riau Indonesian*. Hurch.
9- Hudson, G. (2000).*Essential Introductory Linguistics*. Oxford: Blackwell Puplishers,Inc.
10- Ibrahim, K. (1973). *Omdat Al-Saref* .Baghdad, Al-Najah press.
11- Katamba, F. and John S. (2006). *Modern Linguistics: Morphology*. London: Macmillan Press Ltd.,second edition
12- Nadarajan, Sh.(2006). *A Crosslinguistic Study of Reduplication.* University of Arizona, Vol. 13, Arezona working papers in SLAT.
13- Shlash and et al.(1989). *Al-Muhathab fi Elm Al-Tasreef*. Baghdad: Baghdad University, Beit Al-Hikma printing.
14- Spenser, A. and Arnold M. Z.(2001). *The Handbook of Morphology.* USA: Blackwell publishing Ltd.
15- Stageberg, N. C.(1981). *An Introductory English Grammar*. USA: Holt, Rinehart and Winston,Inc.

عطاء الخلفاء الأمويين في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية

د. احمد عبيد عيسى   د. عذال ابراهيم حسين
جامعة كركوك/ كلية التربية/ قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان البحث في الجوانب الحضارية للتاريخ الاسلامي من المواضيع التي تكتسب قيمة خاصة لايمكن التغافل عنها ، وتبرز قيمتها من خلال دراسة بعض الجوانب التي تعد انعكاساً للحالة السياسية السائدة او أن لها دور جوهري في مسار الاحداث آنذاك ، من هنا جاء اختيار موضوع عطاء الخلفاء الأمويين ودوره في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والذي يعد من المواضيع المهمة في التاريخ الاسلامي وتبرز هذه الاهمية من خلال التركيز على جانباً متميزاً من جوانب الحضارة الاسلامية، ولتوضيح الدور البارز للخلفاء الامويين في مجال العطاء والتوسع الذي حصل خلال عهودهم في منحه والغاية من استخدامه ، لذلك اشتملت الدراسة على تمهيد ومبحثين ، تطرق المبحث **الاول الى تناول العطاء في الجوانب السياسية والعسكرية** وأثر ذلك في سيطرة الخلفاء الامويين على أقاليم الدولة الاسلامية ، اما **المبحث الثاني فقد شمل العطاء بالجانب الاجتماعي** وما كان له من دور فعال في تزايد عدد المؤيدين والاتباع خاصة اذا علمنا ان عطاء الجانب الاجتماعي لم يقتصر على طبقة او قبيلة او أسرة بعينها ، وانما شمل معظم طبقات المجتمع في ذلك العصر.

وأخيراً آمل أن أكون قد وفقت في اتمام هذا البحث وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم .

تمهيـــــــــــــد

العطـــــاء .

كان العطاء من اهم ابواب الصرف في الدولة العربية الاسلامية ، اذ ان العطاء وضع له اسس وقواعد في كيفية توزيع الاموال على المسلمين وخاصة المقاتلة وعوائلهم وذريتهم .

وقد ساوى الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وسلم) والخليفة الراشدي ابو بكر الصديق(رضي الله عنه)(١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) بين الناس في الرزق ، وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)(١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) حرر العراق وبلاد الشام ومصر وغيرها من الاقاليم وهذا بطبيعة الحال أدى الى زيادة موارد الدولة المالية بالمقابل ازداد عدد المقاتلة من العرب والمسلمين (١) وقد كان تنظيم العطاء قد جرى منذ خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وفق مبادئ وأصول أهمها : القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والسبق في الاســـــــلام ولمن أبلى في الاسلام بلاءاً حسناً (٢) ، وبذلك تم وضع الديوان الذي عرف بـ (ديوان الجند) وفيه اسماء المقاتلة وأسماء عوائلهم وذريتهم ومقدار عطائهم(٣) .

وكـــــــان الحد الاعلى من العطاء في خلافة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) ويسمى (شرف العطاء) وهو على الاغلب محدد بألفين وخمسمائة درهم ومن الأسس التي يجب مراعاتها في منح شرف العطاء ان يكون من الذين ابدو بسالة في الحروب ومن يقوم ببعض الاعمال الادارية والقيادية (٤) ، فضلاً عن ذلك كان هناك عطاء لكل مولود في الاسلام اذ كان يمنح مائة درهم ويزيد عطاءه كلما بلغ ، كذلك فرض للموالي وكلما زادت موارد الدولة زاد العطاء مثلما حدث في زمن

الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)(٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) اذ بلغت الزيادة حوالي مائة درهم (٥) .

وعندما قامت الدولة الاموية (٤١-١٣٢ هـ /٦٦١-٧٤٩م) تعددت منافذ منح العطاء في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والعمرانية لذلك ستكون دراستنا عن عطاء الخلفاء الامويين في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية وسوف تقسم كل حسب طبيعة ونوع الجانب الذي صرف عليها العطاء .

المبحث الاول

الجانب السياسي والعسكري

في سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) بويع الحسن بن علي (رضي الله عنه) بالخلافة ومعاوية بالشام لم يبايعه " فخرج الحسن (رضي الله عنه) الى الشام ليعيد للأمه وحدتها ، وفي المقابل لم يكن معاوية(رضي الله عنه) في غفلة عما يجري فخرج هو الآخر يريد العراق وكان على رأس جيش الحسن (رضي الله عنه) اثناء توجهه الى الشام قيس بن سعد ولكن على ما يبدو وبتأثير من معاوية(رضي الله عنه) ورجاله حصل انقسام في معسكر الحسن (رضي الله عنه) نتيجة اشاعات تقول بأن قيس بايع معاوية واشاعات اخرى تقول ان قيس قتل وكانت لهذه الاشاعات صداها في معسكر الحسن (رضي الله عنه) الذي حدث فيه النهب والسلب"(٦) . عند ذلك ادرك الحسن (رضي الله عنه) ان الصلح خبير بين الفئتين وبعث الى معاوية(رضي الله عنه) يطلب الصلح وبعث اليه معاوية(رضي الله عنه) عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب فقدما على الحسن وهو في المدائن فأعطياه ما أراد وصالحاه على ان يأخذ الحسن من بيت مال الكوفة خمسة ألاف ألف في اشياء اشترطها (٧) .

وعندما تنازل الحسن بن علي (رضي الله عنه) عن الخلافة لمعاوية أعطاه منحه مالية وربما أجازة بأربعمائة ألف درهم وراتبه في كل سنة مائة ألف درهم (٨) .

وبعث الخليفة معاوية (رض)(٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) الى الحسن بن علي (رض) بمائة ألف فقسمها على جلسائه فأخذ كل واحد عشرة ألاف وبعث الى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه أمراته فاطمة فاطلقها لها وبعث الى مروان بن الحكم بمائة الف فقسم منها خمسين ألف وحبس خمسين ألفاً الباقية وبعث الى

عبدالله بن عمر بن الخطاب مائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة الأف فقال معاوية عن ذلك الكرم بقوله : ((إنه لمقتصد يحب الاقتصاد)) (٩) .

كذلك اعطاء الخليفة معاوية(رضي الله عنه) الى عبدالله بن الزبير(رضي الله عنه) عندما وفد اليه فقال له : ((مرحباً وأهلاً بابن عمة رسول الله)) وأمر له بمائة ألف (١٠) .

وانفق مؤسس الدولة الاموية الخليفة معاوية بن سفيان (رضي الله عنه) امـــــــــوالاً كبيرة لتأليف القلوب وكسب الزعماء والاشراف ، وتوطيد أركان الدولة الاسلامية التي قامت بعد صراع ونزاع بين المسلمين ، لذلك رأى معاوية (رضي الله عنه) ان إراقة بعض المال خير له من إراقة كثير من دماء المسلمين ، فأعطى هؤلاء الرجال المال لاستمالة قلوبهم وقلوب اتباعهم وانصارهم ، ومن ثم يعلوا مكانتهم ويسد خلة من وراءهم (١١). ويبدو أن الخليفة معاوية قد تنبه من اعطاء الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) المؤلفة قلوبهم بعد فتح مكة سنة (٨هـ/٦٢٩م) ليستميلهم نحو الدين ويسل سخائه نفوسهم أنه يجوز ان يعطي امثال هؤلاء الرجال ليتألف قلوبهم ويضمن ولاءهم (١٢) .

ثم أن الخليفة معاوية عمد الى اتباع سياسة كسب رضا القبائل وكان الهدف منها تثبيت كيان الدولة الاموية واستمرارها (١٣) .

وخلال الصراع بين القبائل العربية القيسية واليمانية استطاع الخليفة معاوية ان يتبع سياسة الموازنة بين هاتين القبيلتين ، اذ كانت اليمانية في الشام قـــــبل مجئ الاسلام ومنها (غسان، تنوخ ، جذام ، قضاعة و كلب) ، بينما القيسية هي حديثة العهد في بلاد الشام ومنها (سليم ، هوازن وغطفان) (١٤) .

وتميز هذا الصراع بوضوح في العلاقة بين العنصر اليماني (كلب) والعنصر الغير يماني (قيس) من جهة وبين الوالي والخليفة الاموي من جهة اخرى فقد تبارى

الاثنان مع بعضهم البعض لاجل نيل رضا الخليفة بتقديم خدماتهم له مقابل المكافئات المادية والتعيين في وظائف الدولة (١٥) .

وذكر ابن عساكر:" ان معاوية اعتمد على اليمنيين وعلى رأسهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وضمن لهم شروط في العطاء وامتيازات ، اذ يستلم الفين منهم ألفي درهم لكل منهم كعطاء سنوي ، واذا مات صاحب العطاء فأن ابنه أو ابن عمه يستلم عطائه وان يكون لهم صدر المجلس وان يستشيرهم في كل امر هام(١٦)

وفي المقابل نجد ان الخليفة معاوية استخدم اسلوب التوازن عندما اعتمد على الكثير من الولاة القيسسين امثال عمرو بن العاص على مصر ، زياد بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبه على البصرة والكوفة ، سعيد بن العاص ومروان بن الحكم على المدينة ، الضحاك بن قيس الفهري على الشام(١٧) . مما يعني ان الخليفة معاوية اعطى لهم عطاءاً معنونياً كدليلاً على ثقته بهم .

عندما احس الخليفة معاوية بخطورة اليمانية عمد الى فرض العطاء للقيسيين الاربعة آلاف منهم ، وعمد الى غزو اليمانية في البحر والقيسية في البر، فلما شعرت اليمانية بالخطر عاد الخليفة الى أرضائهم بطريقته الدبلوماسية المعهودة ، اذ قال:((ما فعلت ذلك الا تيمناً بكم))(١٨) . ويبدو ان هذا التوافق بين القبائل العربية جاء بفضل سياسة الخليفة معاوية ومعرفته بالطرق والوسائل في التعامل مع القبائل .

ومن القبائل الاخرى التي كانت ذات ثقل كبير ومؤثر لدى الخليفة معاوية هي قبيلة تميم واكرامه لرؤسائها ، اذ وفد اليه الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة من بني ربيعة بن كعب بن اسد والجون بن قتادة العبشمي والحتات بن يزيد ابو منازل احد بني حوى بن سفيان بن مجاشع فأعطى كل رجل منهم مائة ألف درهم(١٩) .

وأعطى الحتات سبعين ألفا وفي طريق عودتهم سأل بعضهم بعضاً فأخبروه بجوائزهم فكان الحتات أخذ سبعين الفاً فأعترض على معاوية وقال : " فضحتني في بني تميم او لست ذا حسب او لست ذا سن او لست مطاعاً في عشيرتي ؟ فذكر له الخليفة معاوية السبب فأعترض الحتات فما كان من الخليفة الأ أتم له الجائزة مثل بقية أصحابه "(٢٠) .

أبدى الخليفة معاوية في حياته قلقاً على مصير الخلافة بعد وفاته فعمل على حصر الخلافة في اسرته وذلك بتوريث ابنه يزيد الخلافة (٢٣) .

وهو نظام استحدثه الخليفة معاوية تجنباً للفتن ومشكلات الحكم والخلافة والتي كانت تحدث عند مقتل أو وفاة الخليفة ، ونظام الوراثة كان تقليداً جديداً استحدث في النظم السياسية الاسلامية غيرَ به الخليفة معاوية سنة سابقيه (٢٤) .

وقد ذكر ابن قتيبة:" ان الخليفة معاوية اتجه في مثل هذه الامور الصعبة الى شيوخ القبائل لأجل أخذ البيعة لابنه يزيد ، واستخدم طرق متعددة تارة بالعطاء وتارة بالتهديد فضلاً عن مراسلة عماله على الامصار، اذ بين لهم صفة يزيد ومحاسنه وان يبعثو اليه الوفود لاعلان ولائهم لولده ، ونجح أخيراً في كسب تأييد القبائل بفضل الاموال التي أغدقها عليهم" (٢٥) .

ولكن هناك من رفض اعطاء البيعة ليزيد عن طريق المال ، اذ رفض عبد الله بن عمر(رض) البيعة ليزيد عندما أرسل اليه الخليفة معاوية مائة الف درهم لقاء الموافقة على البيعة اذ قال عبد الله بن عمر (رض) في مجلس الخليفة معاوية (رض) :" أترون هذا أراد ؟ ان ديني اذاً عندي لرخيص " وأوضح ابن عمر أنه لا يجوز أخذ البيعة عن طريق المال لأنها من أسباب الرشوة (٢٦) .

ومن الاسباب التي ادت الى ظهور ديوان الخاتم في زمن الخليفة معاوية أنه أمر لعمرو بن الزبير بمعونة مالية لقضاء دينه مقدارها مائة ألف درهم وكتب بذلك

الى زياد بن أبيه والي العراق ، فقام عمرو بتزوير الكتاب وجعله مائتين بدل المائة فلما رفع زياد حسابه الى الخليفة معاوية أنكر ذلك فأخذ عمراً يردها وحبسه فأداها أخوه عبدالله بن الزبير(٢٧) .

يتبين مما ذكر اعلاه ان ليس المال وحده له دور في الجانب السياسي ولكن يكون عاملاً مساعداً في زيادة نسبة الولاء واستمالة القلوب .

كذلك كان استخدام العطاء كوسيلة لحرمان صاحبها منها لسبب معين مثلما حصل في خلافة معاوية حول من قال الابيات الشعرية ومقطعها :

إلا أبلغ معاوية بني حرب	**مغلغلة من الرجل اليماني**

فذكر أن معاوية لما بلغه أن عبد الرحمن بن ام الحكيم أخو مروان هو الذي قاله غضب عليه وحرمه عطاءه حتى اضربه فقال له معاوية : " لا أرض عنه حتى يرضى عبيدالله بن زياد والي العراق (٢٨) فقدم عبد الرحمن الى عبيدالله فقال ؟

لأنت زيادة في آل حرب	**أحبَ اليَ من احدى بناتى**
أراك أخا وعماً وابن عم	**ولا أدري بغيب ما تراني**

فقال عبيدالله : ((أراك والله شاعر سوء ! فرضى عنه)) (٢٩) .

بعد وفاة الخليفة معاوية انتقلت الخلافة الى ابنه يزيد (٦٠-٦٤هـ /٦٧٩-٦٨٣م) وقام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة فلما ارتفع يزيد عن مجلسه امر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومرتبته في قومه وزاد في عطائهم ورفع مراتبهم (٣٠) . وقد أورد لنا الطبري ان عبد الرحمن بن زياد والي خرسان قدم على يزيد بن معاوية فقال يزيد لعبد الرحمن بن زياد : " لكم قدمت به معك من المال من خرسان ؟ قال : عشرون الف درهم ، قال يزيد : ان شئت حاسبناك وقبضناها منك ورددناك على عملك ، وان شئت سوغناك وعزلناك وتعطي عبدالله بن جعفر خمسمائة الف درهم ، قال له عبد الرحمن : بل تسوغني ما قلت ، ويستعمل عليها

غيري ، وبعث عبد الرحمن بن زياد الى عبد الله بن جعفر بألف درهم ، وقال خمسمائة الف من قبل امير المؤمنين وخمسمائة من قبلي" (٣١) .

وكان عبد الله بن جعفر يقول : "أتلومونى على حسن الرأي في يزيد ؟ وقد منح الخليفة يزيد بن معاوية عبدالله بن حنظله عندما قدم اليه من المدينة هو وبنوه ، اذ أعطاه مائة الف درهم واعطى كذلك كل واحد عشرة الأف عدا كسوتهم وحملانهم" (٣٢) .

وجاء الى يزيد بن معاوية وفد من اهل المدينة ومنهم عبدالله بن حنظله الغسيل الانصاري وعبد الله بن ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من اشراف اهل المدينة وأكرمهم الخليفة واحسن اليهم واعظم جوائزهم وقد بلغت جائزة المنذر بن الزبير مائة الف درهم (٣٣) . ولكن هؤلاء الاشراف عندما عادوا الى المدينة شتموا يزيد وقالوا انه رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويلعب بالكلاب وقال هؤلاء:" أنا قد خلعناه" (٣٤) .

وبوفاة يزيد بن معاوية وتنازل ابنه معاوية الثاني عن الخلافة بعد مدة وجيزة بدأت المشاكل واندلعت الحرب الاهلية (٣٥) . اذ انقسمت القبائل فيما بينها حول من يتولى الخلافة ، فهناك قبائل وقفت مع عبد الله بن الزبير واخرى وقفت مع مروان بن الحكم الذي بويع بالخلافة ، اذ انتقل الحكم من الفرع السفياني الى الفرع المرواني واشترط بعض روؤساء القبائل على مروان شروط مقابل بيعته ، اذ اشترط حسان بن مالك رئيس قحطان وسيدها بالشام على مروان ماكان لهم من الشروط على عهد معاوية وابنه يزيد ومعاوية الثاني بن يزيد : "منها ان يفرض لهم لألفي رجل ألفين وان مات صاحب العطاء قام ابيه او ابن عمه مكانه وان يكون لهم الامر والنهي وان يحتلوا صدر المجلس ومشاورتهم ما كان من حل وعقد فوافق مروان على هذه الشروط "(٣٦) كذلك استجابة مروان الى ما قاله مالك بن

هبيــــــرة اليشكري : " أنه ليست لك في اعناقنا بيعة وليس نقاتل الا عن عرض دنيا فان تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخــــــرى فوالله ما قــريش عندنا الا سواء "(٣٧) . يتبين من خلال هذا النص ان سياسة الخليفة مروان تشبه في بعض الوجوه سياسة الخليفة معاوية بن أبي سفيان من خلال استخدام العطاء المادي والمعنوي لكسب القبائل الى جانبه .

ولا نريد ان ندخل في الصراعات التي كانت قائمة في خلافة مروان بن الحكم مع خـــــــصمه عبدالله بن الزبير الذي اعلن خلافته في الحجاز والعراق (٣٨) . بقى مروان بن الحكم(٦٥هـ/٦٨٤م) في الخلافة مدة تسعة اشهر ثم اخذ البيعة لولديه عبد الملك وعبد العزيز بعد ابعاد كل من خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص اللذان بويع لهما بولاية العهد بعد مروان بن الحكم في مؤتمر الجابية(٣٩) .

أثناء الصراع بين الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) وعبد الله بن الزبير تبين ان سلاح الاموال والعطايا خطير بحيث يجذب القلوب ويؤثر في النفوس مثلما حصل اثناء صراع عبد الملك بن مروان وزفر بن الحارث الموالي لعبدالله بن الزبير الذي كان متمنعاً في حصن قرقيسيا مع قومه قبائل قيس المتعصبة له ، اذ أراد الخليفة عبد الملك أن يدمر هذا الحصن حتى يكون الطريق مفتوحاً لمواجهة مصعب بن الزبير في العراق ، وبعد ان حاصر عبد الملك زفر بن الحارث في حصنه لمدة اربعين يوماً ، بعث اليه عبد الملك كتاب يدعوه الى الطاعة ولزوم الجماعة(٤٠).

وأرسل الكتاب مع رجاء بن حيوة الكندي والحجاج بن يوسف الثقفي واستطاع الهذيل بن زفر من اقناع والده بقبول طاعة عبد الملك الذي أوعز الى أخاه محمد بن مروان وان يعرض على زفر وابنه الهذيل الأمان ، فأجاب زفر والهذيل واتفقوا على

الصلح ومنها :" أن لا يقاتل زفر مع عبد الملك حتى يموت عبد الله بن الزبير وان يعطي ما لايقسمه في اصحابه" (٤١) .

وقد ختمت هذه المراسلات بين الطرفين بزواج الرباب بنت زفر بن الحارث بمسلمة بن عبد الملك بن مروان (٤٢) .

تم التطرق في السابق ان للعطاء دوراً كبيراً في استمالة القلوب وكسب القبائل وحسم الكثير من الصراعات السياسية والعسكرية ، ففي صراع الخليفة عبد الملك مع مصعب بن الزبير والي العراق لأخيه عبدالله بن الزبير، فقد روى ان مصعب ذهب الى أخيه عبدالله بمكة مع زعماء أهل العراق وقال له مصعب:" يا امير المؤمنيين ، قد جئتك بزعماء اهل العراق واشرافهم كل مطاع في قومه ، وهم الذين سارعوا الى بيعتك ، وقاموا باحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك ، وسعوا في قطع عدوك فأعطهم من هذا المال ، فقال عبدالله : جئتني بعبيد أهل العراق ، وتأمرني أن أعطيهـــــــــــم مال الله ، لاأفعل ، وأيم الله لوددت أن أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم ... "(٤٣) .

هذا الحرص على اموال المسلمين من قبل عبدالله بن الزبير كانت السبب في مقتل اخاه مصعب وتخلي اهل العراق عنه ، أما الخليفة عبد الملك فقد استطاع اغراء قواد مصعب ورؤوس القبائل في العراق بالعطايا والمناصب فتخلوا عن مصعب ولم يبق معه الا عدد قليل وقتل مصعب في دير الجاثليق سنة (٧٢هـ/٦٩١م) مع قائد جيشه ابراهيم بن الأشتر الذي أفشى سر مراسلات عبد الملك مع اهل العراق فأقبل ابراهيم بكتاب عبد الملك مختوماً لم يقرأه فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب:" انه والله ما كان من احد أليس منه مني ولقد كتب الى اصحابك كلهم بمثل الذي كتب إلي" (٤٤) .

وقد تميزت سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان تجاه احد قادته هو الحجاج بن يوسف الثقفي باللين والشدة ، اذ عاتبه لما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم واعطائه الاموال فكتب اليه :" أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء ، وتبذيرك في الاموال ولا يحتمل امير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك امير المؤمنين في الدماء في الخطأ الدية ... وفي الاموال ردها الى مواضعها ، ثم العمل فيها برأيه .... "(٤٥) .

وكان رد الحجاج بقوله : " ... ولعمري ما بلغت في عقوبة اهل المعصية ما هم أهله ، وما قضيت حق اهل الطاعة بما استحقوه فان كان قتلى اولئك العصاة سرفاً واعطائي اولئك المطيعين تبذيراً ، فليسوغني امير المؤمنين ما سلف وليحد فيه حداً .... " (٤٦) وكتب الحجاج في اسفل كتابه أبيات شعرية تعبير عن هذا الموقف مطلعها :

إذا أنا لم اتبع واتقي أذاك فيومي لا تزول كواكبه

وما لأمري بعد الخليفة جنة تقيه من الامر الذي هو كاسبه

اسالم من سالمت من ذي قرابة ومن لم تسالمه فأني محاربه

إذا قارف الحجاج منك خطيئة فقامت عليه في الصباح نواديه (٤٧)

يبدو أن الخليفة عبد الملك كان يقتدي بالخليفة معاوية بن أبي سفيان فكان سخياً مع قواده وجنوده يجزل لهم الاعطيات اذ كان جنده من اهل الشام يحبونه ويطيعون امره كما كان حسن المعاملة بصفة عامة لقواده وحاشيته يكرمهم ويزورهم اذا امرضوا ويحضروا مجالسه كأصدقاء (٤٨) .

ويورد لنا الطبري رواية مفادها ان عبد الملك بن مروان قدم الى الكوفة ونزل في النخلة ثم دعا الناس الى البيعة فجاءت اليه القبائل العربية منها قضاعة ومذحج وهمدان ، والتقى معشر عدوان فتقدم اليه رجلاً وسيما جميلاً فقال عبد الملك :" من؟ فقال الكاتب عدوان فقال عبد الملك يمدحه في قصيدة مطلعها :

عزيز الحي من عدوان كانوا حية الارض

بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا علي بعض

ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض (٤٩)

ثم اقبل عبد الملك فقال له : كم عطاءك ؟ قال سبعمائة فقال لي : في كم أنت ؟ قلت : في ثلثمائة فاقبل على الكاتبين فقال : حطا من عطاء هذا أربعمائة وزيداها في عطاء هذا فقال عدوان: رجعت وأنا في سبعمائة وهو في ثلثمائة" (٥٠) .

ومن القبائل الاخرى التي التقى بها الخليفة عبد الملك في الكوفة قبيلة كندة فنظر عبد الملك الى عبدالله بن اسحاق بن الاشعث فأوصى به بشراً اخاه وقال عبد الملك :" اجعله في صحابتك" وأقبل على عبد الملك زعيم قبيلة بكر بن وائل وعليهم الأقبية الداودية وبه سُميت فجلس مع عبد الملك على سريره (٥١) .

مما تقدم يبدو ان الخليفة عبد الملك استطاع ان يكسب هذه القبائل من خلال سياسته المبنية على الدعم المادي والمعنوي وزيادة بعض عطاء القبائل وفي نفس الوقت أبدى الاحترام والتقدير لزعماء هذه القبائل ورفع شأنهم بين ابناء قبيلتهم .

أما في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) فقد شهدت خلافته اتساع الفتوحات الاسلامية في بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي وفتوحات محمد بن قاسم الثقفي في الهند وفتوحات موسى بن نصير في شمال افريقيا والى الاندلس (٥٢) . ويبدو ان كثرة الفتوحات تجلب للدولة الاسلامية أموالاً طائلة وبالتالي تصرف هذه الاموال على النشاطات العسكرية واعطيات الجند

وارزاقهم ، والاموال اللازمة للاصلاحات المختلفة فضلاً عن ذلك لانستبعد ان يقوم الخليفة الوليد باغداق الاموال على قادة جيشه ، وعلى القبائل ورؤسائها ذوي المكانة المتميزة نتيجة الانتصارات التي حققتها الجيوش الاسـلامية في تلك المناطق .

كذلك الحال في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) الذي سخر العطاء في خدمة اهدافه السياسية العامة متأثراً بظروف الدولة في عهده وخالف سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) وعاد الى تطبيق سياسة أسلافه من بني اميـــة الذين لم تكن لهم سياسة ثابتة في توزيع العطاء عكس سياسة الخليفة عمر (رضي الله عنه) الذي عمل على تقديم العطاء لمستحقيه بين الناس على اساس الحق والعدل (٥٣) .

وقد ادى نقص عطايا الناس في خلافة يزيد بن عبد الملك الى حدوث اضطرابات في عدد من الامصار الاسلامية ، خرج عليه العباس بن الوليد بحمص وشايعة اهل حمص وبشير بن الوليد بقنسرين وعمر بن الوليد بالاردن ويزيد بن سلمان بفلسطين فسمي يزيد الناقص (٥٤) .

وفي زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) بلغت الفتوحات الاسلامية أقصى اتساع لها ، فكانت الحاجة ماسة الى جيش قوي وهذا يحتاج الى المال والسلاح ، فكان الخليفة يصرف عليه الاموال كأعطيات للجند، ولم يكن مقدار العطاء واحد ، اذ كان عطاء بني مروان مائتي دينار وهناك عطاء لمؤيدي الدولة ، اذ كان هشام يفرض عطاء لبعض شعراء جيشه ، وفرض للمحتاجين ، وكانت الدولة تمنع العطاء لمن أيد احدى حركات المعارضة للسلطة الاموية وتشطب اسمه من ديوان العطاء (٥٥) .

من كل ذلك نستطيع القول ان نظام العطاء كان مرتبطاً بالوضع العام للدولة الاسلامية ، ويلعب دوراً كبيراً في تثبيت السلطة والحكم وزيادة المؤيدين والاتباع للدولة .

المبحث الثاني

الجانب الاجتماعي

كان لمعاوية دور في حل بعض قضايا الدَين فقد كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف الف فأجتمع عليه في بعض الاوقات دَين خمسمائة ألف فألح على عبدالله بن جعفر غرمائه ، فطلب منهم التريث لحين القدوم على معاوية فيسأله ان يسلفه شيئاً من العطاء ، فلما قدم على معاوية قال له : " دين ألح عليَ غرمائه ، فقال له معاوية وكم هو ؟ قال : خمسمائة ألف ... " فقضاها عنه وقال معاوية : " أن الألف ألف ستأتيك في وقتها " (٥٦) .

ويذكر ان الخليفة معاوية ساعد رجلاً جاء اليه من البصرة في بناء داره بأثني عشر الف جذع من الخشب (٥٧) وهذا يعني ان الخليفة أنفق اموالاً لشراء ما أراده هذا الرجل .

ومن نفقات الخليفة يزيد بن معاوية لعبدالله بن جعفر أنه اضعف جائزته التي كان الخليفة معاوية يعطيه اياها وكانت ستمائة ألف فأعطـاه يزيد ألفـي ألـف درهم (٥٨) .

أما الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فعندما جاء الى مكة خطب بها خطبة بتراء فيها الوعيد والتهديد ، وعندما صار بعرفه أطعم الناس ونصب الموائد ، ولم يأكل هو وجعل خالد بن عبد الله القسري مسؤولاً على الموائد (٥٩) .

وبعث الخليفة الوليد بن عبد الملك الى خالد بن عبد الله القسري والي مكة بثلاثين ألف دينار فضربت صفائح ، وجعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين التي داخلها وعلى الأركان والميزاب وهو أول من ذهبَ البيت في الاسلام (٦٠) .

وكتب الوليد بن عبد الملك وكان مغرماً بالبناء الى عمر بن عبد العزيز والي المدينة بحفر الانهار بالمدينة ، وكذلك أنفق الوليد على مسجد دمشق سبعين

ألف دينار وذكر ابو قصي اسماعيل بن محمد ان الوليد انفق على المسجد اربعمائة صندوق وكل صندوق فيه ثمانية وعشرون الف دينار (٦١) .

كما أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بعمارة مسجد الرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) وبيوت أزواج الرسول (عليه الصلاة والسلام) اذ هدم المسجد والبيوت وأمر الخليفة والي المدينة عمر بن عبد العزيز سنة ٨٨هـ بأدخال حجر أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مسجد رسول الله وان يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، ويصرف الاموال اللازمة لاتمام البناء وفق ما أراد الخليفة الوليد (٦٢) .

كما منح الخليفة الناس العطاء وأعطى المجذومين وقال : " لاتسألوا الناس" واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً (٦٣) .

ومن الجوانب الاجتماعية الاخرى ماقام به الخليفة سليمان بن عبد الملك، اذ استقدم رجلاً من اهل المدينة من بني سهم عبدالله بن عوف بن ابي عوف، فأخذ هذا يستفسر منه عن أحوال المدينة واهلها ، فجعل يسأله عن دار دار حتى وصل الى دار ابن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وكان لوالده يد في قتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) وقد ظن أن الخليفة سيؤاخذه ولكن الخليفة بعث اليه بخمسائة دينار ووصف عليه ثياب بياض (٦٤) .

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز استنكر أعمال اهل بيته وسماها مظالم وكتب الى عماله على الامصار " اما بعد ، فان الناس قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله وسنن سيئة سنتها عليهم عمال السوء ، قلما قصدوا الحق والرفق والاحسان ، ومن اراد الحج ، فعجلوا عليه عطاءه ، حتى يتجهز منه ، ولا تحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تؤامروني ... " (٦٥) .

واعطى الى بني هاشم الخمس ورد فدكاً ، وكان معاوية قد اقطعها الى مروان الذي وهبة الى ابيه عبد العزيز فورثها عمر منه ، فردها الى ولد فاطمة وبقيت في ايديهم حتى مجيء الخليفة يزيد بن عبد الملك فقضبها، كذلك رد الخليفة عمر (رض) هدايا النوروز والمهرجان والسحر ، ورد العطاء على قدر ما استحق الرجل من السنة وورث العيالات على ما جرت به السنة ، كما ابقى عمر (رض) اقطاع التي اقطعها اهل بيته والعطاء في الشرق لم ينقصه ، وزاد أهل الشام في اعطياتهم عشرة دنانير (٦٦) .

كذلك جاء احد اصحاب الخليفة علي (رض) الى عمر بن عبد العزيز (رض) وهو ابو طفيل بن وائلة يشكو من انقطاع عطائه فقال له : يا امير المؤمنين : لم منعتني عطائي ؟ فقال له: بلغني انك صقلت سيفك ، وشحدت سنانك ، ونصلت سهمك ، وغلفت قوسك ، تنتظر الامام القائم حتى يخرج ، فاذا خرج وفاك عطاءك فقال : ان الله سائلك عن هذا ، فاستحيا عمر (رض) من هذا وأعطاه (٦٧) .

اهتم الخليفة عمر (رض) بأداء مهور الزواج من بيت المال لمن لم يستطيع توفير ذلك ، وهذا واضح من كتاب عمر (رض) في مسجد الكوفة يقول : " من كانت عليه الامانة لا يقدر على ادائها فأعطوه من مال الله " (٦٨) . وهذا جانب مهم في اصلاح المجتمع من قبل الخليفة عمر (رض) لان اصلاحه يتوقف على تحصين ابنائه بالزواج وربما ان المهر يكون عائقاً لبعض الفقراء فلا يستطيعون الزواج وهذا يشكل مردود ايجابي على ابناء المجتمع ويحفظهم من الانحراف والفساد.

كما طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز (رض) من يزيد بن المهلب استرجاع الاموال التي كتب بها الى الخليفة سليمان بن عبد الملك وتقدر ما بين اربعة ملايين

الى ستة ملايين درهم وقد اجاب يزيد بن المهلب قائلاً : " كنت من سليمان والمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لا سمع الناس به ، وقد علمت ان سليمان لم يكن ليأخذ في شيء سمعت ولا بأمر اكرهه ، فقال عمـــــر ما أجد في امرك الا حبسك فأتق الله ... فأنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها " (٦٩) .

وهذا يدل على الحرص على اموال المسلمين ومحاسبة العمال والتأكيد على ضرورة صرفها بما يرضي الله سبحانه تعالى ، ولم يكن هناك تهاون في مثل هكذا امور تخص مصير المسلمين ، والدليل على ذلك أن الخليفة عمر (رض) رفض طلب تقدم به ابن يزيد مخلد بن يزيد لاجل العفو عن والده عندما جاء مع وفد من اهل خرسان متشفعاً وعرض على الخليفة ان يتحمل جزء من المال الذي كتب به الي الخليفة سليمان بن عبد الملك فقال عمر : "لا الا ان تحمل جميع ما تسأله، ليأت ... ما اجد الا أخذه بجميع المال " (٧٠) .

وفي سياق الحديث عن الاعطيات امر الخليفة عمر بن عبد العزيز والي مصر ايوب بن شرحبيل بزيادة أعطيات الناس عامة وألحق لاهل مصر خمسة الاف في سنة ١٠٠هـ وكذلك امر بمساعدة الغارمــــــين بخمسة وعشرون الف دينار (٧١) .

كذلك وفد الشعراء من القبائل العربية الى الخليفة عمر بن عبد العزيز (رض) واكرمهم ، فقد ذكر ان الشعراء كانوا يقفون على باب الخليفة وذات يوم دخل عليه الشاعر جرير وانشده قصيدة مقطعها :

ان الذي بعث النـــــبي محمداً　　جـــــــعل الخلافة للامام العادل
وسع الخــــلائق عدله ووفاؤه　　حتى ارعـــــوى فأقام ميل المائل
أني لأرجـــــــــو خيراً عاجلاً　　والنفس مولعة بحب العاجل (٧٢)

فقال له الخليفة : " يا جرير ما أرى لك فيما هاهنا حقاً فرده عليه جرير : "بلى يا امير المؤمنين أنا ابن سبيل ومتقطع فأعطاه الخليفة من صلب ماله مائة درهم وخرج جرير مسرور فقال له الشعراء ما وراءك ؟ فقال : ما يسوؤكم خرجت من عند امير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء" وقال له قصيدة مطلعها :

رأيت رقى الشيطان لا تستعره　　وقد كان شيطاني من الجن راقيا(٧٣)

وهذا يدل على رضى الشعراء العرب عن الخليفة عمر (رضي الله عنه) وعدله واحسانه للمجتمع بمختلف توجهاته .

وقد اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بالمزارعين من خلال تحسين احوالهم ورفع الضرر عنهم ، وروي في ذلك ان جيش من اهل الشام مر بزرع احد الرجال فأفسده الامر الذي دفع هذا الرجل الى ان يشكو الى الخليفة فعوضه عشرة الاف درهم ، فضلاً عن القروض الزراعية التي قدمها الى المزارعين، اذ جاء في رسالة الى والي العراق : ((ان انظر من كانت عليه جزية فضعفت أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل ارضه ، فأنا لا نريدهم لعام ولا لعامين)) (٧٤) .

هكذا فان سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت تتسم باللين والرفق بأهل المحتاجين وعمل على رعايتهم ، وهناك شواهد كثيرة على اعماله وانجازاته منها ـــ دفع الى رجل مسكين اشتدت به الحاجة ، فرض له ولعياله خمسمائة دينار حتى يخرج عطاءه ، وكذلك خصص الخليفة عمر (رض) دار لاطعام الفقراء والمساكين وابناء السبيل ، ولم يكتفي بالاعتناء بالفقراء فحسب بل امتدت رعايته الى المرضى وذوي العاهات والايتام ، اذ كتب الى امصار الشام : " ادفعوا الى كل اعمى في الديوان او مقعد او من به فالج او من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة " كذلك اهتم عمر (رض) بالغارمين وامر بقضاء الدين عنهم (٧٥) .

كما قام الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعديد من الاجراءات الغاية منها رد الحقوق لاصحابها ، من هذه الاجراءات قام برد المظالم من لدن معاوية الى ان استخلف فأخرج من ايدي ورثة معاوية وابنه يزيد حقوقا وردها الى اهلها، وامر ان تزكى اموال المظالم التي ردها من بيت المال لأنها غابت عن اهلها سنتين ولم تزكى (٧٦) .

ولم يقتصر عطاء الخليفة الامويين على الرجال وانما شمل النساء ، اذ جاءت امرأة من العراق الى عمر بن عبد العزيز (رض) وقال : " ما حاجتك ؟ فقالت : امرأة من اهل العراق لي خمس بنات كسل كسد ، فجئتك ابتغي حسن نظرك لهن فقال عمر (رض): " كسل كسد ويبكي " فأخذ الدواة والقرطاس وكتب الى والي العراق ففرض لهن عطاء فلما فرض للأربعـــــــة استفزها الفرح فدعت له فجزته خيراً (٧٧) وهذا يدل على اهتمامه بشأن الارامل وبناتهن .

واهتم الخليفة عمربن عبد العزيز(رض) بالانفاق على أسرى المسلمين من بيت مال المسلمين ، اذ كتب كتاباً الى اسرى المسلمين في القسطنطينية كما اهتم بالسجناء في سجون المسلمين بسبب جرم او قصاص ، اذ امر برعايتهم والانفاق عليهم كذلك أهتم عمر (رض) بالمسافرين وابناء السبيل فأمر عماله ببناء بيوت الضيافة على الطرق لرعاية المسافرين والخانات ، واهتم بالحجاج والانفاق عليهم ورعاية ضعيفهم واغناء فقيرهم ، والانفاق على فك رقاب المستعبدين ، واهتم ايضاً برعاية العلماء وانفق عليهم الاموال لكي يتفرغوا لدعوة الناس وتعليمهم ، حتى الاطفال الصغار حدد لهم مبلغاً من المال ليستعين به ذووهم على تربيتهم ، اضافة الى بناء المرافق العامة وحفر الابار وتشييد المساجد(٧٨) . من هنا يبدو ان الخليفة عمر (رض) اهتم بجمع فئات الامة من القبائل العربية ، لانهم يمثلون قبائلهم كالفقراء والمساكين والمحتاجين والفارمين والعجزة ، والمرضى والشعراء

والعلماء ، ومساعدة الشباب على الزواج وبناء المرافق العامة لهم ، كل ذلك يشكل موقف الخليفة عمر (رض) تجاه القبائل التي كانت الغالبية منها راضية عن سياسة الخليفة .

ومن الامثلة الاخرى قدم رجل من البصرة على الخليفة عمر (رض) فتظلم الى الخليفة من عدي بن ارطأة الفزاري عامله على البصرة في أرض له فقال عمر : " اما والله ما عزنا منه الأ بعمامته السوداء ، اما انى كتبت له فضلاً عن وصيتي ، أنه من أتاك ببينه على حق هو له فسلمته اليه ، ثم قد عناك الي ... " فأمر عمر (رض) برد ارضه اليه ، وكتب بذلك الى عاملة عدي من أرطأة واعطى الرجل ستين درهماً من بيت المال عن نفقه الطريق ، ثم اعطاه كذلك من ماله الخاص خمسة دراهم وقال له عمر (رض) : " خذ هذه خمسة دراهم من مالي فكل بها لحماً حتى ترجع الى أهلك ان شاء الله " (٧٩) .

كذلك جاء رجل من اهل اذربيجان الى الخليفة يشكو اليه من تصرف عاملة على اذربيجان فقال : " يا امير المؤمنين ، اذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق من يوم تلقاة بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب ، قال فبكى عمر ثم قال له : ما حاجتك ، فقال ان عاملك بأذربيجان عدا علي، فأخذ مني اثنى عشر الف درهم فجعلها في بيت المال فقال عمر : أكتبوا له الساعة الى عـــــامها فليرد عليه ثم ارسله مع البريد" (٨٠) .

حتى ان عمر بن عبد العزيز امر بفرض عطاء الى اهل السجون وجاء في كتابه : " من كان غائباً قريب الغيبة فأعط اهل ديوانه ومن كان منقطع الغيبة ، فأعزل عطاءه الى ان يقدم او يأتي نعيه او يوكل عندك بوكالة ببينة على حياته فأدفعه الى وكيله " (٨١) . وبذلك احيا عمر (رض) سنة العطاء الاسلامي التي

كانت في عهد الخلفاء الراشدين وعهد الخليفة معاوية ، وبطبيعة الحال ان هذه السياسة كان لها مردود ايجابي على المجتمع الاسلامي ، واستطاع ان يكسب قلوب الناس ويعيد الحق الى نصابه .

كان لهذا النهج العادل الذي سلكه الخليفة عمر بن عبد العزيز في توزيع اموال المسلمين، وحرمان القلة المتمكنة من الاسراف ، واصبح ما يصرف على فرد من هذه الفئة المتمكنة يصرف على العشرات من المسلمين فوصل المال العام الى فئات ممن لم يكن يصل اليها من قبل (٨٢) .

من الاجراءات الاخرى للخليفة عمر بن عبد العزيز أنه اخذ برد العطاء على الذين حرموا منه او حذفت اسماؤهم من سجلاته ، لاسباب مختلفة فقد رد على عبد الملك محمد بن زير عطاءه وقال لعمر بن عبد العزيز" ... يا امير المؤمنين عصيت سنوات ... وحرمت عطاءه " وقال :" فرد علي عطائي وامر ان يخرج لي ما مضى من السنين " (٨٣) .

كما فرض الخليفة عمر بن عبد العزيز لأهل السجون اعطيات ، وكان لهم سجل مستقل ، فقد ذكر ابن سعد عن الواقدي عن ابي بكر ابن حزم قال : " كنا نخرج ديوان اهل السجون فيخرجون الى اعطيتهم بكتاب عمر بن عبد العزيز " وقد حدد الخليفة لاهل السجون مرتباً شهرياً قدره خمسة دراهم حسب ما جاء في كتاب الخليفة الى واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن (٨٤) . وهذه السياسة كانت لها مردود ايجابي على المجتمع الاسلامي .

ولم يقف الخليفة عمر بن عبد العزيز عند حد أسترداد الاموال من بني امية وردها الى بيت المال المسلمين ، بل يخطو خطوة اخرى ويعلن لابناء الامة الاسلامية ان كل من له حق على امير او جماعة من بني امية لو لحقه منه مظلمة فليقدم بالبينة لكي يرد عليه حقه (٨٥) .

ومن تكريم عمر بن عبد العزيز ان زاد عطاء الرجال ألفين ألفين شرف العطاء وكان سبب ذلك انه كان يعطي لمن يقم خدمة معتبرة للاسلام او لأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم من بني هاشم فقد خصصهم بالكثير من البر (٨٦) .

كذلك امر الخليفة عمر (رض) بتقديم معونات مالية لاهل اليمن ، اذ كتب الى عاملة عروة بن محمد السعدي بـأن يعطي من بيت المال مائة الف درهم للغارمين ولا تعطي منها من كانت ديته في سرف وتبذير ، وان يعطي من تزوج او ابتاع ذا رحم فأعتقه او تاجر اتى علي ما في يديه (٨٧) . وكذلك ان يخرج مائة الف درهم اخرى لابناء السبيل ، وان يأمر رهطاً من ذوي الدين والحسبة والنية الحسنة ان يقصدوا بها عن طريق الحاج ، فلا يدعو منقطعاً به منهم ولا محسوراً ولامر ماراً الا زودوه ، ولا راجلاً الا حملوه ، ولا عارياً الا كسوه ان شـــــاء الله فان الحاج خير السبيل (٨٨) ، وهذا يدل على احساس الخليفة عمر بن عبد العزيز بضرورة اعانة أهل البلاد الفقيرة .

وفي عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك(١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) فأنه زادة في رواتب اهل الامصار جميعاً ، اذ بلغ عشرة دراهم ومنح اهل الشام عشرة دراهم اخرى وضاعفت الاعطيات والهبات لاقربائه الذين قدموا عليه واعلنوا مساندتهم له واكرم كل من قصدوه وسألوه ، وكذلك تأليف قلوب اهل مكة والمدينة واسترضاهم واعاد اليهم ارزاقهم وحقوقهم المالية ، كذلك من اصلاحات الخليفة الوليد بن يزيد بالزراعة وتوسيع رقعة الاراضي التي تزرع في الصيف وزيادة محاصيلها ورفع اجر العاملين فيها كذلك اقام بعض الجسور منها ((جسر الوليد))(٨٩) .

وهذا يدل على اهتمام الخليفة الوليد بن يزيد بأحوال رعيته اهتماماً شاملاً اذ واسى البؤساء والضعفاء والعجزة والقاعدين والمكفوفين من اهل الشام ووزع المعونات والهدايا على اطفالهم (٩٠) .

الخاتمة :

في نهاية هذه الدراسة لا بد من ذكر اهم النتائج التي توصل اليها البحث وهي كما يلي:

وضع العطاء اسس وقواعد في كيفية توزيع الاموال على المسلمين وخاصة المقاتلة وعوائلهم ، اذ تطور في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وفق مبادئ واصول اهمها القرابة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) والسبق في الاسلام ولمن ابلى في الاسلام بلاءاً حسناً ، وتمخض عن ذلك وضع ديوان عرف بديوان الجند، وهناك من العطاء ما يسمى (شرف العطاء) ومن الاسس الواجب توفرها في منح شرف العطاء ان يكون ابدى بسالة في الحروب فضلاً عن بعض الاعمال الادارية .

ولما جاءت الدولة الاموية (٤١هـ-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٤٩م) اتسعت منافذ منح العطاء بالاضافة الى ديوان الجند ، اذ لم يتوانى الخلفاء الامويين في اغداق الاموال على كل مايوطد كيان الدولة ويحافظ على الخلافة الاموية ووحدة كيانها ، والحد من حركات المعارضة التي تستهدف القضاء على الحكم الاموي .

عمد الخليفة معاوية(رضي الله عنه) الى اتباع سياسة كسب رضا القبائل وكان الهدف منها تثبيت الدولة الاموية واستقرارها ، كما حدث في الصراع بين القبائل العربية القيسية واليمانية .

كان معاوية يكسب كبار الزعماء في القبائل العربية ، كما حدث عندما وفد اليه قبيلة تميم واكرامه لرؤسائها ومنحهم الجوائز .

كذلك استخدم المال لتصفية بعض العناصر المناوئه للخلافة الاموية ، بعد ان ثبت عليها التآمر على الخلافة بغية القضاء عليها ، وهنا سيكون دور المال مهماً في الجانب السياسي .

دخل دور المال في الجانب السياسي من خلال استخدامه من قبل الخليفة معاوية في ترشيح ابنه يزيد لولاية العهد ، ومن الامور الايجابية في استخدام المال

هي المساعدة في قضاء الدين مثلما حصل لعمرو بن الزبير عندما حصل على مائة الف درهم ، ومن السلبيات هو استخدام المال لحرمان صاحبها منها لسبب معين تجاه الخليفة الاموي .

تبين من خلال الدراسة ان سلاح الاموال والعطايا مهم في الحروب ، من خلال جذب القلوب والتأثير في النفوس ، اذ يكون دورها مكملاً للولاء والتأييد لبعض الشخصيات ذات الثقل السياسي والاجتماعي ، والتقرب اليها سيحسم الامور لصالح الخلافة الاموية .

لم يسمح الخلفاء الامويين بالاسراف في اعطاء الاموال ، وانما يجب ان يكون اعطائها الى مستحقيها ، وبما يحقق الهدف المرجوا منها ، مع مراعاة عدم مخالفة الشرع الاسلامي .

كذلك من المردودات في اعطاء الاموال الى المحتاجين والفارمين والفقراء والايتام ومساعدة الارامل ، واستخدموا الاموال في عملية بناء مسجد الرسول (صلى الله عنه) في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، والاهتمام بالمزارعين وتحسين احوالهم ورفع الضرر عنهم ، كما هو الحال في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز من خلال تسليف الفلاحين المتضررين اضافة الى الانفاق على اسرى المسلمين من بيت مال المسلمين ، وبناء دور الضيافة لرعاية المسافرين والانفاق على رعاية ضعيفهم واغناء فقيرهم ، والانفاق على فك رقاب المستعبدين ، والاهتمام برعاية العلماء ليتفرغوا لدعوة الناس وتعليمهم ، وكذلك الانفاق على المرضى والعجزة والشعراء ومساعدة الشباب على الزواج ، ودفع المهور كما حدث في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وبناء المرافق العامة وحفر الآبار، كذلك فرض العطاء الى اهل السجون واعادة العطاء الى اصحابه الذي حرموا منه ، او حذفت اسماؤهم من سجلاته لاسباب مختلفة كما هو الحال في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز .

الهوامـــــش:

(١) الكبيسي ، حمدان : مقدمة في الاقتصاد العربي الاسلامي ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص١٨٧ .

(٢) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، مطبعة الكتب العربية ، (مصر : ١٩٠٠م) ، ص٤٥٣-٤٥٤ .

(٣) حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط٧ ، (القاهرة : ١٩٦٤م) ، ٤٤٥/١-٤٤٦ .

(٤) العلي ، صالح احمد : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، مطبعة دار الطليعة ، (بيروت : ١٩٦٩) ، ص١٥٢-١٥٣.

(٥) الكبيسي : مقدمة في الاقتصاد العربي ، ص١٨٨ .

(٦) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار سويدان (بيروت : د. ت) ، ١٥٨/٥-١٥٩ ، قاسم ، محب محمود : معاوية بن ابي سفيان دراسة في سيرته وجهوده العسكرية والادارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦ ، ص٦٠ .

(٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ١٥٩/٥ .

(٨) الذهبي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد : تاريخ الاسلام ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٥) ، مج٢ ، ص٢٥٠ ؛ ابن كثير : الحافظ ابي الفداء اسماعيل ، البداية والنهاية ، تحقيق : حامد احمد طاهر ، دار العـــبر للتراث ، ط١ ، (القاهرة : ٢٠٠٣) ، ٤٦/٨ .

(٩) ابن كثير : المصدر نفسه : ١٥٨/٨ .

(١٠) المصدر السابق : ١٥٨/٨ .

(١١) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، وحسن كامل مرعي ، (دار احياء الكتب العربيه ، عيـــسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة : ١٩٦٠) ص ٢٢ ؛ الصلابي ، علي محمد ، معاوية بن ابي سفيان ، شخصيته وعصره ،ط١(دار ابن كثير، دمشق ، بيروت :٢٠٠٦)،ص٣٣٥.

(١٢) البلاذري ، احمد بن يحيى ، جمل من انساب الاشراف ، تحقيق : سهيل زكار ورياض زركلي ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت: ١٩٦٦) ، ٣٦٨/٣ .

(١٣) الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين ، الاغاني ، (دار الثقافة ، بيروت : ١٩٥٥) ، ٦٩/١٨ ؛ الجبوري ، نصير بهجت فاضل ، قبيلة تميم ودورها خلال العصر الاموي(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد ، (كلية الآداب :٢٠٠٣م) ، ص٦٢.

(١٤) فلهوزن ، يوليوس : تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، علق عليه عبد الهادي ابوريده ، ترجمة حسين مؤنس مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط١ (القاهرة : ١٩٦٨) ، ص١٧٦-١٧٧.

(١٥) الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، ط١ (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة : ١٩٦٠) ، ص٣٤٩ ؛ عبد الحسين ، عبد الامير، الدولة الاموية ، بدون طبعة ،(د.م : د.ت) ، ص١٤٣.

(١٦) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، تصحيح عبد القادر بدران ، ط١ ، (بيروت : ١٩٧٩) ، ٣١/٧ ، عبد الحسين ، الدولة الاموية ، ص١٤٤ .

(١٧) ابن عساكر : تهذيب ، ٨/٧ .

(١٨) المصدر نفسه ، ٣٠٣/٥-٣٠٤ .

(١٩) الطبري ، تاريخ ، ٢٤٢/٥-٢٤٣ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ٣١٦/٥-٣١٧ .

(٢١) ابن خياط ، ابو عمر خليفة بن ابي هبيرة الليثي العصفوري ، تاريخ ابن خياط ، راجعه وضبط حواشيه وفهارسه : مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز ، (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٥) ، ص١٣١ ؛ العباسي ، عاصم اسماعيل كنعان ، الخلافة الاموية(٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩) دراسة في احوالها السياسية والادارية والمالية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد:١٩٩٥)، ص٩٧.

(٢٢) ابو الفدا ، المؤيد اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت : ١٩٦٠) ، ١٠١/١ ؛ اليوزبكي ، توفيق سلطان دراسات في النظم الاسلامية ، مطبعة مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ، ط٢(الموصل:١٩٧٩م)، ص٥٢.

(٢٣) ابو محمد عبد الله بن مسلم ، الامامة والسياسة ، علق عليه خيري سعيد ، (د.م : د. ت) ، ١٧٧/١ وما بعدها .

(٢٤) خالد ، سلطان : الفقهاء والخلفاء ، دار عمار ، ط١ ، (الاردن : ٢٠٠٠) ، ص٥٨-٥٩ ؛ الصلابي : معاوية بن ابي سفيان ، ص٥١٢-٥١٣ .

(٢٥) الطبري : تاريخ : ٣٣٠/٥ .

عطاء الخلفاء الأمويين في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية | مجلة آداب الفراهيدي | د. احمد عبيد عيسى د. عذال ابراهيم حسين العدد (١٣) كانون الأول ٢٠١٢

(٢٦) المصدر نفسه : ٣٢٠/٥ .

(٢٧) نفسه : ٣٢٠/٥-٣٢١ .

(٢٨) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر للطباعة ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ٧٧/٣ .

(٢٩) الطبري : تاريخ ، ٣١٦/٥ .

(٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٥٩/٨-٦٠ .

(٣١) الطبري : تاريخ ، ٤٨٠/٥ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ٤٨٠/٥ .

(٣٣) المسعودي ، مروج الذهب : ٩٦/٣ .

(٣٤) المصدر نفسه : ٩٦/٣ .

(٣٥) نفسه ، ٩٦/٣-٩٧ .

(٣٦) حتي ، فيلب : تاريخ العرب ، دار الكشافة للنشر والطباعة ، ط٤ ، (د. م ، ١٩٦٢) ، ص٢٥٥ .

(٣٧) الطبري ، تاريخ ٦١٠/٥-٦١١ ؛ ولمزيد من التفاصيل ينظر : الجبوري ، احمد عبيد عيسى ، ال العاص ودورهم في الحياة العامة في القرن الاول للهجرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ٢٠٠٢ م)، ص٧١ وما بعدها .

(٣٨) اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل منصور ، (ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ٢٠٠٢ م) ، ٢٧٠/٢ ؛ الريس ، محمد ضياء الدين ، عبد الملك بن

مـروان والدولـة الاموية ، (ط٢ ، مطبعـة سجل العـرب ، د.م: د.ت) ، ص١٦٠ومابعدها.

(٣٩) الريس ، عبد الملك بن مروان ، ص١٦٦ .

(٤٠) عبد الحسين ، الخلافة الاموية ، ص١٥٢ .

(٤١) المرجع نفسه ، ص١٥٢.

(٤٢) نفسه، ص١٥٢ .

(٤٣) المسعودي : مروج ، ١٤٢/٣ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ١٤٣/٣ .

(٤٥) نفسه ، ١٤٢/٣ .

(٤٦) الطبري ، تاريخ ، ٣٩٠/٦ .

(٤٧) تاريخ ، ١٦٢/٦ ؛ المسعودي : مروج ، ١١٩/٣-١٢٠ .

(٤٨) الطبري : تاريخ ، ١٦٤/٦ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ١٦٤/٦ .

(٥٠) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٣٩-٤٢٢ وما بعدها .

(٥١) اليعقوبي ، تـاريخ ، ٢٣٤/١ ؛ ابـن الاثيـر : عـز الـدين ابـو الحسـن علـي ، الكامل في التاريخ ، مطبعة الاستقامة ،(القاهرة : د.ت) ٤ /٤٨٧ .

(٥٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ٤٧٠/٢ .

(٥٣) الطبري ، تاريخ ، ٣٧٦/٧ .

(٥٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥٩/٨ .

(٥٥) المصدر نفسه ، ١٦٢/٨ .

(٥٦) نفسه ، ٢٥٩/٨ .

(٥٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ١٩٩/١ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ١٩٩/١ .

(٥٩) ابـن الاثيـر ، الكامـل فـي ، مـج٤ ، ص٢٤٦ ؛ الـذهبي ، تـاريخ ، مـج٣ ، ص١٤ .

(٦٠) اليعقوبي ، تاريخ ، ١٩٨/١ ؛ ابن الاثير الكامل ، مج٤ ، ص٢٤٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مج٣ ، ص١٣ .

(٦١) الطبري ، تاريخ ، ٤٩٦/٦ .

(٦٢) الفراجي ، عدنان علـي كرمـوش : الخلافـة الامويـة (٩٦-١٠٥هـ / ٧١٤-٧٢٣م) ، دراسة في التاريخ السياسي والاداري ، رسالة دكتواره غير منشورة ، جامعة بغداد ، (كلية الآداب ، ١٩٩٧) ، ص٧٥ .

(٦٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢١٣/١ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ٢١٤/١ .

(٦٥) نفسه ، ٢١٥/١ .

(٦٦) ابن سلام ، ابو عبيد القاسم ، الاموال ، صحححه وعلق عليه : محمد حامد الفقـي ، (المكتبـة التجاريـة الكبـري ، القـاهرة : ١٣٥٣هـ) ، ص٢٦٥ ؛ الصلابي ، علي محمد ، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار (ط١، دار التوزيع للنشر الاسلامية ، القاهرة: ٢٠٠٦م) ، ٢٨٤/٢.

(٦٧) الطبـري ، تـاريخ ، ٥٤٤/٦-٥٥٧ ؛ الجهشـاري ، ابـو عبـد الله محمـد بـن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وآخرون ، (ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة : ١٩٣٨) ، ص٤٩.

(٦٨) الطبري ، تاريخ ، ٥٧٧/٦ .

(٦٩) ابن سلام ، الاموال ، ص٢٦٥ .

(٧٠) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، (ط١ ، الدكن : ١٣٥٩هـ) ، ٣٧/٧ .

(٧١) المصدر نفسه ، ٣٧/٧-٩٩ .

(٧٢) ابن عبد الحكم ، ابو محمد عبد الله ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، نسخها وصححها وعلق عليها : احمد عبيد ، (ط٣ ، دار الفكر ، دمشق : ١٩٦٤) ، ص٦٨ .

(٧٣) ابن سلام، الاموال، ص٢٦٥ ؛ الصلابي ، الدولة الاموية ، ٣٨٦/٢-٣٨٧.

(٧٤) ابن سعد ، محمد : الطبقات الكبيرى ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٩٥٥) ، ٢٥٢/٥ .

(٧٥) الصلابي ، الدولة الاموية ، ٢٨٣/٢ .

(٧٦) ابن الحكم ، سيرة ، ص١٦٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٠٦/٢ ؛ الصلابي : الدولة الاموية ، ٣٨٧/٢-٣٨٨ .

(٧٧) ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن ابي بكر ، احكام اهل الذمة ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، (ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ٢٠٠٢) ، ص٤٥ .

(٧٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢١٨/٩ .

(٧٩) ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، (عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط١ ، القاهرة : ١٣٥٢هـ) ، ص١٥٠ .

(٨٠) الصلابي ، الدولة الاموية ،٢٨٣/٢ .

(٨١) ابن سعد ، طبقات ، ٢٥٦/٥ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ٢٥٧/٥-٢٦٢ .

(٨٣) ابن عبد الحكم ، سيرة ، ص١٤٧ .

(٨٤) ابن سعد ، طبقات ، ٢٢٥/٥-٢٨٦ .

(٨٥) ابن سلام ، الاموال ، ص٢٦٥ .

(٨٦) الفراجي ، الخلافة الاموية ، ص٨٠ .

(٨٧) الطبري ، تاريخ ، ٢١٧/٧ .

(٨٨) الصلابي ، الدولة الاموية ، ٥٧٦/٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أ: المصادر

- **ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي الشيباني(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).**

١- الكامل في التاريخ ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة : د. ت) ، ج٣ ، ج٤ ، راجعه وصححه محمد يوسف الرقاق ،(ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٩٨م) .

- **ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).**

٢- المنتظم في تاريخ الملوك ، (ط١ ، الدكن : ١٣٥٩هـ) .

- **ابن خياط ، ابو عمرو خليفة بن ابي هبيرة العصفوري(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).**

٣- تاريخ خليفة بن خياط ، راجعه وضبط حواشيه وفهارسه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز ،(ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت:١٩٩٥م).

- **ابن سعد ، محمد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م).**

٤- الطبقات الكبرى ، (طبقة بريل ، ليدن : ١٩٥٥م) .

- **ابن سلام ، ابي عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م).**

٥- كتاب الاموال ، شرحه: عبد الامير علي مهنا ، (ط١، دار الحداثة ، بيروت:١٩٨٨م) .

- **ابن عبد الحكم ، ابو محمد عبدالله(ت٢١٤هـ/٨٢٩م).**

٦- سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخها وصححها وعلق عليها:احمد عبيد ،(ط٣، دار الفكر، دمشق : ١٩٦٤م).

- **ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين(ت٥٧١هـ/١١٧٥م).**

٧- تهذيب تاريخ ابن عساكر ، تصحيح عبد القادر بدران ، (ط٢ ، بيروت : ١٩٧٩م) .

– ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) .

٨– الامامة والسياسة علق عليه خيري سعيد ، (د. م : د. ت) .

– ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابو عبدالله محمد(ت٧٥١هـ/١٣٥٠م).

٩– احكام أهل الذمة ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد،(ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت:٢٠٠٢م).

– ابن كثير ، الحافظ ابي الفداء اسماعيل(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

١٠– البداية والنهاية ، تحقيق حامد احمد طاهر ، (ط١، دار الفجر للتراث ، القاهرة : ٢٠٠٣م) .

– ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م).

١١– المختصر في اخبار البشر،(دار الكتاب اللبناني ، بيروت: ١٩٦٠م).

– ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم(ت١٨٢هـ/٧٩٨م).

١٢– كتاب الخراج (عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط٢، القاهرة : ١٣٥٢هـ).

– الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ/٩٦٦م).

١٣– الاغاني ، (دار الثقافة ، بيروت: ١٩٥٥م).

– البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٨٩م) .

١٤– فتوح البلدان ، (مطبعة الكتب الغربية ، مصر : ١٩٠٠م) .

١٥–جمل من انساب الاشراف ، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي(ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت: ١٩٩٦م) .

– الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

١٦–لطائف المعارف ، تحقيق: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ،(دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة: ١٩٦٠م) .

– الجهشياري ، ابو عبدالله محمد بن عبدوس(٣٣١هـ/٩٤٢م).

١٧–الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وآخرون ،(ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة: ١٩٣٨م).

– الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود(ت٢٨٢هـ/٨٩٥م).

١٨– الاخبار الطوال ، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة : جمال الدين الشيال،(ط١، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة: ١٩٦٠م).

– الذهبي ، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

١٩–تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ،(ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت : ٢٠٠٥) .

– الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م).

٢٠– تاريخ الامم والملوك ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ،(دارسويدان ،بيروت: د. ت).

– المسعودي ، أبي الحسن بن الحسين(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٢١– مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ،(ط١، دار الفكر للطباعة بيروت : ٢٠٠٠م) .

– اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت٢٧٨هـ/٨٩١م).

٢٢– تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور ،(ط٢، دارالكتب العلمية ، بيروت :٢٠٠٢م).

ب: المراجع :

- **الجبوري ، احمد عبيد عيسى .**

٢٣- ال العاص ودورهم في الحياة العامة في القرن الاول للهجرة ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٢م) .

- **الجبوري ، نصير بهجت فاضل .**

٢٤- قبيلة تميم ودورها خلال العصر الاموي (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٤٩م) ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠٣ م).

- **حتي ، فليب .**

٢٥- تاريخ العرب ، (ط٤، دار الكشافة للنشر والطباعة ، د. م : ١٩٦٥م) .

- **حسن، حسن ابراهيم .**

٢٦ – تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، (ط٧،مطبعة السنة المحمودية القاهرة : ١٩٦٤ م) .

- **خالد ، سلطان .**

٢٧- الفقهاء والخلفاء ، (ط١، دار عمار ، الاردن : ٢٠٠٠م) .

- **الريس ، محمد ضياء الدين .**

٢٨- عبد الملك بن مروان والدولة الاموية ، (ط٢ ، مطبعة سجل العرب ، د. م : د.ت) .

- **الصلابي ، علي محمد .**

٢٩- الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار دراسة شاملة ، (ط١ ، دار التوزيع للنشر الاسلامية ، القاهرة : ٢٠٠٦) .

٣٠- معاوية بن ابي سفيان شخصيتة وعصره ، (ط١، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت:٢٠٠٦م).

- **العباسي ، عاصم اسماعيل كنعان .**

٣١- الخلافة الاموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٦٧٩م) دراسة في احوالهم السياسية والادارية والمالية ، (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٥م) .

- **عبد الحسين ، عبد الامير .**

٣٢- الدولة الاموية ، بدون طبعة ، (د. م : د. ت) .

- **العلي ، صالح احمد .**

٣٣- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، (مطبعة دار الطليعة ، بيروت : ١٩٦٩م) .

- **الفراجي ، عدنان علي كرموشي .**

٣٤- الخلافة الاموية (٩٦-١٠٥هـ/٧١-٧٢٣م) ، (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٧ م) .

- **فلهوزن ، يوليوس .**

٣٥- تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية علق عليه: عبد الهادي بوريده ، ترجمه حسين مؤنس ، (ط١،مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة : ١٩٦٨ م

- **قاسم ، محب محمود .**

٣٦- معاوية بن ابي سفيان دراسة في سيرته وجهوده العسكرية والادارية ، (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦) .

- **الكبيسي ، حمدان .**

٣٧- مقدمة في الاقتصاد العربي الاسلامي ، (مطبعة التعليم العالي ، بغداد : ١٩٩٨م) .

- **اليوزبكي ، توفيق سلطان .**

٣٨- دراسات في النظم الاسلامية ، (ط٢،مطبعة مؤسسة الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، الموصل : ١٩٧٩م) .

الأجتياح (الإسرائيلي) للبنان عام ١٩٨٢

د. جمال سعد نوفان

سبق وان تعرض لبنان لاجتياح عام ١٩٧٨ من قبل (إسرائيل) وأطلق عليه بعملية (الليطاني)*، وكان هدفه طرد الفلسطينيين من جنوب لبنان وسرقة مياه نهر الليطاني اللبناني باتجاه (إسرائيل) ، وإقامة حزام امني لحماية المستوطنات الشمالية وانصب اهتمام حكومة الليكود في(اسرائيل) التخلي عن سياسة حزب العمال السابقة القاضية بعدم التدخل المباشر في الأزمة اللبنانية ، وبدأت الحكومة(الاسرائيلية) تحضر بمواجهة جديدة مع سورية ، وتبادل الفلسطينيون وقوات سعد حداد القصف المدفعي يوم ٢ تموز ١٩٨١، وأطلقت قوات فتح مئة قذيفة على المستوطنات (الاسرائيلية)، كما هاجم الطيران (الإسرائيلي) يوم ١٠ تموز اهدافا لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعلى امتداد الساحل، ورد عليهم الفلسطينيون بقصف شمالي (إسرائيل)، كما هاجمت الطائرات (الإسرائيلية) مرة ثانية يوم ١٢ تموز ١٩٨١ مواقع للفلسطينيين، وعاودت قصفها بعد يومين مستهدفة ثلاث قواعد للفلسطينيين في جنوب لبنان ، واتبعتها بغارات وحشية على مبان لمنظمة التحرير الفلسطينية في حي الفاكهاني في قلب بيروت الغربية يوم ١٧ تموز ١٩٨١، وهي المرة الأولى التي يتعرض فيها حي في بيروت للقصف (الإسرائيلي)[١].

أرسل السوريون طائرات مقاتلة لقطع الطريق أمام الطائرات (الإسرائيلية)، وفقد السوريون طائرة (ميغ٢١)، ورد الفلسطينيون يوم ٢٠ تموز بقصف (٣٣) مستعمرة وأطلقوا عليها (٢١٣٠) قذيفة ، وتسبب القصف بقتل ثلاثة وجرح (٥٩) (إسرائيليا) ، ورد الطيران (الإسرائيلي) بقصف بيروت ، وراح ضحيتها مئة قتيل، وثمانمائة جريح وقد طالب الرئيس الأمريكي رونالد ريغان (Ronald Reagan)*(١٩٨١-

١٩٨٩) وقف العمليات الحربية ، وتم إرسال مبعوثه فيليب حبيب ، واشترطت (إسرائيل) عدم الدخول في مباحثات مباشرة مع الفلسطينيين إلا أذا اعترفت بها[٢].

حينما تم تعيين (ارييل شارون_ Ariel Sharon) [٣]، وزيرا للدفاع (الإسرائيلي) في شهر آب ١٩٨١ ، كانت لبنان تشهد سلسلة من التطورات الداخلية والإقليمية وقد حاول بشير الجميل استغلال التناقضات بين سورية و (إسرائيل) وبين الأخيرة ومنظمة التحرير الفلسطينية لجرهم الى الحرب للتخلص من سورية والأخيرة[٤].

قال (شارون) ((إننا أخطأنا عندما عقدنا صفقة مع منظمة التحرير الفلسطينية لأننا نخشى ان يؤدي التزام المنظمة باتفاقها ، الى بدء المفاوضات مع الولايات المتحدة حول الحكم الذاتي الفلسطيني ، والمثبت في اتفاقيتي كامب ديفيد))[٥].

قام بشير الجميل بعدة زيارات الى (اسرائيل) من اجل الحصول على دعم مادي وعسكري لمواجهة التحدي الفلسطيني، وفي المقابل تقوم الجبهة اللبنانية بدعم لوجستي للقوات (الإسرائيلية) ، وتقديم معلومات عن تواجد القادة الفلسطينيين كما التقى مع رئيس الوزراء (الاسرائيلي) (مناحيم بيغن-Menachem Begin)[٦].

وعد (مناحيم بيغن) بشير الجميل بأنه لن يتخلى عن دعم المسيحيين ضد الوجود العسكري الفلسطيني والقوات السورية ، وطلب من بشير الجميل في حالة فوزه في الانتخابات الرئاسية في لبنان إلى عقد معاهدة سلام مع (إسرائيل) ، حتى يكتمل مثلث السلام (مصر ، لبنان ، [اسرائيل]) [٧].

استقبل الرئيس الياس سركيس يوم ١٧ تشرين الأول ١٩٨١ مساعد وزير الخارجية الامريكي موريس درايبر(Moris Dreabar) ، وسلمه رسالة من وزير خارجيته الكسندر هيغ(Eleksandr Heg) ، اكد فيها ((ان الولايات المتحدة تبذل

قصارى جهودها من اجل استقرار الوضع في الشرق الاوسط عامة ، ولبنان خاصة))[٨].

رد الرئيس الياس سركيس بلغة دبلوماسية على موريس درايبر ، ومرددا ما قاله لفيليب حبيب يوم ٢٢ تموز ١٩٨١ ، قائلا ((كفوا عن التصرف كما لو كانت [اسرائيل] وحدها تهمكم في الشرق الاوسط ، لان الاخيرة لن تقبل بحل سلمي مع الفلسطينيين ، وان لم تغيروا سياستكم في الشرق الاوسط ، فالاتحاد السوفيتي سوف يهيمن من جديد على الشرق الاوسط))[٩].

استلم (شارون) في نهاية تشرين الاول ١٩٨١ من قائد الجبهة الشمالية الجنرال (امير دروري) ثلاث اقتراحات لاجتياح لبنان وهي[١٠]:

١. السيطرة على جنوب لبنان .
٢. مواجهة القوات السورية في سهل البقاع .
٣. مواجهة عامة مع القوات السورية في لبنان ، وتطهير بيروت من الفلسطينيين.

عدّ وزير الخارجية الامريكي الكسندر هيغ المشكلة اللبنانية بانها مكيدة سوفيتية سورية ، وانه مقتنع بالنظرية الكتائبية والتي مفادها ((ان تدمير [اسرائيل] لمنظمة التحرير الفلسطينية ، سيمكن من أقامة نظام لبناني تحت هيمنة حزب الكتائب ، ويعيد للدولة اللبنانية سلطتها وكرامتها وهيبتها المسلوبة وتطبيع العلاقات مع [اسرائيل]))[١١].

أعطى الكسندر هيغ الانطباع (للإسرائيليين) ان الولايات المتحدة سوف تحمي جبهتهم السياسة في المحافل الدولية ، وتمنع أي انتقاد يوجه ضدها ، او قرار يدينها من قبل حاشية الرئيس ريغان ، مما جعل (بيغن) يعتقد أن حربه المقبلة في لبنان تقف على أسس صلبة[١٢].

اعتقد الكسندر هيغ أن اجتياح (إسرائيل) للأراضي اللبنانية تقدم لبلاده فرصة إستراتيجية عظمى ، لأنها ستسمح لها بإعادة رسم الخريطة السياسية للشرق الأوسط في ظل تنامي النفوذ السوفيتي في أفغانستان ، وتحول سوريا الى حليف لها ، لذلك رأى ضرورة احتواء سورية وإضعافها وان تكون الحكومة الجديدة في لبنان موالية للولايات المتحدة ، وتقيم علاقات دبلوماسية مع (اسرائيل)[١٣].

دور بشير الجميل في (الاجتياح الإسرائيلي)

قدم بشير الجميل مبادرة لحل الأزمة اللبنانية يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٨١ أثناء احتفال حزب الكتائب بمرور ٤٠ عام على تأسيسه ، وعد الخطاب بأنه برنامج رئاسي له لتولي منصب رئيس الجمهورية[١٤].

تدهور الوضع في بيروت حينما اصطدمت حركة أمل مع عناصر حزب البعث الموالي للعراق يوم ٤ كانون الأول ١٩٨١ في شوارع (المصيبطة) واستخدمت بها الأسلحة الثقيلة والمتوسطة واستمر القتال ثلاث ساعات وتم الاستيلاء على صحيفة بيروت التابعة لحزب البعث ، وقد بررت حركة أمل ذلك بأنها تريد قطع الطريق أمام حزب البعث للهيمنة على بيروت الغربية[١٥].

وصل وفد من الجبهة اللبنانية إلى بغداد يوم ٥ كانون الأول ١٩٨١، واستقبلهم وزير الخارجية العراقي طارق عزيز، ورئيس المخابرات برزان التكريتي، وطلبوا مساعدة من العراق ، وطرح اسم بشير الجميل كمرشح للرئاسة اللبنانية ، وقد وافق العراق على دعمهم، ولا سيما المساعدات العسكرية[١٦].

قدم (بيغن) مشروعه للكنيست بضم الجولان (لاسرائيل) ، وقد تم التصويت على المشروع بالموافقة عليه بالإجماع يوم ١٧ كانون الاول ١٩٨١[١٧].

عدّ بشير الجميل قرار ضم الجولان بأنه سوف يعزز بقاء القوات السورية في لبنان ، لأن الدول العربية ستمتنع من مطالبتها لسورية بالانسحاب بحجة حماية لبنان والحدود السورية[١٨].

وصل (شارون) الى لبنان على متن طائرة (هليكوبتر) مساء يوم ١٢ كانون الثاني١٩٨٢ ، وهبطت على ارض مطار تابع للقوات اللبنانية قرب محطة توليد الكهرباء في منطقة (الزوق) ، وكان في استقباله بشير الجميل ، وعدد من معاونيه اذ نزل (شارون) من الطائرة وهتف بشير الجميل قائلا ((كنت اشك بأنك القادم إلينا ويسرنا ان تكون هنا))[١٩].

عقد (شارون) اجتماع فور وصوله مع بيار الجميل ، وكميل شمعون بحضور بشير وأمين الجميل ، وكشف لهم خطته لاجتياح لبنان ، وطرد الفلسطينيين والسوريين من لبنان ، وعلى مرحلتين ، الأولى تصل إلى نهر الليطاني ، وهدفها القضاء على الآلة العسكرية الفلسطينية ، وإبعاد الخطر عن المستعمرات في شمال (إسرائيل) ، أما الثانية فهي الوصول إلى بيروت لاستئصال الوجود الفلسطيني وسيكون على القوات اللبنانية دخول بيروت الغربية بعد محاصرتها من قبل الجيش (الإسرائيلي) ، وان تحقيق الخطة الثانية سيؤدي الى توقيع لبنان معاهدة سلام مع (إسرائيل)[٢٠].

اصطحب بشير الجميل الوفد (الإسرائيلي) بجولة ليلية للاطلاع على مسرح العمليات للحرب المقبلة، واستكشاف المنطقة عن كثب[٢١].

كان بشير الجميل متأكدا أن (إسرائيل) ستقوم بعمل ما خلال عام ١٩٨٢ لكنه لم يكن يمتلك تصورا واضحا عن حجم العملية وكان يردد ان (إسرائيل) تتأرجح بين عملية الليطاني ثانية ، أي عملية محدودة داخل الجنوب اللبناني وعملية واسعة تصل الى ابواب بيروت[٢٢].

اطلع بشير الجميل عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب كريم بقرادوني على مضمون اجتماع مهم جرى مع (شارون) في بيروت خلال شهر كانون الثاني ١٩٨٢ في بيت بشير بالاشرفية وحضره بيار الجميل وكميل شمعون وعدد من المساعدين ، وقد ابلغ (شارون) الحاضرين أن قرارا (أسرائيليا) بتدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية وان البحث يدور داخل الحكومة حول عمليتين ، واحدة محدودة ذات بعد امني تقضي على الآلة العسكرية الفلسطينية في جنوب لبنان ، وتصل الى نهر الليطاني وثانية كبيرة ذات بعدين سياسي وعسكري وهدفها ليس فقط تدمير الآلة الفلسطينية في جنوب لبنان ، وأنما بيروت أيضا ، وان العملية الكبرى تفترض مشاركتكم في معارك بيروت ، وتتوقف على مدى استعدادكم لتوقيع اتفاقية سلام مع (إسرائيل) واعلم أنه خيار صعب لأنه يعني مقاطعة العرب لكم[٢٣].

ابلغ (شارون) بشير الجميل ان القوات (الاسرائيلية) ستقتحم جنوب لبنان وتواصل اندفاعها شمالا على طول الساحل اللبناني ، وصولا الى بيروت ، ولن تدخل الى بيروت الغربية ، بل سنترك أمر اجتياحها إلى حزب الكتائب[٢٤].

صرح (بيغن) ((ان حكومته مصممة على اقامة مثلث سلام بينهما ، وبيت مصر ولبنان وعلى انهاء وجود منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان))[٢٥].

التقى (شارون) مع بيار الجميل ، وكميل شمعون في بيت بيار الجميل يوم ١٣ كانون الثاني ١٩٨٢ في الاشرفية ، وناقشا مسألة الغزو (الاسرائيلي) للبنان وطرد السوريين والفلسطينيين منه[٢٦].

ظهر من خلال الاجتماعات مع (شارون) أن آل جميل يريدون استخدام (الإسرائيليين) لمصالحهم (الوطنية) ، وفي الوقت نفسه ، الا يصبح المسيحيون على نسق سعد حداد ، وتحدث بيار الجميل عن أهمية (الميثاق الوطني) كوفاق بين اللبنانيين ، وعن رغبة المسيحيين بعلاقات جيدة مع الدول العربية ، وأن يكونوا

وسطاء بين العرب و (إسرائيل) ، كما أشار بشير الجميل الى ضرورة حل أزمة الشرق الأوسط عبر تأسيس دولة فلسطينية ، بعد انسحاب (إسرائيل) من الأراضي المحتلة ، أو من بعضها[٢٧].

كرر بشير الجميل كلامه أمام البرلمان الأوربي في اجتماعه مطلع عام ١٩٨٢ حينما طالب بالاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين ،وأن تكون لهم دولة في فلسطين التاريخية[٢٨].

كان بشير الجميل مصمم على إنهاء الوجود الفلسطيني العسكري ، واستعادة الدولة اللبنانية سيطرتها مجددا على المخيمات الفلسطينية ، وتقليص عدد الفلسطينين المدنيين في لبنان ،وطرد كل فلسطيني دخل لبنان بعد عام ١٩٤٨[٢٩].

كشف (شارون) في اجتماع بيت (مري) عما تسعى اليه (اسرائيل) منذ عقود وهو قيام حكم ماروني قوي في لبنان ، وخاطبهم قائلا ((بإمكانكم أن تستفيدوا من الوضع أثناء اجتياحنا للبنان ، لتدخلوا الى بيروت ، وتحضروا بالتالي الأجواء لتنظيم انتخابات حرة))[٣٠].

كان (شارون) يعلم انه لا يمكن أجراء انتخابات حرة في بيروت ، بوجود سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وان عليها طرد تلك القوى من بيروت وحين كان (شارون) ، وبشير الجميل ينظران الى الشطر الإسلامي لبيروت من على شرفة منزل بشير في (بيت مري)، وقال (شارون) ((لن تدخل [اسرائيل] الى بيروت الغربية ... لأنه سيسبب لنا مشاكل سياسية معقدة،وبيروت الغربية هي شأنكم))[٣١].

وصل وفد من حزب الكتائب الى (اسرائيل) يوم ١٩ كانون الثاني١٩٨٢ لمعرفة تفاصيل الاجتياح (الاسرائيلي) ، وتسليمهم الخرائط حول تواجد القوات السورية ، ومواقع صواريخ (سام) ، وتواجد المعسكرات والقيادات الفلسطينية[٣٢].

عقد وفد حزب الكتائب عدة اجتماعات في (إسرائيل) يومي ٢٢و٢٣ كانون الثاني ، اذ كانت تعقد الاجتماعات العسكرية في مقر القوات (الاسرائيلية) في وزارة الدفاع ، اما الاجتماعات السياسية فكانت تعقد في الاستراحة التابعة لمقر (الموساد) على طريق حيفا ، وقد عاد الوفد الكتائبي الى بيروت بخيبة امل ، لأن (الإسرائيليين) كانوا يجيبون على جميع أسئلتهم بـ(لا نعلم بدقة)[٣٣].

وصل فيليب حبيب(Philip Habib) الى بيروت يوم ٢٥ كانون الثاني ، والتقى برئيس جهاز الامن للقوات اللبنانية ايلي حبيقة ، وطلب منه مخطط لشوارع بيروت ، وابلغ فيليب حبيب القوات اللبنانية ((إن الادارة الامريكية تريد احتواء عدم الاستقرار في الشرق الاوسط في سبيل الحفاظ على الامن ، وابعاد الجيش السوري عن أي تصادم مع [الاسرائيليين] في حال قيام الاخيرة اجتياح لبنان))[٣٤].

كان (الإسرائيليون) يبحثون عن أية وسيلة، او ذريعة ضد منظمة التحرير الفلسطينية من اجل غزو لبنان ، ولا سيما انهم موقعين على اتفاق برعاية الولايات المتحدة لوقف أطلاق النار ، على الرغم من حدوث عدة خروقات من قبل الطرفين ومنظمة التحرير لاتتحمل اية منها ، وانما هناك فصائل فلسطينية لا تنظوي تحت لوائها ، سواء في داخل الوطن المحتل ، او موجود في سورية والأردن كما ان (اسرائيل) كانت تخشى ان يكون التزام المنظمة بوقف أطلاق النار بداية لعلاقات مع الولايات المتحدة ، لذلك نراها تجتمع لأي طارئ ، او حتى انفجار لغم او اعتداء يحصل حتى في أوربا ، لجعلها ذريعة للهجوم ، حتى أنها أصدرت قرارا مضمونه بان أي يهودي ، او مكان يقطنه اليهود يتعرض لأي اعتداء ، يكون كافي لبدء غزو واحتلال لبنان ، وتطبيق مشروعهم الكبير ، وطرد الفلسطينيين والسوريين خارج لبنان وتنصيب شخص موالي لها من الموارنة ، والقضاء على البنى التحتية للمنظمة[٣٥].

ارسل (شارون) مسؤول مصالح الاستخبارات (جوشوا ساغي) (Joshua Sagi) إلى

الولايات المتحدة سرا ، والتقى الكسندر هيغ ، وسلمه رسالة من (بيغن وشارون) في بداية شباط ٩٨٢ ، وافهمه ان (اسرائيل) تعلق اهمية كبيرة على محاولة تسلل الفدائيين عبر الاردن ، كما ابلغه بإعادة الفلسطينيين بناء تحصيناتهم وإعادة انتشارهم في جنوب لبنان ، وفي الوقت نفسه التقى السناتور جون غو (John-gu)

وزميله السناتور ويليام كوهين (William Cohen) في (اسرائيل) مع (بيغن) وابلغوه قلق الحكومة الامريكية من تصرفات الحكومة (الاسرائيلية) في الأشهر الماضية بالغارات على لبنان ، وضم هضبة الجولان ، وضرب المفاعل النووي العراقي ، والآن انتم على وشك غزو لبنان[٣٦].

كانت الحرب على لبنان تقترب في شهر آذار ١٩٨٢ ، بعد تعرض عربة للجيش (الإسرائيلي) لاعتداء بقنبلة في وسط غزة ، وادى الحادث الى مقتل جندي، وجرح ثلاثة[٣٧].

قال سفير لبنان في واشنطن عبدالله بو حبيب ((ان قرار الاجتياح اتخذ في شهر اذار ١٩٨٢))[٣٨].

ابلغ بشير الجميل مديري الصحف اللبنانية في نهاية شهر اذار ١٩٨٢ قائلا ((لا تندهشوا اذا ما رأيتم الدبابات [الاسرائيلية] في شوارع بيروت))[٣٩].

قام الطيران (الاسرائيلي) بقصف مواقع فلسطينية جنوب لبنان ، بعد انفجار لغم ارضي على ضابط (اسرائيلي) ، وادى الى مقتله يوم ٢١ نيسان ١٩٨٢ ، كما تم اسقاط طائرتين سوريتين نوع (ميغ٢٣) حاولتا اعتراض الطائرات (الاسرائيلية)[٤٠].

نظم إضراب في مدينة صيدا في أيار ١٩٨٢ احتجاجا على المواجهات بين قوات فتح ، وميليشيا التنظيم الشعبي الناصري المحلي، بينما كان احتمال الحرب يتعاظم إذ أغارت الطائرات (الاسرائيلية) على أهداف فلسطينية في لبنان يوم ٩ أيار وأعلنت الحكومة (الاسرائيلية) ان ذلك من قبيل الرد على الاعتداءات

الفلسطينية وقد رد الفلسطينيون بقصف مستوطنة كريات شمونة ، وغربي الجليل[٤١].

دعا مجلس الوزراء (الإسرائيلي) للاجتماع مرة أخرى ، وعبر الوزراء مرة ثانية عن تحفظهم بعدم تنفيذ (المشروع الكبير) لاجتياح لبنان ، لكن (شارون) شدد على اتخاذ قرار ، ولا سيما في حال حدوث أي انتهاك لوقف أطلاق النار سيوضع (المشروع الكبير) موضع التنفيذ على الفور ، وجرى أبلاغ الولايات المتحدة بذلك ، ردا على رسالة (هيغ) (لبيغن) ، إذ أكد الأخير في حال قصف الفلسطينيون الجليل مرة أخرى ، سيدخل جيشنا إلى لبنان ليدمر كل قواعدهم والى الابد[٤٢].

بناء على ما تقدم انصب اهتمام (إسرائيل) في عام ١٩٨٢ على ضرب المقاومة الفلسطينية وإيجاد أي عذر من اجل القيام باجتياح لبنان ، والابتعاد عن مواجهة سورية ، بسبب رفض الولايات المتحدة ، وخوفا من ان تكون حرب عربية-(إسرائيلية) ، وبذلك تعطي الذريعة للوجود السوري في لبنان ، وعدم تأثر الشرق الأوسط بعملية السلام التي تقودها الولايات المتحدة ، كذلك الخوف من تدخل الاتحاد السوفيتي.

أرادت الحكومة (الإسرائيلية) الإسراع في تغيير الأوضاع في لبنان وفرض نظام ماروني موالي لها قبل بدء الانتخابات الرئاسية ،كما تعهد (بيغن) بعدم ترك أصدقاءه المسيحيين في لبنان يهزمون على يد سورية ، او منظمة التحرير الفلسطينية،كما لم تعد نظرية الامن (الاسرائيلية) هي ((ادعم الموارنة ليدعموا انفسهم ، بل ادعموا الموارنة لدعم [اسرائيل] في مواجهة الخطر الفلسطيني)) [٤٣].

وضع (شارون) خطة خماسية قبل اجتياح (اسرائيل) بمدة قصيرة وهي[٤٤]:

١. تنظيف لبنان من القوى الخارجية (السوريين والفلسطينيين) وإعادة تشكيله سياسياً ، وجعله يدور في فلك (اسرائيل).

٢. تدمير منظمة التحرير الفلسطينية عسكريا وسياسيا في جنوب لبنان وفي بيروت.
٣. استحداث حزام امني بعمق ٤٠كم داخل الاراضي اللبنانية .
٤. الحاق الضفة الغربية ، وغزة (باسرائيل) ، واعطاء السكان نوعا من الحكم الذاتي و توسيع المستوطنات .
٥. تشجيع الفلسطينيين على قلب النظام الاردني وتحويله الى دولة خاصة بهم تحت شعار (الاردن هو فلسطين) .

أعطت الولايات المتحدة موافقتها (لإسرائيل) باجتياح لبنان ، وإقامة تحالف استراتيجي جديد في الشرق الأوسط ضد الاتحاد السوفيتي ، يضم (مصر والسعودية وسورية والأردن ولبنان) واعتقدت الولايات المتحدة ان الاجتياح سوف يمهدان لإخراج السوريين والفلسطينيين من لبنان واقامة دولة حديثة بعيدة عن التدخلات الأجنبية ، وتكون سياستها متناغمة مع سياسة الولايات المتحدة و(إسرائيل) ، وتكون مقدمة لحل أزمة الشرق الأوسط ولا سيما القضية الفلسطينية، ورأت الولايات المتحدة احتواء عدم الاستقرار في الشرق الأوسط في سبيل الحفاظ على الأمن في المنطقة ، وحماية تدفق النفط ، والتصدي لأي اختراق سوفيتي[٤٥].

طال التريث (الإسرائيلي) في مهاجمة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، وقول جوزيف ابو خليل احد أعضاء حزب الكتائب ((كدنا نظن الهجوم قد صرف النظر عنه، وأضحى من القرارات المعلقة، لولا الحشود العسكرية المتواجدة شمال [إسرائيل]، وقرب الحدود اللبنانية، وانقض شهر نيسان ١٩٨٢ من دون أي تحرك، فالقيادة الفلسطينية حرصت على حرمان[إسرائيل] من الذريعة التي يمكن من خلالها اجتياح لبنان ، فضلا عن المساعي الأمريكية والدولية التي تلاقت على وقف التدهور بأي ثمن ، واغلب الظن ان القيادة العسكرية [الاسرائيلية] فضلت تأخير

الهجوم ، ريثما ينقضي فصل الشتاء ، وتجف الأرض وتصيح ملائمة لتحرك الدبابات والآليات على أنواعها ، فمن جملة ما بلغنا السرعة في التقدم وتجاوز اكبر مسافة ممكنة في عمق ارض لبنان ، قبل ان تتدخل المحافل الدولية))[٤٦].

أراد (الإسرائيليون) تأخير الاجتياح لحين إيجاد الذريعة المناسبة لإقناع العالم، والداخل من اجل لتعبئة الكاملة ، لأنها لا تخوض حرباً لم تكتمل شروطها ولا سيما التعبئة النفسية ، لأن الجيش (الإسرائيلي) معظمه من المتطوعين .

بدأت (إسرائيل) تعمل على استفزاز منظمة التحرير الفلسطينية وسورية لجرها الى الحرب ، وكانت قد ابلغت الرئيس ريغان بانها لن تتعرض للقوات السورية ، ولن تتعدى الى ٤٠كم ، على ان يحصل استفزاز او خرق من الفلسطينيين[٤٧].

اجتمعت الجبهة اللبنانية ورشح (القس الاباتي بولص) بشير الجميل لانتخابات رئاسة الجمهورية ، وقال ((يعيش الموارنة منذ٤٠٠عام في القهر ، ويعيش اللبنانيين منذ ٧ سنوات في الخوف ، والحرب ولا خلاص الا عبر سلطة مسيحية قوية يقودها بشير الجميل))[٤٨].

هاجم الطيران (الاسرائيلي) مواقع منظمة التحرير الفلسطينية يوم ٩ ايار ١٩٨٢ ، ورد عليه الفلسطينيون بقصف مستعمرة (كريات شمونه) واسقط الطيران (الاسرائيلي) يوم ٢٥ ايار طائرتي (ميغ) سوريتين فوق لبنان[٤٩].

ابلغ (الاسرائيليون) الولايات المتحدة بخطة الاجتياح عبر سفيرهم في تل ابيب (صموئيل لويس) ، كما ابلغ (شارون) وزير الخارجية الامريكي الكسندر هيغ يوم ٢٥ أيار ١٩٨٢ ، بان الجيش (الإسرائيلي) سيصل الى مشارف بيروت لطرد منظمة التحرير الفلسطينية ، ورد عليه (هيغ) قائلا (نحن نتفهم أهدافكم ، ولا نستطيع ان نقول لكم لا تدافعوا عن أمنكم ، ولكن عليكم ايجاد ذريعة مقنعة ، واستفزاز واضح يعترف به العالم))[٥٠].

صرح الكسندر هيغ يوم ٢٦ أيار ١٩٨٢ ((ان لبنان اليوم هو نقطة ارتكاز للخطر ، وإن حياة شعبه ، ودولته في خطر ، وحان الوقت للقيام بعمل منسق من اجل دعم سلامة أراضي لبنان ضمن حدوده المعترف بها دولياً ، ودعم حكومة مركزية قوية ، قادرة على أقامة مجتمع حر ، وديمقراطي ومنتفع على العالم))[٥١].

عاد (شارون) والوفد المرافق له من الولايات المتحدة يوم ٢٧ أيار ١٩٨٢ بعد زيارة استمرت يومين للتباحث حول خطة اجتياح لبنان، وابلغوا الأمريكان بأنهم لن يتعرضوا للجيش السوري ، إذا لم يتعرض لهم الاخير ، وان هدفهم طرد الفلسطينيين من لبنان والقضاء على قوته العسكرية، وقد حصلوا على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة لاجتياح لبنان ، وكان الأمريكان متأكدين بأن الأهداف (الاسرائيلية) هي محدودة ، وابلغوا السفير السوري في واشنطن بنية (اسرائيل) اجتياح لبنان لطرد منظمة التحرير الفلسطينية، من دون التعرض للجيش السوري[٥٢].

كان هدف الولايات المتحدة أبعاد الجيش السوري عن أي مواجهة مع الجيش (الاسرائيلي)، حتى لا تثير باقي الدول العربية، وتصبح حرب عربية-(اسرائيلية)، كما أنها تريد أن يبقى اتفاق الخطوط الحمر الموقع بإشرافها بين الحكومة السورية-و (الاسرائيلية) ساريا، مع ضمان بقاء القوات السورية في لبنان.

كان قدامى مدرسة الاقتصاد في لندن ، كما هو الحال كل سنة من يوم الثالث من حزيران يجتمعون في غرف استقبال فندق (دور شيستر) ، وبعد الساعة الحادية عشر مساءً ، وعند خروج السفير (الإسرائيلي) في بريطانيا (شلومو ارغوف) (Shlomo Argov) من الفندق ، تعرض لمحاولة اغتيال ، وأصيب بجروح بعدة طلقات أطلقت عليه من سلاح (رشاش) ، وكان الدبلوماسي صديق (بيغن) وتم اعتقال الفاعل ، وكان يحمل جواز سفر عراقي[٥٣]، وتم أبلاغ (بيغن) صباح يوم

الرابع من حزيران بعملية اغتيال (شلومو ارغوف) وتم عقد اجتماع طاريء في منزله وغاب عنه (شارون) المتواجد في رومانيا بزيارة رسمية[٥٤].

بعد اعتقال الشرطة البريطانية لمنفذ الاغتيال ، والتحقيق معه تبين ان لا علاقة لمنظمة التحرير الفلسطينية بالحادث كون (ابو نضال) محكوم عليه بالإعدام من قبل منظمة التحرير الفلسطينية بتهمة الخيانة ، وذلك ما أكده رئيس جهاز الأمن (الإسرائيلي) (ابراهام شالوم)(Abraham Shalom) [٥٥].

صرحت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher)

((ان الهجوم [الاسرائيلي] المحتمل على لبنان ليس انتقاما لمحاولة اغتيال السفير، وانما لحماية حدودها الشمالية من الهجمات الفلسطينية))[٥٦].

أيدت الولايات المتحدة بشير الجميل عشية الاجتياح (الاسرائيلي) ، واقتنعت انه أفضل المرشحين لرئاسة لبنان ، وازدادت اقتناعا به ، حين امتنع عن الاشتراك في القتال الى جانب (الاسرائيليين) ، مكتفيا بتقديم الدعم السياسي، واللوجستي لهم ، وابعاد ميليشياته من الاشتراك في القتال[٥٧].

المناورات (الإسرائيلية) لبدء الهجوم على لبنان

حشد الجيش (الاسرائيلي) قواته البرية والجوية و البحرية ، ودفع ٩٠ الف جندي الى لبنان[٥٨].

كان الفلسطينيون يملكون ٣٠ دبابة من طراز (T54) ، وعدد من المصفحات والمدافع وزورقان مسلحان موجودان في ميناء اللاذقية السوري ، كما قامت منظمة التحرير باستحضار ثلاثة ألوية ، وهي الوية اليرموك والقسطل والكرامة ، وبعض وحدات الدعم ، وانتشروا في جنوب لبنان ، وقدروا بتسعة آلاف مقاتل[٥٩].

بلغ عدد العسكريين السوريين اكثر من ثلاثين الف جندي ، وقاموا بتحضيرات عسكرية ، ونصب اجهزة انذار في قلعة الشقيف ، لتغطي الجليل والبقاع[٦٠].

كان العالم بأسره ينتظر خبر اجتياز الجيش (الإسرائيلي) للحدود اللبنانية شمالا ولم تبدأ التساؤلات عن مدى الاجتياح ، وأهدافه إلا بعد ان تخطت القوات الغازية خط نهر القاسمية ، وشرع وزير الخارجية اللبناني فؤاد بطرس المواجهة الدبلوماسية المفتوحة مع (إسرائيل) المدعومة بشكل سافر وبقوة من الولايات المتحدة[٦١].

لم تكترث (إسرائيل) للقرار (٥٠٨) الصادر عن مجلس الأمن الدولي في الخامس من حزيران ١٩٨٢ ، وحمل السفير (الإسرائيلي) في نيويورك لبنان مسؤولية الاعمال الفلسطينية ، لأنها لا تمنع ما هو موجه ضد (اسرائيل) ، وبذلك فقد لبنان معالم السيادة ، ولذلك لا يمكنه الافادة من امتيازات القوانين الدولية ، لأنه لا يتحمل الاعباء الناجمة عن تلك القوانين[٦٢].

اتبع مجلس الامن القرار (٥٠٨) بالقرار (٥٠٩)، يوم ٦ حزيران ١٩٨٢ وطلب فيه من (إسرائيل) سحب قواتها فورا ، ومن دون شروط الى حدود لبنان المعترف بها دوليا[٦٣].

أعلنت الحكومة (الاسرائيلية) أن وحداتها تنفذ عملية (سلام الجليل) لإقامة منطقة معزولة السلاح بعمق ٤٠كم ، وإنهم يقدمون خدمة للعالم الحر، للقضاء على مركز (الإرهاب) الدولي في بيروت الغربية، وتحرير لبنان من الاحتلالين السوري – الفلسطيني[٦٤].

احتل الجيش (الإسرائيلي) قلعة الشقيق اللبنانية يوم الأحد ٦ حزيران ١٩٨٢ من قبل وحدة (الفهود الطائرة الاسرائيلية) وهم نخبة من المغاوير ، وكانت مهمتهم احتلال قلعة الشقيق وإتلاف الجهاز الالكتروني السوري للمراقبة والمخابرات ، الذي

كان يرى كل جنوب لبنان ، وقد اصطدم هؤلاء المظليون (الإسرائيليون) بمقاومة شديدة من مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية ، ولم يتمكنوا من احتلال القلعة إلا بعد أن طلعت الشمس ليوم الاثنين ٧ حزيران١٩٨٢[٦٥]، وتم تسليم قلعة الشقيق الى سعد حداد[٦٦].

كانت الفرقة المعروفة باسم قائدها (مردخاي) تتجه من جهة الغرب باتجاه محور ساحلي ، وعلى طريقها توجد مخيمات صور وصيدا التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومن الوسط كانت فرقة (كلهاني) بامرة الجنرال (افيغدور مناحيم كلهاني) ، تسير على محور وسطي يمر بالنبطية ، وقوات اتجهت باتجاه جزين ، واخيرا فرقة (بن غال) التي دخلت الى وادي البقاع ، عبر مدينة حاصبيا، واتجهت صوب راشيا الفخار المتاخمة للتجمعات السورية[٦٧].

استدعى (بيغن) اعضاء حكومته لوضعهم باجواء بداية العمليات العسكرية وعرض عليهم (رفائيل ايتان) (Rafael Eitan) الخطوط العريضة للعملية ، والتي لم تعد تحمل اسم شجرة الصنوبر الصغيرة ، وإنما اسم (سلامة الجليل) بناء على طلب (بيغن)[٦٨].

تركز الاجتياح على ثلاثة محاور ، المحور الشرقي في اتجاه مزارع شبعا والمحور الاوسط نحو الطيبة ، ونهر الليطاني ، والمحور الغربي على الخط الساحلي وصولا الى صور وصيدا[٦٩].

وصل الجيش (الاسرائيلي) يوم ٧حزيران ١٩٨٢ الى منطقة الدامور تاركا خلفه المخيمات الفلسطينية ، ومستخدما جزئيا نظرية التقرب غير المباشر[٧٠].

حاولت الحكومة اللبنانية الحصول على قرار صارم من مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار، وانسحاب (إسرائيل)، ومضى مع المشروع الاسباني الذي يدين (إسرائيل) بعدم الالتزام بالقرارين (٥٠٨، ٥٠٩) ودعا الأخيرة بالانسحاب من لبنان

فورا، ووقف كل النشاطات العسكرية عبر الحدود اللبنانية و(الاسرائيلية)، وبعد اثنى عشر ساعة من المداولات في مجلس الامن، استخدمت سفيرة الولايات المتحدة (الفيتو)، بعدما تلقت تعليمات من حكومتها[٧١].

لم يبق أمام لبنان إلا خيارات الذهاب إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، او العمل انطلاقا من القرار (٥٠٩) ، وقال وزير الخارجية اللبناني فؤاد بطرس بأنني أبرقت يوم ٨ حزيران ١٩٨٢ رسالة الى مندوبنا هناك السفير غسان تويني بالتالي ((نعتقد ان المندوبة الامريكية كانت قصيرة النظر في استعمال حق النقض (الفيتو) ، واننا سنعالج مع سفيرها اليوم ، داعين لتوظيف هذا التصرف في سبيل المصلحة))[٧٢].

أعلن رئيس الأركان (الإسرائيلي) يوم ٨ حزيران ١٩٨٢ ((أن [إسرائيل] لن تتعرض للجيش السوري ، ونبذل جهود كبيرة لتجنب المواجهة ، لأن مشكلتنا مع الفلسطينيين))[٧٢].

وجه (بيغن) نداءً عاطفيا للرئيس الأسد من منصة الكنيست (الاسرائيلي) في مساء اليوم نفسه قائلا ((إننا لا نريد حربا مع سورية ، ونرجو عدم مهاجمة الجيش السوري لنا ، وفي هذه الحالة لن يلحق أذى بهم ، وأعرفكم يا سيادة الرئيس الأسد بأنكم تعرفون كيف تنفذون اتفاق الخطوط الحمر الموقع بيننا))[٧٣].

كانت تلك التطمينات خدعة ،لأن لاعهد لليهود وإنما هو تكتيك مرحلي، وبعد القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، سوف ينقلبون على السوريين بعد ذلك ولإسكات الانتقادات الأمريكية بذلك الخصوص ، وإقناع بعض وزرائه المعترضين على الحرب .

احتلت (إسرائيل) أجزاء كبيرة من لبنان خلال ٤٠ساعة من بدء الهجوم وتقدمت على ثلاثة محاور، أولا على الساحل اللبناني ، وفي الشمال الشرقي باتجاه البقاع ، والمحور الأوسط نحو الطيبة ، ونهر الليطاني[٧٤].

دافع (بيغن) في الكنيست عن الهجوم الكثيف والكبير ضد المدنيين ، وتساءل بسخرية قائلا ((منذ متى أصبح سكان جنوب لبنان جميلين فجأة ، الم يقدموا المأوى [للإرهابيين]، الم نطرد مليونا ونصف من ضفة قناة السويس أثناء حرب الاستنزاف مع مصر، إني لا اشك لحظة واحدة في أن السكان المدنيين يستحقون العقاب))[٧٥].

كان تقدم القوات (الإسرائيلية) سريعا إلى حد أن المسؤلين الفلسطينيين لم يتمكنوا من أتلاف محفوظاتهم ، كما لم يتلفوا وثائقهم والملفات الإدارية الخاصة بالمقاتلين مع صورة لكل منهم ، وبعد السيطرة عليها تم إرسالها (للموساد) ، والى جهاز (النشين بيت) ، والشرطة الوطنية[٧٦].

وصل (بيغن) الى قلعة (الشقيق) يوم ٨ حزيران ١٩٨٢ ، قبل ات تصل القوات (الاسرائيلية) الى حدود ٤٠كم ، ورافق (بيغن) مجموعة من الصحفيين ، وقدم هدية للعقيد سعد حداد ، وقال ((ان القلعة الصليبية هي رمز انهاء الوجود الفلسطيني في لبنان))[٧٧].

عاد (بيغن) بطائرة مروحية الى القدس ، ليترأس اجتماعا لمجلس الوزراء وتم خلاله طلب (شارون) بالتقدم نحو الشمال ، كي يقطع المحور البري بيروت– دمشق وشرح لهم على الخرائط ان القوات السورية تتجه نحو جفرين ، وفي حال وصولها الى تلك المدينة المسيحية ، قد يفوض علينا مواجهة تلك القوات وتمت الموافقة على طروحات (شارون) ، وفي صباح يوم ٩ حزيران ١٩٨٢ وقع (شارون) على الأوامر بتغيير العملية من عملية أمنية محدودة بعمق ٤٠كم إلى حرب واسعة النطاق[٧٨].

تقدم الجيش (الإسرائيلي) يوم ٩ حزيران ١٩٨٢ نحو الطريق الرئيسي بين بيروت-دمشق ، وسقطت مدن (صيدون ، وصور ، والدامور) معاقل منظمة التحرير الفلسطينية الواحدة تلو الاخرى ، واخترقوا منظقة الشوف ، وبسط سيطرته على ٣/١ من الاراضي اللبنانية ، ووصل نهاية يوم ٩ حزيران الى مشارف بيروت[٧٩].

وفي الوقت نفسه تمكن سلاح الجو (الاسرائيلي) من تدمير عدة مواقع للدفاع الجوي السوري ، فضلا الى اسقاط طائرة مقاتلة نوع (ميغ٢٣) سورية في اشتباك جوي ضخم بين (٩٠) مقاتلة (اسرائيلية) ، و(٦٠) مقاتلة سورية ، واضطر الجيش السوري الى الانسحاب من منطقة الشوف[٨٠].

دمر الطيران (الاسرائيلي) (٣٤٥) دبابة ، مما ادى بالرئيس حافظ الأسد بارسال وزير الدفاع مصطفى طلاس الى الاتحاد السوفيتي ، طالبا مظلة جوية فوق الاراضي السورية ، ولا سيما العاصمة دمشق ، وقد رفض السوفيت تلبية طلبهم ، لانهم لا يريدون التورط المباشر في النزاع ، مما قد يؤدي اليه من تصعيد للموقف، وحدوث مجابهة مع الولايات المتحدة[٨١].

قرر مجلس الوزراء (الإسرائيلي) يوم ١٠ حزيران ١٩٨٢ تطوير الاجتياح المقرر لعمق ٤٠كم ، الى حرب شاملة ويتضمن ضرب منصات الصواريخ السورية في البقاع والدروع السورية واتهم الرئيس الاسد فيليب حبيب بخداعه[٨٢].

نفى بشير الجميل ان يكون قد قدم التزامات عسكرية (لاسرائيل) ، معتبرا الاجتياح موجها ضد الفلسطينيين والسوريين[٨٣].

قال فؤاد بطرس لشفيق الوزان يوم ١٣ حزيران ١٩٨٢ ((لم يعد بإمكاني أن اقبل بأن يضل لبنان منقادا من جانب الفلسطينيين والسوريين ، والبلد يحترق وحتى صائب سلام ابلغنا بعدم مطالبة سورية بالانسحاب من لبنان))[٨٤].

دخل الجيش (الاسرائيلي) يوم ١٤ حزيران ١٩٨٢ الى منطقة شرق بيروت وقامت بتطويق بيروت الغربية[٨٥].

استقبل فؤاد بطرس ظهر يوم ١٥ حزيران ١٩٨٢ في منزله بالاشرفية فيليب حبيب ، ومساعده مورفي درايبر ، والسفير روبرت ديلون ، واستمر الاجتماع ثلاث ساعات وتم مناقشة موضوع الاحتلال (الإسرائيلي) حين اشار فيليب حبيب الى موضوع السلام مع (اسرائيل) ، وقد انتفض فؤاد بطرس قائلا: ((ان مثل هذا الطلب ليس من مجال للنظر فيه ، فلا رئيس الجمهورية ولا الحكومة ولا انا يمكن ان نقبل بوضعه موضوع بحث ، وان لبنان هو آخر دولة عربية يمكن ان توقع اتفاق صلح مع [اسرائيل]))[٨٦].

دعت الكويت الى قمة عربية طارئة لبحث الغزو (الاسرائيلي) وتداعياته على لبنان ، أو على مستوى وزراء الخارجية ، الا ان لبنان طلبت التاجيل ، لانها تريد عقد قمة عربية مخصصة للبنان فقط لبحث موضوع العدوان (الاسرائيلي) ، على لبنان وتتركز على[٨٧]:-

١. وقف اطلاق النار .
٢. انسحاب (اسرائيل) .
٣. وقف كل النشاطات العسكرية على الاراضي اللبنانية.
٤. نشر الجيش اللبناني على كامل الاراضي التي ستنسحب منها (اسرائيل).

قال فؤاد بطرس ((كان علينا ان نخشى دخول الجيش [الاسرائيلي] الى القصر الجمهوري ، وقد وعدنا السفير الامريكي في بيروت بانهم لن يدخلوا للقصر الجمهوري ، بينما اتصل القاضي موريس خدام بالرئيس سركيس ، وابلغه بدخول [شارون] الى سراي بعبدا ، طالبا مقابلة الرئيس سركيس ، إلا أن الأخير رفض ذلك مما اضطر إلى انسحابه من القصر الجمهوري))[٨٨].

دعا الياس سركيس بدعم من فيليب حبيب إلى لجنة إنقاذ لممثلي الطوائف الرئيسية في لبنان[٨٩].

هنأ الرئيس سركيس نفسه في افتتاح جلسة لجنة الإنقاذ ، لأنه نجح في جمع بشير الجميل مع وليد جنبلاط ، على الرغم من انهما كانا يتطلعان الى اتجاهين مختلفين ، إذ كان بشير الجميل عينه على الطائفة (السنية) ، وقد حثهم على التحرر من النفوذ الفلسطيني ، وإلا لن يبقى (سني) واحد يشارك في الحكم ، أما وليد جنبلاط فانه مشغول بالاحتلال (الإسرائيلي) ، والاملاءات التي يفرضها فيليب حبيب على منظمة التحرير الفلسطيني ، واتهمه بأنه يحضر لحمّام دم ضد الشعب الفلسطيني ، وليس إلى استسلام مشرف للمقاتلين الفلسطينيين كما اتهم بشير الجميل بأنه يريد الاستفادة من (الإسرائيليين) ، ورد عليه بشير قائلا ((إن الكل يسعى للاستفادة من الاحتلال ، لكن الاحتلال [الاسرائيلي]لم يكن مدرج على جدول أعمال لجنة الإنقاذ)) [٩٠].

فشلت (هيئة الإنقاذ الوطني) في عملها بسبب عدم انسجام أعضائها ، وعلاقة بشير الجميل بـ(اسرائيل) ، ولكن كان اهم انجاز عملته هو وضع تصور لكيفية وقف أطلاق النار عبر تراجع الجيش (الاسرائيلي) خمسة كم عن بيروت ، ودخول الحكومة في مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية حول مغادرتها من لبنان[٩١].

ندد وليد جنبلاط بموقف الحكومة الحيادي من الاحتلال (الاسرائيلي) فأجابه وزير الخارجية فؤاد بطرس قائلا ((أن الحكومة قدمت شكوتين إلى مجلس الأمن الدولي ، وان جدول الأعمال يتضمن تشكيل حكومة مصغرة ، ليس للتفاوض على انسحاب القوات [الاسرائيلية] ، بل للتفاوض على انسحاب فدائيي منظمة التحرير الفلسطينية))[٩٢].

اتضحت معالم الغزو (الإسرائيلي) وتحالف الأخيرة مع الموارنة كما توغلت القوات اللبنانية في تلك المناطق (الشوف ، وعالية) بحماية ودعم الجيش (الاسرائيلي) ، وأقامت الثكن وجهزتها بالمعدات والعناصر[٩٣].

كان (الإسرائيليون) عازمين على مواصلة القتال حتى مدينة شتورا القريبة من الحدود السورية لطرد القوات السورية منها ، لكن الولايات المتحدة عارضت ذلك خشية اتساع دائرة القتال ، وانفتاح المنطقة على تدخلات دولية ، وبالتالي تقع احتمالات عدة منها تدخل السوفيت في النزاع[٩٤].

أراد (الإسرائيليون) تنصيب رئيس موالي لهم ، وعقد معاهدة سلام على غرار المعاهدة مع مصر عام ١٩٧٩ ، أما الجبهة اللبنانية فكان هدفها طرد السوريين والفلسطينيين خارج لبنان ، ولذلك اجتمعا سويا في مصالحهم ، وكل جهة تريد تنفيذ أهدافها ومصالحها ولاسيما أن بشير الجميل يريد تحقيق مشروعة بتحرير مساحة لبنان (١٠,٤٥٢كم٢) وفرض حكمه عليه.

عقد اجتماع سري في مقر السفير الأمريكي قي حي (اليزرة) وسط بيروت يوم ١٦ حزيران ١٩٨٢ ، وضم فيليب حبيب ومعاونه موريس درايبر والسفير الأمريكي في لبنان روبرت ديلون ، وبشير الجميل ، وتفاجأ فيليب حبيب حين خرج الجميع وتركاه مع بشير الجميل ، فقال فيليب حبيب ((قررت الولايات المتحدة ان تدعم ترشيحكم لانتخابات الرئاسة ، سنتولى أمر السعودية والمسلمين في لبنان ، ونطلب منك ان تساعدنا في سلوكك ، أنت الوحيد القادر على إنقاذ هذا البلد ، دعني أقبلك وليكن الله معك))[٩٥].

احدث الاجتياح (الإسرائيلي) تغيرا واضحا في موازين القوى ، وأزاح عقبة كبيرة من طريق بشير الجميل في سعيه للرئاسة ، ولو (إسرائيل) لكان بشير الجميل قد ظل رئيسا لتنظيم مسلح محدود الدور والفعالية كما لا يحب نكران ان يشير

الجميل شق طريقه بصعوبة ، وضحى بالكثير من المارونيين من اجل توحيد البندقية المسيحية ، كان بشير قد قطع نصف الطريق بعد الاجتياح (الاسرائيلي) على الأقل في سعيه إلى السلطة ، كما أن دعم الرئيس سركيس والولايات المتحدة التي رأت في بشير الجميل الحليف المناسب لها ، ولا يكون عبئا عليها وعلى سياستها في الشرق الأوسط[٩٦].

كان اجتياح (اسرائيل) للبنان ليس احتلالا عسكريا فحسب ، وإنما مشروعا سياسيا لغرض فرض معاهدة سلام مع لبنان ، بعد تنصيب بشير الجميل الذي دعموه من البداية ، ووعدوه بإيصاله لسدة الحكم ، في المقابل يوقع معهم على معاهدة سلام على غرار مصر والأردن ، كما عمق الاجتياح حالة الاحتقان والانقسام بين الطوائف اللبنانية ، وأضر بالاقتصاد اللبناني ونهب مياهه وخيراته[٩٧].

بدأ نزوح المواطنين من بيروت الغربية يوم ١٩ حزيران ، بعد وقف أطلاق النار ، تنفيذا لوعد قطعه (بيغن) للرئيس (ريغان) ، وكان خروجهم عبر اتجاهين الأول بوابة المتحف الى المنطقة الشرقية ، والثانية من الضاحية نحو الشمال وكانوا يمرون عبر سيطرات (إسرائيلية) ، وكتائبية وتم معاملتهم باهانة ومذلّة[٩٨].

بلغ عدد القتلى في بيروت الغربية ١٨ ألف والجرحى ٣٠ ألف فضلا عن تدمير الأبنية والبنى التحتية[٩٩].

صادر الجيش (الاسرائيلي) من بيروت الغربية ٢٥ طنا من الأسلحة وقاموا بسرقة السيارات وأجهزة الهاتف والفاكس والتلكس ، وحملوا معهم عند مغادرتهم الحشيشة اللبنانية ، والسجائر الامريكية، و تم توزيع السيارات المسروقة على الضباط (الاسرائيليين) على مقربة من مدينة صفد ، كما اغرقوا لبنان بعملتهم (الشيكل) وبمنتجاتهم بأسعار منافسة[١٠٠].

حاصر الجيش (الاسرائيلي) بمساعدة القوات اللبنانية بيروت الغربية بحوالي (٣٥٠٠) جندي واكثر من ٣٠٠ دبابة و ١٠٠ مدفع ، وكان في بيروت الغربية لواءان فلسطينيان (حطين والقادسية) يخضعان للقيادة السورية ، فضلا عن بقايا لواء سوري ، وادى الحصار الى خسائر بشرية ، ومادية فادحة في صفوف المدنيين والى معاناة انسانية كبيرة ، وقد قدمت الحكومة اللبنانية الى مجلس الامن الدولي شكوى رسمية ، لكنها في المقابل اعطت اوامر لجيشها بعدم مقاومة (الاسرائيليين) ، كما ألقت حركة امل سلاحها بعدما تصدت للجيش (الاسرائيلي) بالقرب من صور الى جانب الفلسطينيين ، واتخذت جانب الحياد في قرى أخرى من الجنوب تجنبا لتدمير الأحياء (الشيعية) ، كما طلب وليد جنبلاط من مليشياته عدم مقاومة (الاسرائيليين) ، خشية من تدمير منطقة الشوف[١٠١].

شدد (الاسرائيليون) حصارهم لبيروت يوم ١٠ تموز ١٩٨٢ ، وتقدمت قوات نحو المدينة ، وجرت تعبئة فرقة احتياط للتهيؤ لدخول بيروت الغربية ، وعلى الرغم من الغارات الجوية المستمرة لم تستطع القوات (الاسرائيلية) من تصفية القادة الفلسطينية ، وبدأت الحكومة (الاسرائيلية) تدرك سلوك الكتائبيين تجاه الفلسطينيين ، والدروز في الشوف ، فضلا عن مقتل ٥٠٠ فلسطيني على الحواجز في الاشهر الاولى من الحرب ، وهي حواجز اقامتها القوات اللبنانية بامر من ايلي حبيقة ، وهو ما ولد مشكلة لوزير الدفاع (شارون) ، لأن الحواجز التي انشأت هي لتمييز فدائي منظمة التحرير ، وقادتهم بين الآف الفلسطينيين الذي بدأوا بمغادرة بيروت الغربية ، وقد امر (بيغن) يوم ١٢ تموز باكتساح بيروت الغربية في اليومين التاليين ، وفي اجتماع خاص قال ((ومن المفضل ان نعمل فوراً ، بدل اطالة هذا الحصار)) [١٠٢].

حصل سوء تفاهم بين (شارون) وفيليب حبيب ، حين طلب الاخير ادخال الطحين للمحاصرين في بيروت الغربية ، واجاب (شارون) ، وهو يتصنع الجهل،

بأن المسيحيين يتحققون من كل الحمولات التي تدخل العاصمة ، لكن حبيب اوضح ان الجنود (الاسرائيليين) هم الذين كانوا يمنعون شاحنات الطحين من الدخول ، ورد عليه (شارون) بان الكمية التي كانوا يحاولون ادخالها تكفي لاطعام الفلسطينيين الى تموز من العام القادم ، لا تمضي الوقت بكامله للشكوى ، فلقد مللت اتهاماتكم[١٠٣].

انتقد القائد الفلسطيني جورج حاوي حصار بيروت وهي المرة الاولى التي تصل فيها القوات (الاسرائيلية) الى عاصمة عربية ، وتضرب الحصار عليها والقوات اللبنانية ، وتقصف مدنيها ، ومنشآتها بوحشية من دون عمل عربي مشترك ، او ردة فعل جماهيرية عربية ، بينما العرب والعالم منشغلون بانطلاق مباريات كأس العالم لكرة القدم في اسبانيا ، اذ قال حاوي بسخرية تجاه التخاذل الشعبي العربي تجاه عاصمة عربية ((عندما يزداد القصف على بيروت يزداد التحدي ، ويخيل اليّ الآن ان العالم سيهتز ، ان بيروت تحترق ، ان قذيفة قد دخلت ملجأ في برج البراجنة فقتلت ٧٥ بريئا ، أو أكثر الآن العالم سيهتز ، شوارع الجزائر ستنزل فيها المظاهرات ، فاذا بنا نفاجأ ان المظاهرة كانت تعمل لفريق الجزائر الذي انتصر على ألمانيا في كرة القدم)) [١٠٤].

كان اجتياح (اسرائيل) للبنان ليس احتلالا عسكريا فحسب ، وانما مشروعا سياسيا لغرض فرض معاهدة سلام مع لبنان ، بعد تنصيب بشير الجميل الذي دعموه من البداية ، ووعدوه بإيصاله لسدة الحكم ، في المقابل يوقع معهم على معاهدة سلام على غرار مصر والاردن ، وقضى على القوة الفلسطينية، كما عمق الاجتياح حالة الاحتقان والانقسام بين الطوائف اللبنانية ، وأضر بالاقتصاد اللبناني ونهب مياهه ، واظهر مدى ضعف الأنظمة العربية وتخاذلها امام (اسرائيل) .

المصادر:

(*) نهر الليطاني: أطول الأنهر اللبنانية ينبع من غرب بعلبك في سهل البقاع ويصب في البحر المتوسط شمال مدينة صور، يبلغ طوله ١٧٠ كلم، ينبع ويجري ويصب في لبنان. وتبلغ قدرته المائية تقريباً ٧٥٠ مليون م٣ سنوياً والذي أقيمت عليه المشاريع والدراسات للاستفادة منه في إنتاج الطاقة الكهرومائية وتأمين مياه الري والشرب للبقاع والجنوب والساحل بهدف تنمية القطاع الزراعي والكهربائي وللحد من النزوح والهجرة.الانترنيت، الموسوعة الحرة، في ٩ ايار ٢٠١٢.

(١) كان الثالوث الحاكم المتصلب (بيغن ،وشارون، وروفائيل ايتان) يحظرون بمواجهة جديدة ضد سوريا ، ومنظمة التحرير الفلسطينية. عبدالرؤوف سنو ، حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠ تفكك الدولة وتصدع المجتمع، بيروت، المجلد الأول، الدار العربية للعلوم ناشرون،٢٠٠٨، ص٢٩٣-٢٩٤ .

(*) رونالد ريغان، ولد في شباط ١٩١١، وهو الرئيس الأربعين للولايات المتحدة من عام ١٩٨١إلى ١٩٨٩ ، وقبلها كان الحاكم رقم ٣٣ على ولاية كاليفورنيا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٥، و كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي عند وفاته كان مصاب بمرض الزهامير ، ويعتبر أحد أكبر رؤساء امريكا عمراً حيث بلغ عمره عند وفاته ٩٣ سنة و١١٩ يوماً، فضلا إلى إنه كان الأكبر حين انتخابه فقد كان عمره حينها ٦٩ سنة و٣٤٩ يوماً.
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%AF_%D8%B1

(٢) شيمون شيفر ، كرة الثلج ، ترجمة كميل داغر ، بيروت ، منشورات دار النضال للطباعة، ١٩٨٥ ، ص٨٨-٩٠ .

(٣) (اريل شارون) ، ولد يوم ٢٧ شباط ١٩٢٨ في قرية (كفار ملال) في فلسطين، انظم الى (عصابة الهاجانا الصهيونية) ، دخل الكنيست عام ١٩٧٣ ، شغل منصب وزير الزراعة عام ١٩٧٧ ، ثم وزيرا للدفاع عام ١٩٨١،وشارك في مجزرة صبرا وشاتيلا ، اصيب بجلطة دماغية يوم ٤ كانون الثاني ٢٠٠٦ ، الموسوعة الحرة ، ويكبيديا ، يوم ٢٦ حزيران ٢٠٠٩ .

(٤) ألان مينارغ ، أسرار حرب لبنان من انقلاب بشير الجميل إلى حرب المخيمات الفلسطينية، ترجمة مجموعة من المترجمين، تنسيق غازي برو، بيروت، المكتبة الشرقية، ٢٠٠٦، ص١٠٧ .

(٥) المصدر نفسه، صص١٠٨.

(٦) (مناحيم بيغن) ، ولد في ١٦ آب ١٩١٣ في روسيا البيضاء ، أكمل دراسته في بولندا عام ١٩٣٨ ، أسس عصابة (الأرجون الصهيونية) التي قامت بمذابح دير ياسين ، أصبح رئيسا للوزراء في عام ١٩٧٧ ، توفي أثر مرض سرطان القولون في ٩ آذار ١٩٩٢ عن عمر يناهز ٧٨ عاما .الانترنيت، الموسوعة الحرة ويكبيديا ، يوم ٢٧ حزيران ، ٢٠٠٩ .

(٧) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٦٨ ، ص١٧٧ .

(٨) كريم بقراودني ، لعنة وطن، بيروت، (د.ت)، ص٢٤٨ .

(٩) فؤاد بطرس ، المصدر السابق ، ص٥٠٤-٥٠٦ .

(١٠) جانسن ميشيل ، معركة بيروت ، لماذا غزت (اسرائيل) لبنان ، عرض هناء قاسم ، لندن، ١٩٨٢ ، ص٣٠٦ .

(١١) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص١٩٢.

(١٢) جانسن ميشيل ، المصدر السابق ، ص٣١٩ .

(13) Archivder Gegenwart vom27-jun 1982,floge 28,S-25741.

(١٤) قناة الجزيرة الفضائية ، برنامج شاهد على العصر ، لقاء مع امين الجميل ، يوم ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٠٩ .

(١٥) شيمون شيفر ، المصدر السابق، ص١٠٤ .

(16) http//: www.marefa-orglindex-ph,p-16,november,2009.

(١٧) ألان مينا رغ ، المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص١٩٢ .

(١٩) رافق (شارون) مساعد رئيس أركان الجيش الجنرال (موشي ليفي) ، ورئيس جهاز (أمان) الجنرال (إبراهيم تامير) ، ورئيس المكتب الثالث (العمليات) الجنرال (أوري ساغي) ورئيس الوحدات الخاصة الجنرال (عاموس يارون) . كريم بقرادوني ، لعنة وطن ، بيروت ،(د.ت)، ص٣٩-٤١ .

(٢٠) جون بوكين ، ملعون هو صانع السلام.. فيليب حبيب في مواجهة اريل شارون، ترجمة غسان غصن، ط٢، بيروت، دار النهار، ٢٠٠٢، ص٩٣-٩٤.

(٢٢) كريم بقرادوني ، المصدر السابق، ص٤٠ .

(٢٣) ألان مينارغ ، المصدر السابق ، ص١٩٨-٢٠٢ .

(٢٤) المصدر نفسه، ص٢٠١ .

(٢٥) نبيل خليفة ، الاستراتيجيات السورية و (الاسرائيلية) والاوربية حيال لبنان ، جبيل ، دار بيبلوس للنشر ، ١٩٩٣ ، ص٩٩ .

(٢٦) جون بويكن ، المصدر السابق ، ص٩٣-٩٤ .

(٢٧) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢٠١ .

(28) A.J.Abraham, the Lebanon war , wetport,Connecticut/ London,1998, p.139.

(٢٩) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٣٠٠ .

(٣٠) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ .

(٣١) جون بويكن ، المصدر السابق ، ص٩٣-٩٤ .

(٣٢) صحيفة بديعوت احرانوت (الإسرائيلية) ، تل أبيب ، يوم ٢٠كانون الثاني ١٩٨٢.

(٣٣) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٤٥٨.

(٣٤) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٢٠٦.

(٣٥) شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٩٢ .

(٣٦) ابلغت الاردن (اسرائيل) عبر الولايات المتحدة بانها حريصة على الا يعمل اعداء (اسرائيل) عبر اراضيها ، وان موقفها ثابت بمنع تسلل الفدائيين الفلسطينيين. شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٢٣-١٢٥ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص١١٩ .

(٣٨) عبدالله بو حبيب ، الضوء الاصفر ، السياسة الامريكية في لبنان ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩١، ص١٦ .

(٣٩) جونثان راندل ، حرب الألف سنة حتى أخر مسيحي، بيروت،(د.ت) ، ص١٩٠-١٩١ .

(٤٠) سمير قصير ، حرب لبنان في الشقاق الوطني الى النزاع (الاسرائيلي) ١٩٧٥-١٩٨٢ ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٤٨٥ .

(٤١) شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٢٦ .

(٤٢) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٢٩٣ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص١٢٧ –ص٢٩٣.

(٤٤) جانسن ميشيل ، المصدر السابق ، ص٣١٧ .

(٤٥) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق، ص١٨٢ ، ص٣٩٥-٣٩٧.

(٤٦)جوزيف ابو خليل ، قصة الموارنة في الحرب، بيروت،ط٢، ١٩٩٠،ص١٨٢.

(٤٧) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٣٠٠ .

(٤٨) قناة الجزيرة ، شاهد على العصر ، المصدر السابق ، ص٣٠١ .

(٤٩) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٣٠١ .

(٥٠) شيلا راين، الاجتياح (الإسرائيلي) للبنان عام ١٩٨٢ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، سلسلة رقم ٦٨ ، ١٩٨٤ ، ص١١-١٩ .

(٥١) جوزيف ابو خليل ، المصدر السابق، ص١٨٢ .

(٥٢) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢٢٨ .

(٥٣) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق، ص٣٠٢ .

(٥٤) شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

(٥٥) غادة كنفاني ، المعارضة (الاسرائيلية) لغزو لبنان في الفكر الاستراتيجي العربي ، بيروت، ١٩٨٣ ، ص٤٨-٤٩ .

(٥٦) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٣٠٢ .

(٥٧) الان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢١٩ .

(٥٨) استخدم ١٢ألف شاحنة نقل جنود ، و ١٣٠٠ ناقلة جنود مدرعة . كليفور أ.رايت ، آلة الحرب (الاسرائيلية) في لبنان ١٩٨٢ ، دراسات سياسية وعسكرية ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، سلسلة رقم ٦٨ ، ١٩٨٤، ص٦٠ .

(٥٩) الان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢١٨.

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٩.

(٦١) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق، ص٢٩٠-٢٩٢.

(٦٢) فؤاد بطرس ، المذكرات ، بيروت، دار النهار ، ٢٠٠٩، ص٥١٨ .

(٦٣) ملفات منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ،(د.ت)، ص١٤٤ .
(٦٤) جونثان راندل ،المصدر السابق، ص١٩٣
(٦٥) مجلة التايم الأمريكية، يوم ١٦ آب، ١٩٨٢.
(٦٦) كليفورد أ.رايت ، المصدر السابق ، ص٦٠ .
(٦٧) تريفون دوبوي ، النصر الناقص ، فرجينيا ، ١٩٨٦ ، ص٨٦.
(٦٨) جوزيف ابو خليل ، المصدر السابق ، ص١٩٦
(٦٩) كليفورد أ.رايت ، المصدر السابق ، ص٦٠ .
(٧٠) جانسن ميشيل ، المصدر السابق ، ص٣٠٦ .
(٧١) استاء أعضاء مجلس الأمن الدولي بمن فيهم فرنسا من تصرفات الولايات المتحدة. فؤاد بطرس ، المصدر السابق ، ص٥٢٠ .
(٧٢) إذاعة (إسرائيل) ، يوم ٨ حزيران ١٩٨٢ ؛ ملخص الإذاعات العالمية لدى هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) ، يوم ١٠ حزيران ١٩٨٢ .
(٧٣) اتفاقية الخطوط الحمر: وهو اتفاق بين سوريا و(اسرائيل) برعاية الولايات المتحدة ، وكان الملك حسين عراب ذلك الاتفاق في ١١نيسان ١٩٧٦، ويقضي بتقاسم النفوذ في لبنان، كما ادى الاتفاق على حصول (اسرائيل) على عمق في جنوب لبنان الى مسافة اربعين كيلو متر، بينما سمح الاتفاق لسوريا بأدخال قواتها الى لبنان شرط عدم تجاوز الخط الاحمر (لاسرائيل) عند نهر الليطاني والنبطية جنوبا،وان لايستقدم اسلحة استراتيجية (كصواريخ سام) الى داخل لبنان وعدم استخدام الطيران، وسلاح البحرية في الأجواء والمياه اللبنانية، وتأمين المجال الحيوي لسورية في البقاع ، و(لاسرائيل) في الجنوب عبر تقاسم النفوذ بينهما ، وجعل امن لبنان مرتبطا بأمنهم، وتمكن وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر من أقناع (اسرائيل) على الدخول السوري الى لبنان، لانه من

الناحية العسكرية سوف يخفف ميدانيا من قدرات الجيش السوري في الجولان، ومن الناحية السياسية توريط سوريا في الملف اللبناني، ويلهيها عن شؤون الكنطقة ، ويجعلها تصطدم مع الفلسطينيين، وتضبط التحالف البيساري- الاسلامي. انطوان اسعد ، مار نصرالله بطرس صفير السادس والسبعون(١٩٨٦-١٩٩٢)، ط٢، بيروت، (د.ت)، ص٢٥٠؛ نبيل خليفة ،المصدر السابق ، ص١٧٥-١٨٩؛ كريم بقرادوني، المصدر السابق، ص٦٧-٦٩.
(٧٤) باتريك سل ، حافظ الأسد والصراع في الشرق الأوسط، ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،(د.ت) ، ص٦١٣ .
(٧٥) ملخص الإذاعات العالمية ، المصدر السابق ، يوم ١٤ آب ١٩٨٢ .
(٧٦) الان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢٣٨ .
(٧٧) شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٣٥-١٣٦ ؛ صحيفة معاريف (الاسرائيلية) ، يوم ٩ حزيران ، ١٩٨٢ .
(٧٨) الان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ؛ غادة كنفاني ، المصدر السابق، ص٦٠-٦٩.
(79) http://alfikr alarabinet,28,December ,2009.
(٨٠) قاسم جعفر، المواجهة الجوية السورية-(الإسرائيلية) ١٩٨٢ في الفكر الاستراتيجي العربي، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٨٩-٩١.
(٨١) تيودور هانف، لبنان تعايش في زمن الحرب .. من انهيار دولة إلى انبعاث امة، ترجمة موريس صليبا،باريس، ١٩٩٣، ص٣٢١-٣٢٢.
(٨٢) سبق لفيليب حبيب أن أكد وتعهد للرئيس الاسد بأن (الإسرائيليين) سيتوقفون عند نهر الليطاني ، بينما اتهم ياسر عرفات الرئيس الاسد بانه يمتلك ادلة

حاسمة ان سورية كانت على علم مسبق بالاجتياح . محسن مدلول ، المصدر السابق ، ص٢٧٠ .

(٨٣) جونثال راندل، المصدر السابق ، ص٢١ .

(٨٤) صحيفة السياسة الكويتية، يوم ١٦ حزيران ١٩٨٢ .

(٨٥) فؤاد بطرس، المصدر السابق، ص٥٢٤ .

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٥٢٥ .

(٨٧) المصدر نفسه، ص ٥٢٢.

(٨٨) المصدر نفسه ، ص ٥٢٢.

(٨٩) اهم الطوائف المهمة في لبنان (المسلمين ، الموارنة ، الدروز ، والكاثوليك) ، وضحت اللجنة (شفيق الوزان ، فؤاد بطرس ، بشير الجميل ، وليد جنبلاط ، نبيه بري ، نصري المعلوف سياسي كاثوليكي مقرب من كميل شمعون) . فواز طرابلسي ، تاريخ لبنان الحديث من الامارة الى اتفاق الطائف ، بيروت ، دار رياض الريس للكتب والنشر ، ٢٠٠٨ ، ص٣٧٤ .

(٩٠) كريم بقرادوني ، المصدر السابق ، ص٣٧٦ .

(٩١) لكن (الاسرائيليين) عطلوا الخطة . جون بويكن ، المصدر السابق ، ص١٤٨-١٤٩ .

(٩٢) هيثم نبيل ، نبيه بري اسكن هذا الكتاب، بيروت ، دار مختارات ، (د.ت) ، ص١٥٠-١٥١.

(٩٣) راجي عشوقي ، حقائق في خدمة وطني، بيروت، ١٩٨٥، ص١١٥ .

(٩٤) تيودور هانف ، المصدر السابق ، ص٣٢٤-٣٢٥ .

(٩٥) ألان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٣٢١ .

(٩٦) جوزيف ابو خليل ، المصدر السابق ، ص٢١٠-٢١١ .

(٩٧) جونثال راندل ، المصدر السابق ، ص١٩٧ .

(٩٨) الان مينا رغ ، المصدر السابق ، ص٢٥٤ .

(٩٩) تم تدمير الف منزل في صيدا ، وتضرر الف وخمسمائة دار ، وتدمير ٢٧ مدرسة ، و١٣ مستشفى . عبدالرؤوف سنو،المصدر السابق ، ص٣٠٨.

(١٠٠) عبدالرؤوف سنو ، المصدر السابق ، ص٣٠٩ .

(١٠١) بشار الجعفري ، السياسة الخارجية السورية١٨٤٦-١٩٨٢، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٧، ص٤٢٤ .

(١٠٢)عشية الدخول الى بيروت الغربية ، قام (بيغن) بدعوة وزرائه في ساعة متاخرة من الليل لحضور جلسة استثنائية، لكنهم بعد مداولات عنيفة ، رفضوا دخول بيروت الغربية ، وقرروا معارضة تلك العملية ، شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

(١٠٣) رد عليه فيليب حبيب ، انأ أيضا مللت الشكوى ، لا سيما حين أعطي وعدا ، ولا يتم الوفاء به ، الان مينارغ ، المصادر السابق ، ص٢٩٤ ؛ شيمون شيفر ، المصدر السابق ، ص١٥٨.

(١٠٤) عبدالرؤوف سنو المصدر السابق ، ص٣٠٨ .

مسلة النصر لـ (نرام سين)

(دراسة تحليلية لمعطياتها الفنية والحضارية)

م. غيث حبيب خليل
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

ملخص البحث

تعنى هذه الدراسة بضرورة البحث والتأكيد على الجانب الإبداعي في الفن وجماله لدى الإنسان العراقي القديم ومقدار تماسك العلاقة وصدقها الشعوري بين الفنان وموضوعه الفني وقيمته الجمالية، وبين الوظيفة التي يستخدم الفن من اجلها والتعبير عن غايتها، سواء كانت دينية أو دنيوية. لكي نتعرف على مستوى التطور الذي ارتقا إليه الإنسان العراقي القديم، من خلال الآثار التي أكتشفها المنقبون، من أعمال فنية وعمرانية تمتاز بقدرة إبداعية وإحساس جمالي عالي. لأن الإحساس بالجمال وإدراكه هي صفة إنسانية يمتاز بها عن غيره من الكائنات الحية في عالمنا والتمتع بمكونات الموضوع الجمالي.

ضم البحث مدخل الى العصر الاكدي .ونبذة عن الملك نرام سين الذي كان من أعظم ملوك السلالة الاكدية ولا يضاهيه في الشهرة غير جده مؤسس السلالة سرجون الاكدي ، كما تناول البحث مسلة النصر مادة البحث الرئيسة دراسة تحليلية لمعطياتها الفنية والتي من خلالها استطعنا أن نرسم الملامح الفنية والتغيرات التي حدثت في هذا العصر والمدرسة الفنية التي تنتمي إليها ،فلقد تميزت بمميزات ميزتها عن سابقتها من النتاجات السومرية التي تميل إلى التجريد وبأسلوب يعكس الأفكار الدينية للسومريين لذلك كانت نتاجاتهم بعيدة عن الواقعية، في حين تميزت النتاجات

الاكدية بإضفاء الواقعية التي جاءت من واقع بيئتهم التي أتوا منها ومظاهر القوة والرجولة التي يتميز بها العنصر الجزري فضلا عن ذلك عكست السياسة الجديدة وهي فصل السياسة عن الدين فضلا عن معطياتها (الحضارية – السياسية والإدارية ، العسكرية ، والدينية) . والتي اساسها استيلاء الاكديين على السلطة في البلاد وهم من اصل جزري ، وإقامتهم دولة القطر الواحد الخاضع لسلطة مركزية واحدة بعدما كانت مجزأة في عصر فجر السلالات ، وذلك أدى إلى بناء دولة قوية تضم جيشا كبيرا منظما ومزود بأسلحة جديدة ، فضلا عن اتباع سياسة تتلائم مع تطورات ذلك العصر كما نتج عنه فكرا دينيا ظهرت فيه عادات لم تكن مالوفة قبل ذلك العصر .

المقدمة

تعنى هذه الدراسة بضرورة البحث والتأكيد على الجانب الإبداعي في الفن وجماليته لدى الإنسان العراقي القديم ومقدار تماسك العلاقة وصدقها الشعوري بين الفنان وموضوعه الفني وقيمته الجمالية، وبين الوظيفة التي يستخدم الفن من اجلها والتعبير عن غايتها، سواء كانت دينية أو دنيوية. لكي نتعرف على مستوى التطور الذي ارتقا إليه الإنسان العراقي القديم، من خلال الآثار التي أكتشفها المنقبون، من أعمال فنية وعمرانية تمتاز بقدرة إبداعية وإحساس جمالي عالي. لأن الإحساس بالجمال وإدراكه هي صفة إنسانية يمتاز بها عن غيره من الكائنات الحية في عالمنا والتمتع بمكونات الموضوع الجمالي.

لم يبدأ الشعور لدى الإنسان القديم بأن هناك قوى لديها عقل، وتملك القدرة على التحكم في مصير الإنسان. إلا بعد أن بدأ يزرع النباتات ويربي الماشية. فشعور الإنسان بان حياته ترتبط بالتقلّبات الجوية، وعلى الوباء والمجاعة، وعلى خصوبة الأرض وسبختها، وتوفر المراعي أو ندرتها. أن هذا الشعور قد اقترن بظهور فكرة الجن والأرواح الخيرة والشريرة، التي توزع النعم والنقم، وبفكرة المجهول والغامض، والقدرات العليا، والقوى الهائلة، العالية والخارقة للطبيعة، والتي لا يستطيع الإنسان حيالها شيئاً ، ومن هنا حاول الإنسان التكيف دائماً مع الطبيعة، ويسعى لاستثمار ما تقدم إليه البيئة التي يعيش في وسطها لخدمته وتلبية حاجاته. وتفرض عليه البيئة ، الطبيعية من تضاريس ومناخ، طبيعة الطراز الذي يرسم تكوين خصوصيته المتميز بها عبر تفاعله معها.

ويتناول البحث مسلة النصر لنرام سين دراسة تحليلية لمعطياتها الفنية والتي من خلالها نستطيع أن نرسم الملامح الفنية والتغيرات التي حدثت في هذا العصر

والمدرسة الفنية التي تنتمي إليها ، فضلا عن معطياتها (الحضارية – السياسية والإدارية ، العسكرية ، والدينية) .

مدخل إلى العصر الاكدي :

كان قيام الدولة الأكدية يمثل نهاية عصور فجر السلالات (١)،واختلف الباحثون في تحديد بداية قيام الدولة الاكدية ، فمنهم من يرى أن قيامها كانت في عام (٢٣٧١ ق.م)(٢). ومنهم من يرى بأن قيامها كان في عام (٢٣٥٠ ق.م)(٣). وهناك من يرى بأن قيامها كان في عام (٢٣٤٠) ق. م (٤). وهناك من يرى أن قيامها كان في عام (٢٣٣٤ ق.م)(٥). كل بحسب ما تناوله من دراسة في تحديد العصر من معطيات عامة فنية أو عمارية أو سياسية.

والاكديون هم أول سلالة جزرية(٦) . تحكم في بلاد الرافدين أسسها سرجون الاكدي وقد أسس مدينتها أكد التي لم يعثر على بقاياها إلى الوقت الحاضر والاكديون استوطنوا بلاد الرافدين منذ الألف الرابع ق.م وعاشوا جنبا إلى جنب مع السومريين(٧)، وتفاعلوا معهم قبل أن يتمكنوا من الاستيلاء على الحكم، والاكديون يمثلون واحدة من أقدم هجرات القبائل الجزيرة إلى بلاد الرافدين كما إن لغتهم تعود في أصولها إلى عائلة لغات الجزيرة الأم التي تفرعت إلى فروع منها (الاكدية، البابلية ، الآشورية، الآرامية والعربية) (٨).

والدليل في ذلك وجود أسماء أعلام ترد في وثائق من عصور فجر السلالات تدل بصورة واضحة على أن أصحابها كانوا جزريين وليسوا سومريين ، كما يستدل من أسماء الأعلام التي تذكرها النصوص توضح إن الاكديين كانوا منتشرين في رقعة جغرافية واسعة نسبيا، وإنهم كانوا قليلين بالنسبة إلى عدد السومريين في الجنوب، لكنهم كانوا يتمتعون بالقوة والنفوذ في المنطقة التي كانت ضمن مملكة كيش (تل الاحيمر)(٩) . ومما يدل على تزايد نفوذ الجزريين في

هذه المملكة إن اثني عشر ملكا من اصل ٢٢ ملكا حكموا السلالة كانوا من أصول جزرية، كما يتضح من النصوص المسمارية المكتشفة إن هؤلاء الجزريين كانوا يؤلفون الجزء الأكبر من سكان شمالي القطر، والمعلوم إن الأقسام الوسطى من بلاد الرافدين ابتداء من مدينة نفر في الجنوب وحتى خط هيت سامراء شمالا تسمى (بلاد أكد) نسبة إلى مدينة أكد التي اتخذها سرجون عاصمة له. وكان هؤلاء الاكديون كما ذكرنا سابقا يتكلمون اللغة الاكدية كما أنهم استخدموا في كتاباتهم الخط المسماري الذي استنبطه السومريون من قبل ، ثم إن وجود الاكديين جنبا إلى جنب أدى بطبيعة الحال إلى تأثرهم بالحضارة السومرية ففي نطاق اللغة استعار الاكديون كثيرا من المفردات والمصطلحات السومرية ، كما يجد الباحث إن كثيرا من المفردات السومرية ذات اصل أكدي وعلى غرار السومريين استوطن الاكديون القرى والمدن، ومارسوا الزراعة وشتى صنوف الحرف كما أنهم مارسوا المعتقدات والطقوس الدينية التي مارسها السومريون وهناك حقيقة واضحة فانا إذا ما استثنينا الجانب اللغوي فان السومريين والاكديين انصهروا في بوتقة حضارة أصيلة واحدة (١٠).

وسقطت الإمبراطورية الاكدية في عهد ملكها (شار كليشاري ابن نرام سين) على يد الكوتيين (١١) ، حيث عملت عدة عوامل على إضعاف الدولة الاكدية وإسقاطها في نهاية الأمر ومن تلك الأسباب استنزاف طاقات الإمبراطورية في الحروب وخاصة مع القبائل الجبلية (اللولبو) (١٢) ، وفي إخماد الثورات والفتن في الداخل وفي الأقاليم التابعة لها (١٣).

حكم في أكد عدة ملوك أبرزهم مؤسس السلالة سرجون الاكدي (٢٣٤٠– ٢٢٨٤ ق.م) والذي تمكن من توحيد دويلات المدن السومرية تحت حكمه وأسس أول دولة موحدة في بلاد الرافدين سعى بعدها إلى توسيع حدودها لتشمل كل بلاد الرافدين وعيلام ومناطق في جبال طوروس وبلاد الشام حاليا وبعد وفاته تولى الحكم

ابنه ريموش (٢٢٨٤–٢٢٧٥)ق.م واجه ثورات عدة وقتل في أثناء تمرد في القصر، تولى الحكم بعده أخوه مانشتوسو (٢٢٧٥–٢٢٦٠) ق.م ويبدو ن مانشتوسو خسر بلاد الشام إلا انه نجح في قيادة حملة على مناطق الخليج العربي (حاليا) والسيطرة عليها لضمان طريق للحصول على المواد الأولية ، بعد وفاته خلفه ابنه (نرام سين) (٢٢٦٠– ٢٢٢٣ ق.م) (١٤).

نرام سين (٢٢٦٠ – ٢٢٢٣ ق.م) :

إن المعلومات المتوفرة عن هذا الملك وعن الملوك الاكديين على نحو عام تؤكد انه كان من أعظم ملوك السلالة ولا يضاهيه في الشهرة غير جده مؤسس السلالة سرجون الاكدي ونرام سين هو ابن الملك مانشتوسو ويعني اسمه (محبوب الإله سين) ومن أولى الأعمال التي قام بها بعد اعتلاءه العرش هو إخماده للفتن الداخلية وإفشاله لأطماع المتآمرين على العرش الذين قتلوا والده طمعا في العرش(١٥). وما أن وطد نرام سين حكمه في الداخل سعى لإخضاع باقي المناطق التي أعلنت تمردها ضد السيادة الاكدية ومن تلك بعض المدن العيلامية مستغلة الظروف التي ترافق استلام الحكم ، فسار نرام سين على راس جيشه نحو عيلام (١٦) . فأخضعها من جديد ، ثم عين حاكما اكديا على سوسه (١٧). وجاء في نص (نرام سين ، ملك أكد ، لقد أصدر أوامره بالزحف على بلاد عيلام ، وحتى مدينة مرخشي) (١٨). قاد بعدها حملات على بلاد الشام وأعاد السيطرة عليها وشيد هناك قصر على تل براك وهو موقع يقع في سوريا حاليا على الجانب الغربي لنهر الخابور احد فروع نهر الفرات دليل على سلطته ولتامين طرق النقل إلى البحر الأبيض المتوسط ، بعدها قاد حملات على مناطق الخليج العربي وإخضاعها ويذكر نرام سين في احد النصوص انه غسل أسلحته في مياه البحر والخليج (١٩). وحافظ بذلك على جسد الإمبراطورية التي أسسها جده ، وامن الطرق التجارية

وسلامة القوافل التي تنقل المواد الخام إلى بلاد أكد ومصادر هذه المواد ، كما قاد نرام سين حملات على أقوام اللولبو والتي استمرت لفترات طويلة أحرز خلالها الانتصار عليهم وخلدها في أعمال فنية ومنها مسلة النصر (شكل ١) ،وما يؤكد ذلك الانتصار هي منحوتة مضيق دربندي كاوور إحدى مجازات جبال قره داغ في الطريق المؤدي إلى السليمانية من كركوك حيث نقش على واجهته منحوتة تصور شخصا ملتحيا طوله عشرة أقدام تقريبا ويلبس خوذة مدورة وبيده اليسرى قوس وفي اليد اليمنى سلاح يمكن أن يكون فأسا وساقه اليسرى مرفوعة عند الركبة وكأنه في حالة مشي وعند قدمه شخصان صورا بحجم صغير نسبة إلى الرجل الملتحي (شكل٢) (٢٠).

ونتيجة لانتصاراته وفتوحاته الواسعة التي أخمدت الفتن الداخلية والخارجية والتي أعادت جسد الإمبراطورية إلى ما كانت عليه في زمن جده (سرجون) فضلا عن مناطق جديدة، فقد تلقب بعدة ألقاب ففضلا عن لقب (ملك أكد) اتخذ لنفسه (ملك الجهات الأربع – شار كبرات اربعيم) ولقب (ملك العالم – شار كشتي)(٢١). كما أضفيت على شخصيته مسحة من التقديس بدليل استخدام علامة الألوهية: النجمة (*) في كتابة اسمه على غرار أسماء الآلهة وهذه بدعة لم يبتدعها احد من قبله والتي كان فيها خروج على العرف الديني في بلاد الرافدين (٢٢) .

وقد كان نرام سين آخر ملك قوي من ملوك السلالة الاكدية بدأت بعد وفاته الإمبراطورية يدب فيها الضعف إلى أن سقطت تحت سيطرة (الكوتيون)، وتذكر الأخبار المتأخرة عن هذا الملك إن نهاية حكمه انتهت بالإضراب وتجمع الأعداء عليه ، وبعد موته عمت الإخطار والفوضى أرجاء الإمبراطورية مما أدى إلى سقوطها على أيد الكوتيين(٢٣). وهناك روايات عن ذلك ومن تلك ما جاء في ما يعرف (لعنة أكد) وجدت نسخ منها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال ومن

العصر البابلي القديم والتي تروي أحداث نزول هذه الأقوام إلى بلاد أكد واكتساحهم الأقوام و المدن في طريقهم وهذه نتيجة للعنة الإله انليل الذي انزل غضبه على نرام سين لأنه اتلف المدن السومرية ومدينته نفر ومعبده معبد (الايكور) والأراضي التابعة له ولذلك دمر مملكته (٢٤).

ومما تقدم نجد إن الظروف السياسية في بلاد الرافدين وخارجها قد فرضت القتال على نرام سين حيث انه مدة حكمه الطويلة الممتدة لسبع وثلاثين عاماً قد قضاها في حروب متصلة لتامين إمبراطوريته والحفاظ عليها وتامين طرق المواصلات للحصول على المواد الخام (٢٥).

مسلة النصر :

وهي مسلة مصنوعة من الحجر الرملي ذات قمة منحنية يبلغ ارتفاعها ما يقارب المترين وبعرض متر واحد في اعرض نقطة منه وقد نحت وجه واحد منها بنحت بارز ناتئ ، وهذه المسلة أقامها الملك نرام سين في مدينة سبار (٢٦). تعلو المسلة رموز للآلهة السماوية والتي عثر عليها في مدينة سوسة (عاصمة العيلاميين) ومحفوظة حاليا في متحف اللوفر في باريس ، ويبدو إن العيلاميين قد استولوا عليها خلال إحدى غزواتهم على بلاد الرافدين بعد سقوط الدولة الاكدية ، تصور المسلة الملك نرام سين وهو يحمل القوس والرمح والفأس ويلبس خوذة مقرنة ويصعد جبلا شاهقا وقد تساقط الأعداء تحت قدميه، وتسجل الكتابة التي على المسلة إنها تصور انتصار الملك نرام سين على سنتوني ملك اللولبو (شكل١)(٢٧). وفيما يأتي دراسة المعطيات الفنية والحضارية للمسلة :

أولا : **الفنية** :

تميزت مسلة النصر وباقي منحوتات العصر الاكدي بسمات مميزة ميزتها عن سابقتها من النتاجات السومرية التي تميل إلى التجريد وبأسلوب يعكس الأفكار

الدينية للسومريين لذلك كانت نتاجاتهم بعيدة عن الواقعية، في حين تميزت النتاجات الاكدية بإضفاء الواقعية التي جاءت من واقع بيئتهم التي أتوا منها ومظاهر القوة والرجولة التي يتميز بها العنصر الجزري فضلا عن ذلك عكست السياسة الجديدة وهي فصل السياسة عن الدين (٢٨). ولذلك فقد حاول الفنان الاكدي أن يجد في شخصية الإنسان كقوة إلهية خارقة ولكن بشكل جديد يختلف عن النصب السومرية السابقة للعصر الاكدي، إذ إن شخصياته المصورة ليست بقصيرة وإنما طويلة ممشوقة، كما أنهم اهتموا بالليونة والواقعية من خلال معالجة التكوير المتدرج كحركة الكتف كما اهتموا في الدقة في التفاصيل التشريحية أكثر من السومريين، أي إن الفن الاكدي اتخذ لنفسه شكلا خاصا ونرى تجسيد ذلك في مسلة النصر (٢٩). حيث نحتت مشاهد المسلة بشكل بارز على حجر رملي احمر ، يبلغ ارتفاعها متران وبعرض متر واحد ، وهذه المسلة نحتت تخليدا لانتصار نرام سين وجيشه على أقوام اللولبو (٣٠).

وان أهم ما يتجسد في هذه المسلة هي النوعية الجديدة في صياغتها عند مقارنتها بالمسلات المبكرة للسومريين (كمسلة العقبان) شكل (٣) (٣١). فقد تجسد في هذه المنحوتة الوحدة في المضمون والوضوح في التكوين بخلاف مسلات السومريين التي كانت مقسمة إلى شكل أشرطة أفقية تقسم الموضوع، كما استطاع الفنان بنجاح استخدام شكل البناء الإنشائي المنحرف ومن خلاله استطاع ان يظهر المسلة على شكل جبل عالي يتجاوب ومضمون المشهد، وإمكانية توزيع الشخصيات على مساحة اللوح بني من خلاله انطباع لحركة الفضاء في هذه المنحوتة، وان حركة المحاربين الإيقاعية وديناميكية التكوين المتكاملة اختلطت جميعها في الاستعراض القصصي للموضوع ، لذلك نلاحظ المحاربين الاكديين قد صورهم الفنان كسلاسل لشد التكوين بين الصخور والشجيرات الصغيرة، وبذلك استطاع الفنان من

أن يجد وحدة متماسكة للتكوين فالخطوط المتموجة تظهر لنا الصخور الجبلية مع بعض الأشجار وان هذا التصور يعطي انطباعا للمنطقة التي حدثت بها المعركة وهي تحتوي على بعض الغابات ، وأظهرت وبشكل واضح مدى ما فعله نرام سين وجيشه من تقتيل في جيش الأعداء (٣٢).

كما إن النزعة الواقعية تتضح أكثر في معالجة تفاصيل الشخصيات وبصورة خاصة شخصية الملك نرام سين فاللباس الضيق القصير الذي ارتداه الملك أعطى إمكانية غنية في إبراز عضلات الجسم من خلال الصياغة الدقيقة في نحت الأيدي والأرجل والكتف وضبط نسب الجسم بشكل أكثر دقة من النحت السومري السابق للعصر الاكدي (عصور فجر السلالات) كما استطاع الفنان أن يوضح في هذا التكوين الجيوش المنكسرة المنحدرة من الجبل وجيوش نرام سين المنتصرة ذات الفعالية الحيوية في حركة صعود الجبل ، كما استطاع وبشكل صريح أن يصور وضعية المقاتل أثناء إصابته في الرقبة بسهم مميت ، كما ابرز الفنان تشريح الأجسام العضلية الممشوقة والتي صيغت بشكل بديع يتناسب وطبيعة الاكديين التي تتمثل بإبراز مظاهر الرجولة (٣٣). كما نلاحظ إن الفنان مثل شخصية الملك نرام سين وهو الشخصية الرئيسة في المشهد بحجم اكبر من باقي الشخصيات كما هو الحال في المنحوتات السومرية وهو يرتقي قمة الجبل وهو يحمل أسلحته ويرتدي تاجا ذي قرنين دليلا لحمله صفة الألوهية ويظهر وهو يدوس برجله أعداء ساقطين يتدلى من رؤوسهم ضفيرة واحدة من الشعر ويرتدي هؤلاء قطعة واحدة من جلد الحيوان تغطي أجسامهم وهي ذات فتحة من الأسفل (شكل ٤)، ومع هذا فان الحجم المبالغ فيه لا يطغي على باقي شخصيات المشهد ويعود ذلك إلى الإجادة في صياغة التكوين العام، كما نلاحظ استدارة الأكتاف للشخصيات عند تصوير الرأس والأرجل بشكل جانبي(٣٤). وصور الجنود الاكديون وهم يلبسون خوذا بيضوية مع

رداء يصل الى ماتحت الركبة كما ويظهر اثنان منهم وهم يحملون رايات أكدية(٣٥).

وترجع أهمية مسلة نرام سين إلى كونها أول عمل فني سجلت عليه الأحداث التاريخية في بلاد الرافدين في مساحة واحدة على عكس المسلات السومرية ومنها مسلة العقبان والتي سجلت على شكل أشرطة أفقية .ولابد من الإشارة هنا إلى إن في الوقت الذي كان فيه الملبس السومري المخصل يحول الشخص البشري الى كتلة لا حياة فيها، نجد هنا في ملابس شخصيات المسلة إن القماش يسقط في طيات طويلة متموجة أشبه بالماء الذي تهب عليه الريح وعن طريق التلاعب بالضوء والظل في هذه الطيات تحولت كتلة الحجر إلى مشهد ذي حركة كثيرة الحيوية وبالشكل الذي لم يستطع النحاتون السومريون أن ينجزوه ،ومن هذا يظهر إن الاكديون تحرروا من الجمود والطابع التجريدي وغدت مظاهر الحياة بالنسبة لهم تمثل تطور دائم وحركة وبناء (٣٦).

ثانياً: السياسية والإدارية:

منذ العصر الاكدي بدأت سيطرة الإدارة المركزية على جميع بلاد الرافدين وقامت أول دولة ضمت جميع المدن والدويلات التي كانت متناحرة فيما بينها تحت لواء دولة موحدة وفضلا عن ذلك اتسعت لتشمل مناطق خارج بلاد الرافدين وسيطرة العنصر الجزري على الساحة السياسية والإدارية في بلاد الرافدين(٣٧).

ومن خلال تحليل المشاهد المنفذة على مسلة النصر نستطيع أن نستدل على معطيات سياسية وإدارية جعلت من الممكن لجيش يقوده ملك الخروج من عاصمة حكمه والزحف به إلى مناطق بعيدة وصعبة التضاريس وخوض معارك عديدة والتي أشارت إليها النصوص المسمارية فضلا عن أعمال فنية وتتضح فيها سمات السياسة المركزية الجديدة التي اتبعها الحكام الاكديون ومنهم نرام سين وهي

إتباع سياسة مركزية موحدة، وتقسيم الإمبراطورية إلى مقاطعات وولايات، والاعتماد على الحكام من العنصر الجزري لضمان ولائهم، وهدم أسوار المدن التي كانت تحيط بالمدن لحماية نفسها من هجمات الدويلات المجاورة وبما إن جميع المدن تحت سلطة مركزية واحدة فان الحاجة إلى هذه الأسوار قد زالت فضلا عن إن هدمها يمنع حكام تلك الدويلات من التمرد ضد السلطة المركزية الموحدة خاصة وأنها أخضعت بالقوة ، كما اعتمد على الرسل والمبعوثين كنظام استخباراتي وطور نظام المواصلات والبريد لإيصال معلومات الملك إلى حكام الولايات والمقاطعات وكذلك من خلالهم يستطيع الوقوف على ما كان يجري في أرجاء الإمبراطورية من تمرد أو عصيان وقد تمكن من جعل أمراء سوبارتو (٣٨) . يقدمون المؤن إلى جيش نرام سين، والطريق الذي سلكه الملك نرام سين لم يسلكه ملك من قبله ، وقد استطاع الملك نرام سين من تحقيق النصر بسهولة لان الإلهة اينانا لم تخلق رجلا ندا له كما تذكر نصوص تعود إلى هذا الملك (٣٩) .

وتمكن هذا الملك من تثبيت أسس السياسة الصائبة التي يجب أن يعتمد عليها كل ملك يطمح إلى إقامة إمبراطورية والمتمثل في فصل السياسة عن الدين لان ذلك يجنب الملك من إمكانية اتهامه بتحيزه لدينه على حساب الأديان الأخرى، كما انه في الوقت نفسه يمنح مقاطعات الإمبراطورية فرصة الحفاظ على معتقداتهم الدينية من دون أن تتعرض لأي تأثير خارجي (٤٠).

والخطوة الثانية التي سار عليها ومن قبله الملك سرجون الاكدي هي تبني سياسة ربط أواصر الإخوة فيما بين الأقوام المختلفة التي تحتويها الإمبراطورية لان ذلك يسد الطريق أمام الطامعين والحاقدين من اجل إثارة الفتن وأعمال الشغب ويمنح في الوقت نفسه سكان الإمبراطورية فرصة الشعور بالوحدة وعدم التفرقة ، وآخر ما قام به تمثل بالقضاء حيث فسح المجال أمام القضاة ليحكموا باسم الملك وعد

قراراتهم لازمة التنفيذ فضلا عن ربط القضاء بالسلطة المركزية وعدم وضعه تحت رحمة حكام الولايات او المقاطعات وهذا مكن القضاء من إرساء أسس العدالة الممكنة وسد الطريق أمام الحكام الولايات من استغلال القضاء لتحقيق مطامعهم الشخصية (٤١). كما تتضح أن سياسة أكد الخارجية اعتمدت مبدأين رئيسين يتمثلان بضرورة إخضاع المناطق التي تمثل تهديدا لهم تحت السيادة الاكدية ، والسيطرة على الأقاليم الغنية بالموارد الأولية الضرورية لازدهار الحضارة (٤٢).أما من خلال السيطرة عليها أو من خلال عقد معاهدات السلام وهذا ما قام به نرام سين مع ملك عيلام ومع أن اسم الملك العيلامي فقد من نص المعاهدة إلا أن اغلب الاحتمالات ترجح الملك خيتا وهو الملك الحادي عشر من سلالة (بيلي) تدل النصوص التي تضمنتها المعاهدة انها معاهدة سلام فنحن نقرأ في بعض بنودها ما قاله الملك العيلامي ((عدو نرام . سين ، عدوا لي ، وصديق نرام . سين صديقا لي)) (٤٣) .

وكنتيجة لتلك السياسات التي استخدمها الملوك الاكديين ساد استخدام اللغة الاكدية كلغة رسمية لبلاد الرافدين ومن ثم أصبحت اللغة الدبلوماسية الدولية ما بين دول الشرق الأدنى القديم (٤٤).

ثالثاً : العسكرية :

يحتل الجيش والسلاح مكان الصدارة في تاريخ جميع الدول قديماً وحديثاً، فالجيش سورها المنيع الذي يحميها من أي اعتداء ويصد عنها أي خطر خارجي ويوفر لها الأمن والاستقرار، أما عن سبب هذه الأهمية في تاريخ بلاد الرافدين فيعود ذلك إلى الطبيعة الجغرافية لبلاد الرافدين فهي أرض معطاء تتوفر فيها المياه العذبة والأراضي الخصبة الفسيحة، ولهذا السبب قامت فيها أقدم المراكز الحضارية التي عرفها الإنسان ، كما أنها في الوقت نفسه أرض مفتوحة أمام الأقوام الأخرى

ومنها الأقوام الجبلية التي كانت تغطي الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من بلاد الرافدين ، ولهذا السبب كانت معرضة للغزو والهجوم وعلى مر العصور متى ما ضعفت قدراتها العسكرية وسلطاتها المركزية، ولذلك فقد أدرك سكان بلاد الرافدين ومنذ أقدم العصور أهمية التسلح والاستعداد لأي غزو أو مطامع خارجية تتعرض لها حدودهم الخارجية (٤٥)

وتميز العصر الاكدي باستيلاء الاكديين على السلطة في البلاد ، وإقامتهم دولة القطر الواحد الخاضع لسلطة مركزية واحدة بعدما كانت مجزأة في عصر فجر السلالات ، وذلك أدى إلى بناء دولة قوية تضم جيشا كبيرا منظما ومزود بأسلحة جديدة وأساليب متطورة في القتال و من خلاله قاد ملوك اكد الحملات العسكرية وخاضوا معارك تمكنوا من خلالها من تثبيت سيطرتهم وحكمهم على المناطق التي تحت نفوذهم واستطاعت به من كبح جماح محاولات الأقوام المجاورة في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية للاعتداء على البلاد ، ثم اتجهت بعد ذلك نحو الفتوحات الخارجية (٤٦) .

وان أي صورة ترسم عن الجيش والسلاح في العصر الاكدي لابد أن نأخذ بنظر الاعتبار الأمور التي استجدت في هذا العصر يأتي في مقدمتها هوية الأقوام الاكدية الجزرية، فبعد أن كان القادة والضباط وغالبية الجنود من العناصر السومرية، أصبح معظمهم من العناصر الاكدية التي لابد وإنها أدخلت الكثير من أساليب القتال وفنون الحرب وأنواع الأسلحة التي اعتادت عليها وعرفتها الأقوام الجزرية بصورة عامة قبل أن تستقر في بلاد الرافدين والتي كانت بالتأكيد تنسجم والحياة البدوية المتنقلة التي اتسمت بها حياة الأقوام الجزرية عامة وفي الوقت نفسه كانت متأثرة بحياة الاستقرار الجديدة في المدن والمراكز الحضارية فجمعت بذلك بين الأساليب والمفاهيم والقيم البدوية الجزرية وحياة المدن وأساليبها وقيمها

الخاصـة(٤٧). فضـلا عن ذلك فان معظم الحـروب والمنازعات إلي كانت تقـع في عصـر فجـر السـلالات السـومرية تنشـب بـين دول المـدن الصـغيرة أو بـالأحرى بـين المـدن المتجـاورة والمتقاربـة وكـان طبيعيـا أن تكـون أسـاليب القتـال ونـوع الأسـلحة المستخدمة منسـجما مـع هذه الحقيقة فـي حين لـم تعد المعارك والحمـلات العسكرية التـي خاضـها الجيش الاكدي مقصـورة علـى منطقـة صـغيرة أو قريبـة بل كـان علـى الجيش الاكدي أن يواجه أعداء أجانب من مناطق أجنبية متباينـة من حيث الطبيعة الجغرافيـة وأساليب القتـال ونـوع الأسلحة وفنـون الحـرب، فكـان عليـه ان يكـون مـدربا تـدريبا جيدا ومسـتعدا لمواجهـة مختلـف أنـواع الأسـلحة ومختلـف البيئـات بعيـدا عـن مراكـز المـدن الاكديـة (٤٨) . كمـا كـان لاتسـاع رقعـة الدولـة الاكديـة وضـرورة إعداد وتجهيـز الحمـلات العسكرية المتتالية إلـى المنـاطق البعيدة ولاسيما المنـاطق الشرقية والشـمالية الشـرقية، وحمايـة حـدود الإمبراطوريـة المتراميـة الأطـراف أثـره فـي التركيـز علـى الجيش الدائم الذي ربما كانت نواته الأولـى فـي أواخـر عصـر فجـر السـلالات. وبهذا كـان الملك سرجون الاكدي يتفاخر بأنـه كـان يطعـم يوميا ٥٤٠٠ مقاتل فـي قصره وذلك ربما يشير إلـى أفراد القوات المسلحة من الحرس الملكي الذي يمثل نـواة الجـيش النظـامي الـدائمي (٤٩). ونسـتطيع أن نرسـم ملامـح الجـيش فـي العصـر الاكـدي مـن خـلال المشـاهد الحربيـة المصـورة علـى النصـب والمسـلات الاكديـة ، وكـذلك طبيعـة التطـورات السياسـية وطبيعـة المعـارك الحربيـة وبـالأخص مـن خـلال المنحوتات التي تعود للملك نرام سين ومنها (مسلة النصر) حيث نجد انه قد حدثت تغيـرات كثيـرة فـي الـنظم المتبعـة فـي الجـيش وذلـك مـا فرضـته التغيـرات والظـروف السياسـية الجديـدة والتـي اعتمـدت الفتـوح العسـكرية أساسـا فـي سياسـتها الخارجيـة وحتمت أن يكون للبلاد جيش قوي منظم ومدرب ومسلح بأسلحة فعالـة تتمكن من مواجهـة القـوات الأجنبيـة ولاسـيما الحمـلات الخارجيـة التـي امتـدت إلـى الأقطـار

المجـاورة ولذلك نجد انـه فـي العصـر الاكدي تـم تأسيس جيش نظـامي منظم وفق أسـس ثابتـة (٥٠). كمـا انـه أحـدث تغييـرات أساسـية فـي أسـلوب التـدريب للقـوات المسلحة وتجنيدها وتسليحها وربما اعتمد بالدرجة الأولـى علـى العناصـر الاكدية فـي قيادة الجيوش ومن خـلال مشاهد المسلة نجد انه تم أبطال استخدام الأسلحة الثقيلة فـي تجهيـز الجيش والتـي كانت سائدة في عصـور فجر السلالات حيث أبطل نظام الصـف وأكثـر مـن استخدام الأسلحة الخفيفـة التـي تساعد علـى خفـة الحركـة وسرعة المنـاورة وقطـع المسافات البعيدة وهذا مـا ينسجم أيضـا وطبيعـة الأقـوام الجزريـة التـي اعتـادت علـى الحركة وسرعة التنقل، فبطل استخدام الأسلحة الثقيلة كالدروع والفـؤوس والـدبابيس والرمـاح الثقيلـة، واسـتحدث أسـلوب المبـارزة الفرديـة. أمـا أصـناف الجـيش فكان صنف المشاة يؤلف الجزء الأكبر من القطعات العسكرية وكان يتسلح بـالفؤوس الخفيفة والخناجر والسيوف القصيرة، وكان يسند ويحمـي المشاة رماة السهام والرمـاح الطويلة كما اسند المشاة برماة القذائف الخفيفة بدلا من راجمات الأحجار الثقيلة التي قد تعيق تقدم الجند كما استمر العمل باستخدام العربات الحربيـة والتـي لـم تظهـر فـي مشـاهد المسـلة باعتبـار إن المعركـة تحـدث فـي بيئـة جبليـة يتعـذر معهـا اسـتخدام العربـات الحربيـة (٥١). كمـا لابـد وان ضـم الجـيش الاكـدي صـنفا مـن المقـاتلين مخـتص بـدك الأسـوار وهـدمها وفـتح الثغـرات فيهـا ، فـالمعروف إن معظـم المـدن السـومرية كانـت محميـة بأسـوار وكـان علـى سـرجون الاكـدي فـي بدايـة حروبـه أن يقضـي علـى تلك المدن ويدك أسوارها ويضـمها إلـى حدود دولتـه المتناميـة وهذا مـا تشير إليه نصوص أكدية جاء فيها :

" دمر مدينتهم وهدم سورها ... الخ " (٥٢) .

ولا يعرف بالضـبط كـم كـان عدد أفـراد الجيش الاكـدي ولكـن ربمـا تجـاوز عشرات الألوف من المقاتلين لكي تتمكن القصعات من الانتشار في جبهات عديدة

وتحمي حدود طويلة وبصورة دائمة وتؤمن امن وسلامة طرق المواصلات التي كانت تصل أكد بسواحل البحر الأبيض المتوسط وكذلك الإبقاء على عدد من الجنود للحاميات العسكرية التي يقيمها في الأماكن التي يحتلها لتحمي هيبة السلطة الاكدية وتحمي طرق التجارة أيضا، كما إن عدد الأسرى الكبير الذين ذكرهم الملوك الاكديين يشير هو الآخر إلى ضخامة عدد الجيش الاكدي (٥٣).

وفيما يخص أسلوب تجنيد الجنود وتدريبهم ودفع الرواتب لهم وغيرها، فان معلوماتنا قليلة ولكن على الأرجح إنها مماثلة لما ساد في العصور اللاحقة ولاسيما في عهد حمورابي ، وكانت قيادة الجيش من مهام الملك نفسه وهكذا ظهر الملوك الاكديين ومنهم نرام سين على راس الجيش في المسلات والنصب التذكارية التي تركوها تخليد لانتصاراتهم، في حين كانت قيادة الجيش في الحملات الأقل أهمية فكانت تعهد إلى القادة والضباط أو حكام المقاطعات القريبة (٥٤).

وتظهر من خلال مسلة انه كان للملك القائد والجنود المحاربين أزياء عسكرية خاصة اتصفت بكونها بسيطة وخفيفة ، تساعد على سرعة الحركة، وقد ظهر نرام سين على مسلته وهو يلبس خوذة مخروطية ذات قرنين ويطأ بقدمه الأعداء ويحمل بيديه القوس والسهم والفأس، ويرتدي رداء يغطي الجزء العلوي من جسده تاركا الأرجل حرة في حركتها، أما المقاتلون فقد صوروا وهم يرتدون خوذا مخروطية الشكل ويرتدون تنورات مشقوقة طوليا تصل إلى ما تحت الركبة تساعد على حرية الحركة أيضا (٥٥).

رابعاً : **الدينية** :

إن تجربة الإنسان مع الطبيعة ولدت حالة ذهنية جاء التعبير عنها بفكرة الكون الذي يضم كل ما في الوجود من الظواهر الطبيعية، الإنسان، الحيوان والنبات والجماد، وقد رأى في الكون نظاماً جامعاً لكل هذه الكيانات في صورة الأنظمة

الاجتماعية كنظام العائلة والجماعة، وبتعبير آخر الدولة، الحال نفسه ينطبق على الآلهة التي صورها وهي لها النظم الاجتماعية نفسها وتتجمع الآلهة في مكان يسمى (مجمع الآلهة)، لتنظيم الكون والسيطرة عليه، وهناك اختلاف في عدد الآلهة ما بين مجمع الآلهة في الأساطير وبين عددها في قوائم الآلهة، ولا يمكن تفسير ذلك في التقليل من أهمية تلك الآلهة التي لم تذكر في الأساطير، بل يجعل العكس في بعض الحالات، ولكن الفرق يكمن في اختلاف التصورات في مجالات الحياة اليومية والدينية وطريقة التفكير في القوى التي تقود عالم الإنسان والتي سميت بأسماء مختلفة وعدّت آلهة (٥٦).

تتضح من خلال مشاهد المسلة إن الملك نرام سين صور وهو يرتدي التاج المقرن صفة الألوهية ، وهناك أراء حول تاليه الملك نرام سين وصفته بين التأليه والتقديس :

<u>الرأي الأول</u> : تاليه نرام سين في حياته ويستندون في ذلك إلى إن الملك نرام سين ورد اسمه في الكتابات المسمارية مسبوق بعلامة النجمة (*) الدالة على الألوهية وكذلك من خلال نقوش تعود إلى العصر الاكدي وتظهر إن الملك نرام سين اله في حياته فقد ذكره كبار موظفي الدولة باله أكد (٥٧) .

ربما كانت الانتفاضات التي قامت في أرجاء الإمبراطورية الاكدية وبالأخص في المدن السومرية والبابلية لم تكن ضد حكمه فقط بل ربما اعتراضا على تاليه نرام سين لنفسه وذلك عندما تمكن من إخضاع المدن الثائرة أو المتمردة اضطرت آلهتها الاعتراف بألوهيته وهذا الرأي يجده بعض الباحثين في الكتابة المدونة على قاعدة تمثال من البرونز مفقود نصفه الأعلى جاء فيها (إن الإلهة عشتار ، انليل ، ودكان، وننخرسال واينكي وشمش وسين ونركال قد قرروا أن يعدوا الملك نرام سين إلها لمدينة أكد وقرروا بناء معبد له في وسط مدينة أكد وهذه الإشارة توضح لنا إن

الملك سرجون وولديه ريموش ومانشتوسو قد حصلوا على صفة الألوهية بالأسلوب ذاته أي بمبايعة آلهة المدن السومرية والبابلية لهم بالألوهية وبدون هذه المبايعة فلا يعترف احد بألوهيتهم ولكن هذا يبقى مجرد رأي إلى أن تكتشف بقايا مدينة أكد وتظهر التنقيبات بقايا المعبد المذكور حتى يصبح الرأي حقيقة (٥٨).

<u>الرأي الثاني</u> : لقد قدس قدماء العراقيين بعض ملوكهم العظام ولكن لم يصل أي منهم إلى مرتبة الألوهية كفراعنة مصر الذين كانوا آلهة في حياتهم وبعد موتهم وتبرك الملوك والناس بأسماء الآلهة فادخلوها في تركيب أسماء أولادهم من باب الحماية والتقرب مثل نرام سين أي (محبوب الإله سين) وادد نراري أي (ادد مساعدي) وغيرهم (٥٩).

ولاشك في أن الفكر السياسي والديني في المجتمع العراقي القديم كان يرى إن (الوظيفة الملكية) هي وظيفة كانت تتمتع في الأصل بالطابع الإلهي وعلى هذا فان من يمسك بهذه الوظيفة لا يشترط فيه أن يكون متمتعا بطابع الهي لكنه مع ذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون إنسانا عاديا وإنما يكون إنسانا متميزا (إنسانا مقدسا) وهذه القدسية لاتاتي عن الممارسات الدينية التي يقوم بها (كطقوس الزواج المقدس) كما أنها لاتاتي عن التبجيل الذي يحاط به وإنما الملك يقوم بهذه الطقوس والممارسات لأنه يتميز بالقدسية أولا وليس أدل على ذلك من احتفاظ الملوك بطابع القدسية على الرغم من تخليهم عن القيام بالممارسات الدينية لصالح كهنة المعبد مثل الملوك البابليين واحتفظوا لأنفسهم بنوع من الرقابة الشكلية عليها ولكن ذلك لم يحل دون أن يحتفظوا بطابع القدسية ، ومن كل ذلك نستطيع القول بان الطابع المقدس للسلطة السياسية يكمن بشكل أساسي في شخصية الملك نفسه لأنه كان يبدو مخلوقا فريدا يحتل مركزا خاصا ما بين الآلهة والناس وهو بالتالي يجسد العلاقة التي تقوم ما بين العالم الإلهي والعالم الإنساني أي انه يتميز بطبيعة

مضاعفة فهو من جهة ممثل الآلهة بين البشر ومن جهة أخرى ممثل البشر بين الآلهة وهذا كان يمثل احد الأسباب الرئيسة لقوة الملك وعن طريق هذه القوة يستطيع الملك أن يسمو فوق البشر، وبمعنى آخر إن السلطة السياسية هي ذات جوهر الهي أزلي فطالما تترك الآلهة للملك الحق في التمتع بها فانه يرقى فوق الناس ولكن منذ أن يخلع منه هذا التوظيف فانه يعود انسانا عاديا(٦٠). ومن ذلك نجد ان الملوك الاكديين كانت القوة هي المؤشر على القدسية وعن طريق هذه القوة التي يحصل عليها كان الملك يساهم في القدسية ونرى من ذلك إن سلطة الملك السياسية تسير جنبا إلى جنب مع الحظوة الإلهية وبشكل أوضح إن السلطة السياسية التي كان يتمتع بها الملك تتجاوزه إلى حد كبير في قيمتها إذ أن الملك يبقى إنسانا يحيا ويموت بينما السلطة تبقى أزلية لأنها سلطة إلهية قبل كل شئ ولكن طيلة المدة التي تترك فيها الآلهة حق التمتع بها سوف يحظى بالقدسية وبالتالي السمو فوق باقي البشر(٦١). ومن ذلك نجد بان التأليه لم يكن إلا لإضفاء المزيد من القدسية والتبجيل للملوك ومنهم الملك نرام سين الذي يظهر في المسلة وهو يرتدي التاج المقرن وان عادة تقديم القرابين لتمثال الملك ماهي إلا تأكيد على دوره بكونه ممثل الآلهة على الأرض وانه كان يقوم بالصلوات الخاصة بالآلهة وان هذه القرابين لم يكن الغرض منها إلا إسناد حياة التمثال بشكل دائم من اجل أن يذكر الإله بترديده الصلوات وليضمن بذلك انه حتى بعد موته سينال استحسان الآلهة ، ونجد في المسلة على الرغم من أن نرام سين يظهر وهو يرتدي التاج المقرن إلا أننا نجد إن رموز الآلهة السماوية تعلو قمة المسلة(٦٢).

وقد كانت قدسية الملك تجعل تصرفاته بعيدة عن التقييم الذي يحكم الناس العاديين فالتصرف الذي يأتيه الملك كان يبدو فوق الأخلاق والعدالة بمضامينها

المتعارف عليها بين الناس العاديين وان ما يقوم به الملك فقط الآلهة تملك الحق في الحكم عليه ومعاقبته إن قام بتصرف خطا (٦٣).

كما كان أي انتصار يحرزه الملك هو من هبات الآلهة عليه وهو يسعى لارضائها من بناء المعابد وتقديم النذور وتقريب القرابين وتؤكد ذلك نصوص منها نص أكدي أعيد استنساخه في العهد البابلي القديم جاء في ترجمته:

(نرام سين ملك أكد لقد أصدر أوامره بالزحف على بلاد عيلام وحتى مدينة ورخشي، ومن ثم توجه نحو المنطقة الجبلية ومنطقة سوبارتو (المنطقة الشمالية من العراق حاليا) وحتى غابات شجر السدر (على نهري الباليخ والخابور) ، قد تمكن من جعل أمراء سوبارتو وسادة المنطقة الجبلية يقدمون المؤن إلى جيش نرام سين، والطريق الذي سلكه الملك نرام سين لم يسلكه ملك من قبله ، وقد استطاع الملك نرام سين من تحقيق النصر بسهولة لان الإلهة اينانا لم تخلق رجلا ندا له) (٦٤) .

ومن نص آخر أعيد استنساخه أيضا في العصر البابلي القديم جاء فيه :

(منذ الخليقة وحتى الوقت الحاضر لم يتمكن ملك مثلي ان يسيطر على مدينة ارمان وبيلا وبمساعدة الإله نركال الذي مهد لي الطريق، فسيطرت على جبال شجر السدر (لبنان حاليا) حتى وصلت إلى البحر العلوي (البحر الأبيض المتوسط)............. وفي نهاية النص وبعد ذلك قمت بعمل تمثال لنفسي من حجر الديورايت ونذرته إلى الإله سين (اله القمر عند العراقيين القدماء)) (٦٥).

وفي قصيد عرفت برثاء أكد والتي ورد فيها اسم الملك نرام سين جاء فيها فيما يتعلق بنرام سين :

(ملك أكد ، الراعي نرام سين ، كان يسطع على كرسي عرشه كاليوم البهيج،
أسوار المدينة (في زمانه) كانت كالجبل الذي تصل قمته السماء
وأبواب المدينة كانت مثل مصب نهر دجلة في البحر ،

وبخصوص أكد فتحت المقدسة اينانا (عشتار) فمها وقالت :
إلى مناطق سومر قد جلبت السفن من ذاتها كل أنواع البضائع وسكان المنطقة الغربية الذين لا يعرفون عن أكل الحبوب قد جلبوا أبقارا ومعزا ممتازة،
وسكان ميلوخا أصحاب الأراضي السود
قد جلبوا منتجات جميع البلدان.
العيلاميون والسوباريون قد حملوا هدايا الإلهة اينانا مثل الحمير
الأمراء والإداريون قد جلبوا شهريا وفي كل راس سنة هدايا كثيرة وقد كدسوها على أرضية قصر مدينة أكد كما لو أنها ماء،
وبعد ذلك بدا الخوف يسيطر على أكد (بسبب هجوم الكوتيين)
بحيث إن سكان المدينة قد هجروا مدينتهم
وعندما تخربت مدينة أكد، المقدسة الإلهة اينانا
كفتاة شابة تترك مخدعها في معبد أكد " (٦٦).

ومما تقدم نجد إيمان سكان بلاد الرافدين آمنوا بأن الإنسان مهما بلغت قوته فأنه سوف يلاقي حتفه عاجلاً أو آجلاً، وأن الخلود غير ممكن أبداً إلا للآلهة، ومن ذلك نجد أن القصص والأساطير مهما اختلفت في تفاصيلها فأنها تتفق في نقطة جوهرية واحدة، هي أن الموت حقيقة وهو مصير كل إنسان وأنه لا مجال إلى تغييره(٦٧).

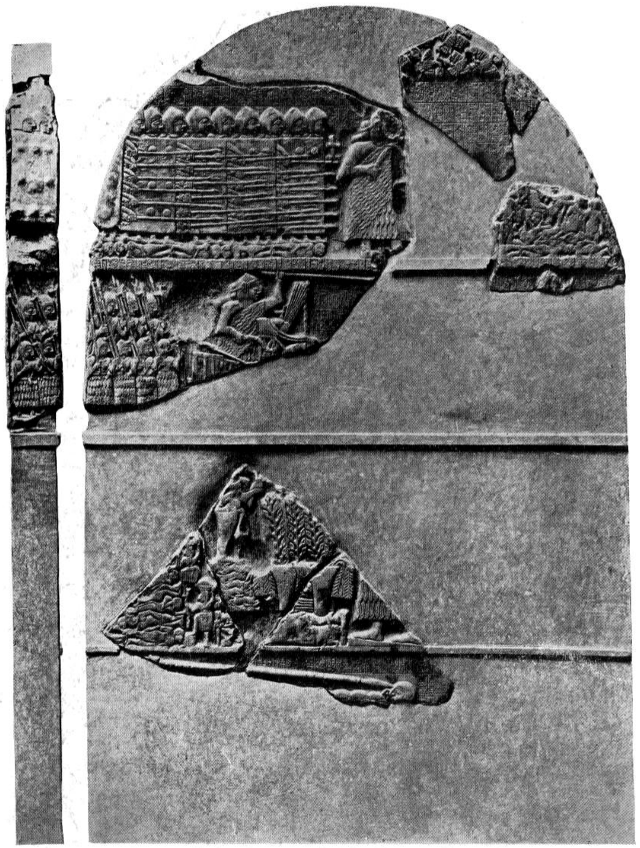
ثبت الأشكال:



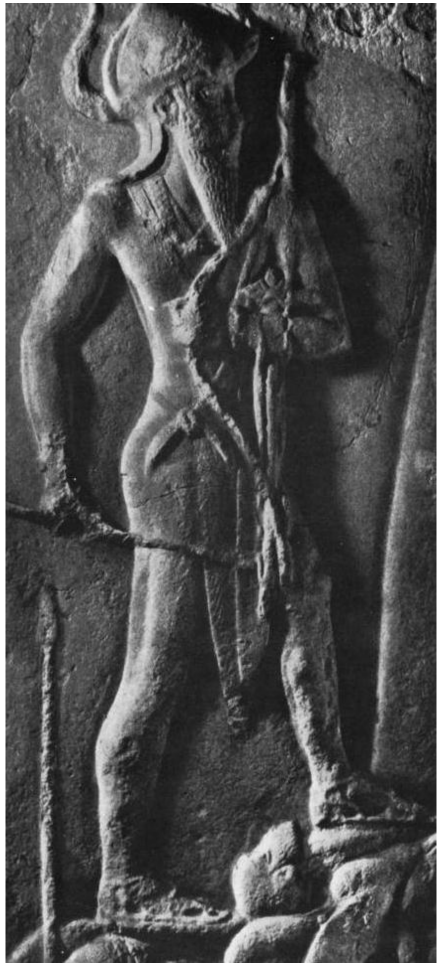
شكل (١) مسلة النصر لنرام سين



شكل (٢) منحوتة مضيق دربندي كاوور



شكل (٣) وجه مسلة العقبان من عصر فجر السلالات



شكل (٤) مشهد تفصيلي لنرام سين في مسلة النصر

المصادر والهوامش:

(١) عصور فجر السلالات: وهي العصور التي بدأت فيها قيام أولى السلالات الحاكمة الوارد ذكرها في أثبات الملوك السومرية وتبدأ بحدود ٢٩٠٠ ق.م وتنتهي بقيام الدولة الاكدية ٢٣٧١ ق.م، ويطلق عليه عدة تسميات منها (عصر ما قبل سرجون ، عصر لجش ، عصر اللبن المستوي المحدب ، وعصر دويلات المدن).

حول ذلك ينظر : ساكز، هاري . ، ١٩٧٩، ص, ٦٨.، وكذلك ينظر : بوتيرو، جين ، وآخرون . ١٩٨٦، ص ، ١٠١.

(٢) ساكز، هاري . عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ٦٨، ؛ وكذلك : باقر، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول: الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦، ص،٣٥٤.

(3) Postgate, N., Early Mesopotamia, New York, 2003, P. 22.

(٤) بوتيرو، جين ، وآخرون. الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، ترجمة:عامر سليمان ، الموصل، ١٩٨٦، ص ، ١٠١.

(5) Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East , Oxford, 2003, P. 78.

(٦) الجزريون: وهي التسمية التي أطلقت على الأقوام التي جاءت من الجزيرة العربية وقد انتشروا منذ أزمان بعيدة في أطراف الجزيرة ومنها بوادي العراق الغربية، وجزيرة العرب وأطرافها الشمالية وما يعرف بالهلال الخصيب ومن تلك المناطق انحدرت إلى المناطق الأكثر خصوبة مثل وادي الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها من المناطق.

حول ذلك ينظر : عبد الله، عبد الكريم . ملامح الوجود السامي في جنوب العراق، مجلة سومر ، العدد ٣٠، ١٩٧٤، ص ، ٢٦٢.

(٧) السومريون : وهم من أقدم الأقوام التي سكنت بلاد الرافدين ويعدون أول من وضعوا أسس الحضارة في بلاد الرافدين وتشييد المدن وأنظمة الحكم والإدارة وإصدار القوانين، وسكنوا منطقة السهل الرسوبي وتوجد عنهم أراء عديدة حول أصولهم ولكن الرأي الأصح والذي يتفق عليه معظم الباحثين ومنهم الباحثين العراقيين بأنهم سكان البلاد الأصليين الذين شيدوا أول القرى في شمال العراق حتى استوطنوا جنوب العراق بعد تعلمهم الزراعة وتقنيات الري الاصطناعي ثم شيدوا المدن أقدمها مدينة اريدو.

حول ذلك ينظر : علي ، فاضل عبد الواحد . السومريون والاكديون، العراق في التاريخ، بغداد ، ١٩٨٣، ص، ٢٢٦. ، وكذلك ينظر : باقر ، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦، ص، ٦٥.

(٨) علي ، فاضل عبد الواحد . السومريون والاكديون ، العراق في التاريخ ، بغداد، ١٩٨٣ ، ص ، ٧٢.

(٩) تقع مدينة كيش على مسافة (٢٣ كم) شرق مدينة بابل وكانت تقع على المجرى القديم لنهر الفرات، وكيش تمثل إحدى أقدم المدن السومرية ،أول مدينة هبطت فيها الملوكية بعد الطوفان، وتعرف كيش بأسماء عديدة هي (تل الأحيمر– أنغره– البندر – الخزنة)، ومن أهم البقايا البنائية التي تم الكشف عنها القصر المسمى بالقصر(أ) في كيش والمشيد باللبن المستوي المحدب، وتأتي أهميته من التطور السياسي الذي حدث في تلك الفترة وأدى إلى تشييد مثل هذه المباني الدنيوية لتكون مركز لإدارة الدولة والانفصال عن المعبد كمؤسسة سياسية واقتصادية.

حـول ذلـك ينظـر : بـاقر، طـه . ١٩٨٦ ، ص، ٢٦٩ – ٢٧٠.؛ وكـذلك ينظر: الأحمد، سامي سعيد. المدن الملكية والعسكرية، المدينة والحياة المدنية، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص، ١٤٨.

(١٠) علي ، فاضل عبد الواحد . ١٩٨٣ ، ص . ٧٤ – ٧٥ .

(١١) الكوتيون : وهم قبائل يرى بعض الباحثين انهم ينحدرون من سلالات محلية سكنت إيران منذ القدم، بينما يرى آخرون أن تلك القبائل تعود بأصولها إلى القبائل الهندو– أوربية، والتي اندفعت من أواسط قارة آسيا إلى غربه، وقد أقام الكوتيون سلالة كوتية حاكمة في بلاد الرافدين في أعقاب سقوط المملكة الاكدية، استمرت لأكثر من مائه عام، حكم خلالها واحد وعشرون ملكاً من الملوك الكوتيين. ولم ينقطع ذكر الكوتيين في النصوص التاريخية بعد ذلك، إذ ذكروا في رسائل ماري بأسم قوتو كما جاء ذكرهم في مدونات الملوك الاشوريين.

حـول ذلـك ينظـر : بـاقر. طـه . ١٩٨٦، ص ، ٣٧٣.؛ وكـذلك : سـاكز. هاري. ١٩٧٩، ص ، ٧١.

(١٢) اللولبو : قبائل متخلفة حضاريا تقع في المناطق الجبلية من زاكروس مجاوره إلى منطقة شهرزور شمال العراق . كانت تتحين الفرص دوما للهجوم على العراق ، وقد حقق الملك الاكدي نرام . سين على اللولبيين انتصارا ساحقا ، وخلد ذلك الانتصار على مسلة عرفت بمسلة النصر وجدت في سوسا.

حول ذلك ينظر : علي ، فاضل عبد الواحد . صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (٢٥٠٠ . ٢٠٠٠ ق.م) ، ضمن كتاب الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص، ٣٧ .

(١٣) علي ، فاضل عبد الواحد . ١٩٨٣ ، ص ، ٧٨ .

(١٤) دانيال ، كلين . موسوعة علم الآثار، ترجمة : ليون يوسف، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ، ٥٨.

(١٥) رشيد، فوزي . نرام . سين ملك الجهات الأربع ، سلسلة الموسوعة الذهبية ، بغداد ، ١٩٩٠، ص ٢٣ .

(١٦) العيلاميون : العيلاميون إحدى القبائل المحلية التي استوطنت في في جنوب شرق إيران منذ أزمان بعيده وأسست فيها مدنهم وأهمها عاصمتهم سوسة، كانت بلاد سومر وبلاد عيلام تمثل امتداداً جغرافياً واحداً، وهي من أكثر البيئات تشابهاً، مما جعل إحداها مفتوحة على الأخرى، ولا تبعد العاصمة سوسه عن حدود بلاد سومر أكثر من مسافة ١٦٠كم من الممكن قطعها خلال مسيرة ثلاثة أيام بقوافل العصور القديمة لذلك كانت عيون العيلاميين الطامعة في خيرات بلاد سومر وأكد الوفيرة مفتوحة على الدوام، من أجل الاستحواذ على تلك الخيرات كلما سنحت الفرصة، وقد بقيت الحال كذلك، إلى أن قضى الملك آشور بانيبال على العيلاميين قضاءاً تاماً عندها لم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

حول ذلك ينظر : سليمان. عامر، " بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم "، مجلـة آداب الرافـدين ، جامعـة الموصـل ، ع ١٤ ، ١٩٨١ ، ص ، ١٦٧– ١٨١. وكذلك ينظر :

علي ، فاضل عبد الواحد . صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (٢٥٠٠ . ٢٠٠٠ ق.م) ، ضمن كتاب الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص،٢٩.

(١٧) باقر ، طه . ١٩٨٦، ص ، ٣٦٩؛ وكذلك : باقر ، طه وآخرون . تاريخ إيران القديم ، بغداد ١٩٨٠، ص ٢٨ – ٢٩.

(١٨) رشيد، فوزي . ١٩٩٠، ص ٣٧.

(١٩) علي، فاضل عبد الواحد، و سليمان، عامر. عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ، ١٢١.

(٢٠) باقر، طه .١٩٨٦، ص ، ٣٧١ .

(٢١) علي ، فاضل عبد الواحد . ١٩٨٣ ، ص . ٧٨ .؛ وكذلك : الأحمد، سامي سعيد . الإدارة ونظام الحكم، حضارة العراق ، ج٢، بغداد ١٩٨٥، ص ، ١٧

(٢٢) ساكز، هاري . البابليون ، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، ٢٠٠٩ ، ص ١١٠ ؛ وكذلك ينظر :علي ، فاضل عبد الواحد . ١٩٨٣، ٧٨.

(٢٣) باقر ، طه . ١٩٨٦، ص ، ٣٧٢-٣٧٣ .

(٢٤) ساكز ، هاري. ١٩٧٩، ص ، ٧١.

(٢٥) السعدي، حسن محمد محيي الدين . في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢ ، العراق – إيران – آسيا الصغرى، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ، ٧٨.

(٢٦) يعرف الموقع حالياً باسم تل (أبو حبة) و(سبار) وهي أحدى المدن الخمسة التي نزلت فيها الملوكية قبل الطوفان وفق ما جاء في جداول الملوك السومرية، ويقع التل بالقرب من بلدة اليوسفية على بعد (٤٥ كم) شرق بغداد وعلى الضفة اليسرى من فرع نهر اليوسفية.

حول ذلك ينظر : الجادر، وليد. سبار٢ ، أحداث من تاريخ المدينة، بغداد، ١٩٨٨، ص ، ٧- ٨.

(٢٧) مورتكات ، انطون . الفن في العراق القديم ، ترجمة ، عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥، ص ، ١٨١؛ وكذلك ينظر : علي ، فاضل عبد الواحد . ١٩٨٣ ، ص ، ٧٧.

(٢٨) رشيد فوزي . ١٩٩١ ، ص ، ٩٠.

(٢٩) فارس ، شمس الدين و الخطاط ، سلمان عيسى. تاريخ الفن القديم ، بغداد، ١٩٨٠، ص ، ٥٤.

(٣٠) مظلوم، طارق عبد الوهاب . النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، حضارة العراق ، ج٤ ، ص ، ٤٣.

(٣١) مسلة العقبان : وهي واحدة من أهم المنحوتات التي تعود إلى عصر فجر السلالات وهي معمولة من الحجر الرملي بارتفاع ١.٨٨ م وبعرض ١.٠٣ م، وهي ذات قمة مقوسة ونجد فيها التركيز على صنفين هما صنف (المشاة) وصنف (العربات- المركبات)، وصنف المشاة يمثل الجنود الذين يقاتلون على أقدامهم أو يقاتلون وهم راكبون، وإن واجبه يتمثل في قتال العدو والاشتباك به وتحطيم قوته الرئيسة، وصوروا وهم يمشون بثبات وبهيأة تلقي الرعب بين صفوف الأعداء، و نظام المسير الذي يظهر من خلال منحوتة (مسلة العقبان)هو نظام الكراديس إذ نجد احد حقول الوجه الثاني تمثل الملك في مقدمة جنده وهم يسيرون خلفه على شكل مجموعات منتظمة و تتكون كل مجموعة من ستة صفوف و يضم كل منها احد عشر محارب ربما (عشر جنود و ضابط صف) و يظهرون وهم يحملون تروس وفي أيديهم رماح طويلة و يرتدون الخوذ التي تغطي رؤوسهم و يسيرون فوق جثث الأعداء المتساقطة ، ويرتدون تنوره قصيرة تغطي أسفل البدن ، وفي الحقل الثاني

يظهر الملك وهو يركب مركبة حربية تحتوي على جعبة للرماح، ويمثل صنف المشاة حملة الرماح والسيوف و حملة الصولجانات و حملة السهام و النبال.

حول ذلك ينظر :

Postgate, N., 2003. , p. 277, fig. 13:2 a, b.

وكذلك ينظر : علي، فاضل عبد الواحد. المنجزات السياسية والحضارية في عصر فجر السلالات ، مجلة المورد، ١٩٨٧، ص ، ٢٣.

(٣٢) مورتكات ، انطون . ١٩٧٥، ص ، ١٨١ .

(٣٣) فارس ، شمس الدين و الخطاط، سلمان عيسى . ١٩٨٠ ، ص ، ٥٥ .

(٣٤) مورتكات ، انطون . ١٩٧٥ ، ص ، ١٨١ .

(٣٥) مظلوم، طارق عبد الوهاب. ١٩٨٥ ، ص ، ٤٣.

(٣٦) فارس ، شمس الدين و الخطاط، سلمان عيسى . ١٩٨٠ ، ص ، ٥٦ .

(٣٧) علي، فاضل عبد الواحد ، و سليمان ، عامر. ١٩٧٩، ص ، ١٢١.

(٣٨) السوباريون: أتصل سكان بلاد الرافدين منذ أقدم العصور بعدة أقوام خارج البلاد أما عن طريق الاتصالات التجارية أو الفتوح أو الغزو أو الأسفار فأثرت فيهم حضارة بلاد الرافدين كما أثروا فيها، وتغلغل بعض هذه الأقوام إلى موطن هذه الحضارة نفسها فدخلوا في تركيب سكان بلاد الرافدين ومن هؤلاء الأقوام من عرفوا في المصادر المسمارية بإسم (السوباريون)، وقد بدأ ذكر هؤلاء الأقوام منذ عصر فجر السلالات في منتصف الألف الثالث ق.م، حيث يرد ذكرهم لأول مرة في كتابات حاكم لجش (إيأناتم).

حول ذلك ينظر : باقر، طه. ١٩٨٦، ص ، ٧٩ ؛ وكذلك : باقر، طه . تاريخ العراق القديم ، ج١، بغداد، ١٩٨٠، ص، ٨٠ .

(٣٩) رشيد ، فوزي . ١٩٩٠ ، ٣٨ .

(٤٠) المصدر نفسه . ص ، ٧.

(٤١) المصدر نفسه . ص ، ٨ ؛ وكذلك ينظر : زايد عبد الحميد. الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق.م ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ، ٦٤.

(٤٢) باقر ، طه . ١٩٨٦ ، ص ، ٣٦٠ .

(٤٣) الأحمد ، سامي سعيد . العراق القديم ، ج٢، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ، ٣٧ .

(٤٤) بوستغيت ، نيكولاس . حضارة العراق وآثاره ، ترجمة : سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد ، ١٩٩١، ص ، ٧٧.

(٤٥) الأحمد، سامي سعيد. السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد، ١٩٧٥، ص ، ١١١.

(٤٦) سليمان ، عامر . الجيش والسلاح في العصر الاكدي ، موسوعة الجيش والسلاح ، بغداد ، ١٩٨٧، ج١، ص ، ١٠٦ .

(٤٧) عامر سليمان . ١٩٩٣ ، ص ، ٨٨ .

(٤٨) رشيد فوزي . الجيش والسلاح ، حضارة العراق ، ج٢، ص ، ٤٨.

(٤٩) الأحمد، سامي سعيد . ١٩٨٥، ص ، ٢٢ .

(٥٠) محمد ، عبد القادر محمد . الساميون في العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ، ٦٦ .

(٥١) علي، فاضل عبد الواحد، و سليمان، عامر. ١٩٧٩، ص ، ١٢٤-١٢٥.

(٥٢) عامر سليمان . ١٩٩٣ ، ص ، ٨٩ .

(٥٣) رشيد، فوزي . ١٩٨٥، ص ، ٤٩.

(٥٤) عامر سليمان . ١٩٩٣ ، ص ، ٨٩ .

(٥٥) المصدر نفسه . ص ، ٨٩ – ٩٠ .

(٥٦) فرانكفورت، هنري وآخرون. ما قبل الفلسفة، ترجمة، جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، ١٩٦٠ ، ص ، ١٥٨.

(٥٧) رشيد ، فوزي . ١٩٩٠ ، ص ، ٦٠.

(٥٨) المصدر نفسه . ١٩٩٠ ، ص ، ٦٠ – ٦١.

(٥٩) الدباغ ، تقي. الفكر الديني القديم ، بغداد ،١٩٩٢، ص ، ٢٦.

(٦٠) الطعان، عبد الرضا . الفكر السياسي في العراق القديم، ج٢ ، بغداد ١٩٨٦، ص ، ٦٦.

(٦١) كونتينيو، جورج. الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة، سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ، ٢١٠-٢١١.

(٦٢) جايلد، كوردن. التطور الاجتماعي ، ترجمة، لطفي فطيم ، القاهرة، ١٩٦٦، ص ، ١٩٢.

(٦٣) جاكبسون ، ثوركيلد وآخرون. ما قبل الفلسفة،ترجمة، جبرا ابراهيم جبرا، بيروت ، ١٩٦٠، ص ، ١٤٧.

(٦٤) رشيد ، فوزي . ١٩٩٠ ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٦٥) المصدر نفسه . ص ، ٤٣ .

(٦٦) المصدر نفسه . ص ، ١٠٦.

(٦٧) علي، فاضل عبد الواحد. الموت والعالم السفلي، مجلة ما بين النهرين، العدد. ٢٧، ١٩٧٩، ص ، ٢٣٢.

Abstract

This study should be research and emphasis on the creative side in art and beauty of the human old Iraqi and the amount of coherence relationship and sincerity emotional between artist and subject matter and technical value of aesthetic, and between job uses art for it and express purpose, whether religious or secular. To see the level of sophistication to which Reached by the old Iraqi man, through the effects discovered by prospectors, of works of art and architectural features creative ability and aesthetic high sense. Because the sense of beauty and perception is described as a humanitarian advantage of all other living things in our world and enjoy the aesthetic components subject.

Search annexation entrance to the Akkadian age. About King Naram Sin, who was one of the greatest kings of the Akkadian dynasty unmatched in fame is his grandfather, founder dynasty Sargon of Akkad,

As touched on Victory Stele Article search key analytical study of its data technical and from which we can draw features technical changes that have occurred in this era and the art school to which they belong, we have characterized features distinguished it from its predecessor productions of the Sumerian which tend to abstraction and style reflects the ideas of religious of the Sumerian so it was Ntegathm far from realism, while characterized productions Akkadian by giving realism that came from the reality of their environment from which they came and manifestations of strength and masculinity which is characterized by the element island Moreover reflected the new policy a separation of politics and religion as well as its data (cultural - political, administrative, military, and religious). Which basis the takeover Akkadians power in the country they are people from the Arabian Peninsula, and their state one

country under the authority of a single central after it was fragmented in the era of dawn strains, and this has led to building a strong includes a large army organized and equipped with new weapons, as well as a policy fit with developments of that age also resulted in religious thought she appeared not familiar habits before that time.

الحركة الوطنية التونسية في سنوات مابين الحربين ١٩١٨ – ١٩٣٩

م.م. غيلان سمير طه التكريتي

المقدمة

تميزت الحركة الوطنية التونسية عن قريناتها في مراكش (المغرب) والجزائر بالتجدد المستمر كلما سنحت الفرصة لذلك ، وكلما قدمت السلطات الفرنسية بعض التنازلات ، وفي الوقت ذاته كان الأرتباط وثيقا بين قيادات الحركة الوطنية التونسية وعامة الجماهير الساخطة من الوجود الأستعماري الفرنسي .

ولذلك منذ بدايات القرن العشرين اخذ التونسيون بتنظيم انفسهم وقواهم لمجابهة الأستعمار الفرنسي من خلال تكتلات سياسية وحزبية، انضووا تحتها المؤمنون بالجهاد والأنتفاضه ، الا ان ضعف التنظيم والتنسيق امام الآلة العسكرية والتنظيمية الفرنسية المتطورة انذاك لم يساعد تلك التنظيمات من الصمود امام المستعمر .

اما مرحلة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) فقد كانت مرحلة ترقب بالنسبة للحركة الوطنية التونسية بأنتظار ماتفرزه تلك الحرب من متغيرات دولية لها انعكاساتها على البلدان الواقعة تحت نير الأستعمار ومنها تونس ، ولذلك لاحظنا خمود حركة المقاومة اثناء سنوات الحرب العالمية الأولى .

لم يدم ذلك السكوت طويلا للحركة الوطنية التونسية التي باشرت نشاطها بصورة اقوى من ذي قبل،إذ سارع الوطنيون التونسيون في عرض قضيتهم على مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩،وعندما لم يجدوا التجاوب من منظمي المؤتمر

اتجهوا الى تشكيل حزب وطني أدى دور مهم في تأريخ تونس المعاصر ، وهو الحزب الحر الدستوري الذي تأسس في عام ١٩٢٠ .

ولايمكن اغفال الدور الذي أدته الحركة العمالية في تونس من خلال وقوفها بحزم ضد السلطات الفرنسية والاعيبها الأستعمارية التي كانت مكشوفة بصورة واضحة امام جميع التونسيين .

ورغم الأنشقاق الذي حصل في الحزب الحر الدستوري في عام ١٩٣٤ الأ ان ذلك لم يؤثر بصورة كبيرة على نضال الحركة الوطنية التونسية التي اشتدت بصورة واضحة في السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) .

تم تقسيم البحث الى مقدمة وثلاثة اقسام وخاتمة ، تناول القسم الأول تقديم نبذة مختصرة عن الأوضاع العامة في تونس قبل الحرب العالمية الأولى واثنائها ، اما القسم الثاني فقد سلط االضوء على الدور التأريخي المهم الذي أداه الحزب الحر الدستوري قي تونس ومقارعته للأستعمار الفرنسي ، في حين بحث القسم الأخير في اشتداد حركة المقاومة التونسية خلال المدة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ ومن الله التوفيق .

أولا: نبذة عن الأوضاع في تونس عشية الحرب العالمية الأولى وأثنائها

حاول الأستعمار الأوربي منذ ان وطأت اقدامه المغرب العربي احداث الكثير من التغييرات ، فلم يقف عند اغتصاب الأرض وادارة البلاد والحرية والثروة ، و انما ذهب الى ابعد من ذلك فأراد سحق الهوية القومية للشعوب ، و الغاء عروبتها ، وهذا الأمر ينطبق تماما على الوضع الذي اراده الفرنسيون في المغرب العربي (١) .

وان سياسة الأستيطان التي عملت من اجلها الأدارة الفرنسية تطلبت انتزاع الأراضي الخصبة من السكان ، واعادة توزيعها على المستوطنين الفرنسيين مما دفع الكثير من سكان المغرب العربي للهجرة الى المناطق النائية الفقيرة في الجبال والصحراء، والى الخارج (٢) .

دفعت هذه السياسة الأستعمارية ابناء المغرب العربي الى التفكير بشكل جدي لمقارعة الأستعمار ، ولاسيما في تونس (٣) التي تعرضت للغزو الفرنسي عام ١٨٨١ ، وتقيدت بمعاهدتي باردو والمرسى (٤) ، ومنذ مطلع القرن العشرين تكونت اولى التنظيمات الوطنية وحلقات تونس الفتاة،والتي قادت الحركة الوطنية المناهضة للأستعمار في المدة ١٩٠٦–١٩١٢ غير ان السلطات الفرنسية تمكنت من اخماد هذه الحركة (٥) .

فعلى الرغم مما اظهرته حركة المقاومة التونسية من تصدي للقوات المحتلة في عدد من الأنتفاضات ، الا ان تلك المقاومة لم تكن في مستوى يسمح بمواجهة القوى الغازيةالتي كانت منظمة تنظيما حديثا بأسلحة متطورة ، وكذلك فقد اسهمت حالة اعلان الأحكام العرفية التي فرضت على تونس في عام

١٩١٢ في تشريد ،واضطهاد عدد كبير من عناصر حركة المقاومة ، واستمر هذا الوضع الى ما بعد الحرب العالمية الأولى،

إذ استأنف الوطنيون التونسيون نشاطهم الوطني في تلك الأجواء السياسية الجديدة في سبيل التخلص من الوجود الأجنبي على ارضهم (٦) .

على الرغم من بروز الحركات الوطنية المناهضة للأستعمار الفرنسي التي اقامها ابناء الشعب التونسي بعد مدة قصيرة نسبيا من احتلال المستعمرين الفرنسيين ، الا ان مايمكن ملاحظته ان حركة المقاومة التونسية قد خمدت بعض الوقت اثناء سنوات الحرب العالمية الأولى ، الأ ان ذلك لم يستمر طويلا فبعد انتهاء الحرب مباشرة استأنف الوطنيون التونسيون نشاطهم السياسي والعسكري المناهض للأستعمار .

ثانيا : تأسيس الحزب الحر الدستوري ١٩٢٠ ودوره في مواجهة الأستعمار الفرنسي

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انطلقت حركة التحرر الوطني للشعب التونسي مستمدة من بيانات الحلفاء الذائعة الصيت حول حق الشعوب في تقرير المصير ، ومن بينها مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن (٧)، وكذلك فقد ظهرت الطبقة العاملة التونسية على المسرح السياسي قوة نشيطة و معادية للأستعمار ، ففي هذه المدة تأسس الفرع التونسي للحزب الشيوعي الفرنسي ، و كان يتألف من عناصر الطبقة العاملة والمثقفين الواعية ، الأ ان الأنقسام داخل الحركة العمالية قد فشل في جذب اغلبية العمال الى صفوفه(٨) .

وعلى اثر اعلان مبادئ الرئيس ولسن الأربعة عشر حاول بعض الوطنيين التونسيين وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي(٩)عرض قضية بلاده في مؤتمر الصلح (١٠)الذي عقد في باريس عام ١٩١٩،وقدم مذكرة يطالب فيها بأستقلال

تونس، ولكن المؤتمر رفض الأستماع الى وجهة نظر الشعب التونسي مما دفع الثعالبي الى نشر كتاب باللغة الفرنسية في باريس بعنوان ((تونس الشهيدة)) فضح فيه دسائس الأستعمار وجرائمه في حق الشعب التونسي(١١).

وعلى الرغم من نمو نشاط الطبقة العاملة، كانت قيادة الحركة الوطنية التحررية في ايدي الرجوازية الوطنية التونسية التي عبر عن مصالحها واهدافها الحزب الحر الدستوري الذي تأسس في عام ١٩٢٠ويعد امتدادا لحلقات تونس الفتاة ، إذ عاد زعماء تونس الفتاة لنشاطهم السياسي ، وكان عبد العزيز الثعالبي على رأس هذا الحزب (١٢) .

وقد ركز البرنامج الذي دعى اليه الحزب الحر الدستوري على تأسيس مجلس تشريعي ، وتأليف حكومة مسؤولة امام هذا المجلس ، وكذلك دعى الحزب الى تأسيس جيش وطني ، واستعادة الأراضي المصادرة من قبل السلطات الفرنسية ، وفتح باب الوظائف امام المواطنين التونسيين (١٣) .

وعلى اثر هذه التطورات قررت السلطات الفرنسية ان تقدم بعض التنازلات احساسا منها بالقلق من اتساع نطاق الحركة الوطنية التونسية، ففي تموز ١٩٢٢اصدرت مراسيم الأصلاحات ، إذ تم استبدال مجلس الشورى بالمجلس الكبير ، والذي هو عبارة عن هيئة استشارية تقدم تقارير عن الميزانية والمسائل المالية والأقتصادية الأخرى، وكان المجلس الكبير يتكون من قسمين ، احدهما تونسي و الأخر فرنسي، وكان القسم التونسي يتألف من (٤١) عضوا ، والقسم الفرنسي يمثل (٥٦)عضوا (١٤) .

الا ان السلطات الفرنسية شددت من ناحية اخرى على الصحف الصادرة باللغة العربية في تونس ، فأصدرت في عام ١٩٢٢ قانونا يحد من حرية الصحف العربية فتعرضت عدد منها للحظر، والمنع من الصدور (١٥) .

تسارعت الأحداث بصورة واضحة في تونس ورافقها اشتداد في نشاط الحركة الوطنية ، ففي عام ١٩٢٤ اندلعت ثورة الهمامة بمنطقة قفصة في الجنوب،وكانت بقيادة البشير بن سديرة وهو شاب كان يخدم في صفوف الجيش الفرنسي اثناء الحرب العالمية الأولى ، وقد اتخذ ابن سديرة من الجبال المحيطة بقفصة معقلا لحركته ، إذ استطاع مع انصاره من فرض الحصار حول المدينة ، وتهديد طرق المواصلات وبث الرعب في صفوف الفرنسيين ، الأ ان السلطات الفرنسية تمكنت اخيرا من القضاء على ابن سديرة عن طريق احد عملائها ويدعى(بلقاسم الفرطاس) الذي تمكن من اطلاق النار على ابن سديرة اثناء نومه [١٦] .

ومن جانب اخر واصل الحزب الحر الدستوري نشاطاته على الساحة السياسية التونسية و ركز في هذه المرحلة على الجانب الأعلامي من خلال اصداره عدد من الصحف ، إذ نشر المقالات في جريدة الحقيقة ، واصدر عدة جرائد اهمها :(جريدة العلم التونسي)،وهي لسان حال الحزب، واصدر في عام ١٩٢٩جريدة (صوت التونسي) [١٧].

وشهدت هذه المدة تعاطف الباي محمد الناصر(١٩٠٦ – ١٩٢٩) [١٨] مع الحركة الوطنية وزعمائها ، وساند الى اقصى حد الحزب الحر الدستوري ، و التحق ابنه الأكبر محمد المنصف باي بالحزب ، و رفض الباي محمد الناصر الموافقة على الأصلاحات المزيفة التي اعدها الفرنسيون لتهدئة الجماهير ، وقد ادى رفضه لتلك الأصلاحات الى تعرضه للمضايقات من السلطات الفرنسية ،إذ حاصر الجيش و الدبابات قصره ، ثم اضطر الفرنسيون الى فك الحصار عن القصر تحت تأثيرات الضغط الشعبي و المظاهرات العارمة، وبعد مرور مدة قليلة توفي الباي محمد الناصر، وترددت الشائعات التي تذكر بأنه مات مسموما [١٩] .

وبعد وفاة محمد الناصر فقدت الحركة الوطنية التونسية اكبر سند لها ، فأشاعت السلطات الفرنسية جوا من الأرهاب والرعب وعطلت الصحف واغلقت النوادي والجمعيات ، واقدمت على تشريد قادة الحركة الوطنية ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي نفي الى الخارج ، واخذ يتنقل بين مصر والعراق وفلسطين ، وحاول ان يربط نضال الحركة الوطنية في تونس بالحركة الوطنية في مصر والمشرق العربي[٢٠].

وفي ظروف الأزمة الأقتصادية التي مرت بها تونس في تلك المدة والتناقضات الأجتماعية في البلاد بدأت جماهير حزب الحر الدستوري تضيق ذرعا بسياسة القيادة الحزبية ، وبدأت ملامح الأنقسام تظهر في الأفق ، فعندما اجتمعت المعارضة في داخل الحزب عام ١٩٣٢ واسست جريدة ((اكسيون تونسيان)) والتي كان ابرز عناصرها الحبيب بو رقيبة[٢١] ،حاولوا في البداية التعاون مع اللجنة التنفيذية للحزب ، وتمكنوا في عام ١٩٣٣ من وضع برنامج مشترك يتضمن عدة مطالب اجتماعية واقتصادية ، الا أن الخلافات على خطوط البرنامج ، واساليب النضال جعلت من مسألة الحفاظ على وحدة الحزب امرا مستحيلا ، ففي ايلول ١٩٣٣ انسحب بو رقيبة وانصاره من اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري [٢٢].

ولذلك فقد حصل الأنشقاق في صفوف الحزب في عام ١٩٣٤ اثناء عقد مؤتمر في قصر هلال بتونس ، الذي تم فيه حل اللجنة التنفيذية القديمة وانتخاب الديوان السياسي الجديد ، و تم اعلان الحزب الحر الدستوري الجديد و الذي اصبح رئيسه محمود الماطري[٢٣] ، في حين اصبح الحبيب بو رقيبة كاتبا عاما ، ثم رئيسا للحزب بعد مدة وجيزة ،وقد اعلن الحزب الجديد بأن اعضاء اللجنة التنفيذية القديمة قد ساروا بالحزب الى طريق الضعف و الأستسلام ، كما فعلوا ذلك في الماضي [٢٤] .

والحقيقة ان الحزب الحر الدستوري الجديد لم يأت ببرنامج عمل جديد يختلف عن برنامج الحزب القديم ، الا انه خالفه في الأسلوب ، إذ اتبع اسلوبا اكثر حركة ونشاطا في صفوف الجماهير [٢٥] .

ثالثا :اشتداد نضال الحركة الوطنية التونسية ١٩٣٦- ١٩٣٩

بعد الأفراج عن الشيخ عبدالعزيز الثعالبي في عام ١٩٣٦ وعودته الى تونس حاول توحيد شطري الحزب الحر الدستوري القديم والجديد ولكن دون جدوى،إذ لم يجد تجاوبا من قادة الحزب الجديد الذين كانت سياستهم قائمة على استمالة الفرنسيين ، إذ ابدوا استعدادهم على التعاون مع فرنسا على اساس منح البلاد دستورا واتباع اسلوب التدرج نحو الأستقلال ، ولكن السلطات الفرنسية تنكرت بعد مدة وجيزة لعهودها بتأثير المستوطنيين الفرنسيين الذين عارضوا بشدة هذا الأتجاه،وكانت تؤيدهم في ذلك الدوائر الأستعمارية في باريس [٢٦] .

اتسعت الحركات الأضرابية للطبقة العاملة في تونس بعد امعان السلطات الفرنسية في سياستها الأستعمارية البغيضة ، وحدثت زيادة في هذه الأضرابات بين عامي ١٩٣٦ –١٩٣٧ ،إذ زاد عدد المضربين من(٢١)الف شخصا عام ١٩٣٦الى (٢٦) الف شخصا في السنة التالية ، و تميزت هذه الأضرابات بعناد فائق ، إذ كان العمال يحتلون المؤسسات ويمنعون اصحاب الأعمال وعملائهم المدعومين من جانب الشرطة والقوات المسلحة من الدخول اليها و كثيرا ماكانت تؤدي هذه الأحتكاكات الى اراقة الدماء كما حدث في اضراب عمال مناجم الفسفوريت [٢٧].

و عند قيام حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية بقيادة ليون بلوم [٢٨] في عام ١٩٣٦ اعربت عن نيتها تغيير سياستها تجاه بلاد المغرب العربي،فقرر الحزب الحر الدستوري الجديد ان يرسل وفدا الى باريس برئاسة الحبيب بو رقيبة ،وهناك تمت صياغة مشروع اصلاحي تضمن انشاء دائرتين منفصلتين ، الأولى تمثل

المستوطنين الفرنسين،والأخرى تمثل التونسيين ، وانشاء مجالس بلدية منتخبة ،والغاء نظام الحكومة العسكرية المقام في الجنوب التونسي ، وتقديم السلف للمزارعين التونسيين ،غير ان المستوطنيين الفرنسيين قاموا بأثارة الأضطرابات ،الأمر الذي ادى الى تردد الحكومة الفرنسية في الموافقة على المشروع ،مما دفع الحزب الحر الدستوري الجديد الى العمل السري عن طريق الخلايا السرية والمنشورات [٢٩] .

وبمقابل ذلك خففت السلطات الفرنسية بعض إجراءاتها التعسفية لأمتصاص النقمة الشعبية في تونس ، ففي عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٧الغيت الضرائب التي كانت تشكل عبئا على كاهل الفلاحين ، واعترفت كذلك بالملكية الجماعية للأراضي الخاصة بالقبائل التونسية التي كانت تملكها قبل اعلان الحماية،والتي لم يتمكن المستعمرون الفرنسيون من الأستيلاء عليها،وكذلك قامت السلطات الفرنسية بعدد من التشريعات العمالية وكانت في الأساس منقولة عن التشريعات الفرنسية مثل قانون العقود الجماعية واسبوع العمل ذي الأربعين ساعة ، والأجازات المدفوعة الأجر [٣٠] .

ومن جانب اخر اضطرت السلطات الفرنسية على اثر اشتداد حركة المقاومة التونسية الى ان تغيرالمقيم الفرنسي العام في تونس(ارموند غيون)،واستبداله بتعيين(ابريك لابون) وقد استطاع المقيم العام الجديد ان يحافظ على الهدوء النسبي في تونس لمدة قصيرة [٣١].

وعلى اثروعود الأصلاحات التي اطلقتها السلطات الفرنسية ، طالب زعماء الحركة الوطنية التونسية بالأعتراف بأستقلال تونس وعقد معاهدة فرنسية – تونسية ، وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٧ جرى في تونس اضراب عام دفاعا عن المطالب الوطنية ، وطوال فصل الشتاء بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ لم تنقطع الأضرابات والتظاهرات التي قادتها الحركة الوطنية التونسية للضغط على السلطات الفرنسية ،

ممادفع الأخيرة الى اتباع اساليب القمع السافر للحركة الوطنية، ففي ٨ كانون الثاني ١٩٣٨اطلق الرصاص على تظاهرة نظمها عمال منطقة بنزرت التونسية(٣٢).

وقعت عدد من المعارك الدامية بين المواطنين التونسيين والقوات الفرنسية في مناطق الكاف وتوزر و نفطة وتونس العاصمة وغيرها ، وذلك خلال شهري اذار و نيسان من عام ١٩٣٨ ، إذ سقط مئات الشهداء والجرحى ، واعتقل عدد كبير من المتظاهرين ، فضلا عن قادة الحزب الحر الدستوري الجديد الذين زجوا بهم في السجن العسكري بتونس ، ثم نقلوا الى حصن سان – نيكولا بمرسيليا في فرنسا (٣٣) .

وهكذا بدأت سلسلة من اعمال القمع الشرس والعنيف ازاء اية تحركات في سبيل الأستقلال ، كما تم اعلان حالة الطوارئ في تونس ، واعتقل عددا كبيرا من محرري الصحف الوطنية ،وسائر زعماء حركة التحرر الوطني ، وفي ١٢ نيسان ١٩٣٨ حلت الحكومة الحزب الحر الدستوري الجديد،وفي تموز ١٩٣٨ قيدت حرية الكلام والصحافة والأجتماعات، واخيرا اقدمت السلطات الفرنسية على حل الحزب الشيوعي التونسي في عام ١٩٣٩(٣٤) .

ان الأصلاحات الفرنسية في تونس كانت مجرد و عود كاذبة هدفت الى امتصاص النقمة الشعبية للمواطنين التونسيين جراء الأستعمار واساليبه التعسفية،وكانت مجرد اصلاحات بسيطة لاتمس جوهر المطالب العادلة التي ناضل من اجلهاالتونسيون و زعمائهم في الحركة الوطنية ، فأتبعت السلطات الفرنسية اسلوب تكميم الأفواه لأي صوت وطني ينبه الى مخاطر الأستعمار واساليبه االوحشية ، والذي ظهر بأبشع صوره في تونس،واستمرت هذه الأجراءات التعسفية حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية .

الخاتمة :

كان للحركة الوطنية التونسية في سنوات مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية دورا كبيرا في مقارعة الأستعمار الفرنسي من اجل تحقيق المكاسب السياسية والأقتصادية و الأجتماعية للشعب التونسي،ويمكن اجمال ماتوصل اليه البحث من نتائج بمايلي :

(١) شهد مطلع القرن العشرين تأسيس النواة الأولى للتجمعات السياسية التونسية المناهضة للأستعمار الفرنسي .
(٢) رافق تأسيس التجمعات والمنظمات السياسية تصاعد في النضال العسكري المسلح، غير ان ذلك النضال لم يكن منظم بقيادات عسكرية موحدة ، و انما حركة شعبية عارمة ضد الأستعمار .
(٣) أدى الحزب الحر الدستوري التونسي ، الذي تأسس في عام ١٩٢٠ دورا تأريخيا كبيرا في تأريخ تونس المعاصر ،وحركات التحرر الوطني،ويعود سبب هذا النجاح للحزب الى التفاف الشعب التونسي حوله ، ولاسيما في المدة التي تطرق اليها هذا البحث .
(٤) لم يؤثرالأنشقاق الذي تعرض له الحزب الحرالدستوري في عام ١٩٣٤على مسيرة الحركة الوطنية التونسية ، وانما ازدادت قوة ونشاطا .
(٥) يمكن تسمية المرحلة من عام ١٩٣٦ الى ١٩٣٨بمرحلة الذروة بالنسبة للحركة الوطنية التونسية ، إذ اشتدت فيها الأضرابات العمالية ، والتحم عامة ابناء الشعب التونسي مع قياداته في الحركة الوطنية .
(٦) كان التفوق العسكري والتنظيمي الواضح للقوات الفرنسية في تونس العامل الأبرز دائما في القضاء على الأضرابات و التظاهرات المتكررة التي اقامتها الحركة الوطنية التونسية ، وقد هيأ هذا التفوق الفرنسي اتباع مختلف انواع البطش والتنكيل بالشعب التونسي والقادة الوطنيين،لأن الهدف الأهم للسلطات الفرنسية هو الحفاظ على وجودهاالأستعماري في تونس بغض النظرعن الأساليب المتبعة للحفاظ على ذلك التواجد .

الهوامش

(١) محمد عمارة ، العرب والتحدي ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٩ ، ١٩٨٠ ، ص ٢١٢ .

(٢) عبدالمالك خلف التميمي ، الأستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي –فلسطين–الخليج العربي) ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٧٤ ، ١٩٨٣ ، ص٢١ .

(٣) تقع تونس في مكان وسط من الساحل الأفريقي الشمالي وقد ادى ذلك الى دفع اوربا بالتوجه اليها ، وشجعت كذلك الهجرة الى تونس . ينظر :حسن محمد جوهر ، تونس ، دار المعارف ، ص ١٠ .

(٤) نصت معاهدة باردو التي وقعت في ١٢ أيار ١٨٨١ على ان تحتل القوات الفرنسية المراكزالتي تراها صالحة لأستتباب النظام والأمن في الحدود والسواحل ، اما معاهدة المرسى في عام ١٨٨٣ فقد منحت فرنسا السلطة الكاملة في تونس . ينظر: محمد الهادي الشريف ، تأريخ تونس من عصور ماقبل التأريخ الى الأستقلال ، ط٣ ، دار سراس ، ١٩٩٣ ، ص ١١١–١١٢ ؛ شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تأريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، ط٢، دار الزهراء ، الرياض ، ٢٠٠٢ ، ص٢٧٧.

(٥) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، تأريخ الأقطار العربية المعاصر ١٩١٧–١٩٧٠ ، دار التقدم ، موسكو، ١٩٧٦ ، ج٢ ، ص ٢٦٦.

(٦) سراب جبار خورشيد ، حركة الأستقلال في المغرب العربي (دراسة تأريخية مقارنة) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ،٢٠٠١، ص ٢٤ .

(٧) مبادئ ولسن : الغاء الدبلوماسية السرية ، حرية الملاحة اعالي البحار ، تخفيف الحواجز الأقتصادية بين الأمم ، تخفيف التسليح ، تسوية حقوق الشعوب ، جلاء المانيا عن روسيا ، سيادة بلجيكا ، جلاء المانيا عن فرنسا ، اعادة تخطيط حدود ايطاليا مع النمسا ، منح شعوب النمسا–المجر الحكم الذاتي، الجلاء عن اراضي صربيا ورومانيا والجبل الأسود ، الأستقلال الذاتي لشعوب الدولة العثمانية ، استقلال بولندا ، تكوين عصبة الأمم . ينظر :عبد العزيز سليمان و عبد المجيد نعنعي ، تأريخ الولايات المتحدة الحديث ، دار النهضة العربية ،بيروت ، د.ت، ص ١٨٣–١٨٤ .

(٨) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦– ٢٦٧ .

(٩) ولد في عام ١٨٧٤ في تونس ونشأ بها ودرس في جامع الزيتونة ، ثم انتقل الى المدرسة الصادقية وعمل ضمن حركة الأصلاح ، وترأس في عام١٩٢٠ الحزب الحر الدستوري التونسي واستقال من الحزب بعد حدوث انشقاق داخل الحزب. ينظر: سراب جبار خورشيد، المصدر السابق، ص٣٤.

(١٠) عقد مؤتمر الصلح في باريس في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ واشتركت فيه ٢٧ دولة ، وكان يتألف من لجان خاصة تدرس الموضوعات وتعرضها في اجتماعات عامة . ينظر:محمد بودينة ،احداث العالم في القرن العشرين، ج٢، تونس، ٢٠٠١، ص ٢٦٧ .

(١١) حلمي محروس اسماعيل ، تأريخ افريقيا الحديث و المعاصر من الكشوف الجغرافية الى قيام منظمة الوحدة الأفريقية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤، ج١، ص ٣٨٤ .

(١٢) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧–٢٦٨ .

(١٣) لبيب عبد الساتر، التأريخ المعاصر، ط٢، دار المشرق، بيروت، د.ت، ص١٥٤.

(١٤) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

(١٥) احمد القصاب ، تأريخ تونس المعاصر ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص ٤٢٠ .

(١٦) حلمي محروس اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٤–٣٨٥ .

(١٧) خيرية عبد الصاحب وادي ، الفكر القومي العربي في المغرب العربي نشؤوه وتطوره من ١٨٣٠ الى ١٩٦٢ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٦ .

(١٨) الباي محمد الناصر بن محمد باي او محمد الناصر باشا او الناصر باي هو الباي الخامس عشر من البايات الحسينيين في تونس ، عرف عنه مساندته للحركة الوطنية التونسية،وقد اثار في اكثر من مناسبة قلق السلطات الفرنسية.

للمزيد ينظر :\www.ar.wikipedia.org \wiki

(١٩) حلمي محروس اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٥– ٣٨٦ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

(٢١) ولد في تونس في عام ١٩٠٣ واتم دراسته في باريس وعمل في الصحافة والمحاماة واصبح سكرتيرا للحزب الحر الدستوري الجديد ، وعضوا في لجنة تحرير المغرب العربي عام (١٩٤٨) وانتخب رئيسا لتونس عام (١٩٥٦) الى ان عزل عن الحكم . ينظر: سراب جبار خورشيد ، المصدر السابق ،ص ٣٥.

(٢٢) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٧١–٢٧٢.

(٢٣) ولد محمود الماطري بتونس في ١١كانون الثاني ١٨٩٧وهو طبيب وسياسي، ويعد من القادة البارزين للحركة الوطنية التونسية وتوفي في ٢٣كانون الثاني ١٩٧٢ . ينظر : \www.ar.wikipedia.org \wiki

(٢٤) خيرية عبد الصاحب وادي ، المصدر السابق ، ص ١٤٨.

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٩.

(٢٦) حلمي محروس اسماعيل ، المصدر السابق ، ٣٨٨–٣٨٩ .

(٢٧) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤.

(٢٨) ليون بلوم : يعد زعيم الأشتراكيين في فرنسا ، تولى رئاسة الوزراء في عام ١٩٣٦ بعد فوز الجبهة الشعبية في الأنتخابات النيابية ، وكان من الداعين للديمقراطية والأصلاح ، وقد شكل وزارة ائتلافية ضمت مختلف القوى السياسية في فرنسا . ينظر : عبد الوهاب عباس القيسي واخرون ، تأريخ العالم الحديث ١٩١٤–١٩٤٥ ، بغداد ، د.ت ، ص ٧٢.

(٢٩) سراب جبار خورشيد ، المصد السابق ، ص ٤١–٤٢ .

(٣٠) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ٢٧٥– ٢٧٦.

(٣١) قاسم زغير كاظم ، الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد ودوره السياسي في تونس ١٩٣٤–١٩٥٦ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الأداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٩ .

(٣٢) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٦.

(٣٣) حلمي محروس اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٩ .

(٣٤) اكاديمية العلوم في الأتحاد السوفيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧.

Tunisian national movement in the interwar years 1918 – 1939

ghailan sameer taha altekreeti

The early twentieth century witnessed the emergence of an umber of political organizations in Tunis As result of weak coordination's of these parties , France had the ability to invade Tunis .

While in the first world war (1914 – 1918) , Tunisian national movement was in anticipated phase to see what would happen of that war,and to see the results of new political states.

After the first world war had ended , Tunisian national movement appealed its activities especially in 1919 where Tuniaus declared their case in peace conference in Paris , However , they did not find any answer Thus,They insisted on constructing constitutional illiberal party in 1920 this However, party has Avery important vole in the modern history of Tunis .

The split of this party had never in flounced greatly on Tunisian nakonal movement its struggle .

Within appearing new political organizations and parties , military struggle had been increased against franc colonial existence , in spite of their lack of miliory leaders , Tunisian people agreed to this movement against hard French colonialism

However,the period between the years 1936 – 1939 had been Called peak stage for national movement because there are numbers of workers strike , and armed military fights .

الأبعاد الجيوبولوتيكية للنزاع الإماراتي - الإيراني حول الجزر العربية الثلاث

(أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى)

وادعاءات كل من الطرفين حول ملكيتها

د. احمد جاجان عباب
معهد إعداد المعلمات – كركوك

المقدمة

أهمية البحث ومبرراته:

تكتسب بعض الجزر أهمية كبيرة من خلال ما تتمتع به من موقع حاكم في المواصلات البحرية أو ما يوجد على أراضيها وفي قاع بحارها من موارد طبيعية وعليه فان مثل هذه الجزر تشكل حافزا للدول الطامعة للسيطرة عليها والتمتع بالوفورات الجيبولتيكية والامتيازات الإستراتيجية التي يمنحها الموقع فضلا عن استغلال الموارد الطبيعية المتوفرة.

في هذا السياق يأتي احتلال ايران للجزر العربية الثلاث (أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى) في عام ١٩٧١ وذلك في ظل ظروف دولية وإقليمية خاصة بعد إعلان بريطانيا الانسحاب من منطقة الخليج العربي.

وما سيحدثه ذلك من فراغ امني يهدد مصالح الدول العظمى في هذه المنطقة البالغة الحيوية والشديدة الحساسية بالنسبة لهذه القوى.

هكذا تبدو عملية الاحتلال بانها اتفاق بريطاني – إيراني على اعتبار ان ايران هي القوة الإقليميةالأكثر قدرة على تأمين انسيابية حركة السفن في مضيق هرمز ولان نظام الشاه كان الحليف الأقوى في منطقة الخليج العربي. وقد اتفقت بريطانيا وايران سراً على اعلان شاه ايران عن تخليه عن المطالبة بالبحرين مقابل السماح له بالسيطرة على الجزر الثلاث وبالفعل اعلن الشاه ذلك واصدر مجلس الامن الدولي قرارا يعترف بموجبه باستقلال وسيادة البحرين في ايار عام ١٩٧٠ وقد وافق حاكم الشارقة لاحقا على اقتسام السيطرة على جزيرة ابو موسى واقتسام عائدات النفط مع ايران في حين رفض امير راس الخيمة من اعلان عقد أي اتفاق مع ايران بشان جزيرتي الطنب الصغرى والكبرى الا انه على الرغم من ذلك الاعلان قامت البحرية الايرانية باحتلال الجزر الثلاث في ١٩٧١/١١/٣٠ وذلك قبل يوم واحد من الانسحاب البريطاني من الامارات واعلان استقلالها وقد بقيت الادارة على جزيرة ابو موسى مشتركة بين الشارقة وايران حتى عام ١٩٩٢ حين قامت القوات الايرانية باحتلالها وطرد سكانها الاصلين من الجزيرة .

هدف البحث:

يهدف البحث للتعريف بأهمية الجزر الثلاث من حيث موقعها الاستراتيجي المتميز الذي يوفر للقوى التي تسيطر عليها فرص إعاقة الملاحة البحرية ويعرض مصالح دول الخليج العربي للخطر ويحرمها من التمتع بالموقع البحري الذي تتمتع به ويجعلها دولاًمقفلةأرضا، كما يهدف البحث لعرض البعد التاريخي للسيادة العربية على هذه الجزر والدوافع والأسباب وراء الاحتلال الإيراني لهذه الجزر.

مشكلة البحث:

تنطلق مشكلة البحث من أساس ان الاحتلال الإيراني للجزر الثلاث قد منحها قوة جيبولتيكية مؤثرة يمكن ان تعرض من خلالها امن الخليج العربي والأمن

العربي عموما للخطر بحيث تضعف من قدرات دول مجلس التعاون الخليجي والعراق أيضا ويهدد المصالح العربية الحيوية ويحرمها من التمتع بوفورات وامتيازات الموقع البحري.

فرضية البحث:

١- ان الاحتلال الإيراني للجزر العربية الثلاث جاء بسبب موقعها الاستراتيجي.

٢- ان احتلال ايران للجزر العربية الثلاث اكسب ايران قوة جيبولتيكية كبيرة تستطيع من خلالها المناورة بها عالميا.

هيكلية البحث:

يتكون البحث من أربعة مباحث فضلا عن المقدمة والاستنتاجات جاء المبحث الأول بعنوان مقومات الموقع الجغرافي للجزر العربية الثلاث أما المبحث الثاني فقد اختص بالخصائص المورفولوجية للساحل والتضاريس فيما ناقش المبحث الثالث الادعاءات والحجج التي ساقها واستند عليها كل طرف في ادعاءات السيادة والملكية على الجزر الثلاث، واختتم المبحث الرابع في إبرازالأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للجزر الثلاث.

أما من حيث المنهج المتبع فقد اختير المنهج التحليلي فهو خير وسيلة في الوصول للغايات المرجوة من البحث. في محاولة جادة للكشف عن الحقائق اولا وتشخيص المشكلات وتوصيف المعالجات لغرض الوصول الى الحلول اللازمة لها.

أولا: مقومات الموقع الجغرافي للجزر العربية الثلاث

يعد الموقع الجغرافي احد العوامل المهمة التي تؤثر في الجغرافية السياسية للدولة لتأثيرها على اتجاهات سكانها وعلى سلوك الحكومات السياسي وعلى علاقاتها بغيرها [(١)].

على الرغم من وجود عدد من الموانئ الكبيرة والمدن التجارية على شواطئ الخليج العربي، إلا ان الجزر المنتشرة فيه وخاصة قبالة مدخله تتمتع بميزات استراتيجية مهمة مما جعل التركيز واحتلالها والسيطرة عليها هدفا تسعى اليه قوى عديدة من الدول الاستعمارية ومن ثم ايران.

تبرز أهمية موقع الجزر الثلاث (أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى) من وقوعها عند بداية الخليج العربي قرب مضيق هرمز وإشرافها عليه، وهي بهذا تعد بمثابة البوابة للخليج العربي والسيطرة على الشريان المائي والملاحي بين الخليج العربي وبحر عمان وبحر العرب والمحيط الهندي من جهة الشرق والجنوب والبحر الأحمر من جهة الغرب (لاحظ الخريطة).

ان موقع الجزر الثلاث عند مدخل الخليج العربي يجعلها تتحكم في سير الملاحة البحرية والتحكم في مضيق هرمز وبالتالي إمكانية عرقلة انسيابيةحركة السفن ما بين الخليج العربي والعالم حيث مصدر الطاقة الأهم وبتكاليف انتاجية اقل بالعالم، ان الدول الصناعية والقوى العظمى لا تسمح ببروز أي قوة تهدد امن الخليج وعرقلة وصول الإمدادات النفطية للأسواق العالمية.

خريطة الجزر الثلاث ابو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى



من عمل الباحث اعتمادا على د. قاسم الدويكات مشكلات الحدود السياسية في الوطن العربي ط١ ، الاردن – اربد ٢٠٠٣ ، ص١٩٢

تعد ظاهرة الجزر من الظواهر الطبيعية الشائعة والمنتشرة في دول مجلس التعاون ويقدر عددها بحوالي (٤١٣) جزيرة، وتتباين هذه الجزر من حيث المساحة والأهمية الاقتصادية والاستراتيجية وتظهر أهميتها حيث تنتشر بالجهة الجنوبية للخليج العربي الغنية بالنفط [(٢)]، تقع جزيرة أبو موسى في مدخل الخليج العربي على بعد (١٦٠) كم من مضيق هرمز وتبعد عن إمارة الشارقة نحو (٧٢) كم ونحو (٨٠) كم عن الساحل الإيراني، أي انها اقرب للسواحل الإماراتية، وقد كانت الجزيرة قبل الاحتلال الإيراني تابعة لإمارة الشارقة ويسكنها نحو (١٠٠٠) من مواطنيها وتبلغ مساحة الجزيرة نحو (٣٠) كم^2[(٣)].

أما جزيرة طنب الكبرى فانها تقع شمال شرقي جزيرة أبو موسى وتبعد عنها مسافة (٥٠)كم وتقابل إمارة راس الخيمة التي تبعد عنها حوالي (٩٢)كم وتقع إلى الجنوب الغربي من جزيرة قشم بحوالي (٩٥) كم، في حين تقع جزيرة طنب الصغرىإلى الشمال من جزيرة أبو موسى وتبعد عن جزيرة طنب الكبرى بمسافة (١٢) كم فقط فيما تبعد عن إمارة راس الخيمة بنحو (٩٠) كم والتي تعود اليها من الناحية الإدارية قبل الاحتلال [٤].

ونظرا لقرب جزيرتي طنب الكبرى والصغرى من السواحل الإيرانية لهذا فهي تحتل أهمية كبيرة في الاستراتيجية الإيرانية باعتبارهما جزء من خط الدفاع الإيراني عند مدخل مضيق هرمز [٥].

ان وجود الجزر يزيد من درجة ارتباط سكانها بالبحر فكلما ابتعدت هذه الجزر عن الساحل ومياهه الضحلة كانت اكثر قربا من المجرى الملاحي خاصة في الخليج العربي وفي الوقت نفسه زادت من أهميتها بسبب تمتعها بموقع حاكم على طريق المجرى الملاحي وعليه فان الجزر العربية الثلاث تتمتع بأهمية متميزة حيث يوفر لها موقعها إمكانية اعتراض المواصلات البحرية في الخليج العربي، وعليه فان من يسيطر على هذه الجزر يستطيع ان يسيطر على مضيق هرمز ومن يسيطر على مضيق هرمز يستطيع ان يقفل معظم دول مجلس التعاون الخليجي أرضا وبالتالي يضعف من عناصر القوة لهذا الإقليم خاصة وان هذه الجزر صالحة لإقامةمنشآت وقواعد عسكرية [٦].

ان الطريق الذي تستخدمه السفن المتجهة إلى الخليج العربي والخارجة منه تستخدم الطريق الذي يربط بين جزيرة طنب الكبرى وجزيرة مزور [٧].

خلاصة القول ان هذه الجزر تتحكم بالبوابة الغربية لمضيق هرمز ومن يسيطر عليها يستطيع التحكم بالمضيق ولهذه السبب احتلت ايران هذه الجزر

لأهميتها الكبيرة ولموقعها المشرف على مضيق هرمز مما اكسبها امتيازات جيبولتيكية مهمة.

ثانيا: مورفولوجية الساحل والتضاريس

ان الجزر المنتشرة بالخليج العربي وبضمنها الجزر الثلاث هي عبارة عن رواسب تمتد طوليا بموازاة الساحل وتحصر بينها وبين الساحل عدد من البحيرات الساحلية يتراوح طولها (١-١٠) كم وعرضها لا يزيد عن بضعة مئات من الأمتار.

تتمتع السواحل القريبة من الجزر بسواحل عميقة وصالحة لإقامة الموانئ والمنشات البحرية، وتعد جزيرة أبو موسى اكبر الجزر الثلاث وهي على شكل مستطيل يبلغ طولها (٧) كم وعرضها (٤,٥) كم، ترتفع الجزيرة في وسطها إلى ارتفاع (١١٠) م اغلب أراضيها بركانية وعمق المياه الساحلية نحو (٩٥) قدم مما يشكل مواقع صالحة لإيواء السفن وحمايتها من العواصف[٨] ، وتتمتع جزيرة أبو موسى بسواحل عميقة وصالحة لإقامة الموانئ والممرات البحرية والتي تساهم في حركة النقل والتجارة الدولية إضافةإلى محطات الوقود ومنارات الإرشاد وتوجيه السفن[٩].

أما جزيرة طنب الكبرى فأنها تأخذ الشكل الدائري وتبلغ مساحتها حولي (٩) كم^2، وتتميز بارتفاع سطحها خاصة في طرفها الشمالي حيث ترتفع إلى (٣٥١) م عن مستوى سطح البحر [١٠].

لقد ساعدت الطبيعة على جعل الخليج بحيرة صالحة لإيواءالأساطيل المحاربة وان أعمق أجزاء الخليج لا يتجاوز (١٠٠)م، بل ان فيه مناطق واسعة لا يتجاوز عمقها (٤٠)م، وتمتد هذه المناطق المحدودة العمق في كثير من أجزائهإلى ما يتجاوز المائة كيلومتر من الساحل العربي في حين ان الأعماق الكبيرة في الخليج بصفة عامة تحيط بساحل هضبة ايران من جانب ومضيق هرمز من جانب آخر،

هذه الخصائص تجعل من الصعوبة ان لم يكن من المستحيل على السفن ذات الحمولة الضخمة الاقتراب من الساحل العربي، ولكن من جانب آخر تجعل من الخليج بأجمعه بحيرة يستطيع من يتحكم في مداخلها ان يخلق منطقة صالحة لإيواء وحماية الأساطيل من أي هجوم أو صدام بحري [١١].

ثالثاً: التاريخ السياسي للجزر من حيث السيادة والإدارة

ان التاريخ السياسي يعني النزاع حول الملكية والسيادة ونستعرض هنا بإيجاز ادعاءات الطرفين وأسانيدهم التاريخية والوثائقية.

١– ادعاءات دولة الإمارات العربية المتحدة.

تستند الادعاءات الإماراتية في مطالبتها بملكية الجزر الثلاث على أساس عائدية هذه الجزر الإدارية لقبيلة القواسم وهي من اهم القبائل العربية التي تسكن إمارة راس الخيمة والشارقة لا بل هذه القبيلة هي الأكبر والاهم من بين القبائل التي تقيم على الساحل الغربي للخليج العربي.

ان السيادة العربية على الجزر الثلاث قديمة فقبيلة القواسم العربية حكمت الجزر منذ سنة ١٧٥٠م، وان سكان الجزر هم فرع للقبائل العربية التي عاشت على البر العربي في امارتي الشارقة وراس الخيمة كما ان مملكة هرمز العربية كانت تضم هذه الجزر.

تشير الوقائع ان الحكومة البريطانية وعبر مقيمها السياسي في الخليج العربي طالبت في عام ١٩١٢م شيوخ الشارقة باقامت فنار في جزيرة طنب الكبرى، وان أعلام القواسم كانت مرفوعة دائما فوق الجزر حتى عام ١٩٧١م [١٢].

هذا وتؤكد الوثائق الرسمية والسجلات التاريخية للجزر من خلال المعاملات التجارية المتبادلة بين المقيم البريطاني وحكام الجزر عروبة الجزر الثلاث تتحدث وقائع الممارسات العربية لإدارة شؤون الجزر لأكثر من ١٥٠ عام، وتتمثل هذه

الممارسات بفرض الرسوم منذ عام ١٨٦٣م على الرعي واستخراج اللؤلؤ واستخراج أوكسيد الحديد، ومنح حكام راس الخيمة الحكومة البريطانية رخصة لإقامة فنار في طنب الكبرى في عام ١٨٩٠م [١٣].

٢– ادعاءات ايران

تقوم الادعاءات الإيرانية في احتلالها للجزر الثلاث على الأسس الأتية:

أ– ان أسماء الجزر الثلاث فارسية المصدر والجذور فهي تسمى أبو موسى أو (بو موسى) أو (يوم موسى) وطنب الكبرى (تنب بمرزك) وطنب الصغرى (تنب كوجك) واحيانا (تنب مار)[١٤].

ب– سند تاريخي

وذلك بالادعاءات على أساس ان الجزر الثلاث تاريخيا تابعة للإمبراطورية الفارسية وتأكيدا لذلك فقد قال شاه ايران عندما احتلت القوات الإيرانية الجزر الثلاث بان هذه الجزر فارسية التبعية، ويضيف الإيرانيون إلى ماسبق من حجج وادعاءات ((ان قواسم لنجة الذين حكموا هذه الجزر عام ١٨٨٧ هم مواطنون إيرانيون ووضعت لنجة وتوابعها للاختصاص الإيراني))[١٥].

ان الحقيقة التي لا يمكن إخفائها ان المصالح الإيرانية الاستراتيجية تستلزم تبعية الجزر لإيران لتحقيق مطالب جيبولتيكية من خلال الموقع المتحكم بمدخل الخليج العربي وذلك بخلاف مراعاة قواعد حسن الجوار وقواعد القانون الدولي فالمصالح القومية الإيرانية هي فوق كل اعتبار.

تعود أولى الادعاءات الإيرانية بملكية الجزر الثلاث إلى عام ١٨٨٧ بعد احتلال ايران لإمارة لنجة العربية التي حكمها القواسم ثم مدت نفوذها لجزيرتي (سيري) و (هنجام) وهي جزر عربية تابعة للقواسم تقع إلى الغرب من جزيرة أبو

موسى. وقد ردت بريطانيا عبر وزيرها المفوض في ايران بان الجزر عربية يحكمها شيوخ عرب لهم معاهدات مع بريطانيا وهم تحت حمايتها [١٦].

قامت ايران في عام ١٩٠٤ برفع العلم الإيراني فوق جزيرة أبو موسى وطنب الكبرى إلا ان بريطانيا طالبت بأنزال العلم فورا، وقد تبين فيما بعد وباعتراف رسمي من حاكم الشارقة ان الطرفين قد توصلا لاتفاقية مشتركة بوساطة بريطانية وتحت الضغط والتهديد والإكراه توصلوا إلى الاتفاق الذي سهل عملية احتلال الجزر من الجانب الإيراني[١٧]، ويبدو ان بريطانيا قد اتفقت مع الشاه آنذاك وذلك قبل رحيل القوات البريطانية من منطقة الخليج العربي عام ١٩٧١ وذلك لملىء الفراغ الأمني الذي روجت له بريطانيا وقامت بذلك على اعتبار ان الشاه هو حليف الدول الغربية وهو الأكثر قدرة على حماية وتامين المصالح الغربية في الخليج العربي.

رابعا: الأهمية الاستراتيجية للجزر الثلاث تحتل الجزر الثلاث موقعا جيوستراتيجيا لكونها تقع عند مدخل الخليج العربي وتتحكم في سير الملاحة فيه. ان هذا الموقع يمثل احد العناصر الرئيسة في التوازن الاستراتيجي وإمكانية توظيفه في نطاق الاستراتيجية الدولية وتتدرج أهمية موقع الجزر تحت مفهومين أساسيين[١٨]:

الأول يدور حول أهمية موقعه كأحد عناصر القلب في التوازن الاستراتيجي الدولي خلال الثلاثين عاما الماضية.

والثاني ينبع من أهميته النفطية التي تفوق اي اقليم اخر.

وبخصوص المفهوم الأول فان مضيق هرمز يعد اهم ممر مائي عالمي حيث يعبر من خلاله يوميا اكثر من مائة سفينة، أي بمعدل سفينة واحدة كل (١٥) دقيقة [١٩].

ان احتلال ايران لهذه الجزر وضمها لأراضيها بتاريخ ١٩٧١/١٠/٣ قد حققت ايران مكاسب جيوستراتيجية منها [٢٠]:

١- ان الاحتلال والاستيلاء على هذه الجزر من اطراف الخليج العربي الجنوبية الشرقية قد أعطى لإيران فرصة التحكم بالملاحة في مضيق هرمز.

٢- مع احتلال ايران لهذه الجزر تظهر ظاهرة الدول القارية (الحبيسة) اذ تتحول دول مجلس التعاون إلى دول شبه مقفلة أرضا وتحرم من فرص التمتع بموقعها البحري ومواردها الاقتصادية، ومما زاد من خطورة الموقف الإيراني بعد احتلالها للجزر هو إصدار مجلس الشورى الإيراني في ١٩٩٣/٤/٢٠ قانونا ينص على مد مياه ايران الإقليمية إلى مسافة ١٢ميل بحري، وهذا يؤدي إلى ضم مجموعة من الجزر القريبة من الساحل العماني تحت سيطرتها ومن خلال هذا الاحتلال يتم فرض الأمر الواقع على دول المنطقة لتأكيد حمايتها على الجزر الثلاث وهذا سيؤدي إلى فشل كل المحاولات التي تبذلها دولة الإمارات لحل قضية الجزر الثلاث [٢١].

أما بخصوص أهميته النفطية العالمية يكفي ان تشير انه يصدر عن طريق الخليج العربي ٣/٢ من إمدادات النفط العالمية حيث تمر في كل (٨) دقائق ناقلة نفط من والى الخليج العربي، وتستورد الولايات المتحدة ٥٠% من استيراداتها النفطية من الخليج العربي واليابان نحو ٨٠% واوربا الغربية نحو ٧٠%، وان أية أنشطة عدائية في منطقة الخليج العربي من شانها ان تعطل صادرات النفط وهو مصدر اهتمام حساس بالنسبة للولايات المتحدة [٢٢].

ان مما كسب نفط الخليج العربي أهميته المتزايدة هو ازدياد حجم الاحتياطي بمعدل ٢٠ مليار برميل سنويا، والمنطقة ليس الأهم في الاحتياطي فقط بل في إنتاج النفط أيضا حيث يبلغ مجموع إنتاج دول مجلس التعاون الخليجي اكثر من ربع الإنتاج العالمي للنفط [٢٣].

أمام هذه المؤشرات تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة لتامين احتياجاتها النفطية لها ولحلفائها لكي تضمن السيطرة والهيمنة العالمية، ولهذا فان النفط بالنسبة للولايات المتحدة هو مادة استراتيجية.

ان زمام المبادرة النفطية حاليا ومستقبلا ستظل بيد دول مجلس التعاون الخليجي [٢٤].

الاستنتاجات

انتهى البحث للتوصل إلى عدد من الاستنتاجات أهمها:

١– ان الجزر العربية الثلاث تتمتع بموقع حاكم عند مدخل الخليج العربي بالقرب من مضيق هرمز.

٢– ان هذا الموقع المتميز قد منح من يسيطر عليه إمكانية عرقلة سير الملاحة البحرية بين منطقة الخليج العربي والعالم وعرقلة وصول الإمدادات النفطية للعالم.

٣– ان احتلال الجزر ترتب عليه تهديد خطير لأمن الدول الخليجية والعراق.

٤– تؤكد الوثائق الرسمية والسجلات التاريخية للجزر عروبة الجزر الثلاثة.

٥– تقوم الادعاءات الإيرانية باحتلالها للجزر الثلاث على أساس ان أسماء هذه الجزر فارسية الأصل وعائدتها للإمبراطورية الفارسية.

٦– ان المصالح الاستراتيجية الإيرانية هي الدافع الرئيسي لألحاق هذه الجزر بالسيطرة الإيرانية من اجل الهيمنة على مضيق هرمز والتحكم في سير الملاحة البحرية.

٧– ان احتلال هذه الجزر من قبل ايران قد ابرز ظاهرة الدول القارية (الحبيسة) وتحول دول مجلس التعاون إلى دول شبه مقفلة أرضا.

٨– يصدر عن طريق الخليج العربي وعبر مضيق هرمز ٣/٢ من إمدادات النفط العالمية إلى الدول الصناعية في أمريكا الشمالية واليابان واوربا الغربية.

الهوامش:

(١)د. محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافية السياسية بمنظور معاصر، مكتبة الأنجلو– مصرية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٨٦.
(٢) د. محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثاني، الطبعة الثانية مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٢.
(٣) د. قاسم الدويكات، مشكلات الحدود السياسية في الوطن العربي، الطبعة الأولى، الأردن– اربد، ٢٠٠٣، ص١٩١.
(٤)د. صبري فارس الهيتي، الخليج العربي– دراسة في الجغرافية السياسية دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص٤١٥.
(٥)د. محمود طه أبو العلا، مصدر سابق، ص١٢.
(٦) د. محمود توفيق، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٣، ص٣٨.
(٧) د. خليل إسماعيل الحديثي، نحو موقف عربي موحد من مضيق هرمز في ضوء اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢، مجلة المستقبل العربي، العدد ٨٩، السنة التاسعة، ١٩٨٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٦٦.
(٨) د. محمود طه أبو العلا، مصدر سابق، ص١٢.
(٩) د. عبد الرزاق خلف الطائي، النزاع الإماراتي– الإيراني حول الجزر العربية الثلاث (طنب الكبرى، طنب الصغرى، أبو موسى) ١٩٧١– ٢٠٠١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ص٢٥.
(١٠) المصدر نفسه، ص٢٧.
(١١) د. حامد ربيع ، نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل معه في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨٤، ص٣٨٢.

(١٢)د. ظافر ناظم سلمان، النزاع الإماراتي– الإيراني حول الجزر العربية الثلاث، المسار والتطورات، مجلة دراسات دولية، العدد ١٧، ٢٠٠٢، بغداد، ص٥٤.
(١٣) د. صبري فارس الهيتي، مصدر سابق، ص٤٢١.
(١٤) د. ظافر ناظم سلمان، مصدر سابق، ص٥٣.
(١٥)د. عبد الرزاق خلف الطائي، مصدر سابق، ص٨١، ص٨٢.
(١٦) د. ظافر ناظم سلمان، مصدر سابق، ص٤٥.
(١٧) د. عبد الرزاق عباس حسين، الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيبولتيكية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٤، ص١١٤.
(١٨)د. محمد عبد الغني سعودي، الخليج بين مقومات الوحدة وصراع القوى الأعظم، مجلة دراسا الخليج والجزيرة العربية، العدد، ٢٠، ١٩٧٩، الرياض، ص١٢.
(١٩)د. عبد الخالق عبد الله، النفط والنظام الإقليمي الخليجي، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٨١، ١٩٩٤، بيروت، ص٢١، ص٢٢.
(٢٠)د. محمد ازهر السماك، الجغرافية السياسية الحديثة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٣، ص٣٢.
(٢١) سيروان عارب صادق، الانعكاسات الجغرافية السياسية لمشكلة التبعية الاقتصادية على الأمن الإقليمي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص٤٥.
(٢٢)الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي، قسم المطبوعات، موقع على الانترنت:
www. GCC, F6. Org.
(٢٣)د. عبد الخالق عبد الله، مصدر سابق، ص٢١، ص٢٢.
(٢٤)د. عاطف سليمان، الثروة النفطية، الدور السياسي والاقتصادي للنفط العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٣، ص٦٤.

المصادر

أولا: الرسائل الجامعية

١– عبد الرزاق خلف الطائي، النزاع الإماراتي– الإيراني حول الجزر العربية الثلاث (طنب الكبرى، طنب الصغرى، أبو موسى) ١٩٧١–٢٠٠١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

٢– سيروان عارب صادق، الانعكاسات الجغرافية السياسية لمشكلة التبعية الاقتصادية على الأمن الإقليمي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٧.

ثانيا: البحوث في المجلات العلمية

١– د. خليل إسماعيل الحديثي، نحو موقف عربي موحد من مضيق هرمز، في ضوء اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢، مجلة المستقبل العربي، العدد ٨٩، السنة التاسعة، ١٩٨٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٢– د. ظافر ناظم سلمان، النزاع الإماراتي– الإيراني حول الجزر الثلاث، المسارات والتطورات، مجلة دراسات دولية، العدد ١٧، ٢٠٠٢، بغداد.

٣– د. عبد الخالق عبد الله، النفط والنظام الإقليمي الخليجي، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٨١، ١٩٩٤، بيروت.

٤– د. محمد عبد الغني سعودي، الخليج بين مقومات الوحدة وصراع القوى الأعظم، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٠، ١٩٧٩، الرياض.

ثالثا: الكتب

١– د.حامد ربيع ، نظرية الأمن القومي العربية والتطور المعاصر للتعامل معه في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨٤.

٢– د. صبري فارس الهيتي، الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٩٨١.

٣– د. عاطف سليمان، الثروة النفطية، الدور السياسي والاقتصادي للنفط العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.

٤– د. عبد الرزاق عباس حسين، الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيبولتيكية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٤.

٥– د. قاسم دويكات، مشكلات الحدود السياسية في الوطن العربي، الطبعة الأولى، اربد– الأردن، ٢٠٠٣.

٦– د. محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافية السياسية بمنظور معاصر، مكتبة الأنجلو– مصرية، القاهرة، ٢٠٠٢.

٧–د. محمود توفيق، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٣.

٨– د. محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العرب، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢.

رابعا: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي، قسم المطبوعات، موقع على الانترنت:

www, GCC, F6. Org.

تقييم الأداء اللغوي لوسائل الإعلام ودور هذه الوسائل في استخدام اللغة العربية الفصحى

(من وجهة نظر طلبة الصحافة والإعلام في جامعة البترا)

أ.د. تيسير أبو عرجة
جامعة البترا/ قسم الصحافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على موقف طلبة الصحافة والإعلام في جامعة البترا من المستوى اللغوي الذي تقدّم به المواد الإعلامية المختلفة في وسائل الإعلام، وما هو رأي هؤلاء الطّلبة باستخدام العامية في ما تقدمه وسائل الإعلام من برامج ومواد إعلامية، وكيف يقيّم الطلبة الأداء اللغوي لوسائل الإعلام، وما الدور المطلوب من هذه الوسائل في تعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى،إضافة إلى دور الجامعات وأقسام وكليّات الإعلام فيها التي تعنى بإعداد الإعلاميّن وتأهيلهم.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

-اختيار العينة اللغة الفصحى بنسبة ٨٠,٥% للأخبار والتقارير الإخبارية.

-اختيار العامية بنسبة ٥٠,٥ % للدراما الإذاعية والتلفزيونية، بينما جاء استخدام الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٤,٥%.

-حصلت حوارات المندوبين مع الجمهور العام على استخدام الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٥,٥% بينما حصلت العامية على ٣٨.٨%، والفصحى بنسبة ١٥%.

-حصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج الثقافية والأدبية وهي ٧١,٤% تلاها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٢٥,٩%.

-حصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج العلميّة وهي ٧٥%، بينما جاءت الفصحى والعامية معاً بنسبة ١٨,٢%.

-حصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج الدينية وهي ٥٤,١%، تلاها في النسبة الفصحى والعامية معاً وهي ٣٩.١%.

-حصلت العامية على النسبة الأعلى للبرامج الاجتماعية والمنوعات وهي ٥٣,٢%، تلاها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٠,٥%.

-حصلت الفصحى والعامية معاً على النسبة الأعلى للبرامج الرياضية وهي ٤٣,١%، تلاها العامية بنسبة ٣٩,٥%.

-وحصلت العامية على النسبة الأعلى في برامج المسابقات وهي ٦٣,٦%، تلاها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٣٠%.

تمهيد

لغة الإعلام بين الفصحى والعامية

ينشغل أهل الفكر والعلم، والحريصون على لغة الضاد، بالكيفية التي تظهر بها لغتنا العربية في وسائل الإعلام، والوضعية التي آلت إليها على ألسنة المتحدثين والمتحاورين والإذاعيّين، ومستخدمي الوسائل الإعلامية كافة. وهذا الانتشار الكثيف للهجّات العامية، والخلط في الأحاديث بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، والزعم بأن العربية صعبة الفهم، صعبة الاستعمال، غير قادرة على تلبية الأفكار المطلوبة للحديث والحوار.

وممّا زاد في طغيان العاميّة، هذه الكثرة الهائلة في وسائل الإعلام والاتصال، وحاجتها لتغطية مساحاتها الزمنيّة بالكثير من البرامج والمقابلات والاتصالات، والمسابقات والإعلانات، ومخاطبتها شرائح واسعة من المجتمع، متباينة في ثقافتها،وقدراتها على التعبير، واستخداماتها لمفردات اللغة،ناهيك عن عدم قدرة، أو رغبة، أو محاولة من يحاورونهم من الإعلاميّن، أن يستخدموا اللغة الفصيحة، من خلال طرح الأسئلة وإدارة الحوارات،وإيصال الأفكار للناس، بالقالب اللغوي الفصيح البسيط الميسّر والسهل، الذي يكون محافظاً على سلامة القواعد من نحو وصرف، مع استخدام المفردات البسيطة، التي تمتاز بالسهولة والمعاني الواضحة.

إننا ندرك خطورة الموقف من اللغة في وسائل الإعلام، مع هذا الانتشار الكثيف للقنوات الفضائية،التي تستقطب، على اختلاف أنواعها وتخصصاتها، نسبة عالية من المشاهدة، وتعتبر مصدراً أساسياً للمعرفة بأحوال المجتمعات والعالم من حولنا. هذه القنوات التي تقدم كلّ ألوان البرامج والأفلام والمسلسلات، ولكن حظّ الثقافة الجادّة فيها قليل، وحظ الإبداع الأدبي فيها أقل، ويتّم فيها التضحية باللغة العربية الفصحى بمنتهى السهولة، وهي مغرقة في اللهجات العامية، وعديد برامجها

يقدّم بمسميّات عاميّة، فيما عدا تلك البرامج القليلة الجادة التي يطّل فيها المثقفون والمفكروّن، ويكون فيها للفصحى نصيب أكيد.

وقد عمّق أمر طغيان العاميّة في وسائل الإعلام، لجوء الإذاعات الخاصة، على كثرتها، إلى الترفيه والبرامج الخفيفة، والاستعانة بالمذيعين والمذيعات الذين يكرسّون في برامجهم وحواراتهم مع الجمهور، اللهجات العامية.

إن التساؤلات التي تثار، عندما يذكر دور الإعلام إزاء اللغة العربية في الجانب الإيجابي، تتمثّل بالقدرة التي تملكها وسائل الإعلام على نشر اللغة، وإغنائها بالألفاظ والمفردات والمصطلحات، وتكريس استخدام الفصحى في البرامج والحوارات السياسية والاجتماعية، وهي تمتلك خاصيّة التكرار والتأثير والقدرة على التواصل والتوصيل بطريقة مشوّقة، وكذلك قدرة وسائل الإعلام على إثراء القاموس اللغوي من جديد المفردات والمصطلحات في عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع والتقنيات الحديثة، سواء بواسطة التعريب أو الترجمة أو التّوليد والاشتقاق، ممّا يعطي لوسائل الإعلام دوراً مهماً من هذا القبيل، وقدرة وسائل الإعلام على التعريف بالنتاّجات الأدبية والثقافية،وما تحفل به جماليّات الصورة واللغة والموسيقى، مما يعززّ التذوّق الأدبي والفنيّ، ويجعل للإبداع مكانه المرموق والمؤثّر في حياة الناس.

أما هذا الدور السلبي الذي يرتبط بالأداء الإعلامي، في تعامله مع اللغة، فإنه يتمثّل ميدانياً بما يلحق باستخدامات اللغة العربية في وسائل الإعلام،من أخطاء النطق والنحو، في حالة المواد الإعلامية المقدمة بالفصحى، ومن خطيئة تجاهل الفصحى واعتماد العاميّة كليَّة في وسائل الإعلام.

ولعلّ ما يدفعنا الى التوقف أمام هذا الأداء اللغوي لوسائل الإعلام، ما نراه من أخطاء على ألسنة المذيعين والمذيعات من: أخطاء في قراءة الأعداد والأرقام، وفي نطق الأسماء الأجنبية ، وفي نطق أسماء الأشخاص والبلدان. وما نراه من

سطوة للعامية في الإذاعات الشبابية التي تسمى إذاعات ألـ FM التي تقدم برامجها الحوارية ومنوعاتها وموادّها الترفيهية باللهجة العاميّة. وما نراه من طغيان للعامية في الإعلانات الصحفية والإذاعية والتلفزيونية، التي تكرسّ العامية، وتزداد خطورتها نظراً لتكرارها واتصالها بحاجات الناس من سلع وخدمات،وما نراه من استخدام للعامية ، أو الفصحى المليئة بالأخطاء، وغير الملتزمة بقواعد النحو العربي السليم، في الرسائل الهاتفية القصيرة التي تنشر بكثافة في الأشرطة التلفزيونية المتحركة التي تعرف برسائل S.M.S، والتي تبدو لمن يقرؤها أنها غير خاضعة لأية مراجعة تضبط بها ما تعّج به من أخطاء.

وكذلك الأمر في الحوارات والمحادثات التي تتم عبر شبكة الانترنت، وتكون غالبيتها بالعاميّة،إضافة إلى كتابة هذه اللهجة العامية موضوع الحوار، بالحروف اللاتينية، ناهيك عن كتابة عديد العبارات بواسطة مفردات ورموز واختصارات غير قابلة للفهم.

أما الصحافة المطبوعة، فهي الوسيلة الوحيدة التي ما تزال تحرص على العربية الفصحى، ويحرص كتّاب الأخبار والمقالات فيها، على سلامة القواعِد والتعبير اللغوي الواضح، فيما عدا نسبة قليلة نجدها أحياناً في ضعف الصياغة، والتراكيب اللغوية، تكون ناشئة عن ضعف الإعداد اللغوي والقصور في التدريب لدى بعض المحرريّن، وكذلك ضعف الاهتمام بالمراجعة والتدقيق اللغوي.

وقد جاء الإعلان عن المشروع الوطني لحماية اللغة العربية في سبتمبر ٢٠١١ في العاصمة الأردنية (عمان) مؤكداً على أهمية حماية اللغة العربية تحت شعار (لغتي هويتي). وقد تشكلت لهذا المشروع لجنة برئاسة الدكتور ناصر الدين الأسد بمبادرة من (مركز البيرق الأردني للدراسات والمعلومات) الذي يرأسه (بلال حسن التل) وجاء في بيان الاجتماع الأول للجنة أنها بحثت مبررات إطلاق

المشروع الوطني للدفاع عن اللغة العربية والمتمثلة بالمسؤولية الوطنية والقومية والدينية تجاه اللغة العربية لمواجهة ما تتعرض له اللغة العربية من تهميش يتجسّد في حجم التراجع الذي أصاب استعمالها ومكانتها في المجتمع الأردني. بالإضافة الى تغليب العامية على الفصحى، خاصة في وسائل الإعلام. وأكدّت اللجنة على أن اللغة هي الأداة الرئيسية لبناء أي مشروع حضاري لنهوض الأمة. وأن اللغة هي الحافظة للهوية الوطنية، وهي أداة بناء العواطف والمشاعر والتعبير عنها. وخلصت اللجنة إلى أن حالة التراجع التي تمّر بها اللغة العربية من حيث الاستخدام تستدعي هبّة شعبية ورسمية لإنقاذ لغتنا وهويتنا الوطنية والقومية(١).

وجاء في محاضرة للدكتور ناصر الدين الأسد، إن بين أيدينا ردوداً عملية فعليّة حاضرة وليست كلامية نرّد بها على اتهام الآخرين للغة العربية بالقصور لكن الحقيقية الـي لا بدّ من الاعتراف بها أننا نواجه مشكلة في اتهام اللغة العربية وتقاعسها وعدم قدرتها على القيام بواجبها في ملاحقة علوم العصر وبدأ هذا يتسرب إلى النفوس وبدأنا بكل أسف نحن أنفسنا نكررّ هذه الاتهامات للغة العربية، وأي اتهام من الخارج يمكن أن ننفر منه وأن نستعد للإجابة عليه،إنما حين يصبح هذا الهجوم منا نحن يقوم به نفر من أبناء هذه الأمة، أبناء هذه اللغة فقد أصبحت القضية تستحق أن نتوقف عندها وأن نحاول النظر في معالجتها.

وحول انتشار العامية في وسائل الإعلام العربية، قال الأسد: أنظروا في التلفزة في البلاد العربية قاطبة، وكيف أن السيادة(للهجّات العامية) المختلفة التي تفرقّ بين أبناء الوطن العربي، وهي السائدة في جميع المسرحّيات، في جميع الأغاني،في جميع الندوات، حتى الندوات الفكرية بين المثقفين، يبدأ أحدهم باللغة العربية السليمة الفصيحة، ولكنه لا يكاد ينطلق حتى يعوج لسانه ويمضي باللهجة المحلية العامية(٢).

وقال(نهاد الموسى) في دراسة حول (الأخطاء المعجمية والصرفية والنحوية في وسائل الإعلام):إن رجع النظر في المشهد الإعلامي يفضي بنا إلى مستويات لغوية شديدة التباين، فإذا جهدنا في ضبطها ميزّنا ثلاثة مستويات رئيسة كبرى، مستوى العربية الفصحى (أو الفصيحة) فيما نقرأ في الصحف وما نسمع في الإذاعة والتلفزة من نماذج البيان(قرآناً وحديثاً وشعراً وقصة وأخباراً وتعليقات ومقالة ومسلسلات تاريخية ومترجمة)، ومستوى العربية الوسطى المتمثل في مواقف المشافهة بين المتعلمين والمثقفين في وجوه الخطاب السياسي والاقتصادي والثقافي،ومستوى اللهجات المحكّية المتمثل في مقابلات العامة والمسلسلات العاميّة.

وإنما نقصد هنا الى المستوى الأول وهو المستوى المتخذ في المكتوب لأنه المستوى الذي يتخذ له الناس نموذج العربية الفصحى حين يقرأون أو يكتبون. أما المستويان الآخران فيفارقان ما نحن فيه لأن كلاً منهما يشبه أن يكون نظاماً لغوياً قائماً بذاته. فعلى الرغم من وجوه الشبه بين العربية الفصحى والعربية الوسطى تظل العربية الوسطى تفارق الفصحى في أنها غير معربة على العموم، وعلى الرغم من مظاهر العلاقة بين العربية الفصحى واللهجات المحكيّة تظل العاميات تفارق الفصحى في أنها غير معربة، وأن أبنيتها الصرفيّة في الغالب تغاير جزئياً أبنية الفصحى، وأن معجمها ينطوي على ألفاظ خاصة غريبة تكاد مفهوماتها وظلال دلالاتها تنحصر في محيطها الاجتماعي المحدود.(٣)

وهذه العاميات، أمرها يثير المخاوف، كما يقول(نور الدين بليبل) ويؤرق الغيارى على العربية العريقة، ويقلق كلّ من يستشرف بتدّبر وأناة آثارها المفزعة في المستقبل، ذلك أن اللهجات العربية بتنوعها تبدو بحق كأنها حرب معلنة على العربية الفصحى من محطات التلفزة. وخطر هذه اللهجات يجيء من كونها تتعدى المظاهر الصوتية، إذ تتضمن كلمات أجنبية دخيلة ومصطلحات ومسميات مرتجلة

بغير خبرة بخصائص اللغة العربية، يسوقها معدون أو مذيعون على نحو مغرق في التسرع ومراعاة الشائع محلياً، أو في مراعاة أذواق الناطقين بها وحدهم، وأحياناً يمعنون في المحلية فيتحدثون بلهجة منطقة بعينها من هذا القطر أو ذاك، وأحياناً تبدو اللهجة متأثرة ببقايا اللغة التي كانت رائجة على السنة المستعمرين، ممّن كان لهم وجود في كثير من مناطق الوطن العربي قديماً وحديثاً، أو تبدو متأثرة بألفاظ سقيمة لا مكان لها في مستويات الفصاحة المرتضاة.(٤)

ويقول(وديع فلسطين) إنه ليس ثمة ما يدعى (اللغة العامية) فالعامية ليست لغة بين اللغات، بل هي لهجات جرت على الألسنة مجرىً غير مرهون بقاعدة أو بمنهاج، فجاءت عفو الخاطر والبديهة. فالقول إذاً بأن هناك "لغة" عامية تصاول اللغة الفصحى وتطاولها قولُ فيه كثيرٌ من التجوزّ، لأن اللغة الوحيدة التي تعرفها الضاد هي اللغة التقليدية النظامية الفصحى. والعامية لهجات لا ضابط لها ولا صلة بينها، وهي بغير ماضٍ أدبي عريق أو غير عريق. والتفاهم بالعامية بين أقطار العروبة متعذر(٥)

وتجب الإشارة إلى أن أقسام وكليات الصحافة والإعلام في عدد من الجامعات العربية وكذلك مجامع اللغة العربية في بعض البلدان العربية استشعرت أهمية بحث مسألة اللغة والإعلام ودور هذه الكليات المعنيّة بالتأهيل الإعلامي في تعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى والاهتمام بتمكين الجيل الجديد من الإعلاميين من تعلّم اللغة واكتساب مهارات الكتابة السليمة بها. ومن ذلك ندوة جامعة البترا حول اللغة العربية ووسائل الإعلام، والندوة المشتركة التي عقدها منتدى الفكر العربي ومجمع اللغة العربية الأردني بعنوان: اللغة العربية والإعلام وكتاّب النص، والمؤتمر الذي عقدته كلية الإعلام بجامعة القاهرة حول العلاقة بين الإعلام واللغة العربية ....الخ.

علماً بأن مناهج كليات الإعلام تتعرض أحياناً للنقد لجهة ضعف الاهتمام بتدريس اللغة العربية في مناهجها.

الدراسات السابقة:

دراسة (تيسير أبو عرجه)(٢٠٠٢)

بعنوان (الثقافة العربية وتقانة الإعلام الجديد) وقد توصلت الدراسة إلى أن التقانة المتطورة أتاحت للعاملين في حقول الثقافة والإعلام فرصاً واسعة للحصول على المعلومات، وإثراء القاموس اللغوي بالمفردات والمصطلحات التي تغطي مناحي التطور في مختلف فروع النشاط الإنساني،بما يعنيه ذلك من زيادة في المعرفة وتوسيع لحقول الدلالة وقدرة على فكّ الرموز الاتصالية، وانتفاع بالتدفق الإعلامي من بقاع الأرض الواسعة، وتضخم كم المعلومات التي يتم استقبالها، وثراء الأفكار التي يتيحها الاطلاع على الثقافات المغايرة.(٦)

دراسة (سالم المعوش)(٢٠٠٣)

بعنوان (اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان- دراسة تحليليّة ونقد)

وقد ناقشت الدراسة وضع اللغة العربية في الإعلام اللبناني، مبينة أن التراث الاتصالي للبنان ولّدَ ثروة كبيرة في مجال الثقافة، ظهرت اللغة فيها ميداناً رحباً للاتجاهات التي تميز بعضها بالجدّية والبعض الآخر بالعبث. وهذا التراث الاتصالي أسفر في الحقبة الأخيرة عن نمط من التعاطي اللغوي، ذهب بعيداً في أدائه الإعلامي إلى حد انهارت معه بعض الثوابت اللغوية، وحصل انزياح في هذا الأداء باتجاه تراجعي،يتنكب أساليب قديمة- جديدة مقصودة بغية تيسير إيصال الحقائق الى الناس في أسرع وقت ممكن. وكانت النتيجة أن انبثق تيار جديد في مجال الاتصال يخرج من اللغة الفصحى الأصلية الى اشتقاق أخرى بديلة، تحاول أن تتطبع في دنيا قائمة بذاتها لا سيما في التعبير الشفوي.

وتوصلت الدراسة الى عدد من النتائج أهمها :

أولاً : القلق الكبير الذي يساور الناس على مستقبل اللغة العربية في الإعلام المرئي والمسموع.

ثانياً : نجاح الإذاعات في توطين النفس اللبنانية على أسلوب معين من الأداء اللغوي وهو أخطر أنواع التأثيرات.

ثالثاً : عدم اهتمام المسؤولين الرسميين بهذا " الفلتان" اللغوي والتسيب الإعلامي، الأمر الذي ترك الحبل على غاربه من دون رقابة وتوجيه وعناية باللغة القومية المقدسة.

رابعاً : تراجع قسم كبير من المواطنين عن الاهتمام بلغتهم الأم وانسياقهم وراء تلفيقات الإعلام وحبائله في جرّ المواطن الى متاهات الاستهلاك وسهولة المتناول، والتركيز على المتعة دون الفائدة، والهرب من الالتزام بأكثر المقوّمات أهمية وهي اللغة.(٧)

دراسة (تيسير أبو عرجه)(٢٠٠٥)

بعنوان: لغة الإعلام بين متطلبات الرسالة والوسيلة والجمهور).

وقد تركزت الدراسة في بحث كيفية إيجاد اللغة المناسبة لوسائل الإعلام في تطورها وتعدّد وسائلها، والدور الذي قامت به الصحافة العربية في الانتقال من أساليب التعبير اللغوية المعقدة الى الأسلوب الصحفي التلغرافي الذي يقترب من لغة المشافهة. وكيف تؤثر التكنولوجيا التي طورّت أداء الوسائل الإعلامية على لغة الإعلام؛ وما هي اللغة الإعلامية المناسبة لهذه الوسائل وتوصلت الدراسة الى أن هناك صناعة اتصالية تتركز في إنشاء القنوات والمحطات الإذاعية والتلفزيونية العديدة التي تهتم بالترفيه، وتستخدم تكنولوجيا متقدمة في الصوت والصورة. وتهدف الى الربح المادي والحصول على المداخيل الإعلانية، دون أن يكون لها رسالة

ثقافية، وتنزلق باللغة العربية الى العامية بأساليب من اللفظ والقول غير المستساغة، والقلق الذي يعتري المعنيين حول طبيعة اللغة المناسبة لوسائل الإعلام، في هذا البث المتواصل، الذي يخضع لعوامل السرعة والمنافسة، وخصوصاً الضعف اللغوي لدى مقدمي البرامج والمذيعين والمتحدثين. بما يحمل معاني الإساءة إلى اللغة العربية الفصحى، بصفتها الدعامة الأساسية للهوية الثقافية، والوحدة الثقافية للأمة، والحرص الذي يبديه الغيورون على اللغة العربية من المثقفين، الذي يرفعون أصواتهم مطالبين بإثراء القاموس اللغوي العربي بالجديد اليومي من المفردات والمصطلحات، التي يمكن إضافتها الى الرصيد اللغوي، وتكون معبّرة عن جديد العصر في مختلف نواحي النشاط والتقدم.(٨)

دراسة (أيمن محمد عبد القادر الشيخ)(٢٠٠٨)

بعنوان (اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية).

تناول فيها الباحث مفهوم اللغة وسماتها ووظائفها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، والمحطات التاريخية التي صاحبت تطور وسائل الإعلام المرئية وعلاقتها بتطور البث الفضائي المرئي، بالإضافة الى أبرز خصائصها.

وقد توصل البحث الى ضرورة إجراء العديد من الدراسات في إمكانية توظيف اللغة العربية من جميع جوانبها، وأن نوظّف البرامج التلفزيونية في وسائل إعلامنا بما يتلاءم وطبيعة هذه البرامج واللغة التي يمكن أن توظف بها فضلاً عن التدريب العملي المنتظم للإعلاميّين وهذا من شأنه أن يساهم في التنمية اللغوية. وتأخذ وسائل إعلامنا المرئيّة الريادّة في الاتصال الدولي عبر التمسك باللغة العربية ثقافياً ومنهجياً وسلوكياً وحضارياً(٩).

التعليق على الدراسات السابقة وحدود الاستفادة منها:

تمت الاستفادة من الدراسات السابقة في إعداد الاستبانة والمحاور التي تضمنتها والأسئلة التي تنتمي لهذه المحاور، وتحاول الدراسة الحالية، وهي ميدانية، أن تنهج طريقاً مغايراً لما تبنته الدراسات السابقة في الحصول على إجابات لأسئلتها من عيّنة من الشباب الجامعي الدارسين للصحافة والإعلام، الذين يعدوّن أنفسهم للعمل في وسائل الاعلام، وفي كافة فروع المهنة الإعلامية،وفي كل من الصحافة المطبوعة والالكترونية، والإذاعة المسموعة والوسائل السمعية البصرية، ومحاولة معرفة موقفهم من الاستخدامات اللغوية في وسائل الإعلام، ومدى تمسكهم بأهمية استخدام اللغة العربية الفصحى، أو الميل إلى العامية بشكل كامل أو جزئي، أو حسب نوعية البرامج والمواد الإعلامية.

مشكلة الدراسة :

تتمحور مشكلة الدراسة حول الانتشار الكبير للهجات العامية في وسائل الإعلام، وضعف استخدام اللغة العربية الفصحى، وخصوصاً في المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية، التي تحقق معدلاّت عالية من الاستماع والمشاهدة، لما تتصف به من سهولة الاستخدام، ناهيك عن القدرات التأثيرية لهذه الوسائل وهي تقدم الأخبار والنصوص الإعلامية من خلال الصوت والصورة.

إن الصوت الإذاعي يقدم للغّة إمكانية توصيلها الى آذان المستمعين بما يسمح لها من إمكانيات تأثيرية تمكنها من النفاذ الى أذن المستمع وذهنه، من هنا كانت أهمية الإلقاء الإذاعي المقنع المتمكن من اللغة الفصحى وقواعدها، وعدم الخطأ في هذه القواعد، لأن الخطأ المحمول على الصوت وعبر الأثير يكون وقعه مؤثراً، وقد يصبح متداولاً، وخصوصاً على السنة الناشئة غير المتمكنين من قواعد اللغة، أو أولئك الذين لم يتعلموا قواعد اللغة، ويتعرفون عليها من خلال الاستماع الإذاعي والتلفزيوني.

ونحن نعلم أن تزايد الوسائل الإعلامية، فرض تقديم مضامين إعلامية يغلب عليها طابع السرعة والتنافس، الأمر الذي قاد الى استخدام مكثف للهجّات العامية، ولكن هذه العامية التي قد يصّح استخدامها في بعض البرامج والحوارات، وخصوصاً مع الناس البسطاء وغير المتعلمين، فإن هناك خطورة في استخدامها بهذا الشكل الموسع الذي نراه حالياً على ألسنة الفئات المثقفة وفي البرامج الحوارية التي تستضيف المثقفين والمفكرين، ناهيك عن قيام بعض المحطات و القنوات الإذاعية والتلفزيونية بتقديم الأخبار بالعامية، وهي التي تستوجب الحرص على أن تقدم باللسان العربي الفصيح.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى التعرف على موقف طلبة الصحافة والإعلام في جامعة البترا من المستوى اللغوي الذي تقدم به المواد الإعلامية المختلفة في وسائل الإعلام، وما هو رأي هؤلاء الطلبة باستخدام العامية في ما تقدمه وسائل الإعلام من برامج ومواد إعلامية، وكيف يقيم الطلبة الأداء اللغوي لوسائل الإعلام، وما الدور المطلوب من هذه الوسائل في تعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى، إضافة الى دور الجامعات وأقسام وكليات الإعلام فيها التي تعنى بإعداد الإعلاميين وتأهيلهم.

أهمية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تقدم إسهاماً علمياً ميدانياً حول تقييم الأداء اللغوي لوسائل الإعلام من خلال ما تقدم من مواد إخبارية وإعلامية منوعة، وبيان المستوى اللغوي المناسب لهذه المحتويات الإخبارية والبرامجية كافة، والدور المطلوب من وسائل الإعلام في تعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى، خصوصاً مع بروز الدعوات التي تصدر عن جهات علمية وإعلامية وفكرية محذرّة من خطورة التراجع في استخدام اللغة العربية الفصحى، والميل الى الاستخدام المكثف للهجّات العامية في وسائل الإعلام، وخصوصاً الوسائل السمعية، والسمعية البصرية وحوارات الانترنت.

أسئلة الدراسة

يتركز سؤال الدراسة الرئيسي في تقييم الأداء اللغوي لوسائل الإعلام والمستوى اللغوي لوسائل الإعلام والمستوى اللغوي المناسب للمواد الإعلامية ودور وسائل الإعلام في تعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى في مواجهة الانتشار الكبير للهجات العامية. ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

١- ما المستوى اللغوي المناسب للمواد الإعلامية التي يبثها الراديو والتلفزيون؟ هل هو العربية الفصحى،أم العامية، أم كلاهما معاً؟

٢- ما أكثر الأخطاء الشائعة التي تحدث على ألسنة الإذاعيين في الراديو والتلفزيون؟

٣- ما تقييم المستوى اللغوي الذي تقدم به مواد إذاعات ألـ F.M؟

٤- ما تقييم المستوى اللغوي لبرامج الأطفال في الراديو والتلفزيون؟

٥- ما تقييم المستوى اللغوي للإعلانات الإذاعية والتلفزيونية و الصحفية؟

٦- ما تقييم المستوى اللغوي للرسائل الهاتفية القصيرة في الأشرطة التلفزيونية المتحركة(S.M.S)؟

٧- ما تقييم المستوى اللغوي لحوارات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي؟

٨- ما تقييم المستوى اللغوي في الصحافة المطبوعة؟

٩- ما دور كليات الإعلام وأقسام الصحافة والإعلام في الجامعات في الإعداد اللغوي المناسب للإعلاميين؟

١٠- ما دور المؤسسّات الإعلامية في ترقية الأداء اللغوي للإذاعييّن؟

منهج الدراسة وإجراءاتها :

تم اللجوء الى منهج المسح في السعي الى الحصول على إجابات أفراد العينة على أسئلة الاستبانة المصمّمة لهذا الغرض.

ويعتبر منهج المسح Survey من أنسب المناهج العلمية ملاءمة للدراسات الوصفية بصفة عامة، وتلك التي تستهدف وصف بناء وتركيب جمهور وسائل الإعلام وأنماط سلوكه بصفة خاصة، ذلك أن هذا المنهج يستهدف تسجيل وتحليل وتفسير الظاهرة في وضعها الراهن، بعد جمع البيانات اللازمة والكافية عنها وعن

عناصرها من خلال مجموعة من الإجراءات المنظمة التي تحدّد نوع البيانات، ومصدرها وطرق الحصول عليها(١٠).

تم اختيار العينة من طلبة قسم الصحافة والإعلام بكلية الآداب والعلوم بجامعة البترا في الفصل الدراسي الأول ٢٠١١/٢٠١٢، وقد تم توزيع الاستبانة في شهر ديسمبر، وكان هناك حرص على أن تشمل العينة ٥٠% من عدد الطلبة المسجلين في القسم في ذلك الفصل وهم ٤٥٠ طالباً وطالبة في كافة السنوات الدراسية الأربع إضافة إلى عدد محدود جداً من طلبة برنامج الماجستير الذي كان حديث النشأة وفيه عدد لا يزيد عن ستة من الطلبة، لذلك تم توزيع ٢٢٥ استبانه وزعت بطريقة عشوائية على الطلبة داخل المحاضرات على مدى يومين، وجرى استبعاد خمس منها لعدم صلاحيتها للتحليل.

وقد تم اللجؤ الى استخدام البرنامج الإحصائي(SPSS) بهدف تحليل ومعالجة البيانات الإحصائية للإجابات، بما فيها المتغيرات المتضمنة في البيانات الشخصية والخصائص الديموغرافية للعينة المبحوثة. وقد بيّن التحليل الإحصائي وتم توظيفه للتوصل الى حساب التكرارات والنسب المئوية. التي تبيّن لنا حساب تكرارات المتغيرات الواردة في الجداول الإحصائية ودرجة الموافقة عليها.

مناقشة نتائج الدراسة :

الجدول رقم(١)

الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة من طلبة قسم الصحافة والإعلام

الخصائص الديموغرافية		التكرار	النسبة المئوية
النوع	ذكر	١٠٧	٤٨.٦
	أنثى	١١٣	٥١.٤
	المجموع	٢٢٠	%١٠٠
العمر	أقل من ٢٢	٧٩	٣٥.٩
	من ٢٢- أقل من ٢٦	١١٩	٥٤.١
	من ٢٦-أقل من ٢٩	١٣	٥.٩٠
	من٢٩- فأكثر	٩	٤.١
	المجموع	٢٢٠	%١٠٠
المستوى الدراسي الجامعي	السنة الأولى	٤٤	٢٠
	السنة الثانية	٣٦	١٦.٤
	السنة الثالثة	٣٥	١٥.٩
	السنة الرابعة	١٠٢	٤٦.٤
	الماجستير	٣	١.٤
	المجموع	٢٢٠	%١٠٠
مكان الإقامة	العاصمة	١٩٥	٨٨.٦
	المحافظات	٢٥	١١.٤
	المجموع	٢٢٠	%١٠٠
نوع التعليم الثانوي	حكومي	١٣٣	٦٠.٥
	خاص	٨٧	٣٩.٥
	المجموع	٢٢٠	%١٠٠

يتضح من الجدول الأول الذي يتضمن الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة من طلبة قسم الصحافة والإعلام بجامعة البترا، أن عدد الإناث في العينة أعلى قليلاً من عدد الذكور بفارق حوالي ٣%.

أما سن الطلبة المشاركين في العينة فقد تركزت النسبة الأعلى وهي ٥٤.١% للعمر ما بين ٢٢ سنة إلى أقل من ٢٦سنة تليها نسبة أقل من ٢٢ سنة وهي ٣٥.٩% وكانت النسبة الأقل لفئة العمر من ٢٩ سنة فأكثر وهي ٤.١%.

ويتضح من توزيع العينة على سنوات الدراسة، أن فئة السنة الرابعة حظيت بالنسبة الأعلى وهي ٤٦.٤%، تلتها في النسبة السنة الأولى وهي ٢٠%،فالسنة الثانية والثالثة بنسبة متقاربة، وجاءت النسبة الأقل لطلبة الماجستير وهي ١.٤%. أما متغير مكان الإقامة فكانت النسبة الأعلى للعاصمة وهي ٨٨.٦ بينما جاءت نسبة المحافظات ١١.٤%.

وفيما يتصل بمتغير التعليم الثانوي، فإن النسبة الأعلى جاءت للتعليم الحكومي وهي ٦٠.٥% بينما شكلت نسبة التعليم الثانوي في المدارس الخاصة نسبة ٣٩.٥%.

الجدول رقم (٢)

المستوى اللغوي المناسب للمواد الإعلامية في الراديو والتلفزيون

المادة الإعلامية	المستوى اللغوي المناسب						المجموع
	الفصحى		العامية		الفصحى والعامية		
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	
١-الأخبار والتقارير الإخبارية	١٧٧	٨٠.٥	١١	٥.٠	٣٢	١٤.٥	٢٢٠
٢-الدراما الإذاعية والتلفازية	١٠	٤.٥	١١١	٥٠.٥	٩٨	٤٤.٥	٢٢٠
٣-حوارات المندوبين مع الجمهور العام	٣٥	١٥.٩	٨٥	٣٨.٦	١٠٠	٤٥.٥	٢٢٠
٤-البرامج الثقافية والأدبية	١٥٧	٧١.٤	٦	٢.٧	٥٧	٢٥.٩	٢٢٠
٥-البرامج العلمية	١٦٥	٧٥.٠	١٢	٥.٥	٤٠	١٨.٢	٢٢٠
٦-البرامج الدينية	١١٩	٥٤.١	١٥	٦.٨	٨٦	٣٩.١	٢٢٠
٧-البرامج الاجتماعية وبرامج المنوعات	١٤	٦.٤	١١٧	٥٣.٢	٨٩	٤٠.٥	٢٢٠
٨-البرامج الرياضية	٣٧	١٦.٨	٨٧	٣٩.٥	٩٥	٤٣.١	٢٢٠
٩-برامج المسابقات	١٣	٥.٩	١٤٠	٦٣.٦	٦٦	٣٠.٠	٢٢٠

يتضح من الجدول أن المستوى المناسب للأخبار والتقارير الإخبارية هو اللغة الفصحى بنسبة ٨٠.٥%، بينما اختارت العامية نسبة٥%، واختارت الفصحى والعامية معاً نسبة ١٤.٥%.

واختارت العينة للدراما الإذاعية والتلفزيونية استخدام العامية النسبة الأعلى وهي ٥٠.٥%، بينما جاءت نسبة الفصحى لا تزيد عن ٤.٥% لهذه المواد، وحصلت الفصحى والعامية معاً على نسبة ٤٤.٥%.

وكذلك الأمر حصلت حوارات المندوبين مع الجمهور العام على أعلى نسبة للفصحى والعامية معاً وهي ٤٥.٥%، بينما حصلت العامية على النسبة التالية في الأهمية وهي ٣٨.٦%، وكانت النسبة الأقل للفصحى وهي ١٥.٩%.

وحصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج الثقافية والأدبية وهي ٧١.٤%، تلتها في الأهمية الفصحى والعامية معاً بنسبة ٢٥.٩%، بينما حصلت العامية على النسبة الأقل وهي ٢.٧%.

وحصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج العلمية وهي ٧٥.٠%،بينما جاءت الفصحى والعامية معاً في المرتبة الثانية بنسبة ١٨.٢%، وكانت النسبة الأقل للعامية وهي ٥.٥%.

وحصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج الدينية وهي ٥٤.١%، تلتها في النسبة الفصحى والعامية معاً وهي ٣٩.١%، بينما حصلت العامية على النسبة الأقل وهي ٦.٨%.

وحصلت العامية على النسبة الأعلى للبرامج الاجتماعية والمنوعات وهي ٥٣.٣%، تلتها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٠.٥%، وكانت النسبة الأقل للفصحى وهي ٦.٤%.

وحصلت الفصحى والعامية معاً على النسبة الأعلى للبرامج الرياضية وهي ٤٣.١%، تلتها العامية بنسبة ٣٩.٥%، وكانت النسبة الأقل للفصحى وهي ١٦.٨%.

أما برامج المسابقات فكانت النسبة الأعلى فيها للعامية وهي ٦٣.٦% تلتها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٣٠.٠%، وكانت النسبة الأقل للفصحى وهي ٥.٩%.

الجدول رقم (٣)

الأخطاء الشائعة على ألسنة المذيعين في الراديو والتلفزيون

المتغير	درجة الموافقة										
الأخطاء الشائعة في المواد الإعلامية	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا أعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- الأخطاء النحوية	٥٨	٢٦.٤	١١٤	٥١.٨	١٠	٤.٥	٢١	٩.٥	١٧	٧.٧	٢٢٠
٢- أخطاء النطق السليم	٣٢	١٤.٥	١٠٦	٤٨.٢	٣٢	١٤.٥	٤٠	١٨.٢	١٠	٤.٥	٢٢٠
٣- أخطاء في قراءة الأعداد والأرقام	٤٠	١٨.٢	٩٢	٤١.٨	٤١	١٨.٦	٣٣	١٥.٠	١٤	٦.٤	٢٢٠
٤- أخطاء في نطق الأسماء الأجنبية	٥٧	٢٥.٩	٧٧	٣٥.٠	٣٦	١٦.٤	٤٠	١٨.٢	١٠	٤.٥	٢٢٠
٥- أخطاء في نطق أسماء الأشخاص والبلدان	٢٨	١٢.٧	٧٢	٣٢.٧	٦٨	٣٠.٩	٤٥	٢٠.٥	٧	٣.٢	٢٢٠
٦- أخطاء في تقديم وتأخير الجُمل مما يحرفَ المعنى عن موضعه الصحيح	٤١	١٨.٦	٦٩	٣١.٤	٤٤	٢٠.٠	٣٩	١٧.٧	٢٧	١٢.٣	٢٢٠

حصلت الأخطاء النحوية على ٢٦.٤% وأخطاء في نطق الأسماء الأجنبية على ٢٥.٩% وهما أعلى نسبتين في فئة موافق بشدة، وحصلت الأخطاء النحوية على ٥١.٨% وأخطاء النطق السليم على ٤٨.٢% وهما أعلى نسبتين في فئة موافق، وحصلت الأخطاء في قراءة الأعداد والأرقام على المستوى الثالث في فئة موافق بشدة وهي ١٨.٢% وموافق بنسبة ٤١.٨%.

وكانت أعلى النسب في فئة (محايد) لـ أخطاء في نطق أسماء الأشخاص والبلدان، تلتها أخطاء في النطق السليم، وأخطاء في نطق الأسماء الأجنبية. وكانت

النسبة الأعلى في درجة غير موافق لأخطاء في نطق أسماء البلدان والأشخاص، والنسبة الأقل في هذه الدرجة لفئة الأخطاء النحوية.

أما درجة لا أعلم فكانت النسبة الأعلى فيها لفئة أخطاء في تقديم وتأخير الجُمل مما يحّرف المعنى عن موضعه الصحيح، والنسبة الأقل فيها لـ أخطاء في نطق أسماء الأشخاص والبلدان.

الجدول رقم (٤)

تقييم المستوى اللغوي الذي تقدم به مواد إذاعات F.M

المتغير	درجة الموافقة										
المستوى اللغوي للمواد الإذاعية	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا أعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- تقدم هذه الإذاعات موادها البرامجهية باللهجة العامية	٧٨	٣٥.٥	٩٩	٤٥.٠	٢١	٩.٥	١٥	٦.٨	٧	٣.٢	٢٢٠
٢- تهتم بتقديم الأخبار باللغة العربية الفصحى	٦٦	٣٠.٠	٧٦	٣٤.٥	٤٨	٢١.٨	٢٣	١٠.٥	٧	٣.٢	٢٢٠
٣- تقدم برامجها الحوارية والمنوعات باللهجة العامية	٦٢	٢٨.١	٩٥	٤٣.١	٢٨	١٢.٧	٢٨	١٢.٧	٧	٣.٠	٢٢٠
٤- يتم التركيز على العامية بحجة أن هذه الإذاعات شبابية	٨٥	٣٨.٦	٧٦	٣٤.٥	٣٥	١٥.٩	١٦	٧.٣	٨	٣.٦	٢٢٠
٥- بإمكان هذه الإذاعات تنمية الاهتمام باللغة العربية الفصحى لدى الشباب	٨٩	٤٠.٥	٧٧	٣٥.٠	٣٢	١٤.٥	١٥	٦.٨	٧	٣.٢	٢٢٠
٦- تستطيع هذه الإذاعات تكريس الفصحى إلى جانب الجهد المطلوب من المدارس والجامعات	٩٥	٤٣.٢	٧٤	٣٣.٦	٢١	٩.٥	٢٠	٩.١	١٠	٤.٥	٢٢٠

تركزت درجة الموافق بشدة في نسبتها الأعلى وهي ٤٣.٢% لفئة "تستطيع هذه الإذاعات تكريس الفصحى الى جانب الجهد المطلوب من المدارس والجامعات" تليها بنسبة ٤٠.٥% ، فئة"بإمكان هذه الإذاعات تنمية الاهتمام باللغة العربية الفصحى لدى الشباب".

وتركزت درجة موافق في نسبتها الأعلى وهي ٤٥.٠% في فئة " تقدم هذه الإذاعات موادها البرامجية باللهجة العامية" تليها بنسبة ٤٣.١%،فئة" تقدم برامجها الحوارية والمنوعات باللهجة العامية".

وكانت النسبة الأعلى في درجة غير موافق وهي ٢١.٨% لفئة " تهتم بتقديم الأخبار باللغة العربية الفصحى". وجاءت أعلى نسبة في درجة محايد وهي ١٢.٧% لفئة "تقدم برامجها الحوارية والمنوعات باللهجة العامية" أما فئة لا أعلم فكانت أعلى نسبة فيها وهي ٤.٥% لفئة "تستطيع هذه الإذاعات تكريس الفصحى إلى جانب الجهد المطلوب من المدارس والجامعات".

الجدول رقم (٥)

تقييم المستوى اللغوي لبرامج الأطفال في الراديو والتلفزيون

المتغير	درجة الموافقه										
المستوى اللغوي لبرامج الاطفال	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا اعلم		المجموع
	التكرار	النسبه	التكرار	النسبه	التكرار	النسبه	التكرار	النسبه	التكرار	النسبه	
١- برامج الأطفال حقل تربوي مهم لتعليم اللغة الفصحى	١٥٣	٦٩.٥	٤٤	٢٠.٠	١٦	٧.٣	٥	٢.٣	٢	٠.٩	٢٢٠
٢- تتيح هذه البرامج الفرصة للأطفال للتحدث بالفصحى في سن مبكرة	١٢٠	٥٤.٥	٦٦	٣٠.٠	٢٠	٩.١	١٠	٤.٥	٤	١.٨	٢٢٠
٣- تستطيع هذه البرامج غرس اهمية اللغة الفصحى لدى الأطفال لكي ينشاوا وهم يحبونها	١١٩	٥٤.١	٦٤	٢٩.١	٢٢	١٠.٠	١٢	٥.٥	٣	١.٤	٢٢٠
٤- تستطيع هذه البرامج تقديم الحوافز والمكافآت للأطفال المبدعين في قراءة القرآن الكريم والقصائد الشعرية	١٢٢	٥٥.٥	٦٧	٣٠.٥	١٧	٧.٧	١١	٥.٠	٣	١.٤	٢٢٠
٥- تستطيع هذه البرامج البث الميداني من المدارس للتحفيز على تشجيع المواهب والمبدعين والمتحدثين باللغة الفصحى	٩٨	٤٤.٥	٧٩	٣٥.٩	٢٢	١٠	١٣	٥.٩	٨	٣.٦	٢٢٠
٦- تفشل هذه البرامج بسبب ضعف الإعداد والتقديم والتركيز على شريحة واحدة معينة من الأطفال	٧٣	٣٣.٢	٦٨	٣٠.٩	٢٨	١٢.٧	٣٠	١٣.٦	٢١	٩.٥	٢٢٠

كانت أعلى نسبة وهي ٦٩.٥% لدرجة موافق بشدة لمتغير (برامج الأطفال حقل تربوي مهم لتعليم اللغة الفصحى)، بينما كانت النسبة الأقل لدرجة موافق بشدة وهي ٣٢.٢% لمتغير(تفشل هذه البرامج بسبب ضعف الاعداد والتقديم والتركيز على شريحة واحدة معينة من الأطفال). وجاءت أعلى نسبة لدرجة موافق وهي ٣٥.٩% لمتغير (تستطيع هذه البرامج البث الميداني من المدارس للتحفيز على تشجيع المواهب والمبدعين والمتحدثين باللغة الفصحى). والنسبة الأقل لدرجة موافق وهي ٢٠% لمتغير (برامج الأطفال حقل تربوي مهم لتعليم اللغة الفصحى). وكانت النسبة الأقل لدرجة غير موافق وهي ٧.٣% للمتغير السابق ذكره، وجاءت أعلى نسبة لدرجة محايد وهي ١٣.٦% لمتغير (تفشل هذه البرامج بسبب ضعف الإعداد والتقديم .... الخ). أما درجة لا أعلم فكانت النسبة الأعلى فيها وهي ٩.٥% لمتغير (تفشل هذه البرامج بسبب ضعف الإعداد والتقديم ... الخ). وكانت أقل نسبة في درجة لا أعلم وهي ٠.٠٩% لمتغير (برامج الأطفال حقل تربوي مهم لتعليم اللغة الفصحى).

الجدول رقم (٦)

تقييم المستوى اللغوي للإعلانات الإذاعية والتلفزيونية والصحفية

المتغير	درجة الموافقة										
المستوى اللغوي للإعلانات	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا أعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- تقدم غالبية الإعلانات باللهجة المحلية	٨٥	٣٨.٦	٨٧	٣٩.٥	٣١	١٤.١	١٦	٧.٣	١	٠.٥	٢٢٠
٢- تساهم لغة الإعلان بتكريس اللهجة العامية نظراً لتكرارها واتصالها بحاجات الناس	٩٥	٤٣.٢	٨٤	٣٨.٢	٢٣	١٠.٥	١٥	٦.٨	٣	١.٤	٢٢٠
٣- تستطيع القنوات الإذاعية والتلفزيونية اشتراط استخدام اللغة الفصحى في الإعلانات	٥٧	٢٥.٩	٦٩	٣١.٤	٥٤	٢٤.٥	٣٠	١٣.٦	١٠	٤.٥	٢٢٠
٤- تستخدم الإعلانات الكثير من الكلمات الأجنبية	٦٣	٢٨.٦	٨٤	٣٨.٢	٣٩	١٧.٧	٢٨	١٢.٧	٦	٢.٧	٢٢٠
٥- تؤثر الإعلانات على الحصيلة اللغوية للأطفال نظراً لتكرارها وإخراجها الفني	٩٣	٤٢.٣	٨٩	٤٠.٥	١٦	٧.٣	١٦	٧.٣	٦	٢.٧	٢٢٠
٦- يعتقد المعلنون أن العامية أكثر قدرة من الفصحى على ترويج السلع المعلن عنها	١٠٤	٤٧.٣	٧٠	٣١.٨	٢٤	١٠.٩	١٣	٥.٩	٩	٤.١	٢٢٠

تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق بشدة وهي ٤٧.٣% على متغير (يعتقد المعلنون أن العامية أكثر قدرة من الفصحى على ترويج السلع المعلن عنها) تلاها في ذلك بنسبة ٤٣.٢% المتغير الذي يقول (تساهم لغة الإعلان بتكريس اللهجة العامية نظراً لتكرارها واتصالها بحاجات الناس).

أما النسبة الأقل في درجة موافق بشدة، فكانت ٢٥.٩% لمتغير (تستطيع القنوات الإذاعية والتلفزيونية اشتراط استخدام اللغة الفصحى في الإعلانات). وكانت أعلى نسبة في درجة موافق وهي ٤٠.٥% لمتغير (تؤثر الإعلانات على الحصيلة اللغوية للأطفال نظراً لتكرارها وإخراجها الفني). يليها بنسبة ٣٩.٥% متغير (تقدم غالبية الإعلانات باللهجة المحلية). وتحققت أعلى نسبة لدرجة غير موافق وهي ٢٤.٥% لمتغير (تستطيع القنوات الإذاعية والتلفزيونية اشتراط استخدام اللغة الفصحى في الإعلانات).

تقييم الأداء اللغوي لوسائل الإعلام ودور هذه الوسائل في استخدام اللغة العربية الفصحى
مجلة آداب الفراهيدي
أ.د. تيسير أبو عرجة
العدد (١٣) كانون الأول ٢٠١٢

وجاءت أقل نسبة في درجة غير موافق وهي ٧.٣% لمتغير (تؤثر الإعلانات على الحصيلة اللغوية للأطفال نظراً لتكرارها وإخراجها الفني). وكانت أعلى نسبة في درجة محايد وهي ١٣.٦% لمتغير (تستطيع القنوات الإذاعية والتلفزيونية اشتراط استخدام اللغة الفصحى في الإعلانات). أما درجة لا أعلم فكانت أعلى نسبة فيها وهي ٤.٥% للمتغير السابق ذكره. وأقل نسبة فيها وهي ٠.٥% لمتغير (تقدم غالبية الإعلانات باللهجة المحلية).

الجدول رقم (٧)

تقييم المستوى اللغوي للرسائل الهاتفية القصيرة في الأشرطة التلفزيونية المتحركة

المتغير	درجة الموافقة										
المستوى اللغوي للرسائل الهاتفية	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا اعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- تستخدم هذه الرسائل لهجات عامية عربية غير معروفة لكافة الناس في البلدان العربية	١٠٢	٤٦.٤	٧٦	٣٤.٥	٢٧	١٢.٣	٧	٣.٢	٨	٣.٦	٢٢٠
٢- تستخدم هذه الرسائل اللغة الفصحى غير الملتزمة بقواعد النحو العربي السليم	٧١	٣٢.٣	٩٤	٤٢.٧	٣٥	١٥.٩	١٤	٦.٤	٦	٢.٧	٢٢٠
٣- تقدم هذه الرسائل مضامين تتعارض مع الوظائف الإعلامية	٦٨	٣٠.٩	٧٦	٣٤.٥	٣١	١٤.١	٢٥	١١.٤	٢٠	٩.١	٢٢٠
٤- تقدم هذه الرسائل مضامين تميل الى الشخصنة وإثارة النعرات الإقليمية والطائفية	٦٤	٢٩.١	٥٠	٢٢.٧	٥٢	٢٣.٦	٣٥	١٥.٩	١٩	٨.٦	٢٢٠
٥- تستوجب هذه الرسائل المراجعة قبل بثها للتأكد من سلامة اللغة والمضمون	١١٦	٥٢.٧	٦٦	٣٠.٠	٢٤	١٠.٩	١٠	٤.٥	٤	١.٨	٢٢٠
٦- الأغراض الربحية تقف وراء النشر المكثف لهذه الرسائل	١٢٢	٥٥.٥	٥٣	٢٤.١	٢٠	٩.١	١٢	٥.٥	١٣	٥.٩	٢٢٠

تركزت أعلى نسبة في درجة موافق بشدة وهي ٥٥.٥% لفئة (الأغراض الربحية تقف وراء النشر المكثف لهذه الرسائل) تليها في النسبة وهي ٥٢.٧%

لفئة(تستوجب هذه الرسائل المراجعة قبل بثها للتأكد من سلامة اللغة والمضمون).

وكانت النسبة الأقل لدرجة موافق بشدة وهي ٢٩.١% لفئة(تقدم هذه الرسائل مضامين تميل الى الشخصنة وإثارة النعرات الإقليمية والطائفية). وكانت النسبة الأعلى في درجة موافق وهي ٤٢.٧% لفئة(تستخدم هذه الرسائل اللغة الفصحى غير الملتزمة بقواعد النحو العربي السليم). تليها وبنسبة ٣٤.٥% كل من الفئتين (تستخدم هذه الرسائل لهجات عامية عربية غير معروفة لكافة الناس في البلدان العربية)و(تقدم هذه الرسائل مضامين تتعارض مع الوظائف الإعلامية).

وكانت النسبة الأعلى في درجة غير موافق وهي ٢٣.٦% لفئة(تقدم هذه الرسائل مضامين تميل إلى الشخصنة وإثارة النعرات ...الخ). بينما كانت أقل نسبة في هذه الدرجة لفئة (الأغراض الربحية تقف وراء النشر المكثف لهذه الرسائل).

وكانت أعلى نسبة في درجة محايد، وهي ١٥.٩% لفئة(تقدم هذه الرسائل مضامين تميل إلى الشخصنة وإثارة النعرات الخ). أما أعلى نسبة في درجة لا أعلم، وهي ٩.١% فكانت لفئة (تقدم هذه الرسائل مضامين تتعارض مع الوظائف الإعلامية).

الجدول رقم (٨)

تقييم المستوى اللغوي لحوارات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي

المتغير	درجة الموافقة										
المستوى اللغوي لحوارات الانترنت والتواصل الاجتماعي	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا اعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- هذه الحوارات تتم في أغلبها باللهجات العامية	١٢٨	٥٨.٢	٦٤	٢٩.١	٢٠	٩.١	٧	٣.٢	١	٠.٥	٢٢٠
٢- هناك مساحة قليلة في هذه الحوارات باللغة العربية الفصحى	٩٥	٤٣.٢	٨١	٣٦.٨	٢٦	١١.٨	١٢	٥.٥	٦	٢.٧	٢٢٠
٣- اللهجة العامية في هذه الحوارات تتم باستخدام الحروف اللاتينية	٨٩	٤٠.٥	٦٠	٢٧.٣	٣٤	١٥.٥	٢١	٩.٥	١٦	٧.٣	٢٢٠
٤- أغلب التعليقات على الصور تتم بالعامية وبالحروف اللاتينية	١٠٦	٤٨.٢	٧٤	٣٣.٦	١٩	٨.٦	١١	٥.٠	١٠	٤.٥	٢٢٠
٥- هذه الحوارات وسيلة مهمة لرفع مستوى الأداء اللغوي بالفصحى لو أحسن استخدامها	١٠٣	٤٦.٨	٧١	٣٢.٣	٣٠	١٣.٦	١٤	٦.٤	٢	٠.٩	٢٢٠
٦- مواقع التواصل الاجتماعي مثل(الفيس بوك والتويتر) وسائل مهمة للابداع الثقافي والأدبي	٩٢	٤١.٨	٧١	٣٢.٣	٣٢	١٤.٥	٢٤	١٠.٩	١	٠.٥	٢٢٠
٧- هناك رموز لغوية ومفردات مستخدمة في الحوارات الشبابية يصعب فهمها أنتجتها تكنولوجيا الاتصال الحديثة	١٠٩	٤٩.٥	٧٤	٣٣.٦	١٧	٧.٧	١٢	٥.٥	٨	٣.٦	٢٢٠

جاءت أعلى نسبة في درجة موافق بشدة وهي ٥٨.٢% لفئة(هذه الحوارات تتم في أغلبها باللهجات العامية) تليها بنسبة ٤٩.٥% فئة (هناك رموز لغوية ومفردات مستخدمة في الحوارات الشبابية يصعب فهمها أنتجتها تكنولوجيا الاتصال

الحديثة) وتركزت أعلى نسبة في درجة موافق وهي ٣٦.٨% لفئة(هناك مساحة قليلة في هذه الحوارات باللغة العربية الفصحى).تليها وبنسبة متماثلة هي٣٣.٦% كل من فئتي (أغلب التعليقات على الصور تتم بالعاميّة وبالحروف اللاتينية).و (هناك رموز لغوية ومفردات مستخدمة في الحوارات الشبابية يصعب فهمها ...الخ) وتركزت النسبة الأعلى في درجة غير موافق وهي ١٥.٥% لفئة(اللهجة العامية في هذه الحوارات تتم باستخدام الحروف اللاتينية) تليها وبنسبة ١٤.٥% فئة (مواقع التواصل الاجتماعي مثل (الفيس بوك والتويتر) وسائل مهمة للإبداع الثقافي والأدبي. وجاءت النسبة الأعلى في درجة محايد وهي ١٥.٩% للفئة السابق ذكرها. والنسبة الأقل في هذه الدرجة وهي ٣.٢% لفئة (هذه الحوارات تتم في أغلبها باللهجات العامية).

أما درجة لا أعلم التي حظيت في كافة الإجابات على النسب المئوية الأقل، فكانت أعلى نسبة فيها وهي ٧.٣% لفئة (اللهجة العامية في هذه الحوارات تتم باستخدام الحروف اللاتينية) بينما كانت النسبة الأقل وهي ٠.٥% لفئتي (هذه الحوارات تتم في أغلبها باللهجات العامية)و (مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك والتويتر وسائل مهّمة للإبداع الثقافي والأدبي).

الجدول رقم (٩)

تقييم المستوى اللغوي في الصحافة المطبوعة

المتغير	درجة الموافقة										
دور الصحافة المطبوعة	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا اعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- الصحافة المطبوعة أكثر الوسائل الاعلامية حرصاً على سلامة اللغة العربية	١٤٠	٦٣.٦	٦٠	٣.٦	٨	٣.٦	١٠	٤.٥	٢	٠.٩	٢٢٠
٢- الصحافة وسيلة أساسية لإكساب القراء ثروة لغوية غنية بالمفردات والمصطلحات	١٣٣	٦٠.٥	٦٠	٢٧.٣	١٣	٥.٩	١١	٥.٠	٣	١.٤	٢٢٠
٣- البعض من مقالات الصحف تحاول الجمع بين الفصحى والعامية	٦٥	٢٩.٥	١١٢	٥٠.٩	٢٣	١٠.٥	١٧	٧.٧	٣	١.٤	٢٢٠
٤- مجلات الأطفال وسيلة مهمة لزيادة المحصول اللغوي عند الأطفال	١١٨	٥٣.٦	٧٣	٣٣.٢	١٤	٦.٣	١٤	٦.٤	١	٠.٥	٢٢٠
٥- هناك أخطاء نحوية وأخطاء في التركيب اللغوي في بعض المواد الصحفية	٥٤	٢٤.٥	١٠٢	٤٦.٤	٢٠	٩.١	٢٩	١٣.٢	١٥	٦.٨	٢٢٠
٦- أخطاء التحرير الصحفي ناشئة عن ضعف المهنية والتأهيل العلمي لدى بعض المحررين.	٨٠	٣٦.٤	٩٠	٤٠.٩	١١	٥.٠	٣١	١٤.١	٨	٣.٦	٢٢٠
٧- الأخطاء الواردة في الصحافة ناشئة عن ضعف الاهتمام بالمراجعة والتدقيق اللغوي	٨١	٣٦.٨	٩٤	٤٢.٧	١١	٥.٠	٢٧	١٢.٣	٧	٣.٢	٢٢٠

تحققت النسبة الأعلى وهي ٦٣.٦% في درجة موافق بشدة لفئة (الصحافة المطبوعة أكثر الوسائل الإعلامية حرصاً على سلامة اللغة العربية) تليها في النسبة وهي ٦٠.٥% فئة (الصحافة وسيلة أساسية لإكساب القراء ثروة لغوية غنية بالمفردات والمصطلحات الجديدة). وكانت النسبة الأقل في هذه الدرجة، وهي

٢٤.٥% لفئة (هناك أخطاء نحوية وأخطاء في التركيب اللغوي في بعض المواد الصحفية) وجاءت النسبة الأعلى في درجة موافق وهي ٥٠.٩% لفئة (البعض من مقالات الصحف تحاول الجمع بين الفصحى والعامية). تليها وبنسبة ٤٦.٤% فئة(هناك أخطاء نحوية وأخطاء في التركيب اللغوي في بعض المواد الصحفية).وكانت النسبة الأقل في درجة موافق وهي ٣.٦% لفئتي(الصحافة المطبوعة أكثر الوسائل الإعلامية حرصاً على سلامة اللغة العربية)و(الصحافة وسيلة أساسية لإكساب القراء ثروة لغوية غنية بالمفردات والمصطلحات الجديدة). وتركزت أعلى نسبة في درجة غير موافق وهي ١٠.٥% لفئة (البعض من مقالات الصحف تحاول الجمع بين الفصحى والعامية). تليها وبنسبة ٩.١% فئة(هناك أخطاء نحوية وأخطاء في التركيب اللغوي في بعض المواد الصحفية). وكانت النسبة الأقل في هذه الدرجة وهي ٣.٦% لفئة (الصحافة المطبوعة أكثر الوسائل الإعلامية حرصاً على سلامة اللغة العربية الفصحى). وتركزت النسبة الأعلى في درجة محايد وهي ١٤.١% على فئة (أخطاء التحرير الصحفي ناشئة عن ضعف المهنيّة والتأهيل العلمي لدى بعض المحررين) والنسبة الأقل وهي ٥.٠% لفئة (الصحافة وسيلة أساسية لإكساب القراء ثروة لغوية غنية بالمفردات والمصطلحات الجديدة). أما درجة لا أعلم فكانت النسبة الأعلى فيها وهي ٦.٨% لفئة (هناك أخطاء نحوية وأخطاء في التركيب اللغوي في بعض المواد الصحفية). والنسبة الأقل وهي ٠.٥% لفئة (مجلات الأطفال وسيلة مهمة لزيادة المحصول اللغوي عند الأطفال).

تقييم الأداء اللغوي لوسائل الإعلام ودور هذه الوسائل في استخدام اللغة العربية الفصحى
مجلة آداب الفراهيدي
أ.د. تيسير أبو عرجة
العدد (١٣) كانون الأول ٢٠١٢

الجدول رقم (١٠)

دور كليات الإعلام وأقسام الصحافة والإعلام في الجامعات في الإعداد اللغوي المناسب للإعلاميّين

المتغير	درجة الموافقة										
دور كليات الإعلام وأقسام الصحافة والإعلام	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا اعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- يكون ذلك من خلال زيادة مساقات اللغة العربية	٩٨	٤٤.٥	٨٢	٣٧.٣	٢٣	١٠.٥	١٤	٦.٤	٣	١.٤	٢٢٠
٢- من خلال التدريب على التحدث باللغة العربية الفصحى داخل المحاضرات	١١٦	٥٢.٧	٧٩	٣٥.٩	١٣	٥.٩	١٠	٤.٥	٢	٠.٩	٢٢٠
٣- من خلال الأعمال التطبيقية الكتابية والبحثية التي تحرص على سلامة اللغة الفصحى	١١٧	٥٣.٢	٧٨	٣٥.٥	١٥	٦.٨	٩	٤.١	١	٠.٥	٢٢٠
٤- من خلال التدريب على إعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية باللغة الفصحى	١٢٠	٥٤.٥	٧٦	٣٤.٥	١٠	٤.٥	١٢	٥.٥	٢	٠.٩	٢٢٠
٥- من خلال حرص الأساتذة على تقديم المحاضرات والمناقشات باللغة العربية الفصحى	١١٤	٥١.٨	٦٦	٣٠.٠	١٩	٨.٦	١٩	٨.٦	٢	٠.٩	٢٢٠
٦- من خلال احتساب الأخطاء النحوية واللغوية في درجات تقييم الامتحانات والأعمال الفصلية	٦١	٢٧.٧	٦٤	٢٩.١	٦١	٢٧.٧	٣١	١٤.١	٣	١.٤	٢٢٠

تركزت النسبّة الأعلى الموضحة لدور كليات الإعلام وأقسام الصحافة والإعلام في الإعداد اللغوي المناسب للإعلاميين وهي ٥٤.٥% في درجة الموافق بشدة لمتغير (من خلال التدريب على إعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية باللغة الفصحى) تلاها بنسبة ٥٣.٢% متغير (من خلال الأعمال التطبيقية الكتابية والبحثية التي تحرص على سلامة اللغة الفصحى). وكانت أقل نسبة وهي ٢٧.٧% هي لمتغير (من خلال احتساب الأخطاء النحوية واللغوية في درجات تقييم الامتحانات والأعمال الفصلية) وهو الأمر الذي اعتبرته العينة المبحوثة من طلبة الصحافة والإعلام في غير صالحهم عندما يتعلق بحصيلة الدرجات التي يحصلون عليها في الامتحانات الجامعية.

وتركزت النسبة الأعلى في درجة موافق، وهي ٣٧.٣% لمتغير (يكون ذلك من خلال زيادة مساقات اللغة العربية) تلاه في النسبة وهي ٣٥.٩% متغير (من خلال التدريب على التحدث باللغة العربية الفصحى داخل المحاضرات). وكانت النسبة الأقل في هذه الدرجة للمتغير المشار إليه آنفاً وهو(من خلال احتساب الأخطاء النحوية واللغوية في درجات تقييم الامتحانات والأعمال الفصلية).

وتحققت أعلى نسبة في درجة غير موافق، وهي ٢٧.٧% للمتغير السابق ذكره حول احتساب الأخطاء النحوية واللغوية في درجات التقييم فيما يشبه الاتفاق على حرص الطلبة على عدم تأثّر الدرجات التي يحصلون عليها بما ينتج عنهم من أخطاء نحوية ولغوية.

الجدول رقم (١١)

دور المؤسسات الإعلامية في ترقية الأداء اللغوي للإعلاميّن الإذاعييّن

المتغير	درجة الموافقة										
دور المؤسسات الإعلامية	موافق بشدة		موافق		غير موافق		محايد		لا أعلم		المجموع
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
١- يكون ذلك من خلال اختيار الأكفاء لغوياً	٥٨	٢٦.٤	١١٤	٥١.٨	١٠	٤.٥	٢١	٩.٥	١٧	٧.٧	٢٢٠
٢- يكون ذلك من خلال إخضاع الاعلاميّن لاختبارات دقيقة	٣٢	١٤.٥	١٠٦	٤٨.٢	٣٢	١٤.٥	٤٠	١٨.٢	١٠	٤.٥	٢٢٠
٣- تقديم دورات تدريبية لغوية لهم قبل التعيين	٤٠	١٨.٢	٩٢	٤١.٨	٤١	١٨.٦	٣٣	١٥.٠	١٤	٦.٤	٢٢٠
٤- تقديم دورات تدريبية لغوية لهم بعد التعيين	٥٧	٢٥.٩	٧٧	٣٥.٠	٣٦	١٦.٤	٤٠	١٨.٢	١٠	٤.٥	٢٢٠
٥- الحرص على استخدام اللغة الفصحى في هذه البرامج	٢٨	١٢.٧	٧٢	٣٢.٧	٦٨	٣٠.٩	٤٥	٢٠.٥	٧	٣.٢	٢٢٠
٦- الحرص على انتقاء المتحدثين الذين يحرصون على التحدث باللغة الفصحى	٤١	١٨.٦	٦٩	٣١.٤	٤٤	٢٠.٠	٣٩	١٧.٧	٢٧	١٢.٣	٢٢٠

تركزت النسبة الأعلى وهي ٢٦.٤% في درجة موافق بشدة حول الوسائل والأساليب التي تستطيع المؤسسات الإعلامية من خلالها المساهمة بترقية الأداء اللغوي للإعلاميّين الإذاعيّين في متغير(يكون ذلك من خلال اختيار الأكفاء لغوياً) تلاه بنسبة ٢٥.٩% متغير (تقديم دورات تدريبية لغوية لهم بعد التعيين). وكانت أقل نسبة وهي ١٢.٧% لـ (الحرص على استخدام اللغة الفصحى في هذه البرامج) وجاءت أعلى نسبة في درجة موافق وهي ٥١.٨% لمتغير (يكون ذلك من خلال اختيار الأكفاء لغوياً) تلاه بنسبة ٤٨.٢% متغير (يكون ذلك من خلال إخضاع الاعلاميّن لاختبارات دقيقة).

وتركزت النسبة الأعلى في درجة غير موافق وهي ٣٠.٩% في متغير(الحرص على استخدام اللغة الفصحى في هذه البرامج) تلاه في النسبة وهي ٢٠.٠% متغير(الحرص على انتقاء المتحدثين الذين يحرصون على التحدث باللغة الفصحى). وربما يكون اختيار العينة لهذين المتغيرين لعدم الموافقة استشعاراً بصعوبة إيجاد المذيعين الذين يحرصون على استخدام الفصحى في البرامج التي يقدمونها، وكذلك صعوبة انتقاء المتحدثين الذين يحرصون على التحدث باللغة الفصحى في البرامج الإذاعية.

الخلاصة:

- اختارت العينة اللغة الفصحى بنسبة ٨٠.٥% للأخبار والتقارير الإخبارية.
- تم اختيار العامية بنسبة ٥٠.٥% للدراما الإذاعية والتلفزيونية، بينما جاء استخدام الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٤.٥%.
- حصلت حوارات المندوبين مع الجمهور العام على استخدام الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٥.٥% بينما حصلت العامية على ٣٨.٨% والفصحى بنسبة ١٥%.
- حصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج الثقافية والأدبية وهي ٧١.٤%، تلاها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٢٥.٩%.
- حصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج العلمية وهي ٧٥.٠% بينما جاءت الفصحى والعامية معاً بنسبة ١٨.٢%.
- حصلت الفصحى على النسبة الأعلى للبرامج الدينية وهي ٥٤.١% تلاها في النسبة الفصحى والعامية معاً وهي ٣٩.١%.
- حصلت العامية على النسبة الأعلى للبرامج الاجتماعية والمنوعات وهي ٥٣.٢%، تلاها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٤٠.٥%.
- حصلت الفصحى والعامية معاً على النسبة الأعلى للبرامج الرياضية وهي ٤٣.١%، تلاها العامية بنسبة ٣٩.٥%.
- حصلت العامية على النسبة الأعلى في برامج المسابقات وهي ٦٣.٦% تلاها الفصحى والعامية معاً بنسبة ٣٠.٠%.
- فيما يتصل بالأخطاء الشائعة على ألسنة المذيعين في الراديو والتلفزيون: كانت الأخطاء النحوية بنسبة ٢٦.٤% وأخطاء النطق السليم بنسبة ٢٥.٩% أعلى نسبتين في درجة موافق بشدة. وشكل هذان المتغيّران أيضاً أعلى نسبتين في فئة

موافق وهما ٥١.٨% و٤٨.٢% على التوالي. وحصلت الأخطاء في قراءة الأعداد والأرقام على المستوى الثالث في درجة موافق بشدة وهي ١٨.٢% وموافق بنسبة ٤١.٨%.

- فيما يتصل بتقييم المستوى اللغوي الذي تقدم به مواد إذاعات الـ F.M تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق بشدة وهي ٤٣.٢% لمتغير (تستطيع هذه الإذاعات تكريس الفصحى إلى جانب الجهد المطلوب من المدارس والجامعات) تلاها بنسبة ٤٠.٥% متغير (بإمكان هذه الإذاعات تنمية الاهتمام باللغة العربية الفصحى لدى الشباب). وتركزت درجة موافق في نسبتها الأعلى وهي ٤٥.٠% في فئة (تقدم هذه الإذاعات موادها البرامجية باللهجة العامية).
- فيما يتصل بتقييم المستوى اللغوي لبرامج الأطفال في الراديو والتلفزيون، تركزت النسبة الأعلى وهي ٦٩.٥% في درجة موافق بشدة لمتغير (برامج الأطفال حقل تربوي مهم لتعليم اللغة الفصحى). وجاءت أعلى نسبة لدرجة موافق وهي ٣٥.٩% لمتغير (تستطيع هذه البرامج البث الميداني من المدارس للتحفيز على تشجيع المواهب والمبدعين والمتحدثين باللغة الفصحى).
- وحول تقييم المستوى اللغوي للإعلانات الإذاعية والتلفزيونية والصحفية، تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق بشدة وهي ٤٧.٣% على متغير (يعتقد المعلنون أن العامية أكثر قدرة من الفصحى على ترويج السلع المعلن عنها) تلاها في النسبة وهي ٤٣.٢% المتغير الذي يقول(تساهم لغة الإعلان بتكريس اللهجة العامية نظراً لتكرارها واتصالها بحاجات الناس).
- فيما يتصل بتقييم المستوى اللغوي للرسائل الهاتفية القصيرة في الأشرطة التلفزيونية المتحركة، تركزت أعلى نسبة في درجة موافق بشدة وهي ٥٥.٥%على متغير (الأغراض الربحية تقف وراء النشر المكثف لهذه الرسائل)

تلاها في النسبة وهي ٥٢.٧% متغير (تستوجب هذه الرسائل المراجعة قبل بثها للتأكد من سلامة اللغة والمضمون).وكانت النسبة الأعلى في درجة موافق وهي ٤٢.٧%لمتغير (تستخدم هذه الرسائل اللغة الفصحى غير الملتزمة بقواعد النحو العربي السليم).

- فيما يتصل بتقييم المستوى اللغوي لحوارات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق بشدة وهي ٥٨.٢% لمتغير (هذه الحوارات تتم في أغلبها باللهجات العامية) تلاها في النسبة وهي ٤٩.٥% متغير (هناك رموز لغوية ومفردات مستخدمة في الحوارات الشبابية يصعب فهمها أنتجتها تكنولوجيا الاتصال الحديثة).
- فيما يتصل بتقييم المستوى اللغوي في الصحافة المطبوعة، تركزت النسبة الأعلى وهي ٦٣.٦% في درجة موافق بشدة لمتغير (الصحافة المطبوعة أكثر الوسائل الإعلامية حرصاً على سلامة اللغة العربية) تلاها في النسبة وهي ٦٠.٥% متغير (الصحافة وسيلة أساسية لإكساب القراء ثروة لغوية غنية بالمفردات والمصطلحات الجديدة) . وجاءت النسبة الأعلى في درجة موافق وهي ٥٠.٩% لمتغير (البعض من مقالات الصحف تحاول الجمع بين الفصحى والعامية).
- أما فيما يتعلق بدور كليات الإعلام وأقسام الصحافة والإعلام في الجامعات في الإعداد اللغوي المناسب للإعلاميّن، تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق بشدة وهي ٥٤.٥% لمتغير (من خلال التدريب على إعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية باللغة الفصحى) تلاها بنسبة ٥٣.٢% متغير (من خلال الأعمال التطبيقية الكتابية والبحثية التي تحرص على سلامة اللغة الفصحى). وكانت أقل

نسبة وهي ٢٧.٧% لمتغير (من خلال احتساب الأخطاء النحوية واللغوية في درجات تقييم الامتحانات والأعمال الفصلية).

- بينما تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق وهي ٣٧.٣% لمتغير (يكون ذلك من خلال زيادة مساقات اللغة العربية).
- وحول دور المؤسسات الإعلامية في ترقية الأداء اللغوي للاعلاميّن الإذاعيين، تركزت النسبة الأعلى في درجة موافق بشدة وهي ٢٦.٤% على متغير (يكون ذلك من خلال اختيار الأكفاء لغوياً) تلاه بنسبة ٢٥.٩% متغير (تقديم دورات تدريبية لغوية لهم بعد التعيين) أما النسبة الأعلى في درجة غير موافق وهي ٣٠.٩% فقد تركزت في متغير (الحرص على استخدام اللغة الفصحى في هذه البرامج) تلاه بنسبة ٢٠.٠% متغير (الحرص على انتقاء المتحدثين الذين يحرصون على التحدث باللغة الفصحى).

التوصيات

اعتباراً للدور المهم الذي يضطلع به الإعلام في تعزيز استخدامات اللغة العربية الفصحى، وبناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، نرى التوصية بما يلي:

- تكريس استخدام اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام، ومحاصرة ظاهرة الاستخدام المكثف للهجات العامية، خصوصاً في الوسائل السمعية البصرية.
- اختيار الأكفاء لغوياً من الإعلاميين، الإذاعيين منهم على وجه الخصوص، تلافياً للوقوع في الأخطاء النحوية التي تترك آثاراً سلبية على المستمعين والمشاهدين.
- إخضاع المواد الإعلامية البرامجية والإخبارية كافة للتدقيق اللغوي المتخصص قبل بثّها للجمهور.
- الحرص على أن تقوم القنوات الإذاعية والتلفزيونية، ومقدمو البرامج فيها على انتقاء المتحدثين الذين تتم استضافتهم ممن يجيدون التحدث باللغة الفصحى.
- الحرص على أن يستثمر الطلبة الجامعيون، وخاصة منهم، الذين يدرسون تخصصات الصحافة والإعلام، سنوات دراستهم الجامعية في التزود من معين اللغة العربية،والتدرّب على سلامة التحدّث بها.
- قيام أساتذة الجامعات بالحرص على تقديم محاضراتهم الجامعية باللغة الفصحى، وألا يكون الاهتمام باللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية.

الهوامش والمراجع

(١) البيان الصّادر عن الاجتماع الأوّل للجنة المشروع الوطني لحماية اللغة العربية،سبتمبر ٢٠١١

(٢) محاضرة الدكتور ناصر الدين الأسد، المركز الأردني للدراسات والمعلومات، منشورة في صحيفة"اللواء" بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٨.

(٣) نهاد الموسى، الأخطاء المعجمية والصرفية والنحوية في وسائل الإعلام، بحوث ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، منشورات جامعة البترا، ٢٠٠١، ص١٠٨-١٠٩.

(٤) نور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، كتاب الأمة، العدد ٢٠٠١/٨٤،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،ص١١٢.

(٥) وديع فلسطين، قضايا الفكر في الأدب المعاصر، ط٢، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٤،ص١٣-١٤.

(٦) تيسير أبو عرجه، الثقافة العربية وتقانة الإعلام الجديد، بحث منشور في كتاب ندوة"مستقبل الثقافة العربية في ظل ثورة المعلومات"، رابطة الكتاب الأردنيين،٢٠٠٢،ص١٧١.

(٧) سالم المعوش، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان- دراسة تحليليّة ونقد، بحث مقدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان،حزيران،٢٠٠٣.

(٨) تيسير أبو عرجه، لغة الإعلام بين متطلبات الرسالة والوسيلة والجمهور، بحث مقدم لندوة"اللغة العربية والإعلام وكتّاب النص"، مجمع اللغة العربية الأردني ومنتدى الفكر العربي، عمّان،٢٠٠٥.

(٩) أيمن محمد عبد القادر الشيخ، اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئيّة، بحث مقدم للمؤتمر الدولي في تطوير العربية، جامعة مالانج الحكومية، السودان، نوفمبر ٢٠٠٨.

(١٠) محمد عبد الحميد، دراسة الجمهور في بحوث الإعلام،عالم الكتب،القاهرة،١٩٩٣،ص١٢٢.

Abstract

This study aimed at identifying the Opinion of journalism and mass communication students at Petra university towards the linguistic level in which the media materials are revealed, and what is their opinion towards using slang language in media programs, and how they evaluate the linguistic performance of media, and what is the role required from media programs concerning promoting the use of formal Arabic language, in addition to the role of universities, departments and faculties of media that are supposed to prepare and qualify Journalists.

The study resulted in a number of conclusions including:

- The Sample chose formal language for news and news reports with the percentage of 80.5%.
- For Radio and T.V drama, slang language got 50.5%, while using both formal and slang got 44.5%.
- Reporters debates with the public in both formal and slang Arabic Languages got 45.5% while Slang language alone got 38.8% and formal got 15% .
- Formal language got the highest percentage by 71.4% for cultural and arts programs, while using both formal and slang for same programs got 25.9%.
- For scientific programs, formal language got the highest percentage of 75%, while using both formal and slang Arabic Languages got 18.2%.
- For religious programs, formal language got the highest percentage of 54.1%, while using both formal and slang got 39.1%.
- For social and entertainment programs, slang language got 53.2%, while using both formal and slang language got 40.5%.
- For sports programs, using both formal and slang languages got 43.1%, while using slang alone got 39.5%.
- For competitions programs, slang language got 63.6%, while using both formal and slang language got 30%.

MAGIC REALISM IN ANGELA CARTER'S NOVEL "*NIGHTS AT THE CIRCUS*"

By
Zainab Abdullah Al-Jibory
Assistant Instructor
Tikrit University / College of Education
English Department

ABSTRACT

Magical (magic) realistic fiction, as a form of narrative, witnessed an increase in the last decades; it became highly adopted by writers and enjoyed by readers across the globe. Magic realism is a literary form in which weird, supernatural, and unreal tales are narrated as if the events were commonplace. Angela Carter is a British author whose works, but not all, have been discussed by critics as magical realistic texts.

The aim of the following study is to analyze *Nights at the Circus* in the light of magic realism. An outline of the characteristic features of the genre is introduced at the beginning of the study in order to define magic realism as a genre independent of fantasy or science fiction. A comparison between the characteristic components of the magic realism novel and their equivalents in Carter's text is also a significant part of the analysis.

Introduction

Magic realism is the opposite of the "once-upon-a-time" style of story-telling in which the author emphasizes the fantasy in narrating imaginary events. In the world of magic realism, the narrator speaks of the unreal so naturally in a way that reveals it as real. Magic realism aims to re-imagine the world and its reality; it is not an escapist literature but rather an opportunity to see the extraordinary things every day.

Franz Roh, a German art critic, first used the term 'magic realism' or 'magical realism' in 1925 as a description of a painterly style also known as the New Objectivity (Neue Sachlichkeit), a reaction to Expressionism. Roh, in this way, was emphasizing the magic of the normal world, how everyday objects can be perceived as strange and fantastic. Roh's theory had a great influence on European and Latin American literature, for instance on an Italian writer called Massimo Bontempelli. Bontempelli tried to present the mysterious and fantastic qualities of reality exactly in the way Roh understood magic realism. In 1940, Latin American authors mingled Roh's and Bontempelli's theories in order to create the original Latin-American novel. From the 1960's onwards, there has been a strong current of magic realism within the general movement of British and American post-modern literature. (Bowers: 33).

Angela Carter (1940 –1992) was an English novelist and journalist, known for her feminist, magical realism, and picaresque works. With the publication of her first novels in the late 1960’s, Carter received wide recognition and praise in Great Britain for blending gothic and surreal elements with vivid portrayals of urban sufferers and survivors. Critics have praised her wit, creativity, eccentric characters, descriptive wealth, and strongly sustained narrative while sometimes questioning her depth of purpose and suggesting a degree of affectation. Her

imaginative transformation of folkloric elements and examination of their mythic impact on sexual relationships began to be fully appreciated on the appearance of *The Bloody Chamber and Other Stories*, which received the Cheltenham Festival of Literature Award. *Nights at the Circus*, recipient of the James Tait Black Memorial Prize, helped to establish for Carter a growing transatlantic reputation as an extravagant stylist of the Magical Realist School. Following her sudden death in 1992, Carter was immediately hailed as the most important English fantasist of her generation. Her critical writings attracted new attention and in 2008, *The Times* ranked Carter tenth in their list of "The 50 greatest British writers since 1945"(http://en.wikipedia.org/wiki/Angela _ Carter).

Magic Realism, Fantasy, Science Fiction and Surrealism:

When attempting to know something it is often helpful to know things around that may cause confusion. Magic realism is "an aesthetic style or genre of fiction"(Zamora & Faris: 5) that, contrary to fantasy or science fiction, is not escapist but engaging and thought provoking. It is a narrative form that blends magical elements with a realistic atmosphere. The themes and subjects are often imaginary, fantastic or dream-like. However, these magical elements are explained in the same way as ordinary occurrences that are presented in a manner which allows the real and the magical to coexist next to each other and be accepted in the same stream of thought.

Science fiction and fantasy are usually speculative while magic realism is not. It does not conduct thought experiments; instead, it tells its stories from the perspective of people who experience a different reality from the one called objective. If there is a ghost in a story of magical realism, the ghost is not a fantasy element but a manifestation of the reality of people who believe in and have "real" experiences of ghosts. Magical realist

fiction depicts the real world of people whose reality is different. It is not a thought experiment or a speculation. Magical realism endeavors to show the world through other eyes. (<http://www.writing-world.com/sf/realism.shtml>). On the other hand, Surrealism is often confused with magical realism as they both explore illogical or non-realist aspects of humanity and existence. Surrealism "is most distanced from magical realism [in that] the aspects that it explores are associated not with material reality but with the imagination and the mind, and in particular it attempts to express the 'inner life' and psychology of humans through art" (Bowers: 22).

General Characteristics of Magic Realist Fiction:

Many characteristics can be found in a given magic realistic text while every text is different and employs a smattering of the qualities listed next. However, they exactly portray what one might expect from a magic realist text.

Like many modernist movements, magic realism rejects the nineteenth-century positivism, the faith in science and empiricism, returning to folklore, mysticism and mythologies. Literary works that can be classified as magic realistic novels may employ only a selection of the characteristic features of the genre. The most common features are the supernatural, plenitude, hybridity, ironic distance, authorial reticence and political critique. It may be defined as:

> A kind of modern fiction in which fabulous and fantastical events are included in a narrative that otherwise maintains the 'reliable' tone of objective realistic report, designating a tendency of the modern novel to reach beyond the confines of realism and draw upon the energies of fable, folk tale, and myth while maintaining a strong contemporary social relevance. The fantastic attributes given to characters in such novels — levitation, flight, telepathy, telekinesis — are among the means that magic realism adopts in order to encompass

> the often phantasmagorical political realities of the 20th century (Baldick: 146).

In magic realism, the supernatural is not displayed as something questioning. While the reader realizes that the rational and irrational are opposite and conflicting sides, they are not confused because the supernatural is mixed within the style of the narrator and characters in the fictional world. Magic realism lacks emptiness, departs from rules and structures, and contains an extraordinary plenitude of disorienting details. This layering of elements creates a specific, exaggerated atmosphere. The space in between those layers is where the marvelous real can be observed, marvelous: not meaning beautiful and pleasant, but extraordinary and strange (Carpentier: 102-104).

The other feature that magical realism utilizes is the hybridity that means multiple planes of reality taking place in inharmonious arenas of opposites such as urban and rural, or western and indigenous. The plots of magical realist works very often involve issues of borders, mixing, and change. The authors establish these plots to reveal a crucial purpose of magical realism: a more deep and true reality than conventional realist techniques could illustrate.

The writers keep an ironic distance from the magical worldview for the realism not to be compromised. Simultaneously, the writer must strongly respect the magic, or else the magic turns into simple folk belief or complete fantasy, split from the real instead of coordinated with it. The term "magic" relates to the fact that the point of view that the text depicts explicitly is not adopted according to the implied worldview of the author.

Authorial reticence refers to the lack of clear opinions about the accuracy of events and the credibility of the worldviews expressed by the characters in the text. This technique promotes acceptance in magical realism. In magical

realism, the simple act of explaining the supernatural would eradicate its position of equality regarding a person’s conventional view of reality. Because it would then be less valid, the supernatural world would be discarded as false testimony (Chanady: 16).

Magic realism often contains some degree of political critique in form of implied criticism of society, particularly the elite. It presents the point of view of the geographically, socially and economically marginalized. Magic realism's alternative world works to correct the reality of established viewpoints, like realism, naturalism and modernism.

Magic Realism in *Nights at the Circus*:

The very beginning of the novel sets the overall tone of the text presenting the magical descriptions as real; the most prominent feature of magical realist fiction:

> "As to my place of birth, why\
> , I first saw light of day right here in smoky old London, didn't I! Not billed the 'cockneyvenus', for nothing, sir, though they could just as well 'avecalled me 'Helen of the High Wire', due to the unusual circumstances in which I come ashore -- for I never dockedvia what you might call the Normal channels,
> Sir, oh, dear me, no; but, just like Helen of Troy, was Hatched.
> "Hatched out of a bloody great egg while Bow Bells rang, as ever is!"
> […] But these notorious and much-debated wings, the source of her fame, were stowed away for the night under the soiled quilting of her baby-blue satin dressing-gown, where they made an uncomfortable-looking pair of bulges, shuddering the surface of the taut fabric from time to time as if desirous of breaking loose. ("How does she do that?"Pondered the reporter.) (Carter: 7-8)

According to geographical locations *Nights at the Circus* can be divided into three parts, and the story becomes more and

more fantastic along with the geographical movement from London to Siberia. The principal narrators include Fevvers, a winged woman, and Walser, an American reporter. Other than these two protagonists' narratives, the novel also contains various stories told by women. The narratives all take place in unordinary places, inclusive of the whorehouse, the museum of female monsters, the circus, the prison and so on.

In the first section, the novel starts with Walser's interview with Fevvers, in which Walser tries to define what Fevvers is. Walser stands for patriarchal thoughts, which tend to classify and to control things. However, during the interview, Fevvers is fully in charge of her narrative as well as her identity. She gives an account of her life, in which she explains the days she had in the brothel and in the museum of female monsters. Her account of her formal life illustrates how women are defined and isolated according to patriarchal thoughts.

Later on, in the second section, Fevvers joins the circus, a place of uncommon events. Walser also joins the circus in order to find out whether Fevvers is a fraud or not. The circus is a world in which a chain of commands is absent and rules are broken. Clowns and performers, together with animals, shape a world in which things are turned upside down.

In the third section, a panopticon made for female convicts is mentioned. These female inmates, at last, successfully get out of the panopticon and form a female community. In this section, Fevvers and Walser are not together due to a train accident. The tundra, where Walser stays after the train accident, is a place in which time does not follow traditional notions. Walser, losing all his memory, becomes totally blank. His prejudices have been erased totally. At last, Fevvers and Walser come together. Having gone through the life in tundra, Walser has been turned into a New Man, who no

longer views Fevvers as an object but as a human being. Their reunion, the integration of New Man and New Woman, signifies the better world for women in the future, in which men no longer take superior position and women do not exist only as belongings to men. Through *Nights at the Circus*, Carter calls into question the constructed nature of patriarchal society (Carpentier: 108-109).

One of the most prominent features distinguishing magic realism from fantasy fiction is the use of the antinomy which means the immediate presence of two mutually incompatible codes. This results in diametrically different treatment of the supernatural. In fantasy literature, the supernatural is very often something to which special attention is drawn; the supernatural or magical elements are used as primary elements of plot, theme and setting. In magic realism, the presence of the supernatural or magical is accepted. Fevvers, the protagonist of the *Nights at the Circus*, claims to have been hatched from an egg laid by unknown parents:

> For I never docked via what you might call the normal channels,
> Sir, oh, dear me, no; but, just like Helen of Troy, was hatched.
> Hatched out of a bloody great egg while Bow Bells rang,as ever is! (Carter:7)

The facts are the facts, but here they are presented as if they were fables. Fevvers indeed does not know her parents, and was found in a basket along with some broken eggshell. Along with her possessing a pair of wings, these are the facts, no matter how fabulous that leads Fevvers to the conclusion that she was not born like a normal human being. While she pursues the career of an aerialiste the general audience refer to her as "A fabulous bird-woman" (Carter: 15) because of her wings:

> Heroine of the hour, object of learned discussion and profane surmise, this Helen launched a thousand quips, mostly on the lewd side. ("Have you heard the one about

> how Fevvers got it up for the travelling salesman. . .") Her name was on the lips of all, from duchess to costermonger:"Have you seen Fevvers?" And then: "How does she do it?"And then: "Do you think she's Real?" (Zamora & Faris: 3)

In conversations people react to her supernatural feature with a mixture of fear and disbelief. However, their approach changes dramatically during her performances, where everyone can experience the supernatural first-hand. The supernatural is widely accepted as surprising and extraordinary but authentic and true in the same train of thought:

> The supernatural is not a simple or obvious matter, but it is an ordinary matter, an everyday occurrence -- admitted, accepted, and integrated into the rationality and materiality of literary realism. Magic is no longer quixotic madness, but normative and normalizing. It is a simple matter of the most complicated sort. (Zamora & Faris: 3)

The fact of Fevvers possessing a pair of fully functional wings is treated as "marvelous reality" but reality nevertheless:

> She rose up on tiptoe and slowly twirled round, giving the spectators a comprehensive view of her back: seeing is believing. Then she spread out her superb, heavy arms in a backwards gesture of benediction and, as she did so, her wings spread, too, a polychromatic unfolding fully six feet across, spread of an eagle, a condor, an albatross fed to excess on the same diet that makes flamingoes pink. Oooooooh! The gasps of the beholders sent a wind of wonder rippling through the theatre. (Carter: 15)

On the other hand, the second protagonist, a well-travelled American journalist Jack Walser, is very skeptical about both Fevvers and her supposedly possessing wings. In the beginning of the novel, he represents the rational point of view and the voice of reason untampered with a false notion and magical thinking: "Now, wings without arms is one impossible

thing; but wings with arms is the impossible made doubly unlikely -- the impossible squared." (Carter: 15-16)

However, with Fevvers relating the events of her life, Walser starts to see glimpses of marvelous reality around him. As Fevvers progresses with her story, Walser becomes less and less critical even though the story itself becomes more mysterious and dreamlike.

In London, the first section of the book, Fevvers' story creates a feeling of supernatural and magical by presenting the extraordinary alongside all-too-ordinary events. The fact that she was left in a basket on the doorstep of a brothel raised by prostitutes with hearts of gold and never expected to work as one of them but only as a living statue seems almost like a literary cliché. This kind of ordinariness the readers can encounter now and then in romances or fairy tales but rather rarely in the real life, which creates an additional feeling of the plot being detached from reality. (Hsia: 11-17). The readers may start to suspect that Fervvers' account of her life is untrue or comprised of dreaming about the past – either way it adds to the overall atmosphere of the marvelous and uncanny. At one point, Fevvers gives a description of the madam of the brothel she was raised in:

> She had the one peculiarity, sir; due to her soubriquet, or nickname, she always dressed in the full dress uniform of an admiral of the Fleet. Not that she ever missed a trick, her one eye sharp as a needle, and always used to say, "I keep a tight little ship." Her ship, her ship of battle though sometimes she'd laugh and say, "It was a pirate ship, and went under false colors," her barque of pleasure that was Moored, of all unlikely places, in the sluggish Thames. (Carter: 32)

Although Ma Nelson is a believable, realistic character and both Fevvers and Lizzie, her caretaker, call her a proper

lady, she seems anything but ordinary and therefore belonging to the realm of the supernatural. Still there are some characters in the novel that can be obviously described as supernatural or fantastical, such as Toussaint, a mouth-less servant of Madame Schreck, Fanny Four-Eyes or Madame Schreck, the Living Skeleton, the owner of the museum of female monsters, herself.

Ma Nelson is a realistic character that seems fantastical; Toussaint on the other hand is her direct opposite. Although he seems even more realistic and believable than she does, he belongs to the realm of the supernatural. Despite the fact that his condition is seemingly believable, it would be a physical impossibility for such a person to survive beyond infancy:

> That self-same fellow with no mouth, poor thing, opens the door to me after a good deal of unbolting from the inside, and bids me come in with eloquent gestures of his hands. I never saw eyes so full of sorrow as his were, sorrow of exile and of abandonment. (Carter: 57).

Yet another impossible creature, and therefore undoubtedly a fantastical one, is Fanny Four-Eyes, who has an additional pair of eyes in the most unlikely of places. Fanny comes to the museum out of her own will because "She saw too much of the world altogether" (Carter: 69); and therefore "She chooses to rest with all of us other dispossessed creatures, for whom there was no earthly use" (ibid: 69)

> "And Schreck would say: 'Look at him, Fanny.' So Fanny would take off her blindfold and give him a beaming smile.
>
> "Then Madame Schreck would say: 'I said,
> Look At him, Fanny.' At which she'd pull up her shift.
>
> "For, where she should have had nipples, she had eyes. Then Madame Schreck would say: 'Look at him properly,
> Fanny.' Then those two other eyes of hers would open.
>
> They were a shepherd's blue, same as the eyes in her head; not big, but very bright. (Carter: 69)

The occurrences taking place in the circus in Petersburg, the second part of the novel, "break down the conventional hierarchical order in which man rules over animals" (Michael: 195). The circus is a place in which pigs and chimps have higher intelligence than men are. Colonel Kearney – the owner of the circus – keeps a pig that functions as both his oracle and a business adviser. Since the Colonel trusts his so-called "partner", entirely it is revealed that all the major decisions and the whole policy of the circus depend on the pig's choices regarding the cards. In this case, a man believes that an animal possesses magic powers. Colonel trusts the pig to such an extent that the animal makes decision in his stead:

> She could spell out your fate and fortune with the aid of the alphabet written out on cards -- yes, indeed! Could truffle the future out of four-and-twenty Roman capitals if they were laid out in order before her and that wasn't the half of her talents. Her master called her "Sybil" and took her everywhere with him.(…) Colonel Kearney invited his pig to tell him whether to hire the young man or no.
> (Carter: 98).

Similarly Lamarck's Educated Apes, a group of chimpanzees performing a school routine, seem to be more intelligent than their masters, only pretending to be trained animals, and perfectly capable of taking care of themselves. While pretending to rehearse their school routine in fact the chimpanzees plot against their trainer. Their leader, the Professor, gets rid of Monsieur Lamarck and forces Colonel Kearney to sign a new, more profitable contract with the apes, written by the apes themselves:

> The chimps put themselves through their own paces; the trainer's woman was no more than their

> keeper and Monsieur Lamarck, a feckless drunkard, left them to rehearse on their own.
>
> (…) The Professor's face, grinning like a Cheshire cat, was not six inches from Walser's own as he popped it on. Their eyes met.
>
> (...) Then the Professor, as if acknowledging their meeting across the gulf of strangeness, pressed his tough forefinger down on Walser's painted smile, bidding him be silent. (Carter: 107-108)

The very end of the *Petersburg* Section sees Fevvers escaping from the Grand Duke by means of jumping on the model train, *the legend The Trans-Siberian express* (Carter: 191). Fevvers' jump blurs the concept of immovable space and creates a break between reality and fantasy therefore contributing to the element of the supernatural. In this scene, her action either transports the girl to the real train at the station or the toy train becomes a real one. (Hsia: 28).

All the above-mentioned elements, supernatural characters, astonishing events and fantastical creatures, function as features strongly embedded in the novel's presented reality.

As mentioned in the beginning, one of the features of magic realism is containing an exceptional plenitude of disorienting details. The layering of these details contributes to a specific, baroque atmosphere. The space in between those layers is filled with the extraordinary and strange occurrences and is the place where real maravilloso can be observed.

The baroque abundance of the details can be observed especially in the vivid descriptions of locations and objects or the portrayal of characters. The narration, that is not only comprehensive but also overstated with an emotional commentary, creates lively and engaging pictures. The object may be nothing but ordinary yet the careful description makes it seem magical, as in the case of the simple staircase leading to the drawing-room of Ma Nelson's house:

> As for the drawing-room, in which I played the living statue all my girlhood, it was on the first floor and you reached it by a mighty marble staircase that went up with a flourish like, pardon me, a whore's bum. This staircase had a marvellous banister of wrought iron, all garlands of fruit, flowers and the heads of satyrs, with a wonderfully slippery marble handrail down which, in my light-hearted childhood I was accustomed, pigtails whisking behind me, to slide. Only those games I played before opening time, because nothing put off respectable patrons like those whom Nelson preferred so much as the sight of a child in a whorehouse. (Carter: 29)

Paradoxically, the more realistic details the description accumulates, the more magical the object or situation appears. The magical realistic narrative is filled with useless details that serve no function other than to create a sense of the concrete real, of that which is.

In this manner, the reader starts to accept things less familiar in the same train of thought portrayed in a similar carefully detailed manner:

> The French gilt clock that stood there in a glass case. This clock was, you might say, the sign, or signifier of Ma Nelson's little private realm. It was a figure of Father Time with a scythe in one hand and a skull in the other above a face on which the hands stood always at either midnight or noon, the minute hand and the hour hand folded perpetually together as if in prayer, for Ma Nelson said the clock in her reception room must show the dead centre of the day or night, the shadowless hour, the hour of vision and revelation, the still hour in the centre of the storm of time. (Carter: 29)

In achieving the magical realistic effect of plenitude, the method of description is more important than the object described. Although the clock, one of the key items of the novel, is an object suspended between the real, physical object, and

supernatural, able to manipulate the flow of time, the narrative presents the duality of its features as something completely natural and acceptable as a hard fact within the novel's reality. The plenitude of often disorienting details in terms of presenting the characters of the novel results in their portrayal being larger than life.

The extraordinary plenitude of details in the aforementioned descriptions and portrayals results in an atmosphere of marvelous real. Carter tries successfully in flooding the reader with quite ordinary things that seem stranger, or characters that become larger than life, or making the whole narrative grotesque and magical. This specific, baroque atmosphere is characteristic of magical realistic literature. Magic realism makes use of multiple planes of reality. This hybridity results from juxtaposing inharmonious areas full of opposites: urban and rural, Western and indigenous. The usual issues taken up by the writers involve questions of borders, mixing and change:

> It is a mixture of two social languages within the limits of a single utterance, an encounter, within the arena of an utterance, between two different linguistic consciousnesses, separated from one another by an epoch, by social differentiation, or by some other factor".(Bakhtin: 358)

In the last part, the vast, empty and uninhabited spaces of Siberia become a symbolic representation of freedom from control and social restraints. The rationality of the western civilization is being substituted with Eastern spirituality within the amnesiac Walser, who flees into the Siberian woods and is taken under the wing of a village shaman. The shaman teaches Walser the ways of his people, believing him to be a sort of spiritual guide.

The mixture of multiple planes of reality and the combination of the opposites, result in the co-presence of oddities, the interaction between the weird and the ordinary and emphasize magic realism's reliance on two different two world-views (Hegerfeldt: 70-72).

The ironic distance of the author allows for two simultaneous readings, a realistic and a fantastic one. The whole body of the narrative is built in a manner suggesting that the events and characters, despite their supernatural features, might have occurred. However, the very factuality that has been so meticulously established is called into question by one of the characters. Walser's initial attitude towards Fevvers is a skeptical one, and as a man well-travelled he recalls himself realizing the tricks behind the seemingly magical events he experienced in his trip to India. The rope trick and fakir on a bed of nails were simple illusions. His conclusion however, is that what (…) would be the point of the illusion if it looked like an illusion? (…) For (…) is not the whole world and illusion? And yet it fools everybody. (Carter: 16).

In addition, the story carries underlying political and social messages despite the fantastical characters and supernatural events. The novel alludes to the historical development of the suffragist movement in the nineteenth and twentieth centuries, and tackles the social issues of patriarchy and individual rights. That allows for both the realistic and the symbolic readings of the narrative.

The ironic distance is firmly connected with authorial reticence. The author purposely refuses to give the information and explanations in order to make the mysterious even more disturbing, and prevents the narrator from favoring realism over the supernatural, or vice versa. The established world-view is

threatened by an event that does not fit into the common ideas of logic or norms of reason. This event represents a world of fallacy and myth, which is difficult to accept for the sane man. The author presents two levels of reality, the natural and the supernatural. Authorial reticence integrates the supernatural into the natural framework of magical realism, where the author presents a world-view that is completely different from the reader's world. By having to explain the supernatural its position as equal to the conventional view of the world would be taken away. In fantastic, the supernatural world is perceived as different or disturbing, whereas in magical realism this world appears as integrated. The narrator places no judgment on the supernatural world, which is presented equally to the so-called rational world. In order to resolve the antimony created by the presentation of two different worlds, the reader is forced to suspend their judgment of what is perceived as rational and what is perceived as irrational (Chanady: 16-30).

Works of magic realists very often touch upon social issues and contain some degree of political critique in a manner of implicit criticism of society. Magic realist fiction has been accused of escapism in the vein of fantasy literature, that it provides an alternative, a utopian world. This claim, however, cannot be upheld for the majority of magic realist works, many of which are in fact very political. In super naturalizing certain events, the texts express an astonished disbelief about the state of the world, suggesting that the idea of such things actually happening exceeds, or should exceed, human imagination. Within the text, a fantastic style is used to characterize the events as almost impossible, and at the same time these passages either refer to historical events or have clear historical parallels. Therefore, far from denying the reality of such events, the

fantastic tone conveys a sense of despair over the fact that, tragically, they are possible (Hegerfeldt: 61).

The women of the novel represent the suffragists and the entire women's suffrage movement of the nineteenth and twentieth centuries. Fevvers, Lizzie and the remaining female characters represent the New Woman, a feminist ideal of a woman who pushes against the limits of the male-dominated society with her entirely new way of thinking. However, the fact that women are depicted as strong, independent thinkers that can overcome their restrictive gender roles is more connected to post-feminist thought. In post-feminism women are no longer seen as victims and traditional feminism is no longer applicable in the contemporary society. Many characters challenge the conventional social and gender roles of their times and remain true to themselves therefore praising individualism. The women do not follow their nineteenth century gender roles nor do the animals behave in the way that would be expected. Lizzie and the other women in the brothel support the concept of individualism when they remain independent and describe marriage as a socially acceptable form of slavery.

Nights at the Circus also raises the issue of social class. Fevvers, Lizzie and Walser function outside of the traditional social structures. The remaining characters, prostitutes, clowns and other circus performers inhabit the lower level of social hierarchy. Wealth brings with itself power Fevvers having many opportunities in London loses all her influences in Siberia, despite her celebrity status. Similarly, Walser falls down the social ladder the very moment he becomes a clown in the circus. Throughout the whole story, the ideas of confrontation between appearance and reality are all pervasive. The truth about Fevvers' wings is the key point of this concept in the novel, although further doubts arise by Fevvers' final, celebratory cry.

The reader is left questioning whether the real deception refers to Fevvers' wings or to her glorified virginity. Even though Fevvers looks human, she claims to carry the wings of her avian ancestors. Similarly, although the women in the brothel work as prostitutes, they are simultaneously self-sufficient, forward thinking women. Lizzie even compares them to suffragists. Nothing is as it seems in the novel, and even the animals are given magical features and are taken out of their conventional boxes. Through these magical elements, the reader's perception of reality is tested and one is challenged to question their surroundings (Stoddart: 64-65).

The story moves back and onward from order to chaos, usually with the narrative between Fevvers and Walser. While Fevvers remains hypnotizing in her narrative, she is also disorganized and jumps back and forth in time during her tales. Walser is quite the opposite. He is practical and grounds the reader in reality in his journalistic search for the facts. Fevvers represents the chaotic part in life while Walser represents the order.

Conclusion

Nights at the Circus utilizes many features characteristic of the magical realistic literature. It treats the supernatural elements as the unquestionable part of the presented world and contains plenitude of details that create a baroque atmosphere. It juxtaposes dramatically different settings and planes of reality with resulting hybridity. In keeping the ironic distance, the narrative respects both the magic and realism, and never transgresses from the magical real into the realm of fantasy literature or fairytale. The credibility of the world and the accuracy of the events are never clearly defined and, according to the authorial reticence technique, no interpretation, neither realistic or symbolic, is ever imposed on the readers who are to make their own meaning of the novel. Political critique, a common tool in magical realism, takes as its aim subjects of individualism, personal freedom, patriarchy, equality and feminist and post-feminist movements. All the aforementioned features clearly categorize Angela Carter's *Nights at the Circus* as a magical realistic novel.

References

-Bakhtin, Mikhail Mikhailovich. *The Dialogic Imagination*. Texas: University of Texas Press, 1981.68

-Baldick, Chris. *The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms*, 3rd ed.,London: Oxford University Press, 2008.

-Bowers, Maggie A. *Magic(al) Realism*. New York: Routledge, 2004.

-Carpentier, Alejo: "The Baroque and the Marvelous Real (1975)" from *MR: Theory, History, Community*.

- Carter Angela. *Nights at the Circus*. London: Vintage. Random House, 1994.

-Chanady, Amaryll Beatrice. *Magical Realism and the Fantastic: Resolved versus Unresolved Antinomy*. New York: Garland Publishing Inc., 1985.

-Encyclopedia Britannica. 2010. Encyclopedia Britannica online. "Baroque period.".<http://www.britannica.com/ebchecked/topic/53809/Baroque-period> (06July 2010)

-Hegerfeldt, Anne C., *Lies that Tell the Truth: Magic Realism seen through contemporary Fiction from Britain*. Amsterdam - New York: Rodopi B.V., 2005.

-Hsia, Chen-I. *Deconstructing Binary Opposition in Angela Carter's "Nights at the Circus"* . Taiwan: National Chengchi University, 2005.

-http://en.wikipedia.org/wiki/Angela _ Carter

-Michael, Magali C. *Feminism and the Postmodern Impulse: Post-World War II Fiction* . State University of New York Press, 1996.

-Stoddart, Helen. *Angela Carter's "Nights at the Circus"*. London and New York: Routledge, 2007.

-Zamora, Lois Parkinson and Faris, Wendy B., ed. *Magical Realism: Theory, History, Community*. Durham and London: Duke University Press, 1995.

العيوب الصرفية في بنيّة النصّ الشعري عند البلاغيين والنقّاد في العصر العباسي

أ.د. أحمد حمد محسن
جامعة تكريت/ كلية التربية

م.محمدّ حسين توفيق
جامعة تكريت/ كلية التربية

المقدمة

الحمدّ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومَنْ اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن البذور الأولى لمظاهر النقد اللغوي قد ظهرت كأثرٍ رافق الرواية، بل نستطيع القول إن النقد اللغوي نشأ بسبب الرواية؛ لأن جهود الرواة لم تقف عند جمع الشعر وتدوينه، وإنما عملوا على نقده وتصويبه فتجاوز حدود التذوق إلى أحكام معللة، وقد كان لهم فضل الريادة في إيلاء الحسّ النقدي أهمية كبيرة في اختيار الشاهد، وقد عالجوا دلالات ألفاظه وصحّة تراكيبه، ولفتوا النظر إلى بعض المآخذ النحوية والصرفية التي وجدوها عند هذا الشاعر أو ذاك فأُخضع الشعر إلى معايير نقدية مثّلت بوادر النقد اللغوي عند العرب.

لقد تعاطى البلاغيون والنقاد في نقدهم للبنية اللغوية للنصّ الشعري وهم يبحثون عن العيوب والمآخذ التي تعتريه، مع اللفظة التي تعدّ السبب الأساسي لكلّ نقدٍ يوجّه إلى اللغة؛ ذلك لأنها تعدّ من أصغر الوحدات التي لها معنى في سياق الكلام المتصل، فضلاً عن أنَّ الدراسات اللغوية في مباحثها تبحث عن المستوى الصوابي في تأليف الكلام من خلال اللفظة كمفردة وكلفظة تتدرج في سياق أسلوبي

ينتظم وفق أصول علوم العربية التي يتوصّل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ، وعلى هذا فقد كان البلاغيون والنقاد في نقدهم للفظة في سياق النصّ الشعري وفي بحثهم عمّا يعتريها من عيوبٍ لغوية تعلّقت بأحوال اللفظ العربي في حالتيه، حالة التركيب وحالة الإفراد،اهتموا بما يعتري أواخر اللفظة من رفعٍ ونصبٍ وجرّ.

وهذا ما حدانا إلى دراسة هذا الموضوع الذي أسميناه(العيوب الصرفية في بنية النصّ الشعري عند البلاغيين والنقّاد في العصر العباسي)، والذي قسّمناه على مطالب استوفت بعض الشيء قضايا العيوب الصرفية التي اعترت بنيّة النصّ الشعري وآراء البلاغيين والنقاد فيها، منها مخالفة المثنى والجمع الصيغ القياسية، والخطأ في الاشتقاق الصرفي للألفاظ، ومخالفة القياس في قصر الممدود ومدّ المقصور، وفكّ إدغام المثلين، والزيادة المخلّة في بنية الكلمة وغيرها .

استعنّا بجملة مصادر صرفية، كان من أهمها سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي(ت٣٩٢هـ) والممتع في التصريف لابن عصفور الأشبيلي(ت٦٦٩هـ)وشرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)،ومصادر نقدية وبلاغية من أهمها الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي(ت٣٧٠هـ)،وسرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي(ت ٤٦٦هـ) والنقد اللغوي حتى نهاية القرن السابع الهجري للدكتور نعمة رحيم العزاوي ،واتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري للدكتور أحمد مطلوب وغيرها .

وأخيراً نقول إن محاولتنا هذه تبقى قاصرة وصغيرة، وقد رمنا من خلالها الإطلالة من نافذة البحث على العيوب التي اعترت بنية النصّ الشعري الصرفية ورأي البلاغيين والنقّاد فيها.

- توطئة

الصرف علمٌ موضوعه أبنية المفردات العربية ، فالتصريف ((علمٌ بأصولٍ تُعرف بها أحوال أبنية الكَلِم التي ليست بإعراب))[١] ، وعلاقته منحصرة بالكلمة نفسها وبما يطرأ على تلك الكلمة من تغييراتٍ في حروفها وحركاتها مما ليس له علاقة بالإعراب والبناء اللذين يهتمُ بهما علم النحو[٢]، فالنحو يهتم بعلاقة الكلمة في سياق النصّ، وهو يوضّح علاقة تلك الكلمة بالكلمات الأخرى في ذلك السياق، والتي تكسبها اختلافاً في المعاني تبعاً لاختلاف موضعها في الجملة، وأما الصرف فيتناول الكلمة المفردة وما يعرض لبنائها من تغيير، بجمعٍ أو تصغيرٍ أو نسب أو اشتقاق، وما يطرأ على حروفها من إعلالٍ وإبدالٍ وحذفٍ أو قلب أو إمالة أو إدغام، أو جمع أو تثنية، وقصرٍ أو مد[٣].

وقد حدد ابن جني فائدة التصريف بقوله((التصريف يحتاج إليه جميع أهل اللغة أتمّ حاجةٍ، وبهم إليه أشدّ فاقةٍ؛ لأنه ميزان العربية وبه نعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف))[٤].

ولأهمية علم الصرف نجد أن علماء اللغة وضعوا القواعد الصرفية وقوانين البناء الصرفي للكلمات، وأوجبوا على المنشئ الالتزام بهذه القواعد والقوانين التي التزمها العرب في كلامهم[٥]؛ ذلك لأن حدوث أي تغيير أو تصريف في بناء الكلمة يرافقه تغيير في المعنى إذ ((تلعب طرائق البنية واشتقاق الصيغ اللغوية دوراً كبيراً في الدلالة على المعنى))[٦] ،لذلك فعلى الشاعر أن يحافظ على ما وضع من قواعدٍ وقوانين للبناء الصرفي للكلمة، وعدم الخروج على الأمور القياسية في قواعده؛ لتؤدي اللفظة دورها في إيضاح المعنى وبيانه.

ومع أن المخطئ في التصريف أندرُ من المخطئ في النحو عند ابن الأثير((لأنه قلّما يقع له كلمة يحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنقل في

حروفها))[٧] ومع هذا فإننا نجد أن البلاغيين والنقاد قد كثرت ملاحظاتهم ومآخذهم على الشعراء نتيجة لما أحدثوه من خروجٍ على قواعد التصريف القياسية في أبنية الكلام من جمعٍ أو تثنية، وقصرٍ أو مد، وحذفٍ أو زيادة، أو اشتقاق، أو قلبٍ أو إبدال، وتخفيفٍ أو تشديد، وما إلى ذلك، ولنا أن نقف الآن عند أهم عيوب التصريف في بنية النصّ الشعري على ما وجدناه في مؤلفاتهم على سبيل التمثيل لا الحصر .

– **مخالفة بناء المثنى لصيغته القياسية** :

ومن عيوب اللفظ الوارد في النصّ الشعري، استعمال الشعراء لصيغة بناء المثنى في غير ما سُنَّ له من قواعد البناء والصرف، إذ يولّد هذا الانحراف صياغة بنيةٍ لغوية شاذة ومخالفة للمتعارف عليه، ومن ثَمَّ تؤدي إلى نشوء لفظة غير معلومة في دلالتها، فمما أخطأ فيه المتنبي قوله:

مَضَى بَعْد مَا التَفَّ الرِّماحانِ سَاعَةً   كَمَا يَتَلقَّى الهُدْبُ في الرَّقْدةِ الهُدْبَا

فأنكروا تثنية الرماح وهو جمع رمح[٨]، ذلك أن الاسم الصحيح أو بما هو بمنزلة الصحيح يُثنّى بزيادة الألف والنون أو الياء والنون، بدون عمل سواهما[٩]، والخطأ حاصلٌ لمخالفة الشاعر الصيغة القياسية في تثنيته للجمع، والتثنية إنّما تكون للمفرد.

وقد علل القاضي الجرجاني جواز قول(الرماحان) عند النحويين إذا اختلفت الضروب والأجناس[*]، وهو يثبت دفاع المتنبي عن هذا الاستعمال، ويحتجّ بقول أبي النجم :

تنقلتُ من أول التنقّل   بين رماحَيْ مالكٍ ونهْشَلِ[١٠]

والجرجاني أيّد ما احتجّ به المتنبي، يقول((وأكثر ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النجم وأضربه من شعراء العرب، فهم القدوة وبهم الإئتمام، وفيهم الأسوة))[١١].

– **مخالفة صيغ الجمع القياسية** :

إن صياغة الكلمة وبناءها يجب أن يتوافق والقياس اللغوي، وما تقتضيه أعراف اللغة التي تتطلّب مراعاة القياس في البناء الصرفي لتلك الكلمة، ذلك أن أي خروجٍ عن مقتضى الصواب في البناء يولّد أبنية لم تتكلّم بها العرب، وينتج صيغة

لفظية تتسم بالشذوذ والانحراف عن المسار الصحيح ، وما قد يولده ذلك من تغيير في دلالة الكلمات ومن ثَمَّ ما يؤديه ذلك من اختلال في بنية النصّ الشعري.

فمما جاء مخالفاً للبناء الصرفي الصحيح من أخطاء الشعراء جمعهم بعض المفردات جمعاً خالفوا فيه صيغ الجمع القياسية، فكان ذلك من العيوب التي وقف عندها النقاد والبلاغيون، وهم يحاولون توجيههم إلى وجه الصواب فيه[١٢] .

ومن النماذج التي قدموها في هذا الجانب ما أخطأ فيه الطرماح في جمع(إحنة) لقوله :

أكْرهُ أنْ يعيب عليَّ قومي هِجَائي الأرْذَلِينَ ذَوِي الْحِنَاتِ[١٣]

فجمع (إحنة)على غير الجمع الصحيح، والصواب أن يقول (إحَن)[١٤] ؛ ليكون الجمع على وفق ما تقتضيه الصيغة القياسية لجمعها، والتي تتوافق وقواعد اللغة ، والخطأ حاصل من خلال قيام الشاعر بتغيير صيغة بناء الكلمة، وهو قد عمد إلى حذف الهمزة التي هي أصل في بنية الكلمة، وإضافة الألف والتاء خطأً؛ لاعتقاده أن الكلمة تجمع جمع مؤنث سالماً، وهذا بالتأكيد يفقد الكلمة دلالتها التي وضعت لها في أصل اللغة، ويضعف سمة فصاحتها، حتى إننا لنجد الأصمعي فيما حكى أبو النصر عنه أنه قال ((كنا نظن الطرماح شيئاً حتى قال :

أكْرهُ أنْ يعيب عليَّ قومي هِجَائي الأرْذَلِينَ ذَوِي الْحِنَاتِ

؛ لأنها إحنة، وإحن ولا يقال: حنات))[١٥].

ومما عيب من جمعٍ خالف قواعد الصرف قول المتنبي :

إذا كان بعضُ الناسِ سيفاً لِدوْلةٍ ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

فأخطأ في جمع بوق على بوقات، والصواب أبواق[١٦]؛ لأنه يجمع باب فُعْل على أفعال في القلّة، وأفْعُل، وعلى فُعول وفِعال وفِعلَة وفُعْلان وفِعَالة في الكثرة[١٧].

لقد انحرف المتنبي عن الصيغة القياسية للجمع وهو يجمع (بوق) جمع مؤنث سالم قياساً على جمع حمَّام حمَّات وساباط على ساباطات، وسائر ما جمعوه من المذكر بالتاء في جمع ما لا يعقل من المذكر؛ لأن جمع (فُعْل) على (فُعْلات) مما لا يُعرف في شيءٍ من الكلام في صحيح ولا معتل[١٨]، إذ لم يرد جمعها في معاجم اللغة إلا على أبواق وبيقان[١٩].

على أنَّ هناك مَنْ احتجّ على تخطئة المتنبي في جمعه هذا،إذ قال ((إنَّ أصل الجمع التأنيث، ولذلك جاء ما جاء منه بالتاء، وإن كان في الأصل مذكراً، قال: فمَنْ جمع اسماً لم يَجِد عن العرب جَمْعه فأجراه على الأصل لم يَسُغْ الردّ عليه، ولم يَجز أن ينسب إلى الخطأ لأجله، وهذا اسمٌ أعجمي تكلّمت به العرب، ولم يُحفَظ عنهم جمعه، فلمَّا احتاج المولّدون إليه أجْرَوه على أصل الجموع، وتَبِعوا فيه عادة العرب في الأسماء المنقولة عن الأسماء الأعجمية، نحو:سُرَادِق وسُرَادِقات، وسابَاط وسابَاطات،وخَان وخَانات،... وقد ترخَّصوا في الأسماء العربية بمثل ذلك تغليباً للتأنيث في هذا الباب، فأخرجوها عن أبوابها،... كلّ هذا تقديماً للتأنيث في باب الجمع، وميلاً به عن التذكير،ولكلّ اسمٍ من هذه الأسماء قياسٌ مطّرد وبابٌ متَّسق، عدلوا به عنه وهو معرض، وتركوه وهو سهلٌ ممكن، فلهذا وأشباهه اختار أبو الطيّب بوقات على أبْواق، والوزن يتمّ بهما، والضرورة لا تدفع أحدهما))[٢٠].

والقياس في هذا الموضع لا يطّرد، بيد أننا نجد ابن الأثير يؤخذ على المتنبي جمع كلمة(العين) على (أعيان) رغم جوازها في قوله :

والقومُ في أعيانِهِم خَزَرٌ والخيلُ في أعيانِهَا قَبَلُ

وهو يرى أن (أعيان) ليس فيها حلاوة (عيون) على اللسان، والذوق يأبى ذلك وإن كان جائزاً[٢١].

– الخطأ في الاشتقاق[٢٢] الصرفي للألفاظ :

من عيوب اللفظ في النصّ الشعري أن يجيء الشاعر باشتقاق للفظ وفق بنية صرفية، وقد خالف فيها قواعد اللغة ومقاييسها الصحيحة؛ لأن ذلك دونما شكّ يؤدي إلى تكوين بنى صرفية شاذة لم يقُل بها العرب، فضلاً عمَّا يحدثه هذا الخطأ في الاشتقاق من اضطراب على المستوى الدلالي للفظة، وبما يحدثه من أثرٍ في توجيه المعنى في البنية الشعرية إلى غير وجهته، فمما وقف عنده البلاغيون والنقاد في هذا الموضع قول رؤبة :

لا يلتوي من عاطسٍ ولا نَغَقِ

يقول ابن قتيبة (والصواب (النغيق) أو (النغاق) يقال لصوت الغراب[٢٣]، فقد أخطأ رؤبة وهو يجيء بمصدر لم تألفه العرب، وترك المصدرين المسموعين للفعل (نَغَقَ)، وربما ساقته القافية إلى هذا الخطأ الذي لم يجد له د.نعمة رحيم مسوغاً على الرغم من حمله على الضرورة[٢٤].

ومما جاء غلطاً في الاشتقاق ما عيب على أبي تمام في قوله :

بالقائمِ الثَّامنِ المسْتَخْلفِ اطّأدَتْ   قواعدُ الملكِ ممتداً لها الطّولُ

يقول ابن الأثير ((ألا ترى أنه قال (اطّأدتْ) والصواب(اتطَدَتْ) ؛لأن التاء تبدل من الواو في موضعين: أحدهما مقيسٌ عليه كهذا الموضع[٢٥]؛لأنك إذا بنيت(افتعل) من الوعد قلت(اتعَدَ) ، ومثله ما ورد في هذا البيت، فإنه وطَدَ يَطِدُ، كما يقال: وعَدَ يَعِدُ، فإذا بُنيَ افتعل قيل (اتطدَ) ولا يقال(اطأد)))[٢٦].

فكلّ فعلٍ مجرد كانت فاء الافتعال فيه واواً أو ياءً أصلية أُبدِلَت تاءً وأُدْغِمت في تاء الافتعال، وكذا ما تصرّف منه[٢٧].

– مخالفة القياس في قصر الممدود أو مدّ المقصور:

ومن عيوب بناء الكلمة عند البلاغيين والنقاد التي تؤول إلى فساد النظم أن يعمد الشاعر إلى قصر الكلمة وهي ممدودة أو مدّها وهي مقصورة في سياق النصّ الشعري، وهو بذلك يخالف قواعد اللغة ومعياريتها التي حددت أصول بناء الكلمة؛ لتؤدي دورها الدلالي في النصّ.

يقول ابن فارس((والشعراء أمراء الكلام،يقصرون الممدود ولا يمدّون المقصور ،ويُقدّمون ويؤخِّرون،ويومئون ويُشيرون،ويختلسون ويُعيرون،ويستعيرون،فأما لحنٌ في إعرابٍ أو إزالة كلمة عن نهج صوابٍ فليس لهم ذلك،ولا معنى لقول مَن يقول:إنّ للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز...فما صحّ من شعرهم فمقبولٌ،وما أبَتْه العربية وأصولها فمردود))[٢٨] ، ومما وقف عنده ابن سنان من أخطاء الشعراء في هذا الموضع قول الأعشى وقد قصر كلمة(العدا) وهي ممدودة، إذ يقول :

والقارحَ العَدَّا وكلَّ طِمِرَّةٍ   ما إن تنالُ يدُ الطويلِ قَذَالَها[٢٩]

ومدّ كلمة (غناء) وهي مقصورة في قول الشاعر :

سيغنيني الذي أغناكَ عنّي   فلا فقرٌ يدومُ ولا غِناءُ[٣٠]

فكلمة (العدا) جاءت مقصورة [*]وهي اسم ممدود بعد أن حُذِف منها صوت الهمزة، والأصل في الكلمة أن يقول(العداء)؛ ذلك لأنها اسمٌ معرب معتل، آخره همزة قبلها ألفٌ زائدة، أتت على زنة (فِعَّال) صيغة مبالغة لـ (فاعَلَ) المعتل اللام[٣١].

أما كلمة (غِناء) فأصلها القصر (غِنَى)، وقد مدَّها الشاعر هنا فقال غِناء بعد أن أُضيف إليها صوت الهمزة، وفي كلا الموضعين خالف الشاعران صواب صياغة الكلمة وبناءها من خلال حذف أو إضافة صوت الهمزة، وتكوين بنىً قد لا تعبّر عن المعنى المراد التعبير عنه في سياق النصّ الشعري، أو تعمل على إحداث

لبسٍ في فهم المعنى، فكلمة (غِنى)[٣٢] –مثلاً– في دلالتها المعجمية تعني (الثراء) ، ولكن عند إضافة صوت الهمزة إلى بنائها الصرفي (غِناء) نجد أن دلالة الكلمة قد تغيّر إلى معنى آخر وهو (الطرب والتنغيم)، وهو حتماً لا يمثّل دلالة الكلمة الأصلية ولا يتوصّل إلى معناها إلا من خلال فهمها في سياق النصّ وبما يجاورها من معانٍ للألفاظ .

وهذا مخالف لسياقات اللغة التي تعمد إلى الوضوح شرطٍ من شروط فصاحة الكلمة[*] .

ومع أن ابن سنان عدّ قصر الممدود أو مد المقصور في بنى الكلمات المؤلفة للنصّ الشعري من المآخذ الصرفية،فالبصريون والكوفيون ذهبوا إلى إقرار جواز قصر الممدود في ضرورة الشعر وهذا مما لا خلاف فيه، ولكنهم اختلفوا في جواز مدّ المقصور، فالبصريون ذهبوا إلى المنع، وذهب الكوفيون إلى الجواز في ذلك[٣٣]، وهو حسن في الضرورة الشعرية بشرط ألاّ يؤدي المدّ إلى خفاء المعنى أو غموضه فجائزٌ مد (غنى) وهو اسم مقصور، فنقول (غناء) ولا يجوز هذا في النثر الذي لا يلحق بالشعر في الضرورة[٣٤].

– **فكّ إدغام المثلين**:

من العيوب التي تعتري بنية الكلمة الذي يؤدي إلى خروجها عن حدّ الفصاحة؛ لمخالفتها للقياس الصرفي الصحيح، فكّ إدغام المثلين، فمن الأمثلة في المخالفة في القياس والوضع التي وقف عندها البلاغيون والنقاد وهم يعيبون فكّ إدغام الحرفين المتماثلين مما ورد في بنية النصّ الشعري قول قعنب بن أم صاحب:

مهلاً أعَاذِلَ قد جَرَّبتِ من خُلُقي   إنّي أجودُ لأقوامٍ وإن ضننوا[٣٥]

حيث فكّ ما يجب إدغامه، وهذا شاذ لا يجوز في الكلام، وإنما جاء هنا ضرورةً، ومثله قول أبي النجم :

الحمدُ لله العليّ الأجلِلِ   الواهب الفضلِ، الوهوبِ المُجْزِلِ [٣٦]

فقد ضاعف الشاعر ما لا يجوز أن يضاعف في الكلام[٣٧]، وعدّ هذا القول غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ورد عن الواضع؛ لأن الصحيح (وإن ضنوا) و(العلي الأجلّ) بالإدغام، والإدغام يقتضي إدغام المثلين[٣٨]، وهذا مما أنكره أهل اللغة للتصرف الفاسد في الكلمة[٣٩]؛ وذلك لأن التضعيف يثقل على الألسن، واختلاف الحروف أخفّ من أن يكون في موضعٍ واحد، إذ ((يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم في موضعٍ واحد، ثم يعودوا له، فلمّا صار ذلك صعباً عليهم أن يداركوا في موضعٍ واحد، ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا؛ لتكون رفعة واحدة، وكان أخفّ على ألسنتهم))[٤٠].

ومع هذا نجد أن سيبويه يجعل من ذلك مما يحتمله الشعر بأن يرجعوا الألفاظ إلى أصلها المتروك، يقول ((وقد يبلغون بالمعتل الأصل، فيقولون(رادد) في (رادّ) و(ضننوا في ضنّوا)))[٤١] ، وفي هذا يقول ابن جنّي((ونحو ذلك مما ظهر تضعيفه، فهذا عندنا على إجراء اللازم مجرى غير اللازم من المنفصل نحو(جعل لك) و(ضرب بكر)))[٤٢].

وقد ذهب المبرد إلى جواز ذلك في الشعر[٤٣]،وإلى ذلك ذهب أيضاً ابن رشيق في جعل فكّ الإدغام من رخص الشعر، فالشاعر يجوز له من الزيادات... إظهار التضعيف كقول أبي النجم العجلي :

تشكو الوَجَى من أظْلَلٍ وأظْلَلِ

وإنما هو (الأظلّ) وهو باطن خفّ البعير[٤٤].

ومهما يكن من أمر فإن مخالفة صيغة الكلمة البنائية للقواعد اللغوية والصرفية من فكٍّ للإدغام والتضعيف تُعدّ انحرافاً عن المسار القاعدي الصحيح، وإن تعذّر للشاعر بالضرورة الشعرية، خاصة إن كان للشاعر القدرة على استبدال هذه

الكلمات بكلماتٍ أخرى تتوافق مع دلالتها وتؤدي الغرض نفسه في التعبير عن المعنى العام للنصّ الشعري، وقد مثّل ابن الأثير لذلك بقول المتنبي :

ولا يُبْرَمُ الأمرُ الذي هو حاللٌ   ولا يُحلَلُ الأمرُ الذي هوَ مُبْرِمُ(٤٥)

فقد أظهر التضعيف في قوله(حالل) بناءً لمقتضى الضرورة الشعرية على الرغم من مخالفتها للقياس الصرفي، وكان قادراً على استبدالها بما يوازيها من كلمة تحمل الدلالة نفسها، كأن يقول :

ولا يُبْرمُ الأمرُ الذي هو ناقِضٌ   ولا ينقضُ الأمر الذي هو مُبْرِمُ

فعند ذاك تكون الكلمة مستقرة في موضعها، غير قلقة، ولا نابية ولا نافرة، وغير مخالفةٍ للقواعد اللغوية في صياغة أبنيتها(٤٦).

لهذا نجد أبا هلال العسكري يؤكد على ضرورة اجتناب الضرورات، يقول((وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات، وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية، فإنها قبيحة تشين الكلام وتَذهَب بمائه، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم؛ لعدم علمهم بقباحتها، ولأن بعضهم كان صاحب بداية، والبداية مزلة، وما كان أيضاً تنقد عليهم أشعارهم، ولو قد نقدت وبهرج منها المعيب كما تُنْقَد على شعراء هذه الأزمنة ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها))(٤٧).

– تشديد الحرف المخفف :

التشديد من العيوب التي تمسّ بنية الكلمة،ذلك أنَّه يدل على زيادة في صوت الحرف المشدد، فإذا جاء بما لا توافقه قواعد اللغة ومقاييسها عُدّ ذلك عيباً في بنية الكلمة؛((واعلَم أنّ التضعيف مستثقلٌ،وأنّ رفع اللسان عنه مرةً واحدة ثم العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه،ولا فصلَ بينهما؛فلذلك وجب))(٤٨) ، لذا نجد ابن قتيبة يآخذ على أبي تمام تشديد (الياء)في كلمة الشجيّ في قوله:

ألاَ وَيْلَ الشَجّيِ منَ الخليّ   وويْلُ الرَّبْعِ من إحدى بَلِيّ

فالعرب تقول((ويلٌ للشجي من الخليّ،الشجي خفيف،والخليّ شديد))(٤٩)، ومما شابه هذا العيب، ما أخذ به على المتنبي في تشديده النون في لفظة لدن:

فارحامُ سِعْرٍ يتَّصلنَ لَدُنَّهُ   وارحامُ مالٍ ما تِنى تَتَقَطَعُ

فأنكروا تشديد النون من لدنّ، وإنما هو لدُن،ولَدْن،وأما تشديد النون فغير معروف في لغة العرب(٥٠).

وقد دافع المتنبي عن تشديده للنون في لدن،وهو يحتجّ بما ذكره صاحب الوساطة،يقول((قد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا للاضطرار إليه،ولكن للاتساع فيه،واتفاق أهله عليه،فيحذفون ويزيدون))(٥١).

وما من شكّ في أنَّ احتجاج المتنبي قائمٌ على إيمانه بضرورة التوسّع في استثمار اللغة بما يعطيه من مرونة في تكوين بنىً لغوية تجيزها لغة الشعر التي تجوّز للشاعر ما لا يجوز لغيره؛ لذا لم يجد القاضي الجرجاني في تشديد نون لدن عيباً، وهو يرى أن((التشديد في لدنّ أحسن من هذا كله؛لأن النون ساكنة مع هاء، والنون تتبيّن عند حروف الحلق لتباعدها منها، فزادوا في تبيّنها فاجتلب التشديد))(٥٢).

وهو يرى أنّ جودة النصّ تكون في عدم ارتكابها سِمة الفصاحة والكمال الفني(٥٣).

ويمكن أن تشدد الياء أو تخفف فتدلّ كل كلمة منها على دلالة مغايرة للأخرى؛ لأنه((إذا قيل شَج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجى يشجى فهو شجٍ...فإذا قيل شجيّ بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه،فهو مشجُوّ))(٥٤)، ويبدو أن أبا تمام قد عمِدَ إلى استخدام اللفظ بما أجازته له اللغة؛ للحفاظ على سلامة الوزن في البيت الشعري.

فالضرورة ((عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذُكر،إذ ما من ضرورةٍ إلاّ ويمكن أن يُعوض لفظها غيره، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل))[٥٥].

- إبدال حرف من حروف الكلمة بغيره:

يعدّ التغيير في البنية الصرفية لكلمة من خلال إبدال أحد حروفها بحرفٍ آخر، إبدالاً لم تقرّه قواعد اللغة من العيوب التي من شأنها أن تُفْقِد الكلمة سمة فصاحتها؛ لانحراف بنائها عن السمت اللغوي الصحيح، ومن هنا نجد البلاغيين والنقاد يأخذون على الشعراء تصرفهم في إبدال حروف بعض الكلمات دونما سبب تقرّه قواعد اللغة على المستوى الصرفي، ومن ذلك قول الشاعر:

لها أشاريرُ من لحمٍ تُتَمِّرُهُ   من الثَّعالِي ووخزٌ من أرَانِيها

يريد الثعالب وأرانبها، فأبدل الياء من الباء[٥٦]، ويبدو أن العيبَ متأتٍ من استبدالٍ لحرف الباء بحرف الياء، وتكوين كلمتين ذات بنية صرفية جديدة غير مألوفة في دلالتها، وقد ذهب بعض البلاغيين وهم يتبعون آراء بعض اللغويين في حمل هذا الاستبدال للحرف على الضرورة الشعرية[٥٧]، وقد زعم سيبويه أن الشاعر لما اضطر إلى (الياء) أبدلها مكان(الباء) فقد أراد الثعالب والأرانب، فلم يمكنه أن يقف على الباء، فأبدل منها حرفاً يمكن أن يقفه في موضع الجر وهو الياء[٥٨]، فالباء لا يجوز أن تُسكّن فلما أبدل مكانها (الياء) وهي تُسكّن في حالتي الرفع والجر، استقام له البيت، نقول: هذا القاضي، ومررتُ بالجواري، فتُسكّن الياء في حالتي الرفع والجر، ولا نقدر أن نقول: مررتُ بالثعالبْ إلا في الوقف[٥٩]، ويرى ابن جني أن كلمة(الثعالي) يحتمل أن تكون جمع (ثُعالة) وهو الثعلب، وأراد الشاعر أن يقول(ثعائل) فقلب وقال(ثعالي)[٦٠] ، على أننا نجده لم يبرر للشاعر قوله (أرانيها) .

ومثل هذا قول الشاعر:

ومَنْهَلٍ ليسَ بهِ حوازِقٌ   ولِضفَادِي جمِّهِ نقانِقُ

يريد الضفادع[٦١]، فأبدل مكان العين ياءً، لأنه أراد أن يسكّن و(الياء) تُسكّن في الرفع والجر، وهذا كلّه شاذ[٦٢]؛ فقد جاء الشاعر بكلمةٍ ذات بنيةٍ صرفية انحرفت عن المسار القاعدي الصحيح،ورافقها تشكّل دلالة مبهمة لا تفهم إلا من خلال ما يجاورها من ألفاظ في سياق النصّ، ففي هذا الموضع نجد أن ما دلّ على دلالة كلمة (الضفادي) ورود لفظ(نقانق)، فالنقانق جمع نقنقة،وهي أصوات الضفادع[٦٣].

وقد سوّغ سيبويه هذا التبدّل في حرف الكلمة بقوله((فلما اضطر إلى أن يقف آخر الاسم كرِه أن يقف حرفاً لا يدخله الوقف في هذا الموضع، فأبدل مكانه حرفاً يوقف في الجرّ والرفع، وليس هذا لأنه حذف شيئاً فجعل(الياء) عوضاً منه، ولو كان ذلك لعوضت (حارثاً) الياء، حيث حذفت(الثاء) وجعلت البقية بمنزلة اسم ينصرف في الكلام على ثلاثة أحرف، وذلك حين قلت(يا حارُ)))[٦٤] ، وقد ذهب إلى ذلك ابن عصفور في جواز هذا البديل في هذين الموضعين، وهو يقول قولاً مشابهاً لقول سيبويه[٦٥]، ومهما يكن من أمر فإن هذه التغيرات في بنى الكلمات من خلال استبدال حروفها وما ينتج عنه من تغيّر في بنائها الصرفي، وما رافقه من غموض دلالي قد شكّل سبباً في مؤاخذة الشعراء على ما ذهبوا إليه خاصة أنَّ ثراء اللغة يُمكِّن الشاعر من استخدام ألفاظٍ لها الدلالة نفسها في التعبير عمّا يريده الشاعر بعيداً عن الخطأ أو الشذوذ، وبما يضمن لهم الالتزام بقواعد اللغة وقوانينها التي يكتسب بها الكلام سمة الفصاحة والحسن[٦٦].

- تغيير الحركة الإعرابية في البنية اللغوية:

إن الحركة الإعرابية لها أثرٌ في إيضاح المعاني المراد التعبير عنها(٦٧)، في سياق أيّ نصٍّ لغوي، وقد عمد علماء اللغة إلى تقنين القواعد التي تبيّن مواضع هذه الحركات وما تلحق به، بحيث تؤدي دورها في إيضاح معاني الألفاظ المندرجة في سياق النصّ، لذلك فقد عُدّ أي خروج عن معيارية اللغة وقواعدها في التصرف في تغيير الحركات الإعرابية بما لا ينسجم والاستعمال الجاري للغة، من العيوب التي تعتري البناء اللغوي، وعلى هذا فإننا نجد ابن قتيبة يأخذ على أبي نواس قوله:

شَمُولٌ تخطَّتها المنون،فقد أتت   سِنونٌ لها في دَنِّها وسِنُونُ
تراثُ أناسٍ عن أُناسٍ تُخرِّمُوا   توارثها بعد البنينِ بَنونُ

فقد رفع نون الجمع، والأصل فيها أن تأتي مفتوحة(٦٨).

ومما وقع فيه الخطأ قول الشاعر:

كانت عجوزاً عُمِّرَتْ زماناً   وهي ترى سيئها إحسانا
تعرفُ منها الأنْفَ والعيْنانَا

ففتح النون من العينانا(٦٩)، وهذا خطأ، وفي ذلك قال أبو حاتم ((وأخطأ في قوله العينانا، إنما هو العينينِ، وهو مفسدٌ ولا يجوز فتح النون خاصةً، ولو قال العينانِ لكان على لغة بني الحارث بن كعب))(٧٠).

- الزيادة المخلّة في بنية الكلمة:

وقد تتعرض الكلمة إلى زيادة في تركيبها الصرفي، فتؤدي تلك الزيادة إلى حدوث خلل في بنائها من خلال تكوين بنية لغوية مخالفة للقواعد الثابتة للقياس والوضع العربي الصحيح- وكما ذكرنا – أن أي مخالفة في البناء الصرفي للكلمة قد يولد بنى ذات دلالات مخالفة لما وضع لها في أصل اللغة، وهذا يؤدي حتماً إلى

تغيير في توجيه المعنى وفهمه، فضلاً عمّا قد تحدثه من فقدان لفصاحة الكلمة نتيجة لعدم الانسجام الصوتي لحروفها، فـ((عذوبة الشعر تذهب بزيادة حرفٍ أو نقصان حرف، فيصير إلى الكزازة، وتعود ملاحته بذلك ملوحة، وفصاحته عيّاً، وبراعته تكلّفاً))(٧١).

والعرب تبسِط الاسم والفعل،فتزيد عدد حروفه، ولعلّ ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه(٧٢).

لقد عدّ البلاغيون والنقاد الزيادة في بنى الكلمات من العيوب التي تعتري بنية النصّ الشعري إذا ما اندرجت في سياقه، وقد سمّاه قدامة بن جعفر (بالتذنيب)، وهو أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها كقول الكُميت:

لا كعبد المَلِيكِ أو كوليدٍ   أو سليمان بَعْدُ أو كهِشَامِ

((فالملك والمليك اسمان لله عزّوجل، وليس إذا سُمي اسمان بالتعبّدّ لأحدهما وجبَ أن يكون مسمى بالآخر))(٧٣) ، وهي عنده من عيوب إئتلاف اللفظ والوزن، ومثل ذلك ما تمثّل به ابن سنان من كلماتٍ خالفت قواعد على المستوى الصرفي، وعدّها من التصرّف الفاسد في الكلمة؛ بسبب الزيادة في حروفها، نتيجة لإشباع الحركة فيها فتصير حرفاً، ومن ذلك قول الشاعر:

وأنتَ من الغوائل حين تُرْمى   ومن ذَمِّ الرجالِ بمنتزاحِ(٧٤)

أي بِمنْتَزَحٍ(٧٥)، فأشبع فتحة الزاي فتولدت الألف(٧٦).

وقول الفرزدق:

تنفي يداها الحَصى في كلِّ هاجرةٍ   نفي الدراهيم تنقادُ الصياريفِ

يريد: الدراهم والصيارفَ(٧٧).

على أن القاضي الجرجاني جوز زيادة الياء في الصياريف المتولدة من إشباع الكسرة للزومها في هذا الموضع[٧٨]، أما الدراهيم فلا حجّة فيه؛ لأنه يجوز أن يكون جمع درهام[٧٩]، وإلى هذا ذهب ابن رشيق بقوله((إن الدراهم لا يُضطرُ فيها إلى زيادة الياء، إذا كان الوزن يقوم دونها، وإن قيل في بعض اللغات درهام))[٨٠].

ويرى ابن جنّي أن الشاعر إذا احتاج إلى إقامة الوزن مطل الحركة وأنشأ عنها حرفاً من جنسها[٨١]، فتنشأ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو[٨٢]، وهذا ما جعله الكوفيون جائزاً في زيادة الياء في نحو الدراهيم والصياريف، والبصريون يرونه من ضرورة الشعر[٨٣] على أن السيوطي يرى أن من ((أقبح الضرائر الزيادة المؤدية لما ليس أصلاً في كلامهم))[٨٤]، ويبدو أن علّة عدم استحسان الزيادة في بناء الكلمة عند بعض البلاغيين والنقاد فضلاً عن مخالفة أعراف اللغة ومقاييسها في بنائها، هو ارتباطها بالوزن وبتحقيق الانسجام الصوتي الذي تألفه الأسماع وتعتاد عليه .

– الحذف المخلّ في بنية الكلمة :

إنَّ حذف أي مكون من مكونات الكلمة من غير ما مسوغ قواعدي، يعدّ من العيوب التي تعتري بنية الكلمة التي وقف عندها البلاغيون والنقاد، ذلك أنَّ أي تغيير في البناء الصرفي لكلمة يؤدي إلى حدوث انحرافٍ في دلالتها،ومن ثمَّ يؤدي إخلالاً في توجيه المعنى العام للنصّ الشعري، بالاتجاه الذي يريده الشاعر؛ لإفهام المتلقّي،خاصة إذا ما علمنا أن الحذف المخلّ في بنية الكلمة يؤدي إلى نشوء ألفاظٍ قد تكون غير مدركة في ذهن المتلقين .

فمن ((سنن العرب القبض محاذاةً للبسط، وهو النقصان من عدد الحروف))[٨٥] ، وقد عدّه قدامة بن جعفر من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن، وسمّاه

بالتثليم وهو ((أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها، كقول علقمة في وصف الإبريق :

كأنَّ إبْريقَهُمْ ظَبْيٌ على شَرَفٍ مُفْدَّمٌ بسَبَا الكتَّانِ ملْثومُ

أراد بسبائب الكتّان، فحذف للعروض))[٨٦] ، وليس مفدَّم من نعتٍ للظبي؛لأن الظبي لا يُفدّم وإنما هو في موضع خبر المبتدأ،كأنه قال: مفدَّم بسبا الكتّان[٨٧].

ومما لا شكّ فيه أن هذا النقص في بنية الكلمة من خلال حذف حرفين، أدّى إلى تكوين بنية لغوية مبهمة الدلالة، نتيجة لمخالفة هذا الحذف؛ لما تجيزه قواعد اللغة على المستوى الصرفي، وإن وجدنا أسامة بن منقذ يعدّ هذا الحذف الذي أسماه التثليم أيضاً، قد جاء في أشعار العرب الفصحاء وهو النقص في الألفاظ والكلمات وتغييرٍ في الأسماء والأفعال، فعدّ ذلك لغةً أو بما تجيزه الضرورة[٨٨].

على أننا نجد أن بعض اللغويين عدّوا مثل هذا الحذف يؤول إلى حدوث إخلالٍ يؤدي إلى الشبهة، وفي ذلك يقول ابن جنّي((نعم وقد يحذفون بعض الكلم استخفافاً، حذفاً يخلُّ بالبقية ويعرض له الشبه))[٨٩].

وهذا ما ذهب إليه جُلّ البلاغيين والنقاد وهم يعيبون على الشعراء تصرفهم في حذف بعض الأصوات اللغوية من بنية الكلمة وما يرافقها من إخلالٍ في بنائها الصرفي وإن دعت إليه الضرورة؛ ذلك لأن الضرورة لا تبيح الإجحاف في حقّ اللغة، وإفقادها لسمة الوضوح في دلالتها من خلال البناء السليم لمفرداتها، فهي عندهم من أقبح الضرائر [٩٠].

ومما مثّلوا به في تعاطيهم مع حذف بعض الأصوات اللغوية من بنى الكلمات قول العجاج :

قَوَاطناً مكّةَ من ورق الحِمَى

يريد الحمام[٩١]، فغيّرها إلى ما ترى، وقد تعرضت الكلمة إلى حذف حرف الميم، فأدى ذلك إلى حدوث تغييرٍ في دلالة الكلمة مما لا يخفى على أحد.

ومثل ذلك قول الشاعر:

فلسْتُ بآتيهِ ولا أستَطِيعُه ... ولاَكِ اسقني إن كانَ ماؤكَ ذا فضلِ

أراد ولكن اسقني[٩٢].

الخاتمة

١- أظهر البلاغيون والنقّاد عناية في استعمال علم الصرف كأحد الوسائل الفنيّة لبيان قيمة النصّ الشعري.

٢- أظهرت الدراسات إن الخطأ في التصريف عند الشعراء أندر وقوعاً من الخطأ في النحو، وقد اتضح ذلك جلياً في عدد المواضع التي وقف عندها البلاغيون والنقاد.

٣- إن ما وقف عنده البلاغيون والنقاد من عيوبٍ صرفية في بنية النصّ الشعري اعتمدوا فيها على ما وضع من قوانين وقواعد في البناء الصرفي الصحيح، وبما سُمِع من من كلام العرب كمعيارٍ لنقدهم لتلك النصوص.

٤- ذهب بعض البلاغيين والنقاد إلى تجويز الخروج عن البناء الصرفي الصحيح حملاً على الضرورة الشعرية، في حين نجد البعض الآخر وجد في ثراء اللغة العربية وصيغها الاشتقاقية ما يمنع الخروج عن البناء الصرفي الصحيح.

هوامش البحث

(١) شرح الشافية : ١/ ١.

(٢) ينظر: المهذب في علم التصريف : ٢٦ .

(٣) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٧ .

(٤) المنصف : ٣١ .

(٥) ينظر: أسس النقد الأدبي : ٤٣٢.

(٦) علم اللغة بين القديم والحديث : ١٩٩.

(٧) المثل السائر: ١/ ٦٨ ..

(٨) ينظر: الوساطة : ٤٦٢، وديوانه: ٣٢٧،وينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري: ٣٢٦ .

(٩) ينظر: شذا العرف في فنّ الصرف : ٩٥،وشرح الكافية:٤١٣/٣،وشرح المفصّل:١٨٦/٣.

(*) ويشترط ابن الحاجب في التثنية والجمع كون المفردات بمعنى واحد سواء كان بوضعٍ واحد أو أكثر، ينظر: شرح الكافية:٤١٤/٣.

(١٠) في الديوان تبقَّلتُ من أول التبقّلِ ، ديوانه: ٣٣٩، ٣٤٠،وشرح المفصّل:٢٠٩/٣.

(١١) الوساطة : ٤٦٢، وينظر:شرح المفصّل:٢٠٩/٣،والنقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري:١٧٧ .

(١٢) ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع : ١٧٧ .

(١٣) ينظر: الموازنة : ٤٢/١، و سرّ الفصاحة: ١٠١، وفي ديوانه المفْحمين،٦٤،أحن (الإحنة):الحقد في الصدر.

(١٤) ينظر: القاموس المحيط : ١٩٢/٤ باب النون فصل الهمزة ، ولسان العرب : ٨٣/١ .

(١٥) الموازنة : ٤٢/١ ،وينظر:ديوانه: ٦٤/الهامش.

(١٦) الوساطة : ٤٥٦، وديوانه : ٣٥٩.

(١٧) ينظر:شرح الشافية:٩٤/٢،واتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري: ٣٢٦، والمهذب في علم التصريف :١٨٤، ١٨٥ .

(١٨) ينظر: الوساطة : ٤٥٦، ٤٥٧ .

(١٩) ينظر: اللسان : ٥٤٠/١ ، والمعجم الوسيط : ٧٧/١.

(٢٠) الوساطة :٤٥٦-٤٥٧.

(٢١) ينظر:المثل السائر: ٤٢٨/١ ، وجرس الألفاظ : ١٧٦ ، وديوانه ٥٤٩، خزر:ضيق العين ، قبل: إقبال إحدى العينين على الأخرى وذلك تفعله الخيل لترى نفسها .

(٢٢) الاشتقاق: تقليب تصاريف الكلمة وتغيرات تتم بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق بزيادة حرف أو حركةٍ أو نقصانها، ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه:٢٥٣، وشرح الشافية : ٣٣٤/٢.

(٢٣) ينظر: الشعر والشعراء : ٥٨٣/٢،وديوانه:١٠٦،وصدره:في غِيلِ قصباء وخيسٍ مختَلِقْ.

(٢٤) ينظر: النقد اللغوي حتى نهاية القرن السابع الهجري : ١٥٨، ١٥٩ .

(٢٥) والموضع الآخر (إذا كانت فاؤه صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً، وجب إبدال تائه طاءً في جميع التصاريف) شذا العرف في فن الصرف: ١٤٨، وينظر: شرح الشافية : ٢٢٦/٣ .

(٢٦) المثل السائر : ٦٧/١، وينظر: شرح الشافية : ٨٢/٣، و ٢١٩، وديوانه:٨/٣.

(٢٧) ينظر: شرح الشافية :٢٢٦/٣،وشذا العرف في فن الصرف : ١٤٨ .

(٢٨) الصاحبي : ٢٦٧-٢٦٨ .

(٢٩) ينظر: سرّ الفصاحة : ١٠٣، وديوانه:٢٥.

(٣٠) ينظر: م .ن والصفحة .

(*) يجوز قصر الممدود في الشعر، ولا يجوز مدّ المقصور؛ لأن في قصر الممدود حذفَ زائدٍ ورداً إلى أصله، وليس في مدّ المقصور ردّ إلى أصل،ينظر: شرح المفصّل:٣٧/٤.

(٣١) ينظر: المهذب في علم التصريف : ١٦٨- ١٧٠ .

(٣٢) مقصور، ضد الفقر، فإذا فُتِح مدّ ، وهذا البيت يروى بالفتح والكسر، فمن رواه بالكسر أراد مصدر غَانَيْت، ومن رواه بالفتح أراد الغِنى نفسه،قال أبو إسحق: إنما وجهه ولا غَناء؛لأن الغَناء غيرُ خارجٍ عن معنى الغِنى، وفي قوله(صلى الله عليه وسلّم) ((كإذنه لنبيٍّ يتغنّى بالقرآن)) أنه على معنيين، على الاستغناء وعلى التطريب، قال الأزهري: فمن ذهب به إلى الاستغناء فهو من الغِنى مقصور، ومن ذهب به إلى لتطريب فهو من الغِناء الصوت، ممدود، وقال الأصمعي: الغِنى من المال مقصور، ومن السماع ممدود،ينظر: لسان العرب :١٣٤/١٠، ١٣٥ .

(*) من علامات الاسم الممدود أن المصدر يكون مضموم الأول، ويكون للصوت،نحو(العُواء)وهو مصدر(عَوَى) الكلب، والثُغاء،صوت الشاء،ينظر: شرح المفصّل:٤١/٤.

(٣٣) ينظر: العمدة: ٢٦٩/٢، وشرح ابن عقيل: ٤٤١/٢.

(٣٤) ينظر: الصرف الكافي : ٢٠٣ .

(٣٥) ينظر: الموشح: ١٤٨، وشرح الشافية: ٢٤١/٣،وكتاب الصناعتين: ١٥٦، والوساطة: ٤٦٦، وسرّ الفصاحة: ١٠٢.

(٣٦) وهي أرجوزة لأبي النجم وجدناها في ديوانه، ينظر: ديوانه: ٣٣٧، ٣٣٨.

(٣٧) ينظر: الموشح: ١٤٨.

(٣٨) ينظر: علم المعاني، بسيوني: ١٩، ٢٠، وعلم أساليب البيان :٣٣، وعلوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)،د.أمين أبو ليل: ٣.

(٣٩) ينظر: سرّ الفصاحة :٩٧، والبلاغة والتطبيق : ٦٧ .

(٤٠) الكتاب: ٤١٧/٤، وينظر: الدرس الصوتي في التراث البلاغي عند العرب:١٦٢.

(٤١) م . ن : ١١/١ و١٦١/٢، وينظر :دراسات في الأدب واللغة: ٢٨٠، وقد استشهد بقول الشاعر قعنب بن أم صاحب .

(٤٢) الخصائص : ٣/ ٨٦، ٨٧ .

(٤٣) ينظر: المقتضب : ١٤١، ١٤٢ .

(٤٤) ينظر:العمدة:٢٧٥/٢، وشرح الشافية:٢٤٤/٣، وديوانه:٣٦٣، وتتمته الشطر: من طولِ إملالٍ وظَهْرٍ مُمْلِلِ، الوجى: الحفى، الأظلل: ما تحت المَنْسِم،وإنما هو الأظلّ لكنه أظهر التضعيف وهو شاذ على الضرورة.

(٤٥) ينظر: ديوانه :١١٤.

(٤٦) ينظر : المثل السائر : ٤٤٧/١،والدرس الصوتي في التراث البلاغي عند العرب: ١٦٥.

(٤٧) كتاب الصناعتين: ١٥٦ .

(٤٨) المقتضب : ٢٤٦/١ .

(٤٩) أدب الكاتب: ٣٧٩، وديوانه:١٧٥/٣،وفيه يقول:أيا ويلَ الشجيّ من الخليّ وبالي الربعِ من إحدى بليّ

(٥٠) ينظر: الوساطة:٤٦٢، ٤٦٣، وديوانه:٣١،واتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري:٣٢٦.

(٥١) الوساطة : ٤٦٣.

(٥٢) م . ن : ٤٦٤.

(٥٣) ينظر: مقالات في تاريخ النقد الأدبي : ٣٤٣.

(٥٤) الاقتضاب في شرح آداب الكتاب : ١٨٥/٢.

(٥٥) دراسات في الأدب واللغة : ٢٧١.

(٥٦) ينظر: الموشح : ١٥٥، وسرّ الفصاحة: ١٠٢، والبيت منسوب لأبي كاهل اليشكري،ذكره صاحب اللسان مادة(شرر):٧٨/٧،،والكتاب:٢٧٣/٢.

(٥٧) ينظر: العمدة : ٢٧٤/٢ .

(٥٨) ينظر: الكتاب:٢٧٣/٢، ودراسات في الأدب واللغة: ٢٨٤.

(٥٩) ينظر: شرح أبيات سيبويه : ٢٣٨ .

(٦٠) ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ٣٧٣/٢ .

(٦١) ينظر: الموشح :١٥٥، وسرّ الفصاحة: ١٠٢، وكتاب سيبويه:٢٧٤/٢،ويروى هذا البيت في لسان العرب:٧٠/٨ ولضادِي جمّه نقانقُ،

(٦٢) ينظر: شرح أبيات سيبويه: ٢٣٩ .

(٦٣) ينظر: لسان العرب :٢٦٩/١٤.

(٦٤) الكتاب : ٢٧٤/٢.

(٦٥) ينظر: الممتع في التصريف:٣٦٩/١ ، ودراسات في الأدب واللغة : ٢٨٥ .

(٦٦) ينظر: الدرس الصوتي في التراث البلاغي عند العرب : ١٦١.

(٦٧) ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث: ٢٧١.

(٦٨) ينظر: الشعر والشعراء:٨٠٩/٢،وديوانه:٤٠٥/٢-٤٠٦،وفيه شمولاً وليس شمولٌ، وثقافة الشاعر: ١٣٩.

(٦٩) ينظر: الوساطة :٦،٧، وشرح ابن عقيل:٣٦/١،والبيت ينسب إلى رجل من بني ضبة،والحقيقة هو لرؤبة،ينظر:ديوانه:١٨٧،وعجز البيت الثاني: ومنخَرانِ أشبها ظبيانا ، وظبيان اسم رجل .

(٧٠) النوادر في اللغة: ٣٠٥.

(٧١) إعجاز القرآن :١٤٣.

(٧٢) ينظر: الصاحبي : ٢٢٩ .

(٧٣) نقد الشعر : ٢٢٠،وينظر:ديوانه:٤٩٧.

(٧٤) البيت لزبان بن سيار بن جابر،صهر النابغة كما جاء في لسان العرب:١٠٤/١٤.

(٧٥) ينظر: سرّ الفصاحة: ١٠٠، ومنتزح: أي ببعدٍ منه، ينظر: البلاغة والتطبيق:٥١، ومقالات في تاريخ النقد العربي: ٣٤٢.

(٧٦) ينظر: سرّ صناعة الإعراب : ٤١،ولسان العرب:١٠٤/١٤.

(٧٧) ينظر: سرّ الفصاحة : ١٠١،وديوانه:لم نجده في ديوانه،ينظر:لسان العرب:٣٤١/٤،و٣٢٩/٧، شبّه خروج الحصى من تحت مناسمها بارتفاع الدراهم عن الأصابع إذا نُقِدَت،وجمع الدِّرهم دراهم،وجاء في تكسيره الدراهيم، وتروى في الموشح الصيارف كما جاءت مساجيد مكان مساجد ومكان دراهم دراهيم:١٥٠، ١٥١.

(٧٨) ينظر: الوساطة : ٤٦٨ .

(٧٩) ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ٤٠/١ .

(٨٠) العمدة : ٢/٢٧٦ .

(٨١) ينظر: الخصائص : ٢/٣٠٢.

(٨٢) ينظر: م . ن : ٣/١٢٠ .

(٨٣) ينظر : اللسان : ٧/٣٢٩ .

(٨٤) المزهر : ١/ ١٨٩ .

(٨٥) الصاحبي : ٢٣٠ .

(٨٦) نقد الشعر : ٢١٩ .

(٨٧) ينظر: لسان العرب: ٦/١٣٨و ١٣٩،و ١/٢٠٣.

(٨٨) ينظر: البديع في البديع: ٢٥٦، والعمدة: ٢/٢٧٠، وديوانه:٥٨، وفيه مرثوم بدلاً من ملثوم، شَرَف: المكان المرتفع، مفدّم: الذي يوضع على فمه لثام أو خرقة، والسبائب: شقة كتان رقيقة، مرثوم: من رثم الفرس كأن في طرف أنفه بياض، وينظر: نصوص النظرية النقدية في القرن الثالث والرابع الهجريين:٢٧٤.

(٨٩) الخصائص : ١/١٢٨ .

(٩٠) ينظر:الدرس الصوتي في التراث البلاغي عند العرب:١٥٠.

(٩١) ينظر: العمدة: ٢/٢٧٠/الهامش، وسرّ الفصاحة:٩٩، والبيت ينسبه إلى رؤبة بن العجاج ،ولكني لم أجده في ديواني العجاج ورؤبة .

(٩٢) ينظر: سرّ الفصاحة :١٠٠ ، وشرح المفصّل:٥/٣١٥،والبيت منسوب للنجاشي الحارثي، ينظر: ديوانه: ٥٦.

المصادر:

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د.خديجة عبد الرزاق الحديثي،مكتبة النهضة، بغداد،١٩٦٥.
- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، د.أحمد مطلوب، الناشر :وكالة المطبوعات،الكويت،ط١، ١٩٧٣بيروت.
- أدب الكاتب، تصنيف أبي محمد بن عبد الله بم مسلم بن قتيبة الدينوري(٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار المعرفة، بيروت– لبنان،١٩٧٧.
- أسس النقد الأدبي عند العرب . د.أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
- إعجاز القرآن ، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت٤٠٣هـ، علّ عليه وخرّج أحاديثه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،د.ت .
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيّد البطليوسي(ت٥٢١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ود.حامد عبد المجيد، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد، ط١، ١٩٨٠، ط٢، ١٩٩٠.
- البديع في البديع في نقد الشعر ،أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ،حققه وقدّم له:عبد.علي مهنا،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.
- البلاغة والتطبيق، د.أحمد مطلوب، د.كامل حسن البصير ،مطابع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد،ط٢، ١٩٩٠.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال،دار الحرية للطباعة،د.ط،١٩٨٠.
- الخصائص،صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)،تحقيق: الشربيني شريدة،دار الحديث،القاهرة،٢٠٠٧.

- دراسات في الأدب واللغة، إعداد وتقديم:د.عبد الله أحمد المهنا،جامعة الكويت،١٩٧٦.
- ديوان أبو تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام،دار المعارف، ط٥، ١٩٨٧
- ديوان أبي النجم العجلي أبو الفضل بن قدامة(ت١٣٠هـ)، جمعه وشرحه وحققه: د.محمد أديب عبد الواحد جمران،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،٢٠٠٦.
- ديوان أبو نواس، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي،دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب العالمي، منشورات الشركة العالمية للكتاب،١٩٨٧.
- ديوان الطرماح، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن،دار الشرق العربي، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٩٤.
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق:د. محمد نبيل طريفي،دار صادر، بيروت،ط١، ٢٠٠٠.
- ديوان المتنبي،دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع،بيروت، ٢٠٠٥.
- سرّ صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)،تحقيق:محمد حسن محمد أسماعيل،وأحمد رشدي شحاتة عامر،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط١، ٢٠٠٠.
- سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هـ)،قدم له واعتنى به ووضع حواشيه:إبراهيم شمس الدين،طبع ناشرون،لبنان، ط١،د.ت.
- شذا العرف في فنّ الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة، ١٩٦٤.
- شرح ابن عقيل،قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني(٧٦٩هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،د.ط، د.ت.

- شرح أبيات سيبويه، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت٣٣٨هـ)، تحقيق:د.أحمد خطاب،مطابع المكتبة العربية بحلب،ط١، ١٩٧٤.
- شرح شافية ابن الحاجب ، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)، حققها:محمد نور الحسن،محمد الزفزاف،محمد محيي الدين عبد الحميد،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،د.ت.
- شرح كافية ابن الحاجب، شيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)، قدم له ووضع فهارسه وحواشيه الدكتور أميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط٢، ٢٠٠٧.
- شرح المفصّل للزمخشري، تأليف العلاّمة أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي(ت٦٤٣هـ)، قدم له ووضع فهارسه وحواشيه الدكتور أميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط١، ٢٠٠١.
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح:أحمد محمد شاكر،دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٣م.
- الصرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢، ٢٠٠٨.
- علم أساليب البيان، د.غازي يموت، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٩٨٣.
- علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)د.أمين أبو ليل،دار البركة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٦.
- علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار حامد هلال، الجريسي للطباعة،القاهرة، ط٤، ٢٠٠٢.

- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح بسيوني، طبعة مؤسسة المختار الثانية،القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤.
- العمدة ، لابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل ،بيروت،ط٤، ١٩٧٢.
-القاموس المحيط، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي،ت ٨١٧هـ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٠.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون،عالم الكتب،بيروت،ط٣، ١٩٨٣.
- كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين، طبع مطبعة آدلف هلز هوسن،بيانة ١٩٢٧.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت٣٩٥هـ)،تحقيق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر،د.ت.
- لسان العرب ،ابن منظور(ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصادق العبيدي،دار إحياء التراث العربي،ومؤسسة التاريخ العربي،بيروت ،لبنان،ط٣، ١٩٨٦.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير،قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه:د.أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة،منشورات دار الرفاعي بالرياض،ط٢، ١٩٨٣.
- مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي،دار ابن قتيبة للطبع والنشر والتوزيع، الكويت،د.ت.

- المزهر في علوم اللغة العربية، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، للسيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٧م.
- المعجم الوسيط،، قام بإخراجه:د.إبراهيم أنيس وآخرون،أشرف على طبعه:حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين،دار الأمواج،بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٩٠.
- مقالات في تاريخ النقد العربي، د.داود سلوم،دار الرشيد للنشر،بغداد،١٩٨١.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن المبرّد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة،عالم الكتب،بيروت،د.ت.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي(ت٦٦٩هـ)،تحقيق:د.فخر الدين قباوة،منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط١، ١٩٧٠، ط٢، ١٩٧٣،ط٣، ١٩٧٨،ط٤، ١٩٧٩.
- المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق:إبراهيم مصطفى،وعبد الله أمين،طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط١، ١٩٥٤.
- المهذب في علم التصريف، د.هاشم طه شلاش، ود.صلاح مهدي الفرطوسي،ود.عبد الجليل عبيد حسين، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، د.ت.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي(ت٣٧٠هـ)، دراسة وتحقيق: د.عبد الله حمد محارب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة،مطبعة المدني/المؤسسة السعودية بمصر،ط١، ١٩٩٠.

- الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، المرزباني،ت٣٨٤هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،د.ت.
- نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة،أ.د.داود سلوم، د.عمر الملا حويش، مطبعة الأمة،بغداد،١٩٧٧.
- نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، د.عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال،دار الفكر العربي،د.ت.
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، أ.د.نعمة رحيم العزاوي، منشورات وزارة الثقافة والفنون،دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
- النوادر في اللغة، أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، الناشر دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، ط٢، ١٩٦٧.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،ط١ ،١٩٤٥.

- الرسائل الجامعية:

- الدرس الصوتي في التراث البلاغي العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، عالية محمد حسن ياسين،رسالة ماجستير، كلية الآداب،جامعة النجاح الوطنية،فلسطين،٢٠٠٣.

الهمز عند أهل الضلوعية

أ.م. د. سعد صالح أحمد   م. م. عزت إبراهيم حماش
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده، محمد صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم.

أما بعد:

فقد ضمت اللهجات العربية الحديثة الكثير من الظواهر الصوتية التي تمثل جانباً من صور اللهجات العربية القديمة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، ومن أبرز هذه الظواهر ظاهرة الهمز، فهي من السمات التي تتسم بها اللهجات العامية المحلية، مما يستدعي دراستها والوقوف عليها، ولأهمية هذه الظاهرة في العامية العراقية حاولنا في هذا البحث الموسوم بـ (الهمز عند أهل الضلوعية) الكشف عن المواضع التي يلجأ فيها أصحاب هذه اللهجة الى التخفيف، واقتضى ذلك أن يكون منهج البحث قائماً على مبحثين، عنوان المبحث الأول: (الهمز) وتضمن هذا المبحث مطلبين: خصصنا الأول للحديث عن صوت الهمزة عند اللغويين القدماء والمحدثين وتناولنا في المطلب الثاني ظاهرة الهمز بين التحقيق والتخفيف. أما المبحث الثاني فكان عنوانه: ظاهرة تخفيف الهمزة في اللهجات الحديثة/ لهجة الضلوعية أنموذجاً. ضم هذا المبحث ثلاثة مطالب بحسب مواضع الهمزة من الكلمة، المطلب الأول: الهمزة في أول الكلمة، والمطلب الثاني: الهمزة في وسط الكلمة، والمطلب الثالث: الهمزة في آخر الكلمة. وتلت هذين المبحثين خاتمة تضمنت أهم ما توصل اليه البحث من نتائج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثان

المبحث الأول

الهمز

المطلب الأول

صوت الهمزة عند اللغويين القدماء والمحدثين

الهمز في اللغة: العَصْرُ، تقول هَمَزْتُ رأسه فانهمز، وهمزتُ الجوزَ بكفي[١]، ومنه الهمز في الكلام ، كأنه يضغط الحرف[٢]، وسميت الهمزة من الأصوات بذلك ؛ لأنها تهمز فتهتَ فتهمز عن مخرجها ، يقال: هو يهت هتًّا إذا تكلم بالهمز[٣].

أما في اصطلاح اللغويين :فالهمز نبرة في الصدر تخرج باجتهاد[٤]، وتنتج عن إغلاق فتحت المزمار (إغلاقاً تاماً فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور الى الحلق، إلا حين تتفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة)[٥].

وقد استعمل اللغويون القدماء الهمز والنبر مصطلحين مترادفين بمعنى واحد[٦]؛ لأن ارتفاع الصوت وعلوه هو النبر وهو الهمز، وكانت كلمة النبر ومشتقاتها أكثر استعمالاً على ألسنة الناس في القرنيين الأول والثاني الهجريين، ولكن الذي استقر في الاستعمال اللغوي بعد ذلك هو كلمة (الهمز) ومشتقاتها[٧].

وقد حظي صوت الهمزة بعناية اللغويين القدماء والمحدثين؛ وذلك للخصائص الصوتية التي ترافق نطقه، فهو عند القدماء صوت شديد مستثقل من اقصى الحلق، قال سيبويه في حديثه عن ترتيب مخارج حروف العربية: (فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجاً: الهمزة، والهاء، والألف...)[٨]، وتابع علماء العربية المتأخرون سيبويه في تحديد مخرج الهمزة، فنجد ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) يصفه وصفاً دقيقاً، إذ يقول: (اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل، يخرج من أقصى

الحلق؛ إذ كان أدخل الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به)[٩]. وعند المحدثين صوت صامت حنجري انفجاري يحدث بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً محكماً، لايسمح للهواء بالمرور الى تجويف الحلق، فينحبس الهواء خلف الوترين الصوتيين وعند انفراجهما فجأة يخرج صوت الهمزة على صورة انفجار[١٠]؛ ولهذا يحتاج نطق الهمزة الى جهد عضلي كبير، أدى الى تنوع استعمال العرب للهمزة ، إذ اختلفت صور نطقها بين: (التحقيق، والتخفيف، والإبدال).

وعلى الرغم من اختلاف العبارة بين القدماء والمحدثين في التعبير عن مخرج الهمزة ووصفها بالشدة (الانفجارية) إن الوصف الصوتي القديم يبدو متفقاً والوصف الصوتي الحديث، ولاسيما في وصفها بالشدة وكذلك في مخرجها، إذا علمنا أن منطقة الحلق عند القدماء تمثل منطقة متسعة تبدأ بالحنجرة.

ويبدو الاختلاف بين علماء العربية القدماء والمحدثين أكثر وضوحاً في تحديد صفة الجهر والهمس للهمزة، وبدا الاضطراب واضحاً في دراستهم للهمزة من هذا الجانب، فهي صوت مجهور عند القدماء، قال سيبويه: (فأمّا المجهورة فالهمزة...) أما المحدثون فقد وصف بعضهم الهمزة بأنها صوت مهموس، لعدم تذبذب الوترين الصوتيين. وذهب بعضهم الى القول : (لاهو بالمجهول ولا هو بالمهموس)؛ وذلك لاتخاذ الوتريين الصوتيين وضعاً يخالف كلاً من وضع الجهر ووضع الهمس[١١]. ويعود هذا الاختلاف في صوت الهمزة إلى أن مخرجها يمثل نقطة صدور نغمة الجهر، فمن المعلوم أن نطقها يتم بانطباق الوترين ثم انفراجهما بعد ضغط الهواء لحظة من الوقت، والجهر يحدث باهتزاز الوترين الصوتيين وتذبذبهما[١٢].

ويمكن القول إن علماء العربية عندما وصفوا صوت الهمزة بأنه مجهور، كانوا ينطقونها متبوعة بحركة، ومن طبيعة الحركة أنها مجهورة، ولذلك فإن جهرها أثر في نطق الهمزة مما جعلهم يعزون جهرها الى الهمزة نفسها(١٣).

وخلاصة ذلك أن الهمزة(مهموسة بضابط المحدثين، ولكنها مجهورة بضابط القدماء)(١٤) ومعنى هذا أن مخرج الهمزة واحد، لكن صفتها مختلفةً ، أي إن نطقها واحد عند القدماء والمحدثين، قال الدكتور حسام النعيمي: (ولم يقل أحد على ما نعلم إن همزة اليوم غير همزة العرب يوم وصفت الأصوات، فالهمزة صوت ثابت، وصفته مختلف فيها بين المحدثين والقدماء)(١٥).

ولعل مما يؤيد هذا الاختلاف ما أثبتته الأجهزة الصوتية الحديثة أن صوت الهمزة يظهر على شكل حالات مختلفة وغير مستقرة ، أي إنها (تبدو غير ثابتة ولا تشكل نمطاً محدداً)(١٦) وبهذا يجب أن لا نؤاخذ القدماء على تناقضهم في تحديد صفة الهمزة ، إذ إن القدماء استعملوا الاعتبارات نفسها التي اعتمد عليها الدرس الصوتي الحديث ، وهي ذكر العضو أو الأعضاء التي تشترك في اعتراض طريق الهواء ، وذكر طريقة خروج الهواء ،وهمس الصوت أو جهره(١٧). ويكونون بذلك قد قدموا لنا صورة واضحة للأصوات في العربية الفصحى على عهدهم ، معتمدين على حسهم اللغوي وملاحظتهم الدقيقة ؛ ولذلك ما توصلوا إليه في مجال دراسة الأصوات يعد إنجازاً علمياً جاء موافقاً لما توصلت إليه الدراسات الحديثة في كثير من جوانبها.

المطلب الثاني

الهمز بين التحقيق والتخفيف

لقد كان لصعوبة نطق الهمزة وثقلها على ألسنة المتكلمين أثر في تنوع صور نطقها عند العرب ، فهي على ثلاثة أوجه: التحقيق، والتخفيف، والإبدال ،قال سيبويه(ت ١٨٠هـ) : (اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة اشياء :– التحقيق، والتخفيف، والبدل(١٨) ويمكن ان يُعزى هذا التنوع في نطق الهمزة الى الصفات اللهجية التي ميزت بين لهجات القبائل العربية التي يُعد الاختلاف الصوتي من ابرز ملامح الفروق بينها، وهذا ما ذهب اليه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله:(أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها ، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى،هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان(١٩)).

وأثبت علماء اللغة القدماء والمحدثون أن الهمزة كانت سمة من السمات البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وهي قبائل تميم ومن جاورها ، وإن تخفيف الهمزة سمة حضرية امتازت بها معظم البيئة الحجازية(٢٠)، وبهذا فإن ما يصاحب ظاهرة الهمز من تحقيق أو تخفيف يعد من الأمور التي فرَقت بين لهجات وسط الجزيرة وشرقيها وبين لهجات البيئة الحجازية(٢١)، وفي هذا يقول أبو زيد الانصاري (ت ٢١٥هـ) :(أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ،وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا(٢٢).

وذهب الباحثون مذاهب شتى في تفسير قول أبي زيد (إذا اضطروا نبروا).وقد عرض الدكتور غانم قدوري الحمد تفسيراتهم في كتابه (أبحاث في العربية الفصحى) . وما ذكره يمكن أن يجنب الدارس مؤونة الخوض فيها(٢٣).

ويمكن القول إن ظاهرة تسهيل الهمز في لهجة أهل الحجاز ربما انحدرت إليها من اللغة السامية الأم، وهذا ما أكده المستشرقون في دراساتهم لمجموعة اللغات السامية، يقول برجستراسر :(كثيراً ما يحذف الهمز بالإبدال واواً أو ياءً أو بغير عوض وأقدم ما حدث في ذلك في اللغة السامية الأُم قبل أن تفترق الأقوام الناطقون بها)[٢٤] .

إذن تخفيف الهمزة موجود في اللغة السامية ، فليس من الغرابة أن يظهر في لهجة الحجازيين ، ولكنه لا يمكن أن يكون مطرداً ، فهم لا يخففون الهمزة دائماً ، بل كثيراً ما يحققونها ، ولاسيما إذا عمدوا إلى التخاطب باللغة الأنموذجية[٢٥]. وهذا ما عبَر عنه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله : (إنَّ اللهجات لا تلتزم دائماً حالة واحدة في كل صفاتها، بل أحياناً تخرج عن تلك الظاهرة التي اختصت بها لظروف لغوية خاصة)[٢٦].

ومما تقدم يمكن القول إنَّ ظاهرة تحقيق الهمزة وتخفيفها ظاهرة طبيعية ضاربة في القدم توارثها العرب والمسلمون[٢٧] .

وكانت القراءات القرآنية تضم ظواهر صوتية كثيرة تتمثل في تحقيق الهمز وعدمه ، وفتح أصوات الحلق وإسكانها ، والاختلاف في الإسكان والتحريك ، والاختلاف في أصوات اللين القصيرة ،والإظهار والإدغام، والفتح والإمالة، وغير ذلك من الظواهر الصوتية التي تعدُ انعكاساً لما هو موجود في اللهجات العربية من خصائص صوتية. ومن أمثلة تحقيق الهمزة وتسهيلها التي وردت في القراءات القرآنية[٢٨] ، ولاسيما عند القراء الحجازيين الأوائل الذين أدركوا القرن الأول الهجري[٢٩]. ما ذكره ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) إذ يقول : (ومن ذلك قراءة الحسن وقتادة : (بين المر وزوجه) سورة البقرة ١٠٢ ، بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز. وقراءة الزهري(المرَ)، بفتح الميم وتشديد الراء)[٣٠] .

المبحث الثاني

الهمز في اللهجات الحديثة / لهجة الضلوعية انموذجاً

اللهجة لغة : (طرف اللسان ، أو جرس الكلام . يقال: فلان فصيح اللّهْجة واللّهَجة ، وهي لغته التي جُبِل عليها فاعتادها ونشأ عليها)[٣١] .

أما اللهجة في الاصطلاح اللغوي فهي :(مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة)[٣٢].

وقد بيّن الدارسون العلاقة بين اللغة واللهجة ، وأكدوا أن العلاقة بينهما علاقة العام بالخاص ، وذلك أن بيئة اللهجة هي جزء من بيئة واسعة شاملة تضم مجموعة من اللهجات ، تتميز كل منها بخصائص معينة وتشترك مع بقية اللهجات بمجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر الاتصال بين أبناء هذه اللهجات مع بعضهم بعضا ، أما اللغة فتتكون من عدة لهجات تشترك مع غيرها بمجموعة من الصفات اللغوية والأساليب الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة تختلف عن غيرها من اللغات[٣٣].

ومع وجود هذا الفرق الواضح بين اللغة واللهجة إن بعض علماء اللغة الغربيين يرى أن من الصعب وضع خط فاصل بينهما ، قال ماريو باي :(إن الخط الفاصل بين اللغة واللهجة يصعب في غالب الأحيان تتبعه ورسمه ، التفاهم المشترك يعرض جزءاً من الإجابة)[٣٤] ، لا بل من العسير وضع حد أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة ، فقد تتداخل تلك اللهجات في كثير من الصفات التي تتميز بها، ومنها الصفات الصوتية التي تقرب بين تلك اللهجات أو تباعد بعضها من بعض[٣٥] .

واستعمل علماء العربية القدماء مصطلحات (اللغة ، واللسان ، واللحن) ، للتعبير عما يعرف اليوم في الدراسات اللغوية الحديثة بـ(اللهجة) . فهم يقولون : لغة تميم ، ولغة هذيل ، ولغة الحجاز ، وأمثلة هذا كثيرة في المعجمات اللغوية ، وهم يقصدون لهجات هذه القبائل ، ومعنى هذا أن مصطلح (اللهجة) وإطلاقه بدل هذه المرادفات (اللغة ، واللسان ، واللحن) ، لم يشع عند القدماء بل شاع عند المحدثين[٣٦].

سبقت الإشارة إلى أن لكل لهجة من لهجات القبائل العربية ظواهرها اللغوية التي تتميز بها من غيرها ، ومنها الظواهر الصوتية كتحقيق الهمزة وتخفيفها ، وقد وجدنا أن بعض هذه اللهجات تحقق الهمزة ، وبعضها الآخر يخففها ، وبهذا ورثت اللهجات العامية الحديثة الكثير من هذه الظواهر ، فمالت إلى التحقيق حيناً وإلى التسهيل حيناً آخر[٣٧]، وهذا أمر طبيعي ؛ لأن (العلاقة بين لهجاتنا الحديثة ولهجاتنا العربية القديمة قوية. بل هناك بعض الظواهر اللهجية القديمة التي لا يمكن تفسيرها . أمكن تفسيرها الآن في ضوء اللهجات العربية العامية ، لأن اللهجات القديمة بقيت تنتقل على ألسنة الناس في الأجيال الذاهبة حتى وصلتنا)[٣٨].

إذن الظواهر اللهجية الموجودة في اللهجات الحديثة ليست مبتدعة ، بل هي ذات جذور عريقة تمتد إلى اللهجات العربية القديمة ، وقد أثبت الدكتور علم الدين الجندي أن هناك صلة قوية بين الأمثال العامية واللهجات العربية القديمة ، وأكد أن (دلالة الأمثال العامية على اللهجات العربية القديمة طبيعية لا تكلف فيها ولا التواء)[٣٩].

وإذا حاول الدارس تتبع اللهجة العامية العراقية فإنه سيجد أن كثيراً من ظواهرها الصوتية والصرفية يمثل امتداداً للهجات العربية القديمة . وصنف بعض المستشرقين اللهجة العامية العراقية ضمن مجموعة شمال الجزيرة العربية ، وتحديداً

مع مجموعة اللهجات السورية العراقية ، وهذا ما فعله جونستون في كتابه (دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية) ، وذهب إلى أن اللهجات السورية العراقية أثرت تأثيرا ملحوظاً في لهجات جنوب العراق . ويبدو مما عرضه جونستون أنه قسم اللهجة العراقية على قسمين : قسم يقع ضمن اللهجات السورية ، وقسم يقع ضمن لهجات جنوب العراق[٤٠].

ولا نريد أن نقف عند هذه التقسيمات التي ربما تمثل وجهات نظر الدارسين للهجات ، بل ما يمكن أن نقف عنده هنا هو أن اللهجة العامية العراقية تضم مجموعات صغيرة من اللهجات المحلية التي تمتاز كل منها بظواهر لغوية معينة ، ونجد أحياناً في داخل كل مجموعة من هذه المجموعات طبقات اجتماعية ، لكل منها مستواها اللغوي الخاص بها . ويكون ذلك نتيجة لظروف اجتماعية معينة في البيئة الواحدة تولد أنواعاً من اللهجات الخاصة كاللهجات الموجودة بين أصحاب الحرف أو بين اللصوص أو بين الفلاحين والمزارعين[٤١]، وبهذا فاللهجة العامية تضم العديد من طوائف المجتمع ويتباين استعمالها بحسب الطبقة الاجتماعية التي تتحدث بها[٤٢].

وسندرس ظاهرة الهمز في لهجة أهل الضلوعية ؛ لأنها تمثل نواة صغيرة من اللهجات المحلية التي تتألف منها العامية العراقية، إن هذه الظاهرة تمثل إحدى الظواهر الصوتية الشائعة في اللهجات العامية كلها، فهي ليست مقتصرة على لهجة دون أخرى، فلو اجرى باحث دراسة استقرائية لهذه الظاهرة في اللهجات العامية الحديثة لوجد فيها كثيراً من الامثلة التي يتعذر عليه حصرها.

وهناك مواضع كثيرة يميل فيها اهل الضلوعية الى تسهيل الهمزة طلباً للسهولة والاختصار، فهي بذلك تعكس جانباً من صور اللهجات العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، ولاسيما لهجة أهل الحجاز، وهم اهل العربية الفصحى ،

كانوا يسهلون الهمزة[٤٣]، وان كان تسهيلها ليس مطرداً في اللهجة الحجازية، فقد وردت عنهم كلمات يحققون فيها الهمزة[٤٤]. ولذا عد بعض الباحثين اللهجات الحديثة مصدراً مهماً يمكن أن يهتدى به الى دراسة اللهجات القديمة[٤٥].

وسنعرض لدراسة ظاهرة الهمز في هذه اللهجة على وفق ثلاثة مطالب، بحسب موضع وقوع الهمزة في الكلمة.

المطلب الاول

الهمزة في أول الكلمة (المبتدأة)

وهي الهمزة التي تكتب بالألف بأية حركة تحركت بها، وتبقى ملازمة لهذه الصورة في الهجاء العربي وفي أية كلمة وقعت أصلية كانت أم مبدلة أم زائدة، وقعت في اسم أم في فعل، مثل: أمل، إبل، أخذ، أكل[٤٦].

ووردت في لهجة اهل الضلوعية كلمات مبدوءة بالهمزة ينطقونها مرة مخففة ومرة محققة، ولمسنا ذلك في سياقاتهم الكلامية، ولاسيما في نطقهم للأفعال المهموزة مثل: أَخَذَ، وأَكَلَ ، فهم يميلون إلى تحقيقها في نطقهم إلا إذا اتصلت بها ياء المضارعة، فسرعان ما يميلون الى تخفيفها، فهم يقولون في تحقيقها:

أَخَذْ ــ في(أَخَذَ)، وأَچَلْ ــ في(أَكَلَ)؛ لأنهم ينطقون الكاف (چ).

أَخَذَوا– في(أَخَذُوا)، وأَ چَلَوا ــ في(أَكلُوا).

أما عند اتصال ياء المضارعة فيخففون الهمزة، فيقولون في:

يأْخُذُ ــ يَاخُذْ، وفي يأْكُلُ ــ يَاكُلْ ، وفي هذه الحالة ينطقون الكاف من غير ان يقلبوها (چ) كما كانوا يفعلون ذلك في حالة الماضي.

ومما يفسر هذه الحالة أن تحقيقهم للهمزةِ في (أَخَذَ) و (أَكَلَ) حدث نتيجة لوقوعها في اول هذه الأفعال، وكأنهم لم يحسوا بثقلها في نطقهم ، أو لآنها لم تُسبق

بحركة تساعد في تخفيفها مما جعلهم ينطقونها محققة دائماً. أما في حالة اتصال ياء المضارعة فلم يتمكنوا من نطقها الا مخففة؛ ولعل إطالة حركة ياء المضارعة يسَّرت عليهم تخفيفها، فهي في هذه الحالة تشبه الهمزة المتوسطة التي يعد تسهيلها أكثر في اللهجات الحديثة من الهمزة المبتدأة. هذا فضلاً عن البعد بين الياء والهمزة من حيث المخرج والصفة.

ومما تنبغي الإشارة إليه أن أهل الضلوعية عند نطقهم فعل الأمر من هذه الأفعال (أَخَذَ ، أَكَلَ) لايسقطون الهمزة بل يحققونها مخالفين بذلك النطق العربي الفصيح لهذه الأفعال ، فيقولون في : (أَخَذَ ــ اخُذْ) ، في (أَكَلَ ــ أُكُلْ) الذي تحذف فيه الهمزة الساكنة في بداية الكلمة إذا كانت متلوة مباشرة بصوت صحيح ، وهي من القواعد الصوتية التي تحذف فيها الهمزة إذا جاءت ساكنة في بداية الكلمة[٤٧].

وكذلك الحال بالنسبة لنطق الهمزةِ الواقعة في صيغة التفضيل ، وجدنا أن أهل الضلوعية ينطقونها محققة في لهجتهم مثل : أحسن، أكثر، أخير، فهي في هذه الصيغة محققة في لهجة الضلوعية ، وهو ما يوافق النطق في العربية الفصحى الذي يحققها في هذه الصيغة ، لكنها حذفت لكثرة الاستعمال ، إذ الأصل في خير هو أخير[٤٨]. إن أهل الضلوعية كانو قريبين في نطقهم لهذه الكلمة من الأصل الذي هو أخير.

ولاحظنا أصحاب هذه اللهجة يحققون الهمزةِ في الصفات الدالة على الألوان من غير أن يلجؤوا إلى تحقيقها ، فيقولون في سياق تعاملاتهم اليومية :

أحمر ، أسود ، أصفر ، أخضر ، أزرگ في (أزرق) ، لأنهم يلفظون القاف (گ)[٤٩]، ولعل سبب تحقيقها في لهجتهم هو أنه لم تسبقها حركة تساعد على تخفيفها ؛ لذلك لم تُنْطَق الصفات الدالة على الألوان في لهجة أهل الضلوعية إلا

محققة خلاف نطق بعض اللهجات العامية في جنوب العراق التي يميل أهلها إلى حذف الهمزة في بعض الصفات الدالة على الألوان مثل : أحمر ، أخضر ، يقولون: حَمَر، خَضَر ، وتحريك الصوتين اللذين بعدهما بالفتح ، ويفعلون ذلك في هاتين الصفتين، أما بقية الصفات فيحققون الهمزة فيها مطلقاً. فيقولون : أسود ، أصفر ، وهكذا في بقية الصفات(٥٠).

المطلب الثاني

الهمزة في وسط الكلمة (المتوسطة)

وهي الهمزة التي تقع متوسطة بين حروف الكلمة ، ولها حالتان: إما أن تكون متحركة أو ساكنة(٥١)، وفي لهجة أهل الضلوعية أمثلة كثيرة للهمزة المتوسطة خففوها في نطقهم ، ومما سهل عليهم هذا التخفيف حركة الهمزة وسكونها ، وحركة ما قبلها وما بعدها ، فهي تتأثر بذلك كثيراً عند تسهيلها .

إن تخفيف الهمزة في وسط الكلمة هو الأكثر شيوعاً في اللهجات العامية المعاصرة للاختصار والسهولة في حركة أعضاء النطق .

وقد جاءت في لهجة أهل الضلوعية أمثلة كثيرة للهمزة المتوسطة ، مالوا في نطقها إلى التخفيف ، محاولة منهم للتخلص من صوت الهمزة الشديد(٥٢).

وسار تخفيف الهمزة المتوسطة في اللهجة العامية على ثلاث قواعد صوتية تبعاً لحركة الهمزة وحركة ما قبلها ، وهي :

١ـ قلب الهمزة ياء:

تقلب الهمزة ياء إذا وقعت متوسطة بين أحرف الكلمة في اللهجات العامية تخفيفاً لنطقها ، ولاسيما إذا كانت الهمزة ساكنة قبلها حركة ففي هذه الحالة تقلب

الهمزة إلى صوت يجانس حركة ما قبلها ، ومما ورد في لهجة الضلوعية مثل : بِئْر ـ بِير ، ذِئْب ـ ذِيب .

فقد حدث في نطقهم لهذه الكلمات تغير صوتي أدى إلى قلب الهمزة ياءً مجانسة لحركة الحرف الذي قبلها وهي الكسرة ، وغايتهم في ذلك تسهيل نطق صوت الهمزة الثقيل على ألسنتهم ، وذلك مخالف للنطق في العربية الفصحى الذي يحقق الهمزة في نطق هذه الكلمات . وسمَى علماء العربية القدماء هذا النوع من النطق بقلب الهمزة أو إبدالها ، فقد حدث قلب أو إبدال للهمزة عند القدماء ، أما المحدثون فيرون أن الهمزة حذفت وأطيلت الحركة التي قبلها(٥٣).

وضمَت كتب القراءات القرآنية أمثلة لهذا النوع من التخفيف ، إذ قرأ القراء قوله تعالى :(لئن أكله الذئب) يوسف / ١٤ ، بإثبات الهمزة وتركها ، قال ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) :(فالحجة لمن همز : أنه أتى به على أصله ... ، والحجة لمن ترك الهمزة أنها ساكنة ، فأراد بذلك التخفيف)(٥٤) .

ويبدو أن سكون الهمزة كان سبباً في ميل الناطقين إلى تخفيفها في الكلام ، فضلاً عن خصائصها الصوتية . وفي الكلمات التي جاءت على صيغة اسم الفاعل يميل أهل الضلوعية إلى تخفيف الهمزة المتوسطة بقلبها ياءً مطلقاً ، ومن ذلك الكلمات الآتية :

صَائم ـ صَايم .

سَائِق ـ سَايق .

خَائِف ـ خَايف .

هذا بالنسبة لوقوعها في الصفات ، أما إذا وقعت في أسماء الأعلام فهي محققة دائماً . فهم يقولون : ثائر ، فائز . من غير أن نجد تخفيفاً لها في نطقهم ،

إلا إذا نقلوا هذه الأسماء إلى صفات ، فعندئذ يلجأون إلى تخفيفها في كلامهم فيقولون : ثايرين ، وفايزين . على خلاف النطق الفصيح .

فالهمزة محركة بالكسرة وما قبلها ساكن ؛ لذا اقتضى التخفيف في هذه الكلمات قلبها ياءً.

٢ـ قلب الهمزة ألفاً :

قلبت الهمزة المتوسطة الساكنة المفتوح ما قبلها في لهجة أهل الضلوعية ألفاً في كثير من الكلمات مثل : رَأْس ــ رَاس ، فَأْس ــ فَاس ، رَأْي ــ رَاي .

ونلحظ أنهم أبدلوا الألف مكان الهمزة سعياً للتخلص من ثقلها ، إذ وقعت الهمزة ساكنة بعد فتح مما جعلهم ينطقونها ألفاً في لهجتهم تخفيفاً لنطقها ، وقد أدى هذا التغير الصوتي إلى اختلاف هذه الكلمات عن النطق في العربية الفصحى. وفسر المحدثون تخفيف الهمزة في هذه الكلمات بحذف الهمزة إطالة العلة[٥٥].

٣ـ قلب الهمزة واواً :

تقلب الهمزة المتوسطة واواً في اللهجات العامية إذا سبقت بضم ، وحدث ذلك في نطق أهل الضلوعية فهم يقولون في :

رُؤوس ـ رُوس .

نجد أن الهمزة الساكنة قد قلبت واواً مجانسة لحركة ماقبلها ؛ وذلك لصعوبة نطقها التي اضطرت أهل الضلوعية إلى تسهيلها .

ومما تقدم يتضح أن تخفيف الهمزة المتوسطة يكون بحسب حركة ما قبلها ، فإذا كانت الهمزة ساكنة وما قبلها مكسور قلبت ياءً ، وإن كان ما قبلها مفتوحاً قلبت ألفاً ، وإذا كان ما قبلها مضموماً قلبت واواً ، وهذا هو تفسير علماء العربية لحدوث ظاهرة تخفيف الهمزة ، قال سيبويه:(وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة ، فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً ، وذلك قولك في : رَأْس ، وبَأْس ، وقَرَأْت : راس ،

وباس ، وقرات . وإن كان مضموماً فأردت أن تخفف ،أبدلت مكانها واواً ، وذلك قولك في: الجُؤنة ، البُؤْس ، والمُؤْمن : الجونة ، والبوس ، والمومن. وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلت مكانها ياءً ، وذلك : الذِئْب ، والمِئْرة : ذيب ، وميرة)[٥٦] .

ولعل هذا ما يمكن للدارس أن يطمئن إليه في تفسير ظاهرة تخفيف الهمزة المتوسطة وهو الأقرب إلى الفهم من تفسير المحدثين لهذه الظاهرة الذين ذهبوا فيها إلى حذف الهمزة وإطالة الحركة ، ومما دفعهم إلى هذا التفسير هو أنهم ركزوا في العلاقة بين صوت الهمزة وأصوات المد ، إذ نفى الدكتور عبد الصبور شاهين وجود أي علاقة صوتية بين الهمزة وأصوات المد للبعد بين مخرجيهما[٥٧]. في حين أكد الدكتور غالب المطلبي وجهة نظر القدماء في الكشف عن حدوث ظاهرة تخفيف الهمزة المتوسطة عندما بيّن العلاقة بين الهمزة وأصوات المد قائلاً:(وإنها قد تتبادل معها المواقع في طائفة من السياقات من غير أن يتغير المعنى)[٥٨] . وربما يؤيد هذا تخفيف الهمزة في اللهجات العربية القديمة واللهجات العربية الحديثة .

المطلب الثالث

الهمزة في آخر الكلمة (المتطرفة)

تخفف الهمزة الواقعة في آخر الكلمة كثيراً في اللهجات العامية ، كما كان هذا التخفيف هو المميز للهجة الحجازية ، ولهجة الضلوعية بوصفها إحدى اللهجات العامية مالت إلى تخفيف الهمزة المتطرفة في كثير من الكلمات التي جاء نطقها موافقاً العربية الفصحى ، مثل :

جَاْءَ ـ جَا

جَاْءُوا ـ جَوْ

مَاْء ـ مَي

سَمَاْء ـ سِمَ

ونلحظ أنهم يخففون الهمزة المتطرفة في لهجتهم في الأفعال مطلقاً ؛ وذلك لوقوعها في آخر الكلمة متطرفة وما قبلها ساكن وهو حذف على القياس(٥٩)؛ لغرض الميل الى السرعة في النطق الذي فرضته طبيعة حياتهم اليومية.

أَما الأَسماء فالتخفيف فيها ليس مطلقاً في لهجة الضلوعية، فقد ترد مخففة في بعض الأَسماء كما في (ماء- سماء) ومحققة في بعضها الآخر، كما في أسماء الأشخاص مثل: براء – ضياء – علاء. من غير تخفيف أي إن هذه الأسماء لم ترد في نطقهم إلا محققة.

وخلاصة القول إن الميل إلى تخفيف الهمزة من الظواهر الصوتية القديمة المعروفة عن اللهجة الحجازية، ولعل اللهجة العامية العراقية ومنها لهجة الضلوعية، احتفظت بهذه الظاهرة من اللهجات العربية القديمة.

الخاتمة

توصل البحث الى النتائج الآتية:

١- إن ظاهرة الهمز من الظواهر الصوتية القديمة في اللهجات العربية انحدرت اليها من اللغات السامية.

٢- ورثت اللهجات العامية الحديثة ظاهرة تخفيف الهمزة من اللهجات القديمة؛ طلباً للسهولة والاختصار في الكلام.

٣- إن تخفيف الهمزة عند أَهل الضلوعية ليس مطرداً فقد يميلون إلى تحقيقها، ولاسيما إذا وقعت في أول الكلمة.

٤- يميل أهل الضلوعية في لهجتهم إلى تخفيف الهمزة المتوسطة كيفما وقعتً، وذلك بإبدالها بحرف يجانس حركة ما قبله على طريقة أسلافهم العرب القدماء.

٥- يخفف أهل الضلوعية الهمزة المتطرفة حيناً ويحققونها حيناً آخر، ويكثر تحقيقها في أَسماء الأَشخاص(براء – ضياء – علاء... الخ).

٦- قد يقتربون في نطقهم للهمزة في بعض المواضع من النطق الفصيح، وربما يتأثرون به في مواضع أخرى.

٧- يميلون إلى القياس في تخفيف الهمزة.

الهوامش:

(١) العين: ١٧/٤.

(٢) مقاييس اللغة: (همز) ٦٥/٦.

(٣) ينظر تهذيب اللغة: (همز) ٩٧/٦.

(٤) الكتاب ١٠٢/٤ وينظر: اللهجات العربية في تهذيب اللغة ١٨ (اطروحة دكتوراه).

(٥) الأصوات اللغوية: ٧٨.

(٦) ينظر: اللهجات العربية في التراث ٣١٨، ودراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ٨٠.

(٧) ينظر: أبحاث في العربية الفصحى ٧٨.

(٨) الكتاب ٤٣٣/٤.

(٩) شرح المفصل ٢٦٥/٥.

(١٠) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٨، ودراسات في علم اللغة د. كمال بشر (القسم الأول) ٩١، والمدخل الى علم اصوات العربية د. غانم قدوري ٦٣، والدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث د.حسام البهنساوي ١٠٤.

(١١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٤١، والمدخل إلى علم أصوات العربية ١٠٣.

(١٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ١٠٣.

(١٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٤٢، والدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ١٠٦.

(١٤) أصوات العربية بين التحول والثبات ٣١.

(١٥) المصدر نفسه ٣١.

(١٦) التشكيل الصوتي ٩٥.

(١٧) ينظر: محاضرات في اللغة د.عبد الرحمن أيوب ١٢٣.

(١٨) الكتاب ٥٤١/٣، وينظر: إعراب ثلاثين سورة ١٤٣.

(١٩) في اللهجات العربية ١٦.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه ٦٨.

(٢١) ينظر: في اللهجات العربية ٦٩.

(٢٢) لسان العرب (نبر) ٢٨/١.

(٢٣) ينظر: أبحاث في العربية الفصحى ٧٩.

(٢٤) التطور النحوي ٣٩.

(٢٥) ينظر: في اللهجات العربية ٦٨و٦٩، واللهجات العربية في التراث ٣١٨.

(٢٦) في اللهجات العربية ٦٨.

(٢٧) ينظر: البحث الصوتي في اطاريح القراءات القرآنية ورسائلها الجامعية جامعة بغداد انموذجاً ٣٠ (اطروحة دكتوراه).

(٢٨) ينظر: العربية بين أمسها وحاضرها ١٠١، وفقه اللغة مناهله ومسائله ١٧٣.

(٢٩) ينظر: أبحاث في العربية الفصحى ٨١.

(٣٠) المحتسب ١٠١/١.

(٣١) العين (لهج) ٣٩١/٣.

(٣٢) في اللهجات العربية ١٥.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه ١٥، وفصول في فقه العربية د.رمضان عبد التواب ٧٢.

(٣٤) أسس علم اللغة ٢١١.

(٣٥) ينظر: في اللهجات العربية ١٨.

(٣٦) ينظر: المصدر نفسه ١٥.

(٣٧) ينظر: اللهجات العربية في التراث ٣١٧.

(٣٨) المصدر نفسه ١٢٦.

(٣٩) اللهجات العربية في التراث ١٢٦.

(٤٠) ينظر: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ٥١.

(٤١) ينظر: في اللهجات العربية ١٨.

(٤٢) ينظر: العربية الفصحى ولهجاتها ٢٦.

(٤٣) ينظر: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الاقليم الشمالي ٧.

(٤٤) ينظر: مشكلة الهمزة في العربية ٣٦.

(٤٥) ينظر اللهجات العربية في التراث ١٢٨.

(٤٦) ينظر: مشكلة الهمزة في العربية ٧٦، وعلم الكتابة العربية ١٥٠.

(٤٧) ينظر: دراسات في علم أصوات العربية د.داود عبده ١٤٢/٢.

(٤٨) ينظر: المفردات لألفاظ القرآن (خير) ٣٠١.

(٤٩) ينطق هذا الصوت في لهجة الضلوعية كما تنطق الجيم القاهرية. ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات ٦٤-٦٥.

(٥٠) ينظر: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي ٢٥-٢٦.

(٥١) ينظر: علم الكتابة العربية ١٥٢، والعلة الإملائية ١٧.

(٥٢) ينظر: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الاقليم الشمالي ٢٤.

(٥٣) ينظر: مشكلة الهمزة في العربية ٣٤، ودراسات في علم أصوات العربية ١٢٠/٢.

(٥٤) الحجة في القراءات السبع ابن خالويه ١٩٤.

(٥٥) ينظر: دراسات في علم أصوات العربية ١٢٠/٢، والدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الاقليم الشمالي ٢٤.

(٥٦) الكتاب ١٧٩/٤.

(٥٧) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية ١٧٢.

(٥٨) ينظر: في الاصوات اللغوية(دراسة في أصوات المد العربية) د.غالب فاضل المطلبي ٧١.

(٥٩) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٨٣.

المصادر والمراجع

١- أبحاث في العربية الفصحى : الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، ط١ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢- أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب ط٨، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣- أصوات العربية بين التحول والثبات: الدكتور حسام سعيد النعيمي، مطابع جامعة الموصل ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٤- الأصوات اللغوية: الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣ ، ١٩٩٩م.

٥- إعراب ثلاثين سورة: الحسين بن أحمد بن خالويه(ت ٣٧٠هـ)، دار التربية للنشر والتوزيع، بغداد(د.ت).

٦- التشكيل الصوتي في اللغة العربية: الدكتور سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، جدة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٧- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٨- التطور النحوي للغة العربية: برجستر اسر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ – –٢٠٠٣م.

٩- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ٢٠٠١م.

١٠- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١١- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: الدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٢- دراسات في علم أصوات العربية: الدكتور داود عبده، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

١٣- دراسات في علم اللغة: الدكتور كمال محمد بشر، مطابع دار المعارف، مصر ١٩٧٥م.

١٤- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: الدكتور حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط١ ، ٢٠٠٥م.

١٥- دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ٢٠٠٩م.

١٦- دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية: جونستون، ترجمة الدكتور أحمد محمد الضُّبيب، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٣م.

١٧- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد، بغداد، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٨- دراسة الصوت اللغوي: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٠م.

١٩- الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الاقليم الشمالي: الدكتور عبد القادرعبد الجليل، دار صفاء للنشر، عمان ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢٠- العربية بين أمسها وحاضرها: الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٢١- العربية الفصحى ولهجاتها: الدكتور حسام البهنساوي، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢٢- علم الكتابة العربية: الدكتور غانم قدوري الحمد،دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٣. العلة الإملائية: الدكتور حيدر التميمي،دار الكتب العلمية، ط١ ، ٢٠٠٩م.
٢٤- فصول في فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ،القاهرة ط٣ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٥. فقه اللغة مناهله ومسائله:الدكتور محمداسعد النادري،المكتبة العصرية ،بيروت . لبنان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٦- في الاصوات اللغوية(دراسة في أصوات المد العربية) الدكتور غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ١٩٨٤م.
٢٧. في اللهجات العربية:الدكتور إبراهيم أنيس ،مكتبة الانجلوالمصرية ،٢٠٠٣م.
٢٨. كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط٣ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٩- لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر ،بيروت (د.ت).
٣٠- اللهجات العربية في التراث : الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ،ليبيا ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٣١- محاضرات في اللغة : الدكتور عبد الرحمن أيوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٦م.
٣٢. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ،تحقيق علي النجدي ناصف - عبدالفتاح شلبي ، القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣٣. مشكلة الهمزة في العربية:الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٤- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٥- المنهج الصوتي للبنية العربية : الدكتور عبد الصبورشاهين ،مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الرسائل الجامعية:

١. اللهجات العربية في تهذيب اللغة : شذى حسين علي التميمي ، أطروحة دكتوراه، بإشراف الأستاذ الدكتور علي جميل السامرائي ، كلية التربية للبنات ،جامعة بغداد ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢- البحث الصوتي في أطاريح القراءات القرآنية ورسائلها الجامعية جامعة بغداد أنموذجاً : مها عبد الرزاق خضر ، أطروحة دكتوراه ،بإشراف الأستاذ الدكتور محمد ضاري حمادي، كلية الآداب جامعة بغداد ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

علم البديع عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط

م.م. محمد طه فياض
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم(*)

الحمد لله ربِّ العالمين ،والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فبعد أن درست تفسير أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط) بلاغيا في الماجستير عقدت العزم على اختيار موضوع (علم البديع عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط) لِمَ له أهمية كبيرة في إعجاز القران ، والأدب العربي ، وقد تطور هذا العلم كثيرا في العصر العباسي على أيدي مسلم بن الوليد وأبي تمام وغيرهما من الشعراء الذين فتحوا هذا الباب على مصراعيه وتكلفوا فيه كثيرا حتى عُدَّ مثلبة عليهم عند منافسيهم ، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في تمهيد ومبحثين تتلوها خاتمة فوقفت في التمهيد على المعنى اللغوي للبديع ، ثم ذكرت بعد

(*) هذا البحث مستل من رسالتي للماجستير الموسومة (جهود أبي حيان الأندلسي البلاغية في تفسيره البحر المحيط).

ذلك المعنى الاصطلاحي له ، لكي نتمكن من تحديد المصطلح البلاغي عند أبي حيان ، ودقة فهمه له .

أما المبحث الأول ، فقد جاء بعنوان (المحسنات المعنوية)، وقد وقفت فيه على أبرز هذه المحسنات المشهورة عند العلماء ، فاقتصر هذا المبحث على خمسة أنواع : الأول : الطباق ،والثاني : المقابلة ، والثالث : الالتفات ، والرابع : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، والخامس : التورية ، ثم جاء المبحث الثاني بعنوان (المحسنات اللفظية) ، وقد اقتصرت فيه على ثلاثة أنواع مشهورة عند العلماء الأول : الجناس ، والثاني :الترصيع ، والثالث : السجع أو توافق الفواصل .

ثم جاءت الخاتمة متضمنة خلاصة للموضوع ، مع ذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث وقد تطلب البحث الاطلاع على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة، قديمة وحديثة ، وكان من بين هذه المصادر والمراجع ، اللغوية والأدبية والبلاغية ، فضلاً عن كتب التفسير وعلوم القران وغيرها .

ولا يفوتني أن أذكر أن هناك مصادر ومراجع أخرى في اللغة والأدب وعلوم القران والتفسير أفدت منها على ما تقتضي الحاجة إليها ، وقد أشرت إليها في هوامش البحث وقائمة مصادره .

وفي نهاية البحث أرجو من الله – تعالى – أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده يوم الدين ، وأمل أن يكون التوفيق قد حالف جهدي المتواضع هذا في كشف أسرار القران الكريم وإعجازه ، فان وفقت فذلك بفضل من الله – تعالى – ، وان كانت الأخرى فمن نفسي، ولا أدعي أنني بلغت فيه الكمال والاستيعاب الشامل، فالكمال لله – تعالى – وحده وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

التمهيد

البديع : لغة :

تناول علماء اللغة البديع في معاجمهم كثيراً فهذا الخليل يقول: (البَدْعُ : إحداث شيءٍ لم يكن له من قبلُ خَلْقٌ ولا ذكرٌ ولا معرفةٌ ، والله بديع السموات والأرض ابتدعهما ، ولم يكونا قبل ذلك شيئاً يتوهمهما متوهم ... والبدع : الشيء الذي يكون أولاً في كل أمر))(١).

وتحدث ابن منظور عن البديع فقال: ((بَدَعَ الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : انشأه وبدأه ... وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال ، والبديع من أسماء الله – تعالى– لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ... والبديع الجديد))(٢).

وهذا المعنى اللغوي له صلة بالمعنى الاصطلاحي ؛ لأن علم البديع لم يكن معروفاً ، إنما كانت أغراضه متناثره بين علمي المعاني والبيان إلى أن جاء ابن مالك فاطلق عليه مصطلح البديع لأول مرة ، ثم جاء القزويني الذي جمعها وأطلق عليها اسم (البديع) أي علم جديد.

البديع : اصطلاحاً:

تناول علماء البلاغة الأوائل هذا المصطلح البلاغي بالبحث والدراسة ، الا أنهم لم يفصلوه عن علم المعاني وعلم البيان(٣)، قال الجاحظ : ((والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، واربت على كل لسان))(٤) ، وبقي علم البديع متداخلاً مع علوم البلاغة المختلفة الى أن جاء السكاكي فقسم البلاغة على بابين هما: علم المعاني وعلم البيان وذيلهما ببعض الموضوعات التي سميت فيما بعد بـ(علم البديع) وسماها وجوهاً يصار إليها لتحسين الكلام ، وقسّمها الى نوعين : لفظية ومعنوية(٥).

ويعد بدر الدين بن مالك أول من أطلق مصطلح (البديع) على هذه الوجوه والمحسنات(٦).

ثم جاء القزويني بتعريف دقيق فقال: ((وهو : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ، ووضوح الدلالة))(٧). وقسمه الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى وضرب يرجع الى اللفظ(٨)، وتبع القزويني علماء البلاغة المتأخرون بعد ان استقر علم البديع عنده(٩) ، وسار الدارسون المحدثون على ما وقف عليه المتأخرون(١٠).

علم البديع عند أبي حيّان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط

المبحث الأول
المحسنات المعنوية

أولا: الطباق.

ثانياً: المقابلة.

ثالثا: الالتفات.

رابعا: تأكيد المدح بما يشبه الذم.

خامسا: التورية.

المبحث الأول
المحسنات المعنوية

أولاً: الطباق:

- الطباق لغة :

تكلم الخليل في معجمه على الطباق كثيراً بقوله : ((يقال: أطبق بين الرحيين أي طابق بين حجريها ... وطابقت بين الشيئين : جعلتهما على حذو واحد))(١١)، وتحدث ابن فارس عن الطباق فقال: ((الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد ، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه من ذلك الطبق تقول: أطبقت الشيء على شيء ، فالأول طبق للثاني ؛ وقد تطابقا))(١٢).

وقال ابن منظور: ((طابقه مطابقة وطباقاً وتطابق الشيئان : تساويا والمطابقة : الموافقة ، والتطابق : الاتفاق : وطابقت بين الشيئين : اذا جعلتهما على حذوٍ واحدٍ والزقتهما))(١٣).

ويبدو ان المعنى اللغوي للطباق غير موافق للمعنى الاصطلاحي ، لأن المعنى اللغوي يعني الموافقة بين الطرفين ، بينهما المعنى الاصطلاحي هو ذكر الشيء وضده.

- الطباق : اصطلاحاً:

ذكر علماء البلاغة هذا النوع من البديع بتسميات عديدة منها: المطابقة ، أو الطباق أو التطبيق ، أو التضاد ، أو التكافؤ ، أو المقاسمة(١٤).

وقال أبو هلال العسكري : ((وقد أجمع الناس أنَّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة او الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة،مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار والحر والبرد))(١٥).

وبهذا المعنى قال جل علماء البلاغة على أنَّ الطباق هو: الجمع بين الشيء وضده[١٦]، وزاد عليه القزويني قوله : ((أي معنيين متقابلين في الجملة))[١٧]، وأشار ابن معصوم إلى أنَّ الطباق قسمان: حقيقي ومجازي ، وكل منهما إما لفظي أو معنوي و إما طباق إيجاب أو سلب[١٨]، وتبعهم الدارسون المحدثون فيما وقفت عليه[١٩].

- الطباق عند أبي حيان :

تحدث أبو حيَّان عن الطباق بقوله : ((فهو من مقابلة الشيء بضده ، وهو نوع من البيان يسمى الطباق))[٢٠] وذكر له أمثلة كثيرة في تفسيره ، وقسمه إلى قسمين : طباق لفظي وطباق معنوي ، ومن هذه الأمثلة:

١- الطباق اللفظي :

ومنه قوله –تعالى- : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾(النساء:٧٦) ، قال أبو حيَّان : ((والطباق اللفظي في (الذين آمنوا) و(الذين كفروا)))[٢١].

ومنه قوله –تعالى- : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾(آل عمران: ٢٦)، قال أبو حيَّان : ((والطباق في تؤتي ، وتنزع ، وتعز وتذل))[٢٢].

وقال الشيخ محمد علي الصابوني:((الطباق في مواضع مثل((تؤتي وتنزع)) و((وتعز وتذل))))[٢٣]. وهذا ما عليه الرازي والسكاكي وشهاب الدين الحلبي(٧٢٥هـ) والقزويني والطيبي وابن قيم الجوزية والزركشي وابن معصوم[٢٤].

٢- الطباق المعنوي :

ومنه قوله –تعالى- : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(البقرة: ٢٨٦) قال أبو حيَّان : ((والطباق المعنوي في (لها ما كسبت) و(عليها ما أكتسبت) لأنَّ لها اشارة الى ما يحصل به نفع وعليها إشارة الى ما يحصل به ضرر))[٢٥].

وأشار الطيبي الى هذا المعنى معلقاً على الطباق الذي فيها بقوله : ((وقد يكون بالحروف كقوله –تعالى- : (لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت))[٢٦] ويقصد بالحروف أي (لها وعليها) كما ذكر أبو حيَّان ، وهذا ما عليه البيضاوي والقزويني وابن معصوم والصابوني وغيرهم[٢٧].

ثانياً: المقابلة :

- المقابلة : لغة :

ذكر ابن فارس في معجمه المادة اللغوية للقاف والباء واللام بقوله : ((القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلَ كلِمُهُ كلها على مواجهة الشيء للشيء))[٢٨]، وقال الزمخشري : ((ولقيته قِبلاً وقَبلاً وقُبلاً : مواجهة وعياناً))[٢٩] ، وأما ابن منظور فقال: ((قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً : عارضه ... والمقابلة : المواجهة ، والتقابل مثله))[٣٠]

- المقابلة اصطلاحاً:

تحدث علماء البلاغة عن المقابلة ومن هؤلاء الباقلاني بقوله : ((وهي أنْ يوافق بين معان ونظائرها والمضاد بضده))[٣١]، وقال فيها الرازي : ((وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط وجب أنْ تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط))[٣٢].

وقـال السـكاكي : ((وهـي أنْ تجمـع بـين شـيئين متـوافقين أو أكثـر وبـين ضديهما ثم اذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده))[٣٣]، وبهذا قال ابن مالك[٣٤]

وأدخلهـا ابـن الاثيـر فـي المطابقـة[٣٥] ومثلـه فعل القزوينـي[٣٦]، ولـم يخـرج المتـأخرون عمـن تقدمهم مـن العلمـاء[٣٧]، وتبعهم الدارسـون المحـدثون فيمـا وقفت عليه[٣٨].

- المقابلة عند أبي حيان :

تنـاول أبـو حيَّان المقابلـة فـي تفسيره شـارحاً ومعلقاً وكـان فهمـه لهـا واضـحاً ودقيقاً ، وذكر لهـا أمثلـة كثيرة ، ومن ذلك قولـه –تعـالى– : ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾(آل عمران: ١٢٠)، قال أبو حيَّان : ((وقابل الحسـنة بالسيئة ، والمسـاءة بـالفرح ، وهـي مقابلـة بديعـة))[٣٩] ، ونقـل الشـيخ محمـد علي الصابوني المعنى نفسه [٤٠].

ومنـه قولـه –تعـالى– : ((فأمـا مـن أعطـى واتقـى وصـدق بالحسـنى ...) (الليل:٥–١٠)

قـال أبـو حيَّـان : (وجـاء (فسنيسـره للعسـرى) علـى سـبيل المقابلـة لقولـه (فسنيسره لليسرى)) والعسرى لا تيسير فيها)[٤١].

ووضـع الرازي هذه الآيـة ضـمن أمثلـة المقابلـة وعلـق عليهـا بقولـه : ((فلمـا جعـل التيسـير مشـتركاً بـين الإعطـاء والاتقـاء والتصـديق جعـل ضـده وهـو التعسـير مشتركاً بين أضداد تلك الأمور وهو المنع والاستغناء والتكذيب))[٤٢] ، وهـذا مـا عليـه كثير من علماء البلاغة فيما وقفت عليه[٤٣].

ثالثا - الالتفات :

- الالتفات : لغة :

تناول ابن فارس في معجمه المادة اللغوية لـلام والفاء والتاء بقولـه : ((الـلام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة منه لفتُّ الشـيء لويتـه ، ولفتُّ فلانـاً عـن رأيـه : صـرفته))[٤٣] وقـال ابـن منظـور : ((لفت وجهه عن القوم : صرفه والتفت التفاتاً،والتفت أكثر منه ، وتلفت إلى الشيء والتفت اليه صرف وجهه اليه ، ويقال لفت فلاناً عن رأيه صرفته عنه))[٤٤].

- الالتفات : اصطلاحاً:

تناول العلماء الاوائل هذا المصطلح البلاغي ، وذكروا لـه أمثلة كثيرة ومنهم الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبـة والمبرد وغيرهم[٤٥] ، وسماه أبن وهب بـ(الصرف)[٤٦] ، وأطلـق عليـه قـوم بــ(الاعتراض)[٤٧] ، وسـماه الآخـرون بــ(الاستدراك)[٤٨] ، ثـم جـاء السكاكي فوضـعه ضـمن علم المعاني وعرفه بقولـه: ((اعلم أنَّ هذا النوع ، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة ، لا يختص المسند اليه ، ولا هذا القدر بل الحكايـة والخطـاب والغيبـة ثلاثتهـا ينقل كل واحد منهـا إلـى الأخر ، ويسمى هذا النقل التفاتـاً عنـد علمـاء علـم المعـاني ، والعـرب يسـتكثرون منـه.، ويـرون الكـلام اذا انتقـل مـن أسلوب إلـى أسلوب أدخل فـي القبـول عند السـامع ، وأحسـن تطريـة لنشـاطه ، وأمـلأ باستدرار إصغائه ، وهم أحرياء بذلك))[٤٩].

وتبعه في ذلك كثير من علماء البلاغة المتأخرون[٥٠] ، ولم يخرج الدارسون المحدثون عما ذهب اليه المتقدمون فيما وقفت عليه[٥١].

- الالتفات عند أبي حيَّان:

تحدث أبو حيَّان في تفسيره عن الالتفات بقوله: ((والانتقال من فنون البلاغة وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم ومن الخطاب للغيبة أو التكلم ومن التكلم للغيبة أو الخطاب ، والغيبة تارة تكون بالظاهر وتارة بالمضمر))(٥٢).

والالتفات ينقسم الى ستة أنواع كما ذكر أبو حيَّان وسأذكر -إنْ شاء الله -تعالى- ما ورد عنده من هذه الأنواع:

١-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

ومنه قوله -تعالى- : ((﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[مريم :٨٨-٨٩] ، قال أبو حيَّان : ((((لقد جئتم)) أي : قل لهم يا محمد لقد جئتم ، أو يكون التفاتاً خرج من الغيبة إلى الخطاب ، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا))(٥٣).

وهذا ما ذهب إليه الشوكاني بقوله : ((وفي قوله ((لقد جئتم شيئاً إداً)) التفات من الغيبة إلى الخطاب وفيه رد لهذه المقالة الشنعاء))(٥٤) ، وهذا ما عليه الزركشي والسيوطي وغيرهم(٥٥).

٢- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومنه قوله -تعالى- : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١]، قال أبو حيَّان: ((وقرأ الجمهور لنريه بالنون وهو التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات في آياتنا))(٥٦).

وقال القرطبي : (((لنريه من آياتنا) هذا من باب تلوين الخطاب))(٥٧) ، وهذا ما عليه الزمخشري والطيبي وابن قيم الجوزية والزركشي وغيرهم(٥٨).

٣- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

وجاء هذا في قوله -تعالى- : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢] ، قال أبو حيَّان: ((والضمير في (وجرين) عائد على الفلك ، على معنى الجمع ، إذ الفلك كما تقدم في سورة البقرة يكون مفردا وجمعاً ، والضمير في (بهم) عائد على الكائنين في الفلك ، وهو التفات إذ هو خروج من خطاب إلى غيبة ، وفائدة صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة ، قال الزمخشري: المبالغة ، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح انتهى ، والذي يظهر والله اعلم : أن حكمة الالتفات هنا هي أن قوله (هو الذي يسيركم في البر والبحر) خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار))(٥٩) ، وهذا ما عليه كثير من علماء البلاغة(٦٠).

٤- الالتفات من التكلم الى الغيبة :

ورد هذا في قوله -تعالى- : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣] ، قال أبو حيَّان : ((وإضافة الرحمة إلى الله التفات من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب ؛ لأنَّ في أضافتها إليه سعة للرحمة إذا أضيفت إلى الله الذي هو أعظم الأسماء ؛ لأنه

العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء))(٦١) ، وقال الشيخ محمد علي الصابوني : ((الالتفات من التكلم إلى الغيبة ((لا تقنطوا من رحمة الله)) والأصل: لا تقنطوا من رحمتي))(٦٢).

٥- الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

ومنه قوله -تعالى- : ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[يونس:٢١] قال أبو حيَّان: ((قرأ الحسن وقتادة ومجاهد والأعرج ورويت عن نافع (يمكرون) على الغيبة جرياً على ما سبق ، وقرأ أبو رجاء وشيبة وأبو جعفر وابن أبي إسحاق وعيسى وطلحة والأعمش والجحدري أيوب بن المتوكل وابن محيص وشبل وأهل مكة والسبعة بالتاء على الخطاب ، مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم ، والتفاتاً لقوله (قل الله) أي : قل لهم ، فناسب الخطاب))(٦٣) ، ووضع الزركشي هذه الآية ضمن أمثلة هذا النوع من الالتفات معلقاً عليها بقوله : ((على أنه سبحانه نزَّل نفسه منزلة المخاطب))(٦٤).

٦- الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

ومنه قوله -تعالى- : ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢٢] ، قال أبو حيَّان : ((ولما أمرهم بإتباع المرسلين أخذ يبدي الدليل في اتباعهم وعبادة الله فأبرزه في صورة نصحه لنفسه ، وهو يريد نصحهم ليتلطف بهم ويراد بهم ؛ ولأنه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه فوضع قوله (وما لي لا أعبد الذي فطرني) موضع (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ولذلك قال(واليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال واليه أرجع))(٦٥).

وقال الزركشي: ((الأصل: واليه أرجع فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، وفائدته أنه خرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفاً

وإعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله))(٦٦) ، وهذا ما عليه كثير من علماء البلاغة (٦٧)

رابعاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم :

- تأكيد المدح بما يشبه الذم عند البلاغيين:

هو من الأساليب العربية القديمة التي وقف عليها علماء البلاغة المتقدمون بالشرح والتعليق والتمثيل ، مطلقين عليه تسميات مختلفة ، منها (الرجوع أو الاستثناء ، أو تأكيد المدح بما يشبه الذم) (٦٨) ، والأخير هو أكثر شهرةً عند علماء البلاغة ، وأدخله السكاكي ضمن المحسنات المعنوية(٦٩) ، وعرفه ابن مالك بقوله : ((أن تنفي عن الممدوح وصفاً معيباً ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنَّه ستثبت له ما يذم به فتأتي بما من شأنه أنْ يذم به وفيه المبالغة بالمدح))(٧٠) ، وتبعه في ذلك جل علماء البلاغة المتأخرون (٧١)، وعلى هذا النهج سار الدارسون المحدثون(٧٢).

- تأكيد المدح بما يشبه الذم عند أبي حيَّان:

تناول أبو حيَّان في تفسيره هذا المصطلح البلاغي ، وذكر له بعض الأمثلة، وسماه (الاستثناء أو التعريض بما يوهم الذمّ)مما يدل على فهمه الواضح لهذا المصطلح ، ومن ذلك قوله -تعالى- : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[المائدة:٥٩] ، قال أبو حيَّان: ((والمعنى : هل تعيبون علينا ، أو تنكرون وتعدون ذنباً او نقيصة ما لا ينكر ولا يعاب ، وهو الإيمان بالكتب المنزلة كلها ، وهذه محاورة لطيفة وجيزة ، تنبه الناقم على أنَّه ما نقم عليه إلا ما لا ينقم ولا يعد عيباً ، ونظيره قول الشاعر:

وَلا عيْبَ فيهمْ غيْر أنَّ سُيُوفهُمْ ... بهنَّ فُلُولٌ منْ قِراع الكتائب(٧٣)))(٧٤)

وهذا ما أكده ابن جزي بقوله : ((هل تعيبون علينا وتنكرون منا الا ايماننا بالله ، وبجميع كتبه ورسله ، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب ، ونظير هذا الاستثناء العجيب قول النابغة :

وَلا عيْبَ فيهمْ غيْر أنَّ سُيُوفهُمْ   بهنَّ فُلُولُ منْ قراع الكتائب[٧٥]))[٧٦]

والآية الكريمة ، وبيت النابغة يدوران في كثير من مصنفات علماء البلاغة على أنهما من هذا الباب[٧٧]

خامساً: التورية :

- التورية : لغة :

تحدث علماء اللغة عن التورية في معاجمهم ومنهم الجوهري بقوله : ((وريّتُ الخبر تورية ، إذا سترته وأظهرت غيره ، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان ، كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر))[٧٨] و إلى هذا المعنى ذهب ابن منظور [٧٩] .

- التورية : اصطلاحاً:

وتسمى بـ(الإيهام والتوجيه والتخييل والمغالطة)[٨٠]، وعرفها ابن منقذ بقوله: ((هي أن تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدهما فتوري عنه بالآخر))[٨١] ، ثم جاء القزويني فعرفها بقوله : ((هي أن تطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما))[٨٢] ، وتبعه في ذلك شراح التلخيص[٨٣]، ولم يخرج الدارسون المحدثون عن ذلك فيما وقفت عليه[٨٤].

- التورية عند أبي حيَّان:

وقف أبو حيَّان في تفسيره على التورية وذكر لها أمثلة قليلة في تفسيره ، ومن ذلك قوله –تعالى– : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة :١٤]، قال أبو حيَّان: ((وقولهم لمن لقوا من

المؤمنين (آمنا) بلفظ مطلق الفعل غير مؤكد بشيء تورية منهم وإيهاماً، فيحتمل أنْ يريدوا به الإيمان بموسى وبما جاء به دون غيره ، وذلك من خبثهم وبهتهم،ويحتمل أن يريدوا به الإيمان المقيد في قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) وليسوا بصادقين في ذلك ، ويحتمل أنْ يريدوا بذلك ما أظهروا بألسنتهم من الإيمان ومن اعترافهم حين اللقاء ، وسموا ذلك إيمانا وقلوبهم عن ذلك صارفة معرضة))[٨٥].

وقال الالوسي: ((وقيل : المراد آمنا بما آمنتم به ، وابعد من قال أرادوا الإيمان بموسى عليه السلام دون غيره وحذفوا تورية منهم وإيهاماً))[٨٦].

ومنه قوله –تعالى– : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۞ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[يوسف:٧٦-٧٧].

قال أبو حيَّان ناقلاً قول الزمخشري : ((وقال الزمخشري : ما معناه رموا بالسرقة تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف ، وإنْ كنتم كاذبين ، فرض لانتفاء براءتهم ، وفرض التكذيب لا يكون تكذيباً على أنَّه قالوا: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾(يوسف: ١٧)))[٨٧].

المبحث الثاني

المحسنات اللفظية

أولا : الجناس

ثانيا : الترصيع

ثالثا : السجع أو توافق الفواصل

المبحث الثاني

المحسنات اللفظية

أولا: الجناس :

الجناس : لغة :

تناول علماء اللغة الجناس في معاجمهم كثيراً ، ومنهم الجوهري بقوله : ((الجِنْسُ الضرب ، وهو أعم من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس))[٨٨] وقال ابن منظور : ((يقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله))[٨٩].

– الجناس : اصطلاحاً:

تحدث العلماء الأوائل عن هذا اللون من البديع وذكروه في مصنفاتهم[٩٠]، ثم جاء السكاكي فأدخله ضمن المحسنات اللفظية وعرفه بقوله : ((وهو تشابه الكلمتين في اللفظ))[٩١]، وعلى هذا النهج سار علماء البلاغة ممن جاء بعد السكاكي[٩٢]، وتبعهم في ذلك الدارسون المحدثون في تعريفهم للجناس وتقسيماته[٩٣].

– <u>الجناس عند أبي حيَّان :</u>

وقف أبو حيَّان في تفسيره على هذا النوع من البديع، وسماه بـ(التجنيس) وذكر أنواعه وعرفها تعريفاً دقيقاً ومطابقاً لتعاريف علماء البلاغة ، وسأقف على ما ذكره أبو حيَّان من تلك الأنواع – إن شاء الله –تعالى– ، ومن هذه الأنواع :

١ –الجناس المماثل:

هو من أنواع الجناس التام ، وسمي مماثلاً من التماثل الذي هو اتحاد في النوع الواحد من أنواع الكلمة ، أي هي اللفظ المفرد المستعمل وأنواعه الاسم والفعل والحرف[٩٤]، وعرفه أبو حيَّان بقوله : ((التجنيس المماثل وهو أن يكون بفعلين أو

أسمين))[٩٥] ، وذكر له أمثلة كثيرة في تفسيره مما يدل على فهمه لهذا المصطلح البلاغي ، ومن هذه الأمثلة قوله –تعالى- :﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[آل عمران:٦٩]، قال أبو حيَّان في بيان هذا النوع من البديع : ((التجنيس المماثل في (يضلونكم وما يضلون))[٩٦] ، وبهذا قال الشيخ محمد علي الصابوني : ((الجناس التام في قوله (يضلونكم وما يضلون))[٩٧] .

والجناس كما هو معلوم تشابه في اللفظ دون المعنى ، أي تشابه (يضلونكم وما يضلون) في اللفظ فقط دون المعنى لأن الضلال في الأولى هو تمني الإهلاك أو الرجوع إلى الكفر للمسلمين ، والضلال الثاني هو نفي الإهلاك عن المسلمين ورجوعه إليهم.

٢- جناس التصحيف:

ويسمى بتجنيس (المصحّف)[٩٨]، و(الخط)[٩٩] ، و(المضارعة والمشاكلة)[١٠٠] ، وعرفه أبو حيَّان بقوله: ((وهو أن يكون النقط فرقاً بين الكلمتين))[١٠١] ، وبهذا قال أسامة ابن منقذ [١٠٢]

ومن صور هذا النوع من الجناس قوله –تعالى- :﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف:١٠٤]، قال أبو حيَّان في توجيه هذه الآية : (((يحبسون)و(يحسنون) من تجنيس التصحيف))[١٠٣] فحصل الجناس بين (يحسبون)و(يحسنون) ، فكانت النقطة فرقاً بين الكلمتين ، وهذا ما عليه كثير من علماء البلاغة على أنها من تجنيس التصحيف أو الخط[١٠٤].

٣-جناس التصريف :

ذكر أبو حيَّان هذا النوع من الجناس بقوله : ((وهو أنْ تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف))[١٠٥] ، وهذا ما عليه علماء البلاغة ، فهذا ابن الاثير الحلبي يقول: ((فهو أن تنفرد كل كلمة عن أختها بحرف واحد))[١٠٦] ، وهذا النوع من الجناس قسمة العلماء الى نوعين : هما(المضارع) و(اللاحق)[١٠٧] ، ومن ذلك قوله –تعالى-:﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الانعام:٢٦] ، قال أبو حيَّان في بيان هذا النوع من الجناس : ((وفي قوله (ينهون) و(ينأون) تجنيس التصريف وهو أن تنفرد كل كلمة عن الاخرى بحرف ، ف(ينهون) انفردت بالهاء و(ينأون) انفردت بالهمزة ومنه : الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً [الكهف:١٠٤] ، ويفرحون ويمرحون (والخيل معقود في نواصيها الخير)[١٠٨] ، وفي كتاب ((التحبير)) سماه تجنيس التحريف ، وهو أنْ يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين ، وذكر غيره أنَّ تجنيس التحريف هو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين كقول بعض العرب ، وقد مات له ولد : ((اللهم أني مسلم ومسلم)) وقال بعض العرب: ((اللهي تفتح اللهي))[١٠٩] ، وقع الجناس بين (ينهون)و(ينأون) فانفردت الأولى بالهاء والثانية بالهمزة وهذه الآية هي من الجناس المضارع عند كثير من علماء البلاغة وهو كما ذكرنا نوع من أنواع جناس التصريف[١١٠].

٤-جناس التشكيل أو التحريف :

ويسمى هذا النوع من الجناس أيضا بجناس (التحريف)[١١١] و(المنحرف)[١١٢] ، و(المختلف)[١١٣] و(الناقص)[١١٤] ، و(المغاير)[١١٥]، وجناس(التشكيل)[١١٦] ، وسماه أبو حيَّان بجناس (التشكيل) وعرفه بقوله : (هو أن

يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين))[١٧]، وبهذا التعريف وافق أبو حيَّان معظم علماء البلاغة ، فهذا ابن قيم الجوزية يقول: ((وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين))[١٨].

ومن أمثلة جناس التشكيل قوله –تعالى– :﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الإنعام:١٤] ، قال أبو حيَّان في بيان هذا النوع من الجناس في قوله (وهو يطعم ولا يطعم) : ((وفي قراءة من قرأ باختلاف الفعلين تجنيس التشكيل . . . وسماه أسامة بن منقذ في بديعته تجنيس التحريف ، وهو . . . بتجنيس التشكيل أولى))[١٩]، وحصل الجناس في هذه الآية بين (وهو يطعم) الطرف الأول وبين (ولا يطعم) الطرف الثاني في الاختلاف بالحركات فقط.

٥– جناس المغاير:

هو نوع من أنواع جناس الاشتقاق ، وهو أن يكون ركناه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة ،كأن يكون اسماً و فعلا ،أو فعلاً وإسماً[٢٠]، ويسمى أيضا بجناس (التغاير)[٢١] ، وبـ(المغايرة)[٢٢] ، وعرفه أبو حيَّان بقوله: ((هو أن يكون إحدى الكلمتين اسماً والأخرى فعلاً))[٢٣] ، وذكر له أمثلة كثيرة من ذلك قوله –تعالى– : ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩] ، قال أبو حيَّان : ((وفي قوله (ويلعنهم اللاعنون) ضرب من البديع وهو التجنيس المغاير))[٢٤] ، وقال الشيخ محمد علي الصابوني : ((يلعنهم اللاعنون) فيه جناس الاشتقاق وهو من المحسنات البديعية))[٢٥] ، فحصل جناس الاشتقاق بين الفعل المضارع(يلعنهم) وبين الاسم (اللاعنون) فهذا هو جناس الاشتقاق المغاير ، لأنَّه جناس بين فعل واسم.

ثانياً: الترصيع:

– الترصيع : لغة :

تحدث ابن فارس في معجمه عن الترصيع بقوله: ((الراء والصاد والعين أصلٌ واحدٌ يدلُ على عقْد شيء بشيء كالتَّزين لهُ به))[٢٦] ، وقال ابن منظور: ((رصع الشيء عقده عقداً مُثلثاً متداخلاً كعقد التميمة ونحوها ، واذا أخذت سيراً فعقدت فيه عقداً مثلثة فذلك الترصيعُ ... والترصيع: التركيب ، يقال تاج مرصَّع بالجوهر وسيف مرصَّع أي محلى بالرصائع ، وهي حلف يحلى بها الواحدة صيعة، ورصع العقد بالجوهر: نظمه فيه وضم بعضه الى بعض))[٢٧]، إذن فالترصع مأخوذ من ترصع العقد ، وهو أنْ يكون في أحد جانبي العقد من اللالئ مثل ما في الجانب الثاني من اللالئ[٢٨] ، فالصلة إذا موجودة وهي المساواة في الطرفين بين المعنيين.

– الترصيع: اصطلاحاً:

تناول علماء البلاغة هذا النوع من البديع ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري بقوله: ((وهو أن يكون حشو البيت مسجوعاً وأصله من قولهم : رصعت العقد ، إذا فصلته))[٢٩] وعرفه ابن سنان بقوله: ((وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة وكأن ذلك شبّه بترصيع الجوهر في الحلي))[٣٠]، وقال الرازي:((هو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الإعجاز))[٣١].

ولم تخرج تعريفات علماء البلاغة عما ذهبا إليه ابن سنان والرازي[٣٢]، وتبعهم في ذلك الدارسون المحدثون فيما وقفت عليه[٣٣].

– <u>الترصيع عند أبي حيَّان:</u>

ذكر أبو حيَّان هذا النوع من البديع في تفسيره بقوله: ((وهو أن يكون الكلام مسجوعاً كقوله (ولستم بآخذيه إلا إن تغمضوا فيه) وهو في القرآن كثير))[١٣٤] ، ويبدو أن أبا حيَّان في تعريفه هذا ، قد وافق به كثيرا من علماء البلاغة[١٣٥] ، وذكر أبو حيَّان في تفسيره مثالاً واحداً للترصيع ، أما لأنه لم ينتبه إليه أو أهمله ، وهذا المثال هو في قوله –تعالى–: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[البقرة : ١٦٦].

قال أبو حيَّان : ((وفي هذه الجمل من أنواع البديع نوع يسمى الترصيع ... وهو في هذه الآية في موضعين : أحدهما : (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين أتبعوا)وهو محسن الحذف لضمير الموصول في قوله (اتبعوا) اذ لو جاء اتبعوهم لفات هذا النوع من البديع.

والموضع الثاني : (ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) ومثال ذلك في الشعر قول أبي الطيب:

في تاجه قمر في ثوبه بشر ... في درعه أسدٌ تدمى أظافره[١٣٦]

وقولنا من قصيد عارضنا به بانت سعاد:

فالنحر مرمرة والنشر عنبرة ... والثغر جوهرة والريق معسول[١٣٧]))[١٣٨]

وهذا ما ذهب إليه الصابوني بقوله: ((في قوله (رأوا العذاب) و(تقطعت بهم الأسباب) من علم البديع ما يسمى بـ(الترصيع) وهو أن يكون الكلام مسجوعاً))[١٣٩].

ثالثاً: السجع أو توافق الفواصل:

– السجع : لغة :

تحدث علماء البلاغة عن السجع في معاجمهم كثيراً ، ومن هؤلاء ابن فارس بقوله : ((السين والجيم والعين أصل يدل على صوت متوازن ، من ذلك السجع في الكلام ، وهو أن يؤتى به وله فواصل كقوافي الشعر))[١٤٠] ، وقال الجوهري : ((السجع : الكلام المقفى ، والجمع أسجاع))[١٤١] ، وزاد على ذلك ابن منظور بقوله : ((وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه كأنَّ كل كلمة تشبه صاحبتها ... وأصل السجع : القصد المستوي على نسق واحد))[١٤٢] .

– السجع أو توافق الفواصل اصطلاحاً:

يرى السكاكي وابن الاثير والقزويني أنَّ السجع لا يكون الا في النثر ، وأنه لا يكون ألا بتواطئ الفاصلتين على حرف واحد ، فليس منه التواطؤ على حروف متقاربة[١٤٣] ، ولهذا قال ابن الاثير في تعريفه هو : ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد))[١٤٤] ، وقال القزويني : ((هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي (الاسجاع في النثر كالقوافي في الشعر)))[١٤٥] وأطلق اغلب العلماء على هذا النوع من البديع اسم (الفواصل) بدلاً من (السجع) رغبة: في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام والمروي عن الكهنة وغيرهم [١٤٦] ، وسار الدارسون المحدثون على نهج من تقدمهم في تعريفهم للسجع فيما وقفت عليه[١٤٧].

- السجع او توافق الفواصل عند أبي حيَّان:

أطلق أبو حيَّان على هذا النوع من البديع اسم (التسجيع) ، أو (الفاصلة) وعرف التسجيع المتوازي بقوله : ((وهو اتفاق الكلمتين الاخيرتين في الوزن والروي))(١٤٨) ، وبهذا التعريف وافق أبو حيَّان علماء البلاغة ،وذكر لهذا النوع أمثلة كثيرة مما يدل على فهمه الواضح لهذا المصطلح ، ومن ذلك قوله –تعالى- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٢-٧]

قال أبو حيَّان في توجيه هذه السورة : ((وفي هذه السورة من التسجيع المتوازي ... قوله –تعالى- (الرحمن الرحيم اهدنا الصراط المستقيم) وقوله –تعالى- (نستعين) (ولا الضالين)))(١٤٩) ، و وضع الصابوني هذا المثال ضمن أمثلة السجع بقوله: ((التسجيع المتوازي في قوله : (الرحمن الرحيم ، أهدنا الصراط المستقيم) وقوله : (نستعين ... الضالين)))(١٥٠) ، وبهذا وافق الصابوني أبا حيَّان في توجيهه لهذا المثال ، وحصل التوافق بين كلمة (الرحيم) و(المستقيم) وبين كلمة(نستعين) و(الضالين).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد آن للباحث أن يضع أهم النتائج التي توصل إليها في نهاية رحلته العلمية ، وذلك بعد البحث والتتبع في تفسير أبي حيان – رحمه الله – لأشهر أنواع علم البديع عنده ، أود أن أضع في نهاية هذا البحث خاتمة ألخص فيها تلك النتائج وهي :

١ – تمّ في التمهيد تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للبديع ، من خلال عرض أقوال العلماء من المتقدمين إلى المتأخرين .

٢ – استعرضت في المبحث الأول المحسنات المعنوية المشهورة السبعة عند أبي حيان ، إذ تمّ التوصل إلى تحديد هذه المصطلحات عنده ، من خلال تصريحه بأغلب الفنون التي ذكرها هذا المبحث ، أو من خلال استقراء أقواله وأمثلته التي ذكرها في تفسيره .

٣ – في المبحث الثاني تمَّ استعراض المحسنات اللفظية المشهورة عند أبي حيان ، فاقتصرت فيها على ثلاثة أنواع فقط ، اذ استطاع أبو حيان أن يحدد هذه المصطلحات من خلال تعريفه الدقيق لها ، وهذا ينم عن فهمه الدقيق لفنون علم البديع ، وموافقته لعلماء البلاغة في تحديد المصطلح .

٤ – جعل أبو حيان موضوعات علم البديع في بعض أجزاء تفسيره في نهاية حديثة عن الآية أو الآيات بقوله : (وتضمن من الفصاحة والبلاغة) أو بقوله: (ذكروا مافيها من البيان والبديع)، وفي بعض أجزائه ذكرها متناثرة في تفسيره.

وختاماً أقول : انَّ هذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وقد عرضتها بشكل موجز ودقيق وان كان لابد من الكلام في هذا المقام فأقول انّ هذا البحث ما هو إلا محاولة تضاف إلى ما سبق من محاولات لكشف الجهود البلاغية عند علماء التفسير، ولبيان الإسرار الجمالية والنكت البلاغية للقران الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

الهوامش والإحالات:

(١) العين : ٥٤/٢.

(٢) لسان العرب : ٦/٨ ،مادة (بدع).

(٣) ينظر: البيان والتبيين :٥٥/٤ ، وكتاب البديع:١ وما بعدها ، وكتاب الصناعتين:٢٦٦-٢٦٧ ، والعمدة:٢٣١/١ ، وكتاب أسرار البلاغة :٢٠ ، واعجاز القرآن :٥٥.

(٤) البيان والتبيين : ٥٥/٤-٥٦.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم :٥٣٢.

(٦) ينظر: كتاب المصباح :٧٥ ، ومعجم المصطلحات البلاغية : ٣٨٢/١.

(٧) الإيضاح:٣٦٢.

(٨) ينظر: المصدران نفسهما.

(٩) ينظر:جوهر الكنز :٤٨ ، والتبيان في البيان :٢٣١ ، وشرح السعد (مختصر المعاني) :٣٦٥/٣ ، والاتقان :١٦٣/٢ ، ومعترك الاقران :٢٨٣/١.

(١٠) ينظر: جواهر البلاغة :٢١٥ ، وعلوم البلاغة :٢٩٥ ، وعلم البديع : (د.عبد العزيز) : ٦٦ ، وعلم البديع : (د.بسيوني) :١٠ وما بعدها ، وبحوث بلاغية: ١٠٨ والبديع في ضوء أساليب القرآن :٥ وما بعدها ومعجم المصطلحات البلاغية :٣٧٨/١.

(١١) العين : ١٠٨/٥-١٠٩.

(١٢) معجم مقاييس اللغة :٤٣٩/٣.

(١٣) لسان العرب : ٢٠٩/١٠ ، مادة (طبق).

(١٤) ينظر:قواعد الشعر:٦٤ ، وكتاب البديع:٣٦ ونقد الشعر:١٤٣، والموازنة: ٢٥٤، وحلية المحاضرة:١٤٢/١ والفوائد المشوق:١٤٥.

(١٥) كتاب الصناعتين : ٣٠٧.

(١٦) ينظر: اعجاز القرآن :٦٤ ، ونهاية الايجاز:١٤٥ ، ومفتاح العلوم:٥٣٣ ، وكتاب المصباح:٨٧ ، وجوهر الكنز: ٨٤ ، والتبيان في البيان :٢٨٤ ، وكتاب الطراز :٥٦٤/٢ ، والفوائد المشوق:١٤٥ ، والبرهان في علوم القرآن: ٤٥٥/٣ ، والاتقان:١٨٤/٢.

(١٧) الايضاح:٣٦٢ ، والتلخيص:٣٤٨.

(١٨) ينظر:أنوار الربيع : ٣٣/٢.

(١٩) ينظر: جواهر البلاغة :٢٢٠ ، وعلوم البلاغة :٢٩٧ ، والبلاغة الواضحة : ٢٨١ ، والبلاغة والتطبيق:٤٣٨.

(٢٠) تفسير البحر المحيط :١٩/٢.

(٢١) المصدر نفسه : ٣١٤/٣.

(٢٢) المصدر نفسه : ٤٤٠/٢.

(٢٣) صفوة التفاسير :١٧٨/١.

(٢٤) ينظر: نهاية الايجاز :١٤٥ ، ومفتاح العلوم:٥٣٣ ، وحسن التوسل :٢٠٠ ، والايضاح:٣٦٢ ، والفوائد المشوق :١٤٥ ، والبرهان في علوم القرآن: ٤٥٥/٣ ، وأنوار الربيع : ٣٣/٢.

(٢٥) تفسير البحر المحيط : ٣٨٥/٢.

(٢٦) التبيان في البيان :٢٨٥.

(٢٧) ينظر: تفسير البيضاوي :١٤٦/١-١٤٧ ، والتلخيص :٣٤٩ ، والإيضاح:٣٦٣ ، وأنوار الربيع: ٣٦/٢ ، وصفوة التفاسير : ١٦٤/١ ، والبديع في ضوء أساليب القرآن : ص٢٤.

(٢٨) معجم مقاييس اللغة : ٥١/٥-٥٢.

(٢٩) أساس البلاغة : ٤٩٠.

(٣٠) لسان العرب ٥٤٠/١١ ، مادة (قبل).

(٣١) إعجاز القرآن :٦٨ .

(٣٢) نهاية الإيجاز:١٤٦.

(٣٣) مفتاح العلوم:٥٣٣.

(٣٤) ينظر: كتاب المصباح :٨٨.

(٣٥) ينظر: المثل السائر:٢٤٥/٢ ، والجامع الكبير :٢١٢.

(٣٦) ينظر: الإيضاح :٣٦٨ .

(٣٧) ينظر: حسن التوسل : ٢٠٢ ، ونهاية الارب:١٠١/٧ ، والتبيان في البيان:٢٨٨ ، والفوائد المشوق:١٤٧ ، والبرهان في علوم القرآن :٤٥٨/٣ ، والإتقان:١٨٥/٢.

(٣٨) ينظر: جواهر البلاغة :٢٢١ ، وعلوم البلاغة :٢٩٩ ، والبلاغة الواضحة:٢٨٥ ، وبلاغة القرآن بين الفن والتأريخ : ص٢١٥.

(٣٩) تفسير البحر المحيط : ٤٥/٣.

(٤٠) صفوة التفاسير: ٢٠٦/١.

(٤١) تفسير البحر المحيط :٤٧٨.

(٤٢) نهاية الإيجاز : ١٤٦.

(٤٣) معجم مقاييس اللغة : ٢٥٨/٥.

(٤٤) لسان العرب : ٨٤/٢ ، مادة (لفت).

(٤٥) ينظر: معاني القرآن :١-٣٠٩ ، ومجاز القرآن :١١/١ ، و١٣٩/٢ ، وأدب الكاتب:٢٣٢، والكامل في اللغة والادب: ٢٢/٣ و ٥٦ ، وكتاب البديع:٥٨.

(٤٦) ينظر: البرهان في وجوه البيان:١٥٢.

(٤٧) ينظر: حلية المحاضرة : ١٥٧/١.

(٤٨) ينظر: نقد الشعر:١٤٦-١٤٧.

(٤٩) مفتاح العلوم:٢٩٦.

(٥٠) ينظر: بديع القرآن:٤٤ ، وكتاب المصباح:١٤-١٥ ، والمنزع البديع:٤٤٢ ، وحسن التوسل :٢٢٤ ، وجوهر الكنز:١١٩ ، والتلخيص :٩٤-٩٧ ، والايضاح:٨٤ ، والتبيان في البيان:٢٣٢ ، وكتاب الطراز:٢٦٥/٢ ، والفوائد المشوق:٩٨ ، والبرهان في علوم القرآن:٣١٤/٣ ، والاتقان:١٦٥/٢ ، ومعترك الاقران:٢٨٦/١ ، وأنوار الربيع:٣٦٢/١ ، وتيجان البيان:٤٩.

(٥١) ينظر: علوم البلاغة :١٢٨ ، وعلم البديع : (د.عبد العزيز) :١٣٥ ، وعلم المعاني (د.بسيوني):٢٠٤ ، وبحوث بلاغية :٩٥ ، ومعجم المصطلحات البلاغية :٢٩٤/١.

(٥٢) تفسير البحر المحيط :١٤١/١.

(٥٣) المصدر نفسه : ٢٠٥/٦.

(٥٤) فتح القدير :٤٤٢/٣.

(٥٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن :٣٢٢/٣-٣٢٣ ، والاتقان:١٦٧/٢ ، ومعترك الاقران:٢٨٩/١ ، وتيجان البيان:٥٢.

(٥٦) تفسير البحر المحيط :٧/٦.

(٥٧) الجامع الإحكام القرآن :١٣٩/١٠.

(٥٩) ينظر: الكشاف:٤٣٧/١ ، والتبيان في البيان:٢٣٣ ، والفوائد المشوق:٩٨ ، والبرهان في علوم القرآن :٣١٩/٣ ، والإتقان :١٦٧/٢ ، ومعترك الإقران:٢٨٩/١ ، وتيجان البيان:٥١.

(٦٠) تفسير البحر المحيط : ١٤٢/٥.

(٦١) تفسير البحر المحيط :٤١٦/٧.

(٦٢) صفوة التفاسير :٨٣/٣ ، وينظر:النهر الماد :٤٩/٥.

(٦٣) تفسير البحر المحيط : ١٤٠/٥.

(٦٤) البرهان في علوم القرآن:٣١٧/٣.

(٦٥) تفسير البحر المحيط:٣١٥/٧.

(٦٦) البرهان في علوم القرآن:٣١٥/٣.

(٦٧) ينظر: الجامع الكبير:١٠٢،والمثل السائر:٤١٢/١ ، وكتاب المصباح:١٥ ،والتبيان في البيان:٢٣٤ ، والفوائد المشوق:١٠٢ ،والإتقان:١٦٦/٢ ،ومعترك الاقران:٢٨٦/١ ،وأنوار الربيع:٣٧٥/١.

(٦٨) ينظر: مفتاح العلوم:٥٣٣ ، والتلخيص : ٣٥٣ ، والإيضاح :٣٦٩ ، التبيان في البيان:٢٨٨ ، والفوائد المشوق :١٤٧ ، والبرهان في علوم القرآن : ٤٦٤/٣ ، والإتقان: ١٨٥/٢ ، ومعترك الاقران:٣١٦/١ ، وأنوار الربيع : ٢٩٨/١ و ٣٠٣.

(٦٩) ينظر:كتاب البديع:٦٢ ، وكتاب الصناعتين:٤٠٨ ، وإعجاز القرآن:٧٨ ، والبديع في نقد الشعر:١٢٠.

(٧٠) ينظر :مفتاح العلوم:٥٣٧.

(٧١) كتاب المصباح:١٠٩.

(٧٢) ينظر: جوهر الكنز:٢٠٦ ، والتلخيص:٣٨٠ ، والايضاح:٣٩٧ ، والتبيان في البيان:٣٢٢ ، والفوائد المشوق:١٩٥ ، وعروس الافراح:٣٦٧/٤ ، وشرح السعد(مختصر المعاني):٣٩٢/٣ ، ومواهب الفتاح:٥٧٣/٢ ، وحاشية الدسوقي:٢٠١/٤.

(٧٣) ينظر: جواهر البلاغة :٢٣٢ ، وعلوم البلاغة:٣١٩ ، والبلاغة الواضحة:٢٩٢ ، والبلاغة والتطبيق:ص٤٤٦.

(٧٤) ينظر: ديوان النابغة الذبياني:٣٢.

(٧٥) تفسير البحر المحيط : ٥٢٧/٣

(٧٦) ينظر: ديوانه:٣٢.

(٧٧) التسهيل لعلوم التنزيل:١٨١/١

(٧٨) ينظر: كتاب البديع :٦٢ ، وحلية المحاضرة:١٦٢/١ ، وكتاب الصناعتين: ٤٠٨ ، والعمدة:٦١/٢ ، وبديع القرآن:٥٠ ، وتحرير التحبير:١٣٣/١ ، وكتاب المصباح:١٠٩ ، ونهاية الارب في فنون الأدب:١٢٢/٧ ، وجوهر الكنز:٢٠٦ ، والتلخيص :٣٨٠ ، والإيضاح:٣٩٧ ، وشرح السعد (مختصر المعاني):٣٩٢/٣ ، وأنوار الربيع:٢٧/٦.

(٧٩) الصحاح : ٢٥٢٣/٦ مادة (ورى).

(٨٠) لسان العرب : ٣٨٩/١٥ مادة (ورى).

(٨١) ينظر: تحرير التحبير:٢٦٨/١ ، وبديع القرآن : ١٠٢ ، وكتاب المصباح: ١١٩، وحسن التوسل :٢٤٩ ، والتلخيص :٣٥٩ ، والبرهان في علوم القرآن: ٤٤٥/٣ ، والاتقان:١٦٣/٢ ، وأنوار الربيع : ٥/٥ .

(٨٢) البديع في نقد الشعر: ٦٠.

(٨٣) الإيضاح :٣٧٩ ، والتلخيص:٣٥٩-٣٦٠.

(٨٤) ينظر: عروس الأفراح:٣٤٤/٤ ، والمطول:٦٥٢ ، والأطول :٣٩٦/٢ ، ومواهب الفتاح:٥١٨/٢ ، وحاشية الدسوقي:١٤١/٤.

(٨٥) ينظر: جواهر البلاغة:٢١٧ ، وعلم البديع (د.عبد العزيز):١١٤ ، وعلم البديع (د،بسيوني):١٤٣ ، والبلاغة والواضحة : ٢٧٧ ، والبلاغة والتطبييق:٤٢٧.

(٨٦) تفسير البحر المحيط : ٢٠١/١.

(٨٧) روح المعاني : ٢٤٥/١.

(٨٨) تفسير البحر المحيط :٣٢٩/٥ ، ويقارن بالكشاف:٣٣٥/٢.

(٨٩) الصحاح:٩١٥/٣ مادة(جنس).

(٩٠) لسان العرب:٤٣/٦ ، مادة(جنس).

(٩١) ينظر: الكتاب:٢٤/١ ، وكتاب البديع:٢٥ ، وكتاب الصناعتين :٣٢١ ، ونكت الانتصار:٢٦١ .

(٩٢) مفتاح العلوم:٥٣٩.

(٩٣) ينظر: كتاب المصباح:٨٤ ، والمنزع البديع:٤٨١ ، وجوهر الكنز:٩١ ، والتبيان في البيان:٤٠٣ ، والتلخيص:٣٨٨ ، والإيضاح:٤٠٨، والفوائد المشوق:٢٤٠،والإتقان:١٧٧/٢،ومعترك الإقران:٣٠٣/١،وأنوار الربيع:٩٧/١.

(٩٤) ينظر: جواهر البلاغة:٢٤٣ ،وعلوم البلاغة:٣٣٠ ،والبلاغة الواضحة:٢٦٥، والتكرير بين المثير والتأثير:٢٠٠،وفن الجناس "٣ وما بعدها. ، والبلاغة والتطبيق:٤٤٩ ، وعلم البديع(د.بسيوني):٢٣٣ ، والبديع في ضوء أساليب القرآن:١٥٥.

(٩٥) ينظر: مواهب الفتاح:٢/٦٠٠ ، والجناس في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) تقدمت بها : (اسماء سعود الخطاب) :ص٤٦.

(٩٦) تفسير البحر المحيط :٢/٢٥٥.

(٩٧) تفسير البحر المحيط : ٢/٥١٧.

(٩٨) صفوة التفاسير:١/١٩١.

(٩٩) ينظر: حسن التوسل:١٩٢ ، وكتاب الطراز:٢/٣٧٦ ، والاتقان:٢/١٧٧ ، وشرح عقود الجمان:١٤٤ ، وأنوار الربيع:١/١٨٠ .

(١٠٠) ينظر:التبيان في علم البيان:١٦٧ ، والمنزع البديع:٤٨٨ ، والتبيان في البيان:٤٠٧.

(١٠١) ينظر: الجناس في القرآن الكريم : ١٦٣.

(١٠٢) تفسير البحر المحيط : ٦/١٥٨.

(١٠٣) البديع في نقد الشعر:١٧.

(١٠٤) تفسير البحر لمحيط : ٦/١٥٨.

(١٠٥) ينظر: العمدة:١/٢٩٠ ، ونهاية الايجاز:٥٥ ، والمثل السائر:١/٢٤٦ ، والجامع الكبير:٢٦١ ، وتحرير التحبير:١/١٠٥-١٠٦ ، وبديع القرآن: ٢٩، وكتاب المصباح:٨٦ ، وجوهر الكنز:٩٤ ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط (لتاج الدين الحنفي):٤/١٠٠ ، والبرهان في علوم القرآن :

٣/٤٥٠، والاتقان:٢/١٧٧ ، ومعترك الاقران:١/٣٠٣ ، وأنوار الربيع:١/١٨٠.

(١٠٦ تفسير البحر المحيط : ٥/٣٣٣.

(١٠٧) جوهر الكنز:٩٤ ، وينظر: البديع في نقد الشعر:٢٢ ، وتحرير التحبير:١/١٠٧ ، وبديع القرآن : ٢٩ ، والفوائد المشوق:٢٤٢.

(١٠٨) ينظر: حسن التوسل:١٩٥ ، ونهاية الارب :٧/٩٦ ، والجناس في القرآن الكريم : ١١٠.

(١٠٩) صحيح البخاري : ٢/٢٠٢ ، كتاب المناقب.

(١١٠) تفسير البحر المحيط : ٤/١٠٤.

(١١١) ينظر: كتاب الصناعتين :٣٣١ ، وإعجاز القرآن : ٦٦ ، والمثل السائر:١/٢٤٥ ، وكفاية الطالب:١٣٤ ، وتحرير التحبير:١/١٠٧ ، وبديع القرآن :٢٩ ، وكتاب المصباح:٨٦ ، والتلخيص:٣٩١ ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط:٤/١٠٠ ، والفوائد المشوق:٢٤٢ ، والبرهان في علوم القرآن :٣/٤٥٠ ، والاتقان:٢/١٧٧ ،ومعترك الاقران:١/٣٠٤ ، والجناس في القرآن الكريم :١٢٣-١٢٤.

(١١٢) ينظر:البديع في نقد الشعر:٢٠ ، وتحرير التحبير:١/١٠٦.

(١١٣) ينظر:الجناس في القرآن الكريم : ١٤٥.

(١١٤) ينظر: حسن التوسل:١٨٦.

(١١٥) ينظر:نهاية الايجاز:٦٠ ، ومفتاح العلوم:٥٣٩.

(١١٦) ينظر:الجناس في القرآن الكريم :١٤٥.

(١١٧) ينظر:الفوائد للمشوق:٢٤٠.

(١١٨) تفسير البحر المحيط:٩٠/٤.

(١١٩) الفوائد المشوق:٢٤٠ ، وينظر:البديع في نقد الشعر:٢٠ ، وتحرير التحبير:١٠٦/١ ، وبديع القرآن:٢٩ ، وجوهر الكنز:٩٤.

(١٢٠) تفسير البحر المحيط :٩٠/٤ ، وينظر: الجناس في القرآن الكريم:الجناس المحرف(الملاحق).

(١٢١) ينظر: البديع في نقد الشعر:١٢ ، وتحرير التحبير:١٠٤/١ ، وبديع القرآن :٢٨ ، والفوائد المشوق:٢٤٠

(١٢٢) ينظر:تحرير التحبير:١٠٤/١ ، وبديع القرآن:٢٨.

(١٢٣) ينظر:جوهر الكنز:٩٢.

(١٢٤) تفسير البحر المحيط:٦٣٤/١.

(١٢٥) المصدر نفسه.

(١٢٦) صفوة التفاسير: ٩٧/١ .

(١٢٧) معجم مقاييس اللغة : ٣٩٨/٢.دار الكتب العلمية.

(١٢٨) لسان العرب :١٢٤/٨-١٢٥ ، مادة ((رصع)).

(١٢٩) ينظر:معجم المصطلحات البلاغية :١٣٥/٢.

(١٣٠) كتاب الصناعتين:٣٧٥.

(١٣١) سر الفصاحة:٢٢٣.

(١٣٢) نهاية الإيجاز:٦٦.

(١٣٣) ينظر: البديع في نقد الشعر:١١٦ ، ومفتاح العلوم :٥٤٢ ، والجامع الكبير:٢٦٣ ، وتحرير التحبير:٣٠٢/٢ ، وكتاب المصباح:٧٨ ، وحسن التوسل:٢٠٧ ، وجوهر الكنز:٢٥٤ ، والتلخيص:٣٩٨ ، والإيضاح:٤١٨ ، وكتاب الطراز:٣١٨/٢ ، والفوائد المشوق:٢٢٩ ، ومعترك الإقران:٣٩/١ ، وأنوار الربيع:١٦٢/٦.

(١٣٤) ينظر: جواهر البلاغة :٢٥٠ ، وعلوم البلاغة :٣٣٧ ، ووشي الربيع بالوان البديع:٢٠٤ ، وعلم البديع(د.بسيوني):ص٢٥٢.

(١٣٥) تفسير البحر المحيط :٦٤٧/١.

(١٣٦) ينظر:البديع في نقد الشعر:١١٦ ، والتبيان في علم البيان:١٦٩ ، وكتاب المصباح:٧٨ ، وجوهر الكنز:٢٥٤.

(١٣٧) ينظر: ديوانه :١١١/٢ ، وصدر البيت يختلف عما ذكره أبو حيَّان وهو : قد حرن في بشر في تاجه قمر.

(١٣٨) ينظر: ديوان أبي حيَّان:٤٦١.

(١٣٩) تفسير البحر المحيط :٦٤٧/١.

(١٤٠) صفوة التفاسير:٩٩/١.

(١٤١) معجم مقاييس اللغة : ١٣٥/٣.

(١٤٢) الصحاح:١٢٢٨/٣، مادة (سجع).

(١٤٣) لسان العرب : ١٥٠/٨ ، مادة (سجع).

(١٤٤) ينظر: مفتاح العلوم : ٥٤٢ ، والمثل السائر:١٩٠/١ ، والجامع الكبير:٢٥١ ، والتلخيص:٣٩٧ ، والإيضاح:٤١٨

(١٤٥) المثل السائر :١٩٠/١ ، والجامع الكبير : ٢٥١.

(١٤٦) الإيضاح:٤١٨ ، والتلخيص:٣٩٧.

(١٤٧) ينظر: سر الفصاحة:١٧٤ ، و معترك الإقران:٢٦/١ ، والإتقان:١٩٢/٢.

(١٤٨) ينظر:جواهر البلاغة : ٢٤٨ ، البلاغة الواضحة :٢٧٣ ، ووشي الربيع بالوان البديع :٢٠٢ ، وعلم البديع(د.بسيوني):ص٢٥ ، وعلم البديع (د.عبد العزيز):٢٠٦.

(١٤٩) تفسير البحر المحيط:١٥٣/١.

(١٥٠) المصدر نفسه .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المطبوعات

الإتقان في علوم القران، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م ، د.ط .

أساس البلاغة، تأليف الامام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، د.ط.

الأطول ، تأليف العلامة أبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت٩٤٣هـ) ، حقيقة وعلق عليه د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

إعجاز القرآن ، تأليف القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) علق عليه أبو عبد الله صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ–١٩٦٤م.

أنوار الربيع في أنواع البديع ، تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) ، حققه شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان –النجف الأشراف ، ط/١ ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ) ، شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط/١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .

بحوث بلاغية ، للدكتور أحمد مطلوب ، مطبوعات ، المجمع العلمي ببغداد ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

البديع في ضوء أساليب القرآن ، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٧٩م .

البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) ، تحقيق د.أحمد أحمد بدوي ، ود.حامد عبد المجيد ، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

بديع القرآن ، لأبن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق د.حفني محمد شرف ، مطبعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة–مصر ، ط/١ ، ١٩٥٧م .

البرهان في علوم القرآن، الأمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، ط/٢ ، د.ت.

بلاغة القرآن بين الفن والتأريخ (دراسة تأريخية فنية مقارنة) ، د.فتحي أحمد عامر ، نشر دار النهضة العربية ، ودار الأتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٤–١٩٧٥م .

البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) ، تأليف علي الجارم ، ومصطفى أمين ، طبع في لبنان ، د.ط ، د.ت .

البلاغة والتطبيق ، تأليف د.أحمد مطلوب ود.كامل حسن البصير ، مطابع دار الحكمة ، بغداد ، ط/٢ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ (ت٢٥٥هـ)،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ط/١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

التبيان في البيان، للطيبي شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله (ت٧٤٣هـ) ، تحقيق د.توفيق الفيل ، وعبد اللطيف لطف الله ، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت ، ط/١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، لأبن الزملكاني (ت٦٥١هـ) ، تحقيق د.أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط/١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لأبن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق د.حنفي محمد شرف ، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ، مطابع شركة الأعلانات الشرقية القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

التسهيل لعلوم التنزيل، لأبن جزي (ت٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت–لبنان، ط/٢ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م .

تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ محمد علي معوض ، وشارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد النوتي ود.أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، الناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٧٩١هـ)، دار البيان العربي، مصر، ط/١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م .

التكرير بين المثير والتأثير، تأليف د.عز الدين علي السيد ، عالم الكتاب، بيروت، ط/٢ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

التلخيص في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٩٠٤م .

الجامع الكبير في صناعة المنظور من الكلام والمنثور ، لضياء الدين بن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق وتعليق ، د.مصطفى جواد ، ود.جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) ، تأليف السيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، د.ط .

جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة) ، لنجم الدين أحمد بن أسماعيل بن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ) ، تحقيق د.محمد زغلول سلام ، الناشر منشأة المعارف ، الأسكندرية ، جلال حزي وشركائه ، مصر ، د.ط ، د.ت .

حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح ، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت١٢٣٠هـ) ، تحقيق د.خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ) ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، د.ط .

حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (ت٣٨٨هـ) ، تحقيق د.جعفر الكناني ، دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩م ، د.ت .

ديوان أبي حيان الأندلسي ، تحقيق د.أحمد مطلوب ، ود.خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط/١ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري (ت٦١٠هـ) ، المسمى التبيان في شرح الديوان ، ضبط نصه وصححه د.كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/٣ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، حققه أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار ، دار التوفيقية للطباعة ، د.ط ، د.ت .
سر الفصاحة ، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
شرح السعد المسمى بـ (مختصر المعاني) ، تأليف سعد الدين التفتازان (ت٧٩١هـ) ، حققه وهذبه محمد محيي الدين عبد الحميد ، أنتشارات سيد الشهداء ، قم ودار الأتحاد العربي للطباعة ، مصر ، ومطبعة المدني ، القاهرة ، د.ط د.ت .
شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، للسيوطي ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، د.ط .
الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تأليف أسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط/٤ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

صحيح البخاري ، للامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ) ، اعتنى به ابو عبد الله محمود بن الجميل ، مطابع دار البيان الحديثة ، مصر، ط/١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
صفوة التفاسير ، تاليف الشيخ محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، للشيخ بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧٣هـ) ، تحقيق د.خليل أبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
علم البديع (دراسة تأريخية وفنية للاصول البلاغة ومسائل البديع) د.بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع ، القاهرة ط/٢ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
علم البديع ، د.عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ط/٢ ، ١٩٧٠م .
علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، تأليف أحمد مصطفى المراغي ، دار القلم، بيروت–لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٤م .
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا– بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م د.ط .
فن الجناس (بلاغة–ادب–نقد) ، تاليف علي الجندي ، نشر دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، د.ط ، د.ت .

الفوائد المشوق الى علوم القآن وعلم البيان ، لأبن قيم الجوزي (ت٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ،د.ط ، د.ت .

قواعد الشعر ، لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ) ، تحقيق وتقديم وتعليق د.رمضان عبد التواب، الناشر دار المعرفة ، القاهرة ، ط/١ ،١٩٦٦م

كتاب اسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١او ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق ليه محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، ط/١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

كتاب البديع ، لعبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) ، أعتنى بنشره المستشرف أغناطيوس التشتوفسكي ، منشورات دار الحكمة الحلبوني–دمشق ، د.ط ، د.ت .

كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط ، للإمام تاج الدين الحنفي النحوي (ت٧٤٩هـ) ، مطبوع على هامش تفسير البحر المحيط ، دار الفكر ط/١ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، مصر ، ط/١ ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

كتاب الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز) ، تأليف السيد الامام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني(ت٧٤٩هـ) ، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ط/١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

كتاب العين ، للخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق د.مهدي المخزومي ، وابراهيم صالح السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط/٢ ، ١٩٨٦م .

الكتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، نشر مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني القاهرة ، ط/٣ ، ١٤٠٨/١٩٨٨م .

كتاب المصباح (في علم المعاني والبيان والبديع) ، للإمام الجليل بدر الدين ابي عبد الله محمد بن مالك الاندلسي الطائي (ت٦٨٦هـ) ، المطبعة الخيرية ، ط/١ ، د.ت .

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت–لبنان ، د.ط ، د.ت .

كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب لضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق د.نوري حمودي القيسي ، ود.حاتم صالح الضامن ، والأستاذ هلال ناجي ، طبع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، د.ط ، د.ت .

لسان العرب لأبن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، تأليف ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم أبن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ) ، حققه وعلق

عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

المطول ، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ) ، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي (ت٩١١هـ) ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، در أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، ١٩٨٣م ، ج٢ ، ١٩٨٦م ، ج٣ ، ١٩٨٧م .

معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، وطبعة دار الكتب العلمية ، إيران ، د.ط ، د.ت .

مفتاح العلوم ، لأبي يعقوم يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، حققه وقد له وفهرسه د.عبد الحميد هنداوي ، دارالكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السجلماسي (ت٧٠٤هـ) ، تقديم وتحقيق علال الغازي / مكتبة المعارف ، الرباط–المغرب ، ط/١ ، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الميسرة ، د.ط ، د.ت .

نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، الناشر مكتبة الخانجي ، مطابع الدجوى ، القاهرة ، ط/٣ ، د.ت .

نكت الأنتصار لنقل القرآن ، للأمام أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، دراسة وتحقيق د.محمد زغلول سلام ، الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية ، دار بور سعيد للطباعة ، مصر ١٩٧١م .

نهاية الأرب في فنون الأدب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) ، المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر ، مطابع كوستاتوماس وشركاه بالقاهرة ، د.ط ، د.ت .

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم د.إبراهيم السامرائي ، ود.محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان–الأردن ، ١٩٨٥م ، د.ط .

وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ، د.عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرية ،٢٠٠٠م .

ثانياً –الرسائل الجامعية :

الجناس في القرآن الكريم ، أسماء سعود الخطاب ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

الحاكم في التشريع الإسلامي
بين الجمهور والمعتزلة

د. عثـــمان خضـير مزعل
جامعة تكريت/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان بالقلم، علمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على هادي الأمم،الذي اخرج العباد من عبادة الأوثان والصنم، إلى عبادة الواحد الحي القيوم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من أهل الدين والقيم، الى يوم نلقى فيه رب كاشف ما في الذمم..

اما بعد.. فلا شك أن العلوم الشرعية قد تنوعت على أبواب مختلفة وتفرعت الى فروع كثيرة، يعجز الباحثون عن الوصول الى منتهاها، فهي نهر يجري ليروي ظمأ الجهل ومصباح يضيء الطريق لمن تاه في ظلمات الحيرة والشك، إلا إنها ومع هذا التنوع لا تنفك عن الإتحاد والتكامل لبناء جدار العلم الشرعي الذي يكمل بعضه بعضا.. وقد كان لعلم أصول الفقه لمسة متميزة في جمع وايراد مباحث ومسائل متعددة ترجع في أصلها الى علوم مختلفة منها البلاغية واللغوية والعقائدية وكذلك مسائل علم الحديث، وليس ذلك بغريب على من فقه علم الأدلة وحقيقة مظانها لأن علم أصول الفقه يؤصِّل القواعد والأدلة التي تبنى عليها الأحكام الشرعية.. فهو علم أدلة الأحكام..

وقد جاءت مسألة (الحاكم على أفعال العباد)على رؤوس المسائل التي تحدث عنها علماء الأصول وذلك لما لها من عظيم الأهمية في الإعتقاد والعمل، فهي تجمع بين أصل التكليف والقول بوجوبه أو لا، وبين الحكم على الأفعال التي يقوم بها المكلفون..

فهل الإنسان مكلف بأصل خلقته وذاته؟ أو لا بد من تبليغه برسالة سماوية عن طريق الرسل؟

ثم إن شرع الإنسان بالأفعال والعمل في دينه ودنياه، فمن الذي يحكم على هذه الأفعال؟ وهل هناك فرق بين من وصلته الرسالة وبُلّغ وبين من لم تصله؟

إن دراسة هذه المسألة والبحث فيها يعطينا الإجابة عن سؤال قديم بين أهل الفرق ألا وهو: <u>من الذي يحكم على أفعال العباد؟ هل هو الشرع أم العقل؟</u>

فإن قيل بأن الحاكم هو الشرع ، أُجيب بأنه لا بد من تبليغ قبل الحساب.

وإن قيل بأن الحاكم هو العقل، صارت النتيجة بأن العبد محاسب ثوابا وعقابا قبل ورود الشرع، لأن العقل موجود عنده منذ خلقه وأينما كان!!

لقد أخذت هذه المسألة حيزا كبيرا من المناقشات والجدل بين الجمهور والمعتزلة وأهل الفرق .. وكان لعلماء الأصول في كتبهم نصيبا وافرا في دراستها والحديث عنها، وذلك لأنها تدور حول عمل المكلف وأصل التشريع كما هو واضح من تفصيلها..

ولعل أهمية هذه المسألة وذكرها في كتب العقائد وكتب أصول الفقه وتوقف المعرفة في مسألة ابتناء الثواب والعقاب على نتائجها، كان سببا وراء إختياري للبحث فيها والوقوف على أهم ما أنطوت عليه من التفرعات والترجيحات، آملاً بذلك أن أوفيها حقها في الدراسة وأوضح ما قُصِد في مجمل عبارات العلماء فيها.

وعلى هذا جاء بحثي بعنوان (الحاكم في التشريع الإسلامي بين الجمهور والمعتزلة) .. وقد قسمته بعد هذا التقديم على مبحثين في خمسة مطالب..

المبحث الأول : الحاكم ،تعريفه، وأدلة المختلفين فيه.

وفيه تمهيد ومطلبان

التمهيد.

فالمطلب الأول :تعريف الحاكم لغة واصطلاحا .

والمطلب الثاني: الحاكم بين الجمهور والمعتزلة .

والمبحث الثاني: بعنوان المسائل التي بنيت على الإختلاف في مسألة الحاكم، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مسألة شكر المنعم.

المطلب الثاني: مسألة جواز فتور الشريعة.

المطلب الثالث: حكم أفعال العقلاء قبل ورود الشرع.

وأما الخاتمة فكانت خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة ، واسأل الباري تعالى أن ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه، وأن يبلغنا من فضله وإحسانه ما نأمله ونرتجيه ،إنه ولي ذلك والقادر عليه، لا اله إلا هو عليه توكلت واليه أنيب ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

الحاكم، تعريفه، وحكمه.

وفيه تمهيد ومطلبان

التمهيد.

المطلب الأول: تعريف الحاكم لغةً واصطلاحا .

المطلب الثاني: الحاكم بين الجمهور والمعتزلة

وبعد..

فإن هذا ما يدور حوله موضوع هذا البحث المتواضع وأرجو من الله تعالى أن أستوفي قدره واحيط بدراستي لمعظم مادته.. وقبل الشروع في هذا التفصيل تجدر بنا الإشارة أيضا إلى أن الحاكم في ميدان البحث والدراسة هو جزء من دائرة التكليف والحساب والتي لها أربعة أركان وهي:ـ (الحُكْم، والحاكِم، والمحكوم فيه، والمحكوم عليه)..

فالحكم: هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الإقتضاء أو التخيير أو الوضع.

والمحكوم فيه : هو فعل المكلف.

والمحكوم عليه : هو المكلف.

والحاكم هو موضوع دراستنا وبحثنا وهو ذاته من يصدر الحكم على أفعال المكلفين....

تمهيد

إن من أهم الأبحاث المتعلقة بالحكم وأولاها إلزاما وبيانا، معرفة من الذي يُرجِعُ إليه في إصدار الأحكام على فعل المسلم المكلف[أي هل هو مكلف به في الأصل أو لا؟ وإن قلنا بتكليفه هل ان ذلك التكليف ثابت عقلا أو شرعا]، فمن هو الحاكم على أفعال العباد من حيث التشريع بالإيجاب والتحريم وما بينهما؟

إن كلمة الفصل في ميزان أفعال العباد من حيث الوضع والتكليف بالإيجاب والتحريم وما بينهما، تتوقف على معرفة الحاكم، وذلك لأنه الآمر بالأحكام إبتداءاً والمحاسب على ثوابها وعقابها إنتهاءا ، فالسؤال هنا هل من الممكن أن نفصل بين موجب الأفعال وبين من يجازي عليها ثوابا وعقابا ؟

وليعلم بأنه ليس المراد بالحاكم هنا صاحب السلطان بل المراد به هو من يملك إصدار الحكم على الأفعال وعلى الأشياء ،لأن ما في الوجود من المحسوسات لا يخرج عن كونه أفعالا للإنسان أو أشياءً من غير أفعاله.

ولما كان الإنسان بوصفه يحيى في هذا الكون، هو موضع البحث ، وكان إصدار الحكم إنما هو من أجله ومتعلق به فإنه لابد من الحكم على أفعاله وعلى الأشياء المتعلقة به، فمن الذي له الحق وحده أن يصدر الأحكام على تلك الأفعال هل هو الله ؟ أم الإنسان نفسه ؟ وبعبارة أخرى هل هو الشرع أم العقل ؟ وإنما تردد بعض أصحاب المذاهب في هذا الأمر لأن الذي يعرّف لنا ما يجب ولا يجب هو حكم الله وهو الشرع والذي يجعل الإنسان يحكم هو العقل، فمن أين يبدأ التكليف؟ هل عندما يتمكن الأنسان من الجزم بفهمه وعقله بين الأشياء؟ أو إنه متوقف على الأمر من الله سبحانه وتعالى؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة والمفاهيم ستأتي إن شاء الله في ثنايا صفحات هذا البحث ومطالبه.

المطلب الأول

الحاكم لغةً واصطلاحاً

أولاً: الحاكم في اللغة:

إن كلمة الحاكم مشتقة من الحكم فإذا أردنا التعريف بمعنى الحاكم في اللغة فلا بد لنا من المرور على معنى كلمة الحكم ،لأنها تحمل ذات المعنى ولكنه مختلف في كونه مصدر لنفس الفعل، ويجتمع مع كلمة الحاكم في أصل الإشتقاق.

الحكم لغة /(الحاء والكاف والميم) اصل واحد وهو المنع.. وأول ذلك الحكم المنع من الظلم .

(وسمِّيت : حُكِمَتِ الدابةُ لأنها تمنعها ، يقال حَكَمْتُ الدابةَ وأحْكَمْتُها ، ويقال حَكَمْتُ السفيه إذا أَخَذْتُ على يديه[١].. وسمي الحاكم بين الناس حاكما لأنه يمنع الظالم من الظلم)[٢]

والحُكْمُ:. (بالضمّ :يعني القضاء.. وقد حكم بينهم يحكم بالضم حكما" وحكم له أو حكم عليه)[٣]

ومن أسماء الله تبارك وتعالى الحَكَمُ والحكيم وهما بمعنى الحاكم وهو القاضي فعيل بمعنى الفاعل، أي له القضاء والحُكم[٤].

(والحكيم/ يجوز إن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى القادر وعليم بمعنى العالم)[٥].

والحاكم منفذ الحكم والجمع حكام... وحاكمه إلى الحكم دعاه وفي الحديث وبك حاكمت أي رفعت الحكم إليك ولا حكم إلا لك، وقيل بك خاصمت في طلب الحكم وإبطال من نازعني في الدين وهي مفاعلة من الحكم و حكموه بينهم أمروه أن يحكم ويقال حكمنا فلانا فيما بيننا أي أجزنا حكمه بيننا و حكمه في الأمر[٦] .

فهذه المعاني التي ذكرتُ آنفا كلها تدل على معنى المنع والقضاء فهو اشهر ما أشارت إليه الكتب اللغوية فالحاكم هو المانع عن كل شيء، وهذا المعنى استفدناه من التعاريف السالفة عند أهل اللغة.

ثانياً: الحاكم اصطلاحا

لم يُذكر للحاكم في الشرع تعريفاً معينا في كتب التعريفات والمصطلحات ، أو إنه غير موجود على وجه الدقة ولكن من خلال قراءتي وتتبعي لهذا الموضوع تلخص لي ما يأتي:-

الحاكم: هو الشارع ، وهو الذي يحكم على أفعال العباد بالحِلِّ والحُرمة، والقبول وعدمه، ويثيب ويعاقب عليها وهو الذي يشرع الأحكام ويكلف بها العباد وهو الله سبحانه وتعالى على رأي الجمهور[٧].

المطلب الثاني

الحاكم بين الجمهور والمعتزلة[٨]

لقد انفرد المعتزلة عن جمهور العلماء في هذه المسألة؛ لأنهم تبنوا مقولة مختلفة عمن سواهم من أصحاب المذاهب الشرعية، وذلك بقولهم بتدخل العقل في مسألة أصل التكليف على العباد...

وإن معنى قولنا الحاكم بين الجمهور والمعتزلة، اي مالمقصود به في نظرهم وعلى من يقال هذا حاكم على افعال المكلفين أو لا؟

من هذا نلمح أهمية هذه المسألة ومكانتها وذلك أن الكلام فيها يعنى بأصل التشريع ومحوره الذي هو الحكم على أفعال العباد وتشريعها، فهي مسألة جمعت بين العقائد وأصول الفقه .

فمن الذي يشرع هذه الأفعال؟ ولمن تكون فيها كلمة الفصل؟ وهل للعبد دخل في الحكم على أفعاله؟

قال المتقدمون من علماء المذاهب:

إذا تبين أن الحكم خطاب الشرع، فلا حاكم على المكلفين إلا الشرع[٩]، دون العقل، ولا يعني هذا إن العقل لا حكم له في شيء أصلا"، بل انه لا يحكم بان الفعل حسن أو قبيح في حكم الله تعالى[١٠]، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون بان الحاكم هو العقل[١١].

إذن تتلخص هذه المسألة بقولين:

الأول: هو ما ذهب إليه الحنفية والمالكية وأكثر الشافعية والحنابلة والماتريدية[١٢] والظاهرية والزيدية[١٣] وبعض الجعفرية[١٤] وغيرهم، أن الحاكم هو الله ربّ العالمين[١٥]، فلا حكم إلا ما حكم به على كلّ حال[١٦]، والتفويض لو وقع لم يقتضِ إسناد الحكم إلى العبد وإنما يكون فعل العبد علامة على أن الحكم لله.

الثاني: هو قول المعتزلة وبعض الشافعية [١٧]، إن العقل حاكم على أفعال العباد لوجود الحسن والقبح فيها[١٨] وإن العقل قادر على الاستقلال بمعرفة الحسن والقبيح وبناءاً على ذلك فهو قادر على الحكم على الأفعال.

فقيل عن هؤلاء بأنهم ذهبوا الى تحكيم العقل وبالغوا فيه فقرروا أن الحسن والقبح في الأفعال ذاتي وليس اعتباري وبالتالي يمكن إدراكه بالعقل وقبل ورود الشرع فلا داعي لبعث الرسل وان الله تعالى حين حرم بعض الأفعال إنما حرمها لما فيها من القبح الذاتي ، وحين أباح أفعالا" أو أمر ببعضها، فإنما فعل ذلك لما فيها من الحسن الذاتي[١٩].

وان حكم الله يكون وفق ما أدركته أو تدركه عقولنا من حسن الأفعال وقبحها فما رأيناه حسنا فهو عند الله حسنا وما رأيناه قبحا" فهو عند الله قبيحا" ،

والحسن يحبه الله ويأمر به ، والقبح يكرهه الله وينهى عنه ، فأحكام الشرع في نظر أصحاب هذا القول : لا تأتي إلا موافقة لما أدركه العقل من حسن الأفعال وقبحها (فما كان حسنا جوزه الشرع وما كان قبيحا منعه)[٢٠]، ولا يمكن أن يطلب الشرع ترك الفعل وقد أدرك العقل حسنه، (فعلمه من العقل حسن الحسن وقبح القبيح ثم علمه بأن ما أمرت به الرسل هو الحسن وما نهت عنه هو القبيح طريق إلى تصديق الرسل وأنهم جاءوا بالحق من عند الله ولهذا قال بعض الأعراب وقد سئل بماذا عرفت أن محمدا رسول الله فقال ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به)[٢١].

وهذا الكلام الذي مر كله منقول عنهم على لسان غيرهم من أصحاب المذاهب وإنما قُدِّم قبل نقولاتهم لِيُعلَمَ أن هذه النقولات هي سبب إشتهار ما عُرفوا به في مسألة التحسين والتقبيح والتي ألقت بظلالها على موضوع الحكم على فعل العبد، علما إن ما وُجد في مؤلفاتهم لا يكفي للجزم بحكمهم على عموم الأفعال والإثابة عليها!

فإليك كلامهم في أثر الحسن والقبح على حقيقة أفعال العباد..

جاء في شرح الأصول الخمسة للمعتزلة " أن الأفعال ما من شيءٍ منها إلا ويجوز أن يقع على وجه فيحسن ؛ وعلى خلاف ذلك الوجه فيقبح ، وأما أن نحكم على فعل من الأفعال بالقبح والحسن بمجرده فلا" [٢٢].

وقال أبو الحسين البصري[٢٣]: فالأفعال في العقل بالنسبة الى فعلها وتركها ضربان:

أحدها يترجح فعله على تركه والآخر لا يترجح فعله على تركه فالأول منه الأَوْلى أن تُفعل، كالإحسان والتفضل، ومنه ما لابد من فعله وهو الواجب كالإنصاف

وشكر المنعم، وأما الذي لا يترجح فعله على تركه ، فهو مباح وذلك كالإنتفاع من المآكل والمشارب[٢٤].

وقبل الشروع بالحديث عن أدلة الفريقين في هذه المسألة لا بد من تحرير محل الخلاف كما هو دأب الباحثين في المسائل الخلافية ..

فيُقال:

لقد شاع عند أهل الفرق بأن المعتزلة يقولون بأن الحاكم هو العقل ومستندهم في ذلك هو القول بالتحسين والتقبيح العقلي للأفعال وإن فيها حسنا وقبحا ذاتياً يدرك العبد من خلاله ما يجب عليه فعله أو تركه، وهم عند قولهم بهذا الكلام يقصدون الأفعال المطلقة التي لم تحددها نصوص شرعية بإيجاب أو ترك، ولكنهم أُلزموا جدلاً بكون العبد محاسباً قبل الشرع بناءا على إدراكه العقلي للحسن والقبح.

فأصل المسألة والخلاف فيها كله يعود الى القول بالحسن والقبح في الأفعال وبالتالي لا بد من ايراد الكلام عنها.

فماذا يقصد بالحسن والقبح؟

الحسن والقبح يقال لمعان ثلاثة:-

الأول: صفة الكمال والنقص يقال العلم حسن والجهل قبيح ولا نزاع أن مدركه العقل.[٢٥]

الثاني: ملاءمة الغرض ومنافرته وقد يعبر عنهما بالمصلحة والمفسدة وذلك أيضا عقلي ويختلف بالاعتبار فإن قتل زيد مصلحة لأعدائه ومفسدة لأوليائه.

الثالث تعلق المدح والثواب أو الذم والعقاب وهذا هو محل النزاع[٢٦].

وكذا قال الإمام الرازي* (الحسن والقبح قد يعنى بهما كون الشيء ملائما للطبع أو منافرا وبهذا التفسير لا نزاع في كونهما عقليين وقد يراد بهما كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص كقولنا العلم حسن والجهل قبيح ولا نزاع أيضا في كونهما

عقليين بهذا التفسير، وإنما النزاع في كون الفعل متعلق الذم عاجلا وعقابه آجلا..)[٢٧].

إذن فالخلاف واقع في الفعل الذي يقصد منه الثواب أو درء العقاب الآجل[٢٨].

أما عن معنى الحسن والقبيح عند المعتزلة فقال أبو الحسين البصري المعتزلي:(...أما **القبيح** فهو ما ليس للمتمكن منه ومن العلم بقبحه أن يفعله ومعنى قولنا ليس له أن يفعله معقول لا يحتاج إلى التفسير ويتبع ذلك أن يستحق الذم بفعله ويحد أيضا بأنه الذي على صفة لها تأثير في استحقاق الذم وإنما لم نحد القبيح بأنه الذي يستحق من فعله الذم لأن القبيح لو وقع ممن قد استحق فيما تقدم من المدح أكثر مما يستحق على ذلك القبيح من الذم لكان ما يستحقه من المدح مانعا من استحقاق الذم على ذلك القبيح والبهيمة أيضا قد يفعل القبيح عند أصحابنا ولا يستحق الذم والقبيح قد يوصف بأوصاف كثيرة، منها قولنا معصية وإطلاق ذلك في العرف يفيد أنه فعل يكرهه الله سبحانه ويفيد في اصل اللغة فعل يكرهه كاره ومن أصحابنا من شرط فيه كون الكاره أعلى رتبة من العاصي...

وأما **الحسن** فهو ما للقادر عليه المتمكن من العلم بحاله أن يفعله وأيضا ما لم يكن على صفة يؤثر في استحقاق فاعله الذم أو ما ليس له مدخل في استحقاق فاعله الذم وإذا لم يكن للحسن صفة زائدة على حسنه وصف بأنه مباح ويفيد أن مبيحا اباحه ومعنى الإباحة هو إزالة الحظر والمنع بالزجر والوعد وغيرهما ممن يتوقع منه المنع وإطلاق قولنا مباح يفيد أن الله تعالى أباحه بأن أعلمنا أو دلنا على حسنه ولم يمنع منه)[٢٩].

وبناءا على ما مر:

فقد قال الأشاعرة[٣٠] ومن وافقهم من الجمهور: أنه لا حاكم على أفعال العباد إلا الله بمعنى أنه يشرع الفعل والحكم ثم يرتب على ذلك الثواب والعقاب.. فلا ثواب ولا عقاب إلا بعد التشريع والتبليغ.. وإن الحسن ما امر به الشرع والقبيح ما نهى عنه[٣١].

وألزم المعتزلة بناءاً على رأيهم في التحسين والتقبيح: بأن الإنسان يحاسب ثواباً وعقاباً بناءاً على إدراكه العقلي لحسن الأفعال و قبحها..[٣٢]، وإنما قلنا أُلزموا لأنهم لم يصرحوا بما نُسب اليهم إطلاقا.

وصورة ذلك: إن العبد قد يلحقه الثواب والعقاب لأنه يدرك بعقله حسن الأفعال التي يريدها الله سبحانه وتعالى وقبح الأفعال التي لا يريدها سبحانه وتعالى.. وهؤلاء اثبتوا التحسين والتقبيح.

ثم جاء بين هذين الرأيين قول آخر نُسب لأبي منصور الماتريدي الحنفي والزنجاني من الشافعية وأبي الخطاب الحنبلي وهو ما رجحه أكثر المتأخرين[٣٣]، وينص على أن في الأفعال حسن وقبح مدرك بالعقول ولكن ذلك لا يعني بإيجاب أمر الشريعة به، ولا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، فلم ينفوا الحسن والقبح عن الأفعال وكذلك لم يقولوا بالتحسين والتقبيح العقلي الخالص وببناء الأحكام على أساسه.

وبناءاً على ما قُدِّمَ في محل الخلاف سنذكر الأدلة التي تعضد هذه الآراء متضمنة لأدلة التحسين والتقبيح العقليين وذلك لأن الخلاف في هذه المسألة بُنِي وتأصل على أساس الإختلاف في التحسين والتقبيح .

أدلة القائلين بأن الحاكم هو العقل :

لقد تلخصت أدلة المعتزلة في توجيه ما ذهبوا اليه بما يأتي:-

أولاً: إن الله تعالى وبخ الكفار على تركهم الاستدلال بعقولهم على وحدانيته وربوبيته بما يشاهدونه في أنفسهم وغيرهم من الخليقة وأصنافها من الآيات والعلامات فقال(**لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**)[آل عمران:١٩٠]وقال(**لِأُولِي النُّهَى**)[طه:٥٤] وقال(**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)[البقرة:٤٤](**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)[البقرة:١٦٤] وقال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[ق،٣٧] أي عقل وقال تعالى حاكيا عن أهل النار (**وَقَالُوا لو كنا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ**)[الملك:١٠] والآيات على هذا المعنى تكثر في القرآن فلو كان العقل لا يدلهم على وجوب ذلك إذا رجعوا إليه لم يوبخوا على ترك الاستدلال بها، ببينة أن الله تعالى لم يخل شيئا من العالم عن دلالة على وحدانيته ولم يترك خلقه سدى مع إكمال عقولهم وإزاحة العلل عنهم وتمهيد الأسباب التي يصح بها معارفهم فلو لم يجب عليهم الاستدلال بعقولهم بالنظر في هذه الأشياء لخرج الأمر في ذلك عن وجه الحكمة ولبطلت فائدة العقول التي أعطاهم وصاروا بمنزلة البهائم التي لا تحتاج إلى تكليف[٣٤].

وليعلم إن الصيرفي والشاشي من الشافعية كذلك أوردوا عين هذا الكلام وساقوه لإثبات ما اثبته المعتزلة في هذا الدليل فقالوا: بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَبَّخَ الْكُفَّارَ على تَرْكِهِمْ الِاسْتِدْلَالَ بِعُقُولِهِمْ على وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ في أَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ فقال(**لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**)[آل عمران:١٩٠]وقال(**لِأُولِي النُّهَى**)[طه:٥٤] وقال(**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)[البقرة:٤٤](**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)[البقرة:١٦٤](**وَقَالُوا لو كنا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ**)[الملك:١٠][٣٥].

إلا إن الزركشي نقل عدولهم عن هذا الرأي وأخذِهم بمقولة الجمهور فيما تأخر من آرائهم، إذ قالوا معتذرين عن موافقتهم للمعتزلة بأن ذلك كان في أول أمرهم ثم رجعوا عنه[٣٦].

ثانياً: إن الحسن والقبح هي مسألة ذاتية في الأفعال، فقد دل اتفاق العقلاء على حسن الصدق النافع وقبح الكذب المضر وكذلك حسن الإيمان وقبح الكفران وغير ذلك مع قطع النظر عن كل حالة تقدر من عرف أو شريعة أو غير ذلك فكان ذاتيا والعلم به ضروري[٣٧].

ثالثاً: إن من استوى في تحصيل غرضه الصدق والكذب وقطع النظر في حقه عن الاعتقادات والشرائع وغير ذلك من الأحوال فإنه يميل إلى الصدق ويؤثره وليس ذلك إلا لحسنه في نفسه وكذلك نعلم أن من رأى شخصا مشرفا على الهلاك وهو قادر على إنقاذه فإنه يميل إليه وإن كان بحيث لا يتوقع في مقابلة ذلك حصول غرض دنيوي ولا أخروي بل ربما كان يتضرر بالتعب والتعني وليس ذلك إلا لحسنه في ذاته[٣٨].

رابعاً: لو كان السمع وورود الأمر والنهي هو مدرك الحسن والقبح لما فرق العاقل بين من أحسن إليه وأساء ولما كان فعل الله حسنا قبل ورود السمع ولجاز من الله الأمر بالمعصية والنهي عن الطاعة ولجاز إظهار المعجزة على يد الكذاب ولا امتنع الحكم بقبح الكذب على الله تعالى قبل ورود السمع ولكان الوجوب أيضا متوقفا على السمع، ويلزم من ذلك إفحام الرسل من حيث إن النبي إذا بعث وادعى الرسالة ودعا إلى النظر في معجزته فللمدعو أن يقول لا أنظر في معجزتك ما لم يجب علي النظر ووجوب النظر متوقف على استقرار الشرع بالنظر في معجزتك وهو دور[٣٩].

خامساً: وقال المعتزلة ايضاً.. ودليلنا على أن الانتفاع بالمآكل مباح في العقل هو أن الانتفاع بها منفعة ليس فيه وجه من وجوه القبح وكل ما هذه سبيله فحسنه معلوم والعلة في حسن ما هذه سبيله هي أن المنفعة تدعو إلى الفعل وتسوغه إذ هي غرض من الأغراض فاذا انتفى وجوه عنها تجرد ما يقتضي الحسن أما أن أكل الفاكهة منفعة فلا شبهة فيه ولا شبهة في انتفاء وجوه القبح عنه نحو الكذب والجهل وكفر النعمة أو مضرة على النفس أو على الغير لأنا إنما تكلمنا في أكل ما لا مضرة فيه ولو كان فيه مفسدة لدلنا الله عليها وليس في العقل دليل عليها ولا في السمع[٤٠].

سادساً: إن ما ثبت بالعقل ... منه ما يكون واجبا بعينه كشكر المنعم، والإنصاف، وقبح الظلم، فلا يصح أن يرد الشرع بخلاف ذلك[٤١].

<u>أدلة القائلين بأن الحاكم هو الله</u>

لقد رد الجمهور على أغلب أدلة المعتزلة التي أوردوها من جهة النقل والعقل ثم أقاموا الحجة بعد ذلك على ما ذهبوا إليه لإثبات رأيهم أيضاً،

أما عن الدليل الأول فقد أجابوا عن الآيات التي ذُكرت بقولهم: إن العقل آلة تمييز وبه تُدرك آلة الأشياء ويُتوصل الى الحجج، وإنما الكلام في أنه في ذاته هل يستقل بإيجاب شيءٍ آخر أو تحريمه[٤٢] فالعقل بذاته ليس بدليل على تحسين شيء ولا تقبيحه ولا حظر ولا إباحة ، ولا يعرف شيء من ذلك حتى يرد السمع فيه، وإنما العقل آلة تُدرك بها الأشياء فَيُدرَك به حُسنٌ وقبحٌ بعد أن ثبت ذلك بالسمع[٤٣].

وعن الإستدلال الثاني والثالث والرابع أجاب الآمدي فقال:

عن الثاني أن فعل الله قبل ورود الشرع حسن بمعنى أن له فعله..

وعن الثالث أنه لا معنى للطاعة عندنا إلا ما ورد الأمر به ولا معنى للمعصية إلا ما ورد النهي عنه

وعلى هذا فلا يمتنع ورود الأمر بما كان منهيا والنهي بما كان مأمورا ..

وعن الرابع أنه إنما يلزم أن لو لم يكن لامتناع إظهار المعجزة على يد الكاذب مدرك سوى القبح الذاتي وليس كذلك..[٤٤].

ثم ساق الجمهور أدلتهم ومنها:-

أولاً: قوله تعالى(**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**)[الانعام٥٧] وقوله عز وجل (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**)[الاسراء:١٥] ولم يقل حتى نركب عقولا ،وقال حكاية عن الملائكة في خطاباتهم مع أهل النار (**أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**)[الإنعام:١٣٠] هذه الآيات وغيرها تدل على ان الحجة لزمتهم بالسمع دون العقل ، وكذلك قوله تعالى(**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**)[النساء: ١٦٥][٤٥].

ثانيًا: لا معنى للواجب إلا ما أوجبه الله تعالى وأمر به وتوعد بالعقاب على تركه فإذا لم يرد خطاب فأي معنى للوجوب ثم تحقيق القول فيه أن العقل لا يخلو إما أن يوجب ذلك لفائدة أو لا لفائدة ومحال أن يوجب لا لفائدة فإن ذلك عبث وسفه وإن كان لفائدة فلا يخلو إما أن ترجع إلى المعبود وهو محال إذ يتعالى ويتقدس عن الأغراض أو إلى العبد وذلك لا يخلو إما أن تكون في الدنيا أو في الآخرة ولا فائدة له في الدنيا بل يتعب بالنظر والفكر والمعرفة والشكر ويحرم به عن الشهوات واللذات ولا فائدة له في الآخرة فإن الثواب تفضل من الله يعرف بوعده وخبره فإذا لم يخبر عنه فمن أين يعلم أنه يثاب عليه؟[٤٦].

ثالثاً: قال القرافي لنا قوله تعالى (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**)[الاسراء:١٥] نفي التعذيب قبل البعثة ينتفي ملزومه وهو الحكم فان قيل بانا نعلم بالضرورة حسن الإحسان وقبح الإساءة قلنا محل الضرورة مورد الطباع وليس محل النزاع)[٤٧].

رابعا: قال الله تعالى (**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَلٍ بَعِيدٍ قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**)[ق:٢٧-٢٩] أي لا أؤاخذ عبدا بغير ذنب ولا أمنعه من أجر ما عمله من صالح ولهذا قال قبله (وقد قدمت إليكم بالوعيد)المتضمن لإقامة الحجة وبلوغ الأمر والنهي وإذا آخذتكم بعد التقدم فلست بظالم بخلاف من يؤاخذ العبد قبل التقدم إليه بأمره ونهيه فذلك الظلم الذي تنزه الله سبحانه وتعالى عنه[٤٨].

هذا أشهر ما إستدل به الجمهور في هذه المسألة وستأتي تتمة لأدلتهم بنفي التحسين والتقبيح العقليين في مسألة حكم أفعال العقلاء في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

وبعد عرض هذه الآراء والردود عليها وإيراد الجمهور أدلتهم لتأييد ما خلصوا اليه في المسألة بان من خلال مناقشتهم لها وطرح أقوالهم فيها بأن فريقا منهم تماشا مع أقوال المعتزلة في وجود حسن وقبح عقلي ولكن ذلك لا يعني تشريعا عقليا للأحكام ولا يعني بلزوم الثواب والعقاب فلا تلازم بين الأمرين..

وهذا الرأي هو الرأي الثالث في المسألة ويستدل عليه بما يأتي:-

دل القرآن الكريم أنه لا تلازم بين الأمرين وأنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل وأن الفعل نفسه حسن وقبيح ودلالته تكون بأمرين:

أما الأول ففي قوله تعالى (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**)[الإسراء:١٥] وفي قوله (**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**)[النساء:١٦٥] وفي قوله (**كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ**)[الملك٨-٩] فلم يسألوهم عن مخالفتهم للعقل بل للنذر وبذلك دخلوا النار وقال تعالى (**يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى**

أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ)[الأنعام:١٣٠] وقوله تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا)[الزمر:٧١] وقوله تعالى(ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُون)[الأنعام: ١٣١] وعلى أحد القولين وهو أن يكون المعنى لم يهلكهم بظلمهم قبل إرسال الرسل فتكون الآية دالة على الأصلين أن أفعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة وأنه لا يعاقبهم عليه إلا بعد الإرسال وتكون هذه الآية في دلالتها على الأمرين نظير الآية التي في القصص (وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[القصص:٤٧] هذا يدل على أن ما قدمت أيديهم سبب لنزول المصيبة بهم ولولا قبحه لم يكن سببا لكن امتنع إصابة المصيبة لإنتفاء شرطها وهو عدم مجيء الرسول إليهم فمذ جاء الرسول إنعقد السبب ووجد الشرط فأصابهم سيئات ما عملوا وعوقبوا بالأول والآخر[٤٩].

وأما الأصل الثاني: وهو دلالته على أن الفعل في نفسه حسن وقبيح فكثير جدا كقوله تعالى **(وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ يَابَنِيءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ**

تَعْلَمُونَ)[الأعراف:٢٨-٣٣] فأخبر سبحانه أن فعلهم فاحشة قبل نهيه عنه وأمر باجتنابه بأخذ الزينة والفاحشة ههنا هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء غير قريش ثم قال تعالى **(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ)** أي لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفطر ولو كان إنما علم وإنه لا معنى لكونه فاحشة إلا تعلق النهي به لصار معنى الكلام إن الله لا يأمر بما ينهى عنه وهذا يصان عن التكلم به آحاد العقلاء فضلا عن كلام العزيز الحكيم وأي فائدة في قوله إن الله لا يأمر بما ينهى عنه فإنه ليس لمعنى كونه فاحشة عندهم إلا أنه منهي عنه لا أن العقول تستفحشه

ثم قال تعالى **[قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ]** والقسط عندهم هو المأمور به لا أنه قسط في نفسه فحقيقة الكلام قل أمر ربي بما أمر به،

ثم قال**[قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ]** دل على أنه طيب قبل التحريم وأن وصف الطيب فيه مانع من تحريمه مناف للحكمة،

ثم قال**[قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ]** ولو كان كونها فواحش إنما هو لتعلق التحريم بها وليست فواحش قبل ذلك لكان حاصل الكلام قل إنما حرم ربي ما حرم وكذلك تحريم الإثم والبغي فكون ذلك فاحشة وإثما وبغيا بمنزلة كون الشرك شركا فهو شرك في نفسه قبل النهي وبعده

فمن قال إن الفاحشة والقبائح والآثام إنما صارت كذلك بعد النهي فهو بمنزلة من يقول الشرك إنما صار شركا بعد النهي وليس شركا قبل ذلك، ومعلوم أن هذا وهذا مكابره صريحة للعقل والفطرة فالظلم ظلم في نفسه قبل النهي وبعده والقبيح قبيح في نفسه قبل النهي وبعده والفاحشة كذلك وكذلك الشرك لا أن هذه الحقائق صارت بالشرع كذلك،

نعم الشارع كساها بنهيه عنها قبحا إلى قبحها فكان قبحها من ذاتها وازدادت قبحا عند العقل بنهي الرب تعالى عنها وذمه لها وإخباره ببغضها وبغض فاعلها كما

أن العدل والصدق والتوحيد ومقابلة نعم المنعم بالثناء والشكر حسن في نفسه وازداد حسنا إلى حسنه بأمر الرب به وثنائه على فاعله وإخباره بمحبته ذلك ومحبة فاعله[٥٠].وهذا دليل عدم التلازم بين الأمرين،

ثم إن أصحاب هذا الرأي كذلك أوردوا على من أنكر الإدراك العقلي على وجه الإطلاق ما يأتي:

ــ قيل لبعض الأعراب وقد أسلم لما عرف دعوته عن أي شيء وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله قال ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به ولا أحل شيئا فقال العقل ليته حرمه ولا حرم شيئا فقال العقل ليته أباحه فانظر إلى هذا الأعرابي وصحة عقله وفطرته وقوة إيمانه واستدلاله على صحة دعوته بمطابقة أمره لكل ما حسن في العقل وكذلك مطابقة تحليله وتحريمه ولو كان جهة الحسن والقبح والطيب والخبث مجرد تعلق الأمر والنهي والإباحة والتحريم به لم يحسن منه هذا الجواب ولكان بمنزلة أن يقول وجدته يأمر وينهى ويبيح ويحرم وأي دليل في هذا؟[٥١].

القول المختار

لا زال أهل الأقطار قاطبة يمدحون المحسن ويذمون المسيء بعقولهم من دون معرفة الشرائع بل من ميز من الصبيان مَدَحَ من أحسن وَذَمَّ من أساء وهل مدح أهل الجاهلية محمدا صلى الله عليه وسلم في جاهليتهم قبل بعثته وسموه الصادق الأمين إلا لأنها أدركت عقولهم حسن الصدق وأنه يمدح من اتصف به ، وهل ذموا عرقوبا إلا لكذبه وخلف مواعيده التي أدركوا بعقولهم قبحه ثم جاء الإسلام مقررا لهذه الفطرة السليمة لا يخالف فيها أحد حتى تفرق أهل الإسلام شيعا كما تفرقت الأمم ونشأت العداوات وشب التعصب، فقال فرقة من الأشعرية نحن نسلم أن العقل يدرك الحسن وهو صفة كمال ويدرك القبيح وهو صفة نقص فحاتم الطائي

مثلا متصف بصفة كمال عقلا ومادر متصف بصفة نقص عقال وقد اعترف محققوهم بأن صفة النقص هي القبح العقلي لما أورد عليهم مخالفوهم أنه حيث لا يدرك العقل حسنا ولا قبحا فيجوز أن يبعث الله رسلا كذابين فقالوا هذه صفة نقص لا تجوز على الله قلنا وافقتم من خالفتم في إثبات القبح...

لقد نبه الله سبحانه وتعالى بعض المتأخرين فحرر محل الخلاف وقال إن المثبتين لا يدخلون المدح عاجلا والإثابة آجلا في محل الخلاف وكتب المتقدمين منهم منادية بهذا نداء يملأ الأسماع... فالتحقيق أنه لا خلاف بين الفريقين ولا شقاق وتحقيقه أن النافين أثبتوا إدراك العقل لصفة الكمال وصفة النقص ومن المعلوم أن معنى كونها صفة كمال أنه يمدح من اتصف بها وكونها صفة نقص أنه يذم من اتصف بها والمراد مدحه وذمه من العباد إذ الغرض أن هذا قبل ورود الشرائع وهذا هو عين ما قاله من أثبت التحسين والتقبيح العقلي فإنه قال الحسن ما يستحق من اتصف به المدح ويستحق من اتصف بالقبح والذم وغاية الخلاف أن المثبت قال حسن وقبيح والنافي قال صفة كمال وصفة نقص وهذا أي المدح والذم يصح تسميته إثابة عاجلا لأنه مكافأة للمحسن وللمسيء على إساءته فإن أهل الجاهلية ما كانوا يقصدون إلا الثناء من العباد بما يفعلونه من المكارم ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنة حاتم لما قالت إن أباها كان يطعم الطعام (إن أباك رام أمرا فأدركه)[٥٢] وهو المدح، على أن المثبتين لم يصرحوا في كتبهم بالإثابة عاجلا[٥٣].

ولا بالعقاب آجلا إنما جاءت هذه العبارة في كلام النفاة بما نسبوه إلى المثبتين فقلنا نحن إنه يصح تسمية المدح بالحسن إثابة من العباد لمن أحسن وليس المراد الإثابة من الله قطعا إذ المسألة مفروضة في كل شريعة شرعها الله ولذا لم يقل أحد من المثبتين إن العقل يدرك العقاب آجلا إذ لا تعرف أحكام الآجل إلا من رسل الله بعد التشريع، وإنما العقل يدرك قبح الظلم بمعنى أنه يستحق فاعله الذم من العباد

المبحث الثاني

المسائل التي بنيت على الإختلاف في مسألة الحاكم.

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مسألة شكر المنعم.

المطلب الثاني: مسألة جواز فتور الشريعة.

المطلب الثالث: حكم أفعال العقلاء قبل ورود الشرع.

لاتصافه بالقبيح أو بصفة النقص أو بصفة الكمال والشرع جاء مقررا لهذا ومخبرا بالعقاب الأخروي والثواب الأخروي والأول للأول والثاني للثاني وبهذا عرفت اتفاق الفريقين المثبتين والنفاة على إدراك العقل لما ذكر(٥٤).

واعلم أن المثبتين أكثر الأمة ليس هم المعتزلة ... فاعلم أنه لم يبق بعد تقرر الشريعة لمسألة الخلاف في التحسين والتقبيح فائدة إذ بعد حكم الشرع لم يبق للعقل مجال في إثباته لشيء من الأحكام إنما هذه الأبحاث فرضية مبنية على انفراد العقل عن الشرع(٥٥).

نعم قال المعتزلة بالتحسين والتقبيح ولكنهم قالوا أيضاً " إن وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرران في العقل؛ إلا أنا لما لم يمكنّا أن نعلم عقلا إن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة ، بعث الله تعالى إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال فيكونوا قد جاؤوا بتقرير ما قد ركبه الله تعالى في عقولنا ، وتفصيل ما قد تقرر فيها ، وصار الحال في ذلك كالحال في الأطباء إذا قالوا إن هذا البقل ينفع وذلك يضر وكنا قد علمنا قبل ذلك إن دفع الضرر عن النفس واجب ، وجر النفع الى النفس حسن ، فكما لا يكون والحال ما قلناه قد أتوا بشيء مخالف للعقل ، فكذلك حال هؤلاء الرسل"(٥٦).

فقولهم هذا يؤكد رضوخهم في المحصلة النهائية لإرادة النصوص الشرعية من أجل الحكم على فعل المكلف.

وقالوا أيضاً: "واما التفضل فما من حي خلقه الله إلا وقد تفضل عليه وأحسن إليه بضروب المنافع والإحسان، والعوض يوصله الله تعالى الى المكلف وغير المكلف ، وأما الثواب فمما لا حظ فيه لغير المكلف، والمكلف مختص بإستحقاقه(٥٧).

وهذا يدل على أن التكليف عندهم شرط للحصول على الثواب والعقاب وهل التكليف إلا ورود السمع بالأحكام لثبوت وتحقق الإختبار والإبتلاء على المكلفين؟ والله تعالى أعلم.

المطلب الاول

مسألة شكر المُنْعِم[٥٨]

إن الكلام عن مسألة شكر المنعم بُني أيضاً على موضوع التحسين والتقبيح العقليين، ومن العلماء من قال بأنه متنزل عن هذه المسألة ومنهم من قال بأنه فرع لها ، فما حقيقة هذا الخلاف وماذا يقصد بشكر المنعم؟

أولاً: حقيقة الشكر وماهيته:

الشُكر بالضم عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثناء الجميل، وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها، وحقيقته العجز عن الشكر، وأحسن الثناء العجز عن إحصاء الثناء قال عليه الصلاة والسلام (لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنت كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ)[٥٩] أي لا أحيط بمحامدك وصفات ألوهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك.. وشكر الله وبالله ولله ونعمة الله وبها شكرا" وشكرانا" وشكورٌ كثير الشكر والشكر كالحمد ولكنه يخالفه في أن الشكر يكون وصفا" باللسان بإزاء النعمة، والحمد يكون وصفا باللسان بإزاء الشجاعة[٦٠].

ومفهوم الشكر ينقسم على قسمين:-

الأول/ الشكر اللغوي (وهو وصف الجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان والجنان والأركان؛

الثاني/ الشكر العرفي: (أي استعمال جميع ما أنعم الله تعالى على العبد فيما خلق لأجله كصرف النظر عن مشاهدة مصنوعاته ليستدل بها على صانعها والسمع إلى تلقي أوامره وانذاراته واللسان على التحدث بالنعم والثناء الجميل على موليها وعلى هذا المعنى ورد في الكتاب العزيز وصف الشاكرين بالقلة، قال تعالى(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[سبأ: ١٣][٦١].

وهذا الأخير هو المعنى الإصطلاحي الذي ذُكر عند علماء الشرع وهو مقصودهم بشكر المنعم..

فشكر المنعم شرعاً: يعني استعمال جميع ما انعم الله تعالى على العبد فيما خلق لأجله كصرف النظر الى مشاهدة مصنوعاته ليستدل بها على صانعها والسمع الى تلقي أوامره وإنذارته واللسان الى التحدث بالنعم والثناء الجميل على موليها[٦٢].

وقيل بأن شكر المنعم هو الثناء عليه بذكر آلائه وإحسانه[٦٣]،وقيل شكر العبد لربه هو إستعمال نعمه التي أنعم عليه بها في طاعته[٦٤].

وأما المعتزلة فقد عرّفوا النعمة والمنعِم والشكر ثم أوردوا بعد ذلك معنى شكر المنعم عندهم؛ فقالوا:

النعمة: هي كل منفعة حسنة واصلة الى الغير إذا قصد فاعلها بها وجه الإحسان إليه... ومن حقها أن يستحق عليها الشكر[٦٥].

والمنعم : هو فاعل النعمة ؛ كالمكرم والمجمل والمحسن فلا يزاد في تفسيره على هذا[٦٦].

والشكر: هو الإعتراف بنعمة المنعم ، مع ضرب من التعظيم[٦٧].

ثم قالوا بعد ذلك: أن هذا الضرب من الشكر ليس يستحقه إلا الله تعالى؛ لأنه إنما يؤدى على نهاية ما يمكن من التذلل ، وذلك لا يُستحق إلا على أصول النعم ، والقادر على أصول النعم ليس إلا الله تعالى، فلذلك إختص بإستحقاق هذا الضرب من الشكر[٦٨].

فتحصَّلَ من هذه التعاريف أن شكر المنعم هو أن ينقاد العبد ويخضع ويتذلل لربه ويشكره على نعمه، ويستعمل جوارحه ويسخرها لطاعته تعالى.

فالسؤال الذي يوضح أصل المسالة التي نحن بصددها هو: هل إن هذه الأشياء التي وردت في تعريف الشكر واجبة على العبد بالعقل أو إن وجوبها متوقف على دليل السمع وهو ورود الشرع بذلك؟

والجواب هو إن أهل الفرق والمذاهب اختلفوا في هذه المسألة بناءاً على إختلافهم في القول بالتحسين والتقبيح :

فالقائلون بالتحسين والتقبيح العقليين قالوا بأن شكر المنعم واجب بالعقل، وهم المعتزلة[٦٩] وبعض الشافعية[٧٠]، وعلى رأي هؤلاء يجب على العبد عقلاً أن يعرف الصانع ويشكره.

وذهب نفاة التحسين والتقبيح من الأشاعرة[٧١] ومن وافقهم الى أن شكر المنعم لا يجب عقلاً بل هو متوقف على ورود السمع، وهو ما أختاره أصحاب المذهب الثالث الذين لم ينفوا التحسين والتقبيح مطلقا ومع ذلك قالوا بأن الحاكم هو الله رب العالمين كأبي منصور الماتريدي من الحنفية والزنجاني من الشافعية[٧٢].

وأما عن أدلة هذه الأقوال التي تبناها كل من الجمهور والمعتزلة فهي تكملة لما جاء في مسألة التحسين والتقبيح التي مرت في المطلب السابق وهذه جملة من المناقشات والأقوال التي جرت بين الفريقين فيما يتعلق بها.

قال الحنفية : ليس واجبا عقلا ؛ لأنه أي الشكر لو وجب بالعقل فلفائدة؛ لبطلان العبث لقبحه واذ كان لفائدة فأما لله تعالى او للعبد في الدنيا او الاخرة وهي:

أي هذه الاقسام الثلاثة باطلة لتعاليه سبحانه وتعالى عن الفائدة فبطل ان يكون لفائدة لله تعالى والمشقة في الدنيا لان من شكره فعل الواجبات وترك المحرمات العقلية وهي مشقة وتعب ناجز لاحظ للنفس فيه وما يكون كذلك فليس له فائدة دنيوية فبطل ان يكون لفائدة للعبد في الدنيا وعدم استقلال العقل بأمور الاخرة لأنها من الغيب الذي لا مجال للعقل فيه فبطل ان يكون لفائدة للعبد في الاخرة)[٧٣].

وقال المالكية: إن شكر المنعم غير واجب عقلا كذلك ، وأوردوا غالب أدلة التحسين والتقبيح ومنها: قوله تعالى : **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)** [الإسراء: ١٥] وقوله تعالى**(رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)**[النساء: ١٦٥] وكذلك أوردوا مما مر من إستدلال عقلي للأحناف فقالوا وأما المعقول فهو لو وجب أما لفائدة أو لا لفائدة، والقسمان باطلان كما سبق ...[٧٤].

وكذا قال الشافعية : إن شكر المنعم واجبا سمعا لا عقلا [٧٥].

وقال الحنابلة: (ان مسألة شكر المنعم واجب بالشرع في قولنا وقول أهل الأثر والاشعرية،[٧٦]وأن العقل لا يوجب بنصه شيئا ولا يحرمه)[٧٧].

وقال الظاهرية: ومن بديع ما قطع أصحابنا على أنه لا يجوز نسخه **شكر المنعم** وأن كفر المنعم لا سبيل إلى إباحته في العقل أصلا"...[٧٨].

ثم ساق الظاهرية بعد كلامهم هذا ما يأتي:-

فنسأل قائل هذا القول الفاسد فنقول له ما تقول في رجل استنقذ طفلا قد أشرف الأسد على افتراسه فرباه ولا أب له ولا أم ولا مال فأحسن تربيته ثم علمه العلوم وأكرمه وبره ولم يذله ولا استخدمه وموله وزوجه وخوله ثم إن ذلك المحسن إليه زنى وهو محصن وسرق وقذف ثم تاب من كل ذلك وتعبد ثم قامت عليه بذلك بينة عدل وقدم إلى يتيمه وهو بعد حاكم من حكام المسلمين فما ترى أن يفعل فيه أيشكر فيعفو عنه ولا سيما وقد تاب أو يأمر بأن يوجع متناه بالسياط ثم يقطع يده ثم يأمر بشدخ هامته بالحجارة حتى يموت فإن قال أرى أن يعفو عنه كفر إن اعتقد ذلك أو فسق إن أشار بذلك غير معتقد له وإن قال أرى أن يوقع به أنواع العذاب الذي ذكرنا فقد ترك مذهبه الفاسد في ألا يكفر إحسان المنعم فإن قال إن هذا الفعل هو شكره على الحقيقة قال خلاف ما ادعى أن العقل يوجبه وسمى غاية الإساءة إحسانا فإن رجع إلى أن يقول إنما يحسن في العقول شكر المنعم الذي أمر الله

تعالى بشكره لا شكر المنعم الذي أمر الله تعالى بالإضرار به وألا يقارض على إحسانه رجع إلى الحق وإلى أنه لا حسن إلا ما فعل الله تعالى ولا قبيح إلا ما نهى الله عنه وهذا الذي لا يجوز غيره)[٧٩].

وعلى هذا الرأي اجمع الفقهاء والأصوليين وأهل الفرق إلا أن المعتزلة قالوا إن شكر المنعم يجب بالعقل؛ وخلافهم هذا راجع لقولهم أن الحسن والقبح في الأفعال عقليين كما مر في المسألة السابقة .

ولمتقدمي الإحناف كلمة فصلوا فيها غاية الكلام في هذه المسألة فقالوا (سبب وجوب العبادات نعم الله تعالى على كل واحد من عباده فإنه تعالى أسدى إلى كل واحد منا من أنواع النعم ما يقصر العقول عن الوقوف على كنهها فضلا عن القيام بشكرها وأوجب هذه العبادات علينا بإزائها ورضي بها شكرا لسوابغ نعمه بفضله وكرمه وإن كان بحيث لا يمكن لأحد الخروج عن شكر نعمه وإن قلت مدة عمره وإن طالت وهذا لأن شكر النعمة واجب بلا شك عقلا أو نصا على ما قال تعالى أن اشكر لي ولوالديك وقال عليه السلام من أنزلت عليه نعمة فليشكرها في نصوص كثيرة وردت فيه وكل عبادة صالحة لكونها شكرا لنعمة من النعم وقد ورد النص الدال على كون العبادة شكرا وهو ما روي أنه عليه السلام صلى حتى تورمت قدماه فقيل له إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون عبدا شكورا)[٨٠] أخبر أنه يصلي لله تعالى شكرا على ما أنعم عليه فالإيمان وجب شكرا لنعمة الوجود وقوة النطق وكمال العقل الذي هو أنفس المواهب التي اختص الإنسان بها من بين سائر الحيوانات وغيرها من النعم فالوجوب بإيجاب الله تعالى لكن بالعقل يعرف أن شكر المنعم واجب فكان النعم معرفا له وجوب شكر المنعم بواسطة آلة المعرفة وهي العقل وهذا معنى قول الناس العقل موجب أي دليل ومعرف لوجوب الإيمان بالنظر في سببه)[٨١].

وعوداً على بدءٍ في الكلام: فإن معرفة الله واجبة إجماعا، وهي لا تتم إلا بالنظر والتفكر وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب كوجوبه؛ فشكر المنعم والتذلل له واجب على العبد ويجب معه كل ما إستلزم حقيقة الشكر وهي غاية الخضوع والتذلل، وتسخير النعم التي وهبها الله لعباده في طاعته وثبوت ذلك كله يكون عن طريق السمع.

وعند المعتزلة ؛ شكر المنعم واجب عقلا ، وهو موقوف على معرفة الله تعالى المنعم، ومقدمة المطلق واجبة أيضا، هذا بناءا على قولهم بكون الحسن والقبح عقليين كما عرفت آنفا، واحتجت المعتزلة على كونه واجبا عقلا بأنه لو لم يجب النظر إلا بالشرع يلزم إفحام الأنبياء وعجزهم عن إثبات نبوتهم في مقام المناظرة إذ يجوز للمكلف حينئذ أن يقول إذا أمره النبي بالنظر في معجزته وغيرها مما يتوقف عليه نبوته ليظهر له صدق دعواه : لا أنظر ما لم يجب النظر علي، ولا يجب النظر علي ما لم يثبت الشرع عندي، إذ المفروض عدم الوجوب إلا به، ولا يثبت الشرع عندي ما لم أنظر؛ لأن ثبوته نظري ، فيتوقف كل واحد من وجوب النظر وثبوت الشرع على الآخر، وهو دور محال، ويكون كلامه هذا حقا لا قدرة للنبي على دفعه؛ وهو معنى إفحامه[٨٢].

وكذا جاء عندهم" أن العبادة هي النهاية في الخشوع والغاية في الشكر، والشكر إنما يستحق على النعمة، فإذا لم يمكن القوم أن يعرفوا كونه منعماً أصلاً ، كيف يمكنهم معرفة إلهيته وإستحقاقه للعبادة، التي هي النهاية في الشكر"[٨٣].

فشكر نعمة الله إنما يجب على المكلف ، إذا علم أنه خلق هذه المنافع، وقصد بها وجه الإحسان، ولا يعلم ذلك إلا بعد معرفة الله بتوحيده وعدله[٨٤].

فالشكر عندهم واجب بالعقل لا بالشرع لأنهم يقولون لا بد من عقلٍ للإيمان بالله وبنبوة أنبيائه، فالعقل مناط الإيمان بمعجزة النبي، فإن أثبتنا الإيمان سمعاً

إستلزم ذلك الدور في أصل قضية الإيمان كلها، وبعبارة أخرى ، فإنهم يقولون إن مجيء النبي ومعه معجزة تستلزم عقلا تخاطبه تلك المعجزة ليؤمن بنبوته المكلف، ثم بعد يقين العقل بمعجزته نكون قد آمنّا برسالته واخذنا الأحكام منه سمعاً.

وبعد ايراد هذه الاقوال وبعض استدلالاتها تجلى للفهم بأنها جزء من المسألة السابقة وبنيت عليها وتلخص منها:

بأن القائلون بالتحسين والتقبيح يرون أن شكر المنعم واجب بالعقل وذلك لأنه مدرك به، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

وذهب الجمهور الى خلاف ذلك بقولهم إن شكر المنعم لا يجب إلا بالسمع كما مر، وهذا هو القول المختار في هذه المسألة والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني

مسألة جواز فتور الشريعة

لقد ورد ذكر هذه المسألة ههنا لما لها علاقة بالاستدلال العقلي أو الشرعي على جواز التوقف عن ايراد الاحكام على المكلفين فترة من الزمن فلمن يكون الحكم على افعالهم هل هو للعقل ام للشرع؟؟ وهل يجوز اصلاً أن تفتر الشريعة؟

هذه صورة المسألة ولن نورد الخلاف فيها بل سنقتصر على ايراد الكلام لبعض العلماء لأنها تكاد أن تكون مسألة افتراضية..

قال الغزالي[٨٥]: حصل الإجماع على جواز فتُور الشَّريعة بالنِّسبة إلَى من قبلَنا[٨٦]، وأما بالنسبَة إلَى شريعتِنَا فَمِنهُمْ من منعهُ وَفَرَّق بِأَنَّ هذه الشَّرِيعَةَ خَاتِمَةُ الشَّرَائِعِ وَلَوْ فَتَرَتْ بَقِيَتْ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قال وَالْمُخْتَارُ أنها كَشَرْعِ من قَبْلَنَا في ذلك إذْ ليس في الْعَقْلِ ما يُحِيلُهُ وفي الحديث(يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَخْتَلِفُ رَجُلَانِ في فَرِيضَةٍ فَلَا يَجِدَانِ من يَقْسِمُ بَيْنَهُمَا)[٨٧] وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩] فَيُمْكِنُ تَخْصِيصُهُ بِالْقُرْآنِ دُونَ سَائِرِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ هذا كُلُّهُ في الْجَوَازِ الْعَقْلِيِّ أَمَّا الْوُقُوعُ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ يَغْلِبُ على الظَّنِّ وهو أَنَّ الْقِيَامَةَ إنْ قَامَتْ على قُرْبٍ فَلَا تَفْتُرُ الشَّرِيعَةُ وَلَوْ امْتَدَّتْ إلَى خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مَثَلًا لِأَنَّ الدَّوَاعِيَ مُتَوَفِّرَةٌ على نَقْلِهَا في الْحَالِ فَلَا تَضْعُفُ إلَّا على التَّدْرِيجِ وَإِنْ تَطَاوَلَ الزَّمَنُ فَالْغَالِبُ فُتُورُهُ إذْ الْهِمَمُ مَصِيرُهَا إلَى التَّرَاجُعِ ثُمَّ إذَا فَتَرَتْ ارْتَفَعَ التَّكْلِيفُ وَهِيَ الْأَحْكَامُ قبل وُرُودِ الشَّرْعِ وَزَعَمَ الْأُسْتَاذُ أبو إسْحَاقَ أَنَّهُمْ يُكَلَّفُونَ الرُّجُوعَ إلَى مَحَاسِنِ الْعُقُولِ قال وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِمَذْهَبِنَا فَإِنَّا لَا نَقُولُ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيَّيْنِ وَهَذِهِ تَرْجِعُ إلَى مَسْأَلَةِ الِاجْتِهَادِ في خُلُوِّ الْعَصْرِ عن الْمُجْتَهِدِ[٨٨].

وقال إمام الحرمين في البرهان: (فأما الشرائع السالفة فمذهب عصبة الحق وبعض المخالفين من المعتزلة أنه يجوز تقدير فتورها.. فأما القول في فتور شريعتنا فالذين أحالوا فتور الشرائع قبلنا منعوا فتور هذه الشريعة والذين سبقوا إلى جواز فتور الشرائع اضطربوا في شريعتنا فمنهم من سوى بين الكل ومنهم من صار إلى أن هذه الشريعة لا يتطرق إليها الفتور والسبب فيه ان سائر الشرائع لم تكن محفوظة من النسخ والتبديل... فالمختار عندنا أنا نقول الفتور في الشرائع جائز عقلا إذ ليس فيه ما يحيل ذلك ولا تخصص شريعة عن شريعة وقد صرح بهذا شيخنا أبو الحسن إلا أنه ضم إليه شيئا آخر لا يساعد عليه فقال تبقى التكاليف على العباد مع فتور الشرائع)[٨٩].

المطلب الثالث

مسألة حكم أفعال العقلاء قبل ورود الشريعة

لقد ورد فيما مر من المسائل والحديث عن التحسين والتقبيح بأن هناك مسائل تفرعت على أثر الإختلاف فيه، وههنا مسألة جديدة تعنى بحكم الأفعال قبل ورود الشرع ، فما هي أقوال العلماء وأصحاب الفرق فيها؟

إن أفعال العقلاء لا حكم له قبل ورود الشرع عند جمهور المسلمين بناءا على إن الأحكام هي الشرائع.. ولقد أختلف العلماء في أن الأشياء قبل ورود الشرع على الحظر أو الإباحة أو الوقف وكل قول من هذه الأقوال قد انتحله فريق[٩٠].

فذهب جمهور الأصوليين والأشاعرة الى التوقف في حكم الأشياء وأنه لا حكم لها أصلا قبل ورود الشرع[٩١]وهؤلاء يمثلون **القول الأول** في هذه المسألة.

قال الجويني من الشافعية (لا حكم على العقلاء قبل ورود الشرع بناء على أن الأحكام هي الشرائع بأعيانها وليست الأحكام صفات للأفعال وهذه المسألة تفرض فيما لا يقضي الخصوم فيه بتقبيح عقلي أو تحسين، وقد افترقت المعتزلة فذهب بعضهم إلى أن مالا يعين العقل فيه قبحا ولا حسنا فهو على الحظر قبل ورود الشرع وذهب آخرون إلى أنه على الإباحة)[٩٢].

وكذا قال الغزالي في المستصفى والمنخول[٩٣].

وقال الحنابلة:(ويجب القول باستصحاب الحال العقلي مثل أن يدل الدليل العقلي على أن الاشياء على الحظر أو على الاباحة قبل ورود الشرع بذلك فيستصحب هذا الاصل حتى يدل دليل الشرع على خلافه)[٩٤]وهم بهذا يختارون التوقف في الحكم أيضا.

وقال الظاهرية (ليس لها حكم في العقل أصلا لا بحظر ولا بإباحة وإن كل ذلك موقوف على ما ترد به الشريعة... وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره)[٩٥].

وجاء للأحناف: بأن الافعال قبل ورود الشرع على الوقف فلا توصف بحظر ولا إباحة.. وذلك يعني أن من فعل شيئا قبل ورود الشرع لم يستحق بفعله من الله تعالى ثوابا ولا عقابا وإلى هذا القول ذهب الشيخ أبو منصور رحمه الله ... وقال أهل السنة والجماعة إن العقل لا حظ له في معرفة هذا القسم يعني فيما يجوز أن يرد الشرع بإباحته فيجب التوقف فيه إلى أن يرد الشرع إلا بقدر ما يحتاج إليه للبقاء[٩٦].

هذه خلاصة رأي الجمهور في المسألة ، إلا أنه بقي أن نعرف بأنهم يعنون بقولهم لا حكم للأشياء قبل ورود الشرع بـ" أن الخطاب إنما يتعلق بما بعد البعثة لا بما قبلها فالمنفي هناك تعلق الاحكام لا ذواتها"[٩٧].

القول الثاني: قيل بأن المعتزلة قسموا الأفعال قبل ورود الشرع بحسب رؤية العقل لها بين الحسن والقبح الى اقسام الحكم التكليفي الخمسة المشهورة وقد فصل الآمدي وغيره رأيهم فقال:

""وأما المعتزلة فإنهم قسموا الأفعال الخارجة عن الأفعال الاضطرارية إلى ما حسنه العقل وإلى ما قبحه وإلى ما لم يقض العقل فيه بحسن ولا قبح فما حسنه العقل إن استوى فعله وتركه في النفع والضرر سموه مباحا وإن ترجح فعله على تركه فإن لحق الذم بتركه سموه واجبا وسواء كان مقصودا لنفسه كالإيمان أو لغيره كالنظر المفضي إلى معرفة الله تعالى وإن لم يلحق الذم بتركه سموه مندوبا وما قبحه العقل فإن التحق الذم بفعله سموه حراما وإلا فمكروه وما لم يقض العقل فيه بحسن ولا قبح فقد اختلفوا فيه فمنهم من حظره ومنهم من أباحه ومنهم من وقف عن الأمرين""[٩٨]

وبما إن هذه هي المسألة الأخيرة في الفصل بين الجمهور والمعتزلة في هذا المقام فإليك تفصيل المعتزلة ورؤيتهم لما يدخل فيه العقل عندهم وما لا يدخل؛

قال أبو الحسين البصري المعتزلي"" اعلم أن الأشياء المعلومة بالدليل إما أن يصح أن تعلم بالعقل فقط وإما بالشرع فقط وإما بالشرع وبالعقل وأما المعلومة بالعقل فقط فكل ما كان في العقل دليل عليه وكان العلم بصحة الشرع موقوفا على العلم به كالمعرفة بالله وبصفاته وأنه غني لا يفعل القبيح وإنما قلنا إن العلم بصحة الشرع موقوف على العلم بذلك لأنا إنما نعلم صحة الشرع إذا علمنا صدق الأنبياء عليهم السلام وإنما نعلم صدقهم بالمعجزات إذا علمنا أنه لا يجوز أن يظهرها الله على يد كذاب وإنما يعلم ذلك إذا علمنا أن إظهارها عليه قبيح وأنه لا يفعل القبيح وإنما نعلم أنه لا يفعل القبيح إذا علمنا أنه عالم بقبح القبيح عالم باستغنائه عنه والعلم بذلك فرع على المعرفة به فيجب تقدم هذه المعارف للشرع فلم يجز كون الشرع طريقا إليها...

فأما ما يعلم بالشرع وحده فهو ما في السمع دليل عليه دون العقل كالمصالح والمفاسد الشرعية وما له تعلق بهما أما المصالح والمفاسد الشرعية فهي كالأفعال التي تعبدنا بفعلها أو تركها بالشريعة نحو كون الصلاة واجبة وشرب الخمر حراما وغير ذلك وإنما قلنا إنه ليس في العقل دليل على ذلك لأنه لو كان في العقل دليل على ذلك لكان ذلك الدليل إما حكما موجبا عن وجوبها أو وجها موجبا لها والحكم الموجب عن وجوبها هو الذم والمدح ومعلوم أنا لا نعلم بالعقل استحقاق من أخر الصوم عن أول يوم من رمضان للذم دون الذي قبله ولا نعلم بالعقول مباينة أول يوم من رمضان لليوم الذي قبله في وجه يقتضي تباينهما في الوجوب سواء وقف ذلك على أمارة مظنونة أو لم يقف على ذلك وقد دخل في ذلك القول بأن العبادات يعرف وجوبها بأمارات من جهة العادات تتعلق بالمنافع والمضار لأن وجوب ما هذه سبيله معلوم وإن تعلق بشرط مظنون ومعلوم أيضا أنا لا نعلم بالعقول في هذه العبادات منافع ودفع مضار عاجله فيقال إنها تجب لأجل ذلك وأما ما له تعلق بالمصالح والمفاسد الشرعية فهي طرق الأحكام الشرعية كالأدلة والأمارات وأسباب هذه الأحكام

وعللها وشروطها أما الأدلة فكون الإجماع حجة وأما الأمارات فكون القياس وخبر الواحد حجتين على قول من قال لا نعلم ذلك بالعقل وأما الأسباب فكون زوال الشمس سببا للصلاة وأما العلل فالكيل الذي هو علة الربا وأما الشروط فضربان أحدهما شروط في أحكام معلومة بالعقل كالشروط التي شرطتها الشريعة في البيوعات لأن وقوع التمليك بالبيع معلوم بالعقل والآخر شروط في أحكام شرعية كستر العورة في الصلاة والطهارة وغير ذلك،

وقد فرق بين العلة والسبب بأشياء منها أن العلة لا يجب تكررها والسبب قد يجب تكرره ولهذا كان الإقرار سببا للحد لأنه يتكرر ومنها أن العلة تختص المعلل والسبب لا يختصه كزوال الشمس الذي هو سبب الصلاة ومنها أن السبب يشترك في جماعة ولا يشتركون في حكمه كزوال الشمس يشترك فيه الحائض والطاهر ولا يشتركون في وجوب الصلاة وليس يشتركون في العلة إلا ويشتركون في حكمها[٩٩].

ومن خلال هذا الكلام يتبين بأن المعتزلة يفرقون بين حكم وحكم من ناحية الثبوت فكأنهم يقولون بأن ما تعلق بالإيمان والأعتقاد يمكن أن يثبت عقلا لأنهم عدّوه من الضرورات التي يجب إدراكها عقلا ، ويتوقف ما سوى ذلك على السمع ، ودليل ذلك إنهم قالوا بأن شكر المنعم واجب بالعقل وههنا يقولون بان الأحكام لا تثبت إلا بدليل سمعي، وقد جرهم هذا التفريق الى الإنقسام في مسألة الإنتفاع بالأشياء قبل الشرع الى مذهبين:

الأول منهما يقول بالحظر وهو مذهب معتزلة بغداد*[١٠٠] وأبي بكر الأبهري من المالكية**[١٠١] وبعض الشافعية[١٠٢].

والثاني: يقول بالإباحة مطلقا وهو رأي معتزلة البصرة***[١٠٣] ونسب الى أكثر الحنفية[١٠٤].

وهذه مسألة قريبة جداً من مسألة حكم أفعال العقلاء قبل الشرع بل تكاد ألا تختلف عنها كما أُشير سابقاً.

وقد يقول قائل إذا كان المعتزلة يرون أن المفاسد والمصالح الشرعية لا تثبت إلا بالشرع فلماذا أُلزموا بمسألة الحسن والقبح؟ والجواب هو أنهم في هذه المسألة تحدثوا عن ثبوت الأحكام وكيفياتها وليس عن ثبوت الثواب والعقاب على فاعليها.

وقبل الشروع بذكر الأدلة ومناقشاتها لا بد من محاولة الوقوف على محل الخلاف في المسألة أيضاً:

فمن العلماء من تحدث فيها عما كان قبل الشرع من أفعال وغيرها مطلقاً..

ومنهم من فصل بين ما كان إدراكه بضرورة العقل أو بغيره ، ففرق بينه وبين ما جعله متوقف على السمع كالمعتزلة..

وقد فُرِّع في بعض كتب الأصول على التحسين والتقبيح مسألة الإنتفاع بالأشياء قبل ورود الشرع، وكذلك حكم أفعال العقلاء قبل الشرع، كمسألتين مختلفتين وفي بعض الكتب جمع بينهما في مقولة واحدة(١٠٥).. وكما يُعلم فهي مسائل مختلفة وإن كان موردها واحد، فالأفعال يقصد بها ما أُمرَ به لاحقا كتشريع فهو الفعل الذي تعلق به حكم لاحق بعد النبوة وكان فعلاً مجرداً قبل الشرع[وهو محل الخلاف كما سيأتي].. وأما الإنتفاع بالأشياء فيقصد به الأشياء المطلقة من الموجودات الكونية التي ينتفع بها الخلق.. وسيأتي في الإستدلال إنهم لم يفرقوا فيما بينها وبين سائر الأفعال.

ثم إن بعض العلماء أورد أدلته في هذه المسائل على أساس إستقراء مقاصد التشريع بين الأمر والنهي في هذه الأفعال ثم أعاد نظره الى حكمها قبل الشرع وأعطى رأياً لا يختلف عما جاء في التشريع.. وهكذا

فيقال لتحرير هذا الخلاف:

أولاً: ليعلم بأنه حُقِّقَ في المسألة الأولى رأي الجمهور بخلاصة التسليم للسمع في التشريع مع عدم إنكار معرفة العقل للحسن والقبيح، ولكن من غير تلازم.

ثانياً: وليعلم أيضاً أن رأي المعتزلة قد تلخص بلزوم الإستجابة لما رآه العقل حسناً بالتحسين وما رآه العقل قبيحاً بالتقبيح وأُلزموا بمقولة الثواب والعقاب كما مر ذلك، فالسؤال هنا هو أين وقع الخلاف إذاً في هذه المسألة؟

لقد اورد بعض العلماء بأن الخلاف في هذه المسألة واقع فيما لا يحكم العقل فيه قبل الشرع بمدح ولا ذم(١٠٦) وهو المسمى بالمباح، أي ما إستوى فيه الطرفان .

وقد أورد الجويني* في البرهان بأن هذه المسألة "" تفرض فيما لا يقضي الخصوم فيه بتقبيح عقلي أو تحسين""(١٠٧).

وفائدة هذا الخلاف هي إستصحاب كل واحد من القائلين حال أصله قبل الشرع فيما جُهِلَ دليله سمعاً بعد ورود الشرع(١٠٨).

وقال الغزالي أيضا بعد ذكر الخلاف في هذه المسألة "" لعلهم أرادوا بذلك فيما لا يقضي العقل فيه بتحسين ولا تقبيح ضرورة أو نظرا""(١٠٩).

وعلى هذا فإن محل الخلاف هو سائر الأفعال التي يفعلها العبد من غير إضطرار إليها، وذلك يشمل كل تصرفاته التي دُرجت عند مجيء الشرع تحت الميزان الشرعي والتكليف من معاملات ونكاح وغيرها، وبهذا تخرج المآكل والمشارب والتنفس والعمل الذي جُبِلَ الإنسان على فعله إستبقاءاً لحياته.

ودليل ذلك الفائدة التي ذُكرت قبل سطور وهي أن المختلفين إستصحب كل واحد منهم حال أصله قبل الشرع فيما جُهِلَ دليله سمعاً بعد ورود الشرع.

فتوقف الجمهور والأشاعرة عن إرجاع الحكم الى ما قبل الشرع وقالوا لا حكم لأفعال العقلاء قبل الشرع ،

وأرجع من سواهم الأحكام التي جاءت بالشرع بحسب درجتها في ميزان التكليف بين الوجوب وغيره الى نفس الدرجة والمرتبة ولكن أثبتوها قبل الشرع! وهذا هو قول المعتزلة الذي نقله عنهم الآمدي بقوله (إن استوى فعله وتركه في النفع والضرر سموه مباحا وإن ترجح فعله على تركه فإن لحق الذم بتركه سموه واجبا وسواء كان مقصودا لنفسه كالإيمان أو لغيره كالنظر المفضي إلى معرفة الله تعالى وإن لم يلحق الذم بتركه سموه مندوبا وما قبحه العقل فإن التحق الذم بفعله سموه حراما وإلا فمكروه ...[١١٠].

وعلى مقولتهم هذه فإن الأفعال تتردد بين الإيجاب والحظر والإباحة، ومنهم من اختار الحظر ومنهم من اختار الإباحة فدونك أدلة هذه الأقوال في مسألة أفعال العقلاء وما سواها من الأشياء المنتفع بها:

<u>أورد القائلون بأنها على الإباحة:</u>

١- بأنه لابد من فعلٍ أو ترك أو حركة أو سكون ، فإن منعتم الكل اوجبتم المحال والممتنع[١١١].

٢- قد يوصف الفعل بأن الإقدام عليه فقط مباح وإن كان محظورا تركه كوصفنا المرتد بأنه مباح الدم ومعناه أنه لا ضرر على من اراق دمه ولا تبعة وإن كان الإمام ملوما بترك إراقته ودليلنا على أن الانتفاع بالمآكل مباح في العقل هو أن الانتفاع بها منفعة ليس فيه وجه من وجوه القبح وكل ما هذه سبيله فحسنه معلوم والعلة في حسن ما هذه سبيله هي أن المنفعة تدعو إلى الفعل وتسوغه إذ هي غرض من الأغراض فاذا انتفى وجوه عنها تجرد ما يقتضي الحسن أما أن أكل الفاكهة منفعة فلا شبهة فيه ولا شبهة في انتفاء وجوه القبح عنه نحو الكذب والجهل وكفر النعمة أو مضرة على النفس أو على الغير لأنا إنما تكلمنا في أكل

ما لا مضرة فيه ولو كان فيه مفسدة لدلنا الله وليس في العقل دليل عليها ولا في السمع[١١٢].

٣- إن الأصل في النفع أن يكون حسنا وأن يكون خالصا إذا لم يعلم فيه مضرة ووجه قبح، فإذا كان كذلك وجب متى لم يخبرنا الله أن الفعل مفسدة، أن نقطع على أنه ليس بمفسدة، يعلم إن النفع يدعو إلى الفعل ويقتضي حسنه إذا خلا من وجوه القبح وخلا من أمارة الضرروالمفسدة[١١٣].

٤- خلق الله تعالى الطعوم في الأجسام مع إمكان أن لا يخلقها فيها، يقتضي أن يكون له فيها غرض يخصها وإلا كانت عبثا ويستحيل أن يعود إليه ذلك الغرض بنفع أو دفع ضرر لاستحالتهما عليه ولا يجوز أن يعود على غيره بضرر لأنه قد لا يكون فيها ضرر ولأنها إنما تضر بإدراكها وفي ذلك إباحة إدراكها ولأنه لا يحسن أن يكون غرضه الإضرار الخالص بمن لا يستحق الإضرار فوجب أن يكون الغرض بإدراكها نفعا يعود إلى غيره إما بأن يدركها أو بأن يجتنبها لكون تناولها مفسدة فيستحق الثواب بإدراكها وإما بأن يستدل بها وفي ذلك إباحة إدراكها لأنه إنما يستحق الثواب بتجنبها إذا دعت النفس إلى إدراكها وفي ذلك تقدم إدراكها وإنما يستدل بها إذا عرفت والمعرفة بها موقوفة على إدراكها لأن الله تعالى لم يخلق فينا المعرفة بها من دون الإدراك فصح أنه لا فائدة فيها إلا الإباحة للانتفاع بها وذلك يقتضي أن يركب الله في العقول إباحة الانتفاع بتلك الأجسام ليعلم حصول الطعوم فيها فينتفع بها بأحد هذه الوجوه[١١٤].

٥- إننا قد علمنا إباحة إنتفاعنا بما يصح نفعنا به ولا ضرر على أحد فيه كالتنفس في الهواء والمشي لضوء القمر والشمس وما جرى مجرى ذلك،[١١٥] فهو إنتفاع خال عن أمارة المفسدة ومضرة المالك فتباح كالإستظلال بجدار الغير والإقتباس من ناره[١١٦].

<u>وأما القائلون بأنها على الحظر فقد إستدلوا بما يأتي:</u>

١. إنها ملك لله تعالى ولا يجوز التصرف في ملكه إلا بإذنه ، فإذا لم يرد أذنه في التصرف فيها كانت محظورة ممنوعة كأملاك الآدميين[١١٧].
٢. إننا إذا أقدمنا على الإنتفاع بهذه الأعيان لم نأمن أن يعاقبنا الله تعالى على ذلك فيجب أن يجتنب ذلك خوفاً من العقوبة على فعله[١١٨].

وكذلك أورد الجمهور أدلتهم والتي هي تكملة لأدلة نفي الحسن والقبح إن صح التعبير، وذلك تعضيداً لرأيهم بالتوقف في هذه المسألة، وجاء فيها:

١. قول الله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) [الإسراء :١٥] ووجه الدلالة منه أنه أمنٌ من العذاب قبل بعثة الرسل وذلك يستلزم انتفاء الوجوب والحرمة قبل البعثة وإلا لما أمن من العذاب بتقدير ترك الواجب وفعل المحرم إذ هو لازم لهما وأيضا قوله (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[النساء:١٦٥] ومفهومه يدل على الاحتجاج قبل البعثة، ويلزم من ذلك نفي الموجب والمحرم[١١٩].
٢. "إجماع المسلمين على أن الحاظر والمبيح هو الله تعالى ولو كان العقل يوجب ويحظر ويبيح لما جاز أن يوصف الباري سبحانه بأنه آمر ولا ناه ولا حاظر ولا مبيح [١٢٠]".
٣. "إنه ليس في العقل حُسنُ حَسَن ولا حظر محظور ولا إباحة مباح ولا وجوب واجب ، لأنه لو كان كذلك لم يخل أن يعلم بضرورة العقل أو بدليله ، ولا يجوز أن يعلم ذلك بضرورة العقل... لأن ما علم بالضرورة لا يتفق العدد الكثير والجم الغفير على إنكاره... ولما رأينا كثيرا من العقلاء ينكرون ما إدعوه من ذلك بطل أن يكون معلوماً بضرورة العقل...[١٢١]".
٤."إن ثبوت الحكم إما بالشرع أو بالعقل بالإجماع ، ولا شرع قبل ورود الشرع، والعقل غير موجب ولا محرم.. فلا حكم[١٢٢]".

<u>ثم قال المعتزلة رداً على من إختار الوقف:</u>

إن قولكم باطل بما ذكرناه لأنه إما أن تقولوا لو انفرد العقل لاستحق من أقدم على المنافع الذم فنجعلها محظورة أو تقولوا لا يستحق الذم فنجعلها مباحة فاذا صح أن من الأشياء ما هو على الحظر ومنها ما هو على الإباحة كان ذلك أصلا في الدلالة على إباحة المباح منها وحظر المحظور إذا لم تنقلنا عنه الأدلة الشرعية[١٢٣].

وقد أراد المعتزلة بكلامهم هذا أن يقولوا للجمهور من الأشاعرة وغيرهم ممن إختاروا الوقف:

بأن الأفعال إن كانت ممنوعاً منها فهي محرمة، وإلا فتكون مباحة ولا واسطة بين النفي والإثبات!!

ورُدَّ ذلك بأن عدم الحرمة لا يوجب الإباحة؛ لأن عدم الحرمة هو: عدم المنع من الفعل ، وعدم المنع من الفعل أعم من الإذن في الفعل ، والأعم لا يوجب الأخص ، فلا تتحقق الإباحة... فجواز الفعل مبني على الإذن ، وعدم المنع من الفعل لا يستلزم الإذن[١٢٤].

وكذلك رد الجمهور على ما إستدل به المعتزلة ثم إنهم جمعوا في ردهم لمسألتي حكم أفعال العقلاء والإنتفاع بالأعيان قبل الشرع حظراً أو إباحةً، فقالوا رداً على من قال بالإباحة:

إن المباح يستدعي مبيحا كما يستدعي العلم والذكر ذاكرا وعالما والمبيح هو الله تعالى إذا خير بين الفعل والترك بخطابه فإذا لم يكن خطاب لم يكن تخيير فلم تكن إباحة وإن عنوا بكونه مباحا أنه لا حرج في فعله ولا تركه فقد أصابوا في المعنى وأخطأوا في اللفظ فإن فعل البهيمة والصبي والمجنون لا يوصف بكونه مباحا وإن لم يكن في فعلهم وتركهم حرج والأفعال في حق الله تعالى أعني ما يصدر من

الله لا توصف بأنها مباحة ولا حرج عليه في تركها لكنه انتفى التخيير من المخير انتفت الإباحة(١٢٥).

وأما مذهب أصحاب الحظر فأظهر بطلانا إذ لا يعرف حظرها بضرورة العقل ولا بدليله ومعنى الحظر ترجيح جانب الترك على جانب الفعل لتعلق ضرر بجانب الفعل فمن أين يعلم ذلك ولم يرد سمع والعقل لا يقضي به بل ربما يتضرر بترك اللذات عاجلا فكيف يصير تركها أولى من فعلها وقولهم إنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو قبيح فاسد لأنا لا نسلم قبح ذلك لولا تحريم الشرع ونهيه ولو حكم فيه العادة فذلك يقبح في حق من تضرر بالتصرف في ملكه بل القبيح المنع مما لا ضرر فيه ثم قد بينا أن حقيقة درك القبح ترجع إلى مخالفة الغرض وأن ذلك لا حقيقة له(١٢٦).

وأما قولهم بأنها ملك لله تعالى ولا يجوز الإنتفاع بها فقد أجيب عنه:

بأن أنفسنا ملك لله عز وجل ، وفي منعها الأقوات والتناسل إبطال للنوع الإنساني ، وفي ذلك إبطال ملك لله عز وجل كثير، وإتلاف مملوكات له كثيرة ، وهذا فسخ لأصلك ، فيكون الإتلاف على قولك حاظراً مبيحاً في حالة واحدة ، وهذا لا يعقل(١٢٧).

وقيل لهم أيضاً أنتم تلزمون الأضداد التي لا انفكاك عن جميعها وليس يتحقق العرو عن جملتها فإن حظرتم جميعها كان ذلك تكليف مالا يستطاع وإن خصصتم بالحظر شيئا عن شيء من غير تقبيح العقل وتحسينه لم يخف سقوط هذا المذهب وإن خصصتم الحظر بما تعتقدون جواز الخلو عنه أصلا فمرجعكم إلى أن التصرف في ملك الغير من غير إذنه قبيح وهو مردودٌ(١٢٨).

ثم يقال لهم أيضاً أن من ملك بحرا لا ينزف واتصف بالجود واستغنى عن وجود الملك ومملوكه عطشان لاهث والجرعة تروية والنفية من الماء تكفيه ومالكه

ناظر إلى عطشه فلا يدرك بالعقل تحريم القدر النزر من البحر الذي لا ينقصه ما يؤخذ منه نقصا محسوسا..(١٢٩).

وبعد هذا العرض والمناقشة لآراء المذاهب والفرق المختلفة وطرح أغلب ما قيل في هذه المسألة فإن القول المختار فيها هو:

القول بمذهب التوقف عن إصدار حكمٍ لأفعال العقلاء وما إنتفعوا به قبل ورود الشرع وذلك لأن الحكم لا يأتي إلا بتشريع من الله سبحانه وتعالى ولا دخل للعقل فيه، ومما يستأنس به لتوجيه هذا الرأي هو إن الناس كانوا على أحوال مختلفة في المعيشة والمعاملات والمناكح وغيرها كثير، ثم جاء الإسلام فأقرَّ لهم شريعة ودستوراً جديداً لكل أحوالهم وإنسلخوا مما كانوا عليه من أحكام الجاهلية إلا ما أقرهم عليه، وفي مقابل ذلك فإنهم لم يُسألوا عن حكم شيء قبل الإسلام ولم يؤاخذوا بفعل أصبح بعد التشريع محرماً عليهم سواءاً أكان إعتقاداً أو عملاً، كعبادة الأوثان والجمع بين الأختين ونكاح زوجة الأب المتوفي عنها ووأد البنات والقروض الربوية وشرب الخمور وغيرها، فَجَبَّ الإسلامُ ذلك كله ولم يحكم على أفعال العقلاء قبل الشرع ولا على ما كانوا ينتفعون به، حظراً أو إباحةً ولم يرد إلزام أحد بثواب أو عقاب ... والله تعالى أعلم.

ثمرة الخلاف

يُقصد بثمرة الخلاف هنا: هي المفاهيم التي فُرضت وأُلزم بها أصحاب الفرق وما بُني من إختلاف بين المذاهب بناءاً على رأيهم ومقولتهم في مسألة التحسين والتقبيح عامة ، إذ ترتب على هذا الخلاف ما يأتي:

أولا: من لم تبلغه دعوة الإسلام أو دعوة الرسل على وجه العموم ، فعند المعتزلة: يؤاخذ بفعله، ويحاسب على إعماله ، لأن المطلوب منه فعل ما أدرك العقل حسنه ، وترك ما أدرك العقل قبحه، وهذا هو حكم الله.

وعند الأشعرية والماتريدية ومن وافقهم : لا حساب ولا ثواب ولا عقاب على من لم تبلغه الدعوة.

ثانياً: بعد ورود شريعة الإسلام ، لا خلاف بين العلماء في أن حكم الله يدرك بواسطة ما جاء عن الله في كتابه ، أو ما جاء في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكلاهما قام النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه.

ولكن إذا لم يكن في المسألة حكم من الشرع ، فإن القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين: قالوا بأن العقل يكون مصدراً للأحكام ، بمعنى: أن المسألة التي لم يرد في الشرع حكم لها ، يكون حكمها الوجوب إذا أدرك العقل حسنها ، ويكون حكمها الحرمة إذا أدرك العقل قبحها لأن حكم الله مبناه ما في الأفعال من حسن أو قبح ، فإذا لم يرد في الشرع حكم لمسألة ما فمعنى ذلك : أن الشارع أذن لنا أن نرجع إلى العقل لنستمد منه الحكم بناءا على ما في الفعل من حسن أو قبح.

وعلى رأي الجمهور من الأشاعرة ومن وافقهم لا يكون العقل مصدراً للأحكام وإنما يؤخذ الحكم من مصادر الفقه الثابتة وليس العقل منها[١٣٠].

ـــ وكذلك فإن الإختلاف في كون العقل مدركا لمعرفة الحسن والقبح ومستلزما للثواب والعقاب قد تفرع على أصله خلاف في بعض الأحكام والمسائل الشرعية بين المذاهب[١٣١]:

فقد إختلف الأحناف والشافعية في بعض المسائل بناءا على هذا الأصل:

ـــ **ومنها إن إسلام الصبي المميز** لا يصح عند الشافعية؛ لأن الإسلام لا يعقل إلا بعد تقدم الإلزام كما لا يعقل الجواب إلا بعد تقدم الخطاب فإنه من أسماء الشبه والإضافة والإسلام عبارة عن الاستسلام والإذعان والابتداء بالتبرع لا يسمى إسلاما ولا انقيادا كما إن الابتداء بالكلام لا يسمى جوابا والإلزام منتف في حق الصبي فانتفى الإسلام[١٣٢].

جاء في الحاوي الكبير أنه" لو أسلم أولاد أهل دار الحرب قبل البلوغ لم يكن لإسلامهم حكم ولم يصح من الصبي إسلام ولا ردة"[١٣٣].

وجاء في المهذب" وإن وصف الإسلام صبى عاقل من أولاد الكفار لم يصح إسلامه على ظاهر المذهب"[١٣٤].

وذهب أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه إلى صحة إسلامه؛

بناءا على أن اللزوم يثبت عقلا والعقل يوجب على الصبي والبالغ إذا كان الصبي عاقلا[١٣٥].

فقد جاء في المبسوط قولهم" وإن أسلم صبي على يدي رجل صح إسلامه لأن ما ظهر له من العقل والتمييز يثبت فيما يتمحض منفعة له دون ما يتردد بين المنفعة والمضرة والإسلام يتمحض منفعة له فيصح منه"[١٣٦].

وجاء عندهم أيضاً: "أنه لو أسلم الصبي وهو عاقل أي ابن سبع سنين صلي عليه لصيرورته مسلما"[١٣٧].

ـ **ومنها أنه إذا نذر صوم العيد** وأيام التشريق لا ينعقد نذره ولا يصح صومه فيها عند الشافعية للنهي الوارد فيه[١٣٨].

جاء في المجموع" إذا نذر صوم يوم الفطر أو الأضحى أو التشريق وقلنا بالمذهب إنه لا يجوز صوم التشريق لم ينعقد نذره ولم يلزمه بهذا النذر شيء"[١٣٩].

وعند الأحناف يصح بناء على أن الصوم عبادة مأمور بها والأمر به يدل على كونه حسنا فيستحيل إن ينهى عنه فيجب صرف النهي إلى معنى وراءه كترك إجابة الداعي مثلا [١٤٠].

جاء في البحر الرائق "ولو نذر صوم هذه السنة أفطر اياماً منهية وهي يوما العيد وأيام التشريق وقضاها، لأن النذر بهذه السنة المعينة نذر بهذه الأيام لأنها لا تخلو عنها والنذر بالأيام المنهية صحيح مع الحرمة عندنا"[١٤١].

وجاء في المبسوط: وإن نذر صوم سنة بعينها أفطر يوم النحر ويوم الفطر وأيام التشريق، لأن الصوم في هذه الأيام منهي عنه شرعا ... وعليه الإيجاب بنذره لا رفع المنهي ثم عليه قضاء هذه الأيام عندنا[١٤٢].

وكذا قال ابن عابدين : فإن المذهب أن نذر صوم يوم العيد ينعقد ويجب الوفاء بصوم يوم غيره ولو صامه خرج عن العهدة [١٤٣].

ومنها أن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض غير مقبولة عند الشافعية لتهمة الكذب[١٤٤].

فقد جاء في الأم قولهم" ونَحْنُ... لَا نُجِيزُ شَهَادَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِيمَا بَيْنَهُم"[١٤٥].

وعند الأحناف تقبل لأن قبح الكذب ثابت عقلا وكذلك حسن الصدق وكل ذي دين يجتنب ما هو محظور دينه وعقله ظاهرا[١٤٦].

جاء في المبسوط:" إن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة وشهادتهم على المسلمين مردودة"[١٤٧].

وكذا قال صاحب الهداية " تقبل شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض وإن اختلفت مللهم"[١٤٨].

وبعد ذكر هذه الإختلافات والإشارة الى أصولها، توضح للقارئ إمتداد الخلاف الذي يرتكز على تبويب عقلي الى ما بعد ورود الشريعة وتحقيق النصوص، في مختلف المذاهب وهذا يَردُّ ويشير الى عدم أنكار إدراك العقل لفروع الأحكام جملة وتفصيلاً.

وتتمة الكلام في هذا المقام هي إن " إنكار مجرد إدراك العقل لكون الفعل حسناً أو قبيحاً مكابرة ومباهتة ، وأما إدراكه لكون ذلك الفعل الحسن متعلقاً للثواب، وكون ذلك الفعل القبيح متعلقاً للعقاب فغير مسلم، وغاية ما تدركه العقول إن هذا الفعل الحسن يُمدح فاعله، وهذا الفعل القبيح يُذم فاعله، ولا تلازم بين هذا وبين كونه متعلقاً للثواب والعقاب"[١٤٩].

الخاتمة

بعد تتبع هذا الموضوع وإستقراء آراء العلماء وأقوالهم في مسائله وما أحاط به من التفريعات خَلُصت هذه الدراسة إلى ما يأتي:

١. الحاكم في التشريع الإسلامي هو الله سبحانه وتعالى وحده، ولا حكم إلا ما حكم به ، وجاء في كتابه وعلى لسان نبيه، وما تفرع عنهما من قوانين أُسِّست وفقاً لمقاصد وضوابط الشريعة الإسلامية.

٢. والحاكم من حيث التعريف: هو الشارع ، وهو الذي يحكم على أفعال العباد بالحِلِّ والحُرمة، والقبول وعدمه، ويثيب ويعاقب عليها وهو الذي يشرع الأحكام ويكلف بها العباد وهو الله سبحانه وتعالى.

٣. إن المعتزلة قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين، بمعنى إن العقل يدرك حسن الحسن وقبح القبيح بفطرته ، ثم إن فاعل الحسن يستحق المدح وفاعل القبيح يستحق الذم ويوصف بهما في الدنيا.

٤. لم يثبت بكلام صريح ونص صحيح إن المعتزلة يقولون بترتب الثواب والعقاب في الآجل على أساس مقولتهم في التحسين والتقبيح، ولكن أُلزموا بهذه المقولة على أساس فرضياتهم في الحسن والقبح.

٥. لا يختلف رأي المعتزلة عن رأي الجمهور في مسألة الثواب والعقاب الأُخروي، نعم إنهم يقولون بالتحسين والتقبيح، ولكن لا تلازم بين الأمرين كما صرح بذلك غير واحد من العلماء .

٦. لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود الشرع لا بحل ولا بحرمة ، فلا حظر ولا إباحة ولا إيجاب ولا غيره وعلى هذا فلا ثواب ولا عقاب.

٧. إن شكر المنعم هو: استعمال جميع ما أنعم الله تعالى على العبد فيما خُلق لأجله كصرف النظر الى مشاهدة مصنوعاته ليستدل بها على صانعها والسمع

إلى تلقي أوامره وانذاراته واللسان على التحدث بالنعم والثناء الجميل على موليها.

٨. إن شكر المنعم عند الجمهور لا يجب إلا بالشرع ، ونُقِل عن المعتزلة أنهم قالوا إنه يجب عقلا، لأنهم يقولون لو تبرأ العقل من الدخول في كل ما له علاقة بالتشريع، فكيف سَيُصدق الانبياء ويؤمن الناس بالنبوات إذا لم تُؤيد عقولهم التسليم للمعجزات التي جاء بها هؤلاء الأنبياء، وقالوا لو قلنا به لإستلزم ذلك الدور.

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين احمد بن فارس زكريا،ت٣٩٥هـ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان ط/٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ٩١/٢.

(٢) جمهرة اللغة ،أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ت٣٢١هـ ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ابراهيم شمس الدين ،منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط/١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م،٥٦٤/١.

(٣) مختار الصحاح، للإمام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ت٢٩٣هـ ط/١، ١٤١٠هـ.١٩٩٠م ٦٢/١.

(٤) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور ت٧١١هـ، طبعه وراجعه وصححه نخبة من الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة ،١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م،٥٣٩/٥.

(٥) تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن احمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار الأحياء للتراث العربي، بيروت لبنان، ط/١، ٤٩٦/١.

(٦) لسان العرب ١٤٢/١٢.

(٧) ينظر: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب في اصول الفقه، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت٧٧١هـ، تحقيق د. محمد عبد الرحمن مخيمر عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ،ط/١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ١٧٩، البحر المحيط للزركشي وهو بدر الدين محمد بن عبد الله الشافعي (٧٤٥ـ٧٤٩هـ) قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه د. سليمان الاشقر، ط/١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م،١٣٤/١، الذخيرة ، تأليف شهاب

الدين احمد بن ادريس القرافي ،تحقيق محمد اخجي، دار الغرب، بيروت . لبنان،١٩٩٤م ،٧٢/١، والتقرير والتحبير، شرح العلامة المحقق ابن امير الحاج الحلبي ت ٨٧٩هـ، على التحرير في اصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية للإمام محمد بن عبد الواحد بن عد الحميد السيواسي ثم السكندري و كمال الدين ابن الهمام الحنفي ت ٨٦١هـ ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت .لبنان ط/١، ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م، ١١٥.

(٨) المعتزلة: فرقة كلامية تنسب الى واصل بن عطاء، ومن أعلامها عمرو بن عبيد والقاضي عبد الجبار المعتزلي، ويتفرقون الى سبعة عشر فرقة تتفق كلها على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة وعلى أن القرآن محدث ومخلوق وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العبد، ينظر، إعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤٠٢هـ، ٣٨/١-٤٠ ، المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – لبنان – بيروت ط١،– ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ٦٥٤/٣ وما بعدها، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت ط٢، – ١٩٧٧، ١٨/١ وما بعدها ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة ٨٩/٢ وما بعدها.

(٩) البحر المحيط في أصول الفقه :١٣٤/١ .

(١٠) شرح العضد، للقاضي عضد الملة والدين عبد الرحمن بن الايجي ت٧٥٦هـ على مختصر المنتهى الأصولي للإمام إبي عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن ابي بكر المعروف بابن الحاجب المالكي ت ٦٤٦هـ ضبطه ووضع حواشيه فادي نصيف وطارق يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط/١، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م،٦٥.

(١١) ينظر: المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين محمد بن علي الطيب البصري المعتزلي ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٤م،قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس مدير الأزهر لبنان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ٣١٥/٢، شرح المنهاج في علم الأصول، شمس الدين محمود عبد الرحمن الاصفهاني، قدم له وحققه د.عبدالكريم النملة، مكتبة الرشيد، السعودية الرياض، ط١ ،١٩٩٠م ،١١٩/١، شرح العضد٦٥.

(١٢) **الماتريدية**: من بلاد ما وراء النهر، وهم أصحاب أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياض ، وما تريد من قرى سمرقند، وقد اختلافهم مع الأشاعرة في بعض الأصول كمسئلة التكوين ومسئلة الاستثناء في الإيمان ومسألة إيمان المقلد وغير ذلك والمحققون من الفريقين لا ينسبون أحدهما إلى البدعة والضلالة خلافا للمبطلين المتعصبين، ينظر، شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية – باكستان – ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م،٢٧١/٢.

(١٣) **الزيدية** ، سموا بذلك نسبة الى زيد بن علي زين العابدين، وهم ثلاث طوائف الأولى الجارودية أتباع أبي الجارود وهم يطعنون في أبي بكر وعمر، والثانية السليمانية وينسبون الى سليمان بن جرير، وهم يعظمون أبا بكر وعمر

ويكفرون عثمان، وهؤلاء كلهم من فرق الرافضة ، وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب في ايام خروجه وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك.. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٢، ٥٢/١، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢ – ١٩٧٧، ١١/١.

(١٤) **الجعفرية** وهم أتباع جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وهما كانا أصلين في الجهالة والضلالة ،كان جعفر بن مبشر يقول فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وكانوا يقولون بأن الإمامة انتقلت من الحسن العسكري الى أخيه جعفر ..ينظر الفرق بين الفرق،١٥٣/١، إعتقادات فرق المسلمين،٥٥/١.

(١٥) التقرير والتحبير٢/ ١١٥، المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت ٥٠٥هـ ،تحقيق وتعليق د. محمد سليمان الاشقر ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان، ط/١ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م ،١١٢/١، المحصول في أصول الفقه، القاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي ، تحقيق: حسين علي البدري – سعيد فودة ، دار البيارق – عمان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩، ط١،٢١/١، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

، ١٧٢/١، وإرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، دار الفكر – بيروت ، ط١– ١٤١٢ – ١٩٩٢،٧٣،الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث – القاهرة – ط١، ١٤٠٤هـ، ٧٣/١ و٤٧٧/٤.

(١٦) الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ – ١٤٠٤هـ، ٧٣/١.

(١٧) البحر المحيط ١٣٨/١.

(١٨) المعتمد في أصول الفقه،٣١٥/٢، وينظر المصادر السابقة.

(١٩) ينظر: فواتح الرحموت ، للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري الهندي ت ١٢٢٥هـ بشرح مسلم الثبوت في الفروع الحنفية تحقيق محب الله بن عبد الشكور البهاري الهندي ت ١١١٩م ، دار الاحياء للتراث الاسلامي ط/الاولى١٤١٨هـ .١٩٩٨م ٣١/١.

(٢٠) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤٠٤،١/٣٤، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت ١١٧/٢.

(٢١) ينظر مفتاح دار السعادة،١١٧/٢.

(٢٢) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، حققه وقدم له الدكتور، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط٣، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، ص٥٦٤.

(٢٣) هو: محمد بن علي بن الخطيب أبو الحسين البصري المتكلم شيخ المعتزلة، والمنتصر لهم والمحامي عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة، وكان من أذكياء زمانه توفي ببغداد في ربيع الآخر وكان يقرىء الاعتزال ببغداد وله حلقة كبيرة، توفي سنة ٤٣٦هـ، ينظر في ترجمته: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف – بيروت، ٥٣/١٢–٥٤،العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ط٢، ١٩٨٤م، ١٨٩/٣.

(٢٤) المعتمد في أصول الفقه،٣١٥/٢.

(٢٥) ينظر: المواقف عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – لبنان – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى ٢٦٢/٣.

(٢٦) المواقف ٢٦٢/٣.

* هو الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازي أفضل المتأخرين وسيد الحكماء المحدثين قد شاعت سيادته وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته وكان إذا ركب يمشي حوله ثلثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم..ينظر، سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي

مؤسسة الرسالة – بيروت –ط٩ ،١٤١٣هـ، ٤٨٥/٢١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة – بيروت، ٤٦٢/١.

(٢٧) المحصول ١٥٩/١-١٦٠، وينظر: تيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر – بيروت ١٥٢/٢ وما بعدها، والتقرير والتحبير ١١٥/٢وما بعدها، وإرشاد الفحول١٢-١٣،والتمهيد٢٩٤/٤، وشرح العضد٦٥.

(٢٨) تخريج الفروع على الأصول، محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: د. محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة – بيروت –ط٢، ١٣٩٨هـ، ٢٤٦/١.

(٢٩) المعتمد ٣٣٤/١-٣٣٦، ونُقِل ذلك عنهم في المحصول ١٥٩/١-١٦٠، وفي التلويح على التوضيح ٣٢٥/١.

(٣٠) الأشاعرة هم : فرقة كلامية إسلامية تنسب الى أبي الحسن الأشعري، وهو علي بن إسماعيل بن إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، رئيس الأشاعرة واليه ينسبون ، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، ينظر: الملل والنحل، تأليف، محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر الشهرستاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٤هـ، **٩٤/١**. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف عبد الحي بن

أحمد العكبري، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار أبن كثير بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٥م ٣٠٣/٢.

(٣١) ينظر البحر المحيط١٣٤/١ وما بعدها، المستصفى ٤٥/١ وما بعدها، شرح المنهاج للبيضاوي ١١٩/١وما بعدها، الذخيرة ٧١/١، شرح العضد ص٦٥،إرشاد الفحول ص١١-١٢، التمهيد ٢٨٦/٤وما بعدها ،المسودة في أصول الفقه، تأليف: عبد السلام، عبد الحليم، أحمد بن عبد الحليم آل تيمية، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المدني – القاهرة، ص ٣٢٤ وما بعدها، التقرير والتحبير ١١٥/٢-١١٧.

(٣٢) ينظر: المعتمد ٣١٥/٢ وما بعدها ، قواطع الأدلة في الأصول، أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ٤٦/٢وما بعدها.

(٣٣) ينظر: البحر المحيط ١٤٦/١، إرشاد الفحول ص١٤. إجابة السائل شرح بغية الآمل ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ،مؤسسة الرسالة – بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٦م، ٢٢٣/١-٢٢٤.

(٣٤) ينظر: قواطع الأدلة للسمعاني ٤٦/٢وما بعدها.

(٣٥) البحر المحيط ١٣٩/١.

(٣٦) ينظر، المصدر نفسه ١٤٠/١.

(٣٧) ينظر: الإحكام للآمدي ٧٦/١، والمستصفى٤٥/١.

(٣٨) ينظر: المصدر نفسه ٧٦/١.

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه ٧٦/١.

(٤٠) المعتمد ٢/٣١٥-٣١٦.

(٤١) ينظر التمهيد٤/٢٩١.

(٤٢) قواطع الادلة للسمعاني٢/٤٦.

(٤٣) البحر المحيط ١/١٠٨.

(٤٤) الإحكام للآمدي ١/٧٧ وما بعدها.

(٤٥) البحر المحيط١/١٣٧.

(٤٦) المستصفى ١/٤٩.

(٤٧) الذخيرة،١/٧٢.

(٤٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت – ط٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ١/٢٣٦-٢٣٧،وينظر،وإرشاد الفحول ص١٤.

(٤٩) ينظر: مدارج السالكين ١/٢٣١-٢٣٢ ،وينظر، مفتاح دار السعادة٢/٤٣-٤٥، إجابة السائل شرح بغية الآمل تأليف، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ،مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، ١٩٨٦م، ١/٢٢٣-٢٢٤، غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف – القاهرة١٣٩١ هـ ،١/٢٣٣-٢٣٦،وإرشاد الفحول ص١٤.

(٥٠) ينظر: مدارج السالكين ١/٢٣٢-٢٣٥ وإرشاد الفحول ص١٤.

(٥١) ينظر: مدارج السالكين /٢٣٥-٢٣٦.

(٥٢) المعجم الكبير – الطبراني ،سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني مكتبة العلوم والحكم – الموصل ط٢، ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٣م،١٧/٤، رقم الحديث ١٣٩٣٨.

(٥٣) ينظر: إجابة السائل ١/٢٢٢-٢٢٤.

(٥٤) ينظر: المصدر نفسه ١/٢٢٢-٢٢٤.

(٥٥) المصدر : المصدر نفسه ١/٢٢٣-٢٢٥.

(٥٦) شرح الأصول الخمسة ص٥٦٥.

(٥٧) المصدر نفسه ص٨٥.

(٥٨) سُمِّيت في بعض كتب الأصول بمسألة شكر الخالق، ينظر المحصول للرازي ١/٤٩.

(٥٩) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١/٣٥٢، رقم الحديث٤٨٦، السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠ هـ– ١٩٨٩م، ، أخرجه البيهقي في باب القنوت في الوتر وفي النصف الأخير من الليل برقم٨٢٣،ج١/٤٧٠.

(٦٠) كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ،١٩٩٨م تحقيق: عدنان درويش ، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م١/٥٣٤_٥٣٧.

(٦١) كتاب الكليات١/٥٣٦-٥٣٧.

(٦٢) التقرير والتحبير ٢/١٣٠.

(٦٣) البحر المحيط١/١٤٩.

(٦٤) أضواء البيان ٢/٣٦٠.

(٦٥) ينظر: شرح الأصول الخمسة ص٧٧.

(٦٦) المصدر نفسه ص٨٠.

(٦٧) المصدر نفسه ص ٨١.

(٦٨) المصدر نفسه ص٨٢.

(٦٩) ينظر: الغنية في أصول الدين، أبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٧م، ط١، ١/١٣٨، والمحصول للرازي١/١٩٣.

(٧٠) أورد الزركشي ان جماعة من قدماء الشافعية قد وافقوا المعتزلة في هذا المذهب ومنهم ابو العباس بن القاص والقفال الشاشي وأبو بكر الصيرفي وابو الحسين بن القطان، ثم أورد ايضا بانهم رجعوا في آخر أيامهم عن هذا القول، ينظر في ذلك البحر المحيط ١/١٤٩–١٥١.

(٧١) ينظر: البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، مصر– ١٤١٨هـ، الطبعة، الرابعة،١/٨٤، المستصفى١/٤٩،والبحرالمحيط١/١١٦،وتيسير التحرير ٢/١٩٥.

(٧٢) ينظر: الإبهاج ١/١٣٨، والمسودة٣٢٤،والإحكام لابن حزم ٤/٤٧٧،والمحصول في اصول الفقه ، للقاضي ابي بكر بن العربي المالكي ،تحقيق حسين علي البدري، سعيد فودة، دار البيارق ،عمان– الاردن ، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م،١/١٩٣.

(٧٣) التقرير والتحبير ٢/١٣٠.

(٧٤) ينظر: المحصول لابن العربي ، ١/١٩٣.

(٧٥) المحصول للرازي ١/٢٠١، المستصفى١/٤٩ومابعدها ، البحر المحيط١/١١٦.

(٧٦) المسودة في أصول الفقه ص٣٢٤.

(٧٧) ينظر: التمهيد ٤/٣٩٤ وما بعدها، قواطع الأدلة في الأصول،٢/٣٩٨.

(٧٨) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ،٤/ ٤٧٧وما بعدها.

(٧٩) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ،٤/ ٤٧٧وما بعدها.

(٨٠) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، محمد بن فتوح الحميدي دار ابن حزم – لبنان/ بيروت ،ط٢ – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م،٤/١٣١، رقم الحديث ٣٣١٣.

(٨١) كشف الاسرار شرح المصنف على المنار، للإمام ابي بركات عبد الله بن احمد معروف بالحافظ الدين الدمشقي ت ٧١٠ هـ مع شرح نور الانوار على المنار لمولانا شيخ احمد المعروف بملا جيون ابن ابي سعيد عبيد الله الحنفي الصديقي صاحب الشمس البازغة ت ١١٣٠ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان٢/٥١٨.

(٨٢) صب العذاب على من سب الاصحاب ،ابي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن ابي الثناء الالوسي ت١٣٤٢هـ ،تحقيق عبد الله زبور شعيب البخاري المغربي، ط/الاولى ،٢٠٠٤م ،١/٣٥٧وما بعدها.

(٨٣) شرح الأصول الخمسة ص٨٤.

(٨٤) المصدر نفسه ص٨٧.

(٨٥) الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ولد سنة ٤٥٠هـ وتفقه على امام الحرمين وله مصنفات كثيرة منها احياء علوم الدين توفي سنة ٥٠٥هـ ، ينظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف – بيروت ١٧٣/٢.

(٨٦) المنخول في تعليقات الأصول ، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ ،تحقيق د. محمد حسن هيتو ط/٢، دار الفكر دمشق، ٤٨٤/١.

(٨٧) المصدر نفسه٤٨٤/١.

(٨٨) البحر المحيط للزركشي ١٦٤/١.

(٨٩) البرهان ٨٨٠/٢-٨٨١.

(٩٠) ينظر: قواطع الادلة ٣٥/٢

(٩١) ينظر : التقرير والتحبير١٢٧/٢،إحكام الفصول في أحكام الأصول: أبي الوليد خلف بن سليمان الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي بيروت-لبنان ط٦٨٧/٢،٢ الفقرة٧٤٢وشرح العضد ص٧١،والمستصفى ٥١/١ والإحكام للآمدي١٣٠/١والبحر المحيط ١٥٢/١،التمهيد٢٦٩/٤، الاحكام لابن حزم ٧٣/١.

(٩٢) البرهان ٨٦/١-٨٧.

(٩٣) ينظر، المستصفى ٤٥/١-٥١، المنخول١٩/١.

(٩٤) المسودة٤٣١/١.

(٩٥) الإحكام لابن حزم،٥٢/١.

(٩٦) كشف الاسرار،١٤٥/٣.

(٩٧) الإبهاج ١٥٥/١.

(٩٨) الإحكام للآمدي ١٣٠/١.

(٩٩) المعتمد ٢٢٧/٢-٢٢٩.

*ومن أشهرهم بشر بن المعتمر وهو مؤسس فرع بغداد، وأحمد بن أبي داود ، والخياط، والبلخي.

(١٠٠) المعتمد ٣١٥/٢، شرح المنهاج ١٢٩/١، البحر المحيط ١٥٥/١.

** أبو بكر **الأبهري**، هو محمد بن عبدالله بن صالح يخرج إلى زيد مناة ابن تميم سكن بغداد وحدث بها عن جماعة منهم أبو عروبة الحراني وابن أبي داود ومحمد بن محمد الباغندي وأبو بكر بن الجهم الوراق وابن داسة والبغوي وأبو زيد المروزي وله التصانيف في شرح مذهب مالك والإحتجاج له والرد على من خالفه وغيرهم ،ينظر، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٥٥/١.

(١٠١) المعتمد ٣١٥/٢ ،إحكام الفصول للباجي ٦٨٧/٢.

(١٠٢) البحر المحيط ١٥٥/١.

*** ومنهم واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وعثمان الطويل ، وحفص بن سالم، والحسن بن ذكوان ، وخالد ابن صفوان ، وإبراهيم بن يحيى المدني، وابو علي الجبائي، والنظام، وأبو هاشم الجبائي،ينظر، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ٣٤/١-٤١.

(١٠٣) شرح المنهاج ١٢٩/١، البحر المحيط ١٥٤/١.

(١٠٤) ينظر: تقويم الأدلة في أصول الفقه ، تأليف الإمام عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الحنفي ،قدم له وحققه الشيخ خليل الميس دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط١، ١٤٢١،١هـ -٢٠٠١م، ص٤٥٨.

(١٠٥) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر، ،عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - ١٣٩٩، الطبعة: الثانية، ٣٨/١.

(١٠٦) إجابة السائل١/٢٢٧.

* عبدالملك بن (الشيخ أبي محمد) عبدالله بن يوسف بن عبدالله ،أبو المعالي الجويني، وجوين من قرى نيسابور الملقب بإمام الحرمين لمجاورته بمكة أربع سنين كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني ودرس بعده في حلقته وتفقه على القاضي حسين ودخل بغداد وتفقه بها وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب والبرهان في أصول الفقه وغير ذلك..ينظر، البداية والنهاية١٢/١٢٨.

(١٠٧) البرهان ١/٨٦.

(١٠٨) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ،ط٢، - ١٤٠١هـ، ١/١٥٧.

(١٠٩) المستصفى ١/٥١.

(١١٠) الإحكام للآمدي ١/١٣٠.

(١١١) الإحكام لابن حزم ١/٧٤.

(١١٢) ينظر: المعتمد ٢/٣١٥.

(١١٣) ينظر: المصدر نفسه ٢/٣١٦-٣١٨

(١١٤) ينظر: المصدر نفسه ٢/٣٢٠.

(١١٥) إحكام الفصول للباجي ٢/٦٨٨.

(١١٦) شرح المنهاج ١/١٢٤.

(١١٧) إحكام الفصول للباجي ٢/٦٩١، الفقرة ٧٤٧.

(١١٨) إحكام المصدر نفسه ٢/٦٩٢،الفقرة٧٤٨.

(١١٩) الإحكام للآمدي ١/١٣١، البحر المحيط ١/١٥٦وما بعدها.

(١٢٠) إحكام الفصول للباجي ٢/٦٨٨،الفقرة ٧٤٢.

(١٢١) إحكام الفصول للباجي ٢/٦٨٧- ٦٨٨ ،الفقرة ٧٤١.

(١٢٢) الإحكام للآمدي ١/١٣١،البحر المحيط ١/١٥٦.

(١٢٣) ينظر: المعتمد ٢/٣٢٢ .

(١٢٤) ينظر: شرح المنهاج ١/١٣٢.

(١٢٥) المستصفى، ١/٥١.

(١٢٦) المصدر نفسه، ١/٥٣.

(١٢٧) ينظر: الإحكام لابن حزم ١/٧٤.

(١٢٨) ينظر: البرهان ١/٨٧.

(١٢٩) ينظر: المصدر نفسه١/٨٧.

(١٣٠) ينظر: الوجيز في أصول الفقه ،عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ص٥٨.

(١٣١) تخريج الفروع ،١/٢٤٥.

(١٣٢) ينظر: المصدر نفسه ١/٢٤٦.

(١٣٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م،١٣/١٧١.

(١٣٤) المهذب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار الفكر – بيروت، ٢/٢٣٩.

(١٣٥) ينظر: تخريج الفروع ١/٢٤٦.

(١٣٦) المبسوط للشيباني، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية – كراتشي، ٨/١٠٩.

(١٣٧) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط٢، ١٩٨٢م ، ٤/١٧٠، حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، تأليف: أبي الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن على التميمي المعروف بابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ٢/٢٣٠.

(١٣٨) ينظر: تخريج الفروع، ١/٢٤٦.

(١٣٩) المجموع، أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٧م،٣٤٨/٨،و ٣٧٥.

(١٤٠) ينظر: تخريج الفروع ١/٢٤٧.

(١٤١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة – بيروت، ط٢،٢/٢١٨.

(١٤٢) ينظر: المبسوط٣/٩٥.

(١٤٣) حاشية ابن عابدين ٣/٧٣٦.

(١٤٤) ينظر: تخريج الفروع، ١/٢٤٨.

(١٤٥) الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٣ط٢،٧/١٦، وينظر: الحاوي الكبير١٧/٦٢.

(١٤٦) ينظر: تخريج الفروع، ١/٢٤٨.

(١٤٧) المبسوط ، ٩/٤٢، وينظر: بدائع الصنائع ٢/٢٥٥.

(١٤٨) الهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، المكتبة الإسلامية،٣/١٢٤.

(١٤٩) إرشاد الفحول ص١٤.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

١.الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الأولى.

٢.إجابة السائل شرح بغية الآمل ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ،مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٣.إحكام الفصول في أحكام الأصول: أبي الوليد خلف بن سليمان الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي بيروت–لبنان ط/الثانية.

٤.الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث – القاهرة – ١٤٠٤، الطبعة: الأولى.

٥.الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى.

٦.إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، دار الفكر – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢، الطبعة: الأولى.

٧.إعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار: دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤٠٢هـ.

٨.الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٣، الطبعة: الثانية.

٩.البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية.

١٠.البحر المحيط للزركشي وهو بدر الدين محمد بن عبد الله الشافعي (٧٤٥–٧٤٩هـ) قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه د. سليمان الاشقر، ط/الاولى ١٤٠٩هـ. ١٩٨٨م.

١١.البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف – بيروت.

١٢.بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٨٢، الطبعة: الثانية.

١٣.البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، مصر – ١٤١٨هـ، الطبعة، الرابعة.

١٤.تخريج الفروع على الأصول، محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: د. محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٣٩٨، الطبعة: الثانية.

١٥.التقرير والتحبير، شرح العلامة المحقق ابن امير الحاج الحلبي ت ٨٧٩هـ، على التحرير في اصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية للإمام محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي ثم السكندري و كمال الدين ابن الهمام الحنفي ت ٨٦١ه ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ط/الاولى ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م.

١٦. تقويم الأدلة في أصول الفقه ، للإمام عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الحنفي، قدم له وحققه الشيخ خليل الميس دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ط١، ١٤٢١،١هـ –٢٠٠١م.
١٧. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٨. تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن احمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار الأحياء للتراث العربي، بيروت لبنان، ط/الأولى.
١٩. تيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر – بيروت.
٢٠. جمهرة اللغة ،أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ت٣٢١هـ ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ابراهيم شمس الدين ،منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/الاولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٢١. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، أبي الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن على التميمي المعروف بابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٢. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد ابن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م، الطبعة: الأولى.
٢٣. الذخيرة ، شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي ،تحقيق محمد اخجي، دار الغرب، بيروت . لبنان،١٩٩٤م .

٢٤. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب في اصول الفقه، الامام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت٧٧١هـ، تحقيق د. محمد عبد الرحمن مخيمر عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ،ط/الاولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.
٢٥. روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض – ١٣٩٩، الطبعة: الثانية.
٢٦. السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار – المدينة المنورة – ١٤١٠ – ١٩٨٩، الطبعة: الأولى.
٢٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد العكبري، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار أبن كثير بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٥.
٢٨. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، حققه وقدم له الدكتور، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
٢٩. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. ، تحقيق: زكريا عميرات.
٣٠. شرح العضد، للقاضي عضد الملة والدين عبد الرحمن بن الايجي ت٧٥٦هـ على مختصر المنتهى الأصولي للإمام ابي عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن ابي بكر المعروف بابن الحاجب المالكي ت ٦٤٦هـ ضبطه ووضع

حواشيه فادي نصيف وطارق يحيى، منشورات علي بيضون ،ط/الاولى ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

٣١. شرح المنهاج في علم الأصول، شمس الدين محمود عبد الرحمن الاصفهاني، قدم له وحققه د.عبدالكريم النملة، مكتبة الرشيد، السعودية الرياض،١٩٩٠م.

٣٢. صب العذاب على من سب الاصحاب ، ابي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد ابن ابي الثناء الالوسي ت١٣٤٢هـ ،تحقيق عبد الله زبور شعيب البخاري المغربي، ط/الاولى ،٢٠٠٤م.

٣٣. العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤، الطبعة: ط٢.

٣٤. غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف – القاهرة.

٣٥. الغنية في أصول الدين، أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى.

٣٦. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٧٧، الطبعة: الثانية.

٣٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٣٨. فواتح الرحموت ،للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري الهندي ت ١٢٢٥هـ بشرح مسلم الثبوت في الفروع الحنفية تحقيق محب الله بن عبد

الشكور البهاري الهندي ت ١١١٩م ، دار الاحياء للتراث الاسلامي ط/الاولى١٤١٨هـ .١٩٩٨م.

٣٩. قواطع الأدلة في الأصول، أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٤٠. كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ،١٩٩٨م تحقيق: عدنان درويش ،محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٤١. كشف الاسرار شرح المصنف على المنار، للإمام ابي بركات عبد الله بن احمد معروف ب بالحافظ الدين الدمشقي ت ٧١٠ هـ مع شرح نور الانوار على المنار لمولانا شيخ احمد المعروف بملا جيون ابن ابي سعيد عبيد الله الحنفي الصديقي صاحب الشمس البازغة ت ١١٣٠ هـ دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٤٢. لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور ت٧١١هـ، طبعه وراجعه وصححه بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة ،١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٤٣. المبسوط للشيباني، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية – كراتشي.

٤٤. المجموع، أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٧م.

٥٢. المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين محمد بن علي الطيب البصري المعتزلي ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٤م، قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس مدير الأزهر لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
٥٣. معجم مقاييس اللغة، ابي الحسين احمد بن فارس زكريا ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت . لبنان ط/الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٥٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٥. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر الشهرستاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٥٦. المنخول في تعليقات الأصول ، ابي حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ ،تحقيق د. محمد حسن هيتو ط/الثانية دار الفكر دمشق.
٥٧. المهذب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار الفكر – بيروت.
٥٨. المواقف ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – لبنان – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى.
٥٩. الهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، المكتبة الإسلامية.
٦٠. الوجيز في أصول الفقه ، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت– لبنان ط١، ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م.

٤٥. المحصول في اصول الفقه ،القاضي ابي بكر بن العربي المالكي ، تحقيق حسين علي البدري، سعيد فودة، دار البيارق ،عمان– الاردن ،ط، الأولى ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
٤٦. المحصول في أصول الفقه، القاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي ، تحقيق: حسين علي البدري – سعيد فودة، دار البيارق – عمان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩، الطبعة: الأولى.
٤٧. مختار الصحاح للإمام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ت٢٩٣هـ ط/الاولى ١٤١٠هـ.١٩٩٠م.
٤٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، الطبعة: الثانية.
٤٩. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠١، الطبعة: الثانية.
٥٠. المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت ٥٠٥هـ ،تحقيق وتعليق د. محمد سليمان الاشقر ، مؤسسة الرسالة، ط/الاولى ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م .
٥١. المسودة في أصول الفقه، عبد السلام ، عبد الحليم ، أحمد بن عبد الحليم آل تيمية، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المدني – القاهرة.

صناعة الأسلحة عند العرب قبل الإسلام

د. حنـان عيسى جاسم
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنـات/ قسم التاريخ

المقدمـــة

أبدع العرب على مدى العصور في مختلف المجالات سواء كانت فكرية او ادبية او اقتصادية ، وتنوع إبداعهم في مجال الاقتصاد فمن الزراعة وابتكار مختلف الطرق لتحسين جودة الأرض والإنتاج الزراعي إلى مجال الري واستنباط المياه وحفر الآبار وعمل الكريف والسواقي المسقفة ، الى مجال التجارة وسنهم للقوانين اذ سن عرب قبل الإسلام العديد من القوانين منها المكتوبة كما في جنوبي شبه الجزيرة العربي ، ومنها ما كانت شفهية والتي كثيرا ما كانت تعد من ضمن الاعراف والتقاليد والتي تنظم عملية البيع والشراء في الاسواق ولا سيما الاسواق التي كانت تقام في موسم الحج ، وكذلك في طرق استحصال الضرائب .

وابدعوا في مجال اختيار اسهل الطرق واقلها وعورة لايصال المواد التجارية الى مختلف ارجاء المعمورة لبيعها في الاسواق وطرق المهادنة والمسايرة حتى مع اعدائهم ليتمكنوا من بيع منتجاتهم التجارية في اسواقهم ، الى مجال الصناعة والتي هي حرفة الصانع وعمله الصنعة والصناعة هي عملية تحويل الاشياء الى اشياء اخرى اهم منها ، او اي شيء يريده ، او يطلب منه .

وترتبط الصناعة بعوامل عدة اهمها وجود مجتمع آمن مستقر ، والحاجة اليها وامكانات تساعد على قيامها ، كتوفر المواد الاولية اللازمة ، والايدي العاملة والخبرة .

والصناعة هي من علامات التمدن لأي مجتمع ، وعلى قدر انتاج اي مجتمع يقاس عناه ومدى تقدمه في الحياة وقياس منزلته بين الامم .

فالصناعة هي عملية تحويل المواد الخام الفائضة عن الحاجة الى مواد اخرى اهم منها، تستهلك في الاسواق المحلية او تباع في الاسواق الخارجية .

فالصناعة على هذا الاساس هي من مميزات المجتمع الحضري ، اذ ان المجتمع البدوي تكون حاجته الى الصناعة او المواد المصنعة قليلة لبساطة العيش والحياة فيه لذا فان الصناعة تكون بسيطة فيه بساطة تتناسب وبساطة مجتمعهم لذا نلاحظ ان الصناعة لم تتطور الا في المجتمعات المتطورة التي تتوفر فيها امكانات التصنيع ، وتجد تلك المجتمعات ان من الضرورة تحويل المواد الخام الفائض عن الحاجة الى مواد اخرى يستفاد منها المجتمع، الا اننا مع ذلك لا نستطيع ان ننفي نهائيا وجود صناعة بسيطة في المجتمع البدوي ناتجة عن حاجة ذلك المجتمع .

وعلى الرغم من ان بعض عرب قبل الاسلام كانوا ينظرون الى الصناعة (العمل اليدوي) نظرة استهجان ، ونظروا للصناعة على انها مهنة لا تليق بالعربي الحر الشريف لان الصناعة كانت بنظرهم حرفة العبيد المستضعفين من الناس فلا يتزوجون منهم ولا يزوجوهم ، الا ان ذلك لم يكن صفة عامة لجميع العرب ، فأن العرب الذين توفرت المواد الاولية في ارضهم والماء مارسوا الصناعة والتعدين كما هو الحال في اليمن القديم ، اما الذين كرهوا الصناعة وازدروها فهم على الاغلب من لم تكن تتوفر عندهم المادة الاولية او عوامل قيام الصناعة فكرهوها كره من يكره شيئا لأنه لا يملكه ولا يناله ، وقد اشتهر العرب بعدة صناعات كالتعدين ، وصناعة الغزل والنسيج ، والصياغة ، وصناعة الاسلحة كالسيوف والرماح والخناجر والدروع والسكاكين وغيرها من انواع الاسلحة التي كانت رائجة آنذاك نظرا لتوفر معدن الحديد اولا الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في قرانه الكريم فقال : چ ٍ ٹ ٹ ڎ ڎ ٿ ٿ

چ (سورة الحديد ، اية ٢٥) ، ولحاجتهم اليه في عملياتهم الحربية ثانيا ، وكان يعمل في صناعة الحديد الاحرار والعبيد ولنا في سيدنا داود (عليه السلام) خير مثال على ذلك .

وكانت الاسلحة المصنوعة في اليمن مشورة بجودتها ، يقبل الناس على اقتنائها ، وتفنن شعراء قبل الاسلام بوصف هذه الاسلحة وفعاليتها وكانت صناعة الاسلحة ناشطة في يثرب كذلك ، وان جماعة من يهودها قد اتخذوها حرفة لهم ، وكان من الصناع من يتخصص في جلاء الاسلحة وصقل السيوف . نظر عرب قبل الاسلام الى السلاح نظرة ترتبط بالعز والمجد والكرامة ، يصونون حياتهم ويدافعون عن اعراضهم وامجادهم به ، ويحصلون على مكاسبهم ومغانهم .

عرف العرب صناعة الاسلحة منذ القدم ، وقسموها الى قسمين ، الاول اسلحة الهجوم ، ومنها العصا والمقلاع والقوس والرمح والسيف والفأس ، والثاني اسلحة الدفاع ومنها الترس والخوذة والدرع والجرموق وهو جورب من النحاس كان يلبسه المقاتل .

وكانت صناعة الاسلحة رائجة اذ استطاع العرب تصدير الفائض منها الى مختلف اصقاع المعمورة ، وقد اولى العرب للأسلحة المصنوعة من المعادن اهمية فائقة اذ كانت للجزيرة العربية اثرا بارزا واضحا في عصر قبل الاسلام .

وكانوا لشدة ولعهم بالأسلحة يطلقون على السلاح الواحد تسميات عدة فللسيف مثلا اسماء عدة منها قريبي ، والزر ، والافرند ، واباد ، والوجل ، وكانت له عدة اجزاء كذلك منها القائمة ن النصل ، والسيلان ، اما الرماح فهي من الاسلحة العربية القديمة التي ورد ذكرها في القران چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ چ (سورة المائدة ، اية ٩٤). ومن أجزاء الرمح هي القنا ، والسنا والزج ، والضبة ، والعامل ومن ضمن أسمائه هي الردينة، والسمهرية ، والمدرية ، والشرعية، والزاغبية .

وكذلك الدروع من الاسلحة التي عرفها العرب ديما وجاء ذكرها في القران الكريم چﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁچ (سورة الأنبياء ، اية٨٠).

ومن اهم اماكن صناعة الدروع هي اليمن وعرفت بالدروع اليمانية وتميزت بالجودة وكان الملك (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) اول من امر بصناعة الدروع وعرفت بالدروع اليهرعشية .

ومن خلال ذلك نستنتج مدى اهمية السلاح وصناعته بالنسبة لعرب قبل الاسلام حتى ام الملوك ذوي البأس كانوا قد اهتموا بصناعته وتطويره لتصبح بذلك صناعة لها مكانتها واهميتها وحتى ان اشراف قريش في فترة قبيل الاسلام كانوا من الذين يهتمون بتلك الصناعة وتطويرها ولم تعد مقتصرة على العبيد والفقراء حسب ادعاء من ارتضوا لأنفسهم تشويه صورة المجتمع العربي قبل الاسلام .

وعلى هذا لا يمكن لاحد القول بان عرب قبل الاسلام كانوا امة جاهلة لا يعرفون معنى الابداع والرقي والتطور فقد شهد لهم التاريخ على ابداعهم في مختلف مجالات الحياة وكان من اهمها الصناعة التي يقاس مدى اباع ورقي وتطور اي مجتمع متحضر بها ، وكانت صناعة الاسلحة احد فروعها المهمة .

صناعة الأسلحة

خاض العرب قديما معاركهم وحروبهم بالاسلحة المتوفرة وحققوا انتصارات مجيدة رغم ضآلة تلك الاسلحة وقلة شأنها وقد بدء تطور هذه الاسلحة تطورا بسيطا رافقه مهارة استخدامها وجرأة واقدام جعلت من هذه الاسلحة اكثر فتكا واشد تنكيلا فالسلاح من حامله ، والمعروف عند العرب انهم مقاتلون اشداء يتقنون اساليب القتال وهم قوم خشنون يتحملون تنوع البرودة والحرارة وفيهم خفة حركة ورشاقة يتحملون المشاق وقسوة الطبيعة وقلة الغذاء وقدالغذاء وقد تسلحوا في البداية بأسلحة بدائية غاية في البساطة اذ بدء التسلح على مراحل

مثل (المرحلة البدائية) كـ (الحجارة) يتزاحمون بها باليد ، و(العصي الخشبية) وهي من (اسلحة التلاحم) في ذلك الوقت وتُختار العصي من الخشب والاشجار القوية ، و(العظام) وهي عظام الحيوانات وتستخدم (للطعن) ، و(قرون الوعول) و(الثيران) وتستخدم للطعن كذلك، واسلحة (المرحلة الثانية) اذ بعد تطور الانسان استطاع استحداث اسلحة جديدة متطورة بالنسبة لأسلحته القديمة البدائية ومن تلك الاسلحة (السكاكين) و(المدى) ، (الخناجر) ، الحراب لـ (لطعن) و(القذف)، الوضع (المقلاع) لـ (رمي الحجارة) ويعتبر تطورا حل محل (قذف الاحجار باليد) وبداية تطور عنها استخدام المنجنيق[١]، و(اسلحة المرحلة الثالثة) والتي تعتبر من الاسلحة الخطيرة في ذلك العصر ونقلة نوعية في الحروب تطورات معها اساليب القتال وانواع واصناف القوات فظهرت مع (استخدامها الخيل) ، و(التحصينات) التي جعلت من هذه المرحلة واسلحتها اهم قفزة في مجال التسليح القديم تطورت معها وتنوعت مهام القوات ومعاركها ومن تلك الاسلحة (السيوف) التي لعبت اهم الادوار في الحروب كسلاح فردي تسلح به المقاتلون من كل اصناف القوات والمحاربين (كالمشاة والخيالة) ، و(المقرعة والدبوس) وهذا السلاح يستخدم

للضرب على الرؤوس وهو عبارة عن كتلة من الحديد مثبته في عصا صغيرة شبيهة بالمطرقة ، (الفؤوس) وهي من الاسلحة المعروفة آنذاك وكثيرا ما كانت تستخدم في المعارك ، و(الرماح) وهي عبارة عن اسنة تركب في اطراف قناة من الخشب وهي نوعين : (رماح قصيرة) للمشاة ، و(رماح طويلة) للخيالة تستخدم ل(الطعن) و(القذف) ، (القوس والنبال) وهو سلاح قذف ترمى به (النشاب) و(السهام) ويتسلح به رماة مدربون مهرة باستخدامه وقد تصل رمية السهم من (٢٠٠الى٤٠٠ ياردة) حسب قدرته ومهارة الرامي وقد بلغ من دقة الرماية ان كان الرامي يراهن على اصابة جزء بسيط ودقيق مثل نوت العين ويصيبه بدقة متناهية ، وقد يعتقد البعض ان هذا القول فيه شيء من المبالغة ولكن اذا ما علمنا ان القوات الحربية آنذاك لم يكن لديها سوى تلك الاسلحة وهي دائمة التدريب عليه بسبب كثرة الحروب المستعرة وهذا يفسح المجال امام المحاربين المختصين ان يتحروا الدقة المتناهية في الاصابة لتكبيل عدوهم افدح الخسائر اذ ان المقاتل الذي يفقد عينيه لا يعد قادرا على القتال ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان هناك رماة في افريقيا ولشدة دقتهم في اصابة الهدف فانه يُطلق عليهم مقاتلي لحدقة وهم لا يزالون موجودين لحد الان ، وهذا ما يذكرنا بوحشي الذي اختارته (هند بنت عتبة) لقتل (حمزة بن عبد المطلب) في معركة احد وما كان ذلك الا لشدة دقته في اصابة الهدف[٢] ، فضلا عن ان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كن يقول لـ (سعد بن ابي وقاص) ((اضرب فداك ابي وامي))[٣] لشدة دقته في اصابة الهدف . (المنجنيق) وهذا السلاح يستخدم لقذف الحجارة والمواد الحارقة على المواقع المحصنة بقصد هدمها او حرقها والصغيرة منها تسمى (عرادة) وعملها كالهاون حاليا تقذف مجموعة اسهم مرة واحدة ، و(الكبش) او الدبابة وهي آلة خشبية جلدية مربعة كالغرفة يدفعها افراد يتواجد بداخلها اخرون يدفعونها الى قرب السور او الحصن بغرض ثقبه وفتح ثغرة ينفذ منها المقاتلون

لاحتلال الحصن وبه فتحات لرماية السهام والمراقبة ويتميزون بالدقة وتُصدم بالسور عدة مرات حتى تفتح فتحة فيه يتم توسيعها من قبل المحاربين [٤] .

وتنقسم الأسلحة إلى :

أولا : أسلحة الهجوم

أ. **اسلحة الهجوم الخفيفة**

١. **السيف والخنجر :**

يعد السيف اشهر ادوات القتال قبل الاسلام وهو السلاح الرئيس في القتال استعمل في الهجوم وفي الدفاع عن النفس [٥] ، ولشدة ولع عرب قبل الاسلام بأسلحتهم فانهم كانوا يعلقون سيوفهم على ما كانوا يعبدونه من اشجار ومنها شجرة (ذات انواط) التي كانوا يحجون اليها كل عام [٦] ، وقد اطلق على السيف عدة اسماء وذلك تبا لنوعيته وطوله وقصره فـ (الخريب) قد يكون سيفا قصيرا وهو اما ان يكون حد واحدا او ذو حدين وتطلق لفظة الزر على حد السيف وقد يكون رأس السيف مدببا حادا يستعمل للطعن اما الضرائب فيكون بحد السيف [٧] والسيوف الجيدة هي المصنوعة من الحديد النقي او من الفولاذ ، ومن اجزاء السيف هي (القائمة) وهو مقبض السيف وموضع اليد منه ويصنع من الحديد او الابنوس او العاج [٨] و(النصل) و(السيلان) هو اصل المقبض من نهايته مما يلي شحمة اليد وتكون من الحديد او الفضة [٩]و(البرجق) ، و(الشفرة) وهي حد السيف الذي يرقق ويشحذ ويسمى (الغرار) كذلك[١٠] ، و(المضرب) وهو الجزء الامامي والعالي للسيف الذي يضرب به ، (ذباب السيف) وهو الطرف المقوس منه او ما يسمى (الذبابة) [١١] ، و(المتن) وهو ظهر السيف المقابل للشفرة [١٢] ، ومن الاسماء التي اطلقها العرب على السيف هي (ظل الموت)[١٣]، وكذلك اطلقوا عليه (ابا الوجل) [١٤] ، واهم مناطق صناعة السيوف هي (اليمن) و(الحجاز) ، اذ عرفت اليمن بالسيوف

اليمانية واشتهرت بجودتها ولاسيما السيوف المصنوعة من حديد (بيحان) الذي عد ذا جودة عالية وقوة ومتانة والسيوف (المشرفية) والسيوف (الصنعانية)[١٥] ، وكان الحديد اللازم لصناعة السيوف يستخرج من (جبل نقم) القريب من (صنعاء) في اليمن الذي تصنع منه السيوف (اليرعشية) المنسوبة الى الملك (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)[١٦] ، والسيوف (القلعية) والتي يتراوح طولها من (اربعة) الى (خمسة اشبار) [١٧] نسبة الى (القلعة) وهو موضع في اليمن [١٨] وكذلك كان العرب يستوردون الحديد من (الهند) عبر موانئ (البحرين) و(عمان) و(اليمن)[١٩] . وكان لـ (مكة) اثر كبير في صناعة الاسلحة ولاسيما السيوف ومن اشهر من احترف هذه الصنعة هو (خباب بن الارت) وكان قينا يعمل السيوف قبل الاسلام[٢٠]، وكان يعمل لـ (لعاص بن وائل) في صناعة السيوف ونسبة معظم السيوف الجيدة الصنع الى (خباب بن الارت) [٢١] ، وكذلك اشتهرت (يثرب) بصناعة الاسلحة ولاسيما عند يهود (بني قينقاع) الذين اشتهروا بصناعة السيوف[٢٢].

٢. **الرماح والحراب :**

الرمح سلاح قديم يستعمل للهجوم وللطعن [٢٣] ، وقد جاء ذكر الرمح في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [٢٤] ، ومن اهم اجزاء الرمح هي (القناة) وهو القائم الذي يدخل في اعلاه السنان ويثبت في اسفل الزج ، وهي تصنع عادة من نبات (الوشيج) و(المران) و(القصب) ، و(الوشيج) هو شجر الرماح وهو ما نبت من قناة والقصب معترضا وملتفا دخل بعضه في بعض [٢٥] ، اما (المران) فهو نبات الرمح و(رمح المران يكون صلب)[٢٦]، اما (السنان) فهو (النصل) ويصنع من الحديد ، و(الضبة) وهو رأس السنان المدبب ، و(الكعوب) هو العقد بين الانبوبين

من القناة ، و(الزج) وهي الحديدة التي تكون في اسفل الرمح والتي تساعد على انبات الرمح في الارض وهي كذلك الجزء المستخدم في الطعن [٢٧] ، (الجبة) او (الثعلبة) وهو الجزء الذي تدخل فيه (القناة) في (السنان) [٢٨] ، ومن اهم مناطق صناعة الرماح هي (اليمن) اذ عرفت بالرماح (اليزنية) نسبة الى (ذي يزن) [٢٩] وكذلك الرماح (الردينية) نسبة الى امرأة اتقنت صنع الرماح اسمها ردينة [٣٠] ، واختلفت الروايات التاريخية في ذلك فبينما يذكر ياقوت الحموي [٣١] ان (ردينة) هي جزيرة ذات مرفأ وان المرأة منسوبة الى تلك الجزيرة ، ويذكر كذلك ان (ردينة) هي قرية تصنع بها الرماح او انه رجل كان صانع الرماح وذكر كذلك ان (ردينة) كورة لصنع الرماح ، وعلى الارجح انها كانت امرأة تصنع الرماح ولشهرتها فان الجزيرة هي التي نسبت الى اسم تلك المرأة . والرماح (السمهرية) نسبة الى رجل يدعى (سمهر) كان يصنع الرماح وان (السمهر) هي هو الرمح الصلب العود [٣٢] ، والرماح (الخطية) نسبة الى (الخط) وهو موضع في اليمامة[٣٣] ، والرماح (المدرية) نسبة الى قرية في (اليمن) تدعى (مدر) [٣٤]، والرماح (الشرعبية) و(الزاغبية)[٣٥] .

٣. **القوس والسهم** [٣٦] .

ب. اسلحة الهجوم الثقيلة

(المنجنيق) لتهديم الحصون واشعال الحرائق فيها ، و(الدبابة) ، و(رأس الكبش) ، و(سلالم الحصار) ، و(الحبال) [٣٧] .

ثانيا : اسلحة الدفاع هي :

أ. أسلحة الدفاع الخفيفة

١. الدروع :

(الدرع) هو لباس الحرب من الحديد ويلبس للدفاع [٣٨] ،وقد ورد ذكر الدروع في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﭼ [٣٩]، وفي قوله تعالى ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﭼ [٤٠] ، وفي قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [٤١] .

ويلبس (الدرع) كـ (الثوب) او (القميص) الحديدي ويكون ضيق الشكل وله (اكمام) قصيرة تصل الى (منتصف الذراع) لوقاية الجسم من الضربات وحماية المقاتل من ضربات السيوف وطعنات الرماح وتسديد القوس [٤٢] ، وتفنن عرب قبل الاسلام في صناعة (الدروع) من اجود انواع الحديد وتربط حلقات الدرع بعضها ببعض بواسطة (مسامير) محكمة الصنع وتكون نتوء تصد ضربات السيوف والرماح وتدعى (الحرابي) او (القتير) [٤٣] ، وللدرع عدة اسماء منها (اللموس) و(السربال) و(الخرصان) و(النثرة) وهي الدروع الواسعة والبيضاء [٤٤] ، و(اللامة) و(الشليل) وهي الدرع الصغيرة القصيرة تلبس تحت الدرع الكبيرة [٤٥] ، و(السرد) وهي الدرع المثقوبة و(اليلب) وهو الترس المصنوع من الفولاذ [٤٦] ، و(السوابغ) وهي الدروع الفضفاضة والموضونة وهي المحبوكة النسيج [٤٧] ، ويكون (الزرد) من مكملات الدروع وهي حلق الدرع وتكون منسوجة على اشكال مختلفة فاذا نسجت حلقة حلقة سميت (مفردة) واذا نسجت حلقتين سميت (مضاعفة) ، و(رف رف) الدرع وهو السرد الذي يشد بـ (البضة) فيطرحه على ظهره [٤٨] ، و(ريع الدرع) وهي فضول كمية على (اطراف الانامل) والغلائل وهي بطانة الدروع والحرباء او القتير وهي

مسامير الدروع التي في الحلقة والكرة وهو ما يجلى به الدرع [٤٩] ، و(الدخاريص) وهو ما يوصل به البدن ليوسعه ومن اهم مناطق صناعة الدروع هي (اليمن) و(الحجاز) ومنها الدروع (التباعية) وتدعى كذلك ب(اليرعشية) [٥٠] ، والدروع (اليمانية) تدعى كذلك بـ (البيل) [٥١] ، واشتهرت (يثرب) كذلك بصناعة الدروع وهي (دروع بني سليم) [٥٢] .

٢. **الخوذة :**

وهي غطاء لوقاية رأس المقاتل [٥٣] .

٣. **الترس :**

وهي دائرة او مستطيل يدافع بها المقاتل عن نفسه من ضربات خصمه[٥٤].

ب. اسلحة الدفاع الثقيلة

وهي التحصينات الدفاعية حول اسوار المدن او المعسكرات لتأمين الحماية لها ضد هجمات الاعداء وتشمل (القلاع) و(الحصون) و(الاطام) التي تغلق ابوابها في وجه المهاجمين ، و(المدن المسورة) و(الابراج على الاسوار) ، و(الخنادق) و(الحفر) و(انشاء الحواجز) في (المضايق) و(الممرات) لإعاقة العدو ، وهناك (الموانع الطبيعية) مثل (الانهار) و(الجبال) و(البحار)[٥٥] ويكون لتلك الموانع الطبيعية دور ها في المعارك اذ في كثير من الاحيان يتموضع خلفها المقاتلين ويتخذونها كموانع طبيعية .

وقد برع اليمنيون في انشاء الموانع سواء باستغلال الطبيعة اذ عملوا على سد الطرق في المضايق والممرات الهامة على الخصوم فقد انشأ (الحضارمة) (قناة نبوة) طولها (١٨٠م) وارتفاعها (خمسة امتار) وسمكها (مترين) مبنية من الحجر وبها باب يقفل عرضه (خمسة امتار) للدخول عند الحاجة ويقفل في وجه الاعداء[٥٦] . وبنوا (القلاع) و(الحصون) في الاماكن العالية وزودوها بالمياه

ومخازن الحبوب والاعلاف وتحاط بـ (أسوار وابراج) ذات فتحات صغيرة للمراقبة ورمي السهام وقد تحاط بـ (الخنادق) و(الحفر) المغطاة كاشراك خداعية للعدو وقد كلف ملك حضرموت احد كبار موظفيه (شكم سلحان) ببناء جدار وسور وتحصينات (حصن قلة) لحماية منطقة (حجر) والمناطق الاخرى من المغيرين والغزاة ولاسيما (الحميريين)[٥٧] ، كما تم بناء سور في (وادي ابنة) من احجار مكعبة صخرية بينها مادة من الاسمنت وفيها باب عرضه (خمسة امتار) للمرور ولمنع المغيرين من اتجاه الجنوب في اتجاه (حضرموت) وذلك ضمن خطة عسكرية لتحصين المدن وحمايتها وبناء حواجز وموانع للاماكن الخطرة الواقعة في الممرات والمعابر لصد تقدم الغزاة وانشاء الاستحكامات الساحلية للحماية من الهجوم البحري واقامة حصون على الالسنة البارزة على البحر[٥٨]، كما بنى (المعينيون) برج (ذو ملح) في مدينة (قرناو) العاصمة وبرج اخر في (يثل) للحماية والمراقبة[٥٩] .

– **مصادر تسليح المقاتلين**

قد تعمل القيادات الى توفير سلاح الفرد من عندها كعهدة عليه يعيدها بعد قضاء المهمة ، او قد يسلم له مبلغ من المال لشراء سلاحه على ان يسدد ذلك المبلغ مستقبلا من ماله ، وقد يقوم المقاتل في اغلب الاحوال بتدبير الحصول على سلاحه من ذاته وهو ملكه الخاص ليس للدولة علاقة وملكية فيه يقاتل به عند طلبه للقتال ويظل محتفظا به شخصيا كما هو حال القبائل مع اسلحتهم الخاصة بهم ، وقد تكون تلك الاسلحة مصادرة من اصحابها الذين تمردوا وقاتلوا الدولة ، او يتم الحصول عليها كنصيب من الغنائم التي يحصل عليها المقاتل اثناء الحروب [٦٠] .

اهم الادوات التي دخلت في صناعة الاسلحة هي :

١. **الكير :**

وهو منفاخ يساعد على اشعال النار المستخدمة في صهر المعد [٦١] .

٢. **الكور :**

وهو مجمرة الحداد تحمى فيها المعادن وهي مبنية بالطين والحجارة توقد فيها النار ويسلط عليها الكير ، يوضع الحديد في الكور ليحمى ويلين (٦٢) .

٣. **المطرقة والفطيس :**

وهي الالة التي يطرق فيها الحديد ويكون الفطيس اكبر من المطرقة (٦٣) .

٤. **المبرد :**

وهي الالة التي يبرد فيها الحديد (٦٤) .

٥. **السندان :**

وهي الالة التي يستعملها الحداد في طرق الحديد لتحويله الى الشكل المطلوب(٦٥) .

الخاتمة

كان المجتمع العربي قبل الاسلام مجتمعا حضاريا متطورا ومبدعا اثر وتأثر بما حوله من عوامل جغرافية وطبيعية واقتصادية مطوعا اياها ومستغلها الاستغلال الامثل لبناء حياته الاقتصادية ومواجهة ما يحيط به من مخاطر ولاسيما وان بعض مناطق سكنى عرب قبل الاسلام كانت في بيئة قاسية فرضتها عليه الطبيعة وكان يرافق ذلك في اغلب الاحيان قلة سقوط الامطار وتذبذبها من مكان الى اخر مما يؤثر سلبا او ايجابا على نسبة توفر الكلأ والمرعى لمواشيه فضلا عن ما تطلبه معطيات حياته من قوت في مأكل ومشرب وكساء مما ولد صراعات وحروب بين القبائل العربية المختلفة قبل الاسلام .

وان الانسان العربي قبل الاسلام بعقليته النافذة وبصيرته الثاقبة استطاع ان يوظف ما وهبه اياه الله سبحانه وتعالى من موارد طبيعية غنية ومختلفة في المناطق التي سكنها والتي كانت تمتاز بتلك الطبيعة الخصبة ، وكان من اهم المعادن التي انتشرت اماكن وجودها ما بين اليمن والحجاز ومناطق اخرى على طول الرقعة الجغرافية التي كان يقطنها الانسان العربي آنذاك ، ونتيجة للصراع المحتدم فيها بينهم بسبب ما ذكر انفا فضلا عن احاطتهم آنذاكبإمبراطوريتين قويتين احاطة السوار بالمعصم الا وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الساسانية وما كان يحدث بينهما من مناوشات وحروب . كل هذا استدعى من الانسان العربي قبل الاسلام ان يبدع ويستخدم مهاراته لتحسين وجوده ما كان يعرفه ويمارسه من صناعة الاسلحة التي عرفها منذ امد بعيد واتقن صنعها والتفنن فيها ، على الرغم من ان عرب قبل الاسلام كانوا يأنفون من ممارسة العمل اليدوي لاسيما الحدادة التي هي السبيل لصناعة وتطوير الاسلحة الا ان ذلك لم يكن صفة عامة لجميع العرب ولاسيما الذين تتوفر لديهم المواد الاولية اللازمة للصناعة واليد العاملة والخبرة كل

هذا ادى للإنسان العربي قبل الاسلام ان ينتقل بصناعة الاسلحة من المرحلة البدائية الـى مرحلـة متطـورة اكثـر جـودة واتقـان فـي صـنع الاسـلحة واكثـر نفـاذ الـى صـدور الاعـداء او دك مـواقعهم او التسـلل الـيهم فأبـدعوا فـي صـناعة الاسـلحة الهجوميـة الخفيفة كالرمح والسيف والفأس والخنجر والقوس والسهم والحراب والجرموق واسلحة الهجوم الثقيلـة مثل المنجنيق ، لتهديم الحصـون واشـعال الحرائق فيها والدبابـة ورأس الكبش وسلالم الحصار والحبال وتفننوا في اطـلاق العديد من الاسماء عليها بعد ان قسموها الـى اجـزاء كـل جـزء حسـب الوظيفـة التـي يؤديهـا ويقـوم بهـا وكـذلك الحـال بالنسبة لأسلحة الدفاع الخفيفة والتي منها الدروع والخوذة والترس اما اسلحة الدفاع الثقيلة هي القلاع والحصون والاطام والمدن المسورة والابراج على الاسوار والخنادق والحفـر وانشـاء الحـواجز فـي المضـايق والممـرات ومسـتغلاً للموانـع الطبيعيـة مثـل الانهار والجبال والبحار . ولم يهتموا بصناعة الاسلحة التقليدية فحسب بل تفننوا في عمليـة تزيينهـا وترصـيعها بالأحجـار الكريمـة وذلـك لمـا تتمتـع بـه الارض العربيـة مـن خيرات وفيرة ومناجم الحجار الكريمـة والذهب والفضـة فاستغلوا ذلك افضل استغلال من عمليات التنقيب والتعدين لاستخراج المعادن النفيسة وتزيين ما يحملوه من اسلحة بها مبـاهين بـه خصـومهم ومثيرين الرعب في قلوبهم ومـا سال لعاب الامبراطوريتين الكبيرتين آنـذاك وجهودهمـا الحثيثـة وصراعاتهما الغير منتهيـة الا فـي سبيل السيطرة والاستحواذ على تلك الثروات . فضلا عن ذلك فقد استخدم عرب قبل الاسلام اجود انواع مـا حبـا الله سبحانه وتعالى بـه بعض دولهم من اخشاب قويـة لاستخدامها فـي صناعة الدبابات والمنجنيق كما انهم استخدموا افضل انواع الاحجار الصلبة واقساها لاستخدامها فـي ذك اسوار الاعداء وحصـولهم ولاسيما وان الحجـارة والعصـي كانـت مـن الاسـلحة القديمـة التـي اسـتخدمها الانسـان العربـي قبـل ان يهتـدي الـى صـناعة الاسلحة من الحديد والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز .

وكانـت هنـاك مصـادر مختلفـة لتزويـد المقـاتلين بالسـلاح فـي حـالات الحـرب والمعارك فاما ان يكون عن طريق الدولـة والقبيلـة ، او يكون كعهدة قابلـة للاسترداد ، او يكون عن طريق الشراء، وكان للقبيلة او المملكة دور في ذلك ايضاً اذ انها تقوم بتزويد المقاتل بالمال اللازم لشراء السلاح المناسب له على ان يكون ذلك المال دين في رقبة المقاتل يُسترد منه ، وهناك مصادر اخرى للحصول على الاسلحة الا وهو ما يحصل عليه المقاتل من اسلاب وغنائم من ساحة المعركة في حال الانتصار .

وعلى هذا فانه لا يحق لاحد اطـلاق صفة الجاهلية على عرب قبل الاسلام اذ انهم كانوا امة ذات تاريخ حضاري ضـاربة جذوره في عمق التاريخ عرفوا التعدين والصـناعات المعتمـدة علـى المعـادن التـي يسـتخرجونها ، ومنهـا صـناعة الاسـلحة وتفننوا بها واتقنوها وطوروها ولم يكن جهلهم الا من الناحيـة الدينيـة لاشراكهم بـالله سبحانه وتعالى ومن ضمن ذلك انهم كانت لهم شجرة تدعى (ذات انواط) يعبدونها ويعلقون اسلحتهم عليها .

وكانـت هنـاك مصـادر مختلفـة لتزويـد المقـاتلين بالسـلاح فـي حـالات الحـرب والمعارك فأما أن يكون عن طريق الدولـة والقبيلـة ، أو يكون كعهدة قابلـة للاسترداد ، أو يكـون عـن طريـق الشـراء ، وكـان للقبيلـة أو المملكـة دخـل فـي ذلـك أيضـا إذ أنهـا تقوم بتزويد المقاتل بالمال اللازم لشراء السلاح المناسب لـه علـى أن يكـون ذلـك المـال ديـن فـي رقبـة المقاتـل يسـترد منـه ، وهنـاك مصـدر آخـر للحصـول علـى الأسـلحة ألا وهـو مـا يحصـل عليـه المقاتـل مـن أسـلاب وغنـائم مـن سـاحة المعركـة فـي حـال الانتصار .

وعلى هذا فانه لا يحق لأحد أطـلاق صفة الجاهلية على عرب قبل الإسلام إذ أنهم كانوا امـة ذات تاريخ حضـاري ضـاربة جذوره فـي عنق التـاريخ عرفوا التعدين والصناعات المعتمدة على المعادن التي يستخرجونها ومنها صناعة الأسلحة وتفننوا بها وأتقنوها وطوروها ولم يكن جهلهم ألا من الناحيـة الدينيـة لأشركهم بـالله سبحانه وتعـالى ومـن ضـمن ذلـك انـه كانـت لهـم شـجرة تـدعى ذات أنـواط يعبـدونها ويلقـون أسلحتهم عليها .

الهوامـــش:

(١) ألحارثي ، صالح بن احمد ، جيش اليمن قبل الإسلام ، مط : دائرة الصحافة، (صنعاء ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٥٧-٥٨ .

(٢) الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير ،(ت:٣١٠ هـ) ، تاريخ الامم والملوك، تح : مصطفى السيد و طارق سليم ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة ، د. ت) ، ٢ / ٨٣ .

(٣) الدنيوري، ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، (ت:٢٧٦هـ) ، المعرف، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ، ص ١٤١ .

(٤) الحارثي ، جيش اليمن ، ص٦٠ .

(٥) الصمد ، واضح ، للصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، (بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م) ، ص١٢١ .

(٦) سالم ، سيد عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة ، (بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧٨م) ، ص٧١ .

(٧) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مط : مطبعة اولن دانش ، (د.م ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ٤٢٢/٥ ؛ الصمد ، الصناعات والحرف ، ص١٢١ .

(٨) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، (ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مط : كوستا توماس ، (القاهرة ، د.ت) ، ٢٠٧/٦ .

(٩) المصدر نفسه ، ٢٠٨/٦ .

(١٠) المصدر نفسه ، ٢٠٨/٦ .

(١١) الغزالي ، علي كسار غدير ، صناعات العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام منذ الألف الأول قبل الميلاد حتى عام ١هـ/٦٢٢م رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد/كلية التربية، (قسم التاريخ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ، ص٢٦٢ .

(١٢) المرجع نفسه ، ص٢٢٢ .

(١٣) ابن هذيل الأندلسي ، علي بن عبد الرحمن ، (ت: ٨هـ / ٦٢٩م) ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تح: محمد عبد الغني حسن ، مط: دار المعارف، (القاهرة ، د.ت) ، ص١٨٦ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص١٨٦ .

(١٥) ابن المجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف الدمشقي ، (ت: ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م) ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، تح: اوسكر لوفغرين ، مط: بريل ، (ليدن ، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م) ، ص٢٩٦.

(١٦) زكي ، عبد الرحمن ، صناعة السيوف الاسلامية في الشرق الادنى في العصور الوسطى، د.مط ، (القاهرة ، ١٣٧٦هـ /١٩٥٦م) ، ص٧٦ .

(١٧) زكي ، السيوف واجناسها ، مط: جامعة فؤاد الاول ، (القاهرة ، ١٣٧٢هـ /١٩٥٢م) ، ص٢٣.

(١٨) علي ، المفصل ، ٥١٦/٧ .

(١٩) زكي ، صناعة السيوف الاسلامية ، ص٧٦ .

(٢٠) سالم ، دراسات ، ص٣١٣ .

(٢١) العمري ، عبد العزيز ابراهيم ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، د.مط ، (د.م ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٤م) ، ص٢٧٠ .

(٢٢) الجميلي ، رشيد عبد الله ، تاريخ الدولة العربية الاسلامية ، مط: بغداد ، (بغداد ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٦م) ، ص١٤٦ .

(٢٣) زكي ، السلاح في الاسلام ، مط ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) ، ص٣٣ .

(٢٤) سورة المائدة ، اية ٩٤ .

(٢٥) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) ، ٣٩٨/٢ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ٤٠٣/١٣ .

(٢٧) ابن هذيل الاندلسي ، حلية الفرسان ، ص٢٠٤ ؛ الصمد ، الصناعات والحرف ، ص١٣٦ .

(٢٨) الغزالي ، صناعات العرب ، ص٢٨٥ .

(٢٩) الصمد ، الصناعات والحرف ، ص١٣٩ .

(٣٠) البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي ، (ت: ٤٨٧هـ /١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تح: مصطفى السقا ، عالم الكتب ، (بيروت ، د.ت) ، ٣٩٤/٤ ؛ علي ، المفصل، ٤٢٤/٥ .

(٣١) النويري ، نهاية الارب ، ٢١٥/٦ .

(٣٢) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ، (ت:٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ٤١/٣ .

(٣٣) الغزالي ، صناعات العرب ، ٢٨٩ .

(٣٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ٥٠٣/٢ .

(٣٥) النويري ، نهاية الارب ، ٢١٦/٦ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ٢١٥/٦ .

(٣٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ٨١/٨ .

(٣٨) الحارثي ، جيش اليمن ، ص٦١ .

(٣٩) المرجع نفسه ، ص٦٠ .

(٤٠) سورة النحل ، اية ٨١ .

(٤١) سورة الانبياء ، اية ٨٠ .

(٤٢) سورة سبأ ، الآيات ١٠-١١ .

(٤٣) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ، ١٧٧/٣ .

(٤٤) الصمد ، الصناعات والحرف ، ص١٥٥ .

(٤٥) ابن هذيل الاندلسي ، حلية الفرسان ، ص٢٢٦ .

(٤٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٦٢/١١ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ٨٠٦/١ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ٤٥٠/٣ .

(٤٩) النويري ، نهاية الارب ، ٢٤٢/٦ .

(٥٠) الغزالي ، صناعات العرب ، ص٣٠١ .

(٥١) النويري ، نهاية الارب ، ٤٢١/٦ .

(٥٢) الاصمعي ، عبد الملك بن قريب ، (ت:٢١٦هـ / ٣٣١م) ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، تح: محمد حسن آل ياسين ، د.مط ، (بغداد ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) ، ص٢٧ .

(٥٣) النويري ، نهاية الارب ، ٢٤٢/٦ .

(٥٤) خليل ، محسن في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦م) ، ص٤٧ .
(٥٥) الحارثي ، جيش اليمن ، ص٦١ .
(٥٦) العودي ، حمود ، المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي ، عالم الكتب ، (القاهرة ، ١٣٠٨هـ / ١٩٦٠م) ، ص٥٩ .
(٥٧) علي ، المفصل ، ٥٧٧/٧ .
(٥٨) شيبمان ، كلاوس ، تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ، ترجمة: فاروق إسماعيل ، مركز الدراسات البحوث اليمني ، (صنعاء ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) ، ص٧٨ .
(59) Repertoire d Epigraphie semitiqe publie par la commission du corpus inscriptionum Semiticarum , (Paris , 1968) .
(٦٠) الحارثي ، صالح بن احمد ، جيش اليمن قبل الاسلام ، دار الصحافة للطباعة والنشر ، (د.م، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م)، ص٧٩ .
(٦١) علي ، المفصل ، ٥٥٩/٧ .
(٦٢) المرجع نفسه ، ٥٥٧/٧ .
(٦٣) الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الرب في معرفة احوال العرب ، محمد بهجت الاثري ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، د. ت) ، ٣ / ٤٠٣ .
(٦٤) المرجع نفسه ، ٣ / ٤٠٣ .
(٦٥) علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مط : المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م) ، ٧ / ٥٥٧ .

تنمية الموارد البشرية
وانعكاسها على الواقع الاجتماعي

م.م. هيثم فيصل علي
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

الملخص

شهد العقد الاخير من القرن الماضي التأكيد على مفاهيم التنمية والتنمية المستدامة لاهميتها الكبيرة في مختلف العلوم ومنها العلوم الاجتماعية . التي تسعى الى تحسين مستوى الفرد المعيشي من خلال تطوير المهارات والتخطيط للاستثمار الامثل للموارد من اجل النهوض وتقدم المجتمع واتباع افضل السبل العلمية في ذلك.

المقدمة

شهد العقد الأخير من القرن الماضي تنامي الوعي بقيمة الإنسان هدفاً ووسيلة في منظومة التنمية، وبناء على ذلك كثرت الدراسات والبحوث والمؤتمرات التي عقدت لتحديد مفهوم التنمية البشرية وتحليل مكوناتها وأبعادها، كإشباع الحاجات الأساسية، والتنمية الاجتماعية، وتكوين رأس المال البشري، أو رفع مستوى المعيشة أو تحسين نوعية الحياة.

ان تنمية الموارد البشرية هي زيادة عملية المعرفة والمهارات والقدرات للقوى العاملة القادرة على العمل في جميع المجالات، والتي يتم انتقاؤها واختيارها في ضوء ما أُجري من اختبارات مختلفة بغية رفع مستوى كفاءتهم الإنتاجية لأقصى حد ممكن.

يحاول بحثنا هذا التطرق الى أبعاد و مزايا التنمية البشرية في العالم و تأثيرها على الواقع الاجتماعي و المجتمعي ان صح التعبير. يتم مقاربة هذا الموضوع عبر تقسيم البحث الى الفصول الثلاث الآتية:

الفصل الاول:المبحث الاول يتناول المشكلة والاهمية والهدف ويتناول المبحث الثاني تعريف التنمية ، ماهي تنمية الموارد البشرية، اصولها ، ابعادها، اشكالياتها، تاريخ تطورها.

الفصل الثاني: يتناول إبعاد التنمية البشرية والموارد البشرية وامكانية رفعهاوتطورها الفصل الثالث: و يتناول ها الفصل التأثير الذي يتركه تنمية الموارد البشرية على المجتمع و الواقع المجتمعي و الاجتماعي من تعليم و صحة و ثقافة وكذلك التخطيط الاجتماعي .

الخاتمة: تلخص الخاتمة اهم ما توصل اليه الباحث في ثنايا بحثه و ملحقة باقتراحات للاستفادة القصوى من ميزة التنمية المستدامة للموارد البشرية و اثرها على الواقع الاجتماعي.

تنتهي الخاتمة بأهم المراجع و المصادر التي تم الاستعانة بها في البحث .

الفصل الأول

المبحث الأول

مشكلة البحث :

تعد التنمية البشرية من المواضيع المهمة في الوقت الراهن .حيث يكون عدم الاستفادة من موارد التنمية البشرية الأمر الذي انعكس سلبا على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .مما اضعف اقتصاديات البلدان النامية ومنها العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص . الفساد الإداري وعدم الاستفادة من الخبرات العالمية و العلمية في انتهاج سياسات واضحة الأمر الذي أدى إلى تدهور اقتصاديات الدول ومنها العراق بشكل واضح.

اهمية البحث :

التنمية البشرية تشكل الموضوع الرئيسي لاولويات العديد من البلدان العربية ومنها العراق . العمل على استغلال العراق للثروات وبشكل يسهم في الحد من الفقر والبطالة وإنعاش الاقتصاد والذي يؤدي إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي والتقدم في كل المجالات.

هدف البحث :

يهدف البحث إلى عدة أمور منها العمل لتنمية الموارد البشرية وليكون موضوع التنمية البشرية أهم المحاور التي تهم المجتمع .وكذلك توسيع الخيارات للإنسان وليس الفرد وحده وكذلك التركيز من خلال التنمية البشرية ليشمل المجتمع بأسره. وان التنمية البشرية معنية بتوسيع خيارات القدرات البشرية من خلال الاستثمار في الناس وفي إطار تمكيني . التركيز على التنمية في كل جوانبها السياسية والاقتصادية ورفع شعار التنمية من اجل النهوض بالعراق ،ورفع المعانات التي لحقت به جراءسوء الاستعمال والتصرف بثرواته النفطية ولفترات طويلة باعتماد افضل السبل وادخال مفردات الجودة والنوعية بما يتلائم والتطور التكنولوجي .

المبحث الثاني

هناك عدة تعريفات للتنمية البشرية

التنمية ـ Human Development هي عملية توسيع خيارات الشعوب والمقصود بها تمتع الإنسان بمستوى معيشي مرتفع الدخل بحياة طويلة وصحية بجانب تنمية القدرات الإنسانية من خلال توفير فرص للعمل والتعليم (١) .

تنمية الموارد البشرية

ماذا نَعني بتنمية الموارد البشرية؟ حدَّد الفَهْم التصوُّريّ و التجريبيّ مِنْ جانب مجموعات مِنْ الناس معنى تنمية الموارد البشرية بأنها عملية ديناميكية، مُتطورَّة، مُستمرة، و مُمكّنة مِنْ سلطة. نموّ الإنسانِ الفردي مُتعدّد الأبعاد، و هو يُؤثّر في الجوانب المعرفيّةِ، العاطفيةِ، الجسديةِ و الروحانيةِ للشخص. تُسلّم هذه التعاريف بمواطن القوة و الضعف في البشر و كذلك إمكانياتهم في عالم الأعمال و الصناعة(٢)، ينبغي أن تُؤسّس المنظمة مجموعة مِنْ الهياكلِ الرسميةِ. تُدرك الإدارة العُليا الآن بأن الأهداف الإنتاجية تَعتمدُ إلى حد كبير على تطبيقِ قانون الأداء البشري المُتكامل أو ببساطة قانون الأداء الذي ينص على أن "الوقت الذي يستغرقه الفرد في أداء مهمّة مُعينة – بالكامل و بشكل صحيح – يتناقص مع تزايد عدد المرات التي مارسَ الشخصُ فيها المهمّةِ". و مِنْ ثم، مع الزيادة في عدد المُمارسات، كذلك براعة الشخص. الأثر الكبير لهذا القانون يُصبح واضحاً عندما ينظر المرء إلى تطبيقه على مدى عدة مهام، طوال عدة أيام ،أشهر و أعوام.

يعتمدُ مستوى الأداء الرفيع على القيَمِ المُختلفةِ للحافز و القدرات وفقاً للمعادلة قوة الأداء= دالة (الحافز × القدرات) (٣).

القوة العاملة ليستْ مُجرّد وسيلة لتحقيق غاية بل بالأحرى، إنها القوة التي تُكسب المنظمة الحياةِ، الحيويةِ، و المقدرة. قوام الحياة في منظمة – كما يتجلى في

القدرة على النمو، النشاط الوظيفي، و التطوير المُستمر – حفز الإدارة المسؤولةَ على تَخطيط برامجِ أكثر شموليةِ (برامجِ شمولية بمعنى البرامج التي تَبْذلُ جُهد مُطَّرد لكي تؤدي مهامها على الوجه الأكمل في الجسمِ، العقلِ، الإنفعالات، و الروحِ) التي تتجاوز مُجرّد تطويرِ مهاراتِ العُمالِ التقنيةِ إلى التنمية الشخصية و المهنية الأشمل، و منذ أن إنضمّتْ نِساءُ أكثر إلى القوة العاملةِ، عُزِّزتْ هذه البرامجُ الشموليةُ بمُصطلحات أكثر تُراعي الفوارق بين الجنسين(٤).

تنمية الموارد البشرية. تنمية الموارد البشرية هي أحد الهياكلِ الرسميةِ. ماذا نفهم عن الموارد البشرية؟ تحتاج شركة حتى تعمل إلى موارد مثل الموارد الماليةِ، المواد الأوليةِ و الأكثر أهميةً الموارد البشريةِ. الأخير في الذكر (أي المورد البشري) هو الأهم لأنه بدون القوة العاملةِ لا يُمْكِنُ أَنْ يكون هناك إنتاج. يُشيرُ المورد البشري إلى كادر العاملين. المورد البشري هو المصدر الأكثر اهمية بالنسبة إلى أيّة شركة لأنه الأكثر مرونة بين المصادرِ الأخرى. العاملون بشرَ قادرون على الإبتكار. يَستطيعونَ تَغيير البيئةِ التي يَجِدونَ أنفسهم فيها. يأتون بأفكار جديدة حول ما يقومون به، خلافا للآلياتِ، أَو الحاسباتِ، التي لا يُمكن إلاّ أن تفعل ما يُطلب منها بالتحديد. و هم قادرون ليس فقط على تنفيذ سلسلة مِنْ خطوات مُدرَّجة، مُحدَّدة جيداً و مُقرَّرة سلفاً، و إنما أيضاً شيئاً أكثر إبداعاً. إنهم حسّاسون بخصوصية. لهم بَعْض الحقوقِ الأساسيةِ. لديهم تصوُّرات عن كرامتِهم التي يَجِبُ الوفاء بها. لهم تطلّعات نحو حياة أفضل، أكثر إرضاء. هم أيضاً المورد الوحيد الذي يُمْكِن اعتباره تلقائيّ. هناك بعض الأمور التي يفعلها أشخاص و لا يستطيع أحد التنبؤ بها. كيفية التَعَامُل مع الموارد البشرية؟ في التَعَامُل مع الموارد البشرية، يُؤخذ بعين الإعتبار ظاهرتين ذات صلةِ هما: (١) الحافز و (٢) التنمية (٥).

الحافز – لأننا نَعْرفُ مِنْ خلال التجربةِ أن رد فعل الأعضاء لمطالب المنظمةِ يُقرّره إلى حد كبيرٍ جداً ما إذا كان الأعضاء يَرون أن مِنْ مصلحتهم أن يفعلوا ما يُطلب منهم. كَشفتْ دراسة عن الدوافع أنّ، إضافة إلى الأجورِ الجيّدةِ، العلاقات الشخصية الجيدة مَع زملاءِ العمل و المشرفين هى ما سيَدْفعُ قوة العمل "الفلبينية" للعَمَل بجديّة أكبر مِنْ ذي قبل. التنمية – الموارد البشرية هي الوحيدة القادرة على التجدُّدِ و التطوُّرِ إلى مُستوى أعلى مِنْ الكفاءة. مع ذلك يَحتاجُ تطويرُ الصناعةِ الى مجمع كبير مِنْ الكوادر المُدربة. إعداد مُكثّف ينبغي أَنْ يَسْبقَ العملَ الفعلي . يُشيرُ مصطلح تنمية الموارد البشرية الى النهوض بالمعرفةِ، المهاراتِ، الكفاءاتِ، و تحسين سلوك الأفراد داخل المنظمةِ لفائدتهم الشخصية و المهنية على حد سواء و هو مجرد مُكوّن فى طيف واسع مِنْ التطوُّرِ الإنساني([٦]).

الفصل الثاني

أبعاد التنمية البشرية

الاهتمام بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل الحياة لتنمية قدرات الإنسان، طاقاته البدنية، العقلية، النفسية، الاجتماعية، المهارية، الروحية ([٧]).

– التنمية البشرية عملية تتصل باستثمار الموارد والمدخلات والأنشطة الاقتصادية التي تولد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات البشرية عن طريق الاهتمام بتطوير الهياكل والبنى المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس.

يتكون دليل التنمية البشرية، كما يطرحها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، من ثلاثة مكونات أساسية وهي: طول العمر (مقاسا بتوقع العمر عند الولادة)، والمعرفة (مقاسا بنسبة معرفة القراءة والكتابة عند الكبار، ومتوسط سنوات الدراسة) ومستوى

المعيشة (مقاسا بالقدرة الشرائية بالاستناد إلى معدل الدخل المحلي الإجمالي الحقيقي للفرد)"(٨).

وحيث أن التربية والتعليم لهما دور أساسي في عملية التنمية البشرية فلابد من إتاحة الفرصة أمام كل إنسان لتنمية قدراته التربوية، ومن أهم الشروط الضرورية لإتاحة حق الإنسان في الثقافة والتعليم (٩):

١. حق التعليم للجميع لأنه من حقوق الإنسان الأساسية في الحياة ،وإتاحة الفرصة لكل فرد في تنمية طاقاته من خلال مؤسسات الثقافة والتعليم .
٢. إشاعة الحرية في المؤسسات الثقافية والتعليمية وترسيخ أسس الحوار الديمقراطي،ضماناً لرفع الكفاءة في العمل وتجديده وتطويره.
٣. القضاء على الأمية، لأن الأمية تعتبر عائقاً من عوائق التنمية والتجديد فهي ميدان للتفكير المتعصب والخرافي والسلطوي .
٤. التأكيد على سنوات التعليم الأساسي للجميع والتوسع والتنوع في مؤسسات التعليم الثانوي والجامعي والعالي لمواجهة مطالب سوق العمل .
٥. التركيز على مبدأ التعليم المستمر مدى الحياة والإعداد للتعلم الذاتي مما يساعد الإنسان على التكيف مع واقعه حيث يصبح فاعلاً لا مجرد تابع أو مستقبِل فقط .
٦. ترسيخ المساواة والتقدير لكل فروع المعرفة الإنسانية وخبراتها سواء كان عملا ذهنيا، عمليا، تنظيميا، فنيا، إنتاجيا، تعليميا أو جماليا.
٧. التقدير المتكافئ لمختلف الأنشطة المجتمعية وتكاملها، لأن الإنسان كائن مركب من طاقات مختلفة: بدنية، عقلية، اجتماعية، روحية، وجدانية وتنمية هذه الطاقات يتطلب الوفاء باحتياجاتها البيولوجية والجسمية والمعنوية.وواقع

تعليمنا يركز على الإنسان الجزئي عن طريق تلقين وحشو الأذهان بالمعلومات(١٠).

ويعتقد روستو احد ابرز المنظرين w. rostow اتجاه التحديث في كتابه مراحل النمو الاقتصادي الذي يعد الأقطار التي تحقق النمو هي الاقطار المتطورة او المتقدمة وهي التي بمرحلة (الانطلاق Take Off) وفي صورة معكوسة توجد أقطار أخرى اقل تقدما في الوقت الحاضر يمكن ان نطلق عليها الأقطار النامية (١١). ويشكل التحديث مساحة واسعة في علم الاجتماع، ويعني اقتصاديا التصنيع والتمدين والتحول التكنولوجي في الزراعة، واجتماعيا أضعاف الروابط التقليدية وزيادة في الإنجاز، وسياسيا ترشيد السلطات ونمو البيروقراطية، وثقافيا العلمانية في المجتمع نتيجة النمو في المعرفة العلمية

حتى بداية الثمانينيات من القرن العشرين كان معظم اقتصاديي التنمية يعتبرون الدولة أو الحكومة عاملا ملطفا، حين تفشل الأسواق تتدخل الحكومة لمعالجة الفشل، وهي أيضا تسعى إلى تحقيق أهداف اجتماعية أخرى مثل إعادة توزيع الدخل، أو بناء وترسيخ القيم الثقافية، وبشكل عام تعتبر الحكومات بمثابة الحارس، غير أن تحفظات(١٢) الاقتصاديين على ذلك تحولت إلى انتقادات علنية للعديد من الحكومات في الدول النامية، فالدول التي خضعت اقتصادياتها للسوق بدت أفضل بكثير من الدول التي تدخلت حكوماتها بقوة في الاقتصاد.

الموارد البشرية وإمكانية رفع فعاليتها:

إن تنمية الموارد البشرية يجب أن تكون تنمية مترابطة متكاملة في جوانبها الأساسية، كالسياسات السكانية، والخصائص الهيكلية للقوى العاملة، وسياسات التربية والإعداد والتدريب، وسياسات الاستخدام، على أن يتم ذلك كله في إطار

الخطط الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ومن خلال الأهداف الاستثمارية والإنتاجية، وعند وضع أي إستراتيجية لتنمية الموارد البشرية يجب أن تتضمن:

- تحقيق التطور النوعي للقوى العاملة ورفع كفاءاتها ومهاراتها في شتى قطاعات النشاط الاقتصادي، بما ينسجم مع مستلزمات تحقيق التنمية الشاملة، وهذا يتطلب رفع إمكانيات التأهيل والتدريب وتوسع قاعدتها بحيث تشمل مختلف أصناف المهن ومستويات المهارة والاختصاص(١٣) .
- تأهيل القوى العاملة لاستخدام التقدم التقني والثورة العلمية في عملية التنمية الشاملة وجعلها في مستوى يمكنها من الإسهام في تطوير التكنولوجيا وتوطينها وابتكارها.
- تحقيق التوازن في سوق القوى العاملة، تحقيق التوازن بين عرض القوى العاملة والطلب عليها بهدف التوصل إلى الاستخدام الأمثل لقوة العمل.
- مكافحة الأمية ونشر الثقافة العمالية بهدف النهوض بمستوى الموارد البشرية وتنميتها.

الفصل الثالث

تنمية الموارد البشرية و انعكاساتها على الواقع الاجتماعي

تتضمن سياسة الموارد الاجتماعية والبشرية منظومة واسعة من الأهداف والمبادرات،لذلك فقد أصبح واضحاً للمؤسسات الحكومية والخاصة أن التنمية الاجتماعية والبشرية تمثل الركيزة الأساسية التي تستند إليها كافة السياسات والمبادرات التي تسعى الحكومات لتطبيقها، للوصول إلى أهداف التنمية الإجتماعية والبشرية لذلك فلا بد من ترجمة الأهداف الأخرى للإمارة، مثل تحقيق النمو الاقتصادي وتطوير البنى التحتية وتوفير بيئة آمنة، إلى واقع ملموس(١٤). تتمثل العناصر الرئيسة لرؤية الإمارة في تنمية وتطوير الموارد الاجتماعية والبشرية، لإقامة

خدمات صحية وتعليمية أكثر رقياً لتستطيع النهوض بأفراد المجتمع ومهاراتهم واسهاماتهم الفريدة وتوظيفها للارتقاء بالمستوى المعيشي بصفة عامّة (١٥).

- الخدمات الصحيــة.
- التعـليــم.
- القـوى العـــاملة.
- الثقـــافة والتـــراث.الرقـــابة الغـذائيـة.

<u>الخدمات الصحيــة.</u>

توفير خـدمـات رعــايـة صحيـة ذات مواصفات عـالمية

يمر قطاع الرعاية الصحية في العالم بمرحلة انتقالية مهمة للغاية باعتبار أن تأثيره سيمتد ليشمل جميع الجهات المعنية به من مواطنين وغير مواطنين مزودين بالخدمات ونظام الرعاية الصحية، مع ضمان جودة الخدمات التي يقدمها، وفيما يأتي الأهداف الرئيسة (١٦):

١. تحسين جودة خدمات الرعاية الصحية، من خلال تبني معايير صارمة فيما يتعلق بهذه الخدمات وتحقيق الأهداف المحددة لأدائها.
٢. توسيع نطاق الحصول على خدمات الرعاية الصحية، وذلك عبر تمكين جميع المقيمين من الاستفادة منها على نحو متساو،والمساهمة في ترويج التميز من خلال المنافسة في الأسواق الحرة.
٣. التحول من خدمات القطاع العام إلى خدمات القطاع الخاص، على نحو آمن وكفء حتى يتسنى لمزودي خدمات الرعاية الصحية من القطاع الخاص أن يحلوا محل الحكومة في الإيفاء باحتياجات الرعاية الصحية، على أن يقتصر دور الحكومة على إعداد وتطبيق معايير عالمية للرعاية الصحية.
٤. تطبيق نظام جديد لتمويل خدمات الرعاية الصحية من خلال نظام التأمين الصحي الإلزامي (١٧).

<u>التعليـم.</u>

إرساء قاعدة للريادة العالمية

يعتمد تحقيق الأهداف التنموية في العالم عموما في الدول المتقدمة بشكل خاص على توفر كوادر بشرية مؤهلة وقادرة على الابتكار.ومن الأهداف الرئيسة لخطة تطوير التعليم في اي برنامج تنموي استحداث نظام تعليمي يتصف بالشمولية ويعتمد على أفضل الخبرات المتاحة، ويُطبّق أرقى المعايير المعروفة على مستوى العالم، ولتحقيق ذلك تنوي حكومة الإمارة إلى تحسين مخرجات النظام التعليمي بوصفه يشكل أولوية وطنية مهمة (١٨).

وتمثل إعادة الهيكلة الخطوة الأولى على طريق تطوير النظام التعليمي بحيث:

- تكون الحكومة أقل تدخلاً في التزويد المباشر للخدمات التعليمية.
- قيام القطاع الخاص بتوفير مدى أوسع من الخدمات التعليمية بالنيابة عن الحكومة.
- تركيز دور الحكومة على الجوانب التنظيمية والإشرافية المتعلقة بالنظام التعليمي، مع تبني أفضل الممارسات المعروفة على مستوى العالم.
- رفع مستوى مشاركة مواطني الدولة في المهن ذات الصلة بالتدريس وإدارة النظام التعليمي.
- تحقيق مزيد من الكفاءة على صعيد تكاليف التعليم من خلال تبني ممارسات جديدة في إدارة المدارس واعتماد هياكل تنظيمية حديثة لجميع المؤسسات التعليمية في البلدان.

القوى العاملة.

نحو العمل في بيئة مهنية تتسم بالشفافية

وتمثل الإدارة الفاعلة لموارد العمل عنصراً مهما في استقطاب وتطوير قوة العمل الماهرة والمرنة القادرة على تجسيد الرؤيتين الاجتماعية والاقتصادية للإمارة. إذ أن سوء إدارة الموارد البشرية لا يهدد فقط إنجازات هذه الرؤية، بل يمكن أن ينعكس سلبا على سمعة الاقتصاد الوطني دولياً إضافة إلى مخالفته للقيم الإنسانية التي تفخر بها الدول المتقدمة بشكل خاص و العالم بشكل عام.

وللوصول إلى إدارة خلّاقة وآمنة وفاعلة لموارد العمل داخل الإمارة، فإن الهيئات و القطاعات ستعمل على تحقيق الأهداف الآتية ([١٩]):

- تحقيق التوظيف الكامل لمواطني الدولة وذلك ضمن سبل مهنية ملائمة.
- الالتزام الصارم بقانون العمل الاتحادي في تنظيم علاقات العمل وبجميع معايير العمل الدولية التي تتبناها البلدان.
- القضاء الكامل على جميع ممارسات العمل الاستغلالية والقسرية، مع التركيز بشكل خاص على حماية النساء والقصر، فضلاً عن الاستئصال الكامل لأي شكل من أشكال الاتجار بالبشر.
- إتاحة بيئة عمل آمنة وصحية لجميع أفراد القوى العاملة.
- إلغاء جميع أشكال التمييز في مواقع العمل.
- تأمين التوريد الكافي والمتوازن للأيدي العاملة لدعم التنميتين الاقتصادية والاجتماعية.
- تعزيز سمعة وصورة البلدان في المحافل الدولية.

الثقافة والتراث.

المحافظة على الإرث الثقافي

تتمتع بعض البلدان و العراق احدهم بمواقع أثرية وطبيعية مهمة، كما أن لديها واحاتٍ ومناظرَ طبيعية خلابة ومبانيَ ذات تصاميم تراثية، هذا بالإضافة إلى العادات الاجتماعية المحلية والأمثال والرقصات الشعبية والحرف اليدوية التقليدية، وتُشكل هذه الموارد مساهمة متميزة وفريدة في مجال إثراء البيئة الثقافية والتراثية على مستوى العالم، ومثلما هي الحال دائماً بالنسبة إلى المساهمات المتميزة (٢٠)، فإن هذه الموارد تستحق إجراءات خاصة تضمن حمايتها والمحافظة عليها. ومن دون توفر مثل هذه الإجراءات فإن الموارد الثقافية والتراثية في البلد ستكون مهددة بالزوال بسبب التطورات السريعة التي يشهدها العالم على كافة الأصعدة من عمرانية وديمغرافية وإقتصادية.

ويعتمد وضع سياسة فاعلة في مجال الثقافة والتراث على الأهداف الآتية(٢١):

١. صياغة إطار قانوني مُحكم يُحدد مكونات البيئة التراثية ، إضافة إلى مسؤوليات واختصاصات ذات الصلة من مختلف الجهات، وذلك لأن العناصر التراثية والثقافية يمكن أن تتوفر في أكثر من مجال وليس من الممكن رعايتها بصفة كلية من قبل جهة واحدة.
٢. تأسيس هيئة فاعلة يكون لديها صلاحيات واسعة لاتخاذ القرارات وإدارة عمليات التنسيق اللازمة، وينبغي أن يُعهد إلى هذه الهيئة بتوجيه مسارات العمل المشترك مع مختلف الجهات العامة والخاصة ذات الصلة بإدارة البيئة التراثية والثقافية والمحافظة عليها، كما ينبغي أن تتولى كافة المسؤوليات

المتعلقة بها من خلال التنسيق مع مختلف الجهات المعنية بالبيئة التراثية والثقافية.

٣. توفير جهاز كافٍ من العاملين لكافة الجهات المسؤولة عن حماية البيئة التراثية والثقافية والتعريف بها، وسوف يتضمن ذلك أختصاصيين في مجالات المحافظة على التراث وإدارة البيئات الثقافية والتراثية والتخطيط العمراني وعلوم الآثار وعلوم التاريخ، إضافة إلى مجالات فنية وحرفية متعددة.

٤. تعزيز روابط التعاون بين الجهات الاتحادية والمحلية ذات الصلة بتنفيذ السياسات المتعلقة بالثقافة والتراث ([٢٢]).

الرقابة الغذائية.

ضمان الصحة العامة والسلامة

يتوقع المواطن من الحكومة أن تضمن له ولاسرته أغذية صحية ومفيدة سواء تم شراء الأغذية من المتاجر المحلية أو تناولوها في المطاعم، ويحتاج الناس إلى أن يشعروا بالثقة والطمأنينة من أن غذاءهم قد تم تحضيره وإعداده بطريقة صحية وسليمة.ويكرس الجهاز المكلف بمراقبة الصحة و السلامة جهوده لحماية المستهلك في مجال سلامة الأغذية ومراعاة الأصول الصحية والجودة، ويسعى للحصول على اعتراف دولي باعتباره هيئة عالمية في مجال سلامة الأغذية.ان المقصود في التنمية اجتماعية تنظيم وتعبئة الموارد وتوجيهها نحو توفير الخدمات الاجتماعية كالصحة والتعليم والسكان ورعاية الشباب .وكذلك اشارت المنظمات والمواثيق الدولية خاصة فيما يتعلق ([٢٣]) بأستراتيجية التنمية الاجتماعية الى تقديم الخدمات وتطويرها وتحديثها لمواكبة متطلبات النهوض باوضاع المراة[٢٤].

التخطيط الاجتماعي:

من البديهي القول انه من الصعوبة ان تكون هناك تنمية اجتماعية ناجحة دون ان تكون هناك رؤية مسبقة او مايعرف التخطيط الاجتماعي او الخطط التنموية الاجتماعية والاقتصادية . فهي مسؤولة عن الكثير من الخطط لتي ينعكس اثرها على تطور ونمو المجتمع او مايعرف بالتخطيط الاجتماعي[٢٥]. الذي اصبح فيما بعدمن اهم فروع علم الاجتماع والذي تخصص له الدراسات الاجتماعية في الخدمة الاجتماعية والاجتماع والانثروبولوجيا جزا كبيرا من اهتمامها ان الاهتمام بتنظيم وتعبئة الموارد وتوجيهها من اجل توفير الخدمات الاجتماعية كالصحة والتعليم والاسكان ورعاية الشباب وبالرغم من اهمية ذلك خصوصا في مجال تخطيط الرعاية الاجتماعية. من المعروف ان تخطيط الموارد البشرية هو محاولة لتحديد احتياجات المنظمة من العاملين خلال فترة زمنية معينة ،وهي الفترة التي يغطيهاالتخطيط وهي سنة في العادة وبأختصارفإن تخطيط الموارد البشرية يعني اساسا تحديد اعدادونوعيات العمالة المطلوبة خلال فترة الخطة[٢٦].

التنمية الاقتصادية ومقوماتها:

ان التنمية الاقتصادية هي عملية نقل الاقتصاد القومي من حالة التخلف الى حالة التقدم او هي عملية الانتقال من الوضع الاجتماعي المتقدم[٢٧].

وهنا لابد ان نشير الى عدة امور منها :

اولا . ان الزيادة في متوسط دخل الفرد التي يعتمد عليها كمؤشر للتنمية الاقتصادية هي تلك الزيادة المصاحبة والمرتبه على تصحيح الاختلالات الهيكلية والمقصودة بهاالزيادة المصاحبة للتقدم والغير في اساليب الانتاج السائدة .

ثانيا . لايمكن القول بان الاقتصاد القومي قد دخل مرحلة التنمية الاقتصادية إلا اذا اصبحت التنمية الاقتصادية نمطا طبيعيا لهذا المجتمع .

ثالثا ـ يجب التفرقة بين التنمية الاقتصادية وبين مفهوم التحضر الغربي ولان اكتساب الحضارة الغربية قد تم دون ان يكون هناك تنمية اقتصادية فعلية.فقد ادى[٢٨] الخلط بين هذين المفهومين ادى الى كثير من المشاكل الخاصة بتعريف التنمية ومتطلباتها ومقوماتها .

وبأختصار ان برامج الاصلاح الاقتصادي في العراق يرجع الى عاملين مهمين الاول هو التركيز[٢٩] على القضايا السياسية ،والثاني هو وجود النفط بالرغم من توقف الاعتماد عليه بشكل كبير في بداية عقد التسعينات كمصدر اساسي ساهم بصورة مباشرة او غير مباشرة في عملية التنمية الاقتصادية . ان احد العناصر الاساسية في في عملية الانماء هي تحديد اسلوب التنمية .

اهم العناصر للتنمية الاجتماعية الاقتصادية:

١. ثورة صناعية اوعملية التصنيع وخلق القاعدة الصناعية للمجتمع[٣٠] .
٢. ارتفاع مستوى التراكم الرأسمالي بوصفه المقوم الاساسي لعملية التصنيع .
٣ـ خلق الاطار الملائم لعملية التصنيع او لاستقبال المجتمع للثورة الصناعية ويكون هذا الاطار ملائم من حيث التغيرات الاجتماعية المصاحبة لعملية التصنيع وهي تغيرات سياسية واجتماعية بما فيها القيم والسلوك .
٤ـ اختيار اسلوب التنمية اي الاختيار بين قوى السوق والتخطيط الشامل .

واخيرا لابد من تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي لانه شرط اساسي في تقدم الدول وتطورها من خلال فرض هيمنتها على مواردها الطبيعية ،ولاننسى من ان التنمية الاقتصادية تتطلب تغييرا في السلطة السياسية القائمة .

اهم المشاكل التخطيط لتنمية الموارد البشرية :

١ـ التنمية الحقيقية ترمي الى حسناستغلال الموارد البشرية والمادية من اجل توفير الصحة والغذاء والثقافة والتعليم والعمل[٣١] والعدالة هوالحرية لجميع افراد المجتمع بغض عن الدين والفئة والجنس اوالطبقة .
٢ـ ساعدت الثروة النفطية في البلاد العربية على احداث ارتفاع في مستويات الدخل الا ان التنمية الحقيقية لم تحدث .
٣ ـ عدم وجود البيانات اللازمة لتخطيط الموارد البشرية بالتفصيل والشمول اللازمين وبالحداثة المعبرتماما عن الوضع القائم وباختصارعدم توافرالمعلومات الدقيقة والصحيحة[٣٢] .
٤ـ هناك معوقات في التوفيق بين مصالح المنشأة والقوانين الحكومية .
٥ـ صعوبات تتعلق في التنسيق بين القوى العاملة وبين الانشطة الاخرى لتنمية القوى العاملة كالاختيار والتعيين والتدريب .
٦ ـ عدم وجود مفاهيم الادارةالعلمية الحديثة كقياس الاداءومعدلات الجودة الشاملة والمفهوم المبني على اساس الكلفة المالية للاعمال الادارية[٣٣] .

المقترحات:

بناء على ما تقدم من الممكن تقديم بعض الاقتراحات التي من شأنها رفع فعالية الموارد البشرية للإسهام بشكل أكثر في عملية التنمية والنمو، وتحقيق التوزيع الجيد للقوى العاملة،بشكل يتوافق مع متطلبات التنمية.

- تنظيم انتقال القوى العاملة بهدف حل مشكلة اختلال التوازن في سوق العمل.
- ربط سياسة التخطيط الإنمائي مع سياسات تخطيط القوى العاملة .
- ضرورة خلق فرص عمل منتجة للإعداد المتوقع أن تدخل سوق العمل في المستقبل القريب ومحاربة التشغيل الهامشي والبطالة المقنعة.
- العمل على توسيع القدرة الاستيعابية للقطاع المنظم والمنتج وتسهيل الدخول إليه وإزالة العوائق.
- إنشاء مكاتب تشغيل لتقوم بتجميع المعلومات عن أوضاع العمل والعمال وتزود بها المؤسسة ببث ونشر المعلومات عن أوضاع العمل وسوق العمل في ، بهدف تنسيق التشغيل فيما بينها، مع التأكيد على العناية بموضوع البيانات الخاصة بحجم العمالة ومؤشراتها الكمية النوعية والهيكلية.
- التأكيد على عملية تخطيط القوى العاملة ، تلك العملية المنظمة المستمرة التي يتم عن طريقها حصر وتقدير موارد المجتمع من القوى البشرية، ثم تصنيف هذه القوى لاستغلالها أو توجيهها أو توزيعها بين القطاعات الاقتصادية المختلفة بواسطة هيئة مركزية، ويجب أن يتم هذا وفقاً لخطة محددة وواضحة بقصد تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية محددة في أقصر وقت ممكن وبأقل تكلفة اجتماعية واقتصادية.

الهوامش:

(١) الدكتور عبدالله عطوي ، السكان والتنمية البشرية ، دكتوراه في الجغرافية البشرية، الجامعة اللبنانية.

(٢) عماد (٢٠٠١) التنمية الاقتصادية في العالم– رؤية العدد ١١ الهيئة العامة للاستعلامات ص ١٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٤

(٤) تقرير منظمة اليونسيف ٢٠٠٢ ، الخطة الوطنية للتعليم للجميع .

(٥) المصدر السابق، ص ١٧٩–٨٠

(٦) عماد (٢٠٠١) التنمية الاقتصادية في العالم– رؤية العدد ١١ الهيئة العامة للاستعلامات.

(٧) . د. محمد يوسف أبو ملوح ، التطوير التربوي بحث منشور على موقع: http://www.almualem.net

(٨) المصدر السابق، ص ٩٩

(٩) الدكتور مصطفى محمد العبدالله الكفري http://www.rezgar.com

(١٠) وزارة التربية والتعليم (٢٠٠٢)– الخطة الوطنية للتعليم للجميع،.

(١١) اتجاهات جديدة في علم الاجتماع ، تحرير ميشيل هارا لامبوس ترجمة د.إحسان محمد الحسن وآخرون .بغداد ٢٠٠١،ص١٣٠.

(١٢) ابراهيم الغرايبة بحث في اقتصاد التنمية منشور على موقع :

www.saudiinfocus.com

(١٣) عماد ، نفس المصدر، ص ٨١

(١٤) . د. محمد يوسف أبو ملوح ، التطوير التربوي بحث منشور على موقع:

(١٥) عماد (٢٠٠١) التنمية الاقتصادية في العالم- رؤية العدد ١١ الهيئة العامة للاستعلامات.ص ٧١

(١٦) الدكتور مصطفى محمد العبدالله الكفري http://www.rezgar.com

(١٧) المصدر السابق، ص ١٠١

(١٨) عمار، حامد (١٩٩٨) دراسات في التربية والثقافة (٦) وفي التنمية البشرية وتعليم المستقبل- عربية للطباعة والنشر- القاهرة. ص ٧٤

(١٩) تقرير التنمية البشرية- ١٩٩٨/١٩٩٩-نيسان (٢٠٠٠) برنامج دراسات التنمية.

(٢٠) الدكتور مصطفى محمد العبدالله الكفري http://www.rezgar.com

(٢١) المصدر السابق، ص ١٨٢

(٢٢) الدكتور مصطفى محمد العبدالله الكفري، مصدر سابق

(٢٣) الدكتور محروس محمود خليفة ، السياسة الاجتماعية والتخطيط في العالم الثالث ،كلية الاداب . جامعة الاسكندرية ،سنة ١٩٨٦ ،ص٢٩٣ .

(٢٤) كتابة المراة العربية، بيجين ،الامم المتحدة ـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا الاسكوا.بيروت . لبنان، سنة ٢٠٠٥ ،ص٢١ .

(٢٥) الدكتور محروس محمود خليفة ، كتاب السياسة الاجتماعية والتخطيط في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية سنة الطبع ١٩٨٦ ص ٢٩٣ .

(٢٦) زيد منير اعبوي ،التخطيط والتطوير الاداري، ماجستير ادارة عامة ، الجامعة الاردنية الطبعة الاولى ،سنة ٢٠٠٩ ،ص ٤٠.

(٢٧) الكتور عمر محي الدين ،التنمية والتخطيط الاقتصادي ، دار النهضة العربية، بيروت ص ب ٧٤٩ ، سنة ١٩٧٢ ،٢٠٨.

(٢٨) الكتور عمر محي الدين،التنمية والتخطيط الاقتصادي، مصدر سابق، ص٢١٠.

(٢٩) دراسات عراقية ، مجلة تصدرها الجمعية العراقية للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، العدد السابع ، ٢٠٠٧، ص ٦١ .

(٣٠) الكتور عمر محي الدين ،التنمية والتخطيط الاقتصادي ، مصدر سابق ، ص٢١٧.

(٣١) الدكتور يحيى فايز الحداد ،المراة والتنمية في الثمانينات ، الكويت المجلد الاول ، ١٩٨٢ ، ص١٢٧ .

(٣٢) زيد منير اعبوي ،التخطيط والتطوير الاداري، مصدر سابق س،ص ٥٤ .

(٣٣) الدكتور يعقوب السيد الرفاعي أ . اسعدعواد الظفيري ، الادارة الحكومية والتنمية .ط ١ ،١٩٩٩ ،ص٢٣ .

المصادر والمراجع:

١ ـ ابراهيم الغرايبة بحث في اقتصاد التنمية منشور على موقع :
www.saudiinfocus.com

٢. اتجاهات جديدة في علم الاجتماع ، تحرير ميشيل هارا لامبوس ترجمة د.إحسان محمد الحسن وآخرون .بغداد ٢٠٠١ .

٣ ــ تقرير التنمية البشرية– ١٩٩٨/١٩٩٩–نيسان (٢٠٠٠) برنامج دراسات التنمية.

٤ ــ دراسات عراقية ، مجلة تصدرها الجمعية العراقية للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، العدد السابع ، ٢٠٠٧.

٥ ـ الكتور عمر محي الدين ،التنمية والتخطيط الاقتصادي ، دار النهضة العربية ، بيروت ص ب ٧٤٩ ، سنة ١٩٧٢ .

٦ ـ الدكتور عبدالله عطوي ، السكان والتنمية البشرية ، دكتوراه في الجغرافية البشرية، الجامعة اللبنانية.

٧ ـ عمار، حامد (١٩٩٨) دراسات في التربية والثقافة (٦) وفي التنمية البشرية وتعليم المستقبل– عربية للطباعة والنشر – القاهرة.

٨ ـ عمر رسول(١٩٩٩) دراسات في التربية المجتمعية وفي التنمية البشرية وتعليم المستقبل– عربية للطباعة والنشر – القاهرة.

٩ ـ الدكتور عمر محي الدين ،التنمية والتخطيط الاقتصادي ، دار النهضة العربية ، بيروت ص ب ٧٤٩ ، سنة ١٩٧٢ .

١٠ ـ كتابات المراة العربية، بيجين ،الامم المتحدة ـ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا الاسكوا.بيروت ـ لبنان، سنة ٢٠٠٥ .

١١ ــ لبد، عماد (٢٠٠١) التنمية الاقتصادية في العالم– رؤية العدد ١١ الهيئة العامة للاستعلامات .

١٢ ــ الدكتور محروس محمود خليفة ، السياسة الاجتماعية والتخطيط في العالم الثالث ،كلية الاداب . جامعة الاسكندرية ،سنة ١٩٨٦ .

١٣ـ الدكتور.محمد يوسف أبو ملوح ، لتطوير التربوي بحث منشور على موقع:
http://www.almualem.net

١٤ ـ الدكتور مصطفى محمد العبدالله الكفري http://www.rezgar.com

١٥ ـ وزارة التربية والتعليم (٢٠٠٢)– الخطة الوطنية للتعليم للجميع.

١٦ ــ الدكتور يحيى فايز الحداد ،المراة والتنمية في الثمانينات ، الكويت المجلد الاول ، ١٩٨٢ .

١٧ ــ الدكتور يعقوب السيد الرفاعي أ اسعدعواد الظفيري الادارة الحكومية والتنمية. ط ١ ،١٩٩٩ ،ص٢٣ .

ABSTRACT

The last decade of the previous century witnessed affirming the concepts of the development and everlasting development for their big importance in different sciences in particular, social sciences which aim at improve the living standard of the individual society .

فاعلية استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب طلبة المرحلة الرابعة
مفاهيم طرائق التدريس العامة في معاهد إعداد المعلمين

م. م. عبد حسن عطا الله وكاع — **ماجستير طرائق تدريس**

م. م. بهجت شهاب حمد الجبوري — **ماجستير طرائق تدريس**

ملخص البحث

جرت دراسة البحث الحالي على طلبة معاهد إعداد المعلمين بـ(فاعلية استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب طلبة المرحلة الرابعة مفاهيم طرائق التدريس العامة في معاهد إعداد المعلمين)، وتمثل التصميم التجريبي بمجموعتين تجريبيتين وأخرى ضابطة، واختبار بعدي، واستخدمت العديد من الوسائل الإحصائية لغرض التعرف على نتائج البحث، وكانت فيه أربع فرضيات تم التحقق منها وأظهرت النتائج تفوق المجاميع التجريبية الأولى والثانية على المجموعة الضابطة، وتم عرض النتائج في البحث بتفصيل، وكتبت التوصيات والمقترحات.

أهمية البحث:

يشهد العالم تطوراً علمياً وتكنولوجياً كبيراً وبخاصة في مجال التربية والتعليم باستخدام طرائق التدريس على وفق ما تتطلبه المناهج الدراسية والمستوى العلمي للطلبة، وتطبيق نظريات التعلم واستخدام التقنيات التربوية لتعزيز وترسيخ المعرفة لدى الطلبة.

حيث تمثل المفاهيم وحدة بناء أي علمٍ ومفاتحه، حيث يرى الكثير من المهتمين بالتربية والتعليم إن أحد أهم الأهداف التي ينبغي أن تؤكد عليها المؤسسات التربوية في تدريس مختلف المواد الدراسية ومختلف المراحل، هو تعلم المفاهيم، ولكننا نرى الكثير من المعلمين الغير مؤهلين مهنياً وبخاصة قي استخدام طرائق التدريس، فهم يتبعون ما يرونه مناسباً معتمدين في ذلك على الخبرة لديهم أو إفراطهم في استخدام نماذج تعليمية قديمة، وهذا يعود سلباً على مستوى الطلبة وضعف فهمهم للمفاهيم بشكل جيد، ويمكن أن نعزو هذا الخلل إلى واضعي المناهج الدراسية ومدرسي الاختصاص في معاهد إعداد المعلمين والضعف في طرح المادة الدراسية، وعدم معرفة الغاية من تدريس مادة طرائق التدريس العامة فضلاً عن إلى اعتماد الإدارات العامة في المعاهد المذكورة بتكليف مدرسين من غير الاختصاص أو الاختصاص القريب لتدريس مادة طرائق التدريس العامة، فضلا عن إهمال طلبة المعاهد في الجِد والتواصل مع مادة طرائق التدريس العامة.

وفي الوقت الذي لا نقلل من أهمية طرائق التدريس التقليدية إلا أن استخدام طرائق ونماذج حديثة في التدريس يمكن أن يعود علينا بعائد تربوي قد يكون أفضل.

وقد اختيرت (خرائط المفاهيم) كونها طريقة تدريسية وتقنية بصرية في آن واحد، وهي تستند أساساً إلى نظرية أوزبل في التعلم ذي المعنى.

وبهذا حدد الباحث مشكلة البحث في السؤال الآتي:

هل أن خرائط المفاهيم أفضل من الطريقة التقليدية في تدريس مادة طرائق التدريس العامة؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

تسعى التربية الحديثة إلى تنمية الفرد تنمية شاملة متكاملة من جميع الجوانب الروحية والعقلية والجسدية والاجتماعية والجمالية بحيث لا يطغي جانب على آخر، فهي تنمية متزنة بالشمول والتكامل، وبما أن العملية التعليمية هي أداة التربية فهي مسعى معقد يتطلب معرفة كيف يحدث التعلم وكيف يرتبط بعمليات النمو الجسمي والنفسي والمعرفي، ومن الحق الوقوف على هذه المعرفة لأنها تمكن المربين من تنظيم عملية التعلم على نحو يعزز النمو المعرفي ويعمل على تطوير شخصية متكافئة(١).

ولهذا أخذت الدراسات تهتم بالنواحي النفسية للمتعلم باعتباره أحد العناصر الأساسية في الموقف التعليمي، إذ سعت إلى تطوير المادة التعليمية وتكيفها للطلبة بحسب إمكاناتهم واستعداداتهم بهدف المطابقة بين الخصائص الشخصية للمتعلم من جهة وخصائص الموقف التعليمي من جهة أخرى، حيث أدت هذه الدراسات إلى ظهور مفهوم ما يعرف باسم (التفاعل بين الطريقة والاستعداد)، ومؤداه أن المواقف التدريسية ليست هي المسؤولة الوحيدة عن عملية التعلم، بل أن التعلم يحدث نتيجة التفاعل بين البيئة التعليمية بما فيها من مناهج وطرائق تدريس ومدرس ووسائل وإدارة مدرسية من جهة وبين الخصائص والسمات الشخصية للطلبة من جهة أخرى(٢).

كما حظيت طرائق التدريس وأساليبه باهتمام الباحثين والمدرسين بهدف تطويرها بما يحقق أهدافها التربوية والتعليمية بأقصر وقت وأقل جهد، حيث تشكل طرائق التدريس عصب عملية التعلم والتعليم وبدونها لا يمكن نقل المادة الدراسية إلى الطلبة بشكل منظم، كما يعرفها (زيتون) بأن إستراتيجية التدريس هي استخدام الإمكانيات والوسائل المتاحة بطريقة مثلى لتحقيق الأهداف المرجوة على أفضل وجه

ممكن، بمعنى إنها طرائق معينة لمعالجة مشكلة أو مباشر مهمة ما، أو أساليب عملية لتحقيق هدف معين[٣].

حيث تشكل المفاهيم قاعدة أساسية للتعلم والتعليم فهي البنية المعرفية لها وهي من الأدوات المهمة في التدريس وفق الاتجاهات الحديثة التي تعطي دوراً إيجابياً لأنها تؤدي إلى طرح الأسئلة ذات العلاقة بمعلومات أو بيانات معينة من أجل جعلها ذات معنى، كما تعمل على تنظيم المعلومات المتباينة وتصنيفها وإيضاح العلاقة المتبادلة فيما بينهما، ولذلك فهي لا تمثل المعرفة فقط بل تنتجها أيضاً[٤]، ولأهمية تعلم المفهوم أخذ المربون والمختصون بطرائق التدريس يتناولونها بالبحث والتحليل من حيث معناها وتصنيفها وكيفية تدريسها وهم في ذلك يبحثون عن أفضل الطرائق والأساليب التي يمكن للمدرس استخدامها[٥].

فقد ظهرت نماذج تعليمية كثيرة في هذا الاتجاه وعلى سبيل المثال لا الحصر أنموذج جانيه الاستقرائي وانموذج كلوزماير القياسي وانموذج ميرل وتنسون القياسي ونظرية أوزبل الاستقرائية، وهي خرائط المفاهيم، والتي يتم تناولها في البحث الحالي، إن استخدام خرائط المفاهيم كطريقة تدريسية وتقنية بصرية قد يساعد المتعلمين على اكتساب مفاهيم طرائق التدريس العامة.

ويرى أوزبل بأن هناك توازناً بين طريقة تنظيم مادة الموضوع وطريقة تنظيم الأشخاص للمعرفة في عقولهم (بنيتهم المعرفية)، ويفترض في نظريته أن البنية العقلية للمتعلم منظمة تنظيماً هرمياً، إذ أنها تحتوي على مفاهيم وحقائق وأفكار ثابتة على مستوى عالٍ من العمومية والشمول[٦].

ويمكن تعريف خرائط المفاهيم على أنها رسوم تخطيطية تدل على العلاقة بين المفاهيم وهي تحاول أن تعكس التنظيم المفاهيمي لفرع من فروع المعرفة، وهذه الرسوم يمكن أن تكون ذات بعد واحد أو بعدين، والخرائط ذات البعد الواحد هي

مجموعات أو قوائم من المفاهيم تميل أن تكوّن خطاً رأسياً، وهي تعطي تمثيلاً أولياً للتنظيم المفاهيمي لفرع من فروع المعرفة أو جزء منه، ومن ناحية أخرى تجمع الخرائط ثنائية البعدين مزايا كل من الأبعاد الرأسية والأفقية، ولذلك تسمح وبدرجة أكبر بتمثيل العلاقات بين المفاهيم تمثيلاً تاماً[٧]، كما إنها تشجع المتعلمين على الانتقال والتحول من الحفظ الأصم للمفاهيم إلى التعلم الهادف (ذي المعنى)، وتعليم المتعلم كيف يتعلم ويبذل جهده بعناية لإيجاد الروابط بين المفاهيم الجديدة وتلك التي يمتلكها، وأن في ذلك ما يشكل بنية قوية للمفاهيم لدى المتعلم والتي تجعل التعلم الجديد أكثر سهولة وإمكانية للتطبيق في المواقف الجديدة، حيث يمكن عدها طريقة متسلسلة تسهل تحضير الدرس وتتابع الموضوعات المعروضة فيه، كما يمكن الإفادة منها للمناقشة بين المتعلمين ومعلمهم وبين المتعلمين أنفسهم، ما يمّكن استخدامها للتقويم أيضاً، وذلك لتقويم ما يعرفه المتعلمون في حالتي البدء في التدريس والاستمرار فيه[٨].

ومما سبق يمكن أن نحدد أهمية البحث بما يلي:-

١- إن استخدام خرائط المفاهيم كطريقة تدريسية وتقنية بصرية قد يؤثر إيجاباً في اكتساب الطلبة لمفاهيم طرائق التدريس العامة، ونتحقق في هذا من مستوى التحصيل.
٢- حاجة مؤسسات الإعداد التربوي لاستخدام طرائق ونماذج حديثة ومنها خرائط المفاهيم لإعداد جيل من المعلمين المؤهلين مهنياً.
٣- ندرة الدراسات وبخاصة خرائط المفاهيم التي تبحث في تحصيل طلبة معاهد إعداد المعلمين في مادة طرائق التدريس العامة.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة فاعلية استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب طلبة المرحلة الرابعة-معاهد إعداد المعلمين، لمفاهيم طرائق التدريس العامة.

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعتين التجريبيتين ومتوسط درجات المجموعة الضابطة.

الفرضية الثانية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الأولى ومتوسط درجات المجموعة الضابطة.

الفرضية الثالثة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الثانية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة.

الفرضية الرابعة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الأولى ومتوسط درجات المجموعة التجريبية الثانية.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على:

١- طلبة المرحلة الرابعة / قسم اللغة الانكليزية في معهد الأمين لإعداد المعلمين.
٢- كتاب طرائق التدريس العامة المقرر للمرحلة الرابعة.
٣- الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٩-٢٠١٠

مصطلحات البحث:

خرائط المفاهيم:

- وكذلك عرفها نوفاك (١٩٩٥)، بأنها أداة تمثيل بنية المعرفة مؤلفة من مفاهيم ترتبط بعلاقات افتراضية مرتبة بصور هرمية[٩].
- ويعرفها الخليلي وآخرون(١٩٩٦)، بأنها طريقة لتحليل المفاهيم والعلاقات بينهما[١٠].
- عرفها زيتون(٢٠٠١)، على أنها رسوم تخطيطية ثنائية الأبعاد، توضح العلاقة المتسلسلة بين مفاهيم فرع من فروع المعرفة والممتدة من البناء المفاهيمي لهذا الفرع من المعرفة[١١].

التعريف الإجرائي:

يعرفها الباحثان على أنها طريقة تدريسية وتقنية بصرية على شكل رسوم تخطيطية هرمية توضح العلاقة بين المفاهيم الفرعية والرئيسة باستخدام أدوات ربط مناسبة لغرض اكتساب طلبة معهد إعداد المعلمين لمفاهيم طرائق التدريس العامة.

الاكتساب:

- وعرفه عاقل(١٩٨٨)، أنه إضافة استجابة جديدة عن طريق التعلم[١٢].
- عرفه العمر (١٩٩٠)، على أنه مدى معرفة المتعلم بما يمثل المفهوم ولا يمثله من خلال انتباهه إلى فعاليات المدرس ونشاطاته، ويعالج المعلومات بطريقته الخاصة ليكّون منها معنى عن طريق ربطها بما لديه من معلومات[١٣].
- وإجرائيا يعرفه الباحثان بأنه قدرة طلبة المرحلة الرابعة في فهم ومعرفة واستخدام مفاهيم طرائق التدريس العامة بمجموع الدرجات التي يحصلون عليها في الاختبار التحصيلي.

المفهوم:

- وعرفه جود (Good) (١٩٧٣)، بأنه فكرة أو صورة ذهنية أو تمثيلات محددة للأشياء والمواقف[١٤]
- عرفه الطيطي (١٩٩٣)، بأنه عبارة عن زمرة من الأشياء أو الرموز أو الحوادث جمعت بعضها إلى بعض على أساس خصائص مشتركة يمكن أن يشار إليها باسم أو رمز معين[١٥].
- عرفه الجبوري (٢٠٠٣)، بأنه عنوان يكون من كلمة أو عدة كلمات تندرج تحته مجموعة من الأشياء المادية وغير المادية التي تجمعها خصائص وصفات مشتركة تميزها عن غيرها[١٦]
- ويعرف إجرائياً بأنه اللفظ أو الشيء الذي يدل على معنى معين ويرتبط بموضوع من موضوعات طرائق التدريس العامة.

الخلفية النظرية للبحث:

أوزبل وخرائط المفاهيم:

يمثل أوزبل (Ausubel) واحداً من علماء النفس المؤيدين لاستخدام التعلم المعرفي في صياغة مبادئ التدريس وهو بذلك يتفق مع برونر بإعطاء أهمية مركزية للعمليات المعرفية في تخطيط التدريس، ويعد أوزبل باحثاً نشطاً إذ ألّف العديد من البحوث والكتب، كما قدم نظرية مفصلة في كيفية تشكيل التراكيب المعرفية المفيدة لحل المشكلات، كما شخص عددا من التطبيقات للممارسات التربوية، والشيء المميز الذي قدمه أوزبل لتصميم التدريس هو المنظمات المتقدمة (Advance Organizers)، كما قدم أوزبل إسهاماً في علم النفس يقع في مجال التعلم اللفظي ذي المعنى، وهو يؤكد على أهمية العرض المنظم في عملية التربية، ويعتمد ذلك في جوهره على التتابع الدقيق للخبرات التعليمية بحيث أن الوحدة التي يتم تعلمها ترتبط

ارتباطاً واضحاً بما يسبقها، وهذا الارتباط بين البنية المعرفية والمادة الجديدة هو ما يجعل المادة ذات معنى (Meaningful)، ويرى أوزبل أن هناك طريقتين لتقديم المعلومات للمتعلم هما، الاستقبالي (Expository)، وفيه المعلومات الكلية للمادة المتعلمة بشكلها النهائي، والثانية التعلم الاستكشافي (Discovery)، وفي هذا لا يعطي المتعلم المعلومات الرئيسة للمادة المتعلمة بل يطلب منه أن يكتشفها بنفسه لتحديد واستخلاص المعاني[١٧].

كما استطاع نوفاك وجوين (١٩٨٦) الاستفادة من أفكار أوزبل فيما يتعلق بالتعلم ذي المعنى في تطوير طريقة مبتكرة في التدريس ألا وهي (خرائط المفاهيم)، وقد وضحوا بذلك خريطة المفاهيم لكشف المخططات المعرفية السابقة لدى المتعلم وبالتالي تصحيحها وتعليمه بموجبها، ومن ثم التأكد من سلامة التعلم بإعادة بناء الخريطة، وقد ذكر نوفاك وجوين في كتابهما (تعلم كيف تتعلم) (Learning how tow)، أنه لا توجد طريقة مثلى لتقدايم خرائط المفاهيم للطلبة، فبصفة عامة أن الطرق الثلاث المصنفة بحسب المراحل الدراسية تجمع على أن يبدأ أولاً بتقديم فكرة المفهوم، وهذه المقدمة يمكن أن تكون في صورة تعريف مباشر للمفهوم، بعد ذلك يساعد المدرس طلبته على أن يروا بوضوح طبيعة دور المفاهيم والعلاقة بينهما، كما هي في بنيتهم المعرفية، وهذه الخطوة ضرورية لتعليم الطلبة كيف يتعلمون، ويمكن أن نستنتج أن الفكرة الأساسية من خرائط المفاهيم هي أنها تقد طريقة لتحليل المفاهيم والعلاقة الهرمية بينهما[١٨].

إن الأفكار التي قدمها أوزبل في نظريته عن التعلم المعرفي ذي المعنى القاعدة الأساسية للصيغ المقترحة لتقديم خرائط المفاهيم وبخاصة الأفكار الثلاث الرئيسة التالية:

الأولى: أن البنية المعرفية للمتعلم تكون منظمة بطريقة متسلسلة هرمياً، حيث تنظم المفاهيم والعلاقات الأكثر عمومية وشمولاً على قمة هذه البنية، يتبعها المفاهيم والعلاقات الأقل شمولاً والأكثر نوعية، ونجد هذه الفكرة في مفهوم أوزبل عن عملية الاندراج (Subsumption)، بمعنى أن المعلومات الجديدة غالباً ما تكون قابلة للارتباط والتصنيف تحت المفاهيم الأكثر عمومية والأكثر شمولاً.

ثانياً: فهي أن المفاهيم في البنية المعرفية للمتعلم تخضع لعملية تمايز تدريجي، حيث يتم أدراك عمليتين واسعتين من الشمول (Inclusiveness) والتخصص (Specificity) للتناسقات في الأحداث والأشياء ومعنى ذلك أن المتعلم ذي المعنى يصبح عملية مستمرة عندما يضاف للمفاهيم أكثر نتيجة اكتساب علاقات جديدة.

ثالثاً: هي أن عملية التوافق التكاملي تحدث عندما إدراك مفهومين أو أكثر مرتبطين بعلاقة جديدة ذات معنى[١٩].

مزايا خرائط المفاهيم:

لقد أكدت العديد من الأدبيات والدراسات السابقة التعليم والتعلم لخرائط المفاهيم مزايا وفوائد عديدة منها:

١- تساعد على ربط المفاهيم الجديدة بالبنية المعرفية للمتعلم.
٢- تساعد المتعلمين في البحث عن العلاقات بين المفاهيم.
٣- تزود المتعلمين بملخص تخطيطي مركّز لما يتعلموه.
٤- تساعد على توفير مناخ تعليمي جماعي لأنه يتطلب اشتراك المتعلمين في تصميم خريطة المفهوم[٢٠].

استخدامات خرائط المفاهيم:

١- استخدامها في تنظيم المحتوى وتسلسله.
٢- استخدامها كأحد استراتيجيات التدريس.
٣- استخدامها كأحد أدوات تقويم التحصيل الدراسي المعرفي[٢١].

إجراءات البحث:

أولاً- عينة البحث:

بعد حصول الموافقات الرسمية من قسم تربية بلد بتحديد معهد الأمين لإعداد المعلمين لأغراض التجربة، تم تدقيق أعداد الطلبة في المرحلة الرابعة/ قسم اللغة الإنكليزية، وبلغ عدد الطلبة (١٠٥)، موزعين على ثلاثة شعب دراسية (أ، ب، ج) علماً أن شعبتي (أ،ب) طلاب وشعبة (ج) طالبات، وقد أُختيرت شعبتي (أ،ج) مجموعتين تجريبيتين وشعبة (ب) مجموعة ضابطة.

ثانياً- التصميم التجريبي:

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع
التجريبية الأولى	تُدرس بطريقة خرائط المفاهيم	اختبار اكتساب المفاهيم البعدي
التجريبية الثانية	تُدرس بطريقة خرائط المفاهيم	
الضابطة	تُدرس بالطريقة التقليدية	

ثالثاً – الخطط التدريسية:

تم إعداد خطط تدريسية تتناسب وخصائص الطلبة وأساليب تعلمهم ومراعاة مسألة الفروق الفردية، وكما يأتي:

١- تم تحليل المادة الدراسية وتحديد المفاهيم وتوزيعا على عدد ساعات الدروس والبالغ عددها (٢٤) درس.

٢- تم وضع خطط تفصيلية لكل مجموعة على ضوء خرائط المفاهيم.

رابعاً- الاختبار التحصيلي:

بعد أن قام الباحثان بإعداد جدول المواصفات (الخارطة الاختبارية)، تم تحديد المفاهيم الرئيسة والفرعية لمادة البحث، أعد الباحثان اختبار لقياس مدى اكتساب المفاهيم، حيث تكّون من (٢٠) فقرة وهي من نوع الاختيار من متعدد وبأربعة بدائل لكل فقرة.

- **صدق الاختبار**: اعتمد الباحثان استخدام الصدق المنطقي (Logical Validity) والذي يشمل الصدق الظاهري وصدق المحتوى، حيث عُرض على مجموعة من الخبراء بعد تزويدهم بمفاهيم المادة مع فقرات الاختبار، وأجريت التعديلات في ضوء مقترحاتهم، وبذلك تم التأكد من صدقه، كما أكده (سمارة ١٩٨٩) بأن الاختبار أكثر صدقاً عندما يمكن من خلاله قياس ما وضع الاختبار لقياسه(٢٢)

تطبيق الاختبار:

طبق الاختبار على عينه استطلاعيه مؤلفة من (٨٠) طالباً من غير عينة البحث (من الاختصاصات الأخرى) لغرض التعرف على ما يلي:

١-**ثبات الاختبار**: استخدام الباحثان طريقة التجزئة النصفية (split-half) حيث جزأت فقرات الاختبار إلى نصفين (زوجي،فردي) وتم استخدام معامل ارتباط بيرسون (pearson) لاستخراج الارتباط بين النصفين، وقد بلغ (٠.٦٩) ثم عُدل الثبات بمعادلة جتمان فكان الثبات النهائي (٠.٨٢) وهو ثبات جيد للاختبار، كما يراه (حمدان ١٩٨٠) بأنه الحصول على نتائج متساوية عند تطبيق الاختبار وإعادة تطبيقه بعد فترة محددة ومناسبة على العينة نفسها وضمن الظروف ذاتها(٢٣).

٢-**معامل صعوبة الفقرة وقدرتها التمييزية**: بعد تصحيح إجابات العينة الاستطلاعية بإعطاء درجتين ونصف للإجابة الصحيحة وصفراً للإجابة الخاطئة والمتروكة، وتم ترتيبها تنازلياً، ثم حسبت الإجابات الصحيحة لكل فقرة على حده في المجموعتين العليا والدنيا، وقد عدت الفقرة مقبولة إذا تراوحت معامل صعوبتها ما بين (٢٠%-٨٠%)، وعند حساب قوة تمييز كل فقرة من الفقرات وجد أنها تتراوح بين(٣٠%-٦١%) على اعتبار أن الفقرات التي تبلغ قوتها التمييزية (٣٠%) فأكثر تعدُ جيدة ومقبولة، وقد تم تحديد زمن الإجابة حسب المتوسط لها فكان (٤٥) دقيقة.

إجراءات تطبيق التجربة

بدأت التجربة في ٢٠١٠/٢/٢٠ حيث سميت الشعبتين (أ،ج) بالمجموعتين التجريبيتين، وشعبة (ب) المجموعة الضابطة، وقد دُرست المجموعتين التجريبيتين بطريق خرائط المفاهيم كونها طريقة حديثة ومختارة للبحث، وهي طرقة تقنية بصرية، ودرست المجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية.

عرضُ النتائج:

يتم عرض نتائج البحث الحالي بواقع أربع فرضيات وكالآتي:

الفرضية الرئيسة:

لاختبار صحة الفرضية الرئيسة وهي صفرية، نصت على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعتين التجريبيتين ومتوسط درجات المجموعة الضابطة، حيث أظهرت النتائج وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى(٠.٠٥) وبذلك ترفض الفرضية الصفرية وقبول البديلة. والجدول يوضح ذلك.

تحليل التباين بين المجاميع الثلاث في الاختبار البعدي

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية		الدالة الإحصائية
				المحسوبة	الجدولية	
بين المجموعات	١٧٧٩.٤٠	٢	٨٨٩.٥٢	٣.١٩	٣.٠٧	داله
داخل المجموعات	٢٨٦٥٢.٠١	١٠٣	٢٧٨.١٧			

الفرضية الثانية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الأولى ومتوسط درجات المجموعة الضابطة، وقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، لأن الفرق بين المتوسطين أصغر من قيمة شيفية المحسوبة. والجدول يوضح ذلك:

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الفرق بين المتوسطين	قيمة شيفية المحسوبة	الدلالة
ت١	٣١	٦٦.٦٧	٠.٨٧	٦.٧٩١	غير دالة
ظ	٣٧	٦٧.٥٤			

الفرضية الثالثة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الثانية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية، لأن الفرق بين المتوسطين أكبر من قيمة شيفية المحسوبة ولصالح المجموعة التجريبية الثانية (طالبات). والجدول يوضح ذلك:

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الفرق بين المتوسطين	قيمة شيفية المحسوبة	الدلالة
ت٢	٣١	٧٦.٠٩	٨.٥٥	٧.٠٩٨	دالة إحصائياً
ظ	٣٧	٦٧.٥٤			

الفرضية الرابعة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الأولى ومتوسط درجات المجموعة التجريبية الثانية، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية الأولى (طلاب) والتجريبية الثانية (طالبات) لأن الفرق بين المتوسطين أكبر من قيمة شيفية المحسوبة. والجدول يوضح ذلك:

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الفرق بين المتوسطين	قيمة شيفية المحسوبة	الدلالة
ت١	٣٧	٦٦.٦٧	٩.٤٢	٧.٠٩	داله إحصائياً
ت٢	٣١	٧٦.٠٩			

تفسير النتائج:

يتضح مما سبق في عرض النتائج بالدلالة الرقمية بأن هناك تباين في اكتساب المجاميع لمفاهيم طرائق التدريس العامة وبخاصة بين المجموعتين التجريبيتين (أ،ج)، وكذلك يتضح بأن المجموعة التجريبية الثانية (طالبات) هي المتفوقة على المجموعة التجريبية الأولى (طلاب) في اكتساب مفاهيم طرائق التدريس بطريقة خرائط المفاهيم، وهذا يعني:

١- أن الطالبات أكثر تفاعلاً ومتابعة مع الطريقة مقارنة بالطلاب.

٢- التزام المجموعة التجريبية الثانية بالتطبيقات العملية في إعداد خرائط مفاهيمية للدروس، وهذا يخلق الرغبة والدافع الشديدين للاستمرار في التعلم بهذه الطريقة.

مما تقدم نرى أن جزء من نتائج البحث متفقة مع ما أكده (عوض، ١٩٨٦) بأن تحصيل الطلبة يكون أفضل في المواد الدراسية عندما يتفق إسلوب تعليمهم مع إسلوب تعلمهم[٢٤].

التوصيات:

١- ضرورة اهتمام مؤسسات الإعداد التربوي على استخدام طرائق ونماذج حديثة في التدريس.

٢- اهتمام مدرسي مادة طرائق التدريس العامة في إيصال الفكرة الأساسية من تدريس هذه المادة كونها عملية في التطبيق أكثر مما هي نظرية في الأداء.

٣- القيام بدورات مكثفة لمعلمي المدارس الابتدائية في كيفية استخدام طرائق التدريس، وبخاصة خريجي الدورات السريعة.

٤- التأكيد على استخدام المفاهيم والتركيز عليها أثناء إلقاء الدروس من قبل المعلمين والدرسين.

المقترحات:

١- إجراء دراسة مماثلة على متغير واحد (طلاب أو طالبات).

٢- إجراء دراسات أخرى باستخدام نماذج تعليمية أخرى كالمنظمات المتقدمة أو أنموذجي ميرل وتنسون.

٣- إجراء دراسات تعتمد في أدائها معالجة الفروق الفردية بين الطلبة.

الهوامش:

(١) الحيلة، محمد محمود، ١٩٩٩، التصميم التعليمي–نظرية وممارسة، ط١، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ص١٩.

(٢) الوكاع، عبد حسن عطا الله، ٢٠٠٢، أثر استخدام أساليب تعليمية محددة بخرائط أساليب التعلم في اكتساب طالبات الصف الخامس الأدبي للمفاهيم التاريخية، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ص٧.

(٣) زيتون، حسن حسين، ٢٠٠١، تصميم التدريس رؤية منظومية،مج٢، ط٢، عالم الكتب، ص٢٧٩.

(٤) سعادة، جودت أحمد، جمال يعقوب اليوسف، ١٩٨٨ ، تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية، ط١، دار جبل، بيروت، ص٩٥.

(٥) أبو زينة، فريد كامل، ١٩٨٧، الرياضيات مناهجها وأصول تدريسها، ط٣، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ص٤٠.

(٦) محمد، داود ماهر، مجيد مهدي محمد، ١٩٩١، أساسيات في طرائق التدريس العامة، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ص٢٥.

(٧) زيتون، حسن حسين، ٢٠٠١، تصميم التدريس رؤية منظومية، مصدر سابق،ص٦٥٢.

(8) Novak، J.D، 1995، Concept mapping to facilitate teaching and learning، prospect vol:25،no:I،March.pp.79-80.

(9) Novak، J.D، 1995، Concept mapping to facilitate teaching and learning، prospect vol:25،no:I،March.p.79.

(١٠) الخليلي، خليل يوسف، ١٩٩٦، تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، دار القلم، دبي، ص٣٢٤.

(١١) زيتون، حسن حسين، ٢٠٠١، تصميم التدريس، مصدر سابق،ص٦٥٢.

(١٢) عاقل، فاخر، ١٩٩٣، معجم العلوم النفسية، ط١، دار الرائد العربي، بيروت،ص١٢.

(١٣) العمر، بدر، ١٩٩٠، المتعلم في علم النفس التربوي، ط١، كويت تايمز، الكويت،ص٢٠٢.

(14) Good، canter. V. "Dictionary of adaction" New York: Magraw HIll، 1973،p.124.

(١٥) الطيطي، محمد جمد عقيل، ١٩٩٣، تدريس المفاهيم "نموذج تصميم تعليم"، دار الأمل، أربد، ص٧.

(١٦) الجبوري، بهجت شهاب،٢٠٠٣، أثر استخدام أنموذج جانيه التعليمي في اكتساب واستبقاء المفاهيم الاقتصادية لدى طلاب الصف السادس الأدبي، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، بغداد، ص١٤.

(١٧) محمد، داود ماهر، أساسيات في طرائق التدريس العامة، المصدر سابق، ص٢٥.

(١٨) الخليلي، خليل يوسف، تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، المصدر سابق، ص٣٢٣.

(١٩) زيتون، حسن حسين، تصميم التدريس ، المصدر سابق، ص٦٥٨.

(٢٠) الزبيدي، ساهر حسن علو، ٢٠٠٢، أثر تدريس المفاهيم الجغرافية باستخدام خرائط المفاهيم في التفضيل المعرفي لدى طالبات الصف الخامس الإعدادي، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ص٢٤.

(٢١) زيتون، حسن حسين، تصميم التدريس، المصدر السابق، ص٦٥٦.

(٢٢) سمارة، عزيز، وآخرون، ١٩٨٩، مبادئ القياس والتقويم في التربية، ط٢، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ص١١٠.

(٢٣) حمدان، محمد زياد، ١٩٨٠، تقييم التعلم –أسسه ونظرياته، ط١، بيروت، دار الملايين، ص٥٤.

(٢٤) عوض، عوض حسن، ١٩٨٦، الاستقلال الإدراكي وعلاقته بالاختبار التربوي والتحصيل الأكاديمي عند طلبة الجامعة الأردنية، الجامعة الأردنية، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة،ص٢٤.

المصادر

١- أبو زينة، فريد كامل، ١٩٨٧، **الرياضيات مناهجها وأصول تدريسها**، ط٣، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.

٢-الجبوري، بهجت شهاب،٢٠٠٣، **أثر استخدام أنموذج جانيه التعليمي في اكتساب واستبقاء المفاهيم الاقتصادية لدى طلاب الصف السادس الأدبي**، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، بغداد.

٣- الحيلة، محمد محمود، ١٩٩٩، **التصميم التعليمي–نظرية وممارسة**، ط١، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

٤-حمدان، محمد زياد، (١٩٨٠)، **تقييم التعلم –أسسه ونظرياته**، ط١، بيروت، دار الملايين.

٥-الخليلي، خليل يوسف، ١٩٩٦، **تدريس العلوم في مراحل التعليم العام**، دار القلم، دبي.

٦-الزبيدي، ساهر حسن علو، ٢٠٠٢، **أثر تدريس المفاهيم الجغرافية باستخدام خرائط المفاهيم في التفضيل المعرفي لدى طالبات الصف الخامس الإعدادي**، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد.

٧-زيتون، حسن حسين، ٢٠٠١، **تصميم التدريس رؤية منظومية**،مج٢، ط٢، عالم الكتب.

٨-سعادة، جودت أحمد، جمال يعقوب اليوسف، ١٩٨٨ ، **تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية**، ط١، دار جبل، بيروت.

٩-سمارة، عزيز، وآخرون، (١٩٨٩)، **مبادئ القياس والتقويم في التربية**، ط٢، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.

١٠-الطيطي، محمد جمد عقيل، ١٩٩٣، **تدريس المفاهيم "نموذج تصميم تعليم"**، دار الأمل، أربد.

١١-عاقل، فاخر، ١٩٩٣، **معجم العلوم النفسية**، ط١، دار الرائد العربي، بيروت.

١٢-العمر، بدر، ١٩٩٠، **المتعلم في علم النفس التربوي**، ط١، كويت تايمز، الكويت.

١٣-عوض، عوض حسن، ١٩٨٦، **الاستقلال الإدراكي وعلاقته بالاختبار التربوي والتحصيل الأكاديمي عند طلبة الجامعة الأردنية، الجامعة الأردنية**، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة.

١٤-محمد، داود ماهر، مجيد مهدي محمد، ١٩٩١، **أساسيات في طرائق التدريس العامة**، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل.

١٥-الوكاع، عبد حسن عطا الله، ٢٠٠٢، **أثر استخدام أساليب تعليمية محددة بخرائط أساليب التعلم في اكتساب طالبات الصف الخامس الأدبي للمفاهيم التاريخية**، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد.

16- Good، canter. V. "**Dictionary of adaction**" New York: Magraw HIll، 1973.

17- Novak، J.D، 1995، **Concept mapping to facilitate teaching and learning** ، prospect vol:25،no:l،March.

Abstract

The research studying takes place on the institutes students of the teachers' preparation (The using efficiency of the maps concepts in the students acquiring of the fourth stage: The concepts of the general learning methods in the institutes of the teachers' preparation).

It represents the experimenting design in two groups with criterion one and after test. It has been used many statistics methods in order to know the results of the research.

There are four suppositions, they have been known. And the second results show the out standing the first and the second groups on the criterion group. The results have been elaborately shown and the recommendations and suggestions have been written.

اتجاهات الأخبار في النشرة المحلية

لقناة صلاح الدين الفضائية

دراسة تحليلية لنشرة الرئيسية (السابعة) مساء

للمدة من ٢-١-٢٠١٢ ولغاية ٣١-١-٢٠١٢

م . ياسين طه موسى
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

يؤدي التلفزيون اليوم وظائف عدة تتمثل في الترفية والأخبار والتثقيف وما إلى ذلك من الوظائف ، ومع تدفق الأحداث أمام الأعين، فقد أصبح من وسائل الاتصال الجماهيرية المهمة وازدادت أهميته في المجتمعات الحديثة بانتشار البث الفضائي وتجاوزه للحدود والقيود فضلاً عن سهولة اقتنائه ومصدر في استقاء المعلومات والاطلاع على ما يجري في محيطهم القريب والبعيد .

وتعد الأخبار أداة للتواصل مع الأحداث ومنها تتكون الانطباعات وتشكل الاتجاهات. وقناة (صلاح الدين) الفضائية هي قناة عراقية عامة ليست متخصصة بالأخبار لكنها تحاول أن تنافس القنوات المتخصصة وتسعى إلى تطوير إمكاناتها البشرية والتقنية، والاستحواذ على اكبر قاعدة جماهيرية في ظل التنافس المحموم بين القنوات الفضائية العراقية والعربية .

وتناول الباحث في دراسته موضوع اتجاهات الأخبار في النشرة المحلية لقناة صلاح الدين الفضائية . دراسة تحليلية لنشرة الرئيسية (السابعة) مساء للمدة من ٢-١-٢٠١٢ ولغاية ٣١-١-٢٠١٢

واقتضت ضرورة البحث العلمي تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث

جاء في المبحث **الأول** ليحدد الإطار المنهجي للبحث ،

المبحث **الثاني** أولا : تناول الخبر التلفزيوني ، ماهيته ، وأهميته ، وخصائصه .

أما ثانيا فقد تناولت من خلاله نشأة وتطور قناة صلاح الدين الفضائية .

وقد تطرقت في المبحث الثالث إلى إجراءات البحث فقد عُني بدراسة الدراسة الميدانية خصص لدراسة اتجاهات الأخبار في قناة صلاح الدين الفضائية وصولا إلى أهم النتائج الميدانية التي توصل إليها الباحث في بحثه وختم البحث بقائمة من المصادر.

المبحث الأول

الإطار المنهجي

أولا:- مشكلة البحث والحاجة أليه :

تقتضي الأصول العلمية ضرورة أن لا تنشأ فكرة البحث العلمي من فراغ حتى لا ينتهي إلى فراغ وتأسيسا على ذلك فأن السمة الرئيسية التي تتميز بها البحوث العلمية ذات مشكلة محددة وفي حاجة للتصدي لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة ، ومن هنا فأن نقطة البدء في هذا البحث العلمي هي أحساس الباحث بوجود مشكلة معينة ينتقيها من بين عدة مشكلات[1]

يؤدي التلفزيون اليوم وظائف عدة تتمثل في الترفية والأخبار والتثقيف وما إلى ذلك من الوظائف ، ومع تدفق الأحداث أمام الأعين، فقد أصبح من وسائل الاتصال الجماهيرية المهمة وازدادت أهميته في المجتمعات الحديثة بانتشار البث الفضائي وتجاوزه للحدود والقيود فضلاً عن سهولة اقتنائه ومصدر في استقاء المعلومات والاطلاع على ما يجري في محيطهم القريب والبعيد .

وتعد الأخبار أداة للتواصل مع الأحداث ومنها تتكون الانطباعات وتشكل الاتجاهات. وقناة (صلاح الدين) الفضائية هي قناة عراقية عامة ليست متخصصة بالأخبار لكنها تحاول أن تنافس القنوات المتخصصة وتسعى إلى تطوير إمكاناتها البشرية والتقنية، والاستحواذ على اكبر قاعدة جماهيرية في ظل التنافس المحموم بين القنوات الفضائية العراقية والعربية .

وتنطلق مشكلة البحث الحالي من اهمية موضوعه فالأخبار كونها أحدى وظائف الاتصال الجماهيري المهمة ، وعن طريقها يتم التأثير في الرأي العام بصورة عامة والانتشار الواسع للقنوات الفضائية ، زاد من أهمية الأخبار والاهتمام بها

والحرص على اختيار أهم المواضيع الساعة التي تتضمنها النشرة الإخبارية .

وتكون مشكلة البحث في السؤال التالي :

١: ماهي اتجاهات وموضوعات الأخبار التي تركز عليها نشرة الأخبار في قناة صلاح الدين الفضائية ؟

والحاجة قائمة لهذه الدراسة من خلال الكشف عن اتجاهات ومواضيع الاخبار في قناة صلاح الدين الفضائية ،

ثانيا:- أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في الكشف عن اتجاهات الأخبار من خلال النشرة المحلية المقدمة في قناة صلاح الدين الفضائية وموضوعاتها ، ويهم الدارسين في مجال الأعلام بشكل عام وخصوصا في مجال القنوات الفضائية وتقديم نشرة الأخبار وصياغتها

ثالثا:- أهداف البحث

١:- الكشف عن اتجاهات الأخبار في قناة صلاح الدين الفضائية وموضوعاتها

رابعا: حدود البحث

أن تحديد الباحث لمجالات البحث يعد خطوة مكملة للمضي في عملية البحث العلمي وفق خطوات متكاملة ومنسقة [2]

١. الحد الزماني: يمتد المجال الزماني للبحث عبر المدة المحصورة بين (٢ –١– ٢٠١٢) إلى (٣١ – ١ – ٢٠١٢) ،
٢. الحد المكاني: اتخذ البحث من قناة صلاح الدين الفضائية مجالا مكانيا وقد قام الباحث في سياق ذلك بمراجعة مقر القناة للحصول على البيانات الضرورية

التي تتعلق بالبرامج التي تقدمها بشكل عام على مستوى الخطط والتنسيق والاتجاهات العامة .

٣. الحد الموضوعي : نشرة أخبار الساعة السابعة مساء لقناة صلاح الدين الفضائية •

خامسا :- تحديد المصطلحات

١. **الخبر**: عرفه مكاوي((هو وصف أو تقرير دقيق غير متحيز للحقائق الهامة حول واقعة جديدة تهم القراء))[٣]

كما عرفه مرزوق ((هو تقرير عن حادثة أو ظاهرة تُعد ذات أهمية للمشاهد في اعتقاد المُرسل))[٤] . والباحث يتفق مع تعريف السيد مرزوق كونه يخدم مسيرته البحثية .

٢. كما يعرف شلبي الخبر التلفزيوني على انه ((خبر فيلمي ينشأ في موقع بواسطة مندوب وطاقم تصوير ، وفي غرفة التحرير يشرف المحرر على توليف الفيلم في حالة إذا لم يكن يقوم بتوليفه بنفسه ويخصص المنتج لكل خبر الوقت والمكان المناسبين له في العرض الإخباري)) والباحث يتفق مع هذا التعريف كونه يخدم مسيرته البحثية •

٣. الاتجاه: عرفته اليعقوبي ((انه الميل نحو تقبل أو نبذ الأشياء أو الآراء أو الأيدلوجيات أو الأشخاص أو الأنشطة، أو تأهب الفرد أو استعداده لان يثار بمثير ما في موقف من مواقف، فيتصرف تصرفا معينا [٥] الباحث يتفق مع التعريف كونه يخدم المسيرة البحثية•

سادسا: منهج البحث..

يُعد البحث وصفياً من حيث نوعه، وهو يستخدم المنهج المسحي التحليلي الذي يتيح مسح أداء الوسيلة الاتصالية والرسالة الاتصالية معاً، وبما ينسجم مع متطلبات البحث؛ ويشترط في هذا المنهج أن يكتفي الباحث بالبيانات الصريحة الواضحة المذكورة في الوثيقة ، دون أن يحاول الاستنتاج من الوثيقة، هذا ويستند ذلك المنهج على أن اتجاهات الجماعات والأفراد تظهر بوضوح في كتاباتها وصُحفها وآدابها وقنواتها وعاداتها، فإذا تم تحليل هذه الأدوات، فان ذلك يكشف عن اتجاهات هذه الجماعات [٦]

سابعا :- الدراسات السابقة

١. ياسين علوان الطيف الجبوري :دور البرامج السياسية في قناة صلاح الدين الفضائية في نشر الوعي السياسي :حاولت هذه الدراسة عبر أطرها النظرية ومناهجها وأدواتها ، معرفة دور البرامج السياسية في قناة صلاح الدين الفضائية في نشر الوعي السياسي للجمهور والتعرف على خصائص القائمين على البرامج السياسية في القناة والتعرف على اتجاهات البرامج السياسية للقناة ، ومعرفة آراء واتجاهات الجمهور بالبرامج السياسية.

٢. م. ياسين طه موسى : دواعي تعرض النخبة الإعلامية لقناة صلاح الدين الفضائية : توصلت هذه الدراسة إلى نتيجتين رئيسيتين:

أ. أشارت أراء النخبة من أعلامي محافظة صلاح الدين إلى ضعف واضح في متابعة برامج قناة صلاح الدين الفضائية.

ب. بينت الدراسة الميدانية على عينة من إعلامي المحافظة إلى:

أولاـ ضـعف قنـاة صـلاح الـدين الفضـائية فـي مجـال التخطـيط وعـدم وجـود خطـة إعلاميــة ناجحــة ترتقــي بمســتوى البــرامج المقدمــة وتحقــق التفاعــل والحضــور المطلوب لدى الجمهور.

ثانيا. ليس هناك أي دراسة للجمهور من قبل قناة صلاح الدين للتعرف على عادات مشـاهدته للبـرامج المفضـلة لديـه والأوقـات المناسـبة لبثهـا بغيـة تلبيـة الأهـداف المراد تحقيقها من حيث الترفيه والتعليم ٠

المبحث الثاني

الإطار النظري

أولا:- الخبر التلفزيوني ماهيته ، خصائصه ، وأنواعه

الخبر التلفزيوني لغة واصطلاحا :

الخبر لغـة واحد الأخبار واخبره بكذا واخبره بمعنـى واستخبار السؤال عن خبر وكذا التخبر وخبر الأمر علمـه ، والخبر مـا أتـاك مـن نبأ عمن تستحضـره ، الخبر نبأ وخبره بكذا واخبره نبأ ، إذ أن النبأ الخبر [٧]

أمـا الخبـر اصـطلاحا : هـو تقريـر عـن حـادث يستطيع القارئ أو الجمهور وسائل الإعلام أن يفهمه، وهو كل جديد يهم اكبر عدد ممكن من الناس[٨]

ويشير مصطلح أخبار باللغة الانكليزية (News) إلى الجهات الأربع وهي (الشمال NORTH) و (الشرق east) و (الغرب West) و (الجنوب SOUTH) والأحرف الأربعة هذه المكونة لكلمة أخبار بالانكليزية تتنوع في جهات الأربعة لبقاع العالم والتي ترد في الأخبار[٩]

وتعرف هيئـة الإذاعـة البريطانيـة (BBC) الخبر هو (معلومـات حديثـة تنقل بأمانـة وذمـة عـن احـداث جاريـة أيـا كـان نوعهـا وفـي أي مكـان مـن العـالم ، تقـارن

بمعلومـات أساسية أخرى رويت بأمانـة ودقـة وجمعت علـى شكل خبر وقد اختيرت بموضوعية ولكن دونما موازنـة مصطنعة او دافـع سياسي او تزويق تحريري من قبل الصحفيين المحترفين ، تتضمنها نشرة إخبارية لأنها ممتعة ومهمة او لأنها تتناسب جمهور النشرة من وجهه نظر صحيفة ، وتقدم بموضوعية ودونما خوف مـع مراعاة للقانون والقواعد بهيئة الإذاعة البريطانية فيما يخص الذوق ومستويات التحرير[١٠]

اما الخبر التليفزيوني الذي يعد أساس وجود الخدمة الإخبارية في التلفيزيون فيقصد به الخبر المسموع والمرئي الذي يبث في محطات التلفاز المختلفة وهناك من يعرفه بأنه " خبر فيلمي ينشأ من الموقع بواسطة مندوب وطاقم تصوير ، وفي غرفة التحرير يشرف المحرر على توليف الفيلم في حالة اذا لم يكن يقوم بتوليفة بنفسه ويخصص المنتج لكل خبر الوقت والمكان المناسبين له في العرض الإخباري [١١]

قيم الخبر التليفزيوني

لكـي يكسب الحـدث التلفزيـوني قيمـة إخباريـة لابـد أن تتـوفر فيـه عـدد مـن العناصر الآتية [١٢]:

١: الصراع (confect)

إن اي نزاع بين النـاس المجموعات والدول يمكن ان يثير اهتمـام المتلقي لا سيما أن الصراع يكتسب أهمية من أهمية الأشخاص المتورطين فيه وثمة قاعدة أو مقولـه معروفـه فـي غرفـة الاخبـار تقـول ان الصـراع يثيـر الاهتمـام اكثـر مـن الهـدوء والسكينة فالصراع يشكل احد مراكز الاهتمام الرئيسية عند الانسان وتواجد الصراع في الخبر يمنحـة نوعا من الجاذبية وحب الاستطلاع والرغبة في الاطلاع والمعرفة وهـو قد يشمل الحـوادث الفرديـة أو الصـراع غيـر حربـي بـين الـدول وهنـاك الـوان مـن الصراع الاجتماعي ، الرياضي ، والصراع الإنساني مع الطبيعة

٢:الشهرة (Prominence)

وتعني النشاطات والاعمال المختلفة التي تقوم بها رجال السياسة والنجوم وكبار الشخصيات تشكل قيمة وعنصرا مهما من عناصر الخبر الذي ينال اهتمام المتلقي فكلما ازدادت شهرة الشخص الذي يتناوله الخبر زادت اهمية الخبر وزادت فرصة اذاعتة على المتلقيين .

٣: القرب (proximity)

والمقصود بالقرب الجغرافي والعاطفي والسيكولوجي ، فكلما كان الحدث قريبا من المتلقي زاد اهتمامه به .

٤: الجدة (Newness) او الحالية (freshness)

الجدة او الحالية في الخبر تعني انه من الضروري ان يكون الخبر جديدا بمعنى ان يكون مجاريا للاحداث ، فالخبر هو اسرع مادة معرضة للتلف والفساد بمجرد مرور ساعات قليلة علة وقوعه.

٥ : الغرابة (The Bizqrre)

ويمثل الوقائع والحوادث غير المألوفة في الحياة العادية فالخبر الغريب هو الذي من الغير متوقع حدوثه ولكنه يحدث ويسيطر على اهتمام جمهور الاخبار

فضلا عن ذلك أن هناك مجموعة من العناصر الاخرى التي تجمع بين متطلبات المؤسسة والقيم الاخبارية المتعارف عليها وكما يأتي :

أ. الاستمرارية : أي استمرار متابعة الخبر حتى لو انخفضت درجة اهميته ونضاءلت ضخامته

ب. السلبية : قيل عادة ان كل خبر سلبي يكون اكثر تفضيلا من الاخبار الحسنة وذلك كون الاخبار السيئة تحظى بعدد اكبر من عناصر القيمة الاخبارية

ج. التردد أو نسبية الحدث : وهي تتعلق بالوقت الذ يستغرقه وقوع الحدث بشكل يتناسب مع وقت الوسيلة الاخبارية ، فكلما كانت درجة تردد الحدث مشابهه لتردد الوسيلة زاد احتمال تسجيله وبثه(١٣)

أنواع الأخبارالتلفزيونية

هناك تقسيمات عديدة لأنواع الأخبار التلفزيونية تختلف باختلاف المعيار الذي تقسم به الخبر ويمكن ان يحدد للخبر الأنواع الآتية (١٤) :

١: التقسيم بحسب نوع معالجة الإخبارية ويقسم الخبر فيه إلى

أ. الخبر المجرد: هو الخبر الذي يقتصر على تسجيل الوقائع أو تصوير الحوادث أو سرد المعلومات دون ان يدعم بخلفية من المعلومات والبيانات والتفاصيل

ب. الخبر المفسر : هو الخبر المدعم بخلفية من المعلومات والبيانات التي تشرح تفاصيل الحدث أبعاده ودلالاته المختلفة ومن الضروري الانتباه إلى أن تفسر الخبر لا يعني أن يتضمن الخبر بأي شكل من الأشكال رأي كاتب الخبر أو جهة نظرة فعندئذ يفقد الخبر صفه من أهم صفاته وهي الموضوعية

٢: التقسيم النوعي للخبر (من حيث الناحية التحريرية) ويتضمن نوعان هما

أ. الخبر البسيط : خبر يصف حادثة بسيطة واحدة يدور حولها الخبر وتكون قصيرة وهو يحتاج الى جهد يسير لمعالجته وتفسيره ، وهو مايسمى الخبر القصير الذي يتميز بالبساطة

ب. الخبر المركب : يحاول هذا الخبر الإجابة على معظم أسئلة الصحفي ، وهو مايسمى بالخبر الطويل او قصة الإخبارية اذ يعطي حدثا متعدد الجوانب [١٥]

٣: التقسيم الجغرافي للخبر :

ومعيار هذا التقسيم هو مكان وقوع الخبر، أي موطن الخبر وعلى هذا الأساس نجد نوعين من للخبر

أ: الأخبار الداخلية: وهي الأخبار التي تقع داخل المجتمع الذي تبث فيه القناة التلفزيونية

ب:الاخبار الخارجية : وهي الأخبار التي تقع خارج المجتمع الذي تبث فيه القناة التلفزيونية

٤: التقسيم الموضوعي للخبر

يرتكز الى موضوع الخبر ومحتواه ، فهناك الاخبار السياسية ، اقتصادية ، عسكرية ، رياضية .... الخ

٥: التقسيم الزمني للخبر

وهذا التقسيم يقوم على اساس الوقت الذي يقع فيه الحدث وينقسم الى قسمين هما :

أ : أخبار متوقعة : وهي تلك الاخبار التي يعلم المراسل بموعد وقوعها ومكان حدوثها

ب: أخبار غير متوقعة : وهي الاخبار التي لا يعلم المراسل فيها شيئا ولا يتوقع حدوثها أي تكون أخبار المفاجئة [١٦]

٦: تقسيم الخبر على اساس المصدر

تقسم الاخبار على اساس طبيعة المصدر ، فهناك اخبار من مصادر رسمية أي ذات صفة قانونية مأخوذة من تصريح مسئول غالبا مايتم ذكره بتدعيم الخبر وتعطيه مصداقية اكثر والتي ينقلها مراسل او مندوب او موفد القناة او تلك التي يتم الحصول عليها من الوكالات الانباء ، وهناك أخبار من مصادر غير رسمية يتم الحصول عليها اما من افراد العاديين او من واقع الحدث مباشرة [١٧].

مصادر الأخبار التلفزيونية

وهي الجهة التي تحصل من خلالها الوسيلة الاعلامية على الاخبار ، ويعتمد التلفيزيون على مصادر متعددة للحصول على الاخبار وقد تكون مماثلة لمصادر وسائل الإعلام الأخرى ، ومنها وكالات الأنباء ، المندوبون والمراسلون، والمؤسسات العامة ن والجمهور فضلا عما ينفرد به التلفيزيون من وكالات الأخبار المصورة والمحطات التلفازية الإقليمية والانترنت وشبكات الأفلام الإخبارية [١٨].

وتكون مصادر الأخبار على النحو الأتي :

١: وكالات الأنباء العالمية

٢: شبكة المعلومات الدولية الانترنت

٣: وكالات الأنباء المصورة الفيلمية

٤: التبادل الإخباري اليومي

٥: المندوبون والمراسلون

١: وكالات الانباء العالمية

وكالة الانباء هي الهيئة التي تتخصص في تزويد وسائل الاعلام المختلفة ومنها التلفزيون بالاخبار ، وتعد جهاز الاعلام الام اذ تقوم بجمع الاخبار من جميع انحاء العالم ومن كل مكان بالجملة وتعيد توزيعها على كل مكان متعاقد معه بتزويد بالاخبار ما يمكنها من تغطية الاحداث على مستوى العالم كله وفي اقصر وقت ممكن [١٩].

٢: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

وتعد مصدرا رئيسيا من مصادر الاخبار والانترنت وسيلة حديثة للاعلام والمعلومات تؤدي وظيفة اعلامية للمشتركين فيها الحصول على مصادر متنوعة من المعلومات في مختلف المجالات والتخصصات بصورة سهلة ومباشرة وفي أي وقت ومكان من العالم ، وهناك نظام خدمة في الانترنت خاص بالاخبار اذ يتم ايداع الرسائل العامة والخاصة وتنشر وتوزع بالانترنت [٢٠].

٣: وكالات الانباء المصورة (الفيلمية)

وهي عنصر مهم ومصدر اساسي من مصادر الاخبار التي تنفرد بها دون غيره من وسائل الاعلام الاخرى ولها اهميتها في ايراد المادة الاخبارية المصورة وتغطي الاحداث العالمية المهمة ، كما تؤدي مهمة حيوية في تدفق المادة الاخبارية اذ تصور هذه الوكالات اهم الاحداث التي يمكن ان يكون لها صدى على مستوى العالم او تمثل اهتماما خاصا لدى المشاهدين ، ويمكن وكالتا انباء فيلمية تسيطر على سوق الاخبار التلفزيونية وفي دول العالم الثالث هما وكالة (visnws) البريطانية ووكالة (UDLTN) ملكية امريكية بريطانية ، فضلا عن وكالة (SBC)لأخبار التلفزيون الأمريكي [٢١].

٤: التبادل الاخباري اليومي :

ويعد التبادل الاخباري من أهم المصادر التي تعتمد عليها التلفزيون ويتم ذلك بشكل ثنائي او بين اكثر من محطة وهو بمثابة نافذة يعرض التلفزيون بواسطتها صورة مايجري في العالم الخارجي من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية على مئات الملايين من المشاهدين ويتم بعدة طرق منها البث الالكتروني عبر الاقمار الصناعية او شبكات المايكرو ويف

وهناك هيئات ومنظمات متخصصة بتبادل البرامج التلفزيونية وبضمنها الأخبار مثل منظمة (اليورفيزون) ومنظمة (الانتر فيزيون) ومنظمات تليفزيونية عديدة واتحاد إذاعات الدول العربية في تونس

كما يتم الحصول على الإخبار عن طريق الاستماع او الإنصات ومتابعة ماتبثة هذه المحطات والفضائيات من أخبار وتحليلات وتعليقات وذلك من اجل الاستعانة بها في تطوير وإثراء أخبارها ورسائلها الإعلامية وتأتي أهمية ذلك من قدرة هذه الإذاعات في الوصول الى اماكن عديدة وبسرعة كبيرة جدا وتغطية الأحداث أول بأول [٢٢]

٥: المندوبون والمراسلون:

وهم مجموعة من الاشخاص الذين يعملون في جمع الاخبار ويزودون المحطة التي يعملون بها ، اذ يستقي التلفزيون من المراسلين في الخارج ومن المندوبين في الداخل ومن الموفدين أي المبعوثين الخاصين من قبل المحطة التلفيزيونية لتغطية حدث ذي اهمية في حال عدم توفر مراسل او مندوب في مكان الحدث [٢٣]

المبحث الثالث

إجراءات البحث

١- **مجتمع البحث:** نشرات أخبار الساعة السابعة مساءا للفترة ٢٠١٢/١/٢ لغاية ٢٠١٢/١/٣١ وكان عددها (٣٠) نشرة إخبارية بمعدل واحدة كل يوم .

٢- **عينة المجتمع** : قام الباحث بجعل عينة بحثه هو مجتمعه والبالغ (٣٠) نشرة إخبارية تحتوي على (٢٦٠) خبرا ، تتعلق بالشؤون المحلية لمحافظة صلاح الدين .

٣- طريقة البحث :

أ- مجتمع البحث وعينته

يتناول البحث اتجاهات الإخبارية للشؤون المحلية لمحافظة صلاح الدين في قناة صلاح الدين الفضائية في ضوء إجراء دراسة مسحية لنشرات الأخبار في القناة ، ونظراً لوجود أكثر من نشرة أخبار تبث على مدار اليوم فقد وقع اختيار الباحث على النشرة الإخبارية الرئيسة التي تبث في الساعة السابعة مساء" بتوقيت بغداد وذلك للأسباب الآتية :

١: إن وقت النشرة يمثل الوقت الأكثر أهمية بالنسبة لسكان محافظة صلاح الدين للإطلاع على النشرات الإخبارية.

٢: أن العاملين في مركز الأخبار يولون هذه النشرة اهتماما خاصا يختلف عن النشرات الأخرى فعند حصول حدث هام على مستوى المحافظة فان زمن النشرة يتجاوز المدة المقررة لها والبالغ ثلاثون دقيقة لان القناة تسعى إلى تكثيف تغطيتها لهذا الحدث.

ب- فئات التحليل

كان الهدف من ألتحليل الذي يتطلبه منهج المسح المضمون هو وصف عناصر المضمون وصفاً كمياً فقد تم تقسيم هذا المضمون إلى وحدات أو فئات حتى يمكن للباحث القيام بدراسة كل منها وحساب التكرار الخاص بها ، إذ يهدف التصنيف وتحديد الفئات إلى تقسيم المحتوى في عينة الدراسة إلى أجزاء ذات خصائص أو سمات مشتركة بناءً على معاييرٍ للتصنيف حسب الإطار النظري للدراسة ٠

ج- تعريف فئات التحليل

تهدف هذه الفئة كشف ومعرفة المضمون المواد الإخبارية المغطية للشؤون محافظة صلاح الدين المختلفة في فضائية صلاح الدين (النشرة المحلية) الإخبارية وتحديد مراكز اهتمام هذا المضمون بكل شأن من شؤون المحافظة خلال مدة البحث من ٢- ١ – ٢٠١٢ إلى ٣١ – ١ – ٢٠١٢

وتضمن على عدة فئات هي على النحو الأتي

أولا: **فئة الشؤون السياسية:** ويقصد بها الأخبار التي غطت النشاطات و الأحداث السياسية العراقية (مباحثات، اجتماعات، قرارات، زيارات..... الخ)

ثانيا: **فئة الشؤون الأمنية** : ويراد بها الأخبار التي تناولت الأحداث والنشاطات الأمنية العسكرية العراقية (مواجهات مسلحة ، انفجارات ،اغتيالات ، اختطاف ..... الخ)

ثالثا: **فئة الشؤون الاقتصادية:** ويقصد بها الأخبار التي غطت الأحداث والنشاطات الاقتصادية العراقية والتي تشمل (نفط، مال، بورصات، استثمار، أعمار.....الخ)

رابعا: **فئة الأخبار الرياضية** : وتشمل كل مايتعلق بالاستعدادات والتدريبات

والألعاب الرياضية وكذلك نتائج المباريات وتنظيم الدورات البطولات المحلية وتبادل الزيارات

خامسا: **فئـة الأخبـار الثقافيـة:** الأخبار التي تغطي النشاطات الثقافية للمجتمعات كالآداب والفنون (فكر، مطبوعات، أثار، سياحة)

سادسا: **فئة الأخبار الدينية:** وهي الأخبار التي تغطي موضوعات الفتاوى والشعائر الدينية والخطب

سابعا: **فئة الأخبار العلمية** : وهي الأخبار التي تغطي كل مايخص العلوم والعلماء والمؤتمرات والشؤون العلمية والمؤسسات التعليمية

ثامنا: **فئـة الأخبـار الصحـة** : وعي كل مايتعلق بأخبار الصحة وبناء المستشفيات وأجهزة الطبية

تاسـعا: **فئــة الأخبــار الخدميــة** : وهـي كل مـايتعلق بأخبـار الخـدمات المقدمـة إلـى المواطنين ومتابعة الدوائر الحكومية وتقديم الخدمات وبناء المشاريع

عاشرا : **فئة الأخبار الزراعية:** كل أخبار التي تخص الزراعة والفلاحين وغيرها من الأخبار الزراعية

احد عشر: **فئـة الأخبـار الاجتماعيـة:** وهي كل خبر يخص الأخبار الاجتماعية (شبكة الرعاية الاجتماعية، احتفالات دور الأيتام.... الخ)

د- صدق التحليل :-

لتحقيق صدق عملية التحليل تم عرض ما تم استخراجه من فئات رئيسة معبرة وشاملة ثم صياغتها بشكل مختصر وواضح، كأجراء أولى قبل البدء بعمليات التحليل والتفسير اللاحقة وعرضها على مجموعة من الأساتذة لتقويمها وتصويبها فتمت الموافقة عليها، واعتمادها بعد الأخذ بما وضع من ملاحظات وتوصيات ، لذا يمكن القول بأن مطلب الصدق قد تحقق .

هـ - إجراءات البحث

للبحث العلمي إجراءات تساعد الباحث في بحثه وترتبط هذه الإجراءات بموضوع البحث والمنهج المستخدم في الدراسة ، من اجل الوصول إلى أهداف البحث ، فقد استخدم الباحث أكثر من أداة وطريقة للبحث وعلى النحو الأتي :

أولا: قام الباحث بزيارات عدة للقناة للإطلاع ميدانيا على المعلومات والبيانات المتعلقة بعمل القناة.

ثانيا: قام الباحث بتسجيل ثلاثين نشرة أخبار رئيسة والتي قدمت من قناة صلاح الدين الفضائية في غضون مدة البحث، بغية متابعتها بشكل دقيق وتفريغ مضمونها لاستخراج فئات التحليل فيما بعد.

ثالثا: قراءة كل خبر قراءة متأنية لمعرفه ودقيقة لمعرفه المواضيع السائدة فيها والتي تمثل اتجاهات الأخبار في قناة صلاح الدين

رابعا: ترتيب الاتجاهات المستخرجة من نشرات الأخبار في جداول حسب عدد تكرارها تنازليا

خامسا: استخراج النسبة المئوية لكل اتجاه في نشرة الإخبار في المجوع الكلي

سادسا: ترتيب الأخبار بحسب موضوعاتها ووضعها في جداول مرتبة تنازليا عن طريق التكرار من الأعلى إلى الأدنى

سابعا: إعداد استمارة تحليل خاصة لإخضاع عينة البحث للتحليل وتم عرض الاستمارة على عدد من الخبراء (*) لغرض التحكيم وأخذ الآراء الصائبة بخصوص الفئات المستخدمة فيها من أجل الخروج بنتائج سليمة.

جدول رقم (١)

يبين اتجاهات الأخبار في النشرة المحلية

ت	فئة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	الخدمات	١٠٦	٤٠،٧%
٢	الأمنية	٣٥	١٣،٣%
٣	التعليمية	٢٥	٩،٦%
٤	الاقتصادية	٢٠	٧،٦%
٥	الاجتماعية	١٩	٧،٣%
٦	الدينية	١٣	٥%
٧	الرياضية	١٠	٤%
٨	الصحية	١٠	٤%
٩	الثقافية	٩	٣،٥%
١٠	السياسية	٩	٣،٥%
١١	الزراعية	٤	١،٥%
المجموع	٢٦٠		١٠٠%

من خلال الإطلاع على النتائج المتحققة تبين أن المفردة الرئيسية **(الخدمات)** قد احتلت المرتبة الأولى وبمعدل (١٠٦) تكرار من مجموع الكلي (٢٦٠) تكرار وبنسبة مئوية (٤٠،٧%) وحيث جاءت المفردة **(الأمنية)** الثانية بمعدل (٣٥)تكرار بنسبة مئوية (١٣،٣%)اما المفردة التي تخص **(التعليمية)** فقد احتلت المرتبة الثالثة بمعدل (٢٥) تكرار كانت النسبة المئوية (٩،٦%) وكانت مفردة (**الاقتصادية**) في المرتبة الرابعة وبمعدل (٢٠) تكرار ونسبته المئوية

(٧،٦%) أما المفردة التي تخص الأخبار (**الاجتماعية**) في المرتبة الخامسة بمعدل (١٩) تكرار بنسبة مئوية (٧،٣%) والمفردة (**الدينية**) فقد جاءت في المرتبة السادسة بمعدل (١٦) تكرار بنسبة مئوية (٥%) فحين جاءت المفردتين **(الرياضية)** و(**الصحية**) فقد جاءت بالمرتبة السابعة بالتساوي وبمعدل (١٠) تكرار وبنسبة مئوية (٤%) لكل منهما أما المفردتين **(الثقافية)** و(**السياسية**) فقد احتلت في المرتبة الثامنة بمعدل (٩) تكرارات وبنسبة مئوية (٣،٥%) لكل منهما وأخيرا جاءت في المرتبة التاسعة مفردة (**الزراعية**) بمعدل (٤) تكرار وبنسبة مئوية (١،٥%)

ثانياً- التحليل النوعي لاتجاهات الأخبار في قناة صلاح الدين الفضائية

جدول رقم (٢)

يبين اتجاهات المفردات الفرعية للمفردة الرئيسية ((**الخدمات**))

ت	فئـــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	متابعة الدوائر الحكومية في محافظة صلاح الدين	٤١	٣٩%
٢	متابعة المشاريع في الاقضية والنواحي	٢٣	٢٢%
٣	مشاريع تطوير الطاقة الكهربائية	١٥	١٤%
٤	تطوير وتبليط الشوارع وبناء الجسور	١٢	١١،٢%
٥	توزيع منتجات النفطية للمواطنين	٨	٧ %
٦	توزيع قطع أراضي سكنية على المواطنين	٥	٥%
٧	تطوير عمل الدفاع المدني	٢	١،٨%
	المـــجمـــوع	١٠٦	١٠٠%

تبين من خلال الإطلاع على نتائج الجدول لنا أن المفردة (**متابعة الدوائر الحكوميـة فـي المحافظـة**) قد احتلت المرتبـة الأولـى وبمعدل (٤١) تكـرار وبنسبة مئوية (٣٩%) من مجموع تكرارات (١٠٦) تكرار

فحين جاءت (**متابعة المشاريع في الاقضية والنواحي**) في المرتبة الثانية وبمعدل (٢٣)تكرار بنسبة مئويـة (٢٢%) أمـا مفـردة(**مشـاريع تطـوير الطاقـة الكهربائيـة**)فقد جاءت في المرتبة الثالثة بمعدل (١٥) تكرار وبنسبة مئوية (١٤%) والمفردة (**تبلـيط الشـوارع وبنـاء الجسـور**) فقد احتلت فـي المرتبـة الرابعـة وبمعـدل (١٢)تكـرار وبنسـبة مئويـة (٢،١١%) فـي حـين احتلـت مفـردة (**توزيـع المنتجـات النفطية**) المرتبة الخامسة وبمعدل (٨) تكرار وبنسبة مئوية (٧%) أما (**توزيـع قطـع أراضي السكنية**) جاءت في المرتبة السادسة وبمعدل (٥) تكرار وبنسبة مئوية (٥%) وخيرا جـاءت فـي المرتبـة السابعة (**تطـوير عمـل الـدفاع المـدني**) بمعدل (٢) تكرار وبنسبة مئوية (١،٨%)

جدول رقم (٣)

اتجاهات المفردات الفرعية للمفردة الرئيسية ((الأمنية))

ت	فئـــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	استعدادات تأمين حماية الزوار	٩	٢٥%
٢	تطوير العمل الأمني في المحافظة	٨	٢٣%
٣	القبض على الخارجين عن القانون والارهابين	٥	١٤%
٤	تعزيز العلاقات بين المواطنين والأجهزة الأمنية	٤	١١،٥%
٥	رفع الكتل الكونكريتية من الطرق	٣	٨،٥%
٦	متابعة عمليات التهريب والتزوير	٢	٦%
٧	افتتاح مراكز لشرطة في الاقضية والنواحي	٢	٦%
٨	احتفالات بعيد الجيش والشرطة	٢	٦%
	المجموع	٣٥	١٠٠%

من خلال الإطلاع على المفردات الفرعية والنسب التي حصلت عيها نرى ان المفردة الفرعيـة (**تـأمين حمايـة الـزوار العتبـات المقدسـة**) قـد جـاءت بالمرتبـة الأولـى وبمعـدل (٩) تكـرار مـن مجمـوع (٣٥) تكـرار وبنسـبة مئويـة (٢٥%) فحـين (**تطوير العمل الأمني في المحافظة**) قد جاءت في المرتبـة الثانيـة وبمعدل (٨) تكرار وبنسبة مئويـة (٢٣%) أمـا (**القـبض علـى الخـارجين عـن القـانون**) فقـد احتلـت فـي المرتبة الثالثة وبمعدل (٥) تكرار وبنسبة مئويـة (١٤%) أمـا مفـردة (**تعزيـز العلاقـات بـين المـواطنين والأجهـزة الأمنيـة والمـواطنين**) فقـد جـاءت فـي المرتبـة الرابعـة وبمعدل(٤) تكرار وبنسبة مئوية (١١،٥%) أما مفردة (**رفـع الكتـل الكونكريتيـة**) فقد

جاءت في المرتبة الخامسة بمعدل (٣) تكرار وبنسبة مئوية (٥،٨%) أما مفردة (**متابعة عمليات التهريب والتزوير**) فقد جاءت في المرتبة السادسة ومتساوية مع **(افتتاح مراكز للشرطة في الاقضية والنواحي و احتفالات بعيد الجيش والشرطة)** وبمعدل (٢) تكرار وبنسبة مئوية (٦%)

جدول رقم (٤)

الاتجاهات المفردات الفرعية للمفردة ((التعليمية))

ت	فئـــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	متابعة المؤسسات التعليمية في المحافظة	١٠	٤٠%
٢	متابعة بناء المدارس	٩	٣٦%
٣	دعم المؤسسات التعليمية في المحافظة	٦	٢٤%
	المجموع	٢٥	١٠٠%

من خلال الإطلاع على نتائج الجدول تبين أن مفردة متابعة المؤسسات التعليمية في المحافظة وبمعدل (١٠)تكرار من مجموع (٢٥) تكرار وبنسبة مئوية (٤٠%) وجاءت في المرتبة الثانية مفردة **(متابعة بناء المدارس)**وبمعدل (٩) تكرار وبنسبة مئوية (٣٥%) واحتلت مرتبة الثالثة مفردة **((دعم المؤسسات التعليمية في المحافظة))** وبمعدل (٦) وبنسبة مئوية (٢٤%)٠

جدول رقم (٥)

اتجاهات المفردات الفرعية للمفردة ((الاقتصادية))

ت	فئـــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	متابعة و أقامة مشاريع الاستثمار في المحافظة	١٠	٥٠%
٢	متابعة شركات الاستثمار في المحافظة	٥	٢٥%
٣	بناء مجمعات سكنية للمواطنين	٣	١٥%
٤	دعم قطاع الخاص في المحافظة	٢	١٠%
	المجموع	٢٠	١٠٠%

من خلال استطلاع الجدول أعلاه فقد حصلت مفردة **((متابعة وإقامة مشاريع الاستثمارية في المحافظة))**وبمعدل (١٠) تكرار من مجموع (٢٠) تكرار وبنسبة مئوية (٥٠%) وجاءت في المرتبة الثانية **((مفردة متابعة شركات الاستثمار في المحافظة))** وبمعدل (٥) تكرار وبنسبة مئوية (٢٥%) في حين احتلت مفردة **((بناء مجمعات سكنية للمواطنين))** في المرتبة الثالثة وبمعدل (٣) تكرار وبنسبة مئوية (١٥%) أما المرتبة الرابعة فكانت للمفردة **((دعم قطاع الخاص في المحافظة))** وبمعدل (٢)تكرار وبنسبة مئوية (١٠%)

جدول رقم (٦)

اتجاهات المفردات الفرعية للمفردة الرئيسية الاجتماعية

ت	فئـــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	نبذ الخلافات العشائرية والعنصرية بين أبناء المحافظة	٥	٣،٢٦%
٢	توزيع رواتب المتقاعدين وشبكة رعاية الاجتماعية	٤	٣،٢١%
٣	دعم عوائل الشهداء والعوائل المتضررة	٣	٧،١٥%
٤	تنمية دور المرأة في المحافظة	٣	٧،١٥%
٥	أقامة احتفالات لدور الأيتام	٢	٥،١٠%
٦	تقوية أواصر العلاقات مع المحافظات الأخرى	٢	٥،١٠%
	المجموع	١٩	١٠٠%

تبين خلال الإطلاع على نتائج يتبين لنا أن مفردة نبذ الخلافات العشائرية والعنصرية قد جاءت في المرتبة الأولى وبمعدل (٥) من مجموع (١٩) تكرار وبنسبة مئوية (٣،٢٦%) أما مفردة ((**توزيع رواتب المتقاعدين وشبكة الرعاية الاجتماعية**)) جاءت في المرتبة الثانية وبمعدل (٤)تكرار وبنسبة مئوية (٣،٢١) أما في المرتبة الثالثة احتلت مفردة ((**دعم عوائل الشهداء والعوائل المتضررة**)) بالتساوي مع تنمية دور المرأة في المحافظة وبمعدل (٣) تكرار وبنسبة مئوية (٧،١٥%) فحين احتلت المفردتين ((**أقامة احتفالات لدور الأيتام**)) و((**تقوية أواصر العلاقات مع المحافظات الأخرى**)) بالمرتبة الرابعة وبمعدل (٢) تكرار وبنسبة مئوية (٥،١٠%)

جدول رقم (٧)

اتجاهات المفردات الفرعية لمفردة الرئيسية ((الدينية))

ت	فئـــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	واقع الخدمات المقدمة إلى زوار العتبات المقدسة	٩	٣،٦٩%
٢	ترميم وإعادة أعمار العتبات المقدسة	٤	٧،٣٠%
	المجموع	١٣	١٠٠%

من خلال الإطلاع على المفردات الفرعية والنسب التي حصلت عليها نرى أن مفردة الفرعية ((**واقع الخدمات المقدمة إلى زوار العتبات المقدسة**)) في المرتبة الأولى وبمعدل (٩) تكرار من اصل (١٣) تكرار وبنسبة (٣،٦٩%) واحتلت مفردة ((**ترميم وإعادة أعمار العتبات المقدسة**)) في المرتبة الثانية وبمعدل (٤) تكرار وبنسبة مئوية (٧،٣٠%)

جدول رقم (٨)

اتجاهات المفردات الفرعية لمفردة الرئيسية الرياضية

ت	فئـــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	متابعة الشؤون الرياضية في المحافظة	٤	٤٠%
٢	دعم المؤسسات الرياضية والفرق الرياضية	٤	٤٠%
٣	أقامة مباريات دوري المحلي في المحافظة	٢	٢٠%
	المجموع	١٠	١٠٠%

من خلال الإطلاع على الجدول أعلاه فقد تبين لنا أن مفردتين ((**متابعة الشؤون الرياضية في المحافظة**)) و((**دعم المؤسسات الرياضية والفرق المحلية**)) بالتساوي وبمعدل (٤) تكرار من أصل (١٠) تكرار وبنسبة مئوية (٤٠%)

أما في المرتبة الثالثة حلت مفردة ((**أقامة مباريات دوري المحلي في المحافظة**)) وبمعدل (٢) تكرار وبنسبة مئوية (٢٠%)

جدول رقم (٩)

اتجاهات المفردات الفرعية لمفردة الرئيسية الصحية

ت	فئـــــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	متابعة المستشفيات وشراء مستلزمات صحية	٧	%٧٠
٢	أنشاء وترميم المستشفيات وشراء أجهزة طبية	٣	%٣٠
	المجموع	١٠	%١٠٠

من خلال استطلاع الجدول أعلاه فقد حصل مفردة ((**متابعة المستشفيات وشراء مستلزمات صحية**)) في المرتبة الأولى وبمعدل (٧) تكرار من اصل (١٠) تكرار وفي المرتبة الثانية احتلت مفردة ((**أنشاء وترميم المستشفيات وشراء الأجهزة طبية**)) وبمعدل (٣) تكرار وبنسبة مئوية (٣٠%)

جدول رقم (١٠)

اتجاهات المفردات الفرعية لمفردة الرئيسية الثقافية

ت	فئـــــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	أمسيات شعرية في قاعة القصر الثقافي	٤	%٤،٤٤
٢	أقامة معرض للأعمال الفنية	٣	%٣،٣٣
٣	أقامة مؤتمرات ثقافية وفنية	٢	%٣،٢٢
	المجموع	٩	%١٠٠

من خلال الإطلاع على الجدول تبين أن المفردة ((**أمسيات شعرية في قاعة القصر الثقافي**)) احتلت المرتبة الأولى بمعدل (٤) تكرار من اصل (٩) تكرارات وبنسبة مئوية (٤،٤٤%) أما المفردة ((**أقامة معرض للأعمال الفنية**)) في

المرتبة الثانية وبمعدل (٣) تكرار وبنسبة مئوية (٣،٣٣%) وأخيرا في المرتبة الثالثة مفردة ((**أقامة مؤتمرات ثقافية وفنية**)) وبمعدل (٢) تكرار وبنسبة مئوية (٢،٢٢%)

جدول رقم(١١)

اتجاهات المفردات الفرعية لمفردة الرئيسية السياسية

ت	فئـــــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	استفتاء إقليم محافظة صلاح الدين	٦	%٧،٦٦
٢	مؤتمر حول توزيع استمارة الإقليم على المواطنين	٣	%٣،٣٣
	المجموع	٩	%١٠٠

من خلال الإطلاع على نتائج أعلاه يتبن أن مفردة ((**استفتاء إقليم محافظة صلاح الدين**)) بالمرتبة الأولى وبمعدل (٦) تكرار من اصل (٩) تكرار وبنسبة مئوية (٧، ٦٦%) وتأتي في المرتبة الثانية مفردة ((**مؤتمر حول توزيع استمارة الإقليم على المواطنين**)) بمعدل (٣) تكرار وبنسبة مئوية (٣، ٣٣%)

جدول رقم (١٢)

اتجاهات المفردات الفرعية لمفردة الرئيسية الزراعية

ت	فئـــــــــــة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
١	سبل دعم شريحة الفلاحين	٢	%٥٠
٢	دعم الثروة الزراعية والحيوانية في المحافظة	٢	%٥٠
	المجموع	٤	%١٠٠

بعد أجراء عملية التحليل فقد جاءت في المرتبة الأولى ((**سبل دعم شريحة الفلاحين**)) وبمعدل (٢) تكرار من أصل (٤) تكرار وبنسبة مئوية (٥٠%) واحتلت

في المرتبة الثانية ((**دعم الثروة الزراعية والحيوانية في المحافظة**)) وبمعدل (٢) تكرار وبنسبة مئوية (٥٠%)

النتائج ومناقشتها :-

أولا : النتائج :

١. ظهر للباحث أن موضوعات اتجاهات الأخبار التي تتعلق بنشرة الأخبار في قناة صلاح الدين . قد استحوذت فئة الخدمات على اهتمام النشرة المحلية الإخبارية إذ بلغ مجموعها (١٠٦) تكرار من مجموع التكرارات الكلي (٢٦٠) خبرا .

٢. كما تبين من خلال الدراسة بأن النشرة الإخبارية في قناة صلاح الدين الفضائية ليس لها معيار ثابت في تقديم الأخبار بطريقة المتعارف عليها كون أن النشرة المحلية الخاصة بالمحافظة تتجاوز أكثر من ٤٥ إلى ٥٠ دقيقة وتحتوي كل النشرة على اقل تقدير (١٥الى ١٨) عشر خبرا .

٣. ومن خلال دراسة وتحليل نشرة الأخبار تبين بأن قناة صلاح الدين تبث كل أخبار الخدمات وفق أسلوب مفهوم الخبر في الدول النامية من حيث تقديم أخبارا لتنمية والتطوير.

٤. ما أثبته تحليل المضمون في اتجاهات الأخبار بأن قناة صلاح الدين الفضائية هي أحدى وسائل الدعاية لحكومة المحلية وتعمل أيضا على تحسين صورة الحكومة المحلية في المحافظة من خلال ما تقدمة لهم من تغطية لنشاطاتهم اليومية .

ثانيا : الاستنتاج :

إذن :-

تبين من خلال الدراسة بان قناة صلاح الدين الفضائية تعمل وفق أيدلوجيات مالكيها والقائمين عليها والجهة الداعمة لها ، فهي إحدى وسائل الدعاية للحكومة المحلية وتعمل على تحسينها مما أدى إلى عدم وجود اتجاهات واضحة بها مع اختلاف موضوعاتها وفقدان التخطيط التلفزيوني لتقديم نشرات الأخبار اليومية من ناحية عددها ومساحتها الزمنية .

الهوامش:

(١) سمير محمد حسين: بحوث الأعلام – دراسات في مناهج البحث العلمي ، القاهرة ،عالم الكتب ،١٩٩٩،ص ٧٤

(٢) د.أبو طالب محمد سعيد : عالم مناهج البحث ، الموصل ، دار الحكمة، ١٩٩٠، ص٥

(٣) د.حسن عماد مكاوي : الأخبار في الراديو والتلفزيون ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،١٩٨٩، ص ١٣٢

(٤) د يوسف مرزوق:فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون، الإسكندرية، دار المعرفة للطباعة، ١٩٨٨، ص ١٣٥

(٥) د. أمال محمد يعقوب :علم النفس الاجتماعي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة للطباعة ، ١٩٨٩، ص ٢٧-٢٨

(٦) د. رجاء وحيد : البحث العلمي . أساسياته النظرية وممارساته العملية ، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠، ص٢١٥

(٧) محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص ٢٦٥

(٨) د. سعيد لبيب ، د كرم شلبي ، الصحافة الإذاعية ، الصحافة الإذاعية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ، ١٩٧٢ ،ص ١٤٠_١٤١ .

(٩) د. حسن عماد مكاوي : الأخبار في الراديو والتلفيزيون ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢١

(١٠) د. عبد الستار جواد :فن كتابة الأخبار ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان،١٩٩٩، ص ٩٦

(١١) د. حسين نصر ، سناء عبد الرحمن : التحرير الإذاعي في عصر المعلومات، دار الكتاب الجامعي ، ٢٠٠٤، ص ٥٧-٥٨

(١٢) فاروق أبو زيد : فن الخبر الصحفي ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠،ص ٦٨-٧٠

(١٣) فاروق أبو زيد :فن الخبر الصحفي ، مصدر سابق ، ص ٧٥-٨٠

(١٤) د. منى الحديدي ، فن الخبر الإذاعي ، تونس ، ٢٠٠١ ، ص ٩٦-٩٧

(١٥) محمد إسماعيل محمد :الكلمة المذاعة ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة،١٩٦٠ ، ص٦٤

(١٦) د. سعيد محمد السيد و د. حسن عماد مكاوي : الأخبار الإذاعية والتلفزيونية، مطبعة جامعة القاهرة ،١٩٩٩ ، ص٤٢

(١٧) ثناء إسماعيل رشيد : النشرات الإخبارية في إذاعة العراق ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد،كلية الآداب قسم الأعلام ، ١٩٩٠،ص ١٥

(١٨) كرم شلبي: فن الكتابة للراديو والتلفزيون ،دار الشروق للطباعة ،جدة ، ١٩٨٧، ص ٦٧

(١٩) سعد محمد السيد وحسن عماد مكاوي : مصدر سابق ، ١٩٩٩ ، ص ١٨٦

(٢٠) عبد الستار جواد ، صناعة الأخبار ، مصدر سابق ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

(٢١) محمد معوض : المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦، ص ١٣٦

(٢٢) د. ياس خضر البياتي : الأعلام الدول العربي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ،١٩٩٣ ،ص ٢٠٢

(٢٣) محمد إسماعيل محمد : الكلمة المذاعة ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص ٦٤

(*) ١. د.فريد صالح فياض (تدريسي في كلية الآداب قسم الأعلام)
٢. د. يوسف حمود (تدريسي في كلية الآداب قسم الأعلام)
٣. م. م. حبيب الملح (تدريسي في كلية الآداب قسم الأعلام)

المصادر

١. أبو طالب محمد سعيد : عالم مناهج البحث ، الموصل ، دار الحكمة ،١٩٩٠.

٢. أمال محمد يعقوب :علم النفس الاجتماعي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة للطباعة ، ١٩٨٩.

٣. حسن عماد مكاوي : الأخبار في الراديو والتلفزيون ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٨٩.

٤. حسين نصر ، سناء عبد الرحمن : التحرير الإذاعي في عصر المعلومات ، دار الكتاب الجامعي ، ٢٠٠٤.

٥. رجاء وحيد : البحث العلمي . أساسياته النظرية وممارساته العملية ، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠.

٦. سعد محمد السيد وحسن عماد مكاوي :الأخبار الإذاعية والتلفزيونية ، مطبعة جامعة القاهرة للتعليم المفتوح ، ١٩٩٩

٧. سعيد لبيب ، د كرم شلبي ، الصحافة الإذاعية ، الصحافة الإذاعية ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ، ١٩٧٢.

٨. سعيد محمد السيد وحسن عماد مكاوي : الأخبار الإذاعية والتلفزيونية ، مطبعة جامعة القاهرة ،١٩٩٩ .

٩. سمير محمد حسين : بحوث الأعلام – دراسات في مناهج البحث العلمي – القاهرة ، عالم الكتب ،١٩٩٩.

١٠. عبد الستار جواد :فن كتابة الأخبار ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٩٩.

١١. فاروق أبو زيد : فن الخبر الصحفي ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠.

١٢. كرم شلبي: فن الكتابة للراديو والتلفزيون ،دار الشروق للطباعة ،جدة ، ١٩٨٧.

١٣. محمد إسماعيل محمد : الكلمة المذاعة ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠.

١٤. محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ .

١٥. محمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠.

١٦. محمد معوض : المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦.

١٧. منى الحديدي ، فن الخبر الإذاعي ، تونس ، ٢٠٠١ .

١٨. نعمان إلهيتي، الاتصال والتغير الثقافي، الموسوعة الصغيرة، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٧.

١٩. ياس خضير البياتي : دراسات معاصرة في الأعلام والدعاية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ،١٩٩١.

٢٠. يوسف مرزوق:فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون، الإسكندرية، دار المعرفة للطباعة، ١٩٨٨.

الاطاريح والرسائل :

١. ثناء إسماعيل رشيد : النشرات الإخبارية في إذاعية العراق ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد،كلية الآداب قسم الأعلام ، ١٩٩٠.

٢. ياسين علوان الطيف الجبوري :دور البرامج السياسية في قناة صلاح الدين الفضائية في نشر الوعي السياسي

المجلات :

*: بحث منشور في مجلة كلية التربية ، للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، م. ياسين طه موسى : دواعي تعرض النخبة الإعلامية لقناة صلاح الدين ،مجلة كلية التربية ،٢٠١٢،

المقابلات:

*: د. دويلات الدهش ، مدير عام قناة صلاح الدين الفضائية مقابلة أجراها الباحث بتاريخ ١٧-٢-٢٠١٢م .

التغطية الإخبارية للمبادرة الخليجية
في صحيفة الخليج الإماراتية

للمدة ٢٠١١/٧/٢٣ لغاية ٢٠١١/١١/٢٣

م.م. محمد أحمد مخلف
الجامعة العراقية/ كلية الإعلام/ قسم الصحافة

المقدمة

بات واضحاً أن العالم أصبح ومنذ مدة ليست بالقصيرة صغيراً بفضل التطور الكبير في مجال تكنولوجيا الاتصال وشكلت هذه الظاهرة انعطافة واسعة وكبيرة في حركة الاتصال بين الدول، ولكن بمستويات متباينة ولاسيما بعد دخول الصحافة الالكترونية معترك التنافس الإعلامي لوسائل الاتصال الجماهيري الأخرى.

ومن هنا أصبحت الصحافة وخاصة في عصر التطور التكنولوجي أداة في تشكيل الاتجاهات والتأثير في الرأي العام المحلي والدولي فالكلمة المعبرة إن أحسن اختيارها وتوقيتها تستطيع أن تقلب الموازين أكثر من أي أداة أخرى كما أن للصحافة قدرة فاعلة في تغطية الأحداث بكل جوانبها، حيث أصبح العالم اليوم يعيش الحدث لحظة بلحظة.

ومن الصحافة العربية التي واكبت الأحداث... صحيفة الخليج الإماراتية التي سعت منذ تأسيسها إلى تطوير إمكانياتها بشكل يمكنها من التميز والاستحواذ على قاعدة جماهيرية كبيرة وواسعة في ظل تنافس محموم بين وسائل الاتصال المختلفة.

ومع تقادم الزمن نرى ان القائمين على المؤسسات الإعلامية قد أولو اهتمامهم بالجوانب المحيطة بالاحداث وايصالها الى الجمهور بحيث تؤثر في أفكار الرأي العام واتجاهاته وإشباع فضوله لمتابعتها.

وتصدى البحث في دراسته الموضوع التغطية للمبادرة الخليجية في جريدة الخليج متخذاً من الأخبار حدوداً لبحثه.

مشكلة البحث

يشير الباحثون إلى أن اختيار مشكلة البحث وتحديدها، ربما يكون أصعب من إيجاد الحلول لها(١).

والمشكلة هي عبارة عن موقف أو قضية أو فكرة أو مفهوم يحتاج إلى البحث والدراسة العلمية للوقوف على مقدماتها وبناء العلاقات بين عناصرها ونتائجها الحالية، وإعادة صياغتها من خلال نتائج الدراسة ووضعها في الإطار العلمي السليم(٢).

وتتجسد مشكلة البحث عندما يدرك الباحث من خلال ملاحظاته أو تجارية أو اطلاعاته أن شيئاً معيناً غير مفهوم ويحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتفسير والتحليل(٣).

ومشكلة البحث تتجسد في الإجابة عن التساؤل الآتي: ما مدى اهتمام صحيفة الخليج بالمبادرة الخليجية الخاصة باليمن.

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من اهمية الموضوع الذي تناوله لذلك فان اهمية هذا البحث جاء ليعزز دور الصحافة والتغطية الاخبارية للازمة اليمنية ومبادرة دول الخليج لحلها وقد جاءت اهمية الدراسة عن طريق ثلاث محاور اساسية تعرض ضرورات البحث العلمي ولاسيما في الدراسات الإعلامية:

١. ما يقدمه البحث للقراء: فهذه الدراسة تتناول قضية تهم الرأي العام العربي وهي المبادرة الخليجية لانهاء الازمة اليمنية وكيفية التعامل معها من قبل صحيفة الخليج الاماراتية.

٢. ما يقدمه البحث على المستوى المهني للعاملين في المؤسسات الإعلامية سيما وانه يتناول دراسة التغطية الاخبارية التي تشتمل على فن الخبر والذي يعد من اهم الفنون الصحفية في هذا المستوى.

٣. ما يقدمه البحث للمكتبة العلمية: فهو يعد محاولة متواضعة للوصول الى نتائج علمية على وفق استعمال المنهج العلمي لدراسة قضية سياسية مهمة تحولت الى ازمة يصعب الخروج منها.

أهداف البحث

يحاول هذا البحث، معرفة شكل تغطية الصفحة الأولى ممثلة بصحيفة الدراسة (الخليج) أثناء المبادرة الخليجية والموضوعات التي تركز عليها تلك الصحيفة عن طريق تركيزها على ما ينشر من أخبار في الصفحة الأولى وكيف تختلف هذه الاهتمامات وهذه التغطية بحسب المرجعية السياسية لهذه الصحيفة. وكذلك الدور الرسمي وما يفرضه من أولويات في بعض الصحف صحف الدراسة (الخليج) وليس بالاعتماد على ما تفرضه المعايير المهنية في اختيار أولويات النشر.

منهج البحث

استعمل الباحث المنهج الوصفي في هذه الدراسة لأنه يساعد في رصد الظواهر بهدف فهم حقيقة المضمون(٤). وحاول الباحث عن طريق هذا المنهج استكشاف المضامين التي تعرضها الصفحات الأولى لصحف الدراسة عن طريق أخبار الصفحة الأولى من ثم تحديد هذه المضامين وتقسيمها في فئات ومقارنة النتائج المستخلصة وتفسيرها للحصول على نتائج نهائية وواضحة كما أن أسلوب تحليل المضمون يساعدنا في وضع إجابات عن الأسئلة التي قام الباحث بطرحها

عن طريق المعلومات التي وفرتها صحيفة العينة والتي تتحول إلى فئات ثم إلى وحدات أصغر تحمل معاني عدة تمكننا من الوصول إلى نتائج جديدة.

فالمنهج الوصفي في أحدى معانيه تصوير خصائص مجموعة معينة وتحليلها وتقديمها أو موقف معين تغلب عليه صفة التحديد أو دراسة الحقائق الراهنة بطبيعة الظاهرة أو الموقف وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية عنها(٥).

حدود البحث ومجالاته

أختار الباحث صحيفة (الخليج) فهي أحدى أكثر الصحف توزيعاً وهي مملوكة لجهة مستقلة ومنتظمة الصدور وهي واحدة من أوائل الصحف التي صدرت في دولة الأمارات العربية المتحدة.

وتم تحديد المجال الزمني للدراسة من ٢٠١١/٧/٢٣ ولغاية ٢٠١١/١١/٢٣ وهي المدة التي شهدت تطورات في الوضع الداخلي للبحث من جهة والاتفاق على تسوية الأزمة وفق المبادرة الخليجية من جهة أخرى.

عينة البحث

وأحصى الباحث (١٧) عدداً من صحيفة الخليج وكان المجموع الكلي لأعداد أخبار الصفحة الأولى (موضوع الدراسة) ١٣٠ خبراً.

أدوات البحث

طريقة تحليل المضمون

هو أحد أساليب البحث العلمي. والذي يعني بوصف المحتوى العام للمادة الاتصالية على مستوى الشكل والمضمون، وعلى وفق مراحل تحليلية منظمة وقائمة على أسس منهجية وموضوعية. وهو أيضاً أسلوب للوصول إلى استنتاجات عن طريق التعرف الموضوعي والنسقي على صفات محددة للرسالة الاتصالية(٦).

ويتيح استخدام تحليل المضمون دراسة خصائص المضمون من حيث المادة المراد دراستها ودراسة خصائص منتجي المضمون من حيث الشكل أو طريقة العرض وهناك مجالات عدة لاستعمال تحليل المضمون لتحديد أثر مادة الاتصال عن طريق الكشف عن الاتجاهات وجوانب الاهتمام والقيم والنماذج الثقافية للجمهور وكذلك التركيز على نقاط الأهمية في شكل ومضمون المادة الاتصالية بشكل عام ووصف الاستجابات الاتجاهية والسلوكية لوسائل الاتصال(٧).

لعل من الصعب وضع تعريف واضح ومحدد للخبر، فهناك تعريفات غير متكاملة وهي جاءت بسيطة ولا تستوفي كل ما في الخبر من عناصر وأركان ودعائم، فجاءت بعض تعريفات الخبر على أساس الفائدة التي تحققها للوسيلة والجمهور، والبعض الآخر جاءت على أساس وظيفته الإعلامية بوصفه أساس المادة الإخبارية، أما القسم الأخير من التعريفات استطاعت أن تصل إلى عدد لا بأس به من عناصر الخبر وأركانه، ولكن في المقابل هناك تعريفات جاءت غامضة أو غير مباشرة وبعيدة عن خصائص الخبر وأركانه ووظائفه(٨).

وتذكر اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام المعروفة بلجنة (ماكبرايد) أن الأخبار هي ما يتم نشره بشرط أن تعكس واقع وقيم المجتمع الذي تنشر فيه، بمعنى أن النظام السياسي والثقافي والاجتماعي يؤدي دوراً كبيراً في تقرير الأنباء التي تنشر أو التي لا تنشر وطريقة تحريرها وعرضها(٩).

وفضلاً عن ذلك لا يوجد تعريف واحد للخبر، إذ أن مفهوم الخبر شيء يختلف من عصر إلى أخر، فالمفهوم السائد للخبر في القرن التاسع عشر غير المفهوم السائد في القرن العشرين، بل أن مفهوم الخبر في النصف الأول من القرن العشرين غير ذلك المفهوم الذي ساد النصف الثاني منه، كذلك فان الخبر في الدول

المتقدمة يختلف بمفهومه عن مفهومه في الدول النامية، وأيضاً نجد أن مفهوم الخبر في الدول الليبرالية لا يتفق مع مفهومه في الدول الاشتراكية[١٠].

وبناءً على ما تقدم، فان تبني أي مفهوم مطلق الخبر يتضمن تبسيطاً مخلاً أو تجريداً يتجاهل حقيقة التباين في الظروف والتفاصيل، ولكن صعوبة وضع تعريف للخبر لا يجب أن يسحبنا إلى تجاهل أهمية ترديد هذا التعريف وإغفاله فمثل هذا التجاهل قد يقودنا إلى الخلط ما بين مفهوم الخبر وبين العديد من المصطلحات المرتبطة به أو القريبة منه مثل الخلط بين مفهوم الخبر من جهة، وبين عناصر الخبر من جهة أخرى، أو الخلط بين مفهوم الخبر وعناصره من ناحية وبين أسس تقييم الخبر أو شروط نشره من ناحية ثانية، ولعل من المهم هنا أيضاً إلا يعتقد البعض أن تعريف عناصر الخبر قد تغني عن تعريف الخبر نفسه[١١].

ويرتكز الخلاف حول تعريف الخبر في مفهومين رئيسين فترى في دول الغرب أن هناك طريقة واحدة ثابتة لصنع الأنباء وهي نقل الحدث ذي الطبيعة غير المعروفة الذي يثير الانتباه والاهتمام بطريقة شاملة وموضوعية وصادقة بينما ترى دول الشرق فيها احتياجات مختلفة للأنباء وأسلوب تناولها وأن القيمة التي تعطي لنوعيات الأنباء تختلف من مجتمع لأخر[١٢].

أما الدول النامية فأن موقفها يقع في الوسط من النقيضين فالرأي الغالب أن الخبر هو مجموع الأحداث التي تؤثر على حياة أفراد الجمهور أو تلك التي لها مدلول اجتماعي[١٣].

ويعد البعض: أن الخبر هو كل حادثة تجذب انتباه الناس أو تؤثر فيهم، أو هو كل جديد بات ينشر في وسائل الإعلام إلى الجمهور أي من الخبر البسيط إلى أصعب خبر كمثال على ذلك من قطة فوق شجرة إلى اندلاع الحرب[١٤].

والأخبار اليوم تعد في حد ذاتها أساس كل وسيلة إعلامية[١٥].

وفي المفهوم الليبرالي للخبر المرتكز على الإثارة والطلاقة جاء أشهر التعريفات وهو أقدمها إلا وهو تعريف اللورد (نورث كليف) الذي نشره عام ١٨٦٥م ويقول فيه[١٦]. (الخبر هو الإثارة والخروج عن المألوف)، فعندما يعض الكلب رجلاً فليس هذا بخبر، ولكن عندما يعظ الرجل كلباً فهذا هو الخبر.

ويعرف أستاذ الصحافة بجامعة نورث ويسترن الأمريكية كورتيس ماكدوغال الخبر أنه (تقرير مكتوب عن الحدث وهو ليس شيئاً جوهرياً وذاتياً في الحدث ذاته)[١٧].

وجاء المفهوم الاشتراكي بتعريف للخبر: (هو الذي يقوم بنقل معلومات معينة بشكل ملتزم حول وقائع ملموسة، أو يعكس أحداثاً معينة بأسلوب مكثف، وبأسرع طريقة ممكنة فالواقعية، والالتزام هما الخاصيتان اللتان تميزان الخبر في الصحافة الاشتراكية)[١٨].

من ناحية أخرى يقول د. عبد الستار جواد بأنه إذا كان الخبر يعني في الصين معلومات تنفع الحكومة، فان ستانلي ووكر محرر صحيفة هيرالد تريبيون يقول بأن لا تعريف للخبر بل هو شيء تكتشفه اليوم ولم تكن تعرفه من قبل[١٩].

ويرى د. حسنين عبد القادر (أن الخبر هو كل حقيقة حالية أو غير معروفة يهتم بها أكبر عدد من الناس)[٢٠].

فيما يقول الدكتور خليل صابات[٢١] (أن الخبر يجب أن يحوي شيئاً خاصاً عن المعتاد والمألوف ليؤثر في الناس، ويجب أن يتميز بالفائدة والأهمية والجدة والصدق).

وفضلاً عن ذلك يضيف الدكتور محمود أدهم تعريفاً أخر للخبر بقوله[٢٢] (أنه وصف موضوعي دقيق تطلع به المؤسسة الإعلامية بلغة سهلة، وعبارات قصيرة واضحة عن الواقع والتفاصيل والأسباب والنتائج المتاحة والمتتابعة لحدث

حالي أو رأي أو موقف جديد لافت للنظر، أو فكرة أو قضية أو نشاط مهم تتصل جميعها بمجتمعهم وأفراده ومافيه أو بالمجتمعات الأخرى كما تساهم في توعيتهم وتثقيفهم وتسليتهم وتحقق الربح المادي لها).

التغطية الإخبارية

توظف وسائل الإعلام المختلفة كل إمكانياتها المادية والبشرية في متابعة الأحداث التي يشهدها العالم كل يوم، ومع تقادم الزمن نرى أن القائمين على المؤسسات الإعلامية قد أولو اهتمامهم بالجوانب المحيطة بالتغطية الإخبارية في نقل الأحداث وإيصالها إلى الجمهور بحيث تؤثر في أفكار الرأي العام واتجاهاته وإشباع فضوله لمتابعتها ولهذا يعتمد المتلقي على وسائل الإعلام في معرفة مجريات الأحداث وما آلت إليه من نتائج ومضاعفات على الساحة المحلية والدولية.

لذا فأن التغطية الإخبارية هاجسها الأساسي التقرب من المتلقي والتأثير فيه[٢٣] وكلما كانت واضحة وبسيطة فأنها سوف تضع المتلقي وجهاً لوجه أمام الحقائق الجوهرية[٢٤]. وقد وضع العديد من المختصين والباحثين جملة من التعاريف للدلالة على مفهوم التغطية الإخبارية من أهمها:

١. التغطية الإخبارية: هي عملية جمع المعلومات والوثائق والبيانات المتعلقة بحدث معين. والإحاطة بأسبابه ومكان وقوعه ومعرفة الشخصيات المشتركة فيه، وتحويل هذه الأحداث إلى أخبار تستحق النشر.
٢. وهي عبارة عن مجموعة من البيانات والمعلومات التي تشد المتابع إلى متابعة حدث ما.
٣. هي العملية الصحفية التي تتضمن مجموعة من الخطوات التي يقوم من خلالها المحرر الصحفي بالبحث عن بيانات ومعلومات عن التفاصيل والتطورات

والجوانب المختلفة لحدث أو واقعة أو تصريح ما وبمعنى أخر يجيب عن كل الأسئلة لتي قد تتبادر إلى ذهن المتلقي بشأن هذه الواقعة أو الحدث[٢٥].

٤. عملية متسلسلة الخطوات يقوم بها الصحفي بطريقة تتابعية عند تحديده لموضوع التغطية وحتى أخر خطوة، وتتطلب من المندوب أو المراسل بذل أقصى جهده من أجل جمع أكبر قدر من المعلومات والحقائق وبما يجعل تغطيته للحدث متكاملة[٢٦].
٥. عملية تتبع الأخبار من مصادرها وعرضها من خلال وسائل الإعلام، مع ضرورة أن تلم هذه الأخبار بجميع البيانات والتفاصيل الخاصة بحدث ما[٢٧].

أنواع التغطية الإخبارية

ليس هناك اتفاق بين الباحثين على أنواع محددة للتغطية الإخبارية ويشير عدد منهم إلى أن التغطية الإخبارية تختلف حسب معيار التصنيف. فمثلاً هناك أنواع عدة من حيث توقيت حدوثها وهي:

١. التغطية الإخبارية التمهيدية:

وهي التي تهتم بالحصول على البيانات والمعلومات المتعلقة بحدث متوقع، أي حدث لم يتم بعد ولكن هناك مؤشرات تشير إلى وقوعه، فمثلاً فوز حزب المعارضة بأغلبية الانتخابات النيابية تعني سقوط الوزارة الحاكمة وتشكيل وزارة جديدة، فهنا يقصد بالتغطية التمهيدية محاولة للحصول على معلومات عن رئيس الوزراء القادم وأهم المرشحين لتولي المناصب الوزارية الجديدة[٢٨].

٢. التغطية الإخبارية التسجيلية أو التقريرية:

وهي التغطية التي تتم بعد وقوع الحدث فعلاً أو هي تتم للأحداث المتوقعة حيث يظهر فيما مدى الاتفاق بين ما كان متوقعاً حدوثه وما حدث فعلاً، ولابد أن

يتم تذكير الجمهور بالتطورات السابقة لربطه بالخبر القديم مثل استقالة وزير أو حدوث زلزال...الخ[٢٩].

٣. تغطية المتابعة الإخبارية:

وهي التغطية التي تعالج نتائج أو تطورات جديدة في أحداث أو وقائع سابقة، فمثلاً البحث عن الملابسات التي صاحبت استقالة الوزارة ثم عرض بعض المعلومات عن أعضاء الوزارة الجديدة والتعريف بحياة كل منهم ومناصبهم السابقة ومؤهلاتهم[٣٠].

مراحل التغطية الإخبارية

يرى الدكتور عبد الجواد سعيد ربيع أن عملية التغطية الإخبارية تمر بعدة خطوات ومراحل وهي على النحو الآتي[٣١]:

١. وضع خطة لتغطية الخبر من مختلف جوانبه.
٢. الإعداد المسبق لتغطية الخبر من خلال الاطلاع على المصادر غير الحية وقسم المعلومات الصحفية.
٣. الانتقال إلى مكان الحدث للوقوف على تفاصيله.
٤. مقابلة المصادر المختلفة مع التركيز على المصادر الأساسية للخبر.

العوامل المؤثرة في التغطية الإخبارية:

هنالك العديد من العوامل التي تؤثر في التغطية الإخبارية:

١. العوامل الاقتصادية: أن النشاط الإخباري يتأثر شأنه شأن النشاطات الإنسانية الأخرى بـ التخصيصات المالية ومدى وفرتها والدعم المسموح للعمل والمراسلين والمحررين وتكاليف أجهزة البحث[٣٢].

٢. العوامل السياسية: تؤدي الضغوط السياسية دوراً مؤثراً في اتجاهات التغطية الإخبارية لاسيما أن الصحف والمجلات تخضع للنظام السياسي الحاكم.
٣. القواعد والقوانين والأعراف التي تقيد المؤسسات الإعلامية لاسيما الصحف منها.
٤. القيم الإخبارية التي تؤمن بها المؤسسة وأفرادها والأخلاقيات المهنية للمحررين والمراسلين.

نتائج التحليل

الصحف المعنية:

الخليج: صحيفة يومية سياسية مستقلة صدرت كأول صحيفة في أمارة الشارقة قبل الاتحاد، صدر العدد الأول منها في ١٩٧٠/١٠/١٩ بست عشرة صفحة ثم بأربع وعشرون صفحة ثم استقرت بـ(١٠٠) صفحة يومياً فضلاً عن الملاحق المستقلة.

ملاحق صحيفة الخليج[٣٣]

صدر للخليج عدة ملاحق كان أهمها:-

١. الخليج الثقافي عام ١٩٨٠م.
٢. ملحق أخر الأسبوع ١٩٩٠م.
٣. ملحق استراحة الجمعة ١٩٩٥م.
٤. ملحق شباب الخليج عام ١٩٩٥م.
٥. ملحق الصحة والطب عام ٢٠٠٠م.
٦. ملحق فضائيات عام ٢٠٠٣م.
٧. ملحق الدين للحياة عام ٢٠٠٣م.

وتعد صحيفة الخليج من أكبر الصحف في الوطن العربي حيث لديها اتفاقيات مع بعض الصحف العالمية مثل اللوموند الفرنسية والنيويورك تايمز الأمريكية والعديد من وكالات الأنباء مثل اسوشيتدبرس، فرانس برس ويونيتد برس... الخ ولها مكاتب خارجية ومراسلون ينتشرون حول العالم فضلاً عن مكاتبها داخل الدول العربية.

رأس تحريرها عبد الله عمران تريم شقيق تريم عمران تريم مؤسس الصحيفة.

نتائج التحليل

الفئات الرئيسة لجريدة الخليج: التأكيد على نجاح المبادرة الخليجية إذ احتلت هذه الفئة المرتبة الأولى وحصلت على ٦٩ تكراراً وبنسبة ٢٩.٧٤ واحتل التأكيد على نقل السلطة سلمياً المرتبة الثانية وحصل على ٦٢ تكراراً وبنسبة ٢٦.٧٢ أما فئة التأكيد على عدم ملاحقة صالح وكبار رجالات الدولة فقد احتلت المرتبة الثالثة وحصلت ٥١ تكراراً وبنسبة ٢١.٩٨ في حين احتلت التأكيد على المتابعة الجادة للدول الخليجية على تنفيذ المبادرة المرتبة الرابعة وحصلت على ٢٨ تكراراً وبنسبة ١٢.٠٦ واحتلت التأكيد على دعم مجلس الأمن للمبادرة المرتبة الخامسة وحصلت على ٢٢ تكراراً وبنسبة ٩.٤٨.

جدول (١)

يوضح الاتجاهات الرئيسة السائدة في أخبار الصفحة الأولى في جريدة الخليج أثناء المبادرة الخليجية للمدة من ٢٠١١/٧/٢٣ ولغاية ٢٠١١/١١/٢٣

ت	الفئة الرئيسة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
.١	التأكيد على نجاح المبادرة الخليجية	٦٩	٢٩.٧٤	الأولى
.٢	التأكيد على نقل السلطة سلمياً	٦٢	٢٦.٧٢	الثانية
.٣	التأكيد على عدم ملاحقة صالح وكبار رجالات الدولة	٥١	٢١.٩٨	الثالثة
.٤	التأكيد على المتابعة الجادة للدول الخليجية على تنفيذ المبادرة	٢٨	١٢.٠٦	الرابعة
.٥	التأكيد على دعم مجلس الأمن للمبادرة	٢٢	٩.٤٨	الخامسة
	المجموع	٢٣٢	%١٠٠	

١. التأكيد على نجاح المبادرة الخليجية:

فيما يخص الفئة الأولى التأكيد على نجاح المبادرة الخليجية وفئاتها الفرعية نلاحظ أن الفئة الفرعية الأولى هي اتفاق الأطراف المتصارعة على بنود المبادرة

الذي حصل على المرتبة الأولى بتكرارات وعددها (٣٠) تكراراً وبنسبة ٤٣.٤٧ نلاحظ هنا أن جريدة الخليج في تركيزها على هذه الفئة الفرعية وبهذه النسبة أنما تؤكد الموقف الرسمي الحكومي لدول الخليج في المبادرة والذي كان يؤكد دوما على الالتزام بالمبادرة وإبرازه كأنجاز كبير بل الانجاز الأهم.

وجاءت الفئة الفرعية الثانية الحد من التصريحات الرافضة للمبادرة في المرتبة الثانية بـ(٢٥) تكراراً وبنسبة ٣٦.٢٣ وهي بمرحلة متقدمة لترسيخ دور المبادرة وتكون مكملاً للفئة الفرعية الأولى إذ أكدت الجريدة على الحد من التصريحات الرافضة للمبادرة وهو ذات المنجز الذي تعتقد دول الخليج بأنه أفضل وأهم انجازاتها، ولذلك جاء في المرتبة الأولى مما أكدت عليه الجريدة في خطابها أثناء فترة المبادرة الخليجية وعلى صفحتها الأولى.

واحتلت الدعوة إلى الثقة بين الأطراف المتصارعة كافة المرتبة الثالثة بـ(١٤) تكراراً وبنسبة ٢٠.٢٨ وهي الفكرة التي تؤكد على ذات بنود المبادرة المطروحة لتسوية الأزمة.

جدول (٢)

يوضح الفئات الفرعية للفئة الرئيسة الأولى

ت	الفئة الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
١.	اتفاق الأطراف المتصارعة على بنود المبادرة	٣٠	٤٣.٤٧	الأولى
٢.	الحد من التصريحات الرافضة للمبادرة	٢٥	٣٦.٢٣	الثانية
٣.	الدعوة إلى الثقة بين الأطراف كافة	١٤	٢٠.٢٨	الثالثة
	المجموع	٦٩	%١٠٠	

٢. التأكيد على نقل السلطة سلمياً:

فيما يخص الفئة الثانية وفئاتها الفرعية نجد أن ضرورة تطبيق بنود الاتفاقية إذ جاءت في المرتبة الأولى بـ(٢٦) تكراراً وبنسبة ٤١.٩٣ وهي نسبة مرتفعة ركزت عليها الجريدة في أخبارها في تبني واضح للمبادرة ورداً على الانتقادات بعدم تطبيق بنود الاتفاقية، فجاءت الجريدة لتؤكد على ضرورة تطبيق بنود المبادرة وبشكل كبير على صفحات الجريدة وبنسبة كبيرة أثناء فرع المبادرة الخليجية.

أما الفئة الفرعية الثانية ضرورة تهدئة الشارع فقد جاءت في المرتبة الثانية بـ(٢٤) تكراراً وبنسبة ٣٨.٧٠ وهو ما أكدت عليه الجريدة من أن ضرورة تهدئة الشارع هو الاتفاق الذي رفعته المبادرة الخليجية والتي ما تؤكد دائماً ضرورة الوقوف خلف تهدئة الشارع وفق المقاييس التي وقعتها المبادرة.

واحتلت فئة القضاء على المظاهر المسلحة المرتبة الثالثة بـ(١٢) تكراراً وبنسبة ١٩.٣٥ وهي إشاعة ثقافة القضاء على المظاهر المسلحة بين الأطراف المتصارعة في اليمن، وهذه الفئة وردت بهذا التكرار رداً على العنف المفرط الذي راح ضحية الكثير من الأبرياء ومحاولة العودة إلى طاولة الحوار، ولذلك جاء الرد عبر جريدة الخليج من ضرورة إشاعة ثقافة القضاء على المظاهر المسلحة من أجل حقن دماء أبناء الشعب اليمني.

جدول (٣)

يوضح الفئات الفرعية للفئة الرئيسة الثانية

ت	الفئة الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
١.	ضرورة تطبيق بنود الاتفاقية	٢٦	٤١.٩٣	الأولى
٢.	ضرورة تهدئة الشارع	٢٤	٣٨.٧٢	الثانية
٣.	القضاء على المظاهر المسلحة	١٢	١٩.٣٥	الثالثة
	المجموع	٦٢	%١٠٠	

٣. التأكيد على عدم ملاحقة صالح وكبار رجالات الدولة:

وبالنسبة للفئات الفرعية للفئة الرئيسة الثالثة ضرورة عدم جر البلاد إلى الفوضى فقد وردت (٢٢) مرة من حيث التكرار، وبنسبة ٤٣.١٣ وقد وردت هذه الفئة الفرعية أولاً رداً على ما يحدق في مستقبل اليمن وما يحيط به من مخاطر قد تهدد الأمن والسلم الاجتماعي داخل الدولة وأن المبادرة تصب جهودها كلها في محاولة لامساك زمام الأمن قبل الانفلات.

وجاء الإصرار على أعطاء ضمانات حقيقية للمعارضة في المرتبة الثانية بالنسبة للفئة الرئيسة الثالثة بـ(١٩) تكراراً وبنسبة ٣٧.٢٥ من أجل الوصول إلى اتفاق يكفله الطرفين وبأشراف مجلس التعاون الخليجي بغية انتقال السلطة.

وجاءت في المرتبة الثالثة فئة الحصانة القضائية للرئيس اليمني بـ(١٠) تكرارات وبنسبة ١٩.٦٠.

جدول (٤)

يوضح الفئات الفرعية للفئة الرئيسة الثالثة

ت	الفئة الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
١.	ضرورة عدم جرد البلاد إلى الفوضى	٢٢	٤٣.١٣	الأولى
٢.	الإصرار على أعطاء ضمانات حقيقية للمعارضة	١٩	٣٧.٢٥	الثانية
٣.	الحصانة القضائية للرئيس اليمني	١٠	١٩.٦٠	الثالثة
	المجموع	٥١	%١٠٠	

٤. المتابعة الجادة مجلس التعاون على تنفيذ المبادرة:

بالنسبة للفئة الفرعية الأولى فرض دور رقابي على وسائل الإعلام اليمنية فقد احتلت المرتبة الأولى بـ(١٣) تكراراً وبنسبة ٤٦.٤٢ ونجد أن جريدة الخليج قد عكست الصورة تماماً في أولوياتها فقد ركزت في تغطيتها على كل ما تعتقد انه تحريض إعلامي. ولاسيما في ما تقدمه وسائل الإعلام اليمنية، لذلك جاءت تغطيتها في تركيز واضح على ما قالت أنه تحريض إعلامي واضح في مجال الصحافة المقروءة أو المسموعة والمرئية من خلال تركيزها على عبارات تشعل فتيل الأزمة وتهدد مستقبل التسوية وكذلك التأكيد على النقد الدائم لتلك الوسائل من اجل تهدئة الوضع.

وجاء في المرتبة الثانية الآلية التنفيذية للمبادرة الخليجية بـ(١٠) تكرارات وبنسبة ٣٥.٧٣ وهذه الفئة هي من ضمن ما أكده عليه المبادرة مراراً وتكراراً.

وتأتي في المرتبة الثالثة إرسال مراقبين لمتابعة الأوضاع بـ(٥) تكرارات وبنسبة ١٧.٨٥ وركزت عليه الجريدة في مجمل تغطيتها أثناء طرح المبادرة، وركزت الجريدة على الانتقادات في هذا المجال من زاوية وضع ميزانية خاصة لكي يتمكن المراقبين من انجاز مهامهم.

جدول (٥)

يوضح الفئات الفرعية للفئة الرئيسة الرابعة

ت	الفئة الرئيسة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
١.	فرض دور رقابي على وسائل الإعلام اليمنية كافة	١٣	٤٦.٤٢	الأولى
٢.	الآلية التنفيذية للمبادرة الخليجية	١٠	٣٥.٧٣	الثانية
٣.	إرسال مراقبين لمتابعة الأوضاع	٥	١٧.٨٥	الثالثة
	المجموع	٢٨	%١٠٠	

٥. التأكيد على دعم مجلس الأمن للمبادرة:

وهي الفئة الرئيسة الخامسة لجريدة الخليج، أما بالنسبة للفئات الفرعية فتحتل المرتبة الأولى ضرورة التعامل مع قرارات مجلس الأمن الخاصة بالتسوية والتي احتلت المرتبة الأولى من بين الفئات الفرعية بـ(١٢) تكراراً وبنسبة ٥٤.٥٥ وهو من المحاور التي تؤكد الجريدة عليه دوماً وتسهم بعض الأطراف أنها لم تكن جادة في التعامل مع هذه القرارات، ولم تحقق خطوات ملموسة في هذا المجال.

أما بالنسبة للفئة الفرعية الثانية تبني مقترحات الوسطاء الدوليين بالتسوية فقد احتلت المرتبة الثانية بـ(١٠) تكرارات وبنسبة ٤٥.٤٥ وهو ما أكدت عليه الجريدة بشكل متكرر وعدته جزءاً من الحل واحد أبرز مميزات انفراج الأزمة الحالية في اليمن.

جدول (٦)

يوضح الفئات الفرعية للفئة الرئيسة الخامسة

ت	الفئة الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
١.	ضرورة التعامل مع قرارات مجلس الأمن الخاصة بالتسوية	١٢	٥٤.٥٥	الأولى
٢.	تبني مقترحات الوسطاء الدوليين بالتسوية	١٠	٤٥.٤٥	الثانية
	المجموع	٢٢	%١٠٠	

النتائج

ظهر لدى الباحث عدد من النتائج وهي كما يأتي:-

١. ظهر في ضوء هذا البحث ان الصحافة والإعلام احد الوسائل الرئيسة لنقل المعلومات عن المبادرات.
٢. الصحفيون هم الذين يلعبون الدور الرئيس في ادارة الازمات عن طريق نقل الاخبار.
٣. ظهر ان المظاهرات إحدى أنواع الازمات لاسيما إذا تحولت الى اعتصامات واستمرت لمدة زمنية محددة .
٤. في ضوء تحليل الاخبار في جريدة الخليج ظهر ان احزاب المعارضة كان لهم دور كبير في تحريك الشارع وايصال رسائلهم الى السلطة.

الهوامش

(١) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط٩، (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٤)، ص٨٥.

(٢) محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠)، ص٧٠.

(٣) سمير محمد حسين، المضمون.. تعريفاته ومفاهيمه، محدداته واستخداماته الأساسية، ط٢، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦)، ص١١١.

(٤) سمير محمد حسين، تحليل المضمون، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦، ط٢)، ص٧٨.

(٥) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام الأسس والمبادئ، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦) ص١٩.

(٦) د. حميد جاعد، أساسيات البحث المنهجي، (بغداد: شرطة الحضارة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤)، ص٢٨.

(٧) نادية سالم، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: دار المساحة للطبع، ١٩٨٢)، ص١٥.

(٨) د. محمد معوض، الخبر الإذاعي والتلفزيوني، (القاهرة، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٠م)، ص٨.

(٩) د. منى الحديدي، مجلة الإذاعات العربية، تونس، عدد (١)، ٢٠٠١، ص٩٤.

(١٠) د. فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفي، ط٤، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م)، ص١٣.

(١١) فاروق أبو زيد، م.س.ذ، ص١٣.

(12) Macbriode S. eted Manyvoice – one world communication and society – today and tomavren (Report by The ICSCP London: Kogan – 1983) P. 15.

(١٣) د. مني الحديدي، م.س.ذ، ص٩٥.

(١٤) روبرت هيلارد، الكتابة للتلفزيون والإذاعة ووسائل الإعلام الأخرى، ترجمة فريد حسن فوزي، (الأمارات، دار الكتاب، ٢٠٠٣)، ص٤٩١.

(١٥) فاروق أبو زيد، م.س.ذ، ص٧٧.

(١٦) د. فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحف، ط٢، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م)، ص٢٧.

(١٧) البروفسور كورتيس ماكدوغال، مبادئ تحرير الأخبار، ترجمة د. أديب خضور، (دمشق: د. أديب خضور، ٢٠٠٠م)، ص٢٢.

(١٨) إسماعيل إبراهيم، فن التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق (القاهرة: دار الفجر، ١٩٩٨م)، ص١١.

(١٩) د. عبد الستار جواد، فن كتابة الأخبار (عمان، دار مجدلاوي، ١٩٩٩م) ص٤٤.

(٢٠) د. حسنين عبد القادر، الصحافة كمصدر للتاريخ، ط٢ (القاهرة: بدون دار نشر، ١٩٦٠م)، ص٢٢.

(٢١) د. خليل صابات، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م)، ص٢١.

(٢٢) د. محمود أدهم، فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق (الرياض: بدون دار نشر، ١٩٧٩م)، ص٤٢.

(٢٣) أديب خضور، الحدث المتداول، مجلة الإذاعات العربية، العدد (١)، تونس، ٢٠٠١، ص٢٦.

(٢٤) نبيل راغب، أساسيات العمل الصحفي المقروء والمسموع، والمرئي، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥٢١.

(٢٥) عبد الجواد سعيد ربيع، فن الخبر الصحفي (دراسة نظرية وتطبيقية)، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٣٧.

(٢٦) حيدر محمود محسن، التغطية الإخبارية للشأن السياسي العراقي في قناة أبو ظبي الفضائية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الإعلام، ٢٠٠٦، ص١٢٦.

(٢٧) محمود منصور هيبة، الخبر الصحفي وتطبيقاته، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٩٥.

(٢٨) فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفي، ط٢، جدة، دار الشؤون، ١٩٨٤، ص٢٥٦.

(٢٩) عبد الجواد سعيد ربيع، فن الخبر الصحفي، مصدر سابق، ص١٣٩.

(٣٠) محمود علم الدين، مدخل إلى الفن الصحفي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٥٧.

(٣١) عبد الجواد سعيد ربيع، مصدر سابق، ص٣٧.

(٣٢) فاروق أبو زيد، مصدر سابق، ص٢٥٧.

(٣٣) موقع صحيفة الخليج على الانترنيت.

التغطية الإخبارية للمبادرة الخليجية في صحيفة الخليج الإماراتية   مجلة آداب الفراهيدي   م.م. محمد أحمد مخلف   العدد (١٤) آذار ٢٠١٣

Research included for news covering of gulf initiative s in gulf's newspaper of Emirates in theoretical aspect to focus on the curriculum frame that represented with research's problem as modified in question as follow what is the range of gulf newspaper intersiting with private gulf imitative in Yamane s then transferred to research importance that specified in three major subjects as what is research offered to readers and what the vocational level for workers in media associations s and what offered for universal library then limitation the research goals upon the research concentration for analysis style of context so it could help to put answers for such questions that it were laid , and the researcher selection gulf newspaper as one of the most separate distribution in united Arab of emirates. And the identification of time zone in four months from 23/7/2011 to 23/11/2011 it the period that witnessed developments of interior situation for research from the side of agreements and reconciliation for crisis from another side .
Then research mentioned the news covering from their identification and types and stages and influenced factors in it , in which the practical side for analysis research the private research samples with gulf newspaper s and gave the repetitions s for such species in aim reach to private results with research .

الإِطلاقُ والتَّقييدُ في النَّحوِ العَرَبِيِّ

أ. م. د. خيرالدين فتاح عيسى القاسمي
جامعة كركوك/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الإطلاق والتقييد في النحو العربي، إذ ظهر جليا بعد الاستقراء والبحث والتمحيص في المؤلفات النحوية كثرةُ مجيء هذين المصطلحين سواء أكان في المنطوق أم في المفهوم، وقد استعملهما النحويون بالوظيفتين لأغراض كثيرة أهمها: تحقيق المسائل النحوية من خلال بناء الأحكام والقواعد والضوابط بنحو دقيق، وتحديد مسار الآراء النحوية سواء أكانت موافقة أم مخالفة من جهة إطلاقها أو تقييدها، وتوجيه المصطلحات النحوية ليكون جامعاً مانعاً. ودراسة الإطلاق والتقييد بهذا الأسلوب تعد من الدراسات الحديثة التي تعالج جزئيات مهمة في الدرس النحوي؛ ذلك لأن النحويين لم يضعوا مبحثاً خاصاً لهذين المصطلحين المقترنين في كتبهم، وإنما وردا في اثناء مؤلفاتهم متفرقة، وقد وظفت لتحليل المسائل النحوية، وتفسير تراكيبها ومسائلها.

ولابد من الإشارة إلى أن علماء أصول الفقه قد سبقوا النحويين في استعمال هذين المصطلحين إذ إنَّهم وضعوا لهما مبحثاً خاصاً في كتبهم في باب "مباحث دلالة الألفاظ"، وكانت رؤيتهم وتوظيفهم قد بلغ مبلغاً كبيراً وواضحاً من حيث التنظير والتطبيق، أما عند النحويين فإنَّهما وردا في اثناء المسائل في جانب التطبيق فقط.

والنحويون المتقدمون لم يتعمقوا في مسألة الإطلاق والتقييد، ولم يستعملوهما بمعناهما الاصطلاحي، وإنما جاء ذلك عند المتأخرين بعد أن وضحت معالمهما، ولا سيما في عصر الشروحات والحواشي، بعد أن أصبح المنطق والعقل هما اللذان يسيران الدرس النحوي، ولهذا يمكن القول: أن الإطلاق والتقييد من نتائج الفكر النحوي؛ لأن الدارس لا يقدر أن يذهب إلى إطلاق المسائل أو تقييدها إلا بعد الوصول إلى جميع المتعلقات التي تعود إلى المسألة الواحدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أطلق رحمته فبسطها لعباده أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي قيد بشرع الله تعالى أصفاد أعداء الدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرِّ المحجلين.

وبعد:

فيعد المطلق والمقيد من مصطلحات علماء أصول الفقه، وهو باب مهم من أبواب دلالة الألفاظ في علم الأصول، ويبدو أن النحويين وجدوا أن توظيفهما في الدرس النحوي يعطي إضافة كبيرة في تحليل المسائل النحوية، وفي توجيه الآراء، وتحديد الماهيات، واستعارة المصطلحات من العلوم الأخر قد وقع كثيرا حتى قال أحدهم ((الخلاصة أن تداخل المصطلحات بين الفقه وبين النحو أمر طبيعي في عملية تفاعل العلوم، وبخاصة العلمين اللذين لا ينفصلان في علوم الدين))[١]، ولاسيَّما تلك التي وقعت بين أصول الفقه وأصول النحو نحو مصطلحات " القياس، والإجماع، واستصحاب الحال، وأنواع العلل المتعلقة بالقياس..."، ونرى أن الأخذ والاقتراض من العلوم الأخر التي تنتمي إلى لغة واحدة تترك فائدة عظيمة للدراسات اللغوية لأسباب من أهمها:

- أن الدارس يكون على اطلاع ودراية بمصطلحات العلوم الأخر، ويدرك معاني تلك المصطلحات في تلك العلوم.
- تعمل على زيادة المصطلحات فبدلا من الاقتصار والانكفاء والاكتفاء بمصطلحات معينة فإنه يمكن توظيف مصطلحات أخر تزيد في غلة المصطلحات وتعمل على إحياء جميع أطراف المسائل التي تتناولها العلوم.

- بعد إنجاز الخطوات الأول لدراسة هذه العلوم يجد الدارس بسبب اشتراك هذه المصطلحات مدى الترابط والاتصال الموجود بين هذه العلوم التي تنتمي إلى لغة واحدة.

ولم يستعمل النحويون المتقدمون هذين المصطلحين بنحو كبير، وإنما قد وقع ذلك عند المتأخرين، ولا سيما في عصر الشروحات والحواشي، نظرا لاشتراك الموارد التي كان يتحصلها الدارسون في تلك الفترة، إذ أنَّ طلاب العلم في تلك االعصور كانوا يدرسون العلوم كلها في آن واحد سواء أكانت العلوم الشرعية أم كانت علوم الآلة، مما أصَّلت ثقافة تقوم على السير برؤية منفتحة على جميع هذه العلوم، ومن ثَمّ الاستفادة منها في تطبيق مصطلحات هذه العلوم لتقريب البعيد، وإيضاح المجهول؛ بسبب التوافق والاشتراك الذي وقع في ما بينها في المعاني والسياقات، وهذه نبذة موجزة لاستعمال اللفظين من لدن النحويين، فالمبِّرد هو أول من ذكر لفظ المطلق بالمعنى الذي نريده إذ قال: ((فإن قال قائل كيف يكون المثل نكرة وهو مضاف إلى معرفة هلا كان كقولك: مررت بعبد الله أخيك فالجواب في ذلك أن الأخوة محظورة، وقولك: مثلك مبهم مطلق يجوز أن يكون مثلك في أنكما رجلان أو في أنكما أسمران وكذلك كل ما تشابهتما به فالتقدير في ذلك التنوين كأنه يقول مررت برجل شبيه بك وبرجل مثل لك))[٢]، إذ أراد بالمطلق استغراق المعنى وإيقاع النكرة موقع المعرفة حتى يتحقق ذلك العموم.

وكذلك قال: ((وجلست خلفك لا ينفك منه شيء أن يكون خلف واحد وإنما أضافه بعد أن كان مطلقا وكذلك قمت أمامك ونحوه فإن قال جلست الدار يا فتى أو قمت المسجد أو قمت البيت لم يجز؛ لأن هذه مواضع مخصوصة ليس في الفعل عليها دليل))[٣] فنحن نصل إلى المقيد من المفهوم إذ عبَّر عنه بالإضافة، فهو يريد

الإطلاقُ والتَّقييدُ في النَّحوِ العَرَبِيِّ | مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع | أ. م. د. خيرالدين فتاح عيسى العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

بالمطلق غير المضاف، وبالمضاف المقيد، ويذكر ابن السراج المطلق مع المفعول المشهور إذ قال: ((وهو المفعول المطلق ويعني به المصدر))[٤].

وأول من وقف عند المصطلحين بنحو مباشر – حسب علمنا – هو الرُّماني إذ عرفهما بقوله: ((المقيد هو الموصول بما يعين المعنى، المطلق هو المجرد مما يعين المعنى))[٥].

إذ ربط اللفظين بتعيين المعنى من حيث الوصول والتجرد، أي أن المتصل به يقيده، والمتجرد عنه يطلقه، وتعد هذه الإشارة عندنا هي نقطة البداية للدخول إلى معالجة المسائل التي تناولها النحويون، مع الإشارة إلى أننا لم نجد نحويا قد ذهب إلى تنظير هذين المصطلحين، وإنما بقي محصورا في التناول في معالجة المسائل النحوية، وهي منثورة هنا وهناك.

من ذلك ما ذكر ابن الأنباري لهذين المصطلحين مستدلا، ليوافق مذهب البصريين في جعل المصدر أصلا للفعل، إذ قال: ((... أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل وبيان ذلك أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وجدوه يشترك في الأزمنة كلها لا اختصاص له بزمان دون زمان فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعين الأزمنة؛ ولهذا كانت الأفعال ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل؛ لأن الأزمنة ثلاثة، ليختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة فدل على أن المصدر أصل للفعل))[٦].، فهذا استدلال استند على الجهة الزمنية للكلمة مع بيان قاعدة مهمة هي "المطلق أصل للمقيد".

وهذا يشبه قول النحاة بأن النكرة أصل للمعرفة؛ لأن المعرفة مقيدة بعلة معينة والنكرة مطلقة؛ لهذا النكرة أصل على المعرفة، ويوافق بعض المحدثين على هذا

الكلام، إذ قال: ((وقد يكون المصدر معرَّفا بأل التعريف، وعندها يكون مطلقا، فقد يفيد الماضي أو الحال أو الاستقبال، وذلك على ضوء القرينة...))(٧).

ثم إذا وصلنا إلى ابن هشام الذي له سهم في كل مسألة نحوية نراه يقول: ((... والفرق بين المعرَّف بأل هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيد والمطلق، وذلك لأن ذا الألف واللام يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد))(٨).

وهذا نص لطيف يؤسّس بنحو كبير دلالات اللفظين ويذهب بهما إلى طريق التحديد فالمطلق عنده النكرة، والمقيد هو المعرفة، ومعنى هذا أن كل شيء جاء مرسلا من غير قيد فهو المطلق، وكل شيء جاء مقيدا بسبب فهو المقيد، واعتماد هذا الكلام على المعنى لا على ذات اللفظ، لأننا قد نجد اسما محلى بأل لكنه لا يؤدي تعريفا، فيكون الاسم في حكم المطلق، أو نجد اسما في لفظ النكرة لكنه لا يؤدي معنى النكرة، إذا فالسياق له الأثر الكبير في تحديد دلالة اللفظين من جهة الإطلاق والتقييد، وكانت هذه بعض الأدلة الواضحة على جذور استعمال اللفظين بدلالاتها الاصطلاحية.

أما عند علماء أصول الفقه فهما من الألفاظ المهمة في بناء الأحكام، وقد وضع معظم علماء هذا العلم مبحثا خاصا لهما، نحو ما ذكره الآمدي إذ قال: ((في المطلق والمقيد: أما المطلق فعبارة عن النكرة في سياق الإثبات، وذلك كقولك في معرض الأمر اعتق رقبة أو مصدر الأمر كقوله: چ □ □ چ [المائدة: ٨٩]، وإن شئت قلت هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه الإحكام، وأما المقيد فإنه يطلق باعتبارين: الأول ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين كزيد وعمرو وهذا الرجل ونحوه، والثاني ما كان من الألفاظ دالا على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه كقولك: دينار مصري ودرهم مكي وهذا النوع من المقيد وإن كان مطلقا في جنسه من

حيث هو دينار مصري ودرهم مكي غير أنه مقيد بالنسبة إلى مطلق الدينار والدرهم فهو مطلق من وجه ومقيد من وجه))(٩).

ويكفي هذا النص لإعطاء صورة لما نحن عليه في هذا المقام، وهو ما تناولته كتب أصول الفقه، وأما من حيث الحكم لدى أصحاب هذا العلم فإن ((حكم المطلق أن يجري على إطلاقه، كما أن المقيد على تقييده...))(١٠).

فقد تبين أن المطلق والمقيد يراد بهما دلالة لفظين، أما في بحثنا هذا فإننا نروم دراسة جميع المواطن التي جاء فيها اللفظان باستعمالاتهما المتعددة وصيغهما المختلفة، ولذا اخترنا عنوان الإطلاق والتقييد، ليكون أشمل من المطلق والمقيد.

وقد جاء تقسيم الدراسة على ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول: الإطلاق والتقييد في آراء النحاة موافقة ونقدا، في ما أخذ المبحث الثاني على عاتقه دراسة: الإطلاق والتقييد في المسائل النحوية، وانتهى المبحث الثالث إلى دراسة الإطلاق والتقييد في المصطلحات النحوية.

وقد وجُدتُ أن المصطلحين الإطلاق والتقييد لهما تشابه كبير بالطريق والسبيل؛ لأنه إذا أمن الإنسان الطريق على وجه الإطلاق اطمأن وسار دون قلق وتخوف حتى يصل إلى المكان الذي يقصده، وكذلك اللغوي والنحوي فإنه إذا أمن بأن حُكماً من الأحكام مطلق اتخذه قاعدة وقاس عليه دون تردد أو تحوّط، بخلاف الطريق التي فيها تقييدات فإن الساري ينشغل وينهمك ويتخوف حتى لا يضل ولا يتيه؛ لأنه إن ضل ضاع وانتهى، وبه قال القرآن الكريم چ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ چ [ص: ٢٦] إذ إنهم كانوا يعلمون جيدا وهم في الصحراء معنى ضلال السبيل، وهو الضياع و الهلاك، وكذلك اللغوي والنحوي، فإنه يجب عليه أن يكون عالما بالتقييدات؛ لأنه إذا غفل تلك القيود فإنه يبني أحكاما خاطئة، ولهذا وجدنا كثيرا من النحويين من صحح أو قيد أو أطلق كلام بعض النحاة حتى يُرجع الأحكام إلى المسار الصحيح.

المبحث الأول

الإطلاق والتقييد في الآراء النحوية " نقدا وموافقة"

نتناول في هذا المبحث الإطلاق والتقييد في آراء النحويين، إذ أنَ كثيرا منهم يذهب إلى إطلاق بعض الآراء أو تقييدها، كما نرى طائفة من النحويين يوافقون أو يرفضون ما ذهب إليه قوم من النحاة من الإطلاق أو التقييد، وهذه الآراء هي عبارة عن اجتهادات تميزت عند هؤلاء النحويين لتفسير الأحكام المتعلقة ببعض المسائل.

أولا: ما وافق عليه النحويون من الإطلاق والتقييد في الآراء:

إن الكلام على الإطلاق والتقييد في الآراء يحتاج أن نبين بعض الأمور من أهمها: إن النحوي عندما يتناول مسألة معينة إما أن يتناولها بإطناب أو بإيجاز أو بوسطية، فإذا تناولها بوسطية أي أنها لا تحتاج إطلاقاً أو تقييداً لا نرى شيئا منهما في تلك المسألة، وإذا تناولها بإيجاز يهمل بعض أقوال النحاة، وحينئذ يأتي النحوي الذي بعده ليقول إن هذا النحوي أطلق كلامه، وكان عليه أن يقيد ما قاله؛ لأن فلانا ذكر أن هذا ليس على إطلاقه، أو يتناولها بإطناب فيكثر من الإطلاقات والتقييدات، ثم يجيء الشارح أو من يضع حاشية أو ينقل رأيا ليحدد وليوجه تلك الإطلاقات أو التقييدات التي وردت في آرائه، فضلا عن وفرة المعلومات التي يملكها النحوي، فالنحويون على درجات، فنرى نحويا يُذكر أسمه مع أغلب المسائل النحوية نحو: سيبويه وأبي علي الفارسي وابن مالك وابن هشام وغيرهم، وآخرين لا يصلون إلى هؤلاء، ولأجل هذا تظهر النقدات والاستدراكات من جهة الإطلاق والتقييد.

ويبدو أن تنوع موارد العلم ومشاربه، واختلاف رؤى الفكر، وتباين الإمكانيات النحوية كان سبباً في أن تكون الموافقات في الإطلاق والتقييد أقل من المخالفات فيهما.

فمن ذلك قول ابن جني: ((الكلام في الإعراب والبناء على ضربين: معرب ومبني))[١١]. وهذا حصر وتقييد ذكرهُ ابن هشام أيضا من أن الاسم ينقسم على معرب ومبني إذ قال: ((الاسم ضربان: معرب، وهو الأصل، ويسمَّى متمكنا، ومبني، وهو الفرع، ويسمَّى غير متمكن))[١٢].

وهو ما اتفق معه الخضري أيضا إذ قال: ((والاسم منحصر فيهما على الصحيح الذي عليه الناظم...))[١٣]. فكل هذه الأقوال تسير نحو تقييد الاسم في هذين الضربين، مع موافقة الخضري لما ذهب إليه ابن مالك وتصحيحه لما قال.

والغاية من هذه النصوص التي نقلناها هي الوصول إلى كلام الشيخ محمد محيي الدين الذي وصف كلام ابن هشام بأنه قيده ووافقه على هذا التقييد، فقال: ((ما قيده المؤلف بعبارته، هو الصحيح الذي عليه جمهرة النحاة من البصريين والكوفيين، وذهب بعض النحاة إلى أن المضاف إلى ياء المتكلم، نحو أبي وأخي وغلامي قسم ثالث لا معرب ولا مبني؛ أما أنه ليس معربا؛ فلأنه ملازم لحركة واحدة، وهي الكسرة؛ وأما أنه ليس مبنيا؛ فلأنه لم يشبه الحرف، وهذا كلام غير مستقيم، بل هو من نوع المعرب، والحركات مقدرة على ما قبل الياء، مثل تقديرها على آخر الاسم المقصور، وعلى آخر الاسم المنقوص، والمانع من ظهورها وجود الحركة المناسبة لياء المتكلم وهي الكسرة))[١٤].

فقد استدرك الشيخ على ابن هشام موافقا له على تقييده ومصححا له ورافضا كلام قوم من النحاة الذين جعلوا الاسم من جهة الإعراب على ثلاثة أقسام، ووصفه بأنه غير مستقيم.

وكذلك وقف طائفة من النحويين عند قول ابن مالك[١٥]:

وسبقَ حالٍ ما بحرفٍ جُرَّ قد أبوا ولا امنَعُهُ فقد ورد

مراد صاحب الألفية أن جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلي نحو: مررت بهند جالسة، فإنه يجوز: مررت جالسة بهند، وقال ابن هشام: ((... قال الناظم: وهو الصحيح، لوروده كقوله تعالى: ﴿ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﴾ [سبأ: ٢٨]))(١٦)،. وما يتعلق بموضوعنا لهذه المسألة هو ما ذهب إليه أحد المحدثين، إذ قال: ((قوله: (بحرف) المراد به الحرف الأصلي، لأن تقدم الحال على صاحبه المجرور بحرف جر زائد جائز بالإجماع، كقولك: ما جاء من أحد راكباً، فيجوز تقدم الحال في هذا المثال؛ لأن صاحبه مجرور بـ(من) الزائدة، وإنما أطلق ابن مالك – رحمه الله – ولم يقيده بالزائد؛ لأن الزائد لا يُقَيَّدُ به، فإن الحرف إذا أطلق انصرف إلى الأصلي، فلذا تركه لوضوحه، والله أعلم))(١٧).

إذ بيَّن أن إطلاق الناظم بقوله: "حرف" حتى يعم، ويشمل جميع حروف الجر، الأصلية منها والزائدة، وأنه لم يقيد ذلك بالزائد، لأنه لا خلاف عند النحاة في جواز مجيء الحال من صاحبها المجرور بحرف جر زائد نحو قولهم: ما رأيت من أحدٍ راكباً يجوز أن تقول: ما رأيتُ راكباً من أحدٍ.

ونود أن نذكر أن الخضري قد سبقه بهذه اللطيفة، إذ قال: ((محل الخلاف إذا كان حرف الجر أصليا، أما الزائدة فتقدم عليه اتفاقا كما: جاء راكبا من رجل))(١٨)

ولكن ما يحسب لهذا الباحث أنه تناول المسألة بين جهة الإطلاق والتقييد لمصطلح الحرف الذي جاء في متن الناظم مطلقا من دون تفصيل لمراده لنوع الحرف.

وكذلك ما أورده الأشموني في موافقته لابن مالك على إطلاقه من أن اللام تكون مفتوحة مع غير الياء في باب المستغاث، إذ قال: ((... ما أطلقه من فتح لام المستغاث هو مع غير ياء المتكلم، فأما معها فتكسر نحو يا لي...))(١٩).

فكلام الناظم مطلق حتى يصل إلى ياء المتكلم، فيتغير هذا الحكم من الإطلاق إلى التقييد من جهة الحركة، وفي كلتا الحالتين لا نجد رؤية نقدية على

الناظم، وإنما هو استدراك الغاية منه زيادة المسألة إيضاحا وبيانا، ولهذا ذهب إلى هذا التفصيل الصبان، إذ قال: ((قوله: (لوقوعه موقع المضمر) أي الذي تفتح معه اللام فلا ترد ياء المتكلم، أو مراده بالمضمر كاف الخطاب؛ لأنها التي يقع موقعها المنادى))(٢٠).

فقد أظهر الصبان بأن "ياء المتكلم" لا ترد على إطلاق ابن مالك، وهذا المعنى ينجلي من المفهوم من النص الذي ذكره لبيان كلام الأشموني الذي قال فيه: لوقوعه موقع المضمر.

ثانيا: ما نقده النحويون من الإطلاق والتقييد في الآراء

قد تبين أن الإطلاق والتقييد اللذين يأتيان في الآراء معناه: ذكر النحوي حكما في مسألة معينة فيها إطلاق أو تقييد، وهذا الحكم على قسمين إما في المنطوق وإما في المفهوم، فإذا ذكر في النص إطلاق فمفهومه أنه خال من التقييد وبالعكس.

والتقييد طارئ على الإطلاق، فالإطلاق أصل على المقيد؛ لأن كل مقيد له إطلاق كالمعرفة قياسا على النكرة، وليس كل إطلاق له مقيد، كالإجماع على رفع الفاعل وخفض المجرور، وقد كثر عند النحويين التقييد، وهم يستدركون فيه على نحاة آخرين، ويحتاج المقيِّد إلى الإحاطة بالمسائل النحوية حتى يكون قادرا على التقييد، وأن يملك قوة انتباه، وتركيز لكي يثبت أسباب التقييد.

فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: (خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ)، فقد ذهب صاحب الشذور إلى أن السموات هنا مفعول به، فقال: ((خلق فعل ماض والله فاعل والسمواتِ مفعول به والمفعول منصوب وعلامة النصب الكسرة نيابة عن الفتحة))(٢١).

بيد أنه عدل عن هذا الإعراب في المغني فجعله مفعولا مطلقا إذ قال: ((قولهم في نحو ﴿ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﴾ [العنكبوت: ٤٤]: إن السموات مفعول به، والصواب أنه مفعول مطلق؛ لأن المفعول المطلق ما يقع عليه

اسم المفعول بلا قيد نحو قولك: ضربت ضربا، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك إلا مقيدا بقولك "به" كـ ضربت زيدا وأنت لو قلت: السموات مفعول كما تقول: الضرب مفعول كان صحيحا ولو قلت: السموات مفعول بها كما تقول: زيد مفعول به لم يصح))[٢٢].

ويعد هذا الكلام من دقائق العربية وأسرارها؛ لأن تقييد المفعول بـ "به" يعطي دلالة تختلف عنه إذا جاء مفعولا مطلقا، وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى مسألة الوجود وعدمه في الذي يقع مفعولا أي أن ما يقع عليه الفعل هل كان موجودا قبل الوقوع أم لا ؟ وهو ما ينطبق على كلمة السموات في هذه الآية، لأجل هذا وقع هذا الاختلاف في نوعية المفعول بأنه لو قيد بـ" به" لم يصح التركيب عنده علما أنه قد أعربه مفعولا به في شرح الشذور.

وما يسند كلامنا ونستدل عليه ما ذهب إلى تفصيله الصبان إذ قال: ((قوله: "باعتبار إلصاق الفعل به" وإن لم يكن موجودا قبل ذلك الفعل نحو{ خلق الله السموات} فالسموات مفعول به، وإن كان وجودها بذلك الفعل لا قبله، ومن جعلها مفعولا مطلقا كالشيخ عبد القاهر بناه على ما التزمه من أن المفعول به ما كان موجودا فأوجد الفاعلُ فيه شيئا آخر وغيرهم لا يلتزمون ذلك))[٢٣].

فلفظ السموات يصلح أن يكون مفعولا به ومفعولا مطلقا بحسب الشرطين اللذين ذكرهما الصبان، فإما جعله مفعولا به فبإلصاق الفعل به موجود قبل ذلك أم غير موجود، وإما جعله مفعولا مطلقا؛ فلأن السموات لم تكن موجودة سابقا، فالإطلاق في جعله مفعولا به والتقييد في جعله مفعولا مطلقا.

ومن المواضع التي جاء فيها مطلقا وقيده طائفة من النحويين ما ذكره القزويني إذ قال: ((وأما متى وأيان فللسؤال عن الزمان إذا قيل: متى جئت أو أيان جئت قيل: يوم الجمعة أو يوم الخميس))[٢٤]،. فالمثال الذي أورده يظهر أن "أيان"

تستعمل مع الماضي، وهو أمر لا يوافق عليه كثير من النحويين، نحو قول الرضي: ((ولا يقال: أيان نمت؟))[٢٥].

كما وقف السيوطي مصححا إذ قال: ((ومتى وأيان وهما ظرفا زمان للعموم نحو: متى تقم أقم وأيان تقم أقم، وكسر همزة أيان لغة لسليم... وتختص إذا وردت في الاستفهام بمستقبل كما تقدم فلا يستفهم بها عن الماضي كذا قال ابن مالك وأبو حيان ولم يحكيا فيها خلافا، وأطلق السكاكي والقزويني في الإيضاح كونها للزمان، ومثّلا بـ: أيان جئت، وهو يشعر بأنها تستعمل في الماضي، والصواب خلافه وقد قيده في تلخيصه))[٢٦].

وقوله: وقيده، يؤذن أنه تراجع عن إطلاقه في أنها تستعمل للمستقبل والماضي، وقد فهم من كلام الأشموني على أنه ممن أجاز مذهب القزويني، وإليه أشار الصبان بقوله: ((قوله: (فالزماني متى وأيان، وهما لتعميم الأزمنة) [قال الصبان]: ظاهر إطلاقه أن أيان لا تختص بالمستقبل وهو صريح تمثيل السكاكي والقزويني: بـ "أيان جئت"، والذي في التسهيل وكلام أبي حيان أنها تختص بالمستقبل كقوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [النحل: ٢١] فلا يقال أيان خرجت))[٢٧].

ومن ذلك أيضا ما جاء مطلقا عن طريق المفهوم في كلام ابن عقيل على جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف إذ قال: ((يجوز تقديم الحال على ناصبها إن كان فعلا متصرفا أو صفة تشبه الفعل المتصرف والمراد بها ما تضمن معنى الفعل وحروفه وقبل التأنيث والتثنية والجمع كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، فمثال تقديمها على الفعل المتصرف: مخلصا زيد دعا، فدعا فعل متصرف وتقدمت عليه الحال، ومثال تقديمها على الصفة المشبهة له: مسرعا ذا راحل))[٢٨].

وكان الرضي قد منع هذا التقديم ببعض الاستثناءات وإن كان العامل متصرفا كما في الأمثلة التي ذكرها، فقال: ((ولا يتقدم الحال على عامله أيضا إذا كان العامل

مصدرا، لتقديره بأن الموصولة، وما في حيز الصلة لا يتقدم على الموصول، وكذا إذا كان العامل صلة للألف واللام أو لحرف مصدري، كـ" ما، وأن، لأن تقدم الحال، إذن، على هذه الموصولات، لا يجوز، وتقدمها على صلاتها متأخرة عن الموصولات أيضا غير جائز لما يجيء في الموصولات من امتناع الفصل بين الحرف المصدري واللام الموصول، وبين صلتيهما، فلا تقول: أعجبني مجردة الضارب هندا، ولا: مجردة أن ضرب زيد هندا، ولا: ما مجردة ضرب زيد هندا، وأما في سائر الموصولات، نحو: الذي راكبا جاء زيد، فإنه يجوز الفصل اتفاقا وإذا كان العامل مصدرا بلام الابتداء أو لام القسم جاز تقديم الحال عليه بأن تؤخره عن اللامين، نحو: إن زيدا لـ "راكبا سائر"، و "والله لــ راكبا أسير"، كقوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ چ [آل عمران: ١٥٨]، وتقديمه على اللامين لا يجوز لأن لهما صدر الكلام))[٢٩].

وقد تصدى الشيخ محمد محيي الدين لـ إطلاق ابن عقيل بقوله: ((أطلق الشارح كالناظم القول إطلاقا في أنه يجوز تقديم الحال على عاملها إذا كان هذا العامل فعلا متصرفا أو صفة تشبه الفعل المتصرف، وليس هذا الإطلاق بسديد، بل قد يعرض أمر يوجب تأخير الحال على عاملها ولو كان فعلا متصرفا أو صفة تشبه الفعل المتصرف، وذلك في أربعة مواضع:

الأول: أن يكون العامل مقترنا بلام الابتداء، كقولك: إني لأزورك مبتهجا.

الثاني: أن يقترن العامل بلام القسم، كقولك: لأصومن معتكفا، وقولهم: لأصبرن محتسبا.

الثالث: أن يكون العامل صلة لحرف مصدري، كقولك: إن لك أن تسافر راجلا، وإن عليك تنصح مخلصا.

الرابع: أن يكون العامل صلة لأل الموصولة، كقولك: أنت المصلى فذا، وعلى المذاكر متفهما))[٣٠].

فذكر الشيخ محمد محيي الدين – رحمه الله – التقييدات التي تخرج الإطلاق الذي قاله الناظم وابن عقيل في جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف، كما أشار إلى ذلك الرضي أيضا.

وفي باب الإضافة أيضا يقيد النحويون الإطلاق الذي أورده بعض النحاة بناءا على الاسم المضاف إلى اسم الفاعل، فقد ذكر السيوطي موردا رأي ابن مالك وابن هشام فقال: ((وذكر ابن مالك في نكته على الحاجبية أنها قد تفيد التخصيص أيضا فإن ضارب زيد أخص من ضارب، قال ابن هشام: وهذا سهو فإن ضارب زيد أصله ضارب زيدا لا ضارب فقط، فالتخصيص حاصل بالمعمول قبل الإضافة، وفهم من تقييد الإضافة بكونها إلى المعمول اشتراط كونها بمعنى الحال أو الاستقبال، فإن كانت بمعنى الماضي فإضافتها محضة لأنها ليست في تقدير الانفصال))[٣١].

فكلامه معتمد على دلالة التركيب فإن كان بمعنى الحال والاستقبال كان مقيدا بالمعمول، وإن كان بمعنى الماضي لم يقيد بذلك، ومثل هذا وقع في كلام ابن الحاجب والرضي في باب التصغير المتعلق باسم الفاعل، إذ قال الرضي: ((وكذا لا يصغر الاسم العامل عمل الفعل، سواء كان اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة؛ لان الاسم إذا صغر صار موصوفا بالصغر))[٣٢].

إذ ذهب محقق هذا الشرح ليبين ما يقيد هذا الإطلاق فقال: ((قد أطلق الشارح القول هنا كما أطلقه المصنف، وفي المسألة تفصيل خلاصته أنك لو قلت: هذا ضاربٌ زيدا، فأعملت اسم الفاعل فيما بعده النصب لم يجز تصغيره بحال، وإذا قلت هذا ضاربُ زيدٍ، فأضفت اسم الفاعل إلى ما بعده، فان أردت به الحال أو الاستقبال لم يجز أن تصغره؛ لأنه حينئذ كالعامل، وإن أردت به المضى جاز تصغيره))[٣٣].

ومراده بالتفصيل القيود التي تقيد هذا الإطلاق، وهو أنه يجوز التصغير مطلقا، وإنما إذا أعملت وصارت دلالة اسم الفاعل للحال والاستقبال لم يجز التصغير، وإن دلت الإضافة إلى الماضي جاز التصغير.

المبحث الثاني

الإطلاق والتقييد في المسائل النحوية

إن الأصل في المسائل النحوية أن تذكر على أصولها وفروعها، بكلياتها وجزئياتها، وقد تكون في هذه المسائل أسباب تحتاج إلى بيان الإطلاق أو التقييد فيها حتى تنكشف جميع دقائقها، ويصل الدارس إلى كل أطرافها ومتعلقاتها، وقد يقع في أثناء شرح المسائل بعض العبارات التي تفرض على النحوي بيان ما فيها من إطلاق أو تقييد.

من ذلك تقدير النحويين ذلك اللفظ المطلق الذي يرد مع الظرف، والجار والمجرور متعلقان به، فقد ذكر ابن السراج ذلك إذ قال: ((يجوز إظهار العامل في الظرف إذا كان خبرا؛ لأن ذكر الظرف نائب عنه فلم يجمع بينهما للعلم به، فأما قوله تعالى {فلما رآه مستقرا عنده} فمستقر فيه بمعنى الساكن بعد الحركة لا الاستقرار الذي هو مطلق الكون))[٣٤]. فهذا الكلام وصف دقيق بأن الكون المطلق لا يذكر لأن ذكر الظرف نائب عنه، وقد خصص ابن مالك لهذا اللفظ بيتا في نظمه، فقال[٣٥]:

وأَخبَروا بِظَرفٍ أو بِحَرفِ جَر ... نَاوِينَ مَعنى كَائنٍ أو استَقَر

ومعنى ناوين أي في النية دون اللفظ كما هو ظاهر، أي يختارون "كائن" مطلقا مع الظرف أو الجار والمجرور [شبه الجملة] وكان ابن هشام أكثر وضوحا، إذ قال: ((... وأما في البواقي: نحو زيد في الدار فيقدر كونا مطلقا وهو كائن أو مستقر أو مضارعهما إن أريد الحال أو الاستقبال نحو: الصوم اليوم أو في اليوم والجزاء غدا أو في الغد ويقدر كان أو استقر أو وصفهما إن أريد المضي هذا هو الصواب، وقد أغفلوه مع قولهم في نحو: ضربي زيدا قائما إن التقدير" إذ كان" إن أريد المضي أو إذا كان إن أريد به المستقبل ولا فرق، وإذا جهلت المعنى فقدر الوصف فإنه صالح في الأزمنة كلها وإن كانت حقيقته الحال... ولا يجوز تقدير الكون الخاص كقائم

وجالس إلا لدليل... واشتراط النحويين الكون المطلق إنما هو لوجوب الحذف لا لجوازه))[٣٦]. ونفهم من كلام ابن هشام وجوب تقدير هذا الكون المطلق، مع توسعه في التفصيل، إذ بيّن أنه لا يُذهب إلى الكون الخاص إلا بدليل مع تسليمه بتقدير الكون المطلق إذا غاب المعنى.

وإما الدكتور فاضل السامرائي فإنه طرق جانب الدلالة في التقدير، إذ قال: ((الخبر شبه الجملة، وأرى أن الراجح في التقدير أنه إذا أريد الحدوث قدر فعل بحسب الزمن، وإذا أريد الثبوت قدر اسم، فإذا قلت: القط كالنمر قدرت اسما (كائن) ولا تقدر فعلا ونحوه (الأرض كالكرة)، وتقول: الجنة تحت ظلال السيوف، وأرى أنه لا يصح تقدير فعل هنا، فتقدير الفعل (استقرت) يعني أنها كانت على غير ذاك فاستقرت الآن على هذا لا يحسن تقدير (تكون أو تستقر) لما فيه من معنى الحدوث والتجدد، وإنما هذا أمر ثابت فتقدر كائنة، ومثله والحمد لله فانه لا يحسن تقدير استقر بل الأولى أن يقدر (كائن))[٣٧]

فهو يريد أن يقطع الإطلاق في هذا الحكم، ويذهب إلى التحديد الذي يطلبه هذا المقام، كما قدمه بالأمثلة التي تبين الاستعمال الصحيح للفظ المقدر والمحذوف وجوبا.

ومن المسائل التي كان الإطلاق فيها واجبا ما ذكره النحويون في باب الاستثناء، فمن ذلك ما أورده المرادي إذ قال: ((فإن تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه مطلقاً))[٣٨]،. وهذه من القواعد المشهورة في هذا الموضوع، ويشير ابن هشام إلى أن هذا الحكم مطلق سواء كان الاستثناء منقطا أو متصلا، إذ قال ((وإذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه مطلقا أي سواء كان الاستثناء منقطعا نحو ما فيها إلا حمارا أحد، أو متصلا نحو: ما قام إلا زيدا القوم[٣٩]، قال الكميت:

(وَمَا لِيَ إلاّ آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ . . وَمَا لِيَ إلاّ مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ)[٤٠].

وقد وقف الأزهري عند العلة والسبب الذي يقف وراء هذا الإطلاق فقال: ((وإذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه عند البصريين مطلقا سواء أكان متصلا أم منقطعا، وامتنع إتباعه؛ لأن التابع لا يتقدم على المتبوع))[٤١]، وهي نفس العلة التي أوردها الشيخ ياسين الحمصي والتي أوجبت إطلاق النصب فقال: ((وإنما امتنع فيه الإبدال؛ لأن التابع لا يتقدم على متبوعه))[٤٢]، ولكن هناك من قيّد هذا الإطلاق في هذه العلة، ومنهم صاحب توضيح المقاصد، إذ قال: ((... وجوب تقديم المتبوع على التابع، وأجاز صاحب البديع تقديم الصفة على الموصوف إذا كانت لاثنين أو جماعة، وقد تقدم أحد الموصوفين، تقول: "قام زيدٌ العاقلانِ وعمرٌو"))[٤٣]، وهذا كسر للإطلاق الذي جاء في هذا الموضوع من خلال نقض القاعدة التي بني الحكم عليها لإثبات الاطلاق.

وفي الباب نفسه يذكر النحويون أن بنية الاستثناء بالفعل الناقص لا تأتي إلا على صيغة" لا يكون" على وجه التقييد، كما أشار إلى ذلك إمام النحاة سيبويه – رحمه الله –، إذ قال: ((فهذه حالهما في حال الاستثناء وعلى هذا وقع فيهما الاستثناء فأجرهما كما أجروهما، وقد يكون صفة وهو قول الخليل – رحمه الله – وذلك قولك: ما أتاني أحد ليس زيدا وما أتاني رجل لا يكون بشرا إذا جعلت ليس ولا يكون بمنزلة قولك: ما أتاني أحد لا يقول ذاك إذا كان لا يقول في موضع قائل ذاك، ويدلك على أنه صفة أن بعضهم يقول ما أتتني امرأة لا تكون فلانة وما أتتني امرأة ؟ليست فلانة، فلو لم يجعلوه صفة لم يؤنثوه لأن الذي لا يجيء صفة فيه إضمار مذكر، ألا تراهم يقولون أتينني لا يكون فلانة وليس فلانة يريد ليس بعضهن فلانة والبعض مذكر))[٤٤].

فهو وإن لم يصرح بتقييد أن يكون بهذا اللفظ فقط إلا أنه واضح من خلال كلامه هذا المفهوم، كما أنه بيّن ثباته على هذه الصيغة في جميع الأمثلة التي ذكرها،

ولهذا عندما وقف ابن عقيل عند هذه المسألة صرح به فقال: ((ونبه بقوله [الناظم]: "وبيكون بعد لا"، وهو قيد في يكون فقط على أنه لا يستعمل في الاستثناء من لفظ الكون غير يكون وأنها لا تستعمل فيه إلا بعد لا فلا تستعمل فيه بعد غيرها من أدوات النفي))[٤٥].

وقد ذكر النحويون أن السبب يعود في ذلك إلى أن هذا الفعل الناقص قد أصبح ((حينئذ جامدة بمنزلة ليس، لتضمنها معنى الحرف))[٤٦]،. والحرف من أهم علاماته أنه جامد ملتزم بصيغة واحدة لا يتغير مهما تغيرت أماكنه، فقاسوا هذه الصيغة من الفعل الناقص [لا يكون] على الحرف، فاستمد منه أن يبقى في موضوع الاستثناء على هذه البِنية.

وفي باب الإضافة يذكر النحاة أن أحد شروط الإضافة في" كلا وكلتا " وجوب إضافتهما إلى المعرفة، ولذلك لا تضافان إلى النكرة مطلقا، وقد رد الأزهري على ابن هشام من جهة الإطلاق والتقييد في هذه المسألة، فقد ذكر في المغني كلاما يورد فيه رأي الكوفيين إذ قال: ((وأجاز الكوفيون إضافتها إلى النكرة المختصة نحو" كلا رجلين عندك محسنان " فإن رجلين قد تخصصا بوصفهما بالظرف وحكوا "كلتا جاريتين عندك مقطوعة يدها" أي تاركة للغزل))[٤٧]. وكأنه يوافق على ما ذهبوا إليه، ثم قطع في كتابه أوضح المسالك بعدم جواز ذلك فقال: ((أحدها: التعريف؛ فلا يجوز "كلا رجلين"، ولا "كلتا امرأتين" خلافا للكوفيين))[٤٨].

ولذلك استدرك عليه الأزهري هذا الاختلاف في القولين إذ قال: ((مما يلزم الإضافة لفظا ومعنى كلا وكلتا فإنهما يضافان للظاهر والمضمر كما تقدم، ولا يضافان إلا لما استكمل ثلاثة شروط أحدها التعريف فلا يضافان لنكرة مطلقا، فلا يجوز: كلا رجلين، ولا كلتا امرأتين عند البصريين خلافا للكوفيين فإنهم أجازوا إضافتهما إلى النكرة المختصة نحو: كلا رجلين عندك محسنان فإن رجلين قد

تخصصا بوصفهما بالظرف، وحكوا: كلتا جاريتين عندك مقطوعة يدها أي تاركة للغزل قاله في المغني، وهو مقيد لما أطلقه هنا...))(٤٩).

وقد بيّن الشيخ ياسين العلة التي أوجبت الإضافة إلى التعريف فقال: ((قوله: أحدها التعريف، وجه أنهما في المعنى توكيدا لما أضيفا إليه، وسيأتي أن المنكور لا يؤكد عند البصريين وإن أفاد توكيده، ويؤخذ من هذا ترجيح مذهبهم))(٥٠).

وكذلك ورد تقييد الإطلاق في المسائل في اجتماع " لام القسم ونون التوكيد " فالنحاة جعلوا ذلك مطلقا، وقد عبر عنه سيبويه باللزوم، إذ قال: ((هذا باب الأفعال في القسم ((اعلم أن القسم توكيدٌ لكلامك فإذا حلفت على فعلٍ غير منفي لم يقع لزمته اللام ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة وذلك قولك والله لأفعلن، وإن كان الفعل قد وقع وحلفت عليه لم تزد على اللام))(٥١). فاللزوم بين اللام والنون في القسم يردان مطلقا كما مثّل له صاحب الكتاب، بيد أن هناك من النحويين من كسر هذا الإطلاق فقال: ((قلت: أما قوله: فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ليس على إطلاقه بل هو مشروط عند القائلين به وهم البصريون بألا يفصل بين الفعل واللام بحرف تنفيس، أو قد، أو بمعموله فيمتنع حينئذ دخول النون، وقد اتضح أن عدم النون في ولسوف ليس مانعاً من جعل اللام جواب القسم. وأما الكوفيون فإنهم أجازوا تعاقب اللام والنون، وأما في " لأُقسِمُ بيومِ القيامةِ " فقد أوَّلَهُ بعض البصريين على إرادة الحال وفعل الحال إذا أقسم عليه دخلت عليه اللام وحدها))(٥٢). فهنا أصبحت المسألة متعلقة بالمدخولات التي قيدت ذلك الإطلاق، وهي الشروط التي ذكرها، وهذا لا يعني أن القول الأول غير صحيح، بل هو صحيح بدليل كلام سيبويه وغيره، لأن المقصود أن هذا الحكم يسري ما دام التركيب لم ينتقض بالأمور التي جاءت كتقييد لهذا الإطلاق، والقول الثاني أيضا صحيح لأنه أفصح عن التفصيل الذي يكسر ذلك الإطلاق.

وقد تناول السيوطي هذه المسألة من جهة الإثبات والنفي إذ قال: ((... أو أن تلزم اللام مع النون الشديدة أو الخفيفة في مضارع مستقبل كما تقدم مثاله بخلاف غير المستقبل كالحال نحو: والله لأظنك صادقا، ولا حاجة إلى لتقييده بالمثبت كما في التسهيل؛ لأن اللام لا تدخل غيره إلا شذوذا))(٥٣). إذ ذهب إلى أنه لا حاجة لتقييد هذا الإطلاق بالقول: بأن هذا يكون في الإثبات حصرا، أي أن هذا التركيب وبهذا النحو لا يأتي إلا في الإثبات فانتفت الحاجة إلى التقييد المذكور.

وأما الإطلاق والتقييد في الحروف فقد أشار طائفة من النحويين إلى دلالة الواو بأنها لمطلق الجمع من ذلك ما ذكره ابن السراج، إذ قال: ((وتقول: ضربتُ عمراً وأخاهُ وزيدٌ ضربتُ عمراً ثم أخاه وزيدٌ ضربت عمراً أو أخاهُ وقوم لا يجيزون من هذه الحروف إلا الواو فقط ويقولون: لأن الواو بمعنى الاجتماع فلا يجيزون ذلك مع ثم وأو لأن مع (ثم و أو) عندهم فعلاً مضمراً فإن قلت: (زيدٌ ضربت عمراً وضربتُ أخاهُ) لم يجز: لأن الفعل الأول والجملة الأولى قد تمت ولا وصلةٌ لها بزيد وعطفت بفعل آخر هو المتصل لسببه وليس لأخيه في (ضربتُ) الأولى وصلةٌ...))(٥٤).

ثم نرى بعد ذلك أن النحويين قد استقروا على الجمع المطلق بدلاً من الاجتماع الذي ذكره ابن السراج، ومن هؤلاء الزمخشري، إذ قال: ((فالواو للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلا في الحكم قبل الآخر ولا أن يجتمعا في وقت واحد بل، الأمران جائزان وجائز عكسهما نحو قولك: جاءني زيد اليوم وعمرو أمس واختصم بكر وخالد وسيان قعودك وقيامك، وقال الله تعالى: چ ٻ ٻ ٺ ٺ چ [البقرة: ٥٨]، چ ڑ ک ک ک ک چ [الأعراف: ١٦١] والقصة واحدة))(٥٥).

والمراد بالإطلاق هنا هو الاشتمال لطرفي هذا الحرف بالحكم الذي من أهم سماته هو الجمع، وقد تناول ابن يعيش كلام صاحب المفصل إذ قال: ((الواو أصل حروف العطف فهي تدل على الجمع المطلق إلا أن دلالتها على الجمع أعم من دلالتها على العطف، والذي يدل على ذلك أنا لا نجدها تعرى من معنى الجمع، وقد

تعرى من معنى العطف ألا ترى أن واو المفعول معه في قولك استوى الماء والخشبة...))(٥٦). فهو عنده حرف جاء للجمع مطلقا، والعطف من بعض وظائفه، فالجمع متأصل فيه لا يغادره وإن تغيرت مواضعه ومواطن مجيئه.

ونظرا لالتزام هذا المعنى مع هذا الحرف، فإن النحاة ذهبوا إلى تصحيح الإطلاق، فقالوا: ((... قال بعض العلماء: الصواب أن يقال: الواو لمطلق الجمع، لا للجمع المطلق؛ لأن الجمع المطلق هو الجمع الموصوف بالإطلاق، لأنا نفرق بالضرورة بين الماهية بلا قيد، والماهية المقيدة، ولو بقيد لا، والجمع الموصوف بالإطلاق ليس له معنى هنا، بل المطلوب هو مطلق الجمع، بمعنى أي جمع كان، سواء كان مرتباً أو غير مرتب. ونظير ذلك قولهم: مطلق الماء، والماء المطلق))(٥٧). فهذا تفسير مناسب لما نحن عليه من توجيه الإطلاق الدقيق.

وقد ذهب السيوطي إلى الجانب التطبيقي في هذا الحرف من خلال ذكر بعض الآيات القرآنية للوصول إلى تحقيق إطلاق النحاة بأنه لمطلق الجمع إذ قال: ((الواو وهي لمطلق الجمع أي الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما في زمان أو سبق أحدهما فقولك جاء زيد وعمرو يحتمل على السواء أنهما جاءا معا أو زيدا أولا أو آخرا ومن ورودها في قوله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ﴾ [العنكبوت: ١٥] وفي السابق ﴿ﯖ ﯗ ﯘ﴾ [الحديد:٢٦] وفي المتأخر ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ﴾ [الشورى:٣] واستدل على ذلك بأن التثنية مختصرة من العطف بالواو فكما تحتمل ثلاثة معان ولا دلالة في لفظها على تقديم ولا تأخير، فكذلك العطف بها وباستعمالها حيث لا ترتيب في نحو اشترك زيد وعمرو وبصحة نحو قام زيد وعمرو بعده أو قبله أو معه، والتعبير بما سبق أحسن كما قاله ابن هشام من قول بعضهم للجمع المطلق لتقييد الجمع بقيد الإطلاق وإنما هي للجمع لا بقيد))(٥٨).

فواضح أن المسألة قد نضجت في الفكر النحوي حتى وصلت إلى مرحلة استقرت فيها جميع أطراف هذا الحرف ومتعلقاته، ولا سيما من جانب الدلالة التي نحن بصدد الوقوف عندها، والتي هي أن الواو "لمطلق الجمع".

المبحث الثالث

الإطلاق والتقييد في المصطلحات النحوية

وقف قوم من النحويين عند بعض المصطلحات، وهم يميزون فيها مسألة الإطلاق والتقييد، والكلام على المصطلحات لا ينفك عن أي دراسة نحوية؛ نظرا للترابط القوي والتداخل الكبير بين الموضوعات النحوية ومصطلحاتها ووجوب ذكر المصطلحات النحوية المتعلقة بتلك الموضوعات من الجانب التطبيقي؛ ولذلك فقد ذكر طائفة من النحويين موضوعة الإطلاق والتقييد مع مصطلحات الاسم العلم، والمفعول المطلق، والمفعول به، وفعل الأمر.

١- **الاسم العلم**:

جاءت مسألة الإطلاق والتقييد في هذا المصطلح أثناء الوقوف عند تعريف الاسم العلم، من ذلك ما ذكره ابن مالك في ألفيته، إذ قال(٥٩):

اسم يعين المسمى مطلقا   علمه كجعفر وخرنقا

فقد حقق المرادي قوله: مطلقا بأنه ((مخرج لما سوى العلم من المعارف، فإن العلم يعين مسماه بمجرد الوضع أو بالغلبة، لا بقرينة))(٦٠). بمعنى أن هذا المصطلح لا يحتاج إلى قرائن تقيده كبقية المعارف، والمعارف كلها مقيدة لأنها تدل على أشياء معينة بخلاف النكرة فإنها تبقى تسبح في فضاء اللغة حتى تقيد بأحد أدوات التعريف، والدليل على هذا الكلام ما ذكره ابن هشام (٧٦١هـ) إذ قال: ((المعارف، فإن تعيينها لمسمياتها تعيينٌ مُقَيَّدٌ ألا ترى أن ذا الألف و اللام مثلا إنما تعين مُسمَّاه ما دامت فيه (أل) فإذا فارقَتْهُ فارقَهُ التعيينُ ونحو (هذا) إنما يعين مُسَمَّاه ما دام حاضراً، وكذا الباقي))(٦١).

ثم يذكر في الشذور جميع التقييدات في المعارف، إذ قال: ((... وقولنا: بغير قيد مخرج لما عدا العلم من المعارف فإنها انما تعين مسماها بقيد كقولك الرجل فإنه

يعين مسماه بقيد الألف واللام وكقولك فإنه يعين مسماه بقيد الإضافة بخلاف العلم فإنه يعين مسماه بغير قيد؛ ولذلك لا يختلف التعبير عن الشخص المسمى زيدا بحضور ولا غيبة بخلاف التعبير عنه بأنت وهو))(٦٢).

فإن قال قائل: بأن التعريف تقييد قادم من النكرة، فكيف جاء الاسم العلم وفيه إطلاق؟ نقول: إن هذا الإطلاق مراده تعيين المسمى من غير قيد لا أنه غير مقيد في الأصل، إذ إن التقييد قد حصل في التعريف، بمعنى أن هذا الإطلاق أتى من داخل التعريف، وإن التقييد قد حصل من خارج التعريف.

ويشار هنا إلى أنه لا فرق بين العلم وعلم الجنس في هذا الإطلاق، ولأجل هذا فهو ((صادق بعلم الجنس إذ تعيينه لمسماه بغير قيد))(٦٣).، فالمراد بالعلم هنا العلم الحقيقي الذي لا ينصرف الذهن إلا إليه حين إطلاقه، ويجوز دخول علم الجنس معه لدلالته على جنس محدد، وهذا يعني أن سبيل الإطلاق هو شمول أفراد كثيرين، فإذا أردنا التقييد فيجب التحديد، والتحديد يأتي بلفظ موضوع له، وهو هنا العلم.

٢- **المفعول المطلق**:

لا بد أن نشير بأن هذا المصطلح من المصطلحات التي تذكر مترادفة أحيانا مع مصطلح المصدر مما يترك مجالا للإيهام، وقد وقع ذلك عند القدماء والمتأخرين، فقد عرفه ابن السراج بقوله: ((والمفعول ينقسم على خمسة أقسام مفعول مطلق ومفعول به ومفعول فيه ومفعول له ومفعول معه، الأول: وهو المفعول المطلق ويعني به المصدر))(٦٤). فلم يميز بينهما؛ ولهذا ذهب الأشموني (٩٢٩هـ) إلى الفصل بينهما وبيان العموم والخصوص الذي فيهما(٦٥).

وقد ذهب طائفة من النحويين إلى إظهار العلل التي كانت وراء تسميته بالمفعول "المطلق" من ذلك ما ذكره ابن القيم (٧٦٧هـ) إذ قال: ((المفعول المطلق: وهو المصدر وسمي مفعولا مطلقا لوجهين: أحدهما: لأنه لا يقيد بشيء من حروف

الجر، كما يقيد المفعول به، أو له، أو معه، أو فيه، الثاني: إن جميع الأفعال المتصرفة تتعدى إليه لازمها ومتعديها تامها وناقصها))[٦٦].

وتسمية هذا المصطلح بالمطلق عند النحويين معناه بأنه هو المفعول غير المقيد حتى ينماز عن بقية المفاعيل التي تقيدت جميعها بحروف جر، ثم إن هذا المفعول ارتفع شأنه وعلا مقامه لما ارتبط بالمصدر من حيث رجوع جميع الأفعال المتصرفة إليه كما تقدم.

وهو تعليل تكرر عند نحويين آخرين نحو قولهم: ((وسمى مفعولا مطلقا لصدق المفعول عليه غير مقيد بحرف جر ونحوه بخلاف غيره من المفعولات فإنه لا يقع عليه اسم المفعول إلا مقيدا كالمفعول به والمفعول فيه والمفعول معه والمفعول له))[٦٧].

ويرى بعض النحويين أنه ((لهذه العلة قدَّم الزمخشري وابن الحاجب في الذكر المفعول المطلق على غيره؛ لأنه المفعول حقيقة))[٦٨].

فأظهرت أقوال النحويين هنا بنحو واضح سبب مجيء تتمة الوصف "المطلق" مع المفعول، وهو توظيف جاء مباشرا لبيان أن هذا الاصطلاح له تباين عن بقية المفاعيل.

٣- المفعول به:

ورد التقييد مع هذا المصطلح من حيث أن لا بد من إيراد المتعلق (به) حتى يميز عن بقية المفاعيل قال ابن هشام: ((تقييد المفعول بقولنا: " به" هي عبارة ابن مالك فتخرج بقية المفاعيل))[٦٩]،. فالمفعول مصطلح عام يصلح لجميع المفاعيل، ولهذا أوجب تقييده عند ذكره في المسائل النحوية حتى لا يقع إشكال في المقصود منه، ولكن هذا لا يمنع أن الأصل بالمفعول هو المفعول به، ولهذا قالوا: ((إذا أطلق في اصطلاح النحاة إنما ينصرف إلى المفعول به؛ لأنه أكثر دورانا في الكلام، ولا

يصدق على المصدر المذكور إلا مقيدا بقيد الإطلاق))[٧٠]. وقد تبين عن طريق المفهوم أن مصطلح المفعول "مطلق"، وأن تقييده يكون بالمتعلق "به".

وقد يُشْكل هذا الكلام بين المفعول به والمفعول المطلق كما ظهر الآن بكلام النحوي المتقدم، ولهذا يقال: بأن استعمال النحويين للمفعول به أكثر من المفعول المطلق، فالمفعول به يأتي في أبواب نحوية متعددة، ومن أهمها ظن وأخواتها... إلخ ولهذا وصفه بقوله: لأنه أكثر دورانا في الكلام، مما جعله أشهر في الإطلاق في الاستعمال النحوي من المفعول المطلق الذي يقتصر مجيئه في بابه فقط.

ويقول أحد المحدثين: ((ومن خلال تتبعي لمصطلحات المفعول به تبين لي أن المصطلحين اشتهرا وتلازما مدة طويلة، وبالتحديد إلى ما قبل نهاية القرن الرابع الهجري، وهذا الوقت شهد تقدم لفظ المفعول به وانحسار مصطلح المفعول غير بالجار والمجرور "به"))[٧١]. وفي هذا دليل على كون المفعول أعم من المفعول به، ثم تقيد صاحب الجار والمجرور على ذلك المصطلح المشهور الذي يتعدى عليه الفعل.

٤- فعل الأمر:

ذكر النحويون الإطلاق والتقييد في فعل الأمر من جهتين جهة البِنية وجهة الدلالة من ذلك ما أورده السيوطي في نكته إذ قال: ((قول الألفية: وفعل أمر ومضي بنيا، قال ابن هشام: أورد عليه شيئان، أحدهما: أنه ذكر أن فعل الأمر والماضي يبنيان، ولم يبين على ماذا يبنيان، والثاني: أنه أطلق بناء الأمر، والأمر باللام معرب، فكان ينبغي أن يقيده بالأمر بغير اللام، قال: والجواب عن الأول: أن الناظم في مقام تمييز المبني عن المعرب، لا في مقام بيان ما يكون به الإعراب والبناء، نعم إخلاء الكتاب كله من التنبيه على ذلك ليس بحسن، وعن الثاني:أنه لا يسمى فعل أمر، وإنما يسمى فعلا مضارعا))[٧٢].

فهنا جاء الإطلاق في بناء فعل الأمر على رأي البصريين، ومراد ابن هشام هو أنه يجب أن يقيد الأمر بدون اللام الجازمة، لأنه مع اللام يكون فعلا مضارعا

عندهم، بمعنى يختلف نوع الفعل باختلاف المدخول، وهذا الكلام من جهة بنية هذا الفعل وهو ما وقف عنده نحويون كثيرون نحو قول بعضهم: ((اختلِف في فعل الأَمر العاري من اللام وحرف المضارعة نحو: "اضرب"، على مذهبين:

أَحدهما: أَنه مبني، وعليه البصريون.

الثاني: أنه [معرب] مجزوم بلام محذوفة، وهو رأَي الكوفِيين.

والخلاف في هذه المسأَلَة مبنِي عَلى الخِلاف في... هل الإعرَاب أَصل في الفعل كما هُو أَصل فِي الاسم أَم لا؟

فمَذهَب البصريِّين: لا، وأنّ الأصل في الأفعال البناء، وَالمضَارِع إنما أعرب لشَبهِه بالاسم، وفعل الأمر لَم يشبَه الاسم، فَلا يعرَب.

ومَذهَب الكُوفِيِّينَ: نَعَم فهو معرَب عَلى الأَصل في الأَفعال))[٧٣].

وهذا يقودنا إلى الحديث عن السياق واللواصق لأنه بعد فهم هذين الأمرين سيكون سهلا الحكم على نوع الفعل. وقد بيّن أحد المحدثين أَنّ الكوفِيّين يرَون أَنّ الفعل نوعان: ماض ومضارع، وأن الأَمر نوع من المضارعِ دخلَت عليه لَام الأَمر فَجزَمتْه، ثمّ حذِفَت فتبعتها حروف المضارعةِ[٧٤].

وأما من جهة الدلالة فقد ذكر ياسين الحمصي التقييد في دلالة الفعل بنحو عام ومنه الأمر، إذ قال: ((الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان... واللام يعني في قوله: لتقييد الحدث " لام العلة " والغرض أي العلة في وضع الفعل لمعناه الذي هو الحدث والزمان تقييد الحدث))[٧٥]. فالتقييد الزمني هنا آت من جنس الفعل؛ لأن الفعل ثلاثة أقسام ودلالة الزمن بحسب نوع الفعل وتقييده يكون بلفظ مذكور بقولنا: ماض أو مضارع أو أمر، وكان هذا أحد الأسباب التي استدل النحويون على أن المصدر أصل على المقيد كما قال ابن الأنباري بأن: ((... المصدر يدل على زمان مطلق و الفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل))[٧٦].

الخاتمة:

من أبرز النتائج التي وصل البحث إليها ما يأتي:

- لم تتضح دراسة الإطلاق والتقييد في النحو العربي إلا في عصر الشروحات والحواشي، حين وصلت الدراسات النحوية إلى مرحلة متقدمة من التطور والاستقرار، ولهذا نرى اختيار شرح ابن عقيل كمنهج في الدراسات النحوية بدلا من الكتب المتقدمة.
- تعد إشارة الرماني إلى تعريف المطلق والمقيد في كتابه الحدود رؤية متقدمة، لأهمية هذين المصطلحين في الدراسات النحوية.
- ظهر أن الموافقة على الإطلاق والتقييد أقل بكثير من المخالفة على الإطلاق التقييد، وربما يعود هذا الأمر إلى تنوع موارد العلم ومشاربه، واختلاف رؤى الفكر، وتباين الإمكانيات النحوية.
- قد تبين أن الإطلاق والتقييد في الآراء النحوية يأتيان بمعنى المسح لتلك الآراء، فإذا وصف رأي بالإطلاق من غير قيد، فهذا يعني إنه لا يوجد شيء يقدح به، ويغير مسار إطلاقه، وإذا وصف رأي بالتقييد فهذا يعني أن هناك من قال: بشيء يقيد ما كان مطلقا.
- إن الإطلاق والتقييد في المسائل النحوية يدخلان من طرف القواعد والضوابط والمحددات، من مثل قولنا: إن هذه المسألة مقيدة بأنها لا ترد إلا في هذا الباب، أو نقول: إنه في هذه المسألة فيها إطلاق بأنها تصلح أن ترد في أكثر من وظيفة في الباب الواحد.
- أما في المصطلحات فالإطلاق والتقييد يردان من جانب دلالة اللفظين من حيث إطلاق المصطلح أو تقييده أو من حيث عمومه أو خصوصه لجميع عناصره.

وختاما أسأل الله تعالى أن يسعنا ووالدينا برحمته، وأن يفتح لنا أبواب علمه، وأن يغفر لنا جميع ذنوبنا صغيرها وكبيرها، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) المصطلح والدلالة: ١١٨
(٢) المقتضب: ٢٨٦/٤-٢٨٧
(٣) م ن: ٣٣٦/٤
(٤) الأصول في النحو: ١٥٩/١
(٥) الحدود في النحو: ٣
(٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٣٧/١
(٧) الزمن النحوي: ٦٩
(٨) مغني اللبيب: ٧٣/١
(٩) الإحكام في أصول الأحكام: ٥/٣-٦
(١٠) شرح التلويح: ١١٥/١
(١١) شرح اللمع: ٦٤
(١٢) أوضح المسالك: ٣٠١/١
(١٣) حاشية الخضري: ٥١/١
(١٤) أوضح المسالك: ٣٠/١
(١٥) متن ألفية ابن مالك: ٢٤
(١٦) أوضح المسالك: ٢٦٩/٢
(١٧) دليل السالك: ٢٥٧/١
(١٨) حاشية الخضري: ٤٩١/١
(١٩) حاشية الصبان: ٢٤٢/٣
(٢٠) م ن: ٢٤١
(٢١) شرح شذور الذهب: ٤٩
(٢٢) مغني اللبيب: ٨٦٧/١
(٢٣) حاشية الصبان: ١٦١/٢

(٢٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٣٦/١
(٢٥) شرح الرضي على الكافية: ٢٠٥/٣
(٢٦) همع الهوامع: ٥٤٦/٢
(٢٧) حاشية الصبان: ١٨/٤
(٢٨) شرح ابن عقيل: ٢٧٠/٢
(٢٩) شرح الرضي على الكافية: ٢٧/٢
(٣٠) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: ٢٧٠/٢
(٣١) همع الهوامع: ٥٠٥/٢
(٣٢) شرح الرضي على الكافية: ٢٩١/١
(٣٣) م ن: ٢٩١/١
(٣٤) الأصول في النحو: ١٤١/١
(٣٥) متن ألفية ابن مالك: ١١
(٣٦) مغني اللبيب: ٥٨٥/١
(٣٧) معاني النحو: ٢٠٤/١
(٣٨) الجنى الداني: ٧٨
(٣٩) شرح قطر الندى: ٢٤٦
(٤٠) خزانة الأدب: ٢٠٧/٢
(٤١) حاشية ياسين على شرح التصريح: ٥٥٤/٢
(٤٢) م ن: ١٠٥/٢
(٤٣) توضيح المقاصد: ٩٤٥/٢
(٤٤) الكتاب: ٣٤٨/٢
(٤٥) شرح ابن عقيل: ٢٣٣/٢
(٤٦) حاشية ياسين على شرح الفاكهي: ١٠٩/٢
(٤٧) مغني اللبيب: ٢٦٩/١
(٤٨) أوضح المسالك: ١٣٨/٣
(٤٩) حاشية ياسين على الأزهري: ١٤٥/٣

(٥٠) م ن: ٣/١٤٥
(٥١) الكتاب: ٣/١٠٤
(٥٢) الجنى الداني: ١٢٧
(٥٣) همع الهوامع: ٢/٤٨٧
(٥٤) الأصول في النحو: ٢/٧٨
(٥٥) المفصل: ٤٠٣
(٥٦) شرح المفصل: ٧/٩٠
(٥٧) الجنى الداني: ١٦٢-١٦٣
(٥٨) همع الهوامع: ٣/١٨٥
(٥٩) متن ألفية ابن مالك: ٧
(٦٠) شرح المرادي: ١/١١٨
(٦١) أوضح المسالك: ١/١٢٣
(٦٢) شرح شذور الذهب: ١/١٧٩
(٦٣) حاشية ياسين على الأزهري: ١/٣٨٣
(٦٤) الأصول في النحو: ١/١٥٩
(٦٥) ينظر: حاشية الصبان: ٢/١٥٩
(٦٦) إرشاد السالك: ١/٥٢٧
(٦٧) شرح ابن عقيل: ٢/١٦٩
(٦٨) شرح شذور الذهب: ١/٢٩٢
(٦٩) مغني اللبيب: ١/٤٢٦
(٧٠) حاشية الصبان: ٢/١٦١-١٦٢
(٧١) تطور المصطلح البصري: ١٠٦
(٧٢) النكت: ١/١١٨
(٧٣) الأشباه والنظائر: ٤/٣٢٤-٣٢٥
(٧٤) ينظر: الفعل عند ابن هشام: ١٧٧
(٧٥) حاشية ياسين على الأزهري: ١/١٨١
(٧٦) أسرار العربية: ١٦١

الإطلاقُ والتَّقييدُ في النَّحوِ العَرَبِيِّ
مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
أ. م. د. خيرالدين فتاح عيسى العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

ثبت المصادر والمراجع:

١- الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن بن أبي علي الآمدي، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٩٨٥م.

٢- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تأليف: برهان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمود نصار، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣- أسرار العربية: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الانباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.

٤- الأشباه والنظائر في النحو: أبو بكر عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، الطبعة الثالثة، الشركة الدولية للطباعة، عالم الكتب، مصر – القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥- الأصول في النحو: أبو بكر محمد ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦- ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (ت٦٧٢هـ)، بخط: يحيى سلوم العباسي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٤م.

٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات ابن الانباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٠هـ –١٩٦١م.

٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع بمطابع العبور الحديثة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٩- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن أبي العجلى الخطيب القزويني، تحقيق: الدكتور: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الثانية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠- تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري: الدكتور يحيى عطية عبابنة، الطبعة الأولى، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن: ٢٠٠٦م.

١١- الجَنَى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخرالدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان د – ت.

١٢- حاشية الخضري (ت١٢٨٨هـ) على شرح ابن عقيل: محمد بن مصطفى الخضري، الطبعة الثالثة، تحقيق: تركي فرحان المصطفى: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م

١٣- حاشية الصبان (ت١٢٠٦هـ)على شرح الأشموني (ت٩٢٩هـ) ومعه الشواهد للعيني: محمود ابن الجميل، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

١٤- حاشية ياسين بن زين الدين الحمصي (ت١٠٦١هـ) على شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، راجعه: اسماعيل عبد الجواد عبد الغني، حقق وشرح شواهده: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر (د.ت)

١٥- حاشية ياسين على شرح أحمد بن الجمال عبد الله الفاكهي (ت٩٧٢هـ) على متن قطر الندى: مطبعة التقدم العلمي، مصر، (د- ت)

١٦- الحدود في علم النحو: لأبي الحسن بن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠١م.

١٧- خزانة الأدب ولب لباب العرب:عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٨- دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: عبدالله بن صالح الفوزان، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، مصر، القاهرة: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١٩- الزمن النحوي في اللغة العربية: الدكتور كمال عبد الرحيم رشيد، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن: ١٤٢٨- ٢٠٠٨م.

٢٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: أبو عبد الله ابن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشر، دار الفكر، المكتبة التجارية الكبرى مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢١- شرح ابن الناظم (ت٦٨٦هـ) على ألفية ابن مالك: أبو عبد الله ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٢- شرح الألفية لابن مالك: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخرالدين قباوة، الطبعة الأولى، دار المغارف للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م.

٢٣- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه: سعدالدين بن مسعود التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) ضبطه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، الطبعة الأولى،

منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢٤- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة – مصر، ٢٠٠٤م.

٢٥- شرح قطر الندى: ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة عشرة دار الفكر، (د– ت).

٢٦- شرح كافية ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)، رضي الدين بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق: احمد السيد احمد، الطبعة الأولى، المكتبة التوفيقية، (د. ت).

٢٧- شرح المفصل: موفق الدين ابن يعيش (ت ٥٣٨هـ)، عالم الكتب – بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة (د– ت).

٢٨- الفعل في نحو ابن هشام: د.عصام نور الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ٢٠٠٧م.

٢٩- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

٣٠- كتاب شرح اللمع في النحو، لأبي الفتح ابن جني: أبي الحسن علي الباقولي الأصبهاني، تحقيق: الدكتور: محمد خليل مراد الحربي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣١- المصطلح النحوي وأصل الدلالة: الدكتور رياض عثمان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠١٠م.

٣٢- معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٩٨٩م.

٣٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني، القاهرة، (د– ت).

٣٤- المفصل في علم العربية: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت(د– ت).

٣٥- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣م

٣٦- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشر، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.

٣٧- النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة: جلال الدين أبو بكر السيوطي: تحقيق: الدكتور فاخر جبر مطر، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣٨- همع الهوامع في شرح جمع الحوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) تحقيق: عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية (د. ت).

Abstract

This paper aims at studying the impact of absolution and limitation in Arabic grammar. It has appeared clearly after researching in Arabic grammar books that the above mentioned terms are found in Arabic grammar even in spoken or concept. grammarians used those two terms in function for many purposes such as revising grammatical issues by establishing rules constraints in a strict way.

The study falls in Three section the First Section deals with absolution and limitation in the opinions of grammarians Section Two deals with absolution and limitation in grammatical issues. Section Three deals with absolution and limitation in grammatical terms.

THE DRAMATIC IMAGE OF CHAOS IN ALLEN GINSBURG'S "*HOWL*"

Lecturer - Ansam Riyadh A. Al-Maaroof
University of Tikrit- College of Education

Abstract

This paper is concerned with the critical analysis of the most famous American poem of Modern or Postmodern Age which has changed America, and American people's thoughts. The main concern of this paper is following the portrayal of the dramatic image of chaos throughout the poem because it is the chaos that the poet uses to achieve the awareness of the reality of the War Age as well as the ugly impact of war upon America and American people.

THE DRAMATIC IMAGE OF CHAOS IN ALLEN GINSBURG'S "HOWL"

Lecturer- Ansam Riyadh A. Al-Maaroof
University of Tikrit- College of Education

Allen Ginsberg (1926-1997) is enthralling as the pivotal figure between the 50s Beat Generation and the counter-cultural revolution of the 1960s. He was born in Newark, New Jersey the son of a high school teacher and poet, Louis Ginsberg, and Naomi Levy Ginsberg. His early understanding of rebel: his mother was a member of the Communist Party and sometimes took her sons along to the local meetings. Her periods of mental illness troubled Ginsberg deeply, re-emerging in his great elegy to her, '*Kaddish*' named after the Jewish prayer of mourning. (Gale, 2006.

Ginsberg studied at Columbia University where he made deep friendships with writers such as Jack Kerouac and William Burroughs to form the *"Beat Generation"* literary movement. The Beat movement was an American social and literary movement originated in the 1950s where artists, sarcastically called "beatniks," expressed their alienation from conventional society by adopting a style of unrespectable dress, detached manners, and a "hip" vocabulary. Generally indifferent to social problems, they advocated sensory awareness that might be induced by drugs, jazz, sex, or the disciplines of Zen Buddhism. Ginsberg's *Howl and Other Poems* (1956), along with

Kerouac's *On the Road* ultimately became the "Beat" movement's twin scriptures.**(http://en. wikpedia. org/ wiki/ Allen)**

Ginsberg's first book of poems, the extraordinary *Howl and other poems*- about " *Howl* " was published by Lawrence Ferlinghetti 's City Lights press in 1955 and was subject to a famous obscenity trial due to its open handling of his homosexuality and overt content. The case became a cause for celebration for all those who defended the freedom of speech, drug liberalization and sexual freedom. The judgment was finally reversed.

Ginsberg's poetry with its thrilling openness of subject and form and visionary qualities owes much to a convention stretching back through Walt Whitman to William Blake. Moreover, he is highly influenced by his Jewish background, the rhythms of jazz, his sexual direction and his deep commitment with Zen Buddhism,(Encarta,2005).

Ginsberg's unmanageable humour delights his audience even when his poem "*Howl*" enumerates reasons to hopelessness with contemporary American culture. Allen Ginsburg's poetry oscillates constantly back and forth so that boundaries of any sort are utterly negated. The consequences of that ongoing tension between many opposing forces is that his poems are steeped in an irresistible sense of anxiety (Burns,1983:133).

This paper is concerned with analyzing "*Howl*" as a superior example of Ginsburg's poetry. By choosing *Howl*, the paper gives a detailed image of the drama of chaos as it develops to the state of being the norm where revolt no longer functions. The choice of *Howl* to be the subject of this paper is due to the conditions of Iraq after the War 2003

which is just like the condition of America after the War 1945. *Howl* is a howl for a new life which fits all those who believe that life is a right for everything in this life.

Richard Ebehart gives a truthful evaluation of the poem in an article for the New York Times book review, "*West Coast Rhythms":*

> ***It is a powerful work cutting through the dynamic. … It is based on destructive violence. It is a howl against everything in our mechanistic civilization which kills the spirit. Assuming that the louder you shout, the more likely to be heard, it lays bare the nerves of suffering and spiritual struggle. Its positive force and energy come from a redemptive quality of love, although it destructively catalogues evils of our time from physical deprivation to madness,(Ebehart,, 25) .***

"Howl" is looked upon as the most significant donation to the field of American poetry. It is a modernist protest against post war America, regarded by many critics to be levelled among the stunning success of modern American poetry. For Charles McGrath Ginsberg' s most enduring contribution represented in *Howl* is the way . . . he transformed the American avant-garde, and the angry alienation of the Beats, into something altogether more cheerful and benign." He adds that *Howl* has always been Allen Ginsberg's masterpiece - a horrifying, funny, surreal, and prophetic poem.(McGrath, 1997.43).

By the time that Ginsberg died in 1997, *Howl and Other Poems* had sold over eight hundred thousand copies. It had been translated into at least twenty-four languages and it was one of the best-known American poems in the world. Making poetry more personal, more professional, and more parallel to the performance arts It has changed poetry in America. *Howl* also changes the world itself by breaking up

cultural boundaries at the height of the Cold War and by encouraging cultural revolution around the world. But it is said that the very fame that *Howl* brought to Ginsberg may also have caused his prohibition from the elite company of famous American poets. He received honours and grants, but the top literary prizes avoided him.

In this respect, it is noteworthy to mention that Ginsberg was not timid about promoting himself or his poem; he believed that he did not honour the set pattern for poet behaviour. Moreover, he believed that it is by breaking down the kind of the current system-which he consider a mere chaos- that one can create the intended system- a kind of system that others may regard as being madness. When he wrote *Howl* - with its lack of discipline and high spirits - he set himself apart from the respectable poets. It is regarded as a rebel against Columbia classmate and teachers and the education Ginsberg had received at college. By writing and publishing *Howl*, he committed an act of cultural disloyalty (Raskin,1997,Preface,xx-xxi). It is written in a chaotic discipline to show the chaos that covers everything around the poet, but he suggested a kind of future discipline that would help people live a better life. Ginsberg suggested madness as a solution. He was interested in the mystery of madness. He invested it with social and political significance. "A lot of madness begins with a grand universal insight, the insight that there is more in the world than subways and offices,"(qud. In Raskin, 30)

Ginsberg considered the writing of "Howl" to be a new phase in his poetic development, best characterized by total creative freedom. A freedom that consists for the most part

of being broken away from "fear" to full amount of frankness and honesty. "I thought I wouldn't write a poem," he explains, :

> ***" but just write what I wanted to without fear, let my imagination go, open secrecy, and scribble magic lines from my real mind - sum up my life - something I wouldn't be able to show anybody, write for my own soul's ear and a few other golden ears". ("Allen Ginsberg's Howl."123HelpMe. com. 30Mar2010 <http: // www. 123HelpMe. com/view.asp?id = 39770 z>.)***

The second characteristic of the whole creative freedom of the poem is the musicality of the poem, metrical. Ginsberg claims he began the poem with no structure in mind, it is rather chaotic. He worked with his own " neural impulses and writing impulses" to arrive at a pattern actually, rather than misleadingly created. The poem, he states, was, " typed out madly in one afternoon, a tragic custard-pie comedy of wild phrasing [and] meaningless images."("AllenGinsberg'sHowl."

Reading the poem accurately, one needs to keep away from the inclination to look for a reasonable or rational bonds among ideas or images. Studying the poem would seem to be a struggle with the poem's own message, which is exactly a brutal howl of human agony and other natural feelings. To fade away the amount of chaos the poem has, is just like making a testy thing to be trestles. It is this chaos that Ginsberg tries to personify throughout his *Howl*.

"Howl" hugely depends on chaos by presenting a mixture of images often paradoxical. These images are multi-vocal, for they stand for a variety of characters, whose core is Carl Solomon that around him the poem is heavily built. The rest of the characters come into sight throughout

the poem - among them the poet himself- belonging to the underworld where all form of lawlessness are acceptable, they use a kind of language remote from being poetic. Intentionally, Ginsburg uses prose and poetry in a way expanding at times to moments in which the course of verse is broken up by prosaic lines that gives the impression like being a short story. Moreover, the poet presents the course of time throughout the poem as if it is a literary pattern whereby the events are being observed and sometimes remarked upon.

> ***I saw the best minds of my generation destroyed by***
> ***Madness, starving***
> ***Hysterical naked,***
> ***Dragging themselves through the Negro streets at dawn***
> ***Looking for an angry Fix,***
> ***Angel headed hipsters burning for the ancient Heavenly connection to the***
> ***Starry dynamo in the machinery of night,(AGCP,126).***

*Howl'*s first part is an intricate record on the understandings of a generation that disturbed by World War II, and estranged by the determined restriction that has made American people distrustful even of their own individuality. The poet starts at this point, by using the first pronoun "I" , but as his perspectives fade away, the poem releases a flurry of fragmentary, rather chaotic images that oscillate "between the literary and the biographical, the public and the private"(Harris, TCL,2000,172). The poet here declares the chaotic state that the precious minds were destructed by the madness which happens around them, they use drags to obtain a case of unconsciousness to avoid confrontation with agony and anguish.

Who passed through universities with radiant cool eyes hallucinating Arkan-
Sas and Blake- light tragedy among the scholars of war,
Who were expelled from the academies for crazy and publishing obscene odes
On the windows of the skull,(CP126).

The image of chaos is quite clear from the first line in the poem and continues to develop throughout. Shading light on the image of chaos, Ginsburg uses the connecting pronoun "who" to record memories of himself and his fellow Beat friends. In doing so, he is able to integrate time thematically as well as technically. It is obvious throughout the poem that Ginsburg sounds nostalgic to commemorate the past of the Beat generation, a past which is from their point of view, their only present. The poet illustrates that he and his fellows were accused of being so explicit in their poetry. This openness which is regarded as madness, but those who accused them did not pay even a little attention to the great amount of chaos and madness because of the brutality of the mechanic world. In doing so, he stops little of frankly making himself out whenever it comes to the evoking of his own memories.

On the other side, referring to his Blake sight and ejection from Columbia is the most fitting minute with which he can initiate his mixed outline of Beat figures. He idealizes his Beat friends and with his introduction to them ,he is presenting a mixture of prose and poetry where this mixture becomes a rule rather than a difference. "relying on natural speech and spontaneous transcription", he adjusts poetic and story-telling techniques relevant to his College of images, voices and past- present dichotomy upon which the poem relies (Tytell,1976, 213).

Mentioning himself, Burroughs, and Kerouac, the trio who originally formed the Beat Generation ,Ginsberg gets on an enshrinement of how their cheerful life was going on until the moment of writing "*Howl"*. They used to express themselves by any way they found suitable even if the others regard it crazy way, but they did not intend any harm for others.

Ginsburg's aim is to draw the readers' attention to the amount of chaos around them in America, the disastrous consequences of modern civilization on 20th century America. "Nineteen forty-eight was the crucial post war year," Ginsberg explained:

"It was the turning point. Of course the atom bomb had already gone off in 1945, and Kerouac and Burroughs and I had talked about it, but the psychological fallout from the bomb - the consciousness - didn't really hit until 1948. There was the splitting of the atom, and the splitting of the old structures in society and also a sense of the inner world splitting up and coming apart."(Raskin,1997, 15)

Like many other writers around the world, Ginsberg turned the atom bomb into an all-inclusive metaphor. Everywhere he looked he saw destruction and atomization. Everything had been blown up. And almost everywhere he looked he saw the Cold War. He has succeeded in achieving his aim to draw the attention to that destruction by imitating Cezanne's style of cutting off connections between the images, using what he calls "space-time-jump" technique. He explains this tendency in Paris review interview with Thomas Clark:

Cezanne is reconstructing by means of triangles, cubes and colours; I have reconstruct by means of words…phrasings… the problem is then to reach the different parts of mind which are

existing simultaneously; the different associations which are going on , simultaneously choosing elements from both like: Jazz Jukebox and all that and we have the jukebox from that; politics hydrogen bombs and we have the hydrogen of that(1967, 206).

The first step in this technique is to insert the image then to remove all unifying connectors between it and the previous or the following ones. The third step is to compress the whole image in a signal phrase placing it between unrelated images, eg. his training days at the U.S. Marine and the enjoyable madness of Ruth Goldenberg. At the middle of this very systematic chaos comes the intended randomness as Paul de Man says in his article, "Shelly Disfigured":

Nothing, whether did word, thought or text, ever happens in relation, positive or negative, to anything that precedes, follows or exists elsewhere; but only as a random event whose power, like the power of death, is due to the randomness of its occurrence(DC.1979. 59)

The system Ginsberg chooses to convey his ideas regarding the surrounding chaos indicates that there should be a system upon which things driven and not a mere chaos in spite of the randomness he tries –and succeeds-to achieve.

Chaos appears again with the sudden emergence of the voice of the crazy spirit that looms over the poem's horizon that eagerly awaits the appearance of the "*Howl*" 's celebrated lamb, Carl Solomon, the man to whom the poem is dedicated. Carl Solomon's entry to the course of the poem cause a great chaos because there is a considerable shift in the poem's images. Prior to Solomon's presence, the poem's use of graphical sexual language reveals a succession of

homosexual scenes which are hugely obscene (Zott, 2003. 364)

Who let themselves be fucked in the ass by saintly motorcyclists, and Screamed with joy,
Who blew and were blown by those human seraphim,
The sailors, caresses of,
Atlantic and Caribbean love, (CP,128)

These overt sexual images state publicly not only Solomon's approaching entrance but a transform in the thematic structure of the poem as well. With the entrance of Solomon, the crazy spirit of the "*Howl*" takes the centre of the stage. The speedy switching of the poet 's microscopic eye from Carl Solomon to Naomi Mendel and Vice versa describes an exaggerated portrait of the insanity, which Ginsberg restlessly graces:

Who demanded sanity trials accusing the radio of hypnotism and were left with
Their insanity and their hands and a hung jury,
Who threw potato salad at CCNY lecturers on Dadism and subsequently
Presented themselves on the granite steps of the madhouse with
Shaven heads and harlequin speech of suicide demanding instanta-
Neous Iobotomy,
And who were given instead the concrete void of insulin Metazol electricity(CP130)

Part II of 'Howl'. "Moloch", here the mood darkens, 'America' has become 'Moloch'. The humour has gone, replaced by a prophet-like anger and anguish. The diversity of mood as well as the pattern contributed to the image of chaos the poet tries to achieve throughout the poem. To establish his idea of chaos, Ginsberg presents a case of dominance to Moloch upon the whole of Part II, it is the god of thunder whom the Titans staunchly worship during the

Brazen Age; an era of mass murders and tyranny (Hefernan, PAG, 1984, 256-57)

What sphinx of cement and aluminum bashed open
their skulls and ate up their brains and imagination?
Moloch! Solitude! Filth! Ugliness! Ashcans and unob
tainable dollars! Children screaming under the
stairways! Boys sobbing in armies! Old men weeping in the parks!(CP,130)

The poet describe the ugly side of Moloch which stands for everything that America represents:

Moloch!Moloch! Nightmare of Moloch!Moloch the
loveless! Mental Moloch! Moloch the heavy judger of men!
Moloch the incomprehensible prison! Moloch the
crossbone soulless jailhouse and Congress of sorrows! Moloch whose buildings are judgment!
Moloch the vast stone of war! Moloch the stun-
ned governments! (CP,130)

The material aspects of life that people have in America and the absence of the human side in every aspect of life, the domination of the mind over the emotion that causes the war to happens to defend America's properties, all are being damned here.

Moloch whose mind is pure machinery! Moloch whose
blood is running money! Moloch whose fingers
are ten armies! Moloch whose breast is a canni-
bal dynamo! Moloch whose ear is a smoking tomb! (CP131)

The pronoun "I" that opens the first part is a monological voice of the poet which enables him to set the

scene for the "*Howl*" 's shocking images and diverse personalities. The pronoun "Ï" used in part II of the poem has a different function. It is used to lessen the poem's growing energy and tones down the concentration of its brutality. Moreover, it enables the poet to be back to himself.

Moloch in whom I sit lonely! Moloch in whom I dream
Angels! Crazy in Moloch! Cocksucker in
Moloch! Lacklove and manless in Moloch!
Moloch who entered my soul early! Moloch in whom
I am a consciousness without a body! Moloch
who frightened me out of my natural ecstasy!
Moloch whom I abandon! Wake up in Moloch!
Light streaming out of the sky! (CP131)

Between the two "I" pronouns there are many past time images the poet mentions to illustrate the Beat's present day normalities. Then, he marks the continuation of the sight of "Moloch" that causes chaos upon humanity by lessening the cruelty of the language implemented in the closing lines of part II.

Part III opens with the first direct reference to Carl Solomon's name since the middle of part I. it is a personal tribute to a beloved friend who represents for Ginsberg the crazy spirit of his mother(Charters, 1992, 85). Naomi, Allen's mother, was a paranoid schizophrenic who saw enemies everywhere: The whole industrial world aimed to destroy her. That story line was essential to Allen Ginsberg's myth about his mothering his *Howl*. His mother among all the innocent, idealistic young men and women of the world had human family business individuality and non-mechanical organic charm. he wrote.

Naomi just like others clashed head on with "modern, mechanical, scientific robot government." Moloch assassinated Naomi with madness, and Moloch would assassinate him with madness, too, unless he could kill the monster with the sword of poetry…. Naomi, "She had a great grasp of the transient and irrational nature of the

modern capitalist world and a clear idea of the brainwashing that was going on in this country,"

Raskin states that from Ginsberg's point of view, Naomi was a utopian dreamer driven mad by the insanity of the modern world. There was something fragile about her, something too pure for a world at war, a world wracked by poverty and pain. "She / reads the Bible, thinks beautiful thoughts all day," he wrote in *Kaddish.* Naomi was immensely creative - an artist, folksinger, and storyteller - and yet she never fulfilled her own creativity. To Allen, his mother's own individual tragedy seemed emblematic of the larger generational tragedy that befell so many immigrant women from Europe who found the madhouse at the end of the American dream.(Raskin,1997, 30)

Ginsberg's celebration of madness in part III exemplifies one of the most distinctive traits of Beat Literature. It is by this madness that Ginsberg presents the solution to the anger generation. The Beats devoted their lives and literature to understanding and explicating the private hill of those who remained on the margins of post-war prosperity.

(http://en.AllenGinsbergBiographyEncyclopediaofWorldBiographyBiography.mht).

Carl Solomon! I'm with you in Rockland
where you're madder than I am
I'm with you in Rockland
where you must feel very strange
I'm with you in Rockland
where you imitate the shade of my mother
(CP,132)

The dominated refrain softens the pace of the first two parts bringing the poem smoothly towards its original conclusion. Unlike part I and Part II, part III depicts

suffering as a source of joy, a divine sacrificial act and a kind of "redemption as a collective enterprise" (Harris, College Literature, 2000, 173). The conclusion of the poem:

I'm with you in Rockland
where fifty more shocks will never return your
soul to its body again from its pilgrimage to a
cross in the void
I'm with you in Rockland
where you accuse your doctors of insanity and
plot the Hebrew socialist revolution against the
fascist national Golgotha

Ginsberg tries to illustrate the chaos the war causes and the impact of the fascist Gestapo 's violence upon the Jewish people.

I'm with you in Rockland
where you will split the heavens of Long Island
and resurrect your living human Jesus from the
superhuman tomb(CP,132)

Howl presents Carl Solomon as a Christ-like figure in a religious metaphor. The poet shows the influence of religion in this part.

I'm with you in Rockland
where there are twenty-five-thousand mad com-
rades all together singing the final stanzas
of the Internationale
(CP,132)

Moreover, it interplays between Ginsberg's voice and Solomon's streams through the lines until it reaches a point where both are unified partially through the plural first pronoun "we" and partially through the knitting of their perspectives forming an exclusive tiny voice; an observer on the unacceptable conditions of modern America:

I'm with you in Rockland

where we hug and kiss the United States under
our bedsheets the United States that coughs all
night and won't let us sleep
I'm with you in Rockland
where we wake up electrified out of the coma
by our own souls' airplanes roaring over the
roof they've come to drop angelic bombs
the hospital illuminates itself imaginary walls col-
lapse O skinny legions run outside O starry
spangled shock of mercy the eternal war is
here O victory forget your underwear we're
free (CP,133)

The concluding refrain brings Ginsberg journey-man poet to the end of his journey; a hasty ending predicted only by the downward voice of the poet back for one preceding time after being isolated from that of Carl Solomon.

I'm with you in Rockland
in my dreams you walk dripping from a sea-
journey on the highway across America in tears
to the door of my cottage in the Western night (CP,133)

Part IV of the poem, *"Footnote To Howl*" deepens the rebellious atmosphere of the poem. Its musicality as well as the natural flow of language recall Blake's songs of innocence and songs of experience. This part is of a prophetic nature. It presents a vision of a prophet who preaches a sacred vision that "offers us compelling alternatives to the general disaster he sees"(Tytell, 1976. 212).

The poem 's crazy spirit- the intended systematic vision-willingly gives the way to the chaotic one, the being regarded as systematic and dominated vision in America. The poet, the prophet tries to convey his belief that

everything in this life deserves a better life, so that he has given the adjective "Holy" to everything:

Holy! Holy! Holy! Holy! Holy! Holy! Holy!
Holy! Holy! Holy! Holy!
Holy! Holy! Holy! Holy!
The world is holy! The soul is holy! The skin
Is holy! The nose is holy! The
Tongue and cock and hand and asshole holy!
Everything is holy! Everybody 's holy! Everywhere is holy! Everyday is in
Eternity! Everyman's an angel!(CP,134)

The poet who is now a prophet-like announces that happiness and peace is birth-right for everything and every place and everybody in this world.

Holy the sea holy the desert holy the railroad holy locomotive holy the
Visions holy the hallucinations holy the miracles holy the eyeball holy
The abyss!
Holy forgiveness! Mercy! Charity! Faith! Holy!
Ours! Bodies! Suffering! Magnanimity!
Holy the supernatural extra brilliant intelligent kindness of the soul(CP,134)

*Howl'*s part IV can be seen as the most chaotic part of the poem since it represents the poet's most furious feelings. It is the highest point of chaos after which nothing comes but system. The prophet-like poet suggests a future plan for the angry generation to live happily by being guided by their own intelligence.

This examination of *Howl'* s chaotic image brings to light the poem's ultimate importance to the history of American literature and society. The Beat Generation of writers offered the world a novel outlook. They brought to society a consciousness of a life worth living, far from this chaotic reality.

Podhoretz observed once that the Beat Generation were no liberal supporters of civil rights; he proceeded to paint them with a broad brush as a kind of crypto-fascists who worship primitivism, instinct, energy, 'blood. From there, Podhoretz took

an ideological leap, linking them to gangs and gang violence. “The spirit of hipsters’ and the Beat Generation strikes me as the same spirit which animates the young savages in leather jackets who have been running amuck in the last few years with their switch-blades and zip guns,” Ginsberg had indeed called for young savages to assault genteel civilization, but his savages were far more metaphorical than real. Knives and guns never were his style, or the Beat Generation’s, either.(Podhoretz,. worships primitivism 307–8).

By presenting the chaotic images as well as the chaotic form and structure of *Howl – not by giving* a kind of crypto-fascist style- Ginsberg has offered a way out of the reducing, boring, and chaotic world that the angry generation lives in. *Howl* presents them the way as it asks them to depend upon the discovery of their intelligence. "*Howl"* does all of these things and more in an extraordinary, encouraging way. The poem shows the way toward a new and better life, recording the pilgrimage of the angry generation toward an authenticity that is timeless and placeless, sacred and everlasting.

References

AGCP Allen Ginsberg. Collected Poems: 1947–1980. New York:

Harper & Row, 1984. Rpt. New York: Perennial Library,1988.

“Allen Ginsberg” Encarta Reference Library: Electronic Version.2005.

"AllenGinsberg'sHowl”."123HelpMe.com.30Mar2010 <http://www.123HelpMe.com/view.asp?id=39770>.

Burns, Glen. Great Poet’ Howl: a Study of Allen Ginsberg’s Poetry 1943-1953. Frankfurt: Peterlang, 1983.

Charters, Ann. ed. The Portable Beat Reader. New York:

Viking, 1992.

Clark, Thomas. “The Art of Poetry” Paris review interview 37-1 (Spring 1996):33-51

Gale, Thomson. Allen Ginsberg in Encyclopaedia of World Biography. 2006, in www.\\http. Allen Ginsberg Biography Encyclopaedia of World Biography Biography.mht.

Ebehart, Richard. “West Coast Rhythms” in New York Times Book Review, Sept. 2, 1956.

Harris, Oliver.”Cold War Correspondence: Ginsberg, Kerouac, Cassady and The Political Economy of Beat Letters” Twentieth Century Literature 46. 2(Winter, 2000,p.172).

McGrath, Charles. Cultural Busybody & Related Quotations.

"Street Singer," New York Times Book Review, Apr. 27,1997.

Paul de Man. "Shelly Disfigured" in Deconstruction and Criticism. Jeoffery Hartman, ed. London: The Seabury P,1979 :39-74.

Podhoretz, worships primitivism. "The Know-Nothing Bohemians,".

Raskin, American Scream: Allen Ginsberg's Howl and the Making of the Beat Generation. Los Angeles: University of California Press,1997.

Tytell, John. Naked Angels: the Lives and Literature of the Beat Generation. NY: McGraw, 1976.

2007. http://en.wikpedia.org/wiki/Allen Ginsberg "Allen Ginsberg".

2006.http://en.AllenGinsbergBiographyEncyclopediaofWorldBiographyBiography.mht.

Zott, Lynn M., ed. The Beat Generation : a Gale Critical Companion. Ny: Thomas Gale, 2003.

الصورة الدرامية للفوضى
في قصيدة الصرخة
لألــن جـنـسـبـيـرغ

م. أنسام رياض المعروف

جامعة تكريت /كلية التربية/

ملخص

تقدم هذه الورقة دراسة نقدية لقصيدة الصرخة للشاعر الأمريكي الحداثي وما بعد الحداثي ألن جنسبيرغ. ان قصيدة الصرخة تعتبر من أشهر القصائد الأمريكية في العصر الحديث والتي غيرت أمريكا وغيرت أفكار الشعب الأمريكي حول الحرب وماسيها. تقدم الدراسة تحليلا متتابعا للتطور الدرامي لصورة الفوضى في القصيدة وذلك لان لاستخدام صورة الفوضى أهمية لدى ألن جنسبيرغ في تقديم الوعي بالواقع للمواطن الأمريكي بشكل خاص وللعالم بشكل عام.

اثر تعدية الفعل بحرف الجر في التصحيح اللغوي

أ.م.د مهند جاسم محمد

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين

تتعدد مظاهر الخطأ اللغوي وتختلف أشكاله فتراه يصيب الصوت أو البنية أو التركيب النحوي أو الأسلوب البيان أو دلالة اللفظ وكل مظهر من هذه المظاهر تتعدد صور الخطأ فيه، فالخطأ في التركيب النحوي مثلا قد يكون متولدا عن خطأ في الحكم الإعرابي للكلمة أو الاستعمال غير الصحيح للظروف أو الأدوات أو الحروف.

ومن ابرز صور الخطأ في استعمال الحروف مايقع في أثناء تعدّية الأفعال اللازمة بحروف الجر، إذ يحدث الخلط فيُعدّى الفعل بما لايُعدّى به من حروف الجر، واخصّ هذه الحروف (الباء) وسميت متعدّية لأنها قائمة مقام همزة النقل وقد يتعدّى الفعل الواحد بمجموعة من حروف الجر بحسب السياق الذي يرد فيه أو قد يتضمن الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما فيتعدّى تعديته ويلزم لزومه.

وبالنظر إلى الخصوصية التي حظيت بها (الباء) في تعدّيتها للأفعال فقد كثر استعمالها لهذا الغرض في اللغة وهذه الكثرة أدت إلى الخلط في تعدّية بعض الأفعال لدى المستعملين ممّا نجده مبثوثا في كتب اللغة ثم انتقل هذا الخلط إلى المتكلمين في عصرنا الحاضر.

ممّا دفعني إلى القيام بدراستي المتواضعة هذه فقد هدفت إلى الوقوف على الخلط في التعدية بـ(الباء) من خلال الاطلاع على كتب التصحيح اللغوي المؤلّفة في هذا العصر – قدر المستطاع– ثم رجعت بعد ذلك موثقا من كتب اللغة القديمة لاقف على الاستعمال الصحيح لهذا الفعل أو ذاك.

وقد اجتمعت لدي مادة قسمتها على خمسة مباحث:

الأول: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) فقط ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها أو بغير الباء من حروف الجر. من ذلك قولهم: اغراه على الشعراء ويغري النفس الى الهوى وهمّ على الزواج ويهتم في احباط مساعيهم وعاش عليه وغبطه على وجميع ذلك يتعدى بالباء

الثاني: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بغير (الباء) في السياق الذي تتعدى فيه بـ(الباء) من ذلك قولهم: ارتاب فيه وتشاءم منه وطاف على النوادي ومنه ايضا بطش به وفيه وعليه

الثالث: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وبنفسه في سياق واحد ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها تارة أو بـ(الباء) تارة أخرى أو بحرف جر غير (الباء). من ذلك قولهم: بصره بالحقيقة وسررت لقدومك وتقاضى الدين وبه

الرابع: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بنفسه وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه، ولكن المتكلمين يخطئون فيجعلون هذا مكان ذاك. من ذلك قولهم: بعثت اليه كتابا وبعثت اليه برسول وحداه على السفر وحدا به على السفر

الخامس: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بنفسه ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بـ(الباء) من ذلك قولهم: كلّفه بكذا والتقى به

واهم النتائج التي توصل الباحث اليها هي:

١- إن الفعل (ارتاب) بمعنى (شك) يتعدّى بـ(في) خلافا لما ذهب إليه كل من الأستاذين: اسعد داغر، وزهدي جا رالله من تعديته بـ(من).

٢- إن الفعل (طاف) يتعدّى بـ(الباء) و(في) و(على) بحسب السياق الذي يرد فيه خلافا للأستاذ محمد العدناني الذي أجاز تعدّيته بجميع ما تقدم من غير نظر إلى السياق الوارد فيه.

٣- إن الفعل (بصّر) بمعنى (علّمه الشيء) يتعدّى بـ(الباء) وبنفسه خلافا لما ذهب إليه كل من الأستاذين: زهدي جار الله والكرباسي من تعدّيته بنفسه.

الباحث

د. مهند جاسم محمد

كلية الآداب - جامعة تكريت

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين

تتعدد مظاهر الخطأ اللغوي وتختلف أشكاله فتراه يقع في الصوت أو البنية أو التركيب النحوي أو الأسلوب البياني أو دلالة اللفظ وكل مظهر من هذه المظاهر تتعدد صور الخطأ فيه، فالخطأ في التركيب النحوي مثلا قد يكون متولدا عن خطأ في الحكم الإعرابي للكلمة أو الاستعمال غير الصحيح للظروف أو الأدوات أو الحروف.

ومن ابرز صور الخطأ في استعمال الحروف مايقع في أثناء تعدّية الأفعال اللازمة بحروف الجر، إذ يحدث الخلط فيُعدّى الفعل بما لايُعدّى به من حروف الجر، واخصّ هذه الحروف (الباء) وسميت متعدّية لأنها قائمة مقام همزة النقل جاء في شرح الكافية ((جميع حروف الجر لتعدّية الفعل القاصر عن المفعول إليه لكن معنى التعدية المطلقة أن ينقل معنى الفعل كالهمزة والتضعيف وبغيره وهذا المعنى مختص بـ(الباء) من بين حروف الجر، نحو: ذهبت به، وقمت به، أي: أذهبته، وأقمته))[1]، وقد يتعدّى الفعل الواحد بمجموعة من حروف الجر بحسب السياق الذي يرد فيه أو قد يتضمن الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما فيتعدّى تعديته ويلزم لزومه.

وبالنظر إلى الخصوصية التي حظيت بها (الباء) في تعدّيتها للأفعال فقد كثر استعمالها لهذا الغرض في اللغة وهذه الكثرة أدت إلى الخلط في تعدّية بعض الأفعال لدى المستعملين ممّا نجده مبثوثا في كتب اللغة ثم انتقل هذا الخلط إلى المتكلمين في عصرنا الحاضر.

ممّا دفعني إلى القيام بدراستي المتواضعة هذه فقد هدفت إلى الوقوف على الخلط في التعدية بـ(الباء) من خلال الاطلاع على كتب التصحيح اللغوي المؤلّفة في

هذا العصر – قدر المستطاع– ثم رجعت بعد ذلك موثقا من كتب اللغة القديمة لاقف على الاستعمال الصحيح لهذا الفعل أو ذاك.

وقد اجتمعت لدي مادة قسمتها على خمسة مباحث:

الأول: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) فقط ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها أو بغير الباء من حروف الجر.

الثاني: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بغير (الباء) في السياق الذي تتعدى فيه بـ(الباء)

الثالث: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وبنفسه في سياق واحد ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها تارة أو بـ(الباء) تارة أخرى أو بحرف جر غير (الباء).

الرابع: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بنفسه وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه، ولكن المتكلمين يخطئون ن فيجعلون هذا مكان ذاك.

الخامس: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بنفسه ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بـ(الباء).

علما أني قد اقتصرت في كل مبحث على تفصيل القول في بعض الأفعال وذكرت بعضها الآخر للتمثيل فقط.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) فقط

وردت مجموعة من الأفعال في العربية لازمة تتعدّى بـ(الباء) فقط لكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها أو بغير (الباء) من حروف الجر، من ذلك قولهم:

١- **(أغراه على الشعراء) و(يغري النفس إلى الهوى)**: فيعدونه بـ(على) و(إلى) ((كأنهم يقيسونه على شاقه وساقه))[٢] والصواب تعديتها بـ(الباء)، فيقال: (أغراه بالشعراء) و(يغري النفس بالهوى) أي يولعهما ويحضهما على ذلك، ولايقال أيضا (غراه) بتعديته بنفسه[٣].

فالفعل (أغرى) يتعدى بـ(الباء) لاغير إذا كان بمعنى الايلاع بالشيء وغيره جاء في التاج: ((وغري به كرضي غرا... أولع به ولزمه من حيث لايحمله عليه حامل فهو غر به...))[٤]. ويقال: غرر بنفسه، وغرر بماله إذا عرضهما للهلكة، جاء في العين: ((والغرر كالخطر وغرر بماله، أي: حمله على الخطر))[٥] واغترّ بالشيء: خدع به فهو مغرور[٦]، و((يقال: ما غرّك بفلان، أي: كيف اجترأت عليه))[٧]، ومنه في التنزيل العزيز: ﴿ ﴾[٨] ونقول: أغراه بفلان، أي: سلّطه عليه[٩]، قال تعالى: ﴿ ﴾[١٠] فالفعل أغرى كما نرى يتعدى بالباء لاغير في جميع معانيه.

٢- **(وأحطته علما بالمسألة)** أي: أنهيتها إليه، وأعلمته بها ((فيعدون هذا الفعل، وهو لازم لايتعدى، فيقال: أحطت بالأمر وأحطت به علما، ولايقال: أحطته علما ولا يعرف في هذه اللفظة غير هذا))[١١]، فالفعل (أحاط) يتعدى بـ(الباء) لا بنفسه، فيقول: أحطت بالأمر أي: علمته من جميع جهاته، جاء في العين: ((وكل من أحرز شيئا كله وبلغ علمه وأقصاه، فقد أحاط به يقال: هذا أمر ما

أحطت به علما..))[١٢]، وهو استعمال القران الكريم قال تعالى في قصة الهدهد: ﭽ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ﭼ[١٣] أي: علمته من جميع جهاته.

وتقول: أحاطت به الخيل واحتاطت به، أي: أحدقت به[١٤]، وأحاطت الخطيئة بفلان: لزمته، وأحيط بفلان: دنا هلاكه، وأحيط بالشيء: هلك[١٥]، ومنه في التنزيل العزيز: وأحيط بثمره[١٦]، فتعدي كل ذلك بالباء.

أما (حاطه) بمعنى حفظه وتعمده بجلب ما ينفعه ودفع ما يضره، فيتعدى بنفسه تقول: (حاط الشيء) أي: حفظه، جاء في العين: ((حاط يحوط حوطا وحياطة))[١٧]، أي: حفظ الشيء وصانه.[١٨].

وقد ورد الفعل لازما ومتعديا في قولهم: ((وحاطهم قصاهم وبقصاهم، إذا قاتل عنهم))[١٩]. وقد يرد (حاط) بمعنى (أحاط) وذلك في قولهم: ((حاط القوم بالبلد حوطا.... وحياطة: أحاطوا به))[٢٠].

٣- (همّ على الزواج) و(اهتم العرب للتاريخ) و (يهتم في إحباط مساعيهم) فيعدونه بـ(اللام وفي و على)، والصواب التعدية بـ(الباء)[٢١]. فـ((الهم: ما هممت به في نفسك))[٢٢]، وهو ((مصدر: هممت بالشيء همّا))[٢٣]. أي: عزمت على القيام به ولم افعله[٢٤].

واهتمّ له بأمره ويهتمّ به، أي: عني بالقيام به[٢٥]، فيتعدى جميع ذلك بـ(الباء) ليس إلا وعليه الاستعمال القرآني قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[٢٦] أما الهمّ بمعنى: الحزن والقلق فهو متعد بنفسه من ذلك قولهم: ((همّه الأمر همّا ومهمّة: إذا أحزنه وأقلقه))[٢٧].

هذا ما تسنى ذكره من أفعال تتعدى بـ(الباء) فقط، فيخطئون فيعدونها بنفسها، نحو قولهم: (لقبه كذا)[٢٨] أو بغير الباء من حروف الجر نحو: (تفاءل منه، وعلق فيه، ولاذ إليه، وعاش عليه، وغبطه على، وأخذه على،)[٢٩] والصواب في جميع ذلك التعدية بـ(الباء)[٣٠]

المبحث الثاني

ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وغيرها من حروف الجر

وردت مجموعة من الأفعال في اللغة العربية لازمة تتعدى بالباء في سياق معين وبغيره من حروف الجر في سياق آخر لكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بحرف الجر غير الباء في السياق الذي تتعدى فيه بـ(الباء) من ذلك قولهم:

١- **(ارتاب فيه) بمعنى:** اتهمه ورأى منه ما يريبه، فيعدون هذا الفعل في هذا السياق بـ(في) والصواب تعديته بـ(الباء)[٣١].

جاء في العين: ((وارتبت به، أي: ظننت به))[٣٢]، ويقال: استراب به إذا رأى منه ما يريبه، وارتاب به: اتهمه[٣٣]، ولكن صاحب الصحاح أورد هذا الفعل في هذا السياق متعديا بنفسه، وبـ(الباء)، اذ يقول: ((ورابني فلان: إذا رأيت منه ما يريبك... واستربت به إذا رأيت منه ما يريبك))[٣٤].

أما إذا كان المراد بالارتياب: الشكّ، فالفعل متعد بـ(في)، فيقال: (ارتاب فيه): شكّ[٣٥]. وجاء في المعجم الوسيط تعديته بكلا الحرفين في هذا السياق[٣٦].

ومن الجدير بالذكر أن تعدية (ارتاب) بـ(في) بمعنى الشكّ خطأ عند كل من الأستاذين: اسعد داغر[٣٧]، وزهدي جا رالله[٣٨]، والصواب عندهما التعدية بـ(من) ولم أقف على ذلك فيما اطلعت عليه من مصادر.

٢- **(تشاءم منه) فيعدون هذا الفعل بـ(من) والصواب تعديته بـ(الباء).**

يقال: تشاءم به: عدّه شؤما[٣٩]، ويقال: ((قد شامهم وشام عليهم كمنع... فهو شائم إذا جر عليهم الشؤم أو أصابهم شؤم من قبله))[٤٠]، فيعدون الفعل في هذا السياق بـ(على).

وأجاز الأستاذ محمد العدناني تعديته بـ(من) على تضمنه معنى تطيّر مع شيء من الحذر[٤١].

٣- **(طاف على النوادي)**، فيعدون هذا الفعل بـ(على) في هذا السياق والصواب تعديته بـ(الباء)[٤٢]، جاء في العين: ((فأما طاف بالبيت يطوف فالمصدر طواف))[٤٣]، فلم يقل: (على البيت) قال تعالى: چ ۓ ﮫ ﮬ ﮭچ[٤٤].

ومن تعديته بـ(الباء) أيضا قولهم: طاف بالقوم يطوف طوفا وطاف به الخيال: ألمّ به في النوم، وطاف بالنساء لاغير[٤٥] ((وأطاف بهذا الأمر، أي: أحاط به...))[٤٦].

أما تعديته بـ(على) فقد وردت في قولهم: ((وأطاف به وعليه: طرقه ليلا... وأطاف عليه: دار حوله))[٤٧] بمعنى: خدمه قال تعالى: چ ۋ ۋ ۆ ۆ چ[٤٨]

ويتعدى بـ(في) في قولهم: ((وطاف في البلاد طوفا وتطوافا وتطوّف: سار فيها...))[٤٩]، وأجاز الأستاذ محمد العدناني تعدية (طاف) بجميع ما تقدم [٥٠]، وفيه نظر فلكل سياق خصوصيته.

هذا ما يتسنى ذكره – على سبيل التمثيل لا الحصر – من أفعال تتعدى بـ(الباء) وغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه ومن ذلك أيضا قولهم: (صاح به وعليه[٥١]، وسامحه في الأمر وبه[٥٢]، وبطش به وفيه وعليه[٥٣]، وعاج به وعليه وعنه[٥٤]، وسعى به واليه وعليه وله[٥٥]، وعني به وفيه[٥٦]، وفتك به فيه[٥٧]، وبر به وفيه[٥٨]، وتطيّر به ومنه)[٥٩].

المبحث الثالث

ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وبنفسه

وردت مجموعة من الأفعال في اللغة متعدية بـ(الباء) وبنفسها في سياق واحد ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها تارة أو بـ(الباء) تارة أخرى، أو بحرف جر غير الباء من ذلك قولهم:

١- **(بصّره بالحقيقة) بمعنى:** عرفها وأوضحها، فيعدون الفعل بـ(الباء) ويخطّئون من يقول: (بصّره الحقيقة)، والصواب تعدية الفعل بـ(الباء) وبنفسه[٦٠].

يقول الزمخشري: ((بصّرته كذا، وبصّرته به: إذا علّمته إياه))[٦١] وفي المصباح المنير: ((ويتعدى الفعل بصّر بالتضعيف إلى ثان: بصّرته به تبصيرا))[٦٢] وفي تاج العروس: ((وبصّرته به: علّمته إياه))[٦٣].

فهو يتعدى بـ(الباء) وبنفسه بخلاف ما ذهب إليه الكرباسي[٦٤]، وزهدي جار الله من تعديته بنفسه[٦٥].

٢- **(سررت لقدومك) فيعدون الفعل بـ(اللام)**، والصواب تعديته بـ(الباء) وبنفسه، فتقول: سررت بقدومك، أو سرّني قدومك[٦٦].

جاء في مختار الصحاح: ((والسرور غير الحزن، وقد سرّه يسرّه بالضم سرورا ومسرة...))[٦٧] وقولهم: سررت برؤيته، وسرّني رؤيته[٦٨]، ويقال: أسرّ إليه المودة وبالمودة[٦٩]، قال تعالى: چچ ڇ ڇ چ[٧٠]، وقال جل شأنه: چڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چ[٧١]، فالفعل متعد بـ(الباء) وبنفسه.

هذا ما تسنى ذكره من أفعال تتعدى بـ(الباء) وبنفسها، ومن ذلك أيضا قولهم: (لذّه وبه [٧٢]، وتقاضى الدين وبه[٧٣]، وقبله وقبل به[٧٤]

المبحث الرابع

ما يتعدّى من الأفعال بنفسه وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر

وردت مجموعة من الأفعال في اللغة متعدّية بنفسها وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر، وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه لكن المتكلمين يخطئون فيجعلون هذا مكان ذاك من ذلك قولهم:

١- (بعثت إليه كتابا) و(بعثت إليه برسول) فيعدّون الأول بنفسه والثاني بـ(الباء)، والصواب: بعثت إليه بكتاب، وبعثت إليه رسولا.[٧٥] جاء في التاج ((بعثه كمنعه يبعثه بعثا: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره...))[٧٦].

يقول الشيخ مصطفى الغلاييني: ((فالمبعوث به مع غيره شخصا كان او شيئا تلزمه الباء تقول: (بعثت إليك بولدي) إذا أرسلته مع غيره، كما تقول: (بعثت إليك بكتابي) وذلك أن (بعث) تقتضي مبعوثا، فان كان مرسلا وحده عدّيت الفعل إليه بنفسه وان كان مرسلا به مع غيره عدّيته إليه بـ(الباء)، لافرق بين أن يكون المبعوث به شخصا أو شيئا كما رأيت))[٧٧]

فالفعل (بعث) يتعدّى بنفسه وبالباء كما ترى، ويتعدّى بـ(على) أيضا في قولهم: ((بعثه على الشيء حمله على فعله، وبعث عليهم البلاء: أحّله))[٧٨]

٢- (حدا به على السفر) بمعنى: دفعه، فيعدّونه بـ(الباء)، والصواب تعدّيته هنا بنفسه فتقول: حداه على السفر[٧٩]

جاء في المصباح المنير: ((وحدوته على كذا: بعثته عليه))[٨٠] أما إذا أردنا سوق الإبل وحثها على السير بالغناء، فنقول: ((حدا الإبل وحدا بها))[٨١]، فهو هنا متعدّ بنفسه وبـ(الباء).

هذا ما يتسنى ذكره من أفعال تتعدّى بنفسها وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه، ومن ذلك أيضا قولهم: (حلّ المكان وبه وله وعليه[٨٢]، وقال كذا وبكذا وعلى وفي وعن[٨٣]، ونسب الشيء وبه واليه[٨٤]).

المبحث الخامس

ما يتعدّى من الأفعال بنفسه

وردت بعض الأفعال في اللغة متعدّية بنفسها، ويلحظ أن المتكلمين يخطئون فيعدّونها بـ(الباء) من ذلك قولهم:

١- (كلّفه بكذا) بمعنى أمره فيعدون الفعل بـ(الباء) والصواب تعدّيته بنفسه[٨٥].

جاء في العين: ((وكلّفت هذا الأمر وتكلّفته))[٨٦] والتكليف: الأمر بما يشقّ عليك، يقال: قد كلّفه تكليفا[٨٧]، أما كلّفه بالأمر بمعنى: وكّله إليه فهي محدثة[٨٨]، وكَلُفَ بالشيء: أُولع به[٨٩]. فتتعدى بالباء.

٢- (التقى به) فيعدّون الفعل بـ(الباء)، والصواب تعدّيته بنفسه[٩٠]، فالمسموع عن العرب قولهم: لقيه ولاقاه وتلقاه والتقاه، أي: استقبله وصادفه[٩١]، ومنه في التنزيل العزيز: چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ چ[٩٢].

وجوّز الأستاذ كمال إبراهيم تعديته بـ(الباء) على إشرابه معنى (اجتمع) إذ يقول: ((وقد يجوز تعديتها توسعا؛ لأنها بمعنى اجتمع به))[٩٣]

الخاتمة:

بعد كل ما تقدم يمكنني إجمال نتائج البحث بالنقاط الآتية:

١- إن الفعل (ارتاب) بمعنى (شك) يتعدّى بـ(في) خلافا لما ذهب إليه كل من الأستاذين: اسعد داغر، وزهدي جا رالله من تعديته بـ(من).

٢- إن الفعل (طاف) يتعدّى بـ(الباء) و(في) و(على) بحسب السياق الذي يرد فيه خلافا للأستاذ محمد العدناني الذي أجاز تعدّيته بجميع ما تقدم من غير نظر إلى السياق الوارد فيه.

٣- إن الفعل (بصّر) بمعنى (علّمه الشيء) يتعدّى بـ(الباء) وبنفسه خلافا لما ذهب إليه كل من الأستاذين: زهدي جار الله والكرباسي من تعدّيته بنفسه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) شرح الكافية ٣٢٧/٢ وينظر: الكتاب ١٥٣/١، ومغني اللبيب ١٣٨/١ والجنى الداني ٣٧، وهمع الهوامع ٤١٧/٢.

(٢) تذكرة الكاتب ٧١.

(٣) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٥٨، و تذكرة الكاتب ٧١، والكتابة الصحيحة ٢٢٨.

(٤) تاج العروس ١٥٤/٣٩، وينظر: تهذيب اللغة ٩٥/٣، والمحكم ٤٩/٦، واللسان ١٢١/١٥ ومختار الصحاح ٦١٢، والقاموس المحيط ٩٩٥.

(٥) العين ٣٤٦/٤.

(٦) ينظر: العين ٣٤٦/٤، ومختار الصحاح ٦١٢.

(٧) مختار الصحاح ٦١٢.

(٨) الانفطار ٦.

(٩) ينظر: مقاييس اللغة ٤١٩/٤، وأساس البلاغة ٤٤٩، والكليات ٥٨٨/١، صبح الاعشى ١٧٧/٥، والكتابة الصحيحة ٢٢٨.

(١٠) الأحزاب ٦٠.

(١١) أغلاط الكتاب ١١ وينظر: الأفعال للسعدي ٢٥٥/١، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٧٠.

(١٢) العين ٢٧٦/٣-٢٧٧، وينظر: ادب الكاتب ١٠٨، وتهذيب اللغة ١١٩/٥، وأساس البلاغة ١٤٨، المخصص ٤/ ٣٦٨ وإكمال الاعلام ٥٩٤/٢ واللسان ٢٧٩/٧،.

(١٣) النمل ٢٢.

(١٤) ينظر: القاموس المحيط ٨٥٦، وصبح الاعشى ٣١٦/١٤، تاج العروس ٢٢٥/١٩ .

(١٥) ينظر: المعجم الوسيط ٢٠٨/١.

(١٦) الكهف ٤٢.

(١٧) العين٢٧٦/٣.

(١٨) ينظر: تاج العروس٢٢٥/١٩.

(١٩) المصدر نفسه٢٢٥/١٩.

(٢٠) المعجم الوسيط ٢٠٧/١.

(٢١) ينظر: تذكرة الكاتب ٧٤، والكتابة الصحيحة ٣٢٣، وأخطاء لغوية١٤٥.

(٢٢) العين٣٥٧/٣ وينظر: مقاييس اللغة١٣/٦.

(٢٣) إصلاح المنطق ١٢.

(٢٤) ينظر: المحكم١١١/٤، وشرح كتاب الامثال٣٩٩، تاج العروس١١٨/٣٤، والمعجم الوسيط ٩٩٥/٢.

(٢٥) ينظر: الجمهرة١٧٠/١، وأساس البلاغة ٧٠٦ة، والكليات ٣٧٢/١، واللسان ٣١٤/١٤ والمعجم الوسيط ٩٩٥/٢.

(٢٦) التوبة ٧٤.

(٢٧) تاج العروس١١٨/٣٤.

(٢٨) ينظر: تذكرة الكاتب ٥٧، ومعجم الأخطاء الشائعة ٢٣٠.

(٢٩) ينظر: الكتابة الصحيحة ٢٨٤، ٢٣٣، ٢٢٢، ١٩٠، ١٧٩، ٧، ومعجم الأخطاء الشائعة (اخذ٢٢، ، غبط١٨٤).

(٣٠) ينظر: في (تفاعل) المحكم ٢٤/٧، وأساس البلاغة٢٦٧، اللسان٣١٨/٤، والمصباح المنير ٤٨٤/٢، والقاموس المحيط١٣٤٥، ومعجم الأفعال المتعدية

بحرف١٦، وتاج العروس١٤٢/٠٣، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٧١، وفي (علق) أدب الكاتب٤٥، وإصلاح المنطق٤٥، وتهذيب اللغة ١٦٣/١، ومقاييس اللغة١٢٥/٤، والمحكم٢٠٩/١، والافعال٣٤٢/٢ واللسان٢٦١/١٠ ومختار الصحاح٤٦٧، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف٢٤٧، وتاج العروس١٨١/٢٦، والمعجم الوسيط ٦٢٢/٢. وفي (لاذ) العين١٩٩/٨، والجمهرة٧٠٢/٢، والاشتقاق٤١١، وتهذيب اللغة١٣/١٥، والصحاح ١٥٣/٢، ومقاييس اللغة ٢٢٠/٥، والمخصص٤٦٢/٣، والزاهر ٢٩٥/١، واللسان٥٠٧/٣، المصباح المنير ٥٦٠/٢، والقاموس المحيط٤٣١، وصبح الاعشى١٣٣/٧ومعجم الأفعال المتعدية بحرف٣٣٦، وتاج العروس ٤٧١/٩ والمعجم الوسيط ٨٤٥/٢، وفي (عاش) المحكم٢١٣/٢، واللسان٣٢١/٦، والمصباح المنير ٤٤٠/٢، وفي (غبط) الصحاح١٢/٢، ومعجم الافعال٢٥٤، وفي (اخذ) الصحاح٥٥٩/٢، والمحكم ٢٣٢/٥، واللسان٤٧٠/٣، والمصباح٦/١.

(٣١) ينظر: تذكرة الكاتب ٨٤، والكتابة الصحيحة١٠٥، ومعجم الأخطاء الشائعة ١١٠.

(٣٢) العين٢٨٨/٨.

(٣٣) ينظر: مقاييس اللغة ٤٦٣/٢ المحكم ٣٠٨/١٠، واللسان٤٤٢/١، وصبح الاعشى ٣/ ٥٥٧ ومعجم الأفعال و١٤٢ تاج العروس ٥٤٧/٢-٥٤٨.

(٣٤) الصحاح ١٤١/١ وينظر: الافعال ٦٢/٢. وأساس البلاغة ٢٦٢ واللسان ١٤١/١ والقاموس المحيط ١١٨-١١٩،

(٣٥) ينظر: تهذيب اللغة ١٨٢/١٥الصحاح ١٤١/١ واللسان ٤٤١/١ ومعجم الأخطاء الشائعة١١٠.

(٣٦) المعجم الوسيط ٣٨٤/١.

(٣٧) ينظر: تذكرة الكاتب ٨٤.

(٣٨) ينظر: الكتابة الصحيحة١٠٥.

(٣٩) ينظر: الصحاح ١٩٥٧/٥ وتهذيب اللغة ٢٩٩/١١، والمحكم ٩٥/٨، وأساس البلاغة ٣١٨، واللسان ٣١٤/١٢، المصباح المنير ٣٢٨/١، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٧٠، وتاج العروس ٤٤٧/٣٢ والمعجم الوسيط ٤٦٩/١.

(٤٠) تاج العروس٤٤٧/٣٢.

(٤١) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة١٢٧.

(٤٢) ينظر: الكتابة الصحيحة ١٧٩.

(٤٣) العين ٤٥٨/٧ وينظر: الجمهرة ٩٢١/٢، وتهذيب اللغة ٢٦/١٤، ومقاييس اللغة ٤٣٢/٣، والمحكم ٢٤٣/٩، وأساس البلاغة ٣٩٨، اللسان ٢٢٥/٩، المصباح المنير ٣٨٠/٢، والقاموس المحيط ١٠٧٧، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٢٣، وتاج العروس ١٠١/٢٤، والمعجم الوسيط ٥٧١/٢.

(٤٤) الحج٢٩.

(٤٥) ينظر: الافعال ٣٠٩/٢ و شرح كتاب الامثال ٣٢، وتاج العروس ١٠٦/٢٤.

(٤٦) العين ٤٥٨/٧ وينظر: أدب الكاتب ٢٦٣، وإصلاح المنطق ٢٦٠ ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٢٣.

(٤٧) تاج العروس ١٠٦/٢٤.

(٤٨) الإنسان ١٩

(٤٩) تاج العروس ٢٤ /١٠٦ وينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٢٣...

(٥٠) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة ١٥٧ .

(٥١) ينظر: إصلاح المنطق ٢٦١، وشرح كتاب الامثال ١٣٦، وأساس البلاغة ٣٦٧، والمصباح ٣٥٣/١، وتاج العروس ٥٦٠/٦، والمعجم الوسيط ٥٣٠/١ ونظرات في أخطاء المنشئين ٦٩.

(٥٢) ينظر: العين ١٥٥/٣، وتهذيب اللغة ٢٠٠/٤، وأساس البلاغة ٣٠٧، والمصباح المنير ٢٨٨/١، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٦١، وتاج العروس ٤٨٤/٦، والكتابة الصحيحة ٣٢.

(٥٣) ينظر: اللسان ٢٦٧/٦، والقا موس المحيط ٧٥٥ ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٨، وتاج العروس ٨٢/١٧، والكتابة الصحيحة ٣٤

(٥٤) ينظر: المحكم ٢٨٣/٢، واللسان ٣٣٦/٢ ومختار الصحاح ١٩٣، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٥١، وتاج العروس ١٣٠/٦، والكتابة الصحيحة٨١

(٥٥) ينظر: المحكم ٢٢١/٢، والافعال ١٧٢/٢ ومختار الصحاح ١٢٦، ، وتاج العروس ٢٨٠/٣٨ الكتابة الصحيحة ١٤٠.

(٥٦) ينظر: اللسان ٣٨٥/١٤، و مختار الصحاح ١٩٢، والمصباح المنير ٤٣٤/٢، تاج العروس ١٢١/٣٩، الكتابة الصحيحة ١٨٩.

(٥٧) ينظر: مقاييس اللغة ٤٧١/٤، وتهذيب اللغة ٨٦/١٠، والمحكم ٧٧٥/٦، وأساس البلاغة ٤٦٣، اللسان٤٧٢/١٠، القاموس المحيط ٢٢٦، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٦٨، تاج العروس ٢٩٠/٢٧، والكتابة الصحيحة٢٢٤

(٥٨) ينظر: أساس البلاغة ٣٦، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف١٦، تاج العروس١٥٢/١٠، والكتابة الصحيحة ٢٣٤

(٥٩) ينظر: مقاييس اللغة ٤٣٦/٣، وتهذيب اللغة ١٣٩/١٤، والمحكم ٢١٣/٩، وأساس البلاغة ٢٦٧، ومختار الصحاح ١٦٩، واللسان ٢٤/٣، ٥٠٨/١٤، والمصباح المنير٣٨٢/٢، ، تاج العروس ٤٥٣/١٢، والمعجم الوسيط ٥٧٤/٢.

(٦٠) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ١٨، ومعجم الأخطاء الشائعة ٣٨.

(٦١) أساس البلاغة ٤٠ وينظر: تهذيب اللغة ١٤٣/١٢، ومقاييس اللغة ٢٥٤/١، والمحكم ٣١٦/٨، واللسان ٦٤/٤-٦٥

(٦٢) المصباح المنير ٥٧/١.

(٦٣) تاج العروس٢٠٧/١٠.

(٦٤) ينظر: نظرات في أخطاء المنشئين ٦٠.

(٦٥) ينظر: الكتابة الصحيحة ٣٤.

(٦٦) ينظر: اللسان٣٦١/٤ والكتابة الصحيحة ١٣٣.

(٦٧) مختار الصحاح ١٢٤.

(٦٨) ينظر: أدب الكاتب ٣٢٢، تهذيب اللغة ٢٠٣/١، والمحكم ١٩٩/٥، ودرة الغواص ١١٧، اللسان ٣٦١/٤.

(٦٩) ينظر: الصحاح ٦٨٢/٢، المخصص ٣٤٧/٤، اللسان ٣٥٦/٤، المصباح المنير ٢٧٣/١، وتاج العروس ١٨/١٢ والمعجم الوسيط ٤٢٦/١.

(٧٠) الممتحنة١.

(٧١) التحريم٣.

(٧٢) ينظر: أساس البلاغة ٥٦٣، واللسان ٥٠٦/١٣، وتاج العروس ٤٦٧/٩

(٧٣) ينظر: تهذيب اللغة ١٧١/٩، والمحكم ٤٨٣/٦، وأساس البلاغة ٥١٣، واللسان ١٨٨/١٥، والقاموس ١٧٠٧ وتاج العروس ٣١٣/٣٩، نظرات في اللغة والادب ٧٨، وتذكرة الكاتب ٦٨

(٧٤) ينظر: اللسان ٧٠/٥، و مختار الصحاح ٢١٧، ، والقاموس ١٣٥١ وتاج العروس٣٠/ ٢١٤، ونظرات في اللغة ٧٩، وتذكرة الكاتب ١٣٨.

(٧٥) ينظر: نظرات في اللغة والأدب ٦٠، ومغالط الكتاب ٢٠، وقل ولا تقل ١٥٥، والكتابة الصحيحة ٣٥، ومعجم الأخطاء الشائعة ٣٩.

(٧٦) تاج العروس١٦٨/٥ وينظر: أدب الكاتب٢١٥، وتهذيب اللغة ٢٠٢/٢، والمحكم٩٦/٢، ودرة الغواص٢٨، واللسان١١٦/٢، والمصباح٥٢/١، ومعجم الافعال١٨.

(٧٧) نظرات في اللغة والأدب ٦٥.

(٧٨) تاج العروس١٧١/٥.

(٧٩) ينظر: مقاييس اللغة٣٥/٢، ومغالط الكتاب١٣٩، ومعجم الأخطاء الشائعة ٦٣.

(٨٠) المصباح المنير ١٢٥/١.

(٨١) تاج العروس ٤٠٨/٣٧ وينظر: تهذيب اللغة١٢١/٥، والصحاح٢٣١٠/٦، والمحكم ٤٨٧/٣، وأساس البلاغة ١١٧، ، واللسان ١٦٨/١٤ ومختار الصحاح ٥٤، القاموس المحيط ١٦٣٤.

(٨٢) ينظر: إصلاح المنطق٣٠١، والافعال٢٤٤/١ وأساس البلاغة ١٣٩، والمحكم ٥٢٥/٢، ومختار الصحاح ٦٣، والمصباح المنير ١٤٧/١، والقاموس المحيط ١٢٧٤، ، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٦٤، و نظرات في اللغة والأدب ١٧، وأغلاط الكتاب١٧.

(٨٣) ينظر: الصحاح ١٨٠٦/٥-١٨٠٧، والمحكم ٥٦٣/٦، وتذكرة الكاتب ٥٣، والكتابة الصحيحة ٢٤٨

(٨٤) ينظر: الصحاح ٢٢٤/١، والمحكم ٥٢٩/٨، واللسان ٧٥٥/١، والمصباح المنير ٦٠٢/٢، ومعجم الافعال ٣٧٧-٣٧٨، وتاج العروس ٩٦٨/١، وتذكرة الكاتب ٥٤، والكتابة الصحيحة ٧٤.

(٨٥) ينظر: أغلاط الكتاب ٧، ومعجم الأخطاء الشائعة ٢٢١.

(٨٦) العين ٣٧٢/٥ وينظر: الصحاح١٤٢٤/٤، واللسان٣٠٧/٩.

(٨٧) ينظر: الصحاح ١٤٢٤/٤ وتهذيب اللغة١٣٩/١٠، والمحكم٣٦/٧، وأساس البلاغة ٥٥٠ والكليات ٤٥٩/١، والقاموس المحيط ١٠٩٩، وتاج العروس ٣٣١/٢٤.

(٨٨) ينظر: المعجم الوسيط ٧٩٥/٢.

(٨٩) ينظر: مقاييس اللغة ١٣٦/٥، والافعال ٩٢/٣ والمحكم ٣٦/٧، واللسان ٣٠٧/٩، والقاموس المحيط ١٠٩٩، ، وتاج العروس ٣٣١/٢٤ والمعجم الوسيط ٧٩٥/٢

(٩٠) ينظر: تذكرة الكاتب ٣٨، وأغلاط الكتاب ٥٧-٥٨، ومعجم الأخطاء الشائعة٢٣٠.

(٩١) ينظر: أدب الكاتب ٤٣٣، الصحاح ٢٤٨٤/٦، والمحكم ٥٠٥/٦، ودرة الغواص١٨١ وأساس البلاغة٥٧١، ، واللسان ٢٥٣/١٥، وتاج العروس ٣٩/ ٤٧١-٤٧٢، والمعجم الوسيط٨٣٦/٢.

(٩٢) الانبياء١٠٣.

(٩٣) أغلاط الكتاب٥٨.

المصادر:

١- أخطاء لغوية: عبد الحق فاضل، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩.

٢- أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة التجارية مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣.

٣- أساس البلاغة: الزمخشري، دار الفكر، ١٩٧٩.

٤- الاشتقاق: لابن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.

٥- إصلاح المنطق: لابن السكيت، تحقيق: احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دارا لمعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٦.

٦- أغلاط الكتاب: كمال إبراهيم، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٥.

٧- الأفعال: علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

٨- إكمال الإعلام بتثليث الكلام: ابن مالك، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٤.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

١٠- تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.

١١- تذكرة الكاتب: اسعد داغر، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٢٣.

١٢- تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

١٣- جمهرة اللغة: لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

١٤- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

١٥- درة الغواص في أوهام الخواص: للحريري، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

١٦- الزاهر في معاني كلمات الناس: ابو بكر الانباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
١٧- شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
١٨- صبح الأعشى: القلقشندي، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
١٩- العين: الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢.
٢٠- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري، تحقيق: د.إحسان عباس، د.عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.
٢١- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
٢٢- قل ولاتقل: د مصطفى جواد، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٠.
٢٣- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
٢٤- الكتابة الصحيحة: زهدي جا رالله، مطبعة دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
٢٥- الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.
٢٦- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
٢٧- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
٢٨- مختار الصحاح: عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥.

٢٩- المخصص: لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
٣١- معجم الأخطاء الشائعة: محمد العدناني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣.
٣٢- معجم الأفعال المتعدية بحرف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي، د.ت.
٣٣- المعجم الوسيط: د.إبراهيم أنيس، د.عبد الحليم منتصر، وعطيه الصوالحي، ومحمد خلف الله احمد، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣.
٣٤- مغالط الكتاب ومناهج الصواب: الأب جرجي جنن البولسي، مطبعة القديس بولس حريصا، لبنان، د.ت.
٣٥- مغني اللبيب: ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد اله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥.
٣٦- مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
٣٧- نظرات في أخطاء المنشئين: محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٣.
٣٨- نظرات في اللغة والأدب: الشيخ مصطفى الغلاييني، مطبعة وزنكو غراف طبارة، بيروت، ١٩٢٧.
٣٩- همع الهوامع: السيوطي: تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

TRANSCENDING EFFECET TO DRAG LETTER IN LANGUAGE CORRECTIVE

THE AIM OF SEARCH IS TO DISCOVER THE MISTAKES EVENTS IN THE SPEAKERS WHEN THEY ARE IN TRANSITING TENSE WITH DRAG LETTERS

END WHNE THE BA LETTER IS THE BASIC DRAG LETTERS TO TRANSITING INTRANSITIVE TENSE THE REFORE MORE THAN ONE MISTAKE AMONG SPEA;ERS.

THE TRENSITING TENSE BY ITSELF FROM BA LETTER OR others drag letters or transiting tense without bu letter from transiting tense with or what transiting tense by itself end considering ba.

ASSISTANT PROFESSOR
DR.MOHANED JASSIM MOHAMED

معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية على شبكة الانترنت

دراسة تطبيقية على طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت لعام ٢٠١٠

أ.م.د سعد سلمان عبد الله
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الإعلام

مُقَدِّمَة

اقتحمت ثورة النشر الالكتروني جميع المجالات في عالم اليوم مثلما اقتحمته من قبل مطبعة جوتنبرج فتحقق لعالم النشر قفزة نوعية هائلة استفاد منها المجتمع الإنساني طوال القرون السابقة. وشهد النصف الثاني من القرن العشرين نقلة نوعية أخرى على مستوى الوسيلة التي ربما تؤثر في المضمون وفي شكل طريقة الكتابة. وكما جعلت آلة الطباعة الناس مدركين لعوالم أبعد من قراهم ومزارعهم، فان ثورة المعلومات تبني وتصهر ثقافة كونية واحدة من الاف الثقافات الصغرى(١). وقد شهدت السنوات الأخيرة ابتكارات عديدة في صناعة الاتصال نتيجة طلب السوق الاستهلاكية ودفع التكنولوجيا وقد تمثل في رغبة المستهلكين في الحصول على المعلومات بشكل فوري ودقيق والاتصال مع أماكن بعيدة جغرافياً والحصول على خدمات سريعة. وقد تميزت التكنولوجيات الجديدة بمجموعة من السمات أهمها سمة التفاعلية Interactivity إذ يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين بدلاً من مصادر، ولكون ممارسة الاتصال مع المتلقي ثنائية الاتجاه وتبادلية(٢).

وقد ظهر منذ عدة أعوام نموذج جديد في العمل الصحفي، يستغل كافة مميزات وتقنيات الانترنت يجعل من الخبر الصحفي موجهاً نحو الجمهور، وما يهم الجمهور وتصفية أو فلترة الأخبار، إذ يحصل القارئ على ما يهمه دون الالتفات الى الاهتمامات التجارية والإعلانية أطلق على هذا النموذج أسم: الصحافة التفاعلية Interactive Journalism. ووفقاً لهذا النموذج يتم الاعتماد على مستخدمي موقع ما لتزويده بالأخبار أو السبق الصحفي والذي يتم نشره بعد تصفيته من قبل مجموعة مركزية لتحليله، كما تقوم مجموعة أخرى من مستخدمي الموقع للتعليق على الأخبار مما يمنحها الموضوعية التي تفتقر إليها وسائل الإعلام التقليدية وتشبه هذه المواقع في أسلوبها منتديات الحوار، مع فارق تحكيم ما ينشر على المواقع[٣]. وفي المحصلة فان التطور أتاح للصحف والصحفيين إمكانات هائلة في هيئة نظام تكنولوجي جديد، وأصبح مفهوم التغطية الصحفية الاستقصائية باستخدام الكومبيوتر يشمل جمع وتحليل وعرض المادة الصحفية باستخدام وسائل وقواعد البيانات الالكترونية وتحليل السجلات الالكترونية العامة وبناء معلومات نموذجية موثقة[٤]. وفي عالمنا اليوم تتميز الصحافة الإلكترونية كونها صحافة تفاعلية فبإمكان القارئ التعليق على الخبر فور قراءته، والتواصل مع جمهور القراء ومناقشة الآراء والأفكار، وكذلك بإمكانه إرسال مشاركاته من الأخبار والمقالات ونشرها باسمه الصريح أو المستعار أو عن طريق صندوق تنشره الصحف الالكترونية العربية يتمكن عن طريقه من إضافة تعليقاته ومشاركاته. وذلك عن طريق وضع عبارة تحت كل موضوع من مواضيعها المنشورة على مواقعها الالكترونية يحمل عبارة (هل لديك تعليق على الموضوع؟) ويمكن لأي متصفح للموقع المشاركة برأيه مهما كان هذا الرأي سلباً أو إيجاباً ويمكن ملاحظة ذلك عن طريق موقع صحيفة الشرق الأوسط وصحيفة العربية نت وصحيفة إيلاف، وغير ذلك من المواقع، كما يمكن عن طريقه

ذلك مشاهدة وقياس مستوى تفاعل الجمهور مع المواد والمواضيع المطروحة على الموقع، وتخلو اغلب المواقع الالكترونية للصحف العراقية من هذه الميزة وهذا ما يجعلها بلا تفاعلية وبعيدة عن استقصاء آراء الجمهور ومعرفة رغباته وتوجهاته.

ويسلط هذا البحث الضوء على ظاهرة ملفتة للنظر وهي معوقات عدم وجود تفاعلية في مواقع الصحف العراقية الالكترونية، على الرغم من ربط العراق بشبكة الانترنت منذ أواخر عام ١٩٩٨[٥] وظهور الصحف الالكترونية العراقية ونموها لاسيما بعد التغيير الذي حصل في بنية الإعلام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، إلا إننا لم نجد في تلك المواقع لغاية اليوم (آذار ٢٠١٠) استخداماً للتفاعلية وهذه شكلت ظاهرة في الصحافة الالكترونية العراقية ينبغي الوقوف على أسبابها. ويأتي اهتمام الباحث بموضوع التفاعلية في الصحف الالكترونية العراقية انطلاقاً من قدرة التفاعلية على المشاركة بشكل فعال في تأسيس العراق الجديد من خلال ما يقدمه الجمهور المتفاعل مع الأحداث من وثائق ومعلومات قد لا تحصل عليها المؤسسات الاعلامية أو السلطات المختصة بسهولة كما انها تدعم مسيرة العدالة والديمقراطية والحريات في البلاد. كذلك يمكن اعتبار التفاعلية مقياساً لانتشار أية وسيلة إعلامية فمن خلال ردود الجمهور ومشاركاتهم يتوضح مدى انتشار رسائل الوسيلة الإعلامية بين الأوساط الجماهيرية. وتأتي في مقدمة الأسباب من عدم وجود تفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية هي إستراتيجية التعليم في العراق التي لم تتغير مع تغير واقع الإعلام العراقي وتطور تقنياته، إذ ان عالمنا اليوم يلزم ان يكون من أهم اهتمامنا: كيف نعمل على إنشاء عقل جديد للعالم الجديد لأننا في وضع لم يسبق له مثيل في تاريخنا. فمشاكل المستقبل لا يستطيع حلها أولئك الذين يتمسكون بعقلية وأسلوب الماضي، لان طرق تفكيرهم هي نتاج فكر لا يمكنه ولا يستطيع أن يتلائم مع

تحولات المستقبل وهي تحولات تختلف مشاكلها تماماً عن تلك التي تعودوا عليها وعايشوها ولذلك لا يمكن ان يتفهموا ويتعاملوا مع هذه المتغيرات المتسارعة(٦).

أهمية البحث:

تتمثل الأهمية الأكاديمية لهذا البحث في أنه يقدم مدخلاً جديداً في الدراسات الصحفية العربية في موضوع معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية، كذلك يقدم هذا البحث تأصيلاً نظرياً لمفهوم التفاعلية التي ازداد الحديث عنها باعتبارها أحد أهم سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة، بالإضافة لتطبيقه على عينة من الشباب الجامعي العراقي متمثلة في طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت. كما تتمثل الأهمية المجتمعية لهذا البحث في تصديه لدراسة ظاهرة يعاني منها الشباب الجامعي وهي عدم استخدامه للانترنت كشبكة معلومات دولية مهمة في تطوير معلومات ومهارات الطالب الجامعي.

مشكلة البحث:

يسعى هذا البحث الى الإجابة عن تساؤل رئيسي وهو ما هي معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية رغم وجود مناخ متاح لهذه التفاعلية من خلال هذه المواقع؟ مع الأخذ في الاعتبار أننا سنركز على إجراء استطلاع رأي عينة من الجمهور الذي يستخدم الانترنت حول المعوقات التي تحول دون استخدام الجمهور العراقي لإمكانيات التفاعلية المتاحة عبر مواقع الصحف الالكترونية على الانترنت رغم استخدامها من قبل اغلب مواقع الصحف الالكترونية العربية والأجنبية على الشبكة الدولية للمعلومات.

نوع البحث ومنهجه:

ينتمي هذا البحث الى الدراسات الاستكشافية الوصفية التي تهدف الى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية على شبكة الانترنت والمعوقات التي تعترض طريق تحقيقها. ويعتمد البحث على منهج المسح الذي يتم بموجبه جمع البيانات عن المتغيرات كما توجد في الواقع وذلك من خلال استمارة استبيان صممت لتخدم أهداف البحث.

عينة البحث:

تتكون عينة البحث من عينة عمدية من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت لعام ٢٠١٠ اختارها الباحث بطريقة عمدية طبقاً لما يراه من سمات أو خصائص تتوفر في أفراد تلك العينة بما يخدم أهداف البحث. فقد اختار الباحث هذه العينة لكونها تمثل المجتمع الذي يواجه أفراده معوقات شتى في استخدام شبكة الانترنت ومن بينها عدم وجود التفاعلية في استخدامه لمواقع الصحف العراقية.

أدوات تحليل البيانات:

في إطار منهج المسح تم الاستعانة باستمارة استبيان تتضمن المتغيرات التي يمكن من خلالها معرفة أسباب عدم توافر التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية. وقد اشتملت تلك الاستمارة على عدد من الأسئلة استهدفت استثارة الأفراد المبحوثين بطريقة منهجية ومقننة لتقديم حقائق وآراء معينة في إطار البيانات المرتبطة بموضوع البحث وأهدافه دون تدخل الباحث في التقرير الذاتي للمبحوثين في هذه البيانات(٧).

الإطار النظري للبحث:

يعتمد هذا البحث في إطاره النظري على توضيح المعوقات التي تحول دون التفاعلية بالنسبة لمستخدمي مواقع الصحف الالكترونية العراقية. كذلك توضيح مفهوم التفاعلية وأبعاده المختلفة، فقد بدأ الاهتمام بدراسة التفاعلية في الدراسات الأجنبية منذ

منتصف الثمانينات من القرن الماضي حينما أشار إليها روجرز باعتبارها أحد أهم سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة. ويشير هذا المفهوم إلى ان المتلقي يتجاوز مرحلة قراءة النص أو الاستماع إلى الرسالة الاتصالية لينتقل إلى مرحلة المشاركة فيها لتصبح بذلك وسيلة الاتصال ثنائية الاتجاه[٨].

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أية دراسة سابقة عن معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية. وقد اطلع الباحث على دراسات مجاورة للموضوع تناولت التفاعلية في الصحف الالكترونية ومن أهم تلك الدراسات نجد ما يأتي:

١- **دراسة نجاح حسن عباس** والموسومة التفاعلية في المواقع الالكترونية للصحف العراقية اليومية – دراسة مسحية وهي رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٩ تناولت التفاعلية في المواقع الإلكترونية وصحافة الإنترنت. وقد ركز الباحث في الفصل الميداني من الرسالة على موضوع مدى توافر واستخدام الأدوات التفاعلية المتاحة على الإنترنت في المواقع الإلكترونية للصحف العراقية اليومية طيلة فترة البحث البالغة ثلاثين يوماً والمحصورة بين ٢٠٠٨/٧/١ إلى ٣٠/ ٢٠٠٨/٩ وقد انحصرت مشكلة البحث في دراسة وفهم التفاعلية في المواقع الإلكترونية للصحف العراقية اليومية كشكل من أشكال الصحافة الإلكترونية العراقية للتعرف على هذه الخاصية المهمة بملاحظة التفاعل بين المُستقبِل والوسيلة الإعلامية تارة وبين الوسيلة الإعلامية والمُستقبِل تارة أخرى.

٢- **دراسة هناء كاظم كاصد**[٩]: ركزت الباحثة في دراستها (المواد الإخبارية في الانترنت المنشورة في الصحافة العراقية) على مدى اعتماد الصحف العراقية على الانترنت كمصدر للمعلومات ولكشف ذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي

لوضع تصور دقيق لخصائص الظاهرة موضوع الدراسة، فضلاً عن أسلوب تحليل المضمون لمعرفة مدى اهتمام وسائل الإعلام (الصحف) بالموضوعات الإعلامية المختلفة، وأخيراً المقابلة للتعرف على الحقائق والتأكد من المعلومات بشكل دقيق. واتضح من هذه الدراسة ان الصحف العراقية تعتمد على الانترنت كمصدر للمعلومات بدرجات متفاوتة. وتوصلت الباحثة الى عدد من النتائج أبرزها، ان الانترنت يعد اكبر مصدر للمعلومات لوسائل الإعلام فضلاً عن كونه إحدى وسائل الإعلام بسبب ما لديه من مزايا وسائل الإعلام مثل (اللامكان، واللازمان، والتفاعلية، والمجانية، والربط الدائم، تنوع التطبيقات، السهولة).

٣- **دراسة جاسم محمد شبيب**[١٠]: اختار الباحث في دراسته (حدود تطبيقات تكنولوجيا الاتصال في الصحافة العراقية مع دراسة لاستخدام الوسائط المتعددة في الصحافة الالكترونية العراقية) ثلاثة مواقع الكترونية تمثل صحفاً عراقية ذات إصدار يومي منتظم كمجتمع متاح لتمثيل المجتمع الأصلي وهي (الموقع الالكتروني لصحيفة الصباح والموقع الالكتروني لصحيفة الزمان والموقع الالكتروني لصحيفة الاتحاد) مستخدماً منهج الدراسات المسحية، إذ قدم البحث وصفاً لتطبيقات تكنولوجيا الاتصال والوسائط المتعددة في الصحافة الالكترونية العراقية وقياس مستوى الاستخدام فيها، كما استعان الباحث بالمنهج التاريخي، كما تم تصميم استمارة التحليل وتحديد فئاتها وبواقع (١٣) فئة لتطبيقات تكنولوجيا الاتصال و(٩) فئات في استخدام الوسائط المتعددة في المواقع الالكترونية عينة البحث وتم تعريف الفئات مع اختيار الأدوات التي تمثل الإجابة عن هذه الفئات، كما تم استخدام الملاحظة والمقابلة كأدوات لاستكمال معلومات البحث. وتوصل الباحث في دراسته إلى عدد من النتائج أبرزها، إن المواقع الالكترونية الصحفية العراقية اليومية تضع المحتوى نفسه من الأخبار والتحقيقات

والمعلومات المخصصة للصحيفة المطبوعة. وان المواقع الالكترونية الصحفية العراقية ما زالت تتصل إداريا بشكل كامل مع الصحيفة الورقية المطبوعة، وتخلو من وجود صحفيين (محررين) متخصصين بالصحافة الالكترونية، كما لم تستخدم المواقع الالكترونية الصحفية العراقية تطبيقات تكنولوجيا الاتصال كافة، كما لم تستعمل الصوت والفيديو والرسوم المتحركة في الوسائط المتعددة في عملها.

٤- **دراسة صادق حمه غريب حمه صالح**[١١]: اختار الباحث في دراسته (الصحافة الالكترونية الكردية – دراسة مسحية للصحف الالكترونية الكردية) ثلاث صحف الكترونية هي (كلاَوروِژنه، ده نگه كان، كوردستان نت)، كنموذج للصحافة الالكترونية الكردية مع التركيز على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في كردستان العراق، مستخدما المنهج الوصفي، وتوصل الى عدد من النتائج أبرزها: ان تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في إقليم كردستان ليست في المستوى المطلوب وبحاجة إلى دعم وتطوير، وان هناك ندرة في الكادر الصحفي المؤهل للتعامل مع واقع صحافة اليوم وتكنولوجيا الاتصال والإعلام الجديد، وإن الأغلبية من شعب كردستان ليست لديه أدوات ووسائل لكي يطلع على المواقع والصحافة الالكترونية الكردية، وعدم استخدام الانترنت كوسيلة اتصال جماهيرية في كردستان لأسباب كثيرة منها ارتفاع كلفة الاشتراك والاتصال، وبطء الخدمة من حيث سرعة التحميل ووجود عقبات سياسية واجتماعية، وقلة عدد المواقع الكردية الفاعلة على شبكة الانترنت، فضلاً عن كون الصحف الالكترونية الكردستانية مجرد نسخ كربونية من الصحف المطبوعة، ولم تستخدم الصحف الالكترونية قيد البحث غرف الحوار الحي (الدردشة) التي تعد احد أهم مميزات الصحافة الالكترونية، كما اعتمدت الصحف الالكترونية المسار الخطي في تقديم

معلوماتها إلى القارئ، وهي بذلك لا تطرح أمامه خيارات مختلفة يمكن ان يتبعها في التعامل مع المواد المنشورة، فضلاً عن عدم الإفادة من الإمكانات المتاحة للانترنت، بسبب حداثة تجربة الصحافة الالكترونية الكردية من جهة وضعف الإمكانات المادية من جهة أخرى. كما لا تقوم الصحف الالكترونية الكردية بتحديث موادها بشكل يومي بل تتأخر في ذلك.

وتعد الدراسة التحليلية التي قامت بها الدكتورة نجوى عبد السلام فهمي من كلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان (التفاعلية في المواقع الإخبارية العربية على شبكة الانترنت) من أهم الدراسات العربية التي تناولت موضوع التفاعلية إذ اهتمت فيها بمسح التراث العلمي المرتبط بدراسة المواقع الإخبارية المتاحة من خلال شبكة الانترنت والمجالات التي اهتمت فيها بدراسة التفاعلية فيها.

أما أهم الدراسات الأجنبية في هذا المجال فنستعرض ما يأتي[١٢]:

١- اهتم Bromley (١٩٩٥) بدراسة مدى تأثير التفاعلية المتاحة عن طريق شبكات الكومبيوتر على استخدام وسائل الاتصال التقليدية من صحف وراديو وتلفزيون وقد خلصت الدراسة الى ان استخدام شبكات الكومبيوتر لا تؤثر على الوقت الذي يقضيه الفرد باستخدام وسائل الاتصال التقليدية.

٢- اجرى Mueller (١٩٩٥) دراسة حول تفضيلات القراء للصحف الالكترونية وذلك عن طريق دراسة شبه تجريبية على مجموعة من دارسي الإعلام في المرحلة الجامعية وأشارت نتائج الدراسة الى تزايد الإحساس بالرضاء عن تجربة قراءة الصحيفة الالكترونية.

٣- ركزت دراسات أخرى على التفاعلية من زاوية إدراك المتلقي لها وهو ما أشار اليه Newhagen في دراسته التي أجراها عام ١٩٩٥ حول البريد الالكتروني الذي يرسله مشاهدو محطة NBC الأمريكية حيث ركز على المتغيرات النفسية

للمتلقي باعتبارها المتحكمة في إدراكه للتفاعلية وخلص من دراسته الى ان البريد المرسل الى محطة التلفزيون الأمريكية NBC كان يتسم بالشخصية والحميمية بما يعكس إحساس المرسل بعمق العلاقة بينه وبين القائم بالاتصال.

٤- كشفت دراسة Tankard التي أجراها عام ١٩٩٨، حول مدى استخدام الصحف الالكترونية الأمريكية للإمكانيات التي تتيحها الانترنت كوسيلة نشر جديدة عن ان ٥٧% من الصحف الالكترونية الأمريكية تقوم بتحديث المادة الخبرية المنشورة بها كل ٢٤ ساعة، وان ٩٤% من القصص الخبرية التي تم تحليلها لا تحتوي على وصلات، وكانت ٥% منها تضيف قائمة بالوصلات في نهاية المادة الخبرية و ٢% فقط تتيح الوصلات خلال النص الخبري، أما فيما يتعلق باستخدام الوسائط المتعددة فتشير الدراسة الى ان ٧٧% من الصحف الالكترونية محل الدراسة تتضمن صوراً فوتوغرافية ولكن اقل من ١٠% من مواقع الصحف الالكترونية تقدم رسوماً متحركة أو مسامع أو مشاهد فلمية أو رسوماً بيانية وفيما يتعلق بالتفاعلية أشارت الدراسة الى ان ٧٤% من الصحف الالكترونية تنشر عنوان للبريد الالكتروني لأحد محرريها، وقد أشارت ٤٩% من الصحف الالكترونية انها ترد على كل الرسائل الالكترونية التي تصل[١٣].

٥- أشار Xigen Li في دراسته عام ١٩٩٨ إلى ان النموذج التقليدي للاتصال الذي يشير الى ان الرسالة تنتقل من مصدر الى العديد من المستقبلين تحول مع ظهور الانترنت كوسيلة اتصال الى نموذج اتصال تنتقل خلاله الرسالة من عدة مستخدمين إلى عدة مستخدمين وهو ما يعطي الجمهور سيطرة اكبر على مضمون الوسيلة.

٦- أجرى Tanjev Schultz عام ١٩٩٩ دراسة استطلاعية تحليلية لمائة جريدة الكترونية أمريكية لبحث إمكانيات التفاعلية المتاحة من خلالها وتوصل الى

مجموعة من النتائج تتمثل في ان ثلث الصحف الالكترونية الأمريكية التي خضعت للدراسة توفر لقرائها ساحات للمناقشة وان ١٦% فقط من الصحف الالكترونية الأمريكية التي خضعت للدراسة اهتمت بتوفير تفاعلية مع النص من خلال الوسائط المتعددة[١٤].

المبحث الأول

معنى التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية

شهد العصر الحالي سرعة فائقة في صناعة وسائل الاتصال وتطويرها، سيما في مجال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات الالكترونية، وتجسدت ثورة الاتصال عبر اندماج وتزاوج ظاهرة تفجر المعلومات ووسائل الاتصال وتعدد الاتصال وتعدد أساليبها. أو بمعنى آخر المزج بين أكثر من تكنولوجيا اتصالية تمتلكها أكثر من وسيلة لتحقيق الهدف النهائي وهو توصيل الرسالة الاتصالية وهي ما أطلق عليها التكنولوجيا التفاعلية INTERACTIVE TECH. ويمكن القول ان تلك التكنولوجيا تسعى الى تخليص الإعلام من التلقي السلبي، أي ظهور التفاعلية، إذ يعطى المشارك دوراً مؤثراً في عملية الاتصال إذ يتبادل المستقبل دوره مع المرسل بطريقة ايجابية[١٥].

وتشير بعض القواميس إن (Interactive) هي مصطلح يشير الى قيام مستخدم بإرسال بيانات ثم ينتظر استجابة من الجهة التي راسلها قبل أن يواصل مهامه[١٦].

ويعرف بعضهم التفاعلية (Interactivity) بأنها تعني "الاتصال في اتجاهين بين المصدر والمتلقي أو بصفة أوسع الاتصال المتعدد الاتجاهات بين أي عدد من المصادر والمتلقين"[١٧].

ويجد الباحث ان ما ذهب اليه الصادق الحمامي رئيس تحرير موقع البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال في تعريفه للتفاعلية هو الأقرب إليه، إذ عرفها بأنها: "الإمكانات المتوافرة للجمهور للتواصل مع الصحفي ورد الفعل على ما يقرؤه ويشاهده ويسمعه"(١٨).

ويرى فايز عبد الله الشهري إن التفاعلية عبر الإنترنت تعني تمكن القارئ من استخدام وسائط تسمح له بالتواصل مع الصحيفة وكتابها عن طريق غرف الحوار الفورية ومنتديات النقاش وخدمة البريد الالكتروني التي توفرها كل الصحف كجزء من الطبيعة الاتصالية لشبكة الإنترنت. والتفاعلية ليست كما يعتقد البعض بأنها الإمكانات المتوفرة لانتقاء البرامج' بل تعني الفرص المتاحة للفرد للمشاركة في إنتاج المضامين الإعلامية، إذ يستعمل الصحفيون المواقع الالكترونية مجالا لتعزيز العلاقة مع القارئ والمشاهد والمستمع خارج إطار المشاهدة والاستماع والقراءة، كما توفر الإنترنت إمكانية إنشاء المدونات للصحفيين حتى ينشروا أفكاراً وموضوعات خارج إطار إنتاجهم المعتاد(١٩).

كما تتيح التفاعلية إمكانية التحكم بالمعلومات والحصول عليها وإرسالها وتبادلها عبر البريد الإلكتروني، وأهم خاصية أضافتها شبكة الإنترنت في هذا المجال هي عملية التفضيل الشخصي للمعلومات ويتيح هذا التميز إمكانية الموقع الإخباري اختيار الموضوعات والمقالات الإخبارية أو خدمات يرغب المستخدم في الحصول عليها بشكل مسبق(٢٠).

ويعد علماء الاتصال، التفاعلية (Interactivity) أهم سمة من سمات الاتصال عبر الإنترنت، وتظهر التفاعلية أكثر وضوحا في برامج التخاطب النصي والصور عبر الإنترنت (Chatting) وخدمات البريد الإلكتروني إذ تتيح مواقع الإنترنت للمتصفح إمكانية الرد على الرسائل المعروضة ومخاطبة المرسل في الحال

ويتم الحكم على نجاح موقع الإنترنت بما يقدمه من خدمات تفاعلية بين مستخدمي الموقع(٢١).

وقد تمثلت أهم الخصائص الاتصالية للصحافة الإلكترونية على الشبكة الدولية للمعلومات بالتغطية الصحفية التفاعلية التي أتاحت إمكانات التفاعل الإيجابي بين القراء والصحفيين، وتزيد من مشاركة القراء في أداء الأعمال الصحفية، حيث أصبحت السيادة في الصحافة الإلكترونية الحديثة للقارئ، الذي أصبح بمقدوره ان يكون مشاركاً نشطاً في خلق محتوى وسيلة الاتصال التي يرغب في التعرض لها، ولذا فان التفاعلية الحقيقية ينبغي لها ان تشجع المتلقي على المشاركة الايجابية في تلقي المادة الإخبارية(٢٢). وقد ظهرت التفاعلية على شكلين يتمثل الأول في الاتصال التفاعلي المباشر وهو النمط الذي تحقق فيه التفاعلية بشكل مباشر، ويتم عبر مشاركة القراء في غرف الحوار التي تنشئها الصحف لتبادل الحوار بين المحررين والقراء حول القضايا المختلفة، وأيضا يتحقق هذا النمط من التفاعلية من خلال خدمة المرسال التي تسهم في تحقيق الاتصال المباشر بين إدارة الصحفية ومحرريها، كما تتيح للمحررين إمكانية الاتصال المباشر بمصادرهم لإجراء الأحاديث الصحفية، كما يمكن للصحف الإليكترونية الإفادة من خدمة الاجتماع على الشبكة وذلك في عقد الاجتماعات الإلكترونية بين المحررين. أما النمط الثاني فهو الاتصال التفاعلي غير المباشر وتتمثل في أهم خدمات الاتصال غير المباشر التي تنتجه الصحف الإلكترونية في البريد الإلكتروني، والذي يسمح بإرسال رسائل القراء الإلكترونية والتي تتضمن تعليقاتهم إلى الصحف التي يتعرضون لها، أيضاً هناك خدمة القوائم البريدية والتي تعمل عن طريقها الصحيفة على تزويد المشتركين فيها عبر البريد الإلكتروني بعناوين الموضوعات التي تطرحها وتتلقى منهم بالطريقة نفسها ملاحظاتهم حول هذه الموضوعات مثلما تفعل صحيفة نيويورك تايمز، وصحيفة الحياة. إن أية عملية

اتصالية تعني (وجود من يقوم بالاتصال وهو المتصل، وقد يكون شخصاً اعتيادياً أو معنوياً: مؤسسة – شركة – وزارة – الخ، وهو الطرف الذي يبادر بالاتصال إذ يقوم بتوجيه رسالة إلى شخص أخر أو أشخاص عديدين)(٢٣).

لقد ظلت التفاعلية لفترة طويلة مفهوم أساسي حاولت نماذج الاتصال المختلفة إضافته وتوضيح أبعاده، إلا أنه لم يتم الاتفاق على تعريف واضح لهذا المصطلح مما أوجد العديد من التعريفات المختلفة للتفاعلية وفقاً لمجالات التخصص المتنوعة التي يتوافر فيها نوع من التفاعلية فهو مفهوم متعدد الأبعاد والاستخدامات، فالتفاعلية تعتبر مفهوماً تكاملياً تهتم به العديد من التخصصات البحثية. وحينما أضاف وينر عام ١٩٤٨ رجع الصدى الى نموذج شانون وويفر بدأ أول اهتمام بدراسة الاتصال كعملية ديناميكية بين المرسل والمستقبل لإعادة المعلومات للمرسل حتى يستطيع ان يقرر ما إذا كانت الرسالة حققت أهدافها من عدمه، ومع ظهور تكنولوجيا الاتصال الحديثة مثل الكومبيوتر والفديوتكست والموبايل ازداد الاهتمام بدراسة التفاعلية(٢٤).

ثم جاءت دراسة رفائيل عام ١٩٨٨ لتعرف التفاعلية باعتبارها القنوات التي يمكنها نقل رد فعل الجمهور الى المرسل. وقد ركز رفائيل في دراسته الرائدة حول التفاعلية في وسائل الاتصال الحديثة على مفهوم الاستجابة حينما عرف التفاعلية بأنها التعبير الذي يبديه مستقبل الرسالة عقب عملية استقبال الرسالة ويكون مرتبطاً بها ويصل الى المرسل عبر نفس وسيلة الاتصال، أو بعبارة أخرى مدى قدرة وسيلة الاتصال على نقل استجابات المستقبل الى المرسل وهو بذلك ابتعد بمفهوم التفاعلية عن مفهوم رجع الصدى الذي يمكن الوصول اليه من خلال بريد القراء أو اتصالاتهم التلفونية وغيرها من أساليب التعبير عن رجع الصدى التي تتم عبر وسائل أخرى غير وسيلة الاتصال ذاتها التي تنقل الرسالة. وقد عرف Durlak التفاعلية بإنها: العملية التي يتوافر فيها التحكم في وسيلة الاتصال عن طريق قدرة المتلقي على إدارة عملية الاتصال عن بعد. كما عرفها Refaeli التفاعلية بإنها: أحد القنوات التي يمكنها نقل رد فعل الجمهور إلى المرسل ووصفها بالاستجابة(٢٥).

ثم أشار وليامز في دراسته عام ١٩٨٨ الى ان التفاعلية تعبر عن الدرجة التي يسيطر فيها المتلقي على عملية الاتصال ويتبادل الأدوار مع المرسل وهو ما جعل التفاعلية تركز على قدرة المتلقي على الاستجابة للرسالة وبدأ النظر الى التفاعلية باعتبارها قدرة الوسيلة على نقل استجابة لاحقة لعملية تلقي الرسالة وهو ما جعل باحثي الاتصال يربطون بين تفاعلية وسيلة الاتصال والعوامل النفسية والسلوكية لدى المتلقي. ومن ناحية أخرى حاول لوريل عام ١٩٩١ تشبيه تفاعلية المستخدم للكومبيوتر بالتفاعلية المتاحة من خلال المسرح وحددها في ثلاث سمات رئيسة هي التردد الذي يحدد عدد المرات المتاح فيها لمستخدم الكومبيوتر التفاعل معه ومجال الاختيار واستنتاج الدلالة. أما Steuer فقد ركز في دراسته عام ١٩٩٢ على مفهوم التفاعلية باعتبارها مدى قدرة المتلقي على تعديل مضمون وشكل الرسالة الاتصالية في الوقت الحقيقي للاتصال. أما Ha & James فقاما عام ١٩٩٨ بتعريف التفاعلية بأنها المدى الذي يمكن فيه للمرسل والمستقبل أن يتبادلا الاستجابة للرسالة الاتصالية التي يرسلها كل من المرسل والمستقبل وهما بذلك يضعان في الاعتبار اختلاف الاحتياجات الاتصالية للمستقبل، فأحياناً ما يكتفي المستقبل بتلقي الرسالة الاتصالية والتمتع بحرية الإبحار بين مواقع الانترنت المختلفة وانتقاء التعرض لبعض الرسائل دون غيرها وأيضاً دون الاتصال بمصدر الرسالة وأحياناً ما يرغب المستقبل في تبادل رسائل مع مصدر الاتصال(٢٦).

وقد أضافت التفاعلية في الصحف الالكترونية شكلاً جديداً لنظام الاتصال يقوم على تحول المتلقي إلى مرسل وهو ما غيرت به نظم الاتصال التي ظلت باتجاه واحد فقط لمئات السنين. وتأتي التفاعلية كأهم وأقوى الملامح المميزة للنشر الفوري، وهي طريقة أو أسلوب في الاستخدام أكثر من كونها منتج محدد، وهي سمة خاصة بعملية أكثر منها كمنتج اتصالي ويمكن أن تأخذ مستويات مختلفة. وقد تم تعريف مفهوم التفاعلية من قبل الباحثين على انه أحد امكانيات القوى الدافعة نحو انتشار استخدام وسائل الإعلام الجديدة(٢٧).

المبحث الثاني

نشأة وتطور الصحف الالكترونية العراقية

دخلت الصحافة الإلكترونية في العراق عهداً جديداً بعد نيسان ٢٠٠٣ ولكنها كانت مقصورة على المؤسسات في تبادل المعلومات الخاصة بالمسؤولين، بينما الصحافة الإلكترونية مؤسسة متقدمة في العالم. ولعل من الجدير بالملاحظة أن مُعظم العاملين في وسائل الإعلام العراقية لا يملكون مقومات العمل الإعلامي في الصحافة الإلكترونية. وعلى الرغم من امتلاك الإعلام العراقي لأكثر من خمسة عشر ألف ١٥٠٠٠ إعلامي عامل في نقابة الصحفيين العراقيين ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ منهُم يعملون في مجال الإعلام والصحافة الإلكترونية الا ان الكثير منهم يفتقرون إلى معايير الدقة والموضوعية والمهنية(٢٨).

وتعتمد الصحف العراقية الإلكترونية المتوافرة على الإنترنت في بثها للمادة الصحفية على ثلاث تقنيات هي تقنية العرض كصورة وتقنية PDF وتقنية النصوص وهذه التقنيات تختلف فيما بينها على مستوى عرض وتخزين المادة الصحفية ولكنها تجتمع في عدم إمكانية البحث والاسترجاع الآلي لمعلومات معينة من الطبعات اليومية الجارية أو اليومية أو من الطبعات السابقة المتوفرة آلياً. وبعض الصحف العراقية الإلكترونية لا تتوافر بشكل يومي على الإنترنت والبعض الآخر يتيح إلكترونياً بعض ما ورد في الطبعة اليومية الورقية، فقط قلة من الصحف العربية الإلكترونية تلتزم بالإصدار اليومي الإلكتروني من دون قصور.

ويأتي تزايد انتشار الصحف العراقية الإلكترونية في وقت تواجه الصحافة المطبوعة عدة تحديات منها: ارتفاع تكلفة إصدار الصحف، وقلة عوائد التوزيع، وتراجع الدخل الإعلاني، ووجود جيل قديم تشبع بآليات صحفية سابقة، أصبح من المحتم والضروري تطويرها.

ويمكننا من خلال تصفح مواقع الصحف الالكترونية العراقية تقسيم تلك الصحف إلى أربعة أنواع هي:

١- نسخ إلكترونية من صحف مطبوعة ورقياً معروفة باسمها وتاريخها، وما تقدمه مجرد نسخة إلكترونية طبق الأصل لما تقدمه الصحيفة الورقية.
٢- صحف إلكترونية تحمل اسم الصحيفة الورقية، لكنها تختلف عنها في محتواها وخدماتها وتوجهاتها، وتعتمد على التحديث المستمر واستطلاع الرأي والتفاعلية.
٣- صحف إلكترونية ليس لها أصل ورقي.
٤- مواقع وكالات أنباء عراقية تقدم خدماتها عبر شبكة الانترنت وتقوم بتغطية جميع الأحداث العالمية وتعرضها في الموقع.. فضلاً عن خدمة الأخبار والمعلومات التي تتواصل بها مع المتلقي عبر البريد الإلكتروني(٢٩).

ومن المؤشرات التي نستطيع تثبيتها على الصحف الالكترونية العراقية التي نمت لاسيَّما بعد عام ٢٠٠٣ ما يأتي:

١- إن الصحافة الإلكترونية في العالم قد سبقت التجربة العراقية في هذا الميدان بنحو ربع قرن من التجارب الإلكترونية والشبكية، وأصبحت تمتلك درجة من النضج والمعرفة بميزات النشر الشبكي الإلكتروني مكنتها من الوجود في شبكة الإنترنت بمجرد ظهورها، أما بالنسبة للصحافة العراقية فالأمر مختلف، إذ لم تكن لها تجارب سابقة في النشر الإلكتروني، وبالتالي تأخرت في اللحاق بعالم الإنترنت.
٢- انتشار استخدام الإنترنت قد فرض نفسه على العملية الصحفية، إذ أن الخصائص التي وفرتها النظم الرقمية أصبحت دالة على تميزها، لاسيَّما التفاعلية على غرار تجربة صحيفة الواشنطن بوست الالكترونية التي تضمنت نصوصاً ورسومات وصوراً ولقطات فيديو وموسيقى ووسائل سمعية وتم تصميمها لاستخدامها في أجهزة الكومبيوتر(٣٠). وعلى الرغم من تعميم هذه التجربة في بعض الصحف الالكترونية العربية الا ان الصحف الالكترونية العراقية لا تزال بعيدة عن خاصية التفاعلية.
٣- تحمل الصحافة الإلكترونية السمات الخاصة التي تميزها مثل: التغطية الصحفية الفورية، التغطية الصحفية الحية، التغطية الصحفية المتعمقة، التغطية الصحفية

التفاعلية، التغطية الصحفية الرقمية، التغطية الصحفية المتعددة الوسائط، التغطية الصحفية المستمرة، التغطية الصحفية اللامحدودة(٣١).

٤- لم يعد مفهوم الصحافة حكراً على المؤسسات الصحفية بالمعنى التقليدي في الصحافة المطبوعة، لذلك يمكن النظر في مستويات إفادة الصحف من شبكة الانترنت عن طريق مستويات عدة منها: الانترنت كمصدر للمعلومات، والانترنت كوسيلة اتصال، والانترنت كوسيط تفاعلي، وكوسيط للنشر الصحفي، وكوسيط إعلاني(٣٢).

٥- يغلب على بنية المواقع الصحفية العراقية انعدام توظيف الوسائط المتعددة، إذ ان مواقع الصحف الإلكترونية العراقية تعرض صوراً صماء دون تعليق أو دون وجود صور فيديو، أو إحالة مواقع أخرى، واستخدام أنظمة الوسائط المتعددة في الصحافة يمارسه حالياً صحفيون كبار في صحف عالمية واسعة الانتشار.

٦- العديد من الصحف الإلكترونية العراقية عبر شبكة الإنترنت تعيد نشر ما هو منشور سابقاً.

٧- تواجه الصحافة الإلكترونية العراقية صعوبات كثيرة أهمها: عدم وجود عائد مادي من الإعلانات أو الاشتراكات أو التسويق مثل الذي توفره الصحافة الورقية، وندرة وجود الصحفي الإلكتروني المدرب والمؤهل للتحرير الإلكتروني وإلمامه بالتقنيات الرقمية المتعددة، كذلك متابعة الصحف الإلكترونية الدولية وطرق تحريرها ولا يتوافر ذلك إلا بإجادة الصحفي أكثر من لغة.

٨- ضعف التشريعات الخاصة بالصحافة الإلكترونية في العالم العربي، فلم نجد بعد بنية من القوانين الخاصة بهذا اللون الجديد من الصحافة الذي يعد صوت المستقبل، وهذا يعني أننا متخلفون عن الركب ولا نواكب الأحداث فضلاً عن أن نسبقها بل نتأخر دائماً عن ملاحقة الحدث وننتظر حتى تقع الكارثة، ومن ثم فإننا ننشغل بالأمور غير الجوهرية عن طريق ضعف بنية التشريعات لهذا الوليد الجديد(٣٣).

وقد سعت الولايات المتحدة في السنوات القليلة الماضية إلى أن تعيد، مع العراق والعالم العربي إنتاج تجربتها في الإعلام الموجه في أوروبا في ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي حقبة الحرب الباردة. وأغرتها النجاحات السابقة في التحدي الثقافي في الحرب الباردة بارتكاب أخطاء وخوض مجازفات بثقة زائدة عن الحد. ففي ألمانيا ما بعد سقوط النظام النازي، قامت سلطة الاحتلال الأمريكية في ما بعد سنة ١٩٤٥، كما فعلت في أجزاء النمسا المحتلة أمريكياً؛ إلى إعادة تخطيط الساحة الإعلامية، على أمل تشكيل الرأي العام الألماني على أسس جديدة كلياً. وفي واقع الأمر؛ نجح المسؤولون الأمريكيون في هذا المسعى إلى حد كبير، وكان من إنجازاتهم تأسيس صحف وتسليمها تدريجياً إلى طواقم محلية، لتتابع المسيرة ضمن مسار وطابع يتفق مع الرؤى والمطالب الأمريكية، حتى مع استقطابها لأقلام ومحررين من بقايا العهد النازي طالما أنه لم يكن من ذلك بد، لتبقى هذه الصحف قائمة في معظمها حتى اليوم، مشكلة قصة نجاح أمريكية، سيُصار إلى محاولة إعادة إنتاجها في بؤر مأزومة أخرى وهو ما طبق في العراق، ضمن حدود معروفة وواضحة،مع اختلاف في الدرجة وتماثل في الهدف(٣٤). ويمكننا إيضاح أهم الصحف الالكترونية العراقية التي تصدر حالياً عبر شبكة الانترنت كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (١)

يوضح أسماء الصحف الالكترونية العراقية على شبكة الانترنت(٣٥)

ت	الصحيفة	رئيس التحرير	عنوان الموقع الإلكتروني
١	الاتحاد	فرياد رواندزي	www. Alitthad . com
٢	الأمة العراقية	طارق جابر	www.ummaiq.com
٣	بدر	كريم النوري	www.badrtoday.com
٤	بغداد	علي خصباك	www.baghdad-news.com

ت	الصحيفة	رئيس التحرير	الموقع
٥	البيان	ياسين مجيد	www.albayaniq.com
٦	البينة	عيسى السيد جعفر	www.al-bayyna.com
٧	البينة الجديدة	ستار جبار	www.albayyna-new.com
٨	التآخي	بدر خان السندي	www. Taakhinews . org
٩	التضامن		www.altadhamun.com
١٠	الجريدة	قيس العزاوي	www.aljaredah.com
١١	الحياة		www.alhaiat.com
١٢	الدعوة	حسن السعيد	www.addaawa.com
١٣	الدستور	باسم الشيخ	www. daraddstour . com
١٤	الرأي العام	سعد الملاح	www.alrayy.com
١٥	الزمان	سعد البزاز	www. Azzaman . com
١٦	الشرق العراقية	عبدالرسول زيارة	www.alsharqpaper.net
١٧	الصباح	فلاح المشعل	www. Alsabaah . com
١٨	الصباح الجديد	اسماعيل زاير	www. Newsabah . com
١٩	طريق الشعب		www. Tareeqalshaab . com
٢٠	العدالة		www.aladalanews.net
٢١	العراق اليوم	إسراء شاكر	www. iraqalyoum . net
٢٢	كل العراق	عادل المانع	www. Kululiraq . com
٢٣	المدى	فخري كريم	www. almadapaper . com
٢٤	المشرق	فؤاد غازي	www. Al-mashriq . net
٢٥	المنارة	خلف المنشدي	www.al-mannarah.com
٢٦	المواطن	سلام الحيدري	www.almowaten.com
٢٧	المؤتمر	لؤي البلداوي	www.inciraq.com
٢٨	النور	عصام العامري	www.annoor.net

المبحث الثالث

معوقات التفاعلية في الصحف الالكترونية العراقية بالتطبيق على عينة من الشباب الجامعي

على الرغم من الإمكانات التي توفرها شبكة الإنترنت في موضوع التفاعلية حيث توفر الصحافة التفاعلية إمكانية تعليق القارئ على الخبر فور قراءته، والتواصل مع جمهور القراء ومناقشة الآراء والأفكار، وكذلك بإمكانه إرسال مشاركاته من الأخبار والمقالات ونشرها باسمه الصريح أو المستعار أو عن طريق عمل معرف خاص به يتمكن عن طريقه من إضافة تعليقاته ومشاركاته[٣٦]، وعلى الرغم من الإمكانات الكبيرة التي يمكن ان توفرها الشبكة لتعليم المهارات الصحفية الأساسية لدارسي الصحافة مثل كيفية الحصول على فيض متدفق من الأخبار الصحفية من

مصادر متعددة وفي مجالات متنوعة، وكذلك الحصول على كم كبير من المعلومات والبيانات والأرقام والإحصائيات واستكمالها ومتابعتها، واستطلاع وجهات نظر مصادرها الصحفية، والاتصال بقواعد المعلومات ومحركات البحث وأرشيفات العديد من المنظمات والشركات ووسائل الإعلام والمكتبات، والاستفادة من أدواتها المتعددة للقيام بتغطية صحفية فورية وسريعة للأحداث، ومهارة إجراء حوارات فردية وجماعية مكتوبة ومرئية ومسموعة، وتنفيذ تحقيقات صحفية حول أحداث وموضوعات في مجالات متنوعة ومن أماكن متعددة[٣٧]. الا اننا لم نلاحظ وجود للتفاعلية في مواقع الصحف العراقية على تلك الشبكة، وقد أجرى الباحث دراسة ميدانية بتوزيع استمارة استبيان على عينة من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت بلغت (١٣٤) طالب وطالبة لمعرفة المعوقات التي تحول دون استعمال التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية. وقد اشتملت العينة على طلبة المراحل الأولى والثانية والثالثة من طلبة الدراسة الصباحية في قسم الإعلام تكونت من (١٣٤) طالب وطالبة بواقع (١٠٧) من الذكور بنسبة مئوية بلغت (٧٩،٨٠%) من إجمالي عدد أفراد العينة، أما عدد الطالبات في العينة فقد بلغ (٢٧) بنسبة مئوية بلغت (٢٠،١٤%) من إجمالي عدد أفراد العينة. وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

نتائج الدراسة الميدانية:

أوضحت الدراسة الميدانية أن معوقات التعامل مع شبكة الانترنت وعدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية في رأي طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت كانت كما يأتي:

أولاً: عائق اللغة الأجنبية:

تبين عن طريق نتائج الدراسة الميدانية ان أغلب أفراد العينة لا يعانون من عائق اللغة الأجنبية في قراءة الصحف الالكترونية لكونهم يدخلون على مواقع الصحف باللغة العربية ولكون البرامج المستخدمة في الكومبيوتر هي نسخة عربية من نظام التشغيل، إذ أجاب أفراد العينة على أسئلة الاستبيان بالشكل الذي يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٢)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق اللغة الأجنبية ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق اللغة الأجنبية	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	١٢	٨،٩٥ %
أحياناً	٢٨	٢٠،٩٠%
لا	٩٤	٧٠،١٥%
المجموع	١٣٤	١٠٠%

ثانياً: نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع شبكة الانترنت:

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية ان الغالبية العظمى من أفراد العينة يعانون من نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع الانترنت في قراءة الصحف الالكترونية وعدم تعاملهم مع موضوع التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية وذلك لعدم اشتراكهم في منظومات خدمة الانترنت وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٣)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع الانترنت ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق نقص التدريب والتأهيل	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	١١٧	٨٧،٣١%
أحياناً	٥	٣،٧٣ %
لا	١٢	٨،٩٦ %
المجموع	١٣٤	١٠٠%

ثالثاً: عدم توافر الإمكانات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة:

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية ان الغالبية العظمى من أفراد العينة يعانون من عدم توافر الإمكانات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة في قراءة الصحف الالكترونية وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٤)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم توافر الإمكانات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	١٢٥	%٩٣،٢٨
أحياناً	٦	% ٤،٤٨
لا	٣	% ٢،٢٤
المجموع	١٣٤	%١٠٠

رابعاً: عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى دوافع عدم قراءتهم للصحف الالكترونية تأتي من دافع عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين، وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٥)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	٥٦	%٤١،٧٩
أحياناً	٤٩	% ٣٦،٥٧
لا	٢٩	% ٢١،٦٤
المجموع	١٣٤	%١٠٠

خامساً: عدم إقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية:

أوضح أفراد العينة ان من بين الأسباب التي تجعلهم لا يقراون الصحف على شبكة الانترنت هي عدم اقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٦)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم اقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم اقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	٥٣	%٣٩،٥٥
أحياناً	٤٤	% ٣٢،٨٤
لا	٣٧	%٢٧،٦١
المجموع	١٣٤	%١٠٠

سادساً: عدم وجود التفاعلية في الصحف الالكترونية بسبب ضعف خدمة شبكة الانترنت:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب ضعف شبكة الانترنت وسقوط الشبكة في أوقات كثيرة، وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٧)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية لضعف خدمة شبكة الانترنت ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية لضعف خدمة شبكة الانترنت	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	١٠٢	٧٦،١٢%
أحياناً	٣٢	٢٣،٨٨%
لا	–	– %
المجموع	١٣٤	١٠٠%

سابعاً: عدم وجود التفاعلية في الصحف الالكترونية بسبب ضخامة المعلومات المتاحة التي تسبب التشتت وعدم تجديدها:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب ضخامة المعلومات المتاحة التي تسبب التشتت وعدم تجديدها، وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٨)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية بسبب ضخامة المعلومات المتاحة التي تسبب التشتت وعدم تجديدها ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية بسبب ضخامة المعلومات المتاحة وعدم تجديدها	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	٦٦	٤٩،٢٥ %
أحياناً	٤٢	٣٥،٣١ %
لا	٢٦	١٩،٤٠ %
المجموع	١٣٤	١٠٠%

ثامناً: عدم وجود التفاعلية في الصحف الالكترونية بسبب نقص المعلومات المتوافرة عبر الشبكة:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب نقص المعلومات المتوافرة عبر الشبكة، وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٩)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب نقص المعلومات المتوافرة عبر الشبكة ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية بسبب نقص المعلومات المتوافرة عبر الشبكة	عددهم	نسبتهم المئوية
دائماً	٤	٢،٩٨ %
أحياناً	٨	٥،٩٧ %
لا	١٢٢	٩١،٠٥ %
المجموع	١٣٤	١٠٠%

خاتمة وتوصيات:

لعل من الضروري في ختام هذا البحث ان نؤكد على توصل الدراسة الميدانية إلى ان معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تعود بالمرتبة الأولى الى نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع شبكة الانترنت في قراءة الصحف الالكترونية بنسبة مئوية بلغت ٨٧،٣١% من إجمالي عدد أفراد العينة. كذلك فان الغالبية العظمى من أفراد العينة يعانون من عدم توافر الإمكانات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة في قراءة الصحف الالكترونية بنسبة مئوية بلغت٩٣،٢٨% من إجمالي عدد أفراد العينة. وقد أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى دوافع عدم قراءتهم للصحف الالكترونية تأتي من دوافع عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين بنسبة٤١،٧٩%.

وقد جاء من بين المعوقات بعدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية عدم إقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية بنسبة ٣٩،٥٥% من إجمالي عدد أفراد العينة. بينما أجاب المبحوثون عن سؤال آخر تمثل في عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية لضعف خدمة شبكة الانترنت بنسبة مئوية بلغت ٧٦،١٢% من إجمالي العينة. ومنهم من علل عدم وجود التفاعلية في تلك المواقع بسبب ضخامة المعلومات المتاحة وعدم تجديدها التي تسبب التشتت بنسبة مئوية بلغت ٢٥،٤٩ % من اجمالي العينة.

يرى الباحث ان تذليل الصعوبات والمعوقات التي تعترض وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية ضرورة من ضرورات تطوير تلك الصحف لاسيما وانها تعمل في بيئة جديدة ومضطربة ومتغيرة، وفي ظل مستقبل غير واضح المعالم، فلا تزال مواقع الصحف الالكترونية العراقية تفتقد للكثير من المزايا التي تتصف بها الصحيفة الالكترونية ومن أهمها استخدام التقنيات التفاعلية في تلك المواقع.

ونظرا لأهمية العنصر البشري في ترسيخ مفهوم التفاعلية بشكل خاص ومفهوم الصحافة الالكترونية بشكل عام وتقديم صحف الكترونية منافسة عبر فضاء الانترنت المفتوح فمن المهم تأهيل الكوادر البشرية عن طريق:

- دعم أقسام الإعلام في الجامعات العراقية بتمويل بناء مختبرات للإعلام الرقمي لتوفير برامج تدريس مخصصة للصحف الالكترونية.
- تقديم منح دراسية في الداخل والخارج للمتميزين من طلاب الإعلام وتوجيههم نحو دراسات الصحافة الالكترونية وتطبيقات الانترنت في مجال الإعلام.
- التعاون مع مؤسسات التدريب المختلفة والجامعات لتدريب الصحفيين على رأس العمل في حلقات دراسية وورش عمل حول مختلف القضايا المرتبطة بوسائل الإعلام الجديدة.

كذلك يوصي الباحث القائمين على مواقع الصحف الالكترونية العراقية بالاهتمام بقضية توظيف التقنية وتسارعها لتحقيق التفاعلية في تلك المواقع، فضلاً عن الاهتمام بالمحتوى (المحتوى هو الملك)، حيث أن الصحف على الانترنت تتنافس في بيئة حرة وثرية يجد معها المتصفح نفسه في خيارات وإغراءات غير محدودة، ولا مكان للصحف التي لا تواكب هذه النقلة بمحتوى يتمتع بالعمق والمصداقية والقدرة على جذب المتصفح للعودة لزيارة الموقع مرة أخرى.

معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية | مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع | أ. م. د. سعد سلمان عبدالله العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

هوامش ومصادر البحث:

(١) أحمد فضل شبلول: ثورة النشر الالكتروني، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٩.

(٢) د. حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨، ص١٠٦ – ١٠٧.

(٣) د. حسنين شفيق: الإعلام الالكتروني بين التفاعلية والرقمية، القاهرة، رحمة برس للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص ٨٥ – ٨٦.

(٤) د. أسما حسين حافظ: تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني المعلوماتي الرقمي، القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص٢١.

(٥) عبد الوهاب بدرخان: انعكاس حالة الاحتلال على حرية الإعلام: حالة أفغانستان والعراق، بحث منشور في كتاب الإعلام العربي في عصر المعلومات، أبو ظبي (الإمارات)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٦، ص ٤٩٣.

(٦) د. محمد عبد القادر حاتم: العولمة مالها. . وما عليها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥، ص ٦٥٣.

(٧) د. محمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصدر سابق، ص ٣٥٣.

(٨) د. محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧، ص ٢٠٩.

(٩) هناء كاظم كاصد: المواد الإخبارية في الانترنت المنشورة في الصحافة العراقية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٥.

(١٠) جاسم محمد شبيب: حدود تطبيقات تكنولوجيا الاتصال في الصحافة العراقية مع دراسة لاستخدام الوسائط المتعددة في الصحافة الالكترونية العراقية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٨.

(١١) صادق حمه غريب حمه صالح: الصحافة الالكترونية الكردية – دراسة مسحية للصحف الالكترونية الكردية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٨.

(١٢) د. نجوى عبد السلام فهمي: التفاعلية في المواقع الإخبارية العربية على شبكة الانترنت – دراسة تحليلية، بحث منشور في المجلة المصرية لبحوث الرأي العام،المجلد الثاني العدد الرابع أكتوبر/ديسمبر ٢٠٠١،ص٢٢٣-٢٢٨.

(١٣) د. نجوى عبد السلام فهمي: مصدر سابق، ص٢٢٥ – ٢٢٧.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(١٥) د. حسنين شفيق: الإعلام التفاعلي – ثورة تكنولوجية في نظم الحاسبات والمعلومات،القاهرة،دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٨، ص٢٠.

(١٦) قاموس دار العلم التكنولوجي للمعلومات والاتصالات: بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٦، ص١٥٢.

(١٧) خالد زعموم والسعيد بو معيزة: التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، تونس، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية تصدر عن إتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة (٦١)، ٢٠٠٧، ص٢٨.

(١٨) الصادق الحمامي، الإذاعة في عصر الشبكات، نماذج جديدة، متوافر على: www.radiotunisienne.tn ٢٠٠٩/٨/١٥

(١٩) الصادق الحمامي: مصدر سابق.

(٢٠) عبد الأمير الفيصل: الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦، ص ١١٧.

(٢١) حسني محمد نصر: الإنترنت والإعلام، الصحافة الإلكترونية، مصدر سابق، ص٥٤.

(٢٢) د. محمد منير حجاب: وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٣٣ – ١٣٤.

(٢٣) د. صالح خليل أبو أصبع: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة ،عمان ، دار أرام للدراسات والنشر والتوزيع: ١٩٩٥، ص ١٢.

(٢٤) د. حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: مصدر سابق، ص ٥١.

(٢٥) سيد غندور ومحمد جلال: استخدام التدريسيين للإنترنت – دراسة تحليلية للاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤٧.

(٢٦) د. نجوى عبد السلام فهمي: مصدر سابق، ص٢٣٥ – ٢٣٧.

(٢٧) نيكولاس نيجروبونت: التكنولوجيا الرقمية، ترجمة د. سمير ابراهيم شعبان، القاهرة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٨، ص ٢٩.

(٢٨) احمد المؤمن: الصحافة الالكترونية في العراق – الواقع والطموح، بحث منشور على الانترنت على الموقع الاتي:
http://www.iraqcenter.net/vb/41020.html

(٢٩) خالد محمد غازي: الصحافة الإلكترونية العربية – الالتزام والتجاوز في الخطاب والطرح، أطروحة دكتوراه قدمت الى الجامعة الامريكية في بيروت عام ٢٠٠٩ نشر ملخصها وأهم نتائجها على موقع صحيفة ايلاف الالكترونية بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٢٤.

النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر

- نظرة في السرد الروائي -

د. سوسن البياتي

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

ملخص البحث

اشتغل سؤال النهضة على محاولة البحث عن العديد من الأسئلة التي من شأنها إقامة مشروعها، ولعل سؤال العلاقة مع الآخر/ الغربي تحديداً من أكثر الأسئلة إلحاحاً على المشهد الثقافي، ولاسيّما إذا ما تمثل هذا السؤال عبر طروحات الروائيين في روايات انبثقت عن فكر تنويري حاول إبراز الوجه القبيح لهذا الآخر، فيما كانت محاولة طمس الأبعاد الحضارية والثقافية والأدبية من المحاولات الأشدُّ ارتهاناً بالواقع العربي وملامسة له.

ولعل من أبرز الأسباب التي دعت إلى مثل هذه المحاولات هو العداء الفاضح بين تيارين مختلفي الاتجاه والفكر والأسلوب: العربي بفكره التقليدي واتجاهه المحافظ وأسلوبه الديني الرصين، الذي يحاول التمسك بأنماط وأسس ثابتة منذ الأزل، والغربي بفكره الحداثوي الذي يعمق شرخ الاتجاه العربي ويثبت الأسس الواهية لنظريته المعتمدة.

فكان أن أدى التضاد إلى تصادم قوي بينهما، ولاسيّما من الجانب الغربي الذي حاول جاهداً إبراز درجات تفوقه ومحاولة سيطرته على مكامن الإبداع العربي،

(٣٠) د. سليمان صالح: مستقبل الصحافة المطبوعة في ضوء تكنولوجيا الاتصال، (جامعة القاهرة، كلية الاعلام، المجلة المصرية للبحوث والاعلام، العدد ١٣، أيلول ٢٠٠١)، ص٨٣.

(٣١) د. السيد بخيت: الصحافة والانترنت، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص ٢٧- ٢٩.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٣٣) د. علي الاعسم: عوامل إنجاح شبكة إنترنت عربية، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي العدد ٢٢٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص ٩٢.

(٣٤) فرنسيس ستونر سوند رز: الحرب الباردة الثقافية، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٣ – ٦٠.

(٣٥) نجاح حسن عباس: التفاعلية في المواقع الالكترونية للصحف العراقية اليومية – "دراسة مسحية"، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى كلية الاعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٩، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٣٦) د. حسني محمد نصر: الانترنت والإعلام – الصحافة الالكترونية، الكويت، مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣، ص ٥٥ – ٦٠.

(٣٧) د. مجد الهاشمي: تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري – مدخل الى الاتصال وتقنياته الحديثة، عمان، دار اسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ١١٨ – ١٢٤.

الاستهلال

شكَّل الإطار الفكري المهاد التأسيسي الذي قامت عليه بواكير النهضة الأدبية التي أعلنت صياغة دستورها المعتمد إبان القرن التاسع عشر، من خلال الارتكاز على الواقع واعتماد رؤية نظر قصية تحاول الدخول في شركها، وقد نجمت عن هذه الرؤية أفكار وأسئلة وطروحات نقدية عمَّقت الفكر النهضوي وسايرت ركب الحضارة الجديدة بما أنتجته من معايير وأسس.

اشتغل سؤال النهضة على محاولة البحث عن العديد من الأسئلة التي من شأنها إقامة مشروعها، ولعل سؤال العلاقة مع الآخر/ الغربي تحديداً من أكثر الأسئلة إلحاحاً على المشهد الثقافي، ولاسيّما إذا ما تمثل هذا السؤال عبر طروحات الروائيين في روايات انبثقت عن فكر تنويري حاول إبراز الوجه القبيح لهذا الآخر، فيما كانت محاولة طمس الأبعاد الحضارية والثقافية والأدبية من المحاولات الأشدُّ ارتهاناً بالواقع العربي وملامسة له.

ولعل من أبرز الأسباب التي دعت إلى مثل هذه المحاولات هو العداء الفاضح بين تيارين مختلفي الاتجاه والفكر والأسلوب: العربي بفكره التقليدي واتجاهه المحافظ وأسلوبه الديني الرصين، الذي يحاول التمسك بأنماط وأسس ثابتة منذ الأزل، والغربي بفكره الحداثوي الذي يعمق شرخ الاتجاه العربي ويثبت الأسس الواهية لنظريته المعتمدة.

فكان أن أدى التضاد إلى تصادم قوي بينهما، ولاسيّما من الجانب الغربي الذي حاول جاهداً إبراز درجات تفوقه ومحاولة سيطرته على مكامن الإبداع العربي، فكان الصراع السياسي بينهما واضحاً جداً إلى حد أن دفع هذا الصراع إلى احتلال وغزو بعض البلدان العربية وطمس معالم الهوية العربية فيها وتدمير حضارتها وثقافتها وشخصيتها بالقضاء على اللغة/ الأم وتسييد لغتها على حساب اللغة العربية حسب اللغة المستعمرة وربَّما كان هذا الصراع هو الأساس الذي قامت عليه النهضة العربية عموماً والأدبية تحديداً.

النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر | مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع | د. سوسن البياتي العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

فكان الصراع السياسي بينهما واضحاً جداً إلى حد أن دفع هذا الصراع إلى احتلال وغزو بعض البلدان العربية وطمس معالم الهوية العربية فيها وتدمير حضارتها وثقافتها وشخصيتها بالقضاء على اللغة/ الأم وتسييد لغتها على حساب اللغة العربية حسب اللغة المستعمرة وربَّما كان هذا الصراع هو الأساس الذي قامت عليه النهضة العربية عموماً والأدبية تحديداً.

تحاول هذه الورقة استشفاف الجانب السلبي في هذا الصراع الجدلي "العنيف" بين هذين التيارين، ونظرة كل واحد منهما إلى الآخر، والإحاطة بهذا الصراع وتطوره روائياً، في إحدى روايات توفيق الحكيم التي أثارت هذا الموضوع وغاصت فيه وهي رواية "عصفور من الشرق".

لقد واجه النهضويون الأوائل أمثال: الطهطاوي واليازجي والشدياق ومحمد عبده وغيرهم – ممن اندمجوا في الحياة الغربية – هذه المشكلة ولم يجدوا حلاً لها سوى التعمق في المفاهيم والآراء الثقافية التي أنتجتها المجتمعات الغربية، وكان من أسباب تطورها السريع وتفوقها المفاجئ على العرب، واستطاع الفكر النهضوي الغربي أن تثمر ثقافاته عن نجاحات لا حدَّ لها – على الرغم من أنها أولاً وأخيراً استلهمت هذا الفكر من العرب أنفسهم –، فأين يكمن سرَّ الإبداع والتفوق الغربي أمام التراجع العربي؟.

إنها في التقاط كل ما هو جوهري وأساسي للفكر العربي، فلقد عمل الغرب على الإفادة من كل ما يمتّ بصلة إلى الثقافة، وأعطت الأمور الصغيرة اهتمامها إلى جانب الأمور العِظام فكان أن أجادت ثم تفوقت ثم غدت مسيطرة على الفكر الآخروي/ العربي في نظرها.

تحاول هذه الورقة استشفاف الجانب السلبي في هذا الصراع الجدلي "العنيف" بين هذين التيارين، ونظرة كل واحد منهما إلى الآخر، والإحاطة بهذا الصراع وتطوره روائياً، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا الصراع – في البدء – كان متمثلاً بالاستعمار التركي ومن ثم تحول إلى صراع مع الآخر الغربي/ الأوربي تحديداً لنصل في النهاية إلى إبراز الوجه (الإسرائيلي) المنبوذ جسداً وصورةً في الفكر الروائي.

وسنحاول دراسة هذه الجدلية عبر الصراع مع المفاهيم والأفكار والطروحات التي أتى بها الغرب، وحاول العرب إشاعتها في جانبها الايجابي ومحاربة الجانب السلبي منها واستثمار هذه الجدلية عبر روايات نَظَرَ فيها أدباؤنا إلى هذا الآخر على أعقاب النهضة العربية التي أمدت الفكر العربي بسلاح تنويري وهاج أساسه التمسك بالعادات والتقاليد العربية الإسلامية ومحاربة كل ما من شأنه تزعزع هذه القيم والمبادئ من خلال التطرق إلى أبرز المحاور التي يمكن أن نجد فيها ضالتنا في البحث المشروع عن العلاقة الوهمية – حسب مصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة إلى الشمال – بين الشرق والغرب وكيف تم إقامة الأسس الواهية لمثل هذه العلاقة، ومن أبرزها:

١- في مفهوم الأنا والآخر: الشرق والغرب.

٢- النهضة الفكرية وملامح التطور الروائي.

٣- عصفور من الشرق: نقطة الصراع.

أولاً: في مفهوم الأنا والآخر :الشرق والغرب.

يمثل النص الروائي بمجموع تشكلاته خطاباً جمالياً على قدرٍ عالٍ من الإبداع، بما يتضمنه من ملامح معرفية وفكرية وجمالية ودلالية، وبما يستوفيه من تقانات سردية تشتغل فيه على مستويات عدة، ولعلَّ صياغة العلاقة الجدلية القائمة بين الأنا والآخر تمثل إحدى المقولات الأهم في مشروعه النقدي، ففي الرواية ((يمتزج التخييل بالوقائع والمتعة بالقلق نتيجة رؤية النفس في المرآة، وشيئاً فشيئاً أصبحت الرواية العربية التي تقصد نماذجها الجادة والواعية لخصوصيتها الاستيتيقية، مجالاً لمكاشفة الذات واجتراح الحوار وطرح الأسئلة الصعبة عبر الرصد التفصيلي لتغيرات المجتمع والإنسان والفضاء. وهذا مايجعل التساؤل عن مستقبل الرواية العربية، في الآن نفسه، تساؤلاً عن علائقنا بـ"الآخر" وعن تصوراتنا النظرية لأسس الرواية التي اكتسبت حدوداً وإمكانات واسعة عبر التجارب الكثيرة والمتنوعة لمختلف الروائيين في العالم))(١).

ويرتبط الآخر بالأنا ارتباطاً وثيقاً ذلك أنه لايمكن النظر إلى الآخر إلا بمنظور الأنا، ولا تتشكل العلاقة مع هذا الآخر إلا بما تقتضيه ملامح الأنا من التطور والفهم والإدراك المعرفي والجمالي.

فالأنا عبارة عن ((مجموعة القيم الأصيلة والمبادئ العليا التي جاء بها الدين الإسلامي، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قام بها المسلمون، على هدى تلك القيم والمبادئ.. فحينما نستخدم مصطلح الأنا أو الذات فإن المقصود من ذلك هو القيم

المعيارية المتعالية على الزمان والمكان مع تجربة إنزال تلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي والمتحرك والمتغير.))[٢].

فيما يتحدد الآخر بأنه: ((مجموع القيم والمبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب الحضاري، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي عموماً، انطلاقاً من تلك القيم، وعملاً باتجاه إنزالها في الواقع الخارجي...))[٣].

فالأنا والآخر – وفق المفهومين المتداولين آنفاً – ماهما إلا مجموعة قيم خاصة بثقافة معينة، فعندما تتجه نظرة الأنا إلى القيم التي جاء بها الإسلام فإن هذه النظرة إنما تنطلق من الخصوصية الثقافية الإسلامية – وهذه الخصوصية لها علاقة بالاتجاه الحضاري الذي تستند إليه هذه الثقافة، وقد أطلق على هذا الاتجاه بالشرق، فالشرق يشكّل كل ما يمتُّ بصلة بالمجتمع المسلم، العربي تحديداً، بينما تتجه خصوصية الثقافة الغربية إلى الغرب حيث يمثل السلبية التي يتجاوزها الإسلام، فبين الخصوصيتين قيماً ومعاييرَ أخلاقية وفكرية ومنظومات معرفية وسياقات جمالية متباينة ومختلفة، يتقاطعان غالباً، ونادراً ما يلتقيان، وعلى أثر هاتين الخصوصيتين الثقافيتين برز مفهوم الشرق والغرب، اللذان ولدا ثغرةً كبيرة في التحديد الجغرافي لهما، ولاسيّما فيما يخص الشرق، من أين يبتدئ وأين ينتهي؟ يقول عبد الحميد المحايدين وهو بصدد الحديث عن إشكالية البحث الجغرافي للشرق:

((تظهر تقنية الفضاء ذات إيهام واسع وشمولية لاتقبل التحدي، بل قابلة للاختراقات وتشرح نفسها لأكثر من واقع وقد ظهرت جملة من يملك الشرق يملك العالم...، في صفحة مستقلة ومن هنا كان الدخول في فضاء إشكالي... من وجهة جغرافية ومن وجهة نفسية... ما الشرق؟ ما الحدود التي اقترحتها هذه التسمية... من أين تمتد هذه الفضاءات والى أين تنتهي..هل الشرق تسمية نسبية تصح أن تكون في مقابل الغرب؟ هل هي تسمية ثابتة، دون ارتباطها ببعد خارجها؟ هل الشرق سمات؟

هل الشرق جغرافيا؟ هل الشرق مجرد مكان؟ هل الشرق فضاء يحتوي؟ هل هو محتوى لتسمية تدل على أن شيئاً ماهناك؟ هل هي تسمية لها بعد حضاري، أو ثقافي أو سياسي أو إنساني؟))[٤].

أمام هذا الكم الهائل من الأسئلة الخاصة بالشرق يظهر الآخر بفضائه الجغرافي والسردي الثابت، وقد وقف بكل جبروته أمام هذا الشرق متحدياً، فعندما يشير الإنسان إلى الغرب فإن الإشارة وحدها كافية لتحديد الماهية الجغرافية لهذه التسمية التي لاتستدعي مثل هذا الخلط فهو محدد جغرافياً وأيديولوجياً كما هو محدد سردياً.

ولقد أحدث الصراع بين الأنا والآخر/ الشرق والغرب بحثاً عن سؤال الهوية الضائعة، هوية الأنا العربي الشرقي أمام هوية الآخر الغربي بكل مفاهيمه، ولاسيّما أن محاولات النيل والاحتقار والتقليل من الشأن سمة يسمُّ كلا الطرفين، فالمعادلة الآتية تكشف عن محاولة الآخر الغربي النيل من الأنا الشرقي الذي يمثل – في منظوره – الآخر الذي يجب محاربته ولاسيّما إذا كان هذا الآخر معروفاً بعدائه الأزلي للانا العربي، ونعني به العدو الإسرائيلي الذي برز أولاً في صورة اليهودي المتمثل بشخصية التاجر الغني، القبيح الصورة، واليهودية المتمثلة بصورة المومس القبيحة، وبمرور الوقت تحولت هذه النظرة إلى صورة أخرى اكتسبتها من محاولات التسلط والاستعلاء وأساليب القتل والتعذيب التي كان يمارسها هذا العدو، وهي صورة متلازمة، ملتبسة بالواقع ومحددة بإطار لايخرج عن حقيقته الواقعية...

فالأنا – وفق منظورنا السردي – بقي محافظاً على مكانته وفضائه وروحه السردية من دون أن يشكل الآخر، وهو واحد لايتعدد – كما هو الحال بالنسبة للآخر – فإذا ماتمثلنا الأنا فإننا بذلك نشير إلى الأنا العربي المتمسك بفضائه الشرقي، فيما تعدد الآخر واختلف، إذ ((تمثل في صورته الأولى بالاستعمار التركي، ثم الغربي –

الأوروبي – الذي سيأخذ هذا الصراع معه أبعاداً جديدة))[٥]، وليتحول في الأخير إلى الاستعمار الصهيوني بأوجهه المتعددة وصورته القبيحة المرفوضة.

ثانيا: النهضة الفكرية وملامح التطور الروائي.

جسّدت الحضارة العربية الإسلامية – في مفهومها الأولي – صورة العلاقة المستمرة بين الحضارات المتجاورة – اليونانية والرومانية والفارسية والهندية، وكانت ثمرة هذه العلاقة الحية تلك الإبداعات العقلية التي أنتجتها الحضارتين وتداولتها فيما بينها على أساس المنفعة المتبادلة، فالتفاعل بين الحضارات هو الذي أسس العلاقة بين الموروث والوافد/ النقل والعقل/ علوم العرب وعلوم العجم، فهي بلغة التعميم المعاصر العلاقة المزدوجة بين الأنا والآخر[٦].

مرّت الأمة العربية بالعديد من النكسات كان لها أثرها في تزايد الأطماع العدوانية الاستعمارية عليها، ولم تكن حملة بونابرت على مصر عام (١٧٩٨–١٨٠١) النكبة الأولى التي زادت من حدة التوتر في العلاقة الثنائية بين الشرق والغرب بقدر ما مثلت حالة النكوص الأولى بعد اللقاء الذي تمَّ بينهما، كما أنها لم تكن ((تمثل اللقاء التصادمي الأول بين الشرق والغرب، وعلى رغم ذلك، فإنها بحكم شرطها التاريخي، وحجم الصدمة التي أحدثتها، وماستولدته من شعورٍ بأخطار وتحديات تواجه الذات القومية، كانت كفيلة بتفجير سؤال الهوية بصورة غير مسبوقة في تاريخ العرب.))[٧].

وتوالت على الأمة المحن، فكان من الطبيعي أن تستفيق وتنهض من سباتها العميق، فكانت جدلية العلاقة بين الأنا/ العربي والآخر/ الغربي من أبرز القضايا التي استوعبتها عقلية تلك الحقبة الثقافية، ولاسيّما أن العرب بدأت تدرك سرَّ هذه العلاقة وهي تنظر إلى الآخر المتفوق دوماً – في نظرها– فالمشروع الفكري النهضوي الذي سارت عليه الدول الأوروبية في القرن الخامس عشر كان كفيلاً بإيقاد شعلة

الغيرة عند العرب ممن شحذوا الهمم ورأوا أن نهوض الأمة لايكون إلا بنهوض عقلية مبدعيها ومفكريها، وأن القرون الأربع التي تفصل بين النهضتين/ العربية والأوروبية أثارت العديد من الأسئلة ((ففي إطار مشروع النهضة العربية، مازال السؤال المركزي الذي طرح في القرن الماضي، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ أو لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟ يشكل النقطة الجوهرية لغالبية الجهود المعرفية والسياسية التي تحاول بلورة المشروع النهضوي، وتوضيح مقاصده، وتحديد آليات عمله وآفاقه المنظورة والبعيدة))[٨].

لقد ولَّد هذا السؤال اختلاط الأبعاد السياسية بالأبعاد الثقافية والفكرية، وأخذ رواد النهضة العربية الحديثة بالتعمق في أسباب النهضة الأوروبية ومن ثم اختزال هذه الأسباب وتوليدها لصالح النهضة العربي، فالنهضة الأوروبية ((تحققت وأنجزت ونضجت وخرجت من رحمها الحداثة، وأصبحت المرجع الكوني لحضارة الإنسان.أما الثانية فلم تحقق بعد، وهي بالتالي في حركة عسيرة بحثاً وتساؤلاً ومداً وجزراً على حساب مرحلة زمنية طويلة نسبياً مآلها الوحيد بلغة التاريخ أن العرب والمسلمين في العهدين الحديث والمعاصر لم يخرجوا من فلك الغرب بما هو صانع للنهضة والحداثة والاستعمار وما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار))[٩].

وعلى أثر هذا التحول الفكري بدأت ملامح الفكر النهضوي تتوالد رويداً رويداً، وعلى أثره تشكّلت ثمرة ولادة الفن القصصي بمفهومه الحالي، بدءاً من رحلات رفاعة رافع الطهطاوي إلى باريس (١٨٠١–١٨٧٣) ومادونه في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من وصف لمشاهداته هناك، وهو مشروع يقوم في أسسه الأولى على جدلية البحث في الآخر، مروراً بكتاب "علم الدين "(١٨٨٣) لعلي مبارك الذي يمثل النواة الروائية الأولى لهذا الفن في الموروث الأدبي العربي في العصر الحديث، وتعد رواية تعليمية تطرح موضوع اللقاء الحضاري الذي تم بين المجتمعين/

العربي والأوروبي، وضعها على أسس وأطر تحتضن البنية القصصية أسلوباً لها، لما لهذا الفن من أثر، فضلاً عن كتاب "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي[١٠]، ولكن مما يؤخذ على هذه الكتب إنها استنفذت طابعها الروائي وسيطر عليها الطابع الفكري/ العقلاني أكثر من الطابع الأدبي، وكان الهدف منها إقامة علاقة المصالحة بين الحضارتين :الشرقية والغربية، وقد برزت فيها صورة الآخر بشكلها المتفوق دوماً قبل أن تتحول هذه الصورة الثنائية إلى صورة العدو اللدود الذي يجب محاربته...

لقد نشأت الرواية العربية وتطورت في القرن التاسع عشر مع هذه البدايات، وكانت منذ نشأتها ((مجالاً لهاجس العلاقة بالغرب، وظلَّ هذا الهاجس حاضراً فيها ومؤثراً في بنية خطابها، عبر مراحل تطورها المختلفة، منذ المحاولات الجنينية الساذجة والمباشرة، وحتى أحدث التجارب التي تتسم بالجرأة والمغامرة الفنية من ناحية، وبرؤية متميزة من ناحية ثانية))[١١].

وبمرور الوقت – ولاسيّما بعد السيطرة الاستعمارية شبه الكلية– على العديد من أقطار الوطن العربي – بدأت الفجوة تكبر بين الأنا/ العربي والآخر/ الغربي، وبدأ الفكر النهضوي العربي يناهض الغرب بما يمتلكه من أسس آيديولوجية وفكرية وصيغ حوارية تدلل على ضعف العقلية العربية من جهة وازدواجية فهمهما للحضارة الغربية من جهة ثانية.

انطلقت الآراء والتحليلات النقدية داعمة الفكر النهضوي الحديث، ومساندة إياه في تعبيره المباشر والدقيق عن الواقع العربي، ولاسيّما ماعبرت روايات تلك الحقبة من نقد للواقع ومشروعية إقامة علاقة وهمية بين الأنا والآخر، فالفن الروائي لم يكن له أن يتطور ويرتقي إلى هذا المستوى العالي من الإبداع لو لم يتأثر بصدمة اللقاء مع الغرب الذي ((لم يكن يقدم نفسه في صورة واحدة، بل لقد كان ولا يزال يحمل بالنسبة إلى مشروع النهضة العربية مظهرين متناقضين: مظهر يمثل العدوان والغزو

الاستعماري والاحتكار والهيمنة...الخ، ومظهر يمثل الحداثة والتقدم بكل قيمها العصرية والمادية والمعنوية كالتقنية والعلم والديمقراطية والحرية...الخ، ومن هنا كان الغرب، ولا يزال، بالنسبة إلى العرب: العدو الذي يجب الاحتراز منه والوقوف ضد مطامعه وسيطرته من جهة، والنموذج الذي يغري باقتدائه والسير في ركابه من جهة ثانية))[١٢].

تعددت الآراء في الريادة الروائية – إذا ما أردنا توصيفاً دقيقاً على غرار الريادة الشعرية– بين رواية "زينب" لمحمد حسنين هيكل الصادرة عام ١٩١٤ و"الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران الصادرة عام ١٩١٢، فيما ذهب بعض مؤرخي الرواية العربية إلى أن التوصيف الدقيق للفن الروائي إنما جاء في رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم والصادرة عام ١٩٣٣، منطلقين في هذا التحديد إلى عدم اكتمال مقومات الفن الروائي في رواية "زينب" فضلاً عن الخلط الاجناسي الذي وسم به هيكل روايته بأنها رواية تارة وقصة تارة أخرى وسيرة ذاتية من جهة ثالثة، وقد عبّرت يمنى العيد عن هذه الإشكالية بقولها: ((لم يفصح مؤلف "زينب" عن السؤال المتعلق بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، بقي هذا السؤال مضمراً في العنوان الموضوع على الغلاف، كما في التنويع الاشاري الوارد في الإهداء والمقدمة. فهو مرة يصف كتابه بأنه رواية، وأخرى بأنها قصة، ثم يوحي بأن ماعبر عنه هو سيرته الذاتية...))[١٣].

وأياً كانت الآراء والانتقادات فإن البداية الفعلية التي كرست أثر النهضة في تطور ملامح الفن الروائي إنما تنطلق من هذه البدايات الروائية أولاً، ومن تحديدها الموضوعي الذي يسم العلاقة بين الأنا/ الشرق والآخر/ الغرب من جهة أخرى، وكأن قدر الرواية العربية أن تحمل همَّ هذه الثنائية في رحمها...

وفي هذه الروايات بدأت الملامح الأولية بصورة الصراع مع الآخر بالتبلور، أو بتعبير آخر – بدأت آثار الهزيمة تظهر على الذات العربية وتتجسد روائياً في

صورة الآخر المتفوق على الدوام ((وهكذا نجد الروائي العربي يبحث عن وجوده في الآخر وقد صاحب هذا البحث عقدة الانتقام من الآخر الذي احتواه في الفترة الاستعمارية. ولا يزال محتلاً لأغلى جزء من الوطن العربي.وتحولت العلاقة تدريجياً مع تطور النموذج الروائي واتساع الرؤية الفنية حيث تجاوز الكتاب الثنائية الأنا/ الآخر، وأضحت صورة الآخر تعالج كموضوع يمارس فيه البطل المثقف المهزوم في وطنه أو المنفي عن رؤيته النضالية، ويجري فيه قراءاته التاريخية الواقعية حول مصير العلاقة بين الشرق والغرب، بين اليهود والعرب.وهنا لجأ الروائيون إلى تصنيف آخر، ثم حاول البعض الاهتمام بلقاء الآخر على أرض الوطن بعد أن كان اللقاء في باريس، وروما، ومدريد، ولندن وغيرها.))(١٤)، فلقد كان الانبهار بالغرب والحضارة الغربية أول نقاط التصادم، ولاسيّما أن الشرقي كان مشروع انتقال دائم إلى هذا الغرب، حتى تحولت العلاقة فيما بعد إلى أن يكون الغرب القادم إلى الشرق الرؤية الجديدة المغايرة للمألوف، وتعدد مستويات الخط الانتقالي بين المدن الغربية أضحى مستوىً آخر مطلوب من الروائي، فبدأ الصراع – من هنا تحديداً – من انتقال المسار السردي في روايات الصراع مع الآخر – إذا ما أردنا لها تسمية معينة منعاً للالتباس– أي أن الصراع بدأ من الشرق واستمر في الشرق أيضاً – ولن نقول انتهى– لأنه مازال قائماً بين الاثنين وإن اتخذ صوراً أخرى تعكس سلبيتها وازدواجيتها.

ثالثاً: عصفور من الشرق: نقطة الصراع.

بدأ الاهتمام بالآخر مع البدايات التأسيسية الأولى لحركة النهضة العربية الحديثة وما رافقته من تطور في الوعي العربي، الذي أخذ يتساءل عن الدور المركزي لوجود هذا الآخر وعلاقته بالذات العربية، هذه العلاقة التي نمت وتطورت في ظل الصراع بين الطرفين، بين قطبين متضادين، الأول يتمسك بمادية الحياة الباذخة وقشورها بما فيها من لهو ولذة وإغراءات وخداع ومكر، والآخر يتمسك بروحانية المبادئ والقيم التي يعلن عنها دينه وعقيدته الفكرية الخالصة، هذا الصراع كان المحور الأساس الذي قامت عليه أحداث رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم الصادرة عام ١٩٣٨، والتي أنتجت في ظل النهضة العربية وعُدَّت إحدى روايات هذه الحقبة، لما لها من مساس مباشر بالقضية المطروحة التي تفاعلت مع ثنائية الشرق والغرب والنتيجة التي وصل إليها الاثنان مع تطور علاقاتهما، إلا أن إحساس أحدهما بالنرجسية والآخر بالدونية كانت تغلف هذه العلاقة من الخارج والداخل، تمثّل الخارجي في الصراع بينهما ومحاولة كلٍّ طرفٍ النيل من الآخر بالتجريح والاحتقار، فيما تمثّل الداخلي برفض كل ما يمت بصلة بهذا الآخر، لذلك ((كان الإحساس العميق بالتصادم، أو بالأحرى بالصراع، بين "مادية" حضارة الغرب و"روحية" حضارة الشرق هو الأساس الذي تنهض عليه بنية الرواية...))(١٥)، وتمثّل هذا الصراع في "محسن" العصفور القادم من الشرق الذي يشكل المحور الذكوري في الرواية فيما تمثّلت "سوزي ديبون" المحور الأنثوي فيها...

وأول ماتتحدد العلاقة وتظهر بوضوح في عنوان الرواية "عصفور من الشرق" حيث أن المعادلة السردية تحتم وجود طرفٍ آخر مغاير أو مناقضٍ للطرف الأول وهو الغرب، وعلى هذا الأساس تنهض البنية السردية لأحداث الرواية التي تتجسد في نقطة التقاء الشرق بالغرب في العلاقة التي جسّدها الفضاء الروائي المتمثل في باريس

حيث موطن الآخر/ الغرب القادم إليه هذا العصفور الشرقي أولاً ثم في استمرارية الحضور السردي لهذا الآخر – بهذه الكثافة – وتفاعله في مجتمع الآخر يقيم علاقاته الانسانية معهم إما بالصلح كما في علاقته بـ"أندريه" وعائلته أو في علاقته بالعامل الروسي "إيفان" أو بالمهادنة والخداع كما في علاقته مع "سوزي".

اشتغلت الرواية على مقولة الآخر، وفاعلية الذات العربية معه ضمن بيئته الغربية، حيث الفضاء الأوسع والموائم لمثل هذا اللقاء الحضاري.

فالشخصية الرئيسة التي يضطلع بدور البطولة في هذه الرواية هو "محسن" الرجل القادم من الشرق أو مايسمونه في الرواية/ العصفور الشرقي، وهي تسمية افترضتها العقلية الغربية بدهاءٍ ومكرٍ ولاسيّما أن مثل هذه التسمية – حسبما يبدو – من التسميات المتداولة في الغرب بدليل أن الشخصيات التي تمثل دور التضاد مع هذه الشخصية تطلق هذه التسمية كلٌّ من منظوره الخاص ومن دون أن يكون هناك لقاء بينها فـ"أندريه" الصديق الحميم لـ "محسن" يناديه بـ: **((– آه أيها العصفور القادم من الشرق))**[16] و **((– أيها العصفور الشرقي))**[17] و **((أين عصفور الشرق))**[18]، وتصفه والدته بـ**((عصفور الشرق))**[19]، وهو يصف نفسه بـ**((الصعلوك القادم من الشرق))**[20] عبر منلوج يثير لديه الإحساس بتفوق الآخر عليه وهو في فضاء الأوبرا حيث البذخ والإغراق في الترف البادئ على ملامح الآخرين أغلبهم من سراة الأمريكان.

نجد الاختلاف البيّن بين هذه الأوصاف وبين عنوان الرواية الخارجي، إذ إن عملية التعريف السردية التي تحيط بهذه الأوصاف لها دلالتها المقصودة، دلالة الارتباط العائلي الذي يتم بين أطراف العملية السردية "محسن" من جهة وعائلة "أندريه" من جهة أخرى ولاسيّما أن هذه الأوصاف تختفي بمجرد مايتم الانقطاع في هذه العلاقة مع دوام استمرار الصداقة بين الاثنين، فالانقطاع إنما تم عن طريق

انتقال "محسن" من البيت الريفي الذي كان يقطنه إلى فندق "زهرة كلارسيا" حيث تسكن "سوزي "، فهو انتقال من فضاء مكاني إلى فضاء مكاني آخر، وكأن هذا الانقطاع والاختفاء هو عهد حياة جديد سيعيشها "محسن" فيما بعد، فتحول "محسن" من الفضاء السردي المشبع بالحنان والصداقة إلى فضاء سردي آخر يتجاوز الاتصال فيه حدَّه بين اتصال روحي يربطه بـ"سوزي" الحبيبة التي استطاع الوصول إليها بعد طول معاناة أولاً واتصال ذهني/ فلسفي يربطه بـ"إيفان" العامل الروسي، وفي هذا الاتصال بالذات يصل الصراع مع الآخر ذروته ولاسيّما أن "إيفان" شخصية متمردة على واقعها، اغتَّر بروحانية الشرق والحضارة الشرقية والأديان الشرقية، وسفّه كل ماديات الحضارة الغربية؟!

ولا نريد الخوض في مسألة العلاقة القائمة بين"محسن" وعائلة "أندريه" لأنها قائمة على مبدأ الصلح ولم يكن ثمة صراع بينهما.

ينطلق الصراع مع الآخر بعد أن يكون"محسن" قد وصل في علاقته بـ"سوزي" إلى الدرجة القصوى من العلاقات العاطفية التي تربط الرجل بالمرأة، هذه العلاقة تستند أساساً إلى الروح الشرقية المتمثلة بالحب والغيرة والحفاظ على المحب وصونه، وهي علاقة سردية متشابكة وشائكة يأباها الغرب المتمثل بـ"سوزي" التي وجدت في علاقتها به مجرد قضاء وقت الفراغ واللهو والعبث بالمشاعر الانسانية السامية شأنها شأن غيرها من فتيات أوروبا وربَّما كان وصف "أندريه" لـ"سوزي" إنما كان تعبيراً صارخاً عن وصف الحضارة الغربية برمتها يقول: "أندريه":

((أرأيت؟... إنها فتاة ككل الفتيات!... وعاملة كآلاف العاملات..تلك التي أسكنتها قصراً من قصور ألف ليلة وليلة، وجعلتها تنظر من عليائها، إلى مواكب الناس المتدفقة تحت شباكها... آه أيها الصديق!... اقتنعت الآن أن الأمر أقل

خطراً مما كنت تتصور، وأن وقوع امرأة بين ذراعيك مسألة بسيطة، لا تحتاج إلى كل هذا الوقت، إلى كل هذه الخيالات والتأملات!؟...))[٢١].

يصل الصراع ذروته بين "محسن"و"سوزي" أو فلنقل بين فكرتين متضادتين تمثل أحدهما الشرق بكل مايمثله من صلاحيات الامتلاك والغيرة بدافع الحب، ويمثل الآخر الغرب الذي يقاوم هذا الحق بدافع من الأنانية، ينهار الأول فيما يبقى الآخر صامداً، يتكلم الأول ويثور في لحظة دفاع مستميتة عن هذا الحق من دون أن يكون هناك أي أثرٍ ظاهرٍ على الآخر، الذي يبقى صامتاً وصمته هو السلاح الرابح في معركته مع الآخر الشرقي.ففي مشهد سردي يلتقي فيه الاثنان في الحفلة الأولى للرواية الجديدة وهما على وئام تام يظهر فجأة شابٌ فرنسي جميل الطلعة تلتقي نظراتهما "سوزي" والشاب الفرنسي فيتغير ملامح كلٍّ واحدٍ منهما، يصل الحدث السردي ذروته عندما يلاحظ العصفور الشرقي هذا التغيير، هنا نرتكن إلى الأسلوب الغربي في مثل هذه المواقف وكيفية التعامل مع الآخر/ الشرقي، إذ لانجد أدنى صراعٍ بين الاثنين مادامات هما من قطبين متشابهين، يبرز الصراع ويحتدم بين الأنا العربي "محسن" والآخر/ الغربي "سوزي" ولاسيّما أن هذا الأخير حريصٌ كل الحرص على الإبقاء على صورته المشرقة أمام الآخر المماثل، فيصف الراوي موقف"محسن" وصراعه الحاد في التشبث بآخره الغربي"سوزي":

((إنك تحملينني من الإذلال مالا أطيق!... نعم، ينبغي أن أقول لك: إن ماتصنعين بي الآن لكثير، وليس الذي يعنيني من الأمر هذا الحب الهائل، الذي ظهر فجأة الساعة فسحرك، وجعل منك تمثالاً من الشمع، فأنت حرَّة في شؤون عواطفك، ولا يدفعني إلى هذا الكلام ألم أو غيرة... حقيقة إن حالي الآن لا تدعو إلى الاغتباط والارتياح، ولكني أنا أيضاً حرٌّ في شؤون عواطفي!... ما أسالك عنه الساعة هو أن تفكري قليلاً في أمر موقفي، وأن تنقذي على الأقل المظاهر، وأن

تعامليني في شيء من البر والكرم، وألا تجعليني ذليلاً أمام حبيبك أو خليلك، إلا إذا كنت تقصدين ذلك، وكان هذا هو السبيل، الذي ترتفعين به في نظره، وتصلين به إلى عنايته وحسن التفاته!...))[٢٢].

إن النص طويل وهو ماحدا بنا إلى استشهاد بجزءٍ منه يفتح أمامنا الإمكانات السردية في تحليل محتواه ولاسيّما إذا كان يمثل الوجه الأنسب لإبراز صورة الصراع مع الآخر وكيف يتم التعامل سردياً مع هذا الصراع والموقف الذي يمكن أن يجدَ فيه الشرقي نفسه محاطاً بأسوار الإذلال الغربي المتعمد له.

يهرب "محسن" من المواجهة – فليس هناك حلٌّ آخر غير الهروب – وهو مايكشف في جانبٍ منه على تراجع الحضارة الشرقية أمام إنبهار الحضارة الغربية حتى وإن كانت الوسائل والغايات التي تقدمها هذه الحضارة تنافي ماهو معهود عليه ومتعارف بل ومتداول في الحضارة الشرقية، يكتشف "محسن" إن هذا الآخر الذي تشبث به بإصرار حادٍ ماهو إلا **((غادةٌ شقراء غادرة ولعوب، جميلة وأنانية، لايعنيها إلا نفسها واستعباد غيرها مثلها مثل تلك "القارة الشقراء" التي ترمز إليها، أوروبا، "بنت آسيا وأفريقيا" التي أنكرت أبويها وكافأتهما على إنجابهما إياها بوضع الأصفاد في أقدامهما، وألهبت ظهريهما بسياط عبوديتها وبهرت عيونهما ببهرج "مدينتها الخلابة" ولوثت صفاءهما الروحي بماديتها الخسيسة. وتماماً كما فهم العصفور الشرقي"محسن" أن "فتاته الشقراء "، التي توجها ملكة على عرش قلبه، لاتعدو أن تكون غانية "مجبولة بطين المكر والخداع"، "لاهية، عابثة، مادية، أنانية، لا تعرف غير حياة الواقع، ولا تحب الحياة إلا في الحياة".))**[٢٣].

في رسالة بعثها "محسن"إلى "سوزي" يعاتبها، ويصف فيها حاله والمآل التي وصل إليها بعد انقطاع علاقته بها، وهي رسالة طويلة نوعاً ما يبين فيها فلسفته ووجهة نظره في العلاقات الانسانية التي يمكن أن تربط قطبين نقيضين ومتضادين،

وكيف يمكن لهذه العلاقة أن تنمو وتثمر في ظل الصراع بينهما، فليست هناك علاقة مستمرة، ثابتة بل هي دوماً منقطعة وهي وإن اتخذت طابعاً جدياً إلا أنها مغلفة بالمصالح والمنافع المادية أكثر من احتفائها بروحانيات هذه العلاقة، ففي نظرته إلى الفتاة الأوروبية مقارناً بينها وبين الفتاة الهندية يقول "محسن":

((...أما الفتاة الأوروبية، فإنها تفعل غير ذلك!... إنها أعقل من أن تلقي بنفسها في اللهب من أجل الذي تحب، أما من لاتحب، فهي تعرف كيف تجعله هو اللهب، وهو الحطب الذي يلقى في المدفأة، كي ينشر الحرارة في مسكنها المغطى بالجليد!... خيل إلي ياسيدتي حقيقة، إن ريحاً باردة قد هبت على ما كان بينك وبين مسيو "هنري" في يوم من الأيام، وكان ينبغي أن أدرك إن قلبك يومئذ، كان في حاجة إلى الدفء، وكان ينبغي أن أعلم أن المكان المعد لي، إنما هو "الموقد"!... وأن هذا الوقود "الحي" ينبغي أن يبقى حتى يحترق بأكمله، ويصبح رماداً، وتنتهي مهمته، فتكنس ذراته وتطرح في الهواء!...))[٢٤].

كان في هذه الرسالة ناقداً للآخر/ الغربي المتمثل في "سوزي"/ الفتاة الأوروبية، أو بالأصح الوجه السلبي المعبر عن الحضارة الغربية، على إنا لانعدم وجود آثار تدلل على نقد الذات، يحاول من خلاله "محسن" أن يكون ناقداً لذاته التي ألجأته إلى هذه المأساة والآثار الناجمة عنها، كما إننا نجد نقداً تصف فيه "سوزي" نفسها بالأنانية وتعبر عن آلامها بالكثير من السخرية الظاهرة فيه، ولكن خير ما يمثل نقداً للآخر/ الغربي تحديداً إنما يمثل في الخطاب السردي المصبوغ بآراء التيارات الفكرية التي برزت إلى الوجود على أعقاب حركة النهضة الأوروبية والنتائج الوخيمة التي جرتها هذه التيارات على الشعب، هذا الخطاب يضعه توفيق الحكيم على لسان إحدى الشخصيات المتمردة على واقعها و/العامل لروسي "إيفانوفيتش"، وهو نقدٌ موجه

من الغرب إلى الغرب/ من الروسي إلى الآخر الأوروبي، وهما خطابان يقول في إحداهما:

((- أنبياؤكم أنتم؟!... نعم هذا من الجائز!... إن الشرق قد حل المعضلة في يوم ما... هذا لاريب فيه، إن أنبياء الشرق قد فهموا أن المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض، وانه ليس في مقدورهم تقسيم مملكة الأرض، بين الأغنياء والفقراء؛ - فادخلوا في القسمة "مملكة السماء"، وجعلوا أساس التوزيع بين الناس "الأرض والسماء" معاً: فمن حرم الحظ في جنة الأرض، فحقه محفوظ في جنة السماء! هذا... هذا جميل!... ولو استمرت هذه المبادئ، وبقيت هذه العقائد حتى اليوم، لما غلى العالم كله في هذا الآتون المضطرم، ولكن "الغرب" أراد هو أيضاً أن يكون له أنبياؤه " الذين يعالجون المشكلة على ضوء جديد، وكان هذا الضوء منبعثاً هذه المرة، من باطن الأرض، لا آتياً من أعالي السماء...هو ضوء العلم الحديث ؛ فجاء " كارل ماركس "، ومعه إنجيله الأرضي: " رأس المال "، وأراد أن يحقق العدل على هذه الأرض، فقسم "الأرض " وحدها بين الناس، ونسي " السماء " فماذا حدث ؟...حدث أن امسك الناس بعضهم برقاب بعض، ووقعت المجزرة بين الطبقات تهافتا على "هذه الأرض"!!..

...

- لقد ألقى قنبلة " المادية والبغضاء واللهفة والعجلة " بين الناس، يوم أفهم الناس أن ليس هنالك غير " الأرض "- يوم أخرج "السماء " من الحساب، لأن علم الاقتصاد الحديث لايعرف السماء!...أما أنبياء الشرق فقد القوا زهرة " الصبر والأمل في النفوس، يوم قالوا للناس: "لاتتهالكوا على الأرض ؛ ليست كل شيء! إن هنالك شيئاً آخر غير " الأرض " سيكون لكم شيء آخر يدخل في "التوزيع"!...إن

الإنسان لايحيا من أجل الخبز، كما انه لا يعيش من أجل الخبز وحده... آه!... إن أنبياء الشرق هم العباقرة حقاً!!...))[٢٥].

ففي هذا الخطاب، ثمة عالمان متناقضان، تناقضاً كلياً، يكمن هذا التناقض في طبيعة المهمة الملقاة على عاتق الأنبياء والتي من أجلها جاؤا، فأنبياء الغرب – كما يسميهم " إيفان" دلالة على رؤساء التيارات والمذاهب الفكرية – تحددت آراءهم ومهماتهم بالماديات والتوافه الدنيوية لذلك فشلوا، وفشل تيارهم في أن يمنح الشعب رفاهيته، من أجل هذا كله كان " إيفان" يتوق إلى احتضان الشرق، والسفر إليه، وانه المكان الأنسب والأصلح لأمثاله الفقراء للعيش فيه فهو – في نظره– جنة الفقراء كما هي روسيا في نظر " محسن"، أما أنبياء الشرق: المسيح (عليه السلام)، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) فقد عملوا على ((استمالة الساخطين والمتذمرين والمعوزين، وهم الكثرة الغالبة!...))[٢٦].

فإذا كانت هذه نظرة الغرب/ المتمثل في شخصية إيفان الروسي، فماذا عن "محسن" وهو القادم من الشرق؟ ماذا عن نظرته إلى الشرق الذي جعله الغرب جنة يتيه في أروقته الفقراء، لنتمثل بالنص الآتي، ويتم فيه السرد ممن وجهة نظره عبر منولوج لايتم الكشف عنه إلا في خاتمته، يقول وهو بصدد المقارنة بين عالمين: الشرق والغرب :

((– مهلاً، مهلاً أيها الصديق !...إن ذلك المنبع الذي تريد أن تراه، وتلك الأنهار التي تريد أن تشرب منها، – قد تسممت كلها... إن " الفتاة الشقراء " يوم حقنت فخذها "بالمورفين " السام لم تترك أبويها سالمين؛ لقد قضي الأمر، ولم يعد هنالك نبع صاف، فإن الزهد قد ذهب كذلك من الشرق!...

... وكلُّ هذه الأفكار الأوروبية قد أصبحت في الشرق اليوم مبادئ ثابتة، يؤمن بها الشرقيون إيمانهم – بل أكثر من إيمانهم – بمبادئ الأديان !...وإنه لمن السهل أن تقنع شرقياً اليوم بأن دينه فاسد، ولكن ليس من السهل أن تقنعه بأن " الصناعة الكبرى " هي عجلة "إبليس" التي يقود بها الإنسانية إلى الدمار... وإن

التعليم العام لرموز الكتابة نوعٌ من الهراء، وإنك قد تستطيع اليوم أن تقتلع من رأس الشرقي عظمة السماء... ولا تستطيع مطلقاً أن تقتلع منه عظمة " العلم الأوروبي الحديث "، وإنه لمن اليسير أن تسفه عند الشرقي الآن " رسالة " الأنبياء، ولايمكن أن تسفه لديه " رسالة " القوة المادية الحديثة!... بل من العجيب أن هذه الأفكار والمبادئ التي تعتبر في الشرق اليوم ثابتة ثبوت الآيات المنزلة قد يناقشها الأوروبيون أنفسهم وينقضونها، وهي ماتزال حافظة عندنا كل قوتها!... وإن المدفع قد ينطلق في أوروبا ضد بعض هذه الأفكار، ونرى ضوء لهبه، ولكن الصوت لايصل إلى آذاننا... لا لبعد المسافة؛ بل لأن آذاننا لاتسمع، وقلوبنا لا تعي!... لقد كانت " الحقنة " شديدة الفعل والأثر... نعم، ولا أحد يدري هل أوروبا حقنت الشرق بأفيون خالص أو بأفيون ممزوج بسم ناقع، سرى – ومازال يسري– في شرايينه يقتل كل بذور المثل العليا الشرقية في النفوس ؛ فشبان الشرق اليوم – عندما أرادوا أن يتخذوا لهم مثالاً للرجولة والبطولة – لم يتجهوا شطر " غاندي " ولكنهم اتجهوا بعيون، كأنها منومة تنويم المغنطيس شطر "موسوليني"، ويوم أرادوا أن يجعلوا للتقشف والجلد والخشونة لباساً، لم يضعوا على أبدانهم العارية القوية رداء بسيطاً من القطن، يصنعونه بأيديهم؛ –لكنهم ارتدوا القمصان الأوروبية ذات الألوان!... إذن حتى أبطال الشرق قد ماتوا في قلوب الشرقيين!...

نعم اليوم لايوجد شرق!... إنما هي غابة على أشجارها قردة، تلبس زي الغرب، على غير نظام ولاترتيب ولا فهم ولا إدراك.))[٢٧].

فماذا فعل محسن/ العصفور القادم من الشرق؟

لم يفعل أكثر من انه حاول القضاء على التصور الغربي ونظرته للشرق، فكما أن للغرب مساوئ أراد الغربي نفسه أن يتجنبها وينزاح بعيداً عنها، ورأى أن هذا لايتم إلى بالذهاب إلى الشرق– في نظر ايفان الروسي على الأقل –، كذلك للشرق

مساوئه التي هرب منها محسن إلى بلاد الآخر الغربي وليس أدل على هذا الهروب تجنب الراوي الكشف عن أسباب ومبررات وجود محسن في باريس، هل هو للدراسة أم للترفيه أم لغرض آخر بات مجهولاً للقارئ...

إن مشروع هذه الرواية إنما يعبر عن جدلية التغاير والاختلاف السرديين الذين ظهرا واضحين في نظرة كل طرف إلى الآخر، والصراع معه، وهو صراع كان حاداً عندما واجه "إيفان" بشاعة الغرب وقارنها بتسامح الشرق ونقائه، لقد وجد "إيفان" في الشرق الملاذ والملجأ – الذي لم يصل إليه دلالة الحلم المستحيل الذي لايتحقق ولايمكن لأمثاله أن يحققوه.

تنهض البنية السردية لرواية " عصفور من الشرق " على نظام الراوي العليم أو كلي العلم والذي يأخذ على عاتقه مهمة إلقاء الحدث الروائي مع تدخلات الشخصيات السردية التي تشي عن بعض علاقاتها مع الآخرين في مهمة سردية ذاتية تفصح عن مكنوناتها الذاتية.

ويشكل فضاء باريس الفضاء الكلي الذي تدور على أرضيته الرحبة الأحداث ابتداءاً من الاستهلال الروائي الذي يكشف عن تميز الشخصية السردية " محسن " عن باقي الشخصيات من حيث الأداء والسلوك والتصرفات التي تبرز هويته السردية الدالة عليه بوصفه شخصية مغتربة، لها علاقاته مع المحيط الذي يسكنه: أندريه وعائلته، فيما تفصح الأجواء السردية عن الفضاء الزمني الذي يستند إليه الحدث، القائم على فعل التوافق السردي بين قطبين متضادين والنتائج التي آل إليها أحد القطبين بعد العلاقة العاطفية الفاشلة أساساً وكأن الراوي أراد أن يحذر قرائه من مغبة اللهاث وراء هذه العواطف ولاسيّما إذا كان القطب الآخر لايتفاعل سردياً مع القطب الأول أولاً، ويحس بتفوقه –المزيف– عليه وانتصاره الوهمي عليه ثانياً، فبقدر تعلق الأمر بهذه العواطف فإن المسألة المحسومة هي أن: الغرب غرب والشرق شرق وإن

التقيا في الفضاء المكاني والزماني إلا إنهما لن يلتقيا أبداً في فضاء الأفكار والأحاسيس والمشاعر وسيبقى شعور التفوق الغربي هو المسيطر إزاء القطب الشرقي الذي عليه ألا ينسى حظه من الدونية والهزائم المتكررة.

إن الشخصيات السردية كشفت عن الوجه الحقيقي للغرب وعلاقته بالشرق وتحركت وفق هذا المستوى المعلن عنها، كما أنها كشفت عن عقلية الغربي الرافض لكل المبادئ والقيم "سوزي ديبون" على سبيل المثال، و" إيفان " العامل الروسي الذي تكشف حواراته مع " محسن " عن القناع الوهمي الذي يرتديه الغرب بحجة التطور والحضارة فكانت النتيجة أن الغرب بقي حالماً بالشرق الذي لم يصله، والشرقي بات مأخوذاً بالحضارة الأوروبية – على مساوئها – وأسيراً لها... هذه الحوارات الخارجية هي أساس نظرة الغرب إلى الشرق، ونظرة الشرق إلى الغرب، وكيف يمكن للاثنين أن يلتقيا لو أن وهم الانتصار والإحساس بالتفوق لم يكن موجوداً...

فماذا فعلت الرواية ؟ إنها لم تفعل أكثر من أنها أبرزت الصورة الحقيقية والوجه القبيح للغرب مع خمود الشرق وانهياره.

نقول: إن المنظومة الفكرية التي تتحرك خلالها الأنا تنزاح أو تحيد قليلاً عن المنظومة الفكرية التي يكتسب الآخر منها دوره السوسيولوجي وشرط وجوده التاريخي والجمالي.

لقد عملت النهضة على فتح الآفاق أمام الروائيين للتطلع إلى أبواب لم تكن تفتح لهم من قبل، فعملوا على الإحاطة بها من كل جانب والاغتراف منها، كما تشكل لديهم الوعي بخطورة وجود الآخر – في حياتهم ممارسة ودلالة – مالم يعملوا على اكتشاف مكامن ضعفه، وصيغ جدليته المزيفة، فكان أن أحاطوا بالجوانب الهامة في هذا المضمار.

إن النهضة الفكرية أثرت – ومازالت – في الفكرين/ الشرقي والغربي، لقد ولدت منذ بداياتها التأسيسية فكراً أيديولوجياً قائماً على صورة الوهم بين العالمين/ الشرق والغرب. واستطاعت هذه الصورة أن تغلف العلاقة المشروطة بمصالحها الثنائية وتبادل ادوار المنفعة بما يخدم مصلحتها في ظل وجود الآخر...

لقد عاش الآخر في ظل هذا الوهم، ونما الصراع مع آخره حقيقةً لا وهماً، ولم تكن للنهضة يدٌ سوى أنها عجلت في هذا اللقاء التصادمي الذي كان لابدَّ أن يظهر ويبرز إلى الوجود مادام الإحساس بالتفوق على الآخر ظل مسيطراً على المشهد الثقافي.

الهوامش والإحالات:

(١) الرواية العربية المعاصرة واستشراف لآفاق التطور المستقبلي، ضمن كتاب: الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع – بحوث تمهيدية، مجموعة باحثين، إشراف: عبد المنعم تليمة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ١٩٦.

(٢) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سوسيولوجي لرواية " محاولة للخروج "، فتحي أبو العينين، ضمن كتاب صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه،مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ٨١٢.

(٣) م.ن، ٨١٢.

(٤) التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ١٠٦.

(٥) البحث عن جوانب جديدة لأسئلة النهضة، ماجد السامرائي، مج الأقلام (العراقية)،أيلول – تشرين الأول، ٢٠٠٢، ٥.

(٦) ينظر: علم الوسائل وعلم الغايات، حسن حنفي، بحث القي في الندوة الثانية للعلاقات الثقافية المصرية – المغربية، القاهرة، كانون الأول، ١٩٨٩.

(٧) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ٨١٣–٨١٤.

(٨) مطارحات العلاقة – إشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي المعاصر، محمد محفوظ، ١.

(٩) محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر، احمد جدي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ١١.

(١٠) ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، عبد المحسن طه بدر،ط٤، مكتبة الدراسات الأدبية (٣٢)، دار المعارف، مصر،١٩٨٤، ٦٧.
(١١) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ٨١٤.
(١٢) إشكاليات الفكر العربي المعاصر،محمد عابد الجابري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ٢٧.
(١٣) فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨، ٦٢.
(١٤) خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي – الصهيوني – دراسة تحليلية، عبد القادر شرشار، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٥، ٩.
(١٥) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ٨١٦.
(١٦) الرواية، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥، ٧.
(١٧) م.ن، ١٥.
(١٨) م.ن، ٣٤.
(١٩) م.ن، ٣٠.
(٢٠) ينظر: م.ن، ٢٢-٢٣.
(٢١) م.ن، ٣٠، م.ن، ١٠٨-١٠٩.
(٢٢) م.ن، ١٠٨.
(٢٣) م.ن، ١١٩-١٢٠.
(٢٤) صورة الآخر ناظراً ومنظوراً إليه، ٨٠١.
(٢٥) الرواية، ١٢٨-١٢٩.
(٢٦) م.ن، ٧٥-٧٦.
(٢٧) م.ن، ١٧٢ -١٧٤.

Abstract

The intellectud from formed the found atons for the beginning of literary renaissance which amouncd.

By: dr. sawsan albayatie

The formation of its approned constitution during the mineteen through nelying on reality and adopting apar- sighted view produced critic ideas, question, and proposals wich deepened the renaissance including its criteria and principles.

Renaissance question worked on the attempt of searching for many question that had to do with its project making.probly, the question of nelationlup with the other, specifically the western, is the most insisting question on the ewltural scene, espeeially when thin question is demonstrated through the novelists products in novels that sprang from illuminatine thought wich tried to show in ugly.

Mean mhide, the attempt to efface the culturad and civilizational dimentions alitrature was most related to the Arabic status.

The paper aims at showing the negative aspect in the afierce controvrsicl conflict between arab two evrrents and how there two currents ree each of here.

To make illusiomany buses for such velation , ship, among the most important on :

- the conceptad ego and the other: east and west.
- Intelectal rise and the glimpses narratcue derelopment.
- A sparrow for east: the peint of conflict.

أبنية الجموع في سيرة ابن هشام
(دراسة استقرائية)

م. فاضل عبد أحمد قاسم
جامعة كركوك/ كلية التربية/قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا بحث في كتاب السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري البصري المتوفى سنة ٢١٨ هـ، والذي استخرجه من كتاب ((السيرة)) لمحمد بن إسحاق المطّلبي المتوفى سنة ١٥١ هـ، وعلى الرغم من كون مؤلفها مهتما بالتاريخ والسير والمغازي إلا أنّ كتابه شمل جوانب متنوعة في المباحث اللغوية، الأمر الذي دفعني إلى أن تكون دراستي فيها دراسة صرفية لصيغ الجموع التي ظهرت في هذا الشرح بعد أن دُرست الظواهر اللغوية فيها من قبل الدكتور كاصد الزيدي[١].

واني لآمل أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع واعطيته حقه من البحث والدراسة

ومن الله التوفيق.

الجمع لغة: اسم لجماعة الناس، والجمع مصدر قولك جمعت الشيء عن تفرقه، يَجمَعهُ جَمعاً وجُمعَة[٢].

أما اصطلاحاً: فهو ضم الشيء إلى أكثر منه، فالتثنية والجمع شريكان من الجمع والضم، وإنما يتفرقان في المقدار والكمية، والجمع على ضربين جمع تصحيح وجمع تكسير[٣].

أولاً: الجمع الصحيح: ويقال له: جمع سالم، لسلامة لفظ واحده من التغيير[٤]، ويقسم على جمعين (المذكر والمؤنث).

جمع المذكر السالم:

ويقال له أيضاً جمع على هجاءين لأنه مرة يكون بالواو والنون – في حالة الرفع – ومرة بالياء والنون – في حالة النصب والجر – نحو: الزيدون، والزيدين[٥]، ويشترط في الاسم الذي يجمع هذا الجمع أن يكون علماً أو صفةً، فان كان علماً يشترط فيه.

أن يكون لمذكرٍ عاقلٍ خالياً من التاء ومن التركيب فلا يجمع هذا الجمع نحو كلمة (تلميذ) لعدم العلمية، ولا (سعاد)، ولا (طلحة)، ولا (حمزة) لعدم التذكير[٦].

وان كان صفة فيشترط فيه:

١- أن تكون لمذكر عاقل خالية من التاء ليست على وزن (أفعل) الذي مؤنثه (فعلاء)، ولا على وزن (فعلان) الذي مؤنثه (فعلى) فلا تجمع هذا الجمع كلمة (حائض) لعدم التذكير، ولا (شموس) لعدم العقل، ولا (نسّابة) لوجود التاء، ولا (أحمر) أو (سكران) الذي مؤنثه حمراء وسكرى[٧].

٢- ولا يستوي فيه المذكر مع المؤنث نحو صبور وجريح[٨].

وتُلحق بجمع المذكر السالم ألفاظ مثل: (أولو، ذوو، أهلون، أرضون، عالمون، وبنون، وألفاظ العقود من عشرين إلى تسعين، وتسمى الملحق بجمع المذكر السالم)[٩].

وقد جاءت صيغة جمع المذكر السالم في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- في أثناء حديثه عن تفسير قوله تعالى چ ٹ ٹ ٹ چ[الكهف: ٦]، قال ابن هشام: (باخع نفسك، أي مُهْلِك نفسك... وجمعه: باخِعُون وبَخَعَة)[١٠]

ب- كذلك تفسير قوله تعالى چ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ چ [آل عمران: ١٤٦]، قال ابن هشام: ((واحد الرّبيين ربّي))[١١].

ج- وفي تفسيره لقوله تعالى چ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ چ: [آل عمران: ٧٩]، قال ابن هشام: ((الربانيون: العلماء الفقهاء السادة؛ واحدهم رَبّانيّ... والرّباني: مشتق من الربّ وهو السيد))[١٢].

د- في قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ چ[البقرة: ١٥]، قال ابن هشام: ((يعمهون يَحَارون، تقول العرب: رجل عَمِه وعامِه أي حَيْرَان، قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا

أعمى الهُدى بالجاهلين العُمّهِ

... فالعُمّه: جمع عامِهٍ، وأما عَمِه فجمعه عَمِهون، والمرأة: عَمِهَة وعَمْهاء)[١٣].

أما الملحق بجمع المذكر السالم فقد جاء عنده في تفسيره لقوله تعالى چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ چ [الحجر: ٩١]، قال ابن هشام: ((واحد العِضين: عِضَة))[١٤]، وذكر ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) في كتابه أوضح المسالك: ((إن هذا الجمع مطرد في كل ثلاثي حذفت لامه وعوّض عنها هاء التأنيث ولم يكسّر نحو عضة وعضين، وعزة وعزين، وثُبة وثبين... ولا يجوز في نحو ثمرة لعدم الحذف ولا في نحو عَدة وزِنَة لان المحذوف الفاء...))[١٥].

جمع المؤنث السالم:

وهو ما سلم بناء مفرده عند الجمع ودل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء في آخره[١٦]، ويشترك في هذا الجمع من يعقل من المؤنث وما لا يعقل[١٧]، ويجمع هذا الجمع من الأسماء ما يأتي[١٨].

١- كل ما ختم بتاء التأنيث نحو: أخت أخوات، فاطمة فاطمات، ويدخل في ذلك ما كان علماً لمذكر نحو طلحة وحمزة، وكل ما ختم بألف التأنيث المقصورة أو الممدودة نحو ليلى وصحراء، وكل ما سمي به مؤنث حتى لو خلا من التاء مثل زينب، وسعاد، وهند، واستثنى من ذلك: امرآة، وأمة، وأمّة، وملة، وشفة، وشاة، فانها تجمع جمع تكسير.

٢- ما كان اسماً خماسياً ولم يسمع له جمع مكسر مثل: سرادق وحمام تجمع سرادقات وحمامات.

٣- اسماء المذكر التي لم يسمع لها تكسير مثل: إيوان، ورمضان، وشعبان، فنقول: ايوانات، ورمضانات، وشعبانات.

٤- بعض الأسماء الدالة على الجمع، مجموعة جمع تكسير، فيمكن جمعها جمع مؤنث سالم من (باب جمع الجمع) قصداً للمبالغة مثل: رجل رجالات، وبيت بيوتات، وطرق طرقات.

وقد جاءت صيغة جمع المؤنث السالم في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالىچ ٹ ٹ ٹ چ[الهمزة: ١]، قال: ((الهُمَزَة: الذي يشتم الرجل عَلانية، ويَكسر عينيه عليه ويغمز به... وجمعه هُمَزَات، واللمزة: الذي يعيب الناس سرّاً ويُؤْذيهم... وجمعه لُمَزات))[١٩]، ومثله في تفسيره قوله تعالى چ ۆ ۇ ۆ چ [الأحزاب: ١٣]، قال: ((عورة أي معورة للعدو وضائعة وجمعها عَوْرَات))[٢٠].

ثانيا: **جمع التكسير**: وهو ما يدل على ثلاثة فأكثر، وله مفرد حقيقي أو تقديري يشاركه معناه وفي أصوله مع تغيير يطرأ على صيغته عند الجمع[٢١]، وسمي هذا الجمع مكسراً؛ لأن بناء الواحد قد يغير عما كان عليه فكأنه قد كُسِر؛ لان كَسر كل شيء تغييرهُ عما كان عليه[٢٢]، ويكون هذا التغيير[٢٣] إما تغييراً حاصلاً بالشكل فقط نحو أسد جمعها أُسُد، أو بالزيادة فقط نحو صنو جمعها

صنوان، أو بالنقص فقط نحو تُخمة جمعها تُخَم، **أو** بالشكل والزيادة نحو رَجُل جمعها رِجال، أو بالشكل والنقص نحو رسول جمعها رُسُل، أو بالنقص والزيادة والشكل نحو غُلام جمعها غلمان.

ويقسم جمع التكسير على جمعين جمع قلة وجمع كثرة.

أ- **جمع القلة:** وينحصر في أربعة أوزان أساسية ومطردة هي ((أفْعُل، أ فْعِلَة، أفْعَال، فِعْلَة))[٢٤]، وجاء وزنان من هذه الجموع في سيرة ابن هشام وهما أفْعَال، أفْعِلَة.

١- **أفعال**:

وقياس هذا الجمع مخالف لقياس جمع (أفعل)، فإذا كان قياس (أفعل) في الاسم الثلاثي على وزن (فَعْل) صحيح العين ولم يُضاعف، فان قياس (أفعال) يقاس في المعتل الفاء أو العين الذي وزنه (فَعْل) نحو (وقت أوقات)[٢٥]، (وسيف أسياف)[٢٦]، ولِما كان مضاعفاً على وزن (فَعْل) نحو (جَدّ أجداد)[٢٧]، أو ما كان على وزن (فُعْل) نحو (جُنْد أجناد)[٢٨]، أو ما كان على وزن (فِعْل) نحو (حِمْل أحمال)[٢٩]، وجاءت صيغة أفعال في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

١- ما كان على وزن (فُعْل): في قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ چ[الأحزاب: ١٤] قال ابن هشام: ((الأقطار: الجوانب واحدها: قُطْر، وهي الأقْتار، واحدها قُتْر))[٣٠]

٢- ما كان على وزن (فِعْل) معتل العين: في تفسيره لقوله تعالى چ ں ں ڻ ڻ ڎ چ [المسد: ٥] قال ابن هشام: ((الجيد العنق... وجمعه أجْياد))[٣١].

٣- ما كان على وزن (فِعْل) صحيح العين في قوله تعالى چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ چ[آل عمران: ١١٣]، قال ابن هشام: ((آناء الليل: ساعات الليل واحدها إنْى))[٣٢]، ومن ذلك أيضا في قوله تعالى چ گ گ ں ں چ[المزمل: ١٢]، قال ابن هشام: ((الأنكال: القيوم واحدها نِكْل))[٣٣].

٤- ما كان على وزن فعل مضاعف: في قوله تعالى چ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ و چ[البقرة: ٢٢]، قال ابن هشام: ((الأنداد: الأمثال، واحدهم نِدّ))[٣٤]

٢- **أفْعِلَة**:

ويقاس هذا الجمع في الأسماء الرباعية المذكرة التي آخرها أحد حروف المد سواء كان على وزن فاعل نحو ((وادٍ أودية))[٣٥]، أم فِعال نحو ((فِراش أفرشة))[٣٦]، أم فَعَال نحو ((مكان أمْكِنة))[٣٧]، أم فُعَال نحو ((غُرَاب أغْرِبَة))[٣٨]، أم فعيل نحو ((رغيف أرْغِفة))[٣٩]، أم فَعُول نحو ((عَمُود أعْمِدة))[٤٠]، وجاء هذا الوزن في سيرة ابن هشام عند تفسير قوله تعالى چ □ □ چ[العلق: ١٧]، قال ابن هشام: ((... والنادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم... وجمعه أنْدِيَة))[٤١].

ب- **جموع الكثرة:** لهذا الجمع صيغ كثيرة ذكرها العلماء في مؤلفاتهم، ويمكن عرض ما جاء من هذه الأبنية في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

١- **فُعْل: بضم الفاء وسكون العين**

وهو ثلاثي ساكن الوسط، ويأتي جمعاً لما كان قياسيا على وزن (فَعَل) بفتحتين صحيح العين نحو (أسد أُسْد، و وَثَن وُثْن)[٤٢]، والمعتل العين نحو (دار دُوْر و وساق سُوْق)[٤٣]، أو على وزن (أفعل) ومقابله (فعلاء) وصفين كأحمر حمراء حُمْر[٤٤]، ويجوز أن يجمع (فُعْل) ما كان وصفه منفرداً كوجود (أفعل) وليس له مؤنث على (فعلاء) كأكمر كُمْر، أو وجود (فَعْلاء) ولا مقابل لها نحو (عفلاء عُفْل)[٤٥].

وجاءت صيغة (فُعْل) في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- جمعاً لما كان على (فَعَل) معتل العين، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى چ چ چ چ چ چ چ[الفتح: ٢٩]، قال: ((سُوقه غير مهموز جمع لساق الشجر))[٤٦].

ب- جمعاً لما كان وصفاً منفرداً على (أفعل) وليس له مؤنث (فعلاء)، ففي تفسيره لقوله تعالى چ گ گ گ چ [آل عمران: ٤٩]، قال: ((الأكمه الذي يولد أعمى... وجمعه كُمْه))[٤٧]، ومثله في تفسيره لقوله تعالى چ چ چ چ چ[البقرة:

٢٠٤] قال: ((الألد الذي يَشْغَفُ فتشتدُّ خصومته وجمعه لُدّ، وفي كتاب الله عز وجل ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ[مريم: ٩٧]))[٤٨].

٢- فُعُل: بضم الفاء والعين

ويقاس هذا الوزن في أبنية عِدّة منها ما كان على وزن (فِعَال) اسماً نحو (حِمَار حُمُر)[٤٩]، أو ما كان على وزن (فُعَال) نحو (قُرَاد قُرُد)[٥٠]، أو ما كان على وزن (فَعَال) اسماً وصفةً نحو (قَذَان قُذُن و صَنَاع صُنُع)[٥١]، أو ما كان على وزن (فَعُول) اسماً أو صفةً نحو (عَمُود عُمُد أو صَبُور صُبُر)[٥٢]، أو ما كان على وزن (فعيل) نحو (رغيف رُغُف)[٥٣]، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام عند تفسيره لقوله تعالى ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الكهف: ٨]، قال ابن هشام: ((الصعيد الأرض، وجمعه صُعُد))[٥٤]، وكذلك في تفسيره لقوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الكهف: ٩]، قال: ((الرّقيم الكتاب الذي رُقِم فيه بخبرهم وجمعه رُقُم))[٥٥]، وكذلك في قوله تعالى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[الكهف: ٥٥]، قال: ((... القبيل جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [الأنعام: ١١١]، فقُبُل جمع قبيل مثل سُبُل جمع سبيل وسُرُر جمع سرير وُقمُص جمع قميص))[٥٦].

٣- فِعَل: بكسر الفاء وفتح العين

ويقاس هذا الوزن في جمع ما كان على وزن (فِعْلة) صحيحاً أو معتلا أو مضعفاً، قال سيبويه: ((وما كان (فِعْلة) فإنك إذا كسّرته على بناء أدنى العدد... فإذا أردت بناء الأكثر قلت (سِدَر وقِرَب وكِسَر)... وبنات الياء والواو بهذه المنزلة تقول (لِحْيَة لِحَى، وفِرْيَة فِرَى، ورِشْوة ورِشا)... والمضاعف منه كالمضاعف من (فُعْلَة) وذلك قولك (قِدّة قِدّات وقِدَد، ورِبّة وربّاب ورِبب وعِدّة المرأة وعِدّات وعِدَد))[٥٧]، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان صحيحا: ففي تفسيره قوله تعالى ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[الإسراء: ٩٢]، قال: ((الكِسَف القطع من العذاب وواحدته كِسْفة مثل سِدْرة سِدَر))[٥٨]، ومثله في قوله تعالى ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ[الممتحنة: ١٠] قال ابن هشام: ((واحدة العِصَم عِصْمة وهي الحبل والسبب))[٥٩].

ب- ما جاء مضاعفا: في تفسيره قوله تعالى ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[التوبة:٨]، قال ابن هشام: ((الذمّة العهد... وجمعها ذِمَم))[٦٠].

٤- فِعْل: بكسر الفاء وسكون العين

ويقاس هذا الوزن في جمع ((ما كان على وزن (أفعل) نحو أشيب جمع شِيْب، أو (فعلاء) بالفتح والمد نحو بيضاء على بِيْض، أو (فِعْلَة) بالكسر وزيادة هاء كاللبنة على اللبن))[٦١]، وقد ذكر ابن هشام هذا الوزن أثناء حديثه عن المعنى الدلالي لكلمة (الكِسَف) قال: ((الكِسَف القطع من العذاب، وواحدته كِسْفة... ، وهي أيضاً واحدة الكِسْف))[٦٢].

٥- فُعّل: بضم الفاء وتشديد العين

وينقاس هذا الوزن في كل وصف صحيح اللام على وزن (فاعل) أو (فاعلة) نحو ((ضارب وضاربة ضُرّب))[٦٣]، ومن النادر الذي لا يقاس عليه أن يكون (فُعّل) جمعاً لوصف معتل اللام لمذكر على وزن (فاعل) نحو ((غازٍ غُزّى، وعافٍ عُفّى وسارٍ سُرّى))[٦٤]، وجاء هذا الوزن في سيرة ابن هشام عند تفسيره قوله تعالى ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[المائدة: ١٠٣]، قال ابن هشام: ((وجمع سائبة الأكثر سوائب وسُيّب))[٦٥]، وكذلك في تفسيره قوله تعالى ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [البقرة: ١٥]، قال ابن هشام: ((يعمهون يحارون، وتقول العرب: رجل عَمِه وعامه أي حيران قال رؤبة بن العَجّاج يصف بلداً

أعمـــى الهُـــدى بالجـــاهلين العُمّـــهِ

... **فالعُمّــه**: جمــع عامــه، وأمــا عَمِــه فجمعــه عَمِهــون، والمــرأة: عَمِهَــة وعَمْهاء))(٦٦).

٦- فِعَال

ويقاس هذا الجمع في ما كان على وزن (فَعْل) – فتح فسكون – اسماً أو صفةً، نحو ((فَحْل فِحَال، صَعْب صِعَاب))(٦٧)، أو ما كان على وزن (فَعَل) – بفتحتين – غير معتل اللام ولا مضعفاً – اسماً أو صفةً –، نحو جَبَل جِبَال وحَسَن حِسَان))(٦٨)، أو ما كان على وزن (فُعْل) – ضم فسكون – نحو ((جُمْد جِماد))(٦٩)، أو ما كان على وزن (فَعْلة) اسماً أو صفةً نحو ((قَصْعة قِصاع وصَعْبة صِعَاب))(٧٠)، أو ما كان على وزن (فعيل) نحو ((ظريف ظِراف))(٧١)، وسُمِع (فِعال) في جمع (فِعْلة) نحو ((جِزْية جِزَاء))(٧٢)، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان على وزن (فَعْلة): في تفسيره قوله تعالى چ ڇ ڇ چ چڇ چ[الكهف/ ١٧]، قال ابن هشام: ((الفَجْوة السعة، وجمعها فِجَاء))(٧٣).

ب- ما كان على وزن (فِعْلة): قال ابن هشام: ((... وقولهم الرِّباب لولد عبد مناة... وواحد الرِّباب رِبّة ورِبابة، وهي جماعات قِداح أو عصي ونحوها))(٧٤).

٧- فُعُول

ويقاس هذا في الثلاثي على وزن (فَعْل) – فتح فسكون – نحو ((كَعْب كُعُوب))(٧٥)، أو على وزن (فَعِل) – فتح فكسر – نحو ((كَبِد كُبُود))(٧٦)، أو على وزن (فِعْل) – كسر بسكون – نحو ((حِمْل حُمُول))(٧٧)، أو على وزن (فُعْل) – ضم بسكون – نحو ((جُنْد جُنُود))(٧٨)، وجاء هذا الجمع عند ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان على وزن (فَعْل) – فتح بسكون –: وذلك في تفسيره قوله تعالى چپ پ ﭙ ﭙ چ[الأحزاب: ٢٣]، قال ابن هشام: ((قضى نَحْبه: مات، والنحب: النفس فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعه نُحُوب))(٧٩).

ب- ما كان على وزن (فِعْل) – كسر فسكون –، وذلك في تفسيره قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي چ[النساء:٥١]، قال ابن هشام: ((الجِبْت عند العرب: ما عُبد من دون الله تبارك وتعالى، والجمع: جُبُوت))(٨٠).

٨- فعائل

ويقاس هذا الجمع في كل رباعي مؤنث اسما كان أو صفة، وثالثه حرف مد سواء كان على وزن (فِعالة) اسماً أو صفةً نحو ((جِنازة جنائز، ورِسالة رسائل))(٨١)، أم على وزن (فُعالة) اسماً أو صفةً نحو ((ذؤابة ذوائب، وذُبابة ذبائب))(٨٢)، أم على وزن (فَعُولة) نحو ((حَمُولة حمائل))(٨٣)، أم على وزن (فعيلة) اسماً أو صفةً نحو ((قبيلة قبائل، وصبيحة صبائح))(٨٤)، أم على وزن (فِعال) نحو ((شِمال شمائل))(٨٥)، أم (فَعُول) اسماً أو صفةً نحو ((عجوز عجائز))(٨٦)، أم (فعيل) نحو ((سعيد ولطيف – اسماء علم مؤنث – سعائد ولطائف))(٨٧)، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان على وزن (فعيلة): في تفسيره قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي چ[المائدة: ١٠٣]، قال ابن هشام: ((وجمع بحيرة بحائر وبُحُر وجمع وصيلة وصائل ووُصُل))(٨٨)، ومثله في تفسيره قوله تعالى چ ڇ چ ڇ ڇ چ چ ڇ ڇ چچ چ[التوبة: ١٦]، قال ابن هشام: ((وليجة: دخيل، وجمعها ولائج، وهو من وَلَجَ يَلِج أي يدخل يدخل))(٨٩).

ب- ما كان على وزن (فعيل): في تفسيره قوله تعالى چ ڳ ڳ ڳ ڳ گ چ[الكهف: ١٨]، قال ابن هشام: ((الوصيد... الفناء وجمعه: وصائد...))(٩٠).

٩- فُعَلاء

ويقاس هذا الجمع في ما كان على وزن (فاعل) نحو ((عاقل عقلاء))(٩١)، أو ما كان على وزن ((فعيل بمعنى فاعل وصفاً لعاقل غير مضعف ولا معتل اللام ولا واوي العين نحو: ظريف ظرفاء، وكريم كرماء))(٩٢)، ويستثنى من ذلك (صغير

وسمين) لانها جمعت على وزن (فِعال)، وقد أشار سيبويه لذلك بقوله: ((وقد يَدَعون فعائل استغناء بغيرها كما أنهم قد يَدَعون فُعَلاء استغناء بغيرها نحو قولهم: صغير وصِغار ولا يقولون صُغراء، وسمين سِمان ولا يقولون سُمَناء))[٩٣]، ويأتي (فُعَلاء) أيضاً جمعاً لفعيل بمعنى مُفَاعل نحو ((جليس بمعنى مُجالس وجمعه جُلساء))[٩٤]، وقد جاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [الإسراء: ٨٨]، قال ابن هشام: ((الظهير العون... وجمعه ظُهَرَاء))[٩٥].

١٠-فُعْلان - بضم الفاء وسكون العين

ويقاس هذا الجمع في ما كان اسما على وزن (فَعْل) – فتح فسكون –، نحو ((بَطْن بُطْنان، وظَهْر ظُهْران))[٩٦]، وكذلك ما كان على وزن (فَعَل) – بفتحتين – صحيح العين نحو ((جَذَع جُذْعان))[٩٧]، أو ما كان على وزن (فعيل) نحو ((رغيف رُغفان))[٩٨]، وجاء هذا الجمع عند ابن هشام في جمعه للفظة الوصيد، قال: ((الوصيد... وصدان... وأُصْدان))[٩٩].

١١-فَعَاليّ

ويقاس هذا الجمع في كل اسم ثلاثي ساكن العين، وفي آخره ياء زائدة ليست ياء النسب نحو ((كرسي كراسي، وأمنية أماني))[١٠٠]، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى چ ٻ پ پ ٺ ٺ ٿ چ[البقرة: ٧٨]، قال ابن هشام عن أبي عبيدة: ((إلا أمانيّ: إلا قراءة، لأن الأُميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب، يقول: لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرأونه... وحدثني يونس بن حبيب وأبو عبيدة أن العرب تقول: تمنّى بمعنى قرأ... وواحدة الأماني أمنيّة))[١٠١].

١٢-مَفاعل

ويقاس في جمع الاسم الذي على وزن (مُفْعَل) – بضم الميم وفتح العين – نحو ((مُوْسَى مَواسي))[١٠٢]، وجاء هذا في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى چ

□ □ □ □ □ □ چ[الأعراف: ١٨٧]، قال ابن هشام: ((ومرساها: منتهاها وجمعه مَراسٍ))[١٠٣].

١٣-فَوَاعل

ويقاس هذا الوزن في جمع ما كان على وزن (فاعل) اسماً لغير عاقلٍ نحو ((حائط حوائط))[١٠٤]، أو صفةً لغير عاقلٍ نحو ((صاهل صَوَاهل))[١٠٥]، أو ما كان على وزن (فاعل)، و (فاعِلة) صفة لمؤنث نحو ((حائض حَوَائِض))[١٠٦]، أو (فاعلة) اسماً أو صفةً للعاقل ولغير العاقل نحو ((ناصية نَوَاصي، وفاطمة فَوَاطم))[١٠٧]، أو ما كان على وزن (فَوْعَل) نحو ((كوكب كَوَاكب))[١٠٨]، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې چ [المائدة: ١٠٣]، قال ابن هشام: ((... وجمع سائبة الأكثر سَوَائب... وجمع حامٍ الأكثر حَوَامٍ))[١٠٩].

١٤-فَياعِل

ويقاس هذا الجمع في ما كان على أربعة أحرف، ثانيه ياء زائدة نحو ((صَيرَف صَيارِف))[١١٠]، وجاء هذا الجمع عند ابن هشام في تفسيره قوله تعالى چڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [البقرة: ١٩]، قال ابن هشام: ((الصيّبُ المطر، وهو من صَابَ يَصُوب مثل قولهم: السيّد من ساد يسود، والميّت من مات يموت؛ وجمعه صَيائِب))[١١١].

١٥-أفاعِيل

لا يقاس هذا الجمع في بناء معين، وإنّ ما جاء عليه يعد شاذاً وقد عقد سيبويه باباً في شواذ الجمع قال فيه: ((هذا بابُ ما جاء بناءُ جمعهِ على غير ما يكون في مثله ولم يكسّر وهو على ذلك البناء... ومن ذلك باطل أباطيل لان ذا ليس بناء باطل ونحوه إذا كسّرته فكانّه كسّرت عليه إبطيل وإبطال،... ومثل ذلك حديث وأحاديث، وعَرُوض وأعاريض، وقطيع وأقاطيع))[١١٢]، ومنهم من جعله يقاس في

(إفعيل) نحو ((إحليل وأحاليل))[١١٣]، و(افعول) نحو ((أخدود وأخاديد))[١١٤]، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في قوله تعالى ﭼ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ[البروج: ٤]، قال أبن هشام: ((الأُخدود: الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد... ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثر السوط ونحوه أخدود وجمعه أخاديد))[١١٥].

١٦-فَوَاعِيل

ويقاس في جمع وزن فاعُول نحو ((جاموس جَوَامِيس))[١١٦]، وجاء عند ابن هشام في تفسيره قوله تعالى ﭼ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ[النساء: ٥١]، قال ابن هشام: ((والطاغوت كل ما أضل عن الحق... وجمع الطاغوت طَوَاغِيت))[١١٧].

١٧-أفعلاء

ويقاسُ في كلِ وصف مذكر على وزن (فعيل) بمعنى فاعل بشرط أن يكون مضعفا، أو معتل اللام[١١٨]، فمن المضعف نحو ((شديد وأشداء ومن معتل اللام نحو غني وأغنياء))[١١٩]، وجاء هذا في سيرة ابن هشام في قوله تعالى ﭼ □ □ □ ﭼ [الأعراف: ١٨٧]، قال ابن هشام: ((الحفي البَرّ المتعهد، وفي كتاب الله ﭼ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [مريم: ٤٧] وجمعه: أَحْفِياء))[١٢٠].

١٨-فَعَالية

ويقاس في جمع (فِعْلية)- بكسر الفاء واللام - كالغِفْرية على الغَفَارِية[١٢١]، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسير قوله تعالى ﭼ □ □ ﭼ[العلق: ١٨]، قال ابن هشام: ((الزبانية الغِلاظ الشّدَاد، وهم في هذا الموضع: خَزَنة النار، والزبانية أيضا في الدنيا أعوان الرجل الذي يخدمونه ويُعينونه، والواحد زِبْنِية))[١٢٢].

١٩-يفَاعِيل

يقاس في جمع الاسم الذي على وزن (يَفْعول) نحو: ((يعقوب يعاقيب))[١٢٣]، وجاء هذا في سيرة بن هشام في تفسيره قوله تعالى ﭼ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ

[الإسراء: ٩٠]، قال ابن هشام: ((الينبوع ما نبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه يَنَابِيع))[١٢٤].

٢٠-جمع لفظة أبابيل

الأبابيل في اللغة جماعةٌ في تفرقة[١٢٥]، أي يتبع بعضها بعضاً إبيلا إبيلا أي قطيعاً خلف قطيع، وخيلٌ أبابيل كذلك[١٢٦]، وقد اختلف العلماء في أصل جمع أبابيل، فذهب قسم منهم أن أبابيل جمع لا واحد له بمنزلة عبابيد وشَمَاطِيطَ وشَعَالِيلَ[١٢٧]، وقسم اختلف في واحدها فزعم الرؤاسي أن واحدها إبّالة[١٢٨] بتضعيف الباء، وقال الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ): واحدها أُبّوْل[١٢٩]، وذكر الأزهري أنه لو قيل واحد الأبابيل إبالة لكان صوابا كما قالوا دينار دنانير[١٣٠]، فإذا كان جمع أبابيل من هذا فهو على وزن (فعاعيل) ويقاس في جمع الثلاثي المزيد بتكرار العين اسماً كان أو صفةً، فالاسم نحو (سلاليم و بلاليط) والصفة نحو (عواوير وجبابير)[١٣١]، وأشار ابن هشام إلى هذه اللفظة عند تفسيره قوله تعالى ﭼ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[الفيل: ٣] قائلا: ((الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه))[١٣٢].

اسم الجمع واسم الجنس الجمعي

قبل الحديث عن اسم الجنس الجمعي لا بد من معرفة اسم الجمع، والفرق بينه وبين اسم الجنس الجمعي ليتسنى للقارئ عدم الخلط بينهما.

اسم الجمع: هو ما دّل على جمعٍ وليس له واحد من لفظه فهو اسم جمع... وما له لفظه ولم يكن من الأوزان التي تقدّم ذكرها فليس بجمع بل هو اسم جمع[١٣٣].

ومن خلال هذا نفهم انه لا توجد صيغ متفق عليها بين النحاة لاسم الجمع، وقد عقد سيبويه له بابا في كتابه تحدث فيه عن أقسام اسم الجمع قال فيه: ((هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يُكسَر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود))[١٣٤]، أما أقسامه فهي:

١- ما له مفرد من معناه فقط نحو إبل وغنم[١٣٥]، فواحد الإبل بعير أو ناقة، وواحد الغنم شاة.

٢- ما له مفرد من لفظه ومعناه لكنه ليس على وزن من أوزان الجموع المعروفة مثل ((رَكْب جمع راكب، وصَحْب جمع صاحب))[١٣٦]، ولم أجد في سيرة ابن هشام ما يدل عليه.

أما اسم الجنس الجمعي: ((فهو ما تضمن معنى الجمع دالا على الجنس كله ويفرق بينه وبين واحده بالتاء نحو تمر تمرة أو بياء النسب نحو عرب عربي وروم رومي))[١٣٧]، وقد عقد سيبويه له باباً في كتابه قال فيه: ((هذا باب ما كان واحدا يقع للجميع ويكون واحده على بنائه من لفظه إلا انه مؤنث تلحقه هاء التأنيث ليتبين الواحد من الجمع))[١٣٨].

وجاءت أوزان اسم الجنس الجمعي عند ابن هشام على النحو الآتي:

١- فَعْل - بفتح الفاء وسكون العين -

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى چ ۀ ہ ہ چ [الفيل: ٥]، قال: ((العَصْف: وَرَقُ الزرعِ الذي لم يقصّب، واحدته عَصْفة))[١٣٩]، وكذلك في قوله تعالى چ چ ج چ چ [الفتح: ٢٩]، قال: ((شطؤه فراخه وواحدته شطأة))[١٤٠].

٢- فَعَل - بفتح الفاء وفتح العين -

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى چ ں ں ڻ ڻ ڻ چ [المسد: ٥]، قال: ((والمَسدُ: شجر يدق كما يدق الكتّان فتفتل منه حِبال... وواحدته مَسَدَة))[١٤١].

٣- فُعَل - بضم الفاء وفتح العين -

وجاء عنده في قوله: ((واحدة الصّوى: صوّة، والصّوى: الأعلام التي يستدل بها على الطرق والمياه))[١٤٢].

٤- فُعُل - بضم الفاء وضم العين -

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى چ ڈ ۂ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے چ [البقرة: ٦١]، قال: ((والفُوم: القمح واحدته فُومة))[١٤٣].

٥- فَعِل - بفتح الفاء وكسر العين -

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى چ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [سبأ: ١٦]، قال: ((العَرِم: السد، وعَرِمة))[١٤٤].

٦- فَعْلى

وجاء عنده في قوله: ((السلوى: طير، واحدتها سَلْواة))[١٤٥].

الخاتمة:

وفـي ختـام البحـث يمكن القـول أن السيرة النبويـة ضـمت فـي مادتهـا مباحـث لغويـة متنوعـة إذ كشـفت الدراسـة عـن شخصـية ابـن هشـام العلميـة واهتمامـه الواسـع بـالظواهر اللغويـة، وتمكنـه مـن علـوم اللغـة بفروعهـا، وقدرتـه علـى التفسـير إذ اسـتطاع توظيف علمه في اللغة في تفسير الكثير من الآيات القرآنية مستعيناً بعلمه ومعرفته بالغريب والاشتقاق واللهجات العربية، وكذلك اعتماده على كبار اللغويين أمثال يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، وهذا كله يضيف أهمية أخرى إلى أهميتها التاريخية.

الهوامش:

(١) ينظر مجلة آداب المستنصرية العدد التاسع لسنة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.

(٢) لسان العرب: مادة – جمع –، ٨/ ٥٣.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٢، وجامع الدروس العربية: ١٩١

(٤) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٢.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٢ – ٣، وأوضح المسالك: ٢٧٧، والفيصل في الوان الجموع: ٩.

(٦) ينظر: الكافية في النحو: ٢/ ١٨، وجامع الدروس العربية: ١٩١

(٧) ينظر: الكافية في النحو:٢/ ١٨، وأوضح المسالك:١٧،والصرف الوافي:١٥٤.

(٨) ينظر: أوضح المسالك: ١٧.

(٩) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٩٩، وشرح المفصل: ٥/ ٢، وارتشاف الضرب: ١/ ٢٦٤، والفيصل في ألوان الجموع: ١٢.

(١٠) سيرة ابن هشام: ١٩٧.

(١١) المصدر نفسه: ٦٢٥.

(١٢) نفسه: ٣٩٥.

(١٣) نفسه: ٣٧٤.

(١٤) نفسه: ١٧٦.

(١٥) أوضح المسالك: ١٧.

(١٦) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٧٠٦، وارتشاف الضرب: ١/ ٢٧١، والفيصل في ألوان الجموع: ٢٤

(١٧) ينظر: الصرف الوافي: ١٥٨.

(١٨) ينظر ارتشاف الضرب: ١/ ٢٧١ – ٢٧٢، والفيصل في ألوان الجموع: ١٥ – ١٦، وهمع الهوامع: ١/ ٦٩، والصرف الوافي: ١٥٩.

(١٩) سيرة ابن هشام: ٢٣٨.

(٢٠) المصدر نفسه: ٣٦٧.

(٢١) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٦ – ٧، وارتشاف الضرب: ١/ ١٩٢.

(٢٢) ينظر: المقتضب: ١/ ٦، والأصول في النحو: ٢/ ٤٥٢.

(٢٣) ينظر في هذه التغيرات: شرح المفصل: ٥/ ٦، وأوضح المسالك: ٢٨٠.

(٢٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٦٧ – ٥٧٨، وشرح المفصل: ٥/ ٩، وزاد الفراء وزنا خامساً وهو (فَعَلة) ومثل له ((هم أكَلة رأس) أي قليلون يكفيهم رأس واحدة. ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٣٥.

(٢٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٦٨، والأصول في النحو: ٢/ ٤٦١، وارتشاف الضرب: ١/ ١٩٥.

(٢٦) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ١٦، وأوضح المسالك: ٢٨١، والمطالع السعيدة: ٢/ ٢٩٩، وشذا العرف: ١٠٨، والفيصل في ألوان الجموع: ٣٦.

(٢٧) ينظر: شرح الكافية: ٤/ ١٨١٩، والجموع في اللغة العربية: ١٣٠.

(٢٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٧٦، والمقتضب: ٢/ ١٩٧، وارتشاف الضرب: ١/ ١٩٦، والجموع في اللغة العربية: ١٢٩.

(٢٩) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٧٤، والمقتضب: ٢/ ١٩٦، وارتشاف الضرب: ١/ ١٩٦، والفيصل في ألوان الجموع: ٣٦.

(٣٠) سيرة ابن هشام: ٧٢٦.

(٣١) المصدر نفسه: ٢٣٧.

(٣٢) نفسه: ٣٩٨.

(٣٣) نفسه: ٤٩٤.

(٣٤) نفسه: ٣٧٥ – ٣٧٦.

(٣٥) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ١٥٤.

(٣٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠١، والمقرب: ٤٧٢ – ٤٧٣، وهمع الهوامع: ٣/ ٣١٠، والمعجم المفصل في علوم اللغة: ٢/ ٨٤٤، والمعجم المفصل في علم الصرف: ٥٧٣.

(٣٧) ينظر: المقرب: ٤٧٢ – ٤٧٣، و ارتشاف الضرب: ١/ ١٩٧، وهمع الهوامع: ٣/ ٣١٠، وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية: ٤٠.

(٣٨) ينظر: المقرب: ٤٧٣، وهمع الهوامع: ٣/ ٣١٠.

(٣٩) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٤/ ١٨٢٣، والمقرب: ٤٧٤، وارتشاف الضرب: ١/ ١٩٧، وهمع الهوامع: ٣/ ٣١٠، والمعجم المفصل في علوم اللغة: ٢/ ٨٤٢.

(٤٠) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠٧ – ٦٠٨، وأوضح المسالك: ٢٨١.

(٤١) سيرة ابن هشام: ٢٠٥.

(٤٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٧١، وشرح الشافية الكافية: ٤/ ١٨٢٩، وشرح الشافية: ٢/ ٩٦. وجواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٣٧.

(٤٣) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ٩٦.

(٤٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٤٤، والأصول في النحو: ٢/ ٤٣١، وأوضح المسالك: ٢٨١، والمطالع السعيدة: ٢/ ٣٠٠، وشذا العرف: ١٠٩، وجواهر القاموس في الجموع: ٣٨، والفيصل في ألوان الجموع: ٤٥، والمعجم المفصل في علم الصرف: ٢٠٤، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٢.

(٤٥) ينظر: أوضح المسالك: ٢٨٢، وشذا العرف: ١٠٩.

(٤٦) سيرة ابن هشام: ٣٨٧.

(٤٧) المصدر نفسه: ٤١٩.

(٤٨) نفسه: ٦٧٢.

(٤٩) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠١، والمقرب: ٤٧٣ –٤٧٧، والفيصل في الوان الجموع: ٤٨ والصرف الوافي: ١٦٤.

(٥٠) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠٤، وشرح ابن عقيل: ٤/ ١٢٠، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٣٠٥.

(٥١) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠٢، والمقتضب: ٢/ ٢١٣، وشرح الشافية: ٢/ ١٢٦.

(٥٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠٨، وشرح الكافية الشافية: ٤/ ١٨٣٣، وهمع الهوامع: ٣/ ٣١٢، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٣٤.

(٥٣) ينظر: الكتاب: ٣/٦٠٤، والمقرب: ٤٧٤، والمعجم المفصل في الجموع:٢٢.

(٥٤) سيرة ابن هشام: ١٩٨.

(٥٥) المصدر نفسه: ١٩٨.

(٥٦) نفسه: ٢٠٣، وينظر: ٢٠٠ في جمعه للوصيد على وُصُد وأصُد.

(٥٧) الكتاب: ٣/ ٥٨٠ – ٥٨١، وينظر: الواضح في علم العربية: ٢١٤، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٣٠٦، وجواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٣٢، والفيصل في ألوان الجموع: ٥٢، والصرف الوافي: ١٦٤.

(٥٨) سيرة ابن هشام: ٢٠٣.

(٥٩) المصدر نفسه: ٧٠٩.

(٦٠) نفسه: ٩٧٢.

(٦١) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٤٦ – ٤٧.

(٦٢) سيرة بن هشام: ٢٠٣.

(٦٣) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣١، والمقتضب: ٢/ ٢١٨، وأوضح المسالك: ٢٨٣.

(٦٤) المعجم المفصل في الجموع: ٢٣.

(٦٥) سيرة ابن هشام: ٥٩، والسائبة عنده من الإبل التي ينذر الرجل أن يسيبها وان برئ من مرضه إن أصاب أمرا يطلبه، فإذا كان ذلك أسباب ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها.

(٦٦) المصدر نفسه: ٣٧٤، وجاء في لسان العرب – مادة عمه –، ٦/ ٤٥٣ ((ورجل عمه أي يتردد متحيرا لا يهتدي لطريقة ومذهبه والجمع عَمِهون وعُمّه)).

(٦٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٦٧، والأصول في النحو: ٢/ ٤٣٣، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٩٥ –١١٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٦١، وجامع لدروس العربية: ٢٠٧ والصرف الواضح: ٢٥٦.

(٦٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٢٨، وشرح المفصل: ٥/ ٢٥، والمقرب: ٤٦٢، والمطالع السعيدة: ٢/ ٣٠٣، وشذا العرف: ١١٢.

(٦٩) ينظر الكتاب: ٣/ ٥٧٦، وشرح الشافية: ٢/ ٩٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٦٢، والمهذب في علم الصرف: ١٩٣.

(٧٠) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٧٨، والمقرب: ٤٦٨، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١١٥.

(٧١) التكملة: ٤٦٦.

(٧٢) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ١٠٤، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٩٥، ١١٦.

(٧٣) سيرة ابن هشام: ١٩٩.

(٧٤) المصدر نفسه: ٦٢٥.

(٧٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٨٩، وشرح الشافية: ٢/ ٩٠، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٩٨، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٤.
(٧٦) ينظر: المقرب: ٤٦٢، وأوضح المسالك: ٢٨٣، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٣١٠.
(٧٧) ينظر: الأصول في النحو: ٢/ ٤٣٤، وأوضح المسالك: ٢٨٣، وشرح الشافية: ٢/ ٩٠.
(٧٨) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ٩٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٦٥، والمعجم المفصل في علوم اللغة: ٢/ ٨٤٤. والمعجم المفصل في الجموع: ٢٤.
(٧٩) سيرة ابن هشام: ٧٢٨.
(٨٠) المصدر نفسه: ٤٠٢.
(٨١) ينظر الكتاب: ٣/ ٦١١، وشرح المفصل: ٥/ ٤٤، وارتشاف الضرب: ١/ ٢١٠، ومعاني الأبنية: ١٧٠، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٧.
(٨٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦١١، وشرح الكافية الشافية: ٤/ ١٨٦٦، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٣١٣، والمهذب في علم التصريف: ١٩٩.
(٨٣) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦١١، والتطبيق الصرفي: ١٢٣.
(٨٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦١٠، وهمع الهوامع: ٣/ ٣٢٤، ومعاني الأبنية: ١٧٠.
(٨٥) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ١٥١، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٧.
(٨٦) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ١٥١، وشرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٣١٣.
(٨٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠٥، وشرح الكافية الشافية: ٤/ ١٨٦٦ – ١٨٦٧.
(٨٨) سيرة ابن هشام: ٥٩.
(٨٩) المصدر نفسه: ٩٧٣.
(٩٠) نفسه: ٢٠٠.
(٩١) ينظر: شرح الشافية:٢/١٥٧، وأوضح المسالك: ٢٨٤، وشرح التصريح على التوضيح:٢/ ٣١٢، وشذا العرف:١١٤، والمهذب في علم التصريف:١٩٦.

(٩٢) الكتاب: ٣/ ١٣٦، والفيصل في ألوان الجموع: ٧٣.
(٩٣) الكتاب: ٣/ ١٣٦.
(٩٤) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ١٥٨، والفيصل في ألوان الجموع: ٧١.
(٩٥) سيرة ابن هشام: ٤١٠.
(٩٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٧١، والمقرب: ٤٦٢، وارتشاف الضرب: ١/ ٢٠٧.
(٩٧) ينظر:الكتاب:٣/٥٧٠، والأصول في النحو:٢/٤٦٠،وتصريف الأسماء:٢٢١.
(٩٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٠٤ – ٦٠٥، والمقتضب: ٢/ ٢٠٩، وارتشاف الضرب: ٢٠٧/١.
(٩٩) سيرة ابن هشام: ٢٠٠، وجاء في لسان العرب – مادة وصد – ٩/ ٣١٨ أن الفراء ذكر أن الوصيد والأصيد لغتان.
(١٠٠) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٤/ ١٨٦٩، وارتشاف الضرب: ١/ ٢١٠، وشرح التصريح: ٣١٤/٢ وشذا العرف: ١١٦ – ١١٧.
(١٠١) سيرة ابن هشام: ٣٨٠.
(١٠٢) ينظر: جواهر القاموس في الجموع: ١٦٩.
(١٠٣) سيرة ابن هشام: ٤٠٩.
(١٠٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ٢٠٨، والمقتضب: ٢/ ٢١٧، واللمع في العربية: ١١٨.
(١٠٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣٣، وشرح الشافية: ٢/ ١٥٨، والمطالع السعيدة: ٢/ ٣٠٦، والفيصل في ألوان الجموع: ٧٥، والمهذب في علم الصرف: ١٩٨.
(١٠٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣٢ – ٦٣٣، وشرح الشافية: ٢/ ١٥٨، وأوضح المسالك: ٢٨٥.
(١٠٧) ينظر الكتاب: ٣/ ٦٣٢ – ٦٣٣، وشرح الشافية: ٢/ ١٥٨، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٤٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٧٥.
(١٠٨) ينظر:أوضح المسالك:٢٨٥،وجوهر القاموس في الجموع والمصادر:١٤٤.

(١٠٩) سيرة ابن هشام: ٥٩، والحامي من الإبل: الفحل اذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك؛ السيرة: ٥٨، ولسان العرب:

(١١٠) المعجم المفصل في الجموع: ٢٨، وينظر: جوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٤٨، ١٧٣

(١١١) سيرة ابن هشام: ٣٧٥.

(١١٢) الكتاب: ٣/ ٦١٦، وينظر: دقائق التصريف: ٤٠١.

(١١٣) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٢٣٩.

(١١٤) المصدر نفسه: ٢٣٩.

(١١٥) سيرة ابن هشام: ٢٣.

(١١٦) ينظر: جوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٢١١.

(١١٧) سيرة ابن هشام: ٤٠٢، وقد اختلف العلماء في أصله ووزنه فقيل إن اشتقاقه من طغي، وتاؤه زائدة فأصله طغيوت ووزنه فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين فصار طيغوت فوزنه فلعوت ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت، وقيل ان اشتقاقه من طغو، وتاؤه زائدة، وقيل ان تاءه أصلية فوزنه فاعول وهي بدل من اللام. ينظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم: ١٧٢.

(١١٨) ينظر: الكتاب: ٣/٦٣٤، والمقتضب: ٢/٢١، وارتشاف الضرب: ١/ ٢٠٦.

(١١٩) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣٤، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٥٨.

(١٢٠) سيرة ابن هشام: ٤٠٩.

(١٢١) ينظر: جوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٣٦.

(١٢٢) سيرة ابن هشام: ٢٠٥.

(١٢٣) ينظر: جوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٢١٩.

(١٢٤) سيرة ابن هشام: ٢٠٣.

(١٢٥) لسان العرب – مادة أبل – ١/ ٥٥.

(١٢٦) ينظر: العين: مادة – أبل – ٨/ ٣٤٢.

(١٢٧) منهم على سبيل المثال: أبو عبيدة، والفراء، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأخفش؛ ينظر: تهذيب اللغة: – ماد أبل – ١٥/٢٨٠، والصحاح – مادة أبل – ٢٤، ولسلن العرب – مادة أبل – ١/٥٥، وتاج العروس – مادة أبل – ٢٧/ ٢٥٣.

(١٢٨) تهذيب اللغة:– مادة أبل – ١٥/ ٢٨٠، ولسان العرب مادة – أبل – ١/٥٥.

(١٢٩) المحيط في اللغة: ١٠/ ٣١٦.

(١٣٠) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٨٠، لسان العرب: ١/ ٥٥.

(١٣١) ينظر: كتاب الأسماء والأفعال والحروف: ١٢٤

(١٣٢) سيرة ابن هشام: ٣٦.

(١٣٣) شرح الكافية: ٤/ ١٨٨٤.

(١٣٤) الكتاب: ٣/ ٦٢٤.

(١٣٥) ينظر :الكتاب:٣/٦٢٤،والمقتضب:٢/٢٩٢، والواضح في علم العربية:٢٣٨.

(١٣٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٢٤، والمقتضب: ٢/ ٢٩٢.

(١٣٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٨٥٢، والتكملة ٣٥٤، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٣٧.

(١٣٨) الكتاب: ٣/ ٨٥٢.

(١٣٩) سيرة ابن هشام: ٣٦.

(١٤٠) المصدر نفسه: ٣٨٧، وفي لسان العرب – مادة شطأ – وجمعه شطوء.

(١٤١) نفسه: ٢٣٧.

(١٤٢) نفسه: ٤٠١.

(١٤٣) نفسه: ٣٧٨.

(١٤٤) نفسه: ٧.

(١٤٥) نفسه: ٣٧٧.

قائمة المصادر:

١- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٥ م.
٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق مصطفى أحمد النحاس، مطبعة النسر الذهبي، ط ١، ١٩٨٤ م.
٣- الأسماء والأفعال والحروف (ابنية كتاب سيبويه): لابي بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)، تحقيق أحمد راتب حموش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق
٤- الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن السراج (ت ٣١٦ هـ) تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٩٩٩ م.
٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ)، دار العلوم الحديثة، بيروت – لبنان، ١٩٨٢ م.
٦- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) اعتنى بـه عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –، ط١ لسنة ٢٠٠٧ م
٧- تصريف الأسماء: محمد طنطاوي، ط ٥، ١٩٥٥ م.
٨- التطبيق الصرفي: عبدة الراجحي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤ م.
٩- التكملة: لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق كاظم بحر المرجان، ساعدت جامعة بغداد على تعضيده، ١٩٨١ م.
١٠- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ لسنة ٢٠٠١م.
١١- جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

١٢- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٧ م.
١٣- الجموع في اللغة العربية: باكزة رفيق حلمي، مطبعة الأديب البغدادية (د،ت)
١٤- جواهر القاموس في الجموع والمصادر: محمد شفيع القزويني، تحقيق محمد جعفر الشيخ ابراهيم، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف.
١٥- دقائق التصريف: للقاسم بن محمد المؤدب (من علماء القرن الرابع الهجري)، تحقيق أحمد ناجي القيسي، وحاتم صالح الضامن، وحسن تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧ م.
١٦- السيرة النبوية: لابن إسحاق (ت ١٥١ هـ)، هذبها ابن هشام (ت ٢١٨ هـ)، حققها محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ١٩٧١ م.
١٧- شذا العرف في فن الصرف: للشيخ أحمد الحملاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط ١٦، ١٩٦٥ م.
١٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩٠ م.
١٩- شرح التصريح على التوضيح: للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، على ألفية ابن مالك في النحو للشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار احيا التراث الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٠- شرح شافية ابن الحاجب: للأستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –.
٢١- شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الطائي (ت ٦٧٢ هـ) تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث.

٢٢- شرح المفصل: لموفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٢٣- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) وقيل بحدود (٤٠٠ هـ)، إعتنى به خليل مأمون شيما، دار المعارف بيروت – لبنان – ط١ لسنة ٢٠٠٥ م.

٢٤- الصرف الواضح: عبد الجبار علوان النايلة؛ دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨ م.

٢٥- الصرف الوافي: د. هادي نهر، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩ م.

٢٦- الظواهر اللغوية في سيرة ابن هشام: د. كاصد الزيدي، مجلة آداب مستنصرية، العدد التاسع لسنة ١٩٨٤ م.

٢٧- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)؛ تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠ م.

٢٨- الفيصل في الوان الجموع: عباس أبو السعود، دار المعارف بمصر.

٢٩- الكافية في النحو: جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر (ابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

٣٠- الكتاب: سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط ٢، ١٩٨٢ م.

٣١- لسان العرب: لأبن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار الحديث القاهرة سنة الطبع ٢٠٠٢ م.

٣٢- اللمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق سميح أبو مغلي، عمان، دار مجدلاوي للنشر، ١٩٨٨ م.

٣٣- المحيط في اللغة: للصحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت – لبنان – ط١ لسنة ١٩٩٤ م.

٣٤- المطالع السعيدة في شرح الفريدة: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧ م.

٣٥- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ١، ١٩٨١ م.

٣٦- معجم مفردات الإبدال و الإعلال في القرآن الكريم: أحمد محمد الخراط، دار العلم دمشق، ط١، ١٩٨٩ م.

٣٧- المعجم المفصل في علم الصرف: راجي الأسمر؛ مراجعة د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ٢٠٠١ م.

٣٨- المجم المفصل في الجموع: د. أميل يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ لسنة ٢٠٠٤ م.

٣٩- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): د. محمد التنوخي، وراجي الأسمر، مراجعة: أميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط١، ١٩٩٩ م.

٤٠- المقتضب: للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتب، بيروت.

٤١- المهذب في علم التصريف: د. هاشم طه شلاش، د. صلاح مهدي الفرطوسي، عبد الجليل عبيد حسين، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.

٤٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي؛ تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط١٩٩٨،١ م

٤٣- الواضح في علوم العربية: لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) تحقيق د. أمين علي السيد، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥ م.

Abineat AL- Gumoo in Ibin- Hishams AL- Seara

The present study is in AL- seara AL- Naboya by Mohammed Abid AL Malik bin Hisham AL- basry (218H) He has taken out from ((AL Seara)) by Mohammed bin Isaac AL- Matlby (151 H) The book has a lot of topics in lingyistic sections So the present study is amorphological study about Abineat AL- Gumoo in explaining Holy Qurans verses. He has dealt with the both kinds of Abineat AL- Gumoo : males and females as well as the broken plural.

The study also shows the personal sketch of Bin- Hisham and his interest in linguistic phenomena and his abilities in explaining Quran .

صوت المدّ ((الياء)) وأثره في إمالة الناطقين من سكنة أهوار العزير في ميسان

د. إبراهيم صبر محمد
جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَة

أصوات المد تقاسم الأصوات الصامتة لأهميتها في الدراسات الصوتية، ولها أثر كبير في اللهجات العربية.

وهذا البحث يكشف أثر صوت المد ((الياء)) في إمالة الناطقين من سكان أهوار ناحية العزير في محافظة ميسان.

والبحث يتناول تأصيل لهجة الإمالة التي اشتهرت بها قبائل: هذيل، تميم، قيس، وأسد في الجزيرة العربية آنذاك، وكذلك دواعي هذه الإمالة. ويعزز البحث في نهاية المطاف القضايا النظرية التي ذُكِرَتْ بأمثلة تطبيقية من الألفاظ الممالة في نطق سكان أهوار ناحية العزير.

وهو بهذا يعد محاولة للربط بين القديم والحديث في دراسة اللهجات العربية.

نأمل أن يكون هذا البحث إسهاماً في دراسة اللهجات العربية عامة والعراقية على وجه الخصوص، وبالتالي فهو جهد في الدراسات اللغوية وصولاً لخدمة اللغة العربية.

الباحث

نظرة على أصوات المد:

عني علماء الأصوات العرب – القدماء منهم والمحدثون – بتصنيف الأصوات على صنفين هما الأصوات الصامتة (Consanant sounds) والأصوات الصائتة (Vowel Sounds) أو أصوات المد. ويعد هذا التصنيف أو التقسيم أبرز ما قاموا به، لأنَّهُ ألصق بموضوع الدرس الصوتي عند العرب.

وقد بنوا تصنيفهم هذا على (معايير معينة تتعلق بطبيعة الأصوات وخواصها المميزة لها، وبالتركيز على معيارين مهمين: الأول وضع الأوتار الصوتية، والثاني طريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف عند النطق بالصوت المعين)(١).

وعلى المعيار الثاني، الذي ويعني بمرور الهواء حراً طليقاً في أثناء النطق من غير أن يكون هناك احتكاكاً أو إعاقة في الحلق أو الفم(٢)، واختلف علماء اللغة المحدثين في تعريفاتهم لأصوات المد.

فهذا دانيال جونز يعرف صوت المد بأنه: (صوت مجهور يخرج عند النطق به على شكل مستمر في الحلق والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً)(٣).

بينما يعرفه بلومفيلد بأنه عبارة عن (تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتصالاً من اللسان أو الشفتين)(٤).

والى مثل هذا ذهب د. إبراهيم أنيس في حديثه عن أصوات المد، قائلاً: (عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في مجرى ليس فيه حوائل تعترضه فتضيّق مجراه)(٥).

وعدّ د. تمام حسان خلو هذه الأصوات من الاحتكاك عنصراً جوهرياً فيها، وأساساً لتمييزها من الأصوات(٦).

وعدم الاحتكاك هذا جعل أصوات المد تمتاز بصفة شدة الوضوح السمعي، كما أنَّ عدم الاحتكاك نفسه قد منح أصوات المد صفة إضافية تتمثل في الجانب الموسيقي وهي أن تكون هذه الأصوات (أصواتاً موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار، وهي بهذا تختلف عن الصوامت التي هي عبارة عن ضوضاء ((rbise)) ناتجة عن احتكاك)(٧).

وبما أن أصوات المد أصوات مجهورة بوجه عام أدَّتْ هذه الصفة إلى زيادة قدرة هذه الأصوات على قوة الإسماع، والانتظام الموسيقي.

وعلى الرغم من أن أصوات المد في العربية لا تتعدى ثلاثة أصوات صائتة هي – الألف والواو والياء – إلا أنَّها تقوم بأداء دور مهم وأساسي في عملية النطق، وذلك حسب مايأتي من خلال(٨):

١- إننا نكاد نعتمدها وحدها لنسمع الأصوات.

٢- إنها تمثل العنصر الأساسي في أصغر وحدة نطقية طبيعية في نظام الكلام الإنساني.

٣- إن طبيعة ترددها في الكلام هي التي تحدد طبيعة النظام أو النسيج المقطعي للغة، وطبيعة النظام المقطعي هذه تؤدي دوراً مهماً في المسائل الصرفية وفي المسائل النحوية أيضاً.

الإمالة لغة واصطلاحاً:

الإمالة لغة: مشتقة مِن الميل، وهي مصدر أَمِلْتُ الشيءَ إمالةً إذا عَدَلْتُ به إلى غير الجهة التي هو فيها، من مالَ الشيءُ يميلُ ميلاً إذا انحرفَ عن القصدِ(٩).

الإمالة اصطلاحاً: قال صاحب التعريفات: (الإمالة: أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة)(١٠). والى ذلك ذهب إبن جني (ت ٣٩٢ هـ)، قائلاً: (إنَّ الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة)(١١). وبمثل هذا التعريف قال كل من رضي الدين

الاسترابادي (ت ٦٨٨ هـ)، وابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)[١٢]. وحدّها ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) بقوله: (والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء)[١٣].

وعَّرفها أحدُ الباحثين بقوله: (أن تميل الألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة أو هي نطق الألف بين الألف والياء، والفتحة كالكسرة)[١٤].

ومن كل ما سبق يمكننا القول إنَّ الإمالة هي أن يذهب المتكلم بالفتحة إلى جهة الياء.

وللإمالة تسميات أخرى أطلقها عليها علماء الأصوات والنحو وأصحاب القراءات منها: الكسر، والبطح، والإضجاع، والإشباع، واللي، وغيرها.

تأصيل اللهجة:

شاعت عند القبائل العربية في جزيرتها العديد من اللهجات، وكانت لهجة قبيلة قريش أفصحها، وهذا هو سبب اختيارها لتكون لغة القرآن الكريم، واحتفظت كل قبيلة من القبائل العربية لنفسها بلهجة خاصة عرفت بها، ومن القبائل العربية التي اشتهرت بالإمالة هي قبائل قيس. قال ابن جني: (وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن قراءة عليه، عن أبي العباس أحمد بن يحيى، أحسبه أنا عن الأصمعي، قال: ((ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس وعجرفية ضبّة)))[١٥]. والتضجع هو لغة في الإمالة – كما تقدم – أي أن الإمالة هي لغة قيس.

ويذهب د. غالب المطلبي إلى أن الإمالة هي لهجة في تميم وقيس وأسد، بقوله: (لقد عزيت الإمالة إلى طائفة اللهجات النجدية من تميم وقيس وأسد مقابل ميل أهل الحجاز إلى الفتح والتفخيم)[١٦]، والذي يسند ما ذهب إليه د. غالب المطلبي من أن الإمالة لغة في بني تميم، قول الرضي الاسترابادي في شرح الشافية والذي جاء

فيه: (وليست الإمالة لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون، وأشدهم حرصا بنو تميم)[١٧].

ويذهب د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي إلى أن (ما ورد في كتب النحاة والقراءات يدلنا على أن أصحاب الإمالة من القبائل: تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد، وهم لا يختلفون في ذلك)[١٨].

وعندما يعرف د. عبد الحسين المبارك ((التضجع)) وهو نوع من الإمالة، ينسبه إلى قيس فقط، بقوله: (التضجع: وهو إمالة الحرف إلى الكسر، وينسب إلى قيس)[١٩].

وبما أن الكسر هو إسم من أسماء الإمالة أو نوع من أنواعها، فقد عدّ الأستاذ CHAIM RABIN كسر النون والعين في ((نِعِمِ)) من لهجة هذيل، قائلاً: (كانت هذيل تستعمل ((نِعِمِ)) بكسر العين بدلاً من ((نعَمَ)) بفتحها)[٢٠]. وقال أيضاً: (نقل سيبويه ((ج٥ / ٤٥٨)) عن أبي الخطاب قوله أن ((نِعِمِ)) بكسر العين والنون هذيلية)[٢١].

وعد د. خليل إبراهيم العطية كسر حرف المضارعة وهي لغة هذيل من الإمالة (جاء في العين ((لغة هذيل في تعرج وتعكف: تعرج وتعكف؛ لأنهم مولعون بالكسر))... وما زالت آثارها في لغة جنوب العراق فهم يقولون ((يلعب ويدرس ويركض)) بكسر حرف المضارعة)[٢٢].

ويُعمَ إبن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) لهجة الإمالة على أكثر العرب قائلاً: (الإمالة أكثر كلام العرب)[٢٣]. ويعلق د. غالب المطلبي على كلام إبن يعيش بقوله: (وهو أمر يكاد يكون دقيقاً في التعبير عن حقيقة خريطة الإمالة، إذ نلاحظ أن هذه الإمالة قد وصلت إلى طائفة من الحجازيين)[٢٤]. وذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال: (نستطيع أن نشير الى أن اللغات السامية كلها تقريباً عرفت الإمالة)[٢٥].

ويقرر د. إبراهيم أنيس شيوع وانتشار الإمالة بين القبائل العربية المشهورة[٢٦]. وحينما تحدث د. محمد اسماعيل بصل عن الإمالة قال: إنها (ظاهرة لغوية تتسم بالشيوع والتداخل إضافة إلى كونها موجودة في اللهجات القديمة والمعاصرة واللغة الفصيحة)[٢٧].

من كل ما تقدم يتضح أن الإمالة لهجة عربية قديمة أصيلة موجودة عند بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية. وقد وجد الباحث أن هذه اللهجة لم تندثر في وقتنا الحاضر، كما اندثرت لهجات عربية أخرى.

فقد شاعت لهجة الإمالة – وهي إمالة الفتحة إلى الكسرة – بتأثير صوت المد ((الياء))– في مناطق أهوار ناحية العزير في محافظة ميسان جنوبي العراق[٢٨]. وسنعرض للقبائل التي تقطن في هذه المنطقة وأمثلة من لهجتها التي تميل فيها في الصفحات المقبلة.

دواعي الإمالة:

ذكرنا أن المختصين حينما عرّفوا الإمالة قالوا فيها: (أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة)[٢٩]، وهذا النحو بالفتحة نحو الكسرة لم يكن أمراً عشوائياً في اللغة، وإنما هو ظاهرة صوتية لها ما يبررها.

فقد أعمل المختصون من علماء العربية القدماء والمحدثين أفكارهم في تتبع أسباب الإمالة وتوضيحها والهدف منها. فيعزوها أبن جني في سر صناعة الإعراب لضرب من تجانس الأصوات[٣٠]، وإن من أسباب هذه الظاهرة الصوتية كما يذكر ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) (هو تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل)[٣١]. أما الرضي الاستراباذي فيرى أن سببها هو (قصد المناسبة لكسرة أو ياء)[٣٢] ويذكر ابن الجزري أن فائدة الإمالة هي (سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع

بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع)[٣٣]. ويرى خالد الأزهري (ت ٩٠٠ هـ) أن الإمالة سببها هو (تناسب الأصوات وصيرورتها من نمط واحد)[٣٤].

والإمالة في حقيقة أمرها هي لسهولة النطق، فيرى د. إبراهيم أنيس (أن الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتلمس أسهل السبل، فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر، ومثل الإنسان في هذا مثله في معظم الظواهر الاجتماعية يحاول عادة الوصول إلى غرضه عن أقصر الطرق كلما أمكن ذلك)[٣٥].

أما د. علي ناصر غالب فيرى أن الغرض من الإمالة هو تحقيق الانسجام الصوتي مقرراً أن (الإمالة ظاهرة صوتية تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات، وتقريب بعضها من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق وبذل أقل مجهود عضلي، إذ الغرض منها في الأعم الأغلب تحقيق الانسجام الصوتي)[٣٦].

ويرى د.غالب المطلبي أن الإمالة (إنما جاءت لضرب من المماثلة بين أصوات المد)[٣٧].

ونخلص مما تقدم أن الإمالة ما هي إلا تيسير وتسهيل للنطق وتحقيق للانسجام الصوتي وكذلك تحقق الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول في النطق.

وأما في ما يتعلق بإمالة الناطقين من سكنة أهوار ناحية العزير في محافظة ميسان فنجد أن هذه الإمالة حدثت بتأثير صوت المد ((الياء)) مما حقق تلاؤماً صوتياً بين حركات وأصوات اللفظة الواحدة ؛ لأن الكسرة التي تمال إليها الفتحة هي أقرب إلى ياء المد، بل يحدث بينهما انسجام صوتي يسّهل نطق تلك اللفظة.

أمثلة من الألفاظ الممالة في نطق سكان أهوار

ناحية العزير في محافظة ميسان[٣٨].

نعرض الآن أمثلة من الألفاظ التي تمال فيها الفتحة إلى كسرة، والتي اشتهر بنطقها سكان أهوار ناحية العزير في محافظة ميسان. وهذه الألفاظ بعضها فصيح، وبعضها الآخر عامي نقل من الفصيح وحدثت فيه الإمالة. ونلاحظ أيضاً أن هذه الألفاظ التي تحدث فيها الإمالة مشتملة كلها على صوت المد ((الياء)) الذي كان له أثر كبير في حدوث هذه الإمالة لتتناسب إمالة الفتحة إلى كسرة مع صوت المد ((الياء)) ويحدث ما يسمى بالتلاؤم الصوتي بين حركات وأصوات اللفظة الواحدة.

١- بِيت: أصلها (بَيْت) بفتح وسكون ثم أميلت فتحة الباء إلى كسرة.

٢- وين: أصلها (أين) في الفصحى وهو –كما هو معروف– سؤال عن المكان. وقد عرفت في اللهجة العامية الدارجة في العراق (وين) ؟

٣- عِيني: هي في الأصل كلمة (عَين) مضافة إلى ياء المتكلم، ثم أميلت فتحة العين إلى كسرة.

٤- اللِيل: هي (اللَيل) الوقت المعروف ضد (النهار) وأمالوا فتحة اللام إلى كسرة.

٥- الوِيل: هي لفظة (الوَيل) ثم أميلت فتحة الواو إلى كسرة مع إشباع تلك الحركة.

٦- حويِش: أصلها (حوش) وهو في العامية من أسماء البيت أو الدار، تصغر في العامية أيضا على (فعيل) فتصبح (حويش)، ثم يميلون الفتحة إلى كسرة فتصبح (حويِش).

٧- جِيف: لهجة عامية في (كيف) التي هي للسؤال عن الحال أو الطريقة، أبدلت فيها الكاف (جيماً) ثم أميلت الفتحة إلى كسرة.

٨- التِنيْجَة: العلبة المعروفة بـ(التنك) والتي تؤنث في العاملة (تنكة)، ثم قلبت فيها الكاف (جيماً) وصغرت وأميلت في لهجتهم.

٩- ولِيْد: أصلها (ولد) عكس (البنت)، ثم صغرت على (وليد) وأميلت فتحة اللام إلى كسرة.

١٠- حسِين: في الأصل (حُسَيْنْ)، تنطق في العامية (إحسين) بإشمام فتحة السين ثم أميلت فتحة السين كسرة وأشبعت.

١١- العزِير: اسم الناحية نفسها (العُزَير) والتي سميت باسم نبي الله العزير (ع)، وعندما أمالوا فتحة الزاي كسرة اضطروا إلى تسكين العين لسهولة النطق.

١٢- بين: هي إما إسم للمكان (بين) وحدثت فيها الإمالة، أو هي في العامية أسم للمصيبة أو الداهية (بين) ثم حدثت فيها الإمالة.

١٣- جليب: أصلها (كلب) الحيوان المعروف، ثم صغرت فأصبحت (كليب) وأبدلت الكاف (جيماً) في العامية ثم أميلت فتحة اللام إلى كسرة.

١٤- بِيْض: أصلها (بَيْض)، المادة الغذائية المعروفة، ويميلون الفتحة إلى كسرة عند نطقها.

١٥- أبو زِيْد: كنية أصلها (أبو زيد)، ثم حدثت فيها إمالة فتحة الزاي إلى الكسرة.

١٦- عِيب: وهي لفظة (عَيْب) الفصيحة والتي تعني المثلبة، وقد أمالوا فتحة العين إلى الكسرة.

١٧- الشيِطان: أصلها (الشَيطان) المعروف الملعون، وهم عند نطقها يميلون فتحة الشين إلى كسرة، ومثلها في الإمالة أيضا لفظتا (قِيْطان) و (عِيْفان).

١٨- محيِسن: أصلها (محسن) أسم العلم المعروف، وصغر إلى (مُحَيسن) ثم أميلت فتحة الحاء في التصغير إلى الكسرة.

١٩- رُوَيْتِبْ: أصلها (راتب) أي الأجر الشهري لمن يقوم بعمل ما، وصغرت إلى (روَيتب)، ثم أمالوا فتحة واو التصغير الى الكسرة.

٢٠- نْعَيْجَة: هي في الأصل (نعجة)، ثم صغرت الى (نُعَيجة) وأبدلت الجيم في العامية (جيماً)، وأميلت فتحة العين الى الكسرة.

٢١- جُوَيْمِيْسة: أصلها (جاموسة) الحيوان المعروف ، وصغرت الى (جوَيميسة)، وأبدلوا الجيم – كسابقتها – (جيماً) ثم أمالوا فتحة الواو الى كسرة.

٢٢- طْوَيهْرِ: في الأصل (طاهر) أسم علم وصغر الى (طوَيهر)، ثم أميلت فتحة الواو الى كسرة.

نكتفي بهذا القدر من الألفاظ التي فيها إمالة الفتحة الى الكسرة بتأثير صوت المد ((الياء)) لتسهيل النطق التي ينطقها سكان أهوار ناحية العزير في محافظة ميسان لتكون مثالاً لغوياً للهجة في هذه المنطقة، علماً أن العشائر التي تسكن هذه المنطقة هي(٣٩):

آل فرطوس، والشغاينة، والفريجات، وقسم من السواعد، والبو عبود، والبيضان، والبو علي، والبهادل، والصبيح، والمواجد، والبو زيد، والصليبات، والسراي، والبو محمد، والنوافل، والبوبخيت، والبو غنام، والبو طابطة، والنصر الله، والسويلمات.

الخاتمة:

بعد هذه الإلمامة المتواضعة بموضوع أثر صوت المد ((الياء)) في إمالة الناطقين من سكنة أهوار ناحية العزير لعلنا نكون قد سلطنا الضوء على لهجة من اللهجات العربية الحديثة في جنوب العراق، والتي هي في حقيقة أمرها امتداد للهجة الإمالة عند قبائل هذيل وقيس وتميم وأسد العربية المعروفة في الجزيرة العربية آنذاك.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحث في جولاته الميدانية وجد العديد من الأشخاص من الفئات العمرية الكبيرة من عشيرتي المراونة والطلاحبة – من عشائر خفاجة التي تقطن ضمن حدود ناحية الغراف التابعة لقضاء الشطرة في محافظة ذي قار – ينطقون بالإمالة نفسها التي ينطق بها سكان أهوار ناحية العزير. وعلى الرغم من البحث والتقصي في محاولة لايجاد ما يبرر ذلك، لم يجد الباحث خيوطا توصله الى ذلك. ولعل مواصلة البحث عن الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة في قابل الأيام توصلنا الى تلك الخيوط.

نأمل أن يكون هذا الجهد إسهاماً في مجالات البحث اللغوي العلمي للوصول الى الهدف المرتجى.

ومن الله التوفيق.

الهوامش:

(١) علم الأصوات – د. كمال محمد بشر: ١٤٩ – ١٥٠.

(٢) ينظر: في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية: ٢٤.

(٣) أصوات اللغة – د. عبد الرحمن أيوب: ١٥٦ – ١٥٧.

(٤) دراسة الصوت اللغوي: ١١٤.

(٥) الأصوات اللغوية: ٢٦.

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١١٣ – ١١٧.

(٧) في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية: ٢٥.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨.

(٩) لسان العرب: مادة (مال).

(١٠) التعريفات: ٢١.

(١١) سر صناعة الإعراب: ١ / ٦٠.

(١٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٣ / ٤ – ٥، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢ / ٥٧٥.

(١٣) النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٠.

(١٤) ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء: ١.

(١٥) سر صناعة الإعراب: ٢ / ٢٠٥ – ٢٠٦.

(١٦) في الأصوات العربية – دراسة في أصوات المد: ١٦٣.

(١٧) شرح شافية أبن الحاجب: ٣ / ٥.

(١٨) الإمالة في القراءات واللهجات: ٧٥.

(١٩) فقه اللغة: ٤٨.

(٢٠) اللهجات العربية الغربية القديمة: ٧٥.

(٢١) المصدر نفسه: ١١٦.

(٢٢) دراسات في اللهجات العربية (لهجة هذيل): ١٩٨ – ١٩٩.

(٢٣) شرح المفصل: ٢ / ١٢٦٣.

(٢٤) في الأصوات العربية – دراسة في أصوات المد: ١٦٦.

(٢٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٦) ينظر: في اللهجات العربية: ٦٤.

(٢٧) ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء: ١.

(٢٨) جولة ميدانية للباحث في ناحية العزير في محافظة ميسان.

(٢٩) التعريفات: ٢١.

(٣٠) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٦٠.

(٣١) شرح المفصل: ٩ / ٥٤.

(٣٢) شرح الشافية: ٣ / ٤.

(٣٣) النشر في القراءات العشر: ٢ / ٢٨.

(٣٤) شرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣٤٦.

(٣٥) الأصوات اللغوية: ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٣٦) لهجة قبيلة أسد: ١٣٢.

(٣٧) في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد: ١٦٥.

(٣٨) زيارة ميدانية قام بها الباحث لمنطقة أهوار ناحية العزير في محافظة ميسان.

(٣٩) أخذ الباحث أسماء العشائر هذه من سكان المنطقة نفسها.

المصادر والمراجع:

١- أصوات اللغة – د. عبد الرحمن أيوب – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٠ م.
٢- الأصوات اللغوية – د. إبراهيم أنيس – ط/٤ – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧١ م.
٣- الإمالة في القراءات واللهجات العربية – د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي – ط/٢ – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م.
٤- التعريفات – أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت ١٣٤٠ هـ – ١٤١٣ م) الدار التونسية للنشر – ١٩٧١ م.
٥- دراسة الصوت الغوي – د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٦م.
٦- دراسات في اللهجات العربية (لهجة هذيل) – د. خليل إبراهيم العطية – بحث في مجلة الخليج العربي تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي – جامعة البصرة – ع٢ س٢ / ١٩٧٥ م.
٧- سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) – قدم له د. فتحي عبد الرحمن حجازي – حققه وعلق عليه أحمد فريد أحمد – المكتبة التوفيقية – القاهرة – د.ت.
٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق: د. محمود مصطفى حلاوي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – د. ت.
٩- شرح التصريح على التوضيح – خالد بن عبد الله الازهري (ت ٩٠٠ هـ) دار احياء الكتب العربية – د. ت.
١٠- شرح شافية ابن الحاجب – رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٨ هـ) مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي – حققهما وضبط غريبهما وشرح

مبهمهما محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة حجازي – القاهرة – د. ت.
١١- شرح المفصل – موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) – نشر عالم الكتب – بيروت، مكتبة المتنبي – القاهرة – د. ت.
١٢- ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء – د. محمد اسماعيل بصل وصلاح الدين حسين – بحث على الانترنيت.
١٣- علم الأصوات – د. كمال محمد بشر – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٠ م.
١٤- فقه اللغة – د. عبد الحسين المبارك – مطبعة جامعة البصرة – ١٩٨٦ م.
١٥- في الأصوات اللغوية / دراسة في أصوات المد العربية – د. غالب فاضل المطلبي – دار الحرية للطباعة – بغداد – ١٩٨٤ م.
١٦- في اللهجات العربية – د. إبراهيم أنيس – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ٢٠٠٣م.
١٧- لسان العرب – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي – إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نبيل مرعشلي – دار لسان العرب – بيروت – د. ت.
١٨- اللهجات العربية الغربية القديمة – CHAIMRABIN – ترجمة: عبد الرحمن أيوب – ذات السلاسل للطباعة والنشر – الكويت – ١٩٨٦ م.
١٩- لهجة قبيلة أسد – د. علي ناصر غالب – دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد – ط/١ – ١٩٨٩.
٢٠- مناهج البحث في اللغة – د. تمام حسان – المكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٥٥ م.
٢١- النشر في القراءات العشر – أبو الخير محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣ هـ) – أشرف عل تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع – دار الكتب العلمية – بيروت – د. ت.

التخطيط البيلوغرافي لواقع المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل

(دراسة أرشيفية)

د. رائد أمير عبد الله *

جامعة الموصل/ كلية الآداب

مستخلص البحث

يمثل البحث محاولة جديدة وجادة في المنهج بسياقه التراثي حيث أن نظرتنا تنطلق من حقيقة أن الاهتمام بتراثنا العربي الإسلامي هو جزء لا يتجزأ من تطلعنا إلى الرقي بمستوى البحث العلمي، وكذلك إلى رفع قيمة المنهج، ذلك أن تراثنا حافل بالمنجزات المتعلقة بالمنهج والبحث العلمي ففيه إتقان وجودة وتطلع إلى مستقبل أفضل.

يهدف البحث إلى تتبع مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في محافظة نينوى، والتي تعرضت مخطوطاتها للسرقة والإهمال باعتبارها إحدى المؤسسات الثقافية التي تحتوي على كنوز من التراث المخطوط الغني بمجالات المناهج المتعددة. ضمن تصنيف ببلوغرافي، ليكون المرجع والدليل العلمي للباحثين والمستفيدين في مجال المخطوطات.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها ضرورة البحث عن تراثنا المفقود بمنهجية علمية من خلال إنشاء مركز بحثي يعنى بالتراث.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد (ﷺ) وعلى اله وصحبه وسلم.

وبعد:

لا يزال تراث الأمة (المخطوطات) يتعرض لشتى الهجمات المباشرة وغير المباشرة منذ القدم ولحد الآن، ومن هذا التراث الذي تعرضت له مخطوطات مكتبة الأوقاف في الموصل، فإضافة إلى الإهمال الحاصل لها من بعض المسئولين، والهجمات غير المباشرة من الحشرات والقوارض... تأتي هجمة أخرى من الداخل لتشكل عبئاً آخر عليها ألا وهو سرقة المخطوطات عام ١٩٩٥م، لتكون حادثة تاريخية، ووصمة عار باقية في تاريخنا، وبفعل الموظف المسؤول عنها بالتعاون مع جهات خارجية لبيعها، إلا انه ما لبث أن القي القبض عليه، وتم مصادرة المخطوطات، إلا أن هذه الحادثة لحد الآن بقيت تشكل لغزا لم يستطع احد حله، وتم تشكيل العديد من اللجان في هذا الموضوع، إلا انه ما تزال هناك مخطوطات مفقودة وغير موجودة في الفهرس المتفق عليه في مكتبة الأوقاف والجهات الأخرى، وشكلت نوع من الفوضى الحقيقي في المعلومات المدونة، في حين المسئولين يؤكدون أن المخطوطات لم تسرق وأنها محفوظة في مكتبة المركز الوطني للمخطوطات في بغداد (دار صدام للمخطوطات سابقا)، لكن الواقع الفعلي لمخطوطات مكتبة الأوقاف والمفروض أن تكون محفوظة بها في الحقيقة غير موجودة.

لذلك قمنا بخطوة عملية وعلمية لجرد مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وتبيان المفقود منها، والتي لم تجرد منذ سرقتها سنة ١٩٩٥م. وأن هذه

الدراسة تنضوي على إحياء وتجديد تراثنا العلمي، كما وأنها جاءت تتويجا جميلا لمسار واقع المخطوطات في مكتبة الأوقاف في الموصل فكانت مكملة لدراسة بحثية سابقة كنت قد نشرتها في مجلة دراسات موصلية بعنوان (المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل دراسة وثائقية إحصائية) في العدد (٢٦) لسنة (٢٠٠٩/آب).

يهدف هذا البحث إلى دراسة المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف المركزية العامة في الموصل ضمن تصنيف ببلوغرافي، ليكون المرجع والدليل العلمي للباحثين والمستفيدين في مجال المخطوطات.

تضمن البحث ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث، في حين اشتمل المبحث الثاني على المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف / الموصل، فضلا عن المبحث الثالث الذي تناول الجدول الخاص بأسماء المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف/ الموصل لسنة ٢٠٠٨م.

من الصعوبات التي واجهت الباحث في بحثه، انه عمل لوحده كونه متخصصا في هذا المجال، وقد استغرق ذلك وقتا طويلا في عملية الجرد، وعدم توفر الامكانات في ذلك، فضلا عن قلة وندرة الكتب والوثائق التي تناولت هذا الموضوع.

ومن الله التوفيق.

المبحث الأول
الإطار المنهجي للبحث

أولا: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في النقاط التالية:-

١- ندرة ما كتب عن هذا الموضوع، حيث لا توجد دراسة علمية وافية غطت هذا الموضوع بشكل تفصيلي، سوى بعض المقالات التي أشارت إلى لمحة سريعة حول تعرض مكتبة الأوقاف العامة في الموصل إلى سرقة مخطوطاتها من دون تركيز واضح على هذه العملية.

٢- عدم وجود أي قاعدة معلومات أو قائمة حصرية أو ببيلوغرافية، ترصد ما تم فقده من هذه المخطوطات في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، بل حتى القوائم التي وفرتها المكتبة المعنية بخصوص ما تم فقده من المخطوطات لم تكن مطابقة لواقع ما تم فقده في الخزانات، وأغفلت العديد من المخطوطات التي لم نجدها في مكانها (الخزانة).

ثانيا: أهمية البحث:

الأهمية النظرية

تكمن أهمية الدراسة في أهمية التراث المخطوط الذي يعد أساساً وقاعدة لأغلب العلوم التي استندت على التراث العربي والإسلامي وعلومه، وتبرز أهمية هذه الدراسة الحالية من خلال الضبط الببليوجرافي لكل المخطوطات التي فقدت في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وإعداد قائمة حصرية لهذه المخطوطات لتكون مرجعاً للمستفيدين من هذا المجال، خاصة وأنه تبين من البحث عدم وجود قائمة تحصر واقع ما هو مفقود من هذه المخطوطات في المكتبة.

الأهمية التطبيقية

إن هـذا البحـث يسـلط الضـوء علـى المخطوطـات المفقـودة فـي المكتبـة، واحصائها وأرشفتها لكي تكون مرجعاً للمستفيدين والباحثين في هذا المجال، خاصة وأنه تبين من البحث عدم وجود قائمة تحصر هذه المخطوطات ما هو موجود وما هو مفقود من هذه المخطوطات في المكتبة بشكل عام أو خاص.

ثالثا : أهدف البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- التعرف على المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل، والتنبيه والإشارة إليها.

٢- إعداد قائمة إحصائية للمخطوطات المفقودة.

رابعا: منهج البحث:

اعتمـد الباحـث علـى منهجيـة متكاملـة مـن خـلال المـنهج المتعـدد المـداخل Multi – Dimensional Research Method. وذلك للإحاطة والإلمام بجوانب الموضوع، كما استخدمنا العديد من الكتب الرسمية، والملفات، والوثائق المحفوظة في ملفـات الارشـيف الاداري فـي مكتبـة الاوقـاف العامـة، وبعـض الوثـائق والكتـب تعـود عائدتها الـى مديريـة الوقـف السـني نينـوى، حيـث تسـنى للباحـث الحصـول علـى نسـخ مصورة ونادرة من هذه الوثائق حين عمل في احدى اللجان المشرفة على المخطوطات المفقودة الخاصة بالمكتبة، كما ترأس الباحث لجنة جرد المخطوطات والتي شكلت من سنة (٢٠٠٤م)، مما مكن الباحث من الاتصال بصورة عملية ومقربة من الاحداث، والاتصال بالاشخاص والعاملين في المكتبة.

فضـلا عن ذلك فقد عوّل الباحث على بعض المراجع المهمة التي اعتمدها في بحثه، ولعل من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها، وتحققت الفائدة المرجوة منها

والتي في مقدمتها كتاب (فهرس المخطوطات لمكتبة الاوقاف العامة في الموصل) للمؤلـف سـالم عبـد الـرزاق، باجزائـه التسـعة، الـذي تنـاول تصـنيف المخطوطـات، وفهرستها، واماكن وجودها، واعطاء وصف لها؛ كما اعتمدناه كقاعدة معلوماتية في البحث عن الكثير من المخطوطات الموجودة والمفقودة.

خامسا: تحديد مصطلحات البحث

المخطوطة : هي نسخة من كتاب مؤلّف بخطّ اليد، وهي كتب لم يتم طبعها، وهي أعلى النصوص التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف بنفسه أو قد يكون أشار بكتابتها أو أملاها أو أجازها، ويكون في النسخة ما يفيد إطلاعه عليها أو إقراره لها.وهي بمعنى آخر : ما قابلَ المطبوع أو المصفوفَ، فهي النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية أو سمح بكتابتها أو أقرها أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل أو عن نسخ أخرى غير الأصل[١].

البيبلوغرافيا: هي التصنيف لكل فرع من فروع المعرفة وتصنيف العلم المعين الى اقسام متعددة والمفردة ذات اصل يوناني ماخوذة من كلمة كتاب او كتابة وتعني ايضا فهرس العناوين الشاملة لا كتاب من وجود قائمة باسماء الاعلام والامم والقبائل والجماعات والمواضع الجغرافية وعناوين واقسام الكتب..[٢]

المجاميع: توجد مخطوطات كثيرة تدخل باسم مجموع أو "مجاميع " ويكون المجموع مجلداً يضم عدداً من المؤلفات الخطية أو الأجزاء الصغيرة أو الرسائل.

الخزانـة: نقصد بها الدواليب التي تحفظ فيها المخطوطات، وتكون معنونة حسـب اسـمائها مثـل: خزانـة الجلبـي، وخزانـة حسـن باشـا الجليلـي، وخزانـة المدرسةالاسلامية ...[٣]

رقم المخطوط: نقصد بـه الرقم الموجود في كتاب فهرس المخطوطات لسالم عبد الرزاق وهو رقم التصنيف للمخطوط في الخزانة.

المبحث الثاني

المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف المركزية - الموصل

يعود الفضل في حفظ الكثير مما وصل إلينا من مخطوطات إسلامية عربية وتركية وفارسية وغيرها للمساجد والمدارس الملحقة بها خلال العهد العثماني وما سبقه، ولقد تزايد هذا الاهتمام بعد قيام المملكة العراقية (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، وعندما حصل العراق على استقلاله (١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) بدأت خطوات رسمية في لمِّ هذا التراث وجمعه، فكان سنة (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) نقطة تحول في تاريخ المكتبة، حيث تم الإيعاز من قبل الديوان الملكي إلى أوقاف الموصل من أجل العناية بالمخطوطات[٤]، ثم استمرت المحاولات والتأكيدات والجهود في جمع المخطوطات، وبدأ العمل بالجمع الحقيقي للمخطوطات في ١٩٧٣/٢/٧م، واكتمل الجمع في نفس السنة في ١٩٧٣/٧/١م[٥]، وتم افتتاح المكتبة رسميا يوم الجمعة الموافق ٨/شباط /١٩٧٤م، وبدأت أمانة المكتبة تستقبل جموع الرواد والنخب المثقفة من باحثين، ومحققين، وطلبة اعتبارا من صباح يوم ١٩٧٤/٢/١٦م[٦]، وعند افتتاح المكتبة واستقبالها للمخطوطات بلغ عدد المخطوطات المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة (٨٣١٨) مخطوط[٧].

ولقد قام الطبيب داود[٨] الجلبي بنشر فهرس أولي لتلك المخطوطات، ففي سنة (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) اصدر كتاب " **مخطوطات الموصل** "، ثم قام السيد أمين مكتبة الأوقاف الأسبق سالم[٩] عبد الرزاق بوضع أول فهرس متكامل لمخطوطات مكتبة الأوقاف، وسماه " **فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل**"، والكتاب يقع في تسعة أجزاء[١٠].

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي[١١] تعرضت مكتبة أوقاف الموصل لحادثة سرقة، حيث سرقت منها (٤٦٥) مخطوطة، وثلاث إسطرلابات نحاسية[١٢]، وثلاث شمعدانات نحاسية من العصر المملوكي[١٣]، وقد تم تشكيل لجنة

من اجل التحقيق في الموضوع[١٤]، وبعد انتهاء التحقيق تبين أن عملية السرقة حدثت من قبل احد موظفي المكتبة، حيث قام بسرقة المطبوعات[١٥] والمخطوطات من المكتبة على فترات طويلة من الخزانات العائدة للشيوخ السابقين، ولقد تم استرجاع أربعمائة وستة عشر مخطوطاً بواسطة الأجهزة الأمنية (مخابرات المنطقة الشمالية) عند أحد المتاجرين، وتم تسليمها إلى المركز الوطني للمخطوطات في بغداد[١٦].

بالرغم من تشكيل العديد من اللجان، إلا انه لم تتوصل أي لجنة إلى العدد الحقيقي للمخطوطات المفقودة في المكتبة، كما أن هناك تناقض في عدد المخطوطات الذي استلمها المركز الوطني للمخطوطات، فالقوائم التي أرسلتها المديرية عن طريق جهاز المخابرات هي (٤١٨)، بينما أيد المركز انه استلم (٤١٦) مخطوطاً فقط، وقد قمنا بجرد المخطوطات المفقودة ومقارنتها بفهرس سالم عبد الرزاق ومقارنتها بما هو واقع وموجود وما هو مفقود[١٧].

ولقد توصلت اللجنة إلى أن عدد المخطوطات الموجودة فعليا (٤٣٥٢) مخطوطاً، وبلغ عدد المخطوطات المفقودة (٤٠٥) مخطوط، وبلغ عدد المخطوطات للمجاميع المفقودة (٥٨) مخطوطاً، والمخطوطات الموجودة في المركز الوطني حاليا (٤١٦) مخطوطاً[١٨].

أما بالنسبة لعناوين وأسماء المخطوطات التي فقدت، فقد قمنا بعمل جدول يبين فيه عناوين المخطوطات المفقودة، مرتبة حسب تسلسل الخزانات الموجودة في فهرس المخطوطات، مع ذكر رقم المخطوط، وسنة نسخه، وعدد أوراقه، حيث بلغ عدد المخطوطات المفقودة حسب عناوينها (٤٦٧) مخطوط، وكما هو مبين حسب الجدول الذي سيأتي ذكره في المبحث الثالث.

ومن خلال دراسة الجدول نجد ما يلي:

١- إن عناوين المخطوطات المفقودة تشمل جميع فنون العلوم من القران وعلومه والحديث والعقيدة والفقه والأصول والمنطق، فهي متنوعة إذن، ولم تقتصر على علم أو فن واحد.

٢- معظم المخطوطات المفقودة هي مختارة من حيث قدم المخطوط تأريخيا، والغريبة، والمزخرفة، والمكتوبة بالذهب، والمنسوخة بخط المؤلف. حيث نجد أن المخطوط المفقود من خزانة حسن باشا برقم (١/٣) مخطوط نادر نفيس يرجع تاريخه إلى القرن العاشر الهجري، وعلى الصفحة الحادي عشر منه طغراء[١٩] محلاة باللون الأزرق والأصفر، وقد رسمت بشكل هندسي جذاب... مزخرف مذهب أول كل سورة منقوشة بالماء المذهب[٢٠]، وتفسير الجلالين في خزانة حسن باشا المرقم (٣/٨) مكتوب بالحبر الأحمر والأسود، ورقه اصفر ثخين، جلده مزخرف بطغروات نسخ سنة ٨٧١هـ يقع في (١٧٦) ورقة[٢١]، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل لابن الخازن يقع في خزانة حسن باشا برقم (٣/٢٦) مع أجزائه المرقمة (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١). جلده مزخرف بطغروات نسخ سنة ٩٦٨هـ يقع في (٢٧٦ورقة)[٢٢]، ومخطوطة لامية العرب برقم (١٤/١٩) حسن باشا ورقها حريري ثخين، عليه نقوش وزخارف مجدولة، جلده مزخرف[٢٣]، ومجموع (٢٥/٢٧) نهج البلاغة، كتبه ياقوت بن عبد الله الكاتب ألنوري، صفحته الأولى والثانية مزخرفة بعدة ألوان متناسقة ومطلاة بالماء الذهبي، والصفحة الثالثة والرابعة قاعدتهما مطلاة بالماء الذهبي، ورقه اصفر ثخين حريري مجلد في وسطه طغراء، وحاشية الجلد مع الطغراء مطلاة بالماء الذهبي[٢٤]، ومجموع (٢٥/٥٧) اخذ المخطوطات المزخرفة والمنقوشة بالماء الذهبي عن سواها.[٢٥]، كذلك نجد في الجزء الثاني صحيح البخاري برقم (٤/٧) إسلامية صفحتاه الأولى والثانية

مجدولة بالماء المذهب، وأول الصفحة مزخرفة كلماته مشكولة[٢٦]، ومخطوطة ري الصادي برقم (٨/١) جمعها محمد حسن الاسطواني بعد موت المؤلف بنحو أربعين سنة[٢٧]، وموصل الطلاب برقم (١٣/٢١) مجدولة الصفحات ورقه اصفر عليه تعليقات وحواشي، جلده مزخرف هدية احمد الجليلي إلى المدرسة الإسلامية في ١٩٢٦/٩/٢٧م[٢٨]، وسفينة الرؤساء تركي برقم (١٩/٨) ورقها اصفر رقيق مجدولة الصفحات بالماء المذهب، أولها لوحة زخرفية، خطها فارسي أسماء الأعلام مكتوبة بالحبر الأزرق الفاتح [٢٩]، والقران الكريم برقم (١/٢) صفحتاه مزخرفة ومذهبة باللونين الأزرق والذهبي كتبت عناوين السور بالماء المذهب، صفحاته مجدولة، جلده مزخرف ومحلى بماء الذهب[٣٠]، وبرقم (١/٣٠) صفحتاه الأولى والثانية مزخرفتان ومذهبتان بعدة ألوان، مجدولة الصفحات حاشية اسطره محشاة بالماء المذهب، وكتبت أسماء السور وعدد آياتها باللون الأبيض، وبأرضية مذهبة، الناسخ محمد صائب الطالقاني[٣١]، كما أن المخطوطات المفقودة في الجزء الرابع نجد القران الكريم في خزانة الامينية برقم (١/١) الصفحة الأولى والثانية طغراء ملونة قاعدتها مذهبة، صفحتا الفاتحة وأول سورة البقرة مزوقتان بالألوان والماء المذهب قاعدة صفحتاه مزوقة[٣٢]، ثم نلاحظ المخطوطات في بقية الأجزاء نجدها مختارة، فالقران الكريم برقم (١/١) الاحمدية نسخة نفيسة صفحاته الأولى مزوقة بطغروات مذهبة، رؤوس سوره زخارف محلاة بالماء المذهب واللون الأزرق الفاتح، على حواشيه دوائر زخرفية، جلده مزخرف ومذهب[٣٣]، والقران الكريم برقم (١) داود الجلبي صفحتاه الأولى مزخرفة، ومحلاة بماء الذهب مؤطر طغراته مذهبة [٣٤]، والمخطوطة المرقمة (١٩/٣) ديسقوريدس الحكيم، يحتوي على تصوير نباتات وحيوانات وخواصهما عدد مصوراته (٣٢٦) صورة مرسومة بألوان مختلفة زاهية رؤوس موضوعاته مكتوبة باللون الأحمر ورقه

ثخين[٣٥]، والجذر الصفي من البحر الوفي برقم (٢٠/٢) نسخة نادرة وفريدة على صفحتها الأولى أسماء سلاطين بني عثمان، مع تواريخ توليهم الحكم، مؤطر الصفحات، لوحة زخرفية في أول الصفحة يتضمن صورة المسجد الأقصى على ورقته (٣٣) جمعه مؤلفه من أربعين كتاب[٣٦]، والقران الكريم برقم (١) اليونيسية نسخة فريدة ونادرة جلده مزخرف، ومذهب بطغروات طغراء مزوقة على صدر صفحته الأولى، ولوحة زخرفية على صفحتيه الأولى والثانية يتخلل صفحاته نقوش رأس آياته وقوف مذهبة حاشية بالفارسية بين الأسطر الآيات[٣٧]، والقران الكريم برقم (٢) نسخة نفيسة وتامة، جلده مزخرف بطغروات مذهبة، صفحتاه الأولى والثانية لوحات مزوقة بالألوان، رأس السور والأحزاب مطلاة بنقوش مذهبة[٣٨]، و القران الكريم برقم (٥٥) هدية إبراهيم النعمة نسخة تامة نفيسة أولها لوحة مزخرفة وقوف آياتها مذهبة صفحاتها مؤطرة[٣٩]، ونجد المخطوطة برقم (٨/٦) في خزانة (داود جلبي) بعنوان (دفع مضار الأغذية للرازي) فهي تمثل أقدم مخطوطة من حيث سنة خطها ونسخها فقد كتبت سنة (٤٠٣هـ) وهذا ما يجعلها أفضل المخطوطات[٤٠].

٣- إن أكثر الخزانات التي حوت على نواقص المخطوطات هي: خزانة (المحمدية) بواقع (٥٢) مخطوط، ثم تليها خزانة (الأحمدية) بواقع (٤٤) مخطوط، ثم خزانة (النبي شيت) بواقع (٣٤) مخطوط، ثم خزانتي (الحجيات) و(الامينية) بواقع (٣٠) مخطوط، ثم خزانتي (الرضوانية) و (الحاج زكر) بواقع (٢٨) مخطوط، ثم (الصائغ) بواقع (٢٧) مخطوط، ثم (الخياط) بواقع (٢٦) مخطوط، ثم (حسن باشا) بواقع (٢٢) مخطوط. وهذه الخزائن في الأصل تحوي على الكثير من المخطوطات وأحيانا هناك أجزاء من الفهرسة خاصة بها لكثرتها كخزانة (حسن باشا) (الحجيات) (الامينية) فخصص لها مجلد خاص بها وهكذا بقية الخزانات الكبيرة الأخرى، أما أقل الخزانات التي حوت على نواقص المخطوطات هي:

خزانة كل من (باب الطوب) و(عبد الله بك) و(عبد الرؤوف) و (الخليلية) بواقع مخطوط واحد فقط، ثم تأتي خزانة (المحمودين) بواقع ثلاث مخطوطات، ثم تليها خزانة كل من (داود جلبي) و(الجليلي) و(عبدالله نشأة) بواقع (٤) مخطوطات، ثم تليها خزانتي (ميسر صالح) و(الهدايا) بواقع (٦) مخطوطات، ثم خزانتي (مريم خاتون) و(اليونيسية) بواقع (٩) مخطوطات، ثم (العبدالية) بواقع (١٠) مخطوطات، ثم (الإسلامية) بواقع (١١) مخطوط، ثم (الرابعية) بواقع (١٢) مخطوط، ثم (الجامع الكبير) بواقع (١٣) مخطوط، ثم خزانة (بكر افندي) بواقع (١٦) مخطوط، ثم خزانتي (حسين بك) و(النعمانية) بواقع (١٨) مخطوط. وبالتالي ففقدان وسرقة المخطوطات منها قد تؤثر بالمقارنة بالخزائن الأخرى الكثيرة العدد، فخزانة (باب الطوب) مثلا نجد المجموع الكلي للمخطوطات فيها هو (٤) فقط، فالنواقص فيها واحد، وبالتالي لا تتحمل الأخذ منها لأنها قد تسبب فضح وكشف المتهم لسرعة إحصائها وجردها إذا ما قورنت بالخزانات الكثيرة العدد.

٤- وجد أن هناك أكثر من نسخة لنفس عنوان المخطوط قد فقد من خزائن أخرى، فالمخطوط الموسوم (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) نجده مفقود في الخزائن التالية: خزانة (النبي شيت)، (الحجيات)، (الخياط)، (بكر أفندي)؛ كذلك المخطوط (حاشية على أنوار التنزيل) قد فقد في الخزائن التالية : (حسن باشا)، (النبي شيت)، (الاحمدية)، (الخياط).

٥- وجد أن معظم المخطوطات المفقودة تتراوح عدد أوراقها بالمئات، فالمخطوط (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في خزانة (بكر أفندي) تتراوح عدد أوراقه(٧٣٠)، و(فتاوي قاضيخان) في خزانة (مريم خاتون) تتراوح عدد أوراقه (٦٣٤)، و(الميزان للشعراني) في خزانة (حسن باشا) تتراوح عدد أوراقه (٤٦٥) ...

المبحث الثالث

الجدول الخاص بأسماء المخطوطات المفقودة

في مكتبة الأوقاف/ الموصل لسنة ٢٠٠٨م

ت	رقم المخطوط	اسم المخطوط	الخزانة	سنة النسخ	عدد الأوراق
١.	٣ / ١	القرآن الكريم (مخطوط كامل)	حسن باشا	ق١٠هـ	٣٠٨
٢.	٨ / ٣	(تفسير الجلالين) – المجلد الأول.	حسن باشا	٨٧١هـ	١٧٦
٣.	٩ / ٣	(تفسير الجلالين) – المجلد الثاني	حسن باشا	–	٢٧٠
٤.	١٢/ ٣	تفسير أبى الليث السمرقندي – المجلد الثاني	حسن باشا	٨٧٩هـ	٢٨٢
٥.	١٨/ ٣	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	حسن باشا	–	٥٣٤
٦.	٢٦/ ٣	لباب التأويل في معاني التنزيل	حسن باشا	٩٢٦هـ	٢٧٦
٧.	٢٧/ ٣	لباب التأويل في معاني التنزيل– المجلد الثاني	حسن باشا	–	٢٧٦
٨.	٢٨/ ٣	لباب التأويل في معاني التنزيل	حسن باشا	–	٢٩٤
٩.	٢٩/ ٣	لباب التأويل في معاني التنزيل– المجلد الثالث	حسن باشا	–	٢٨٨
١٠.	٣٠/ ٣	لباب التأويل في معاني التنزيل– المجلد الخامس	حسن باشا	–	٢٩٥
١١.	٣١/ ٣	لباب التأويل في معاني التنزيل– المجلد السادس	حسن باشا	–	٢٦٢
١٢.	٦/ ٦	شرح طوالع الأنوار	حسن باشا	٨٧٢	٣٢٨
١٣.	٧ / ٦	شرح طوالع الأنوار	حسن باشا	–	١٨٤
١٤.	١١ / ٦	طوالع الأنوار	حسن باشا	–	١٠٤
١٥.	١٧ / ٧	الميزان للشعراني	حسن باشا	١٠٢٦هـ	٤٦٥
١٦.	٦ / ٨	شرح جمع الجوامع	حسن باشا	١٠٨٦هـ	٢٤١
١٧.	٣٩ / ٩	مخزن الفقة	حسن باشا	١٠٩٤هـ	١٤٩
١٨.	١٤/١٩	لامية العرب	حسن باشا	١٠٣٠هـ	٩
١٩.	١٥/١	القاموس المحيط والقابوس الوسيط	حسن باشا	١٠١٩هـ	٥٣٠

ت	رقم المخطوط	اسم المخطوط	الخزانة	سنة النسخ	عدد الأوراق
٢٠.	٢٥/٢٧	مجموع : أ. نهج البلاغة ب. من كلام أمير المؤمنين علي	حسن باشا	٦٠١هـ	٢٢١
٢١.	٢٥/٥٧	مجموع فيه١٦ رسالة نقص فيه: أ.تسبيع قصيدة البوصيري. ب.البردة الكواكب الدرية في مدح خير البرية. ج. تخاميس على البردة	حسن باشا	–	–
٢٢.	٢٥/٧٤	مجموع (٦) رسائل نقص حاشية على حاشية الوغ بيك	حسن باشا	–	–
٢٣.	٤/١	الأذكار	الإسلامية	١١٩١هـ	١٦٥
٢٤.	٤/٤	صحيح البخاري . المجلد الأول	الإسلامية	١٠٩٦هـ	٣١٠
٢٥.	٤/٥	صحيح البخاري . المجلد الأول	الإسلامية	–	٢٦٧
٢٦.	٤/٦	صحيح البخاري– (المجلد الثاني . الجزء الثالث)	الإسلامية	٩٠٠هـ	٢٤١
٢٧.	٤/٧	صحيح البخاري– الجزء الخامس	الإسلامية	١٢٧٤هـ	٣٠٩
٢٨.	٨/١	ري الصادي في فتاوي العمادي ت١٠٥١	الإسلامية	١١٠٤هـ	١٠٧
٢٩.	٨/٥	مختصر غنية المتملي في شرح منية المصلي	الإسلامية	١٢٠٠هـ	٣١٠
٣٠.	٨/٦	مختصر غنية المتملي في شرح منية المصلي	الإسلامية	–	٢٥١
٣١.	١٢/٣	ديوان حسان بن ثابت	الإسلامية	–	٩٧
٣٢.	١٣/٢١	موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب	الإسلامية	١٣٠١هـ	١١٧
٣٣.	١٩/٨	سفينة الرؤساء (تركي)	الإسلامية	١٢٦٢هـ	٥٦
٣٤.	١/٢	القران الكريم	نبي شيت	٩٤٨	٥٢١
٣٥.	١/١٢	القران الكريم	نبي شيت	–	٥٣٥
٣٦.	١/٣٠	القران الكريم	نبي شيت	١١٣هـ	٣٠٤
٣٧.	١/٣١	القران الكريم	نبي شيت	١٢٧٣هـ	١٩١
٣٨.	٢/٦	أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المجلد الأول	نبي شيت	–	٤٠٢
٣٩.	٢/٧	أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المجلد الثاني	نبي شيت	–	٣١٧

.٤٠	٢/١١	جامع الاختلافات في علم القراءات	نبي شيت	–	٢٧٦
.٤١	٢/١٤	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	نبي شيت	١٠٩٣هـ	٢٧٧
.٤٢	٢/١٥	سراج التأويل في شرح أنوار التنزيل	نبي شيت	–	١١٥
.٤٣	٣/٥	مختصر جامع الأصول لأحاديث الرسول . قطعة	نبي شيت	–	–
.٤٤	٤/١	تجريد العقائد-(تجريد الكلام)	نبي شيت	–	١٩٩
.٤٥	٥/١	التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة المجلد الثاني	نبي شيت	–	١٧١
.٤٦	٥/٢	التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة المجلد الثاني	نبي شيت	–	١٣٩
.٤٧	٦/١	التلويح إلى كشف حقائق التنقيح	نبي شيت	–	٢٠٦
.٤٨	٦/٤	شرح جمع الجوامع للمحلي المتن مكتوب بالحبر الأحمر	نبي شيت	–	٢٤٣
.٤٩	٦/٥	مناهج العقول شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول	نبي شيت	٨٤٩هـ	٣١٣
.٥٠	٧/١	التلويح في كشف حقائق التنقيح للتفتازاني جلده مزخرف	نبي شيت	١١٦٠هـ	–
.٥١	٧/٢	خلاصة الفتاوي طاهر البخاري جلده مزخرف مجدول الصفحات	نبي شيت	٨٨١هـ	٣٤٥
.٥٢	٧/١٧	الفوائد المنثورة في الفتاوي المأثورة محمد أمين العمري	نبي شيت	–	٢٥٠
.٥٣	٧/٢٧	وقاية الرواية في مسائل الهداية برهان الشريعة المحبوبي	نبي شيت	٩٤٤هـ	١٩١
.٥٤	٨/٢	خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي سراج الدين ابن الملقن	نبي شيت	٨٧٧هـ	٢١٧
.٥٥	٨/٥	عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج عمر بن الملقن	نبي شيت	–	٢٥٦
.٥٦	٨/٦	عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج جلده مزخرف	نبي شيت	١٠٧٢هـ	٢٤٤

.٥٧	١١/٧	شرح الكافية للخبيصي جلده مزخرف	نبي شيت	١١٦٤هـ	٢٢٢
.٥٨	١١/١٦	مغني اللبيب ابن هشام	نبي شيت	–	٢٢٢
.٥٩	١٦/٧	قصص الأنبياء . قطعة	نبي شيت	–	٢٣٥
.٦٠	١٩/٦	مجموع:. أ. حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ب.مقدمة في الصرف	نبي شيت	–	١٨١
.٦١	١٩/١١	مجموع:. أ. شرح النقارية. ب.تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان. ج.الكشف عن مجاوزة هده الأمة الألف	نبي شيت	١٠٦١هـ	١٥٢
.٦٢	١٩/١٣	مجموع:. أ. الفتح المبين في شرح فتح المبين. ب. رسالة في بيان فضائل الاستعادة	نبي شيت	١٢٢٣هـ	٣٢٥
.٦٣	١٩/٢٧	مجموع:. أ. شرح رسالة الوضع. ب.حاشية على شرح عصام. ج.شرح رسالة الاستعارة. د.حاشية على شرح عصام لرسالة الاستعارة	نبي شيت	–	١٠٨
.٦٤	١٩/٤٦	مجموع:. أ.حاشية العصام على شرح العقائد النسفية. ب. حاشية على العقائد.	نبي شيت	٩٨١هـ	٥٧
.٦٥	١٩/٤٧	مجموع:. أ. شرح منظومة النسفي في الخلاف. ب. منظومة في تعداد الكبائر	نبي شيت	–	٣١٧
.٦٦	١٩/٤٩	مجموع:. أ. شرح كلمتي الشهادة. ب.شرح العقيدة السنوسي. ج.شرح مقدمات السنوسي.	نبي شيت	١٠٦٤هـ	١٤٦
.٦٧	١٩/٥١	مجموع:. أ.شرح عقيدة التوحيد الوسطى. ب.عقيدة أهل التوحيد.	نبي شيت	١١٣٤هـ	١٧٤
.٦٨	٣	شرح مختصر التصريف للفتازاني	باب الطوب	١٢٠٤هـ	٥٥
.٦٩	٢	الإشاعة في اشراط الساعة للبرزنجي	الجامع الكبير	١٢٧٣هـ	١٢٧
.٧٠	٩	تنبيه الغافلين للسمرقندي	الجامع الكبير	١٢٨٦هـ	١٥٠
.٧١	١١	حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع	الجامع الكبير	٩٠٣هـ	١٩٢

.٧٢	١٤	درة الناصحين	الجامع الكبير	١٢٧٦هـ	١٧٤
.٧٣	١٩	روض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي	الجامع الكبير	–	١٧٢
.٧٤	٢٣	شرح فرائض السجاوندي للجرجاني	الجامع الكبير	٨٧٢هـ	١٢٩
.٧٥	٢٦	طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب	الجامع الكبير	–	١٣٦
.٧٦	٢٧	العناية في شرح الهداية البابرتي جلده مزخرف	الجامع الكبير	–	٣١٩
.٧٧	٣٣	كشف نقاب منهج الطلاب الاشعري	الجامع الكبير	–	٢٢٠
.٧٨	٤٩	مجموع:أ.تعليم المتعلم.ب.فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب	الجامع الكبير	١٢١٧هـ	١١٠
.٧٩	٥١	مجموع:. أ. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. ب. مختصر المحرر	الجامع الكبير	١٠٧٩هـ	١٨٢
.٨٠	٦٦	مجموع:. أ. رسالة الجهر بالذكر والإسرار به ب. رسالة تتعلق في الرد على من أنكر الذكر.	الجامع الكبير	١٢١٧هـ	٤٠
.٨١	٦٧	مجموع:. أ. حاشية على شرح العقائد النسفية ب.حاشية قرة كمال على حاشية الخيالي	الجامع الكبير	١١١٤هـ	١١٤
.٨٢	٣/١	أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي	الحجيات	١٠٦٠هـ	٢٨٣
.٨٣	٣/٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	حجيات	–	٢٥٤
.٨٤	٣/٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	حجيات	١٠٤٠هـ	٢٨٤
.٨٥	٣/٥	تفسير القران الكريم	حجيات	٨٤٢هـ	١٠٦
.٨٦	٣/٦	التفسير الكبير للرازي	حجيات	–	٢٤٧
.٨٧	٣/٧	حاشية الخطائي على أوائل حاشية السعد على الكشاف	حجيات	–	٤٣٢
.٨٨	٣/٨	الدر المصون في علم الكتاب المكنون . المجلد الأول	حجيات	٨٥٩هـ	٣٧٥
.٨٩	٣/٩	الدر المصون في علم الكتاب المكنون . المجلد الثاني	حجيات	–	٣٩٥

.٩٠	٦/٢	البدور السافرة في أحوال الآخرة للسيوطي	حجيات	١١٢٥هـ	١٥٤
.٩١	٦/٦	شرح فصوص الحكم للجامي	حجيات	١٠٧٥هـ	٢٠٧
.٩٢	٧/٣	حواشي على عدة الأصول خليل القزويني	حجيات	١٠٥١هـ	٢٧٦
.٩٣	٧/٥	شرح المنهاج للرملي	حجيات	١٠٧٩هـ	٣٩٢
.٩٤	٨/٢	الفتاوي الخيرية للعليمي	حجيات	١٢٣٦هـ	٥٣٧
.٩٥	٨/٣	الفتح المبين بشرح الأربعين للهيثمي	حجيات	–	١٩٤
.٩٦	٨/٦	مختصر غنية المتملي بشرح منية المصلي للحلبي	حجيات	–	٢٥٨
.٩٧	٩/٦	تحفة المحتاج في شرح المنهاج الهيثمي	حجيات	–	٨٤
.٩٨	٩/٧	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	حجيات	–	٢٦٢
.٩٩	٩/١٥	روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي	حجيات	–	١٤٨
.١٠٠	٩/١٦	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين للدمياطي	حجيات	–	١٩٦
.١٠١	٩/١٧	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين	حجيات	–	١٦٨
.١٠٢	٩/١٨	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين	حجيات	–	١٧٩
.١٠٣	٩/١٩	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين	حجيات	–	٢٣٢
.١٠٤	٩/٢٢	شرح الزبد للرملي	حجيات	٨٦٢	٢٦٠
.١٠٥	٩/٢٤	شرح المقدمة الحضرمية الهيثمي	حجيات	–	٢١٣
.١٠٦	٩/٣٨	النجم الوهاج في شرح المنهاج	حجيات	–	٢٨٢
.١٠٧	١١/٢	رحمة الأمة في اختلاف الأئمة للصفدي	حجيات	١١٦٩هـ	١٩١
.١٠٨	٢٠/٣	مخطوط نقولات في الفقه وعلوم القران والحديث	حجيات	–	٣١٣
.١٠٩	٢٢/١١	مجموع: أ. الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين. ب. شرح إثبات	حجيات	٩١٨هـ	١٨٨

		الواجب. ج. نقولات من شرح التفتازاني على تلخيص المفتاح. د. حكاية أبي ذرع. هـ.حلبة الرجال ترجمة عالي أفندي إلى التركية. و. رسالة إلى التركية تحوي دوائر مع أسماء لبعض الحيوانات.ز.حكايات ح. حكم مترجمة إلى التركية. ط. فضائل السور من تفسير البيضاوي. ي. طرسوس نامة– تركي. ك. رسالة إلى التصوف لزكريا الأنصاري. ل. حاشية على شرح السيد الشريف الجرجاني على تلخيص المفتاح. م. نقولات في الجبر والمقابلة. ن.نقولات من بياض النور للدوراني جلال الدين ت ٩١٨هـ. س.نقولات من حاشية البيضاوي على الملا خسرو. ع.دعاء. ف.نقولات وفوائد مستلة من أقوال العلماء. ص. نظم بخط احمد الموصلي ت ١١٥٠هـ.			
١١٠.	٢٢/٧٩	مجموع: ا.مختصر المحرر ب. دقائق المنهاج	حجيات	–	٢٢٦
١١١.	٢٢/١٠٨	مجموع: أ. منهاج الطالبين ب. شرح دقائق المنهاج	حجيات	–	٢٥٦
١١٢.	١/١	القران الكريم	الأمينية	–	٢٩٠
١١٣.	١/٢	القران الكريم	الامينية	١٠٥٠هـ	٣٧٥
١١٤.	١/٣	القران الكريم	الامينية	١٢٠٩هـ	٣٣٦
١١٥.	٣/٢٧	الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري	الامينية	١١٧٠هـ	٣٥٢
١١٦.	٣/٢٨	الكشف عن مشكلات الكشاف م١ للقزويني	الامينية		٤٣٨
١١٧.	٣/٢٩	الكشف عن مشكلات الكشاف م٢	الامينية	٩٨١هـ	٤٥٧
١١٨.	٣/٣٠	مجمع البيان في تفسير القران	الامينية		٣٣٢
١١٩.	٣/٣١	مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي	الامينية	٧٢١هـ	٢٤٧
١٢٠.	٣/٣٢	مجمع البيان في تفسير القران	الامينية	١٠٧٦هـ	–
١٢١.	٥/٢٣	علوم الحديث لابن الصلاح جلده مزخرف	الامينية	–	٢٠٠
١٢٢.	٧/٣	شرعة الإسلام لإمام زادة	الامينية	–	١٦٦
١٢٣.	٧/٦	طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب للديريني	الامينية	١١١٦هـ	١١٢
١٢٤.	٨/٣	شرح المنار للعيني جلده مزخرف	الامينية	١٠٧٥هـ	١٩٤
١٢٥.	٩/٢٠	الدرة السنية في شرح الفوائد الفقهية للطرسوسي	الامينية	–	١٥٨
١٢٦.	٩/٢٢	ذخيرة العقبى لباخي زادة	الامينية	٩٩٢هـ	٤١٩
١٢٧.	٩/٤٣	فتاوي مؤيد زادة للاماسي	الامينية	١٠٥٠هـ	٢٢٢
١٢٨.	٩/٥٨	المختار في فروع الحنفية للموصلي	الامينية	١٠٩٣هـ	١٤٧
١٢٩.	٩/٦٣	ملتقى الأبحر الحلبي	الامينية		٢٢٨
١٣٠.	٩/٧١	واقعات المفتين نقيب زادة	الامينية	١١٠٤هـ	٢٠٠
١٣١.	١٣/١٢	محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخرللبوسنوي	الامينية	–	١٠٩
١٣٢.	٢١/٦	تعبير الأحلام لابن سيرين	الامينية	١١٠٢هـ	١٤٥
١٣٣.	٢٢/٤	بحر الغرائب في لغة الفرس – فارسي للحليمي	الامينية	١١٦٦هـ	٢٣٨
١٣٤.	٢٢/٦	تفسير فارسي – أوله لوحة زخرفيه مؤطر الصفحات	الامينية	–	٥١٩
١٣٥.	٢٢/١٥	ديوان أبن كمال – فارسي جلده مزخرف	الامينية	–	١٣٣
١٣٦.	٢٢/٢٨	كتاب في الأدب الفارسي	الامينية	–	١٠١
١٣٧.	٢٢/٤٧	مجموع: أ. ديوان نوائي تركي ب. ديوان فارسي	الامينية	–	٩٦

١٣٨.	٢٢/٤٨	مجموع: أ. نزهة الأرواح فارسي ب. كتاب فارسي في شرح آيات وأحاديث	الامينية	١٠٤١هـ	٣٤١
١٣٩.	٢٣/٥	مجموع: أ. أحاديث ب. ذخر العابدين	الامينية	–	٨٨
١٤٠.	٢٣/٦	مجموع: أ. أحاديث نبوية ب.الحصن الحصين ج.رسالة تشتمل على أحاديث الرسول	الامينية	١٠٠٣هـ ٩٩٧هـ	١٨٣
١٤١.	٢٣/٣٧	مجموع: أ. حاشية على عقائد النسفي ب. حاشية قول أحمد	الامينية	١١٢٢هـ	٢٣٥
١٤٢.	١/١	القران الكريم	الأحمدية	–	٣٧٥
١٤٣.	٣/٩	تفسير الرازي الكبير	الأحمدية	–	٤٣٧
١٤٤.	٣/١٠	تفسير الرازي الكبير	الأحمدية	١١٠٤هـ	٢٢٨
١٤٥.	٣/١١	تفسير الرازي الكبير	الأحمدية	١١٩٥هـ	٣٣١
١٤٦.	٣/١٢	السفر الجليل	الأحمدية	١٠٦١هـ	٣٦٧
١٤٧.	٣/١٣	السفر الجليل	الأحمدية	–	١٩٧
١٤٨.	٣/١٤	السفر الجليل	الأحمدية	–	٨٦
١٤٩.	٣/١٥	السفر الجليل	الأحمدية	–	٣٤٩
١٥٠.	٣/١٦	السفر الجليل	الأحمدية	١١٠٢هـ	٣٥٧
١٥١.	٣/١٧	السفر الجليل	الأحمدية	–	٢٥١
١٥٢.	٣/١٨	حاشية التفتازاني على الكشاف	الأحمدية	–	٩٨
١٥٣.	٣/١٩	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للاسفراييني	الأحمدية	–	٢٧٦
١٥٤.	٣/٢٠	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	الأحمدية	–	٢٧٦
١٥٥.	٣/٢١	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل ملا خسرو	الأحمدية	٩٤٩هـ	٢٦٦
١٥٦.	٣/٢٢	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	الأحمدية	١٠٨٤هـ	٢٠٥
١٥٧.	٣/٢٣	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للسيالكوتي	الأحمدية	–	٢٣٤
١٥٨.	٣/٢٧	حاشية على الكشاف للطيبي	الأحمدية	–	٢٣٤
١٥٩.	٣/٣١	معالم التنزيل للبغوي	الأحمدية	–	٢٨٨

١٦٠.	٥/١٧	الفتح المبين لشرح الأربعين للهيثمي	الأحمدية	–	١٩١
١٦١.	٥/١٨	فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي	الأحمدية	١١٥٣هـ	١٩٣
١٦٢.	٦/٣	حاشية على شرح التفتازاني على النسفية للخيالي	الاحمدية	١١٥٦هـ	٧٦
١٦٣.	٧/٦	كتاب الإسراء	الأحمدية	١١٠٩هـ	١٠١
١٦٤.	٩/٢٢	صرة الفتاوي للساقزي	الأحمدية	١١٥٠هـ	٢٨٧
١٦٥.	٩/٣١	فقه حنفي	الأحمدية	–	٢٦٣
١٦٦.	١٠/٣	تحفة المحتاج في شرح المنهاج للهيثمي	الأحمدية	–	٢٨٦
١٦٧.	١٠/٤	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	الأحمدية	١٠٧٢هـ	٣٦٥
١٦٨.	١٠/٥	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	الأحمدية	–	٢٨٦
١٦٩.	١٠/٦	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	الأحمدية	–	٢٣٢
١٧٠.	١٠/٧	روض الطالبين للنووي	الأحمدية	٦٣٠هـ	٢٣٦
١٧١.	١٠/٨	الروضة	الأحمدية	٧٧٥هـ	٣٦٠
١٧٢.	١٠/١٦	مختصر الفتاوي العسقلاني	الأحمدية	١١٦٧هـ	١٧٧
١٧٣.	١٢/١	الصواعق المحرقة الهيثمي	الأحمدية	١١٨٠هـ	١٥٦
١٧٤.	١٣/٣	تخميس البردة للفيومي الصفحتان مزوقتان بالذهب	الأحمدية	–	٢٧
١٧٥.	١٧/٤	المختصر للتفتازاني	الأحمدية	١١١٠هـ	١٥٧
١٧٦.	٢٠/١	الأسباب والعلامات محمد المتطبب	الأحمدية	٥٩٩هـ	١١٥
١٧٧.	٢٠/٤	تذكرة أولي الألباب داود الانطاكي	الأحمدية	–	٢٣٨
١٧٨.	٢٠/٨	شرح القانون للسلمي	الأحمدية	–	١٦٣
١٧٩.	٢٠/١٩	الموجز لابن نفيس	الأحمدية	٨٦٦هـ	٦٨٣
١٨٠.	٢١/٩	المعارف لابن قتيبة	الأحمدية	١٠٩٢هـ	١٩٨
١٨١.	٢٣/١٥	الصراح في ترجمة الصحاح– فارسي لجمال القرشي	الأحمدية	–	٤٣٥
١٨٢.	٢٤/١٠	مجموع: أ. حاشية على شرح المواقف. ب.تعليق على شرح السيد الشريف.ج.حاشية على شرح المواقف. د.حاشية على شرح التجريد. هـ.حاشية على شرح	الأحمدية	–	١٣٤

		المواقف. و.تعليق على أبحاث الكاتبي.			
١٨٣.	٢٤/٥٥	مجموع: أ. أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب. ب.تلخيص الازهية في أحكام الأدعية. ج.الروضة الزاهرة النافعة في الدنيا والآخرة. د.نقولات وفوائد وأدعية.	الأحمدية	١٢٠٥هـ	٣٦
١٨٤.	٢٤/٥٩	مجموع: أ. تخميس البردة ب.قصائد منونة	الأحمدية	–	١١٥
١٨٥.	٢٤/٨٣	مجموع: أ. شرح الصدور. ب.الاحتفال في الأطفال. ج.حصول الرفق بأصول الرزق. د.الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة. هـ. ثلج الفوائد في أحاديث لبس السواد. و.الكشف عن مجاوزة هده الأمة الألف. ز.المنحة في السبحة. ح.مجمع البحرين. ط.الدمعة في خصائص يوم الجمعة. ي.أربعون حديثًا للمندري.	الأحمدية	١١٤٣هـ	٢٥٩
١٨٦.	٢/١	الإتقان في علوم القران للسيوطي	خياط	٩١٧هـ	٣٥٨
١٨٧.	٢/٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي	خياط	٨٥٠هـ	١٧٠
١٨٨.	٢/٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	٧٤٠هـ	٢٦٦
١٨٩.	٢/٦	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل القوجوي	خياط	–	٣٩٩
١٩٠.	٢/٧	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	١٢٧٦هـ	٣٥٣
١٩١.	٢/٨	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	١٢٨٠هـ	٤٤٨
١٩٢.	٢/٩	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	١٢٧٠هـ	٣٩٩

١٩٣.	٢/١٠	السر القدسي في تفسير أية الكرسي للطبلاوي	خياط	–	٧٦
١٩٤.	٢/١١	معالم التنزيل للبغوي	خياط	١١٦٧هـ	٢٥٢
١٩٥.	٢/١٢	معالم التنزيل	خياط	١١٦٥هـ	٢٤٩
١٩٦.	٣/٦	شرح البخاري للقسطلاني	خياط	١٢٣٩هـ	٢٠٥
١٩٧.	٣/١٠	الفتح المبين بشرح الأربعين الهيثمي	خياط	–	٢٣٤
١٩٨.	٣/١٦	مشكاة المصابيح للخطيب العمري	خياط	٧٨٧هـ	٣٢١
١٩٩.	٥/١٧	كوكب المباني وموكب المعاني للنابلسي	خياط	١١٥١هـ	١٧٠
٢٠٠.	٦/١	التصريح شرح التلويح الفناري	خياط	–	٢٠٨
٢٠١.	٦/٥	شرح جمع الجوامع للمحلي	خياط	١٢٠٤هـ	١٨٩
٢٠٢.	٧/٤	انفع الوسائل إلى تحرير المسائل للطرسوسي	خياط	–	١٨٨
٢٠٣.	٧/١١	الفتاوي الخيرية لنفع البرية للرملي	خياط	١٠٨١هـ	٣٦٠
٢٠٤.	٨/١	الأنوار لأعمال الأبرار الاربلي	خياط	–	٣٠٢
٢٠٥.	٩/٦	شرح ديوان ابن الفارض للبوريني	خياط	١٠٦١هـ	٢٢٣
٢٠٦.	١٥/٤	حياة الحيوان للدميري	خياط	–	٢٧٨
٢٠٧.	١٥/٩	مختار الصحاح الرازي	خياط	١١٧٠هـ	١٦٥
٢٠٨.	١٦/١٧	مجموع: أ. حاشية على شرح التفتازاني ب.حاشية على شرح العقائد	خياط	١٢٩٣هـ	١٥٧
٢٠٩.	١٦/٣٩	مجموع: أ. مجموع يحتوي على مسائل على أبواب الفقه ب.رسالة مفرحات	خياط	–	٣٥١
٢١٠.	١٦/٤٥	مجموع: أ. جواهر الفرائض ب.فرائض السجاوندي. ج.الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية	خياط	١١٣٨هـ	١٦٩
٢١١.	١٦/٥٥	مجموع: أ. شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية ب.شرح قصيدة	خياط	–	١١٩

		بانت سعاد			
٢١٢.	٢	البهجة المرضية للسيوطي	الرابعية	١٢٣٤هـ	١٢٠
٢١٣.	٥	تنبيه الغافلين للسمرقندي	الرابعية		٢٦٤
٢١٤.	١٤	شرح جوهرة التوحيد للحنفي	الرابعية	١٠٧٠هـ	١٥٠
٢١٥.	٣٣	غرر الإحكام ملا خسرو	الرابعية	٨٨٥هـ	٢٥٠
٢١٦.	٣٥	الفتاوي الخيرية لنفع البرية الرملي	الرابعية	١٢٧٢هـ	٤٦٤
٢١٧.	٣٦	الفتح المبين للهيثمي	الرابعية	٩٧٤هـ	١٣٧
٢١٨.	٣٧	الفوائد الضيائية الجامي	الرابعية	١٠٨٧هـ	٢٠٣
٢١٩.	٤٢	كليلة ودمنة لابن المقفع	الرابعية	-	١١٦
٢٢٠.	٤٦	مختصر القدوري	الرابعية	١٢٦٣هـ	١٢٢
٢٢١.	٤٧	معالم التنزيل	الرابعية	١٢٥٤هـ	٣٢٤
٢٢٢.	٥٢	مجموع: أ. شرح هداية الحكمة ب.حاشية على شرح هداية الحكمة	الرابعية	١٠٨٤هـ	٥٨
٢٢٣.	٥٣	مجموع: أ. شرح مختصر المقدمة الرحبية. ب.رسالة في مسائل الميراث. ج.رسالة في الفقه. د. رسالة في أحكام الصلاة.	الرابعية	١٢١٣هـ	٧١
٢٢٤.	٦/١	تفسير الجلالين	حاج حسين بك	١٢٤٢هـ	٢٣٩
٢٢٥.	٢/١	أذكار النووي	حاج حسين بك	١١٧٣هـ	٢٢٥
٢٢٦.	٢/٩	المصابيح للبغوي	حاج حسين بك	-	٢٧٩
٢٢٧.	٤/٢	التزود بالآخرة	حاج حسين بك	-	٨٤
٢٢٨.	٤/٣	المنح المكية في شرح الهمزية للهيثمي	حاج حسين بك	-	٢٥٧
٢٢٩.	٥/٣	حاشية على شرح جمع الجوامع للمقدسي	حاج حسين بك	-	٢١٥
٢٣٠.	٦/٨	شرح الفقه الأكبر ملا علي القاري	حاج حسين بك	١٠٨١هـ	٢١٣
٢٣١.	٦/١٤	شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية لتاج الشريعة	حاج حسين بك	١١٠٥هـ	٢٦٢
٢٣٢.	٦/١٥	شرح وقاية الرواية في مسائل	حاج حسين بك	-	١٨٨

التخطيط البيلوغرافي لواقع المخطوطات المفقودة
مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
د. رائد أمير عبدالله العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

		الهداية			
٢٣٣.	٦/٢٩	المختار للموصلي	حاج حسين بك	-	١٨١
٢٣٤.	١١/٧	مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام	حاج حسين بك	١٠٩٧هـ	٢٥٨
٢٣٥.	١٣/١	حاشية على المطول	حاج حسين بك	٩١٠هـ	٢٩٣
٢٣٦.	١٣/٤	المطول للتفتازاني	حاج حسين بك	-	١٥١
٢٣٧.	١٥/٦	الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض	حاج حسين بك	١١٢١هـ	٢٣٥
٢٣٨.	١٥/٩	الطريقة المحمدية لبيركلي	حاج حسين بك	١١٤١هـ	١٧٣
٢٣٩.	١٦/٢	تعبير الأحلام لابن سيرين	حاج حسين بك	١١٥٧هـ	٢٦٢
٢٤٠.	١٦/٣	الزواجر الهيثمي	حاج حسين بك	-	٣٣٣
٢٤١.	١٧/٢	مجموع: أ.معالم التنزيل ب.الناسخ والمنسوخ	حاج حسين بك	-	٣٩٣
٢٤٢.	١٥	مختصر منية المتملي في شرح منية المصلي للحلبي	عبدالله بك	١١٨٩هـ	٢٤٥
٢٤٣.	٦/٨	دفع مضار الأغذية للرازي	داود جلبي	٤٠٣هـ	١٣١
٢٤٤.	٨/١٤	الدليل إلى مرادف العامي والدخيل للباني	داود جلبي	-	٩٥
٢٤٥.	٨/٤٦	نقص في عدد اللوحات والباقي ٦	داود جلبي	١٢٨٦هـ	-
٢٤٦.	٩/١٤	مجموع: أ. رسالة في فضل عاشوراء ب.رسالة في فضل ليلة النصف من شعبان	داود جلبي	١٠٨٢هـ	٨٢
٢٤٧.	٦	ديوان ابن الفارض	ميسر صالح	٩٨٠هـ	١٧٦
٢٤٨.	١٤	شرح جمع الجوامع للمحلي	ميسر صالح	١١٩٨هـ	٢٧٤
٢٤٩.	٤٥	مجموع: أ. الإعراب عن قواعد الإعراب ب.موصل الطلاب	ميسر صالح	١١٧٤هـ	٧٠
٢٥٠.	٤٦	مجموع: أ. مبارق الأزهار في شرح فارق الأنوار ب.فصل في سنن يوم عاشوراء	ميسر صالح	١٠٧٠هـ	٢٥٠
٢٥١.	٤٧	أ. مجموع: أ. رد السائل إلى المسائل ب. ترجيح البيانات	ميسر صالح	-	٢٣٠

.٢٥٢	٤٨	مجموع: أ.شرح العقائد النسفية. ب.حاشية على شرح التفتازاني على العقائد النسفية. ج.حاشية على شرح التفتازاني على العقائد النسفية	ميسر صالح	–	١٥٠
.٢٥٣	١	القران الكريم	محمد صديق الجلبي	١١٨٤هـ	٢٩٣
.٢٥٤	٧	حاشية على وقاية الرواية خضر بيك	محمد صديق الجلبي	–	١٨١
.٢٥٥	١٧	شرح الفقه الأكبر للقاري	محمد صديق الجلبي	–	٢٢٤
.٢٥٦	١٨	شرح كتاب الإيمان	محمد صديق الجلبي	–	٨٧
.٢٥٧	١٢	قطر الندى وبل الصدى ابن هشام	عبد الهادي رؤوف	١٢٧٠هـ	١٥٦
.٢٥٨	١	انتهاز الفرص في الصيد والقنص للناشري	عبدالله نشأة	–	١٤٧
.٢٥٩	٣	جامع الفتاوي للحميدي	عبدالله نشأة	٩٧٧هـ	٢٢٣
.٢٦٠	١٣	كشف الرين ونزح الشين ونور اليقين علوان الحموي	عبدالله نشأة	١٢٣٠هـ	٢٨٢
.٢٦١	١٤	نزهة المجالس الصغوري	عبد الله نشأة	١٢٣٧هـ	١٧٣
.٢٦٢	١/١	القران الكريم	المدرسة المحمدية	١١٩٨هـ	٣٠
.٢٦٣	٣/١٠	معالم التنزيل	المدرسة المحمدية	٩٦٤هـ	٤٦٧
.٢٦٤	٣/١١	معالم التنزيل	المدرسة المحمدية	٩٦٥هـ	٤١٥
.٢٦٥	٤/٢	الجامع الصحيح	المدرسة المحمدية	–	٣٢٠
.٢٦٦	٤/٣	الجامع الصحيح	المدرسة المحمدية	–	٢٠٢
.٢٦٧	٤/٦	شرح الاربعين النووية	المدرسة	–	١٦٣

			المحمدية		
.٢٦٨	٤/٧	شرح ألفية العراقي	المدرسة المحمدية	١٠٨٢هـ	٢٦٢
.٢٦٩	٤/١١	مصابيح السنة للبغوي	المدرسة المحمدية	٨٠٧هـ	٢٥٦
.٢٧٠	٥/٤	حاشية على شرح التجريد للجرجاني	المدرسة المحمدية	–	٢١٢
.٢٧١	٥/١١	شرح المواقف للجرجاني	المدرسة المحمدية	–	٣٦٣
.٢٧٢	٦/١	إحياء علوم الدين المجلد الرابع للغزالي	المدرسة المحمدية	٦٣١هـ	١٣٠
.٢٧٣	٧/٥	منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لابن حاجب الملكي	المدرسة المحمدية	١٠٥٥هـ	١٠٧
.٢٧٤	٨/١	تفصيل عقد الفرائد بتكميل قيد الشرائد لابن شحنة	المدرسة المحمدية	٩٩١هـ	٣٥٢
.٢٧٥	٨/٣	جامع الفصولين المجلد الأول لمحمود سماونة	المدرسة المحمدية	–	٣٣٧
.٢٧٦	٨/٥	جامع الفصولين المجلد الأول لمحمود سماونة	المدرسة المحمدية	–	٣٢٨
.٢٧٧	٨/٧	الخراج – أبو يوسف القاضي	المدرسة المحمدية	١١٣٧هـ	١٥٠
.٢٧٨	٨/٩	الدر المختار شرح تنوير الأبصار للحصكفي	المدرسة المحمدية	–	٢٥٥
.٢٧٩	٨/١٨	عيون المذاهب للكاملي	المدرسة المحمدية	١١٦٩هـ	١٣٠
.٢٨٠	٨/٢٢	الفتاوي الخيرية للرملي	المدرسة المحمدية	١١٥٤هـ	٣٠١
.٢٨١	٨/٢٤	كنز الدقائق لحافظ الدين	المدرسة المحمدية	٩٩٣هـ	٣٣٩
.٢٨٢	٩/٢	الإرشاد مختصر الحاوي للقزويني	المدرسة	٨٦٥هـ	١٠٢

			المحمدية		
.٢٨٣	٩/٤	شرح الإيجاز	المدرسة المحمدية	–	١٧٧
.٢٨٤	٩/٧	شرح على المقدمة الحضرمية الهيثمي	المدرسة المحمدية	١١٨٤هـ	٢٠٦
.٢٨٥	٩/١٧	كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين للانصاري	المدرسة المحمدية	١١٠٠هـ	٣٥٣
.٢٨٦	٩/١٨	منهاج الطالبين للنووي	المدرسة المحمدية	–	٢١٨
.٢٨٧	٩/١٩	منهاج الطالبين	المدرسة المحمدية	–	٢٠٩
.٢٨٨	١١/٤	مختار الصحاح للرازي	المدرسة المحمدية	١١٤٧هـ	٣٧٢
.٢٨٩	١٢/٥	حاشية على الفوائد الضيائية على الكافية عصام الدين الاسفراييني	المدرسة المحمدية	١١٦٠هـ	٢٤٤
.٢٩٠	١٢/١٨	الفوائد الضيائية ملا جامي	المدرسة المحمدية	١٠٧٢هـ	٢٠٩
.٢٩١	١٢/٢٢	مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ابن هشام	المدرسة المحمدية	١١٠٠هـ	٢٦٧
.٢٩٢	١٤/٥	شرح تلخيص المفتاح التفتازاني	المدرسة المحمدية	–	٢٥١
.٢٩٣	١٤/٨	المطول شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني	المدرسة المحمدية	١١٣٢هـ	١٩٥
.٢٩٤	١٥/٨	حل مشكلات الإشارات	المدرسة المحمدية	١٠٧٤هـ	٢٠٧
.٢٩٥	١٥/١٤	شرح الشمسية التحتاني	المدرسة المحمدية	٨٩٥هـ	١٦٥
.٢٩٦	١٥/١٥	شرح هداية الحكمة ما سوى المنطق للخزرباني	المدرسة المحمدية	–	٨٥
.٢٩٧	١٥/١٨	لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار	المدرسة	–	٢٩٨

		التحتاني	المحمدية		
.٢٩٨	١٧/٢	تهذيب السيرة النبوية لابن هشام	المدرسة المحمدية	٦٠٦هـ	١٩٥
.٢٩٩	١٧/٣	تهذيب السيرة النبوية	المدرسة المحمدية	٧٩٨هـ	٢١٤
.٣٠٠	١٧/٥	حضرة النديم من تاريخ ابن العديم	المدرسة المحمدية	–	٨٠
.٣٠١	١٧/١٨	مناقب أبي حنيفة – ابو القسم القرشي	المدرسة المحمدية	١٠٠٩هـ	١٠٠
.٣٠٢	١٧/٢٠	يتيمة الدهر للثعالبي	المدرسة المحمدية	–	١٧٢
.٣٠٣	١٩/١	التوراة	المدرسة المحمدية	١٨٠٤هـ	١١٢
.٣٠٤	١٩/٣	ديسقوريدس الحكيم	المدرسة المحمدية	–	١٢٤
.٣٠٥	٢٠/٢	مجموع:أ. الجذر الصفي من البحر الوفي ب.روضة المخلصين وذكر الموحدين	المدرسة المحمدية	–	١١٠
.٣٠٦	٢٠/٥	مجموع: أ. سور من القران الكريم ب. الحزب الأعظم والورد الافخم	المدرسة المحمدية	–	٨١
.٣٠٧	٢٠/٦	مجموع: فيه ١٥ رسالة	المدرسة المحمدية	١١٠٦هـ	٢٢١
.٣٠٨	٢٠/١١	مجموع: أ. أخبار محزنة. ب.أخبار ليلى ومجنون. ج.أخبار خسرو. د.أخبار شيرين. هـ.أخبار الاسكندر	المدرسة المحمدية	٨٦٨هـ	٣٣٩
.٣٠٩	٢٠/١٦	مجموع: أ. خزانة الفقه. ب.تحفة الملوك	المدرسة المحمدية	١١٧٠هـ	١٦٩
.٣١٠	٢٠/٢٠	مجموع: أ. شرح رسالة الاستعارة ب. حاشية على عصام الاستعارة	المدرسة المحمدية	–	٦٧
.٣١١	٢٠/٣١	مجموع: أ.شرح عقائد النسفية	المدرسة	–	١٤٤

		ب.حاشية على شرح التفتازاني على النسفية	المحمدية		
٣١٢.	٢١/١٠	تشريح ذخيرة خوارز مشاهي يحتوي على مصورات في التشريح	المدرسة المحمدية	–	١٠٧
٣١٣.	٢١/٢٧	كليلة ودمنة	المدرسة المحمدية	–	٢٠٨
٣١٤.	١/١	الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي	الصائغ	–	١٤٨
٣١٥.	١/٤	حاشية على حاشية العصام على أنوار التنزيل للكواكبي	الصائغ	١١٣١هـ	٢١٠
٣١٦.	١/٥	حاشية على الكشاف للجرجاني	الصائغ	–	٢٠٢
٣١٧.	١/٦	حاشية على الكشاف	الصائغ	–	٢٣٠
٣١٨.	١/١٠	الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشري	الصائغ	–	٢٠٥
٣١٩.	١/١١	الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشري	الصائغ	–	٢٠٨
٣٢٠.	١/١٢	معالم التنزيل	الصائغ	–	٣٥٩
٣٢١.	١/١٥	معالم التنزيل	الصائغ	–	١٧٧
٣٢٢.	١/١٦	معالم التنزيل	الصائغ	–	١٨٨
٣٢٣.	١/١٧	معالم التنزيل	الصائغ	١١٧٢هـ	٢٣١
٣٢٤.	١/١٨	معالم التنزيل	الصائغ	–	٢٢٨
٣٢٥.	٢/٥	الجامع الصحيح	الصائغ	٨٥٤هـ	٢٠٦
٣٢٦.	٢/٦	الجامع الصحيح	الصائغ	–	١٤٩
٣٢٧.	٢/١٢	شرح الأربعين النووية	الصائغ	١٢١٠	٤٥٥
٣٢٨.	٢/١٦	فيض الفياض الباري في أحاديث صحيحة منتخبة من صحيح مسلم	الصائغ	١٢٠٣هـ	٣١٨
٣٢٩.	٢/١٨	مشكاة المصابيح الخطيب العمري	الصائغ	١١٣١هـ	٤٢٥
٣٣٠.	٢/٢١	مصابيح السنة	الصائغ	١١٥٦هـ	٢٠٢
٣٣١.	٤/٢٤	الطريقة المحمدية	الصائغ	١١٤٤هـ	٢٠٣
٣٣٢.	٦/٩	درر الحكام في شرح غرر الأحكام	الصائغ	١٠٠٥هـ	٤٠٢

		ملا خسرو			
٣٣٣.	٦/١٠	الدرر المختار في شرح تنوير الأبصار	الصائغ	١١٤٥هـ	٢١٩
٣٣٤.	٦/٢٠	فتاوي قاضي خان	الصائغ	١١٠٦هـ	٥٠٠
٣٣٥.	٦/٢٥	كنز الدقائق	الصائغ	١١٥٠هـ	١٠٤
٣٣٦.	٦/٢٨	المختار	الصائغ	١١٢٧هـ	١٣٨
٣٣٧.	١٢/٣	شرح التصريف الفريد	الصائغ	١١٠٥هـ	٨٤
٣٣٨.	١٥/٥	الشفا بتصريف حقوق المصطفى	الصائغ	١١٧٩هـ	٣٦٧
٣٣٩.	١٧/٤١	مجموع: أ. رسالة في التجريد ب.أحاديث ج. دعاء الختم للشيخ عثمان د.زينية للإمام علي.	الصائغ	١٢٦٧هـ	٨٠
٣٤٠.	١٧/٥٣	مجموع: أ. نسيم الصبا ب.حكاية عشق ج.كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار.	الصائغ	–	١٤٤
٣٤١.	٢	قران كريم	النعمانية	١٢١٧هـ	٢٦١
٣٤٢.	٤	البهجة الوردية لابن الوردي	النعمانية	١١٧٩هـ	٢٠٤
٣٤٣.	٥	تبين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق للزيلعي	النعمانية		٣٢٢
٣٤٤.	٦	تبين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق المجلد الثاني	النعمانية		٢١٨
٣٤٥.	٧	تبين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق المجلد الثالث	النعمانية	٨٦٥هـ	٣١٣
٣٤٦.	٨	تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية للتحتاني	النعمانية	١١٩٨هـ	١٢٦
٣٤٧.	٩	تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية	النعمانية	١١٩٨هـ	١٨٣
٣٤٨.	١٢	التوضيح في حل غوامض التنقيح للمحبوبي	النعمانية	١١٢٥هـ	١٣٥
٣٤٩.	١٣	التوضيح في حل غوامض التنقيح	النعمانية	٩١٦هـ	١٥٧
٣٥٠.	١٤	حاشية على شرح التفتازاني	النعمانية	–	١٢٥

٣٥١.	٢١	خلاصة الأخبار في أحوال النبي المختار	النعمانية	–	١٢٩
٣٥٢.	٢٢	رسالة في العقائد	النعمانية	–	٨٠
٣٥٣.	٣٧	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري	النعمانية	١٠٨٥هـ	٤٢٨
٣٥٤.	٣٨	مجالس الأبرار ومسالك الأخيار احمد الرومي	النعمانية	١٢٤٠هـ	٢٢٤
٣٥٥.	٤٠	مصابيح السنة	النعمانية	٩٧٤هـ	١٩٧
٣٥٦.	٤١	مطالع الأنظار شمس الاصفهاني	النعمانية	٧٧٧هـ	١٧١
٣٥٧.	٤٢	المطول شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني	النعمانية	–	٣٠٣
٣٥٨.	٥٢	مجموع: أ.الفوائد الفنارية ب.حاشية على شرح الفوائد الفنارية	النعمانية	١٢٦٩هـ	٦٥
٣٥٩.	١٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	بكر أفندي	١٠٧٧هـ	٣١٤
٣٦٠.	١٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	بكر أفندي	٩٢٨هـ	٧٣٠
٣٦١.	١٤	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	بكر أفندي	١٠١٧هـ	٤٠٦
٣٦٢.	٢٢	التوضيح في حل غوامض التنقيح	بكر أفندي	–	١٦٨
٣٦٣.	٣٣	حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات للنووي	بكر أفندي	٧٩٤هـ	١٤٢
٣٦٤.	٣٤	حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات	بكر أفندي	٧٩٤هـ	٢٥٨
٣٦٥.	٣٥	حياة الحيوان الدميري	بكر أفندي	–	١٤٣
٣٦٦.	٥١	عوارف المعارف السهروردي	بكر أفندي	–	٢٨١
٣٦٧.	٥٣	غنية المتملي شرح منية المصلي	بكر أفندي	–	٢٤٤
٣٦٨.	٨١	مصابيح السنة	بكر أفندي	ق٧هـ	٢٥٠
٣٦٩.	٨٢	المطالع السعيدة في شرح الفريدة للسيوطي	بكر أفندي	١١٣٢هـ	١٥٤
٣٧٠.	٨٣	معالم التنزيل	بكر أفندي	١١٦٩هـ	٢٤٧
٣٧١.	٨٤	معالم التنزيل	بكر أفندي	–	٣٤٩

٣٧٢.	٨٩	ملتقى الأبحر الحلبي	بكر أفندي	–	٢٠٨
٣٧٣.	٩٤	الوجيز في تفسير القران العزيز	بكر أفندي	٥٥٠هـ	٢٢١
٣٧٤.	٩٥	الهداية	بكر أفندي	٨٠٧هـ	٢٦٥
٣٧٥.	٢	أحاديث في الزهد	مريم خاتون	–	١٨٧
٣٧٦.	٣	أحاديث نبوية	مريم خاتون	–	١٣٥
٣٧٧.	٤	الاختيار شرح المختار مجد الدين الموصلي	مريم خاتون	٧١٠هـ	١٥١
٣٧٨.	٦	البحر المحيط ج٢ أبو حيان الاندلسي جلده مزخرف بطغروات مذهبة	مريم خاتون	–	٢١٤
٣٧٩.	٩	تفسير القران الكريم	مريم خاتون	٧٢٦هـ	٣٠٥
٣٨٠.	١٨	شرح الألفية	مريم خاتون	١٢٧١هـ	٢١٩
٣٨١.	٢٤	شرح عقائد النسفي	مريم خاتون	١١٩٦هـ	١٠٤
٣٨٢.	٣٤	فتاوي قاضيخان	مريم خاتون	–	٦٣٤
٣٨٣.	٤٣	مختصر الفقه	مريم خاتون	١١٥٧هـ	١٧٠
٣٨٤.	١	القران الكريم	المدرسة اليونسية	–	٣٦٨
٣٨٥.	٢	القران الكريم	المدرسة اليونسية	١١١٤هـ	٣٠٣
٣٨٦.	٩	القران الكريم	المدرسة اليونسية	١٢١٠هـ	٤٥٧
٣٨٧.	١٣	القران الكريم ج١٩ آياته مذهبة يتخلل الآيات طغروات مزخرفة	المدرسة اليونسية	–	٤١
٣٨٨.	٦٦	كتاب السلوك للغزالي	المدرسة اليونسية	–	١١٥
٣٨٩.	٦٩	معالم التنزيل م١ للفراء	المدرسة اليونسية	–	٣٦٧
٣٩٠.	٧٠	معالم التنزيل م٢	المدرسة اليونسية	–	٢٩٩

٣٩١.	٧٤	مجموع: أ. كتاب الأربعين ب.الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة	المدرسة اليونسية	١٢٢٠هـ	١٢٩
٣٩٢.	٧٧	مجموع: أ. مختصر الفقه . متن القدوري ب.رسالة في طيب الأبدان والأديان	المدرسة اليونسية	١٠٩٥هـ	٢٢٥
٣٩٣.	٢/١	الأربعون حديثا للنووي	المدرسة الرضوانية	–	٨٣
٣٩٤.	٢/٣	شرح الجامع الصحيح	المدرسة الرضوانية	–	٣٠٣
٣٩٥.	٢/٤	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الهيثمي	المدرسة الرضوانية	١٠٥٠هـ	١٩٥
٣٩٦.	٣/٢	بحر الأفكار حسن الحلبي	المدرسة الرضوانية	–	١٧١
٣٩٧.	٤/٤	التنوير في إسقاط التدبير احمد الاسكندري	المدرسة الرضوانية	–	٩٤
٣٩٨.	٧/١	الأشباه والنظائر ابن نجيم المصري	المدرسة الرضوانية	٩٧٨هـ	١٢٩
٣٩٩.	٧/٣	جامع الصدر الشهيد	المدرسة الرضوانية	٨٨٢هـ	١٦١
٤٠٠.	٧/٤	حاشية على الدر	المدرسة الرضوانية	١٢٤٧هـ	٢٦١
٤٠١.	٧/٦	حل المواضع المغلقة من وقاية الرواية	المدرسة الرضوانية	–	٢٣٩
٤٠٢.	٧/٩	الرسائل الزينية في فقه الحنفية	المدرسة الرضوانية	١١١٣هـ	٩١
٤٠٣.	٧/١١	شرح فتاوي ابن نجيم محمد الخطيب	المدرسة الرضوانية	–	١٠١
٤٠٤.	٧/١٥	الفتاوي الصيرفية في فقه الحنفية	المدرسة الرضوانية	١٠٥٣هـ	٨٥
٤٠٥.	٧/١٦	فتاوي منظومة علي افنجي	المدرسة	١١٥٩هـ	٨١

التخطيط البيلوغرافي لواقع المخطوطات المفقودة
مجلة آداب الفراهيدي
عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
د. رائد أمير عبدالله
العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

			الرضوانية		
٤٠٦.	٧/١٧	فتاوي مؤيد زادة	المدرسة الرضوانية	–	٢٠٢
٤٠٧.	٧/١٨	الفوائد المنثورة في الفتاوي المأثورة	المدرسةالرضوانية	١٢١٢هـ	٢٤٦
٤٠٨.	٩/٧	شرح الأنموذج	المدرسة الرضوانية	–	٩٨
٤٠٩.	١٠/٥	شرح التصريف العزي	المدرسة الرضوانية	١١١٠هـ	٧٣
٤١٠.	١٠/٨	شرح الشافية	المدرسة الرضوانية	١١١٣هـ	١٩٨
٤١١.	١٣/٤	حاشية على الفوائد الفنارية	المدرسة الرضوانية	١٣٠١هـ	٧٠
٤١٢.	١٥/٦	قصص	المدرسة الرضوانية		١٣٧
٤١٣.	١٨/٢	مجموع: أ. الفتاوي الصيرفية. ب.ترجيح البينات. ج.شرح حديث. د.رسالة العروض	المدرسة الرضوانية	١٠٨٩هـ	١٠٢
٤١٤.	١٨/٨	مجموع: أ.الدرة السنية. ب.أقوال العلماء في ليلة القدر	المدرسة الرضوانية		١٤٦
٤١٥.	١٨/١٠	مجموع: أ. رسالة في العقائد. ب.وصية كعب الأحبار لأولاده. ج.جنان الجنات في استعمال الدخان. د.مقدمة الغزنوي.	المدرسة الرضوانية		١٤٠
٤١٦.	١٨/١٨	مجموع: أ. بهجة الناهض الى علم الفرائض ب.تفسير سور من القران الكريم	المدرسة الرضوانية	٩٧٤هـ	١٨٩
٤١٧.	١٨/٣٩	مجموع: أ. شرح عقائد النسفية ب.حاشية على شرح التفتازاني	المدرسة الرضوانية	–	١٣٣
٤١٨.	١٨/٤٣	مجموع: أ. شرعة الإسلام ب. رسالة في التجويد ج.رسالة في الفقه	المدرسة الرضوانية	–	٧١
٤١٩.	١٨/٥٢	مجموع:أ. إتيان في إعراب القران ب.نقولات وحكايات	المدرسة الرضوانية	–	٢٤٥

ت	الرقم	العنوان	المكان	التاريخ	الأوراق
٤٢٠.	١٨/٩١	مجموع: أ. شرح الفقه الأكبر ب.شرح حديث الدين النصيحة	المدرسة الرضوانية	١٢١٣هـ	٦٨
٤٢١.	٢/٧	تفسير القران الكريم	حاج زكر	٦٩٦هـ	٢٨٢
٤٢٢.	٢/٨	تفسير القران الكريم	حاج زكر	١٠٧٦هـ	٣٢٦
٤٢٣.	٢/١٢	عرائس البيان في حقائق القران الشيرازي	حاج زكر	–	٢٩٥
٤٢٤.	٢/١٦	الكشاف	حاج زكر	–	٣٨٥
٤٢٥.	٢/١٧	الكشاف	حاج زكر	–	٢٩٤
٤٢٦.	٢/١٨	مختصر المعاني من حرز ألاماني ووجه النهائي	حاج زكر	٧٧٢هـ	٢٣٣
٤٢٧.	٣/٢	تخريج أحاديث المحرر للرافعي	حاج زكر	٧٨٨هـ	٢١٨
٤٢٨.	٣/٣	الترغيب والترهيب المنذري	حاج زكر	١١٦٩هـ	٣٥٦
٤٢٩.	٣/٤	الترغيب والترهيب المنذري	حاج زكر	–	٣٦٥
٤٣٠.	٣/٧	الجامع الصحيح	حاج زكر	–	٢٢١
٤٣١.	٣/٩	رياض الصالحين	حاج زكر	–	٥٥٣
٤٣٢.	٣/١١	شرح صحيح البخاري	حاج زكر	–	٤٢٠
٤٣٣.	٣/١٣	الشفا بتعريف حقوق المصطفى	حاج زكر	٧٨٧هـ	١٦٢
٤٣٤.	٣/١٨	الكاشف عن حقائق السنن	حاج زكر	–	٢٨٥
٤٣٥.	٣/٢٢	مصابيح السنة	حاج زكر	٩٦٩هـ	٢٨٩
٤٣٦.	٣/٢٤	المقاصد الحسنة	حاج زكر	–	٢٠٨
٤٣٧.	٤/٤	شرح تجريد الكلام	حاج زكر	–	٣٩٨
٤٣٨.	٦/٢	حاشية على جمع الجوامع	حاج زكر	٩٩٩هـ	٢٣٥
٤٣٩.	٦/٣	حاشية على شرح جمع الجوامع	حاج زكر	٩١٣هـ	٢٣٢
٤٤٠.	٦/٥	حاشية على مختصر المنتهى	حاج زكر	–	١١٠
٤٤١.	٧/٧	خزانة الفقه	حاج زكر	١١٥٥هـ	١٢٣
٤٤٢.	٧/١٧	المختار للفتاوي	حاج زكر	–	١٤٠
٤٤٣.	٧/٢١	ملتقى الأبحر	حاج زكر	–	١٦٦
٤٤٤.	٨/٣٤	تيسير الفتاوى في تحرير الحاوي	حاج زكر	–	٢٧٠
٤٤٥.	٨/٥٥	شرح المقدمة الحضرمية	حاج زكر	١١٣٨هـ	٢٠٦
٤٤٦.	١٢/٣	شرح مراح الأرواح	حاج زكر	–	١٥١
٤٤٧.	١٣/٤	المختصر	حاج زكر	١٠٠٢هـ	١٧٥
٤٤٨.	١٦/١	حياة الحيوان	حاج زكر	–	٢٠٢

التخطيط البيلوغرافي لواقع المخطوطات المفقودة
مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
د. رائد أمير عبدالله العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

ت	الرقم	العنوان	المكان	التاريخ	الأوراق
٤٤٩.	٤	أذكار النووي	مدرسة العبدالية	–	١٠٥
٤٥٠.	٥	الأشباه والنظائر	مدرسة العبدالية	١١٣٤هـ	٢١٠
٤٥١.	٩	تعبير الأحلام	مدرسة العبدالية	١١٦٩هـ	١٢٤
٤٥٢.	٢٣	الجواهر البهية في شرح الأربعين للنووي	مدرسة العبدالية	١٢١٩هـ	٨٥
٤٥٣.	٣١	شرح الطريقة المحمدية	مدرسة العبدالية	١١٧٢هـ	١٠٠
٤٥٤.	٣٤	شرح مجمع البحرين	مدرسة العبدالية	٨٤٠هـ	٢٤٨
٤٥٥.	٣٩	الفتاوي الخيرية لنفع البرية	مدرسة العبدالية	١١١٢هـ	٤١٠
٤٥٦.	٤٣	كنز الدقائق	مدرسة العبدالية	١٠١١هـ	٢٠٠
٤٥٧.	٤٥	مجال الأبرار ومسالك الأخيار	مدرسة العبدالية	١٢٢٩هـ	١٧٩
أ.	٤٩	مجموع: أ. الرسالة الحنفية ب.شرح الرسالة الوضعية ج.حاشية الوغ بيك	مدرسة العبدالية	١٢٢٧هـ	٨٤
٤٥٨.	٢٠	كنز الدقائق	مدرسة المحمودين	١٠٨٤هـ	١١٦
٤٥٩.	٢٣	ملتقى الأبحر	مدرسة المحمودين	١٠٨٨هـ	١٩٢
٤٦٠.	٢٥	الموجز في الطب	مدرسة المحمودين	٨٦٧هـ	١٥٩
٤٦١.	٥	مجموع: أ.حاشية على شرح الكافي على ايساغوجي. ب. حاشية على شرح الدواني على العقائد العضدية.	المدرسة الخليلية	–	٩٥
٤٦٢.	١	الجزء الثالث عشر	الهدايا/الخياط المضافة	–	١٨
٤٦٣.	٤٢	إجازة في أصول قراءة عامر براوية حفص	الجزء التاسع	١٣٩٩هـ	–
٤٦٤.	٤٧	إجازة في اصول قراءة عامر براوية حفص	الجزء التاسع	–	–
٤٦٥.	٥٤	إجازة في أصول قراءة عامر براوية حفص	الجزء التاسع	–	١٨
٤٦٦.	٥٥	القران الكريم	التاسع/إبراهيم النعمة	١٢٧٨هـ	٣٠٤
٤٦٧.	٥٧	رسالة في الكتاب العربية المنقحة وضعها انتساس ماري الكرملي	الجزء التاسع	–	١٥

الخاتمة:

أولا: النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج:

١- ضرورة البحث والتنقيب عن تراثنا المفقود ضمن منهجية علمية.

٢- إن عناوين المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل تشمل جميع فنون العلوم من القران وعلومه والحديث والعقيدة والفقه والأصول والمنطق.

٣- معظم المخطوطات المفقودة من المكتبة هي مختارة من حيث قدم المخطوط تاريخيا، والغريبة، والنفيسة، والمزخرفة، والمكتوبة بالذهب، والمنسوخة بخط المؤلف.

٤- بلغ عدد المخطوطات المفقودة (٤٦٧) عنوان لمخطوط.

ثانيا: المقترحات والتوصيات

نقترح إنشاء مركز بحثي يعنى بالتراث الموجود والمفقود في مكتبات العراق وإعداد الكوادر الخاصة والبرامج العلمية لذلك.

الهوامش:

(١) ينظر: عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة/١٩٩٨م)، ص٤٢؛ المسفر، د. عبد العزيز محمد، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ، (الرياض/١٩٩٩م)، ص٦٧؛ المرعشلي، د.يوسف، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، ط٣، دار المعرفة، (بيروت/٢٠٠٨م)، ص٢٠٩.

(٢) لويز– نويل ماكليس، البيبلوغرافيا، ترجمة: بهيج شعبان، مراجعة: هنري رغيب، منشورات عويدات، ط١، (بيروت/١٩٧٤م)، ص١٠-١١.

(٣) لاستزادة عن أسماء الخزائن ينظر: داود الجلبي الموصلي، مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات، (بغداد/١٩٢٧م).

(٤) بموجب الكتاب المرقم (٩٨٥٦/١٧٠٩) في ٥/ ذي الحجة /١٣٥٥ الموافق ١٦/ شباط /١٩٣٧.

(٥) هامش سالم عبد الرزاق، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مطبعة الأوقاف، (بغداد/١٩٧٤م)، ١/١٥.

(٦) افتتاح مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مطبعة الإرشاد، (بغداد/١٩٧٤م)، ص٤، ١٢.

(٧) كما هو موثق ومدون في كتاب سجل الأساس المحفوظ في مكتبة الأوقاف.

(٨) داود بن محمد سليم بن احمد الجلبي (١٨٧٩-١٩٦٠م)، طبيب ومؤرخ لغوي يتقن التركية والفرنسية وملم بالفارسية والألمانية والسريانية له عدة مؤلفات منها(الآثار الآرامية في لغة أهل الموصل). ينظر ترجمته : سالم عبد الرزاق، فهرس المخطوطات، ١٥٣/٦-١٥٥؛ عمر محمد الطالب، موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، مركز دراسات الموصل، (الموصل/٢٠٠٧م)، ١٦٧.

(٩) سالم عبد الرزاق بن احمد الطائي (١٩٢٩-٢٠٠٩م)، نال الدبلوم من كلية الصحافة المصرية، وحصل على الإجازة العلمية في القراءات السبع، عمل أمينا

لمكتبة الأوقاف، ومن أشهر مؤلفاته (فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف). ينظر ترجمته: سالم عبد الرزاق، فهرس المخطوطات، ٣٤٩/٦-٣٥٠ ؛عمر الطالب، موسوعة أعلام الموصل، ص٢٠٧.

(١٠) للمزيد عن فهرسة سالم عبد الرزاق ينظر : مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، العدد السادس والعشرون، السنة الثامنة/٢٠٠٩، ص٩٩.

(١١) السرقة تمت ليلة ١٩ على ٢٠ من تشرين الأول سنة ١٩٩٥م، وتم إبلاغ شرطة مكافحة الأجرام الدواسة بموجب كتاب المديرية المرقم العدد فوق العادة في ١٩٩٥/١٠/٢٠م، وتم إعلام مكتب المحافظ بموجب الكتاب المرقم إدارية ٢٨٤٩/٨ في ١٩٩٥/١٠/٢٢وتم تشكيل لجنة التحقيق من قبل الشرطة والأمن. مزيدا من التفاصيل ينظر الكتاب المرقم إدارية/٢٩٤٢/٨ في ١٩٩٥/١٠/٣١م الصادر من مديرية الأوقاف والشؤون الدينية نينوى.

(١٢) حسب الكتاب المرقم : سريات/٤٧/١ في ١٩٩٩/١٠/١٤م.

(١٣) مزيدا من التفاصيل ينظر: فهرس المخطوطات، ٣٦٩/٨.

(١٤) بموجب الكتاب المرقم ٢١١٣ في ١٩٩٥/١١/٢م؛ ثم شكلت لجنة أخرى بموجب الأمر المرقم ٦٠٥/٨ في ١٩٩٦/٣/١٦م.

(١٥) قدر سرقة المطبوعات (٧١٢) كتاب مطبوع كما موثق بالكتاب المرقم إدارية ٣٨٥/٨ في ٢٠٠٠/٢/٢٠م، ثم عثرت اللجنة على (٢٠) كتاب مطبوع وبطرح العدد يبقى(٦٩٢) عدد المطبوعات المفقودة وهي مجهولة الأوصاف.

(١٦) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: الراشد، رائد أمير عبد الله، المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف الموصل – دراسة وثائقية إحصائية، مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل – جامعة الموصل، العدد٢٦،، آب ٢٠٠٩، ص٩٩.

(١٧) شكلت اللجنة بموجب الأمر الإداري المرقم (٧٣٤/٨) في ٤/١٩ /٢٠٠٤م، برئاسة الدكتور رائد أمير عبد الله.

(١٨) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: الراشد، رائد أمير عبد الله، المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف الموصل، مجلة دراسات موصلية، ص٩٩.

(١٩) الطُغْراء، ختم بتوقيع السلطان. محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر المعاصر، (بيروت/١٩٩٠م)، ص١٠٩.

(٢٠) سالم، الفهرست، ٢٨/١.

(٢١) سالم، الفهرست، ٤٠/١.

(٢٢) سالم، الفهرست، ٤٦/١.

(٢٣) سالم، الفهرست، ١٣١/١.

(٢٤) سالم، الفهرست، ٢٢٥/١.

(٢٥) سالم، الفهرست، ٢٤٨/١..

(٢٦) سالم، الفهرست، ٢٢/٢.

(٢٧) سالم، الفهرست، ٣٣/٢.

(٢٨) سالم، الفهرست، ٦٠/٢

(٢٩) سالم، الفهرست، ٧٦/٢

(٣٠) سالم، الفهرست، ١٢٨/٢

(٣١) سالم، الفهرست، ١٣٥/٢.

(٣٢) سالم، الفهرست، ١٣/٤.

(٣٣) سالم، الفهرست، ١٣٥/٥.

(٣٤) سالم، الفهرست، ٢٩٧/٦.

(٣٥) سالم، الفهرست، ٨٢/٧.

(٣٦) سالم، الفهرست، ٨٣/٧.

(٣٧) سالم، الفهرست، ١٧/٨

(٣٨) سالم، الفهرست، ١٧/٨

(٣٩) سالم، الفهرست، ٦١٢/٩.

(٤٠) سالم، الفهرست، ١٧٥/٦.

Abstract

The research represents a new and serious attempt in the curriculum by its context that refers to heritage. It seems that our view which emerge from the truth of interesting in our Arabic–Islamic heritage is an integral part of our ambition to come up with the level of research as well as raising the curriculum value. Our heritage is full of accomplishments related to the curriculum and scientific research which contain perfection, high quality and looking forward to a better future. The research aims at tracing the manuscripts of the central endowments library in Nineveh whose manuscripts have been stolen and neglected. This library is considered one of the cultural institution that contain treasure of manuscript heritage which is rich in all kinds of various curriculum. Classifying Bblograve , the research could be made as a reference and scientific guide for researchers and beneficiaries in the field of manuscripts. The study has reached to many results one of these is most important which is the necessity of scientific way by establishing a research center care about heritage.

تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية

((مكتبة كلية الطب/ جامعة بغداد - نموذجاً -))

د. وفاء أحمد سعيد البياتي

جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي/ قسم توثيق بغداد

" تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية"

"Information Technology in Medical University Libraries"

المستخلص

تعد المكتبات الجامعية كغيرها من المؤسسات والمنظمات والهيئات التي تسعى الى تلبية احتياجات مستفيديها في مجالات تخصصهم. وتتميز المكتبات الجامعية والطبية (تحديداً) عن غيرها من المكتبات بطابعها التخصصي سواء من حيث مصادر المعلومات الموجودة فيها أو المجتمع الذي تخدمه، أو الخدمات التي تقدمها. وعلى الرغم من هذا الإختلاف إلا إن وظيفتها واحدة وهي تقديم المعلومات لروادها والمستفيدين منها بأختلاف الطرق والمصادر.

وفي العقدين الأخيرين سعت هذه المكتبات الى الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات المتاحة بدءاً من تطبيقات الحاسوب والبرمجيات والتقانات المختلفة لمساعدة روادها والمستفيدين منها، وإيصال المعلومات المطلوبة بسرعة عبر توفير

مكتبات الكترونية (رقمية) وشبكات اتصال خاصة بها، وبناء شبكات وقواعد معلومات متعددة. ومن هذه المكتبات مكتبة NLM المكتبة الطبية الوطنية في أميركا ومكتبة كلية الطب في جامعة بغداد والتي تم توضيح جوانب عملها وخدماتها ونشاطاتها المقدمة كل على حدة وموقعهما ودورهما في عصر تكنولوجيا المعلومات وكيف تم تسخيره لخدمتهما. والتي تعتبر أمثلة حية على طبيعة وهدف البحث.

توصل البحث الى جملة من النتائج والتوصيات منها: إن المكتبة الجامعية الطبية مطالبة بمسايرة عصر المعلومات، وإعتماد الآليات والتقنيات الحديثة دعماً لأعمالها وتحسيناً لخدماتها تجاه المستفيدين، والتأكيد على ضرورة مواكبة التطورات الحاصلة التي لاتتوقف على توفير الحواسيب وإنشاء النظم المتطورة فحسب، بل الإهتمام بالمكتبي والمستفيد، فالمكتبي مطالب بأكتساب مهارات جديدة لرفع مستوى خدماته تجاه المستفيد، وعلى الأخير أن يكون في مستوى كفاءة المكتبي لضمان الإستغلال الأمثل للوسائل التكنولوجية المتوفرة له في المكتبة.

تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية

مُقَدِّمَة

تغير مفهوم العمل في المكتبات الجامعية، بحكم التطورات الحديثة في مجال خدمات المعلومات واسترجاعها وبثّها، وظهر تبعاً لذلك خدمات ووظائف جديدة، وأصبحت معطيات التكنولوجيا الحديثة بدائل ضرورية لتفصيل عمل المكتبات، والرفع من مستوى الأداء والإنتاجية، وظهور شبكات المعلومات في عصرنا الحاضر، التي جاءت نتيجة للتطورات التي حدثت في مجال التخاطب الإلكتروني بين أجهزة الحاسبات، مما سهل عملية تبادل ونقل المعلومات بكافة أنواعها وأشكالها عبر الدول[١].

وقد كانت المكتبات في الكليات والجامعات– عبر التاريخ – هي المختصة بالحصول على المعلومات وإدارتها وإدارة مصادرها، إلا أنه مع بدء ظهور الحاسبات الإلكترونية والإنترنت وغيرها من تكنولوجيا المعلومات، توقفت المكتبة عن كونها المصدر أو المزود الوحيد للمعلومات بالكلية أو الجامعة. ومع هذا الظهور للحاسبات الإلكترونية، أصبحت كافة الموضوعات المرتبطة بالمعلومات أكثر تعقيداً. وقد يكون السبب في ذلك عائداً إلى فشلنا في الوصول إلى الفهم الحقيقي لطبيعة ومتطلبات التغير التكنولوجي. فالتغيير التكنولوجي ليس مجرد إضافة تكنولوجية ولكنه تغيير نفسي وذاتي، فإدخال الحاسبات في الكليات والجامعات لا يؤدي إلى خلق بيئة معلومات تتكون كليا من مكتبة وموارد وإمكانيات حاسوبية، ومنظمة خدمات، بل إنه قد يكون أكثر من ذلك أننا نخلق بيئة معلومات مختلفة ومتغيرة بشكل أساسي.

وفي هذا المجال، أشار أوناديل بلاي (Onadell Bly) إلى أنه في الثلاثين عاماً الماضية كانت المكتبات الجامعية ومراكز الحاسب، وهما من الإدارات التقليدية

المستقلة بأي جامعة، يسيران بشكل متوازن كل في مساره، مركز الحاسب الآلي يطور ويستخدم التكنولوجيا لإنتاج المعلومات، والمكتبة الجامعية أو الأكاديمية تنظمها وتخزنها، وتسمح بالرجوع لها والحصول عليها لمتابعة الاطلاع على مختلف الموضوعات. وفي العقد الأخير اتجه التوازي في المسارين، في الاختفاء، حيث بدأ المساران في الاندماج في مسار واحد، وقد بدأ هذا الاندماج في الحدوث ببطء، ثم تزايد بصورة كبيرة في السنوات الأخيرة، كما تزايد أيضا سرعة الإحساس بأهمية وضرورة هذا الاندماج[٢].

لقد كانت التكنولوجيا دائماً جزءاً من المكتبات، فقد استخدمت في خزن واسترجاع المعلومات، إلا أنه في السنوات الأخيرة، تم تدعيم تلك التكنولوجيات بظهور استخدامات وتطبيقات ببليوغرافية باستخدام الحاسب الآلي. إلا أنه وفقاً لطبيعة هذه التكنولوجيات فقد كانت معدلات ومتطلبات التغيير في المكتبات بطيئة وليست جذرية، وحديثاً أصبح التغيير في التكنولوجيا وضرورة حدوثه تفوق طاقة المكتبات التنظيمية للتغيير. وبالإمكان ملاحظة ذلك وبكل وضوح في المكتبات الجامعية الطبية والتي تعد من أكثر المكتبات حاجةً لمواكبة هذا التطور كونها تخدم شريحة مهمة من شرائح المجتمع كالأطباء والصيادلة ومختلف التخصصات الطبية.

هدف البحث:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المكتبات الجامعية والمكتبات الطبية (على وجه الخصوص) في عصر أصبح يعرف بعصر المعلومات وتكنولوجياتها الجديدة. فالجامعة تعتمد على المكتبة في الإضطلاع برسالتها البحثية والتعليمية، وتعمل على تحقيق أهدافها من خلال دعم ومساندة وتشجيع البحث العلمي فيها، وتسخير أحدث الوسائل لخدمة الطلبة والباحثين وإستخدام تكنولوجيا المعلومات في مكتباتها سواء بإدخال محتوياتها من مصادر

مختلفة الى الحاسوب في نظام أو برنامج معين، أو استخدام مصادر الكترونية في عملية البحث عن المعلومات.

التعريف ببعض مصطلحات البحث:

١- تكنولوجيا المعلومات "Information Technology". تعددت تعريفات تكنولوجيا المعلومات حسب كل مصدر. فتعرفها الموسوعة الدولية لعلم المعلومات والمكتبات على إنها[٣]: التكنولوجيا اللازمة لتجميع وإختزان وتجهيز وتوصيل المعلومات.

كما قدمت منظمة اليونسكو[٤] تعريفاً لمفهوم تكنولوجيا المعلومات وهو: إن تكنولوجيا المعلومات هي تطبيق التكنولوجيات الألكترونية ومنها الحاسب الآلي والأقمار الصناعية وغيرها من التكنولوجيات المتقدمةلإنتاج المعلومات التناظرية والرقمية وتخزينها وإسترجاعها، وتوزيعها، ونقلها من مكان الى آخر.

٢- المكتبات الجامعية "University Libraries"[٥]: المكتبة الجامعية عبارة عن مؤسسة ثقافية وتثقيفية وعلمية تعمل على خدمة مجتمع معين من الطلبة والأساتذة والباحثين الذين ينتسبون الى الجامعة او الكلية او المعهد، وذلك بتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها في دراستهم وأعمالهم من الكتب والدوريات والمطبوعات الأخرى والمواد السمعية والبصرية وتسهيل استخدامهم لها.

٣- المكتبة الطبية "Medical Library"[٦]: هي مكتبة تخدم احتياجات الطلبة والأطباء والباحثين في أحد فروع العلوم الصحية والطبية مثل طب الأسنان والتمريض والصيدلة، وقد تديرها جامعة أو هيئة متخصصة أو مستشفى أو جمعية طبية أو مؤسسة أدوية وعقاقير تجري أبحاثاً أو وحدة في حكومة محلية أو ولاية أو حكومة فيدرالية. وتسمى أيضاً (Health sciences Library).

٤- المكتبة الرقمية (الألكترونية) – "(Digital Library (Electronics": هي عبارة عن مكتبة يجري إنشاؤها دون رفوف توضع عليها أوعية المعلومات، والتي إنما هي حاسبات مضيفة خادمة (Servers) تحتضن المليزرات بداخلها من دون مستفيدين يستخدمون المكتبة الأم، وإنما هي حاسبات (Computers) تحت أيدي المستفيدين في أي مكان على وجه الأرض إلى جانب حاسبات موجهة (Routers)، وهي بحق الذروة العليا التي بلغتها التطبيقات التجارية لتكنولوجيا المعلومات(٧).

وهناك تعريف أكثر شمولية قدمه (جابين) وهو أن المكتبة الرقمية: "هي المكتبة الإلكترونية التي تعكس مفهوم الإتاحة من بعيد لمحتويات وخدمات المكتبات وغيرها من مصادر المعلومات، بحيث تجمع بين الأوعية على الموقع (on – site collection) والمواد الجارية والمستخدمة بكثرة سواء كانت مطبوعة أو إلكترونية، وتستعين في ذلك بشبكة إلكترونية تزودنا بإمكانيات الوصول إلى المكتبة أو المصادر العالمية الخارجية واستلام الوثائق منها"(٨)

٥- خدمات المكتبات "Libraries Services"(٩): مصطلح يعني كل الأنشطة التي تؤديها المكتبات والبرامج التي تقدمها لمقابلة احتياجات المعلومات التي يحتاجها رواد المكتبات وقراؤها. ويمكن أن تضم هذه الخدمات مدى واسعاً وتدرجاً هرمياً للخدمات المكتبية مثل (الخدمات العامة، خدمات المعلومات، خدمات الإعارة) التي يتم إقرارها لمكتبة معينة وفقاً لأهدافها.

٦- المستفيد النهائي "End User"(١٠): المستفيد النهائي أو المستفيدون من البيانات والمعلومات والنتائج التي تم استرجاعها من بحث يقوم به العاملون بالمكتبة، باستخدام امكاناتها من أدوات وفهارس وقواعد بيانات متاحة من خلالها، أو

المستفيدون من البيانات التي تمت معالجتها من خلال امكانات المكتبة لتخرج نتائج مفيدة لهم.

٧- مراكز المعلومات "Information Centers"(١١): مراكز المعلومات وريث لمراكز التوثيق التي كانت تهتم بالأشكال غير التقليدية لمصادر المعلومات والأساليب الحديثة في معالجتها وتنظيمها والاعتماد على المتخصصين في المجالات الموضوعية، والمؤهلين مهنياً في طرق المعالجة الفنية للوثائق بالإضافة الى تقديم خدمات أكثر إيجابية وعمقاً وتطوراً من تلك التي تقدمها المكتبات التقليدية.

٨- المعلوماتية "Informatics"(١٢): ذلك الإطار الذي يحوي تكنولوجيا المعلومات وعلوم الحاسبات، ونظم المعلومات وشبكات الإتصالات وتطبيقاتها في مختلف مجالات العمل الإنساني المنظم، كما يمكننا القول إن المعلوماتية هي منظومة تحوي ثلاثة أبعاد رئيسية هي: الأجزاء الصلبة "Hard Ware"، الأجزاء المرنة أو البرمجيات"Soft Ware" والمواد المعرفية "Knowledge Ware".

وبتعريف آخر(١٣) هي العلم الذي يدرس استخدام ومعالجة البيانات والمعلومات والمعرفة، فالمعلوماتية ليست علم الحاسوب، بل هي تطبيق لعلم الحاسوب، ومعالجة المعلومات الكترونياً لايعطيها قيمة إضافية لها إلا اذا كانت هي في الأساس على مستوى عال من الجودة. فالمعلومات الخام الجيدة تأخذ قيمة كبيرة إذا ما عولجت بالوسائل الألكترونية.

أهمية استخدام تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية.

نظراً لأهمية تكنولوجيا المعلومات (في وقتنا الحاضر) ازداد وعي المشرفون على المكتبات، والمكتبيين العاملين فيها. فثورة المعلومات والاتصالات جعلت من الطرق التقليدية المستخدمة في النظم الورقية تحديداً غير صالحة وغير كافية لمواجهة النمو الهائل في حجم المعلومات الذي بلغ حداً جعل المختصين يصفون هذه الظاهرة بأنها تضخم وانفجار معلوماتي، وبالتالي فإن المكتبات بطابعها التقليدي لم تعد تستجيب لمتطلبات العصر الحديث (عصر المعلومات)، فاتخذوا قراراً يتضمن ضرورة مواكبة التطورات السريعة في مجال تكنولوجيا المعلومات واستخدام الجديد، ليتمكنوا من مواجهة التدفق المتواصل للإنتاج الفكري العالمي والزيادة المستمرة للرصيد المعلوماتي، وكذلك تغطية العجز الواضح في توفير كل ماينتج في العالم من معلومات في مختلف المجالات وإتاحتها للمستفيدين منها كالأساتذة والطلبة والباحثين... وغيرهم.

ويمكن الإشارة لعدد من الوسائل التكنولوجية الحديثة المستخدمة حالياً في المكتبات[١٤]:

١- استخدام الأقراص الليزريةالمدمجة "CD-ROM" المخزن عليها العديد من المواد المعرفية المختلفة، وهذه الأقراص متوفرة في العديد من المكتبات الجامعية والتجارية ايضاً. وتستخدم هذه المواد بمختلف المكتبات الجامعية (كلٌ حسب تخصصه المعرفي) من قبل الباحثين والمحتاجين لمثل هذا النوع من المواد المعرفية.

٢- يمكن البحث عن عناوين الكتب التي تغطي مجالاً وتخصصاً معيناً يطلبه المستفيد، وذلك بصورة سريعة من خلال برامج حاسوبية، وإذا لم تكن النتائج مرضية للمستفيد فبالإمكان الاستعانة بشبكة الإنترنت للبحث في فهارس المكتبة

البريطانية، أو مكتبة الكونجرس الأمريكية أوغيرها من المواقع، ليتمكن المستفيد من الحصول على كل هذه المعلومات مطبوعة خلال دقائق معدودة وفي فترة زمنية وجيزة.

٣- يتم استخدام قواعد البيانات المتخصصة، وذلك لاختزان المعارف المختلفة المتزايدة بشكل كبير في المقالات والكتب والتقارير والنشرات وغيرها، وتقوم بعض المنظمات العلمية بتحديث هذه القواعد بصورة تعاونية مع المؤسسات المشابهة لها، وتصور القوائم المحدثة سنوياً على أقراص مدمجة وتوزيعها بهدف تعميم الفائدة منها.

٤- بدلاً من إصدار نشرات الإحاطة الجارية شهرياً، تستطيع المكتبات الحديثة إصدار هذه النشرات بشكل يومي من خلال موقعها على شبكة الإنترنت، ودون أن تتكلف جهود الطباعة ونفقات الإرسال البريدي.

٥- تستطيع المكتبات الحديثة اليوم نشر كشافاتها ومستخلصاتها ونظم استرجاع المعلومات الخاصة بها من خلال موقعها على شبكة الإنترنت، وبالتالي يستطيع المستفيد الحصول على هذه المعلومات وهو في مكتبه أو في بيته، مما يسهل عليه تحديد الكتاب أو المقال المطلوب وبالتالي طلب تصويره.

٦- تستطيع المكتبات الحديثة بناء نظم للأرشفة الضوئية تحل محل تقنيات المصغرات الفيلمية، وذلك لحفظ صور المقالات المهمة من الدوريات والتقارير والنشرات، وبذلك يمكن إدخال المقالات الحديثة واسترجاعها بسهولة تامة.

٧- يمكن للمكتبات الحديثة التعامل مع الكتب الرقمية الإلكترونية، وتستطيع تحقيق الفائدة القصوى من ذلك باستخدام واسترجاع المعلومات للنص الكامل.

٨- نظراً للارتفاع الشديد في أسعار بعض المطبوعات العلمية، فإن الحل الذي يبدو ممكناً لحل مثل هذا الإشكال يكمن في الاعتماد على النشر الإلكتروني للدوريات

والكتب العلمية المتخصصة، بالإضافة إلى اعتماد المكتبات الصغيرة على مقتنيات المكتبات الكبرى من خلال شبكة الإنترنت.

ومن المعروف بأن المكتبات هي المكان الأمثل لإنشاء وتقديم خدمات شبكات وقواعد المعلومات، على الرغم من أن هناك جهات أخرى تشارك المكتبات في تقديم هذه الخدمة، ولعل ما يهم المستفيدين هو نوع الخدمة المقدمة بصرف النظر عن مكان وجودها، غير أن وجود خدمة شبكات وقواعد المعلومات داخل المكتبة الجامعية وتحت إدارتها وإشرافها يساعد على توثيق الصلة بالطلاب وأعضاء هيئة التدريس، ويجعل المكتبة الجامعية أكثر تجاوباً مع متطلباتهم واحتياجاتهم بفضل التقنيات الحديثة في مجال خزن المعلومات واسترجاعها[١٥].

وبعد كل ما سبق كان لزاماً على المكتبة الجامعية (بصورة عامة والطبية بصورة خاصة) أن تحرص على أن تكون محافظة على توافقها مع التكنولوجيا السائدة، وأن تستخدم الاتصالات الإلكترونية بفاعلية، ومساعدة أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا والباحثين، بتوفير مختلف مصادر المعلومات وما إلى ذلك. ولا شك أن ذلك يمثل أكبر تحد يمكن للمكتبات الجامعية أن تواجهه، فهل المكتبات الجامعية قادرة فعلاً على مواجهة تلك التحديات؟

بدايات استخدام تكنولوجيا المعلومات في المكتبات:

بدأت المكتبات في خمسينات القرن الماضي باستخدام الأساليب المحوسبة لإدارة المعلومات. وقد كان ذلك باستخدام البطاقات المثقبة وأدوات الفرز والتجميع والحساب بالآلة لتحليل رؤوس الموضوعات وتكرار عناوين المجلات وتطوير قوائم المصطلحات من أجل التكشيف، ونتج عن مثل هذه المحاولات كشافات متخصصة كالكشاف الطبي (IndexMedics) وكشاف العلوم التربوية (ERIC) والمستخلصات الكيميائية (Chemical Abstracts).

وفي الفترة ما بين (١٩٦٠- ١٩٧٠م) جرى الانتقال من إدارة المجموعات المكتبية على أساس الحصر والرصد الجامد إلى خدمات المعلومات الديناميكية والمتحركة، من خلال نظم الاتصالات وتبادل المعلومات، ومن هنا بدأ الاستخدام الفعلي للحواسيب المركزية القادرة على خدمة عدد من المكتبات على أساس مشاركة الوقت[١٦].

وفي السبعينات بدأت تكنولوجيا الحاسوب توفر خدمات الضبط الببليوغرافي، عن طريق استخدام قواعد بيانات مركزية يساهم عدد من المكتبات في إثرائها، مما مكن من إيجاد فهارس مركزية وخدمات الفهرسة المركزية بين المكتبات. ومكنت هذه الفهارس من الخروج من مأزق الكتب غير المفهرسة في المكتبات، وساعدت على الوصول إلى المجموعات المكتبية بشكل أسرع، وساهمت في جعل الإعارة المتبادلة جزءاً لا يتجزأ من خدمات المكتبات، وجعلت من الإعارة والحجز وضبط الدوريات إجراءات أقل تعقيداً وأكثر نفعاً في المكتبة.

وفي الثمانينات دخل مفهوم المكتبة الموزعة أو غيرالمركزية، والمكتبة من غير جدران، والمكتبة الإلكترونية. فأصبح بالإمكان استخدام المكتبة بدون الحضور إلى مبنى المكتبة، وذلك عن طريق الحاسوب والمودم والهاتف، وأصبح الفهرس المقروء آلياً السمة الغالبة في المكتبات، وبدأ تدريجياً اختفاء الفهرس الورقي أو البطاقي، حيث قل استخدام المستفيدين له في المكتبات، وزاد اعتماد الرواد على الأنظمة المحوسبة للبحث عن المعلومات، ومرت السنوات خلال الثمانينات حيث كان نوعا الفهارس (الآلي والورقي) متوافرين جنباً إلى جنب، وبدأ الفهرس غير المقروء آلياً يخسر لصالح الوصول إلى المعلومات والفهارس عن بُعد، وبدون الاضطرار للوقوف أمام صناديق الفهرسة أو حتى الحضور للمكتبة، وأصبح بالإمكان البحث في أكثر من فهرس مكتبة في نفس الوقت[١٧].

تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المكتبات الجامعية:

ما هي الأدوات التي تستخدمها المكتبات في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؟ وكيف ظهرت هذه الأدوات إلى حيز الوجود؟ عندما نقول الأدوات، فإننا لا نعني فقط الأجهزة والمعدات، بل نضيف إلى ذلك البرمجيات وأساليب العمل والأفكار التي تسيّر كل ذلك، فمن حيث الأجهزة والمعدات نجد أن المكتبات تستخدم المطاريف، والحواسيب الشخصية، والحواسيب الصغيرة، والمودم، وسواقات الأقراص المتراصة بكافة أنواعها، والماسحات الضوئية، والفيديو التفاعلي، والشبكات المحلية والموسعة. أما بالنسبة للبرمجيات فإن استخدام قواعد إدارة البيانات العلائقية أصبح هو الشائع، بالإضافة إلى نظم المعلومات المتكاملة. وباستخدام تكنولوجيا المعلومات أصبحت المكتبة شريكاً كاملاً في التعليم الأكاديمي، فهي لا تقدم البحث الببليوغرافي فحسب، بل تقدم أيضاً الأقراص المتراصة متعددة الوسائط والتي هي إحدى بدائل التعليم الصفي في بعض الحالات، وفي الحالات الأخرى هي جزء منه. أما في داخل الصف نفسه فنجد العديد من أدوات تكنولوجيا المعلومات، أبسطها جهاز العرض للشفافيات، وأعقدها الائتمار عن بُعد بواسطة الأقمار الصناعية والحاسوب(١٨).

وقد بدأت المكتبات في السنوات الأخيرة من هذا القرن بدمج الخدمات التقليدية مع الخدمات المدعمة إلكترونياً، كخدمات المراجع والرد على الاستفسارات، فبعد أن كان على مستخدم المكتبة الحضور إلى مبنى المكتبة ليتمكن من الاستفادة من خدماتها، تغير الوضع الآن وأصبح بالإمكان الاستفادة من هذه الخدمات دون الاضطرار لمغادرة البيت أو مكان العمل، ليس هذا فحسب بل إن السرعة والكفاءة في تقديم هذه الخدمات هو ما يجعل بدايات هذا القرن مختلفة بالنسبة للمكتبات، فقد غير استخدام تكنولوجيا المعلومات الطريقة التي يتم بها توصيل هذه المعلومات إلى المستفيد النهائي، ويبقى هدف المكتبات توفير المعلومات بأفضل أسلوب يناسب

المستفيد، ومكنت التكنولوجيا المكتبة من القيام بذلك وبكفاءة عالية. لقد شكلت المعلومات وما زالت تشكل أحد مظاهر التكوين الإنساني التي قام ويقوم بإدارتها وتنظيمها وتبادلها بطرق وأساليب تتجدد يوماً بعد يوم، وما الحاسوب إلا أداة من هذه الأدوات التي تمكن من إدارة المعلومات بشكل أفضل، خاصة مع الازدياد الهائل في كميات المعلومات التي تنتج كل يوم، ومكنت هذه الأدوات من خلق بيئة مهدت بشكل كامل لتسهيل مهمة المستفيد النهائي، بغض النظر عن سبب استخدامه للمعلومات، سواء كانت للبحث أو للتعليم أو لتبادل المعلومات.

١- الوصول الى مصادرالمعلومات: ساعدت التكنولوجيا على تحديد ومعرفة محتوى المجموعات المكتبية بشكل أسرع، وزادت من امكانية التعرف على محتوى المكتبات عن طريق الكشافات والفهارس المفصلة. ومع أن الكتب والمصادر المطبوعة ستبقى أحد أهم محتويات المكتبات، إلا أن عملية تسهيل الوصول إلى هذه المحتويات لن تكون سهلة وبسيطة وسريعة إلا باستخدام التكنولوجيا، فحتى وقت قريب كان لابد للقارئ من الحضور إلى المكتبة لكي يستخدم الفهرس البطاقي لمعرفة إن كان في المكتبة كتاب لمؤلف أو موضوع أو عنوان محدد، لكن الآن أصبح بالإمكان معرفة كل ذلك من غير الحاجة للحضور إلى المكتبة، ولم يعد مستخدمو المكتبة محددين بمحتوى مكتبة واحدة، بل أصبح بالإمكان البحث في فهارس عدة مكتبات في نفس الوقت، سواء في منطقة واحدة أو قطر واحد أو حتى في العالم أجمع، إذ تساهم المكتبات، من كل أنحاء العالم وفي مختلف التخصصات، في تشكيل شبكة من قواعد البيانات بكافة أشكالها ومحتوياتها، وبالتالي إتاحتها للمستفيدين(١٩).

من هنا تمكنت المكتبات من تسخير تكنولوجيا الاتصالات للاستفادة منها في تبادل الخبرات والمعلومات الفنية والمهنية، كما هو الحال في عقد المؤتمرات عن بعد، ومجموعات النقاش والبريد الإلكتروني وما إلى ذلك.

٢- البحث المباشر عن طريق المستفيد النهائي: لقد نقلت تكنولوجيا المعلومات عملية البحث في قواعد البيانات إلى يدي المستفيد النهائي، إذ تشير الإحصائيات إلى أن العدد الأكبر من البحوث الببليوغرافية يجريها المستفيد النهائي وليس أمين المكتبة. فمثلاً تشير الإحصائيات الخاصة باستخدام قاعدة (ميدلاين الطبية) إلى أن ما يقارب ثلث ما مجموعه (٤- ٥) مليون بحث قد أجراها أطباء أو عاملون في المجال الصحي والطبي[٢٠].

واكتسبت المكتبات سيطرة أكبر على التكنولوجيا عندما جرى تحميل قواعد البيانات على نظم محلية في داخل المؤسسة، وأصبح من الممكن من خلال الحصول على محتوى قواعد البيانات تحميلها على نظم وبرمجيات مكنت المكتبات من إعادة تنظيم هذه القواعد مع قواعد بيانات أخرى، ومن نوع آخر في المؤسسة عن طريق الإنترنت، لتشكل جميعاً مصدراً موحداً للمعلومات. كما هو الحال في مكتبة كلية الطب / جامعة بغداد التي تستخدم قاعدة الميدلاين الطبية التي كانت سابقاً على شكل أقراص ليزرية وبدخول الانترنت الى المكتبة الغيت الأقراص واستخدم بدلها موقع خاص على شبكة الإنترنت هو موقع **HINARI** الذي يتيح للمستفيدين النهائيين الحصول على أحدث المصادر والمقالات الطبية والصحية الحديثة وبدون مقابل (متاحة بشكل مجاني)، وللمستفيدين من مكتبة كلية الطب تحديداً. ((سيتم الحديث عن هذا النظام بشكل مفصل في الصفحات اللاحقة)).

وتمكن تكنولوجيا الأقراص المكتنزة (CD-ROM) المكتبات حالياً من توفير بحث مباشر للمستفيد النهائي بكلفة بسيطة جداً. وقد وجد منتجو هذه الأقراص والمكتبات أنها الشكل الأفضل لتوزيع قواعد البيانات، وعلى الرغم من الانخفاض في أسعار وكلفة هذه التكنولوجيا إلا أن لها بعض السلبيات التقنية، كالبطء في الاسترجاع وازدياد احتمالات الفشل في الأجهزة والمعدات الخاصة بهذه الأقراص أكثر من غيرها، بالإضافة إلى بعض المشاكل الخاصة بشبكات المعلومات المحملة عليها هذه الأقراص. ومن المتوقع أن يصبح المستفيد النهائي هو المستهدف في عملية التسويق والتوزيع، إذ أصبح وجود سواقة خاصة بالأقراص المتراصة أمراً عادياً وليس اختيارياً في الحواسيب المنتجة حديثاً، فأصبحنا نرى الموسوعات، كموسوعة دائرة المعارف البريطانية، والقواميس كمعجم أكسفورد، والمورد، وكتب عيون التراث العربي الإسلامي، التي تشكل ركناً أساسياً من أركان استخدام الحاسوب في البيت، مما يعني أن المستفيد لن يلجأ إلى المكتبة للحصول على مثل هذه الخدمات المرجعية، فهي متوافرة لديه متى شاء[٢١].

٣- الوصول إلى قواعد البيانات واسترجاع محتوياتها: تقوم قواعد البيانات بتخزين وتنظيم وتكشيف البيانات والبحث فيها وتلخيص واسترجاع التقارير المتعلقة بها، وقد تكون هذه البيانات ببليوغرافية أو إحصائية أو نصوصاً كاملة أو أدلة أو صوراً أو خليطاً من كل ذلك. وتقوم برمجيات الاسترجاع أو البحث الببليوغرافي على نظم طورت منذ أكثر من ثلاثين سنة مضت، حيث كان يترتب على الباحث أن يقوم بصياغة البحث بطريقة دقيقة وقد تكون صعبة، وباستخدام لغات برمجية خاصة، بينما كان القليل من النظم يقبل اللغة الطبيعية، ولم تكن النظم قادرة على تقديم أي صيغة مساعدة للباحث في صياغة البحث أو فرز المخرجات أو تحديد مدى علاقتها بالبحث. وعلى

الرغم من أن النظم الجديدة تعتبر واجهة بحث تمكن من التحاور الطبيعي مع النظام، وتشتمل على العديد من رسائل المساعدة وقوائم الاختيار ومبنية على الواجهات المرئية، فإن المستفيد أو الباحث غير المتمرس يواجه مشاكل في البحث والاستخدام، ولا بد من التأكيد هنا على أن عمليات تحليل نتائج البحث في العديد من قواعد البيانات أوضحت أن كثيراً من المستفيدين ما زالوا غير قادرين على فهم طريقة خزن وتكشيف واسترجاع المعلومات باستخدام رؤوس الموضوعات أو المكانز أو المنطق البولياني (Bolian Logic) والعديد من تقنيات البحث الأخرى.

٤- شبكات المكتبات والمعلومات: استعار علم المكتبات والمعلومات كلمة "الشبكة" من الهندسة الإلكترونية، حيث أنها تمثل عدداً من المكونات الإلكترونية التي ترتبط معاً لتلبي حاجة معينة. وهذه المكونات أو العناصر في مجال المكتبات والمعلومات هي المكتبة أو مركز المعلومات، وتربط شبكة المعلومات أو المكتبات عدداً من هذه الخدمات معاً لتلبي حاجة معينة هي حاجة المعلومات. وعند الحديث عن شبكات المعلومات والمكتبات ترد العديد من المفاهيم التي يجري تداولها مثل: التعاون المكتبي، ومشاركة الموارد، وائتلاف المكتبات، وشبكات المعلومات. وقد جرى اختيار مصطلحي شبكات المكتبات وشبكات المعلومات للإشارة إلى ذلك كله.

ولعل أبسط تعريف لشبكة المعلومات هو: "اشتراك مكتبتين أو أكثر بطريقة رسمية لتبادل المعلومات على نطاق واسع بينهما، بهدف تطوير أساليب للاتصال من أجل بث المعلومات وتبادلها بين المستفيدين"(٢٢). وفي حالة الإنترنت، فإن الاتفاق غير الموقع عليه بين سائر المشاركين في الشبكة يتمثل باستخدام معايير وبروتوكولات محددة، بحيث يصبح هؤلاء المشاركون جزءاً من الشبكة، أما الطريقة

البسيطة لتمثيل الشبكة فتكون عبر وجود ثلاث مكتبات تشكل "عقد الشبكة" وبحيث ترتبط معاً وتتراسل البيانات فيما بينها؛ كل واحدة منها مع العقدتين الأخريين للحصول على المعلومات وخدماتها.

وقد لعبت الحواسيب دوراً فاعلاً في تطوير شبكات المعلومات، إلا أنه يتعين علينا التأكيد هنا على أن شبكة الحواسيب تختلف عن شبكة المعلومات، وأن ليس كل شبكة معلومات هي بالضرورة شبكة حواسيب، والعكس صحيح. فالحواسيب مع شبكات الاتصالات جعلت المشابكة الإلكترونية أمراً سهلاً عن طريق ربط حاسوبين معاً، أما تكنولوجيا المعلومات فمكنت شبكات المكتبات والمعلومات من توفير أدوات وأشكال عديدة للمشابكة في مجالات عديدة، منها:

- أدوات وخدمات الإنترنت التي تمكن من تبادل المعلومات والوصول إلى مواردها.
- الفهارس الموحدة.
- الإعارة بين المكتبات.
- خدمات الإحاطة الجارية.
- الخدمات المرجعية.
- البث الانتقائي للمعلومات.
- الاتصال من بعد.
- المكتبة الرقمية أو الألكترونية.
- البحث الآلي المباشر.

المكتبات الطبية الجامعية:

يعد الإنسان محوراً لكل البحوث والدراسات والعمليات، فصحته تعد من أهم الأحداث في حياته على الإطلاق، لذا بات من الضروري الإهتمام بها ليتمكن من العيش بعيداً عن كل مايعكر ويهدد صفو حياته ويقلل من نشاطه وأدائه، كونه أساس

المجتمع ومن حقه ان تتوفر له حياة خالية من الأمراض وبالتالي يكون المجتمع ككل معافى هو الآخر. كل هذا يتطلب رعاية واهتمام صحيين، وهاتان الصفتان يتطلب وجودهما وجود المعلومات اللازمة في هذا المجال. ولإن المكتبات الطبية هي الأساس في الحصول على هذه المعلومات (بعد المقررات الدراسية والتعليم) كان من الضروري دراستها وصولاً الى معرفة مدى إفادة المجتمع المستفيد منها. هنا سيتم التطرق الى مكتبتان (على سبيل المثال لا الحصر) الأولى مكتبة طبية عالمية والأخرى عربية عراقية وهي مكتبة كلية الطب في جامعة بغداد، اذ سيتم تناول بداياتها، مصادر المعلومات الموجودة فيها، التقنيات الموجودة فيها، الخدمات التي تقدمها، الموظفين العاملين فيها والمستفيدين منها.

أولاً: المكتبة الوطنية الطبية

(NLM – National Library of Medicine)[23].

تأسست هذه المكتبة في عام ١٨٣٦، وكانت تابعة للجيش الإتحادي ومعروفة بأسم (Library of the Surgeon Office United Army)، ثم أصبحت مكتبة طبية وطنية للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٦ -NLM) (National Library of Medicine. تقع المكتبة في المجمع القومي للمؤسسات الصحية في بيثيسدا، ماريلاند (Bethesda-Maryland)، وتعتبر هذه المكتبة أكبر مكتبة طبية في العالم، وهي جزء من المعهد القومي للصحة التابع لوزارة الصحة الأمريكية / قسم الخدمات الصحية والإنسانية. ولعبت NLM منذ وجودها دوراً مهماً في ترجمة البحوث الطبية والصحية بالإضافة لكونها تعد أكبر مكتبة طبية متطورة في العالم، إذ تقدم خدمات المعلومات والمعلوماتية الألكترونية الى ملايين المستخدمين في كافة أنحاء العالم من علماء وإختصاصيين في مجال الطب والصحة العامة

بالإضافة الى عامة الناس من الباحثين عن المعلومات الصحية والطبية عن طريق خدمة البحث الآلي المباشر (ON-LINE Search).

- ❖ تفتح المكتبة أبوابها لجميع المستفيدين من مختلف الإختصاصات الطبية والصحية بالإضافة الى عامة الناس، وتقدم لهم العديد من الخدمات والمصادر المعلوماتية المختلفة (والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً). وتمتلك المكتبة (١٢) مليون كتاب Books تقريباً بالإضافة الى المجلات Journals المخطوطات Manuscripts، المواد السمعية والبصرية Audio-Visual Materials، وأشكال أخرى من مصادر المعلومات الطبية والصحية المتاحة للإستخدام والموضوعة على الرفوف مما يجعلها (NLM) المكتبة الطبية الأكبر في العالم.
- ❖ في عالمنا الرقمي اليوم تواصل مكتبة (NLM) مهمتها في مجال تقديم البحوث والمعلومات الطبية وإتاحتها للمستفيدين منها من الإختصاصيين، كما وتتيح المجال لعامة الناس الإستفادة من هذه البحوث وخصوصاً المتعلقة بالسلوك الصحي الصحيح وإكسابهم معلومات مختلفة عن الرعاية الصحية وكيفية التعامل مع كل حالة والإهتمام بها، وكل هذا من خلال موقعها على الإنترنت وقواعد البيانات المتخصصة المتوفرة لديها وكذلك خدمة البحث الآلي المباشر (ON-LINE Search).
- ❖ قامت (NLM) بإنشاء مشروع الشبكة الوطنية للمكتبات الطبية (NN/LM – National Network of Libraries of Medicine) والمنتشرة في كافة أنحاء الولايات المتحدة. وبلغ عدد المشتركين في هذه الشبكة ٥,٦٠٠ مشترك.

ومن الخدمات التي تقدمها المكتبة:

- ✓ تقديم خدمة البحث عن المعلومات المتخصصة وذات العلاقة بعلم السموم والصحة البيئية مثلاً بإستخدام شبكات المعلومات والإتصالات التي تتيح للباحثين

فرصة البحث عن المعلومات ونشرها وإستخدامها مابين الأخصائيين من أطباء وأصحاب المهن الصحية، بالإضافة للمرضى وعامة الناس.

- ✓ تقديم البحوث الخاصة بالمعلوماتية الطبية للمتدربين والدارسين في فترة ماقبل وبعد نيل شهادة الدكتوراه، وتدريبهم على استخدام تقنيات المعلومات الطبية الموجودة والمتوفرة في (١٨) جامعة أمريكية.
- ✓ أما فيما يتعلق بخدمات المعلومات العلمية التي تقدمها فيعتبر أشهرها وأكثرها استخداماً والمتاح عبر الإنترنت قاعدة بيانات Pub Med، وقاعدة بيانات Medline والمتاح استخدامها للجميع. وتقوم ١٨ مليون مجلة بدعم هذا الموقع من خلال تقديم الخلاصات للمقالات الطبية المنشورة فيها والمعلومات البيلوغرافية الخاصة بكل مقالة. وتم البدء بتقديم هذه الخدمات منذ عام ١٩٤٨ ولغاية يومنا هذا.
- ✓ تقوم المكتبة بتقديم خدمة البحث الآلي المباشر للمقالات الطبية والمتخصصة مجاناً عن طريق التعاون مع مركز الطب العام (Pub Med Central-PMC). ويبلغ عدد المقالات المتاحة بالنص الكامل ١,٥٠٠,٠٠٠ مقالة.
- ✓ تقديم خدمة المعلومات المتخصصة (Specialized Information Services-SIS)، وعرض مجموعة وتشكيلة واسعة من المصادر الخاصة بالصحة البيئية وعلم السموم، كما وتقوم بتقديم معلومات متقدمة جداً وحديثة عن مرض الآيدز (AIDS-HIV) من خلال عدد من قواعد البيانات المتاحة والمتعلقة بهذا الجانب ومنها قاعدة بيانات (TOXnet).
- ✓ تقديم خدمات المعلومات لعامة الناس. إذ تعمل المكتبة على تقديم كافة المعلومات الطبية والصحية للعموم. وتعتبر هذه الخدمة هدفاً اساسياً لها، فهي تقدم هذه الخدمة بشكل مباشر للمستفيدين النهائيين من المعلومات من خلال

ارتياد المكتبة أو من خلال موقعها على الإنترنت (Medline Plus) والمتاح باللغتين الإنكليزية والإسبانية. تحدث المعلومات الموجودة بإستمرار وتدرج معلوماتها بمصطلحات سهلة القراءة والإستخدام كونها تقدم لعموم الناس من غير الأطباء أو المهن الصحية. ويبلغ عدد المصطلحات المستخدمة مايقارب من ٨٠٠ موضوع ومصطلح طبي وصحي مستخدم ومفهوم من قبل الباحثين والمستفيدين. كما يعرض هذا الموقع مجموعة من أفلام الفيديو الخاصة بالعمليات الجراحية، والآلاف من الوصفات الطبية وكيفية استخدام الدواء فيها (بدون وصفة طبيب) وايجاد بدائل في عملية المعالجة هذه.

أما فيما يتعلق بنشاطات المكتبة الأخرى:

- ☒ تقوم مكتبة (NLM) بإصدار مجلة باللغتين الانكليزية والاسبانية (NIH-National Information Health- Medline Plus magazine) و (NIH Medline Plus Salud).
- ☒ تتعاون المكتبة (NLM) مع المعهد الوطني الخاص بالشيخوخة. إذ تقوم بعرض المعلومات الصحية والطبية التي لها علاقة بكبار السن وكيفية الإهتمام بهم، وتقديم المعونة لهم، ويتم عرض هذه المعلومات بطريقة مسموعة ومرئية مقروءة لتساعد كبار السن في الإستفادة من هذه المعلومات إن لم يكن عن طريق القراءة فعن طريق الإستماع.
- ☒ إتاحة المكتبة (NLM) موقعاً تفاعلياً لها على شبكة الإنترنت خاصاً بالأطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين ٧-١٠ سنوات. إذ يصار الى تعليم الأطفال بمخاطر استخدام المواد الكيمياوية المحتمل وجودها في المنزل وعدم التعرض والتعامل معها بالإضافة الى دروس تعليمية أخرى تناسب أعمارهم وتوفر لهم معلومات

عامة عن هذه الحوادث وكيفية تجنبها ومعالجتها في حالة حدوثها وبشكل مبسط (تقديم الإسعافات الأولية) لحين قدوم سيارة الإسعاف والطبيب.

☒ أنجزت مكتبة (NLM) الشبكة الوطنية للمكتبات الطبية والتي تربط كافة المكتبات الطبية الموجودة والمنتشرة في كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وتقدم معلوماتها الطبية والصحية لمستخدميها والمستفيدين منها. يشترك في هذه الشبكة ٥,٦٠٠ مشترك منهم عدد من المؤسسات والمعاهد والمكتبات الطبية الإقليمية الثمانية (والتي تستلم الدعم من مكتبة NLM) و١٢٥ مكتبة طبية وأكثر من ٥٠٠٠ مكتبة عامة كأن تكون تلك الموجودة في العيادات الطبية والمستشفيات.

أما فيما يتعلق بالمكتبة من حيث مجموعاتها المكتبية وموادها وعدد مصادرها وواجباتها فيمكن إجمالها بالآتي:

١) تبلغ مجموعة المكتبة من مصادر كالكتب وغير الكتب ١١,٨٩٠,٩٦٤ مصدر.
٢) يبلغ عدد المصطلحات المفهرسة ٢١,٥٠٧ مصطلح.
٣) بلغ عدد العناوين المتسلسلة (سلسلة الكتب التعليمية –ع١، سلسلة دار الكتب... مثلاً) والمستلمة والموجودة في المكتبة ٢٠,٩٠١ عنوان لسلسلة.
٤) بلغ عدد المقالات المكشفة (في قاعدة الميدلاين) من قبل المكتبة ٦٧١,٩٠٤ مقالة.
٥) بلغ عدد الإعارات الداخلية (داخل المكتبة) ٢٣٤,٠٢٠ إعارة.
٦) بلغ عدد مستخدمي الموقع الخاص بالمكتبة ١٧١,٤٥٥ مستخدم.
٧) فيما يتعلق بإستخدام عملية البحث الآلي (ON-LINE Search) وإستخدام قاعدتي (Medline) و(Pub Med)، فبلغ عدد العمليات البحثية ٧٥٥,٥٠٤,٥٥٧ عملية بحث.

٨) تعمل المكتبة على تقديم خدمة الرد على الأسئلة والاستفسارات المقدمة من المستخدمين والمستفيدين من المكتبة. وبلغ مجموع الإجابات حوالي ٥٠٤,٤٧٥ إجابة ورد.
٩) أما فيما يتعلق بعدد الموظفين والعاملين في المكتبة، فقد بلغ عددهم ٦٩٩ موظف وموظفة.
١٠) بلغت مصروفات المكتبة (لجميع الفعاليات والنشاطات والأجور وكل ما يتعلق بنفقاتها) 323,387,000 $.

وتجدر الإشارة الى إن كافة المعلومات المذكورة عن مكتبة (NLM) من خدمات ونشاطات وقواعد بيانات وغيرها، مذكورة في موقع المكتبة على الإنترنت وكان آخر تحديث لها بتاريخ ٢٤/June/٢٠٠٩. ويمكن معرفة كل ماله علاقة بالمكتبة من خلال موقعها على الإنترنت www.nlm.gov.

ثانياً: مكتبة كلية الطب/ جامعة بغداد[٢٤].

تأسست كلية الطب في جامعة بغداد سنة ١٩٢٧. وكانت تهدف عند تأسيسها الى إعداد أطباء يمتلكون القدرة والتميز على تأدية الواجبات الملقاة على عاتقهم في المؤسسات الصحية في القطر، وتقديم الإستشارات والخبرات للمؤسسات الصحية ذات العلاقة بهذا الجانب المهم والحيوي.

لقد خَطت هذه الكلية منذ تأسيسها ولحد الآن خطوات واسعة أرست فيها معالمها وخطت فيها طابعها الخاص بها. فقد أصدرت أول مجلة لها عام ١٩٣٧ لنشر بحوث الأساتذة وبعض قرارات الكلية وأخبارها واستمرت لغاية عام ١٩٥٩، حيث تشكلت هيئة تحرير جديدة ترأسها المرحوم الأستاذ الدكتور فيصل صبيح. واستمرت بالصدور الى يومنا هذا نشرت خلالها مئات البحوث ذات القيمة العلمية العالية.

أمتلكت الجامعة منذ بدء تأسيسها ليومنا هذا مكتبة طبية تعد أكبر وأقدم مكتبة طبية في القطر تأسست مع تأسيس الكلية عام ١٩٣٧، وهي مفهرسة ومصنفة حسب أحدث الطرق الفنية. والمكتبة تستقبل الكادرالطبي في العراق من مختلف الكليات الطبية.

تقع المكتبة في منطقة باب المعظم ضمن المجمع الطبي الذي يضم كل من كلية الطب، كلية طب الأسنان التابعتان لجامعة بغداد بالإضافة الى وزارة الصحة العراقية وعدد من المستشفيات الحكومية كمستشفى مدينة الطب والعديد من المراكز الطبية التخصصية.

نشاطات وواجبات المكتبة:

١) تفتح المكتبة أبوابها من الثامنة صباحاً وحتى الساعة الواحدة ظهراً لكافة المستفيدين في مختلف الإختصاصات الصحية والطبية. وتقدم لهم خدمات عديدة تبدأ من لحظة وصول المصدر المطبوع الى المكتبة لغاية استلامه من قبل المستفيد النهائي، والإستفادة منه في الحصول على المعلومات، بالاضافة الى مصادر معلوماتية أخرى مختلفة والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

٢) تستخدم المكتبة نظام تصنيف المكتبة الطبية الوطنية المستخدم في مكتبة (NLM) "MEDICINE AND RELATED SUBJECTS " والمصنف بطريقة تختلف عن التصانيف الأخرى مثل نظام ديوي العشري المستخدم في باقي المكتبات. وأدناه بعض الأمثلة حول نظام التصنيف هذا:

تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية
مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
د. وفاء أحمد سعيد البياتي العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

خاصة بالجانب الطبي والمهن الصحية	Medical profession	W
جانب الصحة العامة	Public health	WA
عموميات ممارسة الطب/التدريب والدورات	Practice of medicine	WB
الأمراض الانتقالية والسارية	Infectious diseases	WC
الإضطرابات الغذائية	Deficiency diseases	WD100
الأمراض الأيضية (الإستقلابية)	Metabolic diseases	WD200
علم الإشعاع، التصوير التشخيصي	Radiology	WN
طب الأطفال	Pediatrics	WS

وهكذا التفرع لكل موضوع من الموضوعات الأخرى ليشمل بالتالي كل المصنفات الخاصة بالموضوعات المتفرعة عن الموضوع الرئيسي وهكذا...

٣) تستخدم المكتبة نظام WINISIS في عملية بناء قواعد البيانات الخاصة بالمصادر الموجودة في المكتبة. هذا النظام مصمم من قبل منظمة اليونسكو وموزع مجاناً من قبلها وخصوصاً للمكتبات التي لها علاقة بمنظمة الصحة العالمية WHO- WORLD HEALTH ORGANIZATION والمكتب الاقليمي لدول شرق البحر المتوسط EMRO والتي مقرها في جمهورية مصر العربية. وبلغ عدد الكتب المدخلة في قاعدة البيانات الخاصة بالكتب ٢٠٧٣ كتاب.

٤) خدمة اتاحة الدوريات. تلعب الدوريات دوراً هاماً في دعم وتطوير عملية البحث العلمي فهي شريان هام من شرايين المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات وخاصةً الطبية منها. ولقد ظلت الدوريات المطبوعة هي السائدة حتى قبيل

نهايات القرن الماضي وقبل التحول الجذري في وسائل نقل المعلومات الى الحاسب الألكتروني الذي تزداد الحاجة لوجوده يوماً بعد يوم. وقد توقف ورودها الى مكتبة كلية الطب بشكلها الورقي بعد أحداث عام ٢٠٠٣، إذ كانت WHO ومنظمة الصليب الأحمر الدولي مسؤولة عن تزويد المكتبة بالدوريات الحديثة. كما إن العديد من الدوريات التي كانت موجودة في المكتبة قد سرقت أثناء الأحداث ذلك العام. ومنذ بضع سنوات تسارعت خطى عملية النشر الألكتروني حتى أصبحت نسبة كبيرة من الدوريات تنشر الكترونياً بجانب النشر الورقي مما أدى الى صدور الكثير من الدوريات المتخصصة في كل جانب ومجال طبي وصحي وحتى علمي في وسيط الكتروني فقط مما سهل عملية إصدار هذه الدوريات المتخصصة وخفض كلفة النشر والإصدار بل وسهل عملية توزيع ووصول الدوريات الى المهتمين بها. وفي ظل ارتفاع اسعار الدوريات الورقية وتزايد العبء المالي على ميزانية المكتبة فقد وجدت المكتبة مخرجاً للاشتراك في أكبر عدد ممكن من عناوين الدوريات وذلك من خلال WHO وEMRO اللتان كانتا مسؤلتان عن توفير عدد كبير منها من خلال التعاقد مع عدد من الناشرين للحصول عليها وتسهيل وصولها الى المستفيدين منها داخل المكتبة.

٥) قامت المكتبة بالإشتراك في عدد من قواعد البيانات منها على سبيل المثال:

- قاعدة HINARI والتي هي شبيهة بقاعدة MEDLINE التي توقفت عن الوصول الى مكتبة الكلية منذ .2006/Jan. وهي تتيح للمستفيدين منها من أطباء واختصاصيين وطلبة الحصول على نصوص كاملة للمقالات المنشورة فيها وبشكل مجاني بعد ان تولت WHO , EMRO مسؤولية الاشتراك ولكن بمحددات على الباحث الالتزام بها وكما مبين في الملزمة المرفقة في نهاية البحث والتي تصدرها مكتبة الكلية وتتولى مسؤولية توزيعا حصراً، وهي تفيد

الباحثين في مختلف الاختصاصات والمستويات التعليمية الطبية والصحية وتدلهم على الطريقة الصحيحة للاستفادة من المقالات المنشورة بشكل الكتروني.

- JNNP On-Line. موقع طبي خاص مجاني سجلت فيه مكتبة الكلية كمستفيد لتتيح الفرصة والمجال للباحثين في الحصول على مصادر معلومات مختلفة منشورة في عدد من المواقع وقواعد البيانات الطبية المختلفة. من مميزات هذا الموقع كونه لايعطي جميع عناوين الدوريات والمجلات الطبية والصحية بل عدد محدد فقط لشروط خاصة به
- من المواقع الطبية الأخرى التي يستطيع المستفيد الدخول اليها والحصول على معلومات تهمه وتفيده Medscip , E-medicin, Hiware. بالاضافة الى امكانية البحث في قاعدة بيانات Medline وPub med من خلال موقع مكتبة NLM كما سبق لنا ذكره في صفحات سابقة.

٦) تؤدي المكتبة عملية مهمة جداً هي عملية مساعدة الباحثين في البحث عن المعلومات وتهيأتها لهم بعد ملئهم لطلب خاص معد من قبل المكتبة يقوم الباحث فيه بإعطاء المصطلحات الطبية التي يراد الحصول على معلومات عنها (كما مرفق في نهاية البحث) وتقوم الموظفة المسؤلة باجراء عملية البحث وتسجيلها على قرص ممغنط CD-ROM وتسليمها اياه بعد تحديد موعد محدد للاستلام. كما بأمكان الباحث اجراء عملية البحث بنفسه والاستعانة بخبرة الموظفة في تسهيل العملية والحصول على أفضل النتائج في حال الحاجة الى المعلومة المطلوبة بأسرع وقت. ويمكن الحصول على المعلومات المطلوبة بشكل ورقي مطبوع مقابل مبلغ مالي زهيد

٧) تتوفر لدى المكتبة مجموعة من اقراص CD-ROM تتضمن موضوعات طبية وصحية وفي مختلف الاختصاصات وتم تسجيلها وتنظيمها في سجل خاص معد

لهذا الغرض يستطيع الباحث الاستعانة به لايجاد مايبحث عنه من معلومات ومصادر وحتى أفلام وصور لعمليات وحالات مختلفة. وقد تكون هذه الأقراص لكتب أو دوريات الكترونية موجودة ضمن مصادر المكتبة ومراجعها.

٨) أما فيما يتعلق بالكادر الموجود في المكتبة فهو قليل مقارنةً مع المكتبة السابقة الذكر فهي تضم ١٣ موظف وموظفة وفي اختصاصات مختلفة وكالآتي:
٤ – موظفين يحملون شهادة بكلوريوس مكتبات. ١ – بكلوريوس حاسبات.
٣ – دبلوم مكتبات. ٤ – خريج الدراسة الاعدادية. ١ – معين.

٩) يوجد في مكتبة المركز شبكة مابين الحاسبات الموجودة فيها والتي يبلغ عددها ١٦ حاسبة، مربوطة بشبكة داخلية يستطيع الباحث الاستفادة منها في البحث عن مصدر معين من خلال قاعدة بيانات الكتب، او من خلال شبكة الانترنت الموجودة في المكتبة. ويستطيع الباحث ان يقوم بعملية البحث الآلي المباشر من خلال اتاحة شبكة الانترنت ومن خلال القواعد والمواقع التي تم الاشتراك بها.

من خلال السطور السابقة لايمكننا المقارنة بين ماتقدمه مكتبة NLM وما تقدمه مكتبة كلية الطب لعدة أسباب أولها قدم المكتبة الأولى وعراقتها، والامكانيات المتقدمة التي تمتلكها بالاضافة الى الميزانية الضخمة التي تمتلكها وبالتالي فإن ذلك ينعكس سلباً أو ايجاباً على شهرة ونشاطات تلك المكتبة مقارنة بالمكتبات الطبية الأخرى. ولكن ومع مختلف الفروق التي وردت لايمكن اغفال جانب مهم هو محاولة مكتبة كلية الطب في جامعة بغداد تهيأة وتوفير كل مايحتاجه الباحث في رحلته في البحث عن المعلومات والمعلوماتية التي تؤهله وتطور عمله ليبرز وتكون له شهرة واسعة سواء داخل القطر او خارج شأنه في ذلك شأن من سبقوه من الذين يشار اليهم بالبنان من علماء العراق وجراحوه.

النتائج والتوصيات:

لقد تحقق من خلال تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات والإتصالات مفهوم القرية الكونية، فالمستفيد المتواجد في أماكن مختلفة يستطيع الوصول الى أي

معلومة مخزنة على حواسيب في مدن اخرى بعيدة الآف الاميال. فانتقال المعلومات عبر الحدود اصبح حقيقة واقعة من خلال الانترنت أو غيرها، وأصبح من الضروري التفكير في كيفية استيعاب المعلومات المنتشرة والموزعة في مختلف مناطق العالم.

وخرجت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات منها:

١- إن المكتبة الجامعية الطبية مطالبة بمسايرة عصر المعلومات وإعتماد الآليات والتقنيات الحديثة دعماً لأعمالها وتحسيناً لخدماتها تجاه المستفيدين.

٢- كان لابد في عصر المعلومات والمعلوماتية الجديد من الأهتمام بالعاملين في مجال المعلومات والمكتبات إذ هناك حاجة ماسة وحقيقية لاحتواء وتطوير وتدريب الخريجين والمؤهلين في مجال المعلومات والمكتبات للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات في المكتبة.

٣- على كل مكتبة أن تضع سياسات وتحدد أهداف واقعية لإدخال التكنولوجيا الى المكتبة ودعمها لصالح المستفيد النهائي منها. ويتطلب هذا الأمر التعاون المستمر والنقاش الحضاري العلمي مابين العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات والعاملين في مراكز الحاسوب من أجل وضع الخطط التنموية للمكتبة ولعملها حتى تتماشى مع الواقع وتوفير المعلومات للمستفيد النهائي بشكل أكثر كفاءة وبكلفة أقل، وذلك يكون من خلال إرشاد المستفيدين لأفضل الطرق للبحث في موارد المعلومات والوصول اليها

٤- لابد للمكتبي أو المسؤول عن خزن المعلومات من أن يتغير، فينبغي له ان يكون قادراً على التعامل مع التكنولوجيا ومع موارد المعلومات الجديدة والبحث فيها والاستفادة منها. فعلى أمين المكتبة أو متخصص المعلومات ان يكون جزءاً من

المكتبة العالمية أو مكتبة الواقع التخيلي أو الإفتراضي بحيث يساهم فيها ويستفيد منها لصالح المستفيد النهائي.

٥- لابد في عصر المعلومات من دعم لعملية التعليم المستمر والتعليم عن بعد، فيتوجب على امناء المكتبات تعلم كل ماهو جدبد ليكونوا قادرين على التعامل مع الحواسيب وشبكات المعلومات والاتصالات وقواعد البيانات وحاجات المستفيدين وهذا لايكون الا من خلال استمرار التعلم مادام على قيد الحياة.

٦- ضرورة الاهتمام بالمخصصات المالية التي تؤثر كثيراً على المكتبات الجامعية في عصر المعلومات بالاضافة الى الموارد البشرية. إذ ان ميزانية المكتبة مهمة كثيراً كي تتمكن من شراء المصادر المطبوعة وغير المطبوعة وشراء تقنيات جديدة من حواسيب واجهزة ملحقة أخربالاضافة الى الاشتراك بقواعد بيانات ومواقع قد لاتتوفر مجاناً وهي مهمة جداً للمستفيد النهائي منها ألا وهو الباحث كطبيب وكإنسان مستفيد.

٧- ضرورة اهتمام الجامعة بالمكتبة كمركز حيوي مهم للغاية فهي المكان الاكثر اهمية للباحث عن المعلومات قديمة كانت أم حديثة وكذلك بالنسبة للجامعة التي يقاس تطورها واهتمامها بالعلم من خلال اهتمامها بالمكتبة التي توفر كل مايحتاجونه من معلومات لانجاز بحوثهم وتمثيل جامعاتهم التي ينتمون لها.

٨- مساعدة المكتبيين من خلال اتاحة الفرص لهم بالقيام بالزيارات الميدانية والسفرات والايفادات للتعرف على تجارب ونشاطات المكتبات الاخرى لتتسنى لهم فرص الاستفادة وتحقيق ما عرفوه وتطبيقه على ارض الواقع في مكتباتهم وبذلك

يستطيعون مواكبة العصر وتقديم أفضل الخدمات للباحثين عن المعلومات والمستفيدين منها.

٩- محاولة تعريف المستفيد على كافة الإمكانات المتاحة له للحصول على المعلومات وتعريفه بالأساليب والوسائل المثلى للحصول على هذه المعلومات، وتعريفه بالاسلوب الأمثل للتعبيرعن استفساره وسؤاله ليتمكن فيما بعد من إجراء عملية البحث بنفسه بعد قيام اختصاصي المعلومات أو المكتبي بأجراء عملياة البحث على القاعدة أو القواعد المراد البحث فيها. وبتكرار عملية البحث يستطيع المستفيد القيام بها بنفسه ودون الحاجة الى خدمات المكتبي أو اختصاصي المعلومات، وهو بهذا يسهل على المكتبي القيام بواجباته الأخرى ومساعدة المستفيدين الآخرين.

قال رسول الله (ﷺ): "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة". صدق رسول الله

الهوامش:

(١) الغامدي، فالح. شبكة الخليج من منظور أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك فيصل في مجلة مكتبة المللك فهد الوطنية، مج٣،ع١، ١٩٩٦. ص٩٢.

(٢) الحداد، فيصل عبد الله. خدمات المكتبات الجامعية السعودية: دراسة تطبيقية للجودة الشاملة (رسالة دكتوراه).– القاهرة، كلية الآداب/ جامعة القاهرة،٢٠٠١. ص١٨.

(٣) معجم علوم المكتبات والمعلومات: انجليزي – عربي. – الكويت: جامعة الكويت، ٢٠٠٣. ص١٢٥.

(4) Baldwin, C. Electronic Journal Publishing: Meeting User Needs. IFLA Journal. (1999). vol25 ,No.(4), 214-21

(٥) قنديلجي، عامر ابراهيم وعبد الجبار عبد الرحمن ونزار محمد علي قاسم. المكتبات الجامعية. . بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٥. ص٧.

(٦) الشامي، محمد احمد، سيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. . الرياض: دار المريخ، ١٩٨٨. ص٧١٩.

(٧) الترتوري، محمد عوض وجويحان، أغادير عرفات. إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات.ـ عمّان: دار المسيرة، ٢٠٠٦. ص١٧٨.

(٨) بدر، أحمد. مدخل لعلم المكتبات والمعلومات.– القاهرة: مكتبة غريب، ٢٠٠٠. ص٣٨.

(٩) مفتاح، محمد ذياب. معجم المصطلحات العلمية في علم المكتبات والتوثيق والمعلومات.. القاهرة: الدار الدولية للنشر، ١٩٩٥. ص١٥١.

(١٠) معجم علوم المكتبات والمعلومات.. مصدر سابق..

(١١) قاسم، حشمت. مدخل لدراسة المكتبات والمعلومات.ـ القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٠. ص٣٤.

(١٢) دك الباب، نبيل. الطبيب في عصر المعلوماتية: صراع من أجل البقاء. . دمشق: دار الرضا للنشر،٢٠٠٠. ص٤٤.

(١٣) الترتوري، أغادير. ادارة الجودة.. مصدر سابق... ص ١٧٨

(١٤) الترتوري، محمد عوض والرقب، محمد والناصر، بشير. إدارة الجودة الشاملة في المكتبات ومراكز المعلومات الجامعية.– عمّان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩. ص ص ٢٨٣–٢٨٥.

(١٥) الحداد، فيصل عبد الله. خدمات المكتبات الجامعية السعودية: دراسة تطبيقية للجودة الشاملة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة. ٢٠٠١، ص٢٠.

(١٦) الترتوري والرقب والناصر. أدارة الجودة... مصدر سابق.. ص ص ٢٨٦– ٢٨٧.

(١٧) الشريجي، نجيب. تكنولوجيا المعلومات والمكتبة، المكتبات ومراكز المعلومات في الأردن: الواقع والتحديات.. عمّان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ٢٠٠٠.ص ص ٦٤–٦٥.

(١٨) المصدر السابق... ص ٦٦.

(١٩) الترتوري والرقب والناصر. أدارة الجودة.. مصدر سابق.. ص٢٩.

(20) Wood M. & Horak, E. User Searching in the HEALTH Sciences, USA,The Haworth Press (1996).

(٢١) الشريجي، نجيب... مصدر سابق... ص٦٨.

(٢٢) نفس المصدر السابق... ص٧١.

(23) www.nlm.gov (Searching Item –NLM fact sheet-)

(٢٤) معلومات تم الحصول عليها أثناء الزيارة الميدانية التي قامت بها الباحثة لمكتبة كلية الطب/ جامعة بغداد بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠٠٩.

الهجرات القديمة الى شمال العراق منذ عصر فجر السلالات حتى سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م

أ.م. د. عبد ربة سكران   م. ابراهيم حسين خلف
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات قسم التاريخ

ملخص البحث

((دور الاقوام التي سكنت شمال العراق قديماً))

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد (ﷺ) اما بعد:

لقد تناولت في بحثي الموسوم ((دور الاقوام التي سكنت شما ل العراق قديماً)) أهم التحديات التي واجهت العراق خلال تاريخه القديم واثرت تأثيراً مباشراً في مجمل الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعراق خاصة مايتعلق بالمنطقة الشمالية التي تكاد تكون معلوماتنا عنها شحيحة بسبب قلة المصادر.

لقد بحثت في أصل هذه الاقوام من حيث الموقع والتسمية والتحالفات السياسية، وتبين لي ان العديد من الاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية كان لهم دور كبير وتحدي في زعزعة المنطقة الشمالية قبل وصول الاكراد اليها وحسب التسلسل التأريخي، ابتدأت اولاً بالسوئيون او السوباريون ثم اللولوبيون والكوتيون والخوريون والميتانيون فضلاً عن بلاد النائيري والاوراتو واخيراً الميديون، كما استعرضت جهود ملوك العراق القديم في الدفاع عن الارض والذود عن الحرمات واهم المعارك التي خاضوها مع تلك الاقوام، كما تناولت تاثير تلك الاقوام من الناحية الثقافية على المنطقة الشمالية والمناطق المجاورة. واستعرضت اصول هذه الاقوام وتبين ان العديد منها ورد ذكرها في النصوص المسمارية ترجع في اصولها الى المنطقة الواقعة جنوب

وغرب بحيرة قزوين وتضم منطقتين رئيسيتين هي (سو) و(كردا) وهذا يذكرنا بالجزيرة العربية كونها مهد الاقوام التي سكنت العراق وبلاد الشام. وهذا الامر يجنبنا حالة الارباك والشك في اصل تلك الاقوام طالما ان موقعها من الناحية الجغرافية حدد بشكل دقيق في النصوص المسمارية، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فأن النصوص المسمارية المتعلقة بالنواحي الجغرافية تكاد تكود اكثر دقة ومسالة تعرضها للتزوير معدومة لانها تنقل حقائق جغرافية، وتختلف عن تلك النصوص الملكية الاعلامية التي تتناول طبيعة الملوك وتسهب في ذكر منجزاتهم سواء كانت اعمال حربية كانتصار او اخفاق في معركة، او تتناول اعمالهم العمرانية وتحصيناتهم الدفاعية وهذه نصوص تعتمد دقتها على الشخص الذي دونها وعلى طببيعة الاوضاع العامة لحظة كتابة هذه النصوص. ثم عرجت في بحثي على اسماء تلك الاقوام في النصوص المسمارية وماتعنيه التسمية الاصطلاحية من الناحية اللغوية والجغرافية، فضلا عن مساعي تلك الاقوام وجهودها وتحالفاتها مع الاقوام الاخرى من اجل تشكيل جبهةو محاولاتها تقسيم العراق والسيطرة على ثرواته وابقائه في حالة من الفوضى والارباك في مجمل مناحي الحياة كتحالف السوئيون مع بلاد عيلام العدو التقليدي لارض الرافدين في الالف الثالث قبل الميلاد واسقاط مدينة اور التاريخية وقد وصلنا نص يبين رثاء المدينة، ولم تتوقف جهود هولاء عند هذا الحد بل كانو يتطلعون الى احتلال المناطق السومرية والاكدية وقد استعرضت المعارك التي خاضوها وجهود ملوك العراق القديم في صدهم حدول، كما استعرضتً في مجمل حديثي اقوام اللولوبو من حيث التسمية وموقعهم الجغرافي والتحالفات السياسية مع المناطق المجاورة وخصوصا حلب من اجل تشكيل جبهة لزعزعة السلطة السومرية وخصوصا خطرمنطقة كيش بزعامة مسيلم و فعلا خضعت خمازي لكيش حتى بعد سقوطها وتتبعت جهود الملوك الاكديين في القضاء على هذه الاقوام وماخلفوه من منحوتات

تصور انتصارهم على اللولوبووفقا لما اشارت له النصوص المسمارية وجهود الملوك الاكديين في القضاء عليهم وتشتيت قوتهم ومما يذكر ان هؤلاء كانوا قد تأثروا كثيراً بثقافة وديانة ولغة الاكديين، حتى ان نتاجهم كان باللغة الاكدية، وان اسماء ملوكهم كانت هي الاخرى اسماء اكدية. وهناك مسلة في سربيل زهاب خلفها الملك اللولوبي انوبانيني مدونة باللغة الاكدية ويضاف الى ذلك ان اسم الملك كذلك اكدي ومعناه(اله السماء) بعد ذلك تناولت الاقوام الكوتية من حيث التسمية والموقع وعن أهم الملوك الكوتيين ونجاحهم في اسقاط الدولة الاكدية بعد ان استنزفت الدولة الاكدية قواها في حروبها مع اللولوبو وفي النتيجة دمروا مدينة آشور، لكنهم تأثروا بالحضارة العراقية القديمة، بحيث اقتبسوا منها الخط المسماري واللغة الاكدية في مقابل ماخلفوا من خراب ودمار للمناطق التي سيطروا عليها. وقد دامت فترة حكمهم حوالي (١٠٠ عام)، وكان عدد ملوكهم الذين حكموا (٢٥) ملكاً حيث وردت هذه الاحصائية في جداول اثبات الملوك،تم اخذت بالبحث الخوريون ومحاولتهم تشكيل مملكة لهم بعد سقوط الدولة الاكدية على يد الكوتيون والمعارك التي خاضوها ضد السومريين ومن بعدهم الاكديين واهم الاثار التي خلفوها والتي تؤكد تاثرهم بالحضارة العراقية القديمة ثم تناولت الاقوا الميتانية والميديه وقوام الاورارتو، وابرز ملوكهم وتجريد الاشوريين الحملات العسكرية المتلاحقة لصد تلك الاقوام.

من الحقائق الواضحة في تاريخ المنطقة الشمالية من العراق القديم، هو ان العديد من الاقوام الذين ذكروا في المدونات المسمارية، هي انهم يرجعون في اصولهم الى المنطقة الواقعة غرب وجنوب غرب بحيرة قزوين، وهذا يعني ان المنطقة الجغرافية التي جاءوا منها قد حددت بشكل واضح الموطن الاصلي للاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق القديم. وهذه كانت تحتوي على منطقتين رئيسيتين، الاولى وتسمى منطقة (سو) والثانية ويطلق عليها منطقة (كردا). وقد اكدت لنا هذه صحة المعلومات في الكتابات المسمارية التي خلفها لنا الملك (شوسين ٢٠٣٦–٢٠٢٨ ق.م) وهو رابع ملوك سلالة اور الثالثة (٢١١١–٢٠٠٣ ق.م) حيث وردت في النص المسماري بالشكل الآتي:-

IRII D-NANNa SAGIN Lu-Su KI

منطقة سو - سكان حاكم ايرننا

MA – DA KAR – DA

اراضي كوردا

وتصبح ترجمتها بهذا المعنى – (ايرننا حاكم منطقة سو واراضي كردا)[١].

من هذا نستنتج ان الاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق عبر التاريخ القديم، انها جاءت من المنطقتين المذكورتين(– سو- وكردا) مثلما كانت الجزيرة العربية تعد الموطن الاصلي للاقوام الاكدية والبابلية والاشورية والامورية والكنعانية وغيرهم من اقوام الجزيرة العربية.

وفيما يلي عرضا لاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق القديم وفقاً لتسلسلها الزمني هي:

السوئيون:

من خلال المعلومات التاريخية يبدو ان هؤلاء كانوا يمثلون الموجة الاولى من الهجرات التي وصلت الاراضي الشمالية من العراق من منطقة (سو) وقد ذكر اسم هؤلاء في بداية الامر بانهم (سوبار SuBAR)

كما وردت في كتابات الملك السومري (أي اناتم[٢](٢٤٧٠–٢٤٣٠ ق.م) وهو

ثالث ملوك سلالة لكش الاولى (٢٥٢٠-٢٣٥٥ ق.م)[٣] ويظهر من الاسم انه مركب من (su) وهو اسم القوم المهاجرين من جنوب غرب بحيرة قزوين. ومن (BAR)، التي تعني بلغة السومريين (الخارج). والكلمة لمجملها تكون (سوبار) وهم القوم الذين يعيشون خارج الحدود.

والمعروف ان هذه التسمية كانت قد ظهرت في النصوص المسمارية بصيغة (سوبارتو) لان (تو) كانت تضاف من قبل السومرين كنهاية الى كلمات الجهات الجغرافية. مثل اوراتو – مارتو – سوبارتو.

اما فيما يتعلق بحدود منطقة (سوبارتو) فأنها كانت محصورة بين جبال زاكروس شرقاً ونهر الخابور غرباً[٤] وتشير المعلومات الواردة في النصوص المسمارية ان منطقة سوبارتو كانت خضعت خلال الالف الثالث قبل الميلاد الى سيطرة الملك(أي أناتم) والاخر زمن الملك سرجون الاكدي ٢٣٤٠-٢٢٨٤ ق.م[٥]

وكان السوئيون قد تحالفوا مع العيلاميون في أواخر الالف الثالث قبل الميلاد للهجوم على العراق واسقاط مدينة (اور) وقد وردت تلك الحادثة في (رثاء مدينة اور) حيث ذكر كاتب الرثاء الاشارة الاتية:

Lu - Su- KI ELAM. KI Lu KuR - RA SA – DuLL – GE -DE
سكان سو منطقة عيلام الاعداء قد وصلوا

وكان هذا الهجوم قد حدث زمن سلالة اور الثالثة، حيث اكدت المعلومات ان السوئيون والعيلاميون لم يكونوا مكتفين بمنطقة سوبارتو التي فيها بل كانوا يتطلعون الى احتلال المناطق التي شغلتها الدويلات السومرية والاكدية، ولكن قوة تلك الدويلات هو الذي كان يمنعهم من تحقيق هدفهم، ولكن عندما توفرت الفرصة لهم بالهجوم على مدينة أور لم يترددوا بذلك، والواقع أن عدم قناعة السوئيين بالمناطق التي اقاموا بها يعود الى عامل مهم جداً وهو محدودية الموارد الاقتصادية والتي لاتساعد على بناء كيان دولة تنافس كيان الدول القائمة آنذاك في العراق القديم

كالدولة السومرية والاشورية والدولة البابلية[٦].

وبالرغم من ذلك فقد جرت بينهم عدة معارك، حيث يذكر أن أشبي أرا حاكم لكش قد حارب ملك سوبارتو[٧] وفي أحد النصوص يدون حمورابي صراعه مع السوبارتو بأنه سيطر على شواطيء دجلة في سوبارتو وخاض عدة معارك معهم في عام (١٧٥٧-١٧٥٥ ق.م)[٨].

ولقد استمر أسم السوباريين واسم بلاد سوبارتو يطلق على جزء من شمالي العراق من قبل ملوك سومر واكد، وخاصة على المنطقة الاشورية، حيث ذكر الثائر البابلي على السيادة الاشورية مردوك ابلا[٩] (٧٢١-٧١٠) ق.م الملك الاشوري سرجون بأنه ملك بلاد سوبارتو[١٠]، اما بالنسبة للاشوريين فقد تحاشوا استخدام هذا الاسم للدلالة على بلاد آشور استهجاناً منهم كون منطقة سوبارتو يجلب منها العبيد، وفي النصوص المتأخرة أصبحت كلمة سوبارتو تعني كلمة عبد[١١].

وفي ختام كلامنا عن السوئين، فأن المعلومات التي وردت عنهم في الكتابات المسمارية المختلفة كانت قد وردت بالصيغ الاتية سوبارتو – سوبار –سوبير – شوبور، ومهما تكن العبارات فليس هناك فرق في التسميتين (السوئيين والسوباريين) حيث كلاهما تدل على الشعب الذي سكن منطقة سوبارتو.

اللولوبو:

تؤكد المعلومات الواردة في النصوص المسمارية ان هؤلاء مع السوئيين كانوا متعاصرين، ويبدوا من هذا انهما كانا يمثلان موجة واحدة، لكنهما انقسما عند وصولهما المنطقة الشمالية من العراق الى قسمين: الاولى استقرت وانتشرت في المنطقة المحصورة بين جبال زاكروس ونهر الخابور. اما القسم الاخر وهم اللولوبيون، فانهم استقروا في المناطق التي تحيط بمدينة السليمانية الحالية. وفي النصوص العائدة للملك سرجون الاكدي قد حدد المنطقة بانها الاراضي التي تقع بين

منطقتي(اورونا – ومينو)[١٢] وليست لدينا معلومات عن مواقع هاتين المنطقتين، وهذا يجعلنا لانستطيع ان نحدد سيطرة اللولوبيين عليها. غير ان ذلك لايمنع ان نقول بان منطقة السليمانية كانت تمثل قلب المنطقة التي سكنها هؤلاء، وكانت بالوقت نفسه تمثل عاصمة لمملكة كانت تعرف بأسم (مملكة خمازي) خلال الالف الثالث ق.م. وهذا يعني ان اللولوبين هم الذين انشأوا تلك المملكة.

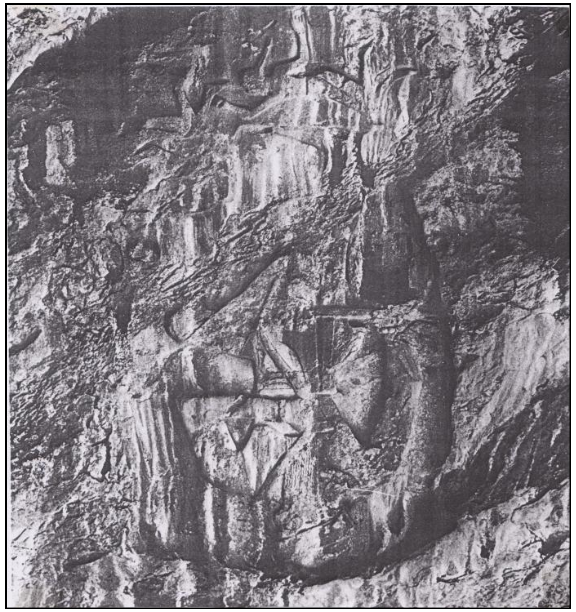
ومن خلال الرسائل المدونة بالخط المسماري والمكتشفة في موقع ايبلا(تل ماريديخ) جنوب حلب تعرفنا عليه وجود علاقات دبلوماسية بين مملكتي (ايبلا – وخمازي) قد وردت في الرسالة طلب ملك ايبلا المدعو (اركب – دمو) مساعده ملك خمازي بارسال جنود اقوياء مدربين الى ايبلا وكان الاخير قد ارسل عدة هدايا الى ملك خمازي المدعو (زيزي)[١٣]

تبين الرسالة ان المملكتين كانتا مستقلتين في حدود الالف الثالث قبل الميلاد ولم تخضعا لاية سلطة اخرى، وانهما كانا يتخذان الخطوات المستقلة التي تتناسب مع مصالح المملكتين. وتشير المعلومات التاريخية، ان سبب ذلك التحالف كان يعود الى مواجهة نفوذ مملكة (كيش) في النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد والتي كانت تتمتع بقوة كبيرة وتعمل على ابراز قوتها امام الممالك الاخرى المجاورة لها. ومما يؤيد ذلك احد النصوص المسمارية المكتشفة في مدينة كيش، ذكر فيها وقوع معركة بين كيش وخمازي[١٤] كما بين نص آخر مكتشف في ايبلا اشار الى ان ملك كيش المدعو (مسيلم) كان ينوي السيطرة على ايبلا[١٥].

ومن خلال النصوص المسمارية ايضا تبين ان كيش فعلاً فرضت سيطرتها على خمازي وضلت خاضعة حتى بعد سقوط كيش عندما انتقلت زعامة القسم الجنوبي من العراق الى سلالة الوركاء ورغم ذلك التغير، فان خمازي بقيت ايضاً خاضعة لقوة الوركاء. غير ان الضعف الذي دب الاخيرة فسح المجال لخمازي

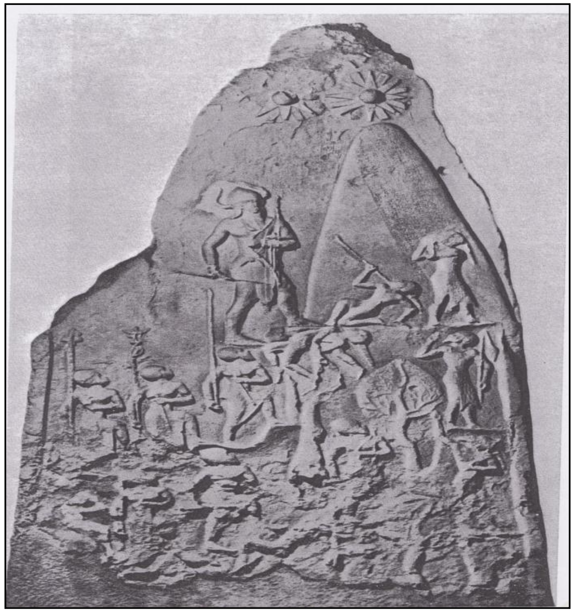
بالحصول على استقلالها ثانية[١٦]، وفي عهد سرجون الاكدي الذي انشغل بضم دويلات المدن السومرية وتوحيد البلاد، استغلت خمازي ذلك لنيل استقلالها. لكن حفيده (نرام – سين)٢٢٦٠-٢٢٢٣ق.م قام بشن حملة عسكرية عليها واخضعها لسلطته.

شكل رقم (١)



وقد خلد ذلك النصر على منحوتة جبلية في منطقة دربند كاور[١٧] في جبل قره داغ الى الجنوب من السليمانية (شكل ١)، ويتكرر موضوع هذه المنحوتة الجبلية على المسلة المعروفة بمسلة النصر للملك نرام - سين التي عثر عليها في سوسة في جنوب غرب ايران، وعلى الرغم من التلف الذي اصابها لكنها ماتزال تحتفظ بمكانة خاصة بين الاعمال الفنية في النحت الناتي في الشرق الادنى القديم[١٨] فهي تتألف من لوح من حجر الرمل مستدق عند القمة بأرتفاع ٢م وعرض ١م، اقامها نرام –

سين في سبار مدينة الاله الشمس في أكد، وتملأ النجوم الكبيرة ذات الرؤوس الثمانية المسننة قمة المسلة، يتضح من الكتابات المسمارية الموجودة على المسلة أن المشهد قصد به تخليد انتصار نرام – سين على ساتوني ملك اللولوبي الجبلي[١٩]، وفي القمة يمكن مشاهدة نرام_سين وهو يضع على رأسه خوذة ذات قرون وقد تسلح بسهم وفأس وقوس وهو يطأ بقدميه جثث الاعداء، وقد جعل شخصه مركز الاهتمام[٢٠]. شكل (٢)



ويبدو، ومن خلال النصوص المسمارية ان اللولوبين لم يخلدوا او يركنوا للهدوء عند خضوعهم لسيطرة دولة او قوة، بل كانوا يحاولون العمل على نيل الاستقلال كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. فعند موت نرام – سين تحرروا من سيطرته، لكن خليفته شاركلي شاري ٢٢٢٣–٢١٩٨ ق.م قام بشن حملة عسكرية

عليهم اعادهم الى سيطرة الاكديين[٢١].

وعندما تمكن الكوتيون من فرض سيطرتهم على معظم الدويلات العراقية القديمة في فترة ضعفها، استطاع اللولوبيون التحرر من السيطرة الاكدية. الا انه تجدر الاشارة الى ان هؤلاء لم يكن لهم دور او تأثير في الاحداث التي كانت تقع في المنطقة بعد(شاركلي شري). وهذا يعني ان الملوك الاكديين تمكنوا من التضييق عليهم وازالة اركان مملكتهم. وبعد مجيء الگوتيين تقلصت مملكتهم بحيث انهم وفي اواخر العصر الاكدي كان اللولوبيون يعيشون على شكل جماعات متفرقة تحولت مع الزمن الى عدة عشائر ولكل منها حاكمها والهها الخاص بها.

ان تفرق اللولوبيين بهذا الشكل يعني انهم اصبحوا غير قادرين على اعادة تنظيمهم وقوتهم، وهذا ماجعلهم وباستمرار يخضعون لحكم الدول او القوى التي تحكم المنطقة التي اقاموا فيها عند نزوحهم من مناطقهم الاصلية. فبعد زوال حكم الگوتيين، خضعت لحكم سلالة كيش الثانية ٢١٦٤ _٢١٠٩ق. م حيث تشير المعلومات ان الحاكم (نمخاني) ٢١١٣ – ٢١٠٩ ق. م قد عين ابنه (اورننا) حاكماً على حمازي[٢٢].

اضافة الى ذلك، فأن كتابات سلالة اور الثالثة ٢١١١–٢٠٠٤ ق.م، وبالاخص كتابات الملك(شوسين ٢٠٣٦–٢٠٢٨ ق.م)، وهو رابع ملوك السلالة اشار الى انه عين مستشاره المدعو(ايرننا) حاكماً على اربيل واميراً على خمازي وعلى سكان (سو) وعلى اراضي كردا[٢٣].

والملاحظ ان كتابات الملك (شوسين) قدمت معلومات هامة عن علاقة اللغة التي تكلم بها السوئيون واللولوبيون حيث ذكر في احد نصوص هذا الملك ان لغة هؤلاء كانت متشابهة[٢٤].

ونتيجة لما اصاب اللولوبيين من مصاعب بعد ما تمتعوا بفترة قصيرة من

القوة فان ذكرهم ورد على لسان السلالتين ١٨-١٩ المصرية حيث تطرق اليهم الملك المصري (تحوتمس الثالث) في النصوص العائدة له من خلال حديثه عن الخوريين في شمال سوريا[٢٥] اضافة الى ذلك فقد استمر ذكرهم في المصادر المسمارية الى ماقبل سقوط العاصمة الاشورية نينوى عام ٦١٢ ق. م حيث ان كتابات الملك الاشوري تجلات بليزرالثالث ٧٤٠-٧٢٧ ق. جاء فيها ذكر اللولوبيون[٢٦].

ومما يذكر ان هؤلاء كانوا قد تأثروا كثيراً بثقافة وديانة ولغة الاكديين، حتى ان نتاجهم كان باللغة الاكدية، وان اسماء ملوكهم كانت هي الاخرى اسماء اكدية. وهناك مسلة في سربيل زهاب خلفها الملك اللولوبي انوبانيني مدونة باللغة الاكدية ويضاف الى ذلك ان اسم الملك كذلك اكدي ومعناه (اله السماء)[٢٧]

لقد ذكرت النصوص المسمارية اللولوبين بصفتين الاولى:Lu-Lu-BI او Lu.Lu.Bum وهذه صيغة اكدية ناتجة عن اضافة اداة التعريف (um) الى نهاية الكلمة. اما الثانية فكانت بصيغة .Lu.Lu وقد نسبت هذه الاسماء الى لغة مجهولة اطلق عليها العالم الامريكي (كيلب (GELB) اسم لغة الموز (BANANA LANGUAGE) وعليه يكون اسم اللولوبيين اما نسبة الى قائدهم او نسبة الى المنطقة التي انتشروا حولها، مثلما هو الحال مع السوئيين والسورباريتيين والگوتيين[٢٨].

وعليه، مهما كانت لغتهم، فان الاشارات الواردة عن تاريخهم تؤكد انقسامهم الى جماعات عديدة خاصة بعد زوال الحكم الگوتي. ومن تلك الاشارات ماورد في احدى الرسائل التي كانت موجهة الى ملك الخوريين المدعو (كواري) (KUWARI)في شوشرا (حالياً شمشاره) حيث ذكر فيها المبعوث المدعو شيراتو (SEPRATU) بان ملوك اللولوبين (وليس ملك واحد) يعانون من نقص في الحبوب، ولذلك هم يتقدمون بطلب السلام مع ملك شوشرا[٢٩].

والاشارة الاخرى التي تؤيد انقسامهم الى عشائر كثيرة وردت على لسان الملك الاشوري تجلات بليرز الاول ١١١٤-١٠٧٦ ق.م حيث جاء في نص بانه قد اخذ (٢٥) الهاً لولوبياً ووزعها على المعابد الاشورية[٣٠].

الگوتيون:

يعد الگوتيون من الاقوام التي جاءت ايضاً من منطقة كردا، لكن لا يعرف بالضبط فترة مجيئهم، لكنهم كانوا معاصرين لاقوام اللولوبو. غير ان المعلومات التاريخية الواردة في النصوص المسمارية تؤيد ان هؤلاء اقاموا في جنوب سهل شهرزور في المنطقة المحصورة بين نهري الزاب الاسفل ونهر ديالى واتخذوا من كركوك (ارابخا) مركزاً لهم.

وتذكر النصوص المسمارية ان اول ملوكهم كان يدعى (ERRIDUPIZIR) وكان معاصراً لحكم الملك الاكدي نرام سين. وقد تمكن الملك الگوتي هذا من فرض سيطرته على مدينة (نفر) وترك فيها كتاباته التي ذكر فيها انه ملك الجهات الاربعة.

يضاف الى هذا الملك القوي، هناك ملوك اخرين حكموا في تلك المنطقة، منهم الملك الرابع (سورلكاب SUR-LAGAB) الذي عاصر الملك الاكدي شاركلي شري ٢٢٢٣-٢١٩٨ ق.م. وقد شكلت فترة حكمه مرحلة الخطر على الامبراطورية الاكدية، لكن الامبراطور الاخير تمكن من شن حملة عسكرية ناجحة دحر فيها الملك الگوتي وازال خطرهم. كما ظهر ملك سادس للگوتيين وهو(E-LU-LU-MES) الذي هدد ايضاً كيان الامبراطورية الاكدية من جديد وتصادف ان مات الملك الاكدي شاركلي شري، فجاء الى الحكم عدد من الملوك الذين دخلوا في صراع على السلطة مكن الملك الگوتي (ايلولوميش) اعلاه من اسقاط الدولة الاكدية حتى انه لقب نفسه بـ(الملك القوي لاكد)[٣١]

وبالرغم من اسقاطهم الدولة الاكدية، الا ان سيطرة الگوتيين اقتصرت على المناطق الشمالية من الدولة الاكدية ويبدو أن من جملة العوامل التي مهدت للغزو الكوتي أن الامبراطورية الاكدية استنزفت قسطاً من قوتها في معاركها ضد قبائل ((اللولوبو)) آنفة الذكر[٣٢]. وهو مافسح المجال امام الكوتيين لنشر قواتهم وحامياتهم العسكرية في النقاط الستراتيجية، وفي النتيجة دمروا مدينة آشور، لكنهم تأثروا بالحضارة العراقية القديمة، بحيث اقتبسوا منها الخط المسماري واللغة الاكدية في مقابل ماخلفوا من خراب ودمار للمناطق التي سيطروا عليها. وقد دامت فترة حكمهم حوالي (١٠٠عام)، وكان عدد ملوكهم الذين حكموا (٢٥) ملكاً حيث وردت هذه الاحصائية في جداول اثبات الملوك[٣٣].

وتسمى عدد من ملوكهم بأسماء سامية مثل (KURUM) كورم و (Khabil-Kin) خابل كن، ويرجح أنهم اقتبسوا بعض الالة الاكدية وطابقوها مع الهتهم فقد ادعى الملك (لارابم) الالهة عشتار والاله سن آلهة الكوتين[٣٤].

اشارت النصوص المسمارية الى صورة واضحة للانهيار المفاجيء للامبراطورية الاكدية، مما ادى الى فوضى سياسية وارتباك في السلطة ولعل استشهد به لهذا الدمار العبارة المأثورة (ترى من كان الملك ومن يكن ملكاً)[٣٥]. ونقرأ في رسالة تعود الى زمن الملك شاركاري شاري وتحديدا الى الفترة التي سبقت سقوط الامبراطورية الاكدية ان الكوتيين كانوا يهجمون على الحقول وينهون ماشية الفلاحين حتى ان بعض المعابد لم تسلم من ايديهم، ولم يتركوا امرأة او طفل بشأنه من دون ان يستطيع ان يقول لهم كلمة واحدة على حد تعبيير الرسالة[٣٦].

اما عن اصل التسمية فان تسميته Ku-Tu، أي الگوتيين، فانها متشعبة عن اسم المنطقة التي جاءوا منها وهي منطقة (كردا). وكان السومريون يضعون امام اسماء المدن العلامة المسمارية (URU) وتعني المدينة والى خلفها العلامة (KI).

اما بخصوص المناطق والمدن الشمالية والجبلية فانهم وضعوا (KUR) قبل اسماء المدن والمناطق بدلاً من (URU) وذلك تميزاً لهذه المناطق عن البقية. وعليه فقد وضع السومريون العلامة (كور) التي تعني الجبل او الارض فاصبح الاسم بهذا الشكل KAR-DA-KI (KUR) وبتأثر حروف العلة الخاصة بمدينة (كردا) بحرف الـ(U) الموجودة في كلمة كور، فعليه لفظ اسم المدينة خلال الفترة الاكدية من قبل السومريون على شكل KuR- Kur - Du KI، وبما ان اللغة الاكدية كانت لغة الثقافة والسياسة، فان اي حرف سومري يبدأ بـ(D) تحول الى حرف (T) فاصبح يلفظ باللسان الاكدي على شكل Ku-Tu [٣٧]

الخوريون:

تشير المعلومات التاريخية ان موطن الخوريين الاصلي هي المناطق الشمالية من العراق والتي تمتد مابين جبال طوروس وبحيرة (وان)، وكان اول اشارة ظهور لهم في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد. وبسبب قوة الدويلات الحاكمة في العراق، فانهم خضعوا للسيادة السومرية اولاً وبعدها للاكدية، وهذا الواقع قد جعل من الخوريين وسطاء لنقل حضارة بلاد وادي الرافدين الى اسيا الصغرى وبلاد الشام[٣٨].

ومن اشهر ملوكهم الذين ذكرتهم النصوص المسمارية هو الملك (KIKLIP-ATAL كيكلب – اتل) وكان مقر حكمه في مدينة (توكريش) (TUKRISH) والتي لم يحدد موقعها بشكل اكيد، ويرجح ان الخوريين استقروا في منطقة لورستان. وكان الخوريون قد تمكنوا من تأسيس دولتهم الواسعة بعد سقوط الامبراطورية الاكدية اولاً، وزوال حكم الكوتيين من العراق ثانياً. وكان على رأس هذه الدولة ملك يدعى (ATEL - SHEN) (اتل – شين) الذي ترك لوحة من البرونز عليها كتابة بالخط المسماري وباللغة الاكدية[٣٩].

وعند ظهور سلالة اور الثالثة (٢١١١–٢٠٠٤ ق.م) والتي فرضت سيادتها

على البلادقل نتيجة ذلك تأثير الخوريين في الحياة العامة، خاصة وان الملك السومري (شولكي ٢٠٩٣–٢٠٤٦ ق.م) قام بعدة معارك ضد الخوريين حتى انه جلب منهم العديد من الاسرى.

ولكن عندما بدأت الموجات الامورية القادمة من غرب العراق بدأت تضغط على سلالة اور الثالثة، خاصة في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد، فسح المجال من جديد للخوريين من اعادة سيطرتهم على معظم الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من العراق. حتى ان احد ملوكهم المدعو (نيش – اتل) لقب نفسه (رجل نينوى) للاستدلال على سيطرته على تلك الاجزاء[٤٠].

والملاحظ هنا، ان الملوك الاقوياء الذين كانوا يحكمون البلاد، ونتيجة لما تمتعو به من سلطة واسعة، كانوا يضْفون على انفسهم صفة الالوهية خاصة وان بعض من ملوك سومر واكد كانوا يضعون العلامة التي تدل على الالوهية امام اسمائهم. وقد تشبه بهؤلاء الملوك بعض ملوك الخوريين حيث وجدت بعض الاختام الخورية تضع تلك العلامات الدالة على الالوهية. ومن ابرز هؤلاء الملوك (تيش – اتل) و(ادي – سين IDI-SUEN)[٤١]

مما تقدم يتضح لنا ان سقوط سلالة اور الثالثة قد ادى الى استقلال الكثير من الحكام المحليين في منطقة جبال زاكروس، لكنهم لم يستطيعوا من اقامة دولة موحدة، وذلك لان السلالات التي حكمت في السهل الرسوبي بعد سلالة اور الثالثة لم تفسح المجال للخوريين بالتوغل الى داخل السهل.

ولكن رغم ذلك، فان الخوريين تمكنوا وفي الربع الاول من الالف الثاني قبل الميلاد من الانتشار الى عدة جهات من الهلال الخصيب، ابتداءا من منطقة نوزي (كركوك) وصولا. الى منطقة (تل العطشانة) شمال سوريا[٤٢] الواقع بين حلب وانطاكيا، كما وصلوا الى اللاذقية، كما وجدت اثارهم في مناطق قرب الموصل[٤٣].

اما من الناحية الثقافية، فان النصوص المسمارية تشير بان لغتهم لها علاقة باللغة التي كانت سائدة في منطقة سوبارتو، اي لغة السوئيين، وبناء على ذلك يمكن القول ان لغات شعوب هذه المنطقة متقاربة في الشبه من بعضها الاخر والى حد كبير، وذلك لانها من اصل واحد.

ومهما يكن من امر اللغة، فان دور الخوريين كقوة حاكمة في المناطق التي شغلوها لم تنتهي الا في اواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد، حيث بدأت النصوص المسمارية تقدم الدلائل على انتقال السلطة من ايديهم الى احد فروعهم في حلب وهم الميتانيون.

الميتانيون:

يعتقد ان هؤلاء يمثلون موجة من الهجرات التي استوطنت واستقرت في وادي نهر الخابور، حيث تمكنوا من تأسيس دولة اطلق عليها اسم (خانيكلبات) ولم تشر المعلومات التاريخية عن دور هؤلاء قبل فترة القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولكن ما ان حلت سنة ١٤٧٠ ق.م حتى تمكن الميتانيون من توسيع رقعة مملكتهم فسيطروا على مدينة حلب ووصلوا الى فلسطين، ومما ساعدهم على ذلك التوسع والانتشار هو استخدامهم الخيول والعربات الحربية ذات العجلتين، بحيث انهم شغلوا المساحة الواقعة مابين سواحل البحر المتوسط ومدينة (نوزي) كركوك[٤٤].

اما عن اول ملوكهم فتذكر لنا النصوص المسمارية هو (براتانا PARRTTARNA) وتذكر النصوص ايضاً ان حكمه كان في اوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ومن المحتمل انه هو الذي سيطر على مدينة حلب، وقد تولى الحكم بعد هذا الملك عدد من الملوك اشهرهم (كيرتا KIRTA) الذي حكم عام ١٤٦٠ق.م والملك (شوترنا SHUTTARNA) ابن الملك (كيرتل) ثم جاء بعده عام ١٤٤٠ ق.م الملك (بارساتاتار PARSATATAR) اما الملك الاخر فهو

(ساوشتاتار SHUSHTATAR) ابن الملك بارساتاتار.

وعلى الرغم من القوة التي تمتعت بها الدولة الميتانية، الا انها تعرضت لتهديد الفرعون المصري تحوتمس الثالث الذي قاد حملة كبيرة على قادش عام ١٤٤٧ ق.م ووصل بجيشه الى نهر الفرات، لكن الملك الاخيرساوشتاتار نمكن من انقاذ دولته وذلك بالتحالف مع الفرعون ضد الاشوريين حيث استطاع من احتلال مدينة اشور بتلك المساعدة. كما تمكن من ضم المناطق التي كانت خاضعة للخوريين واتخذ من مدينة (وشكاني WASHUKANNI) وهي (رأس العين عند منابع نهر الخابور) مركزاً لحكمه[٤٥].

لكن تلك العلاقة بين الدولتين لم تدم طويلاً، فقد حصل صراع بينهما للسيطرة على بلاد سوريا حيث جهز الفرعون طحوطمس الرابع عام ١٤٠٠–١٣٩٠ ق.م حملة عسكرية ضد الميتانيين غير ان تولى الفرعون (امينوفس الثاني) ١٤٢٨–١٤٠٠ ق.م غيرت تلك الاوضاع، فقد بدأت العلاقة الودية بين البلدين، حتى ان احد احفاد (ساوشتاتار الاول) ارسل ابنته هدية وزوجة للفرعون المصري. ويؤكد المؤرخون ان هذه الحالة تعني اشارة الى ان الدولتين المصرية والميتانية اصبحتا على قدم المساواة. ولم يكتفي الميتانيون بارسال احفاد الملوك السابقين من الفتيات الجميلات، بل ان الملك الميتاني (شوترنا الثاني) قام هو الاخر بارسال ابنته الاميرة (كيلو جيبا KELU-HEPA) زوجة للفرعون امينوفس الثالث ١٣٩٠–١٣٥٢ ق.م[٤٦].

غير ان بموت الملك اعلاه دخلت الدولة الميتانية بصراع على السلطة، حتى ان احد الثائرين المدعو (اوتخي UTHI) والذي لم يكن من البيت الحاكم، قام باغتيال الملك الشرعي ونصب للحكم احد اولاد الملوك السابقين وهو المدعو (توشراتا TUSHRATA) ملكاً شكلياً. ولقد ادت تلك الاحداث الى قطع في العلاقات المصرية الميتانية. ومن خلال الرسائل المتبادلة بين الجانبين وجد في (تل العمارنه

العاصمة المصرية طيبه) ان هناك رسائل مرسلة من الميتانيين والحثيين والكاشيين مدونة بالخط المسماري ومكتوبة باللغة البابلية[٤٧]، وهذا يعني ان هؤلاء قد تأثروا كثيراً بحضارة وادي الرافدين.

والواقع ان حالة الفوضى التي مرت بالدولة الميتانية، ومن قطع الصلات مع المصريين، لم تستمر طويلاً، فقد تمكن الملك المنصب (توشراتا) من تحرير نفسه من التائر (اوتخي) ومن عودة الامور الى سابق عهدها مع المصريين. وتوثيقاً لذلك فقد ارسل هذا الملك ابنته الاميرة (تاتوخيبا TATU-HEPA) الى الفرعون امينوفس الثالث كزوجة له. لكن، وبعد فترة من الزمن توفي الفرعون المصري وجاء الى الحكم الفرعون (امينوفس الرابع) الملقب بـ(اخناتون) الذي شغل نفسه بالامور الدينية الجديدة، وهذا مادعاه الى اهمال ما اتفق عليه مع الميتانين، كما ادى الى قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما وعاد كل من المبعوثين الى بلده.

وفي هذه الاثناء بدأ الاشوريون بالنمو بحيث قاموا بمساعدة الثائر على الدولة الميتانية (اوتخي والذي لقب بـ(ارتاتاما ARTATAMA) ومكنوه من تكوين دولة توازي في قوتها دولة (خانيكلبات الميتانية) وقد ارسل الملك الاشوري (اشور – بلط ١٣٦٣–١٣٢٨ ق.م) الى الفرعون المصري امينوفس الرابع (١٣٦١–١٣٤٠ ق.م) يبلغه من تخلص الاشوريين من سطوه الميتانين. كما تصادف نمو قوة الدولة الحثية، فاخذت كل من الدولتين الاشورية والحثية باقتطاع اجزاء من اراضي الدولة الميتانية وتضمها الى حدودها، وكانت تلك الاحداث قد وقعت زمن الملك (توشراتا TUSHRATA)[٤٨].

وعلى الرغم من تلك الاحداث التي مرت على الدولة الميتانية، والتي تميزت بالصراع على السلطة واقتطاع اجزاء من اراضيها من قبل بعض الدول المحيطة بها. فان هناك محاولات جرت قام بها بعض رجال الدولة الميتانية امثال (ارتاتاما الثاني

والملك شوترنا الثالث) الذي استطاع هذا من تحرير بعض الاجزاء بسبب قبوله الدخول في حماية الدولة الاشورية، حيث ساعدته في تحقيق ذلك الهدف، لكن مجيء الملك الميتاني (شتي وازا SHATT/ WAZA) غير اتجاهه وقبل حماية الدولة الحثية اعتقاداً منه ان هؤلاء اكثر امناً للميتانيين من الاشوريين حيث ان هؤلاء هم سكان المنطقة الاصليين ويحاولون في اي وقت استعادت الاراضي المحيطة بدولتهم.

لقد كان ظن الملك الميثاني (شتى وازا) في مكانه، فقد ظهر الملك الاشوري (ادد نراري الاول ١٣٠٥-١٢٧٤ ق.م) والملوك الذين جاءوا من بعده، قد تمكنوا فعلاً من احتلال الاقسام الشمالية من بلاد وادي الرافدين حتى نهر الفرات. وعليه، فان نهاية الدولة الميتانية كانت على عهد الملك الاشوري (شلمنصر الاول١٢٧٣-١٢٤٤ ق.م). فقد اكد لنا في كتاباته انه قضى على العاصمة الميتانية (خانيكلبات) وبهذا تكون هذه الدولة قد انتهت على يد الاشوريين[٤٩].

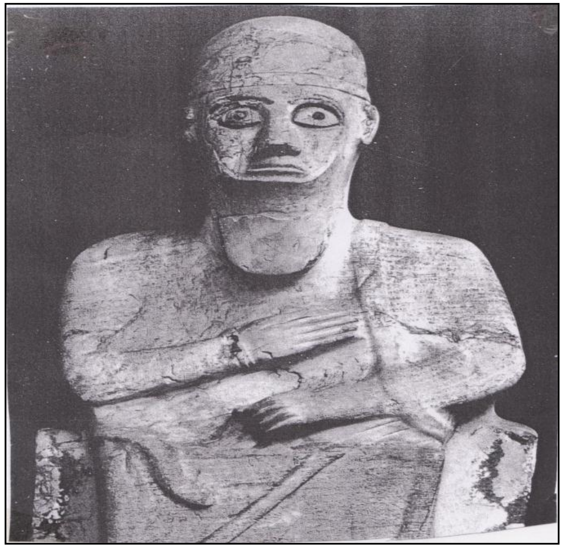
اما عن اصل التسمية، فان المؤرخين لم يتفقوا حالياً على اصل تسمية الميتانين. لكن النصوص الكتابية ذكرت بكثرة اسم العلم (مايتا MATTA) واذا ما اضيف اليه النهاية (NI) وهي للنسبة يصبح الاسم (مايتاني MAITTANI) من ثم (ميتاني MITTANI) فاذا صح مثل هذا التفسير فسيكون معنى الاسم اتباع (مايتا). والفرق بين هؤلاء والخورين ظهر فقط في اسماء الاعلام. اما اللغة فهي واحدة، حيث كثيراً مايسمى ماهو ميتاني بالخوري وبالعكس. كما ان الملوك الميتانين لم يحكموا الا في مناطق يسكنها الخوريون.

هذا ومن خلال عدد من اسماء الالهة الميتانية ومنها (MITRA) يظهر ان هؤلاء هم (اندو اريين). وهذا الحال ينطبق على الخوريين ايضاً. ولكنهم يمثلون فرعاً غير الفرع الميتاني، وذلك بسبب نوعية اسماء الاعلام التي كانوا يحملونها. وان الفرق بالاسماء هذا فسببه يعود الى ان الخوريين اتسموا باسماء متأثرة بالمناطق التي شغلوها والواقعة بين جبال زاكروس والبحر المتوسط، بينما الاسماء الميتانية فهي بقيت تحمل طبيعة المنطقة التي جاءوا منها[٥٠].

وننهي حديثنا عن الخوريين بشيء من الفن الخوري والميتاني خلال العصر الاشوري الوسيط حيث انتعش الفن الخوري وتغلغلت العناصر الفنية الخورية والميتانية في اماكن مجاورة مثل آشور وكالح (نمرود) واوغاريت في سورية، حيث وجدت في اشور وثائق كثيرة طبعت بأختام خورية تماثل في تفاصيلها الاختام التي وجدت في نوزي والالاخ خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد وفي القرن الخامس عشر ق.م كانت الموضوعات والاساليب تتقلب بين الخورية والاشورية (شكل ٣).



ومن الاثار الميتانية التي وصلتنا تمثال شوترنا ادريمي من الالاخ وهو أحد مزارعي الملك الميتاني براترنا (Baratarna) وهو يمثل من سحنته ملامح سورية وخورية ميتانية، ويتحدث دريمي في الكتابة الطويلة على التمثال الجالس عن مساهمته في المعارك الى جانب الميتانيين، ويرتدي ادريمي في هذا المشهد ثوباً شبيه بالاثواب التي ظهرت على الاختام السورية[٥١] (شكل ٤).



(شكل ٤)

كما عثر اثناء التنقيبات الانكليزية في نمرود على قطعة تؤلف جزءاً من كأس سكب الشراب على شكل يد وساعد تعود الى الفن الخوري الميتاني وهي لايزيد عرضها عن ٧.٥ سم ولكن مايهمنا هو زخرفتها واسلوبها وموضوعها الذي يكاد يكون مرتبطاً بكل وضوح بالاشكال المنحوتة على اختام كركوك، قوامها حيوانات مضطجعة اسود وماعز وطيور انطوت سيقانها وانحنت الى الخلف رؤوسها[٥٢] (شكل ٥).

شكل (٥)

الهجرات القديمة
إلى شمال العراق
مجلة آداب الفراهيدي
عدد خاص بمؤتمر الاداب الرابع
أ. م. د. عبد ربة سكران
م. إبراهيم حسين خلف
العدد (٣) حزيران ٢٠١٠



النائيري والاورارتو:

من خلال الحديث عن السوئيين وعن بلاد سوبارتوذكرنا ان الاخيرة كانت جغرافيا محصورة بين جبال زاكروس من جهة الشرق ونهر الخابور من الجهة الغربية وكانت جزء من هذه المنطقة تحت السياده الاشورية ولذلك فانهم اطلقوا على الاقسام الشماليه من حدود امبراطوريتهم فعرفوها باسم (شوبريا) ثم ابدلوها باسم (بلاد نائري NAIRI) وكانت تتحد بالمناطق الواقعة بين منابع نهري دجلة والفرات. وعليه فان الاشوريون اطلقوا على بحيرة (وان) اسم بحر النائيري[٥٣].

وظهر من خلال الكتابات المسمارية للفترة مابين (١٨٠٠ –١٥٠٠ ق.م) ان بلاد ارمينيا كانت تعتبر جزء من بلاد نائيري. وكان يقيم فيها عدد كبير من الخوريين، وكانت لغتهم متقاربة مع اللغة الارمينية في كثير من الاصوات والعبارات. ولذلك اعتبرت المصادر المسمارية بانها لغة جديدة ومن اللهجات الخورية وقد اطلق

عليها فيما بعد وفي المصادر المسمارية اسم (الاورارتية).

ونتيجة لتلك المتغيرات، فقد ظهر لارمينيا وفي النصف الاول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد اسم جديد هو (اورارتو)[٥٤] وقد شمل هذا الاسم بلاد ارمينيا حتى بحيرة (وان). اما المناطق المحصورة بين اعالي نهري دجله والفرات فقد ظلت تسمى من قبل الاشورين ببلاد نائيري حيث ذكرت الحملات الحربية التي قادها الملك الاشوري أدد نراري الثاني ٩١٢ –٨٩١ ق م وكتابات ابنه توكلتي ننورتا ٨٩١ –٨٨٤ ق م[٥٥].

اما ماتعلق بالمعلومات عن منطقة (اورارتو)، فانها بدات بالنمو والتوسع خلال الفترة المحصورة بين حكمي الملكين الاشوريين اشوربيل كلا ١٠٨٢ –١٠٦٦ ق م وشلمنصر الثالث (٨٥٨ –٨٢٤ ق.م) وكادت ان تضم تحت لوائها جميع مناطق الشرق الاوسط. ومن اشهر ملوكها الملك (سار دوري الاول ٨٣٢ – ٨٢٥ ق م) وقد عاصر حكمه حكم الملك الاشوري (شلمنصر الثالث) وقد ترك الملك (سار دور) كتاباته على احد الاسوار مدونة باللغة البابلية، وهذا دليل على سيادة الثقافة البابلية في تلك المنطقة.

ومن اشهر الملوك الذين خلفوا الملك الاورارتي (ساردور) ابنه الملك (ايشبوني ISHPUNI) الذي حكم خلال الفترة مابين ٨٢٤–٨٠٦ ق.م واهم مميزات حكمه ان كتاباته كانت باللغة الاورارتية. وتؤكد هذه الاحداث على رغبة هذا الملك ببناء دولته اعتماداً على كل ماهو اورارتي. ولتثبيت اركان دولته هذه، فانه قام بعدة حملات عسكرية الاولى كانت باتجاه الشمال حيث ترك كتابات على الحجر بالطريق الذي كان يؤدي الى ممر جبلي يدعى (ديلي بابا DILI BABA) كما ذكر انه قام بحملة حربية كبيرة تتألف من ١٠٦ عربة حربية و ١٠٠٠ فارس وعلى ٢٢ الف جندي مشاة. وكانت هذه الحملة موجهة على منطقة بارسوا (فارس) الواقعة جنوب من بحيرة

اورمية.

اضافة الى ذلك كانت هناك كتابات اخرى بالطريق مابين راوندوز ومدينة (اوشنو) ولكنها هذه المرة مدونة باللغتين الاورارتية والاشورية. ومضمون تلك الكتابة عبارة عن وصف لمسيرة قام بها الملك مع ابنه (مينو MENU) في منطقة مصاصير (بحيسر حالياً). وذكر فيها ايضاً انه كان يقصد من تلك المسيرة الوصول الى المعبد الخاص باله اورارتو المدعو (خالدي HALDI) وهذا الموقع يبعد عن مدينة اربيل حوالي ١٠٠ كم.

ونتيجة لما حققه هذا الملك، فقد اطلق على نفسه بعض الالقاب التي تدل على قوته، فمنها لقب ملك العربات الحربية، دلالة على استخدامه العربات الكثيرة في حروبه، ويقابل هذا اللقب باللغة الاشورية بـ(ملك نائيري) اضافه الى ذلك فقد لقب الملك (ايشبوني) نفسة ايضآ بـ(سيد مدينة طوشبا (ن)(TUSHPA(N) التي كانت تمثل عاصمة الدولة الاورارتية[٥٦].

وبعد وفاتة جاء ابنة الملك (مينوا) في حدود ٨٠٥ ق. م وكان يعاصره في الدولة الاشورية الملك (أدد نراري الثالث ٨١٠ –٧٨٣ ق. م) ومن اهم اعماله العمرانية هو بناءه لعاصمة جديدة لمملكة سماها باسمه . وتذكر النصوص انها تقع عند منابع نهر (كرا– صو). ومن اعماله التي وجدت مدونة في مدينة (تاش– تبه TASH_TEPE) الواقعه جنوب بحيرت اورمية، تذكر تلك الكتابات انه تمكن خلال فتره حكمه من ضم العديد من المناطق الاشورية الى حدود دولته.

اما اشهر الملوك الاورارتيون الذين حكموا بعد (مينوا) فكان الملك (اركيشتي الاول ٧٨٩ –٧٦٦ ق.م) ومن اهم اعماله هي سيطرته على سهول (ارارات وعلى مصادر معادن النحاس في ققفاسيا، ثم بناءه مدينة جديدة محصنة على الجانب الايسر لنهر (اراكيس ARAXES) وايضآ سماها بأسمه . وقد وجدت نصوص

كتابيـة تتحـدث عـن مجمـل اعمالـه العمرانيـة والزراعيـة . جـاء بعـده ابنـه المسـمى (ساردور الثالث ٧٦٥-٧٣٣ ق . م) وكان عمله هو الاستمرار على نهج والده في توسيع رقعة الدولة الاورارتية حتى انه وصل نتيجة لحملاته العسكرية الى سواحل البحر الاسود والى اعالي نهر الفرات . لكن ظهور الملك الاشوري (تجلات بليزر الثالث) الذي اعطى الدولة الاشورية قوة جديدة منعت الاورارتيون من مواصلة توسعها. لكن رغم ذلك فان هذا الملك وقبل ظهور الملك الاشوري الاخير، كان قد ترك كتابات مدونة عند اعالي الفرات جاء فيها انه وصل الى منطقه لم يصل اليها أحد قبله من ملوك اورارتو، وانه تمكن من اخضاع مملكة (ملاتيا MALATIA) لسلطانه. وكانت هذه المملكة تسمى عند الاشوريون بـ(كوموخو KummuHu) وان ملكها المدعو (كوستاشبيلي) لم يخضع سابقاً لاي سلطان، وانه لم يدفع الجزية لاحد من الملوك. الا ان الملك (ساردور) تمكن من اجباره على دفع الجزية[٥٧].

ومن خلال المعلومات والنصوص الكتابية لهذه الدول، فان السمة الغالبة عليها انها ومهما بلغت من قوة، فان القوة للدولة صاحبة الارض، ومهما كان وصفها، فانها بالنتيجة تعود الغلبة لها، وهذا ماحصل للدولة الاورارتية فقد كانت نهايتها على يد الملوك الاشوريون الذين تمكنوا من اعادة تأسيس الامبراطورية الاشورية الحديثة، وكان ذلك على عهد الملك الاشوري تجلات - بليزر الثالث ٧٤٤-٧٢٧ ق.م والملك سرجون الثاني ٧٢١-٧٠٥ق.م.

الميديون:

يبدوا ومن خلال النصوص التاريخية، ان هؤلاء جاءوا من نفس المنطقة التي جاءت منها الاقوام السابقة وهم - السوئيون - اللولوبيون - الكوتيون - الخوريون - الميتانيون، وذلك خلال فترة القرن التاسع قبل الميلاد. وهذا يعني انهم جميعاً من اصل واحد. ولكن هؤلاء لم ينتشروا بنفس المناطق التي سكنتها تلك الاقوام، بل اتجهوا

في هجرتهم نحو الجنوب، بينما الاقوام التي سبقتهم فانها اتجهت غرباً. ويظهرالسبب في ذلك هو وجود الدولة الاشورية القوية والتي لم تستطع اية قوة من مواجهتها في تلك الفترة، حتى ان مدينة اربيل كانت العاصمة الثانية للاشوريين، وكانت منطلقاً لحملاتهم العسكرية باتجاه الشرق. ولهذا لم يتمكن الميديون من التوغل غرباً[٥٨].

ومهما يكن من امر الميديين، فان اول ذكر لهم ورد في كتابات الملوك الاشوريين الذين حكموا في القرن التاسع قبل الميلاد، واول اشارة كانت زمن الملك شلمنصر الثالث ٨٥٨-٨٢٤ ق.م والتي اخبرتنا عن قيامه بعدة حملات عسكرية على المنطقة الجبلية في ايران وجبال زاكروس حيث جاءت في هذه الاخبار ذكر للقبائل الميدية بصيغة (امادای AMADAI) وهذا يعني ان هذا الاسم يمثل الاسم القومي للميديين، بل هو نسبة الى المنطقة التي تمركزوا فيها. والمعروف ان الشعوب القديمة عموماً كانت تسمى باسماء المواقع الجغرافية التي كانت تشغلها.

والملاحظ هنا هو ليس غريباً ان تتحول كلمة (مادا) والتي ظهرت في نصوص الالف الثالث قبل الميلاد الى كلمة (امادای) في كتابات الالف الاول قبل الميلاد، خاصة اذا ماوضعنا بنظر الاعتبار بان الملك الميتاني (توشراتا) كان يسمى (امينوفس الثالث) باسم (نيموريا) وهذا كان زوج ابنته، كما كان يسمى الاله (امون) باسم (امانوا)[٥٩].

ولقد ورد ذكر للميديين في كتابات الملوك الاشوريين منهم الملك (شمشي أدد الخامس) ٨٢٣-٨١١ ق.م والملك (أدد نراري الثالث) ٨١٠-٧٨٣ ق.م كما وصفهم الملك تجلات بليزر الثالث ٧٤٤-٧٢٧ ق.م، والملوك الذين جاءوا بعده بان هؤلاء الميديين انهم اشداء اقوياء يقيمون في المنطقة الجبلية الممتدة من الخليج العربي تقريباً حتى بحيرة (وان) بموازاة سلسلة جبال زاكروس.

وعلى الرغم من هذا الامتداد للميديين، فان النصف الثاني من القرن الثامن

قبل الميلاد، قد شهد ظهور شخصية قوية تمكن من فرض سيطرته على تلك المناطق. وكان يطلق عليه اسم (دايكو DAIKKU). ويبدوانه نفس الشخص الذي ذكره تاريخ (هيرودوتس)باسم (ديوكس DIOCES) والذي اعتبره مؤسس الدولة الميدية[٦٠].

ومن اهم اعمال هذا الملك، وفي بداية حكمه، هو تحالفه مع دولة اورارتو ضد الدولة الاشورية، وذلك زمن الملك الاشوري سرجون الثاني ٧٢١–٧٠٥ حيث تمكن الاخير من تجهيز حملة عسكرية قوية ضد مملكة اورارتو زمن ملكها (روساس) وحليفه الملك الميدي (دايكو)، استطاع بها من تحطيم ذلك التحالف ومن ابعاد الاخير وعائلته الى مدينة حماه في سوريا.

وتشير المعلومات التاريخية ان الملك (دايكو) ورد اسمه في المدونات الاشورية بكثرة، وان بداية حكمه كانت سنة ٧٠٨ ق.م، حتى ان الاشوريين اطلقوا على عاصمة المملكة الميدية (اكبتانا) همدان الحالية اسم (بيت دايكو)، ثم تولى المملكة بعده ابنه الذي ذكره في تاريخ هيرودوتس باسم (فراورطيس PHRAORTES) ٦٥٥–٦٣٦ ق.م، ولكن يعتقد ان اسمه الصحيح كان (خشاترينا KHSHATHRITA). ومن اهم اعماله هي تمكنه من توحيد معظم القبائل الميدية تحت حكمه، وذلك زمن الملك الاشوري اسرحدون ٦٨٠–٦٦٩ ق.م والذي استطاع ان يدخل مع هذا الاخير في تحالف مع الاشوريين والذي مكن الملك اسرجون من اخذ ولاية العهد لابنه (اشور بانيبال ٦٦٨–٦٢٧ ق.م) نتيجة لذلك التحالف[٦١].

لقد بلغ الملك الميدي فراورطيس من القوة بدرجة ان الملك الاشوري اسرحون ارسل له رسل صداقة، ونتيجة لقوة الملك الميدي هذا، فقد تمكن من ضم، اضافة الى القبائل الميدية، قبائل ايرانية منها قبائل السميريون – الكيميريون– الاسكيثيون. ومما

كان يمتلكه من قوة فقد قرر الهجوم على العاصمة الاشورية نينوى.

لكن تلك الظاهرة باءت بالفشل، وذلك لان الاشوريون سبق وان تحالفوا مع احد العشائر الايرانية، وهي قبيلة الاسكيثين، وهذه قد هاجمته من الخلف مما ادى اندحاره في المعركة ومن ثم موته عام ٦٥٣ ق.م وكان من نتيجة ذلك ان دخلت المملكة الميدية تحت سيطرة هذه القبيلة لمدة من الزمن.

وعلى الرغم من تلك الحالة التي وصلت اليها الدولة الميدية، فان احد ابناء (فراورطيس) المدعو (كي اخسار) تمكن من التخلص من تبعية الاسكيثين، ومن ثم فرض سيطرته على بلاد فارس، وبعدها عمل على اعادة تنظيم جيشه وجعل من العاصمة (اكبتانا) عاصمة دائمة للدولة الميدية.

وبعد ان ثبت اركان دولته بدأ بالتفكير بغزو الدولة الاشورية وقد مهد لذلك بان تحالف مع (نبوبلاصر) الذي كان حاكماً على بلاد بابل من قبل الملك الاشوري (اشوربانيبال) ومن نتيجة هذا التحالف ان تمكن (نبوبلاصر) من الانسلاخ عن تبعية الدولة الاشورية[٦٢].

لقد نفذ (كي اخسار) فكرته وقام بهجوم على بلاد اشور عام ٦١٥ ق.م متجهاً نحو العاصمة (نينوى)، لكن واجه مقاومة عنيفة، اتجه على اثرها نحو العاصمة القديمة (اشور) فتمكن من فتحها. وبعد هذا الحدث التقى (نبوبلاصر) مع (كي اخسار) وتحالفا من جديد. ولتقوية ذلك الحلف مابين (بابل وميديا) ثم تزويج (نبوخذنصر) ابن (نبوبلاصر) من حفيدة الملك الميدي (كي اخسار) المسماة (اميتس). وفي عام ٦١٢ ق.م تمكن الملك الميدي من احتلال واسقاط العاصمة نينوى، واجبر آخر ملوك الدولة الاشورية (اشور – اورلط) الى الانسحاب الى مدينة (حران)، وفي عام ٦١٠ ق.م تم القضاء على آخر ملك اشوري وانتهت بهذا اعظم امبراطورية عرفها العالم القديم.

وبعد القضاء على الدولة الاشورية اصبحت الدولة الميدية في عهد الملك (كي اخسار) امبراطورية كبيرة واقتسمت مع الدولة البابلية املاك الاشوريين. فاصبحت الدولة الميدية تشمل بلاد (ميديا – فارس – اشور – حتى حدود اسيا الصغرى).

ولكن، كلما اتسعت الدولة كلما ازدادت عوامل ضعفها خاصة اذا حكمها ملوك ضعاف، حيث لم تدم طويلاً بعد آخر ملك قوي. وهذا ماحدث للدولة الميدية بعد (كي اخسار) والتي حكمها الملك الضعيف (استياجز) الذي تشير المعلومات انه انغمس بحياة الترف، مما فسح المجال الى ابن بنته المدعو (كورش الاول) من انتزاع السلطة منه، ومن تأسيس دولة جديدة عرفت بالدولة الاخمينية[٦٣].

ومن نتيجة توسع الدولة الميدية، فقد وجدت بعض الكهوف في منطقة السليمانية قبوراً يرجح انها تعود الى الميديين، ومن بينها قبر ملكي قرب قرية شرناخ. كما ويعتقد ان قبر الملك (فراورطيس) يقع بالقرب من (سربول) في السفوح الغربية من جبال زاكروس وواجهته مزينة بالنحت البارز. وقد صورت المشاهد النحتية والتي تزين قبور الميديين، الفرد الميدي بلحية وشوارب ولباس من جلد الحيوان ويرتدي حذاء عالياً وطرفه الامامي معقوف الى الاعلى.

الهوامش:

(1) Reperoire , GeoGraphiQue Des. Text es Cuneiformes, Band 2, wiesbaben-1974,P.91-92

(٢) اي انا تم (Eanna tmm) حاكم لحبش وهو أبن آكور الذي خلف مؤسس سلالة لكبش اورنانشة اتخذ لقب ملك كيش ويرجح أنه مد نفوذه الى بلاد آشور والى جهات الفرات الاعلى وسيطر على مدينة ماري وتل الحريري على الحدود العراقية السورية. كما استولى على بلاد عيلام.

عبد الواحد، فاضل، سليمان عامر، تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠، ص١٣١.

(3) D.O.EdzaRd, ArcHiv Fu. Orient for schung 19,22. mit Anm P. 56.

(٤) فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، ص٧١.

(٥) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٧٣، ص٧٧.

(6) Fischer, Weltg Schichte, Band 2 , Die Altorientali , Schen Reiche P. 103

(٧) بوترو، جين وآخرون، الشرق الادنى والحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، ١٩٦٧، ص١٩١.

(٨) نفس المصدر، ص١٩٦.

(٩) مردوك ابلا: ويطلق عليه ايضاً مردوك بلادان ويعني باللغة البابلية ((مردوك اعطاني وريثاً ابناً بكراً)) وقد ورد اسم هذا الملك لاول مرة زمن الملك تجلات بلصر الثالث٧٢٨ ق.م وحكم لمدة ١٢ سنة خلال الفترة ٧٢١–٧١٠ ق.م وفي عام ٧٢٢ ق.م جهز حملة على بابل.

النجفي، حسن، معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم، الدار العربية

للطباعة، ط١، بغداد، ١٩٨٢، ص١٣٢.

(١٠) رشيد، المصدر السابق، ص٧١.

(١١) سليمان، عامر، تاريخ العراق القديم، بغداد، ١٩٩٢، ص٩٤.

(12) D.O.Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens Wiesbaden , 1957, P.50.

(13) Mitteilungen Des Instituts Fur Orient For Schung Band XI Heft3. 1966 H. Klengel, LULLUBUM.P.350

(14) Gpettinato, The Archives of Ebla. An Empire Inscribed in clay. New York , 1981 , P.108.

(15) Reallexikon , Der Assyriologie , III.P.70-71.

(16) G.Pettinto OP.Cit, P73.

(17) TH. Jacoben , The Sumerian King List. PP.77-99.

(١٨) بوترو / المصدر السابق، ص١١٤.

(١٩) عبد الواحد، المصدر السابق، ص١٤٩-١٥٠.

(٢٠) مورتكات، أنطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٦٩، ص١٧٨-١٨٠.

(21) E.Strommengr,BaghdaderMittel-ungen 2,1963.P.83-88.

(22) H.Klengel, Lullbum. p.351.

(23) Har Vard. Semitic Series 42.

(٢٤) فوزي رشيد، مملكة خمازي، مجلة كاروان، العدد ٢٢٠ حزيران ١٩٨٤، ص١٤٧.

(25) Reallexikon Der. Assyriologie, III P.70-71.

(26) D.O.Edzard, Die Zweite Zwischen it Babyloniens. Wiesbaden. 1957 , P.31.

(27) W.Vonsoden, Akkadische Handwor Terbuch Lieferung 7, 1965, P. 552.

(28) J. Simons. Hand Book For The Study of Egyption Topographical Lists Relating to western Asin Cleiden

1937. N.2 209, IV

(29) Fischer. weltges chte , Bands 2, Allorie Altorientali schen Reiche.P.125.

(30) J. Gelb. Mad.I.Sargonic Texts From The Diyala Region 1952.P.112.

(31) J. Laessoe, The Shemshara Tablets , p.77. FF.

(٣٢) ساكز، هاري، ترجمة عامر سليمان، عظمة بابل(وموجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة)، ط١، لندن، ١٩٧٩، ص٧١.

(33) E.Weidner, Archir Eur orient for Schung. 18. P. 359. F.

(٣٤) بوترو، المصدر السابق، ص١٢٣-١٢٤.

(٣٥) عبد الواحد، المصدر السابق، ص١٥٤.

(٣٦) ساكز، المصدر السابق، ص٧٢.

(37) Fischer Weitge Schichte , Band 2 , P. 97-98. 114-115.

(٣٨) فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ص٤٦-٤٧.

(٣٩) طه باقر، المصدر السابق، ص٧٨.

(40) G.Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter , Darmstadt , 1982 , P. 13.

(41) G. Wil Helm. ibid, P14.

(٤٢) تل عطشانة: وهي التسمية الحالية للمدينة القديمة (الالاخ) الواقعة في سهل انطاكية، كانت مركزاً لدولتين حكمتا شمال سوريا احداهما امورية معاصرة لحمو رابي والاخرى من تل العمارنة حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد. مورتكات، المصدر السابق ص٢٥١. النجفي، المصدر السابق، ص١٨.

(43) E. Sollberger , Tow New Seal. Inscriptions Anatolian Studies , 30 , 63 , 65. PL.

(٤٤) طه باقر، المصدر السابق، ص٧٩.

(٤٥) طه باقر، نفس المصدر، ص٧٩.

(46) G.Wilhelm. P.40.
(47) ibid , P.37.
(48) C.Kuhne, Die Chronologie Der Internationalen Korrespondenz Von EL. Amarna, Alter and Altes Testament. 17.
(49) G.Wilhelm ,OP.Cit ,p54
(50) G. Wilhelm. P.48.
(٥١) مورتكات، المصدر السابق، ص٣٢٧.
(٥٢) المصدر السابق، ص٣٢٩.
(53) P.Vernus,. Les Hurrites Dans Les Sources Egyptiennes 1977. p.47-49.
(٥٤) اورارتو: اسم قديم للمنطقة الجبلية التي تقع شمال وادي الرافدين تمثلها اليوم ارمينيا كان يحكمها الملك روساس الذي حاربه سرجون الاشوري ٧٢٤ ق.م وانتصر عليه. النجفي، المصدر السابق، ص٢١.
(55) Fischer,op.cit., P.107.
(56) E.Strommenger,op.cit, P98.
(57) J.Simons,op.cit, Vol.4,P.14.
(٥٨) طه باقر، المصدر السابق، الجزء الثاني، ١٩٥٦، ص٣٨٩.
(٥٩) طه باقر، نفس المصدر، ص٣٩١.
(٦٠) جمال رشيد، دراسات كردية، في بلاد سوبارتو، بغداد، ١٩٨٤، ص٨٥.
(61) J. Gelb ,op.cit.,P.118.
(٦٢) جمال رشيد، المصدر السابق، ص٨٣.
(63) W.Von. Soden ,op.cit, P.309.

نشوء الدويلات الإقليمية في أوائل الألفية الثانية ق.م
النهوض الاشوري في عهد شمسي – ادد الأول

أ. م. د. صلاح رشيد الصالحي
جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي

مع بداية الالفية الثانية ق.م حدث تنافس بين السلالات الحاكمة في منطقة الشرق الادنى القديم، مما ادى الى بروز عدد من الحكام الذين عرفوا ببراعتهم السياسية ونشاطهم الحربي، فأنشؤا دول اقليمية استمرت في الحكم ولفترات قصيرة من الزمن، وهؤلاء الحكام عرفوا بتوسعهم وفرض سيطرتهم على منطقة جغرافية عريضة على الرغم من ان دولهم لم تكن مختلفة بشكل جذري عن طبيعة تكوين الدول الاخرى، لكن في تلك الفترة الزمنية كانوا اكثر نجاحا في صراعهم ضد جيرانهم، واكثر قدرة عسكرية في فرض سيادتهم بل والحاق اولئك الملوك الصغار بصفة تابعين لهم، ومع هذا فان ممالكهم القوية سرعان ما انتهت مباشرة بعد موت مؤسسيها، والمقصود هنا ثلاث ملوك كان لهم شأن كبير اولهم شمسي– ادد (Shamshi-Adad) ملك شمال بلاد الرافدين، (العصر الاشوري القديم ٢٠٠٠–١٥٢١ ق.م)، ثم حمورابي ملك بابل (١٨٩٤–١٥٩٥ ق.م)، وثالثهما حاتوسيلي الاول(Hattusili) ملك بلاد حاتتي في وسط الاناضول (تركيا حاليا) (١٦٢٠ ق.م)، فعلى الرغم من سرعة اقامة دولهم الا انها في هيئتها واسمها استمرت فيما بعد ولعدة قرون وعرفت بانها (الدول العظمى) ولها منزلة سياسية متساوية اكتسبت عبر الفترة الزمنية الطويلة منذ نشأتهم الاولى الى تحولهم امبراطوريات (الاشورية، والبابلية، والحثية) لها مكانتها الدولية انذاك.

ان مصادرنا التاريخية المتوفرة عن فترة نشوء مملكة شمال بلاد الرافدين (بلاد اشور)، وحتى بلاد بابل في الجنوب لم تاتي وثائقهم من العواصم بابل واشور! انما من المدن الاخرى التي خضعت لسيطرة حكام الدولتين، بالمقابل في حالة المملكة الحثية القديمة تأتي اكثر معلوماتنا تقريبا من حاتوشا (Hattusa) (العاصمة الحثية) وغالبية النصوص تؤرخ لقرون متاخرة (عهد الامبراطورية)، ولهذا يمكن ان نعتبرها نسخ عن الوثائق الملكية الاصلية، ولابد من دراستها بدقة عند توظيفها لوصف الاحداث.

لقد تناولت في هذا البحث مفردة سياسية واحدة تتمثل بالملك شمسي– ادد مؤسس مملكة اشور دون الملكين (حمورابي، وحاتوسيلي الاول)، لاتساع الموضوع من جهة والتاكيد على ان قوة اشور برزت بعد تأسيس شمسي – ادد لها، فقائمة ملوك اشور ما قبل التاسيس مشكوك فيها والاكثر دقة كما سنرى الفترة التي تلت موت شمسي ادد واستمرت حتى سقوط نينوى ٦١٢ ق.م.

مملكة شمال بلاد الرافدين:

شهدت بلاد الرافدين هجرة الأقوام الامورية[١]، الذين أطلق عليهم أحيانا (الساميون الغربيون) بسبب لغتهم كما يصفهم البعض (بالكنعانيين) تقدموا أول الأمر في منطقة الفرات الأوسط ثم استوطنوا منطقتي الوسط والجنوب، وقد أصاب بلاد اشور نصيب من تلك الهجرات، وان لم تكن بالقدر الذي اصاب بلاد بابل[٢]، ومن الطبيعي اوجدت تلك الهجرات تغيرات في التركيب السكاني في المناطق الوسطى والشمالية من بلاد الرافدين، فحدثت زيادة في نسبة الاقوام السامية باضافة جماعات جديدة وكثيرة منهم الى السكان القدامى من الساميين الذين كانوا قد جاؤا في هجرات اقدم[٣]. ولابد ان اشير الى ان اغلب معلوماتنا عن العصر المبكر لأشور تاتي من معبد مكرس للآلهة عشتار، فقد ثبت صحة تلك المعلومات للفترة ما بعد (٢٨٠٠

ق.م)، ومن الواضح ان مدينة اشور في ذلك الوقت كانت عبارة عن مركز ديني تحتوي على عدة أبنية مشيدة بالآجر، وكان الدين يحتل مكانا مرموقا في البنية الاجتماعية والاقتصادية في المدينة، وليس من الضروري ان نستنتج والحالة هذه ان القوة الدينية كانت منفصلة عن القوة المدنية على ضوء الألقاب الدينية ووظائف الملوك الآشوريين الذين سنتطرق لهم بل كلتا القوتين كانتا متشابكتين[٤].

هذا وان اللقى التي وجدت في المعبد القديم[٥] في اشور، لا تخبرنا الا القليل حول الحياة في الالف الثالثة ق.م، ومن بين تلك النماذج فخار للاستخدامات المنزلية، وقد تكون لتلك النماذج بعض الوظائف الدينية، اما نماذج المساكن فتظهر منزل ذو سقف منبسط مؤلف من طابقين في الامام وطابق واحد من الخلف[٦]، وهناك معلومة اخرى حول تسمية اشور، فبالاضافة الى الاسم المعتاد والمتعارف علية اشور الا انه كان يشار لها باسم بالتيل (Baltil) وسابقا اعتقد ان الاسم ذو اصل سومري، لكن فيما بعد وبجهود علم اشتقاق اللغة الشعبي يعتقد انه لا ينتمي الى اللغة السومرية ولا الى السامية محتمل الاسم ينتمي الى لغة تابعة الى مجموعة قديمة من السكان كانت تستعمل حرفي (il) في نهاية بعض اسماء الاماكن مثل كلمة بابل (Babil) (باب الرب) أو اربيل (Erbil) أو كوربيل (Kurbail)، وقد فسرت (il) بشكل مغلوط بانها تشير الى اسم الاله باللغة السامية، ولكن هذا الاسم غير سومري وغير سامي بل وقبل استيطان السومري أو السامي الذين اصبحوا عرقا مسيطرا على تلك المنطقة[٧].

قائمة ملوك اشور:

عثر على وثيقة في اشور تدعى قائمة ملوك اشور (وهي موجودة بعدة نسخ) وفيها ذكر أسماء حكام اعتبارا من الالف الثالثة وحتى القرن الثامن ق.م، وقد دونت في فترة متاخرة وكذلك في بعض نصوص الأدبية التذكارية إضافة الى ذلك، لدينا

بعض المعلومات المستقاة من النصوص المكتشفة في المستوطنة التجارية الاشورية في منطقة كبدوكيا في اسيا الصغرى[٨] وان اول ملك اشوري معروف من النقوش التي صنعها لنفسه هو شمسي – ادد، ولا يمكن معرفة تاريخة المبكر فهو مبهم بالنسبة لنا، فنحن لا نستطيع تحديد متى وكيف ارتقى العرش !لكن على الاغلب حدث هذا حوالي (١٨١٣ ق.م) عندما استلم عرش ابية (ايلو- كبكبي) (Ilu-Kabkabi)، ويلاحظ في قائمة ملوك اشور قبل شمسي–ادد يصل عددهم الى (٣٩) ملكا، ومن بينهم سبعة عشر ملكا كانوا يعيشون في الخيام، وان بعضهم ربما كانوا هم الحكام الحقيقيين القدماء الذين حكموا آشور، وهذه القائمة ذات ترتيب تاريخي صحيح، ونجد فيها الملكين الاخيرين اوشبيا (Ushipa) أو (Uspia)، والثاني ابيشال (Apiashal) أو ابيسال (Apiasal) ذكروا في القائمة الاولى في مؤخرة الاسماء اما القائمة الثانية فقد جاؤا في الترتيب الاول، وبذلك فان ابيشال خدم كهمزة وصل بين القائمتين. ومع هذا من الصعب وضع تواريخ على أساس سنوات حكمهم، ولكن حتى الآن توصلنا إلى معرفة أول ملك لدينا اسمه (ايتيتي) (Ititi) وهو مذكور في نقوش مقتضبة على قطعة من الاباستر تعود إلى الفترة الاكادية القديمة (٢٤٠٠–٢٢٠٠ ق.م) ومفادها ما يلي: (أيتيتي الحاكم أبن اينين لابا قد كرس هذا النقش إلى الآلهة اينين من غنائم جاسور)[٩]، أما المجموعة الثانية من قائمة أسماء الملوك فقد كانوا أجدادا لشمسي– ادد وقد رتبت القائمة بشكل مختلف، وكان يتبع كل ملك اسم والدة وبعد ذلك جده، وكمثال: (امينو (Aminu) أبن ايلو– كبكبي (Ilu-Kapkapi) وايلو– كبكبي ابن ازخور– ايلو (Iazkur-ilu)، وازخور– ايلو أبن ياكاميني (Iakmeni) وهكذا...[١٠]، ومن خلال نصوص شلمانصر الأول فان الملك كيكيا شيد اسوار مدينة اشور، اما الملك بوزور– اشور (Puzur-Assur) فيعتقد بانه اعاد بناء اسوار المدينة، ومن ثم ورد اسم شالم– اخوم والملك ايلو– شوما والاخير حكم ما بين (١٩٦٢–١٩٤٢ ق.م)

وقد ذكر في نقوشه احتلاله اجزاء واسعة من بلاد بابل خاصة الاراضي الواقعة شرقي دجلة، وانه اعاد (الحرية) الى مدن هذه المقاطعات ؟ ترى الم يعني ذلك انه حررها من حكم العيلاميين والساميين الغربيين ؟ فمن الوجهة الوطنية فقد كان من حق امراء اشور ان يفكروا ويتصرفوا انطلاقا من هذا المبدا، كذلك فانه من المحتمل ايضا انهم خططو لانشاء امبراطورية عالمية ينطلقون بها من اشور، وقد يفسر هذا الصراع بين ملوك اشور في عهد المملكة القديمة وملوك بابل ما هو الا مجرد عملية انعتاق عن سلطة ملك الملوك في مملكتي ايسن ولارسة[١١]، اذ لابد ان يكونوا قد شعروا بانفسهم حملة لواء الحضارة السومرية – الاكدية العريقة، وتاكيدا لذلك فقد كانوا في عصرهم الملوك الوحيدين الذين لم تجري في عروقهم دم غريب عيلامي كان ذلك أم سامي غربي، فلقد كانت جميع اسماء ملوك هذه السلالة اكدية محضة حتى حفيد الملك اري– شوم كان يسمى شاروكين (سرجون) (Sargon) وهذا هو نفس اسم البطل مؤسس الامبراطورية الاكدية[١٢].

أما اريشم الاول فقد حكم بين (١٩٤١–١٩٠٢ ق.م) (وترتيبة في قائمة الملوك ٣٢) حيث عثر على بعض النقوش الملكية المدونة باللغة الاشورية وتعود الى القرن التاسع عشر ق.م، وتخص الملكين ايلو– شوما (١٩٦٢–١٩٤٢ ق.م) وولده اريشم الاول(Irišum)[١٣]، واغلب ما ورد في كتابات الملكين هي اخبار مدونة عن نشاطهما البنائي في مدينة اشور منها تشيد معابد مكرسة للالهة اشور وادد وعشتار[١٤]، وبذلك فالوضع السياسي قبل ان يتولى شمسي – ادد السلطة تمثلت بالغموض حول اسماء الملوك واعمالهم وما عدا الملك ايلو– شوما الذي كون قوة استطاع ان يصول بها في مناطق مدن بابل ويصطدم مع سومو– ابوم الملك البابلي، ربما للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة الى بلاد عيلام والخليج العربي سالكا الطريق الواقع الى الشرق من نهر دجلة (ادكنا Idigna)، وادعى ايلو– شوما انه

(حرر مدينتي اور ونفر) اللتين كانتا تقعان على الطريق التجاري الى الخليج العربي[١٥]، وهذه الاحداث معاصرة لعهد ملك سلالة ايسن المدعو اشمي– دكان (١٩٥٣– ١٩٣٥ ق.م) كذلك ولده اريشم الاول الذي ازدهرت في عهده المستعمرة الآشورية في بلاد الأناضول[١٦].

هذه الترتيبات الاصطناعية الغير طبيعية تثير الشك حول طبيعة قائمة ملوك الاشوريين يالنسبة للفترة الاولى التي تميزت بذكر اسماء فقط دون اعمال حربية أو عمرانية أو حتى وثائق تؤكد وجودهم الفعلي فالقائمة تبدا باسم توديا (Tudia) او توديجا والاسم اقرب الى جودية أو (كودية) حاكم لجش[١٧]، لكن لا وجود لاي دليل على وصول حكم الملك السومري الى اشور، ولذا فهي قائمة لذكر الاسماء فقط ولا تعني اكثر من هذا، وحتى ما وصلنا عنهم من إشارات هي من نسيج خيال الحكام الآشوريين المتأخرين الذين حكموا في عهد الامبراطورية[١٨].

أما قائمة الملوك التي ذكرها شمسي – ادد الاموري الاصل[١٩] فأنها تعطي تفاصيل خاصة وبشكل استثنائي عندما تصف الظروف التي ارتقى فيها السلطة، ربما الهدف منها تدعيم حقه في وراثة العرش فنقرأ عن نسبه في القائمة: (شمسي– ادد ابن ايلو– كبكبي في زمن نرام– سين (احد ملوك اشور القدماء)[٢٠]، ذهب الى كاردونياش (بمعنى بابل)، ثم رجع من كاردونياش، واستولى على بلدة ايكالاتوم، وبقي في ايكالاتوم مدة ثلاث سنوات، ثم خرج من ايكالاتوم وازال اريشوم ابن نرام – سين عن عرش اشور واستولى على العرش)[٢١]، لكن في نصوص اخرى يؤكد بانه ورث العرش عن ابية ايلو– كبكبي في مدينة ايكالاتوم (Ekallatum)[٢٢]، ومن هناك حكم حوالي عشرة سنوات، وعلى ما يبدو سابقا دخل في صراع مع اخية امينو (Aminu) ابن ايلو– كبكبي والتي اشرت اليها سابقا، واستطاع ازاحته عن عرش ايكالاتوم[٢٣]، واذا كان هذا صحيحا فنحن نفترض بان شمسي – ادد المغتصب للعرش كان يتسم

بروح عسكرية وادارية عظيمة مضافا اليهما حنكته السياسية[٢٤]، وقدرة على الحكم تفوق اخيه امينو[٢٥].

وبذلك نستنتج بان مراكز القوى في المنطقة لم تكن تجري ضمن حسابات الملك الشاب فقد غزا نرام– سين ملك اشنونا (Eshnunna) شمال بلاد الرافدين وفرض سيطرته على ايكالاتوم فهرب شمسي– ادد جنوبا كلاجيء إلى بابل[٢٦]، التي استقبلته في عهد ملكها سين– موباليط (معنى الاسم الإله سين حي) (١٨١٢– ١٧٩٣ ق.م) الذي كان معاصرا له، منتظرا الفرصة للعودة إلى عرش ايكالاتوم، وقد حالفه الحظ بعد سبعة سنوات عندما توفي نرام– سين فأصبح الطريق مفتوحا أمامه للعودة إلى مقر حكمه ومن المحتمل الفترة التي قضاها في بابل أوحت له بعدم القناعة، لذا نراه وبعد ثلاث سنوات يغزو آشور ويزيح الأسرة الحاكمة وينصب نفسه ملكا وقدم قائمة بأسماء أسلافه للتأكيد بعمق صلاته وحقه في وراثة العرش[٢٧]، وهذه الأحداث بما فيها ارتقائه عرش آشور يمكن أن نضعها في عام ١٨٠٨ ق.م.

على الرغم من جلوسه على عرش اشور الا انه بقي حاكما لقوة بسيطة في المنطقة، لكن وكعادة ملوك بلاد الرافدين عبر تاريخهم الطويل يضعون في حساباتهم الاتجاه نحو الغرب وصولا الى حوض البحر المتوسط، لذا وسع تاثيره العسكري نحو شمال سوريا، فاشتبك مع يخدون– ليم (Yahdun-Lim) ملك ماري (Mari)[٢٨] صحيح انه فشل في احتلال ماري إلا انه استطاع فرض سيطرته على شمال وادي الخابور، وضم ممالك صغيرة مثل ابوم (Apum) وعاصمتها شيخنا (Shehna) وبدل اسمها إلى شوبات – انليل (Shubat- Enlil) (يعتقد هي موقع شجر بازار حيث عثر على سجلات ادارية تعود الى زمن حكمه)[٢٩]، وقد اصبحت مقر اقامته فيما بعد ربما لقربها للمواقع التي يسعى لفرض سيطرته عليها او ابتعادا عن اشور التي ما زال حكمه جديدا عليها[٣٠]، خاصة وان هناك مراكز قوة امورية أخرى في

شمال سوريا غير موحدة ولا تخضع لسلطة مركزية وقد لخص الموقف في رسالة من هذه الحقبة تقول: [لا يوجد ملك هو الاقوى وحده، فهناك عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي من بابل. ونفس العدد يتبعون ريم– سين من لارسة، ونفس العدد يتبع ابال– بيل ملك اشنونا والعدد نفسة يتبعون اموت– بي– ايل من قطنة (في سوريا) وعشرون ملكا يتبعون ياريم– ليم من يمخد (في شمال سوريا)...](٣١).

وهكذا اصبحت مملكة ماري جنوب عاصمته شوبات – انليل فريسة سهلة، وقد اتيحت الفرصة له عندما حدثت ثورة في بلاط ماري أدت إلى مقتل يخدون– ليم ابن يكد – ليم (Yaggid - Lim) من قبل خدم قصره حوالي عام ١٧٩٢ ق.م وليس هناك ما يدل على ان الثورة كانت من تخطيط شمسي – ادد غير انه طالما المستفيد من ذلك في النهاية فانه موضع شك قوي(٣٢)، واصبح من السهل احتلال ماري وضمها إلى مملكته التي أصبحت تمتد من آشور على نهر دجلة في الشرق الى توتول (Tuttul) على نهر البليخ في الغرب(٣٣) وبذلك دخلت ضمن مملكته بلاد تيركا (Terqa) شمال ماري، أما جنوبا فامتدت حدوده الى شمال بابل (شمال بغداد الحديثة)، وبذلك يمكن ان نطلق عليها (مملكة شمال بلاد الرافدين).

هذه الاحداث وردت في رسالة على لسان رسول الإله ادد اله حلب الرئيسي معنونة إلى زمري – ليم (Zimri- Lim) ملك ماري جاء فيها: [أنا، ادد، منحت البلاد بكاملها إلى أبيك يخدون – ليم، لكنه تخلى عن عبادتي، ولهذا اعطيت البلاد الى شمسي – ادد ملك اشور.....](٣٤) هذه الرسالة ذكرت في عدة مناسبات لغرض التذكير والعبرة، فبعد مقتل الملك يخدون – ليم هرب ولدة زمري – ليم(٣٥) الى حلب كلاجىء في مملكة يمخد هربا من بطش شمسي – ادد، ومن هناك بدأ يعمل لاستعادة عرش ابائه على مملكة ماري المغتصبة.

تلك الانتصارات حفزته للتدخل في شؤون ممالك سوريا الداخلية، ففي نص له يشير الى استلامه جزية من الغرب: [في ذلك الوقت، استلمت في عاصمتي آشور جزية ملوك توكريش (Tukrish)، وملوك البلد الشمالي، ونصبت مسلة حجرية حفرت عليها اسمي العظيم، ووضعتها في بلاد لبنان (Lab'an) (la-ab-a-an^{KI}) على ساحل البحر العظيم](٣٦)، ان تحديد موقع توكريش فيه تضارب بالاراء يعتقد انها قريبة من كركميش (جرابلس الحالية)، ولكن ما نعرفة ان نصوصة لم تشر الى حملات عسكرية اشورية توغلت في عمق الاراضي السورية، ولذا فهؤلاء الملوك اقرب الى رؤساء العشائر والقبائل المنتشرين في المناطق المحصورة بين نهر الفرات (بوراتم Puratum) أو (بوراتو Puratu) وحتى كركميش وهي مناطق مرور السفن النهرية ومرور القوافل التجارية البرية. أما الجزية فهي وردت بالنص (biltu ، mandattu ، mihirtu) وهي اقرب الى الهدية (الهدية بالاكدية سولمانو Sulmanu أو نمرتو Nimirtu)(٣٧) منها الى الجزية، لان ملوك آشور اعتادوا إطلاق تسمية الجزية على الهدايا التي تصلهم من الملوك(٣٨)، كذلك ينطبق هذا على ملوك البلد الشمالي وهو مصطلح قد يعني حوض البليخ والخابور، أما ادعائه بنصب مسلة حجرية في لبنان التي تقع على البحر العظيم، (ويقصد بالبحر العظيم البحر المتوسط وله اسماء اخرى بحر امورو و بحر غروب الشمس والبحر العلوي) ففيه شك ولا يعني وصول قواته الى البحر المتوسط(٣٩)، واذا كان شمسي– ادد يقود الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى على طول وادي الزابين (الزاب الاعلى بالاكدية زابو عيلو و الزاب الاسفل بصيغة زابو شبالو)(٤٠) وحول ارابخا(كركوك) فان ولده الاكبر اشمي– داجان المتحمس كان يحارب قبيلة توروكو (Turukkû) والحكام الصغار في اقدام جبال زاغروس.

الشؤون الإدارية:

أتبع شمسي– ادد سياسة حازمة في إدارة مملكته وسياسة التسامح مع الولايات التي فتحها وضمها الى مملكته فاتخذ لقب (حاكم آشور)، وثبت في المدن حكامها السابقين مثل منطقة كتارا (Qattara)[41]، كما فرض على الملوك التابعين شروط محددة منها فقدانهم حق قيادة جيوش، أو الاتصال بالقوى الاجنبية أو التعاون معها ومن هذه القوى ممالك اشنونا وبابل ويمخد، وبهذا العمل استمرت الإدارات المحلية بعملها على الرغم من اننا نلاحظ بان اولئك الحكام قد استعملوا الاختام الخاصة بهم في توثيق الالواح الادارية، الا انهم كانوا في خدمة شمسي – ادد، أما التغير الحاسم والدقيق فهو اتباعة اسلوب تأريخ الوثائق على اساس الاشارة الى سنوات الاحداث باسم فرد يتقلد منصب اداري على خلاف بلاد بابل حيث اشرت السنوات استنادا الى الاحداث المهمه مثل (الفيضان، أو بناء سور المدينة أو انشاء القنوات أو تشيد المعابد...)، بينما اوجد الآشوريون قوائم من نوع آخر حيث أنهم تحققوا من تثبيت سنوات حكم الملوك عن طريق المتابعة المتواصلة لأسماء كبار موظفي المملكة من الذين كانت لهم ألقابا أثناء خدمتهم، وتحتوي بعض تلك القوائم على إشارات موجزة لحملات عسكرية أو عن كوارث[42]، في هذا النظام الجديد يذكر اسم شخص تقلد منصبا إداريا، وأعطي تعبير اكدي للإشارة إلى ذلك الشخص باسم اللمو (Limmu) ربما تعطي معنى (التناوب) وبالإغريقية تعطي معنى (eponym)، هذا النظام بدا في تطبيقه بآشور وبقي مستعملا رسميا حتى نهاية الإمبراطورية الآشورية في القرن السابع ق.م، مع تغير حدث في الألفية الأولى ق.م ثبت تناوب السنين باسم ضباط الجيش الآشوري براسة الملك، بينما في أوائل الألفية الثانية ق.م كانت وظيفة اللمو في آشور شخص على ما يبدو يعمل في النشاط التجاري وهذه الطريقة وجدت مستخدمه في المستوطنة التجارية الآشورية كاروم كانيش (Karum- Kanesh) (كول تبة Kultepe)[43]، وبذلك انتشر استخدام نظام اللمو في

المستوطنات التجارية الآشورية المنتشرة في بلاد الأناضول. ان هذا التوحيد في التاريخ جاء بناء على توحيد شمشي – ادد للمناطق، ففي ماري وتوتول وتيركا اصبح النظام الاشوري في تحديد السنوات (اللمو) النظام الرسمي في تلك الممالك المنضوية في مملكة شمال بلاد الرافدين، ولكن بعد تفكك دولته واستقلال ماري عاد النظام القديم في استخدام اسماء ملوك ماري القدماء كبداية لتاريخ الاحداث.

ومن اجل سلطة مركزية قوية وإدارة حازمة اتخذ شمسي– ادد من مدينة شوبات – انليل مقرا لحكمه، وعين ضباط الجيش كحكام أنيطت بهم مسؤولية إدارة المناطق جنوب مقر إقامته، وفي نص له يقول: [وأنني عينت حكامي في كل مكان][44] كما وضع أبنائه في مواقع إستراتيجية، فالابن الأكبر اشمي– داجان (Ishme- Dagan) الذي جبل كمقاتل مثل أبيه وكان على استعداد للنزول إلى سوح المعارك ويبعث لأخيه بأنباء انتصاراته بفخر كبير يقول في نص له: [حاربنا في (شوماخي) واحتللت البلد بكاملة فقر عينا][45]، وفي مناسبة أخرى ينتهز اشمي– داجان الفرصة لتباطيء أخيه فيكتب له: [لا تكتب إلى الملك (يقصد شمسي – ادد)، أن البلد الذي امكث فيه اقرب إلى المدينة – العاصمة، والأمور التي تريد الكتابة عنها إلى الملك ابعث بها إلي كي أقدم لك المشورة..][46]، على أية حال انيطت بأشمي– داجان إدارة مدينة ايكلاتوم المقر الاساسي للاسرة الحاكمة سابقا، وتمتد سلطته جنوبا الى ارابخا (كركوك) وتكريت (تكريتا) (تك– ري– اي– تا) (قلعة برتو) والى جنوب سامراء (سموريم Summurim) أو (سرماتا Su-Ur-Ma-Ta) قريبا من شمال بابل بكلمة اخرى ما بين دجلة وجبال زاغروس، كما عين ولده الاصغر يسمح – ادد (Yasmah- Adad) فقد كان اميرا مطيعا رقيقا ولكنه كسول ومهمل وجبان ايضا، وقد نصب حاكما على ماري والى توتول وبذلك حكم مناطق تقع على على نهر الفرات ورافدية البليخ (باليخو أو بليخو) والخابور(خابوراس و ابو راس)[47].

ان الامتداد الواسع لمملكة شمسي- ادد شكلت حدوده مع مملكة اشنونا والدويلات المتفرقة في تلال زاغروس ما بين السليمانية (سابقا أطلق عليها الآشوريين بلاد زاموا Zamua) والى الدير (Dēr وتكتب بالاكدية دور – ايل)) (بدرة حاليا) وأيضا بلاد بابل جنوبا، فقد عثر على عقد في سبار (Sippar) (تل ابو حبة)[٤٨] يعود تاريخه إلى عام ١٧٨٢ ق.م ويحتوي على قسم ورد فيه اسمي حمورابي وشمشي- ادد مما يدل على وجود سلطة مزدوجة ولكن لفترة قصيرة. والى الغرب تجاورها مملكة يمخد (Yamkhad) وعاصمتها حلب والى جنوبها السهل السوري الذي تسيطر عليه مجموعات نصف بدوية.

عثر خلال التنقيبات الاثرية التي جرت في ماري وشوبات- انليل على مراسلات بين شمسي- ادد وأولاده[٤٩]، توضح طبيعة العلاقة بين الاب واولاده وكانه المربي لابنيه[٥٠]، ونستشف من تلك المراسلات ان اشمي – داجان اكثر سلطة وقوة شخصية من اخيه الاصغر يسمح – ادد الذي كثيرا ما يتعرض للتوبيخ من لدن ابيه الملك واخيه مما يدل بقاء السلطة العليا بيد الاب الذي لا يتوانى من توجيه اللوم الى ابنائه ففي احدى الرسائل الموجه الى ماري اتهم ولدة يسمح – ادد بانه ضعيف وبطيء واعاد ذلك مرارا وتكرارا: [أنت لست برجل! هل أنت طفل؟ أليس لك لحية على ذقنك! الى متى ستبقى غير قادر على ادارة مقاطعتك، الا ترى بان اخوك يقود الجيوش! انت ايضا عليك ان تتراس قصرك ومقاطعتك][٥١]، ورسالة أخرى ورد فيها: [وبينما يقوم اخوك هنا (بقتل الداويدوم)[٥٢] تقبع أنت هناك وسط النساء، انك الان ذاهب بجيشك الى (قناتوم) (يعتقد انها الرقه حاليا) فكن رجلا! فكما يقوم اخوك ببناء مجد عريض لنفسه، اجعل لنفسك ايضا، وفي بلدك اسما عظيما..][٥٣] وفي رسالة أخرى يصر يسمح – ادد على ضم شوبات- شمش الى مقاطعته فكان الرد فيه

استغراب: [... لم يضع اسسا ثابته لادارة ماري وتوتول، ويطلب الان ضم شوبات- شمش..][٥٤].

على ما يبدو توجيهات الاب لا تنتهي وتدخله في الشؤون المحلية والشخصية للاولاده مستمرة وهذه المره رتب زواج ذو هدف سياسي عندما اصر على زواج ولده يسمح- ادد من بليتوم (Beltum) أميرة مملكة قطنة (Qatna) (وتعرف اليوم بتل مشرفه قرب حمص)[٥٥]، من اجل ضمان استمرار حلفه ضد يمخد، وقد اراد ملك قطنة ان تحتل ابنته المنزلة الاولى في قصر ماري ربما كان هدف ملك قطنة ان يتولى في المستقبل حفيدة منصب ملك ماري وبذلك يضمها الى مملكته، أو هكذا نعتقد ان يكون تفكيره[٥٦]، ولكن سبق ليسمح- ادد أن تزوج من ابنة يخدون – ليم التي تحتل منصب السيدة الاولى في قصرة ولها الكلمة العليا فهي ابنة مملكة ماري وابيها كان ملكا واخيها منفي الى حلب ينتهز الفرصة للعودة إلى عرش أبائه[٥٧]، ولذلك فضل الابن بقاء الأميرة بليتوم في موقع ثانوي (كزوجة ثانية) بين مجموعة نساء القصر الاقل شانا، ولكن موقف شمسي – ادد كان واضحا فقد وبخ ولده وبشدة واجبره على ابقائها الى جانبة في القصر كسيدة أولى[٥٨]، وهذا يدل على وجود علاقة وطيدة بين شمسي- ادد ومملكة قطنة وأيضا كركميش، ونتيجة للمصاهرة أرسل يسمح- ادد جيشا لمساعدة قطنة ضد غريمها ملك حلب[٥٩]، وبالمقابل وضع حاكم قطنة مراعيه تحت تصرف رعاة يسمح- ادد واقترح عليه ان ياتي لزيارته. وعلى العكس كانت علاقته مع اشمي- داجان ليست على ما يرام فالصفقة التي عقدت بين الطرفين كانت مجحفة بحق ملك قطنة الذي عبر عن استيائة بقولة: [هذا الشيء لا يصح ذكره !ومع ذلك يجب ان اتكلم لكي اريح قلبي، اردت مني، حسب طلبك حصانين وارسلتهما اليك، وقد ارسلت لي ٢٠ منا من الرصاص.... سعر الحصان لدينا... (ست مئة) شيقل من الفضة، ولكنك ارسلت لي ٢٠ منا من

الرصاص...][٦٠]، بما أن سعر الرصاص يعادل ١٤/١ من سعر الفضة فثمة اساس لشكوى ملك قطنة، وانه شعر بالغبن من قبل اشمي – داجان. وفي رسالة اخرى كتب يسمح – ادد الى حمورابي ملك بابل عن معضلة حلت باحدى قوافل التجارة من ماري، وهناك رسائل عديدة تدل على ان بلاط ملك ماري كان يضم موظفين ومستشارين مكلفين باجراء مفاوضات عن امور عدة ويتنقلون من بلاط الى اخر يحملون صفة سفراء ومصادرنا الوحيدة هي الوثائق المكتوبة التي ينقلها المبعوثون.

المجتمعات البدوية في عهد شمسي – ادد:

كان البدو متواجدون بكثافة عددية كبيرة في منطقة ماري[٦١]، واعتبروا مصدر قلق دائم للحكام الثلاث (شمسي – ادد وولديه)، حيث امكن تميز ثلاث مجاميع قبلية كبيرة هم ألحانيون (Hanaeans) وبني أيامينا (Bene - Iamina) والسوتانيون (Sutaeans)، وقد استوطن الحانيون ضفاف الفرات منذ فترة طويلة، ويشكلون مع الاكديين اغلبية السكان المحليين حيث استقروا في قرى أو مخيمات تحت امرة شيوخهم، واخضعوا بين اونة واخرى لعمليات التعداد السكاني، كما انخرط شبابهم في خدمة الجيش الملكي الاشوري واثبتوا قدرة قتالية في قهر الأعداء[٦٢]، ومع هذا فكثيرا ما خرقوا النظام وسلبوا القصور التي تناط بهم حراستها. ولهذا يجب معاملتهم باحترام ودبلوماسية فائقة، وان كانوا احيانا يتم معاملتهم بنفاذ صبر من جانب حكام ماري، ففي رسالة من شمسي – ادد ملك بلاد اشور الى ابنه ونائبة في ادارة شؤون ماري يقول فيها: [ابلغ يسمح– ادد، أن ابيك، شمسي– ادد، يبعث اليه الرساله الاتية: لقد سألتني عن الغاء المطالب الادارية والقانونية كلها، المترتبة على القبائل الشمالية، ولكن من غير المناسب الغاء هذه المطالب، واذا فعلت ذلك، فان اقاربك قبائل رابابا الموجودين الان على الجانب الاخر من نهر الفرات في بلاد – يامهاد – سيسمعون بذلك، ويغضبون غضبا شديدا بحيث انهم لن يعودوا الى مناطقهم الاصلية، ولذا لا تلغ هذه المطالب المفروضه عل القبائل الشمالية، بل العكس من ذلك، وبخها بشدة كما ياتي ((اذا شن الملك حملة عسكرية يجب ان يستعد الجميع حتى الاطفال فورا،

وكل شيخ لا يجتمع رجاله جميعا، يرتكب خطيئة بحق الملك حتى لو ترك رجلا وراءه)..][٦٣].

من النص نستنتج ان الحانيين لم يشكلوا معضلة مستعصية للملك الآشوري، غير أن الأمر كان مختلفا مع قبائل مارويامينا أو بني أيامينا وهو اسم يعني (ابناء الجنوب) ويرتبط لغويا باسم بنيامين القبلي الذي ورد في العهد القديم[٦٤]، واهم ما يميز قبيلة بني أيامينا كثرة عددهم وترحالهم المستمر على طول مسار نهر الخابور أو عبر الفرات، وكان هؤلاء على استعداد للغزو ورفض السيطرة المركزية الاشورية، وتفادوا الانخراط في الجيش الملكي النظامي، بل تحالفوا مع ملك اشنونا ضد الدولة الاشورية، ومع هذا اتبع يسمح– ادد سياسة لينه اتجاههم فاعطاهم الارض والمحاريث في زمن المجاعة، واحتفظ معهم بعلاقات صداقة لا باس بها.

المجموعة الثالثة قبيلة السوتو (Ṣêtu أو Ṣîtu) وهم اكثر عددا من القبيلتين السابقتين ويبدون كعصابات عنيدة تهاجم القوافل والمدن وتغتصب مقاطعات بأكملها بحيث أصبح استخدام القوة ضدهم أمرا ضروريا بشكل دائم تقريبا[٦٥]، وعلى ما يبدو ان السوتيين استمروا على طبيعة معيشتهم فهناك رساله من اشور اوبلط (العصر الاشوري الوسيط) وهي فترة متاخرة نسبيا عما نحن بصدده، ورد في رسالة (العمارنة ١٦) التي ارسلت الى الفرعون اخناتون جاء فيها:[... بالنسبة الى سفرائك تاخروا في الطريق، لان السوتيين اعتقلوهم وأرادوا قتلهم، فأرسلت قوة جعلت السوتيين يخافون ويسلمون انفسهم لي، بالتاكيد سفرائي لم يتاخروا في قدومهم لي...][٦٦].

تشيد المعابد:

عثر على نصوص تاريخية للملك شمسي– ادد خاصة قائمة الملوك الاشوريين، ونصوص اخرى حمل فيها لقب (شمسي– ادد ملك الكون)[٦٧]، وفي بعض النصوص ذكر المنشات العمارية خاصة المعابد التي انجزها الحكام السابقين واعاد بنائها بعد ان تهدمت بفعل عوادي الزمن، مدخلا اصلاحات فيها ولم ينسى ذكر نوعية المواد التي استخدمها في البناء، ومثل هذه الاعمال تعطي شعبية في عيون

رعاياه، كما وصلتنا اختام طبعت على الاجر كتب عليها (شمسي – ادد ابن ايلو– كبكبي) عثر عليها في قلعة شرقاط (مدينة اشور القديمة)، كذلك عثر على قطعة من العقيق دائرية الشكل تعود لفترة حكمه، وهي محفوظه في المتحف البريطاني تحت رقم (٨٩.٩٠٦)، وفي احدى نصوصة ذكر: [(العمود I) شمسي – ادد ملك الكون باني معبد اشور، والذي كرس كل طاقته لحكم البلاد ما بين دجلة والفرات، تحت قيادة الاله اشور الذي فضلني على الجميع، والآلهة آنو وانليل وضعوا اسمي على الاعمال العظيمة، وفضلوني على كل الملوك الذين سبقوني، ان معبد انليل الذي شيده الملك اريشيوم (Erishum) ابن ايلو– شوما (Ilu - shuma) الذي اصابه الخراب، (العمود II) معبد انليل، سيدي، الذي سبق وان صمم طبقا لتصميم الحكماء في مدينتي اشور، أنا اقمت سقف المعبد (بخشب الارز)، وصنعت ابواب المدخل من خشب الارز، مغطاة بالفضة والذهب ووضعت في جدران المعبد الفضة والذهب واحجار اللازورد وحجر – Sandu مع زيت الارز، واخترت الزيت (عمود III) والعسل والزبد ونثرتهم على الجدران الطينية لمعبد انليل، سيدي، في مدينتي اشور....][٦٨].

من اولى الواجبات المهمة الملقاة على عاتق ملوك بلاد الرافدين الاهتمام بتشيد المعابد أو اعادة إصلاح ما دمر منها، وبذلك يكسبون حب الكهنة وتأيدهم في مشاريعهم الدنيوية ومن ثم اكتساب الشرعية في الحكم، وايضا افهام العامة مدى اهتمام الملوك بالجانب الديني فيحصلون على التأيد الشعبي لهم، وما يهمنا من نص شمسي – ادد ناحيتين، احدهما استيراده خشب الارز واقرب موقع لغابات الارز جبال الامانوس وسلسلة جبال لبنان الغربية[٦٩]، ومن المعروف أن الخشب سلعة مطلوبة وضرورية جدا ليس فقط في تشيد السقوف وابواب المعابد، انما حتى في نحت تماثيل المعبودات[٧٠]، وذكر خشب الأرز في نصوص شمسي– ادد يدل على حرصه على

استيراده من تلك المناطق، أو السعي لفرض الحماية على لبنان ومناطق الساحل، وكان خشب الأرز ينقل بالزوارق الكبيرة إلى ميناء اوغاريت، ومن ثم برا الى نهر الفرات عند كركميش ومنها إلى آشور[٧١]، وبذلك فهو نفس طريق القصدير الذي يربط بلاد الرافدين بالمواني السورية القديمة وصولا الى منطقة قيليقيا (في بلاد الأناضول)[٧٢]، وعبر هذا الطريق كان يتم تبادل السلع التجارية المختلفة ليس فقط القصدير الذي احتكر تجارته الآشوريين في العصر الآشوري القديم أنما الأخشاب أيضا، وبالمناسبة في عهد الأسرة السرجونية فرض حظر على سكان سوريا بعدم السماح بتجارة الاخشاب مع مصر[٧٣]، وقد خلدت الامبراطورية الاشورية في عهودها المتاخرة لوحات من النحت البارز تصور طريقة نقل الاخشاب الى اشور كما ترجمت عدد من الرسائل فيها نقل ووصول الاخشاب من سوريا[٧٤]، كما أن تصميم معبد اشور الذي يعود لفترة حكم شمسي – ادد لا يختلف عن معابد بابل فكلاهما له مداخل للمعبد من جهتين باب امامي واخر محوري جانبي وكلا المدخلين يؤديان الى قاعة قدس الاقداس ولا زالت اثار المداخل والسلم في معبد اشور قائمة، وتلاحظ في بداية المداخل المعبد، وفعلا كما قال في نصه (تصميم حكماء)[٧٥]، الحالة الثانية إقامة باب من خشب الارز مطعمة بالفضة والذهب والاحتمال الكبير هي نفس الباب التي استولى عليها شاوشتار (Shaushtatar) (١٥٠٠ ق.م) الملك الميتاني عندما احتل العاصمة آشور وسلبها، ومنذ تلك الفترة دفعت اشور جزية سنوية الى ميتاني، وذكر من جملة ما اخذه من اسلاب بابا من الذهب والفضة وضعها في قصرة بالعاصمة واشوكاني (Washshukkanni)[٧٦]، وقد عرفنا عن هذه الحملة الميتانية على آشور من نص المعاهدة الحثية– الميتانية التي عقدت بين سوبيلوليوما الاول ملك حاتتي ومتي – وازا (Mattiwazza) ملك ميتاني[٧٧]، لكن المصادر الاشورية لم تذكر هذا الحدث واعتقد ان الحملة الميتانية كانت في عهد (اشور – نادين – اخي الاول)

(Assur-nadin-ahhe) الذي استبدل فيما بعد بالملك (انليل- ناصر الثاني) (Enlil- nasir) (1425-1430 ق.م)[٧٨].

أما النص الثاني فقد تطرق فيه: [عندما شيدت معبد انليل، سيدي، كانت تعريفة الاسعار في مدينتي اشور كالتالي: واحد شيقل من الفضة ثمن كور (gur) من الحبوب، وواحد شيقل من الفضة ثمن خمسة عشر منا (minas) من الصوف (بالاشورية شباتو Shipatu)[٧٩]، وواحد شيقل من الفضة ثمن عشرون قا (qa) من الزيت، وهذه اسعار الشراء][٨٠]،

جدول يوضح اسعار الشراء في عهد شمسي- ادد

شيقل	الوزن	المادة
١	١ كور (= ٢٥٢.٦ لتر)	حبوب
١	١٥ منا (= ٧٥٧٥ غرام)	صوف
١	٢٠ قا (= ١٦.٨٤٠ لتر)[٨١]	زيت

لقد حكم شمسي- ادد فترة طويلة نسبيا، وعاصر الملكين سين- موباليط وولده حمورابي ملوك بابل، وتوفي قبيل صدور قانون حمورابي الذي عرف عنه بالشمولية والدقة من حيث المواد القانونية التي عالجها، وكانت علاقته مع مملكة اشنونا في منطقة ديالى متأرجحة بين الصداقة والعداء[٨٢] ومن خلال اتصالاته معها عرف منهم قوانينها التي صدرت قبل قوانين حمورابي بخمسين عاما وفيها إشارة للاسعار التي وردت في (المواد ١- ٤، ٦- ١١، ١٤، ١٩)[٨٣]، وقد اختار تسعير ثلاث مواد هي: الحبوب: باعتبارها معيار دفع الاجور في الارياف ومصدر غذائي مهم سواء كان شعير وهو السائد آنذاك أو القمح الذي يعتبر أغلى من الشعير وجاءت تسعيرة الحبوب مطابقة إلى (المادة ١) من قانون اشنونا التي نصت: (كور شعير واحد (سعره) شيقل واحد من الفضة)[٨٤]، أما الصوف: فان تسعيرته في آشور

تختلف عن ما ورد في (المادة ١) من قانون اشنونا التي نصت: (٦ منا من الصوف سعرها شيقل واحد من الفضة) بينما في آشور الوزن مختلف (١٥ منا) وبنفس السعر واحد شيقل من الفضة ربما بلاد آشور منطقة زراعية و رعوية وحتما الأسعار ارخص فيها من منطقة ديالى مقر مملكة اشنونا، على كل حال كان الصوف من أهم صادرات أشور الى بلاد الاناضول في العصر الاشوري القديم، فالصناعات الصوفية سواء كانت بابلية أو آشورية[٨٥]، كانت على شكل قطع صوفية معلومة القياس تصل الى حوالي اربعة امتار مربعة، وتعتبر من النوعية الجيدة قياسا الى المنسوجات المحلية المصنوعة في الأناضول، وعلى الرغم من ازدهار صناعة المنسوجات والملابس في آشور والمدن التابعة لها مثل كارانا (تل رماح) فأن آشور كانت تستورد كميات كبيرة من المنسوجات والملابس من مراكز صناعتها الأخرى وبخاصة من سبار[٨٦]، ففي نص من التاجر بوزور – آشور (Puzur- Assur) يعيش في الاناضول في مستوطنة كاروم – كانيش الى امرأة اسمها واقارتوم (Waqartum) وهي تعمل حائكة وتعيش في مدينة آشور جاء في الرسالة: [.... المنسوجات الناعمة التي أنت ارسلتها لي، استمري في انتاج نفس المنسوجات وارسليها مع اشور- ادي..... دعيهم يمشطون بدقة جهة واحدة من النسيج، يجب عليهم ان لا يقصوه، وحياكة الخيوط يجب أن تكون قريبة قارنيها بالمنسوجات السابقة...][٨٧]، أما المادة الثالثة فهي: الزيت: وأسعاره مختلفة ويظهر بان الكمية (٢٠ قا) من الزيت بسعر شيقل واحد من الفضة في آشور لا يمكن مقارنتها (بالمادة ٢) من قانون اشنونا لان هذه المادة القانونية تعطي ثلاث أسعار لثلاث أنواع مختلفة من الزيت (زيت السمسم و شحم الخنزير و زيت النهر نوع نسخاتم (niskhatim))[٨٨] ويعتبر الزيت مادة غذائية والزيت النقي ذو النوعية الجيدة يستخدم لمسح الجسم او للاستحمام بعد ان يمزج مع رماد نباتات معينة لصناعة الصابون[٨٩]، وهذه المواد ذكرت في نهاية النص

الذي يتحدث عن بناء معبد انليل فحتما كانت تلك المواد تدفع كأجور للعمال أو كسوة للعبيد.

وكما هو متعارف عليه في نصوص بلاد الرافدين منذ العصر السومري، أشار ملك آشور إلى اللعنات لمن يزيل او يضع اسمه على النصب التذكاري: [احفادي الملوك، الذين سيعيدون بناء المعبد، دعه يمسح اسطوانة حجر الأساس والنصب التذكاري بالزيت، ويسكب فوقهم الزيت ويعيدهم الى اماكنهم، ومن لا يمسح اسطوانة الاساس والنصب التذكاري بالزيت، او لم يغطيه بالتراب أو يرميه في الماء ذالك الملك....... لعل الالهة انليل وادد يسقطوا (ملكه) في البلاد، والملك خصمه لا تنهزم جيوشه في المعركه، لعل الاله نركال يدمر بلاده، لعل الالهة عشتار سيدة الحرب تحطم قواته واسلحته، لعل الاله سين يسلط عليه الشر،.....][٩٠].

وهكذا دأب ملوك بلاد الرافدين في تحديد معالم وثائقهم بالمقدمة والمحتوى ثم أخيرا اللعنات أسوة بمسلة حمورابي والقوانين الأخرى التي سبقتها مما يدل على أن مدرسة الكتابة العراقية القديمة استمرت في توريث تقاليد الكتابة منذ العصور السومرية والى نهاية الالف الاولى ق.م.

سقوط دولة شمال بلاد الرافدين:

اختفت الدولة التي أنشائها شمسي- ادد فجأة وتحت ظروف غير واضحة، فقد حكم فترة طويلة اتسمت بالاحداث الجسام، وفي اواخر ايامه هوجم بشكل سريع من قبل مملكتين شكلتا حلفا هما يمخد واشنونا وهؤلاء جيرانه الأساسيون الذين كانوا ينتهزون الفرص لتقويض مملكته، ومن المحتمل قتل في المعركة أو ربما موته كان لأسباب طبيعية لشيخوخته وذلك عام ١٧٧٦ ق.م، فنحن لا نملك نص تاريخي يوضح ماذا حدث!. وبرحيل الملك عاد حكام المقاطعات التابعة الى تاكيد استقلال ممالكهم الصغيرة وبسرعة فائقة، فالملك زمري- ليم العموري لم ينسى ملكه الضائع

في ماري، فقاد جيشا بمساعدة أمير حلب فاستطاع إخراج يسمح- ادد من ماري، وترك نص يؤكد فيها احقيته بالعودة وعلى لسان الاله ادد: [... أعطيت البلاد (بمعنى ماري) الى شمسي – ادد (ملك اشور)..... فيما بعد أنا، اعدتك الى عرش أبيك...] وفي نص اخر [ألست أنا، ادد، سيد حلب، الذي رفعتك وحملتك قريبا الى صدري، واعدتك لعرش أبيك....][٩١].

لقد انتهت تبعية أهم إقليم في غرب آشور كان يتحكم في مساحة واسعة من الأراضي وذات الإمكانيات اقتصادية الواسعة، وليس لدينا نص حول مصير يسمح- ادد ولا موقف مملكة قطنة الحليف القوي ضد مملكة يمخد، لكن في مثل هذه الظروف النهاية تكون معروفة ؟، كذلك تعرض اشمي- داجان إلى ضغوط مملكة اشنونا التي هي الاخرى فرضت وجودها على مناطق ارابخا (كركوك) والمدن شمالها وجنوبها ولذا لم تبقى تحت سلطته غير ايكلاتوم ومدينة آشور، أما في شمال اودية الخابور والبليخ فقد تحولت الى ممالك صغيرة مستقلة، وقد حافظ اولئك الملوك بالنظام الاداري الذي ورثوه عن شمسي- ادد وتراسلوا فيما بيتهم معتمدين على الثقافة بلاد الرافدين التي حصلوا عليها من تبعيتهم لاشور.

بعد السقوط السريع لمملكة شمال بلاد الرافدين، ظهرت تحالفات في المنطقة التي على ما يبدو اصبحت تعاني مما يعرف (فراغ القوة)، فتعرضت لهجمات تحالف شنونا وعيلام أو بابل وماري ضد الممالك المحلية الصغيرة على طول نهري دجلة والفرات، وقد اثبتت الاحداث بان زمري- ليم ملك ماري الحاكم الاقوى في المعادلة السياسية التي برزت بعد موت شمسي – ادد، فقد فرض وجوده وسلطته على اولئك الممالك ربما لتحالفة مع بابل مع بداية نهوض حمورابي بعد أن تخلص من أقوى

خصم له شمسي – ادد[٩٢]، كذلك حاكم مملكة اندريك (Andariq)[٩٣]، الذي مارس تأثير قوي على جيرانه المحليين[٩٤].

مع سقوط دولة شمسي – ادد توقفت المصادر الآشورية عن ذكر الأحداث، لذا اعتمادنا على الوثائق المكتشفة في ماري وبابل عن تلك الفترة، كما ولاحظنا الكثير من المدن هجرت لأسباب يصعب تحديدها محتمل معارضة شعبية ضد هيمنة البلاط الملكي الآشوري رافقه فقدان الأمن بسبب ضعف الدولة الآشورية أو تغير أنماط سقوط الأمطار قاد المنطقة إلى جفاف وتحول السكان إلى نصف البداوة في القرى والسهول، وهذا مؤشر على نهاية القصور الضخمة التي ازدهرت في عصر شمسي– ادد، ومن الطبيعي اختفى معها التوثيق التاريخي[٩٥].

الهوامش:

(١) هاجمت القبائل الامورية مملكة اور في عهد (ابي– سين)، وقد اسسوا سلالات حاكمة جديدة ليس في مدن بلاد بابل وحسب، انما في مدن اشور وماري وقطنة وحلب، وكلمة اموري (امورومِ باللغة الاكدية) مشتقه من كلمة (مارتو) السومرية التي تعني (الغرب) وبذلك فهو مصطلح جغرافي اشارة الى القبائل المختلفة التي يعود اصلها الى الصحراء الغربية والتي تظهر اسماؤها اول مرة في وثائق من عصر سلالة أور الثالثة رغم المقاومة التي أبدتها قوات ملوك أور إذ شيدوا سورا لحماية المناطق المروية من هجماتهم، ولم يكن سكان المدن يحترمون اولئك البدو، وتصفهم احد نقوش شو– سين (الملك الرابع في سلالة اور الثالثة) (شعب مخرب متسم بالعنف... وشعب لا يعرف القمح..): جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص٨٢// هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٣٠

(٢) طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٤٧٨

(٣) عبد الوهاب حميد رشيد: (٢٠٠٤)، ص ٦٢

(٤) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٣

(٥) اقدم الاثار التي ظهرت تحت هيكل عشتار في مدينة اشور العاصمة الاولى للمملكة انما هي منحوتات مماثلة للمنحوتات السومرية، واختام تحمل نقوش وموضوعات أخذت من الفن السومري: دولابورت. ل: (١٩٧١)، ص ٢٥٨

(٦) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٣

(٧) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٤

(٨) عامر سليمان و (آخرون): (١٩٨٣)، ص ١٢٥

(٩) كانت جاسور هي الاسم القديم لأحدى المدن عرفت فيما بعد باسم نوزي قرب كركوك الحالية، وهكذا النفش يخبرنا بان منطقة كركوك لم تكن في ذلك الوقت جزءا من مملكة آشور، بل كانت عبارة عن دولة مدينة منفصلة ومعادية، على الرغم من أن غالبية سكان جاسور ساميين مثل سكان آشور، كما لوحظ عند سقوط الإمبراطورية الاكدية على اثر غارات قامت بها شعوب أتت من جبال زاغروس تدعى جوتي) (Guti) تأثرت آشور وعانت من هذا السقوط كما نعلم من خراب أبنيتها التي كشفت عنها أبحاث علم الآثار: هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٩-٤٠

Larsen, M.T: (1976). Pp. 236, 278

(١٠) راجع قائمة ملوك اشور: ليو اوبنهايم: (١٩٨١)، ص ٤٦٧- ٤٦٢

Pritchard, J: (1969). Pp. 565-566

(١١) تاسست سلالة ايسن (٢٠١٧ – ١٧٩٤ ق.م) في عهد ملكها اشبي- ايرا، بينما تاسست سلالة لارسة (٢٠٢٥ – ١٧٦٣ ق.م) في عهد ملكها نيلانم، وقد حدث صراع بين المملكتين تمكن اخر ملوك لارسة المسمى ريم- سين (١٧٩٤ ق.م) من القضاء على مملكة ايسن وضم اراضيها الى مملكته لكنه لم يهنأ طويلا فسرعان ما دخل في نزاع حاد مع الملك حمورابي سادس ملوك سلالة بابل وتمكن من القضاء على سلالة لارسة عام (١٧٦٣ ق.م).

(١٢) انطوان مورتكات: (١٩٦٧)، ص ١٢٨-١٢٩

(١٣) فون زودن. ف: (٢٠٠٣)، ص ٥٨

(14) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. Pp. 25-38

(١٥) عامر سليمان و (آخرون): (١٩٨٣)، ص ١٢٥

(١٦) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٧٦

(١٧) حكم في مملكة لجش في فترة السيطرة الكوتية وفي عهده ازدهر الادب السومري ومشاريع الري والبناء: طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٣٧٥

(١٨) وردت بعض الاشارات عن اقامة المعابد في اشور أو تشيد اسوار المدينة تلك النصوص الى عهد شلمانصر الاول الذي حكم في القرن الثالث عشر ق.م(العهد الاشوري الوسيط) وهي فترة متاخرة نسبيا عن العهد الاشوري القديم، فقد ذكر بناء احد المعابد قائلا بان ذلك المعبد قد شيد على ايدي اوشيبا واعيد بناؤه من قبل ايريشوم الاول واعيد بناؤه ثانية بعد ١٥٩ سنة من قبل شمسي – ادد ورمم من قبله أي شلمانصر الاول بعد ٥٨٠ سنه من بنائه الأول: فاروق ناصر الراوي و(اخرون): (١٩٨٤)، ص ٥٦٠.

(١٩) هاري ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٣٧

(٢٠) الملك نرام – سين ابن بوزور- اشور وتسلسله في قائمة الملوك الاشوريين ٣٧ وقد ورث العرش من بعدة ولدة اريشوم (Erišu) أو ارشوم (Erišum)، ولا نعرف فترة حكمه ولا اعمالة، بالتاكيد ومن خلال القائمة يتضح ان شمسي- ادد مغتصب للعرش ولا علاقة قرابة تجمعة بنرام – سين.

(٢١) يعتقد الباحث (ساكز) بان زعيم إحدى القبائل العمورية المدعو ايلو- كبكبي (وقد ذكر أسمه في قائمة ملوك آشور) قام بإنشاء مملكة صغيرة لنفسه، وكان له أبن وهو شمسي ادد الذي قضى بعض الوقت في بابل، إذ من المحتمل انه قد أرسل إلى هناك ليكون تابعا لملك آشور في ذلك الوقت ولمعالجة التهديدات ضد الأمن الآشوري، ولكن شمسي ادد عاد من بابل مملوءا بالطموح: هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٤٩-٥٠

(٢٢) من الصعب تحديد موقع ايكالاتوم، لكن موقعها على مقربة من مدينة اشور بين الزاب الاعلى والاسفل وعلى الضفة اليمنى من نهر دجلة.

(٢٣) طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٤٨٠

(٢٤) كشفت الرسائل التي عثر عليها في القصر الملكي في ماري والتي بلغت ١٣٠٠٠وثيقة مسمارية البعض منها تعود لمراسلات شمسي- ادد مع ولديه وتعطي انطباع دقيق عن شخصيته القوية: عامر سليمان (وآخرون): (١٩٨٣)، ص١٢٧

Dossin, G: (1938). p. 117

وقد نشرت رسائل ماري ووثائقها بشكل رئيسي في سلسلة (Archives Royales de Mari) التي صدر منها حتى الان ثلاثة وعشرون مجلدا، وكذلك في الحوليات الفرنسية (Revne d’Assyriologie, Syria. Mari).

(٢٥) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٥٨

(٢٦) ينتمي ريم – سين (١٨٢٢-١٧٦٣ ق.م) الى قبيلة ياموتال (Yamutal أو Emulbal) وتقع الى الشرق من نهر دجلة، استلم السلطة بعد وفاة اخيه وارد- سين (Warad - Sin)، وقد حكم ريم – سين لارسة طوال ستة عقود: هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٣٥-٣٦

Landsberger, B: (1954). p. 345

(٢٧) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٧

(٢٨) تقع مملكة ماري (تل الحريري الان قرب البوكمال) على نهر الفرات الاوسط جنوب رافد الخابور ضمن الاراضي السورية وبدا ازدهار هذه المملكة بعد ١٩٠٠ ق.م وامتد سلطانها الى عانه (خانه القديمة).

(٢٩) يرى الباحث هورست كلنغل بان شوبات- انليل هي موقع (تل لبلان) في أعالي الرافدين وبذلك فرض سيطرته على كامل القسم الشمالي للهلال الخصيب: هورست كلنغل: (١٩٨٧) ص ٣٧

Laessoe, J: (1963). Pp. 44-53// Iraq: 7. (1940). Pp. 22- 61

(30) De Mieroop, Marc ,Van: (2007). p.107

(٣١) هاري ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٣٨ // هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٨٤

(٣٢) هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٨٧

(٣٣) موقع توتول غير متفق عليه من قبل الباحثين احيانا يجعلونها بعيدة عن نهر الفرات واقرب إلى مملكة ماري، والبعض الاخر يجعلها عند التقاء رافد البليخ بنهر الفرات.

(٣٤) في النصوص القديمة تنسب الكوارث والماسي إلى غضب الآلهة وجحود البشر وليس لاخطائهم الشخصية وبذلك اثبت الدين وجوده في كل الحوادث التاريخية القديمة: Roth, M.T: (1997). p.5

(٣٥) لا يوجد اتفاق على سنوات حكم زمري- ليم، ولكن الاقرب (1695 -1716 ق.م)، وكذلك هناك تضارب في شخصيته التي وصفت في احدى الالواح بعلاقته بالنساء في بلاطه الملكي: فون، زودن، ف: (٢٠٠٣)، ص ٦١ // عامر سليمان واحمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم..، ص ١٤٩

(36) Pritchard, J: (1969). p. 274

(٣٧) استخدمت كلمة الهدية (Sulmanu) في مراسلات تل العمارنة بين ملك آشور (اشور- اوبلط) وأخناتون فرعون مصر: صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٨)، ص ٣٨١ // دياكونوف و(آخرون): (١٩٨٦)، ص ٣٤٠

Moran, W.L: (1992). (EA 15), (EA 16). Pp. 38-40

(38) Martin, W.J: (1936). Pp. 20 ff

(٣٩) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٥٨

(٤٠) طه باقر: (١٩٨٠)، ص ١٦٨

(٤١) تقع كتارا (Qattara) شمال آشور وعلى الضفة اليسرى من نهر دجلة.

(٤٢) ليو اوينهايم: (١٩٨١)، ص ١٧٩

(٤٣) موقع كاروم كانيش (حاليا كول تبة) في بلاد الاناضول وهي مستوطنه اشورية عثر فيها على اللواح طينية تضم معاملات تجارية وعقود زواج وقروض... الخ وقد سيطرت على شؤون التجارة في الموقع تجار كبار وبعهدتهم مجموعة من التجار الصغار والعاملين في نقل البضائع...

(٤٤) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٥١

(45) ARM, I, p. 124
(46) ARM: IV, p. 70

(٤٧) طه باقر: (١٩٨٠)، ص ١٦٢

(٤٨) موقع ابر حبة قريب من بغداد بالقرب من اليوسفية وتعود النصوص المكتشفة في الموقع إلى العصور البابلية القديمة والحديثة، وكانت سبار مركز تجاري وقد التجأ إليها الناس بعضهم متجول والبعض الآخر شبه متجول وكان التجاءهم بحماية اله الشمس (شمش).

(٤٩) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٥٩

(٥٠) كان يستعمل في مراسلاته اسلوب التوجيه والتوبيخ والنصائح والمقارنه بين ولديه: فون زودن. ف: (٢٠٠٣)، ص ٦١

(51) Jean-Marie Durand: (1997). p. 138 // De Mieroop, marc, Van: (2007). p. 109

(٥٢) لعل معنى عبارة يقتل الداويدوم (dâwidum) اي (ينتصر):
Kupper, J.R: (1957).Pp. 60-62

(53) ARM, I. p. 69

(٥٤) هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٨٨

(٥٥) موقع مملكة قطنة قرب حمص في سوريا، وحدودها ملاصقة لمملكة يمخد وهي بذلك الحليف القوي لشمشي – ادد: هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٣٧

(٥٦) قد تكون شخصية يسمح – ادد ضعيفة أو لا تسير ضمن رغبات أبيه ومع ذلك كانت المراسلات بينه وبين ممالك شمال سوريا مستمرة وتخاطب وده ربما لان قوته تستمد من سلطة أبيه شمسي – ادد فنحن نقرا في رسالة من ملك (ابلاخاندا) (كركميش) (جرابلس الحالية) بان ملك ابلاخاندا بعث خمرا ممتازا وأطعمة وحلي وملابس جميلة إلى يسمح – ادد، وأيضا منحه احتكار مناجم النحاس التابعة له، وعرض عليه إعطاءه كل ما يرغب:
ARM. V. p.6

(٥٧) عامر سليمان و احمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم..، ص١٤٩

(58) De Mieroop, Marc ,Van: (2007). p.109
(59) Dossin, G: (1939). Pp. 46-54

(٦٠) هاري ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٦٨

(61) Kupper, J.R: (1957). p. 63
(62) ARM, II. p. 118

(٦٣) جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص ٨٦

(٦٤) هذا نفس الاسم لقبيلة يهودية تدعى بنيامين، لكن لا يوجد ما يثبت أن هناك علاقة ما بينهما: Dossin, G: (1939). Pp. 981-996

(٦٥) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٦٠– ٢٦١

(٦٦) في تلك الفترة احتلت تلك القبائل البدوية مناطق الصحراء ما بين بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين من فترة حكم شمسي – ادد والى القرن الثالث عشر ق.م لكنها مع زحف الاراميين تم إزاحتهم من مناطق عديدة: نيكولاس بوستغيت: (١٩٩١)، ص ١٤١ // صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٨)، ص٣٨١ هامش ٤٢

(67) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. p. 15
(68) Ibid: p. 16

(69) Saggs. H.W.F: (1955). p. 150

(٧٠) نصوص جوديا (كوديا) حاكم لجش (القرن الثاني والعشرين) تذكر استيراد أخشاب الأرز من لبنان وأنهم كانوا يقطعونها ألواحا وينقلونها إلى ضفاف الفرات فيعملون منها اكلاكا (كلكو Kalakku) يدعونها تطفو في نهر الفرات وتصل مع الماء إلى المدن في العراق القديم: رضا جواد الهاشمي و(آخرون): (١٩٨٤)، ص ٥١٦// صلاح رشيد الصالحي:(١٩٩٨)، ص١٥

(71) Saggs, H.W. F: (1967).Pp. 113-114

(٧٢) قيليقيا أو كيليكيا تغير اسمها عبر العصور القديمة ففي عهد الإمبراطورية الحثية أطلق عليها (تارخونتاششا)، وفي عهد الآشوري دعيت هيلاكو (Hilakku) أو كوي (Que)، ومع سقوط نينوى ٦١٢ ق.م أصبحت من ممتلكات بابل فيما بعد: صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٥٧٨– ٥٨١

(٧٣) رضا جواد الهاشمي و(آخرون): (١٩٨٤)، ص ٥١٩ // صلاح رشيد الصالحي: (١٩٩٨)، ص ١٥ هامش ٢

(٧٤) أرسل عراد– خيشو (Arada – heshu) رسالة إلى اشوربانيبال يعلمه بوصول (١٣٨) قطعة خشب أرز وصلت هذه السنة من الغابة إلى مدينة كركميش ومعها ٣٠ قطعة خشب الأرز أخرى كبيرة.... :

Waterman, L: (1930). P. 83// Harden, D: (1971). Pl. 49, 50, 51

(٧٥) أفضل مثل لهذا الطراز في بناء المعابد، نجده في معبد عشتار – كيتيتوم (Istar- Kititum) في اشخالي (Ishchali) مملكة اشنونا وعاصمتها نوقع تل اسمر شرق نهر ديالى:

Frankfort, H: (1963). p. 54. pl. 55

(٧٦) أنطوان موررتكات: (١٩٦٧)، ص ٢٠٤

(٧٧) جرني، أ. ر: (١٩٦٣)، ص ٥٢ // جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٣٤٩ // هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٩٧

Beckman, G: (1999). p. 49

(٧٨) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٨) الدبلوماسية الآشورية..، ص ٣٩٤

(٧٩) دخلت زراعة شجرة القطن في عهد سنحاريب (٧٠٥ ق.م) وأطلق عليها تسمية (الشجرة التي تحمل الصوف) (Is nish Shipati) وكان ذلك لأول مره في تاريخ العراق. طه باقر: (١٩٨٠)، ص ١١٤

(80) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. p. 16

(٨١) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٤٠

(٨٢) عامر سليمان و احمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم..، ص١٤٩

(٨٣) المصدر نفسه: ص ٨٥–٨٩

(٨٤) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٨٥

(٨٥) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧). ص ٨٢

(٨٦) رضا جواد الهاشمي (وآخرون): (١٩٨٤)، ص ٥٢٠

(٨٧) سامي سعيد الأحمد: (١٩٧٧)، ص ٧٩

Veenhof, K.P: (1972). p. 104

(٨٨) معنى نسخاتم هي الضريبة التي تفرض على السلع، وفي النصوص هي ضريبة القصر (Nishat ekallim)، اما معنى زيت النهر فليس هناك تفسير محدد وواضح: فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٨٦

(٨٩) هارس ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٢٠٢

(90) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. Pp. 16-17

(91) Otten, H: (1951). Pp. 47-71

(٩٢) هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٤٠

Ascalone, E: (2005). Pp.42-43

(٩٣) موقع اندريك غير متفق عليه لكن يعتقد على رافد الخابور في سوريا. وكانت تضم منطقة سنجار والى وادي الخابور.

(94) De Mieroop, marc ,Van: (2007). p.109

(95) Douglas, R. Frayne: (1990). p. 341

المصادر العربية:

١- **أنطوان مورتكات:** تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، ١٩٦٧

٢- **جرني.** أ. ر: الحثيون، ترجمة محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٦٣

٣- **جوان اوتس:** بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩٠

٤- **جورج رو:** العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤

٥- **دولابورت. ل:** بلاد ما بين النهرين – حضارة بابل وآشور، ترجمة مارون الخوري، بيروت، ١٩٧١

٦- **دياكونوف و (آخرون):** الأوضاع الزراعية في العصر الآشوري الوسيط، العراق القديم، علماء الآثار السوفيت، بغداد، ١٩٨٦

٧- **رضا جواد الهاشمي و (آخرون):** التجارة، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٤

٨- **سامي سعيد الأحمد:** المستعمرات الآشورية في آسيا الصغرى، سومر، مجلد ٣١، بغداد ١٩٧٧

٩- **صلاح رشيد الصالحي:** الإستراتيجية العسكرية للدولة الآشورية ٧٢٢-٦٢٦ ق. م – أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، ١٩٩٨

١٠- **صلاح رشيد الصالحي:** المملكة الحثية، بغداد، ٢٠٠٧

١١- **صلاح رشيد الصالحي:** الدبلوماسية الآشورية في عصر العمارنة – العلاقات الدولية في القرن الرابع عشر ق.م، مجلة كلية الآداب، العدد ٨٧، بغداد، ٢٠٠٨

١٢- **طه باقر:** مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٧٣

١٣- **طه باقر:** من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، ١٩٨٠

١٤- **عامر سليمان و (آخرون):** العصر الآشوري، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣

١٥- **عامر سليمان واحمد مالك الفتيان:**محاضرات في التاريخ القديم،الموصل،بلا

١٦- **عبد الوهاب حميد رشيد:** حضارة وادي الرافدين – ميزوبوتاميا، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٤

١٧- **فاروق ناصر الراوي و (آخرون):** العلوم والمعارف، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٤

١٨- **فوزي رشيد:** الشرائع العراقية القديمة، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٧

١٩- **فون زودن. ف:** مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٣

٢٠- **ليو اوبنهايم:** بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨١

٢١- **نيكولاس بوستغيت:** حضارة العراق واثارة – تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩١

٢٢- **هاري ساكز:** عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩

٢٣- **هاري ساكز:** الحياة اليومية في العراق القديم – بلاد بابل وآشور، ترجمة كاظم سعد الدين، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٠

٢٤- **هاري ساكز:** عظمة آشور، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سباتو، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٣

٢٥- **هورست كلنغل:** حمورابي – ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، ١٩٨٧

References

1- **ARM,** Archives Royales de Mari
2- **Ascalone,E,** Mesopotamia-Assyrians, Sumerians, Babylonians, London, 2005
3- **Beckman, G,** Hittite Diplomatic Texts, Second Edition, Atlanta, 1999
4- **De Mieroop, Marc. Van,** A History of the Ancient Near East ca. 3000- 323 B.C, Second Edition, Australia ,2007
5- **Dossin, G,** Les archives épistolaires du Palais de Mari, Syria 19, 1938
6- **Dossin, G,** Iamhad and Qatanum, RA 36, 1939
7- **Douglas, R,** Old Babylonian Period (2003-1595 B.C,(The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Early Periods, Vol. 4), (Toronto: University of Toronto Press) ,1990
8- **Frankrort, H,** The Art and Architecture of the Ancient Orient, London ,1963
9- **Harden, D,** The Phoenicians, London, 1971
10- **Jean-Morie. Durand,** " Documents épistolaires du palais de Mari " Vol. I: Paris, 1997
11- **Laessoe, J,** People of Ancient Assyria, London, 1963
12- **Larsen, M.T:** The Old Assyria city-state and its colonies, Akademisk Forlag, Copenhagen, 1976
13- **Landsberger, B,** Assyrische Könlgliste und dunkles Zeitalter, JCS 8. 1954
14- **Luckenbill, D.D,** Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. I, Chicago,1926
15- **Kupper, J.R,** Les Nomades en Mesopotamia au temps des rois- de Mari, Paris, 1957

16- **Mirtin, W.J,** Tribut und Tributleistungen beiden Assyren, Studia Orientalia 8, 1936
17- **Moran, W.L,** The Amarna letters, Baltimore ,1992
18- **Otten, H,** Die hethitischen "Königslisten, und die altorientalische Chronologie, *MDOG 83*, 1951
19- **Pritchard, J,** Ancient Near Eastern Texts – Relating to the Old Testament, Third Edition with Supplement, New Jersey, 1969
20- **Roth, M.T,** Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, Second edition, Atlanta ,1997
21- **Saggs, H.W.F,** The Nimrud letters Relations with the West, part II, IRAQ 17, 1955
22- **Saggs, H.W.F,** Everyday life in Babylonia and Assyria, London, 1967
23- **Veenhof, K.P,** Aspects of old Assyrian Trade and its Terminology, Leiden, 1972
24- **Waterman, L,** Royal Correspondence of Assyrian empire, part I, USA, 1930

القدس الشريف
في كتابات الرحالة العرب والأجانب
في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي

د. أحمد حسين عبد الجبوري
جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم التاريخ

مُقدّمة

استهوت مدينة القدس الشريف عدداً غير يسير من الرحالة العرب والأجانب خلال العصر الحديث وذلك لعدة أسباب أهمها مكانتها الدينية والاقتصادية وكانت رغبات الرحالة متباينة فمنهم الحاج والزائر والتاجر والدبلوماسي والمبعوث، ومنهم من كانت العاطفة الدينية تدفعه لزيارة ورؤية الأماكن المقدسة ومنهم من كانت الرغبة تحدوه في استجلاء غموض الشرق وسحره، فقام هولاء بتدوين مشاهداتهم وملاحظاتهم ومذكراتهم عن بيت المقدس، وقد ترك لنا هولاء الرحالة كما هائلا من مشاهداتهم وانطباعاتهم عن هذه المنطقة واستوفت بمعلوماتها حقبا تاريخية مختلفة، وتعتبر في الوقت نفسه معلومات نادرة قد لا ترد في غيرها من المصادر.

وإذا ما تناولنا هذه الرحلات حسب تسلسلها الزمني خرجنا بمحصلة غنية جدا بالمعلومات الحية التي تستوفي النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية ولاسيما إذا ما علمنا إن الرحالة كانوا شهود عيان لما شاهدوه ودونوه. فمن خلالها نستطيع إن نرسم صورة نابضة بالحياة لمدينة القدس الشريف طوال فترات التاريخ المختلفة.

شهدت القدس الشريف في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي زيارة عدد من الرحالة لها، نقلوا لنا صورة حية للمدينة، فوصفوا معالمها المختلفة. أسوارها، وبواباتها، ومساجدها، ومدارسها، حاراتها، شوارعها، أزقتها، أسواقها، حماماتها، قلاعها وطرز بنائها وصناعاتها المحلية وحامياتها، وتناول بعضهم التركيبة الاجتماعية لسكان المدينة فذكروا طوائف السكان وذكر بعضهم عدد كل طائفة، والحرف التي يتقنونها، وجلب انتباه بعضهم طراز المعمار الفريد، فطافوا في الأماكن المقدسة وتأملوا هندسة بنائها، فبهرتم دقتها وجمالها مما دعا بعضهم إلى رسم مخططاتها، وكذلك وصفوا الطرق والمسالك التي سلكوها والعناصر المحلية التي استعانوا بها للتغلب على مخاطرها.

ويمتزج عند الزائر المسلم للقدس الشريف الشعور الديني الغامر بالمتعة الحضرية الساحرة في الآثار المعمارية الزاخرة بالفنون التشكيلية المختلفة الإشكال المتنوعة الألوان والتي تبلغ قمتها في معجزة العمارة البشرية في مختلف الحضارات (قبة الصخرة) المعظمة، التي يتفنن كل واحد في إبداء إعجابه بما اشتملت عليه من زخرفة وإبداع فني رائع ثم يختم أي رحالة قوله إن التعابير مهما بلغت من الدقة والإتقان لاتستطيع التعبير عن حقيقة ماهي عليه في الواقع من جمال وإبداع.

خلاصة القول إننا نعتبر ماشاهده هولاء الرحالة ودونوه جزءاً مهما من تاريخ المنطقة لايمكن إغفاله أو تجاهله ومما يزيد في قيمة المعلومات اللوحات والرسومات والمخططات والخرائط التي ضمنوها كتب رحلاتهم وعلينا إن نشير إلى إن هذه الرحلات على كثرتها لاتعني التكرار بقدر ماتعني التكامل في المعلومات.

يجب علينا إن نشير إلى عدم التسليم بكل مايرد في الرحلات من معلوماتٍ بل يجب إخضاعها للنقد والتمحيص والمقارنة مع بعضها ومع غيرها من المصادر سواء أكانت مصادر تاريخية مكتوبة او وثائق كالوثائق العثمانية وسجلات المحاكم

الشرعية وغيرها من المصادر خاصة وان هولاء الرحالة من مناطق مختلفة وقد دفعت العاطفة الدينية المتطرفة الكثير منهم للقدوم إلى هذه البلاد ويدينون أيضا لبلدانهم بالولاء مذهباً وعرقاً.

قام العديد من الرحالة العرب والأجانب في التوافد على مدينة القدس الشريف في القرن ١٢هـ/ ١٨م وزيارة معالمها التاريخية والدينية لإغراض الدراسة وزيارة الحرم القدسي الشريف بالنسبة للمسلمين، ولإغراض الحج بالنسبة للنصارى ومن هولاء القس الروسي يوان لوكيانوف (Ewan Lukyanoof) الذي زار المدينة في سنة ١١١٥هـ /١٧٠٣م، إذ دخل الى المدينة بصحبة قافلة كانت قادمة من مدينة يافا جاءت عبر البحر المتوسط، وضمت إلفا وخمسمائة شخص اغلبهم جاءوا لأداء الحج وزيارة كنيسة الضريح المقدس إما وصفه لمدينة القدس الشريف والأماكن الأخرى من فلسطين، فقد كتب بروح الحجيج اللاهوتية، واستمر في رحلته بزيارة المدن الفلسطينية حتى سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦ م، إذ عاد إلى روسيا بعد زيارته لمدينة القدس الشريف[١].

من الرحالة العرب الذين زاروا القدس وترددوا عليها أكثر من مرة الرحالة الشامي مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي، ولد في دمشق ودرس فيها، ووضع الكثير من المؤلفات والرسائل، كان رحالة لايستقر له قرار، قام بثلاث رحلات إلى القدس وهي[٢]، الرحلة الأولى (الخمرة المحسية في الرحلة القدسية)، وقد زار فيها القدس الشريف سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠ م، وكان عمره (٢٣) سنة ورحلته الثانية (الخطرة الثانية الإنسية للروضة الدانية القدسية) سجل في هذه الرحلة وقائع زيارته الثانية إلى القدس سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤ م، إما رحلته الثالثة فكانت (الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية) وتاريخها سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م، والتي زار فيها عدة مدن عربية وختمها بزيارة القدس الشريف سنة ١١٢٩هـ/١٧١٧م[٣]، وفي هذه الرحلة أعاد البكري

الصديقي ترميم وأعمار ما يدعى بالخلوة التحتانية (مكان خلوة الصوفية) في القدس لإقامة الأذكار والأوراد، إذ كان ألصديقي من إتباع الطريقة الخلوتية[٤]. والتي هي إحدى الطرق الصوفية المعروفة بالقدس[٥].

لقد قام ألصديقي برحلات وزيارات عديدة إلى القدس الشريف بعد هذه المرات الثلاثة، ففي سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، ذهب إلى القدس، وتزوج هناك واستقر فيها لفترة من الزمن، وفي سنة ١١٣٣ هـ/ ١٧٢١ م، سافر من القدس إلى مصر مع رجب باشا أمير لواء القدس الشريف، ثم رجع إلى القدس بحرا ثم برا، وبقي فيها حتى بداية سنة ١١٣٣هـ/١٧٢٣م، وفي أواخر سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧ م، ذهب إلى القدس وقام فيها حتى بداية سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م، ثم توجه إلى الحج وعاد إلى القدس وبقي فيها (٤٠) يوما، وفي سنة ١١٤٨ هـ/ ١٧٣٥ م، دخل القدس في رمضان، ثم في سنة ١١٥٢ هـ/ ١٧٣٩ م، زار القدس وبقي فيها ثماني سنوات حتى سنة ١١٦٠ هـ/ ١٧٤٧ م[٦].

بقى الصديقي في القدس الشريف إثناء رحلته الأولى سبعة أشهر ورافقه في رحلته هذه خاله، ويبين البكري الصديقي انه طلب الإذن من المسؤولين في المدينة لدخولها، وكان واقفا عند باب العمود، ((كما هو المطلوب من كل داخل وخارج))[٧]، وبعد حصوله عليه دخلها ونزل في دار احد معارف خاله، وبدأ زيارة الحرم القدسي الشريف ومسجديه ومقاماته، فضلا عن مقامات الأنبياء والأولياء في القدس وخارجها، وحضر الصديقي موسم النبي موسى (عليه السلام) الذي يمثل احتفال ديني يقيمه المسلمون في القدس، في مقام النبي موسى (عليه السلام)، قرب مدينة القدس الشريف، اذ تبين الوثائق العثمانية ان الاف الاشخاص كانوا يحضرونه ويشاركون فيه سنوياً مع قيام القوات العسكرية المحلية بمرافقة الزوار من اجل حمايتهم ايضاً، ويمكثون معهم ثمانية ايام كل عام في المقام، وقد تعدت شهرة موسم النبي موسى بلاد فلسطين والمدن

المجاورة فاصبح الزوار يفدون لزيارة المقام في موسمه من سائر البلاد العثمانية[٨]، لذ اهتمت السلطات العثمانية بتعميره وحماية زواره لأهميته الدينية.

خرج الصديقي مع مجموعة من علماء القدس الشريف الى مقام النبي موسى (عليه السلام)، فقضى هناك عدة ايام، تكون خلالها لديه انطباع كامل عن هذا المقام والموسم الذي يقام فيه كل عام، اذ يقول ((في ساحة المقام بئر ماء معدة لجمع مياه الامطار يستقي منها الزوار، وماء تلك الابار يحرق الطعام وينفع الجرب والحكة لان ارضه كبريتية الاجرام، وبذا احجارها توقد ويجعل منها تنوراً فيتاجج ويتوقد، ان كل مايقع في الموسم من دق ولعب مباح لايؤاخذ به أهل الموسم، ويقع لهم بذلك السماح الا اذا اوقع فساد، في تلك الاغوار والانجاد، فانها تثير عجاجة تقلع الخيام وترمي القدور وتريق الطعام، حتى ان اهل الموسم لما تكرر هذا الامر تينقوه حتما، فتتصارخ الناس بالدعاء على الفاعل ويشفون غيظهم شتما، وجيئ بالخيام في بعض السنين عند هذه الفعلة المقبحة تقبيحاً من قرية بعيدة عن المقام نحو ساعتين يقال لها اريحا، ولم تقع في السنة التي كنا بحمد الله تعالى فيها، كذلك اخبرني بعض الثقاة الاخيار انه بعد مضي الزوار من تلك الساحة الانسية والبقع المباركة النفيسة تاتي طيور بيض بمناقير طوال يقال لها الرخم يأخذون بها القاذورات ويرفعونها من تلك المحال ويعقبه لامحالة غمامة هطالة تغسل تلك الارض بالطول والعرض))[٩]، ثم عاد الى القدس واكمل زيارته ودروسه في المدينة، حتى قرر العودة الى دمشق في شهر شعبان سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م[١٠].

في عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م قام زفار جيرجا (zvar jiyerji) وهو قسيس ارمني بزيارة القدس وخلال فترة مكوثه التي استغرقت تسعة أشهر، قام بوصف الكثير من تفاصيل حياة الحجاج النصارى والظروف المحلية التي تعيشها المدينة والحياة الاقتصادية في القدس[١١].

أسهب زفار كثيراً في وصف طوائف النصارى وأديرتهم وكنائسهم والأقسام المخصصة للارثوذكس والأقسام المخصصة للكاثوليك والأرمن وغيرها من الطوائف الأخرى، وهذا حال جميع الرحالة الأجانبِ عند زيارتهم للقدس، ويشير إلى وجود العديد من الصرافين إمام باب كنيسة القيامة، في القدس لتبديل وتحويل العملات للزوار الأجانب بمختلف أنواعها، كذلك أشار إلى كثرة النشالين واللصوص، خاصة وسط ازدحام النصارى في تجمعاتهم وأعيادهم أ ذ يقول ((احذر من النشالين فهم لايترددون حتى عن سرقة بؤبؤ عينك))[١٢]. وفي هذا الكلام تعدي على اهل القدس، فهو يشير الى وجود الصرافين مما يعيني وفرة مالية، اما هذه الحشود من النصارى فهم زوار جاؤا من خارج القدس لزيارتها. اذن من يسرقه هم ابناء جلدته الذين جاؤا معه.

زار زفار جبل صهيون في القدس، واصفاً بوابة يافا في سور القدس، كما زار بركة مأمن الله (ماملا) ومقبرتها وزار بيت لحم وكنيسة المهد فيها، وأريحا ترافقه وجماعته قوة الحماية العثمانية من قطاع الطرق واللصوص الذين هاجموا قافلته وأطلقوا عليها النار، لكن القوة العثمانية المحلية تمكنت من إلقاء القبض عليهم ووضعهم في سجن القلعة، وبعد هذه الرحلة الشاقة خارج القدس عاد زفار إلى المدينة، وذهب إلى حمام السيدة مريم[١٣]، واستحم فيه[١٤]، ليريح جسمه من تعب الرحلة وهو حمام خاص بالنصارى في القدس، مما يعني توفير السلطات العثمانية لكافة سبل الراحة لزوار القدس وتوفير الحماية لهم في تنقلهم وتقديم الخدمات لراحتهم.

كما قام الرحالة الروسي بارسكي (Barski) بزيارة مدينة القدس سنة ١١٣٦ هـ/ ١٧٢٣م، وكان اهتمامه منصباً على معرفة تفاصيل الحياة اليومية في البلاد، إذ يقدم ملاحظات دقيقة عن عادات أهل القدس الشريف وملابسهم ومأكولاتهم، خاصة البدو منهم، إذ يقول ((ليست لهم منازلهم الخاصة في المدن وفي القرى، وإنما يعيشون

في السهول والجبال يحطون الرجال في الخيام في موسم الرحلات، إما ألبستهم فهي رداء واحد ويرتدونٍ الصنادل في أرجلهم لتحميهم من وعورة الأرض الصخرية، ويحمل الرجال السكاكين الكبيرة، ويرتدون جلابيب زاهية، إما طعامهم فهو الخبز وزيت الزيتون، إما الخمر فلا يشربونها أبداً وإنما يشربون الماء فقط))[١٥]، إن بارسكي لا يعلم إن الإسلام قد حرم على المسلمين شرب الخمر تحريما قطعياً لذلك فهم لا يتعاطونه ولا يصنعونه ولا يبيعونه، وهذا يدل على جهل بارسكي بالدين الاسلامي وتعاليمه.

من الرحالة والعلماء المتصوفة العرب المشهورين الذين زاروا القدس الشريف، أكثر من مرة وسكنوا فيها لفترات طويلة الرحالة المصري مصطفى اسعد بن احمد اللقيمي الدمياطي، الذي يرجع بنسبه إلى القدس[١٦]، واشتهر اللقيمي بثلاث مؤلفات عن القدس الشريف هي (لطائف انس الجليل في تحائف القدس والخليل)، وهو مصنف كبير من كتب فضائل بيت المقدس[١٧]، و(الحلة المعلمة البهية بالرحلة القدسية المهيجة)، تتحدث عن البهجة والسرور في زيارة القدس وحرمها القدسي الشريف[١٨]، وأكثرها شهرة رحلته إلى القدس المعروفة بـ(موانح الأنس في رحلتي لوادي القدس) والتي قام بها سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠ م[١٩]، والتي سوف يتم الحديث عنها.

وصل اللقيمي إلى القدس قبيل العصر، فأستأذن في الدخول إلى المدينة كالعادة، واعجب بسور المدينة وبواباتها قائلا عنها ((للمدينة سور محكم البيان، بديع الشكل في الصناعة والبنيان والاتقان، له ستة أبواب منيعة غريبة في الوضع بديعة وهي باب الأسباط وباب الساهرة وباب العمود وباب الخليل وباب داود وباب المغاربة، ثم دخلنا من باب الخليل))[٢٠]، فنزل في دار الشيخ مصطفى البكري الصديقي، وبدأ زيارته للحرم القدسي ومقاماته ومزاراته فدعاه خطيب المسجد الأقصى الشيخ محمد بن جماعة المقدسي إلى بستان بيته البديع العامر ثم توجه لزيارة المقامات خارج المدينة،

فزار عين سلوان ثم دعاه شيخ القدس وعالمها الشيخ محمد الخليلي مفتي الشافعية إلى وليمة في قصره الشهير خارج القدس ثم توجه إلى زيارة مدينة الخليل والمزارات الواقعة على الطريق إليها، كما حضر موسم النبي موسى (عليه السلام) في مقامه على الطريق بين القدس والخليل وعاد الى القدس وبقي فيها حتى نهاية شهر محرم من سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م، فساقه الحنين الى الديار بالعودة الى مصر، فغادر القدس بعد رحلة استغرقت اكثر من ستة اشهر[٢١].

ممن قصد القدس الشريف ايضا العلامة المصري الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦ م، لزيارة أستاذه وشيخه البكري ألصديقي، والأخذ عنه، فدخل المدينة من الباب الذي دخل منه شيخه وهو باب العمود واستقر في بيته، فاستقبله بالرحب والسعة وافرد له مكاناً ثم اخذ في المجاهدة في الصلاة والصوم والذكر والعزلة والخلوة، وبقي على هذا الحال عند شيخه مدة أربعة أشهر، فنال بذلك القبول والتحصيل وعاد إلى مصر بالخير الكثير[٢٢].

في سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠ م، قام الزيارهورن (ELzar Horn) وهو راهب فرنسيسكاني ألماني، عاش في القدس طوال الفترة (١١٣٧-١١٥٧ هـ/ ١٧٢٤-١٧٤٤م) بوصف قلعة القدس حيث كانت تعرف حينذاك بقلعة بيسان، فقال عنها ((للقدس حصن قديم حيث ارتبط والى يومنا هذا بأسم بيسان على أساس إن بنائها كان قوياً جداً لغرض التحصين واستحكامات المدينة يمكن القيام بها على جميع الجوانب، بدون الحاجة إلى استخدام المدافع، ويتم تعيين قائد خاص لها حيث يسكن فيها مع قوات النكشارية[٢٣]، وبدون الحصول على تصريح منه لا احد يمكنه الدخول إليها، وتحتوي على مساكن مريحة، وفيها العديد من المدافع بارزة من الجدران، وهي كذلك محاطة بالخنادق الخالية من الماء))[٢٤]، لقد أعجب هورن بحصانة القلعة وقوة بنائها واستحكاماتها الدفاعية التي تمكنها من الدفاع عن المدينة ضد الإخطار وهو

جزء من الاهتمام العثماني باستحكامات المدينة ووسائل الدفاع عنها ضد أي خطر يمكن ان يهددها.

كما قدم الى مدينة القدس الشريف الياس غضبان الحلبي من وجهاء طائفة الروم الكاثوليك في مدينة حلب وكان من الشخصيات المرموقة بين اهل عقيدته فيها سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م، في رحلة للحج بصحبة راهبين من طائفته في الثالث عشر من شهر نيسان واستمرت لغاية السابع والعشرين من شهر ايار من ذلك العام، أي ان رحلته استغرقت حوالي شهر ونصف، ويبدو ان اقامته في القدس الشريف لم تتجاوز الاسبوع او نحو ذلك، وعلى الرغم من ذلك فأن وصفه لها في كتاب رحلته (رحلة الياس غضبان الحلبي الى زيارة الاماكن المقدسة)، يحفظ مقداراً من المعلومات القيمة في مجالي التاريخ والجغرافية، اذ تنقسم الرحلة الى قسمين يعالج الاول منهما الكلام عن الرحلة نفها بينما يصف الثاني الاماكن المقدسة[٢٥].

زار الرحالة الفرنسي فولي (volney) مدينة القدس سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤ م، وقدم لنا تصوراً مخالفاً لجميع ماذكره الرحالة والمؤرخين الذين زاروا المدينة أو كتبوا عنها إذ يقول ((بعد مسير يومين من نابلس جنوباً في وسط جبال تزداد على التوالي وعورة يصل المرء إلى مدينة تعد شاهداً ناطقاً لتقلبات الزمان وغوائل الحدثان، فإذا رأينا أسوارها المهدومة وخنادقها المردومة والأنقاض المكتظ بها محيطها، صعب علينا إن نصدق أنها هي (أورشليم) القدس، تلك العاصمة الشديدة البأس التي قاومت في غا بر الزمان جيوش أعظم الممالك. وهاهي ذي ألان بمفعول تعاقب الحوادث وتبدل الأحوال تحاط بشتى ضروب الإكرام والإجلال، ومما يحمل على العجب من الحظ العظيم الذي تتمتع به كونها قائمة على بقعة وعرة مالحة قاحلة لا ماء فيها ولاكلأ، تحيط بها الأودية والمنخفضات والهضاب، ونظراً إلى بعدها عن الطريق الكبرى، كانت تلوح أنها لن تصير مدينة ذات شأن غير أنها انتصرت على جميع العوائق

مبرهنة على مايستطيع الفكر فعله إذا ماسيطر عليه شاعر ماهر اوجأته فرص طيبة))[٢٦]، يبدوا إن فولني كان متحاملا على العثمانيين حتى خرج بهذا التصور عن القدسِ التي أسوارها شامخة حتى يومنا هذا، هذه المدينة التي هي مركز جذب لجميع البشر من مختلف الأعراق والأديان وعلى مر العصور والتي عاشت عصرها الذهبي في العهد العثماني.

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ الايام الاولى لاعتناقهم الاسلام، ولهذا فقد شدتهم اليها نفس الاواصر التي شدتهم الى كل من مكة والمدينة، اذ كان معظم حجاجهم يمرون بفلسطين عند عودتهم من الحج لينعموا برؤية مسرى الرسول (ﷺ)، ويحققوا الاجر في الرحلة الى ثالث الحرمين، وفد محمد بن عثمان المكناسي إلى المشرق العربي في مهمة رسميةٍ في سفارة من لدن سلطان المغرب محمد بن عبدا لله العلوي (الملك محمد الثالث) في سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥ م، وكان ابن عثمان كاتباً (وزيراً) له ومن خاصته المقربين وجهه السلطان في سفارة إلى استانبول والحجاز لتسليم الهدايا التي يرسلها سنوياً إلى الحرمين الشريفين والقدس الشريف، دامت رحلته إلى المشرق سنتين وسبعة أشهر للفترة ١٢٠٠-١٢٠٢هـ/ ١٧٨٥-١٧٨٨م، وقد دون رحلته هذه في كتاب (أحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب)[٢٧].

إذ يقول فيها ((للقدس السور الحصين مبني بالحجارة في غاية الكمال والاتقان والأبواب الحصينة الغلق وهي ستة الأول ومنه دخلنا باب العمود والثاني باب الساهرة، والثالث باب الأسباط والرابع باب المغاربة، والخامس باب النبي داود والسادس باب الخليل، فدخلنا إليه ونزلنا ببيت يقال له بيت الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان وعليه وكيل وله أوقاف))[٢٨].

أكثر ابن عثمان من وصف الحرم القدسي الشريف بمسجديه مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، وأبهرته عمارته، فزار جميع المقامات والمزارات التي فيه من قباب ومحاريب وأبواب وطريقة بنائها، فزار مهد عيسى (عليه السلام) في المسجد الأقصى، كما زار مقام نبي الله داود (عليه السلام) ومقامات الأنبياء والأولياء خارج سور المدينة على الطريق إلى مدينة الخليل[٢٩].

في معرض حديثه عن مقام النبي موسى (عليه السلام) وإعرابه عن الرغبة في زيارته، اخبره مرافقوه من أهل البلد إن الطريق إليه غير أمنة، وقد لاحظنا إن ابن عثمان أكثر من مرة لايتحرك من مرحلة إلى أخرى في رحلته حول القدس الا وهو مصحوب بالوزير والباشا والجنود، كذلك بعد إن تسبقه طلائع الجنود لتهيئ المكان من خيام وضمان وجود الماء والطعام، وشيء أخر أكثر لفتاً للنظر، القلق من البدو المتمردين الذين كانوا يتربصون للجنود العثمانيين[٣٠]، فكيف لا تهتم الدولة العثمانية بسفير دولة المغرب اليها ويحضر معه الوزير في زيارته للقدس الشريف وترافقه قوة عسكرية كبيرة حفاظاً على حياته من قطاع الطرق.

أشار ابن عثمان عندما دخل القدس الشريف إلى حارة المغاربة فيها والى باب المغاربة وسمي بذلك لمجاورته لجامع المغاربة في حارتهم في القدس، فضلا عن الأوقاف الكثيرة التي أوقفها المغاربة في القدس من أروقة وزوايا وبساتين ودور أوقفت لخدمة المغاربة في القدس[٣١]، من هنا لا نستغرب الحديث عن الحضور المغربي بكثافة في القدس الشريف منذ تاريخ مبكر، فلقد تنبه المغاربة الى مايهدد بيت المقدس من غزو، وبهذا نفسر وجود عدد كبير من العقارات في مدينة القدس وخارجها اصبحت منذ العصور الاولى ملكاً للمغاربة.

من خلال افادات ابن عثمان نقف على حقيقة تاريخية تهمنا في هذا الموضوع، تلك هي خريطة الطوائف الدينية لسكان القدس، ففيما يتعلق باليهود نلاحظ

ان الرحالة المغربي وسائر زملائه من الذين سبقوه انما يتحدثون عن الحضور الاسلامي الى جانب الحضور المسيحي طبعا، وهكذا فانه لم يرد عند ابن عثمان ذكر لليهود في بيت المقدس الا من خلال ذكره لمقبرتهم[٣٢].

يشير ابن عثمان الى مدى اهتمام الدولة العثمانية بالحرم القدسي الشريف وتعميره اذ يقول ((لهذه الدولة العثمانية في هذا الحرم الشريف بل وكذا حرم مكة والمدينة اعتناء عظيم واثر جسيم، فمهما سقط شيئ منه الا اعادوه وما تلاشى جددوه، صانهم الله تعالى وابقاهم واسماهم في معارج المأثر الحميدة وارقاهم، ولهم هنا لك زيادة على اصلاح ما في الحرم من البناء، الصدقة الجارية على من في بيت القدس من الاباء والابناء، وعينوا هنالك زواية تظل على طول الاناء اعشارها تفور، وانيتها بالطعام تدور، في العشي والبكور، ومن انجاز له من هذه الصدقة حظ او نصيب، صار ملكاً له يورث عنه بالفرض والتعصيب، فأن اراد بيعه في حياته فهو كبعض شيئاته، وهذه الحسنة جارية قد مضت عليها من الدهر احقاب، ينبع اثرها منهم صالح الاعقاب، وكل من أتى من ملكوهم عن هذا النهج لا يحيد ولا ينقص بل يزيد، ادام الله تعالى ايامهم ونصر جيوشهم وأعلامهم))[٣٣].

يتحدث ابن عثمان عن المصاعب التي كان يعيشها العرب من اهالي قرى القدس فيذ كر انهم لم يكونوا يرضون بولاتهم الذين اكثروا من فرض الضرائب والرسوم عليهم والتي اثقلت كاهلهم حتى انهم سألوه عن أنواع الضرائب المفروضة عليه في بلاده،كما اشار الى ان الولاة الاتراك عينوا موظفين نصارى لجمع هذه الضرائب من اهل القرى وهذا يعتبر اهانة للمسلمين في تلك القرى، فضلا عن شكواه من سيطرة النصارى على مفاتيح جميع المقامات العائدة لهم وعدم تمكنه من دخولها بسببهم[٣٤].

وختم ابن عثمان حديثه الطويل عن بيت المقدس بقوله ((لأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة، وميل إلى مؤانسة الغريب ومسامرته والمحادثة معه،

ولاسيما إن كان هذا من الجنس العلمي، فلهم اعتناء به كثير حياهم الله وبياهم وأدام سقياهم ورياهم والى مكارم الأخلاق يسرهم وهيأهم))[٣٥].

يقول الرحالة البحري الايطالي جيوفاني ماريتي (Giovanni Mariti) الذي زار القدس سنة ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩١م، عن تردي الأوضاع الآمنية خارج أسوار القدس، بان باشا القدس يقوم مع حراسه العديدين بمصاحبة الزوار النصارى إلى نهر الأردن، بعد دفعه لمبالغ مالية إلى البدو وبدونها ليس باستطاعته مصاحبتهم، وانه غير قادر على بسط سيطرته إلى ماوراء أسوار المدينة[٣٦]، مما يشير إلى زيادة نشاط قطاع الطرق وتمرد البدو على السلطات العثمانية المحلية التي بدت من الضعف إذ لم تستطع فرض سيطرتها عليهم حتى بدأت تدفع الأموال لأسترضائهم ولتامن على رعاياها من تعدياتهم.

زار الراهب الروسي ميليتي (Mility) في سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤ م، مدينة القدس في موسم حج النصارى، وقد اهتم بوصف العلاقات بين القوميات في القدس وهي كثيرة ومتنوعة، وكذلك النزاع بين الشخصيات الدينية المنتمية إلى المذاهب النصرانية المختلفة، اذ كان هناك في مدينة القدس مع ميليتي عدد كبير من الحجيج الارثوذكس بلغ عددهم خمسة ألاف شخص، والشيء المهم الذي لفت انتباهه في القدس أساليب توزيع المياه في المدينة، إذ قال عنها ((تجمع المياه في أشهر الشتاء في القدس من الإمطار في مجمع تحت الأرض بين الأحجار كأ حتياطي للصيف، إما مياه الإمطار على سطح الأرض فتكون سواقي صغيرة وهي سريعة الجريان، ويتم جمع هذه المياه أيضاً، ولايوجد حول مدينة القدس أي نهر او ساقية))[٣٧]. لقد كتبت هذه الرحلة بروح الحجيج النصارى.

كذلك قام الرحالة والسفير المغربي أبو القاسم الزياني الذي عمل وزيراً للسلطان المغربي محمد بن عبدالله، اذ أرسله بسفارة الى السلطان سليم الثالث بزيارة

مدينة القدس الشريف سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م، ودخلها من باب العمود، فتحدث عن سور المدينة وبواباتها، كما تحدث بإسهاب عن الحرم القدسي الشريف وأبوابه، وكان مما قاله ((وأبوابه خمسون باباً يطوف به سور سعته ثلاث خطوات وقد أسس بالحجارة العظيمة وألواحها الكبار المنحوتة الهائلة، والمفتوح ألان من أبوابه اثنا عشر باباً كل باب منها له الوجه المنقش وفيها باب الرحمة وباب التوبة، من باب الأسباط إلى محراب داود (عليه السلام) وسوق المعرفة هو مكان مسقف بين محراب داود والمحل الذي فيه محراب مريم ومهد عيسى (عليه السلام) والمفتوح من أبوابه احد عشر باباً أولهما متحدان في السور الشرقي وهذان هما بابا الرحمة والتوبةٍ والثالث باب الأسباط والرابع يسمى باب حطة وهو إلى الشمال والخامس باب شرف الأنبياء وهو في جهة الشمال ايضاً والسادس باب المغاربة والسابع باب الغوانمة والثامن باب الحديد والتاسع باب القطانين والعاشر والحادي عشر باب السلسلة وباب السكينة))[٣٨].

ذكر الزياني ان الصخرة الشريفة في مسجد قبة الصخرة كان يتفت منها التراب لطول المدة فيأخذه فيجمعه الموكلون بها كل جمعة ويعطوه للأعيان والزوار ليحملوه تبركاً به ثم ينشرونه عليهم[٣٩].

ويعبر وصف ج. براون (w٠G٠Browne) الرحالة الانكليزي الذي زار القدس سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، عن تدهور وضع المدينة، إذ شاهد فيها الكثير من الشحاذين (المتسولين) ولم ير من الصناعات إلا صناعة الأدوات التذكارية، ولمس فيها خللاً كبيراً في الأمن بسبب ضعف الحامية العسكرية العثمانية الصغيرة في المدينة والموضوعة تحت تصرف متسلم القدس (نائب امير لواء القدس) الذي ماكان بإمكانه السيطرة على تمرد البدو وبهذه القوة الضئيلة، كما إن جميع إطراف القدس تحت سيطرة البدو، وانشغال السلطات العثمانية المحلية فقط بجمع الضرائب من السكان واضطهادهم[٤٠].

يبدو إن هذه هي الحالة التي ألت إليها مدينة القدس الشريف، في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن الميلادي، مع مبالغة الرحالة براون في بعض الجوانب محاولاً إظهار الدولة العثمانية بأنها غير مهتمة ببيت المقدس، وانشغالها بجمع الضرائب فقط من السكان دون النظر إلى أوضاعهم الاقتصادية ومحاولة تحسينها وحماية المدينة من هجمات البدو المتكررة وتحصينها ضدهم بالعدة والعتاد. وإهمال براون الرقي والنشاط العلمي والثقافي الذي كان يدور في معاهدها ومدارسها، وتوحد أهلها وتكاتفهم والذي تمثل في أروع صوره في التصدي للغزو الفرنسي ومواجهته والذي حدث بعد سنة من وصفه هذا عن تدهور أوضاع بيت المقدس.

الخاتمة:

اختلفت اراء وانطباعات الرحالة الذين زاروا القدس الشريف في القرن الثامن عشرالميلادي في مواضع عدة وتباينت في اخرى حسب رؤى كل واحد منهم، إذ جاء وصف الرحالة الروسي لوكيا نوف لمدينة القدس الشريف ومعالمها المقدسة بأسلوب وروح الحجيج اللاهوتية، فقد جاء ضمن قافلة للحجاج النصارى فضلا عن كونه قساً، لذلك جاء وصفه مقتصراً على الأماكن المقدسة النصرانية.

أن أسلوب مصطفى البكري الصديقي الشامي يعكس النمط السائد في ذلك العصر، لأن السجع فيه كان من مستلزمات التعبير الأدبي، وكثيراً ماشكل ذلك عبئا كبيراً على المعاني. مع ذلك فقد أورد الصديقي معلومات كثيرة عن نشاطاته في القدس وأقامته وزواجه فيها، وحضوره الأحتفال السنوي بموسم النبي موسى (عليه السلام)، وتقديمه معلومات دقيقة عن تفاصيل مراسيم الأحتفال بهذا الموسم.

قام زفارالارمني بوصف الكثير من تفاصيل حياة الحجاج النصارى والظروف المحلية التي تعيشها المدينة، وتطرقه الى تقسيمات الطوائف النصرانية في القدس، وقد تعدى كثيرا على أهالي القدس بأتهامهم بالسرقة واللصوصية، فهم أهل الكرم والحمية، وهذه الصفات لاتمت لهم بصلة. أما الرحالة الروسي بارسكي، فقد قدم معلومات دقيقة عن عادات أهل القدس الشريف وملابسهم ومأكولاتهم وخاصة البدو منهم، إذ كان أهتمامه كبيراً بتفاصيل الحياة اليومية في البلاد.

أكثر اللقيمي المصري من الحديث عن التفاصيل العمرانية للمدينة المقدسة وبتفاصيلها الدقيقة ولقائه بعلمائها الأعلام وحضوره لموسم النبي موسى (عليه السلام)، وكذلك أقتصرت زيارة الجبرتي المصري للقدس على اللقاء بعلمائها والأنصراف الى العبادة والذكر طيلة مدة أقامته في القدس، أما الزيارهورن الالماني فأنصب أهتمامه على وصف قلعة القدس وأقسامها وأركانها وأدارتها وتحصيناتها.

قدم لنا الياس غضبان الحلبي مقداراً من المعلومات القيمة عن القدس الشريف في مجالي التاريخ والجغرافية، مع وصفه للأماكن المقدسة رغم قصر مدة أقامته في القدس الشريف، أما فولني الفرنسي فقد وقع في مغالطات تاريخية كبيرة، ويبدوا أنه

كان متحاملا على العثمانيين، حتى خرج بهذا التصور الخاطئ عن القدس الشريف والمغاير لجميع ما ذكره الرحالة سواءاً الذين جاؤا قبله أو بعده.

يعتبر أبن عثمان المكناسي المغربي من الوجوه البارزة في الحياة الأدبية وفي التاريخ الدبلوماسي للمغرب وخاصة فيما يتصل بالعلاقات مع الأمبراطورية العثمانية، أذ تعتبر شخصية المكناسي فعلاً من الجسور الهامة التي ربطت المغرب بالمشرق وخاصة ببيت المقدس، كان سفيراً معروفا بتجربته الحقيقية والمصداقية، ورحلته هذه قام بها في رعاية الدولة العثمانية التي كانت تحكم المنطقة. وهي تصادف تاريخاً هاماً لما كان ينتظر المنطقة من تحولات ستؤدي الى شدة التنافس بين الدول الأوربية على المنطقة، أي أنها تعطي فكرة عن نسبة الوجود الأسلامي والمسيحي واليهودي في تلك البقاع.

كذلك بين مدى أهتمام الدولة العثمانية بتعمير وترميم المشئأت العمرانية في القدس وتطوير الخدمات التي تقدمها، وأشار عند دخوله مدينة القدس الى أوقات المغاربة بالقدس وحددها وعينها مشيراً الى الثقل المغربي في القدس الشريف، ومدى أهتمام أهل المغرب بها وترميم منشأتها العمرانية وزيارتها والسكن فيها، ثم نراه يتحدث عن مفاتيح المعابد التي كانت توجد بيد أهلها لا يدخلها غيرهم، والحالة أنها أي تلك المتعبدات توجد ضمن أراضي المسلمين.

تحدث الرحالة الايطالي ماريتي عن تردي الاوضاع الأمنية خارج أسوار القدس الشريف، مبيناً دور أمير اللواء وقواته في توفير الأمن لأهل المدينة وزوارها ومحاربة قطاع الطرق والمتمردين، بينما أهتم ميليتي الروسي بوصف العلاقات بين الطوائف والقوميات في القدس، مؤكداً على كيفية جمع وتوزيع المياه في المدينة.

كان الزياني المغربي وزيراً وسفيراً للسلطان المغربي محمد بن عبدالله الى السلطان العثماني سليم الثالث في استانبول وخلالها زار القدس الشريف، فأكثر من وصف الحرم القدسي الشريف ومسجديه، وعدد أبوابه وأهم المزارات فيه،أما الرحالة براون الانكليزي فقد بالغ في أظهار بعض الجوانب بشكل سيئ محاولاً أظهار الدولة العثمانية بأنها غير مهتمة بالقدس الشريف. بينما كان النشاط العمراني والثقافي العلمي قائما على قدم وساق فيها في القرن الثامن عشر الميلادي.

الهوامش:

(١) ب. م. دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة: معروف خزنة دار، ط٢، (بغداد، ١٩٨١)، ص٨٦-٨٧.

(٢) محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر،ج٤، (بغداد، د.ت)، ص ١٩٠-٢٠٠؛ عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الاثار في التراجم والاخبار، تحقيق: حسن محمد جوهر وأخرون، ط١، ج١، (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ١٦٥-١٧١؛ يوسف آليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ط١، (القاهرة، ١٩٢٨)، ص ٥٨٢-٥٨٣.

(٣) خير الدين الزر كلي، الإعلام، ط٣، ج٨، (بيروت، ١٩٦٩)، ص١٤١؛ كامل جميل العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، (عمان، ١٩٩٢)، ص١٠٩؛ الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٥.

(٤) الطريقة الخلوتية: اشتقت التسمية من الخلوة، وهي احد فروع الابهرية الزيدية، ومؤسسها الشيخ محمد بور البيلسي، وقد انتشرت الطريقة على يد الشيخ عمر الخلوتي (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) في بلاد الاناضول ثم دخلت مصر وبلاد الشام قبل الفتح العثماني، واستمرت في القدس الى القرن (١٢هـ/ ١٨م)، ولم يكن لأتباعها راية أو زي يميزهم سوى لبسهم التاج وقيامهم بعقد حلقات الذكر (الحضرة) وهي قول (لا أله الا الله). ينظر: أبو الوفا الغنيمي التفتازي، مدخل الى التصوف الأسلامي، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٩٠؛ أكمل الدين أحسان أوغلي وأخرون، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ط١، م٢، (أستانبول، ١٩٩٩)، ص ١٨٤-١٨٦.

(٥) المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٩١؛ احمد سامح الخالدي، رحلات في ديارالشام، ط١، (يافا،١٩٤٦)، ص٤٩ - ٧٣؛ كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ط١،(عمان، ١٩٨١)، ص٣٤٥.

(٦) الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص١٧١؛ المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص١٩١-٢٠٠؛ العسلي، بيت المقدس...، ص١٠٩، ٢٩٩.

(٧) سوف يقتصر حديثنا عن هذه الرحلة فقط. ينظر: الخالدي، المصدر السابق، ص ٥٦؛ العسلي،بيت المقدس...، ص ٢٩١.

(٨) سجلات محكمة القدس الشرعية المحفوظة في مكتبة الجامعة الاردنية، سجل (٢٠٢)، حجة رقم (١)، بتاريخ ١١١٥هـ/ ١٧٠٤ م، ص٦٦. سنشير لها لاحقاً بـ(س،ح)؛ شمس الدين محمد بن شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس والخليل، مخطوط محفوظ في مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الاردنية، شريط مايكروفيلم، رقم (٥٦٠)، ص ٣٦ أ -٣٧أ ;

James parkes, Apelican Original, whose Land ahistory of the peoples of Palestine ,(newyork ,1970),p.123 .

(٩) للتفاصيل ينظر: كامل جميل العسلي، موسم النبي موسى في فلسطين، ط١، (عمان،١٩٩٠)، ص ١٦٦- ١٧٠؛ الخليلي، المصدر السابق، ص ٣٦ أ-٣٧أ؛ الخالدي، المصدر السابق، ص ٥٨- ٥٩.

(10) SyLvia Auld and Ropbert Hillenbrand , Ottoman Jerusalem the Living City 1517 -1917, vol2, (London, 2000), p.968;

الخالدي، المصدر السابق، ص ٥٦-٧٥.

(11) George Hintlian ," Mappin apilgrimage "

بحث في كتاب مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي، دراسات في تاريخ مدينة القدس الاجتماعي والثقافي، تحرير: سليم تماري وعصام نصار، ط١، (القدس، ٢٠٠٥)، ص ٢٨.

(12) Hintlian , Op-Cit, pp. 29 -31.

(١٣) حمام السيدة مريم: يسمى حمام الاسباط، وهو يقع في حارة باب حطة من حارات القدس، في اول طريق برج اللقلق الذي يتجه شمالا بمحاذاة سور المدينة من الداخل، ويستمد هذا الحمام مياهه من البركة المسماة بأسمه، ويبدوا أنه كان مشتركاً للرجال والنساء، وهذا الحمام من أوقاف السلطان صلاح الدين الايوبي على المدرسة الصلاحية في القدس الشريف.للتفاصيل. ينظر: س ٥٤، ح٣، ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠ م، ص٥٣؛ س ٦٨، ح٤، ٩٩٧ هـ/ ١٥٨٨م، ص ١٦؛ كامل جميل العسلي، من أثارنا في بيت المقدس، (عمان،١٩٨٢)، ص ٢٠١ -٢٠٥؛ محمد عيسى صالحية، سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢، تاريخه ٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢ م، المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء في أستانبول، (عمان، ٢٠٠٢)، ص ٨٤.

(14) Hintlian , Op-Cit, pp .32-36 .

(١٥) دانتسيغ، المصدر السابق، ص ١٠٦ -١٠٧.

(١٦) محمد أمين بن فضل الله ألمحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط٢، ج٣، (بيروت، ١٩٦٦) ص ١٦٦؛ الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢١، ٢٤٣؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين. أسماء المؤلفين واثأر المصنفين، ط٣، م ٢، (طهران ، ١٩٦٧)، ص ٢٨٠.

(١٧) مصطفى اسعد اللقيمي، لطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل، تحقيق: خالد عبد الكريم، ط١، (عكا، ٢٠٠١)، ص ١٥٤-٢١٤؛ المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٥٥؛الزر كلي، المصدر السابق، ج٨، ص ١٣٠.

(١٨) البغدادي، المصدر السابق، م ٢، ص ٢٨١؛ الجبرتي،المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٢؛ الزر كلي، المصدر السابق، ج٨، ص ١٣٠؛ أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة :صلاح الدين عثمان هاشم، ق٢، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٧٥٥.

(١٩) مصطفى اسعد اللقيمي، موانح الأنس في رحلتي لوادي المقدس، تحقيق: مرواني القدومي وآخرون، ط١، (المغرب، ٢٠٠٤)، ص ٨٥- ٢٠٠؛ الخالدي، المصدر السابق، ص٩٣؛ العسلي، موسم النبي...، ص١٧٠-١٧٢؛ المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٥٥؛ كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق٢، ٧٥٤.

(٢٠) اللقيمي، موانح الانس...، ص٨٥-٨٦؛ محمد هاشم موسى غوشة، بوابات القدس، ط١، (عمان، ١٩٩٢)، ص ١٣؛ الخالدي، المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١.

(٢١) العسلي، بيت المقدس...، ص١١٧-١١٨؛ اللقيمي، موانح الأنس...، ص٨٧- ١٩٨؛ العسلي، موسم النبي...، ص١٧١-١٧٢؛ شمعون لندمان، إحياء أعيان القدس خارج أسوار ها في القرن التاسع عشر، (تل أبيب، ١٩٨٤)، ص ٩؛ كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق٢، ٧٥٤.

(٢٢) الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥١ -٣٥٢.

(٢٣) الانكشارية: كلمة تركية اصلها (يني جري) ومعناها الجيش الجديد، اطلقت على صفوة الجنود المشاة في الدولة العثمانية، والتي نظمت كجيش محترف في القرن الرابع عشر الميلادي، وكانوا يختارون من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية وخصوصاً من العائلات النصرانية،اذ كان لها نفوذ كبير في الدولة، وقد تمردوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر وقتلوا اثنين من السلاطين. وفي سنة ١٨٢٦م قام السلطان محمود الثاني بتصفيتهم.ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، ط٣، ج٣، (بيروت، ١٩٦١)، ص ٦-١٠ ;

Stanford .J.Shaw , History of Ottoman Empiri and Modren Turky ,vol .1, (London , 1977) ,pp .133-114 .

(٢٤) لم نستطع الحصول على معلومات مفصلة عن هذه الرحلة لقلة المعلومات الواردة في المصادر عنها.ينظر: كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق٢، ٧٦٣؛ العسلي، بيت المقدس...، ١١٩.

(25) Auld and Hillinbrand, Op-Cit, vol.1,p.499; F.E.Petrs, JerusaLem HoLy City in the eyes of chroniclers , visitors, pilgrims and prophets from the days of Abraham to the beginning of modern times,(London, 1985) , pp. 481-482

(26) M.C.F.VoLney ,Travels through Syria and Egypt in the Years 1783-1785,voL.2, (London, 1988), p.303; peters, Op.Cit p.548 ;

حبيب السيوفي، سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر كما وصفها احد مشاهير الغربيين، ج٢، (صيدا ١٩٩٤)، ص٦٥-٦٦؛ مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ط١،ج١٠، (بيروت، ١٩٧٦)، ق٢، ص٦٦.

(٢٧) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، تحقيق: محمد بو كبوط، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٢٩٠ -٣١٨؛ عبد الهادي التازي، " اهتمام الملك محمد الثالث بالقدس من خلال علاقات المغرب بالعثمانيين ١١٧١-١٢٠٤ هـ / ١٧٥٧ -١٧٩٠ "، بحث غير منشور، (الرباط، ٢٠٠٠)، ص٩؛ العسلي، بيت المقدس...، ص١١٩-١٢٠.

(٢٨) عبد الهادي التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجاً، (الرباط، ١٩٩٧)، ص ٥٩؛ محمد إبراهيم الكتاني، " القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة "، مجلة دعوة الحق، ع (٥)، السنة (٢٢)، (المغرب، ١٩٨١)، ص ٦٥.

(٢٩) المكناسي، المصدر السابق، ص ٢٩٣- ٢٩٨؛ التازي، القدس والخليل...، ص٦٠ -٦٤.

(٣٠) التازي، اهتمام الملك...، ص ١٢-١٣؛ الكتاني، المصدر السابق، ص٦٧.

(٣١) الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٦؛ التازي،القدس والخليل...، ص٣٤.

(٣٢) التازي، القدس والخليل...، ص ٤٣؛ التازي، أهتمام الملك...، ص ١٢.

(٣٣) المكناسي، المصدر السابق، ص٣١٤؛ التازي، القدس والخليل...، ص ٧٧.

(٣٤) التازي، اهتمام الملك...، ص ١٢؛ المكناسي، المصدر السابق، ص٢١٨-٢١٩.

(٣٥) تعتبر هذه الشخصية من الجسور الهامة التي ربطت المغرب بالمشرق وخاصة ببيت المقدس. للتفاصيل. ينظر: المكناسي، المصدر السابق، ص٣١٨؛ التازي، القدس والخليل...، ص٨٠؛ الكتاني، المصدر السابق، ص٦٩.

(36) S.D.Goiten,(AL-Kuds) in the EncycLopaedia OF Islam,voL .v,(London, 1980), p.334;Amnon Cohen, Polestine in the 18 th century Patterns of government and administration (Jerusalem ,1973) ,pp.160-171

؛ سيار كوكب الجميل، " تباينات مجتمع مدينة القدس في المركز والمحيط ابان العهد العثماني "، من بحوث ندوة القدس (٥٠٠٠) عام من الحقوق العربية، الندوة الثالثة، جامعة اليرموك، (اربد، ١٩٩٧)، ص ٣٥.

(٣٧) دانتسيغ، المصدر السابق، ص١٣٦ -١٣٨.

(٣٨) غوشة، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥؛ التازي، اهتمام الملك...، ص٩، ١١؛ الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٣٩) العسلي، بيت المقدس...، ص ١٢١-١٢٢؛ الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٩؛ كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق٢، ٧٧٠.

(٤٠) شمس الدين الكيلاني ومحمد جمال باروت، الطريق إلى القدس، ط١، (ابوظبي، د. ت)، ص ٣٥٨؛ سيار كوكب الجميل، " تباينات مجتمع القدس في المركز والمحيط أبان العهد العثماني " مجلة الندوة، م(٩)، ع (١)، (عمان، ١٩٩٨)، ص ٧٥ ;

Goitein , Op . Cit , vol. v,p.334 .

انتشار الإسلام في جنوب آسيا وجنوب شرقها

د. علاوي مزهر مزعل المسعودي

جامعة أهل البيت (عليهم السلام)/ كلية الشريعة الإسلامية

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

تناولنا في صفحات هذا البحث موضوع انتشار الإسلام في مناطق جنوب أسيا وجنوب شرقها، وكان الدافع لاختيار هذا الموضوع هو التعرف على طريقة وصول الإسلام إلى هذه المناطق البعيدة عن شبه الجزيرة العربية رحم إلام الذي ولد فيه الدين الإسلامي الحنيف كذلك مدى تأثير هذا الدين على سكان المناطق الذي وصل إليها وثباته فيها وتمسك أهلها به، إذ انطلقت دعوة الإسلام من أرض العرب في كل الاتجاهات، حتى وصل الإسلام إلى أقاصي شرق المعمورة على مراحل فوصل أواسط آسيا، وشبه الجزيرة الهندية حتى شارف على بلاد الصين ووصل جنوب شرق آسيا. وجزر المحيط الهندي والجزر الاندونيسية بواسطة التجار المسلمين الذين حملوا دعوة الحق في صدورهم وعقولهم قبل سفنهم، وجاءُ بخير دعوة ومنهج وبخير أخلاق ومثل فأعتنق أهل تلك البلاد عقيدة الإسلام، وأصبحوا أهلها وحماتها، حتى إن أكبر بلد مسلم الآن هو إندونيسيا التي تضم بين جوانحها أكثر من مائتي مليون مسلم يوحدون الله تعالى، كما أن الدعوة وصلت للجزر في أقاصي شرق

المعمورة فوصلت الفلبين بجزرها العديدة، واليابان ببحورها وامتدادها وحتى الجزيرة الكورية.

وقد قسمت بحثي هذا إلى أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول منه لمحة عن تاريخ وجغرافية وواقع دول جنوب آسيا وجنوب شرقها اليوم وفي المبحث الثاني تناولت الإسلام في جنوب آسيا وجنوب شرقها وفي المبحث الثالث دور التجار والدعاة في نشر الإسلام والمبحث الرابع تناولت فيه تأثير الإسلام في المنطقة.

وقد اعتمدت على عدد من المصادر التاريخية والجغرافية في كتابة وإعداد هذا البحث كان أهمها كتاب تاريخ اليعقوبي لأبن واضح اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ) وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ) وكتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ومن الكتب الجغرافية كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي (٣٨٧هـ) وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) ومن المراجع الحديثة كتاب محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية لإسماعيل باغي وكتاب سكان العالم الإسلامي لمحمد فؤاد شكري وكتاب العلاقات العربية الهندية لأحمد مقبول.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع وفي إعطاء صورة واضحة للإسلام والمسلمين في دول جنوب آسيا وجنوب شرقها وأخيرا أسأل الله تعالى التوفيق والنجاح إنه سميع عليم مجيب الدعاء.

الباحث

المبحث الأول

(لمحة عن تاريخ وجغرافية وواقع دول جنوب أسيا وجنوب شرقها)

الهند:

الهند شبه جزيرة واسعة تمتد في جنوبي قارة آسيا، تزيد مساحتها على ٤.٣٦٠.٠٠٠ كم٢ وتمتد سواحلها على طول ٤٥٠٠ كم. كانت الهند مقر الديانة البراهمية التي تنتسب إلى (براهما) كما تسمى (الهندوكية) نسبة إلى الهند(١).

بدأت الفتوحات الإسلامية تصل إلى الشواطئ الشمالية الغربية للهند وذلك منذ أيام الخلفاء الراشدين وخاصة أيام عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

وسار المهلب بن أبي صفرة على رأس جيش كبير عام ٤٤ هـ أيام معاوية فغزا منطقة السند وحقق انتصارات باهرة. وفي أيام عبد الملك بن مروان تولى أمر السند محمد بن القاسم الثقفي وفي أيام الدولة العباسية انتشرت الشيعة في الهند. وخاصة أيام المنصور حيث كان واليها عمر بن حفص وبعدها توقفت الفتوحات وانصرف الناس إلى التجارة في كل جهة. وبعد قيام الدولة الغزنوية في أرض أفغانستان اليوم، وحكم محمود الغزنوي الدولة عام ٣٨٨ هـ، فتقدم إلى الهند عن طريق ممر خيبر(٢).

ووصل المغول إلى الهند بقيادة تيمورلنك عام ٨٠١ هـ، فانتشرت الفوضى وأستقر لهم الأمر، وكانوا حديثي العهد بالإسلام فكان منهم المصلحون، ومنهم المفسدون(٣).

تبلغ نسبة المسلمين اليوم في الهند حوالي ١٤% ولما كان عدد سكان الهند ٥٨٥ مليوناً نسمة لذا فإن عدد المسلمين اليوم يقدر بحوالي ٨٠ مليونا وإن كانت حكومة الهند تعطيهم عدداً أقل وتختلف نسبة المسلمين بين منطقة وأخرى في الهند حسب انتشار الإسلام وتجمع المسلمين، فقد رأينا أن الإسلام قد أنتشر في الشمال

نتيجة الفتح الذي كان طريقه من بحر العرب إلى خليج البنغال، وأنه قد أنتشر في السواحل بجهود الدعاة والتجارة، وتعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعاة في مناطقها المختلفة(٤).

باكستان:

تقع الباكستان في شبه القارة الهندية، وتشكل قسماً صغيراً بالنسبة إلى مساحة ذلك الجزء الواسع، يبلغ عدد المسلمين فيها ١٤٧ مليوناً وتبلغ مساحتها ٨٠٠.٠٠٠ كم٢(٥)، وصل الإسلام إلى هذه البلاد قبل الفتوح الإسلامية عن طريق التجار العرب الذين كانوا يتوافدون على سواحل الهند الغربية منذ أقدم العصور، ثم وصل الإسلام إليها. عن طريق الفتح وعن طريق الدعاة المسلمين، وأخيراً عن طريق الممرات الجبلية التي سلكها المسلمون إلى حوض نهر السند شيئاً فشيئاً(٦).

بنغلادش:

يحدها من الشرق بورما والهند، ومن الغرب والشمال الهند أيضاً، ومن الجنوب البنغال ويبلغ عدد سكانها ١٣٣ مليون نسمة منهم ٨٥% مسلمون، فيكون عددهم حوالي ١١٠ مليون نسمة، وهناك أقل من ١٥% من الهندوكيين، ومليون بوذي، وقلة قليلة من النصارى، واللغة الرسمية في بنغلادش هي البنغالية(٧).

كان هذا الإقليم في العصور القديمة بمثابة ملجأ ومأوى للفارين، وخاصة البوذيين الذين كانوا يفرون من اضطهاد الهنادكة، وفي عام ١٨٥٧م قام حزب الرابطة الإسلامية بكفاح مسلح من أجل التحرير، ونادى هذا الحزب بتكوين حكومات إسلامية في المناطق التي يعد فيها المسلمون أغلبية، لكن قادة المسلمين غيروا هذا الرأي واتفقوا على إقامة دولة موحدة تظم الشطرين، وفي عام ١٩٤٧م أنشئت دولة باكستان بشطريها الغربي والشرقي ثم أنفصل الشطر الشرقي وعرف باسم بنغلادش عام ١٩٧١م(٨).

إتحاد ماليزيا:

وتشمل شبه جزيرة الملايو، وشمال جزيرة بور ينو، وتبلغ مساحتها ٣٣٢,٦٣٣ كم٢ وتتألف من ثلاث عشرة ولاية. إحدى عشرة منها في جزيرة الملايو واثنان في شمال بور ينو.

وإتحاد ماليزيا مملكة، ينتخب الملك لمدة خمس سنوات عن طريق مؤتمر الحكام الذي يتألف من رؤساء الولايات. ولهذا المؤتمر سلطة استشارية(٩).

أنتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة، وفي عام ٦٧٥ هـ، أسلم ملك مالاقا وتسمى باسم سلطان محمد شاه وتبعه رعاياه، وخلفه بالحكم أبنه مظفر شاه. ومن مالاقا أنتشر الإسلام إلى باقي الجهات(١٠). ويبلغ عدد المسلمين اليوم في إتحاد ماليزيا أكثر من ٢٢ مليون نسمة.

سري لانكا:

سري لانكا جزيرة تقع جنوب الهند، ويبلغ عدد سكانها نحو أربعة عشر مليون نسمة منهم حوالي مليونين من المسلمين. وتختلف المصادر التاريخية حول الزمن الذي دخل فيه الإسلام سري لانكا، ومن الأرجح إن القرن الأول الهجري هو الوقت الذي بدأ الإسلام يدخل هذه الجزيرة نظراً لوقوعها بالقرب من بلاد الهند والسند التي أنتشر فيها الإسلام في الفترة ذاتها(١١).

بورما:

هي جزء من شبه جزيرة الصين الهندية، وتقع الصين الشعبية شرقها في حين تقع بنغلادش والهند غربها، وفي جنوبها الشرقي تقع تايلند، وتطل بورما بساحل طويل في جنوبها وغربها على خليج البنغال. ومعظم سكان بورما ينتمون إلى المغول ويبلغ عدد سكانها ٢٤ مليون نسمة، ٨٥% منهم بوذيون و ٤% مسيحيين و ١١% مسلمين(١٢).

مالديف:

هي سلسلة من الجزر المرجانية الواقعة في المحيط الهندي وتقع جنوب غرب كل من الهند وسيرلانكا حيث تشمل أكثر من ألف جزيرة. وينتمي شعبها إلى الجنس الآري، حيث نزحت جماعات منه من شمال الهند وسيرلانكا وقد أختلط المالديفيون بالعنصر الأفريقي الشرقي والعنصر العربي وسكانها حوالي ربع مليون نسمة هم جميعاً مسلمون[١٣].

هونج كونج:

تتكون هونج كونج من مجموعة من الجزر الصغيرة التي تقع على الساحل الجنوبي للصين الشعبية، وسكانها خليط بشري معظمهم من الصين الشعبية، ومنهم الهنود والباكستانيين والماليزيين والديانات هناك مختلفة بين البوذية والكونفوشية ثم المسيحية، أما الأقلية المسلمة فتبلغ نحو عشرين ألف مسلم من مجموع السكان البالغ حوالي مليونين ونصف مليون نسمة[١٤].

تايوان:

تقع في جنوب شرقي آسيا، في المحيط الهادي، ويفصلها عن الصين الشعبية مضيق فور موزا ويصل عدد سكانها إلى نحو ثمانية عشر مليون نسمة، وعدد المسلمين فيها حوالي عشرون ألف هاجروا إليها من الصين الشيوعية سنة ١٩٤٩م بعد أن سيطر الشيوعيين على مقاليد الأمور، ثم أزداد عدد مسلمي تايوان ليصبح خمسين ألف مسلم في الفترة الأخيرة[١٥].

اندونيسيا:

تقع اندونيسيا في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، وتتكون من مجموعة كبيرة جداً من الجزر وعدد سكانها نحو ٢٣١ مليون نسمة، وهي تعتبر من أكبر الدول

الإسلامية من حيث عدد السكان في التاريخ المعاصر وعاصمتها جاكارتا. عدد المسلمين فيها حوالي ١٣٨ مليون نسمة ونسبتهم ٦٠% من مجموع السكان الكلي.

أنتقل الإسلام إلى اندونيسيا من خلال التجار العرب، الذين زاد نشاطهم وخاصة تجار عمان وحضر موت، واليمن وبعث الإسلام روحاً جديدة وحضارة راقية لدى سكان هذه الجزر[١٦].

ونظراً لوضوح العقيدة الإسلامية في الأمور الدينية والأخلاقية والاجتماعية بالإضافة إلى بساطة تعاليم الإسلام في المساواة والعدل بين الأخوة المسلمين فقد زاد ذلك في اعتناق الكثيرين للإسلام عن قناعة وإيمان وعقيدة وحدث تزاوج بين العرب والنساء الإندونيسيات مع أن اندونيسيا ليست من البلاد التي تعرضت للفتوحات الإسلامية، إلا أن اندونيسيا تعد أكبر الدول الإسلامية إذ يبلغ عدد المسلمين ما يقرب ١٤٠ مليوناً من مجموع السكان البالغ ١٥٥ مليون نسمة[١٧].

الفلبين:

الفلبين مجموعة من الجزر تقع في جنوب شرق آسيا، وتقع الصين شمال الفلبين واندونيسيا في الجنوب، والمحيط الباسفيكي في الشرق. والهند في الغرب واليابان في الشمال الشرقي، وهونج كونج في الشمال الغربي ويبلغ عدد السكان نحو ٤٣ مليون نسمة، منهم أكثر من ستة ملايين مسلم، وكانت الوثنية هي الديانة القديمة لمعظم سكان الفلبين في حين أصبح معظم سكانها يدينون بالمسيحية في الوقت الحاضر[١٨].

اليابان:

تقع اليابان في شرق آسيا ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٢٠ مليون نسمة، ويصل عدد المسلمين إلى مائة ألف نسمة، وربما يفسر قلة عدد المسلمين هناك تأخر وصول الإسلام إليها، في حين وصل الإسلام إلى الصين – المجاورة لليابان – في زمن مبكر. وقد أتصل اليابانيون بالمسلمين من خلال النشاط التجاري الياباني وانفتاحه على الدول الإسلامية المجاورة مثل اندونيسيا وغيرها من دول الهند الصينية التي تعيش فيها الأقليات المسلمة[١٩].

المبحث الثاني

(الإسلام في جنوب آسيا وجنوب شرقها)

تعد قارة آسيا هي مركز ثقل العالم الإسلامي، ففي هذه القارة تتركز النسبة العالية من المسلمين في العالم، فهي تضم وحدها ما يقرب من ٥/٢ من المسلمين أو حوالي ٦١٥ مليون مسلم، ويطلق بعض الكتاب على هذه القارة (أسيا) اسم (بيت الإسلام الحقيقي) ففيها الجزيرة العربية التي قامت على أرضها الدعوة الإسلامية،كما إنها مركز انطلاق الدعوة إلى الدنيا بأسرها[٢٠]، وأياً كان الأمر فعلى الرغم من الكثرة العددية للمسلمين في آسيا إلا أنها لا تمثل في الحقيقة سوى ٢٩ % فقط من عدد سكانها الذين يبلغون ما يزيد على (٢٥٠٠٠ ألف) مليون نسمة[٢١].

إن طبيعة المنطقة في جنوب آسيا وجنوب شرقها التي تبدأ بالهند وتنتهي بجزر الفلبين تمتاز بعدم الاتصال والتقطع بين أجزاءها ولعل أهم نقطة تجمع فيها تقع في مجموعة الجزر الاندونيسية[٢٢].

إن هذه المنطقة كلها بعيدة عن مهد الإسلام وعن قلبه العربي، وكان طبيعياً أن يكون لهذا البعد أثره في ضعف وصول التيارات الإسلامية عبر المسافات السحيقة إلى هذا القطاع وإلا لارتفعت نسبة المسلمين فيه ورغم هذا فإن عدد المسلمين فيه يصل إلى ٣٥٠ مليون، ويمثلون حوالي ٥/٢ من عدد سكان المسلمين في العالم، وتوجد فيه اندونيسيا أكبر دول العالم الإسلامي[٢٣].

إن هذه المنطقة تشمل أيضاً أقليات إسلامية تعيش وسط دول إسلامية كالهند مثلاً حيث يبلغ عدد الأقلية الإسلامية فيها ما يزيد على عشر عدد السكان، ويبلغ عددهم حوالي ٨٠ مليون مسلم، وعددهم يفوق تقريباً العدد الموجود في أية دولة إسلامية في القطاع الغربي باستثناء نيجيريا[٢٤]، ويتراوح عدد المسلمين في الصين ما بين ٩٠ – ١٠٠ مليون وفي بنغلادش يبلغ عددهم حوالي ٩٠ مليون مسلم، ويصل عدد المسلمين كذلك في الملايو إلى ما يزيد على نصف عدد السكان البالغ عددهم

(١٤) مليون نسمة، وتعد الملايو بؤرة توزيع الإسلام في جنوب شرقي آسيا[٢٥]، ومما بجدر ذكره إن الإسلام قد جاء إلى هذه المناطق عبر الطريق البحري وذلك لأن العوامل الجغرافية الطبيعية (كجبال الهملايا الشاهقة) قد حالت دون انتشاره بالطريق البري، وكانت حضرموت محور الطريق البحري ومركز إرسال الدعوة الإسلامية والمسلمين إلى جنوب شرقي آسيا كما كانت شبه جزيرة الملايو تمثل مركز الاستقبال لهذه الدعوة[٢٦]، وفي هذه المنطقة تقع الجزر الاندونيسية التي تعد طليعة التجمع الإسلامي في العالم. إذ يمثل المسلمون نحو ٩٢ % من السكان البالغ عددهم ١٤٥ مليون نسمة، وتقع جزر الفلبين كذلك في شرقي آسيا وسماها الجغرافيون (أرض الله المشرقة) في العالم الإسلامي، وفيها يستقر عدد كبير من المسلمين يعرفون باسم (المورو) وهي تسمية أطلقها عليهم المستعمرين الأسبان على نحو ما عرف به المسلمين في إسبانيا والمغرب وجزيرة مدغشقر وسيلان[٢٧].

المبحث الثالث

١- دور الدعاة في انتشار الإسلام:

ركب التجار المسلمون البحر وحملوا معهم بضائعهم، ورحلوا والأمل يحدوهم بالنجاح في مهمتهم لنشر الإسلام. وتنطلق السفن، ويتوكل ركابها على الله يبغون تجارة لن تبور، وتصل الفلك إلى المحطات ويترجل منها التجار، ويتلقاهم نظراؤهم من أهل البلاد يبتاعون منهم ويبيعون فيجدون فيهم الصدق، ويرون فيهم الاستقامة ويعرفون فيهم الأمانة ويعلمون إن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها، فيحبب الإسلام إلى نفوسهم ويدعونهم، ويلتقون معهم فيحسون منهم الكرامة والعفة[٢٨]، وينظرون إلى عبادتهم وعلمهم وسلوكهم فيسرون مما يرون، ويصبح الإسلام قريباً من نفوسهم وأهله مقربين إلى قلوبهم وبعد رحلات ولقاءات لايجد التجار من أهل البلاد أنفسهم إلا وقد دانوا بالإسلام وأصبحوا من أبناءه[٢٩].

وتنطلق السفن إلى محطات أخرى وتتم المقايضات والمبايعات واللقاءات كما حدث في المحطة الأولى، وهكذا كانت المحطات التجارية مراكز لانطلاق الإسلام وكلما كانت المحطات أكثر اتساعا وأكثر بضائع كان الإسلام أكثر انتشارا لذا فإننا نلاحظ أن السواحل التي كانت طريقاً للسفن التجارية قد أنتشر فيها الإسلام وهي عادة الشواطئ المحدبة والتي تصلح لإقامة الموانئ سواء لحمايتها من الريح أو لسواحلها التي تساعد على إقامة المرافئ إذ لا تصل إليها مجروفات الأنهار، أما السواحل المقعرة فلا تمر منها عادة السفن لكثرة المجروفات وعدم إقامة الموانئ وطول الطريق حيث تتعداها السفن عادة إلى السواحل المحدبة الأخرى التي تليها وكلما كانت إقامة التجار المسلمين في محطات الموانئ أكثر كان الإسلام أكثر ازديادا[٣٠].

فإذا ما وصلت السفن إلى آخر المحطات كانت هناك الإقامة الأكثر طولاً حتى تنفذ البضائع إذ لا توجد بعدها محطات فلا تفكير لبيعها في مكان ثان، وحتى يشتري التجار بضائع جديدة حيث لا توجد بعدها مواقف لأخذ البضاعة منها والحاجات، ثم إن هذه المحطة هي المقصودة بالذات وهذه البلدان هي المعنية بالسفر إليها، وبضائعها ومنتجاتها هي المرغوب فيها لهذا كله تطول الإقامة وتزداد الصلة مع السكان وبالتالي ينتشر الإسلام. ولما كانت أندونيسيا من المواضع التي تشد إليها الرحال للتجارة لذا فقد أنتشر فيها الإسلام كثيراً حتى عم، وأصبحت أحد الأمصار الإسلامية وكانت ماليزيا ترتحل إليها السفن بدرجة أقل، لذا فقد أنتشر فيها الإسلام بدرجة أقل وكانت مصراً إسلاميا غير أن نسبة المسلمين فيها ليست مرتفعة[٣١]، ومن أندونيسيا قد تنطلق سفن تجارية ويرتحل الدعاة أو يسيروا منفردين إلى السواحل القريبة منها أو الجزر الدانية فأنتشر الإسلام في الجزر التي عرفت باسم الفلبين حتى حكم المسلمون تلك الجزر. أما جزر اليابان فلم يصل إليها الإسلام لبعدها عن مواطن المسلمين الأولى وعن مراكزهم الجديدة في أندونيسيا وماليزيا، وبقي الوضع

هكذا حتى العصر الحديث حيث أتجه بعض المسلمين إليها وتشكلت نواة منهم هناك تنمو بشكل طيب[٣٢]، ووصلت السفن إلى سواحل الصين، وتوقفت في مرفأ (كانتون) وربما وصلت إلى هذا المرفأ سفن قادمة مباشرة من بلاد العرب حيث كان قد أنتشر الإسلام هناك في وقت مبكر وقد يكون قبل وصول الإسلام إلى أندونيسيا[٣٣]، أما السواحل التي قبل ماليزيا، واندونيسيا والتي كانت تمر منها السفن الإسلامية فقد أنتشر فيها الإسلام بنسب متفاوتة حسب الميناء من حيث موقعه، ومدة الإقامة فيه، والمنتجات في ظهيرة والبضائع التي تستهلك في المنطقة. لقد أنتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية في جزر (لاكاديف) بنسبة كبيرة حيث كانت محطة طبيعية، كما أنتشر على سواحل منطقة (بومباي) نتيجة كثرة الاستهلاك وشراء البضائع المحمولة إليها، وإن لم تكن محطة أساسية إلا أن السفن المنطلقة إليها تكون خاصة بها، ولم تطل مدة إقامة التجار فيها لسرعة عمليات المبادلة التجارية، لذا لم تزد نسبة المسلمين فيها على ٩%، أما السفن المتجهة إلى الجنوب الشرقي من آسيا فإنها تنطلق إلى جزر (لاكاديف) لذا فقد انتشر الإسلام فيها، وبلغت نسبة أتباعه فيها ٩٤% ثم تتحرك السفن إلى جنوب الهند حيث تضطر إلى التوقف للتزود باحتياجاتها ، وأخذ بعض الراحة، وربما قامت فيها بعض الأعمال التجارية، وقد وصلت نسبة المسلمين هناك إلى ٢٠% وتتجه السفن بعدها إلى السواحل الشرقية للهند ولكن لا تسير موازية لها مسافة طويلة بل تتركها متجهة إلى الشرق مبتعدة عن تقعر خليج البنغال[٣٤]، وربما توقفت بعضها في (مدراس) إن كانت هناك حاجة للتزود باحتياجاتها من جنوبي الهند، وتنطلق إلى (مدراس) لتوجيه خط سيرها، وهي ليست بحاجة إلى التزود من جديد لذا كانت نسبة المسلمين قليلة في (مدراس) ولا تزيد عن ٥% من مجموع السكان[٣٥]، وبعد أن تلتف السفن حول شبه جزيرة ماليزيا، تعود نسبة المسلمين قليلة للسبب نفسه إذ تتقعر سواحل (تايلند) و(كمبوديا) بتقدم مياه خليج

(سيام) في داخل اليابس، هذا إلى جانب ما تلقيه الأنهار الموسمية الغزيرة من مجروفات في مياه البحر، ونصل بعدها إلى سواحل (فيتنام) وتكون سواحلها الشمالية مقعرة حيث يقع خليج (طونكين) فلا تمر السفن عليه، ولا تقف في محطات هناك، هذا ما حال دون انتشار الإسلام بتلك الجهات، وبعدها تبدأ سواحل الصين[٣٦]، وهكذا وجدت أقليات مسلمة نتيجة التجارة البحرية والدعوة على طول سواحل قارة آسيا الجنوبية، والجنوبية الشرقية، ولم يعم الإسلام سوى الأجزاء التي كانت آخر المحطات التجارية، أو تقصدها البواخر وتكون هدفاً لها ولمنتجاتها، وهي (أندونيسيا) و(ماليزيا).

٢- **دور التجار في انتشار الإسلام**:

أما في الداخل فقد أنتشر الإسلام فيه وخاصة في البلدان الشاسعة كالصين والهند عن طريق التجارة البرية والدعاة، وربما أسهمت الحكومات في العمل لدعم ذلك الانتشار فيما إذا كانت بأيدي المسلمين سواء أرغب أصحابها في ذلك أم لا لأن للحكومات هيمنة تشجع على الإقبال على عقيدة من بيدهم السلطة[٣٧].

أنتشر الإسلام في الصين ببطء، ونلاحظ إن النسبة العامة للأقلية المسلمة تقل كلما تعمقنا في داخل الصين مبتعدين عن حدود أمصار العالم الإسلامي إلا أن وجود دعاة في المنطقة استطاعوا بذل الجهد ووفقوا في العمل فعندها ترتفع نسبة المسلمين قليلاً كما هي حال ولاية (بوتان) التي تزيد نسبة المسلمين على ٣٠% من مجموع السكان في حين إن نسبة المسلمين في الصين عامة لا تزيد على ١٠ % من مجموع السكان ولقد نشط المسلمون في العهد المغولي الذي أمتد من ٦٨٥ – ٧٦٩ هـ حيث انتقلت مجموعات من المسلمين من تركستان وكانت بينهم أعداد من الدعاة إلى الصين إذ كان المغول يسيطرون على المنطقتين[٣٨]، وفي الهند أنتشر الإسلام في الشمال بين السند والبنغال نتيجة سير الفتوح، وتوزع المسلمون في أرجاء الهند كلها عندما آل إليهم حكمها فقل الفرق بين النسب المتباينة، وتصل نسبة المسلمين عامة في الهند إلى ١٤% [٣٩]، وأنتشر الإسلام في داخل بورما بوصول بعض

المسلمين إليها عند فتحها[٤٠]، وهكذا فإن مناطق جنوب آسيا وجنوب شرقها أنتشر فيها الإسلام بعد القرن الثالث الهجري بقي المسلمون فيها أقليات باستثناء منطقة البنغال التي فتحها الغور يون في القرن السادس الهجري واندونيسيا وماليزيا اللتين كانتا آخر المحطات التجارة البحرية وقامت فيهما إمارات مسلمة، وجزر المالديف التي عمها الإسلام بالدعوة التي كانت عن طريق الدعاة الذين وصلوا إليها مع التجار[٤١]. عن طريق البحر وخبرة البحارة العرب في ركوب البحر ساعد على سرعة وصول الإسلام إلى هذه المناطق[٤٢]

المبحث الرابع

تأثير الإسلام في منطقة جنوب آسيا وجنوب شرقها

كان للإسلام التأثير الكبير في عادات وتقاليد وعقائد بلدان شرق وجنوب آسيا وذلك لما يحمله من تعاليم سمحة وتأثير بالغ في النفوس لأنه الدين الذي أرسله الله إلى البشر أجمعين.

وكان للمساجد الأثر الكبير في نشر العلوم الإسلامية والدعوة إلى الإسلام في تلك البلدان ولاشك في أن المساجد في العصر الأموي كانت تعد من أكبر معاهد الدرس والتعليم لا في البلاد المفتوحة فحسب بل حتى في البلاد العربية ودار الخلافة نفسها[٤٣].

وكان الأئمة والعلماء يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد ويقوموا بتدريس أولاد المسلمين ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي البلدان المفتوحة في شرق آسيا وجنوبها. وكان هناك بعض العلماء العرب قد تولوا مناصب القضاء والتبليغ. وكانوا يبذلون جهوداً من أجل نشر العلوم الإسلامية من ناحية، والدعوة إلى الإسلام من ناحية أخرى[٤٤].

وفي العصر العباسي أخذت العلوم الدينية والعقلية عند العرب تتسع وتزداد انتشارا في تلك البلدان، فقد عد هذا العصر ذهبياً للتبادل الثقافي. ففي هذه الفترة

أصبحت العلاقات الثقافية مباشرة بين العرب وبلدان شرق آسيا وجنوبها وذلك لما أسست بغداد وأصبحت عاصمة للدولة العباسية في أواسط القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي، وقد افتتحت هذه الحقبة عهداً طويلاً من الاتصال الثقافي دام بضعة قرون، ولعله لم تكن ثمة فترة في تاريخ العرب وبلدان شرق آسيا وجنوبها في العصور القديمة أو الوسطى كانت فيها العلاقات أكبر ارتباطا بين البلدين مما كانت هذه الفترة[٤٥]. وكان لتطور الجغرافية والفلك وعمل الاصطرلاب وترجمة بعض الكتب الأثر الواضح في تطور الرصد البحري وبالتالي تطور العلاقات بين العرب المسلمين وبلدان عبر البحار[٤٦] ويمكننا أن نلمس طبيعة العلاقات الثقافية بين دول جنوب آسيا وجنوب شرقها والعالم العربي من خلال انتشار ورواج العلوم العربية والإسلامية سواء كانت دينية أم عقلية وأثر ذلك الانتشار على ثقافة هذه الشعوب والرواج على ثقافة هذه الشعوب، فلو نأتي إلى طبيعة العلوم العربية (الدينية والعقلية) المنتشرة في بلدان جنوب آسيا وشرقها نجد إن من بين هذه العلوم:

اللغة العربية:

إن سر القوة في اللغة العربية يرجع إلى كونها لغة القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين فهذه القوة في التغلب والتأثير والانتشار هي في الحقيقة قوة إلهية وضعها الله في اللغة العربية المباركة[٤٧].

وهناك عوامل أخرى تعود إلى خصائص اللغة العربية التي ما دخلت بيئة من البيئات إلا اجتذبت إليها اهتمام الناس وخاصة الموهوبين منهم فكانوا يقبلون على تعلمها فلا تكاد تلامس شغاف قلوبهم حتى يعلنوا إيمانهم بعظمة هذه اللغة المقدسة ويسجدوا أمام محرابها الأزلي[٤٨].

إن اللغة العربية بحلاوتها ومرونتها، وكثرة أتساعها في شرح العلوم وتفسيرها وبجمالها المتمثل في إعرابها وتعبيرها وإعجازها وإيجازها ومترادفاتها وأمثالها وكثرة معانيها، قد اجتذبت إليها جماعة من العلماء الذين عكفوا على أسرارها ودراستها

بشوق وصبر ومازالوا حتى ملكوا عنانها، واتخذوها أداة طيبة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم[٤٩].

بالإضافة إلى الاهتمامات الخاصة من جانب بعض المفكرين العرب بنشر اللغة العربية التي تعتمد عليها العلوم الإسلامية في انتشارها في تلك البلاد، فقد كانت مجالس علمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية[٥٠].

وفي القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلاديين حيث نشطت حركة التدوين والتأليف عند المؤرخين والجغرافيين العرب في العصر العباسي، بدأ هؤلاء يحضرون بأنفسهم إلى بلدان شرق آسيا وجنوبها لجمع أخبارها عن طريق الاتصال بالعلماء، وقد سجلوا في مؤلفاتهم تلك الأخبار وما يتعلق بانتشار اللغة العربية في تلك البلاد، فهذا المؤرخ الكبير المسعودي الذي زار بلاد السند سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) يشير إلى وجود كثير من العلماء العرب الذين يبذلون الجهود لخدمة اللغة العربية ونشرها، وأن الناس في هذه البلاد يقدسون تلك اللغة وكثير منهم يتحدثون بها ولاسيما الطبقة الحاكمة[٥١].

علم الحديث:

علم الحديث هو العلم الذي يختص بدراسة الحديث النبوي الشريف من حيث صحته أو وضعه أو وصفه بطرق مختلفة مع إعطاء شرح واف له، وكان لهذا العلم انتشار في البلدان الآسيوية التي وصل إليها الإسلام ومما ساعد على ظهوره وفود الصحابة والتابعين إلى هذه البلدان، وإقامتهم فيها وتفجيرهم ينابيع هذا العلم كما صنعوا من قبل في البلاد العربية[٥٢].

إن وصول الصحابة والتابعين إلى بلدان شرق آسيا وجنوبها أشاع روحاً جديدة في علم الحديث هناك، فخلال هذه المرحلة تطور علم الحديث تطوراً كبيراً، فقد قامت بلاد السند مثلاً مراكز لتعليم الحديث أنجبت عدداً من المحدثين النبهين[٥٣].

علم الفقه والمذاهب الإسلامية:

علم الفقه هو العلم الذي يقوم باستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية المتمثلة بالكتاب (القرآن الكريم) والسنة النبوية، وقد أرتبط ظهور هذا العلم بظهور المذاهب الإسلامية[٥٤].

كانت الوفود العربية تتوافد إلى بلدان شرق آسيا وجنوبها من بغداد، باعتبارها جزء من العالم الإسلامي، حاملة المذاهب الفقهية، وكانت بلدان جنوب آسيا وجنوب شرقيها على صلة وثيقة ببلاد العرب عن طريق موانئها وتجارتها مع العرب، وقد حمل إليها التجار العرب إسلامهم ومذاهبهم الفقهية مثل المذهب المالكي والشافعي، فقد دخل مذهب مالك في هذه المنطقة على يد الشيخ أبي البركات البربري المالكي ونشر فيها الإسلام[٥٥]. أما المذهب الشافعي فقد دخل بفضل التجار العرب الذين كانوا يفدون إلى هذه البلدان ولأجل ذلك مازال المذهب الشافعي المذهب السائد في هذه البلاد.

وقد كان للفرق الإسلامية نصيباً من الحضور في بلاد الهند، فقد وصلت إلى بلاد الهند فرقاً هامة لعبت دوراً في المجالين السياسي والديني وكانت فرقة الخوارج أهم هذه الفرق حيث كانوا يفرون من البلاد العربية وغيرها يأتون إلى بلاد الهند ويتخذونها ملجأ لهم[٥٦].

الفلسفة والعقائد:

كانت الفلسفات البوذية والهندوسية في أبعادها ومنطلقاتها بعيدة عن المنهج العلمي وممتزجة امتزاجا شعرياً بالدين فقد كانوا معتقدين بأن العالم مشتق من شيء واحد أزلي لا يقبل التغير وذهابهم في هذا التحليل إلى وراء الطبيعة من الخيال والوجدان لا العقل ولا العلم[٥٧] بينما كانت الفلسفة الإسلامية وبتأثير القرآن الكريم قد اتجهت اتجاها عقلياً، وكانت ترى أن العقل والمروءة يجب أن تكون من أهم صفات

الإنسان وبذلك بدأوا يطبقونها في تعاملهم اليومي مع المجتمع من خلال المرشد والقول وغيرهم من الصوفية[٥٨] كما كانوا في سلوكهم الفلسفي يذهبون إلى التفكير والتأمل في ظواهر الكون وتحليلها ثم إعطاء الرأي والاستنتاج دون تحجر عقلي ولذلك فقد كانوا واقعيين وجمعوا بين الشريعة الدينية وبين الفلسفة، وصولاً إلى المعرفة والفناء والبقاء بينما الفلسفة الهندوسية ترى ذوبان المطلق[٥٩]. وبذلك فقد وقفت الصوفية بين متطلبات الإنسان وأبعاده وبين المستوى الاجتماعي لتلك البلدان لنشر الإسلام بينهم ببساطة دون أن يتأثروا بجوهر الفلسفة الهندوسية أو البوذية[٦٠].

الخاتمة:

بدأ الإسلام بالانتشار في أوائل القرن السابع الميلادي، وأنطلق بدعوته النقية الصافية التي تنسجم والفطرة البشرية، ولا غرابة في ذلك فالبشر خلق الله والإسلام منهج الله، وطبيعي إن يكون المنهج متسقاً مع من وضع له، واعتمدت الدعوة الإسلامية على تثبيت العقيدة وأرجاء الأمر كله لله مع العمل وفق ذلك، وبما يتطلب من المخلوق إن يقوم به، كما اعتمدت المساواة بين بني البشر ، ومحاربة الظلم أينما وجد فأقبل الناس أفواجا يدخلون في دين الله.

كما وكان للتجار العرب وبحارتهم صلات قوية بحكم عملهم وعلاقاتهم بأهالي المدن الساحلية في جنوب آسيا وجنوب شرقها تمتد إلى فترات زمنية ساحقة، بل كانوا يذهبون إلى وراء ذلك في خليج البنغال وبلاد الملايو (ماليزيا، وأندونوسيا) فقد كانوا بذلك سادة البحار، وقد كونوا لهم هناك جاليات كثيرة في معظم المدن الساحلية، وكان ملوك وأهل تلك البلاد يحترمونهم ويقدرون فضلهم الاقتصادي (التجاري)على البلاد، وكانوا لايجدون في وجودهم خطراً يهدد كيانهم.

كما ركز المسلمون في البلدان التي دخلوها، حيث اقبل السكان على الإسلام أفواجاً لأنه دين الفطرة، وفي مبادئه مايحلمون به من مساواة وحرية وعدالة وأمن ولم يمض إلا وقت قصير حتى أعتنق الكثير هذا الدين العظيم.

هذه العوامل كلها ساهمت في نشر الإسلام في دول جنوب آسيا وجنوب شرقها وقد تبين من خلال البحث والتقصي إن للتجار والمهاجرين العرب الفضل الكبير في انتشار الإسلام في مناطق واسعة من العالم ولاسيما المناطق المذكورة في طيات هذا البحث، وقد كان وجود الإسلام في هذه المناطق أكثر ارتكازا وثباتا من غيرها، لأنه وصل إليها عن طريق السلم والتفاهم لاعن طريق السيف والقوة، وهم (أهالي البلاد الأصلين) بهذا أحبوا الناس الذي أوصلوا الإسلام أليهم.

ولهذا نجد أن الإسلام في هذه المناطق لايزال موجوداً بل أزداد عدد المسلمين زيادة لم يسبق لغيره من الديانات السماوية إن توسع بهذا الشكل، في حين نجده قد ضعف بل يمكن القول انه تلاشا في مناطق أخرى مثل بلاد الأندلس (اسبانيا – البرتغال) حاليا رغم حكمهم من قبل العرب لقرون عديدة إلا إن وصول الإسلام إليهم عن طريق السيف والقوة لم يرسخ الإسلام في قلوبهم بشكل حقيقي.

نسأل الله التوفيق والعفو.

الهوامش:

(١) الطبري ' أبي جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق نواف الجراح، ط٢ دار صادر (بيروت – ٢٠٠٣م) ٣/ ٩٤٨؛ حمدان، جمال، العالم الإسلامي المعاصر، ط١ (بيروت – ٢٠٠٠م) ص٤٢.

(٢) الحموي ياقوت بن عبد الله (ت – ٦٢٦هـ) معجم البلدان، ط١ (بغداد–لا.ت)، ٥/٤٠٨؛ حمدان، العالم الإسلامي، ص٩٢.

(٣) حمدان ' العالم الإسلامي، ص ٩٢.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) اليعقوبي، ط١ (النجف – ١٩٧٤) ١/ ٢٣٩ ؛ الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٤١٠–٤١١

(٥) رمضان، عبد العظيم محمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية (مصر – ١٩٦٣م) ص٦٦.

(٦) م. ن، ص٦٨.

(٧) باغي، إسماعيل أحمد، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، مكتبة المعارف (مصر – ١٩٨٦) ص٧٧.

(٨) باغي، محاضرات، ص٧٨.

(٩) م. ن، ص٨٢.

(١٠) م. ن، ص٨٣.

(١١) أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، تحقيق تركي فرحان (بيروت – ٢٠٠٦م) ٤/ ٣٢٦؛ باغي، محاضرات، ص ٨٥

(١٢) رمضان، القاموس الإسلامي، ص٧٢.

(١٣) م. ن، ص٧٣.

(١٤) باغي، محاضرات، ص٨٥.

(١٥) رمضان، القاموس الإسلامي، ص٧٦.

(١٦) حمدان، العالم الإسلامي المعاصر، ص٢١١.

(١٧) م. ن، ٢١٢.

(١٨) باغي، محاضرات، ص٨٨.

(١٩) باغي، محاضرات، ص٩٠.

(٢٠) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) عيون الأخبار، تحقيق يوسف الطويل ط٣ (بيروت ٢٠٠٣م) ٢/ ٢٧٤؛ الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار العلم للملايين (بيروت – ١٩٨٦م) ص٣٢١.

(٢١) رمضان، القاموس الإسلامي، ص٢٢٤.

(٢٢) م. ن، ص٢٢٥.

(٢٣) شكري، د. محمد فؤاد، سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت – ١٩٨١م) ص١٢١.

(٢٤) م. ن ، ص١٦٦.

(٢٥) م. ن، ص١٦٨.

(٢٦) الساداتي، أحمد، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا (القاهرة – ١٩٧٧)، ص٣٢١.

(٢٧) الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية، ص٣٢٢.

(٢٨) شبيلي، د. أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي (القاهرة – ١٩٧٧) ص٨٣.

(٢٩) الدينوري، عيون الأخبار، ٢/٢٧٧؛ شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٨٦.

(٣٠) شاكر، محمود، البلدان الإسلامية والأقليات المعاصرة (الرياض – ١٩٨٠)، ص١١١.

(٣١) شاكر، البلدان الإسلامية، ص١١٢.

(٣٢) م. ن، ص١١٥.

(٣٣) آرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٣ (القاهرة – ١٩٧٠ م) ص٢٣١.

(٣٤) أرنو لد، والدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٢

(٣٥) م. ن، ص٢٣٦.

(٣٦) شاكر، البلدان الإسلامية، ص١٢٦.

(٣٧) شبلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص١٠٠.

(٣٨) شكري، سكان العالم الإسلامي، ص١٤٩.

(٣٩) م. ن، ص١٥٢.

(٤٠) م. ن، ص١٥٢ – ١٥٣.

(٤١) م. ن، ص١٥٦.

(٤٢) المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد(ت: ٣٨٧هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشره ديغويه، ط١(ليدن –١٩٠٦م) ص ١٠١

(٤٣) معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ط٣، مطبعة دار الثقافة (بيروت – ١٩٧٥) ص٤١٢.

(٤٤) ألطرازي، عبد الله مبشر، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلدان شرق آسيا، ط١، عالم المعرفة (جدة – ١٩٨٣) ص٧٤.

(٤٥) م. ن، ص٧٥.

(٤٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩ ؛ خسرو، أبو معين ناصر (ت: ٤٣٨هـ) سفرنامة، نقله يحيى الخشاب ط١(بيروت – ١٩٧٠م) ص١٥١

(٤٧) ألطرازي، موسوعة التأريخ الإسلامي، ص٨٢.

(٤٨) ألعبادي، عبد الحميد وآخرون، الدولة الإسلامية وتأريخها وحضارتها، دار النهضة المصرية (القاهرة – ١٩٧٥) ص١١٦.

(٤٩) الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٨٣.

(٥٠) م. ن ، ص٨٤.

(٥١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة – ١٩٨٥) ٢٤٦/١.

(٥٢) معروف، أصالة الحضارة العربية، ص٤٢١.

(٥٣) أبن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن أبي الكرم، (ت: ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠٤م) ١٢٣/٣.

(٥٤) ألطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٨٩.

(٥٥) م. ن، ص٩٢.

(٥٦) أحمد، مقبول، العلاقات العربية الهندية، ترجمة: نقولا زيادة، ط٢ (بيروت – ١٩٧٤) ص١٨٦.

(٥٧) م. ن، ص١٨٨.

(٥٨) احمد، العلاقات العربية الهندية، ص١٨٨.

(٥٩) م. ن، ص١٨٨ – ١٨٩.

(٦٠) معروف، أصالة الحضارة العربية، ص١٥٢.

قائمة المصادر والمراجع:

١- أبن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ ، ط١ (بيروت – ٢٠٠٤ م).

٢- أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، تحقيق تركي فرحان (بيروت – ٢٠٠٦م)

٣- خسرو، أبو معين ناصر (ت: ٤٣٨هـ) سفرنامة، نقله يحيى الخشاب ط١(بيروت – ١٩٧٠م)

٤- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت – ٦٢٦هـ) معجم البلدان، ط١(بغداد – لا.ت)

٥- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) عيون الأخبار، تحقيق يوسف الطويل ط٣(بيروت ٢٠٠٣م)

٦- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق نواف الجراح، ط٢ (بيروت – ٢٠٠٣م)

٧- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد (القاهرة – ١٩٨٥)

٨- المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٣٨٧هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشره ديغويه، ط١(ليدن –١٩٠٦م)

٩- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) تاريخ اليعقوبي، ط١ (النجف – ١٩٧٤م)

قائمة المراجع:

"النصوص المسمارية ومصداقيتها"

م.م.عبدا لله علي محمد ألتميم

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

ملخص البحث

تمثل النصوص المسمارية أروع ما تركه العراقيون القدماء(عن غير قصد) من ظواهر حضارية نقلت إلينا معلومات كثيرة، ومتنوعة عن اسلوب الحياة آنذاك بمختلف مجالاتها.إذ استطاع الباحثون من خلالها التعرف على النظم القانونية، والأعراف، والتقاليد السائدة آنذاك، وعلاقة الناس بالسلطة الحاكمة، وكيفية تعامل القوم فيما بينهم اجتماعيا، واقتصادياً وعلى مختلف المستويات إلى جانب ما تركه القوم من آثار صماء تمثلت في الآلات، والأدوات التي استخدمها الإنسان في مختلف مجالات حياته.وكذلك النقوش والمنحوتات، والمسلات التي أفادت كثيراً في فهم مجالات الحياة المتنوعة إلا إن المآخذ التي تؤخذ على النصوص المكتوبة، والآثار الصماء على حدٍ سواء، أنها قد تكون غير دقيقة او غير صادقة في كل ما دُوِّنَ بالنسبة للنصوص، ونُقشَ أو صُوِّر بالنسبة للمنحوتات. وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على مدى مصداقية مضامين النصوص المسمارية، ومعرفة حجم دقة ما ورد فيها من معلومات، ودعوة للباحثين العراقيين من اجل إعادة النظر في فحوى تلك النصوص بما يتلاءم ونظرتنا كمسلمين عراقيين، وضرورة إتباع الإسلوب الذي يضمن لنا تأسيس مدرسة عراقية متخصصة بالآثار والدراسات المسمارية من منطلق أننا أحق بدراسة تاريخنا ووضع الحقائق في نصابها وتفنيد كل معلومة غير دقيقة وضعها الباحثون الغربيون الذين دفعتهم دوافع دينية وعرقية لإثبات ما ورد ذكره في كتاب العهد القديم.

نسال الله أن يكون هذا الجهد خطوة في طريق إنشاء مدرسة عراقية متخصصة في الآثار والدراسات المسمارية.

١٠- أحمد، مقبول، العلاقات العربية الهندية، ترجمة نقولا زيادة، الدار المتحدة للنشر (بيروت – ١٩٧٤م).
١١- رنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط١(القاهرة – ١٩٧٠ م).
١٢- الأمين ، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار العلم للملايين(بيروت – ١٩٨٦ م).
١٣- باغي، إسماعيل أحمد، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، مكتبة المعارف (مصر – ١٩٨٦ م).
١٤- حمدان، د. جمال، العالم الإسلامي المعاصر، دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠٠ م).
١٥- رمضان، عبد العظيم محمد، القاموس الإسلامي المعاصر، مكتبة النهضة المصرية(مصر– ١٩٦٣ م).
١٦- الساداتي، أحمد، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا (القاهرة – ١٩٧٧ م).
١٧- شاكر، محمود، البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية المعاصرة (الرياض – ١٩٨٠م).
١٨- شكري، د. محمد فؤاد، سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة (بيروت – ١٩٨١ م).
١٩- شبلي، د. أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي (القاهرة – ١٩٧٧ م).
٢٠- ألطرازي، عبد الله مبشر، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية لبلدان شرق آسيا(جدة – ١٩٨٣ م).
٢١- ألعبادي، عبد الحميد وآخرون، الدولة الإسلامية وتاريخها وحضارتها(القاهرة – ١٩٧٥ م).
٢٢- معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ط٣، مطبعة دار الثقافة (بيروت – ١٩٧٥ م).

مُقَدِّمَة

تمثل النصوص المسمارية أروع ما تركه العراقيون القدماء(عن غير قصد) من مظاهر حضارية زودتنا بمعلومات كثيرة، ومتنوعة عن اسلوب الحياة آنذاك بمختلف مجالاتها.إذ استطاع الباحثون من خلالها التعرف على النظم القانونية، والأعراف، والتقاليد السائدة آنذاك، وعلاقة الناس بالسلطة الحاكمة، وكيفية تعامل القوم فيما بينهم اجتماعيا، واقتصادياً وعلى مختلف المستويات إلى جانب ما تركه القوم من آثار صماء تمثلت في الآلات، والأدوات التي استخدمها الإنسان في مختلف مجالات حياته. وكذلك النقوش والمنحوتات، والمسلات التي أفادت كثيراً في فهم مجالات الحياة المتنوعة إلا إن المآخذ التي تؤخذ على النصوص المكتوبة، والآثار الصماء على حدٍ سواء، أنها قد تكون غير دقيقة او غير صادقة في كل ما دُوِّنَ بالنسبة للنصوص، ونُقشَ أو صُوِّر بالنسبة للمنحوتات. وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على مدى مصداقية مضامين النصوص المسمارية، ومعرفة حجم دقة ما ورد فيها من معلومات، ودعوة للباحثين العراقيين من اجل إعادة النظر في فحوى تلك النصوص بما يتلاءم ونظرتنا كمسلمين عراقيين، وضرورة إتباع الإسلوب الذي يضمن لنا تأسيس مدرسة عراقية متخصصة بالآثار والدراسات المسمارية من منطلق أننا أحق بدراسة تاريخنا ووضع الحقائق في نصابها وتفنيد كل معلومة غير دقيقة وضعها الباحثون الغربيون الذين دفعتهم دوافع دينية وعرقية لإثبات ما ورد ذكره في كتاب العهد القديم.

نسال الله أن يكون هذا الجهد خطوة في الطريق لإنشاء المدرسة العراقية المتخصصة في الآثار والدراسات المسمارية.

ماهية مضامين النصوص المسمارية:

قبل بدء الحديث عن مصداقية مضامين النصوص المسمارية لابد من التعرف على طبيعة تلك النصوص وماهية مضامينها.

أن أقدم النصوص المسمارية مفهومة اللغة أشارت إلى إن الدوافع الأساسية لابتكار الكتابة كانت اقتصادية بحتة لتدوين واردات المعابد(١). وهو شيء واضح إذ ضمت تلك النصوص علامات صورية تشير إلى مواد مختلفة والى جانب كل علامة من تلك العلامات إشارات بسيطة على شكل دوائر أو خطوط تعبر عن الأرقام(٢). وبعد أن تطور استخدام الكتابة وزادت الحاجة إلى إيصال الأفكار إلى الغير، وتدوين التراتيل الدينية، والأدعية والصلوات، ومنذ بداية الألف الثاني ق.م أصبحت الكتابة وسيلة لتدوين مختلف المعارف فزاد بذلك عدد النصوص المسمارية وتعددت مضامينها وتنوعت. إذ تناولت مختلف نواحي الحياة فاشتملت على القانون، والسياسة، والإدارة، والدين، والعلوم، والآداب، والتراتيل الدينية، والحياة الاجتماعية وغيرها(٣).

ويمكننا تقسيم النصوص المسمارية (آخذين بنظر الاعتبار موضوع بحثنا في مضامين النصوص المسمارية ومصداقيتها) إلى قسمين أو نوعين هما:.

- **النوع الأول:.** وهي تلك النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة سواء كانت دينية ممثلة بـ(الكهنة، والمعابد) أو دنيوية ممثلة بـ(الملوك، والحكام، والمتنفذون).
- **النوع الثاني :.** وهي تلك النصوص المتعلقة بالحياة العامة للناس العاديين، والنصوص ذات المضامين العلمية، والتاريخية، والجغرافية.

لقد جرى اختيار هذا التقسيم من اجل نقد مضامين نصوص النوعين كلٌ على حدةٍ مع مراعاة ما يمكن أن يعتري النوع الأول من تزوير متعمد للحقائق لغايات إعلامية تتفق ومصالح السلطة الحاكمة. واعتبار النصوص من النوع الثاني أكثر احتمالاً للمصداقية نظراً لأنها تحتوي على مواضيع علمية بحتة، أو تاريخية، أو

اجتماعية، أو اقتصادية وهي في جميع الأحوال لا تتعارض ومصالح السلطة الحاكمة، لذا فان إمكانية وجود التزوير المتعمد فيها تكون قليلة جداً. لكن هذا لا يعني أن نصوص النوع الأول تفتقر إلى الدقة والمصداقية في كل ما تحويه من موضوعات كما انه لا يعني بالضرورة أن تكون نصوص النوع الثاني ذات دقة مطلقة. وسنأخذ النوعين بالتحليل والنقد كلٌ على انفراد لنبين قدر الإمكان مدى الدقة في مضامينهما.

- **النوع الأول** (النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة):

وهي تلك النصوص التي تشتمل على مجموعة القوانين، والمراسيم الملكية، والإصلاحات، والمعاهدات، والرسائل الملكية، إضافة لما يتعلق بالكهنة، والمعتقدات الدينية؛ كقصة الخليقة، والتراتيل الدينية وغيرها. وهذه نصوص يجب على الباحث التأني في دراستها، وعدم التسرع في تصديق جميع المعلومات الواردة فيها، وأخذها على إنها صحيحة ودقيقة في جميع الأحوال؛ فالنصوص الملكية مثلا نجد فيها كثيرا من المبالغة في إظهار قوة وعظمة الملوك، والانتصارات التي حققوها على الأعداء؛ وهي من جانب آخر تغفل أو تتجنب ذكر الحقائق المتعلقة بالخسارة في المعارك؛ ذلك لان الغاية منها كانت إعلامية؛ لبث الرعب في نفوس الأعداء، وشحذ الهمم في نفوس أبناء الشعب[٤]. ومن الأمثلة التي تبين التلاعب أو التزوير المتعمد في النصوص الملكية ما ورد ذكره في أخبار حروب الملك الأشوري شرّو– كين (سرجون الثاني)٧٢١–٧٠٥ ق.م؛ ضد الثائر البابلي(مردوخ–ابلا–ادينا)[٥] الذي التجأ إلى بلاد عيلام[٦] فصمم شرّو–كين على غزوها في العام ٧٢١ق.م، وجرت معركة بين الطرفين عند الحدود العيلامية العراقية ولم تكن نتيجة المعركة لصالح الأشوريين؛ رغم ادعاء المصادر الأشورية خلاف ذلك.امّا الرواية البابلية لنفس الحادثة فكانت مناقضة تماما لما ورد في المصادر الأشورية عن تلك المعركة؛ وان تناقض الرواية البابلية الواردة في نص يعود إلى (مردوك – ابلا–ادينا) مع الادعاء الأشوري يوضح السبب؛ فقد وُجِدَ النص البابلي في مدينة النمرود الأشورية[٧]. وسبب وجوده هناك هو إن الملك الأشوري شرّو – كين (سرجون الثاني) كان قد أمر بنقل النص من مدينة

لارسا[٨]. في بلاد بابل ووضع بدلاً عنه نص مزور عن الحادثة ادعى فيه الانتصار[٩]. إلا إن هذه الحادثة لاتعني عدم مصداقية جميع النصوص الملكية أو أية أية نصوص أخرى صادرة من قبل السلطة الحاكمة، والطبقة المتنفذة؛ فهناك الكثير من النصوص الملكية تتحدث عن فتوحات كثيرة للملوك الأشوريين في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد أشور، وكذلك في المناطق الجنوبية أي بلاد بابل، ومناطق من الخليج العربي، بالإضافة إلى مصر؛ ويظهر ما يؤيد ذلك في المسلات والمنحوتات التي تُصَوِّر الجيوش في المناطق الجبلية، كما تظهر في تلك المنحوتات أشجار النخيل والأرز؛ولو لم يكن الأشوريون قد وصلوا فعلاً إلى تلك المناطق لما كانوا تعرفوا على أشجار النخيل التي توجد في جنوب بلاد وادي الرافدين، والخليج العربي؛ أو أشجار الأرز التي تكثر في مناطق لبنان وبلاد الشام[١٠] وكذلك فان وجود الأختام المصرية في بلاد وادي الرافدين[١١]. دليل على ان الأشوريين وصلوا إلى تلك البلاد؛ وإلا كيف يمكن أن نفسر وجود تلك الأختام والطريقة التي وصلت بها؛وهذه الأدلة مستندة إلى الآثار الصماء؛ وهي كما نعرف دليلاً أكثر صدقاً نسبياً من النصوص المكتوبة؛ وكذلك الألقاب التي تلقب بها بعض ملوك العراق القديم كـ(ملك ملوك مصر باترسي وكوش) الذي نسبه الملك الأشوري آشور–اخي–ادن (اسر حدون ٦٨٠–٦٦٩ق.م) إلى نفسه وهو لقب يشير بصراحة إلى سيطرة هذا الملك على بلاد وادي النيل[١٢]. كما تذكر النصوص المسمارية (الرسائل الملكية) إن الملك الآشوري آشور– بان–ابلو (آشور بانيبال ٦٦٨–٦٢٦ق.م) قد أوعز إلى حكامه في الولايات بضرورة جمع النصوص المسمارية القديمة وجلبها إلى نينوى[١٣] لغرض إنشاء مكتبة ملكية؛ وقد أثبتت صحة ذلك التنقيبات الأثرية؛ إذ تم العثور فعلاً على تلك المكتبة التي احتوت على أكثر من (٢٥) الف رقيم طيني[١٤]؛وهو دليل واضح وأكيد على مصداقية ما ورد في تلك الرسائل بين الملك الآشوري وولاته في الأقاليم التابعة لحكمه. وأما النصوص الدينية فان فيها الكثير من الأخبار والروايات التي تتحدث عن أصل الخليقة، وقصة الطوفان وغيرها[١٥]. وقد ورد ذكر مثل تلك القصص في كتاب التوراة (العهد القديم)؛ وفيما يتعلق بمصداقية مضامينها فالأفضل

دراستها من وجهة نظر خاصة ولدينا الدليل القاطع الذي ليس فيه أدنى مجال للشك؛ وهو الرجوع إلى ما ورد في القران الكريم عنها، والأخذ بما اتفق معهُ منها وترك ما سوى ذلك من الشرك وتعدد الآلهة وبعض التفاصيل غير الدقيقة[١٦] ونأخذ مثالاً على ذلك؛ إذ نجد إن قصة الخليقة التي تبدأ بـ(حينما في العلا لم يُنبأ عن السماء " لم تُسمَّ باسم" وفي الدنى "الأسفل" لم تذكر الأرض باسم...)[١٧] ويذكر القرآن الكريم في قوله تعـــالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[١٨] ومن خلال عقد مقارنة بين النموذجين نستطيع إن نقول إن النص المسماري صادق فيما يخص الفكرة الأساسية في الموضوع؛ وهي إن كل شيء كان في علم الغيب؛ بينما لم يكن النص دقيقا فيما تعارض منه مع الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم؛ حيث تذهب مثل هذه القصة إلى تفاصيل كثيرة وتذكر أسماء آلهة لا وجود لها؛ إذ نجد ان من ابرز سمات المعتقدات الدينية في العراق القديم هي الشرك، وتعدد الالهة؛ فقد كانت مكانة ومركز أي اله منها تتغير تبعاً للتغيرات السياسية في هذه المنطقة او تلك؛ فيرتفع مثلاً مركز الاله اشور في فترة السيطرة الاشورية؛ وبالعكس في فترة سيطرة البابليين على زمام الامور السياسية حيث يقل شأن الاله اشور، ويرتفع مركز الاله مردوخ اله البابليين القومي[١٩]. ونقول هنا ان كل ما يتم إثباته بدليل قرآني، وعلمي قاطع من مضامين النصوص المسمارية فهو صحيح؛ وان كل ما يتعارض منها مع ما ورد في القرآن الكريم، والعلم الحديث فهو غير دقيق، ويجب إعادة النظر فيه؛ وفق منهج الباحث المسلم العربي العراقي.

- **النوع الثاني** (النصوص المتعلقة بالحياة العامة، والنصوص العلمية، والتاريخية، والجغرافية)

وهي تلك النصوص ذات المضامين التاريخية، والجغرافية، والعلمية؛ وهذه النصوص تكون احتمالية مصداقيتها أكثر من نصوص النوع الأول؛ فهي تمثل مرآة عاكسة تبين الكثير من جوانب الحياة العامة بعيداً عن سيطرة السلطة الحاكمة والطبقة المتنفذة ولو بشكل جزئي؛ وتتناسب دقتها مع دقة الكاتب الذي دونها وبالأخص (النصوص ذات المضامين الجغرافية)؛ كما إن قسماً من تلك النصوص يكون علمي

صرف (كالنصوص الفلكية والرياضية والكيميائية)؛ وهي بالتالي لا تؤثر بأي شكل من الأشكال على مصالح السلطة الحاكمة؛ ولهذا السبب نرجح أنها اقل عرضة للتحريف، والتزوير المتعمد، والإعلام، والادعاءات غير الصحيحة ومن ذلك مثلاً النصوص الرياضية التي عثر عليها في تل حرمل[٢٠]؛ والمتعلقة بقياس مساحة المثلث متساوي الساقين قائم الزاوية؛ والتي عرفت فيما بعد بـ(نظرية فيثاغورس)[٢١]؛ وهي مسألة تم إثباتها بالطرق العلمية ولامجال للشك فيها[٢٢]. ومن الامثلة الاخرى على مصداقية مضامين نصوص النوع الثاني ومنها تحديداً النصوص التاريخية؛فقد اعتاد العراقيون القدماء وتحديداً الآشوريين؛ عندما أرَّخوا السنين إستادا إلى طريقة (اللمو)[٢٣] أن يذكروا أحياناً أهم حدث وقع في كل سنة من السنين، وقد ذكر في تسمية السنة الثالثة من حكم الملك الآشوري (آشور دان الثالث)[٢٤] حادثة كسوف الشمس؛ وقد عكف علماء الفلك في العصر الحديث على دراسة تلك الحادثة لمعرفة وقت حدوث تلك الظاهرة بصورةٍ دقيقةٍ؛ وتمكنوا فعلاً من تحديد ذلك باليوم الخامس عشر من شهر حزيران عام ٧٦٣ق.م؛ وقد أفادت تلك الحادثة في معرفة مدة حكم كل ملك من الملوك؛ وتحديد ذلك بنقطة ثابتة بالنسبة لتاريخنا الميلادي وهي العام ٧٦٣ق.م؛ وذلك بالاستعانة بجداول الملوك[٢٥]، وقوائم (اللمو) وذلك بإضافة او طرح سنوات حكم كل ملك؛ وإستادا إلى تلك النقطة الثابتة التي أمكن تحديدها عن طريق ما أثبته العلم الحديث عن صحة ما ورد في النص المسماري حول حادثة الكسوف[٢٦]. ومن خلال ما تقدم يتبين لنا إن النصوص المسمارية ذكرت معلومات دقيقة نسبيا فيما يتعلق بالنواحي التي لا تتعارض ومصالح السلطة الحاكمة. وهذا الشيء غير مطلق ولا ينطبق على جميع النصوص من هذا القبيل. امّا القسم الآخر من النصوص فكانت تميل إلى عدم الدقة، والتعمد في البعد عن ذكر الحقائق؛ وذلك لأسباب معينة منها غايات إعلامية كما أسلفنا أو إن تلك الحقائق تتعارض مع مصالح النظام السياسي القائم آنذاك. ويبقى هنا مهماً دور الباحث في نقد تلك النصوص، ومقارنة محتواها بالآثار الصماء الموجودة كالمنحوتات، والنقوش والمسلات، والآلات والأدوات التي صنعها الإنسان حيث تعتبر تلك الآثار اقرب إلى

الحقيقة في توضيح ما كان يدور في المجتمعات القديمة آنذاك؛ وهو شيء نسبي كذلك لان المشاهد المنحوتة قد توهم الباحث، وتدفعه إلى استنتاجات غير صحيحة؛ كما حدث للباحثين الغربيين عندما وصفوا الملوك الآشوريين بالقسوة والتلذذ في تعذيب الأعداء، وغير ذلك من الصفات البغيضة التي لا تعبر عن حقيقة الآشوريين كما أثبتتها الدراسات العلمية الانثروبولوجية؛وذلك باعتمادهم على ظاهر ما عكسته وسائلهم الإعلامية ولا سيما المشاهد المنحوتة(٢٧). نخلص مما تقدم إن عدداً من النصوص المسمارية قد لا تكون ذات مضامين دقيقة وتتناسب مصداقيتها مع دقة الكاتب الذي دونها. وبهذا يكون لزاماً على الباحث ان يدقق النظر في فحواها وان يمحصها ويأخذ بالحسبان أهمية الاطلاع على النصوص المقابلة لها والتي دونت من وجهات نظر مغايرة لها؛ ومن الضروري إعادة النظر في دراسة مضامين النصوص المدروسة والعمل على نشر الأدلة العلمية التي تنفي ما ورد في تلك النصوص من معلومات قد تتعارض مع ما ورد في القران الكريم، وما أثبته العلم الحديث، ويجب أن تكون تلك الدراسات من وجهة نظر باحث مسلم عربي عراقي يعتز كل الاعتزاز بدينه، وقوميته، وانتمائه الوطني.

الاستنتاجات:

من خلال البحث في دقة مضامين النصوص المسمارية تبين التالي:.

١- لا يمكن إعطاء رأي حاسم أو جازم بان النصوص المسمارية المتعلقة بالسلطة الحاكمة هي غير دقيقة بشكل مطلق؛ كما انه لا يمكن الجزم بان النصوص المتعلقة بالحياة العامة والنواحي العلمية البحتة هي دقيقة في مضامينها بشكل مطلق، بل ان دقتها تتلاءم ودقة الكاتب الذي دونها.

٢- إن البقايا الأثرية التي يستخدمها الباحثون كدليل لإثبات ما تحويه النصوص المسمارية يمكن استخدامها كدليل يؤيد او يفند تلك المضامين أي إنها لا تختلف عن النصوص المسمارية في عدم وجود شيء مطلق يؤيد مصداقية ما ورد فيها أو ينقضه.

٣- إن النصوص التي تتعلق بالحياة العامة، والنواحي العلمية، والتاريخية، والجغرافية تكون اقل عرضة للتزوير المتعمد منها في النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة، وذلك لان مضامينها لا تتعارض مع مصالح النظام الحاكم آنذاك؛وهو استنتاج طبيعي اذا ما قُورِنَ مع الأنظمة السياسية القائمة في الوقت الحاضر.

٤- يجب إعادة النظر في محتوى النصوص المسمارية ابتدءا من ابسط الأمور، والعودة إلى أسماء الأعلام كأسماء المدن والملوك ومحاولة قراءتها وطرحها للقراء بصيغها الأصلية كما وردت في النصوص المسمارية وليس كما وردت في التوراة(العهد القديم) أو كما قرأها الباحثون الغربيون الذين أرادوا وبأي شكل من الأشكال أن يثبتوا صحة جميع ما ورد ذكره في العهد القديم من أخبار وروايات تتفق مع مصالحهم السياسية، والدينية، والعرقية.

٥- إن الإنسان العراقي المعاصر هو حفيد الإنسان العراقي القديم، وعاش في ذات الظروف البيئية والتغيرات السياسية؛ لذا فهو أجدر من غيره في تحليل ما ورد في النصوص المسمارية من معلومات، وهو قادر على تمحيص وتدقيق جميع المعلومات التي تضمنتها النصوص المسمارية ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

الهوامش:

(١) توبياز، دانزح، العدد لغة العلم، ترجمة احمد ابو العباس، مصر، ١٩٥٤، ص٢٣.

(2) Nissen,H.J.,Damerow,P.,Englund,R.k.,Archaic Bookkeeping, Translated by paul Larsen,Chicago,1993,P21ff.

(٣) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل، ٢٠٠٠، ص١١٣. وكذلك سليمان، عامر، اللغة الاكدية البابلية الاشورية تاريخها و تدوينها وقواعدها، الموصل،١٩٩١، ص١٧٧-١٧٨.

(٤) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، ١٩٨٢، ص٤٣وما بعدها.

(٥) (مردوخ-إبلا-إدينا): هو زعيم قبيلة بيت ياكيني إحدى القبائل الارامية التي نزحت الى القسم الجنوبي من بلاد بابل والتي حصلت على دعم من بلاد عيلام العدو التقليدي لبلاد اشور وبدأت بالتمرد على السيادة الاشورية للمنطقة. للمزيد.ينظر :المصدر نفسه. ص٥٥.

(٦) (بلاد عيلام): ويطلق عليها اليوم اسم خوزستان وتقع جنوب غرب ايران على الحدود مع العراق وعاصمتها سوسة وقد لعبت دوراً كبيراً في العلاقات السياسية مع بلاد وادي الرافدين.

ينظر: دانيال، كلين، موسوعة علم الاثار، ج ٢، ترجمة ليون يوسف، بغداد١٩٩١، ص٤١٠.

(٧) (النمرود): تقع بقاياها حالياعلى مساحة ٣٥ كم جنوب شق الموصل واسمها رالقديم(كلخو) واطلق على بقاياها اسم نمرود الذي ربما كان تصحيفاً للفظ ننورتا اله الحرب الاشوري.

ينظر: سليمان، عامر، والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، ١٩٧٨، ص١٩٣.

(٨) (لارسا): وهي من المدن المهمة في جنوب وادي الرافدين؛كانت مركزاً لسلالة امورية خلال الربع الاول من الالف الثاني ق.م.

ينظر: دانيال، كلين، المصدر السابق، ص٤٩١.

(٩) باقر، طه، وحميد، عبدالعزيز، طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار، ط١، الموصل، ١٩٨٠، ص١٠٣.

(١٠) تمثل المنحوتات مصدراً مهماً من مصادر معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم وعلى كافة الاصعدة. ينظر جزء من تلك المنحوتات على سبيل المثال وليس الحصر في: ساكز، هاري، عظمة بابل، ط٢، لندن، ١٩٦٦، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٧٢وما بعدها.

(١١) ينظر على سبيل المثال نموذج ٢٦ ج في :المصدر نفسه، ص٢٤٧.

(١٢) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، المصدر السابق، ص٤٥.

(١٣) (نينوى):وهي اشهر المدن الاشورية قاطبة وثالث العواصم الاشورية من حيث التسلسل الزمني وتقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة وتتكون اطلالها من تل النبي يونس وتل قوينجق.

للمزيد. ينظر :سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج٢، الموصل، ١٩٩٣، ص٣٧١-٣٧٢.

(١٤) لوكاس، كرستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، بغداد، ١٩٨٠، ص٧٤-٧٥.

(١٥) للمزيد حول تلك القصص والاساطير .ينظر :باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦، ص٧٤ وما بعدها.

(١٦) حول تفصيل ذلك ينظر :سليمان، عامر، "من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية قصة الطوفان"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد٤٥، ج١، بغداد، ١٩٩٨، ص٣٦-٦٠.

(١٧) باقر، طه، المصدرالسابق، بغداد، ١٩٧٦، ص٧٤.

(١٨) سورة البقرة.الايتان:٣١، ٣٢.

(١٩) ينظر :سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، المصدر السابق، ص١١٥ وما بعدها.

(٢٠) (تل حرمل):هو موقع في ضواحي بغداد تمثل بقاياه احد المدن التي نشات في بداية العصر البابلي القديم اجريت في الموقع تنقيبات قامت بها دائرة الاثار والتراث العراقية بين عامي ١٩٤٥و١٩٤٩وعثرت على الكثير من النصوص المسمار ية.
ينظر: دانيال، كلين المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٢١) الطيار، هاشم احمد، وسعيد، يحيى عبد، موجز تاريخ الرياضيات، بغداد، ١٩٧٧، ص٧٤.

(٢٢) سليمان، عامر، المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٢٣) (اللمو): هي وظيفة دورية يتناوب عليها كبار موظفي الدولة من قادة وحكام مقاطعات وكبار موظفي القصر حسب تسلسلهم الوظيفي؛ وتعنى هذه الوظيفة بالاحتفالات الدينية الرسمية في مدينة اشور.
ينظر: سليمان،عامر،العراق في التارخ القديم،ج١،الموصل، ١٩٩٢، ص٦٠.

(٢٤) (آشور دان الثالث): هو احد ملوك بلاد اشور في العصر الاشوري الحديث حكم للمدة ٧٧١-٧٥٣ق.م.
ينظر: المصدر نفسه، ص٦١.

(٢٥) (جداول الملوك): هي عبارة عن قوائم باسماء الملوك والسلالات الذين تعاقبوا على الحكم في منطقة معينة مع مدد حكم كل ملك او سلالة اخرى عاصرتها في الزمان وخالفتها في المكان.
ينظر: المصدر نفسه، ص٤٣.

(٢٦) سليمان، عامر، المصدر نفسه، ص٨٠-٨١.

(٢٧) سليمان عامر، "مصادر معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم وتقويمها"، مجلة اداب الرافدين، ع٣٧، ٢٠٠٣ص١-١٦.

المصادر والمراجع:

١- باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦.

٢- باقر، طه، وحميد، عبدالعزيز، طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار، ط١، الموصل، ١٩٨٠.

٣- توبياز، دانزح، العدد لغة العلم، ترجمة احمد ابو العباس، مصر، ١٩٥٤.

٤- دانيال، كلين، موسوعة علم الاثار، ج ٢، ترجمة ليون يوسف، بغداد، ١٩٩١.

٥- ساكز، هاري، عظمة بابل، ط٢، لندن، ١٩٦٦، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩.

٦- سليمان، عامر، والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، ١٩٧٨.

٧- سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، ١٩٨٢.

٨- سليمان، عامر، اللغة الاكدية البابلية الاشورية تاريخها و تدوينها وقواعدها، الموصل، ١٩٩١.

٩- سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ١، الموصل، ١٩٩٢.

١٠- سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج٢، الموصل، ١٩٩٣.

١١- سليمان، عامر، "من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية قصة الطوفان"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد٤٥، ج١، بغداد، ١٩٩٨.

١٢- سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل، ٢٠٠٠.

١٣- سليمان، عامر، "مصادر معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم وتقويمها"، مجلة اداب الرافدين، ع ٣٧، ٢٠٠٣.

١٤- الطيار، هاشم احمد، وسعيد، يحيى عبد، موجز تاريخ الرياضيات، بغداد، ١٩٧٧.

١٥- لوكاس، كرستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، بغداد،١٩٨٠.

16- Nissen ,H.J., Dame row,P., Englund ,R.K., Archaic, Bookkeeping, Translated by Paul Larsen, Chicago, 1993, p.21ff.

Abstract

Cuneiform texts are the finest ancient Iraqis left (unintentionally) of the phenomena of cultural information transmitted to us many and diverse lifestyle at that time in different fields. The researchers were able to identify which legal systems, customs, and traditions at that time, and the relationship of people with ruling power, and how to deal with, including folk socially, economically and at different levels ,also what they left from machinery, and tools used in various areas of human life. as well as the inscriptions and sculptures, obelisks, which benefited greatly in understanding the different life fields but the taken point on written texts, and solid effects on both, they may not be accurate or honest in everything below for the text, pattern or pictures for the sculptures. In this research tries to shed light on the authenticity of the content of cuneiform texts, and assess the accuracy of their content information, and an invitation to Iraqi researchers to reconsider the substance of such texts to suit our perspective as Muslims and Iraqis, and the need to follow the method that we guarantee the establishment of an Iraqi school special effects and out of Cuneiform Studies, we examine our history and deserving of Setting the record straight and refute all information is accurate, and decline researchers of Westerners who were driven by motives of religious and ethnic lines to prove what was mentioned in the Old Testament. We ask God to make this research a step through the establishment of an Iraqi school specializing in antiquities and Cuneiform Studies.

التدخين مشكلة تهدد الفرد والمجتمع

م.م. محمد عبد الله محمد المفرجي
جامعة كركوك/كلية التربية /وحدة العلوم التربوية والنفسية

الملخص

تناول البحث مشكلة التدخين التي تهدد المجتمع وأفراده بشكل متزايد من خلال ما يتم اكتشافه من أمراض جسدية ونفسية واجتماعية يكون التدخين سببا" رئيسا" فيها، وتكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على أهم الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى التدخين، والآثار التي يتركها التدخين عليه في الجوانب العضوية والنفسية والاجتماعية، ويهدف البحث إلى دراسة هذه المشكلة وأسبابها ومعرفة الحلول التي يمكن أن تقضي عليها أو الحد منها.

وقد تطرق البحث إلى نبذة تاريخية عن التدخين وأسبابه، وتناول آراء علماء ورجال الدين حول تحليله وتحريم، وتأثيره على المرأة وجنينها خلال فترة الحمل، بالإضافة إلى آثاره على الفرد من الناحية العضوية والأمراض التي يسببها له، وكذلك الآثار النفسية والاجتماعية.

وتوصل الباحث إلى عدة نتائج من الآثار السلبية التي يسببها التدخين عضويا"، ونفسيا" واجتماعيا" على الرجل والمرأة، وكذلك يؤثر التدخين على المجتمع من خلال المشكلات الأسرية والاقتصادية التي يكون لهذه الآفة الدور الكبير فيها. وتأثير التدخين على المجتمع بشكل كامل من خلال الأموال الطائلة التي تصرف

على علاج المرضى والأدوية وإنتاج وتوزيع السكائر والمتاجرة بها واستغلال مساحات واسعة من الأراضي الخصبة لزراعتها بدلا" من زراعة محاصيل يكون المجتمع بحاجة فعلية لها بدلا" من هذه السموم. ودور الإعلام في انتشار هذه المشكلة من خلال الدعاية والإعلانات والمسلسلات والأفلام التي تغري الفرد وتجذبه لتعلم التدخين.

وقدم الباحث عدة توصيات منها منع التدخين في المستشفيات والعيادات والمعاهد الطبية وجميع المؤسسات الحكومية في كافة أنحاء القطر. كذلك منع المدرسين والأساتذة في جميع المدارس والمعاهد والجامعات العراقية من التدخين خلال أوقات الدوام الرسمي أمام الطلبة. ومنع ظاهرة التدخين في التمثيليات التلفزيونية والأفلام السينمائية المنتجة محليا" وعدم استيراد الأفلام التي تشجع على انتشار التدخين.

الفصل الأول

منهجية البحث ومفاهيمه

أولا": مشكلة البحث:-

لقد أصبح التدخين مشكلة يعاني منها الإنسان في كافة المجتمعات كما انه يعاني منها الكبار والصغار، الرجال والنساء على حد سواء وقد ازداد عدد المدخنين نتيجة تغير المجتمع وبالتالي ازداد الاعتياد على التدخين وزادت معه المشاكل المترتبة عليه، فالتدخين مشكلة يصعب علاجها من قبل المختصين لاختلاف وجهات النظر بين الأطباء والمختصين في علم النفس والاجتماع فالأطباء ينظرون على التدخين نظرة تغلب عليها الصفة الحاوية ويهتمون بمعالجة الأعراض وليس الأسباب بينما المختصين في علم النفس تغلب عليهم النظرة النفسية التي تؤثر في الكيان العضوي ويستخدمون أساليب نفسية مستمدة من علم النفس ونظرياته لان المدخنين غالباً ما يعانون من مشكلات نفسية. بينما ينظر علماء الاجتماع نظرة نابعة من البيئة الاجتماعية وطبيعة القيم والعادات التي تشجع أو تحد من هذه الظاهرة السلبية ودور المشكلات والصعاب في ارتفاع معدلات التدخين عند الأفراد من جهة أخرى.

ثانيا": أهمية البحث والحاجة إليه:-

تكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على أهم الأسباب التي تدفع الفرد إلى التدخين. والظروف التي تساعده على ذلك وكذلك الآثار التي يتركها التدخين عليه في الجوانب العضوية والنفسية والاجتماعية والعمل على إيجاد العلاج المناسب لهذه المشكلة وتقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تساعد في الحد من هذه المشكلة.

ثالثا": هدف البحث:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة من أكثر الظواهر انتشارا" في العالم وهي ظاهرة التدخين والتي تعتبر مشكلة اجتماعية على مستوى المجتمعات المحلية والعالم ودراسة الآثار المترتبة على هذه الظاهرة المرضية التي تؤثر على الصحة وتؤدي إلى تأخر الفرد والمجتمع.

رابعا": تحديد المفاهيم:-

١- التدخين Smoking:

هو حالة يكون فيها الفرد معتمداً عضوياً على النيكوتين وظهور أعراض جانبية تؤثر على مقدرته الجسمية والذهنية.

والتدخين هو عبارة عن ماده التبغ يتم حرقها وإدخال ضررها إلي جسم الإنسان[١].

٢- المشكلة Problem:

حالة تجلب الانتباه من قبل اكبر عدد ممكن من الناس وتتطلب إيجاد حلول مناسبة لها[٢].

والمشكلة هي موقف غامض لا نجد له تفسيراً محدداً[٣].

٣- المجتمع Society:

لغة: المُجْتَمَع مصدره (جَمَعَ، يَجْمَعُ جَمْعاً: ضمّ بعضه إلى بعض) وتَجَمّعَ يَتَجَمّعُ تَجَمُعاً[٤]

ويعرف هوبهوس المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ والعنصر[٥].

الفصل الثاني

نبذة تاريخية عن التدخين وأنواع التبغ

ترجع عادة التدخين إلى عهد غابر فالمدخنين الغابرين كانوا يحرقون أعشاباً معينة ومن ثم يستنشقون دخاناً حتى إنهم توصلوا في ذلك الحين إلى استعمال المشارب المختلفة لهذا الغرض.

ولم تدخل عادة التدخين أوربا إلا في نهاية القرن الخامس عشر حيث عرفها سكان هذه القارة عن طريق سيجارة المستكشف كريستوف كولومبس وقد حدث هذا عام ١٤٩٢ فقد لفت أنظار البحارة إن سكان هذه الجزر المكتشفة كانوا يستنشقون بشغف دخان أوراقاً مشتعلة ملفوفة على شكل قصبة يسمونه "البتيون"، ورغم منع الراهب الديني الذي صحب سفن كولومبس للبحارة من استنشاق الدخان الصادر من أوراق البيتون إلا أن بعضهم استطاع أن يخفي كمية منها وحملوها معهم إلى اسبانيا حيث اخذوا يدخنونها أمام الأعين المندهشة لأقاربهم وأصدقائهم تلك هي بداية التدخين في أوربا ولحد ذلك فان "البيتون" كان معروفا" فقط لدى بعض القبائل الهندية في أمريكا حيث كان أفراد هذه القبائل يلفون أوراقه اليابسة يطلقون عليها "تاباكو" على شكل قصبات صغيرة ثم يبدؤون بتدخينها شاعرين بلذة وانتعاش. ومن هنا تحولت تسمية "تاباكو" وأصبحت التسمية المعروفة "التبغ" ويروي بعضهم إنها مشتقة من تسمية مقاطعة تاباكو في ساحة دومنيغو في اسبانيا، حيث انتشرت هناك بذور التبغ ويرى آخرون إنها مشتقة من الكلمة الاسبانية "تاباكوس" والتي تعني أوراق ملفوفة للتدخين.

إن وطن التدخين الأصلي هو أمريكا حيث لم يكن يزرع فقط بل كان ينمو النبات طبيعياً وكان التدخين وسط قبائل الهنود الحمر مرتبطا" بشعائر دينية مختلفة حتى أن بعض القبائل تعتبر التبغ نباتاً مقدس في أواسط أمريكا كان كهنة قبائل ألـ"ماي" يدخنون هذا منهم لشعائرهم الدينية وبالأخص عند صلاتهم ودعواتهم لفات

تبغ تسمى " السكائر". وان كثير من البحارة الأسبان الذين وصلوا شواطئ أمريكا كانوا قد جلبوا معهم من هناك بذور نبات التبغ وبعد ذلك نقلت هذه البذور إلى دول جديدة مثل انكلترا والبرتغال وفرنسا بعد أن كان هذا النبات محتكرا" لزمان طويل من قبل اسبانيا فقط حيث كان يزرع في حدائق الأثرياء كنبات تجميلي[٦]. أما اكبر شهرة اكتسبها نبات التبغ آنذاك فقد كانت عام ١٥٦٠م وذلك عندما أرسله السفير الفرنسي في البرتغال "جان نيكوت" إلى ملكته في فرنسا لعلاج داء الشقيقة الذي كانت تعاني منه وشفيت منه مما دفع أوربا كلها إلى التحدث عن التبغ باعتباره "نبات الملكة" و"بنات السفير" ... وبعد أن كان يستعمل من قبل المرضى فقط أصبح يستعمل من قبل الناس الأصحاء أيضا" لإزالة التعب والإرهاق عنهم في هذا الوقت كان تدخين التبغ قد غزا القارة الأوربية كلها ولم يكن يستطيع احد إيقاف انتشاره الواسع، والدليل على ما وصل إليه التبغ من مكانة بأنه لم يكن ممكنا" الحصول عليه إلا بمقايضته بالذهب[٧].

أنواع التبــغ

١- **نيكو نباتا تاباكم**:- وهو أكثر الأنواع انتشارا" واستعمالا" موطنه الأصلي في أمريكا الجنوبية، المكسيك، جزر الهند الغربية.

٢- **نيكو نباتا مرستكا أو التبغ البري**:- وموطنه تركيا والمناطق المجاورة وهو ذو تركيز عال من المواد المضرة ولا يعرف على انه وصل تركيا عن طريق أوربا أم انه وجد أصلا" في تركيا.

٣- **نيكو نباتا أنتبواتا**:- وهو التبغ الخفيف[٨].

التدخين بين التحليل والتحريم

انتشر التدخين في العالم الإسلامي بشكل كبير وسريع مما أدى بعلماء ورجال الدين إلى إصدار فتاوى حول التدخين هل هو حرام أم حلال ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد إبراهيم مفتي السعودية في فتواه حول التدخين " انتشر التدخين في أرجاء الأرض وحاربه علماء الإسلام ولم تكن حينئذ مضاره الصحية معلومة كما هي اليوم واختلفوا فيه عندئذ هل هو مسكر أم لا؟ فمن رآه مسكرا" أو مفترا" أفتى بحرمته ومن رآه غير ذلك أفتى بكراهيته وممن حرمه من فقهاء الحنيفة الشيخ محمد العيني الذي حرمه من أربعة أوجه في رسالة " تحريم التدخين" كونه مضرا" للصحة حسب رأي الأطباء كونه من المخدرات المتفق عليها ورائحته كريهة تؤذي الذين لا يستعملونه خصوصا" في أماكن الصلاة والمساجد كما تؤذي الملائكة المكرمين، وكونه تبذيراً في الأموال ويقول الشيخ عبد الله بايطين " نرى فيه التحريم لعلتين احدهما حصول الاسكار أو التغيير فيما إذا تركه شاربه مدة ثم شربه أو أكثر منه، والعلة الثانية انه مشتت للفكر عند من لم يعتده وأصبح العلماء بقوله تعالى "ويحرم عليهم الخبائث" ومن فقهاء الشافعية والشيخ نجم ألغزي الشافعي قال "التتن يدعي شاربه انه لا يسكر وان سلم به فانه مفتر وهو حرام".

أما الشيخ خالد بن احمد من فقهاء المالكية فيقول " لا يجوز إمامة من يشرب التنباك ولا يجوز الاتجار بها ولا بما يسكر "[٩].

وقد قام ملوك انكلترا بتحريم زراعة التبغ ومنعوا شعوبهم من ممارسة التدخين لأنه غير صالح ويصدر رائحة كريهة ينفر منها الإنسان. أما السلطان العثماني مراد الرابع فقد اصدر أمراً حرم فيه ممارسة التدخين تحريما" شرعيا" مستندا" إلى الشريعة الإسلامية حيث اعتبر التبغ مماثلا" للخمور وقِيس عليه أما في إيران فقد اصدر الشاه حكم الإعدام على المدخنين، وحرمه البابا اوربان السابع عام (١٦٤٢م) وأضاف إلى

الوصايا العشر عبارة (لا تدخن)(١٠)، كما تصدى الأطباء للتدخين بإظهار مضاره للناس(١١).

وفيما يتعلق بمؤيدي التدخين فإنهم ينقسمون إلى مجموعتين: -

١- **المجموعة الأولى:-** وتضم أصحاب المصالح في استمرار الناس في ممارسة التدخين. وتضم مزارعي التبغ والعمال في مزارع التبغ والمعامل وتجار التبغ والعاملين في الدعاية للتدخين ويصرفون ملايين الدولارات للدعاية لبضائعهم ولهم نفوذ بحيث يستطيعون الوقوف بوجه الحكومات التي تحاول مقاومة التدخين، ومن المؤيدين للتدخين المدخنين أنفسهم الذين يريدون ترك التدخين ولا يستطيعون ذلك.

٢- **المجموعة الثانية:-** وهي تمثل الأشخاص الذين ينظرون إلى التبغ على انه يحقق متعة ولذة وخلاصا" لبعض الناس من مشاكلهم النفسية وتعقيدات العصر، فهؤلاء يرون إن التدخين سينقل الإنسان إلى وضع جديد من الانشراح ويحسن المزاج الأخلاقي ولا يؤثر على الوضع الاجتماعي ولا يلحق بالإنسان إي ضرر من أي نوع. فهؤلاء لم يقدموا أي دليل علمي ثابت أو إحصاء واضح مفسر لأي من أرائهم ووجهات نظرهم(١٢).

أسباب التدخين

إن للتدخين أسبابه التي دفعت الشخص إلى تعاطيه في المرة الأولى وتمكنت منه وأصبح أسيرا" له كلما زاد من تعاطيه.

فالمراهق يريد أن يشعر بأنه قد أصبح رجلا" ولذلك فهو يقلد الرجال ويحاكيهم وأول من يقلد والديه ومدرسيه وأبطال المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية وكما انه ينجرف مع رفاقه في المدرسة والشارع، ولقد جاءت الإحصائيات بان الطفل الذي لا يدخن والداه يكون اقل عرضة للتدخين من الذي يدخن والداه أو احدهما كما أن

للمدرسة تأثير لا يمكن تصوره، ففي المدرسة التي لا يدخن فيها إلا قلة من المدرسين فان عدد من يدخنون من الطلبة اقل بكثير من زملائهم الذين يدرسون لدى أساتذة مدخنين. ومما يؤكد التأثير الاجتماعي على نمط التدخين ما نجده في البلاد العربية التي ينظر فيها إلى تدخين المرأة بأنه عمل شائن فان عدد الفتيات اللاتي يقبلن على التدخين محدود جدا" بالمقارنة مع الفتيات غير المدخنات بينما نجد المجتمعات التي لا ترى غضاضة في تدخين الفتاة تزخر بالفتيات المدخنات. كما أن للصديق السيئ اثر كبير في تعليم الفرد في التدخين أو في عودة الشخص إلى التدخين بعد أن تركها فيستخدم الصديق الكلمات المغرية أو المخجلة إلى درجة تضعيف الشخص المقابل وتجعله يستسلم لهذا الطلب(١٣).

المرأة والتدخين

إن التدخين لم ينتشر بين النساء في كثير من مناطق العالم وبخاصة في البلاد العربية والإسلامية لان النظرة الاجتماعية إلى المرأة المدخنة نظرة ازدراء واستهجان الغريب إن هذه النظرة المستهجنة غير موجودة في بعض الأقطار العربية مثل اليمن، وكذلك قد تكون معدومة في بعض مدن الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) وبعض مدن العراق وفي مكة المكرمة وجدة لذلك فان أضرار التدخين تكاد تكون مقصورة على الرجال في البلاد العربية والإسلامية كما يكثر السرطان (سرطان الرئة) بين النساء في مكة المكرمة بنسبة تماثل نسبة الرجال تقريبا"، كما أن حالات النزلات الشعبية أكثر انتشارا" بين النساء المدخنات عنها بين غير المدخنات ونظرة الاستهجان لتدخين المرأة قد تغيرت، فقد انتشر التدخين بين طالبات الجامعات المصرية بصورة مزعجة وملفتة للنظر، وان النساء اللاتي يكثرن من السفر اقبلن على التدخين أيضا"(١٤).

والتدخين يؤثر على قدرة المرأة على الإنجاب وقابليتها الجنسية فالمرأة المدخنة أكثر عرضة للإصابة بالعقم من المرأة غير المدخنة وإذا استعملت حبوب منع الحمل مع التدخين فان ذلك يزيد من احتمال الإصابة بأمراض القلب والشرايين والسكتة الدماغية، كما أن التدخين يؤثر على وظيفة المبيض ويقلل من قابلية اللولب على منع الحمل ويؤدي التدخين أيضا" إلى الإجهاض والولادة المبكرة ويزيد من احتمال وفاة الطفل عند الولادة وبعدها، كما انه يؤدي إلى إقلال إنتاج الحليب عند الأم ويعرقل من النمو البدني والعقلي عند الطفل ويساعد على الإصابة بالالتهابات النفسية[١٥].

ولقد سبق الرجل المرأة في التدخين بنحو عشرين عاما" وسبقها كذلك من ناحية الإصابة بالإمراض التي يسببها التدخين، فانتشر التدخين في النساء الأمريكيات وانتشرت كذلك الأمراض التي يسببها التدخين، فالتدخين الذي وجدت فيه المرأة الأمريكية دليلاً لتحررها الاجتماعي ما لبث أن أصبح نذيرا" لتدهورها الصحي، فالتدخين يهدد النساء الحوامل، فالمدخنات من الحوامل غالبا" قد يلدن قبل الأوان أو ينجبن مواليد بأوزان ناقصة، بالإضافة إلى المضاعفات التي يعانين منها أثناء الحمل[١٦]. وبالرغم من أن الأمراض بسبب التدخين لا تظهر بوادرها إلا بعد تقدم نسبي في العمر إلا أن تأثيره على المرأة الحامل وعلى الجنين يكون مباشرا" وواضحا" فالمرأة الحامل عندما تدخن فقد لا تكون وحدها بل يدخن مع جنينها[١٧].

التدخين والحمل

اثبت العلم الحديث إن النساء المدخنات حملهن أصعب وإجهاضهن أيسر، وقد يلدن في وقت مبكر أطفالا" غير مكتملي النمو وان بعض النساء الحوامل يجهضن من جراء تدخين سكائر معدودات وأحيانا" من جراء تدخين سيكارة واحدة فقط. وهذا بالطبع يعود إلى أن النيكوتين ينتشر في دم المرأة الحامل عند التدخين

ومن هناك فانه يصل إلى المشيمة والى الجنين، ويعتبر النيكوتين أكثر ضررا" حيث أن ضرره لا يقل عند حد المرأة الحامل بل يتعداه إلى حملها[١٨].

ولم تقف بعض الجهود العلمية عند هذا الحد فقد بينت الدراسات أن مادة النيكوتين تجتاز وتخترق المشيمة حيث تؤثر بشكل مباشر على الجنين وذلك عن طريق رفع دقات قلبه وتضعفه وانخفاض الأوعية الدموية الخاصة بالمشيمة مما يقلل نسبة الأوعية الواردة إليها، كما أن أول اوكسيد الكاربون الذي يدخل الجسم مع دخان السيجارة يخفف من قدرة الدم على حمل الأوكسجين مما يؤثر بشكل واضح على صحة الجنين[١٩]. فقد أجريت تجارب علمية طبية في مدنية (هامبورغ – ألمانيا) ظهر من خلالها إن الحوامل المدخنات يعانين من حالات القيء الحاد والتشنج الخطير جدا" على حياة المرأة الحامل والجنين أكثر بكثير من الحوامل الغير مدخنات. كما ظهرت من التجارب ذاتها بان الأطفال المولودون من أمهات مدخنات يقل وزنهم عن الأطفال المولودون من الأمهات غير المدخنات بمعدل ٢.٥ غرام، كما يقل طولهم بمعدل ٢ سنتمر، وان مقدار النقص في النمو يتناسب طرديا" مع عدد السكائر المدخنة يوميا" من قبل الأم الحامل[٢٠]. وفي دراسات إحصائية قام بها مكتب الإحصاء الطبي الأمريكي على مواليد المدخنات تبين أن الأولاد الذين وضعوا من أمهات مدخنات كانو دائما" في مستوى من الذكاء أدنى من مستوى زملائهم أبناء الأمهات الغير مدخنات[٢١].

الأسباب التي تدفع المرأة إلى التدخين:

هناك عدة أسباب تدفع المرأة إلى التدخين منها:

١- الاعتقادات الخاطئة عن التدخين، خاصة في فترة الإجازات حيث يكون اليوم طويل وتوزعه المرأة في النوم والأكل ومشاهدة التلفاز والباقي فراغ خلال هذا

الفراغ تبدأ في التفكير بأي شي يزيل الملل ويملأ الفراغ باعتقاد خاطئ أن التدخين يملأ الفراغ ويهدي الأعصاب المتوترة فتبدأ بالتدخين.

٢- البعض يلجأ للتدخين بتأثير البيئة المحيطة، وتتأثر بما حولها من الأب أو الأم أو الأخوة إذا كانوا مدخنين وتشاهدهم وهم يدخنون باسترخاء ومتعة وفي كل الظروف تعتقد أن الدخان ليس عيباً بدليل والدها أو والدتها يدخنان أو تعلقها بإخوانها وتأثرهم بها فتحاول تقليدهم. وفي النهاية تكون المأساة الإدمان على التدخين.

٣- التأثير بأصدقاء السوء فيبدأ التأثير والإيهام بأن الدخان يعطي السعادة والمرح وليس لديه أي مضاعفات صحية لنقص خبرتها وصغر سنها وعدم تجربتها فتصدق تلك الافتراءات وتكون الكارثة.

٤- تقليد المشاهير وبعض الشخصيات كالفنانين أو الممثلين أو المذيعين.

٥- حب الاستطلاع يقول بعض العلماء أن حب الاستطلاع و التجربة هما أكثر الدوافع التي تؤدي إلى التدخين.

٦- يعتبر التدخين عند بعض الشابات من علامات الرقي والحضارة.

٧- نتيجة دوامة الإعلانات التي تروجها شركات السجائر.

٨- جهل الآثار السلبية للتدخين.

٩- العوامل الاجتماعية فعندما لا ترسم المرأة مخططاً للتفعيل الدراسي تكون أكثر عرضة للتدخين وتتأثر بقلة الثقافة لدى الأهل وانعدام الرقابة في البيت وعدم وجود تفاهم بين الوالدين[٢٢].

الفصل الثالث

آثار التدخين

المبحث الأول

الآثار العضوية

يؤثر التدخين على جسم الإنسان وأعضائه بشكل كامل فيسبب التدخين أمراضاً كثيرة للإنسان ويؤثر على أعضاء جسمه المتعددة ومنها الآتي:-

أولاً": التدخين وأمراض الجهاز التنفسي: -

يعتبر التدخين من أهم أسباب زيادة أمراض الجهاز التنفسي بأكمله فالسيكارة تحتوي على العديد من المواد المهيجة للأغشية المخاطية التي تبطن الجهاز التنفسي من البلعوم وحتى الشعب الهوائية الصغيرة كما أن دخان السكائر يحتوي على مواد تمنع حركة الشعيرات المخاطية للجهاز التنفسي من الأنف حتى الشعيرات الهوائية التي تقوم بحركة دائرية نشطة لطرد المواد الغريبة فتقاوم المواد السامة في الدخان حركة هذه الشعيرات فتترسب على جدران الشعب الهوائية دون أن تجد من يدفعها إلى الأعلى لطردها وأحياناً تجد الميكروبات البيئة المناسبة لها حيث أن المقاومة وأجهزة الدفع في اضعف حالاتها ولهذا تبدأ مرحلة الالتهابات الشعبية الحادة ثم تليها الالتهابات المزمنة، ويؤدي ذلك إلى فقدان الرئة لوظيفتها الأساسية وهي تبادل الغازات أي نقل الأوكسجين من الرئة إلى الدم ونقل ثاني اوكسيد الكاربون من الدم إلى الرئتين، ويؤدي ذلك إلى صعوبة في التنفس تزداد يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام حتى لا يستطيع المريض أن يستنشق الهواء في الشهيق ولا أن يدفعه في الزفير والتي تصبح هذه العملية بالغة الصعوبة ويصبح كل نفس يتنفسه المريض عملية تعذيب[٢٣]. ويؤدي تدخين السكائر إلى سرطان الرئة عن طريق القطران الموجود في

دخان السكائر لأنه يحتوي على كمية من المواد المسببة للسرطان كالمواد الامينية وأهمها النيزوبايرين، الذي يعتبر وجود جزء من البليون منها في الهواء خطراً على صحة الإنسان، علماً أن دخان السكائر يحتوي على تسعة آلاف جزء من البليون من هذه المادة وان من يدخن السكائر يواجه خطر سرطان الرئة أضعاف الخطر الذي يتعرض له غير المدخن[٢٤]، كما انه ينتج عن التدخين ما يعرف بسعال المدخن الصباحي الذي يحاول فيه جسم المريض أن يتخلص مما علق بالقصبات الهوائية بسبب تهيج الغشاء الداخلي للقصبات والحنجرة ويبرز التدخين كعامل أساسي في حالات الإصابة بمرض التهاب القصبات الهوائية المزمن ومرض انتفاخ الرئة[٢٥].

ثانيا": التدخين وأمراض الجهاز الهضمي:-

إن للتدخين تأثيرات ضارة على أعضاء الجهاز الهضمي، فالتدخين يزيد من الشعور بالجوع حيث يكثر في زيادة إفراز العصارات المعدية ونتيجة للخلل الحاصل في وظيفة أعضاء الجهاز الهضمي فان الغذاء لا يهضم بشكل كاف ويبقى في الأمعاء. كما أن التدخين يسبب تقلص في جزء المعدة المتصل بالاثني عشري مما يسبب إعاقة مرور الطعام من المعدة إلى الاثني عشري ويؤدي بالتالي إلى شعور المريض بامتلاء معدته دون الحاجة إلى الطعام[٢٦].

كما إن التدخين يكون سببا" في حدوث الإصابة بالتهابات المعدة المزمنة وبمرض القرحة، وهذا المرض قد يكون موجودا" أصلا" عند الشخص لكن التدخين يضخمها ويزيد من حدتها وان الكثير من حالات الإصابة بالتهاب المعدة المزمن وبقرحة المعدة أو قرحة الاثني عشري تتفشى بسهولة عند ترك التدخين وان حركات تقلص الأمعاء تزداد وتتهيج بعد تدخين سيكارة أو أكثر[٢٧].

وقد يسبب التدخين كذلك اضطراب الوظيفة الإفرازية للغدة الهاضمة كما قد تضطرب إفرازاتها. وتظهر آثار التدخين أيضا" على المرئ، وهو الأنبوب الذي يوصل

بين البلعوم والمعدة وهناك عضلة عاصرة بين المعدة والمرئ تمنع رجوع إفرازات المعدة الهاضمة إلى المرئ وقد وجد إن التدخين يؤثر على هذه العضلة ويمنعها من أداء وضيفتها ولذلك فان الإفرازات الهاضمة في المعدة تنساب إلى المرئ وتسبب التهابا" شديدا"[٢٨]. وكذلك قد يسبب قرحة المرئ والتهابات البنكرياس المتكررة وهي الأكثر انتشارا" بين المدخنين بالمقارنة مع غير المدخنين ومما لا شك فيه أن شرب الخمور يعتبر أكثر فاعلية في حدوث هذه الالتهابات البنكرياسية الحادة والمزمنة. وقد وجد أن التدخين ومضغ التبغ يؤدي إلى زيادة حدوث هذه الالتهابات حتى وان لم يكن الشخص من الذين يتعاطون الخمور[٢٩].

ثالثا": التدخين وأمراض الفم والأسنان:-

ترتبط أمراض الفم والأسنان بأمراض الجهاز الهضمي على أساس أنها جزء من الجهاز الهضمي وفضل الباحث فصلها عنه لأهميتها وخطورة والأمراض التي يتعرض لها الفم جراء التدخين ففي عملية التدخين تترسب مواد كيميائية على الغشاء المخاطي أو خلايا البطانة الداخلية للفم وكذلك بطانة جميع أجزاء تجويف الفم[٣٠].

ويؤثر التدخين على أجزاء عديدة من الفم ومنها الآتي:-

١- الأسنان واللثة:-

يعتبر التدخين من أكبر أعداء الأسنان واللثة. فمدخنوا السكائر هم أكثر من غيرهم تعرضا" للبقع الداكنة التي تشوه منظر الأسنان، كما تؤثر المواد السامة الموجودة في التبغ على المادة الصلبة للأسنان والتي تسمى (مينا الأسنان) ونتيجة لتعرضها المستمر تدريجيا" لتأثير هذه المواد السامة رغم أن مينا الأسنان تعتبر اصلب شيء في جسم الإنسان.

ورغم تلك الصلابة تتآكل تدريجيا" وتحدث فيها الشقوق التي تسمح بدخول البكتيريا والفطريات إلى المنطقة التي تليها. هذا بالإضافة إلى انتشار الميكروبات

ودخولها إلى اللثة التي تتقرح نتيجة للاستعمال المستمر للتبغ والسكائر مما يؤدي إلى ضعفها[٣١].

٢- أمراض اللسان:-

يحتوي اللسان على حليمات متعددة كثيرة وموزعة على كامل سطحه وصيوانيه، وبسبب التدخين تترسب الصبغة السوداء والفضلات الناتجة عنها على المسامات بين هذه الخلجات وبمرور الزمن تمتلئ المنطقة بالجراثيم، مما يؤدي إلى حدوث التهابات مزمنة ومؤلمة في اللسان وحدوث ضعف في قدرة الشخص على تذوق الأطعمة كذلك، كما انه يشعر برائحة كريهة وطعم غير مقبول ويسمى هذه المريض بـ (اللسان الأسود المشعر) لشبهه بالشعر الاجعد. وعندما تحدث الإصابة لابد من المعالجة وقبل كل شيء أن يقلع عن التدخين نهائيا" لإبعاد التهيج والتخرش[٣٢].

كما إن لسان المدخن قد يصاب بالسرطان عادة نتيجة تدخين السكائر، وعادة ما يسبب ظهور السرطان بقع بيضاء اللون كثيفة تغطي بعض مناطق اللسان وتكون هذه البقع مؤلمة. ورغم أن سرطان اللسان يمكن تشخيصه مبكرا" ورغم التقدم التقني والطبي في العلاج واستخدام الذرة والأشعة والعمليات الجراحية، فان نجاح هذه العلاجات لا يعدو إلا الثلث أما الثلثان الباقيان فتكون نتيجتها فشل العلاج وانتشار السرطان مما يؤدي إلى القضاء على حياة المريض ويصاب لسان المدخن كذلك بالقرحة عند الشق الأوسط للسان أو على احد جانبيه وتكون هذه القرحة مؤلمة جدا"[٣٣].

٣- الشفاه:-

أما بالنسبة لشفاه المدخنين وخاصة النساء فإنها تصطبغ بزرقة متميزة وذلك نتيجة لزيادة الدم الغير مؤكسد فيها، واللون الأزرق يذهب حمرة الشفاه ويهيجها وهذه

التغيرات الجمالية هي اخف الأضرار وابسطها وان كانت لها قيمة خاصة عند النساء وخاصة الفتيات المراهقات والشابات[٣٤].

رابعاً: التدخين وأمراض القلب والشرايين:-

إن تأثير السكائر على القلب يرجع إلى مادتين خاصتين في السيكارة هما النيكوتين وغاز أول اوكسيد الكاربون. فالنيكوتين يؤثر على القلب والأوعية الدموية وتتركز هذه الآثار فيما يأتي:-

١- زيادة ضربات القلب وزيادة عمله وذلك لان النيكوتين يزيد من إفراز مادة الأدرينالين والنورادرينالين وهما المادتين المسؤولتين عن زيادة ضربات القلب وانقباض الأوعية الدموية وزيادة استهلاك الأوكسجين في القلب.
٢- انقباض الشرايين عموما" بما فيها شرايين القلب.
٣- زيادة التصاق الصفائح المسؤولة عن تكوين الجلطات القلبية.

وهكذا تتجمع الأسباب المؤدية إلى الجلطة القلبية بسبب انقباض الشرايين التاجية المغذية للقلب كما أن النيكوتين يؤثر على جميع شرايين الجسم وبشكل خاص شرايين المخ، فإذا ما انسدت إحدى هذه الشرايين فإنها تسبب شلل الجسم أو ذلك الجزء الذي تتحكم فيه المنطقة المخية المصابة.

أما عن تأثير غاز أول اوكسيد الكاربون فيكون كما يأتي:-

إن أول اوكسيد الكاربون غاز سام ينتج عن احتراق الفحم عندما تكون كمية الأوكسجين قليلة واحتراق السيكارة يؤدي إلى تكوين هذا الغاز والتي تكمن خطورته في انه غاز شديد القابلية للاتحاد بـ(الهيموكلوبين) (خضاب الدم) وبالمقارنة مع الأوكسجين الذي يحمله الدم فان غاز أول اوكسيد الكاربون له قابلية الاتحاد مع الهيموكلوبين مائتي مرة ضعف قابلية الأوكسجين كما لهذا الغاز الأثر الكبير في

زيادة حدوث الجلطات. فهو يساعد على ترسيب الكولسترول في جدران الأوعية الدموية مما يساعد على سرعة تصلب الشرايين[٣٥].

ولقد أصبحت علاقة التدخين بأمراض القلب علاقة أكيدة وواضحة والقلب يزيد من عمله بمقدار خمسة عشر ضربة لدى تدخين سيكارة واحدة وثبت بالتجربة أيضا" إن تدخين عشرين سيكارة تتعب القلب بمقدار ما يسببه ركوب دراجة هوائية عادية مدة عشر ساعات متواصلة من التعب، وهذا دليل واضح على الإجهاد والإرهاق الذي يصيب القلب نتيجة الاستمرار في التدخين سنوات عديدة، ولكن هذا الأثر يختلف من شخص إلى أخر[٣٦].

والتدخين يؤدي إلى إصابة القلب بالجلطة نتيجة تقلص الأوعية التي تغذيه مما يسمح بحدوث تخثر في الدم وحدوث انسداد في الأوعية التاجية نتيجة لذلك والذي يؤدي بالتالي إلى الموت المؤكد، وهذه النقطة هي السبب المباشر في الموت الفجائي عند المدخنين[٣٧].

المبحث الثاني

الآثار النفسية

إن الجهاز العصبي ينقسم إلى قسمين:-

أولا": القسم المركزي:- ويتألف من الدماغ في الرأس والنخاع ألشوكي الموجود داخل سلسلة العمود الفقري.

ثانيا": القسم المحيطي:- ويتألف من مجموعة من الأعصاب الخارجية الصادرة والواردة إلى القسم المركزي والتي تصل بينه وبين جميع أجهزة وأعضاء الجسم.

أما الأعصاب فإنها تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما:-

أولا": الأعصاب الإرادية:- وهي التي تحرك جسدنا حسب رغبتنا كما يحدث عندما نريد حمل شيء ما بأيدينا مثلا".

ثانيا": الأعصاب اللاإرادية:- وهي التي لا يكون للشخص إرادة في حركتها كالأعصاب التي تسيطر على نبض القلب والتنفس.

إن للتدخين اثر بالغ جدا" على الجهاز العصبي، فهو يؤثر على القسم المركزي مما يؤدي إلى الإصابة بالصداع والدوران وضعف الذاكرة، كما إن التدخين يؤدي إلى عدم المقدرة على التوازن خاصة عندما يفرط المدخن بالتدخين، ويتعرض إلى الأرق الطويل إذ يستمر مستيقظا" متوتر الأعصاب إلى الصباح ويؤثر التدخين كذلك على القسم المحيطي بشكل كبير فقد يصاب المدخن بمرض ضعف الأعصاب وربما يصاب بشلل الأعصاب الجزئي إذا كان من المفرطين بالتدخين وغالبا" ما يكون المدخن المدمن عصبي المزاج يفقد سيطرته على نفسه عند أول إثارة يتعرض لها، كما انه قد يرتجف ولا يستطيع ضبط زمام نفسه في المواقف واللحظات الحرجة نتيجة للآثار السيئة التي يتركها التدخين في جسم المدخن[٣٨].

إن تأثير التدخين على الجهاز العصبي يفوق تأثيره على الأجهزة الأخرى لما لهذا الجهاز من وظيفة مهمة، حيث يسميها بافلوف وظيفة إدارة وتنظيم جسم الإنسان بكامله فتأثير النيكوتين على دماغ الإنسان يعود أساسا" إلى تأثيره على الأوعية الدموية الموجودة فيه وإذا ما تعرض للتلف تدريجيا" فتقل مطاطيتها ويضيق جوفها، مما يسبب الصداع والشعور بالدوران وضعف الذاكرة وضعف القابلية على العمل، ولكن هذه الأعراض تزول بالانقطاع عن التدخين.

ويؤثر التدخين كذلك على النخاع ألشوكي والنيكوتين منه بشكل كبير على المراكز العصبية الهامة جدا" والموجودة في النخاع ألشوكي "العمود الفقري" كالمركز العصبي المنظم للجهاز التناسلي الذي يسبب العجز الجنسي عند الرجال والولادة المبكرة والإجهاض عند النساء.

كما إن للتدخين آثار كبيرة على الأعصاب الخارجية ويعمل على تسممها إذ انه قادر على إصابتها بالتهابات كبيرة يتبعها آلاما" حادة مستمرة تصيب المنطقة العصبية على امتدادها. كما أن النيكوتين يترك آثارا" سيئة على الأشخاص الذين كانوا قد أصيبوا في وقت ما برضوض في رأسهم أو أجهزة الدماغ إذ تظهر عندهم حالات صداع دائمة وشعور بالدوران وثقل في الرأس نتيجة الخلل في إيصال الدم إلى الدماغ[٣٩].

كما أن النيكوتين يزيد من أعراض مرض النويروستانيا Neurasthenic (ضعف الأعصاب) ويدفع إلى ارتكاب الجرائم لمن كان عنده استعداد لارتكابها، والتشنج المستمر في شرايين الدماغ بتأثير التسمم المزمن بالنيكوتين ويسبب انفجارها إذا كانت مصابة بالتصلب أو ارتفاع ضغط الدم فيها مما يؤدي إلى الإصابة بالسكتة الدماغية.

والنيكوتين يؤثر على الأعصاب الحركية القادمة من الدماغ والذاهبة إليه، ويزيد من إثارة الأعصاب أو ينقصها[٤٠]. هذا بالإضافة إلى ان التدخين يسبب الدوار والاختناق والذبول الدماغي كما يؤثر على الخلايا العصبية كما انه يسبب التهاب العصب البصري، وان كثير من المثقفين والكتاب والعلماء يعتقدون انه لا يمكنهم متابعة جهد مهم إلا بعد الاستعانة بالسيجارة وهذا تفكير خاطئ فليس للسيجارة أي تأثير فيه على الأعصاب ولكنها مسألة اعتياد. وأثبتت التجارب ان التدخين له أضرار على الانتباه والذاكرة[٤١].

فالنيكوتين يصل من الرئة إلى المخ خلال ٧.٥ ثانية بعد جذب أنفاس السيكارة، وهذا يفسر سرعة تأثير النيكوتين على المخ حيث تؤثر على بعض مراكزه كما يساعد على ارتخاء العضلات، وبعد ٢٠ دقيقة من إطفاء السيجارة ينخفض معدل

النيكوتين في الدم إلى النصف وهو يفسر رغبة المدخن في إشعال سيجارات أخرى بعد مدة مقربة من إطفاء السيجارة السابقة[٤٢].

ويؤثر النيكوتين على المستقبلات العصبية أهمها المستقبلات الكيميائية التي لها تأثير على بعض الوظائف الاحشائية وعلى الشرايين الصغيرة، كما ان التدخين يؤدي إلى مرض الزايمر Alzheimer Disease (مرض الحزن المبكر) حيث يظهر هذا المرض على شكل خرف مبكر عند الكهول ومتوسطي العمر[٤٣].

المبحث الثالث

الآثار الاجتماعية

ان للتدخين أثاراً اجتماعية متعددة تؤثر على الشخص المدخن وعلى حياته وأسرته والأشخاص المحيطين به، فالاستمرار في التدخين يزيد من معدلات المرضى ويترتب على ذلك الغياب وضياع ساعات العمل هباء" والإفراط في طلب الخدمات الطبية وتعد الخسائر المتمثلة للمجتمع في الوفاة قبل الأوان وتزداد الإصابة بالمرض وفقد الطاقة الإنتاجية[٤٤]. بالإضافة إلى هدر الأموال فمدخن التبغ ينفق أموالا" طائلة في التدخين قد يكون الحاجة إليها كونها ضرورة من ضرورات الحياة وهذا تبذير بكل المقاييس[٤٥].

كما ان المدخن يكون له رائحة خاصة به والمميزة من جميع الروائح الأخرى ورائحة فمية كريهة تؤثر على العلاقات الاجتماعية للشخص المدخن وتعمل على نفور الناس منه والابتعاد عنه وتختلف هذه الرائحة باختلاف التبغ المستعمل شدةً وكلما كان نوع التبغ رديئا" وكلما زاد المدخن من كمية التبغ المستعمل أو أهمل نظافة فمه وأسنانه تصبح رائحته منفرة[٤٦].

وقد يدفع التدخين بالشخص المدخن إلى الكذب بعيدا" عن الاستقامة والفضيلة ويساعد ذلك في انحرافه من اجل الحصول على سيجارة واحدة وقد يستدين

الأموال من اجل التدخين فتسوء حالته وحالة أسرته ويصبح بحاجة إلى الأموال. كما تصرف الدول أموالا" طائلة في استيراد هذه السموم وتعمل على مكافحة ما يترتب عنها من أمراض وتصرف ملايين الدولارات سنويا" في سبيل ذلك والتي بالإمكان استخدامها في تنمية المجتمع وتطويره نحو الأحسن، وقد يضطر المدخن إلى السرقة والقتل مقابل الحصول على سيجارة[٤٧].

ويشكل التدخين عبئا" اقتصاديا" على الأسرة بسبب إحراق هذه الأموال التي بالإمكان استخدامها في المأكل أو التربية والتعليم، وكذلك ما يسببه من تلوث للبيئة والأماكن التي يتواجد فيها المدخنين وأثارها السلبية على أفراد المجتمع غير المدخنين (التدخين السلبي) في تلك الأماكن[٤٨].

هذا بالإضافة إلى ان كفاءة المدخن تقل أثناء العمل لانشغاله بالتدخين كما ان التدخين يؤدي إلى زيادة كلفة العناية الطبية نتيجة للأمراض التي يسببها، وتشمل هذه الكلفة صرفيات الأدوية والفحوصات الطبية والرقود في المستشفى، ويؤدي التدخين أيضا" إلى حوادث كثيرة في العمل وحوادث السيارات والى حدوث الحرائق.. والتي تحدث عنها خسائر بشرية ومادية كبيرة جدا" فيكمن تجنبها بترك التدخين وبالمقابل فان هنالك مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي تستخدم في زراعة التبغ بقصد الربح المادي مما يؤدي إلى نقص في إنتاج الغذاء الذي تحتاجه الدول، وفي أفريقيا تزال مساحات شاسعة من المزروعات ويزرع التبغ محلها والذي يزيد من التصحر ويعمق مشكلة الجوع الذي تعاني منه هذه القارة وذلك بسبب الربح المادي الذي تحققه زراعة التبغ[٤٩].

الفصل الرابع

النتائج والتوصيات والمقترحات

أولاً: نتائج البحث:-

تبين من خلال بحثنا الموسوم " التدخين مشكلة تهدد الفرد والمجتمع" هذا إن التدخين يعمل على تحطم المجتمع وأفراده، فالتدخين ظاهرة تؤثر عليهم من خلال عدة أسباب فيؤثر التدخين عضويا" ونفسيا" واجتماعيا" على الإنسان من الناحية العضوية، حيث يؤثر على صحة الأفراد وأعضائهم بما يسبب من أمراض أو يساعد في حدوثها، وتكون هذه الأمراض مستعصية وخطيرة مثل بعض أنواع السرطان والتي يمثل التدخين احد أسبابها الرئيسية، وليس هذا فقط بل ثبت أن تأثيره ليس على الشخص المدخن فقط بل على الأشخاص القريبين منه أو الذين يتعامل معهم من غير المدخنين خصوصا" أفراد أسرته.

كما أن التدخين يؤثر على المرأة بشكل يماثل الرجل، بل يفوق ذلك فله أثره على جمال المرأة وحيويتها وأنوثتها وعلى الجنين الذي تحمله هذا بالإضافة إلى اثر التدخين على نفسية المدخن وحالته العصبية فالمادة المخدرة (النيكوتين) التي تحتويها السيكارة تعود الأعصاب على حالة معينة من النشاط والعمل وإذا تخللت هذه المادة في الجسم فإنها تؤدي إلى اضطراب كل الأعصاب واختلالها. مما يؤدي إلى اختلال الحالة النفسية للمدخن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤثر المدخن على نفسية الأشخاص الآخرين غير المدخنين لما يشعرون به من تقزز جراء تعرضهم للدخان المنبعث من المدخن، أما أثاره "الاجتماعية" فقد يؤدي التدخين إلى انحراف الأشخاص بسبب تعودهم على الكذب لإخفاء ما يقومون به وقد يقوم الشخص المدخن بالسرقة لكي يوفر ما يحتاجه من سكائر، وتكون هذه العملية البذرة الأولى لاعتياده على الإجرام والسرقة، والأمراض التي يحدثها التدخين قد تعمل على إجبار الرجل لكي يترك عمله أو قد تساهم في موته مما يعمل على تأثر الأسرة من الناحية الاقتصادية وقد يؤدي إلى تفكك الأسرة بسبب موت الأب. كما يؤثر التدخين على المجتمع بشكل كامل من خلال الأموال الطائلة التي تصرف في العلاج والأدوية وإنتاج وتوزيع السكائر والمتاجرة بها واستغلال مساحات واسعة من الأراضي الخصبة لزراعتها بدلا" من زراعة محاصيل يكون المجتمع بحاجة فعلية لها بدلا" من هذه السموم.

كما يساهم الإعلام في انتشار هذه المشكلة من خلال الدعاية والإعلانات والمسلسلات والأفلام وانتشار محلات بيع السكائر في كافة مناطق القطر وكثرة المعروض منها في الأسواق المحلية وبإشكال وطرق تجذب الإنسان لها.

ثانيا": التوصيات: -

١- منع التدخين في المستشفيات والعيادات والمعاهد الطبية وجميع المؤسسات الحكومية في كافة أنحاء القطر.
٢- منع المدرسين والأساتذة في جميع المدارس والمعاهد والجامعات العراقية من التدخين خلال أوقات الدوام الرسمي أمام الطلبة.
٣- منع بيع السكائر في المدارس والجامعات.
٤- منع ظاهرة التدخين في التمثيليات التلفزيونية والأفلام السينمائية المنتجة محليا" وعدم استيراد الأفلام التي تشجع على انتشار التدخين.
٥- تقليص الأراضي التي يزرع فيها التبغ واستغلالها في زراعة محاصيل أخرى مفيدة ويكون البلد بحاجة إليها بدلا" من هذه السموم.
٦- إذاعة فقرات تحذيرية وبرامج حول مضار التدخين ضمن البرامج الإذاعية التلفزيونية والصحافة اليومية.

ثالثا": المقترحات:-

١- إنشاء قسم خاص بمكافحة التدخين والوقاية منه في كل مستشفى داخل العراق ويضم مختصين من الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسانيين لمواجهة هذه المشكلة المجتمعية.
٢- القيام بدراسات ميدانية طبية واجتماعية ونفسية للوقوف على أسباب هذه المشكلة وإيجاد الحلول الكفيلة بمواجهتها.
٣- تفعيل دور الإعلام في الحد من هذه المشكلة بما يمتلكه من خبرات وإمكانيات.

الهوامش:

(١) الانترنت
http://seenjeem.maktoob.com/question?category_id=31&level=13&question_id_2987
(٢) بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٢٧.
(٣) الانترنت http://educdz.com/montada/t23869
(٤) الانترنت http://azba.2007.com/montada-f431topic-t1343.htm
(٥) ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص٣٣٠.
(٦) الفحيلي، فاضل عباس، التدخين والقلب والجنس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦، ص٩.
(٧) الهواري، محمد محمود، المخدرات من القلق الى الاستعباد، ط١، بدون مطبعة، قطر، ١٩٨٧، ص١١٣.
(٨) الرمضاني، أياد، وآخرون، وباء التدخين وآثاره على صحة الفرد والمجتمع،ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٧، ص ١٣.
(٩) الباز، محمد علي، التدخين وأثره على الصحة، ط٣، دار السعودية للطباعة، السعودية، ١٩٨٠، ص١٧.
(١٠) عرموش، هاني، التدخين بين المؤيدين والمعارضين، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٩، ص١٠١.
(١١) أبو مغيصب، عابد عبد الله، والدكتور فيصل محمد خير الزرار، الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات العقلية والتشخيص والعلاج، ط١، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠١، ص ٢٦٥.

(١٢) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص١٠١.

(١٣) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٤٢.

(١٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٩.

(١٥) الرمضاني، أياد، وآخرون، مصدر سابق، ص٥١.

(١٦) مجلة العربي، العدد ٢٦١، آب ١٩٨٠، ص ١٠٠.

(١٧) محمد، سمية، الأم والطفل، بدون ط، دار المحبة للطباعة، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١١٧.

(١٨) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص٩٩.

(١٩) محمد، سمية، مصدر سابق، ص ١٢٧.

(٢٠) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٢١) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ١٠٣.

(٢٢) الانترنت
http://www.lahaonline.com/index-livedialouge.php?id=62

(٢٣) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٢٤) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٢٥) الفكيكي، أديب توفيق، التدخين – آثاره الاجتماعية ومضاره الصحية، ط٣، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠٢، ص ٤٦.

(٢٦) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٢٧) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٩.

(٢٨) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٧٩.

(٢٩) المصدر السابق نفسه، ص ٨٣.

(٣٠) المصدر السابق نفسه، ص ٥٩.

(٣١) المصدر السابق نفسه، ص ٨٥.

(٣٢) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٣٣) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٨٩ – ٩٠.

(٣٤) المصدر السابق نفسه، ص ٩٠.

(٣٥) المصدر السابق نفسه، ص ٥٩.

(٣٦) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٤٦.

(٣٧) المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.

(٣٨) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩.

(٣٩) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص ٩٧٧.

(٤٠) الانترنت
http://www.alshamsi.net/friends/b700th/health/smoking.html

(٤١) عاصي، حسين، كيف تبطل التدخين، ط٦، دار الأندلس، بغداد، بدون سنة طبع، ص ٦٦.

(٤٢) الهواري، محمد محمود، مصدر سابق، ص ١١٧.

(٤٣) الرمضاني، أياد، وآخرون، مصدر سابق، ص ١٨.

(٤٤) مجلة طبيبك، العدد٢٧١، ١٩٨٠، ص ٤٧.

(٤٥) قنديل، عبد المنعم، التداوي بالقران، ط١،مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٧، ص٤٢.

(٤٦) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٤٧) إبراهيم، صالح عبد العزيز، الدخان في نظر الإسلام، بدون مطبعة، بدون سنة طبع، ص ٢٨.

(٤٨) الانترنت
http://thawra.a/wehda.gov.sy/printview.asp?filename=445757
8852006090322313

(٤٩) الرمضاني، أياد، وآخرون، مصدر سابق، ص ٦٣.

المصادر:

١- إبراهيم، صالح عبد العزيز، الدخان في نظر الإسلام، بدون مطبعة، بدون سنة طبع.
٢- أبو مغيصب، عابد عبد الله، والدكتور فيصل محمد خير الزرار، الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات العقلية (التشخيص والعلاج)، ط١، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠١.
٣- الباز، محمد علي، التدخين وأثره على الصحة، ط٣، دار السعودية للطباعة، السعودية، ١٩٨٠.
٤- الرمضاني، أياد، وآخرون، وباء التدخين وآثاره على صحة الفرد والمجتمع،ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٧.
٥- عرموش، هاني، التدخين بين المؤيدين والمعارضين، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٩.
٦- الفكيكي، أديب توفيق، التدخين – آثاره الاجتماعية ومضاره الصحية، ط٣، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢.
٧- الفحيلي، فاضل عباس، التدخين والقلب والجنس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦.
٨- قنديل، عبد المنعم، التداوي بالقران، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧.
٩- محمد، سمية، الأم والطفل، بدون ط، دار المحبة للطباعة، دمشق، ٢٠٠٨.
١٠- ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
١١- الهواري، محمد محمود، المخدرات من القلق الى الاستعباد، ط١، بدون مطبعة، قطر، ١٩٨٧.

شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

١- الانترنت
http://seenjeem.maktoob.com/question?category_id=31&level=13&question_id_2987
٢- الانترنت http://educdz.com/montada/t23869
٣- الانترنت http://azba.2007.com/montada-f431topic-t1343.htm
٤- الانترنت
http://www.alshamsi.net/friends/b700th/health/smoking.html
٥- الانترنت
http://thawra.a/wehda.gov.sy/printview.asp?filename=4457578852006090322313
٦- الانترنت
http://www.lahaonline.com/index-livedialouge.php?id=62

الفلسفة السياسية عند ابن رشد

د. سامي محمود إبراهيم
جامعة الموصل/كلية الآداب/ قسم الفلسفة

ملخص البحث

يهدف بحثنا " الفلسفة السياسية عند ابن رشد " إلى عرض وتحليل الفكر السياسي للفيلسوف ابن رشد. وقد قررت الكتابة فيه بعدما أنجزت بحثا في عرض وتحليل فلسفة ابن رشد العملية، فتبين لي أن رؤية ابن رشد السياسية تعتمد على الفلسفة في اغلب فروعها. فاقتنعت بأنه أصبح من الواجب القيام بدراسة شمولية لفلسفة ابن رشد السياسية، للكشف عن حقيقتها. فجاءت دراستنا هذه لتكشف عن ذلك.

واختيار هذا الموضوع يخضع لاعتبارات عدة أهمها ما يشغله ابن رشد من موقع محوري ضمن الفكر الإسلامي العربي الوسيط علي النحو الذي يمكن معه أن نقيس به من سبقه ومن لحقه. إن دراسة مثل هذه تضعنا مباشرة أمام سيل من الأسئلة التي تتطلب الفحص وتلمس الأجوبة الممكنة بخصوصها، فقد تناول ابن رشد قضايا عديدة لا تزال تحتفظ من حيث طرحها، ومن بينها تدبير السياسة وتعدد أنظمة الحكم ثم التنظير لمدينة فاضلة وذلك باستقراء أنماط الحكم المتعددة. ويهمنا أن ننبه إلى أن ابن رشد قد تجاوز كل السلطات بما فيها السياسية والمعرفية تجاوزها بهدف تقديم نظام عقلاني شرعي تتأسس من خلاله المدينة المنشودة في حلم أفلاطون. وسنعتمد

في عرضنا وتحليلنا لفكر ابن رشد السياسي على المنهج النقدي التحليلي، مع الالتزام بالموضوعية.

وفي هذا البحث حاولنا إبراز المشروع الرشدي للفلسفة السياسية من خلال رؤيته الفلسفية والتي تجاوز فيها نظرية أفلاطون المثالية، مبرهنا على إمكانية قيام مدينة فاضلة من خلال تتابع حكومات الأخيار في بلد من البلدان، تقيم العدل وتحافظ على الاستقرار وتواصل الإصلاح والتجديد.

وإذا كانت الفكرة الرئيسية للبحث هي الوقوف على الغاية النظرية والعملية التي استهدفها ابن رشد من البحث في مسائل السياسة بحثا فلسفيا، فقد قسمت البحث إلى أربعة مقاصد، ضمن المبحث الأول مقصدين:

أولا: موضوع السياسة وصلته بغيره من العلوم.

ثانيا: مذهب ابن رشد في طبيعة العدل وبيان تعلقه بالدولة وشؤون الحكم.

وضمن المبحث الثاني مقصدين أيضا:

الأول: بين سياسة المدن وأنواع الحكم

والثاني: التجسيد الواقعي لسياسة المدن في إطار فلسفة المدينة الفاضلة.

الفلسفة السياسية عند ابن رشد

د. سامي محمود إبراهيم
جامعة الموصل/كلية الآداب/ قسم الفلسفة

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: خصصت بحثي هذا لعرض وتحليل الفلسفة السياسية للفيلسوف ابن رشد، وعنوانه الكامل: الفلسفة السياسية عند ابن رشد. وقد قررت الكتابة فيه بعدما أنجزت بحثا في عرض وتحليل فلسفة ابن رشد العملية، فتبين لي أن الخلفية السياسية لابن رشد تعتمد على الفلسفة في اغلب فروعها. فاقتنعت بأنه أصبح من الواجب القيام بدراسة نوعية للجانب السياسي من فلسفته، للكشف عن حقيقتها. والتي ما زالت إلى حد كبير مجالا بكرا، وذلك إذا أدخلنا في اعتبارنا القسم العملي من كتابه" الضروري في السياسة" على وجه الخصوص، وهو أهم المصادر التي تتناول السياسة وقضاياها، والذي ما زالت بعض موضوعاته غير مدروسة دراسة علمية أكاديمية. فجاء بحثنا هذا ليوضح ذلك، ويضع فلسفته السياسية في إطار فلسفته العامة. هذا هو النهج الذي حاولنا إتباعه في معالجتنا لموضوع بحثنا هذا، حتى إننا لم نقتصر على تقرير فلسفته، بل تضمن بحثنا في فلسفته السياسية نظرتنا الخاصة وتأويلنا الذاتي لفلسفته السياسية وما تتضمن من طروحات عديدة، بحيث يمكن القول بان بحثنا هذا هو أساسا تحليل نقدي لفلسفة ابن رشد السياسية.

ونود أن نشير إلى أن البحث المعاصر في التراث الفلسفي الإسلامي الوسيط، قد بين أهمية تناول الفلسفة السياسية كخطوة منهجية في قراءة ذلك التراث، خاصة عند ابن رشد. وذلك لأن تاريخ الفلسفة في الإسلام لا ينفصل عن السياسة. هذا بالإضافة إلى أن تفاعل الحقيقة الفلسفية والسلطة السياسة في فلسفة الإسلام قد سمح بنوع من التعددية الفكرية والصياغات النظرية.

إن اختيارنا لهذا الموضوع كان خاضع لاعتبارات عدة منها أهمية الفكر السياسي الرشدي وعقلانيته. ثم ان اختيار هذا الموضوع وضعنا أمام جملة من الأسئلة التي تتطلب الفحص والتحليل والنقد، فقد تناول ابن رشد قضايا سياسية عديدة لا تزال تحتفظ بمضامينها وأبعادها، ومن بينها عقلنة السياسة وصياغتها بقالب فلسفي ثم بيان أسباب تعدد السياسات والتنظير لإمكانية وجود مدينة(دولة) فاضلة وتحليل أوجه قيامها على الصعيد النظري.

وإذا كانت الفكرة الرئيسية للبحث هي الوقوف على الغاية النظرية والعملية التي استهدفها ابن رشد من البحث في مسائل السياسة بحثا فلسفيا، فقد قسمت البحث إلى أربعة مقاصد، ضمن المبحث الأول مقصدين:

أولا: موضوع السياسة وصلته بغيره من العلوم.

ثانيا: مذهب ابن رشد في طبيعة العدل وبيان تعلقه بالدولة وشؤون الحكم.

وضمن المبحث الثاني مقصدين أيضا:

الأول: بين سياسة المدن وأنواع الحكم

والثاني: التجسيد الواقعي لسياسة المدن في إطار فلسفة المدينة الفاضلة.

وسنعتمد في عرضنا وتحليلنا لفلسفة ابن رشد السياسية على المنهج النقدي التحليلي القائم على الاحتكام إلى العقل والعلم، مع الالتزام بالموضوعية، فلا نقوله ما لم يقله كما فعل المفكرون المعاصرون باسم التنوير والعقلانية وحقوق الإنسان والديمقراطية.

يضاف إلى هذا ان تفكير ابن رشد من ذلك النوع الذي يدفع إلى القول بتفسيرات شديدة الاختلاف فيما بينها حتى أصبح الوصول إلى الحق وسط هذه التفسيرات أمر في غاية الصعوبة. وهذا باعث يبرر دراسة هذا الموضوع علنا نستطيع الوصول إلى التفسير الذي يعد اقرب ما يكون إلى الصحة والذي يتعلق بفلسفة ابن رشد السياسية.

وأخيرا أرجو أن أوفق لإظهار حقيقة الفلسفة السياسية عند ابن رشد، ليكون عملي هذا خطوة مكملة لما بدأه أساتذتنا العرب في إطار العرض والتحليل والنقد من خلال تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي. كما أرجو ان أكون قد وفيت جزاءا من واجبي نحو احد أجدادنا العظام، وقدمت محاولة جادة وعلمية لتفسير وتحليل نظام فلسفته السياسية. وذلك حتى تدق أجراس الحقيقة في كل مكان معلنة للعالم كله دور فلاسفتنا وعلمائنا في تطور الفكر البشري. فأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، إنه تعالى سميع مجيب، وبالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير.

المبحث الأول

السياسة ومضامين العدالة

المقصد الأول

موضوع السياسة وصلته بغيره من العلوم

إن تقسيم العلوم وتصنيفها من الأمور المهمة التي لا يستغني عنها الفلاسفة والعلماء من اجل تنظيم بناهم الفكرية وآرائهم، مثلما يحتاج إليها كتاب الموسوعات لكي يدونوا العلوم ليستفيد منها الآخرون، وذلك لان التنظيم والتقديم والتأخير وإعطاء الأولوية لبعض الأمور، بما في ذلك العلوم والمعارف البشرية، من الامور المطلوبة والمنطقية.

لذلك حرص ابن رشد على تقسيم وتصنيف العلوم واهتم بتحديد موضوع السياسة والأسس التي يقوم عليها.

فهو يرى أن هناك اختلافا جوهريا بين العلوم العملية والعلوم النظرية، ذلك ان موضوع العلم العملي الذي يتضمن السياسة والأخلاق هو الأفعال الإرادية التي تصدر عن البشر ومبادؤه التي تتمثل في الإرادة والاختيار، أما موضوع العلم النظري فيشتمل على علم التعاليم بأقسامه، كذلك يشمل الفلك وكل ما يتعلق بالامور الطبيعية[١]. هذا يعني ان الاختلاف يشمل كل من الموضوع والمنهج. لذلك يوضح ابن رشد الحدود الفاصلة بين العلمين على مستوى المواضيع والمناهج. وأيضا هناك اختلاف في القواعد الموضوعية بين علم السياسة وسائر العلوم الأخرى النظرية والعملية. بعد ذلك يتناول الفرق بين العلمين على مستوى الغاية والهدف، فيرى أن غاية العلم النظري هي العلم لأجل العلم[٢]، والذي يحيط بهذا العلم غير مطالب بان يمر به إلى مستوى ممارسته أما غاية العلم العملي فإنها تتمثل في العمل والممارسة.

ويذكر ابن رشد انقسام هذه العلم إلى قسمين: يفحص في الأول عن العادات والشيم المكتسبة والأفعال الإرادية بالجملة، وفيما يتعلق بعضها ببعض، وكيف يؤثر

بعضها ببعض، وفي الثاني يتم الفحص عن كيفية غرس هذه العادات في النفوس، وأي منها هي الحاكمة، وأي الملكات تؤثر في غيرها، والقسم الثاني يفحص فيه عن الكيفية التي ترسخ بها هذه الملكات في النفوس، وأي منها هي الحاكمة. لكي يكون ناتج الفعل عن العادة المطلوبة في غاية التمام، وهذا الجزء ينظر لكي يكون ناتج الفعل عن العادة المطلوبة في غاية التمام، وأي العادات تعيق الأخرى. ويضيف ابن رشد ان هذا الجزء ينظر في الأشياء التي تقبل الإدراك، ان كانت قائمة على مبادئ عامة[٣]. ويرى ابن رشد ان الجزأين الأول والثاني يقفان فيما بينهما من علاقة على مستوى واحد، كما هو الحال في صلة كتاب الصحة والمرض بكتاب تدبير الصحة ودفع المضار في علم الطب. وعلى هذا الأساس يبني رأيه في خصوصية كل واحد من العلمين، فيرى ان الجزء الأول من علم السياسة متضمن في كتاب أرسطو "الأخلاق إلى نيقوماخوس"، بينما يتضمن الجزء الثاني منه كتاب السياسة لأرسطو. لكن ابن رشد يذكر بان كتاب السياسة لأرسطو غير متوفر لديه لذلك يلجا إلى تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون[٤]. وهكذا نجد ان كلا العلمين الأخلاق لأرسطو والسياسة لأفلاطون إنما يشكلان جزأين مكملين لبعضهما البعض في العلم السياسي كما صرح بذلك ابن رشد نفسه.

وإذا كان أساس علم السياسة هو الأخلاق فان ما يؤسس علم الأخلاق هو علم النفس، وهو جزء من العلم الطبيعي، لأن النفس لا تفعل ولا تنفعل إلا بالجسم[٥]. مثال ذلك الفرح والحزن والغضب وغيرها من الأحوال النفسية المرتبطة بالجسم.

بعد ذلك يمهد ابن رشد لموضوع " التدبير" فيرى أن الغرض من التدبير هو تدبير أهل المدينة من جهة أنهم نفوس تسعى إلى الحصول على الكمال[٦]. وإذا كان علم الأخلاق بهذا النحو هو علم تدبير نفس الفرد، فإن السياسة هي تدبير نفوس الجماعة. معنى هذا أن السياسة تستمد جوهرها من علم الأخلاق وغايتها هي دائما تأسيس مدينة فاضلة يكون على رأسها الفيلسوف، ولا ينبغي القول أنها تنطلق من الأخلاق إلى السياسة في ذاتها، ذلك أن ما يحرك السياسة ويخرجها من القوة إلى الفعل هو الأخلاق.

ومن الواضح أن الكثير من أفكار ابن رشد السياسية لا تزال محافظة على قيمتها كنقده للجور والاستبداد، ودعوته إلى النظر في الشأن السياسي من منظور العقل[٧]. وعندما نلقي نظرة على ما يحدث اليوم في البلدان الإسلامية من انتشار التكفير وغياب التسامح وتفشي الطائفية، نستذكر واقعية الخطاب الرشدي الذي يتحرك ضمن دائرة التصور الغائي، فالغاية هي التي تحرك إلى الفعل. وبهذا فهو يفضل الوجود المعقول على المحسوس والنظر على العمل. ثم إن هذا التلازم بين الفلسفة والسلطة هو نتيجة التلازم في نفس ابن رشد بين المعرفة والفضيلة. فالأقدر على المعرفة هو في نظره الأقدر على الحكم؛ لأن المعرفة الحق تؤدي في نظره بالضرورة إلى العمل الحق والحكم الحق. وتفسر لنا هذه النظرة لماذا رفع ابن رشد علم السياسة لأعلى منزلة بين العلوم، فهو يتناول تدبير شؤون المجتمع الإنساني، وحكم الناس على وجه العموم. وهو جدير بأن يدعى العلم الملكي، أو الفن الملكي، لما ينطوي عليه من العناية بجميع الناس، ولما يتطلبه من المعرفة بسائر العلوم والفنون؛ التي يتولى رجل الدولة العناية بذويها. وهو لصعوبته لا يتأتى إلا لأقلية من الناس. بقيت الإشارة إلى أن إتباع الأخلاق للسياسة، كما يرى ابن رشد، يعود إلى أن السياسة لا تبحث فقط عن العلوم الضرورية لبقاء المدينة، بل هي التي تبين أيضا العلوم التي يجب على أهل المدينة أن يتعلموها. وعند بحثه في الكيفية التي يمكن أن يتأسس بها علم السياسة، يعمد إلى تناول الأرضية التي يمكن أن يقوم عليها، ملاحظا أنها تتمثل في علم الأخلاق الذي يتأسس بدوره على علم النفس، مما يعني أن علم الأخلاق وعلم السياسة يجدان في علم النفس أساسهما المشترك باعتبارهما ينتميان إلى علم واحد هو العلم المدني، ولذلك فانه عندما يعرض للمدينة الفاضلة يشبهها بجسم الإنسان تارة وبنظام الكون تارة أخرى. وهذا ما سيتضح أكثر في الصفحات القادمة.

المقصد الثاني

مذهب ابن رشد في طبيعة العدل وبيان تعلقه بالدولة وشؤون الحكم

قضت الإرادة الإلهية أن لا تنتهي أوراق سجل التاريخ إلا بسطور العدالة. وجاء التأكيد الإلهي بأنه لو لم يبق من عمر الدنيا إلا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى تتحقق العدالة في ربوع المجتمع الإنساني وتمتلئ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا. وهذا المقصد يتناول مسالة العدالة عند ابن رشد، وبيان تعلقها بالمباحث الفلسفية التي تبحث في أمور السياسة. ولإعادة البحث في مفاهيمه ومضامينه طالما أن المجتمعات في حركة دائمة، تتطور أشكالها بتطور العلوم والتقنيات الإنسانية. وكيف انها تحقق التوازن النفسي والاجتماعي في المجتمعات. .. نبحث في هذا الموضوع علنا نجد مخرجا لازمة العصر التي أمسى فيها الظلم ممنطقا ومعقلنا، وفي وقت أصبحت فيه لغة الظلم هي السائدة بالمجتمعات البشرية، نجد أنفسنا مطالبين بالاستنارة المعرفية للإضفاء على الوجود معنى واستراتيجية فاعلة من أجل العدالة، ومع بروز مفهوم الدولة المدنية الحديثة والتضييق في الحريات والاستبداد، يبقى موضوع العدل لدى ابن رشد من المواضيع الأساسية المطروحة أمام مفكرينا وفلاسفتنا وحركاتنا الاجتماعية والسياسية على حد سواء.

وفي البداية يعرف ابن رشد العدل بأنه " يتمثل في قيام كل فرد من أفراد المدينة بالعمل المتناسب مع طبيعته"(٨) من هذا التعريف نقف على حقيقة ان العدالة تتمثل في احترام القوانين. وفيما يتعلق بعلاقة العدالة بالمدن يرى ابن رشد ان المدن توصف بالعدالة عندما يكون فيها أفراد عادلون لان العدالة موجودة في كل فرد من أفرادها. هذا النوع من العدالة يسميه ابن رشد " بالعدالة السياسية "(٩)، كما ينبه ابن رشد إلى ان انتفاء صفة العدالة سببه الظلم الذي يرتكبه الأفراد عندما ينخرطون في مباشرة أكثر من عمل أو حرفة. وهم بذلك لا يستقرون في طبقة اجتماعية معينة يعرفون بها(١٠).

ويناقش ابن رشد موضوع العدل من منظور شرعي إسلامي فهو يرى " أن العدل معروف بنفسه أنه خير وأن الجور شر"(١١)، معتبرا الإنسان مسؤولا عن أفعاله، فأن يكون عادلا أو جائرا فذلك من فعله ولا يجوز نسبته إلى الله وقضائه العادل. لهذا يستنكر الظلم الذي يتعرض له العلماء والمصلحون من قبل الحكام المستبدين، فهو يقول: " ومن الظلم أن يكون العادلون والصالحون يعذبون على فضائلهم ولذلك يكون الظلم الواقع بهؤلاء فخرا لهم وكرامة"(١٢)، ويقول في سياق آخر: " نرى كثيرا من ملوك الجور يقصدون اهانة العلماء بالضرب وغير ذلك من الشر"(١٣).

وهكذا ينقد ابن رشد الظلم السياسي والاستبداد في الدول. ومن الملاحظ انه يحارب ولا ينتصر للعائلات الحاكمة المستأثرة بالأموال. فهو معجب بالقوة للدولة القوية ويحبذ الاستقرار السياسي ويرتاب من الظلم والتفتت، فهو داعية للعدل. ولذلك ينبه ابن رشد على وعي الشعب المضطهد واختلاف حاله، فهو يقول: " ولهذا يعظم هذا الفعل على الجماعة، وذلك أن الجماعة إنما فرت من الاستعباد بتسليمها الرئاسة إليه فإذا هي تقع في استعباد أكثر قسوة "(١٤).

وفيما يتعلق بالرأي والرأي الآخر، نجد النزعة العادلة والمتسامحة في فكره، فهو يوجب الإصغاء لمن يخالفنا الرأي، وذلك وفقا لمبدأ العدالة، إذ " من العدل كما يقول الحكيم أن يأتي الرجل من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي لنفسه، أعني أن يجهد نفسه في طلب الحجج لخصومه كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه"(١٥). وهذه دعوة إلى تأسيس السياسة على فعل أخلاقي عقلاني تواصلي في فضاء عمومي حيث تتخذ القرارات العامة من خلال حوار مبني على حجج عقلانية.

ولكي نفهم العدالة على نحو أفضل، يتوجب النظر إليها من داخل الدولة حيث تتبدى في صورتها الكبرى، معنى هذا أنها أكثر وضوحا في الدولة منها في الفرد وذلك لتحقق صفة الاجتماع. من هنا يؤكد ابن رشد على ضرورة الاجتماع،

فالاجتماع ضروري والإنسان مدني بالطبع[١٦]، وحتى يحصل الناس على حاجاتهم، يتطلب الأمر تقسيم العمل في ما بينهم، أما إذا لم يحترم كل صنف ما توجبه عليه نواميس الطبيعة، فان الذي يسود هو الجور[١٧]. لذلك يشير أفلاطون ان الظلم هو تنافر بين أجزاء الجسم الثلاثة[١٨].

وفي ظل هذه العدالة تزول القيود من الانسان، ويعود الى الناس حقهم المسلوب. . تزول قيود العبودية الظاهرة والباطنة، وتتحرر رقاب الناس، وتزول ارضية استغلال الانسان لاخيه الانسان تماما. يقاد عمال الظلم والجور الي التحقيق، ويعزل القضاة والحكام الظلمة عن مناصبهم، وتطهر الارض من اي نوع من انواع الخيانة. . يسحق المستكبرون، وينجح المحرومون والمستضعفون في استرجاع حقوقهم، وعندها لن تذرف دمعه ولا تتعالى آهه، ولن يبيت انسان جائعا، ولن يمضي اي محروم يومه قلقا خائفا[١٩].

على هذا النحو فان ابن رشد بموافقته أفلاطون يوافق أيضا أرسطو. وهذا التوافق بخصوص تحديد ماهية العدل وطبيعته، يوضح التأثير البالغ الذي مارسه أفلاطون وأرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية[٢٠]. هذا بالإضافة إلى أن ذلك الالتقاء يفسر بأن آراء اليونان والإسلام من الناحية السياسية تستند جميعها إلى مبدأ العدل. وهنا يؤكد ان حاجتنا لمن تقدمنا من الأمم والأفراد هي حاجة متجذرة في طبيعتنا كبشر[٢١]. بعد ذلك يقارن ابن رشد بين العدالة وقوى النفس، فيرى أن الذات الإنسانية تنقسم إلى ثلاث قوى[٢٢]. أولها: القوة الغاذية، وفضيلتها العفة، أما القوة الثانية فهي الغضبية، وفضيلتها الشجاعة. والقوة الثالثة هي القوة الناطقة، وفضيلتها الحكمة.

وإذا كانت العدالة هي نتاج العلاقة الجدلية بين هذه الفضائل[٢٣]، فإنها تتحدد باعتبارها فضيلة تنضاف إلى فضائل ثلاث هي: الاعتدال والشجاعة والحكمة، فالعدالة حسب هذا الأخير هي أن يؤدي كل فرد الوظيفة المناسبة لقواه العقلية

والجسدية والنفسية، فهي (أي العدالة) تتحقق على مستوى النفوس حيث يحدث انسجام بين القوى الشهوانية والعقلية لدى الإنسان فالضامن الوحيد لتحقيق الفضيلة والعدالة هو الدولة التي تملك سلطة القانون والحكمة وتبعا لذلك فإن الوظائف التي تستدعي قدرات عقلية وانسجام الغرائز مع العقل ستكون من نصيب الحكماء والفلاسفة لأنهم هم القادرون على تحقيق الحق والعدالة[٢٤]. وما التوافق والعدالة في نفس الفرد إلا ذاتهما التوافق والعدالة في المدينة. ويحصل التعدي والظلم عندما تنتفي هذه الصفات في المدينة فتتحول من فاضلة إلى جاهلة. ولهذا السبب يرى أن المدينة الفاضلة واحدة بينما المدن الجاهلة عديدة ومتنوعة. والمدن الفاضلة تقوم على نمطين من الحكم: ملكي ويقوم رجل واحد على رئاستها وارستقراطي ويقوم عليه أكثر من رئيس[٢٥].

وهكذا يضع ابن رشد الملاحظات الخلافية نفسها على مسائل التشريعات والدساتير والقوانين ويبدو عليه التردد والحذر في أخذ أفكار أفلاطون إذ برأيه ليس من الصحيح تشريع الدساتير الجزئية في مثل هذه الحالات، كما لا يجب فعل ذلك. وإذا وضعت الدساتير العامة بصورة ثابتة فإن الأمر يعود إلى أهل المدينة لأن الإنسان ينجذب إلى ما تمليه عليه تربيته وتهذيبه وميوله الخاصة. ويجب على من يريد وضع هذه الدساتير الجزئية أن يستمر معظم حياته الدنيا في تحسين جوهر هؤلاء الناس. ويحبذ لتدارك الخلل أن توضع أولا الدساتير العامة وبعدها يتم استخلاص الدساتير الجزئية. ويحاول عندما يصل إلى مفهوم العدل في جمهورية أفلاطون شرح موقفه بإعادة تذكير القارئ بمجمل المواقف المتعلقة بالفضائل والشجاعة والحكمة والعلوم والدستور والمشورة والصناعات العملية كالفلاحة والتجارة ومعرفة الغاية الإنسانية. فالمدينة يجب أن تملك العلوم النظرية والعملية معا والفئة التي تملك الحكمة تكون عادة قليلة العدد وأفرادها هم الفلاسفة وطباعهم مختلفة عن طباع من يمتلك

الصناعات العملية. ويخالف أفلاطون عندما يتحدث عن العفة والعدالة فبرأيه أن فضيلة العفة غير قاصرة على فئة واحدة من الناس بل هي عامة للجميع من حكام وجمهور. ويجب أن تكون ممتدة في المدينة أو الدولة كلها لأنها تبعث على الوفاق بين أهلها وتقصي ما هو مضاد لذلك [٢٦].

بهذا اتضحت أهمية فلسفة ابن رشد السياسية في نقده الفكر الاستبدادي، فكانت فلسفته فلسفةً واقعية نقدية، وهي تحفل باستجابة لمستوى الآفاق الموضوعية والذاتية لعوامل تقدم الدول والشعوب. حيث إن منهجية ابن رشد، هي امتداد لذلك النموذج الثقافي الأندلسي الذي كان يستند إلى وعي بضرورة التسامح وهي التي شكلت أخطر سؤال وجه إلى المشروع الموحدي الذي بلغ في طور أزمته وتفككه ذروة التشدد بسبب نمو النزعة المتصلبة، وعلى المشروع الحضاري الغربي نفسه، وذلك تحت تأثير نمو حساسيات الذات والهوية، وما يرافقها من خطابات إيديولوجية مغلقة. وما يبنى عليها من جور وظلم. فالظاهر أننا جميعا نكابد وضعا سياسيا ونمطا ثقافيا من جنس تلك الأوضاع التي جابهها ابن رشد في محنته نتيجة لنمو روح التعصب والتشنج والقعود عن فتح باب النظر في مسائل السياسة .

المبحث الثاني

أنواع الحكومات وخصائص أنظمتها بين المدينة الفاضلة والمدن الأخرى

المقصد الأول

بين سياسة المدن وأنواع الحكم

ربما كان الهدف البارز في الفلسفة السياسية عند ابن رشد هو الإحاطة بسياسة المدن وأنظمة الحكم فيها ومعرفة التحولات التي تلحق بها.

ويبرز اهتمام ابن رشد بهذا الموضوع عندما ينتقل إلى تحليل أنظمة المدن وأنواع الحكم، وبيان تحولاتها، منبها إلى نماذج من الحضارة العربية الإسلامية ومن الأندلس بصفة خاصة[٢٧].

وإذا كان ابن رشد قد اهتم بالتحولات التي تطرأ على المدن وسياساتها وطبيعة حكمها، فانه في كل هذا يركز على المدن الجماعية وتقلباتها. ويؤكد ان السبب هو المبالغة في طلب الحرية، وهو ما يتعارض مع القانون الوسطي الذي تبناه ابن رشد بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط[٢٨]. ولذلك كانت المدن(أي الجماعية) تقوم على الحسب والنسب في معناها الكامل، على عكس ما عليه الحال في المدينة الفاضلة[٢٩]. من هذا المنطلق نجد ان"الاجتماعات القائمة في كثير من الممالك الإسلامية اليوم هي الاجتماعات القائمة حصرا على البيوتات (الأسر)... ولهذا السبب فان أهلها يضطرون إلى إخراج المال لغرض إنفاقه على من يقومون بحراستهم والقتال من اجلهم، ومن هنا جاء أصل الغرامات والمكوس.

وهذا يؤدي إلى ان الناس سوف ينقسمون إلى صنفين: الأول الجمهور والثاني هم السادة "[٣٠].

وما يهمنا هو تفصيله لطبيعة العلاقات التي تسود هذا النوع من الحكم، والتي يعتقد أفرادها ورؤساؤها باعتقادات فاسدة، منها خداع الناس والحصول على ولائهم

بشتى الطرق والوسائل التي لا توصل إلى تحصيل السعادة. إذ لا يخفي ابن رشد تفضيله المدن الجماعية من بين تلك المدن غير الفاضلة، إذ إن إنشاء المدن الفاضلة ورئاسة الأفضل يكون من المدن الجماعية أمكن وأسهل، رغم أنه يصفها بأنها هي التي كل واحد من أهلها مطلق مخلى لنفسه، يعمل ما يشاء، وأنها تحوز على رئاسة جاهلية، وسياسة استبدادية. يقول ابن رشد " ولهذا سوف تتوفر في هذه المدينة الجماعية كل الأشياء، وبالتالي سيقوم فيها أناس يرغبون في المجد والشرف، وأناس يرغبون في التسلط والاستبداد، ولربما نجد فيهم من يمتلك سائر الفضائل "[٣١].

لقد اتضح لنا ان تلك المدن مضادة للمدينة المستبدة (القائمة على الغلبة)، أما المدن المستبدة وفق المنظور الرشدي فإنها " تلك التي يقوم اجتماع أهلها على خدمة المستبد وتنفيذ رغباته، لذلك فان أهلها أشبه بالعبيد، وان اجتماع أهلها مضاد لاجتماع أهل المدينة الفاضلة"[٣٢]. لهذا السبب يرى ابن رشد ان هناك تشابها بين المدن الامامية والمدن المستبدة[٣٣]، وهذه إشارة إلى دولة الموحدين والمرابطين.

وإذا كان هذا هو واقع مضادات أنظمة المدينة الفاضلة، فان ابن رشد يقدم حلا يكمن في إعداد جيل ينشاؤون ويتربون على مبادئ الناموس العام المشترك، وإلى جانب ذلك تكون شريعتهم الخاصة بهم غير مخالفة للشرائع الإنسانية "[٣٤].

بهذا اتضح لنا ان ابن رشد يسهب ويسترسل في شرح أشكال النظم السياسية المضادة لأنظمة المدينة الفاضلة ويقدم حلولا لعلاجها، كالنظام الاستبدادي أو النظام القائم على الجاه والشرف والمجد. وهو في كل هذا يبين أسباب سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين، ويعزو ذلك إلى ابتعادها عن دولة الشريعة الإسلامية ونظام الشورى في الحكم، إذ تحولت بعد بضع سنين إلى مدينة المال، ثم بعد ذلك إلى مدينة الاستبداد، ويفسر أسباب فنائها بظهور دولة قائمة على الشريعة وهي دولة الموحدين. ثم يصف بعد ذلك ما جرى عند قيام دولة الموحدين وكيف أنها اعتمدت في أول

أمرها على الشريعة الإسلامية، إلا أنه يرى أنها تحولت بعد فترة إلى مدينة الجاه والشرف ثم إلى مدينة الاستبداد.

أما أسباب اختلاف السياسات فمرده – كما يرى ابن رشد– إلى اختلاف أخلاق النفس وطبائعها، فالجزء الغضبي يطمح في الكرامة، ثم إذا زاد عن حده تحول إلى غلبة، والجزء الشهواني خاص للذة العيش وحب اللذات. وبتعبير ابن رشد " أن المدن قد تتحول بعضها إلى بعض مثل تحول المدينة الفاضلة إلى المدينة الكرامية، لأن أصحابها قد يفضلون الكرامة والقهر وحب السيادة أكثر من الفضائل التي التزموا بها من قبل[٣٥]. ومن ثم فان هذا النوع من الحكم يتضاد مع الحكم الفاضل لأنه يتصف بالطغيان[٣٦]. ولذلك ينبغي لأصحاب السياسة أن يحذروا من أن يطرأ مثل هذا الصنف في المدن أكثر من حذر الطبيب من طريان الأخلاط على الأجسام[٣٧]. وبذلك يكون ابن رشد قد نجح في إعلان مشروعه الإصلاحي في ما يتعلق بأنظمة الحكم، وأعلن بصراحة ووضوح تأسيس مدينة فاضلة مبنية على حكم وحكومة فاضلة تلتقي فيها الفلسفة والسياسة والعقيدة. وهذا ما سنوضحه بالتفصيل في المقصد القادم.

المقصد الثاني

التجسيد الواقعي لسياسة المدن في إطار فلسفة المدينة الفاضلة

إن الحاجة إلى استلهام العبرة من تجربة ابن رشد السياسية هي حاجة تاريخية ملحة، إذ نواجه ظرفا زمنيا ارتفعت فيه تحديات الهيمنة التي انحدرت إلينا من الشمال المركزي بطابعه الهرمي ونفاقه الميتافيزيقي والأخلاقي، ذلك ان النموذج الغربي يوجد حاليا في الطرف المقابل للروح الرشدية القائمة على التعددية والاعتراف بالآخر على قاعدة المساواة والعدل، فهو يتقدم على أنه الخطاب الاجتماعي الوحيد الممكن. ومن غير الممكن التعايش مع هذا النموذج، فهو لا يسمح إلا بالخضوع مستعينا بسلطته السياسية والمعرفية على حد سواء.

لقد قصدت إلى هذا التقديم لأبين كيف أننا لازلنا نواجه شيئا من مشروع ابن رشد السياسي الفلسفي الذي لازالت بعض طروحاته النقدية العقلانية تسعفنا في أفق هذا العالم، ولا شك أن توسيع أطر العقلانية ومساحات النقد والسؤال لا بد له من إحياء جوانب من هذا الإرث المنسي في أعماق الذات الحضارية العربية الإسلامية. فلننظر إذن في طبيعة ومكونات هذا النظر السياسي الفلسفي الرشدي، ولنبين كيفية تصوره لطبيعة النظام والدولة الفاضلة... وكيف أثر كل ذلك على النظر إلى تعامله وتعاطيه مع السياسة في عصره ومقارنتها بالسياسات والأنظمة السابقة. وهذا ما سيتضح في الصفحات القادمة إن شاء الله.

لقد وضحنا في المبحث السابق كيف تناول ابن رشد مجمل آراء أفلاطون بخصوص السياسة وفق أسلوب يعتمد تحليل القضايا واعتماد منطق الواقع، كما تحدثنا عن أسس ومقومات نشأة المدينة وأن ما يفرض تلك النشأة هو حاجة الإنسان إلى الاجتماع، إذ: " أن الإنسان يحتاج في حصوله على فضيلته إلى أناس غيره، ولذلك قيل بحق عن الإنسان انه مدني بطبعه "[٣٨].

ولقد أكد ابن رشد ان هذا الاجتماع ينبغي أن يخضع إلى نظر عقلي كي ينظم على النحو الذي يضمن للإنسان حريته وكرامته، وإلا فانه يكون ضالا جاهلا، تسلط خلاله على الناس شتى صنوف القهر. لهذا السبب فرق ابن رشد بين نوعين من السياسة: سياسة فاضلة وسياسة ضالة. فمن جهة هناك المدينة الفاضلة ومن جهة ثانية هناك المدن الأخرى التي تتصف بالضلال والفساد، فإذا كانت المدينة الفاضلة حكيمة، شجاعة، عفيفة، عادلة، فان المدينة الضالة فاسدة، جاهلة، جائرة. فابن رشد يعطي صفات وخصائص المدينة الفاضلة، إذ يقول:" وبين أن هذه المدينة(المدينة الفاضلة) إذا كان حال أهلها هذه الحال، فإنها ستخلو من الحسد والبغضاء. وكذا من سوء الحال، وغير ذلك من الشرور القائمة في هذه المدن

الأخرى، ولذلك فلا حاجة لهم إلى سن العقوبات درءا للاستيلاء على الأموال، أو السرقة أو غير ذلك من هذه الأمور القائمة في هذه المدن. بل إن هؤلاء القوم هم في غاية السعادة"[٣٩].

وهو بهذا يتفق مع ابن باجة الذي يقول بخصوصها: " ان المدينة الفاضلة قد أعطي فيها كل إنسان أفضل ما هو معد نحوه، وأن آراءها كلها صادقة، وأن أعمالها هي الفاضلة بإطلاق"[٤٠].

بعد ذلك يبين ابن رشد أهمية الحكمة ودورها في تأسيس المدينة الفاضلة، فالحكمة هي فضيلة المدينة الفاضلة، وهذا التدبير لا يكون إلا إذا كان رؤساء المدينة فلاسفة.

لذلك يذهب ابن رشد إلى ان سياسة المدينة الفاضلة لا تتحقق إلا بالتعاون ومداومة العمل، فصنف العامة كما يقول ابن رشد:" يخدم السادة بما تتم لهم به الغاية من الفلسفة، والسادة يخدمون العامة بما يوصلهم إلى سعادتهم"[٤١]. فهذه المدينة تكون فاضلة بالأفعال والآراء؛ الأعمال الصالحة والآراء الصحيحة. فالملوك المصلحون عند ابن رشد سبب في نشأة المدينة الفاضلة التي تتسم بالاجتماع الفاضل، فبهذا الاجتماع يصل كل فرد في المدينة إلى السعادة التي تسمح له بها قدراته، فنوايا أهل هذه المدينة نوايا خيرة إذ أن لكل صنف من أصناف هذه المدينة مقصدا واحدا هو السعادة، وأن أعظم خير يصيب المدينة هو وحدة أهلها[٤٢].

بقي ان نشير إلى ان ابن رشد كان يرى أن المدينة الفاضلة وجدت في عهد الخلفاء الراشدين قبل أن تتحول إلى حكم قائم على الكرامة، كما عرفتها المدينة الإسلامية في العصر الأموي والأندلس. ومن المؤكد ان ابن رشد بعودته للتاريخ الإسلامي وأنظمة الحكم فيه، كان ينوي ان يقارن بين المدينة الفاضلة والمدن

الإسلامية. . بين رئيسها الفيلسوف كما هو الأمر عند أفلاطون، ورئيسها الأمير أو الخليفة أو النبي، كما هو في المدن الإسلامية.

وفي كل ذلك يبقى القرآن الكريم عند ابن رشد هو الأساس التشريعي للمدن الإسلامية، فهي مدن محكومة بالشريعة الإسلامية، والأمر فيها موكول " لما أمر به الله تعالى"[٤٣]. فإذا كانت الفلسفة هي التي تبني المدينة الفاضلة عند أفلاطون فإن الشريعة هي التي بنت المدينة الفاضلة في المجتمع لإسلامي، إذ أن ما تقصده الشريعة هو عين ما تقصده الفلسفة. بهذا نجد ان نزعة ابن رشد التوفيقية قد شملت السياسة وشؤون الحكم. فهو يوجب على الفلاسفة أن يتعلموا من الأنبياء وواضعي الشرائع مبادئ العقل والشرع.

من هذا المنطلق يقول ابن رشد " والممدوح من هذه المبادئ هو ما كان منها أحث للجمهور على الأعمال الفاضلة، حتى يكون الناشئون عليها أتم فضيلة من الناشئين على غيرها، مثل كون الصلوات عندنا. فإنه لا يشك في أن الصلوات تنهى عن الفحشاء والمنكر "[٤٤]. وإذا كانت الفضائل في المدينة الفاضلة تكون بالأقاويل الخلقية والإقناعية وقد تكون بالحرب كذلك، فإنها في المدينة الإسلامية تحقق عن طريق الموعظة لحمل الجمهور على الفضائل، وطريق الجهاد لإكراه الأمم الضالة التي لا تجري أفعالها على المجرى الإنساني[٤٥].

يتضح مما تقدم أن ابن رشد لا يكتفي بشرح الفلاسفة اليونان، بل يتخذ من حين لآخر مبادرات تميزه عنهم. فبالرغم من انه يأخذ برأي أفلاطون في اعتبار المدينة محكومة من طرف الفلاسفة، فإن هؤلاء الفلاسفة عند ابن رشد غير ملحدين. فهم جميعا يؤمنون بالله وبنبوة محمد وبإعجاز القرآن. أضف إلى ذلك أن ابن رشد يفترض أن الشريعة الإسلامية تتضمن تعاليم تتجاوز نواميس أفلاطون، لأن هذه الأخيرة مجرد تعاليم وضعية.

من كل هذا يمكن أن نستنتج أن ابن رشد لم يقلد لا أفلاطون ولا أرسطو في مجال السياسة، بل وظف أقوالهما في هذا الميدان لتتناسب مع الشريعة الإسلامية وصاغ من كل ذلك موقفا شخصيا يختلف عن موقفي أستاذيه اليونانيين.

حقا لقد تجاهل ابن رشد آراء أفلاطون التي تتنافر وسلوكيته الدينية والاجتماعية. ومنها إباحية الحكام ومشاعية النساء، والأولاد، والمرأة في عمل الرجل، واحتكار المال، وأجزاء الحب الأفلاطوني. وفي المقابل يعتمد على أفلاطون في وصف تحولات المدن إذ يرى أن المدينة الفاضلة يمكن ان تتحول إلى مدينة كرامية ثم تتحول المدينة الكرامية إلى مدينة الشهرة ثم إلى مدينة جماعية قبل أن تتحول أخير إلى أشر مدينة وهي مدينة وحدانية التسلط.

وإذا كان ابن رشد قد فسر تعدد السياسات بتعدد أجزاء النفس[٤٦]، فانه يرى أن النظر في السياسات غير الفاضلة التي تتحول إليها المدينة الفاضلة ليس ضروريا للسياسي، إنما يكفيه أن يعرفها ويعرف الشرور التي تنتقل منها إلى المدينة الفاضلة[٤٧].

ويستحضر ابن رشد صور المجتمع وتدرج مراتبه من نظريته الفلسفية في الوجود، الأمر الذي يعكس حقيقة الترابط بين الفلسفتين النظرية والعملية، أي بين الميتافيزيقا والاجتماع الإنساني في السياسة والأخلاق، فتصبح فلسفته الاجتماعية انعكاسا لفلسفته الميتافيزيقية تستقي منها نظامها وتسلسلها، ومن هنا تتجلى فكرة إيمانه بوحدة العقل ووحدة الفلسفة.

غرض ابن رشد من هذا الدمج محاولة بناء الموجودات في عالم ما بعد الطبيعة وعالم الطبيعة والإنسان، على أساس ابتناء أساس نظري للمدينة الفاضلة التي تقاوم تحولها إلى مدينة جاهلية. ولذلك عمل ابن رشد على تجاوز مثالية أفلاطون، وذلك من خلال النظر إلى المسألة السياسية، لا من زاوية تشييد النموذج المثالي بعيدا

عن معطيات الواقع، بل من زاوية النظر إلى الممكن الواقعي وبناء الإصلاح على أساسه، وصولا بالتدريج إلى تحول الممكن الذهني إلى واقع فعلي[٤٨]. سيكون على ابن رشد إذن أن يبين كيفية إعادة بناء العقل الكوني والنظر البرهاني، وإعادة بناء لحمة المجتمع ووحدته، فكأنه أراد ابتناء المشروع الفلسفي الذي من شأنه أن يعيد توحيد السلطة ولم الشتات لإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وتجاوز الملة الجاهلية، عن طريق الفلسفة التي تعطي براهين ما تحتوي عليه الملة الفاضلة، وتخلصها من الأمراض التي تصيب المدن الفاضلة، من الأفعال والملكات التي في المدن غير الفاضلة، وإعادة تأسيس المكانة العقلية في الفلسفة.

من هنا، يبدو أن الكيفية التي تصور بها مهمة العقل البشري ضمن صيغة العلاقة بينه وبين العقل الفعال، وصيغة العلاقة بين النفس والجسم، هي التي يتوقف عليها مصير المجتمع المدني، وبنيته وتدبيره والعلاقة بين فئاته. ولم يكن بالتالي انصرافه إلى الفلسفة السياسية من جهة، وإلى إلى الأخلاق العملية من جهة أخرى، إلا تتويجا لصورة انعكاس الواقع الاجتماعي والسياسي في عقله، فأراد أن يعيد تأسيسها على نحو جديد. من هنا نفهم معاني مدينته الفاضلة التي أسس لها، ومضاداتها من المدن غير الفاضلة، عبر بحثه في الأسباب والجهات التي لا يؤمن معها أن تستحيل الرياسات الفاضلة وسنن المدن الفاضلة إلى السنن والملكات الجاهلية، والتدابير التي يجب اتخاذها في حالة لم تعد المدن الفاضلة فاضلة، أي تحولت إلى مدينة جاهلية من أجل عودتها إلى حالة الفضيلة، وذلك من خلال العلوم النظرية والعملية والقوة الحاصلة عن التجربة.

وعلى كل فان المدينة الفاضلة إذا ما تحققت يكون أهلها غير مرتبطين بما هو ضروري للحفاظ على البقاء، من تلبية للحاجات الضرورية، ولا تبالغ في الملذات، ولا تكتفي باليسار والثروة، ولا تنجذب بمظاهر خادعة كالمجد والشهرة (كالمدينة

الكرامية)، إنها مدينة ترتبط بالخير الأسمى، تهتم بالإرتقاء بالنفس وبالفضيلة بالعلم وبالعمل، إنها مدينة تقوم على سياسة يخضع لها جميع الناس، دون أن تترك الأفراد أسيري أهوائهم، يقولون ويفعلون ما يشاؤون (مثلما هو الشأن في المدينة الجماعية)، لكن المدينة الفاضلة تتأسس أيضا على قواعد شرعية، أخلاقية وعقلية، وعلى قوانين تلزم الناس باحترامها، دون إكراه ودون اللجوء إلى القوة والهيمنة (كما يفعل أهل مدينة التغلب)، دون استعمال أساليب التمويه والخداع والغرور (مثلما هو عليه الأمر في المدينة الضالة)، إلا أن بلوغ المدينة الفاضلة، يقتضي الجمع بين القول والفعل، فلا يكفي معرفة الخير الأسمى والسعادة الحقة والكمال الإنساني، بل ما يهم هو ممارستها، وإذا ما انفصلت معرفة الفضيلة عن ممارستها (نكون أمام مدينة فاسقة)، كما يجب أن تضل المدينة الفاضلة حلما أبديا، يجب أن يبقى الوعي حرسا حتى لا يحيد الناس عن الفضيلة، وإلا فقدت صفة الفضيلة وتبدلت أحوال المدينة (كما هو الشأن بالنسبة للمدينة المتبدلة).

وبناءا على ما تقدم يمكن القول إن فلسفة المدن الجاهلية فلسفة نقدية وبنائية في آن معا، نقدية لأنها تنزع إلى تقديم نقد اجتماعي سجله ابن رشد من خلال فلسفته السياسية، وهو ينطبق كما يبدو على الفرق والطوائف المختلفة، وأشكال الولاءات التي عرفها المجتمع الإسلامي في عصره. أما أنها بنائية فلأن ابن رشد قدم نموذج المدينة الفاضلة لتكون بمثابة البديل عن المدن الجاهلية، لكونها تشكل المعادل الموضوعي للسعادة الحقيقية، التي ربما كانت تنشدها القوى الاجتماعية الصاعدة في تلك الظروف، وينشدها المفكرون والأفاضل من أهل المدن الجاهلية التي يعج بها العصر آنذاك.

الخاتمة:

ما هي القضايا الفلسفية الرئيسية في آراء ابن رشد السياسية، وما قيمتها وأصالتها؟ نحسب ان الإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من أسئلة تدور في هذا الفلك هي ما يجب ان نختم به بحثنا لهذا الموضوع.

في هذا البحث تمكنا من عرض وتحليل ونقد الفلسفة السياسية عند ابن رشد والتي تجاوز فيها نظرة أفلاطون المثالية، مبرهنا على إمكانية قيام مدينة فاضلة تقيم العدل وتعمل على نصرة المواطن وتتكفل بتوفير الأمن والاستقرار.

كما نود ان نشير إلى قضية مهمة نخرج بها من دراستنا لفلسفته السياسية. هذه القضية تتلخص في ان مساهمة ابن رشد في مجال الفلسفة السياسية قد أكدت على الارتقاء بالتعامل مع القضايا السياسية من مستوى التناول الجدلي والخطابي إلى مستوى التحليل البرهاني الفلسفي.

لقد بينت دراستنا للفلسفة السياسية عند ابن رشد حقائق كثيرة ومتنوعة، وتوصلت أيضا إلى نتائج مهمة كان أبرزها:

١- ان معالجة ابن رشد للمسألة السياسية تقع ضمن الموضوعات الفلسفية التي اعتادت الفلسفة الإسلامية تناولها، حيث ترتبط السياسة بالأخلاق وتطلب مقصدا محددا هو سعادة المدينة.

٢- لم يكن ابن رشد مهتما بالتفكير في أمور السياسة من خلال المفاهيم العقلية المجردة فقط وإنما أيضا باستقراء تجارب تاريخ الحضارة الإسلامية.

٣- وجود أواصر قوية بين فكر ابن رشد الإسلامي والمصادر الفلسفية اليونانية التي أحال عليها في مناسبات عديدة.

٤- لقد تناول ابن رشد المسألة السياسية من زاوية برهانية لأجل ذلك فان تناوله يندرج ضمن مسعى تأصيل المسائل السياسية فلسفيا.

وإذا كانت فلسفته تصدر عن هذا الوعي بهذه التناقضات التي حملتها ثقافة عصره، بكل ما تمور به من أبعاد روحية وفكرية وسياسية واجتماعية، فهل كانت هذه الفلسفة تصدر في جانبها السياسي عن دوافع تتجاوز مسألة التوفيقية، وبضمنها توفيقيته بين العقل والنقل، نحو غاية بناء أنطولوجي خاص بالوجود الإنساني في عصره ؟ ومن ثم العمل على توحيد الرؤية الدينية والفلسفية والسياسية.

من هذا المنطلق لا تكون الرشدية مجرد معطى تراثي حقق تراكمه المعرفي في متن ثابت متمحور حول إشكالات نمطية، بل سلسلة من الأسئلة والقضايا الملتهبة التي أزعجت المدن الضالة والمستبدة، بعد أن تحولت إلى خطاب اجتماعي وثقافي نقدي يهز الأطر النموذجية القديمة في الغرب الأوروبي، ويتحدى أنماط التفكير الإقطاعي.

٥- هناك ارتقاء واضح في فكر ابن رشد لدى بلوغه بحث النظرية العامة للمدينة الفاضلة، حيث يبحث في مقومات الدولة وشروط بقاءها، وتلك أبعاد إستراتيجية يعد التطرق إليها فتحاً فلسفياً، في اختيار الشخصيات ذات الخبرة، وبحث أفضل السبل للدفاع عن الدولة (المدينة).

٦- اتضح لنا ان ابن رشد قد أعطى لافكاره السياسية طابعاً فلسفيا، حتى إنه ليتعذر فهم هذه السياسة دون دراستها على ضوء نزعته الفلسفية الخاصة، لأن الغرض الذي يحرك آراءه السياسية كلها غرض فلسفي، ولا يمكن بالنتيجة فهم هذه الآراء ما لم ينظر إليها من الناحية الفلسفية.

الهوامش:

(١) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية احمد شحلان، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨، ص٤١. نود الإشارة إلى أن أول ترجمة لاتينية لتلخيص " الجمهورية " لابن رشد ظهرت سنة ١٤٨٩. ثم تلتها ترجمة لاتينية أخرى ظهرت سنة ١٥٣٩م. أما الترجمة العبرية، فقد ظهرت سنة ١٣٢١م ونشرت مع ترجمة انجليزية قدمها المستشرق الإنجليزي روزنتال سنة ١٩٥٦م. وظهرت ترجمة عَرَبية للنسخة الأنجليزية سنة ١٩٩٨م على يد الباحثين حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان). وظهرت في سنة ١٩٩٨م أيضا أول ترجمة عربية للنص العبري أنجزها الأستاذ أحمد شحلان، تحت عنوان: الضروري في السياسة، مع مدخل ومقدمة تحليلية لمحمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

(٢) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٦٤-٦٥. كذلك انظر: ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨، ص ١٩٤. وللتفصيلات، انظر: تعليق الأستاذ أحمد شحلان على كتاب " الضروري في السياسة "، ص٢٢١ . ٢٢٢.

(٣) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨، ص٦٦. وقارن بهذا الخصوص: أرسطو، الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩، ص١٧٥. وللتفصيلات ينظر: ابن باجة، تدبير المتوحد، تحقيق ماجد فخري، بيروت، دار النهار للتوزيع والنشر، ١٩٦٨، ص٣٩.

(٤) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٦٦. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، ص٣٧٩. وللتفصيلات ينظر: توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ص٥٢-٥٣.

(٥) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٦٩. كذلك: ابن رشد، تلخيص كتاب النفس، تحقيق احمد فؤاد الاهواني، الطبعة الاولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ص١٢. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، ط٣، القاهرة، ١٩٢٩، ص١٠٦. ومن الملاحظ إن الفضاء السياسي الأفلاطوني هو هنا أنسب فضاء لابن رشد فلعله وجد فيه مناسبة لمعالجة إشكال التدبير الذي أرقه: تدبير المدينة الفاضلة كما سنرى. وهو الأمر الذي يخلو منه كتاب السياسة لأرسطو الذي لا يناسب الحساسية الثقافية الرشدية في كثير من أموره. ينظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد (سيرة وفكر)، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٦) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٦٣.

(٧) ينظر: المقدمة التحليلية التي قدمها حسن مجيد العبيدي في: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٣٤-٣٧.

(٨) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٧١. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م، ص١٠٨. كذلك انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٢٠.

(٩) انظر: ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١١٩. وقارن: أرسطو، الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م،

ص٥٤. وللتفصيلات، انظر: ابن رشد، تلخيص الخطابة، (الكويت) وكالة المطبوعات، (لبنان) دار القلم، بدون تاريخ، ص ١١٥-١١٦.

(١٠) انظر: ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٢٠. كذلك ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١١١.

(١١) ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ص١٨٩.

(١٢) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١١٩. كذلك انظر: فضيلة عباس، الخلفية الفلسفية قبل ابن رشد في الأندلس، ضمن (فلسفة ابن رشد بين التراث والمعاصرة)، ج١، ص١١٩.

(١٣) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٢٠. انظر أيضا محمد عابد الجابري، نكبة ابن رشد في كتاب "المثقفون في الحضارة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ١٩٩٥م، ص٩٥.

(١٤) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٨٨. كذلك ينظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد (سيرة وفكر)، ص٢٥٧.

(١٥) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٩٥. كذلك انظر: محمد المصباحي " مرتبة الفحص الدلالي والفحص الجدلي الإشكالي من علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد" ضمن دلالات وإشكالات، الرباط، ١٩٨٨م، ص١٥-٢٦.

(١٦) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٦٨. راجع بهذا الشأن: جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص ٥٥٤.

(١٧) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٩٨.

(١٨) أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، ص٣٣٩. لقد أقام أفلاطون نظريته في العدل والسياسة على أساس ان العدالة صفة نفسية تمكن الناس من نبذ الرغبات غير الرشيدة وتدفعهم إلى تذوق كل لذة وإلى الحصول على الإشباع الأناني من كل شيء، وبهذا يهيئون أنفسهم إلى أداء وظيفة واحدة تخدم الصالح العام. وكذلك كان ينادي بفكرة عن السياسة تصاحب فكرته عن العدالة، وبمقتضاها لا تكون الدولة مرتعا يتمتع فيه الحاكم بإشباع لذاته، بل تصبح ذلك الجسم الذي هو جزء منه والكائن الذي يؤدي وظيفة معينة. ولن تظل الفردية بعد ذلك مصدر عدوى للدولة، بل على النقيض من ذلك يجب ان تسري الروح الجماعية في الفرد... ولا يمكن بعد ذلك أن يستغل الحاكم دولته لخدمة أغراضه الخاصة، بل يجب أن تتطلب الدولة من الحاكم أن يضحي أهدافه الخاصة في سبيل الصالح العام إذا فرضنا جدلا أن له أغراضا مختلفة عن أغراض الدولة. ارنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس اسكندر ومحمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦، ص ٢٥٩.

(١٩) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٠٥. كذلك انظر: ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧ م، ص٩٥.

(٢٠) انظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد (سيرة وفكر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٢٢. وقارن: أرفين روزنتال، أراء ابن رشد السياسية، مجلة البينة (الرباط)، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٢، ص٩٧. ويجدر بنا أن نشير إلى أن ابن رشد في رأي روزنتال لم يكتف بشرح كتاب الجمهورية في ضوء الأخلاق النيقوماخية لأرسطو فحسب، بل نظر إلى الجمهورية ككتاب يصف أفضل نظام سياسي يصلح لتسيير شؤون المدينة، ولم

يتعامل معه كبديل لكتاب السياسة لأرسطو الذي لم يصل إليه. وينبغي ألا ننسى، كما يؤكد ذلك روزنتال أن ابن رشد مسلم يؤمن بالطابع الإلهي للشريعة الإسلامية، ولذلك قام بشرح أفلاطون بموجب مقتضياتها. المصدر نفسه، ص٩٩.

(٢١) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٥٨. وبصدد هذا الموضوع انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة، ص٧٣.

(٢٢) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٦٢. وقارن: أفلاطون، الجمهورية،ترجمة فؤاد زكريا،ص٧٨.

(٢٣) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٩٣. ويلاحظ ان ابن رشد يتبنى فكرة الوسط الخلقي، وهي فكرة فلسفية مؤداها ان الوسط دائماً خير وفضيلة. فالفضيلة هي وسط بين رذيلتين. مثال ذلك الشجاعة وسط بين رذيلتين هما الجبن والتهور.

(٢٤) انظر: ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص١١٤. كذلك انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٧٥.

(٢٥) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٨٠.

(٢٦) ينظر: ابن رشد، تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٢٢٠. كذلك ينظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد "سيرة وفكر"، ص٢٢٠. وبخصوص التضاد، ينظر: ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة، تحقيق
عثمان أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١١٤-١١٥.

(٢٧) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٦٨. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، ص١٢٩.

(٢٨) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٢٠٩. وبهذا الخصوص انظر: ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق موريس بويج، ثلاثة أجزاء، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧ م، ص٣٤٢.

(٢٩) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٢١٩. كذلك ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٧٦.

(٣٠) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٨٧. وقارن: أرسطو، الأخلاق، ص٢٩٤. كذلك، ابن باجة، تدبير المتوحد، ص٧٠.

(٣١) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٨٥. وهنا يخلط ابن رشد في كلامه رأيه بأفكار أفلاطون، فهو يقوم بدور عارض آراء غيره (يقول أفلاطون) ثم ينتقل إلى لعب دور الشارح ثم ينتقي في النهاية فكرته من دون توضيح ويكتفي أحيانا بمقابلة الآراء ولا يتوصل إلى خلاصة نقدية حاسمة تميز خطوط تفكيره عن مفاهيم غيره. فهو يتحدث مثلا عن إمكان تحول المدينة الجماعية إلى فاضلة لكنة يعود لينفي ذلك. ونحن بدورنا يصعب علينا أن نميز بين آراءه وآراء أفلاطون. المصدر نفسه، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٣٢) ينظر: مقدمة الدكتور حسن العبيدي لكتاب، تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٧. كذلك انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٧٨.

(٣٣) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٩١.

(٣٤) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٩٢_١٩٣.

(٣٥) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٩٣. وللتفصيلات بشأن أجزاء وقوى النفس، انظر: ابن رشد، تهافت التهافت، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ص٢٨٠.

(٣٦) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٩٥. كذلك ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٧٢. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ص٨٤.

(٣٧) ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٩٤ وقارن: أرسطو، في السياسة، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وقدم له وعلق عليه: ألآب أوغسطينس بربارە البولسي، الطبعة الثانية، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٠م، ص٥٨.

(٣٨) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص١٧٣. عندما نتناول المرحلة الأندلسية وتطور العلوم الفلسفية والسياسية في المقدمة منها، فإننا وكما أكدنا، أن ذلك لم يكن ليحدث لولا التطورات المهمة التي حصلت على صعيد الاجتماع الإنساني والذي كانت أبرز سماته: تطور علاقات الإنتاج وأساليب وأدوات الإنتاج، الذي قاد بالضرورة إلى أنماط اجتماعية معينة، وكان الفكر السياسي في غضون هذه العملية التاريخية يتأثر بالتصاعد حتماً، يبلور مفاهيم جديدة، وضرورات طرحت نفسها بوصفها بديهيات، وأولى تلك البديهيات على سبيل المثال: إن الإنسان هو حيوان اجتماعي بالطبع.

(٣٩) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٢٠٤. وللتفصيلات بشأن الموضوع ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة، ص١٦٥. كذلك: محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠١، ص٢٥٤.

(٤٠) ابن باجة: تدبير المتوحد، ص٧٦. وقارن: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٦٥.

(٤١) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٩٤..

(٤٢) المصدر نفسه، ص١٩٥-١٩٦. وقارن: العراقي، محمد عاطف، حقيقة مذهب ابن رشد من منظور الفلسفة العربية، بحث مقدم ضمن كتاب (ابن رشد وفلسفته بين التراث والمعاصرة)، ج ١، مراجعة وتقديم، عبد الأمير الاعسم، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٠م، ص٢٤.

(٤٣) راجع، بالنسبة لهذه النصوص، ابن رشد، تهافت التهافت، القسم الثاني، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م، ص٨٦٩-٨٧٢. كذلك ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٢١٠. وللتفصيلات انظر: ميغيل كروز هيرنانديس: ابن رشد، المعرفة والوجود، ضمن (كتاب تاريخ الحضارة العربية الإسلامية)، بيروت، ١٩٩٨، ج٢، ص١١١٣.

(٤٤) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٢١٢. وقارن: ابن باجة، تدبير المتوحد، ص٧٤.

(٤٥) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٩٠.

(٤٦) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص٧٠. وللتفصيلات انظر: عبد السلام بنعبد العالي، الفكر الفلسفي في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٣، ص٣٤.

(٤٧) انظر: تقديم محمد عابد الجابري لكتاب ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٦.

(٤٨) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٧١. لهذه الإبعاد يلح البحث المعاصر في التراث الفكري على أهمية المسألة السياسية، كشرط منهجي في قراءة الفكر العربي الإسلامي. يقول، مثلا، محمد عابد الجابري: ".. والواقع أن أي تحليل للفكر العربي الإسلامي، سواء كان من منظور بنيوي أو من منظور تاريخي، سيظل ناقصا وستكون نتائجه مضللة إذا لم يأخذ في حسابه دور السياسة في توجيه هذا الفكر وتحديد مساره ومنعرجاته، ذلك لأن الإسلام، كان في آن واحد، دينا ودولة. وبما أن الفكر الذي كان حاضرا في الصراع الإيديولوجي العام كان فكرا دينيا، أو على الأقل في علاقة مباشرة مع الدين، فإنه كان أيضا ولهذا السبب في علاقة مباشرة مع السياسة.."، انظر: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤، ص١٤٦.

المصادر والمراجع:

❁ ابن باجة:

- تدبير المتوحد، تحقيق ماجد فخري، بيروت، دار النهار للتوزيع والنشر، ١٩٦٨م.

❁ ابن رشد:

- تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق موريس بويج، ثلاثة أجزاء، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧م.

- تلخيص الخطابة، (الكويت) وكالة المطبوعات، (لبنان) دار القلم (بدون تاريخ).
- تلخيص ما بعد الطبيعة، تحقيق عثمان أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- تلخيص كتاب النفس، تحقيق احمد فؤاد الاهواني، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.
- تلخيص السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية حسن مجيد ألعبيدي، وفاطمة الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨م.
- الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية احمد شحلان، الطبعة الأولي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
- الكشف عن مناهج الأدلة، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨م.

أرسطو:

- الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م.
- الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.
- في السياسة، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وقدم له ألآب أوغسطين برباره البولسي، الطبعة الثانية، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٠م.
- النفس، نقله إلى العربية احمد فؤاد الاهواني وراجعه الاب قنواتي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.

ارنست باركر:

- النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس اسكندر ومحمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م.

ارنست رينان:

- ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

أرفين روزنتال:

- أراء ابن رشد السياسية، مجلة البينة(الرباط)، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٢م.

أفلاطون:

- الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الجمهورية، ترجمة حنا خباز، ط٣، القاهرة، ١٩٢٩م.

الجابري، محمد عابد:

- ابن رشد (سيرة وفكر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢٠٠١،٢م.
- تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤م.
- نكبة ابن رشد في كتاب " المثقفون في الحضارة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.

توفيق الطويل:

- الفلسفة الخلقية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

جان توشار وآخرون:

- تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

عبد السلام بنعبد العالي:

- الفكر الفلسفي في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

❁ العراقي، محمد عاطف:
– حقيقة مذهب ابن رشد من منظور الفلسفة العربية، بحث مقدم ضمن كتاب (ابن رشد وفلسفته بين التراث والمعاصرة)، ج١، مراجعة وتقديم، عبد الأمير الاعسم، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٠م.
❁ فضيلة عباس:
– الخلفية الفلسفية قبل ابن رشد في الأندلس، ضمن(فلسفة ابن رشد بين التراث والمعاصرة)، ج١، ١٩٩٩م.
❁ محمد المصباحي:
– مرتبة الفحص الدلالي والفحص الجدلي الإشكالي من علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد ، الرباط، ١٩٨٨م.
❁ هيرنانديس، ميغيل كروز:
– ابن رشد، المعرفة والوجود، ضمن كتاب (تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ج٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

Ibn rushed political philosophy

By:dr.sami mahmood ibraheem
University of mosul, college of arts, department of philosophy

Abstract

This paper entitled " Ibn rushed political philosophy " aims at reviewing and analyzing Ibn rushed political thought which depends on philosophy in most of its aspects.

It involves a comprehensive study of his philosophy in this respects.

The choice of this topic is due to many considerations including the pivotal status of Ibn rushed in the Islamic thought as he talked many issues including managing politics and types of governments as well as theorizing for the virtuous city " utopia " In this respect, Ibn rushed has surpassed Plato's idealistic theory, proving the possibility of establishing a virtuous city thought the succession of governments involving virtuous people

الفلسفة السياسية
عـنـد ابــن رشـــد
مجلة آداب الفراهيدي
عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع
د. سامي محمود إبراهيم
العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

in a given country that maintaing justice and stability as well as reformation and renewal.

This paper reveals many facts concerning this topic and ends up with important findings that are valuable for both readers and researchers.

Considering the various political views for the possibility of creating a good city " utopia " , and analyzing the factors of creating such utopia or a theoretical level.

And if the main concept of the research is to consider the theoretica and practical aim which Ibn rushed intended in his research in the field of politics as a philosophical research, I have divided my paper in to four parts. the first paper has tow aims:

a/the subject of politics and its relation with other science.

b/ the concept of Ibn rushed concerning justice and its connection with the state and ruling.

And the second paper has tow aims:

a/ between the policy of cities and types of rule.

b/ the application of the policy of cities within the philosophy of utopia.

الشريف الادريسي وجهوده الجغرافية
سيرته، خارطته، كتابه

أ.د. عباس فاضل السعدي
جامعة بغداد/ مركز احياء التراث العلمي العربي

الخلاصة

الشريف الادريسي احد نوابغ الفكر الجغرافي العربي، وأحد الأشراف الذين ينتسبون الى ادارسة المغرب. واكمل تعليمه الثانوي والعالي في جامعة قرطبة بالاندلس. ويعد أول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الأوربية وسجل عنها معلومات جغرافية ثمينة قبل غيره من الجغرافيين. ووصل الى منابع نهر النيل واكتشف مصدر مياهها وهو البحيرات الاستوائية ورسم خارطة لها.

اعتمد منهجه العلمي الجغرافي على الدراسة الميدانية سواء كانت شخصية أو عن طريق ارساله الوفود الى المناطق النائية بعد تدريبها، يرافقهم رسامين لرسم مايشاهدونه ويقوم بغربلة المعلومات التي تصله ويدققها.

وظل كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وخرائطه معتمدة في الجامعات الاوربية الى مابعد القرن السادس عشر الميلادي. ووضع الادريسي أول كرة أرضية من الفضة ونقش عليها خارطة العالم بأقاليمه السبعة، وكانت أول خارطة مجسمة لكرة ارضية دقيقة في التاريخ. والعالم عنده مقسم الى سبعين قسماً، كل قسم به خارطة توضح مافيه من مواقع.

خالف الادريسي الذين سبقوه حول خطوط الطول الذين تصوروا أنها مستقيمة و متوازية. وجعل المسافة بين كل خط طول وآخر ٧٥ ميلاً، وهي اقرب الى الواقع ممن سبقوه. كما اعتمد الخط المار بجزر الخالدات في بحر الظلمات بمثابة خط الطول الرئيس الذي أُتخذ كأساس لتقسيم الارض الى نصفين: شرقي وغربي ويبدأ منه القياس، وهو مايطلق عليه (خط الصفر).

حاول تفسير طغيان مياه البحر المتوسط القديم(بحر تيثس) على المناطق المجاورة له في الأزمنة القديمة من خلال مرور مياه بحر الظلمات(المحيط الاطلسي) الى البحر الشامي أو الرومي (البحر المتوسط) عن طريق ممر هرقلس أو الزقاق(مضيق جبل طارق).

من خلال النتائج السابقة يقترح الباحث نشر كتابه" نزهة المشتاق" .. كاملاً وتحقيقه وشرحه وعمل خرائط له اعتماداً على المخطوطات الموجودة في بعض مكتبات العالم و التفتيش عن مخطوطات اخرى له لنشر بقية كتبه.

مُقَدِّمَة

تدخل دراسة الشريف الادريسي ضمن حقل التراث الجغرافي العربي الاسلامي، وتهدف الى القاء الضوء على شخصية هذا الجغرافي الفذة والمميزة، وتتناول ميادين كتابه "نزهة المشتاق" وخارطته الادريسية ومراحل عملها ومكانتها العلمية.

ان درا سة الماضي يشير الى ان الحضارة العربية قد شغلت مكانة مرموقة في تاريخ البشرية، وهذا امر مسلّم به من الجميع في عصرنا هذا. ووضح بجلاء منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى اواسط القرن العشرين فضل العرب في تطوير جميع العلوم التي اشتقت لنفسها طرقا ومسالك جديدة في العصور الوسطى ولا زالت حية وتمثل جزءاً اساسياً من التراث العام للبشرية كما يقول كراتشكوفسكي.

وتعد الجغرافيا من بين العلوم المهمة التي عُني بها العرب واولوها الشيء الكثير من اهتمامهم، فكثرت مصنفاتهم وكتبهم فيها. ولا تزال هذه المصنفات وان بَعُدَ بها العهد تمثل مرحلة بارزة في تاريخ الفكر الجغرافي وتطوره. ولقد انبثقت عناية العرب بالجغرافيا من واقع بيئتهم، ذلك ان نشأتهم الاولى كانت في محيط حتم عليهم ان يلّموا بالمعلومات الجغرافية المختلفة، اذ لم يكن في استطاعتهم اداء الطقوس الدينية وانجاز معاملات البيع والشراء وتسديد الديون الا اذا ضبطوا مواعيدها.

وفي القرن السابع الميلادي عُدَّ القرآن الكريم أقدم وثيقة اسلامية احتوت بعض المعلومات الجغرافية على الرغم من قلتها كما هي قليلة في الحديث الشريف. ومنذ ظهور الاسلام سار تطور الجغرافية العربية من غير توقف الى آخر القرون الوسطى.

وقد تعاظمت التجارة في تلك المرحلة حيث كان التجار المسلمين ينهضون الى اطراف الارض، ينقلون البضائع ويشترون السلع. وقد شملت تجارتهم رقعة الدولة الاسلامية برمتها من الاندلس غربا الى وادي السند وما وراء النهر شرقاً، برا وبحراً،

مما ساعد على اتساع المعلومات الجغرافية لدى العرب فشجعهم على تدوين اخبار اسفارهم وما شاهدوه في ترحالهم فوصفوا البلدان وحياة سكانها في المناطق التي مروا بها. ومن هنا ظهرت كتب الرحلات المعروفة مثل رحلة الادريسي وغيره من الجغرافيين العرب.

ولقد كانت مساهمة العرب – والمسلمون عموما– على قدر عظيم من الاهمية في مجال علم الجغرافيا. ويبدو ان تلك المساهمات كانت ضخمة، وقد استحقوا، بناءا على ما انجزوه، مكانتهم التي احتلوها عن جدارة في مجال العلم الكوني فقد امتازوا بدقتهم المتناهية وموهبتهم في تسجيل الملاحظة القائمة على اساس المشاهدة العيانية. بل ان المساهمات العربية في الدراسات الجغرافية كانت اكثر تنوعاً ومتانةً وعمقاً، بما لا يرقى اليه قياس، من كتابات بطليموس وماركوبولو .

وعصر الادريسي يمثل التحدي العلمي، اذ ظهرت فيه مبتكرات علمية في مجال الجغرافيا والكارتوكرافيا والنبات والرياضيات والفلك والطب، كان لها تأثيرها الواضح في تراث الانسانية وبنت اوربا نهضتها عليه.

ويمثل الشريف الادريسي خاتمة الجغرافيين العرب الرحالة ذوي الاصالة العلمية والتفهم الصحيح لعلم الجغرافيا. وهو اكثر الجغرافيين العرب والمسلمين معرفة بالاقطار الاوربية والافريقية. ويعد كتابه "نزهة المشتاق" من اهم المصادر العربية القديمة، وصنع اول كرة ارضية من الفضة. وتعد خارطته من افضل الخرائط القديمة في دقتها وشمولها وضاهت خارطة بطليموس بل فاقتها دقة، وفي هذا يقول العالم الفنلندي البارز في مجال الجغرافيا (يوحنا كاريسيكو) (حق لنا "ان نعد خارطة الادريسي خارطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم".

وبسبب تلك الاهمية ولغرض القاء مزيدا من الضوء على هذا العلامة العربي الجغرافي وعلى كتابه المشار اليه وخارطته فقد تم تخصيص هذه الدراسة عنه.

نسبه وحياته:

هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبد الله بن عمرو بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب (ع). وقد يرد ترتيب نسبه غير ذلك بين مخطوط وآخر [١].

لُقب بالحسني الطالبي الشريف، وهو جغرافي ومؤرخ ونباتي ورحالة واديب وشاعر [٢]. ولقبه ابن بشرون بالقرطبي لأنه أقام في قرطبة واتم دراسته فيها ووصفها وصفا دقيقا في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" ولقب ايضا بالصقلي لأنه استقر زمنا في جزيرة صقلية[٣].

ينتمي ابو عبد الله الى بيت الادارسة العلويين الذين طالبوا بالخلافة، لذلك اشتهر (بالشريف الادريسي). ويرجع لقبه نسبة الى جده الاعلى ادريس الاول بن عبد الله بن الحسن المثلث مؤسس دولة الادارسة في المغرب واليه نسبته[٤]. فهو حسني النسب وليس حسيني كما ذكر أحد الباحثين[٥]. كان مع ابن اخيه الحسين بن علي بن الحسن المثلث ايام ثورة الاخير بمكة (علي الهادي، الخليفة العباسي)[*] في موقعة (الفخ) سنة ١٦٩هـ وقيل ١٧٠هـ / ٧٨٦م[٦].

ولما قتل الحسين اختفى ادريس مدة من الزمن، ثم تمكن من الهرب الى مصر صحبة مولاه وامينه راشد ثم وصل مراكش ونزل بمدينة (وليلى) قرب مكناس، وهناك استقبله اسحاق بن محمد زعيم قبيلة (اوْرَبَة). وهي قبيلة من البربر، وتم انتخابه زعيما لها نزولاً عند رغبة اسحاق وتبعتها قبائل اخرى. وقام بدعوته وخلع طاعة بني العباس يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩م[٧]. وأسس دولة الادارسة بنواحي سبته وبقي حتى وفاته عام ١٧٥هـ، فاقاموا الدعوة لأبنه ادريس الاصغر[٨]. واستمر

حكم الادارسة ٢٠٣ سنة وشهرين وامتد نفوذهم من السوس الى وهران، وقاعدة حكمهم كانت مدينة فاس[٩].

ولقب الادريسي ايضا بـ(الحمودي) نسبة الى جده الاصغر (حمود) مؤسس الدولة الحمودية في جنوب الاندلس. وفي عهد المرابطين في بلاد المغرب (٤٨٠-٥٤٠هـ/١٠٨٧-١١٤٥م) غادر عبد الله بن ادريس الثاني الاندلس واستقر في سبته وعاش بها، وكان من نسله الجغرافي الادريسي[١٠].

ولد الشريف الادريسي في سبتة من ابوين عربيين اندلسيين عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩-١١٠٠م. وقيل انه ولد بتطوان. وذكر (غوستاف لوبون) ان ولادته كانت في الاندلس[١١]، وهناك تلقى علومه الاولى واحاط بالمعرفة العلمية، التي كانت في عصره، احاطة تامة.

تلقى في حداثته التعليم على الطريقة الشائعة في عصره في المغرب وهو حفظ القرآن (عند الكتاب) والمتون واللغة والفقه واشهر القصائد. ودرس على علماء عصره هناك، وعرف القاضي عياض (قاضي سبته ومعلمها). وبذلك امضى طفولته في المغرب، ثم انتقل في صباه الى قرطبة بالاندلس لأتمام الدراسة الثانوية والعليا في جامعتها[١٢]، لأن الاندلس كانت من ممالك المغرب وان هناك بقايا الادارسة من اجداده، ممن أعانه على الدرس ووجهه. ويرى (ميللر) أن وصفه الدقيق لقرطبة يدل على أنها كانت مقر دراسته وموطن تخرجه[١٣]. وتمت دراسته العليا على اساتذه مشهورين حيث حصل على ثقافة عامة من علمائها وادبائها، وتخصص في الجغرافيا والطب. ويبدو عليه انه اتقن الحساب والهندسة والفلك ومعرفة احوال العالم السياسية[١٤]. كما نشأ محبا للطبيعة والازهار وكثيرا ما كان يتتبع الازهار والنباتات ومظاهر الطبيعة التي كانت تعجبه وتشغل باله[١٥]. ومعارفة تلك لا شك انها كانت حصيلة الدرس الطويل والسفر الكثير والملاحظة الدقيقة.

بدأ الادريسي اسفاره منذ سن مبكرة، عندما كان عمره في السادسة عشرة، اي في حوالي ٥١٠هـ/١١١٦م. ومعرفته الواسعة باسبانيا ومراكش ليست امرا غريبا، وقد زار لشبونة وايطاليا وسواحل فرنسا وانكلترا[١٦]، وان تشكك البعض في زيارته للبلدين الاخيرين[١٧]. وتجول في بلدان البحر المتوسط ثم رجع الى شمال افريقيا وقصد مصر والشام حيث زار المدن والقرى واقام فيها مدة طويلة[١٨].

وذكر الاستاذ (عبد الله كنون) ان اقامته بالشرق يظهر انها كانت طويلة، فتراه في ابيات له من الشعر يشتكي عودته الى المغرب خائب الامل بما كان يرجوه في الشرق من التقدير اللائق به، بصفته احد النوابغ واحد الاشراف. ولا يستبعد انه كان ينوي الاقامة على الدوام باحد اقطار المشرق، بالشام مثلا او مصر[١٩].

وزار الادريسي ايضا آسيا الصغرى والقسطنطينية واليونان ولم يكن عمره يتجاوز الثامنه عشر عاما[٢٠]. ووصل الى اماكن لم تطأها قدم سائح ولا مكتشف قبله، فقد وصل الى منابع النيل ووجد ان مصدر مياهه هو البحيرات التي تقع جنوب خط الاستواء، ورسم لها خارطة شهيرة توجد في احد المتاحف الفرنسية[٢١]. واثبتت هذه الخريطة ان معارف العرب في جغرافية افريقيا اعظم مما ظن زمنا طويلا[٢٢]. ويعد الادريسي اول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الاوربية[٢٣].

اما الاقطار البعيدة فان وصفه لها لم يكن نتيجة اسفاره ولكن نتيجة قراءاته للمراجع التي ذكر بعضها في مقدمة كتابه "نزهة المشتاق"، بالاضافة الى ما حصل عليه من معلومات من التجار والمسافرين والموفدين الذين ارسلهم الى اقاليم الشرق والغرب.

ويمثل كتابه المذكور "صدى لعصر الفرنجة"، وكان وضع هذا الجغرافي المسلم العظيم تحت كنف ملك صقلية النورماندي روجر الثاني وقضاء شطر من حياته في بلاطه، في بالرمو، اشارة كافية لوضع رحالة المسلمين آنئذ من مكانة[٢٤].

جزيرة صقلية ووصول الادريسي اليها:

استولى المسلمون على جزيرة صقلية في عام ٢١٧هـ/٨٣١م وساعدهم في ذلك جماعة من اهل الاندلس المغامرين الذين نزلوا الى ارض الجزيرة قبل عام من استيلاء المسلمين عليها. ثم قضى النورمانديون على حكمهم في عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م في عهد الكونت روجر (رُجار) الاول[٢٥]. ويرى آخرون ان حكم العرب المسلمين للجزيرة دام ٢٦٦عاما اي حتى عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م. وحكم روجر الثاني فيها مدة ٤٢ سنة، اتبع سياسة والده في تقريب المسلمين وعلماؤهم واعتمد عليهم في ادارة شؤون الدولة. فقد عين على اسطوله البحري ادمرالا عربيا هو عبد الرحمن النصراني وهو اعلى مناصب الدولة، بالاضافة الى منصبه كبير القضاة[٢٦].

وكانت اللغة العربية في عهد روجر الثاني احدى اللغات التي تضرب بها النقود واتخذ ديوانا عربيا للانشاء وكانت علامته التي يوقع بها "الحمد لله وشكراً لنعمه". بالاضافة الى تذوقه للشعر العربي وكافة الفنون والعلوم. ويصف الادريسي الملك روجر انه جمع "الى كرم الاخلاق طيب الاعراق والى جميل الافعال حسن الخلال، مع شجاعة النفس وصفاء الذهن، وغور العقل، ووفور الحلم، وسداد الرأي والتدبير..."[٢٧]. كما ان فردريك الذي خلف النورمانديين في حكم الجزيرة عني بتنمية التراث اعتمادا منه بعلوم العرب وعلوم اليونان[٢٨]. وبذلك عُدَّتْ صقلية من المعابر التي انتقلت عن طريقها الحضارة الاسلامية الى اوربا.

ووصف الادريسي بالرمو عاصمة الجزيرة الواقعة في الجانب الغربي من ساحلها البحري، أنها على قسمين: القصر والربض. يضم القصر منازل شامخة ومساجد وفنادق وحمامات وحوانيت التجار. أما الربض ففيه المدينة القديمة (الخالصة) التي كان السلطان يسكن فيها ايام حكم المسلمين، مشهورة بفواكهها ومتنزهاتها، وفي خارجها نهر عليه الارحاء الطاحنة[٢٩].

ولما اصبحت بالرمو عاصمة امراء العرب بعد عام ٨٣١م برزت الحضارة العربية وفنونها في الجزيرة. وكما يقول الاستاذ (احمد المدني) انهم بنوا فيها القرى والدساكر والمدارس والمساجد وعمروا البساتين وأنشأوا الصناعات[٣٠]. ومنها صناعة الورق وكان اول ورق عرفته اوربا، بالاضافة الى انواع المحاصيل الزراعية التي ادخلها العرب الى الجزيرة.

وذكر (غوستاف لوبون) ان العرب في صقلية قد نظموا الامور الادارية والمالية وحفروا الترع والقنوات التي لا تزال باقية الى الان وأنشأوا المجاري المعقوفة فيها لأول مرة. كما استثمرت الثروات الطبيعية لا سيما معادنها وصنعوا الحرير وصبغوا المنسوجات فانتعشت التجارة[٣١]. وظهر في الجزيرة عدد كبير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء والفلاسفة.

اما كيفية وصول الادريسي وموعد وصوله الى جزيرة صقلية، فلا تتوفر معلومات مؤكدة حولها. كما لا يعرف على وجه الدقة مصير الادريسي بعد وفاة الملك روجر الثاني سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م، وهي السنة ذاتها التي انجز فيها الادريسي كتابه "نزهة المشتاق"، واهداه الى صديقه روجر الذي توفى بعد ذلك بشهر ونصف نتيجة مرض عضال.

وقد ذكر الادريسي في مقدمة كتابه المشار اليه انه قضى ١٥ عاما من العمل في صقلية من اجل اتمام مشروع كتابه المذكور الذي انجزه في شهر شوال من سنة ٥٤٨هـ المصادف ١٠ يناير (كانون الثاني) من سنة ١١٥٤م[٣٢]. مما يعني ان مجيئه الى الجزيرة قد تم في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م وهو الموعد نفسه الذي حدده كراتشكو فسكي[٣٣].

واذا اعتبرنا تاريخ استيلاء النورمان النهائي على جزيرة صقلية هو عام ٤٨٤هـ ١٠٩١م فيكون وصول الادريسي الى صقلية قد وقع بعد ما يقرب من نصف قرن من انتزاعها من يد العرب وسقوطها بيد النورمان.

ان خبرات الادريسي ومعلوماته التي اكتسبها من رحلاته وتشجيع المسلمين الذين اعتمد عليهم روجر، كان وراء استدعاء الشريف الادريسي الى جزيرة صقلية للاستفادة من علمه لا سيما في مجال الجغرافيا، مقلدا في ذلك الامراء المسلمين الذين كانوا يتقربون من العلماء والادباء ويكرموهم كرمز لعظمة الملك ومكانة السلطان. كل ذلك يشير الى تقدم العرب في مجال العلوم والاداب والفلسفة.

وقد اغراه الملك روجر الثاني للاقامة في بلاطه، ليشبع نهمه العلمي وحبه للمعرفة الجغرافية. وان الاغداق السخي الذي انهال عليه في بالرمو قد حفزه الى اخراج انتاجه الجيد لكي يسجل التفوق في العرض والتصوير الجغرافي الوصفي اعتمادا على حسه الجغرافي الذكي الحاد[٣٤].

وبعد قبول دعوة الملك، عبر الادريسي البحر الشامي في عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م في ظروف يشوبها الغموض باتجاه جزيرة صقلية الى بلاط ملكها روجر الثاني[٣٥]. وبعد وصوله تعرف على ملكها الذي اكرمه واحترمه لعلمه، ثم دعاه للاقامة في جو اقل ما يقال فيه ان العلم والعلماء كانوا فيه موضع تقدير واحترام[٣٦]. واكد الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) ان روجر هو الذي استقدم الادريسي ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم[٣٧]. فانصرف الى تأليف كتاب جغرافي يصف فيه مملكة روجر وسائر اصقاع العالم مع صنع خارطة لأقطار الارض.

وظل الادريسي وثيق الصلة بروجر الى وفاة الاخير في فبراير (شباط) من عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م. ومرت عليه، وهو في صقلية، لحظات قلقة في عهد خليفة روجر. ويرى كراتشكوفسكي ان الادريسي عاد الى مسقط رأسه (سبته) في شيخوخته

وتوفي بها، وكذلك يرى عبد الله كنون واخرون ومنهم الباحث، كاتب هذه السطور. اما الدكتور حسين مؤنس فيرى انه توفي في صقلية فليس هناك من دليل على مغادرته الجزيرة، ويؤيده في ذلك الحسن الوزان[٣٨]. وتوفي في سبته عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م[٣٩] كما يرى اغلب الكتاب ومنهم الباحث. وليس عام ٥٥٩هـ/١١٦٦م[٤٠] او ٥٥١هـ/١١٥٦م[٤١]. ويرى المستشرق مينورسكي وفيليب حتي (وزميليه) ان وفاة الادريسي كانت سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م[٤٢]. كما ورد في دائرة معارف القرن العشرين ان وفاته كانت في عام ٥٦٩هـ[٤٣].

وقد تمت دعوة روجر وقبولها في وقت عصيب من تاريخ الاسلام حيث كانت الحروب الصليبية مستعرة بين الافرنج والمسلمين في المشرق وكذلك في الاندلس بين الموحدين والنصارى، لذا يرى بعض الباحثين ان ذلك كان سببا في حنق المسلمين على الادريسي فأهملوا علمه وذكره[٤٤]. لكن الادريسي بعلمه فرض نفسه، فاستفاد العلماء من كتبه في مختلف التخصصات الجغرافية والطبية والنباتية، واثنى عليه الصفدي وابن ابي اصيبعة والفلقشندي وابن خلدون[٤٥].

والملك روجر الثاني لم يدعُ الادريسي لوحده وانما دعا عدد اخر من العلماء والمؤرخين ولكنه كان يهتم بالادريسي ويحترمه ويقدره. فاذا دخل اليه يسرع لأستقباله عند الباب ويجلسه على سريره، واذا اراد الخروج ودعه بنفسه الى عتبة القصر. ويقول كريمرز: "... ان وضع ثقة الملك رُجار في الادريسي لدليل واضح على مدى الاقرار بتفوق الثقافة الاسلامية آنذاك"[٤٦].

ويؤكد الدكتور حسين مؤنس ما ذهب اليه كريمرز بقوله:"وكانت الجزيرة عامرة بالمسلمين ومعالم الاسلام ... فان وجود ذلك الشريف العلامة الى جانبه – جانب روجر – يعلي جاهه بين رعاياه من المسلمين ويؤيد سلطانه في نظرهم، ولا شك

في ان رُجار استفاد سياسيا من ثناء الادريسي عليه في مقدمة كتابه ووصف اياه بالملك المعظم المعتز بالله المقتدر بقدرته"[٤٧].

ويستبعد الدكتور حسين مؤنس ان يكون الادريسي قد سعى بنفسه الى خدمة روجر الثاني او ان يكون روجر قد سمع بعلم الادريسي فاستدعاه. ويذكر ان بيتا حموديا كان موجودا في صقلية ومؤثرا في اهلها حين قدم روجر الاول على غزو الجزيرة سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م. حيث كان لهذا البيت تأثيرا كبيرا ودورا واسعا في تاريخ صقلية الاسلامية واستمر هذا الدور الى اواخر القرن السادس الهجري خصوصا في وسط الجزيرة. وينتسب الشريف الادريسي الى البيت الحمودي المذكور، ووصل خبره الى روجر الثاني عن طريق آل حمود لأن كلام الصفدي يؤكد ان الملك روجر رغّب الادريسي بالبقاء عنده بقوله:" انت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك، ومتى كنت عندي امنت على نفسك"[٤٨].

ويمكن الاستنتاج من هذا القول ان روجر قد قابل الادريسي قبل مباشرته العمل عنده وعلى هذا يرى الدكتور حسين مؤنس ان الادريسي قام بزيارتين الى صقلية تعرف في الاولى على روجر الثاني وفي الثانية استقر وشرع العمل فيها[٤٩]. مما يعني ان الملك روجر عرف الادريسي معرفة شخصية قبل ان يدعوه الى العمل معه[٥٠].

ووصف الصفدي في ترجمته القصيرة للادريسي انه كان اديبا ظريفا شاعرا مولع بعلم الجغرافيا، صنف لروجر كتاب "نزهة المشتاق" ويُستشف من بعض الاشعار نزعة اليأس بسبب تغربه عن وطنه منها[٥١]:

ليت شعري أين قبري ... ضاع في الغربة عمري

وفي هذا البيت اشارة واضحة الى عدم نسيان وطنه المغرب، رغم قربه من الملك وعيشه في بلاطه واغداق الملك السخي عليه.

رأي العلماء في الادريسي:

من القدماء الذين ذكروا الادريسي (ابن ابي اصيبعه) الذي لقبه بالعالي بالله وكان "فاضلا عالما بقوى الادوية المفردة ومنافعها ومنابتها واعيائها"[٥٢]. ونقل عماد الدين الاصفهاني قولا عن ابن بشرون الصقلي وهما معاصران للادريسي، ذكر فيه جماعة من شعراء الاندلس منهم محمد بن محمد الادريسي، ولقيه في قرطبة، ووصف ابن بشرون الادريسي بانه حاذق زمانه وسابق ميدانه[٥٣].

وذكر فيليب حتي وزميليه ان الادريسي كان المع شخصية ازدان بها بلاط روجر الثاني، وكان اعظم علماء الجغرافيا وراسمي الخرائط في العصور الوسطى[٥٤]. ويعد ايضا اشهر جغرافي عرفته اوربا، وظل كتابه وخرائطه معتمدة في الدراسات الجغرافية بالجامعات الاوربية الى ما بعد القرن السادس عشر الميلادي.

وقد لقبه المستشرقون بـ(استرابون العرب) نسبة الى الجغرافي الاغريقي سترابو. وقال البارون دوسلان عن كتابه بانه لا يوزن به اي كتاب جغرافي سابق له[٥٥].

وبالاضافة إلى ما تقدم فان العلامة الادريسي كان استاذ الجغرافيا لأوربا لا لبطليموس فقط وهاديا لها بسفره الذي لا يبارى. وفي ذلك يقول (جوتيه) ما نصه: ان "الشريف الادريسي الجغرافي كان استاذا للجغرافيا في اوربا لا لبطليموس اذ لم يكن للعالم يوم ذاك مصور عن الارض الا ما رسمه الادريسي. وعلاوة على ذلك، فالادريسي حجة لم يقع في الاغلاط التي وقع بها سلفه بطليموس، وما الكشوف التي تمت على يد فاسكودي غاما وكولمبس الا نتاج علم العرب وعلى ايدي بحارة عرب تحت امرة النصارى[٥٦].

ويقلل مينورسكي من شأن هذا الجغرافي المرموق ويجعل لغيره فضلا كبيرا فيما وصل اليه الادريسي من معلومات. ويرى المستشرق المذكور ان الادريسي قد

أُتيحت له فرصة سانحة لدراسة الاقطار المطلة على بحر الروم، واستفاد من خرائط العالم الاسلامي السابقة. وامكن نشر الفصول المتعلقة بالبحر المتوسط بصورة غاية في الاتقان بجهود ذوي الاختصاص من فرنسيين وطليان والمان ومستشرقين من فنلندة وبولونيا. كما استطاع بفضل بحارة ومتخصصين ان يجمع معلومات جيدة عن انكلترا وفرنسا ودول البلطيق. ويرى مينورسكي ايضا ان مصادر الادريسي عن البقاع الواقعة الى الشرق من المناطق السالفة الذكر كانت قاصرة، والخرائط المتعلقة بهذا الجزء من العالم تحمل اثار بطليموس ومعلومات قدامى الجغرافيين العرب، بالاضافة الى معلومات الادريسي التي حصل عليها. كما تفتقر المعلومات المتعلقة بالاقطار الاسلامية الشرقية للاصالة، وتتصف الفصول المتعلقة بآسيا الوسطى والهند باشكال الغموض[٥٧].

ومع ذلك وصف مينورسكي الادريسي بانه اشهر جغرافي العرب، وقد تعلمت اوربا علم الجغرافيا في القرون الوسطى من كتبه التي ترجمت الى اللاتينية[٥٨].

وهكذا حدد الادريسي الجغرافيا وجعلها علما مستقلا مثل باقي العلوم واكد على خطوط الطول ودوائر العرض لتحديد المكان والمسافة واستخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الاوربية.

مؤلفات الادريسي:

ألّف الادريسي كثيراً من الكتب والخرائط والكرات الارضية الفضية النفيسة ولكن معظمها لايزال خطياً في مكتبات ومتاحف فرنسا وبريطانيا. ومن أهم ماعُرف للادريسي حتى الآن من الكتب هي:

اولاً:- "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وورد في الطبعة المختصرة (مطبعة المديتشي medici في روما عام ١٥٩٢ بعنوان (نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق)[٥٩]. وهي من اقدم الطبعات بالحروف

العربية في اوربا. وعُرف الكتاب ايضاً باسم (كتاب رُجار) او (الكتاب الرُّجاري)[٦٠]. أو (الرجاوي). والكتاب يمثل موسوعة جغرافية مصنفة على الاقاليم السبعة المعروفة يومذاك. كما ان الكتاب مزود بـ ٦٩ رسماً ومقطعاً[٦١]. بافتقاد احد خرائط الكتاب. وقيل ٧١ خريطة[٦٢] بعد اضافة الخارطة المدورة الموجودة في مقدمة الكتاب. لوجمعت لبعضها لظهرت على شكل مستطيل يمثل الاقاليم المعروفة في ذلك الوقت. كما توجد نسخة خطية من الكتاب في باريس ونسخة اخرى في اوكسفورد وثالثة في الاستانة ورابعة في دار الكتب المصرية. كما توجد مخطوطة خامسة في جامع باشا في الموصل[٦٣].

وعن طبعة روما القديمة تُرجم الكتاب الى الفرنسية من قبل (مسيو جوبير) عام ١٨٤٠ في مجلدين مع خرائط، وفي هذه الطبعة أخطاء كثيرة. ثم طبع في ليدن عام ١٨٦٦ الى مختلف اللغات العالمية من المانية وفرنسية وانكليزية واسبانية وايطالية[٦٤].

وحققت وطبعت بعض أجزاء الكتاب عن بعض البلدان كما هو مذكور أدناه:

١- وصف الهند ومايجاورها من البلاد للشريف الادريسي، جمع وتصحيح السيد مقبول احمد، منشورات القسم العربي بالجامعة الاسلامية، علي كرة، الهند، ١٩٥٤، ص١-٨٤.

٢- الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي، تحقيق أ.د. ابراهيم شوكة، مجلة الاستاذ (كلية التربية بجامعة بغداد)، المجلد ١١، سنة ١٩٦٢- ١٩٦٣، ص٢٣- ٨٦.

٣- جزيرة العرب من نزهة المشتاق للشريف الادريسي، تحقيق أ.د. ابراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧١، ص٣-٧٢.

٤- صفة مملكة ايطالية من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي، تحقيق ميخائيل أماري واسكيا باريلي، روما، ١٨٧٨، وورد التاريخ بالقسم اللاتيني سنة ١٨٨٣(يشتمل على النص العربي المحقق وترجمة ومقدمة باللاتيني).

٥- القسم الخاص بانكلترا من كتاب نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق بيستون، (يشتمل على النص العربي المحقق مع ترجمة النص الى الانكليزية، ١٩٥٠.

٦- صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي، تحقيق دوزي ودي غويه،(يشتمل على النص العربي المحقق وترجمة ومقدمة بالفرنسية)، ليدن، ١٨٦٦، طبع مجدداً بالأوفست في امستردام، ١٩٦٩.

٧- وصف افريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي، تصحيح ونشر هنري بيريس(جامعة الجزائر) معتمداً على الجزء السابق الذي حققه دوزي ودي غويه، مكتبة معهد الدروس العليا الاسلامية، الجزائر، ١٩٥٧.

٨- القسم الخاص بفنلندا وبقية بلدان البلطيق من كتاب" نزهة المشتاق" للادريسي، تحقيق تالغرين توليو و(أ. ام. تالغرين)، نشراه في شباط، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٤ في هلسنكي.

٩- ذكر الشام من كتاب نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق روزن مولر، ليبزك، ١٨٢٨(يشتمل على النص العربي الخاص بسوريا وفلسطين مع ترجمة لاتينية.

١٠- وصف اسبانيا من كتاب نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق جوزيف انتونيو كوند، (يشتمل على النص العربي المحقق مع ترجمة النص الى الاسبانية)، مدريد، ١٧٩٩.

وقد طبع طبعة جديدة بالمطبعة الملكية في مدريد في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ على النسخة الاصلية المطبوعة سنة ١٧٩٩ بعنوان (ذكر الاندلس) descripcion De Espana.

١١- وصف المسجد الجامع بقرطبة من نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق لامار (ويشتمل على النص العربي مع ترجمة ومقدمة بالفرنسية، الجزائر، ١٩٤٩.

كل ذلك يتطلب نشر كتاب الادريسي "نزهة المشتاق" كاملاً وتحقيقه وشرحه وعمل خرائط له اعتماداً على المخطوطات الموجودة في بعض المكتبات العالمية التي أُشير اليها سابقاً، والكتاب بحق يعد أعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافيا.

ثانياً:- كتاب في الجغرافيا بعنوان(روض الأنس ونزهة النفس) ألفه للملك غليالم أو غليوم الأول ابن روجر الثاني(١١٥٤- ١١٦٦) ذكره عماد الدين الاصبهاني. ويعرف ايضاً(بالممالك والمسالك) وباسم (كتاب أنس المهج وروض الفرج)[٦٥]. لايعرف عن هذا الكتاب شيء سوى شذرات حفظها لنا ابو الفدا في القرن الرابع عشر. وفي هذا الكتاب يضيف الادريسي اقليماً ثامناً الى الأقاليم السبعة ويقع الى جنوب خط الاستواء[٦٦].

ولايزال هذا الاثر النفيس مخطوطاً في نسخة واحدة، وهي وحيدته في العالم. وذكر (سيبولد) أنه لم يبق من هذا المصنف الا مختصر في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا باستامبول(تحت رقم ٦٨٨) وكان أول من أشار اليه منذ سنوات هروفتز[٦٧].

ثالثاً: خارطة منابع النيل وبحيرات جنوبي خط الاستواء، لاتزال هذه الخارطة في متحف سان مرتين بفرنسا. وتحديد تلك المنابع يلغي نظرية بطليموس التي حددها بتلة في القمر[٦٨].

رابعاً : كتاب الادوية المفردة، ذكره ابن ابي اصيبعة. وقيل أن له كتاب اسمه (جني الأزهار في الروض المعطار). وقد يكون هو نفسه كتاب (الجامع لصفات

اشتات النبات) واستفاد منه ابن البيطار العالم النباتي المعروف ولم يصل الينا الكتاب.

وصف الادريسي لبعض المناطق:

يصف الادريسي في كتابه " نزهة المشتاق" عدة مدن منها (صيدا) الواقعة في البلاد الشامية على ساحل البحر المالح. كما يصف مدينة(سبتة) مسقط رأسه وذكر انها مشهورة بصيد الحوت الذي يوجد منه نحو مئة نوع وكذلك صيد المرجان.

كما يصف (بيت لحم) قائلاً: سرتُ من بيت المقدس الى مدينة بيت لحم فوجدتُ على طريقي(عين سلوان)، وهي العين التي ابرأ فيها السيد المسيح، الضرير الاعمى، فأصبح يرى. وبقربها بيوت كثيرة ومنقورة في الصخر وفوقها رجال اعتكفوا عبادةً. أما (بيت لحم) وهو المكان الذي ولد فيه السيد المسيح، فبينهُ وبين المقدس ستة أميال. وفي وسط الطريق قبر راحيل أم يوسف ولد يعقوب، عليه قبة معقودة بالصخر. وفي بيت لحم كنيسة حسنة البناء، فسيحة ومزينة. وفي جهة الشمال المغارة التي ولد بها السيد المسيح، وفي شرق بيت لحم توجد كنيسة الملائكة[٦٩].

كما وصف الادريسي(روما) وذكر انها تقع على جانبي نهر الصفر(التيبر)، وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة النصارى المسمى(بالبابا). وهي على جانبي خور البنادقة، لها سور مبني بالآجر، ولها وادٍ يشق وسط المدينة، وعليه قناطر تربط الجهتين الشرقية بالغربية. ويبلغ امتداد كنيسة روما ٦٠٠ ذراع (٣٠٠متر) في مثله. وهي مسقفة بالرصاص ومفروشة بالرخام ويوجد فيها حوض ماء للمعمودية. وفي صدر الكنيسة كرسي من ذهب يجلس عليه البابا. وفيها سرداب مدفون فيه بطرس، حواري عيسى. كما ان لهذه المدينة كنيسة اخرى مدفون فيها(بولس)[٧٠].

أما الهند وماجاورها من البلاد[٧١]، فقد بدأ الادريسي بوصف بلاد سفالة التي يوجد في جبالها معدن الحديد حيث يعرفه الهنود ويستخدموه في سبك السيوف.

وتمشي نساء جزيرة الديبجات مكشوفات الرؤوس، وتتصل بتلك الجزيرة، جزيرة اخرى وهي القمر وجزيرة سرنديب وفيها جبل الرهون وعليه قدم آدم. وفي هذا الجبل أنواع المواقيت، وفي واديه الماس. ومن محاصيلها الزراعية: الرز وقصب السكر والنارجيل، وعلى سواحلها مغاص اللؤلؤ الثمين والجيد.

ومللك هذه الجزيرة يسكن مدينة(أفنا) وله ١٦وزيراً موزعون بالتساوي بين أهل ملقة والنصارى والمسلمون واليهود. وتتصل بجزيرة سرنديب جزيرة الرامي وهي الهند وتشتهر بحيوان الكركدن والذهب والكافور واللؤلؤ وعدة محاصيل زراعية، وفيها نبات(العنبا). وجميع أهل الهند والصين يقتلون السارق ويؤدون الأمانة. ويحدث في بحر عُمان وبحر فارس المد والجزر. وفي بحر الهند والصين حيوان بحري يسمى(البابة)، وقد تتعرض للمراكب فتكسرها، لذلك يرشقها الربانون بالسهام.

واهل الهند سبعة أجناس اعلاها الأشراف وفيهم الحكم، يليهم البراهما وهم عباد الهند، ثم يليهم بقية الأجناس. ومذاهب اهل الهند ٤٢ ملة، لهم شتى الديانات الموحدة وغير الموحدة. وأهل الهند والصين لاينكرون الخالق ولايقولون بالرسل والكتب، ويحرق أهل الهند موتاهم.

وصنف الأدريسي في كتابه سبعة بحار عدا البحر المحيط(بحر الظلمات) الذي يحيط بالكرة الأرضية. وهذه البحار هي[٧٢]:

١- المحيط الهندي أو بحر الهند ويسميه الادريسي(بحر الصين والهند والسند واليمن).
٢- البحر الجنوبي والأبلة وهو الخليج العربي ويسميه الادريسي(الخليج الأخضر).
٣- خليج القلزم وهو البحر الأحمر.
٤- البحر الثاني الكبير المعروف بالبحر الشامي أو الرومي(البحر المتوسط).
٥- خليج البنادقيين وهو بحر الادرياتيك.

٦- بحر بنطس وهو البحر الأسود.
٧- بحر جرجان والديلم وهو بحر الخزر(بحر قزوين).

ومما يلاحظ على الأدريسي أنه أشار الى دخول مياه البحر الآعظم (بحر الظلمات) وهو المحيط الاطلسي الى البحر الشامي عن طريق ممر هرقلس(مضيق جبل طارق)، مما ادى الى غرق بعض المدن[٧٣]. ولعله يريد أن يفسر فكرة طغيان مياه البحر المتوسط القديم (بحر تيثس) على المناطق المجاورة له خلال الأزمنة الموغلة في القدم.

خارطة الأدريسي وكتابه" نزهة المشتاق:

تمهيد

في عاصمة صقليه (بالرمو) تقترن ذكرى أنضر مرحلة في حياة الادريسي العلمية، وفيها ايضاً يقترن كتابه الكبير(نزهة المشتاق). وقد انبعثت فكرة الكتاب في عصر ازدهار حضارة صقليه تحت حكم النورمان. ويرجع الفضل في ظهوره الى ملك صقليه روجر الثاني نفسه، لأنه هو الذي كلفه بتأليف كتابه ليصف فيه العالم بأقطاره وبلدانه ومافيه من العجائب وأحوال أهله وهيئاتهم ومذاهبهم وازيائهم ولغاتهم. فقام الآدريسي بانجاز تلك المهمة على اكمل وجه. والف تلك الموسوعة الجغرافية الهائلة التي سماها " نزهة المشتاق" في اختراق الآفاق". حيث قدم وصفاً موجزاً للارض التي تصورها على شكل كرة مع وصف قصير للاقاليم والبحار والخلجان ثم انتقل الى وصف سطح الارض بالتفصيل.

وقد تم تأليف الكتاب في شهر شوال من عام ٥٤٨هـ الموافق العاشر من يناير(كانون الثاني) من عام ١١٥٤م كما ذكر الادريسي في مقدمته[٧٤]. واذا جاز القول ان المسودة الثانية للكتاب تم اعدادها بعد يوليو(تموز) من عام ١١٥٤م، يلاحظ وجود بعض الاختلاف بين مسودة واخرى[٧٥].

وبعض الباحثين عدَّ تلك الموسوعة الادريسية من التراث العربي بأنها صرح منير للحضارة الانسانية، إذ أغنت المعرفة وسرّعتْ في حركة التطور والتقدم[٧٦]. ومنهم من أشار الى ان أبدع أقسام تلك الموسوعة هي الفصول المتعلقة بوصف الاندلس واسبانيا والمغرب وبحر الادرياتيك وايطاليا وجزائر البحر المتوسط وافريقيا الشمالية. وهي البلاد التي تجول فيها الادريسي عن كثب واعتمدت على ملاحظاته الشخصية. ففي هذه الفصول كشف الادريسي عن رسوخ معلوماته وعمقها ودقة مشاهداته. بالاضافة الى ماذكره من معلومات واوصاف دقيقة عن بلاد اوربا الشمالية مثل المانيا والبلاد الاسكندنافية[٧٧]. ومعلوماته عن الروس اعتمدت، على روايات ابن حوقل والجيهاني، وقد قسمهم الى ثلاث قبائل. واعتقد (نايلنو) ان ملعوماته عن بلاد آسيا وافريقيا غير الأسلامية اعتمدت على بطليموس[٧٨].

وبالاضافة الى كتاب نزهة المشتاق، فقد كلف الملك (روجر) الادريسي عمل خريطة للعالم، إذ لاتتوفر في ذلك الوقت سوى خريطتين قاصرتين: الاولى تعود الى عهد قياصرة الروم، وضعت عام ٣٦٥م وعُرفت باسم خريطة(بوتنجر) ولاتتعدى الطرق والأراضي الموجودة بالبحر المتوسط حتى ان اغلب المدن الموجودة التي تضمنتها تلك الخريطة قد تغيرت اسماؤها أو زالت من الوجود. وهناك خريطة اخرى اكثر شهرة من الاولى هي خريطة بطليموس لكنها محدودة الفائدة ولاتتجاوز حدود العالم المعروف حينذاك[٧٩].

وأنجز الادريسي مهمته المكلف بها ورسم خريطته على تصور جديد لم يكن مألوفاً من قبل. فقد كان تصور القدماء عن الارض أنها مسطحة تعوم على سطح الماء. ولكن الادريسي صحح هذه الفكرة وقال انها بيضاوية الشكل محاطة بالماء من كل جانب وقسمها الى قسمين يفصلهما خط الاستواء. وقد رسمها بشكل مثير للدهشة لكنه لم يضع فيها قارتي امريكا واستراليا لانهما لم تكتشفا بعد[٨٠].

ويرى كراتشكوفسكي أنه من العسير الوصول الى رأي قاطع حول أصل خرائط الادريسي وصلتها ببطليموس .كما أنه من الصعوبة الجزم أن الكرة الفضية التي عملها الادريسي للملك روجر على هيئة خارطة مستديرة، هل هي للعالم أم للاقاليم؟ وفي جميع الأحوال يعد اطلس الادريسي أهم أثر للكارتوغرافيا العربية في العصور الوسطى[٨١].

وبعد أن تم تجميع خرائط الادريسي ونشرها بفضل جهود عالم الخرائط الالماني (ميللر) الحاذقة، اصبحت هذه الخرائط مرئية فوق جدران اكثر المؤسسات التعليمية في العالم الغربي. مما هيأ ظهور دراسات لتلك الخرائط عن اقطار اوربا مثل ابحاث (تالغرين- توليو) عن وصف فنلندا لدى الادريسي، وكذلك أبحاثه عن الدول الاسكندنافية وشمال المانيا واستونيا وشبه جزيرة كولا وشمال روسيا ومناطق الدنيبر الأعلى، مما جعل أبحاثه وابحاث هنرباخ عن المانيا تمثل خطوة جديدة في دراسة الادريسي[٨٢].

وتوصل ميللر من الخرائط السبعين التي صنفها الادريسي لاجزاء العالم، بعد ان جمعها الواحدة الى جنب الاخرى، الى خارطة كبيرة موحدة للعالم بطول مترين وعرض متر، نشرها بالحروف اللاتينية، وطبعت طبعة أنيقة بالألوان الأصلية في سنة ١٩٢٨[٨٣]. وقيل ١٩٣٨، كما طبعت في عام ١٩٥١ طبعة باللغة العربية[٨٤].

ونظراً لأهمية هذه الخارطة قام المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأسماء الواردة في تلك الخارطة ومقارنتها بخرائط الادريسي الملحقة بكتاب "نزهة المشتاق" وأخرج منها خارطة عربية بالحجم نفسه والألوان والعوارض التي وضعت في خارطة ميللر.

منهجه العلمي:

من مصادر كتاب الادريسي الأساسية، مشاهداته الشخصية وما كتبه المتقدمون في علم الجغرافيا مثل المسعودي، الجيهاني، ابن خرداذبة، العذري، الحوقلي البغدادي، اليعقوبي، ابن الحسن المنجم، قدامة البصري، ابن خاقان الكيماكي، القردي، بطليموس الاقلودي، ارسيوس الأنطاكي.

كما اعتمد صاحب نزهة المشتاق على مارواه السياح من المعارف الكثيرة، وعلى عدة خرائط، وعلى ماكان يسجله من احاديث التجار والحجاج المسافرين والملاحين في السفن التي كانت ترسو في موانئ صقليه.

ويعد الادريسي أول من جمع معلومات عن مناطق اوربا الشمالية عن طريق ارسال أشخاص اليها والى اقاليم الشرق والغرب، اختارهم ممن اتصفوا بالذكاء والفطنة ودربهم على دقة المشاهدة وغربلة المعلومة، وسفرَّ معهم مصورين ليصوروا مايشاهدونه عيناً برسومهم وأمرهم بالتقصي والاستيعاب لما لابد من معرفته. وكان يدقق مايأتي به هؤلاء من معلومات ويعيد صياغتها. وبعد أن يتأكد من صحتها يثبتها على خارطته، لأنه كان يتوخى الحصول على معلومات موثوقة من مصادرها الأصلية بالمعاينة والمشاهدة والتدقيق الشخصي، كما أشار الى ذلك الصفدي.

وبذلك تكمن اهمية الكتاب ليس فقط على ماذكره الادريسي من معلومات الجغرافيين الذين سبقوه مثل بطليموس والمسعودي، بل على مشاهداته الشخصية. بالاضافة الى المعلومات المبنية في الأساس على تقارير مبتكرة حصل عليها عن طريق موفدين سبق وأن أرسلهم الادريسي- بمساعدة روجر- الى بلدان متفرقة لكي يأتوه بالمعلومات التي يتفحصها، ومن ثم يدونها. مما يدل عن رجاحة عقل، وسعة صدر، وقدرة صبر، فضلاً عن ادراكه لكروية الأرض.

وهكذا فإن الادريسي لم يكتف بما عنده من معرفة مختزنة، وطرق اختبار، بل اتصل بكل من له علم فأخذ منهم ماعندهم، وقابل الأخبار والمعلومات والمعارف وقارن بينها وقبل منها ماثبتت صحته بالمقارنة والتدليل وترك ماكثر حوله الاختلاف. وتمخض عن تلك الجهود خارطته للعالم وكتابه"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"(٨٥)، وهو دليل على تفوق الحضارة العربية في ذلك العهد وعلى اعتراف الجميع بهذا التفوق(٨٦).

ومما يلفت النظر أن الادريسي ينسب كل مابذله من جهد الى الملك روجر ويعده هو صاحب هذه الطريقة، ويميل كرانشكوفسكي الى هذا الرأي(٨٧). ولعل نسبة الادريسي لكتابه الى روجر هو من قبيل المجاملة والتواضع، حيث ان الملك كان منشغلاً بادارة شؤون مملكته وحل مشاكلها تاركاً الجانب العلمي للشريف الادريسي.

ويؤكد الاستاذ حسن السائح أن الادريسي هو الذي وضع منهج العمل لكتابه وهو الذي أرسل البعثات الاستكشافية الى مختلف الدول. كما كان يدرس خصائص البلد الذي يسافر اليه ووضعه الجغرافي والنحل والمعتقدات والمنتجات وكل ماله أهمية بالجغرافيا وعلم الاجتماع، وساعده في ذلك روجر الثاني(٨٨).

مراحل اعمال الادريسي :

يرى كراتشكوفسكي ان العمل في كتاب" نزهة المشتاق" مرَّ بثلاثة أدوار وخلف وراءه آثار: أولها انموذج فريد في نوعه للكرة السماوية، وهو عبارة عن قرص من الفضة مرسومة عليه صورة العالم، وثانيها خارطة مرسومة على الورق، وثالثها كتاب خاص مدون فيه الاسماء الجغرافية(٨٩).

ويفهم مما اورده الادريسي في مقدمة كتابه " نزهة المشتاق" ومن كلام الصفدي ان الأعمال التي قام بها الادريسي مرّت بحسب المنهج المعد بأربع مراحل هي(٩٠):

المرحلة الأولى(إعداد لوح الترسيم):

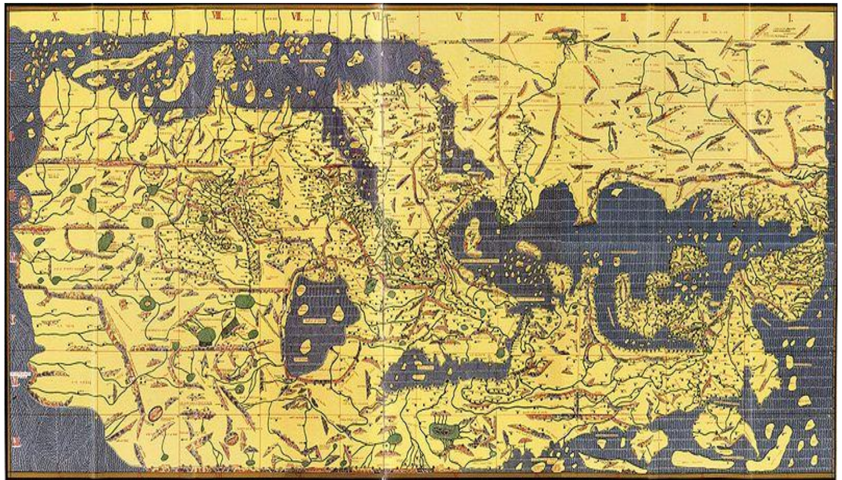
لوح الترسيم عبارة عن خارطة واسعة مسطحة رُسمت عليها خطوط الطول ودوائر العرض. وقد اتخذها الادريسي اساساً استند اليها في تثبيت المواقع حيث ثُبِّت عليها مواقع البلدان والانهر والجبال والبحار والخلجان والبحيرات واحداً بعد الآخر بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، وذلك باستعمال (فرجار). وهي الطريقة ذاتها المتبعة حالياً في تثبيت الاماكن على الخارطة وتعيين مسافاتها بالنسبة الى المواقع الاخرى. وقد استند الادريسي الى الجداول التي نظمها الجغرافيون الاقدمون في تثبيت

المواقع واعتمد على الأصح منها. ثم عاد ونقل، بعد ذلك، من اللوح المذكور خارطاته التفصيلية المختلفة في كتابه " نزهة المشتاق" من غير أن يثبت عليها خطوط الطول ودوائر العرض.

المرحلة الثانية(صنع كرة فضية للعالم):

في هذه المرحلة نقل الادريسي ماتجمع لديه على لوح الترسيم من معلومات على كرة أرضية فضية ونحت على هذه الكرة خارطة العالم المعمور، كما كانت على لوح الترسيم ولكن بحجم أصغر. وهي عملية معقدة، إذ لم يكن لديه من الأدوات سوى الفرجار والمسطرة والمثلث وما اليها. وكان عليه في كل حالة أن يحسب البعد الصحيح للموقع ثم نقله الى المقياس المطلوب في الخارطة الثانية.

وبعد ان انجز الادريسي كرته الفضية تحطمت في زمن الملك (غليالم الأول) على أثر ثورة نشبت سنة ١١٦٠م. والمثير للدهشة أن تبقى خريطة الحائط السريعة التلف، وتضيع خريطة المعدن المجسمة. فقد كانت قيمتها المادية سبباً في تلفها وضياعها بعد ان هجم الثوار على القصر الملكي وقاموا بتهشيمها قطعة قطعة، واقتسمها المهاجمون فيما بينهم، ثم ضاعت خريطة الحائط التي عملها الادريسي ولم يبق غير خريطة كتابه الشهير"نزهة المشتاق"[٩١].



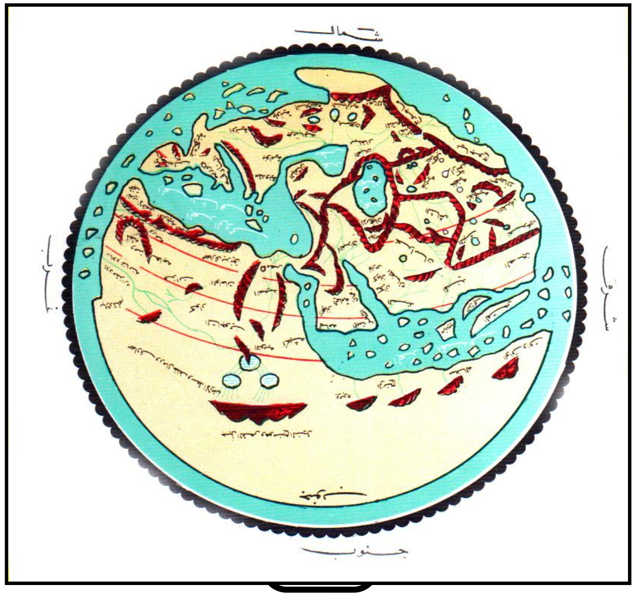
شكل (١) خارطة العالم للأدريسي كما وضعها ميللر بجمع اجزاء الخارطات المتفرقة الملحقة بكتاب " نزهة المشتاق"

وبسبب فقدان تلك الكرة، اختلف الباحثون في تصور هذه الخارطة، فبعضهم عدّها دائرة مسطحة على شكل قرص، والبعض الآخر عدّها كرة مجسمة من الفضة منقوش عليها الأقاليم السبعة بأقطارها وطرقها ومظاهرها الطبيعية. والاكثرية تميل الى الرأي الأول مثل (رينود) الذي ذكر ايضاً أن الادريسي صنع كرة سماوية، بالاضافة الى الخارطة المذكورة. وايد ميللر ماذهب اليه(رينود) من ان الخارطة كانت صفيحة لا كرة وقدّر سمكها بنحو ٣ملم وطولها ٣.٥م وعرضها ١.٥م. وكانت أول خريطة لكرة ارضية مجسمة في التاريخ على شكل مستطيل من الفضة وتكاد تكون اكبر الخرائط في العالم[٩٢].

أما الدكتور حسين مؤنس فمال الى الرأي الثاني حيث ان الادريسي وصف الخارطة بأنها " دائرة عظيمة الجرم، ضخمة الجسم" ولايمكن أن تكون مجرد صفيحة منبسطة. واتجه الدكتور احمد سوسة الى الرأي الثاني ايضاً، يؤيده الباحث في ذلك، حيث ان الادريسي بنى جغرافيته على مبدأ كروية الارض وتقسيم الأقاليم المناخية عليها، وهي تتدرج من خط الاستواء الى القطب.

مما يعني ان الادريسي استند على مفاهيم علمية صحيحة، بالاضافة الى فهمه الواضح لخط الاستواء ومابنى عليه تقسيمه للارض الى اقاليم. واتخذ الخط المار بجزر الخالدات بمثابة خط الطول الرئيس الذي أُتخذ كأساس لتقسيم الارض ويبدأ منه الحساب، وهو مايطلق عليه خط الصفر.لذا فإن النتائج التي توصل اليها أفضل بكثير ممن سبقه، وهي سابقة للمفاهيم الجغرافية السائدة في عصره بمراحل[٩٣].

الطريقة التي اتبعها الخوارزمي في خريطته لأول مرة، ثم تبعه الفرغاني وسهراب والبيروني وغيرهم. إلا أن الادريسي أضاف اليها تصنيفاً جديداً، حيث قسم كل اقليم من تلك الأقاليم السبعة الى عشرة أقسام متساوية تبدأ من القطب الشمالي وتنتهي بالقطب الجنوبي، وجعل لكل قسم خارطة. وبذلك حصل على مستطيلات محددة من الارض ومايقع فيها من الأقطار والمعالم الجغرافية. وهو بذلك قد خالف ممن سبقه من الفلكيين الذين قسموا قبة الفلك فوق الارض الى ٣٦٠ درجة وذكروا مايقع مقابل كل خط من المدن وتصوروا أن خطوط الطول مستقيمة متوازية[٩٩]. إلا أن الادريسي عدَّ طول الدرجة الواحدة (بين خط وآخر) ٧٥ ميلاً، اي أنها أطول مما هي عليه الآن بقليل. ولذلك فإن قياساته لم تكن دقيقة جداً ولكنها أقرب إلى الواقع من التقسيم الفلكي الذي كان سائداً قبله[١٠٠]. فاصبح العالم المعمور عند الادريسي مقسماً الى سبعين قسماً، كل قسم ملحق به خارطة توضح مافي داخله من مدن وجبال وبحار وجزر وأنهار وطرق وغيرها. ومن مجموع تلك الخرائط السبعين يفتقد منها عادةً في المخطوطات واحدة أو اثنتان[١٠١].



وقد رسم الادريسي صورة الارض على شكل كرة في مقدمة كتابه المذكور، وهي مأخوذة من كرته الفضية، حيث رسم دوائر العرض فيها على شكل أحزمة تحيط بالكرة الفضية بشكل دائري وليس على شكل خطوط مستقيمة، مما يشير الى أنها منقولة من كرة وليست دائرة مسطحة .والادريسي قام بصنع كرته الفضية تقليداً لما كان شائعاً في عصره في صنع مثل هذه الكرات المعدنية[**] والتي تقدم الى الملوك والأمراء.

وقدرت زنة الكرة الأرضية الفضية المذكورة (٢٠٠٠) أُقة[٩٤]. وقدرها آخرون بنحو (٤٠) رطلاً من الفضة[٩٥]، وغيرهم بنحو(٤٠٠) رطل رومي[٩٦]. ونقش الادريسي عليها الأقاليم السبعة معتمداً في ذلك على حسه الجغرافي الحاد[٩٧].

المرحلة الثالثة(إعداد كتاب نزهة المشتاق) :

بعد ان جمع الادريسي معلوماته، وبعد أن ثبتها في خارطته " تكامل له ما أراد وجعله مصنفاً وهو كتاب نزهة المشتاق الذي للشريف الادريسي" على حد قول الصفدي. وقد انفرد الكتاب عن غيره من المؤلفات الجغرافية العربية السابقة بمعلوماته عن منابع النيل وعن السودان الغربي ونهر النيجر بالاضافة الى معلوماته الغزيرة عن القارة الاوربية[٩٨]. ويمكن القول ان الكتاب ضم معلومات في الجغرافية الطبيعية والاقتصادية والبشرية وجغرافية الاجناس البشرية ولمحات عن التنظيم الاجتماعي عند مختلف الجماعات والاقوام [٩٨-أ].

المرحلة الرابعة(إعداد الخرائط):

تمثل هذه المرحلة إعداد خرائط ملحقة بكتاب" نزهة المشتاق"، فقد بنى الادريسي جغرافيته وسار بها على نهج الجغرافيين العرب الذين سبقوه والقائم على نظرية كروية الارض وثبوتها في جوف الفلك ودوران الأخير حول الارض ثم قسمة الارض المعمورة بخط الاستواء الى قسمين. وقسم العالم الى سبعة اقاليم، وهي

شكل (٢) صورة الارض للشريف الأدريسي

كما أضاف الادريسي خارطة جامعة للعالم رسمها على شكل دائرة في مطلع كتابه" نزهة المشتاق" نقلها عن كرته الفضية تمثل التقليد الذي سار عليه الجغرافيون العرب في تصوير العالم على شكل دائرة تدور حول المحيطات من جميع أطرافها. وهذه الخارطة هي الوحيدة التي يمكن ربطها بمنهج (اطلس الاسلام) أو المدرسة الكلاسيكية.

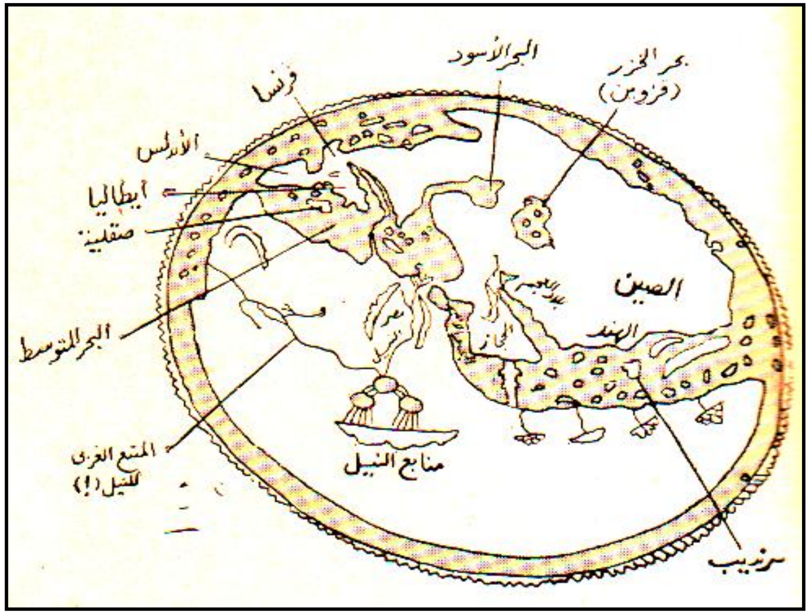
إن الفكرة الخاصة بهذا الاطلس والمتعلقة بوجود بحرين كبيرين تنعكس بوضوح في خارطة الادريسي المشار اليها.ولكن تحديد سواحل البحر المتوسط هو أقرب الى الواقع عند الادريسي. وهذا يوضح بأن خارطته تتميز بدقة الرسم والابتعاد عن منهج الخطوط المستقيمة والاشكال الهندسية[١٠٢].

وفي الوقت الذي اعتمد الادريسي على الاقاليم العامة الشاملة للمعمور (أي للعالم)، يلاحظ أن أصحاب (أطلس الاسلام) قد اختاروا أقاليم جغرافية ممثلة في وحدات سياسية وادارية متميزة عما حولها من أقاليم اخرى على أساس من الظروف الطبيعية والبشرية، وخاصة النواحي الثقافية والاثنولوجية والعرقية على نحو التفاصيل الموجودة عند المقدسي وابن حوقل والاصطخري. وهكذا أدخل اصحاب (أطلس الاسلام) تحسينات على طريقة المناطق القديمة القائمة على الأقاليم السبعة[١٠٣].

وفي ضوء اختلاف الطريقتين أمكن تجميع أجزاء خريطة الادريسي في لوحة واحدة للعالم كما فعل ميللر. في حين يتعذر تجميع خرائط أطلس الاسلام في خريطة واحدة، ومنهم من أطلق على خرائط الاطلس المذكور بالمدرسة المجددة.

وبذلك يمثل الادريسي مدرسة جغرافية خاصة، وهي التي سماها ميللر (بالمدرسة العربية النورمانية) التي التقت فيها " ثقافة الشرق الاسلامي بالغرب المسيحي، كما تعرفت اوربا على بلاد المسلمين، وعرف المسلمون الشيء الكثير عن بلدان اوربا"[١٠٤].

وكان بلاط روجر الثاني ملتقى الحضارتين وموئلاً للحرية العلمية في القرن الثاني عشر الميلادي. والخرائط التي رسمها الادريسي كانت ذات اثر كبير في تصوير الدنيا للاوربين مدة طويلة بعد عصره[١٠٥]. واقتصر جهد الاوربيين مجرد على نسخ كتابه مدة زادت على ثلاثة قرون[١٠٦].



شكل(٣) العالم كما صوره الأدريسي: كرة يحيط بها البحر المحيط

الخاتمة:

الشريف الادريسي احد نوابغ الفكر الجغرافي العربي، واحد الأشراف الذين ينتسبون الى أدراسة المغرب. اكمل تعليمه الثانوي والعالي في جامعة قرطبة بالاندلس، وساعده في ذلك بقايا الادارسة من اجداده الموجودين هناك. بدأت رحلاته الى مناطق عديدة في العالم منذ سن مبكرة. ويعد أول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الأوربية وسجل عنها معلومات جغرافية ثمينة قبل غيره من الجغرافيين. ووصل الى اماكن لم تطأها قدم سائح ولامكتشف قبله، فقد وصل الى منابع نهر النيل واكتشف مصدر مياهها، وهو البحيرات الاستوائية، ورسم خارطة لها مازالت موجودة في احد متاحف فرنسا.

اعتمد منهجه العلمي الجغرافي على المشاهدة الشخصية (الدراسة الميدانية). أما المناطق البعيدة التي لم يتمكن من الوصول اليها فقد اعتمد على مصادر الجغرافيين الذين سبقوه. بالاضافة الى استعانته بمعلومات التجار والحجاج والمسافرين وربابنة السفن والموفدين الذين ارسلهم الى الاماكن النائية بعد تدريبهم ليحصلوا على المعلومات الدقيقة. وأرسل معهم رسامين لرسم مايشاهدونه، وكان يغربل المعلومات التي تصله ويدققها.

وظل كتابه" نزهة المشتاق" وخرائطه معتمدة في الجامعات الأوربية الى مابعد القرن السادس عشر الميلادي. ولم يكن للعالم مصور عن الارض في تلك المرحلة إلا مارسمه الادريسي فكان حجة، ولم يقع في الأخطاء التي وقع فيها سلفه بطليموس. وقد تعلمت اوربا علم الجغرافيا في القرون الوسطى من كتبه التي ترجمت الى اللاتينية كما يقول(مينورسكي).

ووضع الادريسي اول كرة أرضية من الفضة ونقش عليها خارطة العالم بأقاليمه السبعة، وكانت أول خارطة مجسمة لكرة أرضية دقيقة في التاريخ. وقسم الأقاليم السبعة الى عشرة أقسام متساوية، وجعل لكل قسم خارطة خاصة به. وبذلك اصبح العالم عند الادريسي مقسماً الى سبعين قسماً، كل قسم ملحق به خارطة توضح

مافيه من مواقع. وامكن تجميع خرائط الادريسي المذكورة في لوحة واحدة للعالم، بعد وضعها واحدة الى جنب الأخرى. وبذلك يمثل الادريسي مدرسة خاصة به سماها(ميللر) بالمدرسة العربية النورمانية.

ورسم الادريسي خريطته على تصور جديد لم يكن مألوفاً من قبل، فقد كان تصور القدماء عن الارض انها مسطحة، وصحح الادريسي تصورهم وقال انها بيضاوية محاطة بالماء، وقسمها الى نصفين : شمالي وجنوبي يفصلهما خط الاستواء. ورسمها بشكل مثير للدهشة لكنه لم يضع فيها قارتي امريكا واستراليا لانهما لم تكتشفا بعد. وقد يكون عنده فكرة عن وجود أرض وراء بحر الظلمات.

وخالف الادريسي الذين سبقوه حول خطوط الطول الذين تصوروا أنها مستقيمة متوازية، وجعل المسافة بين كل خط وآخر ٧٥ ميلاً،وهي أقرب الى الواقع ممن سبقوه. كما اعتمد الخط المار بجزر الخالدات بمثابة خط الطول الرئيس الذي أُتخذ كأساس لتقسيم الارض الى نصفين : شرقي وغربي ويبدأ منه القياس وهو ما يطلق عليه خط الصفر. والنتائج التي توصل اليها هي سابقة للمفاهيم الجغرافية السائدة في عصر الادريسي. وفي ضوء ذلك اتخذ خط كرنج في العهود المعاصرة خطا للقياس وحساب الوقت.

ويستفاد مما اشار اليه الادريسي من دخول مياه البحر المظلم (المحيط الاطلسي) الى البحر الشامي او الرومي (البحر المتوسط) عن طريق ممر هرقلس أو الزقاق(مضيق جبل طارق) وغرق مدن عديدة، انه يريد ان يفسر فكرة طغيان مياه البحر المتوسط القديم (بحر تيثس) على المناطق المجاورة له خلال الازمنة الموغلة في القدم.

ان النتائج العلمية التي توصل اليها الادريسي من خلال دراسته المذكورة تتطلب منا نشر كتابه "نزهة المشتاق" كاملا وتحقيقه وشرحه وعمل خرائط له اعتمادا على المخطوطات الموجودة في بعض مكتبات العالم والتفتيش عن مخطوطات اخرى له لنشر بقية كتبه.

الهوامش والمصادر:

(١) احمد سوسة، الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية، الباب الثاني، طبع مكتب صبري، نشر مؤسسة كولبنكيان ونقابه المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٧٤، ص٢٧٣.

(٢) محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١١، مكتبة المثنى (لبنان) ودار احياء التراث العربي بيروت، ١٩٥٧، ص٢٣٦.

(٣) س.ف. سيبولد، " الادريسي"، دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، دار الفكر، ١٩٣٣، ص٥٤٧.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا (نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية)، ج٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ص١٨٠، خير الدين الزركلي، الاعلام، ط٣، ج١، ١٩٦٩، ص٢٦٧.

(٥) انترنيت، ويكبيديا، موقع منتدى جمعية هواة الفلك السورية .

(*) وقيل الرشيد (صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٨، ص١٧١-١٧٢.

(٦) القلقشندي، ج ٥، ص١٨٠.

(٧) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص٥٤٤، الزركلي، ج١، ص٢٦٧.

(٨) القلقشندي، ج ٥، ص١٨٠.

(٩) عمر رضا كحالة، العالم الاسلامي: مختصر تاريخ الدول الاسلامية، ط٢،ج٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٨، ص٨٣.

(١٠) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٥.

(١١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله الى العربية عادل زعيتر، ط٢،مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٩٤٨،ص ٥٦٨.

(١٢) شاكر خصباك، في الجغرافية العربية : دراسة في التراث الجغرافي العربي، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٨٢.

(١٣) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٥.

(١٤) نقولا زيادة، الرحالة العرب، دار الهلال، سلسلة الالف كتاب(رقم ٩٧)،١٩٥٦، ص٥٦.

(١٥) انترنيت الموقع : www.roro44.com

(١٦) كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الاول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٨٠.

(١٧) انترنيت، موقع المغرب تحت عنوان (الشريف الادريسي).

(١٨) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٦.

(١٩) نقولا زيادة، ص٥٦.

(٢٠) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٢٧٦.

(٢١) صبري محمد حسن، ج١، ص١٧٣، وغوستاف لوبون، ص٥٦٧.

(٢٢) المصدر نفسه (غوستاف لوبون)،ص٥٦٧.

(٢٣) شاكر خصباك، ص٣٨٣.

(٢٤) م. ق. مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة أ.د. عبد الرحمن حميدة، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية (رقم ٧٣)، يناير ١٩٨٥، ص١٩.

(٢٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٤٩.

(٢٦) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٢٩٨-٣٠٢.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٣٠٠-٣٠٤.

(٢٨) بركلمان، ص٢٤٩.

(٢٩) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٣٠٥.

(٣٠) احمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، المطبعة العربية، الجزائر، ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٣١) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٢٩٥.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٢٨٢.

(٣٣) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٠.

(٣٤) صلاح الدين على الشامي، الاسلام والفكر الجغرافي العربي، منشأة المعارف (سلسلة الكتب الجغرافية رقم ٤٠)، الاسكندرية، ١٩٧٨،ص ١٢٩.

(٣٥) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٠.

(٣٦) نقولا زيادة، ص٥٦.

(٣٧) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٢.

(٣٨) عن: احمد سوسة، الباب الثاني، ص٢٩٨-٣٠٢.

(٣٩) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٠. وورد في كتابه سنة ٦٥٠هـ وواضح انه خطأ مطبعي وصحيحه هو ٥٦٠هـ . راجع ايضا نقولا زيادة ص٥٧، الا ان الباحث صبري محمد حسن ذكر ان السنةالهجرية تلك تقابل ١١٧٣م (ص١٧١). اما دائرة المعارف الاسلامية فذكرت انها مقابلة لعام ١١٦٦م(٥٤٧/١).

(٤٠) انترنيت، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٤١) جي .اج. كريمرز"، الجغرافية والتجارة"، ترجمة المحامي جرجيس فتح الله، تراث الاسلام، ج١، ص١٠٠-١٠٣.

(٤٢) مينورسكي، ص١٩ وفيليب حتي، ادور جرجي، جبرائيل جبور، تاريخ العرب مطول، ط٤، ج٢، مطابع الغندور، ١٩٦٥،ص٧٢٢.

(٤٣) محمد فريد وجدي، الادريسي، دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، المجلد الاول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١،ص ١٢٠.

(٤٤) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٢٧٦.

(٤٥) عبد الله كنون، ذكريات مشاهير المغرب، الشريف الادريسي، الحلقة ٢٤ تطوان، المغرب، بلا تاريخ، ص٨، حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٧، ص١٧٧،١٨٢، زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٦٧(عن احمد سوسة، ٢٧٧/٢).

(٤٦) كريمرز، ج١، ص١٠٠-١٠٣.

(٤٧) حسين مؤنس، ص١٧٧،١٨٢.

(٤٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، مادة رُجار، نشرها المستشرق الايطالي اماري في المكتبة الصقلية، ليبسك، ١٨٥٧، ص٦٥٧-٦٥٨.

(٤٩) حسين مؤنس، ص١٨٣-١٩٠.

(٥٠) مجلة المجمع العلمي العراقي، أدارسة صقلية، المجلد ١١، ١٩٦٤، ص٩٥.

(٥١) الصفدي، مادة رُجار، ص٦٥٧-٦٥٨.

(٥٢) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص٥٠١.

(٥٣) عماد الدين الاصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، حققه محمد بهجة الاثري، بغداد، ١٩٧٣. انظر ايضا: احمد سوسة، ٢٨٢/٢.

(٥٤) فيليب حتي وزميليه، ج٢، ص٧٢٢.

(٥٥) عن : شاكر خصباك، ص٣٨٣.

(٥٦) صبري محمد حسن، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

(٥٧) مينورسكي، ص١٩.

(٥٨) عن : غوستاف لوبون، ص٥٦٧-٨.

(٥٩) توجد نسخة من هذه الطبعة في مكتبة المتحف تحت رقم ٩١٠-أ٢٨٢.

(٦٠) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص٥٤٧.

(٦١) صبري محمد حسن، ج١، ١٧٣-٤.

(٦٢) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص٥٤٧.

(٦٣) صبري محمد حسن، ج١، ١٧٣-٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ج١، ١٧٣-٤.

(٦٥) محمد رضا كحالة، ج١١، ص٢٣٦.

(٦٦) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٩٠.

(٦٧) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص٥٤٧.

(٦٨) انترنت، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٦٩) احمد ابو سعد، ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي : دراسة ومختارات، منشورات دار الشرق الجديد (سلسلة الفنون الادبية عند العرب رقم ١٠)، بيروت، ١٩٦١،ص٩٧.

(٧٠) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٧١) الشريف الادريسي، وصف الهند وما جاورها من البلاد، جمع وتصحيح السيد مقبول احمد، منشورات القسم العربي بالجامعة الاسلامية، علي كرة، الهند، ١٩٥٤، ص١-٨٤.

(٧٢) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٣٦٤-٣٦٦.

الشريف الادريسي وجهوده الجغرافية | مجلة آداب الفراهيدي عدد خاص بمؤتمر الآداب الرابع | أ.د. عباس فاضل السعدي العدد (٣) حزيران ٢٠١٠

(٧٣) الشريف الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، تصحيح ونشر هنري بيريس، الجزائر، ١٩٥٧، ص١٠٥-١٠٦.

(٧٤) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٢٨٣.

(٧٥) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٤-٥.

(٧٦) احمد ابو سعد، ص٩٦.

(٧٧) محمد عبد الله عنان، " الشريف الادريسي عمدة الجغرافيين المسلمين"، مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٩، نيسان ١٩٦١، ص٩٢-٩٦.

(٧٨) فيليب حتي وزميله ج٢، ص٧٢٢.

(٧٩) انترنيت، موقع المغرب، الشريف الادريسي.

(٨٠) المصدر نفسه، (موقع المغرب).

(٨١) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٨٢) المصدر نفسه، ص٢٩٣-٤.

(٨٣) احمد سوسة، الباب الثاني، ص٣٦٦-٧.

(٨٤) انترنيت، الموقع : www.roro44.com.

(٨٥) نقولا زيادة، ص٥٧.

(٨٦) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٢-٣.

(٨٧) المصدر نفسه،ص٢٨٠-١.

(٨٨) حسن السائح، "الادريسي"، مجلة البينة المغربية، العدد ٣، السنة الاولى، ١٩٦٢، ص٣٧.

(٨٩) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٣.

(٩٠) حول هذه المراحل انظر: احمد سوسة، الباب الثاني، ص٣١٤-٣٦٠.

(٩١) انترنيت، موقع المغرب، الشريف الادريسي.

(٩٢) المصدر نفسه، (موقع المغرب).

(٩٣) حسين مؤنس، ص١٩٩-٢٠٦.

(**) نسب لبطليموس انه صنع كرة ارضية من النحاس وكذلك قيل ان البيروني هو الاخر قد صنع كرة ارضية، كما صنع كرة معدنية محمد بن المنجم الدمشقي.

(٩٤) صبري محمد حسن، ج١، ص١٧٢.

(٩٥) شاكر خصباك، ص٣٨٢.

(٩٦) انترنيت، موقع المغرب، الشريف الادريسي.

(٩٧) صلاح الدين علي الشامي، ص١٢٩.

(٩٨) شاكر خصباك، ص٣٨٣-٤.

(٩٨-أ) جمال الدين الرمادي، " الادريسي"، دائرة معارف الشعب، المجلد الاول، مطابع الشعب، ١٩٥٩، ص٣٠٠- ٣٠٤.

(٩٩) فلاح شاكر اسود، علم الخرائط : نشأته وتطوره ومبادئه، بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٧٠.

(١٠٠) حسين مؤنس، ص٢٠٧-٢٠٨.

(١٠١) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص٢٨٩-٢٩٠.

(١٠٢) فلاح شاكر اسود ص١٦٩.

(١٠٣) عبد العال عبد المنعم الشامي، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية (سلسلة ٣٦)، ديسمبر ١٩٨١، ص٣٠.

(١٠٤) احمد سوسة، " المكتبة الجغرافية"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، المجلد الاول، السنة الاولى، آب ١٩٦٢،ص ٢٤٦.

(١٠٥) نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ص١٤.

(١٠٦) غوستاف لوبون، ص٥٦٧.

Al Shaif Al- Idrisi and his Geographical Activites

Dr. Abbas Fadhil Al- Saadi(*)
Baghdad University

Abstract

One of the most famous of Arabs geographers who was born in Ceuta(Morocco) in 493 A.H., and he was died in Ceuta in 560 A.H.

Al- Idrisi was registered very important of geography informations, about Europe before the others of geographers. He was reached to the springs of Nile River, and he drew a map to them. His geographical scientific method was depended on the field study. His book " Kitab Nuzhat Al- Mushtaq fi Ikhtiraq Al-Afaq" and his maps, was stayed very important to the European Universities even after the 16^{th} century. He invented the first silver earth, and he was drew the world map and its seventh region. He divided the world in to 70 parts, and any part has a map.

He was considered the distance between any longitude and the other 75 miles, and that is nearly to the truth . He was considered the line which pass from Khalidat ilands is the Zero line which that divide the earth in to two parts: east and west.

The researcher suggests that to publish all the contents of his book " kitab Nuahat Al- Mushtaq" with its maps and search about new scripts to publish his other books.

(*) Professor of geography – Center of Revival of Arabian Science Heritage – Baghdad University .

مقارنة تغيرات المظهر الارضي في سهل السندي بأستخدام التقنيات الجغرافية المعاصرة

د.رقية احمد محمد امين العاني
جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الجغرافية

أ.د. اسباهية يونس محسن
جامعة الموصل/ كلية التربية/ قسم الجغرافية

مُقَدِّمَة

تعد تقنية الاستشعار عن بعد من التقنيات المتطورة والمستخدمة في مراقبة ورصد التغيرات البيئية في كافة الاقاليم، لذا فقد استخدمت هذه التقنية كأداة فاعلة أسهمت في بناء قواعد متكاملة للبيئة وتفعيل نظم مراقبة المصادر الطبيعية، فضلا عن ان مراقبة التطور الحاصل في الغطاء الأرضي من المسائل المهمة التي تستخدم من اجلها البيانات الفضائية ومن خلال هذا البحث تم مقارنة التغيرات للغطاء الارضي للمدة من ١٩٧٣– ٢٠٠٧ وذلك بتقسيم هذه المدة الى مدتين وكما سيرد في متن البحث، والتي من خلالها يتم تحديد الاختلافات لظاهرة ما من خلال ملاحظتها في اوقات مختلفة للمنطقة نفسها، وهي عملية مهمة في مراقبة المصادر الطبيعية وادارتها، والأنشطة البشرية يرافقها التحليل الكمي للتعرف على التوزيع المكاني للانشطة البشرية[١]، كما تم الاعتماد على اخذ عينات ميدانية ومطابقتها مع هذه النتائج، وامكانية تطبيق التصنيف الايكولوجي على منطقة الدراسة، ويعد هذا التصنيف احد التصنيفات الشاملة في مجالات استخدامات الارض اذ ارتبط تطوره واستعماله بالبيانات المستحصلة من تقنيات الاستشعار عن بعد، ويتم تحديد مظاهر الكشف عن التغيرات بالأساليب الآتية:

- **تمييز طبيعة التغيير.**
- **القياس ألموقعي (الحقيقي) لمدى التغير.**
- **تقييم النمط المكاني للتغير.**

إن هذه الأساليب يتم التحقق منها للكشف عن التغير في المظاهر الأرضية وذلك من خلال اختلاف القيم الانعكاسية الرقمية للظواهر في البيانات الفضائية، وبذلك فان الطريقة التي استخدمت في البحث لأجل التحقق من صحة التغيرات الحاصلة هي عملية اخذ العينات الميدانية ومطابقتها مع البيانات الفضائية للمنطقة لغرض التعرف على نوع الظواهر من جهة وتطورها والتغير الحاصل فيها عبر المدة المدروسة من جهة أخرى، ويمكن أن يكون التغير في الغطاء الأرضي على نوعين هما:

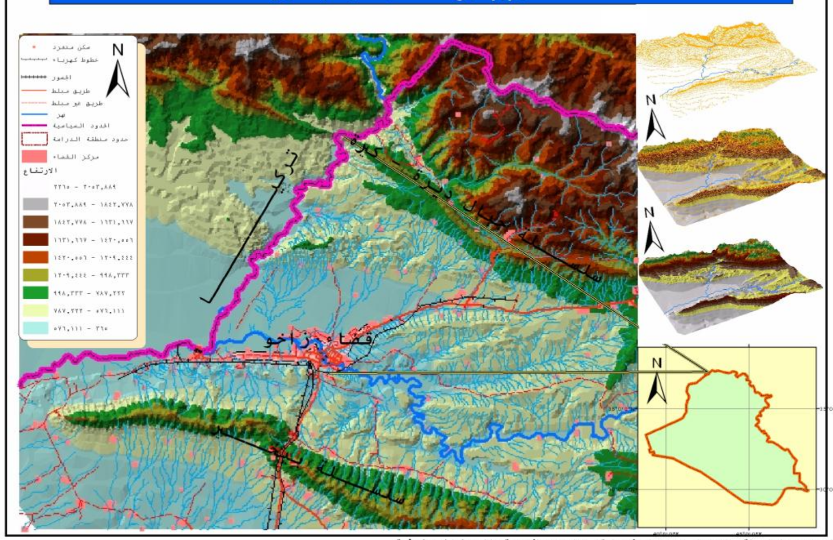
- **التعديل:** وهو تغيير متعلق بالغطاء نفسه كإزالة غابة لزراعة أشجار أكثر فائدة.
- **التحويل:** وهو تغيير من نوع غطاء إلى آخر أكثر فائدة مثل إزالة أشجار في مناطق وتحويلها إلى أراضٍ زراعية[٢].

وتم من خلال هذه التقنية دراسة السهول الجبلية والتي تعد من الدراسات الجيومورفولوجية التي حظيت باهتمام خاص من الجيومورفولوجيين؛ لأنها تمثل وحدة جيومورفولوجية وهيدرولوجية متكاملة، وتشكيل مجموعة من الوحدات الأرضية المرتبطة بها، وقسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث تلتها خاتمة البحث فضلا عن الاستنتاجات والتوصيات.

موقع منطقة البحث:

يُعد سهل السندي احد ابرز السهول الواقعة ضمن الإقليم الجبلي من العراق، ينحصر فلكياً بين خطي طول (٥٠ ً ٤٢ ْ–٢٥ ً ٤٢ ْ) شرقاً ودائرتي عرض (١٠ ً ٣٧ ْ–٤٠ ً ٣٧ ْ) شمالاً الشكل (١)، وهو بذلك يقع مناخياً ضمن الإقليم شبه الرطب الى الرطب[٣]، يقع سهل السندي تبعا لتصنيف كوبن ضمن مناخ البحر المتوسط (Csa) تصل درجة الحراة كمعدل سنوي حوالي(١٩.٦) مْ، والمعدل السنوي لامطار المحطة (٦١٩.٦)ملم، وتبلغ مساحة السهل حوالي (٣٤٣.٣كم٢)، اما موقعه المكاني فإنَّه يقع شمال مدينة الموصل بمسافة ١٢٠كم تقريبا وتقع على اطرافه الجنوبية مدينة زاخو.

الشكل (أ) موقع منطقة الدراسة بالنسبة للعراق



المصدر: عمل الباحثة اعتمادا على بيانات الارتفاع الرقمي والبيانات الفضائية والخرائط الطوبوغرافية

يظهر السهل بشكل مثلث قاعدته عند نهر الهيزل غرباً، ويضيق نحو الشرق ويبلغ متوسط عرض السهل مايقارب ٦كم، ويحده من الجنوب نهر الخابور وسلسلة جبال بيخير، اما من الشرق فتحده مدينة باطوفة مركز ناحية الكلي، ويعد نهر الهيزل الحدود الدولية بين العراق وتركيا.

تظهر في سهل السندي مجموعة من التكوينات الصخرية والرواسب سيتم ذكرها بحسب العمر الجيولوجي من الأقدم إلى الأحدث، الذي يبدأ من الأقدم الأيوسين الأسفل، حتى البلايوستوسين، فضلاً عن تنوع الرواسب العائدة للزمن الرابع المتمثلة برواسب البلايوستوسين والهولوسين(٤)، وتم اعتماد منهج المظهر الأرضي الذي يهتم بأبعاد الشكل الأرضي والتصنيف، فهو اقرب الى الجغرافية من حقول المعرفة الأخرى.

هدف البحث:

يهدف البحث الى مراقبة التغيرات الحاصلة في الغطاء الأرضي واستخدامات الأرض من خلال تحليل المرئيات الفضائية وامكانية استخدام التقنيات المعاصرة في الكشف عن هذه التغيرات من خلال المعالجات الرقمية ومنها التصنيف الموجه والغير موجه لحساب المساحات ورسم خرائط بهذا التغير كما تم الاعتماد على اخذ عينات ميدانية ومطابقتها مع هذه النتائج، فضلا عن محاولة تفسير هذا التغير ومحاولة الوقوف على اسبابه.

وسائل البحث وعناصره:

- استعمال جهاز قياس الارتفاع وتحديد الموقع المكاني (GPS) لتحديد مواقع الدراسة الميدانية وارتفاعاتها وربط ذلك بما يوجد فيها من معالم أرضية.
- مرئيات فضائية للقمر الصناعي(Landsat TM7 لسنة ٢٠٠٧ و Landsat ETM+7 لسنة ٢٠٠١ و Landsat TM5 لسنة ١٩٨٩) للتعرف على الوحدات الجيومورفولوجية ومراقبة التغيرات الحاصلة فيها ومقارنة الخرائط المشتقة من هذه البيانات للسنوات المذكورة مع مرئيات (Landsat mss الملتقطة في عام ١٩٧٣)
- بيانات الارتفاع الرقمية لسنة ٢٠٠٣ وبدقة (٣٠م) ومنها تم بناء خرائط طبوغرافية.
- برنامج ERDAS 9.1 لمعالجة المرئيات وتحليلها وتصنيفها.
- برنامج Arc GIS 9.1 لبناء الطبقات المعلوماتية واجراء التحليل المكاني.
- برنامج Globel Mapper لاجراء التصحيحات الهندسية على الخرائط الورقية وتوحيد المساقط.

وقسم البحث الى المحاور الاتية:

١- المعالجات الاولية لاشتقاق التغيرات.
٢- التصنيف الارضي لمنطقة الدراسة
٣- مراقبة التغيرات للمدة ١٩٧٣ – ٢٠٠٧

١- المعالجات الاولية لاشتقاق التغيرات:

اعتمدت دراسة التغير على برنامج ERDAS IMAGINE 9.1 لثلاث فترات الاولى ١٩٧٣ والثانية لعام ١٩٨٩ والثالثة لعام ٢٠٠٧، والهدف هو الكشف عن المناطق التي تغيرت بالفعل والمناطق التي لم تتغير والتعرف على نوع التغير واثره في المنطقة سواء كان سلبا او ايجابا وما العوامل التي ادت الى هذا التغير؟، وذلك من خلال النظر الى قيم الخلايا (البكسلات) التي تغيرت والتي بقيت ثابتة ومن خلال هذا يمكن التعرف على التغيرات الكبيرة التي سنتناولها بالتفصيل.

وقد تم اختيار هذه المدد الثلاث لتوفر البيانات اولا وللظروف والتغيرات التي اثرت في منطقة الدراسة خلال هذه المدة سواء كانت طبيعية او بشرية، اجتماعية او سياسية ثانياً. وتعتمد العملية على اختبار قيمة الانعكاسية في الفترات المذكورة لاظهار القيم المتشابهة والقيم المختلفة التي تغيرت لذا فان النتيجة تظهر بشكل صورة نهائية بخمسة انماط هي:

- نقص Decrease
- بعض النقص Some Decrease
- لا تتغير Unchange
- بعض التغيير Some Increase
- المناطق التي تغيرت تماما Increase

وقد اظهرت نتائج العمل من خلال البرنامج الخطوات الاتية:

- Interpreater
- Utilities
- Change Detection
- input old image
- input new image
- Out put

وقد كانت النتائج كما في الجدول (١) الذي يبين مساحات التغير للغطاء الارضي لمنطقة الدراسة خلال المدة المذكورة، والاشكال (٢) (٣) (٤) توضح التغيرات للمدة الاولى من ١٩٧٣ – ١٩٨٩ والمدة الثانية ١٩٨٩ – ٢٠٠٧ والتغير

الشامل من ١٩٧٣ – ٢٠٠٧ كما ان معرفة هذه التغيرات وانماطها يكشف لنا الحالات الاتية:

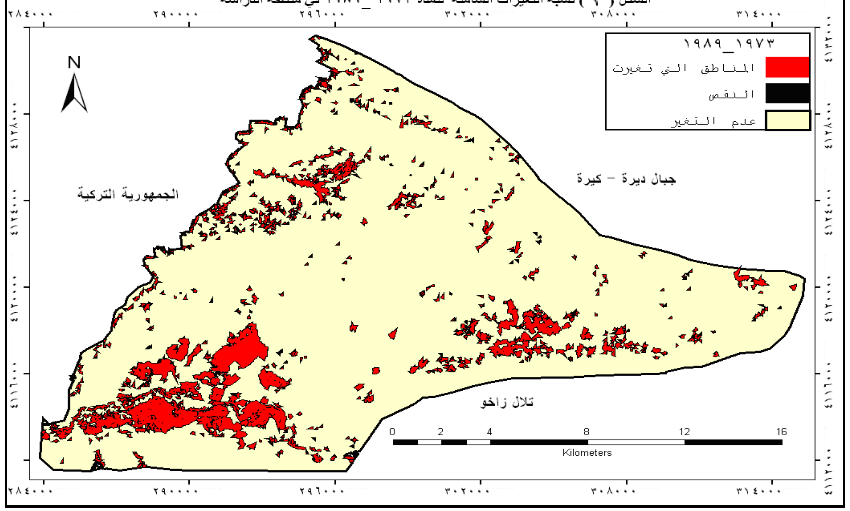
- مقدار التغير بالكيلومتر المربع.
- نوعية التغيير سلبا او ايجابا.
- المناطق الحدية والبينية التي يمكن من خلال استثمارها تسبب مشاكل غير محسوبة، واتضح من الجدول مايأتي:

جدول (١) يبين مساحة التغير ونمطه للمدة ١٩٧٣ – ٢٠٠٧

نمط التغير	مساحة التغير (كم٢) للمدة١٩٧٣-١٩٨٩	%	مساحة التغير(كم٢) للمدة ١٩٨٩-٢٠٠٧	%	مساحة التغير (كم٢) للمدة ١٩٧٣-٢٠٠٧	%	ملاحظات نوعية التغير
نقص Decrease	١.٠٢	٠.٣	١.٧	٠.٥	٦.٥	١.٩	بفعل التعرية الاخدودية النشطة في المناطق الجبلية والحوض الجبلي فضلا عن الاعمال الاستخراجية (المقالع)
بعض النقص Some Decrease	-	-	١١.٢	٣.٣	-	-	بفعل ترك الارض وعدم زراعتها ونشاط الرعي الجائر
لا تغير Unchange	٣٢٦.٨٨	٩٥.٢	٢٤٥.٩	٧١.٦	٢٣٩.٧	٦٩.٨	
بعض التغير Some Increase	-	-	٧٤.٨	٢١.٨	-	-	بفعل نشاط الانسان للزراعة والفعاليات الحضرية
المناطق التي تغيرت تماما Increase	١٥.٤	٤.٥	٩.٧	٢.٨	٩٧.٢	٢٨.٣	تحويل مساحات ارض كبيرة إلى نشاط اخر كالزراعة والتوسع السكني والتجاري وتخريب النبات الطبيعي او الاراضي المستصلحة
المجموع	٣٤٣.٣	١٠٠	٣٤٣.٣	١٠٠	٣٤٣.٣	١٠٠	

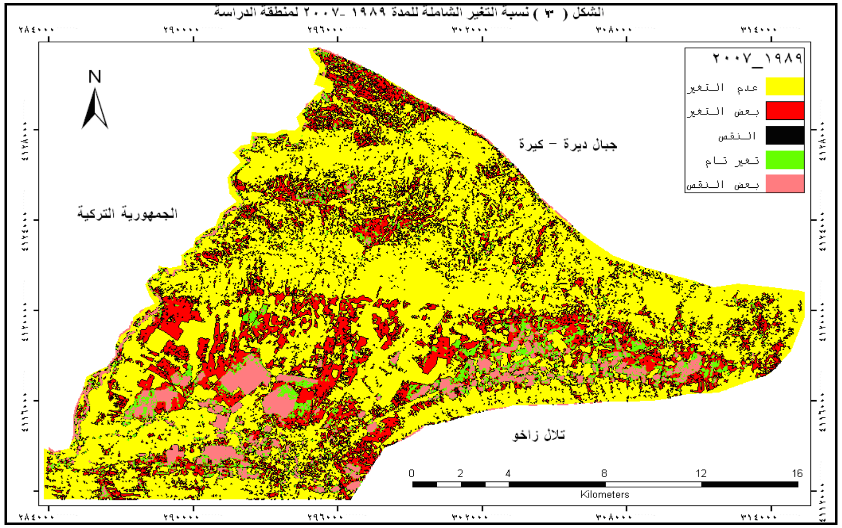
المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 و ArcMap 9.1

الشكل (٢) نسبة التغيرات الشاملة للمدة ١٩٧٣ _١٩٨٩ في منطقة الدراسة



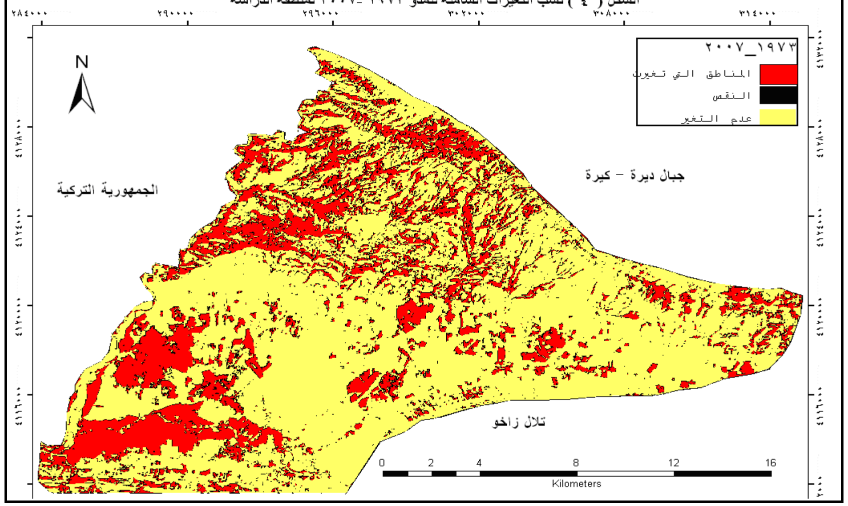
المصدر: اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات **ERDAS IMAGINE9.1 - ArcGis 9.1**

الشكل (٣) نسبة التغير الشاملة للمدة ١٩٨٩ ـ٢٠٠٧ لمنطقة الدراسة



المصدر: اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات **ERDAS IMAGINE9.1 - ArcGis 9.1**

الشكل (٤) نسب التغيرات الشاملة للمدو ١٩٧٣ ـ٢٠٠٧ لمنطقة الدراسة



المصدر: اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات **ERDAS IMAGINE9.1 - ArcGis 9.1**

- ان مساحات الارض التي تعرضت الى نقص بعامة للمدة من ١٩٧٣ –٢٠٠٧ شكلت مساحة (٦.٥كم٢) بنسبة (١.٩%) من مجمل المساحة للمنطقة المدروسة، وقد كانت نسبة النقص للمدة (١٩٨٩ – ٢٠٠٧) بمساحة قدرها (١.٧كم٢) بنسبة (٠.٥%) وهي اعلى من المدة (١٩٧٣ –١٩٨٩) التي شكلت مساحة النقص (١.٠٢كم٢) و نسبة قدرها (٠.٣%) من مجمل منطقة الدراسة، ويعود هذا الى التعرية الاخدودية النشطة التي تسود منطقة الدراسة بخاصة عند المنطقة الشمالية الغربية عند الحوض الجبلي لوادي هوريز، وكذلك عند مجاري الاودية المنتشرة في السهل ولاسيما نهاية وادي برزور الذي استغل من الدولة والاهالي في استخراج الحصى فاصبح بفعل الحفر المستمر الى مقالع ضخمة تصل مساحتها الى الاف الدونمات.

- اما المساحات التي تعرضت لبعض النقص وليس نقص في السطح بعامة فقد ظهرت في المدة (١٩٨٩ – ٢٠٠٧) وسجلت مساحة قدرها (١١.٢كم٢) بنسبة (٣.٣%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، ويعود هذا الى عمليات التهجير التي شهدتها المنطقة خلال مدة الثمانينيات بفعل سياسة الدولة وترك الاراضي من دون زراعة واهمال الرعي الجائر ونشاطه، فضلا عن ترك الكثير من الفلاحين لاراضيهم وانخراطهم في وظائف الدولة بخاصة الوظيفة العسكرية.
- كذلك يمكن ملاحظة ان بعض التغير في الاستعمال ساد على السطح خلال المدة ذاتها (١٩٨٩ –٢٠٠٧) بمساحة قدرها (٧٤.٨كم٢) وبنسبة (٢١.٨%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، والسبب يرجع لفعل النشاط البشري للزراعة، حيث ركزت الزراعة في الأماكن القريبة من مركز القضاء أي وسط السهل التجميعي واهمال باقي أراضي السهل، كذلك الحال للفعاليات الحضرية التي توسعت في مساحة البناء، لهجرة اهالي القرى المحيطة نحو مركز القضاء وتدمير القرى المحيطة بفعل التهجير الذي قامت به الحكومة المركزية في ثمانينيات القرن الماضي، فضلا عن التغير في الاستعمال من الزراعة نحو التجارة باتجاه طريق إبراهيم خليل.
- اما المناطق التي شهدت تغيراً تاماً في الاستعمال فقد شكلت مساحات متباينة خلال المدة المدروسة، فخلال المدة من ١٩٧٣ –٢٠٠٧ كان التغير كبيراً بمساحة قدرها (٩٧.٢كم٢) وبنسبة (٢٨.٣%) تليها المدة ١٩٧٣ – ١٩٨٩ بمساحة (١٥.٤كم٢) وبنسبة (٤.٥%) والمدة ١٩٨٩ –٢٠٠٧، وأخيرا بمساحة (٩.٧كم٢) وبنسبة (٢.٨%) من مجمل مساحة منطقة الدراسة. ان التغير الكبير للمدة الشاملة كان كبيرا نتيجة التغيرات التي شهدتها المنطقة الطبيعية والبشرية السابقة الذكر، وتأثير المناخ في تغير الاستعمال من استثمار للارض والزراعة الديمية لمحاصيل

الحبوب وبمساحات واسعة في السهل التجميعي والبساتين في السهل الفيضي لنهري الخابور والهيزل، والتوجه نحو اطراف السهل باتجاه المرتفعات المحيطة في الاستثمار الزراعي بخاصة واستصلاح الاراضي، والتوسع في الاستعمالات الحضرية التي تزداد باتجاه الاراضي الزراعية.

٢- **التصنيف الارضي لمنطقة الدراسة**:

نتيجة عمومية النتائج المشتقة بالاجراءات السابقة، تم الاعتماد على اخذ عينات ميدانية ومطابقتها مع هذه النتائج(*)، وامكانية تطبيق التصنيف الايكولوجي على منطقة الدراسة، ويعد التصنيف الايكولوجي لاستخدامات الارض احد التصنيفات الشاملة في مجالات استخدامات الارض اذ ارتبط تطوره واستعماله بالبيانات المستحصلة من تقنيات الاستشعار عن بعد، ومن اهم مميزات استخدامه في مسوحات استخدامات الارض ودراساتها والغطاء الارضي والذي يكون مصدر بياناتها البيانات الفضائية بمقاييس مختلفة، فضلا عن امكانية هذا النظام التصنيفي في الترميز الذي يستخدم في اجهزة الحاسوب ويتعامل مع الاستخدامات المختلطة في المنطقة الواحدة، ويتكون من عدة مستويات تصنيفية(٥).

١.٢ التصنيف الآلي غير الموجه لبيانات منطقة الدراسة:

التصنيف الالي يعتمد على البيانات متعددة الاطياف Multispectral Classification، ويتم تصنيف البيانات للمنطقة الى اصناف مختلفة اعتماداً على درجة العنقدة او التكامل للخلايا حول بعضها، فيتم تحديد هوية كل صنف في مرحلة ما بعد التصنيف، حيث يقوم الحاسب بتنسيب الانعكاسية الطيفية لكل خلية صورية الى صنف معين من الاصناف المحددة بالاعتماد على البيانات الخام وبحسب القيم(٦).وتكون العملية الالية في الحاسبة الالكترونية اكثر دقة من عين الانسان لان

الاخيرة تميز المظاهر عند الطيف المرئي ولايمكنها التمييز بين المظاهر التي تكون في الطيف الاحمر وتحت الاحمر .

وباستخدام برنامج ERDAS IMAGINE 9.1 تمت الاجراءات العملية الاتية:

- Classifier
- Unsupervised Classification
- Input Raster File
- Classified File

– تحديد عدد الاصناف من حقل Best Classes Per Pixel

– اختيار الطرائق الاحصائية وحسب المعايير الاساسية في التصنيف.

- Ok

ويعد هذا التصنيف اكثر دقة ويسمح بتحديد بعض المحددات لكشف المناطق المتداخلة والاشكالات الاحصائية المتلازمة في البيانات، كما يجب التنويه الى انه قد لاتتوافق بالضرورة صفات الصنف مع ما يمثله في الواقع، مثل الانهار في السهل الفيضي والاستخدام الكثيف للبساتين التي يصنفها على انها صنف واحد وان قمنا بتصنيفها الثانوي فانه لايميزها بشكل دقيق، كذلك الحال في بعض انواع الترب التي لايمكن فصلها الا بالرجوع الى خبرة المفسر او النموذج الحقلي.

٢.٢ **التصنيف الآلي الموجه لبيانات منطقة الدراسة:**

يتم تحديد نماذج منتخبة تاتي من معرفة جغرافية المنطقة وخبرة المحلل لأصناف الغطاء والانعكاسية الطيفية لكل صنف، فتحدد الأصناف مقدما لتغذية الحاسبة بنماذج من كل صنف، ويمكن التوصل الى الاصناف الأساسية من خلال التصنيف غير الموجه في التعرف على إمكانية الوصول إلى الأصناف الرئيسة لسطح المنطقة المدروسة، وتحديد عدد الأصناف ونماذجها واستخدامها في التصنيف الموجه، في حال عدم توفر بيانات مرجعية عن المنطقة. وتتم بالاجراءات العملية الاتية:

- Classifier
- Signature Editor

واختيار من نافذة المرئية المراد تصنيفها AOI ومنها نختار Tools.

– يتم تحديد الصنف بحسب خبرة المفسر والضغط لاضافة الصنف في نافذة Signature Editor

– حفظ الجدول بعد اختيار عدد الاصناف.

- supervised Classification
- Input Raster File
- Input Signature File
- Classified File

– اختيار الطرائق الاحصائية وبحسب المعايير الاساسية في التصنيف.

- Ok

ومن خلال معرفة المنطقة وبتطبيق التصنيف الموجه وغير الموجه تم اختيار اسلوب الدمج بين التصنيفين وذلك باخذ نماذج معروفة للباحثة وتم استخدامها في خرائط الاستخدامات التي اعدتها الباحثة مسبقا وبتطبيق التصنيف الايكولوجي وبحسب مفرداته التصنيفية يمكن اشتقاق التصانيف الثانوية بالاعتماد على دمج هذه التصانيف، مع امكانية تصنيف الاصناف الرئيسة الى اصناف ثانوية، والجدول (٢) يوضح التصنيف الايكولوجي[٧] بمفرداته الرئيسة التصنيفية المستوى الاول والثاني، مع تحديد مساحة كل صنف ونسبته من المساحة العامة لمنطقة الدراسة، وامكن انشاء الجدول التصنيفي لمستويين لمنطقة الدراسة المستوى الاول وشمل ثماني وحدات تصنيفية، اما المستوى الثاني فقد شمل (٢٨) ثماني وعشرين مفردة تصنيفية، والشكلين (٥) (٦) تبينان التوزيع المكاني لهذه الاصناف، ويمكن توضيحها بالاتي:

- شكلت الأراضي الجرداء نسبة قدرها (٣٠.٧%) من المساحة الكلية و جاءت المرتبة اولا في تصنيف هذا النظام وشملت ضمن منطقة الدراسة اربع مفردات تصنيفية (اراض صخرية، الشواطيء وضفاف الانهار، واراضٍ وعرة، ورواسب

صخرية)، وتنتشر في عموم منطقة الدراسة على منحدرات المرتفعات الجبلية المحيطة بالمنطقة وعلى طول منحدر طية برزور.

- وتنتشر في مواضع متفرقة شمال منطقة البحث على الاراضي الوعرة واراضي الحواجز وجانبي الاودية النهرية.

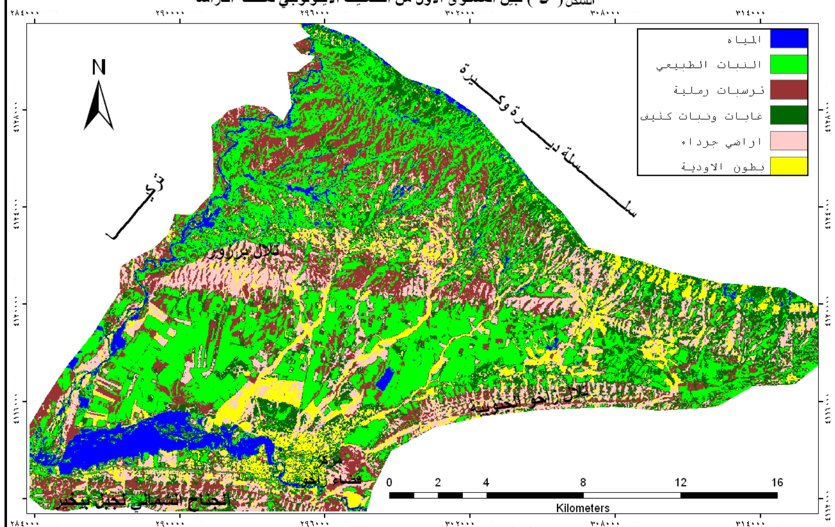
جدول (٢) يبين التصنيف الايكولوجي لمستويين لمنطقة الدراسة للبيانات الفضائية لسنة ١١_٨_٢٠٠١

المستوى الأول				المستوى الثاني			
ت	نوع الصنف	المساحة كم	%	ت	نوع الصنف	المساحة كم	% من مساحة منطقة الدراسة
١٠٠	الأراضي الجرداء	١٠٥.٣	٣٠.٧	١٣٠	اراض صخرية	٤٦.٦	١٣.٥
				١٤٠	الشواطئ وضفاف الانهار	١.٢	٠.٤
				١٥٠	اراض وعرة	٤١.٥	١٢.١
				١٩٠	رواسب صخرية	١٦	٤.٧
٢٠٠	الموارد المائية	٣.١	٠.٩	٢١٠	البرك والبحيرات	٠.٢٥	٠.٠٤
				٢٢٠	مجاري المياه	٢.١	٠.٥
				٢٣٠	الينابيع والابار	٠.٢٤	٠.٠٤
				٢٥٠	المصبات	٠.٣٥	٠.١
				٢٨٠	الثلج والجليد	٠.١٦	٠.٠٢
٣٠٠	النبات الطبيعي	٧٥.٨	٢٢.١	٣١٠	الانواع العشبية	٦٢.٢	١٨.١
				٣٢٠	الشجيرات والاحراش	١٣.٦	٣.٨
٤٠٠	النباتات المستنبتة	١٢.٣	٣.٦	٤١٠	الانواع العشبية المستنبتة	٣.٧	١.١
				٤٢٠	الشجيرات	٨.٦	٢.٥
٥٠٠	الانتاج الزراعي	١١٢.٩	٣٢.٨	٥١٠	محاصيل حقلية(الحبوب)	٤٥.٧	١٣.٢

				٥٢٠	خضراوات	٩.٢	٢.٧
				٥٣٠	البساتين	٢٥.٤	٧.٤
				٥٤٠	المراعي	٣١.١	٩.١
				٥٥٠	تربية الحيوانات	١.٥	٠.٣
٦٠٠	حضري – صناعي – نقل	٢٥.٦	٧.٥	٦١٠	سكن	١٣.١	٣.٧
				٦٢٠	خدمات تجارية	١.٩	٠.٥
				٦٣٠	اداري	٠.٦	١.٢
				٦٤٠	صناعي	٢.٩	٠.٧
				٦٥٠	نقل ومواصلات	٧.١	٢.١
٧٠٠	صناعات استخراجية	٤.٥	١.٣	٧١٠	مواد غير قابلة للتعويض	٣.٤	٠.٩
				٧٢٠	مواد قابلة للتعويض	١.١	٠.٣
٨٠٠	ترفيهي	٣.٨	١.١	٨١٠	المناطق الخضراء	١.٢	٠.٣
				٨٢٠	المناطق المحمية والمناظر الجميلة	١.٤	٠.٤
				٨٤٠	مواقع تاريخية واثرية	١.٢	٠.٣
المجموع		٣٤٣.٣	١٠٠			٣٤٣.٣	١٠٠

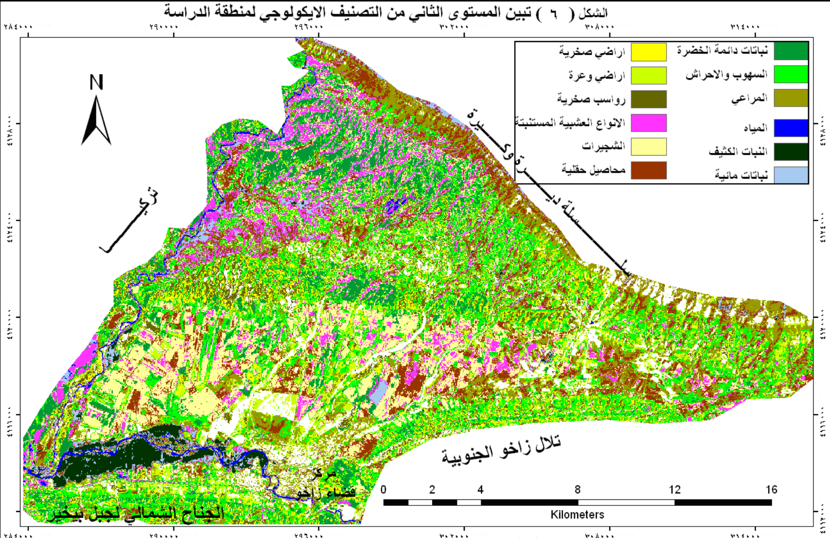
المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 و ArcMap 9.1

الشكل (٥) تبين المستوى الاول من التصنيف الايكولوجي لمنطقة الدراسة



المصدر : اعتماداً على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات ERDAS IMAGINE9.1 - ArcGis9.1

الشكل (٦) تبين المستوى الثاني من التصنيف الايكولوجي لمنطقة الدراسة



المصدر : اعتماداً على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات ERDAS IMAGINE9.1 - ArcGis9.1

- اما الموارد المائية التي تشكل نسبة (٠.٩%) من مجمل المنطقة المدروسة والمتمثلة بنهري الخابور والهيزل، فقد ضم هذا الصنف خمس مفردات تصنيفية على التوالى (البرك والبحيرات، ومجاري المياه، والينابيع والابار، والمصبات، والثلج)، وتتوزع في منطقة الدراسة عند الانهار الرئيسة والحوض الجبلي وعند المنخفضات المحصورة بين المرتفعات في شمال منطقة دركر عجم ودهلك ملك، كما تنتشر في المنطقة بعض التجمعات لحقول الثلج الموسمية في اعالي مرتفعات ديرة وكيرة وقد شوهدت خلال الدراسة الميدانية في شهر شباط.
- اما النبات الطبيعي الذي ضم مفردتين تصنيفية (الانواع العشبية، والشجيرات والاحراش) فقد شكل نسبة (٢٢.١%) من عموم المنطقة، وتظهر بشكل واسع في معظم منطقة الدراسة ويتركز عند المناطق المرتفعة والسهل التجميعي والاودية الجبلية.
- وشكلت النباتات المستنبتة نسبة (٣.٦%) من عموم المنطقة المدروسة ضمت مفردتين (الانواع العشبية المستنبتة، والشجيرات) التي ظهرت بفعل التدمير للنباتات الاصلية بفعل الرعي الجائر وانتشرت عند المرتفعات الجبلية وجانبي الوديان الموسمية والوديان الجبلية والمنطقة الوعرة شمال غرب منطقة الدراسة.
- جاء الانتاج الزراعي في التصنيف بالمرتبة الخامسة وشكل نسبة قدرها (٣٢.٨%) من مجموع المنطقة المدروسة وقد ضم خمس مفردات تصنيفية ثانوية على التوالي (محاصيل حقلية، وخضراوات، وبساتين، والمراعي وتربية الحيوانات)(٨) شغلت النسبة الاكبر منها المفردتين: المحاصيل الحقلية والتي تستغل في زراعة الحبوب والتي تتركز في السهل التجميعي بعامة، والمفردة الاخرى هي المراعي التي تعد اغلبها مراعياً طبيعية وتنتشر في عموم المنطقة بخاصة عند المنحدرات الجبلية،

ثم تاتي المساحة المستغلة في البساتين والمتركزة عند السهل الفيضي(**) وبعض المساحات الصغيرة عند بيرسفي وداسيك.

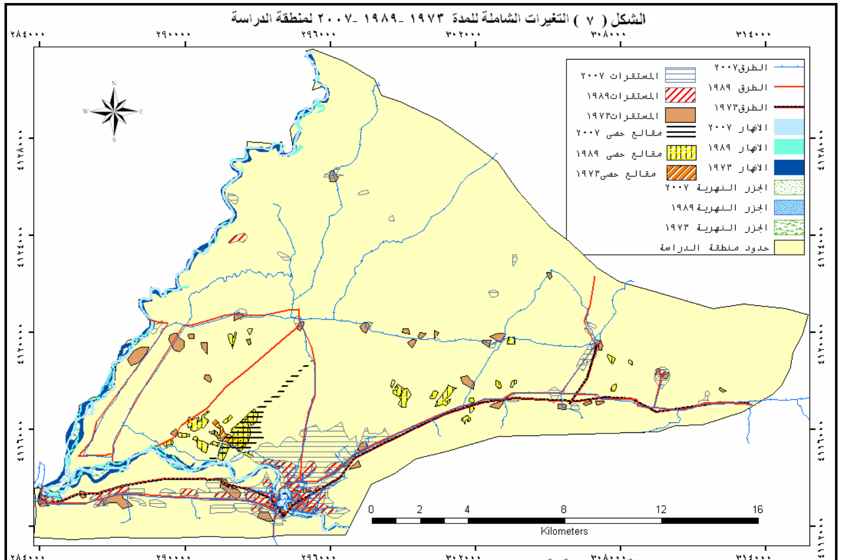
- اما التصنيف السادس فقد تمثل بالاستعمال الحضري والصناعي والنقل وقد شكل نسبة قدرها (٧.٥%) من مجمل مساحة المنطقة المدروسة، تضمن خمس مفردات تصنيفية (السكن، وخدمات تجارية، وادارية، وصناعية، ونقل ومواصلات)، شكل السكن المساحة الاكبر من هذا الصنف يليه النقل والمواصلات لاهمية المنطقة في التجارة الوطنية وتركزت هذه الخدمات عند مركز القضاء في السهل التجميعي بعامة.
- مثلت الصناعات الاستخراجية بنسبتها (١.٣%) اهمية كبيرة في التنمية الاقتصادية للاقليم لتوفر الخزين من المواد الانشائية المتمثلة بمقالع الحصى قرب مهمدية وجم مشكو، وقد شكل هذا الاستخدام الصنف الاول من التصنيف الثاني للمواد غير القابلة للتعويض، اما مواد القابلة للتعويض كقطع الاخشاب فانها تركزت عند الاودية الجبلية شمال منطقة الدراسة التي استغلت في البناء والصناعة الخشبية.
- واخيرا كان التصنيف الترفيهي الذي ضم ثلاث مفردات تصنيفية (المناطق الخضراء، والمناطق المحمية و المناظر الجميلة، ومواقع تاريخية واثرية)، وشكلت نسبة (١.١%) من مجمل المساحة وتركزت عند مركز مدينة زاخو ومحيطها بشكل خاص وبعض الاماكن المتفرقة من المرتفعات الجبلية.

٣- مراقبة التغيرات لمنطقة الدراسة

٣. ١ التغيرات الشاملة للمدة ١٩٧٣ -٢٠٠٧ م

يتبين من خلال الخرائط المشتقة من البيانات الفضائية، التغيرات الحاصلة لمنطقة الدراسة للمدة من ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ أي خلال (٣٤) عام، وأثر هذه التغيرات

في الغطاء الأرضي واستعمالات الأرض و من خلال الاشكال (٢)(٣)(٤) السابقة والشكل (٧) التي توضح تغيرات الاصناف للغطاء الارضي لمنطقة البحث والجدول (٣) يبين المساحات التي يمثلها كل صنف ومدى التغير الذي شهده خلال المدة المذكورة:



المصدر : اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات ERDAS IMAGINE9.1 - ArcGis9.1

- جاءت مساحة الأرض الجرداء لعام ١٩٧٣ (٨٢.٣كم٢) ولعام ٢٠٠٧ (٧٩.٨كم٢) من مجموع مساحة المنطقة، وهي تشكل مايقارب (٢٥%) المساحة من عموم الارض المدروسة، مما يؤشر عدم استثمارها من السكان، والسبب يعود الى شيوع الملكية الخاصة والمستوى الاقتصادي المتدني، ونجم عن هذا التوزيع تدني الإنتاجية وخلال المدة المدروسة، يلاحظ ان نسبة التغير ايجابية (٢.٥%)، لكنها متدنية جدا على الرغم من التنمية للقطاع الزراعي التي شهدها الاقليم الا انه يخضع الى عوامل تؤثر فيه منها المناخ وتقنية (الأسمدة، والبذور، والدورات

الزراعية، ومكافحة الآفات الزراعية، والري، واستخدام المكننة) وعوامل اجتماعية واقتصادية، كل هذه المعالجات لم تؤثر في زيادة مساحة الأراضي المزروعة على حساب الأراضي الجرداء.

- شكلت الانهار المتمثلة بنهري الخابور والهيزل مساحة قدرها (٦.٩كم٢) في سنة ١٩٧٣ ويعود ذلك الى الفترات الرطبة وعدم وجود السدود والخزانات في الجانب التركي الذي يزيد من منسوب النهر، اما خلال سنة ٢٠٠٧ فان مساحة المياه قلت الى (٣.٣كم٢) وبنسبة تغير وصلت الى اكثر من النصف (٥٢.٢%)، ويعود الى التغير في منسوب الانهار والتغير المناخي في قلة التساقط لعموم الاقليم.
- اما التغير الذي شهده النبات الطبيعي المتمثل بالغابات على المرتفعات الجبلية المحيطة بالسهل وشمال منطقة الدراسة بخاصة فقد كانت نسبة التغير (١٥.٢%)، حيث قلت المساحة من عام ١٩٧٣ (٩٩.٧كم٢) الى (٨٤.٦كم٢) في عام ٢٠٠٧ وهذا يعود ايضا الى التغيرات المناخية بعامة والاستخدام غير العقلاني في الرعي الجائر والضغط على هذه الاراضي مما ادى الى قلتها وتغير نوعيتها.
- لان المنطقة مضمونة الامطار فان الزراعة الواسعة للحبوب منذ عام ١٩٧٣ هي ذاتها تقريبا، لكن بنقص في المساحة لايتجاوز (١%) لان حرفة الزراعة تعد هي الحرفة الرئيسة في السهل ولاسيما الزراعة الواسعة لمحاصيل الحبوب فضلا عن البقوليات والفواكه الصيفية.
- اما اطوال الطرق فقد شهدت هي الاخرى تغيراً بشكل كبير وذلك مع التنمية التي شهدها الاقليم بعامة، و ازدادت الاطوال من (٣٤٩٨٨م) خلال عام ١٩٧٣ الى (٢٠١٠٤٥م) لعام ٢٠٠٧، وسجلت نسبة تغير (٤٧٤، ٧%)، مع تطور في

كفاءة هذه الطرق واجراء عمليات التبليط لان المنطقة حدودية وطريقها تجاري دولي.

الجدول (٣) مساحات التغيرات للغطاء الارضي للمدة ١٩٧٣–٢٠٠٧

السنة	١٩٧٣	٢٠٠٧	١٩٧٣– ٢٠٠٧التغير	نسبة التغير %
الاراضي الجرداء كم٢	٨٢.٣	٧٩.٨	٢.٥	٣.٠١
الانهار كم٢	٦.٩	٣.٣	٣.٦	٥٢.٢
النبات الطبيعي كم٢	٩٩.٧	٨٤.٦	١٥.١	١٥.٢
الانتاج الزراعي كم٢	١٤٨.٧	١٤٧.٧	١	٠.٧
مقالع الحصى كم٢	٠.٣٥	٣.٤	– ٣.٠٥	٨٧١.٤
المستقرات كم٢	٤.٤	٢٤.١	–١٩.٧	٤٤٧.٧
الجزر النهرية كم٢	٠.٩٥	٠.٤	٠.٥٥	٥٧.٩
الطرق م	٣٤٩٨٨م	٢٠١٠٤٥م	١٦٦٠٥٧	٤٧٤.٦

المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 و ArcMap 9.1

- اما مقالع الحصى فقد شهدت توسعاً كبيراً لما شهده الاقليم من تنمية صناعية واقتصادية، فاصبحت الحاجة الى مواد البناء ضرورة ملحة، كما تبين من خلال ماسبق ان المنطقة غنية بالحصى بجميع اشكاله واحجامه، لذا فقد توجهت محافظة دهوك الى استثماره حيث بلغت مساحة المقالع خلال عام ٢٠٠٧ (٣.٤كم٢) بعد ان كانت في عام ١٩٧٣ (٠.٣٥كم٢).
- وصلت نسبة التغير في التوسع المساحي للمستقرات السكنية بخاصة عند مركز مدينة زاخو الى (٤٤٧.٧%) وهي نسبة عالية جداً عن مساحة عام ١٩٧٣ البالغة (٤.٤كم٢) ووصلت عام ٢٠٠٧ الى (٢٤.١كم٢) وهذا التوسع كان على حساب

الاراضي الزراعية، اما التركز فكان بفعل التهجير القسري مايقارب (٤٧) قرية داخل السهل خلال ثمانينيات القرن العشرين لاسباب سياسية.

- اثرت قلة مساحة المياه في مساحات الجزرات الوسطية لمجرى النهر بعد ان كانت تشكل مساحة قدرها (٠.٩كم٢) وصلت بفعل انخفاض منسوب المياه واستغلالها بالزراعة الى (٠.٤كم٢) أي تغير بنسبة تصل الى اكثر من النصف (٥٧.٩%).

٣. ٢ مقارنة التغيرات للمدتيين الاولى والثانية(***):

من خلال الجدول (٤) والشكل (٦) والاشكال السابقة يمكن ملاحظة التغيرات للمدتين المذكورة كالاتي:

- يتبين ان نسبة التغير للاراضي الجرداء للمدة الاولى اكبر من المدة الثانية (٣٧.٨%) (٢٩.٥%) على التوالي، ويعود هذا الى ان الاراضي خلال ١٩٨٩ قد اهملت وتركت الاراضي جرداء.

الجدول (٤) التغيرات في الغطاء الارضي للمدتين المدروسة (١٩٧٣-١٩٨٩)(١٩٨٩-٢٠٠٧) لمنطقة الدراسة

السنة	١٩٧٣	١٩٨٩	١٩٧٣-١٩٨٩التغير	نسبة التغير %
الاراضي الجرداء كم٢	٨٢.٣	١١٣.١	-٣٠.٨	٣٧.٨
الانهار كم٢	٦.٩	٤.٢	٢.٧	٣٩.١
النبات الطبيعي كم٢	٩٩.٧	٩٨.٤	١.٣	١.٣١
الإنتاج الزراعي كم٢	١٤٨.٧	١٠٥.٤	٤٣.٣	٢٩.١
مقالع الحصى كم٢	٠.٣٥	٣.٤	-٣.٠٥	٨٧١.٤
المستقرات كم٢	٤.٤	٦.٥	-٢.١	٤٧.٧
الجزر النهرية كم٢	٠.٩٥	١٢.٣	-١١.٣٥	١١٩٤.٧
الطرق م	٣٤٩٨٨م	٧٥٧٧٨	-٤٠٧٩٠	١١٦.٦
السنة	١٩٨٩	٢٠٠٧	١٩٨٩-٢٠٠٧التغير	نسبة التغير %

السنة	١٩٨٩	٢٠٠٧	١٩٨٩-٢٠٠٧التغير	نسبة التغير %
الاراضي الجرداء كم٢	١١٣.١	٧٩.٨	٣٣.٣	٢٩.٥
الانهار كم٢	٤.٢	٣.٣	٠.٩	٢١.٤
النبات الطبيعي كم٢	٩٨.٤	٨٤.٦	١٣.٨	١٤
الانتاج الزراعي كم٢	١٠٥.٤	١٤٧.٧	-٤٢.٣	٤٠.١
مقالع الحصى كم٢	٣.٤	٣.٤	–	–
المستقرات كم٢	٦.٥	٢٤.١	-١٧.٦	٢٧٠.٨
الجزر النهرية كم٢	١٢.٣	٠.٤	١١.٩	٩٦.٨
الطرق م	٧٥٧٧٨	٢٠١٠٤٥م	-١٢٥٢٦٧	١٦٥.٣

المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 وArcMap 9.1

- اما بالنسبة لمساحة الأنهار فان التغير خلال المدة الأولى أعلى من التغير خلال المدة الثانية وبنسب متقاربة على التوالي (٣٩.١%) (٢١.٤%)، وهذا التناقص يرجع لاسباب منها قلة التساقط في عموم المنطقة وانشاء السدود في تركيا التي سيطرت على النسبة الاكبر من الجريان المائي.
- يمكن ملاحظة ان التناقص في نسبة النبات الطبيعي مستمرة خلال المدتين، وقد شكلت المدة الثانية نسبة اعلى من المدة الاولى ويعود ذلك الى التوجه نحو المناطق المرتفعة واستغلالها في الزراعة خاصة بعد ١٩٨٩ وهذا مايمكن قراءته بالنسب التي سجلت (١.٣١%) (١٤%) على التوالي.
- كانت نسبة الانتاج الزراعي اقل في تغيره بالمدة الاولى عن المدة الثانية وذلك بتسجيل القيم (٢٩.١%) (٤٠.١%) فخلال المدة الاولى قلت نسبة الاراضي الزراعية خلال مدة الثمانينيات وترك الاراضي الزراعية، اما بعد ذلك فان الزراعة توسعت بعد ١٩٨٩ وخلال عام ٢٠٠٧ حيث توجه الاهالي نحو المرتفعات المحيطة واستغلالها بالزراعة وحملات التشجير المبرمج من الحكومة.
- تغيرت مساحة المقالع خلال المدة الاولى بشكل كبير واستقر الوضع الى تلك المساحات بفعل الاستثمار العمودي للحفر بعيدا عن التوسع الافقي الذي كان له

اثر كثيرا في المساحات الزراعية، وذلك بقرار حكومي ملزم للشركات العاملة في تلك المواقع.

- يمكن ملاحظة التغير الذي شهده مركز القضاء بالتوسع الافقي في المساحات السكنية الذي اثر في الاراضي الزراعية فامتدت بشكل شريطي جنوب نهر الخابور باتجاه المعبر الحدودي لمنطقة ابراهيم خليل واستغلاله بالنشاط التجاري الواسع، كذلك الحال في التوسع نحو السهل التجميعي والاراضي الزراعية عند مهمدية شمال المركز وباتجاه تل كبر التي اصبحت الان داخل مركز القضاء، وكانت المدة الاولى قليلة التوسع حتى نهاية الثمانينيات والتي هجر فيها الاهالي من القرى نحو المركز او هجروا نحو مناطق شيرانش شمال منطقة الدراسة، وبعد عام ١٩٨٩ لاحظنا الزيادة الهائلة في المساحات السكنية وبنسبة تغير على التوالي (٤٧.٧%) (٢٧٠.٨%).
- ان انخفاض منسوب نهر الخابور والهيزل اثر بشكل عكسي في ظهور الجزر النهرية واستغلالها في التوسع الزراعي عند السهل الفيضي في المنطقة ومن خلال نسبة التغير للمدة الاولى (١١٩٤.٧%) التي كانت تشغل مساحة صغيرة جدا، اذ ظهرت المساحة في البيان الفضائي بشكل كبير عند انخفاض منسوب النهر وعدم استغلال هذه الجزرات بالزراعة، اما تقلص مساحتها بنسبة تغير (٩٦.٨%) فيعود الى الاستغلال الواسع لهذه الجزر وزراعتها ببساتين الخوخ والفاكهة الصيفية الاخرى.
- ازدادت اطوال الطرق بشكل مستمر فقد كانت نسبة التغير والتطور في هذا الجانب خلال المدة الثانية وبشكل اكبر للحاجة الكبير لشبكة طرق حديثة في تنمية الإقليم وتطويره بعامة ولان المنطقة معبر حدودي مهم في التجارة مع باقي دول العالم.

الاستنتاجات:

- تبين امكانيات استخدام التقنيات المعاصرة بعد أن توفرت البرامجيات المناسبة وبيانات الاستشعار عن بعد، وبناء قاعدة بيانات متكاملة قابلة للتحديث.
- اتضح بوجود زيادة ونقصان في نمط الاستثمارات اذ زادت مساحة العمران بنسبة كبيرة (٤٤٧.٧%) وكذلك الحال لمقالع الحصى بنسبة (٨٧١.٤%) والطرق البرية بنسبة (٤٧٤.٦%)، وزيادة لكل من الجزر النهرية ومساحة الانهار والنبات الطبيعي، اما التغيرات القليلة فقد شملت كل من الاراضي الجرداء والانتاج الزراعي.
- مساحات الارض التي تعرضت الى نقص شكلت مساحة (٦.٥كم٢) بنسبة (١.٩%) من مجمل المساحة للمنطقة المدروسة، اما المساحات التي تعرضت لبعض النقص وسجلت مساحة قدرها (١١.٢كم٢) بنسبة (٣.٣%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، ان بعض التغير في الاستعمال ساد على السطح بمساحة قدرها (٧٤.٨كم٢) وبنسبة (٢١.٨%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، اما المناطق التي شهدت تغيراً تاماً في الاستعمال قدرت مساحتها (٩٧.٢كم٢) بنسبة (٢٨.٣) من مجمل مساحة منطقة الدراسة.
- امكانية تطبيق التصنيف الايكولوجي على منطقة الدراسة، اذ يعد التصنيف الايكولوجي لاستخدامات الارض احد التصنيفات الشاملة في مجالات استخدامات الارض حيث ارتبط تطوره واستعماله بالبيانات المستحصلة من تقنيات الاستشعار عن بعد، وقد تبين ان المنطقة قد صنفت الى ثمانية اصناف في المستوى الاول وثمانية وعشرين مفردة تصنيفية في المستوى الثاني.
- يمكن ان نستنتج ان نسبة التغير للاراضي الجرداء للمدة الاولى اكبر من المدة الثانية، اما بالنسبة لمساحة الأنهار فان التغير خلال المدة الأولى أعلى من التغير

خلال المدة الثانية، ويمكن ملاحظة ان التناقص في نسبة النبات الطبيعي مستمرة خلال المدتين، وكانت نسبة الانتاج الزراعي اقل في تغيره بالمدة الاولى عن المدة الثانية، وتغيرت مساحة المقالع خلال المدة الاولى بشكل كبير، ويمكن ملاحظة التغير الذي شهده مركز القضاء بالتوسع الافقي بالمدة الثانية اكبر من الاولى، وتقلصت مساحة الجزرات الوسطية في المدة الثانية بشكل كبير، وازدادت شبكة الطرق البرية بامتدادات كبيرة خلال المدة الثانية.

التوصيات:

- توصي الدراسة بضرورة توجيه الباحثين للقيام بدراسات مشابهة ومكملة لمثل هكذا دراسة وذلك من اجل تغطية مناطق العراق بشكل عام، لكي يتسنى إقامة نظام معلومات جغرافي متكامل للموارد الطبيعية والبشرية، بخاصة بعد أن توفرت البرامجيات المناسبة لذلك وبيانات الاستشعار عن بعد، التي يمكن من خلالها إقامة الخرائط الرقمية وإنشاؤها وإمكانية توحيدها وربطها مع بعضها بعضاً.
- استثمار المساحات الكبيرة من الاراضي الصالحة للزراعة التي مازالت غير مستغلة في زراعة الشعير والحنطة.
- الاهتمام بدراسة التغيرات الطبيعية للتعرف على المخاطر التي يمكن ان تسببها هذه التغيرات في الموارد البيئية والتي تنعكس اثارها على النشاطات المختلفة للانسان مسببة الاختلال بالتوازن البيئي في مختلف المناطق، لاطلاق جرس الانذار لمثل هذه التجاوزات على البيئة الحيوية في القطر فضلا عن الكشف على اهم مسببات التدهور للوصول الى افضل السبل لتدارك مثل هكذا حالات.

الهوامش:

(1) Jan, France and other, Inventory of major landscape changes in the Czech republic, Hungary, Romania and Slovak Republic, 1970-1990, ITC Journal 2000.p85.

(٢) رقية احمد محمد امين العاني، دراسة تغيرات الغطاء الارضي لمنطقة بلد باستخدام طرائق المعالجة الرقمية والتصنيف الآلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت،٢٠٠٤، ص٧٣.

(٣) هـ.ا.رايت ، العصر الجليدي البلايوستوسيني في كردستان ، ترجمة ، فؤاد حمد خورشيد ، مكتبة الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٦، ص ٦٨-٦٩

(٤) عبد هرمز عويدش تمرو، هيدرولوجية جزء من سهل زاخو –شمال العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، قسم علوم الارض، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص٥٠ .

(*) يتم اخذ عينات من الدراسة الميدانية لوجود بعض المشاكل عند اجراء التصنيف الالي يمكن تحديدها بالاتي:

- وجود السحب فوق الاراضي المدروسة خلال وقت التصوير.
- صغر حجم الوحدة الزراعية او الاستعمال مع حجم الخلية الصورية .
- الاختلاف في الاستعمالات المتشبهة مثل الزراعة (اراض مروية –اراض مزروعة – اراضي حصاد)
- التشابه في انعكاسية بعض الغطاءات كالمياه والاراضي المروية او النباتات الكثيفة .

(٥) عثمان محمد غنيم، تخطيط استخدام الارض الريفي والحضري، مصدر سابق، ص١٣٢-١٣٨.

(6) Mather,Paul,M. 1987.Computer processing of remotly sensed image, An Introduction .p143.

(٧) عثمان محمد غنيم، مصدر سابق، ص١٣٢-١٣٨.

(٨) سالم بن مبارك الحتروشي، تدهور بيئة المراعي في جبال محافظة ظفار سلطنة عمان، الجمعية الجغرافية الكويتية، دورية علمية محكمة تصدرها قسم الجغرافيا في جامعة الكويت مع الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٧٤، مارس ٢٠٠٣، ص٩-١١.

(**) المصدر: وزارة الزراعة في كردستان العراق، دائرة الزراعة في قضاء زاخو، شعبة الغابات الصناعية لقضاء زاخو والنواحي التابعة لها، بيانات غير منشورة، ٢٠٠٨.

(***) المراد بالمدة الاولى السنوات ١٩٧٣ – ١٩٨٩، والمدة الثانية السنوات ١٩٨٩ – ٢٠٠٧.

المصادر:

- تمرو، عبد هرمز عويدش، هيدرولوجية جزء من سهل زاخو –شمال العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، قسم علوم الارض، جامعة الموصل، ١٩٨٣ .
- الحتروشي، سالم بن مبارك، تدهور بيئة المراعي في جبال محافظة ظفار سلطنة عمان، الجمعية الجغرافية الكويتية، دورية علمية محكمة تصدرها قسم الجغرافيا في جامعة الكويت مع الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٧٤، مارس ٢٠٠٣.
- العاني، رقية احمد محمد امين، دراسة تغيرات الغطاء الارضي لمنطقة بلد باستخدام طرائق المعالجة الرقمية والتصنيف الآلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٤.
- غنيم، عثمان محمد، تخطيط استخدام الارض الريفي والحضري، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠١.
- هـ.ا.رايت ، العصر الجليدي البلايوستوسيني في كردستان ، ترجمة ، فؤاد حمد خورشيد ، مكتبة الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٦.
- وزارة الزراعة في كردستان العراق، دائرة الزراعة في قضاء زاخو، شعبة الغابات الصناعية لقضاء زاخو والنواحي التابعة لها، بيانات غير منشورة، ٢٠٠٨.
- Jan, France and other, Inventory of major landscape changes in the Czech republic, Hungary, Romania and Slovak Republic, 1970-1990, ITC Journal 2000.

Mather,Paul,M. 1987.Computer processing of remotly sensed image, An Introduction.

((قضايا الفساد الإداري في الصحافة العراقية))

دراسة تحليلية في جريدة المشرق أنموذجا

للمدة من ٢٠٠٩/٤/١ لغاية ٢٠٠٩/٦/٣١

د.فريد صالح فياض م.م. عيسى عيال مجيد

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم الإعلام

أولاً: المقدمة

١- تمهيد

تلعب وسائل الإعلام ومنها الصحافة دورا مهما في التصدي للكثير من القضايا السلبية التي تواجه الحكومة والمجتمع على حد سواء من خلال التصدي لهذه الحالات من خلال عدة أساليب تعتمدها في تناول تلك الحالات ومنها قضايا الفساد الإداري والمستشري في العراق والذي يصل إلى أكثر من ١٠% من إجمالي الناتج الوطني العراقي بمعنى إن مابين ثمانية إلى عشرة مليارات دولار من الميزانية السنوية تضيع هباء بسبب عدم قدرة البلاد على استيعاب هذه المبالغ في مشاريعه، وهو الأمر الناجم عن حجم الفساد المستشري في البلاد وحسب منظمة الشفافية العالمية المعنية بالكشف عن الفساد حول العالم في تقريرها السنوي لعام ٢٠٠٨.

يحتل العراق المرتبة الثالثة في قائمة الدول الأكثر فساداً في العالم، وارتفعت هذه النسبة في السنتين الأخيرتين ليصبح بالمرتبة الثانية، علما إن اخطر قضايا الفساد المستشري في العراق بالنسبة للوزارات والتي يتم التحقيق فيها هي القضايا المتعلقة بوزارة التجارة.

وان وظائف وسائل الإعلام ومنها الصحافة لا تقتصر على الإعلام والتوعية ومراقبة أداء الحكومة والمؤسسات الأخرى بل تتعدى ذلك إلى حشد الرأي العام للوقوف ضد الفساد الإداري الذي من شأنه أن يؤدي إلى انحلال البناء ألقيمي للمجتمع وضعف الضوابط الاخلاقيه والاقتصادية والاجتماعية وغياب المساءلة مع اختلال وتوزيع الثروة وعدم كفاءة القيادات وكبار المسؤولين وانعدام الشفافية وعدم كفاية الرواتب، كما وانه الفساد الإداري يؤدي إلى هجرة العقول وهروب المستثمرين ويزعزع الثقة بالحكومة ويزيد البطالة والفقر ويعرقل النمو ويجعل الانتخابات وسيلة لوصول الفاسدين إلى مراكز السلطة، وترسيخ المفاهيم الفاسدة، ومن هنا تأتي أهمية التكثيف الإعلامي والتركيز على تلك القضايا لتصبح الصحافة المصدر الأول للجمهور في مجال الحصول على المعلومات والاطلاع على أهم القضايا التي تؤثر على حياة المواطنين، وفي العراق تنشط العديد من الصحف لتشكل مصادر رئيسية للمتلقين لمتابعة قضايا مهمة مثل قضايا الفساد الإداري ومنها صحيفة المشرق اليومية والتي تناولت تلك القضايا.

٢- أهمية البحث

منذ اندلاع الحرب على العراق واحتلاله في ٢٠٠٣/٤/٩ فقد أصبح ذلك البلد ميدانا خصبا للأحداث السياسية والاقتصادية والأمنية التي تجتذب وسائل الإعلام ومنها الصحافة بشكل خاص، وقد رافق ذلك انتشار الفقر وتدهور الأحوال الصحية وقصر الأعمار وسوء توزيع المداخيل وانخفاض معدلات النمو، ومن الصحف العراقية المهمة التي تناولت الأحداث ومجريات الشأن العراقي بكل تفاصيله، وأصبحت مصدرا أساسيا بالنسبة للجمهور العراقي والعربي لمعرفة ما يجري داخل العراق وهي صحيفة المشرق والتي تقوم بمتابعة قضايا مهمة وملحة تتعلق بالواقع الاقتصادي للشعب العراقي في ظل الفساد الإداري المستشري في المؤسسات العراقية،

ويمكن قياس كيفية متابعتها لتلك القضايا من خلال إجراء تحليل مضمون عن موضوعات الفساد المنشورة في الصفحة الأولى لصحيفة المشرق، وهذا من شانه أن يتيح لنا فرصة مناسبة للتعرف على أهم القضايا والموضوعات والمؤسسات التي تناولتها الصحيفة وما هي ابرز المناشدات والدعوات حول قضايا الفساد الإداري في العراق التي أطلقتها تلك الصحيفة.

٣- مشكلة البحث

تعد خطوة اكتشاف مشكلة البحث وتحديدها من الأمور الهامة التي يجب على الباحث أن يقوم بها يعد اختيار موضوع البحث[١].

والمقصود بتحديد مشكلة البحث هو تضييق حدود الموضوع بحيث يكون مقتصر على ما يريد الباحث تناوله، وليس على ما يوحي به العنوان من موضوعات لا يريد الباحث تناولها[٢].

ولذلك فان السمة الرئيسة التي تميز البحوث العلمية كونها تنطوي على مشكلة محددة تحتاج لمن يتصدى لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة[٣].

ويأتي هذا البحث ليتناول الآليات المتبعة في الصحافة بشكل عام وجريدة المشرق بشكل خاص في التعاطي والتعامل مع ظاهرة الفساد لاسيما وان إحدى الوظائف الأساسية للصحافة هي الوظيفة الرقابية إلى جانب وظيفة التوعية، لكن الواقع يشير إلى أن هناك نوع من الغموض بشأن طبيعة الدور الذي تلعبه الصحافة في ذلك السياق ومدى نجاحه وفاعليته، كما ويمكن تلخيص مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

١- ما حدود اهتمام صحيفة المشرق بموضوعات الفساد.

٢- ما طبيعة الموضوعات والمؤسسات التي تتناولها الصحيفة بخصوص الفساد.

٣- ما ابرز الدعوات والمناشدات التي عبرت عنها صحيفة المشرق في سباق السعي لممارسة الفساد.

٤- أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف وأبرزها:

١- تشخيص مجالات الاهتمام والتركيز في صحيفة المشرق على موضوعات الفساد.

٢- الوقوف على ابرز الموضوعات والمجالات التي يكتنفها الفساد وتناولتها صحيفة المشرق بتكرارات عاليه.

٣- تحديد أهم الدعوات والمناشدات المنقولة عبر جريدة المشرق بخصوص مكافحة الفساد.

٥- منهج البحث

منهج البحث العلمي هو تلك المجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من اجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر موضوع الاهتمام من قبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية[٤].

إذ إن الغالبية العظمى من بحوث الإعلام والرأي العام تتم في إطار المنهج الوصفي[٥]، لذا يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تهدف إلى تسجيل وصفي للحقائق بأتباع المنهج العلمي، أي إنها تعرض موضوع ما بطريقة موضوعية دقيقة[٦].

واقتضت مشكلة البحث التي نحن بصدد بحثها اعتماد البحث الوصفي التحليلي "الذي يقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج لتعميمها وذلك من اجل تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها "[٧] إلى جانب ذلك الاستعانة بأسلوب تحليل المحتوى وهو الأكثر

شيوعا وابرز تعريف له وضعة برنارد بيرلسون وينص على انه "أسلوب للبحث يهدف إلى الوصف الموضوعي والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال "[٨]. وقد حدد البحث (الموضوع) كفئة للتحليل والتي تستخدم أساسا بغرض الكشف عن مراكز الاهتمام في المحتوى بالموضوعات التي عرضتها صحيفة المشرق فيما يتعلق بالفساد المالي والإداري كما وتم تحديد (الفكرة) كوحدة للتحليل وتعتبر وهي الأكثر شيوعا في تحليل المحتوى لأن تناولها يفيد في تحديد أكثر الفئات استخداما في الكشف عما يقوله المحتوى، ويتم العد على الرموز ذاتها[٩].

٦- مجالات البحث ومجتمعه

يتخذ البحث مجالين رئيسين هي الزماني المتمثل بإجراء الدراسة في المدة الزمنية من ٢٠٠٩/٤/١ لغاية ٢٠٠٩/٦/٣٠ والمجال المكاني المتمثل في جريدة المشرق العراقية المستقلة.

أما مجتمع البحث فيتمثل في صحيفة المشرق العراقية بوصفها صحيفة مستقلة تصدر في بغداد وتوزع في عدد من دول العالم وهي من الصحف اليومية، تعتمد على البعدين المحلي والدولي وتحرص في الغالب على التزام الدقة وتميل إلى تقديم خدمة للقارئ تتنوع في مجالات السياسة والاقتصاد والدين........... الخ.

كما يتمثل مجتمع البحث على المستوى ألزماني في ثلاثة أشهر من ١نيسان من ٢٠٠٩ ولغاية ٣٠ حزيران من ٢٠٠٩ وقد اعتمد الباحث الحصر الشامل للصفحة الأولى لأعداد الأشهر الخاضعة للتحليل والتي بلغت ٩١ عددا وقد وجد الباحث إن الإعداد التي تناولت قضايا الفساد الإداري في الصفحة الأولى لصحيفة المشرق وبواقع ١٣ عددا في شهر نيسان و٢٥ عددا في شهر أيار و١٦ عددا في شهر حزيران، وبذلك يكون مجموع الأعداد التي خضعت للتحليل هي ٥٤ عددا.

ثانيا: الفساد الإداري – مفهومه – خصائصه – عناصره – أسبابه

١- الفساد لغة واصطلاحا

يعني الفساد لغة: التلف والعطب والاضطراب والخلل والجدب والقحط ..... ويقال فسد اللحم فسادا أي انتن وعطب وفسد العقل: بطل وفسد الرجل: جاوز الصواب والحكمة وفسدت الأمور، اضطربت وأدركها الخلل[١٠].

ويعني الفساد اصطلاحاً: خروج الشيء عن الاعتدال قليلا سواء كان هذا الخروج قليلا أو كثير، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة[١١].

ويعني الفساد بالمدلول القانوني والإداري: إساءة استخدام السلطة العامة من اجل الحصول على مكاسب خاصة[١٢].

وعرفته موسوعة العلوم الاجتماعية بأنه:

"استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة، ويشتمل ذلك بوضوح على جميع أنواع ورشاوى المسؤولين المحليين أو الوطنيين أو السياسيين[١٣].

وعرفت منظمة الشفافية الدولية الفساد بأنه:

إساءة استعمال السلطة الموكلة لتحقيق مكاسب خاصة[١٤].

وعرفه آخرون بأنه:

(استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة ويشمل جميع أنواع رشاوى المسؤولين المحليين أو الوطنيين أو السياسيين)[١٥].

وعرفه البنك الدولي في تقرير التنمية الصادر عام ١٩٩٧ بأنه سوء استغلال السلطة العامة من اجل الحصول على مكاسب شخصية[١٦].

وعموما فان الفساد كمصطلح يغطي مجموعة واسعة من الممارسات السياسية والاقتصادية والإدارية المشبوهة والمريبة ويشمل مساحه واسعة من الإعمال

والتصرفات غير الشرعية فهو ظاهرة معقدة تتشعب أسبابها وتتنوع آثارها وتشمل أنواعا مختلفة من أنماط السلوك الشاذة وهي(١٧):

١- **الرشوة:** اتجار الموظف العام بأعمال الوظيفة أو الخدمة.
٢- **الاختلاس:** بمعنى إن يتصرف الموظف العام في المال الذي وجد تحت يده وفي حيازته بسبب وظيفته على اعتبار انه مملوك له.
٣- **استغلال النفوذ:** ويظهر استغلال الموظف لنفوذه الوظيفي في الحالات التي يقوم بها الموظف الحكومي باستخدام سلطته لتحقيق هدف آخر غير المصلحة العامة.
٤- **الابتزاز:** هو إجبار الأشخاص على دفع مبالغ ماليه معينه بالتهديد أو العنف والترهيب كإجبار الموظف لمقاول بدفع مبالغ نقدية مقابل استلام مواد قام المقاول بتجهيزها إلى دائرة الموظف وإلا عدها الموظف غير مطابقة للمواصفات.
٥- هدر المال العام.
٦- توظيف الأموال العامة لغير ما خصصت له.
٧- التهرب والمساعدة على التهرب من الضريبة.
٨- الوساطة، وتفضيل ذوي الصلات والقربى في العقود والتعيينات.
٩- تسريب المعلومات.
١٠- المزاجية في إصدار القرارات الإدارية دون التقيد بالقوانين.
١١- الإهمال المستمر بما يلحق ضررا جسيما بالأموال العامة.

٢- خصائص الفساد

هناك عدة خصائص للفساد الإداري منها(١٨):

١- يتخذ الفساد الإداري إشكالا وعناصر متعددة يصعب الإحاطة بها والتصدي لها، كالرشوة والاختلاس والتزوير والابتزاز وسوء الاستخدام الواضح للأموال العامة

من اجل كسب شخص أو تحقيق أهداف خاصة وكذلك المحسوبية والمحاباة والتغاضي عن أنشطة غير قانونية.

٢- يتم الفساد الإداري عادة في إطار من السرية والخوف وان الكشف عن حالات الفساد لاتؤدي في الغالب إلى الكشف إلا عن جزء من الحقيقة، إذ إن الصفقات الكبيرة للفساد تكون معقدة وغير مباشرة تغري كبار الموظفين على الإقبال على الفساد والمغامرة.

٣- من خصائص الفساد عنصر المخاطرة الذي يصاحب أعمال الفساد، فالفساد يكون مغريا في المواقف والظروف التي يكون فيها عنصر المغامرة ضعيفا فالصفقات الكبيرة تغري كبار الموظفين على المغامرة فكلما كبر حجم الصفقة وتعقدها وكونها غير مباشرة كلما زاد الإقبال على المغامرة لان احتمالات الشكوك حولها تكون ضعيفة(١٩).

إن الفساد الإداري لم يعد عملا فرديا بل أصبح عملا منظما، إذا يشترك في الفساد عادة أكثر من شخص فالفساد الإداري يتركز من الناحية الفعلية على عدة أطراف هي(٢٠):

أ- الموظف العام الذي يبيع خدماته مستغلا سلطاته ونفوذه الوظيفي.
ب-الذين يتعاملون مع هذا الموظف، سواء من يقوم منهم بشراء خدمات ليس له الحق في الحصول عليها أو من يدفع مبالغ إضافية لخدمات له الحق في الحصول عليها.
ت-أما الطرف الثالث هو الوكيل، إذا لا يتم التعامل في قضايا الفساد الكبيرة مباشرة بين مقدم الرشوة والمسؤول الحكومي بل يكون هناك وكيل عن المؤسسة مقدمة الرشوة وآخر عن المسؤول الحكومي... وهذا يزيد من صعوبة مكافحة الفساد متعدد الأطراف التي تتعامل معه مما يجعلها عملية معقدة(٢١).

٣- عناصر الفساد الإداري

يمكن القول إن الفساد الإداري ينطوي على مجموعة من العناصر التالية[٢٢]:

أ- سلوك غير سوي مخالف للقانون واللوائح والتعليمات والأخلاق.

ب-الفاعل غالبا هو الموظف العام بالحكومة أو شركات قطاع الأعمال.

ت-هدف الفساد هو تحقيق مصلحة خاصة للموظف أو لذويه على حساب المصلحة العامة كما قد تكون المصلحة الخاصة مادية أو أدبية.

ث- خطر الفساد هو الإضرار بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية أو الثقافية للمجتمع.

٤- الأسباب الواقعية لانتشار الفساد في الدول النامية

إن ظاهرة الفساد الإداري في الدول النامية شأنها شأن أي ظاهرة اجتماعية أخرى لاتحدث نتيجة عامل واحد وإنما نتيجة مجموعة من الظروف والعوامل التي يمكن إبرازها على النحو التالي[٢٣]:

١- انعدام هيبة القانون فيكفي أن يسود الاعتقاد بأن القانون ليس هو السبيل لتحصيل الحقوق أو حماية الناس فليس مهما أن تكون على حق أو باطل المهم أن تكون قويا لا ضعيفا، وهذا الاعتقاد شأنه إطلاق (يد الكبار) الذين يضربون عرض الحائط بالقانون فتفقد الدولة هيبتها مع النظام العام.

٢- عدم استقالة الأداء الحكومي فالتلاعب الذي تمارسه الحكومة سواء عن طريق الاحتيال على المجتمع لزيادة الضرائب والجباية مثلا، أذا فسلوك الحكومة ينعكس على أخلاق الناس وقيمهم، فإذا استقامت الحكومة استقام الناس، وإذا تلاعبت أو احتالت فإنها تشجعهم تلقائيا على التلاعب الاحتيال.

٣- غياب النموذج والقدوة كون اختيار القيادات في الدول النامية يتم طبقا لاعتبارات الولاء ولا تتمتع بالكفاءة والاستقامة فمن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تفريغ مظاهر الفساد وانتعاشها.

٤- غياب الممارسة الديمقراطية والمتمثلة في الرقابة الشعبية وممارسة حق المسألة وحرية النقد والتعبير، وحين لا يحاسب المخطئ، فأن نمو الفساد يصبح أمرا طبيعيا، وانتشاره يصبح بلا عائق.

٥- ترهل الطبقات الحاكمة في مقاعدها ويقصد بذلك بقاءهم لفترة طويلة على رأس الكثير من المؤسسات، الأمر الذي يؤدي بمرور الوقت إلى تكوين الشلل، ونمو شبكة المصالح، لتمتد لتشمل الأبناء والأقارب.

٦- الاعتماد على الحسابات السياسية ويقصد بذلك تقديم السياسية على القانون لتصبح الحسابات السياسية هي الحكم والفيصل في مصير الضالعين في الفساد عن طريق غض الطرف عنهم.

٧- تقييد حرية الصحافة، فالصحافة الحرة هي جوهر التنمية ففي وسع الإعلام فضح الفساد الإداري وفي وسعه أيضا إدامة فحص السياسة العامة بإلقاء الضوء على أعمال الحكومة[٢٤].

٥- أسباب انتشار الفساد في العراق

الملاحظ إن شيوع ثقافة الفساد في المجتمع العراقي تجري بشكل متسارع ويعزى ذلك إلى[٢٥]:

أ- غموض القوانين وافتقارها إلى الشفافية.

ب-التعقيد في القوانين الضريبية والتي لا تساعد على الامتثال الضريبي.

ت-ضعف الإرادة السياسية وعدم وضوحها (تشابك) رجال السياسة بمجتمع رجال الأعمال.

ث-الترهل الإداري وغياب التدقيق المستقل لا سباب سياسية ((حزبية)).

ج- الفقر والجهل الذي يعم المجتمع والمتراكم في المجتمع العراقي بسبب الحروب والحصار الاقتصادي طويل الأمد.

ح- فساد الحكم القائم على عدم التوازن والفصل بين السلطات.

خ- ضعف وسائل الإعلام في تغطية قضايا الفساد بسبب خوف الصحفيين من تعرضهم إلى الاعتقال أو القتل لكون الفساد في العراق يدار من قبل شبكات منظمة.

د- غياب دور مؤسسات المجتمع المدني في مراقبة الفساد.

٦- وسائل مكافحة الفساد الإداري

تتطلب مواجهة الفساد الإداري أتباع إستراتيجية شاملة متكاملة (سياسية وإدارية ومجتمعية ووقائية واقتصادية ثم قانونية وعقابية في نهاية المطاف)(٢٦).

واهم وسائل مكافحة الفساد الإداري هي(٢٧):

اولآ: ملاحقة عمليات الفساد وجزائيا وهي وسيلة من أهم وسائل مكافحة الفساد التي تسهم مساهمة فاعلة أكيدة في الحد منه، وتعتمد بشكل أساس على تجريم القوانين بعض أهم صور الفساد وملاحقة مرتكبيها بواسطة المحققين تحت إشراف قضاة التحقيق.

وهي فلسفة تقوم على الردع العام لاستحالة اكتشاف كل عمليات الفساد، إلا إن معاقبة بعض المفسدين يحقق الردع العام.

وتعتمد فاعلية هذه الوسيلة على:

أ- استيعاب النصوص العقابية الوطنية، تجريم اكبر قدر ممكن من صور الفساد.

ب-كفاءة المحققين القائمين بملاحقة جرائم الفساد وقدرتهم على جمع الأدلة بما يكفي لدانتهم من قبل المحاكم حين إحالتهم إليها.

ت- كفاءة القضاء واستقلاليته وحياده ومنع التأثير عليه أو التدخل في أعماله.

ث-عدم تدخل السلطات الأخرى كالتنفيذية أو التشريعية في أعمال الملاحقة الجزائية للمفسدين.

ثالثا: دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد الإداري

من الصعب أن نتخيل وجود المجتمع الحديث بدون وسائل إعلام، خاصة إذا أدت تلك الوسائل دورها بشكل ايجابي في ذلك المجتمع(٢٨).

لقد أولى أساتذة الاتصال أهمية قصوى للدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في المجتمع فرأى بعضهم إن الاتصال يرسخ شعور المواطن بالانتماء إلى وطنه ونقل التراث من جيل إلى آخر، ويحدد كثير من الباحثين وظائف وسائل الإعلام بأنها الإبلاغ أي نشر الأخبار ثم الشرح والتفسير أي تفسير الخبر والتعليق عليه وإبداء الرأي فيه وحوله(٢٩).

١- وظائف وسائل الإعلام بالنسبة للمجتمع

أ-مفهوم " هارولد لازويل" للوظائف المجتمعية

يعد "هارولد لازويل" عالم السياسة الشهير من أوائل العلماء الذين اهتموا بالوظائف المجتمعية للاتصال وحدد ثلاث وظائف لوسائل الإعلام افترض وجودها في جميع المجتمعات هي(٣٠):

١- **مراقبة البيئة:-** وذلك من خلال تجميع المعلومات وتوزيعها سواء أكان داخل المجتمع أم خارجه، حتى يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وتستخدم مراقبة البيئة كتحذير مبكر للنظام لتوفير المعرفة اللازمة لاتخاذ القرارات المهمة لحماية المجتمع من قضايا الفساد الإداري.

٢- **ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة:-** إيجاد الترابط بين أجزاء المجتمع من خلال ردود أفعال المجتمع تجاه البيئة المحيطة يؤدي إلى تطور الرأي العام، فمن خلال الاتصال يتم تكوين الرأي العام وبدون الرأي العام لن تستطيع الحكومة أن تقوم بدورها.

وفي المجتمع الديمقراطي يتم توحيد الرأي العام من خلال تسليط الضوء على القضايا التي تهم المجتمع، ويرى " لازويل " إن خير من يقوم بهذه الوظيفة المحررون والصحفيون، والمتحدثون في وسائل الإعلام.

٣- **نقل التراث الاجتماعي عبر الأجيال:**- كان الإباء والأمهات هم الذين ينقلون التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال، وأصبحت وسائل الإعلام تقوم بدور اكبر في هذا المجال وقد فطن "لازويل" إلى إن وسائل الإعلام يمكن أن تصبح "غير وظيفية" أي تحدث اثاراً ضارة للمجتمع، ويحدث الخلل الوظيفي نتيجة عدم قدرة وسائل الإعلام على إرسال المعلومات بكفاءة أو عدم استقبال هذه المعلومات من جانب الجمهور بمهارة[٣١].

ب- مفهوم ولبر شرام للوظائف المجتمعية

قدم "ولبر شرام " ثلاث وظائف عامة يرى إنها ضرورية للاتصال الجماهيري، وخاصة في مجال التنمية الشاملة وهي[٣٢]:

١- **وظيفة المراقب:**- وذلك لاستكشاف الآفاق، وإعداد التقارير عن الأخطار والفرص التي تواجه المجتمع مثل قضايا الفساد الإداري وقضايا الغش.

٢- **الوظيفة السياسية:**- وتتم من خلال المعلومات التي تتيح اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة والقرارات القيادية، وإصدار التشريعات.

٣- **التنشئة:**- وذلك من خلال تعليم أفراد المجتمع المهارات والمعتقدات التي يقدرها المجتمع.

ت- مفهوم "ليزي مولر" للوظائف المجتمعية

يرى "ليزي مولر" وجود تسع وظائف لوسائل الإعلام في المجتمع وهي[٣٣]:

١- وظيفة الإخبار والتزود بالمعلومات ومراقبة البيئة

٢- الربط والتفسير يهدف إلى تحسين نوعية المعلومات وتوجيه الناس لما يفكرون.

٣- التنشئة الاجتماعية وهدفها المساعدة في توحيد المجتمع من خلال توفير قاعدة مشتركة للمعايير والخبرات الجماعية.

٤- خلق المثل الاجتماعي وذلك بتقديم النموذج الايجابي في الشؤون العامة.

٥- الرقابة على مصالح المجتمع وأهدافه.

٦- قيادة التغير الاجتماعي في المجتمع.

٧- الترفيه.

٨- التسويق.

٩- التعليم.

٢- دور الصحافة في مكافحة الفساد الإداري

تقوم وسائل الإعلام وخاصة الصحافة بخدمة النظام الاقتصادي من خلال ترسيخ الأوضاع الاقتصادية القائمة، وتروج لها، والسعي لإثبات فعاليتها[٣٤].

إن الصحافة تستطيع مراقبة البيئة وتأخذ وظيفة المراقب وخلق المثل الاجتماعي والرقابة على المصالح العامة للمجتمع وذلك من خلال تحذير القارئ والحكومة على حد سواء من خلال التحقيقات والتقارير والأخبار والقصص الخبرية والمقالات من نشر قضايا مهمة عن الفساد الإداري والغش وعن القائمين بها وإجراء مقابلات مع المسؤولين في الأجهزة الرقابية، والاستفادة من عنصر المصداقية والخبرة في التأثير بهذا المجال[٣٥].

ويمكن للإعلام إن يسهل الحوار العام إذا كان مملوكا من قبل القطاع الخاص وحرا في نقد الحومة بدون أي خوف من ردات الفعل، لان الحكام غير الديمقراطيين يميلون إلى التحسس من الرأي العام، لذا فان وجود صحافة حرة يشكل حاجز مراقبة خاصة في الدول غير الديمقراطية التي تفتقر إلى وسائل أخرى لتقييد السياسيين والبيروقراطيين، وكذلك حرية الصحافة الرسمية قد لاتكون كافية إذا كان

الإعلام بمعظمه مرتبطا بالأحزاب السياسية ففي ايطاليا لم تصبح قضايا الفساد ضمن الأخبار المهمة إلا حين بدأت الصحافة الايطالية بالانعتاق تدريجيا عن النظام السياسي[٣٦].

ومن هنا تأتي أهمية وساءل الإعلام في مكافحة الفساد الإداري بوصفه مزودا مهما للمعلومات حيث يمكن لوسائل الإعلام والصحافة خاصة الترويج لأداء اقتصادي أفضل حين تكون قادرة على تلبية ثلاثة شروط هي وسائل إعلام مستقلة وتوفر معلومات جيدة، ولها انتشار واسع[٣٧].

رابعا: تحليل النتائج

أسفرت عملية تحليل مضمون الصفحة الأولى لصحيفة المشرق العراقية بعد أن جرى تبويبها وفق جداول خاصة أسفرت عن مجموعة من المؤشرات العلمية والنتائج يمكن الإشارة إليها وفق الآتي.

١- موضوعات الفساد الإداري

توزعت موضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى لصحيفة المشرق على ٩٥ تكرار توزعت على عدة موضوعات أهمها (الفساد المالي) الذي حصل على أعلى مجموع للتكرارات وبنسبة مئوية ٤٧,٥% في حين جاء (الفساد الاقتصادي) بالمرتبة الثانية من مجموع التكرارات وبنسبة مئوية ٣٩% وجاء بالمرتبة الثالثة (الفساد الأخلاقي) بنسبة مئوية ٦,٣% وجاء أخيرا (الفساد السياسي) بنسبة مئوية ٤,٢%.

وجاءت موضوعات (الفساد المالي) تحت عناوين مختلفة منها (صباح الساعدي.... التجارة قمة الوزارات الفاسدة)، وجاء في التقرير المنشور يوم ٢٦ نيسان ٢٠٠٩ (وحمّل الساعدي وزير التجارة مسؤولية الفساد المالي والإداري المستشري في الوزارة بأعتبارة المسؤول الأعلى فيها).

وحصل شهر أيار على أعلى نسبة تكرارات وبنسبة مئوية ٤٩,٥% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية بمجموع التكرارات وبنسبة مئوية ٢٨,٤% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ٢٢,١%. انظر الجدول رقم (١).

جدول رقم (١)

موضوعات الفساد الإداري المنشورة في صحيفة المشرق

الموضوعات	الفساد السياسي		الفساد الاقتصادي		الفساد المالي		الفساد الأخلاقي		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	١	%٢٥	٥	%١٢,٩	١٢	%٢٦	٣	%٥٠	٢١	%٢٢,١
أيار	١	%٢٥	٢٠	%٥١	٢٤	%٥٢,١	٢	%٣٣,٣	٤٧	%٤٩,٥
حزيران	٢	%٥٠	١٤	%٣٥,٩	١٠	%٢١,٩	١	%١٦,٧	٢٧	%٢٨,٤
المجموع	٤	%٤,٢	٣٩	%٤١	٤٦	%٤٨,٥	٦	%٦,٣	٩٥	%١٠٠

٢- أنواع الفساد الإداري المنشورة في جريدة المشرق

حصلت أنواع الفساد الإداري على مجموع تكرارات ٩٠ تكرار وتوزعت هذه التكرارات على عدة أنواع حيث جاء بالمرتبة الأولى (الفساد في العقود) وحصل أعلى مجموع للتكرارات وبنسبة مئوية ٣١,١% في حين حصل (فساد المسئولين والاختلاس) على المرتبة الثانية وبنسبة مئوية ٢٢,٢% لكل منهما، وجاء (استغلال النفوذ الوظيفي) بالمرتبة الثالثة وبنسبة مئوية ١٢,٢% وجاء التزوير بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ٣,٣%.

ونلاحظ اهتمام الصحيفة (بالفساد في العقود التجارية) وذلك بسبب فتح ملفات وزارة التجارة للعقود التجارية ومثال ذلك التقرير المنشور في ٣ أيار ٢٠٠٩ تحت عنوان (مذكرات ألقاء قبض بحق التجار الذين وردوا مواد فاسدة) وحصل شهر

أيار على أعلى نسبة تكرارات وبنسبة مئوية ٥٠% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية وبنسبة مئوية ٢٧,٨% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الثالثة وبنسبة مئوية ٢٢,٢% انظر الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

أنواع الفساد الإداري المنشور في صحيفة المشرق

الأنواع	التزوير		الاختلاس		الرشوة		استغلال النفوذ		فساد العقود		فساد المسؤولين		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	١	%٣٣,٣	٥	%٢٥	٢	%٢٥	٢	%١٨,١	٥	%١٧,٩	٥	%٢٥	٢٠	%٢٢,٢
أيار	١	%٣٣,٣	٧	%٣٥	٦	%٧٥	٦	%٥٤,٦	١٣	%٤٦,٤	١٢	%٦٠	٤٥	%٥٠
حزيران	١	%٣٣,٤	٨	%٤٠	-	-	٣	%٢٧,٣	١٠	%٣٥,٧	٣	%١٥	٢٥	%٢٧,٨
المجموع	٣	%٣,٣	٢٠	%٢٢,٢	٨	%٩	١١	%١٢,٢	٢٨	%٣١,١	٢٠	%٢٢,٢	٩٠	%١٠٠

٣- الفنون الصحفية المستخدمة التي تناولت موضوعات الفساد الإداري

احتل (التقرير الصحفي) المرتبة الأولى في تغطية موضوعات الفساد الإداري على بقية الفنون الصحفية وبنسبة مئوية ٦٤,٨% في حين حصل (الخبر) على المرتبة الثانية وبنسبة مئوية ١٨,٢% وجاءت (القصة الخبرية) بالمرتبة الثالثة وبنسبة مئوية ١٧% فقد واكبت (التقارير الصحفية) حملة هيئة النزاهة في البرلمان بكشف ملفات الفساد وخاصة في وزارة التجارة، واهتمت الصحيفة بالإخبار حول قضايا الفساد لما يتمتع به الخبر من صفات مثل الجدة والحداثة خاصة وان استجواب الوزراء بقضايا فساد وتحصل لأول مرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

وعلى مستوى الأشهر فقد حصل شهر أيار على المرتبة الأولى وبنسبة مئوية ٥٢,٤% وجاء شهر حزيران بنسبة مئوية ١٥,٩ % انظر الجدول رقم (٣).

جدول رقم (٣)

يبين الفساد على مستوى الفنون الصحفية

الفنون	التقرير		الخبر		القصة الخبرية		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	٧	%١٣,٢	٢	%١٣,٣	٤	%٢٨,٧	١٣	%١٥,٩
أيار	٣٠	%٥٦,٧	٥	%٣٣,٣	٨	%٥٨,١	٤٣	%٥٢,٤
حزيران	١٦	٣٠,١	٨	%٥٣,٤	٢	%١٤,٢	٢٦	%٣١,٧
المجموع	٥٣	%٦٤,٨	١٥	%١٨,٢	١٤	%١٧	٨٢	%١٠٠

٤- مواضع نشر موضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى في صحيفة المشرق

حصل موقع ((أعلى يمين)) على أعلى نسبة تكرارات وبنسبة مئوية ٤١% في حين حصل موقع ((أسفل يمين)) على المرتبة الثانية وبنسبه مئوية ٢٨,٤% وجاء موقع ((أعلى يسار)) بالمرتبة الثالثة وبنسبه مئوية ١٥,٩% في حين حصل موقع ((أسفل يسار)) على نسبة مئوية ١٤,٧% ونرى اهتمام الصحيفة بنشر موضوعات الفساد الإداري قي أعلى يمين وذلك بين اهتمام الصحيفة يعرض هذه الموضوعات على الرأي العام من خلال أهمية هذا الموقع بالنسبة للقراء.

وجاء الاهتمام بشهر أيار وبنسبة مئوية ٥٣,٤% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية وبنسبة مئوية ٢٩,٦% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ١٧% انظر الجدول رقم (٤).

جدول رقم (٤)

يبين مواضع نشر موضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى

موقع النشر	أعلى يمين		أعلى يسار		أسفل يمين		أسفل يسار		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	٣	%٨,٣	٣	%٢١,٤	٥	%٢٠	٤	٣٠,٨	١٥	%١٧
أيار	٢٥	٦٩,٥ %	٥	%٣٥,٧	١٢	%٤٨	٥	%٣٨,٤	٤٧	%٥٣,٤
حزيران	٨	٢٢,٢ %	٦	%٤٢,٩	٨	%٣٢	٤	%٣٠,٨	٢٦	%٢٩,٦
المجموع	٣٦	%٤١	١ ٤	%١٥,٩	٢٥	٢٨,٨ %	١٣	%١٤,٧	٨٨	%١٠٠

٥- الموضوعات الإخراجية المرافقة لموضوعات الفساد

توزعت الوسائل الإخراجية المرافقة لموضوعات الفساد مستويات عدة فقد حصل استخدام (أكثر من وسيلة إخراجية) على المرتبة الأولى وبنسبة مئوية ٣٦,٥% ويدل ذلك على اهتمام الصحيفة بجذب القراء من خلال استخدام مانشيتات مع عناوين رئيسة أو فرعية أو بإضافة صورة شخصية أو معبرة لنفس الموضوعات ومثال ذلك التقرير المنشور في ١٧ أيار ٢٠٠٩ تحت عنوان مانشيت ((مشادة كلامية بين رئيس لجنة النزاهة والسوداني)) مع عناوين رئيسية لنفس التقرير (صباح الساعدي للمشرق .... هناك قناعات كبيرة لدى أعضاء البرلمان بان أجوبة وزير التجارة لم تكن كافية) وعنوان رئيسي آخر لنفس التقرير (العزاوي للمشرق .. الأسئلة التي وجهت للوزير تتعلق بالسكر "المتحجر"والحنطة "المتعفنة" وتحويل مبالغ مالية إلى الخارج) وإضافة إلى المانشيت والعناوين الرئيسة تم إضافة صور شخصيتين احدهما لوزير التجارة المستجوب والأخرى لرئيس هيئة النزاهة صباح الساعدي).

وحصلت على المرتبة الثانية (العناوين الرئيسية) وبنسبة مئوية ٢٤,٣% وتقاسمت المرتبة الثالثة بين (المانشيت) و(العناوين الفرعية) والتي حصلت كل منها على نسبه مئوية ٤,٨% وجاء (الكاركتير) بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ١,٢%

وبالنسبة للأشهر فقد حصل شهر أيار على أعلى مجموع للتكرارات وبنسبة مئوية ٤٧,٦% وحصل شهر حزيران على ٣٠,٤% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ٢٢% انظر الجدول رقم (٥).

جدول الرقم (٥)

يبين الوسائل الإخراجية المرافقة لموضوع الفساد الإداري

الوسائل المرافقة	مانشيت		عناوين رئيسية		عناوين فرعية		مع صورة		مع كاركتير		أكثر من وسيلة		مع شبكة		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	٢	%١٥,٣	٣	%١٥	٢	%١٥,٣	١	%٢٥	–	–	١٠	%٣٣,٣	–	–	١٨	%٢٢
أيار	٨	%٦١,٧	٧	%٣٥	٦	%٤٦,١	٣	%٧٥	١	%١٠٠	١٤	%٤٦,٧	–	–	٣٩	%٤٧,٦
حزيران	٣	%٢٣	١٠	%٥٠	٥	%٣٨,٦	–	–	–	–	٦	%٢٠	١	%١٠٠	٢٥	%٣٠,٤
مجموع	١٣	%١٦	٢٠	%٢٤,٣	١٣	%١٦	٤	%٤,٨	١	%١,٢	٣٠	%٣٦,٥	١	%١,٢	٨٢	%١٠٠

٦- المؤسسات التي يتعلق بها موضوعات الفساد

تنوعت المؤسسات التي تعلق بها موضوع الفساد وأظهرت نتائج التحليل إن الاهتمام وتركز بالدرجة الأساس على وزارة التجارة التي حصلت على أعلى مجموع للتكرارات وبنسبه مئوية ٦٤,٨% ويأتي هذا الاهتمام بسبب الحملة التي شنتها هيئة النزاهة في البرلمان العراقي في بداية شهر نيسان ٢٠٠٩ على وزارة التجارة وأدى ذلك إلى استجواب وزير التجارة في البرلمان والدعوة إلى سحب الثقة منه بسبب الفساد المستشري في وزارته وأدى ذلك إلى تقديم استقالته وهروبه بطائرة ومن ثم إرجاع الطائرة وتقديمه إلى المحاكم خلال شهري أيار وحزيران وجاء بالمرتبة الثانية من المؤسسات الحكومية فئة (أخرى) وهي تتعلق (بمؤسسات أخرى) في الحكومة وحصلت على نسبه مئوية ٥,٤% وجاء بالمرتبة الثانية وزارة النفط والتربية والدفاع ومنظمات غير حكومية أخرى وبنسبة مئوية ٤,١% لكل منها.

العقاري								
منظمات غير حكومية	٣	%٢٣	–	–	–	–	٣	%٤,١
أخرى	٢	%١٥,٣	١	%٢,٧	١	%٤,٣	٤	%٥,٤
المجموع	١٣	%١٧,٩	٣٧	%٥٠,٦	٢٣	%٣١,٥	٧٣	%١٠٠

٧- المحافظات التي تناولها موضوع الفساد

أظهرت المؤشرات المستخلصة من التحليل إن الاهتمام والتركيز جاء بمحافظة (المثنى) والتي حصلت على المركز الأول وبنسبه مئوية ٣١% ويأتي هذا الاهتمام بسبب موضوعات الفساد في العقود الخاصة بالبطاقة التموينية في محافظة المثنى والتي بسببها تعرض وزير التجارة إلى التوقيف في سجن السماوة المركزي على ذمة التحقيق قبل أن يطلق سراحه بكفالة ماليه، وجاء الاهتمام بالمرتبة الثانية بصورة عامة بموضوعات الفساد دون التركيز على محافظة بعينها وحصلت على نسبة مئوية ٢٩% ويأتي بالمرتبة الثالثة محافظة (ديالى) والتي حصلت على نسبة مئوية ٧,٢% ومثال ذلك الخبر المنشور في ٧ نيسان ٢٠٠٩ تحت عنوان (اتهام رئيس مجلس محافظة ديالى باختلاس ١٥٠ مليار دينار). وحصلت محافظة (بابل) بالمرتبة الرابعة وبنسبة مئوية ٣,٦% وجاءت محافظة (كربلاء) و(البصرة) بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ١,٨% لكل منهما. وحصل شهر أيار على أعلى نسبة مئوية ٣٨,١% وجاء شهر حزيران بنسبة ٣٢,٩% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ٢٩%، انظر الجدول رقم (٧).

جدول رقم (٧)

المحافظات التي تناولها موضوع الفساد

المحافظات	بغداد		المثنى		ديالى		البصرة		بابل		كربلاء		عامة		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	٢	١٤,٢%	١	%٥,٩	٢	%٥٠	–	–	١	٥٠%	–	–	١٠	٦٢,٦%	١٦	%٢٩
أيار	٨	٥٧,١%	٥	٢٩,٤%	١	%٢٥	١	١٠٠%	١	٥٠%	–	–	٥	٣١,٢%	٢١	٣٨,١%

وجاء بالمرتبة الرابعة (وزارة الكهرباء) وبنسبة مئوية ٣% وحصلت على المرتبة الخامسة (وزارة النقل والداخلية والصحة والتعليم العالي وهيئة الحج وهيئة التقاعد ومجلس الحكم الانتقالي والتسجيل العقاري) وبنسبة مئوية ١,٣% لكل منها، وجاء شهر أيار بأعلى نسبة تكرارات وبنسبه مئوية ٥٠,٦% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية وبنسبه مئوية ٣١,٥% وجاءت المرتبة الثالثة لشهر نيسان بنسبة مئوية ١٧,٩% وكما موضح بالجدول رقم (٦).

جدول رقم (٦)

المؤسسات التي يتعلق بها موضوعات الفساد

الأشهر	نيسان		أيار		حزيران		المجموع	
المؤسسات	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
وزارةالكهرباء	–	–	١	%٢,٧	١	%٤,٣	٢	%٣
وزارة النفط	–	–	١	%٢,٧	٢	%٨,٦	٣	%٤,١
وزارة التربية	١	%٧,٧	١	%٢,٧	١	%٤,٣	٣	%٤,١
وزارة النقل	١	%٧,٧	–	–	–	–	١	%١,٣
وزارة التجارة	٤	%٣١	٣٠	%٨١,١	١٣	%٥٧	٤٧	%٦٤,٨
وزارة الدفاع	٢	%١٥,٣	١	%٢,٧	–	–	٣	%٤,١
وزارة الداخلية			١	%٢,٧	–	–	١	%١,٣
وزارة الصحة	–	–	–	–	١	%٤,٣	١	%١,٣
وزارة التعليم	–	–	–	–	١	%٤,٣	١	%١,٣
هيئة الحج	–	–	–	–	١	%٤,٣	١	%١,٣
هيئة التقاعد	–	–	–	–	١	%٤,٣	١	%١,٣
مجلس الحكم الانتقالي	–	–	–	–	١	%٤,٣	١	%١,٣
التسجيل	–	–	١	%٢,٧	–	–	١	%١,٣

٨- المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات عن الفساد

توزعت المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات عن الفساد بين عدة مصادر ففي المرتبة الأولى حلت (هيئة النزاهة) بواقع ٤٥,٥%، وهي دلالة على إن هيئة النزاهة هي التي حشدت البرلمان لاستجواب الوزراء وخاصة وزير التجارة المتهم بقضايا فساد، أما المصدر الثاني من المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات هو (أعضاء البرلمان) والذي حصل على نسبة مئوية ٢٣,٣% ويشير ذلك إلى إن (أعضاء البرلمان) هم من قاموا باستجواب الوزراء فكانوا هم المصدر الثاني لاستقاء المعلومات، وحصلت (الصحافة) على المرتبة الثالثة وبنسبة مئوية ١٧% وحصلت (المصادر الأمنية والمصادر الأخرى) على المرتبة الرابعة وبنسبة مئوية ٥,١% لكل منهما وجاء في المرتبة الأخيرة (دائرة المفتش العام) وبنسبة مئوية ٤% وكانت حصة شهر أيار ما نسبته ٥٠,٦% وشهر حزيران ثانيا بنسبة ٢٨,٥% في حين كانت نصيب شهر نيسان هو الأخير وبنسبة ٢٠,٩%. انظر الجدول رقم (٨).

نلاحظ ومن خلال الجداول السابقة إن شهر أيار حصل على أعلى مجموع للتكرارات وأعلى نسبه مئوية وحصول شهر حزيران على المرتبة الثانية من حيث مجموع التكرارات والنسبة المئوية وكان شهر نيسان آخرا وفي المرتبة الثالثة بالنسبة لمجموع التكرارات والنسبة المئوية.

وهذا يعود إلى انه شهر أيار شهد كشف قضية الفساد في وزارة التجارة وطلب البرلمان استجواب وزير التجارة واستقالته وهروبه خارج البلد وفي شهر حزيران تم إحالة الوزير إلى القضاء وتوقيفه ثم إخلاء سبيله بكفالة.

جدول رقم (٨)

يبين المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات عن الفساد

المصادر	البرلمان		الصحافة		هيئة النزاهة		مصادر أمنية		المفتش العام		أخرى		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	٤	٢٢,٢%	٤	٣٠,٧%	٤	١١,٤%	١	٢٥%	١	٣٣,٣%	٢	٥٠%	١٦	٢٠,٩%
أيار	١٠	٥٥,٦%	٧	٥٤%	١٨	٥١,٥%	٢	٥٠%	١	٣٣,٣%	١	٢٥%	٣٩	٥٠,٦%
حزيران	٤	٢٢,٢%	٢	١٥,٣%	١٣	٣٧,١%	١	٢٥%	١	٣٣,٤%	١	٢٥%	٢٢	٢٨,٥%
المجموع	١٨	٢٣,٣%	١٣	١٧%	٣٥	٤٥,٥%	٤	٥,١%	٣	٤%	٤	٥,١%	٧٧	١٠٠%

٩- الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد

تنوعت الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد فقد حصلت دعوة إحالة المفسدين إلى القضاء بالمرتبة الأولى وبأعلى مجموع للتكرارات وبنسبه مئوية ٣٦,١% في حين حصلت الدعوة والمناشدة إلى تفعيل الدور الرقابي للبرلمان على المرتبة الثانية وبنسبه مئوية ٢٦,٧% أما المرتبة الثالثة فقد حصل عليها الدعوة لسحب الثقة من بعض الوزراء وبنسبه مئوية ١٨% في حين جاء طلب إجراء التعديل

الوزاري بنسبة مئوية ١٢% أما الدعوة لمنع سفر المتهمين بالفساد أو الكشف عن أسمائهم فقد حصلت على المرتبة الأخيرة وبنسبه مئوية ٢,٤% لكل منها. انظر الجدول رقم (٩).

جدول رقم (٩)

يبين الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد

الدعوات والمناشدات	التكرار	النسبة المئوية
الكشف عن أسماء الفاسدين	٢	٢,٤%
الإحالة إلى القضاء	٣٠	٣٦,١%
منع السفر	٢	٢,٤%
تفعيل الدور الرقابي للبرلمان	٢٢	٢٦,٧%
سحب الثقة	١٥	١٨%
إجراء تعديل وزاري	١٠	١٢%
المجموع	٨٣	١٠٠%

١٠-المساحة الإخراجية لموضوعات الفساد في الصفحة الأولى

أظهرت المؤشرات المستخلصة من التحليل إلى تغطية موضوعات الفساد الإداري بأكثر من ثلاثة أعمدة إلى ٥٤,٤% ويبين لنا اهتمام الصحيفة بالتغطية بمساحة إخراجية كبيرة لاهتمامها بإعلام القراء بأدق التفاصيل حول قضايا الفساد وعند وضع أربعة أو خمسة أعمدة من أصل ثمانية يبين هذا الاهتمام.

وجاء بالمرتبة الثانية من المساحات الإخراجية لموضوعات الفساد هو التغطية على ثلاث أعمدة وبنسبه مئوية ٢١%.

أما المرتبة الثالثة فهو التغطية على مساحة إخراجية عمودين وبنسبه مئوية ١٧,٢% في حين جاء العمود الواحد بالمرتبة الأخيرة وبنسبه مئوية ٧,٤%، انظر الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١٠)

المساحة الإخراجية لموضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى

المساحة الإخراجية	التكرار	النسبة المئوية
عمود واحد	٦	٧,٤%
عمودين	١٤	١٧,٢%
ثلاثة أعمدة	١٧	٢١%
أكثر من ٣ أعمدة	٤٤	٥٤,٤%
المجموع	٨١	١٠٠%

خامسا: الاستنتاجات

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يمكن استنباط مجموعة من الاستنتاجات وعلى وفق الآتي: -

١- التركيز على موضوعات الفساد المالي باعتبارها الموضوع الأساس في قضايا الفساد، وجميع موضوعات الفساد الإداري هي بالأساس تعود لتكون قضايا فساد مالي.

٢- التركيز في التغطية الصحفية على الفساد في العقود التجارية والتي تأتي بنوعيات رديئة وأسعار عالية ليكون الفرق بين سعر المواد الرديئة والمواد الجيدة بجيوب المفسدين.

٣- التركيز على فن التقرير الصحفي باعتباره احد الفنون الصحفية الذي يغطي المواضيع على أكمل وجه.

٤- السعي الواضح لصحيفة المشرق لفضح قضايا الفساد الإداري وكشفها من خلال أماكن نشر الموضوعات إذا حصل موقع أعلى يمين على أعلى نسبة تكرارات.

٥- التأكيد على استخدام أكثر من وسيله أخراجيه مرافقه لقضايا الفساد الإداري لبيان أهمية الموضوع.

٦- إظهار المؤسسات العراقية التي يتعلق بها موضوع الفساد الإداري وخاصة فيما يتعلق بعقود البطاقة التموينية بمظهر التقصير والادانه.

٧- التركيز على المحافظات التي تناولتها مواضيع الفساد الإداري وجاء التركيز الأكثر على محافظة المثنى والتي حصل فيها فتح قضايا على وزير التجارة في هذه المحافظة في سياق شخصنه خارطة الفساد.

٨- الاعتماد على مصادر عدة في استقاء المعلومات عن قضايا الفساد الإداري وجاء الاعتماد بالدرجة الأولى على مصادر هيئه النزاهة في البرلمان العراقي ومن ثم أعضاء في البرلمان لبيان أهمية واطلاع هذه المصادر على قضايا الفساد.

٩- التأكيد على الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد ومن أهمها إحالة المفسدين إلى القضاء وتفعيل الدور الرقابي للبرلمان والدعوة إلى سحب الثقة من بعض الوزراء الفاسدين.

١٠- الاهتمام بالمساحة الإخراجية لموضوعات الفساد الإداري، وتم التركيز على هذه الموضوعات وذلك بزيادة تغطية المساحة الإخراجية إلى أكثر من أربعة أعمدة للتقارير الخاصة بالفساد الإداري.

الهوامش والمصادر:

(١) د. سامي طايع، بحوث الإعلام، دار النهضة العربية، ٢٠٠١، ص٣٢٠.
(٢) سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤،)، ص ١٣٩.
(٣) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٩، ص٦٩.
(٤) محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، الطبعة الثانية، عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ص٣٥.
(٥) د. فرج الكامل، بحوث الإعلام والرأي العام- تصميمها وإجراؤها وتحليلها، ط ١، مصر، دار النشر للجامعات المصرية، ٢٠٠١، ص ١٢١.
(٦) د. هادي نعمان الهيتي، أسس وقواعد البحث العلمي، دراسة مطبوعة بالرونيو، بغداد، ١٩٨٢، ص٢٤.
(٧) د. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط٣، القاهرة، المكتبة الانجلو مصريه، ١٩٧١، ص ١٠٩.
(٨) جمال زكي وآخرون، أسس البحث الاجتماعي، القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٦٢، ص٣٧١.
(٩) د. محمد عبد الحميد،البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص ٢٣٣.
(١٠) د. نواف سالم كنعان، الفساد الإداري والمالي، أسبابه – آثاره – وسائل مكافحته، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية القانون – السنه٢٢، العدد٣٣، يناير ٢٠٠٨، ص٨٤.
(١١) الرغب الأصفهاني في المفردات، ص ٣٩٧.
(١٢) تقرير التنمية البشرية عن البنك الدولي عام ١٩٩٧
Report – 1-2"world bank"
(١٣) د. نواف سالم كنعان، الفساد الإداري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٥.

(١٤) منظمة الشفافية الدولية، تقرير الفساد العالمي لعام ٢٠٠٧
(١٥) د. جاسم محمد الذهبي، الفساد الإداري في العراق www.berc.iraq.com
(١٦) د. سيف راشد الجابر، د. كامل صكر، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، بحث غير منشور،٢٠٠٥، ص٢٢.
(١٧) القاضي رحيم حسن العكيلي، الفساد – تعريفه – أسبابه – آثاره، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد ٢٣، بغداد، ٢٠٠٩، ص٨١.
(١٨) نواف سالم كنعان، الفساد الإداري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٥ –٨٦.
(١٩) التقرير الصادر عن الندوة الإقليمية التي عقدتها دائرة التعاون الفني للتنمية التابعة للأمم المتحدة بعنوان (الفساد في الحكومة) ترجمة الدكتور نادر أبو شيحة، إصدار المنظمة العربية للتربية الإدارية، ١٩٨٩، ص٣٠-٣١.
(٢٠) نواف سالم كنعان، الفساد الإداري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٣.
(٢١) قضايا اقتصادية عالمية، بحث منشور على الانترنت موقع (إسلام اون لاين) بتاريخ ٢٠٠٦/٥/١٧.
(٢٢) لواء دكتور حسنين المحمدي بوادي، الفساد الإداري – لغة المصالح،دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٨، ص١٤.
(٢٣) د. فهمي هويدي، عن الفساد وسنينه، دار الشروق، ٢٠٠٦، ص١٣٢ وما بعدها.
(٢٤) الحق في الإبلاغ، دور وسائل الإعلام الجماهيرية في التنمية الاقتصادية، دراسات تنموية، البنك الدولي، تقرير بحوث التنمية، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥، ص٧.
(٢٥) د.خضر عباس عطوان، دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفساد، بحث غير منشور، هيئة النزاهة، المؤتمر الأول لمكافحة الفساد في العراق، بغداد، تشرين الثاني ٢٠٠٩، ص١٠.
(٢٦) د.سليمان عبد المنعم، ظاهرة الفساد – دراسة في مدى مواءمة التشريعات العربية لأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، ص١٧.

(٢٧) القاضي رحيم حسن العكيلي، الفساد – تعريفه – أسبابه – آثاره، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد ٢٣، بغداد، ٢٠٠٩، ص٨٥– ٨٦.

(٢٨) د. حسن عماد مكاوي، د.ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٨، ص ٧.

(٢٩) د. محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط ١، ط ١، ١٩٩٨، ص١٣١.

(٣٠) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ٦، ٢٠٠٦، ص ٧١.

(٣١) د. حسن عماد مكاوي، د.ليلى حسين السيد، ط ١، (مصدر سبق ذكره)٧٢.

(٣٢) د. حسن عماد مكاوي، د.ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٩، ٢٠٠٩، ص ٧٤.

(٣٣) د. حسن عماد مكاوي، د.ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته، ط ٦، ٢٠٠٦ (مصدر سبق ذكره) ص٧٥.

(٣٤) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته، ٢٠٠٩ (مصدر سبق ذكره)، ص٧٨.

(٣٥) د. علي حسين طوينه، وآخرون، اتجاهات المستهلكين والصحفيين إزاء ظاهرة الغش في المواد الغذائية، بحث مقدم إلى ندوة الغش التجاري وحماية حقوق المستهلك – مركز بحوث السوق وحماية المستهلك (بحث غير منشور) بغداد ٢٠٠٢، ص٢٤.

(٣٦) سوزان روز – اكرمان – الفساد والحكم – الأسباب، العواقب، والإصلاح، ترجمة فؤاد سروجي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٢٩٥.

(٣٧) الحق في الإبلاغ، دور وسائل الإعلام الجماهيرية في التنمية الاقتصادية، دراسات تنموية، ٢٠٠٥، ص١٣، (مصدر سبق ذكره).

دور الإعلام في عهد النبوة

م. م. مريد صالح ضامن

جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

يعد الإعلام واحدا من بين أهم الوسائل المهمة والحيوية التي ساهمت وساعدت في نشر الدعوة الإسلامية التي جاءت على لسان النبي محمد (ﷺ) الذي حمل الرسالة وناضل من اجلها منذ البداية في دورها السري والعلني حتى تمكن من انجاز نواة دولة إسلامية في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، توسعت بعد وفاته وصارت إمبراطورية إسلامية انتشر من خلالها الدين الإسلامي الى أرجاء المعمورة كافة. ونظرا لأهمية هذا الموضوع وحيويته ودوره في نشر الإسلام الأمر الذي دعاني إلى دراسته لتوضيح أهم وسائل الإعلام ودورها في عهد ألنبوه

تناولت الدراسة القران الكريم ودوره الإعلامي في نشر الإسلام ثم درست أهمية الحديث النبوي الشريف وأهمية الأذان ودوره الإعلامي وبينت أهمية الخطابة الدينية وكما بينت أهمية كتب الرسول (ﷺ) إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة كما ركز البحث على الدور الإعلامي لبيعة العقبة الأولى والثانية في يثرب قبل هجرة النبي (ﷺ)

ودرس البحث تناول دور الشعر في خدمة الإسلام والدفاع عنه وبينت دور الحج في نشر الدعوة الإسلامية.... وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة واضحة عن الموضوع

...... والله الموفق

الإعلام لغة:

يعني مصدرا للفعل اعلم، فيقال علمت ألشي بمعنى عرفته وخبرته[١]، وعلم الرجل الشي أي خبره وأحب أن يعلمه أي يخبره وكذلك يقال أن تسال عن شي وستخبره[٢]،

أما الإعلام اصطلاحا:

فيعني إيصال فكرة معينة لها هدف واضح ومضمون يراد تحقيقه بعدة وسائل سواء أكانت هذه الوسائل مسموعة أم مرئية بالكلمات والجمل أو بالإشارات أو بالصور والرموز، بحيث تكون هذه الأفكار التي نريد إيصالها الى المتلقي رسالة واضحة ومفهومة لتحقيق الهدف التي من اجلها أطلقت، أي إنها الوسائل التي ساعدت على نشر الدعوة الإسلامية في العهد النبوي بدورها السري والعلني[٣]، أما أهم وسائل الإعلام في العهد النبوي فهي:-

١-القران الكريم:

مما لاشك فيه إن القران الكريم هو كلام الله تبارك وتعالى والذي يعد من أهم وسائل الإعلام للدعوة الإسلامية لما يملكه من قوة الجدل والدعوة والعبر[٤]، كما انه المصدر الأساسي للعقيدة الإسلامية وله الفضل من خلال قراءته في دخول الكثير من الناس في الإسلام، فعندما كان الرسول(ﷺ) يقرأ القران بشكل مستمر، فانه اثر في مشركي قريش وجلب البعض منهم الى الإسلام ومن أمثلة ذلك: في قوله تعالى چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ[٥]، كما كان القران سببا في إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد سماعه سورة (طه)، واسلم الشاعر الطفيل بن عمرو عندما سمع الرسول (ﷺ) يتلوا القران الكريم في الكعبة[٦]، نظرا لما يحتويه من إعجاز بلاغي لان العرب أهل بلاغة، إذ حين يقرأ القران فانه يترك أثرا كبيرا في نفوسهم[٧]، فدعا الرسول (ﷺ) عشيرته وأقرباءه إلى الإسلام[٨]، كما في قوله تعالى: چ ڇ ڇ ڇ ڍ چ[٩]، و نصت بعض آياته الأخرى بتكليف الرسول (ﷺ) وإبلاغ عامة الناس

بالدين الجديد رغم انه لم يكن (ﷺ) مسؤولا عن تصديق أو عدم تصديق الناس له فقال تعالى چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ چ[١٠]، فكان نزول آياته حسب الأحداث والمواقف التي مر بها المسلمون والرسول (ﷺ) كما أتت آيات أخرى تتبئ الرسول محمد (ﷺ) بما سيحدث له ولأصحابه في المستقبل[١١]، وقال تعالى چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ چ[١٢]، إذ أشـارت بعض آياته القرآنية بالتفسير وتوضيح مضمون آيات أخرى وإيصالها الى كافة الناس وتبليغهم بها[١٣]، فقال تعالى چ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ چ[١٤]، كما إن القران الكريم كان زاخرا بالقصص عن الأمم السابقة وأيام العرب الماضية سواء التي آمنت بالله أو التي كفرت به وحل بها العذاب[١٥]. وقال تعالى چ ى ى ي ي چ[١٦]، وقال تعالى چ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ[١٧]، مما يبين إن القران الكريم كان ضربا رائعا ومهما من ضروب الإعلام على يد الرسول(ﷺ) ساعد في نشر الإسلام بما يحمله من مفاهيم وقيم جديدة تختلف اختلافا كبيرا عن القيم والمفاهيم التي كانت سائدة لديهم لذا كان دور القران الكريم واحد من أهم وانجح وسائل الإعلام في العهد النبوي[١٨]، الذي ساعد على نشر الدعوة في الجزيرة العربية ومن ثم الى كافة أنحاء المعمورة لاحقا[١٩]،

٢-الحديث النبوي الشريف:

بما إن الحديث النبوي هو كلام النبي محمد(ﷺ) المعلم الأول والداعي لهذا الدين الحنيف الذي يرتكز على الإرشاد والهداية والتبشير والجهاد وفيه أبواب كثيرة منها ما يتعلق بالعبادات ومنها ما يخص نظام حياة المسلمين وأخرى للجهاد في سبيل الله[٢٠]، فقال تعالى: چڑ ڑ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ چ[٢١]، إذ أشارت أحاديث الرسول (ﷺ) الى كل الجوانب التي تخص حياة الإنسان فقال الرسول (ﷺ)((إياكم والجلوس في الطرقات))[٢٢]، وقال الرسول (ﷺ) ((من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[٢٣]، وكذلك أشار الرسول (ﷺ) في آداب الطريق فقال الرسول ((واعلموا إن الجنة تحت ظلال السيوف))[٢٤]، وإشارة كتب الحديث على عدد كبير من احاديث الرسول (ﷺ) في الجهاد واجر المجاهد فقد أورد البخاري خمسة وخمسين حديثا في هذا المعنى ولمسلم تسعة وستين والترمذي خمسة وأربعين ولأبي داود ثمانية وثلاثين وللنسائي واحد وخمسون ولابن ماجه اثنين وثلاثين فكانت أحاديث الرسول(ﷺ) خير وسيلة إعلامية فعالة في نفوس المسلمين بعد القران الكريم ساعدت في نشر الدعوة الإسلامية[٢٥]،

٣-الأذان:

وبما إن الأذان يعني الدعوة والنداء الى أداء الصلاة والإعلام بها في ميقاتها[٢٦]، لذا اهتم الرسول(ﷺ) بأمر الأذان لان المسلمين كانوا في بداية الإسلام يجتمعون في المسجد لحين إقامة الصلاة وبغير دعوة وبعدها ينادي منادي النبي(ﷺ) الصلاة جامعة فيجتمع الناس لكن بعد أن تحولت القبلة الى الكعبة المشرفة أمر الرسول(ﷺ) بالأذان فأشار عليه بعض الصحابة الى طريقة يجتمعون فيها لأداء الصلاة[٢٧]، فذكر بعضهم البوق وأخر الناقوس وظلوا، حائرين في مناقشة هذا الأمر حتى ذكر لهم الصحابي عبدا لله بن زيد الخزرجي انه رأى في منامه رؤيا تحمل في

مفادها طريقة الأذان رواها للرسول (ﷺ) فقال له الرسول (ﷺ) قم مع بلال وعلمه إياه كما جاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى الرسول (ﷺ) وقال له رأيت مثل الذي رآه عبدا لله عندها اطمأن الرسول (ﷺ) على صيغة الأذان التي طبقت الى يومنا هذا، غير ان المشكلة التي عانا منها المسلمين[٢٨]، أنهم بداية الأمر ضعافا في مكة ويصعب عليهم أداء الأذان و الصلاة بشكل جماعي وعلني حتى هاجروا الى المدينة وصاروا أحرارا ولهم القدرة في إقامة الصلاة عندها أمر الرسول (ﷺ) بلالا (رضي الله عنه) بالأذان في يوم الجمعة على الصورة التي رواها له عبدا لله بن زيد وعمر بن الخطاب(رضي الله عنهما) في رؤيا هما فصار الأذان منذ ذلك الحين سياقا ثابتا لأداء الصلاة والإعلام بها في الإسلام إذ يتكرر الأذان والصلاة خمس مرات في اليوم وبشكل مستمر وثابت يسمعه جميع الناس بشكل علني ولفت الأنظار في المدينة الى الدين الجديد كما دل على تنامي قوة المسلمين فيها[٢٩]، حتى انتقل منها وشمل بقية أنحاء الجزيرة العربية[٣٠]، فكان الأذان خير وسيلة إعلامية نبأت المشركين أصحاب الديانات الأخرى بانبثاق دين الإسلام الذي وكان خاتمة لجميع الأديان السماوية حتى قيام الساعة[٣١]،

٤-الخطابة:

الخطابة فن من فنون الكلام غايتها إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيه بصواب قضية أو بخطا أخرى[٣٢]، وقد كانت الخطابة وما زالت واحدة من وسائل الإعلام وأكثرها اتصالا مباشرا بالناس والتأثير على مشاعرهم لإقناعهم بالأفكار والقيم التي يراد إيصالها لهم[٣٣]، وقد أدت الخطابة دورا إعلاميا مهما قبل الإسلام[٣٤]، وكانت هناك خطب قبل الإسلام ومنها خطبة قيس ابن ساعدة الأيادي الذي ذكرها عنها الرسول (ﷺ) عندما قدم إليه وفد من قبيلة أياد وسألهم:

عن القس ابن ساعدة الأيادي وذكرهم بخطبته المشهورة التي قال فيها: ((أيها الناس اجتمعوا واستمعوا واعوا، وإذا سمعتم شيئا فانتفعوا به من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو ات ات إن في السماء لخبرا، وان في الأرض لعبرا، مهاد موضوعا، وسقف مرفوع ونجوم تمور، وبحار لا تغور واقسم قس قسما حقا لان كان في الأرض رضي ليكن بعده سخط. إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذي انتم عليه. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. ارضوا بالمقام فا قاموا، أم تركوا فناموا))(٣٥)، ان هذه الخطبة كانت مهمة ومؤثرة في الناس رغم من قلة تداول موضوعاتها وأهدافها(٣٦)، أما الخطبة بعد الإسلام فقد تطورت وظهرت لها أهمية كبيرة في إقناع المشركين وذلك من خلال ما قام به الرسول (ﷺ) من خطاب لأهل قريش لنشر دعوته الإسلامية(٣٧)، فأشار الرسول (ﷺ) في أول خطبة له في الإسلام ((بعد ان حمد الله، وأثنى عليه وقال ((أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمة ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم يأتك رسولي فبلغك، واتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهة من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزي الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))(٣٨)، وقد كانت الخطبة مقنعة بتقبل الفكر الجديد كما صارت احد أسباب المهمة لحل مشاكل المسلمين والتأثير بمشاعرهم لان خطب الرسول (ﷺ) وبلاغتها كانت مؤثرة وتدخل الى قلوب الناس وعقولهم فزادت في إيمانهم وترسيخ إسلامهم(٣٩)، إذ نجحت التجربة الإعلامية الأولى على يد الرسول(ﷺ) من خلال لقائه بالوفود في مواسم الحج وقناعهم بمبادئ الإسلام(٤٠)، ويذكر إن هناك العديد من أنواع الخطب التي أثرت إيجابا في الدعوة الإسلامية وساعدت على نشر الإسلام في الجزيرة العربية

والتي منها: خطب الجهاد وخطب الوفود والخطب الدينية والسياسية وخطب المناظرات فضلا عن خطب الوصاية والتي جميعها كان لها دورا إعلاميا مؤثرا لنشر الإسلام

٥-كتب الرسول (ﷺ) إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة:

بعد أن ترسخ الإسلام وقوي المسلمون بعد السنة السادسة للهجرة قام الرسول(ﷺ) بإرسال العديد من الرسل الى زعماء القبائل وأمراء العرب في الجزيرة العربية يدعوهم فيها الى الإسلام لان إسلامهم يسهل دخول بقية الناس الآخرين ولاسيما بعد معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون والتي أدت نتائجها الى قبول إعداد كبيرة الى الإسلام(٤١)، كما لم يقتصر إرسال هؤلاء الرسل والبعوث على أمراء العرب في الجزيرة العربية بل تعدى ذلك إلى ملوك الأمم الأخرى لان هؤلاء الرسل كانوا بمثابة رسالة إعلامية لإيصال فكرة الدين الجديد إلى تلك المناطق البعيدة عن المدينة(٤٢)، لان الإسلام دين لكل الناس استجابة لقوله تعالى: چڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ چ(٤٣)، وقوله: چ ۀ ہ ہ ﮬ ﮬ ھ ھ چ(٤٤)، لذا فان الرسول (ﷺ) بعد رجوعه من صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة بعث ستة كتب الى الملوك والأمراء في يوم واحد وختم عليها بخاتمة المنقوش عليه عبارة (محمد رسول الله)(٤٥)، ومن بين هؤلاء الملوك النجاشي ملك الحبشة والمنذر بن ساوى ألعبدي ملك البحرين والمقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط وكذلك قيصر الروم وكسرى الفرس ومنهم من تجاوب مع دعوة الرسول الى الإسلام وردوا عليه ردا حسنا ومنهم من لم يستجب لها، أما النجاشي الذي أرسل له عمرو بن أمية الضمري وكتب إليه كتابين يدعوه في احدها الى الإسلام ويتلوا عليه القرءان فانه اخذ كتاب رسول الله (ﷺ) ووضعه على عينه، ونزل من سريره وجلس على الأرض تواضعا لله، ثم اسلم وشهد شهادة الحق وقال ((لو كنت استطيع أن اتيه لأتيته))(٤٦)، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة اللخمي الى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط، وبعد أن وصل كتاب الرسول (ﷺ) إليه

قراءه وقال خيرا واخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جاريته ثم كتب الى النبي(ﷺ) قد علمت إن نبيا قد بقى وكنت اضن يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك[٤٧]، وكذلك بعث الرسول (ﷺ) الى هرقل رسالة قال فيها ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن عبد الله ورسوله الى هرقل قيصر الروم. السلام على من اتبع الهدى أما بعد، اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرا مرتين))[٤٨]، فكانت هذه الرسائل خير وسيلة إعلامية للأطراف العربية والأجنبية بظهور قوة الإسلام وتعاظمه في الجزيرة العربية وهو ما قطف ثماره لاحقا في نشر الإسلام الى أطراف بعيدة أخرى بعد وفاة الرسول (ﷺ)[٤٩]،

٦-بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية:

كما كان لبيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة للبعثة وبيعة العقبة الثانية في السنة الثانية عشرة أثرا إعلاميا مهما خارج مكة للتعريف بالدين الجديد في يثرب عندما التقى الرسول (ﷺ) في بيعة العقبة الأولى مجموعة من أهل يثرب في مكة كان عددهم احد عشر رجلا تحدث معهم عن الإسلام أثناء مجيئهم إلى مكة لموسم الحج[٥٠]، ثم زاد عددهم في بيعة العقبة الثانية الى سبعين رجلا وامرأتين، وكانوا متخفين كي لا يشعر بهم احد عند لقائهم الرسول (ﷺ) وفي مكان بعيد عن أنظار الناس في ((منطقة العقبة))[٥١]، كلمهم الرسول (ﷺ) وعرفهم بالدين الجديد ومبادئه وقيمه، كانت هذه البيعة بمثابة أداة إعلامية مهمة لإيصال الإسلام خارج مكة عن طريق هذه الوفود من الرجال والنساء[٥٢]، عندما طلبوا من الرسول (ﷺ) أن يبعث معهم قارئا يعلمهم قراءة القران الكريم فلبى النبي (ﷺ) طلبهم وأرسل معهم مصعب بن عمير يعلمهم أصول الدين الجديد حتى كثر عددهم وأصبحوا أكثر من سبعين مسلما[٥٣]، وفي السنة التالية من بيعة العقبة الأولى زاد عدد المسلمين في يثرب نتيجة إسلام هؤلاء النفر الذين صاروا خير وسيلة إعلامية لنشر الإسلام[٥٤]،

في يثرب والمناطق المجاورة لها[٥٥] حتى صار كل مسلم بمثابة وسيلة إعلامية ودعوية هناك أدت الى زيادة عدد المسلمين الذين صاروا قاعدة للمسلمين بعد أن هجرة النبي(ﷺ) إليها[٥٦]،

٧-الشعر:

أما الشعر ولاسيما الإسلامي منه فانه كان واحدا من بين الوسائل الاخرى المهمة التي ساندت المسلمين وتدعيم فكرهم لان الشاعر هو الناطق باسم قبيلته والمدافع عنها، فكلما زاد عدد الشعراء في القبيلة ذاع صيتها وارتفع شأنها بين القبائل[٥٧]، وقد أفاد الرسول (ﷺ) من هذا السلاح ولاسيما من الشعراء المسلمون مثل الشاعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير بن أبي سلمى الذين وقفوا معه للدفاع عنه ضد مشركي قريش إذ استخدم هؤلاء الشعراء بعض الألفاظ القرآنية بشكل مجازي للتأثير على الناس نظرا لما تحويه هذه الألفاظ من حلاوة الأسلوب وسمو المعاني[٥٨]، للدفاع عن الرسول والذود عنه ضد أعدائه المشركين والانتقاص منهم حتى كان رسول الله(ﷺ)، يقول: لحسان بن ثابت ((اجب عني اللهم ايده بروح القدس))[٥٩]، ومن الأمثلة على ذلك قول حسان بن ثابت مادحا الرسول (ﷺ) ضد هجمة المشركين عليه:

والله ربي فلا تفارق ماجدا ... عف الخليفة ماجد الأجداد

متكرما يدعو الى رب العلا ... بذل النصيحة رافع الاعماد

مثل الهلال مباركا ذا رحمة ... سمع الخليفة طيب الأعواد[٦٠]،

كما قال في قصيدة أخرى

وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات فما خاموا وما ضجروا

والناس الب علينا ثم ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر

نجالد الناس لا نبقي على احد ... ولا نضيع ماتوصي به السور

ولايهير جناب الحرب مجلسنا ... ونحن حين تلضي نارها سعر[٦١]،

فأدى الشعر الإسلامي دورا إعلاميا كبيرا في خدمة الإسلام و كان المدافع عن الرسول (ﷺ) وعن مبادئه من خلال إظهاره مبادئ الإسلام وتحجيم أصنام قريش والتقليل من شأنها فكان فكرا جهاديا وإعلاميا أمام همجية المشركين[٦٢]، ومن امثلة ذلك هجاء حسان لشعراء المشركين ومنهم عابد بن عبدا لله بن عمر بن مخزوم في قصيدة قال في مطلعها:

أن تصلح فانك عابدي وصلح ألعابدي الى فساد
وان تفسر فما ألفيت إلا بعيدا ما علمت من السداد[٦٣]،

وفضلا عن ذلك فقد أفاد الشعر في نقل إخبار انتصارات المسلمين في حروبهم ضد مشركي قريش، الى جانب رثاء شهداء المسلمين من الصحابة الذين ضحوا بحياتهم من اجل الإسلام[٦٤]، فكانوا خير وسيلة إعلامية ودفاعية بوجه المشركين ومحاولاتهم من الإسلام[٦٥]، ومن الامثلة قول حسان بن ثابت في أبي سفيان:

لان أبي خلافته شديد وان أباك مثلك ماعداك
أبوك مذمم وخلقن منه على قدر كما قد الشراك[٦٦]،

وكذلك رد كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع وقال:

معاذ الله من عمل خبيث كسعيك في العشيرة عبد عمرو
فإما قلت لي شرف ونخل فقدما بعت إيمانا بكفر[٦٧]،

ومن كل ما تقدم، نخلص الى القول إن الشعر كان خير وسيلة إعلامية للمسلمين ضد المشركين لان الدعوة الإسلامية كانت بحاجة للدفاع عنها ليس فقط بالسيف وإنما بالكلمة كذلك لان وقع الكلمة أحيانا ابلغ من ضرب السيوف[٦٨]، لذا كانت القبيلة تحتفل عندما ينبغ فيها شاعر لانه سيكون المدافع امام اعدائها وهو مايشبه دوره الوسائل الهادفة في خدمة المجتمع الإعلام الحالية

٨-الحج:

بما إن الحج هو من الأركان المهمة للاسلام والذي يجتمع فيه اعدادا كبيرة من الناس في مكة من كل بقاع الأرض لتأدية المناسك[٦٩]، ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ[٧٠]، فعندما حج الرسول (ﷺ) الى مكة بعد الهجرة في السنة العاشرة للهجرة، والتي كانت أول وأخر حجة له فيها سميت بحجة الوداع أو ((حجة الإسلام))[٧١]، خطب الرسول (ﷺ) خطبة الوداع ((بين للناس مناسكهم وسنن حججهم ثم خطب خطبته المشهورة التي حضرها اكبر عدد من المسلمين انذاك، فحمد الله وأثنى عليه، قال فيها: ((أيها الناس، اسمعوا قولي، فاني لا أدري لعلي ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وأنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها، وان كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وان كل دم كان في الجاهلية موضوع، وان أول دماؤكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس، فأن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه أن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فأ حذروه على دينكم. أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما احل الله، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذي بين جمادي وشعبان. أما بعد أيها الناس، فأن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينه، فأن فعلن فأن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن صربا غير مبرح فأن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا، فأنهن عندكم عوان لا يملكن لا نفسهن شيئا وأنكم أنما

أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله فأعقلوا أيها الناس قولي، فأني قد أبلغت وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وان المسلمين إخوة، فلا يحل لامريء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت))[٧٢]، واشارة آيات قرآنية الى توجه الناس للحج فقال تعالى ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ[٧٣]، وقد اظهرت هذه الحجة مدى قوة المسلمين وكثرة اعدادهم التي زادت باضطراد مما يدل على مدى قوة المسلمين وتعاظم قوتهم من خلال قيادة الرسول (ﷺ) جموع المسلمين الى مكة وبما تضمنته خطبته المشهورة هذه من مباديء سامية وتوجيهات اعلامية للمسلمين في دينهم ودنياهم كما ان هذا التجمع الكبير للمسلمين الذي بمثابة اكبر تظاهرة إعلامية للمسلمين من خلال الدافع الديني وإحياء مشاعر الإسلام، كما تنقل من خلال مناسك الحج أخبار عن المسلمين وكثرة اعدادهم التي ترهب أعداءهم الأمر الذي جعل الحج خير وسيلة إعلامية للمسلمين أمام أعدائهم[٧٤]، قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[٧٥]، مما يظهر وحدة المسلمين في اداء مناسكهم وشعائر، حجهم الذي صار يتكرر بنفس الموعد ونفس المكان فضلا الى كونه خير وسيلة إعلامية تنشر الإسلام من خلال حضور إعداد كبيرة من التجار الأمر الذي يساعد على نشر الدين الجديد من خلال التجارة الى مناطق المسلمين من خارج الجزيرة العربية.

نتائج البحث:

بعد دراستنا للموضوع تبين لنا إن هناك العديد من الوسائل الإعلامية في العهد النبوي ساعدت على نشر الدعوة الإسلامية، وأثرت في إقناعهم بالدين الجديد ومن بين هذه الوسائل وأهمها:

- القران الكريم وإعجازه اللغوي والعلمي وما فيه من آيات ودلالات واضحة تدل على قدرت الله وما فيه من توضيح وتفصيل للشريعة الإسلامية.
- وفي أحاديث النبي (ﷺ) التي تعد مكملة لتوضيح آيات القران الكريم، وما فيها من جانب إعلامي للمسلمين يزيل الغموض ويفهمهم معاني الدين الإسلامي وشريعته السمحة،
- الى جانب الأذان وما فيه من إعلام الناس بالدين الجديد ونبذ ديانة الشرك القديمة، والتي ينادي جهرا للصلاة به خمس مرات باليوم يدعوا الناس الى الإخلاص للدين الإسلامي
- كما إن للصلاة وسيلة إعلامية مهمة وما فيها من فوائد روحية وطقوس وضمن أوقات محددة تنم عن ظهور ديانة جديدة موحدة لله وتنبذ ديانة الشرك في الجزيرة العربية في عهد ألنبوه
- وكذلك فأن خطب الرسول (ﷺ) الدينية والسياسية التي ألقاها في المسجد النبوي في صلاة الجمعة وما فيها من وعظ للمسلمين شكلت جانبا إعلاميا مهما في الدعوة الى الدين الجديد والتمسك به،

- كما أن لبيعتي العقبة الأولى والثانية دور إعلاميا مهما ساعد في نشر الإسلام خارج حدود مكة وانتقاله الى يثرب وتعليم الدين الجديد. قبل هجرة النبي إليها لأنها كانت مهيأة لتقبل الدين الجديد قبل هجرة النبي إليها
- أما الشعر الذي تغير بعد ظهور الإسلام وصار الشعراء المسلمين يجاهدون بشعرهم ويدافعون عن الرسول (ﷺ) وعن فكره الجديد أمام هجمة المشركين إذ دحضوا شعراء قريش وسفهوا أحلامهم بقصائد كانت أمضى عليهم من ضرب السيوف كانت على لسان ابرز شعراء المسلمين أمثال حسان بن ثابت وعبدا لله بن رواحه وآخرين نشروا مبادئ الإسلام ودافعوا عنها حتى صاروا من المقربين الى الرسول(ﷺ) نتيجة خدماتهم الإعلامية والدفاعية عن الإسلام وفضلا عن ذلك فأن للحج دورا إعلاميا مهما في نشر الدين الإسلامي من خلال توافد المسلمين لأداء فريضة الحج الى مكة وعودتهم الى ديارهم كما أظهرت مناسك الحج مدى قوة المسلمين وأعدادهم أمام أعدائهم من خلال هذا التجمع الذي يتكرر كل حول.

الهوامش:

(١) الجوهري إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٦هـ) الصحاح، تحقيق: احمد بين عبدا لغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٧)، ج ٥، ص١٩٩٠ ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (ت ٦٣٠ هـ – ٧١١ م)، لسان العرب، دار، صادر، بيروت، ج ١٢، ص٤١٨

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص٤١٧ –٤١٨ وص٢١٨

(٣) المتوكل،محمد بن عبدا لملك، مدخل الإسلام والرأي العام،القاهرة، ص١٠–١٢

(٤) ابن هشام، الإمام أبي محمد عبدا لملك بن هشام، بن أيوب الحميري المعا فري، (ت٢١٣ أ و٢١٨ هـ)،السيرة النبوية، ط٢،مؤسسة المعارف،(بيروت – ٢٠٠٧) ص١٥٨–١٥٩

(٥) القران الكريم، سورة الجن، أيه، [١– ٣]

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ص١٩٣ وص١٧٤–١٧٥، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري،(ت٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (مصر ١٩٦٧)،ج١، ص٣٦٤–٣٧٠

(٧) إسماعيل، محمود، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٩٠)، ط ٢، ص٤٩

(٨) ابن سعد، محمد بن سعيد بن شيخ الزهري، الطباق الكبرى، (ت٣٢٠هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، افهارستها: رياض عبدا لله عبدا لهادي، مج١ ص٩٦

(٩) القران الكريم، سورة الشعراء، أيه، [٢١٤]

(١٠) القران الكريم، سورة المائدة ، أيه، [٩٩]

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١، ص٩٥-٩٧، الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ص١١

(١٢) القران الكريم، سورة الأنفال، أيه، [٧٢]

(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١ص٩٥-٩٦

(١٤) القران الكريم، سورة الحجر، إيه، [٩٤ – ٩٥]

(١٥) الملاح، الوسيط، ص١٤١

(١٦) القران الكريم، سورة يوسف، أيه، [١١١]

(١٧) القران الكريم، سورة الكهف، أيه، [١٣]

(١٨) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤، ج ١، ص ١٩٦ – ٢٠٢

(١٩) الملاح، الوسيط، ص١٠٨

(٢٠) حسن، تاريخ الإسلام السياسي،ج١، ص١٠٤-١٠٦ الملاح، الوسيط، ص٢١٣-٢١٤

(٢١) القران الكريم، سورة الحشر، أيه، [٧]

(٢٢) مسلم، أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء تراث العرب ، ١٩٥٥، ط١، ج١، ص ٥٢٠

(٢٣) مسلم، صحيح مسلم ، ج ٣، ص ١٣٢٣

(٢٤) مسلم، صحيح مسلم ، ج ٣، ص ١٦٧٥

(٢٥) إمام ، إبراهيم، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص٧.٥

(٢٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٠-٥٣

(٢٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١١٩-١٢٠

(٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٢٥٨-٢٥٩

(٢٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١،ص ١١٩-١٢٠

(٣٠) ادهم، محمود، الآذان معجزة إعلامية كيف، دار الشعب، ص٥-٦

(٣١) ابن هشام، السيرة النبوية، ص١٢٥

(٣٢) موسى، اشرف محمد، الخطابة وفن الإلقاء، القاهرة، ص ٧

(٣٣) درويش، محمد طاهر، الخطابة، في صدر الإسلام، ط٢، دار المعارف مصر ، ١٩٦٨، ص١

(٣٤) الجبوري، جميل، وسائل الإعلام ومسيرة الإنتاج، (بغداد، ١٩٧٧)،ص٧١

(٣٥) بن كثير أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية (٧٠٠-٧٧٤هـ)، ط١، تحقيق أبو الفضل الدمياطي احمد بن علي وآخرون، دار الغد الجديد (القاهرة ٢٠٠٧) ، ج٢،ص١٩٤

(٣٦) درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص٥٥

(٣٧) عبدا لحليم، محي الدين، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية، ودار الرفاعي، ط٢، (الرياض ١٩٨٤)، ص٢٦

(٣٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٢٥٣

(٣٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٢٢٣

(٤٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١، ص١٤١

(٤١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١،ص١٢٤-١٢٥

(٤٢) ابن هشام،السيرة النبوية، ص٢٩٤،الطبري، تاريخ الطبري،ج٣،ص ٨٤-٨٥

(٤٣) القران الكريم، سورة الأعراف، أيه، [٧]

(٤٤) القران الكريم، سورة سبأ، إيه، [٢٨]

(٤٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٢٤ – ١٢٥

(٤٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٢٥

(٤٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٢٤

(٤٨) حسن، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ١٥٨

(٤٩) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي، إعلام السائلين، عن كتب سيد المرسلين، (ت٩٣٥)، نشر مكتبة القدسي والبدين، (دمشق ١٣٤٨)، ص١-٦

(٥٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٢١٨-٢٢١

(٥١) ابن الأثير، علي بن احمد الكرم، الكامل في التاريخ، (ت٦٣٠هـ – ١٦٣٨م) مطبعة دار صادرة للطباعة والنشر، (بيروت -١٩٦٥)، ج ٢، ص٩٨

(٥٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٢١٨-٢٢١

(٥٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج١، ص١٠٦

(٥٤) ابن سعد، المصدر نفسه، مج١، ص٣٣٤

(٥٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٥

(٥٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٥-١٠٦، ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٢٠

(٥٧) محمد، محمد سعيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ط١، ودار الرفاعي (الرياض. ١٩٨٣) ص٩٨-٩٩

(٥٨) حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٥٠٦-٥٠٧

(٥٩) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٣٣

(٦٠) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفان دار صادر، بيروت، ج١، ص ٣٠٥

(٦١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج١، ص٢٦٥

(٦٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٣٨١

(٦٣) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج١، ص٢٥٨

(٦٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٣٠٢-٣٠٣

(٦٥) التهامي، مختار، الإعلام في صدر الإسلام، مجلة الآداب، مطبعة دار الجاحظ للمطبوعات والنشر، (بغداد، ١٩٧٧)ع ٢١ مج ١، ص٤٩٣-٤٩٤

(٦٦) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج١ ص١٨٩

(٦٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ص٣٠٣

(٦٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٣٦-٣٣٧

(٦٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٢٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ص٧٠٨، المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ت٣٤٦ هـ – ٩٥٧ م) اعتنى به: محمد هشام النعسان وآخرون، ط١،دار المعارف (بيروت – ٢٠٠٥)،ج٢، ص ٢٥٦

(٧٠) القران الكريم، سورة الحج، أيه [٢٦-٢٧]

(٧١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج٢، ص ٣٣٧

(٧٢) ابن إسحاق، محمد ابن إسحاق ابن يسار ألمطلبي المدني، السيرة النبوية (ت ١٥١ هـ)، حققه احمد فريد المز يدي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٩)، ط ٢، ج٢، ص٦٧٠

(٧٣) القران الكريم، سورة البقرة، أيه، [١٢٥]

(٧٤) سلاطين، محمد عبد السلام، فريضة الحج وزيارة الحرمين الشريفين(المكتبة المصرية، ٢٠٠٤،)، ص١١٣

(٧٥) القران الكريم، سورة الحج، أيه، [٢٨]